كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م

الجزء الأول

السيرة النبوية

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار

الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الطبعة الاولى

بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا : فكسي - ص.ب : ١١/٧٠٦١

تلفون : ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس : ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي : ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس : ٠٠١ - ٢١٢ - ٤٧٨٢٣٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

ـ قال أحمد بن يحيى بن جابر : أخبرني جماعة من أهل العلم بالكتب قالوا :

نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ ـ وهو إدريس عليه السلام ـ بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم .

ـ وقالوا : لما قَتل قائينُ بن آدم أخاه هابيل ، وُلد لآدم شِيث . فقال آدم : هذا هبة من الله ، وخلفُ صدقٍ من هابيل . فسمّى شِيث : هبِة الله .

ـ وروي عن محمد بن إسحاق بن يسار ، إنه قال :
سمّى أخنوخ «إدريس» لأنه أول من خطّ بقلم ، ودرس الكتب .
قال : وكان أنوش أول من غرس النخلة ، وزرع الحبّة ، ونطق بالحكمة .

ـ وقال بعض أهل المدينة :
هو نُوح بن سلكان بن مثوبة بن إدريس عليه السلام بن الزائد بن

مهلهِل بن قنان بن الطاهر بن هبة الله بن آدم ؛ وزعم أن ذلك عن الزهري . والأول أثبت وأشهر .

ـ وحدثني عباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ، عن جده وغيره ، قالوا :

العرب العاربة عاد ، وَعبيل ابنا عوص بن إرم بن سام بن نوح . وجُرهُم بن عابر بن سبأ ، وهو ابن أرفخشذ بن سام بن نوح . وطسم ، وعَمليق ، وجاسم ، وأميم بنو يلمع بن عابر بن أشليخا بن لوذ بن سام بن نوح . وحضرموت.وهو حضرموت ، وشالاف وهو السلف ، والموذاذ وهو الموذ بنو يقطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وثمود ، وجديس بن إرم بن نوح . ويقطان هو يقطن في قول بعضهم .

ـ وقال عباس : قال أبي :

دخلٌ ولد السلفَ في حمير ، فقالوا : نحن بنو السلف بن حمير بن سبأ بن يشجُب بن يعُرب بن قَحطان . وقال بنو لَوذ : نحنِ بنو لوذ بن سبأ بن يشجُب بن يعرب . ودخلوا في حمير فانضمّوا إليه على هذا النسب .

ـ حدثني بكر بن الهيثم بن عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن مكحول ، عن مالك بن يخامر :

أن النبي ﷺ قال : العرب كلها بنو إسماعيل إلا أربع قبائل : السُلَف ، والأوزاع ، وحضرموت ، وثقيف .

ـ وحدثني عباس ، عن أبيه ، قال :

اختلف الناس في قَحطان . فقال بعضهم : قحطان هو يقطان المذكور في التوراة بعينه ، إلا أن العرب أعربته فقالت قحطان . وقال آخرون : هو

قحطان بن هود عليه السلام بن عبد الله بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ؛ وهو غير يقطان .

وقال هشام : كان أبي ، وشَرْقي بن القطامي يقولان :

قحطان بن الهَمَيْسَعَ بن تيمن بن نبت بن قيذار ، وهو قيذر . وكان قيذر صاحب إبل إسماعيل . واسمه مشتق من ذلك . وهو ابن إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم الخليل ﷺ بن آزر - وهو تارخ - بن ناحور بن ساروع بن أرعوا بن فالغ بن عابر بن أرفخشذ - والنصارى تقول : أرفخشاذ - بن سام بن نوح بن لامك . وبعض المدنيين يقولون : آزر بن ناحر بن الشارع بن الراع بن القاسم - الذي قسم الأرض بين ولد نوح - بن كعُبر بن السالح بن الرافد بن السائم بن نوح . ويزعم أن ذلك عن الزهري . والأول أثبت وأشهر . وقال الكلبي ، والشرقي : إسماعيل أبو كل عربي في الأرض .

- وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي :

أن النبي ﷺ قال لقوم من أسلَمَ : «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً»[1] .

وقال هشام بن الكلبي : سمعتُ من يذكر أن تارح لقب لأبي إبراهيم .

وقال الشرقي بن القطامي : اسمه تارح ، ولقبوه آزر . وهو السند والمعين .

١ - في مسند الإمام أحمد - الحديث ٣٤٤٤ : «رميا بني اسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً» .

وقال أحمد بن يحيى بن جابر ، وحدثت عن أبي روق الهمداني ، عن الضحاك بن مزاحم ، أنه قال :

ازر يا شيخ . وأثبت ذلك قول الشرقي . وأهل التوراة يقولون للسند والمعين . عازر . والله أعلم .

أول من تكلم بالعربية

ـ وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي صالح ، قال :

تكلمت العرب العاربة بالعربية حين اختلفت الألسن ببابِل .

قال هشام : وأهل اليمن يقولون : أول من تكلم بالعربية يعرُب بن قحطان .

قال هشام : وأخبرني أبي ، والشرقي :

أنّ أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم : إسماعيل عليه السلام حين أتى مكة ، وله أقل من عشرين سنة ؛ ونزل بجُرهم . فأنطقه الله بكلامهم ، وكان كلامهم العربية .

قال هشام : وسَمَّت العربُ إسماعيل : عرق الثرى ، يريدون أنه راسخ ، ممتدّ .

قال : وقال قوم : سمّي بذلك لأن أباه لم تضرّه النار ، كما لا تضرّ الثرى .

ـ وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن عدة من أهل الرواية ، قالوا :

لما تفرق ولدُ نوح في الأرض حين قسمها فالغ بن عابر ، وأخ له يقال له نوناطر ، نزلت عادٌ الشِّحر ؛ وبه أُهلكوا . ونزلت عبيل بناحية يثرِب ،

فأخرجتهم العَماليق ، بعد حين ، من منزلهم . فنزلوا موضع الجحفْة . فأتى عليهم سيل ، اجتحفهمْ إلى البحر . فسمى الموضع الجحفة . وكان مع العماليق رجل من بني عَبيل ، فنجا . فقال ، فيما يزعمون :

عـينُ بكّي وهـل يـرجـع ما فـات فيضها بـالسجـام
عمّـروا يـثربـا وليس بهـا شر ولا صارخ ولا ذو سنام

وقال الربيع بن خثيم : ملأت عاد ما بين الشام واليمن .

حدثني بذلك أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بن بهدلة ، عن الربيع قال :

إنّ عادا كانوا قد ملأوا ما بين الشام إلى اليمن ؛ مَن دلّني على رجل من آل عاد ، فله ما شاء . ونزلت العماليق في أول الأمر صنَعاء اليمن . ثم انتقلوا إلى يَثرب فنزلوها . وإنما سُمّيت يثرب برئيس لهم ، يقال له يثرب . ثم انتقلوا إلى ناحية فلسطين من الشام . ومضت عامتهم إلى مصر ، وناحية إفريقية . وتفرقوا بالمغرب . فالبرابرة منهم . والبرابرة اليوم يقولون : نحن بنو بَرّ بن قيس . وذلك باطل . وإنما غزا رجل من التبابعة ، يقال له أفريقيس بن قيس بن صيفي الحميري إفريقية فافتتحها . فسُميت به . وسمع كلامَ هؤلاء العماليق ، فقال : ما أكثر بربرتهم . فسموا البرابرة . وأقام مع البرابرة : بنو صنَهاجة ، وكتامة من حِمير . فهم فيهم اليوم .

ونزلت ثمودُ الحِجر ، بين الحجاز والشأم ؛ وبه أهلكوا .

ونزلت طَسمْ بين اليمن واليمامة .

ونزلت جدَيس بموضع اليمامة . وكانت اليمامة تعرف بجوّ ؛ سمتها جديس بذلك . وكانت بين طسم وجَديس حروب ، أفنت جديسٌ فيها أكثر طسم . فقال القائل :

يا طسمُ ما لاقيتِ من جديس

ثم إن بقية طسم انضمّت إلى جديس باليمامة ، فتوجه تُبّع من اليمن ، وقدم عبد كلال بن مثوب بن ذي جِرْث بن الحارث بن مالك بن عَيْدان ، فقتل طسماً وجديساً باليمامة ، وصلب امرأةً من جديس ، يقال لها اليمامة بنت مُرّ ، على باب جوّ ؛ فسميت جوّ اليمامة باسمها .

وقال حماد الراوية : منعت جديس خرجاً كان عليها ، فأخذت طسم بذنبهم . فقيل :

يا طسمُ ما لاقيتِ من جديس

والله أعلم .

ونزلت جاسم بالموضع الذي يدعى جاسم ، بالشأم ، وكانوا قليلا .

ونزل بنو تميم بين اليمن والحجاز . فدرجوا ، حتى لم يبق منهم كبير أحد .

ونزلت جُرهم بمكة وما حولها . وسموها صلاحا . ثم إنهم استخفّوا بحُرْمة البيت وأضاعوا حقَّه ، فوقع فيهم طاعون أهلك أكثرَهم ؛ حتى قويت خُزاعة عليهم ، وغلبت على البيت وأخرجتهم . فنزلوا بين مكة ويثرب ، فهلكوا بداءٍ يعرف بالعدسة إلا من سقط منهم في نواحي البلاد .

ـ وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : بوّأ الله لإبراهيم مكانَ البيت[1] ، وهو حذو البيت المعمور الذي يدعى الصُراح . فبناه إبراهيم ، ومعه ابنه إسماعيل . واستعانا بأولاد جرهم بن عابر بن سبأ بن يقطن ، فعملوا معهما . وكانت منازل

---

١ ـ انظر قوله تعالى في سورة الحج ـ الآية : ٢٦ : ﴿وإذا بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً﴾ .

جرهم بمكة وما حولها . فلما قبض الله عز وجل نبيه إسماعيل عليه السلام ، قام بأمر البيت بعده قيذر بن إسماعيل ، وأمه جرهمية . ثم نبت بن قيذر ، ثم تيمن بن نبت ، ثم نابت بن الهميسع بن تيمن بن نبت . فلما مات نابت ، غلبت جرهم على البيت ، فكانوا ولاته وقوّامه ما شاء الله . وتفرق ولدُ إسماعيل من العرب بتهامة ، وفي البوادي والنواحي إلا من أقام حول مكة من ولد نزار ، تبركاً بالبيت . فلما أرسل الله جل وعز على ولد سبأ بمأرب ما أرسل من سيل العرم ـ وهو سدّ كان لهم بين جبلين ـ تفرقت الأَسْد [1] ؛ وانخزعت منها خُزاعة ، وهم ولد لحُيّ بن حارثة ، وأفصَى بن حارثة بن عمرو ، مُزيَقيا ، فنزلوا بظهر مكة . فلم يزالوا يكثرون ؛ وتقلّ جرهم لاستخفافهم بالبيت وفجورهم فيه ، حتى غلبتهم خزُاعة وألفافُها على مكة ، وطردوهم عنها . فدخل بعضهم في قبائل اليمن . ونزل بعضهم بين مكة ويثرب ، فأصابهم الداء الذي يعرف بالعدسة ، فهلكوا .

قال هشام : ومما يروى في خروج جرهم من مكة شعر عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمر بمكَة سامرُ
ولم يتربع في واسطٍ فجنُوبه [2] ... إلى المنحنى من ذي الأراكة حاضر
بلىٰ نحن كنا أهلها فأزالنا ... صروفُ الليالي والجدود العواثر
وكنا ولاةَ البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والخيرُ ظاهر

وقال أيضاً :

يا أيها الناس سِيروا إنّ نظركم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

١ ـ الأَسْد هم الأزد ، قال الوزير المغربي في الايناس في علم الأنساب ـ ط : الرياض ١٩٨٠ ص ٥٧ : «ويقال الأَسْد ـ بوزن العقل ـ وهو الأفصح ، إلّا أن الأول أكثر» .
٢ ـ وردت الشطرة بهذا الشكل وهي مختلة الوزن .

كنا أناساً كما كنتم فأسلمنا دهرٌ فأنتم كما كنا تكونونا
حُثّوا المطي وأرخوا من أزمتها قبلَ المهات وقَضّوا ما تقضونا[1]

وقال بعضهم :

وادٍ حـرامٌ طيـره ووحشـهْ نحـن ولاتـه فـلا نغشّـهْ
وابن مُضـاض قـائم يمشـه يأخذ مـا يهدي لـه يفشـه

ونزلت حضرموت مكانها من ناحية اليمن .

وقال هشام بن الكلبي : تزوج مُرْتِع بن معاوية بن ثور ـ وثور هو كندي ، وإليه تنسب كِندة ـ امرأة من حضرموت . واشترط أبوها عليه أن لا يتزوج سواها ، وأن لا تلد إلا في دار قومها . فلم يف بشرطه . فتحاكموا إلى الأفعى بن الحصين الجرهمي ـ ويقال إنه الأفعى بن الحصين بن تميم بن رهم بن مرة بن أدد بن يشجُب بن عريب بن زيد بن كهَلان بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان . وكانت العرب تتحاكم إليه ، وثبتوا عنده الشرط الذي كان شرط . فقال الأفعى : «الشرط أملكُ» . وهو أول من قالها . فأخذ الحضرميون الامرأة وابنها من مُرْتع ، واسمه مالك . فقال مُرْتِع : أما مالك ، ابني ، فصدف عني . فسمى الصَّدِف . فَمن كان من ولد مالك الصدف بن مُرْتِع ، ببلاد حضرموت ، فهم ينسبون إلى كِندة ، ومن كان بالكوفة ، فهم ينسبون إلى حضرموت .

ومن الحضرميين من أهل الكوفة : وائل بن حجر من الطبقة الأولى ؛ أوس بن ضمعج مات بولاية بشر بن مروان ؛ أبو الزعراء عبد الله بن هانيء ؛ وائل بن مهانة ؛ عبيس بن عقبة ، كثير بن نَمير ، عبد الله بن الجليل ؛ عبد الله بن يحيى ، سلمة بن كُهيل ، مات سنة اثنتين وعشرين

١ ـ انظر سيرة ابن هشام ـ تحقيقي ـ ط . بيروت ١٩٩٢ ج ١ ص ٨٢ ـ ٨٣ .

ومائة حين قُتل زيد بن علي عليه السلام ـ وقال أبو نعيم : مات يوم عاشوراء من هذه السنة ـ يحيى بن سلمة بن كُهيل ، وتوفي في خلافة موسى أمير المؤمنين[1] . أخوه محمد بن سلمة بن كهيل .

ومن أهل البصرة : يحيى بن إسحاق ؛ عبد الله بن أبي إسحاق كان صاحب قرآن وخُطب ، ويكنى أبا بحر ، يعقوب بن إسحاق الحضرمي المقرىء ؛ أخوه أحمد بن إسحاق . يقال إنهم موالى العلاء بن الحضرمي ، وهم من أهل البحرين .

ومن أهل الشأم : جُبير بن نُفير الحضرمي ، يكنى أبا عبد الرحمن ، أسلم في خلافة أبي بكر ، ومات سنة خمس وسبعين ، ويقال في سنة ثمانين ؛ كثير بن مرّة الحضرمي ؛ أبو الزاهرية ، واسمه جعفر بن كريب ، ويقال إنه حميري ، مات سنة تسع وعشرين ومائة ، أبو لقمان الحضرمي ، مات سنة ثلاثين ومائة ، حاتم بن حريث ، مات سنة ثمان وثلاثين ومائة .

ومن أهل مصر : عبد الله بن عقبة بن لهيعة ، مات في سنة أربع وسبعين ومائة ؛ عون بن سليمان ، مات في خلافة المهدي أمير المؤمنين . وبمصر منهم جماعة .

ـ وقال محمد بن سعد : بالمدينة قوم من الحضرميين ؛ لهم دار تعرف بدار الحضرمين في بني جَدَيلة . ومولاهم بُسر بن سعيد ، مات في سنة مائة وهو ابن ثمان وسبعين سنة ؛ وكان ينزل في دارهم بالمدينة .

ـ أخبرني محمد بن زياد الأعرابي الراوية ، عن هشام بن محمد الكلبي .

١ـ موسى الهادي ١٦٩ ـ ١٧٠هـ/٧٨٥ ـ ٧٨٦ م .

قال : من قبائل حضرموت تِنْعة ؛ ولَهيعة وهم اللهائع ، وأكثرهم بمصر ؛ وضَمعج وهم الضماعج ؛ وعلقمة ، وهم العلاقم ؛ والأدمون ، والأربوع ؛ والأملوك ، غير الذي في حِمير ، وذو مَرّان ، ويقال إنهم الذين في هَمدان ؛ وشَعْب ، دخلوا في همدان فقالوا : شعب بن معدي كرب بن حاشد بن جشم ، وهم رهط عامر بن شراحيل الشعبي ؛ وشَعْبان ، وهم في حمير ، وكان يقال لشعبان عبد كلال ، فلما انشعب من قومه قيل «شعبان» ؛ ومرحَب ؛ وجُعشم ، وهم الجعاشمة ؛ وأُخْدرَ ؛ وهم الأخادرة ؛ وسِلع ، وذو طحن ؛ ووَليعة ، غير وليعة كندة ؛ ووائل ؛ وأَنسى . قال بعضهم :

وجدّي الأنسويّ أخو المعالي وخالي المرحبيّ أبو لهيعهْ

وَرَدْمان ، وأشوع ، وأحمر دخلوا في هَمدان ، والأثروم ؛ والأذمور رهط الصعبة بنت عبد الله بن عماد الحضرمي ، أم «طلحة بن عبيد الله» المسمَّى «صاحب رسول الله» ﷺ ، ورهط عامر الحضرمي ـ حليف بني أمية ـ ابن عبد الله بن عامر الحضرمي صاحب معاوية ، وكسروهم بناحية فلسطين ، ورهط مسروق بن وائل أبي شمر الذي يقول :

وأكرم ندماني وأحفظ غيبه وأملأ زق الشرب غير مشائط

ويقال إنه من الأدمون . ومن الحضرميين ميمون الحضرمي ، صاحب بئر ميمون بمكة وعندها دُفن أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور . ومنهم عمرو بن الحضرمي الذي قتله المسلمون في سرية عبد الله بن جحش . وسنذكر خبره إن شاء الله تعالى .

نسب ولد عدنان بن أدد

ـ حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عبد الله بن وهب المصري ، عن أبي لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة بن حذافة ، قال :

ما وجدنا في علم عالم ولا شعر شاعر مَنْ وراء عدنان بثبت .

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ ، إذا بلغ في النسب إلى أُدد ، قال : «كذب النسّابون ، كذب النسّابون ؛ قال الله عز وجل : ﴿وقُروناً بين ذلك كثيرا﴾»[1] . قال ابن عباس : ولو شاء رسول الله ﷺ أن يعلمه لعلمه .

وحدثني روح بن عبد المؤمن ، عن أبي اليقظان ، عن وضاح بن خيثمة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي قال :

إنما حفظت العرب من أنسابها إلى أُدد . قال الكلبي : فأدد من ولد نابت بن الهَمَيسع بن تيمَن بن نبت بن قيذر بن إسماعيل .

---

١ ـ سورة الفرقان ـ الآية : ٣٨ .

وقال بعض المدنيين : أدد من ولد الهميسع بن أشجُب بن نبت بن قيذر بن إسماعيل . وقول الكلبي أثبت .

ـ وولد أدد : عدنانَ ـ وأمه ، فيما ذَكر غير الكلبي ، المتمطّرة بنت علي ، من جرهم أو من جديس ـ ؛ ونبت ؛ وعمرو ، درج . فولد نبت بن أدد : شَقرة . وهم في مَهْرة بن حَيدان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . قال الشاعر ، وهو الحارث بن نمِر التنوخي :

أيّ يـوميّ من الموت أفـر   يوم لم يقدر أم يوم قدر
إنّ أخوالي من شَقرة قـد   لبسوا لي غمساً جلدَ نمـر
نَـحتـوا أثـلتَنـا ظـلما ولم   يَرهبوا لفتَ الوبالِ المستمر
فلئن طـأطـأتُ في قتلهم   لَتُهـاضنّ عظامي من عفـر
ولئن غـادرتُهم في ورطـة   لأكـوننْ نهزة الشيخ النفِـر

ويشجبُ بن نبت ، وهم في وحُاظة من ذي الكلاع ، من حمير .

ويقال ، والله أعلم ، إن نبت بن أدد هذا هو الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان . وبعض الرواة يقول : هو عدنان بن أدد . والثبت أنه عدنان بن أدد .

ـ وولد عدنانُ : مَعَدّ ـ وبه كان يكنى ـ والديث ، وأبيّ ، والعَيّ . وهو الثبت . وبعضهم يقول : العيّ ، وَعدين درج . هؤلاء الثلاثة ، وأمهم مَهدَدَ بنت اللِهَم بن جَلحَب ، من جدَيس . وقال بعضهم : هي من طَسْم . والأول أثبت .

---

١ ـ نهزة : فرصة ، والنفر : القوم ينفرون معك ويتنافرون في القتال . القاموس . انظر أيضاً جمهرة النسب لابن الكلبي ـ ط . دمشق ١٩٨٣ ج ١ ص ٣ ـ ٤ .

ـ فولد الديثُ بن عدنان : علكّ . ويقال : إنه عَكّ بن عدنان نفسه .
وبعضهم يقول : عَكّ بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن الغَوث .
وبعض الناس يقول : عكّ بن عُدْثان بن عبد الله بن الأزد . وذلك تصحيف ؛ ليس في الأزد عُدثان (مضموم العين تُعجَم بثلاث) إلّا عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، وهو أبو دَوس . وقال الكميت بن زيد الأزدي :

كعَكّ في مناسبها منار إلى عدنان واضحة السبيل[1]

وقال عباس بن مِرداس السُّلَمي :

وعكّ بن عَدنان الذين تلقبّوا بغَسّانَ حتى طُردّوا كل مطردِ[2]

ـ فولد عكُّ بن الديث ـ واسم عَكّ «الحارث» ـ : الشاهد ، وصُحار واسمه غالب ، وسُبيع درج ، وقَرْن وهم في الأزد يقولون : قَرن بن عَكّ بن عَدنان بن عبد الله بن الأزد .

ـ فولد الشاهدُ بن عكّ ، غافِق ، وساعدة .

ـ فولد غافق ، لِعْسان ، ومالك ، والقياتة ـ بالتاء ـ

ـ وولد صُحار بن عكّ : السَمنَاة ، وعَنْس . وبَولان ، وهما عدد عكّ . فمن بني بَولان : مقاتِل بن حكيم بن عبد الرحمن الخراساني ، من رجالِ دولة بني العباس .

ـ فولد لِعْسان بن غافق : الحُوثة ، وأسلُم ، وأكرم . فولد أكرم : وائل ، ورّيان بالراء ، وخِضران .

ـ وولد مالك بن غافق : رهنة ، وصُحار .

١ ـ ديوان الكميت بن زيد ـ ط . بغداد ١٩٦٩ ج ٢ ص ٦٦ .
٢ ـ الايناس للوزير المغربي ص ٦٢ .

- وولد القِياتة بن غافِق : أحدب ، وأوفى ، وأسيلم، وخِدران ، وأسلم .

- وولد رهنة بن مالك : كعب ، وطريف ، ومالك .

- وولد صُحار بن مالك بن غافق بن الشاهد : عبد ، وربيعة ، ومعاوية .

- وكان من ولد غافق ، سَمْلقَة بن مُرَىّ بن الفُجّاع صاحب أمر عَكّ يوم قاتلوا غسّان . وهو أول من جَزّ ناصية أسيرٍ ، وأطلقه . وكان رئيس غسان يومئذ ربيعة بن عمرو[1] .

- ويقال إنّ أول من كسا الكعبةَ عدنانُ . كساها أنطاع الأدم .

- وولد مَعدُّ بن عدنان : نِزار بن معدّ ، وبه كان يكنى ، ويقال إنه يكنى أبا حَيْدة ، وبعضهم يقول إنه كان يكنى أبا قُضاعة - وقَنَص بن معدّ ، وقُناصة ، وسنَام . والعرف ، وعوف ، وشك ، وحَيْدان ، وحيدة ، وعُبيد الرماح - في بنى كنانة بن خُزيمة - وجُنيد في عَكّ ، وجُنادة ، والقَحْم . وأمهم مُعانة بنت جُشَم بن جَلْهة بن عمرو بن جُرهم . وبعضهم يقول جَلهمة . والأول أثبت .

وقال بعضهم : اسمها عنة بنت جَوشن بن جُرهم .

وقال ابن مزروع : اسمها ناعمة . والأول قول ابن الكلبي .

وقال هشام بن محمد : يقال إن معانة كانت عند مالك بن عمرو بن مرة بن مالك بن حمير ، ثم خلف عليها بعده مَعدّ بن عدنان فجاءت معها بقُضاعة بن مالك بن عمرو . فكان يقال له قضاعة بن معدّ . فولدت .

١ - في جمهرة ابن الكلبي ج ١ ص ٢ «زوبعة بن عمرو» .

قال : ويقال إن معانة كانت بديًّا عند معدّ ، فولدتْ له قُضاعة ، ثم خلف عليها مالك بن عمرو ، وتبنى قُضاعة فنُسب إليه ، وأنّ قضاعة كان يسمى عمرا . فلما تقضّع عن قومه ، أي بعُد ، سُمّي قُضاعة . والله أعلم .

ـ وقال هشام . كان عمرو بن مُرّة الجُهنَي أول من ألحق قضاعةَ باليمن .

فقال بعض البَلَوِيين :

أيا إخوتي لا ترغبوا عن أبيكم ولا تَهلكوا في لُجّة لجّها عمرو

ـ وقال بعض الرواة : أم قضاعة عَكْبَرة . وقال الكلبي : لا أدري ما هذا .

ـ وحدثني أبو عدنان الأعور ، عن أبي زيد الأنصاري النحوي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال :

لم تزل قُضاعة معدّية في الجاهلية ، ثم تحولوا فقالوا : قضاعة بن مالك بن عمرو . وذلك لأن بني مالك بن عمرو إخوتهم لأمّهم .

وحدثني أبو الحسن المدائني ، عن أبي اليقظان :

أن عمر بن عبد العزيز ـ وكانت أم أبيه كلبية ـ قال لبعض أخوال أبيه : إن عليّ منكم لغضاضة عضتّكم حربُ قوم ؛ فانتفيتم من أبيكم وانتميتم إلى غيره ؛ وكنتم إخوة قوم لأمّهم فصيّرتم أنفسكم إخوتهم لأبيهم وأمهم .

وحدثني محمد بن الأعرابي الراوية ، عن المفضل الضبي ، عن القاسم بن معن وغيره :

أنّ أول من ألحق قضاعة بحِمير، عمرو بنُ مرّة الجهني، وكانت له صحبة.

وروي عن هشام بن عروة، عن عائشة، قالت:
قلتُ: يا رسول الله، قضاعة ابن مَن؟ قال: ابن معدّ.

وحدثني محمد بن حبيب مولى بني هاشم، قال: أنشدني أبو عمرو الشيباني لشاعر قديم:

قُضاعة كان تُنسب من معدّ ... فلجّ بها السفاهة والضرارُ
فإن تعدل قضاعةُ عن معدّ ... تكن تبعا وللتبع الصَّغار
وَزَنَّيْتُم عجوزكم وكانت ... حصاناً لا يُشَمّ لها خمار
وكانت لو تناولها يمانٍ ... للاقى مثل ما لاقى يَسار
وأكره أن يكون شعار قومي ... لذي يمن إذا ذعرت نذار

قال: وكان «يَسار» هذا عبداً لإياد، فتعرض لابنة مولاه فزجرتْه. فأتى صاحباً له فاستشاره في أمرها. فقال له: ويلك يا يسار كُلْ من لحم الحُوار، واشربْ من لبن العِشار، وإياك وبنات الأحرار. فقال: كلا، إنها تبسمتْ في وجهي. فعاودها، فقالت له: ائتني الليلة. فلما أتاها، قالت: ادنُ مني أشمّك طِيباً. فلما دنا، جدعتْ أنفه بسكّين كانت قد أعدّتْهُ، وأحدّته؛ وكانت قد دفعت إلى وليدتين لها سكينتين، وقالت لهما: إذا أهويتُ لأجدع أنفه، فلتصلّم كل واحدة منكما أذنه التي تليها، ففعلتا ذلك، فلما أتى صاحبه الذي استشاره، قال له: والله ما أدري أمقبل أنت أم مدبر. فقال يَسار ـ ويقال هو يسار الكواعب ـ: هبْك لا ترى الأنف والأذنين؛ أما ترى وبيص العينين؟ فذهبتْ مثلا.

وقال جَميل بن عبد الله بن معمر العُذري :

أنا جميل في السَّنام من معدّ ... الدافعين الناسَ بالركن الأشدْ[١]

وكان جميل مع الوليد بن عبد الملك في سفر . فقال له : انزلْ فارتجزْ . فلما ارتجز بهذا الشعر ، قال له : اركبْ ، لاحملك الله . وذلك أنه ظنّ أن جميلا يمدحه كما مدحه راجز قبله ، فقال :

يا بكرُ هل تعلمَ من علاكا ؟ ... خليفـة الله عـلى ذُراكـا[٢]

ويقال إنّ جميلا لا يمدح أحداً قطّ . وقال جميل لبُثينة بنت حَبأ العُذرية :

ربتْ في الروابي من معدّ وفُضّلتْ ... على المَحصنات الغرّ وهي وليدُ[٣]

وقال زيادة بن زيد العذري :

وإذا معـدّ أوقـدت نـيرانَها ... للمجد أغْضتْ عامرٌ وتقنّعوا

«عامر» رهط هُذْبة بن خَشْرم . وقال أفلح بن يَعبوب ، من ولد أمر مناة بن مشجعة بن التَيم بن النمر بن وَبَرة بن تغلب بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة ، في أيام معاوية بن أبي سفيان :

يا أيها الداعى ادْعُنا وبشّرِ ... وكن قضـاعيـا ولا تنـزّرِ

قضـاعة بن مـالـك بن حِـمْيَرِ ... النسب المعروف غير المنكَرِ

وقال عامر بن عَبيلة بن قِسميل بن فران بن بَليّ :

ومـا أنـا نُسبتُ بِخنـدِفيٍّ ... وما أنا من بطون بني معدّ

ولكنـا لِحِمير حيث كنـا ... ذوي الآكال والركن الأشد

---

١ ـ ديوان جميل ـ ط . دار صادر بيروت ص ٥٢ ، وتوافق فيه الشطر الأول ، لكن قال الشطر الثاني : «في الذروة العليا والركن الأشد» .

٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

٣ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

ـ قالوا : وكان الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل بن مدرِكة أجرى وعامر بن عَبيلة فرسين لهما ، فسبق فرسُ عامر . فمنعه الحارث سبْقتَه ، وقُضاعة يومئذ بتِهامة . فقال : يآل معدّ . فلم يُجبه أحد فقال : والله لو كنتُ من معدّ لأجابني بعضهم . فهمّ قومُه بالخروج . فكره بنو معدّ أن يخرجوا عنهم ، ويصيروا إلى غيرهم ؛ فأعطى عامر سبقتَه . ثم إنّ خُزيمة بن نَهْد بن زيد ، وكان يعشق فاطمة بنتَ يذكُر بن عَنزَة بن أسد بن ربيعة بن نِزار ، وهو القائل فيها :

إذا الجـوزاء أردفت الثريـا ... ظننتُ بآل فاطمـة الظنـونا
ظننتُ بهـا وظنّ المرء ممـا ... يُجلّي للفتى الأمـرَ المبينـا

خرج هو ويذكُر بن عنزة يطلبان القرظَ ، فوقعا على هوّة فيها نحل . فقالا : هذه خير مما نطلب . فقال خُزيمة ، وكان بادنا : إن نزلتُ الهوّة ، لم تقدر على رفعي ؛ وأنت نحيف وأنا قوي على رفعك من الهوة . فنزل يذكُر ، فجعل يجنى العسل ويناوله خزيمة . فلما فرغ ، قال له : يا يذكر ، زوّجني فاطمة . فقال : ليس هذا بوقت تزويج . فتركه في البئر ، وأتى قومه . فسألوه عنه . فقال : لا علم لي به . ووقع الشر بين بني معدّ وبني قضاعة . فكان أول من خرج عن معدّ من تهامة ، جُهينة وسعد هذيم ابنا زيد بن سُود بن أسلُم . فنزلا الصحراء . فسّمتها العرب صُحار .

وخرجت بنو نَهد عن معدّ ، فنزل بعضها باليمن وبعضها الشأم . فالذين صاروا باليمن : مالك ، وخُزيمة ، وصُباح ، وزيد ، وأبو سُود ، ومعاوية ، وكعب بنو نهد . قال زُهير بن جَناب الكلبي يذكر تفرّق نهد :

ولم أر حيّا من معدّ تفرقوا ... تفرقَ معزى الفِزر[1] غير بني نَهد

١ ـ الفزر : القطيع الصغير .

وقال أيضاً :

لقد علم القبائلُ أنّ ذكري بعيد في قضاعـة من نزار
ومـا إبلَي بمقتـدر عليهـا وما حلمي الأصيل بمستعار

والذين جاءوا إلى الشأم : عامر ، وهم في كلب بن وَبَرة ، وعمرو ، ودخلوا في كلب أيضاً ؛ والطول ؛ وبرّة ؛ وحَزيمة ؛ وحنظلة ؛ وهو الذي يقال له «حنظلة بن نهد خير كهل في معدّ» ؛ وأبان بن نهد ، دخل في بني تغلب بن وائل . وقال بعض شعرائهم :

قضاعة أجلتْنا من الغَور كله إلى جنبات الشأم نُزجي المواشيا
فإن يك قد أمسى شطيرا ديارُها فقد يصل الأرحام من كان ثابيا

ـ وسُمِّي يذكُر بن عَنَزة بن أسد بن ربيعة : «القارظ العنزي» ؛ وضُرب به المثل . قال بشر بن أبي خازم الأسدي :

تَرَجِّي الخيرَ وانتظري إيابي إذا مـا القارظ العنـزيّ آبا[1]

وقد كان من عنزة قارظٌ آخر ، يقاتل له عامر بن هميم فُقد أيضاً . فقال أبو ذؤيب الهذلي :

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ويُنشَر في الموتى كُليب بن وائلِ[2]

ويروى «كليب لوائل» . وهو كُليب بن ربيعة بن الحارث بن زُهير ، من بني تغلب بن وائل . فنسبه إلى وائل والعرب تقول «كليب وائل» أيضاً .

ـ وقال هشام بن الكلبي : ويقال إن حَيْدان بن معدّ دخلوا في قضاعة ، فقالوا : حَيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وحيدان هو أبو مَهْرة بن حَيدان .

١ ـ ديوان بشر بن أبي خازم ـ ط . دمشق ١٩٧٢ ص ٢٦ .
٢ ـ ديوان الهذليين ـ ط . القاهرة ١٩٩٥ ص ١٤٥ .

ـ فولد سَنام بن معدّ : جشم بن سَنام ، وجاه . وهما في حَكم بن سعد العشيرة بن مالك .

ـ وولد حَيدة بن معدّ : مجيد ، وأفلح ، وقُزَح دخلوا في الأشعرين . ويقال إنّ ولد قُزح وحْدَه دخلوا في الأشعرين ، وإن الآخرَين درجا . والله أعلم .

وقال هشام بن الكلبي : ذكر بعض النُّسّاب أن حَيْدة بن معدّ ولد أيضاً معاوية . فولد معاوية : عُفيَر بن معاوية . فولد عُفير : ثور بن عُفير . فولد ثور : كِندي وهو أبو كِندة . وأنشد لامرىء القيس بن حجر الكندي :

تالله لا يذهب شيَخي باطلا   خير معدٍّ حَسبَا ونائلا[1]

وغيره ينشده : «يا خير شيخ حسباً ونائلاً» .

ـ وولد القَحْم بن معدّ : أفيان . فولد أفيان : غَنْثٍ بن أفيان ، وهم في بني مالك بن كِنانة بن خُزيمة .

ـ قال هشام : ودخل بنو عُبيد الرمّاح في كنانة ، وهم رهط إبراهيم بن عربي بن منكث . وكانت أم إبراهيم فاطمة بنت شريك بن سَحماء البلوي ، من قضاعة . وسَحماء أمه ؛ وأبوه عبدة بن مُغيث . وبسبب شريك هذا نزل اللِعانُ .

حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده قال :

أتى عاصمَ بن عدي البلوي ، رجلٌ من بني العَجلان من الأنصار يقال له عويمر، فسأله أن يسأل النبي ﷺ عن رجل وَجد مع أمرأته رجلاً، كيف يصنع ؟ فسأله ، فلم يجبه بشيء . فأتى عويمر النبي ﷺ ، فسأله عن ذلك .

١ ـ ديوان امرىء القيس ـ ط . دار صادر بيروت وفيه :

خير معد حسباً ونائلا   وخيرهم قد علموا شمائلا
نحن جلبنا القرح القوافلا   تالله لا يذهب شيخي باطلا

فقال : قد أنزل الله في أمرك وأمْر صاحبتك قرآناً ، فأت بها . فَلا عَنَ رسول الله ﷺ بينهما . وكان الذي قُذف بها شريك بن سَحماء .

وحدثني وهب بن بقية ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ هشام ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك قال :

لا عَن رسول الله ﷺ بين هلال بن أمية وامرأته ، وكان قد قذفها بشريك بن سَحماء. قال رسول الله ﷺ: «إن جاءت به أصهب أثبج أرشح حِمش الساقين فهو لهلال ؛ وإن جاءت به أورق جعدا خَدَلَّج الساقين سابغ الإليتين فهو للذي رُميت به». فجاء على الصفة المكروهة ، ففرّق رسول الله ﷺ بين المتلاعنين ، وقضى أن لا يُدعى ولد الملاعنة لأب ، ولا تُرمَى ولا ولدها ؛ وأنّ على من رماها الحد . وقضى بأن لا بيت لها عليه ولا قُوته .

وقال هشام بن الكلبي : لما كان يوم دار عثمان ، ضُرب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص ، فسقطا ، فوثبت فاطمةُ بنت شريك بن سَحماء فأدخلتْ مروانَ بيتا كانت فيه قراطيس فأفلتَ . فكان بنو مروان يحفظون إبراهيم بن عربي ويكرمونه بذلك السبب ، فتزوج إبراهيمُ ابنة طَلَبة بن قيس بن عاصم التهيمي المِنقَري . وكان عبد الملك قد ولّى إبراهيم بن عربي اليمامة وأعمالها . فأوفد إبراهيمُ مقاتلَ بن طَلبة بن قيس ، أخا امرأته ، إلى عبد الملك ومعه أشراف من تميم وعامر بن صَعصعة ، وكتب إلى الحجّاب أن يحسنوا إذنه ويقدّموه . فأذن له أول الغد . فلما دخل على عبد الملك ، أدناه وأكرمه . فقال :

وفضّلني عند الخليفة أنني ... عشيةَ وافت عامر وتميمُ
وجدتُ أبي عند الإمام مقدَّما ... لكل أناس حادث وقديم

وقال رجل من بني عَبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم :

لولا حرٍ قدّمته لابن منكث   مقلم لباب الأسكتين[١] أزوم[٢]
لما كنت عند الباب أول داخل   عشيـة وافت عـامـرُ وتميم

قال : واسم عربي عبد الرحمن . وتزوج إبراهيمُ ابنة عبد الرحمن بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف . ولإبراهيم عقب . قال : وكان إبراهيم أسود . فقال فيه البَعيث المُجاشعي :

ترى منبر العبد اللئيم كأنما   ثـلاثة غـربان عليـه وقـوع

ـ قال ابن الكلبي : ويقال إنّ معدّ بن عدنان ولد أودا ، فانتسبوا في مَذحِج فقالوا : أود بن صعب بن سعد العشيرة . وكان معدّ بن عدنان على عهد بُخت نَصَّر .

ـ وقال بعض الرواة : لم يبق لقَنَص بن معدّ عقب . وكان النعمان بن المنذر ، من تميم ، ونُسب إلى لخم ، وأنّ عمر بن الخطاب أتي بسيف النعمان ، فأعطاه جبير بن مطعم وقال له ـ وكان نسّابة ـ ممن كان النعمان ؟ فقال : من قَنص بن معدّ . واحتجَ من روى هذا بقول النابغة الذُّبياني :

فإن يرجع النعمانُ نَفرحْ ونبتهجْ   ويأت معدّا مُلكها وربيعُها[٣]

ـ فولد نِزار بن معدّ : مُضَر بن نِزار ؛ وإياد بن نزار ، وبه كان يكنى نزار ، وأمهما سَوْدة بنت عَكّ ؛ وربيعة ؛ وأنمار ، وأمهما الحَذالة بنت وعَلان بن جوَشم بن جَلهة بن عمرو ، من جُرهم .

فذكر بعضهم أنّ أنمار هذا درج بعد موت أبيه نزار ولم يعقب . وقال بعض الرواة : بل غاضب إخوته وانتفى منهم ، وأتى اليمنَ فحالف الأزد وانتسب إلى أراش بن عمرو بن الغوث ، أخي الأزد بن الغوث بن نبت بن

---

١ ـ الأسكتان : شِفرا الرحم ، أو جانباه مما يلي شفريه . القاموس .
٢ ـ أزوم : عض بالفم كله شديداً ، والفرس على فأس اللجام قبض . القاموس .
٣ ـ ديوان النابغة الذبياني ـ ط . دار صادر بيروت ص ٨٥ .

مالك بن زيد بن كُهلان ؛ وتزوج بجُيلة بنتَ صُعب بن سعد العشيرة ، فنُسب ولده منها إليها ؛ وتزوج هندَ بنتَ مالك بن الغافق من علّ أيضاً . فأما بَجيلة فولدتْ له عَبقر بن أنمار ، والغوث بن أنمار وإخوة لهما . وأما هند فولدتْ له أفتل وهو خثعم .

وقال آخرون : تزوج أنمار هاتين الامرأتين وولدتا له ؛ ثم إنّ ولده ادّعوا بعد موته بحين أنهم من ولد أنمار بن أراش .

وقال ابن الكلبي : سمعت من يذكر أن نِزارا وهب لأنمار جارية يقال لها بَجيلة فحضنتْ ولدَه . وذلك باطل ؛ وإنما وهب لإياد جاريةً اسمها ناعمة . وقال عمرو بن الخُثارم البَجَلي ، وهو ينتمي إلى معد :

ابني نـزارٍ انصرُوا أخاكـما   لن يُغلَبَ اليوم أخٌ والاكما
إنّ أبي وجدتُه أباكما

وقال أيضاً :

لقـد فُـرقتم في كـل قـوم   كتفـريق الإلـه بني معـدٍّ
وكنتم حـول مروان حلولا   جميعـاً أهـل مـأثـرة ومجـد
ففـرّق بينكم يـومٌ عبـوس   من الأيام نحسٌ غيرُ سعد

وقال الكُميت بن زيد :

وليسوا من القوم الذين تبدّلوا   أراشا بإسماعيل أعور من جدل[1]

وكان جرير بن عبد الله البَجَلي نافر الفَرافصة بن الأحوص الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي . فقال عمرو بن الخُثارم ، وكان حاضرا :

يا أقرعَ بن حـابسٍ يا أقـرعُ   إنْ يُصرَع اليوم أخوك تصرَعُ

---

١ - ليس في ديوانه المطبوع .

وقال بعضهم : أراد «أخاك في الإسلام» . فنفره إلى الفَرافصة . وقال ابن الدُّمينة الخَثعمي لِمَعن بن زائدة الشيباني :

عجل فداك إلى مغيظة حاسدي برجاءِ معتمدٍ لسيبك آملِ
وأصبْ بجدواك ابن عمٍّ طالبا لنداك إنك ذو ندىً وفواضلِ

ـ قالوا : وكان يقال لِمُضر وربيعة «الصريحان» من ولد إسماعيل . وقال بعضهم : أم مضر وإياد نحيبّة بنت علكّ .

وقال ابن الكلبي : سَودة . وذلك الثبت[1] .

وقال بعضهم : اسم أم ربيعة وأنمار الشقيقة بنت علكّ . والأول قول ابن الكلبي ، وهو أثبت .

ـ وقال هشام بن محمد الكلبي : كثرتْ إياد بتهامة ، وبنو معدّ حلول بها لم يتفرقوا عنها ، فبغوا على بني نِزار . وكانت منازلهم بأجياد من مكة . وذلك قول الأعشى :

وَبيداءَ تحسِب آرامها رجالُ إيادٍ بأجيادها[2]

فرماهم الله بداء ، ففشا الموتُ فيهم . فخرج مَن بقي منهم هرابا . فأتت فرقة اليمنَ ، فانتسبوا في ذي الكلاع من حِمير . وأقام قَسيّ بن منبِّه بن النبيت بن منصور بن يقدُم بن أفصَى بن دُعمِي بن إياد بن نزار وولدُه بالطائف . وقَسيّ هو ثَقيف . ثم انتسبوا إلى قيس ، فقالوا : ثَقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيلان . فلذلك يقال إن ثقيفا بقية إياد .

---

١ ـ جمهرة ابن الكلبي ج ١ ص ٤ .
٢ ـ ديوان الأعشى ـ ط . دار صادر ، بيروت ص٥٩ ، وفيه «بأجلادها» .

ويقال أيضاً إنّ قسيًّا كان عبداً لأبي رُغال ، وكان أصله من قوم نجوا من قوم ثموَد . فهرب من مولاه ، ثم ثقفه ، فسماه ثَقيفا ، وانتسب ولده بعد حين إلى قيس . ولذلك يقال إنّ ثقيفا بقية ثمود ، وكان الحجاج يقول : يقولون إنا بقية ثمود ؛ وهل بقي مع صالح إلاّ المؤمنون !

ـ فأما أبو رُغال ، فيقال إنّ أصله من العرب العاربة ، وكان له سلطان بالطائف وما والاه . فكان يأخذ من أهل عمله غنما بسبب خَرْج كان له عليهم . وكان ظلوما غشوما . فأتى عَلى امرأة تربّي يتيماً صغيراً في عام جدب وقحط بلبن عنز ، لم يكن بالطائف شاة لَبون سواها ، فأخذها . وبقي الصبي بغير رضاع ، فمات . فرمى الله أبا رُغال بقارعة ، فهلك . ودُفن بين الطائف ومكة فقبره هناك يُرْمى على وجه الدهر .

وقوم يقولون : كان أبو رُغال عبداً لشُعيب بن ذي مهدم الحِميري الذي قتله قومهُ ، وكان فيما يزعمون مبعوثاً إليهم . فلما بلغه ما فعل أبو رُغال من ترك الصبي بلا رضاع ، أمر به ، فقُتل ، وأمر برجم قبره .

ويقال إن أبا رُغال كان قائد الفيل وبعض أدّلاء الحبشة على البيت . فمات ، فأمر النبي ﷺ برجم قبره . وإنّ جد أبي الحجاج كان يخدمه . فقيل للحجاج «عبد أبي رغال» . وكان حمّاد الراوية يقول : ثَقيف من ولد أبي رغال ، وأبو رغال من بقية ثمود ؛ وكان أخذ عنزاً ترضع صبياً يتيماً فهلك الصبي ، ولم يرِم مكانَه حتى مات فرُجم قبره . والله أعلم . وقال جرير :

إذا مات الفَرَزدق فارجموه كما ترمون قبرَ أبي رُغال[1]

ـ وقال هشام بن الكلبي : خرج جُلّ إياد يؤمون العراق . فنزل

---

١ ـ ديوان جرير ـ ط . دار صادر بيروت ص ٢٤٢ .

بعضهم بعين أُباغ(١) . ونزل باقوهم بسِنداد ، بين البصرة والكوفة . فأمِروا هناك ، وكثروا . واتخذوا بسِنداد بيتاً شبّهوه بالكعبة . ثم انتشروا ، وغلبوا على ما يلي الحيرة . وصار لهم الخَوَرنَق والسَّدير . فلهم «أقساس مالك» . وهو مالك بن قيس بن عبد هند بن لُجَم بن مَنعة بن بُرجان بن دَوس بن الديل بن أمية بن حُذافة بن زُهر بن إياد(٢) . ولهم دير الأعور ، ودير السواء ، ودير قُرّة ، ودير الجُماجم . وإنما سمي دير الجماجم لأنه كان بين إياد وبَهراء القَين حربٌ ، فقُتل فيها من إياد خلق . فلما انقضت الحرب ، دفنوا قتلاهم عند الدير ، فكان الناس بعدَ ذلك يحفرون ، فتظهر جماجم . فسمي دير الجماجم . ويقال إنّ بلال الرُّمّاح ـ وبعضهم يقول بلال الرِمّاح ، والرُّمّاح أثبت ـ بن محرز الإيادي قتل قوماً من الفرس ، ونصب رؤوسَهم عند الدير ، فسمي دير الجماجم . ويقال إنهم لما أرادوا بناء الدير ، فحُفر أساسه ، وُجد فيه جماجم . فسمي دير الجماجم . وأمر الرمّاح وقتله الفُرس أثبت عند الكلبي .

ـ وكان بالحيرة من إياد في جند ملوك الحيرة .

ـ وقال هشام : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال :

كان النَّخع ، وثَقيف بن إياد بن نزار ـ فَثقيف قَسيّ بن منبّه بن النبيت بن أفصَى بن دُعمِي بن إياد ، والنَّخع بن عمرو بن الطَّمَثان بن عوذ مناة بن يقدُم بن أفصى ـ فخرجا ومعهما عنز لبون يشربان لبنها . فعرض لهما

---

١ ـ عين أباغ : ليست بعين ماء ، وإنما هو واد وراء الأنبار ، على طريق الفرات إلى الشام . معجم البلدان .

٢ ـ جمهرة ابن الكلبي ج ٢ ص ٣٤٨ .

مُصَدقُ ملِك اليمن ، فأراد أخذها ، فقالا : أنما نعيش بدَرّها . فرمى أحدهما المصدّق ، فقتله . فقال أحدهما لصاحبه : إنه لا يحملني وإياك أرض . فأما النخع فمضى إلى بِيشة[1] ، فأقام بها . ونزل قَسيّ موضعاً قريباً من الطائف ، فرأى جارية ترعى غنماً لعامر بن الظَّرِب العَدواني ، فطمع فيها ، وقال : أقتل الجارية ثم أحوي الغنم . وأنكرت الجارية منظره ، فقالت له : إني أراك تريد قتلي وأخذ الغنم ؛ وهذا شيء إن فعلتَه قُتلتَ وأخذت الغنم منك ؛ وأظنك غريباً خائفاً . فدّلته على مولاها . فأتاه ، فاستجاره . فزوّجه ابْنَته ، وأقام بالطائف ، فقيل : لله درّه ، ما أثقفه ، حين ثقف عامراً فأجاره . وكان قد مرّ بيهودية بوادي القُرى ، حين قتل المصدّق ، فإعطتْه قضبان كرم . فغرسها بالطائف فأطعمتْ ونفعتْه .

ـ قالوا : وكانت إياد تُغير على السواد وتفسد . فجعل سابور بن هُرمُز بن نَرسي بن بَهرام بينه وبينهم مسالح بالأنبار وعين التمر وغير هاتين الناحيتين . فكانوا إذا أخذوا الرجل منهم ، نزعوا كتفه . فسمّت العربُ سابور «ذا الأكتاف» .

ثم إنّ إياداً أغارت على السواد في ملك أنوشروان كسرى بن قباذ بن فيروز . فوجه إليهم جيوشاً كثيفة . فخرجوا هاربين ، وأُتبعوا ، فغرق منهم بشر ، وأتى فلُّهم بني تغلب ، فأقاموا معهم على النصرانية . فأساءت بنو تغلب جوارهم . فصار قوم منهم إلى الحيرة متنكّرين ، مستخفين ، فأقاموا بها . وأتى آخرون نواحي أمنوا بها . ولحق جلُّهم بغسّان بالشأم ، فلم يزالوا معهم .

---

١ ـ بيشة بلده في اليمن جنوبي حجة ، وبيشة أيضاً واد في عسير تسيل مياهه في بلاد نجد شرقاً . معجم المدن والقبائل اليمنية ، اعداد ابراهيم أحمد المقحفي ـ ط . صنعاء ١٩٨٥ .

فلما جاء الإسلام دخل بعضهم بلاد الروم ، وأتى بعضهم حِمص ، وأنطاكية ، وقِنسرين ، ومَنْبج وما والى هذه المدن . ودخل منهم قوم في خثَعم ، وفي تَنوخ . وبالحِيرة اليوم قوم منهم يقال لهم بنو عبد الخيار ، من بني حُذافة ؛ وقوم من بني مالك بن قيس صاحب «أقساس مالك» قال الشاعر من إياد :

قلتُ حقاً حين قالت باطلا إنما يمنعني سيفي ويد
ورجال حسن أوجههم من إياد بن نزار بن معدّ

وقال أمية بن أبي الصَّلْت الثقفي :

قومي إياد لو أنهم أمَمٌ ولو أقاموا فتهزل النعمُ[1]

وقال الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرّقٍ تركوا منازلهم وبعدَ إياد
أهلِ الخَوَرنق والسدير وبارقٍ والقصرِ ذي الشُّرُفات من سِنداد
جرت الرياح على محلّ ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد[2]

وقال الشاعر ينفي ثَقيفا من إياد :

عاري الأشاجع من ثقيف أصله عبد ويزعم أنه من يقدمُ

وقال ابن الكلبي : كان يقال لامرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي بنِ نصر «محرِّق» وهو أول من عاقب بالنار. وهو من لخم ، وكان من ملوك الحيرة . وكان عمرو بن هند مضرط الحجارة حرّق بني تميم ، فسمى أيضاً محرّقا .

ـ وحدثني محمد بن الأعرابي ، عن هشام بن محمد الكلبي ، قال :

---

١ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت ـ ط. دمشق ١٩٧٧ ص ٤٦٥ .
٢ ـ انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٣ .

كان يقال لإياد «الطبق» لإطباقهم بالشرّ والعُرام على الناس . وكانت طائفة منهم بناحية البحرين . فخرجت عبد القيس ، ومعهم بنو شنّ بن أفصى بن دُعمي بن جدَيلة بن أسد بن ربيعة ، تطلب المتسع حتى بلغوا هَجَر وأرض البَحرَين . فرأوا بلداً استحسنوه ورضوه . فضاموا من به من إياد والأزد ، وشدّوا خيلهم بالنخل . فقالت إياد : عرف النخل أهله . فذهبتْ مثلا . واجتمعتْ عبدُ القيس والأزد على إياد ، فأخرجوا عن الدار فأتت العراق . وكانت بنو شَنّ أشدهم عليهم . فقال الشاعر :

وافــق شَــــنّ طـبـقـــــه وافـقـــه فــاعـتـنـقـــــــه

وفاة نزار :

ـ وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن معاوية بن عميرة الكندي ، عن ابن عباس :

لما حضرت نزاراً الوفاةُ أوصى بنيه ـ وهم : مُضَر ، وربيعة ، وإياد ، وأنمار ـ بأن يتناصفوا . فقال : قُبَّتي الحمراء ، وكانت من أدم ، لُمضر فقيل مُضر الحمراء . وهذا الخباء الأسود وفرسي الأدهم لربيعة . فسمي ربيعة الفرس . وهذه الجارية لإياد . وكانت شمطاء ، فقيل إياد الشمطاء والبرقاء . وهذا الحمار لأنمار . فقيل أنمار الحمار . وفيه يقول الشاعر :

نِــزار كان أعلـم إذ تولّـى لأيّ بنيــه أوصـى بالحمـــار

قال ابن الكلبي : واختلف بنو نِزار في قسمة ما ترك أبوهم . فشخصوا إلى الأفعى بن الحُصين ، وهو بنَجران . فبيناهم يسيرون إذ رأى مُضر كلأ مرعياً ، فقال : لقد رعاه بعير أعور . قال ربيعة : وهو أيضاً أزور . وقال إياد : وهو أيضاً أبتر . وقال أنمار : وهو أيضاً شرود . فلم

يسيروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجل توضع به راحلته يسأل عن بعير . فقال مُضر : أهو أعور ؟ قال : نعم . قال ربيعة : أهو أزور ؟ قال : نعم . قال إياد . أهو أبتر ؟ قال : نعم . قال أنمار : أهو شرود ؟ قال : نعم ؛ قال : وأنتم والله تعلمون مكان بعيري ، فقد وصفتموه صفة المعاين الخبر . فحدّثوه الحديث ، وقال مُضر : رأيتُه يرعى جانباً ويترك جانباً ، فعلمتُ أنه أعور مالَ نحو عينه الصحيحة . وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه نابتة والأخرى فاسدة الأثر ، فعلمتُ أنه أفسدها بشدة وطئه في إحدى جانبيه . وقال إياد : عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ؛ ولو كان ذيالا لمصع . وقال أنمار : إنما عرفتُ أنه شرود لأنه رعى في المكان الملتف نبته ، ثم جاز إلى مكان أرقّ نبتاً منه وأخبث . فحاكمهم إلى الأفعى . فقصّوا عليه القصة ، وحلفوا . فقال للرجل : ليسوا بأصحاب بعيرك ، فاطلبه . ثم سألهم عن قصّتهم . فقصّوها عليه . فقال : أتحتاجون إليّ وأنتم في جزالتكم وصحّة عقولكم وآرائكم على ما أرى ؟ ثم قال : ما أشبه القُبة الحمراء من مال أبيكم ، فهو لمضر ، فصار لمضر ذهبٌ كان لنزار ، وحُمرُ إبله . وقال : ما أشبه الخباء الأسود والفرس الأدهم لربيعة ، . فصار له جميع إبله السود ، ومعزى غنمه ، وعبدان أسودان كانا له . وقال : ما أشبه الجارية الشمطاء فهو لإياد . فصار له بلق خيله وغنمه . وقضى لأنمار بفضّته وحَميره ، وبِيض ضأنه . فرضوا بحكمه . وقال بعض الرواة : أعطى إياداً عصا أبيه وحُلته . فسمّوا إياد العصا . وأنشد بعضهم :

نحـن ورثنـا من إيـاد كلّـه نحـن ورثنـاه العصـا والحُلّهْ

مضر :

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده قال :

كان مضر من أحسن الناس صوتاً . فسقط عن بعيره ، فانكسرت يده . فجعل يقول : يا يداه ! يا يداه ! فأنست الإبلُ لصوته وهي في المرعى . فلما صلح وركب ، حدَا . فهو أول من حدا ، وأول من قال : «بصبصن إذ حُدين» . فذهبت مثلاً .

واستعمل الناس الحداء بالشعر بعده ، وتزيّدوا شيئاً بعد شيء . وقيل : إنه ضرب يدَ غلام له بعصا . فجعل الغلام يقول : يا يداه ، يا يداه . فاجتمعت الإبل .

ـ وحدثني عمرو بن محمد الناقد أبو عثمان ، ثنا عبد الله بن وهب ، حدثني سعيد بن أبي أيوب ، عن عبيد الله بن خالد

بلغه أن رسول الله ﷺ قال : «لا تسّبوا مُضر ، فإنه كان مسلماً»[١] .

وحدثني روح بن عبد المؤمن ، عن محبوب القرشي ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن قال :

قال رسول الله ﷺ : «لا تسبوا مضر وربيعة ، فإنهما قد أسلما»[٢] .

ـ فولد مضر : إلياس ، وبه كان يكنى ؛ والناس ، وهو «عيلان» ، حضنه غلام لمضر يقال له عيلان ، فسمي به . فقيل لابنه قيس بن عيلان ، وقيس عيلان . وهو قيس بن إلياس بن مضر . وأم إلياس والناس ـ وهو عيلان ـ الرباب بنت حيدة بن معدّ بن عدنان .

أخبرني ـ‍ي الأثرم ، عن أبي عبيدة أنه قال :

---

١ ـ انظر في كنز العمال ـ الحديث ٣٣٩٨٧

٢ ـ كنز العمال ـ الحديث ٣٤١١٩ .

يقال للسلّ والنحافة ياس . قال ابن هرمة :

وقول الكاشحين إذا رأوني أصيب بداء يأس فهْو موده

وقال ابن عاصية ، وهو مع معن باليمن :

فلو كان داء الياس بي وأغاثني طبيبٌ بأرواح العقيق شفانيا

وقال الشاعر :

هو الياس أو داء الهيام أصابني فإياك عني لا يكن بك ما بيا

قال : وقد يكون الياس مشتقا من قولهم : فلانٌ اليئيسُ ، وهو الشديد البأس ، المقدام ، الثابت القلب في الحرب . وقال العجّاج :

أَلْيَسُ يمشي قُدُماً إذا ادّكرْ ما وُعد الصابرُ من خيرٍ صَبرْ[1]

وقال الأثرم : حكى خالد بن كلثوم :

الأسد ألْيس . وقال : أليس بيّن اللئيس . وجمع ليس ألياس . قال : وكانت خِندف لما مات إلياس جزعتْ عليه ، فلم تقم بحيث مات ولم يظلها بيت حتى هلكت سائحة . فضُرب بها المثل ؛ وقيل «حزن خِندف» .

وقال الشاعر :

فلو أنه أغنى لكنت كخِندف على إلياس حتى أعجبْت كل معجب

إذا مونس لاحت خراطيم شمسه بكت غدوة حتى يرى الشمس تغرب

وكان موته يوم الخميس ، فكانت تبكي كل خميس من غدوة إلى الليل .

وقال الشاعر :

لقد عصتْ خِندِفُ مَنْ نهاها تبكي على إلياس فما أباها

ـ فولد إلياسُ بن مضر : عمرو بن إلياس ـ وبه كان يكنى ، وهو

---

١ ـ ديوان العجاج ـ ط . دار الشرق ، بيروت ص ٣٧ ـ ٣٨ ، مع فوارق .

مدركة ـ وعامر بن إلياس وهو طابخة ؛ وعُمير بن إلياس ، وهو قَمَعَة . وأمهم خِندف . واسمها ليلى بنت حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة .

ـ وروى عباس عن أبيه ، عن جده وغيره ، قالوا :

ندّت إبل إلياس ، فدعا بنيه فقال لعمرو : إني طالب إبلي في هذه الجهة ، فاطلبها يا عمرو في هذه الجهة الأخرى . وقال لعامر : التمس لي صيداً ، وأعدد لنا طعاماً ، فتوجّه إلياس وعمرو ابنه في بغاء الإبل . وقالت ليلى لإحدى جاريتيها ، وكانت لها جاريتان يقال لإحداهما ضبع وللأخرى نائلة : اخرجي في طلب أهلك فاعرفي خبرهم.واستخفها التطلع لتعلم خبر زوجها . فخرجت فتباعدت من الحِواء مهرولة . وجاء عامر محتقبا صيدا . فقال لنائلة : قصيِّ أثر مولاتك ، فلما ولت ، قال : تقرصفي ـ أي أسرعي . والقرصافة ، الخذروف . يقول : كوني كالخذروف في السرعة ـ. ولم يلبثوا أن جاء الشيخ ، وعمرو ابنه ، وقد ردّ الإبل على أبيه ، وتوافوا جميعاً ، فلما وضع الطعام بين أيديهم ، قال إلياس : السليم لا ينام ولا ينيم . يقول : من نابه أمر ، لم يستقرّ حتى يقضي اهتمامه به . ـ والسليم : اللديغ ـ فقالت ليلى امرأته : والله إن زلتُ أُخندفُ في طلبكم والهةً ـ والخندفة : الهرولة ـ. فقال إلياس : فأنت خِندف . فغلب اللقب على اسمها . فقال عامر : لكني والله لم أزل في صيد وطبخ حتى جئتم . قال : فأنت طابخة . وقال عمرو : والذي فعلت أفضل : لم أزل بحداء في طلب الإبل حتى أدركتها ورددتها . قال : فأنت مدركة . وقالت نائلة : أنا قصصت أثر مولاتي حتى أشرفت على الموت . قال : فأنت قاصّة . وقالت ضبع : وأنا التي تقرصفت لا أتلي . قال : فأنت قرصافة . لكنك يا عمير انقمعت في البيت . فأنتَ قمعة . فغلبت هذه الألقاب على أسمائهم .

ـ قال هشام : وقال الشرقي بن القطامي :

خرج إلياس منتجعا ، ومعه أهله وماله . فدخلت بين إبله أرنب ، فنفرت الإبل . فخرج عمرو بن إلياس في طلبها ، فأدركها . فسماه أبوه «مدركة» . وخرجت ليلى خلف ابنها مهرولة ، فقال الشيخ : ما لك إلى أين تخندفين ؟ فسميت «خندف» . وخرج عامر في طلب الأرنب ، فصادها وطبخها . فقال له أبوه : أنتَ طابخة . ورأي عميرا قد انقمع في المظلة ، فهو يخرج رأسه منها ، فقال له : أنتَ قمعة[1] .

ـ قال هشام : وذكروا أنّ إلياس بن مضر قال لولده :

يا عمرو قد أدركت ما طلبتا وأنتَ قد أنضجتَ ما طبختا

وأنتَ قد أسأت إذ قمعتا

ويقال إنّ قَمَعَة بن خِندف من غير إلياس .

ـ وقال الكلبي وشرقي :

لما مات نزار ، قال ربيعة ـ وكان أسن من مضر ـ : ينبغي لنا أن نصير إلى الملك ليعرف مواضعنا ، ويجعل الرئاسة لمن رأى منا . فقال مضر : نحتاج في الوفادة إلى مؤونة؛ وأنا أتكلفها. ثم نفذ فسبقه ربيعة، فوفد قبله . ثم قدم مضر بعده ، وقد أنس ربيعة بالملك . ثم قدم مضر وهو منقبض . فعلم أن ربيعة قد مكر به . فأمر الملك أن يسألا حوائجهما . فقال مضر : أنا أسأل الملك أن لا يأمر لي بشيء إلا أمر لربيعة بضعفه ، فإنه أسنّ مني . فقال : ذاك لك . فقال : أسألك أن تأمر بقلع عيني وقلع عينيه جميعاً . فضحك الملك وقال : لا بل أجيزكما ، فأجاز مضر بشيء ، وأعطى ربيعة مثله ، لم يزده . وقوم يروون أن ربيعة كان أعور ، فسأل مضر قلع

١ ـ جمهرة ابن الكلبي ج ١ ص ٥ .

عينيها ، فخرج ربيعة أعمى ومضر أعور . وهذا باطل .

ـ وذكر أبو اليقظان ، أنه روى عن النبي ﷺ ، أنه قال : «أول من بحر البحيرة ، وسيب السائبة ، وحمى الحام وغيّر دينَ إبراهيم عليه السلام عمرو بن لُحيّ بن قَمَعَة بن خندف»[1] .

قال أبو اليقظان : وعمرو هو أبو خزاعة . وقال بعضهم : درج قمعة بن إياس ، فلا عقب له .

ـ وحدثني محمد بن حبيب مولى بني هاشم ، عن محمد بن الأعرابي ، عن المفضل الضبي

أن قمعة بن إلياس تزوج وولد له ؛ ثم غاضب إخوته ، فأتى اليمن وحالف الأزد ، وانتسب فيهم .

ـ فولد مدركة ـ واسمه عمرو ، ويكنى أبا الهذيل ـ خزيمة وهذيلا . ويقال إن خزيمة بن مدركة ، وهذيل بن مدركة ، وأمهما سلمى بنت أسلم بن الحاف بن قضاعة . وقال بعضهم : هند بنت منصور بن يقدم بن إياد . والأول أصح وأثبت .

ـ فولد خزيمة بن مدركة ـ ويكنى أبا الأسد ـ كنانة وأمه عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . ويقال : هند بنت عمرو بن قيس بن عيلان ، وأسد ، وأسده ـ وهو رجل ـ، وعبد الله ، والهون بن خزيمة . وأمهم برّة بنت مر بن أدّ بن طابخة ، أخت تميم بن مرّ .

وقال هشام بن الكلبي وغيره ، والله أعلم : إنّ خزيمة لما تزوج برة ووهبت إليه ، قالت : «إني رأيت رؤيا رأيت كأني ولدت غلامين من خلاف ، وبينهما سائباً فبينا أنا أتأملهما إذا أحدهما أسد ، وإذا الآخر قمر

١ ـ انظره في كتاب الأوائل للامام سليمان بن أحمد الطبراني ـ ط . بيروت ١٩٨٣ ؛ ص ٤٦ .

يزهر» . فأتى خزيمة كاهنة ، يقال لها سرحة ، فقصّ الرؤيا عليها . فقالت : «لئن صدقت رؤياها ، لتلدنّ منك غلاماً يكون له ولأولاده نفوس باسلة ، وألسن سائلة ، ثم لتموتن عنها فيتزوجها ابنك من بعدك ، فتلد له ولداً ويكون لولده عَدد وعُدد ، وقروم مجد ، وعز إلى آخر الأبد» . فولدت له أسدا . ثم خلف عليها كنانة ، فولدت له النضر وإخوته منها . ورأى كنانة ، وهو قائم في الحجر ، قائلاً يقول : «اختر أبا النضر ، مني الصهيل والهدر ، أو عمارة الجدر ، وعزّ الدهر» .

فقال : «كلا أسأل ربي» . فقضى هذا كله لقريش .

ـ وقال هشام بن الكلبي : دخل بنو أسدة بن خزيمة في بني أسد بن خزيمة ، وكانوا قليلاً . وقوم يقولون : إنّ أسدة درج . ونسّاب مضر يقولون : إنّ أسدة هذا أبو جذام ، وأن ولده غاضبوا إخوته ، فأخرجوهم . فأتوا الشأم ، وحالفوا لخما وقالوا : جذام بن عدي أخو لخم بن عدي . وقال بشر بن أبي خازم الأسدي :

صبرنا عن عشيرتنا فبانوا ... كما صبرتْ خزيمة عن جذام
وكانوا قومنا فبغوا علينا ... فسقناهم إلى البلد الشآمي[١]

وقال الكميت بن زيد الأسدي :

وأم جذامٍ كان ظئارَ قومٍ ... على قوم وعطفَ ذوي العقول
ألجْتْهُمْ مُبَاعِدةٌ وكانوا ... بني الهوَّاسِّ في الظلم المَصُولِ
فباتوا في بني أسد عليهم ... مجازٌ من خزيمة ذي القبول[٢]

وقال أبو اليقظان البصري : ردّ مروان بن محمد جذام في أيامه إلى بني أسد . فقال القعقاع الطائي :

ما كنتُ أَحْسَبُ أن يمتدبي أجلي ... حتى تكون جذام في بنى أسد

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٢ ـ ديوان الكميت ج ٢ ص ٦٢ .

فأصبحتْ فقعسٌ تُدعى إمامهم   يالَلرّجال لريبِ الدهر ذي النحد[1]
والبيض لخم وكانوا أهل مملكة   شمّ العرانين لا يسقون من ثمد

ـ وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، قال :

قام روح بن زنباع الجذامي مقاما انتمى فيه إلى خزيمة بن مدركة ، ودعا جذام إلى الدخول في بني أسد . فبلغ ذلك نائل بن قيس بن زيد بن حَبّاء الجذامي ، فأقبل مسرعا وهو يقول : أين هذا الفاجر الغادر روح بن زنباع ؟ فقيل : ههنا . فرد عليه قوله . وكان نائل شيخاً ، وروح شابا . وجعل يقول : أتعرف هذا النسب ؟ نحن بنو قحطان وفرق إلياس .

ـ وقال بعض بني أسد : ولد أسد بنُ خَزيمة : عمرا . فولد عمرو : جذاما ، ولخما ، وعاملة . فقال أبو السماك الأسدي :

أبلغ جذاماً ولخما إن لقيتهم   والقوم ينفعهم علم الذي علموا
إنا نذكرّكم بالله أن تدعوا   أباكم حين جدّ القوم واعتزموا
لا تَدَّعوا معشرا ليسوا بإخوتكم   حتى الممات وإن عزُّوا وإن كرموا

وقالت امرأة من بني أسد :

نظرت نحو جارتَيْها وقالت   ليتني قد رأيتُ قومي جذاما
قد أرانا ونحن حيّ تهامو   ن جميع مطنّبون الخياما
ثم شطت دياركم بعد قرب   فإليكم يا قوم أهدى السلاما

ـ وكان خزيمة الذي نصب هبل على الكعبة . فكان ذلك الصنم ينسب إليه ، فيقال : «هبل خزيمة» .

ـ وولد كنانة بن خزيمة : النضر ،ـ واسمه قيس ؛ وإنما سمي النضر لجماله ونضارة وجهه . وكان كنانة يكنى أبا قيس . ويقال أبا النضر ـ،

---

١ ـ ناحده : عاهده ، وهم يناحدوننا : يتعهدوننا . القاموس .

ونضير بن كنانة ، ومالك ، ومِلّكان . وغير الكلبي يقول : مِلَكان ، وعامر ، وعمرو ، والحارث ، وسعد ، وعوف ، وغَنْم ، ومخرمة ، وجَرْوَل ، وعَزْوان ، وحُذال ـ وهم باليمن ، ليسوا في قومهم ـ وعبد مناة .

فأما أم النضر ، ونضير ، ومالك ، وملكان ، وعامر ، وعمرو ، والحارث ، وسعد ، وعوف : فَبَرّة بنت مُرّ بن أُدّ . خلف عليها بعد أبيه نكاح مقت . وأما أم عبد مناة فهي الذَفْراء . واسمها فكهة بنت هني بن بليّ من قضاعة . وسميت الذفراء لطيب ريحها . وأما الباقون ، فأمهم ، فيما ذكر لي بعض العدويين ، من قضاعة . وكان هذا العدوي يقول : هو مَلَكان بن كنانة .

ـ وقال الكلبي : وأخو عبد مناة لأمه ، علي بن مسعود بن مازن الغساني . فتزوج عبد مناة هند بنت بكر بن وائل ، فولدت له . ثم مات ، فخلف عليها علي بن مسعود ، فولدت له نفرا . وحضن عليٌّ ولدَ عبد مناة ، فغلب على نسبهم ، وساروا في بني عليّ . قال أمية بن أبي الصلت :

لـلّـه دَرّ بـنـي عـلـيّ أيّـم منـهـم ونـاكـح[1]

قال ابن الكلبي : فوثب مالك بن كنانة على عليّ بن مسعود فقتله . فوداه أسد بن خزيمة .

ـ وولد النضر بن كنانة : مالك ، ويخلد . وبه كان يكنى النضر . وهم في بني عمرو بن الحارث بن مالك بن كنانة .

وقال هشام بن محمد : كان للنضر ابن يقال له الصلت ، فدرج فيما يقول أكثر العلماء . وأمه وأم مالك ويخلد : عكرشة بنت عدوان ـ وهو الحارث ـ بن عمرو بن قيس عيلان . قال : وقوم من خزاعة يذكرون أنهم

١ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت ص٣٥٠ .

من بني الصلت بن النضر . منهم رهط كُثَيِّر ـ صاحب عزّة ـ بن عبد الرحمن . قال كُثَيِّر :

أليس أبي بالنضر أم ليس إخوتي بكل هجان من بني النضر أزهرا
إذا ما قطعنا من قريش قرابةً فأيَّ قسيّ يحمل النبلَ ميسرا
فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا أراكا بأذناب القرانح أخضرا(١)

و«ميسرة» أبو علقمة ، رجل منهم .

ـ قال هشام : ولا أعرف لقول من زعم : «أَن الصلت يجمع خزاعة» وجهاً ، ولم أر عالماً إلا منكراً لذلك . ورأيت أبي وشرقي يثبتان أن الصلت بن النضر درج .

ـ وقال بعض الشعراء يردّ على كُثَيِّر وهو مولى لخزاعة .

سيأتي بنو عمرو عليك وينتمي بهم نسبٌ في جذم غسانَ معرق
فإنك لا عمراً أباك لحقته ولا النضر إذ ضيعتَ شيخك تلحق
فأصبحت كالمهريق فضلة مائه لجارى سراب بالفلا يترقرق(٢)

ـ وقال بعض الرواة : كان النضر قد قتل أخاه لأمه ، فوداه مائةً من الإبل من مالِه . فهو أول من سنَّها .

ـ وولد مالك بن النضر ـ ويكنى أبا الحارث ـ فهر بن مالك وفهر جماع قريش ؛ والحارث ، درج . وأمهما جندلة بنت عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي .

ـ فولد فهر بن مالك : غالب بن فهر ـ وبه كان يكنى ـ وأسد ، وعوف ، وجَون ، وذئب درجوا ؛ والحارث بطن ، ومحارب بطن ـ وهما في قريش الظواهر ، كانوا ينزلون ظواهر مكة ؛ وقيس بن غالب ـ وأمهم ليلى

١ ـ ديوان كثير عزه ـ ط . الجزائر ١٩٣٠ ، ج ١ ص ١٩ ـ ٢٠ ، وفيه «الغوانج أخضرا» .
٢ ـ انظر ديوان كثير ج ١ ص ٢٣ ـ ٢٥ .

بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . والظواهر بنو معيص بن عامر بن لؤيّ ، وبنو تيم الأدرم بن غالب ، وبنو محارب بن فهر ، وبنو الحارث بن فهر إلا بني هلال بن أهيب ، وهم رهط أبي عبيدة بن الجرّاح ، وإلا رهط عياض بن عبد غَنْم ، وبنى البيضاء ، وباقو قريش هم قريش البطاح . وكانت قريش الظواهر تغزو وتغير . وتسمى قريش البطاح «الضبّ» للزومها الحرم ، ودخل بنو حسل بن عامر مكةَ بعدُ ، فصاروا مع قريش البطاح . وهم رهط سهيل بن عمرو وإخوته . فأما من دخل في العرب من قريش فليسوا من هؤلاء ولا هؤلاء .

ـ قال المدائني : قال مالك لابنه فهر :

رُبّ صورة تخالف الخبر ، قد غرت بجمالها المختبَر.قبيح فعالها فاحذر الصورةَ واطلب الخبر.ولا تدبر أعجازَ الأمور فتفجر .

ـ فولد غالب بن فهر ـ ويكنى أبا تيم ـ لؤيّ بنَ غالب ؛ وتيم بن غالب وهو الأدرم وكان ناقص الذقن ، وهم بطن ، وهم من قريش الظواهر أيضاً ؛ وقيس بن غالب ، درجوا . وكان آخر من بقي منهم رجل هلك في زمن خالد بن عبد الله القسري في ولايته مكة من قبل الوليد بن عبد الملك بن مروان[1] . فبقي ميراثه لا يدرَى من إخوته . وأم بني غالب : عاتكة بنت يخلد بن النضر . وهي إحدى العواتك اللاتي ولدن النبي ﷺ . ويقال بل أمهم سلمى بنت عمرو بن ربيعة بن حارثة ، من خزاعة .

ـ ولبني الأدرم بن غالب يقول الشاعر :

إنّ بني الأدرم ليسوا من أحدْ ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد
ولا توفّاهم قريش في العددْ

١ ـ في جمهرة ابن الكلبي ج ١ ص ١٠ «في خلافة هشام» .

ـ وحدثت أن قريش الظواهر كانوا يفخرون على قريش البطاح لظهورهم للعدو ، ولقائهم المناسر[١] . وقال ضرار بن الخطاب :

نحن بنو الحرب العوان نشبها وبالحرب سمينا فنحن محاربُ
إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب
فذلك أفنانا وألقى قبائلا سوانا توفّتْهُم قراع الكتائب

ـ وروى أن لؤيّ بن غالب قال : من رب معروفه لم يخلق ولم يخمل[٢] ، وإذا أخمل الشيء لم يذكر ، وعلى من أُوْلِيَ معروفاً نشره وعلى المولى تصغيره وطيه .

ـ وولد لؤيّ بن غالب ـ وكنية لؤيّ أبو كعب ـ كعبَ بن لؤيّ ، وعامر بن لؤيّ ، وسامة بن لؤي ـ وأمهم ماوية بنت كعب بن القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وَبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ـ وعوف بن لؤي وأمه الباردة بنت عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان[٣] ، وخزيمة بن لؤي بطن وهم عائذة قريش ، وسعد بن لؤي بطن وهم بنانة ؛ والحارث وهو جشم بطن . كان جشم عبداً للؤيّ حضنه فغلب عليه .

ـ قالوا : وكان كعب عظيم القدر في العرب . فأرّخوا بموته إعظاماً له ، إلى أن كان عام الفيل فأرّخوا به . ثم أرّخوا بموت عبد المطلب . وكان كعب يخطب الناسَ في أيام الحج ، فيقول : «أيها الناس افهموا واسمعوا

١ ـ جمع منسر ، والمنسر من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أو من الأربعين إلى الخمسين ، أو إلى الستين ، أو من المائة إلى المائتين ، وقطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكثير ؛ القاموس .
٢ ـ خمل وأخمله الله تعالى فهو خامل . القاموس .
٣ ـ في جمهرة ابن الكلبي ج ١ ص ١٠ «عوف بن تميم بن عبدالله بن عفان» .

وتعلموا أنه ليلٌ ساج ، ونهار ضاح ، وإنّ السماء بناء ، والأرض مهاد ، والنجوم أعلام لم تخلق عبثاً ، فتضربوا عن أمرها صفحا . الآخرون كالأولين . والدار أمامكم ، واليقين غير ظنكم . صلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وأوفوا بعهدكم . وثمروا أموالكم ، فإنها قوام مُروّاتكم ، ولا تصونوها عما يجب عليكم . وأعظموا هذا الحَرَمَ وتمسكوا به فسيكون له نبأ ، ويبعث منه خاتم الأنبياء . بذلك جاء موسى وعيسى» . ثم ينشد :

على فترة يأتي نبي مهيمن يخبر أخبارا عليما خبيرها

قال هشام بن محمد : وأما عوف بن لؤيّ ، فإنّ أمه مضت بعد موت أبيه إلى قومها من بني غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، وعوف معها . فتزوّجها سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . فتبناه سعد . فقيل عوف بن سعد . وولد لعوف بن لؤي : مرّة . فقالوا : مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض . وكان بنو غطفان انتجعوا أرضا مخصبة . فخرجوا وتركوا عوفاً في داره التي ارتحلوا عنها . فقال عوف : لو كنتُ من هؤلاء ما تركتُ هزيلا . فركب بعيره وهو يريد اللحاق بقريش بمكة ، فمرّ به فزارة بن ذبيان بن بغيض . فأخبره بما يريد أن يفعل . فقال فزارة :

عرّج عليَّ ابن لؤيّ جملكْ خلّفك القومُ فلا منزل لك

ومضى به معهم . فكان عمر بن الخطاب يقول : لو كنت مدّعياً حياً من العرب لادّعيتهم .

ـ وهرب الحارث بن ظالم المرّي من ملك الحيرة ، حين أجار ملكُ الحيرة خالدَ بن جعفر بن كلاب ، من بني عبس ، فقتله الحارثُ وهو في جواره فَطُلِبَ . وأتى عبد الله بن جُدْعان مستجيراً به . وكانوا إذا خافوا

فوردوا على من يستجيرون به ، أو جاءوا لصلح ، نكسوا رماحهم حتى طمنوا . فقال الحارث بن ظالم :

رفعتُ الرمحَ إذ قالوا قريش   وشبهت الشمائل والقبابا
فما قومي بثعلبة بن سعد   ولا بفزارة الشعْر الرقابا
وقومي إن سألتَ بنو لؤيّ   بمكة علّموا مضر الضرابا[1]

وكانت قباب قريش من أدم ، لا يضربها غيرهم بمنى . وقال :

إذا فارقتُ ثعلبةَ بن سعد   وإخوتَهم نسبتُ إلى لؤيّ
إلى نسب كريم غير مُزر   وحيّ هم أكارم كل حيّ
فإن يغضب بهم نسبي فمنهم   قرابين الإله بنو قصيّ

ويقال إنّ الحارث بن ظالم قدم على عبد الله بن جُدْعان بعكاظ ، وهم يريدون حرب قيس . فلذلك نكس رمحه . ثم رفعه حين عرفوه ، وأمن .
ويوم عكاظ من أيام الفجار ، وكان لقريش . وفيه يقول ابن الزِبَعْرى :

ألا لله قوم و   لدت أختُ بني سهم
هشام وأبو عبد   مناف مِدرهُ الخصم
وذو الرمحين ناهيك   من القوة والحزم
همُ يوم عكاظ مـ   ـنعوا الناس من الهزم
فهذان يذودان   وذا من كثب يرمي[2]

يعني هشام بن المغيرة المخزومي ، وهاشم بن المغيرة ويكنى أبا عبد مناف ، وذو الرمحين أبو ربيعة بن المغيرة ، قاتل في هذا اليوم برمحين .

---

١ ـ جمهرة ابن الكلبي ج ١ ص ١١ . سيرة ابن هشام ج ١ ص ٧١ ـ ٧٢ .
٢ ـ شعر عبدالله الزبعرى ـ ط . بيروت ١٩٨١ ص ٤٨ مع فوارق .

قال : وأقام الحارث بمكة ، حتى أتاه أمان ملك الحيرة . ثم إنه قتل أيضاً .

ـ وقال غير الحارث بن ظالم ينكر أنهم من قريش :

ألا لستم منا ولا نحن منكمُ برئنا إليكم من لؤيّ بن غالب
أقمنا على دفع الأعادي وأنتمُ مقيمون بالبطحاء بين الأخاشب

يقال لجبال مكة الأخاشب والحباحب .

ـ قال : وأما خزيمة بن لؤيّ ، فكان له من الولد : عُبيد ، وحرب . فولد عُبيد : مالك بن عبيد . فولد مالك : الحارث . وأمه عائذة بنت الخِمْس بن قحافة ، من خثعم ، فغلبت على جميع ولد خزيمة بن لؤيّ ، فسموا عائذة قريش .

وقد زعم بعض من لا علم له أن هذا البيت قيل في عائذة قريش :

فإن تصلح فإنك عائذيّ وصلح العائذيّ إلى فساد

والبيت لحسان بن ثابت الأنصاري ، قاله في أبيات هجا بها بعض بني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولم يكن لهم هجرة ولا سابقة :

فإن تصلح فإنك عائذيّ وصلح العائذيّ إلى فساد
وإن تفسد فما ألفيتَ إلا لئيماً لا تؤول إلى رشاد[1]

وقال الأثرم ، عن أبي عبيدة :

قال حسان هذا الشعر في رُفيع بن صيفي بن عابد ـ بدال غير معجمة ـ وقتل رُفيع يوم بدر كافراً .

ـ وكانت عائذة قريش في بني شيبان . وكان منهم ، في بني محلم بن

---

١ ـ ديوان حسان بن ثابت ـ ط . دار صادر بيروت ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ . وفيه «فانك عابدي وصلح العابدي» .

ذهل بن شيبان ، خاصةً بنو حرب بن خزيمة . فلما كانت خلافة عثمان ، ألحقهم بقريش ؛ وأنزل معاويةُ بني حرب هؤلاء قريةً بالشأم . فلم يزالوا بها ، حتى إذا جاءت المسوّدة مرّوا بقريتهم . فقيل لهم : هذه قرية بني حرب . فظنوا أنهم بنو حرب بن أمية ، فأغاروا عليهم فقتلوا أكثرهم . فبقيتهم قليلة .

ـ وأما بنو سعد بن لؤيّ ، فإنه يقال لهم بنانة ، وبُنانة أمهم . وهي أمة . ويقال هي بنانة بنت القين بن جسر . ويقال هي أمة حضنت عليهم ، فنسبوا إليها ، وليست بأمهم . وكانت بُنانة في بني شيبان . فقدموا على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فقال : لستُ أعرفكم . فقال عثمان : «رأيت رهطا منهم لقيهم أبي في الموسم ، فقلت : من هؤلاء ؟ فقال : قوم من قريش نأوا عنا .» فقال لهم عمر : ارجعوا إليّ قابل . فلما انصرفوا قُتل سيدهم ، وكان يكنى أبا الدَهْماء . فلم يرجعوا حتى قام عثمان رضي الله تعالى عنه ، فأتوه ، فأثبتهم في قريش . فكانوا في البادية مع بني شيبان . وكتابتهم في قريش . ومنهم نفر بالموصل . وفيهم يقول عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

ضرب التجيبي المضلل ضربةً ردّت بنانة في بني شيبانا
والعائذي لمثلها متوقع ما لم يكن وكأنه قد كانا

يعني بالتُجيبي كنانة بن بشر بن عتاب السكوني ، أحد بني تُجيب .

ـ وأما بنو الحارث بن لؤيّ ، وهم جشم لأنه حضنهم عبد للؤي يقال له جشم . فنسبوا إليه ، وقيل بنو جشم . فكانوا زماناً في عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ثم في بني هزّان بن صباح ، وهم أشراف عنزة . وقال جرير بن عطية بن الخطفي .

بني جشم لستم لهزان فانتموا لفرع الروابي من لؤي بن غالب
ولا تنكحوا في آل ضَور نساءكم ولا في شَكيس بئس حيّ الغرائب(١)

قال ابن الكلبي : هو شَكس بن الأسود ، واضطره الشعر فقال «في شَكيس» . ويروى «شُكيس» تصغير شكس ، ويقال أيضاً لبني الحارث هؤلاء «عُقيدة» ، برجل منهم يقال له عقيدة بن وهب بن الحارث بن لؤيّ .

وقالت امرأة ناكح في بني جشم هؤلاء :

ألا إنني أنذرتُ كل غريبة بني جشم ياشرّ مأوى الغرائب
فإنكمُ من منصب تعلمونه سوى أن يقولوا من لؤي بن غالب
فعودوا إلى هزّان مولى أبيكم ولا تذهبوا في الترهات السباسب

وقال الشاعر :

بنانة في بني عوف بن حرب كما لزّ الحمار إلى الحمار
وعائذة التي تدعى قريشا وما جعل النحيت إلى النضار

ـ وأما سامة بن لؤي ، فإنه وكعب بن لؤي أخاه جلسا على الشراب . ففقأ سامةُ إحدى عيني كعب ، وخرج هاربا . فأتى عُمان ، فتزوّج ناجية بنت جرم بن ربان ـ وهو علاف ـ بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . فيقال إنّ سامة ركب بعيراً له بعُمان ، وأرخى رأسه . فجعل يرعى . فوقع فم البعير على حشيشة تحتها أفعى . فنهشته في مشفره ، فنفضها . فوقعت على سامة ، فنهشته في ساقه فقتلته . فقال الشاعر :

عينُ بكّي لسامةَ بن لؤيّ حملت حتفه إليه الناقةْ
عينُ بكي لسامة بن لؤي علقت ما بساقه العلاقة

ـ قال هشام : فأخبرني أبي ، عن عدة ، عن علي بن أبي طالب رضي

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع . انظر جمهرة ابن الكلبي ج ١ ص ١٢ .

الله تعالى عنه ، أنه قال : سامة حق ؛ أما العقب فليس له .

قال هشام : وأما من ثبت العقب لسامة ، فإنهم يقولون : كان له بمكة ابن يقال له الحارثَ ، وأمه هند بنت تيم الأدرم بن غالب . فماتت هند . فحمل الحارث معه إلى عُمان . وتزوج سامةُ ناجيةَ بعمان ، أو بسيف من أسياف البحر ، فولدت له غالبَ بن سامة . فهلك وهو ابن اثنتي عشرة سنة[1] . وخلف الحارثُ على ناجيةَ نكاحَ مقتٍ ، فعقب سامة منه .

وقوم يقولون : كان لناجية ولد من غير سامة ، وكان سامة متبنياً له . فنسب إليه . فالعقب لذلك الولد .

وقال بعضهم : إنّ سامة شرب مع أخيه كعب . فرأى كعبا قد قبل امرأته . فأنف من ذلك ، فهرب إلِى عُمان . فقال الشاعر في ذلك ، وهو المسيّب بن عَلَس :

وقد كان سامة في قومه ... له أُكُلٌ وله مشرب
فساموه خسفا فلم يرضهم ... وفي الأرض من خسفهم مهرب

ومَن قال إنه تزوج ناجية بنت جرم بتهامة ، فقد غلط .

ـ فولد كعب بن لؤي ـ ويكنى أبا هصيص ـ مرّة بن كعب ، وهصيص وأمهما مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ، وعدي بن كعب وأمه رَقاش بنت رُكبة بن بَلْبَلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان .

ـ فولد مرّة بن كعب ـ ويكنى أبا يقظة ـ كلاب بن مرّة ، وأمه هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كِنانة ، ويقظة بن مرة ، وتيم بن مرة ، وأمهما أسماء بنت سعد بن عدي بن حارثة ، من بارق من الأزد .

---

١ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٧٠ .

وقال غير الكلبي : اسم أم كلاب : نعم بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك . وقول الكلبي أثبت .

- فولد كلاب بن مرة - ويكنى أبا زهرة - زيد بن كلاب وهو قصيّ ، وزُهرة بن كلاب ، وأمهما فاطمة بنت سعد بن سَيَل - وهو خير - بن حَمالة بن عوف بن غَنْم بن عامر الجادر ، من الأزد . وبعضهم يقول حِماله ، بالكسر .

وقال هشام : يزعم بنو عبد الرحمن بن عوف أن اسم زهرة «المغيرة» ، وأن كلابا كان يكنى أبا المغيرة . وكان يقال «صريحا قريش ابنا كلاب» . وزعم هشام والشرقي أن عامر بن عمرو بن جَعْثِمَة بن يَشكر بن مُبشر بن صعب بن دُهمان بن نصر بن الأزد ، بنى جداراً للكعبة وَهَى من سيل أتى في أيام ولاية جرهم البيتَ ، فسُمي الجادر .

قال هشام : وذكر الشرقي بن القطامي أن الحاج كانوا يتمسحون بالكعبة ، ويأخذون من طيبها وحجارتها تبركاً بذلك ؛ وأنّ عامراً هذا كان موكلاً بإصلاح ماشعث من جدرها ، فسمى الجادر . قالوا : وكان سعد بن سَيَل وقومه مع بني كنانة . وفي سعد يقول الشاعر :

ماأرى في الناس طرا رجلا حضر البأسَ كسعد بن سَيَلْ
فارس اضطر فيه عسرةٌ وإذا ما وافق القرن نزلْ
وتراه يطرد الخيل كما يطرد الحر القطاميُّ الحجلْ

وكان سعد بن سَيَل ، فيما يقال ، أول من حلّى السيوف بالفضة والذهب . وكان أهدى إلى كلاب مع ابنته فاطمة سيفين محليين . فجعلا في خزانة الكعبة .

وقال قصيّ :

أنا الذي أعان فِعْلي حسبي   وخِنـدف أمي وإلياس أبي

- قالوا : وإنما سمى زيد بن كلاب «قصيا» لأن ربيعة بن حرام بن ضِنّة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة قدم مكة حاجاً فأقام بها ، فلما مات كلاب بن مرة ، خلف على امرأته فاطمة بنت سعد بن سيل . وكانت قد ولدت لكلاب : زهرة وزيدا ؛ وكان زيد حين مات أبوه صبياً صغيراً ، ثم إن ربيعة خرج إلى بلاد قومه ، وحمل فاطمة وزيداً ابنها معه . وتخلف زهرة بمكة . فسمي زيد قُصيا لبعده من دار قومه ، وأنه أقصي عنهم . وولدت فاطمة لربيعة بن حرام : رزاح بن ربيعة ، وحُنّ بن ربيعة . فهما أخوَا قصي لأمه . ويقال إنّ أخا قصيّ لأمه منهما رزاح بن ربيعة ؛ وإنّ حُن بن ربيعة من امرأة سوى فاطمة . وإنّ قصيا خرج من بلاد عُذرة حتى أتى مكة .

- حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال :

لما بلغ قصي ، جهزته أمه وزينته ، فخرج مع حجاج عُذرة ، حتى أتى مكة . فعرفت له قريش قدره وفضله ، وأعظمته حتى أقرت له بالرئاسة والسؤدد . وكان أبعدَها رأيا ، وأصدقها لهجة ، وأوسعها بذلا ، وأبينها عفافا . وكان أول مال أصابه مال رجل قدم مكة بأدم كثير ، فباعه . وحضرته الوفاة ، ولا وارث له ، فوهبه له ، ودفعه إليه .

وكانت خزاعة مستولية على الأبطح والبيت ، وكانت قريش تحلّ الشعاب والجبال وأطراف مكة وماحولها . فخطب قصي إلى حُليل بن حُبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة - وهو لحيّ - ابنته حُبَّى بنت حُليل . فزوجه إياها . وكان حُليل يتولى أمر البيت ، ويتقلد رئاسة خزاعة

يومئذ . فلما كبر وضعف ، دفع مفاتيح الكعبة إلى ابنته حبى . فكانت تأمر قصيا بفتحها مرة ، وتأمر أخاها المخترِش - وهو أبو غبشان بن حُليل - بذلك أخرى . ثم مات حليل ، وصارت الرئاسة إلى ابنه المخترش . فسأل قصي أن يجعل سدانة البيت إليه ، ففعل .

قال هشام : ويقال إنّ حُليل بن حُبشية أوصى لقصي بسدانة البيت إكراماً لابنته بذلك . ويقال إنّ قصيا سأل المخترش أن يجعل إليه السدانة، وبذل له ناقة كانت له ناجية ؛ وزاده زق خمر . فصيرها إليه . وأنّ المخترش كان مضعوفاً .

- قالوا : ولما أخذ قصي مفاتيح الكعبة إليه ، أنكرت خزاعة ذلك ، وكثر كلامها فيه ، وأجمعوا على محاربة قصي وقريش ، وطردهم من مكة وما والاها . فبادر قصي باستصراخ رزَاح بن ربيعة وأخيه حنّ بن ربيعة ، وكان رزَاح سيد قضاعة وقائدها ، فسار إليه منجدا له في الدهم منها ، ومعه أخوه حُنّ . فقاتل قصي خزاعة وألفافها من كنانة ومن ولد الربيط[1] وهو الغوث بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر . فلما ظهر قصي على خزاعة ، أخرجها من مكة وأدخلها قريشا وقسمها رباعا بينهم ، وتولى أمرَ البيت . وقد كان أبقى على خزاعة بعض الإبقاء للصهر بينه وبينهم . فلما خرجوا عن مكة ، وقع فيهم الوباء فمات بشر منهم . وسمى قصي مجمعا لجمعه قريشا وقيامه بأمرهم .

- ويقال إن قصيا لم يحتج إلى محاربة خزاعة ، لأن رزاحا لما ورد مكة ،

---

١ - في جمهرة ابن الكلبي ج ١ ص ٢٧٠ : «والغوث بن مر ، وهو الربيط ، وهو صوفة كانت أمه نذرت ، وكان لا يعيش لها ولد : لئن عاش ، لتربطن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة ، ففعلت ، وجعلته خادماً للبيت حتى بلغ . ثم نزعته . فسمي الربيط» .

أذعنت لقصي وهابت حربه ، وخرجت عن مكة ، فدخلها . قال حذافة بن غانم بن عامر القرشي ثم العدوي :

أبوكم قصيّ كان يدعى مجمِّعا به جمع الله القبائل من فهر
وأنتم بنو زيد وزيد أبوكُم به زيدت البطحاء فخرا على فخر

وقال رزاح حين أنجد قصيا :

وإني في الحياة أخو قصيّ إذا ما نابه ضيمٌ أبيتُ
فما لبثت خزاعة أن أقرّتْ له بالذّل لما أنْ أتيتُ

- وحدثني علي بن المغيرة الأثرم ، عن معمر بن المثنى أبي عبيدة ، قال :

كان الذي أخذ قصي البيتَ منه أبو غبشان ، واسمه سُليم بن عمرو بن بُويّ بن ملكان . والأول أصح وأثبت .

قال أبو عبيدة : قال الناس : أخسر من صفقة أبي غبشان ، وقال الشاعر :

أبو غبشان أظلم من قصيّ وأظلم من بني فهر خزاعهْ
فلا تلحوا[1] قصيا في شراه ولوموا شيخكم إذ كان باعه[2]

- وحدثني رجل من قريش أن إيادا ملكت تهامة . ثم إنّ ولد مضر وخزاعة قويت عليها ، فأخرجتها . فدفنت إياد الركن . وعرفت موضعه امرأة من خزاعة ، فقالت لقومها : خذوا عليهم العهد أن يولوكم حجابة البيت على أن تدلوّهم على الركن . . ففعلوا . فبهذا السبب وليت خزاعة الحجابة .

١ - لحاه : شتمه . القاموس .
٢ - ابن هشام ج ١ ص ٧٥ - ٧٦ . جمهرة ابن كلبي ج ١ ص ١٣ . الايناس للوزير المغربي ص ١٧٢ - ١٨٣ .

ـ وحدثني عباس بن هشام عن أبيه ، عن ابن خربوذ وغيره ، قالوا :
كانت قريش قبل قصي تشرب من بئر[1] حفرها لؤيّ بن غالب خارجَ مكة ، ومن حياض ومصانع على رؤوس الجبال ، ومن بئر حفرها مرّة بن كعب مما يلي عرفة . فحفر قصي بئراً سماها العَجول . وهي أول بئر حفرتها قريش بمكة . وفيها يقول بعض رجاز الحاج :

تروى على العجول ثم تنطلق إنّ قصيا قد وفى وقد صدقْ
بالشبع للناس وريّ مغتبق

وقال آخر :

آب الحجيج طاعمين دسما أشبعهم زيد قصي لحما
ولبنا محضا وخبزا هشما

وكان قصي ربما أطعم الثريد .

ـ وقال ابن الكلبي : لما قسم قصي مكة ، أنزل جميع قريش مكة . ثم إنّ بني كعب بن لؤي لما كثروا ، أخرجوا بطونا من قريش إلى ظواهر مكة ، فسموا قريش الظواهر . ويقال إنّ قصيا أنزل قريش البطاح داخل مكة ، وأنزل قريش الظواهر مكانهم .

ـ قالوا : ولما قسم قصى مكة خططا ورباعا بين قريش ، فاتسقت له طاعتهم ، قال لهم : «يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وسكان حرمه ، والحاج أضياف الله وزوّار بيته ؛ فترافدوا ، حتى تصنعوا لهم طعاما وشرابا في أيام الحج ، ينال منه من يحتاج إليه ؛ فلو اتسع مالي لجميع ذلك ، لقمت به دونكم» . ففرض عليهم خرجا للرفادة . فكانوا يخرجونه ، ويأمر بإنفاقه على طعام الحاج وشرابهم .

١ ـ من أجل آبار مكة قبل زمزم ، انظر أخبار مكة ـ ط . مدريد ج ٢ ص ٢١٤ ـ ٢٢٤ .

- وبنى قصى داره ، فسميت دار الندوة ، لأنهم كانوا ينتدون فيها فيتحدثون ويتشاورون في حروبهم وأمـورهم ، ويعقدون الألوية ، ويزوّجون من أراد التزويج . وكان أمر قصي عند قريش دِينا يعملون به ولا يخالفونه . ولما مات ، دفن بالحجون . فكانوا يزوِرون قبره ويعظمونه .

- وروي أن قصيا قال حين أراد إدخال قريش مكة :

فلستُ بحازم إن لم تأثّـلْ بهـا أولادُ قيـذرَ والنبيـتُ

يعني ولد إسماعيل عليه السلام . وقوله «بها» ، يعني مكة .

- وولد قصي - ويكنى أبا المغيرة - عبد مناف ، واسمه المغيرة ، وكان يدعى «القمر» لجماله . وجعلته أمه حُبَّى بنت حليل خادما لمناف ، وهو أعظم أصنامهم عندهم ، تدينا بذلك وتبركا به . فسماه أبوه «عبد مناف» . وزعموا أنه وُجد كتاب في حجر : «أنّ المغيرة بن قصي أوصى قريشا بتقوى الله وصلة الرحم» .

وكان عبد مناف وعمرو بن هلال بن معيط الكناني عقدا حلف الأحابيش . والأحابيش بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وبنو المصطلق من خزاعة ، وبنو الهون بن خزيمة . وكانوا مع قريش . فقال الشاعر :

إنّ عمرا وإنّ عبد منـاف جعـلا الحلف بيننا أسبـابا

وعبد الله بن قصي ، وهو عبد الدار ؛ وعبد العزى ، وعبد قصي . وأمهم جميعا حبى بنت حليل بن حبشية بن سلول الخزاعى . فكان قصي يقول : ولد لي أربعة بنين ، فسميت ابنين منهم بإلهي ، وواحدا بداري ، وواحد بي . وكان يقال لعبد بن قصي عبد قصي . وهند بنت قصي ، تزوجها عبد الله بن عمار الحضرمي .

- وكان قصي شديد الحب لعبد الدار . وكان عبد الدار مضعوفا .

فجعل له بعده دار الندوة ، والحجابة ، واللواء ، والرفادة ، والسقاية . فأما دار الندوة فلم تزل له ولولده ، حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، من معاوية بن أبي سفيان ، فجعلها دارا للإمارة بمكة .

وأما الحجابة ، فكانت له ، ثم صارت بعده إلى عثمان بن عبد الدار ، ثم إلى عبد العزى بن عثمان ، ثم إلى ابنه أبي طلحة واسمه عبد الله بن عبد العزى ، ثم إلى طلحة بن أبي طلحة. فلما فتح رسول الله ﷺ مكة ، أراد دفع المفتاح إلى عمه العباس . فأنزل الله عليه : ﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ الآية[1] . فدفع المفتاح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وكان أسلم في صفر سنة ثمان ، وأقام بالمدينة وغزا مع النبي ﷺ مكة . ثم قام بالحجابة ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة . فالحجابة فيهم .

وأما اللواء ، فإنه لم يزل في بني عبد الدار حتى كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ؛ وكان لواء رسول الله ﷺ مع مصعب الخير بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي . وكان لواء المشركين يوم أحد أيضاً مع طلخة بن أبي طلحة ، فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ فقال الحجّاج بن عِلاط :

لله دَرّ مذبّب عن حرمة … أعني ابنَ فاطمة المعم المخولا
جادت يداك لهم بعاجل طعنة … تركتْ طليحة للجبين مجدلا
وشددتَ شدةَ بازل فكشفتهم … بالسيف إذ يهوون أخول أخولا
وعللتَ سيفك بالدماء ولم تكن … لتــردّه حـرّان حتى ينهــلا

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٥٨ .

ثم أخذ اللواء بعده أبو سعد بن أبي طلحة ، وقمن النساء خلفه وهن يقلن :

ضرباً بني عبد الدار ضربا حماة الأدبار

فقتله سعد بن أبي وقاص . ثم أخذه عثمان بن أبي طلحة ، وهو أبو «شيبة بن عثمان» ، وجعل يقول :

إنّ على كل رئيس حقا أن يخضب الصعدة أو تندّقا

فقتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه ، ضربه ضربة بدا منها حقوه . ثم رجع وهو يقول : «أنا ابن ساقي الحجيج» . ثم حمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة ، فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري ، ثم أخذه أخوه الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة . فرماه عاصم بن ثابت الأوسي أيضاً ، فقتله . فلما أحس بالموت ، دفع اللواء إلى أخيه كلاب بن طلحة بن أبي طلحة ، فرماه قُزْمان حليف بني ظفر من الأنصار فقتله . فأخذه الحارث بن طلحة بن أبي طلحة، فقتله قزمان أيضاً. وكان قزمان منافقاً ، فقاتل حميةً . ثم أخذه شرحبيل بن هاشم ، ويقال هو عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، فقتله مصعب بن عمير . فأخذ اللواء منه زرارة بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ؛ وبعضهم يقول يزيد بن عمير . فقتله قزمان . ثم أخذه قاسط بن شريح بن عثمان بن عبد الدار ؛ ويقال قاسط بن شريح بن هاشم بن عثمان بن عبد الدار . فقتله قزمان . ثم أخذه مولى لهم ، يقال له صُؤاب ، حبشي . فقطعت يمينه ، قطعها قزمان . فأخذه بيساره ، فقطعت . فالتزم القناة وهو يقول : «أعذرتُ يا بني عبد الدار» . يريد أُعذرتِ يا بني عبد الدار ، وكان أعجمياً . فرماه قزمان ، فقتله . ووقع اللواء ، وتفرق المشركون . فأخذته

عمرة بنت الحارث بن علقمة بن زُرارة بن عبد مناف بن عبد الدار . فقال فيه حسان بن ثابت الأنصاري :

عمـرة تحمـل اللواء وولّتْ عن صدور القنا بنو مخزوم
لم تطقْ حملَهُ الزعانفُ منهم إنما يحمل اللواءَ الكـريمُ[1]

فلما أسلم بنو عبد الدار ، قالوا : يا نبي الله ، اللواء إلينا . فقال ﷺ : الإسلام أوسع من ذلك . فبطل اللواء . ولما قتل مصعب بن عمير ، ومعه لواء رسول الله ﷺ ، أخذ اللواء مالك ، تشبه بمصعب حتى دخل المدينة . ويقال أخذه أبو الروم أخوه ، وكان من مهاجرة الحبشة ، فدخل به المدينة . وقال حسان بن ثابت :

فخـرتم باللواء وشرّ فخـر لواء الكفر رُدّ إلى صُؤاب
جعلتم فخركم جهلا وجبنا لألأم واطىء عفر التراب[2]

ـ وأما الرفادة والسقاية ، فإنهما لم تزالا في حياة قصي إلى عبد بن قصي . ثم صارتا إلى عبد الدار بن قصي ، حتى عظم شأن بني عبد مناف بن قصي . فقالوا : نحن أولى بما يتولاه بنو عبد الدار منهم ، فجمعوا من مالَ إلِيهم وعرفَ فضلهم . وهم : بنو أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبنو زُهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرّة بن كعب ، ومن كان داخل مكة من بني الحارث بن فهر وهم قوِم أبي عبيدة بن الجّراح ، وأتوا بإناء فيه طيب ، فغمسوا أيديهم فيهَ ومسحوها بالكعبة ، وتحالفوا أن لا يسلم بعضهم بعضاً ما بل بحر صُوفة .

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٤١ مع فوارق كبيرة .
٢ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

ويقال إنهم تحالفوا وتعاهدوا في منزل ابن جدعان . فسموا المطيَّبين . وحالف بني عبد الدار ، على منع المطيبين من نشبتهم[1] وإرادتهم : بنو مخزوم ، وبنو جمح ، وبنو سهم ، وبنو عدي بن كعب . واجتمعوا . فقالت : بنو عدي : إنما الطيب لربات الحجال . وأتو بجفنة فيها دم ، فغمسوا أيديهم فيها . وكانت العرب إذا تحالفت ، غمست أيديهم في الملح والرماد . فسمى بنو عدى بها لعقة الدم ، ووَلَغة الدم . ويقال إنّ بعضهم لعق من الدم . فيقال إنّ الفريقين من المطيبين والأحلاف اقتتلوا ، ثم اصطلحوا على أن جعلت الرفادة والسقاية لبني عبد مناف . ويقال إنهم لم يقتتلوا ، ولكن الرجال سفرت بينهم حتى تراضوا بهاتين المكرمتين . فاحتملت بنو عبد مناف أعظمَ الأمور مؤونة . وسمي من حالف بني عبد الدار «الأحلاف» . قال عبد الله بن وداعة السهمى :

نحن شددنا الحلف من غالب — وغالب واقفةٌ تنظرُ
لم يستطيعوا نقض أمر أرن[2] — وهم على ذاك بنا أخبر

وزعموا أن عبد الله بن صَفوان قال لابن عباس : لإمرة المطيبين كانت أفضل أم إمرة الأحلاف ؟ فقال : إمرة المطيبين . يعني خلافة أبي بكر أفضل من خلافة عمر . وقال عمر بن أبي زمعة ، ويقال يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ويقال ابن قيس الرقيات :

ولها في المطيّبين جدود — ثم نالت ذوائب الأحلاف
إنها بين عامر بن لؤي — حين تدعى وبين عبد مناف
يشرئبّون في الذؤابة حلوا — حيث حلت ذوائب الأشراف[3]

١ ـ تناشبوا : تضاموا وتعلق بعضهم ببعض . القاموس .
٢ ـ أرن : نشط .
٣ ـ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ـ ط . دار صادر ، بيروت ص ١٨٦ مع فوارق .

ـ قالوا : ولما كان يوم أحُد ، لقي زيدُ بن الخطاب ، أخو عمر ، أبا جهم بن حذيفة بن غانم . فقال له أبو الجهم : أنا والغ الدم . فقال له زيد ، قد أتاك والغ مثلك .

ـ قالوا : واقترع بنو عبد مناف على الرفادة والسقاية ، فصارتا لهاشم بن عبد مناف . ثم صارتا بعده للمطلب بن عبد مناف بوصية . ثم لعبد المطلب ، ثم للزبير بن عبد المطلب ، ثم لأبي طالب . ولم يكن له مال ، فادَّان من أخيه العباس بن عبد المطلب عشرة آلاف درهم . فأنفقها . فلما كان العام المقبل ، سأله سلفَ خمسة عشر ألف درهم ؛ ويقال أربعة عشر ألف درهم . فقال له : إنك لم تقضني مالي عليك ، وأنا أعطيك ما سألت على أنك إن لم تدفع إليّ جميع مالي في قابل فأمر الرفادة والسقاية إليّ دونك ، فأجابه إلى ذلك . فلما كان الموسم الثالث ، ازداد أبو طالب عجزا وضعفا ، ولم تمكنه النفقة ، وأعدم حتى أخذ كل رجل من بني هاشم ولداً من أولاده ليحمل عنه مؤونته . فصارت الرفادة والسقاية إلى العباس ، وأبرأ أبا طالب مما له عليه . وكان يأتيه الزبيب من كرم له بالطائف ، فينبذ في السقاية . ثم جعل الخلفاء الرفادة من بيت المال . فقام بالرفادة والسقاية ، بعد العباس ، عبد الله بن عباس ، ثم علي بن عبد الله ، ثم محمد بن علي ، ثم داود بن علي ، ثم سليمان بن علي ، ثم عيسى بن علي . ثم لما استخلف المنصور ، قال : إنكم لا تلون هذا الأمر بأبدانكم ، وإنما تقلدونه مواليكم ؛ فأمير المؤمنين أحق بتوليته مواليه . فولّى أمر السقاية ، ونفقة البيت ، وإطعام الحاجّ مولى له يقال له زُريق .

ـ وحدثني الحسن بن علي الحرمازي ، عن رجل من قريش ، أنه قال :

كان مما لحقنا من كلام قصي قوله : «العيّ عيان ، عيّ الإفحام ، وعيّ المنطق بغير سدر» . وقوله : «الحسود عدوّ خفي المكان» . وقوله : «من سأل قوما فوق قدره استحق الحرمان» . وكان بنات قصي : برة تزوّجها عمر بن مخزوم ، وتخمُر تزوجها عمران بن مخزوم . وأمهما حُبّى بنت حُليل .

ـ وقال الواقدي : أنزل قصي قريشا منازلها ، وكان بالبلد عضاه . فقطعها ، وأذن في قطعها . فاستوحشوا من ذلك فقال : إنكم ليس تريدون الفساد ؛ إنما تريدون التوسعة وتستعينون على منازلكم .

قال الواقدي : ويقال إنهم استأذنوه في قطع الشجر ، فأباه ؛ فبنوا والشجر في منازلهم . وهذا أحسن عندنا من إذن قصي في قطع الشجر ، وأشبه بالحق . قال : ثم اضطروا إلى قطعه ، فقطعوه بعده . وكان عبد الله بن الزبير قطع شجراً في دوره ، لضيقها عليه .

ـ وولد عبد مناف بن قصي ـ وتكنى أبا عبد شمس ـ عمرو بن عبد مناف وهو هاشم . وأمه عاتكة بنت مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان ، من بني سليم . وأمها ماوية بنت حوزة بن سلول . وإنما سمي هاشماً ، لأنه هشم لهم الخبز .

حدثني عباس بن هشام بن الكلبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أصابت قريشاً سنة ذهبت بأموالهم وأقحطوا فيها . وبلغ هاشما ذلك وهو بالشأم . وكان متجره بغزّة وناحيتها . فأمر بالكعك والخبز ، فاستكثر منهما . ثم حُملا في الغرائر على الإبل ، حتى وافى مكة . فأمر بهشم ذلك الخبز والكعك ، ونحرت الإبل التي حملت . فأشبع أهل مكة وقد كانوا جهدوا . فقال عبد الله بن الزِبِعْرَى ـ وقال بعضهم : الزَّبَعْرَى ، والأول أصح ـ :

عمرو العُلى هشم الثريد لقومه ورجالُ مكة مسنتون عجاف
وهو الذي سنَّ الرحيلَ لقومَه رِحلَ الشتاء ورحلةَ الأصياف[١]

وقال وهب بن عبد قصي :

تحمل هاشمٌ ما ضاق عنا وأعيا أن يقوم به ابن بيض
فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب الخبز باللحم الغريض[٢]

قال ابن الكلبي : ابن بيض رجل من قوم عاد ، كان يقال له ثوب بن بيض ، نزل به قوم فنحر لهم جزورا سدّت طريقاً كانت تسلك إليه في واد . فقيل : سد ابنُ بيض السبيل ، فذهبت مثلا ، ويقال إنّ ابن بيض هذا كان موسرا مكثرا ، وكان قد صولح على خرج ، وجعل على نفسه شيئاً لقوم يعطيهم إياه لوقت . فكان يخرج ذلك الشيء ، ويجعله في فم شعب كان يدخل إليه منه . فإذا جاء من يقبض ذلك ، قالوا : سدّ ابن بيض السبيل ؛ أي قضى ما عليه .

ورُوي عن يونس النحوي البصري أنه قال : يقال للرجل الشريف الواضح النسب «ابن بيض» ، كما يقال «ابن جلاء» .

ـ وكان هاشم بن عبد مناف صاحب إيلاف قريش الرحلتين ، وأولَ من سَنَّها . وذلك أنه أخذ لهم عِصَماً من ملوك الشأم ، فتجروا آمنين . ثم إنّ أخاه عبد شمس أخذ لهم عصما من صاحب الحبشة ، وإليه كان متجره . وأخذ لهم المطلب بن عبد مناف عصما من ملوك اليمن . وأخذ لهم نوفل بن عبد مناف عصما من ملوك العراق . فألفوا الرحلتين في الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق ، وفي الصيف إلى الشأم . فقال الحارث بن حنش

١ ـ شعر عبد الله بن الزبعرى ص ٥٣ .
٢ ـ اللحم الغريض : الطازج والطري .

السُلمي ، وهو أخو هاشم لأمه عاتكة بنت مرة السلمية :

إنّ أخي هاشما ليس أخا واحد واللهِ ما هاشم بالناقص الكاسد
والخير في ثوبه وحفرة اللاحد الآخذ الألفَ والوافدُ للقاعد

وقال العُجير السَّلولي :

نحن ولدنا هاشماً والمطَّلبْ وعبد شمس نعم صِنْو المنتجبْ

وقال مطرود بن كعب الخزاعي :

يا أيها الرجل المحوّل رحله هلّا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت عليهم ضمنوك من جوع ومن أقراف
الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الإيلاف
والمطعمون إذا الرياح تناوحت ورجال مكة مسنتون عجاف[1]
والمفضلون إذا المُحُولُ ترادفت والقائلون هلم للأضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي

ـ حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده وابن خربوذ وغيرهما ، قالوا :

لما صارت الرفادة والسقاية لهاشم ، كان يخرج من ماله كل سنة للرفادة مالاً عظيماً ، وكان أيسر قريش ، ثم يقف في أيام الحج فيقول : «يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإنه يأتيكم في موسمكم هذا زوّار الله تبارك ذكره يعظمون حرمةَ بيته ، وهم أضيافه وأحق الناس بالكرامة . فأكرموا أضيافه وزوّار كعبته ، فإنهم يأتون شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح قد أزحفوا ، وتفلوا ، وقملوا ، وأرملوا[2] . فأقروهم ، وأغنوهم ،

---

١ ـ في نسخة استانبول : «حتى تغيب الشمس في الرجاف» .
٢ ـ أزحفوا : أعيوا . تفلوا : أنتن ريحهم . قملوا : تولد عندهم القمل . أرملوا : قل زادهم .

وأعينوهم» . فكانت قريش تترادف على ذلك ، حتى إن كان أهل البيت ليرسلون إليه بالشيء على قدرهم فيضمه إلى ما أخرج من ماله وما جمع مما يأتيه به الناس . فإن عجز ذلك ، أكمله .

ـ حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه هشام بن محمد ، قال :

كان أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ذا مال . فتكلف أن يفعل كما فعل هاشم في إطعام قريش ، فعجز عن ذلك . فشمت به ناس من قريش وعابوه لتقصيره . فغضب ، ونافر هاشماً على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة ، وعلى الجلاء عشر سنين . وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي ، وهو جدّ عمرو بن الحمق ، وكان منزله عُسْفان . وكان مع أمية أبو همهمة بن عبد العزى الفهري ، وكانت ابنته عند أمية . فقال الكاهن : «والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بِعَلَمٍ مسافر ، في منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أول منها وآخر ، وأبو همهمة بذلك خابر» . فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعم لحمها من حضر . وخرج أمية إلى الشأم فأقام عشر سنين . فتلك أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية . وقال الأرقم بن نضلة يذكر هذه المنافرة ويذكر تنافر عبد المطلب وحرب بن أمية :

لما تنافر ذو الفضائل هاشم وأميةُ الخيرات نفر هاشمُ

وقال أيضاً :

وقبلك ما أردى أميةَ هاشمٌ فأورده عمرو إلى شر مورد

ـ وولد عبدُ مناف ، سوى هاشم ، عبد شمس بن عبد مناف ، والمطلب ويدعى الفيض . وفيه يقول مطرود الخزاعي حين مات :

قد سغب الحجيجُ بعد المطلبْ بعدَ الجفان والشراب المنثعبْ

وأم هاشم وعبد شمس والمطلب : عاتكة بنت مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثَة بن سُليم بن منصور . ونوفل بنَ عبد مناف ، وأبا عمرو واسمه عبيد درج ؛ وأمهما واقدة بنت أبي عدي . من بني مازن بن صَعصعة بن معاوية . وكان يقال لهاشم والمطلب «البدران» . وكان لعبد مناف من البنات . من عاتكة : تُماضِر ، تزوجها عبد مناف بن عبد الدار ؛ وحيّة تزوجّها عمرو بن ظويلم ، أحد بني دُهمان بن نصر بن معاوية بن بكر ؛ وقِلابة ، تزوّجها عبد العزى بن عامر الفهري ؛ وهالة ، وهي أم الأختم ، وفي الأختم يقول الشاعر :

أبشر بخير حين تلقى عامرا نشوان يبرقُ وجهه كالدرهم
لما رآني عاريا ذا خلة ألقى عليّ رداءه ابن الأختم

تزوجها عمرو بن خالد بن أمية بن ظَرِب الفِهري ، ويقال تزوجّها خالد بن عامر بن أمية بن ظرب . وبرَّة ، تزوّجها سبع بن الحارث الثقفي ؛ ورَيطة بنت عبد مناف ، وأمها النافذة ، تزوّجها هلال بن معيط بن عامر الكناني . وقال مطرود بن كعب الخزاعي في ولد عبد مناف :

يا ليلة هيّجتِ ليلاتي إحدى لياليَ القسيّات
إنّ المغيرات وأبناءهم لخير أحياء وأموات
أخلصهم عبد مناف فهم من لوم من لام بمنجاة
قبر بِرَدْمان وقبر بسلـ ـلمان وقبر عند غزّات
وميتٌ مات قريبا من الـ ـحجون عن شرق البُنيّات[1]

يعني بالمغيرات ولد المغيرة ، وهو عبد مناف ، كما قال النابغة :

١ ـ الذي بردمان ـ موقع باليمن ـ المطلب بن عبد مناف . والذي بسلمان ـ ماء قديم جاهلي ـ نوفل بن عبد مناف ، والقبر الذي عند غزة لهاشم بن عبد مناف ، والذي بقرب الحجون عبد شمس بن عبد مناف . معجم البلدان .

شاق الرفيدات من عودي ومن عمم   وماش من رهط ربعيٍّ وحجّاز[1]

يريد ولد رُفيدة بن ثور بن كلب ؛ وعودي وعمم ابنا نمارة بن لخم ، وربعي وحجاز من ولد الحارث أخي عُذرة بن سعد : ربعي بن عامر ، وحجاز بن مالك . وأما رَدمان ففي ناحية اليمن ، وسلمان في طريق العراق ، وغزّة بالشأم . فالذي بردمان ، المطلب ؛ والذي بسلمان ، نوفل ؛ والذي بغزّة ، هاشم ؛ والذي مات بمكة ودُفن بقرب الحجون ، عبد شمس . وقال مطرود أيضاً :

كانت قريش بيضةً فتفلّقت   فالمحّ خالصه لعبد مناف

فحدثني الوليد بن صالح ، عن الواقدي ، عن يزيد بن عياض ، عن يزيد بن أسلم ، عن أبيه أن النبي ﷺ سمع جاريةً تنشد :

كانت قريش بيضةً فتفلقت   فالمحّ خالصه لعبد الدار

فقال ﷺ لأبي بكر : يا أبا بكر أهكذا قال الشاعر ؟ قال أبو بكر : لا ، إنما قال : «لعبد مناف» . قال : كذلك قال .

ـ قال : ومات هاشم بغزَّة من بلاد الشأم ، فقبره بها . وقدم بتركته ومتاعه أبو رُهم بن عبد العزى بن أبي قيس ، من بنى عامر بن لؤي . وكان لهاشم يوم مِات خمس وعشرون سنة . وذلك الثبت . ويقال عشرون سنة . وقال مطرود يرثيه :

مات الندى بالشأم لما أن ثوى   فيه بغزّة هاشمٌ لا يبعد
لا يبعدنْ ربّ الفناء نعوده   عود السقيم يجود بين العوّد
فجفانه رذُمٌ[2] لمن ينتابه   والنصر منه باللسان وباليد

١ ـ ليس في ديوان النابغة الذبياني ولا النابغة الجعدي المطبوعين .

٢ ـ الرذوم : السائل من كل شيء ، والقصعة الممتلئة تصب جوانبها . القاموس .

وقال أبو عبيدة : أم هاشم والمطلب وعبد شمس بني عبد مناف : عاتكة بنت مرّة ، وأمها سلولية . وأم نوفل بن عبد مناف : واقدة بنت أبي عدي ، من بني مازن بن صعصعة . وهي أم أبي عمرو ، واسمه عبيد بن عبد مناف ، درج .

نسب بني هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب :

- فولد هاشم بنُ عبد مناف-ويكنى أبا نضلة:شَيْبَةَ الحمد . وهو عبد المطلب . وكان سيد قريش حتى هلك . وأمه سَلمى بنت عمرو بن زيد بن لبَيد بن خِداش بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار ، من الأنصار .

- حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي في إسناده ، وعباس بن هشام عن أبيه ، عن جده وغيره ، قالوا :

كان هاشم بن عبد مناف يختلف إلى الشأم في التجارة . فإذا مرّ بيثرب ، نزل على عمرو بن زيد بن لبيد ، وكان صديقاً لأبيه وله . فنزل به في سفرة من سفراته وقد انصرف من متجره ، فرأى ابنته سلمى بنت عمرو ، فأعجبته . وكانت قبلُ عند أحيحة بن الجُلاح بن الحَريش بن جحجبا الأوسي ، فمات عنها وقد ولدت ولدين ، هلكا ؛ وهما عمرو ومعبد ابنا أحيحة . فخطبها ، فأنكحه إياها ، واشترط عليه أن لا تلد إلا في أهلها . فنقلها هاشم معه إلى مكة . فلما حملت ، ودنا ولادها ، أتى بها منزل أبيها بيثرب ، فخلفها ، ومضى إلى الشأم في تجارته . فمات بغزّة من فلسطين . وولدت سلمى شيبة الحمد . وسمته بذلك لشيبة كانت في رأسه . ويقال لشيبات كنّ حول ذؤابته . وقيل له عبد المطلب ، لأنه لما ترعرع بالمدينة ، وأتت له سبع أو ثماني سنين ، بلغ عمه المطلبَ بن عبد مناف خبرُه في لبسه ونظافته وشبهه بهاشم أبيه ، فاشتاق إليه ، وركب حتى

أتى المدينة ، فوافاه وهو يرمى مع الصبيان . فلما أصاب ، قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيد البطحاء . فقال له : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا شيبة بن عبد مناف[1]: قال: وأنا عمك المطلب بن عبد مناف؛ وقد جئتُ لحملك إلى بلدك وقومك ومنزل أبيك وجوار بيت الله إن طاوعتني . وجعل يشوقه إلى مكة . فقال : يا عم ، أنا معك . وقال له رجل من بني النجار : قد علمنا أنك عمه ؛ فإن أحببت فاحمله الساعةَ قبل أن تعلم أمه ، فتدعونا إلى منعك منه فنمنعك . فانطلق به معه ، حتى أدخله مكة وهو ردف له . فكان لا يمرّ بمجلس من مجالس قريش إلا قالوا له : من هذا الغلام معك يا أبا الحارث ؟ فيقول : عبد لي ابتعته . ثم أدخله منزله ، فكساه . وأخذته امرأته خديجة بنت سعيد بن سعد بن سهم ، فنظفته وطيبته وألبسته كسوة عمه . وأخرج إلى النديّ . فجعل أهل مكة يقولون : هذا عبد المطلب . فغلب ذلك على اسمه . وقال المطلب بن عبد مناف :

وافيتُ شيبةَ والنجّارُ قد جعلتْ   أبناءها عنده بالنبل تنتضلُ

وقالت سلمى أمه :

كنا ولاةَ حَمِّهِ ورَمِّهِ   حتى إذا قام على أتمه
انتزعوه غيلةً من أمه   وغلب الأخوالَ حقُّ عمه

وقال المطلب :

يا سلمَ يا أختَ بني النجّار   ما ابن أخي بالهين المعار
فاقِني حياءً ودعي التّماري   إني وربّ البيت ذي الأستار
لو قد شددت العيس بالأكوار   قد راح وسط النَّفَر السفّار
حتى يرى أبياتَ عبد الدار

١ ـ وردت هكذا . والصواب : شيبة بن هاشم بن عبد مناف .

وكان عبد المطلب يكثر زيارة أخواله ويبرّهم[١] .

- وحدثني عباس ، عن أبيه ، عن جده قال :

كان عبد المطلب أول من خضب بالوسمة[٢] لأن الشيب أسرع إليه . فدخل على بعض ملوك اليمن ، فأشار عليه بالخضاب . فغير شعره بالحناء ، ثم علاه بالوسمة . فلما انصرف وصار بقرب مكة ، جدّد خضابه . وكان قد تزودّ من الوسمة شيئاً كثيراً . فدخل منزله وشعره مثل حلك الغراب . فقالت امرأته نُتيلة ، وهي أم العباس ، يا شيبُ ، ما أحسن هذا الصبغ لو دام فعله . فقال عبد المطلب :

لو دام لي هذا السواد حمدته   فكان بديلا من شباب قد انصرمْ
تمتعتُ منه والحياة قصيرة   ولابدّ من مَوْتٍ نتيلةُ أو هرمْ
وماذا الذي يجدي على المرء خفضهُ   ونعمته يوما إذا عرشه انهدمْ

ثم إنّ أهل مكة خضبوا بعده .

- وقال الكلبي : حجّ قوم من جُذام ، ففقدوا رجلاً منهم اغتيل بمكة ، ولقيهم حُذافة بن غانم العدوي فربطوه . وقدم عبد المطلب من الطائف ، وقد كفّ بصره ، وأبو لهب يقود به ، فهتف به حذافة . فأتاهم . فقال : قد عرفتم تجارتي وكثرة مالي ؛ وأنا أحلف لكم لأعطينكم عشرين أوقية ذهباً ، أو عشرا من الإبل ، وغير ذلك مما يرضيكم ، وهذا ردائي رهن بذلك . فقبلوا منه ، وأطلقوا حذافة . فأردفه ، حتى أدخله مكة ، ووفى لهم عبد المطلب بما جعل لهم . فقال :

١ ـ طبقات ابن سعد ـ ط . دار صادر بيروت ج ١ ص ٧٩ ـ ٨٣ . جمهره ابن الكلبي ج ١ ص ١٤ ـ ١٥ . سيرة ابن هشام ج ١ ص ٩٦ ـ ٩٩ .

٢ ـ الوسمة : ورق النيل ـ أو نبات يخضب بورقه . القاموس .

أخارجُ إما أهلكن فلا يزل لشيبةَ منكم شاكرا آخر الدهر
وأولاده بيض الوجوه وجوههم تضيء ظلام الليل كالقمر البدر
لهو لهم خير الكهول ونسلهم كنسل الملوك لاقصار ولا خُدر
لساقي الحجيج ثم للشيخ هاشم وعبد مناف ذلك السيد الفهري
أبوكم قصيّ كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر
أبو عتبة الملقي إليّ حباله أغرّ هجان اللون من نفر غرّ(1)

ويروي «أبو الحارث» ، وهو أصح .

١ ـ انظر المنمق لمحمد بن حبيب ـ ط . بيروت ١٩٨٥ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ مع فوارق كبيرة .

قصة الفيل

ـ قالوا : وكان أبرهة الأشرم أبو يكسوم قتل حبشيا كان غلب على اليمن ، وصار مكانه . فرأى العرب باليمن يتأهبون في وقت الحجّ . فسأل عن أمرهم . فقيل إنهم يريدون بلدا يقال له مكة ، وبه بيتٌ لله يتقربون إليه بزيارته . فبنى بيتاً بصنعاء كثير الذهب والجوهر ، وحمل من قبله من العرب على أنْ يحجوه ويصنعوا عنده كصنيعهم عند الكعبة . فاحتال بعضُ العرب لسدنته ، حتى أسكرهم ؛ ثم أتى بجيف ومحائض فألقاها فيها ، ولطخ قبلته ، وكانت على المشرق ، بعذرة . فغضب أبرهة أشد غضب ، وقال : والمسيح ! لأغزونَّ بيت العرب الذي يحجون إليه . فبعث إلى النجاشي : إني عبدك ، وكل ما حويته من هذا البلد فهو لك ، ومن مملكتك . وأهدى إليه هدايا ، وسأله أن يبعث إليه بفيل له عظيم كان يلقى به عدوه إذا احتشد . فبعث إليه بذلك الفيل وبجيش . ثم إنّ الأشرم نهض نحو البيت ، والفيل في مقدّمته ؛ ودليله النفيل بن حبيب الخثعمي . فلما انتهى إلى قرب الحرم ، برك الفيلُ بالمغمَّس ، فلم يحرك . ونخس بالرماح ، فلم ينهض . ثم بعث الله على الجيش طيراً ، مع كل طير ثلاثة أحجار . فألقتها عليهم ، فلم ينج منهم شغر[1] .

---

١ ـ يقال ما بالدار شغر : أي أحد . القاموس .

ـ وقد كان الحبشي لما قرُب مكة ، بثّ قوما ممن معه للغارة ؛ منهم رجل يقال له الأسود بن مقصود . فاطردوا إبلاً لعبد المطلب . فأتى عبد المطلب الحبشي وهو في قبة له بالمغمس . وكان قائد الفيل صديقاً له ، فأدخله إليه وأخبره بشرفه . وكان عبد المطلب رجلا جميلا طويلا ، له غديرتان ، أهدب الأشفار ، دقيق العرنين أشمه ، رقيق البشرة ، سهل الخدّين . فأكرمه الحبشي وأجلّه ، وسأله عن حاجته . فقال : إبلي . فأمر بردّها ، وقال : ما ظننتك جئتني إلا في أمر البيت . فقال عبد المطلب : إن للبيت ربّا سيمنعه ويحميه . وكان عبد المطلب وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم يطعمان الناس بمكة كل يوم ، والحبشي مظلّهم ، وقد هرب جلّ أهل مكة خوفاً وإشفاقاً . قال عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أبو عائذ :

أنت حبستَ الفيل بالمغمّس من بعد ما كان بغير مجلس
أنت الجليل ربنّا لم تَدنس

وقال عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ويقال بل قالها أبو عكرمة عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، ويقال عكرمة وذلك غلط :

لاهم أَخْزِ الأسودَ بن مقصودْ الآخذَ الهجمةَ ذاتَ التقليدْ
بين حِراءٍ فثَبيرٍ فالبِيدْ اخْفر به ربٍّ وأنتَ محمودْ

وقال عبد المطلب :

يا ربِّ إنّ المرء يمـ ـنع رحلَه فامنعْ حِلالَكْ
لايغلبنّ صليبُهم ومِحالهم غَدْواً مِحالَك
فلئن فعلت فربما أولى فآمُرْ ما بدا لكْ
ولئن فعلتَ فإنه أمر تُتمّ به فِعالَك[1]

---

١ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥ . المنمق لابن حبيب ص ٧٣ ـ ٧٦ . طبقات ابن سعد ج ١ ص ٩٠ ـ ٩٢ . تاريخ الطبري ـ ط . دار المعارف ، القاهرة : ج ٢ ص ١٣٢ ـ ١٣٥ .

وكان قدوم الفيل وحبس الله إياه للنصف من المحرم ، وذلك قبل مولد رسول الله ﷺ بشهرين إلا أياما . وقال عبد المطلب في غير هذا المعنى :

لا تحسبي شيمَ الفتيان واحدةً بكل رحل لعمري ترحل الناقهْ
إني إذا المرء شانْته خليقتُه ألفيتِني جِلدتي بيضاءَ برّاقه
وخير ما يفعل الفتيانُ أفعلهُ وإنما يتبع الإنسان أعراقه

وقال عبد المطلب :

قلتُ والأشرم تَردى خيلهُ إنّ ذا الأشرم غُرٌّ بالحَرمْ
رامه تُبَّعُ فيمن جمعت حمير والحي من آل قدم
فانثنَى عنه وفي أوداجه جارح أمسك منه بالكَظمْ
فخزاك الله في بلدته لم يزل ذاك على عهد ابْرَهمْ

- حدثنا عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن ابن خربوذ وغيره من علماء أهل الحجاز ، قالوا :

لما هلك المطّلب بن عبد مناف ، وكان العاضد لعبد المطلب والذابّ عنه والقائم بأمره ، وثب نوفلُ بن عبد مناف على أركاح كانت لعبد المطلب - وهي الساحات والأفنية - فغلب عليها ، واغتصبه إياها . فاضطرب عبد المطلب لذلك ، واستنهض قومه معه ، فلم ينهض كبير أحدٍ منهم فكتب إلى أخواله من بني النجّار ، من الخَزرج :

يا طولَ ليلي لأحزاني وأشغالي هل من رسول إلى النجّار أخوالي
يُنبي عَدياً وديناراً ومازنَها ومالكا عصمةَ الجيران عن حالي
قد كنتُ فيكم وما أخشى ظلامةَ ذي ظلم عزيزا منيعا ناعم البالِ
حتى ارتحلتُ إلى قومي وأزعجني لذاك مطّلبٌ عميّ بترحال
وكنت ما كان حياً ناعماً جذلاً أمشي العرضنة جراراً لأذيالي

فغاب مطّلب في قعر مُظلمةٍ ثم انتزى نوفلٌ يعدو على مالي
أأن رأى رجلا غابت عمومتُه وغاب أخوالُه عنه بلا والي
أنحَى عليه ولم يحفَظ له رحِما ما أمنع المرء بين العمّ والخال
فاستنفروا وامنعوا ضيمَ ابن أختكم لا تخذلوه فما أنتم بخُذّال
أنتم شِهاد لمن لانت عريكتُه من سِلمكم وسِمام الأبلخ الغالي(1)

قالوا : فقدم عليه منهم جمعٌ كثيف ، فأناخوا بفناء الكعبة وتنكبوا القسي وعلقوا التراس . فلما رآهم نوفل ، قال : لشّر ما قدم هؤلاء . فكلّموه . فخافهم ، وردّ أركاحَ عبد المطلب عليه ، وزاده وأحسن إليه ، واعتذر من فعله .

حدثني التوزي النحوي ، عن الأصمعي ، قال :

الأركاح متسع في سفوح الجبال ؛ يقال : إن له ساحة يتركح فيها .

- قال ابن الكلبي : قال عبد المطّلب في نصرة أخواله إياه :

ستأبى مازنٌ وبنو عديٍّ ودينارُ بن تيم اللاّت ضَيمي
بهم ردّ الإلـهُ عليّ رُكحي وكانوا في التناصر دون قومي

عديّ ، ومازن ، ودينار بنو النجّار ، واسمه تيم الله . وقال أيضاً

أبلغْ بني النّجار إن جئتَهم أني منهم وابنهم والخميسْ
رأيتُهم قوما إذا جئتهم هووا لقائي وأحبّوا حسيسيْ

وقال شَمر بن نمر الداني :

لعمري لأخوالُ الأغرِّ ابنِ هاشم من اعمامه الأدْنِينَ أحنى وأوصلُ
أجابوا على نأيٍ دعاءَ ابن أختهم وقد ناله بالظلم والغدر نَوفلُ
فما برحوا حتى تدارك حقَّه ورُدّ عليه بعدما كاد يُؤكل

١ - تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٥٠ - ٢٥١ مع فوارق . والأبلخ : المتكبر .

جزى الله خيراً عصبةً خزرجيةً   توافوا على برٍّ وذو البِرّ أفضل[1]

ـ قال هشام بن الكلبي : فلما نصر بنو الخزرج عبدَ المطّلب ، قالت : خُزاعة ، وهم يومئذ كثير قد قووا وعزّوا : والله ما رأينا بهذا الوادي أعظم حلماً ، ولا أبعد من كلّ موبقة ومذنبة تُفسد الرجالَ مِن هذا الإنسان ـ يعنون عبد المطّلب ـ ولقد نصره أخوالُه من الخزرج ؛ ولقد ولدناه كما ولدوه ـ وانّ جدّه عبد مناف لابن حبُيًّ بنت حُليل بن حُبشّية سيد خزاعة ـ ولو بذلنا له نصْرنَا وحالفناه انتفعنا به وبقومه وانتفع بنا . فأتاه وجوههم ، فقالوا : يا أبا الحارث ، إنا قد ولدناك كما ولدك قومنا من بني النجار ؛ ونحن ؛ بعدُ ، متجاورون في الدار ، وقد أماتت الأيامُ ما كان يكون في قلوب بعضنا على قريش من الأحقاد ؛ فهلمّ ، فلنحالفك . فأعجب ذلك عبدَ المطلب وقبِله وسارع إليه فأجابهم إلى حِلف . فأقبل ورقاء بن عبد العزى أحد بني مازن بن عدي بن عمرو بن لُحيّ ، وسفيان بن عمرو القميري ، وأبو يُسر ، وهاجر بن عُمير القميري ، وهاجر بن عبد مناف بن ضاطر ، وعبد العزى بن قطن المصِطلقي في عدّة من وجوههم ، فدخلوا دار الندوة وكتبوا بينهم كتاباً . وكان عبد المطّلب في سبعة نفر من بني المطّلب ، والأرقم بن نضلة بن هاشم ، ولم يحضر أحد من بني نوفل ولا عبد شمس . فلما فرغوا من الكتاب ، علّقوه في الكعبة . وكان الذي كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب المعلّم . وتزّوج عبد المطّلب يومئذ لُبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر ، فولدت له أبا لهب . وتزوج أيضاً ممتَّعة بنت عمرو بن مالك بن مؤمّل ، فولدت له الغَيداق . وكانت نسخة كتابهم : «باسمك اللهم ، هذا ما تحالف عليه عبدُ المطّلب بن هاشم ورجالاتُ

١ ـ تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤٩ ، مع فوارق .

عمرو بن ربيعة ، من خزاعة ، ومَن معهم من أسلمَ ومالك ابنى أفصَى بن حارثة . تحالفوا على التناصر والمؤاساة ما بلَّ بحرٌ صُوفه ، حِلفا جامعا غير مفرّق . الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب . وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد ، وأوثق عقد ، ولا ينقض ولا ينكث ما شرقت شمس على ثَبير ، وحنّ بفلاة بعير ، وما قام الأخشبان ، وعمر بمكة إنسان ، حلف أبد ، لطول أمد . يَزيده طلوعُ الشمس شدّا ، وظلام الليل سدّا . وانّ عبد المطلب وولده ومن معهم دون سائر بني النضر بن كنانة ، ورجال خزاعة متكافئون ، متضافرون ، متعاونون . فعلى عبد المطلب النصرة لهم ممن تابعه على كل طالب وتر ، في برّ أو بحر ، أو سهل أو وعر . وعلى خزاعة النصرة لعبد المطّلب وولده ومن معهم على جميع العرب ، في شرق أو غرب ، أو حَزن أو سهب . وجعلوا الله على ذلك كفيلا ، وكفى به حميلا» .

فقال عبد المطّلب :

سأوصى زُبيرا إن أتتنى منّيتي بإمساك ما بيني وبين بني عمرو
وأن يَحفظ العهدَ الوكيدَ بجهده ولا يُلحدْن فيه بظلم ولا غدرِ
همُ حفظوا الإلَّ القديمَ وحالفوا أباك وكانوا دون قومك من فِهر

وكان عبد المطّلب وصّى ابنَه الزبيرَ . ثم أوصى الزبيرُ إلى أبي طالب ، ثم أوصى أبو طالب إلى العباس .

وقال ابن الكلبي : هذا الحِلف هو الذي عناه عمرو بن سالم الخزاعي حين قال لرسول الله ﷺ :

لاهمّ إني نـاشـد محمـدًا حلف أبينـا وأبيـه الأتْلدا[1]

١ ـ انظر المنمق لابن حبيب ص ٨٣ ـ ٨٩ . مع بعض الزيادات والفوارق .

ـ وحدثني العباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده محمد بن السائب الكلبي وغيره ، قالوا :

كان عبد المطلب من حلماء قريش وحُكّامها . وكان نديمه حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وكان في جوار عبد المطلب يهودي ، يقال له أدينة . وكان اليهودي يتسوّق في أسواق تِهامة بماله ، فغاظ ذلك حربا ، فألّب عليه فتيانا من قريش ، وقال : هذا العلج الذي يقطع إليكم ويخوض بلادكم بمال جمّ كثير من غير جوار ولا خيل ؛ والله لو قتلتموه وأخذتم ماله ، ما خفتم تبعةً ولا عرض لكم أحد يطلب بدمه . فشدّ عليه عامر بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وصخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، فقتلاه . فجعل عبد المطّلب لا يعرف له قاتلا . فلم يزل يبحث عن أمره ، حتى علم خبره بعدُ .

فأتى حربَ بن أمية ، فأنّبه بصنيعه وطلبَ بدم جاره . فأجار حرب قاتليَه ولم يُسلمهما وأخفاهما . وطالبه عبد المطّلب بهما ، فتغالظا في القول . حتى دعاهما المحك واللجاج إلى المنافرة ، فجعلا بينهما النجاشي صاحب الحبشة . فأبى أن يدخل بينهما ، فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى بن رِياح بن عبد الله بن قُرط بن رزَاح بن عدي بن كعب بن لُؤي ، جدّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه . فقال لحرب : «يا أبا عمرو ، أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة ، وأوسم منك وسامة ، وأعظم منك هامة ، وأقل منك لامة ، وأكثر منك ولدا ، وأجزل منك صلة ، وأطول منك مذودا[1] ؟ وأني لأقول هذا ، وإنك لبعيد الغضب ، رفيع الصيت في العرب ، جَلد

١ ـ الذود : السوق ، والطرد ، والدفع . والمزود وعاء يقدم فيه الطعام أو يحمل . القاموس .

النزيرة[١]، تحبك العشيرة، ولكنك نافرتَ منفّرا». فنفّر عبدَ المطلب. فغضب حرب، وأغلظ لنفيل، وقال: مِن انتكاس الدهر أن جعلتُك حكما. وكانت العرب تتحاكم إليه. فقال نفيل:

أولادُ شيبةَ أهل المجد قد علمتْ عُليا معدٍّ إذا ماهُزهزَ الورعُ
وشيخهم خير شيخ لستَ تبلغه أنّى وليس به سخف ولا طبع
يا حربُ ما بلغتْ مسعاتكم هبعا[٢] يسقى الحجيج وماذا يبلغ الهبع
أبوكما واحد والفرع بينكما منه العشاش ومنه الناضر الينع

ويروى «مختلف العيش الضئيل[٣]». قال: فترك عبد المطلب منادمة حرب، ونادم عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة. ولم يفارق حربا حتى أخذ منه مائة ناقة، ودفعها إلى ابن عم اليهودي. وارتجع ماله إلا شيئاً كان شِعث منه، فغرمه من ماله. وقال الأرقم بن نضلة بن هاشم في منافرة عبد المطلب حربا:

وقبلك ما أردى أميةَ هاشمٌ فأورده عمرو إلى شرّ مورِد
أيا حربُ قد جاريتَ غير مقصرٍ شآك إلى الغايات طلّاع أنجد

- وحدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن أشياخ من العلماء، قالوا:

كان لعبد المطّلب ماء يدعى الهَرِم. فغلبه عليه جُندب بن الحارث

---

١ - النزير - الإلحاح في السؤال والاحتثاث والاستعجال. القاموس.
٢ - الهبع: مشي الحمار البليد.
٣ - كذا وهو وإن كان كما يبدو يتعلق بالشطر الأخير، لكن بغير وضوح. وجاء بحاشية الأصل ما يمكن قراءته بشكل تقريبي.
أصبح الفصيل الذي نتج آخر النسل والحج به ... بمنع.
انظر المنمق ص ٩١ - ٩٣.

الثقفي وقوم من ثقيف . فنافرهم عبد المطّلب إلى الكاهن القضاعي ، وهو سلمة بن أبي حيّة بن الأسحم بن عامر بن ثعلبة ، من بنى الحارث بن سعد بن هذيم ، أخي عُذرة بن سعد . وهو صاحب عُزى سَلمة . وعزّاه شيطانه ، فيما يزعمون . وكان منزله بالشأم . فخرج عبد المطلب إليه في نفر من قريش ، وخرج جُندب في جماعة من ثَقيف . فلما انتهوا إلى الكاهن ، خبأوا له ، فيما يزعمون ، رأس جرادة في خَرْز مزادة . فقال ـ والله أعلم ـ: خبأتم لي شيئاً طار فسطع ، وتصوب فوقع ، ذا ذنب جرّار ، وساق كالمنشار ، ورأس كالمسمار . فقال : إلّاده ، أي بينّ . فقال : إلّاده فلاده ـ يقول : إلا يكن قولي بيانا ، فلا بيان . وهو رأس جرادة ، في خرز مِزادة ، في ثني القلادة . قالوا : صدقتَ . وانتسبوا له . فقال : أحلف بالضياء والظُلمَ، والبيت والحَرمَ، إنّ الماء ذا الهرم، للقرشي ذي الكرم. فغضب الثقفيون ، فقالوا : اقض لأرفعنا مكانا ، وأعظمنا جفانا ، وأشدنا طعانا . فقال عبد المطّلب : اقض لصاحب الخيرات الكُبَر ، ولمن أبوه سيد مُضَر ، وساقي الحجيج إذا كثُر . فقال الكاهن :

أما وربّ القُلُص الرواسم   يحملن أزوالا بِقِيٍّ طاسم
إنّ سناء المجد والمحارم   في شيبة الحمد سليل هاشم
أبي النبي المرتضى للعالم

ثم قال :

إن بني النضر كرامٌ سادهْ   من مُضَر الحمراء في القلادهْ
أهل سناء وملوكٌ قاده   مزارهم بأرضهم عباده
إنّ مقالي فاعلموا شهاده

ثم قال :

إنّ ثقيفا عبدُ أبق فَثُقِف ، فعتق ، فليس له في المنصب الكريم من حق[١] .

يوم ذات نكيف :

ـ حدثني عباس ، عن أبيه ، عن جده قال :

لم يزل بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة مبغضين لقريش مضطغنين عليهم ما كان من قصيّ حين أخرجهم من مكة مع من أخرج من خزاعة ، حين قسّمها رباعا وخططا بين قريش . فلما كانوا على عهد عبد المطلب ، همّوا بإخراج قريش من الحَرم وأن يقاتلوهم حتى يغلبوهم عليه . وعَدَتْ بنو بكر على نَعم لبنى الهَون فاطردوها ؛ ثم جمعوا جموعهم . وجمعت قريش واستعدّت . وعقد عبد المطلب الحلفَ بين قريش والأحابيش ـ وهم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وبنو الهَون بن خزيمة بن مدركة ، وبنو المصطلق من خزاعة ـ فلقوا بني بكر ومن انضم إليهم ، وعلى الناس عبد المطلب ، فاقتتلوا بذات نَكيف . فانهزم بنو بكر ، وقتلوا قتلا ذريعاً ، فلم يعودوا لحرب قريش . قال ابن شُعلة الفهري :

لله عينا من رأى من عصابة غَوَتْ غيٍّ بَكر يوم ذات نكيف
أنـاخوا إلى أبيـاتنا ونسـائنا فكانوا لنا ضيفابشرّ مضيف

وقَتَل يومئذ عبد بن السفاح القاري ، من القارة : قتادة بن قيس أخا بلعاء بن قيس ، واسم بَلعاء مساحقٌ . وقال عبد في ذلك :

يا طعنةَ ما قد طعنتُ مرشـةً قتادةَ حين الخيل بالقوم تخنف
اذا جاء سرب من نساء يعدنه تولين يأسـا ظهرهنّ يقفقف[٢]

١ ـ انظر وقارن المنمق ص ٩٤ ـ ٩٧ .

٢ ـ في المنمق ص ١١٣ ـ ١١٧ ـ أن قائد قريش كان «المطلب بن عبد مناف» . وذو نكيف كان موضعا من ناحية يلملم على ليلتين من مكة . معجم البلدان .

قال ابن الكلبي : ويومئذ قيل :

قد أنصف القارة من راماها

والقارة من ولد الهَون بن خُزيمة . وهم من ولد عَضَل بن الديش . قال رجل منهم :

دعونا قــارة لا تنفـرونـا فنجفـل مثل إجفـال الظليم[1]

فسُمّوا القارة . والقارة جُبيل صغير . وقال غير الكلبي : قال عبد شمس بن قيس ، وهو رجل من بني الهون :

أعــازبـةٌ حـلوم بني أبينــا كنانـة أم هـمُ قــوم نيـام
فإنْ يـكُ فيكــم كـرمٌ وعز فقومكــمُ وإنْ قلّــوا كــرام
دعـونـا قــارة لا تنفــرونا فنبتكَّ[2] القـــرابـة والذمام
كما جلّتْ بنــو أســد جُذاما فبانت عـن مســاكنها جــذام

وكان يقال للقارة «رُماة الحَدق» . وقال الشاعر :

قد علمت سلمى ومن والاها أنّا نصدّ الخيل عن هواها
قد أنصف القارة من رامــاها إنّــا إذا مـا فئةٌ نـلـقــاهــا
نــردّ أولاهــا عـلى أخـراها نــردّهــا داميـة كُـلاهــا

وقال أبو عبيدة : قال قتادة لقومه يوم ذي نكيف : أرموهم بالنبل ؛ فإذا فنيتْ ، فشُدّوا عليهم بالرماح . فقال قائل منهم :

قد أنصف القارة من راماها

وكان أبو عبيدة يقول : «حَكم بن الهَون» ، ولكن ولده أتوا اليمن ، فقالوا : «حكم بن سعد العشيرة» .

١ ـ جمهرة ابن الكلبي ج ١ ص ٢٣٧ .
٢ ـ في هامش الأصل : أي نقطع .

حفرَ زَمزم ونذر عبد المطلب

قالوا : أُرِيَ عبد المطلب في منامة أن يحتفي زمزم ويحتفرها ، ودُلّ على موضعها ، وكانت جُرهم دفنتها عند إخراج خزاعة إياها عن مكة . فقال له قائل : «زَمزم ، وما زمزم ؟ هزمة جبريل برجله[1] ، وسقيا إسماعيل وأهله. زمزم البركات ، تروي الرفاق الواردات . شفاء سقام ، وخير طعام» . فاحتفرها ، ووجد فيها سيوفا مدفونة ، وحليّا ، وغزالا من فضّة وذهبٍ مشنّفا بالدرّ . فعلقه في الكعبة ، حتى سُرق بعد . قالت صفية بنت عبد المطلب :

نحن حفرنا للحجيج زَمرمْ سقيا الخليل وابنه المكرمْ
هزمة جبريل التي لم تُذمَمْ شفاء سقم وطعام مطعم

ـ وحدثني الوليد بن صالح ومحمد بن سعد ، قالا ثنا محمد بن عمر ، قال :

سألت عبد الله بن جعفر : متى كان حفر عبد المطلب زمزم ؟ فقال : وهو ابن أربعين سنة . قلت : فمتى كان أراد ذبح ولده ؟ قال : بعد ذلك بثلاثين سنة . قلت : قبل مولد النبي ﷺ ؟ قال : أجل ، وقبل مولد حمزة . قلت : فإن بعض الرواة يزعم أنه أتى لعبد المطلب مائة وعشر سنين . قال : لم يبلغ ذلك . قلت : ما كان سبب نذره أن يذبح ولده ؟ قال : نازعته قريش حين حفر زمزم ، وليس له يومئذ من الولد إلا الحارث وحده . فقال له عدي بن نوفل بن عبد مناف ، أبو «المطعم» : يا عبد المطلب ، أتستطيل علينا وأنت فَذٌّ[2] لا ولد لك ؟ قال عبد المطلب : أتقول هذا وإنما كان نوفل،

---

١ ـ هزمه : غمزه بيده فصارت فيه حفرة . القاموس .
٢ ـ الفذ : الفرد . القاموس .

أبوك ، في حجر هاشم ؟ـ لأن هاشما كان خلف على أمه واقدة نكاح مقت ـ. فقال له عدي : وأنت أيضاً فقد كنت عند أخوالك من بني النجّار حتى ردّك عمك المطّلب . قال : أبالقِلّة تعيرني ؟ فوالله لئن آتاني الله عشرة من الولد ذكوراً لأنحرنّ أحدهم عند الكعبة . فآتاه الله عشرة . فأقرع بينهم . فوقعت القرعة على عبد الله ، أبي رسول الله ﷺ ، وكان أحبّ الناس إليه . فقال : اللهم ، أهو أم مائة من تلاد إبلي ؟ فأقرع بينه وبين مائة من إبله ، فوقعت القرعة على المائة ، فنحرها ، فاقتسمها في فقراء مكة ومن ورد من الأعراب .

قال : قلت : فإن بعض الرواة يقول : «تكاءد[1] عبد المطلب حفر زمزم ، فقال : لئن تمّ حفرها ، لأنحرنّ بعض ولدي» ؟ فقال : «ما أدري ما هذا . ولقد رُوي» . وقال في السنة التي نحر فيها عبد المطلب الإبل ، مات الحارث بن عبد المطلب ولابنه ربيعة سنتانِ[2] .

ـ قال الواقدي : وكان نحر الإبل قبل الفيل بخمس سنين ؛ فكان ربيعة أسنّ من رسول الله ﷺ بسبع سنين .

ـ حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده قال :

تزوج عبد المطلب هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زُهرة ، وهي أم حمزة بن عبد المطلب ، ولدته قبل مولد رسول الله ﷺ بأربع سنين أو نحوها .

ثم زوّج عبد المطلب ابنه عبد الله : آمنةَ بنتَ وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وكانت في حجر عمها أُهيب بن عبد مناف ، فولدت له رسول الله

---

١ ـ تكأد الشيء : تكلفه وكابده ، وتكأدني الأمر : شق علي ، كتكاءدني . القاموس .
٢ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ١ ص ٨٣ ـ ٨٨ مع فوارق واضحة .

ﷺ ، ولما خطبها عبد المطلب على عبد الله ، فأُجيب إلى تزويجه إياها ؛ انطلق به ماضيا إلى بني زهرة . فمرّ بامرأة من خثعم ، يقال لها فاطمة ـ وكان فتيان قريش يتحدثون إليها ، وكانت عفيفة ؛ ويقال إنها كانت من بني أسد بن خزيمة ـ وكانت تعتاف وتنظر وتقرأ الكتب ـ فقالت لعبد الله ، وجلس إليها منتظرا لأبيه ، وقد عرج لبعض شأنه : هل لك في مواقعتي على أن أُعطيك مائة من الإبل ؟ ـ وكانت موسرة ـ . فقال عبد الله :

أما الحرام فالممات دونهُ والحل لا حِلّ فاستبينه
فكيف بالأمر الذي تنوينهُ

ثم إنه مضى مع أبيه إلى بني زهرة ، فزوجه آمنة . وأقام عندها ثلاثا . وكانت تلك سُنّتهم ، ثم إن عبد الله أتى الامرأة بعد ذلك ، فقال لها : هل لكِ فيما كنتِ عرضت عليّ على أن يكون بيننا تزويج ؟ فقالت :

لا تطلبنَّ الأمرَ إلا ميلا قد كان ذاك مرة فاليوم لا

إني رأيتُ في وجهك نورا ساطعا ، وقد ذهب الآن ؛ فما الذي صنعتَ ؟ فحدثها حديثه ، فقالت : إني لأحسبك أبا النبي الذي قد أظلّ وقت مولده[1] . وقالت :

لله ما زُهرية سلبتْ ثوبيكَ ما سكنتْ وما تدري

وقالت أيضاً :

بني هاشم قد غادرتْ من أخيكمُ أمينةُ إذ للباه يعتلجانِ
كما غادر المصباحُ بعد خُبُوّه فتائلَ قد ميثتْ له بدهانِ
وما كل ما يحوي امرؤٌ من إرادة لحزمٍ ولا ما فاته لتوانِ
فأجملْ إذا طالبتَ أمرا فإنه سيكفيكه جدّانِ يصطرعان

١ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

وحملتْ آمنةُ في أيامها الثلاثة . ورأت في منامها آتياً أتاها ، فقال : يا آمنة ، إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ؛ فإذا وقع في الأرض ، فقولي : «أعيذك بالواحد ، من شر كل حاسد» ؛ وسميّه أحمد ، ويقال إنه قال : سمّيه محمداً .

ـ فلما وضعتْه ، أرسلتْ إلى عبدالمطّلب أنه قد ولد لك غلام . فنهض مسروراً ، ومعه بنوه ، حتى أتاه فنظر إليه . وحدّثته بما رأت ، وبسهولة حمله وولادته . فأخذه عبدالمطلب في خرقة فأدخله الكعبة وقال :

الحمـــد للّـــه الذي أعطـاني هذا الغـلامَ الطّيِّب الأردانِ
أعيذه بالبيت ذي الأركـانِ مِن كل ذي بغي وذي شنـآنِ
وحاسدٍ مضطرب العنان

ثم ردّه إلى أُمه .

ـ وقال الواقدي : الامرأة التي قالت لعبدالله ما قالت ، قُتيلة بنت نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قُصيّ ، أخت ورقة بن نوفل . وكانت تنظر في الكتب [1] .

ـ المدائني ، عن يزيد بن عياض ، عن الزهري وحفص بن عمر ، عن هشام بن الكلبي ، عن أبيه ، أن عبدالمطلب كان إذا أُتي بالطعام ، أجلس النبي ﷺ إلى جانبه ، وربما أقعده على فخذه ، فيوثره بأطيب طعامه . وكان رقيقا عليه براً به . فربما أُتي بالطعام و ليس رسول الله ﷺ حاضرا ، فلا يمسّ شيئاً منه حتى يؤتَى به ، وكان يُفرَش له في ظلّ الكعبة ، ويجلس بنوه حول فراشه إلى خروجه ؛ فإذا خرج ، قاموا على رأسه مع عبيده ، إجلالا له ، وكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر ، فيجلس على

١ ـ طبقات ابن سعد ج ١ ص ٩٤ ـ ٩٩ .

الفراش ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه ، فيقول عبدالمطلب : مهلاً ، دعوا ابني ما تريدون منه . ثم يقول : دعوه فإنّ له لشأنا ؛ أما ترونه ؟ ويقبل رأسه وفمه ، ويمسح ظهره ، ويُسَرّ بكلامه وما يرى منه .

ـ وحدثني محمد بن إسماعيل الضرير الواسطي ، حدثنا علي بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن العباس بن عبدالرحمن الهاشمي ، عن الكندير بن سعيد ، عن أبيه قال :

حججتُ في الجاهلية ، فإذا أنا بشيخ مربوع يطوف بالبيت ، وهو يقول :

رُدَّ عليّ راكبي محمدا   واصطنعْ بِردِّهِ عندي يدا

فقلتُ : مَن هذا الشيخ ؟ قالوا : عبدالمطلب بن هاشم ، قلتُ : ما شأنه ؟ قالوا : أضلّ إبلا له ، فخرج في طلبها بُنَيّ ابنه : محمدُ بن عبدالله ، وقد أبطأ عليه ، فقد أخذه ما ترى ، قال : فما برحتُ حتى رجع رسول الله ﷺ ، وهو غلام ، وجاء بالابل ، فسمعت عبدالمطلب يقول له : يا بُنيّ ، لقد جزعتُ عليك جزعاً ، لا تفارقني بعده حتى أموت .

ـ وحدثني الحرمازي ، عن أبي اليقظان ، قال :

كان عامر بن كريز بن ربيعة بن حَبيب بن عبدشمس ـ وأمه البيضاء بنت عبدالمطلب ـ مضعوفاً ، فأُتي به عبدُالمطلب ، فمسّه ، فقال : وعظام هاشم ، وما وُلد في ولد عبدمناف مولود أحمق منه ، وتزوج عامرٌ دجاجةَ بنت أسماء بن الصلت السلمي ، فولدت له عبدالله بن عامر .

ـ وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، قال حدثني الوليد بن عبدالله القرشي ، عن عبدالرحمن بن موهوب الأشعري حليف بني زهرة ، عن أبيه ، عن مخرمة بن نوفل الزهري ، قال :

سمعت أمي رُقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم تحدّث ، وكانت لدةَ عبدالمطلب ، قالت : تتابعتْ على قريش سِنونَ ذهبتْ بالأموال ، فسمعتُ في النوم قائلاً يقول : «هذا أوان نبي مبعوث فيكم ، معشر قريش ، وبه يأتيكم الحيا[1] والخصب ؛ فليخرج رجل منكم طُوال أبيض ، مقرون الحاجبين ، أهدب الأشفار ، جعد الشعر ، أشم العِرنين ، وليخرج معه ولده وولد ولده ، وليخرج من كل بطن رجل حتى يعلوا أبا قُبيس ، ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي ، ويؤمّنون» . فلما أصحتُ ، قصصتُ رؤياي ، فنظروا ، فإذا الرجل الذي هذه صفته عبدالمطّلب . فاجتمعوا عليه ، وفَعلوا ما أُمروا به . وكان النبي ﷺ مع ولد عبدالمطلب ، وهو غلام ، فتقدّم عبدُالمطّلب ، فقال : «لا همّ ، هؤلاء عبادك ، بنو إمائك ، وقد نزل بهم ما ترى ، وتتابعتْ عليهم السِنون فذهبتْ بالخُفّ والظِلف ، وأشفْت الأنفسُ منهم على التلف والحتف . فاذهبْ عنّا الجدب ، وائتنا بالحياة والخصب» . قال : فما برحوا حتى سالت الأودية . وبرسول الله ﷺ سقوا . قالت رقيقة :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... وقد فقدنا الحيا واستُبطىء المطرُ
فجـاد بالماء جوني له سيلٌ ... دانٍ فعاشتْ به الأنعام والشجرُ
مَنّاً مـن الله بالميمون طائرهُ ... وخير من بُشرّتْ يوما به مُضَرُ
مبارك الوجه يُستسقَى الغمام به ... ما في الأنام له عـدلٌ ولا خَطر[2]

ـ المدائني ، عن ابن جعدبة

أن عبدالمطلب رأى في منامه قائلاً يقول : احفرْ زمزم ، خبية الشيخ

---

١ ـ الحيا : المطر والخصب .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ١ ص ٨٩ ـ ٩٠ .

الأعظم . ثم رأى ليلة أخرى : احفرْ تكتم ، بين الفرث والدم ، في مبحث الغراب الأسحم ، في قرية النمل . فلما أصبح ، وجد بقرة مفلتة من جازرها وقد صارت إلى المسجد إلى موضع زمزم ، فسُلخت في موضعها . وجاء غراب حتى وقع على فرثها ، وإذا ثَمَّ قرية نمل . فاحتفر عبدالمطلب زمزم ، وأنكرت قريش ذلك (١) فحدّثها الحديث ، فصدّقته . وقال خويلد بن أسد :

أقول وما قولي عليّ بهيّنٍ إليك ابن سلمى أنت حافرُ زمزم
حفيرة إبراهيم يوم ابنِ هاجَر وركضة جبريل على عهد آدم

قالوا : وتوفي عبدالمطلب وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، ودُفن بالحَجون بمكة ، ولرسول الله ﷺ ثماني سنين ، ولحمزة نحو من اثنتي عشرة سنة ، وللعباس إحدى عشرة سنة . ويقال إن عبدالمطلب مات وله ثمان وثمانون سنة . وفي رواية الواقدي وغيره أن أم أيمن حدثتْ أن رسول الله ﷺ كان يبكي خلف سرير عبدالمطلب ، وهو ابن ثماني سنين .

ـ قال الواقدي : حدثني عبدالله بن جعفر ، أن مخرمة بن نوفل الزهري قال :

مات عبدالمطلب وأنا شاهده مع قريش ، وقد قاربتُ عشرين سنة ، وأنّ أمي رُقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم كانت لدة عبدالمطلب ، فتقول لي : شقّ قميصك على خالك لمن تستبقيه بعده . قال : ونظرتُ إلى نساء بني عبدمناف قد جزن الشعور . وإنه ليقال إنه يومئذ ابن ما بين الثمانين إلى التسعين ، وإن كان لمعتدل القناة . وكان أول من تحنّث بِحراء . والتحنث التأله والتبرر ، وكان إذ أهلّ هلال شهر رمضان ، دخل بِحراء فلم يخرج

١ ـ انظر وقارن ابن هشام ج ١ ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

حتى ينسلخ الشهر ، ويُطعم المساكين . وكان يعظم الظلم بمكة ، ويُكثر الطواف بالبيت .

قال الواقدي : وقد روي أن عبدالمطلب توفي ابن مئة وعشر سنين . وليس ذلك بثبت .

وقال هشام بن الكلبي : كان موت عبدالمطلب في ملك هُرمُز بن أنوشَروان ، وعلى الحيرة قابوس بن المنذر ، أخو عمرو بن المنذر الذي يقال له عمرو بن هند ، مضرّط الحجارة . ويقال إنه لم يمت حتى كف بصره .

وروي عن عبدالله بن عباس ، أنه قال : كان أبي يخبرنا عن عبدالمطلب أنه مات يوم مات وهو أعدل قناة منه ، وله ثمان وثمانون سنة .

وسمعتُ مَن يحدث عن مصعب بن عبدالله ، أن عَبيد بن الأبرص كان ترب عبدالمطلب ؛ وبلغ عَبيد مائة وعشرين سنة ، ويقي عبدالمطلب بعده عشرين سنة أو أكثر[1] .

قالوا : ولما احتضر عبدالمطلب ، جمع بنيه فأوصاهم برسول الله ﷺ . وكان الزبير بن عبدالمطلب ، وأبو طالب أخوي عبدالله لأمه وأبيه . وكان الزبير أسنّهما . فاقترع الزبير وأبو طالب أيهما يكفل رسولَ الله ﷺ ، فأصابت القرعة أبا طالب ، فأخذه إليه . ويقال : بل اختاره رسول الله ﷺ على الزبير ، وكان ألطف عميه به . ويقال : بل أوصاه عبدالمطلب بأن يكفله بعده .

وروى بعضهم أن الزبير كفل النبي ﷺ حتى مات . ثم كفله أبو طالب بعده ؛ وذلك غلط لأن الزبير شهد حلف الفضول ، ولرسول الله ﷺ يومئذ نيف وعشرون سنة . لا اختلاف بين العلماء في أن شخوص رسول الله

١ ـ انظر سيرة ابن هشام ج ١١٤ ـ ١٢٠ .

ﷺ إلى الشأم مع أبي طالب بعد موت عبدالمطلب بأقلّ من خمس سنين .

- ورثى بنات عبدُالمطلب أباهن بشعر ، كتبتُ بعضه . قالت عاتكة بنت عبدالمطلب :

أعينيَّ جودا ولا تبخلا ... بدمعكما بعد نوم النيامِ
أعينيَّ واسحنفرا[1] واسكبا ... وشُوبَا بكاءكما بالتدام
على شيبة الحمد والمكرمات ... ومُردي المخاصم يوم الخصام

وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبدالمطلب :

ألا يا عينُ جودي واستهلّي ... وبَكّي ذا الندى والمكرماتِ
وبكي خيرَ مَن ركب المطايا ... أباكِ الخير تيار الفُرات
عقيل بني كنانة والمُرجَّى ... إذا ما الدهر أقبل بالهَنات

وقالت برّة بنت عبدالمطلب :

ألا يا عينُ ويحكِ أسعديني ... واذْري الدمعَ سجلا بعد سَجلِ
بدمع من دموعكِ ذي غروب ... فقد فارقتِ ذا كرم وبذل
طويلَ الباع شيبة ذا المعالي ... أباكِ الخيرَ وارثَ كل فضل

وقالت أميمة بنت عبدالمطلب :

أعينيّ جودا بدمع دررْ ... على طيْب الخِيم والمعتصر[2]
على ماجد الجدّ واري الزناد ... جميل المحيّا عظيم الخطر
على شيبة الحمد والمكرمات ... وذي المجد والعزّ والمفتخر

وقالت سُبيعة بنت عبد شمس :

أعينيّ جودا بالدموع السواكبِ ... على خير ميت من لؤي بن غالبِ

---

١ - في حاشية الأصل أي اسيلي عليه الدمع الكثير .
٢ - الخيم : السجية . ومعنى طيب المعتصر : كريم عند المسألة .

أعينيّ لا تستحسرا عن بكاكما ... على ماجد الأعراق عفّ المحاسب
أبي الحارث الفياضِ ذي الحلم والنُّهىَ ... وذي الباع والأفضال غير تكاذب

وقالت أروى بنت عبدالمطلب :

بكتْ عيني وحُقّ لها بكاها ... على سمحٍ سجيتُـه الحيـاءُ
على الفياض شيبةَ ذي المعالي ... أبيكِ الخير ليس لـه كِفاء
طويل الباع أروع ذو فضول ... لـه المجـد المقـدَّم والسَّنـاء

وقالت ضعيفة بنت هاشم :

ألا هلك الراعي العشيرةِ ذو الفقد ... وساقي الحجيج والمحامي على المجد
أبو الحارث الفياضُ خلّى مكانه ... فلا يبعدنَّ وكـل حيٍّ له بعد[1]

قالوا : ولم يقم لموت عبد المطلب بمكة سوق أياماً كثيرة .

ـ وولد هاشم أيضاً ، سوى عبد المطلب : نضلة بن هاشم ؛ والشفاء بنت هاشم ، تزوجها هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، فولدتْ له عبدَ يزيد بن هاشم ، وهو «المحض لا قذى فيه» . وكذلك كانوا يسمون من كانت أمه بنت عم أبيه ، وأمهما أُميمة بنت عدي بن عبد الله ، من قضاعة ، ثم من بني سلامان بن سعد بن يزيد . ويقال : هي أميمة بنت أبي عدي بن عبد الله . وكان السائب بن عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب يُشَبَّهُ بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأسد بن هاشم ، وأمه قيلة ، وهي الجَزور بنت عامر بن مالك بن جذَيمة المصطلق ، من خُزاعة ؛ وصيفي ؛ وأبا صيفي واسمه عمرو سماه أبوه باسمه، وأمهما هند بنت عمرو بن ثعلبة، من الخزرج . ويقال إنّ أبا صيفي لأم ولد ؛ وخالدة بنت هاشم ، تزوّجها أسد بن عبد العزى . فولدتْ له نوفل وحبيب ابني أسد بن عبد العزى ؛

١ ـ انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١١٥ ـ ١٢٠ مع فوارق واضحة .

قُتلا يوم الفِجار الآخر وصفيَة بنت هاشم ، تزوّجها وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كِلاب ؛ وأُمها واقدة بنت أبي عدي الهوازنية ، خلف عليها هاشم بعد أبيه نكاح مقت ، وحيّة بنت هاشم ، تزوّجها الأحجم بن دِندِنة بن عمرو ، من خزاعة ؛ وأُمها من ثَقيف ، فولدتْ له أُسيد ، وشُتيم ، ومرّة ، وزُرعة ، وورَقَة ، وجارية وسلمى .

ـ فولد عبد المطلب ـ ويكنى أبا الحارث ـ : عبد الله ؛ والزبير ، وعبد مناف وهو أبو طالب ، وكان الزبير أحد حكّام قريش ، وهو أسن من عبد الله ومن أبي طالب ، عبد الكعبة درج صغيراً ، وأم حكيم البيضاء ـ وهي الحصان لا تكلم والصناع لا تعلم ـ توأمة عبد الله تزوجها كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، فولدت له أروى بنت كريز ، أم عثمان بن عفان ، وأم كريز ؛ وأرنب وهي أم طلحة بنت كريز امرأة عامر بن الحضرمي ، حليف بني عبد شمس؛ وعاتكة بنت عبد المطلب، تزوجها أبو أمية بن المغيرة المخزومي ، فولدتْ له زُهير بن أبي أمية ، وعبد الله بن أبي أمية ، وقريبة الكبرى بنت أبي أمية ؛ وهم إخوة أُم سلمة بنت أبي أمية زوج رسول الله ﷺ لأبيها . وأمُّ أمِّ سلمة كنانية ، من ولد جِذل الطعان ؛ وبرّة بنت عبد المطلب تزوجها عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدتْ له أبا سلمة بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ؛ ثم خلف عليها أبو رُهم بن عبد العزى ، من ولد عامر بن لؤي ، فولدت أبا سبَرة بن أبي رُهم ، وأميمة بنت عبد المطلب تزوّجها جَحْش بن رئاب بن يعمُر بن صَبرة بن مرّة بن كَبير بن غَنم بن دُودان بن أسد بن خُزيمة ، فولدتْ له عبد الله ، وعبيد الله ، وعبد وهو أبو أحمد ، وزينب زوج رسول الله ﷺ ، وحمنة بنت جحش تزوجها طلحة بن عبيد الله التيمي

صاحب رسول الله ﷺ ، وأروى بنت عبد المطلب تزوّجها عمير بن وهب بن عبد بن قصي ، فولدت له طُليب بن عمير ، هاجر وقُتل بالشأم شهيداً . ثم خلف عليها أرطاة بن عبد شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ ، فولدتْ له فاطمة ، وأم هؤلاء جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمـران بن مخزوم بن يَقظة بن مرّة بن كعب بن لُؤي . والعباس بن عبد المطلب وأمه نُتيلة بنت جَناب بن كُليب بن مالك بن عامر بن زيد مناة بن عامر الضِحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمِر بن قاسط ـ وسمّي الضِحيان لأنه كان يجلس لقومه إذا أضحى فيحكم بينهم ـ وأم نُتيلة : سعدى بنت الحارث بن زيد ، نمرية أيضاً . وأم جَناب : أم حجر ولد عِيّة من هَمْدان . وأمها ربيّعة ، من ولد الحارث بن عبّاد فارس النعامة ؛ وضرار بن عبد المطلب وأمه نُتْيلة أيضاً . مات حدثا قبل الإسلام .

ـ وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، قال :

قال عبد المطّلب في ابنه العباس ، وكان به معجبا ، ووُلد قبل الفيل بثلاث سنين :

ظني بعبـاس بُنيّ إن كـبر · أن يمنع القوم إذا ضاع الدبر
وينزع السَّجل إذا اليوم اقمطّر ويَسقيَ الحاجَّ إذا الحاجُّ كثُر
وينحر الكوماءَ في اليوم الأصر ويفصلَ الخطبةَ في الأمر المبرّ
ويكسوَ الريطَ اليماني والأزر ويكشف الكرب إذا ما اليوم هرّ
أكمل من عبد كُلال وحُجُرْ لو جمعا لم يبلغا منه العُشر

ـ قال : وأضلت نُتيلةُ ابنَها ضرارا ، فكاد عقلها يذهب جزعا ، ووهت وهاً شديداً ، وكانت ذات يسار ، فجعلتْ تنشده في الموسم ، وتقول :

أضـللتُ أبـيض لـوذعـيـا لم يـك مجلوبـا ولا دعيّـا

وقالت أيضاً :

أضللتُ أبيضَ كـالخصاف للفتيـة الغـرّ بني منـاف

ثم لعمري منّتهى الأضياف سَنّ لفِهـرٍ سُنّـةَ الإيـلاف

في القرّ حين القرّ والأصياف

وجعلتْ على نفسها لئن ردّه الله عليها أن تكسو الكعبة . فمرّ بها حسان بن ثابت الأنصاري ، وقد حجّ في نفر من قومه ، فلما رأى جزعها ، قال :

وأمّ ضرارٍ تنشد الناس والها فيالَ بني النجّار ماذا أضلّتِ

ولو أن ما تلقَى نُتيلةُ غدوةً بأركان رَضوَى مثله ما استعلّتِ[1]

فأتاها به رجل من جُذام ، فكست البيتَ ثياباً بيضاً ، وجعلتْ تقول :

الحـمـد لله ولي الحـمـدِ قد رَدّ ذو العرش عليَّ ولدي

من بعد أن جوّلتُ في معدّ أشكـره ثم أفي بـعـهـدي

وحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ، والمُقوِّم ويكنى أبا بكر ، وحَجْل واسمه المغيرة ، وصفية ، تزوّجها الحارث بن حرب بن أمية ، فولدتْ له الصُفَيّاء ، ثم خلف عليها العَوّام بن خُويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ ، فولدتْ له الزبير ، والسائب ، وعبد الكعبة درج . فتزوّج الصفياءَ ربيعةُ بن أكثم ، وذلك الثبت . ويقال : ابن أبي أكثم بن عمرو ، أحد بني عامر بن غَنْم بن دودان ، وكان يكنى أبا يزيد ، وهو بدري

---

١ - في ديوان حسان ج ١ ص ٤٤٨ . البيت الأول فقط .

واستشهد بخيبر . وأم هؤلاء هالة بنت أُهيب بن عبد مناف بن زُهرة بن كِلاب ؛ وأمها العَبْلة بنت المطلب بن عبد مناف . والحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وبه كان يكنى ، وهو أكبر ولده . وأمه صفية بنت جنيدب بن حُجير بن رِئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ، وقُثَم بن عبد المطلب هلك صغيراً ، وأمه صفية بنت جُنيدب أيضاً ، وعبد العزى بن عبد المطلّب، وهو أبو لَهَب، وكان جواداً، كناه أبوه بذلك لحسنه، ويكنى أبا عتبة . وأمه لُبنى بِنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حُبشية بن سَلول ، من خزاعة ، والغيداق واسمه نوفل . وأمه ممنَّعة بنت عمرو بن مالك بن مؤمّل بن أسعد ، من خزاعة .

- ويقال إن قُثَم بن عبد المطلب كان أخا الغَيداق لأمه ، ولم يكن أخا الحارث .

- قال قُرّة بن حَجْل بن عبد المطلب يذكر عمومته وأباه :

اذكُرْ ضرارا إن عدَدتَ فتىَ ندىً ... والليثَ حمزة واذْكُرِ العباسا
واعـدُدْ زبيرا والمقـوّمَ بعده ... والصَّتْمَ[1] حَجْلاً والفتى الرَّآسا
وأبـا عتيبة فـاذكرنْـه ثامنـا ... والقَرْمَ عبدَ مناف الجسّاسا
والقرم[2] غيداقا تعدّ جحاجحا ... سادوا على رغم العدوّ الناسا
والحارثَ الفياض ولّى ماجدا ... أيـام نازعـه الهُمام الكـاسا

١ - الصتم : الغليظ الشديد ، والرجل البالغ أقصى الكهولة .
٢ - في حاشية الأصل : «القرم : السيد» .

عبد الله بن عبد المطلب

ـ فأما عبد الله بن عبد المطلب ـ ويكنى أبا قُثَم ، ويقال إنه كان يكنى أبا محمد ، ويقال كان يكنى أبا أحمد ـ فولد محمدا رسول الله وخاتم أنبيائه ﷺ ، ويكنى أبا القاسم . وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مرّة . وأمها برّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصيّ بن كلاب . وأم وهب : هند بنت أبي قَيلة ـ وهو وَجز ـ بن غالب ، من خزاعة . وكان أبو قَيلة يدعى أبا كَبْشة . وكان قد استخفّ بالحرم وأهله ، في فعلة فعلها . فكانت قريش تقول للنبي ﷺ : «فعل ابن أبي كبشة كذا» ، يشبهونه إذا خالف دينهم . ويقال إنّ زوج حليمة ، ظئره ، كان يكنى أبا كبشة . ويقال إنّ وهبا ، جدَّه لأمه ، كان يكنى أبا كبشة . ويقال إن عمرو بن زيد ، جدّ عبد المطلب لأمه ، كان يكنى أبا كبشة . والله أعلم .

ـ وحدثني أبو الحسن المدائني ، عن الوقاصي ، قال سمعت الزهري يقول :

كان وجز بن غالب يُنكر عبادة الأصنام ويَعيبها ، ويَطعن على أهلها ، وكان يكنى أبا كبشة . فشبّهوا النبي ﷺ به .

ـ وكان مولد رسول الله ﷺ في عام الفيل ، يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول . ويقال لليلتين خلتا منه . ويقال لاثنتي عشرة ليلةً خلت منه ، وذلك لأربعين سنة مضت من ملك أنوشَروان كسرى بن قباذ بن فيروز بن يَزدجِرد الخَشِن بن بَهرام بن سابور ذي الأكتاف ملك الفُرس . وكان ملك أنوشَروان سبعا وأربعين سنة وثمانية أشهر . وكان على الحيرة يوم ولد رسول الله ﷺ عمرو بن المنذر بن امرىء القيس ، وهو

عمرو بن هند ؛ وذلك قبل ولاية النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس الحِيرة بنحو من سبع عشرة سنة ، وتوفي عبد الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله ﷺ ، وهو حملٌ . وذلك الثبت . ويقال إنه توفي وهو ابن سبعة أشهر . ويقال إنه توفي وهو ابن نيّف وعشرين شهراً . وكان عبد المطلب بعثه إلى المدينة يمتار له تمراً . فنزل على أخواله من بني النجّار ، فمات عندهم . ويقال : بل أتاهم زائرا لهم ، فمرض عندهم ومات . ويقال : بل قدم من غَزَّةَ بتجارة له ، فورد المدينة مريضاً ، فنزل على أخوال أبيه ، فمات عندهم . وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة . ويقال : ثمان وعشرين سنة . وأنّ أباه بعث إليه الزبير بن عبد المطلب ، أخاه ، فحضر وفاته . ودُفن في دار النابغة .

ـ وذكروا أنّ آمنة بنت وهب رثته ، فقالت :

عفا جانبُ البطحاء من قرم هاشمٍ ... وحلَّ بلحدٍ ثاويا غير رائمِ
عشيةَ راحوا يحملون سريرَه ... يفلُونه عن عبرة وتزاحم
دعتْه المنايا دعوة فأجابها ... وما غادرتْ في الناس مثلَ ابنِ هاشم
فإن يك غالته المنايا بيثرب ... فقد كان مِفضالا كثير المراحم[1]

ـ قالوا : ولما ولد رسول الله ﷺ ، التُمس له الرضاع . فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور ، يقال لها حليمة . وهي ، فيما قال هشام بن الكلبي : حليمة بنت أبي ذُؤيب ـ واسمه الحارث ـ بن عبد الله بن شِجنة بن جابر بن ناصرة بن فصيّة بن نصر بن سعد بن بكر .

وقال محمد بن إسحاق والواقدي : هي حليمة بنت أبي ذؤيب ، واسمه عبد الله بن الحارث بن شِجنة . الأول قول الكلبي ، وهو أثبت .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ١ ص ٩٩ ، حيث روى عن الواقدي وصف دار النابغة وتحديدها .

وقالوا : واسم زوج حليمة : الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن مِلّان بن ناصرة بن فُصيّة بن نصر بن سعد . واسم ابنها الذي شرب رسول الله ﷺ من لبنه : عبد الله بن الحارث . وأختاه : أُنيسة والشيماء بنتا الحارث .

ـ وكانت الشيماء تحمل النبي ﷺ ، وتقوم عليه مع أمها حَليمة وسُبيتْ يوم حنين ، فعُنف بها . فقالت : يا قوم ، تعلّموا أني أخت نبيكم فلما أتوا بها رسول الله ﷺ ، قالت : إني أختك ؛ وكنت عضضتني وأنا أحضنك مع أمي ، فعرف ذلك ، وبسط لها رداءه فأجلسها عليه ، وأعطاها ما أغناها ، ووهب لها جارية وغلاما يقال له مكحول . فزوجت الجارية من الغلام .

وقال الكلبي : وفدت الشيماءُ على النبي ﷺ ، فأرتْه أثر عضّته .

ـ قالوا : وكانت حليمة وزوجها خرجا في نسوة من بني سعد يطلبن الرضعاء ، ومع حليمة ابنها عبد الله وهي تُرضعه . وذلك في سنة شهباء[1] ، فلم تُبق شيئاً . قالت حليمة : فخرجتُ على أتان لي قَمراء[2] ومعنا شارف[3] لنا ما تبضّ بقطرة . فصبيُّنا لا ينام من البكاء ، ولا يدعنا ننام معه . فما من امرأة إلا عُرض عليها رسولُ الله ﷺ ؛ وإذا قيل إنه يتيم ، قالت : وما عسى أن يكون من أمه وجدّه إلينا ؟ إنما يكون الإحسان من الأب . ولم تعرّض له . فلما أجمعن الانطلاق ، قلت لصاحبي : والله اني لأكره الرجوع خائبة ؛ ولآخذنّ هذا اليتيم الهاشمي . فقال : افعلي ، فلعل الله يجعل لنا فيه

---

١ ـ أي سنة ذات قحط وجدب ، غدت الأرض فيها بيضاء لا خضرة فيها لانعدام المطر .
٢ ـ القمراء التي في جنبيها بياض ، والذكر أقمر .
٣ ـ ناقة مسنة هزيلة .

البركة . فأخذتُه ، ورجعتُ إلى أهلي . فلما وضعته في حجري ، أقبل ثدياي يشخبان لبنا . فشرب حتى روي ، وشرب أخوه حتى روي ، ثم ناما ، ونمنا ، وقام زوجي إلى شارفنا ، فيجدها حافلا ، فحلبها ، وشرب وشربتُ ، فقال : تعلّمي يا حليمة أن قد أخذتِ أعظم نسمة بركةً . قالت : ثم ركبتُ الأتان حين رحلنا ، فإذا هي تسبق الركاب ، فقال لي صواحبي : إنّ لأتانك شأنا مذ اليوم . وقدمِنْا ، فرأينا البركة مجلّلة لنا : كانت مواشي الناس ترجع هذلى خماصا ، وتروح مواشينا سِمانا بطانا[1]

ـ ثم إنّ رسول الله ﷺ فطم لسنتين . وردتّه حليمةُ إلى أمه وجدّه ، وهو ابن خمس سنين . فكان مع أمه إلى أن بلغ ست سنين . وذلك الثبت . ويقال إنه كان معها إلى أن أتت له ثماني سنين . وكانت ثُويبة ، مولاةُ أبي لَهب بن عبد المطلب ، أرضعت النبي ﷺ أياما ، قبل أن تأخذه حليمة ، من لبن ابن لها يقال له مَسْروح . وأرضعتْ قبله حمزةَ بن عبد المطلب ؛ وأرضعتْ بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي .

ـ قالوا : ولما أتى لرسول الله ﷺ ست سنين ، زارت أمه قبرَ زوجها بالمدينة ، كما كانت تزوره ، ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ ، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ، ماتت بها ودُفنتْ ، ويقال إنّ عبد المطلب زار أخواله من بني النجّار ، وحمل معه آمنة ورسولَ الله ﷺ ، فلما رجع منصرفا إلى مكة ، ماتت آمنةُ بالأبواء .

ـ ورُوي أن قريشاً لما كانوا بالأبواء ، وهم يريدون أُحدا ، همّوا باستخراج آمنة من قبرها ، فقال قائلهم : إنّ النساء عورة ؛ فإن يصب محمد

١ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ١١١ .

من نسائكم أحدا ، قلتم : «هذه رمّة أمك وأعظُمها» . ثم كفّهم الله عن ذلك إكراما لنبيه ؛ فأمسكوا .

ـ وزعم بعض البصريين أن آمنة أم النبي ﷺ ماتت بمكة ، ودُفنتْ في شعب أبي دُبّ الخزاعي . وذلك غير ثبت .

ـ وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي صالح أو عكرمة ،

أن حليمة ظئر رسول الله ﷺ لما قدمتْ به من بلادها ، أضلّتْه بأعلى مكة . فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش ،فأتيا به عبد المطلب وقالا : هذا ابنك وجدناه متلددا بأعلى مكة ، فسألناه من هو؟ فقال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؛ فأتيناك به . فذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ووَجدك ضالاً فهدى﴾[1] . ثم إنّ عبد المطّلب حمله على عاتقه ، وطاف به حول الكعبة ، وقال :

أعيـذه بـالله بارىء النسـمْ   من كل مَن يسعى بساق وقدمْ
وقصفة الحُجّاج في الشهر الأصمّ   حتى أراه في ذُرى صعب أشمّ
ثم يكون ربٍّ غير مهتضـم

ـ قالوا : وقدمت حليمة على رسول الله ﷺ بعد تزوجه خديجة بنت خويلد ، فأنزلها وأكرمها . فشكتْ جدبَ البلاد وهلاكَ الماشية ، فكلّم خديجة فيها ، فأعطتْها أربعين شاة ، وبعيرا للظعنة ؛ وصرفها إلى أهلها بخير . وقدمتْ على رسول الله ﷺ يوم فتح مكة ، وهو بالأبطح ، أُختُ حليمة ومعها أُخت زوجها ؛ وأهدتْ إليه جرابا فيه أقط ونحيٌّ سمن . فسأل أختَ حليمة عن حليمة . فأخبرتْه بموتها ، فذرفت عيناه . وسألها

١ ـ سورة الضحى ـ الآية : ٧ .

عمن خلفتْ ، وأخبرته بخَلّة وحاجة . فأمر لها بكسوة ، وجمل ظعينة ، وأعطاها مائتي درهم وافية . وانصرفت وهي تقول : نعم المكفول أنت صغيراً وكبيراً .

ـ قالوا : وكانت ثُويبة تأتي النبي ﷺ وهي مملوكة ، فيبرّها وُيكرمها . وتكرمها خديجة . وطلبتْ خديجةُ إلى أبي لهب أن يبيعها إياها لتعتقها ، فأبى ذلك ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، أعتقها أبو لهب ، فكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بالصلة والكسوة ، حتى بلغه خبر وفاتها ، وكانت وفاتها منصرف رسول الله ﷺ من خيبر سنة سبع ، فسأل عن ابنها مسروح ، أخيه من الرضاع ، فقيل له : مات قبلها ، فقال : هل له من قرابة ؟ فقيل : لم يبق له أحد .

وقالت أم حبيبة بنت أبي سفيان لرسول الله ﷺ : بلغني يا رسول الله أنك تخطب دُرّة بنت أبي سلمة بن عبد الأسد ، فقال : وكيف ، وقد أرضعتني وإياها ثويبةُ ؛ فإنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .

ـ وورث رسول الله ﷺ من أبيه أمَّ أيمن ، واسمها بَرَكة ، فاعتقها ؛ وخمسة أجمال أوارك ، وقطعة غنم ، وسيفا مأثورا ، وورِقا . فكانت أم أيمن تحضنه . ويسميها «أمي» .

وقال بعض الرواة : ورث أم أيمن من أمه ، فأعتقها . وقال آخرون : ورث ولاءها من أبيه . وقال قوم : كانت لأمه ، فأعتقها .

ـ قالوا : وضم أبو طالب رسولَ الله ﷺ بعد موت عبد المطلب . دخل منزله وإنّ عياله لفي ضيقة وخَلّة ، لا يكادون يشبعون لقلة ما عندهم . فكان رسول الله ﷺ إذا أكل معهم ، كفاهم ما يجدون من الطعام وأشبعهم حتى يتملؤوا . وكان رسول الله ﷺ في أكثر أيامه يُصبح

فيأتي زمزم ، فيشرب منها شربه . فربما عُرض عليه الغداء فيقول : لا أريده ، أنا شبعان .

ـ فلما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة ، عُرض لأبي طالب شخوص إلى الشأم في تجارة ، وكان رسول الله ﷺ يألفه فسأله إخراجه معه ، فأبى ذلك ضناً به وصيانة له ، فاغتم وبكى ، فأخرجه ، فرآه راهب من علماء الرهبان ، يقال له بحيرا ، قد أظلتْه غمامة ، فقال لأبي طالب : من هذا منك ؟ قال : ابن أخي ، فقال : أما ترى هذه الغمامة كيف تظلّه وتنتقل معه ؟ والله إنه لنبي كريم ؛ وإني لأحسبه الذي بَشّر به عيسى ، فإنّ زمانه قد قرب ، وقد ينبغي لك أن تحتفظ به . فرّده أبو طالب إلى مكة وذكر بعض الرواة أن أبا طالب أشخص رسول الله ﷺ إلى الشأم وهو ابن تسع سنين . والأول أثبت .

ـ قالوا : ولما جاوزتْ سنو رسول الله ﷺ العشرين ، قال له أبو طالب : يا بن أخي ، إنّ خديجة بنت خويلد امرأة موسرة ذات تجارة عريضة ، وهي محتاجة إلى مثلك في أمانتك وطهارتك ووفائك . فلو كلّمناها فيك فوكّلتْك ببعض أمرها وتجارتها ؟ فقال ﷺ : افعلْ يا عمّ ما رأيتَ . فسعى أبو طالب إليها ، فكلمها في توكيل رسول الله ﷺ ببعض تجارتها . فسارعتْ إلى ذلك ورغبتْ فيه ، ووجهته إلى الشأم ومعه غلام لها وقيمّ يقال له ميسرة . فلما فرغ مما توجّه له وقدم مكة ، أخبرها ميسرة بأمانته وطهارته ويمن طائره ، وما يقول أهل الكتاب فيه ، والذي تعرّف من البركة بمكانه معه في كثرة الأرباح وسهولة الأمور ، وقال : كنتُ آكل معه حتى نشبع ويبقى أكثر الطعام كما هو .

ـ وقال الكلبي : بعثتْ خديجةُ رحمها الله إلى النبي ﷺ أن اخطبني إلى

عمي عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ . وكان شيخا كبيراً . فأمرت بشاة فذُبحت ؛ واتّخذت طعاما ، ودعتْ عمهًا عَمْراً ، وبعثت إلى رسول الله ﷺ . فأتى ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب ؛ فأكلوا . وسقتْ عَمْرا . ثم قالت لرسول الله ﷺ : قل لأبي طالب فليخطبني ، فخطبها أبو طالب إلى عمرو . فزوّجها رسول الله ﷺ على اثنتي عشرة أوقية ونَشّا[١] . والأوقية أربعون درهما .

ـ وقال الواقدي في إسناده : كانت خديجة بنت خويلد امرأة موسرة تاجرة ذات مال . فكلمها أبو طالب في رسول الله ﷺ . فوّجهتْه إلى الشأم ، ومعه ميسرة غلامها . فعرفت خديجة البركة والنماء في مالها على يده . وأخبرها ميسرةُ بما كان يقال فيه . وكانت امرأة عاقلة حازمة بَرْزَة ، مرغوباً فيها لشرفها ويسارها . فدسّتْ إلى رسول الله ﷺ من عرض عليه أن يتزوجها ، فرغب في ذلك ، فبعثتْ إليه أن ائتِ في وقت كذا ، وأرسلتْ إلى عمرو بن أسد عمِّها ـ فحضر ، وحضر رسول الله ﷺ ومعه عمه حمزة وأبو طالب وغيرهما من عمومته . فزوجّها إياه عمرو ، ومات عمرو بعد تزويجها بقليل . وقال الواقدي :

كانت التي سفرتْ بين رسول الله ﷺ وبين خديجة : نفيسة بنت مُنْية ، أخت يعلى بن مُنْية التميمي حليف بني نوفل بن عبد مناف . وأسلمت نفيسة عام الفتح ، فذكّرت رسول الله ﷺ ما كان منها . فبرّها وأكرمها[٢] .

ـ وحدثني بكر بن الهيثم ، قال أخبرني عبد الرزاق بن همام ، عن

---

١ ـ في هامش الأصل : النش : نصف أوقية .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣١ ـ ١٣٣ .

معمر ، عن الزهري فيما يحسب عبد الرزاق ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت :

دخلتْ امرأة سوداء على رسول الله ﷺ ، فأقبل عليها واستبشر بها . فقلت : يا رسول الله ، أقبلتَ على هذه السوداء هذا الإقبال ؟ فقال : إنها كانت تدخل على خديجة كثيرا ؛ وإنّ حسن العهد من الإيمان .

تزويج النبي عليه السلام خديجة

ـ وتزوج رسول الله ﷺ خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وهي ابنة أربعين سنة ، وذلك الثبت عند العلماء . ويقال إنه تزوّجها وهي ابنة ست وأربعين سنة ، وهو ابن خمس وعشرين سَنة ، ويقال : تزوجّها وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وهي ابنة ثمان وعشرين سنة .

وحدثني الوليد بن صالح ، ثنا الواقدي ، عن المنذر بن عبد الله ، عن موسى بن عقبة ، قال : قال حكيم بن حزام :

تزوّج رسول الله ﷺ عمتي خديجة وهي ابنة أربعين ، ورسول الله ابن خمس وعشرين ؛ وكانت أسنّ مني بسنتين ؛ وُولدت أنا قبل الفيل بثلاث عشرة سنة ، وشهدتُ الفِجار وأنا ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ومات حكيم سنة أربع وخمسين ، أو خمس وخمسين ، وهو ابن مائة وعشرين سنة[1] .

بناء قريش الكعبة

ـ قالوا : وأتى سيل ملأ ما بين الجبلين ، ودخل الكعبة حتى تصدعت . فعزمت قريش على بنائها من أطيب أموالها وأحلهّا ، فهدمتْها ، وأعادت بناءها ، ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة . وكانت قريش قد

١ ـ السير والمغازي لمحمد بن اسحق ـ تحقيقي ـ ط . بيروت ١٩٧٨ ص ٨١ ـ ٨٢ .

أفردت ببناء كل ربع من أرباع البيت قوما . فكان لبني عبد مناف وبني زُهرة ما بين ركن الحِجر إلى الركن الأسود ، وهو وجه البيت وفيه بابه . ولبني عبد الدار وبني أسد الشقّ الذي يلي الشأم . ولبني تيم بن مرّة وبني مخزوم الشقّ الذي يلي اليمن ، ولسهَم ، وجُمَح ، وعَدي ، وبني عامر بن لؤي ما بين الركن اليماني والركن الأسود ، فبنى كل قوم ما صار لهم ، وقيل أيضاً إنّ ما بين الركن اليماني والركن الأسود كان لبني تيم وبني مخزوم ؛ وأنّ ظهر الكعبة كان لبني جمح وسهم ؛ وأن الشقّ الشأمي كان لبني عبد الدار وبني عدي بن كعب ؛ وأن لبني عبد مناف وبني زهرة الشقّ الذي فيه الباب ؛ وكان ذلك بقرعة بينهم .

فلما انتهوا إلى موضع الركن الأسود ، اختلفوا فيمن يضعه وتشاحّوا عليه ، فرضوا بأول من يدخل من الباب . فكان أولّ مَن دخل رسولُ الله ﷺ . فقالوا : الأمين ، والله . ورضوا بأن وضعه . فبسط رسول الله ﷺ رداءه ، ثم وضع الركن فيه ، وقال : ليأت من كل ربع من قريش رجل . فرفعوه . ثم وضعه بيده في موضعه .

حدثنا الوليد بن صالِح ، عن الواقدي ، عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال :

لما انتهوا إلى حيث موضع الركن الأسود من البيت اختلفوا فيه . فقال أبو أمية بن المغيرة ، واسمه حذيفة : يا معشر قريش اجعلوا بيننا أوّل من يدخل من هذا الباب ، وأشار إلى الباب الذي نعرفه اليوم ببني شيبة ، فدخل رسول الله ﷺ . فلما رأوه ، قالوا : هذا الأمين رضينا به . فبسط

رداءه ثمَ وضع الركن فيه ، وقال : ليأت من كلّ ربع من أرباع قريش رجل ، فرفعوه . ثم وضعه بيده في موضعه[1] .

ـ وقال الواقدي ، عن خالد بن القاسم ، عن أبي تجراة ، عن أمه ، قالت :

نظرتُ أنا إلى رسول الله ﷺ يضع الحَجر بيده قلت : لمن الثوب الذي حمل فيه ؟ قالت : للوليد بن المغيرة .

ـ قال الواقدي : ويقال إن الذي أشار بأن يضع الحجر أول من يدخل : أبو حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه مهشم . وأن الحجر وُضع في كساء طاروني أبيض من متاع الشأم كان للنبي ﷺ . فلما وضع رسول الله ﷺ الحجر ، احتاج إلى حجر يسند به الركن . فذهب رجل من أهل نجد ليأتيه به ، فقال : لا ؛ وأمر العباس بن عبد المطلب . فأتاه بحجر ، فأسنده به . فغضب النجدي ، وقال : عمدتم إلى أصغركم سناً ، وأقلكم مالا ، فوليتموه هذه المكرمة . وكان يقال إنه إبليس .

ـ وقال أبو طالب في وضع الركن :

إنّ لنا أولـه وآخـره ... في الحكم والعدل الذي تُنكره
نحن عمرنا خيره وأكثره ... لما وضعتَ إذ تماروا حجره

يوم نخلة

ـ قالوا : وحضر رسول الله ﷺ يوم نَخلة مع عمومته . وهو أعظم أيام الفجار . وكان من حديث هذا اليوم أن البرّاض بن قيس ، أحد بني

١ ـ مغازي الزهري ـ ط . دمشق ١٩٨١ ص ٤١ . انظر السير والمغازي لابن اسحق ص ١٠٨ .

ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، كان خليعاً ، خلعه قومه . فلحق بأبي قابوس النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة . وكان النعمان يبعث إلى سوق عُكاظ في كل عام لطيمة[1] ، في جوار ، فتباع له بسوق عُكاظ ، ويُشترى له بثمنها العصْب[2] ، والبرودِ ، والأدم ، وغير ذلك من طرائف اليمن . وعكاظ فيما بين نخلة والطائف .

وجهّز النعمان لطيمته ، وقال : من يُجيرها ويجيزها ؟ فقال البرّاض : أبيتَ اللعن ، أنا أجيرها على بني كنانة . فقال النعمان : ما أريد إلا رجلاً يجيرها على أهل نجد ، فقال عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ـ وهو عروة الرّحال ، وإنما سمي الرحال لرحلته إلى الملوك ـ : أنا أجيرها ، فقال البرّاض : على بني كنانة تجيرها يا عروة ؟ قال : نعم ، وعلى الناس كلهم ؛ أو كلبٌ خليع يجيرها ؟ ثم شخص بها ، وشخص البرّاض وعروة يرى مكانه فلا يكترث به ولا يخشاه . فلما كان إلى جانب فدك ، بأرض يقال لها أوارة . نام الرحّال . ووجد البرّاض فرصته ، فشدّ عليه وقتله وهرب قوّامُ الركاب وعضاريطها[3] . فاستاق البراض العير ، ولقي بشرَ بن أبي خازم الأسدي الشاعر ، فجعل له أربع قلائص على أن يأتي حرب بن أمية ، وعبدَ الله بنَ جُدعان ، وهشاماً ، والوليد ابني المغيرة المخزوميين أن البرّاض قتل عروة . وحذره أن يسبق الخبر إلى قومه ، فيكتموه ويقتلوا به رجلاً من قريش عظيماً ، لأنهم لا يرضون أن يقتلوا به خليعاً من بني ضمرة . فمرّ بهم الحُليس بن يزيد الدئلي ـ وقال الكلبي : هو الحُليس بن علقمة بن عمرو بن الأوقح بن

١ ـ اللطيمة هي الجمال التي تحمل الطيب والبز للتجارة . سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

٢ ـ في هامش الأصل : هو ضرب من برود اليمن .

٣ ـ في هامش الأصل : هم الأبناء ، وأحدهم عضرط وعضروط . وفي كتاب العين للخليل بن أحمد : العضرط : اللئيم من الرجال ، والعضروط : الذي يخدمك بطعام بطنه .

جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ـ وأخبروه بما ألقى إليهم بشر بن أبي خازم ، وكتموا الخبر ، وارتحلوا على تعبية ومعهم الأحابيش ـ وهم بنو الدئل ، والقارة ، وبطون من خزاعة ـ وكان حرب بن أمية في القلب ، وعبد الله بن جُدعان في إحدى المجنبتين ، وهشام بن المغيرة في الأخرى ، فبلغ الخبرُ عامرَ بن مالك في آخر النهار ، فركب فيمن حضر عُكاظ من هوازن يريد القوم . فأدركهم بنخلة . فاقتتلوا ، حتى دخلت قريش الحرم ، وجنّ عليهم الليل .

ـ وفي يوم نخلة يقول خداش بن زُهير :

يا شدّةَ ما شددنا غيرَ كاذبة على سخينةَ[1] لولا الليل والحرمُ
إذ يتقينا هشام بالوليد ولو أنا ثقفنا هشاماً شالت الجذم
فإن سمعتَ بجيش سالكاً شرفا أو بطن مر فاخفوا الشخص واكتتموا

وقال البرّاض :

فقمتُ على المرء الكلابي فخرةً وكنتُ قديماً لا أقرّ فخارا
علوتُ بحد السيف مفرق رأسه فأسمعَ أهل الواديين جوارا[2]

وقدم البرّاض مكة باللطيمة ، فكان يأكلها .

يوم شمظة

ـ قالوا : ثم إنّ قريشاً وبني كنانة لقوا هوازن بشمظة[3] وعلى بني هاشم : الزبير بن عبد المطلب ؛ وعلى بني عبد شمس وأحلافها : حرب بن

---

١ ـ السخينة : أي طعام حار يتخذ من دقيق وسمن ، وكانت قريش تكثر من أكلها ، فعيرت بها حتى سموا سخينة . النهاية لابن الأثير .
٢ ـ كذا بالأصول ، ولعلها تصحيف «خواراً» .
٣ ـ انظر معجم البلدان ـ مادة شمظ .

أمية ؛ وعلى بني عبد الدار وحلفائها : عكرمة بن هاشم ؛ وعلى بني أسد بن عبد العزى : خُويلد بن أسد ؛ وعلى بني زهرة : مَخرمة بن نوفل ؛ وعلى بني تيم : ابن جُدعان ؛ وعلى بني مخزوم : هشام بن المغيرة ؛ وعلى بني سهم : العاص بن وائل ؛ وعلى بني جُمح : أمية بن خلف ؛ وعلى بني عدي : زيد بن عمرو بن نفيل ؛ وعلى بني عامر بن لؤي : عمرو بن عبد شمس ، أبو سهيل بن عمرو ؛ وعلى بني فهر : عبد الله بن الجرّاح ، أبو أبي عبيدة ؛ وعلى بني بكر : بلعاء بن قيس ؛ وعلى الأحابيش : الحُليس الكناني . فالتقوا ، فكانت أول النهار على هوازن ، فصبروا ، ثم استحرّ القتل في قريش ، وانهزم الناس . فقال خداش :

فأبلغ إن عرضتَ لهم هشاما وعبد الله أبلغ والوليدا

بأنا يوم شمطة قد أقمنا عمود المجد إنّ له عمودا

فيقال إنّ النبي ﷺ حضر هذين اليومين مع عمومته ، يحفظ عليهم ويناولهم النبل .

وبلغني عن الزهري أنه قال : لم يكن رسول الله ﷺ معهم ، ولو كان معهم لظهروا ؛ ولكنه كان معهم يوم عكاظ ، وكان لقريش .

وقال هشام بن الكلبي : كان يوم نخلة ، وللنبي ﷺ عشرون سنة أو أشفَّ منها ، وذلك لثلاث سنين من ولاية أبي قابوس النعمان بن المنذر الحيرة ، ومن قال إنه ﷺ كان ابن أربع عشرة سنة فقد غلط ، وقال : كان ملك النعمان بن المنذر اثنتين وعشرين سنة . وكان ملك الفرس يوم نخلة كسرى بن هرمز إبرويز الذي ملك ثمانياً وثلاثين سنة وأشهراً ، وكان مولد النبي ﷺ لأربعين سنة من ملك أنوشروان . ثم ملك بعدَ أنوشروانُ هرمز بن أنوشروان اثنتي عشرة سنة ، ثم ملك إبرويز هذا ، فبعث رسول

الله ﷺ لعشرين سنة إلا شهراً من مُلكه .

ـ وقال الواقدي : قال أصحابنا : بين الفيل والفجار عشرون سنة . وبين الفجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة . وبين بناء الكعبة ونزول الوحي على رسول الله ﷺ خمس سنين ، فوضع رسولُ الله ﷺ الركن وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، ومن قال غير هذا فقد غلط .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن سلمة بن بخت ، عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قالت : سمعت أبي يقول :

أسلمت وأنا ابن اثنتين وعشرين سنة ، ووُلدتُ عام الفجار[1] .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٢٦ ـ ١٢٨ .

مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ـ قالوا : وبُعث رسول الله ﷺ وله أربعون سنة ، وذلك في ملك إبرويز . وعلى الحيرة إياس بن قَبيصة بن أبي عفر الطائي الذي ملك بعد النعمان بن المنذر ، وكان النعمان قُتل بالمدائن .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبي جعفر قال :

نزل جبريل على النبي ﷺ يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، بحراء ، ورسول الله ﷺ ابن أربعين سنة ، وكان قبل ذلك يرى ويسمع .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن علي بن محمد بن عبيدالله ، عن منصور بن عبيدالله عن أمه عزيزة بنت أبي تجراة :

أن رسول الله ﷺ كان حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة ، إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً ويفضي إلى الشعاب والأودية ، فلا يمرّ بشجرة إلا قالت : «السلام عليك يا رسول الله» ، فيلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر الواقدي ، عن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :

بينا رسول الله ﷺ بأجياد إذ رأى ملكاً واضعاً إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء ، يصيح : «يا محمد ، أنا جبريل» . فذعر رسول الله ﷺ ، ورجع سريعاً إلى خديجة ، فقال : إني لأخشى أن أكون كاهناً ، قالت : كلا يا بن عم ، لا تقل ذاك ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة وإن خلقك لكريم .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن معمر بن راشد ، ومحمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت :

أول ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة . فكان لا يرى رؤيا إلا كانت مثل فلق الصبح . وحببتْ إليه الخلوة . فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه ـ والتحنث التعبد والتبرّر ـ ويمكث الليالي قبل أن يرجع إلى أهله . ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود حتى فَجِئَه الحق وهو في غار حراء ، وعرض له جبريل ليلة السبت وليلة الأحد ، ثم أتاه بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، ورسول الله ﷺ ابن أربعين سنة .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال :

كانت قريش إذا دخل رمضان ، خرج من يريد التحنث منها إلى حراء ، فيقيم فيه شهراً ، ويُطعم من يأتيه من المساكين . حتى إذا رأوا هلال شوال ، لم يدخل الرجل على أهله حتى يطوف بالبيت أسبوعاً . فكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك[1] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٩٠ ـ ١٩٥ ، ويطوف بالبيت اسبوعا : أي سبع مرات .

ـ حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، حدثنا إسحاق بن منصور السلولي ، حدثنا إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني أبو ميسرة :

أن النبي ﷺ كان أول ما بُعث ، يدعى : «يا محمد» ، ولا يرى شيئاً غير أنه يسمع الصوت ، فيهرب منه في الأرض ، قال : فذكر ذلك لخديجة ابنة خويلد ، وقال : خشيتُ أن يكون قد عرض لي أمر ، قالت : وما ذاك ؟ قال : إذا خلوتُ : دُعيتُ فأسمع صوتاً ولا أرى شيئاً فقد خشيتُ ، قالت : ما كان الله ليفعل بك سوءا ؛ إنك لتصدق الحديث ، وتصل الرحم ، وتؤدي الأمانة . ثم إنّ خديجة قالت لأبي بكر الصديق : انطلق مع محمد إلى ورقة بن نوفل ، فإنه رجل يقرأ الكتب ، فليذكر له ما يسمع ، فانطلقا ، حتى أتيا ورقة ، فقال له النبي ﷺ : إني إذا خلوتُ دُعيتُ «يا محمد» ، فأسمع صوتاً ولا أرى شيئاً ، قال له ورقة : ليس عليك بأس ؛ فإذا دُعيتَ فاثبتْ ، حتى تسمع ما يقال لك .

فتثبت للصوت ، فقال له : قل : «بسم الله الرحمن الرحيم» . فقال : بسم الله الرحمن الرحيم . فأعادها عليه ثلاث مرات . ثم قال : قل «الحمد لله ربّ العالمين» ، ثلاث مرات ، حتى ختمها ، فقال له : قل «آمين» .

ثم رجع النبي ﷺ إلى ورقة ، فذكر له ذلك ، فقال : أشهد أنك النبي الذي بشر به عيسى بن مريم ، وأنك الذي نجد في الكتاب ، وإنك لنبي مرسل ، ولتؤمرَن بالقتال ، ولئن طالت بي الحياة ، لأقاتلن معك .

ـ قال الكلبي : هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ[١] ، تنصر حتى استحكمت نصرانيته ، ثم خرج إلى الشأم ، فمات هناك ، وقال بعضهم : مات بمكة بعد المبعث ، ودفن بها .

ـ وقال الواقدي : أقام ورقة على النصرانية ، فكان يدعى القَسّ . وعاش حتى بُعث النبي ﷺ ، فلقيه ببعض طرق مكة ، فقال له : يا محمد ، إنه لم يبعث نبي إلا له آية وعلامة ؛ فما آيتك ؟ فدعا رسول الله ﷺ سمُرة[٢] ، فأقبلت تخدّ الأرض خداً . فقال ورقة : أشهد لئن أمرتَ بالقتال ، لأقاتلنَ معك ولأنصرنَك نصراً مؤيداً . ثم مات . فقال رسول الله ﷺ : «رأيتُ القس وعليه حلة خضراء يرفل في الجنة» .

وقال الواقدي : أثبتُ خبره أنه خرج إلى الشأم . فلما بلغه أن رسول الله ﷺ قد أمر بالقتال بعد الهجرة ، أقبل يريده . حتى إذا كان ببلاد لخم وجُذام ، قتلوه وأخذوا ما كان معه . فكان النبي ﷺ يترحّم عليه .

ـ قال أحمد بن يحيى : وقد روي أن الحمد مدنية :

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا محمد بن يوسف الفاريابي ، ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال :

أنزلت فاتحة الكتاب بالمدينة .

---

١ ـ جمهرة النسب لابن الكلبي ج ١ ص ٨٨ .

٢ ـ شجر صغار الورق ، قصار الشوك ، وله برمة صفراء يأكلها الناس . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس . ط . القاهرة ١٩٦٥ .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، ثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد بمثله .

وحدثني أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا أبو الأحوص ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة :

إنّ إبليس أرنَّ[1] حين نزلتْ فاتحة الكتاب . قال : وأنزلت بالمدينة . قال : وقال أبو الأحوص : ويقال إنها مكية .

ـ وحدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا أبو عمرو الأوزاعي ، قال : سمعت يحيى بن أبي كثير ، قال :

سألت أبا سلمة:أي القرآن أُنزل قبل ؟ فقال : ﴿يا أيها المدثر﴾ . فقلت لأبي سلمة : أو ﴿اقرأ﴾؟ فقال : سألت جابر بن عبد الله ، أي القرآن أنزل قبل ؟، فقال : ﴿يا أيها المدثر﴾ . فقلت : أو ﴿اقرأ﴾ ؟ قال جابر : أحدّثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ ؛ قال رسول الله ﷺ : جاورتُ بحراء شهراً ، فلما قضيتُ جواري نزلتُ فاستبطنتُ الوادي ، فنوديت ، فنظرتُ أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ، فلم أر أحداً ؛ ثم نوديتُ فنظرتُ ، فلم أر أحدا ؛ ثم نُوديت الثالثة ، فلم أر أحداً ، ثم نوديتُ فإذا هو في الهواء ـ يعني جبريل عليه السلام ـ فأخذتني رجفة شديدة ، فأتيتُ خديجةَ ، فقلتُ : «دثروني ، دثروني» ، فدثروني ، وصبوا عليَّ الماء ، فأنزل الله ﴿يا أيها المدّثر﴾ .

---

١ ـ أرن : نشط . القاموس .

ـ حدثني شريح بن يونس أبو الحارث ، حدثنا سفيان ، عن معمر ، عن الزهري ، قال :

فتر الوحي عن النبي ﷺ . وكان أول ما أنزل عليه ﴿اقرأ باسم ربك الذي﴾ ـ إلى قوله ﴿ما لم يعلم﴾[1] ـ فلما فتر ، حزن حزناً شديداً حتى جعل يأتي رؤوس الجبال مراراً ، فكلما أوفى على ذروة جبل ، بدا له جبريل عليه السلام فيقول : «إنك نبي» ، فيسكن لذلك جأشه وترجع إليه نفسه . فكان النبي ﷺ يحدّث عن ذلك ، قال : بينا أنا أمشي يوماً إذ رأيتُ الملك الذي كان يأتي بحراء ، بين السماء والأرض ، فجئثت[2] منه رعباً : فرجعتُ إلى خديجة ، فقلت : دثروني . قالت خديجة : فدثرناه . فأنزل الله : ﴿يا أيها المدثر . قم فأنذر﴾[3] .

ـ حدثنا محمد بن حاتم المروزي ، ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس :

أنّ أول ما نزل من القران : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ . قال حجاج : ثم اختلفنا ، فقال بعضهم : نزلت كلهابحراء ، ورسول ﷺ معتكف هناك ؛ وقال بعضهم : نزل منها إلى قوله ﴿ما لم يعلم﴾ ، ونزل باقيها بعد ما شاء الله .

---

١ ـ سورة العلق ـ الآيات : ١ ـ ٥ .
٢ ـ أي ذعرت وخفت . النهاية لابن الأثير .
٣ ـ سورة المدثر ـ الآيتان : ١ ـ ٢ . مغازي الزهري ص ٤٤ ـ ٤٥ .

- حدثنا محمد بن حاتم ثنا حفص بن غياث ، ثنا الشيباني قال محمد : يعني سليمان بن أبي سليمان - عن عبد الله بن شداد ، قال :

أول سورة نزلت من القرآن ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ، ثم أبطأ عنه التنزيل بعض الإبطاء ، فقال كفار قريش : وَدّعه ربه وقلاه . فنزلتْ «والضحى» ، إلى آخر السورة .

- وروي محمد بن كثير ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن جابر بن عبد الله .

عن النبي ﷺ أنه قال : بينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً ، فرفعتُ رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء ، بين السماء والأرض ، فجئثتُ منه رعباً . فأتيتُ خديجةَ فقلت : ﴿زَمّلوني زَملوني﴾ ، فنزلت ﴿يا أيها المزمل﴾ الثبت أنه قال ﴿دثروني﴾ للروع الذي دخله ، فنزلت ﴿يا أيها المدثر﴾ [1] وإنما نزلت يا أيها المزّمل بعدُ ، حين أمره الله أن يقوم من الليل .

- وروى الواقدي ، عن عيسى بن وردان ، عن ابن كريب ، عن أبيه ،

أنه وجد في كتاب ابن عباس : أول السور المكية ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ، ثم ﴿نون والقلم﴾ ، ثم ﴿يا أيها المدثر﴾ ، ثم ﴿المزّمل﴾ .

حدثنا هدبة بن خالد ، ثنا أبان بن يزيد ، ثنا يحيى بن أبي كثير قال :

---

١ - مغازي الزهري ص ٤٥ .

سألت أبا سلمة فقلت : أي القرآن أُنزل أولا ؟ قال : **﴿يا أيها المدثر﴾** . قلت : وأي أول سورة نزل من القرآن أولا ؟ قال : **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾** .

وقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله الأنصاري فقلت : أي القرآن أنزل أولا ؟ قال : **﴿يا أيها المدثر﴾** . فقلت له : أي أول سورة نزل من القرآن أولا ؟ قال : **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾** .

وقال جابر ؛ حدثنا رسولُ الله ﷺ قال : جاورتُ في حراء ؛ فلما قضيتُ جواري ، نزلتُ فاستبطنت الوادي ، فنوديت ، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ، فلم أر شيئاً . فنظرت فإذا أنا به - يعني الملك - بين السماء والأرض . فانطلقت إلى خديجة فقلت : «دثّروني» ، فدثروني وصبّوا عليَّ ماء ، فأنزلت **﴿يا أيها المدثر . قم فأنذر﴾**[1] .

- حدثني روح بن عبدالمؤمن المقرىء، ثنا مسلم بن إبراهيم ، عن قرة بن خالد ، ثنا أبو رجاء العطاردي قال :

كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد - يعني مسجد البصرة - يقرئنا القرآن ، وعنه أخذتُ هذه السورة : **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾**[2] ، وكانت أول سورة أُنزلت على محمد ﷺ .

- حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عمرو بن عاصم ، عن هشام بن الكلبي ، عن أبي صالح قال :

أول ما نزل القرآن **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾** ، حتى بلغ إلى «الرجعى» ثم نزلت **﴿يا أيها المدثر﴾** ، ثم ثلاث آيات من **﴿نون﴾** .

---

١ - سورة المدثر - الآيتان : ١ - ٢ .

٢ - سورة العلق - الآية : ١ .

ـ حدثني يحيى بن معين ، ثنا وكيع ، ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال :

أول ما نزل من القرآن ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ، ثم ﴿نون﴾ و﴿القلم﴾ .

ـ حدثنا محمد بن حاتم السمين ، ثنا وكيع وعبدالرحمن بن مهدي ، قالا ثنا شعبة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير قال :

أول ما نزل من القرآن ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، ثنا محمد بن عمر الواقدي ، عن عن عبدالحميد بن جعفر ، عن وهب بن كيسان ، أبي نعيم ، قال : سمعت عبيد بن عمير يقول في حديث طويل :

جاء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة رجل ، فقال له : اقرأ . قال : وما أقرأ ؟ قال : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ، إلى قوله ﴿ما لم يعلم﴾ .

ـ حدثني بكر بن الهيثم ، حدثني بشر بن الوليد الكندي ، عن سفيان عن معمر ، عن الزهري وقتادة والكلبي قالوا :

علّم جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ الوضوء ، والصلاة ، وأقرأه ﴿باسم ربك الذي خلق﴾ . فأتى خديجة زوجته ، فأخبرها بما أكرمه الله به ، وعلمها الوضوء ، فصلت معه . فكانت أول من خلق الله صلى معه .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس قال :

فحص جبريل بعقبه الأرض ، فنبع ماء ، فعلم جبريل النبي ﷺ الوضوء ، فمضمض ثم استنشق وغسل رجليه ، ثم نضح تحت إزاره ، ثم

صلى ركعتين . فانصرف رسول الله ﷺ مسروراً ، فجاء إلى خديجة فحدثها وأراها ما أراه جبريل . ثم صلتْ معه ركعتين .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن نجيح أبي معشر ، عن محمد بن قيس :

أن خديجة لما أتاها رسولُ الله ﷺ فأخبرها بما بدىء به ، جمعتْ عليها ثيابها ، وأتتْ ورقةَ فحدثته حديثه وقالت له : ما جبريل ؟ فقال ورقة : سبحان الله القدوس ، جبريل ناموس الله الأكبر وسفيره إلى أنبيائه ؛ لئن كان صاحبك رأى هذه الرؤيا ، إنه لنبي ؛ لوددتُ أن يكون ذلك فأكون له وزيراً ، وابن عم[1] ، ثم خرجتْ ، فدخلت على عَدّاس ، غلام عتبة بن ربيعة ، وكان نصرانياً ، فقالت : يا عدّاس أخبرني عن جبريل ، فقال : «قدّوس ، قدّوس ، وما ذكر جبريل في هذا البلد الذي أهله عبدة أوثان ؟ جبريل ناموس الله الأكبر ، ولم يأت قط إلا إلى نبي» . فرجعتْ ، فأخبرتْ رسولَ الله ﷺ بما قاله الرجلان ؛ وبشرته بذلك .

ـ وحدثني عمرو الناقد ، أنبأ إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في حديث طويل قال :

قلت : يا أبا سعيد ، هل أُري رسول الله ﷺ رؤيا النبوة ؟ فقال : الله أعلم ، ولكنه رأى النور الذي رآه ، عليه السلام .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي أنه قال :

أجمع أصحابنا أن أول المسلمين استجاب لرسول الله ﷺ خديجة بنت

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٩٥ .

خويلد ، ثم اختلفوا في ثلاثة نفر أيهم أسلم أوَّلاً ، وهم: علي. وأبو بكر ، وزيد بن حارثة .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي عن ربيعة بن عثمان ، عن عمران بن أبي أنس ، وعن الواقدي ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري :

أنّ أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ . ثم أسلم الناس بعده[1] .

ـ وحدثني محمد بن ثابت ، عن الواقدي عن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير ، عن أبي الأسود ، عن سليمان بن يسار ، قال :

أول من أسلم زيد بن حارثة .

ـ حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا شعبة ، أنبأ عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة مولى الأنصار ، عن زيد بن أرقم قال :

أول من صلى مع النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .

ـ وحدثني هشام بن عمار ، ثنا محمد بن عيسى بن سميع ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، عن [ابن] المسيب قال :

أول النساء إسلاماً خديجة ، ومن الرجال زيد بن حارثة .

ـ وقال الواقدي : رأى عليٌّ النبي ﷺ تصلي معه خديجة ، فقال : ما هذا يامحمد؟ فقال رسول الله ﷺ : ياعلي هذا دين الله الذي اصطفاه واختاره ،

١ ـ مغازي الزهري ص ٤٦ .

وأنا أدعوك إلى الله وحده، وأن تذر اللات والعزى فإنهما لاينفعان ولايضرّان. فقال علي: ماسمعتُ بهذا الدين إلى اليوم، وأنا أستأمر أبي فيه. فكره النبي ﷺ أن يفشي ذلك قبل استعلان أمره. فقال: ياعلي، إن فعلتَ ماقلتُ لك، وإلا فاكتمْ مارأيتَ. فمضى ليلته. ثم غدا على رسول الله ﷺ فقال له: أعدْ عليّ ماقلتَ. فأعاده. فأسلم، ومكث يأتي رسولَ الله ﷺ فيصلي معه على خوف من أبي طالب. وكان هو وزيد بن حارثة يلزمان رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يخرج إلى الكعبة أول النهار ويصلي صلاة الضحى، وكانت تلك صلاةً لاتنكرها قريش، وكان إذا صلى في سائر اليوم، بعد ذلك، قعد علي أو زيد يرصد له، وأنّ أبا طالب فقد علياً، فقالت له فاطمة بنت أسد، أمه: قد رأيته يلزم محمداً، وأنا أخاف أن يأتيك من قبل محمد في أمر ابنك ما لاتطيقه. فقال: ما كان ابني ليفتات علي بأمر.

واتبع أبو طالب أثر النبي ﷺ وأثر علي، فوجدهما ورسول الله ﷺ يصلي العصر في شعب أبي دبّ أو غيره، وعلي ينظر له، فقال لرسول الله ﷺ: ماهذا الدين يامحمد؟ قال: دين الله الذي بعثني به، فدعاه إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان، فقال أبو طالب: «أما دين آبائي، فإنّ نفسي غير مشايعة على تركه؛ وماكنتُ لأترك ماكان عليه عبد المطلب؛ ولكن انظر الذي بُعثتَ به فأتم عليه، فوالله لاأسلمتك ماكنتُ حياً حتى يتمّ الذي تريد». وقال لعلي: «أما أنت يابني، فما بك رغبة عن الدخول فيما دخل فيه ابن عمك». فاشتدّ ظهر رسول الله ﷺ، وسُرّ بقول أبي طالب. وأتى أبو طالب منزله، فقالت له امرأته: أين ابنك؟ قال: وماتصنعين به؟ قالت: أخبرتني مولاتي أنها رأته مع محمد وهما يصليان في شعب بأجياد؛ أفترى ابنك صبأ؟ قال أبو طالب: اسكتي، ودعي عنك هذا، فهو والله أحق مَن آزر ابن

عمه. ولولا أن نفسي لاتطاوعني على ترك دين عبد المطلب، لاتبعتُ محمداً، فإنه الحليم الأمين الطاهر. فسكتتْ. وبلغ قريشاً، فراعهم وكبرُ عليهم.

ـ وقال الواقدي: صلى عليّ عليه السلام وله إحدى عشرة سنة، وذلك الثبت ويقال إنه صلى ابن عشر. ويقال ابن تسع. ويقال سبع.

وقال ابن الكلبي: صلى وهو ابن إحدى عشرة سنة، وقتل وله ثلاث وستون سنة، وذلك في سنة أربعين.

ـ حدثني شيبان بن فروخ الأُبلي، ثنا جرير بن حازم، عن الزبير بن الخِريت، عن عكرمة عن ابن عباس قال:

أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى المدينة فأقام بها عشر سنين.

ـ وحدثني عمرو بن محمد الناقد، ثنا الحسين الجعفي، عن زائدة، عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال:

أُنزل القرآن على النبي ﷺ وله أربعون سنة؛ ثم مكث بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، وقبض وله ثلاث وستون سنة.

ـ وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد، قالا: ثنا عبدة بن سليمان، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال:

أنزل القرآن على رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتُوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ـ وحدثني شيبان، ثنا جرير بن حازم، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، بمثله.

ـ حدثنا عبد الله بن أبي شيبة، عن وكيع، عن سفيان، عن خالد بن عمار مولى بني هاشم، عن ابن عباس قال:

بُعث النبي ﷺ ابنَ أربعين، فأقام بمكة خمس عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، وقُبض وله خمس وستون سنة.

ـ حدثنا شجاع بن مخلد، عن ابن عُلَية، عن خالد بن عمار، عن، ابن عباس بمثله.

ـ وحدثني عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ثنا خالد بن مخلد، ثنا سليمان بن بلال، عن ربيعة، عن أنس، عن عائشة قالت:

بُعث رسول الله ﷺ ابن أربعين، فأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشراً، وتوفي على رأس ستين.

ـ وحدثني عمرو الناقد، ثنا الحسين الجعفي، عن زائدة، عن هشام، عن الحسين:

بمثله.

ـ وحدثني يحيى بن أيوب الزاهد، عن إسماعيل بن جعفر، عن ربيعة، عن أنس

بمثله.

ـ وحدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن جده، محمد بن السائب الكلبي قال:

بُعث رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة فأقام بمكة اثنتي عشرة سنة، وأقام باقي عمره بالمدينة، وتوفي وهو ابن اثنتين وستين سنة ونصف سنة.

دعاء رسول الله ﷺ:

ـ حدثني الوليد بن صالح ومحمد بن سعد، عن محمد بن عمر الواقدي، حدثني معمر بن راشد عن الزهري قال:

دعا رسول الله ﷺ سراً، وهجر الأوثان، فاستجاب له أحداث من الرجال وضعفاء من الناس، حتى كثر من آمن به، وكفار قريش من وجوهها غير منكرين لما يقول. وكان إذا مرّ عليهم في مجالسهم يشيرون إليه، ويقولون: غلام بني عبد المطلب يكلَّمُ من السماء. فلم يزالوا كذلك حتى أظهر عيبَ آلهتهم، وأخبر أن آباءهم ماتوا على كفر وضلال، وأنهم في النار. فشنفوا له، وأبغضوه وعادوه وآذوه.

ـ قالا: وحدثنا الواقدي، عن جارية بن أبي عمران، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، قال:

كان بين أن نزلت النبوة على النبي ﷺ إلى أن أمر بإظهار الدعاء ثلاث سنين. فكان دعاؤه ثلاث سنين مستخفياً.

قالا: وحدثنا عن الواقدي، عن محمد بن عبد الله، عن الزهري عن عروة، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت:

دعا رسول الله ﷺ سراً أربع سنين، ثم أعلن الدعاء[١].

قالا: وحدثنا الواقدي، عن عبد الله بن محمد، عن أبيه، عن ابن عباس قال: سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يقول:

استخفينا بالإسلام سنة، مانصلي إلا في بيت مغلق، أو شعب خال، ينظر بعضنا لبعض.

ـ وحدثني محمد بن الوليد، عن الواقدي، عن محمد بن إسماعيل، عن أبيه، عن عامر بن سعد عن أبيه[٢] قال:

خرجتُ أنا، وسعيد بن زيد، وخباب بن الأرتّ، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود إلى شعب أبي دبّ نتوضأ ونصلي، ونحن مستخفون، فظهر علينا نفر من المشركين وقد كانوا يرصدوننا فاتبعوا آثارنا: أبو سفيان ابن حرب، والأخنس بن شَريق وغيرهما من المشركين. فعابوا علينا، وأنكروا فعلنا حتى بطشوا بنا. فأخذتُ لحي جمل. فأضرب به رجلا من المشركين، فأشجه شجة أوضحتْ. وانكسر المشركون، وقوي أصحابي. فطردناهم حتى خرجوا من الشعب. فكنت أولَ من هراق دماً في الإسلام.

ـ وحدثني مصعب بن عبد الله الزبيري، عن أشياخهم قال:

كان سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يرى أباه يذم دين قريش؛ وأسلم حين بُعث رسول الله ﷺ، وكان أبوه[٣] قد أخرجته قريش من مكة، فكان يستقبل البيت ثم يقول: لبيك حقاً حقاً، تعبداً ورقّاً، البرّ أرجو لا الخال[٤]، هل مُهجّر كمن قال؟

---

١ ـ مغارى الزهري ص٤٦ ـ طبقات ابن سعد ج١ ص١٩٩ .

٢ ـ سعد بن أبي وقاص.

٣ـ زيد بن عمرو بن نفيل، انظر السير والمغازي لابن اسحق ص١١٦ ـ ١١٩

٤ ـ الخال: الفخر. انظر الروض الأنف ج١ ص٢٦٢ .

عذتُ بما عـاذ به ابـرهم مستقبـل الكعبة وهـو قائم
يقول أنفي لك عان راغم مهـما تُجَشِّمني فإني جـاشمْ
ثم يخر ساجداً

ـ حدثني محمد بن سعد والوليد، عن الواقدي، عن سلمة بن بخت، عن عميرة بنت عبيد الله بن كعب بن مالك، عن عزيزة بنت أبي تجراة قالت:

كانت قريش لاتنكر غيرها. وكان النبي ﷺ وأصحابه إذا جاء وقت العصر، تفرقوا في الشعاب فصلوا، فُرادى ومثنى. فبينا طُلَيب بن عمير وحاطب بن عمرو يصليان في شعب بأجياد الأصغر إذ هجم عليهما ابن الأصداء وابن الغَيْطَلة، وكانا فاحشين؛ فباطشوهما ورموهما بالحجارة ساعة حتى خرجا فانصرفا.

ـ قال الواقدي: كانوا يصلون الضحى والعصر، ثم نزلت الصلوات الخمس قبل الهجرة. وكانت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم نزل إتمامها بالمدينة للمقيم، وبقيت صلاة المسافر ركعتين ركعتين.

ـ وحدثنا محمد بن سعد، عن الواقدي، عن أسامة بن زيد الليثي، عن مكحول، عن عبد الرحمن بن عائذ، عن عياض بن حمار المجاشعي قال:

لما دعا رسول ﷺ قومه، وصدع بما أمره الله به، واجتمعتْ قريش على عداوته وخلافه، وحدب عليه أبو طالب وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ مظهراً لأمره لايعتبهم من شيء أنكروه عليه من عيب آلهتم، اشتدّوا على المسلمين.

ـ وحدثني محمد بن سعد والوليد بن صالح، عن محمد بن عمر الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن عمر بن عبد الله، عن جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم قال:

لما نزلت على النبي ﷺ ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[1]، اشتدّ ذلك عليه وضاق به ذرعاً، فمكث شهراً أو نحوه جالساً في بيته، حتى ظنّ عماته أنه شاكٍ، فدخلن عليه عائدات، فقال: مااشتكيتُ شيئاً، ولكن الله أمرني أن أُنذر عشيرتي الأقربين، فأردتُ جمع بني عبد المطلب لأدعوهم إلى الله. قلن: فادعوهم، ولاتجعل عبدَ العزى فيهم ـ يعنين أبا لهب ـ فإنه غير مجيبك إلى ماتدعوه إليه، وخرجن من عنده، وهن يقلن: إنما نحن نساء. فلما أصبح رسول الله ﷺ، بعث إلى بني عبد المطلب. فحضروا ومعهم عدَّة من بني عبد مناف، وجميعهم خمسة وأربعون رجلا. وسارع إليه بو لهب، وهو يظنّ أنه يريد أن ينزع عما يكرهون إلى مايحبون، فلما اجتمعوا، قال أبو لهب: «هؤلاء عمومتك وبنو عمك، فتكلم بما تريد، ودع الصلاة، واعلم أنه ليست لقومك بالعرب قاطبة طاقة. وأنّ أحقَ من أخذك فحبسك أسرتك وبنو أبيك إن أقمت على أمرك، فهو أيسر عليهم من أن تثب بك بطون قريش وتمدّها العربُ، فما رأيتُ، يابن أخي، أحداً قط جاء بني أبيه بشرّ مما جئتهم به». وأسكت رسول ﷺ، فلم يتكلم في ذلك المجلس، ومكث أياماً، وكبرُ عليه كلام أبي لهب. فنزل جبريل، فأمره بإمضاء ماأمره الله به، وشجعه عليه. فجمعهم رسول الله ﷺ ثانية، فقال: «الحمد لله أحمده، وأستعينه وأومن به واتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له». ثم قال: «إن الرائد لايكذب أهله. والله لو كذبتُ الناس جميعاً،

---

١ ـ سورة الشعراء ـ الآية: ٢١٤ .

ماكذبتكم، ولو غررتُ الناس، ماغررتكم والله الذي لا إله إلا هو، إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله، لتموتن كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزَون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءً. وإنها لَلجنة أبداً. والنار أبداً. وأنتم لأول من أنذر». فقال أبو طالب: «ماأحب إلينا معاونتك ومرافدتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك. وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون. وإنما أنا أحدهم، غير أني والله أسرعهم إلى ماتحب. فامض لما أُمرت به. فوالله، لاأزال أحوطك وأمنعك، غير أني لِاأجد نفسي تطوع لي فراقَ دين عبد المطلب حتى أموت على مامات عليه». وتكلم القوم كلاماً ليناً، غير أبي لهب فإنه قال: «يابني عبد المطلب، هذه والله السوءة؛ خذوا على يديه قبل أن يأخذ على يده غيرُكم. فإن اسلمتوه حينئذ، ذللتم، وإن منعتموه قُتلتم». فقال أبو طالب: «والله، لنمنعنه مابقينا».

- وروى الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن موسى بن ميسرة، عن هند بنت الحارث:

أن صفية بنت عبد المطلب قالت لأبي لهب: «أي أخيّ، أيحسن بك خذلان ابن أخيك وإسلامه، فَوالله مازال العلماء يخبرون أنه يخرج من ضئضئي عبد المطلب نبي، فهو هو»، فقال: هذا والله الباطل، والأماني، وكلام النساء في الحجال، إذا قامت بطونُ قريش كلها، وقامت معها العربُ، فما قوتنا بهم. والله، مانحن عندهم إلا أكلة رأس».

- حدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن جده، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال:

لما أمر الله نبيه أن ينذر عشيرته الأقربين، جلس على الصفا فقال: «يآل فهر»، فجاءه من سمع كلامه ممن كان بمكة من بني فهر، فقال له أبو لهب: هذه فهر عندك. فقال: «يآل غالب». فرجع بنو محارب والحارث ابنا فهر. فقال: «يآل لؤي بن غالب». فرجع بنو تيم بن غالب، وهو الأدرم. فقال: «يآل كعب»، فرجع بنو عامر بن لؤي، فقال: «يآل مرّة بن كعب». فرجع بنو عدي وسهم وجمح، فقال: «يآل كلاب»، فرجعت بنو مخزوم وبنو تيم بن مرّة، فقال: «يآل قصيّ»، فرجعت بنو زهرة. فقال: «يآل عبد مناف» فرجع بنو عبد الدار وبنو أسد بن عبد العزى. فقال له أبو لهب: هذه عبد مناف، فقال ﷺ: ادعوكم إلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأني عبده ورسوله، أضمن لكم الجنة». فقال أبو لهب: «ألهذا دعوتنا؟ تبّاً لك». فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿تبّت يدا أبي لهب وتبّ﴾[١]، السورة.

- وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال:

لما نزلت﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[٢]، صعد رسول الله ﷺ على الصفا، فنادى: «يامعشر قريش». فقالت قريش: محمد على الصفا يهتف. فأقبلوا واجتمعوا، فقالوا: ما لك يامحمد؟ قال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا أسفحَ هذا الجبل، أكنتم تصدّقونني؟» قالوا: «نعم، أنتَ عندنا غير متهم، وماجربنا عليك كذباًقط». قال: ﴿فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾[٣]. يابني عبد المطلب، يابني عبد مناف، يابني زهرة ،- حتى عدّ

١ - سورة المسد- الآية: ١ .
٢ - سورة الشعراء- الآية: ٢٦ .
٣ - سورة سبأ- الآية: ٤٦ .

الأفخاذ من قريش ـ إنّ الله أمرني أنْ أنذرْ عشيرتي الأقربين وأني لاأملك لكم من الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله»، قال أبو لهب: «تبّاً لك، سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟» فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾[١].

ـ حدثنا محمد من حاتم بن ميمون المروزي وعمرو بن محمد الناقد، قالا: ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال:

صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا، فقال: ياصباحاه. فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أما كنتم تصدّقونني ؟ قالوا: بلى. قال: وإني ﴿نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾[٢]، فقال أبو لهب: تبّاً لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ إلى آخرها.

ـ وقد رُوي أن أبا طالب لما مات، اجتمع بناتُ عبد المطلب إلى أبي لهب، فقلن له: محمد ابن أخيك؛ فلو عضدته ومنعته، كنتَ أولى الناس بذلك. فلقي النبي ﷺ وهو عازم على معاضدته، فسأله عن عبد المطلب وغيره من آبائه، فقال: إنهم كانوا على غير هدى ولادين. فقال: تبّاً لك. فنزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾.

ـ ورُوي أن أفلح بن النضر السلمي كان سادنَ العزى. فدخل عليه أبو لهب يعوده وقد احتضر، فقال له: ياأبا عتبة، أظنّ العزّى ستضيع بعدي. فقال أبو لهب: كلاّ، أنا أقوم عليها؛ فإن يظهر محمد ـ ولن يظهر ـ فهو ابن أخي؛ وإن تظهر العزّى ـ فهي الظاهرة ـ كنت قد اتخذتُ عندها

١ ـ طبقات ابن سعد ج١ ص٢٠٠ .
٢ ـ سورة سبأ ـ الآية : ٤٦ .

يدا، فنزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب وتبّ﴾. وقال الكلبي: اسم سادن العزى: دُبَيّة بن حرمي السلمي.

ـ وروى أن أبا لهب قال: يعدنا محمد عِدان[1] بعدِ الموت؛ ليس في أيدينا منها شيء فنزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾.

ـ قالوا: ولما دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فرّد عليه أبو لهب قوله وأباه، لقى هندَ بنت عتبة بن ربيعة، فقال لها: «لقد باينت محمداً، ياابنةَ عتبة، وأبيتُ ماجاء به، ونصرتُ اللات والعزى، وغضبتُ لهما». فقالت: جُزيتَ خيراً ياأبا عتبة.

ـ وقال بعض المفسرين: «تبت»، خسرت. والعرب تقول: تبت، ضعفت. والبعير التاب، الضعيف. وقالوا في قوله: ﴿وماكسب﴾، يعني ولده.

وحدثني محمد بن سعد، عن محمد بن عمر الواقدي، عن معاذ بن محمد، عن عمران بن أبي أنس قال:

كانت أم جميل بنت حرب بن أمية تحمل أغصان العضاة[2] والشوكَ، فتطرحها على طريق رسول الله ﷺ.

وروى عن أبي روق الهمداني، عن الضحاك، عن ابن عباس. مثل ذلك.

وكان مجاهد يقول: «حمالة النميمة»، تحطب بذلك على ظهرها؛ والممسود، المفتول الموّثق؛ و«الجيد»، العنق، وقال بعضهم: حبل من

---

١ ـ عدن: أقام ولم يبرح، ومنه سميت جنة عدن: أي جنة اقامة. النهاية لابن الأثير.

٢ ـ أعظم الشجر أو الخمط أو كل ذات شوك، أو ماعظم منها وطال واشتد شوكه. معجم اسماء النبات.

«مسد»، من ليف. وقال آخرون: عنى أنّ في جيدها سلسلة من نار، أي من سلاسل جهنم؛ و«الجيد» العنق.

ـ قالوا: ولما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾، وذكر الله امرأته أم جميل، قالت: قد هجاني محمد والله لأهجونه. فقالت:

مـحـمـدا قـلـينـا ودينـه أبـينـا

وأخذت فهراً[1] لتضربه به وهمت. فأعشى الله عينها. وردَّها بغيظها. فعزمت على ابنيها أن يطلقا ابنتي رسول الله ﷺ، ففعلا. وكانت رقية عند عتبة بن أبي لهب، وأم كلثوم عند معتّب بن أبي لهب؛ ويقال: عتيبة.

ـ وحدثني الوليد بن صالح ومحمد بن سعد، عن الواقدي، عن ابن أبي حَبيبة، عن داود بن الحصين عن عكرمة، عن ابن عباس قال:

خسرت ﴿يدا أبي لهب﴾. ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾: النميمة: ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾: ولده. قال: فلما نزلت ﴿تبت﴾، جاءت أم جميل بنت حرب والنبي ﷺ في المسجد، معه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، وفي يدها فهر. فلما وقعت على النبي ﷺ أخذ الله على بصرها، ورأت أبا بكر وعمر[2]. فكرهت عمر، وأقبلت على أبي بكر، فقالت: أين صاحبك؟ قال: وما تصنعين به؟ قالت: بلغني أنه هجاني؛ والله لو وجدته لضربتُ بهذا الفهر فمه فقال عمر: ويحك، إنه ليس بشاعر فقالت: إني لأرجو أن أكلمك يا بن الخطاب، ثم أقبلت على أبي بكر، فقالت: أي والثواقب، إنه لشاعر وإني لشاعرة.

---

١ ـ الفهر: الحجر بقدر مايملأ الكف. القاموس.

٢ ـ جاء إسلام عمر متأخراً، وهذه الأحداث مبكرة يرجح أنها وقعت قبل إسلام عمر، واذا صح هذا فذكر عمر وهم.

ـ قال الواقدي : وأما قوله ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ ، فيقال ودعة كانت في رقبتها . وقال : حدثني بذلك معمر ، عن قتادة . قال : ويقال : سلسلة من نار .

ـ قالوا : ولما أظهر رسول الله ﷺ دعوته ، جعل أبو بكر يدعو ناحية سراً ، وكان سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل على مثل ذلك ، وكان عثمان على مثل ذلك ، وكان عمر يدعو علانية ، وكان حمزة بن عبدالمطلب ، كذلك ، وكان أبو عبيدة يدعو ، حتى فشا الإسلام بمكة ، وأظهر كفار قريش البغي على رسول الله ﷺ ، والحسد له ، وكان الذين يبدون صفحتهم في عداوته وأذاه ، ويشخصون به ، ويخاصمون ويجادلون ويردّون من أراد الإسلام عنه : أبا جهل بن هشام ، وأبا لهب ، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبدمناف بن زهرة ـ وهو ابن خال رسول الله ﷺ ـ والحارث بن قيس بن عدي السهمي ـ الذي كان كلما رأى حجراً أحسن من الذي عنده أخذه وألقى ما عنده ـ وفيه نزلت : ﴿أفرأيتَ من اتخذ إلهه هواه﴾ [1] ، وهو ابن الغيطلة ، والوليد بن المغيرة ، وأمية وأُبي ابني خلف الجمحيين ، وأبا قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمي ، والنضر بن الحارث العبدري ، ومنبه ونبيه ابني الحجاج السهميين ، وزُهير بن أبي أمية المخزومي ، والسائب بن أبي السائب ـ واسمه صيفي ـ بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، والأسود بن عبدالأسد المخزومي ، والعاص بن سعيد بن العاص ، وعدي بن الحمراء الخزاعي ، وأبا البختري العاص بن هاشم [بن الحارث] بن أسد بن عبدالعزي ، وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى ، وابن الأَصْدى

١ ـ سورة الجاثية ـ الآية : ٢٣ .

الهذلي وهو الذي نطحته الأروى [١] ـ والحكم بن أبي العاص بن أمية . وذلك أنّ هؤلاء كانوا جيرانه . وكان الذين تنتهي عداوة رسول الله ﷺ إليهم : أبو جهل ، وأبو لهب ، وعقبة . وكان أبو سفيان بن حرب ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ذوي عداوة للنبي ﷺ ، ولكنهم لم يكونوا يفعلون كما فعل هؤلاء ، وكانوا كجهلة قريش .

أمر أبي جهل

ـ قالوا : أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن عمر بن مخزوم . كناه النبي ﷺ أبا جهل ، لأنه كان يكنى قبل ذلك «أبا الحكم» .

ـ وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : من قال لأبي جهل «أبو الحكم» ، فقد أخطأ خطيئة يستغفر الله منها . وروي عنه أنه قال : لكل أمة فرعون ، وفرعون هذه الأمة أبو جهل .

ـ وكان أبو جهل في نفر من قريش ، فيهم عقبة بن أبي معيط ـ وكان أسفه قريش ـ بالحِجر ، وكان رسول الله ﷺ يصلي فأطال السجود . فقال أبو جهل : أيكم يأتي جزوراً لبني فلان قد نحرت اليوم بأسفل مكة ، فيجيء بفرثها فيلقيه على محمد ؟ فانطلق عقبة بن أبي معيط ، فأتى بفرثها ، فألقاه على ما بين كتفيه ورسول الله ﷺ ساجد . فجاءت فاطمة عليها الصلاة والسلام ، فأماطت ذلك عنه ، ثم استقبلتهم تشتمهم . فلم يرجعوا إليها شيئاً . ودعا رسول الله ﷺ حين رفع رأسه ، فقال : اللهم عليك بقريش ، عليك بعقبة بن أبي معيط ، وبأبي جهل ، وبشيبة ، وعتبة ، وأمية بن

---

١ ـ انثى الوعل . القاموس .

خلف . ثم قال لأبي جهل : والله لتنتهين أو لينزلن الله عليك قارعة . وخرج رسول الله ﷺ ، فلقيه أبو البختري فأنكر وجهه ، فسأله عن خبره . فأخبره به . وكان معه سوط ، فأتى أبا جهل فعلاه به . فتثاور بنو مخزوم وبنو أسد بن عبدالعزى ، فقال أبو جهل : ويلكم ، إنما يريد محمد أن يلقي بينكم العداوة .

ـ وقال رسول الله ﷺ لعقبة : يا بن أبان ـ وكان اسم أبي معيط «أبان» ـ أما أنت بمقصر عما نرى ؟ فقال : لا ، حتى تدع ، ما أنتَ عليه . فقال : والله ، لتنتهينَّ أو لتحلنّ بك قارعة .

ـ وقال أبو جهل : والله ، لئن رأيتُ محمداً يصلي ، لأطأن رقبته ، فبلغه أنه يصلي . فأقبل مسرعاً ، فقال : ألم أنهك ، يا محمد ، عن الصلاة ؟ فانتهره رسول الله ﷺ . فقال : أتنتهرني وتتهدّدني وأنا أعزّ أهل البطحاء ؟ فسمعه العباس بن عبدالمطلب ، فغضب وقال ، كذبتَ . فنزلت : ﴿أرأيتَ الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ ـ يعني أبا جهل ـ ﴿أرأيتَ إن كان على الهدى﴾ ـ يعني محمداً ﷺ . وقوله : ﴿ناديه﴾[1] يقول عشيرته ومن يجالسه . ونهى عن طاعته . فكان ابن عباس يقول : والله ، لو دعا لأجابه ربنا بالعذاب . وقال رسول الله ﷺ : نزل اثنا عشر ملكاً من الزبانية ، رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض . ولو فعل ، أخذوه عياناً .

ـ وذكروا : أن أبا جهل قال : يا محمد ، ابعث لنا رجلين أو ثلاثة من آبائنا ممن قد مات ، فأنت أكرم على الله ، فلستَ بأهون على الله من عيسى فيما تزعم ، فقد كان عيسى يفعل ذلك[2] . فقال : لم يقدّرني الله على

---

١ ـ سورة العلق ـ الآيات : ٩ ـ ١٧ .
٢ ـ انظر سورة آل عمران ـ الآية : ٤٩ .

ذلك . قال : تسخر لنا الريحَ تحملنا إلى الشأم في يوم وتردّنا في يوم ، فإن طول السفر يجهدنا ، فلستَ بأهون على الله من سليمان ، فقد كان يأمر الريح فتغدو به مسيرة شهر وتروح به مسيرة شهر [١] . فقال : لا أستطيع ذلك . فقال أبو جهل : فإن كنتَ غير فاعل شيئاً مما سألتك ، فلا تذكر آلهتنا بسوء . فقال عبدالله بن أمية : فأرنا كرامتك على ربك فليكن لك بيت من زخرف وجنة من نخيل وعنب تجري فيها الأنهار ، وفجر لنا ينبوعاً مكان زمزم ، فقد شقّ علينا المتح [٢] عليها ، وإلّا فأسقِط علينا كسفاً . فقال : ليس هذا بيدي ؛ هو بيد الذي خلقني . قال : فارْقَ إلى السماء فأت بكتاب نقرأه ، ونحن ننظر إليك . فأُنزلت فيه الآيات [٣] .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن عمر بن صالح مولى التوأمة، عن ابن عباس ؛ وحدثني بكر بن الهيثم، عن عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال :

لما نزلت هذه الآية: ﴿إنّ شجرة الزّقوم طعامُ الأثيم * كالمهل﴾[٤]، يعني درديّ الزيت ، قال أبو جهل : أنا أدعو لكم ، يا معشر قريش ، بالزقوم ، فدعا بزبد وتمر ، وقال : «تزقموا من هذا ، فإنا لا نعلم زقوماً غيره» . فبين الله عز وجل أمرها ، فقال : ﴿إنها شجرةٌ تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤوسُ الشياطين[٥]﴾. فقالت قريش: شجرة تنبت في النار؟ فكانت فتنة لهم ، وجعل المستهزئون يضحكون . قال :

١ ـ انظر سورة سبأ ـ الآية : ١٢ .
٢ ـ المتح : الاستقاء .
٣ ـ انظر سورة الاسراء ـ الآيات : ٩٠ ـ ٩٣ .
٤ ـ سورة الدخان ـ الآيات : ٤٣ ـ ٤٥ .
٥ ـ سورة الصافات ـ الآيتان : ٦٤ ـ ٦٥ .

و﴿الشوب﴾ [١] ما شيب به الشيء وخُلط . وقوله ﴿الهيم﴾ [٢] ، الإبل العطاش .

قال الواقدي : وقد قيل في ﴿الهيم﴾ إنها الأرضون ذوات الرمل التي لا تروى . و﴿رؤوس الشياطين﴾ ، نبت خارج الحرم ، يسمى رؤوس الشياطين .

وروي أيضاً أنه لما نزلت : ﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذّبون لآكلون من شجر من زقوم [٣]﴾ ، قال أبو جهل : «ايتونا بزبد وتمر» . ثم قال : «تزقموا ، فإن هذا الزقوم» . فنزلت : ﴿إنّ شجرة الزقوم طعامُ الأثيم﴾ ـ يعني أبا جهل ـ ﴿كالمهل يغلي في البطون * كغلي الحميم [٤]﴾. ونزلت: ﴿إنها شجرةٌ تخرُجُ في أصل الجحيم﴾.

قال : و«التوأمة» ، ابنة أمية بن خلف الجمحي ، وُلدت وأخت لها في بطن ، فسميت تلك باسم ، وسميت هذه «التوأمة» .

ـ وروي عن عطاء بن يسار في قوله ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ الآية ، أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه . ونزل قوله : ﴿وأما من بخل واستغنى . وكذّب بالحسنى﴾ [٥] في أبي جهل . قال : و﴿الحسنى﴾ الجنة . ويقال : الخلف .

ـ قال الواقدي في إسناده : إنّ رجلاً من هذيل ، يقال له عمرو ، قدم بغنم له فباعها ، ورآه النبي ﷺ ، فأخبره بالحق ودعاه إليه . فقام إليه أبو

---

١ ـ انظر سورة الصافات ـ الآية : ٦٧ .
٢ ـ سورة الواقعة ـ الآية : ٥٥ .
٣ ـ سورة الواقعة ـ الآيتان : ٥١ ـ ٥٢ .
٤ ـ سورة الدخان ـ الآيات : ٤٣ ـ ٤٦ .
٥ ـ سورة الليل ـ الآيات : ٥ ـ ٩ .

جهل ، وكان خفيفاً حديد الوجه والنظر ، به حَوَلٌ ، فقال له : انظر ما دعاك إليه هذا الرجل ؛ فإياك أن تركن إلى قوله فيه أو تسمع منه شيئاً ، فإنه قد سفه أحلامنا ، وزعم أن من مات منا كافراً ، يدخل النار بعد الموت ؛ وما أعجب ما يأتي به . فقال الهذلي : أما تخرجونه من أرضكم ؟ قال أبو جهل : لئن خرج من بين أظهرنا فسمع كلامه وحلاوةَ لسانه قومٌ أحداث ليتبعنه ؛ ثم لا نأمن أن يكرّ علينا بهم . قال الهذلي : فأين أسرته عنه ؟ قال أبو جهل : إنما امتنع بأسرته . ثم إن الهذلي أسلم يوم الفتح .

ـ وقالوا : قدم رجل من أراش ، بإبل له ، مكة . فباعها من أبي جهل . فمطله بأثمانها . فوقف الرجل على نادي قريش ، فقال : إني رجل غريب ، ابن سبيل ، وإنّ أبا الحكم ابتاع مني ظهراً فمطلني بثمنه وحبسني حتى شق عليّ ، فمن رجل يقوم معي فيأخذ لي بحقي منه ؟ وكان رسول الله ﷺ جالساً في عُرض المسجد ، فقالوا ، وهم يستهزئون : أترى الرجل الجالس ، انطلق إليه ، يأخذ لك بحقك . فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، إني رجل غريب ، واقتصّ عليه قصته . فقام رسول الله ﷺ ، حتى ضرب باب أبي جهل . فقال أبو جهل : من هذا ؟ قال رسول الله ﷺ : محمد بن عبدالله ، فاخرج إليّ ، ففتح الباب وخرج . فقال له : أخرج إلى الرجل من حقه ، قال : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : لن أبرح أو تعطيه حقه . فدخل البيت ، فخرج إليه بحقه وأعطاه إياه . فانطلق نبي الله ﷺ ، وانصرف الرجل إلى مجلس قريش فقال : جزى الله محمداً خيراً ، فقد أخذ لي بحقي بأيسر الأمر . ثم انصرف . وجاء أبو جهل ، فقالوا له : ماذا صنعتَ ؟ فوالله ما بعثنا الرجل إلى محمد إلا هازئين . فقال : دعوني ، فوالله ما هو إلا أن ضرب بأبي حتى ذهب فؤادي ؛ فخرجتُ إليه وإنّ على

رأسي لفحلا ، ما رأيت مثل هامته وأنيابه قط فاتحاً فاه ؛ والله لو أبيتُ لأكلني ، فأعطيتُ الرجل حقه ، فقال القوم : ما هو إلا بعض سحره .

ـ وحدثني بكر بن الهيثم ، حدثني أبو الحكم الصنعاني ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال :

جاء أبو جهل في عدّة من المشركين يريدون رسول الله ﷺ فخرج عليهم وهو يقرأ ﴿يس﴾ ، وجعل ينثر التراب على رؤوسهم لا يرونه ، فلما انصرف ، اقبلوا ينفضون التراب عن رؤوسهم ويتعجبون ويقولون : سحر من سحر محمد .

ـ حدثني محمد بن حاتم ، عن يزيد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبدالله بن ثعلبة بن صُعَيْر قال :

قال أبو جهل : «اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحِنْهُ الغداة» . يقول هذا يوم بدر . فأنزل الله عز وجل : ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ [1] . واستفتاحه هو قوله هذا [2] .

قالوا : كان رسول الله ﷺ جالساً في المسجد ومعه أبو بكر ، وعمر ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهم ، إذ أقبل رجل من بني زَبيد ، وهو يقول : يا معشر قريش ، كيف تدخل عليكم مادّة أو جلب وأنتم تظلمون من دخل إليكم ؟ وجعل يقف على الحلق ، حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه . فقال له رسول الله ﷺ : من ظلمك ؟ قال : أبو الحكم ؛ طلب مني ثلاثة أجمال ، هي خيار إبلي ، فلم أبعه إياها بالوكس ، فليس يبتاعها أحد مني اتباعا لمرضاته ؛ فقد أكسد سلعتي وظلمني . فقال

---

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية ١٩ .

٢ ـ مغازي الزهري ص ٦٢ . سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٩٣ .

رسول الله ﷺ : وأين أجمالك ؟ قال : هي هذه بالحزوّرة [1] . فابتاعها رسول الله ﷺ منه . فباع جملين منها بالثمن الذي التمسه ؛ وباع البعير الثالث وأعطى ثمنه أرامل بني عبدالمطلب ، وأبو جهل جالس في ناحية من السوق ، لا يتكلم ، ثم أقبل رسول الله ﷺ ، فقال : يا عمرو ، إياك أن تعود لمثل ما صنعتَ بهذا الأعرابي ، فترى مني ما تكره . فجعل يقول : لا أعود ، يا محمد ، فلما انصرف رسول الله ﷺ ، أقبل عليه أمية بن خلف ومن حضر من المشركين ، فقالوا : لقد ذللتَ في يد محمد ، حتى كأنك تريد اتباعه . فقال : لا أتبعه والله أبداً ؛ إنما كان انكساري عنه لما رأيتُ من سحره ، لقد رأيتُ عن يمينه وشماله رجالاً معهم رماح يشرعونها إليّ . لو خالفته لكانت إياها . فقالوا : هذا سحر منه ؟ قال : هو ذاك .

ـ وقُتل أبو جهل يوم بدر وهو ابن سبعين سنة ، وكان معاذ بن عمرو بن الجموح وبعض بني عفراء ضرباه . ودفف عليه ابن مسعود .

أمر أبي لهب بن عبدالمطلب

ـ قالوا : كان أبو لهب أحد من يؤذي رسولَ الله ﷺ . ووقع بينه وبين أبي طالب كلام ، فصرعه أبو لهب وقعد على صدره وجعل يضرب وجهه . فلما رآه رسول الله ﷺ لم يتمالك أن أخذ بضَبعي أبي لهب ، فضرب به الأرض . وقعد أبو طالب على صدره ، فجعل يضرب وجهه . فقال أبو لهب للنبي ﷺ : هو عمك وأنا عمك ؛ فلم فعلتَ هذا فيّ ؟ والله لا يحبك قلبي أبداً .

ـ قالوا : وكان أبو لهب يطرح القذر والنتن على باب النبي ﷺ ، فرآه حمزة بن عبدالمطلب رحمه الله وقد طرح من ذلك شيئاً . فأخذه وطرحه على

١ ـ كانت الحزورة سوق مكة وقد دخلت في المسجد . معجم البلدان .

رأسه . فجعل أبو لهب ينفض رأسهٔ ويقول : صابيء أحمق . فأقصر عما كان يفعل ، ولكنه كان يدسّ من يفعله .

ـ وروى ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :

قال رسول الله ﷺ : كنتُ بين شرّ جارَين : بين أبي لهب وعُقبة بن أبي معيط ؛ إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحونها في بابي . قالت عائشة : فكان النبي ﷺ يقول : يا بني عبدمناف ، أي جوار هذا ؟ ثم يميطه عن بابه .

ـ قالوا : وبعث أبو لهب ابنه عتبة بن أبي لهب بشيء يؤذي به رسول الله ﷺ ، فسمعه يقرأ : ﴿والنجم إذا هوى[١]﴾ . فقال : أنا أكفر برب النجم . فقال رسول الله ﷺ : سلط الله عليك كلباً من كلابه ، فخرج في تجارة ، فجاء الأسد وهو وأصحابه نيام ، بحوران . فجعل يهمس ويشمّ حتى انتهى اليه ، فضمغه ضمغة أتت عليه . فجعل يقول ، وهو بآخر رمق : ألم أقل لكم إنّ محمداً أصدق الناس ؟ ثم مات .

ـ ومات أبو لهب ، واسمه عبد العزى ، بداء يعرف بالعدسة[٢] . وكان موته بمكة بعد وقعة بدر بسبعة أيام ، فبلغه خبرها ولم يشهدها .

أمر الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب :

ـ وكان الأسود بن عبد يغوث من المستهزئين الذين قال الله عز وجل :

---

١ ـ سورة النجم ـ الآية : ١

٢ ـ العدسة : بثرة صغيرة شبيهة بالعدسة تخرج بالبدن مفرقة كالطاعون ، فتقتل غالبا ، وقلما يسلم منها ، وهي من جنس الطاعون . الادوية والأدواء في معجم تاج العروس . ط . بغداد ١٩٨٧ .

﴿إنا كفيناك المستهزئين[1]﴾ . وكان إذا رأى المسلمين ، قال لأصحابه : «قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى وقيصر . ويقول للنبي ﷺ : أما كُلمتَ اليوم من السماء ، يا محمد ؟ وما أشبه هذا القول . فخرج من عند أهله ، فأصابته السموم ، فاسودّ وجهه حتى صار حبشياً . فأتى أهله ، فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب . فرجع متلدداً حتى مات عطشاً .

ـ ويقال : إن جبريل عليه السلام أومأ إلى رأسه ، فضربته الأكلة ، فامتحض رأسه قيحاً . ويقال : أومأ إلى بطنه ، فسقي بطنه ومات حَبَناً . ويقال : إنه عطش ، فشرب الماء حتى انشق بطنه بمكة .

وقال الواقدي : مات حين هاجر النبي ﷺ ، ودُفن بالحجون .

ـ وحدثني أبو بكر الأعين ، ثنا علي بن عبدالله المديني ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة قال :

أخذ جبريل عليه السلام بعنق الأسود بن عبد يغوث ، فحنا ظهره حتى احقوقف . فقال رسول الله ﷺ : خالي ، خالي . فقال جبريل : يا محمد دعه .

أمر الحارث بن قيس السهمي

كان الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو أحد المستهزئين المؤذين لرسول الله ﷺ ، وهو ابن الغَيطلة ، وهي من ولد شنوق بن مرّة بن عبدمناف بن كنانة ، والغيطلة أم أولاد قيس بن عدي ، نسبوا إليها ، وهو الذي نزلت فيه : ﴿أفرأيتَ من اتخذ إلهه هواه﴾[2] . وكان

---

١ ـ سورة الحجر ـ الآية : ٩٥ .

٢ ـ سورة الجاثية ـ الآية : ٢٣ .

يأخذ حجراً ، فإذا رأى أحسن منه تركه وأخذ الأحسن ، وكان يقول : لقد غرّ محمد نفسه وأصحابه أن وعدهم أن يحيوا بعد الموت ؛ والله ما يهلكنا إلّا الدهر ومرور الأيام والأحداث . أكل حوتاً مملوحاً ، فلم يزل يشرب عليه الماء حتى مات . ويقال : إنه أصابته الذبحة [1] . وقال بعضهم : امتحض رأسه قيحاً .

أمر الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ، وأبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية .

قالوا : كان الوليد يكنى أبا عبدشمس ، وهو العدل ، وهو الوحيد . وإنما سمي العدل لأنه يقال إنه يعدل قريشاً كلها ، ويقال : إنّ قريشاً كانت تكسو الكعبة ، فيكسوها مثل ما تكسوها كلها .

ـ وكان جمع قريشاً في دار الندوة ، ثم قال لهم : يا قوم ، إن العرب يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد ، فتختلفون ، يقول هذا : «ساحر» ، ويقول هذا : «شاعر» ، ويقول هذا : «مجنون» ، ويقول هذا : «كاهن» ؛ والناس يعلمون أن هذه الأشياء لا تجتمع ، فقالوا : نسميه شاعراً ؟ قال الوليد : قد سمعتم الشعر وسمعناه ؛ فما يشبه ما يجيء شيئاً من ذلك ؛ قالوا : فكاهن ؟ قال : صاحب الكهانة يصدق ويكذب ، وما رأينا محمداً كذب قط ، قالوا : فمجنون ؟ قال : المجنون يخنق ، ومحمد لا يخنق . ثم مضى الوليد إلى بيته . فقالوا : صبأ [2] . فقال : ما صبأتُ ،

١ - في هامش الأصل : وجع في الحلق وقيح .

٢ - هناك خلاف حول معنى كلمة «صبأ» وعلاقة ذلك بالصابئة ، وأرى أن أصل الكلمة من الصبيب ، أي الاغتسال أو الوضوء قبل الصلاة ، فالصابئة يقومون بالاغتسال قبل دخول المعبد ، وقضى الاسلام بالاغتسال من الجنابة والوضوء قبل الصلاة ، ومن باب النبذ قال كفار قريش : صبأ فلان . . .

ولكني فكرت فقلت : أولى ما سُمي به ساحر لأنّ الساحر يفرّق بين المرأة وزوجها ، والأخ وأخته ، فنادوا بمكة : إنّ محمداً ساحر . فنزلت فيه : ﴿ذرني ومن خلقتُ وحيداً﴾ إلى قوله﴿تسعة عشر﴾ (١) فقال أبو الأسدين ، واسمه كلدة بن أسيد بن خلف الجمحي : أنا أكفيكم خمسة على ظهري ، وأربعة بيدي ، فاكفوني بقيتهم ، فأنزلت : ﴿وما جعلنا أصحابَ النار إلا ملائكةً وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾ (٢) .

ـ وقال الوليد : لئن لم ينته محمد عن سبّ آلهتنا ، لنسبنّ إلهه ، فقال أبو جهل : نعم ما قلت ، ووافقهما الأسود بن عبد يغوث ، وهو ابن خال رسول الله ﷺ . فنزلت : ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْوَاً بغير علم (٣)﴾ .

ـ قالوا : واعترض الوليدُ بن المغيرة رسولَ الله ﷺ . ومع الوليد عدّة من قريش . منهم الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي ، والعاص بن وائل السهمي ، وأمية بن خلف . فقالوا : «يا محمد ، هلم ، فلنعبد ما تعبد ، وتَعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت في الأمر . فإن كان ما تعبد خيراً ، كنا قد أخذنا بحظنا ، وإن كان ما نعبد خيراً ، كنتَ قد أخذت بحظك» . فأنزل الله عز وجل سورة ﴿قل يآيها الكافرون﴾ . يقول : قل لهم ، ﴿لا أعبد﴾ الآن ﴿ما تعبدون * ولا أنتم الآن عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد﴾ أبداً ﴿ما عبدتم * ولا أنتم عابدون﴾ أبداً ﴿ما أعبد * لكم﴾ كفركم ﴿ولي﴾ (٤) إيماني .

١ ـ سورة المدثر ـ الآيات : ١١ ـ ٣٠ .
٢ ـ سورة المدثر ـ الآية : ٣١ .
٣ ـ سورة الأنعام ـ الآية ١٠٨ .
٤ ـ سورة الكافرون ـ الآيات : ١ ـ ٦ .

ـ وقال الوليد لأبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية ـ وكان نديمه : لولا أنزل هذا القرآن الذي يأتي به محمد على رجل من أهل مكة أو من أهل الطائف ، أو مثل أمية بن خلف ، فقال أبو أحيحة : أو مثلك ، يا أبا عبدشمس ، أو على رجل من ثقيف مثل مسعود بن عمرو ، أو كنانة بن عبد يا ليل ، أو مسعود بن معتب وابنه عروة بن مسعود . فأنزل الله عز وجل : ﴿وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * أهم يقسمون رحمةَ ربك﴾ [٢] .

ـ وقال الواقدي : مات الوليد بعد الهجرة بثلاثة أشهر أو نحوها ، وهو ابن خمس وتسعين سنة ، ودفن بالحجون . وكان الوليد أحد المستهزئين ، فمرّ برجل ، يقال له حَرّاث بن عامر ، من خزاعة وهو الثبت ـ وبعضهم يقول : حَرّاب ـ ويكنى أبا قصاف ، وهو يريش نبلا له ويُصلحها . فوطيء على سهم منها ، فخدش أخمص رجله خدشاً يسيراً ، ويقال : علق بإزاره ، فخدش ساقه خدشاً خفيفاً ، فأهوى إليه جبريل عليه السلام فانتقض الخدش . وضربته الأكلة في رجله أو ساقه ، فمات ، وأوصى بنيه ، فقال : اطلبوا خزاعة بالسهم الذي أصابني . وأعطت خزاعةُ ولدَه العقل ، وقال : فانظروا عقري عند أبي أُزَيْهِر الدوسي من الأزد ، فلا يفوتنكم . فغدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر بعد بدر ، فقتله . وهو أبو أزيهر بن أنيس بن الخَيْسَق ، من ولد سعد بن كعب بن الغطريف . وكان أبو أزيهر حليفاً لأبي سفيان بن حرب بن أمية . فزوّج ابنته من عتبة بن ربيعة . وتزوّج الوليد بن المغيرة ابنة له أخرى . فأمسكها أبو أزيهر ولم يهدها إليه . وزوّج عاتكة ابنته أبا سفيان ، فولدت له محمد بن أبي سفيان ، وعنبسة بن

---

١ ـ سورة الزخرف ـ الآيتان : ٣١ ـ ٣٢ .

أبي سفيان . وكان قتل هشام أبا أزيهر بذي المجاز . فخرج يزيد بن أبي سفيان ، فجمع جمعاً من بني عبد شمس وغيرهم من بني عبد مناف ، وتسلح وأراد قتال بني مخزوم . وبلغ أبا سفيان ، وكان حليما يحب قومه ، فخاف أن يكون بين قريش نائرة حرب بسبب أبي أزيهر . فأتى يزيد ، فأخذ الرمح من يده ، وقال : قبحك الله ، أتريد أن تضرب بعض قريش ببعض وقد ترى ما هي فيه من محمد ؟ فقال : أخفرت صهرك وحليفك وأنت راض بذلك ؟ فقال : من لم يصبر على صغير المكروه ، فقد تعرّض للكبيرة ، وأطفأ أبو سفيان ذلك الأمر . فقال حسان يحرّض على الطلب بدم أبي أزيهر ، ويعير أبا سفيان :

غدا أهل ضَوْجَىٰ ذي المجاز كليهما ... وجار ابن حرب بالمغمس ما يغدو
وقد يمنع العير الضروط ذمارَه ... وما منعت مخزاة والدها هند
كساك هشامُ بن الوليد خزايةً ... فأَبْلِ وأَخْلِقْ مثلَها جُدُداً بَعْدُ [1]

فقال أبو سفيان : إنما ذهب حسان ليغري بيننا فيشتفي هو وأصحابه بذلك . وحمل ديته .

وقال جعدة بن عبدالله بن عبد العزّى :

لا أرى في الأنام مثل هشام ... أبداً من مُسَوَّدٍ ومَسُودِ
يوم لَقَّى أبا أزيهر عضبا ... لم يكن عند ذاك بالمحدود
ثم ولى بذي المجاز كريما ... غير ما طائش ولا رعديد

وكان سعد بن صُفيح بن الحارث الدوسي ، وهو خال أبي هريرة عُمير بن عامر بن عبدالله بن ذي الشركي ، لا يأخذ أحداً من قريش إلا قتله

---

١ ـ ديوان حسان ـ ط . دار صادر بيروت ج ١ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٩ .

بأبي أزيهر . فممن قتل بجير بن العوام بن خويلد ، ولقيه باليمامة ؛ وبجاد بن السائب بن عويمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وكان ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري بالسراة ، وهي فوق الطائف وهي بلاد دوس والأزد ، فوثبت دوس عليه ليقتلوه بأبي أزيهر ، فسعى حتى دخل بيت امرأة من الأزد ، يقال لها أم جميل ، واتبعه رجل منهم ليضربه . فوقع ذبابُ السيف على الباب ، وقامت في وجوههم فذّبتهم ونادت قومها ، فمنعوه لها ، فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ظنت أنه أخوه . فأتت المدينة . فلما كلمته ، عرف القصة ، فقال : لستُ بأخيه إلا في الإسلام وهو غاز بالشأم ، وقد عرفنا مِنَّتَكِ عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل .

وقال الواقدي : اسمها أم غيلان ، وذلك أثبت ، والذي زعم أنها «أم جميل» ، أبو عبيدة معمر بن المثنى . وقال ضرار بن الخطاب :

جزى الله عنا أم غيلان صالحا ونسوتها إذ هنّ شعث عواطلُ
فهنّ دفعن الموت بعد اقترابه وقد برزت للثائرين المقاتـلُ
دعت دعوة دوساً فسالت شعابها بعز ولما يبـد منهـم تخاذل
وجردتُ سيفي ثم قمتُ بنصله وعن أي نفس بعد نفسي أقاتل[1]

وقيل إنّ أم غيلان هذه كانت مولاة للأزد ماشطة .

- وقال ابن الكلبي : ولد أبو أزيهر أبا جنادة . فولد أبو جنادة : شميلة . تزوّجها مجاشع بن مسعود السلمي ، فقتل عنها يوم الجمل .

---

١ - انظر المنمق ص ١٩٩ - ٢٠٧ .

ويقال : طلقها ، فتزوّجها عبدالله بن عباس . وإياها عنى ابن فسوة [1] في قوله :

أتيح لعبد الله يوم لقيته   شميلة ترمي بالحديث المقتر

ورُوي عن قتادة أن الوليد وطيء على سهم ، فقطع أكحله فمات .

ـ وكان نضر بن الحجاج بن علاط السلمي جميلا ، وكان عند مجاشع ، وامرأته شميلة حاضرة ، وكان مجاشع أميا ، وشميلة تكتب ، فكتب نضر بن الحجاج في الأرض : «أنا والله أحبك حبا لو كان فوقك لأظلك ، ولو كان تحتك لأقلك» . فكتبتْ : «وأنا والله» . فأكب مجاشع على الكتابة إناء . ثم أتى بمن قرأ الكتاب . فأخرج نضرا ، وطلق شميلة ، ويقال : إن نضرا محا ما كتب وبقي «وأنا والله» . فقال : ما كتابكِ «وأنا والله» ؟ قالت : «لا إله إلا الله» . فقال : هذا لا يلائم «وأنا والله» . ولم يزل بها حتى صدقته .

ـ وقال الجون بن أبي الجون الخزاعي :

نحن عقرنا بالصعيد وليدَكم   وما مثلها من رهطه ببعيد
كبا للجبين والأنف صاغرا   فأهون علينا صاغرا بوليد

وأما أمية وأبيّ ابنا خلف :

ـ فكانا على شرّ ما يكون عليه أحد من أذى النبي ﷺ وتكذيبه ، وجاء أُبيّ بعظم نخر ، ففته في يده ثم قال : زعمتَ يا محمد أنّ ربك يحيى هذا

---

١ ـ هو عتيبة بن الحارث أحد بني عمرو بن كعب من تميم . شاعر مقل مخضرم ، وكان هجاء خبيث اللسان ، وفد على ابن عباس بالبصرة ، فلم يصله ، فوفد المدينة بعد مقتل الامام علي . البيان والتبيين للجاحظ ـ ط . هارون ج ٣ ص ١٠٩ . الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ ط . ليدن ١٩٠٢ ص ٢١٧ ـ ٢١٩ .

العظم ؛ ثم نفخه. فنزلت : ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ [1] .

وحدثني محمد بن حاتم المروزي ، ثنا عبدالله بن نمير ، عن سفيان الثوري ، عن أبي السوداء ، عن ابن سابط :

أن أُبيا صنع طعاماً ، ثم أتى حلقة فيها النبي ﷺ ، فدعاهم ودعاه ، فقال رسول الله ﷺ : لا أقوم حتى تشهد أن لا إله إلا الله ، ففعل ، فقام النبي ﷺ معه ، فلقيهُ عقبة بن أبي معيط ، فقال : أقلتَ كذا وكذا ؟ قال : إنما قلتُ ذلك لطعامنا . فنزلت : ﴿ويوم يعضّ الظالمُ على يديه﴾ [2] الآية . وقد قيل : إنّ الذي دعا النبي ﷺ ، فيمن دعا ، عُقبة بن أبي معيط ، فأنكر أبيّ ذلك عليه ، وكان صديقاً له ونديماً ، وقال : اتبعتَ محمدا ؟ فقال : لا والله ، ولكني تذممتُ أن لا أدعوه ، وإذ دعوته ألا يأكل من طعامي ؛ فقلتُ له قولا لم أعتقده . فقال له : وجهي من وجهك حرام إن لم تكفر به وتتفل في وجهه . ففعل ورجع ما خرج من فيه إلى وجهه ، فأنزل الله : ﴿ويوم يعضّ الظالمُ على يديه﴾ ، يعني عقبة . وقوله ﴿فلانا﴾ [3] ، يعني أبيّ بن خلف ، وهي قراءة عبدالله بن مسعود : ﴿ليتني لم أتخذ﴾ أُبيا ﴿خليلا﴾ . وبعض الرواة يقول : إنّ أمية بن خلف فعل هذا . ولا يذكر أبيا .

ـ وقُتل أمية يوم بدر ، قتله خُبيَبْ بن إساف ، ويقال : اشترك خبيب وبلال في قتله ، ويقال : قتله أبو رفاعة بن رافع الأنصاري .

ـ وقَتل رسولُ الله ﷺ أبياً يوم أحد ، أخذ حربته أو حربة غيره ، فقتله بها .

---

١ ـ سورة يس ـ الاية : ٧٨ .
٢ ـ سورة الفرقان ـ الآية ٢٧ .
٣ ـ سورة الفرقان ـ الآية ٢٨ .

وكان أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة من المؤذين لرسول الله ﷺ ، المغرقين في أذاه ، يعين أبا جهل على صنيعه ، قتله حمزة بن عبدالمطلب يوم بدر ، ويقال : قتله الحُباب بن المنذر .

العاص بن وائل السهمي

ـ كان العاص بن وائل من المستهزئين. ولما مات عبد الله ابن رسول الله ﷺ، قال: إنّ محمداً أبتر، لايعيش له ذكر، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾[١]. فركب حماراً له ـ ويقال: بغلة له بيضاء ـ فلما صار بشعب من تلك الشعاب، وهو يريد الطائف، ربض به الحمار أو البغلة على شبرقة[٢]، فأصابت رجله شوكة منها، فانتفخت حتى صار كعنق البعير، ومات. ويقال: إنه لما ربض به حماره أو بغلته، لدغ فمات مكانه، وكان ابنه عمرو يقول: لقد مات أبي وهو ابن خمس وثمانين سنة، وإنه ليركب حماراً له من هذه الدبابه إلى ماله بالطائف، فيمشي عنه أكثر مما يركبه .

ـ وقال الواقدي: مات العاص بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بأشهر، وهو ابن خمس وثمانين سنة. وكان يكنى أبا عمرو.

وحدثني محمد بن سعد قال: قلتُ للواقدي: قال الله عزّ وجلّ ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾[٣]، وهذه السورة مكية؟ فقال: سألت مالكاً وابن أبي ذئب عن هذا، فقالا: كفاه إياهم، فبعضهم مات، وبعضهم عمي فشغل

---

١ ـ سورة الكوثر ـ الآية: ٣ .

٢ ـ الشبرق نبت أهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس، وهو جنس من الشوك. معجم اسماء النباتات.

٣ ـ سورة الحجر ـ الآية : ٩٥ .

عنه، وبعضهم كفاه إياه إذ هيأ الله له من أسباب مفارقته بالهجرة ما هيأ له.
قال: وقال غيرهما: كفاه الله أمرهم، فلم يضرّوه بشيء.

النضر بن الحارث العبدري

كان النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن عبد مناف بن عبد الدار يكنى أبا فائد، وكان أشد قريش مباداة للنبي ﷺ بالتكذيب والأذى، وكان صاحب أحاديث، ونظر في كتب الفرس، ومخالطة النصارى واليهود، وكان لما سمع بذكر النبي ﷺ وحضور وقت مبعثه، يقول: والله لئن جاءنا نذير لنكونن أهدى من إحدى الأمم، فنزلت فيه: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم﴾[1].

وكان يحدّث، ثم يقول: أينا أحسن حديثا، أنا أم محمد؟ ويقول: إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين. فنزلت فيه: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطيرُ الأولين﴾[2]. ونزلت فيه: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[3]. ونزلت فيه: ﴿وقالوا ربنا عجّلْ لنا قِطَّنا قبل يوم الحساب﴾[4]. ونزلت فيه: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾[5]. ونزلت فيه: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾[6]. ونزلت فيه: ﴿أفبعذابنا

---

١ ـ سورة فاطر ـ الآية: ٤٢ .
٢ ـ سورة الأنفال ـ الآية: ٣١ .
٣ ـ سورة الأنفال ـ الآية: ٣٢ .
٤ ـ سورة ص ـ الآية: ١٦ .
٥ ـ سورة المعارج ـ الآية: ١ .
٦ ـ سورة الحج ـ الآية : ٣ .

يستعجلون﴾[١]، وكان النضر قدم الحيرة، فتعلم ضرب البربط، وغنى غناء أهل الحيرة، وعلّم ذلك قوماً من أهل مكة. وكان غناؤهم قبل ذلك النصب[٢]، واشترى قينتين، فنزلت فيه: ﴿ومن الناس من يشتري لهوَ الحديث ليضل عن سبيل الله﴾[٣].

- ولقي النبي ﷺ، فقال: أنت الذي تزعم أنك ستوقع بقريش عن قليل، وأن الله قد أوحى إليك بذلك؟ فقال: نعم، وأنت منهم. فنزلت: ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾[٤]. وسأل النبي ﷺ: متى تنقضى الدنيا؟ فنزلت فيه: ﴿يسألونك عن الساعة أيانَ مرساها﴾ الآية[٥].

- وكان يقول: إنما يعينه على مايأتي به في كتابه هذا جبر، غلام الأسود بن المطلب؛ وَعدّاس، غلام شيبة بن ربيعة، ويقال غلام عتبة بن ربيعة، وغيرهما. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشرٌ لسانُ الذي يلحدون إليه اعجميّ وهذا لسانٌ عربي مبين﴾[٦]. وأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿وقال الذين كفروا إنْ هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قومٌ آخرون فقد جاؤوا ظلماً وزوراً * وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلا﴾[٧].

---

١ - سورة الشعراء - الآية: ٢٠٤ . سورة الصافات - الآية: ١٧٦ .
٢ - النصب: غناء الركبان والقينات ويقال هو الحداء. معجم الموسيقى العربية - ط. بغداد ١٩٦٤ .
٣ - سورة لقمان - الآية : ٦ .
٤ - سورة الأعراف - الآية: ١٨٥ .
٥ - سورة الأعراف - الآية: ١٨٧ .
٦ - سورة النحل - الآية: ١٠٣ .
٧ - سورة الفرقان - الآيتان : ٤ - ٥ .

ـ وأسره المقداد يوم بدر. فأمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه، فضرب علي بنِ أبي طالب رضي الله عنه عنقه صبرا بالأُثَيِّل(١).

أمر أبي أحيحة

ـ وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية يقول: دعوا محمداً ولاتعرضوا له، فإن كان مايقول حقا، كان فينا دون غيرنا من قريش. وإن كان كاذبا، قامت قريش به دونكم. فكان النبي ﷺ يمرّ به. فيقول: إنه ليكلم من السماء، حتى أتاه النضر بن الحارث. فقال له: إنه يبلغني أنك تحسن القول في محمد؛ وكيف ذلك وهو يسبّ الآلهة، ويزعم أن آباءنا في النار، ويتوّعد من لم يتبعه بالعذاب؟ فأظهر أبو أحيحة عداوة رسول الله ﷺ، وذّمه، وعيب ما جاء به، وجعل يقول: ماسمعنا بمثل ما جاء به، لا في يهودية ولا نصرانية.

ـ وكان أبو أحيحة ذا شرف بمكة، وقويت أنفسُ المشركين حين رجع عن قوله الأول، وأتاه النضر شاكراً له على ذلك، لإعظام قريش إياه، وكان إذا اعتمّ، لم يعتم أحد بمكة بعمامة على لون عمامته إعظاماً له، فكان يدعى «ذا التاج». وفيه يقول أبو قيس بن الأسلت، واسمه صيفي بن عامر بن جشم، من الأوس:

وكان أبو أحيحة قد علمتم ... بمكة غير مهتضم ذميم
إذا شد العمامة ذات يوم ... وقام إلى المجالس والخصوم
فقد حرمت على من كان يمشي ... بمكة غير ذي دنف سقيم
وبيتكم رفيع في قريش ... منيف في الحديث وفي القديم

---

١ ـ موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء. معجم البلدان.

وسطتَ ذوائب الفرعين منهم فأنتَ لباب فرعهم الصميم
كـريم من سراة بني لؤي كبدر الليل راق على النجوم

ـ ومات أبو أحيحة في ماله بالطائف سنة اثنتين من الهجرة، ويقال: في أول سنة من الهجرة، وكان له تسعون سنة، فلما غزا رسول الله ﷺ الطائف، رأى قبر أبي أحيحة مشرفاً، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: لعن الله صاحب هذا القبر، فإنه كان ممن يحادّ الله ورسوله، فقال ابناه، عمرو وأبان: لعن الله أبا قحافة، فإنه لايقري الضيف، ولايدفع الضيم، فقال رسول الله ﷺ: سبّ الأموات يؤذي الأحياء؛ فإذا سببتم فعموا.

قالوا: وأتى النضر وعقبةُ بعضَ أهل الكتاب، فقالوا: أعطونا شيئاً نسأل عنه محمداً. فقالوا: سلوه عن فتية هلكوا قديماً، وعن رجل طاف حتى بلغ المشرق والمغرب. فسألوه عن أهل الكهف وذي القرنين. فأنزل الله عزّ وجلّ في أمرهم ماأنزل[1].

ـ وقال النضر وأمية بن خلف وأبو جهل للنبي ﷺ: إن كان قرآنك من عند الله، فأحي لنا آباءنا، وأوسع لنا بلدنا بأن تسير هذه الجبال عنا، فقد ضيقت مكة علينا، أو اجعل لنا الصفا ذهبا أستغني عن الرحلة؛ فإن فعلت ذلك، آمنا بك، وكان النضر خطيب القوم. فأنزل الله: ﴿ولو أن قرآناً سُيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ إلى قوله ﴿فكيف كان عقاب﴾[2].

وأخذ النضر عظما نخرا، فسحقه ونفخه، وقال: من يحيي هذا يامحمد؟ فنزلت فيه: ﴿وضرَب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام

١ ـ انظر سورة الكهف شروعا من الآية التاسعة.
٢ ـ سورة الرعد ـ الآيتان: ٣١ ـ ٣٢ .

وهي رميم﴾[١] ومابعد ذلك. ويقال: إنّ أبي بن خلف صاحب العظم.

ـ قالوا: فلما كان يوم بدر، أسر المقداد بن عمرو ـ وهو الذي ينسب إلى ربيبه الأسود بن عبد يغوث الزهري ـ النضرَ بن الحارث، وجاء به إلى رسول الله ﷺ، فأمر عليا عليه السلام بضرب عنقه، فقال المقداد: أسيرى يارسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: إنه كان يقول في كتاب الله وفي رسوله مايقول، ثم قال: اللهم أغْنِ المقدادَ من فضلك.

ـ وقال النضر، وقد وجيء به أسيراً، لرجل إلى جنبه: «محمد والله قاتلي. لقد نظر إليّ بعينين فيهما الموت». وقال لمصعب بن عمير: «يامصعب أنت أقرب من ههنا إليّ وأمسهم رحماً بي، فكلم صاحبك في أن يجعلني كرجل من أصحابي». فقال له: إنك كنتَ تقول كذا وتفعل كذا؛ فقال: يامصعب، ليس هذا الحين عتاب؛ فسله أن يجعلني كرجل من أصحابي؛ فلو أسرتك قريش لدافعتُ عنك، فقال مصعب: «أنت صادق؛ ولستُ مثلك. إنّ الإسلام قد قطع العهود بيننا وبينكم».

ـ حدثني عبد الله بن معاذ، عن أبيه، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال:

أسر المقداد يوم بدر النضرَ بن الحارث، فلما أراد رسول الله ﷺ قتله، قال له المقداد: يارسول الله، أسيرى؟ فقال رسول الله ﷺ: إنه كان يقول في الله ورسوله مايقول؛ وقرأ: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا﴾ الآية[٢]. ثم قتله صبرا. وقال: «اللهم أغن المقدادَ من فضلك» ثلاثا

١ ـ سورة يس ـ الآية: ٧٨.

٢ ـ سورة الأنفال ـ الآية: ٣١.

ـ قالت قُتيلة ابنة النضر بن الحارث ـ وبعض الرواة يقول: قتيلة بنت الحارث، والأول أثبت:

يا راكباً إنّ الأثيل مظنة ... عن صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأنّ تحية ... ما إن تَزال بها النواعجُ تخفق
مني إليه وعَبرةً مسفوحةً ... جادت لسافحها[1] وأخرى تُخنِق
قولا لأحمد أنت ضنء[2] كريمة ... لنجيبة والفحلُ فحل معرق
ما كان ضارك لو مننتَ وربما ... مَنّ الفتى وهو المغيظ المحنق
النضر أقربُ من قتلتَ قرابة ... وأحقهم إن كان عتقٌ يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنرشه ... لله أرحام هناك تشَقق

فيقال إنّ النبي ﷺ قال: لو سمعتُ هذا الشعر قبل قتله، ماقتلته. والله أعلم.

أمر منبه ونبيه ابني الحجاج

ـ وكان منبه ونبيه ابنا الحجاج السهميان على مثل ماكان عليه أصحابهما من أذى رسول الله ﷺ، والطعن عليه، وكانا يلقيانه فيقولان: «أما وجد الله من يبعثه غيرك؟ إنّ هاهنا من هو أسنّ منك وأيسر، فإن كنت صادقا، فائت بمَلَكٍ يشهد لك، ويكون معك». وإذا ذكراه، قالا: «معلَّم مجنون، يعلمه أهل الكتاب مايأتي به». وكان ﷺ يدعو عليهما، فأما منبه، فقتله عليّ عليه السلام. ويقال: أبو اليسر الأنصاري. ويقال: أبو أُسيد الساعدي، وأما نبيه، فقتله عليّ بن أبي طالب، وقتل أيضاً العاص بن منبه، وكان صاحب

١ ـ في هامش الأصل مايفيد في رواية أخرى «لمائحها».
٢ ـ في هامش الأصل: بفتح الضاد: الولد، وبكسرها: الأصل.

ذي الفقار، سيف رسول الله ﷺ. وذلك الثبت، وبعضهم يقول: إنه كان سيف منبه، ويقال أيضاً: إنه كان سيف نبيه.

وأما زهير بن أبي أمية

- فهو أخو أم سلمة، زوج النبي ﷺ، لأبيها، وكان ممن يُظهر تكذيب رسول الله ﷺ، وينكر ماجاء به، ويطعن عليه، ويردّ الناس عنه، إلا أنه ممن أعان على نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني عبد المطلب، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، عمة النبي ﷺ، وقد اختلفوا فيه، فقال بعض الرواة: إنه شخص يريد بدرا، فسقط عن بعيره، فمرض ومات. وقال بعضهم: أُسر يوم بدر، فأطلقه رسول الله ﷺ. فلما صار بمكة، مات،وقيل: إنه حضر وقعة أحد، ومات بعدها من سهم أصابه.

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري: شخص إلى اليمن بعد الفتح، فمات هناك كافراً[1].

وأما عبد الله بن أبي أمية

- فإن النبي ﷺ دعاه في قوم من المشركين. فقال له بعضهم: ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ فإن ماء زمزم ملح. وقال آخر: «إن لم تفعل هذا، فإنا لانؤمن لك حتى تكون لك بمكة جنة كجنان آل فارس ذات نخيل وأعناب»، وقال الثالث: «لن نؤمن لك حتى تسقط السماء علينا كسفا، أو تأتي بربك وملائكته فنراهم». وقال عبد الله بن أبي أمية: «لن نؤمن لك حتى نرى بيتاً من ذهب يحدثه لك ربك﴿أو ترقى في السماء﴾ثم

١ - لم يرد ذكره في المطبوع من كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري.

لانؤمن لك حتى تأتينا بكتاب ونحن نراك فنقرأه»[١] فأنزل الله عزّوجلّ مكانة قولهم، وقال: قل لهم: ﴿سبحان ربي هل كنتُ إلا بشراً رسولا﴾[٢]. وأسلم عبد الله، وقُتل يوم الطائف. والثبت أن عبد الله قال هذا القول من بينهم، فنزلت فيه الآيات، وكان خطيب القوم ومتكلمهم.

ـ وأما السائب بن أبي السائب، فقتل يوم بدر. قتله الزبير بن العوام.

وأما الأسود بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، فقتل يوم بدر أيضاً. قتله حمزة رحمه الله.

وأما عدي بن الحمراء الخزاعي، فلدغ وهو يريد بدرا، فمات.

وأما العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، فقتله حمزة أيضاً يوم بدر.

أمر أبي البختري العاص بن هاشم [بن الحارث] بن أسد بن عبد العزى[٣] بن قصي:

ـ قالوا: كان أبو البختري أقل أذى لرسول الله ﷺ، على أنه كان يكذّبه وَيعيب ماجاء به، وكان ممن أعان على نقض الصحيفة. وكان رسول الله ﷺ أمر يوم بدر أن يستبقيه من لقيه، وأن لايقتله. فلقيه المجذّر بن ذياد البلوي. فقال له: استأسر، فإنّ النبي ﷺ أمر أن لاتقتل. فقال: إنّ معي رفيقي جنادة بن مُليحة؛ فإن استبقيتموه، وإلا فلا حاجة لي في الحياة. فأعيرً بخذلانه، وجعل يقاتل ويقول:

لن يُسْلِمَ ابنُ حرة أَكِيْلَهُ   حتى يموت أو يرى سبيله

---

١ ـ انظر سورة الاسراء ـ الآيات: ٩٠ ـ ٩٣.

٢ ـ سورة الاسراء ـ الآية: ٩٣.

٣ ـ بالأصل: العاص بن هشام بن أسد بن عبد العزى. والتقويم والزيادة من كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري ص٢١٣.

فحمل عليه المجذّر فقتله، وجعل يقول:

إما جهلتَ أو نسيتَ نسبي   فاثبت النسبة أني من بلي
الطاعنينَ برماح اليزني   وأعبطُ القرنَ بِعَضْبٍ مُشْرِفي

- ثم إنّ المجذّر أتى النبي ﷺ، فأخبره الخبر، وقال: والذي بعثك بالحق، لقد جهدتُ أن يستأسر فآتيك به، فقاتلني فقتلته. وقد قيل: إنّ الذي قتل أبا البختري: عمير بن عامر المازني، من بني مازن بن النجار، ويكنى أبا داود.

- وفي أبي البختري نزلت: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياءَ ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى إنّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون﴾ [1].

أمر عقبة بن أبي معيط:

وكان عقبة بن أبي مُعَيط أشدّ الناس عداوة لرسول الله ﷺ وأذى له، وهو عقبة بن أبي معيط - واسم أبي معيط: أبان - بن أبي عمرو بن أمية. وكان عقبة يكنى أبا الوليد.

- حدثني محمد بن سعد كاتب الواقدي، عن محمد بن عمر الواقدي في إسناده:

أنّ عقبة بن أبي معيط عمد إلى مكتل، فجعل فيه عذرة ثم ألقاه على باب رسول الله ﷺ، فبصر به طليب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصيّ بن كلاب - وأمه أروى بنت عبدالمطلب - فأخذ المكتل منه، وضرب به رأسه، وأخذ بأذنيه، ونشب به عقبة، فذهب به إلى أمه، فقال لها: ألا ترين إلى

---

١ - سورة الزمر - الآية: ٣.

ابنك قد صار غرضا دون محمد ؟ فقالت : «ومن أولى منه بذلك ؟ هو ابن خاله . أموالنا وأنفسنا دون محمد» . وجعلت تقول :

إنّ طليباً نصر ابـنَ خاله آساه في ذي دمـه وماله [1]

فلما كان يوم بدر ، أتى بعقبة أسيرا ، وكان الذي أسره عبدالله بن سلمة بن مالك العجلاني ، من بلي ، وعداده في الأنصار ، جمح به فرسه ، فأخذه . فأمر رسول الله ﷺ عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأوسي من الأنصار بضرب عنقه ، فجعل عقبة يقول : «يا ويلتي ، علامَ أُقتل يا معشر قريش ، أقتل من بين هؤلاء ؟ فقال رسول الله ﷺ : «لعداوتك لله ورسوله» . قال : «يا محمد ، مَنُّك فضل ، فاجعلني كرجل ممن هاهنا من قومك وقومي ، يا محمد ، من للصبية ؟» قال رسول الله ﷺ : «النار» . وكان قتله بعرق الظبية .

وقال الواقدي : قتل بالصفراء . وقيل : إنّ رسول الله ﷺ أمر به ، فصلب . فكان أول مصلوب صلب في الإسلام .

حدثني عبد الواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن عامر الشعبي :

أنّ رسول الله ﷺ قال لعقبة يوم بدر: «والله لأقتلنك.فقيل أتقتله من بين قريش ؟ قال : نعم ، إنه وطىء على عنقي وأنا ساجد ، فما رفع حتى ظننتُ أن عينيَّ قد سقطتا ؛ وجاء يوماً ، وأنا ساجد ، بسلا شاة فألقاه على رأسي . فأنا قاتله» .

ـ وحدثنا عبدالله بن معاذ ، عن أبيه معاذ بن معاذ العنبري ، عن سعيد ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال :

---

١ ـ كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٥٧ .

قتل رسول الله ﷺ ثلاثة صَبْرا : عقبة بن أبي معيط ، وطعيمة بن عدي ، والنضر بن الحارث .

ـ قالوا : ولما هاجر النبي ﷺ ، قال عقبة :

يا راكبَ الناقة القصواء هاجرنا عما قليل تراني راكبَ الفرس
أعلُّ رمحي فيكم بعد نهلته والسيفُ يأخذ منكم كل ملتمس

أمر الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى

ـ كان الأسود من المستهزئين ، وكان يكنى أبازَمعة ، وكان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي ﷺ وأصحابه ، ويقولون : «قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر» ، ثم يُمكون ويصفرون ، وكلم رسول الله ﷺ بكلام شقّ عليه . فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يُعمي الله بصره ويُثكله ولده . فخرج يستقبل ابنه . وقد قدم من الشأم ، فلما كان في بعض طريقه ، جلس في ظل شجرة . فجعل جبريل عليه السلام يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها خضراء ، وبشوكٍ من شوكها ، حتى عمي . ويقال : إنّ جبريل عليه السلام أومأ إلى عينيه ، فعمي ، فشغل عن رسول الله ﷺ . ولما كان يوم بدر قُتل ابنه زَمعة بن الأسود ، ويكنى أبا حَكيمة ؛ قتله أبو دجانة . ويقال : ثابت بن الجذع . وقُتل ابنه عقيل أيضاً ؛ قتله حمزة وعلي رضي الله تعالى عنهما ، اشتركا فيه . ويقال : قتله عليّ وحده . وقُتل الحارث بن زمعة بن الأسود ، قتله عليّ . وقوم يقولون : هو الحارث بن الأسود نفسه . والأول أثبت .

ـ وكان الأسود بن المطلب يقول : دعوتُ على محمد أن يكون طريداً في غير قومه وبلده . واستجيب لي . ودعا عليّ بعمى عيني ، فعميت ؛ وأن أثكل ولدي ، فثكلتهم .

ـ قال الواقدي : ومات الأسود بمكة ، وهم يتجهزون لأُحد ، وهو يذمرهم ـ أي يحثهم ـ ويشجعهم في مرضه ، وقد قارب المائة .

ـ وكان أهل مكة ، لما قتل منهم من قتل ببدر ، تركوا البكاء على قتلاهم ، كراهة أن يبلغ المسلمين جزعهم فيشمتوا بهم ، فسمع الأسود بكاء ، فسأل عنه : فقيل : امرأة ضلّ لها بعير ، فهي تبكي عليه . فقال :

أتبكي أن يضلّ لها بعير ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن على بدر تصاعرت الخدودُ
فبكيّ إن بكيت على عقيل وبكيّ حارثا أسد الأسود
وبكّيهم ولا تسمي جميعا وما لأبي حَكيمة من نديد
على بدر سراة بني هُصيص ومخزوم ورهط أبي الوليد
ألا قد ساد بعدهم رجال ولولا يوم بدر لم يسودوا[1]

ـ قال : وكان الأسود يجلس ، ومعه قوم من المشركين ، فيقولون : «ما ندري ما جاء به محمد ؟ ما هو إلا سجع كسجع الكهان» . فنزلت فيهم : ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ [2] ، أي عِضَةً عِضَة . ويقال : إن الآية نزلت في أهل الكتاب الذين آمنوا ببعضه وكفروا ببعض . والثبت أنها نزلت في كفار قريش . وكانوا يُسألون عن النبي ﷺ ، فيقول بعضهم : «مجنون» [3] ؛ ويقول بعضهم : «ساحر» [4] ؛ ويقول بعضهم : «شاعر» [5] ؛

---

١ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٧٧ .
٢ ـ سورة الحجر الآية : ١٥ .
٣ ـ انظر سورة الصافات ـ الآية : ٣٦ .
٤ ـ انظر سورة الأنبياء ـ الآية : ٣ .
٥ ـ انظر سورة الصافات ـ الآية : ٣٦ .

ويتحدثون عليه ويصدّون الناس عنه . فأنزل الله عز وجل : ﴿وليحملنّ أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم﴾ [١] . يقول : أوزارَ من يصدّونه عن الإسلام .

ـ وذكر رسول الله ﷺ عاقر الناقة [٢] ، فقال : «كان عزيزاً منيعاً ، كان كأبي زمعة الأسود بن المطلب فيكم» . وكان يقال لأبي زمعة بن الأسود «زاد الراكب» .

وكان ابن الأصداء الهذلي

ـ أحد من يؤذي النبي ﷺ ، فيقول له : إنما يعلمك أهل الكتاب أساطيرهم [٣] ، ويقول للناس : هو معلَّم مجنون [٤] . فدعا عليه رسول الله ﷺ . فإنه لعلى جبل إذ اجتمعت عليه الأروى ، فنطحته حتى قتلته .

الحكم بن أبي العاص بن أمية :

ـ كان الحكم مؤذيا لرسول الله ﷺ ، يشتمه ويُسمعه ، وكان رسول الله ﷺ يمشي ذات يوم ، وهو خلفه يَخلُج بأنفه وفمه ، فبقي على ذلك ، وأظهر الإسلام يوم فتح مكة ، وكان مغموصاً عليه في دينه . فاطلع يوماً على رسول الله ﷺ وهو في بعض حُجر نسائه . فخرج إليه بعنزة [٥] وقال : «من عذيري من هذه الوزغة ؟ لو أدركته ، لفقأت عينيه» ، أو كما قال ﷺ . ولعنه وما ولد ، وغرّبه عن المدينة ، فلم يزل خارجاً منها إلى أن استخلف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، فردّه وولده . فكان ذلك مما أنكر

---

١ ـ سورة العنكبوت ـ الآية : ١٣ .
٢ ـ انظر سورة الأعراف ـ الآيتان : ٧٦ ـ ٧٧ .
٣ ـ انظر سورة الفرقان ـ الآية : ٥ .
٤ ـ انظر سورة الدخان ـ الآية : ١٤ .
٥ ـ رمح قصير أقرب إلى شكل الحربة .

عليه ، ومات في خلافة عثمان . فضرب على قبره فسطاطاً . قال عبدالرحمن بن حسان بن ثابت لمروان بن الحكم :

إن اللعين أباك فارمِ عظامه إن تـرمِ ترم مخلّجا مجنونـا
يضحى خميص البطن من عمل التقى ويَظـلّ من عمل الخبيث بطينا

عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف

ـ كان عتبة يكنى أبا الوليد ، ولقي رسول الله ﷺ ، فقال له : «إن أردت الشرف ، شرفناك بأن نملكك . وإن كنتَ تريد المال ، أعطيناك منه ما تحبه » . فقال : «ياأبا الوليد ، اسمع» . فقرأ ﴿حم﴾ السجدة[١] . فقال : هذا كلام ما سمعت مثله . ثم التفتَ إلى جماعة من قريش ، فقال : دعوه وخلّوا بينه وبين العرب ، فليس بتارك أمره .

ـ وأتى رسولَ الله ﷺ ابنُ أم مكتوم ؛ وعتبة يكلمه ، وقد طمع فيه فشغل عنه . فأنزل الله عز وجل : ﴿عبس وتولى﴾ . وقوله : ﴿أما من استغنى﴾ [٢] ، يعني عتبة . ويقال : إنّ الذي تَشاغل عن ابن أم مكتوم به : الوليد بن المغيرة . ويقال : إنّ ابن أم مكتوم لما أتاه ، قال له : «علمني مما علمك الله» . فأقبل على أمية بن خلف الجمحي ، وتركه .

ـ وقتل عتبة يوم بدر كافراً ، قتله حمزة بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنه .

وقُتل الوليد بن عتبة يوم بدر ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام . وكان لعتبة يوم قتل سبعون سنة ، وكان الوليد ابن خمسين سنة .

---

١ ـ سورة فصلت .
٢ ـ سورة عبس ـ الآيات : ١ ـ ٥

وكان أبو حذيفة بن عتبة مع رسول الله ﷺ .

شيبة بن ربيعة بن عبدسمس

ويكنى أبا هاشم . كان شيبة يجتمع مع قريش فيما تكيد به رسولَ الله ﷺ من الأذى له ، غير أنه كان لا يتولى ذلك بيده . وقُتل يوم بدر ، قتله عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وذفف عليه حمزة وعلي عليهما السلام . وكان شيبة أسنّ من عتبة بثلاث سنين . وقد كان عتبة وشيبة متثاقلين عن الخروج حتى أنبهما أبو جهل ، فخرجا [١] .

ـ قالوا : ومشى نساء قريش إلى هند بنت عتبة ، وهي أم معاوية ، فقيل لها : ألا تبكِين على أبيك وأخيك وأهل بيتك ؟ فقالت : «لا أبكيهم» فيبلغ محمداً ذلك ، فيشمت وأصحابه ونساء الخزرج ، لا والله ، حتى أثأر من محمد وأصحابه . وحرّمت على نفسها الدهن والكحل ، وقالت : لو أعلم أن الحزن يذهبه البكاء ، لبكيتُ . ثم قالت بعده :

لله عينا من رأى هلْكاً كَهَلْكِ رجاليهْ
يا رُبَّ باكٍ لي غدا في النائحات وباكيه
كم غادروا يوم القليـ ـب غداة تلك الواعية
من كل عيث في السنيـ ـن إذا الكواكب خاوية
قد كنتُ أحذر ما أرى فاليوم حُقَّ حذاريه
يا رُبَّ قائلة غدا يا ويح أُم معاوية

وقالت أيضاً :

---

١ ـ انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٥٥ ـ ٤٥٧ .

ويلي على أبوي والـ ـقبر الذي واراهما
رمحين خطيّين في في كبد السماء تراهما
سيفين هنديين سـ ـنّ القبر حد ظباهما
لا مثل لهما في الكهو ل ولا فتى كفتاهما
ابْنَيْ ربيعةَ لا يمـ ـلّ الناسُ من ذكراهما
ما خلفا إذ ودّعا وتوليا شَرْواهما
من حس لي الأخوين كالغصنين أم من رآهما

مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف

ـ كان مطعم يكنى أبا وهب ، وكان أقلّ أصحابه أذىً للنبي ﷺ ، ولكنه كان ينكر عليه ما أنكروا ، وهو الذي قام بأمر بني هاشم وبني المطلب ، حتى خرجوا من الشعب . وأجار النبي ﷺ ، حتى طاف بالبيت .

ـ وقال النبي ﷺ لابنه جبير بن مطعم يوم بدر : لو كان أبوك حيًّا فاستوهبني هؤلاء الأسارى ، لوهبتهم له وشفعته فيهم .

ـ ومات مطعم في صفر سنة اثنتين من الهجرة قبل بدر بأشهر . ودفن بالحجون [1] وهو ابن بضع وتسعين سنة . وأقيم النوح عليه سنة .

طُعيمة بن عدي بن نوفل بن عبدمناف

ـ ويكنى أبا الريّان . وكان طعيمة ممن يؤذي رسول الله ﷺ فيبالغ في أذاه ويشتمه ويُسمعه ويكذّبه . فلما كان يوم بدر ، أُسر . فأمر رسول الله ﷺ بقتله صَبرا ، فقتل .

١ ـ الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهها . معجم البلدان .

ـ حدثني عبيدالله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال :

قتل رسول الله ﷺ طعيمة بن عدي صبرا ، وكان الذي قتل طعيمة : حمزة بن عبدالمطلب .

الحارث بن عامر بن نوفل بن عبدمناف

ـ كان رسول الله ﷺ قال يوم بدر : من لقي الحارث فليدعه لأيتام بني نوفل . وفيه نزلت : ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا [1]﴾ . ولكنه كان أعان على نقض الصحيفة ، فقتل يوم بدر كافراً . قتله خُبيب بن إساف .

مالك بن الطِلاطِلة :

ـ وقال الكلبي : كان مالك بن الطلاطلة بن عمرو بن غُبشان من المستهزئين ، وكان سفيهاً ، قالوا : فدعا رسول الله ﷺ عليه ، واستعاذ بالله من شرّه . فعصر جبريلُ بطنه ، حتى خرج خلاؤه من فمه ، فمات . وقال غيره : أشار جبريل ، فامتحض رأسه قيحا .

وقال غير الكلبي : هو عمر ابن الطلاطلة ، وذلك باطل .

ـ وقال الكلبي : سمعتُ من يقول هو الحارث بن الطلاطلة ، وليس ذلك بشيء ، وهم يغلطون بابن الغَيْطلة وابن الطِلاطِلة ، فيجعلون هذا ذاك وذاك هذا .

ـ وقد ذكر غير الواقدي : أنّ المستهزئين جميعاً ماتوا في وقت واحد ، وقول الواقدي أثبت .

---

١ ـ سورة القصص ـ الآية : ٥٧ .

وقال الواقدي : أليس موت من مات ، وعمى من عمي ، وما تهيأ لرسول الله ﷺ من أسباب مفارقتهم كفاية له ﷺ ؟

ركانة بن عبديزيد

ـ قالوا : وكان رُكانة بن عبديزيد بن هاشم بن المطلب الشديدُ قدم من سفر له ، فأُخبر خبر النبي ﷺ ، فلقيه في بعض جبال مكة ، فقال : يا بن أخي ، قد بلغني عنك أمر ، وما كنتَ عندي بكذّاب ، فإن صرعتني ، علمتُ أنك صادق ، فصرعه النبي ﷺ ثلاثا . فأتى قريشاً ، فقال : يا هؤلاء ، صاحبكم ساحر ؛ فساحروا به من شئتم .

ـ وقال هشام بن الكلبي ، حدثني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال :

لقي رسول الله ﷺ ركانة بن عبد يزيد ، وكان أشدّ العرب، لم يصرعه أحد قط . فدعاه إلى الإسلام . فقال : والله لا أسلم حتى تدعو هذه الشجرة ، وكانت سمرة أو طلحة ، فقال رسول الله ﷺ : أقبلي بإذن الله . فأقبلت تخدّ الأرض خدّا . فقال ركانة : ما رأيت كاليوم سحراً أعظم ؛ فمرها فلترجع ، فقال : ارجعي بإذن الله . فرجعت . فقال له : ويحك ، أسلم . فقال : إن صرعتني أسلمتُ ، وإلا فغنمي لك ؛ وإن صرعتك ، كففت عن هذا الأمر . وكان ركانة أشد الناس ، ما صرعه أحد قط . فأخذه النبي ﷺ ، فصرعه ثلاثا . فقال : يا بن العم ، العود . فصرعه أيضاً ثلاثا ؛ فقال : أسلم . فقال : لا . قال : فإني آخذ غنمك . قال : فما تقول لقريش ؟ قال : أقول صارعته ، فصرعتُه فأخذتُ غنمه. قال: فضحتني وخزيتني . قال : فما أقول لهم ؟ قال : قل لهم قمرته . قال : إذاً أكذب . قال : أولستَ في كذب من حين تصبح إلى حين تمسي ؟ قال : خذ

غنمك . قال : فأنت والله خير مني وأكرم . قال النبي ﷺ : وأحق بذلك منك [1] .

هبيرة بن أبي وهب :

وكان هبيرة بن أبي وهب المخزومي ممن يؤذي رسول الله ﷺ ، فقيل إنه قتل يوم الخندق . ويقال إنه بقي إلى الفتح ، فهرب إلى اليمن ، فمات هناك كافراً . وذلك أثبت .

١ ـ في هامش الأصل : بلغ العراض بنسخة ثالثة ، طلباً للصحة ، ولله الحمد الأفضل .

ذكر المستضعفين من أصحاب رسول الله ﷺ

- روى عن يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير أنه قال :

كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد ، جلس إليه المستضعفون من أصحابه : عمار بن ياسر ، وخبّاب بن الأرتّ ، وصهيب بن سنان ، وبلال بن رَباح ، وأبو فُكَيهة ، وعامر بن فُهيرة وأشباههم من المسلمين . فتهزأ قريش بهم ويقول بعضهم لبعض : هؤلاء جلساؤه كما ترون ، قد منّ الله عليهم من بيننا . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿أوليس الله بأعلَمَ بالشاكرين * وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلامٌ عليكم كتبَ ربكم على نفسه الرحمة﴾[١] . قال : وكانوا قوماً لا عشائر لهم ولا منعة . فكانت قريش تعذّبهم في الرمضاء أنصاف النهار ، ليرجعوا إلى دينهم . وفيهم نزلت : ﴿ولا تطرُد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكونَ من الظالمين﴾[٢] .

---

١ ـ سورة الأنعام ـ الآيتان : ٥٣ ـ ٥٤ .

٢ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٥٢ .

عمار بن ياسر:

- فمنهم عمار بن ياسر بن عامر بن مالك، أحد بني عنس أخي مراد بن مالك بن أدد بن زيد. وكان عنس يسمى زيدا. وكان كنية عمار أبا اليقظان؛ وكنية ياسر أبا عمار. ويقال: أبا عبد الله؛ وكان حليفا لبني مخزوم.

- حدثني محمد بن سعد، عن هشام بن الكلبي وغيره قال:
قدم ياسر بن عامر، وأخواه الحارث ومالك، مكة من اليمن يطلبون أخاً لهم، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن، وأقام ياسر بمكة وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فزّوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها سمية بنت خِباط، فولدت له عماراً، فأعتقه أبو حذيفة، ولم يزل ياسر، وعمار مع أبي حذيفة إلى أن مات، وجاء الإسلام. فأسلم ياسر، وسمية، وعمار، وأخوه عبد الله بن ياسر، وكان لياسر ابن آخر، أكبر من عمار وعبد الله، يقال له حريث. فقتله بنو الديل في الجاهلية. وخلف على سمية، بعد ياسر، الأزرق، وكان روميا حدّادا غلاما للحارث بن كلدة الثقفي، وهو ممن خرج يوم الطائف إلى النبي ﷺ مع عبيد أهل الطائف، وفيهم أبو بكرة، فعتقوا. فولدت سمية للأزرق قبل الإسلام سلمة بن الأزرق. وكان ياسر قد فارقها، فهو أخو عمار لأمه، ثم أدّعى ولد سلمة - عمرو وعقبة - بنو الأزرق أنهم من ولد الحارث بن أبي شمر الغساني، وأنهم حلفاء لبني أمية، وشرفوا بمكة. وتزوج بعض ولد الأزرق في بني أمية، وعمرو وعقبة من غير سمية[1].

---

١ - طبقات ابن سعد ج٣ ص٢٤٦ - ٢٦٤ .

ـ وروى ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن وهب بن كيسان، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن سلمة بن الأزرق، عن أبي هريرة.

ان النبي ﷺ سمع نساء يبكين في جنازة، فزجرهنّ عمر رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: ياعمر، دعهن فإن النفس مصابة، والعين دامعة، والعهد حديث. وقاتل عمرو بن الأزرق يوم أحد مع المشركين، فأسر.

ـ وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن عبد الله بن أبي عبيدة، عن أبيه قال:

قال عمار بن ياسر: لقيتُ صهيب بن سنان على باب دار الأرقم بن أبي الأرقم والنبي ﷺ فيها، فقلتُ له: ماتريد؟ فقال: ماتريد أنت؟ قلتُ: أريد أن أدخل على محمد فأسمع كلامه. قال: وأنا أريد ذلك. فدخلنا عليه، فعرض علينا الإسلام. فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا. ثم خرجنا مستخفين. فكان إسلام عمار وصهيب بعد إسلام بضعة وثلاثين رجلا[1].

ـ حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة أبو بكر، ثنا جرير بن عبد الحميد الضبي، عن منصور، عن مجاهد قال:

أول من أظهر الإسلام أبو بكر، وبلال، وخبّاب، وصهيب، وعمار. فأما رسول الله ﷺ، فمنعه عمه وأما أبو بكر فمنعه قومه وأما الآخرون فأُلبسوا دروع الحديد، وصهروا في الشمس حتى بلغ الجهد منهم، وجاء أبو

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

جهل إلى سمية، فطعنها في قبلها، فهي أول شهيد في الإسلام، قال عبد الله بن محمد: بلغني أنها أغلظت له في القول، فأغضبته.

- حدثني محمد بن سعد عن الواقدي، عن عثمان بن محمد عن الحارث بن الفضيل، عن محمد بن كعب القرظي قال:

أخبرني من رأى عمار بن ياسر متجرّدا في سراويل، قال: ونظرتُ إلى ظهره، فإذا فيه حَبَط، فقلتُ له: ماهذا؟ قال: هذا مما كانت قريش تعذبني في رمضاء مكة[1].

- قال الواقدي، وحدثني عثمان بن محمد في إسناده، قال:

كان عمار يعذَّب حتى لايدري مايقول، وكان أبو فكيهة يعذّب حتى لايدري مايقول، وبلال، وعامر بن فهيرة، وقوم من المسلمين. وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنُبوئنّهم في الدنيا حسنةً ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صَبروا وعلى ربّهم يتوكلون﴾[2]. قال الواقدي: انها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد، وعثمان ابن مظعون، وكان أول من قدم المدينة.

- حدثنا محمد بن حاتم المروزي، ثنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك،

في قوله: ﴿إلا من أُكره وقلبه مطمئنّ بالإيمان﴾[3]، قال: هو عمار.

- حدثنا أبو صالح الفراء الأنطاكي، ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن عبد

١ - طبقات ابن سعد ج٣ ص٢٤٨ .
٢ - سورة النحل - الآيتان: ٤١ - ٤٢ .
٣ - سورة النحل - الآية: ١٠٦ .

الله بن المبارك، عن معمر، عن عبد الكريم، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال:

لما أخذ المشركون عماراً، فعذّبوه لم يتركوه حتى سبّ النبيّ ﷺ وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبي ﷺ، قال: وما وراءك؟ قال: شرّ، والله، ماتركني المشركون حتى نلتُ منك وذكرتُ آلهتهم بخير. قال: فكيف تجد قلبك؟ قال: مطمئنا بالإيمان، قال: فإن عادوا، فعد. فنزلت فيه: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾.

- حدثني يحيى بن أيوب الزاهد، ثنا إسماعيل بن علية، عن ابن عون، عن محمد بن سيرين.

أنّ النبي ﷺ لقي عمارا وهو يبكي، فجعل يمسح عينيه ويقول: أخذك الكفار، فغطوك في الماء؛ فقلتَ كذا وكذا. فإن عادوا، فقل ذاك لهم.

- وحدثني الوليد بن صالح، ومحمد بن سعد، عن الواقدي، عن عبد الله بن أبي عبيدة، عن عبد الحكيم بن صهيب، قال:

عذّب المشركون عماراً، وقالوا: لانفارقك أبدا حتى تشتم محمداً، وحتى تقول اللات والعزّى خير من دين محمد. ففعل. فتركوه. فأتى النبي ﷺ، فقال: أفلح وجهك. فقال: والله، ماأفلح، قال: ولم؟ قال: نلتُ منك، وزعمتُ أن اللات والعزّى خير من دينك، قال رسول الله ﷺ: فكيف وجدتَ قلبك؟ قال: وجدته مطمئنا بالإيمان، أشد من الحديد في ديني، قال: فلا عليك؛ وإن عادوا، فعد. قال: فعمار الذي أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، والذي ﴿شرح بالكفر صدرا﴾[1]، عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

---

١ - سورة النحل - الآية: ١٠٦ .

ـ حدثنا عمرو بن محمد الناقد، ثنا عبد الله بن جعفر الرقي، عن عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار:

في قوله ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئنّ بالإيمان﴾، قال: ذاك عمار. وفي قوله: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا﴾، قال: عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

ـ حدثني عباس بن هشام، عن أبيه عن جده، عن أبي صالح، عن أم هانىء:

أنّ عمار بن ياسر، وأباه ياسراً، وأخاه عبد الله بن ياسر، وسمية أم عمار كانوا يعذَّبون في الله، فمر بهم النبي ﷺ، فقال: صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة، فمات ياسر في العذاب، وأغلظت سمية لأبي جهل، فطعنها في قبلها، فماتت. ورُمي عبد الله، فسقط.

ـ وحدثني محمد بن سعد، ثنا الفضل بن عنبسة الواسطي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن يوسف المكي بنحوه.

ـ حدثني الحسين بن الأسود، ثنا يحيى بن آدم، عن الحسن بن صالح، عن أبي ربيعة، عن الحسن، عن أنس، قال:

قال رسول الله ﷺ: «الجنة تشتاق إلى ثلاثة من أصحابي: علي، وعمار، وبلال».

ـ حدثنا أحمد بن هشام بن بهرام، ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي قيس، عن هذيل بن شرحبيل، قال:

أتي النبي ﷺ فقيل له: وقع على عمار حائط، فمات. فقال: ما مات عمار.

ـ حدثنا الحسين بن علي بن الأسود، وإبراهيم بن مسلم الخوارزمي، قالا: ثنا وكيع، ثنا شعبة، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال:

غزت بنو عطارد من البصرة ماه، وأمدّوا بعمار بن ياسر وهو على الكوفة. فخرج عمار قبل الوقعة وقدم بعدها، فقال: نحن شركاؤكم في الغنيمة. فقام رجل من بني عُطارد، فقال: أيها العبد الأجدع ـ وقال إبراهيم في حديثه: «المجدع»، وكانت أذنه أصيبت في سبيل الله ـ أتريد أن نقسم لك غنيمتنا؟ فقال عمار: عيرتني بخير أذنيّ، وأحبّ أذنيّ إليّ، فكتب بذلك إلى عمر. فكتب: الغنيمة لمن شهد الوقعة.

ـ حدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر، قال:

رأيتُ عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف، وهو يصيح: «يامعشر المسلمين، أمن الجنة تفرّون؟ أنا عمار بن ياسر. هلموا إليّ». وأنا أنظر إلى أذنه قد قُطعت، فهي تذبذب وهو يقاتل اشد قتال.

ـ حدثنا أبو مسلم مستملي يزيد، ثنا يزيد بن هارون، عن شعبة، عن قيس بن مسلم، عن طارق، عن ابن شهاب، قال:

قال رجل من بني تميم لعمار: أيها الأجدع. فقال عمّار: خير أذنيّ سببتَ.

ـ حدثنا محمد بن سعد، ثنا مسلم بن إبراهيم وأبو قطن، قالا ثنا القاسم بن الفضل الحُداني، قال ثنا عمرو بن مرة الجهني، عن سالم بن أبي الجعد: أن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال:

أقبلتُ ورسول الله ﷺ آخذ بيدي ونحن نتماشى بالبطحاء، إذ أتينا على أبي عمار، وعمار، وأمه، وهم يعذبون. فقال ياسر: أهكذا يكون الدهر كله. فقال له النبي ﷺ: اصبر، اللهم اغفر لآل ياسر؛ وقد فعلتَ.

- حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا وكيع بن الجراح، عن سالم بن أبي العلاء، عن عمرو [بن] هرم، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان قال:

قال رسول الله ﷺ: «اهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود. أو قال: ابن أم عبد».

- حدثني أبو مسلم، عن وكيع عن النبي ﷺ بهذا الإسناد، قال: «وتمسكوا بعهد ابن أم عبد».

- حدثني شريح بن يونس، عن مؤمل بن إسماعيل، عن أبي إسحاق، عن أبي العلاء قال: قال عمار:

«مثل الجليس الصالح مثل العطار، إلاّ تجد من عطره، يصل إليك ريحه. ومثل الجليس السوء مثل الكير، إن لم يحرقك بناره، أصابك من شرره ونتن ريحه».

- حدثني أحمد بن هشام بن بهرام، ثنا يزيد بن هارون، أنبأ المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن، قال:

كان أول من أفشى القرآن بمكة من في رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود، وأول من بني مسجدا يصلى فيه عمار بن ياسر.

- حدثني عمرو الناقد، وبكر بن الهيثم، قالا: ثنا قبيصة بن عقبة، ثنا سفيان، عن أبيه قال:

أول من اتخذ مسجدا في بيته يصلى فيه عمار.

ـ حدثني إسحاق الفروي أبو موسى، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قلنا له: أخبرنا عن عمار بن ياسر، قال: مؤمن نَسَّاء إذا ذُكِّر ذكر.

ـ حدثني عفان، عن القاسم بن الفضل، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن علي بنحوه.

ـ حدثني محمد بن سعد، ثنا محمد بن كناسة الأسدي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿أمَّنْ هو قانت آناء الليل﴾[1]، قال: نزلت في عمار بن ياسر.

ـ وقال الواقدي: أقطع رسول الله ﷺ عماراً موضعَ داره. وشهد وقعة بدر، وأحد، والخندق، والمشاهد كلها مع النبي ﷺ.

ـ حدثني الحسين بن الأسود، ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب العيدي، قال:

قرىء علينا كتاب عمر رضي الله تعالى عنه بالكوفة: «أما بعد فإني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وابنَ مسعود معلما ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر، وقد آثرتكم بابن أم عبد على نفسي، فاسمعوا لهما وأطيعوا، واقتدوا بهما، وقد جعلتُ ابن مسعود على بيت مالكم، وحذيفة وعثمان بن حُنيف على السواد، ورزقتهم في كل يوم شاة». قال: فجعل شطرها وبطنها لعمار، والشطر الباقي بين هؤلاء الثلاثة.

ـ حدثنا هدبة بن خالد البصري، عن أبي هلال الراسبي، عن الحسين، قال:

---

١ ـ سورة الزمر ـ الآية: ٩.

قال عمر: إنما وليت عماراً لقول الله عزّوجلّ: ﴿ونُريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين﴾[١].

ـ حدثنا أبو مسعود الكوفي، ثنا عوانه ـ أو قال: أبو عوانه ـ عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة:

أنّ أهل الكوفة شكوا سعدا، فأكثروا، فعزله وولّى عمارّ بن ياسر الكوفة.

ـ وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن أبيه، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه:

إن عمر عزل سعداً عن العراق، وقاسمه ماله. وولى عمار بن ياسر بعده.

ـ حدثنا عمرو بن محمد، حدثني عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق:

أن عبد الله بن مسعود كان يخطب كل خميس، ويدع خطبة الجمعة للأمير، وهو عمار.

ـ حدثني أحمد بن إبراهيم، ثنا العقدي أبو عامر، عن شعبة، عن سماك، عن رجل من تيم الله سمعه، يقول:

كان عماراً علينا سنةً يخطبنا في كل جمعة، في عمامة سوداء.

ـ وحدثني أبو بكر الأعين، حدثنا عفان، ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب: أن عماراً كان إذا خطب، سلَّم.

ـ حدثنا بكر بن الهيثم، ثنا أبو عاصم، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم:

---

١ ـ سورة القصص ـ الآية: ٥ .

أن عمار بن ياسر كان يقرأ على المنبر «يس». فقال له الأشعث بن قيس: وما أرِحنا من ياسينك.

ـ وحدثني الحسين بن الأسود، حدثني يحيى بن آدم، عن أبي زبيدة عَبْثَر، قال:

خطب عمار بخطبة وجيزة. فقيل له: لو زدتَ في خطبتك؟ فقال: أمرنا بتقصير الخطب وإطالة الصلاة. قال: وكان يقرأ على المنبر: ﴿إذا السماء انشقت﴾[1] فينزل فيسجد.

ـ حدثنا بكر بن أبي حذيفة، عن سفيان بن يسير بن دُعْلُوق، عن أبي مريم، قال:

قال عمار: احذفوا هذه الصلاة قبل وسوسة الشيطان.

ـ حدثني الحسين، عن يحيى، عن شريك، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، قال:

رأيت عماراً قرأ يوم جمعة ﴿إذا السماء انشقت﴾، فنزل عن المنبر فسجد.

ـ وحدثني عبد الله بن صالح، عن حماد بن سلمة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد:

أن عماراً كان لايرى بأساً بالمعراض إذا قتل.

ـ حدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة، ثنا جرير، عن الأعمش عن زيد بن وهب قال:

إنا لمع عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه بظهر الكوفة إذ عرض له حمار وحش، فأسرعنا إليه بالرماح، فطعنّاه بها. فقال عمار: والله لا تقوم

---

١ ـ سورة القرآن ـ الآية: ٨٤.

الساعة حتى إذا رئي رجل من قريش فعل به كما فعل بهذا ، وحتى إنّ الرجل ليرى على أحدهم العمامة الحسنة فتعجبه فيضرب عنقه من أجلها ويأخذها منه .

- حدثني أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن علي بن أبي كثير ، قال :

رأى عمار رجلاً يصلي على دابته ، فأخذ بقفاه ، فحطه على قرار الأرض ، وقال : صلِّ ها هنا .

- حدثنا علي بن شور المقرىء ، عن عبد الوهاب ، عن عطاء الخفاف ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة :

أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً ، ثم جعل يغشاها ، وظنّ أنه لا طلاق إلا طلاق السُنّة . فقالت له المرأة : ويحك إني قد بنتُ منك . فأتى الكوفة ، فسأل عماراً ، فقال : ما تقول في رجل طلق امرأته ثلاثاً دفعة ، ثم غشيها ؟ فقال عمار : لو قدرتُ عليه ، لرجمته . فانطلق إلى امرأته ، فسرّحها ، وقال :

كانت حلالا أم عبد الله لي لو لم تطلَّق
حجز التقى عنها ومَن لا يتقِ الرحمن يوبَق

- حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا أبو أحمد الزبيري ، ثنا سفيان ، عن منصور ، عن ربعي :

أن عماراً أتي بشاة مصلية[1] في اليوم الذي يشك فيه قبل رمضان . فتنحى رجل . فقال له : إن كنتَ تؤمن بالله واليوم الآخر ، فادنُ واطعم .

---

١ - صلى اللحم يصليه صليا : شواه ، أو ألقاه في النار للاحراق . القاموس .

ـ حدثني شجاع بن مخلد الفلاس ، ويوسف ، عن موسى ، ثنا جرير ، عن أبي سنان ، عن عبدالله بن أبي الهذيل ، قال :

لما بنى عبدُ الله بن مسعود داره ، قال لعمار : تعال فانظر إلى ما بنيتُ . فنظر ، وقال : بنيتَ شديداً ، وأملتَ بعيداً ، وستموت قريباً .

ـ حدثني إبراهيم بن محمد بن عرعرة ، ثنا أبو عامر ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ميمون بن شبيب ، قال :

سمعت عماراً يقول : لا يضرب رجل عبدَه ظالماً إلا أُقيد منه يوم القيامة .

ـ حدثني عبدالله بن صالح ، قال : ذكر لنا عن أبي الأحوص أنه رأى عمار بن ياسر يخطب يوم الجمعة ، فبدت له حية . فنزل ، فضربها حتى قتلها لقول النبي ﷺ : «اقتلوا الحية والعقرب ولو كنتم في صلاتكم» .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، ثنا سفيان ، عن أجلح ، عن ابن أبي الهُذيل قال :

رأيت عمار يشتري قتّاً[1] بدرهم، فاستزاد حبلا، فأبى صاحبه أن يزيده . فجاذبه ، حتى قاسمه إياه نصفين ، وحمله عمار على ظهره إلى منزله ـ أو قال : القصر ـ وهو أمير الكوفة .

ـ حدثنا وهب بن بقية ، أنبأ يزيد بن هارون ، أنبأ جرير بن حازم ، عن سعيد بن أبي سلمة ، عن أبي نضرة ، عن مطرف قال :

رأيت عمار بن ياسر يقطع على لحاف ثعالب ثوباً .

---

١ ـ ألقت : الفصفصة ، أي الرطبة من علف الدواب . معجم أسماء النباتات .

ـ حدثني محمد بن سعد ، ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا وهيب عن داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبي قال :

سُئل عمار عن مسألة ، فقال : هل كان هذا ؟ قالوا : لا . قال : فدعونا حتى يكون ؛ فإذا كان تجشّمناها لكم .

ـ وحدثنا محمد بن سعد ، ثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد ، قال :

وشى بعمار رجل إلى عمر ، فرفع عمار يديه فقال : اللهم إن كان كذب عليّ ، فابسط له في الدنيا واجعله موطوء العقب .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، ثنا عفان ، ثنا الأسود بن شيبان ، ثنا أبو نوفل بن أبي عقرب ، قال :

كان عمار من أطول الناس سكوتاً وأقلهم كلاماً . وكان يقول : أعوذ بالله من الفتنة ، أعوذ بالله من الفتنة . ثم عرضت له فتنة عظيمة .

ـ حدثني الحسين بن الأسود ، ثنا عبيدالله بن موسى وأبو نعيم ، قالا ثنا سعد العبسي ، عن بلال بن يحيى العبسي أن حذيفة قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أبو اليقظان على الفطرة ، أبو اليقظان على الفطرة ، لن يدعها حتى يموت أو ينسيه الهرم» .

ـ حدثنا سعيد بن سليمان ، ثنا شريك ، عن عطاء ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال :

شاتم عماراً رجل ؛ فقال له : «إن كنتُ كما تقول ، فأنا كتارك الغسل يوم الجمعة ، وإن كنتَ كاذباً ، فأكثر الله مالك ، وأوطأ الرجال عقبك» .

ـ حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا وهب بن جرير ، عن أبيه ، قال : سمعت أبا يزيد المدني يحدث :

أن عماراً قال لعائشة رضي الله تعالى عنها يوم الجمل بعد ما فرغ الناس من القتال : سبحان الله يا أم المؤمنين ، ما أبعد هذا الأمر من الأمر الذي عهد رسول الله ﷺ إليك فيه ، أمرك أن تقري في بيتك ، فقالت : من هذا ، أبو اليقظان ؟ قال : نعم : قالت : والله انك ، ما علمتُ ، لقوال بالحق . فقال : الحمد لله الذي قضى لي على لسانك .

ـ وحدثنا خلف بن هشام البزاز ، ثنا أبو عوانة ، أنبأ أبو بلج ، عن عمرو بن ميمون ، قال :

أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار ، فكان رسول الله ﷺ يمرّ به ، فيمرّ يدَه على رأسه فيقول : «﴿يا نار كوني برداً وسلاما[1] على﴾ عمار كما كنت على إبراهيم ، تقتلك الفئة الباغية ، يا عمار» .

ـ حدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان بن مسلم ، ثنا وهيب ، ثنا داود ، عن أبي نضرة العبدي ـ المنذر بن مالك ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال :

لما أخذ النبي ﷺ في بناء المسجد ، جعل يحمل لبنة لبنة ، وجعل عمار يحمل لبنتين لبنتين ، فحدثني أصحابي أن النبي ﷺ جعل ينفض التراب عن رأسه فيقول : «ويحك ، يا بن سمية ، تقتلك الفئة الباغية» .

ـ وحدثني المدائني ، عن علي بن مجاهد ، قال :

وقع بين عبد الله بن مسعود وبين عمار بن ياسر تشاجر في شيء ، فعجل عمار ، فحبس ابن مسعود . فبلغ ذلك عمر رضي الله تعالى عنه ، فقال : أتُحبس ابنَ أم عبد ؟ فعزل عماراً ، وولى الكوفة المغيرة بن شعبة .

ـ حدثني أحمد بن هشام بن بهرام أبو عبدالله ، ثنا عمرو بن عون ،

---

١ ـ انظر سورة الأنبياء ـ الآية : ٦٩ .

أنبأ هشيم ، عن العوام بن حوشب ، عن الأسود بن مسعود ، عن حنظلة بن خويلد ـ وكان يأمن عند علي وعند معاوية رضي الله عنهما ـ قال :

بينا أنا عند معاوية إذ أتاه رجلان يختصمان في رأس عمار ، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص : لتطب نفس كل واحد منكما لصاحبه برأس عمار ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «تقتل عماراً الفئة الباغية» . فالتفت معاوية إلى عمرو بن العاص ، فقال : ألا تثنى عنا مجنونك هذا، فلم يقاتل معنا إذاً ؟ فقال : إنّ رسول الله ﷺ أمرني بطاعة أبي ، فأنا معكم ، ولست أقاتل .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ووهب بن بقية الواسطي ، قالا : ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ شريك ، عن محمد بن عبدالله المرادي ، عن عمرو بن مرة ، عن عبدالله بن سلمة ، قال :

كنا عند عمار بصِفّين ، وعنده شاعر ينشد هجاء في معاوية وعمرو بن العاص ، وعمار يقول : «ألصق بالعجوزين» . فقال رجل : أيقال عندكم الشعر وأنتم أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر ؟ فقال : إنا لما هجانا المشركون ، شكونا ذلك إلى رسول الله ﷺ ؛ فقال : قولوا كما يقولون لكم . فإن كنا لنعلّمه الإماءَ بالمدينة .

ـ حدثني أحمد بن هشام بن بهرام . ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عمار بن معاوية الدهني ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن عبدالله قال :

قال رسول الله ﷺ : «ما عُرض على ابن سمية أمران قط إلا اختار الأرشدَ منهما» .

ـ وحدثني أبو بكر الأعين ، عن عفان ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن عمار قال :

ثلاث من كمال الإيمان : الإنفاق في الإقتار ، وإنصاف الناس من نفسك ، وبذل السلام .

ـ حدثني أحمد بن هشام وعمرو بن محمد ، قالا : ثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمش ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عند عبدالله بن الحارث ، قال :

إني لأسير مع معاوية منصرفه من صفين ، بينه وبين عمرو بن العاص ، فقال عبدالله بن عمرو بن العاص : يا أبت ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعمار : «ويحك يا بن سمية ، تقتلك الفئة الباغية» . قال : فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع ما يقول هذا ؟ فقال معاوية : «ما تزال تأتينا بهنَةَ تدحض بها في قولك . أنحن قتلناه ؟ إنما قتله الذين جاؤوا به» .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الرحمن ، عن عبدالله بن الحارث :

بمثله .

ـ حدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا خالد بن عبد الله الطحان ، ثنا داود بن أبي هند ، عن عامر قال :

قال عمر لعمار رضي الله عنهما : أساءك عزلنا إياك ؟ قال : لئن قلتَ ذاك ، لقد ساءني استعمالك إياي ، وساءني عزلك .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، قال حدثني عبدالله بن الحارث ، عن الفضيل ، عن أبيه ، عن عمارة ، عن ابن خزيمة بن ثابت ، قال :

شهد خزيمة بن ثابت الجمل ، فلم يسلّ سيفا ، وشهد صفّين ، فقال : لا أقاتل أبداً حتى يُقتل عمار ؛ فأنظر من يقتله ؟ فإني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : «تقتله الفئة الباغية» . فلما قُتل عمار ، قال خزيمة : قد أبانت

لي الضلالة . ثم اقترب ، فقاتل جتى قتل ، وكان الذي قتل عماراً : أبو الغادية المريّ ، طعنه برمح ، فسقط . وكان يومئذ يقاتل في محفة ، فقتل وهو ابن أربع وتسعين سنة ، فلما وقع ، أكبّ عليه رجل آخر فاحتزّ رأسه ، فاختصما فيه . فقال عمرو : والله ما يختصمان إلا في النار ، فقال معاوية : أتقول هذا لقوم بذلوا أنفسهم دوننا ؟ فقال عمرو : هو والله ذاك ؛ وإنك لتعلمه ، ولوددتُ أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة .

- حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا أبو نعيم ، ثنا عبد الجبار ، عن أبي إسحاق ، قال :

لما قتل عمار ، دخل خزيمة بن ثابت فسطاطه ، فشنّ عليه الماء ، وطرح عليه سلاحه ، ثم قاتل حتى قتل :

- وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن عبد الله بن جعفر ، عن ابن أبي عون ، قال :

قتل عمار رضي الله عنه وهو ابن إحدى وتسعين سنة ، وكان أقدم في الميلاد من رسول الله ﷺ ، وكان أقبل إليه ثلاثة نفر : عقبة بن عامر الجهني ، وعمير بن الحارث الخولاني ، وشريك بن سلمة المرادي ، فانتهوا إليه ، فحملوا عليه فقتلوه ، وزعم بعض الناس أن عقبة بن عامر هو الذي كان ضربه حين أمر به عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، حتى أصابه الفتق . ويقال : بل الذي قتله عمير بن الحارث الخولاني .

وقال الكلبي : يقول أهل الشأم : إن الذي قتل عمارا : حُويّ بن ماتع بن زُرعة بن يحض السكسكي ، من كندة . قال : وغيره يقول : قتله أبو الغادية المريّ .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا أبو داود الطيالسي، أنبأ شعبة، أنبأني عمرو بن مرة، قال: سمعت عبد الله بن سلمة يقول:

رأيتُ عماراً يوم صفين شيخا آدم، في يده الحربة، وإنها لترعد. فنظر إلى عمرو بن العاص ومعه الراية، فقال: إنّ هذه راية قد قاتلتها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات، وهذه الرابعة. والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعرفتُ أنّ مصلحينا على الحقّ وأنهم على الضلال.

ـ حدثنا محمد بن سعد، ثنا الفضل بن دكين، ثنا موسى بن قيس الحضرمي، عن سلمة بن كهيل قال:

قال عمار يوم صفين: «الجنة تحت البارقة، الظمآن قد يرد الماء، الماء مورود. اليوم ألقىَ الأحبة: محمداً وحزبه. والله لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر، لعلمتُ أنا على حق وأنهم على باطل. والله لقد قاتلتُ هذه الراية ثلاث مرات مع رسول الله ﷺ، وما هذه المرة بأبرهنّ ولاأنقاهن».

ـ وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن عبد الله بن أبي عبيدة، عن أبيه، عن لؤلؤة مولاة أم الحكم بنت عمار بن ياسر، قالت:

لما كان اليوم الذي قتل فيه عمار، والراية مع هاشم بن عتبة، وقد قاتل أصحابُ عليّ عليه السلام ذلك اليوم، حتى كادت الشمس تغرب، وعمار من وراء هاشم، وقد جنحت الشمسُ للغروب. ومع عمار ضَيح[1] من لبن. فقال حين وجبت الشمس، وشرب الضيح سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن». قالت: ثم اقترب، فقاتل حتى قتل، وهو ابن أربع وتسعين سنة.

---

١ ـ في هامش الأصل: الضيح والضياح ـ بالفتح ـ اللبن الرقيق الممزوج.

ـ حدثنا عمرو الناقد، ثنا وكيع، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي البختري، قال:

أُتي عمار يوم صفين بلبن، فضحك وقال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنّ آخر شراب تشربه حتى تموت شربة لبن».

ـ حدثنا أحمد بن هشام بن بهرام، ثنا وكيع، عن سفيان، عن حبيب، عن أبي البختري قال:

قال عمار يوم صفينّ: ائتوني بشربة لبن، فإنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ آخر شربة تشربها في الدنيا شربة لبن». فأتى بلبن، فشربه. ثم قاتل حتى قتل. رضي الله تعالى عنه.

ـ حدثني عمرو الناقد، ثنا عفان، ثنا ربيعة بن كلثوم بن جبر، حدثني أبي قال:

كنتُ بواسط القصب عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر. فقال الآذن: هذا أبو الغادية الجهني بالباب. فقال عبد الأعلى: أدخلوه، فدخل وعليه مقطعات له، فإذا رجل طُوال، ضرب من الرجال كأنه ليس من هذه الأمة، فلما دخل، قعد، قال: بايعتُ رسول الله ﷺ، قلت: بيمينك؟ قال: لم؟ وذكر كلاماً، ثم قال: «إنا كنا نعد عمار بن ياسر فينا حنّانا، فبينا أنا في مسجد قُباء، إذا هو يقول: «إنّ نعثلا هذا» يعني عثمان. فقلتُ: لو أجد عليه أعوانا، لوطئته حتى أقتله، وقلتُ: اللهم. إن تشأ تمكنّي من عمار، فلما كان يوم صفين، أقبل في أول الكتيبة، حتى إذا كان بين الصَّفين، أبصر رجل عورة منه، فطعنه في ركبته بالرمح، فعثر فانكشف المغفر عنه، فضربته، فإذا رأس عمار. قال: فلم أر رجلاً أبين ضلالة عندي منه: إنه سمع من النبي ﷺ، وبايعه، ثم قتل عماراً. واستسقى أبو غادية ماءً. فأتي بماء في

زجاج. فأبى أن يشرب. فأتي بماء في خزف، فقال رجل بالنبطية: «يتورّع عن الشرب في زجاج، ولم يتورّع عن قتل عمار».

ـ وحدثنا محمد بن سعد، ثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، أنبأ سلمة، أنبأ كلثوم بن جبر، عن أبي غادية، قال:

سمعتُ عماراً يقع في عثمان ويشتمه بالمدينة، فتوعّدته بالقتل. فلما كان يوم صفّين، جعل عمار يحمل على الناس. فقيل: هذا عمار. فرأيتُ فرجة بينّ الرانين[1] وبين الساقين، فحملت عليه، فطعنته في ركبته. فوقع، فقتلته. فقيل: قُتل عمار بن ياسر.

ـ وأُخبر عمرو بن العاص، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قاتله وسالبه في النار». فقيل لعمرو: سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ وهاأنت قاتله. قال: إنما قال: «قاتله وسالبه».

ـ وقال الواقدي في إسناد له:

حمل على عمار حُوَيٌّ السكسكي وأبو الغادية المزّي، فقتلاه، فقيل لأبي الغادية: كيف قتلته؟ قال: لما دلف إلينا في الكتيبة، دلفنا إليه، فنادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه رجل من السكاسك، ثم بارز رجلا من حمير، فقتله عمار. وأثخن الحميري عمارا. ونادى: هل من مبارز؟ فاختلفنا ضربتين، واضطربت يد عمار، فضربته بسيفي حتى برد، ونادى الناس: قتلتَ أبا اليقظان، قتلك الله، فقال له محمد بن المنتشر: خصمك، ياأبا الغادية، مازَنْدر، ـ يعني ضخماً ـ فضحك. وكان أبو الغادية شيخا كبيراً جسيما آدم.

ـ وقال عليّ عليه السلام: إنّ امرءاً من المسلمين لم يعظم عليه قتل عمار ويدخل عليه بقتله مصيبة موجعة، لغير رشيد، رحم الله عماراً يوم أسلم،

---

١ ـ الران: الخف الطويل.

ورحم الله عماراً يوم قتل، ورحم الله عماراً يوم يبعث حيا. لقد رأيت عماراً ما يذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة إلا كان الرابع، ولاخمسة إلا كان الخامس، وما كان أحد من أصحاب محمد يشكّ في أنّ عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن ولاأثنين، فهنيئا له الجنة، عمار مع الحق أين دار، وقاتِلُ عمار في النار.

- حدثني الحسين بن الأسود، عن عبيد الله بن موسى، عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت قال:

قتل عمار يوم قتل وهو مجتمع العقل.

- حدثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عون، عن الحسن، قال:

قال عمرو بن العاص: إني لأرجو أن لايكون رسول الله ﷺ مات يوم مات وهو يحبّ رجلا، فيدخله الله النار. فقال: قد كان يحبك ويستعملك، فقال: الله أعلم أحبني أم تألفني؛ لكنا كنا نراه يحب رجلا. قال: فمن ذاك الرجل؟ قال: عمار بن ياسر، قالوا: فذاك قتيلكم يوم صفينّ. قال: قد والله قتلناه.

- وقال بعض الرواة: كان أبو الغادية عامليا. وأثبت ذلك أنه مرّى.

وقال الواقدي في إسناده: كان عمار آدم، طوالا، مضطربا، أشهل العينين، بعيد مابين المنكبين، وكان لايغير شيبه. وقتل مع علي بصفينّ في صفر سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وتسعين، وذلك الثبت. ويقال: إحدى وتسعين، ودفن بصفين[1]. رحمه الله تعالى.

١ - قبر عمار الآن في طرف الرقة، وهناك مشروع بناء ضريح كبير مع مسجد عليه.

ـ حدثنا محمد بن حاتم، ثنا ابن نمير عن أشعث بن سوار، عن أبي إسحاق.

أن عليا عليه السلام صلى على عمار، وهاشم بن عتبة، فجعل عمار مما يليه، وهاشماً أمام ذلك، وكبر عليهما تكبيراً واحداً.

ـ وحدثنا بشر بن الوليد، ثنا أبو يوسف، عن الحسين بن عمارة، عن أبي اسحاق، عن عاصم بن ضمرة:

أن عليا صلى على عمار، ولم يغسّله.

ـ حدثنا محمد بن سعد، ثنا أبو نعيم، ثنا شريك بن عبد الله، عن أبي إسحاق الشيباني، عن مثنى العبدي، عن أشياخ شهدوا عماراً قال: لاتغسلوا عني دما فإني مخاصم.

وروي عن الأصبغ بن نباته أنه قال:

رحم الله أبا اليقظان، فإني أرى أنه لو شارك أيوبَ عليه السلام في بلائه، صبر معه.

خَبّاب بن الأرَتّ

ـ قالوا: كان الأرتّ سواديّا. فأغار قوم من ربيعة على الناحية التي كان فيها، فسبوه وأتوا به الحجاز، فباعوه، فوقع إلى سِباع بن عبد العزّى الخزاعي، حليف بني زهرة. وابنة عبد الله بن سِباع هذا، هي أم طَريح بن إسماعيل الثقفي الشاعر. فوهبه لأم أنمار بنت سِباع، فأعتقته. وسباع هذا، هو الذي بارز حمزة يوم أحد فقال له حمزة رضي الله عنه: «إليّ يابن مقطعة البظور». فقتله حمزة. وكانت أمه قابلة بمكة، ويقال: إنّ اسمها أيضاً أم أنمار.

ـ وقال الهيثم بن عدي: كان أبو خباب من أهل كسكر ويقال: إنه كان من سواد الكوفة.

ـ وزعم أبو اليقظان البصري: أن خباب بن الآرتّ كان أخا سباع لأمه، فانضمّ خباب إلى آل سباع، فادّعى حلف بني زهرة.

ـ وخباب ـ فيما يقول ولده ـ بن الأرتّ بن جندلة بن سعد بن خزيمة، من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وأنه وقع عليه سباء، فصار إلى أم أنمار مولاته، فأعتقته. وأنه كانت به رّتة.

قال الواقدي: كان ألكن إذا تكلم بالعربية، فسمى الأرتّ.

ـ وقال الواقدي: أسلم خباب، وكان قيناً بمكة. ويكنى أبا عبد ربه.

ـ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن كردوس، أنه قال:

ألا إنّ خباب بن الأرتّ أسلم سادس ستة.

ـ وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن محمد بن صالح، عن يزيد بن رومان، قال:

أسلم خبّاب مع بني مظعون، وأبي سلمة بن عبد الأسد، وجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، قبل دخول دار الأرقم.

ـ وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ويوسف بن موسى القطان، قالا ثنا جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة، عن الشعبي، قال:

أعطوهم ما أرادوا. قال يوسف في حديثه: حين عُذّبوا إلّا خباب بن الأرتّ، فجعلوا يلصقون ظهره بالأرض على الرضف[1] حتى ذهب ماء متنه.

ـ وقال الواقدي: جاء خباب إلى النبي ﷺ، فشكا ماأصابه. فقال

١ ـ الرضف: الحجارة المحماة. القاموس.

ﷺ: «لقد كان الرجل ممن قبلكم يمشط بأمشاط الحديد حتى يخلص إلى مادون عظمه من لحم وعصب، ويُشقّ بالمياشير، فلا يردّه ذلك عن دينه. وأنتم تعجلون. والله، ليمضينّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لايخاف إلا الله وحده، والذئب على غنمه».

ـ وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام ومحمد بن حاتم، قالا: ثنا وكيع عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن خباب بن الأرتّ، قال:

كنت قيناً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أقتضيه. فقال لي: لن أقضيك حتى تكفر بمحمد. فقلتُ: لن أكفر حتى تموت وتبعث. قال: «وأني لمبعوث بعد الموت؟ فإن كان ذلك، فلسوف أقضيك إذ رجعتُ إلى مالي وولدي». فنزلت فيه: ﴿أفرأيتَ الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالا وولداً﴾، إلى قوله: ﴿فردا﴾[1].

ـ وحدثني بكر بن الهيثم، ثنا عبدالله بن صالح المصري، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس بنحوه.

وقوله: «سنكتب ما يقول[2]»، يعني ماله وولده.

ـ وقال الواقدي: كان خباب ممن شهد بدراً، ولم يفارق النبي ﷺ، ولما هاجر رسول الله ﷺ وهاجر خباب، نزل والمقداد بن عمرو على كلثوم بن الهدم، فلم يبرحا منزله حتى توفي قبل بدر بيسير. فتحوّلا، فنزلا على سعد بن عبادة، فلم يزالا عنده حتى فُتحت قريظة. وآخا رسول الله ﷺ بين خباب وجبر بن عتيك بن [الحارث بن][3] قيس بن هيشة الأوسي. ولم يتخلف عن مشهد من مشاهد رسول الله ﷺ.

١ ـ سورة مريم ـ الآيات: ٧٧ ـ ٨٠.
٢ ـ سورة مريم ـ الآية: ٧٩.
٣ ـ زيد ما بين الحاصرتين من سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥١٣.

ـ حدثني إبراهيم بن مسلم الخوارزمي وعمرو بن محمد الناقد ، قالا ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ليلى الكندي قال :

جاء خباب إلى عمر رضي الله تعالى عنه ، فقال : ادنُه ، ادنُه ، فما أحد أحق بهذا المجلس منك ، إلا عمار بن ياسر . فجعل خباب يريه آثاراً في ظهره لما عذّبه المشركون .

ـ حدثني خلف بن هشام ، ثنا حبان بن علي العنزي أخو مندل ، ثنا مجالد ، عن الشعبي ، قال : دخل خباب بن الأرت على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فأجلسه على منكبه وقال : ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا رجل واحد ، فقال خباب : ومن هو ، يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلال . قال خباب : ليس هو بأحق مني ، إنّ بلالا كان له في المشركين من يمنعه الله به ، ولم يكن لي أحد ؛ لقد رأيتني يوماً وقد أوقدوا لي ناراً ، ثم سلقوني فيها ، ثم وضع رجل رجله على صدري ، فما أتيتُ الأرض إلا بظهري . ثم كشف خباب عن ظهره ، فإذا هو قد برص .

ـ حدثني القاسم بن سلام ، ثنا حجاج بن محمد ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن حارثة بن مضرب ، قال :

دخلتُ على خباب أعوده وقد اكتوى سبع كيّات ، فسمعته يقول : لولا أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «لا يَتَمَنَّينَّ أحدكم الموت» ، لتمنيته . قال : وأُتي بكفنه قباطي . فبكى ، ثم قال : لكن حمزة كفن في بردة ، إذا مُدَّت على قدميه قصرت عن رأسه ، وإذا مُدّت على رأسه قصرت عن قدميه حتى جعل عليهما إذخر[1]، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ،

١ ـ إذخر : الحشيش الأخضر ، طيب الريح . معجم أسماء النباتات .

وما أملك ديناراً ولا درهماً ؛ وإنّ في بيتي في تابوت لأربعين ألف واف . ولقد خشيتُ أن يكون عُجّلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا .

ـ حدثني محمد بن سعد ، حدثني يعلى بن عبيد ، ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم قال :

دخلنا على خباب نعوده ، وقد اكتوى في بطنه سبعاً . وقال : لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت ، لدعوتُ بالموت .

ـ حدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، قال :

كان خباب قيناً ، وكان قد أسلم ، فكان رسول الله ﷺ يألفه ويأتيه ، فأُخبرتْ بذلك مولاته ، فكانت تأخذ الحديدة وقد أحمتها ، فتضعها على رأسه . فشكا ذلك إلى النبي ﷺ ، فقال : اللهم انصر خباباً . فاشتكت مولاته رأسها ـ وهي أم أنمار ـ فكانت تعوي مع الكلاب . فقيل لها : اكتوي ، فكان خباب يأخذ الحديدة قد أحماها ، فكان يكوي بها رأسها .

ـ قال الواقدي : أتى خباب الكوفة حين اختطها المسلمون ، فابتنى بها داراً ، وتوفي بها سنة سبع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة . وصلى عليه علي بن أبي طالب منصرفه من صفين .

ـ حدثني محمد بن سعد ، ثنا طلق بن غنام النخعي ، ثنا محمد بن عكرمة بن قيس النخعي ، عن أبيه قال : حدثني ابن خباب قال :

كان الناس يدفنون موتاهم بالكوفة في جبابينهم . فلما ثقل خباب ، قال : أي بُنيّ ، إذا أنا مت ، فادفني بهذا الظهر ، فإنك لو دفنتني به قيل : دفن بهذا الظهر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فدفن الناس موتاهم بالظهر ، قال : فلما مات ، دفنه بظهر الكوفة . فكان أول مدفون بظهر الكوفة خباب بن الأرتّ .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي في إسناده ، قال :

كان الذي يعذب خباباً حين أسلم ، ولازم رسول الله ﷺ : عتبة بن أبي وقاص ، أخا سعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص مالك بن أُهيب بن عبدمناف بن زهرة ، ويقال : إن الذي كان يعذّبه ـ وهو الثبت ـ الأسود بن عبد يغوث .

قال : وكان ، فيما ذكر بعض ولده ، ربعة ، جيد الألواح ، عريض ما بين المنكبين ، عظيم الهامة ، كثّ اللحية .

ـ وزعم بعض الرواة : أن خباباً كان مولى لعتبة بن ربيعة ، وذلك باطل .

ـ حدثنا عفان ، ثنا عبدالواحد بن زياد ، أنبأنا الأعمش ، عن إبراهيم :

أنّ خباباً كان يكنى أبا عبدالله .

صُهيب بن سنان

ـ قال الكلبي : صُهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عُقيل بن عامر بن جندلة بن جذيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس مناة بن النمر بن قاسط . وأمه سلمى بنت قَعِيد ، من بني تميم .

ـ وقال الواقدي : كان إسلام صهيب مع عمار في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وقال بعض الرواة : كان اسم صهيب : عميرة بن سنان . قالوا : وكناه رسول الله ﷺ ، قبل أن يولد له ، أبا يحيى . وليست له كنية غيرها .

ـ وقال الكلبي وغيره :

كان سنان عاملا لكسرى على الأُبلّة من قبل النعمان بن المنذر ، وكانت منازلهم بأرض الموصل ، ويقال : كانوا في قرية على شاطىء الفرات

مما يلي الجزيرة . فأغارت الروم على ناحيتهم ، فسبت صهيباً وهو غلام ، فنشأ بالروم ، فصار ألكن ، فابتاعه رجل من كلب ، فقدم به مكة ، فاشتراه أبو زهير عبدالله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب . فاسترقّه ، ثم أعتقه . فأقام معه إلى أن هلك . وكان مهلك ابن جُدْعان قبل المبعث ببضع عشرة سنة ، ولم يزل صهيب مع آل جُدْعان إلى أن بعث رسول الله ﷺ ، فأسلم .

وأما أهل صهيب وولده ، فيقولون : لم يشتره أحد من الذين سبوه ، ولكنه لما ترعرع وعقل ، هرب من الروم ، فسقط إلى مكة ، فحالف ابن جُدْعان وأقام معه إلى أن هلك .

وأنّ صهيباً كان أحمر شديد الحمرة ، فسمي روميا لذلك ، ولأنه سقط إلى الروم .

وقال المدائني : سبته العرب ، فوقع إلى مكة ، ولم يدخل الروم قط ، وإنما سمي روميا لحمرته .

ـ حدثنا أبو الربيع الزهراني ، ثنا حماد بن زيد ، عن معروف الخزري ، عن محمد بن سيرين قال :

صهيب من العرب ، من النمر بن قاسط .

ـ حدثنا عمرو بن محمد الناقد ويحيى بن أيوب الزاهد وسريج بن يونس ، قالوا ثنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي ـ وقال بعضهم : ابن علية [1] ـ أنبأ يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال :

قال رسول الله ﷺ : «صهيب سابق الروم» .

ـ حدثني أبو صالح الفراء : أنبأ حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال :

١ ـ علية أمه غالبا ما نسبه المحدثون إليها .

مرّ صهيب وأصحابه على مجلس من قريش ، فقالوا : انظروا إلى الأرذال ؛ أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا ؟ فنزلت الآية [١] .

ـ حدثني أبو أيوب سليمان المؤدب الرقي ، ثنا عبدالله بن جعفر الرقي ، عن عبيدالله ، عن عبدالله بن عمر بن عقيل ، عن حمزة بن صهيب :

أن أباه كان يكنى أبا يحيى . فيقول إنه من العرب ، ويطعم الطعام الكثير . فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «يا صهيب ، ما بالك تتكنى ، وليس لك ولد ؟ وتقول إنك من العرب وإنما تعرف بالرومي ، وتطعم الطعام الكثير وذلك سرف في المال» ؟ فقال صهيب : «أما الكنية ، فإن رسول الله ﷺ كناني أبا يحيى ، وأما النسب فإني رجل من بني النمر بن قاسط ، من أهل الموصل ، ولكن الروم سبوني صغيراً بعد أن عقلتُ أهلي وقومي وعلمتُ نسبي . وأما قولك في الطعام ، فإن رسول الله ﷺ كان يقول : «خياركم من أطعم الناس ، وأفشى السلام» . فذلك الذي يحملني على إطعامه .

ـ حدثني محمد بن سعد ، ثنا الواقدي ، عن معاوية بن عبدالرحمن ، عن يزيد بن رومان ، عن عروة ، قال :

كان صهيب من المستضعَفين ، من المؤمنين الذين كانوا يعذبون في الله .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال :

أقبل صهيب مهاجرا نحو المدينة ، فاتبعه نفر من قريش ، فنزل عن راحلته ، ونثل ما في كنانته ، ثم قال : «يا معشر قريش ، لقد علمتم أني

١ ـ انظر سورة الأنعام ـ الآية : ٥٣ .

أرماكم رجلاً . والله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، فافعلوا ما شئتم ، دللتكم على مالي وخليتم سبيلي ؟» قالوا : نعم ، ففعل ، فلما قدم على رسول الله ﷺ ، قال : «ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع» . قال : ونزلت : ﴿ومن الناس من يَشري نفسه ابتغاءَ مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ [1] .

ـ حدثنا هوذة بن خليفة ، أنبأ عوف ، عن أبي عثمان النهدي ، قال :

بلغني أن صهيباً حين أراد الهجرة إلى المدينة ، قالت له قريش : «أتيتنا صُعلوكاً حقيراً ، فكثر مالك عندنا وبلغتَ ما بلغتَ ، ثم تريد أن تنطلق بنفسك ومالك ؛ والله لا يكون ذلك . قال : أرأيتكم إن تركتُ مالي لكم أتخلّون سبيلي ؟ قالوا : نعم . فخلع لهم ماله . فبلغ النبي ﷺ ذلك ، فقال : «ربح صهيب ، ربح صهيب» ونزلت فيه : ﴿ومن الناس من يَشرى نفسه ابتغاءَ مرضاة الله﴾ الآية .

ـ وقال الواقدي : قدم صهيب آخر الناس مع علي بن أبي طالب عليه السلام . وذلك للنصف من شهر ربيع الأول ، ورسول الله ﷺ بقباء ، ولم يرِم بعدُ ، فوافى رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وبين أيديهم رطب قد جاءهم به كلثوم بن الهدم : أمهات جراذين [2] . وكان صهيب رمد العين ، قد رمد في الطريق ، وأصابته مجاعة شديدة ، فجعل يأكل الرُّطب أكل جائع . فقال عمر : يا رسول الله ، ألا ترى إلى صهيب يأكل الرطب وهو رمد ؟ فقال رسول الله ﷺ : «يا صهيب ، أتأكل الرطب

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٠٧ .

٢ ـ أم جرذان : نوع من النخيل معروف تجتمع تحتها الجرذان وتأكل منها ، سميت بذلك ، وهي آخر النخل ادراكاً بالحجاز وهي بالمدينة كالبرني بالبصرة ، ودعا لها النبي ﷺ مرتين . المرصع لابن الأثير ـ ط . بغداد ١٩٧١ .

وأنت رمد» ؟ فقال صهيب : إنما آكله بعيني الصحيحة ، فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال صهيب : إن قريشاً أخذتني وحبستني ، فاشتريتُ نفسي وأهلي بمالي ، وبادرتُ للهجرة . فقال رسول الله ﷺ : «ربح البيع» ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاءَ مرضاة الله﴾ الآية .

ـ قالوا : وشهد صهيب بدرا ، وأحدا ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

ـ حدثني محمد بن سعد ، ثنا سليمان بن حرب ، ثنا جرير بن حازم ، عن يعلى بن حكيم ، عن سليمان بن أبي عبدالله قال :

كان صهيب يقول : هلموا : أحدّثكم عن مغازينا ؛ فأما أن أقول : قال رسول الله ﷺ ، فلا .

ـ حدثني الوليد بن صالح ومحمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن فليح ، عن عامر بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه ، قال :

قال عمر رضي الله عنه لأهل الشورى فيما أوصاهم به : «وليصلّ بكم صهيب» .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن طلحة ، عن محمد بن سعيد ، عن أبيه سعيد بن المسيب ، قال :

ولما توفي عمر رضي الله تعالى عنه ، نظر المسلمون فإذا صهيب يصلي بهم المكتوبات بأمر عمر ، فقدّموه ، فصلى على عمر .

ـ وقال الواقدي : توفي صهيب بالمدينة في شوال سنة ثمان وثلاثين ، وكان رجلاً أحمر شديد الحمرة ، ليس بالقصير ولا الطويل ، وهو إلى القصر أقرب . وتوفي ابن سبعين سنة ، وكان يخضب بالحناء ، وكان كثير شعر الرأس . ودُفن بالبقيع .

وحدثني رجل من ولد صهيب ، عن أشياخه :

أن صهيباً مرّ بقريش ، ومعه خبّاب بن الأرتّ ، وعمار بن ياسر ، فقالوا : هؤلاء جلساء محمد ، وجعلوا يهزأون . فقال صهيب : نحن جلساء نبي الله ، آمنا وكفرتم ، وصدّقناه وكذبتموه ولا خسيسة مع الإسلام ولا عز مع الشرك . فعذبوه وضربوه ، وجعلوا يقولون : أنتم الذين من الله عليكم من بيننا ؟

بلال بن رباح

ـ قالوا : كان رباح حبشياً وسبياً ، وكان ابنه بلال من مولّدي السراة ، وكانت أمه حمامة سبية أيضاً ، وكانت تلقب سُكينة ، وأسلم بلال قديماً في أول ما دعا رسول الله ﷺ ، وكان بلال يكنى أبا عبدالله ، فصار بلال لامية بن خلف بن وهب الجمحي .

ـ وقد سمعتُ من يقول : إنّ بلالا من مولدي بني جمح ، فكان أمية يخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت ، فيلقيه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ويقول له : لا تزال والله كذا حتى تفارق دينَ محمد ، فيقول بلال : أحد ، أحد ، ويضع أمية في عنقه حبلا ، ويأمر الصبيان فيجرونه . فمرّ به أبو بكر رضي الله تعالى عنه يوماً وهو يعذّب ، فقال له : يا أمية ، أما تتقي الله في هذا المسكين ؟ فقال أمية : أنتَ أفسدته ، فأنقذه . وكان بلال ترباً لأبي بكر ، وأحد من دعاه أبو بكر رضي الله عنه إلى الإسلام ، فقال أبو بكر : عبدي غلام أسود أجلد منه وأقوى ، وهو على دينك ؛ فأعطيك إياه ثمناً لبلال . قال : قد قبلتُ . فأعطاه ذلك الغلام ، وأخذ بلالا فأعتقه . وصار مولى لأبي بكر رضي الله تعالى عنهما .

ـ وحدثني بكر ، عن عبدالرزاق ، عن معمر ، عن قتادة الكلبي ، أن عمرو بن العاص قال :

مررتُ ببلال وهو يعذّب في الرمضاء ولو أن بضعة لحم وُضعت لنضجت ، وهو يقول : أنا كافر باللات والعزّى ، وأمية مغتاظ عليه فيزيده عذاباً فيقبل عليه ، فيذهب حنقه فيغشى عليه ، ثم يفيق .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي في إسناد له أن حسان بن ثابت قال :

حججتُ ـ أو قال : اعتمرتُ ـ فرأيتُ بلالاً في حبل طويل ، تمده الصبيان ، ومعه فيه عامر بن فُهيرة ، وهو يقول : أحد ، أحد ، أنا أكفر باللات والعزّى ، وهُبَل وساف ونائلة وبُوانة . فأضجعه أمية في الرمضاء .

ـ وحدثناأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، ثنا جرير الضبي ، عن منصور ، عن مجاهد قال :

جعلوا في عنق بلال حبلاً ، وأمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين أخشبي مكة يعني جبليها ففعلوا ذلك وهو يقول : أحد ، أحد .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن معاوية بن عبدالرحمن ، عن يزيد بن رومان ، عن عروة قال :

كان بلال من المستضعفين من المؤمنين ، وكان يعذب حين أسلم ليرجع عن دينه . فما أعطاهم قط كلمة مما يريدون . وكان الذي يعذبه أمية بن خلف الجمحي .

ـ حدثني أبو محمد الغنوي ، عن محمد بن عبدالله الأنصاري ، عن ابن عون ، عن عمير بن إسحاق قال :

كان بلال إذا اشتد عليه العذاب قال : أحد ، أحد . فيقولون له : قل كما نقول . فيقول : إن لساني لا ينطلق به ولا يحسنه .

ـ حدثنا أبو الربيع الزهراني ، ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين :

أنّ بلالا لما أسلم ، أخذه أهله ، فقمطوه وألقوا عليه من البطحاء ، وجعلوا يقولون : ربك اللات والعزى ، فيقول : أحد ، أحد . قال : فأتى عليه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، فقال : علامَ تعذّبون هذا الإنسان ؟ فاشتراه بسبع أواق ، وأعتقه . فذكر للنبي ﷺ أنه قد اشتراه . فقال : الشركة يا أبا بكر ، فقال : قد أعتقته يا رسول الله .

ـ وروي أن بلالا قال : أعطشوني يوماً وليلة ، ثم أخرجوني فعذّبوني في الرمضاء في يوم حارّ .

ـ وحدثنا محمد بن سعد ، أنبأ الحميدي ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس قال :

اشترى أبو بكر بلالا بخمس أواقي .

ـ حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا شعيب بن حرب أبو صالح ويزيد بن هارون ، قالا: ثنا عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة ، ثنا محمد بن المنذر ، عن جابر بن عبدالله قال :

قال عمر : «أبو بكر سيدنا ، وأعتقَ سيدنَا» يعني بلالا .

ـ وحدثني عمرو الناقد ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم ـ يعني ـ ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ : «بلال سابق الحبشة» :

وقال الكلبي : كان بلال يعذب ليرجع إلى الكفر ، فيقول : أحد ، أحد . فمرّ به ورقة بن نوفل ، فقال : أي والله أحد ، أحد . وقال :

لا تعبدون إلهاً غير ربكم فإن دعوكم فقولوا بيننا حدَدَ
مسخرٌ كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يسامي ملكَه أحد

ـ حدثني شجاع بن مخلد الفلاس ويوسف بن موسى القطان ، قالا أنبأ معمر بن عبدالحميد ، عن ليث ، عن مجاهد :

في قوله : ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدّهم من الأشرار * اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار﴾ (١) ، قال : يقول أبو جهل : «أين بلال ، أين عمار ، أين صهيب ، أين خباب ، أين فلان ؟ كنا نعدّهم في الدنيا من الأشرار ونتخذهم سخرياً ، لا نراهم في النار ، أم زاغت عنهم أبصارنا ؟ فليس نرى مكانهم في النار» .

ـ وقال الواقدي : لما هاجر بلال ، نزل على سعد بن خيثمة . وقال : يقال إن رسول الله ﷺ آخا بين بلال وأبي رويحة الخثعمي . وليس ذلك بثبت ، ولم يشهد أبو رويحة بدراً ، وكان محمد بن إسحاق يُثبت مؤاخاة بلال وأبي رويحة عبدالله بن عبدالرحمن الخثعمي .

ـ حدثني محمد بن سعد ، ثنا محمد بن عبيد الطنافسي ، عن المسعودي ، عن القاسم بن عبدالرحمن قال :

أول من أذّن بلال .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال :

كان بلال إذا فرغ من الأذان وأراد أن يعلم النبي ﷺ أنه قد أذّن ، وقف على الباب ، فقال : حي على الصلاة ، حي على الفلاح يا رسول الله ، فإذا خرج رسول الله ﷺ ، فرآه ، ابتدأ في الإقامة .

ـ حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس

أن بلالا صعد ليؤذّن وهو يقول :

---

١ ـ سورة ص ـ الآيتان ٦٢ ـ ٦٣ .

مـا لبــلال ثكلتــه أمــه وابتل من نضح دم جبينه

ـ وقال الواقدي : كان بلال يحمل «العنزة» بين يدي رسول الله ﷺ إلى العيد ، فيركزها بين يديه . والمصلِّي يومئذ فضاء .

ـ حدثنا أبو نصر التمار ، عن شريك ، عن سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة

أن بلالا كان يؤذّن حين تدحض الشمس ، فيؤخر الإقامة قليلاً ، أو قال : وربما أخر الإقامة ، ولا يخرج في الأذان عن الوقت .

ـ حدثنا خلف البزار ، ثنا أبو شهاب الحناط ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن أنس قال :

أمر النبي ﷺ بلالا أن يشفع الأذان ويُوتر الإقامة .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن إبراهيم بن محمد بن عمار ، عن أبيه ، عن جده قال :

كان بلال يحمل العنزة بين يدي رسول الله ﷺ يوم العيد ، وفي الاستسقاء .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن إسماعيل ، عن عبدالله بن أبي أويس ، عن عبدالرحمن بن سعد وغيره ، عن آبائهم وأجدادهم

أن النجاشي الحبشي بعث إلى رسول الله ﷺ بثلاث عنزات ، فأمسك النبي ﷺ واحدة ، وأعطى عمر واحدة ، وأعطى عليا واحدة .

ـ وقال الواقدي : فمشى بالعنزة بين يدي النبي ﷺ ، ثم بين يدي أبي بكر : بلالٌ ، ثم كان سعد القرظ يمشي بها بين يدي عمر ، وعثمان في العيدين ، فيركزها بين أيديهما . ويصليان إليها ، وهي العنزة التي يمشى بها اليوم بين يدي الولاة .

قال الواقدي : ويقال إن الزبير بن العوام قاتل بين يدي النجاشي عدوا له ، فأبلى ، فوهب له العنزة .

ـ حدثني أحمد بن هشام ، ثنا عمرو بن عون ، أنبأ خالد بن عبدالله الواسطي ، عن أبي حيان ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ لبلال : «ما أرجى عمل عملتَه منفعة» ؟ فقال ما عملتُ عملا أترجى عندي منفعة من أني لم أتطهر طهوراً تاماً قط في ليل ولا نهار إلا صلّيت لربي ما شاء الله أن أصلي . قال : «فإني رأيت البارحة خشف نعليك ـ أو قال : خشف نفليك ـ في الجنة بين يدي» .

ـ حدثنا أحمد بن هشام ، ثنا شعيب بن حرب ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن هرير بن عبدالرحمن ، عن رافع بن خديج قال :

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «يا بلال نوّر بالفجر قدر ما يبصر القومُ مواقعَ نبلهم» .

ـ حدثني حماد بن إسحاق ، ثنا الحجاج بن منهال ، ثنا حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر :

أن بلالا أذّن قبل طلوع الفجر ، فأمره النبي ﷺ . فنادى : ألا إنّ العبد نام ، ألا إن العبد نام ، ثلاثا .

ـ حدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان ، ثنا أبو هلال ، عن قتادة :

أن بلالا تزوج امرأة عربية ، من بني زهرة .

ـ حدثنا محمد بن حاتم ، ثنا وهب بن جرير ، أنبأ شعبة ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، قال :

خطب بلال وأخوه إلى أهل بيت من اليمن فقال : «أنا بلال وهذا

أخي عبدان من الحبشة ، كنا ضالِّين فهدانا الله ، وكنا عبدَين فأعتقنا الله ، إن تنكحونا فالحمد لله ، وإن تمنعونا فالله أكبر» .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، ثنا عفان ، ثنا عبدالواحد بن زياد ، ثنا عمرو بن ميمون ، حدثني أمي

أن أخاً لبلال كان ينتمي إلى العرب ، فخطب امرأة منهم . فقالوا : إن حضر بلال ، زوّجناك . قال : فحضر بلال ، فتشهد ، ثم قال : أنا بلال بن ربَاح وهذا أخي ، وهو رجل سوقي الخُلق والدين ؛ فإن شئتم فزوّجوه ، وإن شئتم فدعوه ، قالوا : من تكن أخاه فإنا نزوّجه ، فزوّجوه .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، حدثني محمد بن إسماعيل بن أبي فديك المدني ، ثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم :

أن بني البُكير جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ، وهم من بني كنانة ، فقالوا له : زوّج أختنا فلاناً ، فقال لهم : «فأين أنتم عن بلال»؟ ثم جاؤوا الثانية والثالثة ، فقالوا : يا رسول الله ، أنكح أختنا فلاناً ، فقال : «أين أنتم عن بلال ، أين أنتم عن رجل من أهل الجنة ؟» قال : فأنكحوه .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، ثنا عفان ، ثنا أبو هلال الحمصي ، عن حريز بن عثمان ، عن عبدالرحمن بن ميسرة قال :

كان أناس يأتون بلالاً فيذكرون فضله وما قسّم الله له من الخير ، فكان يقول : إنما أنا حبشي ؛ كنتُ بالأمس عبدا .

ـ حدثنا علي بن المديني ، ثنا جرير بن عبدالحميد ، أنبأ مغيرة ، عن الشعبي قال :

انتهى بلال إلى قوم يتنازعون في أمر أبي بكر وبلال أيهما أفضل ، فقال : إنما أنا حسنة من حسنات أبي بكر .

ـ حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا وكيع ، ثنا سفيان ، ثنا عون بن أبي جحيفة ، عن أبيه قال :

أتيتُ النبي ﷺ بالأبطح ، وهو في قبة حمراء ، فخرج بلال بفضل وضوئه ، ثم أذّن بلال ، فكنتُ أتتبع فاه هكذا وهكذا ، يعني يميناً وشمالاً ، ثم رُكزت عنزة . وخرج النبي ﷺ وعليه جبة حمراء . فكأني أنظر إلى بريق ساقية ، قال : فصلى إلى العنزة الظهر ـ أو قال : العصر ـ ركعتين . وجعل يمر الكلب والحمار والمرأة فلا يمنع ، فلم تزل الصلاة ركعتين حتى قدم المدينة .

ـ حدثني عبد الواحد بن غياث، أخبرنا أبو سلمة حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه

أن بلالا سمع أمية بن خلف، وهو على جمل له يوم بدر، يقول: هل تدرون من تقاتلون؟ ألا تذكرون اللبن[1]؟ فقال بلال: أمية وربِّ الكعبة؛ لانجوتُ إن نجوتَ. وأناخ بعيره، ثم خطمه بالسيف فجدعه، فمات.

ـ وقال الواقدي وإبراهيم بن سعد وغيرهما:

لما كان يوم بدر، رأى أميةُ بن خلف، عبدَ الرحمن بن عوف وكان صديقه. فقال له: ياعبد عمرو. وكان اسمه في الجاهلية. فلم يكلمه. فقال له: ياعبد الإله. قال عبد الرحمن: فالتفتُّ، فإذا أنا بأمية وابنه علي؛ وبه كان يكنى وقد أخذ بيد ابنه، ومعي أدراع قد استلبتها. وكان مشرفاً على الأسر، فسأله أن يطلب له الأمان؛ وقال: أما لكم حاجة في اللبن ـ يعنى الفداء ـ؟ نحن خير لكم من أدراعك، فقلتُ: امضيا، وأقبلتُ أسوقهما.

١ ـ في سيرة ابن هشام ج١ ص٦٣ ٤ : «يريد الفداء باللبن، أن من أسرني افتديت منه بابل كثيرة اللبن».

فبصر بلال بأمية؛ فقال: يامعشر الأنصار، أمية بن خلف رأس الكفر؛ لانجوتُ إن نجوتَ؛ قال عبد الرحمن: فاقبلوا كأنهم عوذ حنت إلى أولادها، فأحاطوا بأمية حتى صار في مثل المسكة، فأقبل الحُباب بن المنذر، وقد اضطجعتُ عليه، فأدخل سيفاً فقطع أُربيته[1]، فقمت عنه، وضربه خبيب ابن يساف حتى قتله. وضربه بلال ضربة صرعته، وضرب أمية خبيباً، فقطع يده من المنكب؛ فأعادها رسول الله ﷺ بيده، فالتحمت وصلحت، وتزوج خبيب بعد ذلك ابنة أمية بن خلف، فرأت أثر الضربة، فقالت: لاأشلّ الله يدا ضربتك. فقال: وأنا فقد أوردته شعوب[2]. وقتل عليا ابنه: الحبابُ بن المنذر وعمارُ بن ياسر.

ـ وقد روي أيضاً أن رفاعة بن رافع طاعن أمية وسايفه، ثم بدا له فتق في درعه تحت إبطه، فوجأه بالسيف، فقتله. والأول أثبت خبر رُوي في قتله.

ـ قال الواقدي: لما توفي رسول الله ﷺ، أذّن بلال ورسول الله ﷺ لم يقبر بعد، فكان إذا قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله»، انتحب الناس في المسجد. فلما دفن، قال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه: أذّن، فقال: إن كنتّ إنما أعتقتني لله، فخلني ومن أعتقتني له، فقال له: ماأعتقتك إلا لله. فقال: فإني لا أؤذّن لأحد بعد رسول الله ﷺ، قال: فذاك إليك. فأقام حتى خرجت بعوث الشأم، فسار معهم.

ـ وحدثني أبو بكر الأعين، ثنا روح بن عبادة، ثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب:

---

١ ـ الأربية: أصل الفخذ، أو مابين أعلاه وأسفل البطن. القاموس.

٢ ـ في هامش الأصل: سميت المنية شعوب لأنها تفرق.

أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما قعد على المنبر يوم الجمعة، قال له بلال: يأبا بكر. قال: لبيك. قال: أعتقتني لله أم لنفسك؟ قال: لله. قال: فائذن لي حتى أغزو في سبيل الله. فأذن له. فأتى الشأم، فمات بها.

- وروي ان بلالا قال لأبي بكر: ياخليفة رسول الله - ﷺ - سمعتُ رسول ﷺ يقول: أفضل عمل المؤمن الجهاد في سبيل الله؛ فائذن لي، فقال أبو بكر: أنشدك الله وحرمتي وحقي؛ فقد كبرتْ سني وضعفتُ واقترب أجلي، فأقام مع أبي بكر حتى توفي أبو بكر، ثم جاء إلى عمر رضي الله تعالى عنه، فقال له كما قال لأبي بكر. فرد عليه عمر نحواً مما رد أبو بكر، فأبى عليه المقام، فقال عمر: فإلى من ترى أجعل النداء؟ قال: إلى سعد القرظ، فإنه قد أذّن لرسول الله ﷺ. فدعا عمر سعداً، فجعل الأذان إليه.

- وحدثني بعض القرشيين قال:

لما دوّن عمر الدواوين بالشأم، سأل بلال أن يجعِل ديوانه مع أبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي؛ وقال: فإني غير مفارقه أبداً، فقد آخا رسول الله ﷺ بيني وبينه، فضم ديوان الحبشة إلى خثعم، فلم يبق بالشأم حبشي إلا صار ديوانه مع خثعم.

- وقال أبو بكر في بلال رضي الله تعالى عنهما حين قتل أمية:

هنيئاً زادك الرحمن عزّا فقد أدركت ثأرك يا بلالُ
فلا نكسا وُجدت ولا جبانا غداة تَنُوشُكَ الأُسل الطوال

قالوا: وقال بلال، ومرض حين هاجر إلى المدينة:

إلا ليتَ شعري هل أبيتن ليلة بفخّ وحولي إذخر وجليلُ
وهل أرِدنْ يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامةٌ وطَفيل

ـ وقال الواقدي: إنّ بلالا ترب أبي بكر، وتوفي بمدينة دمشق سنة عشرين. ودفن عند باب الصغير[1]، في المقبرة هناك، وهو ابن بضع وستين سنة، وكان رجلا آدم شديد الأدمة، نحيفا طوالا، وكان أحنى، له شعر كثير، خفيف العارضين، به شمط كثير لايغيره، وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، قال: وسأل عمر حين قدم الشأم بلالا أن يؤذّن. وقال: إنما كرهتَ الأذان بالمدينة؛ فأذّن ها هنا. فأذّن. فبكى الناس عامة يومهم لذكر رسول الله ﷺ.

عامر بن فُهيرة

ـ كان عامر مولّداً من مولدي الأزد، مملوكاً للطفيل بن عبد الله بن الحارث بن سخبُرة بن جُرثومة، من ولد نصر بن زهران. وكان الطفيل أخا عائشة ابنة أبي بكر لأمها أم رومان، وكان عامر قديم الإسلام قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم.

ـ وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

كان عامر بن فهيرة للطفيل أخي لأمي، فأسلم، فاشتراه أبو بكّر، وكان يرعى عليه مَنيحة غنم له.

ـ قالوا: وكان عامر من المستضعفين، وكان يعذَّب بمكة ليرجع عن دينه حتى اشتراه أبو بكر، وكان حين أوى رسول الله ﷺ إلى الغار يروح بغُنيمة أبي بكر فيها، فيسقيهما من لبنها، وكان معهما حين هاجرا إلى المدينة

١ ـ مكان قبره معروف بدمشق، بني عليه مسجد كبير، يراه المنطلق من دمشق إلى مطارها الدولي.

يخدمها، وقد شهد بدراً وأُحداً. ونزل بالمدينة على سعد بن خيثمة، وآخا رسول الله ﷺ بينه وبين الحارث بن أوس بن معاذ، واستشهد عامر بن فهيرة يوم بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة، وكان يوم قتل ابن أربعين سنة، وكان يكنى أبا عمرو.

ورُوي أن جبار بن سلمة الكلابي طعن عامراً يومئذ، فقال: فزتُ وربِّ الكعبة. ورُفع من رمحه، فلم توجد جثته. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الملائكة أخذته فوارت جثته». فأسلم جبار لما رأى، وحسن إسلامه.

ـ وحدثني محمد بن سعد، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب قال: أخبرني رجال من أهل العلم.

أن عامر بن فهيرة قتل يوم بئر معونة، فلم يوجد جسده حين دفنوا القتلى. قال عروة: فكانوا يرون أن الملائكة دفنته.

أبو فكيهة

ـ واسمه أفلح. ويقال: يسار. قالوا: كان أبو فكيهة عبدا لصفوان ابن أمية الجمحي. فأسلم حين أسلم بلال، فمرّ به أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وقد أخذه أمية بن خلف فربط في رجله حبلا وأمر به فجرُ، ثم ألقاه في الرمضاء. ومر به جُعلٌ، فقال: أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربي خلقني وخلقك وخلقَ هذا الجعل. فغلظ عليه وجعل يخنقه، ومعه أخوه أبيّ بن خلف، يقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره. ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات، ثم أفاق. فمر به أبو بكر، فاشتراه واعتقه.

ـ ويقال: إنّ بني عبد الدار كانوا يعذبونه، فإنه إنما كان لهم، فأخرجوه يوما مقيَّداً نصف النهار إلى الرمضاء، ووضعوا على صدره صخرة حتى دلع لسانه، وقيل: قد مات. ثم أفاق.

ـ قال ابن سعد: وذكر الهيثم بن عدي.

أنه مات قبل يوم بدر.

وجارية بني المؤمل بن حبيب بن تميم بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب .

ـ وكان يقال لها ـ فيما ذكر أبو البختري ـ لُبينة. أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان عمر يعذِّبها حتى تفتر، فيدعها، ثم يقول: أما إني أعتذر إليك بأني لم أدعك إلا عدامة. فتقول: كذلك يعذّبك الله إن لم تسلم.

ـ وقال الواقدي في إسناده: إنّ حسان بن ثابت قال: قدمتُ مكة معتمراً، والنبي ﷺ يدعو الناس، وأصحابه يؤذون ويعذّبون، فوقفتُ على عمر، وهو مؤتزر يخنق جارية بني عمرو بن المؤمل حتى تسترخي في يديه. فأقول: قد ماتت، ثم يخلّي عنها، ثم يثب على زِنِّيرة، فيفعل بها مثل ذلك.

زِنّيْرة :

ـ قالوا وكان أبو جهل يقول: ألا تعجبون لهؤلاء واتّباعهم محمداً؟ فلو كان أمر محمد خيراً وحقاً ماسبقونا إليه. أفسبقتنا زنيرة إلى رشد، وهي من ترون؟ وكانت زنّيرة قد عذّبت حتى عميت. فقال لها أبو جهل: إنّ اللات والعزّى فعلتا بك ماترين، فقالت، وهي لاتبصره: وما تدري اللاتُ والعزّى، من يعبدهما ممن لايعبدهما؛ ولكن هذا أمر من السماء، وربي قادر على أن يردّ بصري، فأصبحت من تلك الليلة وقد ردّ الله عليها بصرها،

فقالت قريش: هذا من سحر محمد، فاشترى أبو بكر رضي الله عنه جارية بني المؤمل وزنيرة، وأعتقهما.

ـ ويقال: إنّ زنيرة لغير بني عدي. وقال الكلبي: هي لبني مخزوم. وكان أبو جهل يعذبها.

وكانت النهدية:

ـ مولدة لبني نهد بن زيد. فصارت لامرأة من بني عبد الدار. فأسلمت. فكانت تعذّبها وتقول: والله لا أقلعتُ عنك أو يعتقك بعض من صبأبك. فابتاعها أبو بكر أيضاً، فأعتقها وكان معها طحين ـ ويقال: نوى ـ لمولاتها يوم أعتقها أبو بكر رضي الله تعالى عنه. فردّت ذلك عليها.

وكانت أم عُبيس

ـ وبعضهم يقول «أم عنيس»، أمة لبني زهرة، فكان الأسود بن عبد يغوث يعذّبها، فابتاعها أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأعتقها.

ـ وأخبرتُ عن المسيبي أنه قال: إنها أم عُبيس بن كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. والله أعلم.

ـ حدثنا محمد بن سعد، عن الواقدي، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن أبي غطفان عن ابن عباس:

أنه قال لها: هل كان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قالت: نعم، إن كانوا ليضربون أحدَهم ويجيعونه ويعطشونه ويضربونه، حتى ما يقدر على أن يقعد، فيعطيهم ما سألوا من الفتنة. ويقولون له: اللات والعزى آلهتك من دون الله؟ فيقول: نعم، وحتى إن الجعل ليمرّ، فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من

دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء مما يبلغون من جهده ، فإذا أفاق ، رجع إلى التوحيد .

ـ وقال الكلبي : عُذّب قوم لا عشائر لهم ولا مانع ، فبعضهم ارتدّ ، وبعضهم أقام على الإسلام ، وبعضهم أعطى ما أريد منه من غير اعتقاد منه للكفر . وكان قوم من الأشراف قد أسلموا ، ثم فتنوا . منهم سلمة بن هشام بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة ، وعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص السهمي .

ـ قال : وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد ، جلس إليه المستضعفون من أصحابه : عمار وخبّاب ، وصهيب ، وبلال ، وأبو فكيهة ، وعامر بن فهيرة وأشباههم من المسلمين . فيقول بعض قريش لبعض : هؤلاء جلساؤه كما ترون ؛ قد ﴿منّ الله عليهم من بيننا﴾ . فأنزل الله عز وجل : ﴿أليس الله بأعلمَ بالشاكرين ؟ [١]﴾ ونزل فيهم : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكونَ من الظالمين﴾ [٢] . ونزل فيهم : ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظُلموا لنبوّئنهم في الدنيا حسنةً ولأجرُ الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [٣] . ونزل فيهم ﴿ثم إنّ ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إنّ ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ [٤] . قالوا : وكان مجاهد يقول : يعني الذين تكلموا بما تكلموا به وهم كارهون .

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٥٣ .
٢ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٥٢ .
٣ ـ سورة النحل ـ الآيتان : ٤١ ـ ٤٢ .
٤ ـ سورة النحل ـ الآية : ١١٠ .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، ثنا الواقدي ، عن عبدالحميد بن جعفر ، عن أبيه قال :

كان أبو جهل يأتي الرجل الشريف إذا أسلم ، فيقول له : أتترك دين أبيك وهو خير منك ، وتُفَيِّل رأيه ، وتضع شرفه ؟ وإن كان تاجراً ، قال : ستكسد تجارتك ، ويهلك مالك ، وإن كان ضعيفا ، أغرى به حتى يعذّب ، فأذن رسول الله ﷺ لأصحابه ، فهاجروا إلى الحبشة في السنة الخامسة من المبعث .

أسماء من هاجر إلى الحبشة من المسلمين هربا بأديانهم من مشركي قريش بإذن النبي ﷺ :

ـ فمن بني هاشم بن عبدمناف :

جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه . هاجر في المرة الثانية ، ومعه امرأته أسماء ابنة عُميس ، ولم يزل مقيما بالحبشة ـ وكان أبو طالب يتعهده ، إلى أن مات ، باللطف والنفقة ـ ثم قدم منها هو وجماعة أقاموا معه من المسلمين ، وجماعة أسلموا من الحبش ، وقد فتح رسولُ الله ﷺ خيبر ، فقال رسول الله ﷺ : ما أدري أنا بفتح خيبر أسرّ أم بقدوم أخي جعفر ؟ وعانقه ، وقبَّل ما بين عينيه . وذلك في سنة سبع من الهجرة ، واستشهد جعفر بمؤتة في سنة ثمان من الهجرة ، وله أكثر من أربعين سنة بأشهر ، ويقال : أقلّ منها بأشهر . وكان يكنى أبا عبدالله . وولد له بالحبشة عبدالله بن جعفر ، وعون ومحمد ، وأمهم أسماء .

ـ ومن بني أمية بن عبدشمس :

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية . هاجر الهجرتين ، الأولى والثانية جميعاً ، ومعه امرأته رُقية بنت رسول الله ﷺ ، ثم قدم رضي الله تعالى عنه ، فهاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وقال رسول الله ﷺ حين

هاجر إلى الحبشة ، ومعه رقية : إنهما لأول من هاجر بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام» .

وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية . هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، وأقام بها ، فلم يشهد بدراً ، وولد له بالحبشة سعيد بن خالد ، ثم قدم من الحبشة مع جعفر ، واستشهد بالشأم في سنة أربع عشرة ، وكان يكنى أبا سعيد ، وكانت معه بالحبشة امرأته هُمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعي .

عمرو بن سعيد أخوه . هاجر إلى الحبشة وأقام بها ، ثم قدم مع جعفر عليه السلام ، واستشهد بالشأم .

وقال الكلبي : قدما مع جعفر ، وكانت هجرتهما في المرة الثانية بعد أن رجع من رجع من الهجرة الأولى ، وكان عمرو يكنى أبا عتبة ، وكانت معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن محرث الكناني . وقال بعضهم : إنه قدم قبل جعفر بقليل .

أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف ، واسمه مهشم ، ويقال : هشيم . هاجر إلى الحبشة مرتين ، ثم قدم فهاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً ، وقتل يوم اليمامة شهيداً ، وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة ، وكانت معه بالحبشة امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، فولدت له محمد بن أبي حذيفة .

ـ ومن حلفاء بني عبدشمس بن عبد مناف :

عبدالله ، ويكنى أبا محمد ؛ وعبد ، ويكنى أبا أحمد .

وعبيدالله ، ويكنى أبا جحش ، بنو جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن كبير بن مرّة بن غَنْم بن دودان بن أسد ، وهم إخوة زينب بنت

جحش ، وأمهم أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم ، فأما عبدالله ، فهاجر في المرة الثانية ، وقدم فشهد بدراً مع النبي ﷺ ، واستشهد يوم أحد ، ودفن مع حمزة رضي الله عنهما في قبر واحد ، وأما أبو أحمد ، وهو عبد ، فكفّ بصره ومات بالمدينة ، ولم يهاجر إلى الحبشة قط . ومن قال انه هاجر ، فقد أبطل ، وأما عبيدالله ، فهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، فتنصر ومات على النصرانية ، فيقال انه غرق في البحر وهو سكران ، ويقال غرق من الخمر ، وكانت معه امرأته ، رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، فولدت له جارية سمتها حبيبة . فقيل «أم حبيبة» ، فأقامت على الإسلام ، فخلف عليها رسول الله ﷺ . وذلك أنه وجه عمرو بن أمية الضمري إلى أصحمة النجاشي بكتاب منه ، يدعوه فيه إلى الإسلام ؛ وأمره أن يخطب عليه أم حبيبة ، فوكلت خالدَ بن سعيد بن العاص بتزويجها ، وكان وأخوه أقربَ من بالحبشة إليها ، فزوّجها إياه . وكان عبيدالله يقول : «فقحنا وصأصأتم» ، أي أبصرنا ولم يبصر المسلمون . وهذا مثل . وأصله ان الجرو إذا فتح عينه ، قيل : فقح ، وإذا فتح ثم غمض من الضعف لصغره ، قيل : صأصأ ، وأبو أحمد بن جحش ، الذي جعل يوم فتح مكة يمرّ بين يدي رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة ، وهو يقول :

يا حبذا مكة من وادي أرض بها أهلي وعوّادي
إني بها تُرشح أوتادي إني بها أمشي بلا هادي

وشجاع بن وهب بن ربيعة ، أحد بني مالك بن كبير بن غَنْم . ويكنى أبا وهب . هاجر في المرة الثانية ، ثم هاجر إلى المدينة مع النبي ﷺ ، وكان نحيفاً ، طوالا ، أحنى . وقتل يوم اليمامة شهيداً ، وهو له بضع وأربعون سنة . ويقال إن أخاه عقبة بن وهب كان معه ، والثبت أنه كان معه ببدر .

قيس بن عبدالله ، ظئر عبيدالله بن جحش ، وهو من بني أسد أيضاً . هاجر في المرة الثانية ، ومعه امرأته بركة بنت يسار الأزدي [١] ، أخت أبي تجراة . وبعضهم يقول : «رقيش الأزدي» ، وذلك غلط . والأزدي الذي وُهل [٢] إليه يزيد بن رقيش ، وليس يزيد بن رقيش من مهاجرة الحبشة ، ولكنه بدري .

ومعيقيب بن أبي فاطمة الدَّوسي ، حليف آل سعيد بن العاص ، وقال بعضهم : هو من دوس ، ولكنه أصابه سباء ، وهو مولى سعيد بن العاص ، وهو قديم الإسلام ، وكتب لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ؛ وولاه بيت المال ، وكان به جذام ، فأكل مع عمر ، فقال : لولا صحبته للنبي ﷺ ، ما واكلته . وهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، ومنهم من يدفع هجرته إلى الحبشة ، ويقول : كان قدومه مع أبي موسى الأشعري . وأول مشاهده خيبر . وانه مات في السنة التي غزيت فيها افريقية في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه .

وقال الواقدي : سمعتُ من يقول إنه من مهاجرة الحبشة ، وقدم مع جعفر بن أبي طالب . وليس ذلك بثبت .

أبو موسى عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عتر بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجُماهر بن الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان .

---

١ ـ في هامش الأصل ما يفيد في رواية أخرى «الأَسْدي»، ولا فرق بين «الأَزْد» و«الأَسْد» .
٢ ـ أي أشار إليه وهما .

قال الهيثم بن عدي : كان حليفاً لآل عتبة بن ربيعة ، وأسلم بمكة وهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، فأقام بها وقدم مع جعفر ، فشهد خيبر . ومات سنة اثنتين وأربعين .

وقال الواقدي وغيره : لم يكن أبو موسى من مهاجرة الحبشة قطّ ، ولا حليفاً لأحد ؛ وإنما قدم من اليمن بعد ذلك مع نفر فيهم أبو عامر الأشعري ، وأول مشاهد أبي موسى خيبر ، ومات سنة اثنتين وأربعين .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة المحدّث : مات سنة أربع وأربعين .

- ومن بني نوفل بن عبدمناف ، من حلفائهم :

عتبة بن غزوان بن جابر بن نسيب بن وهيب بن زيد بن مالك بن عبدعوف بن الحارث بن مازن بن منصور ، هاجر في المرة الثانية ، ثم هاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة ، وهو ابن أربعين سنة . وولاه عمرُ البصرةَ . فكان أول من مصرها . ومات بين المدينة والبصرة وهو يريدها راجعاً إليها في سنة سبع عشرة ، وهو ابن سبع وخمسين سنة . وكان يكنى أبا غزوان ، ويقال : كان يكنى أبا عبدالله .

وكان لعتبة مولى ، يقال له خبّاب ، ويكنى أبا يحيى بكنية خباب بن الأرتّ ، شهد بدراً ومات سنة سبع عشرة وصلى عليه عمر بن الخطاب . وكان حين مات ابن تسع وخمسين سنة . ولم يهاجر مع عتبة إلى الحبشة .

- ومن بني أسد بن عبدالعزى بن قصي :

أبو عبدالله الزبير بن العوام بن خويلد رضي الله تعالى عنه . هاجر إلى الحبشة في المرتين جميعا ، وقاتل مع النجاشي عدوا له ، فأعطاه العنزة التي صارت إلى رسول الله ﷺ ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة ، ومعه أمه

صفية بنت عبدالمطلب ، واستشهد بوادي السباع ، بقرب البصرة ـ ويقال إنّ النجاشي أهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث عنزات ـ وهاجر معه إلى المدينة حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليفه ، وسعد بن خولي الكلبي مولى حاطب ، ولم يهاجرا معه إلى الحبشة . فأما حاطب فتوفي بالمدينة سنة ثلاثين وهو ابن خمس وستين سنة ، وصلى عليه عثمان . وكان يكنى أبا محمد ، وأما سعد بن خولي الكلبي ، فاستشهد يوم أُحُد . وكان يكنى أبا عبدالله ، وفرض عمر لابنه عبدالله بن سعد مع الأنصار .

عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد بن عبدالعزّى . هاجر في المرة الثانية ، فمات بأرض الحبشة مسلماً ، ولم يذكره محمد بن إسحاق .

خالد بن حزام بن خويلد بن أسد ، مات قبل أن يصل إلى الحبشة في المرة الثانية : نهشته أفعى فقتلته . وليس مجتمع على هجرته . ولم يذكره محمد بن إسحاق .

وقال الواقدي في بعض روايته : إن هذه الآية ﴿ومن يُخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموتُ فقد وقع أجره على الله﴾ [1] نزلت فيه . وليس ذلك بثبت .

يزيد بن معاوية بن الأسود بن المطلب بن أسد ، هاجر في المرة الثانية ، واستشهد يوم حُنين . ويقال : يوم الطائف ، وقيل : إنه كان يكنى أبا حنظلة ؛ وقدم المدينة بعد الهجرة .

الأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد ، هاجر في المرة الثانية ، وقدم المدينة بعد قدوم النبي ﷺ إياها .

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ١٠٠ .

- **ومن بني عبدقصي :**

طليب بن عمير بن وهب بن عبد ، وأمه أروى بنت عبدالمطلب ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، وهاجر إلى المدينة مع أصحاب رسول الله ﷺ ، واستشهد يوم أجنادين بالشام وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، وكان يكنى أبا عدي .

- **ومن بني عبد الدار بن قصي :**

مصعب الخير بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ، هاجر إلى الحبشة في المرة الأولى والثانية جميعاً، ثم قدم مكة فهاجر منها إلى المدينة، واستشهد يوم أُحُد ومعه لواء رسول الله ﷺ، وهو ابن أربعين سنة، وكان يكنى أبا محمد.

فراس بن النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، هاجر في المرة الثانية. وقتل بالشأم يوم اليرموك شهيدا، وكان يكنى أبا الحارث، وكان قدومه من أرض الحبشة بعد الهجرة.

جهم بن قيس بن عبد بن شرحبيل ـ ويقال عبد شرحبيل وهو قول الكلبي ـ وابناه عمرو وخزيمة، هاجروا في المرة الثانية وقدموا مع جعفر بن أبي طالب، وماتت امرأة جهم بالحبشة.

سويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عُميلة بن السبّاق بن عبد الدار، هاجر في المرة الثانية. وشهد بدراً وأُحداً، ومات والنبي ﷺ متوّجه إلى تبوك، وكان يكنى أبا حرملة.

وأبو الروم بن عمير، أخو مصعب ، وكان اسمه عبد مناف، هاجر في المرة الثانية .

قال الواقدي: ليست هجرته مجتمع عليها.

وقال الكلبي: هاجر إلى الحبشة، ثم قدم قبل خيبر فشهد خيبر.
وقال الهيثم بن عدي: لم يهاجر أبو الروم إلى الحبشة.
وقال الواقدي: قال أبو الزناد: لم يهاجر أبو الروم إلى الحبشة، وشهد يوم أُحد.

النضير بن الحارث بن علقمة بن كلدة، ويكنى أبا الحارث.

وقال الواقدي: كان النضير من مسلمة يوم الفتح، ويقال كان النبي ﷺ أمنه يوم الفتح، فلم يصحّ إسلامه إلا بعد حنين. وكان إسلامه بالجعرانة، حُدِّث عن سببه أنه خرج إلى حنين هو وأبو سفيان وصَفوان وسهل بن عمرو، يريدون إن كانت على رسول الله ﷺ أن يكرّوا مع المشركين عليه وعلى أصحابه، وقد حسن إسلام النضير بعدُ، وكان ممن أقام بمكة ولم يهاجر إلى المدينة، ولم يذكره ابن إسحاق في الهجرة إلى الحبشة.

وقال الهيثم بن عدي: هاجر النضير إلى الحبشة، ثم قدم إلى مكة وارتد، ثم إنه صحح الإسلامَ يوم الفتح أو بعده، واستشهد باليرموك.

- ومن بني زهرة بن كلاب:

عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، ويقال: عبد الكعبة. فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن، هاجر إلى الحبشة في المرة الأولى والثانية، ثم قدم مكة فهاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن خمس وسبعين سنة، ويكنى أبا محمد، رحمه الله.

عامر بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية وأقام حتى قدم مع جعفر بن أبي طالب عليه السلام، ومات

بالشأم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. وكان يكنى - فيما روي عن الوقاصي - أبا عمرو، رضي الله تعالى عنه.

المطلب، وطليب ابنا أزهر بن عبد عوف.

قال الواقدي: هاجر المطلب في المرة الثانية، وولد له بالحبشة عبد الله بن المطلب.

وقال الكلبي: هاجرا جميعا في المرة الثانية وماتا بالحبشة، وكانت مع المطلب امرأته رملة بنت أبي عوف بن صُبيرة السهمي.

عبد الجانّ بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة. وهو عبد الله، سماه رسول الله ﷺ «عبد الله». هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، وأقام مع جعفر، وقدم معه. وتوفي في أيام عثمان. وذكر الوقاصي: أنه كان يكنى أبا مخرمة.

- ومن حلفاء بن زهرة:

أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، وأمه أم عبد بنت ودّ، من هذيل. هاجر في المرة الثانية. ويقال: في المرتين جميعاً، وذلك أثبت، وهاجر من مكة إلى المدينة. وتوفي في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن بضع وستين سنة، ودفن بالبقيع.

وقال الواقدي: صلى عليه عثمان، وقال غيره، صلى عليه عمار بن ياسر. وكان رجلا نحيفاً قصيراً شديد الأدمة، لايغير شيبته. وهاجر معه:

عتبة بن مسعود، أخوه لأبيه وأمه في المرة الثانية. وأقام عتبة حتى قدم مع جعفر، ومات بالمدينة في أيام عمر بن الخطاب، وكان يكنى أبا عون.

ومن حلفاء بني زهرة :

المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن دَهير بن لؤي بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن أبي أهون بنَ قائش بن دُرَيم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة. وهو الذي يقال له المقداد بن الأسود، وكانت أمه عند الأسود بن عبد يغوث، خلف عليها بعد أبيه عمرو، وتبناه فنسب إليه.

هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية في رواية ابن إسحاق، ولم يذكره موسى بن عقبة وأبو معشر. ثم قدم فهاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وشهد بدرا. ولم يزل مع النبي ﷺ وشهد مشاهده كلها. وتوفي في خلافة عثمان في سنة ثلاث وثلاثين بالجُرف، على ثلاثة أميال من المدينة، فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالمدينة، وصلى عليه عثمان، وكان يوم توفي ابن سبعين سنة أو نحوها. يكنى أبا معبد، وكان رجلا طُوالا آدم ذا بطن، كثيرَ شعر الرأس، يصفر لحيته، ولم تكن بالعظيمة ولا الخفيفة، أقنى مقرون الحاجبين. ولما قدم المدينة، نزل على كلثوم بن الهِدم. فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين جبار بن صخر، فأقطعه في بني جديلة. دعاه إلى تلك الناحية أُبيّ بن كعب.

ـ ومن بني تيم بن مرة :

عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، وأقام مع جعفر، وقدم قبله. واستشهد يوم القادسية.

والحارث بن خالد بن صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ـ هو ابن خال أبي بكر الصديق، لأن أمه أم الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب ـ هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية .

وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه أراد الهجرة إلى الحبشة في المرة الثانية معه، ثم أقام مع النبي ﷺ.

حدثني محمد بن سعد والوليد بن صالح: قالا: ثنا الواقدي عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت:

لما ابتلي المسلمون، وَسَطَتْ بهم عشائرهم، خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، وكان المشركون قد آذوه، فلما بلغ بِرْك الغُماد، لقيه ابن الدُّغينة. وهو الحارث بن يزيد سيد القارة، فقال: أين تعمد ياأبا بكر؟ قال: أخرجني قومي، فأنا أسيح في الأرض فأعبد ربي، فقال ابن الدُّغينة: «مثلك، ياأبا بكر، لايَخرج ولايُخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحقوق، فأنا لك جار. فارجع». وأتى ابن الدغينة قريشاً، فقال لهم: «مامثل أبي بكر يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدم، وَيصل الرحم، ويحمل الكلّ، ويقري الضيف، ويعين على النوائب؟» فأنفذتْ قريش جوار ابن الدغينة، وأمنوا أبا بكر على أن يصلي ويقرأ في منزله، فمكث أبو بكر مستخفياً بصلاته وقراءته، يعبد الله في داره. ثم إنه ابتنى بفناء داره مسجدا، فبرز يصلي فيه. فكان يجتمع نساءُ المشركين وأبناؤهم حين يقرأ القرآن، فراع ذلك أشرافَ قريش، فبعثوا إلى ابن الدغينة فأخبروه بما يصنع أبو بكر، فقال ابن الدغينة لأبي بكر: قد علمتَ ما عاقدك القوم عليه؛ فإما أن تقتصر عليه وإما أن تردّ عليّ جواري وذمتي. فقال أبو بكر: فإني أرجع إليك جوارك وأرضى بجوار الله.

وكان الحارث بن خالد مع أبي بكر حين لقيه أولا، فقال له: إن معي رجلا من عشيرتي. فقال له ابن الدغينة: دعه فليمض لوجهه، وارجع أنت

إلى عيالك، فقال له أبو بكر: فأين حق المرافقة؟فقال الحارث: أنت في حلّ، فامض، فإني ماض لوجهي مع أصحابي. فمضى حتى صار إلى الحبشة.

قالوا: ولم يزل مقيما بها إلى أن قدم مع جعفر، وكانت مع الحارث امرأته ريطة بنت الحارث بن جُبيلة، من بني مرّة، فولدت له موسى وعائشة وزينب. وهلكت بأرض الحبشة، وذلك الثبت. وقال بعض الزبيريين: أقبل الحارث وامرأته وولده منها، فشربوا ببعض الطريق من ماء هناك فماتوا سواء. فزوّجه النبي ﷺ بالمدينة ابنة عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف.

وقال غير الواقدي: هو ابن الدُّغُنَّة.

- ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرّة:

أبو سلمة بن عبد الأسد. واسم أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، هاجر إلى أرض الحبشة مرتين، ومعه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، واسمها هند، فولدت له بالحبشة زينب بنت أبي سلمة. وقدم مكة، فكان أول من هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً. ورُمي بسهم يوم أُحد، فانتقض به، فمات في جمادى الآخرة سنة أربع، فخلف رسول الله ﷺ على أم سلمة بعده، وكان أبو سلمة ابن عمة رسول الله ﷺ، وأمه بَرَّة بنت عبد المطلب.

شمّاس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هِرمي بن عامر بن مخزوم. واسمه عثمان، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية. واستشهد يوم أُحد. وقال بعضهم: استشهد يوم بدر، والأول أثبت، وكان يعرف بابن ساقي العسل. وذلك أن هرمي بن عامر كان يسقي الناس العسل بمكة، وكان شماس يكنى أبا المقدام، وكانت معه بالحبشة امرأته أم حبيب بنت سعيد بن يربوع بن

عنكثة. ونزل حين هاجر إلى المدينة على مبشر بن عبد المنذر، وأدخل المدينة من أُحد وبه رمق، وحمل إلى أم سلمة، فمات عندها، فأمر النبي ﷺ، فردّ إلى أحد فدفن بها مع الشهداء. وقال حسان بن ثابت يرثيه ويخاطب أخته:

أفني حياءك في ستر وفي كرم ... فإنما كان شمّاس من الناس

قد ذاق حمزة ليثُ الله فاصطبري ... كأساً رواء فكأس المرء شماس[1]

ويقال: قاله غير حسان.

هبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية وأقام مع جعفر، وقدم المدينة قبله، واستشهد يوم أجنادين بالشأم. ويقال: يوم مؤتة.

عبيد الله بن سفيان، أخو هبار. هاجر معه، وقتل يوم اليرموك.

هاشم بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. واسم أبي حذيفة مهشّم. هاجر المرة الثانية، وأقام مع جعفر، وقدم المدينة قبله ومات فيها، يقال أيام تبوك. وبعضهم يقول: هو هشام بن أبي حذيفة.

سلمة بن هشام بن المغيرة، أخو أبي جهل، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ثم قدم مكة، فحبسه بها أبو جهل، فلم يأت المدينة إلا بعد الخندق، واستشهد يوم مرج الصُّفَّر بالشأم. ويكنى أبا هاشم. قالت أم «سلمة»، وهي ضباعة بنت عامر القشيرية:

لا هُمَّ ربِّ الكعبة المحرّمهْ ... أظهر على كل عدوّ سلمهْ

له يدان في الأمور المبهمهْ ... إحداهما تُردى وأخرى مُنعمهْ

عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ومعه امرأته ابنة سلمة بن مُخَرَّبة بن جندل بن أُبير بن نهشل بن دارم، فولدت له

---

١ ـ ليسا في ديوان حسان المطبوع.

بأرض الحبشة عبد الله بن عياش، ثم قدم مكة وهاجر إلى المدينة. وكان قد صاحب في هجرته إلى المدينة عمر بن الخطاب، فلما شارفا المدينة، لحقهما أبو جهل والحارث ابنا هشام بن المغيرة، ومعهما الحارث بن يزيد بن أبي نبيشة العامري. فقالوا: ياعياش، إن أمك مريضة، وقد نذرت أن لاتستظل من شمس ولايمسّ رأسها دهن، ولاتطعم إلا بلغة من الخبز القفار(١) حتى تراك، فرّق لها. فقال له عمر: «مايريدون إلا خديعتك عن دينك، والله لئن آذى أمك القملُ، لتدّهننّ؛ ولتمشطنّ؛ ولئن آذاها حَرّ مكة، لتستظلنّ». فقال: أبرّ قسم أمي؛ ولي هناك مال، فخرج معهما. فلما صار ببعض الطريق، شدّاه وثاقاً، وأدخلاه مكة، وقالا: هكذا فافعلوا بسفهائكم. ويقال: إنه قدم المدينة ونزل بقباء، فمنها رجع.

وكان الحارث بن يزيد بن أبي نبيشة قد أعانهما على ربطه. فحلف عياش: لئن أمكنته منه فرصة، ليقتلنه. فلما تخلص عياش، وذلك بعد أحد، أتى المدينة، فإذا هو بالحارث بن يزيد قائماً بالبقيع، فقتله وهو يظن أنه كافر، فنزلت فيه: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ﴾، الآية(٢).

ـ وحدثني عبدالواحد بن غياث، ثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه

أن الحارث بن يزيد كان شديدا على النبي ﷺ. فجاء وهو يريد الإسلام. فلقيه عياش بن أبي ربيعة ـ وعياش لا يدري ـ فحمل عليه فقتله. فأنزل عز وجل: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ﴾ الآية. ولم يزل عياش بالمدينة إلى أن قُبض رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى الشأم

١ ـالقفار: بلا ادام.

٢ ـ سورة النساء ـ الآية: ٩٢.

فجاهد . ورجع إلى مكة فأقام بها حتى مات . ولم يبرح ابنه عبدالله من المدينة .

ـ وحدثني علي الأثرم ، عن أبي عبيدة قال :

نزل هشام بن المغيرة بحران ، وبها أسماء بنت مخرّبة ـ ويقال : بنت عمرو بن مخرّبة ـ وقد هلك عنها زوج لها . وكانت أم أسماء : عناق بنت الجان ، من تغلب بن وائل . وأمها الشموس بنت وائل بن عطية ، من أهل فدك . فتزوّجها هشام بن المغيرة وحملها إلى مكة . فولدت له أبا جهل بن هشام ، والحارث بن هشام . ثم خلف عليها أبو ربيعة بن المغيرة ، فولدت له عياش بن أبي ربيعة . وكان عياش أخا أبي جهل والحارث ابني هشام لأمهما أسماء بنت مخرّبة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم .

وقال ابن سعد . ماتت أسماء قبل رجوع عياش إليها . ويقال إنه لم يمكنه التخلص حتى ماتت . ويقال إنها أدركت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه . وذلك أثبت .

وقال الواقدي وغيره : لم يزل الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم على دين قومه حتى أسر يوم بدر . فافتدي بأربعة آلاف درهم . ويقال بشكة أبيه الوليد ـ لأن النبي ﷺ لم يقبل غيرها ؛ وكانت درعاً فضفاضة ـ وسيفاً ، وبيضة . وكان اللذان خرجا في فدائه أخاه خالد بن الوليد ، وأخاه هشام بن الوليد . فلما افتدي وتخلص ، أسلم ورجع إلى مكة ، وقال : ما منعني من الإسلام حين أسرت ، وقد تبينتُ الحق ، إلا أن يقال «أسلم الوليدُ فراراً من الفداء» . ثم إن أخويه حبساه بمكة مع عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام . فلم يزل يحتال حتى أفلت من وثاقه ، وخرج حتى أتى المدينة . وقد طُلب ، فلم يلحق ، وستر الله عليه فلم يعرف

أخواه له أثرا . فسأله رسول الله ﷺ عن سلمة وعياش . فقال : تركتهما في ضيق . وكان رسول الله ﷺ يدعو لهما ولضعفة المسلمين قبل إسلام الوليد . ثم دعا للوليد أيضاً . فقال رسول الله ﷺ : «انطلق يا وليد حتى تنزل فلان القينَ فإنه قد أسلم وأخلص ، فتستخفي عنده وتلطف لأخبار عياش وسلمة وتُعلمهما أنك رسولي وأني آمرهما بالتلطف للخروج إليّ . فإن الله سيعينهما وييسر ذلك لهما ، فقد أذن في خلاصهما» . قال الوليد : ففعلتُ . وسهل الله أمرهما حتى خرجا . وكانا جميعاً موثقين ، رِجل هذا مع رِجل صاحبه في قيد واحد . وخرجت أسوق بهما مخافة الطلب والفتنة ، حتى انتهيتُ إلى ظهر حرّة المدينة . فعثرتُ ، فانقطعت اصبعي . فقلتُ :

هل أنتِ إلا إصبع دميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ

ثم مات بالمدينة بعد قليل . فقالت أم سلمة بنت أمية زوجُ رسول الله ﷺ :

يا عين فابكي للوليـ ـد بن الوليد بن المغيرة
مثل الوليد بن الوليـ ـد أبي الوليد فتى العشيرة

فقال رسول الله ﷺ : «لا تقولي هذا يا أم سلمة ، ولكن قولي : ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ [1]» . ويقال إنّ أم سلمة استأذنت رسول الله ﷺ في البكاء على الوليد . وقالت : غريب توفي في بلاد غربة . فأذن لها ، فصنعت طعاماً وجمعت النساء .

١ ـ سورة ق ـ الآية : ١٩ .

وقال الواقدي : وقوم يزْعمون أن الوليد بن الوليد تخلص حين تخلص ، فكان مع أبي بُصير عتبة بن أسيد الثقفي حليف قريش . وذلك غير ثبت (١) .

وكان أبو بصير أسلم وأفلت من قومه ، فأتى النبي ﷺ بعد قدومه المدينة من الحديبية . فكتب الأخنس بن شَريق وغيره إلى النبي ﷺ في ردّه ، لما كان قاضاهم عليه من ردّ من صار إليه . فردّه رسول الله ﷺ إليهم مع رسولين لهم . فشدّ أبو بصير في طريقه على أحد الرسولين ، فقتله . وكان من بني عامر بن لؤي . يقال له خنيس بن جابر . وأفلت فأتى النبي ﷺ فقال له : وفيتُ بذمتك وامتنعتُ بديني أن أفتن . فقال رسول الله ﷺ : «ويل أمه من محشّ حرب لو كان معه رجال» ، وكان مع أبي بصير سلب العامري ، فلم يخمّسه رسول الله ﷺ ، وقال له : «هنيئاً لك بسلب صاحبك» . ثم قال : «يا أبا بصير ، اذهب حيث شئت» . فخرج أبو بصير إلى قرب الساحل . ولحق به قوم من المسلمين ممن كان يؤذَى ويُفتن وغيرهم . فتتامّوا سبعين ، فضيقوا على قريش وجعلوا يقتلون من ظفروا به ، ويأخذون ما معه . فكتبت قريش إلى النبي ﷺ تسأله أن يُدخل أبا بصير إليه . فكتب إلى أبي بصير في القدوم عليه ، فأتاه رسوله بكتابه وأبو بصير يجود بنفسه . فلم يلبث أن مات . فمن الرواة من يزعم أن الوليد كان معه (٢) . وذلك باطل .

---

١ ـ مغازي الواقدي ـ ط . اكسفورد ١٩٦٦ ج ٢ ص ٦٢٩ .
٢ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٢٤ ـ ٦٢٩ .

- ومن حلفاء بني مخزوم :

عمار بن ياسر العنسي . كانت أمه لبني مخزوم . هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، ثم قدم مكة فهاجر إلى المدينة . وكان محمد بن إسحاق [1] يشكّ في هجرة عمار إلى الحبشة .

معتب بن عوف بن الحمراء الخزاعي ، ويكنى أبا عوف ، هاجر في المرة الثانية إلى الحبشة . ومات سنة سبع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة ، وقد اختلفوا في هجرته . وكان الواقدي يثبتها . وبعضهم يقول : مات وله نيف وثمانون سنة .

وقال محمد بن سعد : وهو معتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف - وهو الذي يدعى عيهامة - بن كليب بن حُبشية بن سلول . وأمه الحمراء [2] .

وكان محمد بن إسحاق والواقدي يثبتان هجرته [3] . ولم يذكر موسى بن عقبة وأبو معشر هجرته إلى الحبشة . وهاجر إلى المدينة فنزل على مبشر بن [عبد] المنذر. وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين ثعلبة بن حاطب . وشهد جميع المشاهد .

- ومن بني جمح بن عمرو بن هُصيص :

عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح . وهو خال حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبي ﷺ ، هاجر إلى الحبشة مرتين ، وقدم فهاجر إلى المدينة . وتوفي بها في ذي الحجة سنة اثنتين ، فصلى عليه

١ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٢١ .
٢ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .
٣ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٨ .

رسول الله ﷺ ، وقبّله وهو ميت ، ودفنه بالبقيع ، وقال حين توفي إبراهيم بن رسول الله ﷺ : «ادفنوه بالبقيع عند سلفنا الصالح عثمان بن مظعون» . فدفن إلى جنبه . وكان يكنى أبا السائب . وولد له عبدالرحمن ، والسائب . وأمهما خولة بنت حكيم بن حارثة بن الأوقص السلمي حليف بني عبدمناف ، ولما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ ، أو رُقية ، قال رسول الله ﷺ : «الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون» .

حدثني عمرو بن محمد ، عن يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال :

لما مات عثمان بن مظعون ، قالت امرأته : هنيئاً لك الجنة . فقال رسول الله ﷺ ، ونظر إليها نظرة غضبان : «وما يدريك» ؟ فقالت : يا رسول الله ، صاحبك . فقال : «والله ، إني لرسول الله ، وما أدري ما يفعل بي ولا به» . فاشتدّ ذلك على المسلمين ، حتى ماتت ابنة رسول الله ﷺ ، فقال : «الحقي بسلفنا الصالحين ـ أو قال : الخير ـ عثمان بن مظعون» .

وعبدالله بن مظعون ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، ثم قدم مكة فهاجر منها إلى المدينة ، وشهد بدرا وجميع المشاهد . وكانت أمه سُخيلة بنت العنبس بن وهبان ، وهو ابن أهبان ، من بني جمح ، مات سنة ثلاثين وهو ابن ستين سنة . ويكنى أبا محمد .

قدامة بن مظعون ، وأمه عُزيّة بنت الحويرث بن العنبس الجمحي . ويكنى أبا عمرو . هاجر في المرة الثانية ، ثم قدم مكة وهاجر إلى المدينة ، ومات سنة ست وثلاثين ، وكان يوم مات ابن ثمان وستين سنة .

وقال الواقدي : قالت عائشة بنت قدامة : كان عثمان وإخوته متقاربين في السن . وكان عثمان شديد الأدمة . ليس بقصير ولا طويل . كبير اللحية عريضها ، وكذلك صفة قدامة . إلا أن قدامة كان طويلاً .

السائب بن عثمان بن مظعون ، هاجر مع أبيه في المرة الثانية ، ثم قدم مكة وهاجر إلى المدينة ، وكان من الرماة المذكورين . وأصابه سهم يوم اليمامة في خلافة أبي بكر ، فمات وهو ابن بضع وثلاثين سنة . ووُلد ولأبيه ثلاثون سنة . وتوفي أبوه وهو ابن سبع وثلاثين سنة .

معمر بن الحارث بن معمر بن حبيب ، مختلف في هجرته . ومات في خلافة عمر بالمدينة ، وأمه قُتيلة بنت مظعون . ومن أنكر هجرته ، أثبت قولا ، أسلم معمر قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم ، وشهد بدراً وجميع المشاهد .

حاطب وحطاب ابنا الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب ، هاجرا إلى الحبشة في المرة الثانية ، وماتا بالحبشة مسلمين وكان معهما الحارث بن حاطب . فقدم الحارث ومحمد بن حاطب ، وكان مولده بالحبشة ، في إحدى السفينتين مع جعفر بن أبي طالب عليه السلام . ويقال : إنّ المهاجر حاطب وحده ؛ وإن محمداً ابنه ولد في بلاد الحبشة . وكان محمد يكنى أبا ابراهيم ، ومات بالكوفة في ولاية بشر بن مروان ، وكان قد شهد مع علي عليه السلام مشاهده كلها .

سفيان بن معمر بن حبيب ، أخو جميل بن معمر الذي كانت قريش تدعوه «أقلبين» [١] . هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، ومات في زمن عمر أو

١ ـ في هامش الأصل : «تدعوه ذا قلبين» . وفي نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٣٩٥ : «وكان يقال لجميل : ذو القلبين لعقله ، قال الله تعالى : ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ سورة الأحزاب ـ الآية ٤ .

عثمان رضي الله تعالى عنهما ، وكان معه بالحبشة ابناه جنادة وجابر ، وأمهما حسنة ، أم شرحبيل بن حسنة ، وكان قدومه بعد الهجرة وقبل قدوم جعفر عليه السلام .

نُبيه بن عثمان بن ربيعة بن أهبان بن حذافة بن جمح . هاجر في المرة الثانية ، وأقام حتى ركب السفينة مع جعفر . فمات في البحر .

وقال محمد بن إسحاق : وكان معهم هبار بن وهب بن حذافة [1] .

ـ ومن حلفاء بني جمح بن عمرو : شرحبيل بن حسنة مولاة بني جمح . وأبوه ، فيما ذكر الواقدي ، عبدالله بن المطاع بن عمرو الكندي .

وقال الكلبي : شرحبيل بن عبدالله بن ربيعة بن المطاع [2] ، من ولد صُوفة بن الغِبيط [3] ، وهو الغوث بن مُرّة بن أد بن طابخة ، حليف بني جمح . هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، ومات بالشأم في طاعون عَمواس [4] سنة ثماني عشرة ، وهو ابن تسع أو سبع وستين سنة . وكان يكنى أبا عبدالله .

وقال الواقدي : هو حليف بني زهرة .

وقال الهيثم بن عدي : شرحبيل من حمير . وقول الكلبي أثبت الأقاويل .

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص :

خُنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ، وأمه ضعيفة بنت حذِيم ، من بني سهم ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، ثم قدم مكة

---

١ ـ لم يذكره ابن هشام . انظر ج ١ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .
٢ ـ جمهرة ابن الكلبي ج ١ ص ٤٢٢ .
٣ ـ جاء في هامش الأصل «الربيط» .
٤ ـ بلدة في فلسطين قرب القدس .

فهاجر منها إلى المدينة ، ومرض ورسول الله ﷺ ببدر وهو معه ، فمات مقدم رسول الله ﷺ من بدر سنة اثنتين ، وكانت عنده حفصة بنت عمر بن الخطاب ، فخلف عليها النبي ﷺ . وكان خُنيس يكنى أبا حذافة . ولم يذكر موسى بن عقبة هجرة خنيس إلى الحبشة ، ولا ذكرها أبو معشر . وثبتها ابن إسحاق[1] والواقدي . ويقال : إنه كان يكنى أبا الأخنس .

عَبدالله بن حذافة ، أخوه ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، وكانت الروم أسرته ، فكتب عمر رضي الله تعالى عنه إلى قسطنطين في أمره . فخلّى سبيله . وكان من غزاة مصر ، ومات في خلافة عثمان ، وهو كان رسول النبي ﷺ بكتابه إلى كسرى ، وإياه أمر أن ينادي بمنى : إنها أيام أكل وشرب ، ويقال : إنه أمر بالنداء بذلك بديل بن ورقاء . ويقال : أمرهما جميعاً .

قيس بن حذافة . هاجر معهما . وبعض الرواة يدفع هجرته ، والواقدي يثبتها ، ويقول : قدم من الحبشة بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة .

هشام بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم ، أخو عمرو بن العاص . وهو قديم الإسلام ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، ثم قدم مكة للهجرة إلى المدينة ، فحبسه أبوه ، فلم يزل محبوساً بمكة حتى مات أبوه في آخر السنة الأولى من الهجرة ، ثم حبسه قومه بعد أبيه ، فلم يزل يحتال ، حتى تخلص وقدم على النبي ﷺ بعد الخندق ، وجاهد فقتل بالشأم ، وكان أصغر سناً من عمرو بن العاص أخيه . وكان يكنى أبا العاص ، فكناه رسول الله ﷺ أبا مطيع ، وأمه أم حرملة بنت هشام بن

---

١ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٩ .

المغيرة ، وكان واعد عمرَ أن يمضي معه إلى المدينة ، وقال له : انتظرني في أضاة بني غفار . فأخذه أبوه فكبله .

أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية . فيقال : إنه قدم مع جعفر ، ويقال : قبل ذلك ، وليس قدومه مع جعفر بثبت ، واستشهد باليمامة .

تميم بن الحارث بن قيس ، وأخ له من أمه من بني تميم يقال له معبد ، هاجرا في المرة الثانية ، واستشهد تميم بالشأم ، والواقدي يقول : نمير بن الحارث .

سعيد بن الحارث ، أخو تميم ، هاجر معه إلى الحبشة في المرة الثانية ، واستشهد يوم اليرموك .

عبدالله بن الحارث . أخوهم ، هاجر معهم ومات بالحبشة .

الحجاج بن الحارث بن قيس ، هاجر في المرة الثانية . وقدم المدينة بعد هجرة النبي عليه السلام ، واستشهد بالشأم ، وقد اختلف في هجرته . والواقدي يثبتها .

وقال الكلبي : لم يسلم ولم يهاجر ، وأسر يوم بدر ، ثم أسلم ، وكان لهم أخ يقال له :

الحارث بن الحارث ؛ ذكر بعضهم انه هاجر مع إخوته إلى الحبشة ، وقدم المدينة بعد الهجرة . ومات من جراحة أصابته يوم الطائف . ويقال : بل استشهد بالشأم . وقد اختلف في هجرته . والواقدي يثبتها .

عمير بن رئاب بن مهشّم بن سعيد بن سهم ، هاجر في المرة الثانية ، وقدم مع جعفر بن أبي طالب ، ويقال قبل ، وقتل مع خالد بن الوليد بعين

التمر من السواد شهيدا ، وغير الكلبي يقول هو عمير بن رئاب بن حذافة بن سعيد بن سهم . وعمير القائل :

نحن بنو زيد الأغرّ ومثلنا نحامي على الأحساب عند الحقائق

حدثني مصعب بن عبدالله الزبيري ، ومحمد بن سعد ، عن هشام الكلبي ، قالا :

كان اسم جُمح تيما ، واسم سهم زيداً . وأمهما الألوف بنت عدي بن كعب بن لؤي . فجلست يوماً وعندها ابناها : تيم وزيد ، ومعها أترجّة من ذهب أو فضة . ودحت بها وقالت : أي ابنيّ ، استبقا إليها ، فمن أخذها فهي له . فسبق زيد ، فأخذها . فقالت : كأنك والله يا زيد سهم مرق من رمية ؛ وكأن شيئاً جمح بك عنها يا تيم ، فسمي هذا سهما ، وهذا جمح [1] .

ـ ومن حلفاء بني سهم

مَحمية بن جزء بن عبديغوث الزبيدي ، هاجر في المرة الثانية إلى الحبشة . وكان أول مشاهده ، فيما روى الواقدي . المُرَيسيع .

وقال الكلبي : شهد بدراً ، وولّاه رسول الله ﷺ المقاسم يومئذ . وهو حليف لبني جمح ، وكانت ابنته عند الفضل بن العباس بن عبدالمطلب ، فولدت له أم كلثوم بنت الفضل بن العباس .

ـ ومن بني عدي بن كعب بن لؤي بن غالب :

معمر بن عبد الله بن نضلة بن عبد العزّى بن حُرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي . هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، وهو الذي كان يرحل رحل رسول الله ﷺ في حجته، مات في خلافة عمر، وكان قدومه من أرض الحبشة مع جعفر بن أبي طالب.

---

١ ـ نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٣٨٦ .

عروة بن أبي أثاثة بن عبد العزى بن حُرثان بن عوف بن عبيد بن عويج، هاجر في المرة الثانية، ومات بأرض الحبشة.

عدي بن نضلة، وبعضهم يقول: نُضيلة؛ هاجر في المرة الثانية، ومات بأرض الحبشة، وهو أول موروث في الإسلام: ورثه ابنه النعمان بن عدي الذي ولاه عمر ميسان. فقال:

ألا أبلغ الحسناءَ أن حليلها بميسانَ يُسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقينُ قرية وصنّاجةٌ تحدو على كل منسم
لعلَ أميرَ المؤمنين يسوءه تنادُمنا بالجوسق المتهدم
إذا كنتَ ندماني فبالأكبر اسقني ولا تسقني بالأصغر المتثلم

فلما بلغ عمرَ رضي الله تعالى عنه، قال: والله إنه ليسوءني تنادمهم؛ فمن لقيه فليعلمه أني قد عزلته. وكتب في عزله. فلما قدم عليه، قال: والله ياأمير المؤمنين، ماصنعتُ شيئاً مما ذكرتُ؛ ولكني امرؤ شاعر، أصبتُ فضلا من قول فقلته. فقال عمر: والله لاتعمل لي عملا أبدا.

وقال محمد بن إسحاق: كان النعمان بالحبشة مع أبيه[1].

- ومن حلفاء بني عدي:

عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حجر بن سلامان بن مالك بن ربيعة بن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط هاجر إلى الحبشة في المرتين جميعا، ومعه امرأته ليلى بنت أبي حثَمة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عَويج، ثم هاجر إلى المدينة، ومات بعد مقتل عثمان بأيام. وكان لازماً لمنزله، فلم يشعر الناس إلا وجنازته قد أخرجت. وكان يكنى أبا عبد الله. وكان الخطاب بن نفيل لما حالفه عامر بن ربيعة العنزي،

١ - سيرة ابن هشام ج١ ص٢١٩ - ٢٢٠ .

تبناه فكان يقال له «عامر بن الخطاب»، حتى نزل: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾[١]. وأسلم قديما قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وروي عنه أنه قال: ما دخل المدينة في الهجرة أحد بعد أبي سلمة بن عبد الأسد قبلي، ولا قدمتها ظعينة قبل ليلى بنت أبي حثمة.

وحدثني محمد بن سعد، ثنا خالد بن مخلد، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة.

أن أباه رأى في منامه، وقد صلى من الليل ثم نام، قائلا يقول: قم فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة التي أعاذ منها صالحي عباده، فقام، فصلى، ثم اشتكى. فما خرج إلا في جنازة[٢].

خَولي بن أبي خولي ـ واسمه عمرو ـ بن زهير بن خيثمة بن أبي حمران الحارث بن معاوية بن الحارث بن مالك بن عوف بن سعد بن عوف بن حُريم بن جعفي.

قال الهيثم بن عدي: هاجر وأخواه هلال وعبد الله ابنا أبي خولي إلى الحبشة في المرة الثانية، وقال غيره: لم يهاجروا، وذلك الثبت.

وقال الواقدي: شهد خَولي وابن له بدرا[٣]؛ وليس في ذلك اختلاف، وكان خولي حليفاً للخطاب.

وقال محمد بن إسحاق: شهد مع خولى بدرا أخوه مالك بن أبي خولى.

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ الأية: ٥.
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٣٨٦ ـ ٣٨٧.
٣ ـ مغازي الواقدي ج١ ص١٥٦.

وقال موسى بن عقبة: شهد خولي بدرا، ومعه أخواه هلال وعبد الله. وهو قول الكلبي.

قالوا: وشهد خولي المشاهد كلها. ومات في خلافة عمر بن الخطاب. قال ابن إسحاق: مات خولي في خلافة عثمان، وقد روي عن الكلبي أيضاً أنه قال: خولي بن أبي خولي[1] عمرو بن زهير.

- ومن بني عامر بن لؤي بن غالب:

أبو سَبرة بن أبي رُهم بن عبد العزّى بن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي. وأمه برّة بنت عبد المطلب، وهاجر إلى الحبشة في المرتين جميعاً، وهاجر من مكة إلى المدينة، وتوفي بمكة في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه.

وقال الواقدي: وولده ينكرون رجوعه إلى مكة وموته بها، ويغضبون من ذلك. وكانت مع أبي سبرة امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، ويقال: إنّ أبا سبرة كان يسمى عبد مناف.

حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ، أخو سهيل بن عمرو. هاجر إلى الحبشة مرتين. فكان أول من قدمها في المرة الأولى من المسلمين. وشهد بدرا، وهو الذي زوّج النبي ﷺ سودة بنت زَمعة، ويقال إنه أول من دخل أرض الحبشة، وكان من آخر من خرج منها مع جعفر. وذلك عندهم أخلط.

السكران بن عمرو، أخوه، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ومعه امرأته سودة بنت زمعة، ويقال إنه هاجر في المرتين جميعاً، ثم إنه قدم مكة، فمات قبل الهجرة، فدفنه رسول الله ﷺ. وخلف رسول الله ﷺ بعده على

١ - سيرة ابن هشام ج١ ص٥٠٧.

سودة بنت زمعة. وذلك الثبت، وقوم يقولون إنه مات بالحبشة مسلماً. وقال قوم، منهم أبو عبيدة معمر، إنه قدم مكة ثم رجع إلى الحبشة مرتداً أو متنصّراً، فمات بها، والخبر الأول أصح وأثبت.

سَليط بن عمرو، أخو سهيل أيضاً، هاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية، ومعه امرأته فاطمة بنت علقمة، وقدم المدينة قبل قدوم جعفر، ويقال: قدم مع جعفر عليه السلام، واستشهد سليط باليمامة سنة اثنتي عشرة.

وقال الهيثم بن عدي: كان يكنى أبا الوضّاح، وكان إسلام سليط قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم.

مالك بن زمعة بن قيس بن عبد شمس، أخو سودة. هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ثم قدم مع جعفر، ومعه امرأته عميرة بنت السعديّ بن وَقدان بن عبد شمس بن عبد وُدّ، من بني عامر بن لؤي. وإنما سمي السعديّ لأنه استرضع في بني سعد بن بكر، وكان عبد الله بن السعديّ يسكن الأردن، ويكنى أبا محمد، ومات سنة سبع وخمسين. وله صحبة.

عبد الله بن سهيل بن عمرو، ويكنى أبا سهيل، وهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ثم قدم مكة للهجرة إلى المدينة فحبسه أبوه، فأظهر له الرجوع إلى دينه والشدة على المسلمين حتى أخرجه معه إلى بدر في نفقته وحملانه، وهو لايشك في أنه على دينه. فلما تواقفوا، انحاز إلى المسلمين قبل القتال، فغاظ ذلك أباه. ثم كان يقول بعد إسلامه، حين أسلم يوم فتح مكة: لقد جعل الله لي في إسلام ابني عبد الله خيرا كثيرا.

وقال الكلبي: قاتل عبدُ الله يوم بدر مع المسلمين. قالوا: واستشهد يوم جواثا بالبحرين، في أيام الردّة. فلقي سهيل أبا بكر الصديق رضي الله

تعالى عنه، فعزاه أبو بكر. فقال سهيل: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «يشفع الشهيدُ في سبعين من أهله»؛ وأنا أرجو أن لايقدّم عليّ ابني أحدا، وكان يوم بدر ابن سبع وعشرين سنة. وقتل وله ثمان وثلاثون سنة، وليست هجرته إلى الحبشة بمجتمع عليها، وأم عبد الله: فاطمة بنت عامر بن نوفل بن عبد مناف.

وقال الواقدي: يقال إنّ عبد الله حُبس فلم يمكنه الهجرة إلى الحبشة، والله أعلم؛ وقال الواقدي: قاتل عبد الله يوم بدر، ومعه عمير بن عوف مولى أبيه سهيل عتاقةً، فكان سهيل يقول: شهد عمير بدرا، وإني لأرجو أن تنالني شفاعته قال: وكان المسلمون يقولون: فتن عياش وأصحابه بمكة فتركوا دين النبي ﷺ، وجعلوا فتنة الناس كعذاب الله[1]، مانرى لهم توبة. فنزلت: ﴿ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله﴾[2]، فبعث عمر بالآية إلى هشام بن العاص، وكان صديقه، وتهادوها بينهم، فكان ذلك مما قوّى أنفسهم، حتى تخلصوا.

قال الواقدي: وكان أبو جندل بن سهيل بن عمرو مع أخيه، فحبسه أبوه، فلما كان قدوم النبي ﷺ الحديبية، وتشاغل الناس، أقبل أبو جندل يرسف في قيده حتى أتى رسول الله ﷺ، وقد قاضى قريشا على ماقاضاهم عليه، والقضية تكتب. فقام إليه أبوه، فضرب في وجهه. وصاح أبو جندل: يامعشر المسلمين، إنّ المشركين يريدون أن يفتنوني، وكانت القضية بينهم على أن يردّ المسلمون إليهم من أتاهم من أصحابهم. فقال سهيل بن عمرو: هذا أول ماقاضيتك عليه، يامحمد، فردّه رسول الله ﷺ على أن أجاره

١ - انظر سورة العنكبوت - الآية: ١٠ .

٢ - سورة الزمر - الآية: ٥٣ .

حويطب بن عبد العزى ومِكرز بن حفص، وضمنا أن يكفّ أبوه عنه، وقال رسول الله ﷺ: «ياأبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله مخلصك». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يارسول الله، ولِمّ نعطي قريشا هذا، ونرضى بالدنية في أمرك؟ فقال ﷺ: «إنا قد عاهدناهم على أمر، وليس الغدر من ديننا»، فقال عمر: ياأبا جندل، إنّ الرجل ليقتل أباه في الله؛ فاقتل أباك، فقال: ياعمر، اقتله أنت. فقال: نهاني رسول الله ﷺ عن قتله للصلح. قال: وقد نهاني الله عزّ وجلّ عن قتل أبي. فيقال: إنّ أبا جندل لما صار إلى مكة، تخلص[1]، وقدم المدينة.

وقال المدائني: ذكر لنا أن أبا البختري كان يقول: اسم أبي جندل «عمرو».

وكان ابن دأب يقول: عبد الله بن سهيل. وذلك غلط.

وقال الواقدي: يقال إنّ أبا جندل تخلص فصار إلى أبي بَصير الثقفي مع من اجتمع إليه من المسلمين، فلما مات، صار وأصحاب أبي بصير إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، ويقال: إنه لما صار بمكة، تخلص فأتى المدينة، ويقال: إنه لم يصر إلى أبي بصير، ولكن خلاصه كان في وقت مصير أصحاب أبي بصير إلى النبي ﷺ، وهو الثبت.

وقال الكلبي: كان لحاقَ أصحاب أبي بصير بالنبي ﷺ، وهو بخيبر، وفتح خيبر. وهو «الفتح القريب»[2] الذي وعده الله نبيه ﷺ.

وقال أبو اليقظان البصري: لما كانت خلافة عمر، شرب أبو جندل الخمر مع نفر. فأراد أميرهم أن يحدّهم. فقالوا: قد حضر العدو. فإن قتلنا،

---

١ ـ مغازي الواقدي ج١ ص٦٠٧ ـ ٦٠٩ .

٢ ـ انظر سورة الفتح ـ الآية: ١٨ .

فقد كفيت موتتنا وأمرنا؛ وإن بقينا. فأقم علينا الحدّ، فقتلوا جمياً.

وقال الواقدي: مات أبو جندل في طاعون عمواس بالشأم، وقد أسلم أبوه سهيل بن عمرو يوم فتح مكة، فحسن إسلامه، وغزا الشأم، فمات في طاعون عمواس.

عبد الله بن مَخرمة بن عبد العزى بن أبي قيس، يكنى أبا محمد، وأمه بَهْنَانة بنت صفوان بن أمية بن محرّث بن كنانة. هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ثم هاجر إلى المدينة من مكة، واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر، وله إحدى وأربعون سنة، وشهد بدرا وله ثلاثون سنة وأشهر. ويكنى أبا محمد.

سعد بن خَوَلة، ويكنى أبا سعيد. قال الواقدي: أسلم سعد بن خولة، مولى وهب بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حُبيب بن جِذمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي. وبعضهم يقول: ابن حبيِّب ـ مثقل ـ وإنما ثقله حسان في شعره:

. . . .

الحارث بن حبيِّب بن شحام[1]

وكانت أم سعد أمة لسعد بن أبي سرح، أو مولاة له ويقال إنه من أهل اليمن، حليف لبني عامر بن لؤي. ويقال إنه مولى لأبي رُهم. هاجر سعد، في رواية ابن إسحاق[2] والواقدي، في الهجرة الثانية. ولم ينكره موسى بن عقبة وأبو معشر. وقال الواقدي: شهد سعد بدرا وهو ابن خمس عشرة سنة،

١ ـ سيرد هذا البيت بشطريه بعد قليل، انظره في ديوان حسان ج١ ص٥١٤ ، وعنده «سحام».
٢ ـ سيرة ابن هشام ج١ ص٢٢٠ .

وشهد يوم أحد وشهد الخندق والحديبية. ثم خرج بعد ذلك إلى مكة، فمات بها. ويقال: هاجر الناس، وتأخرت هجرته، فمات بمكة.

حدثنا عمرو بن محمد الناقد، ثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عامر بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص:

أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولاتردّهم على أعقابهم. ولكن البائس سعد بن خولة مات بمكة».

وحدثني علي بن عبد الله، ثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عامر بن سعد، عن سعد، قال:

مرضتُ مرضاً أشفيتُ منه على الموت، فأتاني رسول الله ﷺ يعودني. فقلتُ: يارسول الله، إن لي مالا كثيرا، أفأوصي بثلثي مالي؟ قال: لا. قلتُ: فبالشطر؟ قال: لا. قال: أفأوصي بالثلث؟ قال: «الثلث، والثلث كثير؛ إنك إن تترك ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس؛ إنك لن تنفق نفقة إلا أجرتَ عليها، حتى اللقمة. اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولاتردّهم على أعقابهم. لكن البائس سعد بن خولة مات بمكة».

قال سفيان: يقول: لاتردّهم إلى الأرض التي هاجروا منها، حتى يقيموا بها إلا بحج أو جهاد. وقالوا: سعد بن خولة هو زوج سُبيعة بنت الحارث الأسلمية التي ولدت بعد وفاته بيسير. فقال لها رسول الله ﷺ: «انكحي من شئت».

حدثني علي بن عبد الله المديني وعباس بن يزيد البحراني، قالا: ثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود، عن أبيه قال:

وضعت سبيعة بعد وفاة زوجها بعشرين يوماً أو شهر أو نحو ذلك، فمر بها أبو السنابل بن بعَكك[١]، فقال: قد تصنعت للأزواج؛ لا أو تأتي عليك أربعة أشهر وعشر[٢]؟ قالت سبيعة: فأتيتُ النبي ﷺ، فذكرتُ ذلك له. فقال: كذب أبو السنابل؛ قد حللت للأزواج، فانكحي.

وقال الواقدي: لم يأت ابن خولة مكة اتيان منتقل، ولكنه مضى في حاجة له.

- ومن بني الحارث بن فهر بن مالك:

أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال بن أهيب بن ضَبّة بن الحارث بن فهر. وأمه أميمة بنت غَنْم بن جابر، من بني الحارث بن فهر. قال له رسول الله ﷺ: «أنت أمين هذه الأمة».

حدثنا عفان، ثنا شعبة، أنبأ خالد الحذاء، عن أبي قلابة عن أنس:

أن رسول الله ﷺ قال: «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح». وهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية في قول الواقدي ومحمد بن إسحاق[٣]. ولم يذكره موسى بن عقبة وأبو معشر.

وقال الهيثم بن عدي: هاجر في المرتين جميعاً، وهاجر مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وشهد بدرا والمشاهد كلها، ونزل بالمدينة على كلثوم بن الهدم. وآخى. رسول الله ﷺ بينه وبين سالم مولى أبي حذيفة، وبينه وبين محمد بن مسلمة الأوسي. ومات في طاعون عمواس بالشأم، وهو الأمير. وكان نحيفاً، معروق الوجه، خفيف اللحية، طوالا، أجنأ[٤]،

١ ـ في هامش الأصل: هو أبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن السباق بن عبد الدار بن قصي.
٢ ـ انظر سورة البقرة ـ الآية: ٢٣٤.
٣ ـ سيرة ابن هشام ج١ ص٢٢٠.
٤ ـ في هامش الأصل: رجل أجنأ أي أحدب الظهر.

أشعر، آدم، يصبغ رأسه ولحيته بالحناء والكتم. مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

وقال الواقدي، عن أبي اليقظان: أسلمت أم عبيدة وزوجها.

سهيل بن البيضاء، ويكنى أبا موسى. والبيضاء أمه، وهي دعد بنت جحدم بن عمرو بن عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر، هاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً، وشهد بدرا وهو ابن أربع وثلاثين سنة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وناداه رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك، فقال: ياسهيل. فقال: لبيك. ووقف الناس لما سمعوا كلام رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، حرّمه الله على النار». ومات سهيل بعد رجوع رسول الله ﷺ من تبوك بالمدينة سنة تسع، وهو ابن أربعين سنة، وصلى عليه رسول الله ﷺ. وليس لسهيل عقب.

قال الواقدي: حدثني بذلك مصعب بن ثابت، عن عيسى بن معمر، عن عباد بن عبد الله بن الزبير.

وحدثني محمد بن سعد، ثنا عفان، ثنا وهيب، أنبأ موسى بن عقبة، عن عبد الواحد بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال:

لما توفي سعد بن أبي وقاص، أرسل أزواجُ رسول الله ﷺ أن يمرّوا بجنازته في المسجد. ففعلوا ذلك، ووقف بها على حجرهن، فصلين عليه، وخرّجنه من باب الجنائز، فبلغهن أن الناس عابوا ذلك، وقالوا: ماكانت الجنائز تدخل المسجد، فبلغ ذلك عائشة، فقالت: ماأسرعِ الناس إلى عيب

ما لا علم لهم به؛ ما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن البيضاء إلا في جوف المسجد[1].

حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن فليح بن سليمان ، عن صالح بن عجلان ، عن عباد ، عن عائشة رضي الله تعالى عنهما :
أن رسول الله ﷺ صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد .

وقال الواقدي : لما عاب الناس إدخال جنازة سعد بن أبي وقاص المسجد ، قالت عائشة : ما أسرع الناس ما نسوا ؛ لقد صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن بيضاء في المسجد .

وأما أخوه سهل بن بيضاء ، فإنه أسلم بمكة قبل الهجرة ، فأكرهه المشركون على الخروج معهم يوم بدر . فأُسر مع من أسر من المشركين فشهد له عبد الله بن مسعود أنه كان يصلي بمكة . فقال رسول الله ﷺ : لا يخرجنّ أحد من الأسرى من أيديكم بغير فداء إلا سهل بن بيضاء ، فإنه مسلم .

وحدثني المدائني ، عن أبي اليقظان :
بمثله .

وقال محمد بن سعد ، أخبرني الواقدي وغيره :
أن سهلاً أُسر يوم بدر ، فشهد له ابن مسعود أنه رآه يصلي بمكة ، فخلّى رسول الله ﷺ سبيله .

وأما صفوان بن البيضاء ، فلم يهاجر إلى الحبشة ، ولكنه هاجر إلى المدينة ، وشهد بدرا مع أخيه سهيل ، فروى بعضهم أنه استشهد يوم بدر ، وقتله طُعيمة بن عدي بن الريان .

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٤٨ .

وقال بعضهم : مات سنة ثمان وثلاثين ، وكان يكنى أبا عمرو ؛ وهو أيضاً قول محمد بن سعد عندنا في كتاب الطبقات[١] .

وبعض الرواة يقول : شهد سهل بن بيضاء ، وصفوان بن بيضاء بدرا مع رسول الله ﷺ ، فيجعل سهيلا سهلا .

وذكر أبو اليقظان أن سهيلا استشهد يوم بدر ، وذلك غلط عندهم ، وسألتُ مصعب بن عبد الله الزبيري[٢] عن سهل بن بيضاء ، فقال : أتى مكة منصرفاً من بدر ، ثم هاجر إلى المدينة . وقال بعضهم : كان بمكة إلى يوم الفتح . والأول أثبت عندي .

وقد روى سفيان بن عيينة ، عن علي بن زيد ، عن أنس أنه قال :

كان أسنّ أصحاب النبي ﷺ أبو بكر وسهل بن البيضاء .

عمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك ، وليس هو بعم عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث صاحب مصر ، هذا من بني الحارث بن فهر . وذاك من بني عامر بن لؤي ، وقوم يظنون هذا ابن اخيه ، وهاجر عمرو إلى أرض الحبشة في المرة الثانية . ثم شهد بدرا .

وأما وهب بن أبي سرح ، أخوه ، فإن الهيثم بن عدي ذكر أنه من مهاجرة الحبشة ، وليس ذلك بثبت ، ولكنه قد شهد بدرا .

وكان أبو معشر يقول : الذي هاجر معمر بن أبي سرح .

وقال موسى بن عقبة ومحمد بن إسحق والكلبي : وهو عمرو بن أبي سرح ، وكانت عنده أخت أبي عبيدة . ومات بالمدينة في خلافة عثمان رضي

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤١٦ .

٢ ـ نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٤٤٦ .

الله تعالى عنه سنة ثلاثين . وقال الواقدي : هاجر عمرو بن أبي سرح إلى الحبشة ، وشهد هو وأخوه بدرا ؛ ولم يهاجر معمر إلى الحبشة .

عياض بن زهير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث . ويكنى أبا سعد ، ويقال أبا سعيد ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، فأقام بها . ثم قدم المدينة قبل بدر ، وشهد بدرا . ومات في سنة ثلاثين .

وقال محمد بن سعد : وهو عم عياض بن عبد غَنْم بن زهير صاحب الجزيرة وواليها من قبل عمر ؛ ومات عياض بن عبد غنم سنة عشرين .

عمرو بن الحارث بن زهير ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ومعه عثمان بن عبد غنم بن زهير .

وسعيد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر . فأقاما بأرض الحبشة ، ثم قدم المدينة قبل جعفر بن أبي طالب عليه السلام . وأما عمرو بن الحارث ، فقدم مكة وهاجر منها إلى المدينة .

ومن الرواة من يزعم أن من مهاجرة الحبشة الحارث بن عبد قيس بن لقيط بن عامر . ولم يذكره الواقدي ، وذكره ابن دأب .

فهؤلاء مهاجرة أرض الحبشة .

- قال الواقدي : ولما قدم المهاجرون من الحبشة في المرة الأولى ، حين بلغهم سجودُ قريش مع النبي ﷺ وأنهم قد أسلموا ولم يتحقق ذلك ، دخل كل امرىء منهم بجوار رجل من قريش . فدخل عثمان بن عفان بجوار أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية ، فنادى مناديه : يا معشر قريش ، إنّ أبا أحيحة قد أجار عثمان بن عفان ، فلا تعرضوا له . فكان عثمان آمنا ، يأتي

رسول الله ﷺ طرفي النهار . ودخل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بجوار أمية . ودخل مصعب بن عمير بجوار النضر بن الحارث بن كَلدة ، ويقال بجوار أبي عزيز بن عمير ، أخيه . ودخل الزبير بن العوام بجوار زمعة بن الأسود. ودخل عبد الرحمن بن عوف بجوار الأسود بن عبد يغوث. ودخل عثمان بن مظعون الجمحي بجوار الوليد بن المغيرة المخزومي ، فمكث في ذمته ما شاء الله ، ثم قال : واعجبا ، أأكون في ذمة مشرك ؟ ذمة الله أعزّ وأمنع . فأتاه ، فسأله أن يتبرّأ منه ، فقال : يا بنيّ ، هل رأيتَ إلا خيرا ؛ هل أصابك أحد بسوء ؟ وكان لبيد بن ربيعة الكلابي ينشد قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال : صدقتَ . فلما قال :

وكل نعيم لا محالة زائل[1]

قال : كذبت ؛ نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : يا معشر قريش : والله ما كانت مجالستكم سُبّة ، ولا كان السفه من شأنكم . فقالوا له : إن هذا غلام سفيه ، مخالف لدين قومه . فقام بعض بني المغيرة ، فلطم عين عثمان بن مظعون ، فضحك الوليد بن المغيرة للشماتة ونظر إلى عين عثمان قد اخضرّت ، فقال : ما كان أغناك عن هذا يا بنيِ ؟ فقال عثمان : ما أنا بغنيّ عنه ، لأنه ذخر لي عند الله ؛ وإن عيني الصحيحة محتاجة إلى مثل ما نال صاحبتها . فقال : لقد كنتَ في ذمة منيعة ، فعد إلى جواري فإنك لا ترام فيه . فقال : والله لا أعود في جوار غير جوار الله أبداً ، ووثب سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه إلى الذي لطم عين عثمان ، فكسر أنفه ، فكان ذلك أول دم أريق في الإسلام . والثبت أن الذي لطم عين عثمان : عثمان بن

١ ـ شرح ديوان لبيد ـ ط . الكويت ١٩٨٤ ص ٢٥٦ .

عبدُ الله بن أبي أمية بن المغيرة . ومن قال إنّه عبد الله بن عثمان ، جد عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فقد غلط غلطا بينا .

ودخل عامر بن ربيعة العنزي ، حليف الخطاب بن نفيل ، بجوار العاص بن وائل السهمي ، ودخل أبو سبَرة بن أبي رُهم بجوار أبيّ ، وهو الأخنس بن شريق ؛ ويقال بجوار سهيل بن عمرو . ودخل حاطب بن عمرو بجوار حويطب بن عبد العزى . ودخل سهيل بن بيضاء بجوار رجل من عشيرته ، من بني فهر ؛ ويقال : دخل مستخفيا بغير جوار أحد حتى خرج في المرة الثانية . ومن قال إنّ أبا عبيدة بن الجَرّاح هاجر في المرة الأولى ، قال : دخل بغير جوار أحد .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ، قال :

دخل عبد الله بن مسعود بغير جوار ، فمكث قليلا ثم رجع[1] .

ـ قال الواقدي : خرجوا للهجرة الأولى في رجب سنة خمس من النبوة . فأقاموا شعبان وشهر رمضان ، وقدموا في شوال سنة خمس من النبوة . ثم هاجروا في المرة الثانية ، وقد لقوا من المشركين جهدا وأذى . وكانوا أكثر ممن هاجر أولا . وهم على ما قد سمينا .

ـ قالوا : وكتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي كتابا يدعوه إلى الإسلام ، وكان رسوله بكتابه عمرو بن أمية الضمري ، من كنانة ، أحد بني ناشرة بن كعب بن ضَمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة . فأسلم ، ونقد عن النبي ﷺ مهر أم حبيبة بنت أبي سفيان أربع مائة دينار . وأرسل إلى

---

١ ـ انظر تفاصيل ذلك في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٤٥ ـ ٢٥٠ .

النواتي ، فقال : انظروا ما يحتاج فيه هؤلاء القوم من السفن . فقالوا : يحتاجون إلى سفينتين ، فجهزهم ، وكلم قوم النجاشي من الحبشة أسلموا ، في أن يبعث بهم إلى رسول الله ﷺ يسلموا عليه ، وقالوا : نصاحب أصحابه هؤلاء فنجذف بهم في البحر ونغنيهم . فأذن لهم . فشخصوا مع عمرو بن أمية والمسلمين . وأمّر عليهم جعفر بن أبي طالب .

أمر الشعب والصحيفة[١] :

ـ حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن معاذ بن محمد ، قال :

سألت عاصم بن عمر بن قتادة : متى كان حصر رسول الله ﷺ وبني هاشم بالشعب ؟ فقال : إنّ قريشا مشت إلى أبي طالب مرة بعد مرة فكان هذا المرة الآخرة ، اجتمعوا فقالوا : «يا أبا طالب ، إنا قد جئناك مرة بعد أخرى نكلمك في ابن أخيك أن يكف عنا فلا يذكر آباءنا وآلهتنا بسوء ، ولا يستغوي أولادَنا وأحداثنا وَعبيدنا وإماءنا ، فتأبى ذلك علينا ، وإن كنتَ فينا ذا منزلة ، لشرفك ومكانك ، فإنا لسنا بتاركي ابن أخيك حتى نهلكه أو يكفّ عنا ما أظهر من شتم آبائنا وعيب ديننا ، فإن شئتَ فخلّنا وإياه ، وإن شئتَ فدع ، فقد أعذرنا إليك ، وكرهنا موجدتك قبل المقدمة» .

فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ : يا بن أخي ، قد جاءني قومك يشكونك إليّ ، وآذوني فيك ، وحملوني على ما لا أطيقه ولا أنت ؛ فاكفف عنهم ما يكرهون من شتم آبائهم وعيب آلهتهم ودينهم ، فاستعبر رسول الله ﷺ وبكى ، ثم قال : والله لو وُضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ،

١ ـ في هامش الأصل : آخر المجلد الثاني من الأصل ، ولله كل حمد .

ما تركت هذا الأمر أبدا حتى أُنفذه أو أهلك في طلبه على الطاعة لرّبي . فلما رأى أبو طالب ما بلغ قوله من رسول الله ﷺ ، قال : يا بن أخي ، امض لأمرك وافعل ما أحببتَ ، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا ، فلما رأت قريش أنهم قد أعذروا إلى أبي طالب ، وأن رسول الله ﷺ قائم بأمر ربه ، أبت أن تقارّه ، وأظهروا العداوة لبني عبد المطلب ومباينتهم ، وأقسموا بالله . لنقتلنّ النبي ﷺ سرّا أو علانية . فلما رأى أبو طالب أنهم عازمون على ذلك ، خاف على ابن أخيه ، ثم انطلق بهم فأقامهم بين أستار الكعبة والكعبة ، فدعوا على ظلمة قومهم ، واجتمعت قريش على أمرها . فقال أبو طالب : اللهم إن قومنا قد آبوا إلى البغي ، فعجل نصرنا وُحلْ بينهم وبين قتل ابن أخي . وقالت قريش : لا صلح بيننا وبين بني هاشم وبني المطلب ، ولا رحم ، ولا إلّ ، ولا حرمة إلا على قتل هذا الرجل الكذاب السفيه ، وعمد أبو طالب إلى الشعب بابن أخيه وبني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف ، وكان أمرهم واحدا . وقال : نموت من عند آخرنا قبل أن يوصل إلى رسول الله ﷺ ، فلما دخل أبو طالب شعب أبي طالب ، خرج أبو لهب إلى قريش فظاهرهم على بني عبد المطلب . ودخل الشعب من كان من هؤلاء مؤمنا أو كافرا .

ـ وقال الواقدي في غير هذا الحديث وبغير هذا الإسناد : دخل المسلم لإسلامه ودينه ، والكافر حمية أن يضام وقومه ، فأقاموا على ذلك ما شاء الله حتى نالتهم الخصاصة في شعبهم ، لأنهم حالوا بينهم وبين أن يتبايعوا شيئاً أو يبيعوا ، حتى فرّج الله عز وجل ذلك .

ـ قالوا : ولقي أبو لهب هندَ بنت عتبة ، حين خرج من الشعب مظاهرا لقريش ، فقال : يا بنت عتبة ، هل نصرتُ اللات والعزّى ؟

قالت : نعم ، فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة . ويقال : إنه قال ذلك لها في وقت قبل هذا . وقد ذكرناه .

ـ حدثني حفص بن عمر ، قال : قال هشام بن محمد بن السائب ، حدثني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال :

لما رأت قريش إجابة من أجاب رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، وأن نبى الله غير نازع عما يكرهون ، مشوا إلى أبي طالب ، فقالوا له : أنت سيدنا وأفضلنا في أنفسنا ، وقد ترى ما يصنع ابن أخيك ، وجاء رسول الله ﷺ . فقال له أبو طالب : هؤلاء عمومتك وسروات قريش ، فاسمع ما يقولون ، فتكلم الأخنس بن شَريق الثقفي ، فقال : تدعنا وآلهتنا ، وندعك وإلهك . قال أبو طالب : قد أنصفك القوم ، فاقبل منهم . فقال ﷺ : إنه لابد من نصحهم : وأنا أدعوهم إلى كلمة أضمن لهم بها الجنة . فقال أبو جهل : إن هذه لكلمة مربحة ، فقلها . فقال : تشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فقاموا وهو يقولون : ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يُراد * ما سمعناه بهذا في الملة الآخرة﴾[1] ، وكان الذي قال ذلك الأخنس . والملة الآخرة : النصرانية .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن الثوري ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس .

بنحوه . قال : وأتوا أبا طالب مرة أخرى ، فقالوا له : إن ابن أخيك متتابع في مساءتنا ، قد سبّ آلهتنا ، وشتت أمرنا ، وضلل آباءنا ، فادفعه إلينا نقتله . قال : بل ادفعوا إليّ أولادكم أقتلهم ، حتى أدفعه إليكم . قالوا : إنّ أولادنا لم يفعلوا ما فعل ، قال : فهو والله خير من أولادكم .

---

١ ـ سورة ص ـ الآيتان : ٦ ـ ٧ .

فقالوا : فهذا عمارة بن الوليد بن المغيرة أحسن قريش وجها ، وأتمهم خلقا ، فاتخذه ابنا ، وكان معهم . فقال أبو طالب : «بئس ما سمتموني : أدفعُ إليكم ابن أخي فتقتلونه ، وأتبنى ابنكم لكم وأغذوه . هيهات . أبى الحزمُ ، وصلةُ الرحم ذلك» . فانصرفوا عنه . فذلك قول أبي طالب :

كذبتم وبيت الله يقتل أحمد ولمّا نناضل دونه ونقاتل

وقوله أيضاً :

أترجون أن نُشجى بقتل محمد ولم تختضب سمر العوالي من الدم

ـ قال : وأتوه مرة أخرى ، فأعلموه أنه إن لم يأخذ على يد رسول الله ﷺ ويردّه ، قتلوه غيلة . وقالوا : قد أعذرنا إليك . فكان ذلك سبب دخول أبي طالب الشعب[١] .

ـ وأما عمارة بن الوليد ، فيقال إنه وعمرو بن العاص توجها برسالة قريش إلى النجاشي في أمر من بالحبشة من المسلمين ، يفسداه عليهم ، ويهجناهم عنده ، ويسألاه دفعهم إليهما . وحملوهما إليه وإلى بطارقته[٢] هدايا من أدم وغيره ، وذلك وهم .

وقيل : إنه كان مع عمرو بن العاص في هذه المرة عبد الله بن أبي ربيعة ، ولم يكن معه عمارة . فردّهما النجاشي مقبوحين خائبين ، فاشتدت قريش عند ذلك على النبي ﷺ ، وهذا الثبت ؛ إنّ عمرا وعمارة خرجا بعد ذلك في تجارة إلى الحبشة ، وكانا طرّيقين فاتكين . وكانت مع عمرو امرأته . فقال لها عمارة ، وهما يشربان في السفينة : قبليني . فقال لها عمرو : قبِّلي

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ . نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٩٤ . سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧ .

٢ ـ أي أعيان الدولة لديه وكبار القادة .

ابن عمك . ففعلت . وحذره عمرو . فأرادها عمارة على نفسها ، فامتنعت . وفطن عمرو بذلك . ثم إنّ عمرا جلس على حرف السفينة ليبول . فدفعه عمارة في البحر . وكان يجيد السباحة : وأخذ بالقلْس وتخلص ، فاضطغنها عليه وكتب إلى أبيه العاص بن وائل : أن اخلعني وتبرّأ مني ومن جريرتي على بني المغيرة وبني مخزوم ، فقد كان من عمارة كيت وذيت ، وهو يرصد له بما يرصد به ، ولم يلبث عمارة حين دخل أرض النجاشي ، أن دبّ لامرأة النجاشي ، فاختلف إليها ، ويقال : إنها رأته فعشقته ، وكان جميلا ، فدعته . فجعل يختلف إليها ، وكان يحدّث عمرا بما يجري بينهما ، فكان عمرو يظهر تكذيبه ليمحكه بذلك ، فقال له ذات ليلة : إن كنتَ صادقا ، فائْتني بدُهن من دهن النجاشي الذي لا يدّهن به غيره ، فإني أعرفه . وكان أصفر ، فأعطته قارورة منه ، وثوبا أصفر من ثيابه . فجاء بذلك إلى عمرو . وكانا ينزلان في دار واحدة ، فقال له عمرو : لقد نلت ما لم ينله قرشي قبلك ، وأخذ الدهن والثوب إليه ، فلما أصبح ، أتى النجاشي بذلك وحدثه الحديث ، فيقال : إن النجاشي أخذه ، فقطعه آراباً ثم أحرقه ؛ وأخذ امرأته فدفنها وهي حية . ويزعمون : أن النجاشي دعا بالسواحر ، فسحرنه ؛ فكان يهيم ، ثم إنه مات على تلك الحال . ويقال ؛ إنه لما فعلن به ذلك هام فكان مع الوحش ، وخرج عبد الله بن أبي ربيعة في طلبه ، وكان اسمه بُحير فسماه النبي ﷺ «عبد الله» ، فدُل على مواضعه ومظانه ، فالتزمه فجعل يقول له : تنح عني يا بحير ؛ ومات في يده . وكان عمارة يكنى أبا فائد . وقال عمرو بن العاص :

تعلمْ عمارُ إن من شر شيمة ... لمثلك أن يدعا ابن عم له ابنما
إذا كنت ذا بردين أحوى مرجلا ... فلست براء لابن عمك محرما

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما
قضى وطراً منها يسيرا وأصبحت إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما
وليس الفتى وإن أتمت عروقه بذي كرم إلا إذا ما تكرما(١)

ـ قالوا : ومكث بنو عبد المطلب وبنو المطلب في شعب أبي طالب ثلاث سنين .

وحدثني أبو الحسن المدائني ، عن أبي زيد الأنصاري ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس ، قال :

حُصرنا في الشعب ثلاث سنين ، وقطعوا عنا الميرة ، حتى إن الرجل ليخرج بالنفقة فما يباع شيئاً ، حتى مات منا قوم .

ـ قالوا : ولما رد النجاشي عمرا وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي إلى قريش بغير ما أرادوا ، وحقق قول رسول الله ﷺ وصدقه وأسلم ، ازدادوا على من بالشعب غيظاً وحنقاً ، فأجمعوا على أن كتبوا كتاباً على بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف أن لا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم ، ولا يخالطوهم في شيء ، ولا يكلموهم ، وعلقوا الصحيفة التي كتبوا ذلك فيها في الكعبة ، وقطعوا عنهم المادة والميرة . فكانوا لا يخرجون من الشعب في الثلاث سنين التي كانوا فيها بالشعب إلا من موسم إلى موسم ، حتى بلغهم الجهد ، وتضاغى صبيانهم فسمع ضغاؤهم من وراء الشعب ، وكان من قريش من يكره ما ركبوا به ونيل منهم . ثم إنّ الله تبارك وتعالى سلط على صحيفتهم التي كتبوهاالأرضة ، فلم تدع إلا «باسمك اللهم» ، فأخبر الله عز وجل بذلك رسوله ﷺ ، فأخبر رسول الله ﷺ أبا طالب . فقال أبو طالب : والله ما يدخل علينا أحد ؛ فمن أخبرك بهذا ؟ قال : ربي ، وهو الصادق يا عم ،

١ ـ السيرو المغازي لابن اسحق ص ١٦٧ ـ ١٧٠ حيث المزيد من التفاصيل .

قال : أشهد أنك لا تقول إلا حقا ، فخرج أبو طالب في جماعة من رهطه ، حتى وقف على قريش ، فقال : ادعوا بصحيفتكم التي كتبتموها علينا . فخرجوا سراعا ليأتوا بها ، وهم يظنون أن ذلك لأمر يوافقهم . فوجدوها كما قال رسول الله ﷺ ، فقويت نفس أبي طالب واشتدّ صوته ، وقال المشركون : إنما تأتونا بالسحر والبهتان ، ويقال : إنهم نكسوا رؤوسهم ، فقال أبو طالب : قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة .

ـ ويقال إنّ الصحيفة لم تكن في الكعبة ، ولكنها كانت موضوعة على يد طعيمة بن عدي ، ويقال على يد أم أبي جهل ، وهي أسماء ابنة مخرّبة التميمية . وقوم يقولون إنها وُضعت على يد أم الجلاس بنت مخربة أختها . وكان الذي خطّ الصحيفة ، فيما ذكر الكلبي ، بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ ، فشلت يده يوم خطها . وقال غيره : اسمه منصور بن عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

ـ وقال الواقدي : كان هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب ، من بني عامر بن لؤي ، وهو ابن أخي نضلة بن هاشم لأمه ، يأتي بالبعير قد أوقره طعاماً ليلا ، حتى إذا أقبله الشعب خلع خطامه وضرب على جنبيه فيدخل الشعب . وقال الكلبي : هو هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبيْب بن جذيمة بن مالك بن حسل ، وله يقول حسان بن ثابت بعد ذلك :

من معشر لا يغدرون بذمة الحارث بن حُبيِّب بن شَحام

فشدّد «حبيبا» لضرورة الشعر ، وكان يقال لأم جذيمة بن مالك «شحام» . وخرج العباس بن عبد المطلب من شعب أبي طالب ليشتري طعاما ، فأراد أبو جهل أن يسطو به ، فمنعه الله منه . وأرسلت خديجة بنت

خويلد إلى زمعة بن الأسود : إن أبا جهل يمنع من ابتياع ما نريد ؛ فأسمع أبا جهل كلاما ، فأسمعه ، فأمسك . وبعث إليها حكيم بن حزام بن خويلد بناقة ، عليها دقيق ، فسرحها في الشعب . وكان يخلص إليهم الشيء بعد الشيء .

ثم إنّ هشام بن عمرو بن ربيعة مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة ـ وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ـ فقال : يا زهير ، أرضيتَ بأن تأكل وتشرب وتلبس الثياب وتنكح النساء آمنا ، وأخوالك بحيث علمت على الحال التي تعرف من الجهد والضرّ ؟ فقال له : إنما أنا رجل واحد ، قال : فقد وجدتَ ثانياً . قال : ومن هو ؟ قال : أنا . فقال زهير : ابغنا ثالثا . قال : فذهب إلى مطعم بن عدي ، فقال له : أرضيتَ أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد ، موافق لقريش على ذلك ؟ قال : ويحك ، فما أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد . قال : فقد وجدتُ لك ثانياً . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال : فابغنا ثالثا . قال : قد وجدته . قال : ومن هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية . قال : فابغنا رابعا . فذهب إلى أبي البختري العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، فكلمه . فقال : هل من أحد على هذا الرأي ؟ قال : نعم ، أنا ومطعم بن عدي ، وزهير بن أبي أمية . قال : فابغنا خامسا . فأتى زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبد العزى ، فكلمه وأخبره خبر القوم . وأجمعوا أمرهم ، وتعاهدوا على القيام بنقض ما في الصحيفة وإخراج بني هاشم وبني المطلب من الشعب .

ولما كان من خروج أبي طالب إلى قريش وإخبارهم بما حدث من أمر الصحيفة من أكل الأرضة إياها ما كان ، رجع أبو طالب إلى الشعب وهو يقول : لماذا نُحبس وقد أبان الله الأمرَ ووضح ؟ قالوا : وشرب مطعمُ بن

عدي شرابه . فلما انتشى ، قال : من مثلي ؟ فقال له عدي بن قيس بن عدي السهمي ـ ويقال : عتبة بن ربيعة ـ إن كنتَ كما تقول ، فما بال بني عمك جوعى هلكى مظلومين ؟ وكان عدي بن قيس يكني أبا حسان ، فلما صحا ، لبس سلاحه ، ولبس أبو البختري ، وزهير بن أبي أمية ، وهشام بن عمرو ، وعتبة بن أبي ربيعة ، وزمعة بن الأسود سلاحهم . وصاروا إلى الشعب ، فأخرجوا بني هاشم وبني المطلب ، فلما رأت قريش ذلك ، سُقط في أيديهم ، وعلموا أنهم لا يسلمونهم ، وأن عشائرهم تمنعهم . وكان خروجهم من الشعب في السنة العاشرة من نبوة النبي ﷺ ، وكان موت أبي طالب بعد خروجهم من الشعب في أول ذي القعدة سنة عشر من المبعث . ويقال : للنصف من شوال ، وله بضع وثمانون سنة ، ويقال : إن بين موته وموت خديجة بنت خويلد شهر وخمسة أيام . ويقال : خمسة أيام . ويقال خمسة وعشرين يوما . ويقال : ثلاثة أيام . وكان موتها قبل موته . ودفنها رسول الله ﷺ بالحجون ، ولم تكن الصلاة على الجنائز يومئذ .

ـ قالوا : وخرج رسول الله ﷺ ، ومعه زيد بن حارثة مولاه . بعد موت أبي طالب إلى الطائف. فآذته ثقيف، فأسمعوه وأغروا سفهاءهم به، وقالوا : كرهك أهل بلدك وقومك ولم يقبلوا منك ، فجئتنا ، فنحن والله أشدّ لك إباءً ، وعليك ردّا ، ومنك وحشة . فجلس رسول الله ﷺ في ظلّ شجرة ، ثم قال : «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، يا ربّ المستضعفين ، إلى من تكلني ؟» وخرج رسول الله ﷺ ، وزيد بن حارثة ، راجعين حين يئس من أهل الطائف . ووّجه رسول الله ﷺ رجلا من خزاعة إلى سهيل بن عمرو يسأله أن يدخل في جواره ، فأبى . ثم بعث إلى مطعم بن عدي ، فأجاره ،

فدخل في جواره . ولبس قومه السلاح حتى أدخلوه المسجد . فكان رسول الله ﷺ يشكرها لمطعم بن عدي . وكان خروج النبي ﷺ إلى الطائف لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة . وقدم مكة يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة .

ـ قالوا : وكان رسول الله ﷺ يدعو القبائل في الموسم قبل الهجرة ، ويسألهم نصرته ومنعته . فكان يلقى منهم تجهماً وغلظا ، ولقي من بني عامر بن صعصعة ما لم يلق من أحد من العرب . وقال له رجل من بني محارب يوما : والله لا يؤوب بك قوم إلى دارهم إلا آبوا بشر ما آب به أهل موسم ، وكان ﷺ يطوف على القبائل ، يدعوهم ، وأبو لهب خلفه يثبط الناس عنه ، ولقي رسول الله ﷺ من بني حنيفة مثل ما لقي من بني عامر . ولم يكن حيّ من العرب ألين قولا له ولا أحسن ردّا عليه من كندة ، ودعا كلبا ، فلم يقبلوا منه . وقال شيخ منهم : ما أحسن ما يدعو إليه هذا الفتى إلا أن قومه قد باعدوه ؛ ولو صالح قومه ، لا تبعته العرب .

وقدم قوم من الأوس مكة يطلبون حلف قريش على الخزرج ، لما كان بينهم من الحرب . فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام . فقال له أنس بن رافع : عجبا ، جئنا نطلب حلف قريش على أعدائنا فنرجع وقريش عدونا . ومال إليه بعضهم .

ـ وقالوا : وخرج سويد بن الصامت قبل يوم بُعاث ، حتى قدم مكة ، فلقي النبي ﷺ . فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام . فقال له : لعل الذي معك مثل الذي معي . وكانت معه حكمة لقمان . فقال له ﷺ : إن هذا لكلام حسن ؛ والذي معي أحسن منه وأفضل . ثم قدم ، فقتل ، فهاج قتله يوم بعاث . وكان الذي قتله المجذّر بن ذياد البلوي : وكانوا يرون أنه مسلم .

ـ قال الواقدي : فلما كان يوم أحد ، قتل الحارثُ بن سويد بن الصامت : المجذّر بن ذياد غيلة . فأتاه الوحي بقتله فركب إلى بني عمرو بن عوف ، فخرجوا إليه ، وخرج الحارث ، فأمر به فقتل .

وقال الكلبي : قتل المجذر حلاسُ بن سويد غيلة . فقتله رسول الله ﷺ به قودا . وكان أول من أقيد في الإسلام .

ـ وكان القوم من الأنصار بعد القوم يدخلون مكة في أمور لهم ، فيدعوهم . فيقول بعضهم : لم نقدم لهذا . ويسكت بعضهم ، فلا يقول شيئاً . ثم قدم قيس بن الخطيم ، فدعاه رسول الله ﷺ ، فقال له : إني لأسمع كلاما عجبا ، فدعني أنظر في أمري في هذه السنة ، ثم أعود . فمات قبل الحول .

أمر العقبة الأولى[1] :

قالوا : خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل عام ، فلقي رهطا من الخزرج ، فوقف عليهم ودعاهم إلى الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكانوا يسمعون أمره وذكره وصفاته من اليهود . فأسلموا . وكانوا ستة نفر . ثم لما كان العام القابل من العام الذي لقي فيه الستة نفر ، لقيه اثنا عشر . وذلك في العقبة الأولى . وهم :

من بني النجار :

أسعد ، وعوف ومعوذ ابنا عفراء ،

ومن بني زُريق :

---

١ ـ في هامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد بأصل ثالث طلباً للصحة .

ذكوان بن عبد قيس ، ورافع بن مالك .

[ومن القواقل :

عبادة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة حليف لهم][١] .

ومن بني عمرو بن عوف :

عباس بن عباد بن نضلة .

ومن بني سلمة :

عقبة بن عامر بن نابي .

ومن بني سواد :

قطبة بن عامر . ويقال : عمرو بن حديدة .

ومن الأوس رجلان :

أبو الهيثم بن التيهان الأشهلي ، وعويم بن ساعدة . فبايعوه على بيعة النساء[٢] : بايعوا على أن لا يشركوا بالله شيئاً ، ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصوه في معروف ؛ فإن وفوا فلهم الجنة ، ولم يذكر القتال .

فلما انصرف أهل العقبة الأولى إلى المدينة ، قدموا على قوم قابلين للإسلام . فدعوهم حتى شاع فيهم الإسلام . وكتب وجوههم إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يبعث إليهم من يعلمهم القرآن ، ويفقّههم في الدين . فوجَّه إليهم مصعب بن عمير . وكان يصلي بهم ، قبل قدومه ، أسعدُ بن زُرارة ، فيقال : إنّ مصعبا صلى بهم ، ويقال إنّ أسعد بن زُرارة لم يزل

---

١ ـ زيد ما بين الحاصرتين من سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩٢ حتى يستقيم السياق ويبلغ العدد اثني عشر .

٢ ـ أراد ببيعة النساء ، أنهم لم يبايعوه على القتال : الروض الأنف ج ٢ ص ١٨٣ .

يصلي بهم بعد قدوم مصعب على ما كان عليه حتى قدم سالم مولى أبي حذيفة ، وكان مصعب يعلمهم القرآن . وقد قيل : إن النبي ﷺ بعث مصعبا بعد العقبة الثانية . فكان بالمدينة حتى وافاها رسول الله ﷺ ، وقيل : إنه رجع إلى مكة ، فهاجر مع النبي ﷺ وأصحابه .

ـ قالوا : ولما كان قرب وقت الحجّ في السنة الثانية ، تواعدوا لحضور العقبة ، وحجوا ، فكان العباس بن عبد المطلب المتولي لأخذ البيعة للنبي ﷺ ، واعتقادها بالعهد والميثاق[1] . وكانت عدّة من بايع عند العقبة الثانية

---

١ ـ تستحق الرواية عن دور العباس في بيعه العقبة الثانية وقفه نقدية ، فالعباس دخل بالاسلام يوم فتح مكة ، وقد شارك مع المشركين في معركة بدر وأسر من قبل المسلمين ، لكن بما أن كتّاب السيرة الكبار شروعا من ابن اسحق كتبوا في ظل الخلافة العباسية عملوا على تلطيف موقف العباس وتحسينه أولاً ثم تفاعلوا مع عقيدة الوصاية عند الشيعة ، بجعل الوصاية بيد العباس بعد وفاة أبي طالب ، ولحسن حظ المؤرخ وصلتنا أوراق من مغازي وهب بن منبه ، التي كتبت في عصر عمر بن العزيز في اليمن ، وعثر على هذه الأوراق ضمن ما عثر عليه من أوراق البردي العربية في مصر ، وقد ذكر ابن منبه أن النبي ﷺ جاء إلى العقبة «ومعه علي بن أبي طالب وأبو بكر وعمر» وبعد وصول النبي ﷺ بقليل والشروع بالتباحث مع القوم وصل العباس وصاح : «من هذا المتكلم محمد أنت ؟ قال : نعم ، قال : فمن هؤلاء ؟ قال : أخوالي وأخوالك الأوس والخزرج قد آمنوا بالله ورسوله» وهنا انضم العباس إلى الاجتماع وخاطب الأوس والخزرج بقوله : «يا معاشر بني قيلة إن هذا محمد ابن أخي ، أحب الناس إليّ وأكرمهم عليّ» ثم استطرد موضحاً أنه لا يؤمن بما جاء به ، وفي الوقت نفسه يخشى عليه الخذلان في المدينة ، وحين شعر الجميع أنه يريد تثبيط همة الرسول ﷺ ، والحيلولة دون الاتفاق على الهجرة إلى المدينة قام أسعد بن زرارة فقال : «يا رسول الله ائذن لي أجيبه غير مخشن صدرك ، ولا متعرض بيننا مماكره إلّا لتصديق إيماننا بك ، فقال النبي ﷺ : أجيبوه وابسطوا ألسنتكم غير مقصرين ولا متهيبين . فقام أسعد بن زرارة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله جعل لكل دعوة سبيلا ، إن شدة وان لين ، وإنك دعوتنا يا رسول الله ونحن في دار عزة ومنعه لا يستطيع أن يرأس علينا رجل من غيرنا قد أفرده قومه وأسلمه أعمامه ، وأجبناك إلى ذلك ، ودعوتنا إلى ترك ديننا ودين آبائنا فأجبناك=

سبعين ، فبعث عليهم رسول الله ﷺ اثني عشر نقيبا منهم وهم الكفلاء على ما بعث من عدّة نقباء بني إسرائيل .

تسمية السبعين الذين بايعوا عند العقبة :

- من الأوس بن حارثة :

أسيد بن حُضير بن سماك بن عَتيك ، أحد بني عبد الأشهل بن جُشم . يكنى أبا يحيى ، وأبا حضير . قال الواقدي : لم يشهد بدرا ؛ وقال الكلبي : شهدها . وتوفي أسيد في سنة عشرين . وحمل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه جنازته ، وصلى عليه ، ودفن بالبقيع ، وكان إسلامه على يد مصعب بن عمير حين قدم المدينة . وهو نقيب .

أبو الهيثم مالك بن التيِّهان . وولده يقولون : التيهان بن مالك بن عتيك ، من ولد زعوراء بن جشم . وبعضهم يزعم : أنه حليف لهم من بلي . والأول قول الكلبي ، وهو أصح ؛ وشهد بدرا ، ومات في خلافة عمر ، سنة عشرين ، ويقال : إنه قتل مع علي عليه السلام بصفّين . وهو نقيب . رُوى عنه أنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على ما بايع عليه بنو إسرائيل موسى عليه السلام .

= إلى ذلك ، وفي ذلك عداوة العرب والعجم والناس كافة ، وتلك رؤية صعبة لا يقوم بها إلّا من عزم ربه له على الرشد ، ودعوتنا إلى معاداة العرب والعجم وأجبناك إلى ذلك .

ثم أقبل على العباس فقال : أيها المتعرض لنا دون رسول الله ، فقد صدقناه وكذبته ، وآمنا به واتبعناه وأبيت ذلك ، وأما قولك إنه أحب الناس إليك ، فنحن له أشد حبا ، قطعنا فيه القريب والبعيد ، وكرهت ذلك ، وأما قولك إنك لا تصدقه بما يقول ، فإن الله لا يذله بذلك ، ولا يعزك به» وبعد هذا تمت البيعة ، وتدخل العباس في توثيقها . انظر سهيل زكار . كتاب التاريخ عند العرب - ط . دمشق ١٩٧٤ ص ١١٥ - ١١٦ .

سلمة بن سلامة بن وَقْش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل . ويكنى أبا عوف ؛ ويقال : أبا ثابت . شهد بدرا . ومات بالمدينة سنة خمس وأربعين ، وهو ابن سبعين سنة .

سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحّاط ، أحد بني السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس ، وكان رسول الله ﷺ حين هاجر يطيل الحديث عنده ؟ حتى ظنّ قوم أنه نزل عليه . ويقال : إنه كان يكنى أبا مسعود ، استُشهد يوم بدر . وهو نقيب .

رفاعة بن عبد المنذر بن ذَنْبر بن زيد ، أخو أبي لبابة بشير بن عبد المنذر . كان يكنى أبا رافع . شهد بدرا ؛ واستُشهد يوم خيبر .

عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس ، أحد بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . يكنى أبا عبد الرحمن . شهد بدرا . ومات في خلافة عمر بالمدينة ، وهو ابن خمس أو ست وستين . ومحمد بن إسحق[1] يزعم أنه من بليّ . وقال الكلبي : هو من أنفسهم ، ونسبه هذه النسبة .

أبو بُردة بن نِيار. واسم أبي بردة هانيء . وأبوه نيار بن عمرو بن عبيد . وهو بلوي ، حليف بني حارثة بن الحارث ، من الأوس . وهو خال البراء بن عازب الأوسي . شهد بدرا ، ومات في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان .

عبد الله بن جبير بن النعمان ، صاحب الرماة يوم أحد . يكنى أبا المنذر . استشهد يومئذ في ثلاثين رجلاً ، وقد شهد بدرا . وهو أسنّ من

١ ـ ذكره ابن اسحاق في العقبة الأولى وقال : «ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : عويم بن ساعدة» . سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩٢ .

أخيه خوّات بن جبير ، صاحب ذات النحيين[1] . ومات خوّات بالمدينة سنة أربعين ، وهو ابن أربع وسبعين سنة . وكنية خوّات أبو صالح ؛ ويقال : أبو عبد الله . وأبو صالح أثبت . وكان يخضب بالحناء والكتَم . وكان ربعة من الرجال .

معن بن عدي البلوي ، حليف بني عمرو بن عوف ، من الأوس . وهو أخو عاصم بن عدي . وكنية معن أبو عمير . شهد المشاهد كلها . واستُشهد باليمامة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

قتادة بن النعمان الظفري ، أخو ظفر بن الخزرج ، من الأوس . وكان قتادة يكنى أبا عمرو . والأنصار يكنونه أبا عبد الله ، وهو الذي أصيبت عينه يوم أحد ، فردّها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه . شهد بدرا . ومات سنة ثلاث وعشرين ، وهو ابن خمس وستين سنة ، وصلى عليه عمر بالمدينة ، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه . وهو نزل في قبره ، والحارث بن خَزْمة ، ومحمد بن مسلمة ، ومن ولده عاصم بن عمر بن قتادة .

ظهير بن رافع بن عدي أبو «أسيد بن ظهير» . قال الهيثم بن عدي : مات قبل بدر . قال الواقدي : وشهد أسيد أحداً والخندق ؛ وكان ممن أجاز النبي ﷺ من الصغار .

بُهَيْز بن الهيثم بن نابيء بن مجدعة بن حارثة . والكلبي يجعل مكانه سعد بن زيد بن مالك الأشهلي ، ويقول : هو بدري ، عقبي . فهؤلاء اثنا عشر رجلا ، فيهم ثلاثة نقباء .

ومن الخزرج بن حارثة .

من بني النجار بن ثعلبة :

١ ـ انظر هذه الحكاية في أسد الغابة الترجمة (١٤٨٩) .

أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب النجاري . شهد بدرا . ومات بأرض الروم سنة اثنتين وخمسين ، عام غزا يزيدُ بن معاوية . فصلى عليه يزيد ، ودفنه في أصل سور القسطنطينية . وعليه نزل رسول الله ﷺ بعد انتقاله عن قُباء .

عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو ، أخو عمرو بن حزم النجاري ، شهد بدرا ، واستشهد يوم اليمامة ، ويقال إنه أدرك خلافة معاوية ، ومات فيها ، وقد ذهب بصره .

أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام ، أحد بني جديلة . شهد بدرا . وهو الذي وكله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بأصحاب الشورى لينظروا في أمرهم ويقطعوه ، مات بالمدينة سنة أربع وثلاثين ، وصلى عليه عثمان رضي الله تعالى عنه . وأهل البصرة يقولون : ركب البحر فمات به . وكان آدم ، مربوعاً ، لا يغير شيبه .

معاذ بن الحارث بن رفاعة النجاري . وهو ابن عفراء . استُشهد هو وأخوه معوّذ يوم بدر ، وبقي عوف بن الحارث أخوهما حتى مات في أيام عليّ عليه السلام ومعاوية رضي الله تعالى عنه .

قال ابن الكلبي : لما قتل معاذ ومعوّذ ، جاءت عفراءُ بنت عبيد إلى النبي ﷺ ، فقالت لعوف : يا رسول الله ، هذا شر بنيّ ، فقال : لا . والبقية من ولد عفراء في عوف . وقال الواقدي : استشهد عوفَ بن عفراء ومعوّذ ـ قتلهما أبو جهل ـ وبقي معاذ حتى مات في الفتنة ، وكانت عفراء بنت عبيد عند الحارث بن رفاعة الخزرجي ، فولدت له معاذا ومعوّذا . ثم إنه طلقها ، فقدمت مكة حاجة ، فتزوّجها البكير بن عبد ياليل الليثي ، فولدت له

عاقلا ، وإياسا ، وعامرا ، وخالدا . ثم رجعت إلى المدينة ، فراجعها الحارث بن رفاعة ، فولدت له عوفا .

أسعد الخير بن زُرارة بن عدس النجاري ، يكنى أبا أمامة ، مات على تسعة أشهر من الهجرة ، ومسجد رسول الله ﷺ يبنى ، فدفن بالبقيع . وكان نقيب النقباء . فقالت بنو النجار : مات نقيبنا يا رسول الله . فقال ﷺ : «أنا نقيبكم» ، وضمّ رسول الله ﷺ ابنته إليه ، فزوّجها سهل بن حُنيف ، فولدت له أبا أمامة بن سهل ، وكان أسعد لما قدم أهلُ العقبة الأولى ، اجتهد في دعاء الناس إلى الإسلام ، حتى فشا بالمدينة وكثر . فكان يجمع بهم في المدينة في كل جُمُعة .

حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن عبدالله ، عن الزهري :

أن أسعد بن زرارة لم يجمع بالناس حتى قدم مصعب بن عمير . قال الواقدي : الثبت أن مصعبا كان يقرىء القرآن ، وكان أسعد يصلي بهم ويجمع ، إلى قدوم النبي ﷺ .

سهل بن عتيك بن النعمان بن عمرو النجاري . شهد بدرا ، وذكر الهيثم بن عدي أنه مات في خلافة عثمان .

أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام النجاري ، أخو حسان بن ثابت الشاعر ، يكنى أبا شداد ، شهد بدرا . وهو أبو شداد بن أوس . مات أوس بن ثابت في خلافة عثمان . ومات شدّاد ـ ويكنى أبا يعلى ـ بفلسطين في سنة ثمان وخمسين ، وكان نزلها . وتوفي وله خمس وسبعون سنة .

قيس بن أبي صعصعة ـ واسمه عمرو ـ بن زيد بن عوف بن مبذول .

وكان على الساقة يوم بدر ، وقال الواقدي : هو ثعلبة بن عمرو بن قيس بن أبي صعصعة . والأول قول ابن الكلبي .

غزّية بن عمرو بن عطية بن خنساء النجاري ، أبو «أبي حَنّة بن غزية» . وابن إسحق يقول : عمرو بن غزية . والأول أثبت . فهؤلاء تسعة نفر ، فيهم نقيب .

- ومن بني الحارث بن خزرج :

سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك ، شهد بدرا ، واستشهد بأحد ، وهو نقيب ، ذكر الهيثم أنه كان يكنى أبا الربيع .

خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك ، نزل أبو بكر رضي الله تعالى عنه عليهَ بالمدينة ، وتزوج ابنته في حياة أم رُومان : أم «عائشة» ، واستشهد خارجة بأُحد ، وتوفي أبو بكر وابنةُ خارجة حامل ، فولدت له أم كلثوم ، تزوّجها طلحة بن عبيد الله التيمي ، فولدت له زكريا ، وعائشة بنت طلحة ، وزيد بن خارجة المتكلم بعد موته في زمن عثمان بالمدينة .

عبد الله بن رَواحة بن عمرو بن امرىء القيس ، وكان شاعرا ، شهد بدرا ، واستشهد بمؤتة سنة ثمان ، وهو نقيب .

بشير بن سعد بن ثعلبة بن خِلاس ، أبو «النعمان بن بشير» . وبه كان يكنى ، وهو أول أنصاري بايع أبا بكر ، قتل بعين التمر مع خالد بن الوليد ، وكان النعمان ، ابنه ، أول مولود من الأنصار بالمدينة بعد الهجرة ، فحنكه رسول الله ﷺ ، وقتل بحمص أيام عبد الله بن الزبير .

عبد الله بن زيد بن ثعلبة الذي أُري الأذان ، مات سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن أربع وستين سنة ، وصلى عليه عثمان بالمدينة ، وكان يكنى أبا محمد ، وكان ربعة من الرجال .

خلّاد بن سوُيد بن ثعلبة بن عمرو ، استشهد يوم بني قريظة سنة خمس ، طرحت عليه رحى ، فقال رسول الله ﷺ : «إنّ له لأجر شهيدين» . وقال بعضهم : إنه لم يقتل . وولي السائب بن خلّاد لمعاوية اليمن .

عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أُسيرة بن عُسيرة بن عطية بن جِدارة . يكنى أبا مسعود . ولاه عليّ عليه السلام الكوفة حين سار إلى صفين ، وابتنى بها دارا . وتوفي في أول أيام معاوية .

قال الواقدي : شهد العقبة ، ولم يشهد بدرا ، وكان محمد بن إسحاق يقول : كان أصغر من شهد العقبة[1] . فهؤلاء سبعة نفر ، فيهم نقيبان .

- ومن بني زريق بن عبد بن حارثة ، من الخزرج :

زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر ، أحد بني بياضة بن عامر بن زُريق ، يكنى أبا عبد الله ، شهد بدرا ، وولاه رسول الله ﷺ وسلم حضرموت ، فأقرّه عليها أبو بكر ، وتوفي أبو بكر وهو عليها .

وقال الهيثم بن عدي : مات باليمن في خلافة عمر بن الخطاب .

فروة بن عمرو بن وَذَقَة البياضي . شهد بدرا ، وكان على بيع الأخماس يوم خيبر .

خالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة . شهد بدرا ، وقيل : إنه لم يشهد العقبة ، والثبت أنه شهدها .

رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُريق ، يكنى أبا رفاعة وأبا مالك ، وكان نقيباً . لم يشهد بدرا ، واستشهد يوم أحد ، وكان

---

١ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٣ - ٣١٤ .

أول من أسلم من الأنصار ، وكان ابنه رفاعة من أشد الناس على عثمان ، ومات رفاعة في أيام معاوية . ويكنى أبا معاذ .

ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد الزرقي ، خرج إلى النبي ﷺ من المدينة حتى هاجر معه ، فهو من مهاجري الأنصار ، واستشهد بأحد .

عباد بن قيس بن عامر بن خلدة الزرقي ، قتل أخوه يوم بعاث ، وشهد عباد بدرا . وأصابته يوم اليمامة جراحة ، ثم انتقضت به في أول خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه فمات منها .

أبو خالد ، وهو الحارث بن قيس بن خلدة ، وقد شهد بدرا ، فهؤلاء سبعة نفر ، فيهم نقيب .

- ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تَزيد بن جشم ، وأخيه أُديّ بن سعد :

البَراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان ، أبو بشر ، مات بالمدينة في صفر قبل قدوم النبي ﷺ إياها بشهر ، وأوصى أن يوجه نحو الكعبة ، وكان قد صلى إليها قبل أن تحوّل القبلة نحوها ، فوُجّه . وقدم رسول الله ﷺ ، فصلى عليه . وكانت امرأته أم بشر قد أعدّت لرسول الله ﷺ طعاما ، فأكل عندها ثم صلى بأصحابه في مسجد القبلتين ، فلما فرغ من الركعتين الأولين ، حُوّل إلى الكعبة ، فانحرف نحوها ، وذلك يوم الثلاثاء للنصف من شعبان سنة اثنتين ، ويقال : للنصف من رجب ، وكان البراء أول من أوصى بثلث ماله . وهو نقيب .

بشر بن البراء بن معرور، شهد بدراً. وهو الذي قال رسول الله ﷺ لبني سلمة ، حين سألهم : من سيدهم ؟ فقالوا : جَدّ بن قيس على بخل فيه ، فقال : «فأيّ داء أدوأ من البخل ؟ سيدكم الأبيض الجعد : بشر بن

البراء» . وكان بشر أول من صلى مع رسول الله ﷺ من الأنصار إلى الكعبة ، وكان أكل مع رسول الله ﷺ من الشاة المسمومة التي أهدتها زينب بنت الحارث امرأة سلّام بن مشكم اليهودي بخيبر ، فمات .

سنان بن صيفي بن [صخر بن][1] خنساء بن سنان ، شهد بدراً ، وقتل يوم الخندق . وقال محمد بن إسحق : أبو سنان صخر بن صيفي . والأول أثبت .

الطفيل بن مالك بن خنساء . شهد بدراً . وبعضهم يقول : الفضل ، فيصحف .

الطفيل بن النعمان بن خنساء ، شهد بدراً ، وقتل بالخندق .

معقل بن المنذر بن سرح بن خُناس بن سنان . شهد بدراً .

جبار بن صخر بن أمية بن خنساء . كان حارس النبي ﷺ ببدر ، يكنى أبا عبد الله . شهد بدراً وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ، . ومات بالمدينة سنة ثلاثين .

وقال الكلبي : كان الفاكه بن السكن بن زيد بن أمية ، وجبار بن صخر حارسي النبي ﷺ ، وكان جبار عقبيّاً ، ولم يكن الفاكه عقبيّاً .

مسعود بن يزيد بن سبيع بن خناس بن سنان ، شهد بدرا ، وقتل يوم الخندق .

الضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدي . قال الواقدي هو عَقبي . وقال الكلبي : عقبي بدري .

يزيد بن المنذر [بن سرح بن خناس .

---

١ ـ زيد ما بين الحاصرتين من سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٥ .

يزيد][1] بن حزام بن سبيع بن خنساء .

صيفي بن سواد بن عباد بن عمرو بن عدي بن سواد بن غنم بن خالد بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة .

أبو عبس بن عامر بن عدي بن سواد . شهد بدراً . وقال الكلبي : عبس بن عامر .

سليم بن عمرو بن حُديدة بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة ، شهد بدراً . وقال الواقدي : هو سليم بن عامر . والأول قول الكلبي .

قطبة بن عامر بن حُديدة ، يكنى أبا زيد ، مات في خلافة عثمان . وقال الكلبي : هو قطبة بن عمرو بن حُديدة أبو «جميلة» مولاة الحسن البصري .

يزيد بن عامر بن حديدة يكنى أبا المنذر ، شهد بدراً . وقال الكلبي : هو يزيد بن عمرو .

أبو اليسر ، وهو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة ، شهد بدرا وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ، ومات بالمدينة سنة خمس وخمسين ، وكان قصيرا دحداحا ، ذا بطن ، وشهد مع علي عليه السلام مشاهده كلها .

ثابت بن الجِذْع . وولده يقولون : الجَذَع بن زيد بن حرام . واسم الجذع ثعلبة . شهد بدرا ، وقتل يوم الطائف .

مُعاذ بن جَبَل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب ، بن عمرو بن أُديّ بن سعد ، إخوة بني سلمة بن سعد ، وهو ينسب إلى بني

١ ـ زيد مابين الحاصرتين من سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٥ .

سلمة ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن ، شهد بدراً وهو ابن عشرين سنة أو إحدى وعشرين سنة ، ومات سنة ثماني عشرة في طاعون عَمواس ، بناحية الأردنّ . وكان طوالا ، أبيض ، حسن الثغر ، عظيم العينين ، جعدا . وهو الثبت . وقال محمد بن إسحاق : لم يكن منهم ولكنهم ادعوه[1] . وكان من قضاعة .

ثعلبة بن غَنَمة بن عدي بن سواد[2] . استشد يوم الخندق ، ولم يذكره الكلبي ، وجعل مكانه عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة .

كعب بن مالك الشاعر بن أبي كعب - واسمه عمرو - بن القين بن أسود بن غنم بن كعب بن أبي سلمة ، يكنى أبا عبد الله ، مات وقد كفَّ بصره . وكان موته في سنة خمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة .

عمرو بن غنمة بن عدي بن سواد ، وهو أخو ثعلبة بن غنمة ، والكلبي يثبته ، ويقول إنه عقبي شهد بدرا .

عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غَنم ، ويكنى أبا جابر . وهو أبو «جابر بن عبد الله» الذي يتحدّث عنه أبو الزبير ، استشهد عبد الله يوم أُحد ، وهو عقبي بدري نقيب ، وكان قدومه مع قومه على الشرك ، فدعاه إلى الإسلام . وعرفوه فضله . فأسلم وطرح ثوبيه ، ولبس ثوبين أعطاه إياهما البَراء بن معرور .

جابر بن عبد الله بن عمرو . يكنى أبا عبد الله . قال الواقدي : مات سنة ثمان وسبعين ، وقد كفّ بصره ، وهو ابن أربع وتسعين سنة ، وصلى

---

١ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٦ .

٢ - في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٦ «نابي» بدلاً من «سواد» .

عليه أبان بن عثمان ، وهو والي المدينة . وقال الهيثم بن عدي : مات سنة ثلاث وسبعين .

وروى الواقدي ، عن عبد الملك بن وهب الأسلمي ، عن رجل ، عن جابر قال :

كنت أصغر أهل العقبة . قال الواقدي : يقال إنه كان آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتا بالمدينة جابر بن عبد الله ، والثبت أن آخرهم موتا سهل ابن سعد الساعدي مات سنة إحدى وتسعين ، وبالبصرة أنس بن مالك مات سنة اثنتين وتسعين ، وبالكوفة عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي مات سنة ست وثمانين ، وبالشأم عبد الله بن بسر المازني ، من مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ، من الأحداث ، مات في سنة ثمان وثمانين ، وبمكة عبد الله بن عمر بن الخطاب مات في سنة أربع وسبعين ، سافر في عقب الحج ، فأصابه زجّ رمح من أزّجة أصحاب الحجاج عند الجمرة ، فأتاه الحجاج يعوده . فقال له : أصحابك قتلوني . ويقال إنّ سمرة بن جندب الفزازي آخر أصحاب النبي ﷺ بالكوفة موتا ، وكان بالبصرة واليا ، ولكنه مات بالكوفة .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن أبي ذئب ، عمن رأى الحجاج :

ختم أنسا في رقبته ، ومن رأى الحجاج ختم جابر بن عبد الله في كوعه فقال جابر : شهدت العقبة ، ورأيت الحجاج وما يصنع ؛ فليت سمعي ذهب كما ذهب بصري فلا أسمع به شيئاً . فبلغ الحجاج قوله ، فكان يقول : ما ندمتُ ندامتي عن شيء ندامتي على أن لا أكون قتلته حين بلغني قوله ، فقال له عبد الله بن عمر : فإذاً والله كان يكبك الله في النار على

منخريك ، وقال له نافع بن جبير : الذي أراد الله عزوجل بالأمير خير مما أراد بنفسه .

معاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وهو الذي ضرب رجل أبي جهل ، فقطعها حتى سقط ، واستشهد معاذ يوم أحد .

عمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام . شهد بدرا ، وهو كان يقرن الرجال يوم بعاث .

عبد الله بن أنيس بن أسعد ، من ولد البَرْك بن وبرة ، أخي كلب بن وبرة . يكنى أبا يحيى ، شهد العقبة ولم يشهد بدرا ، وشهد يوم أحد ، وكان ينزل في جهينة ، فعرف بالجهني وهو حليف لبني سلمة ، ومنزله بأعراف ، على بريد من المدينة . فقال لرسول الله ﷺ : مرني يا رسول الله أي ليلة أنزل فيها إلى المدينة في شهر رمضان ؟ فقال : «ليلة ثلاث وعشرين» . فقيل : «ليلة الجهني» .

وقال الكلبي : هو مهاجري أنصاري عقبي ؛ وأعطاه رسول الله ﷺ مخصرة كان يتخصر بها ، وقال : القني بها في الجنة ، وذلك أنه بَعث به في وجه ، فبلغ الذي أحبّ رسولُ الله ﷺ ، ومات عبد الله أيام معاوية بالمدينة .

خَديج بن أويس ، ويقال : ابن مالك[1] ، حليف لهم من بَلي . وهو أبو شباب ، ولد شباب ليلة العقبة .

وأم «شباب» ، وهي أم منيع بنت عمرو بن عدي . فهؤلاء ثمانية وعشرون رجلا وامرأة ، فيهم نقيبان .

---

١ ـ في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٦ «خديج بن سلامة بن أوس» ، ولمزيد من الخلاف حوله انظر الحاشية رقم /١/ من الصفحة نفسها .

ـ ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج :

سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة بن أبي خُزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، يكنى أبا ثابت ، وكان تهيأ للخروج إلى بدر ، فنُهش فأقام ، فقال رسول الله ﷺ : لئن كان سعد لم يشهدها ، لقد كان عليها حريصا . وكان نقيبا ، سيدا ، جوادا . ومات بحوران فجأة لسنة مضت من خلافة عمر . ويقال انه امتنع من البيعة لأبي بكر فوّجه إليه رجلا ليأخذ عليه البيعة وهو بحوران من أرض الشأم . فأباها ، فرماه فقتله . وفيه يروى هذا الشعر الذي ينتحله الجنّ :

قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده
رميناه بسهمين فلم نُخْطِ فؤاده

المنذر بن عمرو بن خنيس بن لوذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، شهد بدرا ، وقتل يوم بئر معونة سنة أربع .

أم عمارة ، وهي نسيبة بنت كعب ، امرأة منهم . بايعها رسول الله ﷺ على ما بايع عليه النساء ، ولم يصافحها ، لأنه لم يكن يصافح النساء ، وقد قاتلت يوم أحد .

قال الواقدي : شهدت أمْ عمارة العقبة مع زوجها غزيةبن عمرو ، وشهدت أحدا ، وشهدت اليمامة ، وورثت ابنها خبيب بن زيد بن عاصم الذي قطعه مسيلمة . وورثها ابنها عبد الله بن زيد ، وقتل يوم الحرة ، فهؤلاء رجلان ، وهما نقيبان ، وامرأة .

ـ ومن بني عوف بن الخزرج : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ابن فهر بن ثعلبة بن قوقل ـ واسم قوقل غنم ـ بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج . ويكنى عبادةُ أبا الوليد ، بدري ، نقيب ، توفي بالرملة

من فلسطين سنة أربع وثلاثين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، وكان طوالا ، جميلا ، جسيما .

وقال الهيثم بن عدي : توفي في أيام معاوية ، وكان أخوه أوس بن الصامت زوج خويلة بنت ثعلبة ، وهي «المجادِلة» ، وفيها نزلت آية الظهار[1] . وأدرك أوس عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه .

العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج . شهد العقبة ، وخرج من المدينة مهاجراً إلى النبي ﷺ ، وشهد بدرا . وقتل يوم أُحد .

يزيد بن ثعلبة أبو عبد الرحمن ، حليف لهم من قضاعة ، ولم يشهد بدرا ، فيما ذكر الواقدي . والكلبي يجعل مكان يزيد هذا ، زيد بن وديعة ابن عمرو بن ثعلبة ، من بني الحُبلى بن غَنْم بن عوف ، من الخزرج ، الذي استشهد يوم أحد ، واسم الحُبْلى سالم ، سمي الحبلى ، لعظم بطنه .

رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم بن عوف ، شهد بدرا ، واستشهد يوم أحد ، وكان يكنى أبا الوليد ، وبعضهم يقول : رفاعة بن الهاف بن عمير بن زيد بن عمرو .

عقبة بن وهب بن كلدة بن زهرة بن جشم بن عوف بن بُهثة بن عبد الله بن غطفان ، حليف بني الحبلى ، وكان شهد بدرا . وكان أتى مكة ، فهاجر مع النبي ﷺ ، فهو مهاجري أنصارى . قال الكلبي : شخص عُقبة إلى مكة ، وقال لرسول الله ﷺ : لست أتخذ دارا غير دارك ، فلما أذن الله تعالى لرسول الله ﷺ في الهجرة ، هاجر إلى المدينة ، وأكبّ على رسول الله ﷺ يوم أحد وقد أصابه سهم في جبهته ، فغاب إلا شظية منه فانتزعه ،

١ ـ سورة المجادلة ـ الآيات : ١ ـ ٤ .

فسقطت ثنيتاه . فهؤلاء خمسة رجال ، منهم نقيب . فجميع من بايع عند العقبة الثانية سبعون رجلا وامرأتان ، بايعوا على البيعة الأولى ، وزاد رسول الله ﷺ فيها : «قتال الأحمر والأسود» وعلى أن يمنعوا رسولَ الله ﷺ مما يمنعون منه أنفسهم» ، وضمن لهم على ذلك الجنة .

- حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن أشياخه قالوا :

ممن شهد العقبة وابنه معه : عبد الله بن [عمرو بن] حرام أبو جابر بن عبد الله ، ومعه ابنه جابر بن عبد الله ؛ وسعد بن خيثمة ، ومعه ابنه عبد الله بن سعد ؛ والبراء بن معرور ، ومعه ابنه بِشر بن البراء .

أسماء النقباء الاثني عشر :

- من الأوس : أُسيد بن حُضير ، أبو الهيثم مالك بن التيِّهان ، سعد بن خيثمة .

- ومن الخزرج : أبو أمامة أسعد بن زرارة ، رافع بن مالك الزرقي ، سعد بن عبادة ، المنذر بن عمرو ، البراء بن معرور ، سعد بن الربيع ، عبد الله بن رَواحة ، عبادة بن الصامت - ومنهم من يجعل مكانه خارجة بن زيد - عبد الله بن عمرو أبو «جابر بن عبد الله» .

- قال أحمد بن يحيى ، حدثني محمد بن سعد ، والوليد بن صالح ، عن الواقدي في إسناده :

أن سليط بن قيس حضر يوم العقبة ليبايع ، فوجد الناس قد تفرقوا . فبايع أسعد بن زرارة نقيب النقباء . قال : وقُتل سليط يوم قُسّ الناطِف بالعراق . قال : وحضر مالك بن الدُّخشم ، وقد تفرق الناس ، وهو من ولد مِرْضخة بن قَوقل . فبايع أسعدَ أيضاً .

- وحدثني محمد بن سعد ، قال حدثني هشام بن محمد الكلبي قال :

حضرت جماعة فاتتهم البيعة ، وأهلوهم يدّعون أنهم عقبيون ، ويسقط كل مدّع لرجل أنه عقبي رجلاً ويجعله مكانه ، لئلا يزيدوا على السبعين ، ويحمل ذلك عنهم ، فيقع الاختلاف . قال : وقد أخبرني أبو عبد الله الواقدي بنحو من هذا ، ولم أثبت من هذه الأسماء إلا ما أجمع عليه أصحابنا .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، ثنا مالك بن أنس ، عن يحيى بن سعيد ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جده قال :

بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمكره والمنشط ، وألا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق حيث كان ، ولا نخاف في الله لومة لائم .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي ، قال حدثني ابن أبي خيثمة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال :

كنا بالعقبة سبعين تلك الليلة . فوافانا رسول الله ﷺ ومعه العباس آخذاً بيده .

ـ قال الواقدي : وحدثني ابن أبي خيثمة ، عن داود بن الحصين ، عن ابن مسعود ، عن أبيه قال :

نظرت إلى العباس بن عبد المطلب تلك الليلة آخذاً بيد رسول الله ﷺ والقوم يضربون عليها . فكان أولَ من ضرب البراء بن معرور .

ـ قال الواقدي : حدثني ابن أبي خيثمة ، عن داود بن الحصين ، عن محمود بن لبيد قال :

قال رسول الله ﷺ للنقباء : «إنكم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ، وأنا كفيل على قومي» . قالوا : نعم .

ـ وقال الواقدي في إسناده :

قدم الأنصار مكة ، فسألوا عن النبي ﷺ ، فقيل لهم : هو عند عمه العباس . فأتاه منهم عُويم بن ساعدة وسعد بن خيثمة في آخرين ، فسلموا عليه وقالوا : «يا رسول الله ، إن لنا حلقة وعدداً ، وقد اجتمعت الكلمة عليك ، ولك عندنا النصر ، وبذل المهج ، والمنع ممن نمنع منه أنفسنا . فمتى نلتقي؟» فقال العباس : إن معكم من حُجّاج قومكم من يخالفكم في الرأي ، فأخفوا إشخاصكم ، واستروا أمركم حتى يتصدع الحاجّ . فواعدهم رسول الله ﷺ أن يوافيهم في الليلة التي صبحتها النفر الآخر بأسفل العقبة ، ويقال : في الليلة التي صبحتها النفر الأول ، على أن لا ينبهوا نائماً ، ولا ينتظروا غائبا ، ثم انصرفوا ، وسبقهم رسول الله ﷺ والعباس إلى الموضع ، وأقبلوا يتسللون ، وكانوا ثلاث مائة حتى وافى من وافى منهم . فتكلم العباس فقال : «يا معشر الأوس ، والخزرج ، قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه ، ونحن عشيرته ولسنا بمسلميه . فإن كنتم قوماً تنهضون بنصرته ، وتقوون عليها ، وإلا فلا تغروه وأصدقوه ، فإن خير القول أصدقه» . فقال قائلهم : نحن بنو الحرب غذينا بها ، ومرنّا عليها ، وعندنا نصرته والوفاء له ، وبذل دمائنا وأموالنا دونه ، ولنا عُدّة وعدد وقوة» . وجعلوا يتكلّمون ، والعباس آخذ بيد رسول الله ﷺ ، يقول : أخفوا أمركم ، فإن علينا عيوناً . فلما استوثق لرسول الله ﷺ وأخذ عهودهم واعتقدها عليهم ، ضربوا على يد رسول الله ﷺ . وكان أول من بدأ فضرب البراء بن معرور . ويقال : أبو الهيثم . ويقال : أسعد بن زرارة . ويقال :

أسيد بن حضير . ثم قال رسول الله ﷺ : «إن موسى عليه السلام أخذ من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً ، وإني آخذ منكم اثني عشر ، فلا يجدنّ أحد منكم في نفسه شيئاً ، فإنما يختار لي جبريل . فلما سماهم ، قال : أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين» . وجعل أبا أمامة أسعدَ بن زُرارة نقيب النقباء . ثم قام النقباء واحداً بعد واحد ، فحمدوا الله وأثنوا عليه بفضل نعمته وما أكرمهم به من اتباع نبيه ، وإجابة دعوته . وتحاضّوا على نصرته والوفاء بعهده وبيعته . ثم انصرفوا .

ـ قالوا : وطلبهم المشركون فظفروا بسعد بن عبادة ، فقالوا : أنت على دين محمد ؟ فقال : نعم . فأوثقوه رباطاً ، حتى خلصه مطعم بن عدي ، وكان له صديقاً . وفاتهم المنذر بن عمرو ، وقد كان أشرف أن يؤخذ . فقال ضرار بن الخطاب الفهري :

تداركتَ سعدا عنوة فأسرَته ... وكان شَفاءً لو تداركتَ منذرا
ولو نلته ظلّت دماء جراحه ... أحق دماء أن تُطَلّ وتهدرا

فأجابه حسان بن ثابت :

فخرتَ بسعد الخير حين أسرَته ... ونلتَ شفاء لو تداركت منذرا
وإن امرءاً يهدي القصائد نحونا ... كمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا
وكالرجل الوسنان يحلم أنه ... ببلدة كسرى أو ببلدة قيصرا
فلا تَكُ كالشاة التي كان حتفُها ... بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا
وتفرح بالكتان لما لبسته ... وقد تلبس الأنباطُ ريطا معصفرا[1]

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٢٢٤ مع فوارق .

وقال حسان أيضاً :

لو كان سعد يوم مكة خافكم لأكثر فيكم قبل أن يُوسَرَ القتلا
بعضب حُسام أو بصفراء نبعة تحن إذا ما أنبضت تحفز النبلا[1]

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٤٣٥ .

باب في قصة المعراج :

ـ قالوا : وأسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو مسجد بيت المقدس ، قبل الهجرة بسنة . ويقال : بثمانية عشر شهرا .

ـ حدثني محمد بن سعد والوليد بن صالح ، قالا: ثنا محمد بن عمر الواقدي ، حدثني موسى بن عبيد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال :

قال رسول الله ﷺ : «كنت نائماً بالحجر ، فأتاني جبريل فغمزني برجله ، وأتاني بالبراق فركبتُه» .

ـ وحدثني محمد والوليد ، عن الواقدي ، عن معمر بن راشد ، عن عمرو بن عبد الله ، عن عكرمة ، قال :

أسري بالنبي ﷺ من المسجد وهو نائم في الحجر بعد هَدْءٍ من الليل . وقال الواقدي : وقد روي أنه أسري به من الشعب . ذلك غير ثبت .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال :

لما انتهى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس، لقي به إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأُتي بقدح من لبن وقدح من خمر ، فنظر إليهما فأخذ اللبن فشربه ، فقال جبريل : هُديتَ للفطرة .

ـ قالوا : وكذّبته قريش بمسراه . فوقف فأخبرهم عن بيت المقدس وآياته ، وأخبرهم عن ناقة شردت لبعضهم ببعض الطريق . فسألوا عن ذلك ، فوجدوه كما قال ﷺ .

ـ حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾[1] . قال : رأي عين .

ـ حدثني عبد الله بن صالح العجلي ، عن ابن أبي الزناد .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي عن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :

أسري بروح رسول الله ﷺ وهو نائم على فراشه .

ـ حدثني إسحاق وبكر بن الهيثم ، قالا : ثنا عبد الرزاق بن همام ، عن معمر ، عن قتادة عن الحسن ، قال :

أسري بروح رسول الله ﷺ وهو نائم على فراشه .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن سفيان الثوري ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :

رؤيا الأنبياء وحي .

---

١ ـ سورة الاسراء ـ الآية : ٦٠ .

ـ قالوا : وجاء رسول الله ﷺ بفرض الصلاة الخمس ركعتين ركعتين ، وإنما كانت الصلاة قبل ذلك بالعشي ، ثم صارت بالغداة والعشي ركعتين ركعتين . ثم صارت الصلوات خمسا ، ركعتين ، ركعتين . ثم أتمت صلاة المقيم أربعاً ، ويقيت صلاة المسافر على حالها ، وذلك بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة بشهر .

أمر الهجرة :

ـ قالوا : ولما شخص السبعون الذين بايعوا عند العقبة ، اشتدّ ذلك على قريش ، ورأوا أنه قد صارت لرسول الله ﷺ منعة ودار هجرة . فضيّقوا على المسلمين وآذوهم ونالوا منهم من الشتم والتناول ما لم يكونوا ينالونه . فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، وسألوه الهجرة ، فقال : إنه لم يؤذّن لي في ذلك بعد ، ثم إنه خرج عليهم بعد ذلك بأيام مسروراً ، فقال : قد أخبرتُ أن دار هجرتكم يثرب ؛ فمن أراد الخروج فليخرج فإن البلاد قريبة وأنتم بها عارفون وهي طريق عِيركم إلى الشأم . فجعلوا يتجهزون إلى المدينة في خفي وستر ، ويتسللون ، فيقال إنه كان بين أولهم وآخرهم أكثر من سنة، وجعلوا يترافدون بالمال والظهر ، ويترافقون . وبلغ من بالحبشة من المسلمين هجرة إخوانهم ، فقدم من قدم منهم المدينة للهجرة مع النبي ﷺ . وكان ممن قدم المدينة[1] أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . واسم أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ، ثم هاجر ، فكان الثالث

١ ـ كذا بالأصول ، وهو وهم فقد جاء أبو سلمة من الحبشة إلى مكة ومنها هاجر إلى المدينة . انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

بعد مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم . وكان مصعب أول من قدمها ، وجّهه رسول الله ﷺ ليعلّم الناس القرآن . ثم تلاه ابن أم مكتوم . وسمعتُ من يذكر أن أبا سلمة قبل ابن أم مكتوم . والخبر الأول أثبت .

ـ حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي وبكر بن الهيثم ، قالا : ثنا أبو الوليد الطيالسي ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال :

أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ المدينة مصعب بن عمير وابن أم مكتوم . قال الواقدي : وقد روي أن مصعباً صار من المدينة إلى مكة ، ثم هاجر منها إلى المدينة مع رسول الله ﷺ وأصحابه .

ـ حدثنا عمرو بن محمد ، ومحمد بن سعد ، عن عبد الله بن نمير ، عن عبد الله بن عمر .

عن نافع ، عن ابن عمر قال :

لما قدم المهاجرون الأولون من مكة قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، نزلوا العُصَبة[1] . فكان سالم مولى أبي حذيفة يؤمهم لأنه كان أكثرهم قرآنا ، وفيهم عمر ، وأبو سلمة بن عبد الأسد .

ـ قالوا : وكانت أم سلمة بنت أبي أمية أول ظعينة وردت المدينة . وكان زوجها أبو سلمة لما أراد الهجرة ، رحل لها بعيراً وحملها عليه ، وفي حجرها ابنها سلمة . فلما رآه رجال بني المغيرة قالوا : هذه نفسُك قد غلبتَنا عليها ؛ فما بال صاحبتنا ؟ لا ندعك وتسييرها في البلاد . ثم انتزعوا خطام البعير من يده ، وأخذوها إليهم ، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد بن هلال ، وقالوا : والله لا نترك ابنها عندكم إذا نزعتموها من يد صاحبنا ،

١ ـ موضع بقباء . المغانم المطابة في معالم طابة للفيروز أبادي ـ ط الرياض ١٩٦٩ .

يعنون أبا سلمة . وتجاذبوا سلمة بينهم ، حتى خلعوا يده ، فكانت مخلوعة حتى مات . ثم انطلقوا به . فكانت ، وهي عند أهلها من بني المغيرة ، تخرج فتقعد على الصفا ، ثم تقول :

يــا رُخم الجــوّ ألا استـقلّي وفي بني عبد الأسد فحُلّي

ثم هلالا وبنيه فُلّي

ثم تدعو عليهم أن تأكل الرخم لحومَهم ، فروي عنها أنها قالت : جلستُ بالأبطح أبكي ، وكنتُ أفعل ذلك كثيراً ، فرآني ابن عم لي ، فكلم بني المغيرة فيّ وقال : ألا ترون ما بهذه المسكينة من الجهد لتفريقكم بينها وبين زوجها وولدها ؟ فقالوا لي : الحقي بزوجك إن شئت . وردّ على بنو عبد الأسد ابني . فرحلتُ بعيري ، ووضعتُ ابني في حجري ، ثم خرجتُ أريد أبا سلمة بالمدينة ، فلما كنتُ بالتنعيم ، لقيتُ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أخا بني عبد الدار ، فقال : أين تريدين ياابنة أبي أمية ؟ قلت : أريد زوجي بيثرب .

فقال : أو ما معك أحد ؟ قلت : لا والله . فقال : مالك مترك . وأخذ بخطام البعير وانطلق معي يقودني ، فوالله ما رأيت أكرم مصاحبة منه : كنت أبلغ المنزل ، فينيخ جملي ثم يستأخر عني . فإذا نزلتُ ، حطّ عن بعيري ، وقيده ، ثم أتى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح ، قدّم البعير فرحله ثم استأخر وقال : اركبي . فإذا استويتُ على البعير ، قادني . فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة . فلما رأى قرية بني عمرو بن عوف بقباء ، قال : زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة .

ـ وقدم المدينة بعد أبي سلمة ، عامر بن ربيعة العنزي ، وبلال ،

وسعد ، وعمر ، وعمار . وخرج الناس مهاجرين متتابعين ، فلم يبق منهم إلا من حبسته قريش ، ولم يبق بمكة من بني أسد بن خزيمة أحد ، حتى أغلقوا أبوابهم . وأغلقت أبواب بني البُكير ـ وغير الكلبي يقول : بني أبي البكير ـ وأبواب بني مظعون . فمرّ عتبة بن ربيعة بدور بني جَحْش ، فإذا أبوابها تخفق وليس فيها أحد ، فتمثل قول الشاعر :

وكل دار وإن طالت سلامتها   يوما ستلحقها النكراءُ والحوبُ

وبقي رسول الله ﷺ وعلّي ، وأبو بكر رضي الله تعالى عنهما ، ليس معهم غيرهم ، وأراد أبو بكر الهجرة ، فسأله رسول الله ﷺ أن يحبس نفسه عليه . وكان قد علف راحلتين له ورق السمُر أربعة أشهر . فلما أذن لرسول الله ﷺ في الهجرة ، أتى أبا بكر ، فأعلمه الهجرة ، فأعطاه إحدى تينك الراحلتين ، وهي ناقة رسول الله ﷺ القصواء ، من نعم بني قشير ، فلم تزل عنده ، وماتت في أيام أبي بكر رضي الله تعالى عنه ؛ وكانت مرسلة ترعى بالبقيع لا تهاج . ويقال بنقيع[1] الخيل .

ـ قالوا : تناظرت قريش في أمر رسول الله ﷺ حين هاجر أصحابه ، فقال أبو البَختري العاص بن هاشم : نخرجه فنغيّب عنا وجهه ليصلح ذات بينها . وقال آخر : بل يُقيد ويحبس حتى يهلكه ، ثم فَرَقَ[2] رأيهم على أن يأخذوا من كل قبيلة من قريش غلاماً نهداً جلداً وسيطاً ، فيعطوه سيفاً صارماً ، ثم يجتمع أولئك الغلمان فيضربوه ضربةِ رجل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل ، فلا يدري بنو عبد مناف ما يصنعون ، ولا يقوون على حرب

١ ـ نقيع الخيل موضع قرب المدينة ، كان لرسول الله ﷺ حماه لخيله ، وله هناك مسجد يقال له مقمل ، وهو من ديار مزينة . المغانم المطابة .

٢ ـ أي اتضح واستقر .

جميع قريش . وكان الذي أطلع لهم هذا الرأي شيخ من أهل نجد ، ويزعمون أنه الشيطان . وأتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ ، فأخبره الخبر ، وأنزل الله عز وجل عليه : ﴿وإذ يمكُر بك الذين كفروا ليُثْبتوك أو يَقْتُلوك أو يخرجوك﴾[١] . وقوله «ليثبتوك» أي ليقيدوك . فأتى رسول الله ﷺ منزل أبي بكر ، وأمر عليا فنام على فراشه . فلما دخلوا بيته وهم يرون أنه نائم على فراشه . فقام إليهم عليّ عليه السلام ، فقالوا : أين ابن عمك ؟ قال : لا علم لي به . ويقال إنهم رموه وهم يظنون أنه نبي الله فلما قام ، تركوه وسألوا عن النبي ﷺ فأخبرهم أنه لا علم له به .

ـ قالوا : وخرج النبي ﷺ وأبو بكر من خوخة في ظهر بيت أبي بكر ، حتى أتيا غار ثور ، فصارا فيه ، وكان عامر بن فهيرة يرعى غنما لأبي بكر ، فيعزُبُ بها ثم يبيت قريبا ، ولا يبعد . فكانا يصيبان من رِسلها[٢] . فاستأجر أبو بكر رجلاً دليلاً ، يقال له عبد الله بن أريقط الديلي ، من كنانة بن خزيمة . وصنع آل أبي بكر لرسول الله ﷺ وأبي بكر سُفرة ، وذبحت شاة وطبخ لحمها ، وجُعل في جراب . فقطعت أسماءُ بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قطعة من نطاقها ، فأوكت به الجرابَ ، فقال رسول الله ﷺ : إنّ لها نطاقين في الجنة . فسُميت «ذات النطاقين» ويروى أنه كان لها نطاق تنتطق به في منزلها ، ونطاق تنتطقَ به إذا حملت الطعام لرسول الله ﷺ وأبي بكر ، فقيل لها ذات النطاقين .

ـ قالوا : وبعثت قريش قائفين يقصّان آثار رسول الله ﷺ . أحدهما كرز بن علقمة بن هلال الخزاعي . فاتّبعاه ، حتى انتهيا إلى غار ثور . فرأى

---

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٣٠ .

٢ ـ في هامش الأصل : أي لبنها .

كرز عليه نسجَ العنكبوت . فقال : ها هنا انقطع الأثر . فانصرفوا . وقال بعضهم : ادخلوا الغار . فقال أمية بن خلف : «وما أربكم ؟ إذ الغار وعليه من نسج العنكبوت ما عليه . والله إني لأرى هذا النسج قبل أن يولد محمد» . وبال ، حتى جرى بوله بين النبي ﷺ وأبي بكر . وجعلت قريش لمن جاء برسول الله ﷺ وأبي بكر أو قتلهما ديتهما . ويقال : مائة بعير . ونادوا بذلك في أسفل مكة وأعلاها .

ـ قالوا : ومكث رسول الله ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاث ليال . وعبد الله بن أبي بكر ـ وهو الذي أصيب بالطائف ـ يبيت عندهما . وهو غلام شابٌ لقنٌ ، ثم يصبح مع قريش كبائت . فلا يسمع بأمر يكاد به رسولُ الله ﷺ إلا وعاه ، حتى يلقيه إليه ، ثم إنّ رسول الله ﷺ وأبا بكر خرجا في السحر ليلة الاثنين لأربع ليال خلون من شهر ربيع الأول ، فقالا يوم الثلاثاء بقُديد . وجاءت وجوه قريش إلى منزل أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، فسألوا أسماءَ ابنتَه عنه . فقالت لهم : ما أدري أين هو ؟ فلطمها أبو جهل أو غيره .

ـ وكان أبو بكر أسلم يوم أسلم ، وعنده أربعون ألف درهم . فخرج إلى المدينة للهجرة وما له إلا خمسة آلاف ، أو أربعة آلاف درهم ، فبعث ابنه عبدَ الله ، فحملها إليه إلى الغار ، فمضى بها معه . وجاء أبو قحافة وقد كفّ بصره . فقال لأم رومان ، امرأة أبي بكر : عهدي بأبي بكر وله مال ؛ فما فعل ماله ؟ أتراه فجعكم به كما فجعكم بنفسه ؟ فعمدت أسماء رضي الله تعالى عنها إلى جلال الحصباء ، فجعلته في كوّة كان أبو قحافة يعهد أبا بكر يجعل ماله فيها كثيراً ، وغطته بثوب ، وقادت جدها إلى الكوّة . فلما وضع يده على الحصباء قال : إنّ في هذا لمعاشاً صالحاً ؛ صاحبه الله ، وكان لعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه مال ، فما خرج إلى الهجرة إلا بسبعة

آلاف درهم . وذلك أنه أنفق ماله في الرقاب والعون على الإسلام .

ـ قالوا : وكانت عند رسول الله ﷺ ودائع ، وإنما كان يسمى الأمين ، فوكل عليا عليه السلام بردّها على أهلها . فلما وفاهم إياها ، شخص إلى المدينة ، حتى نزل على كلثوم بن الهِدم ورسول الله ﷺ عنده .

ـ قالوا : ولقي رسول الله ﷺ بُريدة بن الحُصَيب الأسلمي في رَكْب من قومه ، فيما بين مكة والمدينة ، وهم يريدون موقع سحابة . فسايلوه ِسايلهم . فدعاهم إلى الإسلام ، فأسلموا ، واعتذروا بقلة اللبن معهم ، وقالوا : مواشينا شُصُص[1] . وجاءه بلبن ، فشربه وأبو بكر . ودعا لهم بالبركة .

أم معبد :

ـ ومرّ رسول الله ﷺ بأم معبد عاتكة بنت خالد بن خُليف الخزاعي ، وهي امرأة أكثم بن الجون ـ والجون عبد العزى ـ بن منقذ الخزاعي . فأتت رسولَ الله ﷺ بشاة مَصُور[2] ليذبحها ، فمسح ضرعها فإذا هي ذات دَرّ . فقال رسول الله ﷺ : لا تذبحيها . فأتت بشاة أخرى ، فذُبحت وطبخ لحمها لهم . فأكل رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وابن أُرَيْقِط . وسفّرتهم منها بما وسعته سفرتهم ، وبقي عندها أكثر لحمها ، وقالت أم معبد : لقد بقيت الشاة التي مسح رسول الله ﷺ ضرعها إلى عام الرمادة ، وهي سنة ثماني عشرة من الهجرة ، فكنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً ، وما في الأرض قليل ولا كثير . وقال الشاعر في نزول رسول الله ﷺ بأم معبد :

---

١ ـ في هامش الأصل : شاة شصص أي ذهب لبنها ، يستوي فيه الواحد والجمع .

٢ ـ في هامش الأصل : المصور التي تمصر لبنها وتحلب طلاطلا لأن لبنها بطيء الخروج .

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبدِ
هما نزلا بالبرّ وارتحلا به فأفلحَ من أمسى رفيق محمد
ليَهْن بني كعب مكانُ فتاتهم ومقعدُها للمسلمين بمرصَد

ووصفت أم معبد رسولَ الله ﷺ صفة سنذكرها إن شاء الله تعالى .

ـ قالوا : ولما جعلت قريش لمن اتبع رسولَ الله ﷺ وأبا بكر فقتلهما أو أتى بهما مائة ناقة ـ ويقال : ديتهما ـ أتبعهما سراقة بن مالك بن جُعْشم الكناني ثم المدلجي ، فلما قرب منهما ساخت قوائم فرسه ، فطلب الأمان ، وأخبر رسول الله ﷺ بما جعلت قريش فيه وفي أبي بكر فكتب له رسول الله ﷺ كتاب أمنة وموادعة ، في قطعة أديم . فلم يزل الكتاب عنده حتى أتاه به وهو بين الطائف والجعرانة ، وأسلم .

ـ وكان قدوم رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وكان الناس مستشرفين لقدومه ، قد استبطؤوه، فرآه يهودي على بعض تلك الآطام[1] ، فنادى : يامعشر العرب ، هذا صاحبكم . فكبر بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس تكبيرة رجل واحد . فصار رسول الله ﷺ إلى بني عمرو بن عوف ، فنزل فيهم على كلثوم بن الهِدم بن امرىء القيس ، من ولد عمرو بن عوف ، بقُباء . وذلك الثبت . فأقبل الناس يأتونه ، يسلمون عليه . وقال بعضهم : نزل على سعد بن خيثمة بن الحارث ، أحد بني السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس . وذلك أنه كان يكثر إتيانه للحديث عنده ، فظنّ قوم أنه نازل عليه .

١ ـ في حاشية الأصل : جمع أطم وهو الحصن .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن موهب ، عن يزيد بن رومان ، عن عروة قال :

كان رسول الله ﷺ يتحدث في بيت سعد بن خيثمة ، هو وأصحابه . ويؤتى للسلام عليه وهو به . فلذلكَ قال الناس : نزل على سعد ، وكان نزول الناس جميعاً على بني عمرو بن عوف ، لم يتجاوزهم .

ـ قالوا : فأقام رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، ثم خرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، فجمع في بني سالم ، من بني النجار . ويقال : بل أقام بقباء ثلاثاً وعشرين ليلة ، ويقال : بضع عشرة ليلة ، وكان مَن تقدم رسولَ الله ﷺ إلى المدينة بعد أبي سلمة بن عبد الأسد ، ومن نزلوا عليه بقباء بنوا مسجداً يصلون فيه . والصلاة يومئذ إلى بيت المقدس . فجعلوا قبلته إلى ناحية بيت المقدس ، فلما قدم رسول الله ﷺ صلى بهم فيه ، وكان سالم مولى أبي حذيفة يؤمّ المهاجرين من مكة إلى المدينة . ثم أمهم بالمدينة حتى قدم النبي ﷺ .

ـ حدثني الحسين بن الأسود ، ثنا عبيد الله بن موسى ، عن اسرائيل ، عن منصور ، عن مالك بن الحارث ، قال :

كان سالم غير معروف نسبه ، وكان يؤمّ المهاجرين من مكة إلى المدينة ، وبالمدينة لأنه أقرؤهم ، وإنّ فيهم لعمر بن الخطاب ، وذلك قبل قدوم النبي ﷺ المدينة .

ـ حدثني عمرو بن محمد الناقد والحسين بن الأسود قالا ، ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سفيان ، عن مسروق .

أن النبي ﷺ قال : خذوا القرآن عن أربعة : عن ابن مسعود ، وأبيّ بن كعب ، ومُعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة .

- وحدثني الحسين بن الأسود ، ثنا يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن نمير ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر .

أن المهاجرين لما قدموا مكة إلى المدينة ، نزلوا إلى جنب قُباء ، فأَمّهم سالم مولى أبو حذيفة ، لأنه كان أكثرهم قرآنا ، وإنّ فيهم لعمر بن الخطاب ، وأبا سلمة بن عبد الأسد .

- وحدثني محمد بن حاتم ، ثنا عبد الله بن نمير ، عن نافع ، عن ابن عمر بمثله .

قال الواقدي : المجتمع عليه أن سالما مولى أبي حذيفة لما شخص عن مكة مهاجراً ، كان يصلي بالمهاجرين إلى المدينة ثم صلى بهم إلى قدوم النبي ﷺ ، لأنه كان أقرأهم لكتاب الله .

- وقدم عليّ عليه السلام المدينة، فنزل على كلثوم بن الهدم. فكان يرى رجلا يجيء إلى امرأة في جواره بعد هَدء من الليل، فتفتح له بابها، فيدخل الدار ثم يخرج. فقال لها في ذلك. فقالت: يا عبد الله، إني امرأة مسلمة أرملة، والرجل الذي يأتيني سهل بن حنيف يدور على قومه فيكسر أصنامهم ويأتيني بها لأوقدها إن طبختُ. قالوا: وكان عبد الله بن جُبير، وسهل بن حنيف يكسران الأصنام ويأتيان بها المسلمين ليستوقدوا بها.

- وحدثنا عبد الواحد بن غياث، ثنا حماد بن سلمة، ثنا محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط.

أن جُنْدَع بن ضمَرة الجُنْدعِي كان بمكة. فمرض، فقال لبنيه: أخرجوني منها، فقالوا: إلى أين. فأومأ بيده نحو المدينة، وهو يريد الهجرة. فلما بلغ أضاة بني غفار[1]، مات. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ومن يخرج من بيته

١ - على عشرة أميال من مكة المكرمة.

مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموتُ فقد وقع أجره على الله﴾[١]. وقال الواقدي: هاجر بعد بدر، وهو جندب الجندعي. وبعضهم يقول: نزلت الآية في أكثم بن صيفي. وذلك غير ثبت.

وحدثني عمرو بن محمد الناقد، ثنا هشيم بن بشير، أنبأ أبو بشر، عن سعيد بن جبير.

في قوله: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يُدركه الموت﴾، الآية، قال: وكان رجل من خزاعة، يقال له ضمرة بن العيص، أو العيص بن ضمرة بن زنباع. لما أمر النبي ﷺ بالهجرة، فأمر لأهله أن يفرشوا له على سرير ويحملوه إلى رسول الله ﷺ. ففعلوا. فمات بالتنعيم. فنزلت فيه الآية.

ـ قالوا: وكان عبد الله بن سلام يقول: كنتُ تعلمت التوراة من أبي، وعرفتُ تأويلها. فوقفني ذات يوم على صفة النبي ﷺ وعلاماته وأمره، وقال: إن كان من ولد هارون اتبعته وإلا فلا، ومات قبل قدوم النبي ﷺ المدينة، قال: فلما قدم رسول الله ﷺ، كنتُ في عذق لي أجني رطباً. فسمعتُ صائحاً من بني النضير يقول: قد قدم صاحب العرب اليوم. فأخذني أَفْكَل[٢]، وكبرتُ تكبيرة عالية. وعمتي تحتي، وهي عجوز، فقالت: أي خبيث، والله لو كان موسى القادم، مازدتَ على ماصنعتَ، فقلتُ: إنه أخو موسى ونبي مثله، ثم نزلتُ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فرأيتُ صفته، فعرفتها. وحدّثته حديث أبي، وأسلمتُ، فيقال إنّ قول الله عزّ وجلّ: ﴿شهد

---

١ - سورة النساء ـ الآية: ١٠٠ .

٢ - في هامش الأصل: أفكل: أي رعدة.

شاهد من بني إسرائيل على مثله[1]﴾ نزل في عبد الله بن سلام. ثم أسلمت عمته، وأسلم مخيريق اليهودي.

ـ قالوا: وركب رسول الله ناقته القصواء، والناس معه عن يمينه وشماله. فجعل لايمرّ بقوم من الأنصار إلاّ قالوا: هلم هلمّ يارسول الله في القوة والمنعة والثروة. فيقول لهم خيرا، ويقول: إنها مأمورة، خلوا سبيلها. وقد أرخى رسولُ الله ﷺ زمامها. فبركت عند مسجد رسول الله ﷺ، وكان مرَبدا ليتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فيه جدار كان أسعد بناه تجاه بيت المقدس فكان يصلي إليه من أسلم قبل قدوم مصعب بن عمير. ثم صلى بهم إليه مصعب. ويقال إنّ أسعد كان يصلي بهم قبل قدوم مصعب وبعده إلى قدوم المهاجرين، لأن مصعبا لم يزد على تعليمهم القرآن. والله أعلم. قالوا: فلما بركت الناقة فضربت بجرانها واطمأنت، نزل رسولُ الله ﷺ. فجاء أبو أيوب، وامرأته أم أيوب، والناس يكلمون رسولَ الله ﷺ في النزول عليهم، فحطا رحله وأدخلاه منزلهما. فلما رآهما قد فعلا ذلك، قال: المرء مع رحله. وأخذ أبو أمامة أسعد بن زرارة بزمام الناقة، فأدخلها منزله. فكانت عنده. ويقال إن أبيّ بن كعب أخذها إلى منزله. وكونها عند أسعد أثبت. وقال أبو أيوب: بأبي أنت وأمي، إني أُعظم أن أكون فوقك وأنت تحتي. فتحوّل وأهله إلى أسفل، ونزل رسول الله ﷺ في علوّ داره. وجعل بنو النجار يتناوبون في حمل الطعام إلى رسول الله ﷺ مقامه في منزل أبي أيوب، وبعثت إليه أم يزيد بن ثابت بثردة مُرّواة سمنا ولبنا.

ـ وقيل لأم أيوب، وكان مقام رسول الله ﷺ في منزل زوجها سبعة أشهر: أي الطعام كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقالت: مارأيته أَمَرَ بطعام

١ ـ سورة الأحقاق: الآية: ١٠.

يصنع له بعينه، ولارأيته ذم طعاما قطّ؛ ولكنّ أبا أيوب أخبرني أنه تعشى معه ليلة من قصعة أرسل بها سعد بن عبادة، فيها طَفْشيل[1]، فرآه ينهكها نهكا لم يره ينهكه غيرها. فكنا نعملها له. وكنا نعمل له الهريس، فنراه يعجبه. وكان يحضر عشاءه الخمسةُ إلى الستة إلى العشرة.

- وروى أن أسعد بن زرارة كان يتخذ لرسول الله ﷺ ليلة وليلة لا. فإذا كانت الليلة التي يتوقعها فيها، قال ﷺ: «هل جاءت قصعة أسعد»؟ فيقال: نعم. فيقول: «هلموا بها». فنعلم أنها تعجبه.

- قال كعب بن مالك الأنصاري:

الله أكـرمنـا بنصر نبينـا ... وبنـا أقام دعـائم الإسـلام
وبنـا أعـز نبيـه ووليـه ... وأعـزّنـا بـالنصر والإقـدام
في كل معترك تُطِير سيوفنا ... تلك الجماجمَ عن فراخ الهام
نحن الخيار من البرية كلها ... ونـظامها وزمـام كل زمـام
الخائضو غمرات كل منية ... والضـامنون حـوادث الأيـام
فسلوا ذوي الآكال عن سرواتنا ... يوم العريض فحاجر فرؤام
إنـا نُمَنِّـع مـا أردنـا منعـه ... ونجـود بالمعـروف للمعتام[2]
ينتـابنـا جـبريـلُ في آيـاتنـا ... بفرائض الإسلام والأحكـام

في أبيات. وقال أبو قيس صرمة بن أبي أنس يذكر النبي ﷺ:

---

١ ـ ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل. ألفاظ الأطعمة والأشربة في كتاب الأغاني ـ ط. الاسكندرية ١٩٩١.

٢ ـ المعتام: الذي قل عنده اللبن والفقير المحتاج.

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكِّر لو يلقى صديقاً مواتياً
ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم يرَ من يؤوي ولم يَرَ داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه فأصبح مسروراً بطيبة راضيا

في أبيات . وقال أبو أحمد بن جحش الأعمى الأسدي :

فلو حلفت بين الصفا أم أحمد ومروتها يوما لبّرت يمينها
لنحن الألى كنا بها ثم لم نزل بمكة حتى عاد غثا سمينها
بها خيمت غنم بن دُودان وابتنت ومنها غدت غنمٌ فخفّ قطينها
إلى الله تغدو بين مثنى وواحد ودينُ رسول الله بالحق دينها

وقال أبو أحمد أيضاً:

ولما رأتني أمّ أحمد غادياً بذمة من أخشى بغيب وأرهبُ
تقول : فإمّا كنت لا بدّ فاعلا فيمم بنا البلدانَ من غير يثرب
فقلت لها : لا إنّ تلك مظنةٌ وما يشأ الرحمنُ فالعبد يركبُ
إلى الله وجهي والرسول ومن يقم إلى الله يوما وجهه لا يُخَيَّبُ
فكم قد تركنا من حميم مناصح وناصحة إن تنع تبك وتندب
وكم من عدو قد تركنا وراءنا مجدّ مباد للعداوة مجلب
نمتُّ بأرحام إليهم قريبة ولا قربَ للأرحام ما لم تقرّب

وأبو أحمد الذي يقول:

أبني أميةَ كيف أُظلم فيكم وأنا أبنكمْ وحليفكم في العسر
ولقد دعاني غيركم فأبيته وأجبتكم لنوائب الدهر

وبلغ أبا أحمد أنّ أبا سفيان بن حرب باع دورهم ودار عثمان، وقضى من ثمنها دينا عليه، فقال:

أبلغ أبا سفيان عن أمـ ـــرٍ عواقبه ندامة
دارَ ابن عمك بعتها تقضي بها عنك الغرامة

وحليفكم بالله ربّ النـ ـاس مجتهد القسامة
اذهبَ بها اذهب بها طَوَّقتها طوق الحمامة

وكان الذي ابتاعها منه عمرو بن علقمة بن المطلب، أحد بني عامر بن لؤي.

وقالت امرأة من الأنصار:

لا هُمَّ إنّ الخير خير الآخرة فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة
وعافهم من حرّ نار ساعرة فإنها لكافر وكافره

ـ قالوا: ووجّه رسول الله ﷺ أبا رافع وزيد بنَ حارثة موليه إلى مكة، لحمل فاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ، وَسودة. وأخذ من أبي بكر خمسمائة درهم فدفعها إليهما لما يحتاجون إليه. وأعطاهما بعيرين. وكتب أبو بكر رضي الله تعالى عنه إلى عبد الله ابنه، يأمره بحمل أم رومان امرأته، وعائشة وأسماء. وتوّجه مع زيد وأبي رافع: عبدُ الله بن أُريقط الديلي. فوافوا طلحةَ بن عبيد الله يريد الهجرة، فتصاحبوا. فخرج زيد وأبو رافع بفاطمة، وأم كلثوم، وسودة بنت زمعة. وحبس زينبَ زوجها أبو العاص بن الربيع، وكانت رقية مهاجرة: حملها زوجها عثمانُ بن عفان. وحمل زيد أيضاً امرأته أم أيمن، وأسامة بن زيد، وخرج عبد الله بأم رومان وأختيه عائشة وأسماء. فقدموا ورسول الله ﷺ يبني المسجد وحُجَره. وكان طلحة، حين هاجر رسول الله ﷺ، بالشأم. فقدم يريد مكة، فلقي رسولَ الله ﷺ بالمدينة. فصار إلى مكة، ثم هاجر منها مع عيال النبي ﷺ وأبي بكر.

ـ قالوا: ووهبت الأنصار لرسول الله ﷺ كل فضل في خططها. وقالوا له: إن شئتَ، فخذ منا منازلنا. فقال لهم خيرا، وخطّ لأصحابه في كل أرض ليست لأحد، وفيما وهبت له الأنصار من خططها. وأقام قوم من

المسلمين لم يمكنهم البناء بقباء على من نزلوا عنده. وكانت الأنصار أشحّاء على من نزل عليهم ، من المهاجرين .

المؤاخاة:

ـ قالوا: وكان رسول الله ﷺ آخى بين حمزة وبين زيد بن حارثة على الحق والمواساة. وبين أبي بكر وعمر. وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف. وبين الزبير وبين عبد الله بن مسعود. وبين عبيدة بن الحارث وبلال. وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص. وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وطلحة بن عبيد الله، وقال لعلي بن أبي طالب: أنت أخي.

ـ وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين على أن يتوارثوا دون ذوي الأرحام. فلما أن أصيب من أصيب ببدر، طلب إخوانهم الميراثَ. فنزلت: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إنّ الله بكل شيء عليم﴾[1]. فانقطعت المؤاخاةُ في الميراث. وكان ممن آخى بينهم حمزة بن عبد المطلب وكلثوم بن الهدم. أو غيره. علي بن أبي طالب وسهل بن حنيف. زيد بن حارثة وأسيد بن حضير. أبو مرثد الغنوي حليف حمزة، وعبادة بن الصامت. عبيدة بن الحارث وحمام بن الجموح؛ ويقال: عمرو بن الجموح. عثمان بن عفان وأوس بن ثابت. أبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر بن وقش. الزبير بن العوام وكعب بن مالك. مصعب بن عمير وأبو أيوب؛ ويقال: ذكوان بن قيس. عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع. سعد بن أبي وقاص وسعد بن معاذ. عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل. أبو بكر الصديق

---

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية: ٧٥ .

وخارجة بن زيد بن أبي زهير صهره. طلحة بن عبيد الله وأبيّ بن كعب. صهيب والحارث بن الصمة. أبو سلمة بن عبد الأسد وسعد بن خيثمة. أرقم بن أبي الأرقم وزيد بن سهل ابو طلحة. عمر بن الخطاب وعويم بن ساعدة. سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ورافع بن مالك. عثمان بن مظعون وأبو الهيثم بن التيهان. خنيس بن حذافة وأبو عبس بن جبر. أبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة الأوسي.

ـ قالوا: وكان الذي آخى بينهم تسعين رجلا: خمسةً وأربعين من المهاجرين، وخمسة وأربعين من الأنصار. ويقال إنه لم يبقَ من المهاجرين أحد إلا آخى بينه وبين أنصاري. وقوم يقولون: آخى بين أبي الدرداء وسلمان؛ وإنما أسلم سلمان فيما بين أحد والخندق. وقال الواقدي: والعلماء ينكرون المؤاخاة بعد بدر؛ ويقولون: قطعت بدر المواريث.

ـ قالوا: وقدم رسول الله ﷺ المدينة والصلواتُ خمس: ركعتين ركعتين، فأنزل الله عزّوجلّ تمامها بعد شهر من قدومه. فصارت صلاة المقيم أربعا، وصلاة المسافر على حالها ركعتين.

ـ وصُرفت القبلةُ إلى الكعبة من جهة بيت المقدس، في الظهر من يوم الثلاثاء للنصف من شعبان سنة اثنتين من الهجرة. ويقال على رأس ستة عشر شهرا، في منزل البراء بن معرور. فقال اليهود: «آمنوا بما جاء به محمد أولَ النهار، وكفروا به آخره». فأنزل الله الآيتين[1]. وقوم يقولون: صُرفت في صلاة الصبح. والأول أثبت.

ـ وفُرض صيام شهر رمضان في شعبان سنة اثنتين من الهجرة. وفي سنة أربع من الهجرة حُرمت الخمر.

١ ـ انظر سورة آل عمران ـ الآيتان: ٧٢ ـ ٧٣.

ـ وفي سنة اثنتين من الهجرة وُلد عبد الله بن الزبير بالمدينة. وفيها وُلد النعمان بن بشير. وهما أول مولودين بالمدينة في الإسلام من أصحاب رسول الله ﷺ.

ـ قالوا: وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قوم فقراء، لامنازل لهم. وكانوا في صُفّة، يأوون إليها في المسجد. منهم واثلة بن الأسقع الكناني، وأبو قرصافة، وأبو هريرة، وأبو ذرّ ويختلف فيه. وكان منهم نُبَيْط بن شَرِيط الأشجعي. وكان منهم طلحة بن عمرو الليثي؛ ويقال: طلحة بن عبيد الله، ونزل البصرة.

ـ حدثنا هشام بن عمار، عن صدقة القرشي، عن زيد بن واقد، عن بشر بن عبد الله، عن واثلة بن الأسقع قال:

كنتُ من أصحاب الصفة، وما منا إنسان يجد ثوبا تاماً، قد جعل الغبارُ والعرق في جلودنا طُرقا.

ـ وحدثنا هشام، ثنا أبو حفص، حدثني عبد الرحمن بن أبي قسيمة، عن واثلة بن الأسقع الليثي أنه حدث، قال:

كنتُ في محرس يقال له الصفّة، ونحن عشرون رجلا، نابنا جوع. وكنتُ أحدثَ أصحابي سنا، فبعثوني إلى النبي ﷺ أشكو جوعهم. فالتفتَ في بيته، فقال: هل من شيء؟ قالوا: نعم، ها هنا كسرة أو كسر، وشيء من لبن. قال: فأتوني به. ففتّ الكسر فتّاً دقيقا، ثم صبّ عليه اللبن، ثم جَبَلَه بيده حتى جعله كالثريد، ثم قال: ياواثلة، ادعُ عشرةً من أصحابك، وخلف عشرة، ففعلتُ، فقال رسول الله ﷺ: اجلسوا بسم الله، فجلسوا. فقال: كلوا بسم الله من حواليها، واعفوا رأسها فإن البركة تأتي من فوقها. قال: فرأيتهم يأكلون حتى تملّوا شبعاً. ثم قال لهم: انصرفوا إلى مكانكم، وابعثوا

أصحابكم. فأمرهم الذي أمر به الأولين. فأكلوا حتى ملوا شبعا، وإن فيها لفضلة وقمتُ متعجباً مما رأيتُ.

ـ وكان عباد بن خالد الغفاري من أهل الصفة، ومات أيام معاوية. وكان منهم ربيعة بن كعب الأسلمي خادم رسول الله ﷺ، صحبه قديما وبقي إلى آخر أيام الحَرّة، وكان منهم جرَهد بن رَزاح الأسلمي أبو عبد الرحمن، بقي إلى زمن معاوية، ويقال: إلى زمن يزيد. ويعيش بن طِخفة الغفاري.

باب الأذان

ـ قالوا: وائتمر رسولُ الله ﷺ وأصحابه أن يجعلوا شيئا للاجتماع للصلاة، فقال بعضهم: الناقوس. وقال بعضهم: البوق. فروي أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى في نومه أن لايجعلوا شيئا من ذلك، وأن يؤذّنوا بالصلاة. فأتى رسولَ الله ﷺ فوجد بلالاً يؤذن، فقال له رسول الله، حين قصّ رؤياه: سبقك الوحي ياعمر.

ـ وقد روي أيضاً أن عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجي رأى في النوم أنه مرَ به رجل ومعه ناقوس، فقال له: أتبيع الناقوس؟ فقال الرجل: وما تصنع به؟ قال: أضرب به ليجتمع المسلمون للصلاة، فقال: أجيئك بخير من ذلك؟ تقول: الله أكبر الله أكبر حتى تختم الأذان بـ «لا إله إلا الله» فأتى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد الوحيَ قد سبقه بذلك، فأمر بلالا، فأذّن.

ـ قالوا: وكانت بالمدينة تسعة مساجد. فكانوا يصلون فيها، ويجّمّعون مع رسول الله ﷺ.

أسماء المنافقين

من الخزرج:

ـ عبد الله بن أبيّ بن سلول، رأس المنافقين، القائل: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل﴾[1]. وسلول أم أبيّ، وهي خزاعية؛ وأبوه مالك بن الحارث.

جدّ بن قيس، وهو القائل لرسول الله ﷺ، وقد ندبَ الناس إلى غزو تبوك، وذكر بناتَ الأصفر: ﴿ائذنَ لي ولاتفتني﴾[2] ببنات الأصفر. وقال رسول الله ﷺ لبني سلمة: «من سيدكم يابني سلمة»؟. قالوا: جدّ بن قيس على بخل فيه. فقال: «وأيّ داء أدوأ من البخل؟ سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء بن معرور».

عدي بن ربيعة الذي كان يؤذي رسولَ الله ﷺ، ورماه مرة بقذر، وكان أعمى.

وابنه سويد بن عدي.

---

١ ـ سورة المنافقين ـ الآية: ٥ .

٢ ـ سورة التوبة ـ الآية: ٤٩ .

قيس بن عمرو بن سهل، جد علي بن سعيد الأنصاري المحدّث.

سعد بن زُرارة، وكان يَدَّخن على رسول الله ﷺ بالشعر.

زيد بن عمرو.

عقبة بن قديم، حلف.

وذكروا أن أبا قيس بن الأسلت أتى النبي ﷺ في السنة الأولى من الهجرة، فعرض عليه الإسلام، فقال: ماأحسن ماتقول وتدعو إليه، وسأنظر في أمري وأعود إليك. فلقيه ابن أبيّ، فقال له: كرهتَ والله حرب الخزرج. فقال: لاأسلم سنة، فمات في ذي الحجة سنة إحدى.

حدثني عبد الواحد بن غياث، ثنا حماد بن سلمة، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك،

أن النبي ﷺ أراد أن يصلي على عبد الله بن أبيّ، فأخذ جبريل بثوبه، ونزلت: ﴿ولاتصلّ على أحد منهم مات أبدا﴾، الآية[١].

ومن الأوس:

الجلّاس بن سويد بن الصامت، من بني حبيب بن عمرو بن عوف، وكان عبد الله بن المجذّر بن ذياد البلوى قتل أباه سويداً في الجاهلية. فلما كان يوم أحد، قتل الجلاس بن سويد. المجذّر غيلة. فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك، وأمره بقتل الجلاس بالمجذّر. فركب رسول الله ﷺ إلى بني عمرو بن عوف في يوم حار، فخرجوا يسلمون عليه، وخرج الجلاس في ملاءة صفراء. فدعا رسول الله ﷺ عويم بن ساعدة، وأمره بقتله، فقدّمه إلى باب المسجد، فضرب عنقه. وكان الجلاس يقول: إن كان هذا الرجل صادقاً، لنحن شرّ من الحمير. فبلغ النبي ﷺ ذلك. فحلف

١ - سورة التوبة - الآية: ٨٤ .

له أنه ما قاله. فأنزل الله عزّوجلّ فيه: ﴿يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمةَ الكفر﴾، الآية[١].

الحارث بن سويد بن الصامت، أخوه. يقال إنه الذي قتل المجذّر، فقتله رسول الله ﷺ؛ وأن الجلاس كان ممن تخلف عن غزاة تبوك. والقول الأول قول الكلبي.

ودُريّ بن الحارث.

بجاد بن عثمان بن عامر.

نبتل بن الحارث الذي قال رسول الله ﷺ: «من أحبّ أن ينظر إلى الشيطان، فلينظر إلى نبتل» وكان أدلم، ثائر الشعر، جسيماً، أحمر العينين، أسفع[٢] الخدّين. وكان ينقل حديثَ النبي ﷺ إلى المنافقين.

عبد الله بن نبتل، وهو الذي كان ينقل أيضاً حديث النبي ﷺ.

قال الواقدي: وكان خارجة بن زيد بن ثابت يسقي الناس الماء المبرد بالعسل، وكان عبد الله القرّاظ، وهو فارسي سبي في خلافة عمر بن الخطاب، يأتيه. فإذا رآه، قال: اسقوه. فيسقى، فجاء ذات يوم وقد حضر رجل من ولد عبد الله بن نبتل، فجعل يهزأ به. وكان القراظ عظيم الرأس والأذنين، له خلقة منكرة، فقال له: من أنت يافتى؟ قال: رجل من الأنصار. قال: مرحباً بالأنصار؛ من أنت منهم؟ قال: أنا فلان بن الحارث بن عبد الله بن نبتل. فقال: «أما جدّك فلم ينصر؛ أعلمتَ مانزل فيه من القرآن؟ أما تدري ماصنعت به تراه فضحته. والله وهي الفاضحة».

قيس بن زيد، قتل يوم أحد.أبو حبيبة بن الأزعر، وكان ممن بنى في مسجد الضرار.

١ ـ سورة التوبة ـ الآية: ٧٤ .
٢ ـ أسفع: أسود.

ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد.

معتب بن قشير، وثعلبة ومعتب هما اللذان عاهدا الله ﴿لئن آتانا من فضله لنَصَّدَّقنَ ولنكونن من الصالحين﴾[١]. ومعتب هو الذي قال يوم أحد: ﴿لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ها هنا﴾[٢]. وهو القائل يوم الأحزاب: يعدنا محمد كنوز قيصر، وأحدنا لايقدر على إتيان الغائط؛ ماهذا إلا غرور[٣]. ويقال إنّ جد بن قيس القائل ذلك.

ورافع بن زيد. وفيه وفي معتب ونفر من أصحابها نزلت: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾، الآيتين[٤] وكان خصماؤهم دعوهم في خصومتهم إلى النبي ﷺ، فأبوا ذلك وقالوا: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فسماه رسول الله ﷺ طاغوتاً، وفي رواية أخرى: فسماه الله، ويقال إنهم دعوهم إلى الكاهن.

وجارية بن عامر بن مجمّع، وبنوه: يزيد. وزيد. ومجمع. وهم ممن اتخذ مسجد الضرار، وكان مجمع بن جارية قد قرأ القرآن، فكان يصلي بهم فيه. ويقال إنّ مجمع بن جارية لم يكن منافقاً، ويقال إنه نافق ثم صح إسلامه، وعني بالقرآن حتى حفظه.

ومربع بن قيظي القائل للنبي ﷺ: أحرجُ عليك أن تمرّ في حائطي، وهو القائل يوم الخندق: ﴿إنّ بيوتنا عورة﴾[٥]. فأْذَنْ لنا في المقام. ويقال إنّ

---

١ ـ سورة التوبة ـ الآية: ٧٩ .

٢ ـ سورة آل عمران ـ الآية: ١٥٤ .

٣ ـ انظر سورة الأحزاب ـ الآية: ١٢ .

٤ ـ سورة النساء ـ الآيتان: ٦٠ ـ ٦١ .

٥ ـ سورة الأحزاب ـ الآية: ١٣ .

الذي قال ذلك بالخندق معتب بن قشير. ومربع هذا عم عرابة بن أوس بن قيظي الجواد الذي مدحه الشماخ بن ضرار. وكان عرابة قد أقبل من الطائف، ومعه أبعرة عليها زبيب وأدم. فعنّ له الشماخ بن ضرار، فاستطعمه من الزبيب. فقال: خذ برأس القطار. فقال الشماخ: أتهزأ بي؟ فقال: خذ عافاك الله برأس القطار، فهو لك. فأخذ الإبل بما عليها، وقال:

رأيت عرابةَ الأوسي ينمى[1] إلى الخيرات منقطع القرين

وعباد بن حنيف بن واهب بن العكيم، أخو عثمان وسهل ابني حنيف بن واهب، وكان عباد ممن بنى مسجد الضرار. وفيه نزلت: ﴿إنما كنا نخوض ونلعب﴾[2].

وخِذام بن خالد. وهو أخرج مسجد الضرار من داره، ويقال إن الذي أخرجه من داره وديعة بن خذام.

ورافع وبشير ابنا زياد.

وقيس بن رفاعة الشاعر، وكان يختلف هو والضحاك بن حنيف إلى كنيسة يهود، فأصاب عينه قنديل، فذهبت.

وحاطب بن أمية بن رافع بن سويد الذي قيل لابنه. وحمل مُرْتَثّاً: أبشر بالجنة، فقال حاطب: جنة من حرمل، لايغرّنك هؤلاء يابني.

وبشر بن أُبيرق الظفري. وهو أبو طعمة. واسم الأبيرق الحارث بن عمرو بن حارثة بن الهيثم بن ظفر. واسم ظفر: كعب. وكان بشر شاعراً منافقا.

---

١ ـ في هامش الأصل: معاً يسمو. ووافق هذا رواية الديوان ص٣٣٥ من ط. دار المعارف القاهرة ١٩٧٧ .

٢ ـ سورة التوبة ـ الآية: ٦٥ .

حدثني خلف بن سالم المخزومي، عن وهب بن جرير بن حازم، عن أبيه، عن الحسن قال:

سرق ابن أبيرق درعا من حديد، ثم رمى بها رجلاً بريئا. فجاء قومه إلى النبي ﷺ فعذروه عنده، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيما﴾، إلى قوله ﴿وساءت مصيرا﴾[1]. فلما أنزلت فيه هذه الآيات، لحق بالمشركين، فمكث بمكة زمينا، ثم نقب على قوم بيتهم ليسرق متاعهم. فألقى الله عليه صخرة فشدخته، فكانت قبره.

وروي عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الظفري، عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر قال:

كان أهل بيت منا ذوو فاقة، يقال لهم بنو أبيرق: بِشر، وبَشير، ومبشّر. وكان بشر منافقاً يهجو أصحاب النبي ﷺ، ثم ينحله بعض العرب، فإذا سمعه أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: والله ماقاله إلا الخبيث بشر. فقال:

أو كلما قال الغواة قصيدةً أضْمَوا[2] وقالوا ابن الأبيرق قالها
متغضّبين كأنني أخشاهم جدع الإلهُ أنوفهم فأمالها

قال: فابتاع رفاعة بن زيد بن عامر، عمي، جملا من دَرْمَك[3] من ضافطة[4] قدمت من الشأم. وإنما كان طعام الناس بالمدينة الشعير والتمر. فكان الموسر منهم يبتاع من الدرمك مايخصّ به نفسه. فجعل عمي ذلك

١ ـ سورة النساء ـ الآيات: ١٠٥ ـ ١١٥ .

٢ ـ أضمى : انتفخ غضباً : القاموس .

٣ ـ الدرمك: دقيق الحواري. القاموس.

٤ ـ الضافطة: الابل الحمولة والرفقة العظيمة. القاموس.

الدرمك في مشربة له، وفيها درعان وسيفان وما يصلحهما. فعُدي عليه من تحت الليل، فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح. فلما أصبح، أتاني فقال: يابن أخي تعلم أنه قد عُدي علينا في ليلتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا، فتجسسنا في الدار وسألنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقروا في هذه الليلة، ولانرى ذلك إلا من طعامكم، قال: وجعل بنو أبيرق ونحن نبحث ونسأل في الدار، يقولون: والله مانرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل بن الحارث بن عروة بن عبد رَزاح بن ظفر. وكان للبيد صلاح وإسلام. فلما سمع لبيد قولهم، اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟ والله ليخالطنكم سيفي أو لتبيننّ هذه السرقة. قالوا: إليك عنا أيها الرجل، فلستَ بصاحبها. فسألنا وفحصنا، حتى لم نشكَ في أن بني أبيرق أصحابها. فقال عمي: لو أتيتَ النبي ﷺ فأخبرته؟ قال قتادة: فأتيتُ رسول الله ﷺ، فقلتُ له: يارسول الله إنّ أهل بيت منا ذوي فاقة وجفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد، فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه؛ فليردوا السلاح، ولاحاجة لنا في الطعام، فلما سمع بنو أبيرق بذلك، أتوا رجلا منهم يقال له أسير بن عروة، فكلموه. فانطلق وجماعة من أهل الدار معه إلى النبي ﷺ فكلموه في ذلك، وقالوا: إنّ قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح، فرمياهم بالسرقة عن غير ثبت ولابينة. قال قتادة: وأتيتُ النبي ﷺ فكلمته. فتجهمني، وقال: بئس ماصنعتَ وما أتيتَ به ومشيتَ فيه: عمدت إلى أهل بيت ذكر لي عنهم صلاح وإسلام ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولابينة. قال: فرجعتُ وأنا أودّ أني خرجتُ من جلّ مالي ولم أكلم رسولَ الله ﷺ في ذلك، وأتاني عمي، فقال: ماصنعتَ؟ فأخبرته بقول رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان. ولم أتلبث أن نزل: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب

بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيما﴾، يعني بني أبيرق - ﴿واستغفر الله﴾ - أي مما قلتَ لقتادة - ﴿إنّ الله كان غفوراً رحيما﴾ ولاتجادلْ عن الذين يختانون أنفسهم إنّ الله لايحبّ من كان خوّاناً أثيما﴾ - يعني بني الأبيرق - ﴿يستخفون من الناس ولايستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لايرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا﴾ هآنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا﴾ - يعني بشيرا وأصحابه - ﴿فمن يجادل الله عنهم يومَ القيامة﴾ - أي عن بني أبيرق - ﴿أم من يكون عليهم وكيلا﴾ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورارحيما﴾ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما﴾ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ - قولهم للبيد بن سهل - ﴿ولولا فضلُ اللهعليك ورحمته لهمَّتْ طائفة منهم أن يُضلوك ومايضلون إلاّ أنفسهم ومايضرونك من شيء﴾، يعني بشيرا وأصحابه.

قال: فلما نزل القرآن، اشتد بنو ظفر على بني أبيرق حتى أخرجوا السلاح، فأتي به رسول الله ﷺ، فردّه إلى رفاعة. قال قتادة: فأتيتُ عمي بالسلاح، وكنتُ أرى أن إسلامه مدخول. فقال: يابن أخي، هو في سبيل الله. فعرفتُ أن إسلامه صحيح. قال: ولحق بشر بن أبيرق - وهو يصغر فيقال: بُشَيّر - بالمشركين. فنزل بمكة على سلافة بنت سعد بن شهيد، أخت عمير بن سعد بن شهيد، وهو من بني عمرو بن عوف، من الأوس، وكانت سلافة تحت طلحة بن أبي طلحة العبدري. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك

لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضَلّ ضَلالا بعيدا﴾[١]. ولما نزل بشر على سلافة، كان يقع في أصحاب رسول الله ﷺ ويقول في رسول الله فهجاه حسان بن ثابت، ورمى سلافة به. فأخذت رحله، فوضعته على رأسها، ثم خرجت فرمت به في الأبطح، وقالت: «أهديتَ إليّ شعر حسان. ماكنتَ لتأتيني بخير». قال حسان:

وما سارق الدرعين إن كنت ذاكرا بذي كرم عند الرجال أوادعه
لقد أنزلته بنتُ سعد فأصبحت ينازعها جلد استه وتنازعه
فهلا بُشيّر حيث جاءك راغبا إليه ولم تعمد له فترافعه
ظننتم بأن يخفي الذي قد فعلتم وفيكم نبيٌ مفلحٌ من يتابعه
ولولا رجال منكم أن يسوءَهم هجائي لقد حلت عليكم طوالعه
وجدناهُمُ يرجونكمْ قد علِمْتُمُ كما الغيثُ يرجيه السمين ويانعه
فإن تذكروا كعباً إذا ما نسيتم فهل من أديم ليس فيه أكارعه[٢]

وقد روى أن الذي رماه بنو أبيرق بالدرعين يهودي يقال له النعمان بن مهض. وليس بثبت. وقال بعض الظفريين:

بني الأبرق المشؤوم هلاّ نهيتم سفيهكُم عن آل زيد بن عامر
أردتم بأن ترموا ابن سهل بغدرة جهاراً ومن يُغْدر فليس بغادر

الضحاك بن خليفة الأشهلي.

وقزمان، حليف بني ظفر، ولايعرف نسبه، ويكنى أبا الغيداق، رمى يوم أحد زرارة بن عمير العبدري ـ ويقال يزيد بن عمير ـ فقتله؛ وقتل قاسط بن شريح العبدري، وقطع يد صُواب الحبشي مولى بني عبد الدار ثم

---

١ ـ سورة النساء ـ الآيات: ١٠٥ ـ ١١٦ .
٢ ـ ديوان حسان ج١ ص١٣١ .

رماه فقتله. وكان قزمان قد امتنع من الخروج يوم أحد حتى عيرته النساء، وقلن: إنما أنت امرأة. فأخذ سيفه وقوسه، وقاتل حمية وأنفة لقومه، وجعل يقول: قاتلوا، معشر الأوس، عن أحسابكم فالموت خير من العار والفرار، وكان النبي ﷺ يقول: «قزمان في النار». وأثبتَ يوم أحد، فحمل إلى دار بني ظفر، فقيل له: أبشر أبا الغيداق بالجنة، فقد أبليتَ اليوم وأصابك ماترى. فقال: «أي جنة؟ والله ما قاتلتُ إلا حمية لقومي»، فلما اشتد به الوجع، أخرج سهما من كنانته فقطع به رواهش يده، فقتل نفسه. وفيه يقول رسول الله ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

وأبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان، من الأوس، وكان يناظر أهل الكتاب، ويميل إلى النصرانية، ويتتبع الرهبان ويألفهم، ويُكثر الشخوص إلى الشأم، فسُمّي الراهب، فلما ظهر أمر رسول الله ﷺ، حسده، ومرّ إلى مكة وقاتل مع قريش. ثم أتى الشأم، فمات هناك. فتخاصم في ميراثه كنانةُ بن عبد ياليل الثقفي ـ وكان ممن حسد رسولَ الله ﷺ فشخص إلى الشأم ـ وعلقمةُ بن عُلاثة وكان بالشأم أيضاً وكان مسلماً، ويقال: بل كان مشركا ثم إنه أسلم حين قدم، فأتى رسولَ الله ﷺ، فبايعه.

حدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن جده.

إنه حُكم بميراث أبي عامر لكنانة بن عبد ياليل لأنه من أهل المدر، وحرمه علقمة لأنه بدوي، وكان الحاكم بذلك صاحبُ الروم بدمشق. وقوم يقولون: إنه اختصم في ميراثه كنانةُ وعامرُ بن الطفيل، وذلك غلط، لأن عامرا أتى النبي ﷺ ومعه أربد بن قيس، وهما يريدان برسول الله ﷺ أمراً، حال الله بينهما وبينه. فدعا النبي ﷺ عليهما، فأما أربد، فأصابتْه صاعقة

فأحرقتْه، وأما عامر فأصابته غدّة كغدة البعير في عنقه، فمات. وذلك في سنة خمس.

وقال الهيثم بن عدي: كان أبو عامر يهمّ بادّعاء النبوة، فلما ظهر أمرُ رسول الله ﷺ وهاجر، حسده فهرب إلى مكة فقاتل، ثم أتى الشأم.

وقال الواقدي: هرب أبو عامر إلى مكة، فكان يقاتل مع المشركين. فلما فُتحت مكة، هرب إلى الطائف، فلما أسلموا، هرب إلى الشأم. فدفع ميراثه إلى كنانة بن عبد ياليل الثقفي، وكان ممن هرب أيضا.

حدثنا روح بن عبد المؤمن، ثنا بهز بن أسد، أنبأ حماد بن زيد، أنبأ أيوب، عن سعيد بن جبير:

أن بني عمرو بن عوف ابتنوا مسجداً، فصلى بهم فيه رسولُ الله ﷺ. فحسدهم بنو إخوتهم بنو غنم بن عوف، فقالوا له: بنينا أيضاً مسجداً، وبعثنا إلى رسول الله ﷺ فصلِّ بنا فيه كما صلى في مسجد أصحابنا؛ ولعل أبا عامر أن يمرّ بنا إذا أتى من الشأم فيصلي بنا فيه. فلما قام رسول الله ﷺ لينطلق إليهم، أتاه الوحي، فنزل عليه فيهم: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حاربَ الله ورسولَه﴾[1]. قال: هو أبو عامر.

حدثنا عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة، أنبأ هشام بن عروة أنه قال في هذه الآية:

﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبلُ﴾، قال: كان سعد بن خيثمة بنى مسجد الضـرار، وكان موضعه للبّة، تربط فيه حمارها. فقال أهل مسجد الشقاق: أنحن نسـجد في موضع كان يُربط فيه حمار لبة؟ لا، ولكنا نتخذ مسجداً

١ ـ سورة التوبة ـ الآية: ١٠٧ .

نصلي فيه حتى يجيئنا أبو عامر فيصلي بنا فيه، وكان أبو عامر قد فرّ من الله ورسوله إلى أهل مكة، ثم لحق بالشأم، فتنصّر، فأنزل الله: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾، يعني أبا عامر. قالوا: فبعث رسول الله ﷺ، لما نزل عليه القرآن، إلى ذلك المسجد، فهدمه. قالوا: وحضر قوم من المنافقين مسجدَ رسول الله ﷺ، فجعلوا يضحكون ويلعبون ويهزأون، فأمر رسول الله ﷺ بإخراجهم فقام أبو أيوب إلى قيس بن عمرو، فجرّ برجله حتى أخرجه من المسجد. وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو، وكان طويل اللحية، فأخذ بلحيته فقاده بها قوداً عنيفاً، حتى أخرجه. وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى دُرَيّ بن الحارث، فأخرجه، فأخرجوا جميعاً.

ـ حدثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر

عن النبي ﷺ، قال: مثل المنافق مثل الشاة العابرة بين القطيعين.

أسماء عظماء يهود

من بني النضير:

حيّ، ومالك، وأبو ياسر، وجديّ بنو أخطب. وفيهم وفي نظرائهم نزل: ﴿إنّ الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون﴾، إلى قوله: ﴿عذاب عظيم﴾[1]. وسلام بن مَشْكَم الذي نزل عليه أبو سفيان بن حرب بن أمية، فقال فيه أبو سفيان.

سقاني فرواني عُقاراً سلافةً على ظمأ مني سلام بن مشكم

وامرأة سلام هذا، واسمها زينب بنت الحارث، هي التي أهدت إلى رسول الله ﷺ شاةً مسمومة.

وكنانة، وربيع، ورافع، وأبو رافع - واسمه سلام - بنو أبي الحقيق.

وكعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان، حليف بني النضير، وأمه عُقيلة بنت أبي الحقيق، وكان أبوه أصاب دماً في قومه، فأتى المدينة. وكان كعب طوالا، جسيما، ذا بطن وهامة ضخمة، وهو الذي قال يوم بدر: بطن الأرض خير من ظهرها؛ هؤلاء ملوك الناس وسرواتهم - يعني قريشا - قد

---

١ - سورة البقرة - الآيتان: ٦ - ٧.

أصيبوا. فخرج إلى مكة، ونزل على أبي وداعة بن ضبيرة، وجعل يهجو المسلمين، ورثى قتلى بدر فقال:

طحنت رحى بدر لمملك أهله ولمثل بدر تستهلُّ وتدمعُ
قتلت سراة الناس حول حياضهم لا تبعدوا إن الملوك تُصَرَّع
ويقول أقوام غويٌّ أمرهم إنّ ابن أشرف ظلّ كعبا يجزع
صدقوا فليت الأرض ساعة قُتلوا ظلت تسيخ بأهلها وتصدّع
نبئتُ أنّ الحارث بن هشامهم في الناس يبني الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وإنما يسعى على الحسب القديم الأروع(١)

فأمر رسول الله ﷺ حسان بهجاء من نزل كعب عنده(٢)، حتى رجع إلى المدينة. وكان كعب كما وصفنا.

حجاج، وبحري ابنا عمرو.

أبو رافع. سعد بن حنيف، كان متعوذا بالإسلام.

رفاعة بن قيس.

فنحاص الذي سمع قول الله: ﴿وأقرضوا الله قرضا حسناً﴾(٣)، فقال: أرانا أغنى من ربّ محمد حين يستقرض منا، فنزلت فيه: ﴿لقد كفر الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا﴾(٤).

محمود بن دحية.

عمرو بن جحاش.

عزيز بن أبي عزيز.

---

١ - سيرة ابن هشام ج٢ ص٥٧٧ .
٢ - ديوان حسان ج١ ص٤٢٦ - ٤٢٧ . سيرة ابن هشام ج٢ ص٥٧٧ .
٣ - سورة المزمل ـ الآية: ٢٠ .
٤ - سورة آل عمران ـ الآية: ١٨١ .

نباش بن قيس.

سعية بن عمرو.

نعمان بن أوفى.

سكين بن أبي سكين.

زيد بن الحارث.

رافع بن خارجة.

أسير بن زارم، ويقال: رزام؛ كان يحرّض على النبي ﷺ ويبسط لسانه فيه، ثم أتى خيبر، فبعث رسولُ الله ﷺ من قتله، وعدّة من اليهود معه.

مخيريق الذي أسلم، وقاتل مع النبي ﷺ يوم أحد، وأعطاه ماله، فوقفه؛ ويقال إنه من غير بني النضير.

- ومن بني قينقاع:

كنانة بن صويرا، ويقال: صُوريا.

زيد بن اللصيت الذي قال: «زعم محمد أنه يأتيه خبرُ السماء، فضّلت ناقته فليس يدري أين هي؟». فدله الله عليها، فوجدت وقد تعلق خطامها بشجرة.

سويد، وداعس كانا منافقين يتعوذان بالإسلام.

مالك بن أبي قوقل، كان متعوذاً بالإسلام ينقل أخبار النبي ﷺ إلى يهود، وهو حبر من أحبارهم. ويقال إنّ مخيريق منهم.

- ومن بني قريظة:

الزَّبِير بن باطا بن وهب.

كعب بن أسد.

عزال بن شمويل.

سهل بن زيد،

وهب بن زيد.

علي بن زيد.

قَرْدَم بن كعب.

كردم بن حبيب.

رافع بن رميلة.

رافع بن حريملة، متعوّذ، وهو الذي قال النبي ﷺ يوم مات: «لقد مات اليومَ منافق عظيم النفاق».

لبيد بن أعصم الذي كان يتعاطى السحر.

سلسلة بن أبراهام، وبعضهم يقول بهرام، والأول أصح، وكان سلسلة متعوّذا.

رفاعة بن زيد بن التابوت.

الحارث بن عوف.

سعية بن عمرو منهم، وهو القائل:

يخبرني عن غائب المرء هديه كفى مخبرا عن غائب المرء مايبدي

ويقال إن هذا الشعر لسعية بن عمرو النضري.

- ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: أبو سُنَينة.

- ومن بني عبد الأشهل:

يوشع. وكان يبشر بالنبي ﷺ. فلما بعث، آمن به بنو عبد الأشهل

سواه. وفيه وفي ضرباء له نزل: ﴿فلما جاءهم ماعَرَفوا كفروا به﴾، إلى قوله: ﴿وللكافرين عذاب مهين﴾[١].

ـ قالوا: وكان رسول الله ﷺ عند قدومه المدينة وادع يهودها، وكتب بينه وبينهم كتاباً، واشترط عليهم أن لايمالئوا عدّوه وأن ينصروه على من دهمه، وأن لايقاتل عنهم كما يقاتل عن أهل الذمة. فلم يحارب أحدا، ولم يهجه، ولم يبعث سرية حتى أنزل الله عزّوجلّ عليه: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير﴾، إلى قوله: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾[٢]. فكان أول لواء عقده لواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه.

حدثنا سريج بن يونس أبو الحارث، ثنا إسحاق الأزرق، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال:

أول آية نزلت في القتال: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾.

وحدثنا محمد بن حاتم المروزي، ثنا معمر، عن عبد الله بن المبارك، عن يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري، عن عروة.

أن أول آية نزلت في الجهاد: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾، إلى قوله: ﴿لقوي عزيز﴾.

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآيتان: ٨٩ ـ ٩٠ .

٢ ـ سورة الحج ـ الآيات: ٣٩ ـ ٤١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوات رسول الله ﷺ

- غزاة الأبواء: وهي غزاة وَدّان.

خرج رسول الله ﷺ في صفر على رأس اثني عشر شهرا من هجرته يريد عيراً لقريش. ، فبلغ هذين الموضعين، وبينهما ستة أميال. ولم يلق كيدا، فانصرف إلى المدينة. وكان خليفته عليها في هذه المرة سعد بن عبادة الخزرجي. وغاب عنها خمس عشرة ليلة، وفي هذه الغزاة وادع بني ضمرة بن كنانة على أن لايغزوهم ولايغزونه وألا يعينوا عليه أحدا.

- ثم غزاة بُواط:

خرج رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول سنة اثنتين من الهجرة في طلب عير لقريش، فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش، فلم يلق كيداً، وكان الخليفة على المدينة سعد بن معاذ الأوسي، من ولد النبيت، من بني عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت، واسمه عمرو بن مالك بن الأوس.

- ثم غزاة سَفْوان:

خرج رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول أيضاً في طلب كرز بن جابر الفهري، وقد أغار على سرح المدينة، وكان يرعى بالجماء ونواحيها، حتى بلغ

بدرا، ثم رجع ولم يلق كيدا، ولم يدرك السرح وكان خليفته على المدينة زيد بن حارثة الكلبي مولاه.

- ثم غزاة ذي العُشيرة:

ويقال ذات العشيرة في جمادى الآخرة سنة اثنتين، خرج ﷺ إليها لطلب عير قريش، التي كان القتال يوم بدر بسببها، في مائة وخمسين ندبهم، ويقال في مائتين. ولم يكن معهم غير فرس واحد. ومر ببني مدلج فضيفوه وأحسنوا ضيافته ففاتته العير ولم يلق كيداً، وكان خليفته بالمدينة أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

- ثم غزاة بدر القتال:

وبدر ماء كان ليخلد بن النضر، ويقال لرجل من جُهينة. واسم الوادي الذي هو به يَلْيَل. وبين بدر والمدينة ثمانية برد. قالوا؛ وتحين رسول الله ﷺ انصراف العير التي خرج لها إلى ذي العشيرة من الشأم، فندب أصحابه لها وقال: هذه عير قريش قد أقبلت وفيها جلّ أموالهم، وكانت العير ألف بعير. وكان في العير أبو سفيان بن حرب، ومخرمة بن نوفل الزهري، وعمرو بن العاص وغيرهم من الوجوه، ولم يظنّ رسول الله ﷺ أنه يحارب. فذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وتودون أنّ غيرَ ذات الشوكة تكون لكم﴾[1]. وكان خروجه من المدينة يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين، وأبطأ عن رسول الله ﷺ قوم من أصحابه إذ لم يحسبوا أنهم يحاربون، وهم أسيد بن حضير الأوسي، وسعد بن عبادة، ورافع بن مالك، وعبد الله بن أنيس، وكعب بن مالك، وعباس بن عبادة بن نضلة، ويزيد بن ثعلبة أبو عبد الرحمن. ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، هنّاه

١ - سورة الأنفال - الآية: ١٧.

أسيد بنصر الله وإظهاره إياه على عدوه، واعتذر من تخلفه، وقال: إنما ظننتُ أنها العير ولم أظن أنك تحارب. فصدّقه رسول الله ﷺ. وكان خُبيب بن إساف ذا بأس ونجدة، ولم يكن أسلم ولكنه خرج منجدا لقومه من الخزرج طالبا للغنيمة. فقال له رسول الله ﷺ: لايصحبنا إلا من كان على ديننا، فأسلم وأبلى. وعرض رسول الله ﷺ أصحابه حين برز من المدينة، فاستصغر عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأسامة بن زيد مولاه، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت فلم يجزهم. وردّ عمير بن أبي وقاص، فبكى، فأجازه، فكان سعد بن أبي وقاص أخوه يقول: لقد عقدتُ حمائل سيفه، وإنها لتقصر، وذلك لصغره، ووجه رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو يتحسسان[1] خبر قريش والعير. فقدما المدينة ثم شخصا منها فلقيا رسول الله ﷺ وهو قافل، فضرب لهما بسهمهما في المغنم وبأجرهما، وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بن عفان بسهمه وأجره، وكان خلفه على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وكانت مريضة مرضها الذي توفيت فيه. وضرب لبَسْبَس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين بسهمهما وأجرهما، وبعث بهما ليعرفا خبر العير ومن فيها من قريش وهم ثلاثون رجلا، ومن فيها من غيرهم، وإلى أين بلغت. فعرفا ذلك. ثم أقبلا إلى المدينة ولم يشهد بدرا.

واستخلف على المدينة في هذه الغزاة أبا لبابة بن عبد المنذر، فضرب له بسهمه وأجره. وخلف عاصم بن عدي على قباء وأهل العالية، فضرب له بسهمه وأجره. وكسِر خوّات بن جبير بالروحاء، فضرب له بسهمه

١ ـ التحسس ـ بالحاء ـ هو أن تتسمع الأخبار بنفسك، والتجسس ـ بالجيم ـ هو أن تفحص عنها بغيرك.

وأجره . وأمر الحارث بن حاطب بأمر في بني عمرو بن عوف ، فضرب له بسهمه وأجره . وكسر الحارث بن الصمة ، فضرب له بسهمه وأجره ، ويقال إنه ضرب لجعفر بن أبي طالب وهو بالحبشة بسهمه وأجره ؛ والثبت أنه ضرب لطلحة ، وسعيد ، والجهنيين ، وعثمان ، وأبي لبابة ، وعاصم بن عدي ، وخوّات . وكان مع المسلمين سبعون بعيرا ، فكانوا يتعاقبون عليها : البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة ، وكان بين النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة بعير . وكان بين حمزة ومرثد بن أبي مرثد حليفه ، وأبي كبشه ، وأنسة مولى رسول الله ﷺ بعير . وكان بين عبيدة ، والطفيل ، والحصين بني الحارث ، ومسطح بن أثاثة ناضح ابتاعه عبيدة بن الحارث ، من أبي داود الأنصاري ثم المازني . وكان بين عثمان ، وبني مظعون بعير . وكان مع المسلمين فرسان . أحدهما للزبير بن العوام ، يسمى السيل . والآخر للمقداد بن عمرو البهراني ، ربيب الأسود بن عبد يغوث . ويقال إنه لم يكن للزبير فرس ، وإنه كان لمرثد بن أبي مرثد فرس . ولم يختلفوا في فرس المقداد ، ولا في أنه لم يكن مع المسلمين إلا فرسان ، وكان يقال لفرس المقداد سبحة .

وقال الواقدي : كان المسلمون الذين أسهم لهم رسول الله ﷺ في غنائم بدر ثلاث مائة وأربعة عشر رجلاً[1] ، منهم الثمانية الذين لم يحضروا فأَسْهَمَ لهم .

وحدثني عبد الواحد بن غياث البصري ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبا حبيب بن الشهيد وهشام بن حسان عن عبيدة قال :

١ ـ المغازي للواقدي ج ١ ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

كان المسلمون يوم بدر ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا ، منهم أربعون من قريش .

وحدثني عبد الواحد ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ هشام بن عروة ، عن عروة .

أن المشركين كانوا يوم بدر تسع مائة وخمسين رجلا .

وروى إبراهيم بن سعد ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب أنه قال :

كان جميع من شهد بدرا من المسلمين ثلاث مائة وأربعة عشر رجلا ، منهم من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً ، ومن الأوس أحد وستون ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا . قال الواقدي : والثبت أنهم كانوا ثلاث مئة وأربعة عشر ، منهم من المهاجرين أربعة وسبعون ، وسائرهم من الأنصار ، وأنه لم يشهد بدرا إلا قرشي أو حليف لقرشي أو مولى له ، والأنصاري أو حليف للأنصاري أو مولى لهم .

ـ قال : وكان مع المشركين مائة فرس ؛ في بني مخزوم منها ثلاثون . فنجوا منها بسبعين ، صار في أيدي المسلمين ثلاثون ، وكان معهم من الإبل سبع مائة بعير . وكان أصحاب الخيل دارعين ، وهم مائة .

ولما بلغ أبا سفيان بن حرب طلبُ رسول الله ﷺ العير حين أبدى إلى الشأم ، ثم بلغه ما هو عليه من طلبها ، جعل يسير مما يلي البحر ويُعمي أخباره ، ووجه ضَمضم بن عمرو الكناني ، وكان معهم في العير ، إلى مكة لينذر قريشا ويستصرخهم ، وقد جدع أنف بعيره ، وشق قميصه من قُبل ودبر ، فدخلها وهو ينادي : الغوث الغوث ، ذهبت عيركم وما عليها . واستنفر الناس ، فنفروا على الصعب والذلول . وكان أبو سفيان قد اكترى

ضمضما بعشرين دينارا حين بعثه . ويقال إنه بعثه من تبوك .

قالوا : وأخرجت قريش معها القيان بالدفوف : سارة مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وعزّة مولاه الأسود بن المطلب ، ومولاة لأمية بن خلف ، فجعلن يتغنين في كل منهل . وخرجوا بالجيش يتقاذفون بالحراب بطرا ورياء للناس ، كما قال تبارك وتعالى[1] . ونجا أبو سفيان وأصحابه ، فبعث إلى قريش من الجحفة يعلمهم سلامته بما معه ، وأنه لا حاجة بهم إلى التعرض لمحمد وأهل يثرب . فأبوا وقالوا : والله لا نطلب أثرا بعد عين ، ولندعن محمد وَصَبَأته لا يعودون إلى التعرض لأموالنا وتجاراتنا بعدها . وكان أبو جهل يشحذهم ، ويحرّضهم ، ويزعجهم للخروج . وامتنع أمية بن خلف الجمحي من الخروج إلى بدر ، فأتاه أبو جهل وعقبة بن أبي معيط ومع أبي جهل ، مكحل ؛ ومع عقبة ، مجمر ـ فقال له أبو جهل : اكتحل فإنما أنت امرأة . وقال له عقبة : تجمر فإنما أنت جارية في أريكة . وقال عتبة بن ربيعة ، وكره الخروج ، لأخية شيبة بن ربيعة : إن ابن الحنظلة ـ يعنى أبا جهل بن هشام ـ رجل مشؤوم ، وليس يمسه من قرابة محمد ما يمسنا . فقال له شيبة : إنّ فارقنا قريش ورجعنا كان ذلك علينا سبة ، يا أبا الوليد ، فامض مع قومك .

قالوا : وقال أبيّ بن شريق الثقفي ـ حليف بني زهرة : يا بني زهرة إن الله قد سلّم عيركم ، فارجعوا واعصبوا جُبنها بي . فلما كان المساء ، نزل عن بعيره ، وقال لأصحابه : قولوا إنه قد نهش أبيّ . وخنس بهم راجعا ، فسمى «الأخنس» . ولم يشهد بدرا من كفار بني زهرة أحد ، وفي ذلك يقول عدي ابن أبي الزغباء :

١ ـ انظر سورة الأنفال ـ الآية : ٤٧ .

أقم لها صدورها يا بَسْبَسُ   إنّ مطايا القوم لا تُحَبَّسُ
وحمْلُها على الطريق أكيسُ   قد صنع الله وفرّ الأخنسُ

قالوا : وعدا بنو عدي بن كعب منصرفين إلى مكة ، فلقيهم أبو سفيان بن حرب فقال : كيف رجعتم ، فلا أنتم في العير ولا في النفير ؟ فلم يشهد بدرا منهم أحد .

قال الواقدي : وقال عمر بن الخطاب : يا بني عدي فيكم خصال : لم يشهد بدرا منكم أحد ، ولم تفتح مكة ومنكم مشرك ، وكان رجوع بني عدي من ثنية لفت[1] .

ـ قالوا : ورأى جُهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وهو بين النائم واليقظان ، كأن رجلا أقبل على فرس ومعه بعير له ، فوقف فقال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وعدّد رجالا من أشراف قريش ممن قتل يوم بدر ، ثم ضرب في لبة بعيره وأرسله ، فلم يبق خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه . فبلغت الرؤيا أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً من بني المطلب ، سيعلم غدا من المقتول إذا التقينا .

ـ وكان الحارث بن عامر بن نوفل أراد أن لا يسير إلى بدر ، وذلك أنه كان صديقا لضمضم ، فأشار عليه أن لا يفعل ، فلم يدعه عقبة بن أبي مُعَيط ، والنضر بن الحارث ، وأبو جهل ، وبكتوه بالجبن ، حتى خرج ، وبكتوا أيضاً حكيم بن حزام ، وأبا البختري ، وعلي بن أمية بن خلف بالجبن والضعف ، حتى خرجوا ، وكانوا أرادوا ألا يفعلوا .

ـ قالوا : ورفد المقلُّ المكثرُ وأعانه ، وقوّى سهيل بن عمرو جماعة من

---

١ ـ هي بين مكة والمدينة ، وإلى المدينة أقرب . المغانم المطابة .

المشركين بحملانه وماله . وفعل زمعة بن الأسود مثل ذلك ، وكان حنظلة وعمرو ابنا أبي سفيان يحرّضان ، ولم يبذلا شيئا ، وقالا : إنما المال مال أبي سفيان . وكان من المحرّضين طُعيمة بن عدي ، وأعطى حويطب بن عبد العزى قريشا ثلاث مائة دينار ، ويقال مائتي دينار ، فاشتُري بها سلاحٌ وظهرٌ، ولم يتخلف أحد من قريش لعلة إلا وجه مكانه رجلا ، فكان أبو لهب مريضا مرضه الذي مات فيه ، فوجّه العاص بن هشام بن المغيرة على أن أبرأه من مال كان عليه ، ويقال إنه كان لاعبه على امرأة مطلقة ، فقمره ، فأسلمه قينا بمكة ؛ ثم لاعبه فقمره ، فوجهه إلى بدر مكانه ، ومات أبو لهب بعد وقعة بدر بأيام يسيرة .

- قالوا : وبعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى قريش يأمرها بالانصراف ، فأبوا ، ووجهوا عمير بن وهب الجمحي ، فحزر المسلمين وما معهم ، ثم أتاهم يعلم أمرهم .

- قالوا : ونزل رسول الله ﷺ أدنى بدر عشيّة ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، وأمر فنودي : «أفطروا يا معشر العصاة» ؛ وكان أمرهم أن يفطروا ، فلم يفطر قوم منهم ، وكان ﷺ مفطرا .

قالوا : واستشار رسول الله ﷺ الأنصار . فأشار عليه الحُباب بن المنذر بن جموح أن ينزل على أدنى ماء من القوم ويغوّر ما سواه من القلب . فوافق جبريلُ عليه السلام فيما أتى به رسول الله ﷺ من ذلك . فقال له رسول الله ﷺ : «لقد أشرتَ بالرأي» . فكان يدعى «ذا الرأي» . واتخذ لرسول الله ﷺ عريش من جريد ، فدخله وأبو بكر رضي الله تعالى عنه ، فكانا يتشاوران فيه ، وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين . وكان شعار النبي ﷺ يوم بدر «أمت أمت» .

ويقال كان شعار المهاجرين «بني عبد الرحمن» ، وشعار الخزرج «بني عبد الله» ، وشعار الأوس «بني عبيد الله» .

وأمدّ الله رسوله ﷺ بالملائكة ، وأظهره على المشركين ، ونصره بالريح . فقال ﷺ : «نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور» . وأخذ رسول الله ﷺ كفا من حصباء ، فرمى به ، وقال : «شاهت الوجوه» . فانهزموا .

ورأى أبو جهل عتبةَ بن ربيعة ، فجبنه . فقال عتبة : يا مصفرَ استه ، ستعلم أينا أجبن . وكشف عن عرقوب فرس أبي جهل ، وقال : «انزل ، فما كل قومك راكب» . ونزل عتبة ، فدعا إلى البراز ، فقتل .

وكان لواء رسول الله ﷺ يوم بدر مع مصعب بن عمير ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ ، ولواء الخزرج مع الحُباب بن المنذر ، وكان للمشركين ثلاثة ألوية : لواء مع النضر بن الحارث ، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة ، ولواء مع أبي عزيز بن عمير .

ـ قالوا : ولما تهيأ المسلمون للقتال ، قال المقداد بن عمرو : يا رسول الله ، إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل : ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾[1] ، ولكنا نقول : «اذهب فقاتل إنا معك مقاتلون» . ويقال إنه قال ذلك حين ندب رسول الله ﷺ المسلمين للخروج إلى بدر .

وكان خليفة رسول الله ﷺ على المدينة في غزاة بدر بشير بن عبد المنذر بن زُنْبَر الأوسي ، وهو أبو لبابة . وبعضهم يقول : «بُشَير» . وكان الذي أتى أهل مكة بخبر وقعة بدر الحَيسُمان بن إياس الخزاعي . والذي أتى أهل المدينة بخبرها زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ . وغنم رسول الله ﷺ

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٢٤ .

ذا الفقار سيفه ، وكان للعاص بن منبه بن الحجاج السهمي ، وهو الثبت . ويقال : لمنبه ، ويقال : لنبيه .

ـ قالوا : ولما مرّت قريش بإيماء بن رحضة ، أهدى لقريش جزرا ، وعرض عليها سلاحا ، فقالوا : نحن مؤدّون ، وقد بررتَ وجعلتَ . وأيماء كناني ، من بني غفار . وكان أبو سفيان يكثر أن يقول : واقوماه ، لقد شامهم ابن الحنظلية .

ـ قالوا : وقدم زيد المدينة حين سُوّي التراب على رقية ابنة رسول الله ﷺ بالبقيع ، فقال رجل من المنافقين لأسامة بن زيد ، وكان رسول الله ﷺ خلفه مع عثمان بالمدينة على رقية : قتل صاحبكم ومن معه . وقال آخر منهم لأبي لبابة : قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده ، وقُتل محمد وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب . قال أسامة بن زيد : فأتيتُ أبي ، فكذّب قول المنافقين . وقدم شقران بالأسرى .

ـ وقال الواقدي : حدثني يزيد بن فراس الليثي ، عن شريك بن أبي نمر ، عن عطاء بن يزيد الليثي .

أن ابناً لحفص بن الأخيف ، أحد بني معيص بن عامر بن لؤي ، خرج يبغي إبلا له ، وهو غلام في رأسه ذؤابة وعليه حلة وكان غلاما وضيئا ، فمرّ بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوح بن يعمر ، وكان بضَجنْان(1) . فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : ابن حفص بن الأخيف . قال : يا بني بكر ألكم في قريش دم ؟ قالوا : نعم . قال : ما كان رجل ليقتل هذا برجله إلا استوفى . واتبعه رجل من بني بكر ، فقتله بدم كان له في قريش . فتكلمت فيه قريش . فقال عامر بن يزيد: «قد كانت لنا فيكم

١ ـ جبل بناحية تهامة على بريد من مكة . معجم البلدان .

دماء ، فإن شئتم فأدّوا مالنا قِبلكم ، ونؤدّي إليكم ما كان فينا ؛ وإن شئتم فإنما هو الدم رجل برجل ؛ وإن شئتم فتجافوا عنا فيما فعلنا نتجاف عنكم فيما قبلكم» . فهان ذلك الغلام على قريش ، وقالوا : صدق ، رجل برجل . فلم يطلبوا بدمه . فبينا أخوه مِكرز بن حفص بن الأخيف بمّر الظهران إذ نظر إلى عامر بن يزيد ، وهو سيد بني بكر ، على جمل له ، فقال : ما أطلب أثرا بعد عين . وأناخ بعيره ، وهو متوشح بسيفه ، فعلاه به حتى قتله . ثم أتى مكة ، فعلق سيف عامر بأستار الكعبة . فلما أصبحت قريش ، رأوا سيفَ عامر ، فعرفوا أن مكرز بن حفص قتله لقول كان سُمع من مكرز في ذلك ، وجزعت بنو بكر بقتل سيدها ، وكانت معدّة لتقتل من قريش سيدين أو ثلاثة . فإنهم لعلى ذلك حتى جاء النفير إلى بدر وهم على هذا ، فخافوهم على من يخلفون بمكة من ذراريهم ، حتى جاءهم إبليس في صورة سراقة بن [مالك بن] جعشم ، فقال : أنا لكم جار من بني بكر فإني سيدهم ، فقال أبو جهل : هذا سراقة سيد كنانة ، وقد أجاركم وأجار من تخلف منكم . فشجع القومَ ، فخرجوا إلى بدر .

ـ فاستُشهد ببدر من :

بني المطلب بن عبد مناف :

عبيدة بن الحارث ، قتله شيبة بن ربيعة . فدفنه النبي ﷺ بالصفراء بذات أجدال .

ومن بني زهرة :

عمير بن أبي وقاص ، قتله عمرو بن عبد وُدّ .

وعمير بن عبد عمرو الخزاعي ، وهو ذو الشمالين ، حليف بني زهرة ـ ويقال هو عمير بن عبد عمرو بن نضلة ـ قتله أبو أسامة زهير بن معاوية الجشمي .

ومن بني عدي بن كعب :

عاقل بن البكير الكناني . وبعضهم يقول : ابن أبي البكير . والأول أصح ، وهو حليف لبني عدي . قتله مالك بن زهير الجشمي .

ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب ، قتله عامر بن الحضرمي . فيقال إنه أول قتيل يوم بدر .

ومن بني الحارث بن فهر :

صفوان بن بيضاء ، قتله طعيمة بن عدي . ويقال إنه مات سنة ثمان وثلاثين .

ومن الأوس :

مبشر بن عبد المنذر ، قتله أبو ثور .

سعد بن خيثمة ، قتله عمرو بن عبد ودّ ، ويقال طعيمة بن عدي .

ومن الخزرج :

حارثة بن سراقة ، رماه حِبّان بن العَرِقة بسهم فأصاب حنجرته . وقوم يقولون : العَرْقَة ، وذلك تصحيف .

وعوف ، ومعوذ ابنا عفراء بنت عبيد ، وكانت عفراء عند الحارث بن رفاعة ، فولدت له معاذا ، ومعوذًا . ثم إنه طلقها ، فتزوجها البكير بن عبد ياليل ، فولدت له عاقلا ، وعامرا ، وخالدا ، وإياسا . ثم رجعت إلى المدينة ، فراجعها الحارث ، فولدت له عوفا .

قال الواقدي : فقتل عوف ومعوّذ يومئذ ، قتلهما أبو جهل .

وقال الكلبي : قتل معاذ ومعوّذ يومئذ ، وبقي عوف ، فجاءت أمهم إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، بقى شر ولدي ؟ فقال : لا . والولد في بني عفراء لعوف .

وعمير بن الحُمام بن الجموح ، قتله خالد بن الأعلم العُقيلي حليف بني مخزوم الذي يقول :

لسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا يقطر الدمُ

ورافع بن المعلى الزرقي ، قتله عكرمة بن أبي جهل .

ويزيد بن الحارث بن فُسْحم ـ وذلك قول الواقدي . وقال الكلبي : يزيد الشاعر بن الحارث بن قيس ، أحد بني الحارث بن الخزرج . ويقال ليزيد : ابن «فسحم» ، وهي أمه ، وهي من بني القين بن قضاعة ـ قتله نوفل بن معاوية الديلي . وقوم يقولون إنّ أنسة مولى النبي ﷺ قتل يوم بدر . وليس ذلك بثبت . والمجمع عليه أنه شهد يوم أحد ، [وبقي بعد ذلك] ومات في خلافة أبي بكر .

ـ وقُتل من المشركين ، من :

بني عبد شمس بن عبد مناف :

حنظلة بن أبي سفيان ، قتله علي بن أبي طالب .

الحارث بن الحضرمي ، قتله عمار بن ياسر .

عامر بن الحضرمي ، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح .

عمير بن أبي عمير ، وابنه ، موليان لهم ، قتل سالم مولى أبي حذيفة عميرا .

عبيدة بن سعيد بن العاص ، قتله الزبير بن العوام .

العاص بن سعيد ، قتله علي بن أبي طالب .

عقبة بن أبي معيط ، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح بأمر رسول الله ﷺ بالصفراء صَبرا ، وكان أخذ أسيرا . وقال ابن الكلبي : قتل عقبة بعرق الظبية ، وقال عقبة : من للصبية يا محمد ؟ قال : النار . ويقال إنّ

النبي ﷺ صلبه ، فكان أول مصلوب في الإسلام . فرثاه ضِرار بن الخطاب :

عينُ فابكي لعقبة بنِ أبانِ فرع فهرٍ وفارس الفرسان

وقال أيضاً :

إذا اتصلت تدعو أباها لحارث دعت باسم سيال العطاء زعوف

وهوب النجيبات المراقيل بالضحى بأكوارها تجتاب كل تنوف

وعتبة بن ربيعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب .

وشيبة بن ربيعة ، قتله عبيدة بن الحارث ، وذفّف عليه حمزة وعليّ عليهما السلام .

الوليد بن عتبة ، قتله عليّ .

عامر بن عبيد الله حليف لهم ، قتله علي ، ويقال سعد بن معاذ الأنصاري .

- ومن بني نوفل بن عبد مناف :

الحارث بن عامر بن نوفل . قتله خبيب بن إساف ، وهو الذي قال النبي ﷺ : «من لقيه فليدعه لأيتام بني نوفل بن عبد مناف» . وفيه نزلت : ﴿وقالوا إن نَتَّبع الهُدَى معك نُتخطَّف من أرضنا﴾[1] .

طعيمة بن عدي بن نوفل ، قتله حمزة . وكان طعيمة يكنى أبا الرّيان ، وأسر يوم بدر ، فأمر النبي ﷺ بقتله ، فقتله حمزة صبراً .

- ومن بني عبد العزى بن قصيّ :

زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قتله أبو دجانة ؛ ويقال : ثابت بن الجذع ؛ وولده يقولون : الجَدَع .

١ - سورة القصص - الآية : ٥٧ .

الحارث بن زمعة بن الأسود ، قتله علي بن أبي طالب .

عقيل بن الأسود بن المطلب ، قتله حمزة وعلي شركاء فيه ؛ ويقال علي وحده .

أبو البختري العاص بن هاشم ، قتله المجذّر بن ذياد البلوي ؛ ويقال أبو داود المازني ، من الأنصار ؛ ويقال أبو اليسر .

نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، وهو ابن العدوية ، قتله علي بن أبي طالب .

- ومن بني عبد الدار :

النضر بن الحارث ، قتله علي بن أبي طالب صبرا بالأثيل بأمر النبي ﷺ ، وكان الذي أسره المقداد بن عمرو .

زيد بن مُليص مولى عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله علي بن أبي طالب ؛ ويقال بلال .

- ومن بني تيم بن مرة :

عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، قتله علي بن أبي طالب ؛ ويقال صُهيب .

- ومن بني مخزوم :

أبو جهل بن هشام . سماه رسول الله ﷺ «فرعون هذه الأمة» . ضربه معاذ بن عمرو بن الجَموح ، فقطع رجله ، وضربه أحد بني عفراء ضربة . ويقال ضرباه جميعاً . ونفّل رسول الله ﷺ معاذ بن عمرو سيفَ أبي جهل ، فهو عند ولده . وفيه يقول حسان بن ثابت :

النـاس كنُـوه أبـا حـكـم والله كـنّـاه أبـا جـهـل[1]

---

١ - ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٢٦١ مع فوراق .

وقال الواقدي : حدثني عبد الحميد بن جعفر ، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن ربيع بنت معوذ قالت :

دخلتُ في نسوة من الأنصار على أسماء بنت مُخَرِّبَة ، أم أبي جهل ، في خلافة عمر بن الخطاب ، وكان ابنها عبد الله بن أبي ربيعة يبعث لها بعطر من اليمن ، فكانت تبيعه إلى الأعطية ، فكنا نشتري منها . فقالت لي : وإنك لابنة قاتل سيده ؟ قالت : قلت : لا ، ولكني ابنة قاتل عبده ، فقالت : والله لا أبيعك شيئاً أبداً .

وأمر رسول الله ﷺ حين وضعت الحربُ أوزارها أن يلتمس أبو جهل . قال ابن مسعود : فوجدته مرتثا في آخر رمق ، فوضعتُ رجلي على عنقه ، وقلتُ : الحمد الله الذي أخزاك . فقال : إنما أخزى الله ابن أم عبد ، أرويعينا بالأمس ، لقد ارتقيتَ مرتقى صعبا يا رُويعي الغنم ؛ لمن الدائرة ؟ قلتُ : لله ولرسوله . قال : فأقتلع بيضته عن قفاه ؛ وقلتُ : إني قاتلك يا أبا جهل . قال : لستَ بأول عبد قتل سيده ؛ أما إنّ أشد شيء لقيته اليوم في نفسي لقتلك إياي وألا يكون ولي قتلي رجل من الأحلاف أو المطيَّبين . فضربه عبد الله فوق رأسه بين يديه ، ثم سلبه ، وأقبل بسلاحه ودرعه وبيضته ، فوضع ذلك بين يدي رسول الله ﷺ ، وقال : أبشر يا نبي الله بقتل عدو الله أبي جهل . فقال : «والله لذلك أحب إليّ من حمر النعم» ، أو كما قال ﷺ . ورأى عبد الله بجسده خضرة ، فوصفها للنبي ﷺ . فقال : ذلك ضرب الملائكة . وقد يقال إنّ ابني عفراء لما ضربا أبا جهل، لم يقتلها حتى جرحاه . فقال رسول الله ﷺ ، ووقف على مصرع ابني عفراء : «رحمها الله ، فقد شركا في قتل فرعون هذه الأمة» . وقيل إنّ الملائكة قتلت أبا جهل مع ابني عفراء ، وذفّف عليه ابن مسعود . والله تعالى أعلم .

العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله عمر بن الخطاب .
يزيد بن تميم حليف لهم ، قتله علي بن أبي طالب .
أبو مسافع الأشعري حليف لهم ، قتله أبو دجانة .
حرملة بن عمرو ، قتله علي بن أبي طالب .
أبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، قتله علي .
أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتله حمزة ؛ ويقال الحُباب بن المنذر .
مسعود بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب .
رفاعة بن أبي رافع ، ـ وهو أمية ـ بن عائذ ، قتله سعد بن ربيع .
أبو المنذر بن أبي رفاعة ، قتله معن بن عدي أخو عاصم بن عدي .
عبد الله بن أبي رفاعة ، قتله علي .
زهير بن أبي رفاعة ، قتله أبو أسيد الساعدي .
السائب بن أبي رفاعة ، قتله عبد الرحمن بن عوف .
السائب بن أبي السائب ـ واسمه صيفي ـ بن عابد ، قتله الزبير .
الأسود بن عبد الأسد ، قتله حمزة .

حليفان لهم من طيىء ، أحدهما ، عمرو بن سفيان ، قتله يزيد بن رقيش الأسدي ؛ والآخر جبّار بن سفيان ، قتله أبو بردة بن نيار .

جابر بن السائب بن عويمر بن عائذ ، قتله علي بن أبي طالب . وقال الكلبي : قتل جابراً هذا ، وأخاه عويمرا جميعا علي بن أبي طالب .

عويمر بن عمرو بن عائذ ، قتله النعمان بن أبي مالك .

ـ ومن بني جمح :

أمية بن خلف ، قتله خبيب بن إساف وبلال ؛ ويقال : قتله رفاعة بن رافع .

علي بن أمية بن خلف ، قتله عمار بن ياسر .

أوس بن المعبّر بن لوذان ، قتله عثمان بن مظعون وعلي جميعا ؛ ويقال عثمان وحده .

- ومن بني سهم :

منبه بن الحجاج ، قتله أبو اليسر ؛ ويقال عليّ ؛ ويقال أبو أسيد الساعدي .

نبيه بن الحجاج ، قتله علي بن أبي طالب .

العاص بن منبه ، قتله علي بن أبي طالب .

أبو العاص بن قيس بن عدي ، قتله أبو دجانة ؛ ويقال علي عليه السلام .

عاصم بن أبي عوف بن ضُبيرة ، قتله أبو دجانة .

- ومن بني عامر بن لؤي :

معاوية بن عبد قيس حليف لهم ، قتله عُكّاشة بن محصن .

معبد بن وهب حليف لهم من كلب ، قتله أبو دجانة .

وقتل عمرو بن الحضرمي : كعبُ بن زيد النجاري ؛ والثبت أنه قتل في سرية ابن جحش .

- وكان ممن أسر يومِ بدر :

عقيل بن أبي طالب ، أسره عبيد بن أوس الظفري ، وأسر عمه . العباس ، فافتداه .

نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، أسره جبار بن صخر .

والسائب بن عبيد ، وعبيد بن عمرو بن علقمة ، أسرهما سلمة بن أسلم بن حَريش الأشهلي ، فأطلقهما النبي ﷺ بلا فدية .

عقبة بن أبي معيط ، أسره عبد الله بن سلمة العجلاني .

الحارث بن أبي وَحَرة .

- ويقال : أُحْرَة بن أبي عمرو بن أمية ، أسره سعد بن أبي وقاص ، فقدم في فدائه الوليد بن عقبة فافتداه بأربعة آلاف درهم .

عمرو بن أبي سفيان بن حرب ، صار في سهم النبي ﷺ ، فأرسله بغير فدية ؛ وكان الذي أسره علي عليه السلام ، وكان سعد بن أكال ، من بني أمية ، من الأوس ، أتى مكة معتمرا ، فأخذه أبو سفيان فحبسه بمكة ، وقال : لا أخليه حتى يخلي سبيل عمرو ، وقال في ذلك :

أرهطَ ابن أكّال أجيبوا دعاءَه تفاقدتم لا تتركوا السيد الكهلا

فـإنّ بني عمرو لئـام أذلةٌ لئن لم يفكّوا عن أسيرهم الكبلا

فخلى رسول الله ﷺ سبيل عمرو بن أبي سفيان ، وخلى أبو سفيان ، ابن أكال . وقال بعضهم : هو سعد بن النعمان بن أكال . وقال الكلبي : هو زيد بن أكال بن لوذان بن الحارث بن أمية بن زيد بن مالك .

وأبو العاص بن الربيع ، أسره خراش بن الصِّمّة ، فقدم في فدائه عمرو بن الربيع أخوه .

وعمرو بن الأزرق ، افتكه عمرو بن الربيع .

أبو العاص بن نوفل بن عبد شمس أسره عمار بن ياسر .

عثمان بن عبد شمس ، وهو ابن أخي عتبة بن غزوان ، حليف .

أبو ثور ، افتداهما جبير بن مطعم ؛ وكان الذي أسر أبا ثور : مرثد الغنوي .

أبو عزيز بن عمير ، أخو مصعب ، أسره أبو اليسر ؛ ويقال غيره . فقال مصعب للذي أسره : اشدد يدك به فإنّ أمه موسرة . فقال له : هذه

وصاتك بي يا أخي ؟ قال : هذا أخي دونك ، فافتدي بأربعة آلاف .

عدي بن الخيار ، أسره خراش بن الصمة .

الأسود بن عامر بن الحارث بن السباق ، قدم في فدائه طلحة بن أبي طلحة .

السائب بن أبي حُبيش بن المطلب بن أسد ، أسره عبد الرحمن بن عوف .

الحويرث بن أسيد ، أسره حاطب بن أبي بلتعة .

مالك بن عبيد الله بن عثمان ، من بني تيم ، أخو طلحة ، أسره قطبة بن [عامر بن] حديدة ، فمات بالمدينة أسيرا .

أمية بن المغيرة بن حذيفة ، أسره بلال .

عثمان بن عبد الله بن [أبي] أمية بن المغيرة ، أسر يوم نخلة ، فأفلت ، فأسره واقد بن عبد الله التميمي يوم بدر ، فقال : الحمد الله الذي أمكنني منك فقد كنتَ أفلت في المرة الأولى ؛ فافتداه عبد الله بن أبي ربيعة بأربعة آلاف .

الوليد بن الوليد بن المغيرة ، أسره عبد الله جحش الأسدي ، فقدم في فدائه خالد بن الوليد ، وهشام فافتكاه بشكة دابته ثم أفلت وأسلم ؛ ويقال أسره سليط بن قيس .

صيفي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، لم يكن له مال ، فمكث عند الذي أسره ، ثم أطلقه .

وأسر أبو أيوب الأنصاري المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم ، ولم يكن له مال فأرسله بعد حين .

خالد بن الأعلم العقيلي حليف بني مخزوم ، قدم عكرمة بن أبي جهل في فدائه ، وكان الذي أسره الحباب بن المنذر بن الجموح .

وأسر فروة بن عمرو البياضي : عبدَ الله بن أبيّ بن خلف ، فقدم أبوه في فدائه .

وأسر أبو عزّة الجمحي ، فمن عليه النبي ﷺ وأحلفه أن لا يكثر عليه جمعاً ، وأرسله بغير فدية ، فأسر يوم أحد ، فضرب عنقه .

وأسر سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالكُ بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضخة بن غنم ـ وهو قوقل ـ بن عوف بن الخزرج . فقال مالك :

أسرتُ سهيلا فلن أبتغى به غيره من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفتى سهيلا فتاها إذا تُظّلم
ضربتُ بذي الشفر حتى انثنى وأكرهتُ نفسى على ذي العَلَمَ[1]

فقدم في فداء سهيل ، مكرز بن حفص بن الأخيف ، فأرضى مالكا ودفع إليه أربعة آلاف درهم من مال سهيل ، وحبس مكرز مكانه حتى بعث بالمال من مكة ، ولما أسر سهيل وقدم به المدينة ، رآه أسامة بن زيد فقال : «يا رسول الله هذا الذي كان يطعم الناس السريد» . يعني الثريد . ورأته سودة بنت زمعة ، وهو في القيد ويده إلى عنقه ، فلم تملك نفسها أن قالت : أبأبي يزيد فعل هذا ؟ ثم قالت : أي أبا يزيدِ ، أعطيتم بأيديكم ، هلا متم كراما ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا سودة ، أعلى الله ورسوله ؟! فقالت : والذي بعثك بالحق ، ما ملكتُ نفسي حين رأيته على هذه الحال ؛ فاستغفر

١ ـ في هامش الأصل : كان سهيل أعلم الشفة السفلى . انظر نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٤١٧ ـ ٤١٩ .

لي يا رسول الله . فقال : يغفر الله لك ، وقال عمر : يا رسول الله ، هذا سهيل خطيب قريش ؛ أفأنزع ثنيته فلا يقوم خطيبا بك أبدا ؟ فقال : دعه ، فعسى أن يقوم مقاما تحمده ، وينفع الله به . فأسلم يوم الفتح وحسن إسلامه ؛ فلما قبض النبي ﷺ ، كان عتاب ابن أُسِيْد على مكة ، فقام سهيل فقال : يا أيها الناس أنا أكثر قريش قَتَباً[1] في برّ ، وجارية في بحر ، فأقرّوا أميركم وأعطوه صدقاتكم وأنا ضامن إن لم يتم الأمر أن أردّها إليكم . وبكى ، وسكن الناس ، ورجع عتاب . فلما كانت خلافة عمر ، أتاه سهيل ، والحارث بن هشام ، ليسلما عليه ، فقدّم قبلهما صهيبا وعمارا . فغضب الحارث بن هشام من ذلك . فقال سهيل : دعينا ودُعوا ، فأجابوا وأبطأنا ثم نغضب أن يقدموا علينا ؛ فأما إذا فاتنا الجهاد مع رسول الله ﷺ ، فإنا نطلبه بعده . فخرجا إلى الشأم مجاهدين ، فماتا هناك .

قال الواقدي : رمى سعد سهيلا ، فأصاب بَنساه[2] ؛ وجاء مالك فأسره .

وحدثني مصعب بن عبد الله ، عن أشياخهم قال :

رأى أسامة بن زيد سهيلا ، فقال : «هذا الذي كان يطعم الثريد بمكة» . فقال رسول الله ﷺ : «هذا أبو يزيد الذي كان يطعم الطعام ، ولكنه سعى في إطفاء نور الله فأمكن الله منه» . وكان لما أسر ، هرب ، فخرجوا في طلبه ، فوجده النبي ﷺ بين سمرات . فأمر به ، فرُبطت يده إلى عنقه وجُنّب إلى راحلته . وفيه يقول أمية بن أبي الصلت الثقفي :

يا با يزيد رأيتُ سيبك واسعا وسماءَ جودك تُسْتهَـلّ فتمطر[3]

١ ـ أي أكثر الناس جمالاً ، فالقتب هو الرحل الذي يوضع على الجمل .
٢ ـ أي أصابه بوركه .
٣ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت ـ ط . دمشق ١٩٧٧ ص ٣٩٣ .

ـ قالوا : وقال عمير بن وهب بن خلف الجمحي لصفوان بن أمية ؛ **لولا دَين عليّ وعيال، لأتيتُ محمداً فقتلته، فقد عظمت المصيبة بمن قتل من** السادة يوم بدر ، فإنه بلغني أنه يطوف في الأسواق . فضمن له صفوان قضاءَ دينه وأمر عياله ، فمضى حتى أتى المدينة مكتتماً ، فأناخ راحلته على باب المسجد وعقلها ، وتقلد سيفه وكان قد شحذه وسمّه ، ثم عمد نحو النبي ﷺ . فنظر إليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وهو في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال لمن عنده : دونكم الكلب فهذا عدوّ الله حرّش بيننا يوم بدر وحزرنا للقوم . فأخذه عمر ، فانطلق به إلى النبي ﷺ ، وقال : هذا عمير بن وهب دخل المسجد ومعه سلاحه ، وهو الغادر الخبيث ، فقال له النبي ﷺ : ما أقدمك ؟ قال : قدمتُ في ابني وهو أسير عندكم لتقارنونا فيه . قال النبي ﷺ : فما هذا السيف ؟ قال : «لعنها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً يوم بدر ؟ إنما نسيته في رقبتي حين نزلتُ» . فقال : اصدقني فيما قدمت قال : قدمتُ بسبب أسيري وهب بن عمير بن وهب . قال : «فما شرطت لصفوان وما اشترطت عليه ؟ فقد ضمنتَ له قتلي على أن يقضي دينك ، ويعول عيالك . والله حائل بينك وبين إرادتك» . فقال عمير : «أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . هذا والله وحي السماء . والله ما سمع هذا من صفوان أحد سواي ، وما سمعه مني أحد» . فأطلق رسول الله ﷺ أسيره . وأتى عمير مكة ، فلم يقرب صفوان ، وأظهر الإسلام ، ودعا إليه . ووقف عليه عمير ، وهو في الحجر ، فلم يكلمه . وتشهد عمير وقال له : أهذا دين : عبادة حجر **والذبح له** ؟ فلم يكلمه صفوان . وشهد عمير بن وهب يوم أحد مع النبي ﷺ ، وبقي إلى بعد خلافة عمر بن الخطاب . ويكنى أبا أمية . ويقال إنّ وهب بن عمير

هو الضامن لصفوان ما ضمن ، وأن أباه عمير بن وهب كان الأسير ، والأول أثبت .

- وروى الواقدي ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، قال :

كان الأسرى سبعين ، والقتلى سبعين . ورُوى مثل ذلك عن ابن عباس . وروي عن الزهري أنه قال : كان الأسرى يوم بدر أكثر من سبعين ، والقتلى أكثر من سبعين أيضاً[1] .

وروى الواقدي ، عن يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة قال :

أسر يوم بدر أربعة وسبعون رجلا ، وكان عبد الرحمن من بني مبذول ، من الخزرج . وقال طالب بن أبي طالب في يوم بدر - وقوم يزعمون أنها لامية بن أبي الصلت - وكان طالب قد شهد بدرا ، ثم انصرف راجعا فلم يسمع له بذكر مع قريش :

فجّعتني المنون الجلة الحمـ ـــس ملوك الدى الحجون صباح
إن كعباً وعامراً قد أبيحت يوم بدر يوم ذات الطماح
شيَّبَ الـرأس أنـي كـلما مشيت سمعتُ الأنين بالأنواح
وفتـاة تدعـو غلامـاً نجيبـا سرّحت قبل يومهـا بسراح
أصبحت مكة الحرام حلالا من لؤي وغالب والبطاح[2]

وقال أمية بن أبي الصلت :

هـــلا بكيتَ عـــلى الكـــرا م بني الكرام أولي الممادح

١ - مغازي الواقدي ج ١ ص ١٤٤ .
٢ - ليست في ديوان أمية المطبوع .

كَبُكا الحمام على فرو ع الأيك بالصبح الجوانح
يبكين حرى ذات أشجا ن يرحن مع الروائح
أمثالهن الباكيا ت المعولات من النوائح
ماذا ببدرٍ فالعقنـ ـقل من مرازبة جحاجح(١)
كسب مَطاعيمٌ مُطاعين ملاوذة مناجح
المطعمين الشحم فو ق الخبز شحماً كالأنافح
لله دَرُّ بني علي أيِّمٌ منهم وناكح
إنْ لم يغيروا غارةً شعـ ـواء تحجر كل نابح(٢)

وقال حسان يهجو أبا جهل :

ألا لعن الرحمنُ قوما يحثهم دعيٌّ بني شَجع لحرب محمد
مَشُومٌ لعِينٌ قد تبين جهله قليل الحياء أمره غير مرشد
فأنزلَ ربي نصرهَ لرسوله وأيده بالعزّ في كل مشهد(٣)

وقال شدّاد بن الأسود الليثي ثم الشَجعي يبكي قتلى قريش يوم بدر :

دعيني أصطبح يا بكر إني رأيتُ الموتَ نقّبَ عن هشام
ونقبَ عن أبيك أبي يزيد أخي القينات والشُّرب الكرام
فكم لك بالطويِّ طويِّ بدر من الخيرات والدسع(٤) العظام
وكم لك بالطويِّ طويِّ بدر من الرغبات والنعم الجسام

١ ـ العقنقل : الوادي العظيم المتسع والكثيب المتراكم : القاموس ، ويتوافق هذا مع موقع معركة بدر الذي لم يتغير حتى الآن . والجحاجح جمع جحجاح وهو السيد .
٢ ـ ديوان أمية ص ٣٤٥ ـ ٣٥١ مع فوارق .
٣ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١٤٤ مع فوارق واضحة .
٤ ـ الدسع : العطايا .

وماذا بالقليب قليب بدر   من الشيزي[١]. تكلل بالسنام
ألا من مبلغ الأقوام عني   بأني تارك شهرَ الصيام
يخبِّرنا الرسول بأن سنحياً   وكيف حياة أصداءٍ وهام

وقال أمية بن أبي الصلت :

عينُ بكّي بالمسبلات أبا العا   صي ولا تجمدي على زمعه
وبكّي تَوْكَلاً إذا احتدم البأ   س ليوم الهياج في الدمعه
قتلى كرام لفقدهم خوَت الجو   زاءُ لا خانةٌ ولا خدعه
قوم هم الهامة الوسيطة من كعـ   ـب وفيهم كذروة القمعه
أمسى بنو عمهم إذا ذكر البأ   س عليهم أكبادهم وجعه[٢]

وقال عبد الله بن الزبعرى السهمي :

ماذا ببدر ثم ماذا حوله   من فتية بيض الوجوه كرام
تركوا نبيهاً عندها ومنبها   وابني ربيعة خير خصم فئام
والعاصَ وابنَ منبه ذا مرة   رمحا طويلاً غير ذي أوصام
تنمي به أعراقه وجُدوده   ومآثر الأخوال والأعمام
والحارثَ الفياض يبرق وجهه   كالبدر أشرق ليلةَ الإظلام
فإذا بكى باك فأعولَ شجوَه   فعلى الرئيس الماجد ابن هشام[٣]

وفي بدر شعر كثير سوى هذا . فمنه ما يصحح ومنه ما لا يصحح .

- حدثني محمد ، عن الواقدي قال :

شهد بدرا عبيدة ، وحصين ، وطفيل بنو الحارث ، ثلاثة إخوة .

---

١ - الشيزي : خشب أسود تتخذ منه القصاع .
٢ - ديوان أمين بن بيبي الصلت ص ٤١٧ - ٤١٨ مع فوارق . سيرة هشام ج ١ ص ٥٥٧ .
٣ - شعر عبد الله بن الزبعرى - ط . بيروت ١٩٨١ ص ٤٦ - ٤٧ . سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٤٣ - ٥٤٤ .

وعُكّاشة بن محصن ، وأخوه أبو سنان بن محصن . وشجاع ، وعقبة ابنا وهب . ومدلاج ، وثقاف ابنا عمرو السلميان ، وكانا حليفي بني أسد بن خزيمة ، فصارا في حلف بني عبد شمس مع بني أسد . وعمر ، وأخوه زيد بن الخطاب .

- ثم غزاة بني قَينُقاع[١] ، من يهود ، في شوال سنة اثنتين .

وكان سببها أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ، وادعته يهود كلها ، وكتب بينه وبينها كتابا ، فلما أصاب ﷺ أصحابَ بدر ، وقدم المدينة سالما غانما موفورا ، بغت وقطعت العهد . فجمعهم رسول الله ﷺ ، ثم قال : يا معشر يهود ، أسلموا فوالله إنكم لتعلمون أني نبي وإلا أوقع الله بكم أكثر مما أوقع بقريش ، فقالوا : يا محمد ، لا يغرّنك من لقيتَ ، فإنما قهرتَ قوما أغمارا ، ونحن بنو الحرب ؛ ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا ، فبيناهم على بغيهم ومجاهرتهم بكفرهم إذ جاءت امرأة كانت تحت رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع ، فجلست عند صائغ منهم في أمر حُليّ لها . فجاء رجل من بني قينقاع ، فجلس من ورائها ، وهي لا تشعر ، فحلّ درعها إلى ظهرها ، بشوكة . فلما قامت تكشفت وبدت عورتها ، فضحكوا منها . فقام إليه رجل من المسلمين ، فأتبعه فقتله . فتعادوا على الرجل المسلم ، فقتلوه ونبذوا العهدَ إلى رسول الله ﷺ . فنزل فيهم : ﴿وإما تخافن من قوم خيانةً فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يحبّ الخائنين﴾[٢] .

١ - في هامش الأصل : قينقَاع بفتح القاف وضم النون وفتحها وكسرها .
٢ - سورة الأنفال - الآية : ٥٨ .

وروى أيضاً أن الآية نزلت في بني قريظة . فسار إليهم ، وقد تحصّنوا في حصنهم . فحصرهم خمس عشرة ليلة . ثم إنهم نزلوا على حكمه ، فأمر بهم فرُبطوا . واستعمل على ربطهم وكتافهم المنذرَ بن قدامة السلمي ، فأتى ابن أبيّ المنافق رسولَ الله ﷺ ، فأدخل يده في جيب درعه من خلفه ، وقال : يا محمد أحسن إلى مواليّ ، فقال له : «ويلك أرسلني» ؛ وكان قد ضمه إليه . فقال له : «أتريد أن تحصد أربع مائة دارع وثلاث مائة حاسر ، منعوني يوم الحدائق ويوم بعاث ، في ساعة ؟ أما تخشى يا محمد الدوائر ؟» فقال : «حلوهم ، لعنهم الله ولعنه معهم» . وأعفاهم من القتل ، وأجلاهم إلى الشأم . فنزلوا أذرعات . فلم يلبثوا إلا قليلا حتى هلكوا . وقبض رسول الله ﷺ أموالهم . وكانوا صاغة ، لا أرضين لهم . وكان الذي أخذ من سلاحهم ثلاث قسيّ : قوسا تدعى «الكتوم» ، كسرت يوم أحد ، وأخرى تدعى «الروحاء» ، وأخرى تدعى «البيضاء» ؛ ودرعين : درعا يقال لها «السُغْدية» ، وأخرى يقال لها «فضّة» ؛ وثلاثة أسياف : سيفا قلعيا ، وآخر يقال له «بتار» ، وآخر لم يسمّ.وثلاثة أرماح . ووُجد في حصونهم سلاح كثير ، وآلة من آلات الصياغة . فأعطى سعدَ بن معاذ درعا من دروعهم المذكورة . وأعطى محمد بن مسلمة درعا أخرى . وكان خليفة رسول الله ﷺ على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر أيضاً .

ـ ثم غزاة السَّويق في ذي الحجة سنة اثنتين .

وسببها أن أبا سفيان بن حرب حرّم على نفسه الدهن حتى يثأر من رسول الله ﷺ وأصحابه ، بمن أصيب من المشركين يوم بدر ، فخرج في مائتي راكب ، ويقال في أربعين راكباً . وصار إلى بني النضير ليلاً ، فطرق ومن معه حُيي بنَ أخطب اليهودي ، ليخبره من أخبار رسول الله ﷺ بما أحبّ معرفته . فأبى أن يفتح لهم .

وطرقوا سلام بن مِشْكَم ، ففتح لهم ، وقراهم ، وسقى أبا سفيان خمرا ، فلما كان السحر ، خرج أبو سفيان ومن معه ، فلقي رجلاً من الأنصار في حرث له ، فقتله . وقتل أجيراً له كان معه . وحرّق بعض حرثها . ورأى أن يمينه قد حلّت ، فمضى هاربا ، وخاف الطلب . وبلغ رسولَ الله ﷺ خبره ، فندب أصحابه . فخرج وخرجوا يريدونه . وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون ويُلقون جُربَ السويق ، وهي عامة أزوادهم . فجعل المسلمون يمرّون بها فيأخذونها . فسميت الغزاة ذات السويق . ولم يلق رسول الله ﷺ فيها كيدا . وفي سلام بن مشكم يقول أبو سفيان بن حرب :

سقاني فروّاني كميتا مُدامـة   على ظمأ مني سلام بن مشكم

فذاك أبو عمرو يجود ودارُه   بيثربَ مأوى كل أبيض خضرم[1]

وقال بعضهم : كانت كنية سلام «أبا الحكم» ، ويروى هذا البيت :

أبو الحكم خيرٌ في الرجال ودارُه   بيثربَ مأوى كل أبيض خضرم

وكان الزهري يقول : كنيته «أبو عمرو» . وكان خليفة رسول الله ﷺ على المدينة أيضاً أبا لبابة .

١ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٧٢ مع فوارق .

ـ ثم غزاة قَرقرة الكُدْر .

وبعضهم يقول : «قَرارة» . والأول أثبت . وكانت في المحرم سنة ثلاث . وكان سببها أنه بلغ رسولَ الله ﷺ أن بها جمعاً من غطفان وبني سُلَيم ، فسار إليهم ، فتفرّقوا ، ولم يلق كيدا ، ووجد لهم نعما مع رُعاتها . ويقال إنه وجد نعما وشاءً . وكانت النعم خمس مائة بعير . وقسّم ذلك بين المسلمين . وكان خليفة رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم .

ـ ثم غزاة بني غطفان ، بذي أمر ، بنجد .

وكانت في شهر ربيع الأول سنة ثلاث ، وكان سببها أن جمعا من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيث بن غطفان ، وبني محارب بن خَصَفة بن قيس تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ ، وكان الذي جمعهم دُعْثُور بن الحارث المحاربي .

وبلغ رسولَ الله ﷺ خبرهم ، فخرج في أربع مائة وخمسين . وصار إلى ذي القِّصّة ، فلقي بها رجلاً من بني ثعلبة . فقال له المسلمون : أين تريد ؟ فقال : أريد يثرب لأرتاد لنفسي وأنظر ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام . فأسلم ، وأخبر أن المشركين تجمعوا . فلما بلغهم خبره ، هربوا إلى رؤوس الجبال . وكان اسم الرجل جبّارا . ولم يلق رسول الله ﷺ في هذه الغزاة كيدا .

قالوا : ونظر دُعْثُور إلى رسول الله ﷺ مضطجعاً تحت شجرة . فأقبل ومعه سيفه ، فقال : من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره ، فوقع السيف من يده . فأخذه رسول الله ﷺ ، وقال : من يمنعك مني اليوم ، يا دُعثور ؟ فقال : لا أحد ؛ وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؛ والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله ﷺ

سيفه ، فمضى إلى أصحابه ، فدعاهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما رأى . وفيه نزلت الآية : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذْكُروا نعمةَ الله عليكم إذ هَمّ قوم أن يبسْطُوا إليكم أيديهم﴾ ، الآية[1] . وكانت غيبة النبي ﷺ عن المدينة إحدى عشرة ليلة . واستخلف عليها عثمان بن عفان رضي الله عنه .

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ١١ .

ـ ثم غزاة بني سُليم بن منصور ببَحران .

وهي ناحية الفُرُع[١] ، في جمادى الأولى سنة ثلاث . وكان سببها أن جمعا من بني سليم تجمعوا ببحران ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ .

فخرج في ثلاث مائة من المسلمين ، ولم يذكر أين يريد ؟ فلما صار ببحران ، وجدهم قد تفرقوا ورجعوا إلى مياههم . فانصرف ولم يلق كيدا . وكانت غيبته عشر ليال . واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وهو عمرو بن قيس ، أحد بني عامر بن لؤي . وأمه عاتكة مخزومية .

١ ـ قرية من ناحية المدينة فيها عينان يسقيان عشرين ألف نخلة . الروض الأنف ج ٣ ص ١٤٢ .

ـ ثم غزاة أحد[1]

وكانت الوقعة يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال سنة ثلاث .

وكان سببها أن أبا سفيان قدم بعير قريش ، فوقفها في دار الندوة . فلما رجع المشركون من بدر إلى مكة ، مشت أشرافُ قريش إلى أبي سفيان بن حرب : الأسود بن المطلب بن أسد ، وجبير بن مطعم ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل بن هشام ، والحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، وحويطب بن عبد العزى ، وحجير بن أبي إهاب ، فقالوا : يا أبا سفيان ، احتبس هذه العيرَ فإنها أموال أهل مكة ، وهم طيّبوا الأنفس بأن يجهزوا بما فيها جيشا كثيفا إلى محمد ، فقد ترى من قتل من أبنائنا وعشائرنا .

ويقال : بل مشى أبو سفيان إلى هؤلاء الذين سمينا ، وغيرهم . فدعاهم إلى توجيه جيش إلى رسول الله ﷺ بأثمان ما في العير ، فباعوا ما كان فيها بذهب العين ، وتجهّزوا به ، وقال بعضهم : إنهم تجهزوا بأرباح ما فيها ، وكانوا يربحون للدينار دينارا .

وبعثوا إلى أربعة نفر من قريش ـ وهم عمرو بن العاص ، وهُبيرة بن

---

١ ـ في هامش الأصل : بلغ العرض بأصل ثالث ، ولله الحمد .

أبي وهب المخزومي ، وابن الزبعرى ، وأبو عزّة الجمحي واسمه عمرو بن عبد الله - فساروا في العرب يستنجدونهم ويستنصرونهم على رسول الله ﷺ . وكان أبو عزّة كنانيا ، امتنع من النفوذ لما وجهوه له ، وقال : إنّ بلاء محمد عندي حسن : أطلقني يوم بدر بلا فداء . فلم يزالوا به حتى خرج ، وهو يقول :

أيا بني عبد مناة الرزّام   أنتم حماة وأبوكم حام
لا تسلموني لا يحلّ إسلام   لا يَعِدُوني نصركم بعد العام

وخرج النفر ، فجمَّعوا جمعاً من ثقيف وكنانة وغيرهم ، وتوجّه المشركون إلى المدينة وخرجوا معهم بالظُّعُن . فأخرج أبو سفيان بن حرب هندَ بنت عتبة أم معاوية ، وأميمة بنت سعيد بن وهب بن أشيم الكنانية امرأته . وأخرج صفوانُ بن أمية بن خلف الجمحي برزةَ بنت مسعود الثقفي ، وهي أم عبد الله بن صفوان الأكبر ، والبَغُوم بنت المعذّل الكنانية ، وهي أم عبدالله بن صفوان الأصغر ، وخرج طلحة بن أبي طلحة العبدري بامرأته سُلاَفة بنت سعد بن شهيد الأوسية ، وهي أم بني طلحة : مسافع والحارث ، وكلاب ، وجُلاس الذين قتلوا يوم أحد . وخرج عكرمة بن أبي جهل بامرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وخرج الحارث بن هشام بامرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج عمرو بن العاص بن وائل السهمي بامرأته هند بنت منبّه بن الحجّاج السهمي ، وهي أم عبد الله بن عمرو بن العاص . وخرجت خناس بنت مالك بن المضرّب مع ابنها أبي عزيز بن عمير ، أخي مصعب بن عمير العبدري . وخرج الحارث بن سفيان بن عبد الأسد بامرأته رملة بنت طارق بن علقمة ، من كنانة . وخرج كنانة بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بامرأته

أم حكيم بنت طارق . وخرج سفيان بن عويف بامرأته قُتيلة بنت عمرو بن هلال . وخرج النعمان ، وجابر ابنا عمرو مسك الذئب الكناني بأمهما الدُّغينة . وخرجت عمرة ، التي رفعت اللواءَ حين قُتل من قُتل من بني عبد الدار يوم أحد ، مع زوجها .

ـ وكان أبو عامر عبد عمرو بن صيفي الراهبُ خرج في خمسين رجلاً من الأوس حتى قدم بهم مكة . وذلك حين هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فأقام مع قريش ، ولم يسر معها إلى بدر ، ولكنه سار معها إلى أحد ، فقاتل المسلمين .

قالوا : وخرج نساء مكة ، ومعهن الدفوف يبكين قتلى بدر وينحن عليهم .

ولما ورد المشركون يثربَ ، أقبلوا يرعون إبلهم زروعَ الأنصار وقد قرب إدراكها ، وكان قدومهم يثربَ يوم الخميس لخمس خلون من شوال ، والحرب بعد ذلك بيومين . وكان جمع المشركين ثلاث آلاف بمن ضوى إلى قريش . وقادوا مائتي فرس . وكان فيهم سبع مائة دارع . ومعهم ثلاثة آلاف بعير .

فكتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ يُخبره بذلك ويقول له : «اصنع ما كنتَ صانعاً إذا وردوا عليك ، وتقدّم في استعداد التأهب» . وبعث بكتابه إليه مع رجل اكتراه من بني غفار . فوافي الغفاري رسول الله ﷺ وهو بقباء، فلما دفع كتابَ العباس إليه، قرأه عليه أبيّ بن كعب، واستكتمه ما فيه ، وأتى سعدَ بن الربيع فأخبره بذلك واستكتمه إياه . فلما خرج رسولَ الله ﷺ من عند سعد ، أتته امرأته فقالت : ما قال لك رسول الله ؟ فقال : وما أنت وذاك ، لا أم لك . قالت : قد كنتُ أتسمع عليك ،

وأخبرت سعدا بما سمعت . فاسترجع وقال : أراك كنت تسمعين علينا . وانطلق بها إلى رسول الله ﷺ ، فأدركه فأخبره خبرها ، وقال : يا رسول الله إني خفتُ أن يفشو الخبر فترى أني المفشيء له وقد استكتمتني إياه . فقال رسول الله ﷺ : خلّ عنها .

ـ قالوا : وتسلح وجوه الأوس والخزرج ليلة السبت ، وحرس سعدُ بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن عبادة رسولَ الله ﷺ ، وباتوا ببابه في جماعة . وحرست المدينة ، وخطب رسولُ الله ﷺ الناسَ يوم السبت ، فقال : إني رأيتُ في منامي كأني في درع حصينة ، وكأنّ سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظُبته ؛ ورأيتُ بقرا تذبح ، ورأيتُ كأني أردفتُ كبشاً . فسئل عن تأويلها ، فقال : أما الدرع فالمدينة ، فامكثوا فيها ؛ وأما انقصام سيفي ، فمصيبة في نفسي ، وأما البقر المذبح ، فقتل في أصحابي ، وأما الكبش المردف ، فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله .

وروى أيضاً أنه قال : وأما انقصام سيفي ، فقتل رجل من أهل بيتي .

وروي أنه قال ﷺ : ورأيت في سيفي فَلاّ ، فهو الذي ناله في وجهه .

وكان رأي ذوي الأسنان من الأنصار ومن رأى رأيهم من المهاجرين أن تجعل النساء والذراري في الآطام ويمكث المقاتلة في المدينة ، وقالوا : نقاتلهم في الأزقة ، فنحن أعلم بها منهم ، وأشار عبد الله بن أبيّ بمثل ذلك . فكرهه قوم لم يكونوا شهدوا بدرا ، وتسرعوا إلى الخروج وبهشوا[1] إليه ، وقال قائلهم : هي إحدى الحسنيين : الظفر أو الشهادة ؛ والله لا تطمع العربُ في

١ ـ في هامش الأصل : أي ارتاحوا .

أن يدخل علينا منازلنا ، ولا يظن ظانّ أنا هبنا عدونا فيجترىء علينا . وخرج الناس بجدّ ونشاط . وقال إياس بن أوس بن عتيك : نحن بنو عبد الأشهل ، وإنا لنرجو أن نكون البقر المذبح . وقال النعمان بن مالك بن ثعلبة ، أخو بني سالم : البقر المذبح قتلى من أصحابك وأنا منهم . وقال رسول الله ﷺ : «إنّ التثبط عجز ، ومع الصبر النصر ؛ فاصبروا فإن النصر معكم ما صبرتم» .

ـ قالوا : ونزل ابن أُبيّ ناحية من العسكر ، وقال له قوم من أصحابه المنافقين : أشرتَ بالرأي ، فلم يقبل منك وأطاع هؤلاء الغلمانَ الذين معه . فانصرف في ثلاث مائة ، وهو يقدمهم كأنه هيق[1] ، وقال : ما ندري على ما نقتل أنفسنا . فلحقهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بني سلمة في أناس من المسلمين وقالوا لهم : «ويلكم ، ألا تستحيون ؟ قاتلوا عن بيضتكم ، وادفعوا عن حوزتكم» . وقال عبد الله بن عمرو : ويحك لم ترض بأن انخزلت راضيا بالمدينة حتى ثبطت من ثبطت معك . فقالوا : لو نعلم قتالا لا تبعناكم ، وما أسلمناكم . وأبوا أن يرجعوا . فأنزل الله فيهم : ﴿وليعلَمَ الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادْفعَوا قالوا لو نعلم قتالا لاتّبعناكم﴾ ، الآية[2] . وشمت ابن أبيّ بمصاب من أصيب من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال : أشرتُ عليه بالرأي فلم يقبله وقبل رأيَ الصبيان .

ـ وولىّ رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصاري الحرسَ ، فكان يطوف حول العسكر وفي أعراضه في خمسين رجلا . وأدلج رسولُ الله

---

١ ـ في هامش الأصل : الهيق : الظليم . أي ذكر النعامة .
٢ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٦٧ .

ﷺ للقاء المشركين ، فمرّ بحائط لمربع بن قيظي ، وكان أعمى منافقا ، فقال : يا محمد إن كنتَ رسول الله كما تقول ، فلا تدخل حائطي . وجعل يحثو التراب في وجوه المسلمين . فضربه سعد بن زيد بن مالك الأشهلي بقوس كانت معه ، فشجّه . فغضب له ناس من بني حارثة بن الحارث ، وهم قومه وكانوا على مثل رأيه . فهمّ بهم أسيد بن حضير حتى أومى إليه رسول الله ﷺ ، فكفّ .

وكان مع المسلمين يوم أحد فرسان : فرس لرسول الله ﷺ ، وفرس لأبي بُردة بن نِيار البَلوي حليف الأوس . وكانت عدّة المسلمين ألف رجل . ويقال : كانوا ضعفهم يوم بدر . وكان فيهم مائة دارع . وعرض رسول الله ﷺ حين أتى الشيخين غلمانا ، منهم عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد وزيد بن أرقم ، والبرآء بن عازب ، وأسيد بن ظهير ، وعرابة بن أوس بن قيظي ، وأبو سعيد الخدري ، وسمرة بن جُندب ، ورافع بن خديج . فقال رافع : جعلت أتطاول ؛ وقد قيل لرسول الله ﷺ إني رام ، فأجازني . وقال سمرة لربيبه مُرَيّ بن ثابت بن سنان الخزرجي ، وهو زوج أمه : يا أبه ، أجاز رسولُ الله رافعَ بن خَديج وردّني . فقال مريّ : يا رسول الله ، أجزتَ رافعا ورددتَ ابني وابني يصرعه . فقال رسول الله ﷺ : تصارعا . فصرع سمرةُ رافعا . فأجازه . وكانت أم سمرة امرأة من بني أسد .

وقال الكلبي : هي الكلفاء بنت الحارث ، من بني فزارة . وقال الواقدي ، ذكر بعض الرواة أنه أصاب رافعا يوم أحد سهم في ترقوته . فكان إذا ضحك فاستغرب ، ندى ، فقال له رسول الله ﷺ : إن شئت دعوتُ الله لك فبرأتَ ، وإن شئت تركتَه ، فإذا متّ كنتَ شهيدا . فتركه .

حدثني محمد بن حاتم بن ميمون ، ثنى عبد الله بن إدريس الأودي ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال :

عُرِضتُ على رسول الله ﷺ يوم أحد فاستصغرني ، وعرضتُ عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني .

ـ وصفّ المشركون يوم أحد صفوفَهم ، وجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ، وعلى الخيل صفوان بن أمية ويقال عمرو بن العاص ، وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة وكانوا مائة رام .

ـ وسوّى رسول الله ﷺ صفوفَ المسلمين وأقامها إقامة القدح ، فلم يزل منكب عن منكب . واتخذ ميمنة وميسرة . وخطب الناس ورغبهم في الجهاد ، وحثهم على الصبر واليقين والجدّ والنشاط ، ودفع لواءَ المهاجرين إلى علي عليه السلام ، ثم سأل عن لواء المشركين ، فقيل : دفع إلى طلحة بن أبي طلحة . فقال : نحن أحق بالوفاء ، فدفعه إلى مصعب بن عمير العبدري . وكان لواء الأوس مع أسيد بن حضير . ولواء الخزرج مع سعد بن عبادة ، ويقال مع الحُباب بن المنذر . وكان شعار النبي ﷺ يومئذ «أمت أمت» . ورتّب رسول الله ﷺ الرماة ، وجعل عليهم عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية البُركي الأوسي ، أخا خوّات بن جبير صاحب ذات النِّحيين . واستقبل رسول الله ﷺ المدينة وجعل أحدا وراءه . وقال للرماة ، وهم خمسون : «الزموا مكانكم فلا تريموا ، واحموا ظهورنا بنبلكم ، وإن رأيتمونا قد هزمناهم ، فأقيموا ولا تبرحوا» . فجعلوا يرشقون المشركين : فما يقع سهم من سهامهم إلا في رجل أو فرس .

ـ قالوا : وكانت امرأة من بني شيبان قالت يوم قضّة ، وهو من أيام

بكر وتغلب ابني وائل ويدعى يوم التحالق :

إن تَقبلوا نُعانق ونفرش النمارق
أو تُدبروا نفارق فراقَ غير وامق

فجعل نساء قريش يضربن يوم أحد بالدفوف ، ويقلن :

نحن بنات طارق[1] نمشي على النمارق
إن تُقبلوا نعانق أو تُدبروا نفارق
فراق غير وامق

يُردن : نحن بنات الكوكب ، لرفعته ، وأنه لا يُنال . ويقال إن رملة بنت طارق ، وأم حكيم بنت طارق قالتا ذلك ، وقال النساء معهما . وكان النبي ﷺ إذا سمع قولهن هذا ، قال : اللهم إني بك أحول وأصول ، وفيك أقاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل . قالوا : ورأت عائشة بناتَ طارق بن المِرقع ، من كنانة ، فقالت : كذب الذي قال «إنّ الخيل أحسن من النساء» .

ـ واستحرّ القتل في أصحاب لواء المشركين . ورأى النساءُ برجالهن أمرا عظيما ، حتى ولولن ، وتركن ما كن فيه . فانهزم المشركون ، حتى انهزمت هندُ بنت عتبة وصواحبها متحيرات ما دونهن دافع ولا مانع ، وحتى لو يشاء المسلمون لأخذوهن . ودخل المسلمون عسكر المشركين ، فأقبلوا يغنمون وينّهبون مكبّين على ذلك ، ورسول الله ﷺ يدعوهم إلى اتباع القوم ويقول : إن الغنائم لكم . وأخلَّ الرُّماة ، وهم خمسون ويقال أربعون ، بمكانهم وأقبلوا ينتهبون . فقال لهم ابن جبير صاحبهم : ما هذا ؟ فقال قائلهم : إنما أمر رسول الله ﷺ بالوقوف ما دامت الحرب . وتركوا الجبل .

---

١ ـ طارق : كوكب الصبح ، وأرادت إن أبانا في الشرف كالنجم المضيء ، أو أنها من المخدرات اللاتي لا يبرزن إلا ليلاً كالنجم . القاموس .

فلما رأى المشركون فعلهم ، كرّوا على المسلمين ، فانحدر خالد بن الوليد من الجبل في كتيبة ، وألحّ المشركون على المسلمين بالحرب وأكثروا فيهم القتل . فلم يثبت مع رسول الله ﷺ إلا خمسة عشر رجلا ، فكانوا لا يفارقونه وحموه حين كرّ المشركون . وهم أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وأبو عبيدة بن الجراح . ومن الأنصار : الحباب بن المنذر ، وأبو دجانة ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، والحارث بن الصمة ، وسهل بن حنيف ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ . وكان رافع بن خديج يحدّث أن الرماة لما انصرفوا ، نظر خالد إلى خلاء الجبل ، وإخلال الرماة بمكانهم ، فكرّ على الخيل . واتبعه عكرمة بن أبي جهل .

وبايع رسول الله ﷺ يوم أحد على الموت ثمانيةٌ : علي بن أبي طالب ، والزبير ، وطلحة ، وأبو دجانة ، والحارث بن الصمة ، وحباب بن المنذر ، وعاصم بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، فلم يقتل أحد منهم ، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس حين انهزموا ، وهو في أخراهم ، إلى الرجوع . ورمى مالك بن زهير الجشمي رسول الله ﷺ ، فاتقاه طلحة بيده فأصاب السهم خنصره فشلت ؛ وقال حين أصابته الرمية : «حس» . فقال النبي ﷺ : «لو قال بسم الله ولم يقل حس ، لدخل الجنة والناس ينظرون إليه» . ويقال إن الذي رمى رسولَ الله ﷺ فأصاب خنصر طلحة : حِبّان بن العرِقة ، وقال حين رماه : **خذها وأنا ابن العرقة . فقال له النبي ﷺ : «عرّق الله وجهك في النار»** . وهو قول الكلبي : وقال ابن الكلبي : هو حبان بن أبي قيس بن علقمة بن عبد ، من بني عامر بن لؤي . وأم عبد : قلابة بنت سعيد بن سهم ، وهي العرقة ، فنسبوا إليها . ويقال إن يد طلحة شلت إلا السبابة

والإبهام . والأول أثبت . وضرب طلحة يوم أحد على رأسه المصلبة . فذكر ضرار بن الخطاب الفهزي أنه ضربه على رأسه ضربة ، ثم كرّ فضربه أخرى .

وكان في الرماة الحارث بن أنس بن رافع ، فجعل يقول لأصحابه : احفظوا وصية نبيكم ، احفظوا عهد نبيكم . ولم يبرح في نفر ثبتوا معه . فقتل عبد الله بن جبير والنفر ، وقوم ثابوا إليه بعد كرور خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل .

ـ وانتقضت صفوف المسلمين . وشطبت رباعيةُ رسول الله ﷺ ، وشقت شفته ، وكُلم في وجنتيه وفي أعلى جبهته ، وكان عبد الله بن شهاب الزهري ـ جد محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ـ وعتبة بن أبي وقاص ـ أخو سعد بن أبي وقاص ـ ، وابن قَميئة الأدرمي ـ من بني تيم بن غالب ، فكان تيم أدرم ، ناقص الذقن وأبيّ بن خلف الجمحي ، وعبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ تعاقدوا على قتل رسول الله ﷺ ، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته ، وأما عتبة بن أبي وقاص فرماه بأربعة أحجار فكسر رباعيته اليمنى وشقّ شفته السفلى ، وأما ابن قميئة الأدرمي فكلم وجنتيه وغيب حلق المغفر فيها ، وعلاه بالسيف فلم يقطع . وسقط رسول الله ﷺ فجُحشت ركبته .

وأما أبي بن خلف فشدّ عليه بحربة ، فأعانه الله عليه فقتله ، وكان لما شدّ عليه بالحربة يقول : لأقتلنك بها يا محمد ، فقال رسول الله ﷺ : بل أنا قاتلك إن شاء الله ، فيقال إنه انتزعها من يده ، فقتله بها ، ويقال إنه أخذ حربة من الزبير ؛ ويقال : من الحارث بن الصمة ، فطعنه بها . فكان أبيّ

يقول : قتلني محمد ، فقيل : إنه إنما خدشك . فقال : أنا أعلم بالأمر . فسقط ومات في الطريق .

وأما عبد الله بن حميد فأقبل يريد رسول الله ﷺ ، فشدّ عليه أبو دجانة فضربه ، وقال : خذها وأنا ابن خرَشة . فقال رسول الله ﷺ : «اللهم ارضَ عن ابن خرشة ، فإني عنه راض» .

ـ وكانت أم أيمن حاضنةُ رسول الله ﷺ تسقي المسلمين الماء في نسوة من نساء الأنصار ، فرماها حبان بن العرقة بسهم فأصاب ذيلها [فعقلها(١) وانكشف عنها] ، فاستغرب ضحكا . فدفع رسول الله ﷺ إلى سعد بن أبي وقاص سهما ، وقال : ارمه . فأصابه ، فسقط مستلقيا ميتا [وبدت عورته](١) فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، وقال : «استقاد لها سعد ، أجاب الله دعوتك وسدّد رميتك» .

ـ ونادى أبو عامر الراهب : أنا أبو عامر ، فقالت له الأنصار : لا مرحبا بك ولا أهلا يا فاسق ، فقال : لقد أصاب قومي بعدي شرّ ، واستشهد ابنه حنظلةُ بن أبي عامر ، وكان قد تزوج امرأة وبات عندها بإذن رسول الله ﷺ . فلما اجتمع المسلمون للقتال ، خرج جُنُباً ، فقاتل حتى استشهد ، فرآه رسول الله ﷺ والملائكة تغسله بماء المزن ، فبعث إلى امرأته فسألها عن شأنه ، فأخبرته أنه خرج إلى الحرب جُنبا لا يتمالك من الزماع(٢) وحُبّ لقاء المشركين . فهو غسيل الملائكة . وولده يعرفون ببني الغسيل .
وكان على رسول الله ﷺ يوم أحد درعان ، ومغفر ، وبيضة .

---

١ ـ عقلها : صرعها ، وزيد ما بين الحواصر من مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٤١ .
٢ ـ أي السرعة فالشجاع يزمع بالأمر ثم لا ينثني . القاموس .

ـ وحدثني عبد الواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ ثابت البناني ، عن أنس بن مالك :

أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد ، وهو يسلت الدم عن وجهه وينفضه : «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله» ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوبَ عليهم أو يعذّبهم فإنهم ظالمون﴾[1] .

وحدثني عفان بن مسلم الصفار ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة :

أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد : «اشتدّ غضب الله على قوم همزوا البيضة على رأس نبيهم وهو يدعوهم إلى الله» . قالوا : ودخل حَلَقٌ من حلق المغفر في وجنة رسول الله ﷺ ـ ويقال : حلقتان ـ فانتزعها أبو عبيدة بن الجرّاح بأسنانه حتى سقطت ثنيتاه . فلم ير قط أثرم كان أحسن فماً منه .

وقال الواقدي : يقال إن الذي انتزع حلقَ المغفر عقبةُ بن وهب بن كلدة الغطفاني حليف الأنصار ، ويقال أبو اليسر .

وقال ابن أبي الزناد ، عن أبيه: يُروى

أنهم عالجوها جميعا ، فانكسرت ثنيتا أبي عبيدة من بينهم ، واتفق خروج الحلق لعقبة بن وهب .

قال الواقدي : كان أبو سعيد الخدري يحدث :

أن رسول الله ﷺ لما أصيب يوم أحد ما أصيب ، دخلت حلقتان من المغفر في وجنتيه ، فلما نُزعتا ، جعل الدم يسرب كما يسرب الشنّ . قال : فجعل أبي ـ مالك بن سنان ـ يأخذ الدم بفيه ويمجّه ويزدرد منه . فقيل له :

---

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٢٨ .

أتشرب الدم ؟ فقال : نعم ، دم رسول الله ﷺ . قال رسول الله ﷺ : «من مسّ دمه دمي ، لم تمسه النار» .

ـ ودعا عبدُ الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وهو مع المشركين ، إلى البراز ، فأراد أبو بكر رضي الله تعالى عنه أن يبارزه . فقال له رسول الله ﷺ : يا أبا بكر ، شم سيفك وأمتعنا بنفسك ، وأعان ابن شعوب أبا سفيان على حنظلة الغسيل ، وكان حنظلة قد علا أبا سفيان . فقال أبو سفيان :

ولو شئتُ نجتني كميتٌ طِمِرَّةٌ ... ولم أحمل النعماءَ لابن شَعوب
وسَلَّ شجون النفس بالأمس أنني ... قتلتُ به مل الأوس كل نجيب
ومازال مهري مَزْجَرَ الكلب منهم ... لدن غدوة حتى دنت لغروب

ـ واستشهد حمزةُ بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه ، وكان قد بارز أبا نيار سِباع بن عبد العزى الخزاعي ، وكانت أمه قابلة بمكة ، فقال له حمزة : إليّ يا بن مقطعة البظور . فقتله حمزة ، وأكبّ عليه ليأخذ درعه ، فزرقه وحشي الحبشي فقتله ، وأخذ كبده فأتى بها هندَ بنت عتبة فمضغّتها ثم لفظّها ، وجاءت فمثّلت به ، واتخذت مما قطعت منه مَسكين ومِعضدتين وخَد مَتين ؛ وأعطت وحشيا حليا كان عليها من ورِق وجزع ظَفَار ـ وظفار جبل باليمن يؤتى منه بهذه الحجارة ـ وأعطته خواتيم ورِق كانت في أصابيع رجلها . وكان حمزة قتل أباها يوم بدر . ودفن رسول الله ﷺ حمزة ، وعبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي ـ وأمه أميمة بنت عبد المطلب ـ في قبر واحد . وكان حمزة صائما ، فاستشهد ولم يفطر .

ـ قالوا : ضرب بعض المسلمين بعضا حين اختلطوا ولم يذكروا شعارا . فضرب أبو بردة بن نيار : أسيدَ بن حضير وهو يظنه كافراً . وضرب أبو زعنة أبا بردة ضربتين وهو لا يعرفه . فقال رسول الله ﷺ : من

قُتل منكم فهو شهيد . والتفَتْ سيوف المسلمين على أبي «حذيفة بن اليمان» ، وهو حُسَيل بن جابر ، فقتل ، وحذيفة يقول : «أبي أبي» . ثم قال : ﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾[1] . ويقال إن الذي أصابه عتبة بن مسعود ، فوهب حذيفة دمه للمسلمين . ويقال إنّ النبي ﷺ أمر بديته أن تخرج . وأظهر المسلمون الشعار بعدُ ، فكفّ بعضهم عن بعض .

- وقال الواقدي ، حدثني ابن أبي سبرة ، عن عبد المجيد بن سهيل قال :

لم يمدّ رسول الله ﷺ يوم أحد بملك واحد .

قال : وحدثني معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : حضرت الملائكة ولم تقاتل لما كان من المسلمين .

- قالوا : وادّعى ابن قميئة قتلَ رسول الله ﷺ ، وذلك أنه كان علاه بالسيف فلم يقطع ، ونادى : قتلتُ محمدا . فقال له أبو سفيان : إذن نسوّرك كما تفعل الأعاجم . فقال خالد بن الوليد : كذب ابن قميئة ، رأيت محمداً في نفر من أصحابه مصعدين في الجبل . فقال أبو سفيان : كذب ابن قميئة .

وقاتل رسول الله ﷺ يوم أحد قتالا شديدا ، فرمى بالنبل حتى فنيت نبله ، وتكسرت سية قوسه ، وانقطع وتره .

- قالوا : وكان الرماة المذكورون من أصحاب النبي ﷺ : سعد بن أبي وقاص ، فرمى مالك بن زهير فأصاب عينه وخرج السهم من قفاه ؛ فقتله الله ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمقداد بن عمرو البهراني وزيد ابن حارثة مولى النبي ﷺ ، وحاطب بن أبي بلتعة ؛ وعتبة بن غزوان ،

---

١ - سورة يوسف - الآية : ٩٢ .

وخراش بن الصمة ، وأبا طلحة ، وقطبة بن عامر ، ويقال : عمرو بن حديدة ، وبشر بن البراء بن معرور ، وأبا نائلة سِلكان بن سلامة ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، وقتادة بن النعمان الظفري . وكان أبو رُهم الغفاري رُمي بسهم فوقع في نحره ، فتفل رسول الله ﷺ ، فسلم ؛ فكان أبو رهم يسمى «المنحور» .

ـ وكان سعد يقول : لقد حرصتُ على قتل أخي . ولقد كان ، ما علمته عاقاً لوالديه ، سيء الخلق ، واعتمدته . فراغ عني روغان الثعلب .

ـ وقال الواقدي : دعا رسول الله ﷺ على الذين تعاقدوا على قتله ، فقال : اللهم لا تُحُلْ على أحد منهم الحول . فمات عتبة من وجع أليم أصابه ، فتعذّب به . وأصيب ابن قميئة في المعركة . ويقال إنه لما رمى مصعبَ بن عمير فقتله ، قال : أنا ابن قميئة ، قال : رسول الله ﷺ : أقمأك الله ، فعمد إلى شاة ليحلبها بعد الوقعة ، فنطحته وهو معتقلها ، فقتلته ، ووُجد ميتاً بين الجبال . ولم يذكر الواقدي وابن شهاب مهلكه، وأحسب ذلك بالوهم منه[1] .

وكان من أمر أبيّ وابن حُميد ما قد ذكرناه . وبعضهم يزعم أن عبد الله بن حميد قتل يوم بدر ، والثبت أنه قتل يوم أحد . وحدثني بعض قريش أن أفعى نهشت عبد الله بن شهاب في طريقه إلى مكة . فمات . وسألت بعض بني زهرة عن خبره ، فأنكر أن يكون رسول الله ﷺ دعا عليه ، أو يكون شجّ رسولَ الله ﷺ . قالوا : الذي شجه في جبهته عبد الله بن حميد الأسدي .

---

١ ـ مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

ـ قالوا : ورأت فاطمة عليها السلام ما بوجه رسول الله ﷺ ، فاعتنقته وبكت وجعلت تمسح الدم عن وجهه ، وأتى علي عليه السلام بماء ، فجعلت تغسل وجهه ، وقال رسول الله ﷺ : لن ينالوا منا مثلها أبدا ، فلم يرقأ الدم حتى أحرقت فاطمةُ قطعةَ حصير ، وأخذت رمادها فألصقته بالجرح . وروي أنه دُووي بصوفة محرّقة ، ويقال إنّ رسول الله ﷺ تداوى بعظم بالٍ .

ـ قالت صفية بنت عبد المطلب : كنا بفارع ، ومعنا حسان بن ثابت . فجاء يهود فجعلوا يرمون الأطم ، فقلت : إليك يا بن الفريعة . فقال : والله ما أستطيع ذلك . وصعد يهودي إلى الأطم . فقلت : شُدّ السيف على يدي . ففعل . فضربتُ عنقه ، ورميتُ إلى أصحابه برأسه . قالت : وأشرفتُ من الأطم في أول النهار ، فرأيتُ المزراق زُرق به . فقلت : أو من سلاحهم المزاريق ؟ ولم أعلم أنه إنما وقع بأخي حمزة ، وكانت تحدّث أنها كانت تعرف انكشاف المسلمين برجوع حسان إلى أقصى الأطم . وكان إذا رأى الدولة للمسلمين ، أقبل حتى يقف على جدار الأطم .

ـ قالوا : وسأل رسول الله ﷺ عن حمزة . فخرج الحارث بن الصمة في طلبه ، فأبطأ ، فخرج عليّ في أثره ، وهو يقول :

يا رَبّ إنّ الحارث بن الصِّمّة كان رفيقاً وبنا ذا ذمّة
قد ضلّ في مهامه مُهِمّة يلتمس الجنّة فيها ثَمّة(1)

ـ وكان عمرو بن ثابت بن وقش شاكّاً في الإسلام . فلما كان يوم أحد ، أسلم وقاتل حتى استشهد . فقال رسول الله ﷺ : «إنه لمن أهل الجنة» ؛ فهو الذي دخل الجنة ولم يصلّ صلاة قط .

١ ـ ديوان الامام علي ـ ط . مؤسسة الأعلمي بيروت ، ص ٩١ مع فوارق .

وكان مخيريق حبراً عالما ، فقال يوم أحد لليهود : والله إنكم لتعلمون أن محمدا نبى وأن نصره حق عليكم . فقالوا : إن اليوم يوم سبت . فقال : لا سبت ، وأخذ سلاحه وقاتل مع رسول الله ﷺ ، فقتل . وكان حين خرج للقتال ، قال : إن أصبتُ فأموالي لمحمد يضعها حيث أراه الله ، فجعلها رسول الله ﷺ صدقة ، وكان مخيريق من بني قينقاع . ويقال من بني النضير . ويقال من بني الفِطْيَون .

- قالوا : وكانت نُسيبة بنت كعب بن عمرو بن مبذول أمّ عمارة امرأة غزّية بن عمر وشهدت يوم أحد ، وزوجها ، وابناها ؛ وخرجت معها بشنّ لها تسقي الجرحى . فقاتلت يومئذ وأبلت ، وجرحت اثني عشر رجلا بسيف ورمح . وكانت في أول النهار تسقي المسلمين والدولة لهم . ثم قاتلت حين كرّ المشركون . فضربها ابن قميئة ضربة بالسيف على عاتقها .

وقاتلت نسبية يوم اليمامة ، فقطعت يدها وهي تريد مسيلمة لتقتله . قالت : فما كانت لي ناهية حتى رأيتُ الخبيثُ مقتولا ، وإذا ابني عبد الله بن زيد المازني يمسح سيفه بثيابه . فقلت : أقتلته ؟ قال : نعم ، فسجدتُ شكراً لله . وولدت نسيبة من غزية بن عمرو المازني تميم بن غزية ؛ ومن زيد بن عاصم بن كعب : حبيبَ بن زيد الذي قطع مسيلمةُ يده ورجله ، وعبد الله بن زيد قتل بالحرّة.

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن يعقوب بن محمد ، عن موسى بن ضمرة بن سعيد ، عن أبيه قال :

أتي عمر بن الخطاب بمروط ، فكان فيها مرط جيد واسع . فقال بعضهم : لو أرسلتَ به إلى زوجة عبد الله بن عمر ، صفية بنت أبي

عبيد ، ـ وذلك حدثان ما دخلتّ على ابن عمر[1] ـ فقال : ابعثوا به إلى من هو أحق به منها ، إلى أم عمارة نُسيبة بنت كعب ، فإني سمعتُ النبي ﷺ ويقول : «ما التفتُّ يمينا وشمالا يوم أحد إلا رأيتها تقاتل دوني» . وكان أبو بكر عادها حين قدمت من اليمامة ، وهو خليفة .

ـ قالوا : وأقبل وهب بن قابوس المزني ، وابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس ، من جبل مزينة ، ومعهما غنم لهما . فدخلا المدينة فإذا الناس خلوف . فقالا : أين الناس ؟ فقيل : بأحد ؛ وأخبرا الخبر . فخرجا فقاتلا حتى قتلا . فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أحبّ ميتة أموت عليها إليّ ما مات عليها المزنيان .

ـ قالوا : وكان ممن ولىّ يوم أحد : الحارث بن حاطب ، وثعلبة بن حاطب، وسواد بن غزيّة، وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان، وخارجة بن عامر ، وأوس بن قيظي في نفر من بني حارثة ، فلقيتهم أم أيمن فجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به . وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه ممن ولّى يوم أحد ، فعفا الله عنه في عدّة من الناس .

ـ قالوا : وجعل أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي يقول : يوم بيوم بدر ، فشدّ عليه علي عليه السلام ، فقتله . فقال رسول الله ﷺ : «أنا ابن العواتك» .

ـ ومرّ مالك بن الدُّخْشُم على خارجة بن زيد بن أبي زهير وبه ثلاث عشرة جراحة ، كلها قد خلص إلى مقتل . فقال : أما علمتَ أن محمدا قد قتل ؟ فقال خارجة : إن قتل فإنّ الله حيّ لا يموت ؛ فقاتل عن دينك فقد

ـــــــــــــ

١ ـ قبل دخولها على ابن عمر .

بلغ محمد رسالةَ ربه وشرع شرائع دينه . ومرّ على سعد بن الربيع ، وبه اثنتا عشرة جراحة ، فقال له كما قال لخارجة . فرّد عليه سعد شبيها بما رّد عليه خارجة .

ولما تحاجزوا يوم أحد ، أقبل أبو سفيان بن حرب على فرس له حَوّاء [١] ، فأشرف في عرض الجبل ثم نادى : «أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ يوم بيوم بدر . ألا إنّ الأيام دُوَل» . فقام عمر رضي الله تعالى عنه : وقال: هذا رسول الله ﷺ ، وهذا أبو بكر، وهذا أنا . ثم نادى أبو سفيان : موعدكم بدر الصفراء على رأس الحول ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : قل نعم . ثم انصرف أبو سفيان إلى أصحابه ، فركبوا الإبل ورجعوا إلى مكة ، ولهم زجل .

وحدثني هدبة بن خالد وعبدالواحد بن غياث ، قالا : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن عكرمة :

أن أبا سفيان قال يوم أحد : اعْل هُبل . فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب : «قل الله أعلى وأجلّ» . فقال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم . فقال رسول الله ﷺ لعمر : «الله مولانا ولا مولى لكم» [٢] فقال أبو سفيان : «الحرب سجال . فيوم علينا ويوم لنا . ويومٌ نُساءُ ويوم نسرّ.فلان بفلان ، وفلان بفلان» . فقال رسول الله ﷺ لعمر : قل له : «لا سواء ، قتلانا في الجنة أحياء يرزقون ، وقتلاكم في النار يعذبون» .

---

١ ـ في هامش الأصل : أي أحمر يضرب إلى سواد . وفي القاموس : شفة حواء : حمراء إلى السواد ، وأحوى : أسود .
٢ ـ انظر سورة محمد ـ الآية : ١١ .

قال الواقدي : سأل مسوَر بن مخرمة الزهري عبدالرحمن بن عوف عن خبر أحد ، فقال : اقرأ ما بعد العشرين ومئة من آل عمران ، وكأنك قد حضرتَنا .

وحدثنا عبدالواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس أن أبا طلحة قال :

رفعتُ رأسي يوم أحد فجعلت أنظر ، فما منهم أحد إلا وهو يميد من النعاس تحت حَجَفته .

وحدثنا عبدالواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير بن العوام بمثله . وتلا هذه الآية : ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغمّ أمنةً نُعاسا يغشى طائفةً منكم وطائفةٌ قد أهمّتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحقّ ظن الجاهلية يقولون [هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون] لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هنا هنا﴾ ، الآية [١] .

وقتل يوم أحد من المشركين نيف وعشرون .

قالوا : واستشهد من المسلمين سبعون . ويقال أكثر من سبعين بثلاثة أو أربعة رجال. فممن استشهد بأحد: حمزة بن عبدالمطلب ، قتله وحشيّ الحبشي . وعبدالله بن جحش الأسدي ، حليف بني أمية ، قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق . وسعد ، مولى حاطب بن أبي بلتعة ، حليف الزبير . وشماس بن عثمان بن الشريك ، قتله أبيّ بن خلف الجمحي ؛ ويقال إنه استشهد يوم بدر ، وذلك غلط . وأصاب أبا سلمة بن عبدالأسد جراح ، فمات منها بعد يوم أحد . ومصعب بن عمير ، قتله ابن قميئة .

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٥٤ .

وقتل عبدالله وعبدالرحمن ابنا الهبيب ؛ وهما من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبدمناة بن كنانة . ووهب بن قابوس ، وابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس .

ومن الأنصار ، من الأوس : عمرو بن معاذ بن النعمان الأشهلي ، أخو سعد بن معاذ بن النعمان ، قتله ضرار بن الخطاب . الحارث بن أنس بن رافع بن امريء القيس الأشهلي . زياد بن سكن بن رافع الأشهلي . وقال بعضهم هو عمارة بن زياد بن السكن . والأول قول الكلبي ؛ وقال الكلبي : قتل عمارة يوم بدر . سلمة بن ثابت بن وقش ، قتله أبو سفيان بن حرب . عمرو بن ثابت بن وقش ، أخوه . قتله ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أحد بني محارب بن فهر . رفاعة بن وقش بن زغبة بن زعوراء ، قتله خالد بن الوليد بن المغيرة . أبو «حذيفة بن اليمان» ، وهو حُسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جروة ، وجروة عبسيّ ، وهو اليمانْ . فنسب حذيفة إليه . وهم حلفاء لبني عبدالأشهل . سمّاه قومه «اليمان» ، لأنه حالف اليمانية . قتله المسلمون خطأ . ويقال : قتله عتبةُ بن مسعود خطأ ، وهو يظنه كافرا . عباد بن سهل ، قتله صَفوان بن أمية . صَيفي بن قيظي الأشهلي ، قتله ضرار بن الخطاب ، وقال الكلبي : قتل الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان الأشهلي يوم أحد ، فيجعله مكان صَيفي بن قيظي . وقال الواقدي : قتل الحُباب بن قيظي ، أخو صَيفي . وإياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبدالأعلم بن عامر بن زَعْوراء بن جشم ، أخو عبدالأشهل بن جشم بن زعوراء ، قتله ضرار بن الخطاب . وقال الكلبي : إنما هو أوس بن أوس ، قال : وقتل إياس بن أوس يوم الخندق . وقال الكلبي : قتل يوم أحد الحارث بن أوس بن عتيك ، فيجعله مكان

الحُباب بن قيظي . وعتيك بن التيهان ، أخو أبي الهيثم مالك بن التيهان ، قتله عكرمة بن أبي جهل المخزومي . ورجل من بني عبدالأشهل أو حلفائهم ، يقال له حَبيب بن يزيد بن تيم ، ويقال حُبَيْب . وأبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد بن ضُبيعة ، أحد بني عمرو بن عوف ، وهو أخو نبتل المنافق . وأبو سفيان هو أبو البنات . قال : أقاتل ثم أرجع إلى بناتي ؛ فلما رأى الدولة للمشركين ، قال : اللهم إني لا أريد أن أرجع إلى بناتي . ولكني أريد أن أقتل . فقال رسول الله ﷺ : «لقد صدق الله بقول أخلص له ، وصدق في قوله» . حنظلة بن أبي عامر الراهب ، قتله الأسود بن شعوب . فوقف عليه أبوه ، وهو مع المشركين ، فرآه ورأى حمزة ، وعبدالله بن جحش وقد مثل بهما ، فقال : «إن كنتُ لأنهاك عن هذا الرجل ، وأحذرك هذا المصرع ؛ والله لقد كنتَ شريف الخلق ، برّا بوالديك ، ولقد متَّ مع سراة أصحابك وكرام قومك . وإن جزي حمزَة وغيره من أصحاب محمد خيرا ، فجزاك الله خيرا . يا معاشر قريش ، لا تمثلوا بحنظلة ، وإن كان قد خالفكم وخالفني» . فلم يمثل به . وأنس . وهو أنيس بن قتادة ؛ وقال الكلبي : هو خداش بن قتادة بن ربيعة بن مطروف بن الحارث ، قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة . عبدالله بن جبير بن النعمان الذي أمّره رسول الله ﷺ على الرماة ، قتله عكرمة بن أبي جهل . خيثمة بن الحارث بن مالك ، من بني السلم الأوسي ، أبو «سعد بن خيثمة» ، قتله هبيرة بن أبي وهب المخزومي . وقتل سعدٌ ، ابنه ، ببدر . سبيع بن حاطب بن قيس بن هيشة ـ وقال بعضهم : هو سُبيق ـ قتله ضرار بن الخطاب . وثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية .

ومن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وكانت ابنته عند أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه . وهو أحد بني الحارث بن الخزرج ، قتله صفوان بن أمية . سعد بن الربيع بنِ عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغرّ بن ثعلبة ، اشترك في قتله جماعة ، ودفنه رسول الله ﷺ وخارجةَ في قبر واحد . أوس بن أرقم ، أخو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب . مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، وهو خدرة . ومالك هو أبو سعد الخدري ، المكنى أبا سعيد . قتله رجل من كنانة . سعد بن سويد بن قيس بن عامر بن عبادة بن الأبجر ، وقال الكلبي هو سعد بن سويد بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر ، وهو خدرة . عتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة . وثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر ، قتله غراب بن سفيان بن عُويف الكناني . وعبدالله بن فروة بن اليدي بن عمرو بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وكان يقال لعبدالله «ثقب» . عبدالله بن ثعلبة ، وقيس بن ثعلبة ، من ولد طريف بن الخزرج بن ساعدة . وحليفان لبني طريف ، جهنيان ، يقال لهما طُريف وضَمرة . وعبدالله بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن سالم بن عوف . عباس بن عبادة بن نضَلة بن مالك ، قتله أبو «أبي الأعور» ، وهو سفيان بن عبد شمس السلمي . نوفل بن عبدالله السالمي ، من بني غنم بن سالم ، قتله سفيان بن عويف . النعمان الأعرج بن مالك بن ثعلبة بن أصرم ، من بني قوقل ، قتله صفوان بن أمية . فدُفن وعبدة بن الحسحاس في قبر . والمجذّر بن ذياد ، قتل غيلة .

قالوا : وكان حضير الكتائب استزار عدّة من بني عمرو بن عوف ـ فيهم سويد بن الصامت ، وخوّات بن جبير ، وأبو لبابة بن عبدالمنذر ـ في الجاهلية ، فزاروه وأقاموا عنده ثلاثة أيام ثم انصرفوا . وكان سويد بن الصامت ثملا من الخمر ، فجلس ليبول ، فدُلّ المجذرُ عليه . وكان الشرّ بين الأوس والخزرج مستعراً . فقال له المجذر : لقد أمكن الله منك . قال : وما تريد بي ؟ قال : أريد قتلك . قال : فارفع سيفك إلى ما دون الدماغ ، وإذا رجعت إلى أمك فقل : إني قتلتُ سويد بن الصامت ، وكان قتل سويد الذي هاج وقعة بُعاث . فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، أسلم الحارث بن سويد بن الصامت ، ومجذّر بن ذياد ، فشهدا بدرا . فجعل الحارث يطلب مجذّرا ليقتله بأبيه ، فلم يقدر عليه . فلما كان يوم أحد ، وجال المسلمون تلك الجولة ، أتاه الحارث من خلفه ، فضرب عنقه . وقال غير الواقدي : كان الذي فعل ذلك الجُلاس بن سويد . فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ثم خرج إلى حمراء الأسد ، ورجع من حمراء الأسد ، أتاه جبريل فأخبره بما كان من قتل ابن سويد مجذّراً غيلة . فركب رسول الله ﷺ إلى قُباء من اليوم الذي أخبره فيه جبريل بذلك . وكان يوماً حارّاً . فجلس رسول الله ﷺ يتصفح الناس وقد اجتمعوا للسلام عليه . فكان ﷺ لا يأتي قباء إلا في يوم السبت والاثنين ، فجعلوا ينكرون مجيئه في غير هذين اليومين . فلم يبق منهم أحد إلا حضر . وطلع ابن سويد في ملحفة مورّسة . فلما رآه النبي ﷺ ، دَعا عويمَ بن ساعدة فقال : قدّمه إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذّر بن ذياد ، فإنه قتله يوم أحد غيلة . فقدّمه عويم إلى باب المسجد ، فقال له ابن سويد : دعني أكلم رسولَ الله ﷺ ، فأبى ذلك عويم . فجاذبه حتى دنا من رسول الله ﷺ وهو يريد ركوب حماره ، فجعل

يقول : قد قتلته يا رسول الله ، ولم يكن ذلك لرجوع عن الإسلام ولا ارتياب فيه ، ولكنه أمر وكلت فيه إليّ نفسي ، فأطعتُ الشيطان ، وأنا أتوب إلى الله ورسوله ، وأخرج ديته وأصوم شهرين متتابعين وأعتق رقبة وأطعم ستين مسكينا . وجعل يتضرّع ويُمسك بركاب رسول الله ﷺ ، وإحدى رجلي رسول الله ﷺ في الركاب والأخرى في الأرض ، وبنو المجذّر حضور لا يقول لهم رسول الله ﷺ شيئاً ، فقال ﷺ : يا عويم قدّمه فاضرب عنقه كما أمرتك . فضرب عنقه على باب المسجد . ويقال إن خبيب بن إساف أخبر رسول الله بخبر المجذّر ، فركب رسول الله ﷺ لينظر في الأمر ويبحث عنه ، فأتاه جبريل عليه السلام بخبره وهو في طريقه . وقال حسان بن ثابت :

أكنتَ في سِنة من يوم ذلكم ... يا حارِ أم كنتَ مغتراً بجبريل[1]

فهذه حجة لمن قال إنّ المقتول الحارث بن سويد . وكان سويد بن الصامت حين ضربه المجذّر بقي قليلا ثم مات ، فقال :

أبلغ جلاساً وعبد الله مألُكةً ... وإن دعيت فلا تخذلها حار

أقبل جدارة أما كنتَ لاقيها ... والحي عوفا على عرف وإنكار

وجُدرة وجِدارة - بالجيم - أخوان ، وهما ابنا عوف بن الحارث بن الخزرج . وزيد بن وديعة بن عمرو ، من بني الحبلى . ورفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو ، من بني الحُبلى . وعنترة مولى لبني سلمة ، قتله نوفل بن معاوية الديلي . عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو «جابر بن عبد الله» ، من بني سلمة ، قتله سفيان بن عبد شمس السلمي . عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وكان آخر الأنصار إسلاما . خلّاد بن الجموح - وغير الكلبي

١ - ديوان حسان ج ١ ص ١٩٠ مع فوارق .

يقول : خلّاد بن عمرو بن الجموح - قتله الأسود بن جَعُونة . حِمام بن الجموح . المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة ، قتله عكرمة بن أبي جهل . وابن الكلبي يجعل مكانه عُبيد بن المعلى ؛ ولا يثبت أن المعلى قتل يوم أحد . ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد الزرقي ، قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق . عبد الله بن قيس بن خلدة بن الحارث النجاري - ويقال هو عمرو بن قيس - قتله نوفل بن معاوية الديلي . النعمان بن عبد عمرو بن مسعود بن كعب النجاري . ثابت بن خنساء بن عمرو النجاري . سُليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب النجاري . عامر بن أمية بن زيد بن الحَسحاس النجاري . ويقال هو عبدة بن الحَسْحَاس . أنس ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام النجاري ، قتله سفيان بن عويف . وهو عم أنس بن مالك بن النضر ، خادم النبي ﷺ . سَليط بن [قيس بن] عمرو النجاري ، ولم يذكره الكلبي فيمن قتل بأحد ، وأنكره .

وعامر بن مخلد النجاري . ولم يعرفه أيضاً . أبو أسيرة بن الحارث بن علقمة ، من بني مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن ، قتله خالد بن الوليد . عمرو بن مطّرف بن علقمة المبذولي . أوس بن حرام النجاري ، من بني مَغالة بنت فُهيرة بن عامر بن بياضة ، وإليها ينسب ولد عدي بن عمرو بن مالك بن النجار . كيسان ، مولى بني النجار . ويقال هو عبد لهم لم يعتق . وابنا السميراء ، وهما سليم بن الحارث الديناري ، والنعمان بن عمرو . وكان بعض أيتام الأنصار طلب من أبي لبابة عذقا بحق ادّعاه ، فلم يجد له به . وسأله رسول الله ﷺ أن يسلّمه له ، فأبى . فاشتراه ثابت بن الدَّحداحة من أبي لبابة بحديقة نخل ، ودفعه إلى اليتيم . فقال رسول الله ﷺ : «ربّ عذق مذلل لابن دَحداحة في الجنة» . فكانت ترجى له الشهادة . فقتل

بأحد . ويقال جرح ثم برأ ، ومات على فراشه من جرح كان أصابه ثم انتقض به ، وقد رجع النبي ﷺ من الحديبية .

ـ وقتل من المشركين يوم أحد : عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، قتله أبو دُجانة ؛ وقال الكلبي : قتل يوم بدر . وطلحة بن أبي طلحة العبدري ، قتله علي بن أبي طالب . وأخوه عثمان بن أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب . وأخوه أبو سعد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص . ومسافع بن طلحة بن أبي طلحة ، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح . والحارث بن طلحة بن أبي طلحة ، قتله عاصم أيضاً . وكلاب بن طلحة بن أبي طلحة ، قتله الزبير بن العوام . وجلاس بن طلحة بن أبي طلحة ، قتله طلحة بن عبيد الله . ويقال إنه الذي ضرب طلحةَ على رأسه المصلبة . ويقال إنّ الذي ضربه المصلبة ضرار بن الخطاب . وقاسط بن شريح بن عثمان بن عبد الدار ، قتله عليّ ، ويقال قتله غيره . أرطاة بن عبد شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله علي عليه السلام . وأبو عزيز ، واسمه زُرارة بن عمير ، أخو مصعب الخير بن عمير ، قتله قزمان حليف بني ظفر ، وكان منافقا .

أبو الحكم بن الأخنس بن شريق ، حليف بني زهرة ، قتله عليّ . سباع بن عبد العزى الخزاعي ، قتله حمزة . هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله قزمان . الوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قزمان . أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب . خالد بن الأعلم العُقيلي ، قتله قزمان . ومات قزمان من جراحة جرحه إياها خالد بن الوليد ؛ وأخرى جرحه إياها عمرو بن العاص . ويقال إنه انصرف جريحا ، فاشتد به الألم ،

فقطع رواهشه[1] بسهم فنزف حتى مات . وعثمان بن عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله الحارث بن الصمة . وكان عثمان بن عبد الله أسر ببطن نخلة ، أسره عبد الله بن جحش ، فافتدي فرجع إلى قريش . فلما قتله الحارث يوم أحد ، شدّ عبيد بن حاجز العامري على الحارث ، فجرحه على عاتقه . وأقبل أبو دجانة ، فقتل ابنَ حاجز : صرعه وذبحه ذبحا . وعبيد بن حاجز من بني عامر بن لؤي ، قتله أبو دجانة . شيبة بن مالك بن المضرب بن وهب بن حجير ، من بني عامر بن لؤي ، قتله طلحة بن عبيد الله . أبيّ بن خلف الجمحي ، قتله النبي ﷺ بيده ، أبو عزّة عمرو بن عبد الله بن عمير بن أهيب بن حذافة بن جمح ، كان أسر يوم بدر فشكا إلى رسول الله ﷺ خلته وكثرة عياله ، فأطلقه بعد أن حلف له أنه لا يخرج عليه . فلما كان يوم أحد ، أخذ أسيرا ، وكان قد أراد أن لا يخرج مع قريش من مكة ، وقال : إنّ محمداً أحسن إليّ ومنّ عليّ وليس هذا جزاؤه . فلم يزل به صفوان بن أمية ، وأبيّ بن خلف حتى أخرجاه وضمنا له أمر عياله . فقال لرسول ﷺ : يا محمد ، مُنّ عليّ . فقال رسول الله ﷺ : «إنّ المؤمن لا يُلدَغ من جُحر مرتين ، أتريد أن ترجع مكة فتمسح عارضيك وتقول : خدعتُ محمدا مرتين» ؟ ثم أمر عاصمَ بن ثابت بن أبي الأقلح أن يضرب عنقه . فضرب عنقه .

وقال الواقدي : حدثنا بكير بن مسمار قال :

لما انصرف المشركون عن أحد ، نزلوا بحمراء الأسد في أول النهار ساعة ، ثم رحلوا وتركوا أبا عَزّة نائما مكانه . فنام حتى ارتفع النهار ، ولحقه المسلمون وقد انتبه فهو يتلدّد . فأخذه عاصم بن ثابت ، وأتى به النبي ﷺ ،

---

١ - في هامش الأصل : الرواهش : عروق باطن الذراع .

فأمر بضرب عنقه . وخالد بن سفيان بن عويف الكناني . وأبو الشعثاء بن سفيان ابن عويف . وأبو الحمراء بن سفيان بن عويف . وأخ لهم آخر يقال له غُراب .

ـ قالوا : وصلى رسول الله ﷺ على الشهداء ، فكان حمزةُ أول من كبر عليه أربعا . ثم جمع إليه الشهداء . فكان كلما أتي بشهيد ، وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهيد ، حتى صلى عليه سبعين مرة . ويقال : كان يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم ، فيصلي عليهم . ثم يرفع التسعة وحمزة مكانه ، ويؤتى بتسعة أخر . ويقال : كبر عليهم تسعا وسبعا وخمسا . وأعمق لهم في الحفر ، ودفن الاثنين والثلاثة في القبر ، وبدأ بأكثرهم قرآنا .

حدثني شيبان بن أبي شيبة ، ثنا سليمان بن المغيرة ، ثنا حميد عن هشام بن عامر قال :

جاءت الأنصار يوم أحد فقالت : يا رسول الله أصابنا قرح وجهد ، فكيف تأمرنا ؟ فقال : احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر . قالوا : فمن نقدم ؟ قال : قدّموا أكثرهم قرآنا .

ـ قالوا : وآثر رسول الله ﷺ بمصعب بن عمير وهو مقتول في بردة له ، فقال : «رحمك الله ، لقد رأيتك بمكة ، وما بها أرقّ حلةً ولا أحسن لمةً منك . ثم أنت أشعث بردة» . وأمر به ، فقبر . ونزل في قبره أخوه أبو الروم ، وعامر بن ربيعة العنزي ، وسويبط بن عمرو بن حرملة . ونزل في قبر حمزة رحمه الله علي بن أبي طالب ، وأبو بكر ، وعمر ، والزبير . وجلس رسول الله ﷺ على حفرته . وحمل كثير من الناس قتلاهم إلى المدينة ، فدُفنوا بنقيع الخيل وغيره . وكان شماس بن عثمان المخزومي حُمل وبه رمق ، فمات

عند أم سلمة زوج النبي ﷺ ، فأمر ﷺ ، فرّد إلى أحد ، فدُفن في ثيابه التي مات فيها .

ـ قال الواقدي : ودُفن من دفن بأحد من الشهداء في الوادي . وكان طلحة بن عبيد الله إذا سئل عن تلك القبور المجتمعة بأحد ، يقول : قبور قوم من الأعراب كانوا على عهد عمر بن الخطاب في عام الرمادة هناك ، فماتوا ، فتلك قبورهم . قال : وكان ابن أبي ذئب ، وعبد العزيز بن محمد يقولان : لا نعرف تلك القبور المجتمعة ؛ إنما هي قبور ناس من أهل البادية .

ـ وكان معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، الذي جدع أنفَ حمزة وَمثَلَ به فيمن مثل ، قد انهزم يوم أحد فمضى على وجهه ، فبات قريبا من المدينة . فلما أصبح ، دخل المدينة ، فأتى منزل عثمان بن عفان بن أبي العاص فضرب بابه ، فقالت له امرأته أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ : ليس هو ها هنا . فقال : ابعثي إليه ، فإن له عندي ثمن بعير ابتعته عام أول وقد جئته به . فأرسلت إليه وهو عند رسول الله ﷺ . فلما جاء ، قال لمعاوية : أهلكَتني ونفسَك ؛ ما جاء بك ؟ قال : يا بن عم ، لم يكن أحد أقرب إليّ ولا أمسّ رحما بي منك ، فجئتك لتجيرني . فأدخله عثمان داره ، وصيره في ناحية منها ، ثم خرج إلى النبي ﷺ ليأخذ له منه أمانا . فسمع رسولَ الله ﷺ يقول : «إنّ معاوية بالمدينة وقد أصبح بها ، فاطلبوه» . فقال بعضهم : ما كان ليعدو منزل عثمان ، فاطلبوه فيه . فدخل منزل عثمان ، فأشارت أم كلثوم إلى الموضع الذي صيره عثمان فيه . فاستخرجوه من تحت حمارة[1] لهم ،

١ ـ الحمارة هنا : ثلاثة أعواد يشد بعض أطرافها إلى بعض ، ويخالف بين أرجلها وتعلق عليها الاداوة ليبرد الماء . النهاية لابن الأثير .

فانطلقوا به إلى النبي ﷺ . فقال عثمان حين رآه ، والذي بعثك بالحق ، ما جئتُ إلا لأطلب له الأمان منك ، فهبه لي . فوهبه له ، وأجّله ثلاثا وأقسم : لئن وُجد بعدها بشيء من أرض المدينة وما حولها ، ليقتلنّ . وخرج عثمان ، فجهزه واشترى له بعيرا ، ثم قال له : ارتحل . وصار رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد ، وأقام معاوية إلى اليوم الثالث ليتعرّف أخبار النبي ﷺ ويأتي بها قريشا . فلما كان في اليوم الرابع ، قال رسول الله ﷺ : إن معاوية أصبح قريباً ولم ينفذ ، فاطلبوه ، واقتلوه . فأصابوه قد أخطأ الطريق ، فأدركوه . وكان اللذان أسرعا في طلبه زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، وعمار بن ياسر ، فأخذاه بالجماء[1] . فضربه زيد بن حارثة . وقال عمار : إن لي فيه حقا . ورماه بسهم ، فقتلاه ، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ بخبره . ويقال إنه أدرك على ثمانية أميال من المدينة ، فلم يزل زيد وعمار يرميانه بالنبل حتى مات . ومعاوية هذا هو أبو عائشة بنت معاوية ، أم عبد الملك بن مروان .

وقال الكلبي : جدع معاوية بن المغيرة أنفَ حمزة وهو قتيل ، فأخذ بقرب أحد بعد انصراف قريش بثلاث ، ولا عقب له إلا عائشة أم عبد الملك بن مروان . ويقال إنّ الذي قتل معاوية بن المغيرة : عليّ عليه السلام .

ـ قالوا : ولما استشهد سعد بن الربيع ، أخذ أخوه ميراثه . وكان لسعد ابنتان ، وكانت امرأته حاملا . وكانت المواريث على مواريث الجاهلية ، ولم تكن الفرائض أنزلت . فنزلت على رسول الله ﷺ حينئذ ، فدعا أخا سعد ، فقال له : أعط ابنتي أخيك ثلثي الميراث ، وادفع إلى

١ ـ الجماء : جبل بالمدينة على ثلاثة أميال ، من ناحية العقيق إلى الجرف . المغانم المطابة .

زوجته الثمن ، والباقي لك . ولم يُوَرّث الحمل يومئذ ؛ ثم ورّث بعد ذلك . وولدت له أم سعد بنت سعد ، وهي امرأة زيد بن ثابت ؛ فلما كانت خلافة عمر ، قال لها : تكلمي في ميراثك من أبيك إن كنت تحبين ذلك ، فإن أمير المؤمنين قد ورّث الحمل اليوم . فقالت : ما كنت لأطلب من أختي شيئاً .

ـ وكان خليفة رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم .

ثم غزاة حمراء الأسد

وكانت لثمان أو تسع من شوال سنة ثلاث ، وغاب فيها عن المدينة خمسا . وحمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة أو تسعة أميال .

وكان المشركون قد صاروا إليها من أحد ، فنادى منادي رسول الله ﷺ بالناس أن اخرجوا لطلب عدوكم ، ولا يخرج إلّا من كان بأحد . فخرج الناس حتى الجرحى ، وكانوا كثيرا . وقال جابر بن عبد الله : «يا رسول الله ، لقد حَرّمت عليَّ الخروج بالأمس ، فمنعني أبي وذلك أنه خلفني [على أخوات لي سبع وقال : يا بنيّ إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولستُ بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي[1]] ، فأذن لي في الخروج . فأذن له . ويقال إنّ رسول الله ﷺ أخرج معه من كان بأحد ومن لم يكن . وكان المشركون قد ملوا الحربَ وكرهوها ، وأحبوا أن ينصرفوا عن ظفر منهم ، ولم يأمنوا أن تكون الدولة للمسلمين عليهم . فأمعنوا في السير ، وأقلوا اللبثَ حتى أتوا مكة ، فلم يصادف رسول الله ﷺ منهم أحدا ، ولم يلق كيدا . وكان خليفته على المدينة ابن أم مكتوم .

١ ـ زيد ما بين الحاصرتين من سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦١٤ .

ثم غزاة بني النضير من يهود

في شهر ربيع الأول ، ويقال في جمادى الأولى سنة أربع .

وكان سببها أن رسول الله ﷺ أتاها ومعه أبو بكر ، وعمر ، وأسيد بن حضير فاستعانهم في دية رجلين من بني كلاب بن ربيعة موادعين له ، وكان عمرو بن أمية الضمري قتلهما خطأ ، فهموا بأن يلقوا على رسول الله ﷺ رحى ، فانصرف عنهم ، وبعث إليهم يأمرهم بالجلاء عن بلده إذ كان منهم ما كان من النكث والغدر . فأبوا ذلك وأذنوا بالمحاربة . فزحف إليهم رسول الله ﷺ ، وحصرهم خمس عشرة ليلة . ثم صالحوه على أن يخرجوا من بلده ولهم ما حملت الإبلُ إلاّ السلاح والآلة ، ولرسول الله ﷺ نخلهم وأرضهم . فكانت أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خالصة .

وحدثني أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثنا محمد بن كثير ، عن معمر ، عن الزهري قال :

حاصر رسول الله ﷺ بني النضير ، وهم سبط بن يهود بناحية المدينة ، حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل من الأمتعة إلا الحلقة . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿سبحَ لله ما في السموات وما في الأرض وهو

العزيز الحكيم * هو الذي أخرجَ الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحَشر﴾ ، إلى قوله ﴿وليُخزي الفاسقين﴾ [١] وكان ابن أم مكتوم مقيما على خلافة رسول الله ﷺ [٢] .

١ ـ سورة الحشر ـ الآيات : ١ ـ ٥ .
٢ ـ الأموال لأبي عبيدالقاسم بن سلام ـ ط . القاهرة ١٩٦٨ ص ٨٥ .

ثم غزاة بدر الموعد

في ذي القعدة سنة أربع .

وذلك أن أبا سفيان بن حرب نادى يوم أحد : موعدكم بدر الصفراء على رأس الحول نلتقي فنقتتل . فوفى رسول الله ﷺ والمسلمون ، فأتى بدرا للموعد ، ولم يأت أبو سفيان ودسّ نُعَيْم بن مسعود الأشجعي إلى المسلمين ليخوّفهم كثرة المشركين وعدّتهم ويثبطهم . فلما أخبرهم بذلك ، قالوا : ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ . وكانت بدر الصفراء موسما للعرب ، يتبايع بها . فتجر المسلمون فربحوا . فأنزل الله عز وجل : ﴿الذين قال لهم الناسُ إنّ الناس قد جَمعوا لكم فاخشوهم﴾ ، إلى قوله ﴿مؤمنين﴾ . يعني بالفضل ما نالوا من الربح . وقوله ﴿يخوّف أولياءه﴾ [١] ، أي يخوّف الناس أولياءه وكان خليفة رسول الله ﷺ على المدينة عبدالله بن رواحة الخزرجي . فأقام المسلمون ببدر الصفراء ثمانية أيام . وبعض الرواة يقول «بدر الصغرى» . وقال الشاعر حسان بن ثابت أو غيره :

وعدنا أبا سفيان بدرا فلم نجد لموعده صدقا وما كان وافيا [٢]

١ ـ سورة آل عمران ـ الآيات : ١٧٣ ـ ١٧٥ .

٢ ـ هذا بيت من قصيدة عزاها ابن اسحق لعبدالله بن رواحه ، وابن هشام لكعب بن مالك . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٩٦ ـ ٦٩٧ .

ثم غزاة ذات الرِّقاع

وكانت لعشر خلون من المحرم سنة خمس ، وإنما سميت ذات الرقاع أنها كانت عند جبل فيه بقع حمر وبيض وسود كأنها رقاع .

وسببها أن بني أنمار بن بغيض ، وبني سعد بن ثعلبة بن ذبيان بن بغيض جمعوا جمعا لرسول الله ﷺ عظيما . فلما دنا منهم ، وعاينوا عسكره ، ولوا عن المسلمين وكرهوا لقاءهم فتسنموا الجبل وتعلقوا في قُلّته . فانصرف رسول الله ﷺ ولم يلق كيدا ، واستاق لهم نعما وشاءً .

وفي هذه الغزاة صلى صلاة الخوف مخشاة أن يكرّوا عليه . وكان خليفته على المدينة عثمان بن عفان .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، وروح بن عبدالمؤمن قالا : ثنا حازم ، ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر .

في صلاة الخوف ، قال : يصلي بطائفة ويقوم طائفة حيال العدو ، فيصلي بهؤلاء ركعة ثم يذهب هؤلاء فيقومون مقام أولئك ، ويجيء هؤلاء

فيصلي بهم ركعة ثم يسلم ، فيقضي هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة [١] . وإن كان الخوف شديدا ، صلوا رجالا ورُكبانا [٢] .

حدثنا هشام بن عمار ، ثنا عبدالحميد بن حبيب ، ثنا الأوزاعي ، حدثني أيوب بن موسى ، حدثني نافع ، حدثني ابن عمر ، قال :

صلينا مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف ، طائفة منا خلفه ، وطائفة مواجهة للعدو . فصلى بإحدى الطائفتين ركعة وسجدتين ، ثم انصرفوا وجاءت طائفة أخرى فصلى بهم ركعة وسجدتين . ثم قام كل واحد منهما [٣] إلى طائفته فصلى لنفسه ركعة وسجدتين .

١ ـ انظر سورة النساء ـ الآية : ١٠٢ .
٢ ـ انظر سورة البقرة ـ الآية : ٢٣٩ .
٣ ـ في هامش الأصل ما يفيد في رواية أخرى «من الطائفتين» .

ثم غزاة دُومة الجندل[1]

في شهر ربيع الأول سنة خمس .

وسببها أن جمعا من قضاعة ومن غسان تجمعوا ، وهموا بغزو الحجاز . فسار نحوهم في ألف انتخبهم . فلما انتهى إلى موضعهم ألفاهم قد تفرّقوا وهربوا . فلم يلق كيدا . وأمر باستياق نعم وشاء وجدت لهم . ثم انصرف . وكان خليفته على المدينة سباع بن عُرْفُطة الكناني .

١ - على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة (في الأردن حاليا) معجم البلدان .

ثم غزاة بني المصطلق

من خزاعة . وهي غزاة المريسيع . والمُرَيسيع ماء لهم . وكانت في شعبان سنة خمس .

وسببها أن الحارث بن أبي ضرار ، سيد خزاعة ، جمع جموعا واستعدّ للمسير إلى رسول الله ﷺ . وبلغه ﷺ ذلك ، فسار في المسلمين . فلما نزل على المريسيع ، أمر عمرَ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن يعرض على المشركين التوحيد ، فأبوه ، فحمل عليهم المسلمون ، فقتلوا منهم جمعا وأسروا أسرى كثيرةً . وغنم الله المسلمين أموالهم وسبيهم ، وكانت جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار في السبي ، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوّجها ، وكان اسمها برّة ، فسمّاها جويرية . . ويقال إنه اعتقها وتزوّجها على عتق مائة من أهل بيت قومها ، فلما عتقوا ، انصرفوا إلى منازلهم ، وقسم رسول الله ﷺ الغنائم ، وأخذ صفيّه قبل القسمة ، ثم جزّأ الغنائم خمسة أجزاء ، ثم أقرع عليها ولم يتخير . فأخذ الخمس وأخذ سهمه مع المسلمين لنفسه وفرسه . وكان له ﷺ صفي من المغنم حضر أو غاب قبل الخمس : عبد أو أمة أو سيف أو درع .

حدثني محمد بن الصباح البزاز وخلف بن هشام البزاز قالا ، ثنا هشيم ، عن مطرف بن طريف ، عن الشعبي قال :

كان للنبي ﷺ صفي يصطفيه من كل مغنم : عبد أو أمة أو فرس .

وحدثني إبراهيم بن محمد بن عرعرة ، عن سفيان بن عيينة ، عن مطرف ، عن الشعبي بمثله .

وفي هذه الغزاة رمى أهلُ الإفك عائشةَ رضي الله عنها بصفَوان بن مُعَطِّل السُّلمي . وذلك أنه كان على ساقة العسكر ، فوجدها قد انقطعت مرسلتُها [1] ، وكانت من جزع ظفار ، فتشاغلت بلقط خرزها . وظنّ الذي كان يقود بعيرها أنها عليه ، فسيره مع الإبل . فحملها صفوان على جمله وجعل يقود بها حتى أدخلها العسكر . فظنّ بها بعضُ الظنّ حتى أنزل الله [2] براءتها وأكذب من تكلم عنها . وكان خليفة رسول الله ﷺ في هذه الغزاة زيد بن حارثة الكلبي مولاه .

وحدثني عبيدالله بن معاذ ، عن أبيه ، عن أبي عون قال :

كتبت إلى نافع أسأله هل كانت الدعوة قبل القتال ؟ فكتب إلي : إن ذلك كان أول الإسلام ، وقد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق ، وهم غارّون ونعمهم على الماء تسقى ، فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم . حدثني بذلك عبدالله بن عمر ، وكان في الجيش .

حدثني الحسين بن الأسود ، عن يحيى بن آدم ، عن مجاهد ، عن الشعبي قال :

---

١ ـ أي قلادتها .

٢ ـ انظر سورة النور ـ الآيات : ١١ ـ ٢٠ . مغازي الزهري ص ١١٦ ـ ١٢٢ . مغازي الواقدي ج ٢ ص ٤٢٨ ـ ٤٣٤ .

من أهل الإفك عبدالله بن أبيّ ، وهو الذي «تولّى كِبره»[1] ، وصرّح بالقول فيه ؛ وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، ومِسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبدمناف . فحدّهم رسول الله ﷺ حين نزل في شأن عائشة ما نزل .

١ ـ سورة النور ـ الآية : ١١ .

ثم غزاة الخندق

وهي غزاة الأحزاب . وكانت في ذي القعدة سنة خمس . وكان سببها أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير ، أتوا خيبر ، فلما قدموها ، خرج حُيَيّ بن أخطب وكنانة بن أبي الحُقيق اليهودي وغيرهما ، حتى أتوا مكة ، فدعوا أبا سفيان بن حرب وقريشا إلى قتال رسول الله ﷺ ، وأعلموهم أنهم يد لهم عليه ، فسرّ أبو سفيان بذلك ، وعاقدهم على ما دعوه إليه .

ثم أتت اليهود غطفان ، فجعلوا لهم تمر خيبر سنةً على أن يعينوهم على حرب رسول الله ﷺ . فأنعموا لهم بذلك ، وأجابوهم إليه . وكان عُيينة بن حصن الفزاري أسرعَ القوم إلى إجابتهم . ثم أتوا بني سُليم بن منصور ، فسألوهم مثل ذلك ، فأنجدوهم . وساروا في جميع العرب ممن حولهم ، فنهضوا معهم . فخرجت قريش فيمن ضوى إليها ولافّها من كنانة وثقيف وغيرهم ، ولحقتهم أفناءُ العرب ، عليها قادتها وكبراؤها ، وبلغ رسولَ الله ﷺ الخبر ، فندب المسلمين إلى قتال الأحزاب . وخرج فارتاد لعسكر المسلمين موضعا ، وأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق ، ولم تكن

العرب تخندق عليها . فجعل سلَعا[١] وراء ظهره ، وأمر فحفر الخندق أمامه . وجعل المسلمون يتحارسون في عسكرهم . وعرض رسول الله ﷺ عليه وسلم الناس يوم الخندق ، فأجاز عبدَالله بن عمر بن الخطاب وهو ابن خمس عشرة سنة وأشفّ منها ، وأجاز زيد بن ثابت الأنصاري ثم الخزرجي ، وأجاز البراء بن عازب الأوسي ، وأبا سعيد الخدري ولم يردّهم . ويقال إنه أجازهم قبل ذلك . وكانت قريظة قد امتنعت من المظاهرة على النبي ﷺ ، فلم يزل بهم حُيَيّ وأصحابه حتى خرجوا معهم . واشتد خوف المسلمين ممن جاش عليهم من الأحزاب لكثرتهم . وكانوا كما قال الله : ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم﴾ ، يعني يهود ، ﴿ومن أسفلَ منكم﴾ ، يعني قريشا والعرب .

حدثني القاسم بن سلام ، عن الحجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد

في قوله ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم﴾، قال : عيينة بن حصن في أهل نجد ، ﴿ومن أسفلَ منكم﴾ ، أبو سفيان في قريش ، ﴿وردّ الله الذين كفروا بغيظهم﴾ ، قال : الأحزاب ؛ ﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ الآية ، يعني بني قريظة . ﴿من صَياصيهم﴾ ، قال : حصونهم وقصورهم . ﴿وقذف في قلوبهم الرعبَ فريقاً تقتلون وتأسرون فريقا﴾[٢] . وقال : وهذا كله في يوم الخندق .

قالوا : وكثر كلام المرتابين وظنوا الظنون . وكتب أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ : «باسمك اللهم . أحلف باللات والعزّى وساف ونائلة وهُبَل ،

١ ـ جبيل بالمدينة . وبني في مكان الخندق في فترة متأخرة سبعة مساجد ، معروفة بالمدينة المنورة .

٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآيات : ١٠ ـ ٢٦ . الأموال ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

لقد سرتُ إليك أريد استئصالكم . فأراك قد اعتصمتَ بالخندق ، وكرهت لقاءنا . ولك مني يوم كيوم أحد» . وبعث بالكتاب مع أبي أسامة الجشمي . فقرأه على النبي ﷺ أبيّ بن كعب .

وكتب إليه رسول الله ﷺ : «قد أتانا كتابك ، وقديما غرّك يا أحمق بني غالب . وسفيههم بالله الغرور . وسيحول الله بينك وبين ما تريد ، ويجعل لنا العاقبة . وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزّى وساف ونائلة وهبل يا سفيه بني غالب» .

ـ وكانت طلائع المشركين تُطيف بالمسلمين رجاء أن يصيبوا منهم غرّة . فربما تراموا بالنبل والحجارة ، واجتمع المشركون يوما ، فالتمسوا أن يهجموا خيلهم على المسلمين . فأكرهت جماعةٌ منهم خيلهم ، فعبرت الخندق . وكان فيهم عمرو بن عبد وُدّ بن أبي قيس ، من بني عامر بن لؤي ، فبارزه علي عليه السلام فقتله . ويقال إنه جرح عليا على رأسه . ويقال إن عليا لم يُجْرَح قطّ . ونجا أصحاب عمرو إلا رجلا سقط في الخندق فتكسر ، ورماه المسلمون حتى مات . ثم غدا المشركون في اليوم الثاني جميعا لم يتخلف منهم أحد ، فقاتلهم المسلمون من وراء الخندق . ثم إن الله تبارك وتعالى نصر المسلمين عليهم بالريح ، وكانت ريحا صفراء فملأت عيونهم ، فداخلهم الفشل والوهن . وانهزم المشركون وانصرفوا إلى معسكرهم . ودامت الريح عليهم ؛ وغشيتهم الملائكة تطمس أيضاً أبصارهم .

وكان نعيم بن مسعود الأشجعي خرج من المشركين ، فأسلم وجعل يخذّل المشركين ويسعى بينهم بما فيه تفريق كلمتهم وألفتهم وصدع شعبهم . فبلغ من ذلك ما التمس بعون الله وتوفيقه[1] ، وألقى الله بينهم الاختلاف .

---

١ ـ تعارض هذه الرواية بما أورده الزهري في مغازيه ص ٨٠ .

وقالت غطفان وسليم : والله لمحمد أحبّ إلينا وأولى بنا من يهود ؛ فما بالنا نؤذيه وأنفسنا ؟ وكانت تلك السنة سنة مجدبة . فجهدوا ، وأضرّ مقامهم بكراعهم . فانصرفوا وانصرف الناس . ﴿ورّد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال﴾[1] . وكان حصار المسلمين في الخندق خمسة عشر يوما . وكان خليفة رسول الله ﷺ في غزاة الخندق ابن أم مكتوم .

وحدثنا أبو عبيد ، ثنا عبدالله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن عقيل ، عن الزهري قال :

كانت وقعة الأحزاب بعد أحد بسنتين ، وذلك يوم حفر الخندق . ورئيس الكفار يومئذ أبو سفيان بن حرب . فحاصروا رسولَ الله ﷺ بضع عشرة ليلة حتى خلص إلى المسلمين الكربُ . فقال رسول الله ﷺ ، كما أخبرني سعيد بن المسيب : «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشاء ألا تعبد» . وأرسل رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن ، وهو يومئذ رئيس الكفار من غطفان وهو مع أبي سفيان ، يعرض عليه ثلث ثمر نخل المدينة على أن يخذّل الأحزاب ، وينصرف بمن معه من غطفان . فقال عيينة : بل أعطني شطر ثمرها حتى أفعل ذلك . فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ وهو سيد الأوس ، وإلى سعد بن عبادة ، وهو سيد الخزرج ، فقال : «إنّ عيينة قد سألني نصف ثمر نخلكم على أن ينصرف بمن معه من غطفان ويخذّل بين الأحزاب ، وإني أعطيته الثلث ، فأبى إلا النصف [فما تريان]»؟ **فقالا : يا رسول الله إن كنتَ أمرتَ بشيء فافعله. فقال ﷺ : «لو**

---

١ ـ سورة الأحزاب الآية : ٢٥ .

أمرت لم أستأمركما ، ولكن هذا رأي أعرضه عليكما ؟» قالا : فإنا لا نرى أن نعطيهم إلا السيف . قال رسول الله ﷺ : «فنعم» [١] .

وحدثني الحسين بن الأسود ، ثنا يحيى بن آدم ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري قال :

بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن يوم الأحزاب فعرض عليه ثلث ثمر نخل المدينة على أن يخذّل الأحزابَ ويرجع بالناس ، فأبى إلا النصف ، فاستشار النبي ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا : إن كنتَ أمرتَ بشيء **فامض** له وإلا فإنا لا نرضى أن نعطيهم إلا السيف . قال : فنعم إذاً [٢] .

قال وحدثنا يحيى بن آدم ، ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن أبي نجيح قال :

قال سعد بن معاذ وابن عبادة : إن كان هذا في الجاهلية ليمرّ يجرّ سرمه [٣] ما يطمع منه في بُسرة ، فكيف اليوم وقد أعزّنا الله بالإسلام ؟ قال : فنعم إذاً .

حدثني الحسين ، عن يحيى ، عن ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر عن ابن أبي قتادة :

أنهما قالا : ما أصابت العرب حطمة قطّ فقدروا منه على بسرة إلا شِرىً أو قِرىً ، فكيف الآن ؟[٤] .

---

١ ـ الأموال لأبي عبيد ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
٢ ـ مغازي الزهري ص ٧٩ .
٣ ـ في مغازي الزهري «سربه» وفي القاموس : وجاءت الابل متسرمة : متقطعة .
٤ ـ سيرة ابن هشام ج ٢/٧٠٦ ـ ٧٠٧ .

حدثني عبدالواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه :

أن رسول الله ﷺ أدخل النساءَ يوم الأحزاب أطما من آطام المدينة ، وكان حسان رجلا جبانا فأدخله معهنّ وأغلق الباب فجاء يهودي فقعد على باب الأطم . فقالت له إحداهن : انزل إلى هذا العلج فاقتله . فقال : ما كنتُ لأجعل نفسي خطرا لعلج مثله ، فاتّزرت بكساء ، وأخذت فهرا ونزلت إليه ففلقت رأسه[1] .

ورمى حِبان بن العَرقة سعد بن معاذ يوم الخندق بسهم ، فانتقض به جرحه منه بعد انقضاء أمر بني قريظة ، فمات . وكان حِبان بن العَرِقة لما رماه قال : خذها وأنا ابن العرقة . فقال رسول الله ﷺ : «عرق الله وجهك في النار» .

١ ـ الذي قتل اليهودي صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ ، ابن هشام ج ٢ ص ٧٠٩ـ ٧١٠ .

ثم غزاة بني قُريظة من يهود

انصرف رسول الله ﷺ من الخندق وزحف إليهم ، فحصرهم حتى نزلوا على حكمه ، فحكم فيهم سعد بن معاذ . فحكم بقتل من جرت عليه الموسى وبسبي الذرية والنساء ، وقسمة أموالهم بين المسلمين . فأجاز رسول الله ﷺ ، وقال لسعد : «لقد حكمتَ فيهم بحكم الله» . وكانت غزاة بني قريظة في ليال من ذي القعدة وليال من ذي الحجة سنة خمس . وكان خليفة رسول الله ﷺ بالمدينة ابن أم مكتوم .

حدثني عبدالواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة

أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب ، دخل مغتسلاً ليغتسل فجاءه جبريل فقال : يا محمد ، وضعتم أسلحتكم وما وضعنا أسلحتنا بعدُ ؛ انهد إلى بني قريظة . فقالت عائشة : لقد رأيته من خلل الباب وقد عصب الترابُ رأسه .

حدثنا أبو عبيد ، ثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب قال :

أقبل رسول الله ﷺ حين انصرف من الأحزاب حتى دخل على أهله فوضع السلاح ، فدخل عليه جبريل فقال : أوضعتَ السلاح وما زلنا في طلب القوم ؟ فاخرج فإن الله قد أذن لك في بني قريظة ؛ قال : وأنزل الله تعالى فيهم : ﴿وإما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يحبّ الخائنين﴾[١] . وقد قيل في غير هذا الحديث إنّ الآية نزلت في بني قينقاع .

حدثنا غير واحد ، عن حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب﴾ ، الآية[٢] ، قال : يعني بني قريظة . وألقى بنو قريظة على خَلّاد بن سُويد الخزرجي رحى ، وقد دنا ليكلمهم .

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٥٨ . الأموال لأبي عبيد ص ٢٤٤ .
٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٢٦ .

ثم غزاة بني لحيان بن هُذيل بن مدركة

بناحية عُسفان . غزا رسول الله ﷺ بني لحيان ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم .

وكان بنو لحيان ومن لافّهم من غيرهم قد استجمعوا . فلما بلغهم إقبال رسول الله ﷺ إليهم ، هربوا . فلم يلق كيدا ، ووّجه أبا بكر في طلبهم . وكانت هذه الغزاة في شهر ربيع الأول سنة ست .

ثم غزاة ذي قَرَد

وبعضهم يقول «قُرَد» ، والصواب الفتح . وكان سبب هذه الغزاة أن عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر أغار على لقاح رسول الله ﷺ وهي ترعى بالغابة ـ وهي على بريد من المدينة ـ فوجّه رسول الله ﷺ المقداد بن عمرو ، ويقال سعد بن زيد الأشهلي في عدّة من المسلمين . فتخلصوا عشراً منها ، وكانت عشرين . وقتلوا مسعدة بن حَكَمة بن مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وحبيب بن عيينة .

ثم إنّ رسول ﷺ خرج ، فلحقهم بذي قرد وقد مضى القوم . فنهي رسول الله ﷺ عن اتباعهم . وكان خليفته ، في غزاة ذي قرد ، ابن أم مكتوم . وأقام رسول الله ﷺ بذي قرَد يوما وليلة ، وصلى صلاة الخوف هناك ، وكانت هذه الغزاة في شهر ربيع الأول ، ويقال في شهر ربيع الآخر سنة ست . وهي أيضاً تسمى غزاة الغابة . وفيها نودي : يا خيلَ الله اركبي . ولم يقل ذلك قبلها .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الاجلح الكندي ، عن أبيه ، عن الشعبي قال :

دخل أبو قتادة بن رِبعي على معاوية رضي الله تعالى عنه وعليه رداء عدني ، وعند معاوية عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة . **فسقط رداء أبي قتادة على عبد الله ، فنفضه عنه بغضب . فقال : من هذا** يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الله بن مَسعدة . قال : نعم أنا والله دفعتُ حضنَ أبي هذا بالرمح يوم أغار على سرح المدينة . فسكت عبد الله .

خروج رسول الله ﷺ للعمرة

ثم خرج رسول الله ﷺ للعمرة في هلال ذي القعدة سنة ست ، فمنعته قريش من دخول مكة عنوة . فأقام في الحديبيّة ، وكان ابن الكلبي يقول «الحديبيَة» ـ فيخففها ـ وأرسل رسول الله ﷺ إلى قريش : «إنا لم نأت لقتال ، وإنما جئنا لسوق البدن إلى محلها ، فننحرها ثم ننصرف» . فأبوا إلا منعه ، ووجهوا إليه سهيل بن عمرو ، من بني عامر بن لؤي ، ومكرز بن حفص ، وحويطب بن عبد العزى . فسألوه أن ينصرف في عامه ، ويعود في قابل فيقيم في مكة ثلاثة أيام لا يزيد عليها ثم ينصرف . فأجابهم إلى ذلك ، وكتب بينه وبينهم كتاباً بخطّ عليّ عليه السلام ، فكتب : «بسم الله الرحمن الرحيم» . فقال سهيل : لا أعرف هذا ؛ اكتب كما نكتب «باسمك اللهم» . وكتب : «هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله» . فقال سهيل : «لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك ؛ أفترغب عن أبيك ؟» فكتب القضية : «باسمك اللهم . هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو . اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكفّ بعضهم عن بعض ، على أنه لا إسلال ولا إغلال ، وأن بيننا عيبة

مكفوفة . وأنه من أحبّ أن يدخل في عهد محمد وعقده ، فعل . وأنه من أحبّ أن يدخل في عهد قريش وعقدها ، فعل . وأنه من أتى محمدا منهم بغير إذن وليه ، ردّه محمد إليه . وأنه من أتى قريشا من أصحاب محمد ، لم يردّوه . وأن محمدا يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ، ويدخل علينا في قابل في أصحابه ، فيقيم ثلاثا . لا يدخل بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القرب» .

شهد أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجرّاح ، ومحمد بن مسلمة ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص . وكتب علي بن أبي طالب[١] .

ونسخ الكتاب نسختين ، فوضعت إحداهما عند رسول الله ﷺ ، وأخذ الأخرى سهيل بن عمرو . ولما فرغ من كتاب القضية ، وثب مَن هناك من الخزاعة ، فقالوا : نحن ندخل في عهد محمد وعقده ، وقال بنو بكر : نحن ندخل في عهد قريش ومدّتها . ثم نحر رسول الله ﷺ الهدي بالحديبية ، وحلق ، وحلق الناس . ثم انصرف ، ونزلت عليه منصرفه من الحديبية : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبينا﴾[٢] . ويقال إنها نزلت قبل انصرافه من الحديبية .

وفي غزاة الحديبية كانت بيعة الرضوان تحت السمرة الخضراء ، بايعوا على الموت مع رسول الله ﷺ . وكان خليفته بالمدينة ابن أم مكتوم . ويقال

---

١ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦١١ .
٢ ـ سورة الفتح ـ الآية : ١ .

أبو رُهم كلثوم بن الحصين الغفاري ، من كنانة . وقوم يقولون استخلفهما جميعاً ، وكان ابن أم مكتوم على الصلاة .

قال الواقدي ، قال ابن أبي الزناد ، عن أبيه

قوله «لا إسلال» ، يريد دس السلاح وسله سرا ؛ وقوله «لا إغلال» ، يقول لا ينطوون على غلّ . والعرب تقول : أغللت في الشيء . وقوله «وعيبة مكفوفة» ، أي مشرّجة[1] . وهذا مثل .

وكان رسول الله ﷺ بعث عثمان إلى مكة لتسكينهم وإعلامهم أنه لم يأت لمكروه يريده بهم . فبايع عنه ، ومسح يده اليسرى على اليمنى .

حدثني هشام بن عمار الدمشقي ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبي عبيدة قال :

قلت لسلمة بن الأكوع : على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ؟ فقال : على الموت .

حدثنا علي ، ثنا أبو عبيد ، حدثنا عثمان بن صالح ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة في حديث طويل قال

فهادنت قريش رسولَ الله ﷺ ، وصالحته على سنين أربع وعلى أن يأمننّ بعضهم بعضا ، على أن لا إغلال ولا إرسال ، فمن قدم مكة حاجّاً أو معتمراً أو مجتازاً إلى اليمن أو الطائف فهو آمن ، ومن قدم المدينة من المشركين عامداً للشأم أو المشرق فهو آمن .

قال : وأدخلَ رسولُ الله ﷺ في عهده بني كعب ، وأدخلت قريش في عهدها حلفاءها بني كنانة ، وعلى أنه من أتى رسولَ الله ﷺ ردّه إليهم ، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه إليه .

---

١ ـ يقال شرجت العيبة وشرجتها إذا شددتها بالشرج ، وهي العرى . النهاية لابن الأثير .

قال أبو عبيد : قوله «لا إرسال» ، يقول في غائلة . وقال : يقال أغللت في الإهاب إذا تركت فيه لحما .

وحدثني أبو عبيد ، ووهب بن بقية قالا : ثنا يزيد بن هارون ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري عن عروة،عن المسور بن مخرمة ، ومروان بن الحكم قالا :

كان في شرط رسول الله ﷺ بينه وبين قريش يوم الحديبية أن يرجع عامه هذا ، فإذا كان العام القابل دخل مكة ومعه سلاح الراكب ، ولا يدخلها إلا بالسيوف في القرب ـ قال وهب : «في قُربها» ـ فيقيم ثلاثا [1] .

---

١ ـ الأموال لأبي عبيد ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣ . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٧٨٤ .

ثم غزاة خيبر

في صفر سنة سبع . ويقال في جمادى الأولى . ويقال في شهر ربيع الأول .

سار رسول الله ﷺ إلى اليهود بخيبر ، فماكثوه وطاولوه ، وقاتلوا المسلمين ، ثم إنّ بعضهم نزل ومعه ابن أبي الحُقيق ، فصالحا رسولَ الله ﷺ على حقن الدماء وأن يخلوا بين المسلمين وبين الصفراء والبيضاء وبين أرضهم والبزّة إلا ما كان على الأجساد . فأقرهم رسول الله ﷺ في الأرض عمارا لها ، وعاملهم على الشطر من التمر والحبّ . وقال : «أُقرّكم ما أقرّكم الله» .

وخاطر عباسُ بن مرداس حويطبَ بن عبدالعزى على أن النبي ﷺ مغلوب . فأخذ حويطب منه مائة ناقة .

وبعث رسول الله ﷺ إلى أهل فدَكَ منصرفه من خيبر يدعوهم إلى الإسلام . فأتوه فصالحوه على نصف الأرض بتربتها ، فقبل ذلك منهم . وكان خليفة رسول الله ﷺ في غزاة خيبر سِباع بن عرفطة الكناني . ويقال نُميلة بن عبدالله الكناني .

حدثني هشام بن عمار ، ثنا إسماعيل بن عياش ، ثنا محمد بن الوليد الزبيدي ، عن الزهري ، حدثني عنبسة بن سعيد بن العاص ، عن أبيه ، عن أبي هريرة :

أن رسول الله ﷺ بعث سعيدَ بن العاص من المدينة في سرية قِبل نجد . قال أبو هريرة : فأتونا وقد فتحنا خيبر قبل أن نقسم الغنائم ، وإنّ حزم خيولهم يومئذ اللِّيف . فقال سعيد : يا رسول الله ، اقسم لنا ، فلم يقسم لهم من الغنيمة شيئاً .

ثم غزاة وادي القرى

انصرف رسول الله ﷺ من خيبر ، ثم صار إلى وادي القرى في جمادى الآخرة سنة سبع ، ففتحها عنوة ، وغنمه الله أموال أهلها . وكان خليفته سِباع ، أو نميلة . وخلافة سباع أثبت .

حدثني عبدالواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة ، عن بديل بن ميسرة ، عن عبدالله بن شقيق ، عن رجل من بلقين قال :

أتيت رسولَ الله ﷺ وهو بوادي القرى ، فقلت : يا رسول الله بما أُمرت ؟ قال : أمرتُ بأن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة . قلت : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ قال : المغضوب عليهم ، يعني اليهود . قلت : فمن هؤلاء ؟ قال : الضالون ، يعني النصارى . قلت : فلمن المغنم ؟ قال : لله سهم ، ولهؤلاء أربعة أسهم . قلت : فهل أحد أحقّ بالمغنم من أحد ؟ قال : لا ، حتى السهم يأخذه أحدكم من جنبه فليس بأحق به من أحد .

ثم عمرة رسول الله ﷺ

وهي عمرة القضاء ، ويقال عمرة القضية أيضا ، سار ﷺ ، وساق معه ستين بدنة ، وذلك في ذي القعدة سنة سبع ، وكان على بُدنه ناجية بن جُنْدب الأسلمي . فأقام بمكة ثلاثة أيام ، ثم خرج راجعاً إلى المدينة ، وجعل المشركون يقولون : لقد أصاب أصحابَ محمد بعدنا ضُرّ ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يظهروا الجلد والقوة ، فلذلك كان الرَّمَل[1]، وكان خليفة رسول الله ﷺ على المدينة أبا ذَرّ جُنْدب بن جنادة الغفاري . ويقال عُوَيف بن زمعة بن الأضبط الكناني .

---

١ ـ الرمل : الهروله .

ثم غزاة فتح مكة

لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان .

وكان سببها أن رسول الله ﷺ قاضى قريشا عام الحديبية على ما قاضاهم عليه ، فسمع رجل من خزاعة ـ وكانوا مع رسول الله ﷺ في عهده وعقده ـ رجلا من كنانة ـ وكانوا في عهد قريش وذمتها ـ يهجو رسولَ الله ﷺ . فوثب عليه وشجه ، فاقتتلت خزاعة وكنانة ، وأعانت قريش بني كنانة ، وخرج وجوههم يقاتلون متنكرين ، فقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن سالم بن حَصيرة الخزاعي في عدّة من قومه يستنفر رسول الله ﷺ ويذكره الحلف بين عبدالمطلب وبينهم ، فقال :

لا همّ إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لستَ تدعو أحدا وهم أذلّ وأقل عددا
فانصر هداك الله نصراً أيّدا وادع عباد الله يأتوا مددا

فحدثني عبدالواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة

أن خزاعة نادوا النبي ﷺ وهو يغتسل ، فقال : لبيكم . واستعدّ رسول الله ﷺ لغزو أهل مكة إذ نقضوا العهد ونكثوه . فكتب حاطب بن أبي

بلتعة اللخمي ، حليف الزبير ، إلى صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو يُعلمهم غزو رسول الله ﷺ إياهم ، وبعث بكتابه مع امرأة من مُزينة يقال لها كَنُود . ويقال مع سارة ، مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب بن عبدمناف . فجعلته في رأسها ، ثم فتلتْ عليها قرونَها . فوجّه رسول الله ﷺ إليها علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وأبا مرثد الغنوي ، وكلُّهم فارس . فلحقوها بروضة خاخ [1] . فأناخوا بعيرها ، ثم فتشوها . فلما رأت الجدّ ، أخرجت الكتاب من عقصتها . وقال بعضهم : لم تجعل الكتاب في رأسها ، ولكنها جعلته في حُجزتها . وقيل إنها جعلته في رأسها حتى أمنت ، ثم جعلته في حجزتها . فقال رسول الله ﷺ لحاطب : ما حملك على ما صنعتَ ؟ فقال : يا رسول الله ، إني صانعتُ القوم على مالي وأهلي قِبلهم ، ولستُ لهم بقرابة ولا فيهم من يذبّ عني . فقبل رسول الله ﷺ عذره ، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ائذن لي يا رسول الله أضرب عنقه فقد خان الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : «أوليس هو من أهل بدر ؟ ما ندري لعل الله قد اطلّع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد أوجبتُ لكم الجنة» . فأنزل الله عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياءَ تلقون إليهم بالمودة﴾ [2] . ومضت سارة إلى مكة . وكانت ، فيما يزعمون، مغنيّة . فأقبلت تتغنى بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين . ولما وافى رسول الله ﷺ مكة ، تسلح قوم معهم وقالوا : لا يدخلها محمد عنوة ، فقاتلهم خالدُ بن الوليد ، وكان أول من أمره رسول الله ﷺ بالقتال . وبعث رسول الله ﷺ

١ ـ خاخ موضع بين الحرمين ، هو بقرب حمراء الأسد . المغانم المطابة .
٢ ـ سورة الممتحنة ـ الآية : ١ .

الزبير في كتيبة ، سوى كتيبة خالد . وجعل أبا عبيدة بن الجرّاح على الحُسّر ، فأوقعوا بالمشركين . وكان العباس بن عبدالمطلب لقي رسول الله ﷺ بذي الحُليفة ، وهو يريد مكة وقد أظهر إسلامه ، فأمره أن يمضي نقْلَه إلى المدينة وقال : «هجرتك ، يا عم ، آخر هجرة كما أن نبوتي آخر نبوة» .

وكانت قريش لما جنتْ ما جنتْ ، خافت رسول الله ﷺ ، فبعثت أبا سفيان يجدّد الحلف ويُصلح بين الناس ، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : أنت سيد قريش ، فاضرب يدا على يد ، وأجدّ الحلف وأصلح بين الناس . فانصرفَ وهو يرى أنه قد صنع شيئاً ، ثم رجع وأقام بمرّ الظُّهران حتى وجدته خيلُ رسول الله ﷺ فأتته به . فمنعه العباسُ واستأمن له . فدخل مكة مع رسول الله ﷺ ، فلما رأى كثرةَ المسلمين وإيقاعهم بمن أوقعوا به من المشركين ، قال : أبيدت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم . فقال العباس : يا رسول الله ، إن أبا سفيان يحبّ الفخر على قريش ، فاجعل له شيئاً يُعْرَف به . فقال ﷺ : «من أغلق بابه فهو آمن ، ومن وضع سلاحه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» . وأمر أن لا يجهز على جريح ، ولا يتبّع مدبِر ، وأراد أبو سفيان دخول داره ، فقالت له هند : وراءك ، قبّحك الله فإنك شرُّ وافد . وقتل من قريش أربعة وعشرون ، ومن هذيل أربعة نفر . ويقال إنه قتل من قريش ثلاثة وعشرون ، وهرب أكثرهم واعتصموا برؤوس الجبال وتوقلوا فيها . ويقال انه استشهد من المسلمين كُرز بن جابر الفهري ، وخالد الأشعر الكعبي . وقال الكلبي : هو حُبيش الأشعر بن خالد الكعبي ، من خزاعة .

ودخل رسول الله ﷺ مكة ، وعليه عمامة سوداء ، ولواؤه أسود . وأمر رسول الله ﷺ بالأصنام فهدمت ، وبالصُّوَر التي كانت في الكعبة فمحيت ، وأمر بلالا ، حين جاءت الظهر ، فأذّن على ظهر الكعبة ، وقريش فوق الجبال : منهم من يطلب الأمان ، ومنهم من قد أومن . فلما قال : «أشهد أن محمداً رسول الله» ، قالت جويرية بنت أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع نهيق ابن أم بلال فوق الكعبة . ويقال إنها قالت : لقد رفع الله ذكر محمد ؛ وأما نحن فسنصلي ، ولكنا لا نحبّ والله من قتل الأحبة أبداً . وقال خالد بن أسيد بن أبي العيص : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم ير هذا اليوم ، ولم يسمع هذا الصوت . وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ، ليتني متُّ ولم أسمع نهيق ابن أم بلال على الكعبة . وهذا أثبت مما روى عن جويرية ، ويقال إنّ عكرمة بن أبي جهل قال : لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع نهيق ابن أم بلال على الكعبة .

وقيل لرسول الله ﷺ : ألاتنزل منزلك من الشعب ؟ فقال ﷺ : وهل ترك لنا عقيل من رباع ؟ وكان عقيل باع منزلَ رسول الله ﷺ ومنازل إخوته من الرجال والنساء . ونظر رسول الله ﷺ ، وأبو بكر يسايره ، إلى بنات أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية يلطّمن وجوه الخيل بالخُمر وقد نشرن شعورَهن ، فتبسم وقال : يا أبا بكر كيف قال حسان بن ثابت ؟ فأنشده :

تظلّ جيادُنا متمّطرَات تلطِّمهنّ بالخُمرُ النساءُ[1]

وكان حِماس [بن قيس][2] بن خالد الدِّيلي قال لامرأته حين أظلهم رسولُ الله ﷺ : لآتينك بخادم منهم ، فلما جاء منهزما ، قالت هازئة به :

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١٧ .

٢ ـ زيد ما بين الحاصرتين من سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٥٩ .

أين الخادم الذي وعدتَني فإني لم أزل منتظرة له ؟ فقال :

وأنت لو شهدِتنا بالخندمة ... إذ فرّ صفوانٌ وفرّ عِكرمة
أبو يزيد كالعجوز المؤتمة ... لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة
إذ ضربتنا بالسيوف المسلمه ... لهم زئير خلفنا وغمغمة

وكان هؤلاء الذين ذَكَرهم يقولون : لا ندع محمداً يدخل مكة أبدا .

ـ وأمر رسول الله ﷺ بقتل ستة نفر ، وأربع نسوة . فأما النفر : فعكرمة بن أبي جهل ، وهبّار بن الأسود ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومقيس بن صُبابة ، والحويرث بن نُقيد ، وابن خطل . وأما الأربع النسوة فهند بنت عتبة ، وسارة مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب ، وقينتا هلال بن عبد الله بن الأخطل الأدرمي ـ ويقال هو عبد الله بن هلال ؛ والأول قول الكلبي ، وقينتاه فرتنا وأرنب ، ويقال قُريبة ـ وأبو يزيد : سهيل بن عمرو .

ـ فأما عكرمة ، فإنه هرب . وأسلمت امرأته أمّ حكيم فقالت : يا رسول الله زوجي هرب خوفا منك ، فقال : «هو آمن» . فخرجت في طلبه ، ومعها غلام لها رومي فراودها عن نفسها ، فلم تزل تمنيه حتى انتهت إلى حيّ من العرب فاستغاثتْهم عليه . فأوثقوه رباطا . وأدركت عكرمةَ في ساحل من السواحل ، قد ركب البحر . فجعل النوتي يقول له : قل لا إله إلا الله ، فقال : ويحك ، ما هربتُ إلا من هذه الكلمة . وقالت له امرأته : جئتك ، يا بن عم ، من عند أوصل الناس وأحلمهم وأكرمهم ، قد أمنك وعفا عنك ، فرجع . وأخبرته خبر الرومي . فقتله وهو لم يُسلم بعد ، ثم لما قدم على رسول الله ﷺ ، وقف بين يديه . فأظهر السرور به . وأسلمَ وسأل النبي ﷺ أن يستغفر له . فاستغفر له ، وقال : والله لأجتهدنّ في جهاد

أعداء الله ، وجعل على نفسه أن يحصي كل نفقة أنفقها في الشرك فينفق مثلها في نصر الإسلام ، وأقرّ رسول الله ﷺ امرأته على نكاحه .

ـ أما هَبّار بن الأسود ، فكان ممن عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين حملت من مكة إلى المدينة ، فكان رسول الله ﷺ يأمر سراياه إن لقوه أن يحرّقوه . ثم قال : لا يعذّب بالنار إلا خالق النار . فأمر بقطع يديه ورجليه وقتله ، فلما كان يوم الفتح ، هرب ثم قدم على رسول الله ﷺ المدينة . ويقال أتاه وهو بالجعرانة حين فرغ من أمر المشركين بحُنين ، فمثُل بين يديه وهو يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقبل إسلامه ، وأمر أن لا يعرض له ، وخرجت سُلمى مولاةُ رسول الله ﷺ ، فقالت : لا أنعم الله بك عيناً ، فقال رسول الله ﷺ : مهلا ، فقد محا الإسلام ما قبله . قال الزبير بن العوام : لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ بعد غلظته على هبّار يطأطىء رأسه استحياء منه ، وهو يعتذر إليه .

ـ وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فإنه أسلم وكان يكتب بين يدي رسول الله ﷺ فيملي عليه «الكافرين» ، فيجعلها «الظالمين» ، ويملي عليه «عزيز حكيم» فيجعلها «عليم حكيم» ، وأشباه هذا ، فقال : أنا أقول كما يقول محمد وآتي بمثل ما يأتي به محمد . فأنزل الله فيه ﴿ومن أظلمُ ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يوحَ إليه شيء وَمن قال سأنزل مثلَ ما أنزل الله﴾[1] . وهرب إلى مكة مرتّداً ، فأمر رسول الله ﷺ بقتله ، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاع ، فطلب فيه أشدّ طلب حتى كفّ عنه رسول الله ﷺ ، وقال : أما كان فيكم من يقوم إلى هذا الكلب قبل أن أؤمنّه فيقتله ؟ فقال عمر ـ ويقال أبو اليسر ـ لو أومأت إلينا ، قتلناه . فقال : إني

---

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٩٣ .

ما أقتل بإشارة ، لأن الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين . وكان يأتي النبي ﷺ ، فيسلم عليه . وولاه عثمانُ مصر ، فابتنى بها دارا ، ثم تحوّل إلى فلسطين فمات بها . وبعض الرواة يقول : مات بإفريقية . والأول أثبت .

ـ وأما مِقْيَس بن صُبابة الكناني ، فإن أخاه هاشم بن صُبابة بن حزن أسلم وشهد غزاة المُرَيسيع مع رسول الله ﷺ فقتله رجل من الأنصار خطأ وهو يحسبه مشركا . فقدم مقيس على رسول الله ﷺ ، فقضى له بالدية على عاقلة الأنصاري ، فأخذها وأسلم ثم عدا على قاتل أخيه فقتله وهرب مرتدا وقال :

شفى النفسَ أن قد بات بالقاع مسنداً ... تُضَرِّجُ ثوبيه دماءُ الأخادع
ثأرتُ به فهرا وحملتُ عقله ... سراةَ بني النجار أربابَ فارع
حللتُ به وتري وأدركتُ ثؤرتي ... وكنتُ عن الإسلام أول راجع

فأمر رسول الله ﷺ بقتله من لقيه . فلما كان يوم الفتح ، خرج مدججّا ، وهو يقول :

دون دخول محمد أياها ضرب كأفواه المزاد .

وكان قد اصطبح ذلك اليوم في أصحاب له . وكانت أمه سهمية . وكان معهم . فعاد حين انهزم الناس ، فشرب . وعرف نُميلة بن عبد الله الكناني موضعه ، فدعاه . فخرج إليه ثملا ، وهو يقول متمثلا :

دعيني أصطبح يا بَكْرُ إنيّ ... رأيتُ الموت نقّبَ عن هشام
ونقّبَ عن أبيك أبي يزيد ... أخي القينات والشُّرب الكرام

فلم يزل يضربه بالسيف حتى قتله . فقال شاعرهم :

لعمري لقد أخزى نميلة رهطه وفجّع أضياف الشتاء بمقيس
فلله عينَا مَن رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تُخَرَّسِ[١]

ـ وأما الحويرث بن نُقيد ، فكان يعظّم القول في رسول الله ﷺ ، وينشد الهجاء فيه ويكثر أذاه وهو بمكة . فلما كان يوم الفتح ، هرب من بيته . فلقيه علي بن أبي طالب فقتله .

ـ وأما هلال بن عبد الله بن عبد مناف الأدرمي ، وهو ابن خَطل ـ وبعضهم يقول عبد الله ، والثبت أن اسمه هلال ـ فإنه أسلم وهاجر إلى المدينة . فبعثه النبي ﷺ ساعيا على الصدقة ، وبعث معه رجلا من خزاعة . فوثب على الخزاعي فقتله . وذلك أنه كان يخدمه ، ويتخذ له طعامه . فجاء ذات يوم ولم يتخذ له شيئاً ، فاغتاظ وضربه حتى قتله . وقال : إن محمداً سيقتلني به ، فارتدّ وهرب وساق ما كان معه من الصدقة ، وأتى مكة . فقال لأهلها : لم أجد دِينا خيرا من دينكم . وكانت له قينتان ، فكانتا تغنينان بهجاء رسول الله ﷺ ، ويدخل عليهما المشركون فيشربون عنده الخمر . فقال رسول الله ﷺ يوم الفتح : اقتلوه ولو كان متعلقا بأستار الكعبة . فقتله أبو بَرزة الأسلمي . واسمه نَضلة بن عبد الله ، وذلك الثبت . وبعضهم يقول : اسمه خالد بن نضلة ، وهو قول الهيثم بن عدي . وبعضهم يقول : عبد الله بن نضلة أيضاً ، ويقال قتله شريك بن عبدة ، من بني العجلان .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن يعقوب بن عبد الله القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبي بَرْزة

---

١ ـ الخرس : طعام النفساء . والشطرة الثانية مختلة الوزن ووردت بهذا الشكل في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٦١ .

أنه سمعه يقول : ﴿لا أُقْسم بهذا البلد * وأنتَ حِلٌّ بهذا البلد﴾[1] . فأخرجتُ عبدَ الله بن خطل ، وهو في أستار الكعبة ، فضربتُ عنقه بين الركن والمقام . ويقال : قتله عمار بن ياسر . ويقال سعيد بن حريث المخزومي أخو عمرو بن حريث .

ـ أما هند ، فأسلمت وكسرت كل صنم في بيتها ، وأتت رسول الله ﷺ مسلمةً ، وبايعها مع النساء ؛ وكان في بيعة النساء «أن لا يزنين» ، فقالت : «وهل تزنى الحُرّة ؟» . وأهدت إلى رسول الله ﷺ جديَين ، واعتذرت من قلة ولادة غنمها . فدعا لها رسول الله ﷺ ، فكثرت غنمهم . فكانت تقول : هذا ببركة رسول الله ﷺ ؛ فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وأكرَمنا برسوله ، وقالت حين هدمت الأصنام التي كانت في بيتها : لقد كنا منكم في غرور .

ـ وأما سارة ، صاحبة كتاب حاطب بن أبي بلتعة ، فكانت مغنّية نوّاحة . وكانت قدمت من مكة ، فوصلها رسول الله ﷺ حين شكت إليه الحاجة . وقالت : إني قد تركتُ النوحَ والغناء . ثم رجعت إلى مكة مرتدّة ، وجعلت تتغنى بهجاء رسول الله ﷺ . فقتلها علي بن أبي طالب . ويقال غيره .

ـ أما قينتا ابن خطل ، فإن إحداهما وهي أرنب ـ ويقال قُريبة ـ فقتلت . وبقيت الأخرى ، فجاءت مسلمةً ، وقد تنكرت . واسمها فُرتنا . ولم تزل باقية إلى خلافة عثمان . فانكسرت لها ضلع ، وماتت ، وقال الواقدي : كُسرت ضلع من أضلاع فرتنا ، قينة ابن خطل ، فقضى عثمان فيه بثمانية آلاف : ستة آلاف ديتها وألفان لتغليط الجناية .

---

١ ـ سورة البلد ـ الآيتان : ١ ـ ٢ .

ـ وكان عبد الله بن أبي أمية من أشدّ الناس على النبي ﷺ . وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شديداً عليه وكان يكذّبه ويهجوه . وفيه يقول حسان : (شعر)

أتهجوه ولستَ له بنِد فشرُّكما لخيركما الفداءُ[1]

فأتيا رسولَ الله ﷺ بنِيق العُقاب فلم يأذن لهما ، فأما عبد الله بن أبي أمية ، فتكلمت فيه أخته أم سلمة ، حتى أذن له فسلم عليه وبايعه ولم يغمص عليه في إسلامه حتى استشهد يوم الطائف ، وأما أبو سفيان ، فتكلم فيه العباس حتى أذن له وبايعه ، ولم يزل مستغفراً مما كان فيه ، مجتهداً في مناصحة الإسلام حتى مات في خلافة عمر ، وصلى عليه عمر . ويقال إنّ أبا سفيان أتى النبي ﷺ وهو بالأبواء ، فأسلم . ويقال إنّ أبا سفيان كان أخا النبي ﷺ من الرضاع : أرضعته حليمة أياماً .

ـ قالوا : وجعل رسول الله ﷺ يطعن الأصنام بمحجن معه ويقول : ﴿جاء الحق وزهق الباطلُ إنّ الباطلَ كان زهوقا﴾[2] ، ودفع رسول الله ﷺ مفتاحَ الكعبة إلى عثمان بن طلحة ، وكان قد أسلم قبل الفتح ، هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص في وقت واحد ، وخرج عن المدينة إلى مكة ، وفيه نزلت ﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها﴾[3] .

ـ وبعث سهيل بن عمرو ابنه ، عبدَ الله بن سهيل ، إلى رسول الله ﷺ ، فأمنه رسول الله ﷺ . فقال سهيل : «بأبي وأمي هو ، فلم يزل برّا

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١٨ .

٢ ـ سورة الإسراء ـ الآية : ٨١ .

٣ ـ سورة النساء ـ الآية : ٥٨ .

حليها صغيراً وكبيراً» . وخرج مع رسول الله ﷺ على شركه ، فأسلم بالجعرانة .

ـ وهرب هبيرةُ بن أبي وهب المخزومي ، وهو يومئذ زوج أم هانىء بنت أبي طالب ، وابنُ الزِّبَعرى ـ وقال أبو عبيدة : الزَّبعرِي بالفتح ـ معه إلى نجران . فأما ابن الزبعرى ، فرجع مسلما . فلما رآه النبي ﷺ ، قال : قد جاءكم عبد الله وإنما أرى في وجهه نور الإسلام . فقال : السلام عليك يا رسول الله . وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . واعتذر إلى النبي ﷺ ، فقبل عذرَه وقال : الحمد لله الذي هداك إلى الإسلام ، فقد محا الإسلام ما كان قبله ، ومات هُبيرة بنَجران مشركا .

ـ وهرب حُويطب بن عبد العزى . فرآه أبو ذَرّ في حائط ، فأخبر رسولَ الله ﷺ بمكانه ، فقال : أو ليس قد أمنّا الناس إلا من أمرنا بقتله ؟ فأتاه فأخبره ، أو أخبر غيره بذلك ، فأمن . وكان حويطب بن عبد العزى دخل على مروان بن الحكم بعدُ ، وهو والي المدينة ، فقال له مروان : تأخّر إسلامك يا شيخ . فقال : قد والله هممتُ به غير مرة ، فكان أبوك يصدّني عنه .

ـ وهرب صَفوان بن أمية ، وكان يكنى أبا وهب . فتكلم فيه عمير بن وهب الجمحي ، وقال : سيد قومي هاربٌ خوفاً ، فأمنه رسول الله ﷺ ، فلحقه فأعلمه أمانه ، فلم يثق به حتى بعث إليه رسول الله ﷺ ببردة كان معتجراً بها ، فأطمأنّ ورجع مع عمير ، وأقام كافراً ، وأعار رسولَ الله ﷺ مائة درع بأداتها ، وشهد حنين والطائف مع رسول الله ﷺ فرآى غنما كثيرة من الغنيمة ، فنظر إليها . فقال له رسول الله ﷺ : أعجبتك ؟ قال :

نعم . قال : فهي لك . فقال : والله ما طابت بها إلا نفس نبي ، وأسلم . وأقام بمكة . فقيل له : لا إسلام لمن لم يهاجر .

وأتى المدينة . فقال له رسول الله ﷺ : عزمتُ عليك يا أبا وهب لما رجعتَ إلى أباطح مكة . فرجع ومات أيام خروج الناس إلى البصرة ليوم الجمل .

واستسلف رسولُ الله ﷺ من عبدالله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ، ومن صَفوان خمسين ألف درهم ، ومن حويطب بن عبدالعزى أربعين ألف درهم . فردّها حين فتح الله عليه هوازنَ ، وغنّمه أموالهم . وإنما استقرضها ليقوّي بها أصحابه .

وكان عليه السلام أمر بقتل وحشي ، قاتل حمزة ، فهرب إلى الطائف ، ثم قدم في وفدها فدخل على رسول الله ﷺ . وهو يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فقال النبي ﷺ : «أوحشي» ؟ قال : نعم . قال : أخبرني كيف قتلتَ حمزة ؟ فأخبره . فقال : «غيّب عني وجهك» . قال الواقدي : فأول من ضُرب في الخمر وحشي ، وأول من لبس المعصفَر المصقول بالشأم وحشي ، لا اختلاف بينهم في ذلك .

قالوا : وأسلم الحارث بن هشام وأقام بمكة ، وكان مغموصاً عليه في إسلامه. فلما جاءت وفاة النبي ﷺ وبيعة أبي بكر، كان بمكة. ثم لما استنفر أبو بكر الناس لغزو الروم بالشأم ، شخص هو وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، فاستأذنوه في الغزو . فأذن لهم . فخرجوا إلى الشأم . فاستشهد عكرمة يوم أجنادين . ومات سهيل . والحارث في طاعون عمواس .

قالوا : وبلغ رسولَ الله ﷺ أنّ أنس بن زُنيم ، وهو أبو إياس ـ وكان ابنه مسمى باسمه ـ هجاه . فقدم عليه يعتذر في شعر يقول فيه :

فما حملتْ من ناقة فوق رحلها أعفَّ وأوفى ذمةً من محمد
أحثّ على خير وأسرع نائلا إذا راح يهتزّ اهتزاز المهنّد
ونُبيِّ رسولُ الله أني هجوته فلا رفعت سوطي إليّ إذاً يدي
سوى أنني قد قلتُ يا ويح فتية أصيبوا بنحسٍ يوم طلق وأسعد

فبلغ رسول الله ﷺ اعتذاره وشعره ، وكُلّم فيه ، فعفا عنه ، وكان قد نذر دمه .

وقال رسول الله ﷺ يوم الفتح : «ألا إنّ كل دين ومال ودم ومأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي ، إلا سدانة البيت وسقاية الحاجّ . وأول الدماء دم آدم بن ربيعة» . وكان حذيفة بن أنس الهذلي الشاعر خرج بقومه يريد بني عدي بن الديل ، فوجدهم قد ظعنوا عن المنزل الذي عهدهم فيه ، ونزّله بنو سعد بن ليث . فأغار على بني سعد ، وآدم بن ربيعة مسترضَع له فيهم وصغيراً ، فقتل . فوضع رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح . فقال حذيفة بن أنس :

أصبنا الأُلى لما نُرِدْ أن نُصيبهم فساءت كثيراً من هذيل وسرّت
أسائل عن سعد بن ليث لعلهم سواهم قد أصابت بهم فاستحرّت[1]
فلا توعدونا بالجياد فإنها لنا أكلة قد عضلّت فأمرّت

وكان خليفة رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم . ويقال كان خليفته أبا رهم الغفاري . وفشا الإسلام بمكة ، وكسر الناس أصنامهم ، ووجّه رسول الله ﷺ في كسر الأصنام التي حول مكة ، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ، حتى خرج منها إلى حنين . واستخلف عليها عَتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية . وأسلم عبدالله بن أبي أمية في الفتح .

١ ـ كذا بالأصل وهو مختل الوزن .

ثم غزاة حُنين

قالوا : قدم رسول الله ﷺ مكة لثماني عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ، فأقام بها اثنتي عشرة ليلة . ثم أصبح غداة الفطر غازياً إلى حنين ، وهو واد من أودية تهامة . وكانت أشراف هوازن بن منصور وغيرهم من قيس قد تجمعوا مشفقين من أن يغزوهم رسول الله ﷺ ، وقالوا : قد فرغ لنا ، فلا ناهية له دوننا ، والرأي أن نغزوه . فساروا ، وعليهم مالك بن عوف بن سعد ، أحد بني دُهمان بن نصر بن معاوية بن بكر ، حتى نزلوا بأوطاس . وانتهى خبرهم إلى رسول الله ﷺ ، فاستعمل على مكة عتّاب بن أسيد ، وجعل معاذ بن جبل على تعليم الناس السنن ، وأقرّ ابن أم مكتوم وأبا رُهم على المدينة ، وخرج في اثني عشر ألفا من المسلمين . فقال أبو بكر ، ويقال غيره : لن نؤتى اليوم من قلة . فذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ويوم حُنين إذ أعجبتكم كثرتُكم فلم تُغْنِ عنكم شيئاً﴾[1] . ونزل رسول الله ﷺ على حنين ، وبينه وبين مكة ثلاث . وذلك في شوال . فالتقى المسلمون والمشركون على حنين ، فاقتتلوا أشد قتال . فانكشف

١ ـ سورة التوبة ـ الآية : ٢٥ .

المسلمون إلا مائة ثبتوا وصبروا مع رسول الله ﷺ ، منهم : العباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وعمر ، وأيمن بن عبيد . ثم ثابَتِ الأنصارُ . وثاب الناس ، فهزم الله المشركين ، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، ويقال إن من ثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ العباس ، وعلي ، وأبو سفيان بن الحارث ، وعقيل بن أبي طالب ، والزبير ، وعبد الله بن الزبير ، وأسامة . وجعل أبو سفيان يقاتل ويقول :

بنو أبيه اليوم منْ أمامِهِ ومِنْ حواليه ومِن أهضامه
فقاتلَ المسلمُ عن إسلامه وقاتل الحَرَمِيٌّ عن إحرامه

وأتى فلٌّ هوازن أوطاسَ ، وقد سُبي منهم سبي كثير بعث بهم رسول الله ﷺ إلى الجعرانة . وولى أمر السبى بُديل بن وَرقاء الخزاعي . وبعث رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري إلى أوطاس متبعاً للكفرة ، فقُتل . قتله سلمةُ بن سمادير الجشمي ، في قول ابن الكلبي . فقام بأمر الناس أبو موسى الأشعري . واقبل المسلمون إلى أوطاس ، فهربوا منهم إلى الطائف .

حدثنا هشام بن عمار ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا يحيى بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن نعيم الأزدي ، عن الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري قال :

لما هزم الله هوازنَ يوم حُنين ، عقد رسول الله ﷺ لأبي عامر على خيل الطلب ، فطلبهم وأنا معه فإذا ابن دُريد بن الصِّمّة . فعدل أبو عامر إليه ، فقتله ابن دريد وأخذ اللواءَ منه . وشددتُ على ابن دريد ، فقتلته وأخذتُ اللواء منه ، ثم انصرفتُ بالناس . فلما رآني رسول الله ﷺ قال : أقُتل أبو عامر ؟ قلتُ : نعم . فرفع رسول الله ﷺ وسلم يده يدعو لأبي عامر .

وكان شيبة بن عثمان العبدري شديداً على المسلمين ، وكان ممن أومن ؛ فسار إلى هوازن طمعا في أن يصيب من النبي ﷺ غرّة . قال : فدنوت منه ، فإذا أهله محيطون به ، ورآني فقال : «يا شيبُ ، إليّ» . فدنوتُ منه . فمسح صدري ، ودعا لي . فأذهب الله كل غلّ كان فيه ، وملأه إيماناً ؛ وصار أحبّ الناس إلي .

ثم غزاة الطائف .

أتاها رسول الله ﷺ ، فنصب عليها منجنيقاً اتّخذها سلمانُ الفارسيُّ . وكان مع المسلمين دَبّابة . يقال إنّ خالد بن سعيد بن العاص قدم بها من جُرَش[1] . فحاصر أهلَ الطائف خمسة عشر يوماً . وألقوا على الدبّابة سككاً من حديد محماةً ، فأحرقتها وأصابت من تحتها من المسلمين . ثم انصرف عن الطائف إلى الجعرانة ، فقسّم الغنائم والسبي . وقال ﷺ : «رُدّوا الخيطَ والمخيط ، وإياكم والغَلول فإنه عار ونار وشنار يوم القيامة» . ثم أخذ بيده وبرة ، فقال : «ما يحلّ لي مما أفاء الله عليكم مثل هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود فيكم» . وبعث أهلُ الطائف وفدهم إلى رسول الله ﷺ في شهر رمضان سنة تسع ، وفيهم عثمان بن أبي العاص الثقفي ، يسألونه أن يكتب لهم كتاباً على ما في أيديهم مما يسلمون عليه من مال وركاز وغير ذلك ، ففعل ، وأسلموا .

وكان خليفة رسول الله ﷺ بالمدينة ابن أم مكتوم ، أو أبا رهم . ونزل مالك بن عوف من حصن الطائف، فأتى رسولَ الله ﷺ ومدحه بشعر وأسلم

---

١ ـ جرش اليمن .

فوهب له رسول الله ﷺ أهل بيته ، واستعمله على من أسلم من قومه ومَن حول الطائف .

وحدثني مصعب بن عبد الله الزبيري قال سمعت مالكا يحدث أنه كان مع رسول الله ﷺ حَسَك من خشب يُطيف بعسكره حين حاصر أهل الطائف .

ومنّ رسول الله ﷺ على أقارب ظئره حليمة يوم حنين .

ونزل إلى رسول الله ﷺ ، حين حاصر أهل الطائف ، رقيق من رقيقهم . منهم أبو بكرة بن مسروح مولى رسول الله ﷺ ، واسمه نُفيع وهو أخو زياد بن أبي سفيان لأمه ؛ والأزرق ، وكان روميا غلاماً للحارث بن كَلَدة الثقفي ، وولده بالمدينة قد شرُفوا ، وقد كان الأزرق هذا تزوّج سمية أم عمار بن ياسر ، ثم تزوجها ياسر فولدت له عماراً ، ويقال بل خلف الأزرق على سُمَيَّة وقد فارقها ياسر ، فولدت له سلمة بن الأزرق ، وهو أخو عمار لأمه . وبعض الرواة يظن أنه أبو الأزارقة ؛ والأزرق الذي نسب إليه الأزارقة أبو نافع بن الأزرق وهو حَنَفي ، وهو غير هذا . قالوا : وكانت ثقيف تقول ، حين حاصرها النبي ﷺ :

نحن قَسيٌّ وقسيا أبونا والله لا نُسلم ما حيينا
وقد بنينا حائطاً حصينا

وحدثني محمد ، عن الواقدي ، عن عبدالحميد بن جعفر ، عن الوضين بن عطاء ، عن مكحول

أن رسول الله ﷺ نصب المنجنيق على حصن الطائف ، ولم يخلُ الحصن يومئذ من أن يكون فيه الذرية .

حدثنا محمد ، عن الواقدي ، عن عبدالحميد ، عن مسلم بن يسار أن سَلمان أشار بنصب المنجنيق على الطائف ، فأمر النبي ﷺ أن يعلموا ، ثم نصبه [١].

قالوا : وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية مات في ماله بالطائف سنة اثنتين من الهجرة كافراً . ويقال في أول سنة من الهجرة . فلما غزا النبي ﷺ الطائف ، رأى قبرَ أبي أحيحة مشرفا فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : لعن الله صاحبَ هذا القبر فإنه كان ممن يحادّ الله ورسوله . فقال ابناه ، عمرو وأبان ، وهما مع رسول الله ﷺ : بل لعن الله أبا قحافة فإنه لا يَقري الضيف ولا يمنع الضيم ، فقال رسول الله ﷺ : «سبُّ الأموات يؤذي الأحياء ، فإذا سببتم فعمّوا» [٢] .

قالوا : وحجّ بالناس في سنة ثمان عتّاب بن أسيد . ويقال بل حجوا بلا أمير أوزاعاً [٣].

---

١ ـ مغازي الواقدي ج ٣ ص ٩٢٣ ـ ٩٣٢ . طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

٢ ـ بهامش الأصل : «أسلم أبو قحافة رضي الله عنه يوم الفتح . وما كان النبي ﷺ ليرضى بلعنه رحمه الله . بل لعن الله أهل الأهواء الفاسدة» .

٣ ـ الأوزاع : الجماعات . القاموس .

ثم غزاة تبوك

وكانت في رجب سنة تسع .

وسببها أن هرقل ومن اجتمع إليه من لخم ، وجذام ، وعاملة وغيرهم أظهروا أنهم يريدون غزو رسول الله ﷺ ، فلما سار إليهم ، هابوا محاربته ، فلم يلق كيداً . وأتته رسلُ هرقل ، فكساهم وردّهم . وكان جيش رسول الله ﷺ في هذه الغزاة يدعى جيش العُسرة ، لأن الناس كانوا مضيّقين . فجهز عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ثلثهم ، ويقال أكثر من ذلك . وأنفق عليهم رضي الله تعالى عنه سبعين ألف درهم ، ويقال أكثر من ذلك ، وأعطاهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه جميع ما بقي من ماله ، وهو أربعة آلاف درهم . وكان المسلمون ثلاثين ألفاً ، وكانت الإبل اثني عشر ألف بعير ؛ والخيل عشرة آلاف .

وكان خليفة رسول الله ﷺ بالمدينة ابن أم مكتوم . ويقال محمد بن مسلمة الأنصاري . ويقال كان خليفته أبا رُهم . ويقال سِباع بن عُرْفُطة . وأثبت ذلك محمد بن مسلمة الأوسي .

حجة الوداع

ثم كانت حجة رسول الله ﷺ في سنة عشر ، وهي التي تسمى حجة الوداع ، وإنما سميت بذلك بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وكان عبدالله بن عباس أنكر قولهم «حجة الوداع» ؛ فقالوا : «حجة الإسلام» . فقال : نعم ، لم يحجّ رسول الله ﷺ من المدينة غيرها . وقال إبراهيم بن سعد : هي تسمى أيضاً «حجة البلاغ» . وكان خليفته في هذه الحجة ابن أم مكتوم .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة ، عن أبيه ، عن كريب ، عن ابن عباس قال :

خرج رسول الله ﷺ من بيته متدهنّا مترجلا[1] ، حتى أتى ذا الحليفة[2] .

قال : وحدثني ابن أبي سبرة ، عن يعقوب بن زيد ، عن أبيه قال :

---

١ ـ ترجيل الشعر : جعله بين السبوطة والجعودة . القاموس .

٢ ـ ذو الحليفة قرية بينها وبين المدينة ستة أميال وهي ميقات أهل المدينة . المغانم المطابة .

أحرم رسولُ الله ﷺ في ثوبين من نسج صُحار : إزارٍ ورداء . وخرج بنسائه جميعا ، فدخل مسجد ذي الحليفة ، فصلى ركعتين ثم أشعر بُدنه في الجانب الأيمن . ثم ركب ناقته القصواء ، فلما استوت به على ظهر البيداء ، أهل بالحجّ .

وُولد محمد بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما بذي الحليفة .

حدثني هشام بن عمار ، ثنا مالك بن أنس قال حدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ أفرد الحجّ .

وحدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :

أهلّ بعمرة ، وساق الهدي .

قال الزهري : وأخبرني القاسم ، عن عائشة :

أنه أهلّ بالحجّ . وقال الزهري ، عن أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لبيك بحجة وعمرة معا .

قال الزهري : وحدثني سالم ، عن أبيه

أن رسول الله ﷺ تمتّع(١) .

قال الواقدي : وحدثني محمد ، عن الزهري ، عن محمد بن عبد الله بن الحارث ، عن سعد بن أبي وقاص أنه قال :

تمتع رسول الله ﷺ . وقال الواقدي : وقد اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة عمرة مشهورة . وقال الواقدي : كانت زاملةُ(٢) رسول الله ﷺ وأبي بكر في حجته واحدة . واحتجم رسول الله ﷺ على رأسه بلَحْي جَمل ، وهو

---

١ - التمتع أن يعتمر الرجل ثم يستحل ، وبعد هذا ينوي الحج باحرام جديد أيام الحج .
٢ - الدابة التي تحمل الزاد والحوائج .

موضع بين المدينة ومكة ، ودخل رسول الله ﷺ مكة نهارا على راحلته حتى انتهى إلى البيت . فلما رأى البيت ، رفع يديه فوق زمام ناقته ، فأخذه بشماله . فبدأ بالطواف بالبيت قبل الصلاة ، ولم يستلم من الأركان إلا اليماني والأسود . ورَمَلَ ﷺ من الحَجر إلى الحَجر في الأشواط الثلاثة .

وحدثني محمد بن مصفى الحمصي ، حدثني أبو الفضل التميمي ، ثنا شعبه ، ثنا قتادة ، عن أبي الطفيل قال :

حج معاوية ، فوافق ابن عباس ، فاستلم ابنُ عباس الأركانَ كلها . فقال معاوية : إنما استلم رسول الله ﷺ الركنين اليمانيين . فقال ابن عباس : ليس من أركانه مهجور .

وخطب رسول رسول الله ﷺ قبل يوم التروية بيوم بعد الظهر ، ويوم عَرَفَةَ حين زالت الشمس وهو على راحلته قبل الصلاة ، والغد من يوم النحر بعد الظهر بمنى . وساق في حجته مائة بُدنة . نحر منها سِتّين بيده بالحربة . ثم أعطى عليا رضي الله تعالى عنه سائرها ، فنحرها . ولم يصم رسول الله ﷺ يوم عرفة ، وصلى الظهر والعصر بعرفة بأذان وإقامتين . ثم وقف بعرفة ، ودفع حين غابت الشمس . فقصر في سيره ثم صلى المغرب والعشاء بأذان وإقامتين . قال : وقال الزهري : صلاّهما بإقامة . وبات بالمزدلفة . وأذن لنسائه في التقدم من جَمْعٍ ، بِليَل . ووقف على ناقته القصواء حتى أسفر . ثم دفع . ورمى جمرة العَقَبة يوم النحر على راحلته . ونحر بالمنحر ، وقال : كل منى منحر . وحمل حصاةً من جَمْعٍ . ثم كان يرمى الجمار ماشيا . ورمى يوم الصدر راكبا . ويقال ماشيا . وكان يرفع يديه عند الجمار ، ويقف . ولا يفعل ذلك عند جمرة العقبة . وزار البيتَ يوم

النحر . ونفر يوم الصدر ، فنزل بالأبطح في قبة ضُربت له . فلما كان في آخر الليل ، خرج فودّع البيتَ . ثم مضى من وجهه إلى المدينة[١] .

حدثني هشام بن عمار الدمشقي ، ثنا عيسى بن يونس ، ثنا ثور بن يزيد ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الله بن فلان بن عامر ، عن عبد الله بن الأقرط

أن النبي ﷺ قال : أفضل أيامكم يوم النحر ، ثم يوم القرّ[٢] وهو اليوم الثاني . قال : وُقرّبت لرسول الله ﷺ خمس بدنات أو ستّ ، فطفقن يزدلفن بأيتهن يبدأ[٣] .

---

١ ـ مغازي الواقدي ج ٣ ص ١٠٩٢ ـ ١١١٥ .
٢ ـ في هامش الأصل : سمي يوم القرّ لأن الناس يقرون فيه بمنى .
٣ ـ في هامش الأصل : آخر المجلد الأول من الأصل المعارض به ، وفي آخره بخط بعضهم : درسته في شوال سنة سبعين وثلاثمائة والحمد لله رب العالمين . وهذا الأصل هو غير النسختين المكتتب هذا الفرع منهما ليكون ذلك أبلغ في الصحة ، ولله كل حمد .

سرايا رسول الله ﷺ :

ـ سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه بعثه رسول الله ﷺ يعترض عيرا لقريش في ثلاثين راكبا ، وعقد له لواء ، وهو أول لواء عقده ﷺ . فانتهى إلى الساحل ، ولم يلق كيدا . وذلك في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة .

ـ سرية أميرها عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف إلى بطن رابغ . وكان في ستّين راكبا . فلقي أبا سفيان بن حرب ، وهو في مائتي راكب . فتراموا وتناوشوا قليلا ثم افترقوا . وذلك على رأس ثمانية أشهر من الهجرة . ويقال لهذه السرية أيضاً ثنية المرّة ، مشدّد . «ورابغ» واد على عشرة أميال من الجُحْفة . ويقال إنّ سرية عبيدة هذه قبل سرية حمزة .

ـ سرية أميرها سعد بن أبي وقاص الزهري إلى الخرّار . بعثه رسول الله ﷺ لاعتراض عير قريش ، ففاتته . ولم يلق كيدا . وذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة . وبعد هذه السرية كانت غزاة الأبواء ، ثم غزاة بواط ، ثم غزاة سُفوان ، ثم غزاة ذي العُشيرة .

ـ وسرية أميرها عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة في رجب سنة اثنتين . قال عبد الله : دعاني رسول الله ﷺ وعليّ سلاحي ، ودعا أبيّ بن

كعب ، فأمره . فكتب كتابا . ثم أعطاني إياه . وكان في أديم خولاني . وقال : **قد استعملتك على هؤلاء القوم ، فأقرأ كتابي بعد ليلتين ، واسلك** النجديةَ . فكان فيه : «سر على اسم الله وبركته حتى تأتي بطن نخلة ، فارصد بها عير قريش» . قالوا : فسار حتى صار إلى نخلة فوجد بها عيراً لقريش ، فيها عمرو بن الحضرمي ، وحكم بن كيسان مولى بني مخزوم ، وعثمان بن عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، ونوفل بن عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة . فحلق ابن كيسان رأسه حين رأى المسلمين . فلما أراد واقد بن عبد الله التميمي ، وعكاشة بن محصَن أن يغيرا على العير ، رأيا الحَكَمَ محلوق الرأس . فانصرفا وقالا : هؤلاء قوم عمار . ثم تبينوا أمرهم ، فقاتلوهم . فرمى واقدٌ عمرو بن الحضرمي ، فقتله . واستأسر عثمان بن عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، وحكم بن كيسان . وأعجزهم نوفل بن عبد الله ، واستاقوا العير . ويقال إن المقداد بن عمرو أخذ حكم بن كيسان أسيراً . فلما قدم بابن كيسان على رسول الله ﷺ ، دعاه إلى الإسلام . فأسلم وجاهد حتى قتل ببئر معونة شهيداً ، ورسول الله ﷺ راض عنه .

وكان في الجاهلية المرباع . فخمّس رسول الله ﷺ تلك الغنائم ، ولم يرّبعها . وكانت أول غنيمة خمست في الإسلام . ثم أنزل الله عز وجل آية الغنيمة في الأنفال[1] . ويقال إنّ هذه الغنيمة أخرّت حتى قسمت مع غنائم أهل بدر . وجعلت قريش تقول : استحلّ محمدٌ القتالَ في الشهر الحرام ، يعنون رجبا ، وقال بعض المسلمين : يا رسول الله ، أنقاتل ، في الشهر الحرام ؟ فأنزل الله عزّ وجل : ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتالٌ فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخراجُ أهلهِ منه أكبرُ

١ ـ انظر سورة الأنفال ـ الآية : ٤١ .

عند الله والفتنة أكبرُ من القتل﴾(١) . يقول : القتال في الشهر الحرام كبير ؛ وأكبر من القتال في الشهر الحرام ، الصدّ عن سبيل الله ، والكفر به ، وإخراج أهل المسجد الحرام منه ؛ وفتنة المشركين المسلمين في الشهر الحرام أشدّ من القتل . وبعد هذه السرية كانت غزاة بدر القتال . وفدي عثمان بن عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة . فأتى مكة ، ثم قتل يوم أحد كافرا .

ـ وسرية عمير بن عدي بن خرَشة ، أحد بني خطمة ، من الأوس ، إلى عصماء بنت مروان اليهودي . وكانت تؤذي رسول الله ﷺ ، وتعيب الإسلام ، وقالت شعراً ، هو :

فباسْتِ بني مالك والنبيت وعوفٍ وباسْتِ بني الخزرج
أطعتم أتاويّ من غيركم فلا ـمن مُراد ولا مذحج
ترجونه بعد قتل الرؤوس كما يرتجى مرق المنضج

وكانت تحت رجل من بني خَطْمة .

وقال عمير بن عدي حين بلغه قولها : لله عليّ أن أقتلها إذا قدمتُ المدينة . وكان والمسلمين في مغزاهم ببدر . فلما قدم المدينة ، سأل رسولَ الله ﷺ أن يأذن له في قتلها ، ففعل . فأتاها ليلا ، فقتلها لخمس ليال بقين من شهر رمضان ، وجاء إلى رسول الله ﷺ . فقال : «أقتلت عصماء» ؟ قال : نعم . فقال رسول الله ﷺ : «لا ينتطح فيها عنزان» . وهو ﷺ أول من قالها .

وقال ابن الكلبي : هو عمير بن خَرَشة بن أمية بن عامر بن خَطْمة ـ واسم خطمة عبد الله ـ بن جُشم بن مالك بن الأوس . وعدي أخو عمير .

ـ وسرية سالم بن عمير الأنصاري في شوال سنة اثنتين إلى أبي عَفَك ،

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢١٧ .

وهو الثبت . وبعضهم يقول : عَفك ، وكان شيخا كبيراً يحرّض الناسَ على النبي ﷺ ، وكان من بني عمرو بن عوف . ولم يدخل في الإسلام . فأقبل إليه سالم منصرفه من بدر ، وهو نائم بفناء منزله في بني عمرو بن عوف ، فقتله ، وصاح حين وجد حرّ السيف صيحة منكرة ، فاجتمع إليه قوم ممن كان على مذهبه ، فقبروه . وتغيب سالم ، فلم يعلموا من قتل عفك . وقال قوم : أتاه علي بن أبي طالب ، وهو نائم على فراشه ، فقتله . وكانت غزاة بني قَيْنُقاع بعد هذه السرية ، ثم غزاة السويق ، ثم غزاة قَرقَرة الكُدّر .

ـ وسرية إلى كعب بن الأشرف اليهودي ، وكان طائيا . بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ، ومعه خمسة من الأنصار أو أربعة وهو خامسهم ، فأتوه وهو في أُطمة . فنادوه ، فنزل إليهم ، فقتلوه . وكان فيهم عباد بن بشر بن وقش الأوسي ، وكان أخاه من الرضاع ، فقال :

صرختُ به فلم ينزل لصوتي وأوفى طالعا من فوق قصر
فعدتُ فقالَ من هذا المنادي فقلتُ أخـوك عبّاد بن بِشر

وكانت هذه السرية في شهر ربيع الأول سنة ثلاث، وكان ابن الأشرف أتى مكة ، ورثى أهل بدر وأقام بمكة ، وكان حسان بن ثابت يهجو كل من آواه وأنزله، بأمر رسول الله ﷺ . فإذا بلغهم هجاؤه، أخرجوه . فلما لم يجد له مؤويا ، آتى المدينة . فقال رسول الله ﷺ : «اللهم اكفني كعبا بما شئت» ، لإعلانه الشر وقوله الشعر . فانتدب له محمد بن مسلمة . وبعد هذه السرية غزاة ذي أمرّ ، ثم غزاة بني سُليم ببَحران .

ـ وسرية القردة ، وهي فيما بين الرَّبَذة والغُمر ، ناحية ذات عرق . وكانت قريش عدلت بعيرها عن الطريق إلى ماء هناك خوفا من المسلمين . فوجّه رسول الله ﷺ زيد بن حارثة مولاه في عدّة من المسلمين ، وزيد

أميرهم . فظفر بالعير ، وأفلت أعيانُ القوم : صفوان بن أمية وغيره ، فبلغ الخُمس عشرين ألف درهم . وكان فرات بن حيان العجلي دليل قريش ، فأسره زيد وأتى به النبي ﷺ ، فأسلم ، وكانت هذه السرية في جمادى الآخرة سنة ثلاث . وبعدها كانت غزاة أحد .

- وسرية أبي سلمة بن عبد الأسد ، إلى بني أسد ، في المحرم سنة أربع . وكانوا جمعوا جمعاً عظيماً ، وعليهم طليحة بن خويلد ، وأخوه سلمة بن خويلد ، يريدون غزو المدينة ، فبلغ قَطَناً ، وهو جبل ، فلم يلق كيدا . وذلك أن الأعراب تفرّقوا ، وأصاب نعما استاقها . ويقال إنه لقيهم ، فقاتلهم ، فظفر وغنم .

- وسرية أميرها المنذر بن عمرو بن خُنيس بن لوذان الساعدي . بعث به رسول الله ﷺ مع أبي بَراء عامر بن مالك الكلابي ، ملاعبِ الأسنّة ، في صفر سنة أربع . وذلك أنه وفد على النبي ﷺ فسأله أن يوجّه معه قوما يعرّفون مَن وراءه فضلَ الإسلام ، ويدعونهم إليه ، ويصفون لهم شرائعه . وعرض رسول الله ﷺ عليه الإسلام فقال : أرجع إلى قومي ، فأناظرهم ، فلما سار إلى بئر معونة ، استنهض عامرُ بن الطفيل بن مالك ، من بني كلاب ، لقتال أصحاب رسول الله ﷺ . وكانوا أربعين رجلاً ، ويقال سبعين . فلم ينهضوا معه كراهة أن يخفروا ذمة أبي براء . فأتى بني سليم ، فاستنفرهم . فنفروا معه وقاتلوا أصحاب النبي ﷺ ببئر معونة . فاستشهدوا جميعا . فغّم ذلك أبا براء ، وقال : أخفرني ابن أخي ذمته من بين قومي .

وكان ممن استشهد ببئر معونة : عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر الصديق . طعنه جبّار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب . فأخذ من

رمحه ، فُرفع . فزعموا أن جباراً أسلم . وقال الكلبي : لم ينج إلا عمرو بن أمية الضِّمري .

ـ وسرية أميرها مَرثد بن أبي مرثد الغَنوي ، ويقال عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري ـ واسم أبي الأقلح قيس بن عصمة من الأوس ـ إلى الرجيع . وهو ماء لهذيل . وكان رسول الله ﷺ بعثهم إليه في صفر سنة أربع يقبض صدقاتهم ويفقههم في الدين ، لادّعائهم الإسلام على سبيل المكيدة . فلما صاروا إليهم ، غدروا ، وكثروهم ، فقتل مرثد ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح وأرادوا إحراقه فحمت الدَّبَر ـ وهي النحل ـ لحمه ومنعته ، فلم يقدروا على أن يمسوه . فلما جنّ عليه الليل ، أتى سيل فذهب به . وباعوا خُبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة الأوسي من قريش . فقتلوه وصلبوه بالتنعيم . وكان أول من صلى ركعتين قبل القتل . وقتل يومئذ خالد بن البكير ، أخو عاقل بن البكير الكناني . وبعضهم يقول : ابن أبي البكير . والأول قول الكلبي . وأم بني البكير عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة . وبعد هذه السرية غزاة بني النضير ، ثم غزاه بدر الموعد .

ـ وسرية عبد الله بن أبي عتيك الخزرجي ، إلى رافع بن أبي الحقيق اليهودي . بعثه رسول الله ﷺ إليه في ذي الحجة سنة أربع . فقتله في منزله . وقال قوم : بعثه إليه في سنة خمس . وقال الكلبي : هو عبد الله بن عتيك . وبعد هذه السرَية غزاة ذات الرقاع ، ثم غزاه دُومة الجندل ، ثم غزاه بني المصطلِق ، ثم الخندق ، ثم بني قريظة .

ـ وسرية عبد الله بن أنيس ، من ولد البرك بن وَبَرة ـ وعداده في جُهينة ـ في المحرم سنة ست إلى سفيان بن خالد بن نُبيح ـ ويقال إلى جالد بن

نبيح ـ الهذلى بعُرَنة[1] ، فقتله وهو نائم ويقال إن ابن أنيس لم يكن في جماعة ، وأنه مضى وحده متنكّراً ، فقتله . فلما قدم على رسول الله ﷺ ، دفع إليه مِخصرته ، وقال : «القني بها يوم القيامة» .

ـ وسرية محمد بن مسلمة بن خالد بن مجدعة الأوسي ، من الأنصار ، في المحرم سنة ست أيضاً إلى القُرَطاء ، من بني كلاب ، بناحية ضرّية . وبينها وبين المدينة سبع ليال ، أتاهم ، فغنم نعماً وشاءً ، وأخذ ثمامةَ بن أثال الحنفي . ثم رجع إلى المدينة ، والقُرَطاء بنو قرط وقريط ، وقُريط بنو عبد الله بن أبي بكر بن كلاب . وبعده غزاة بني لحيان ، من هُذيل . ثم غزاة ذي قَرَد ، وهي غزاة الغابة .

ـ وسرية أميرها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه . وجهّه رسول الله ﷺ لاتباع بني لحيان ، في شهر ربيع الأول سنة ستّ .

ـ وسرية عُكّاشة بن محصَن ، إلى غَمْر مرزوق ، على ليلتين من فيد ، في شهر ربيع الآخر سنة ست . نذر به الأعراب فهربوا ، فبعث طلائعه ، فأصاب لهم نعما .

ـ وسرية محمد بن مسلمة إلى ذي القَصّة[2] فى شهر ربيع الآخر سنة ست . لقيه بنو ثعلبة بن سعد بها . فاستشهد من معه ، وارتثّ ، فلما انصرف الأعراب ، حمله رجل من المسلمين ، وهو مثخن ، حتى أتى المدينة .

ـ ثم سرية أبي عبيدة بن الجرّاح إلى مصارع أصحاب محمد بن مسلمة . أتى ذا القصّة ، فلم يلق كيدا ، وأصاب نعما وشاء .

---

١ ـ بطن عرنه : واد بحذاء عرفات . معجم البلدان .
٢ ـ ذو القصة موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد المغانم المطابة .

ـ وسرية أبي عبيدة أيضاً إلى ذي القصّة ، وقد اجتمعت هناك محارب بن خَصَفة ، وثعلبة بن سعد ، وأنمار بن بغيض في موقع سحابة . فأغار عليهم ، فأعجزوه هربا . واستاق لهم نعما . وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ستّ .

ـ وسرية زيد بن حارثة إلى سليم ، بالحَموم ، في شهر ربيع الآخر سنة ست أيضاً أراهم . فاستاق لهم نعما ، وأصاب أسرى .

ـ وسرية زيد بن حارثة أيضا إلى العِيص ، في جمادى الأولى سنة ست لاعتراض عير قريش ، وقد قدمت من الشأم ، فاستاقها . وكان في العير أبو العاص بن الربيع زوج بنت رسول الله ﷺ ، فأخذه أسيرا . فاستجار بزينب ، فأجارته . ورُدّ عليه ما أخذ منه . ثم أسلم .

ـ وسرية زيد أيضاً إلى الطَّرَف ، في جمادى الآخرة سنة ستّ . توجّه إلى بني ثعلبة هناك ، فهربوا . وأصاب عشرين بعيرا .

ـ وسرية زيد بن حارثة إلى لخم ، وجذام ، بحِسمَى[1] ، في جمادى الآخرة سنة ستّ ، وكانوا عرضوا لدِحية بن خليفة الكلبي رسول رسول الله ﷺ إلى قيصر ، فأصاب منهم نعما وشاءً ، وقتل وسبى ، ثم انصرف . ويقال إنّ هذه السرية كانت في سنة سبع .

ـ وسرية زيد بن حارثة إلى وادى القرى ، وقد تجمع بها قوم من مذحج وقضاعة . ويقال بل تجمع بها قوم من أفناء مُضَر . فلم يلق كيدا . وكانت في رجب سنة ستّ .

ـ وسرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُومة الجندل ، وكان بها قوم من

---

١ ـ حسمى أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان . معجم البلدان .

كلب . فأسلموا . وعمم رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف بيده ، حين بعثه على السرية ، وقال له : إن أطاعوك ، فتزوّج ابنةَ ملكهم . فلما أسلم القوم ، تزوّج تُماضِرَ بنت الأصبغ الكلبي ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وكانت هذه السرية في شعبان سنة ست .

ـ وسرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى بني سعد ، بفدك ، وكانوا قد اجتمعوا ليمدوا يهود خيبر . وكانت السرية في شعبان . فلم يلق كيدا .

ـ وسرية زيد بن حارثة إلى قِرفة الفَزارية ، في شهر رمضان سنة ست ، وكانت تؤلب على رسول الله ﷺ . فقتلها وبنيها ، وانصرف ، وكان لها بنون قد رأسوا . وقال هشام بن الكلبي : اسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر . ولُد لها اثنا عشر ذكرا ، كلهم قد علق سيفَ رئاسته ، ويقال إن أم قرفة ربطت بين بعيرين حتى تقطعت .

ـ وسرية عبد الله بن رَواحة ، إلى أُسير بن رِزام ـ ويقال : رازم ـ اليهودي ، وكان بخيبر ، في شوال سنة ستّ . فخرج معه يريد النبي ﷺ . فلما كان ببعض الطريق ، توّهم بالفتك بابن رواحة ؛ فقتله عبد الله بن أنيس . فيقال قتله في ثلاثين يهوديا .

ـ وسرية كرز بن جابر الفهري ، في شوال ، إلى نفر من عُرينة . ويقال : من عكل . أتوا النبي ﷺ مرضى ، فأذن لهم في إتيان لقاحه فشربوا من ألبانها . فلما صحّوا ، غدوا على اللقاح فاستاقوها ، وقتلوا يسارا مولى النبي ﷺ ، وغرّزوا الشوكَ في عينيه . فلما ظفر بهم . قطع رسول النبي ﷺ أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم . وفيهم نزلت : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله وَيسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في

الآخرة في عذاب عظيم[١]﴾ . وبعد هذه السرية أتى رسول الله ﷺ الحُديبية . وبعد ذلك غزا خيبر .

- وسرية أميرها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى تُرَبة[٢] ، في شعبان سنة سبع . أتاها ، فهرب الأعراب من عُجز هوازن ، فانصرف . من عجز هوازن : بنو جشم بن معاوية بن بكر ، وبنو نصر بن معاوية بن بكر ، وسعد بن بكر ، وثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن . فانصرف ولم يلق كيدا .

- وسرية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه نحو نجد . توّجه في شعبان . سنة سبع ، فشنّ الغارة على العدو ، فقتل وغنم .

- وسرية بشير بن سعد - أبي «النعمان بن بشير» - إلى بني مُرّة في شعبان ، بفدك . أصيب فيها أصحابه ، وارتثّ . فنزل على بعض اليهود ، حتى استُنقل .

- وسرية غالب بن عبد الله الليثي ، من كنانة ، إلى بني مرة بفَدَك . فقتل وسبى ، وظفر .

- وسرية غالب بن عبد الله إلى الميفعة[٣] ، في شهر رمضان سنة سبع . فأغار على بني سعد بن ذيبان ، فاستاق النعم والشاء .

- وسرية بشير بن سعد إلى يُمْن ، وجُبار[٤] ، نحو الجناب ، في شوال سنة سبع . وكان بها ناس من غَطفَان مع عيينة بن حصن . فلقيهم ، ففضّ جمعهم ، وانصرف إلى المدينة . وبعدها عُمرة القضية .

---

١ - سورة المائدة - الآية : ٣٣ .
٢ - تربة : واد على مقربة من مكة على مسافة يومين منها . معجم البلدان .
٣ - الميفعة : موضع بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة . المغانم المطابه ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .
٤ - بين فدك ووادي القري . المغانم المطابه ص ٩٧ .

ـ وسرية ابن أبي العَوجاء السُّلمَي ـ ويقال : هو أبو العوجاء ـ إلى بني سليم في ذي الحجة سنة سبع ، لقيهم ، فأصيب أصحابه ، ونجا بنفسه . وكان في خمسين رجلا .

ـ وسرية غالب بن عبد الله إلى بني المُلَوَّح ، من كنانة ، بالكَديد في صفر سنة ثمان . شنّ الغارة ، فقتل وسبى ، وأصاب نعما .

ـ وسرية عمرو بن أمية الضمرى إلى مكة ، في صفر سنة ثمان ، أو في شهر ربيع الأول . وجهه رسول الله ﷺ لقتل أبي سفيان ، فوجده قد نذر به . فانصرف . وذلك أن أبا سفيان وجه رجلا لاغتيال رسول الله ﷺ ، فأخبره الله بذلك ، ومنعه منه ؛ فأسلم الرجل .

ـ وسرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالِسيّ[1] في شهر ربيع الأول سنة ثمان . فأصاب ظفرا وغنماً حسنا . وكان في أربعة وعشرين رجلا .

ـ وسرية كعب بن عمير الغِفاري إلى ذات أطلاح[2] ـ ويقال : ذات أباطح ـ في شهر ربيع الأول سنة ثمان . لقيه بها جمع كثير . فأصيب من معه ، وتحامل حتى أتى المدينة.

ـ وسرية زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن روَاحة إلى مؤتة ، في جمادى الأولى سنة ثمان . فقتلوا بها . وكان أول من استشهد منهم زيد بن حارثة . ثم قام بأمر الناس جعفر ، فاستشهد . فوجد به اثنان وسبعون جراحة ، ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح . وقطعت يداه . فقال رسول الله ﷺ : «لقد أبدله الله بهما جناحين ، يطير بهما في الجنة» . ثم قام

---

١ ـ على خمس ليال من المدينة . المغانم المطابه ص ١٩٦ .
٢ ـ ذات أطلاح موضع من ناحية الشام على ليلة من البلقاء . المرصع لابن الأثير .

بأمر الناس عبد الله بن روَاحة ، فاستشهد . فأخذ خالد بن الوليد بن المغيرة الراية ، وانصرف بالناس . وأخذ النبي ﷺ ولد جعفر عليه السلام ، فضمهم إليه ، وشمهم ، ثم بكى . فصاحت أسماءُ بنت عميس . فقال رسول الله ﷺ : لا تقولى هُجرا ، ولا تضربي صدرا . ودخلت فاطمة عليها السلام ، وهي تقول : واعماه . فقال : «على مثله فلتبك الباكية» . واتخذ لأهله طعاما ، وقال : قد شغلوا بأنفسهم[1] .

سرية قُطبة بن عامر - ويقال : عمرو - بن الحُديدة الأنصاري إلى خثعم ، بتبالة[2] . سار ، فبيّت حاضرهم ، وشنّ الغارة عليهم . فأتى دهم معهم ، وجاء سيل حال بينه وبينهم . فانصرف ، واستاق لهم نعما . ويقال إن هذه السرية كانت في صفر سنة تسع ، وذلك الثبت .

- وسرية عمرو بن العاص في جمادى الآخرة سنة ثمان إلى ذات السلاسل ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام ، ثم بعثه رسول الله ﷺ إليها ووّجه معه أبا بكر ، وعمر ، وأبا عبيدة بن الجّراح ، وسروات المهاجرين والأنصار .

وكان عمرو بن العاص قدم من عند النجاشي مسلما . فلقي في طريقه عثمان بن طلحة ، وخالد بن الوليد يريدان النبي ﷺ ، فأسلموا في صفر سنة ثمان . وكانت راية عمرو سوداء ، فلقي العدو من قضاعة ، وعاملة ، ولخم ، وجذام . وكانوا مجتمعين . ففضهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وغنم .

---

١ - ذكر المؤرخ البيزنطي ثيوفانس أن قرشياً اسمه قطبة كان يعمل لدى نائب الامبراطور في سورية أخبره بمسير حملة مؤتة ، فاستعد لها ، ولذلك كانت النتائج غير المتوقعة .

٢ - هناك أكثر من تبالة، واحدة باليمن ، وأخرى بتهامة عرفت باسم تبالة الحجاج . معجم البلدان .

- وسرية أبي عبيدة بن الجرّاح إلى جُهينة ، بالقَبَلية[١] ، في رجب سنة ثمان . فأصابت الناسَ مجاعة ، حتى أكلوا الخبط[٢] ، فقرحت أشداقُهم حتى ألقى لهم البحرُ حوتا فأكلوا منه وتزوّدوا . فسُميّت هذه السرية سرية الخبط .

- وسرية أبي قتادة إلى بني غطفان . توّجه إليهم ، فهجم على حاضر منهم عظيم ، فشن الغارة ، واستاق النعم . وهي سرية خُضرة ، من أرض نجد . وكانت في شعبان سنة ثمان .

- وسرية أبي قتادة النعمان بن رِبعي بن بلَدمة الخزرجي إلى إضم ، حين توجه النبي ﷺ إلى مكة ، ليظنّ ظانّ أنه يريد غير ذلك الوجه . وإضم نحو طريق الشأم . ويقال إنّ هذه السرية كانت لعبد الله بن أبي حدرد الأسلمي . وفيها قتل محلّمُ بن جُثّامة : عامرُ بن الأضبط الأشجعي . وبعضهم يقول : إنّ عامرا أسلم . فقال محلم : إنه تعوذ بالإسلام فقتله . وبعدها غزاة الفتح .

- وسرية خالد بن الوليد بعد فتح مكة لهدم العُزّى ببطن نخلة .

- وسرية عمرو بن العاص لهدم سُواع ، برهاط ، من بلاد هذيل ، في شهر رمضان سنة ثمان .

- وسرية سعد بن زيد الأشهلي في هدم مناة ، بالمُشلّل[٣] في شهر رمضان .

- وسرية خالد بن الوليد إلى بني جَذيمة ، بناحية يلملم[٤] ، في شوال

١ - فيما بين المدينة وينبع . معجم البلدان .
٢ - الخبط : ورق الشجر المتناثر بسبب خبطها . النهاية لابن الأثير .
٣ - المشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر . معجم البلدان .
٤ - موضع على ليلتين من مكة . معجم البلدان .

سنة ثمان . أتاهم ، فأظهروا الإسلام ، فوضع فيهم السيف ، وأمرهم أن يستأسروا ، وإنما بعث إليهم داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا . فودى رسول الله ﷺ قتلاهم ، وأخلف ما ذهب لهم ، وبعث علي بن أبي طالب بمال استقرضه ، فصرفه في ذلك . ومكث رسول الله ﷺ معرضا عن خالد حينا ، وخالد يتعرض له فيحلف له أنه ما قتلهم عن إحنة ولا تره ، وأنه لم يسمع منهم تشهّداً . فرضي عنه ، وسماه بعد ذلك «سيف الله» . وبعد هذه السرية كانت غزاة حنين ، ثم الطائف .

ـ وسرية الطفيل بن عمرو الدَّوسي ، لهدم صنم عمرو بن حممة الدوسي وهو «ذو الكفين» ، في آخر سنة ثمان .

ـ وسرية الضحاك بن سفيان الكلابي في شهر ربيع الأول سنة تسع ، إلى قوم من بني كلاب ، كتب إليهم رسول الله ﷺ ، فرقّعوا بكتابه دلوَهم ، فأوقع بهم .

ـ وسرية عيينة بن حصن إلى بني تميم ، في المحرم سنة تسع ، وكانوا قد منعوا الصدقة ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم ، فأسر منهم أحد عشر رجلا ، وسبى ، ثم رجع .

ـ وسرية علقمة بن مجزِّز في شهر ربيع الأول ـ ويقال : الآخر ـ سنة تسع إلى مراكب الحبشة ، ورأوها بالقرب من مكة . ورجع فلم يلق كيدا .

ـ وسرية علي عليه السلام لهدم الفَلَس ، صنم طيىء ، وكان مقلدا بسيفين أهداهما إليه الحارث بن أبي شمر . وهما مخذم ورَسوب . وفيهما يقول علقمة بن عبدة :

مُظاهرُ سربالي حديدٍ عليهما عقيلا سيوف مخذَم ورَسوبُ

١ ـ ديوان علقمة الفحل ـ ط . حلب ١٩٦٩ ص ٤٤ .

فأتى بهما رسولَ الله ﷺ . ثم كانت غزوة تبوك .

ـ وسرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي ، ثم السَّكوني ، بدُومة الجندل ، بعثه رسول الله ﷺ من تبوك ، في رجب سنة تسع . فغنم ، وقدم بأخي أكيدر . ويقال إنه قتل أخاه مصادا ، وأخذ قباءَ ديباج كان عليه منسوجا بذهب ، وقدم بأكيدر على رسول الله ﷺ . وكتب له رسول الله ﷺ ولأهل دومة الجندل كتابا . وقال رسول الله ﷺ ، وقد رأى تعجَب أصحابه من قباء أخي أكيدر : «والله لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن منه» .

حدثنا شيبان ، ثنا جرير بن حازم ، أنبأ الحسن .

أن النبي ﷺ أُتي بجبة من سندس ، فجعل الناس يقلبونها ويعجبون من حسنها ، فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده ، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن منها» .

ـ ثم حج أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في موسم سنة تسع ، وأتبعه رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، فقرأ على الناس «براءة»[1] ، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده .

حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا شعبة بن الحجاج ، أنبأ مغيرة ، عن الشعبي ، عن محرز بن أبي هريرة ، عن أبيه قال :

كنت مؤذّن عليّ ، حين بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ببراءة ؛ قال : فناديتُ إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد

---

١ ـ سورة براءة وتسمى أيضاً التوبة ، وهي السورة التاسعة من ترتيب سور القرآن الكريم .

فأجله أربعة أشهر ، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإنّ الله بريء من المشركين ، ورسولهُ .

وحدثنا سعيد بن سليمان ، ثنا عباد بن العوام ، أنبأ سفيان بن حسين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

أن النبي ﷺ بعث بسورة براءة مع أبي بكر ، ثم بعث عليا فأخذها من أبي بكر . فجاء أبو بكر فقال : يا رسول الله هل نزل فيّ شيء ؟ قال : لا ولكنه لا يؤدي عني غيري أو رجل من أهل بيتي ، فكان أبو بكر على الموسم ، وكان عليّ ينادي بهؤلاء الكلمات : «لا يحجن بعد العام مشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عريان ، والله ورسوله بريئان من المشركين» ، أو قال : «من كل مشرك» .

ـ سرية خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب ، بنجران . وجهه رسول الله ﷺ إليهم يدعوهم إلى الإسلام . فأسلموا ، وأدّوا الصدقة ، فردّها في فقرائهم . وقاتله قوم من مذحج ، فظفر بهم وسبى منهم واستاق مواشيهم ، فخمسها . وقدم معه قيس بن الحصين بن ذي الغصّة ، ويزيد ابن عبد المدان ، وعدّة منهم . وذلك في سنة عشر .

ـ وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلى اليمن في شهر رمضان سنة عشر لقبض الصدقة ، فلم يقاتله أحد ، وأدّوا إليه الصدقة ، ثم كتب رسول الله ﷺ يأمره بموافاته بالموسم . فوافاه .

ـ وبعث رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي لهدم ذى الخَلصة ، وكان مروة بيضاء ، بتبالة . وهو صنم بَجيلة ، وخثعم ، وأزد السراة . فلما أتى رسولَ الله ﷺ خبر هدمه ، سجد شكرا لله .

وكان جرير قدم على رسول الله ﷺ في شهر رمضان سنة عشر مسلما .

ثم حج رسول الله ﷺ حجته التي تدعى حجة الوَداع ، وتوفي سنة إحدى عشرة .

ـ وكان رسول الله ﷺ قد رأى توجيه أسامة بن زيد في سرية إلى الذين حاربهم أبوه يوم مؤتة ، وأمره أن يوطئهم الخيل ، وعقد له لواء ، وضم إليه أبا بكر ، وعمر رضي الله تعالى عنهما فيمن ضمّ . فمرض ﷺ قبل أن يُنفذ الجيش ، فأوصى بإنفاذه ، فقال : «أنفذوا جيش أسامة»، فلما استخلف أبو بكر ، أنفذه ، وكلمه في عمر لحاجته إليه . فخلفه ، ومضى أسامة فأوقع بالعدو ، ثم قدم المدينة .

وحدثت عن أحمد بن محمد بن أيوب ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي القعقاع بن عبد الملك بن أبي حدرد ، عن أبيه قال :

بعثنا رسولُ الله ﷺ إلى إضم . فخرجتُ في سرية فيها أبو قتادة الحارث بن ربعي ، ومحلم بن جثامة بن قيس . حتى إذا كنا ببطن إضم ، مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قَعود له ، ومعه مُتَيّع له ، ووطب من لبن . فسلم علينا ، فأمسكنا عنه . وحمل عليه محلم بن جثامة ، فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ومُتّيعه . فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر . فنزل فيه : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلامَ لستَ مؤمنا تبتغون عرض الحياةِ الدنيا﴾[1] .

---

١ ـ سورة النساء ـ الاية : ٩٤ . سيره ابن هشام ج ٢ ص ١٠٤٤ ـ ١٠٤٦ .

ـ وقال محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال سمعت زياد بن ضميرة بن سعد السلمي ، يحدث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، وجده جميعاً ، قالا :

كنا مع النبي ﷺ بحنين ، فصلى بنا الظهر ، ثم جلس في ظل شجرة هو بحنين . فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، فطلب عيينة بدم عامر بن الأضبط ، وجعل الأقرع يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خِندف . فقال عيينة : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزّ ما أذاق نساءَنا . ورسول الله ﷺ يقول : تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . وعيينة يأبى عليه . فقام رجل من بني الليث ، يقال له مُكيتل وهو قصير مجتمع ، فقال : «يا رسول الله ما وجدتُ لهذا القتيل شبهاً في غرّة الإسلام إلا غنما وردت فرميت أولاها فنفرت أخراها . اسنن اليومَ وغيرّ غدا» . فقال رسول الله ﷺ : خذوا الدية خمسين في سفرنا ، وخمسين إذا رجعنا . فقبلوا ذلك . ثم قال : «أين صاحبكم» ؟ فقام رجل ضرب ، طُوال ، عليه حلة قد كان تهيأ فيها للقتل حين جلس إلى النبي ﷺ . فقال : ما اسمك ؟ قال : محلم بن جثامة . فقال رَسول الله ﷺ : «اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة» .

فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه . قال زياد ، عن أبيه ، عن جده : وأما نحن فنقول : إنا لنرجو أن يكون النبي ﷺ قد استغفر له بعد ذلك ؛ وأما ما ظهر من رسول الله ﷺ ، فهو هذا .

وقال محمد بن إسحاق ، حدثني من لا أتهمه ، عن الحسن البصري :
أن النبي ﷺ قال لمحلم: «أقتلتَ رجلا قال: آمنتُ بالله؟» ويقال: «تلك المقالة ؟» فما مكث محلم إلا سبعا ، حتى مات . فدُفن ، فلفظتْه

الأرضُ ثلاثاً . فلما غُلب قومه ، رضموا عليه الحجارة . فقال رسول الله ﷺ : إن الأرض لتطابق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم بما أراكم منه . ومن قال هذا ، قال : إن الذي مات بحمص : الصعب ، أخوه[1] .

---

١ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٤٥ .

المحتوى

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م

الجزء الثاني

الشمائل النبويّة وأخبار الإمام علي بن أبي طالب

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار | الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م

الطبعة الأولى

دار الفكر

بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٠٠١ - ٢١٢ - ٤٧٨٢٣٠٨

الجُزء الثاني

الشمائل النبويّة وأُخبار الإمام علي بن أُبي طالب

صفة رسول الله ﷺ [1]

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا أبو داود ، عن أبي اسحق عن البراء قال :

رأيت شعر رسول الله يصيب منكبيه .

حدثني عمرو بن محمد الناقد أبو عثمان ، واسحق الفروي قالا : ثنا مالك بن اسماعيل النهدي ، ثنا جميع بن عمر العجلي ، حدثني رجل بمكة عن ابن أبي هالة التميمي ـ يكنى أبا عبد الله ـ عن الحسن بن علي عليهما السلام قال :

سألت خالي ابن أبي هالة[2] ـ وكان وصافا ـ عن حلية رسول الله ﷺ فقال : كان فخماً ، مفخماً[3] ، يتلألأ وجهة تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول

---

١ ـ في هامش الأصل : بلغ العراض بأصل ثالث ولله كثير حمد وفضل .

٢ ـ هند بن أبي هالة ، أمه خديجة أم المؤمنين ، وهو ربيب رسول الله ﷺ . جمع الوسائل في شرح الشمائل لعلي بن سلطان القارىء ، ط . القاهرة ١٣١٧ هـ . ج ١ ص ٣٩ .

٣ ـ أي كان ﷺ عظيماً في نفسه معظما في الصدور والعيون عند كل من رآه جمع الوسائل ج ١ ص ٤٠ .

من المربوع ، وأقصر من المشذب[١] ، عظيم الهامة ، رِجل الشعر ، وإن انفرقت عقيقته فرقاً[٢] ، وإلّا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره[٣] ، أزهر اللون[٤] ، صَلت الجبين[٥] ، أهدب الأشفار[٦] ، أزجّ الحواجب[٧] سابغهن ، في غير قرن ، بينهما عِرق يدرّه الغضب[٨] . أقنى العِرنْين[٩] ، له نور يعلوه يحسبه من يتأمله . أشمّ[١٠]، كثّ اللحية ، سهل الخدّين[١١] ، ضَليع الفم[١٢] . أشنب الثغر[١٣] ، مفلج الأسنان[١٤] ، أحمّ[١٥] الشفتين

١ ـ المشذب : الطويل البائن الطول جمع الوسائل ج ١ ص ٤٠ .

٢ ـ العقيقة على المجاز شعر الرأس . ورجل الشعر . أي كان في شعره جعودة وتثن وفيه تجريد ، جمع الوسائل ج ١ ص ٤٢ .

٣ ـ أي جعل شعره وافراً وأعفاه عن الفرق . جمع الوسائل ج ١ ص ٤٢ .

٤ ـ أي أبيض بياضاً نيراً مشرباً بحمرة جمع الوسائل ج ١ ص ٤٣ .

٥ ـ أي واسع الجبين واضحه وممتده طولاً وعرضاً ، جمع الوسائل ج ١ ص ٤٣ .

٦ ـ أي طويل شعر الأجفان ، النهاية لابن الاثير .

٧ ـ الزجج : تقوس في الحاجب مع طول في طرفه. جمع الوسائل ج ١ ص ٤٣ .

٨ ـ أي يجعله ممتلئاً . جمع الوسائل. ج ١ ص ٤٤ .

٩ ـ أي طويل الأنف . جمع الوسائل. ج ١ ص ٤٤ .

١٠ ـ الشمم ارتفاع القصبة مع استواء أعلاها وأشراف الأرنبة ، جمع الوسائل ج ١ ص ٤٥

١١ ـ أي سائل الخدين غير مرتفع الوجنتين. جمع الوسائل ج ١ ص ٤٥ .

١٢ ـ أي عظيم الفم جمع الوسائل. ج ١ ص ٤٥ .

١٣ ـ أي أبيض الأسنان .

١٤ ـ أي منفرج الأسنان. جمع الوسائل ج ١ ص ٤٥ .

١٥ ـ الأحم : الأسود . النهاية لابن الأثير .

رقيقهما ، دقيق المسربة[١] ، كأنّ عنقه جيد دمية[٢] في صفاء الفِضّة ، معتدل الخَلق ، بادنا ، متماسكا ، سواء البطن والصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، عريض الصدر ، ضخم الكراديس[٣] ، أنور المتجرّد ، موصول ما بين اللبة والسُّرة بشعر يجري كالخط ، عاري البطن والثديين ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر ، طويل الزندين ، رحب الراحة ، سبط القصب ، شثن الكفين والقدمين[٤] ، سائل الأطراف ، خمصان الأخمصين[٥] ، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء . إذا زال زال قلعا[٦] ، يخطو تكفيا[٧] ويمشي هونا ، ذريع المشية كأنما ينحطّ من صبب ، إذا التفت التفت بجمعه ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جلّ نظره الملاحظة . يبدأ من لقي بالسلام . ﷺ .

قال : قلتُ : فصف لي منطقة . فقال : كان رسول ﷺ دائم

١ ـ المسربة : الشعر المستدق ما بين اللبة إلى السرة. جمع الوسائل ج ١ ص ٤٦ .

٢ ـ أي أن طول عنقه في الاعتدال ونهاية الجمال ، وبياضة في غاية الصفاء. جمع الوسائل ج ١ ص ٤٦ .

٣ ـ الكراديس : رؤوس العظام ، وقيل هي ملتقى كل عظمين ضخمتين كالركبتين والمرفقين والمنكبين . النهاية لابن الأثير .

٤ ـ أي أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر ويحمد ذلك في الرجال ويذم في النساء . النهاية لابن الأثير .

٥ ـ الأخمص من القدم : الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء . جمع الوسائل ج ١ ص ٥٠ .

٦ ـ أي رفع رجله عن الأرض رفعاً بائناً بقوه لا كمن يمشي اختيالاً. جمع الوسائل ج ١ ص ٥١ .

٧ ـ أي مائلاً إلى سنن المشي لا إلى طرفيه. جمع الوسائل ج ١ص ٥١ .

الفكر ، متواصل الأحزان ، ليست له راحة . لا يتكلم في غير حاجة ، طويل السكت . يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم ، قولا فصلا ، لا فضلا ولا تقصيراً ، دمثا ، ليس بالجافي ولا المهين . يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذّم منها شيئاً . لا يذم ذواياه ، ولا يقبحه . ولا يغضبه الدنيا وما كان لها . فإذا كان الحقّ ، لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له . لا ينتصر لنفسه ، ولا يغضب لها ، يشير بكفه كلها . وإذا تعجب قلبها ، وإذا حدّث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى . وإذا غضب ، أعرض وأشاح . وإذا رضي غَضّ بصره وصمت . جلُّ ضحكه التبسم ، يفتر عن مثل حب الغمام ﷺ .

قال الحسن : فكتمتها عن أخي الحسين زمانا ، ثم حدّثته بها ، فوجدته قد سبقني إليه ، فسأله عما سألته عنه ، ووجدته قد سأل أباه عن مدخل رسول الله ﷺ ، ومخرجه ، ومجلسه ، وشكله ، وسيرته ، وكلامه ، وسكوته .

قال الحسين عليه السلام : سألتُ أبي عن مدخل رسول الله ﷺ . فقال : كان مدخله لنفسه مأذونا له في ذلك . فإذا آوى إلى أهله . جزّأ مدخله ثلاثة أجزاء : جزءاً لله ، وجزءا لنفسه ، وجزءا لأهله . ثم جزّأ جزأه لنفسه بينه وبين الناس ، فرّد على العامة من الخاصة . وكان من سيرته إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين . فمنهم ذو الحاجة ، وذو الحاجتين ، وذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ، ويشغلهم فيما أصلحهم وأصلح الأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ، ويقول : «ليبلغ الشاهدُ الغائبَ ، وأبلغوني حاجةَ من لا يستطيع إبلاغي

حاجته . فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغه إياها ، ثبت الله قدمه يوم القيامة» . لا يذكر عنده إلا ذلك ، ولا يقبل غيره من أحد .

قال : وسألته عن مخرج رسول الله ﷺ ، وكيف كان يصنع فيه ؟ فقال : كان يخزن لسانه عما لا يعنيه . وكان يؤلِّف ، ولا ينفرِّ ، ويُكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذّر الناسَ الفتن ، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه . يتفقد أصحابه ، ويسأل عما في الناس فيحسن الحسن ويقويه . ويقبح القبيح ويوهنه ، مؤتلف الأمر ، غير مختلفه . كل حال عنده عَتاد . لا يقصر عن الحق ، ولا يجوز الدين . أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة . وأعظمهم عنده منزلة ، أحسنهم مؤاساة ومؤازرة .

قال : وسألته عن مجلس رسول الله ﷺ ، فقال : كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله . ولا يوطن الأماكن[1] ، وينهى عن أيطانها . وإذا انتهى إلى قوم ، جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك . ويعطي كلا من جلسائه بنصيبه ، فلا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه . من جالسه أو قارنه في حاجة ، سايره حتى يكون هو المنصرف . ومن سأله حاجة ، لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول . قد وسع الناس منه بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا . وصاروا عنده في الحق سواء . مجلسه مجلس حلم ، وحياء ، وصدق ، وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤبن فيه الحُرَم[2] ، ولا تثنى فلتاته . ترى جلساءَه يتفاضلون فيه بالتقوى ، متواضعين ، يوقّرون الكبير ،

١ ـ أي لا يتخذ لنفسه مجلسا يعرف به . النهاية لابن الأثير .
٢ ـ أي لا يذكرن بقبيح . النهاية لابن الأثير .

ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحوطون الغريب .

قال : قلتُ : فكيف كانت سيرته في جلسائه ؟ قال : كان ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب، ولا عيّاب، ولا فحاش، ولا مدّاح. يتغافل عما لا يشتهيه، ولا يؤيس منه ولا يجيب فيه . قد ترك نفسه من ثلاث : المُراء، والإكثار، وما لا يعنيه . وترك الناس من ثلاث : كان لا يذمّ أحداً ولا يعيره، ولا يطلب عثرته، ولا يتكلم إلا فيما رجي ثوابه . فإذا قال، أطرق جلساؤه فكأنما على رؤوسهم الطير . وإذا سكت، تكلموا، لا ينازعون عنده أحدا : من تكلم أنصتوا حتى يفرغ من كلامه . حديثهم عنده حديث أوليتهم . يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه . ويصبر للغريب الجافي في منطقه ومسألته . حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم ويقول : إن رأيتم طالبَ حق، فارفدوه . ولا يقبل الثناء إلا من المكافىء، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز، فيقطعه بنهي أوقيام .

قلت : فكيف كان سكوته ؟ قال : على أربع : الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير . فأما تقديره، ففي تسوية النظر بين الناس، واستماعه منهم . وأما تفكيره، ففيما يفنى ويبقى . وجمع الحلم والصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزّه . وجمع ثلاثا : أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح ليتناهى عنه، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته . وجمع لهم خير الدنيا والآخرة ﷺ .

وحدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن جده، عن عكرمة، عن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ أبرّ الناس ، وأطلقهم وجها ، وأحسنهم خلقا ، يبدأ من لقيه بسلامه ، وإذا صافح رجلا لم يرسل يده حتى يتركها المصافح له .

قول الحسن عليه السلام : «سألت خالي هند بن أبي هالة» ، لأن خديجة بنت خويلد كانت عند أبي هالة الأسيّدي ، من بني تميم ، فولدت له هند بن أبي هالة ، أخا فاطمة عليها السلام لأمها ، وهو خال الحسن عليه السلام . و«المشذّب» : الطويل المفرط الطول . و«الأزجّ الحاجب» : الحسن التمام في غير غلظ ولا رقة . و«القنا» أن يرتفع الأنف من وسطه . و«الضليع» ها هنا الذي لا يكون ضيقا . و«حمة الشفتين» : سوادهما . و«المسربة» الشعر الذي على الصدر يسيل مستدقاً إلى السرّة . و«الشثن» : الذي فيه خشونة ، وليس بلين مسترخ ، و«الأخمص من الرجل» : ما جفا عن الأرض باطنها . و«الأخمصان» : لليمنى واليسرى . و«الخمصان» : الذي فيه ضمور . و«الزندان» : عظما الساعدين . و «الدمث» : اللين السهل و«المشيح» : الجادّ المتهيىء للشيء . وأصل «العقيقة» : شعر البطن الذي يكون على المولود . ثم كل شعر عقيقة .

ـ وحدثني أبو بكر الأعين ، عن الحسن بن موسى الأشيب ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن جابر بن سمرة قال :

كان في رأس رسول الله ﷺ من الشيب شعرات في مفرق رأسه ، فإذا ادّهن ، واراهنّ الدهن .

ـ حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، قالت :

إنكم تنثرون الكلام نثراً ، وإن النبي ﷺ كان يخرجه نزراً .

ـ وحدثني الزيادي ، حدثني أبو أحمد السكري ، حدثني عبد الملك بن وهب ، عن الحر الخثعمي أن النبي ﷺ خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ، فنزل بأمرأة من خزاعة يقال لها عاتكة بنت خالد بن خليف ، ويقال لزوجها أكثم بن الجَون بن منقذ الخزاعي ، وهي أم مَعْبد . فوصفته ﷺ فقالت : كان ظاهر الوضاءة ، متبلج الوجه ، حسن الخُلق ، لم تعبه ثُجلة ، ولم تزر به صعَلة ، وسيما قسيما ، في عينه دُعج ، وفي أشفاره وَطف ، وفي صوته صُحل ، وفي عنقه سَطع ، وفي لحيته كثاثة ، أزجّ ، أقرن ؛ إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاءُ ؛ أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنهم وأحلاهم من قريب ؛ منطقه فصل ، لا نزر ولا هذر كأنه خرزات نظم يتحدرن ، حلو المنطق ، لا يُشنْى من طول ، ولا تقتحمه العينُ من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهمَ قدرا ؛ له رفقاء يحفون به ، إذا قال أنصتوا ، وإذا أمر بادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفنَّد . ﷺ .

«الثجَلْ» : عظم البطن . و«الصعل» : صغر الرأس . و«الوسيم» : الجميل . وكذلك «القسيم» . و«الدعج» : شدة سواد الحدقة . و«الصحل» : شبيه بالبّحة ؛ تقول إنه ليس بحادّ الصوت . و«السطع» : طول العنق ، لا تقتحمه العين ولا تزدريه بل تهابه فتقصر نظرها دونه . و«الوطف» : طول هدب العين . ويروى : «غصنا بين غصنين» ؛ ويروى : «محفودا محشودا ، لا عابسا ولا مفندا» ؛ ويروى : «كان منطقه فصلا ، لا نزرا ولا هذرا» .

ـ وحدثني سليمان الرقي المؤدب ، ثنا عيسى بن يونس ، عن عمر مولى غُفرة ، عن إبراهيم بن محمد من ولد علي ، عن علي عليه السلام قال :

لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل الممغط ، ولا بالقصير المتردد ، وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط ولا السبط ، كان جعداً رجلاً ، ولم يكن بالمطهم ولا المكلثم ، كان في وجهه تدوير ، أبيض مشرَبا حمرة ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكَتَد ، أجرد ذا مسربة ، شثن الكفّين والقدمين ، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب ، وإذا التفت التفت معا ، بين كتفيه خاتم النبوة . أجرأ الناس صدرا ، وأجود الناس كفا ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس بذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه . يقول ناعته : لم أر مثله قبله ولا بعده . ﷺ .

«المشاش» : العظام . «الكتد» : موصل العنق بالظهر فوق الكاهل . و«اللهجة» : اللسان . و«الممغط» : الذي ذهب طولا . و«المطهّم» : المعرق ؛ يقال : خيل مطهمة ، معرقة الوجوه ، وذلك يستحب منها .

ـ حدثني أحمد بن الخزاز ، عن ابن عائشة القرشي ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال :

كان رسول الله ﷺ أزهر اللون ، وكأن عرقه اللؤلؤ ما شممتُ مسكة ولا عنبرة أطيب رائحة منه ، ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كفه .

ـ حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء ثنا غندر ، عن شعبة قال : سمعت أبا إسحاق يقول ، سمعت البراء بن عازب يقول :

كان النبي ﷺ مربوعا ، بعيد ما بين المنكبين ، عظيم الجُمّة ، جُمته إلى

شحمة أذنيه ، ما رأيتُ قط أحسن منه ، ورأيت عليه حُلّة حمراء .

حدثني محمد بن الصباح ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال :

ما رأيت أجمل من النبي ﷺ مترجّلا[1] في حلة حمراء .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي عن محمد بن عبد الله ومعمر كليهما ، عن الزهري ، عن عروة ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال :

قال رسول الله ﷺ : لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، والماحي يمحو الله بي الكفر ، والعاقب [الذي لا نبي بعده[2]] ، والحاشر الذي يحشر الناس على يديه[3] .

قال الواقدي ، وحدثني موسى بن عبيدة الربذي ، عن عطاء . بمثله .

ـ وقال الواقدي في إسناده أن أبا الطفيل عامر بن واثلة كان يقول :

رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة . فما أنسى شدة بياض وجهه . وشدة سواد شعره . وإنّ من الرجال رجالا حوله يمشون ، فمنهم من هو أقصر منه ، ومنهم من هو أطول منه . فقلت لأبي : من هذا ؟ قال : رسول الله ﷺ .

ـ وحدثت عن هشام ، عن أبيه ، عن أبي صالح قال : كانت أم

---

١ ـ الترجل والترجيل : تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه . جمع الوسائل ج ١ ص ٩٩ .

٢ ـ زيد ما بين الحاصرتين من : أسماء رسول الله ﷺ ومعانيها لأحمد بن فارس ط . الكويت ١٩٨٩ ص ٣١ .

٣ ـ في كتاب ابن فارس ص ٣١ «يحشر الناس على قدمي» .

هانىء تحدث فتقول :

ما رأيت أحدا كان أحسن ثغرا من رسول الله ﷺ . وما رأيت بطن رسول الله ﷺ إلا ذكرت القراطيس المثنية بعضها فوق بعض ، تعني عُكنه . ورأيته يوم الفتح قد ضفر رأسه بضفائر أربع .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا أبو داود ، عن شعبة ، عن سماك ، عن جابر بن سمرة قال :

كان النبي ﷺ أشكل العين ، ضليع الفم ، منهوس[1] العقب ، وكان في ساقه حموشة[2] .

ـ حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا شعبة ، أنبأ قتادة ، عن مولى لآل أنس ، عن أبي سعيد الخدري قال :

كان النبي ﷺ أشد حياء من جارية عذراء في خدرها . وكان إذا كره شيئاً ، عرفت كراهته إياه في وجهه .

ـ حدثني عبيد الله بن معاذ العنبري ، عن أبيه ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبد الله الجدلي قال :

سألتُ أميرَ المؤمنين ـ يعني عليا عليه السلام ـ عن خُلق رسول الله ﷺ . فقال : لم يكن فاحشا ، ولا متفحشاً ، ولا صخابا ، ولا عيابا . ولكنه كان يعفو ويَصفح .

ـ وحدثني بكر بنَ الهيثم ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن

١ ـ أي لحمها قليل . النهاية لابن الأثير .
٢ ـ أحمش الساقين : دقيقهما . النهاية لابن الأثير .

يونس ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، قال :

قال : قال النبي ﷺ : «كيف لا أشيب وأنا أقرأ سورة هود ، وإذا الشمس كوّرت ؟» .

ـ حدثنا يحيى بن أيوب الزاهد ، ثنا إسماعيل بن جعفر ، عن ربيعة ، عن أنس أنه سمعه يقول :

كان رسول الله ﷺ رجِل الشعر ، ليس شَعره السبط ولا القطط[١] ، كان أزهر اللون ، ليس بالآدم ولا الأبيض الأمهق[٢] . كان ربعة من القوم ، ليس بالقصير ولا بالطويل . بعث على رأس أربعين .

ـ حدثنا سعيد بن سليمان بن سعد ، وبه ثنا عباد بن العوام ، عن سماك ، عن جابر بن سمرة قال :

كان رسول الله ﷺ لا يضحك إلا تبسما . وكنت إذا نظرت إليه ، قلت : «أكحل العينين» ، وليس بأكحل .

ـ وحدثني أبو عمران المقرىء ، ثنا أبو يوسف يعلى الطنافسي ، عن مجمع بن يحيى ، عن عبد الله بن عمران ، عن بعض الأنصار أن علياً عليه السلام قال :

كان رسول الله ﷺ أبيض اللون مشرَبا حُمرة ، أدعج العينين ، سبط الشعر ، ذا وفرة ، كثّ اللحية ، كأن عنقه إبريق فضّة ، دقيق المسرُبة ، من لبته إلى سُرّته شعر يجري كالقضيب ، ليس في بطنه شعرة غيره ، شثن الكفّ

---

١ ـ القطط : الشديد الجعودة ، وقيل الحسن الجعودة ، والأول أكثر . النهاية لابن الاثير .
٢ ـ الأمهق : الكريه البياض كلون الجص ، يريد أنه كان ﷺ نيّر البياض . النهاية

والقدم ، إذا مشى فكأنما ينقطع من صخرة ، وكأنما ينحدر من صبب ، وإذا التفت التفت معا ، ليس بطويل ولا قصير ، ولا عاجز ولا لئيم ، كأن عرقه اللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر ، سهل الخد . لم أر مثله قبله ولا بعده . ﷺ .

- حدثني عمرو الناقد ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن حميد الطويل ، عن أنس قال :

كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه .

- وحدثني أحمد بن هشام ، عن شعيب بن حرب ، عن رُبيع بن صَبيح ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس قال :

كان رسول الله ﷺ يسرّح لحيته بالماء في كل يوم .

- وحدثني أبو نصر التمار ، ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال :

كان شعر رسول الله ﷺ قريباً من منكبيه .

- وحدثني محمد بن حيان الحراني ، ثنا زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق قال :

قيل للبراء : كان وجه رسول الله ﷺ يأتلق مثل السيف ؟ فقال : لا ، بل كان مثل القمر ، ليس في رأسه عشرون شعرة بيضاء .

- حدثنا وهيب بن بقية الواسطي ، ثنا يزيد بن هارون ، عن سليمان التيمي ، عن أنس بن مالك قال :

ما كان الله ليَشين نبيه بالشيب . قيل : وشين هو يا أبا حمزة ؟ قال : كلنا يَكرهه .

ـ وروي عن حميد الطويل ، عن أنس

أنه سئل عن خضاب النبي ﷺ . فقال : ما كان فيه من الشيب ما يخضبه .

ـ وحدثني يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سلام بن أبي مطيع ، عن عبد الله بن موهب ، قال :

دخلتُ على أم سلمة ، فأخرجت إليّ شعراً من شعر رسول الله ﷺ مخضوبا بالحِنّاء والكتَم .

حدثنا روح بن عبد المؤمن ، عن معتمر بن سليمان ، عن عبد الله ، وعبيد الله ابني عمر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن ابن عمر قال :

كان النبي ﷺ يصفّر لحيته .

ـ حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، عن أبي نعيم ، عن زهير ، عن أبي إسحاق ، عن أبي جحيفة قال :

رأيت رسول الله ﷺ وهذه منه بيضاء ، يعني عَنفقته[١] ، وأنا يومئذ أريش النبل وأرمي بها .

ـ وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ؛ وعكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال أبو صالح في حديثه :

رأيت وفرة رسول الله ﷺ بها ردع من حِنّاء .

وقال عكرمة في حديثه : رأيت وفرة رسول الله ﷺ وبها تلوين من الحناء .

ـ حدثني الأعين ، عن الحسن بن موسى الأشيب ثنا شيبان ، عن

١ ـ العنفقة : الشعر الذي في الشفة السفلى ، وقيل الشعر الذي بينها وبين الذقن النهاية .

أشعث بن أبي الشعثاء ، عن شيخ من كنانة قال :

رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز بين بُردين أحمرين ، مربوعا كثير اللحم ، حسن الوجه ، شديد سواد الشعر سابغه ، شديد البياض .

ـ حدثني عمرو ، ثنا عبد الأعلى ، عن محمد بن إسحاق ، عن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :

كنتُ إذا أردتُ أن أفرق رسولَ الله ﷺ ، صدعتُ الفرق بين يافوخه ، وأرسلتُ ناصيته بين عينيه .

أزواج رسول الله ﷺ وولده :

ـ تزوجّ رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ ـ وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصمّ بن هرم ، من بني عامر بن لؤي ؛ ويقال : زيادة بن الأصمّ ـ قبل الإسلام .

ـ فولدت منه القاسم بن رسول الله ﷺ . وبه كان يكنى . ومات وقد مشى . وهو ابن سنتين .

ـ وولدت أيضاً زينب بنت رسول الله . وهي أكبر بنات رسول الله ﷺ ، تزوجها أبو العاص بن الربيع وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد بن أسد . وكان أبو العاص يلقب جرو البطحاء ، أي ابن البطحاء . وبعضهم يقول : اسمه القاسم ؛ والثبت أن اسمه لقيط . وكان تزوجه إياها قبل الإسلام . فلما أكرم الله نبيه بالرسالة ، آمنت به خديجة وبناتُه وصدّقنه . وثبت أبو العاص على دين قريش . وكان من معدودي رجال مكة مالا ، وأمانة ، وتجارة . فمشت إليه وجوه قريش ، فقالوا : اردد على محمد ابنته ، ونحن نزوجك أية امرأة أحببت من قريش . فقال : لا ، ها الله ، إذاً

لا أفارق صاحبتي ، فإنها خير صاحبة . ولما سارت قريش إلى بدر ، كان معهم . فأسر في المعركة . فلما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم ، بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال . وبعثت معه بقلادة لها كانت خديجة رضي الله تعالى عنها وهبتها لها حين أدخلتها على أبي العاص . فلما رآها رسول الله ﷺ ، عرفها ، فرّق لها رقة شديدة وقال للمسلمين : إن رأيتم أن تردّوا قلادة زينب ومالها عليها وتطلقوا أسيرها ، فافعلوا . فقالوا : نعم ، ونعمة عين يا رسول الله . فأطلقه رسول الله ﷺ بعد أن اشترط عليه أن يبعث بزينب إليه . وتوثق منه ، ووجّه زيد بن حارثة الكلبي مولاه في عدة من الأنصار إلى بطن يأجج ، وأمرهم بالمقام هناك إلى أن توافيهم زينبُ فيصاحبونها حتى يقدموا بها المدينة . وذلك بعد بدر بشهر . وأمر أبو العاص زينب بالتهيؤ . فلما تجهزت ، بعث بها مع كنانة بن عدي بن ربيعة بن عبدالعزى بن عبدشمس بن عبدمناف ، وهو ابن عمه . ويقال : بل بعث بها مع عدي بن ربيعة . فاعترضها رجال من قريش بذي طوى . فبدر إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، ونافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر الفهري ، وهو أبو «عقبة بن نافع» ، صاحب المغرب . فأهوى إليها هبار بالرمح ، فأفزعها ، وكانت حاملا فألقت ما في بطنها بعد أيام . وفوّق كنانة ، أو عدي ، سهما وكان راميا . فقال له أبو سفيان بن حرب ، وكان في القوم : اكفف نبالك عنا ، فإنا والله ما نمنعها من المسير إلى أبيها وإنما أنكرنا خروجكم بها نهاراً ، ورأينا علينا في ذلك غضاضة ؛ فردها إلى مكة ، فإذا غشينا الليل ، وهدأت الرجل فأسْرِ بها ففعل، وأخرجها ليلاً حتى أتى بها زيدا ومن معه فسلمها إليهم . ويقال إنّ هبارا أنفر بها البعير حتى

سقطت ، وانكسرت ضلع من أضلاعها . وفي أمر زينب يقول عدي أو كنانة بن عدي :

عجبتُ لهبار وأوباش قومه يريدون إخفاري ببنت محمد
فإن أنا لم أمنع من القوم كَنَتَّي فلا عشتُ إلا كالخليع المطرَّد

ووجه رسول الله ﷺ سرية ، وقال : إن لقيتم هبارا ، فأحرقوه . ثم قال : سبحان الله ، لا يعذّب بالنار إلا خالقها ؛ اقطعوا يده ورجله . فلم تلقه السرية . وقدم على رسول الله ﷺ ، حين فتح مكة ، مسلما . فقبل إسلامه ، وأمر أن لا يعرض له . وقال له : لا تسبّ إلا من يسبّك . وكان سبابا للناس . وكان يكنى أبا سعد . وخرجت سُلمى مولاة رسول الله ﷺ ، فقالت : لا أنعم الله بك عينا . فقال رسول الله ﷺ : مهلا ، فقد محا الإسلامُ ما كان قبله .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن معروف بن خربوذ المكي

أنه أنشده لأبي العاص في زينب رضي الله تعالى عنها :

ذكرتُ زينب لما جاوزت إرما فقلتُ سقيا لشخص يسكن الحَرَمَا
بنت الأمين جزاها الله صالحة وكل بعل سيثْني بالذي علما

وقال أبو العاص هذا الشعر ، وقد خرج في سفر له . وخرج أبو العاص بن الربيع في سنة ستّ إلى الشأم في تجارة له . فلما انصرف ، بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة مولاه في كثف من المسلمين لاعتراض العير التي أقبل فيها أبو العاص ، فاستاقها وأسره ، فأتى به إلى رسول الله ﷺ . فبعث إلى زينب يستجير بها . ويقال : بل حاص حيصة حتى أتى زينب ، فاستجار

بها. فأجارته. فلما صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، قالت، وهي في صفة النساء : أيها الناس أني قد أجرتُ أبا العاص بن الربيع . فقال رسول الله ﷺ : أيها الناس ، أسمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : فو الذي نفسي بيده ، ما علمتُ بما كان حتى سمعتُ ما سمعتم ؛ إنه يُجير على المسلمين أدناهم . ثم دخل رسول الله ﷺ عند انصرافهم من المسجد ، فقال : يا بنية : أكرمي مثواه ، ولا يخلصنّ إليك . وبعث إلى المسلمين ممن كان في السرية : إنكم قد عرفتم مكان هذا الرجل منا ، فإن تردّوا عليه ماله فإنا نحبّ ذلك ؛ وإلا تردّوه فأنتم أملك بفيئكم الذي جعله الله لكم . فقالوا : بل نردّه يا رسول الله . فردّوا عليه ماله وجميع ما كان معه . وأسلم أبو العاص ، فردّ رسول الله ﷺ إليه زينب بنكاح جديد . ويقال : بل ردّها بالنكاح الأول .

حدثني خلف بن هشام البزاز ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده .

أن رسول الله ﷺ رَدَّ زينبَ بنت رسول الله على أبي العاص بنكاح جديد ومهر جديد .

حدثنا بكر بن الهيثم ، ثنا عبدالله بن صالح ، عن ابن لهيعة ، عن موسى ، عن عراك ، عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أم سلمة .

أن زينب استأذنت أبا العاص في إتيان أبيها عليه السلام ، حين هاجر . فأذن لها في ذلك ، فقدمت المدينة . ثم إنّ أبا العاص لحقها ، فاستجار بها ، وقال : خذي لي أمانا . فخرجت ، فأطلعت رأسها من باب

حجرتها حين قضى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فقالت: أنا زينب بنت رسول الله ، وقد أجرتُ أبا العاص بن الربيع . فقال رسول الله ﷺ : أسمعتم ما سمعتُ ؟ قالوا : نعم . قال : فوالله ما علمتُ ؛ والمسلمون يجير عليهم أدناهم . فأمضى رسول الله ﷺ جوار زينب . وأسلم أبو العاص ، فأقرّهما رسول الله ﷺ على النكاح الأول . وقال الواقدي : ردّها في المحرم سنة سبع .

حدثني روح بن عبدالمؤمن ، ثنا بشر بن المفضل ، عن داود بن أبي الهند ، عن الشعبي

أن رسول الله ﷺ وسلم ردّ زينب على أبي العاص بالنكاح الأول .

وقال الواقدي : لما أسلم أبو العاص ، أتى مكة ثم رجع إلى المدينة . فكان بها . فلما فتحت مكة ، أقام بها . ولم يقاتل مع رسول الله ﷺ . وتوفي في سنة اثنتي عشرة . وأوصى إلى الزبير بن العوام ، وهو ابن خاله . وكان لأبي العاص من زينب : عليّ ، وأمامة . فأما علي ، فمات وهو غلام ، ولم يعقب . وأما أمامة ، فتزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة عليها السلام ، فولدت له محمدا الأوسط . وقتل عليّ ، وهي عنده . فحملها عمها عبدالرحمن بن محرز بن حارثة بن ربيعة إلى المدينة ، ثم إنّ معاوية بن أبي سفيان كتب إلى مروان بن الحكم يأمره أن يخطبها عليه ، ففعل . فجعلت أمرها إلى المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ، وهو الذي كان الحسن بن علي عليهما السلام استخلفه على الكوفة حين سار إلى المدائن . فأشهد المغيرةُ عليها برضاها بكل ما يصنع ، فلما استوثق منها ، قال : قد تزوجتها ، وأصدقتها أربع مائة دينار . فكتب مروان بذلك إلى

معاوية . فكتب إليه : هي أملك بنفسها ، فدعها وما اختارت ثم انه بعد ذلك سير المغيرة إلى الصفراء [1] . فمات . وماتت بالصفراء .

وولدت من المغيرة : يحيى بن المغيرة ، وبه يكنى ، وتوفيت زينب بنت رسول الله ﷺ في سنة ثمانٍ من الهجرة بالمدينة . فغسلتها أم أيمن ، وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة . وصلى عليها رسول الله ﷺ ، ونزل في قبرها ، ومعه أبو العاص . وجعل لها نعش . فكانت أول من اتخذ لها ذلك . والذي أشارت باتخاذه أسماء بنت عميس ، رأته بالحبشة ، وهي مع زوجها جعفر بن أبي طالب . ويقال إنّ عليا خاف أن يتزوّج معاوية أمامة ، فأوصاها أن تتزوّج المغيرة . وكانت أمامة عنده بضعا وعشرين سنة .

وولدت خديجةُ لرسول الله ﷺ رقية بنت رسول الله ﷺ . تزوجها عتبة بن أبي لهب بن عبدالمطلب . فلما نزلت «تبت يدا أبي لهب» [2] ، قالت أمه أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب: قد هجانا محمد. وعزمت على ابنها عتبة أن يطلق رقية . وعزم عليه أبوه أيضاً أن يطلقها . ففعل . فزوّجها رسول الله ﷺ من عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، فهاجرت معه إلى الحبشة . وولدت له عبدالله . فكني أبا عبدالله . وتوفيت في أيام بدر ، وهي عند عثمان . ودفنت بالبقيع . وصلى عليها عثمان . وغسلتها أم أيمن . ولم يحضرها رسول الله ﷺ . ويقال إنّ زيد بن حارثة قدم المدينة بخبر بدر حين سوّى على رقية التراب . وأما عبدالله بن عثمان ، فإن رسول الله وضعه في

---

١ ـ وادي صفراء : من ناحية المدينة ، وهو واد كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج ، وبينه وبين بدر مرحله . معجم البلدان .

٢ ـ سورة المسد ـ الآية : ١ .

حجره ، ودمعت عليه عينه . وقال : «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» . وصلى عليه رسول الله ﷺ . ونزل عثمان في حفرته .

ولدت خديجة لرسول الله ﷺ أم كلثوم أيضاً . تزوّجها معتب بن أبي لهب . ويقال : عتيبة . فعزمت عليه أم جميل ، وأبوه ، أن يطلقها . ففعل . فلما توفيت رقية ، زوّجها رسول الله ﷺ من عثمان أيضاً . فلم تزل عنده حتى توفيت في سنة تسع . وبكى عثمان . فقال له رسول الله ﷺ : «ما يبكيك» ؟ فقال : انقطاع صهري منك يا رسول الله . فقال ﷺ : «كلا ، انه لا يقطع الصهرَ الموتُ ، إنما يقطعه الطلاق ؛ ولو كانت عندنا ثالثة ، لزوّجناك» . ويقال إنّ قريشا لما سعوا إلى أبي العاص في طلاق زينب ، سعوا إلى عتبة وأخيه في طلاق رقية وأم كلثوم ، فطلقاهما ؛ فزوّجوا عتبة : ابنة سعيد بن العاص بن أمية .

وحدثت عن ابن جُعْدُبة ، عن الزهري

أن عثمان كان جزع على رقية جزعاً شديداً ، فكان لا يزال يأتي قبرها . فقال رسول الله ﷺ : «إنّ جبريل أمرني أن أزوّجك أختها على مثل مهر أختها» .

وولدت خديجةُ لرسول الله ﷺ فاطمة ، تزوّجها علي بن أبي طالب عليهما السلام بالمدينة في سنة اثنتين . فولدت له الحسن ، والحُسين ، ومحسنا درج صغيرا ، وزينب تزوّجها عبدالله بن جعفر فبانت منه ويقال ماتت عنده ، وأم كلثوم تزوّجها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فولدت له زيد بن عمر . وقتل عنها . فخلف عليها محمد بن جعفر بن أبي طالب ، فتوفي عنها ، فخلف عليها عبدالله بن جعفر ، بعد زينب . وتوفيت أم كلثوم

وابنها زيد في يوم واحد ، فصلى عليهما عبدالله بن عمر .

وتوفيت فاطمة رضي الله تعالى عنها بعد النبي ﷺ بستة أشهر. وذلك الثبت . ويقال : بثلاثة أشهر ، ويقال بخمس وسبعين ليلة ، ويقال بأربعين ليلة . وصلى عليها العباس بن عبدالمطلب . ونزل هو وعليّ في قبرها . ودفنت ليلا . وكبر العباس عليها أربعا . وكان لها ، يوم توفيت ، تسع وعشرن سنة . ويقال إحدى وثلاثون سنة وأشهر . ولما حضرت فاطمة الوفاةُ ، أمرت عليا ، فوضع لها غَسلا . فاغتسلت وتطهرت ، ثم دعت بثياب أكفانها . فأتيت بثياب غلاظ خشنة ، فلبستها . ومست من الحنوط . ثم أمرت عليا أنّ لا يكشف عنها إذا قبضت ، وأن تدفن كما هي في ثيابها . ففعل . ولم يصنع مثل هذا إلا كثير بن العباس ، وكتب على أطراف أكفانه : «كثير بن العباس يشهد أن لا إله إلا الله» [(١)] .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي في إسناده ، وعن هشام بن محمد الكلبي ، قالا :

كان أبو بكر خطب فاطمة ، فقال له رسول الله ﷺ : أنا أنتظر بها القضاء . ثم خطبها عمر ، فقال له مثل ذلك . فقيل لعلي : لو خطبتَ فاطمة ؟ فقال : منعها أبا بكر وعمر ، ولا آمن أن يمنعنيها . فحمل على خطبتها ؛ فخطبها إلى رسول الله ﷺ . فزوّجه إياها . فباع بعيراً له ، **ومتاعا، فبلغ ثمن ذلك أربع مائة وثمانين درهماً. ويقال أربع مائة درهم.** فأمره أن يجعل ثلثها في الطيب ، وثلثها في المتاع . ففعل . وكان علي يقول :

---

١ ـ السير والمغازي لابن اسحق ص ٢٤٥ ـ ٢٥٤ .

ما كان لنا إلا إهاب كبش ، ننام على ناحية منه ، وتعجن فاطمة على ناحية [١] .

وحدثني علي بن المديني ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة قال :

استحلّ على فاطمة ببَدن [٢] من حديد .

ـ وحدثني علي ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي نجيح ، عن أبيه ، عن رجل سمع عليا عليه السلام يقول :

أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ، ابنته ، فقلتُ : والله ما لي شيء ، ثم ذكرتُ صلته وعائدته ، فخطبتها إليه . فقال : وهل عندك من شيء ؟ قلت : لا . قال : فأين درعك التي أعطيتك يوم كذا ؟ فقلت : هي عندي . قال : فأعطها إياها .

ـ حدثنا عمرو بن محمد ، حدثني معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن علي قال :

جهز رسول الله ﷺ فاطمة بخميل ، وقربة ، ووسادة محشوّة بإذخر [٣] . وقال الواقدي ، وغيره : دخل العباس بن عبدالمطلب على عليّ وفاطمة عليهما السلام ، وأحدهما يقول لصاحبه : أينا أكبر ؟ فقال العباس : وُلدتَ يا عليّ ، قبل بناء قريش الكعبة بسنوات ، وولدت ابنتي وقريش تبني الكعبة ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة . وقد قيل إنها ولدت قبل ذلك .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٩ ـ ٢٦ .
٢ ـ البدن : الدرع القصير .
٣ ـ حشيش أخضر طيب الريح . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس .

ـ حدثنا عمرو بن محمد ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبي مليكة ، عن المسور بن مخرمة قال :

سمعتُ النبي ﷺ يخطب على المنبر ، فقال : «ألا إنّ بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم عليا ، ألا وإني لا آذن ، ثم لا آذن ، ثم لا آذن إنما فاطمة بضعة مني ، يريبني ما رابها» .

وروي أن رسول الله ﷺ قال : «بلغني أن عليا خطب العوراء بنت أبي جهل ، وإني لا آذن في الجمع بين ابنة رسول الله وابنة عدو الله» .

فولدت فاطمة لعليّ : الحسن وتكنى أبا محمد ، والحُسين وتكنى أبا عبدالله ، ومُحَسِّناً مات صغيرا . وكان مولد الحسن في سنة ثلاث للنصف من شهر رمضان ، فعقّ عنه النبي ﷺ بكبش . ثم علقت فاطمةُ بعد مولد الحسن بخمسين ليلة بالحسين ، على جميعهم السلام . وقال بعضهم : كان بين حمل الحُسين ومولد الحَسن طُهر . فلما وُلد الحسين ، أمر رسول الله ﷺ فتصدق بزنة شعره فضة . وكان مولده ليالي خلت من شعبان سنة أربع .

حدثني أبو عمرو الزيادي ، ثنا عبدالله بن رجاء ، ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق أن عليا قال :

لما وُلد الحسن : سميتُه حَربا . فجاء النبي ﷺ ، فقال : أرني ابني ، ما سميتموه ؟ قلنا : حربا . فقال : هو الحسن . فلما وُلد الحسين ، سميناه حربا . فجاء النبي ﷺ ، فقال : أروني ابني ، ما سميتموه ؟ قلنا : حربا . فقال : هو الحسين . ثم لما وُلد الثالث ، جاء فقال : أروني ابني ، ما سميتموه ؟ قلنا : حربا . قال : هو مُحَسِّن ؛ إنما سميتهم بأسماء ولد هارون شَبّر ، وشَبير ، ومُشَبّر .

حدثنا عبدالله بن صالح ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق .

بنحوه .

حدثنا عبدالله بن أبي شيبة ، ثنا يحيى بن أبي بكر ، عن شعبة ، عن أبي بكر بن حفص قال :

توفي سعد بن أبي وقاص ، والحسن بن علي بعدما مضت من إمرة معاوية عشر سنين ، وكانوا يرون أنه سمهما .

وقال الواقدي : صلى على الحسن : سعيدُ بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية . فقال الحسين : لولا السنّ ، ما قدمتك . وكان أوصى أن يدفن مع النبي ﷺ إلا أن يخافوا أن يهراق في ذلك محجمة من دم . فمنعهم مروان ، حتى كادت الفتنة تقع . وأبى الحسين إلا دفنه مع النبي ﷺ حتى كلمه عبدالله بن جعفر ، والمسور بن مخرمة الزهري في دفنه بالبقيع . وكان مرضه أربعين يوما . وتوفي رضي الله تعالى عنه وله سبع وأربعون سنة . وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين . وقال بعضهم : مات في سنة خمسين وله ثمان وأربعون سنة . وقتل الحسين يوم عاشوراء من محرّم سنة إحدى وستين .

حدثنا عمرو بن محمد ، ثنا سفيان بن عيينة ، ثنا عمرو [بن دينار] ، عن الحسين بن محمد :

أن فاطمة عليها السلام دفنت ليلا .

حدثنا عبدالله بن أبي شيبة ، ثنا يحيى بن سعد القطان ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة :

أن عليا دفن فاطمة عليها السلام ليلاً .

وقال محمد بن سعد : كانت وفاتها ، فيما ذكر الواقدي وغيره ، ليلة الثلاثاء لثلاث ليال خلون من شهر رمضان . وكان رسول الله ﷺ قال لفاطمة : «أنت أسرع أهلي لحاقاً بي . فوجمت . فقال لها : أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة ؟ فتبسمت . قالوا : وأوصت فاطمة أن تحمل على سرير طاهر ، فقالت لها أسماء بنت عميس : أصنع لك نعشا كما رأيت أهل الحبشة يصنعون . فأرسلت إلى جريد رطب فقطعته ، ثم جعلت لها نعشا . فتبسمت ولم تر متبسمة بعد وفاة النبي ﷺ إلا ساعتها تيك . وغسلها عليّ ، وأسماء ، وبذلك أوصت . ولم يعلم أبو بكر ، وعمر بموتها .

وولدت خديجة لرسول الله ﷺ أيضاً عبدالله ، وهو الطاهر ، وهو الطيب . وسمي بهذين الاسمين جميعا ، لأنه ولد بعد المبعث في الإسلام . وتوفي بمكة . فقال العاص بن وائل : محمد أبتر ، لا يعيش له ولد ذكر . فأنزل الله عز وجل : ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ [1] .

وتوفيت خديجة في سنة عشر من المبعث ، قبل موت أبي طالب . وكان بين وفاتها وموت أبي طالب شهر وخمسة أيام ، ويقال خمس وخمسون ليلة . ويقال ثلاثة أيام . ومات أبو طالب في آخر شوال ، وأول ذي القعدة . ويقال توفي للنصف من شوال . وقال بعض البصريين : ماتت قبل الهجرة بخمس سنين ونحوها . وذلك غلط . ونزل رسول الله ﷺ في قبرها . ولم يكن سنت الصلاةُ على الجنائز يومئذ . وقال الكلبي وغيره : غسلتها أم أيمن وأم الفضل .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ،

١ ـ سورة الكوثر ـ الآية : ٣ .

عن أبيه قال :

توفيت خديجة ابنة خويلد بمكة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بسنتين ، أو قريب من ذلك . وقال الواقدي : توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات أو نحوها . وروي عن حكيم بن حزام أنه قال : أخرجناها حتى دفناها بالحجون ، ونزل النبي ﷺ في قبرها ؛ وكانت وفاتها لعشر خلون من شهر رمضان سنة عشر ، وهي ابنة خمس وستين سنة .

حدثنا وكيع ، عن هشام بن عروة ، عن عبدالله بن جعفر ، عن علي .

عن النبي ﷺ أنه قال : «خير نسائها خديجة بنت خويلد ، وخير نسائها مريم ابنة عمران» .

وسالف رسول الله ﷺ ، من قبل خديجة ، الربيع بن عبدالعزى بن عبدشمس : كانت تحته هالة بنت خويلد . ثم أخوه ربيعة بن عبدالعزى : كانت عنده هالة أيضاً . ووهب بن عبد بن جابر الثقفي ، كانت عنده هالة أيضاً ، ثم قطن بن وهب بن عمرو الخزاعي ، من قبل هالة أيضاً ، وعلاج بن أبي سلمة بن عبدالعزى بن غيرة الثقفي ، كانت تحته خالدة بنت خويلد . وعبدالله بن بجاد بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب، **كانت تحته رُقيقة بنت خويلد. وكانت خديجة قبل رسول الله ﷺ عند** أبي هالة هند بن النباش بن زُرارة الأسيّدي ، من تميم ، فولدت له هند بن أبي هالة ، سمي باسم أبيه . ثم خلف عليها بعده عتيق بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، فطلقها ، فتزوّجها النبي ﷺ . وكانت مسماة لورقة بن نوفل ، فآثر الله عز وجل بها نبيه . وكانت خديجة ولدت لعتيق

جارية ، يقال لها هند ، فتزوجها صيفي بن أمية بن عابد بن عبدالله ، **فولدت له محمدا . فيقال لبني محمد بن صيفي بالمدينة «بنو الطاهرة» .**

وتزوج رسولُ الله ﷺ [1] ، بعد خديجة ، سودة بنت زَمعة بن قيس ، من بني عامر بن لؤي ، قبل الهجرة بأشهر . وكانت قبله عند السكران بن عمرو ، أخي سهيل بن عمرو . فلما مات خلف عليها رسول الله ﷺ . **فكانت أول امرأة وطئها بالمدينة . وكانت أم سودةَ . الشموسَ بنت قيس بن** زياد بن عمرو بن لبيد بن خداش ، من بني النجار ، من الأنصار . وكانت رأت في النوم كأن رسول الله وطيء على عنقها ، فأخبرت السكران بذلك . فقال : لئن صدقت رؤياك ، لأموتن وليتزوجك محمد . فقالت : حجرا وسترا . ثم رأت ليلة أخرى كأن قمرا انقض عليها من السماء . فتزوّجها النبي ﷺ . وولي تزويجها إياه حاطب [بن عمرو] بن عبدشمس ، ويقال أبوها . فوضع أخوها ، عبد ، التراب على رأسه . فكان يقول حين أسلم : إني لستُ أحثو التراب على رأسي لتزوّج النبي سودةَ . وكانت سودة مسنة ، فطلقها رسول الله ﷺ في سنة ثمان من الهجرة تطليقة . فجمعت ثيابها ، وجلست له على الطريق التي كان يسلكها إذا خرج إلى الصلاة . فلما دنا منها ، بكت وقالت : يا رسول الله ، هل اعتددتَ عليّ في الإسلام بشيء ؟ فقال: اللهم لا . فقالت : أسألك بالله لما راجعتني . فراجعها . وجعلت يومها لعائشة ، وقالت : والله ما غايتي إلا أن أرى وجهك وأحشر مع أزواجك . وكان في أذنها ثقل . وتوفيت في سنة ثلاث وعشرين . وصلى عليها عمر بن الخطاب . ويقال إنها توفيت في خلافة عثمان ، ولها نحو من

١ - في هامش الأصل : آخر المجلد الرابع من الأصل ولله كل حمد .

ثمانين سنة . وكانت سودة قد لزمت بيتها ، فلم تحجّ إلى أن توفيت . وذلك أن رسول الله ﷺ لما حجّ بنسائه ، قال : «هذه الحجة ، ثم ظهور الحصر» .

وحدثني عمر بن عبدالرحمن العمري ، ثنا مطرف بن عبدالله مولى أسلم ، ثنا مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة قالت :

كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد ان ابن وليدة زمعة منه ، وقال : اقبضه إليك . فلما كان عام الفتح ، أخذه سعد وقال : ابن أخي ؛ قد كان عهد إليّ فيه . فقام إليه عبد بن زمعة ، فقال : «أخي ، ابن وليدةَ أبي ، وُلد على فراشه» . فتساوقا إلى رسول الله ﷺ . فقال سعد : يا رسول الله ، إن أخي عهد إليّ فيه . وقال عبد بن زمعة : أخي ، وابن وليدة أبي ، وُلد على فراشه . فقال رسول الله ﷺ : هو لك ، يا عبدُ بن زمعة . وقال ﷺ : «الولد للفراش ، وللعاهر الحَجر» . ثم قال لسودة بنت زَمعة : «احتجبي منه» ، لما رأى من شَبهه بعتبة . فما رآها حتى لقي الله عز وجل . [1] .

وحدثني مصعب بن عبدالله ، عن أبيه ، عن مالك ، عن عروة ، عن عائشة بنحوه .

لما هلكت خديجة ، جاءت خولة بنت حكيم امرأةُ عثمان بن مظعون ، فعرضت على رسول الله ﷺ التزويج . فقال : بمن ؟ قالت : بسودة وعائشة . وكانت سودة مسلمة . فزوّجها إياه أبوها وهو شيخ كبير . وسالف رسول الله ﷺ ، من قبل سودة ، حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس ، من

١ ـ موطأ الامام مالك ـ الحديث ١٤١٦ .

بني عامر بن لؤي ، وكان معمراً ؛ مات سنة أربع وخمسين وله مائة وعشرون سنة . وكان عنده أم كلثوم بنت زمعة ، أختها لأبيها وأمها . وعبد الرحمن بن عوف الزهري ، وكانت عنده أم حبيب بنت زمعة .

ـ وتزوج عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه . وأمها أم رُومان بنت عمير ، من بني كنانة ، وأمها كنانية أيضاً . وقال بعضهم : أم رومان بنت الحارث بن الحويرث . وذلك خطأ . وكانت عائشة مسماة لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، فسلها أبو بكر سلاّ وزوّجها رسولَ الله ﷺ . والثبت أنها لم تُسَمَّ لأحد قبل رسول الله ﷺ . ولم يتزوّج رسولُ الله ببكر غيرها ، وكان أبا عُذرها . وتزوّجها بمكة وهي ابنة ستّ ، ويقال سبع . وابتنى بها وهي ابنة تسع في شوال سنة إحدى من الهجرة . وكانت أحب نسائه إليه .

حدثنا عبد الله بن أبي شيبة ، ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة

أن النبي ﷺ تزوجها وهي ابنة تسع ، ومات عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة .

وحدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عبدة بن سليمان ، أنبأ هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت :

تزوجني رسول الله ﷺ وأنا ابنة ست سنين ، وبنى بي وأنا ابنة تسع سنين ، وقال الواقدي والكلبي : تزوّجها في شوال ، وأدخلت عليه في شوال ، فكانت تستحب أن تتزوج نساؤها في شوال ، وتقول : أية امرأة كانت أحظى عند زوج مني ؟

حدثني حفص بن عمر ، حدثني هشام بن الكلبي ، عن عبد الله بن الأجلح ، عن محمد بن عمرو بن علقمة الليثي قال :

لما أراد رسول الله ﷺ أن يبتني بعائشة ، خرجت إليها أمها ، أم رُومان ، وهي تلعب مع الجواري في النخل ، فأخذت بيدها فأدخلتها على النبي ﷺ في شوال بعد قدومه المدينة بعام ، وهي ابنة تسع . وتوفي عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة . وكان رسول الله ﷺ خطبها حين خطب سودة .

حدثنا محمد بن سعد ، حدثني محمد بن عمر الواقدي ، عن ابن أبي الرجال ، عن أبيه ، عن عمرة ، عن عائشة قالت :

تزوّجني رسول الله ﷺ قبل الهجرة بثلاث سنين في شوال سنة عشر من النبوة ، وقدم المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وأعرس بي في شوال على رأس ثمانية أشهر من المهاجر . وكنتُ يوم تزوجني ابنة ستّ ويوم دخل عليّ ابنة تسع[1] .

حدثنا عبد الله بن صالح العجلي ، عن ابن يمان ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عبد الله بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت :

تزوّجني رسول الله ﷺ في شوال ، وأعرس بي في شوال ؛ فأيّ نساء رسول الله كان أحظى عنده مني ؟ وكانت تستحب نسائها أن يدخلن على أزواجهن في شوال .

وحدثني العقوي الدلال البصري ، عن أبيه ، عن عباد بن عباد المهلبي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة قالت :

تزوّجني رسول الله ﷺ وإني ألعب مع الجواري بالبنات . فما شعرت

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٥٨ ـ ٥٩ .

بذلك حتى حبستني أمي عن الخروج . فوقع في نفسي أني قد زُوّجت . وماسألتها حتى أخبرتني ابتداء ، ولقد كان النبي ﷺ يدخل بيتي فتنقمع الجواري منه ويخرجن . فيخرج ويسرّبهن إليّ .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي سعد ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه قال ، قالت عائشة :

ما تزوّجني النبي ﷺ حتى أتاه جبريل بصورتي ، وقال : هذه زوجتك . فتزوّجني وإني لجارية عليّ حوَف[1] . فلما تزوّجني ، وقع عليّ الحياء وإني لصغيرة . وقال سفيان : «الحَوف» ، الذي يكون في وسط الصبى .

حدثنا عمرو الناقد ، عمن حدثه ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت :

رآني رسول الله ﷺ في المنام ، قبل أن يتزوجني ، مرتين .

وحدثني الوليد بن صالح ، عن الواقدي قال : حدثني عدة ، عن مالك ، عن هشام ، عن أبيه

أن رسول الله ﷺ رأى عائشة على ارجوحة فأعجبته ، فأتى منزلَ أبي بكر ولم يكن حاضراً ، فقالت له أم رُومان : ما حاجتك يا رسول الله ؟ قال : جئت أخطب عائشة ، قالت : إن عندنا يا رسول الله من هي أكبر منها . قال : إنما أريد عائشة . ثم خرج . ودخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، فأخبرته أمها بما قال رسول الله ﷺ . فخرج ، فزوّجها إياه . وأمر رسول الله ﷺ بقطع الأراجيح .

حدثني أبو بكر الأعين ، عن أبي نعيم الفضل بن دكين ، عن

---

١ ـ في هامش الأصل : الحوف : جلد يشق كهيئة الإزار تلبسه الجواري الصبيان .

إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة قال :

تزوّج رسول الله ﷺ عائشة وهي ابنة ست ، ودخل بها وهي ابنة تسع ، ومات عنها وهي ابنة ثماني عشرة ، وماتت وهي ابنة ست وستين سنة في سنة ثمان وخمسين . وتزوجها بكراً ، وسماها «أم عبد الله» . وقال أبو نعيم : وقد يقال إنها ماتت في سنة سبع وخمسين . والثبت أنها ماتت في سنة ثمان وخمسين .

حدثني علي بن عبد الله ، ثنا سفيان ، عن هشام ، عن أبيه قال :

ماتت عائشة في سنة سبع وخمسين ، ومات أبو هريرة في سنة تسع وخمسين وقد روى قوم أن النبي ﷺ تزوج عائشة في شهر رمضان . والأول أثبت .

ـ قالوا : وكانت عائشة تقول : ما غرتُ على امرأة من نساء النبي ﷺ غيرتي على خديجة وإن كنتُ بعدها ، لما أسمع من ذكر رسول الله ﷺ إياها .

حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي صالح قال ، قالت عائشة :

إني لأغار على خديجة وإن كنتُ بعدها ، لما كنت أسمع من ذكر رسول الله ﷺ لها ؛ ولقد سمعته يقول : «كانت خديجة خير نساء العالمين» ؛ وقال : «إنّ لخديجة بيتا في الجنة من قصب[1] لا صخب فيه ولا نصب» ؛ وإني لأعرف فضلها .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن رجل ، عن يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة قالت :

١ ـ القصب في هذا الحديث لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف . النهاية لابن الأثير .

دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب بالبنات ، فقال : ما هذا ؟ فقلت : خيل سليمان . فضحك ﷺ[1] .

حدثني بكر بن الهيثم ، عن عبد الرزاق بن همام ، عن معمر ، عن الزهري ، فيما يحسب عبد الرزاق عن عروة ، عن عائشة قالت :

دخلت على النبي ﷺ امرأة سوداء ، فأقبل عليها . فقلت : يا رسول الله ، أقبلتَ على هذه السوداء هذا الإقبال ؟ فقال : «إنها كانت تدخل على خديجة كثيراً ، فإن حسن العهد من الإيمان» .

وحدثنا عبد الله بن صالح العجلي ، ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن كريب قال :

خطب علي يوما ، فقام رجل ، فشتم عائشة ، فنهض إليه عمار بن ياسر ، فقال : اسكت مقبوحاً ؛ أتقع في حبيبة رسول الله وزوجته ؟

حدثنا بكر بن الهيثم وإبراهيم بن محمد السامي ، ثنا عبد الرزاق عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن عائشة :

أن رسول الله ﷺ قال يوماً : «يا عائشة ، إن جبريل يقرأ عليكِ السلام» ، فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته .

وحدثني محمد بن إسماعيل الضرير ، عن يزيد بن هارون ، عن زكريا ، عن الشعبي ، عن أبي سلمة ، عن عائشة :

بمثله .

حدثني محمد بن إسماعيل الواسطي الضرير ، ثنا وكيع ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة بن شراحيل ، عن أبي موسى قال :

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٢ .

قال رسول الله ﷺ : «كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ؛ وإنّ فضل عائشة عن النساء كفضل الثريد على الطعام» .

حدثنا روح بن عبد المؤمن ، ثنا عباد بن عباد ، ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه :

أن رسول الله ﷺ قال لعائشة : «إني لأعرف غضبك إذا غضبت ، ورضاك إذا رضيت» . فقالت : وكيف تعرف ذاك يا رسول الله ؟ قال : «إذا غضبت قلت : يا محمد ، وإذا رضيت قلت : يا رسول الله» . وروى في غير هذا الحديث أنه قال ﷺ : «إذا غضبت قلت : لا ، وربّ إبراهيم» ، وإذا رضيت قلت : لا ، وربّ محمد» . فقالت : إنما أهجر اسمك .

حدثني المدائني ، عن ابن جعدبة ، عن الزهري أو غيره ، عن عروة قال :

دخل رسول الله ﷺ على عائشة ، فقالت له : أين كنتَ ؟ قال : عند أم سلمة . فقالت : «وما تصنع بأم سلمة ؟ وإنك نزلتَ بعدْوَتين ، إحداهما عافية[1] لم تُرْعَ ، والأخرى قد رُعيت ؛ في أيهما كنتَ ترعى ؟» قال النبي ﷺ : «في التي لم ترع» . وتبسم ﷺ .

وقال أبو الحسن : يعني أن كل امرأة لك فإنما خلفت عليها بعد زوج ، غيري .

حدثنا أبو مسعود الكوفي ، عن علي بن هاشم ، عن حميد بن عبد الله الملائي ، عن امه قالت :

---

١ ـ العافية هنا : الأرض غطاها النبات . القاموس .

رأيت على عائشة خمارين ، حبشانيا وغرابيا أسود .

وحدثني المدائني ، عن يزيد بن عياض ، عن هشام بن عروة ، قال :

دخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله ﷺ وعنده عائشة ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب. فقال: «من هذه الحميراء يا رسول الله ؟ قال : هذه عائشة بنت أبي بكر . قال : أفلا أنزل لك عن أجمل النساء ؟ فقال ﷺ : لا . فلما خرج ، قالت عائشة : من هذا يا رسول الله ؟ قال : هذا الأحمق المطاع في قومه» .

وحدثني أبو مسعود الكوفي ، قال سمعت مالك بن أنس يحدث ، عن هشام بن عروة قال ، قالت عائشة :

وجّه رسولُ الله ﷺ من المدينة ، حين هاجر إليها ، زيدَ بن حارثة ، وأبا رافع مولييه . فحملا سودةَ بنت زمعة ، وفاطمة ، وأم كلثوم . وحمل زيدُ أم أيمن امرأته ، وأسامة ابنه . وبعث أبي : عبدَ الله ، أخي ، فحمل أم رومان ، وحملني وأختي . وخرج طلحة ، فاصطحبنا . فقدمنا المدينة ، والمسجد يبنى وأبيات حوله . فمكثنا أياما ، ثم قال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر أنا باعث بالصداق . وهو اثنتا عشرة أوقية ونَشّ[1] . فبعث بذلك ، وبنى بي في بيتي هذا الذي أنا فيه ، وهو الذي توفي فيه .

وقال الواقدي وغيره : بدىء النبي ﷺ في بيت زينب بنت جحش ، ويقال في بيت ميمونة . فجعل يقول : أين أنا غداً ، وأين أنا بعد غد ؟ فعرف أزواجه أنه يريد عائشة ؛ فقلن : يا رسول الله قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة . فخرج متوكّئاً على عمه العباس ، والفضل بن العباس حتى دخل

١ ـ النش : نصف أوقية .

منزل عائشة ، فتوفي في منزل عائشة .

وروى الواقدي بإسناد له أن فاطمة كانت تطوف ، حين مرض النبي ﷺ ، على أزواجه فتقول : إنه يشقّ على النبي أن يطوف عليكن ، فقلن : هو في حِلّ . فكان يكون في بيت عائشة .

- وحدثنا بكر بن الهيثم ، ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال :

أرسل أزواج النبي فاطمة إلى النبي ﷺ ، فاستأذنت . فأذن لها . فدخلت وهو عند عائشة . فقالت : يا رسول الله إنّ أزواجك أرسلنني إليك ، يسألنك السوية في ابنة ابن أبي قحافة . فقال : أي بُنية ، ألست تحبين ما أحبَ ؟ قالت : بلى يا رسول الله . قال : فأحبي هذه ، يعني عائشة . قالت فاطمة : فجئتُ أزواجَ النبي ﷺ ، فحدثتهن . فقلن : ما أغنيت عنا شيئاً . فأرسلن زينبَ بنت جحش ، فقالت : يا رسول الله ، أرسلني إليك أزواجك ، وهن يسألنك السوية في ابنة [ابن] أبي قحافة . قالت عائشة : فوُقعت بزينب ، فسبتني . وطفقتُ أنظر إلى النبي ﷺ متى يأذن لي فيها . فلم أزل أنظر إليه حتى عرفتُ أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر منها . قالت : فأوقعت بزينب ، فلم أنشب أن أفحمتها . فتبسم رسولُ الله ﷺ ، وقال : «إنها ابنة أبي بكر» .

- وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عبد الله بن كعب مولى آل عثمان ، عن محمود بن لبيد قال :

كان أزواج النبي ﷺ يحفظن من حديث النبي ﷺ كثيرا ، ولا بمثل

عائشة وأم سلمة. وكانت عائشة تُفتي في عهد عمر، وعثمان، وإلى أن ماتت . وكان عمر ، وعثمان يرسلان إليها فيسألانها عن الشيء[١] .

ـ حدثني محمد بن مصفى الحمصي ، ثنا معافى بن عمران الحمصي ، عن ابن لهيعة ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة قالت :

إن كنتُ لأستاك فيأخذ رسول الله ﷺ السواكَ ، فيستاك بفضل ريقي .

وحدثني محمد بن مصفى ، ثنا بقية بن الوليد ، عن شعبة ، حدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة :

أن النبي ﷺ قال لها : ناوليني الخُمرة[٢] . قالت : إني حائض . قال : لم حيضكِ بيدكِ ؟!

ـ حدثني أبو مسعود الكوفي ، على ابن أبي الأجلح ، عن أبيه ، عن الشعبي ، قال : قالت عائشة :

روَيتَ للبيد نحوا من ألف بيت . وكان الشعبي يذكرها ، فيتعجب من فقهها وعلمها ، ثم يقول : ما ظنكم بأدب النبوة ؟

وقال أبو مسعود ، قال ابن [أبي] الأجلح ، عن أبيه ، عن عامر قال :

قيل لعائشة : يا أم المؤمنين ، هذا القرآن تلقَّيْتِه عن رسول الله ﷺ ، وكذلك الحلال والحرام ، وهذا الشعر والنسب أحاديث الناس سَمعتيها من أبيك وغيره ؛ فما بال الطبّ ؟ قالت : كانت الوفود تأتي رسول الله ﷺ ، فلا

١ ـ طبقات ابن سعد ج ١ ص ٦٦ .

٢ ـ الخمرة هنا : حصيرة صغيرة من السعف . القاموس .

يزال الرجل يشكو علة به فيسأله عن دوائها ، فيخبره بذلك . فحفظتُ ما كان يصفه لهم ، وفهمته ، وحفظته .

حدثنا عبد الله بن صالح المقرىء ، ثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن عروة ، عن عائشةَ أنها أنشدت بيت لبيد :

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيتُ في خَلْفٍ كجلد الأجرب (١)

فقالت : رحم الله لبيدا ، فكيف لو رأى هذا الزمان ؟ فقال عروة : وأنا أقول : رحم الله أم المؤمنين ، فكيف لو رأت هذا الزمان ؟ وقال هشام : رحم الله عروة ، فكيف لو رأى هذا الزمان ؟ وقال حماد : رحمهم الله ، فكيف لو رأوا زماننا هذا ؟

حدثني عبد الله بن صالح ، عن ابن يمان ، عن سفيان الثوري ، عن الأعمش ، قال :

كان يقال إن عائشة رَجُلة الرأي .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال :

قال النبي ﷺ لأبي بكر : «ألا تعذّيني على عائشة ؟ فرفع أبو بكر يده ، فضرب صدرَها ضربة شديدة . فجعل يقول : «غفر الله لك أبا بكر ؛ إنا لم نرد هذا كله»(٢) .

---

١ ـ ديوان لبيد ـ ط . الكويت ١٩٨٤ ص ١٥٣ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٠ ـ ٨١ .

وحدثني المدائني ، عن يزيد بن عياض ، عن ابن شهاب قال : قالت عائشة :

كان رسول الله ﷺ إذا أقرع بين نسائه لسفر فخرج غير سهمي ، تغير وجهه ؛ وكان إذا قدم من سفر ، بدأ بي فيكون ابتداؤه القسم فيما يستقبل من عندي .

وحدثني رجل من سلمة ، حدثني عبيد الله بن موسى ، عن شيبان النحوي ، عن منصور ، عن أبي رزين

أن رسول الله ﷺ كان قد همّ أن يطلق من نسائه . فلما رأين ذلك ، جعلنه في حلّ من إتيان من شاء . فكان يؤثر عائشة وزينب ، لفضلهما عنده .

حدثني عبد الحميد بن واسع الحاسب ، حدثني يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد قال :

ذكروا مسير عائشة إلى البصرة ، فقال : ليس ذلك بمذهبٍ فضلها البارع ، ولا مبطل ما تقدم لها وتأخر من الإحسان ، ومع هذا فإنها أحبّ نساء النبي ﷺ إليه ، وكانت أشدّهن حبّاً له ؛ وكل مع من أحبّ .

ـ وحدثني عبد الأعلى النرسي قال :

رأيت النبي ﷺ في النوم ، فقال : شرّ من ينتحل قبلتي الخوارج والروافض ؛ وشرّهم قاتل علي والسيد الحميري .

ـ وحدثني أبو موسى إسحاق الفروي ، ثنا أبو معاوية الضرير ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق

أنه قيل له : هل كانت عائشة تحسن الفرائض ؟ فقال : لقد رأيت

أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض[1] .

ورُوي عن عائشة أن رجلاً كان في دار لها ، وكان يلعب بالنرد ، فقالت له : إن أخرجت النرد من منزلك ، وإلا أخرجتك من داري .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن موسى بن محمد التيمي ، عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال :

ما رأيت أحدا أعلم بسنن رسول الله ﷺ ، ولا أفقه في رأي إذا احتيج إلى رأيه ، ولا أعلم بآية فيمن أنزلت ، ولا بفريضة من عائشة .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ثنا عبد الله بن معمر بن حفص ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه قال :

كانت عائشة قد اشتغلت بالفتوى في خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وهلم جرا إلى أن ماتت ؛ وكنت ملازماً لها .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن مسلم بن حماد ، عن عثمان بن حفص ، عن الزهري ، عن قبيصة بن ذؤيب قال :

كانت عائشة أعلم الناس ، يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ .

ـ حدثنا عبد الله بن صالح ، عن ابن أبي زائدة ، عن حجاج ، عن عطاء

أن معاوية بعث إلى عائشة بقلادة قوّمت مائة ألف ، فقبلتها وقسمتها في أمهات المؤمنين ؛ وكانت من أسخى الناس .

وحدثني أبو حسان الزيادي ، عن أبي عاصم العباداني ، عن علي بن

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٦ .

زيد قال :

باعت عائشة داراً لها بمائة ألف درهم ، ثم قسمت المالَ . فبلغ ذلك ابنَ الزبير ، فقال : قسمت مائة ألف ؛ والله لتنتهين عن بيع رباعها أو لأحجرنّ عليها . فقالت : «أهو يحجر علي ؟ عليّ نذر إن كلمته أبدا» . فضاقت به الدنيا ، حتى كلمته ، وأعتقت مائة رقبة .

ـ وحدثني محمد بن حاتم بن ميمون ، ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق قال :

دخل حسان على عائشة بعدما كُفّ بصره . فقيل لها : أتدخلين عليك هذا الذي قال الله فيه : ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم[1]﴾ ؟ فقالت : أو ليس هو في عذاب ، وقد كفّ بصره ؟ فأنشدها بيتا قاله لابنته :

حِصانٌ رزان لا تُزَنّ بـريبة وتُصبح غرثى من لحوم الغوافل [2]

فقالت : لكنكَ لستَ كذاك .

حدثنا محمد بن حاتم ثنا عبد الله بن نمير ، عن مالك بن مغول ، عن أبي حصين ، عن مجاهد قال :

لما أنزل الله عذر عائشة ، قام إليها أبو بكر فقبل رأسها . فقالت : بخمد الله ، لا بحمدك ولا حَمد صاحبك يا أبتاه إلا عذرتَني ؟ فقال : «وكيف أعذركِ بما لا أعلم ؟ أي أرض تقلني يوم أعذركِ بما لا علم لي به ؟» .

حدثنا محمد بن حاتم ، ثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ،

---

١ ـ سورة النور ـ الآية : ١١ .

٢ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٢٣٤ مع فوارق .

عن ابن شهاب ، عن عروة قال :

كانت عائشة تكره أن يسبّ عندها حسان ، وتقول : إنه الذي قال :

فإن أبي ووالده وعِرضي لعرض محمد منكم وقاءُ [١]

حدثنا محمد بن حاتم ، ثنا ابن مهدي ، عن ابن المبارك ، عن عمارة ، عن عكرمة :

في قول الله عز وجل : ﴿والذين يرمون المحصَنات الغافلات﴾[٢] ، قال : يعني عائشة .

ـ قالوا : وكان أخو عائشة لأمها أم رومان ، طفيل بن عبد الله بن الحارث بن سخبرة بن جُرثومة الأزدي ، وأخوها لأبيها وأمها عبد الله بن أبي بكر . ويذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ قال : «من سرّه أن يرى امرأة من الحُور العين ، فلينظر إلى أم رومان» . وكان أبو بكر خلف على أم رومان بعد عبد الله بن الحارث ، وكان قدم بها مكة وحالف أبا بكر قبل الإسلام ، فخلف عليها بعد وفاته . وماتت أم رومان في ذي الحجة سنة ست . فنزل النبي ﷺ في قبرها ، وصلى عليها .

ـ وتوفيت عائشة رضي الله تعالى عنها ، ولم تلد لرسول الله ﷺ ولا اشتملت على حمل . وكانت وفاتها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ، ويقال تسع عشرة ، ويقال لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ، وهي ابنة ستّ وستين سنة ، وأوصت أن تدفن من ليلتها . فدفنت بالبقيع بعد الوتر . وبين يدي جنازتها الجريد ، ملفوفا عليها الخِرَق وفيها النار ،

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١٨ .

٢ ـ سورة النور ـ الآية : ٢٣ .

وقد روُيّت الخرق زيتاً . قالوا : واجتمع الناسُ ليلتئذ وجاء أهل العوالي ، فكأنها كانت ليلة عيد ، وكثر البكاء عليها ، وكان على المدينة مروان بن الحكم ، إلا أنه خرج معتمرا واستخلف أبا هريرة ، فصلى عليها أبو هريرة . وحضر عبدُ الله بن عمر صلاته عليها بالبقيع ، فلم ينكر ذلك . وجعلت أم سلمة تقول ، وقد حضرت وفاتها : رحمكِ الله وغفر لكِ ، وعرّفنيك في الجنة . ونزل في حفرتها عبد الله بن الزبير ، وهو ابن أختها أسماء ابنة أبي بكر ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر وهو ابن أبي عتيق . وإنما قيل «ابن أبي عتيق» ، لأنه كان يرمي ذات يوم ، فانتمى إلى أبي قحافة ، فقال : أنا ابن أبي عتيق ؛ فغلب ذلك على اسم أبيه . ويقال إنه نزل في قبرها أيضاً عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر . وقال قوم : كان الوالي على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وكان معتمرا ، وأبو هريرة خليفته ، فصلى عليها . والثبت أنها ماتت في شهر رمضان ، والوليد ولي المدينة في ذي القعدة من هذه السنة .

ـ قال محمد بن سعد ، حدثني الواقدي ، عن ابن أبي الزناد ، عن أبيه قال :

دخل ابن أبي عتيق على عائشة وهي ثقيلة ، فقال : يا أُمَّهْ كيف تجدينك ، جُعلتُ فداك ؟ قالت : هو الموت . قال : فلا جعلتُ فداك إذاً . فقالت : أما تدع هذا على حال ؟[1]

وحدثني الحرمازي ، عن أبي زيد الأنصاري ، عن أبي عمرو بن

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٦ ، وزاد «تعني المزاح» .

العلاء ، قال :

عرضتْ لعائشة حاجة ، فبعثت الى ابن أبي عتيق أن أرسل إليّ ببغلتك لأركبها في حاجة . قال ، كان مزّاحا بطالا ، فقال لرسولها : قل لأم المؤمنين : والله ما رحضنا عارَ يوم الجمل ؛ أفتريدين أن تأتينا بيوم البغلة ؟

ـ وسالف رسول الله ﷺ من قبل عائشة رضي الله تعالى عنها : طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة . كانت عنده أم كلثوم بنت أبي بكر ، من حبيبة بنت خارجة [بن زيد] بن أبي زهير[1] الأنصاري ، وكانت حين توفي أبو بكر حاملا ، فولدت لطلحة : عائشة بنت طلحة ، وزكريا بن طلحة ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة المخزومي ، عمّ عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، خلف على أم كلثوم بنت أبي بكر ، فولدت له إبراهيم ، وعثمان ، وموسى، وبنات .

والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، كانت عنده أسماء بنت أبي بكر الصديق ، أخت عائشة لأبيها . وأم أسماء : قُتيلة بنت عبد العزى بن أبي قيس ، من بني عامر بن لؤي . فولدت أسماء للزبير: عبد الله ، وعروة ، والمنذر ، وعاصماً ، وأم حسن ، وعائشة بني الزبير .

ـ وتزوّج رسول الله ﷺ غزّية بنت دُودان بن عوف بن عمرو ، من ولد معيص بن عامر بن لؤي ، وهي أم شريك التي «وهبت نفسها للنبي[2]»

---

١ ـ بالأصل «خارجة بن أبي رهم الأنصاري» وهو وهم صوابه ما أثبتاه عن طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٦٢ .

٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٥٠ .

ﷺ . وبعضهم يقول : وهي غُزية بنت دَودان بن عوف بن جابر بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص . وهو أثبت النسبين .

وكانت غزّية قبل رسول الله ﷺ عند أبي العكر ، واسمه مسلم بن سمّي بن الحارث الأزدي ، من بني ميدعان . وهو حليف بني عامر بن لؤي ، فولدت له شريك بن أبي العكر ، فكنيت به . وقال ابن الكلبي : رأى رسول الله ﷺ بغزّية كبرة ، فطلقها . فأوثقها أهلها وقومها وحملوها من مكة إلى البدو . وكانت تدخل على النساء بمكة ، فتدعوهن إلى الإسلام . وكانت على ذلك بعد طلاقها . تدعو إلى الإسلام . وقال غيره : وهبت نفسها للنبي ﷺ ، فلم يتزوجها ، ولم يردّها .

ـ وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى ، رضي الله تعالى عنها في شعبان ، سنة ثلاث قبل أحد بشهرين . وأم حفصة : زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة ، أخت عثمان بن مظعون . وأمها خزاعية . وكانت حفصة عند خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي ، فمرض والنبي ﷺ ببدر وهو معه . ومات مقدم رسول الله ﷺ من بدر . فخلف عليها رسول الله ﷺ بعد ذلك .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، عن عمر رضي الله تعالى عنه قال :

لما تأيّمت حفصةُ ، لقيتُ عثمانَ بن عفان فعرضتها عليه . فقال : أنظر في ذلك . فمكث أياما ثم لقيني : فقال : قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا . قال : فلقيتُ أبا بكر ، فقلتُ : إن شئتَ زوّجتك حفصة .

فصمت ، ولم يرجع إليّ جوابا . قال عمر : فكنتُ على أبي بكر أوجد مني على عثمان . ثم لبثت ما شاء الله . فخطبها النبي ﷺ ، فنكحها . فلقيني أبو بكر فقال : لعلك وجدتَ في نفسك ؟ قلتُ : نعم . قال : إنه لم يمنعني من أن أرجع إليك فيها شيئاً ، إلا أن النبي ﷺ قد كان ذكرها ، فلم أكن لأفشي سره .

وحدثنا أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا شعيب بن حرب أبو صالح ، ثنا عبيد بن خُنيت ، ثنا ربعي بن حراش قال :

قال النبي ﷺ لعمر : «ألا أدلك على ختن خير لك من عثمان ، وأدّل عثمان على ختن خير له منك » ؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : «زوجني ابنتك ، وأزوّج ابنتي عثمان» .

وقال الواقدي ، حدثني معمر ، عن الزهري

أن عمر بن الخطاب عرض حفصة على عثمان ، فقال رسول الله ﷺ : قد زوّج الله عثمان خيراً من ابنتك ، وزوّج ابنتك خيراً من عثمان . فتزوّج رسول الله ﷺ حفصة ، وزوّج عثمان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ .

وحدثني الوليد بن صالح ، حدثني الواقدي ، عن موسى بن يعقوب ، عن أبي الحويرث ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، قال :

خرجت حفصةُ من بيتها ، فبعث رسول الله ﷺ إلى جاريته فجاءت ، فدخلت عليه حفصة وهي معه . فقالت : يا رسول الله ، أفي بيتي وعلى فراشي؟ فقال رسول الله ﷺ : «اسكتي ، فلك الله أن لا أقربها أبدا ، ولا تذكري هذا لأحد أبدا» . فأخبرت به عائشة ، وكانت لا تكتمها شيئاً ، إنما كان أمرهما واحدا . فأنزل الله : ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله

لك﴾ ، الآيات ؛ فكفر يمينه . وقوله : ﴿إلى بعض أزواجه﴾ ، يعنى حفصة . وقوله ﴿وإن تظاهرا عليه﴾ ، يعني عائشة وحفصة . وقوله ﴿وصالح المؤمنين﴾ [1]» ، ويعني أبا بكر وعمر . قال : فطلق حفصة تطليقه .

وحدثني أبو مسعود ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس

في قوله ﴿وإذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثا[2]﴾ ، قال : أسرّ إلى حفصة أن أبا بكر والي الأمر بعده ، وأن عمر واليه بعد أبي بكر ، فأخبرت بذلك عائشة .

حدثنا محمد بن حاتم المروزي ، ثنا وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه قال :

سألت نافعا عن الحرام ، فقال : يكفّر يمينه ؛ أو ليس قد حرّم رسول الله ﷺ جارية ، فأمره الله أن يكفّر يمينه ؟

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا وهب بن جرير وابن مهدي ، قالا : ثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم قال :

سمعت عبد الله بن شدّاد قال : نزلت : ﴿يا أيها النبي لم تحرِّم ما أحلّ الله لك﴾ ، في شراب .

حدثنا محمد بن حاتم ، ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج قال : أخبرني عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يخبر عن عائشة ،

---

١ ـ سورة التحريم ـ الآيات : ١ ـ ٤ .
٢ ـ سورة التحريم ـ الآية : ٣ .

عن النبي ﷺ أنه كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا . قالت : فتواطأتُ أنا وحفصة أيتنا ما دخل عليها النبي ﷺ أن تقول له : إني لأجد منك ريح مغافير[1] ؛ أأكلت مغافير؟ فدخل على إحدانا ، فقالت له . فقال :« بلى شربتُ عسلاً عند زينب بنت جحش ، ولن أعود له». وحرّمه . فنزلت : ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ . وقال الواقدي : أمر الجارية هو المعروف بالمدينة .

وحدثني عبد الله بن صالح بن مسلم ، عن ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ يأتي أم سلمة في غير يومها . فتخرج إليه عكة عسل ، فيلعق منه . وكان يحب العسل . ويعجبه . فقلت لحفصة : أما ترين مكث رسول الله ﷺ عند أم سلمة ؟ فإذا دنا منك ، فقولي : أجد منك ريح شيء . فإنه سيقول : ذلك من عسل أصبته عند أم سلمة . فقولي له : أرى نحلة جرس[2] وعُرْفُطاً . فلما دخل على عائشة ودنا منها ، قالت : إني أجد منك شيئاً، فما أصبت؟ قال: «عسلا». فقالت: أرى نحلة جرس العُرفط . ثم خرج من عندها ، فأتى حفصة ، فقالت له مثل ذلك . فلما قالتاه جميعا ، اشتد ذلك على رسول الله ﷺ ودخل على أم سلمة . فأخرجت إليه العسل، فقال: «لا حاجة لي فيه». وحرّمه على نفسه. وقالت عائشة لحفصة : ما أرانا إلا قد أتينا عظيما : منعنا رسولَ الله ﷺ شيئاً كان يشتهيه .

١ ـ المغافير شيء ينضحه شجر العرفط حلو كالناطف ، وله ريح كريهه منكرة . النهاية لابن الاثير .

٢ ـ يقال للنحل : الجوارس . النهاية لابن الاثير .

وقد روى سعدويه ، عن أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت :

كان رسول الله ﷺ يأتي حفصة ، فتأتيه بالعسل ، وأنها واطأت سودة على أن تقول له إذا خرج من عند حفصة : إني أجد منك ريح عُرفطة .

وحدثني محمد بن حاتم ، ثنا عمر بن يونس ، ثنا عكرمة بن عمار العجْلي ، عن سماك بن أبي زميل قال ، حدثني عبد الله بن عباس ، عن عمر بن الخطاب قال :

اعتزل رسول الله ﷺ نساءَه ، فسمعتُ الناس يقولون : طلق رسول الله ﷺ نساءه . قال : وذلك قبل الحجاب . فقلت : والله لأعلمنّ ذلك . فدخلتُ على عائشة ، فقلتُ : يا بنة أبي بكر ، أبلغَ من شأنك أن تؤذي رسولَ الله ﷺ ؟ فقالت : مالي ولك يا بن الخطاب ؛ عليك بغيري . فدخلتُ على حفصة ، فقلتُ يا حفصة أبلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ ؟ والله لقد علمتُ أنه لا يحبك ، فلولا أنا ، لطلقك . قال : فبكت أشد البكاء . فقلت : أين رسول الله ؟ قالت : في مشربة . قال : وإذا أنا برَباح ، غلامُه ، قاعدا على سكفة المشربة وقد دلىّ رجْليه على نقير من خشب . وهو جذع يرقى عليه النبي ﷺ وينحدر . فقلت : يا رَباح ، استأذن لي . فنظر إلى الغرفة ، ثم نظر إليّ ، ولم يقل شيئاً . فرفعت صوتي وقلت : يا رَباح ، استأذن لي ، فإني أظنّ رسول الله ﷺ يرى أني جئتُ من أجل حفصة ؛ والله لئن أمرني بضرب عنقها ، لأضربنّ عنقها . فأومأ إليّ بيده أن ارقَ . فرقيتُ فقلت : يا رسول الله : أَطَلَّقْتَهُن ؟ فقال : لا . وذكر بعد ذلك كلاما .

حدثني محمد بن إسماعيل الضرير الواسطي ، ثنا يزيد بن هارون ، ثنا حماد بن سلمة ، عن أبي عمران الجوني :

أن النبي ﷺ طلق حفصة تطليقة . فدخل عليها خالاها : عثمان وقدامة ابنا مظعون ، فبكت وقالت : والله ما طلقني رسول الله ﷺ من شنع . ثم دخل عليها النبي ﷺ ، فتجلببت . فقال ﷺ : إن جبريل أتاني ، فقال لي : راجع حفصةَ ، فإنها صوّامة قوّامة ، وهي زوجتك في الجنة . وقال بعضهم : إنّ النبي ﷺ هم بطلاق حفصة ، فأتاه جبريل ، فقال : إنها صوّامة قوّامة .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن أبي معشر ، عن ابن أبي الرجال ، عن عمرة ، عن عائشة :

أنه أهديت إلى النبي ﷺ هدية في بيتها ، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه منها شيئا ، وأرسل إلى زينب بنصيبها . فلم ترض به . فزادها ، فلم ترض به ، وزادها . فقالت عائشة : لقد أقمأت وجهك حين تردّ عليكَ الهديةَ ، فقال ﷺ: «لأنتنّ أهون على الله من أن تقمئنني ؛ والله لا أدخل عليكن شهرا» . فلما تمت تسع وعشرون ليلة، دخل عليهن ، وقال: «إن الشهر كذا وكذا وكذا ، ثم قبض إبهامه في الثالثة» .

حدثنا محمد بن حاتم ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن ابن عباس :

في حديث طويل[1] قال : اعتزل رسول الله ﷺ نساءه للحديث الذي

١ ـ انظر مسند الامام أحمد الحديث ٢٢٢ .

أفشته حفصةُ إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة . قال الزهري ، وقالت عائشة : وأنزل الله آية التخيير[١] ، فبدأني به ، فقلت : إني أريد الله ورسوله . وقال له جميع أزواجه مثل ذلك .

وحدثت عن علي بن هشام ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة قالت :

خيّرنَا رسول الله ﷺ ، فاخترناه ، أفكان طلاقا ؟

حدثنا محمد بن حاتم ، ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير قال :

كان لأم سلمة نَسيب بالطائف أهدى لها عسلا ، فقلن أزواج رسول الله ﷺ في ذلك . وروي عن عمر أنه قال لابنته حفصة : لا تراجعي رسولَ الله ﷺ فإنه ليس لك جمال زينب ولا حظوة عائشة .

- وتُوفيت حفصة رضي الله تعالى عنها في سنة خمس وأربعين ، وصلى عليها مروان بن الحكم في إمرته الأولى على المدينة . ونزل في قبرها عبد الله بن عمر ، وعاصم بن عمر ، وحمزة بن عبد الله بن عمر ، وعبيد الله بن عبد الله بن عمر . ودفنت بالبقيع ، وحملت في نعش على سرير . وتبعها مروان إلى البقيع ، وجلس حتى فرغ من دفنها ، ثم أرسل إلى ابن عمر بعزيمة في الصحف التي كانت عندها ، فيها القرآن على ما نسخ في أيام أبي بكر . فأخذها ومحاها .

وقال محمد بن سلام الجمحي : توفيت حفصة في خلافة عثمان ، وذكر أن النبي ﷺ تزوّجها في سنة اثنتين . والأول أثبت .

---

١ - انظر سورة الأحزاب الآيتان : ٢٨ - ٢٩ .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن رجل ، عن المقبري قال :

كان مروان بين أبي هريرة وبين أبي سعيد الخدري في جنازة حفصة . فحمل مروانُ السريرَ من عند دار آل حزم إلى دار المغيرة إلى قبرها[١] .

وقد روى رشدين ، عن الحسن بن ثوبان ، عن يزيد بن أبي حبيب : أن حفصة توفيت سنة إفريقية[٢] . والأول أثبت .

ـ وسالف رسول الله ﷺ من قِبل حَفصة : عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب : كانت تحته فاطمة بنت عمر ، وأمها أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، وجدّتها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وأخوها لأبيها وأمها زيد بن عمر بن الخطاب ، فولدت لعبد الرحمن : عبدَ الله وابنةً . وإبراهيم بن نعيم النحام بن عبد الله بن أسيد بن عبد بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب ، كانت عنده رقية بنت عمر ، أخت حفصة لأبيها ، وأمها : أم كلثوم بنت علي . وعبد الله بن عمر بن سراقة بن المعتمر بن أنس بن أذاة بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رزَاح[٣] ، كانت عنده زينب بنت عمر ، أخت حفصة لأبيها ، وهي أخت عاصم بن عمر لأمه ، وأمها جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري الذي حمت لحمه الدَّبَرُ . ومعتمر بن عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن مالك بن الحارث الخزرجي، من بني الحُبلى ، وكانت أم أبيّ : سَلول الخزاعية ، وكان اسم عبد الله بن عبد الله

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٦ .

٢ ـ في هامش الأصل : سنة إفريقية سبع وعشرين .

٣ ـ في هامش الأصل : زاي معجمة .

«الحُباب» ، فسماه رسول الله ﷺ باسم أبيه ، خلف على زينب بنت عمر بعد عبد الله بن عمر بن سراقة ، فولدت له عثمان بن عبد الله .

ـ وتزوّج رسولُ الله ﷺ زينبَ بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وقال غير الكلبي : خزيمة بن الحارث بن عمرو بن قيس بن عبد مناف . وهي أخت ميمونة بنت الحارث بن حزَن لأمها . وكان يقال لزينب بنت خزيمة «أم المساكين» ، وكنيت بذلك في الجاهلية . وكانت قبل رسول الله ﷺ عند الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصيّ ، أخي عبيدة بن الحارث . فطلقها طفيل ، ثم خلف عليها أخوه عبيدة ، فأصيب يوم بدر ومات بالصفراء وهو ابن أربع وستين سنة . ثم إنّ رسول الله ﷺ خطبها إلى نفسها ، فجعلت أمرها إليه . فتزوّجها في في شهر رمضان سنة ثلاث ، فأقامت عنده ثمانية أشهر وماتت في آخر شهر ربيع الآخر سنة أربع . ودفنها رسول الله ﷺ بالبقيع ، وصلى عليها . ومات الطفيل في خلافة عثمان سنة ثلاثين ، ويقال سنة اثنتين وثلاثين .

ـ وكان العباس سلف النبي ﷺ من قبل أم المساكين ، لأن أختها لأمها ، هند بنت عوف بن زهير : لبابة بنت الحارث بن حزن ، أم بني العباس .

ـ وتزوّج رسول الله ﷺ أم سلمة . واسمها هند بنت أبي أمية ـ واسمه حذيفة ـ بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وقد هاجرت معه إلى أرض الحبشة . وأم «أم سلمة» : عاتكة بنت عامر بن

ربيعة ، أحد بني غَنْم بن مالك بن كنانة . وكان أبو سلمة بن عبد الأسد ـ وأمه برَّة بنت عبد المطلب ـ رُمي يوم أحد[١] بسهم رماه به أبو أسامة الجشمي ، فانتقض عليه فمات منه في جمادى الآخرة سنة أربع . فلما انقضت عدّتها ، تزوّجها رسول الله ﷺ بعد أربعة أشهر ، وأعرس بها في شوال سنة أربع . فيقال إنه خطبها إلى نفسها ، فجعلت أمرها إليه . ويقال إنه قال : مرى ابنك سلمة يزوّجك . فزوّجها رسولَ الله ﷺ ، وهو غلام . ويقال إن الذي زوّجه إياها عمر بن أبي سلمة . والثبت أن سلمة زوّجه إياها . وقال له رسول الله ﷺ حين زوّجه ابنةَ حمزة بن عبد المطلب ، وهي أمامة : «هل جزيت ، سلمة» ؟ فيقال إنه أصابه خبل من فالج قبل أن يضمها إليه . وتزوّجها أخوه ، ولم تلد له . وولدت أم سلمة لأبي سلمة : عمر ، وسلمة ، وزينب ، ودرة ، وزينب هذه هي التي كان النبي ﷺ يدخل على أم سلمة فيقول : ما فعلت زناب ؟ فشهد عمر الجملَ مع عليّ عليه السلام ، بعثت به معه أمه ، وقالت : «قد دفعته إليك وهو أعز عليّ من نفسي ، فليشهد مشاهدك حتى يقضي الله ما هو قاض ، فلولا مخالفة رسول الله ﷺ ، لخرجتُ معك كما خرجت عائشة مع طلحة والزبير» . واستعمله عليّ على البحرين ، ثم عزله وولاه فارس . ويقال ولاه حلوان ، وماه ، وماسَبذان . وكانت وفاة النبي ﷺ وعمر ابن تسع سنين ، ويكنى أبا حفص ؛ وقد حفظ عن النبي ﷺ ، ومات في أيام عبد الملك بن مروان بالمدينة .

---

١ ـ في هامش الأصل : وقال ابن الكلبي قتل أبو سلمة ببدر . انظر جمهرة ابن الكلبي ج ١ ص ١٢٩ .

حدثني محمد بن سعد ، عن عبد الله بن سلمة ، عن سليمان بن بلال ، عن أبي وجرة، عن عمر بن أبي سلمة قال :

قال لي النبي ﷺ : «ادن مني ، فسمّ الله ، وكل مما يليك» .

وحدثني محمد بن وكيع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عمر بن أبي سلمة قال :

رأيت النبي ﷺ يصلي في بيت أم سلمة في ثوب واحد ، متوشحا به ، واضعاً طرفيه على عاتقه ، وكانت زينت بنت أم سلمة ، وُلدتْ بالحبشة ، وتزوّجها عبدُ الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى .

ـ قالوا : وكان السفير بين النبي ﷺ وبين أم سلمة ، عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ويقال حاطب بن أبي بلتعة . فقالت : إني مسنة . فقال : وأنا أسنّ منك . قالت : فإني مُضْبِية . فقال : هم في عيال الله ورسوله . قالت : فإني غيور . قال : أنا أدعو الله عز وجل أن يذهب عنك الغيرة. فدعا لها، ثم إنه تزوّجها. وقالت أم سلمة: كان رسول الله ﷺ قال لي : إذا أصابتك مصيبة ، فقولي : «اللهم أعطني أجر مصيبتي ، وأخلف عليّ خيرا منها» ، فقلت ذلك يوم توفي أبو سلمة ، ثم قلت : «من لي مثل أبي سلمة» ؟ ، فأخلف الله عليّ خيرا من أبي سلمة . قالوا : وابتنى رسول الله ﷺ بأم سلمة في بيت أم المساكين ، فوجد فيه جرّة فيها شيء من شعير ، وإذا رحى وبُرمة ، وفيها كعب(١) من أهالة . فكان ذلك طعام رسول الله ﷺ وأهله ليلة عرسه . قالوا : وكان رسول الله ﷺ قال لأم سلمة حين دخل بها في صبيحتها: «إنه ليس بك على أهلك هوانٍ، فإن شئت ثُلّث لك أو خُمّس أو

١ ـ أي وجدت قدرا من حجر وكتلة من سمن .

سُبّع ؟ فإني لم أسبع لامرأة من نسائي قط» . فقالت : اصنع يا رسول الله ما شئت ، فإنما أنا امرأة من نسائك . ويقال إنّ النبي ﷺ قال لأم سلمة : «لك عندنا قطيفة تلبسينها في الشتاء ، وتفرشينها في الصيف ، ووسادة من أدم حشوها ليف ، وَرَحيان تطحنين بهما ، وجرّتان في إحداهما ماء وفي الأخرى دقيق ، وجفنة تعجنين وتثردين فيها» . فقالت : رضيتُ . فكان ذلك مهرها .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت :

لما تزوّج النبي ﷺ أم سلمة ، حزنتُ حزنا شديدا لما ذكر لنا من جمالها . فتلطفتُ حتى رأيتها فكان في عيني على أضعاف ما وصفت لنا . فذكرتُ ذلك لحفصة ، وكنا يدا واحدة . فقالت : لا والله إن هذا إلا غيرة ، وما هي كما تقولين . قالت . ثم رأيتها بعد ذلك ، فكانت كما قالت حفصة[1] .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا سفيان ، عن معمر ، عن الزهري ، عن هند بنت الحارث قالت :

قال رسول الله ﷺ : إن لعائشة مني شعبة ما نزلها أحد فلما تزوج أم سلمة ، سئل عن الشعبة ، فسكت فعُرف أن أم سلمة قد نزلت عنده بمنزلة لطيفة .

ـ وتوفيت أم سلمة في شوال سنة تسع وخمسين ، ودفنت بالبقيع . ونزل في قبرها سلمة ، وعمر ابناها ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي أمية وهو

(1) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٩٤ .

ابن أختها ، ويقال إن أم سلمة توفيت في شهر رمضان سنة تسع وخمسين ، وكان الوالي بالمدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان . فخرج فصلى العصر ثم صلى عليها ، وفي الناس ابن عمر وأبو سعيد الخدري . ويقال إنّ أم سلمة أوصت أن لا يصلي عليها الوليد بن عتبة ، فركب في حاجة له استحياء من الناس ، وصلى عليها أبو هريرة . وقد قيل إنها توفيت سنة إحدى وستين يوم عاشوراء . ويقال إنّ الوليد كان غائباً ، وقد استخلف أبا هريرة ، فصلى عليها أبو هريرة وكبر أربعاً

- وسالف رسول الله ﷺ من قبل أم سلمة : زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى : كانت تحته قُريبة الكبرى بنت أبي أمية أخت أم سلمة لأبيها . وكانت أم قريبة هذه : عاتكة بنت عبد المطلب . فولدت له عبد الله ، ووهبا ، ويزيد ، والحَارث قتل يوم بدر كافرا .

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه : كانت عنده قريبة الصغرى ، ففرق بينهما الإسلام ورجعت إلى الكفار ، ثم أسلمت ، فتزوّجها معاوية ، فقال له أبو سفيان : أتتزوج طعينة أمير المؤمنين ؟ فطلقها ، فتزوجها عبد الرحمن بن أبي بكر ، فولدت له عبد الله . فكانت عائشة عمته ، وأم سلمة خالته . فكان معاوية سلف رسول الله ﷺ ، وكذلك عبد الرحمن بن أبي بكر ومنبّه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم ، كانت عنده ابنة لأبي أمية أخت أم سلمة لأبيها ، فولدت رجلين . وعبد الله بن سعد بن جابر بن عمير بن بشير بن بشر ، من ولد حارقة بن مَظّة بن سلهم بن الحَكم بن سعد العشيرة ، كانت تحته ابنة لأبي أمية بن المغيرة . وكانت عند

عبد الله بن سعد هذا ابنة عفان ، أخت عثمان ، فولدت له محمدا ؛ وولده بالمدينة ، ومنهم ناس بالبصرة .

وسالف رسول الله ﷺ أيضاً صُهيب بن سِنان ، مولى عبد الله بن جُدْعان التيمي ، كانت عنده ريطة بنت أبي أمية . ويقال بل هي ابنة أبي ربيعة بن المغيرة ابنة عم أبي سلمة ، وهي عمة عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر .

ـ وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن سبرة بن مرّة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، حليف بني أمية بن عبد شمس ـ وأمها أميمة بنت عبد المطلب ـ في سنة خمس لهلال ذي القعدة . ويقال إنه تزوجها رجوعه من غزاة المريسيع ، وكانت المريسيع في شعبان سنة خمس . ويقال إنه تزوّجها في سنة ثلاث ، وليس ذلك بثبت .

ـ وكانت زينب قبل رسول الله ﷺ عند زيد بن حارثة الكلبي مولى النبي ﷺ . فشكا إليه ، وقال : إنها سيئة الخلق ، واستأمره في طلاقها . فقال له النبي ﷺ : أمسك عليك زوجك يا زيد . وهو قول الله عز وجل : «وإذ تقول للذي أنعم الله عليه» ـ يقول : بالإسلام «وأنعمتَ عليه» ـ يقول : بالعتق ـ «أمسك عليك زوجك»[1] . وكان رسول الله ﷺ رآها ، فأعجبته ، فقال : «سبحان الله مقلب القلوب» . ثم إنّ زيدا ضاق ذرعاً بما رأى من سوء خلقها ، فطلقها . فزوّجها الله نبيه حين انقضت عدّتها بغير مهر ، ولا تولى أمرها أحد كسائر أزواجه . ولم تلد زينب لزيد ، وكان يقال

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٧ .

له «الحبّ» ، ولابنه أسامة «الردف» أردفه النبي ﷺ . وبعضهم يقول : هو الحبّ بن الحبّ .

ـ وأولم رسول الله ﷺ على زينب بشاة ، ودعا الناس . فطعموا ، ثم جلسوا يتحدثون ، ولم يقوموا فآذوا النبي ﷺ ، فأنزل الله عز وجل آيةَ الحجاب[1] ، وأنزل ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتَ النبي إلا أن يؤذَن لكم إلى طعام غيرَ ناظرين إناه[2]﴾ ، أي بلوغه ، الآية .

وحدثت عن جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، عن الشعبي :

أن زينب قالت للنبي ﷺ : لستُ كسائر نسائك ، إني أدلّ بثلاث ما من نسائك من يدلّ بهن : جدّك وجدّي واحد ، وأنكحنيك الله من السماء ، وكان جبريل السفيرَ في أمري .

وروي عن عمرة ، عن عائشة أنها قالت :

يرحم الله زينب ، لقد نالت الشرف الذي لا يبلغه شرف في الدنيا : إنّ الله زوّجها نبيه ، ونطق بذلك كتابه ، وإن رسول الله ﷺ قال ، ونحن حوله : «أسرعكن لحاقا بي أطولكنّ يدا» ، أو قال : «باعا» ، فبشرها بسرعة لحاقها به وأنها زوجته في الجنة . قالوا : وكانت زينب تقول لأزواج النبي ﷺ : زوّجكن أولياؤكن بمهور ، وزوجني الله .

وحدثت عن عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، عن أبي أسامة ، عن إسماعيل ، عن عامر بن عبد الرحمن بن أبزي قال :

صليتُ مع عمر على زينب بنت جحش ، وكانت أولَ نساء النبي ﷺ

---

١ ـ انظر سورة الأحزاب ـ الآية : ٥٩ .

٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٥٣ .

مـاتت بعده . قالوا : وقالت زينب حين حضرتها الوفاة : إني قد هيأت كفني ، ولعل عمر سيبعث إليّ بكفن ، فإن فعل فتصدّقوا بأحد الكفنين . فلما توفيت ، أرسل عمر بخمسة أثواب يخيرها ثوبا ثوبا ، فكفنت فيها . فتصدّقت أختها حمنة بنتُ جحش بالكفن الذي كانت أعدّت . فقالت عائشة : لقد ذهبت حميدةً ، فقيدة ، مفزعاً للأرامل واليتامى .

حدثني عمرو بن محمد ، ثنا محمد بن عبيد الطنافسي ، عن إسماعيل ، عن عامر الشعبي :

أن رسول الله ﷺ قال لنسائه : أطولكن يدا أسرعكن بي لحاقا . فكانت سودة أطولهن يدا . فلما توفيت زينب ، قلن ، صدق رسول الله ﷺ ؛ كانت أطولنا يدا في الخير . وقال عمرو الناقد : قد أخبرتُ أن زينب لما بشرت بتزويج الله نبيه إياها ، ونزول الآية في ذلك ، جعلت على نفسها صوم شهرين شكراً لله ، وأعطت من بشّرها حُليّاً كان عليها .

ـ قالوا : وأوصت زينبُ أن تحمل على السرير الذي كان [حُمل] عليه رسولُ الله ﷺ ، فحملت عليه ، وعليه حمل أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، وكان الناس يحملون عليه . فلما كان مروان ، منع أن يحمل عليه إلا الرجل الشريف ، وفرّق في المدينة سررا ، يحمل عليها الموتى . وكان وسطه بليف منسوج . وكان موت زينب سنة عشرين ، فصلى عليها عمر ، ودُفنت بالبقيع ، ونزل في قبرها محمد بن عبد الله بن جحش ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله وهو ابن أختها حمنة بنت جحش قتل مع أبيه يوم الجمل ، وعبد الله بن أبي أحمد بن جحش . وأسامة بن زيد وكان لها محرما لأنها كانت عند أبيه . وكان أبو أحمد بن جحش ضريراً ، فرآه عمر يروم حملَ السرير ،

فقال له : يا أبا أحمد تنحّ عن السرير لا يعنتك الناس . فقال : يا عمر ، هذه التي نلنا بها الشرف ، وهذا مما يبرّد حرّ ما أجد . وكان يبكي على قبرها وهو جالس وعمر رضي الله تعالى عنه قائم في أشراف الناس وهم يبكون على رسول الله ﷺ ويصلون عليه ﷺ ، وكان دفنها في يوم صائف ، فضرب عمر على قبرها فسطاطا .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن منكدر بن محمد ، عن أبيه ، عن ربيعة بن عبد الله بن الهدير قال :

رأيت عمر ودرّته على منكبه يقدم الناس في جنازة زينب وصلى عليها وكبر أربعا ، وقام على قبرها حتى رشّ الماء . وأمر فسترت بإزار حتى دليت في القبر . قالوا : وغسلها أزواج النبي ﷺ[1] .

حدثني أبو بكر الأعين ، ثنا عفان ، أنبأ هشيم ، أنبأ مغيرة ، عن عثمان بن يسار قال :

بينا هم يدفنون زينب بنت جحش إذ أقبل فتى من قريش في ثوبين ممصرين[2] ، مرجّلا شعره . فجعل عمر يعلوه بالدرّة ، ويقول : كأنك جئتنا ونحن على لعب ؛ أشياخ يدفنون أمهم .

- وسالف رسول الله ﷺ من قبل زينب : طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، وهو الفياض : اشترى في غزاة ذي قَرَد بئراً فتصدّق بها ، ونحر جزورا فأطعمها ، فقال له رسول الله ﷺ : يا طلحة أنت الفياض . ويقال إنه قدمت على رسول الله ﷺ وفود ، فجعل

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١١ - ١١٣ .
٢ - أي مصبوغين بالمصر ، وهو تراب أحمر .

طلحة يكسوهم ويعطيهم . فسماه رسول الله ﷺ «الفياض» . وقال الواقدي : كلٌّ ذلك قد فعل . وكانت عند طلحة حَمنة بنت جحش ، أخت زينب لأبيها وأمها ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب ، خلف عليها بعد قتل مصعب الخير بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار يوم أحد ، فولدت لطلحة محمدا ، وعمران ، ومحمد بن طلحة هذا السجّاد ، قتل مع أبيه يوم الجمل ، فقال قاتله :

وأشعثَ قوّام إذا جنّ ليله قليل الأذى فيما ترى العينُ مسلم
يناشدني حاميمَ والرمحُ دونه فهلا تلا حاميمَ قبل التقدم[١]

وكانت حمنة ولدت من مصعب : زينب بنت مصعب ، فتزوجها عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فولدت له مصعبا ، ومحمدا ، وقريبة ؛ فتزوّج قريبة : عمرُ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ، فولدت له حفصا .

وعبد الرحمن بن عوف الزهري ، كانت عنده حمنة ، ولم تلد له ، خلف عليها بعده مصعب الخير . فالأسلاف من قبل زينب : عبد الرحمن ، ثم مصعب ، ثم طلحة .

قال الواقدي : لما قتل مصعب يوم أحد ، قيل لحمنة : قتل خالك حمزة . فاسترجعت . فقيل : قتل أخوك عبيد الله بن جحش . فاسترجعت . فقيل : قتل زوجك مصعب بن عمير . فشقت جيبها ، وولولت . فقالت رسول الله ﷺ : «إن الزوج ليقع من المرأة متوقعا لا يقعه شيء» ، وكانت حمنة ممن شهد على عائشة ، فحدّث .

١ ـ انظر نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٨١ .

- وتزوج رسول الله ﷺ أم حَبيبة بنت أبي سفيان . وكانت أم حبيبة تحت عبيد الله بن جحش ، فولدت له جارية سميت حبيبة ، فكنيت بها . فتزوج حبيبة : داودُ بن عروة بن مسعود بن معتب الثقفي . وكان اسم أم حبيبة : رَملة . ويقال : هند . ورَملة أثبت . وكان عبيد الله بن جحش قد أسلم ، وهاجر إلى أرض الحبشة ، ومعه امرأته أم حبيبة ، ثم إنه تنصر وأقامت أم حبيبة على الإسلام ، وكانت[1] تقول : «فقحنا وصأصأتم» ، أي أبصرنا ولم تبصروا . وهذا مثل ، لأن الجرو إذا فتح عينيه ، قيل : فقح ؛ وإذا فتح ثم غمّض من الضعف والصغر ، قيل : صأصأ .

- وروي عن أم حبيبة أنها رأت في المنام كأن عبيد الله ، زوجها ، بأسوأ حال وأرثّها . فلما أصبحت ، أعلمها أنه قد تنصر وارتد ، فثبتت على الإسلام . وأكبّ على الخمر ، فلم يزل يشربها حتى مات . فيقال إنّ موته كان غرقا من الخمر . ويقال بل غرق في البحر . ورأت في نومها أباها يقول لها «يا أم المؤمنين» قالوا : فكتب رسولُ الله ﷺ في سنة سبع ، هو الثبت - ويقال في سنة ستّ - كتابين إلى أصحمة النجاشي ، يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ؛ ويأمره في الثاني أن يخطب عليه أم حبيبة ، وأن يبعث من قبله من المسلمين ، جعفرا وأصحابه ، إلى المدينة مع عمرو بن أمية الضمري . وهو كان رسوله بالكتابين . فأسلم النجاشي لما عرف من أمر رسول الله ﷺ وصفته وأوان مبعثه ؛ ووجه إلى أم حبيبة ، وقد وصف له عمرو موضعها وأمرها ، جارية له يقال لها «أبرهة» ، لتُعلمها ذلك وتبشّرها به . فوهبت لها أم حبيبة حليا كان عليها ، وكستها . ثم وكلت أم حبيبة خالدَ بن سعيد بن

١ - كذا بالأصول ، والمشهور «وكان يقول» .

العاص بن أمية ، وهو ابن عم أبيها ، بتزويجها . فخطبها عمرو إليه ، فزوجها رسول الله ﷺ . ومهرها عنه النجاشي أربع مائة دينار . فلما بعث إليها بالدنانير ، وهبت منها لأبرهة خمسين مثقالاً ، فلم تقبلها ، وردّت ما كان أعطتها أولا . وذلك لأن النجاشي أمرها بردّه . وهيأ النجاشي طعاما ، أطعمه من حضره من المسلمين ، جعفراً وغيره . وأهدى إلى رسول الله ﷺ كسوة جامعة . فلما تقدم عمرو بن أمية بأم حبيبة المدينة ، ابتنى بها رسول الله ﷺ . ويقال إن عمرو بن أمية ، وجميع من كان بالحبشة قدموا جميعا في سفينتين أعدّهما لهم النجاشي ، فوافوا في أيام خيبر . وذلك الثبت .

وقال بعض الرواة : إنّ رسول الله ﷺ وجه أبا عامر الأشعري ، حين بلغه خطبة عمرو أم حبيبة وتزويج خالد إياها ، فحملها إليه قبل قدوم أهل السفينتين ؛ وأنّ أبا سفيان قال : أنا أبوها أم أبو عامر ؟ قالوا : ولما بلغ أبا سفيان تزوّج رسول الله ﷺ أم حبيبة ، ابنته ، قال : ذلك الفحل لا يُردع أنفه .

وحدثني أبو مسعود بن القتات ، عن محمد بن مروان ، عن الكلبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس

في قول الله تبارك وتعالى : ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة[1]﴾ ، قال : نزلت حين تزوّج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنتَ أبي سفيان بن حرب . وقال بعض البصريين : قدم عمرو بن أمية بأم حبيبة مع المسلمين ونسائهم ، فخطبها إلى عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، فزوّجه إياها . والأول أثبت

١ ـ سورة الممتحنة ـ الآية : ٧ .

- وروى عن عائشة أنها قالت : دعتني أم حبيبة عند وفاتها ، فقالت : إنه قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر ، فغفر الله لي ولك . فقلتُ : غفر الله ذلك كله ، وتجاوز عنه ، وحلّلك منه . فقالت : سررتيني ، سرّك الله . وأرسلت إلى أم سلمة ، فقالت لها مثل ذلك . وكانت وفاة أم حبيبة في سنة أربع وأربعين . وهي السنة التي حج فيها معاوية . ويقال توفيت في سنة اثنتين وأربعين . والأول أثبت . وصلى على أم حبيبة مروان . ونزل في قبرها بعض بني أختها : هند بنت أبي سفيان ، وأبو بكر بن سعيد بن الأخنس - كان يروي الحديث عنها ، وهي خالته ؛ أمه : صخرة بنت أبي سفيان - وبعض ولد عتبة بن أبي سفيان .

وكان سبب حلف جحش بن رئاب بني عبد الشمس فيما أخبر به محمد بن الأعرابي عن هشام الكلبي عن أبيه والشرقي :

أن رجلاً من بني أسد بن خزيمة يقال له فضالة بن عبدة بن مرارة ، قتل رجلاً من خزاعة يقال له هلال بن أمية ، فقتلت خزاعة فضالة بصاحبها ، فاستغاثت بنو أسد بكنانة ، فأبوا أن يعينوهم فحالفوا بني غطفان ، فالحليفان أسد وغطفان ، وقال جحش بن رئاب : والله لا حالفت إلا قريشاً ، ولأدخلن مكة فلأحالفن أعز أهلها ولأتزوجن بنت أكرمهم ، وكان موسراً سيدا ، فحالف حرب بن أمية ، وتزوج أميمة بنت عبد المطلب ، وأدخل جماعة من بني دودان مكة فدخلوا معه في الحلف . وقال ابن الأعرابي : قال بعض القريشيين : إن رئاب بن يعمر حالف حرباً ، وقال لأزوجن جحشاً أكرم أهل مكة ، فزوجه أميمة : وكان أراد أن يحالف بني أسد بن عبد العزى ، فقيل له : إنهم مشائيم فتركهم .

ـ وسالف رسول الله ﷺ من قبل أم حبيبة : الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، كانت عنده هند بنت أبي سفيان ، أخت أم حبيبة لأبيها ، فولدت له عبد الله بن الحارث بَبَّة ، ومحمد بن الحارث الأكبر ، وربيعة ، وعبد الرحمن ، ورملة ، وأم الزبير ، وطُريبة ، وامرأة أخرى .

ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، كانت عنده رملة بنت أبي سفيان ، فقتل عنها .

وسعيد بن عثمان بن عفان ، خلف على رملة بعد محمد بن أبي حذيفة ، فقتل عنها ، قتله غلمان قدم بهم المدينة من أبناء ملوك السُّغْد في أيام معاوية ، ولم تلد له ؛ وكان معاوية ولى سعيداً خراسان .

والسائب بن أبي حُبيش ـ واسمه أهيب ـ بن المطلب بن أسد بن عبد العزى : كانت عنده جويرية بنت أبي سفيان ، فلم تلد له .

وعبد الرحمن بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس ، خلف على جويرية ، فلم تلد له .

وصفوان بن أمية بن خلف الجمحي ، كانت عنده أميمة بنت أبي سفيان ، أخت أم حبيبة لأبيها وأمها . وكانت أم «أم حبيبة» : صفية بنت أبي العاص بن أمية . وأمها أميمة بنت عبد العزى بن حرثان ، من بني عدى بن كعب . فولدت أميمة : عبدَ الرحمن بن صفوان .

وحويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد وُدّ : كانت تحته أميمة قبل صَفوان ، فولدت له أبا سفيان بن حويطب .

وعياض بن عبد غَنْم ـ ويقال : ابن غنم ـ الفهري : كانت عنده أم

الحكم بنت أبي سفيان ، أخت أم حبيبة لأبيها ؛ وكانت أمها هند بنت عتبة ، أم معاوية ، ففرّق الإسلام بينهما .

وعبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الثقفي ، خلف على أم الحكم ، بعد عياض ، فولدت له عبدَ الرحمن بن أم الحكم ، كان ينسب إلى أمه ، وقتل عبد الله يوم الطائف ، فمّر به عليّ عليه السلام ، فقال : لعنك الله فإنك كنتَ تبغض قريشا .

وسعيد بن الأخنس بن شَريق ، كانت عنده صخرة بنت أبي سفيان ، فولدت له أولادا ، منهم أبو بكر بن سعيد وكان يَروي عن خالته أم حبيبة .

وعروة بن مسعود بن معتب الثقفي ، كانت تحته ميمونة بنت أبي سفيان ، فولدت له داودَ بن عروة . ومسعود بن معتب هذا «عظيم القريتين»[1] . وعروة هو الذي بعث به رسول الله ﷺ إلى الطائف ليدعو ثقيفا إلى الاسلام ، وقد استأذنه في ذلك ، فرماه رجل وهو جالس فوق سطح ، فقتله .

والمغيرة بن شعبة ، خلف على ميمونة بنت أبي سفيان ، بعد عروة .

وعبد الله بن معاوية خلف على أميمة بنت أبي سفيان بعد صفوان بن أمية .

ـ وتزوّج رسول الله ﷺ جويرية ، واسمها برّة بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعي . وكانت قبله عند مسافع بن صفوان بن ذي الشُفر الخزاعي ، فقتل يوم المريسيع كافرا . وكان ثابت بن قيس بن شماس بن أبي زهير الأنصاري أحد الخزرج ، وأخوه ـ ويقال : ابن عم له ـ أصاباها يوم

١ ـ انظر سورة الزخرف ـ الآية : ٣١ .

المريسيع ، فكاتباها على سبع أواق . فأتت النبي ﷺ تسأله المعونة على مكاتبتها . فقال : أو ما هو خير من ذلك : أشتريكِ ، وأعتقك ، وأتزوّجك ؟ فقالت : نعم ففعل ذلك ، وسمّاها جويرية ، لأنه كره أن يقال : «خرج من عند برّة ، أو خرجت برّة من عنده» . ويقال : بل كانت صَفِيَّة يوم المريسيع ، فجاء أبوها فافتداها ، ثم زوّجه إياها . ويقال : بل أعتقها ، وجعل صداقها عتقها وعتق مائة من أهل بيت من قومها . وقال بعضهم : جعل صداقها عتقها وعتق أربعين من أهل بيتها . فلما عتقوا ، انصرفوا . ولم يبق مصطلقية عند رجل من المسلمين إلا أعتقها صاحبها . فكانت أعظم امرأة بركة على قومها . وقال بعض الرواة : أعتقها رسول الله ﷺ ، وجعل عتقها فقط صداقها .

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي قال ، حدثت عن سفيان ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد قال :

قالت جويرية يا رسول الله : إنّ نساءك يفخرن عليّ ويقلن : لم يتزوّجك رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : «ألم أعظم صداقك ؟ ألم أعتق أربعين من قومك ؟» وكانت جويرية ممن ضُرب عليها الحجاب . وكان رسول الله ﷺ يقسم لها كما يقسم لنسائه . وفرض لها عمر ستة آلاف ، وقال : لا أجعل سبية كابنة أبي بكر الصديق . وقال قوم : فرض لها في اثني عشر ألفا . وتوفيت جويرية في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ، وصلى عليها مروان بن الحكم .

حدثني الوليد بن صالح ، عن الواقدي ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري قال :

كانت جويرية وصفية من أزواج النبي ﷺ . وكان يقسم لهما كما يقسم لنسائه .

- وتزوّج رسول الله ﷺ صفية بنت حيّي بن أخطب بن سَعْية بن ثعلبة بن عبيد ، من ولد النضير بن النحام بن ينحوم ، من ولد هارون بن عمران عليه السلام . وكانت قبله عند كنانة بن أبي العُقيق اليهودي فقتل يوم خيبر . فكانت صفيةُ بنت حيّي صفيّ رسول الله ﷺ يوم خيبر . وكان له من كل مغنم صفي يصطفيه : عبد ، أو أمة ، أو سيف ، أو غير ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، عن عيسى بن عبد الرحمن الأنصاري ، عن عبد الله بن أبي بكر قال :

كان لرسول الله ﷺ صفي من المغنم ، حضر رسول الله ﷺ أو غاب ، قبل الخمس : عبد أو أمة أو سيف أو درع ، فأخذ يوم بدر ذا الفقار ، ويوم بني قينقاع درعا ، وفي غزاة ذات الرقاع جارية ، وفي المريسيع عبداً أسود يقال له رَباح ، ويوم بني قريظة رَيحانة بنت [شمعون بن] زيد .

ويوم خيبر صفية بنت حُييّ بن أخطب . ويقال إنّ صفية وقعت في سهمه يومئذ ، فتزوّجها . ووقعت في سهمه أخت لها ، فوهبها لدحية بن خليفة الكلبي . وكان رسول الله ﷺ ، حين صارت صفية وأختها إليه ، أرسل معهما بلالاً . فمّر بهما على القتلى ، فصاحت أختها وولولت . فقال رسول الله ﷺ : إنك لقليل الرحمة : مررتَ بجارية حدثة على القتلى . وكانت وضيئة ، إلا أن صفية كانت أوضأ منها . فوهبها لدحية . وقُرّب لصفية بعيراً لتركبه ، فوضع رسول الله ﷺ رجله ، لتضع قدمها على فخذه . فأبت ، ووضعت رُكبتها على فخذه . وسترها رسول الله ﷺ .

وجعل رسول الله ﷺ مهر صفية عتقها ، وأعرس بها في طريقه بعد أن حاضت حيضة ، فسترت بكسائين . ومشطتها أم سليم ـ وهي أم أنس بن مالك وعطرتها . وكانت وليمتها حَيس(١) على أنطاع .

ولما دخل رسول الله ﷺ بها . بات أبو أيوب الأنصاري خالدُ بن زيد على باب الستارة ، أو بقربها ، شاهراً سيفه . فلما أصبح النبي ﷺ ، رآه قال له : يا أبا أيوب ، مالك شهرتَ سيفك ؟ فقال : يا رسول الله ، جارية حديثة عهد بالعرس ، وكنتَ قتلتَ أباها وزوجها ، فلم آمنها . فضحك ، وقال خيرا .

ـ ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، أنزل صفية بيتا من بيوت الأنصار ، فجاء نساء الأنصار ينظـرن إليها . وانتقبت عائشة رضي الله تعالى عنها ، وجاءت فنظرت . فعرفها رسولُ الله ﷺ . فلما خرجت ، اتبعها فقال : كيف رأيتها يا عائشة ؟ قالت : رأيتها يهودية بنت يهوديين . فقال : لا تقولي هذا يا عائشة ، فإنه قد حسن إسلامها . وقالت زينب لجويرية : ما أرى هذه الجارية إلّا ستغلبنا على رسول الله ﷺ فقالت جويرية : كلا ، إنها من نساء قلما يحظين عند الأزواج ، وجرى بينها وبين عائشة ذات يوم كلام ، فعيرتها باليهودية ، وفخرت عليها . فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ . فقال : ألا قلت : «أبي هارون ، وعمي موسى ، وزوجي محمد ، فهل فيكنّ مثلي ؟»

ـ وتوفيت صفية بنت حيي في سنة خمسين ، وصلى عليها سعيد بن العاص . ويقال معاوية حين حجّ .

١ ـ هو طعام من تمر وسمن وسويق .

وقال هشام بن الكلبي : أم صفية بَرّةُ بنت سموأل . وفرض عمر لصفية وجويرية ستة آلاف . وسمعت بعض أهل المدينة قال : فرض لها مثل ما فرض لنساء النبي ﷺ .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مصعب بن سعد

أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فرض لأمهات المؤمنين فى عشرة آلاف عشرة آلاف ، وفضّل عائشة بألفين لحبّ رسول الله ﷺ إياها ، وفرض لجويرية وصفية ستة آلاف ستة آلاف .

حدثنا الوليد بن صالح ، عن الواقدي ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال :

كان النبي ﷺ يقسم لصفية بنت حيّي مثل قسمة نسائه .

- وتزوّج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهَزم بن رُويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة ، من حمير . وذكر بعض الرواة أنّ أم ميمونة: خولة بنت عمرو بن كعب ، من خثعم ؛ وأم خولة : هند بنت عوف . والثبت أنّ أمها هندَ . وكانت ميمونة ، قبل رسول الله ﷺ ، عند أبي سبرة بن أبي رهم ، فخلف عليها .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا الواقدي ، عن مالك بن أنس ، عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن ، عن سليمان بن يسار :

أن النبي ﷺ بعث أبا رافع مولاه ، ورجلا من الأنصار إلى مكة ، فخطبا ميمونة عليه . وذلك قبل خروجه من المدينة . فلما قدم مكة في عمرة

القضاء ، ابتنى بها [١] .

وحدثني محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر الواقدي ، عن عمر ، عن الزهري ، عن يزيد بن الأصم ، عن ابن عباس قال :

تزوّج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال . وقال الزهري : بلغ سعيدَ بن المسيّب أن عكرمة قال : تزوّج رسول الله ﷺ ميمونة وهو محرِم ، فقال : كذب عكرمة ؛ قدم رسول الله ﷺ وهو محرم ، فلما حلّ تزوّجها [٢] .

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن عبدالله بن العباس قال :

زوّج العباسُ رسولَ الله ﷺ ميمونة بنت الحارث . وكان رسول الله ﷺ لما أراد الخروج لعمرة القضاء ، بعث أوس بن خولي الأنصاري وأبا رافع إلى العباس في أن يزوجه ميمونة . فأضلا بعيريهما ، فأقاما أياما ببطن رابغ حتى وافاهما رسول الله ﷺ . فصارا معه حتى قدما مكة . فأرسل إلى العباس ؛ فزوّجه إياها . ويقال إنّ مهر ميمونة كان عشر أواق ونَشّا . ويقال : تزوّجها على ما تركت زينبُ بنت خزيمة [٣].

وحدثني عمر بن بكير ، حدثني الهيثم بن عدي ، عن المجالد بن سعيد ، عن الشعبي قال :

أقام رسول الله ﷺ بمكة حين خرج لعمرة القضاء ثلاثة أيام ، فبعث إليه حويطب بن عبدالعزى : إنّ أجلك قد مضى ، وانقضى الشرط ، فاخرج من بلدنا . فقال له سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : كذبتَ ، البلد

١ ـ موطأ الامام مالك الحديث ٧٧٥ (كتاب الحج ـ نكاح المحرم) .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٨ ص١٣٣ ـ ١٣٧ .
٣ ـ في هامش الأصل : مهر ميمونة رحمة الله عليها .

بلد رسول الله ﷺ وآبائه. فقال رسول الله ﷺ: مهلا يا سعيد. فقال حويطب : أقسمتُ عليك لما خرجتَ . فخرج ، وخلف أبا رافع ، وقال : الحقني بميمونة . فحملها على قلوص . فجعل أهل مكة ينفرون بها ، ويقولون : لا بارك الله لك . فوافى رسولَ الله ﷺ بميمونة بسرف . فكان دخول رسول الله ﷺ بها بسرف ، وهو على أميال من مكة .

حدثنا علي بن المديني ، عن رجل ، عن ابن جريج ، عن عطاء

أن ميمونة ، زوج النبي ﷺ ، خالةَ ابن عباس ، تُوفيت . قال : فذهبتُ معه إلى سرف ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أم المؤمنين لا تزعزعوا بها ، ولا تزلزلوا ، وارفقوا ، فإنه كان عند نبي الله تسع نسوة فكان يقسم لثمان ولا يقسم لتاسعة يريد صفية بنت حيّي ، قال : وكانت آخرهن موتاً .

وحدثنا علي بن عبدالله ، عن سفيان بن عيينة ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : قال ابن عباس :

لا تزلزلوا ، ولا تتعتعوا ، وارفقوا فإنها أم المؤمنين ، يعني ميمونة حتى ماتت . وروي أن جعفر بن أبي طالب لما قدم من الحبشة أيام خيبر ، خطب ميمونة على رسول الله ﷺ . فأجابت جعفراً إلى أن تتزوج النبي ﷺ ؛ فزوّجه إياها العباسُ . والخبر الأول أثبت .

وروي عن عكرمة أن ميمونة وهبت نفسها لرسول الله ﷺ . وليس ذلك بثبت . وتوفيت ميمونة بسرف . وهي آخر نساء النبي ﷺ موتاً . وكان وفاتها سنة إحدى وستين . فقال عبدالله بن عباس ، وهي خالته ، للذين حملوها : ارفقوا بها ، ولا تزعزعوا فإنها أمكم ، وموضعها من رسول الله ﷺ

موضعها . ويقال إنها ماتت بمكة ، فحملها إلى سرف ، فدفنت بسرف . وصلى عليها عبدالله بن عباس ، وبقي بعدها ، ست سنين وتوفي في سنة ثمان وستين .

حدثني علي بن عبدالله المديني ، عن سفيان ، عن عبدالله ابن أخي يزيد بن الأصم ، عن عمه قال :

لما ماتت ميمونة ، وكانت خالته ، أخذتُ ردائي فبسطته في اللحد ، فرمى به ابن عباس . وقد روي أنها توفيت في سنة ثلاث وستين ، ونزل في قبرها عبدالله بن عباس ، ويزيد بن الأصمّ ، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، وعبدالله بن شدّاد بن الهاد ، وعبدالله بن الخولاني يتيم كان في حجرها .

وسالف رسول الله ﷺ من قبل ميمونة : حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ كانت تحته سلمى بنت عميس ، أخت ميمونة لأمها هند بنت عوف الحميرية ، فولدت له أمة الله .

وشدّاد بن الهاد ، خلف على سلمى بنت عميس بن معدّ الخثعمية ، فولدت له عبدَ الله وعبدالرحمن .

والعباس بن عبدالمطلب : كانت عنده أختها لأبيها وأمها ، وهي لبابة بنت الحارث بنْ حزن ، وتكنى أم الفضل ، فولدت للعباس : الفضل ، وعبدالله ، وعبيد الله ، وقثم ، وعبدالرحمن ، ومعبداً ، وأم حبيب .

وجعفر بن أبي طالب : كانت عنده أسماء بنت عميس ، فولدت عبدالله ، وعوناً ، ومحمداً .

وأبو بكر بن أبي قحافة ، خلف على أسماء بنت عميس بعد جعفر بن

أبي طالب ، فولدت له محمد بن أبي بكر المقتول بمصر .

وعلي بن أبي طالب خلف على أسماء بعد أبي بكر رضي الله تعالى عنهما ، فولدت له يحيى ، وعونا .

والطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف : كانت عنده زينب بنت خزيمة أخت ميمونة لأمها هند .

وعبيدة بن الحارث ، أخو الطفيل ، خلف على زينب ، وهي أم المساكين ، فقتل عنها .

والوليد بن المغيرة المخزومي ويكنى أبا عبدشمس ، كانت تحته لبابة الصغرى ، وهي العصماء بنت الحارث بن حزن بن بجير أخت ميمونة ، فولدت له خالدَ بن الوليد سيفَ الله ، وتكنى أبا سليمان فهو ابن خالة عبدالله بن عباس . ويقال إنّ لبابة الصغرى غير العصماء ، وأن العصماء كانت عند أبيّ بن خلف ، فولدت له أبا أبيّ وإخوة له . والأول قول الكلبي .

وعبدالله بن كعب بن عبدالله بن كعيب الخثعمي ، كانت عنده سلامة بنت عميس أخت ميمونة لأمها ، فولدت له آمنة تزوجها عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فولدت له صالحا الأصغر ، وأسماء ولبابة بني عبدالله بن جعفر . وسلامة أخت أسماء بنت عميس لأبيها وأمها .

وزياد بن عبدالله بن مالك بن بجير الهلالي ، كانت عنده عزّة بنت الحارث بن حزن ، أخت ميمونة .

وكانت عند الأصمّ البكائي أخت لميمونة بنت الحارث بن حزن ، فولدت له يزيد بن الأصمّ .

حدثني محمد بن سعد ، أنبأ الواقدي ، عن سليمان بن عبدالله بن الأصم قال :

مات يزيد بن الأصم سنة ثلاث ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ؛ وكان ينزل الرقة . ويقال إنه خلف على عزّة بنت الحارث .

وقد روي أن رسول الله ﷺ بُدىء في منزل ميمونة ، وقُبض في منزل عائشة ودُفن فيه ، وآوى رسول الله ﷺ إليه ـ والإيواء أن يقسم لهن ويسوّى بينهن ـ عائشة ، وحفصة ، وزينب ، وأم سلمة . وأرجى ـ والإرجاء أن يأتي من يشاء منهن متى شاء وينزلها إذا شاء ـ سودة ، وصفية ، وجويرية ، وأم حبيبة ، وميمونة . وقُبض ﷺ عن تسع مهائر .

وروي عن سفيان ، عن زكريا ، عن الشعبي .

في قول : ﴿ومن ابتغيتَ ممن عزلتَ[1]﴾ ، قال : هن نساء وهبن أنفسهن للنبي ﷺ ، لم يدخل بهن ، ولم يتزوجهن أحد بعدُ .

وكانت لرسول الله ﷺ أم ولد ، وهي مارية القبطية . بعث رسول الله ﷺ حاطبَ بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية بكتاب منه . يدعوهَ فيه إلى الإسلام ، وذلك في سنة سبع . فأعظم كتابَ رسول الله ﷺ ، وقال : لولا المَلِك ، يعني ملك الروم ، لأسلمت .

وأهدى إلى رسول الله ﷺ مارية ، وأختها شيرين ، وألف مثقال ذهبا ، وعشرين ثوبا ، وبغلةَ النبي ﷺ التي تعرف بدُلدُل ، وحمارَه يعفورا . ويقال إنّ يعفورا من هدية فروة بن عمرو الجذامي ، عامل قيصر على عمان

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٥١ .

ونواحيها . وبعضهم يقول : اسم الحمار عفير . وأهدى مع ذلك خصيا [1] . فلما خرج حاطب بمارية ، عرض عليها الإسلام ، فأسلمت وأسلمت أختها . وأقام الخصي على دينه ، حتى أسلم بالمدينة على عهد رسول الله ﷺ ، ومات فدُفن بالبقيع سنة ستين وكان شيخا كبيرا . وكان رسول الله ﷺ معجبا بمارية ، وكانت بيضاء ، جميلة ، جعدة الشعر ، وكانت أمها رومية . فأنزلها رسول الله ﷺ بالعالية في المال الذي يعرف بمشربة أم إبراهيم [2] ، وكان يختلف إليها هناك ، وضرب عليها الحجابَ ، وكان يطؤها . فحملت ، وولدت ، فقبِلَتها [3] سلمى مولاة رسول الله ﷺ . وجاء زوجها أبو رافع مولى النبي ﷺ ، فبشر بولادتها غلاماً سويًّا ، فوهب له عبدا . وسمّاه ﷺ يوم سابعه إبراهيم . وأمر ، فحلق رأسه أبو هند البياضي ، من الأنصار . وتصدّق بزنة شعره ورِقا ، وعقّ عنه بكبش ، ودفن شعره في الأرض . وتنافست الأنصار في إبراهيم عليه السلام ، أيهم يحضنه وترضعه امرأته ، حتى جاءت أم بردة ، وهي كبشة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن خداش ، من بني النجار ، فدفعه إليها لترضعه . وزوج أم بردة البراء بن أوس بن خالد ، من بني مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار . فكان إبراهيم في بني مازن ، إلا أن أمه تؤتى به ، ثم يعاد إلى منزل ظئره أم بردة . وكان رسول الله ﷺ يأتي أم بردة ، فيقيل عندها ، وتخرج إليه إبراهيم ، فيحمله ويقبله . وكان لرسول الله ﷺ لقائح ، وقطعة غنم ، فكانت مارية تشرب من ألبانها وتسقي ولدها . قالوا : وأُتي رسول الله ﷺ

١ ـ في هامش الأصل : قيل اسم الخصي سمهوس .
٢ ـ في هامش الأصل : ابراهيم بن النبي عليه السلام .
٣ ـ أي قامت بأعمال القابلة ساعة الولادة .

يوما بإبراهيم ، وهو عند عائشة ، فقال : انظري إلى شبهه . فقالت : ما أرى شبها . فقال : ألا ترين إلى بياضه ولحمه ؟ فقالت : من قصرت عليه اللقاحُ ، وسقي ألبانَ الضأن ، سمن وأبيضّ . وكانت عائشة تقول : ما غرتُ على امرأة غيرتي على مارية ، وذلك لأنها كانت جميلة ، جعدة الشعر ، وكان رسول الله ﷺ معجبا بها ، ورُزق منها الولد وحرمناه . وأعطى رسولَ الله ﷺ أم بردة قطعة من نخل .

وروي عن عبدالله بن عباس أنه قال : لما وُلد إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : أعتق أم إبراهيم ولدُها . وقال رسول الله ﷺ : «استوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحما ؛ وكانت هاجر ، أم إسماعيل ، منهم» . وروي أن رسول الله ﷺ قال : «لو عاش إبراهيم ، لوضعتُ الجزية عن كل قبطي» . وكان مولد إبراهيم عليه السلام في ذي الحجة سنة ثمان .

وروى الواقدي في إسناده قال : كان الخصي الذي بعث به المقوقس مع مارية يدخل إليها ويحدّثها ، فتكلم بعض المنافقين في ذلك ، وقال : إنه غير مجبوب وأنه يقع عليها . فبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، وأمره أن يأتيه فيقرّره وينظر فيما قيل فيه ؛ فإن كان حقاً ، قتله . فطلبه عليّ ، فوجده فوق نخلة . فلما رأى عليًّا يؤمه ، أحسّ بالشر ، فألقى إزاره . فإذا هو مجبوب ممسوح . وقال بعض الرواة : إنه ألفاه يصلح خباء له ، فلما دنا منه ألقى إزاره وقام متجرّدا . فجاء به عليّ إلى رسول الله ﷺ ، فأراه إياه ، فحمد الله على تكذيبه المنافقين بما أظهر من براءة الخصي [1] واطمأن قلبه .

ولما وُلد إبراهيم ، أتى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام ، فقال له :

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر السير والمغازي لابن اسحق ص ٢٧١ .

يا أبا إبراهيم . وتوفي إبراهيم بن رسول الله ﷺ في بيت أم بردة ، وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، ويقال : ابن ستة عشر شهرا ، وصلى عليه رسول الله ﷺ . وبعضهم يقول : مات وله إحدى وسبعون ليلة ، والأول أثبت .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا ابن الغسيل،عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد قال:

توفي إبراهيم بن النبي عليه السلام وله ثمانية عشر شهراً

ـ قالوا: وغسل إبراهيم عليه السلام الفضلُ بن العباس بن عبد المطلب. ويقال غسلته أم بردة، وحمل على سرير صغير. وقال رسول الله ﷺ: «ادفنوه عند سلفنا الصالح عثمان بن مظعون». فدُفن بالبقيع إلى جانب عثمان بن مظعون الجُمحي، وجلس رسول الله ﷺ والعباس على شفير قبر إبراهيم، ونزل فيه الفضل بن العباس، وأسامة بن زيد. وذلك يوم ثلاثاء في آخر شهر ربيع الأول سنة عشر. ورأى رسول الله ﷺ فرجة في اللبن، فأمر بسدّها، وقال: «أما إنّ هذا شيء لايضرّ ولاينفع، ولكنه إذا عمل الرجل عملاً أحبّ الله أن يتقنه». وأمر رسول الله ﷺ بحجر، فوضع عند رأس إبراهيم،ورشّ على قبره الماء.

ـ قالوا: ولما مات إبراهيم عليه السلام، دمعت عينُ رسول الله ﷺ. فقيل: يانبي الله، أنت أحق من عرف الله حقّه، فيما أعطاه وأخذ منه. فقال ﷺ: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولانقول مايُسخط الربّ، ولولا أنه قول صادق، وموعود جامع، وسبيل مأتية، وأن الآخر لاحق بالأول لوجِدّنا عليك أشد من وجدنا، وإنا عليك ياإبراهيم، لمحزونون».

حدثنا عباس بن هشام الكلبي، عن أبيه، ثنا عبد الله بن الأجلح،

عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عطاء،عن جابر بن عبد الله.

قال: لما ثقل إبراهيم بن رسول الله، أخذ رسول الله ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف، فقام ومعه ناس من أصحابه حتى أتى النخل، فإذا إبراهيم يجود بنفسه. فوضعه في حجره، وذرفت عيناه، فقال له عبد الرحمن: ألم تنه عن البكاء يارسول الله؟ فقال: «نهيتُ عن النوح والغناء، صوتين أحمقين فاجرين: صوت لهو عند نعمة، ومزامير شيطان؛ وصوت عند مصيبة رنّة شيطان، وخمش وجه، وشقّ جيب. ولكنها رحمة. ومن لايَرحم، لايُرحم. ولولا أنه أمر حق، ووعد صادق، وسبيل مأتية، وأن آخرنا سيتبع أولنا، لجزعنا أشد مما جزعنا». ثم قال: «تدمع العين، ويبجع القلب، ولانقول مايُسخط الرب، وإنا بك، ياإبراهيم لمحزونون». قال هشام: وبلغنا أنّ رسول الله ﷺ حين حضر قبْض إبراهيم عليه السلام، وهو مستقبل الجبل قال: «يا جبل، لو بك ما بي لهدّك. ولكننا نقول كما أمرنا الله[1]: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، والحمد لله رب العالمين».

ـ قالوا: وكسفت الشمسُ يوم مات إبراهيم، فقال الناس: إنما كُسفتْ لموت إبراهيم. فقال ﷺ: «إنها لاتكسف لموت أحد ولا لحياته».

وقالوا: لما قُبض رسول الله ﷺ، كان أبو بكر يُنفق على مارية خلافتَه، ثم كان عمر ينفق عليها إلى أن توفيت، وكانت وفاتها في سنة ستّ عشرة. وصلى عليها عمر. ودُفنت بالبقيع. وأمر عمر، فجمع الناس لحضور جنازتها.

١ ـ انظر قوله تعالى في سورة البقرة ـ الآية: ١٥٧ ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

ـ قالوا: وكان صفوان بن المعطل السلمي حنقاً على حسان بن ثابت لما كان تكلم به في أمره وأمر عائشة من الإفك، فشدّ عليه بسيف فضربه به ضربة شديدة حتى اجتمع قومه، وغضبت له الأنصار، فكلمهم رسولُ الله ﷺ حتى رجعوا وسكتوا. ووهب لحسان يومئذ شيرين أختَ مارية، فولدت له عبدَ الرحمن بن حسان الشاعر. فصار حسان سلفاً لرسول الله ﷺ من قبل مارية. فحدّث عبدُ الرحمن بن حسان، عن أمه قالت: كنت أنا وأختي مارية نصيح على إبراهيم، وهو محتضر، فلا ينهانا النبي ﷺ عن ذلك؛ فلما مات، نهانا عن الصياح.

وحدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن جده قال:

لما قُبض النبي ﷺ، اعتدّت مارية، وكانت تكون في مشربتها ينفق عليها أبو بكر حتى توفي ثم عمر. وتوفيت لسنتين من خلافته في شهر رمضان، فجمع عمر الناس لحضورها، وصلى عليها، ودفنها في بقيع الغَرْقَد.

ـ وحدثني هشام بن عمار، حدثني أبي عمار بن نصير، عن عمرو بن سعيد الخولاني، عن أنس بن مالك.

أن سلامة، حاضنةَ إبراهيم بن النبي ﷺ، قالت: يارسول الله، إنك تبشّر الرجال بخير، ولاتبشرِ النساء؟ فقال: «أما ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملا من زوجها، وهو عنها راضٍ، كان لها أجر الصائم القائم في سبيل الله؛ فإذا أصابها الطّلْق لم يعلم أهلُ السماء والأرض ماأخفي لها من قُرّة أعين؛ فإذا وضعت لم يجرع ولدُها من لبنها جُرعة ولم يمصّ مصّة إلا كتب لها بذلك حسنة».

ـ قالوا: وكان رسول الله ﷺ اصطفى رَيحانة بنت شَمعون، بن زيد بن خنافة بن عمرو، من بنى قريظة، لما فتح بني قريظة. فعرض عليها الإسلام، فأبت إلا اليهودية. فعزلها. ثم أسلمت بعدُ، فعرض عليها التزويج وضرب الحجاب، فقالت: بل تتركني في ملكك. فكان يطؤها وهي في ملكه. وكانت تحت رجل يقال له عبد الحكم، أو الحكم، وهو ابن عمها وكان لها مكرماً. فكرهت أن تتزوج بعده. وقال بعضهم: اسم القرظية رُبيحة. وكان النبي ﷺ جعلها في نخل له، يدعى نخل الصدقة. وكان ربما قال عندها، وعندها وُعِك، فأتى منزلَ ميمونة، ثم تحوّل إلى بيت عائشة. ويقال: كانت رَيحانة من بني النضير، عند رجل من قريظة يكنى أبا الحكم. والله تعالى أعلم.

وحدثني محمد بن الأعرابي قال: سمعت أزهر السمان يحدث عن ابن عون، عن ابن سيرين:

أن رجلا لقي ريحانة بالموسم، فقال لها: إن الله لم يرضك للمؤمنين أمّاً. قالت: وأنت فلم يرضك الله لي ابناً.

وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري قال:

كانت ريحانة بنت شمعون بن زيد بن عمرو بن خنافة قرظية وكانت من ملك رسول الله ﷺ فأعتقها وتزوّجها وجعل صداقها عتقها، ثم إنه طلقها. فكانت في أهلها، تقول: لايراني أحد بعد رسول الله ﷺ.

وروى الواقدي في إسناده، عن محمد بن كعب القرظي قال:

كانت ريحانة من قريظة، صفيّ رسول الله ﷺ يومئذ، فأعتقها رسول

الله ﷺ وتزوجها. فغارت عليه غيرة شديدة، فطلقها تطليقة، ثم راجعها، فكانت عنده حتى ماتت قبل أن يتوفى. وكانت ريحانة تقول: تزوجني رسول الله ﷺ، ومهرني مثل نسائه، وكان يقسم لي، وضرب عليّ الحجاب، وكان تزوّجه إياي في المحرم سنة ستّ من الهجرة[1].

ـ وحدثني علي بن المديني وإبراهيم بن محمد بن عرعرة، قالا: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري أنه كان للنبي ﷺ سريتان: القبطية، وريحانة بنت شمعون.

فاطمة الكلابية زوجة النبي عليه السلام:

ـ وحدثني الوليد بن صالح، عن الواقدي، عن محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عروة عن عائشة قالت:

تزوّج رسول الله ﷺ امرأة من بني كلاب، فلما دنا منها قالت: أعوذ بالله منك. فقال ﷺ: «عذت بعظيم؛ إلحقي بأهلك».

وحدثني الوليد بن صالح، عن الواقدي، عن عبد الله بن سليمان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال:

دخل رسول الله ﷺ بالكلابية، ولكنه لما خير نساءه، اختارت قومها، ففارقها، فكانت بعد ذلك تلقط البعر، وتدخل على نساء النبي ﷺ، فيتصدقن عليها، وتقول: أنا الشقية.

وقال الواقدي: ماتت الكلابية سنة ستين عند أهلها، وكان تزوّج رسول الله ﷺ إياها في سنة ثمان، منصرفه من الجعرانة. وقال بعض الرواة: إنّ هذه الكلابية ابنة الضحاك بن سفيان الكلابي، واسمها فاطمة. وقال

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج٨ ص١٢٩ ـ ١٣١.

بعضهم عرض الضحاك الكلابي ابنته على رسول الله ﷺ، وقال: من صفتها كذا، وكفاك من صحة بدنها أنها لم تمرض قط، ولم تصدع. فقال ﷺ: «لا حاجة لنا فيها هذه تأتينا نخطبها[1]».

وقال الكلبي: التي قال أبوها إنها لم تصدع قط، وعرضها على النبي ﷺ فقال «لاحاجة لنا بها»، سُلمية؛ وأما الكلابية، فاختارت قومها فدلهت وذهب عقلها؛ فكانت تقول: أنا الشقية، خُدعتُ. وقد رُوي مثل ذلك عن عبد الواحد بن أبي عون.

العالية بنت ظبيان:

ـ وقال الواقدي، حدثنا عبد الله بن جعفر، عن يزيد بن الهاد، عن ثعلبة بن أبي مالك، قال:

تزوّج رسول الله ﷺ امرأة من بني عامر فكان إذا خرج اطلعت على أهل المسجد. فأخبرنه أزواجه بذلك: فقال: «إنكنّ تبغين عليها»، فقلن: نريكها وهي تطلع. فلما رآها، فارقها.

وقال الكلبي: كانت عند رسول الله ﷺ العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب. فمكثت عنده ماشاء الله، ثم طلقها بسبب التطلع.

وحدثني علي بن عبد الله المديني، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري.

أن النبي ﷺ طلق العالية، فتزوجها ابن عم لها ودخل بها وذلك قبل أن يحرم نكاحهن على الناس، وولدت له.

١ ـ في هامش الأصل مايفيد في رواية ثانية «تأتينا بخضابها».

عمرة بنت يزيد:

ـ وقال الكلبي: تزوج رسول الله ﷺ عُمرة بنت يزيد بن عبيد بن رُؤاس بن كلاب، فبلغه أن بها بياضا ـ أو رأى بكشحها بياضا ـ فطلّقها وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: تزوج رسول الله ﷺ هند بنت يزيد، من القرّطاء، من ولد أبي بكر بن كلاب. وبعث إليها أبا أسيد الأنصاري. فلما استهداها، رأى بها بياضا، فطلقها.

أسماء بنت النعمان:

ـ وقال الكلبي: تزوّج رسول الله ﷺ أسماء بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن كندي بن معاوية بن الجون بن آكل المرار. وكانت من أجمل النساء، ومهرها اثنتي عشرة أوقية ونشا. فقال لها بعض نسائه: أنت بنت ملك، وإن استعذت بالله منه حظيت عنده. فلما دخلت عليه ودنا منها، قالت: أعوذ بالله منك. فقال: «قد عذت بمعاذ، عذت بمعاذ، أمن عائذ الله، وصرف وجهه عنها، وقال: ارجعي إلى أهلك». فقيل: يا رسول الله، إنها خدعت وهي حدثة. فلم يراجعها. فتزوّجها المهاجر بن أبي أمية المخزومي، ثم قيس بن هبيرة المرادي. فأراد عمر معاقبتها. فقيل: إنّ رسول الله ﷺ لم يدخل بها، ولم يضرب عليها حجاباً، ولم تسم في أمهات المؤمنين. فأمسك.

وقال الشرقي بن القطامي: دعاها رسول الله ﷺ، فقالت: بل ائتني أنت. فطلقها. وقال الكلبي: لما فعل رسول الله ﷺ بهذه الكندية ما فعل، كان الأشعث حاضراً، فقال يا رسول الله ﷺ: ألا أزوجك قتيلة بنت قيس، أختي؟ فقال: نعم. فتوفي رسولُ الله ﷺ قبل أن تخرج من اليمن، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل.

قال الواقدي : قدم النعمان الكندي ، وكان منزله بنجد نحو الشربة ، فأسلم وقال : يا رسول الله ، ألا أزوّجك أجملَ أيم في العرب ؟ فتزوجها على اثنتي عشرة أوقية ونش ، وذلك خمس مائة درهم ، ووجه أبا أسيد الساعدي ، فقدم بها ، وكانت جميلة فائقة الجمال . فاندست إليها امرأة من نساء النبي ﷺ ، فقالت : إن كنت تريدين الحظوة عند رسول الله ، فاستعيذي منه ، فإن ذلك يعجبه .

قال الواقدي ، فحدثني موسى بن عبيدة ، عن عمرو بن الحكم ، عن أبي أسيد قال :

بعثني رسول الله ﷺ إلى الجونية ، فأتيته بها ، فأنزلتها في أطم بني ساعدة . فلما جاءها رسول الله ﷺ أقعى ثم أهوى إليها ليقبلها ، وكذلك كان يصنع ، فقالت : أعوذ بالله منك . فانحرف عنها ، وقال: «عذت بمعاذ ، عذت بمعاذ . ووثب فخرج ، وأمرني بردّها» . فرددتها إلى قومها . فلما طلعتُ بها ، قالوا : إنك لغير مباركة ؛ جعلتنا في العرب شهرة . فأقامت في بيتها لا يطمع فيها طامع ولا يراها ذو محرم ، حتى توفيت في أيام عثمان عند أهلها بنجد .

وحدثني روح بن عبدَ المؤمن ، حدثني الضحاك بن مخلد أبو عاصم النبيل ، عن موسى بن عبيدة ، عن عمرو بن الحكم ، عن أبي أسيد .

أن رسول الله ﷺ تزوّج امرأة من بني الجون ، وبعثني إليها ، فأتيته بها . فأهوى ليقبلها ، وكان إذا أراد أن يقبل أقعى ، فقالت : أعوذ بالله منك . قال : «عذت بمعاذ» . وردّها إلى أهلها .

وقال الواقدي : كان تزوجه هذه الجونية في شهر ربيع الأول سنة تسع .

وحدثني حفص بن عمر ، حدثني أبو المنذر ، أخبرني أبو بكر بن عياش ، عن عاصم بن بهدلة قال : حدثني أصحابنا :

أن رسول الله ﷺ تزوّج امرأة من كندة ، يقال لها أسماء بنت النعمان ، وكانت عائشة وحفصة تولتا مشطها وإصلاح أمرها ، وكان أبو أسيد الساعدي قدم بها ، فقالتا لها إنه يعجب رسولَ الله ﷺ من المرأة إذا دنا منها أن تقول : أعوذ بالله منك . فلما مدّ يده إليها ، استعاذت منه . فوضع كمه على وجهه وقال : عذت بمعاذ ، ثلاثا ، وأمر أبا أسيد أن يلحقها بأهلها ، ومتعها برازقيين[1] . فماتت كمداً .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن معمر ، عن الزهري قال :

لم يتزوج رسول الله ﷺ كندية إلا أخت الجون ، ثم فارقها . قال .

وقال الواقدي ، حدثني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن عروة

أن الوليد بن عبد الملك كتب إليه يسأله : هل تزوّج رسول الله ﷺ أخت الأشعث بن قيس ؟ فكتب إليه أنه ما تزوجها قط ، ولا تزوّج كندية إلا أخت بني الجون[2] .

حدثني علي بن المديني ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن

١ ـ ثياب كتان بيض .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٤٣ ـ ١٤٩ .

الزهري ، عن عروة قال :

لما دخلت الكندية على النبي ﷺ ، قالت : أعوذ بالله منك . فقال : لقد عذت بعظيم ، الحقي بأهلك .

ـ وروى أبو معشر أن النبي ﷺ تزوّج في شهر رمضان سنة ثمان مليكة بنت كعب الليثي ، من كنانة ، فقالت لها عائشة : أما تستحيين أن تنكحي قاتل أبيك ؟ فقالت : فكيف أصنع ؟ فقالت : أستعيذي بالله منه . فاستعاذت ، فطلقها . وكان أبوها قتل يوم فتح مكة . وقال أبو عبيدة : اسم هذه الكنانية عُمرة .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن عبد العزيز ، عن أبيه ، عن عطاء الجندعي

أن النبي ﷺ تزوج مليكة الكنانية ودخل بها ، فماتت عنده .

وقال الواقدي : وكان الزهري وجميع أصحابنا ينكرون أن يكون النبي ﷺ تزوج كنانية قط .

وقال الكلبي : لا نعلم أن رسول الله ﷺ تزوج كنانية[1] .

ـ وكانت أم هانىء بنت أبي طالب عند هبيرة بن أبي وهب . فلما كان يوم الفتح ، هرب ومات كافراً . فخطبها رسول الله ﷺ ، فقالت : والله لقد كنتُ أحبك في الجاهلية ، فكيف في الإسلام ، ولكني امرأة ذات أولاد صغار وأنا أخاف أن يؤذوك ، فأمسك عنها ، وقال : «خير نساء ركبن المطايا نساء قريش أحناهن على ولد في صغر ، وأرعاهن على زوج في ذات يد» .

ـ وعرض رسول الله ﷺ على صفية بنت بشامة العنبري ، أخت

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

الأعور بن بشامة ، وكانت ، أخذت سبية ، أن يتزوجها أو تردّ إلى أهلها . فأختارت أن تردّ ، فردّت .

ـ وأتت النبي ﷺ ليلى بنت الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة ، وهو غافل، فحطأت[٢] على منكبه . فقال : «من هذا أكله الأسود ؟»[٣] فقالت : «إبنة الخطيم، وبنت مُطعم الطير ، ومباري الريح ، وقد جئتُك أعرض نفسي عليك» . فقال : قد قبلتك . فأتت نساءها ، فقلن : «بئس ما صنعت . أنت امرأة غيور ، ورسول الله كثير الضرائر . ونخاف أن تغاري ، فيدعو عليك فتهلكي . استقيليه» . فأتته ، فاستقالته . فأقالها . فدخلت بعض حيطان المدينة ، فأكلها أسود .

ـ وخطب رسول الله ﷺ خَولة بنت الهذيل بن هُبيرة التغلبي . فلما حُملت إليه ، هلكت في الطريق قبل وصولها إلى رسول الله ﷺ .

ـ وشراف ، أخت دحية بن خليفة الكلبي . هلكت أيضاً قبل دخولها على رسول الله ﷺ .

ـ وكانت ضباعة بنت عامر بن قُرط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عمير بن صعصعة عند علي الحنفي ، أبي «هوذة» ، هلك . فورثته مالا . فتزوجها عبد الله بن جُدعان التيمي ، فلم تلد منه . فسألته الطلاق ، فطلقها . فتزوجها هشام بن المغيرة ، فولدت له سلمة بن هشام ، وكان من خيار المسلمين . وكانت موصوفة بالجمال ، فخطبها رسول الله ﷺ

٢ ـ حَطَأَ : ضرب بيده مبسوطة ـ القاموس .

٣ ـ الأسود : الحية العظيمة . القاموس .

إلى سلمة ، فقال : استأمرها . فقالت : أفي رسول الله تستأمرني ؟ ثم بلغَ رسولَ الله ﷺ عنها كبرة وتغير ، فأمسك عنها . وهي التي طافت حول الكعبة عريانة ولم تجد ثوب حرميّ تستعيره ولا تكتريه فقالت :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

ـ وقال الواقدي : خطب رسول الله ﷺ امرأة من كلب ، فبعث عائشة لتنظر إليها . فذهبت ثم رجعت . فقال لها : ما رأيت ؟ قالت : لم أر طائلا . قال : لقد رأيت خالا بخدّها اقشعرت له كل شعرة منك فقالت : يا رسول الله ، ما دونك ستر .

وقال الواقدي ، ثنا الثوري ، عن جابر ، عن مجاهد قال :

كان رسول الله ﷺ إذا خطب فردّ ، لم يعد . فخطب امرأة ، فقالت : أستأمر أبي ، فاستأمرته ، فأذن لها ، ثم أتت رسول الله ﷺ . فقال لها : قد التحفنا لحافاً غيرك .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد وغيره قالوا ، حدثنا معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن عروة ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة قالت :

قالت أم حبيبة بنت أبي سفيان : يا رسول الله ، بلغنا أنك تخطب دُرّة بنت أم سلمة ؟ فقال : لو لم تكن أمها عندي لما حلت لي ؛ قد أرضعتني وأباها ثويبة مولاةُ بني هاشم ؛ فلا تعرضن عليّ بناتكن ولا أخواتكن .

ـ وقال أبو عبيدة : خطب رسول الله ﷺ جمرة بنت الحارث بن عوف ، فقال أبوها : إنّ بها برصا . وهو كاذب . فبرصت . وهي أم

شبيب بن البرصاء الشاعر .

وقال أبو الحسن المدائني : أم شبيب بن البرصاء : القرصافة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وأختها عمرة بنت الحارث أم عقيل بن علفة . وأبو شبيب : يزيد بن حمزة بن عوف بن أبي حارثة، مري . وقال الكلبي : كانت أم شبيب أدمى[1] ، فسميت برصاء ، على القلب ، ولم يكن بها برص .

ـ وعُرضت ابنة حمزة بن عبد المطلب على رسول الله ﷺ ، فقال : «أما علمتم أن حمزة أخي من الرضاع ، وأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» .

ـ وقال أبو عبيدة : عرضت على رسول الله ﷺ أم حبيب بنت العباس ، عمه ، فقال : العباس أخي من الرضاع . وقد روي عن أم الفضل لبابة بنت الحارث أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «إن كبرت أم حبيب وأنا حيّ ، تزوجتها» .

وحدثني عبد الله بن صالح بن مسلم ، حدثني يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق عن الحسن ، عن عبيد الله بن عبد الله بن العباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أم الفضل بنت الحارث ؛

أن رسول الله ﷺ قال ، ورأى أم حبيب بنت العباس وهي فوق الفطيم، قال: «لئن بلغت ابنة العباس هذه وأنا حيّ لأتزوجنها»، وقال محمد بن إسحاق : في هذا تأكيد لقول عائشة إنه أحلّ للنبي ﷺ من شاء من

١ ـ الأدمة : لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هو البياض الواضح . القاموس .

النساء ، وأنه لم يحبس على تسع[1] .

ـ وقال أبو عبيدة : عرضت على رسول الله ﷺ سنا بنت الصلت ، ويقال : بنت أسماء بن الصلت السُّلَمية ، وحملت إليه ، فماتت قبل أن تصل إليه .

ـ قالوا : وقيل لرسول الله ﷺ : ألا تتزوج من نساء الأنصار ؟ فقال : إنّ فيهن غيرة شديدة ، وأنا صاحب ضرائر ، وأكره أن أسوء قومهن فيهن .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، قال :

كان صداق رسول الله ﷺ الذي زوّج به بناته ، وتزوّج به : عشر أواق ونشا . قال عبد الرزاق : وذلك خمس مائة درهم .

حدثني الوليد بن صالح ، ثنا محمد بن عمر ، عن هشام بن سعد ، عن عطاء الخراساني .

أن عمر بن الخطاب قال : لا تغالوا بصداق النساء ، فإنه لو كان تقوى أو كرما في الدنيا ، كان نبيكم ﷺ أولاكم به : ما أصدق واحدة من نسائه ولا أصدقت واحدة من بناته أكثر من عشر أواق .

حدثني الواقد عن الواقدي ، عن عبد الله بن جعفر ، عن رجل ، عن أبي بكر بن حزم قال :

كان النبي ﷺ إذا خطب المرأة ، قال للذي يخطبها عليه : «اذكر لها جفنة سعد بن عبادة» ـ الذي كان يبعث بها . قال : يعني أنها كانت مرة

١ ـ السير المغازي لابن اسحق ص ٢٦٨ .

بلحم ، ومرة بسمن ، ومرة بلبن .

وقال الواقدي : بلغنا أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه في غسل واحد . قال : ورُوِي عنه أيضاً أنه طاف عليهن يغتسل من كل امرأة غسلا . وأنه قال ﷺ : «أعطيتُ في الجماع قوة أربعين رجلاً» .

حدثني الوليد بن صالح ، ثنا محمد بن عمر ، عن إسحاق بن يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال :

أكل عمر بن الخطاب مع النبي ﷺ ، فأصابت يده يدَ بعض نسائه . فأمر بالحجاب .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، ثنا كثير بن عبد الله الناجي عن أنس قال :

ما مسستُ كفا قط ألين من كفّ رسول الله ﷺ ، وما قال لي قط لشيء فعلته : لم فعلته ؟ ، ولا لشيء لم أفعله : هلا فعلته ؟ وقال لي : «يا أنس ، إذا خرجتَ من بيتك ، فسلم على من لقيتَ تزدد حسنة ـ أو قال : محبة ـ وإن استطعتَ أن لا تكون إلا على وضوء فافعل ، فإنك لا تدري متى يأتيك الموت» ، وكنتُ أجيء فأدخل على أزواج النبي ﷺ . فجئتُ لأدخل ، فقال : «يا أنس ، خلفك ؛ فقد نزلت آية الحجاب» .

حدثنا محمد بن حاتم المروزي ، ثنا يحيى بن سعيد القطان ، ثنا حميد الطويل ، عن أنس ، قال :

قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : وافقت ربي في ثلاث : قلتُ يا رسول الله ، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ؟ فنزلتْ ﴿واتخذوا

من مقام إبراهيم مصلي[1]﴾ ؛ وقلتُ : يا رسول الله ، إنه يدخل عليك البرّ والفاجر ، فلو أمرتَ أمهات المؤمنين بالحجاب ؟ ، فأنزل الله عز وجل آية الحجاب ؟ وبلغتني معاتبة رسول الله ﷺ نساءه فدخلتُ على واحدة واحدة ، فجعلتُ أقول : والله لئن انتهيتنّ وإلا ليبدلنّ الله نبيه أزواجاً خيراً منكن ، فأنزل الله تعالى ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يُبدله أزواجاً خيراً منكن﴾ الآية[2] .

قال الواقدي : ونزل الحجاب في ذي القعدة سنة خمس . وقوم يقولون : نزل ورسول الله ﷺ بمكة حين حج حجته .

ـ وقال الواقدي ، ثنا ابن أبي ذئب ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ لنسائه في حجة الوداع : هذه ثم ظهور الحصر . قال : فحججن بعده إلا سودة وزينب . قالتا : لا تحركنا دابة بعد رسول الله ﷺ . وذكر بعضهم أن أم حبيبة كانت تحج كل سنة ، وليس ذلك بثبت .

قال الواقدي : وحدثني عثمان بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، قال :

خرج عمر آخر حجة حجها إلى مكة بأزواج النبي ﷺ ؛ فحدثني سليمان بن بلال ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال :

كان عمر منعهن من الحج والعمرة حتى كان آخر حجة حجها عمر ، فخرج بهن في الهوادج ، فكان عبد الرحمن بن عوف يقول : كنا نخرج بهن وهنّ في الهوادج وعلى هوادجهن الطيالسة . فأكون ، وعثمان بن عفان

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٢٥ .

٢ ـ سورة التحريم ـ الآية : ٥ .

وراءهن فلا ندَع أحداً يدنو منهن ، فإذا نزلنا المنزل ، أنزلناهن في الشعاب ، وجلستُ أنا وهو على أفواه الشعاب فلا يُرينه منا أحد .

وقالت أم معبد الخزاعية : رأيت عثمانَ ، وعبدَ الرحمن بن عوف في آخر خلافة عمر ؛ ونساء النبي ﷺ قد حججن ؛ وابن عفان يسير أمامهن على راحلته ، فإذا دنا منهن إنسان ، قال إليك إليك ؛ وابن عوف وراءهن يفعل مثل ذلك . ولما نزلن ، ستر عليهن بالشجر من كل ناحية . فلما رأيتهن ، بكيتُ ، وقلتُ لهن : ذكرتُ رسولَ الله ﷺ حين نزل بهذا الموضع ، فبكين معي ، وعرفنني فأكرمنني . ورحبّن بي ، ووصلتني كل امرأة منهن بصلة ، وقلن : إذا أخرج أمير المؤمنين العطاء فاقدمي علينا . فقدمتُ عليهن فأعطتني كل امرأة منهن خمسين ديناراً . وكنّ سبعا .

وروى ابراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده عبد الرحمن :

أن عمر حج سنة ثلاث وعشرين ، واستخلف زيد بن ثابت ، وحج معه بأزواج رسول الله ﷺ غير سودة ، فإنها لزمت بيتها ، وغير زينب فإنها كانت قد ماتت . فكان أمامهن عبد الرحمن ، ووراءهن عثمان ، فلا يتركان أحداً يدنو منهن إلا أن يكون ذا محرم ، فيكلمنه من وراء الحجاب ، وكن ينزلن في شعب ، فيقف عثمان وعبد الرحمن على فم الشعب .

وقال الواقدي : وقد روي أن أمهات المؤمنين أستأذنّ عثمان في الحج . فقال : قد أذن لكن عمر . فحج بهن جميعاً إلا سودة ، وزينب فإنها كانت قد توفيت .

ـ وحدثني علي بن عبد الله ، ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن عائشة قالت :

لم يقبض رسول الله ﷺ حتى أحلّ الله له أن يتزوج من النساء من شاء إلا ذات زوج ، لقوله عزوجل : ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلتَ فلا جناح عليك ذلك أدنى[1]﴾ .

حدثنا الوليد بن صالح ، ثنا محمد بن عمر أبو عبد الله الواقدي ، ثنا هشام بن سعد ، عن عبد الكريم بن أبي حفصة عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف .

وفي قوله ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدّلَ بهن من أزواج﴾[2] ، قال : حُبس رسول الله ﷺ على نسائه ، فلم يتزوّج بعدهن .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا عبيد الله بن موسى العبسي ، عن شيبان النحوي ، عن منصور ، عن أبي رزين قال :

همّ النبي ﷺ أن يطلق من نسائه ؛ فلما رأين ذلك ، جعلنه في حل من أنفسهن يؤثر من يشاء ، فأنزل الله تعالى : ﴿إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ ، حتى بلغ ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾[3] ، يقول : اعتزل من تشاء منهن . فكان ممن عزل : سودة ، وأم حبيبة ، وصفية ، وجويرية ، وميمونة ؛ وجعل يأتي عائشة ، وحفصة ، وزينب ، وأم سلمة ، وقوله ﴿ترجي من تشاء﴾ ، تعزل من تشاء في غير طلاق ، ثم قال : ﴿لا يحل لك النساء من بعدُ ولا أن تبدلَ بهن من أزواج﴾ ، يقول من المسلمات .

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٥١ .
٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٥٢ .
٣ ـ سورة الأحزاب ـ الآيتان : ٥٠ ـ ٥١

ذكر موالي رسول الله ﷺ وخدمه[1] :

زيد الحبّ :

- زيد الحب بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وَبرة . ويقال لولد عامر بن النعمان بن عامر «بنو المدينة» وذلك أن أمة سوداء يقال لها «المدينة» كانت حضنتهم ؛ واسم أمهم ليلى بنت عُريج ، وهي كلبية . وأم زيد بن حارثة : سعدى بنت ثعلبة بن عبد بن عامر ، من بني معن ، من طيىء . فزارت سعدى قومها وزيد معها . فأغارت خيل لبني القين بن جسر بن شييع الله بن أسد بن وَبرَة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة في الجاهلية ، ومرّوا على أبيات بني معن فاحتملوا زيدا ، وهو يومئذ غلام يفعة قد أوصف ، فوافوا بسوق عكاظ ، فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ لعمته خديجة بنت خويلد بأربع مائة درهم ،

---

٢ ـ في هامش الأصل : بلغ العرض بأصل ثالث ولله كل حمد .

ويقال : بست مائة درهم . فلما تزوجها رسول الله ﷺ ، وهبته له . فقبضه رسول الله ﷺ وتبناه . ويقال إنّ رسول الله ﷺ كان ابتاع زيدا بالشأم لخديجة حين توجه مع ميسرة ، قيّمِها ، فوهبته له . وكان حارثة بن شراحيل ، أبو «زيد» قال فيه حين فقده :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل أحيّ فيرجى أم تخرّمه الأجل
فو الله ما أدرى وإن كنتُ سائلا أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فياليت شعري هل لك الدهر رجعة فحسبي من الدنيا رجوعك لي بَجَل[1]
تُذكِّرُنِيْهِ الشمسُ عند طلوعها وتعرض ذكراه إذا قارب الطَّفَل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره فيا طول ما حزني عليه ويا وجل
سأعمل نَصّ العيس في الأرض جاهدا ولا أسأمِ التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أو تأتي عليّ منيتي وكل امرىء فان وإن غرّه الأمل
وأوصى بها كعبا وعمراً كليهما وأوصي بزيدٍ ثم من بعدهم جبل

يعنى بعمرو : عمرو بن الحارث بن عبد العزى بن امرىء القيس ، أبو «بشر» ، جد «محمد بن السائب بن بشر الكلبي النساب» . ويعني بكعب : كعب بن شراحيل ؛ أخا زيد لأمه . ويعنى بجبل : جبلة بن حارثة ، أخا زيد ، وكان أكبر من زيد . وبعضهم يجعل مكان كعب قيسا ، ويقول : هو أخو حارثة .

ثم إنّ قوماً من كلاب حجوا ، فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم . فلما قدموا بلادهم ، أعلموا حارثة بمكانه ، وأخبروه خبره . فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل ، وجبلة بن حارثة بفدائه ، وقدما مكة ، فسألا عن النبي ﷺ .

١ ـ في هامش الأصل : بجل بمعنى حسب . انظر مادة بجل في النهاية لابن الأثير .

فقيل : هو في المسجد . فدخلا عليه ، فقالا : يا بن عبد الله وابن عبد المطلب وابن هاشم ، ثم سيد قومه ، أنتم أهل حرم الله بجيرانه ، تفكون العاني ، وتطعمون الضيف ، جئناك في ابننا عندك ، فامنن به علينا وأحسن في فدائه إلينا . فقال رسول الله ﷺ : «فهلا غير ذلك ؟ أدعوه ، فأخيره . فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء . وإن اختارني ، فو الله ما أنا بالذي أختار على من اختارني شيئا» . قالوا : قد زدتنا على النَّصَف ، وأحسنت . فدعا رسول الله ﷺ زيدا ، فقال له : أتعرف هؤلاء ؟ قال : نعم أبي وعمي وأخي . فقال : أنا من قد علمت ؛ فاخترني أو اخترهم . فقال : ما أنا بمختار عليك أحدا . فقال له أبوه : ويحك يا زيد ، أتختار العبودية على الحرية ؟ قال : نعم ، قد رأيتُ من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالمختار عليه معه أحدا . فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك من زيد ، أخرجه إلى الحجر ، فقال لمن حضر : اشهدوا أن زيدا ابني أرثه ويرثني . فطابت أنفسهم . فكان زيد يدعى زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام ، فزوّجه رسولُ الله ﷺ زينب بنت جحش ، وهي ابنة عمة رسول الله ﷺ . فطلقها زيد ، وخلف عليها رسول الله ﷺ . فتكلم المنافقون ، وطعنوا في ذلك ، وقالوا : محمد يحرم نساء الولد وقد تزوّج امرأة ابنه . فأنزل الله عزوجل : ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسولَ الله وخاتمَ النبيين وكان الله بكل شيء عليما[1]﴾ ، ونزلت : ﴿ادْعوهم لآباءهم هو أقسطُ عند الله﴾ - يعني هو أعدل عند الله - ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم[2]﴾ .

---

١ - سورة الأحزاب - الآية : ٤٠ .
٢ - سورة الأحزاب - الآية : ٥٥ .

فدُعي يومئذ «زيد بن حارثة» ، ونسب كل من تبناه رجل من قريش إلى أبيه ، مثل سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة قد تبناه ، ومثل عامر بن ربيعة الوائلي.وكان الخطاب بن نفيل بن عبد العزى أبو «عمر» قد تبناه فكان يقال عامر بن الخطاب .

حدثنا عفان بن مسلم أبو عثمان ، ثنا وهيب بن خالد ، أنبأ موسى بن عقبة ، حدثني سالم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر قال :

ما كنا ندعو زيداً إلا زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن : ﴿ادْعوهم لآبائهم هو أقسطُ عند الله﴾ .

وقال الكلبي : كان زيد يسمى زيد الحِبّ ، لأنه حب رسول الله ﷺ . وكان ابنه أسامة يدعى «الردف» ، لأن رسول الله ﷺ كان يردفه كثيراً .

حدثني بكر بن الهيثم الأهوازي ، ثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن عروة ، عن أسامة بن زيد

أن النبي ﷺ ركب حماراً بأكاف على قطيفة ، وأردفه خلفه ، وأتى سعدَ بن عبادة يعوده .

وحدثني علي بن عبد الله ، ثنا أبي ، أخبرني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، عن زيد بن علي بن حسين ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن أبي رافع مولى النبي ﷺ ، عن علي عليه السلام قال :

وقف رسول الله ﷺ بعرفَة وهو مردف أسامة بن زيد . وقال بعضهم : كان أسامة يدعى حباً أيضاً .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا عبيد الله بن موسى ، عن

إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، عن هبيرة ، عن علي :

أن النبي ﷺ قال لزيد بن حارثة : «أنت أخونا ومولانا» .

وحدثني الحسين ، عن يحيى بن آدم ، عن البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله ، عن محمد بن أسامة بن زيد ، عن أبيه :

أن النبي ﷺ قال لزيد بن حارثة : «أنت مولائي ، ومني ، وأحبّ القوم إليّ» .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا إسماعيل بن عبد الله بن خالد ، ثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه قال :

قال النبي ﷺ لزيد : «أنت مولائي ، ومني ، وأحب القوم إليّ» .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، ثنا أبو عبد الله يعني الواقدي ، أنبأ ابن أبي ذئب ، عن الزهري قال :

أول من أسلم زيد بن حارثة .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، أخبرني محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد ، عن أبيه قال :

كان بين رسول الله ﷺ وبين زيد عشر سنين ، رسول الله أكبر ؛ وكان زيد رجلاً قصيراً ، آدم شديد الأدمة ، في أنفه فطس ، وكان يكنى أبا أسامة .

وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد، عن حسين المازني، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن محمد بن أسامة قال:

أول من أسلم زيد بن حارثة[١].

وحدثني هشام بن عمار، ثنا محمد بن عيسى بن سميع، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري، قال:

أول من أسلم من النساء خديجة، ومن الرجال زيد بن حارثة.

ـ وحدثني عباس بن هشام الكلبي، عن أبيه، عن جده قال:

أقبلت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ـ وأمها أروى بنت كريز بن ربيعة، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ـ مهاجرة إلى النبي ﷺ، فخطبها الزبير، وزيد بن حارثة، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص. فاستشارت أخاها لأمها، عثمان بن عفان، فأشار عليها أن تأتي النبي ﷺ. فأتته، فأشار عليها بزيد بن حارثة، فتزوجته، فولدت له زيداً، ورُقية. فهلك زيد وهو صغير، وماتت رقية في حجر عثمان. وطلق زيد أم كلثوم، فخلف عليها عبد الرحمن بن عوف، ثم الزبير، ثم عمرو بن العاص.

ـ وتزوج زيد كرّة بنت أبي لهب، ثم طلقها. وتزوج هند بنت العوام.

وكان رسول الله ﷺ زوّجه أم أيمن، حاضنة رسول الله ﷺ ومولاته، فولدت له أسامة بن زيد. وكان اسم أم أيمن «بركة». فتزوجت في الجاهلية بمكة عبيد بن عمرو بن بلال بن أبي الحرباء بن قيس بن مالك بن ثعلبة بن جشَم بن مالك بن سالم ـ وهو الحُبلى ـ بن غَنْمْ بن عوف بن الخزرج، فولدت له أيمن بن عبيد، فكنيت به. واستشهد أيمن يوم حنين. ومات عبيد عن أم أيمن، فكانت فارغة لم تتزوج به، فزوّجها رسولُ الله ﷺ زيداً.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا عبيد الله بن موسى، أنبأ

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٤٠ ـ ٤٥.

فضيل بن مرزوق، عن شقيق بن عقبة قال:

كانت أم أيمن تلطف رسول الله ﷺ، وتقوم عليه. فقال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يتزوج امرأة من أهل الجنة، فليتزوج أم أيمن. فتزوجها زيد، فولدت له أسامة.

قالوا: ولما هاجر ﷺ، نزل زيد على كلثوم بن الهدم. ويقال: على سعد بن خيثمة. وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين حمزة. وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين أراد القتال. وآخى بينه وبين أسيد بن حضير الأوسي.

ـ حدثني جعفر بن عمر، عن الهيثم، عن مجالد، عن الشعبي قال:

قدم عبيد بن عمرو الخزرجي مكة، فأقام بها وتزوج أم أيمن برَكة مولاةَ رسول الله ﷺ، ونقلها إلى يثرب، فولدت له أيمن بن عبيد، ومات عنها، فرجعت إلى مكة. فلما ملك رسولُ الله ﷺ زيداً وبلغ، زوجّه إياها.

حدثني محمد بن سعد، عن الواقدي قال:

كان لآل أسامة مولى يقال له ابن أبي الفرات، فخاصم بعض مواليه. فقال له: ياعبد الله. فقال: يابن بركة. فاستعدى عليه أبا بكر بن عمرو بن حزم. فقال: إنما نسبته إلى أم أسامة، وما قلتُ بأساً. فقال أبو بكر: تقول لامرأة حضنت رسولَ الله ﷺ وولدُها ينسبون إلى ولائه ويقال هم بنو الحِبّ، قولاً يُصغر بها فيه. فضربه سبعين سوطاً، وأطاف به.

ـ حدثنا عمرو بن محمد الناقد، ثنا محمد بن عبيد، ثنا وائل بن داود قال: سمعت البهي يحدث عن عائشة قالت:

مابعث رسول الله ﷺ زيدَ بن حارثة في جيش قط إلا أمّره عليه؛ وإن بقي بعده، استخلفه على المدينة.

وحدثني روح بن عبد المؤمن، ثنا أبو عاصم النبيل، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع، قال:

غزوتُ مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، ومع زيد بن حارثة تسع غزوات يؤمره فيها علينا.

ـ حدثنا خلف بن هشام البزار، ثنا يزيد بن هارون، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال:

لما بلغ رسولَ الله ﷺ قتلُ زيد، قال: اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لجعفر، ولعبد الله بن رواحة.

حدثني أحمد بن إبراهيم، ثنا سليمان بن حرب، أنبأ حماد بن زيد، عن خالد بن سلمة قال:

لما أصيب زيد، أتى النبي ﷺ أهله، فجهشت زينب بنت زيد في وجهه. فبكى رسول الله ﷺ حتى انتحب. فقال له سعد بن عبادة: يارسول الله ماهذا؟ قال: «هذا شوق الحبيب إلى حبيبه». وقال الواقدي: استشهد زيد وله خمسون سنة، وذلك في سنة ثمان.

ـ محمد بن سعد، عن الواقدي، عن محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت:

مارأيت رسول الله ﷺ عرياناً قط إلا مرة واحدة. جاء زيد بن حارثة من غزاة له يستفتح. فسمع النبي ﷺ صوته، فقام عرياناً يجر ثوبه، فقبله واعتنقه.

أسامة بن زيد:

ـ وكان أسامة بن زيد يكنى أبا محمد. وعزم رسول الله ﷺ على توجيهه

إلى شرحبيل بن عمرو الغساني بمؤتة، فلم يتهيأ شخوصه حتى قبض رسول الله ﷺ، فأمر أن ينفذ جيش أسامة. وأنفذه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بعد وفاته، فأوقع بالعدو وغنم المسلمون، وكان بين خروجه وقدومه أربعون ليلة، ويقال شهران. وأستقبله الناس حين قدم مستبشرين بقدومه.

ـ وحدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن جده، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال:

خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه، حتى جلس على المنبر، وكان الناس قد تكلموا[1] في أمره حين أراد توجيههم إلى مؤتة، فكان أشدّهم قولا في ذلك عياش بن أبي ربيعة. فقال: «أيها الناس، أنفذوا بعثَ أسامة، فلعمري لين قلتم في إمرته، لقد قلتم في إمرة أبيه من قبله، ولقد كان أبوه للإمارة خليقا، وإنه لخليق بها.» وكان في جيش أسامة: أبو بكر، وعمر، ووجوه من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم. وخرج، فعسكر بالجرف. فلما قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر، أتى أسامةَ فقال له: قد ترى موضعي من خلافة رسول الله ﷺ؛ وأنا إلى حضور عمر ورأيه محتاج؛ فأنا أسألك تخليفه. ففعل، ومضى أسامة حتى قدم سالماً غانماً، فسرّ الناس بذلك.

ـ وحدثت عن الواقدي، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم قال:

فرض عمر رضي الله تعالى عنه لعبد الله بن عمر في ألفين وخمسمائة، وفرض لأسامة في ثلاثة آلاف، فقال عبد الله: ماشهد أسامة مشهداً لم أشهده. فقال عمر: كان والله أحبّ إلى رسول الله ﷺ منك، وكان أبوه أحبّ إلى رسول الله من أبيك.

وقال الواقدي في إسناده:

توّجه أسامةُ في سنة سبع في سرية، فلحق نهيك بن مرداس الجهني. فلما لحمه السيفُ، قال: لا إله إلا الله، فقتله واستاق من كان معه من النعم. فلما رجع، قال له رسول الله ﷺ: «ياأسامة، أقتلتَ رجلا يقول لا إله إلا الله ؟ فقال: إنما قالها، يارسول الله، متعوذاً. قال: فهلّا شققتَ عن قلبه؟ فجعل أسامة على نفسه ألا يواجه رجلا يقول: لا إله إلا الله» بسيف أبدا؟

فلما نهض علي عليه السلام إلى البصرة لحرب أصحاب الجمل، دعاه إلى الخروج معه، فقال: والله إني لأصدقك المحبة؛ ولو كنت بين لحيي أسد لأحببتُ أن أكون معك، ولكني جعلتُ على نفسي وعاهدتُ ربي أن لاأقاتل أحدا يقول لا إله إلا الله.

ـ قالوا: وكان أسامة من الرماة المذكورين، وخلفه رسول الله ﷺ مع عثمان على رقية بنت رسول الله ﷺ. وتوفي بوادي القرى، وكان قد نزلها. وذلك في أيام معاوية. ويقال إنه قدم المدينة من وادي القرى، فمات بالمدينة.

وحدثني المدائني، عن مسلمة بن محارب قال:

قال معاوية لأسامة بن زيد: رحم الله أم أيمن، كأني أرى ساقيها وكأنهما ساقا نعامة. فقال أسامة: كانت والله خيراً من هند، وأكرم. فقال: وأكرم أيضاً؟ فقال: نعم؛ قال الله عزّوجلّ: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

ـ وقال الواقدي: كان أسامة حين قبض رسول الله ﷺ ابن إحدى

١ ـ سورة الحجرات ـ الآية: ١٣.

وعشرين سنة أو أقل بأشهر، وكان يوم الفتح يأتي بملء الدلو من ماء زمزم، وقد أمره رسول الله ﷺ بمحو الصور التي كانت في الكعبة فيبلّ الثوب، ثم يضرب به الصورة. ولم يحلّ لواءه الذي عقده له رسول الله ﷺ حين أمره على الجيش، بعد قتل أبيه، وكان منصوباً في بيت له.

قال الكلبي: وقيل لأبي بكر رضي الله تعالى عنه: إنّ عامة الناس مع أسامة، وقد ارتدت العرب، فكيف تفرّق الناس؟ قال: والله، لو ظننتُ أن السباع تأكلني وإني اخْتَطف في هذه القرية لأنفذتُ بعثه كما أمر رسول الله ﷺ. ثم دعا أسامة، فقال: انفذ ياأبا محمد رحمك الله، واعمل بما كان رسول الله ﷺ أمرك به. ولم يوصه بشيء.

ـ حدثنا محمد بن الصباح،عن شريك، عن العباس بن ذريح، عن البهي، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت:

عثر أسامةُ بعتبة الباب فانشجّ في وجهه. فقال لي رسول الله ﷺ: «أميطي عنه الأذى. فقذرته. فجعل رسول الله ﷺ يمصّ شجته ويمجّ دمها، ويقول: لو كان أسامة جارية لحليته وكسوته حتى أنفقته».

قال ابن الصباح، قال شريك: الدم حرام، وقد مصّه النبي ﷺ ثم لفظه ومجّه؛ والطعام حرام على الصائم ولابأس بأن يتذوق الرجل القِدْر بطرف لسانه وهو صائم مالم يدخل حلقه.

ـ قالوا: وكانت برَكة، وهي أم أيمن، لرسول الله ﷺ، ورثها من أبيه، فأعتقها. ويقال بل كانت مولاة أبيه، فورث ولاءها. ويقال بل كانت لأمه، فورثها منها، وأعتقها. وكانت تحضن رسول الله ﷺ وتقوم عليه.

ـ حدثني محمد بن مصفى الحمصي، ثنا محمد بن حمير، عن أبي بكر بن

أبي مريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخدري قال:

اشترى أسامةُ بن زيد وليدةً بمائة دينار إلى شهر، فسمعت النبي ﷺ يقول: «ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر؟ إنّ أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده، ما طرفت عيناي فظننتُ أن شفريها يلتقيان حتى أقبض، ولا رفعتُ طرفي فظننتُ أني واضعه حتى أقبض، ولا لقمتُ لقمة فظننتُ أني أسيغها حتى يغصّني بها الموت». ثم قال: «يا بني آدم، إن كنتم تعقلون، فعدّوا أنفسكم من الموتى: ﴿إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين﴾[1]» .

ـ وقال الواقدي: كان حارثة بن شراحيل من كلب، فتزوّج امرأة من طيء بجبلي طيء. فولدت له زيد بن حارثة، فكان هناك. وتوفي حارثة، وكانت له أبعرة. فمرّ نفر من العرب، وهو يومئذ وصيف، فأكراهم إياها إلى مكة، فوافوا به سوق عكاظ فباعوه، فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة، فكان يتجر لها، وكان لخديجة. وكانت بركة لعبد الله بن عبد المطلب. فلما بلغ زيد، زوجه إياها، وهو لخديجة. فطلبه منها، فوهبت له، فأعتقه وأعتق أم أيمن. والأول خبر الكلبي، وهو أثبت.

أبو رافع :

ـ أبو رافع مولى رسول الله ﷺ ، واسمه أسلم . وكان للعباس بن عبد المطلب ، فوهبه لرسول الله ﷺ . فلما بشره بإظهار العباس إسلامه ، أعتقه . ووجه رسول الله ﷺ أبا رافع مع زيد بن حارثة من المدينة لحمل عياله من مكة . وهو الذي عمل لرسول الله ﷺ منبره من أثل الغابة . وكانت سلمى ، مولاةُ رسول الله ﷺ عند أبي رافع ، فولدت له عبيد الله بن

---

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية: ١٣٤ .

أبي رافع كاتب عليّ عليه السلام . وكان رسول الله ﷺ ورث سلمى هذه من أمه . وكان أبو رافع الذي بشر رسول الله ﷺ بولادة إبراهيم بن رسول الله ، فوهب له غلاماً . وكان رسول الله ﷺ وجه أبا رافع مع رجل من الأنصار ليخطبا عليه ميمونة بنت الحارث زوجته .

وحدثت عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : قال أبو رافع مولى ﷺ :

كنتُ غلاماً للعباس ، وكان الإسلام قد دخلنا أهلَ البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل ، وأسلمتُ . وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم ، فكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه . فلما جاء مصاب أهل بدر ، وجدنا في أنفسنا عزّا وقوة. وكنتُ ضعيفاً أعمل القداح وأنحتها في حجرة زمزم . فبينا أنا أنحت أقداحي ، وعندي أم الفضل جالسة ، وقد سررنا بما جاء من خبر أهل بدر ، إذ أقبل الفاسق أبو لهب ، فجلس ، ووافى أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال أبو لهب إليّ يا بن أخي ؛ ما خبر الناس فقال : ما هو إلا أن لقيناهم رجالٌ حتى منحناهم أكتافنا ، ولقينا رجال على خيل بلق . فقلتُ : تلك الملائكة . فلطمني أبو لهب لطمة شديدة . وثاورته ، فضرب بي الأرض . فقالت له أم الفضل : أراك تستضعفه إذ غاب سيده . وأخذت شيئاً ، فضربت به ، فشجته . فقام ذليلاً . فوالله ما عاش إلا سبع ليال ، حتى رماه الله بالعدسة[1] ،

١ ـ العدسة : داء من الأدواء ، وهي بثرة تخرج بالانسان ، وربما قتلته . سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧ .

نقتلته . ولقد ترك حتى أنتن . وعذل ابناه في ذلك ، فصبا عليه الماء وما مساه ، ودُفن بأعلى مكة إلى جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه بها . ومات أبو رافع بعد خلافة عثمان .

أنسة :

ـ أنسة مولى رسول الله ﷺ ، من مولدى السراة ، ويكنى أبا مسروح . كان يأذن على رسول الله ﷺ . قال قوم : قتل يوم بدر ، ولم يعرف قاتله .

قال الواقدي : رأيتُ أهل العلم يثبتون أنه لم يقتل ببدر ، وأنه قد شهد أحداً وبقي بعد ذلك ، وتوفي في خلافة أبي بكر .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن محمد بن يوسف قال :

مات أنسة بعد النبي ﷺ في خلافة أبي بكر[1] .

أبو كبشة :

ـ أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ ، واسمه سليم ، وكان من مولدي أرض دَوس . وقال بعضهم : كان من مولدي مكة . شهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر ، ويوم أحد ، والمشاهد كلها . وكان نزوله حين هاجر على كلثوم بن الهدم . ويقال على سعد بن خيثمة . وكان رسول الله ﷺ ملكه فأعتقه . وتوفي أبو كبشة في أول يوم من خلافة عمر بن الخطاب .

صالح شقران :

ـ صالح شقران ، كان غلاماً له ﷺ ، فأعتقه . وشهد بدراً وهو

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٨ ـ ٤٩ .

مملوك، فاستعمله رسول الله ﷺ على الأسرى. ولم يسهم له، فأحذاه[١] كل رجل كان له أسير، فأصابه أكثر مما أصابه رجل من القوم من المقسم .

وشهد بدراً غلام لعبد الرحمن بن عوف ، وغلام لحاطب بن أبي بلتعة ، وغلام لسعد بن معاذ ، فأحذاهم رسول الله ﷺ ولم يقسّم لهم . وكذلك كان يفعل بالمماليك إذا شهدوا معه الحرب .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن أبي بكر بن عبد الله بن جهم العدوي قال :

استعمل رسولُ الله ﷺ شقران مولاه على جميع ما وجد في رحال أهل المريسيع من رِثة المتاع والسلاح والنعم والشاء ، وجمع الذرية ناحية[٢] . قال الواقدي : فسأل رسول الله ﷺ أهل : المريسيع : «كيف وجدتم شقران» ؟ فقالوا : أشبع بطوننا ، وشدّ وثاقنا .

- ولابن شقران يقول عمرُ حين وجهه إلى أبي موسى الأشعري : قد وجهتُ إليك عبد الرحمن بن صالح - الرجل الصالح شقران - فأعرف له مكان أبيه من رسول الله ﷺ . وكان شقران ممن نزل في قبر رسول الله ﷺ .

حدثني حفص بن عمر ، عن الهيثم ، عن مجالد ، عن الشعبي قال :

مات شقران في خلافة عمر .

قال حفص ؛ وقال هشام ، عن أبيه :

مات في خلافة عمر .

يسار :

١ - حذا : حثا ، قدم قطعة . أي أعطاهم ﷺ حصة من المغانم ولم يسهم لهم . انظر النهاية لابن الأثير .

٢ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٠

ـ يسار، وكان نوبيّاً ، أصابه رسول الله ﷺ في بعض غزواته ، فأعتقه وجعله في لقاحه يرعاها ، فأغار عليها قوم من عُرينة ـ ويقال : من عُكْل ـ فأخذوا يسارا فغرزوا الشوك في عينيه وقتلوه . وقال الكلبي والواقدي : أصاب رسول الله ﷺ يسارا في غزاة بني ثعلبة بن سعد فأعتقه .

فضالة :

ـ فضالة مولى رسول الله ﷺ ، نزل الشأم . فَوَلَدُهُ بها .

حدثني بذلك محمد بن سعد ، عن الواقدي . وقال الهيثم : لم يكن لرسول الله ﷺ مولى يقال له فضالة .

سفينة :

ـ سفينة ، واسمه مفلح ، ويقال مهران . وكان من مولّدي الأعراب . ويقال إنه كان مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ . ويقال بل كان عبداً لها ، فوهبته لرسول الله ﷺ ، فأعتقه . وقد حدّث عن عبد الرحمن بن سفينة .

حدثني ابن أخي أبي حسان الزيادي أبو عمرو ، ثنا الحماني ، ثنا حشرج بن نباتة ، عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى النبي ﷺ قال : كنا مع النبي ﷺ ، فقال : «ابسط كساءك» . فقال للقوم : «اطرحوا أمتعتكم فيه» . ثم قال : «احمل ، فإنما أنت سفينة» . قال : فلو كان وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة ، حملته .

وحدثني أبو مسعود بن القتات ، قال :

توفي رجل من ولد سفينة على عهد أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ، فلم يكن له وارث إلا المنصور وولد أبيه .

ثوبان :

ـ ثوبان مولى رسول الله ﷺ يكنّى أبا عبد الله وهو من أهل اليمن لنسب فيهم ، فأصابه سباء ، فابتاعه رسول الله ﷺ بالمدينة ، وأعتقه . وكان قد نزل حمص وله بها دار صدقة . وبها مات في سنة أربع وخمسين .

حدثني هشام بن عمار الدمشقي ، ثنا صدقة ، ثنا ابن جابر ، حدثني شيخ يكنى أبا عبد السلام ، عن ثوبان

عن رسول الله ﷺ قال : «يوشك أن تداعى الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قيل : يا رسول الله ، أمن قلة يومئذ ؟ قال : أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم ، وليقذفنّ الوهن في قلوبكم . قيل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : حبّ الدنيا وكراهة الموت» .

حدثني عبد الواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال :

قال رسول الله عليه السلام : «من يضمن لي خصلة ، أضمن له الجنة» ؟ فقال ثوبان : أنا يا رسول الله . قال : «لا تسأل الناس شيئاً» . قال : فكان ثوبان يقع سوطه من يده ، فلا يقول لأحد : «ناولني إياه»[1] ، حتى ينزل فيأخذه . فكانت عائشة تقول : تعاهدوا ثوبان ، فإنه لا يسأل الناس شيئاً .

حدثني هشام بن عمار ، عن بقية ، عن صفوان بن عمرو ، عن راشد بن سعد ، حدثني ثوبان قال :

١ ـ في هامش الأصل ما يفيد في رواية أخرى «ناولنيه» .

قال لي رسول الله ﷺ : «يا ثوبان ، لا تنزل الكفور»[1] ، فإن ساكن الكفور كساكن القبور .

حدثني محمد بن مصفى الحمصي ، ثنا إسماعيل بن عياش ، عن شرحبيل بن مسلم ، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه كان يقول :

طوبى لمن ملك لسانه ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته .

وحدثني هشام بن عمار ، عن ابن عياش ، عن راشد الصنعاني ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن ثوبان :

عن رسول الله ﷺ أنه قال في مسير له : «إنا مدلجون الليلة ، فلا يدخلن معنا مصعب ولا مضعف» ، فأدخل رجل على ناقة له صعبة فسقط فاندقَّتْ فخذه ، ثم مات . فأمر النبي ﷺ بالصلاة عليه . ثم أمر بلالا ، فنادى : «إنّ الجنة لا تحل لعاص» .

أنجشة :

ـ أنجشة كان حبشياً ، يكنى أبا مارية . وهو الذي قال له رسول الله ﷺ ، وهو يسوق الإبل بالنساء : «يا أنجشة ، ارفق بالقوارير» .

رافع :

ـ رافع ، وهو رويفع . كان لسعيد بن العاص أبي أُحيحة ، فورثه ولده ، فأعتق بعضهم حصته منه ، وسعى لباقيهم فيما بقي من رقبته . فأتى رسول الله ﷺ يستعينه في أمره . فاستوهب رسول الله ﷺ ما بقي منه فوهب له ـ ويقال : ابتاعه ـ وأعتقه . فكان يقول : أنا مولى رسول الله . ويقال إنّ

---

١ ـ الكفور من الأرض ما بعد عن الناس . القاموس .

سعيد بن العاص كان أعتقه إلا سهما ، فاستوهب ﷺ ذلك السهم من ورثته ، فوهب له أو ابتاعه ، فأعتقه . فكان يقول : «أنا مولى رسول الله» ، فيغيظ ذلك آل سعيد بن العاص . فلما ولي عمرو بن سعيد بن العاص ، وهو الأشدق ، المدينة ، بعث إليه ، فدعاه . فلما أتاه ، قال : مولى من أنت ؟ قال : مولى رسول الله ﷺ : فضربه مائة سوط ثم قال له : مولى من أنت ؟ قال : مولى رسول الله ﷺ . فضربه مائة سوط أخرى ، ثم قال له : مولى من أنت ؟ قال : مولى رسول الله . فضربه مائة سوط ثالثة . فلما رأى أنه لا يرفع عنه الضرب ، قال له مولى من أنت ؟ قال : مولاك .

ـ وقال ابن الكلبي : والناس يغلطون فيما بين رافع وأبي رافع ، ويقول بعضهم : إنّ كاتب علي عليه السلام كان عبيد الله بن رافع وإنما هو عبيد الله بن أبي رافع . وقد كان رافع مع الحسن بن عليّ ومع عليّ قبله . فزاد آل سعيد بن العاص ذلك غيظاً عليه .

حدثني هشام بن عمار ، ثنا صدقة بن خالد ، ثنا زيد بن واقد ، عن مغيث بن سمي ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص قال :

قلنا : يا نبي الله ، من خير الناس ؟ قال : «ذو القلب المحموم واللسان الصادق» . قلنا : قد عرفنا اللسان الصادق ؛ فما القلب المحموم ؟ . قال: «هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ، ولا بغي ، ولا حسد» . قلنا : يا رسول الله ، فمن على إثره ؟ قال : «الذي يشنأ الدنيا ، ويحبّ الآخرة» . قلنا : ما نعرف هذا فينا إلا أن يكون رافعاً مولى رسول[1] الله ؛ فمن على إثره ؟ قال : «مؤمن له خلق حسن» . وقال

١ ـ تبع هذا سقط ورقة من الأصل .

هشام : لا أحسب الحديث محفوظاً ، وما هو فيما أظن «إلا أن يكون أبا رافع» .

أبو لبابة

ـ أبو لبابة ، واسمه زيد بن المنذر ، من بني قريظة ، ابتاعه رسول الله ﷺ وهو مكاتب ، فأعتقه . وهو الذي روى عن رسول الله ﷺ : من قال : «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، غفر الله له ولو كان فرّ من الزحف» . وابنه يسار بن زيد .

أبو مويهبة

ـ أبو مويهبة ، وهو أبو موهبة ، من مولدي مزينة . أعتقه رسول الله ﷺ . فشهد المريسيع . وكان يقود بعائشة بعيرها . روي عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «أمرتُ أن أستغفر لأهل البقيع ، فانطلق معي . فانطلقت معه . فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ! ليهنئكم ما أصبحتم فيه مع ما أصبح الناس فيه ؛ أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم . ثم استغفر لهم طويلاً» .

مدعم

ـ مدْعم مولى النبي ﷺ من مولد حسَمى ، ويكنى أبا سلام ويقال إن أبا سلام غيره . وكان مدعم من هدية فروة بن عمرو الجذامي ، ويقال من هدية رفاعة بن زيد الجذامي . أصابه سهم غرب بوادي القُرى ، وهو يحط رحل رسول الله ﷺ .

أبو ضمرة

ـ أبو ضمرة ، وهو أبو ضُميرة ، وهو من العرب ممن أفاء الله على رسوله ، فأعتقهم . ثم خير أبا ضمرة أن يقيم معه أو يلحق بقومه . فاختار المقام . فكتب رسول الله ﷺ له ولأهل بيته كتاباً بأن يحفظهم كل من لقيهم من المسلمين . فذكروا أن لصوصاً لقوا قوماً منهم . فأخرجوا كتاب رسول الله ﷺ . فلم يعرضوا . وفد حسين بن عبيد الله بن ضميرة بن أبي ضميرة على المهدي أمير المؤمنين ، وجاء معه بكتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم . فأخذ المهدي الكتاب ، فقبله ووضعه على عينيه ، وأعطى حسينا ثلاث مائة دينار . ويقال خمس مائة دينار . وقال مصعب بن عبد الله الزبيري : كانت لأبي ضمرة دار بالبقيع . وقال ابن الكلبي : كان لعلي بن أبي طالب غلام يكنى أبا ضميرة ، وليس هو هذا .

كركرة

ـ كركرة غلام النبي ﷺ ، أهدي له فأعتقه . ويقال مات على عهد رسول الله ﷺ وهو مملوك .

رَباح

ـ رَباح أبو أيمن مولى رسول الله ﷺ . وهو أسود ، كان يأذن على رسول الله ﷺ . ثم صيره مكان يسار حين قتل ، فكان يقوم بأمر لقاحه .

هشام

ـ هشام مولى النبي ﷺ . رُوي عن النبي ﷺ أن رجلاً أتاه فقال : يا رسول الله لي امرأة لا تدفع كفّ لامس ؛ فقال : طلقها .

أبو هند

ـ أبو هند مولى أبي فروة بن عمرو البياضي كان حجّام رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : «إنما أبو هند رجل من الأنصار ، فأنكحوه وانكحوا إليه» . ففعلوا . ولم يشهد بدرا ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ . ولقي أبو هند رسول الله ﷺ بعرق الظبية بحميت[1] مملوء حيسا . وقال قوم : وهب بنو بياضة لرسول الله ﷺ ولاء أبي هند . وقال الواقدي : كان خدمُ رسول الله ﷺ الذين لا يريمون بابه : أنسَ بنَ مالك ، وأبا هند ، وأسماء ابني حارثة ، من بني مالك بن أفصى . فكان أبو هريرة يقول : ما كنتُ أظنهما إلا مملوكين لرسول الله ﷺ .

ـ وكان لرسول الله ﷺ سُلمى ، وخضرة ، ورَضوى ، كنّ إماء له فأعتقهن ، وكان له رَوضة ، ورُبيحة أعتقهما وكان ممن يخدم ميمونة بنت سعد .

أمر سلمان الفارسي

ـ قالوا: كان أصل سلمان الفارسي من إصطَخر، إلا أن أباهم نزل رامْهُرْمُز من كور الأهواز . وكان مجوسياً . وقوم يقولون : كان سلمان من أهل أصبهان . وذلك غير ثبت . فحدّث سلمان أن أباه كان دهقان قريته ، وكان يحول بينه وبين الخروج والتصرف ، صيانة له . وأنه بعثه مرة في حاجة له . قال : فدُفِعتُ إلى كنيسة نصارى ، فأعجبتني قراءتهم وصلاتهم . فسألتُ بعضهم عن دينهم ، فحدّثوني بأمر المسيح عليه السلام وما كان من شأنه وشأن الأنبياء قبله . فقلتُ هذا أفضل من ديني وأشبه بالحق . ويقال

١ ـ الحميت : الزق . النهاية لابن الأثير .

إنه قال : كنتُ يتيماً فقيراً ، وكنتُ صحبتُ ابن دهقان رامهرمز ، فكان يصعد الجبل فيقف عند راهب في صومعة فيسائله ويحدّثه . فسألتُ الراهب عن دينه ، فأخبرني به ، فأعجبني . وقلت : هذا خير من ديني . فاتبعتُ دين النصرانية ، وسألت عن معدن ذلك الدين . فقيل بالشأم : وتهيأ لي ركب يريدون الشأم ، فصحبتهم حتى قدمت الشأم فعمدت إلى كنيسة فدخلتها . فكنت مع أسقفهم أتفقه في النصرانية ، وأخدمه حتى مات . وقام مكانه آخر ، وكان عفيفاً موحداً ، فخدمته . فلما احتضر ، قلت له : أوصني . قال : ائت نينوى ، من أرض الموصل فإن هناك رجلا يقول بقولي . فأتيته ، فكنت معه حتى إذا حضرته الوفاة ، قلت له : أوصني إلى من أصير بعدك . فقال : إنّ بنصيبين رجلاً يقول بقولي . فأتيته ، فقمت معه حتى احتضر ، فقلت له : أوصني إلى من أصير بعدك . فقال : إن بعمورية رجلا على ديني . فأتيته . فكان يذكر مبعث رسول الله ﷺ . فلما احتضر ، قلت له أوصني بما أصنع . فقال : إنه قد أظل زمنُ نبي يبعث بأرض العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، يكون مولده وقراره بين النخل ، خاتم النبوة بين كتفيه ، يسوءه أهله ويردّونه حتى يخرج عنهم إلى غيرهم ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، قال : فلما مات ، [وجدتُ] قوماً من كلب ، نصارى ، يريدون وادي القرى ، فأعطيتهم ما كان معي حتى أخرجوني إلى وادي القرى فغدروا بي ، وباعوني من رجل يهودي يقال له يوشع . ثم باعني اليهودي من رجل من بني قريظة قدم وادي القرى تاجراً . فأتى بي القرظي المدينة . فسألت عن النبي ﷺ ، فأخبرتُ خبره ومفارقته

قومه . فجمعتُ له رُطبا وغير ذلك ، وأتيته به وهو بقباء ، فقلت : هذا صدقة مني . فدعا قوماً من أصحابه ، فأكلوا ذلك ، ولم يأكل منه ، وقال : إني لآكل الصدقة. ثم أتيته بشيء ، فقلت : هذا هدية . فقبل ذلك مني، ثم تحولتُ فنظرتُ إلى الخاتم الذي كان صاحبي وصفه لي بين كتفيه . فأكببت أقبله وسألني ، فقصصتُ عليه قصتي . وكاتبتُ صاحبي القرظى على مائة وستين فسيلة وأربعين أوقية من ذهب . وأتيتُ النبي ﷺ . فأعانني سعد بن عبادة بستين نخلة ، وأعانني الأنصار بالمائة الباقية. وأتى النبي ﷺ ذهب من معدن بني سليم ، فأعطاني منه شيئاً استقللته ، وقلت : لا يبلغ أربعين أوقية . فوضعه في فمه ، وقال : ادفعه إلى صاحبك . فوزن ، فإذا هو تمام ما أريد . فكان سلمان يقول : أنا سلمان بن الإسلام[1] .

- وحدثني عمر بن بكير ، عن الهيثم بن عدي ، عن المجالد بن سعيد قال :

سئل الشعبي:هل كان سلمان من موالي رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، أفضلهم ؛ كان مكاتباً فاشتراه وأعتقه . قالوا : وشهد سلمان الخندق ، ولم يتخلف عن غزاة من غزوات رسول الله ﷺ . ومات بالمدائن في خلافة عثمان . وكان يكنى بأبي عبد الله .

قالوا : ورأى عيينةُ بنُ حصن سلمان عند رسول الله ﷺ يوماً وعليه شملة ، فقال له : إذا دخلنا عليك ، فنحّ عنا هذا وأمثاله فنزلتّ فيه : ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه

١ - انظر السير والمغازي لابن اسحق ص ٨٧ - ٩٣ .

ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرطاً[١]﴾ ، أي عجلا ، لا يفرط منه بغير فكر . يقال : فرس فرط ، أي سريع يتقدم الخيل .

ـ حدثني هشام بن عمار ، ثنا يحيى بن حمزة ، عن عروة بن عويمر اللخمي ، عن القاسم أبي عبد الرحمن ، أنه حدثه قال :

زارنا سلمان الفارسي فخرج الناس يتلقونه كما يتلقى الخليفة ، فلقيناه وهو يمشي ، فوقفنا نسلم عليه : ولم يبق شريف ألا سأله أن ينزل عنده . فسأل عن أبي الدرداء . فقيل : هو مرابط . قال وأين مرابطكم ؟ قالوا : بيروت . فتوّجه قبله . فلما صار إلى بيروت ، قال سلمان: يا أهل بيروت ، ألا أحدّثكم حديثاً يذهب الله به عنكم غرض الرباط سمعت رسول الله ﷺ يقول : «رباط يوم كصيام شهر وقيامه ؛ ومن مات مرابطاً في سبيل الله أجير من فتنة القبر وأجري له ما كان يعمل إلى يوم القيامة» .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن أبي قتادة .

أن النبي ﷺ قال لأبي الدرداء : «يا عويمر ، سلمان أعلم منك» .

وحدثنا محمد بن سعد ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح قال :

قال رسول الله ﷺ : «سلمان يُبْعَث أمة ، لقد أشبع من العلم»[٢] .

ـ حدثنا محمد بن حاتم المروزي ، عن معاذ العنبري ، عن شعبة ،

---

١ ـ سورة الكهف ـ الآية : ٢٨ .

٢ ـ طبقات ابن سعد . ج ٢ ص ٣٤٦ وفيه «ثكلت سلمان أمه لقد أشبع من العلم» .

عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري قال :

صنع سلمانُ طعاماً لإخوانه ، فجاء سائل . فأراد بعضهم أن يناوله رغيفاً ، فقال سلمان : ضع ، إنما دُعيتَ لتأكل . ثم قال : وما عليّ أن يكون لي الأجر ، وعليك الوزر . قال شعبة : وكان سلمان يختم على القدر مخافة سوء الظن . وكان يقول في العمل القليل رداوة وأنت الجواد الفرط ، أي السابق .

حدثنا عمر بن شبة ، عن عفان بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن معاوية بن قرة ، عن عائذ بن عمرو المزني قال :

كان بلال ، وصُهيب ، وسلمان جلوسا ، فمرّ بهم أبو سفيان بن حرب . فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها بعدُ ! فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ؟ ثم انطلق أبو بكر إلى النبي ﷺ فأخبره . فقال : «يا أبا بكر ، لعلك أغضبتهم أئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» . فأتاهم أبو بكر ، فقال : يا إخوتي لعلكم غضبتم ؟ فقالوا : يغفر الله لك يا أبا بكر .

أمر أبي بكرة مولى رسول الله ﷺ :

ـ حدثني عباس بن هشام ، أنبأ عوانة بن الحكم الكلبي وغيره قالوا :

كانت سمية امرأة من أهل زَنْدَوَرْد ، من كسكر ، تسمى في أهلها بـ «أميخ»[1] . فسرقها الكواء اليشكري أبو «عبد الله بن الكواء» ، وسماها سمية . فكانت عنده ما شاء الله . ثم أنه سقي بطنُ الكوّاء ، فخرج إلى

١ ـ بالفارسية أميختن : اختلاط ، معاشرة ، أنس . اتصال . مضاجعة .

الطائف فأتى الحارث بن كَلَدة الثقفي ، وكان طبيب العرب . فداواه ، فبرأ ، فوهب له سمية .

ويقال إنها كانت أمة لدهقان الأُبلّة . فقدم الحارث الأبلة ، فعالج ذلك الدهقان ، فوهبها له ، فقدم بها الطائف . قالوا : فوقع الحارث بن كلدة على سمية ، فولدت له على فراشه غلاماً ، سماه نافعا . ثم وقع عليها ، فجاءته بنفيع وهو أبو بكرة ، وكان أسود . فقال الحارث : والله ما هذا بابني ، ولا كان في آبائي أسود . فقيل له : إنّ جاريتك ذات ريبة ، لا تدفع كفّ لامس . فنسب أبو بكرة إلى مسروح ، غلام الحارث بن كلدة ، ونفى نافعا بسبب أبي بكرة . ثم إن الحارث تزوّج صفيةَ بنت عبيد بن أسيد بن علاج الثقفي ، ومهرها سمية . فزوجتها صفيةُ عبدا لها رومياً ، يقال له عبيد ، فولدت منه زيادا . فأعتقته صفيةُ . وولدتْ صفيةُ من الحارث ابنتين : أزدة ، وصفية سمتها أمها باسمها. ويقال بل سمتها صفيةُ . قالوا : فلما ظهر رسول الله ﷺ ، وغزا الطائف ، قال : «من خرج إليّ فهو حرّ» . فوثب أبو بكرة الجدارَ ، فخرج إليه ، فأعتقه فصار مولى رسول الله ﷺ . وصارت السنة أنّ من نزل من حصن أو خرج من العبيد من دار الحرب مسلما ، عتق . وخشي الحارث بن كلدة أن يفعل نافع مثل ما فعل أبو بكرة ، فقال له : أي بني أنت ابني وشبيهي ، فلا تفعل كما فعل العبد الخبيث . فأثبتَ نسبَ نافع يومئذ .

وتزوّج عتبةُ بن غزوان المازني ، حليفُ بني نوفل بن عبد مناف ، أزدةَ بنتَ الحارث . فلما استعمل ابن الخطاب عتبةَ على البصرة ، قدم معه نافع وأبو بكرة وزياد البصرة بذلك السبب .

وقد روي أن رقيقاً من رقيق ثقيف دعاهم أبو بكرة إلى الإسلام ، فأسلموا ، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ يستأمرونه في قتال ثقيف في الحصن ، ويعلمونه أنهم قد أسلموا . فقال رسول الله ﷺ لرسولهم : «كم هم» ؟ فقال : ثمانون . فقال : «إني أخاف عليهم أن يقتلوا ولكن ليخرجوا إلينا» . فتدلى منهم أربعون رجلاً أو أكثر ؛ ونذرت ثقيف بالباقين فحبسوهم . فأعتق رسول الله ﷺ الذين نزلوا إليه ، فصارت سنة في الرقيق يكون للعدو ، فيخرج العبد منهم مسلماً أنه يعتق .

وقال الواقدي . كانوا تسعة عشر ؛ وكان فيهم الأزرق وكان عبداً روميّاً حدّاداً . وحدثني بعض آل أبي بكرة تدلى من الحصن على بكرة . فقال له النبي ﷺ : كيف جئتَ ؟ فقال : تدليتُ ببكرة . فقال : فأنت أبو بكرة . ويقال إنه كان يعرف بالطائف بأبي بكرة ، لأنه كانت له بكرة يعلقها ويركبها . وقال ابن الكلبي : كان يكنى أبا بكرة وهو بالطائف .

ـ قالوا : وولّى عمر رضي الله عنه المغيرة بن شعبة البصرة . فهوي امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة ، يقال لها أم جميل بنت محجن بن الأفقم ، وكانت عند الحجاج بن عتيك الثقفي . فكان أبو بكرة لا يزال يلقى المغيرة خارجاً وحده ، فيقول له أبو بكرة : أين يريد الأمير ؟ فيقول : أزور بعض من أحبّ . فيقول : إنّ الأمير يزار ولا يزور . وكان أبو بكرة رجلاً صالحاً ، من الذين ﴿يمشون على الأرض هوناً﴾[1]. فتبع المغيرة ذات يوم ، وكان متقنعاً بثوبه ، فدخل دار أم جميل . ودخل أبو بكرة داراً إلى جانبها ، وصعد سطحاً فيها مشرفاً على الدار ، فرآها وقد التزمته ولثمته.

١ ـ سورة الفرقان ـ الآية : ٦٣

فقال : سيجيء بعد هذا ما هو أعظم منه . فأقبل راجعاً ، فدعا شبل بن معبد البجلي حليف ثقيف ، ونافع بن الحارث أخاه ، وزياد بن عبيد . فأقبلوا أربعتهم حتى أشرفوا على المغيرة وهو فوق أم جميل ينكحها . فجعل أبو بكرة يقول لأصحابه : أثبتم ، أثبتم ؟ قالوا : نعم . حتى كان فيما رأوا أثراً من الجدري بفخذها . ثم إنّ المغيرة اغتسل وخرج من عندها . فأتاه أبو بكرة ، فقال : يا مغيرة اجتنب مصلانا ، فإنك نجس . فقال : لا ، ولا نعمة عين .

قال : فرحل أبو بكرة حتى أتى المدينة . فلما رآه عمر ، قال : اللهم إني أسألك خير ما جاء به ، وأعوذ بك من شرّ ما جاء به ؛ ما وراءك ؟ قال : أخبرك أن المغيرة بن شعبة زان . فقال عمر : ويحك ما تقول ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، هو زان . فقال : أنت رأيته يزني ؟ قال : نعم ، ورأى معي نافع بن الحارث ، وشبل بن معبد ، وزياد بن عبيد مولى ثقيف . فبعث عمر إلى أبي موسى الأشعري ، فولّاه البصرة ، ووجّه معه أنس بن مالك وأخاه البراء بن مالك ، وعمران بن الحصين أبا نجيد الخزاعي . وكتب إلى المغيرة في القدوم عليه . وأمر أبا موسى إذا قدم البصرة أن لا يحلّ عقده حتى يشخصه إليه ومن شهد عليه . فسار أبو موسى حتى قدم البصرة ، فلم يحل رحاله ثلاثا لوصية عمر ، حتى أشخص المغيرةَ والشهود .

فلما قدموا على عمر ، اجتمع الناس . وتقدم أبو بكرة ، وأقيم المغيرة. فقال عمر لأبي بكرة : بماذا تشهد يا أبا بكرة؟ فقال : أشهد أني رأيته وذَكره يدخل في فرجها كالمرود في المكحلة . فقال عمر : ذهب ربع المغيرة . ثم تقدم نافع بن الحارث بن كلدة ، فشهد بمثل ما شهد به أبو

بكرة . فقال عمر : ذهب نصف المغيرة . ثم تقدم شبل بن معبد فشهد كمثل ما شهدا به . فقال عمر : ذهب ثلاثة أرباع المغيرة . ثم تقدم زياد ، وكان شاباً طريراً جميلاً . فلما نظر إليه عمر ، قال : والله إني لأرى وجهاً خليقاً أن لا يخزى عليه اليوم رجل من أصحاب محمد ؛ إيه ، بما تشهدَ . قال أشهد أني سمعتُ نفساً عالياً ، ورأيت أمراً قبيحاً ، فأما ما ذكر هؤلاء فلا . فانتضى المغيرة السيفَ يريد أبا بكرة وصاحبيه . فقال : عمر : يا أعور أمسك ، عليك لعنة الله وكانت عينه ذهبت يوم القادسية . ويقال يوم اليرموك . ثم أمر عمر بالثلاثة الذين شهدوا ، فضربوا . ودُرىء عن زياد حدّ القاذف ، وعن المغيرة حد الزاني . وذلك في سنة سبع عشرة . وقال لهم عمر : توبوا . فتاب نافع وشبل ؛ وقال أبو بكرة : والله لا أتوب من الحق ؛ أشهد أنه زان . فأراد عمر أن يحدّه ثانية . فقا له علي : لا تفعل ، فإنك إن جعلتها شهادة ، رجمنا المغيرة لأنه قد تمت عليه أربع شهادات . فلم يجلده عمر . وحلف أبو بكرة أن لا يكلم زياداً أبداً . وكان أبو بكرة رجلاً صالحاً .

ـ قالوا : ولما قدم بسر بن أبي أرطاة القرشي ، ثم العامري ، البصرةَ وكان معاوية بعثه لقتل من خالفه واستحياء من بايعه أخذ بني زياد ، وهم غلمان ـ عُبيد الله ، وسلما ، وعبَدَ الرحمن ، والمغيرة وبه كان يكنى زياد ، وحربا ـ وزياد يومئذ متحصن في قعلة بفارس ، تعرف بقلعة زياد ، مخالف لمعاوية ، وذلك قبل أن يدّعيه معاوية . فقال : والله لأقتلنكم أو ليأتيني زياد أبوكم . ثم صعد المنبر ، فذكر عليا بالقبيح وشتمه وتنقصه ، ثم قال : أيها الناس أنشدكم بالله ، أما صدقتُ ؟ فقال أبو بكرة : إنك تنشد عظيما ،

والله[1] ما صدقت ولا بررت . فأمر بأبي بكرة ، فضُرب حتى غُشي عليه . فأفاق وابنه عبد الرحمن بن أبي بكرة قاعد عند رأسه ، فقال له : يا أبة ، ألم تعلم أن القوم أعداء الرجل ؟ فقال : «يا بنيّ ، لعلك تظنّ أن أباك قال هذه المقالة رغبة منه في عليّ ؟ والله لأن أكون ذباباً أنتقل على الجيف أحبّ إليّ أن أدخل فيما دخل فيه عليّ ، ولكنه قال فيه غير الحق ، وسألنا بالله : «أما صدقتُ ؟» فأخبرناه أنه لم يصدق . وأن عليا غير مطعون عليه في بطن ولا فرج ولا نسب ولا سابقة . ووالله ما ميتة أحبّ إليّ من ميتة عند كلمة حق تخرج من فيّ» . ثم إن بسر بن أرطاة[2] حبس بني زياد ، وكتب إلى أبيهم يعلمه أنه إن لم يقدم صلبهم . فخرج أبو بكرة إلى معاوية ، فكلمه في أن يؤمنهم ففعل ، وكتب إلى بسر بذلك . فلما أورد أبو بكرة كتابه ، أطلقهم بسر . وكان قدوم أبي بكرة على معاوية بالكوفة . فيقال إنه قال له : إن الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الأطفال . فقال : وما ذاك ؟ قال : ولد زياد . فأمر عند ذلك بالكتاب في أمرهم .

قالوا : وكان عبد الرحمن بن أبي بكرة يلي ما كان لزياد بالبصرة . فبلغ معاوية أن لزياد أموالاً عنده . وكان زياد قد كتب إليه في إحرازها تخوفاً من أن يعرض لها معاوية فكتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة في أخذ عبد الرحمن بتلك الأموال . وكان يحفظ لزياد تركه الشهادة عليه بالزنا . فغيب عن عبد الرحمن ، وقال له : لئن كان أبوك أساءني ، لقد أحسن عمك ، ولأحفظنّ لك ذلك ، وعذر في عذابه ، فألقى على وجهه حريرة مبلولة بالماء ، فلصقت

١ ـ نهاية السقط من الأصل .
٢ ـ في هامش الأصل : يقال فيه بُسر بن أرطاة ، وبسر بن أبي أرطاة ، معا .

بوجهه حتى غشي عليه . ففعل به ذلك مرات ، ثم خلى سبيله وكتب إلى معاوية : إني لم أصب عنده شيئاً وقد بالغتُ في عذابه واستقصيتُ عليه .

ـ ويروي عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه سمع النبي ﷺ يقول : «لا تطلب الإمارة ، فإنك إن أوتيتها عن غير طلب أعنت عليها ، وإن أعطيتها عن طلب وُكلت إليها»[1] .

أخبار عبد الرحمن وعبيد الله ابني أبي بكرة

وحدثني ابن مسعود الكوفي ، عن عوانة قال :

قيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة : ما بلغ من تنعمك ؟ قال : «لي ثلاثة خبازين ، فليس منهم خباز إلا وهو يأتيني بثردة لا تشبه صاحبتها . ولم أدخل الحمام خالياً قط ولا ممتلياً قط ؛ ولم تأت عليّ ليلة إلا وفي بطني عسل ، وفي رأسي بنفسج ، وفي رجلي زنبق .

ـ قالوا : وأراد زياد الحجّ ، فأتاه أبو بكرة وهو لا يكلمه ، فدخل عليه وأخذ ابنه وأجلسه في حجره ليخاطبه ويسمع زيادا ، فقال : إنّ أباك هذا أحمق ، قد فجر في الإسلام ثلاث فجرات ، أما أولتهن فكتمانه الشهادة عن المغيرة ، وقد يعلم الله أنه رأى ما رأينا ؛ وأما الثانية فانتفاؤه من عبيد وادّعاؤه إلى أبي سفيان ، وأقسمُ قسما صدقاً أن أبا سفيان لم ير سمية قط في ليل ولا نهار ؛ وأما الثالثة فإنه يريد الحج وأم حبيبة زوج رسول الله ﷺ هناك وقد ادّعى أنها أخته فإن أذنت له كما تأذن الأختُ لأخيها فأعظم بها مصيبةً على رسول الله ﷺ ، وإن هي حجبته وتسترت منه أعظم بها حجةً عليه ، ثم

١ ـ في هامش الأصل : المعروف أن النبي ﷺ قال ذلك لعبد الرحمن بن سمرة . انظر ترجمته في أسد الغابة ج ٣ ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ .

ولى أبو بكرة خارجاً . فقال زياد : ما تترك النصيحة لأخيك على حال . وترك الحج في تلك السنة .

- حدثني شيبان بن فروخ الأُبلي ، ثنا أبو هلال الراسبي ، ثنا الحسن قال :

انطلقتُ أنا وأنس بن مالك إلى أبي بكرة نعوده ، وكان به عرق النساء ، فقال له أنس : «يا أبا بكرة ، فيم تجد على أخيك زياد ؟ فإن كنتَ تجد عليه في شأن الدنيا ، فإنه يقول : قد استعملت ابنه على الديوان ، واستعملتُ ابنه الآخر على كذا ، واستعملتُ ابنه الآخر على مدينة الرزق ، وما أبالي أوليّتُ رجلاً مدينة الرزق أم فتحتُ له بيت مالي وقلتُ : خذ ما شئتَ . وإن كنتَ تجد عليه في أمر الآخرة ، فإنه والله مجتهد» . فقال أبو بكرة : والله إنه لمجتهد ؟ قال أنس : والله إنه لمجتهد . قال أبو بكرة : الحرورية أيضاً يزعمون أنهم قد اجتهدوا ، قال أبو هلال : وكان عبد الرحمن على بيوت الأموال ، وعبيدالله على سجستان .

حدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي ، ثنا حماد بن سلمة ، عن عوف ، عن أبي عثمان :

أنه قيل لأبي بكرة : إن الناس يزعمون أنك تجد على معاوية وزياد في أمر الدنيا . فقال أبو بكرة : «وأية دُنيا أعظم من استعماله عبيد الله بن أبي بكرة على سجستان وأمور النيران ، واستعماله عبد الرحمن على كذا . لا والله ، ولكن القوم كفروا صُراحية» .

وقال أبو يحيى عبد الأعلى بن حماد ، قال أبو سلمة حماد بن سلمة : ولّى زياد عبيد الله بن أبي بكرة إطفاء النيران ، وهدم بيوتها ، وأخذ

ما جمع فيها من الهدايا التي كان المجوس يتقربون بها ، والأموال المعدة لنفقاتها . فصار إليه ، فيما يقولون ، أربعون ألف ألف درهم . فما أتى عليه الحول حتى أنفقها ، وأدان[1] .

ـ حدثني أبو الحسن المدائني، قال:

كان أبو بكرة يقول: من أحبَّ البقاء فليوطن نفسه على المصائب. وكان يؤمّ الناس في شهر رمضان.

قال: وكان عبد الرحمن قد أسنّ وشارف التسعين . وكان يقول : إن الجلوس في البيت مهرمة ويخرج في كل يوم إلى المربد ، فخرج يوماً يريد المربد، فلما صار ببعض الطريق إذا هو بفتى على فرس يمرح. فقال لعبد الرحمن، وهو هازىء به: يا شيخ إنك لطويل العمر، أفلا تعقب؟ فقال له عبد الرحمن: يابن أخي لا تقل هذا لعمك، فلربَّ شابّ كان أشد مرحاً منك قد طبقت باللبن على استه، فما مضى الفتى بعيداً حتى نفر به فرسه فسقط عنه واندقت عنقه، ولم يصل عبد الرحمن إلى منزله حتى بلغه خبر الفتى، فحضر جنازته. وكان يقول: موت الولد يصدع القلب، وموت الأخ قاصمة الظهر .

ـ وكان زياد حين شخص من فارس، قدم عبدُ الرحمن أبي بكرة فأتى الكوفة، ثم صار منها إلى الشأم، فعرّف معاوية خبر زياد. وكان جزلاً .

ـ وقال أبو اليقظان: كان عبد الرحمن أول مولود وُلد في الإسلام بالبصرة. وكان له قدر، وفضل، وكرم، وتنعم. وكان عليّ عليه السلام ولّاه بيتَ المال. وولّاه زياد أيضاً بيت المال. وفيه يقول أبو الأسود الدولي، وكان

١ ـ في هامش الأصل : آخر المجلد الخامس منها ، ولله كل حمد وفضل .

عبد الرحمن يكنى أبا بحر:

أبو بحر أعم الناس فضلا علينا بعد حيّ أبي المغيرة
لعمرك ما نهضتَ بنفس سوء بها وهنٌ ولا همم قصيره[١]

وقال أبو اليقظان: بنى أبو الأسود داراً. فكتب إلى عبد الرحمن يطلب منه جذعاً لدار:

ألا أبلغ أبـا بحر خليـلي فنعم أخو المودّة ذا الخليلُ
بأن قد تمَ بعـدكم بنائي وضن عـليّ بالمعـروف قيلُ
فهب لي من جذوعكم جذوعا وأكثر ليس خيركم الغليل[٢]

فبعث إليه بما طلب. ومات عبد الرحمن بالبصرة.

ـ قالوا: وقدم عبيد الله بن أبي بكرة على زياد قبل مرضه الذي مات فيه بيوم أو يومين. فأمر زياد سُليما مولاه بمحاسبته والاستقصاء عليه، وقال: إنه مسرف متلف. وكان جواداً. وقال له: ياسليم لاتقولن: «ابن أخي الأمير»؛ فإنك إن أصبحتَ ولم تعرفني خبره فيما جرى على يده، لقيتَ مني ماتكره. فدعا سليم بالسرج والكتاب، وأحضر عبيد الله وعماله. فبينا سليم في ذلك، إذ جاءه رسول زياد، وإذا هو شديد العلة. فشغلوا عنه. ومات زياد بالكوفة، وهو أميرها وأمير البصرة، وعامله على البصرة سَمُرة بن جُنْدب. أصابته حمة شديدة، ثم أصبح وإصبعه تضرب عليه من عرفة[٣] عرضت له فيها. وذلك في سنة ثلاث وخمسين. وصلى على زياد: عبدُ الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، وولي الكوفة بعده لأنه أوصى بذلك؛

١ ـ ديوان أبي الأسود ـ ط. بغداد ١٩٥٣ ص٢١٤ ـ ٢١٥ مع فوارق.
٢ ـ ليسوا في ديوانه المطبوع.
٣ ـ في هامش الأصل: العرفة قرحة تخرج في بياض الكف.

فكان عليها حتى ولى عبيد الله بن زياد.

ـ حدثني أبو محمد التوزي، عن الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء قال:

وقفت امرأة من الأعراب على عبيد الله بن أبي بكرة، وهو أحد أجواد العرب المذكورين، فقالت: «إني أقبلتُ من أرض شاسعة، ترفعني رافعة وتخفضني خافضة، لملحاتٍ من البلاء، برين جسمي، وهضمن عظمي، وتركنني ولهى أمشي بالحضيض، وقد ضاق بي البلد العريض، مع كثرة من الولد، لاسبد لهم ولا لبد. فسألتُ في أحياء العرب: من المرء المرجو خيره، المحمود نيله، الكريمة شمائله؟ فدللتُ عليك. وأنا امرأة من هوازن. فافعل بي واحدة من ثلاث: إما أن تردّني إلى بلدي، أو تقيم أودي، أو تحسن صفدي». قال: بل أجمعهن لك. ففعل.

ـ وحدثني محمد بن عثمان مولى الكريزيين، حدثني أبي:

أن عبيد الله [بن عمر] بن عبيد الله بن معمر التيمي، من قريش، دخل على عبيد الله بن أبي بكرة وهو في دار قد ابتناها في سكة سمرة بالبصرة، وأنفق عليها عشرة آلاف دينار، فاستحسنها عبيد [الله بن عمر]. فقال له ابن أبي بكرة: هي لك بجميع مافيها من الفرش والآلة والرقيق. فقال: بل يمتعك الله بها ويعمرها بك. فحلف عليه ليقبلنها، وخرج عنها. فهي اليوم تعرف بدار المعمريين.

ـ وحدثتُ أن عمرو بن أبي سيارة المزني كان يصّلى في بيته في ولاية ابن أبي بكرة، فسمع خشفة في البيت، فقام عند الباب. فخرج عليه رجل كالجمل المحجوم، فضرب بالباب في وجهه، وضربه عمرو بالسيف وأخذه

مواليه وعبيده فرفعوه إلى ابن أبي بكرة. فسأله عن الخبر. فقال: أنا رجل قصاب، لقيني عمرو وضربني، وذكر أني لص. فدعا ابنُ أبي بكرة عمرا، فسأله عن قصة الرجل. فأخبره فقطع يده.

ـ وحدثني أبو الحسن المدائني، عن مسلمة قال:

لما ولي سعيد بن عثمان بن عفان خراسانَ من قبل معاوية، أتى المدينة ليصلح من شأنه، فلقي عبيد الله بن أبي بكرة بها وهو يريد الحج. فأتاه فعرض عليه ماعنده. فقال: إنّ أحبّ مالي إلي ما أعنتُ به مثلك ورفدته به، فكتب له كتاباً إلى سليم الناصح مولاه، يأمره فيه أن يدفع إليه عشرين ألفاً، وعشرين بغلا، وعشرين برذَوناً، وعشرين بعيراً، وكسوة، وآلة عدّدها. فلما قدم سعيد البصرة، قال: لاأرى ابن أبي بكرة إلا قد غرنا، فقيل له: لاعليك؛ أوصل كتابه. فلما أوصل الكتاب إلى سليم، وقرأه، أحضر جميع ماكتب به إليه عبيد الله، فدفعه إليه. ثم قال: هل لك من حاجة أخرى؟ فقال سعيد: أو لو كانت لي حاجة أخرى غير ما كتب به صاحبك، فأكنت[1] قاضيها لي؟ قال: أما مثل ماأعطاك، فإني كنت أعطيك إياه من مالي. وقال سعيد:

لاتخفرن صحيفةً مختومة　　وانظر بما فيها فكاك الخاتم
إن الغيوبَ عليكم محجوبةٌ　　ألا تظنى جاهل أو عالم

قال: وسليم هذا صاحب «أصفر سليم»، وكان دواء يتخذه للأجر.

ـ وحدثني المدائني، عن شيخ من ثقيف، عن بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة قال:

١ ـ بالأصل: قال كنت، وهو تصحيف واضح.

استخلف عبيد الله بن أبي بكرة على سجستان، حين وفد على زياد مع رتبيل وابن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي. فلما رجع إلى سجستان، أمر له بما في بيت مالها.

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء، وأبو الحسن المدائني، عن مسلمة بن محارب قال:

خرج عمر بن عبيد الله بن معمر زائراً لابن أبي بكرة إلى سجستان، فأقام أشهرا لايصله. فقال له عمر: إني قد اشتقتُ إلى بلدي وأهلي. فقال عبيد الله: سوءة من أبي حفص، أغفلناه؛ كم في بيت المال؟ قالوا: ألف ألف وسبع مائة ألف. قال: احملوها إليه. فحملت إليه.

حدثني المدائني، عن مسلمة وخلاد بن عبيدة، قالا:

أقبل عبيد الله بن أبي بكرة من بعض النواحي، فعطش. فلما كان بالخريبة من البصرة، استسقى من منزل امرأة. فأخرجت كوزاً أو قدحاً، وقامت خلف الباب وقالت: ليأخذه بعض غلمانكم، فإني امرأة من العرب ماتت خادمي منذ أيام. فأخذ الغلمانُ الكوزَ، فشرب وقال لغلامه: احمل إليها عشرة آلاف درهم، قالت: ياسبحان الله، أتسخر منا؟ فقال: أحمل إليها عشرين ألف درهم. فقالت: أسأل الله العافية. فقال: ياأمة الله، كأنك لاترينا أهلا أن تقبلي منا صلتنا؛ أحمل إليها ثلاثين ألف درهم. فأغلقت الباب، وقالت: أف لكم. فحمل إليها غلامه ثلاثين ألف درهم، فلم تُمْسِ حتى كثر خطابها.

ـ المدائني، عن خلاد بن عبيدة، عن هشام بن حسان قال:

مرض رجل من بني قطيعة، وأصابته ريح فتشنج عصبه. فقال له

الأطباء: اجلس في لبن الجواميس، فقال: وأنى لي من لبن الجواميس بما أجلس فيه؟ فقيل له: التمس ذلك من عبيد الله بن أبي بكرة، فحمل على السرير حتى وُضع على بابه ومعه رجال من قومه، وجاء عبيد الله، فقال: ماحاجتكم؟ فأخبروه. فقال لوكيله: كم لنا بالطف من الجواميس؟قال: ثماني مائة. قال: اصرفها إلى هذا الرجل، فقال: ياأبا حاتم، لستُ أحتاج إليها، إنما أريدها عارية. فقال: نحن لانعير الجواميس. فصرفت إليه بما فيها من الإناث والذكور.

المدائني،عن مسلمة، عن بشر بن عبد الله قال:

أعطى عبيدُ الله بن أبي بكرة، عمرَ بن عبيد الله بن معمر سبع مائة جريب، فمرض سويد بن مَنْجُوف، فعاده عبيد الله فقال: كيف تجدك؟ قال: صالحاً إن شئت، قال: قد شئتُ؛ فماذا تريد؟ قال: أعطني كما أعطيتَ ابن معمر، وليس بي بأس. قال ذلك لك. قال مسلمة: فأقطعه خمس مائة جريب، فهي تسمى سويدان. وقال خلاد بن عبيدة: سبع مائة جريب: ثلاث مائة بالغوثية، وأربع مائة بالمسيرقان ناحية نهر مَعْقِل[1].

حدثني المدائني، عن مسلمة، عن أبيه قال:

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: لاتستعمل عبيد الله بن أبي بكرة على الخراج والجباية، فانه أريحي. وقال سحيم بن حفص: ضمن ابن أبي بكرة عن عمر بن عبيد الله بن معمر ستة آلاف ألف درهم. فحلف عمر ألا يراه راكباً إلا نزل، ولاجالساً إلا قام له.

حدثني المدائني،عن عامر،عن أشياخه.

١ ـ بالبصرة.

أن عبيد الله بن أبي بكرة أعطى أنس بن مالك، وعمرانَ بن الفضيل البرجمي، وعبيد الله بن زياد بن ظبيان ثلاث مائة ألف درهم: لكل امرىء مائة ألف درهم. فقال أنس: سوّاني بهذين الأعرابيين؛ وغضب. وغضب عمران وقال: سوّاني بهذين.

- حدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي قال:

بلغني أن المنذر بن الجارود العبدي سأل عبيد الله بن أبي بكرة أن يتغدى عنده، ففعل، فلما انصرف، بعث إليه بثمانين ألف درهم. ثم دعاه، فتغدى عنده مرة أخرى، فبعث إليه بأربعين ألفا. ثم دعاه، فتغدى عنده، فقال: ياأبا حاتم، نقصتنا؟ فقال له: لو كان عندي ماكان يكون، لم أقصر عما يجب لمثلك، وسيأتيك ما يمكن. فبعث إليه بأربعين ألف درهم.

- حدثني التوزي، عن الأصمعي، عن أبي عمرو قال:

ولى خالدُ بن عبد الله بن خالد، عبيدَ الله بن أبي بكرة قضاء البصرة، وولى زيادَ بن عمرو العتكي الشرطة. فقال ابن أبي بكرة: لو تقدم إليّ شاهد على حقّ، وله بنون قد بلغوا لم يعلمهم السباحةَ، لأسقطتُ شهادته وعلمتُ أنه مضيع قليلُ الحزم والتيقظ. قال: ولما ولى عبدُ الملك خالدا البصرة، قدم إليها عبيدُ الله بن أبي بكرة خليفة. فقال له حُمران بن أبان: قد جئتُ، لاجئتَ. وكان حمران حين قتل مصعب قد وثب فضبط البصرة. فكان ابنُ أبي بكرة على البصرة حتى قدم خالد، فولّاه القضاء.

وحدثني المدائني، عن سحيم بن حفص قال:

ضرب عبيد الله بن أبي بكرة ملّاحاً وجده لايحسن السباحةَ. وذلك حين توجه يريد سجستان. ونظر إلى أكار له لايحسن السباحة، فأخرجه عن أرضه.

ـ وحدثني المدائني ، عن خلاد بن عبيدة قال :

عشق ابنُ مفرّغ الحميري امرأةً بالأهواز ، فكان يدّان وينفق عليها ، فأخذه غرماؤه غيرَ مرّة . فقال له عبيد الله بن زياد : لئن أعادوك إليّ بعتك لهم . فعاد غرماؤه إلى تقديمه ، فقال ابن زياد : بيعوه . فقال لهم أبوه : والله ما له ثمن ؛ ولكنا نسأل الناس . فأقعدوه على الطريق . فجعل الرجل . يمرّ به فيضمن عنه الألف والألفين ، حتى مر به عبيد الله بن أبي بكرة فقال : كم عليك ؟ قال : ثمانون ألفا . قال : هي عليّ ؛ وأدّن بعدها في مالي ما شئتَ . فقال ابن مفرّغ .

لو شئتَ لم تشق ولم تُبْغَ   عشتَ بأسباب أبي حاتم
عشتَ بأسباب الجواد الذي   لا يختم الأموال بالخاتم
ما دون معروفك قفلٌ ولا   أنت لمن يرجوك بالحارم
الواهب الجردَ بأرسانها   والحامل الثقل عن الغارم
والمطعم الناسَ إذا حادرتْ   ريحُ الصبا في الزمن العارم
والطاعن الطعنةَ يوم الوغى   يوقظ منها سنةَ النائم[1]

وحدثني أبو علي الحرمازي ، عن أبي محمد القرشي ، عن لبطة بن الفرزدق قال :

أتى أبي عبيد الله بن أبي بكرة ، وعليه دين ، فقضاه عنه ، ووهب له عشرة آلاف درهم ومائة من الإبل . فقال فيه :

أبا حاتم ما حاتم في زمانه   ولا النيلُ يرمي بالسفين غواربهُ

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ الحميري ـ ط . بيروت ـ مؤسسة الرسالة ، ص ١٩٧ ـ ٢٠٠ مع فوارق .

بأجودَ عند المحل منك ولا الذي علا بعباب سور عانة ثائبه
يداك يدٌ تعطي الجزيلَ تبرّعا ومهلكة يشقى بها من تحاربه
فلو عُدّ ما أعطيت من ألف قينة وأجردَ خنديذ[1] طويل ذوائبه
ليعلم ما أحصاه فيمن أشعْتَه جميعاً إلى يوم القيامة حاسبه
تداركني من خالد بعدما التقت على جثتي أنيابه ومخالبه[2]

- وحدثني التوزى ، عن القحذمي قال :

كان عبيد الله بن زياد أول مولود وُلد بالبصرة . فنحر أبو بكرة جزورا أطعمها المسلمين . قالوا : وحمل عبيدُ الله بن أبي بكرة بسجستان في يوم واحد على ألف قارح .

في الحمام

- قالوا : واتخذ مسلم بن أبي بكرة حماما ، ولم يكن بالبصرة غيره . فكان يستغله في كل جمعة ألف درهم وكرَّي حنطة . فقال له أبوه : يا بنيّ نفقتك شبيه بنفقة أخويك ، ولستَ في شيء من أمر السلطان ، فما هذا ؟ فأخبره خبر حمّامه . ثم إنّ سياه الأسواري ، والمنجاب صاحب حمام منجاب ، وريطة امرأة زياد سألوا أن يبتنوا حمامات ، فأجيبوا إلى ذلك .

- وحدثني المدائني ، عن مسلمة وخلاد بن عبيدة ، قالا :

تذاكر قوم من وجوه أهل البصرة الجدا ، الباردة والحارّة أيهما أطيب ؟ وعبيد الله بن أبي بكرة حاضر ، فسئل عن ذلك ، فلم يدر ونظر فإذا هو قد اشتري له في سنة واحدة من الجِدا بثمانين ألف درهم . فقال سويد بن منجوف : الكريم غرّ .

١ - الخنذيذ : الفحل . القاموس .
٢ - ديوان الفرزدق - ط . دار صادر بيروت ج ١ ص ٥٤ مع فوارق .

ـ وقال الواقدي : نُفيع أبو بكرة مولى النبي ﷺ ، وكان رجلا صالحاً ورعاً . وولده يقولون : نفيع بن الحارث الثقفي . وكان أبو بكرة يُنكر ذلك وقال لابنته ، حين حضرته الوفاة ، إندبيني ـ ابن مسروح الحبشي ـ ومات في ولاية زياد البصرة ، وكان أخا لأمه سمية .

ـ المدائني عن خلاد بن عبيدة ، عن عوانة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال :

كتب أبو بكرة إلى عبيد الله ابنه وهو على سجستان : لا تحكم بين اثنين وأنت غضبان ، فإنّ رسول الله ﷺ كان يقول : «لا يحكمن حاكم بين اثنين وهو غضبان» .

ـ حدثني المدائني ، عن خلاد بن عبيدة قال :

لما قدم سَلم بن زياد خراسانَ ، وافقَ عمر بن عبيد الله بن معمر أميراً على البصرة من قبل عبد الله بن الزبير . فأتاه فأقعده معه . ثم استأذن عليه عبيد الله بن أبي بكرة ، فقام إليه فحمله على دابته حتى أدخله فأجلسه معه . فغضب من ذلك سلم ، فقال له عمر بن عبيد الله قدمتُ عليك خراسان فاستعملتَني على كُويرة ثم عزلتني عزلًا قبيحاً ، وأتيتُ هذا بسجستان فاستخلفني عليها ثم أمر لي بما في بيت مالها .

ـ وأم عبيد الله وعبد الرحمن ابني أبي بكرة هولة ، من ولد الحرّ العجلي .

ـ وقال زياد لخاصته من أهله : من أحبّ منكم الإذن مع العامة ، أحسنتُ إذنه ولم يقربني في خاصتي ، ومن أحبّ أذنتُ له في خاصتي ولم يقربني في العامة إلا لأمر يحدث . فاختار ابن أبي بكرة إذن العامة .

ـ وحدثني المدائني قال :

بعث الحجاجُ عبيدَ الله بن أبي بكرة إلى عبد الملك يسأله أن يوليه خراسان وسجستان . فقال عبد الملك لعبيد الله : إن شئت جمعتهما لك . فقال : لا حاجة لي فيهما ، لأني لا أخون رجلا بعثني في حاجته . فقال : ما كنتُ لأعزل أميةَ للحجاج ثم إنه ولى الحجاج خراسان وسجستان ، فولى المهلب سجستان وولى ابن أبي بكرة خراسانَ . فغم ذلك المهلبَ . فلقي عبد الرحمن بن عبيد بن طارق السعدي ، وكان على شرط الحجاج ، فقال : إن عبيد الله بن أبي بكرة أعلم بسجستان قد وليها ، وأنا أعلم بخراسان كنتُ بها مع الحكم بن عمرو الغفاري وغيره . فقال له : عليك بزذان فروخ بن بيرى فكلمه ليعينني . فتكلم عبد الرحمن بن عبيد ، وأعانه زَذان فروخ ، فنقل المهلب إلى خراسان ، وعبيد الله بن أبي بكرة إلى سجستان . قال أبو الحسن المدائني : وسئل شيخ من أهل سجستان عن عمالهم ، فقيل له : من كان أعظمهم في أعينكم ، وأجلهم في صدوركم ؟ فقال : عبد الرحمن بن سمرة ، ثم عبيد الله بن أبي بكرة كان أحسنهم سياسة . وكان عباد بن زياد أضبطهم . وكان طلحة أسخاهم ، ثم جاء ابن أبي بكرة فوهن وخار وأهلك جنده . وكان سَلَكَ مَضِيقاً . فأخذ عليه فهلك جنده .

ـ قالوا : ومات عبيد الله بِبُشْت[1] كمداً لما أصابه ونال العدوّ منه . ويقال : اشتكى أذنه وكان موته منها في سنة ثمانين . قال مجاهد المنقرى يرثي عبيد الله بن أبي بكرة :

إنّ الجواد إذا الرياح تناوحتْ　　بالريح أصبح ما يثمر مـالا

١ ـ بشت : بلد بنواحي نيسابور . معجم البلدان .

لو صاحب السُّمَحاء كعباً ذا الندى أو حاتما كانا عليه عيالا
أو طلحةَ الطلحات في عدّاته أيام يطعم ما تهب شَمالا
يا أكرم الأمراء في سلطانه وأقلهم كبرا خلقتَ ثمالا[1]
قد طال ما سُستَ الجنود فلم تكن نزقا تسيء بهم ولا تنبالا
قد فُقتَ بالمصرين كل سميدع وغلبتَ من نزل الحجاز فعالا
والشأم لو قاسوا به سمحاءهم لسبقت حلبتهم معا أميالا

وقال الحجاج الجشمي :

أبا حاتم في أيّ شيء جفوتني وأنت غني عام ذاك أميرُ
وأنت جواد تنهب الناسُ مالكم لكل غني عندكم وفقير
فكيف حُرمنا ذاك منكم وأنتمُ على من سوانا روضة وغدير
أبا حاتم إنا سراة أناسنا قديماً نُسدّي أمرهم وننير
يقول رجال لا يضرك فقدُهم بلى إنّ فقد الصالحين يضير

وقال واثلة السدوسي يهجوه :

هل يُذهبنْ عنك مسروحا وحَلْبته ربط البراذين أو تشييدك الدورا
إنّ الأساود لن تلقى عطاءهم في الصالحات ولا في الخير مذكورا
أولاد أسودَ نوبيّ له ذفر لم يجعل الله في ألوانهم نورا

وقال ابن مفرّغ :

كان الجوادُ عبيدُ الله أكرمهم في كل حق ينوب الناس مذكور
حلو الشمائل لا تحصى مواهبه قَرْمٌ لقَرْمٍ نماه المجد والخير
يعطي الجزيل بلا منّ ولا نكد ولا ينحّله خلف وتعذير

١ ـ الثمال : الغياث الذي يقوم بأمر قومه . القاموس .

أعني أبا حاتم الفياضَ كان لنا عضداً فأضحى جناحي وهو مكسور[١]

قال : وكان سُليم مولى عبيد الله يقول : ختمتُ خاتمي هذا على أربعين ألف ألف درهم ، فما حال الحول وعندنا منه شيء ، وكان عبد الملك ، إذا ذكر ابن أبي بكرة ، يقول : الأسود سيد أهل المشرق ، وكان عبيد الله آدم شديد الأدمة ، مفلج الثنايا ، طوالا ، أبرج[٢] العينين ، ضخم الرأس ، غليظ الوسط .

ـ حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن عوانة بن الحكم قال :

خرج أبو بكرة إلى الكوفة ليكلم معاوية في أمر بني زياد حين أخذهم بُسر بن أبي أرطاة فلما دخل عليه ، قال : أزائر ، أم نزعت بك حاجة يا أبا بكرة ؟ فقال : لا أقول باطلا ؛ ما جئتُ إلا في حاجة . قال : تُشَفَّع يا أبا بكرة ، وتُرى لذلك أهلا ؛ فما حاجتك ؟ قال : تؤمن زياداً وولده . قال : أما زياد فللمسلمين عنده مال ، إذا أداه فهو آمن ؛ وأما ولده فنخلي سبيلهم ، وكتب إلى بسر في ذلك . فلما ودعه ، قال : يا أبا بكرة ، اعهد إلينا عهداً . فقال : نعم : أعهد إليك أن تنظر لنفسك وتعمل صالحاً ، فإنك قد تقلدت أمراً عظيماً : خلافة الله في خلقه ، فاتق الله ، فإن لك غاية لن تعدوها ، ومن ورائك طالب حثيث لن تفوته ، فيوشك أن تبلغ بك المدى ويلحقك الطالب فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه وهو أعلم بك من نفسك ، وإنما هي محاسبة وتوقيف ، فلا تؤثرن على رضاء الله شيئاً .

ـ وقال الهيثم بن عدي : دخل عبد الرحمن بن أبي بكرة على الحجاج ،

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ الحميري ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .
٢ ـ الأبرج : من بياض عينه محدقاً بالسواد كله .

فقال له: ما أذهب أسنانك ؟ قال: أكلُ الحارّ وشرب القارّ. قال فما طعامك ؟ قال : النَّقي بلحوم صغار المعز . قال : فما شرابك ؟ قال : ما حلّ قليله وحُرم كثيره . قال : فما الذي بَقَّى طرتك ؟ قال : لم تأت عليّ ليلة إلا تمرختُ فيها بالبنفسج من قرني إلى قدمي . قال : فما زال الحجاج يتمرخ حتى مات .

أبو طيبة :

ـ قالوا : وكان أبو طيبة لبعض الأنصار ، وكان يحجم رسول الله ﷺ بالمدينة .

فحدثني النرسي ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن أنس

أن أبا طيبة حجم رسول الله ﷺ له ، فأمر له بصاعين من طعام . وكلم أهله ، فوضعوا عنه من خراجه .

عبيد :

ـ ويقال إنه كان لرسول الله ﷺ مولى يقال له عُبيد . روَى عنه حديثين في امرأتين صامتا في عهد رسول الله ﷺ ، فجلست إحداهما إلى الأخرى ، فجعلتا تأكلان لحوم الناس .

أنس بن مالك :

ـ وحدثني مظفر بن مُرَجىّ ، حدثني أبو يزيد الغساني الدمشقي ، ثنا ابن أبي مريم ، عن يحيى بن أيوب ، عن حميد عن أنس

أن أمه أم سليم أخذت بيده مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فقالت : يا رسول الله هذا ابني وهو غلام كاتب ، ولم يكن بلغ الحلم . قال : فخدمته تسع سنين ، فما قال لي قط أسأت ، أو بئس ما صنعتَ .

لباس رسول الله ﷺ

- حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا الواقدي ، عن عمر بن محمد ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال :

ترك رسول الله ﷺ عشرة أثوابَ : ثوب حِبرة ، وإزاراً عمانيا ، وثوبين صحاريين ، وقميصاً صحارياً وقميصاً سحولياً ، وجبة يمنة ، وملحفة مورّسة وكان يلبسها في بيوت نسائه ، وخميصة ، وكساء أبيض ، وقلانس صغاراً لاطية ثلاثاً .

حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثنا عباد بن عباد ، عن هشام بن حسان ، عن بكر بن عبد الله المزني قال

كان لرسول الله ﷺ ملحفة مصبوغة بورس أو بزعفران . وإذا كان يوم إحداهن ، يعني نساءه ، ذهب بها إليها ، ورشّ عليها الماء لتؤخذ رائحتها .

وقال عباد ، قال هشام ، قال ابن سيرين :

بلغنا أن نبينا ﷺ كان يلبس القطن والكتان واليمنة ، وأنه صلى في نعلين مقابلتين[1] .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة ، عن أبي الزبير ، عن جابر

أن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء .

حدثني هشام بن عمار الدمشقي ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن مساور الوراق ، عن جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه قال :

رأيتُ النبي ﷺ يخطب على المنبر وعليه عمامة سوداء .

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال :

كانت لرسول الله ﷺ قلنسوة أسماط ، يعني جلوط ، وكانت فيها ثقبة .

حدثني هشام بن عمار ، ثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر

أن رسول الله ﷺ قاتل يوم خيبر على بغلته الشهباء وعليه ممطر سِيجان ، وعليه عمامه ، وعلى العمامة قلنسوة من الممطر السيجان . قال هشام : والساج الطيلسان الأسود .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي بردة قال :

دخلتُ على عائشة فأخرجت إليّ إزارين ، إزاراً غليظاً من هذه

١ ـ أي لكل منهما قبال ، وقبال النعل : زمام بين الاصبع الوسطى والتي تليها . القاموس .

اليمانية ، وكساء من هذه التي يدعونها الملبّدة ، فأقسمت أن رسول الله ﷺ قبض فيها .

وحدثنا عفان ، عن سليمان ، عن حميد ، عن أبي بردة ، عن عائشة بمثله .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا أبو صالح شعيب بن حرب ، عن الربيع بن يزيد ، عن أنس قال :

كان رسول الله ﷺ يقنع رأسه[1] حتى يُنْظَر إلى حاشية ثوبه كأنها ثوب زيّات .

وحدثني حفص بن عمر العمري ، عن هشام بن الكلبي ، عن أبيه محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال :

كان لرسول الله ﷺ أثواب صُحارية ، وسحولية ، ويمنية وكتان.

حدثنا سعيد بن سليمان ، ثنا الليث ، عن يحيى بن سعيد ، عن مجاهد قال :

قلت لعائشة : ما كان يعمل رسولُ الله ﷺ في بيته ؟ قالت : كعمل أحدكم : يخيط ثوباً أو يصنع شيئاً .

---

١ ـ بالمسك وسواه .

خيل رسول الله ﷺ وما كان له من الحافر غير الخيل ، ومن الخف والظلف

ـ حدثني محمد بن سعد ، ثنا أبو عبد الله الواقدي ، عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة ، عن أبيه قال :

أول فرس ملكه رسول الله ﷺ فرس ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فزارة بعشر أواق . وكان اسمه عند الأعرابي «الضرِس» ، فسماه رسول الله ﷺ السكب ، وكان أول ما غزا عليه أحد .

ـ وحدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال :

كان لرسول الله ﷺ فرس يدعى المرتجز .

وحدثني الوليد بن صالح ، عن الواقدي ، عن محمد بن يحيى بن سهل قال :

ابتاع رسول الله ﷺ فرسه المرتجز من أعرابي ، من بني مرّة . فرأى الأعرابي فيه رغبة ، فجحد أن يكون باعه إياه ، فشهد له على ابتياعه هذا الفرس خزيمةُ بن ثابت الأنصاري ، ولم يكن شاهداً شراءه . فقال له النبي

ﷺ : كيف شهدتَ ولم تحضر ؟ قال : لتصديقي إياك يا رسول الله ، وأن قولك كالمعاينة . قال : أنتَ ذو الشهادتين . فسمي ذا الشهادتين .

ـ وحدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، عن جده قال :

كانت لرسول الله ﷺ ، عندي ، ثلاثة أفراس :

لزاز والظرِب ، واللُّحيف . فأما لزاز فأهداه له المقوقس صاحب الإسكندرية . وأما الظرب فأهداه له فروة بن عمرو الجذامي ، من عمّان الشأم . وأما اللحيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء الكلابي ، فأثابه فرائضَ من نعم بني كلاب . قال : وأهدى تميم الداري لرسول الله ﷺ فرساً يقال له الورد ، فأعطاه عمرَ . فحمل عليه عمر في سبيل الله ، فوجده يباع فأخذه . وقال الواقدي : سمي اللحيف لأنه كان كالملحف بعُرفه . ويقال : شبّه بلحف جبل وصغر . وسمي الظرب لتشوفه وحسن صهيله . وسمي لزازاً لأنه كان ملزازا موثقاً .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن إبراهيم بن الفضل ، عن أبي العلاء ، عن مكحول قال :

طلعَت الخيلُ وفيها فرس للنبي ﷺ ، فبرك على ركبتيه وأطلع رأسه من الصف ، وقال : كأنه بحر . وروى الواقدي أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل ، فجلس على سَلع ، وطلعت الخيل . فطلعت له ثلاثة أفراس يتلو بعضها بعضاً ، يتقدمها فرسه لزاز ، فلما رآه سرّ به . ثم فرسه الظرب ، ثم السكْب[1] .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ١ ص ٤٨٩ ـ ٤٩٠ .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر

أن رسول الله ﷺ سبق بين الخيل ، فجعل غاية المضمَرة من الحُفياء إلى ثنية الوَداع ـ قال حماد : وأهل المدينة يقولون : بينهما ستة أميال ـ وجعل غاية ما لم تضمر من ثنية الوَداع إلى مسجد بني زُريق .

وروى الواقدي ، عن ابن عباس بن سهل بن سعد بن مالك الساعدي ، عن أبيه ، عن جده قال :

سبقتُ على فرس رسول الله ﷺ الظرب ، فكساني بُردا يمانياً. قال عباس : فبقيَّته عندنا إلى اليوم . وقال الواقدي : سبق أبو أسيد الساعدي ، وهو مالك بن ربيعة ، على فرس النبي ﷺ لزاز ، فأعطاه حلة يمانية .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر الواقدي ، عن معمر ، عن الزهري قال :

كانت بغلة رسول الله ﷺ ، دُلدُل ، من هدية فروة بن عمرو الجذامي .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال :

كانت دُلدل بغلةُ رسول الله ﷺ أولَ بغلة رُكبت في الإسلام ، أهداها المقوقس وأهدى معها حماراً يقال له عُفير .

وقال الكلبي والهيثم بن عدي :

كانت بغلة رسول الله ﷺ التي تسمى دُلدل من هدية المقوقس ، فبقيت إلى زمن معاوية ؛ وأهدى المقوقس أيضاً إليه حماراً يقال له يعفور .

وقال الكلبي : عُفير من هدية فروة الجذامي صاحب البلقاء . وقال الواقدي : كان يعفور من هدية فروة بن عمرو الجذامي ، وعُفير من هدية المقوقس .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، حدثني ابن أبي سبرة ، عن زاهر بن عمرو قال :

أهدى فَروة إلى النبي ﷺ بغلة يقال لها فضّة ، وهبها رسول الله ﷺ لأبي بكر ، وحماره يعفور فنفق منصرفه من حجة الوداع[1] .

ـ وحدثني الأعين ، ثنا الحسن بن موسى الأشيب ، عن يزيد بن عطاء مولى أبي عوانة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة بن عبد الله قال :

كان لرسول الله ﷺ حمار يقال له عفير .

وكانت لرسول الله ﷺ ناقته القصواء من نعم بني قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، ويقال من نعم بني الحُريش بن كعب ، ابتاعها أبو بكر رضي الله تعالى عنه بأربع مائة درهم ، فأخذها النبي ﷺ منه بذلك الثمن . والثبت أنه وهبها له ، فقبلها وهاجر عليها . ولم تزل عنده حتى ماتت . ويقال : ماتت في خلافة أبي بكر . وكانت تكون بالبقيع . ويقال : بنقيع الخيل . وهي تسمى أيضاً الجدعاء والعضباء .

قال الواقدي وحدثني ابن أبي ذئب ، عن يحيى بن يعلى ، عن سعيد بن المسيب قال :

كان اسمها العضباء ، وكان في طرف أذنها جدع .

قال الكلبي . فحدثني معمر ، عن قتاده قال :

١ ـ طبقات ابن سعد ج ١ ص ٤٩١ ـ ٤٩٢ .

قلت لسعيد بن المسيب : ما العضب في الأذن ؟ فقال : قطع النصف فصاعداً . قال الواقدي وغيره : القصواء التي في أذنها قطع يسير ، والعضباء مثلها . والجدعاء التي قطع نصفها .

ـ وحدثني بكر بن الهيثم ، عن محمد بن يوسف الفاريابي ، عن سفيان الثوري ، عن سلمة بن نبيط ، عن أبيه قال :

رأيتُ رسول الله ﷺ في حجته بعَرفَة على جمل أحمر .

ـ وروى الواقدي في إسناد له

أن النبي ﷺ كان يرمي الجمار على ناقة صهباء .

ـ حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ ثابت البناني ، عن أنس بن مالك قال :

كانت العضباء لا تسبق ، فجاء أعرابي على قعود له ، فسابقها فسبقها . فكأنّ ذلك اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : «إن حقاً على الله أن لا يرفع الناس شيئاً إلا وضعه» .

ـ قالوا : وكانت لرسول الله ﷺ عشر لقائح : أهدى إليه ثلاثا منهن سعدُ بن عبادة من نَعَمِ بني عُقَيل ، فكن يرعين بالجماء[1] ، وكان السبع يرعين بذى الجَدْر[2] . ويقال إن سعدا أهدى إحدى الثلاث وأنه ابتاع الاثنتين بالمدينة . وكانت التي أهداها سعد تدعى مهرة ، وكانت من نعم بني عُقيل . وكانت الاثنتان تدعيان الزّباء والشقراء . فكان الثلاث يحلبن ويسرحَ إلى النبي ﷺ بألبانهن كل ليلة . وكن غزاراً .

---

١ ـ الجماء : جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف . المغانم المطابة .
٢ ـ ذو جدر : مسرح على ستة أميال من المدينة ، ناحية قباء . المغانم المطابة .

حدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن هارون بن محمد بن سالم مولى حويطب بن عبد العزى، عن أبيه، عن نبهان مولى أم سلمة، عن أم سلمة قالت:

كان عيشنا أو أكثر عيشنا مع رسول الله ﷺ اللبنُ. كانت لرسول الله ﷺ لقائح بالغابة، فكان قد فرقها على نسائه، فكانت لي لقحة غزيرة يقال لها العريس. فكنا منها فيما شئنا من لبن. وكانت لعائشة لقحة تدعى السمَّراء.

وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه قال:

كان يراح على أهل رسول الله ﷺ كل ليلة بقربتين عظيمتين من اللبن كانت لرسول الله ﷺ. وكانت في لقاحه عدّة لهن غزر: الحنّاء، والسّمراء، والعريس، والسَّعدية، والبَغوم، واليسيرة. وقال بعض المدنيين: وهب البغومَ لسودة.

- وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن موسى بن عبيدة، عن ثابت مولى أم سلمة، عن أم سلمة قالت:

أهدى الضحاك بن سفيان الكلابي للنبي ﷺ لقحة تدعى بُردة، لم أر من الإبل سنا كان أحسن منها ولا أغزر: كانت تحلب ماتحلب لقحتان. فربما حُلبت لأضياف رسول الله ﷺ غبوقاً وصبوحاً[1].

- حدثنا محمد بن سعد، عن الواقدي، عن إبراهيم بن سويد الأسلمي، عن عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس قال:

١ - طبقات ابن سعد ج١ ص٤٩٤ - ٤٩٥ .

كانت للنبي ﷺ منائح سبعة أعنز، ترعاهن أم أيمن.

وحدثنا محمد، عن الواقدي، عن عبد الملك بن سليمان بن أبي المغيرة، عن محمد بن عبد الله بن الحصين قال:

كانت منائح رسول الله ﷺ ترعى بأحد، وتروح في كل ليلة إلى البيت الذي تبيت فيه. قالوا: وكانت منائح رسول الله ﷺ: عَجوة، وزمزم، وسُقيا، وبَركة، ووَرسة، وإطراف، وإطلال.

وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن مسلم بن يسار، عن وجيهة مولاة أم سلمة قالت:

كان لرسول الله ﷺ أعنز سبع، فكان الراعي يبلغ بهن مرةً الجمّاء، ومرة أحدا، وتروح علينا. وكانت لقاحه بذي الجدر، فتأتينا ألبانها بالليل. وتكون بالغابة فتأتينا ألبانها بالليل. وكان أكثر عيشنا اللبن من الإبل والغنم[1].

قال الواقدي: وحدثني خالد بن إلياس، عن صالح بن نبهان مولى التؤمة، عن أبيه، عن أبي الهيثم بن التيهان.

عن النبي ﷺ قال: «ما من أهل بيت عندهم شاة إلا وفي بيتهم بركة».

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج١ ص٤٩٥ ـ ٤٩٦.

ذكر ما كان لرسول الله ﷺ من الغنيمة

- حدثني الحسين بن علي بن الأسود، ثنا عبيد الله بن موسى، أنبأ إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة، عن يحيى بن الجزار قال:

كان لرسول الله ﷺ من الغنيمة خُمس الخُمس.

وحدثني محمد بن الصباح البزاز، ثنا هشيم، عن مطرف بن طريف، عن الشعبي قال:

كان للنبي ﷺ صفي يصطفيه من المغنم: عبد، أو أمة، أو فرس.

وحدثني إبراهيم بن محمد بن عرعرة، ثنا سفيان بن مطرف، عن الشعبي

بمثله.

قال إبراهيم، قال سفيان:

كان الصفي في جميع الغنيمة قبل أن تقسم.

وحدثني محمد بن حيان الحراني، ثنا زهير، عن مطرف قال:

سمعت عامرا، وسأله جرير بن زيد وإسماعيل بن أبي خالد عن سهم

النبي ﷺ والصفي، قال: فتكرّه أن يخبرهما. ثم قال: أما الصفي فغرّة كان يختارها النبي ﷺ من المغنم، إن شاء فرسا، وإن شاء جارية، وإن شاء ماشاء. وأما السهم فسهمه مع المسلمين. فقلت لمطرف: كرجل منهم؟ قال: نعم. قلت: سوى الخمس؟ فقال: نعم.

- حدثنا محمد بن سعد، عن الواقدي، عن عيسى بن عبد الرحمن الأنصاري، عن عبد الله بن أبي بكر قال:

كان لرسول الله ﷺ صفي من المغنم، حضر رسول الله ﷺ أو غاب، قبل الخمس: عبد أو أمة أو سيف أو درع. فأخذ يوم بدر ذا الفقار، ويوم قينقاع درعاً، وفي غزاة ذات الرقاع جارية، وفي غزاة ذات المريسيع عبداً أسود يقال له رباح، وفي يوم بني قريظة رَيحانة بنت [شمعون بن] زيد، وفي يوم خيبر صفية بنت حيَيّ، وفي يوم حنين فرساً أشقر.

- حدثني القاسم بن سلام، ثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن ابن أبي طلحة، عن عبد الله بن عباس أنه قال:

كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس، فأربعة منها لمن قاتلَ عليها، وخمس واحد يقسّم على أربعة: فربع لله والرسول وذي القربى، يعني قرابة رسول الله ﷺ، فما كان لله وللنبي ﷺ، فهو لذي القربى، ولم يأخذ النبي ﷺ من الخمس شيئاً. والربع الثاني لليتامى. والربع الثالث للمساكين. والربع الرابع لأبناء السبيل[1].

وحدثني بكر بن الهيثم، ثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن

١ - الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص٢٢ .

علي، عن ابن عباس قال:

سهم الله والرسول خمس الخُمس، وسهم ذي القربى خمس الخُمس، ومابقي لليتامى والمساكين وابن السبيل على ثلاثة.

وحدثني أبو صالح الفراء الأنطاكي، ثنا الحجاج بن محمد الأعور، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال:

كان النبي ﷺ يؤتى بالغنيمة، فيضرب بيده فما وقع من شيء جعله للكعبة، وهو سهم الله. ثم يقسم مابقي على خمسة، فيكون لنبي الله سهم، ولذي القربى سهم، ولليتامى سهم، وللمساكين سهم، ولابن السبيل سهم.

وحدثنا أبو عبيد، عن محمد بن كثير عن زائدة بن قدامة، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاءبن أبي رباح قال:

خمس الله ورسوله واحد، كان رسول الله ﷺ يحمل منه ويعطي ويضعه حيث شاء ويصنع به ماشاء[1].

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود، ثنا يحيى بن آدم، عن سفيان الثوري، عن قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد.

في قوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنّ لله خُمُسه﴾، قال: هذا مفتاح كلام ـ لله الدنيا والآخرة ـ و﴿لرسوله، ولذي القربى﴾[2]. واختلف أصحاب رسول الله ﷺ بعده في هذين السهمين، فقال قائل منهم: سهم ذي القربى لقرابة الخليفة، وقال قائل منهم: سهم الرسول للخليفة من

---

١ ـ الأموال لأبي عبيد ص٢٣ .

٢ ـ سورة الأنفال ـ الآية: ٤١ .

بعده. فأجمعوا هذين السهمين في الخيل والعدّة في سبيل الله. فكان خلافةَ أبي بكر وعمر في الخيل والعدّة في سبيل الله[1].

قال التوزي، فحدثني محمد بن إسحاق أنه سأل أبا جعفر عنهما: أين وضعهما عليّ؟ فقال: سلك بهما طريق أبي بكر وعمر، وكان يكره أن يدّعى عليه خلافهما.

حدثنا بشر بن الوليد، ثنا أبو يوسف، عن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس.

أن رسول الله ﷺ كان يقسّم الخمس على خمسة أسهم: لله وللرسول سهم، ولذي القربى سهم، ولليتامى سهم، وللمساكين سهم ولأبناء السبيل سهم.

ـ حدثنا بشر بن الوليد، ثنا أبو يوسف، عن محمد بن إسحاق، عن أبي جعفر، عن عبد الله بن هرمز قال:

كنتُ كاتب عبد الله بن عباس إلى نَجدة، وكتب إليه يسأله عن النساء هل كن يحضرن الحرب مع رسول الله ﷺ، وهل كان يضرب لهن بسهم، وهل كان للعبد في المغنم سهم، ومتى كان يضرب للصبي، ويسأله عن سهم ذي القربى. فكتب إليه إن النساء كنّ يحضرن الحرب مع رسول الله ﷺ، فيرضخ لهن ولايضرب لهن بسهم، وأنه لاسهم للعبد في المغنم، وأنه كان لايضرب للصبي بسهم حتى يحتلم؛ وأن عمر بن الخطاب عرض عليه أن يزوّج من سهم ذي القربى أيمنا، ويقضي عن غارمنا، فأبينا إلا أن يسلمه إلينا، وأبى ذلك علينا.

---

١ ـ الخراج ليحيى بن آدم ـ ط. القاهرة ١٣٤٧هـ ص١٧ ـ ١٨ .

ـ وحدثنا بشر بن الوليد، عن أبي يوسف، عن ابن إسحاق، عن الزهري،عن سعيد بن المسيب

أن عثمان وجبير بن مطعم كلما رسول الله ﷺ في سهم ذي القربى، وقسمته قالا: بين بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف ونحن وبنو المطلب إليكم في النسب سواء. فقال ﷺ: إنا وهم لم نزل في الجاهلية شيئاً واحداً، وكانوا معنا في الشعب كذا ـ وشبك أصابعه[1].

وحدثني وهب بن بقية، عن يزيد بن هارون، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن سعيد

بنحوه.

ـ وحدثنا الحسين بن علي بن الأسود، ثنا يحيى بن آدم، عن ابن أبي زائدة، عن محمد بن إسحاق.

في قوله: ﴿ما أفاء الله على رسوله منهم﴾، قال: من بني النَّضير؛ ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكنّ الله يسلط رُسله على من يشاء﴾[2] قال أعلمهم أنها لرسول الله ﷺ خالصة دون الناس، فقسمها في المهاجرين إلا أن سهل بن حُنيف وأبا دُجانة ذكرا فقراً، فأعطاهما[3].

وقال الواقدي في إسناده: كانت أموال بني النضير خالصة لرسول الله ﷺ، وكان يزرع تحت النخل في أرضهم فيدخل من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة؛ ومافضل جعله في الكراع والسلاح،وأقطع من أموال بني النضير. وكان مخيريق أحد بني النضير، ويقال أحد بني قينقاع،ويقال أحد

١ ـ الخراج لأبي يوسف ـ ط. القاهرة ١٣٨٢ ص١٨ ـ ٢١ .
٢ ـ سورة الحشر ـ الآية: ٦ .
٣ ـ الخراج ليحيى بن آدم ص١٩ .

بني الفِطيون حبرا عالماً، فأسلم وقاتل مع رسول الله ﷺ وأوصى بماله لرسول الله ﷺ، وهو سبعة حوائط، فجعلها رسول الله ﷺ صدقة. وهي المبيت، والصافية، والدلال، وحسنى وبرقة، والأهواف، ومشربة أم إبراهيم.

وأخبرني بعض بني الحارث بن عبد المطلب قال: ومن صدقات رسول الله ﷺ «الحديقة»؛ ولم يدر أمن مال مخيريق هي أم لا.

ـ وحدثني عمرو بن محمد الناقد، ثنا سفيان بن عيينة، عن معمر، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قال عمر:

كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله، ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكانت له خالصة، وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ومابقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله.

حدثنا هشام بن عمار، ثنا حاتم بن إسماعيل، ثنا أسامة بن زيد، عن ابن شهاب، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال:

كان لرسول الله ﷺ ثلاث صفايا: مال بني النضير، وخيبر، وفدك. فأما أموال بني النضير فكانت حبساً لنوائبه، وأما فدك فكانت لأبناء السبيل. وجزّأ خيبر ثلاثة أجزاء: فقسّم جزئين منها بين المسلمين، وحبس جزءاً لنفسه ونفقة أهله؛ فما فضل من نفقتهم، ردّه إلى فقراء المهاجرين.

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود، عن يحيى بن آدم، حدثني إبراهيم بن حميد، عن أسامة بن زيد عن ابن شهاب، عن مالك بن أوس، عن عمر قال:

كانت لرسول الله ﷺ ثلاث صفايا: فكانت أرض بني النضير حبساً

لنوائبه، وجزّأ خيبر ثلاثة أجزاء، وكانت فدك لأبناء السبيل[١].

ـ حدثنا أبو عبد الرحمن القرشي بن عائشة، ثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن أم هانىء

أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت لأبي بكر: من يرثك إذا مت؟ فقال: ولدي وأهلي. قالت: فما بالك ورثتَ رسول الله دوننا؟ ـ تعني نفسها والعباس بن عبد المطلب. فقال: يابنة رسول الله، ماورثتُ أباك ذهباً ولافضّة، ولاكذا، ولاكذا. فقالت: سهمه بخيبر، وصدقته بفدك؟ فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنما هي طعمة أطعمنيها الله حياتي، فإذا مت فهي بين المسلمين».

وحدثني أبو بكر الأعين، ومظفر بن مرجي، قالا ثنا الحسين بن موسى الأشيب، ثنا زهير، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن الحارث، أخي جويرية زوج النبي ﷺ، أنه قال:

والله ماترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولاعبداً ولاأمة ولاشيئاً إلا بغلته الشهباء وسلاحه؛ وأرضاً تركها صدقة.

ـ حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي، ثنا صفوان بن عيسى، عن أسامة بن زيد، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير:

أن أزواج النبي ﷺ أرسلن عثمانَ بن عفان إلى أبي بكر يسألنه مواريثهن من سهم رسول الله ﷺ بخيبر وفدك. فقالت لهن عائشة: أما تتقين الله؟ أما سمعتن رسولَ الله ﷺ يقول: «لا نورث، ماتركنا صدقة، إنما هذا المال لآل محمد لنائبتهم وضيقهم، فإذا متّ فهو إلى والي الأمر بعدي».

---

١ ـ الخراج ليحيى بن آدم ص ٤٢ ـ ٤٤.

قال: فأمسكن.

- حدثنا عمرو بن محمد الناقد، ثنا يزيد بن هارون، أنبأ يحيى بن سعيد، عن بشير بن يسار

أن النبي ﷺ قسّم خيبر على ستة وثلاثين سهماً وجعل لكل سهم مائة سهم. فعزل نصفه لنوائبه، ومن ينزل به. وقسم النصف الباقي بين المسلمين. فكان سهم رسول الله ﷺ فيما قسّم الشقّ والنُّطاة، وما حُيّز معهما.

- حدثنا روح بن عبد المؤمن، ثنا بشر بن عمر الزهراني، ثنا مالك بن أنس، عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قال عمر:

لما تُوفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر للعباس: أنا ولي رسول الله، فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، وجاء هذا -يعني عليا- يطلب ميراث امرأته. وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث، ماتركناه صدقة».

سلاح رسول الله ﷺ:

- حدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، حدثني ابن أبي سبرة، عن عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف قال:

قدم رسول الله ﷺ المدينة في الهجرة بسيف كان لأبيه مأثور.

قال: وحدثني ابن أبي سبرة، عن عبد الرحمن بن عطاء قال:

كانت درع رسول الله ﷺ «ذات الفضول» لسعد بن عبادة، فأرسل بها إلى رسول الله ﷺ حين سار إلى بدر، وأرسل إليه معها بسيف يقال له العضب، فشهد بهما وقعة بدر، وغنمه الله عزّ وجلّ ذا الفقار.

قال الواقدي: كان ذو الفقار لمنبه بن الحجاج. وقال غيره: كان

لنبيه بن الحجاج. وقال الكلبي: كان للعاص بن منبه بن الحجاج.

حدثني محمد بن سعد، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس

أن رسول الله ﷺ غنم سيفه ذا الفقار يوم بدر.

حدثني هشام بن عمار الدمشقي، ثنا محمد بن حمير، ثنا أبو الحكم الصيقل، ثنا مرزوق الصيقل

أنه صقل سيفَ رسول الله ﷺ ذا الفقار، فكانت قبيعته، وحلق في قيده، وبكر في وسطه من فضّة.

محمد، عن الواقدي، حدثني محمد بن عبد الله، عن ابن المسيب

أن رسول الله ﷺ غنم ذا الفقار يوم بدر.

حدثني إسحاق بن أبي إسرائيل، ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس

أن رسول الله ﷺ تنفّل سيفه ذا الفقار يوم بدر.

ـ وحدثني محمد، عن الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن مروان بن أبي سعيد بن المعلى الأنصاري قال:

أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بني قينقاع ثلاث أسياف: سيفاً قلعيا[1]، وسيفاً يدعى بَتّان، وسيفاً يدعى الحَتْف. قال: وكان رسول الله ﷺ بعث عليا إلى القُلَيْس، صنم طيء، فوجده مقلداً سيفين يقال لهما مخذَم ورَسوب. وهما سيفان كانا للحارث بن أبي شَمِر الغساني، يتقلدهما عن يمينه

١ ـ قيل هو نسبة إلى جبل بالشام ينسب إليه الرصاص الجيد، وقيل نسبة إلى كله في أول بلاد الهند، ففيها تضرب السيوف القلعية وهي الهندية العتيقة. معجم البلدان.

وشماله، فنذر: لئن ظفر ببعض أعدائه ليهدينهما إلى القُليس؛ فظفر به، فأهداهما إليه. وهما اللذان يقول فيهما علقمة بن عبدة التميمي:

مظاهر سربالي حديد عليهما   عقيلا سيوف مخذمٌ ورَسوب[١]

وأصاب رسول الله ﷺ من سلاح بني قينقاع ثلاثة أرماح، وثلاث قسيّ: قوس اسمها الروحاء، وقوس من شوحط[٢] وتسمى البيضاء، وقوس من نَبْع[٣] تسمى الصفراء. وصارت إليه يومئذ درعان من سلاحهم: درع يقال له السعدية، ودرع تدعى فضّة. وقال بعضهم: كانت ذات الفضول والسعدية لعُكين القينقاعي؛ وكانت فضة من هدية سعد بن عبادة. وأصاب من سلاحهم مغفراً موشحاً[٤]

- قال الواقدي، وحدثني ابن أبي سبرة، عن مروان بن أبي سعيد بن المعلى الأنصاري قال:

كانت للنبي ﷺ قوس تدعى الكتوم، من نبع، كُسرت يوم أحد، فأخذها قتادة بن النعمان. وكان لرسول الله ﷺ مغفر، يقال له ذو السبوب، ورمح يقال له المثنوي، وقصة؛ وجعبة يقال لها الكافور؛ وترس يقال له الزلوق.

- وحدثني هشام بن عمار، ثنا مالك بن أنس، حدثني ابن شهاب

---

١ - ديوان علقمة الفحل - ط. حلب ١٩٦٩ ص٤٤ .

٢ - الشوحط: ضرب من شجر جبال السراة تتخذ منه القسي. معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس - ط. القاهرة ١٩٦٥ .

٣ - النبع شجر من أشجار الجبال أصفر العود رزينه ثقيله في اليد وإذا تقادم احمر. معجم أسماء النباتات.

٤ - طبقات ابن سعد ج١ ص٤٨٥ - ٤٨٩ .

الزهري، عن أنس بن مالك

أن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه مغفر.

- وحدثني محمد بن سعد، والوليد بن صالح، عن الواقدي قال:

سألنا عن العنزة التي كان رسول الله ﷺ يصلي إليها في أسفاره وتحمل بين يديه يوم العيد.

فحدثني أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة العامري، عن عيسى بن معمر، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أسماء بنت أبي بكر قالت:

لما هاجر الزبير إلى أرض الحبشة، خرج مع النجاشي فقاتل عدواً له، فأعطاه النجاشي يومئذ عنزة فقاتل بها وطعن عدّة حتى ظهر النجاشي على عدوه. وقدم الزبير بها فشهد بدرا وهي معه. وشهد بها يوم أحد ويوم خيبر. ثم أخذها رسول الله ﷺ منه منصرفه من خيبر، فكانت تحمل بين يديه يوم العيد: يحملها بلال بن رباح؛ يخرج بها في أسفاره فتركز بين يديه يصلى إليها. وتوفي ﷺ والأمر على ذلك؛ وكان أبو بكر، وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم على ذلك. فهي اليوم تحمل بين أيدي الأئمة، وتكون مع المؤذنين.

- وحدثني محمد بن سعد، عن إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس، عن عبد الرحمن بن سعد وغيره

أن النجاشي بعث إلى النبي ﷺ بثلاث عنزات، فأمسك النبي ﷺ واحدة، وأعطى عمرَ رضي الله تعالى عنه واحدة، وأعطى عليا رضي الله تعالى عنه واحدة. ويقال إن رسول الله ﷺ ابتاع عنزات فأعطى الزبير منها

عنزة، وفرّقها في أصحابه؛ وكانت هذه العنزة منها تحمل بين يديه. والأول أثبت. وقد أمر المتوكل على الله أمير المؤمنين بحمل هذه العنزة إليه؛ فهي اليوم بسُرّ من رأى.

- حدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن التوزي، عن إسماعيل بن أمية، عن مكحول قال:

كانت الحربة تحمل مع رسول الله ﷺ في أسفاره لأنه كان يصلي إليها وهي العنزة.

قال الواقدي، وحدثنا عبد الله بن نافع، عن أبيه عن ابن عمر قال:

كان يخرج بها يوم العيد فتغرز بالمصلى لأنه ليس ثمّ بناء ولاغيره.

- قال الواقدي، وحدثني إبراهيم بن محمد بن عمار بن سعد القرظ، عن أبيه، عن جده،

أن بلالا كان يحمل العنزة يوم العيد، ثم حملها سعد بن عمار، ثم حملها محمد بن عمار بين أيدي الولاة. قال: ثم أنا هذا أحملها بين أيديهم.

وقال الواقدي، حدثنا التوزي، عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه قال:

رأيتُ بلالا في حجة الوداع خرج بالعنزة فركزها، وصلى إليها رسولُ الله ﷺ؛ والحمار والكلب يمران من ورائها.

- المدائني عن هشام بن سعد، عن عيسى بن عبد الله بن مالك قال:

خاصم العباس عليا رضي الله تعالى عنهما إلى أبي بكر فقال: العمّ

أولى أو ابن العم ؟ فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : العم . فقال : ما بال دروع النبي وبغلته دُلدل وسيفه عند علي ؟ فقال أبو بكر : هذه سيف وجدته في يده ، فأنا أكره نزعه منه . فتركه العباس .

باب في السرير

ـ قال الواقدي ، وحدثني ابن أبي سبرة ، عن محمد بن أبي حرملة مولى بني عامر بن لؤي ، عن عطاء بن يسار ، عن عائشة قالت :

كانت قريش بمكة وليس شيء أحبّ إليها من السرير تنام عليه . فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل منزل أبي أيوب ، قال ﷺ : يا أبا أيوب أمالكم سرير ؟ قال : لا والله . فبلغ أسعد بن زرارة ذلك ، فبعث إلى رسول الله ﷺ بسرير له عمود ، وقوائمه ساج ، مرمول بخزم ، يعني المسد . فكان ينام عليه حتى تحوّل إلى منزلي ، كان فيه فوهبه لي فكان ينام عليه حتى توفي ، فوضع عليه وصُلي عليه وهو فوقه . فطلبه الناس منا يحملون موتاهم عليه . فحمل عليه أبو بكر ، وعمر ، والناس طلباً لبركته .

وقال الواقدي : اجتمع أصحابنا بالمدينة ، لااختلاف بينهم ، أن سرير النبي ﷺ اشترى ألواحَه عبدُ الله بن إسحاق الإسحاقي ، من موالي معاوية ، بأربعة آلاف درهم .

أسماء مؤذّني رسول الله ﷺ

ـ قال : أول من أذّن لرسول الله ﷺ بلال بن رَباح مولى أبي بكر بالمدينة وفي أسفاره ، وجعل على نفسه أن لا يؤذّن لأحد بعد رسول الله ﷺ ، فأتى أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال : ائذن لي في إتيان الشأم . قال : بل أقم . فقال : إن كنتَ أعتقتني على أن أقيم ، أقمت . فقال : هل تقرأ كتابَ الله ؟ قال : أقرأ ولا أكمل السورَ . فأذن له . فأتى الشأم ، فلم يزل مقيما . فلما قدم عمر رضي الله تعالى عنه الشأم لقيه ، فأمره أن يؤذّن ، وقال : لستَ بالموضع الذي كنتَ تؤذّن فيه للنبي . فأذّن ، فبكى عمر ، والمسلمون ، وذكروا النبي ﷺ حين سمعوا أذانه . وكان ديوانه مع خثعم . فليس من حبشي في الشأم إلا ديوانه مع خثعم . ومات بلال بدمشق ، ودُفن بالمقبرة التي عند الباب الصغير[1] . وكانت وفاته في سنة عشرين . ويكنى أبا عبد الله .

ـ وكان عمرو بن قيس بن شُريح ، من بني عامر بن لؤي ـ وأمه أم

١ ـ معروف بدمشق شيد عليه مسجد يراه المسافر نحو مطار دمشق الدولي عن يمينه .

مكتوم ، وهي عاتكة بنت عبد الله بن عنَكثة ، من بني مخزوم ـ وربما أذّن لرسول الله ﷺ بالمدينة . وبعض الرواة يقول : اسم ابن أم مكتوم : عبد الله . والأول أثبت وهو قول الكلبي .

ـ وأذّن لرسول الله ﷺ بمكة أبو محذورة ، واسمه أوس بن مِعْير بن لوذان بن ربيعة بن معير بن عريج بن سعد بن جمح . وله يقول أبو دَهْبَل وهب بن زمعة الجمحي :

أمـا ورَبّ الكعبة المستـوره ... وما تلا محمدٌ من سوره

والنعـرات من أبي محـذوره ... لأفـعـلنّ فـعـلةً مــذكــوره

وبعضهم يقول : اسم أبي محذورة سمرة بن مِعْيَر . والأول أثبت . وكان أبو محذورة استأذن رسول الله ﷺ بمكة في أن يؤذّن مع بلال ، فأذن له في ذلك . وكان يؤذّن في المسجد الحرام . وأقام بمكة يؤذن ، ومات بها ، ولم يأت المدينة ، وقال ابن الكلبي : كان أبو محذورة لا يؤذّن لرسول الله ﷺ بمكة إلا في الفجر ؛ ولم يهاجر وأقام بمكة يؤذّن في المسجد الحرام . وكان النبي ﷺ قال : آخر أصحابي موتا في النار . فبقي سمرة بن جندب الفزاري حليف الأنصار بالبصرة ، وأبو محذورة بمكة . وكان سمرة يسأل من يقدم من الحجاز عن أبي محذورة . وكان أبو محذورة يسأل من يقدم من البصرة عن سمرة حتى مات أبو محذورة قبله .

وحدثني عمر بن شبة ، عن عبد الوهاب الثقفي ، عن أيوب قال : كان أبو محذورة يؤذّن على عهد رسول الله ﷺ . قال : فقدم عمر حاجا ، فقال : ويح أبي محذورة ، أما يخاف أن ينشق مريطاؤه[1] ؟ فلما دخل

١ ـ المريطاء : ما بين السرة أو الصدر إلى العانة ، أو جلدة رقيقة بينهما ، أو عرقان يعتمد عليهما الصائح . القاموس .

عليه ، قال : ويحك يا أبا محذورة ، أما تخاف أن ينشق مريطاؤك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ مكة أرض حارة ، فأحبّ أن تخرجني معك . فقال عمر : مكة أرض حارة ، فأبرد ، ثم أبرد ، ثم أذّن ، ثم صل ركعتين ، ثم ثوّب ، ثم أذّن ، ثم صل ركعتين ، ثم ثوّب - «المريطاء» ، ممدود ، جلدة رقيقة في صفاق البطن مما يلي العانة .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر الشعبي قال :

أذّن لرسول الله ﷺ بلال ، وأبو محذورة ، وابن أم مكتوم .

حدثني هدبة بن خالد ، ثنا همام ، عن ابن جريج

أن النبي ﷺ علم أبا محذورة الأذان بالجعرانة ، ثم قسمّ غنائم حنين ، ثم جعله مؤذّنا في المسجد الحرام .

- وقد روي أن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه كان يؤذّن بين يدي رسول الله ﷺ عند المنبر .

- حدثنا عمرو بن محمد ، عن عباد بن العوام ، عن حجاج ، عن عطاء قال :

كان أبو محذورة لا يؤذّن لرسول الله ﷺ إلا الفجر .

- وقال الواقدي في إسناده : كان بلال يقف على باب رسول الله ﷺ فيقول : السلام عليك يا رسول الله . وربما قال : السلام عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، السلام عليك يا رسول الله . وقال غيره : كان يقول : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، الصلاة يا رسول الله .

قالوا : فلما ولي أبو بكر رضي الله تعالى عنه الخلافة ، كان سعد القرظ يقف على بابه فيقول : السلام عليك يا خليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته ، حيّ على الصلاة ، حي على الفلاح يا خليفة رسول الله، فلما استخلف عمر ، كان سعد القرظ يقف على بابه ، فيقول : السلام عليك يا خليفة خليفة رسول الله ورحمة الله ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، الصلاة يا خليفة خليفة رسول الله .

فلما قام عمر ، قال للناس : أنتم المؤمنون وأنا أميركم . فدُعي أمير المؤمنين ، استطالة لقول القائل : «يا خليفة خليفة رسول الله» ، ولمن بعده «خليفة خليفة خليفة رسول الله» . كان المؤذّن يقول : السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، الصلاة يا أمير المؤمنين . ثم إن عمر أمر المؤذّن ، فزاد فيها «رحمك الله» . ويقال : زادها عثمان .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن حرب الزبيدى ، عن محمد بن الوليد ، عن الزهري قال :

أول من سلّم على عمر بن الخطاب فقال «السلام عليك يا أمير المؤمنين» المغيرة بن شعبة .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن يحيى بن عبد العزيز ، عن أبيه قال :

الذي سلم على عمر : عدي بن حاتم الطائي ، وكانوا قبل ذلك يقولون : «يا خليفة خليفة رسول الله» .

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، عن يحيى بن آدم عن يحيى بن

زكريا بن أبي زائدة ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة قال :

قيل لأبي بكر رضي الله تعالى عنه : «يا خليفة الله» ، فقال : أنا خليفة محمد ﷺ ، وأنا بذلك راض .

أسماء عمال رسول الله ﷺ

ـ قالوا : ولىّ رسول الله ﷺ عمرَو بن حزم الأنصاري نجران ؛ وزياد بن لبيد ، من بني بياضة ، من الأنصار ، حضرموت ؛ وخالد ابن سعيد بن العاص بن أمية صنعاء ؛ والمهاجر بن أبي أمية المخزومي كندة والصدف ، وأبا موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، زَبيد ، ورمع ، وَعدن ، والساحل ؛ ومعاذ بن جبل الأنصاري الجَنَد ، والقضاء ، وتعليم الناس الإسلام ، وشرائعه ، وقراءة القرآن ، وقبض الصدقة من عمال اليمن .

فلما قُبض النبي ﷺ ، ولى أبو بكر زياد بن لبيد كندة ، والصدف إلى حضرموت . وولى المهاجرَ بن أمية صنعاء ، مكان خالد بن سعيد ، وولى عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية مكة والطائف . ثم ولى عثمان بن أبي العاص الثقفي الطائف ، وأقرّ عتّاب بن أسِيد على مكة . وهذا الثبت .

ـ وروى الواقدي ، عن إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، عن عمر بن عبد العزيز أنه قال:

توفي رسول الله ﷺ وأربعة من بني أمية عماله : عتاب بن أسيد على مكة ، وأبان بن سعيد بن العاص على البحرين ، وخالد بن سعيد على صنعاء ، وأبو سفيان بن حرب على نجران .

وقال الواقدي : أصحابنا مجمعون على أن رسول الله ﷺ قُبض وأبو سفيان حاضر . وقال الكلبي : كان أبو سفيان غائبا ، فلما قدم قال : كيف رضيتم يا بني عبد مناف بأن يلي أمركم غيركم ؟

ـ قالوا : وولى رسول الله ﷺ حذيفة دُبا ، وعمرو بن العاص عُمان ، ومعه أبو زيد الأنصاري ، وقوم يقولون : إن النبي ﷺ ولى أبا سفيان صدقات خَولان ، وبَجيلة ، واستعمل يزيد بن أبي سفيان على نجران ، والله أعلم .

وروى ابن أبي لهيعة ، عن الحارث بن يزيد

أن النبي ﷺ بعث معاذ بن جبل إلى حمير ، وعمرو بن سليم الزرقي من الأنصار إلى كندة وحضرموت ، وعوف بن مالك إلى نجران . والأول أثبت .

ـ قالوا : وولى رسول الله ﷺ بلالا مولى أبي بكر صدقات الثمار .

وولّى عباد بن بشر الأنصاري صدقات بني المصطلق من خزاعة .

والأقرع بن حابس التميمي صدقات بني دارم بن مالك بن حنظلة .

والزِّبْرقان وهو حصين بن بدر صدقات عوف بن كعب ، ومقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد ، والأبناء[1] ـ وهم بنو سعد بن زيد مناة ، غير بني

١ ـ الأبناء فئتان : أبناء سعد الوارد ذكرهم هنا . وأبناء الفرس من زوجات يمانيات ، وهم الأكثر شهرة .

كعب بن سعد ، وعمرو بن سعد ـ.

ومالك بن نويرة على صدقات بني يربوع بن حنظلة .

وعدي بن حاتم الطائي على صدقات طيىء وأسد .

وعيينة بن حصن على صدقات بني فزارة .

الحارث بن عوف على صدقات بني مرّة .

ونعيم بن مسعود الأشجعي على أشجع بن رَيث ، وأنمار بن بغيض ، وبني عَبْس بن بغيض .

ومالك بن عوف النصري على عجز هوازن ، وهم : جشم ، ونصر ، وسعد بن بكر ، وثقيف بن منبه .

وعباس بن مرداس السُلَمي على صدقات بني سُلَيم ومازن ابني منصور .

وعامر بن مالك بن جعفر على بني عامر .

والأعجم بن سفيان البلوي على عذرة وسلامان وَبليّ وكلب . ويقال إنه ولى صدقات كلب عبد الرحمن بن عوف الزهري ، لأنه لم يكن مع النبي ﷺ أحد منهم .

وولى بريدة بن الحُصيب الأسلمي صدقات أسلم وغفار وجهينة . ويقال إنه ولى صدقات أسلم وغِفار وجهينة : كعب بن مالك . وولى صدقات جهينة فقط رافع بن مُكيث . ويقال الأعجم بن سفيان معا .

وولى أبا عبيدة بن الجرّاح صدقات : مُزينة وهُذيل وكنانة .

وولى الضحاك بن سفيان الكلابي صدقات بني كلاب .

ويقال إنه بعث قرة بن هبيرة القشيري على صدقات بني قُشير ، وجعدة من بني عامر فقط .

وولى سالف بن عثمان بن معتب الثقفي صدقات : الطائف والأحلاف .

ووجه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلى اليمن ، ثم كتب إليه بموافاته بالموسم ، فوافاه .

ـ وبعث رسول الله ﷺ حاطبَ بن أبي بَلتعة إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شَمِر ، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي ، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي . وذلك في سنة سبع ، وهو أثبت من قول من قال في سنة ستّ .

أسماء كتاب رسول الله ﷺ[١]

ـ قالوا : أول من كتب لرسول الله ﷺ : أبيّ بن كعب الأنصاري . وكان يكتب له زيد بن ثابت إذا لم يحضر أبيّ . وكانا يكتبان الوحي ، ويكتبان كتبه إلى من كاتبه من الناس وغير ذلك .

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ثم افتتن وارتدّ . وخرج إلى قريش كافرا ؛ وكان إذا أملى عليه «الكافرين» ، جعلها «الظالمين» ، وإذا أملى عليه «عزيزا حكيما» كتبه «غفوراً رحيماً» ، وأشباه ذلك ، فقال : أنا آتي بمثل ما أتى به محمد . ونزلت : ﴿ومن أظلمُ ممن افترى على الله كذبا أو قال

١ ـ في هامش الأصل : بلغت المعارضة بأصل ثالث ، ولله كل حمد وفضل وكمال .

أوحي إلي ولم يوحَ إليه شيء ومن قال سأنزلُ مثلَ ما أنزل الله﴾[١] ثم إنه أسلم بعد فتح مكة .

ـ وكتب لرسول الله ﷺ شُرحبيل بن حسنة ، وجهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف . وكان عثمان بن عفان يكتب له ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأبان بن سعيد بن العاص ، والعلاء بن الحضرمي .

وأسلم معاوية عام فتح مكة ، فكتب له أيضاً ، فبعث إليه ابن عباس ذات يوم هو يأكل ، ثم بعث إليه ولم يفرغ من أكله ، فقال : لا أشبع الله بطنه . فكان معاوية يقول : لحقتني دعوةُ رسول الله ﷺ . وكان يأكل في كل يوم مرّات أكلا كثيراً .

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٩٣ .

ذكر الفواطم والعواتك من جدّات رسول الله ﷺ :

ـ روي عن النبي ﷺ أنه قال : «أنا ابن الفواطم والعواتك» . أم عبد الله بن عبد المطلب فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم . وأم عمرو بن عائذ أيضاً فاطمة بنت عبد الله بن رزام بن ربيعة بن جَحْوش بن معاوية بن بكر بن هوازن . وأمها فاطمة بنت الحارث بن بهثة بن سُليم بن منصور ، ماتت أمها في نفاسها ، فسميت باسمها . وأم قصي فاطمة بنت سعد بن سَيَل ، من الجَدَرة ، من أزد شَنُوءة . وجدّة عبد مناف لأبيه ، وأمه حُبى بنت حُليل بن حُبشية . [وأمها] فاطمة بنت نصر بن عوف بن [عمرو بن] ربيعة بن حارثة ، من خزاعة . فهن قرشية ، وقيسيتان ، ويمانيتان .

ـ العواتك : أم رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب ، وأمها برّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي . وأمها أم حبيبة بنت أسد بن عبد العزى بن قصي . وأمها برّة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب . وأم أسد بن عبد العزى ريطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن

كعب ، وهي الحُظيا التي «نَقَضْتَ غزلها من بعد قوّة أنكاثا»[1] . وأم ريطة : قيلة بنت حذافة بن جمح . وأم قيلة : أميمة بنت عامر ، من خزاعة . وأم أميمة : عاتكة بنت هلال بن أهيب بن ضَبة بن الحارث بن فهر . وأم أهيب بن ضَبة : عاتكة بنت غالب بن فهر . وأمها عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة . فهؤلاء ثلاث من ولد النضر بن كنانة .

ـ وأم هاشم بن عبد مناف : عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور . وأم مرّة بن هلال بن فالج : عاتكة بنت مرّة بن عدي بن أسلم ، من خزاعة . ويقال بل هي عاتكة بنت جابر بن قُنفذ بن مالك ، من بني سليم ، وهو أثبت القولين . وأم هلال بن فالج عاتكة بنت عُصَية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم . فهؤلاء ثلاث من بني سليم .

ـ قالوا : وأم عبد الله بن رزام بن ربيعة بن جَحْوش ـ وعبد الله : جدّ عمرو بن عائذ ، أبو أمه فاطمة ، وهي الثانية من الفواطم ـ عاتكة بنت سعد بن هذيل . فهذه واحدة من هذيل .

ـ وأم عبد الله ، أبي رسول الله ﷺ ، فاطمة بنت عمرو بن عائذ . وأمها صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم . وأمها تخمُر بنت عبد قصي ، سميت باسم عمتها تخمر بنت قصيّ . وأمها سلمى بنت عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر . وأمها هند بنت عبد الله بن الحارث بن وائلة بن ظرب ، من عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان . وأمها زينب بنت نصر بن

---

١ ـ سورة النحل ـ الآية : ٩٢ .

عامر ، من بني فهم[1] بن عمرو بن قيس . ويقال : زينب بنت مالك بن ناصرة بن كعب بن حرب ، من بني فهم بن عمرو . وأمها عاتكة بنت عمرو بن الظرب بن عمرو بن عياذ بن يَشْكُر بن الحارث ، وهو عدَوان ، هاتان عدوانيتان . وأم مالك بن النضر بن كنانة : عاتكة ، وهي عِكْرشة الحصان ، بنت عدوان بن عمرو بن قيس .

ـ وأم النضر بن كنانة : برّة بنت مُرّ بن أدّ . وأمها ماوية ، من بني ضُبيعة بن ربيعة بن نزار . وأمها عاتكة بنت الأزد بن الغوث . فهذه أزدية واحدة .

ـ وأم كعب بن لؤي : ماوية بنت القين بن جسر بن شييع الله بن أسد بن وبَرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف . وأمها وحشية بنت حرام بن ضِنة العدوي . وأمها عاتكة بنت رشَدان بن قيس بن جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف . فهذه قضاعية واحدة .

ـ وأم كلاب بن مرة : هند بنت سُرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة . وأمها عاتكة بنت دودان بن أسد بن خزيمة . وأمها جديلة بنت صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط . فهذه أسدية واحدة .

ـ وقال أبو عبيدة : من العواتك عاتكة بنت الأوقص بن هلال بن فالج بن ذكوان بن وهب ، أم عبد مناف بن زهرة . وقال أبو مسعود الكوفي : هذا غلط ، وإنما أمه هند بنت أبي قيلة جزء بن غالب الخزاعي .

ـ وقال أبو عبيدة : أم غالب بن فهر : ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ؛ وأمها سلمى ، من ولد طابخة بن اليأس ؛ وأمها عاتكة

---

١ ـ في هامش الأصول : فهر .

بنت الأزد بن الغوث . وقال بعضهم : أم غالب بن فهر عاتكة بنت سعد بن هذيل . وهو غلط ، إنما أمه ليلى بنت الحارث الهذلية ؛ ولكن أم ولد غالب عاتكة بنت يخلُد بن النضر ، وهي إحدى العواتك . وقد يقال إنها سلمى بنت عمرو بن ربيعة بن حارثة ، من خزاعة .

ذكر البئار التي كان يستعذب رسول الله ﷺ منها الماء

ـ قال الواقدي ، حدثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جدته سلمى قالت :

كان أبو أيوب ، حين نزل عنده رسول الله ﷺ ، يستعذب له الماء من بئر مالك بن النضر ، أبي «أنس» . فلما صار إلى منزله ، كان أنس ، وهند ، وحارثة بن أسماء الأسلميان يحملون قدور الماء إلى بيوت نسائه من «بيوت السقيا» . ثم كان رباح ، وهو عبد أسود له ، يستقي من بئر غرس مرة ، ومن بيوت السقيا مرة .

ـ قال الواقدي ، وحدثني سليمان بن عاصم قال : قال الهيثم بن نصر الأسلمي :

خدمتُ رسول الله ﷺ ولزمت بابه في قوم محاويج ، فكنت آتيه بالماء من بئر أبي الهيثم بن التيهان ، «جاسم» ، وكان ماؤها طيبا . ولقد دخل يوما صائفا ، ومعه أبو بكر ، على أبي الهيثم فقال له : هل من ماء بارد ؟ فأتاه بشجب[1] فيه ماء كأنه الثلج ، فصبّ منه على لبن عنز له ، وسقاه . ثم قال

١ ـ سقاء كالدلو .

له : إن لنا عريشا باردا ، فقل فيه يا رسول الله عندنا ، ونضحه بالماء . فدخله وأبو بكر . وأتى أبو الهيثم بألوان من الرُّطب : عجوة ، وابن طاب ، وأمهات جراذين . ثم جاءهم بعد ذلك بجفنه مملوءة ثريدا ، عليها العراق . فأكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وأكلنا . ثم قال : عجبا للناس يقولون : توفي رسول الله ولم يشبع من خبز الشعير . قال : فلما حضرت الصلاة ، صلى بنا رسول الله ﷺ في بيت أبي الهيثم ، وزوجة أبي الهيثم خلفنا . ثم سلم وعاد إلى العريش ، فصلى فيه ركعتين بعد الظهر . ورأيته ينصب اليمنى من رجليه ، ويفترش اليسرى .

ـ قالوا : وبئر مالك بن النضر يعرف ببئر أنس .

ـ قال الواقدي : وكان رسول الله ﷺ يشرب من بئر لبني أمية ، من الأنصار ، تسمى العبَيرة ، فسماها اليسيرة . وفي بعض الرواية أنها كانت تسمى العسيرة ، فسماها اليَسيرة . والأولى أثبت .

ـ وكان يشرب من بئر رُومة بالعقيق ، وبصق فيها فعذبت . وقال : وهي اليوم لعمر بن بزيع . قال : وهي بئر قديمة كانت انطمت ، فأتى قوم من مزينة ، فحالفوا الأنصار وقاموا عليها بأبدانهم وأصلحوها . وكانت رُومة امرأةً منهم أو أمة ، تستقي منها للناس ، فنسبت إليها . وقال بعض الرواة : إن الشعبة التي هي على طرفها تدعى رومة . والشعبة واد صغير يجرى فيه الماء . ومرّ رسول الله ﷺ بهذه البئر ، فرأى عليها رجلا من مزينة يسقي عليها بأجر ، فقال ﷺ : نعم هذه صدقة للمؤمن هذه . فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بأربع مائة دينار ، فتصدّق بها . فلما علق العلق ـ والعلق البكرة وآلة السقي ـ مرّ بها رسول الله ﷺ ، فسأل عنها .

فأخبر بخبرها . فقال : اللهم أوجب لعثمان الجنة . وشرب منها ، فقال : هذا هو النُّقاخ[١] .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :

قال رسول الله ﷺ : «بئر غرس من عيون الجنة» .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن سفيان الثوري ، عن ابن جريج ، عن أبي جعفر قال :

كان يستعذب لرسول الله ﷺ الماء من بئر غرس ومنها غُسل[٢] .

حدثني إسحاق بن أبي إسرائيل وعمرو بن محمد الناقد، قالا: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، ثنا ابن جريج،عن أبي جعفر قال:

غسل رسول الله ﷺ ثلاث غسلات بماء وسدر. وغسل في قميصه. وغسل من بئر لسعد بن خيثمة، يقال لها بئر الغرس. وكان يشرب منها.

وحدثني شيخ لنا، عن الواقدي قال:

احتفر «بئر غرس» مالكُ بن النَحّاط،وهو جد سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن النحاط. وكان له عبد أسود يتولاها ويقوم عليها ويُكثر السقي منها. وكان يدعى سَلاما، ويُلقب غرسا فيغضب. فنسبت إليه، فقيل غرس، وبئر الغرس.

---

١ ـ الماء البارد النقي .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ١ ص ٥٠٣ ـ ٥٠٦ .

وحدثتُ عن غير الواقدي أن مالكا احتفرها وجعل منها مجرى إلى غرس كان غرسه، فكانت تدعى بئر الغرس. ثم حذفت الألف واللام، فقيل «غرس». وبعض المدنيين يقول: بئر غرس، وذلك خطأ.

- وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن أُبيّ بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه، عن أبي أسيد، وأبي حميد، وأبي سهل بن سعد سمعهم يقولون:

أتى رسولُ الله ﷺ بئرَ بُضاعة، فتوضّأ في الدلو وردّها في البئر، ومجّ في الدلو مرة أخرى، وبصق فيها وشرب من مائها. وكان إذا مرض المريض، قال: اغسلوه من ماء بضاعة. فيغسل، فكأنما ينشط من عِقال.

وحدثني إبراهيم بن غياث، قال سمعت الواقدي يقول:

يكون بئر بُضاعة سبعا في سبع، وعيونها كثيرة، فلا تنزح.

وحدثنا هشام بن عمار الدمشقي، ثنا حاتم بن إسماعيل، عن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، عن أمه قالت:

دخلنا على سهل بن سعد الساعدي في بيته، فقال: لو سقيتكم من بئر بضاعة لكرهتم ذلك؛ قد والله سقيتُ منها رسول الله ﷺ بيدي هذه.

وحدثت عن الواقدي أنه قال:

بضاعة امرأة قديمة من اليهود، أو قيل اليهود كانت احتفرتها. ثم إنها انطمت فكسحها بنو ساعدة وأصلحوها.

المحمدون في الجاهلية

ـ محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. محمد بن الحرماز بن مالك بن عمرو بن تميم، واسم الحرماز: الحارث. محمد بن بَرّ بن طُريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. محمد الشويعر بن حُمران بن أبي حُمران الجُعفي، الذي يقول له امرؤ القيس بن حجر.

أبلغا عني الشويعر أني عَمْدَ عينٍ حللتُهن حَريما[1]

يعني حَريم بن جُعفي بن سعد العشيرة. ومحمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح الأوسي. ومحمد بن مسلمة الأنصاري، من الأوس.

المحمدون على عهد رسول الله ﷺ

ـ محمد بن جعفر بن أبي طالب، وُلد بالحبشة. محمد بن طلحة بن عبيد الله، سماه رسول الله محمداً، وكناه أبا سليمان، وقال: لا أجمع له اسمي وكنيتي. محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح. محمد بن أبي بكر الصديق، وُلد بذي الحُليفة في سنة عشر من حجة الوداع، سماه رسول الله ﷺ محمدا، وكناه أبا القاسم؛ وقال بعضهم: كناه أبا عبد الملك؛ وروي أن عائشة هي سمته محمداً وكنته أبا القاسم. محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. محمد بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الخزرجي، ولد بنجران وأبوه واليها، فكتب

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع.

إلى رسول الله ﷺ: إنه قد وُلد لي مولود، فسميته محمدا، وكنيته أبا سليمان. فكتب إليه. قد كنيته أبا عبد الملك.

ـ حدثني محمد بن إسماعيل الضرير الواسطي، ثنا علي بن عاصم، عن خالد الحذاء، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «سمّوا باسمي ولاتكنوا بكنيتي».

وحدثني محمد بن سعد، ثنا أبو أسامة، عن عوف الأعرابي، عن جلاس، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بمثله.

ـ وحدثني محمد بن إسماعيل، ثنا أبو أسامة، عن فطر بن خليفة، عن منذر الثوري، عن محمد بن الحنفية، عن علي رضي الله تعالى عنه قال:

قلت للنبي ﷺ: إن وُلد لي، يارسول الله، غلام؛ أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال: نعم. قال أبو أسامة: فسمى ابنَ الحنفية محمدا، وكنّاه بأبي القاسم.

أسماء المشبهين برسول الله ﷺ:

ـ جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب؛ روى أن رسول الله ﷺ قال له: شبهتَ خلقي وخُلقي. الحسن بن علي عليهما السلام؛ وكانت فاطمة عليها السلام تقول:

بأبي شبه النبي غير شَبيه بعليّ

ويقال إن أبا بكر قال له يوما، وقد لقيه في طريق المدينة:

بأبي شبه النبي غير شبيه بعليّ

وقُثَم بن العباس بن عبد المطلب. وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، واسمه المغيرة. وهاشم بن المطلب بن عبد مناف. ومسلم بن معتّب بن أبي لهب.

قول رسول الله ﷺ في أبي بكر رضي الله عنه:

ـ حدثنا شريح، ووهب بن بقية، وأحمد بن هشام بن بهرام قالوا، ثنا يزيد بن هارون، أنبأ إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن ابن جبير بن مطعم، عن أبيه:

أن امرأة أتت النبي ﷺ تسأله شيئا. فقال: «ارجعي إليَ. قالت: فإن رجعتُ، فلم أجدك يارسول الله؟ ـ تعرض بالموت ـ فقال لها: إن رجعت فلم تجديني، فالقي أبا بكر».

ـ حدثنا محمد بن سعد، ثنا أحمد بن عبيد الله بن يونس، ثنا السري بن يحيى، عن الحسن، قال:

قال أبو بكر: يارسول الله، ماأزال أراني كأني أطأ في عَذرات الناس. فقال: «لتكونن منهم بسبيل خير»[1].

ـ حدثني عبد الرحمن بن صالح الأزدي، ثنا وكيع بن الجراح، أنبأ

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٧٦ .

سفيان الثوري، عن عبد الملك بن عمير، عن مولى لربعي بن حراش، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان قال:

قال رسول الله ﷺ: «إني لاأدري كم بقائي فيكم؛ فاقتدوا بالذين من بعدي ـ وأشار إلى أبي بكر وعمر ـ واهتدوا بهدي عمّار؛ وما حدّثكم به ابن أم عبد فصدّقوه».

وحدثت عن إبراهيم بن سعد أنه روى هذا الحديث عن سفيان الثوري، عن عبد الملك بن عمير، عن هلال مولى ربعي، عن ربعي مولى حذيفة.

وحدثني عباس بن حاتم البزاز، ثنا علي بن عبد الله المديني، ثنا سفيان بن عيينة، أنبأ زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، عن حذيفة قال:

قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر».

وحدثني الحسين بن علي الأسود، حدثني يحيى بن آدم، عن يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود قال:
قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر».

حدثني محمد بن سعد، ثنا وكيع بن الجراح، عن سالم بن أبي العلاء المرادي، عن عمرو بن هرم، عن ربعي وأبي عبد الله رجل من أصحاب حذيفة جميعاً، عن حذيفة:

بمثل حديث عبد الرحمن بن صالح، عن وكيع.

ـ حدثنا عمرو بن محمد الناقد، ومحمد بن سعد قالا: ثنا أبو معاوية

الضرير، ثنا عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

لما ثقل رسول الله ﷺ، دعَا عبدَ الرحمن بن أبي بكر فقال: «ائتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتابا، لايختلف عليه معه. فذهب عبد الرحمن ليقوم، فقال: اجلس، أبى الله والمؤمنون أن يُختلف على أبي بكر».

وحدثني وهب بن بقية، ثنا يزيد بن هارون، أنبأ إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن الزهري عن عروة، عن عائشة.

أن النبي ﷺ قال: «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتابا، فإني أخاف أن يقول قائل، أو يتمنى متمن، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[1].

ـ حدثني عبد الله بن أبي أمية البصري، عن إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن عروة قال: قالت عائشة:

بُدىء رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، ثم خرج في يومه ذلك فدخل عليّ وأنا أقول: «وارأساه». فقال: «وددت أن يكون ذلك وأنا حيّ، فأصلي عليك وأدفنك. فقلت: وإنك لتحبّ ذلك، كأني أراك في ذلك اليوم معرسا ببعض نسائك. ثم قال: أنا وارأساه؛ ادعي أباك وأخاك أعهد عهدا لأبي بكر، فإني أخاف أن يتمنى متمن، أو يظنّ ظانّ، ويأبى الله ذلك والمؤمنون».

حدثنا عفان أبو عثمان، ثنا محمد بن أبان، عن عبد العزيز بن رفيع، عن عبد الله بن أبي مليكة قال:

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٧٧ ـ ١٨٠ .

قال النبي ﷺ في مرضه لعائشة: «ادعي لي عبدَ الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتابا، فلا يختلف فيه المسلمون بعدي. ثم قال: دعيه، معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر».

ـ حدثنا أحمد بن هشام بن بهرام، ثنا شعيب بن حرب، أنبأ خالد بن يزيد القرشي، ثنا زرعة بن عمرو قال:

وكان عمرو أحد الأربعة الذين حملوا عثمان.

قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة قال للمهاجرين: «انطلقوا بنا إلى الأنصار نسلم عليهم، فقال: يامعشر الأنصار، اجمعوا لي أحجارا من حجارة الحرّة. فأخذ حجرا، فوضعه؛ ثم قال: ياأبا بكر، خذ حجرا، فضعه إلى جنب حجري. ثم قال ياعمر، خذ حجرا فضعه إلى جنب حجر أبي بكر. ثم قال لعثمان: خذ حجرا فضعه إلى جنب حجر عمر. قال: فأفرد هؤلاء الثلاثة لهذا الأمر».

ـ حدثني المدائني، عن عمر بن نبهان، عن قتادة، عن ابن المسيب قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن تولوا أبا بكر تجدوه ضعيفا في بدنه، قويا في أمر الله؛ وإن تولوا عمر تجدوه قويا في نفسه قويا في أمر الله؛ وإن تولوها عليا ـ ولن تفعلوه ـ تجدوه هاديا مهديا يهديكم إلى الطريق المستقيم».

ـ حدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن عثمان بن محمد بن أبي بكر بن عمر بن عبد الرحمن، عن حمزة بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال:

غزوتُ غزاة، ثم قدمتُ، فسألني أبي عن البلاد والناس هل سمعتُ شاكيا لعامل، أو مررت بشيء ضائع؟ فأخبرته بأني لم أسمع أحدا يشكو

أحدا ، ولم أر شيئاً ضائعاً ، ثم قلتُ : ألا تستخلف يا أمير المؤمنين رجلاً تثق به في حياتك ؟ قال : فاسكت ساعة ، ثم رفع رأسه فقال : جزاك الله عن نصيحتك خيراً ؛ إن استخلفتُ ، فقد استخلف من هو خير مني ، وإن تركتُ فقد ترك من هو خير مني ؛ وأفضل الهدى هدى محمد ﷺ ، وأن لا أستخلف أحداً أسلمُ لي .

أمر رسول الله ﷺ حين بُدىء :

حدثني الوليد بن صالح ، ثنا محمد بن عمر الواقدي ، أنبأ هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال :

خرج رسول الله ﷺ إلى قبور الشهداء ، ثم رجع معصوب الرأس ، فلم يزل شاكيا حتى توفاه الله يوم الاثنين للنصف من شهر ربيع الأول ، ودفن ليلة الأربعاء .

- وروى الواقدي ، عن ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت :

أتى رسول الله ﷺ البقيع ، فقلتُ : أين كنتَ يا رسول الله ؟ فقال : «إني أمرتُ أن أستغفر لأهل البقيع وأصلي عليهم» . قال هشام : فبلغني أنه رجع موعوكاً .

حدثني إبراهيم بن مسلم الخوارزمي ، حدثني سويد الأنباري ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهري

أن النبي ﷺ خرج إلى بقيع الغرقد في جوف الليل ، فاستغفر لأهله ، ثم أصبح ، فابتدى بوجعه من يومه ذلك .

ـ وروى بعضهم أنه كانت لرسول الله ﷺ جارية يقال لها رُبيحة ، أخذها من سبي بني قريظة وجعلها في نخل له يدعى نخل الصدقة ، وكان ربما قال عندها ، فانصرف ذات يوم من عندها موعوكاً ، فأتى منزلَ ميمونة ، ثم تحوّل إلى منزل عائشة فقبض فيه .

ـ حدثني عبد الله بن أبي أمية ، عن إبراهيم بن سعد ، ثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن عمر بن علي ، عن عبيد الله بن جبير مولى الحكم بن أبي العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال :

أنبهني رسول الله ﷺ في الليل ، فقال : «يا أبا مويهبة ، إني قد أمرتُ أن أستغفر لأهل البقيع ، فانطلق معي» . فانطلقتُ معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : «السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه . لو علمتم ما نجاكم الله منه ! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع أولها آخرُها . الآخرة شر من الأولى» . ثم قال : «هل علمتَ يا أبا مويهبة ؟ أني قد خيرت بين مفاتح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، وبين لقاء ربي والجنة . واخترت لقاء ربي والجنة» ثم استغفر لأهل البقيع وانصرف . فبدىء رسول الله ﷺ بوجعه الذي قُبض فيه حين أصبح[1] .

---

١ ـ انظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٦٣ ـ ١٠٦٤ .

ـ وحدثني عبد الله بن أبي أمية ، ثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة قالت :

رجع رسول الله ﷺ من البقيع حين استغفر لأهله ، فوجدني وأنا أجد صداعا وأنا أقول : وارأساه . فقال : «بل أنا وارأساه» . ثم قال : «ما ضرّك لو متّ قبلي ، فقمتُ عليك وكفنتك ، ثم صليتُ عليك ودفنتك» فقلت : كأني بك لو فعلتُ ذلك قد رجعتَ إلى بيتي فأعرستَ فيه ببعض نسائك . قالت : فتبسم . وتتامّ به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استعزّ به وهو في بيت ميمونة . قالت : فدعا نساءه فأستأذنهن في أن يمرض في بيتي ، فأذنّ له . فخرج يمشي بين رجلين أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر وهو تخطّ قدماه الأرضَ ، عاصبا رأسه بخرقة ، حتى دخل بيتي . قال عبيد الله ، فحدثتُ ابنَ عباس بهذا الحديث ، فقال : أتدري من الآخر : قلتُ : لا . قال : عليّ ، ولكنها لا تقدر أن تذكره بخير وهي تستطيع .

حدثنا سعيد بن سليمان ، ثنا الليث بن سعد ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة

بمثله إلا أنه لم يذكر قول ابن عباس : «إنها لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع» .

ـ حدثنا وهب بن بقية ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم التيمي

أنه كان يدار برسول الله ﷺ في بيوت نسائه وهو مريض ، فلما كان ذات يوم ، قال : أين أنا غدا ؟ فجعل يخبرنه . فقال بعضهن : إنما يسأل

عن يوم ابنة أبي بكر . فأذنّ له ، وقلن له : أنتَ في حل يا رسول الله ؛ إنما نحن أخوات . فقال : في حلّ ؟ قلن : نعم . فأخذ رداءه ، ثم انطلق إلى منزل عائشة . فلم يزل عندها حتى قبضه الله .

ـ حدثت عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق أنه قال :

كان رسول الله ﷺ إذا دير به على نسائه ، يحمَل في ثوب يأخذ بأطرافه الأربعة : أبو مويهبة ، وشُقران ، وثَوبان ، وأبو رافع مواليه .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام

أن النبي ﷺ اشتكى شكوه الذي توفي فيه وهو في بيت ميمونة زوجته ، حتى غمر من شدة الوجع . فاجتمع عنده عمه العباس ، وأم سلمة زوجته ، وأم الفضل بنت الحارث بن حزن أم عبد الله بن العباس ، وأسماء بنت عميس فاستشاروا في لدّ[1] رسول الله ﷺ حين غمر. فلدّوه. فلما أفاق ، قال : من فعل هذا بي ؟ قالوا : يا رسول الله : إنا خشينا أن يكون بك ذات الجنب ، فلددناك . فقال ﷺ : أنا أكرم عند الله من أن يبتليني بذات الجنب ؛ ما كان الله ليعذّبني بها . ثم قال : لا جرم لا يبقى في البيت أحد إلا التدّ ، غير عمي[2] ، عقوبة لهم . قال أبو بكر بن عبد الرحمن : فالتدّت ميمونة وهي صائمة لقول رسول الله ﷺ .

---

١ ـ اللدود من الأدوية ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم . النهاية لابن الأثير .

٢ ـ يرجح مما رواه الزهري في مغازيه ص ١٣٠ أن العباس لم يحضر اللد ولم يشارك به ، ولذلك استثناه النبي ﷺ .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي : عن أفلح بن حميد ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت :

اجتمعنا عند رسول الله ﷺ وهو ثقيل في بيت ميمونة، فقال نساءٌ كُنَّ بالحبشة ـ منهن أم سلمة ، وأسماء ابنة عميس ـ : لُدُّوه . فقلتُ : لا تفعلوا . فخالفوني ، فلدّوه . ثم أفاق ، فقال : هذا عمل أم سلمة ، وأسماء بنت عُميس ، هذا من دواء أهل الحبشة ؛ لا يبقين في البيت أحد إلا لدّ ، غير عمي . فلددتُ صفيةَ بنت حيّي ، ولدّتني فوجدتُ من ذلك حزّا . ولدّ بعضنا بعضا . وأقام في بيت ميمونة سبعة أيام .

حدثنا هشام بن عمار ، ثنا إسماعيل بن عياش ، عن بحير بن سعيد قال :

حُدّثنا أن رسول الله ﷺ لما اشتد وجعه في بيت ميمونة زوجته ، لُدّ بالكُست[1] والزيت . فلما أفاق : قال : من لدّني ؟ قالوا : عمك ، وزينب بنت جحش ، وعائشة . قال : من دلكم على هذا ؟ قالوا : أسماء بنت عميس ، وأم سلمة . قال : هذا طبّ جاءتا به من الحبشة حين هربتا بدينهما من قريش . وأمرهم جميعا ، فالتدّوا إلا العباس .

وروى الواقدي ، عن معمر بن راشد ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن وغيره :

أنّ الذي لُدّ به رسول الله ﷺ عود هندي ، وشيء من ورس ، وشيء من زيت .

---

١ ـ هو الذي يتبخر به ، وهو القسط الهندي ، عقار معروف . معجم أسماء النباتات .

ـ وحدثني عبد الله بن أبي أمية ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن أيوب بن بشير

أن رسول الله ﷺ خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، فكان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم . ثم قال : إنّ عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند ربّه . ففهمها أبو بكر وعرف أنه يريد نفسه ، فبكى وقال : نحن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأبنائنا . ثم قال : انظروا هذه الأبواب الشاخصة ـ أو الشارعة ، أو كلمة نحوها ـ فسدوها إلا باب أبي بكر ، فإني لا أعلم أحداً كان أفضل عندي يدا في الصحبة منه[1] .

حدثني هشام بن عمار ، ثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين ، أنبأ الأوزاعي ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة قال :

سمعت ابن عباس يقول : قال رسول الله ﷺ ذات يوم : «إن عبدا خير بين الدنيا والآخرة» . ففطن أبو بكر ، فبكى . فقال له أبو سعيد الخدري : يا أبا بكر ، ما يبكيك من عبد خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ؟ فنظر النبي ﷺ إلى أبي بكر ، فقال : إنّ آمنكم عليّ بصحبته ، وذات يده لابن أبي قحافة ؛ سُدّوا كل خوخة إلى المسجد إلا خوخة أبي بكر .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا أبو داود الطيالسي ، أنبأ شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عروة ، عن عائشة قالت :

---

١ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٦٣ ـ ١٠٦٤ .

كنا نحدث أن النبي ﷺ لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة : فلما اشتكى رسول الله ﷺ وجعه الذي قبض فيه عرضت له بحة ، فسمعته يقول : «بل الرفيق الأعلى مع الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» ، فعلمتُ أنه خيّر فاختار ما عند الله .

ـ حدثني عبد الله بن أبي أمية ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك :

أن رسول الله ﷺ استغفر لأصحاب أحد ، ثم قال : «يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيراً فإن الناس يزيدون والأنصار على هيئتهم لا يزيدون ؛ إنهم عيبتي التي آويت إليها ، فأحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم»[1] .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري

أن الله عزوجل خير نبيه بين خزائن الدنيا والخلود فيها ثم الجنة ، وبين الموت ولقاء ربه والجنة ، فاختار لقاء ربه ، وجعل يقول : «الرفيق الأعلى ، الرفيق الأعلى» .

حدثني أبو الحسن المدائني ، عن خباب بن موسى ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال :

لما احتضر رسول الله ﷺ ، أتاه جبريل عليه السلام ، فخيره بين البقاء في الدنيا والمصير إلى رحمة ربه ، فجعل يقول : «بل الرفيق الأعلى» ، حتى قضى ﷺ .

---

١ ـ مغازي الزهري ص ١٣١ . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٦٤ ـ ١٠٦٥ .

حدثني عبد الله بن أبي أمية أبو عمرو ، ثنا إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال :

سمعت عائشة تقول : كنت أسمع رسول الله ﷺ كثيرا يقول : «إنّ الله لم يقبض نبيا قط حتى يخيره» ؛ فلما احتضر رسول الله ﷺ ، كانت آخر كلمة سمعتها منه : «الرفيق الأعلى من الجنة» ؛ فقلت : إذاً والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا إن نبيا لا يقبض حتى يخير[1] .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن عباد بن عبد الله ، عن عائشة قالت :

سمعت رسول الله ﷺ يقول عند وفاته : «اللهم اغفر لي وألحقني بالرفيق» .

حدثنا شريح ، ثنا إسماعيل بن علية ، عن أيوب ، عن ابن أبي مُليكة قال : قالت عائشة رضي الله تعالى عنها :

مات رسول الله ﷺ في بيتي في يومي وليلتي ، وبين سحري ونحرى ، ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك رطب فنظر إليه حتى ظننتُ أن له فيه حاجة ، فمضغته وطيبته ودفعته إليه ، فاستن أحسن ما رأيته استنّ قط ، ثم ذهب يرفعه فسقطت يده ، فأخذتُ أدعو دعاء كان يدعو به إذا مرض فلم يدعُ به في مرضه ذلك ورفع بصره إلى السماء وقال : «الرفيق الأعلى» ، ثم فاضت نفسه ؛ فالحمد لله الذي جمع بين ريقي وريقه في آخر يوم في الدنيا[2] .

---

١ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٦٥ .

٢ - طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، ثنا القعنبي ، ثنا مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت :

سمعتُ النبي ﷺ وهو مستند إلى صدري ، وقد أصغيتُ إليه ، يقول : «اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق» .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن معمر ومالك ، عن الزهري قال :

دخلت أم بشر بن البراء بن معرور على النبي ﷺ فقالت : ما رأيت مثل هذه الحمى التي عليك ؛ فقال : «إن الله يضاعف الأجر كما يضاعف البلاء ، هي من الأكلة التي أكلتها وابنك من الشاة بخيبر ، فهذا أوان انقطع أبهرى» .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن معمر ومالك ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ يقرأ في مرضه على نفسه بالمعوذات .

حدثني عمرو بن حماد بن أبي حنيفة ، عن مالك بن أنس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت :

إن رسول الله ﷺ إذا اشتكى قرأ بالمعوّذتين على نفسه وتفل ؛ فلما اشتد به الوجع الذي توفي فيه كنتُ أقرأ عليه المعوّذتين وأمسحه بيده ، رجاء بركتهما .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، ثنا حماد بن زيد ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن عائشة قالت :

كنتُ أعوّذ رسول الله ﷺ بشيء كان جبريل يعوّذه به ، وكنت أسمعه

يتعوّذ به إذا اشتكى ، فقال : «ارفعي رُقاك عني ، فإنما كانت تنفعني وأنا في المُدة» .

ـ حدثنا هشام بن عمار ، ثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثت عن الزهري ، وأحسب الذي حدثني يونس الأيلي ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة قالت :

لما أخذ رسول الله ﷺ السياقُ[1] ، طفق يطرح خميصة على وجهه ثم يكشفها إذا اغتم .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن الحكم بن أبي الحويرث قال :

بلغني أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى ، دعا لنفسه بالعافية ؛ فلما اشتكى آخر شكاة ، لم يدع بشيء ، وجعل يقول : «يا نفس ، مالك ؛ تلوذين كل ملاذ !»[2] .

ـ حدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة ويوسف بن موسى ، قالا: ثنا جرير الضبي ، ثنا الأعمش ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة قالت :

ما رأيت أحدا أشد وجعا من رسول الله ﷺ .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثني موسى بن داود ، ثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، عن حميد ، عن أنس ، عن أم الفضل بنت الحارث قالت :

---

١ ـ لحظة انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى. طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٤٠ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٥٧ .

صلى بنا رسول الله ﷺ في مرضه في بيته ، في ثوب واحد قد توشح به ، المغرب ، فقرأ «والمرسلات» ، وما صلى بنا بعدها حتى قُبض .

ـ حدثني يحيى بن أيوب ، ثنا إسماعيل بن جعفر ، ثنا سليمان بن سحيم ، عن إبراهيم بن عبد الله بن معبد ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال :

كُشف عن رسول الله ﷺ الستر ، فرأيته معصوبا في مرضه الذي مات فيه ، فقال : «اللهم هل بلَّغتُ» ؟ ثلاثا ، ثم قال : «لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح أو تُرَى له» .

ـ حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا محمد بن عبد الله الأسدي ، ثنا شيبان بن عبد الرحمن ، عن هلال بن أبي حميد الوزان ، عن عروة ، عن عائشة :

أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي توفي فيه : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» .

حدثنا هوذة بن خليفة ، ثنا عوف ، عن الحسن ، قال :

بلغني أنه لما قُبض رسول الله ﷺ ، ائتمروا أين يدفنونه ، فأزمعوا أن يدفنوه في المسجد ، فقالت عائشة : بينا رسول الله ﷺ واضعا رأسه في حجري ، إذ قال : «قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ، فأجمعوا أن يدفنوه حيث قُبض في بيت عائشة .

ـ حدثني محمد بن خالد بن عبد الله الطحان ، عن أبيه ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أم الفضل بنت الحارث بن حزن قالت :

كنتُ جالسة عند رسول الله ﷺ وهو مريض ، فبكيتُ ، فقال : «ما يبكيك» ؟ قلت : أخشى عليك ولا أدري ما نلقى من الناس بعدك ؟ فقال : «أنتم المستضعفون» .

- حدثنا الأعين ، ثنا سويد بن سعيد ، عن رشدين بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن موسى بن سرجس ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت :

كان عند النبي ﷺ ، حين اشتد وجعه ، قدح فيه ماء ، يدخل فيه يده ثم يمسح وجهه ويقول : «اللهم أعني على سكرات الموت» .

حدثني بكر بن الهيثم ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة قال : قالت عائشة :

ما أغبط أحدا يُهوَّدُ[1] عليه الموت بعد الذي رأيتُ من شدّة موت رسول الله ﷺ .

- حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، ثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت :

أقبلت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وكانت مشيتها مشية رسول الله . فقال : «مرحبا بابنتي» . ثم أجلسها عن يمينه أو شماله ، ثم أسرّ إليها حديثا ، فبكت . ثم أسرّ إليها حديثا ، فضحكت . فقلت : ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن ، فسألتها عما قال ؟ فقالت : ما كنت أفشي سر

---

١ - التهويد : الابطاء في السير . القاموس .

رسول الله ﷺ . حتى إذا قُبض ، سألتها ، فقالت : «أسرّ إليّ أن جبريل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة ، وأنه عارضني به العام مرتين ، ولا أراه إلا قد حضر أجلي ؛ وإنك أول أهلي لحاقا بي ونعم السلف أنا لك . فبكيتُ لذلك . ثم قال : ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة ، أو : نساء المؤمنين ؟ فضحكتُ» .

وحدثني عمر بن شبة ، ثنا حماد بن واقد ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك

أن النبي ﷺ لما ثقل ، ضمته فاطمةُ إلى صدرها وقالت : «واكرباه لكربك يا أبتاه» ، فقال ﷺ : «لا كرب على أبيك بعد اليوم» .

ـ حدثني محمد بن حاتم المروزي ، ثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :

لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتحُ﴾[1] ، قال رسول الله ﷺ : «نعيت إليّ نفسي» . قال ، يقول : إنه مقبوض في تلك السنة .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي في إسناده قال :

بكت فاطمة رضي الله تعالى عنها عند رسول الله ﷺ ، فقال : «يا بنية ، لا تبكي ، وإذا مت فقولي : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فإن فيها من كل ميت معوضة . قالت : ومنك ، يا رسول الله قال : نعم ومني» . قال : وبكت أم أيمن ، فقيل لها : لا تبكي ، فإنما خُيرّ فاختار ما عند ربه . قالت : إنما أبكي انقطاع خبر السماء عنا .

---

١ ـ سورة النصر ـ الآية : ١ .

وحدثت عن هشام بن الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح أن رسول الله ﷺ لما اشتد وجعه الذي توفي فيه ، جعلت فاطمة عليها السلام تبكي ، وتقول : بأبي أنت وأمي ، أنت والله كما قال القائل :

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه ثِمال اليتامى عصمة للأرامل

فأفاق ﷺ ، فقال : هذا قول عمي أبي طالب ، وقرأ : ﴿**وما محمد إلا رسول ، قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبية فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين**﴾[1] .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا هشام بن عبد الملك ، ثنا محمد بن أبان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال : «انقلوني إلى بيت عائشة» . قالت : فلما سمعت ذلك ، قمتُ ، ولم تكن لي خادم ، فكنستُ بيتي وفرشتُ له فراشا ، ووسدته وسادة كان حشوها إذخر . فلما حضرت الصلاة ، قال : أرسلي إلى أبي بكر فليؤمّ الناس . قالت : فأرسلتُ إليه . فأرسل إلي أني شيخ كبير ، ضِعيف عن أن أقوم في مقام رسول الله ﷺ ، ولكن أشيري على رسول الله ﷺ بعمر ، واستعيني عليه بحفصة . ففعلت فقال : «إنكن صواحب يوسف ؛ أرسلي إلى أبي بكر» .

حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد قال :

---

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٤٤ .

كان رسول الله ﷺ في مرضه إذا وجد خفة خرج فصلى بالناس ، وإذا ثقل وجاءه المؤذّن قال : «مروا أبا بكر يصلي بالناس . فخرج الأمر من عنده يوما بأن يصلي أبو بكر ، وكان غائبا ، فصلى عمر بالناس . فلما كبر ، وكان جهير الصوت ، سمع تكبيره ، فقال : لا ، لا ، لا ، أين ابن أبي قحافة» ؟ فانصرف عمر ، وانتقضت الصفوف . فما برحنا حتى طلع ابن أبي قحافة ، وكان بالسُّنْح[1] ، فصلى بالناس .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن معمر ومحمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زمعة قال :

دخلتُ على رسول الله ﷺ أعوده ، فقال : «يا عبد الله مر الناس بالصلاة» . فخرجتُ فلقيتُ رجالا لم أكلمهم حتى رأيت عمر ، فقلت : صل بالناس . فلما كبر ، سمع النبي ﷺ تكبيره ، فأخرج رأسه من حجرته ، وهو يقول : «لا ، لا ، لا ، ليصل بالناس ابن أبي قحافة» . وقال ذلك وهو مغضب . فانصرف عمر ، فقال : يا بن أخي ، أمرك رسول الله ﷺ أن يأمرني ؟ قلت: لا ، ولكنه قال لي : «يا عبد الله ، مر الناس بالصلاة» . فلما رأيتك لم أبلغ من ورائك . فقال : ما ظننتُ إلا إن رسول الله ﷺ أمرك أن تأمرني ، ولولا ذلك ما صليتُ .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة ، عن عاصم بن عبيدالله بن سالم ، عن سالم ، عن أبيه قال :

كبر عمر ، فسمع النبي ﷺ تكبيره ، فأقلع رأسه مغضبا يقول : «أين

---

١ ـ محلة من محال عوالي المدينة . المغانم المطابة .

ابن أبي قحافة ، أين ابن أبي قحافة ؟» .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة ، عن سعيد بن أبي زيد ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عكرمة قال :

صلى بهم أبو بكر ثلاثة أيام .

حدثنا محمد ، عن الواقدي ، ثنا يونس بن يعقوب ، عن أبي الحارث بن عبدالله ، عن سعيد بن يسار قال :

ثقل رسول الله ﷺ يوم الخميس ، فصلى بهم أبو بكر يومئذ الظهر حتى كان اليوم الذي توفي فيه . فإنه كثر الناس . فصلى بهم صلاة الصبح . فأقبل رسولُ الله ﷺ فجلس إلى جنب أبي بكر . فصلى بصلاة أبي بكر . فلما سلم أبو بكر . قضى رسول الله ﷺ الركعة[1].

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا شبابة بن سوار ، ثنا شعبة ، عن نعيم بن أبي هند ، عن وائل ، عن مسروق ، عن عائشة قالت :

صلى النبي ﷺ خلف أبي بكر في مرضه الذي مات فيه قاعدا .

حدثنا الحسن بن عرفة ، ثنا كثير بن مرور الفلسطيني ، عن الحسن بن عمارة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سويد بن غفلة ، عن علي رضي الله تعالى عنه قال :

أمر رسول الله ﷺ أبا بكر على صلاة المؤمنين . فصلى بهم في حياة النبي ﷺ تسعة أيام ، ثم قبض .

حدثنا محمد بن خالد بن عبدالله الواسطي ، عن أبيه ، عن يونس ، عن الحسن قال :

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢١٥ ـ ٢٢٤ .

صلى رسول الله ﷺ خلف أبي بكر في برد قد خالف بين طرفيه ، حين اشتكى .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، قال : سمعت حميدا يحدث ، عن أنس بن مالك

أن رسول الله ﷺ صلى خلف أبا بكر في ثوب واحد .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة قال :

صلى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا أحمد بن عبدالله بن يونس ، عن رجل ، عن الفضيل بن عمرو ، قال :

صلى أبو بكر بالناس ثلاثا .

حدثنا أبو عثمان عفان بن مسلم ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة

أن رسول الله ﷺ قال في مرضه : «مروا أبا بكر فليصلّ بالناس . قالت عائشة : فقلت : إنّ أبا بكر رجل أسيف ، إذا قرأ القرآن بكى ، فقال : مروه فليصل بالناس . فقلتُ لحفصة : قولي إنّ أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناس من البكاء ، فمر عمر فليصلّ . ففعلت . فقال : إنكن صواحب يوسف ؛ مروا أبا بكر فليصل» . فقالت حفصة : ما كنتُ لأصيب منك خيرا .

حدثنا عمرو بن محمد ، ثنا الحسين الجعفي ، أنبأ زائدة ، عن عبدالملك بن عمير ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري قال :

لما مرض رسول الله ﷺ فاشتد وجعه قال : «مُروا أبا بكر فليصل

بالناس . فقالت عائشة : أن أبا بكر رجل رقيق ، وإن قام مقامك لم يكن يُسمع الناس . قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فإنكن صواحب يوسف» .

حدثنا إسحاق أبو موسى الفروي ومحمد بن سعد ، قالا ثنا محمد بن خازم أبو معاوية الضرير ثنا الأعمش ، عن إبراهيم النخعي ، عن الأسود ، عن عائشة قالت :

لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنّه بالصلاة ، فقال : «مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : فقلت إنّ أبا بكر رجل أسيف ، وإنه إن قام مقامك لم يسمع الناس ؛ فلو أمرتَ عمر ؟ قال : مروا أبا بكر فليصل للناس ، فقلت لحفصة : قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف وإنه إن يقم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرتَ عمر ؟ فقالت له حفصة ذلك . فقال : أنتن صواحب يوسف ؛ مروا أبا بكر فليصل . فصلى بهم . فلما دخل أبو بكر في الصلاة ، وجد رسول الله ﷺ خفّة ، فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل المسجد ، فلما سمع أبو بكر حسه ، ذهب يتأخر . فأومأ رسول الله ﷺ إليه أن كما أنت ؛ وجاءه رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر . فكان رسول الله ﷺ يصلي جالسا ، وأبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله ﷺ ، ويقتدي الناسُ بصلاته» .

حدثني روح بن عبدالمؤمن ، ثنا يعقوب بن الحضرمي ، عن زائدة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ، عن عائشة وابن عباس

أن رسول الله ﷺ خرج في مرضه وأبو بكر يصلي ، فاستأخر أبو بكر ، فردّه النبي ﷺ ، فصلى رسول الله ﷺ قاعدا ، وصلى أبو بكر قائما ، يقتدي أبو بكر والناسُ بصلاة رسول الله ﷺ .

أبو الحسن المدائني ، عن النضر بن إسحاق ، عن عبدالله بن خازم ، عن الحسن ، عن علي بن أبي طالب

أن رسول الله ﷺ لم يمت فجأة : كان بلال يأتيه في مرضه فيؤذّنه بالصلاة . [فيقول] : «فهاتوا أبا بكر أن يصلي بالناس» وهو يرى مكاني . فلما قُبض ، نظر المسلمون فرأوا أنّ رسول الله ﷺ قد ولاه أمر دينهم فولوه أمرَ دنياهم .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي والحسين بن علي بن الأسود العجلي قالا : ثنا وكيع بن الجراح ، أخبرني أبو بكر الهذلي ، عن الحسن قال : قال علي :

لما قبض رسول الله ﷺ ، نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدّم أبا بكر في الصلاة ، فرضينا لدنيانا من رضي به رسول الله ﷺ لديننا ، فقدّمنا أبا بكر .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا أحمد بن عبدالله بن يونس ، أنبأ أبو معشر ، عن محمد بن قيس قال :

اشتكى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر يوما ؛ فكان إذا وجد خفّة صلى ، وإذا ثقل صلى أبو بكر .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبدالله بن صالح المصري ، أنبأ الليث بن سعد ، عن عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة قال :

لما كان اليوم الذي تُوفي فيه رسول الله ﷺ ، خرج أبو بكر يصلي للناس صلاةَ الصبح . ثم خرج رسول الله ﷺ . فلما أحسه أبو بكر ، ذهب يستأخر . فحبسه . فصلى هو بأبي بكر ، وأبو بكر إمام الناس ، ورسول الله ﷺ قاعد . فلما فرغ من الصلاة ، قال أبو بكر : أراك يا رسول الله قد أصبحتَ صالحا ، واليوم لابنة خارجة ـ يعني امرأته من الأنصار . وانطلقَ أبو بكر إليها ، والنبي ﷺ يحذّر الناس الفتن . ثم نادى بأعلى صوته : «إني والله ، ما أحلّ لكم إلّا ما أحلّ الله ، ولا أحرّم عليكم إلا ما حرّم الله في كتابه . يا فاطمة بنت رسول الله ، يا صفية عمة رسول الله ، اعملا لما عند الله فاني لا أغني عنكما من الله شيئا» . فما انتصف النهار حتى توفي رسول الله ﷺ .

حدثنا محمد بن الصباح ، ثنا هشيم ، أنبأ إسماعيل بن أبي خالد ، ثنا البهي قال ،

قال أبو بكر للنبي ﷺ في مرضه الذي قُبض فيه : أراك اليوم مفيقا ، وهو يوم ابنة خارجة . فانطلق أبو بكر إليها ، ثم رجع وقد قُبض رسول الله ﷺ . فكشف عن وجهه ، وقبل جبهته فقال : بأبي أنت وأمي ، طبتَ حيا وميتاً .

حدثني عبدالله بن أبي أمية البصري ، عن إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن حمزة بن عبدالله بن عمر ، أن عائشة قالت :

لما استعزّ برسول الله ﷺ مرضه ، قال : «مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقلتُ : إنّ أبا بكر رجل ضعيف الصوت ، رقيق ، كثير البكاء إذا

قرأ القرآن . قال : مروه فليصل . قالت : فعدتُ بمثل قولي . فقال : إنكن صواحب يوسف ؛ مروه فليصل» . قالت : فوالله ما قلتُ ذلك إلا أني خفتُ أن الناس لا يحبون رجلا قام مقام رسول الله ﷺ ، وأن يتشاءموا به ، فأحببت أن أصرفه ذلك عنه .[1]

حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ثنا المعقل بن زياد ، عن معاوية بن يحيى الزهري ، عن حمزة بن عبدالله بن عمر قال :

لما اشتكى رسول الله ﷺ شكاته التي توفي فيها ، فقال : «ليصل للناس أبو بكر» . فقالت عائشة : يا رسول الله إن أبا بكر رقيق ، وأنك متى تُقمه مقامك لا يملك دمعه إذا قرأ القرآن ، فمر عمرَ أن يصلي للناس . فقال رسول الله ﷺ : «ليصل أبو بكر» . فراجعته عائشة ، فقال : «ليصل أبو بكر ؛ فإنكن صواحب يوسف» . قالت عائشة : ما حملني على أن كلمته بذلك إلا كراهة أن يتشاءم الناس بأول رجل يقوم مقام رسول الله ﷺ .

حدثني عبدالرحمن بن صالح الأزدي والحسين بن علي بن الأسود قالا : ثنا وكيع ، ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الأرقم بن شرحبيل ، عن ابن عباس

أن النبي ﷺ جاء وأبو بكر يصلي بالناس في مرضه ، فأخذ من حيث بلغ من القراءة .

حدثنا عبدالله بن صالح العجلي ، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة

---

١ ـ مغازي الزهري ص ١٣٢ . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٦٥ ـ ١٠٦٧ ، وابنة خارجة هي مليكة ، وقيل حبيبة بنت خارجة بن زهير بن مالك بن امرىء القيس الخزرجية ، وكانت احدى زوجات أبي بكر .

قاضي المدائن ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، عن الأرقم بن شرحبيل ، عن ابن عباس

أن أبا بكر صلى بالناس حين أمره رسول الله ﷺ بالصلاة في مرضه . ثم وجد رسول الله ﷺ خفة ، فخرج . فأراد أبو بكر أن يتأخر . فأومأ إليه أن كما أنت فجلس إلى جنبه ، وأبو بكر عن يمينه . فأخذ النبي ﷺ من الآية التي انتهى إليها أبو بكر ، فقرأ .

حدثني أبو الحسن المدائني ، عن أبي جري ، عن يونس ، عن الحسن قال :

أمر رسول الله ﷺ أبا بكر وهو مريض أن يصلي بالناس . ثم قال الحسن : ليُعلمهم والله ، مَن صاحبهم بعدَه ؟

المدائني ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أرقم بن شرحبيل

أن النبي ﷺ مرض في بيت عائشة ، فقال : «ليصل أبو بكر بالناس» . قالت عائشة : فقلتُ يا رسول الله إنّ أبا بكر رجل حصرٌ . قال : فبعثوا إلى عمر ، فقال : ما كنتُ لأتقدّم وأبو بكر حيّ .

المدائني ، عن أبي سلمة ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن أنس قال : قال علي :

مرض رسول الله ﷺ ، فأمر أبا بكر بالصلاة وهو يرى مكاني . فلما قُبض ، اختار المسلمون لدنياهم من رضيه رسول الله ﷺ لدينهم . فولوا أبا بكر . وكان والله لها أهلا . وماذا كان يؤخره عن مقام أقامه رسول الله ﷺ فيه ؟

ـ وحدثني هدبة ، ثنا المبارك بن فضالة

أن عمر بن عبد العزيز بعثَ ابن الزبير الحنظلي إلى الحسن فقال له : هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر؟ فقال الحسن : «أو في شكٍّ صاحُبك؟ والله الذي لا إله إلا هو ، لاستخلفه حين أمره بالصلاة دون الناس . ولهو كان أتقى لله من أن يتوثّب عليها» .

المدائني ، عن المبارك بن فضالة

بمثله .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن أبي بكر بن إسماعيل بن محمد ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك قال :

خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر يصلي ، فأراد أن ينكص . فقال : «مكانك ؛ إنما أردتُ أن أنظر إلى الصفوف» .

حدثني علي بن إبراهيم السواق ، حدثني إسماعيل بن زرارة السكري ، عن سعيد بن مسلمة ، عن إسماعيل بن أمية ، عن الزهري ، عن أنس قال :

آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ أنه اشتكى وأمر أبا بكر أن يصلي بالناس . فبينا نحن في صلاة الظهر ، كشف رسول الله ﷺ سترَ عائشة ، فنظرتُ إلى وجهه وكأنه ورقة من مصحف .

فقال : وقال إسماعيل بن أمية : وسمعت غير الزهري يذكر عن أنس أن أبا بكر نكص وهو يظنّ أن رسول الله ﷺ يريد أن يصلي بالناس . فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم صفوفا لما رأى من هيئتهم وأشار أن اثبتوا على صلاتكم . ثم أرخى الستر بينهم وبينه ، وتُوفي ﷺ من يومه ذلك .

حدثني أحمد بن إبراهيم ، ثنا أبو عاصم النبيل ، ثنا مالك بن مغول ، عن طلحة بن مصرف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال :

يوم الخميس ، وما يوم الخميس ؟ اشتدّ فيه وجع رسول الله ﷺ . وبكى ابن عباس طويلا . ثم قال : «فلما اشتدّ وجعه ، قال : «ائتوني بالدواة والكتف أكتب لكم كتابا لا تضلون معه بعدي أبدا» . فقالوا : أتراه يهجر . وتكلموا ، ولغطوا ، فغمّ ذلك رسولَ الله ﷺ ، وأضجره . وقال : «إليكم عني . ولم يكتب شيئا» .

- حدثني روح ، ثنا الحجاج بن نصير ، عن قرة بن خالد ، عن أبي الزبير ، عن جابر

أن النبي ﷺ دعا بصحيفة أراد أن يكتب فيها كتاباً لأمته . فكان في البيت لغط . فرفضها .

- حدثنا أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا شبابة بن سوار ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن القاسم بن محمد قال : سمعت عائشة تقول :

نعمة من الله عليّ ورحمة أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وليلتي بين سحري ونحري ، لم يلمه غيري وغير الملك .

وحدثنا عبد الله بن أبي أمية ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن اسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه قال : سمعت عائشة تقول :

مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري وفي دولتي لم أظلم أحدا ؛ فمن سفهي وحداثة سنّي أنه قُبض وهو في حجري ، فوضعتُ رأسَه على وسادة وقمتُ ألتدم مع النساء وأضرب وجهي .

ـ حدثني الوليد بن صالح ، ثنا مرحوم بن عبد العزيز ، ثنا أبو عمران الجوني ، عن يزيد بن نانيوس قال سمعت عائشة تقول :

سمعني رسول الله ﷺ أقول «وارأساه» ، فقال : «أنا الذي أشتكي رأسي . وذاك حين أخبره جبريل أنه مقبوض . فلبثه أياماً حتى جيء به من بيت ميمونة ، فحمل بين أربعة . فقال : يا عائشة ، أرسلي إلى النسوة ، فلما جئن قال : لا أستطيع أن أختلف بينكن ، فأذنن لي فأكون في بيت عائشة . قلن : نعم يا رسول الله . ورأيناه يوما يحمر وجهه ويعرق جبينه ، ولم أكن رأيتُ قط ميتا قبله . ثم قال : أقعديني ، فأسندته إليّ ووضعتُ يدي عليه ، فقلب رأسه فوقعت يدي عنه . ووقعت من فيه نطفة باردة على صدري ـ أو قالت : على ترقوتي ـ فسقط على الفراش» . فسجّيناه بثوب . وجاء عمر ، فاستأذن ، ومعه المغيرة بن شعبة ، فأذنتُ لهما ومددتُ الحجاب . فقال عمر : يا رسول الله . فقلت : غشي عليه منذ ساعة . فكشف عن وجهه ، وقال : واغشياه ما أشد غشي رسول الله ، ثم غطاه ولم يتكلم المغيرةُ . فلما أن بلغ إلى عتبة الباب ، قال : مات رسول الله ﷺ يا عمر . قال عمر : كذبتَ ، ما مات رسول الله ، ولا يموت حتى يؤمر بقتال المنافقين ؛ بل أنت امرؤ تحوسك الفتنة .

وجاء أبو بكر ، فقال : ما لرسول الله ؟ قلتُ : غشي عليه منذ ساعة ، فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يده على صُدغيه ثم قال : وآنبياه ، وآخليلاه ، وآصفياه ، صدق الله ورسوله ، قال الله عزوجل : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون[1]﴾ ، ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد

---

١ ـ سورة الزمر ـ الآية : ٣٠ .

أفإن مِتّ فهم الخالدون[١]﴾ ، ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون[٢]﴾ . ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسلُ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين[٣]﴾ . قال عمر : «أفي كتاب الله هذا ، يا أبا بكر ؟» قال : نعم . ثم قال عمر : هذا صاحب رسول الله في الغار وثاني اثنين ، فبايعوه . فحينئذ بايعوه .

ـ حدثنا الوليد بن صالح ، عن الواقدي ، عن ابن أبي ذئب ، عن أبي حازم ، عن ابن عمر قال :

لما قُبض النبي ﷺ سُجّىَ بثوب ، وقعدنا حوله نبكي . وإنا لكذلك إذ سمعنا صوتا ، ولا يتبين شخصا ، قال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فرددنا عليه مثل ذلك . فقال : ﴿كل نفس ذائقةُ الموت وإنما توفَّون أجورَكم يومَ القيامة﴾ ، إلى قوله ﴿متاع الغرور﴾[٤] أما تعلمون أنّ في الله خلفا من كل هالك ، وعزاء عن كل مصيبة ، وعوضا من كل فائت ، فبالله فثقوا ، والله فارجوا ، وليحسن نظركم في أمركم ومصيبتكم ، فإن المحروم من حرم الثواب ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قال ابن عمر : فسمع هذا الكلامَ أهلُ البيت كلهم ، وأهل المسجد ، وأهل الطريق . وبكى الناس يومئذ حتى النساء في الخدور ، وكادت البيوت تسقط

---

١ ـ سورة الأنبياء ـ الآية : ٣٤ .
٢ ـ سورة العنكبوت ـ الآية : ٥٧ .
٣ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٤ .
٤ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٨٥ .

من الصراخ . قال ابن عمر : فظننا أن جبريل عليه السلام جاء يعزّينا عزاءَ نبينا ويودّعنا .

المدائني ، عن أبيه قال ، قال الشعبي :

لما قبض رسول الله ﷺ ، سمعوا مناديا ينادي : في الله عوض كل فائت ، وعزاء من كل مصيبة ، المجبور من جبره الثواب ، والمحروم من حرمه . فقال علي عليه السلام : هذا الخضر يعزّيكم عن نبيكم .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن عبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عون ، عن أبي عون أن النبي ﷺ قال :

«إذا غسلتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ، ثم اخرجوا عني ساعة ، وأنّ أول من يصلي عليّ خليلي جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ادخلوا عليّ فوجا فوجا ، فصلوا وسلموا تسليما ، ولا تؤذوني بتزكية ، وليبدأ بالصلاة عليّ رجالُ أهل بيتي ، ثم نساؤهم ، ثم أنتم ، واقرأوا السلام على مَن غاب من أصحابي»[1] .

ـ حدثنا عبد الله بن أبي أمية والوليد بن صالح ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن ابن عباس قال :

خرج علي بن أبي طالب في شكاة رسول الله ﷺ على الناس ، فقالوا : كيف رسول الله ، أبا الحسن ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً . فأخذ

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٥٨ ـ ٢٦٢ .

العباس بيده ، ثم قال : يا علي أنت والله عبد العصا بعد ثلاث[١] ، قد والله عرفتُ الموت في وجه رسول الله ﷺ كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب ؛ فانطلق بنا إلى رسول الله ، فإن كان الأمر فينا أعلمنا ، وإن كان في غيرنا سألناه أن يوصي الناسَ بنا . فقال علي : والله لا أفعل ؛ والله لئن منعناه لا يوتيناه الناسُ بعده . وتوفي رسول الله ﷺ حين ارتفع الضحى من ذلك اليوم[٢] .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي في إسناده قال :
دخل ملَك الموت على رسول الله ﷺ بعد أن أستأذن له جبريل . فقال : يا رسول الله ، إني أمرتُ أن أطيعك ، فإن شئتَ قبضت روحك ، وإن شئت تركتك . فقال : «ما عند الله خير وأبقى ؛ فامض لقبض روحي» . قالوا : ورُفع خاتم النبوة من بين كتفي رسول الله ﷺ ، فتيقن الناس بوفاته[٣] .

ـ حدثني عبد الله بن أبي أمية ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال :
لما تُوفي رسول الله ﷺ قام عمر فقال : إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي ، وأنّ رسول الله ﷺ ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما

---

١ ـ كناية عمن يصير تابعاً لغيره ، أي أن النبي ﷺ سيموت بعد ثلاث ، وتصير أنت مأموراً عليك ، هذا وأصل هذه العبارة صدر عن تاريخ دولة كندة في أيام حجر والد امرىء القيس .
٢ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٦٧ ـ ١٠٦٨ .
٣ ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠ .

ذهب موسى بن عمران وغاب عن قومه أربعين ليلة ؛ والله ليرجعنّ رسولُ الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم .

ثم جاء أبو بكر فدخل بيتَ عائشة والنبي ﷺ مسجى ببرد حبرة . فأقبل حتى كشف عن وجهه ، ثم قبله وردّ البردَ على وجهه ثم خرج وعمر يكلم . فقال : على رسلك يا عمر . ثم حمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، مَن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت ، وَمن كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات . ثم تلا قول الله عزوجل : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون[1]﴾ ، ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسلُ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم[2]﴾ . قال : فوالله لكأنّ الناس لم يعلموا بنزول هاتين الآيتين حتى قرأهما أبو بكر ، وأخذهما الناس فكانتا في أفواههم . وقال عمر : لما سمعتُها ، سقطت رجلاي ، فما يقلانّي ، وعرفتُ أن رسول الله ﷺ قد مات[3] .

حدثني محمد بن عرعرة ، ثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة قال :

لما قُبض رسول الله ﷺ دخل عمرَ أمرٌ جليل ، فأقبل والهاً مُدلها يقول : ما مات رسول الله ﷺ ، ولا يموت ، إنما هذه غشية . فقال أبو بكر : أشككتَ في دينك يا عمر ؟ أما سمعتَ الله يقول لنبيه : ﴿إنك ميت

---

١ ـ سورة الزمر ـ الآية : ٣٠ .
٢ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٤٤ .
٣ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٦٩ ـ ١٠٧٠ .

وإنهم ميتون﴾ . قال فسُري عن عمر ، وقال : والله لكأني لم أسمعها قبل يومي هذا . وأكبّ على رسول الله ﷺ يقبل جبينه ويبكي[١] .

- وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أنس قال :

جلس أبو بكر رضي الله تعالى عنه على المنبر الغدَ من متوفى رسول الله ﷺ . فشهد عمرُ ، وأبو بكر صامت ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإني قلتُ أمس مقالة لم تكن كما قلتُ ، وإني والله ما وجدتُ تلك المقالة في كتاب أنزله الله ولا عهد عهده رسولُ الله ﷺ ، ولكني رجوتُ أن يعيش رسول الله حتى يدّبرنا ، وإنّ كان الله قد أبقى فينا كتابه الذي هدى به رسوله فإن اعتصمتم به هداكم الله ، وقد جمع الله أمركم على خيركم : صاحب رسول الله وثاني اثنين وأحقّ الناس بأمركم ، فقوموا فبايعوا . فبايع الناس أبا بكر ، بعد السقيف ، بيعة العامة[٢] .

- وروي الواقدي في إسناد له

أن عثمان رضي الله عنه قال : إنّ رسول الله ﷺ لم يمت ، ولكنه رُفع كما رفع عيسى بن مريم .

وحدثني عمر بن شبة ، ثنا زيد بن يحيى ، ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :

---

١ - انظر مغازي الزهري ص ١٣٤ - ١٣٥

٢ - طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٦٦ - ٢٧٢

تُوفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، فتُرك بقية يومه ، ومن الغد ، ودفن ليلا . فتكلم عمر فقال : إنّ رسول الله ﷺ لم يمت ، وإنما عُرج بروحه كما عُرج بروح موسى بن عمران ؛ والله لا يموت حتى يقطع أيدي رجال وألسنتهم . وتكلم حتى أزبد شدقاه . فقام العباس فقال : «يا قوم ، إن النبي قد مات ، فادفنوا صاحبكم ، فإنه ليس يعزّ على الله ، إن كان كما يقولون ، أن ينحي عنه الترابَ ؛ فو الله ما مات رسول الله حتى ترك السبيل نهجا واضحا : أحلّ الحلالَ وحرّم الحرامَ ، ونكح وطلق ، وحارب وسالم . والله ما كان راعي غنم يخبط عليها العضاة بمخبطة ويمدُر[1] حوضها بيده بأرأب مَن رسول الله فيكم ولا أتعب يا قوم ادفنوا صاحبكم» . وجعلت أم أيمن تبكي ، فقيل لها : أتبكين على رسول الله ؟ فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أنه خرج من الدنيا إلى ما هو خير له منها ؛ ولكني أبكي لأنه انقطع عنا خبر السماء .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال :

قال لي عمر في خلافته : أتدري يابن عباس ما حملني على ما قلتُ حين توفي رسول الله ﷺ ؟ كنتُ أقرأ هذه الآية : ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداءَ على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيدا[2]﴾ ، وكنتُ أظنّ أن رسول الله ﷺ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها . فذلك حملني على ما قلتُ .

---

١ ـ مَدَرَ المكان : طانه . القاموس .

٢ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٤٣ .

ـ وقال الواقدي : بدىء رسول الله ﷺ يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من صفر . وتوفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن راشد ، عن مكحول قال :

قبض النبي ﷺ يوم الاثنين ، ودفن ليلة الأربعاء[1] .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ، عن يحيى بن آدم ، عن البكائي ، عن محمد بن اسحق ، عن فاطمة بنت محمد بن عمارة امرأة عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، عن عائشة قالت :

ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا أصواتَ المساحي في جوف الليل ليلة الأربعاء[2] .

وروي عن أبي معشر أن رسول الله ﷺ بدىء يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر ، وقبض لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ، فكانت شكايته ثلاث عشرة ليلة .

وروى أبو مخنف[3] مثل رواية أبي معشر ، وقال :

دُفن يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس ؛ وتغير لونه .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤ .
٢ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٧٨ ـ ١٠٧٩ .
٣ ـ في هامش الأصل : اسم أبي مخنف لوط .

وحدثني محمد بن سعد بن محمد بن عمر الواقدي ، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، عن موسى بن عقبة ، عن الزهري قال :

توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين حين زاغت الشمس لهلال شهر ربيع الأول[1] .

غسل رسول الله ﷺ وتكفينه ودفنه :

ـ حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا يحيى بن آدم ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله :

أن عليا ، والعباس ، والفضل بن العباس ، وقثم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله ﷺ هم الذي ولوا غسلَ رسول الله ﷺ ودفنه ، وأنّ أوس بن خَولي ، أحد الخزرج قال لعلي عليه السلام : اجعل لنا حظا في رسول الله ﷺ . وكان بدريا . فقال له : ادخل . فدخل فجلس وحضر غسل رسول الله ، وأسنده عليّ إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه ، وكان أسامة وشقران يصبان عليه الماء ، وعليّ يغسله مسنداً له إلى صدره ، وعليهِ قميصه يدلكه به ، ومن ورائه لا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ ، وعليّ يقول : بأبي أنت وأمي ، طبتَ حيّاً وميتاً .

ـ حدثنا سعيد بن سليمان ، ثنا عباد بن العوام ، أنبأ محمد بن اسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه قال :

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤ .

لما توفي رسول الله ﷺ اختلفوا في غسله ، وقالوا : كيف نصنع : أنجرّد رسولَ الله كما نجرّد موتانا ؟ فألقي الله عز وجل عليهم النوم ، فما أحد يرفع رأسه ، فسمعوا مناديا ينادي من عُرض[1] البيت أن اغسلوه وعليه ثيابه . فغسل في قميص له ، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه به . فقالت عائشة : لو كنتُ استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ، ما غسله إلا نساؤه[2] .

حدثنا خلف بن هشام البزار ومحمد بن الصباح ، عن هشيم بن بشير ، عن مغيرة ، عن مولى لبني هاشم قال :

لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ ، هموا بنزع قميصه ، فسمعوا صوتا من ناحية البيت : لا تنزعوا قميصه .

ـ حدثنا إسحاق بن أبي اسرائيل ، ثنا اسماعيل بن إبراهيم ـ يعني ابن علية ـ ثنا ابن جريج ، عن أبي جعفر قال :

غُسل رسول الله ﷺ ثلاث غسلات بماء وسدر ، في قميص ، وغسل من بئر لسعد بن خيثمة يقال لها بئر غرس . وكان النبي ﷺ يشرب منها . وولي غسله علي بن أبي طالب بيده ، والعباس يصبّ الماء ، والفضل بن العباس محتضنه . والفضل يقول أرحني أرحني ، قطعتَ وَتيني[3] .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري قال :

---

١ ـ في هامش الأصل : عرض البيت ـ بالضم ـ ناحيته .

٢ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٧٧ .

٣ ـ في هامش الأصل : الوتين عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

خلى أبو بكر وأصحابُ رسول الله ﷺ بين العباس ، وعلي ، والفضل بن العباس ، وسائر أهله ، فكانوا هم الذين أجنّوه[1] .

حدثني هشام بن عمار ، ثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال :

غسل رسولَ الله ﷺ عليّ والفضل ، وصالح يعاونهما - يعني شُقران .

حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني ، ثنا حماد بن زيد ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال :

ولي غسل رسول الله ﷺ وإجنانه دون الناس أربعة : العباس ، وعلي ، والفضل بن العباس ، وصالح مولى رسول الله ﷺ .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، عن يحيى بن آدم ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال :

التمسَ عليّ من النبي ما يلتمس من الميت ، فلم يجده فقال : بأبي أنت وأمي طبتَ حيا وميتا .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا هشيم ، أنبأ إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي قال :

غسل رسولَ الله ﷺ عليّ ، والفضل ، وكان أسامة يناولهما الماء .

- حدثنا سليمان بن داود الزهراني ، ثنا حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة :

أن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب سحولية .

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٧٨ .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عبد الوهاب الثقفي ، ثنا خالد الحذاء ، عن أبي قلابة .

أن النبي ﷺ كفن في ثلاثة أثواب سحولية : رِياط يمانية .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن موسى بن محمد ، عن أبيه ، عن أبي سلمة ، عن عبد الرحمن عن عائشة قالت :

كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية ، ليس فيها قميص ولا عمامة[1] .

حدثنا هدبة ، عن جرير بن حازم ، عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير قال :

كفن رسول الله ﷺ في ثوبي حبرة ، ثم رأوا أن يكفنوه في بياض أو يمانية . قال : فأخذهما عبد الله بن أبي بكر ، فقال : كفن فيهما رسول الله ، ومسا جلدَه ، فلن يفارقاني حتى أكفن فيهما . فعجب الناس من رأيه . قال : فامسكهما ما شاء الله ، ثم قال : لو كان فيهما خير ، ما آثرني الله بهما على نبيه . فعجب الناس من رأيه الآخر أشد من عجبهم من رأيه الأول .

حدثنا عفان ، ثنا هشيم ، أنبأنا يونس أنه سمع الحسن يقول :

كفن رسول الله ﷺ في حلة حبرة ، وقميص .

وحدثت عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحاق ، عن جعفر بن محمد وعلي بن الحسين ، وعن الزهري عن علي بن الحسين .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٨١ ـ ٢٨٣ .

أن النبي ﷺ كفن في ثلاثة أثواب : ثوبين صحاريين ، وثوب حبرة أدرج فيهما إدراجا[1] .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، عن مغيرة ، عن إبراهيم

مثله .

حدثنا القاسم بن سلام ، ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال :

كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب : ثوبين أبيضين ، وثوب حبرة .

حدثنا هدبة ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ محمد بن عبد الله بن عقيل ، عن محمد بن علي : «ابن الحنفية» ، عن أبيه .

أن النبي ﷺ كفن في سبعة أثواب .

ـ حدثنا أبو عبيد وبكر بن الهيثم قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، كاتب الليث ، عن الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد بن المسيب ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :

رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتي، فقصصتُ رؤياي على أبي بكر ، فقال : ليدفننّ في حجرتك ثلاثة هم خير أهل الأرض ، فلما توفي رسول الله ﷺ دُفن في بيتها ، فقال أبو بكر : هذا أحد أقمارك ، وهو خيرها .

---

١ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٧٨ .

حدثني شريح بن يونس ، ثنا إسماعيل بن علية ، عن أيوب ، عن أبي قلابة .

أن عائشة رضي الله تعالى عنها رأت قمراً خرّ من السماء يهوي حتى وقع في حجرتها ، ثم جاء آخر يهوي حتى وقع في حجرتها ، ثم جاء آخر يهوي حتى وقع في حجرتها فقصت رؤياها على أبي بكر ، فقال : إن صدّقت رؤياك ، دُفن في حجرتك ثلاثة هم خير أهل الأرض .

قال ابن علية ، وأخبرني غير أيوب

أن رسول الله ﷺ لما قُبض ، قال أبو بكر لعائشة رضي الله تعالى عنها : هذا أحد أقمارك ، وهو خيرها .

- حدثني عباس بن حاتم البزار ، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، أنبأ عيسى بن يونس ، عن ابن جريج ، عن أبيه قال :

شكُوا في قبر النبي ﷺ ، أين يدفنونه ، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّ النبي لا يحوّل من مكانه ، يدفن حيث يموت». فنحوا فراشه ، وحفروا له في موضع فراشه .

- حدثنا الوليد بن صالح وعبد الله بن أبي أمية قالا ، ثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :

لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ ، كان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهل يحفر لأهل المدينة فكان يَلحد . فدعا العباسُ بن عبد المطلب رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة بن الجرّاح ، وقال للآخر : اذهب إلى أبي طلحة ؛ اللهم ، خِرْ

لنبيك . فوجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلحد لرسول الله ﷺ .

قال : ولما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ ، يوم الثلاثاء ، وضع على سريره في بيته . وكان المسلمون قد اختلفوا في دفنه : فقال قائل : ندفنه في المسجد ، وقال قائل : ندفنه في مكانَ كذا ، فقال أبو بكر : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض». فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه ، وحفر له تحته ، ثم دخل الناس أرسالا للصلاة عليه . حتى إذا فرغوا دخل النساء . حتى إذا فرغ النساء دخل الصبيان . ولم يؤمّ الناس على رسول الله ﷺ أحد ، ثم دفن رسول الله ﷺ ليلة الأربعاء .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي في إسناده قال :

اختلفوا في دفن رسول الله ﷺ ، فقال قائل : يدفن بالبقيع ، وقال قائل : يدفن عند منبره ، وقال قائل : يدفن عند الجذع الذي كان يصلي إليه . فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : عندي مما تختلفون فيه علم ؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يدفن إلا حيث يقبض»، فخط حول فراشه ، ثم حُوّل رسولُ الله ﷺ بالفراش ناحية ، ثم حفر له أبو طلحة ، ولحد له[1] .

ـ حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ أبو عمران الجوني ، ثنا أبو عسيم

---

١ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٧٨ ـ ١٠٧٩ .

وشهد ذلك ، قال : لما قُبض النبي ﷺ قالوا : كيف نصلي عليه ؟ قالوا : ادخلوا أرسالاً . فكانوا يدخلون من الباب ، ويخرجون من الباب الآخر ، ولم يتقدمهم عليه إمام .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن عبد الحميد بن عمران ، عن أبيه ، عن أمه قالت :

كنتُ ممن دخل على النبي ﷺ وهو على سرير ، فكنا صفوفا ندعو ونصلي ، فرأيتُ أزواجه قد وضعن الجلاليب عن رؤسهن يلتدمن في صدروهن ، ونساء الأنصار يضربن الوجوهَ فذبحت حلوقهن من الصياح .

وقال الواقدي ، ثنا موسى بن محمد قال :

وجدتُ في صحيفة لأبي : دخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه والمهاجرون يسلمون ، يقولون : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وكان أول من سلم أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما . ثم جعل المهاجرون يقولون كما قالا ، وقالوا بعد السلام : إنا نشهد أنك قد بلغتَ الرسالة ، ونصحتَ الأمة ، وجاهدتَ في سبيل الله حتى أعزَزْتَ دينه ؛ اللهم فاجعلنا ممن يتبع القولَ الذي أنزل معه ، واجمع بيننا وبينه .

وحدثنا محمد بن سعد ، عن محمد بن عبد الله وغيره ، عن الزهري ، عن عروة

أنه لما كفن رسول الله ﷺ وضع في البيت ، فدخل الناس أفواجاً :

---

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

الرجال ، والنساء ، والصبيان يصلون عليه ، ثم يخرجون ، لا يؤمهم إمام[١] .

ـ حدثنا خلف بن هشام ، ثنا هشيم ، ثنا يونس ، عن الحسن ومغيرة ، عن إبراهيم ومجالد ، عن الشعبي ، قالوا :

ألحد لرسول الله ﷺ .

وقال خلف بن هشام ، قال هشيم :

بلغني أن اللبن نصب نصبا

وحدثني بعض الدمشقيين ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى قال :

ألحد لرسول الله ﷺ ، ولم يشقّ ، وبنوا عليه اللبن كما يبنى على القباب .

حدثنا هشام بن عمار ، ثنا الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى قال :

لما وضع النبي ﷺ في قبره ، التمسوا بناء ، فقال المغيرة بن شعبة : أنا أنزل فأبني . فنزل فبنى .

ـ حدثنا محمد بن الصباح ، ثنا هشيم ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن قال :

جعلت في قبر رسول الله ﷺ قطيفة حمراء كان أصابها يوم خيبر . وإنما فعلوا ذلك لأن أرض المدينة سبخة . قال : ففُرشتْ تحته .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٨٨ ـ ٢٩١ .

حدثنا هشام بن عمار ، ثنا الوليد عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى

أنه فرشت تحت رسول الله ﷺ قطيفة تقيه سبخ المدينة .

وقال الواقدي في إسناد له :

قَذف شُقرانُ قطيفةً للنبي ﷺ في قبره ، وقال : لا يلبسها أحد بعده .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، ثنا أبو داود ، ثنا شعبة ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال :

جُعل ـ أو بسط ، أو فُرش ـ في قبر رسول الله ﷺ قطيفة حمراء .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن مالك ومعمر ، عن الزهري قال :

لما دفن رسول الله ﷺ ، رُشّ على قبره الماء من قبل رأسه ، من شقه الأيمن . رشه بلال . وجعل مسطوحا ، وجعلت عليه ، بعد ، حصباء[1] .

ـ وحدثني هشام بن عمار ، عن الوليد بن مسلم ، عن أبي جريج قال :

كان حائط البيت الذي دُفن فيه النبي ﷺ قد استهدم وسقط بعضه ، فبناه عمر بن عبد العزيز حين بنى المسجد أيام الوليد بن عبد الملك .

ـ حدثنا عفان ، ثنا هشيم ، أنبأ إسماعيل بن أبي خالد قال : سمعت الشعبي قال :

دخل قبرَ النبي ﷺ : علي عليه السلام ، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد . قال : فتكلم بعضهم ، فدخل عبد الرحمن بن عوف .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٠٦

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا أحمد بن محمد بن أيوب ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن أبي مرحب قال :

نزل في قبر النبي ﷺ أربعة ، أحدهم عبد الرحمن بن عوف .

وقال الواقدي : الثبت أنه نزل في قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، والفضل ، وأسامة وشقران .

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال :

نزل في قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، والفضل ، وأسامة ، وشقران . وقالت الأنصار : اجعلوا لنا في رسول الله ﷺ نصيبا . فدخل أوس بن خولي أحد بني الحُبلى ، من الخزرج ، وكان بدرياً . وسقط خاتم المغيرة بن شعبة في القبر . فقال له علي عليه السلام : إنما أسقطته عمداً لتنزل فتأخذه وتقول : كنتُ آخر من نزل في قبر رسول الله ﷺ وأقربهم عهدا به . فنزل قثم بن العباس ، فأخرج خاتم المغيرة . فكان قثم آخر الناس عهداً بقبر رسول الله ﷺ .

حدثنا عمر بن محمد ، ثنا هشيم ، أنبأ يونس ، عن عكرمة قال :

دخل في قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، والفضل ، وأسامة . فقال رجل من الأنصار ، يقال له ابن خولي : قد علمتم أني كنتُ أدخل قبور الشهداء ورسول الله ﷺ أفضل الشهداء ، فأدخل معهم .

- حدثني بكر بن الهيثم ، حدثني أحمد بن محمد بن أيوب ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يسار ، عن

مقسم أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن الحارث ، عن علي بن أبي طالب أنه قال :

إن المغيرة بن شعبة يخبركم أنه آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ ، وقد كان أحدث عهداً برسول الله قثم بن العباس .

حدثني محمد بن أبان الطحان ، ثنا جرير بن حازم ، عن محمد بن إسحاق قال :

كان آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ تمام بن العباس بن عبد المطلب ، أو قثم ؛ نزل فأخرج خاتم المغيرة بن شعبة[1] .

المدائني ، عن ابن جعدبة عن الزهري ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال :

أحدث الناس عهداً بقبر رسول الله ﷺ الحسن بن علي ، أمره أبوه فنزل فأخرج خاتم المغيرة .

حدثنا محمد بن الصباح ، ثنا هشيم ، ثنا مجالد ، عن الشعبي ، عن المغيرة بن شعبة

أنه كان يحدّثهم ها هنا ، يعني بالكوفة ، قال : أنا أقرب الناس عهداً
١ برسول الله ﷺ . ودُفن ﷺ ، فخرج عليّ ، فألقيتُ خاتمي ، فقلت : يا أبا الحسن ، خاتمي . قال : انزل ، فخذه فنزلتُ ، فأخذتُ الخاتم ، ووضعتُ يدي على اللبن ، ثم خرجتُ .

حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، قال سمعت أبا عمران الجوني ، عن أبي عسيم قال :

---

١ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٧٩ .

لما وضع رسول الله ﷺ في لحده قال المغيرة : إنه قد بقي من قبل قدميه شيء لم يصلح . قالوا : فأدخلُ فأصلِحْه . قال : فمسّ قدميه ، ثم قال : هيلوا عليّ التراب هيلا ، حتى بلغ أنصاف ساقيه ، ثم خرج ، فقال : أنا أحدثكم عهدا برسول الله ﷺ .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن موسى بن عبيدة ، عن مصعب بن محمد بن شرحبيل ، عن أبي سلمة ، عن عبد الرحمن

أن النبي ﷺ قال في مرضه : «من أصيب من أمتي بمصيبة بعدي ، فليتعزَّ بمصيبته بي عن مصيبته ، فإنّ أحدا من أمتي لا يصاب بأشد من مصيبته بي»[1] .

ـ حدثنا روح بن عبد المؤمن ، ثنا غُنْدَر ، انبأ شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن جرير بن عبد الله أنه سمع معاوية رضي الله تعالى عنه يقول :

توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين .

حدثنا محمد بن الصباح ، ثنا هشيم ، أنبأ داود بن أبي هند ، عن الشعبي قال :

قبض رسول الله ﷺ وله ثلاث وستون سنة .

حدثنا أبو نصر التمار ، ومحمد بن الصباح البزاز ، عن شريك ، عن أبي إسحاق .

بمثله .

١ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣١١ ـ ٣١٤ .

أمر السقيفة[١]

ـ حدثنا وهب بن بقية ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي قال :

لما قبض رسول الله ﷺ ، أتى عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح فقال له : ابسط يدك نبايعك فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ . فقال : يا عمر ، ما رأيتُ لك فهة[٢] منذ أسلمتُ قبلها ؛ أتبايعني وفيكم الصدّيق وثاني اثنين ؟

حدثنا عفان ، ثنا معاذ بن معاذ ، أنبأ ابن عون ، أن محمد بن سيرين حدثهم قال :

لما توفي رسول الله ﷺ ، أتوا أبا عبيدة بن الجراح . فقال : أتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة ؟ قال ابن عون : فقلت لمحمد : وما ثالث ثلاثة؟ قال :

١ ـ في هامش الأصل : بلغت معارضة بأصل آخر ولله الحمد .
٢ ـ الفهة : العي . القاموس .

ألم تقرأ هذه الآية : ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزَن إنّ الله معنا[1]﴾ ؟

- حدثنا محمد بن سعد ، ثنا يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال :

سمعت عمر بن الخطاب وذكر بيعة أبي بكر ، فقال : وليس فيكم من تمد إليه الأعناق - أو قال : تقطع إليه الأعناق - مثل أبي بكر .

- حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني ، ثنا حماد بن زيد ، أنبأ يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد قال :

لما توفي رسول الله ﷺ ، اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة ، فأتاهم أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة بن الجراح . فقام حباب بن المنذر ، وكان بدريا ، فقال : منا أمير ومنكم أمير ؛ فإنا والله ما ننفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط ، ولكنا نخاف أن يليه أقوام قتلنا آباءَهم وإخوانهم . قال : فقال عمر : إذا كان ذاك ، قمتَ إن استطعتَ . فتكلم أبو بكر فقال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفين كشقّ الأبلُمة[2] - قال حماد : يعني الخوصة - فبايع أولَ الناس بشيرُ بن سعد ، أبو «النعمان بن بشير» .

قال : فلما اجتمع الناس على أبي بكر ، قسّم بينهم قسما ، فبعث إلى عجوز من بني عدي بن النجار بقسمها مع زيد بن ثابت . فقالت :

١ - سورة التوبة - الآية : ٤٠ .
٢ - أي نحن وإياكم في الحكم سواء . وخوص النخل : ورقه . النهاية لابن الأثير .

ما هذا ؟ قال : قسم قسمه أبو بكر . فقالت : أترشوني عن ديني ؟ قال : لا . قالت : أتخافوني أن أدع ما أنا عليه ؟ قال : لا . قالت : فو الله لا آخذ منه شيئاً . فرجع زيد إلى أبي بكر ، فأخبره بما قالت . فقال : ونحن والله لا نأخذ مما أعطيناها شيئا أبداً .

ـ حدثني عمرو بن محمد الناقد ، أنبأ الحسين الجعفي ، عن زائدة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود قال :

لما قبض رسول الله ﷺ ، قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . قال : فأتاهم عمر ، فقال : يا معشر الأنصار ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمّر أبا بكر أن يصلي بالناس ؟ قالوا : بلى . قال : فأيكم يطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر بعد ذلك ؟ قالوا : نعوذ بالله أن نتقدّم أبا بكر .

ـ حدثني بكر بن الهيثم ، عن هشام بن يوسف ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال :

بلغني أن عمر بن الخطاب أراد الخطبة يوم الجمعة ، فعجّلْت الرواح حين صارت الشمس «صَكة عُميّ»(١) . فلما سكت المؤذنون ، خطب فقال : إني قائل مقالة لا أدري لعلها قدام أجلي . فمن وعاها ، فليتحدث بها حيث انتهت به راحلته . ومن خشي أن لا يعقلها شيء ، فإني لا أحلّ لأحد أن يكذب عليّ . ثم قال : بلغني أن الزبير قال : «لو قد مات عمر ، بايعنا

١ ـ صكة عُمي : الهاجرة ، والأصل أن عُميا ، وهو رجل من عدوان كان يفيض بالحاج عند الهاجرة وشدة الحر . النهاية لابن الأثير .

عليا ، وإنما كانت بيعة أبي بكر فلته»[1] فكذب والله . لقد أقامه رسولُ الله ﷺ مقامه ، واختاره لعماد الدين على غيره ، وقال : يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ، فهل منكم من تمدّ إليه الأعناق مثله ؟

- وحدثني محمد بن سعد ، ثنا محمد بن عمر الواقدي ، عن أبي معمر ، عن المقبري ، ويزيد بن رومان مولى آل الزبير ، عن ابن شهاب قال :

بينا المهاجرون في حجرة رسول الله ﷺ وقد قبضه الله إليه ، وعلي بن أبي طالب والعباس متشاغلان به ، إذ جاء معن بن عدي ، وعويم بن ساعدة فقالا لأبي بكر : «باب فتنة ، إن لم يغلقه الله بك فلن يغلق أبدا . هذا سعد بن عبادة الأنصاري في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يبايعوه» . فمضى أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة بن الجراح حتى جاؤوا السقيفة ، وإذا سعد على طُنفُسة متكئا على وسادة وعليه الحُمى . فقال له أبو بكر ؛ ما ترى يا أبا ثابت ؟ فقال : أنا رجل منكم . فقال الحُباب بن المنذر : منا أمير ومنكم أمير ؛ فإن عمل المهاجري شيئاً في الأنصار ، ردّ عليه الأنصاري ، وإن عمل الأنصاري شيئاً في المهاجرين ، ردّ عليه المهاجري ، أنا جَذيلها المحَكَّك وعُذيقَها المرَجَّب ؛ إن شئتم فرزنا ، فرددناها جذعة ؛ من ينازعني ؟ فأراد عمر أن يتكلم . فقال له أبو بكر : على رسلك ؛ ثم قال أبو بكر : «نحن أول الناس إسلاما ، وأوسطهم دارا ، وأكرمهم أنسابا ، وأمسهم برسول الله ﷺ رحما . وأنتم إخواننا في الإسلام ، وشركاؤنا في

---

١ - الفلتة كل شيء عمل على غير روية وتدبر .

الدين . نصرتم ، وآويتم ، وآسيتم ، فجزاكم الله خيرا . فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء . ولن تدين العربُ إلا لهذا الحيّ من قريش . فقد يعلم ملأ منكم أن رسول الله ﷺ قال: «الأئمة من قريش». فأنتم أحقاء أن لا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم . فقال الحُباب : ما نحسدك ولا أصحابك . ولكنا نخشى أن يكون الأمر في أيدي قوم قتلناهم ، فحقدوا علينا . فقال أبو بكر : إن تطيعوا أمري ، تبايعوا أحدَ هذين الرجلين : أبا عبيدة ـ وكان عن يمينه ـ أو عمر بن الخطاب ، وكان عن يساره . فقال عمر : «وأنتَ حيّ ؟ ما كان لأحد أن يؤخرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله ﷺ . فابسط يدك» . فبسط يده ، فبايعه عمر ، وبايعه أسيد بن حضير ، وبايع الناس وازدحموا على أبي بكر . فقالت الأنصار : قتلتم سعدا . وقد كادوا يطأونه . فقال عمر : اقتلوه ، فإنه صاحب فتنة . فبايع الناسُ أبا بكر . قال : وقال ابن رومان : وقد يقال إنّ أول من بايع من الأنصار بشير بن سعد .

وأتي بأبي بكر المسجد فبايعوه . وسمع العباس وعليّ التكبير في المسجد ، ولم يفرغوا من غسل رسول الله ﷺ . فقال عليّ : ما هذا ؟ فقال العباس : «ما ردّه مثلُ هذا قط . لهذا ما قلتُ لك الذي قلتُ» . قال : فخرج عليّ ، فقال : يا أبا بكر ، ألم تر لنا حقا في هذا الأمر ؟ قال : بلى ، ولكني خشيتُ الفتنة ، وقد قلدتُ أمرا عظيما . فقال علي : وقد علمتُ أن رسول الله ﷺ أمرك بالصلاة ، وأنك ثاني اثنين في الغار ، وكان لنا حق ولم نستشر ، والله يغفر لك . وبايعه[1] .

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨١ ـ ١٨٤ .

ـ وقال أحمد بن محمد بن أيوب ، ثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري قال :

لما قبض النبي الله ﷺ ، انحاز الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة[1] ، واعتزل علي والزبير وطلحة في بيت فاطمة ، وانحاز المهاجرون إلى أبي بكر ومعهم أسيد بن حضير في بني عبد الأشهل ، ورسول الله ﷺ في بيته لم يُفْرَغ من أمره . فأتى أبا بكر آت ، فقال : أدرك الناسَ قبل أن يتفاقم الأمر .

ـ حدثنا محمد بن مصفى الحمصي ، ثنا بقية بن الوليد ، عن الزبيري ، عن الزهري قال :

خطب عُمر الناسَ يوما ، فقال : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فوقى الله شرها : اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة لتبايع سعدَ بن عبادة . فقال الحُباب بن المنذر : نحن كتيبة الإسلام ، وأنتم معشر المهاجرين منا أمير ومنكم أمير ، حتى يكون الأمر بيننا كشقّ الأبلمة . فتكلم أبو بكر ، وكان رشيدا ، فقال : نحن قريش ، والأئمة منا ، وأنتم إخواننا ووزراؤنا قد آويتم ونصرتم فجزاكم الله خيرا . فبايعوه إلا سعدا ، فإنه راغ ثم أتى الشأم[2] .

---

١ ـ بنو ساعدة حي من الأنصار من الخزرج ، والسقيفة هي ظلة كانوا يجلسون تحتها عند بئر كان خارج المدينة عرف ببئر بضاعة . انظر المغانم المطابة . تحقيق النصرة للمراغي ـ ط . القاهرة ١٩٥٥ ص١٧٣ . آثار المدينة المنورة لعبد القدوس الأنصاري ـ ط . دمشق ١٩٣٥ ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

٢ ـ مغازي الزهري ص١٤٣ . سيرة ابن هشام ج٢ ص ١٠٧١ ـ ١٠٧٥ .

ـ حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي صالح ، عن جابر بن عبد الله قال :

قال العباس لعليّ : «ما قدّمتك إلى شيء إلا تأخرت عنه» . وكان قال له لما قبض رسول الله ﷺ : اخرج حتى أبايعك على أعين الناس ، فلا يختلف عليك اثنان . فأبى وقال : أو منهم من ينكر حقنا ويستبدّ علينا ؟ فقال العباس : سترى أن ذلك سيكون . فلما بويع أبو بكر ، قال له العباس : ألم أقل لك يا علي ؟

ـ علي بن محمد المدائني ، عن ابن جعدبة ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس .

أن عمر بن الخطاب خطب خطبة ، قال فيها : إنّ فلانا وفلانا قالا : «لو قد مات عمر ، بايعنا عليا فتمت بيعته ، فإنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها» ، وكذبا . والله ما كانت بيعة أبي بكر فلتة ، ولقد أقامه رسول الله ﷺ مقامه واختاره لدينهم على غيره ، وقال : «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» . فهل منكم أحد تقطع إليه الأعناق كما تقطع إلى أبي بكر ؟ فمن بايع رجلا على غير مشورة ، فإنهما أهل أن يقتلا . وإني أقسم بالله ، ليكفنّ الرجال أو ليقطعنّ أيديهم وأرجلهم وليصلبن في جذوع النخل . وإني أخبركم أن الله لما قبض رسوله ، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، وتكلم خطيب الأنصار فقال : نحن الأنصار ، وكتيبة الإسلام ، وأنتم معشر المهاجرين رهط هنا ؛ وإذا هم يريدون أن يخرجونا من أصلنا ويغصبونا أمرنا . فأردتُ أن أتكلم ، وكنتُ قد زوّرتُ مقالة أردتُ أن أقدّمها بين يدي أبي بكر . فقال أبو بكر : على

رسلك يا عمر . وتكلم أبو بكر فما ترك كلمة أعجبتني إلا قالها مع أمثالها حتى سكت . فقال : ما كان من خير فأنتم له أهل . ونحن ، بعدُ ، ممن نحن منه . ولن تعرف العربُ الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، وقد قال ﷺ : «هذا الشأن بعدي في قريش» . فقال الحُباب بن المنذر ، أحد بني سلمة : قد نعرف لكم فضلكم ، ولكن منا أمير ومنكم أمير ، فذلك أحرى ألا يخالف أحد منا صاحبه ، فإلا تفعلوا فأنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب[1]. ثم قال بشير بن سعد : الأمر بيننا وبينكم كشقّ الأبلمة . فقلت : وأنت أيضاً يا أعور ؟ نشدتك بالله ، هل سمعتَ رسول الله ﷺ يقول : «الأئمة من قريش» ؟ قال : اللهم نعم ، فرغم أنفي . قلتُ ففيم الكلام ؟ وقال أبو بكر : أدعوكم إلى أي المهاجرين شئتم : عمر ، أو غيره . فهي التي كرهتُ من كلام أبي بكر ؛ ولأن أقدم فيضرب عنقي أحبّ إليّ من أن أزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ . ثم قال أبو بكر : نحن الأمراء ، وأنتم الوزراء وإخواننا في الدين ، وأحبّ الناس إلينا . فأذهب الله عنهم نزغَ[2] الشيطان .

---

١ ـ الجذيل ـ تصغير جذل ـ والجذل هنا عود يكون في وسط مبرك الابل تحتك به وتستريح إليه ، فتضرب العرب به المثل للرجل يستشفى برأيه وتؤخذ الراحة عنده ، وعذيقها تصغير عذق ، وهي النخلة بنفسها ، والمرجب الذي تبنى إلى جنبه دعامة ترفده لكثرة حمله ، ولعزه على أهله ، وتضرب به العرب المثل في الرجل الشريف الذي يعظمه قومه . حاشية الدغمي على الاكتفا ـ مخطوط لدي ـ ٢ ظ .

٢ ـ نزغ الشيطان : وسوسته . القاموس .

وقال الزهري : كان معن[1] يقول :

إني أحبّ أن لا أموت حتى أصدّق رسول الله ﷺ ميتا كما صدّقته حيا . واستشهد يوم اليمامة .

حدثني ابن عباس ، عن أبيه ، عن أبي مخنف ، عن محمد بن إسحاق بنحوه[2] .

وحدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان ، ثنا شعبة ، أنبأ الجريري ، عن أبي نضرة قال :

لما أبطأ أناس عن بيعة أبي بكر قال : من أحق بهذا الأمر مني ؟ ألستُ أولَ من صلى ؟ ألستُ ، ألستُ ، وذكر خصالا فعلها مع النبي ﷺ .

ـ حدثني هدبة بن خالد ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ الجريري ، عن أبي نضرة قال :

لما بايع الناسُ أبا بكر ، اعتزل علي والزبير ، فبعث إليهما عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت . فأتيا منزل عليّ ، فقرعا الباب ، فنظر الزبير من قترة[3] ثم رجع إلى عليّ فقال : هذان رجلان من أهل الجنة ، وليس لنا أن نقاتلهما . قال : افتح لهما . ثم خرجا معهما حتى أتيا أبا بكر ، فقال أبو بكر : يا علي أنت ابن عم رسول الله وصهره ، فتقول إني أحق بهذا الأمر ؛ لاها الله لأنا أحق به منك . قال : لا تثريب ، يا خليفة رسول الله ، ابسط

---

١ ـ هو معن بن عدي . أنصاري من الأوس شهيد بدراً واستشهد يوم اليمامة طبقات خليفة بن خياط . ط . بيروت ١٩٩٣ م ص ١٥٥ .

٢ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٧٤ .

٣ ـ القترة : الكوة والنافذة .

يدك أبايعك . فبسط يده فبايعه . ثم قال للزبير : تقول أنا ابن عمة رسول الله وحواريه وفارسه وأنا أحقّ بالأمر ؛ لا ها الله لأنا أحق به منك . فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ، ابسط يدك ، فبسط يده فبايعه .

ـ المدائني ، عن مسلمة بن محارب ، عن سليمان التيمي ، وعن ابن عون

أن أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة ، فلم يبايع . فجاء عمر ، ومعه قبس فتلقته فاطمةُ على الباب ، فقالت فاطمة : يابن الخطاب ، أتراك محرّقا علي بابي ؟ قال : نعم ، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك . وجاء علي ، فبايع وقال : كنتُ عزمتُ أن لا أخرج من منزلي حتى أجمع القرآن .

ـ وقال أبو مخنف : لما استخلف عثمان ، دخل العباس على عليّ ، فقال : ما قدّمتك إلا تأخرتَ ، قلتُ لك وقد احتضر النبي ﷺ : تعال ، فاسأله عن هذا الأمر لمن هو بعده ، فقلت : أكره أن لا يقول لكم . فلا نستخلف أبدا . ثم توفي ، فقلتُ : أبايعك ، فلا يختلف عليك اثنان . فأبيتَ . ثم توفي عمر ، فقلتُ : قد أطلق الله يدك ، وليس عليك تبعه . فلا تدخل في الشورى . فأبيتَ ، فما الحيلة ؟

ـ المدائني ، عن أبي جَزيّ ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت :

لم يبايع عليّ أبا بكر حتى ماتت فاطمة بعد ستة أشهر . فلما ماتت ، ضرع إلى صلح أبي بكر ، فأرسل إليه أن يأتيه . فقال له عمر : لا تأته وحدك . فقال : وماذا يصنعون بي ؟ فأتاه أبو بكر . فقال علي : والله ما نفسنا عليك ما ساق الله إليك من فضل وخير ، ولكنا نرى أن لنا في الأمر

نصيبا استبدّ به علينا . فقال أبو بكر : والله لقرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي ، فلم يزل عليّ يذكر حقه وقرابته ، حتى بكى أبو بكر . فقال ميعادك العشية . فلما صلى أبو بكر الظهر ، خطب فذكر عليا وبيعته . فقال علي : إني لم يحبسني عن بيعة أبي بكر ألا أكون عارفا بحقه ، ولكنا كنا نرى أن لنا في الأمر نصيبا استبدّ به علينا . ثم بايع أبا بكر . فقال المسلمون : أصبتَ وأحسنتَ .

المدائني ، عن أبي جَزيّ ، عن الجريري ، عن أبي نضرة :

أن عليا قعد عن بيعة أبي بكر فقال أبو بكر : ما يمنعك من بيعتي وأنا كنتُ في هذا الأمر قبلك ؟

ـ حدثنا سلمة بن الصقر ، وروح بن عبد المؤمن قالا : ثنا عبد الوهاب الثقفي ، أنبأ أيوب ، عن ابن سيرين قال :

قال أبو بكر لعلّي رضي الله تعالى عنهما : أكرهتَ إمارتي ؟ قال : لا ، ولكني حلفتُ أن لا أرتدي بعد وفاة النبي ﷺ برداء حتى أجمع القرآن كما أنزل .

ـ وحدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال :

بعث أبو بكر عمرَ بن الخطاب إلى علي رضي الله عنهم حين قعد عن بيعته وقال : ائتني به بأعنف العنف ، فلما أتاه ، جرى بينهما كلام . فقال علي : إحلبْ حلبا لك شطره . والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤمرك غدا وما ننفس على أبي بكر هذا الأمر ولكنا أنكرنا ترككم مشاورتنا ، وقلنا : إن لنا حقا لا يجهلونه . ثم أتاه فبايعه .

ـ وحدثت عن الحسن بن عرفة ، عن علي بن هشام بن اليزيد ، عن أبيه ، عن أبي الجحاف قال :

لما بويع أبو بكر وبايعه الناس ، قام ينادي ثلاثا : أيها الناس قد أقلتكم بيعتكم . فقال علي : والله لا نقيلك ولا نستقيلك ، قدّمك رسول الله ﷺ في الصلاة ، فمن ذا يؤخرك ؟

ـ المدائني ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبي عون قال :

لما ارتدت العرب ، مشى عثمان إلى عليّ . فقال : يا بن عم ، إنه لا يخرج أحد إليّ . فقال : هذا العدو ، وأنت لم تبايع . فلم يزل به حتى مشى إلى أبي بكر . فقام أبو بكر إليه ، فاعتنقا ، وبكى كل واحد إلى صاحبه . فبايعه فسرّ المسلمون ، وجدّ الناس في القتال ، وقطعت البعوث .

ـ المدائني ، عن أبي زكريا العجلاني ، عن صالح بن كيسان قال :

قدم خالد بن سعيد بن العاص من ناحية اليمن بعد وفاة النبي ﷺ ، فأتى عليا وعثمان فقال : أنتما الشعار دون الدثار ؛ أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي أمركم عليكم غيركم ؟ فقال علي : أو غلبة تراها ؟ إنما هو أمر الله يضعه حيث يشاء . قال : فلم يحتملها عليه أبو بكر واضطغنها عمر .

المدائني ، عن عوانة وابن جعدبة قالا :

لم يبايع خالد بن سعيد أبا بكر إلا بعد ستة أشهر ، فمر به أبو بكر وهو قاعد في سقيفة ، فقال له : يا خالد ما رأيك في البيعة ؟ قال : أبايع يا أبا بكر . فأتاه أبو بكر . فأدخله خالد الدار وبايعه . وقال غير المدائني : بايع خالد أبا بكر بعد شهرين .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن يزيد بن عياض ، عن ابن جعدبة ، عن محمد بن المنكدر قال :

جاء أبو سفيان إلى عليّ فقال : «أترضون أن يلي أمركم ابن أبي قحافة ؟ أما والله ، لئن شئتم لأملأنّها عليه خيلا ورجلا» . فقال : «لستُ أشاء ذلك ؛ ويحك يا أبا سفيان إنّ المسلمين نَصَر بعضهم لبعض وإن نأْتْ دارهم وأرحامهم وإنّ المنافقين غششة بعضهم لبعض وإن قربت ديارهم وأرحامهم . ولولا أنا رأينا أبا بكر لها أهلا ، ما خليناه وإياها» .

المدائني ، عن الربيع بن صبيح ، عمن حدثه ، عن الحسين ، عن أبيه

أن أبا سفيان جاءإلى عليّ عليه السلام ، فقال يا علي : بايعتم رجلا من أذلّ قبيلة من قريش ، أما والله لئن شئتَ لأضرمنها عليه من أقطارها ولأملأنها عليه خيلا ورجالا ، فقال له علي : إنك طال ما غششت الله ورسوله ، والإسلامَ ، فلم ينقصه ذلك شيئاً ؛ إنّ المؤمنين وإن نأت ديارهم وأبدانهم نصَحة بعضهم لبعض وإنا قد بايعنا أبا بكر وكان والله لها أهلا .

ـ المدائني ، عن أبي زكريا العجلاني ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة

أن أبا سفيان كان حين قبض النبي ﷺ غائبا ، بعث به مصدقاً . فلما بلغته وفاة النبي ﷺ ، قال : من قام بالأمر بعده ؟ قيل : أبو بكر . قال : «أبو الفصيل ؟ أني لأرى فتقا لا يرتقه إلا الدم» .

وقال الواقدي : أجمع أصحابنا إن أبا سفيان كان حين قبض رسول الله ﷺ حاضرا .

ـ حدثني روح بن عبد المؤمن ، حدثني علي بن المدائني ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي صالح

أن سعد بن عبادة خرج إلى الشأم فقتل بها .

المدائني ، عن ابن جعدبة ، عن صالح بن كيسان ، وعن أبي مخنف ، عن الكلبي وغيرهما

أن سعد بن عبادة لم يبايع أبا بكر ، وخرج إلى الشأم . فبعث عمرُ رجلا وقال : ادعه إلى البيعة واختل له ، وإن أبى فاستعن بالله عليه . فقدم الرجلُ الشأم ، فوجد سعدا في حائط بحوارين[1] ، فدعاه إلى البيعة ، فقال : لا أبايع قرشيا أبدا . قال : فإني أقاتلك . قال : وإن قاتلتني . قال : أفخارج أنت مما دخلت فيه الأمة ؟ قال : أما من البيعة فإني خارج ، فرماه بسهم فقتله . ورُوي أن سعداً رُمي في حمام . وقيل : كان جالساً يبول ، فرمته الجن فقتلته . وقال قائلهم :

قتلنا سيدَ الخزرج سعدَ بن عباده رميناه بسهمين فلم تُخْطِ فؤاده

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن عبد الله الحميدي المكي ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن الوليد بن كثير عن سعيد بن المسيب قال :

لما قبض رسول الله ﷺ ، ارتجّتْ مكة . فقال أبو قحافة[2] : ما هذا ؟ قالوا : قبض رسول الله ﷺ . قال : فمن ولي أمر الناس بعده ؟ قالوا :

---

١ ـ حوارين الآن قرية تابعة لمنطقة مركز محافظة حمص ، تتصل بحمص بطريق حمص القريتين . المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري .

٢ ـ في هامش الأصل : حاشية : قيل لا يعرف خليفة ورثه أبوه سوى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

ابنك . فقال : أرضي بذلك بنو هاشم ، وبنو عبد شمس ، وبنو المغيرة ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه لا مانع لما أعطى الله ، ولا معطي لما منع . ثم ارتجت مكة حين مات أبو بكر رجة دون الأولى ، فقال أبو قحافة : ما هذا ؟ قالوا : مات أبو بكر . قال : رزء جليل .

- حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا عبيد الله بن موسى ، ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه قال :

لما ولي أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فقد ولِّيتكم ولستُ بخيركم ، ولكن القرآن نزل ، وسنّ رسول الله ﷺ السنن ، فعلمنا . اعلموا أن أكيسَ الكيس التقى ، وأحمقَ الحمق الفجورُ . وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له حقه . وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه . أيها الناس إنما أنا متبع ، ولستُ بمبتدع . فإذا أحسنتُ فأعينوني وأن زُغتُ فقوموني .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا عبيد الله بن موسى قال : حدثت أن الحسن كان يقول :

قد علم أنه خيرهم ، ولكن المؤمن يغضّ نفسه .

- حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن عبد الله ويزيد بن عياض ، عن الزهري قال :

خطب أبو بكر حين بويع واستخلف . فقال : الحمد لله أحمده وأستعينه على الأمر كله علانيته وسرّه ، ونعوذ بالله من شرّ ما يأتي في الليل والنهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا قُدّام الساعة . فمن أطاعه رشد ، ومن عصاه

هلك . ألا وإني قد وليتكم ولستُ بخيركم . ألا وقد كانت بيعتي فلتة وذلك أني خشيتُ الفتنة . وايم الله ما حرصتُ عليها يوما قط ولا ليلة ، ولا طلبتها ، ولا سألتُ الله إياها سرّا ولا علانية ، وما لي فيها راحة . ولقد قلدتُ أمراً عظيماً ما لي به طاقة ولا يدان . ولوددتُ أن أقوى الناس عليها مكاني . فعليكم بتقوى الله . وإنّ أكيسَ الكيس التقى ، وإنّ أحمق الحمق الفجورُ . وإني متَّبع ولستُ بمبتدع . وإنّ إضعف الناس عندي الشديد حتى آخذ منه الحق ، وإنّ أشد الناس عندي الضعيف حتى آخذ له الحق . فإن أحسنتُ فأعينوني ، وإن زُغتُ فقوموني ، واعلموا أيها الناس أنه لم يدع قومٌ الجهادَ قط إلا ضربهم الله بذُلّ ، ولم تشع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم البلاء ، أيها الناس اتبعوا كتابَ الله واقبلوا نصيحته فإنّ الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . واحذروا يوما ما للظالمين فيه من حميم ولا شفيع يطاع . فليعمل اليومَ عامل ما استطاع من عمل يقرّبه إلى الله عزوجل قبل ألا يقدر على ذلك . أيها الناس أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله ، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم .

- المدائني ، عن جعفر بن سليمان الضبعي ، عن أبي عمرو الجوني قال ،

قال سلمان الفارسي حين بويع أبو بكر : «كرداذ وناكرداذ»[1] ، أي عملتم وما عملتم ؛ لو بايعوا عليا لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم .

١ - عبارة فارسية ، تكتب باللغة العصرية «كرديد ونه كرديد» . وتلفظ الألف في «كرداذ» بالإمالة Karded .

ـ محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة قال :

لما بلغ عمرَ في حجته التي رجع منها فطعن ، أن رجالا يقولون إن بيعة أبي بكر كانت فلته ، فقال : إن كانت فلتة فقد وقى الله شرّها ؛ وإن حدث بي حدثٌ فالأمر إلى الستة الذين قبض رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

مرثية أبو بكر :

ـ قال : ورثى أبو بكر الصديق رسولَ الله ﷺ بقصيدة ، منها قوله :

فجعنا بالنبي وكان فينا إمام كرامة نِعْمَ الإمام
وكان قوامنا والرأسَ منا فنحن اليوم ليس لنا قوامُ
نموج ونشتكي ما قد لقينا ويشكو فقده البلدُ الحرام
فلا تبعد فكل كريم قوم سيدركه ولو كره الحمام
فقدنا الوحيَ إذ وليتَ عنا وودعنا من الله الكلام
لقد أورثتنا ميراثَ صدق عليك به التحية والسلام

مرثية عمر رضي الله تعالى عنه :

ـ قال عمر شعرا كتبنا منه أبياتاً وهي :

مازلتُ مذ وضع الفراش لجثته وثوى ، مريضاً خائف أتوقعُ
شفقاً عليه أن يزول مكانه عنا فيبقى بعده المتفجّع
فليبكه أهلُ المدينة كلهم والمسلمون بكل أرض تجزع
نفسي فداؤك من لنا في أمرنا أم من نشاوره إذا نتوجع

مرثية علي بن أبي طالب :

ـ وقال علي بن أبي طالب شعراً كتبنا منه أبياتاً وهي :

ألا طرق الناعي بليل فراعني   وأرّقني لما استقلّ مناديا
فقلت له لما رأيتُ الذي أتى   لغير رسول الله إن كنتَ ناعيا
فوالله لا أنساك أحمدُ ما مشت   بي العيس أو جاوزتُ في الأرض واديا
وكنتُ متى أهبط من الأرض تلعة   أرى أثراً منه جديداً وعافيا
جواد تشظى الخيلُ عنه كأنما   يرين به ليثا عليهن ضاريا
ليَبْكِ رسولَ الله خيلٌ كثيرة   تثير غبارا كالضبابة عاليا(1)

مرثية حسان :

ـ وقال حسان في قصيدة له :

ما بال عينك لا تنام كأنما   كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعا على المهديّ أصبح ثاويا   يا خيرَ من وطيء الحصى لا تبعد
يا ويح أنصار النبي ورهطه   بعد المغيَّب في سواء المسجد
جنبي يقيك التربَ لهفي ليتني   غيبتُ قبلك في بقيع الغرقد
أأقيم بعدك في المدينة بينهم   يا ويح نفسي ليتني لم أولد
بأبي وأمي من شهدتُ وفاته   في يوم الاثنين النبي المهتدي
فظللتُ بعد وفاته متلدّدا   يا ليتني جُرِّعْتُ سم الأسود
والله أسمع ما بقيتُ بهالك   إلا بكيتُ على النبي محمد

---

١ ـ ديوان الامام علي ـ ط . بيروت ، مؤسسة الأعلمي ص ١٠٥ مع فوارق .

ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا   سوداً وجوههم كلون الإثمد
ولقــد ولــدنــاه وفينــا قــبره   وفضولَ نعمته بنا لم نجحد
والله أهداه لنا وهـدَى به   أنصاره في كل ساعة مشهد
صلى الإله ومن يحفّ بعرشه   والطيبون على المبارك أحمد
فرحت نصارى يثربٍ ويهودُها   لما توارى في الضريح الملحد[1]

وقال حسان أيضاً :

يا لهف نفسي عليه حين ضمنه   بطنَ الضريح عليٌّ وابنُ عباس
مادت بي الأرض حتى كدت أدخلها   بعد النبي رسول الله والآسي[2]

مرثية صفية بنت عبد المطلب :

ـ وقالت صفية بنت عبد المطلب :

يا عين جودي بدمع منك منحدر   ولا تملّي وبكّي سيدَ البشر
بكّي الرسول فقد هدّت مصيبته   جميعَ قومي وأهلَ البدو والحضر
ولا تملي بُكَاكِ الدهر مُعْولةً   عليه ما غرد القمري بالسحر

ـ وقالت أيضاً :

ألا يا رسولَ الله كنتَ رجائيا   وكنتَ بنا برّا ولم تكُ جافيا
كأنَّ على قلبي لذكر محمد   وما خفتُ من بعد النبي المكاويا
أفاطم حيّ الله رب محمد   على جدث أمسى بيثربَ ثاويا

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ مع فوارق . ابن هشام ج ٢ ص ١٠٨٣ .
٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

فدى لرسول الله نفسي وخالتي وأميّ وعمي قُصْرةً[1] وعياليا
فلو أن رب الناس أبقاكَ بيننا سعدنا ولكنْ أمره كان ماضيا
عليك من الله السلامُ تحيةً وأدخلتَ جنات من العدن راضيا

١ ـ هو ابن عمي قصرة : أي داني النسب . القاموس .

وأما الزبير بن عبد المطلب

ويكنى أبا الطاهر ، وأبا ربيعة ـ وهو أخو عبد الله بن عبد المطلب لأبيه وأمه ـ فكان سيداً شريفاً شاعراً ، وهو أول من تكلم في حلف الفضول ودعا إليه .

حلف الفضول

وكان سبب الحلف أن الرجل من العرب أو العجم كان يقدم بالتجارة فربما ظلم بمكة ، فقدم رجل من بني أبي زُبَيد ـ واسم أبي زُبَيد : منبه بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة ـ بسلعة فباعها من العاص بن وائل السهمي فظلمه فيها وجحده ثمنها ، فناشده الله فلم ينفعه ذلك عنده ، فنادى ذات يوم عند طلوع الشمس وقريش في أنديتها :

يا آل فهر لمظلومٍ بضاعتـه ... ببطن مكة نائي الحيّ والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا آل فهر وبين الركن والحجر

وقال أيضاً :

يال قصيّ كيف هذا في الحرم وحرمة البيت وأخلاق الكرم

أُظلم لا يمنع مني من ظلم

فقال الزبير : ما لهذا مترك ، فجمع إخوته واجتمعت بنو هاشم ، وبنو المطلب بن عبد مناف ، وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة بن كعب في دار أبي زهير عبد الله بن جُدْعان القرشي ثم التيمي فتحالفوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً إلا نصروه ورفدوه وأعانوه حتى يؤدى إليه حقه ، وينصفه ظالمه من مظلمته وعادوا عليه بفضول أموالهم ما بل بحر صوفة ، وأكدوا ذلك وتعاقدوا عليه وتماسحوا قياماً .

وشهد رسول الله ﷺ ذلك الحلف فكان يقول : «ما سرني بحلف شهدته في دار ابن جُدْعان حمر النعم» . فسمي الحلف حلف الفضول لبذلهم فضول أموالهم .

وقال قوم : سمي حلف الفضول لتكفلهم فضولاً لا يجب عليهم .

وقال بعضهم : إنما سمي حلف الفضول لأنه كان في جرهم رجال يردّون المظالم يقال لهم : فضيل وفضال ومفضل وفضل فتحالفوا على ذلك . فقيل : هذا الحلف مثل حلف هؤلاء النفر الذين أسماؤهم هذه الأسماء . والأول أثبت .

وأقام الزبير ومن معه بأمر الزبيدي حتى أنصفه العاص بن وائل ، وفي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب :

حلفت لتعقدن حلفاً عليهم وإن كنا جميعاً أهل دار

نسميه الفضول إذا عقدنا يعزُّ به الغريب لذي الجوار

وقدم رجل من بارق بسلعة فابتاعها منه أبيّ بن خلف الجمحي فظلمه ـ وكان سيء المعاملة والمخالطة ـ فأتى البارقي أهل حلف الفضول فأخذوا له منه بحقه فقال :

تَهضّمني حقي بمكة ظالماً أُبَيٌّ ولا قومي إلي ولا صحبي
فناديت قومي بارقاً ليجيبني وكم دون قومي من فيافٍ ومن سهب
سيأبى لكم حلف الفضول ظلامتي بني جمح والحق يؤخذ بالغصب

وقدم رجل تاجر من خثعم مكة ومعه ابنة له يقال لها القتول فعلقها نُبيه بن الحجاج بن عامر بن جُذَيعة بن سعد بن سهم فلم يبرح حتى نقلها إلى منزله بالغلبة والقهر ، فدل أبوها على أهل حلف الفضول فأتاهم فأخذوها من نُبيه ودفعوها إلى أبيها ، فقال نُبيه بن الحجاج :

راح صحبي ولم أحيِّ القتولا وأودعهم وداعاً جميلاً
لا تخالي -إني عشية راح الركـ ـب هنتم عليّ ألا أقولا
وخشيت الفضول فيك وقدما قد أراني ولا أخاف الفضولا

وقال نبيه أيضاً :

حيّ المليحة إذ نأت عنا على عدوائها
لا بالفراق تنيلنا شيئاً ولا بلقائها
لولا الفضول وأنه لا أمن من غلوائها
لدنوت من أبياتها ولَطُفْتُ حولَ خبائها
ولجئتها أمشي بلا هادٍ على ظلمائها
فشربت فضلة دونها وأبت علي غشاءها

وقال الواقدي وهشام بن الكلبي : ظلم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ وهو عامل عمه معاوية على المدينة ـ الحسين بن علي بن أبي طالب في أرض له فقال : لئن انصفتني ونزعت عن ظلمي وإلا دعوت حلف الفضول . فأنصفه .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده قال :

لما عُقد حلف الفضول قالت العرب : لقد فعل هؤلاء القوم فعلاً لهم به على الثابت فضول وطول وإحسان. فسميّ حلف الفضول .

قال هشام : ويقال إنهم تعاقدوا على منع المظلوم وانهاض الغريب المبدع به ومواساة أهل الفاقة ممن ورد مكة بفضول أموالهم فسمي حلف الفضول .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح :

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : «شهدت مع عمومتي حلف الفضول فما سرني بذلك حمر النعم» .

وحُدثت عن إسماعيل بن علية عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه :

عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : «شهدت مع عمومتي حلف المطيبين فما سرني أن لي حمر النعم واني نكثته» .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي عن أبي داود الطيالسي عن أبي عوانة :

عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «شهدت حلف المطيبين فما سرني به حمر النعم» .

وكان هاشم بن عبد مناف حاضراً حلف المطيبين فكيف يحضره رسول الله ﷺ إلا أن بطون المطيبين هم الذين تعاقدوا أيضاً على حلف الفضول فأحسب هذا الحلف نسب إليهم أيضاً .

حدثني بكر بن الهيثم ، عن محمد بن الحسن بن زبالة ، عن محمد بن فضالة عن هشام بن عروة ، عن أبيه :

عن عائشة قالت:سمعت رسول الله ﷺ يقول : «شهدت في دار عبد الله بن جُدْعان من حلف الفضول ما لو دعيت إليه اليوم لأجبت» .

ومن شعر الزبير بن عبد المطلب :

لقد علمت قريش أن بيتي ... بحيث يكون فضل في نظام
وإنا نحن أكرمها جدوداً ... وأصبرها على القحم العظام
وإنا نحن أول من تبنّى ... بمكتنا البيوت مع الحمام
وإنا نطعم الأضياف قدماً ... إذا لم يزج رسل في سوام
وإنا نحن أسقينا رواء ... حجيج البيت من ثبج الجمام
وإنّ بمجدنا فخرت لؤيّ ... جميعاً بين زمزم والمقام
وإن القرم من سلفي قصيّ ... أبونا هاشم وبه نُسامي

وقال الزبير أيضاً :

يا أيها السائل عن مجدنا ... أربع تنبّأ أيها السائل
فينا مناخ الضيف والمجتدين ... منا وفينا الحكم الفاضل
ونحن مأوى كل ذي خلّة ... كلّ حداه الزمن الماحل
وملجأ الخائف إن القحت ... حرب بأطراف القنا نازل

ونحن إن جاءت تهز القنا   يتبعها الجنّان والحائل[1]
بكر رددنا جمعها خائباً   وقدحها من سهمه ناصل

وقال الزبير أيضاً :

ولست كمن يميت الغيظ عجزا   ولكني أجيب إذا دعيت
وينهى عني المحتال صدق   رقيق الحدّ ضربته صموت
بكفي ماجد لم يَقْنِ ضيما   إذا يلقى الكتيبة يستميت
لولا نحن لم يلبس رجال   ثياب أعزة حتى يموتوا
وإنا نطعم الأضياف قدما   إذا ما هزّ من سنة مقيت[2]
وغيّر بطن مكة كل يوم   عباهلة كأنهم اللصوت[3]
وثيابهم سِمالٍ أو عباء   بها دنس كما دنس الحميت[4]
وكاس لو تبين لها كلاما   إذاً قالت : ألا لهم استبيت
تبين لك القذى إن كان فيها   بعيد النوم شاربها هبيت[5]
أهنت لشربها نفسي ومالي   فآبوا حامدين بما رزيت
إذا ما أوقدت نار لحرب   تهزّ الناس جمحتها صليت
نقيم لواءنا فيها كأنّا   أسود في العرين لها نبيت

---

١ ـ أي النوق الحوامل في بطونها أجنة والتي لم تلقح . القاموس .
٢ ـ المقيت : المقتدر البخيل .
٣ ـ أي اللصوص . القاموس .
٤ ـ الحميت الزق الصغير يتخذ للسمن .
٥ ـ الهبيت : الجبان الذاهل .

فحدثت عن الواقدي عن ابن أبي الزناد ، عن الفضل بن الفضل بن عياش بن ربيعة بن الحارث قال : سمعت سعيد بن المسيب ينشد بين القبر والمنبر :

وكأس لو تبين لها كلاما إذا قالت : ألا لهم استبيت
تبين لك القذى إن كان فيها بعيد النوم شاربها هبيت

وقال الزبير أيضاً :

ترمي بنو عبد مناف إذا أظلم مَن حولي بالجندل
لا أسد تسلمني لا ولا تيم ولا زهرة للنيطل[1]

وقال الزبير أيضاً :

لعمرك إن البغض ينفع أهله لأنفع ممن ودّه لا يقرب
إذا ما جفوت المرء ذا الودّ فاعتذر إليه وحدثه بأنك معتب
وإني لماضٍ في الكريهة مقدمي إذا خام[2] من ذاك اللئيم المؤنب
وأغفر عوراء الكريم وإن بدت مغمسة منه إليّ ونيرب

مغمسة : صعبة من الغماس ، يقال : أتى بأمر مغمس مكبوس ملتوٍ لا يعرف جهته .

وقال أيضاً :

يا دار زينب بالعلياء من شرب حيّيتها واقفاً فيها فلم تجب
إني امرؤ شيبة المحمود والده بذّ الرجال بحلٍ غير مؤتشب

١ ـ النيطل : الداهية الشنعاء . العين للخليل .
٢ ـ خام : جبن وتراجع .

إني إذا راع مالي لا أكلفه إلا الغزاة وإلا الركض في السرب
ولا أدبّ إذا ما الليل غيّبني إلى الكنائن أو جاراتي اللزب
ولن أقيم بأرضٍ لا أشدّ بها صوتي إذا ما اعترتني سورة الغضب

وقال الزبير يرثي حجلاً[1] وإخوته :

تذكرت ما شفني إنما يُهيّج ما شفه الذاكر
ويمنعه النوم حتى يقال : به سقم باطن ظاهر
فلو أن حجلاً وأعمامه شهود وقرة والطاهر
ولكن غولا أهانت بهم وفيهم لمضطهد ناصر
فلا يبعد القوم إذ أودعوا واسقي قبورهم الماطر
نجاز ربيعٍ له وابل له خضر وله زاهر

فولد الزبير عبد الله ، استشهد بالشام يوم أجنادين . والطاهر ، وقرة وحجل ماتوا فرثاهم ، وأمهم جميعاً عاتكة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي .

ومات الزبير ورسول الله ﷺ ابن بضع وثلاثين سنة . ويقال : إنه مات في أيام المبعث .

وكانت للزبير بن عبد المطلب ابنة تسمى ضباعة ، تزوجها أبو معبد المقداد بن عمرو البهراني ، حليف بني زهرة بن كلاب ، وهو الذي يقال له المقداد بن الأسود ، نسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري ، وكان الأسود زوج أمه .

---

١ - في هامش الأصل : حجل ابنه وقيل كان أحد أخوته .

وقال أبو طالب يرثي الزبير :

يا زَبْر أفردتني للناثبات فقد أحللت لحمي وأمسى الراس مشتهبا
من كان سرّ بما نال الزبير فقد نادى المنادي بزبر انه شجبا
تغيرت لمّة سوداء وارده وفارق المرء محموداً وما جدبا

وقال ضرار بن الخطاب يرثيه :

بكيّ ضُباع على أبيك بكاء محزون أليم
قد كنت أشهده فلا رث السلاح ولا ظلوم
كالكوكب الدّري يعلو ضوءه ضوء النجوم
طالت به أعراقه ونماه والده الكريم

وقال بعضهم : كانت للزبير ابنة يقال لها : أم الحكم وكانت رضيعة رسول الله ﷺ والله أعلم .

وقالت صفية تبكيه :

بكيّ زبير الخير إذ فات وإنْ كنت على ذي كرم باكيه
قد كان في نفسي ان أترك الـ ـموق فلا أبغيهم قافيه
فلم أطق صبراً على رزئه لأنه أقرب إخوانيه
لو لم أقل من فيّ قولاً له لقطّت الأحزان أضلاعيه

وأما أبو طالب بن عبد المطلب

ـ واسمه عبد مناف وأمه فاطمة أم عبد الله بن عبد المطلب أيضاً ـ فكان منيعاً عزيزاً في قريش ، قال لعامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمه أم حكيم بنت عبد المطلب : نافر من شئت وأنا خالك . وكانت قريش تطعم فإذا أطعم لم يطعم يومئذ أحد غيره .

ـ وقال لرسول الله ﷺ ـ حين بعث ـ : يا بن أخي قم بأمرك فلن يوصل إليك ، وأنا حي ، فلم يزل يذبّ عن رسول الله ﷺ ويناوىء قريشا إلى أن مات ، فلما حضرته الوفاة ، عرض النبي ﷺ عليه قول : لا إله إلا الله فأبى أن يقولها وقال : يا بن أخي : إني لأعلم أنك لا تقول إلا حقاً ، ولكني أكره مخالفة دين عبد المطلب ، وأن تتحدث نساء قريش بأني جزعت عند الموت ففارقت ما كان عليه . فمات على تلك الحال . وأتى علي عليه السلام رسول الله ﷺ فأخبره بموته فقال : واره ، فقال علي : أنا أواريه وهو كافر قال ؛ فمن يواريه إذاً ؟ فلما واراه أمره رسول الله ﷺ فاغتسل ، وقال صلى الله عليه وسلم حين رأى جنازته : «وصلتك رحم» .

ـ ويقال : إنه قيل له : يا رسول الله استغفر له . فنزلت فيه : ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعدما تبيّن لهم انهم أصحاب الجحيم﴾[1] والآية التي بعدها .

ـ وكانت لأبي طالب أشعار في رسول الله ﷺ وكان شاعراً .

---

١ ـ سورة التوبة ـ الآية : ١١٣ .

ـ حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا هشام بن يوسف ، عن معمر ، عن الزهري :

عن سعيد بن المسيب قال : دعا رسول الله ﷺ أبا طالب إلى كلمة الاخلاص في مرضه فقال : إني لأكره أن تقول قريش : إني قلتها جزعاً عند الموت ورددتها في صحتي . ودعابني هاشم فأمرهم باتباع رسول الله ﷺ ونصرته والمنع عن ضيمه فنزلت فيه : ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾[1] وجعل النبي ﷺ يستغفر له حتى نزلت : ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ الآيتان .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة :

عن ابن عباس قال : نزلت في أبي طالب : ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن الثوري ، عن يزيد بن أبي زياد .

عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : نزلت في أبي طالب : ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾[2] .

ـ قالوا : ومات أبو طالب في السنة العاشرة ، من المبعث ، وهو ابن بضع وثمانين سنة ودفن بمكة في الحجون .

---

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٢٦ .
٢ ـ سورة القصص ـ الآية : ٥٦ .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، حدثني عبد الله بن الحارث بن نوفل قال :

قالوا : كان أبو طالب يعضد محمدا وينصره فماذا نفعه ؟! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : «لقد نفعه الله ، كان في درك من جهنم فأخرج من أجلي فجعل في ضحضاح من نار ؛ له نعلان من نار يغلي منهما دماغه» .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن الثوري ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال :

قال العباس : يا رسول الله ماذا أغنيت عن عمك ؟ قال : «كان في درك من النار فأخرج من أجلي فجعل في ضحضاح من نار ، له نعلان من نار يغلي منهما دماغه» .

ـ حدثني سعدويه ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن أبي عثمان النهدي :

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «أهون الناس عذاباً يوم القيامة أبو طالب وانه لمنتعل نعلين من نار يغلي منهما دماغه» .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله بن الحارث .

عن العباس بن عبد المطلب أنه قال لرسول الله ﷺ : عمك أبو طالب قد كان يحوطك ويمنعك ويفعل ويفعل . فقال : «إنه لفي ضحضاح من نار ، ولولا أنا كان في الدرك الأسفل» .

ـ وقال الواقدي في إسناده : كلّم وجوه قريش ـ وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأُبيْ بن خلف ، وأبو جهل ، والعاص بن وائل ، ومطعم وطعيمة

ابنا عدي ، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج ، والأخنس بن شريق الثقفي ـ أبا طالب في أن يدفع إليهم رسول الله ﷺ ويدفعوا إليه عمارة بن الوليد المخزومي ؛ فأبى ذلك ، وقال اتقتلون ابن أخي وأغذوا لكم ابنكم ، إن هذا لعجب ، فقالوا : ما لنا خير من أن نغتال محمداً ، فلما كان المساء فقد أبو طالب رسول الله ﷺ فخاف أن يكونوا قد اغتالوه فجمع فتياناً من بني عبد مناف ، وبني زهرة ، وغيرهم وأمر كل فتى منهم أن يأخذ معه حديدة ويتبعه ، ومضى ، فرأى رسول الله ﷺ فقال له : أين كنت يابن أخي ؟ أكنت في خير ؟ قال : نعم والحمد لله ـ فلما أصبح أبو طالب دار على اندية قريش والفتيان معه وقال : بلغني كذا وكذا ، والله لو خدشتموه خدشاً ما أبقيت منكم أحداً إلا أن أقتل قبل ذلك فاعتذروا إليه وقالوا : انت سيدنا وأفضلنا في أنفسنا .

ـ وقال أبو طالب :

منعنا الرسول رسول المليك ... ببيض تلألأ مثل البروق
أذب واحمي رسول الإله ... حماية عمّ عليه شفيق

ـ وقال أبو طالب حين أكلت الصحيفة الأرضة :

ألا هل أتى بحرّينا[1] صنع ربنا ... على نأيهم والأمر بالناس أورد[2]
ألم يأتهم أنَّ الصحيفة أفسدت ... وكل الذي لم يَرْضَهُ الله مفسد
وكانت أحق رقعة بِأثيمة ... يقطّع فيها ساعد ومقلد
فمن يَكُ ذا عز بمكة مثله ... فعزتنا في بطن مكة أتلد

---

١ ـ أي مهاجرة الحبشة .
٢ ـ أي ألطف وأرفق .

نشأنا بها والناس فيها أقلة فلم ننفكك نزداد خيراً ونمجد
جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا لنصر امرىءٍ يهدي لخير ويرشد

ـ وقال أيضاً :

لزهرة كانوا أوليائي وناصري وأنتم إذا تدعون في سمعكم وقر
تداعى علينا موليانا فأصبحوا إذا استنصروا قالوا إلى غيرنا النصر
وأعني خصوصاً عبد شمس ونوفلا فقد نبذانا مثل ما ينبذ الجمر
هما مكّنا للقوم في أخويهما فقد أصبحت أيديهما منهما صفر
فو الله لا تنفك منا عداوة ومنهم لنا مادام من نسلنا شَفْر[1]

ـ وقال في أمر الصحيفة :

ألا أبلغ أبا وهب رسولاً فإنك قد ذَأَبْتَ لما تريد
لبئس الله ثم لعون قوم بلا ذنب ولا دخل أصيدوا
وآزره أبو العاصي بحزم وذلك سيد بطل مجيد
ومن يمسي أبو العاصي أخاه فلا مُبرى أخوه ولا وحيد
شبيه أبي أمية غير خاف إذا ما العود حدله[2] الجليد

ـ وقال أيضاً :

وما إن جنينا في قريش عظيمة سوى أن منعنا خير من وطىء الثريا
فيا أخوينا عبد شمس ونوفلا فإياكم أن تسعروا بيننا حربا

في أبيات .

---

١ ـ أي أحد . القاموس .

٢ ـ التحادل : الانحناء على القوس . القاموس ، وفي هامش الأصل ما يفيد في رواية أخرى «حدمه» .

ـ وقال : يحرض أبا لهب على نصرة رسول الله ﷺ :

وان امرءاً أمسى عتيبة عمه لفي نجوة من أن يسام المظالما
أقول له وأين منه نصيحتي أبا معتب أثبت سوادك قائماً
ولا تقربن الدهر ما عشت لحظة تسبّ بها أما هبطت المواسما
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى أخا الحرب يعطي الخسف حتى يسلما

ـ حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا معاوية ، عن الأعمش .

عن أبي صالح قال : لما مرض أبو طالب قيل له : لو أرسلت إلى ابن أخيك فأتاك بعنقود من جنته لعله يشفيك ؟ فأتاه الرسول بذلك وأبو بكر عنده فقال له أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ إن الله ؛ حرمها على الكافرين . قال : فأحسبه قال : ليس هذا جواب ابن أخي .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال :

لما حضرت أبو طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال رسول الله ﷺ : يا عم قل كلمة أشهد لك عند الله ، قال : وما هي ؟ قال : تقول : لا إله إلا الله ، فقال أبو جهل وابن أبي أمية : أترغب عن دين عبد المطلب ؟ فلم يقل شيئاً .

ـ وكانت أم أولاد أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، فيقال : إنها ؛ أسلمت بعد موت زوجها بمكة ، ثم لم تلبث ان ماتت فدفع رسول الله ﷺ قميصه إلى علي فكفّنها فيه ، ونزل رسول الله ﷺ في قبرها .

ـ وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ، عن يحيى بن آدم ، عن الحسن بن صالح بن حي عن أشياخه :

أن النبي ﷺ كان يتعهد منزل عمه بعد موته فيدعو فاطمة بنت أسد إلى الاسلام فتأباه وتقول : إني لأعلم منك صدقاً وخيراً ، ولكني أكره أن أموت إلا على دين عمك ، فيقول : يا أمه إني مشفق عليك من النار . فتلين له القول ولا تجيبه إلى الاسلام فينصرف وهو يقول : وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، ثم إنها أسلمت في مرضها وكفنها رسول الله ﷺ في قميصه ،

ـ وحدثني أبو موسى الفروي ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة بن يريم :

عن علي عليه السلام ، قال : أهديت إلى النبي ﷺ حلة حرير فبعث بها إلي وقال : إني لم أبعثها إليك لتلبسها إني أكره لك ما أكره لنفسي ولكن اقطعها خُمرا واكسها فاطمة أمك وفاطمة ابنتي .

ـ وحدثنا عفان ، انبأنا شعبة ، انبأنا أبو عون ، عن ماهان أبي صالح قال :

سمعت علياً يقول : أهديت إلى رسول الله ﷺ حلة سيراء(١) فأرسل إليّ فلبستها ، وعرفت الغضب في وجهه ، وقال : إني لم أعطكها لتلبسها وأمرني ، فطررتها(٢) بين النساء ـ أو قال : نسائي ـ.

ـ حدثني مظفر بن مَرجا ، حدثنا إبراهيم الفروي ، عن أبي معاوية الضرير ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري :

١ ـ السيراء : نوع من البرود فيه خطوط صفر ، أو يخالطه حرير . القاموس .
٢ ـ طرر : شق ، قطع . القاموس .

عن علي أنه قال لأمه فاطمة بنت أسد : اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ ما كان خارجاً من السقي وغيره ، وتكفيك ما كان داخلاً من العجن والطحن وغير ذلك .

ـ وحدثني أبو بكر الأعين ، قال: سألت أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، عن حديث هُبيرة بن يَرِيم فقالا : قد روى[1] مارووا وليست هجرة أم علي وإسلامها عندنا بمشهور والله أعلم .

ـ وذكر أبو الحسن المدائني ، عن علي بن مجاهد ، عن أبي البختري ، قال : وهب رسول الله ﷺ لفاطمة بنت أسد أسيراً من سبي بني العنبر ، فوهبته لعقيل بن أبي طالب .

قال المدائني : فذكر صالح مولى آل عقيل : إنه جدهم ذكوان .

ـ وكان أبو طالب ينادم ـ مسافر بن أبي عمرو بن أمية فمات بالحيرة فرثاه أبو طالب بشعر أوله :

ليت شعري مسافر بن أبي عمـ ـرو وليت يقولها المحزون

وهو شعر معروف[2].

ثم نادم عمرو بن عبد بن أبي قيس فلما كان يوم الخندق دعاه علي عليه السلام إلى البراز فقال له : إن أباك كان لي صديقاً ونديماً .

ـ فولد أبو طالب طالباً ـ وكان مضعوفاً لا عقب له ـ وعقيلاً وجعفرا وعلياً ، فبين كل واحد منهم والأخر ـ في قول هشام بن الكلبي عشر سنين .

وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي .

١ ـ كتب تحتها : خ ، نرى .

٢ـ انظره في نسب قريش للمصعب الزبيري ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

ـ وقال الهيثم بن عدي ؛ قال جعفر بن محمد : كان بين جعفر وعلي عليهما السلام تسع سنين ، جعفر أكبرهما ، وبين جعفر وعقيل أربع سنين ، وعقيل أكبرهما ، وطليق بن أبي طالب لا عقب له ، درج ، وأمه أمة لبني مخزوم غشيها فحملته فادعاه وادعاه أيضاً رجل من حضرموت فأرادوا بيعه من الحضرمي فقال أبو طالب :

أعوذ بخير الناس عمرو بن عائذ   أبي وأبيكم أن يباع طليق
أخو حضرموت كاذب ليس فحله   ولكن كريم قد نماه عتيق
هبوني كدباب وهبتم له ابنه   وإني بخير منكم لحقيق

وكان دَبّاب بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن كعب وقع على أمة لبني مخزوم أيضاً فأولدها ولداً فوهبوه له .

وأم هانىء ، تزوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، فولدت له جعدة بن هبيرة ، فهرب هبيرة يوم الفتح إلى اليمن فمات كافراً بها .

وقيل هرب حين أسلمت أم هانىء ـ واسمها فاختة ـ إلى نجران ولها يقول :

وإن كنت قد بايعت دين محمد   وقطعت الأرحام منك حبالها
فكوني على أعلى سحوق بهضة   ممنَّعة لا يستطاع منالها
وإن كلام المرء في غير كنهه   لكالنبل يهوي ليس فيها نصالها

وجمانة ولدت لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

فأما طالب فأقام على دين أبيه ولم يسلم بعده ، وحضر بدرا مع المشركين وقال بعد انصرافه معهم .

فجعتني المنون بالجُنّة الحُمْـ ـس ملوك لدى الحجون صباح
إن كعباً وعامرا قد أبيحت يوم بدر ويـوم ذات الصفاح

ويقال : إن هذه الأبيات لغيره .

وقد اختلفوا في أمر طالب فقائل يقول : رجع من بدر إلى مكة ؛ فمات بعد قليل . وقائل يقول : أتى اليمن فهلك في طريقه وقال بعضهم : أخرج طالب إلى بدر مكرهاً فقال :

يا رب إما يخرجن طالب من مقنب من تلكم المقانب
فليكن المغلوب غير الغالب وليكن المسلوب غير السالب

فزعموا أنه لم يوجد في القتلى ، ولا كان في الأسرى ، ولا مع المسلمين ، ولا أتى مكة ، ولكنه أتى الشام فمات بها أو في طريقها .

اسلام جعفر بن أبي طالب

وأما جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ـ وكان يكنى أبا عبد الله ـ فإنه أتى النبي ﷺ مع أخيه علي عليه السلام وقد كان يسمع علياً يذم عبادة الاوثان فوقع في نفسه ذمها فلما دعاه رسول الله ﷺ قبل دعاءه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن المبعث حق .

وهاجر إلى الحبشة ومعه امرأته أسماء ابنة عميس الخثعمية ـ وهي أخت أم الفضل لُبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية ، لأمها هند بنت عوف الحميرية ـ فلم يزل مقيماً بالحبشة في جماعة تخلفوا معه من المسلمين .

ثم قدم على رسول الله ﷺ في سنة سبع من الهجرة بعد فتح خيبر فاعتنقه رسول الله ﷺ وقال : «لست أدري أي الأمرين أسرّ إلي أفتح خيبر أم قدوم جعفر» .

وقدم معه المدينة ، ثم وجهه في جيش إلى مؤتة من بلاد الشام فاستشهد وقطعت يداه في الحرب ، فقال رسول الله ﷺ : «لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة» . فسمي ذا الجناحين ، وسمي الطيار في الجنة .

ودخل رسول الله ﷺ ـ حين أتاه نعي جعفر ـ على أسماء بنت عميس فعزاها به ، ودخلت فاطمة عليها السلام تبكي وهي تقول : واعماه فقال رسول الله ﷺ : «على مثل جعفر فلتبك البواكي» . ثم إنصرف إلى أهله وقال : «إتخذوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا عن أنفسهم» . وضم عبد الله بن جعفر إليه ومسح رأسه وعيناه تدمعان وقال : «أللهم أخلف جعفرا في ذريته بأحسن ما خلفت به أحداً من عبادك الصالحين» .

واستشهد جعفر ؛ وهو ابن نحو من أربعين سنة ، وذلك في سنة ثمان من الهجرة .

وقال رسول الله ﷺ : «أشبهني جعفر في خلقي وخلقي» .

حدثني محمد بن إسماعيل الواسطي الضرير ، حدثنا علي بن عاصم عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة قال :

ما احتذى النعال ولا ركب المطايا رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر .

وقال أبو طالب وجعفر بالحبشة :

لقد ضلَ عني جعفر متنائياً وأعدى الأعادي معشري والاقارب
فهل نال معروف النجاشي جعفرا وأصحابه أم غاله عنه شاغب
تعلّم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلها لك لازب
وأنـــك عـزّ والملوك أذلـة كريم فلا يشقى لديك المجانب

ويروى : المصاقب .

وقالوا : اختط رسول الله ﷺ لجعفر إلى جانب المسجد فلما استشهد وزيد بن حارثه بكى وقال : «أخواي ومؤنساي ومحدثاي» .

وكان لجعفر من الولد عبد الله الجواد ، ويكنى أبا جعفر ؛ ولد بالحبشة ، وعون بن جعفر ، ومحمد بن جعفر ، وأمهم أسماء بنت عميس بن معد الخثعمية .

وقال رسول الله ﷺ : «الاخوات الاربع مؤمنات أحبهن لإيمانهن : أسماء بنت عميس ، وسلمى ، وأم الفضل ، وميمونة» . وأمهن هند بنت عوف بن حماطة بن حرش . فأما عون، ومحمد فذكر أبو اليقظان البصري أنهما استشهدا جميعاً بتستر في خلافة عمر بن الخطاب . وذلك غلط .

وذكر غيره أنهما قتلا بصفين . وقيل : إنهما قتلا بالطف مع الحسين وحمل ابن زياد رؤوسهما مع رأس الحسين عليهم السلام إلى يزيد بن معاوية . والله أعلم . ولم يكن لعون عقب .

وأتى عبد الله بن جعفر رجل يقال له المسور ، فذكر أنه ابن عون بن جعفر ، فوهب له عشرة آلاف درهم وزوجه ابنة له عمياء فماتت ولم يجتمعا ، ثم إن ولد عبد الله بن جعفر نفوه وطردوه ، وكان له ولد بالمدائن لا ينسبون إلى قريش ولا تنكحهم الأشراف ، وكان ممن حمل عنه الحديث أبو جعفر

المدائني ، وكان يقال له عبد الله بن مسور بن عون بن جعفر وقد ذكره محمد بن سعد كاتب الواقدي في كتابه الذي ألفّه في الطبقات من المحدثين والفقهاء[1] إلا أنه قال : مسور بن محمد بن جعفر . ولم يلد محمد بن جعفر إلا القاسم بن محمد بن جعفر وأم محمد ، وأمهما أمة الله بنت قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف .

وأما عبد الله بن جعفر فكان جوادا ، جعل معاوية بن أبي سفيان عطاءه في كل سنة ألف ألف درهم ، فلما قام يزيد بن معاوية صيرها ألفي ألف درهم ، فلم يكن الحول يحول حتى ينفقها ويستدين ، لسعة بذله وعطاياه .

ـ وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن ابن خُرَّبوذ ، أن عبد الله بن جعفر كلم في تزويج يتيم من قريش فوهب له مائة ألف درهم ، فذكر ذلك لمعاوية فقال : إذا لم يكن الهاشمي سخياً لم يشبه من هو منه .

ـ وقال الكلبي : مدح نصيب أبو محجن عبد الله بن جعفر فأجزل له العطاء فقيل له : أتعطي مثل هذا العبد الأسود ما أعطيت ؟ فقال : والله لئن كان جلده أسود ؛ وإن شعره لأغرّ أبيض ، ولقد استحق بما قال أفضل مما نال ، وإنما أخذ رواحل تنضى ، وثياباً تبلى ومالاً يفنى ، وأعطى مدائح تروى وثناء يبقى .

ـ وحدثني علي بن محمد المدائني ، عن يزيد بن عياض بن جُعْدبة قال : ابتاع عبد الله بن جعفر حائطاً من رجلٍ من الانصار بمائتي الف درهم

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣١٩ .

فرأى ابنا له يبكي فقال : ما يبكيك ؟ قال : كنت أظن أني وأبي نموت قبل خروج هذا الحائط من أيدينا ، لقد غرست بعض نخله بيدي . فدعا أباه ورد عليه صكه وسوغه المال .

ـ وحدثني أبو مسعود بن العَتابَ عن عوانة بن الحكم قال : قال عبد الله بن جعفر : عجباً لمن يشتري العبيد بماله كيف لا يستعبد الأحرار بمعروفه .

ـ حدثني عبد الله بن صالح العجلي ، أخبرني الثقة ، عن ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال قدم عبد الله بن جعفر من الشام يريد المدينة فأتى على قوم من العرب قد تحاربوا ووقعت بينهم قتلى فوداهم بثلاث مائة ألف وكسر ، وأصلح بينهم وهيّأ طعاماً أنفق عليه مالاً ، ثم أطعمهم فقال شاعرهم :

ما البحر أجود من كفيك حين طما ولا السحاب إذا ما راح محتفلا
أغاثنا الله بالمحمود شميتُـه شبه النبي الذي قُفّي به الرسلا
أعطى فحاز المنى منّا وأطعمنا كوم الذرى[1] غير منّان بما فعلا

ـ وأتاه رجل من أعراب بني كنانة فأنشد وهو في سفره :

إنك يا بن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتى
ورب ضيف طرف الحّي سرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى
إذا الحديث طرف من القرى

ويقال : إن الأبيات في غيره ، وقال من زعم أن الأبيات فيه : إنه أعطاه خمسين ناقة .

١ ـ الناقة الكوماء : الضخمة السنام .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عباس قال : قلت لمولى لمعاوية بن عبد الله بن جعفر : ليس معاوية من أسمائكم فكيف سمى عبد الله بن جعفر ابنه معاوية ؟ فقال : إن معاوية بن أبي سفيان كان محباً لعبد الله بن جعفر ، فسمى معاوية بن عبد الله باسمه ليكرمه بذلك .

وحدثني أبو منصور عن عوانة قال : سمى عبد الله بن جعفر ابنه معاوية تقرباً بذلك إلى معاوية بن أبي سفيان ، فأمر له معاوية بمائة ألف درهم ، وأمر لعبد الله بخمسمائة ألف درهم .

ويقال أن عبد الله بن جعفر وفد على معاوية فجرى الحديث حتى أعلمه أن له حملاً ، فقال : إن كان ذكراً فقد سميته معاوية ، وإن كان انثى فقد سميتها هنداً .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يزيد بن عياض قال : وفد عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية فقال له : بكم كان أمير المؤمنين يأمر لك ؟ قال : بألف ألف درهم ، قال : فأنا أضعفها ، قال : جعلني الله فداءك ، قال : أقلتها يا أبا جعفر ؟ قال : نعم ، ولا أقولها والله لأحد بعدك أبداً ؛ قال : فقد جعلتها أربعة آلاف ألف ، فلما ودعه وخرج رأى على الباب ناقة سوداء، فقال له بُدَيح مولاه: ما أحوجنا إلى هذه الناقة ليعجب منها أهل المدينة ، فقال عبد الله للذي الناقة معه : ادفعها إلى بديح ، فأبى ، فرجع إلى يزيد ، فقال : ما وراءك يا أبا جعفر ؟ قال : ناقة سوداء رأيتها مع غلامك ، فأراد بديح أن يعجب أهل المدينة منها ، فقال يزيد : ادفعوا إلى أبي جعفر كل ناقة سوداء لنا ، فنظروا فإذا هي سبعمائة ناقة ، فدفعت إليه ،

وأمر يزيد فكتب إلى عامل أذرعات أن يوقرها له زيتاً فقسم عبد الله النوق في طريقه ، فلم يرد المدينة منها إلاّ بثلاثين ناقة .

قال محمد بن سعد : وقال الواقدي الثبت أن صلته من معاوية كانت خمسمائة ألف درهم فصيرها يزيد ألف ألف درهم ثم ألفي ألف .

وحدثني مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه أن عبد الله بن جعفر قال لعبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي ، وهو يمازحه ، وكان ابن صفوان أمياً لا يقرأ ولا يكتب : ما نأمر أحداً من شباننا بالكتاب والأدب إلا قال : هذا سيد قريش عبد الله بن صفوان لا يقرأ ولا يكتب ، فقال ابن صفوان : ونحن والله ما ننهى أحداً من أحداثنا ونسائنا عن البطالة واللهو إلا قال : هذا سيد قريش ابن جعفر يلهو ويسمع الغناء .

وقال غير مصعب أن ابن صفوان قال لعبد الله : إنا والله ما ننهى أحداً من أحداثنا ونسائنا عن البطالة واللهو إلا قال : هذا سيد قريش عبد الله بن جعفر يلهو ويسمع ، وكنت حجته ، فقال ابن جعفر : ونحن والله ما نعذل أحداً من أحداثنا على ترك القراءة والكتابة وتعلم القرآن إلا قال : هذا ابن صفوان لا يقرأ من كتاب الله حرفاً ولا يكتب خطاً .

ـ وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : كان لعبد الله بن جعفر ، غلام فارسي سقط إليه يقال له نشيط ، وكان يغنّي بالفارسية ويضرب على غنائه بالعود ، ثم فصح فغنّى بالعربية ، وعنهُ وعن سائب خاثر أخذ معبد الغناء ، ولنشيط أغان نسبت إلى معبد .

ـ وحدثني أبو مسعود ، عن ابن الكلبي ، عن أبي مسكين وغيره أن عبد الله بن الزبير ، قال ذات يوم لعبد الله بن جعفر : أتذكر حين لقيْنا

رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم فجعل حسناً بين يديه وأردفني وتركك تعسل[١] .

ـ المدائني عن رجل عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، ان ابن الزبير قال لابن جعفر : أتذكر يوم لقينا رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم فحملني وابن عباس وتركك .

ـ وحدثني عبد الله بن صالح ، عن رجل من بني هاشم ، عن أبيه ان عبد الله بن جعفر رأى في منامه أن رسول الله ﷺ أتاه ومعه علي فقال له : انطلق مِعنا . فقال : إن عليّ دينا . فقال رسول الله ﷺ : إن دينك سيقضى بعدك ، فلما مات دعا ابنه معاوية بن عبد الله الناس إلى شراء ماله فغالوا به وأمر غرماءه فحضروا فقضى دينه .

ـ وحدثني عافية السعدي عن الربيع بن مسلم قال : مَرَّتْ بعبد الله بن جعفر وعمر في مجلسه مع أصحابه ناقة نجيبة لسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ؛ فأعجبتهم وقال رجل منهم : أشتهي والله أن آكل من لحمها وسنامها فدعا عبد الله رائضها وجعل يكلمه ويشاغله ثم أمر بنحرها فجزع الرائض فقال : لابأس عليك وأرسل إلى سعيد فعرفه خبر النجيبة وقال : إن بعض جلسائنا اشتهى أن يأكل من شحمها ولحمها فأمرت بنحرها . قال سعيد : قد وفقت فلا تخلنا من أطايبها ، وأمر عبد الله للرائض بمائتي دينار ، وما بقي من الناقة بعد الذي طبخ لهم وحمل إلى سعيد من أطايبها .

---

١ ـ الذئب أو الفرس يعسل عسلاً أو عسلاناً : اضطرب في عدوه وهز رأسه . القاموس .

ـ وحدثني أبو خيثمة زهير بن حرب ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن يونس بن يزيد الايلي ، عن الزهري أن علي بن أبي طالب أعطى عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ يوم الجمل حين أشخصها إلى المدينة اثني عشر ألفاً فاستقل ذلك عبد الله بن جعفر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فزادها وقال : إن أجاز علي هذه الزيادة ؛ إلا فهي من مالي .

ـ حدثنا عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه : أن عنبسة بن مرداس ـ أحد بني كعب بن عمرو بن تميم ، وهو الذي يقال له : ابن فسوة ـ أتى عبدالله بن عباس فقال له : ما جاء بك ؟ قال : جئتك لتعينني على مروءتي . فقال له ابن عباس : وهل لامرىءٍ يعصى الرحمن ويطيع الشيطان ويقول البهتان مروءة ! فقال :

أتيح لعبد الله يوم لقيته ... شميلة ترمي بالحديث المفتَّر
فليت قلوصي عريت أو رحلتها ... إلى حسن في داره وابن جعفر
إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى ... ويقرأ آيات الكتاب المطهر

فقال له ابن جعفر : أنا أعطيك ما تريد ؛ على أن تمسك عن ابن عباس فلا تذكره بعد هذه الكلمة . فأعطاه وأرضاه .

قال : وشميلة هذه ابنة أبي جنادة بن أبي أريها الدوسي ، كانت عند مجاشع بن مسعود السلمي فقتل عنها يوم الجمل فخلف عليها ابن عباس .

ـ قال : وقال هشام : أخبرني أبي أن عبدالله بن عباس دعا على ابن فسوة فخرس وأصابه خبل مات منه .

ـ المدائني عن ابن جُعْدُبة ، قال : جرى بين يحيى بن الحكم بن أبي العاص ، وبين عبدالله بن جعفر بن أبي طالب كلام فقال له يحيى : كيف

تركت الخبيثة ؟ يعني المدينة ـ قال عبد الله : سماها رسول الله ﷺ طيبة وتسميها خبيثة ؟! قد اختلفتما في الدنيا ؛ وستختلفان في الآخرة . فقال : والله لأن أموت وأدفن بالشام الأرض المقدسة ؛ أحب إليّ من أن أدفن بها فقال عبدالله : اخترت مجاورة اليهود ؛ والنصارى على مجاورة رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار .

قال يحيى : ما تقول في عثمان وعلي ؟ قال : أقول ما قال من هو خير مني لمن هو شرّ منهما ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم[1]﴾ .

ـ وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي بمثله .

ـ وحدثنا علي بن محمد المدائني ، عن ابن جعدبة وغيره قالوا : كان عبد الله بن جعفر يعطي المال الجليل ، وإذا اشترى شيئاً ماكس فيه ، فقيل له في ذلك ، فقال . أما ماأعطيت فهو شيء أجود به ، وأما ابتياعي الشيء بأكثر من ثمنه فهو عقلي أغبنه .

ـ وقال أبو الحسن المدائني : كان عبد الله بن جعفر يقول : من أعظم الخرق «الدالة» على السلطان .

ـ المدائني عن ابن جعدبة ، قال : قال عبد الله بن جعفر لا بنته : يا بنية إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة المعاتبة فإنها تورث الضغينة ، وعليك بالزينة والطيب ، واعلمي أن أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء .

---

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ١١٨ .

ـ وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي ، عن ابن عباس قال : كان عبد الله بن جعفر يقول : ما صار إليّ مال فصدقت أنه لي حتى أنفقته[1] .

ـ وقال لرجل من ذوي الحرمة به : إن لم تجد بدّاً من صحبة الرجال فعليك بمن إذا صحبته زانك وإن خففت له صانك ، وإن وعدك صدقك وإن غبت عنه لم يرفضك ، وإن رأى بك خلة سدّ خلتّك يبتديك إذا سكتّ ، ويعطيك إذا سألت .

ـ وحدثني محمد بن زياد الأعرابي الراوية قال : رفع وكيل لعبد الله ابن جعفر حساباً إليه، حساباً ينقص خمسمائة درهم، فقال: ما هذه؟ وفي أي شيء خرجت ؟ فقال : في ثمن جمل اشتريته لعبد الله بن جعفر . فضحك وقال : ويحك يُشترى جمل بخمسمائة درهم ؟! فقال : إنه كان أبرق ، فقال : أما إذا كان أبرق فنعم .

تنازع الحسن بن علي مع عبد الله بن جعفر

المدائني قال : تنازع الحسن بن علي وعبد الله بن جعفر عند معاوية رضي الله عنهم فقال الحسن : اسكت ، فو الله لأبي خير من أبيك ، ولأمي خير من أمك ، ولأنا خير منك ، فقال عبد الله : أما قولك في أبي وأبيك ، فكان أبي الطيار في الجنة وأبوك مريق الدماء في الفتنة ، وأما فاطمة لعمرو الله خير من أسماء بنت عميس ، وأما أنت فقد خطبت جمانة بنت المسيب ،

١ ـ في هامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

وكانت تحت حذيفة ، وخطبها أخوك الحسين ، فأنكحتُها ورددتما لشراسة في أخيك ولأنك مطلاق .

ـ وحدثت عن هشام بن الكلبي قال : تنازع قوم بالمدينة ؛ فقال بعضهم : أسخى الناس عبد الله بن جعفر . وقال آخرون : عرابة الأوسي . وقال آخر : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، وشيخ يسمع كلامهم فقال : والله ما منكم إلا من فضل رجلاً شريفاً سخياً ، فليقم كل رجل منكم إلى من فضله ؛ فليسأله لنعرف جماله فقام صاحب عبد الله بن جعفر فأتاه وقد قربت له راحلة ليركب ، وقد وضع رجله في غرزها فقال : يا بن عم رسول الله إني رجل حاج أُبدع[1] بي وقد بقيت متحيراً فأعني في زادٍ وراحلة ، فقبض رجله ثم قال : دونك الراحلة فاقتعدها وانظر ما عليها من فضل أداة فبعه واجعله في نفقتك ، فوثب بعض غلمان عبد الله إلى سيف في مؤخر الرحل ليأخذه فقال عبد الله : مه ثم قال : يا هذا لا تخدعنّ عن هذا السيف فإنه تَقوم عليّ بألف دينار . فأخذ الراحلة بما عليها والسيف ؛ وأتى القوم فقالوا : لقد أحسن العطية .

ثم قام صاحب عرابة ؛ فأتاه وقد خرج من داره يريد المسجد ، وغلامان له أسودان يأخذان بيده وقد كف بصره فقال له : يا هذا إني رجل من الحاجّ منقطع بي فأعني في زادٍ وراحلة فقال : أوّه أوّه والله لقد أتيت عرابة وما يملك صفراء ولا بيضاء وما يملك إلا هذه الأرض العريضة وعبديه هذين

---

١ ـ أبدعت الراحلة : كلت وعطبت ، أو ظلعت ، وأُبدع : عطبت ركابه وبقي منقطعاً . القاموس .

خذهما فبعهما واجعل ثمنهما في زادٍ وراحلة فقال الرجل : سبحان الله آخذ قائديك وسمعك وبصرك ؟! فقال : هما حران إن لم تأخذهما ، فأخذهما الرجل وجاء بهما إلى القوم فقالوا : جهد من مقل ، ولقد أحسن وكرّم .

ثم مضى صاحب قيس بن سعد ، وهو نائم فقالت جاريته من هذا ؟ قال : رجل يطلب قيساً . قالت : هو الآن نائم أفلك حاجة ؟ قال : نعم أنا رجل من الحاج انقطع بي فجئته ليعينني في زادٍ وراحلة . فقالت له : يا سبحان الله ألا تكلمت ، أنبه قيس في هذا القدر ، يا غلام امض مع الرجل إلى دار النجائب ، فليأخذ أي نجيب شاء ، وامض معه إلى بيت الرحال فليأخذ أي رحل أحبَ وأت معه فلاناً الصيرفي فليعطه ألف درهم . فأعجبهم من قيس حكم جاريته في ماله بغير علمه .

وقال صاحب عبد الله بن جعفر يمدحه :

حباني عبد الله نفسي فداؤه بأعيس مياد سياطٌ مشافره
وأبيض من صافي الحديد كأنه شهاب بدا والليل داج عساكره
فيا خير خلق الله عماً ووالدا وأكرمهم للجار حين يجاوره
سأثني بما أوليتني يابن جعفر وما شاكر عرفا كمن هو كافره

ـ وحدثني أبو مسعود الكوفي ، عن الكلبي ، قال : قالت بنو أمية لمعاوية يا أمير المؤمنين اتعطي أحدنا مائة ألف درهم إذا أسنيت له ، وتعطي ابن جعفر ما تعطيه ؟ فقال : لست أعطي ابن جعفر ما أعطيه له وحده وإنما أعطيه وأعطي الناس لأنه يقسم ما يصير إليه ويجود به ، وأنتم تأخذون المال فتحبسونه وتدخرونه وإنما نعطي كل امرىءٍ على قدر مروءته وتوسعه .

ـ العمري ، عن الهيثم قال : كلم عبد الله بن جعفر علي بن أبي طالب في حاجة لبعض الدهاقين ؛ فقضاها فحمل إليه أربعين ألف درهم ورقا ، فردّها وقال : إنّا قوم لا نأخذ على معروف ثمنا .

ـ المدائني ، عن غير واحد قال : وفد عبد الله بن جعفر على معاوية فأعطاه صلته لوفادته خمسمائة ألف درهم ؛ وقضى حوائجه .

ثم إن عبد الله وقف بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين اقض ديني . قال : أو لم تقبض وفادتك وتقض حوائجك الخاص والعام يا بن جعفر ؟ قال : بلى . قال : فليس كل قريش أسعه بمثل ما أعطيك ، وقد أجحفت النوائب ببيت المال ؟! قال : إن العطية يا معاوية محبة والمنع بغضة ولأن تعطيني وأحبك أحبّ إليّ من أن تحرمني فأبغضك ثم قال :

عوّدت قومك عادة فاصبر لها اغفر لجاهلها وردّ سجالها

فقال معاوية : اعلم يا بن جعفر أن ما من قريش أحد أحبّ أن يكون ولدته هند غيرك ولكني إذا ذكرت ما بينك وبين علي ، وما بين عليّ وبيني اشمأز قلبي فكم دينك ؟ قال : ثلاثون ألف دينار . فقال : كيف أبخل بما لا يغيب عن بيت مالي إلا أشهراً يسيرة حتى يعود إليه ، اقضها عنه يا سعد .

قال : وقيل لابن جعفر : بماذا حسن رأيك في يزيد بن معاوية ؟ قال : شخصت أريد معاوية ، فلما صرت بالشام لقيني خبر وفاته ، ففكرت في القدوم على يزيد أو الرجوع ، وقلت : فتى من فتيان قريش وغطريف من غطارفتها لعله يجهل حقي ويحطني عن مرتبتي فيكون عليّ في ذلك غضاضة تلحقني ، ثم استخرت الله عز وجل ، وقدمت عليه فلما رآني أعظمني وأخلاني ، وقال : كأني بك حين بلغتك وفاة أبي تحيرت فميلت بين النفوذ إليّ

والانصراف عني ، فقلت والله ما أخطأت يا أمير المؤمنين ، فأضعف لي وفادتي وأعطاني رواحل كثيرة حملت لي زيتاً وألطافا وكِسىَ .

ـ حدثنا عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن محمد بن يزيد الكناني قال : كان سائب مولى لبني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وكان تاجراً موسراً يبيع الطعام ، وكان يغني مرتجلاً ويوقع على غنائه بقضيب ، وكان انقطاعه إلى عبد الله بن جعفر ، وكان عبد الله يحسن [إليه] .

[قال : وفد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر ، فوقع له في حوائجه ، ثم عرض عليه حاجة لسائب خاثر ، فقال معاوية : من] سائب هذا؟ قال عبدالله: رجل من أهل المدينة من موالي بني ليث بن حدافه [يروي الشعر ، قال : أوكل من روى الشعر أراد أن نصله ، قال : إنه حَسنَّه ، قال : وإن حسنه] قال : فأُدخِلُه إلى أمير المؤمنين ؟ قال : نعم فادخله إليه ، فلما دخل قام [على الباب ثم رفع صوته يتغنى][1] :

لمن الديار رسومها قفر

فقال معاوية أشهد لقد حَسَّنَهُ ثم وصله وقضى حاجته .

قال : وسمع معاوية صوت سائب خاثر من منزل يزيد ابنه .

فلما دخل عليه يزيد قال : من كان جليسك يا بني البارحة ؟

قال : سائب خاثر . قال : فاختر[2] له فما رأيت بنشيده بأسا .

١ ـ بياض في نسخة استانبول ، وطمس في الأصل ، وتم استدراك ذلك كله من كتاب الأغاني ـ ط . دار الكتب ج ٨ ص ٣٢٣ ، حيث بقية الشعر ونسبته .

٢ ـ أي أكثر .

قالوا : وقتل سائب يوم الحرة مع أهل المدينة ، فمر به رجل من قريش فركضه برجله وقال : إن هاهنا لحنجرة حسنة ، وايقاعاً مصيباً ، ولقد كنت تحكمين :

لمن الديار رسومها قفر .

فرحمك الله .

قال عباس بن هشام عن أبيه والحرمازي : سمي سائب خاثر ، لأنه غنى صوتاً ثقيلاً ، فقال : هذا غناء خاثر غير ممذوق. وقال المدائني عن محمد بن عامر : عاتب معاوية عبد الله بن جعفر على الاستهتار بالغناء والطرب ، فدخل عليه يوما ومعه بُديح المليح ، مولى آل الزبير ويقال مولاه ، فلما كان على باب البيت الذي فيه معاوية قال : يا بديح قل ، فتغنى وجعل يقرع حلقة الباب ويوقع بها ، وجعل معاوية يحرك رجليه ، فقال عبد الله : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : إن الكريم طروب .

ـ وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن عدة من أهل الحجاز ، قالوا : قدم معاوية المدينة ، فأمر حاجبه أن يأذن للناس ، فخرج فلم ير أحداً ، فأعلمه قال : فأين الناس ؟ قيل : عند عبد الله بن جعفر في مأدبة له ، فأتاه معاوية ، فلما جلس قال بعض المدنيين لسائب خاثر : لك مطرفي إن غنيت ومشيت بين السماطين ، ففعل وغنى بشعر حسان بن ثابت :

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما[1]

فأعجب معاوية ذلك واستحسنه وأخذ السائب المطرف .

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٣٥ .

ـ وحدثني المدائني ، عن ابن جعدبة ، قال : قال : عبد الملك بن مروان لعبد الله بن جعفر : يا أبا جعفر بلغني انك تسمع الغناء على المعازف والعيدان ؛ وأنت شيخ ؟! قال : أجل يا أمير المؤمنين ، وإنك لتفعل أقبح من ذلك ، قال : وما هو؟ قال : يأتيك أعرابي أهلب العجان ، منتن الريح فيقذف عندك المحصنة ويقول البهتان ؛ ويطيع الشيطان ، فتعطيه على ذلك المائة من الإبل وأكثر ، وأنا أشتري الجارية بمالي حلالاً ، ثم أتخير لها جيد الشعر فترجعه بأحسن النغم ؛ فما بأس بذلك .

ـ ومر عبد الله بالحزين في غداة باردة وعليه خزّ مظاهر فقال له .

أقول له حين واجهته عليك السلام أبا جعفر

فقال : وعليك السلام . قال :

فأنت المهذب من غالب وفي البيت منها الذي يذكر

قال : كذبت يا عدو الله ذاك نبي الله ﷺ . قال :

فهذي ثيابي قد أخلقت وقد عضني منكم منكر

فأمر له بما كان عليه من الثياب .

ـ وقال ابن الكلبي كان مالك بن أبي السمح من طيء من ساكني المدينة ، وكان أخواله من بني مخزوم ، وكان يتيماً في حجر عبد الله بن جعفر ، فأخذ الغناء عن معبد ، وكان يغني مرتجلاً ، وعاش حتى أدرك دولة بني العباس .

ـ وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه عن مشايخ من المدنيين وغيرهم قالوا : كان عبيد بن شريح مولى بني ليث من كنانة ، ويكنى أبا يحيى ويلقب

وجه الباب لأنه كان متّركا(١) وكان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر ، وهو الذي تغنى :

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سـواء عليها ليلهـا ونهارها

قال هشام : وكان موسى شهوات منقطعا إلى ابن جعفر أيضاً ، وإنما سمي شهوات لأنه قال في يزيد بن معاوية شعراً له :

يا مضيع الصلاة للشهوات

وقال غير هشام : كان يتشهى على عبد الله الشهوات فلقب شهوات .

ـ وحدثني عباس بن هشام ، عن أخيه أنيف بن هشام ، عن أبيه ، عن بعض المدنيين قالوا : مر عبد الله بن جعفر ومعه عدة من أصحابه بمنزل رجل قد أعرس وإذا مغنيهم يقول :

قـل لكـرام ببـابنـا يلجـوا من قبل ما أن تغلق الرتج

فقال عبد الله لأصحابه : لجوا فقد أذن لنا القوم فنزل ونزلوا فدخلوا ، فلما رآه ربّ المنزل تلقاه وأجلسه على الفرش فاستمع طويلاً ثم قال للرجل : كم أنفقت في وليمتك ؟ قال : مائتي دينار . قال وكم مهر امرأتك ؟ قال : كذا . فأمر له بمائتي دينار وبمهر امرأته وبمائة دينار بعد ذلك معونة له ، فاعتذر إليه ثم انصرف .

ـ المدائني ، عن ابن جعَدبَة ، قال بُديح : أتى ابن قيس الرقيات منزل عبد الله بن جعفر عليهما السلام ؛ فقال ؛ يا بُديح استأذن لي . قال :

١ ـ لم تسعفني معاجم اللغة على تبيان المقصود من هذه الكلمة ولعلها تصحيف : منزكاً ، وهو الذي يسيء القول بالآخرين ويلمزهم ويرميهم بغير حق . القاموس .

فوجدته نائماً فجئت فوضعت وجهي بين قدميه ، ثم نبحت نباح الكلب الهرم ، فقال : ما لك ويلك ؟ قلت : جعلني الله فداك ابن قيس بالباب وكرهت أن يرجع حتى يدخل إليك .

فقال : أحسنت أدخله فدخل فأنشده :

تقدت[1] بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها
تزور فتى قد يعلم الله أنه تجود له كفّ يُرَجّى انهمارها
فإن مت لم يوصل صديق ولم تقم طريق من المعروف أنت منارها[2]

فقال : يا بديح أجر على الشهباء وصاحبها نزلاً واسعاً ، وأمر لابن قيس بسبع مائة دينار ومطرف خزّ مملوء ثياباً من خز ووشي .

ثم قال له ابن قيس : إن أمير المؤمنين قد حبس عنّي عطائي في بيت قلته . فركب ابن جعفر ؛ وكلم عبد الملك فيه وكان منعه إياه عطاءه لقوله :

كيف نومي على الفراش ولما يشمل الشام غارة شعواء[3]

فلم كلمه أنشده عبد الملك هذا البيت فقال من حضره من الشاميين : يا أمير المؤمنين ائذن لنا نطهر بدمه قال : إني قد أمنته فأدخله إليه فأنشده شعره الذي يتول فيه :

ينعقد التاج فوق مفرقه[4] على جبينٍ كأنه ذهب[5]

١ ـ أي سارت سيراً ليس بعجل ولا مبطىء .
٢ ـ ديوان عبد الله بن قيس الرقيات ـ ط . دار صادر بيروت ص ٨٢ مع فوارق .
٣ ـ ديوان عبد الله بن قيس الرقيات ص ٩٥ .
٤ ـ في هامش الأصل : ويروى يعتدل التاج . ويتوافق هذا مع ما جاء في ديوانه .
٥ ـ ديوانه ص ٥ .

فقال : إنه يقول في مصعب :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء[١]

ويقول فيّ :

على جبين كأنه ذهب

والله لا يقبض مني عطاءً أبداً . فضمن له ابن جعفر عطاءه من ماله ، فكان جارياً عليه حتى مات .

ـ عباس بن هشام ، عن أبيه قال : عشق عبد الرحمن بن أبي عمار قينة ، فعذله عطاء وطاووس ومجاهد ، فقال :

يلومني فيك أقوام أجالسهم فما أبالي أَطَار اللوم أم وقعا

فابتاعها عبد الله بن جعفر ، فلما لقيه قال : ما فعل حب فلانة ؟ قال : مخالط اللحم والدم والمخّ والعصب . فوهبها له ، وأمر له بمائة ألف درهم وقال : إنما أمرت لك بها لئلا تُتَّهم بها وتُتَّهم بك .

ـ المدائني عن أبي الحسن الأنصاري قال : قدم على معاوية عبد الله بن جعفر ؛ وعدة من قومه من قريش فوصلهم وفضّل عبد الله بن جعفر ؛ أعطاه ألف ألف درهم فقال عبد الله بن صفوان : إنما صغرت أمورنا عندك وخَفَّتْ حقوقنا عليك لأنا لم نقاتلك كما قاتلك غيرنا ، ولو كنا فعلنا كنا كابن جعفر ، فقال معاوية إني أعطيكم فتكونون بين رجلين : إما معدّ بما أعطيه لحربي ؛ وإما مضمّ له بخيل به ، وإن عبد الله بن جعفر يعطي أكثر مما يأخذ ، ثم لا يأتيني حتى يدان أكثر مما أخذ . فخرج ابن صفوان فقال ؛ إن معاوية ليحرمنا حتى نيأس ، ويعطينا حتى نطمع .

١ ـ ديوانه ص ٩١ .

ـ قالوا : وكانت لعبد الله بن جعفر ابنة يقال لها : أم أبيها تزوّجها عبد الملك بن مروان ؛ فعضّ يوماً تفاحة فألقاها إليها ـ وكان فاسد الفم وغمور الأسنان(١) ولذلك لقب أبا الذبان لاجتماع الذباب على فيه ـ فدعت بسكين وقطعت موضع عضته فقال : ما تصنعين ؟ قالت : أميط الأذى عنها فطلقها . ويقال : إنها قالت له : يا أمير المؤمنين لو استكت بالصبر ؟! فقال : أما منك فسأستاك ، فطلقها ، فتزوجها بعده علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، فدسّ عبد الملك عجوزاً من حواضن ولده وكانت برزة طريفة فقال لها : ائت أم أبيها مسلمة عليها ، ثم الطفي بكشف رأس علي بن عبد الله حتى تراه ـ وكان عليّ أصلع يردّ شعر مؤخر رأسه على مقدمه وكانت القلنسوة لا تفارقه ـ فأتت العجوز علياً فسلمت عليه وأقبلت تضاحكه وتضاحك أم أبيها ، ثم قالت لعلي : يا سيدي ما هذا على قلنسوتك ؟ فأمكنها من أخذها ، فأخذتها بيديها تنفضها ، فنظرت أم أبيها إلى رأس علي ففطنت لما أراد من العجوز . . . أمير المؤمنين إليها . . . ووضعت إصبعها على رأسها خير من هذا ووضعت إصبعها بفمها ـ تعني أنّ الصلع خير من البخر ـ . وماتت عند علي بن عبد الله .

وقال بعض البصريين التي كانت عند علي بن عبد الله ، فقالت هذا القول ؛ أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ، وأنها كانت عند . . . تزوجها فطلقها ، وقد دخل بها أو لم يدخل بها ، فتزوجها عبد الملك ثم علي بن عبد الله ثم الحجاج فكتب إليه عبد الملك يشتمه لإقدامه على تزوجها ، فطلقها

١ ـ الغمر : السهك .

ثم تزوجها القاسم بن محمد ، ثم أبان بن عثمان بن عفان قال : ولم تكن عند عبد الملك . . . قط؛ وأن التي تزوجها عبد الملك ثم علي بعده أم أبيها أختها[١].

ـ وحدثنا أبو الحسن المدائني ، عن غسان بن عبد الحميد ، قال :

أراد عبد الله بن جعفر أن يزوج الحجاج ، فأرسل إلى عمر بن علي بن أبي طالب أن أحضر حتى تزوجه ؟! فأرسل إليه عمر : أن أخر ذلك إلى الليل فإني أكره أن يراني الناس في مسجد رسول الله ﷺ أزوج الحجاج ، فأرسل إليه انه لم يبق أحد يستحيى منه ، ولو كان أحد يستحيى منه لم نفعل هذا ، قال : وكان عمر ذا عقل ونبل .

وكان عبد الله بن جعفر ؛ قد أضاق وأخل في آخر عمره ، فأتاه رجل فسأله فقال : إن حالي متغيرة لجفوة السلطان وحوداث الزمان ، ولكني أعطيك ما أمكن . فأعطاه رداءً كان عليه ، ثم دخل منزله ثم قال : اللهم استرني بالموت . فما مكث بعد ذلك إلا أياماً حتى مرض ومات رضي الله تعالى عنه .

وتوفي عبد الله بن جعفر سنة تسعين وله تسعون سنة . وقال بعضهم : توفي في سنة ثمانين ، وصلى عليه والي المدينة من قبل عبد الملك . والأول أثبت .

١ ـ طمس معظم هذا الخبر في الأصل ، وهو بياض في نسخة استانبول ، ولم يرد في مصادر أخرى متوفرة حتى يمكن تداركه ، حيث من المعروف أن ترجمة عبد الله بن جعفر عند ابن عساكر من أفضل تراجمه وأوسعها ومع هذا لم يرد هذا الخبر فيها .

خبر عبد الله بن معاوية
ابن عبد الله بن جعفر

قالوا : ومن ولد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، وكان سخياً شجاعاً شاعراً ، إلا أن أباه معاوية كان مبخلا .

وكان من شعر عبد الله بن معاوية قوله :

العين تبدي الذي في قلب صاحبها   من الشناءة أو وداً إذا كانا
إن العدو له عين يقلبها   لا يستطيع لما في القلب كتمانا
وعين ذي الودّ ما تنفك مقلتها   تبدي له محجراً بشاً وإنساناً
فالعين تنطق والأفواه صامتة   حتى تُري من ضمير القلب تبيانا

ومن شعره :

رأيت حميداً كان شيئاً مزّملا   فلم يزل التكشف حتى بدا ليا[1]
فأنت أخي ما لم يكن لي حاجة   فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
فلا ازداد ما بيني وبينك بعدما   بلوتك في الحاجات إلا تنائياً
وعين الرضا عن كل سوء غبية   ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقال للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس :

قل لذي الود والصفاء حسينٌ   أَقدَرَ الود بيننا قَدَرَه
ليس للدابغ المقرظ[2] بد   من عتاب الأديم ذي البشرة

١ ـ وردت هذه الشطرة هكذا في الأصل وهي مختلة الوزن .
٢ ـ أديم مقروظ : دبغ أو صبغ بالقرظ وهو ورق السلم أو ثمر السنط . القاموس .

وحدثت عن جويرية بن أسماء ؛ قال : قال لي عبد الله بن معاوية : هل بلغك خبر زيد بن علي بالكوفة ؟ فقلت : نعم . قال : والله لقد قال لي ذات ليلة : ألا أحدثك عن علي بن الحسين أتاه رجل من أهل الكوفة فقال : فعل بنو مروان وفعلوا ؛ فما تقول فيهم ؟ قال : أقول ما قال من هو خير مني فيمن هو شر منهم ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾[١] فكيف يخرج زيد بعد هذا !

قالوا : فلما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك ـ وهو يزيد الناقص ـ الخلافة ، وولى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان العراق ، خرج عبد الله بن معاوية عليه بالكوفة ، ودعا لنفسه ، فقاتله عبد الله بن عمر فهزمه فأتى المدائن فلحقه قوم انضموا إليه ، فسار إلى حلوان ؛ فغلب عليها وعلى نواح من الجبل ، وضرب الدراهم وكتب عليها : ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾[٢] . ثم غلب على أصبهان وعامة فارس والأهواز ، وكان على الأهواز من قبل عبد الله بن عمر ، سليمان بن حبيب بن المهلب ، وصار أبو جعفر المنصور إليه مع من صار إليه من بني هاشم ، فولاه ايذرج من الأهواز ؛ فجبى خراجها ، وكان ابن معاوية بفارس وقد وهن أمره وقوي أمر سليمان بن حبيب ، فهرب المنصور يريد البصرة ، وأذكى ابن حبيب عليه العيون حتى أخذ وأتي به فأغرمه المال ، ويقال : إنه ضربه أربعين سوطاً وشتمه ومن هو منه ، ثم حبسه وأراد قتله

١ ـ سورة المائدة ـ الآية ؛ ١١٨ .
٢ ـ سورة الشورى ـ الآية : ٢٣ .

فمنعه من ذلك سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ، ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وقالا : إنما أفلتنا من بني أمية بالأمس أفتريد أن تجعل لبني هاشم عندنا دما ، فخلى سبيله . وقال بعضهم : إن أبا أيوب سليمان المورياني كان كاتباً لسليمان بن حبيب فقال له : إنك أحدثت في هذا الرجل حدثا لم ترض بنو عبد مناف بذلك ، وبحسبك ما نلته منه به .

وولى مروان بن محمد الجعدي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، فسار من قرقيسيا[1] حتى أتى الكوفة ؛ وبها رجل من الخوارج يقال له : المثنى بن عمران،من عائذة قريش،فلقيه بالروحاء فوق الكوفة سنة تسع وعشرين ومائة فقتله ، وأتى واسطاً وبها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فحصره ثم أخذه وبعث به إلى مروان فحبسه في السجن بحران ثم قتله غيلة .

ووجه ابن هبيرة بُنانة بن حنظلة أحد بني بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ، لمحاربة سليمان بن حبيب بالأهواز ، فوجه إليه سليمان داود بن حاتم بن قبيصة ، فالتقوا بالموريان على شاطىء دجيل ، فانهزم أصحاب ابن داود ، وقتل داود فقال خلف بن خليفة يرثيه :

نفسي لداود الغزي والحمى إذ أسلم الجيش أبا حاتم
مهلبي مشرق وجهه ليس على المعروف بالنادم

في أبيات .

---

١ ـ هي البصيرة (البوسرايا) في سورية الآن .

وهرب سليمان بن حبيب من بنانة فلحق بفارس وصار مع عبد الله بن معاوية في طاعته ، ثم أتى ماسبذان[1] وصار منها إلى عُمان فدعا إلى نفسه فاجتمعت عليه جماعة ، ثم إنهم خافوا أن يلحقهم بسببه مكروه وتنالهم معرّة فطردوه ، فأتى البصرة واستخفى بها ، وبلغ أمير المؤمنين أبا العباس خبره فكتب في طلبه وأذكى العيون عليه ودسّ لذلك حتى عرف المنزل الذي كان مستخفياً فيه ، فلمّا أحس بإحاطة الجند به نزل في بئر ؛ فاستخرج منها وكتب بذلك إلى أبي العباس فقال لخالد بن صفوان : إن سليمان بن حبيب وجد في بئر فأخذ فقال : يا أمير المؤمنين سمعت بالذي هرب رفضاً ودخل قفصاً. وحمل سليمان إلى أبي العباس وكان المنصور يومئذ بناحية الموصل والجزيرة ، فكتب يسأله حمله إليه ، فلما قدم به عليه وبّخه بما كان منه وقال : لم ترض بما صنعت حتى شتمتني ومن أنا منه . ثم قتله .

وسمعت بعض آل المهلّب ينكر أن يكون وجد في بئر ويزعم أن أبا العباس آمنه حتى ظهر ، فلما صار إليه كتب المنصور يسأل أن يحمل إلى ما قبله ، وأخبر أنه إن لم يبعث به إليه لم يدخل العراق أبداً ، فلما قدم به عليه قتله ، وأن أبا مسلم كتب ينكر ذلك .

وكتب يزيد بن عمر بن هبيرة إلى بنانة بن حنظلة يأمره بالمسير إلى نصر بن سيار وهو بخراسان مدداً له ، فأتى أصبهان ثم الري وقتل بجرجان ، ولقي قحطبة في أهل خراسان ، ووجّه يزيد بن عمر بن [هبيرة] عامر بن ضبارة المري في أهل الشام إلى الموصل ، فسار حتى أتى السنّ فلقي

---

١ ـ ذكرها ياقوت في معجم البلدان .

بها الجون بن كلاب الخارجي الشيباني وقتله ، وكان الجون مرتباً بالسنّ من قبل شيبان الأكبر الخارجي الذي استخلفته الخوارج بعد قتل الضحاك ، وكان منصور بن جمهور الكلبي إذ ذاك بالجبل قد خلع مروان قبل ذلك ما كان مع عبد الله بن عمر ، فجعل يجبي خراج الجبل ويمدّ به شيبان ، ثم سار إلى السند فغلب عليها وهلك بها .

وقوّى مروان أمر ابن ضبارة ، وكتب إليه في الصمد لشيبان الأصغر بن عبد العزيز ، فمرّ على الجبل وسار حتى أتى بيضاء إصطخر ، وقد صار شيبان إلى جيرفت كرمان ، فلقي عبد الله بن معاوية ، ابن ضبارة في عمل اصطخر ، وقاتله ، فهزم ابن معاوية ، وهرب إلى هراة ، وتوجه ابن ضبارة بعد هرب ابن معاوية ، إلى شيبان فواقعه وفضّ عسكره واستباحه فهرب إلى سجستان .

وحدثني أبو مسعود ، عن أبيه قال : أخذ أصحاب أبي مسلم عبد الله بن معاوية بهراة وأتوه به فحبسه .

وقال الهيثم بن عدي : هرب ابن معاوية إلى هراة فعرفه عامل أبي مسلم عليها فكتب إلى أبي مسلم في أمره فكتب إليه يأمره بأخذه وحمله إليه فأخذه وحمله إليه فلما وافاه حبسه فكتب إليه : «أما بعد فالبيت مودع وداع ، ومولى شائع ، وإن الودائع مردودة ، والصنائع عارية ، فاذكر القصاص واطلب الخلاص ، ونبه الفكر قلبك واتق ربك» . فلم يزل في حبسه حتى مات .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه قال : أخذ عبد الله بن معاوية بهراة فحمل إلى أبي مسلم فحبسه فكان يقول لأهل الحبس ابن

معاوية : ما في الأرض قوم أحمق من أهل خراسان أطاعوا رجلًا لا يدرون على الحق هو أم انه مبطل لقد قال الله تبارك وتعالى لملائكته : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ فزادوا ﴿قال إني أعلم ما لا تعلمون[1]﴾ . فبلغ قوله أبا مسلم فقال : ما ظنكم برجل يتكلم بهذا وهو أسير ، والله لو أطلق لأفسد كور خراسان ، فدس إليه من قتله وكتب إلى أبي العباس أمير المؤمنين بموته .

وقال ابن هرمة في عبد الله بن معاوية :

أحب مدحاً أبا معاوية الما جـد لا تلقه حصـوراً عيياً
بل كريما يرتاح للحمد بسا مـاً إذا هزّه السؤال حييـا
ذو وفـاء عند العِدات وأو صاه أبوه أن لا يزال وفياً[2]

في أبيات .

قالوا : وكان علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من الأجواد ، فلما كانت السنيات البيض وكن سنيات اشتدت على أهل المدينة وجهدوا فيها بالقحط وقلة المير ، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فكان علي يحمل لهم المؤن العظام ، وأطعم ووصل وقام بأمورهم ، فقال مساحق ابن عبد الله بن مخرمة :

أبا حسن إني رأيتكِ واصلا لهلكى قريش حين غيّر حالها
سعيت لهم سعي الكَريم ابن جعفر أبيك وهل من غاية لا تنالها
فما أصبحت في ابني لويّ فقيرة مـدقَّعـة إلا وأنت ثـمالهـا

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٣٠ .
٢ ـ بقية الأبيات في تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣٩ ط . دمشق ١٩٨٦ ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .
وانظر الأبيات في شعر ابن هرمة طبعة دمشق ١٩٦٩ ص ٢٢٨ .

وحدثني الحرمازي ، قال : أخذ الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، وحمل إلى المنصور فحبسه حبساً طويلاً . فقال الحسن :

ارحم صغار بني يزيد فإنهم يتموا لفقدي لا لفقد يزيد
وارحم كبيراً سنّه متهدما في السجن بين سلاسل وقيود
قد عذتُ بالرحم القريبة بيننا ما جدنا من جدكم ببعيد

حدثني محمد بن زياد الأعرابي قال : ولد عبد الله بن جعفر : محمدا وبه كان يكنى ، وأمه محشية من بني أسد . وعلياً ، وعون الأكبر ، وجعفر الأصغر ، وعباساً ، وأم كلثوم ؛ أمهم زينب بنت علي بن أبي طالب ، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ . ومحمداً ، وعبيد الله ، وأبا بكر ، قتل مع الحسين عليهم السلام ، وأمهم الخوصاء من ربيعة ، وصالحاً ، وموسى ، وهارون ، ويحيى ، وأم أبيها ، أمهم ليلى بنت مسعود النهشلية ، خلف عليها بعد علي عليه السلام ، ومعاوية ، وإسحاق ، وإسماعيل ، والقاسم لأمهات شتى . والحسن ، وعون الأصغر ، قتل يوم الحرة ـ ويقال : بل قتل الأكبر ، وأمها جمانة بنت المسيب الفزارية .

فأما أم كلثوم فكانت عند القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب ، ثم تزوجها الحجاج ، ثم أبان بن عثمان .

وأما أم أبيها فكانت عند عبد الملك بن مروان ثم عند علي بن عبد الله .

قال : والعقب من ولد عبد الله بن جعفر لمعاوية ؛ وإسحاق وإسماعيل .

وكانت ابنة عبد الله بن إسماعيل عند يزيد بن منصور الحميري ، ثم تزوجها بعده ابن أيوب بن سلمة المخزومي .

وأما معاوية بن عبد الله فكان بخيلا قال الشاعر :

معاوي ما أشبهت شيخك قاعدا ولا قـائماً أشبهتـه يا معـاويـا

فولد معاوية : عبد الله ، ومحمدا ، أمهما أم عون بنت عون بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

قال حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس لأحدهما :

فـلا وأبيـك لا تـأتي بخـير وأمك أخت يعقوب بن عون

ويزيد بن معاوية ، والحسن لا عقب له ، وصالحاً وأمهم فاطمة بنت الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام . وعلياً لأم ولد .

وكان عمر بن عبد العزيز جدّ إسحاق بن عبد الله ، فقال له أبو عك : لا يبقى قرشي على وجه الأرض إلا حَددته وذلك إن عبد العزيز بن مروان كان حُدّ .

فولد إسحاق القاسم ؛ أمه أم حكيم بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وأمها اسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، وله عقب .

وقال غير ابن الأعرابي : كان لعلي بن عبد الله بن جعفر عقب أيضاً .

وأما عقيل بن أبي طالب

ابن عبد المطلب فكان يكنى أبا يزيد ـ باسم ابن له ـ وكان من نساب قريش وعلمائها بها ، وكان سريع الجواب لا يبالي من بده به .

وأسر يوم بدر مع قريش ، ففداه عمّه العباس بأربعة آلاف درهم .

وكان إسلامه بعد الفتح .

وولد عقيل : مسلماً ، وعبد الله الأصغر ، وعبيد الله وأم عبد الله ومحمداً ورملة لأم ولد يقال لها : حُليّة .

وعبد الرحمن ، وحمزة ، وعلياً وجعفر الأصغر ، وعثمان ، وزينب ، وفاطمة ، تزوجها علي بن يزيد بن ركانة من بني عبد المطلب بن عبد مناف .

وفاطمة وأسماء ، تزوجها عمر بن علي بن أبي طالب ، وأم هانىء لأمهات شتى .

ويزيد ، وسعيد ، أمهما أم عمر بنت عمرو الكلابية .

وأبا سعيد ، وجعفر الأكبر ، وعبد الله الأكبر ، أمهم أم البنين كلابية . وبعضهم يقول : أم أنيس .

فقتل من بني عقيل مع الحسين عليه السلام : جعفر الأكبر ، ومسلم ، وعبد الله الأكبر ، وعبد الرحمن ، ومحمد بن عقيل . ويقال : إن الذين قتلوا ستة ، قال الشاعر :

عين جودي بعبرة وعويل واندبي إن ندبت آل الرسول
تسعة منهم لصلب علي قد ابيدوا وستة لعقيل

ويروى «وخمسة لعقيل»

وولد مسلم بن عقيل : عبد الله وعليا ـ امهما رقية بنت علي بن أبي طالب ـ ومسلم بن مسلم ـ أمه من بني عامر بن صعصعة ـ وعبد الله ـ لأم ولد ـ ومحمداً .

وولد محمد بن عقيل : القاسم ؛ وعبد الله وعبد الرحمن ـ أمهم زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب .

فأما عبد الله بن محمد ، فكان فقيها يروى عنه ، وكان أحول .

وأما عبد الله بن عقيل فولد : محمداً ، ورقية ـ كانت عند قدامة بن موسى الجمحي ـ وأم كلثوم ـ امهم ميمونة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام .

وأما أبو سعيد بن عقيل فولد : محمداً لأم ولد .

وأما عبد الرحمن بن عقيل ، فولد : سعيدا ـ أمه خديجة بنت علي بن أبي طالب .

وأما الباقون فلا عقب لهم ، ولا بقية .

قالوا : ولما كان يوم حنين أصاب عقيل ابرة وخيوطا فسمع منادي رسول الله ﷺ ينادي في الغلول أن يرد . فقال : ما أرى ابرتنا إلا مأخوذة منا . وكان ربما ضُعّف .

ولما هاجر رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام وكان جعفر قد صار إلى الحبشة ، أقبل عقيل على منازلهم فباعها ، فروي عن النبي ﷺ أنه قال يوم فتح مكة : «وهل ترك لنا عقيل من رباع» .

وحدثني عمير بن بكير بن هشام بن الكلبي ، عن عوانة بن الحكم ، قال : دخل عقيل بن أبي طالب على معاوية والناس عنده وهم سكوت فقال : تكلَّمُنَّ أيها الناس فإنما معاوية رجل منكم فقال معاوية : يا أبا يزيد أخبرني عن الحسن بن علي ؟ فقال : أصبح قريش وجها ، وأكرمها حسبا . قال : فابن الزبير؟ قال : لسان قريش وسنانها إن لم يفسد نفسه . قال : فابن عمر ؟ قال : ترك الدنيا مقبلة وخلاكم وإياها ، وأقبل على الآخرة وهو بعد ابن الفاروق . قال : فمروان قال : أوه ذلك رجل لو أدرك أوائل قريش فأخذوا برأيه صلحت لهم دنياهم . قال : فابن عباس ؟ قال : اخذ من العلم ما شاء .

وسكت معاوية فقال عقيل : يا معاوية أأخبر عنك فإني بك عالم ؟ قال : أقسمت عليك يا أبا يزيد لَمّا سكت .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه قال : دخل عقيل على معاوية فقال له : يا أبا يزيد أي جدّاتكم في الجاهلية شرّ ؟ قال : حمامة ، فوجم معاوية .

قال هشام : وحمامة جدة أبي سفيان ، وهي من ذوات الرايات في الجاهلية[1] .

المدائني ، عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : ما أبين الشبق في رجالكم يابني هاشم ، قال : لكنه في نسائكم يا بنِي أمية أبين .

قال : وقال معاوية لعقيل وهو معه بصفين : أنت معنا يا أبا يزيد ؟ قال : نعم وقد كنت أيضاً معكم يوم بدر .

أبو الحسن المدائني ، عن عليّ بن مجاهد ، : أن علياً رأى عقيلاً يوماً ومعه تيس يقوده فقال له علي عليه السلام : إن أحد الثلاثة لأحمق . قال : أما أنا وتيسي فلا .

وحدثني المدائني ، عن بكير بن الأسود ، عن أبيه عن شيخ من قريش قال : قال رجل لعقيل بن أبي طالب : يا أبا يزيد إنك لحاين[2] تترك أخاك وتصير مع معاوية ؟! فقال : أحين مني من سفك دمه بين أخي ومعاوية ليكون أحدهما أميراً .

حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه عن عوانة ، قال : قال معاوية لعقيل : مرحباً بمن عَمُّه أبو لهب ، فقال عقيل : ومرحباً بمن عمته حمالة الحطب ، فإذا دخلت النار فاطلبها تجدهما متصاحبين .

---

١ ـ جرت العادة بنصب رايات فوق خيم البغايا في أسواق الجاهلية .
٢ ـ كتب تحتها بالأصل : أي مجنون .

المدائني ، عن ابن جعدبة عن هشام بن عروة ، قال : إن معاوية قال لعقيل : يا أبا يزيد أنا خير لك من أخيك علي ، فقال : إن أخي آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ، فأخي خير لنفسه منك لنفسك ، وأنت خير لي منه .

وحدثني المدائني ، عن حسان بن عبد الحميد ، عن أبيه ، أن عقيل بن أبي طالب ، وأبا الجهم بن حذيفة العدوي ومخرمة بن نوفل الزهري اتخذوا مجلساً فكان لا يمرّ بهم أحد إلاّ عابوه وذكروه مثالبه ، فشكوا إلى عمر بن الخطاب فأخرجهم من المدينة إلى الطّائف . ويقال : إنه فرّق بينهم في المجالس .

حدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه عن عوانة قال : وقع بين عقيل ورجل من قريش كلام فقال عقيل : والله لقد رأيت من لُهي بعمتك ليلة بنصف برد حبرة وربع جلد بقرة ، فقدمه إلى عمر ، فقال : نعم كان ذلك في الجاهلية . فقال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ : هدم الإسلام ما قبله .

أبو الحسن المدائني ، عن مسلمة وغيره أن عقيلاً قال للمسيب بن حزن أبي سعيد بن المسيب : يا بن الزانية وقد كانت أمه أسلمت فرفعوا إلى عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال : هات بيّنتك . فأتى بمخرمة بن نوفل وبأبي جهم بن حذيفة العدوي فقالا : نشهد أن أمه زانية . قال : وبأي شيء علمتما ذلك ؟ قالا : نكناها في الجاهلية . فجلدهم عمر ثمانين ثمانين .

وحدثني أبو مسعود الكوفي والمدائني عن ابن أبي الزناد ، عن أبيه قال : كانت لعقيل بن أبي طالب طنفسة يجلس عليها ويتحدث الناس إليه

فلا يقوم حتى تغشاه الشمس فكان أهل المدينة يقولون : وقت الجمعة حين تبلغ الشمس طنفسة أبي يزيد .

وحدثنا عباس بن هشام ، عن أبيه عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد ، أن عقيلاً كتب إلى أخيه علي عليه السلام :

أما بعد كان الله جارك من كل سوء ، وعاصمك من المكروه على كل حال .

«إني خرجت ـ يابن أمّ ـ معتمراً ولقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء ، فقلت لهم ـ وعرفت المنكر ـ : أين تريدون يا بني الطلقاء ؟ أبمعاوية تلحقون عداوة لنا غير مستنكرة منكم تحاولون تغيير أمر الله وإطفاء نور الحق ، فأسمعوني وأسمعتهم ، ثم إني قدمت مكة وأهلها يتحدثون بأن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة وما يليها ، فأفّ لدهرٍ جَرّأ علينا الضحاك ، وما الضحاك [إلا] فقع بقرقر ، فاكتب إليّ يابن أمّ برأيك وأمرك ، فإن كنت الموت تريد تحمّلت إليك ببني أخيك وولد أبيك فعشنا معك ما عشت ، ومتنا معك إذا متّ» .

فكتب إليه علي عليه السلام :

«إنّ ابن أبي سرح وغيره من قريش قد اجتمعوا على حرب أخيك اليوم كاجتماعهم على حرب ابن عمك قبل اليوم ، وإن الضحاك أقلّ وأذل من أن يقرب الحيرة ، ولكنه أغار على ما بين القطقطانة والثعلبية» .

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه عن عوانة قال دخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فلم يسمع كلاماً ، فقال : يا معاوية : أما في مجلسك أحد ؟ قال : بلى . قال : فما لهم لا يتكلمون ؟ فتكلم الضحاك بن قيس

فقال : من هذا ؟ فقال له : الضحاك بن قيس . قال : ابن خاصي القردة ، ما كان بمكة أخصى لكلب وقرد من أبيه .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة قال: كنا جلوساً في المسجد، وقد تساند بعضنا إلى الأسطوان ، فجاء عقيل فأوسعنا له ؛ فتساند إلى الأسطوان ، ثم قال : انتم خير لكبيركم من مهرة وذلك أن مهرة إذا أسن فيهم الرجل عقلوا رجله ثم قالوا له : قم فإن قام تركوه ، وإن لم يقم قتلوه وقالوا : أنت إن طلبت لم تدرك ، وإن طلبت أدركت .

وتزوج عقيل بالبصرة ابنة سنان بن الحوتكية من بني سعد بن زيد مناة بن تميم فقيل له : بالرفاء[1] والبنين . فقال : لا تقولوا كذا ، ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكم» .

حدثني هشام بن عمار الدمشقي ، حدثنا عمران بن معروف السدوسي ، حدثنا سليمان بن أرقم ، عن الحسن :

عن عقيل بن أبي طالب أنه تزوج فقيل له : بالرفاء والبنين . فقال : لا تقولوا هكذا ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ : «على الخير والبركة ، بارك الله لك ، وبارك عليك» .

قالوا : وتزوج عقيل فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وكان علي خطبها فأبته فشكا ذلك إلى عثمان فعاتبها عثمان فقال : رددت علياً

---

١ ـ في هامش الأصل : مأخوذة من رفأت الثوب .

وتزوجت عقيلا ؟ فقالت : إن علياً قتل الأحبة يوم بدر ، وإن عقيلا كان معهم يومئذ .

وقالت فاطمة لعقيل يوماً : يابني هاشم أين شيبة ؛ أين الوليد بن عتبة ؟ فقال : إذا دخلت النار فاطلبيهم يسرة . فغضبت ونشزت عليه ، فبعث عمر عبد الله بن العباس ومعاوية بن أبي سفيان حكمين من أهله وأهلها فقال عبد الله بن العباس : لأحرصن على أن أفرق بينهما ، فلما دخلا الدار قالت : والله ما أريد بأبي يزيد بدلا . فانصرفا .

المدائني قال : كان عقيل يقول : لا يختر أحدكم ولداً ، فأني كنت أعز ولد أبي فصرت أخسهم .

وتوفي عقيل في أيام معاوية .

مقتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب

قالوا : وكان مسلم بن عقيل أرجل ولد عقيل وأشجعها ، فقدّمه الحسين بن علي عليهما السلام إلى الكوفة ، حين كاتبه أهلها ودعوه إليها وراسلوه في القدوم ، ووعدوه نصرهم ومناصحتهم ، وذلك بعد وفاة الحسن بن علي ؛ وموت معاوية بن أبي سفيان ، وأمره أن يكتم أمره ، ويعرف طاعة الناس له .

فأتى الكوفة فنزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي ، واختلفت إليه الشيعة ، والنعمان بن بشير الأنصاري يومئذ عامل يزيد بن معاوية على الكوفة ، وكان رجلاً حليماً يحب العافية ، فلما بلغه خبر قدوم مسلم خطب الناس فدعاهم إلى التمسك بالطاعة والاستقامة ، ونهاهم عن الفرقة

والفتنة ، وقال : «إني والله لا أقاتل إلا من قاتلني ، ولا آخذ أحداً بظنة وقرف وإحنة» .

فكتب وجوه أهل الكوفة : عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، ومحمد بن الأشعث الكندي ، وغيرهما إلى يزيد بن معاوية بخبر مسلم بن عقيل ، وتقديم الحسين إياه إلى الكوفة أمامه ، وبما ظهر من ضعف النعمان بن بشير ؛ وعجزه ووهن أمره .

فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان بولاية الكوفة إلى ما كان يلي من البصرة ، وبعث بكتابه في ذلك مع مسلم بن عمرو الباهلي - أبي قتيبة بن مسلم - وأمر عبيد الله بطلب ابن عقيل ونفيه إذا ظفر به أو قتله ، وأن يتيقظ في أمر الحسين بن علي ويكون على استعداد له .

وقد كان الحسين بن علي عليه السلام كتب إلى وجوه أهل البصرة يدعوهم إلى كتاب الله ، ويقول لهم : «إن السنة قد أميتت ، وإن البدعة قد أحييت ونعشت» وكتموا كتابه إلا المنذر بن الجارود العبدي فإنه خاف أن يكون عبيد الله بن زياد ؛ دسه إليه ، فأخبره به وأقرأه إياه ، فخطب عبيد الله بن زياد الناس بالبصرة ؛ فأرعد وأبرق وتهدد وتوعد ، وقال : أنا نكل لمن عاداني وسمام لمن حاربني ، وأعلمهم أنه شاخص إلى الكوفة ، وأنه قد ولى عثمان بن زياد أخاه خلافته على البصرة ، وأمرهم بطاعته والسمع له ، ونهاهم عن الخلاف والمشاقة .

وشخص إلى الكوفة ومعه المنذر بن الجارود العبدي ، وشريك بن الأعور الحارثي ، ومسلم بن عمرو الباهلي ، وحشمه وغلمانه ، فوردها متلثماً بعمامة سوداء ؛ وكان الناس بالكوفة يتوقعون ورود الحسين ، فجعلوا

يقولون : مرحباً يا بن رسول الله ، قدمت خير مقدم ، وهم يظنون أنه الحسين ، فساء ابن زياد تباشير الناس بالحسين وغمه ؛ وصار إلى القصر فدخله وأمر فنودي الصلاة جامعة وخطب الناس فأعلمهم أن يزيد ولاه مصرهم ، وأمره بإنصاف مظلومهم وإعطاء محرومهم ؛ والإحسان إلى سامعهم ومطيعهم والشدة على عاصيهم ومريبهم ، ووعد المحسن وأوعد المسيء .

وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد الكوفة ، فأقبل حتى أتى دار هانىء بن عروة بن نمران المرادي ، فدخل من بابه ثم أرسل إليه أن أخرج إلي ، فخرج إليه ، فقال له مسلم : يا هانىء إني أتيتك لتجيرني وتضيفني ، فقال هانىء : والله لقد سألتني شططا ، ولولا دخولك داري وثقتك بي لأحببت أن تنصرف عني ولكنه قد وجب علي ذمامك ، فأدخله داره . وكانت الشيعة تختلف اليه فيها .

ودسّ ابن زياد مولى يقال له مَعْقِل ، وأمره أن يظهر أنه من شيعة علي ؛ وأن يتجسس من مسلم ويتعرف موضعه ، وأعطاه مالاً يستعين به على ذلك ، فلقي معقل مولى ابن زياد مسلم بن عوسجة الأسدي فقال له : إني رجل محب لأهل بيت رسول الله ﷺ ، وقد بلغني أن رجلاً منهم بعث به الحسين بن علي صلوات الله عليه إلى شيعته من أهل الكوفة ، ومعي مال أريد أن أدفعه إليه يستعين به على أمره وأمركم ، فركن ابن عوسجة إليه ، وقال له : الرجل القادم من قبل الحسين مسلم بن عقيل وهو ابن عمه وأنا مدخلك إليه .

ومرض هانىء بن عروة المرادي فأتاه عبيد الله بن زياد عائداً ، فقيل لمسلم بن عقيل : أخرج إليه فاقتله . فكره هانىء أنْ يكون قتله في منزله فأمسك مسلم عنه .

ونزل شريك بن الأعور الحارثي أيضاً على هانىء بن عروة ؛ فمرض عنده فعاده ابن زياد ؛ وكان شريك شيعياً شهد الجمل وصفين مع علي ، فقال لمسلم : إن هذا الرجل يأتيني عائداً فاخرج إليه فاقتله . فلم يفعل لكراهة هانىء ذلك : فقال شريك : ما رأيت أحداً أمكنته فرصة فتركها إلا أعقبته ندماً وحسرة ، وأنت أعلم ، وما على هانىء في هذا لولا الحصر .

ومات شريك بن الأعور ؛ في دار هانىء من مرضه ذلك . واسم الأعور الحارث .

وجعل مَعْقِل مولى ابن زياد يختلف إلى ابن عوسجة يقتضيه ما وعده من إدخاله إلى مسلم بن عقيل ؛ فأدخله إليه ، وأخذ مسلم بيعته وقبض المال الذي كان أعطاه إياه عبيد الله بن زياد منه ، وذلك بعد موت شريك بن الأعور .

وأتى معقل ابن زياد ؛ فحدثه بما كان منه وبقبض مسلم بن عقيل المال في منزل هانىء بن عروة بن نمران المرادي ، فقال : أفعلها هانىء ؟!

ووجه محمد بن الأشعث الكندي وأسماء بن خارجة بن حصين الفزاري إلى هانىء بن عروة ؛ فرفقا به حتى اتى ابن زياد ؛ فأنّبه على إيوائه مسلم بن عقيل ، وقال له : إن أمر الناس مجتمع وكلمتهم متفقة افتعين على تشتيت امرهم بتفريق كلمتهم والفتهم رجلاً قدم لذلك ؟ فاعتذر إليه من إيوائه وقال : أصلح الله الأمير دخل داري عن غير مواطاة مني له ، وسألني

أن أجيره فأخذتني لذلك ذمامه . قال : فأتني به لتتلافى الذي فرط من سوء رأيك فأبى فقال : والله لئن لم تأتني به لأضربن عنقك . قال : والله لئن ضربت عنقي لتكثرن البارقة حول دارك . فأمر به فأدني منه فضرب وجهه بقضيب أو محجن كان معه ، فكسر أنفه ، وشق حاجبه ، ثم أمر به فحبس في بعض بيوت الدار .

وأتى مسلماً خبر هانىء فأمر أن ينادى في أصحابه وقد تابعه ثمانية عشر الف رجل ، وصاروا في الدور حوله ؛ فلم يجتمع إليه إلاّ أربعة آلاف رجل ، فعبأهم ثم زحف نحو القصر ؛ وقد أغلق عبيد الله بن زياد أبوابه وليس معه فيه إلا عشرون من الوجوه وثلاثون من الشرط ، فوجه محمد بن الأشعث بن قيس ، وكثير بن شهاب الحارثي ، وعدة من الوجوه ليخذلوا الناس عن مسلم بن عقيل والحسين بن علي ، ويتوعدونهم بيزيد بن معاوية وخيول أهل الشام ، وبمنع الأعطية ، وأخذ البريء بالسقيم ، والشاهد بالغائب فتفرق أصحاب ابن عقيل عنه ؛ حتى أمسى وما معه إلا نحو من ثلاثين رجلاً ، فلما رأى ذلك خرج متوجهاً نحو أبواب كندة ، وتفرق عنه الباقون حتى بقي وحده يتلدد في أزقة الكوفة ليس معه أحد ودفع إلى باب امرأة يقال لها طَوْعَة ، فاستسقى ماءً فسقته ثم قال : يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، كذبني هؤلاء القوم وغروني فآويني . فأدخلته منزلها وآوته وجاء ابنها فجعل ينكر كثرة دخولها إلى مسلم وخروجها من عنده ، فسألها عن قصتها فأعلمته إجارتها مسلما ، فأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بذلك ، وكان ابن زياد ؛ حين تفرق عن ابن عقيل الناس فتح باب القصر ، وخرج إلى المجلس فجلس فيه ، وحضره أهل الكوفة ،

فجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى أبيه وهو عند ابن زياد ، فأخبره خبر ابن عقيل فأعلم محمد بن الأشعث ابن زياد بذلك ، فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به ؛ وفيهم محمد بن الأشعث ، فلما أحسّ مسلم برسل ابن زياد ، خرج بسيفه ، واقتحموا عليه الدار ، فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمري ضربتين ، فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا ، وأسرع في شفته السفلى ؛ فنصلت ثنيّتاه ، وضرب بكيراً ضربة على رأسه وأخرى على حبل عاتقه .

وأتي به ابن زياد ؛ وقد آمنه ابن الأشعث فلم ينفّذ أمانه . فلما وقف مسلم بين يديه نظر إلى جلسائه فقال لعمر بن سعد بن أبي وقاص : إن بيني وبينك قرابة أنت تعلمها ، فقم معي حتى أوصي إليك . فامتنع فقال ابن زياد : قم إلى ابن عمك . فقام فقال : إنّ عليّ بالكوفة سبعمائة درهم مذ قدمتها فاقضها عنّي ، وانظر جثتي فاطلبها من ابن زياد ؛ فوارها ، وابعث إلى الحسين من يردّه . فأخبر عمر بن سعد ابن زياد بما قال له فقال : أمّا مالك فهو لك تصنع فيه ما شئت ، وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده ، وأما جثته فإنا لا نشفعك فيها لأنه قد جهد أن يهلكنا ، ثم قال : وما نصنع بجثته بعد قتلنا إياه .

وقال الهيثم بن عدي : حدثني ابن عياش عن مجالد ، عن الشعبي قال : أدخل مسلم بن عقيل رحمه الله تعالى على ابن زياد ، وقد ضرب على فمه ، فقال : يا بن عقيل أتيت لتشتيت الكلمة ؟ فقال ؛ ما لذلك أتيت ، ولكن أهل المصر كتبوا أن أباك سفك دماءهم وانتهك أعراضهم ، فجئنا

لنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر . فقال : وما أنت وذاك ، وجرى بينهما كلام فقتله .

وقال هشام بن الكلبي : قال ابو مخنف في إسناده : قال ابن زياد لابن عقيل : أردت أن تشتت أمر الناس بعد اتفاقه ، وتفرّق ألفتهم بعد اجتماعهما، وجرى بينهما كلام حتى قال له : قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام . فقال له مسلم : أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه من سوء القتلة ، وقبح المثلة ، وخبث السريرة ولؤم الغلبة .

ثم قال ابن زياد : اصعدوا به فوق القصر ، واضربوا عنقه فأتبعوا رأسه جسده .

فقال : يا بن الأشعث فوالله لولا أمانك ما استسلمت .

فكان الذي تولى ذلك منه بكير بن حمران الأحمري ، أشرف به على موضع الحّذائين وهو يسبّح ويدعو على من غَرَّهُ وخذله ، فضرب عنقه ثم اتبع رأسه جسده .

وطلب ابن الأشعث إلى ابن زياد في هانىء بن عروة فأبى أن يشفعه ، فأمر به فأخرج من محبسه إلى السوق وهو مكشوف الرأس يقول : وامذحجاه ولا مذحج اليوم .

فضرب عنقه مولى لعبيد الله بن زياد ، تركّي يقال له : رُشيد وقتل رشيد هذا يوم الخازر بالموصل[1] قتله عبد الرحمن بن الحصين المرادي ، وفي

١ ـ سيمر خبر يوم الخازر أثناء الحديث عن ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي .

يوم الخازر قتل [أيضاً] عبيد الله بن زياد ، وقال عبد الرحمن :

إني قتلت راشد التركيا ولّيته أبيض مشرفيّا
أرضي بذاك الله والنّبيّا

وقال عبد الله بن الزبير ويقال : الفرزدق بن غالب :

إن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانىء في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشّم السّيف وجهه وآخر يهوي من طمار قتيل
تري جسداً قد غيّر الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل
أصابهما أمر الإله فأصبحا أحاديث من يهوى بكل سبيل[١]

وقال الأخطل لابن زياد :

ولم يك عن يوم ابن عروة غائبا كما لم يغب عن ليلة ابن عقيل
أخو الحرب ضرّاها فليس بنا كل جبار ولا وجب الفؤاد ثقيل[٢]

وقال أبو الأسود الدولي :

أقول وذاك من جزع ووجد أزال الله ملك بني زياد
هم جدعوا الأنوف وكنّ شمّا بقتلهم الكريم أخا مراد
قتيل السوق يا لك من قتيل به نَضْحٌ من احمر كالجساد
وأهل مكارم بعدوا وكانوا ذوي كرم ورؤساً في البلاد[٣]

قالوا : وخرج عمارة بن صَلْحَب الأزدي وكان ممن أراد نصرة مسلم [فأخذه أصحاب ابن زياد ؛ فأتوه به] فأمر به فضربت عنقه في الأزد ، وبعث

١ ـ ليست في ديوان الفرزدق .
٢ ـ ليسا في ديوان الأخطل المطبوع .
٣ ـ ديوان أبي الأسود ص ٢٤١ .

برأسه مع رأس مسلم وهانىء إلى يزيد بن معاوية ، وكان رسوله بهذه الرؤوس هانىء بن أبي حية الوادعي من همدان .

ووجّه محمد بن الأشعث إلى الحسين من الحيرة بخبر ابن عقيل ، وسأله ، الانصراف ؛ فلم يلتفت إلى قوله وأبى إلا القدوم إلى العراق ، وقد كان مسلم كتب إليه يعلمه كثرة من بايعه من الناس وإظهار أهل الكوفة السرور بمقدمه ، ويسأله تعجيل القدوم .

قالوا : ولما كتب ابن زياد ؛ إلى يزيد بقتل مسلم وبعثه إليه برأسه ورأس هانىء بن عروة ورأس ابن صلحب وما فعل بهم

كتب إليه «إنك لم تعدُ أن كُنْتَ كما أحبّ ، عملت عمل الحازم ، وصلت صولة الشجاع ، وحققت ظني بك ، وقد بلغني أن حسيناً توجه إلى العراق ، فضع المناظر والمسالح وأذك العيون واحترس كل الاحتراس واحبس على الظّنه ، وخذ بالتهمة ، غير أن لا تقاتل إلا من قاتلك ، واكتب إليّ في كل يوم بما يحدث من خبر إن شاء الله» .

وقال عبيدة بن عمرو البدّي [في غدر] محمد بن الأشعث :

وقتلت وافد آل أحمد غيلة وسلبت أسيافاً له ودروعا

وحدثنا خلف بن سالم المخزومي ، وزهير بن حرب أبو خيثمة ، قالا حدثنا وهب بن جرير بن حازم قال :

لما بلغ عبيد الله بن زياد ، مسير الحسين بن علي من الحجاز يريد الكوفة ، وعبيد الله بن زياد بالبصرة ، خرج على بغاله هو واثنا عشر رجلاً حتى قدم الكوفة ، فحسب أهل الكوفة أنه الحسين بن علي ، وهو متلثم فجعلوا ينادونه : مرحباً يا بن ابنة رسول الله ﷺ حتى دخل الدار .

وكان الحسين قدّم مسلم بن عقيل بين يديه ، فزل على هانىء بن عروة المرادي وجعل يبايع أهل الكوفة ، فبعث ابن زياد إلى هانىء فقال : ائتني بمسلم . فقال : ما لي به علم . قال : فاحلف بالطلاق والعتاق . قال : إنكم يا بني زياد لا ترضون إلا بهذه الأيمان الخبيثة ، فأمر مكانه فضرب رأسه ثم رمى به إلى الناس ، وبعث إلى مسلم بن عقيل فجيء به فأمر به فدفع بين شرفتين من شرف القصر فقال له : ناد أنا مسلم بن عقيل أمير العاصين . فنادى ثم ضرب رأسه فسقط .

وأقبل الحسين حتى نزل نهر كربلا ، وقد بلغه خبر الكوفة .

وقال القائل :

إن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانىء في السوق وابن عقيل
تري رجلاً قد جدّع السيف أنفه ونضح دم قد سال كل مسيل
أصابهما أمر الإله فأصبحا أحاديث من يهوى بكل سبيل

قال خلف : وسمعت من يزيدُ في هذا الشعر :

أيركب أسماء الهمالج آمنا وقد طلبته مذحج بقتيل[1]

حدثني حفص بن عمر ، عن الهيثم بن عدي ، عن عوانة قال : جرى بين ابن عقيل وابن زياد كلام فقال له : ايه يا بن حُلَيّة . فقال له [ابن] عقيل : حُلَيّة خير من سُمَيّة وأعف .

---

١ ـ انظر الشعر ومزيد من التفاصيل في الفتوح لابن الأعثم ـ تحقيقي ط . بيروت ١٩٩٢ ج ٢ ص ٩٨ ـ ١٢٠ . تاريخ الطبري ـ ط . دار المعارف ، القاهرة ج ٥ ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

وأما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فكان يكنى أبا الحَسنَين . ويقال إن أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف لقبته وهو صغير حيدرة .

ـ وكناه رسول الله ﷺ أبا تراب ، وكان يقول : هي أحب كنيتي إليّ ، وقد اختلفوا في سبب تكنيته بأبي تراب ، فقال بعضهم : مرّ رسول الله ﷺ في غزاة وكان هو وعمار بن ياسر نائمان على الأرض ، فجاء ليوقظهما فوجد علياً قد تمرغ في البوغاء[1] فقال له : اجلس يا أبا تراب .

ـ وقيل : إن علياً غاضب فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعد أن دخلت عليه ، فخرج وهو مغتاظ فنام على التراب فرآه رسول الله ﷺ فأيقظه وجعل يمسح ظهره من التراب ويقول : يا أبا تراب .

١ ـ في هامش الأصل : البوغاء : التربة الرخوة .

- وروي أيضاً انه كان إذا أسمعته فاطمة رضي الله تعالى عنها وأغلظت له ، أكرمها عن أن يجيبها بشيء ووضع على رأسه تراباً ، فرآه رسول الله ﷺ ذات يوم والتراب على رأسه فمسحه عنه وقال : أنت أبو تراب .

- قالوا : وكان أبو طالب قد أقل وأقتر فأخذ رسول الله ﷺ علياً ليخفف عنه مؤنته فنشأ عنده .

- وصلى مع رسول الله ﷺ وهو ابن إحدى عشرة سنة . وذلك الثبت . ويقال : ابن عشر . ويقال : ابن تسع . ويقال : ابن سبع .

- ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، أمر علياً بالمقام بعده بمكة حتى أدى ودائع كانت عند رسول الله ﷺ للناس ، فأقام ثلاثاً ثم لحق به فنزل معه على كلثوم بن الهِدم الأنصاري فآخى بينه وبين نفسه ، وآخى بينه وبين سهل بن حنيف الأنصاري .

- وكان صاحب اللواء ببدر، وكان معلماً بصوفة بيضاء وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انكشف الناس ، ولم يتخلف عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ إلاّ في تبوك فإنه خلفه على أهله وقال : «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى» يعني حين خلفه .

وبعثه رسول الله ﷺ في وجوه كثيرة .

- وحدثني إبراهيم بن أحمد الدورقي ، وروح بن عبد المؤمن المقرىء ، قالا : حدثنا أبو داود الطيالسي ، أنبأنا شعبة ، عن سلمة بن كهيل عن حَيّة العُرَني عن علي عليه السلام أنه سمعه يقول :

أنا أول من صلى مع رسول الله ﷺ .

ـ وحدثنا عفان ، حدثنا شعبة ، أنبأنا عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة مولى الأنصار :

عن زيد بن أرقم قال : أول من صلى مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب .

ـ حدثني شجاع بن مخلد ، ويوسف بن موسى القطان ، قالا : حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه :

عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ يوم خيبر : لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . فدعا علياً فبعثه وقال : قاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت . قال : فمشى ما شاء الله ثم وقف فلم يلتفت وقال : يا رسول الله على ما أقاتل الناس ؟ قال : «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم إلا بحقها وحسابهم على الله» .

ـ حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال :

قال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله .

فأتي بعليّ فدفعها إليه فجاء بصفية بنت حُيَيّ بن أخطب .

ـ حدثنا خلف بن هشام البزار ، وعفان ، عن أبي عوانة ، عن أبي بلج ، عن عمرو ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بمثله .

ـ حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة أن علياً كان صاحب لواء رسول الله ﷺ يوم بدر .

ـ حدثني عمرو بن محمد ، ومحمد بن سعد مولى بني هاشم ، قالا : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، عن الفضل بن مرزوق ، عن عطية عن أبي سعيد قال :

غزا رسول الله ﷺ تبوك وخلّف علياً في أهله فقال بعض الناس : ما منعه من أن يخرجه إلا أن كره صحبته . فبلغ ذلك علياً فذكره للنبي ﷺ فقال : يابن أبي طالب أما ترضى بأن تنزل مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[1] .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا فِطر بن خليفة ، عن عبد الله بن شريك قال :

سمعت عبد الله بن رقيم قال : قدمنا المدينة فلقينا سعد بن مالك فحدثنا قال : خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك وخلف علياً ، فقال : يا رسول الله خرجت وخلّفتني ؟ فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا علي بن زيد .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٢ ـ ٢٥ .

عن سعيد بن المسيب قال : قلت لسعد بن مالك : إني أريد أن اسألك عن حديث وأنا أهابك . قال : لا تفعل فإذا علمت أن عندي علماً فسلني عنه . فقلت : قول رسول الله ﷺ لعلي حين خلفه في غزاة تبوك . فقال : قال له علي : أتخلفني مع الخالفة في النساء والصبيان ؟ فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى[1] .

- حدثني عمرو بن محمد الناقد ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا عوف عن ميمون :

عن البراء وزيد بن أرقم قالا : لما كانت غزاة تبوك - وهي جيش العسرة - قال رسول الله ﷺ لعلي : لا بدّ من أن أقيم أو تقيم . قالا : فخلفه فلما مضى رسول الله ﷺ غازياً قال ناس : ما خلف النبي ﷺ علياً إلا لشيء كرهه فبلغ ذلك علياً فاتبع رسول الله ﷺ حتى انتهى إليه ، فقال : ما جاء بك ؟ قال سمعت ناساً يقولون : إنما خلفتني لشيء كرهته مني فضحك رسول الله ﷺ وقال : ألا ترضى يا علي أن تكون مني كهارون من موسى، على أنك لست بنبي؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فأنت كذلك .

- حدثنا القاسم بن سلام - أبو عبيد - ثنا مروان بن معاوية الفزاري ، أنبأنا موسى الجهني قال :

سمعت فاطمة بنت علي تحدث عن أسماء بنت عميس أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي .

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤ - ٢٥ .

ـ حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا جعفر بن سليمان ، أنبأنا أبو هارون العبدي :

عن أبي سعيد الخدري قال : إنا كنا لنعرف منافقينا معشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب .

ـ حدثنا إسحاق الفروي عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عدي بن ثابت :

عن زرّ بن حبيش عن علي عليه السلام ، قال : إنه لعهد النبي الأمي إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق .

ـ حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا شعبة ، أنبأنا حبيب بن الشهيد ، قال :

سمعت ابن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس قال : قال عمر رضي الله تعالى عنه : عليّ أقضانا ، وأُبيّ أقرؤنا .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن علقمة :

عن عبد الله قال : كنا نتحدث أن علياً من أقضى أهل المدينة .

ـ حدثني الحسين بن علي الأسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، أنبأنا شريك ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة :

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال عمر : علي أقضانا وأبي أقرؤنا، وإنا لنرغب عن كثير من لحن أبيّ . أو قال : بعض لحن أبي[1] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٢ ص ٣٣٨ ـ ٣٤١ .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، عن أبي نعيم ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس بنحوه .

ـ حدثنا إسحاق ، حدثنا جعفر بن سليمان قال : سمعت أبا هارون العبدي يحدث عن أبي سعيد الخدري قال :

كانت لعلي من رسول الله ﷺ دَخلة لم تكن لأحدٍ من الناس .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه قال :

قيل لعلي : ما بالك أكثر أصحاب النبي ﷺ حديثاً ؟ فقال : لأني كنت إذا سألته أنبأني ؛ وإذا سكتُ ابتدأني .

ـ حدثنا عبد الله بن صالح العجلي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه قال :

قال علي : والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت ، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً .

ـ حدثني هاشم بن الحارث المروزي حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن معمر ، عن وهب بن أبي دُبَيّ .

عن أبي الطفيل قال : قال علي : سلوني عن كتاب الله فإنه ليست آية إلا وقد عرفت أبليل نزلت أم بنهار ، في سهل أو جبل .

ـ حدثني إسحاق بن الحسين ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، عن مؤمل بن إسماعيل عن سفيان بن عيينة ، عن يحيى بن سعيد :

عن سعيد بن المسيب قال : قال عمر : لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن .

ـ وحدثني بعض أصحابنا عن ابن وكيع ، عن سفيان بن عيينة ، عن يحيى بن سعيد بنحوه .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، أنبأنا شعبة ، عن سماك بن حرب قال : سمعت عكرمة يحدث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : إذا حدثنا ثقة عن عليّ بفتيا لم نعدها .

ـ حدثنا أبو نصر التمار أو خلف البزاز ، حدثنا شريك ، عن سماك بن حرب :

عن حنش عن علي قال : بعثني رسول الله ﷺ قاضياً إلى اليمن ، فقلت : يا رسول الله بعثتني إلى قوم ذوي أسنان وأنا حديث السنّ لا علم لي بالقضاء . قال : فوضع يده على صدري وقال : «إن الله سيهدي قلبك ويثبتك ، إذا جاءك الخصمان فلا تقض على الأول حتى تسمع من الآخر ، فإنه يتبين لك القضاء» . قال : فما أشكل عليّ القضاء بعد[1] .

ـ وحدثت عن يعلي بن عبيد ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة :

عن أبي البختري عن علي قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت : أتبعثني وأنا شاب ولا أدري ما القضاء ؟ فضرب صدري بيده ثم قال : «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه» ، فوالله ما شككت في قضاء بين اثنين .

ـ وحدثت عن عبد الرزاق بن همام ، عن النعمان بن أبي شيبة ، عن الثوري ، عن أبي إسحاق عن يزيد بن يُثَيْع ، قال : لا أدري أذكر حذيفة أم غيره قال : قال رسول الله ﷺ : «إن وليتموها أبا بكر فزاهد في الدنيا ،

١ ـ طبقات ابن سعد ج٢ ص ٣٣٧ ـ ٣٤٠ .

راغب في الآخرة ، وفي جسمه ضعف ، وإن وليتموها عمر فقوي أمين لا تأخذه لومة لائم ، وإن وليتموها علياً فهاد مهتد يقيمكم على طريق مستقيم» .

ـ حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر عن أبي إسحاق .

عن عمرو بن ميمون قال : لما ولى عمر الستة فقاموا أتبعهم بصره ثم قال لئن ولوها الأجيلح ليركبن بهم الطريق .

ـ حدثنا عمرو الناقد ، حدثنا محمد بن حازم أنبأنا الأعمش عن عطية .

عن جابر بن عبد الله أنه سئل : أي رجل كان علي . قال : فرفع بصره ثم قال ؛ أو ليس ذاك من خير البشر .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا إسحاق الأزرق ، حدثنا الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت قال : قال علي عليه السلام :

والله ما تقدمت عليها إلا خوفاً من أن ينزو على الأمر تيس من بني أمية فيلعب بكتاب الله عز وجل .

ـ حدثني أبو صالح الفراء، حدثنا حجاج بن محمد ، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد :

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يمر ببيت فاطمة عليها السلام ـ ستة أشهر ـ وهو منطلق إلى صلاة الصبح فيقول : «الصلاة أهل البيت ﴿إنما

يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[1]» .

ـ حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي ، حدثنا وكيع بن الجراح ، أنبأنا شريك :

عن أبي إسحاق قال : قالت فاطمة : يا رسول الله زوجتني ضخم البطن أعمش العين ؟ قال : «أو ما ترضين أن زوجتك أول أمتي إسلاما ، وأكثرهم علما وأعظمهم حلماً» .

ـ حدثني محمد بن سعد ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا مندل بن علي ، عن مطرف ، عن أبي إسحاق :

عن سعيد بن وهب ، قال : قال عبد الله : اعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب .

ـ حدثنا بكر بن الهيثم ، حدثنا هشام بن يوسف ، عن عبد الله بن مصعب عن موسى بن عقبة :

عن ابن شهاب أن النبي ﷺ بعث علياً إلى بني جذيمة الذين قتل خالد بن الوليد منهم من قتل ، بدرج فيه ذهب فأعطاهم ديات من قتل منهم وما أصيب من أموالهم ، وفضل في الدرج شيء من الذهب فقال لهم علي : هل لكم في أن أعطيكم هذا الفضل على أن تبرئوا رسول الله ﷺ مما أصيب لكم مما لا تعلمونه ولا يعلمه رسول الله ﷺ ؟ قالوا : نعم ، فأعطاهم ذلك الفضل ، فلما بلغ النبي ﷺ ما فعل قال : «لهذا أحب إلي من حمر النعم» .

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٣ .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا بسطام بن مسلم ، عن مالك بن دينار قال :

قلت لسعيد بن جبير : من كان يحمل راية رسول الله ﷺ ؟ فقال : إنك لرخو اللبب .

قال : وقال لي معبد الجهني : أنا أخبرك كان يحملها في المسير ميسرة العبسي ـ أو قال : ابن ميسرة ـ فإذا كان القتال أخذها علي بن أبي طالب .

ـ حدثنا عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي أبو قلابة ، حدثنا أبو ربيعة قهد بن عوف الذهلي ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بلج :

عن عمرو بن ميمون قال : كنا عند ابن عباس في بيته فدخل عليه نفر عشرة ، فقالوا له : نخلو معك . قال : فخلا معهم ساعة ثم قام وهو يجر ثوبه ويقول : أف أف ، وقعوا في رجل قال له رسول الله ﷺ : «من كنت مولاه فعلي مولاه» . وقال له : «من كنت وليه فعلي وليه» . وقال له : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» . وأعطاه الراية يوم خيبر وقال : «لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله» . وسدت الأبواب إلا باب علي . ونام مكان رسول الله ﷺ يوم الغار ؛ فكان يُرمىٰ ويتضور . وبعث بسورة براءة مع أبي بكر ثم أرسل علياً فأخذها [منه] فقال لا يؤدي عنّي إلا رجل من أهلي .

ـ حدثني إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثني أبو زكريا يحيى بن معين ، حدثنا حسين الأشقر ، عن جعفر الأحمر ، عن مُخوّل عن منذر :

عن أم سلمة قالت:كان النبي ﷺ إذا غضب لم يجترىء أحد أن يكلمه غير علي عليه السلام .

ـ حدثنا إسحاق ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، أخبرني سعد بن إسحاق ، عن إسحاق بن أبي حبيب :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : نظرت إلى رسول الله ﷺ بغدير «خم» وهو قائم يخطب وعلي إلى جنبه فأخذ بيده فأقامه وقال : «من كنت مولاه فهذا مولاه» .

ـ حدثنا إسحاق ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن ثابت :

عن البراء بن عازب قال : لما أقبلنا مع النبي ﷺ في حجته فكنا بغدير خم نودي إن الصلاة جامعة ، وكسح للنبي ﷺ تحت شجرتين فأخذ بيد علي بن أبي طالب وقال : «أيها الناس أَو لستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى . قال : أو ليس أزواجي أمهاتهم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . فقال : هذا وليّ من أنا مولاه ؛ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» .

ـ حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبانا علي بن زيد ، عن عدي بن ثابت :

عن البراء قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع فلما كنا بغدير خم أمر بشجرتين فكسح ما تحتهما ؛ ثم قام فقال : «إن الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن» . ثم أخذ بيد علي فقال : «من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» .

ـ حدثنا عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي ، حدثنا يحيى بن حماد ، حدثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت عن عامر بن واثلة أبي الطفيل :

عن زيد بن أرقم قال : كنا مع النبي ﷺ في حجة الوداع فلما كنا بغدير خمّ أمر بدوحات فقممن ثم قام فقال : «كأني قد دعيت فأجبت إن الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن ، وأنا تارك فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يِردا عِلي الحوض . ثم أخذ بيد علي فقال : من كنت وليه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» .

قال : قلت لزيد : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال : ما كان في الدوحات أحد إلا وقد رأى بعينه وسمع بأذنه ذلك .

ـ وحدثني الحسين بن علي العجلي ، عن أبي نعيم عن أبي غنية عن الحكم عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :

عن بريدة بن الحصيب أن النبي ﷺ قال : «من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» .

ـ وحدثنا عبد الملك ، حدثنا يحيى بن حماد ، عن أبي عوانة ، عن الأعمش ، عن عطية :

عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ بمثله .

ـ المدائني عن عيسى بن يزيد في إسناده قال : قال علي : كانت لرسول الله ﷺ ساعة من الليل يقوم فيها ، فقام فصلى ثم انصرف إليّ فقال : أبشر يا علي فإنيّ لم أسأل الله شيئاً إلا سألت لك بمثله .

ـ المدائني عن يونس بن أرقم ، عن محمد بن عبد الله بن عطية العوفي قال :

قلت لجابر بن عبد الله : أي رجل كان فيكم علي ؟ قال : كان والله خير البرية بعد رسول الله ﷺ .

ـ حدثني بعض الطالبيين عن أبائه أن علياً عليه السلام قال :

من أراد عزاً بلا عشيرة ، وهيبة بلا سلطان ، وغنى بلا مال فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته .

ـ حدثني عبد الله بن صالح بن مسلم العجِلي ، عن ابن مجالد ، عن أبيه :

عن الشعبي قال : قال علي بن أبي طالب : لا يكون الرجل قيم أهله حتى لا يبالي أي ثوبيه ابتذل ، ولا ما سدّ به فورة الجوع .

ـ حدثني عمرو بن محمد الناقد ، حدثني أبو أحمد الزبيري ، عن الحسن بن صالح ، عن أبي الجحاف :

عن الشعبي ، قال : كان أبو بكر شاعراً ، وكان عمر شاعراً وكان علي شاعراً .

ـ حدثني علي بن إبراهيم الطالبي ؛ عن أشياخه قال : قال علي بن أبي طالب :

إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان : طول الأمل واتباع الهوى فإن طول الأمل ينسي الآخرة ، وإن اتباع الهوى يضل عن الحق ، الا وإن الدنيا قد ولت مدبرة ، والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون ، فكانوا من أبناء الآخرة ، فإن اليوم عمل وغداً حساب .

ـ وروي عن موسى بن جعفر ؛ عن آبائه أن علياً قال : لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل .

- قال : وكان يقول : الفرص تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير .

- وكان علي يقول : قيمة كل إنسان علمه .

- المدائني قال : كان علي يقول : يا بن آدم ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك .

- وقال المدائني : سئل علي عن الغوغاء فقال : الذين إذا اجتمعوا غَلبوا ، وإذا تفرقوا لم يعرفوا .

- حدثني عبد الله بن صالح ، قال : سمعت إسرائيل يحدّث أنّ علياً عليه السلام قال : إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً ، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها ، فإن القلب إذا أكره مل .

- وأتى عليه السلام بجانٍ ومعه غوغاء فقال : لا مرحباً بوجوه لا ترى إلا عند سوء .

- وقال : اليأس غنى والطمع فقر حاضر .

- حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن أبي حيان التيمي قال : بنى علي سجناً من قصب وسماه نافعاً ثم بناه بلبن فقال :

ألا تراني كيساً مكيساً بنيت بعد نافع مخيّسا
سجنا حصيناً وأميراً كيّسا[1]

- وحدثني محمد بن سعد ، حدثنا أبو نعيم ، عن زهير ، عن أبي

١ - ليست في ديوان الامام علي المطبوع .

اسحاق انه صلى الجمعة مع علي حين مالت الشمس فقال : رأيته أبيض اللحية أجلح[1] .

ـ حدثنا عمرو الناقد ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق :

عن أبي إسحاق قال : جاء علي وأنا مع أبي فقال لي : قم يا عمرو فانظر إلى أمير المؤمنين ، فرأيته ضخم اللحية ولم أره يخضبها .

ـ وحدثت عن خلف بن هشام البزار ، عن شريك :

عن أبي اسحاق قال : رأيت علياً أصلع أبيض الرأس واللحية .

ـ وحدثت عن هشام بن الكلبي عن أبيه قال : كتب علي إلى عبد الله بن عباس :

أما بعد فإنه يسر المرء درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ، فليكن سرورك بما نلت في آخرتك ؛ وأسفك على ما فاتك منها ، فأما ما نلت من الدنيا فلا تكثر به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً ، وليكن همك فيما بعد الموت .

ـ المدائني في إسناده قال : كانت غلة علي أربعين ألف دينار فجعلها صدقة وباع سيفه وقال : لو كان عندي عشاء ما بعته . وأعطته الخادم في بعض الليالي قطيفة فأنكر دفئها فقال : ما هذه ؟ قالت الخادم : هذه من فضل الصدقة . فألقاها وقال : أصردتمونا بقية ليلتنا .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٦ .

ـ حدثنا عبد الله بن صالح الأزدي ، عن يحيى بن آدم ، عن الحسن بن صالح ، عن أبي حيان ، قال : كانت قلنسوة علي لطيفة بيضاء مضربة .

ـ حدثني هدبة بن خالد ، حدثنا أبو هلال الراسبي ، عن سوادة بن حنظلة القشيري قال : رأيت علياً أصفر اللحية .

ـ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن إسماعيل بن سلمان ، عن ابن عمر البزار عن محمد بن الحنفية ، قال : خضب علي بالحناء ثم تركه .

ـ حدثنا محمد بن سعد حدثنا عفان ، أنبأنا جرير بن حازم ، قال : سمعت أبا رجاء العطاردي يقول : رأيت علياً أصلع كثير الشعر ، كأنما اجتاب إهاب شاة .

ـ حدثني محمد بن سعد حدثنا قبيصة بن عقبة ، عن سفيان عن أبي إسحاق قال : رأيت علياً أبيض الرأس واللحية[1] .

ـ حدثني الوليد بن صالح ، عن يونس بن أرقم ، عن وهب بن أبي دبي :

عن أبي سخيلة قال : مررت أنا وسلمان بالربذة على أبي ذر فقال : إنه ستكون فتنة فإن أدركتموها فعليكم بكتاب الله وعلي بن أبي طالب ، فإني

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٥ ـ ٢٦ .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : «علي أول من آمن بي ، وأول من يصافحني يوم القيامة وهو يعسوب[1] المؤمنين» .

ـ حدثنا عبد الله بن صالح ، عن شريك ، عن أبي إسحاق :

عن حبشي بن جنادة قال : لما زوج رسول الله ﷺ فاطمة أرعدت فقال : «اسكتي فقد زوجتك سيّداً في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين» .

ـ حدثنا أبو قلابة الرقاشي ، حدثنا أبو عاصم النبيل ، حدثنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين :

عن مولى لعلي قال : قال علي : يهلك في رجلان : محب مفرط ، ومبغض مفرط .

ـ وحدثت عن يونس بن أرقم ، عن أبيه ، عن شهاب مولى علي عليه السلام بمثله وزاد فيه : وإنكم ستعرضون على سبّي والبراءة مني فسبوني ولا تبرأوا مني .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو عاصم ، عن هشام عن محمد بمثله .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا شعبة عن أبي التياح ، عن أبي السوار الضبعي أنه سمع علياً على منبر البصرة يقول :

ـ ليحبني أقوام حتى يدخلهم حبي النار ، وليبغضني أقوام حتى يدخلهم بغضي النار .

ـ حدثنا اسحاق بن موسى الفروي ، حدثنا أبو غسان مالك بن

---

١ ـ اليعسوب : أمير النحل وفحلها . العين للخليل .

اسماعيل ، حدثنا الحكم بن عبد الملك ، عن الحارث بن حصيرة عن أبي صادق :

عن علي أن النبي ﷺ قال له : «يا علي إن فيك من عيسى مثلاً ؛ أحبه النصارى حتى أفرطوا ، وأبغضته اليهود حتى بهتوا أمه» .

قال : فكان يقول : يهلك في رجلان : محب مفرط ؛ ومبغض مفرط .

ـ حدثنا أبو هاشم الرفاعي ، عن عمه عن عبد الله بن عباس قال :

قال الشعبي : كان علي أشجع الناس تقر له العرب بذلك ، قتل يوم بدر الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وأعان عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب على شيبة بن ربيعة ، ثم حمل على الكتيبة مصمماً وحده وهو يقول :

لن يأكلوا العتر ببطن مكة   من بعدها حتى تكون الدكة[1]

ـ حدثني مظفر بن مرجا ، عن هشام بن عمار ، عن الوليد بن مسلم ، عن علي بن حوشب قال :

سمعت مكحولاً يقول : قرأ رسول الله ﷺ :﴿وتعيها أذن واعية﴾[2] فقال : «يا علي سألت الله أن يجعلها أذنك» . قال علي : فما نسيت حديثاً أو شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ .

---

١ ـ العتيرة ما كان أهل الجاهلية يذبحونه لآلهتهم ، والدكة : التدافع والتزاحم ، وفي ديوان الامام علي ص ٧٢ :

لن يأكل التمر بظهر مكة   من بعدها حتى تكون البركة

٢ ـ سورة الحاقة ـ الآية : ١٢ .

ـ حدثني علي بن إبراهيم الطالبي ، حدثني شيخ لنا ، قال : كان علي يقول :

متى أشفي غيظي ؟! إذا غضبت ، أم حين أعجز عن الانتقام فيقال لي : لو صبرت ، أم حين أقدر عليه فيقال لي : لو غفرت .

ـ حدثنا اسحاق بن أبي اسرائيل ، حدثنا علي بن قادم ، حدثنا الحسن بن صالح ، عن أبي ربيعة ، عن الحسن البصري :

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «الجنة تشتاق إلى ثلاثة : علي ، وعمار ، وسلمان» .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا شهاب بن عباد ، أنبأنا ابراهيم بن حميد ، عن إسماعيل ، عن عامر الشعبي قال : ما رأيت رجلاً قط أعرض لحية من علي قد ملأت ما بين منكبيه بياضا[1] .

ـ حدثنا اسحاق ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن أبي طاووس .

عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : قال رسول الله ﷺ ، لوفد ثقيف حين جاؤوه ـ: «والله لتسلمن أو لأبعثن إليكم رجلاً مني ـ أو قال : مثل نفسي ـ فليضربنّ أعناقكم ، وليسبين ذراريكم وليأخذن أموالكم» .

قال عمر : فوالله : ما اشتهيت الإمارة إلا يومئذ فجعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول : هذا ، فالتفت إلى علي فأخذ بيده ثم قال : «هو هذا ، هو هذا» .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٦ .

ـ حدثني إبراهيم بن محمد السامي ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن فليت الذهلي ، عن جَسْرَة بنت دجاجة قالت :

قلت لعائشة : إن علياً يأمر بصوم عاشوراء ، فقالت : هو أعلم من بقي بالسنة .

ـ المدائني عن أشرس ، عن الحسن أن علياً عليه السلام قال :

لو أن حملة العلم حملوه بحقه لأحبهم الله وملائكته ، ولكنهم حملوه لطلب الدّنيا فمقتهم الله وهانوا عليه .

ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو أسامة عن مغيرة :

عن علي بن ربيعة قال : رأيت علياً مؤتزراً وتحت إزاره تبان .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن مغيرة ، عن قدامة بن عتاب ، قال :

كان علي ضخم البطن ، ضخم مشاشة المنكب ، ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ، ضخم عضلتي الساقين دقيق مستدقها[1] .

ورأيته يخطب في يوم من أيام الشتاء وعليه قميص قهز وإزاران قطريان ، معتمّاً بسِب كان ينسج بسوادكم هذا[2] .

ـ حدثنا محمد بن سعد حدثنا الفضل بن دكين ، عن شريك عن جابر :

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٦ .

٢ ـ القهز : ضرب من الثياب تتخذ من صوف كالمعزي ، وربما خالطة الحرير . والقطري ضرب من البرود فيه حمرة ولها أعلام فيها بعض الخشونة . العين .

عن عامر قال : كان علي يطردنا من الرحبة ونحن صبيان ، أبيض الرأس واللحية[١] .

ـ حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا رزام الضبي قال : نعت أبي علياً فقال : كان فوق الربعة ، ضخم المنكبين طويل اللحية ، ان شئت قلت إذا نظرت إليه : هو آدم ، وإن تبينته من قرب قلت : هو إلى أن يكون أسمر أدنى منه أن يكون آدم .

ـ حدثني عمرو الناقد ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، انبأنا اسرائيل ، عن حسان بن عبد الله ، عن بشير بن أراد[٢] :

عن أبي شريح : قال : أتى حذيفة بالمدائن ونحن عنده أن الحسن وعماراً قدما الكوفة يستنفران الناس إلى علي ، فقال حذيفة : إن الحسن وعماراً قدما يستنفرانكم فمن أحبَّ أن يلقى أمير المؤمنين حقاً حقاً فليأت علي بن أبي طالب .

ـ حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة :

عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي فقلت : ما كانت صفة علي ، فقال : كان آدم شديد الأدمة ؛ ثقيل العينين عظيمهما ، ذا بطن أصلع إلى القصر أقرب[٣] .

ـ حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا عمرو بن عاصم ، عن همام ، عن محمد بن جحادة :

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٥ .
٢ ـ في الهامش ما يفيد في نسخه أخرى : أراك .
٣ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٧ .

أخبرني أبو سعيد بياع الكرابيس أنّ علياً كان يأتي السوق في الأيام فيسلم عليهم فإذا رأوه قالوا : «بزرك اشكنب آمد» . فقيل له : انهم يقولون : إنك ضخم البطن . فيقول : أعلاه علم وأسفله طعام .

ـ حدثني عبد الله بن صالح ، قال : أملى علينا عنتر من قول علي : إن هذه الفرص تمرّ مرّ السحاب فانتهزوها .

قال : وكان يقول : ثلاث من كنّ فيه استوجب بهنّ أربعا : من إذا حدّث الناس لم يكذبهم ، وإذا وعدهم لم يخلفهم ، وإذا خاطبهم لم يظلمهم ، فإذا فعل ذلك وجبت اخوّته ، وكملت مروءته وحرمت غيبته وظهر عدله .

ـ وقال عليه السلام : قيمة الرجل علمه .

ـ حدثني المدائني ، عن ابن جعدبة قال : قال علي :

زعم ابن النابغة ـ يعنى عمرو بن العاص ـ أني تلعابة أعافس وأمارس[١] والله إنه ليمنعني من اللعب خوف الموت ، وإنه ليقول فيكذب ، ويحلف فيحنث ، وإنه لمن الظالمين لأنفسهم .

ـ وحدثني عمرو الناقد ، ومحمد بن سعد ، قالا : حدثنا ابو نعيم حدثنا سلمة بن رجاء التميمي ، عن مدرك بن الحجاج قال : رأيت في عيني علي أثر الكحل[٢] .

---

١ ـ أعافس : أمازح ، وأعالج النساء بالمغازلة ومثله الممارسة .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٧ .

ـ حدثني وهب بن بقية ، انبأنا يزيد بن هارون ، انبأنا هشام :

عن أبي الوضيء القيسي قال : رأيت علياً يخطبنا وعليه إزارٌ ورداء ـ مرتدياً به غير ملتحف ـ وعمامة وهو ينظر إلى شعر صدره وبطنه .

ـ حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا وكيع ، عن أبي مكين ، عن أبي أمية قال : رأيت عليا وقد لحق إزاره بركبتيه[1] .

ـ حدثنا عمرو ، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن الأجلح

عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : رأيت علياً وعليه قميص رازي إذا مدّ كمه بلغ الظفر ، وإذا أرخاه بلغ نصف الذراع .

ـ حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، عن عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح :

عن عطاء أبي محمد قال : رأيت على علي قميصاً كسكرياً من هذه الكرابيس فوق الكعبين كمه إلى الأصابع ـ أو أصل الأصابع ـ غير مغسول .

حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا أنس بن عياض أبو ضمرة حدثني محمد بن يحيى عن أبي العلاء مولى الأسلميين قال : رأيت علياً يأتزر فوق السرة .

حدثني محمد بن سعد ، والحسين بن علي ، قالا : حدثنا وكيع عن سفيان :

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٧ .

عن عمرو بن قيس أنه رأى على علي إزاراً مرقوعاً فقيل له فيه فقال : يخشع له القلب ويقتدي به المؤمن[1] .

حدثني أبو بكر الأعين ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا الحر بن جرموز : عن أبيه قال : رأيت علياً وقد خرج من القصر وعليه قطريتان إلى نصف الساق ، ورداء مشمر ، ومعه درة يمشي في الأسواق ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول : أوفوا الكيل والوزن . ولا تنفخوا في اللحم .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا حميد بن (عبد الله) الأصم ، قال : سمعت مولى لبني الأشتر النخعي قال :

رأيت علياً وأنا غلام فقال : أتعرفني ؟ قلت : نعم أنت أمير المؤمنين ثم أتى آخر فقال : أتعرفني ؟ فقال : لا . فاشترى منه قميصاً فلبسه فمدّ القميص فإذا هو مع أصابعه ، فقال له : كفه فلما كفه لبسه وقال : الحمد لله الذي كسا علي بن أبي طالب .

حدثنا روح بن عبد المؤمن ، ومحمد بن سعد ، قالا : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن أبي سليمان الأودي :

عن أبي أمية قال : رأيت علي بن أبي طالب أتى شط هذا الفيض على بغلة رسول الله ﷺ الشهباء وعليه برد قد ائتزر به ، ورداء وعمامة وخفين فنزل فبال وتوضأ ومسح على رأسه وخفيه قال : فإذاً رأسه مثل الراحة وبين أذنيه شعر مثل خط الإصبع .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٨ .

حدثني أبو نصر التمار حدثنا شريك عن أبي إسحاق الشيباني ، عن عامر :

عن أبي جحيفة أن علياً قال : ألا أخبركم بخير الناس بعد نبيكم ؟ ألا أخبركم بخير الناس ؟

حدثنا شيبان بن أبي شيبة الأُبلي حدثنا قزعة بن سويد الباهلي :

حدثنا مسلم صاحب الحناء ، قال : لما فرغ علي بن أبي طالب من أهل الجمل أتى الكوفة فدخل بيت مالها فأضرط به ، ثم قال : يا مال غُرَّ غيري ثم قسمه بيننا ، ثم جاءت ابنة للحسن ـ أو للحسين ـ فتناولت منه شيئاً ، فسعى وراءها ففك يدها ونزعه منها ، قال : فقلنا : يا أمير المؤمنين إن لها فيه حقا ، قال : اذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء . فلما فرغ من قسمته قسم بيننا حبالاً جاءت من البحرين فأبينا قبضها فأكرهنا عليها ، فخرجت كتاناً جيداً فتنافسنا فيها فبلغت دراهم ، ثم عمد إلى بيت المال فكسحه ونضحه بالماء ، ثم صلى فيه ركعتين ، ثم توسد رداءه وقال : ينبغي لبيت مال المسلمين أن لا يأتي عليه يوم ـ أو جمعة ـ إلا كان هكذا ليس فيه شيء قد أخذ كل ذي حق حقه .

وقال الكلبي : استعمل علي على بيت ماله حمله بن حوية من ولد جذل الطعان من كنانة .

وروى حماد بن يزيد ، عن غيلان ، عن سعيد بن المسيب قال : شهدت علياً وعثمان رضي الله تعالى عنهما ، ووقع بينهما كلام شديد ، حتى رفع عثمان على علي الدرة ، فقلت لعثمان : علي وسابقته وقرابته ، ثم قلت :

يا أبا الحسن أمير المؤمنين ، فلم أزل به حتى سكن وصلح الذي بينهما وجلسا يتحدثان كأن لم يكن بينهما شيء .

وحدثت عن حماد بن سلمة ، عن داود بن أبي حرب بن أبي الأسود ، عن أبيه :

أن الزبير بن العوام لما قدم البصرة بعث إليّ وإلى نفر ، ودخل بيت المال فإذاً هو بصفراء وبيضاء ، فقرأ ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه﴾[1] وقال : فهذه لنا ، وهذا ما وعدنا الله .

ثم لما قدم علي دخل بيت المال فإذاً صفراء وبيضاء فاضر ما بها وقال غري غيري غري غيري .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن أبي المغيرة الثقفي :

أخبرني أبو صالح السمان قال : رأيت علياً دخل بيت المال فرأى فيه مالاً فقال : هذا ههنا والناس يحتاجون ؟ فأمر به فقسم بين الناس ، فأمر بالبيت فكنس فنضح وصلى فيه .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي وعمر بن شبَّة ، قالا : حدثنا أبو عاصم النبيل ، حدثني محمد بن خليفة البكراوي ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن :

عن أبي بكرة قال : استعملني علي على بيت المال ، ثم دخله فقال : خذ خذ . فقسم ما فيه بين المسلمين فبقي مطرف فقال : أنظروا لي رجلاً :

---

١ ـ سورة الفتح الآية : ٢

محتاجاً أعطيه هذا المطرف . فقلت فلان رجل من موالي بني عجل ، فأرسلني به إليه ، فقال : من أين يعرفني أمير المؤمنين ؟ فقلت : ذكرتك له . فقال : جزي الله أميرِ المؤمنين خيراً ، فقد وافق مني حاجة . فباعه بمال سماه ، وصلى علي في بيت المال فأمر به فكنس وقال : الحمد لله الذي أخرجني منه كما دخلته .

وحدثني عبد الله بن صالح ، عن ابن لمجالد ، عن أبيه : عن الشعبي أن علياً مرّ على قذر بمزبلة فقال : هذا ما بخل به الباخلون .

وحدثني عمر بن شبه ، حدثنا أبو عاصم ، أخبرني معاذ بن العلاء ، عن أبيه عن جده قال :

سمعت علياً وصعد المنبر يقول : ما أصبت من عملي شيئا سوى هذه القويريرة أهداها إلي دهقان . ثم نزل إلى بيت الطعام فقال : خذ خذ . ثم قال :

أفلح من كانت له قوصرة. يأكل منها كل يوم مرة .

حدثني عمر بن شبه ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا سكين بن عبد العزيز ، عن حفص بن خالد ، عن جابر :

عن أبيه جابر قال : أنا شاهد علياً والأموال تأتيه فيضرط بها ويقول : غري غيري ، غري غيري . وقال :

هذا جناي وخياره فيه .وكل جان يده إلى فيـه .

حدثني عمر بن شبه ، حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا مروان بن معاوية حدثنا المغيرة بن مسلم :

عن عمرو بن نباتة قال : شهدت علياً عليه السلام ﷺ وقسم شيئاً جاءه من السواد فقال :

هذا جناي وخياره فيه ، إذ كل جان يده إلى فيه .

- حدثني عبد الله بن صالح ، قال : مما علمنا من كلام علي قوله : إن القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة .

وقوله : لم يذهب من مالك ما وعظك .

حدثني عمر بن شبه ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا سفيان ، عن سعيد ، عن عبيد عن رجل من قومه يقال له : الحكم قال : شهدت علياً وأتي بزقاق من عسل ، فدعا اليتامى وقال : دبوا والعقوا حتى تمنيت أني يتيم ، فقسمه بين الناس وبقي منه زقاً[1] فأمر أن يسقاه أهل المسجد .

قال : وشهدته وأتاه رمان فقمسه بين الناس فأصاب مسجدنا عشر رمانات .

حدثني عمر بن شبه حدثنا أبو نعيم حدثنا محمد بن أيوب أبو عاصم : حدثنا سنان أبو عائشة قال : كنت أرى علياً يقسم هذان الدنان الصغار من هذا الطلاء بين أهل الكوفة قال : وهو خاثر كأنه عسل[2] .

حدثنا عمر بن شبه ، حدثني أحمد بن إبراهيم الموصلي ، عن علي بن مسهر عن يزيد بن أبي زياد :

عن أبي جحيفه قال : قسم على عسلاً بين الناس فعجن فبعث إلينا بدن طلاء ، فقلت له : ما كان ؟ قال كنا نأتدم به ونختاضه بالماء .

---

١ - وردت هكذا والصواب أن يقال : زقّ .

٢ - في حاشية الأصل الطلاء : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه» . والخاثر : الثخين .

حدثني عمر بن شبه ، حدثنا أبو حذيفة ، عن سفيان ، عن سعيد الطائي :

عن الحكم أن علياً قسم فيهم الرمان حتى أصاب مسجدهم سبع رمانات ، وقال : أيها الناس إنه يأتينا أشياء نستكثرها إذا رأيناها ونستقلها إذا قسمناها ، وإنا قد قسمنا كل شيء أتانا . قال : وأتته صفائح فضة فكسرها وقسمها بيننا .

حدثني عمر بن شبه ، حدثنا أبو عاصم النبيل ، حدثنا خارجة بن مصعب ، عن أبيه قال :

كان علي يقسم بيننا كل شيء حتى يقسم العطور بين نسائنا .

حدثني عمر بن شبه ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، أنبأنا عمارة المقعد :

عن أم العلاء قالت : قسم علي فينا ورساً وزعفرانا .

حدثنا عمر بن شبه ، حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا يعلى بن الحارث ، حدثنا الربيع بن زياد :

عن الحارث قال: سمعت عليا يقول وهو يخطب : قد أمرنا لنساء المهاجرين بورس وإبر .

قال : فأما الإبر فأخذها من ناس من اليهود ؛ مما عليهم من الجزية .

حدثني أبو بكر الأعين وغيره ، قالوا : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا فطر بن خليفة ، عن حكم بن جبير ؛ قال : سمعت إبراهيم يقول :

سمعت علقمة قال : سمعت علياً يقول : أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . وحدثت أن أبا نعيم قال لنا : الناكثون أهل الجمل ،

والقاسطون أصحاب صفين ، والمارقون أصحاب النهر .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قال : قلت له : يا أبا الحارث ألا تخبرني عن علي بن أبي طالب ؟ قال : أما والله يا بني إني به لخبير . قلت : وما خبرتك ؟

قال:كان رجلاً تلعابة.وكان إذا شاء أن يقطع له ضرس قاطع فعل :

قلت : وما ضرسه القاطع ؟ قال : قراءة القرآن ، وعلم بالقضاء وبأس وجود .

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن داود بن أبي عوف أبي الجحاف .

عن رجل من خثعم قال : رأيت الحسن والحسين عليهما السلام يأكلان خبزاً وخلاً وبقلاً ، فقلت : أتأكلان هذا وفي الرحبة ما فيها ؟ فقالا : ما أغفلك عن أمير المؤمنين .

حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا أبو نعيم ، أنبأنا أيوب بن دينار المكتب :

عن أبيه أنه رأى علياً يمشي في السوق وعليه إزار إلى نصف ساقه وبردة على ظهره .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن أبي نعيم عن عبد الجبار بن المغيرة الإزدي قال :

حدثتني أم كثير أنها رأت علياً ومعه مخفقة وعليه رداء سنبلاني وقميص كرابيس وإزار كرابيس هما إلى نصف ساقه .

حدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا خالد بن مخلد ، عن سليمان بن بلال ، عن جعفر بن محمد :

عن أبيه قال : كان علي يطوف في السوق ومعه درّة ، فأتي له بقميص سنبلاني فلبسه فخرج كماه عن أصابعه فأمر بهما فقطعا حتى استويا بأصابعه ، ثم أخذ درته وجعل يطوف .

قال : وقال خالد بن مخلد : وفي حديث آخر : انه اشترى قميصاً بأربعة دراهم سنبلانياً ، ففضل عن أصابعه فقطعه[1] .

حدثني عمر بن شبّه ، حدثنا عبيد بن جناد ، حدثنا عطاء بن مسلم ، عن واصل ، عن أبي إسحاق :

عن الحارث قال : كنت عند علي فأتته امرأتان فقالتا : يا أمير المؤمنين [إننا] فقيرتان مسكينتان . فقال : قد وجب حقّكما علينا وعلى كلّ ذي سعة من المسلمين إن كنتما صادقتين ، ثم أمر رجلاً فقال : انطلق بهما إلى سوقنا فاشتر لكل واحدة منهما كرّاً من طعام[2] وثلاثة أثواب ـ فذكر رداءً أو خماراً وإزاراً ـ وأعط كل واحدة منهما من عطائي مائة درهم ، فلما ولّتا سفرت إحداهما وقالت : يا أمير المؤمنين فضلني بما فضّلك الله به وشرّفك . قال : وبماذا فضلني الله وشرفني ؟

قالت : برسول الله ﷺ . قال : صدقت وما أنت ؟

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٧ ـ ٣١ .

٢ ـ الكر : مكيال لأهل العراق فيه ستون قفيزا ، والقفيز ثمان مكاكيك ، والمكوك صاع ونصف الصاع .

قالت : [أنا] امرأة من العرب وهذه من الموالي ، قال : فتناول شيئاً من الأرض ثم قال : قد قرأت ما بين اللوحين فما رأيت لولد إسماعيل على ولد إسحاق عليهما السلام فضلاً ولا جناح بعوضة .

المدائني عن يونس بن أرقم ، عن ابن يعقوب ، عن أبيه ، عن عمرو بن حريث قال :

خرج عليّ ومعه الدرة والناس عكوف على باب القصر فضربهم بالدرة حتى أفرجوا له عني وأنا جالس فقال : السلام عليك ، قلت وعليك السلام يا أمير المؤمنين . فقال : ما في هؤلاء خير ، كنت أحسب أن الأمراء يظلمون الناس فإذا الناس يظلمون الأمراء .

المدائني عن مكتوم بن حكيم ، قال : حدثني شيخ لنا قال : رأيت علياً يمشي بالكوفة في إزار ورداء ، ضخم البطن أصلع ذا مناكب أشعر ، في أذنيه شعر والناس حوله وأنا غلام أشتدّ بجانبيه إذ جاء غلام فلطمني فاسفت[1] فلطمته فقال علي عليه السلام : حرّاً انتصر .

المدائني عن ابن جري ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق :

عن عمرو الأصم قال : قلت ، للحسن بن علي : إن أناساً من الشيعة يزعمون أنّ علياً دابة الأرض ، وأن الله باعثه إلى الدنيا . فقال : كذبوا ليس أولئك بشيعته ، أولئك أعداؤه ؛ لو علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه ولا أنكحنا نساءه .

---

١ ـ في هامش الأصل : أي غضبت .

حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون أبي معاوية ، عن حجاج عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن الأصم بمثله .

المدائني عن المثنى بن أبان ، عن أنس قال : كنت مع النبي ﷺ في حائط وبين يديه طائر فقال : يا رب ائتني بأحب الخلق إلي يأكل منه . فجاء علي فأكل معه .

المدائني عن سحيم بن حفص ، قال : بلغني أن عمّار بن ياسر قال : إن الله أعزّنا بدينه، وأكرمنا بنبيه ، فأنى تصرفون الأمر عن أهل بيت نبيكم؟ فقال رجل من بني مخزوم : يابن سميّة وما أنت وإمرة قريش ؟! فقال سعد : افرغ يا عبد الرحمن بن عوف قبل أن ينتشر أمر الناس[1] .

المدائني عن يونس بن أرقم ، عن أبي حرب ، عن أبي الأسود عن أبيه عن زيد بن أرقم قال : آخى رسول ﷺ بين أصحابه فقال علي : يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركتني ؟ فقال : أنت أخي أما ترضى أن تدعى إذا دعيت ، وتكسى إذا كسيت ، وتدخل الجنة إذا دخلت ؟. قال : بلى يا رسول الله .

المدائني ، عن حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن عكرمة : أن علياً لما بنى بفاطمة عليها السلام أتاهم النبي ﷺ فقال : أين أخي ؟ فقالت أم أيمن : أتزوّج أخاك ابنتك ؟ فدعا لهما .

المدائني عن يونس بن أرقم ، عن ابن أبي يعفور ، عن أبيه عن عمرو بن حريث قال : رفع عليّ رأسه إلى السماء ثم خفضه وقال : صدق

١ ـ كان هذا أثناء مداولات رجال الشورى بعد مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

الله ورسوله . فقال قوم : ما هذا ؟ قال : إني رجل محارب والحرب خدعة ولأن أقع من السماء فتخطفني الطير أحبّ إليّ من أن أكذب على رسول الله ﷺ فإذا سمعتموني أروي شيئاً فخذوا به .

المدائني عن مكتوم قال : قال علي :

زعم ابن النابغة أني تلعابة أعافس وأمارس ، إنه يمنعني من ذلك ذكر الموت والحساب ، وإنه لَيَعِدُ فيخلف ، ويحلف فيحنث ، ويؤتمن فيخون ، ويقول فيكذب .

وحدثني محمد بن أبان الطحان ، عن أبي هلال الراسبي ، عن أبي فاطمة :

عن معاذة العدويّة قالت : سمعت علياً على منبر البصرة يقول :

أنا الصدّيق الأكبر ، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم .

المدائني عن يونس بن أرقم ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن سالم بن أبي الجعد :

عن ابن الحنفية قال : قال رسول الله ﷺ : «من آذى علياً فقد آذاني» .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عبيد الله بن عمرو المنقري ، حدثنا عبد الوارث ، عن محمد بن ذكوان ، عن مجالد بن سعيد ،

عن عامر الشعبي قال : قدمنا على الحجاج البصرة ؛ وقدم عليه قراء أهل المدينة ، فدخلنا عليه في يوم صائف شديد الحرّ ، فقال للحسن : مرحباً بأبي سعيد ؛ إليّ ـ وذكر كلاماً ـ قال : ثم ذكر الحجاج علياً فنال منه ،

وقلنا قولاً مقارباً له فرقاً من شرّه ، والحسن ساكت عاضّ على إبهامه ، فقال : يا أبا سعيد مالي أراك ساكتاً ؟ فقال : ما عسيت أن أقول . قال : أخبرني برأيك في أبي تراب . قال : أفي علي ؟ سمعت الله يقول : ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الّذين هدى الله﴾[1] . فعليّ ممن هدى الله ومن أهل الإيمان ، وأقول : إنه ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته وأحب الناس إليه ، وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لا تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحضرها عنه و لا يحول بينها وبينه ، وأقول : إنه إن كانت لعلي ذنوب فالله حسيبه ، والله ما أجد قولاً أعدل فيه من هذا القول .

[قال الشعبي] فبسر[2] الحجاج وجهه وقام عن السرير مغضباً قال : وخرجنا .

المدائني ، عن النضر بن إسحاق الهذلي أن الحجاج سأل الحسن عن علي فذكر فضله ، فقال : لا تُحَدِّثَنَّ في مسجدنا . فخرج فتوارى .

حدثنا حريث عن الهيثم بن جميل ، عن حماد بن سلمة عن الكلبي عن أبي صالح :

عن ابن عباس أن الوليد بن عقبة قال لعلي : أنا أسلط منك لساناً وأحدّ سناناً، وأربط جناناً، واملأ لحشو الكتيبة ، فقال : اسكت يا فاسق

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٤٣ .
٢ ـ البسور : العبوس . العين للخليل .

فأنزل الله عزّ وجل : ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[١] يعني بالمؤمن علياً عليه السلام .

وحدثت عن حماد بن سلمة ، عن الكلبي ، عن أبي صالح :

عن ابن عباس قال : نزلت في علي : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة﴾[٢] .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عمن حدثه عن عيسى بن طلحة قال : قلت لابن عباس : أخبرني عن أبي بكر فقال : كان خيراً كله على حين كانت فيه وشدة غضب . قلت : فعمر ؟ قال : كان كأنه طائر حذر قد نصبت له أحبولة ، فهو يعطي كل يوم بما فيه على عنف السياق ، قلت : فعثمان ؟ قال : كان والله صواما قواما يخدعه نومه عن يقظته قلت : فصاحبكم . قال : كان مزكوناً[٣] حلما وعلما ، وعزه من أمره اثنتان : سابقته ودالته قلت : أكان محدوداً ؟ قال أنتم تقولون ذاك .

قالوا : وكان عمرو بن العاص يقول إن في علي دعابة وهزلاً ، فقال علي : زعم ابن النابغة أني تلعابة تمزاحة ذو دعابة أعافس وأمارس ، هيهات يمنعني من ذاك خوف الموت وذكر البعث ، والحساب ، ومن كان ذا قلب ففي هذا له واعظ وزاجر ، أما وشرّ القول الكذب ، إنه ليحدث فيكذب ، ويعد فيخلف ، ويحلف فيحنث ، فإذا كان يوم البأس فأي آمر وزاجر ما لم

---

١ ـ سورة السجدة ـ الآية : ١٨ .
٢ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٥٥ .
٣ ـ الزكانة : الحفظ والعلم والضبط . القاموس .

تأخذ السيوف مآخذها من هام الرجال ، فإذا كان ذلك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم أسته .

حدثنا هدبة بن خالد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي المهزم : عن أبي هريرة قال : جعت فلما صليت المغرب عرضت لأبي بكر فجعلت استقريه وما أريد بذلك إلا أن يدخلني بيته فيعشيني ، فلما بلغ الباب أرسل يدي ودخل فعرضت لعمر ففعلت مثل ذلك ، ففعل بي كما فعل أبو بكر ، ثم أتيت علياً فأستقرأته ، فلما بلغ الباب قال : لو دخلت يا أبا هريرة فتعشيت . فدخلت فقال : يا فاطمة عشي أبا هريرة . فجاءت بجردقة[1] فأكلتها ، ثم جاءت بشربة سويق فشربتها ، وبلغ ذلك عمر فقال : لئن كنت وليت منه ما ولّي علي [كان] أُحبُّ إلي من حمر النعم . أو قال : ممّا طلعت عليه الشمس .

حدثنا محمد بن صباح البزار ، حدثنا هشيم قال : أخبرني عمر بن أبي زائدة :

عن الشعبي قال : كان أبو بكر يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان علي أشعر الثلاثة .

حدثنا هدبة ، حدثنا حماد ، عن عمار بن أبي عمار :

ان علياً آجر نفسه من يهوديَ على أن ينزع له كل دلو بتمرة ، فجمع نحواً من المُدّ فجاء به فنَثره في حجر فاطمة وقال كلي وأطعمي صبيانك .

---

١ ـ الجردقة : الرغيف . القاموس .

المدائني عن غسان بن عبد الحميد قال :

سألت زيد بن علي بن الحسين : أعلي أفضل أم جعفر ؟ فقال : إن جعفراً لذو الجناحين وأشبه الناس بالنبي ﷺ خلقا وخلقا ، ولكنه ليس من أصحاب الكساء[1] .

حدثنا هدبة بن خالد ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : قال علي : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد أخبرني رسول الله ﷺ أنه لا يحبني منافق ولا يبغضني مؤمن .

كان الحسن يقول : يرحم الله علياً ما استطاع عدوه ولا وليّه أن ينقم عليه في حكم حكمه ولا قسم قسمه .

حدثني محمد بن سعد ، حدثنا الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، قال :

سمعت قيساً يقول : سمعت معاوية بن أبي سفيان يقول : لو أن علياً لم يصنع الذي صنع ، ثم كان في غار باليمن لأتاه الناس حتى يستخرجوه منه .

حدثنا علي بن عبد الله المديني ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا سفيان ، عن القاسم بن كثير ، عن قيس الحارميّ قال :

---

١ ـ أصحاب الكساء الامام علي والسيدة الزهراء والسبطين جلسوا تحت كساء مع النبي ﷺ ودعا لهم .

سمعت علياً يقول : سبق رسول الله ﷺ ، وصلا[1] أبو بكر وثلث عمر .

وروي عن سفيان عن عطاء بن السائب : أن عليا قال يوماً : يا بردها على الفؤاد لو سألني رجل عن شيء لا أعرفه فقلت : لا أدري .

حدثنا القاسم بن سَلام أبو عبيد ، حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي ، عن محرر بن أبي هريرة ، عن أبيه قال :

كنت مؤذّن علي حين بعثه رسول الله ﷺ ببراءة إلى مكة قال : فناديت حتى صحل صوتي . قلت بماذا ناديت ؟ قال: ناديتهم إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله أربعة أشهر ، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسولُه .

حدثني القاسم بن سلام حدثنا أبو نوح عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه :

عن يزيد بن يثيع قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ببراءة ، ثم أتبعه علياً ، فلما قدم أبو بكر قال : يا رسول الله أنَزَلَ في شيء ؟ قال : لا ولكني أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي .

المدائني عن نعيم بن حكيم ، عن أبي مريم :

١ ـ صلا صلاة : الفرس تلا السابق . القاموس .

عن علي قال : كانت فاطمة تدق الدرمك[1] بين حجرين حتى مجلت[2] يدها فقلت لها : اذهبي إلى رسول الله ﷺ فاسأليه خادماً . فأتت رسول الله ﷺ مرتين فلم تصادفه ؛ ودخل علينا رسول الله ﷺ فقال : حدثت أن ابنتي جاءت تلتمسني مرتين ، فما كانت حاجتك يا بنية ؟ فاستحييت أن تكلمه ، فقلت : يا رسول الله كانت تدق الدرمك بين حجرين حتى مجلت يدها فقلت : ائتي رسول الله فاسأليه خادماً .

فقال : أما يدوم لكما أحب إليكما أم ما تسألان ؟ قلت : ما يدوم لنا ، فقال ﷺ : إذا أويتما إلى فراشكما فسبّحا الله ثلاثا وثلاثين ، واحمداه ثلاثاً وثلاثين ، وكبراه أربعاً وثلاثين ، فذالكما مائة ، فانه خير لكما مما تسألان .

وقال علي : ما تركتها مذ أوصانا رسول الله ﷺ بها . قال ابن الكواء : ولا ليلة صفين ؟ قال : ولا ليلة صفين .

المدائني عن عمرو بن ثابت ، عن أبي إسحاق الهمداني قال :

قلت لزيد بن أرقم : من آل محمد ؟ قال : الذين لا يأكلون الصدقة : آل علي ، والعباس ، وجعفر ، وعقيل .

المدائني عن يونس بن أرقم ، عن جويبر ، عن الضحاك ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : «آل محمد معدن العلم وأصل الرحمة» .

المدائني عن عمرو بن المقدام عن أبيه قال :

شهدت عند المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل رجلاً أقطع فلقيته

---

١ ـ الدرمك : دقيق الحواري . القاموس .

٢ ـ أمجل العمل اليد : جعل بين الجلد واللحم ماء . القاموس .

فقلت : من قطعك ؟ فقال : من رحمه الله وغفر له علي بن أبي طالب ، فقلت : أظلمك ؟ قال : لا والله ما ظلمني .

حدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن غياث بن إبراهيم ، عن المعلى بن عرفان الأسدي ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ؛ قال :

قال عليّ على المنبر : نشدت الله رجلا سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ : «اللهّم وال من والاه وعاد من عاداه» . إلا قام فشهد ، وتحت المنبر أنس بن مالك والبراء بن عازب ، وجرير بن عبد الله ، فأعادها فلم يجبه أحد فقال : اللهمّ من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها فلا تخرجه من الدنيا حتى تجعل به آية يعرف بها .[1]

قال : فبرص أنس ، وعمي البراء ، ورجع جرير أعرابياً بعد هجرته ؛ فأتى السراة فمات في بيت أمّه بالسراة .

قالوا : وكتب عليه السلام إلى سهل بن حنيف عامله على المدينة :

«أما بعد فإنه بلغني أن رجالاً من أهل المدينة يخرجون إلى معاوية ؛ فلا تأسف عليهم ، فكفى لهم غيّاً ، ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحق ، وإيضاعهم إلى العمى والجهل ، وإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها ، قد علموا أن الناس يقبلون في الحق أسوة ؛ فهربوا إلى الأثرة ، فسحقاً لهم وبعدا أما لو بعثرت القبور ﴿وحصل ما في الصدور﴾[2] ، واجتمعت الخصوم وقضى الله بين العباد بالحق ؛ لقد عرف القوم ما يكسبون ، وقد أتاني كتابك تسألني الإذن لك في القدوم ، فاقدم إذا شئت عفا الله عنّا وعنك السلام» .

١ ـ في هامش الأصل : بلغ العراض بالأصل الثالث ولله الحمد .
٢ ـ سورة العاديات ـ الآية : ١٠ .

وكتب عليه السلام عبدالله بن العباس :

«أتاني كتابك تذكر ما رأيت من أهل البصرة بعد خروجي عنهم ، وإنما هم مقيمون لرغبة يرجونها أو عقوبة يخافونها ، فأَرغِب راغبهم ، واحلل عقدة الخوف عند راهبهم بالعدل والإنصاف له ، إن شاء الله»

وكتب عليه السلام إلى سعد بن مسعود الثقفي عامله على المدائن وجوخى[1] .

«أما بعد فقد وفّرت على المسلمين فيئهم ، وأطعت ربك ، ونصحت ، إمامك فعل المتنزه العفيف ، فقد حمدت أمرك ورضيت هديك ، وأببت[2] رشدك غفر الله لك والسلام» .

وكتب عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة حين عزله عن البحرين واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي :

«إني قد وليّت النعمان بن عجلان البحرين من غير ذمّ لك ، ولا تهمة فيما تحت يدك ، ولعمري لقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة ، فأقبل إليّ غير ظنين ولا ملوم ، فإني أريد المسير إلى ظَلَمة أهل الشام ؛ وأحببت أن تشهد معي أمرهم ، فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين ؛ وجهاد العدوّ ، جعلنا الله وإياك من الذين ﴿يهدون بالحق وبه يعدلون﴾[3]» .

وكتب عليه السلام إلى النعمان بن عجلان :

---

١ ـ جوخى اسم نهر وكورة في سواد بغداد . معجم البلدان .
٢ ـ أبت إبابته : استقامت طريقته . القاموس .
٣ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ١٨١ .

أما بعد فإن من أدّى الأمانة ؛ وحفظ حق الله في السرّ والعلانية ؛ ونزّه نفسه ودينه عن الخيانة ؛ كان جديراً بأن يرفع الله درجته في الصالحين ، ويؤتيه أفضل ثواب المحسنين ، ومن لم ينزه نفسه ودينه عن ذلك أخلّ بنفسه في الدنيا وأوبقها في الآخرة ، فَخَفِ الله في سرّك وجهرك ، ولا تكن من الغافلين عن أمر معادك ، فإنك من عشيرة صالحة ذات تقوى وعفة وأمانة ، فكن عند صالح ظنّي بك والسلام» .

وكتب إلى الأشعث بن قيس الكندي وهو بأذربيحان ، وكان عثمان ولاّه إياها ، فأقره عليها يسيراً ثم عزله :

«إنما غرّك من نفسك املاء الله لك ، فما زلت تأكل رزقه ، وتستمتع بنعمته ، وتذهب طيباتك في أيام حياتك ، فأقبل واحمل ما قبلك من الفيء ولا تجعل على نفسك سبيلا» .

ويقال : ولاه بعد قدومه من أذربيجان حلوان ونواحيها ؛ فكتب إليه هذا الكتاب وهو فيها

وكتب عليه السلام إلى قدامة بن عجلان عامله على كسكر :

«أما بعد فاحمل ما قبلك من مال الله فإنه فيء للمسلمين ، لست بأوفر حظاً فيه من رجل منهم ولا تحسبنَ يا بن أمّ قدامة أن مال كسكر مباح لك كمال ورثته عن أبيك وأمك ، فعجل حمله ، وأعجل في الإقبال إلينا إن شاء الله» .

وكتب عليه السلام إلى يزيد بن قيس الأرحبي :

«أوصيك بتقوى الله وأحذرك أن تحبط أجرك ، وتبطل جهادك ، فإن خيانة المسلمين مما يحبط الأجر ويبطل الجهاد ؛ فاتق الله ربك ﴿وابتغ فيما

آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ ولا تبغ الفساد في الأرض ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾(١)» .

وكتب عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وكان على «أردشيرخرّة» من قبل ابن عباس :

«بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أتيت شيئاً إدّاً(٢). بلغني أنك تقسم فيء المسلمين فيمن اعتفاك وتغشاك من أعراب بكر بن وائل ، فوالذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، وأحاط بكلّ شيء علما ؛ لئن كان ذلك حقاً لتجدنّ بك عليّ هواناً فلا تستهينَنَّ بحق ربك ولا تُصْلحنَّ دنياك بفساد دينك ومحقه فتكون من ﴿الأخسرين أعمالا * الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾(٣)» .

وكتب عليه السلام إلى قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ـ وهو بأذربيجان :

«أما بعد فإن العالمين بالله العاملين له خيار الخلق عند الله ، وإن المسلمين لغير الرياء والسمعة لفي أجرٍ عظيم وفضل مبين ، وقد سألني عبد الله بن شبيل الأحمسي الكتاب إليك في أمره ، فأوصيك به خيراً فإني رأيته وادعاً متواضعاً حسن السّمت والهدي ، فألن حجابك واعمد للحق . ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾(٤) والسلام» .

---

١ ـ سورة القصص ـ الآية : ٧٧ .
٢ ـ انظر سورة مريم ـ الآية : ٨٩ .
٣ ـ سورة الكهف ـ الآيتان : ١٠٣ ـ ١٠٤ .
٤ ـ سورة ص ـ الآية : ٢٦ .

وكتب عليه السلام إلى عمرو بن سلمة الأرحبي :

«أما بعد فإن دهاقين بلادك شكوا منك قسوة وغلظة ؛ واحتقاناً فنظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم ، ولم أر أن يقصوا ويجفوا لعهدهم ، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة ، في غير ما أن يظلموا ولا ينقض لهم عهد ، ولكن تفرغوا لخراجهم ويقاتل من وراءهم ، ولا يؤخذ منهم فوق طاقتهم فبذلك أمرتك ؛ والله المستعان والسّلام» .

وكتب عليه السلام إلى قرظة بن كعب :

«أما بعد فإن قوماً من أهل عملك أتوني فذكروا أن لهم نهراً قد عفا ودرس ، وأنهم إن حفروه واستخرجوه عمرت بلادهم وقووا على خراجهم وزاد فيء المسلمين قبلهم ؛ وسألوني الكتاب إليك لتأخذهم بعمله وتجمعهم لحفره والإنفاق عليه ، ولست أرى أن أجبر أحداً على عمل يكرهه ، فادعهم إليك ؛ فإن كان الأمر في النهر على ما وصفوا ؛ فمن أحب أن يعمل فمره بالعمل ، والنهر لمن عمله دون من كرهه ، ولأن يعمروا ويقووا أحب إلي من أن يضعفوا والسلام» .

ووجّه عليه السلام إلى زياد رسولاً ليأخذه لحمل ما اجتمع عنده من المال ، فحمل زياد ما كان عنده وقال للرسول : إن الأكراد قد كسروا من الخراج ، وأنا أداريهم ، فلا تعلم أمير المؤمنين ذلك فيَرَى أنه إعتلال مني . فقدم الرسول فأخبر علياً بما قال زياد ؛ فكتب إليه :

«قد بلغّني رسولي عنك ما أخبرته به عن الأكراد ، واستكتامك إياه ذلك ، وقد علمت أنك لم تلق ذلك إليه إلا لتبلغني إياه ، وإني أقسم بالله عزوجل قسما صادقاً لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً

أو كبيراً لأشدنّ عليك شدة تدعك قليل الوفر ؛ ثقيل الظهر والسلام» .

وكتب عليه السلام إلى المنذر بن الجارود وبلغه انه يبسط يده في المال ، ويصل من أتاه ، وكان على اصطخر :

«إن صلاح أبيك غرني منك وظننت أنك تتبع هديه وفعله ؛ فإذا أنت فيما رقّي إلي عنك لا تدع الانقياد لهواك ؛ وإن أزرى ذلك بدينك ، ولا تصغي إلى الناصح وإن أخلص النصح لك ؛ بلغني أنك تدع عملك كثيراً وتخرج لاهيا متنزهاً متصيداً ، وأنك قد بسطت يدك في مال الله لمن أتاك من أعراب قومك ، كأنه تراثك عن أبيك وأمك ، وإني أقسم بالله لئن كان ذلك حقاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك ، وأن اللعب واللهو لا يرضاهما الله ، وخيانة المسلمين وتضييع أعمالهم مما يسخط ربك ، ومن كان كذلك فليس بأهل لأن يسدّ به الثغر ، ويجبى به الفيء ، ويؤتمن على مال المسلمين ، فأقبل حين يصل كتابي هذا إليك» .

فقدم فشكاه قوم ورفعوا عليه أنه أخذ ثلاثين ألفاً ، فسأله فجحد ، فاستحلفه فلم يحلف ، فحبسه .

ومرض صعصعه بن صُوحان العبدي فعاده علي ، فكلمه صعصعة وقال : أنا أضمن ما على المنذر . قال علي : كيف تضمن ذلك وهو يزعم أنه لم يأخذ شيئاً ؛ فليحلف . فقال صعصعة : هو يحلف . قال علي : وأنا أظنه سيفعل ، إنه نظّار في عطفيه ، مختال في برديه ، تفال في شراكيه . فأخرجه علي فخلى سبيله وقال علي لصعصعة : إنك ما علمت لخفيف المؤونة ، حسن المعونة. قال وأنت والله يا أمير المؤمنين ما علمت بالله لعالم وله خائف .

فلم يشكر المنذر لصعصعة ما صنع في أمره ، فقال الأعور الشني :

هلا سألت بني الجارود أي فتى عند الشفاعة والثار ابن ضوحانا
هل كان إلا كأم أرضعت ولدا عقت فلم تجز بالإحسان إحسانا
لا تأمنن على سوء فتى ذمرا يجزي المودة من ذي الود كفرانا

وكتب عليه السلام إلى زياد ـ وهو خليفة عبد الله بن العباس بالبصرة ـ يستحثه بحمل مال مع سعد مولاه ، فاستحثه فأغلظ له زياد وشتمه ، فلما قدم سعد على علي شكا إليه وعابه عنده ، وذكر منه تجبّراً وإسرافاً ، فكتب علي عليه السلام إليه :

«إن سعداً ذكر لي أنك شتمته ظالماً ، وجبهته تجبراً وتكبراً ؛ وقد قال رسول الله ﷺ : الكبرياء والعظمة لله ، فمن تكّبر سخط الله عليه . وأخبرني أنك مستكثر من الألوان في الطعام ، وأنك تدهن في كل يوم . فماذا عليك لو صمت لله أياماً ؛ وتصدقت ببعض ما عندك محتسباً ، وأكلت طعامك في مرة مرارا أو أطعمته فقيرا ، أتطمع ـ وأنت متقلّب في النعيم تستأثر به على الجار المسكين ، والضعيف الفقير والأرملة واليتيم ـ أن يجب لك أجر الصالحين المتصدقين ، وأخبرني انك تتكلم بكلام الأبرار ، وتعمل عمل الخطائين فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت ؛ وعملك أحبطت ، فتب إلى ربك وأصلح عملك ، واقتصد في أمرك ، وقدم الفضل ليوم حاجتك إن كنت من المؤمنين ، وادَّهِنْ غبّا ولا تدهن رفها[1] ، فإن رسول الله ﷺ قال : ادّهنوا غباً ولا تدّهنوا رفها . والسلام» .

١ ـ أي لا تدهن كل يوم .

فكتب إليه زياد : «إن سعداً قدم علي فعجل فانتهرته وزجرته ، وكان أهلاً لأكثر من ذلك ، فأما ما ذكر من الاسراف في الأموال والتنعم واتخاذ الطعام فإن كان صادقاً فأثابه الله ثواب الصادقين ، وإن كان كاذباً فلا آمنه الله عقوبة الكاذبين . وأما قوله : اني أتكلم بكلام الأبرار وأخالف ذلك فيّ بالفعل . فإني إذاً من الأخسرين عملا ، فخذه بمقام واحد قلت فيه عدلاً ثم خالفته إلى غيره ، فإن أتاك عليه بشهيد عدل ؛ وإلا تبين لك كذبه وظلمه» .

وكتب عليه السلام إلى مالك بن كعب الأرحبي :

«إني وليتك معونة البهقباذات[1] ، فآثر طاعة الله ، واعلم أن الدنيا فانية ، والآخرة آتية واعمل صالحاً تجز خيراً ، فإن عمل ابن آدم محفوظ عليه وإنه مجزيّ به ؛ فعل الله بنا وبك خيراً والسلام» .

وكتب [عليه السلام] إلى سليمان بن صُرَد وهو بالجبل :

«ذكرت ما صار في يديك من حقوق المسلمين ، وأن من قبلك وقبلنا في الحق سواء ، فأعلمني ما اجتمع عندك من ذلك ؛ فأعط كل ذي حق حقه ، وابعث إلينا بما سوى ذلك لنقسمه فيمن قبلنا إن شاء الله» .

وحدثني بعض أصحابنا عن المدائني ، عن يونس بن أرقم ، عن ابن سيرين قال : ارتد قوم بالكوفة فقتلهم علي عليه السلام ثم . أحرقهم وقال :

---

١ ـ من أعمال سقي الفرات تعد من كور بغداد . معجم لبلدان .

لما رأيت الأمر أمراً منكراً جرّدت سيفي ودعوت قنبرا
ثم احتفرت حفرا وحفرا وقنبر يَحطِم حَطَماً منكرا
أحرقت بالنيران من قد كفرا[1]

قال المدائني : وقال أبو زبيد الطائي يمدح علياً عليه السلام :

إن عليا ساد بالتكرم والحلم عند غاية التحلم
هداه ربي للصراط الأقوم بأخذه الحِل وترك المحرم

المدائني عن سفيان ، عن مسلم بن يزيد بن مذكور ، قال : ازدحم الناس في المسجد فقتل رجل فَوَدَّاه علي من بيت المال .

المدائني عن عوانة بن الحكم قال : كان شبيب بن عمرو بن كريب الطائي يصيب الطريق ، فبعث إليه علي أحمر بن شميط وأخاه فنذر بهم فركب فرساً له يقال له العصا وهرب وقال :

ولما أن رأيت ابن شميط بسكة طيءٍ والباب دوني
تجللت العصا وعلمت أني رهين مخيّس إن يثقفوني
فلو أنظرتهم شيئاً قليلاً لساقوني إلى شيخ بطين[2]
شديد مجالز الكتفين صلب على الحدثان مجتمع الشؤون

وحدثني الحسين بن علي العجلي ، عن يحيى ، حدثني ابن مجالد عن أبيه :

---

١ - ديوان الامام علي ص ٤٣ .
٢ - في هامش الأصل : يعني علي عليه السلام .

عن الشعبي قال : قال علي : يا أهل الكوفة حملت إليكم درة عمر لأضربكم بها فتنتهوا فأبيتم حتى أخذتكم بالخيزرانة فلم تنتهوا ، وقد علمت الذي تريدون ، وإني لا أصلحكم بفسادي وسيليكم قوم يجزونكم ويجزيهم الله .

المدائني قال : قيل لعلي : أي القبائل وجدت أشد حرباً بصفين ؟ قال : الشعر الأذرع من همدان ، والزرق العيون من شيبان .

المدائني عن عثمان بن عثمان ، عن رجل من آل رافع قال : كان علي يقول إنا أهل بيت فينا زكن فمن ذلك ان ابني هذا سيخرج من الأمر ، وأشبه أهلي بي الحسين .

أبو الحسن المدائني عن جويرية بن أسماء ، قال : خطب علي فقال : هذا الأعور وابنه ـ يعني المغيرة بن شعبة وعروة ابنه ـ فقال المغيرة : مالك ومالنا .

هشام الكلبي عن أبيه قال : كان علي يطعم الطعام في الرحبة فاقتتلت كندة فيما بينها ، فبلغه ذلك فخرج يمشي ومعه الدرة فرأى حماراً عليه إكاف فركبه ، وأتاهم فتوسطهم على الحمار ، ثم جعل يضرب الأشعث وعمه عفيفاً ويقول : أصلحا أمر قومكما .

قال : ودخل رجل المسجد يوماً وعلي يخطب فقال : يا أمير المؤمنين قد قتلت همدان تميم بالكناسة . فمضى في خطبته ، ودخل رجل آخر فقال : يا أمير المؤمنين قد قتلت تميم همدان فأدركها ، فقال : الآن . فانحدر مسرعاً عن المنبر فأتاهم فحجز بينهم .

المدائني عن يزيد بن هارون ، عن أشعث بن سوار ، عن ابن اشوع

قال : بعث علي صاحب شرطه وقال : أبعثك إلى ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : لا تدعن قبراً إلا سويته .

حدثني الأعين ، عن روح بن عبادة ، عن شعبة بن سماك ؛ قال : قال علي : ثلاثة يبغضهم الله : الشيخ الزان ، والغني الظلوم ، والفقير المختال . وقال : قيمة كل امرىء علمه[1] .

قالوا : وأهدى رجل من عمال علي إلى الحسن والحسين عليهم السلام هدية وترك ابن الحنفية، فحطأ[2] علي على كتفي ابن الحنفية ثم تمثل:

وماشر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا

فرجع إلى منزله فبعث إلى ابن الحنفية بهدية ، والعامل يزيد بن قيس الأرحبي .

قالوا : واستعمل علي عبد الله بن عباس - رضي الله تعالى عنهما - على البصرة ، واستعمل أبا الأسود على بيت مالها ، فمرّ ابن عباس بأبي الأسود فقال له : يا أبا الأسود لو كنت من البهائم كنت جملاً ، ولو كنت له راعياً ما بلغت به المرعي ، ولا أحسنت مهنته في المشتى. فكتب أبو الأسود إلى علي عليه السلام :

«أما بعد فإن الله جعلك والياً مؤتمناً وراعياً مسؤولاً ، وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة ، ناصحاً للرعية توفر لهم وتظلف نفسك عن دنياهم فلا تأكل أموالهم ولا ترتشي في أحكامهم ، وإن عاملك وابن عمك قد أكل

١ - في هامش الأصل ما يفيد في نسخة أخرى «ما يعلمه» .
٢ - حطأ : ضرب بيده مبسوطة . القاموس .

ما تحت يده بغير علمك ، ولا يسعني كتمانك ذلك ، فانظر رحمك الله فيما قبلنا من أمرك ، واكتب إليّ برأيك إن شاء الله والسلام» .

فأجابه علي :

«أما بعد فقد فهمت كتابك ، ومثلك نصح الإمام والأمة ، ووالى على الحق ، وفارق الجور ، وقد كتبت إلى صاحبك فيما كتبت إلي فيه من أمره ، ولم أعلمه بكتابك إليّ فيه ، فلا تدع إعلامي ما يكن بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح ، فإنك بذلك محقوق ، وهو عليك واجب والسلام» .

وكتب إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما :

«أما بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك ، وأخربت أمانتك ، وعصيت إمامك ، وخنت المسلمين .

بلغني أنك جردت الأرض ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفع إلي حسابك ، واعلم أن حساب الله أشد من حساب الناس ، والسلام» .

فكتب إليه عبد الله بن عباس :

«أما بعد فإن الذي بلغك باطل ، وأنا لما تحت يدي أضبط وأحفظ ، فلا تصدق عليّ الأظناء رحمك الله ، والسلام» .

فكتب إليه علي :

«أما بعد فإنه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما أخذت من الجزية ، ومن أين أخذته وفيما وضعت ما أنفقت منه ، فاتق الله فيما ائتمنتك عليه واسترعيتك حفظه ، فإن المتاع بما أنت رازىء منه قليل ، وتباعة ذلك شديدة والسلام» .

فلما رأى ابن عباس أنه غير مقلع عنه كتب إليه :

«أما بعد فقد فهمت تعظيمك عَلي مرزأة ما بلغك أني رزأته من أهل هذه البلاد ، ووالله لأن ألقى الله بما في بطن هذه الأرض من عقيانها ولجينها ، وبطلاع ما على ظهرها أحب إلي من أن ألقاه وقد سفكت دماء الأمة لأنال بذلك الملك والإمارة فابعث إلى عملك من أحببت» .

وأجمع على الخروج .

قالوا : فلما قرأ علي الكتاب قال : أو ابن عباس لم يشركنا في هذه الدماء ؟ .

ولما اراد ابن عباس الخروج دعا أخواله من بني هلال ليمنعوه ، فجاءه الضحاك بن عبد الله الهلالي ـ وهو كان على شرطة البصرة ـ وعبد الله بن رزين الهلالي ، وقبيصة بن عبد عون الهلالي وغيرهم من الهلاليين ، فقال الهلاليون : لا غناء بنا عن اخواننا من بني هوازن ولا غناء بنا عن اخواننا من بني سليم . فاجتمعت قيس كلها ، وصحب ابن عباس أيضاً سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي ، والحصين بن أبي الحر العنبري ، والربيع بن زياد الحارثي ، فلما رأى عبد الله من معه حمل المال وهو ستة آلاف ألف في الغرائر ثم سار ، واتبعه أخماس[1] البصرة كلهم فلحقوه بالطف على أربعة فراسخ من البصرة ؛ إرادة أخذ المال منه ، فقالت قيس : والله لا يصلون إليه ومنّا عينٌ تطرف ، فقال صبرة بن شيمان بن عكيف وهو رأس الأزد : يا قوم إن قيسا إخواننا وجيراننا في الدار ، وأعواننا على العدو ، ولو رد عليكم هذا المال كان نصيبكم منه الأقل فانصرفوا . وقالت بكر بن وائل : الرأي والله

١ ـ كانت البصرة مقسمة آنذاك إلى خمسة أقسام .

ما قال صبرة بن شيمان ، واعتزلوا أيضاً ، فقالت بنو تميم : والله لنقاتلنهم عليه ، فقال لهم الأحنف : أنتم والله أحق ألا تقاتلونهم وقد ترك قتالهم من هو أبعد منهم رحما ، فقالوا : والله لنقاتلنهم عليه ، فقال الأحنف : والله لا أساعدكم وانصرف عنهم ، فرأسوا عليهم رجلا يقال له : ابن الجذعة ـ وهو من بني تميم وبعضهم يقول : ابن المخدعة ـ فحمل عليهم الضحاك بن عبد الله الهلالي فطعن ابن الجذعة فصرعه ، وحمل سلمة بن ذؤيب على الضحاك فطعنه فاعتنقه عبد الله بن رزين الهلالي فسقطا إلى الأرض يعتركان ، وكان ابن رزين شجاعاً ، وكثرت الجرحى بينهم ولم يقتل من الفريقين أحد ، فقال من اعتزل من الأخماس : والله ما صنعتم شيئاً حيث اعتزلتم وتركتموهم يتناحرون ، فجاؤوا حتى صرفوا وجوه بعضهم عن بعض ، وحجزوا بينهم وقالوا لبني تميم : والله لنحن أسخى أنفساً منكم ، تركنا لبني عمكم شيئاً أنتم تقاتلونهم عليه ، فخلوا عن القوم وعن ابن أختهم . ففعلوا ذلك .

وقال ابن الكلبي : الجذعة بنت معاوية بن مالك بن زيد مناة ؛ وهي أم جشم وعبشمس ابني كعب بن سعد ، ويقال لهم : بنو الجذعة .

ومضى عبد الله بن عباس ومعه من وجوههم نحو من عشرين سوى مواليهم ومواليه ، ولم يفارقه الضحاك بن عبد الله ، وعبد الله بن رزين حتى وافى مكة ، وقال قائل أهل البَصرة :

صبّح من كاظمة الخض القصب سبع دجاجات وسنور جرب
مع ابن عباس بن عبد المطلب

وبعضهم ينشده :

«يتبعن عباس بن عبد المطلب» . على الغلط .

وكان ابن عباس يعطي في طريقه من سأله ومن لم يسأله من الضعفاء حتى قدم مكة .

ويقال : إنه كان استودع حصين بن الحرّ مالاً فأداه إليه .

قالوا : ولما قدم ابن عباس مكة ابتاع من حبثر مولى بني كعب من خزاعة ثلاث مولدات : حوراء ، وفتون ، وشادن بثلاثة آلاف دينار ، فكتب إليه علي أبي طالب :

«أما بعد فإني كنت أشركتك في أمانتي ، ولم يكن في أهل بيتي رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة إلي ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ، والعدو عليه قد حرب ، وأمانة الناس قد خربت ، وهذه الأمة قد فتنت قلبتَ له ظهر المجنّ ، ففارقته مع القوم المفارقين ، وخذلته أسوأ خذلان الخاذلين ، وخنته مع الخائنين ، فلا ابن عمك آسيت ، ولا الأمانة أديت ، كأنك لم تكن الله تريد بجهادك ، وكأنك لم تكن على بيّنة من ربك ، وكأنك إنما كنت تكيد أمة محمد عن دنياهم وتطلب غرَّتهم عن فيئهم ، فلما أمكنتك الشرة[1] أسرعت العدوة ، وعاجلت الوثبة وانتهزت الفرصة ، واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الهذيلة ، وظالعها الكسير ، فحملت أموالهم إلى الحجاز رحيب الصدر ؛ تحملها غير متأثم من أخذها كأنك ـ لا أبا لغيرك ـ إنما حزت لأهلك تراثك عن أبيك وأمك ، سبحان الله أفما تؤمن بالمعاد

١ ـ في هامش الأصل ما يفيد في رواية أخرى «الشدة» .

ولا تخاف سوء الحساب ؟ أما تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً ؟ أوَ ما يعظم عليك وعندك أنك تستثمن الاماء وتنكح النساء بأموال اليتامى والأرامل والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم البلاد ، فاتق الله وأدّ أموال القوم ، فإنك والله إلا تفعل ذلك ثم أمكنني الله منك أعذر إليه فيك حتى آخذ الحق وأرده ، وأقم[1] الظالم وأنصف المظلوم والسلام» .

فكتب إليه عبد الله :

«أما بعد فقد بلغني كتابك تعظم علي إصابة المال الذي أصبته من مال البصرة ، ولعمري إنّ حقي في بيت المال لأعظم مما أخذت منه والسلام» .

فكتب إليه علي عليه السلام :

«أما بعد فإن من عجب العجب تزيين نفسك لك أن لك في بيت المال من الحق أكثر مما لرجل من المسلمين ، ولقد أفلحت إن كان ادّعاؤك ما لا يكون وتمنيك الباطل ينجيك من الإثم ، عمرك الله إنك لأنت السعيد إذاً .

وقد بلغني أنك اتخذت مكة وطناً ، وصيرتها عطنا ، واشتريت مولدات المدينة والطائف ، تتخيرهن على عينك ، وتعطي فيهن مال غيرك ، والله ما أحب أن يكون الذي أخذت من أموالهم لي حلالاً أدعه ميراثاً ، فكيف لا أتعجب من اغتباطك بأكله حراماً .

فصخ رويداً فكأنك قد بلغت المدى ، حيث ينادي المغتر بالحسرة ، ويتمنى المفرط التوبة ، والظالم الرجعة ، ولات حين مناص ، والسلام» .

---

١ ـ في هامش الأصل : من الوقم ، وهو القهر .

وقد زعم بعض الناس أن عبد اللهلم يبرح البصرة حتى صالح الحسن معاوية ، وليس ذلك بثبت ، والثبت انه ، لما قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام كتب إلى الحسن كتابه ـ الذي نذكره إن شاء الله في خبر صلح الحسن ومعاوية ـ من الحجاز .

قالوا : وكان من عماله ربعي بن كاس العنبري ولاه سجستان وكان قد ولى قبله عون بن جعدة[1] فلقيه بهدل اللص فقتله ، فطلب عقيل بن جعدة بدمه فحبس له وقتل بالمدينة .

وولى علي بن أبي طالب عبيدة السلماني ، من مراد ، الفرات ، وولى الأشتر نصيبين ، وولى عبد الله الأهتم كرمان .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، عن أبي عوانة ، عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة :

ان علياً أتاهم عائداً فقال : ما لقي أحد من هذه الأمة ما لقيت ، توفي رسول الله ﷺ وأنا أحق الناس بهذا الأمر ؛ فبايع الناس أبا بكر ، فاستخلف عمر ، فبايعت ورضيت وسلمت ، ثم بايع الناس عثمان فبايعت وسلمت ورضيت ، وهم الآن يميلون بيني وبين معاوية .

حدثني الحسين بن الأسود ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : ان لم ينفع حبّ علي سرّاً لم ينفع علانيته .

المدائني عن أبي محمد الناجي عن قتادة قال :

١ ـ في هامش الأصل ما يفيد في نسخة أخرى «جعد» .

مرّ سعد بن مالك برجل شتم علياً فقال : ويحك ما تقول ؟ قال : أقول ما تسمع . فقال : اللهم إن كان كاذباً فأهلكه فخبطه جمل حتى قتله .

حدثني محمد بن سعد ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، عن سيف بن هارون ، عن قيس بن سعد ، عن داود بن أبي عاصم الثقفي :

عن سعيد بن المسيب قال : كان عمر صائماً فعرضت له جارية فأعجبته فواقعها وهو صائم ، فأعظم من حضره ما صنع ، فقال علي يا أمير المؤمنين أتيت حلالا ، يوماً مكان يوم . فقال : أنت خيرهم فتياً[1].

المدائني في اسناده أن بعض عمال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ باع خنازير وجعل ثمنها في بيت المال ، فرفع ذلك إليه ، فقال علي عليه السلام : إما أن تعزله وإما أن تكتب إليه أن لا يعود .

حدثنا إسحاق ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن هشام بن حسان :

عن الحسن قال : بلغ عمر عن امرأة من قريش أمر فبعث إليها عمر يدعوها فارتاعت فولدت غلاماً فاستهل[2] ، فبلغ ذلك من عمر كل مبلغ فجمع أصحاب رسول الله فقال : ما تقولون ؟ قالوا : ما نرى عليك شيئاً ، فقال علي : أرى أنك قد ضمنت ديته قال : صدقتني فأقسمت عليك ألا تبرح حتى تقسمها على بني أبيك ، يعني قريشاً .

حدثنا ابراهيم بن مسلم الخوارزمي ، عن وكيع ، عن مسعر ، عن أبي أيوب مولى بني ثعلبة ، عن قطبة بن مالك قال :

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٣٩ .

٢ ـ استهل الصبي : رفع صوته بالبكاء . القاموس .

سبّ أمير من الأمراء ، علياً ، فقام إليه زيد بن أرقم فقال : أما علمت أن رسول الله ﷺ نهى عن سب الموتى أفتسبّ علياً وهو ميت .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، عن أبي عوانة ، عن نعيم بن حكيم عن أبي مريم قال : قال عمار : لو أن علياً لم يعمل عملاً ولم يصنع شيئاً إلا أنه أحيا التكبيرتين عند السجود لكان قد أصاب بذلك فضلاً عظيماً .

حدثنا عمرو بن محمد ، والحسين بن الأسود ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأنا كامل أبو العلاء :

عن حبيب بن أبي ثابت قال : قال ابن عمر : ما أجدني آسى على شيء من الدنيا إلا قتالي مع علي الفئة الباغية .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا سليمان بن حرب ، وعارم بن الفضل ، عن حماد بن زيد ، حدثنا غيلان :

عن مطرف بن عبد الله قال : صليت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب فكان إذا سجد كبّر ، وإذا رفع رأسه كبّر ، وإذا نهض من الركعتين كبر ، فلما انصرفنا أخذ عمران بيدي فقال : لقد صلى صلاة محمد ، ولقد ذكرني صلاة محمد ﷺ .

حدثني محمد بن سعد ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب :

عن سعد بن عبيدة قال : جاء رجل إلى عبد الله بن عمر فقال : حدثني عن علي . فقال ابن عمر : إن سرّك أن تعلم ما كانت منزلته من رسول الله ﷺ فأنظر إلى بيته من بيوت رسول الله ﷺ . قال الرجل : فإني أبغضه . قال : أبغضك الله .

حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثت عن علي بن هاشم ، عن أبي سعد الأعور ، عن جواب التيمي :

عن سويد بن غفلة أن علياً قتل الزنادقة ثم حرقهم بعدما قتلهم .

حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن أبي إسحاق الشيباني :

عن إبراهيم انه قال : علي أحبّ إليّ من عثمان ، ولأن أخرّ من السماء أحِب إلي من أن أتناول عثمان بسوء .

حدثني الحسين بن الأسود ، حدثني يحي بن آدم ، حدثنا أبو معاوية الضرير :

حدثنا الأعمش قال : رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى وَقَفَه الحجاج فقال : العن الكذابين علياً وعبد الله بن الزبير ، والمختار بن أبي عبيد . فقال : لعن الله الكذابين . ثم ابتدأ فقال : علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير ، والمختار بن أبي عبيد ، قال : فعلمت أنه حين ابتدأهم ورفعهم انه لم يلعنهم .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش بمثله .

حدثني خلف البزار وهبار بن بقية قالا : حدثنا خالد بن عبد الله الواسطي ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن رجل أخبره قال : ذكرت شيعة علي وعثمان عند أم سلمة ؛ فقالت : ما تذكرون من شيعة علي وهم الفائزون يوم القيامة .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا فطر خليفة ، عن أبي إسحاق :

عن أبي عبد الله الجدلي ، قال : دخلت على أمّ سلمة فقالت : يا أبا عبد الله أيسبّ رسول الله ﷺ فيكم وأنتم أحياء ؟! قلت : معاذ الله . قالت : أليسوا يسبّون علياً ومن أحبه قلت : بلى .

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، ومحمد بن سعد ، قالا : حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا إسرائيل :

عن أبي إسحاق قال : مرّ رجل على سلمان فقال : أرى علياً يمرّ بين ظهرانيكم فلا تقومون فتأخذون بحجزته ، فو الذي نفسي بيده لا يخبركم أحد بسرّ نبيكم بعده .

حدثنا سريج بن يونس ، عن مؤمل بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا غيلان بن جرير ، قال :

سمعت سعيد بن المسيب يقول : شهدت علياً وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ وقد وقع بينهما كلام شديد ؛ حتى رفع عثمان الدّرة على علي ، فقلت لعثمان : يا أمير المؤمنين علي من حالِه وحالِه ثم قلت : يا أبا الحسن أمير المؤمنين ، فلم أزل به حتى سكن وصلح الذي كان بينهما ، وقعدا يتحدثان كأن لم يكن بينهما شيء .

حدثني محمد بن سعد ، حدثنا عفان ، أنبأنا حماد بن زيد عن مجالد :

عن عمير بن رُودي قال : قام عليّ يوماً يخطب ، فقام أولئك الخوارج فقطعوا عليه كلامه ، فنزل فدخل ونحن معه ، فقال : ألا إنما أكلت يوم أكل الأبيض . ثم قال : إن هذا مثل ثلاثة أثوار وأسد ؛ اجتمعن في أجمة ، أحمر وأسود وأبيض ، فكان يريد أخذها فتمتنع منه ، فقال للأسود والأحمر : إنما يفضحنا في هذه الأجمة ، ويشهرنا ويدلّ علينا الأبيض فخليا بينه وبين

الأسد فأكله ، ثم جلسوا فلم يقدر منهما على شيء ، فقال الأسد للأحمر : لوني مثل لونك وما يشهرنا ويفضحنا في هذه الأجمة إلا الأسود ؛ فخل بيني وبينه آكله ، ففعل ، ثم قال للأحمر : إني آكلك . قال : فدعني أصوت ثلاثة أصوات . قال : افعل . فجعل يصيح : ألا إني ما أكلت إلا يوم أكل الأبيض ، ألا وإني إنما وهيت يوم قتل عثمان .

المدائني ، عن شريك ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمر بن علي قال : قال مروان لعلي بن الحسين : ما كان أحد أكفّ عن صاحبنا من صاحبكم . قال : فلم تشتمونه على المنابر؟ قال : لا يستقيم لنا هذا إلا بهذا .

حدثنا عبد الله بن صالح ، أنبأناشريك بن عبد الله ، عن جابر عن هرمز مولى جعفر قال : رأيت علياً وعليه عمامة سوداء قد أرخاها من بين يديه ومن خلفه .

حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة أبو بكر ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن إبراهيم بن عبد الله بن جبير :
عن ابن عباس عن علي قال : قال لي رسول الله ﷺ : إذا كان إزارك واسعاً فاتشح به ، وإذا كان ضيقاً فاتزر به .

حدثني محمد بن سعد ، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس عن سليمان بن بلال :
عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن علياً تختم في يساره .

حدثني محمد بن سعد ، حدثنا محمد بن ربيعة عن كيسان عن يزيد بن الحارث الفزاري قال : رأيت على علي قلنسوة بيضاء مضرّبة .

حدثنا العباس بن الوليد النرسي ، وروح بن عبد المؤمن ، قالا : حدثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه :

عن أبي إسحاق قال : قرأت نقش خاتم علي في صلح أهل الشام بعد صفين «محمد رسول الله» .

حدثني أبو بكر الأعين ، ومظفر بن مرجا ، قالا : حدثنا الحسن بن موسى الأشيب ، عن زهير ، عن جابر :

عن محمد بن علي قال : نقش خاتم علي : «الله الملك» .

حدثني محمد بن سعد ، عن مالك بن اسماعيل النهدي ، حدثنا جعفر بن زياد ، عن الأعمش :

عن أبي ظبيان قال : خرج علينا عليّ في إزار أصفر ، وخميصة سوداء شبه البرنكاني[1] .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا أبو نعيم ، عن أيوب المكتب ، عن أبيه أنه رأى على علي بردين نجرانيين .

أبو الحسن المدائني ، عن بكر بن الأسود ، عن أبيه الأسود بن قيس قال :

كان علي يطعم الناس بالكوفة بالرحبة ، فإذا فرغ أتى منزله فأكل فقال رجل من أصحابه : قلت في نفسي : أظنّ أمير المؤمنين يأكل في منزله طعاماً

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٠ .

أطيب من طعام الناس ، فتركت الطعام مع العامة ، ومضيت معه ، فقال : أتَغديت ؟ قلت : لا . قال : فانطلق معي . فمضيت معه إلى منزله فنادى : يا فضّة . فجاءت خادم سوداء فقال : غدينا . فجاءت بأرغفة وبجرّة فيها لبن فصبّتها في صحفة وثردت الخبز ، فإذا فيه نخالة ، فقلت : يا أمير المؤمنين لو أمرت بالدقيق فنخل . فبكى ثم قال : والله ما علمت أنه كان في بيت رسول الله ﷺ منخل قط .

حدثني أبو هاشم الجعفري ، عن أشياخهم أنّ عليا قال :

ما لبس رجل بعد تقوى الله لباساً أحسن من فصاحة ، ولا تحلّت امرأة بأزين من شحم .

وحدثني أبو عبيد القاسم بن سلاّم ، قال : بلغنا أنّ رجلاً أثنى على علي في وجهه ـ وكان علي اتّهمه ـ فقال له علي :

أنا دون وصفك وفوق ما في نفسك . ثم قام الرجل فأطراه ، فقال علي : اللّهم إني أعلم بنفسي ، وأنت أعلم بي مني ، فاغفر لي مالا يعلمه النّاس منّي .

حدثنا يوسف بن موسى ، عن حُكّام الرازي ، عن عمرو ، عن معروف ، عن ليث :

عن مجاهد قال : قال علي عليه السلام بالكوفة : كيف أنتم إذا أتاكم أهل بيت نبيكم ؟ قالوا : نفعلَ ونفعل ، قال : فحرك رأسه ثم قال : بل توردون ثم تعرِّدون[1] فلا تصدرون ، ثم تطلبون البراءة ولا براءة لكم .

---

١ ـ عرد : هرب ، وترك الطريق . القاموس .

وفي عليّ عليه السلام يقول الشاعر :

في كلّ مَجْمَعِ غاية أجراكم جذع أمرّ على المذاكي القرّحِ
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم بالسيف يعمل حدّه لم يصفحِ
ابن الكهول وابن كل دعامة في المعضلات وابن زين الأبطحِ

في أبيات .

ولد علي بن أبي طالب عليه السلام

ولد علي بن أبي طالب الحسن والحسين ، ومحسن درج صغيراً وزينب الكبرى تزوّجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فولدت له . وأم كلثوم الكبرى تزوجها عمر بن الخطاب وأمهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

وسمّى رسول الله ﷺ كل واحد من الحسن والحسين يوم سابعه ، ووزنت فاطمة عليها السلام شعرهما فتصدقت بوزنه فضّة .

تزويج عمر بن الخطاب رضي الله عنه

حدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه عن جده قال : خطب عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي - رضي الله تعالى عنهم - فقال : إنها صغيرة . فقال : يا أبا حسن إنما حرصي عليها لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما سبب ولا صهر إلا وهو منقطع يوم القيامة إلا سببي وصهري» . فقال عليّ : أنا مرسلها إليك لتراها ، فلما جاءته قال لها : قولي لأبيك : إني

قد رضيت الحلة فأدّت الرسالة ، فزوّجه عليّ إياها وأصدقها عمر أربعين ألفاً .

وقال هشام بن الكلبي : وقد ذكر قوم : أنه اصدقها مائة ألف درهم .

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل :

عن عثمان بن محمد بن عليّ قال : خرج عمر إلى الناس فقال : زفوني بابنة رسول الله ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي» .

حدثني محمد بن سعد ، حدثنا مالك بن إسماعيل النهدي حدثنا سيف بن هارون ، عن فضل بن كثير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لّما ابتنى عمر بأم كلثوم ، دخل على مشيخة المهاجرين وكانت تحفته إيّاهم أن صفر لحاهم بملاب[1] .

وقال ابن الكلبي : ولدت أم كلثوم بنت علي لعمر ، زيد بن عمر ، ورقية بنت عمر ، فمات زيد وأمه في يوم واحد ، وكان موته من شجّة اصابته . وخلف على أم كلثوم بعد عمر ؛ عون بن جعفر بن أبي طالب ، ثم محمد بن جعفر ثم عبد الله بن جعفر .

وعبيد الله بن علي ، قتله المختار في الوقعة يوم المذار .

---

١ - في هامش الأصل : الملاب : ضرب من الطيب كالخلوق .

وأبا بكرة ، وأمهما ليلى بنت مسعود النهشلية من بني تميم ، ولا بقية لهما .

والعباس الأكبر ؛ وهو السقاء ، كان حمل قربة ماء للحسين بكربلاء ، ويكّنى أبا قربة .

وعثمان ، وجعفر الأكبر ، وعبد الله ، قتلوا مع الحسين رضي الله تعالى عنهم ، ولا بقية لهم إلا العباس فإن له بقية .

وأمهم أم البنين بنت حزام بن ربيعة أخي لبيد بن ربيعة الشاعر ، وأخوها مالك بن حزام الذي قتل مع المختار بالكوفة .

ومحمد الأصغر بن علي ، قتل مع الحسين ، وأمه ورقاء أم ولد .

ويحيى وعون ابني عليّ ، أمهما أسماء بنت عميس الخثعمية ، وكان علي خلف عليها بعد أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنهما .

وعمر الأكبر ، وكان له عقل ونبل وكان يشبه أباه فيما يقال . وولد له محمد ، وأمّ موسى من اسماء بنت عقيل ، وكان محمد بن عمر نهى زيداً[1] عمّا فعل ، فلما أبى عليه تركه وخرج إلى المدينة .

وكان عمر بن الخطاب سمّى عمر بن علي باسمه ، ووهب له غلاماً يسمى مورقا .

ورقية أمها الصهباء ـ وهي أم حبيب بنت حبيب بن بجير التغّلبي سبيت من ناحية عين التمر ـ تزوّجها مسلم بن عَقيل بن أبي طالب .

---

١ ـ ثار زيد بن علي بن الحسين في الكوفة سنة ١٢٢ هـ أيام هشام بن عبد الملك وقتل .

ومحمد الأوسط وأمّه أمامه بنت أبي العاص بن الربيع ، وأمّها زينب بنت رسول الله ﷺ .

حدثت عن هشيم بن بشير ، عن داود بن أبي هند :

عن الشعبي قال : كتب معاوية إلى مروان أن زّوجني أمامة بنت أبي العاص ، فأرسل إليها ، فولت أمرها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فقال لها المغيرة : ياأمامة ألست قد وليتني أمرك ورضيت بمن أزوجك ؟ قالت : نعم . قال : إشهدوا أني قد تزوجتها . فكتب مروان بذلك إلى معاوية فكتب إليه أن أعرض عنها .

وأم الحسين بنت علي ، كانت عند جعدة بن هبيرة المخزومي ، ثم خلف عليها جعفر بن عقيل ، فقتل مع الحسين ، فخلف عليها عبد الله بن الزبير .

ورملة الكبرى ، وأمها أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي .

وعمر الأصغر ، وأمه أم سعيد هذه .

ويقال : إن أمه أم ولد ، وكان صاحب نبيذ .

وميمونة تزوجها عبد الله بن عقيل .

وأم هانىء . وزينب الصغرى تزوجها محمد بن عقيل ، ثم خلف عليها كثير بن العباس .

ورملة الصغرى ، وأم كلثوم الصغرى تزوجها كثير بن العباس قبل أختها أو بعدها .

وفاطمة ، تزوجها سعيد بن الأسود بن أبي البختري من ولد الحارث بن أسد بن عبد العزى .

ورملة وأمامة وخديجة ، تزوجها عبد الرحمن بن عقيل .

وأم الكرام ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، وجمانة ، وتقية ، ونفيسة ، تزوجها تمام بن العباس بن عبد المطلب ، وهنّ لأمهات أولاد شتى .

وأم يعلى هلكت وهي جارية لم تبرز ، وأمها كلبية ، وكان يقال لها : من أخوالك يا أم يعلى ؟ فتقول : أو أو . أي كلب .

حدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه عن جده عن عبد الله ابن حسن بن حسن ، عن عبد الجبار بن منظور بن ريان الفزاري ، عن عوف بن حارثة المري قال :

بينا نحن عند عمر إذ أقبل امرؤ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم بن جناب الكلبي ، فإذا رجل أمغر أجلى[1] فوقف على عمر فقال : يا أمير المؤمنين إني أحببت الإسلام فاشرحه لي ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا امرؤ القيس بن عدي بن أوس العليمي من كلب . فقال عمر : أتعرفونه ؟ قالوا : هذا الذي أغار على بكر بن وائل ، وهو أسر الدعاء بن عمرو ، أخا معروف بن عمرو . فشرح له عمر الإسلام فأسلم وعقد له على جنود قضاعة ، فلم ير رجل قبله لم يصل قط عقد له على مسلمين ـ فخرج يهتز لواؤه بين يديه ، فأدركه عليّ فأخذ بمنكبيه وقال : يا عم أنا علي بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ وهذان ابناي الحسن والحسين أمّهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ وقد أحببت مصاهرتك لنفسي ولهما فزوّجنا .

---

١ ـ في هامش الأصل : «الأمغر : الأحمر الشعر والحال على لونه المغرة» . والأجلى : الخفيف الشعر .

قال : نعم ونعمة عين وكرامة ، قد زوّجتك يا أبا الحسن المحياة بنت امرىء القيس ، وزوّجت حسناً زينب وزوّجت حسيناً الرباب بنت امرىء القيس .

قال : فولدت المحياة لعلي أم يعلى ، وكانت تخرج إلى المسجد في إزار فيقال لها : من أخوالك ؟ فتقول أو أو .

ولم تلد زينب للحسن ، وولدت الرباب للحسين سكينة بنت الحسين تزوجها عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان أبا عذرها[1] فمات عنها ؛ ثم خلّف عليها مصعب بن الزبير فولدت له فاطمة.ماتت صغيرة ، فقتل عنها ، وكانت تقول : لعنكم الله يا أهل الكوفة أيتمتوني صغيرة وأرملتموني كبيرة . وَخطبها عبد الملك بن مَروان فأبته ؛ فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد ، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ففارقها ولم يدخل بها وذلك أن عبد الملكَ نهاه عنها . ويقال : بل حملت إلى مصر ، فلما قدمتها وجدته قد مات ، فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان ، ثم إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، لم يدخل عليها ولم ترض به اختارت نفسها .

وكان عبد الله بن عمر ، ومصعب بن الزبير ، وعروة بن الزبير ؛ اجتمعوا فتمنوا ؛ فتمنى ابن عمر الجنة ، وتمنى مصعب أن يلي العراق ويتزوج سكينة وعائشة بنت طلحة ، وتمنى عروة الفقه والعلم ـ وكان معهما عبد الملك فتمنى الخلافة ـ فأعطى كلّ امرىء منهم ما تمنى .

وقال الحسين بن علي عليهما السلام :

---

١ ـ يقال للرجل الذي يفتض المرأة البكر . المرصع لابن الاثير .

لعمرك إنني لأحبّ أرضا تحل بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جلّ مالي وليس للائم فيهم عتاب

وقال أيضاً :

أحب لحبها زُبداً جميعاً ونتلة كلها وبني الرباب
وأخوالاً لها من آل لام أحبهم وطُرٍّ بني جناب

والرباب هذه بنت أُنيف بن حارثة بن لام الطائي ، وهي أم الأحوص وعروة ابني عمرو بن ثعلبة بن ثعلبة بن الحارث بن حصين بن ضمضم ابن عدي بن جناب بن هبل ، وبها يعرفون .

وزُبد بنت مالك بن عميت بن عدي بن عبد الله بن كنانة بن بكر ؛ من كلب وهي أم جابر وقيس وعدي بني كعب بن عُليم وإليها ينسبون . ونتلة بنت مالك بن عمرو بن ثمامة من طيء ، وهي أم حصن ومصاد ، ومعقل بني كعب بن عُليم وبها يعرفون .

سُكينة بنت الحسين

وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه عن خَلف الزهري قال : كنت في سلطان هشام بن عبد الملك بالمدينة وعليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ـ ويقال : إنّ خالداً كان خياطاً فادعاه عبد الملك بعدما كبر ـ قال : فماتت سكينة في يوم صائف شديد الحرّ فقال : لا تخرجوها حتى أرجع . ومضى إلى الغابة وتركها إلى نصف النهار حتى تغيّرت فاشتري لها طيب بثلاثين ديناراً ، ثم رجع ممسياً فأمر شيبة بن نصاح

مولى أم سلمة ـ وكان يقرأ في مسجد النبي ﷺ ـ أن يصليّ عليها ، فصلى شيبة عليها ودفنت .

وحدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، حدثني أبي عن عمه قال :

لمّا ماتت سكينة أمر خالد بن عبد الملك أن لا يحدث في دفنها حدث حتى يرجع من ركوبه ، فتأخر أمرها إلى الليل فقال أخوها علي بن الحسين : رحم الله من أعان ببخور ، فاشترى لها ابن أختها محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان ـ وأمه فاطمة بنت الحسين ـ بخوراً وأتى بالمجامر فجعلت حول نعشها ، فلم تزل العود توقد فيها إلى أن دفنت وصلى الناس عليها بعد العشاء الآخرة بغير إمام .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي عن أشياخه :

قالوا : توفيت سكينة بنت الحسين بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة وعلى المدينة من قبل هشام ؛ خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، وكانت أم عبد الملك ابنة الزبرقان بن بدر فأرسل ألا تصلوا عليها حتى أشهدها وركب إلى الغابة قبل الظهر ، ووضعت جنازتها بالبقيع قبل الظهر ، واجتمع الناس فصليت الظهر ولم يأت ثم العصر ثم المغرب ، واشترى محمد بن عبد الله المطرف ـ ابن أختها ـ بن عمرو بن عثمان بن عفان ـ وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي أختها ـ تلك الساعة بثلاثين ديناراً عوداً ، وأمر بالمجامر فوضعت حول النعش وذلك في يوم شديد الحرّ ، فسطعت تلك المجامر خوفاً من أن تتغير ويشمّ من نعشها رائحة مكروهة

فلما صلى الناس العشاء الآخرة أتى خالد فأمر شيبة بن نصاح المقرىء أن يصليّ عليها ففعل ثم دفنت[١] .

فاطمة بنت الحسين بن علي

وحدثني محمد بن سعد ، عن أبي عبد الله محمد بن عمر قال : ولّى يزيد عبد الملك ؛ عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهري المدينة ، فخطب فاطمة بنت الحسين بن علي فأبته وقالت : ما النكاح من حاجتي وأنا مشبلة مقيمة على ولدي ، فألحّ في الخطبة فأبت أن تجيبه فقال : والله لئن لم تفعلي لآخذنّ أكبر ولدك - يعني عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ - في شراب ثم لأضربنّه على رؤوس النّاس ولأفعلنّ حتى أفضحك - وكانت فاطمة بنت الحسين عند الحسن بن الحسن ، فولدت له عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وحسن بن حسن بن حسن ، وإبراهيم بن الحسن بن الحسن ، ثم خلّف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وعبد الله هو المطرف ، فولدت له محمداً[٢] - فلما رأت أنه غير مقلع عنها بعثت إلى يزيد [بن عبد الملك] رسولاً وكتبت معه كتاباً تصف فيه قرابتها وماسّ رحمها ، وتشكو عبد الرحمن بن الضحاك ، وتذكر ما تلقى منه وما يتهددها به وتقول : إنما أنا حرمتك وإحدى نسائك ، ووالله لو كان التزويج من شأني

١ - انظر طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٧٥ .
٢ - في هامش الأصل : يقال لمحمد الديباج .

ما كان لي بكفؤ ، فإنّ عمر بن الخطاب قال على منبر رسول الله ﷺ : لأمنعنّ من ذوات الأحساب من أن يتزوجهنّ إلا الأكفاء .

وكان عبد الرحمن بن هرمز على الديوان ، فأراد الشخوص إلى يزيد فأرسلت إليه وأخبرته بقصتها وقصة ابن الضحاك ، وسألته أن ينهي ذلك إلى يزيد فلما قدم على يزيد ؛ جعل يسائله عن المدينة وأهلها فبينا هو يخبره بذلك إذ استأذن الحاجب لرسول فاطمة ، فذكر ابن هرمز ما كانت حملته من الرسالة ؛ ودخل الرسول فقرأ يزيد الكتاب الذي معه ، فغضب واستشاط ونزل عن سريره إلى الأرض وضرّب بقضيب معه الأرض حتى أثار الغبار ؛ وقال : ابن الضحاك يتزوج امرأة من بني عبد مناف ، ثم قال : من يسمعني صراخه من العذاب وأنا على فراشي ؟ فقال ابن هرمز : عبد الواحد بن عبد الله البصري وهو بالطائف فولّه المدينة ومره بأمرك . فكتب إلى عبد الواحد بولايته وأمره أن يغرم ابن الضحاك ما يدعى عليه إذا أقامه للناس وما صار إليه من المال ، فلما مرّ رسول يزيد بالمدينة ؛ أحس ابن الضحاك بالشرّ فأعطى الرسول ألف دينار على أن يتحبس في طريقه ، وركب رواحله فأتى مسلمة بن عبد الملك فقال له : ياأبا سعيد جئتك مستجيراً بك . فركب مسلمة إلى يزيد ليلاً فكلّمه فيه ، فقال : لا تريني وجهه حتى يأتي المدينة ، ويغرم ما يلزمه .

فرجع فأخذه عبد الواحد بالمال،وقد كان أودعه،فأحضر وجعل يطيف بالمدينة في جبّة صوف ويقيمه للناس حتى خرج من أربعين ألف دينار سأل الناس في بعضها[1] .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤ .

تنازع زيد بن علي مع عبد الله بن الحسن

قال فتنازع زيد بن علي بن الحسين وعبد الله بن الحسن في صدقات علي بن أبي طالب ووصيته ، فقال حسن لزيد : يا بن السندية الساحرة . فقال له زيد : إنها لسندية وما كانت - بحمد الله - ساحرة ولكنها بقية عين التقية ولقد صبرت بعد وفاة سيدها فما تعيّب بأنها إذ لم تصبر مثل غيرها ولكن تذكر ابن الضحاك وأمّك تبعث إليه معك بالعلك الأحمر والأصفر والاخضر فتقول له : فمك فتطرح ذلك فيه .

فأتاها بنوها فأخبروها بقوله ، فقالت : كنتم فتياناً فكنت أداريه فيكم وأمنّيه أن أتزوجه حتى كتبت إلى يزيد فعزله .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي قال : اجتمع زيد وعبد الله بن حسن عند هشام ، فأعان عمر بن علي الاصغر زيد بن علي فقال له هشام : ما بالك تخاصم عن غيرك ولا تتكلّم عن نفسك ؟ فقال [عبد الله بن] حسن : يمنعه من ذلك خولة والرباب جرّتاه اللتان صب أبان بن عثمان ما فيها من نبيذ على رأسه في ولايته المدينة لعبد الملك بن مروان .

وذكر المدائني أن أبان حدّ عُمر بن علي بالنبيذ ، ضربه ثمانين ، وقدم عمر مع أبان على الوليد بن عبد الملك يسأله أن يوليه صدقة علي . فقال : أنا لا أدخل على ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ غيرهم . ووصله فلم يقبل صلته .

وقال الواقدي : لما عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة بكى ثم قال : والله ما أبكي جزعاً من العزل ؛ ولا أسفاً على الولاية ، ولكني أربأ

بهذه الوجوه أن يمتهنها من لا يعرف لها مثل الذي أعرف ثم أنشدّ .

فما السجن أضناني ولا القيد شفني ولكنني من خشية النار أجزع
بلى إنّ أقواماً أخاف عليهم إذا خفت أن يعصوا الذي كنت أمنع

وولد لعلي بن أبي طالب: محمد

وأمه خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة من الدول بن حنيفة بن لُجيم .

قال علي بن محمد المدائني بعث رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن فأصاب خولة في بني زبيد ، وقد ارتدّوا مع عمرو بن معدي كرب ، وصارت في سهمه ، وذلك في عهد رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : «إن ولدت منك غلاماً فسمه باسمي وكنّه بكنيتي» ، فولدت له بعد موت فاطمة عليها السلام غلاماً ، فسماه محمداً وكناه أبا القاسم .

وحدثني محمد بن إسماعيل الواسطي الضرير ، حدثنا أبو أسامة ، أنبأنا فطر بن خليفة ، عن منذر الثوري ، عن محمد بن الحنفية ، عن علي عليه السلام أنه قال لرسول الله ﷺ : إن ولد لي غلام اسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال : «نعم» .

قال : وحدثني علي بن المغيرة الأثرم وعباس بن هشام الكلبي ، عن هشام ، عن خراش بن إسماعيل العجلي قال : أغارت بنو أسد بن خزيمة على بني حنيفة فسبوا خولة بنت جعفر ، ثم قدموا بها المدينة في أول خلافة أبي بكر فباعوها من علي ، وبلغ الخبر قومها فقدموا المدينة على علي فعرفوها وأخبروه بموضعها منهم ، فأعتقها ومّهرها وتزوجها ، فولدت له محمداً ابنه ،

وقد كان قال لرسول الله ﷺ : أتأذن لي إن ولد لي [غلام] بأن اسميه باسمك واكنّيه بكنيتك ؟ فقال : «نعم» . فسمي ابن الحنفية محمداً ، وكناه أبا القاسم .

وهذا أثبت من خبر المدائني .

موت محمد بن الحنفية

وقال الواقدي : مات ابن الحنفية سنة اثنتين وثمانين وله خمس وستون سنة ، وصلى عليه أبان بن عثمان ، وهو والي المدينة وقال له أبو هاشم بن محمد بن الحنفية : إن الإمام أولى بالصلاة ، ولولا ذلك ما قدمناك .

وقال بعضهم : إن أبا هاشم أبى أن يصلي عليه أبان ، فقال : أنتم أولى بميتكم فصلى عليه أبو هاشم .

وكانت الشيعة تسمي محمد بن علي المهدي وقال فيه كثير ـ وكان يزعم أنّ الأرواح تتناسخ واحتجّ بقول الله عزّوجل : ﴿في أيّ صورة ما شاء ركبك﴾[1] .

أقـــر الله عيني إذ دعـاني أمين الله يلطف في السؤال
وأثنى في هواي عليّ خيراً ويسألَ عن بنيّ وكيف حالي
هـو المهدي خَبَّرَناه كعب أخو الأحبار في الحقب الخوالي[2]

فقال له علي بن عبد الله بن جعفر : يا أبا صخر ما يثني عليك في هواك خيراً إلا من كان على مثل رأيك . فقال : أجل بأبي أنت .

---

١ ـ سورة الانفطار ـ الآية : ٨ .
٢ ـ ديوان كثير عزة ـ ط . الجزائر ١٩٣٠ ج ١ ص ٢٧٥ .

وشيعة محمد بن الحنفية يزعمون انه لم يمت ولذلك قال السيد :

ألا قل للوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المناما[١]

يعني رضوى .

وقال كثير :

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
عليّ والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبرّ وسبط غيبّته كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء[٢]

وقال السيد :

أيا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى ويهيج قلبي والصبابة أولق[٣]
حتى متى وإلى متى وكم المدى يا بن الوصي وأنت حيّ ترزق

وزعم بعضهم أن اخت محمد بن عليّ لأمه عَوانة بنت أبي مكمل من بني عفان .

---

١ ـ ديوان السيد الحميري ـ ط . دار مكتبة لحياة ـ بيروت ص ٢٧٩ .
٢ ـ ديوان كثير عزة ج ٢ ص ١٨٦ ـ ١٨٩ .
٣ ـ ولق : أسرع . طعنه خفيفاً ، وبالسيف ضربه ، وفي السير أو الكذب استمر . القاموس .
وانظر ديوان السيد الحميري ص ٢٩٢ .

المحتوى

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م

الجزء الثالث

أخبار علي بن أبي طالب وأبنائه عليهم السلام

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار   الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

الجزء الثالث

أخبار علي بن أبي طالب وأبنائه عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام

حدثنا خلف بن سالم المخزومي ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنا ابن جُعْدُبة .

عن صالح بن كيسان قال : قتل عثمان بن عفان لإثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة ، فدعا علي بن أبي طالب الناس إلى بيعته ، فبويع يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة ، وكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله ، وكانت إصبعه أصيبت يوم أحد ، فشلت ، فبصر بها أعرابي حين بايع ، فقال : ابتدأ هذا الأمر أشل لا يتم ، ثم بايعه الناس بعد طلحة في المسجد ؛ ثم خرج حتى أتى مسجد بني عمرو بن مبذول من الأنصار فبويع فيه أيضاً .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا إسماعيل بن مسلم العبدي :

عن أبي المتوكل ؛ قال : قتل عثمان وعليّ بأرض له يقال لها : البُغيبغة

فوق المدينة بأربعة فراسخ ، فأقبل علي ، فقال له عمار بن ياسر : لتنصبنّ لنا نفسك أو لنبدأنّ بك ، فنصب لهم نفسه فبايعوه .

وحدثني عباس بن هشام بن محمد الكلبي ، عن لوط بن يحيى أبي مخنف ، عن أبي روق الهمداني ، وعن المجالد بن سعيد :

عن الشعبي أن عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - لما قتل أقبل الناس إلى علي رضي الله تعالى عنه ليبايعوه ومالوا إليه فمدوا يده فكفّها ، وبسطوها فقبضها وقالوا : بايع فإنا لا نرضى إلا بك ولا نأمن من اختلاف الناس وفرقتهم . فبايعه الناس وخرج حتى صعد المنبر .

وأخذ طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام مفتاح بيت المال ؛ وتخلفا عن البيعة فمضى الأشتر حتى جاء بطلحة يتله تلا عنيفاً وهو يقول : دعني حتى أنظر ما يصنع الناس ، فلم يدعه حتى بايع علياً ، فقال رجل من بني أسد يقال له قبيصة بن ذويب : أول يد بايعت هذا الرجل من أصحاب محمد ﷺ شلاء والله ما أرى هذا الأمر يتمّ .

وكان طلحة أول من بايع من أصحاب رسول الله ﷺ ، وبعث علي بن أبي طالب من أخذ مفاتيح بيت المال من طلحة . وخرج حكيم بن جبلة العبدي إلى الزبير بن العوام حتى جاء به فبايع ، فكان يقول : ساقني لصّ من لصوص عبد القيس حتى بايعت مكرها .

قال : وأُتي عليّ بعبد الله بن عمر بن الخطاب ملبباً والسيف مشهورٌ عليه ، فقال له : بايع . فقال : لا أبايع حتى يجتمع الناس عليك . قال : فأعطني حميلا[1] ألا تبرح . فقال لا أعطيك حميلا ، فقال الأشتر : إن هذا

١ - في هامش الأصل : أي كفيلاً .

رجل قد أمن سوطك وسيفك فأمكني منه . فقال عليّ : دعه أنا حميله فوالله ما علمته إلا سيء الخلق صغيراً وكبيراً .

قال : وجيء بسعد بن أبي وقاص فقيل له : بايع . فقال : يا أبا الحسن إذا لم يبق غيري بايعتك . فقال عليّ : خلوا سبيل أبي إسحاق .

وبعث عليّ إلى محمد بن مسلمة الأنصاري ليبايع فقال : إن رسول الله ﷺ «أمرني إذا اختلف الناس أن أخرج بسيفي فأضرب به عرض أحد حتى ينقطع فإذا انقطع أتيت بيتي فكنت فيه لا أبرح حتى تأتيني يد خاطفة أو ميتة قاضية» . قال : فانطلق إذا . فخلى سبيله .

وبعث إلى وهب بن صيفي الأنصاري ليبايعه فقال : إن خليلي وابن عمك قال لي : «قاتل المشركين بسيفك فإذا رأيت فتنة فأكسره ، واتخذ سيفاً من خشب واجلس في بيتك» ، فتركه .

قال : ودعا أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ إلى البيعة ؛ فقال : أنت أحبّ الناس إليّ وآثرهم عندي ، ولو كنت بين لحيي أسد لأحببت أن أكون معك ، ولكني عاهدت الله أن لا أقاتل رجلاً يقول : لا إله إلا الله .

قال : وبايع أهل المدينة علياً فأتاه ابن عمر فقال له : يا علي اتق الله ولا تنتزين على أمر الأمة بغير مشورة . ومضى إلى مكة .

حدثنا أبو قلابة عبدَ الملك بن محمد الرقاشي حدثني محمد بن عائشة ، حدثنا معتمر بن سليمان قال : قلت لأبي : إن الناس يقولون : إن بيعة علي لم تتم . قال : يا بني بايعه أهل الحرمين وإنما البيعة لأهل الحرمين .

حدثني عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي قال : سمعت إسرائيل

يحدث عن أصحابه :

أن الأحنف بن قيس لقي طلحة والزبير ؛ فقالا له : بايعت علياً وآزرته فقال : نعم ألم تأمراني بذلك ؟ فقالا له : إنما أنت ذباب طمع وتابع لمن غلب . فقال : يغفر الله لكما .

وقال أبو مخنف وغيره : قال عليّ لعبد الله بن عباس : سر إلى الشام فقد بعثتك عليها . فقال : ما هذا برأي ؛ معاوية ابن عم عثمان وعامله والناس بالشام معه وفي طاعته ، ولست آمن إن يقتلني بعثمان على الظنّة ، فإن لم يقتلني تحكم علي وحبسني ، ولكن اكتب إليه فمنّه وعده فإذا استقام لك الأمر بعثتني إن أردت .

وحدثنا عفان بن مسلم أبو عثمان ، حدثنا الأسود بن شيبان ، أنبأنا خالد بن سمير قال :

غدا علي على ابن عمر صبيحة قتل عثمان فقال : أيّم[1] أبو عبد الرحمن أيم الرجل اخرج إلينا ، فقال له : هذه كتبنا قد فرغنا منها فاركب بها إلى الشام . فقال : أذكرك الله واليوم الآخر فإن هذا أمر لم أكن في أوله ولا آخره ، فلئن كان أهل الشام يريدونك لتأتينّك طاعتهم وإن كانوا لا يريدونك فما أنا برادّ منهم عنك شيئاً فقال : لتركبنّ طائعاً أو كارها . ثم انصرف فلما أمسى دعا بنجائبه أو قال : برواحله في سواد الليل فرمى بها مكة وترك علياً يتذمّر عليه بالمدينة .

وقال أبو مخنف وغيره : قال المغيرة بن شعبة : أرى أن تقرّ معاوية على الشام وتثبت ولايته وتولي طلحة والزبير المصرين يستقيم لك الناس ، فقال

١ - أيم هنا معناها أين هو أبو عبد الرحمن ، أو أين أنت . انظر النهاية لابن الأثير .

عبد الله بن العباس : إن الكوفة والبصرة عين المال وإن وليتهما إياهما لم آمن أن يضيّقاً عليك ، وإن وليت معاوية الشام لم تنفعك ولايته . فقال المغيرة : لا أرى لك أن تنزع ملك معاوية فإنّه الآن يتّهمكم بقتل ابن عمه ، وإن عزلته قاتلك فوله وأطعني . فأبى وقبل قول ابن عباس .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، حدثنا إسحاق الأزرق ، عن عبد الملك بن سليمان ، عن سلمة بن كهيل ، عن سالم بن أبي الجعد :

عن محمد بن الحنفية ، قال : إني لقاعد مع علي إذاً أتاه رجل فقال : ائت هذا الرجل فإنه مقتول . فذهب ليقوم فأخذت بثوبه وقلت : أقسمت عليك أن تأته ، ثم جاء رجل آخر فقال : قد قتل فقام فدخل البيت ودخل الناس عليه فقالوا : ابسط يدك نبايعك . فقال ؛ لا ، أنا لكم وزير خير مني لكم أمير . فأبوا فقال : أما إذ أبيتم فإن بيعتي لا تكون سراً فاخرجوا إلى المسجد فخرجوا .

وحدثت أيضاً عن إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن عبد الملك عن سلمة ، عن سالم :

عن ابن الحنفية قال : كنت عند علي إذ أتاه رجل فقال : أمير المؤمنين مقتول الساعة . قال : فقام واخذت بسوطه فقال : خل لا أم لك . فانطلق إلى الدار وقد قتل الرجل ، فأتاه الناس فقالوا : إنه لابدّ للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك . فقال لهم : لا تريدوني فإني لكم وزيراً خير منى أميراً ، قالوا : والله ما نعلم أحق بها منك . قال : فإذ ابيتم فإن بيعتي لا تكون سرّاً ، ولكن اخرج إلى المسجد فمن شاء بايعني . فخرج إلى المسجد فبايعه الناس .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير حدثنا جويرية بن اسماء ، حدثني مالك بن أنس ، عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله :

عن المسور بن مخرمه قال : قتل عثمان وعلي في المسجد ، فمال الناس قِبَلَ طلحة ليبايعوه ، وانصرف علي يريد منزله ، فلقيه رجل من قريش عند موضع الجنائز ، فقال : انظروا إلى رجل قتل ابن عمتّه وسلب ملكه ، فولّى راجعاً فرقى المنبر فقيل : هذا عليّ على المنبر . فترك الناس طلحة ومالوا إليه فبايعوه .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا وهب بن جرير ، عن ابن جعدبة .

عن صالح بن كيسان قال: لما بايع الناس علياً كتب إلى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة يؤمِّره على مكة، وأمره بأخذ البيعة، فأبى أهل مكة أن يبايعوا علياً، فأخذ فتى من قريش يقال له: عبد الله بن الوليد بن زيد بن ربيعة بن عبد العزّى بن عبد شمس الصحيفة فمضغها وألقاها فوطئت في سقاية زمزم، فقتل ذلك الفتى يوم الجمل مع عائشة.

قال: وسار علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس ـ وكان حين قتل عثمان أمير مكة ـ إلى البصرة فقتل بها وله يقال:

يارب فاعقر لعلي جمله ولاتبارك في بعير حَمَلَه

إلا علي بن عدّي ليس له

وقال أبو مخنف وغيره: وجّه عليّ عليه السلام المسور بن مخرمة الزهري إلى معاوية ـ رحمه الله ـ لأخذ البيعة عليه؛ وكتب إليه معه: إن الناس قد قتلوا عثمان عن غير مشورة منّي وبايعوا لي فبايع رحمك الله موفقاً، وفِدْ إليّ في

اشراف أهل الشام. ولم يذكر له ولاية، فلما ورد الكتاب عليه؛ أبى البيعة لعلي واستعصى، ووجّه رجلاًمعه صحيفة بيضاء؛ لا كتاب فيها ولاعليها خاتم - ويقال كانت مختومة - وعنوانها: من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب فلما رآها علي قال: ويلك ماوراؤك؟ قال: أخاف أن تقتلني؟ قال: ولم اقتلك وأنت رسول! فقال: إني اتيتك من قبل قوم يزعمون انك قتلت عثمان وليسوا براضين دون أن يقتلوك به. فقال عليّ: يا أهل المدينة والله لتقاتلنّ أو ليأتينكم من يقاتلكم.

فبايع عليا أهل الامصار الاما كان من معاوية وأهل الشام وخواص من الناس.

«وحدثنا» خلف بن سالم المخزومي، حدثنا وهب بن جرير، عن ابن جعدبة:

عن صالح بن كيسان قال: قتل عثمان وبويع علي وعائشة في الحج فأقامت بمكة؛ وخرج إليها طلحة والزبير، وقد ندما على الذي كان من شأنهما في أمر عثمان، وكتب علي إلى معاوية:

إن كان عثمان ابن عمك فأنا ابن عمك، وإن كان وصلك فإني اصلك وقد امّرتك على ماأنت عليه، فأعمل فيه بالذي لحقّ عليك.

فلما ورد الكتاب على معاوية دعا بطومار لاكتاب فيه ثم كتب: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقط، ثم طواه وختم عليه وكتب عنوانه: من معاوية إليّ عليّ بن أبي طالب. وبعث به مع رجل من عبس يقال له: يزيد ابن الحرّ، فقدم به على علي فقال لعليّ: أجرني. قال: قد اجرتك إلا من دم. فدفع الكتاب إليه، فلما نظر فيه عرف ان معاوية مباعدله. ثم إن

يزيد بن الحرّ قال: يامعشر قريش الخيل الخيل، والذي نفسي بيده ليدخلنها عليكم أربعة آلاف فارس ـ أو قال: فرس

المدائني أبو الحسن عن اشياخ ذكرهم، وعلي بن مجاهد.

قالوا: لما بويع عليّ أتى الكوفة الخبر فبايع هشام بن عتبة لعلي وقال: هذه يميني وشمالي لعلي وقال:

أبـايـع غـير مكتتم عليـا ولا أخشى أميري الأشعريا

وقدم ببيعته على أهل الكوفة يزيد بن عاصم المحاربي فبايع أبو موسى لعلي فقال عمّار ـ حين بلغته بيعته له ـ : والله لينكثنّ عهده ولينقضنّ عقده وليفِرنَّ جهده وليسلمنّ جنده. فلما كان من طلحة والزبير ماكان قال أبو موسى: الإمرة ماأمر فيه، والملك ماغُلِبَ عليه. فلم يزل والياً على الكوفة حتى كتب إليه عليّ من «ذي قار» يأمره أن يستنفر الناس فثبَّطهم وقال: هذه فتنة. فوجّه عليّ حينئذ عمار بن ياسر، مع الحسن بن عليّ إلى الكوفة لاستنفار الناس.

حدثني عمر بن محمد، ومحمد بن حاتم، وعبد الله بن صالح، قالوا: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش عن أبي صالح قال: قال علي: لوظننت أن الأمر يبلغ مابلغ مادخلت فيه.

حدثني محمد بن سعد، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، قال:

قال ابن شهاب: حدثني حميد بن عبد الرحمن، أن عمر بن الخطاب كان يناجي رجلاً من الأنصار؛ من بني حارثة فقال: من تحدثون أنه يستخلف من بعدي؟ فعدّ الأنصاري المهاجرين ولم يذكر علياً، فقال عمر:

فأين أنتم عن علي، فوالله إني لأرى أنَّه إن ولي شيئاً من أمركم سيحملكم على طريقة الحق.

حدثني روح بن عبد المؤمن، ومحمد بن سعد؛ قالا: حدثنا أبو داود الطيالسي، عن عبد الجليل القيسي قال:

ذكر عمر من يستخلف بعده فقال رجل: ياأمير المؤمنين علي. فقال: أيم الله لايستخلفونه، ولئن استخلفتموه أقامكم على الحق وإن كرهتموه.

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام، والحسين بن علي بن الأسود قالا: حدثنا عبيد الله بن موسى، أنبأنا إسرائيل، عن أبي إسحاق:

عن حارثة قال: حججت مع عمر، فسمعت حادي عمر يحدو:

إن الأمير بعده ابن عفان.

وسمعت الحادي يحدو في إمارة عثمان:

إن الأمير بعده عليّ وفي الزبير خلف رضيّ

حدثني محمد بن سعد، حدثنا أنس بن عياض، عن محمد بن أبي ليلى مولى الأسلميين، ومحمد بن عطية الثقفي:

إن عطية أخبره قال: لما كان الغد من يوم قتل عثمان أقبلت مع عليّ فدخلت المسجد، فوجدت جماعة من الناس قد اجتمعوا على طلحة، فخرج أبو جهم بن حذيفة العدوي فقال: ياعليّ إنّ الناس قد اجتمعوا على طلحة وأنت غافل. فقال: أيقتل ابن عمتي وأغلب على ملكه، ثم أتى بيت المال ففتحه فلما سمع النّاس بذلك تركوا طلحة وأقبلوا إليه.

حدثني محمد بن حاتم المروزي، وروح بن عبد المؤمن، قالا: حدثنا موسى بن إسماعيل، عن محمد بن راشد صاحب مكحول، عن عوف قال:

كنت عند الحسن فقال له أبو جوشن الغطفاني: ماأزرى بأبي موسى إلا إتباعه علياً. قال: فغضب الحسن ثم قال: ومن يتبّع؟ قتل عثمان مظلوماً فعمدوا إلى أفضلهم فبايعوه، فجاء معاوية باغياً ظالماً، فإذا لم يتّبع أبو موسى علياً فمن يتّبع؟.

حدثني إبراهيم بن محمد البيامي وبكر بن الهيثم، قالا: حدثنا عبد الرزاق بن همّام، حدثنا معمر:

عن الزهري قال: كان عليّ قد خلى بين طلحة وبين عثمان، فلمّا قتل عثمان برز عليّ للناس فدعاهم إلى البيعة فبايعوه، وذلك إنه خشي أن يبايع الناس طلحة، فلما دعاهم إلى البيعة لم يعدلوا به طلحة ولاغيره.

حدثنا محمد بن سعد، حدثنا صفوان بن عيسى الزهري عن عوف قال: لما قتل عثمان جعل الناس يبايعون علياً: قال: فجاء طلحة فقال له عليّ: هات يدك أبايعك. فقال طلحة: أنت أحق بها منّي.

وحدثت عن عبد الله بن علي بن السائب، عن صهبان مولى الأسلميين قال: جاء علي والناس معه والصبيان يعدون ومعهم الجريد الرطب، فدخل حائطاً في بني مبذول، وطرح الأشتر النخعي خميصته[1] عليه ثم قال: ماتنتظرون؟ ياعلي أبسط يدك. فبسط يده فبايعه ثم قال: قوموا فبايعوا، قم ياطلحة قم يازبير، فبايعا وبايع الناس.

حدثنا خلف بن هشام، حدثنا هشيم بن بشير، حدثنا حميد، عن الحسن قال: رأيت الزبير بايع علياً في حش من أحشاش المدينة.

---

١ ـ الخميصة: كساء أسود مربع له علمان. القاموس.

المدائني عن جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار: أن طلحة والزبير بايعا علياً.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثني أبو زكريا يحيى بن معين حدثنا عبد الله بن نمير عن العلاء بن صالح، عن عدي بن ثابت:

حدثني أبو راشد قال: انتهت بيعة علياً[١] إلى حذيفة وهو بالمدائن، فبايع بيمينه شماله ثم قال: لاأبايع بعده لأحد من قريش، مابعده إلا أشعر أو أبتر.

قال أحمد بن إبراهيم: وروي عن حذيفة انه قال: من أراد أن يلقى أمير المؤمنين حقاً فليأت عليا.

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا محمد بن أبي أيوب، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب:

ان الحسن بن عليّ قال لعليّ: ياأمير المؤمنين إني لاأستطيع أن أكلمك وبكى، فقال عليّ: تكلم ولاتحن حنين المرأة. فقال: إن الناس حصروا عثمان فأمرتك أن تعتزلهم وتلحق بمكة حتى تؤوب إلى العرب عوازب أحلامها فأبيت، ثم قتله الناس فأمرتك أن تعتزل الناس فلو كنت في جحر ضبّ لضربت إليك العرب أباط الإبل حتى يستخرجوك؛ فغلبتني، وأنا آمرك اليوم أن لاتقدم العراق؛ فإني أخاف عليك أن تقتل بمضيعة، فقال عليّ: أما قولك تأتي مكة فوالله ماكنت لأكون الرجل الذي تستحل به مكة، وأما قولك حصر الناس عثمان فماذنبي إن كان بين الناس وبين عثمان ماكان وأما قولك اعتزل الناس ولاتقدم العراق فوالله لاأكون مثل الضبع أنتظر اللدم[٢].

---

١ ـ وردت هكذا بالأصول والصواب: عليٌّ.

٢ ـ اللدم: اللطم والضرب بشيء ثقيل يسمع وقعه. القاموس.

حدثني عباس بن هشام الكلبي، عن أبيه، عن أبي مخنف قال: حدثني أبو يوسف الانصاري: أنه سمع أهل المدينة يتحدثون ان الناس لما بايعوا علياً عليه السلام بالمدينة بلغ عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن الناس بايعوا لطلحة؛ فقالت: إيه ذا الإصبع لله أنت، لقد وجدوك لها محشاً[١]، وأقبلت جذلة مسرورة حتى إذا انتهت إلى سرف[٢] استقبلها عبيد بن مسلمة الليثي الذي يدعى ابن أم كلاب فسألته عن الخبر، قال: قتل الناس عثمان. قالت: نعم ثم صنعوا ماذا؟ قال: خيراً، حارت بهم الأمور إلى خير محار بايعوا ابن عم نبيهم علياً. فقالت: أو فعلوها؟ وددت أن هذه أطبقت على هذه إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت، فقال لها: ولم؟ والله ماأرى اليوم في الأرض مثله فلم تكرهين سلطانه؟ فلم ترجع إليه جواباً وانصرفت إلى مكة فأتت الحجر فاستترت فيه وجعلت تقول: إنا عتبنا على عثمان في أمور سميناها له ووقفناه عليها فتاب منها واستغفر ربّه فقبل المسلمون منه ولم يجدوا من ذلك بدّا، فوثب عليه من إصبع من أصابع عثمان خيرٌ منه فقتله، فقتل - والله - وقد ماصّوه كما يماص الثوب الرحيض[٣] وصفّوه كما يصفى القلب.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، وخلف بن سالم، قالا: حدثنا وهب بن جرير بن حازم، عن يونس بن يزيد الايلي:

عن الزهري قال سأل طلحة والزبير علياً أن يوليهما البصرة والكوفة فقال: تكونان عندي فأتجمّل بكما فإني أستوحش لفراقكما.

١ - المحش: ماتحرك به النار من حديدة أو عود، ويقال: فلان محش حرب أي موقدها ومؤرثها.
٢ - موضع على ستة أميال من مكة. معجم البلدان.
٣ - رحض غسل، والرحيض المغسول المطهر.

قال الزهري: وقد بلغنا أن علياً قال لهما: إن أحببتما أن تبايعاني فافعلا، وإن أحببتما بايعت أيكما شئتما؟ فقالا: بل نبايعك. ثم قالا بعد: إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا، وقد عرفنا أنه لم يكن ليبايعنا. ثم طمرا[1] إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر.

حدثني الحسن بن علي،عن أبي بكر بن عياش، عن أبي حصين قال:

دعا عبد الله بن عامر بن كريز: طلحة والزبير إلى البصرة، وأشار عليهما بها وقال: لي بها صنائع، وكان واليها من قبل عثمان بعد أبي موسى الأشعري فقال أبو موسى الأشعري: ياأهل البصرة قد أتاكم فتى من قريش كريم الأمهات والعمات والخالات، يقول بالمال فيكم كذا وكذا.

١ ـ أي ذهبا سراً.

وقعة الجمل

بسم الله الرحمن الرحيم

خبر الجمل:

حدثني أحمد بن إبراهيم، وخلف بن سالم، قالا: حدثنا وهب بن جرير، عن أبيه، عن يونس بن يزيد الايلي:

عن الزهري قال: صار طلحة والزبير إلى مكة وابن عامر بها بحرّ الدنيا قد قدم من البصرة، وبها يعلى بن منية - وهي أمّه وأبوه أميّة تميمي - ومعه مال كثير قدم به من اليمن، وزيادة على أربعمائة بعير، فاجتمعوا عند عائشة فأداروا الرأي فقالوا: نسير إلى المدينة فنقاتل علياً. فقال بعضهم: ليست لكم بأهل المدينة طاقة، قالوا: فنسير إلى الشام فيه الرجال والأموال وأهل الشام شيعة لعثمان؛ فنطلب بدمه ونجد على ذلك أعوانا وأنصاراً ومشايعين. فقال قائل منهم: هناك معاوية وهو والي الشام والمطاع به، ولن تنا لوا ماتريدون، وهو أولى منكم بما تحاولون لأنه ابن عم الرجل. فقال بعضهم: نسير إلى العراق، فلطلحة بالكوفة شيعة، وللزبير بالبصرة من يهواه ويميل إليه،

فاجتمعوا على المسير إلى البصرة، وأشار عبد الله بن عامر عليهم بذلك وأعطاهم مالاً كثيراً قوّاهم به، وأعطاهم يعلى بن منية التميمي مالاً كثيراً وإبلا، فخرجوا في تسعمائة[١] رجل من أهل المدينة، ومكة، ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل. فبلغ علياً مسيرهم، ويقال: إن أم الفضل بنت الحارث بن حزن كتبت به إلى عليّ، فأمّر عليّ سهل بن حُنيف الأنصاري[٢] وشخص حتى نزل ذاقار.

حدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن أبي مخنف:

أن طلحة والزبير استأذنا علياً في العمرة، فقال: لعلكما تريدان الشام أو العراق؟ فقالا: اللهم غفراً إنما نوينا العمرة. فأذن لهما فخرجا مسرعين وجعلا يقولان: لا والله مالعليّ في أعناقنا بيعة، ومابايعناه إلا مكرهين تحت السيف. فبلغ ذلك علياً فقال: أخذهما[٣] الله إلى أقصى دار وأحرّ نار.

وولّى علي عثمان بن حُنيف الأنصاري البصرة، فوجد بها خليفة عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس، وهو ابن عامر الحضرمي حليف بني عبد شمس، فحبسه وضبط البصرة.

وحدثني خلف بن سالم، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا ابن جُعدبه، عن صالح بن كيسان قال:

قدم طلحة والزبير على عائشة فأجمعوا على الخروج إلى البصرة للطلب

---

١ ـ في هامش الأصل مايفيد في نسخة أخرى «سبع».
٢ ـ أي استخلفه على المدينة أميراً.
٣ ـ في هامش الأصل مايفيد في رواية أخرى «أبعدهما».

بدم عثمان، وكان يعلى بن منية قد قدم من اليمن فحملهم على أربعمائة بعير، فيها «عسكر» جمل عائشة الذي ركبته.

وحدثني روح بن عبد المؤمن، عن وهب بن جرير، عن ابن جُعدبة، عن صالح بن كيسان.

وحدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن أبي مخنف في اسناده - فسقت حديثهما ورددت من بعضه على بعض -:

قالوا: قدم طلحة والزبير على عائشة فدعواها إلى الخروج، فقالت: أتأمراني أن أقاتل؟ فقالا: لا ولكن تعلمين الناس أن عثمان قتل مظلوما، وتدعيهم إلى أن يجعلوا الأمر شورى بين المسلمين، فيكونوا على الحالة التي تركهم عليها عمر بن الخطاب وتصلحين بينهم.

وكان بمكة سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وعبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، والمغيرة بن شعبة الثقفي قد شخصوا من المدينة، فأجمعوا على فراق علي والطلب بدم عثمان والمغيرة يحرض الناس ويدعوهم إلى الطلب بدمه، ثم صار إلى الطائف معتزلا للفريقين جميعا.

فجعلت عائشة تقول : إن عثمان قتل مظلوماً وأنا أدعوكم إلى الطلب بدمه وإعادة الأمر شورى .

وكانت أم سلمة بنت أبي أمية بمكة ، فكانت تقول : أيها الناس آمركم بتقوى الله ، وأن كنتم تابعتم علياً فارضوا به فوالله ما أعرف في زمانكم خيراً منه .

وسار طلحة والزبير وعائشة فيمن اجتمع إليهم من الناس فخرجوا في ثلاثة آلاف ، منهم من أهل المدينة ومكة تسعمائة .

وسمعت عائشة في طريقها نباح كلاب فقالت : ما يقال لهذا الماء الذي نحن به ؟ قالوا : الحَوْأب . فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ردّوني ردّوني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه : «أيتّكن ينبحها كلاب الحوأب» (١) وعزمت على الرجوع فأتاها عبدالله بن الزبير فقال : كذب من زعم أن هذا الماء الحوأب ، وجاء بخمسين من بني عامر فشهدوا وحلفوا على صدق عبدالله .

وكان مروان بن الحكم مؤذنّهم فقال : من أدعو للصلاة ؟ فقال عبدالله بن الزبير : ادع أبا عبدالله . وقال محمد بن طلحة : ادع أبا محمد . فقالت عائشة : مالنا ولك يا مروان أتريد أن تغري بين القوم وتحمل بعضهم على بعض ؟ ليصلّ أكبرهما فصلّى الزبير .

ولّما قربت عائشة ومن معها من البصرة بعث إليهم عثمان بن حُنيف عمران بن الحصَين الخزاعي أبا نجيد ، وأبا الأسود الديلي فلقياهم بحفر أبي موسى ، فقالا لهم : فيما قدمتم ؟ فقالوا : نطلب بدم عثمان وأن نجعل الأمر شورى فإنا غضبنا لكم من سوطه وعصاه أفلا نغضب له من السيف ؟!

وقالا لعائشة : أمرك الله أن تقرّي في بيتك فإنك حبيس رسول الله ﷺ وحليلته وحرمته . فقالت لأبي الأسود : قد بلغني عنك يا أبا الأسود ما تقول في . فانصرف عمران وأبو الأسود الى ابن حنيف وجعل أبو الأسود يقول :

---

١ ـ الحوأب موضع بئر في طريق البصرة . معجم البلدان .

يا بن حنيف قد أُتيت فانفر وطاعن القوم وضارب واصبر
وابرز لهم مستلئماً وشمّر[١]

فقال عثمان : أي ورب الحرمين لأفعلن .

ونادى عثمان [بن حنيف في الناس] فتسلّحوا ، وأقبل طلحة والزبير وعائشة حتى دخلوا المربد مما يلي بني سليم ، وجاء أهل البصرة مع عثمان ركباناً ومشاة ، وخطب طلحة فقال : إن عثمان بن عفان كان من أهل السابقة والفضيلة من المهاجرين الأولين ، وأحدث أحداثاً نقمناها عليه فباينناه ونافرناه ، ثم اعتب حين استعتبناه ، فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الأمة أمرها بغير رضى ولا مشورة فقتله ، وساعده على ذلك رجال غير أبرار ولا أتقياء ، فقتلوه بريئاً تائباً مسلماً فنحن ندعوكم إلى الطلب بدمه فإنّه الخليفة المظلوم .

وتكلم الزبير بنحو من هذا الكلام ، فاختلف الناس فقال قائلون : نطقا بالحقّ ، وقال آخرون : كذبا ولهما كانا أشدّ الناس على عثمان وارتفعت الأصوات .

وأتي بعائشة على جملها في هودجها فقالت : صه صه ، فخطبت بلسان ذلق وصوت جهوري ، فأسكت لها الناس فقالت :

إن عثمان خليفتكم قتل مظلوماً بعد أن تاب إلى ربّه وخرج من ذنبه ، والله ما بلغ من فعله ما يستحلّ به دمه ، فينبغي في الحق أن يؤخذ قتلته فيقتلوا به ويجعل الأمر شورى .

فقال قائلون : صدقت . وقال آخرون : كذبت حتى تضاربوا بالنعال

١ ـ ديوان أبي الأسود ـ ط . العراق ص ٢٣٠ .

وتمايزوا فصاروا فرقتين : فرقة مع عائشة وأصحابها ، وفرقة مع ابن حنيف ، وكان على خيل ابن حنيف حكيم بن جَبَلة فجعل يحمل ويقول :

خيلي إليّ أنها قريش ليردينها نعيمها والطيش

وتأهبوا للقتال فانتهوا إلى الزابوقة ، وأصبح عثمان بن حنيف فزحف إليهم فقاتلهم أشدّ قتال ، فكثرت بينهم القتلى وفشت فيهم الجراح .

ثم إن الناس تداعوا إلى الصلح فكتبوا بينهم كتاباً بالموادعة إلى قدوم علي على أن لا يعرض بعضهم لبعض في سوق ولا مشرعة ، وان لعثمان بن حُنيف دار الامارة وبيت المال والمسجد ، وأن طلحة والزبير ينزلان ومن معهما حيث شاؤوا ، ثم انصرف الناس وألقوا السلاح .

وتناظر طلحة والزبير فقال طلحة : والله لئن قدم علي البصرة ليأخذن بأعناقنا ، فعزما على تبييت ابن حُنيف وهو لا يشعر ، وواطآ أصحابهما على ذلك ؛ حتى إذا كانت ليلة ريح وظلمة جاؤوا إلى ابن حنيف وهو يصلي بالناس العشاء الآخرة فأخذوه وأمروا به فوطىء وطئاً شديداً ، ونتفوا لحيته وشاربيه فقال لهما : إن سهلاً حيّ بالمدينة والله لئن شاكني شوكة ليضعنّ السيف في بني أبيكما . يخاطب بذلك طلحة والزبير فكفّا عنه وحبساه .

وبعثا عبدالله بن الزبير في جماعة إلى بيت المال وعليه قوم من السبابجة [1] يكونون أربعين ، ويقال : أربعمائة فامتنعوا من تسليمه دون قدوم علي ، فقتلوهم ورئيسهم أبا سلمة الزطي [2] وكان عبداً صالحاً .

وأصبح الناس وعثمان بن حنيف محبوس ، فتدافع طلحة والزبير

---

١ ـ قوم أصلهم من السند عملوا بالبصرة كمرتزقة .
٢ ـ الزط هم زنوج الهند .

الصلاة وكانا بويعا أميرين غير خليفتين ، وكان الزبير مقدماً ، ثم اتفقا على أن يصلّي هذا يوماً وهذا يوماً .

وركب حكيم بن جبلة العبدي حتى انتهى إلى الزابوقة ، وهو في ثلاثمائة ، منهم من قومه سبعون ، وتألف إخوة له : وهم الأشرف والحكيم والزعل ، فسار إليهم طلحة والزبير فقالا : يا حكيم ما تريد ؟ قال : أريد أن تحلّوا عثمان بن حنيف وتقرّوه في دار الإمارة وتسلموا إليه بيت المال ، وأن ترجعا إلى قدوم علي . فأبوا ذلك واقتتلوا فجعل حكيم يقول :

أضربهم باليابس ضرب غلام عابس
من الحياة آيس

فضربت رجله فقطعت فحبا وأخذها فرمى بها ضاربه فصرعه وجعل يقول :

يا نفس لا تراعي إن قطعوا كراعي
إن معي ذراعي

وجعل يقول أيضاً :

ليس علـيّ في الممات عـار والعـار في الحرب هـو الفرار
والمجد أن لا يفضح الذمار

فقتل حكيم في سبعين من قومه وقتل إخوته الثلاثة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن الزبير بن الخرّيت :

عن أبي لبيد قال : قال حكيم لامرأة من الأزد : لأعملنّ بقومك اليوم عملاً يكونون به حديثاً . فقالت : أظن قومي سيجعلونك حديثاً . فضربه

رجل من الحُدّان يقال له : سُحَيم ضربة فبقي رأسه متعلقاً وصار وجهه مقبلاً على دبره .

وحدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا أبو عامر العقدي ، عن الأسود بن شيبان :

عن خالد بن سمير ، قال : قالت : عائشة : لا تبايعوا الزبير على الخلافة ولكن على الإمرة في القتال ، فإن ظفرتم رأيتم رأيكم .

وقال أبو مخنف : خطب طلحة بن عبيدالله الناس بالزّابوقة فقال : يا أهل البصرة توبة بحوبة ، إنما أردنا أن نستعتب عثمان ولم نرد قتله فغلب السفهاء الحكماء حتى قتلوه . فقال ناس لطلحة : يا أبا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا من ذَمِّهِ والتحريض على قتله .

وحدثني أبو خيثمة زهير بن حرب ، حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن النعمان بن راشد :

عن الزهري قال : لما قدم طلحة والزّبير البصرة ، أتاهما عبدالله بن حكيم التميمي بكتب كتبها طلحة إليهم يؤلِّبهم فيها على عثمان ، فقال له حكيم :

أتعرف هذه الكتب؟ قال: نعم. قال: فما حملك على التأليب عليه أمس والطلب بدمه اليوم؟ فقال: لم أجد في أمر عثمان شيئاً إلا التوبة والطلب بدمه.

قال الزهري: وبلغ علياً خبر حُكَيم بن جبلة، وعثمان بن حنيف، فأقبل في اثني عشر ألفاً حتى قدم البصرة وجعل يقول:

والهفتيـاه عـلى ربيعـة ربيعة السامعـة المطيعـة
نبئتها كانت بها الوقيعة[1]

وحدثني أبو خيثمة؛ وخلف بن سالم المخزومي، وأحمد بن إبراهيم، قالوا: حدثنا وهب بن جرير، عن ابن جعدبة:

عن صالح بن كيسان، قال: بلغ سهل بن حنيف - وهو والٍ على المدينة من قبل علي - ماكان من طلحة والزبير إلى أخيه عثمان وحبسهما إيّاه فكتب إليهما: «أعطي الله عهداً لئن ضررتموه بشيء ولم تخلّوا سبيله لأبلغن من أقرب الناس منكما مثل الذي صنعتم وتصنعون به». فخلوا سبيله حتى أتى علياً.

قال: ووجّه عليّ من ذي قار إلى أهل الكوفة - لينهضوا إليه - عبد الله بن عباس وعمار بن ياسر، وكان عليها من قبل عليّ أبو موسى، وقد كان عليها من قبل عثمان، فكلّم الأشتر فيه علياً فأقرّه، فلما دعا ابن عباس وعمار النّاس إلى علي واستنفراهم لنصرته قام أبو موسي خطيباً فقال:

«أيها الناس إنكم قد سلمتم من الفتنة إلى يومكم فتخلفوا عنها وأقيموا إلى أن يكون الناس جماعة فتدخلوا فيها».

وجعل يثبّط الناس، فرجع عبد الله بن عباس وعمار إلى علي فأخبراه بذلك، فكتب إليه: «يابن الحائك» وبعث الحسن بن علي ليندب الناس إليه، وأمره بعزل أبي موسى فعزله، وولىّ الكوفة قرظة بن كعب الأنصاري فانتدب معه عشرة آلاف أو نحوهم فخرج بهم إلى إبيه.

ثم سار علي عليه السلام حتى نزل البصرة فقال: ماتقول الناس؟

١ ـ ديوان الامام علي ص٦١ مع فوارق.

قالوا: يقولون: يالثارات عثمان. فرفع يده ثم قال: اللهم عليك بقتلة عثمان.

وحدثني عمرو بن محمد حدثنا عبد الله بن إدريس بن حصين، عن عمر بن جاوان:

عن الأحنف أن طلحة والزبير دعواه إلى الطلب بدم عثمان، فقال: لاأقاتل ابن عمّ رسول الله ومن أمر تماني ببيعته، ولاأقاتل أيضاً طائفة فيها أم المؤمنين وحواري رسول الله، ولكن اختاروا مني إحدى ثلاث: إما أن تفتحوا لي الجسر فألحق بأرض الأعاجم، أو بمكة، أو أعبر فأكون قريباً. فأتمروا فرأوا أن يكون بالقرب وقالوا: نطأ صماخه. فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين، واعتزل معه ستة آلاف.

ثم التقى القوم فكان أول من قتل طلحة وكعب بن سور، ولحق الزبير بسفوان فلقيه النعر المجاشعي فقال له: إليّ فأنت في ذمتي لايوصل إليك. قال: فأقبل معه، فأتى الأحنف فقيل له: ذاك الزبير بسفوان فما تأمر؟ قال: جمع بين غارّين من المسلمين حتى ضرب بعضهم وجوه بعض بالسيوف ثم يلحق ببيته بالمدينة. فسمعه ابن جرموز، وفضالة ونُفيع - أو نُفيل - فركبوا في طلبة فقتلوه.

وقال أبو مخنف في اسناده: لما بلغ علياً - وهو بالمدينة - شخوص طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة؛ استنفر الناس بالمدينة، ودعاهم إلى نصره فخفّت معه الأنصار وجعل الحجّاج بن غزية يقول:

سيروا أبابيل وحثّوا السيرا   كي تلحقوا التيمي والزبيرا

فخرج علي من المدينة في سبعمائة من الأنصار وورد الربذة، فقدم عليه

المثنى بن مُحَرَّبة العبدي؛ فأخبره بأمر طلحة والزبير وبقتل حُكيم بن جبلة العبدي فيمن قتل من عبد القيس وغيرهم من ربيعة، فقال عليّ عليه السلام:

يالهف أُمّاهُ على الربيعة ربيعة السامعة المطيعة
قد سبقتني بهم الوقيعة دعا حكيم دعوة سميعة
نال بها المنزلة الرفيعة[١]

وقال أبو اليقظان: هو المثنى بن بشير بن مُحَرّبة واسم محربة مدرك بن حوط، وإنما حرَّبه السلاح لكثرة لبسه إياه وقد وفد إلى النبي ﷺ.

قال: وبعث عليّ من الربذة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري إلى أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري - وكان عامله على الكوفة، بكتاب منه يأمره فيه بدعاء الناس واستنفارهم إليه، فجعل أبو موسى يخذلهم ويأمرهم بالمقام عنه؛ ويحذّرهم الفتنة، ولم ينهض معه أحداً وتوعَّد هاشماً بالجيش[٢] فلما قدم على عليّ دعا عبد الله بن عباس ومحمد بن أبي بكر؛ فبعثهما إليه وأمرهما بعزله، وكتب إليه معهما كتاباً ينسبه وأباه إلى الحياكة، فعزلاه وصيّرا مكانه قرظة بن كعب الانصاري.

وارتحل علي بن أبي طالب حتى نزل بفيد، فأتته جماعة طيء، ووجّه ابنه الحسن بن عليّ وعمار بن ياسر إلى الكوفة لاستنفار أهلها، فلما قدما انصرف ابن عباس ومحمد بن أبي بكر الصديق، ويقال: بل أقاما حتى كان انصرافهم جميعاً.

---

١ - ديوان الامام علي ص٦١.
٢ - كذا بالأصل، والمرجح أنها تصحيف صوابه «الحبس».

وقال قوم: كان قيس بن سعد بن عبادة مع الحسن وعمار.

والثبت أن علياً ولّى قيساً مصر - وهو بالمدينة - حين ولّى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب اليمن، ثم إنه عزله عن مصر، وقدم المدينة وشخص هو وسهل بن حُنيف إلى الكوفة؛ فشهدا صفين والنهروان معه، وانه لم يوجّه مع الحسن إلا عمار بن ياسر.

وقال أبو مخنف وغيره: لما دعا الحسن وعمار أهل الكوفة إلى انجاد علي والنهوض إليه سارعوا إلى ذلك، فنفر مع الحسن عشرة آلاف على راياتهم، ويقال: اثنا عشر ألفاً، - وكانوا يدعون في خلافة عثمان وعلي «أسباعاً»، حتى كان زياد بن أبي سفيان فصيّرهم «أرباعاً» - فكانت همدان وحمير سبعاً عليهم سعيد بن قيس الهمداني - ويقال: بل أقام سعيد بالكوفة وكان على السبع غيره. وإقامته بالكوفة أثبت.

وكانت مذحج والأشعريون سبعاً عليهم زياد بن النضر الحارثي، إلا أن عدّي بن حاتم، كان على طيء مفرداً، دون صاحب سبع مذحج والأشعرين.

وكانت قيس عيلان وعبد القيس سبعاً عليهم سعد بن مسعود، عم المختار بن أبي عبيد الثقفي.

وكانت كندة وَحضرموت وقضاعة ومهرة، سبعا عليهم حجر بن عدي الكندي.

وكانت الأزد وبجيلة وخثعم والأنصار سبعاً عليهم مخنف بن سليم الأزدي.

وكانت بكر بن وائل وتغلب،وسائر ربيعة - غير عبد القيس - سبعاً

عليهم وَعْلة بن محدوج الذهلي.

وكانت قريش وكنانة وأسد، وتميم وضبّة والرباب ومزينة سبعاً، عليهم معقل بن قيس الرياحي.

فشهد هؤلاء الجمل وصفين والنهر وهم هكذا.

حدثني عبد الله بن صالح، عن شريك، عن رجل عن أبي قبيصة عمرو بن قبيصة، عن طارق بن شهاب قال:

قال الحسن بن علي لعليّ بالربذة وقد ركب راحلته وعليها رحل له رثّ: إني لأخشى أن تقتل بمضيعة. فقال: إليك عنّي فوالله ماوجدت إلا قتال القوم أو الكفر بما جاء به محمد ـ أو قال: بما أنزل على محمد ﷺ.

وحدثني أبو قلابة الرقاشي، عن يزيد بن محمد العمي، عن يحيى بن عبد الحميد، عن شريك، عن أُبيّ الصيرفي عن أبي قبيضة عمرو بن قبيصة، عن طارق بن شهاب بمثله، إلا أنه قال: أو الكفر بما أنزل على محمد.

وقال أبو مخنف وغيره: سار الحسن بالناس من الكوفة إلى أبيه وعلى الكوفة قرظة بن كعب، فوافاه بذي قار، فخرج عليّ بالناس من ذي قار حتى نزل بالبصرة؛ فدعاهم إلى الجماعة ونهاهم عن الفرقة، وخرج إليه شيعته من أهل البصرة من ربيعة؛ وهم ثلاث آلاف، على بكر بن وائل شقيق بن ثور السدوسي، وعلى عبد القيس عمرو بن مرحوم العبدي.

وانخزل مالك بن مسمع أحد بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة عن علي.

وبايعت أفناء قيس من سليم وعامر، وباهلة وغني أصحاب الجمل، وبايعهم أيضاً حنظلة وبنو عمرو بن تميم، وضبّة والرباب، وعليهم هلال بن وكيع بن بشر بن عمر بن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم،

وقتل يوم الجمل .

وبايعهم الأزد ورئيسها صبرة بن شيمان الحدّاني فقال له كعب بن سور بن بكر : أطعني واعتزل بقومك وراء هذه النطفة ، ودع هذين الغارين من مضر ؛ وربيعة يقتتلان . فأبى وقال : أتأمرني أن أعتزل أم المؤمنين وأدع الطلب بدم عثمان ، لا أفعل .

وبعث الأحنف بن قيس إلى علي : إن شئت أتيتك فكنت معك ، وإن شئت اعتزلت ببني سعد فكففت عنك ستة آلاف سيف - أو قال أربعة آلاف سيف ؟ فاختار اعتزاله ، فاعتزل بناحية وادي السباع .

قال: وكان علي يقول : منيت بفارس العرب - يعني الزبير - وبأيسر العرب - يعني يعلى بن منية التميمي - وبفيّاض العرب - يعني طلحة - وبأطوع الناس في الناس - يعني عائشة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه ، حدثني الجلد بن أيّوب عن أبيه عن جدّه قال :

أتاني كعب بن سور فركبت معه فجعل يطوف في الأزد ويقول : ويحكم أطيعوني واقطعوا هذه النطفة فكونوا من ورائها وخلوا بين الغارين . فجعلوا يسبّونه ويقولون : نصراني صاحب عصا - وذلك لأنه كان في الجاهلية نصرانياً - فلما أعيوه رجع إلى منزله وأراد الخروج من البصرة ، فبلغ عائشة الخبر وهي نازلة مسجد الحدّان أو عنده فجاءت على بعيرها فلم تزل به حتى أخرجته ومعه راية الأزد .

قال وهب : وكان كعب قاضياً على البصرة من قبل عمر بن الخطاب ، ولاه القضاء بعد أبي مريم الحنفي وأقرّه عثمان بعد ذلك .

وقال ابن الكلبي : أتاه سهم فقتله وفي عنقه مصحف .

وقال أبو مخنف وغيره : أرسل عمران بن الحصين إلى بني عدي يأمرهم بالقعود عن الفريقين ، وقال : لأن أرعى غنماً عفراً في جبل حَضَن[1] أحب إليّ من أن أرمي في الفريقين بسهم . فقالوا : أتأمرنا أن نقعد عن ثقل رسول الله ﷺ وحرمته ؟ لا نفعل .

وقال الحارث بن حوط الليثي لعلي : أترى أن طلحة والزبير ، وعائشة اجتمعوا على باطل ؟ فقال علي : يا حار أنت ملبوس عليك ، إن الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال ، وبإعمال الظن ، إعرف الحق تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف أهله .

قالوا : وزحف علي بن أبي طالب بالناس غداة يوم الجمعة لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، وعلى ميمنته مالك بن الحارث الأشتر النخعي ، وعلى ميسرته عمار بن ياسر العنسي وعلى الرجال أبو قتادة النعمان بن ربعي الأنصاري ، وأعطى رايته ابنه محمداً ـ وهو ابن الحنفية ـ ثم واقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر ، يدعوهم ويناشدهم ويقول لعائشة : إن الله أمرك أن تقري في بيتك فاتقي الله وارجعي ، ويقول لطلحة والزبير : خبأتما نساءكما وأبرزتما زوجة رسول الله ﷺ واستفززتماها ؟! فيقولان : إنما جئنا للطَلَب بدم عثمان ، وأن ترد الأمر شورى .

وكان ميمنة أصحاب الجمل الأزد؛ وعليهم صبرة بن شيمان، وعلى ميسرتهم تميم وضبة والرباب ، وعليهم هلال بن وكيع بن بشر بن عمرو بن عُدس .

---

١ ـ حضن : جبل بنجد (من هامش الأصل) .

وأتي بالجمل فأبرز وعليه عائشة في هودجها وقد ألبست درعا ، وضربت على هودجها صفائح الحديد . ويقال : إن الهودج ألبس دروعاً . فخطبت عائشة الناس فقالت : إنا كنا نقمنا على عثمان رحمه الله ضرب السيوط ، وإمرة بني أمية وموقع السحابة المحماة ، وانكم استعتبتموه فأعتبكم من ذلك كله ، فلما مصتموه كما يماص الثوب الرحيض عدوتم عليه فركبتم منه الفقر الثلاث[1]: سفك الدم الحرام في البلد الحرام في الشهر الحرام ، وأيم الله لقد كان من أحصنكم فرجا وأتقاكم لله .

وحدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، والحسين بن علي بن الأسود ، قالا : حدثنا أبو اسامة حماد بن أسامة ، حدّثنا مسعر بن كدام ، عن عبد الملك بن عمير :

عن موسى بن طلحة ، قال : خطبت عائشة فقالت : اسمعوا نحاجّكم عمّا جئنا له : إنا عتبنا - أو نقمنا - على عثمان في ثلاث : امرة الفتى ، وموقع الغمامة ، وضرب السيوط والعصا ، حتى اذا مصتموه كما يماصّ الثوب الصابون عدوتم عليه الفقر الثلاث : حرمة البلد ، وحرمة الخلافة ، وحرمة الشهر الحرام ، وان كان عثمان لمن أحصنهم فرجاً وأوصلهم للرحم .

وقال أبو مخنف وغيره : وأمر علي أصحابه أن لا يقاتلوا حتى يُبدأوا ، وأن لا يجهزوا على جريح ولا يمثلوا ولا يدخلوا داراً بغير اذن ، ولا يشتموا أحداً ، ولا يهيِّجوا امرأة ، ولا يأخذوا إلّا ما في عسكرهم .

ثم زحف الناس ودنا بعضهم من بعض . وأمر عليّ رجلاً من عبد

١ - في هامش الأصل : الموص الغسل ، والفقر : الدواهي .

القيس أن يرفع مصحفاً ، فرفعه وقام بين الصفين فقال : ادعوكم إلى ما فيه ، أدعوكم الى ترك التفرق ، وذكر نعمة الله عليكم في الألفة والجماعة ، فرمي بالنبل حتى مات ، ويقال : بل قطعت يده اليمنى فأخذ المصحف بيده اليسرى فقطعت ، فأخذه بأسنانه فرمي حتى قتل ، فقال علي : هذا وقت الضراب .

وقال بعضهم : قطعت يده فأخذ المصحف بأسنانه وهو يقاتل باليد الباقية ، فرمي حتى قتل ، فقال عليّ : الآن طاب الضراب .

وأخذ المصحف بعد قتل هذا الرجل رحمه الله رجل من بني تميم يقال له : مسلم فدعاهم الى ما فيه فقتل فقالت أمه :

يــارب إن مسلماً دعــاهم   يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فرملّوه رمّلت لحاهم

قالوا : وسمع علي أصوات أصحاب الجمل وقد علت فقال : ما يقولون ؟ قالوا : يدعون على قتلة عثمان ويلعنونهم . قال : نعم فلعن الله قتلة عثمان ، فو الله ما قتله غيرهم وما يلعنون إلاّ أنفسهم ، ولا يدعون إلاّ عليها .

ثم قال عليّ لابن الحنفية ـ ومعه الراية ـ: أقدم ، فزحف برايته نحو الجمل ، وأمر على الأشتر أن يحمل فحمل وحمل الناس ، فقتل هلال بن وكيع التميمي واشتدّ القتال ، فضرب مخنف بن سليم على رأسه فسقط ، وأخذ الراية منه الصقعب بن سليم أخوه فقتل ، ثم أخذها عبد الله بن سليم فقتل .

ثم أمر علي محمد بن الحنفية أن يحمل فحمل وحمل الناس فانهزم أهل

البصرة ؛ وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وذلك عند المساء ، فكانت الحرب من الظهر إلى غروب الشمس .

وكان كعب بن سور ممسكاً بزمام الجمل ؛ فأتاه سهم فقتله ، وتعاور الناس زمام الجمل فجعل كلما أخذه أحدهم قتل ، واقتتل الناس حوله قتالاً شديداً .

وسمعت عبد الأعلى النرسي يقول : بلغني انه قطعت عليه سبعون يداً .

وروي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنّه كان يقول : قتل ممن أخذ بزمام الجمل سبعون .

وقال أبو مخنف وعوانة : أقبل رجل من بني ضبّة ومعه سيف وهو يخطر ويقول :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل والموت أحلى عندنا من العسل
ننعي ابن عفان بأطراف الأسل ردّوا علينا شيخنا ثم بَجل[1]

وجعل هانىء بن خطاب الهمداني يقول :

أبت سيوف مذحج وهمدان بأن تردّ نعثلاً كما كان
خلقاً جديداً بعد خلق الرحمن

وحدثني خلف بن سالم ، وأحمد بن إبراهيم ، قالا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه عن ابن عون :

عن أبي رجاء العطاردي قال : رأيت ابن يثربي يرتجز ويقول :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننزل بالموت إذا الموت نزل

١ - بجل : أي حسبك حيث انتهيت . القاموس .

والقتل أحلى عندنا من العسل   ننعي ابن عفان بأطراف الأسل
ردّوا علينا شيخنا ثم بجل

وقال أبو مخنف وغيره : واقتتل مالك الأشتر وعبد الله بن الزبير ، فاختلفا ضربتين ثم تعانقا حتى خرّا إلى الأرض يعتركان ؛ فحجز بينهما أصحابهما وكان عبد الله بن الزبير يقول حين اعتنقا : اقتلوني ومالكاً . وكان الأشتر يقول : اقتلوني وعبد الله . فيقال : إن ابن الزبير لو قال : اقتلوني والأشتر . وإن الأشتر لو قال : اقتلوني وابن الزبير . لقتلا جميعاً . وكان الأشتر يقول ما سرّني بإمساكه عن أن يقول الأشتر حمر النعم وسودها .

وقيل لعائشة : هذا الأشتر يعارك عبد الله ، فقالت : واثكل أسماء ، ووهبت لمن بشّرها بسلامته مالاً .

وروي عن عاصم بن كليب أن المعانق للأشتر عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ؛ فجعل يقول : اقتلوني ومالكا ، وجعل الأشتر يقول : اقتلوني وابن عتاب . والأول أشهر .

وحدثتُ عن أبي بكر بن عياش ، عن مغيرة عن إبراهيم بن علقمة انه قال : سألت الأشتر فقلت : أنت عاركت ابن الزبير؟ فقال : والله ما وثقت بقوتي حتى قمت له في الركابين ثم ضربته ، وكيف أصارعه ؟ إنما ذلك عبد الرحمن بن عتاب .

وحدثني روح بن عبد المؤمن، عن أبي عبيدة، عن أبي عمرو بن العلاء قال:

أخذ ابن الزبير بزمام الجمل فقالت عائشة: من أنت؟ قال: ابن أختك. قالت: واثكل أسماء، أقسمت عليك لما تنحيّت ففعل فأخذه بعض

بني ضبّة فقتل.

قالوا: وجاء محمد بن طلحة بن عبيد الله، وكان يدعى السجّاد فأخذ بزمام الجمل فحمل عليه رجل فقتله، فيقال: انه من أزد الكوفة يقال له: مكيسر. ويقال: بل حمل معاوية بن شداد العبسي. ويقال إن الذي حمل عليه عصام بن المقشعر النصري حمل عليه بالرمح فقال محمد: أذكرك «حميم» فطعنه برمحه فقتله وقال في ذلك:

وأشعث قوّام طويل سهاده ... قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه ... فخرّ صريعاً لليدين وللفم
يناشدني حميم والرمح دونه[1] ... فهلا تلاحميم قبل التّقدم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً ... علياً ومن لايتبع الحق يظلم

قالوا: وجعل بعض بني ضبة يقول:

نحن بنو ضبة لانفرُ ... حتى نرى جماجماً تخرّ
صبراً فما يصبر إلا الحرّ

وقتل عمرو بن يثربي الضبّي ثلاثة من أصحاب علي: زيد بن صوحان العبدي ويكنى أبا عائشة، وعلباء بن الهيثم السدوسي من ربيعة، وهند بن عمرو بن جدارة الجملي من مراد، وهو الذي يقول:

إني لمن أنكرني ابن يثربي ... قاتل علباء وهند الجملي
ثم ابن صوحان على دين علي

وكان هند الجملي يقول وهو يقاتل حتى قتل:

أضربهم جهدي بحد المنصل ... والموت دون الجمل المجلل

١ - في هامش الأصل: ويروى «حميم والرمح شاجر».

إن تحملوا قدماً علي أحمل

وقتل يومئذ ثمامة بن المثنى بن حارثة الشيباني فقال الأعور الشني:

ما قاتل الله أقواماً هم قتلوا يوم الخريبة علباءً وحسّانا
وابن المثنى أصاب السيف مقتله وخير قرائهم زيد بن صوحانا

وكانت وقعة الجمل بالخريبة، وحسان الذي ذكره: حسّان بن محدوج بن بشر بن خوْط، كان معه لواء بكر بن وائل، فقتل فأخذه أخوه حذيفة بن محدوج فأصيب، ثم أخذه بعده عدة من الحوطيين فقتلوا حتى تحاموه.

وبعضهم ينشد: «علباءً وسيحاناً» يعني سيحان بن صوحان.

حدثني الواقدي، عن هشام بن بهرام، حدثنا وكيع، عن سفيان عن مُخّول بن راشد، عن العيزار بن حريث قال:

قال زيد بن صوحان يوم الجمل: لاتغسلوا عني دماً ولاتنزعوا عني ثوباً، وانزعوا الخفين وأرمسوني في الأرض رمساً فإني محاج أحاج.

وقاتل طلحة بن عبيد الله يومئذ قتالاً شديداً، فشدّ عليه جندب بن عبد الله الأزدي فلما أمكنه أن يطعنه تركه كراهة لأن يقتله.

وقال الهيثم بن عدي: جعل جندب بن زهير يرتجز يومئذ ويقول:

يـا أمّنـا أعق أمٍّ تـعلم والأم تغذو ولدهـا وترحم

وجعل أيضاً يرتجز ـ أو غيره ـ ويقول:

قلنا لها وهي على مهواة إن لـنـا سـواك أمهـات
في مسجد الرسول ثاويات

وشد رجل من الأزد على ابن الحنفية وهو يقول: يامعشر الأزد كروا.

فضربه ابن الحنفية فقطع يده وقال: يامعشر الأزد: فروا.

حدثني عمرو بن محمد الناقد، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا أبو نعامة العدوي عن شيخ منهم قال:

أخذ رجل منّا بخطام الجمل وهو يقول:

نحن عــدي نبتغي عليـاً نحمــل مـاديـاً[1] ومشرفيـاً
وبـيـضـة وحـلقـاً مـلويـاً نقتـل من يخالف الـوصيـا

١ ـ المادي: الرمح، سمي بذلك لأنه يميد، أي يتحرك ويضطرب.

مقتل طلحة بن عبيد الله

قالوا: أحيط بطلحة عند المساء ومعه مروان بن الحكم يقاتل فيمن يقاتل، فلما رأى مروان الناس منهزمين قال: والله لاأطلب ثاري بعثمان بعد اليوم أبداً، فانتحى لطلحة بسهم فأصاب ساقه فأثخنه والتفت إلى أبان بن عثمان فقال له: قد كفيتك أحد قتلة أبيك. وجاء مولى لطلحة ببغلة له فركبها وجعل يقول لمولاه: أما من موضع نزول؟ فيقول: لا قد رهقك القوم. فيقول: مارأيت مصرع شيخ أضيع، مارأيت مقتل شيخ أضيع، اللهم أعط عثمان مني حتى يرضى. وأدخل داراً من دور بني سعد بالبصرة فمات فيها.

حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، حدثنا وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن حازم قال:

قال مروان يوم الجمل: لاأطلب بثاري بعد اليوم، فرمى طلحة بسهم فأصاب ركبته فكان الدم يسيل فإذا أمسكوا ركبته انتفخت فقال: دعوه فإنما هو سهم أرسله الله، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى.

حدثني عمرو بن محمد الناقد، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، قالا: حدثنا أبو أسامة، عن إسماعيل:

عن قيس قال: رمى مروان طلحة يوم الجمل في ركبته فمات فدفنوه على شاطىء الكلاء[1] فرأى بعض أهله أنّه قال: ألا تريحوني من هذا الماء فإني قد غرقت. فنبشوه فإذا قبره أخضر كأنه السلق فنزفوا عنه الماء ثم استخرجوه واشتروا له داراً بعشرة آلاف درهم ودفنوه فيها.

وحدثني خلف بن هشام البزار، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة:

عن الحسن قال: أصيبت ثغرة نحر طلحة يوم الجمل بسهم فجعل يقول: مارأيت مصرع شيخ أضيع، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى.

وقال أبو مخنف وعوانة وغيرهما: قتل مجاشع بن مسعود السلمي مع عائشة أصابه سهم.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا وهب، حدثني أبو بكر بن الفضل عن أبيه:

أن راية العتيك كانت يوم الجمل مع عمرو بن الأشرف فقتل يومئذ وعشرة من بيته.

وقال هشام بن الكلبي: التقى الحارث بن زهير بن عبد الشارق بن لعط بن مظة الغامدي وهو من أصحاب علي، وعمرو بن الأشرف العتكي فقتل كل واحد منهما صاحبه.

قالوا: فمال الناس بعد مقتل طلحة إلى عائشة فاقتتلوا حول الجمل، فكان أول من أخذ زمامه زفر بن الحارث الكلابي أخذه وجعل يقول:

يــاأمنــا عــائش لاتــراعي كــل بنيـك بــطل شجـاع

١ ـ الكلاء: اسم محلة مشهورة وسوق بالبصرة. معجم البلدان.

واشتدّ القتال فقتل من الأزد ألفان وخمسمائة واثنان وخمسون رجلاً، ومن بكر بن وائل ثمانمائة، ومن ضبة خمسمائة، ومن بني تميم سبعمائة.

ولما رأى عليّ أن القتال حول الجمل قد اشتدّ قال: اعقروا الجمل. فشدّ نحوه عدي بن حاتم الطائي أبو طريف، ومالك الأشتر، وعمار بن ياسر والمثنى بن مخرّبة العبدي - من شيعة علي بن أبي طالب من أهل البصرة - وعمرو بن دُلجة الضبي من أهل الكوفة، وأبو حية بن غزية الأنصاري، وقال بعض العبديين:

نحن ضربنا ساقه فانخزلا وضربة بالعنق كانت فيصلا
لو لم تكوني للنبي ثقلا وحرمة لاقيت أمراً معضلا

وقال هشام بن الكلبي عن أبيه: الذي عرقب جمل عائشة المسلم بن معدان من ولد شَزَن بن نُكرة بن لُكيز بن أفصى.

قالوا: وجاء أعين بن ضبيعة - أبو النوار امرأة الفرزدق - إلى الهودج وكأنه فرخ مقصب مما فيه من النبل فاطلع فيه فقال: والله ما أرى إلا حميراء. فقالت: هتك الله سترك وأبدى عورتك وقطع يدك.

وانتهى عليّ إلى الهودج فضربه برمحه وقال: كيف رأيت صنيع الله بك يا أخت إرم؟ فقالت: ملكت فأسجح. ثم قال لمحمد بن أبي بكر: انطلق بأختك فأدخلها البصرة. فأنزلها محمد في دار صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي العبدريّ وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف الخزاعي، فمكثت بها أياماً، ثم أمرها علي بالرحلة فأستأجلته أياماً فأجلّها، فلما انقضى الأجل أزعجها فخرجت إلى المدينة في نساء من أهل البصرة ورجال من قبله حتى نزلت المدينة، وكانت تقول إذا ذكرت يوم

الجمل : وددت أني متّ قبله بكذا وكذا عاماً .

وحدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة ، وابن الدورقي ؛ قالا : حدثنا وهب بن جرير بن أسماء ، عن عبد الملك بن حسّان العنبري قال :

لقد شكت السهام الهودج حتى كأنه جناح نسر ، وفقد علي طلحة والزبير ، فقال : ما أراه يقاتلكم غير هذا الهودج . فكشف عمار عرقوب الجمل ، فقال علي لمحمد بن أبي بكر : أدخل رأسك وانظر أحيّة هي ؟ وهل أصابها شيء ؟ ففعل ثم أخرج رأسه فقال : خموش في عضدها أو قال في جسدها .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو النضر ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، عن عمرو بن سعيد ، حدثني سعيد بن عمرو :

عن ابن حاطب قال : أقبلت مع علي يوم الجمل إلى الهودج وكأنه شوك قنفذ من النبل ، فضرب الهودج ؛ ثم قال : إن حميراء إرم هذه أرادت أن تقتلني كما قتلت عثمان بن عفان . فقال لها أخوها محمد : هل أصابك شيء ؟ فقالت : مشقص في عضدي . فأدخل رأسه ثم جرها إليه فأخرجه .

وحدثني خلف بن سالم وأبو خيثمة ، قالا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن يونس بن يزيد الايلي :

عن الزهري قال : احتمل محمد بن أبي بكر عائشة ؛ فضرب عليها فسطاطا ، فوقف علي عليها فقال : استفززت الناس وقد فزوا حتى قتل بعضهم بعضاً بتأليبك . فقالت : يابن أبي طالب ملكت فأسجح . فسرحها إلى المدينة في جماعة من رجال ونساء ، وجهزها بإثني عشر ألفا .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن خالد بن سعيد عن أبيه :

عن محمد بن حاطب الجمحي ـ وكان قد شهد الجمل مع عليّ ـ قال : قال لي علي : يابن حاطب هل في قومك جِراح ؟ قلت : أي والله . قال : مرهم بالسمن فإني لم أر علولاً مثل السمن للجرح .

مقتل الزبير بن العوام

حدثني بكر بن الهيثم ، عن عبد الرزاق ، عن معمر :
عن قتادة قال : رأت امرأة من أهل البصرة علياً فقالت : كأنّه قد كسر ثم جبر ، ورأت طلحة فقالت : كأن وجهه دينار هرقلي ، ورأت الزبير فقالت : كأنّه أرقم يتلمّظ .

فلما تواقفوا قال عليّ لطلحة : خبأت عرسك في خدرها وجئت بعرس رسول الله ﷺ تقاتل بها ، ويحك أما بايعتني ؟ قال: بايعتك والسيف على عنقي .

ثم قال: يا زبير قف بنا حجزة فتواقفا حتّى اختلفت أعناق فرسيهما فقال: ويحك يا زبير أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لي : أما إن ابن عمتك هذا سيبغي عليك ويريد قتالك ظالما ؟ قال : اللهم بلى . فخرج من العسكر متوجهاً إلى المدينة فقتله ابن جرموز بوادي السباع[1] .

حدثني إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا رفاعة بن أياس أبو العلاء الضبي ، حدثنا أبي عن أبيه .

١ ـ بين البصرة ومكة ، وبينه وبين البصرة خمسة أميال . معجم البلدان .

أن علياً دعا الزبير فقال له : أنت آمن ابرز إليّ أكلمك ، فبرز له بين الصفّين حتى اختلفت أعناق دابتيهما ، فقال : يا زبير أنشدك الله أخرج نبي الله يمشي ، وخرجنا معه فقال لك : يا زبير تقاتله ظالماً وضرب كتفك ؟! فقال : اللّهم نعم ، قال : أفجئت تقاتلني ؟ فرجع عن قتاله وسار من البصرة ليلة فنزل ماءً لبني مجاشع فلقيه رجل من بني تميم يقال له : ابن جرموز فقتله وجاء بسيفه إلى علي فقال : بشر قاتل ابن صفية بالنار .

حدثنا أبو بكر الأعين ، حدثنا الحسن بن موسى الأشيب ، عن ثابت بن يزيد ، عن رجل ، عن عِكرمة :

عن ابن عباس انه أتى الزبير فقال له يا بن صفية بنت عبد المطلب ، أتقاتل عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب ؟ فرجع الزبير ، فقتله ابن جرموز .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عمرو بن عاصم أنبأنا المبارك بن فضالة :

عن الحسن أن رجلاً قام إلى الزبير فقال : أأقتل علياً ؟ قال : كيف تقتله ومعه الجنود والناس ؟ قال : أكون معه ثم أفتك به . فقال الزبير : لا ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الايمان قَيَّدَ الفتك، فلا يفتك مؤمن» .

وقال أبو مخنف وغيره : مضى الزبير حين هزم الناس ؛ يريد المدينة حتى مرّ بالأحنف أو قريباً منه ، فقال الأحنف ـ رافعاً صوته ـ : ما أصنع إن كان الزبير ؛ لفّ بين غارين من المسلمين فضرب أحدهما بالآخر ، ثم يريد اللحاق بقومه . فأتبعه عمرو بن جرموز ، وفضيل بن عابس ونفيل بن

حابس من بني تميم فركضوا أفراسهم في إثره ، وقد كان النعر بن زمام المجاشعي لقيه فأجاره ؛ وأجاره أيضاً رجل من بني سعد يكنى أبا المضرحي ، فلما لحقه ابن جرموز وصاحباه خرجا هاربين ، فقال لهما الزبير : إلى أين ؟إليّ إنما هم ثلاثة ونحن ثلاثة ، فأسلماه ولحقه القوم فعطف عليهم فحمل عليه ابن جرموز ، فنصب له الزبير فانصرف عنه ، وحمل عليه الإثنان من ورائه فالتفت إليهما وحمل عليه ابن جرموز فطعنه فوقع فاعتوروه فقتلوه .

واحتز ابن جرموز رأسه فجاء به إلى الأحنف ، ثم أتاه علياً فقال : قولوا لأمير المؤمنين : قاتل الزبير بالباب . فقال : بشروا قاتل ابن صفية بالنار . وأمر عليّ برأسه فحمل إلى وادي السباع فدفن مع بدنه ، وجاءه ابن جرموز بسيفه فقال عليّ : سيف طال ما جُلي به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ، ولكنه الحين ومصارع السوء . ثم أقبل علي وولده يبكون فقال ابن جرموز : ظننت أني قتلت عدواً له ، ولم أظنّ أنيّ قتلت له ولياً وحمياً .

المدائني في اسناد له : ان مصعب بن الزبير دعا الناس إلى العطاء فقال مناديه : أين ابن جرموز ؟ فقيل : إنه ساح في الأرض فقال : أظنّ أني قاتله بأبي عبد الله ، ليظهر آمناً وليأخذ عطاءه سالماً .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن وهب بن جرير بن حازم عن يونس بن يزيد ، عن الزهري قال :

لما وقف عليّ وأصحاب الجمل ؛ خرج عليّ على فرسه فدعا الزبير فتواقفا فقال له علي : ما جاء بك ؟ قال : جاء بي أني لا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا . فقال علي : لست أهلاً لها بعد عثمان ؟ قد كنا نعدّك من بني عبد المطلب حتى نشأ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وبينك، وعظم عليه أشياء

وذكر أن النبي ﷺ مر عليهما فقال لعلي : ما يقول ابن عمتك ؟ ليقاتلنك وهو لك ظالم . فانصرف عنه الزبير وقال : فإني لا أقاتلك . ورجع إلى ابنه عبد الله بن الزبير فقال : مالي في هذه الحرب بصيرة ، فقال : لا ولكنك جبنت عن لقاء علي حين رأيت راياته فعرفت أن تحتها الموت ، قال : فاني قد حَلَفْتُ أن لا أقاتله قال : فكفر عن يمينك بعتق غلامك سرجس . فأعتقه وقام في الصف معهم .

وحدثني عمرو بن محمد ، والحسين بن علي بن الأسود ، قالا : حدثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأنا فضيل بن مرزوق ، عن شقيق بن عقبة ، عن قرّة بن الحارث :

عن جون بن قتادة قال قرة بن الحارث : كنت مع الأحنف ، وكان جون بن قتادة ابن عمي مع الزبير بن العوام فحدثني جون قال : إني لمع الزبير حتى جاءه فارس وكانوا يسلمون على الزبير بالإمرة ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ، هؤلاء القوم قد أتوا إلى مكان كذا فلم أر قوماً أرث سلاحاً ولا أقل عدّة ولا أرعب قلوباً منهم ، ثم انصرف وجاء فارس آخر فقال : سلام عليك أيها الأمير . قال : وعليك . قال : جاء القوم إلى مكان كذا فسمعوا بما جمع الله لكم من العدد والعدّة ؛ فقذف الله في قلوبهم الرعب فولوا مدبرين . فقال الزبير : ايها عنك الآن فو الله لو لم يجد ابن أبي طالب إلا العرفج لدب إلينا فيه . قال : ثم انصرف فجاء فارس فسلم بالإمرة ثم قال : هؤلاء القوم قد أتوك وقد لقيت عماراً فقلت له وقال لي . فقال الزبير : إنه ليس فيهم ، قال : بلى والله إنه لفيهم ، قال : فلما رأى ان الرجل ثابت على قول لا يخالفه قال لبعض أهله : اركب معه فانظر أحقّ ما يقول ؟

فانطلقا ثم رجعا ؛ فقال الزبير لصاحبه : ما عندك ؟ قال : صدقك الرجل فقال الزبير : يا جدع أنفاه يا قطع ظهراه . ثم أخذه أفكل[1] حتى جعل السلاح ينتقض عليه ، فقال جون : ثكلتني أميّ أهذا الذي كنت أريد أن أموت أو أعيش معه ، والذي نفسي بيده ما هذا إلا لأمر سمعه وهو فارس رسول الله ﷺ فلما تشاغل الناس انصرف فجلس على دابته ثم ذهب ، قال : ثم انصرف جون فجلس على دابته فلحق بالأحنف ، قال : ثم جاء فارسان إلى الأحنف فاكبّا عليه يناجيانه فرفع الأحنف رأسه فقال : يا عمرو بن جرموز يا فلان . فأتياه فأكبّا عليه فناجاهما ساعة ثم انصرفا ، ثم جاء عمرو بن جرموز إلى الأحنف فقال : أدركته في وادي السباع فقتلته . فكان قرة بن الحارث يقول : والذي نفسي بيده إن صاحب الزبير إلا الأحنف .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن عبيد الله بن موسى بمثله .

حدثنا خلف بن سالم ، حدثنا وهب بن جرير ، عن جويرية ، عن يحيى بن سعيد قال : كتب معاوية إلى الزبير : أن أقبل إليّ أبايعك ومن يحضرني . فكتم ذلك طلحة وعائشة ، ثم بلغهما فكبر ذلك عليهما ، وأخبرت عائشة به ابن الزبير ، فقال لأبيه ، أتريد أن تلحق بمعاوية ؟ فقال : نعم ولم لا أفعل وابن الحضرمية ينازعني في الأمر ؟! ثم بدا له في ذلك ، وأحسبه كان حلف ليفعلنّ ، فدعا غلاماً له فأعتقه ، وعاد إلى الحرب .

وحدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا أبو حكيم الصنعاني ، عن معمر عن قتادة ، قال :

---

١ ـ أي أخذه ارتعاد وارتعاش .

لما اقتتلوا يوم الجمل كانت الدبرة على أصحاب الجمل ؛ فأفضى عليّ إلى الناحية التي فيها الزبير ، فلما واجهه قال له : يا أبا عبد الله أتقاتلني بعد بيعتي ، وما سمعت من رسول الله ﷺ في قتالك لي ظالماً ؟ فاستحيا وانسلّ على فرسه منصرفاً إلى المدينة فلما صار بسفوان ، لقيه رجل من مجاشع يقال له : النعر بن زمام فقال له : أجرني . قال النعر : أنت في جواري يا حواري رسول الله . فقال الأحنف : واعجبا الزبير لف بين غارين من المسلمين ثم قد نجا بنفسه وهو الآن يريد أهله ، فأتبعه ابن جرموز وأصحابه وهو يقول : أذكركم الله ان يفوتكم . فشدوا عليه فقتلوه ، وأتى ابن جرموز علياً برأسه فأمر أن يدفن مع جسده بوادي السباع .

المدائني ، عن عامر بن أبي محمد ، وسعيد بن عبد الرحمن السّلمي عن أبيه :

أن الزبير بن العوام قال حين طعنه ابن جرموز : ما له قاتله الله يذكر بالله وينساه ، ثمّ قال الزبير :

ولقد علمت لو انّ علمي نافعي   أن الحياة من الممات قريب

قال : وقال طلحة يوم الجمل :

صرف الزبير جواده   اما لتدركه وفاته

وحدثني خلف بن سالم ، وأحمد الدورقي ، انبأنا وهب بن جرير :

عن جويرية بن أسماء قال : بلغني أن الزبير حيث ولّى ولم يكن بسط يده بسيف اعترضه عمار بن ياسر بالرّمح وقال : إلى اين تريد يا أبا عبد الله ، والله ما أنت بجبان ولكني أحسبك شككت . قال : هو ذلك ، ومضى حتى نزل بوادي السباع فقتله ابن جرموز .

حدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن لوط بن يحيى في إسناده قال :

لما قتل الزبير ؛ قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ـ وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر فخلف عليها عمر بن الخطاب ، ثم الزبير ـ :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبّهته لوجدته لا طائشاً رعش اللسان ولا اليد
هبلتك أمك أن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعَمِّدِ

وقال جرير بن عطية بن الخطفي :

إن الرزية من تضمن قبره وادي السباع لكلّ جنب مصرع
لما أتى خبر الزبير تضعضعت سور المدينة والجبال الخشع[1]

وقال سحيم بن وثيل اليربوعي :

لحا الله جيران الزبير مجاشعا على سفوان ما أدق وأخورا

وقال جرير :

لو كنت حرّا يا بن قين مجاشع شيّعت ضيفك فرسخا أو ميلا
قتل الزبير وأنتم جيرانه غيّاً لمن قتل الزبير طويلا[2]

المدائني عن أبي بكر الهذلي ، عن الحسن قال : قال خطيبهم يوم الجمل : كان عثمان يلبس خفين ساذجين .

المدائني عن رجل عن الحسن قال : باع طلحة أرضاً من عثمان بسبع مائة ألف فحملها إليه فقال : إن رجلاً تبيت هذه عنده ولا يدري ما يطرقه

---

١ ـ ديوان جرير ـ ط . صادر بيروت ص ٢٧٠ .
٢ ـ ديوان جرير ص ٣٦٥ مع فوارق .

من أمر الله لغرير بالله . فبات ورسله يفرقونها ويختلفون في سكك المدينة ، حتى أصبح وما عنده درهم منها ، ثم جاء ها هنا يطلب الصفراء والبيضاء .

وقال الهيثم بن عدي : كان عدي بن حاتم الطائي يقول : والله لاحبقت في قتل عثمان عناق أبداً[1] فلما كان يوم الجمل قتل ابنه طريف ـ وبه كان يكنى ـ وفقئت عينه وجرح فقيل له : يا أبا طريف هل حبقت في عثمان عناق ؟ قال : إي والله والتيس الأعظم .

وحدثني حفص بن عمر ، عن الهيثم قال :

مرّ عليّ على عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص ـ وهو صريع يوم الجمل في جماعة من قريش صرعى ـ فقال : يا حسن هذا يعسوب قريش ، جدعت أنفي وشفيت نفسي وأدركت ثأري وأفلتتني الأعيار من بني جمح .

يعني ناساً منهم كان يأتيه عنهم الأذى .

حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان بن عيينه ، أنبأنا عاصم بن كليب الجرمي ، عن أبيه أن علياً لم يخمّس أهل الجمل .

حدثني عمرو بن محمد ، وبكر بن الهيثم قالا : حدثنا أبو نعيم حدثنا فطر بن خليفة ، عن منذر الثوري :

عن ابن الحنفية أنّ علياً لما نزل بذي قار بعث الحسن وعماراً فاستنفرا أهل الكوفة ؛ فنفر معهما تسعة آلاف وكنّا عشرة آلاف إلاّ مائة ، ولحقنا من أهل البصرة من عبد القيس قريب من ألفين فكنّا إثني عشر ألفاً إلا مائة ، فرأى منّي نكوصاً ، فلما دنا بعض الناس من بعض أخذ الراية منّي فقاتل

١ ـ أي لم يكن قتله ليساوي شيئاً . فحبقت : ضرطت ، والعناق : انثى الماعز .

بها ، فلما هزموا قال : لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً ، ومن أغلق بابه فهو آمن . وقسم بينهم ما قوتل به من سلاح وكراع .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم ، عن أبي نعيم ، عن قيس بن عاصم عن زِرّ وشقيق قالا :

قسم عليّ يوم الجمل ما تقوّوا عليه به من سلاح وكراع .

عباس بن هشام ، عن أبيه عن جده عن أبي صالح :

عن ابن عباس أن علياً أخذ يوم الجمل مروان بن الحكم وموسى بن طلحة فأرسلهما .

حدثني محمد بن سعد ، عن أنس بن عياض ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جده علي بن الحسين .

ان مروان بن الحكم حدثه ـ وهو أمير على المدينة ـ قال : لما تواقفنا يوم الجمل لم يلبث أهل البصرة أن انهزموا فقام صائح لعليّ فقال : لا يقتل مدبر ، ولا يدفف على جريح ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن طرح السلاح فهو آمن .

قال : فدخلت داراً ثم أرسلت إلى حسن وحسين وابن جعفر وابن عباس فكلموه فقال : هو آمن فليتوجه حيث ما شاء . فقلت : لا تطيب نفسي حتى أبايعه ، قال : فبايعته ثم قال : اذهب حيث شئت .

حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا روح بن عبادة قال :

بلغني أن مروان صار يوم الجمل إلى قوم من ربيعة .

وقال أبو مخنف في اسناده : ارتث مروان يوم الجمل فصار إلى قوم من عنزة ، وبعث إلى مالك بن مسمع يستجيره فأشار عليه أخوه مقاتل أن يفعل

فأجاره ، وسأل علياً له الأمان فآمنه ، وعرض عليه أن يبايعه حين بايعه الناس بالبصرة ؛ فأبى وقال : ألم تؤمني ؟ قال : بلى . قال : فإني لا أبايعك حتى تكرهني . قال علي : فإني لا أكرهك ، فوالله أن لو بايعتني بأُسْتِك لغدرت .

ثم إنه مضى إلى معاوية .

وصار ابن الزبير إلى دار رجل من الأزد ، وبعث بالأزدي إلى عائشة ليعلمها مكانه ، فبعثت إليه محمد بن أبي بكر ؛ فجاءها به وقد تغالظا في الطريق .

وصار إليها أيضاً عتبة بن أبي سفيان بعد أن أجاره عصمة بن الزبير[1] فبلغ علياً مكانهما عند عائشة فسكت ولم يعرض لهما .

قالوا : وقام علي حين ظهر وظفر خطيباً فقال :

يا أهل البصرة قد عفوت عنكم فإياكم والفتنة ؛ فإنكم أول الرعية نكث البيعة وشق عصا الأمة . ثم جلس وبايعه الناس وكتب إلى قرظة بن كعب بالفتح ، وجزي أهل الكوفة على نصرة آل نبيهم خيراً .

حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه :

عن محمد بن أبي يعقوب قال : قتل يوم الجمل ألفان وخمس مائة من أهل البصرة ، منهم من الأزد ألف وثلاثمائة وخمسون ، ومن بني ضبّة ثمانمائة ، ومن أفناء الناس ثلاثمائة وخمسون .

وقال أبو مخنف وغيره : قتل مع عائشة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، وعلي بن عدي بن ربيعة بن عبد شمس ، ومسلم بن قرظة من بني

١ - في هامش الأصل ما يفيد في رواية أخرى «أبير» .

نوفل بن عبد مناف ، وعبد الله بن حكيم بن حزام ، ومعبد بن المقداد بن الأسود ، وأمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وهو الذي مرّ به علي فقال : لاجزاك الله من ابن أخت خيراً . في آخرين .

وقال أبو مخنف : قتل يوم الجمل من بني ناجية أربعمائة ، ومن الأزد أربعة آلاف ، ومن بني عدي الرباب سبعون كلهم قد قرأوا القرآن ، ومن بني عقيل سبعون كلهم له ضربان[1] .

وكان جميع من قتل من الناس من أهل البصرة عشرين ألفاً .

حدثني إبراهيم الدورقي ، حدثنا أحمد بن يونس ، عن أبي بكر ، عن صدقة بن سعيد :

عن جميع بن عمير قال : قيل لعائشة : أخرجت على عليّ ؟ فقالت والله لوددت أني افتديت ذلك المسير بما عرض من شيء ، ولكنه قدر .

وحدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ؛ وأحمد بن إبراهيم قالا : حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن النعمان بن راشد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت :

ليتني كنت نسياً منسياً قبل أمر عثمان ؛ فوالله ما أحببت لعثمان شيئاً الا أصيب مني مثله ، حتى لو أحببت أن يقتل لقتلت .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا أبو عامر العقدي عن الأسود بن شيبان :

عن خالد بن سمين أن عائشة قالت : لا تبايعوا الزبير إلا على الإمارة . فقال عبد الله بن الزبير : إنما تريد هذه أن تجعل حارّ أمر الناس

١ ـ أي كل له مثيل . القاموس .

بك ، وبارده لابن عمتها طلحة . قال : ثم كانت تقول : ما أنا وطلحة والزبير وبيعة من بويع وحرب من حورب ، يا ليتني قررت في بيتي ؛ ولكنها بلية جاءت بمقدار .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا يعلى بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد : عن علي بن عمرو الثقفي قال :
قالت عائشة : والله لأن أكون جلست عن مسيري أحب إليّ من أن يكون لي عشرة بنين من رسول الله ﷺ مثل ولد الحارث بن هشام .
حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون ، وروح بن عبد المؤمن ، قالا : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى قال :

حدثني من سمع عائشة تقرأ : ﴿وقرن في بيوتكن﴾[1] فتبكي حتى تبلّ خمارها .

المدائني عن أبي خيران الحماني ، عن عوف الأعرابي :
عن أبي رجاء العطاردي قال : رأيت رجلاً مصطلم الأذن فقلت له : أخلقة أم حادث ؟ قال : بل حادث ، بينا أنا يوم الجمل أجول في القتلى إذ مررت برجل فيهم صريع وهو ينشد :

لقد أوردتنا حومة الموت أمنّا ... فما صدرت إلا ونحن رواء
أطعنا قريشاً ضلة من حلومنا ... ونصرتنا أهل الحجاز عناء
لقد كان عن نصر ابن ضبّة أمّه ... وشيعتها مندوحة ومباء
أطعنا بني تيم بن مرة شقوة ... وما التيم إلا أعبد وإماء

١ - سورة الأحزاب - الآية : ٣٣ .

فقلت: من أنت؟ قال: أدن مني أخبرك. فدنوت منه فأزمّ أذني فقطعها وقال: إذا أتيت أمك فأخبرها أن عمير بن الأهلب فعل هذا بك. ومات.

حدثنا شريح بن يونس، وعمرو بن محمد قالا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن منصور بن عبد الرحمن قال:

قال الشعبي: لم يشهد الجمل من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار غير علي وعمار، وطلحة والزبير، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب.

وحدثنا عباس بن هشام، عن أبيه، عن عدة حدثوه عن الزبير بن مسلم الجعفي، عن الحضين بن المنذر الرقاشي أبي ساسان قال:

اختصمت بكر بن وائل في الراية يوم الجمل فدعاني علي وأنا يومئذ فتى شاب فقال: ياحضين دونك هذه الراية فوالله ماأخفقت قط فيما مضى ولاتخفق، فيما بقي راية هي أهدى منها إلا راية خفقت على رسول الله ﷺ، قال: وفي ذلك يقول الشاعر:

لمن راية سوداء يخفق ظلها … إذا قيل: قدمها حضين تقدما
يقدمها للموت حتى يزيرها … حياض المنايا يقطر الموت والدما
جزى الله قوماً قاتلوا عن إمامهم … لدى الموت قدماً ماأعف وأكرما
وأطيب أخباراً وأكرم شيمة … إذا كان أصوات الرجال تغمغما
ربيعة أعني إنهم أهل نجدة … وبأس إذا لاقوا خميساً عرمرما[1]

وقال الشاعر في يوم الجمل ويقال: هو عثمان بن حنيف:

١ ـ هذه الأبيات من قصيدة للامام علي كرم الله وجهه، انظرها في ديوانه ص٨٦ مع فوارق.

شهـدت الحـروب فشيبنني فلم أر يـومـاًكيـوم الجمـل
أشـد عـلى مؤمن فتنــة وأقبـل منه لخـرق بـطل
فليت الـظعينـة في بيتهـا ويـاليت عسكـر لم يـرتحـل

حدثني شيبان بن فروخ، حدثنا جرير بن حازم، عن أبي سلمة: عن أبي نضرة قال: قال رجل لطلحة والزبير: إن لكما صحبة وفضلا، فأخبراني عن مسيركما هذا وقتالكما أشيء أمر كما به رسول الله ﷺ أم رأي رأيتما؟ فأما طلحة فسكت وأما الزبير فقال: حدثنا ان هاهنا بيضاء وصفراء ـ يعني دراهم ودنانير ـ فجئنا لنأخذ منها.

وحدثت عن زهير بن حرب، عن وهب بن جرير، عن أبيه في هذا الإسناد بمثله.

قالوا: ولما بايع علي أهل البصرة؛ أراد الشخوص إلى الكوفة؛ فاستخلف عبد الله بن العباس على البصرة، وخطب فأمر أهلها بالسمع والطاعة له، وضم إليه زياد بن أبي سفيان كاتباً، وكان يقال له يومئذ: زياد بن عبيد، وسار مع علي وجوه أهل البصرة فشيعوه إلى مَوْقُوع وهو موضع قريب من البصرة، منه يرجع المشيعون ـ ثم رجعوا، ومضى الأحنف بن قيس وشريك بن الأعور إلى الكوفة، ويقال: إنهما لم يبلغاها.

قالوا: وتلقى سليمان بن صُرَد الخزاعي علياً وراء نجران الكوفة[١] فصرف عليّ وجهه عنه حتى دخل الكوفة، وذلك إنه كان ممن تخلف عنه، فلما دخل الكوفة عاتبه وقال له: كنت من أوثق الناس في نفسي. فاعتذر وقال: ياأمير المؤمنين استبق مودتي تخلص لك نصيحتي.

١ ـ موضع على يومين من الكوفة فيما بينها وبين واسط. معجم البلدان.

حدثني أبو زكريا يحيى بن معين، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا أبو عوانة، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن عبيد بن نُضيلة:

عن سليمان بن صُرَد، قال: أتيت علياً حين فرغ من الجمل فقال لي: تربصت وتنأنأت[1] فكيف ترى صنع الله؟ قال: فقلت: الشوط بطين وقد بقي من الأمور ماتعرف به صديقك من عدوك[2].

حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا أبو عوانة، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه عن عبيد بن نضلة:

عن سليمان بن صُرَد، قال: أتيت علياً بعد الجمل فقال: يابن صرد تنأنأت وتربصت وتأخرت فكيف ترى صنع الله: فقد أغنى الله عنك. قلت: إن الشوط بطين ياأمير المؤمنين، وقد بقي من الأمور ماتعرف به صديقك من عدوك، فلما قام قلت للحسن: ماأراك عذرتني عنده وقد كنت حريصا على أن أشهد معه. فقال: يلومك وقد قال يوم الجمل: ياحسن هبلتك أمك؛ ماظنك بأمرىء قد جمع بين هذين الغارين ماأرى أن بعد هذا خيراً. قال: فقلت: أمسك لايسمعك أصحابك فيقولوا: شككت فيقتلوك.

حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن أبي عون، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح قال:

قال سليمان بن صرد للحسن بن علي: اعذرني عند أمير المؤمنين فإنما منعني من الجمل كذا وكذا. فقال الحسن: لقد رأيته - يعني أباه حين اشتد القتال - يقول: لوددت أني متّ قبل هذا بعشرين سنة.

---

١ - التانىء: المقيم الذي لاينفر مع الغزاة. النهاية لابن الاثير.
٢ - أي الزمان طويل يمكن أن يستدرك به مافات. اللسان.

حدثني أبو قلابة الرقاشي، عن مسدد بن مسرهد، عن يحيى بن سعيد القطان، عن شعبة عن أبي عون، عن أبي الضحى عن سليمان بمثله.

المدائني عن عوانة، قال: قال علي: سرت في أهل البصرة سيرة رسول الله ﷺ في أهل مكة.

وقال أبو مخنف: قدم علي من البصرة إلى الكوفة في رجب سنة ست وثلاثين.

وقال غيره: في رمضان سنة ست وثلاثين.

ولما قدمها خطب فقال: إن قوماً تخلفوا عني فأنبّوهم وأسمعوهم المكروه. وسلم عليه قيس بن سعيد الهمداني[1] فقال وعليك وإن كنت من المتربصين. فقال: ياأمير المؤمنين لست من أولئك.

وقال بعضهم: قد كان سعيد بالبصرة. وليس ذلك بثبت.

وحدثني الحرمازي، عن العتبي قال:

قام الحارث بن حوط الليثي إلى علي فقال له: أتراني أظن[2] طلحة والزبير وعائشة اجتمعوا على باطل؟! فقال له علي ياحار إنك ملبوس عليك، إن الحقّ والباطل لايعرفان بأقدار الرجال؛ اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه[3].

١ ـ كذا بالأصلين وفيه تقديم وتأخير صوابه «سعيد بن قيس الهمداني». انظر صفين لنصر بن مزاحم. ط. القاهرة ١٣٦٥ ص١٠.

٢ ـ في هامش الأصل مايفيد في رواية أخرى: «أترى أن طلحة».

٣ ـ في هامش الأصل: آخر المجلد الثامن من الأصل ولله الحمد والصلاة على محمد وآله وجميع أصحابه.

أمر صفين

قالوا: كان جرير بن عبد الله البجلي بهمذان، فلما قدم علي عليه السلام الكوفة عزله عنها ووجهه إلى معاوية يدعوه إلى طاعته، وأن يسلم له الأمر، ويدخل معه فيما دخل فيه أهل الحرمين والمصرين وغيرهم، فأتى جرير معاوية، ودعاه إلى ماأمره عليّ بدعائه إليه، فانتظر معاوية قدوم شرحبيل بن السمط الكندي عليه فقال له جرير: إني قد رأيتك توقفت بين الحق والباطل وقوف رجل ينتظر رأي غيره.

وقدم شرحبيل فقال له معاوية: هذا جرير يدعونا إلى بيعة عليّ. فقام شرحبيل فقال: أنت عامل أمير المؤمنين عثمان، وابن عمّه وأولى الناس بالطلب بدمه وقتل من قتله. ولم ير جرير عند معاوية انقياداً له ولامقاربة لذلك، فانصرف يائساً منه.

فلما قدم جرير على علي رضي الله تعالى عنهما أسمعه مالك بن الحارث ـ الأشتر ـ وقال: أنا أعرف غدراتك وغشّك، وأن عثمان اشترى منك دينك بولاية همذان فخرج جرير فلحق بقرقيسيا[1]، ولحق به قوم من قومه من

١ ـ هي البصيرة (البوسرايا) في سورية حاليا حيث يلتقي الخابور بالفرات.

قَسْر، ولم يشهد صفين من قَسْر غير تسعة عشر رجلاً، وشهدها من أحمس سبعمائة وأتى علي، دار جرير فشعَّث منها وحرق مجلسه حتى قال له أبو زرعة بن عمرو بن جرير أصلحك الله إن في الدار أنصباء لغير جرير. فكف.

وقام أبو مسلم الخولاني ـ واسمه عبد الرحمن[1]. ويقال: عبد الله بن مشكم ـ إلى معاوية فقال له: على ما تقاتل علياًوليس لك مثل سابقته وقرابته وهجرته؟ فقال معاوية: ماأقاتله وأنا ادعي في الإسلام مثل الذي ذكرت أنه له ولكن ليدفع إلينا قتلة عثمان فنقتلهم به، فإن فعل فلاقتال بيننا وبينه، فقد تعلمون أن عثمان قتل مسلماً محرماً. قال: فاكتب إليه كتاباً تسأله فيه أن يسلم قتلة عثمان، فكتب إليه فيما ذكر الكلبي عن أبي مخنف،عن أبي روق الهمداني:

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن أبي سفيان، إلى علي بن أبي طالب.

أما بعد فإن الله اصطفى محمداً بعلمه، وجعله الأمين على وحيه، والرسول إلى خلقه، ثم اجتبى له من المسلمين أعواناً أيّده بهم، فكانوا في المنازل عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، وكان أنصحهم لله ورسوله خليفته ثم خليفة خليفته ثم الخليفة الثالث المقتول ظلماً عثمان، فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت، عرفنا ذلك في نظرك الشزر، وقولك الهجر، وتنفسك الصعداء،وإبطائك عن الخلفاء، في كل ذلك تقاد كما يقاد الجمل

١ - في هامش الأصل مايفيد في رواية أخرى «هرم».

المخشوش[1]، ولم تكن لأحد منهم أشد حسداً منك لابن عمتك، وكان أحقهم أن لاتفعل به ذلك لقرابته وفضله، فقطعت رحمه وقبّحت حسنه، وأظهرت له العداوة، وبطنت له بالغشّ، وألبت الناس عليه حتى ضربت آباط الإبل إليه من كلّ وجه، وقيدت الخيل من كل أفق، وشهر عليه السلاح في حرم رسول الله ﷺ فقتل معك في المحلة وأنت تسمع الهائعة[2]، لاتدرأ عنه بقول ولافعل، ولعمري يابن أبي طالب لو قمت في حقه مقاماً تنهى الناس فيه عنه، وتقبح لهم ماانتهكوا منه ماعدل بك من قبلنا من الناس أحداً، ولمحى ذلك عندهم ماكانوا يعرفونك به من المجانبة له والبغي عليه. وأخرى أنت بها عند أولياء ابن عفان ظنينا إيواؤك قتلته فهم عضدك ويدك وأنصارك، وقد بلغني أنك تتنصّل من دم عثمان، وتتبرأ منه، فإن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلته نقتلهم به، ثم نحن أسرع الناس إليك، وإلا فليس بيننا وبينك إلا السيف، ووالذي لا إله غيره لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال والبر والبحر حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله، والسلام.

فدفع الكتاب إلى أبي مسلم الخولاني وأمره أن يسير به إلى علي، فصار به إلى الكوفة فأوصله إلى علي واجتمع الناس في المسجد، وقرىء عليهم فقالوا: كلنا قتلة عثمان وكلنا كان منكراً لعمله، ولم يجبه عليّ إلى مأأراد، فجعل أبو مسلم يقول: الآن طاب الضراب. وكتب إليه في جواب كتابه:

١ ـ المخشوش: الذي جعل في انفه الخشاش ـ بكسر الخاء ـ وهو عويد يجعل في عظم أنف الجمل يشد به الزمام ليكون سريع الانقياد.
٢ ـ الهائعة: الصيحة والضجة.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين؛ إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد فإنّ أخا خولان قدم عليّ بكتاب منك تذكر فيه محمداً وماأكرمه الله به من الهدى والوحي، فالحمد لله الذي صدق له الوعد، ومكّن له في البلاد، وأظهره على الدين كله، وقمع به أهل العداوة والشنآن من قومه الذين كذبوه وشنّعوا له وظاهروا عليه وعلى إخراج أصحابه، وقلبّوا له الأمور حتى ظهر أمر الله وهم له كارهون، فكان أشد الناس عليه الأدنى فالأدنى من قومه إلا قليلاً ممن عصم الله.

وذكرت ان الله جلّ ثناؤه وتباركت اسماؤه اختار له من المؤمنين أعوانا أيده بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدم[1] فضائلهم في الإسلام، فكان افضلهم خليفته وخليفة خليفته من بعده، ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لرزء جليل وذكرت ان ابن عفان كان في الفضل ثالثاً، فإن يكن عثمان محسناً فسيلقى رباً شكوراً يضاعف الحسنات ويجزي بها، وان يكن مسيئاً فسيلقى رباً غفوراً رحيما لايتعاظمه ذنب أن يغفره؛ وإني لأرجو إذا اعطى الله المؤمنين على قدر اعمالهم أن يكون قسمنا أوفر قسم أهل بيت من المسلمين.

إن الله بعث محمداً ﷺ فدعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له، فكنا أهل البيت أول من آمن وأناب، فمكثنا ومايعبد الله في ربع سكن من أرباعي العرب أحد غيرنا فبغانا قومنا الغوائل وهمّوا بنا الهموم، والحقوا بنا

---

١ ـ في هامش الأصل مايفيد في رواية أخرى «قدر».

الوشائظ[1]، واضطرونا إلى شعب ضيق، وضعوا علينا فيه المراصد، ومنعونا من الطعام والماء العذب، وكتبوا بينهم كتاباً أن لايواكلونا ولايشاربونا ولايبايعونا ولايناكحونا ولايكلمونا أو ندفع إليهم نبينا فيقتلوه أو يمثلوا به، وعزم الله لنا على منعه والذب عنه، وسائر من أسلم من قريش أخلياء مما نحن فيه منهم من حليف ممنوع وذي عشيرة لاتبغيه كما بغانا قومنا، فهم من التلف بمكان نجوة وأمن، فمكثنا بذلك ماشاء الله، ثم أذن الله لرسوله في الهجرة وأمره بقتال المشركين، فكان إذا حضر البأس ودعيت نزال قَدَّمَ أهل بيته فوقى بهم أصحابه، فقتل عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد وجعفر يوم مؤتة، وتعرض من لو شئت ان اسميه سميته لمثل ماتعرضوا له من الشهادة، لكن آجالهم حضرت ومنيّته أخرت.

وذكرت إبطائي عن الخلفاء وحسدي لهم ، فأما الحسد فمعاذ الله ان أكون أسررته أو أعلنته ، وأما الإبطاء فما أعتذر إلى الناس منه ، ولقد أتاني أبوك حين قبض رسول الله ﷺ وبايع الناس أبا بكر ، فقال : أنت أحق الناس بهذا الأمر فأبسط يدك أبايعك . قد علمت ذلك من قول أبيك ، فكنت الذي أبيت ذلك مخافة الفرقة ؛ لقرب عهد الناس بالكفر والجاهلية ، فإن تعرف من حقي ما كان أبوك يعرفه تصب رشدك ، وإلا تفعل فسيغني الله عنك .

وذكرت عثمان وتأليبي الناس عليه ، فإنّ عثمان صنع ما رأيت فركب الناس منه ما قد علمت وأنا من ذلك بمعزل إلا أن تتجنّى فتجنّ ما بدالك .

---

١ ـ وشظ القوم إلينا: لحقوا بنا فصاروا معنا وهم قليل. والوشائظ: الأتباع والخدام والأحلاف ولفيف من الناس ليس أصلهم واحداً. . القاموس.

وذكرت قتلته ـ بزعمك ـ وسألتني دفعهم إليك وما أعرف له قاتلاً بعينه ، وقد ضربت الأمر أنفه وعينيه فلم أره يسعني دفع من قبلي ممن اتهمته وأظننته إليك ، ولئن لم تنزع عن غيك وشقائك ؛ لتعرفنّ الذين تزعم أنهم قتلوه طالبين لا يكلفونك طلبهم في سهل ولا جبل والسلام :

وأنفذ عليّ الكتاب إلى معاوية مع أبي مسلم الخولاني .

وقد قال بعض الرواة : إن أبا هريرة الدوسي كان مع أبي مسلم .

وحدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد بن مسلم :

عن عبد الوارث[1] بن مُحرّر ؛ قال : بلغني أن عمرو بن العاص لما عزله عثمان بن عفان عن مصر ؛ قال له : أبا عبد الله أعلمت أن اللقاح بمصر درت بعدك ألبانها ؟ فقال : لأنكم أعجفتم أولادها . فكان كلاماً غليظاً . فلما تكلم الناس في أمره أتاه فقال : لقد ركبت بالناس النهابير[2] ، فأخلص التوبة وراجع الحق . فقال له : وأنت أيضاً يا بن النويبغة تؤلب عليّ ، لأني عزلتك عن مصر ، لا تريني طلعتك ، فخرج إلى فلسطين فنزل ضيعة له بها يقال لها : عجلان[3] ، وبها له قصر ، فكان يحرض الناس على عثمان حتى الرعاة ، فلما بلغه أنه محصور قال : العير يَضْرط والمكواة في النار . ثم بلغه قتله فقال : أنا أبو عبد الله ؛ إني إذا حككت قرحة أدميتها ـ أو قال : نكأتها ـ ثم دعا ابنيه عبد الله ومحمداً فقال : ما تريان ؟ فقال له

١ ـ عبد الواحد (في هامش الأصل) .

٢ ـ في هامش الأصل : النهابر : المهالك ، قال الأصمعي : النهابر جبال رمال مشرفه واحدها نهبر .

٣ ـ اسمها الآن خربة عجلان تقع إلى الشرق من قرية برير بنحو ثمانية كم ، وتبعد برير عن غزة ٢١ كم إلى الشمال الشرقي منها .

عبد الله : قد سلم دينك وعرضك إلى اليوم ؛ فاقعد بمكانك وقال له محمد بن عمرو : أخملت نفسك وأمتّ ذكرك فانهض مع الناس في أمرهم هذا ولا ترض بالدنية في العرب . فدعا وردان مولاه فأمره بإعداد ما يحتاج إليه وشخص إلى معاوية فكان معه لا يشركه في أمره ، فقال له : إني قصدت إليك وأنا اعرف موضع الحق لتجعل لي في أمرك هذا حظّاً إذا بلغت إرادتك ، ولأن تشركني في الرأي والتدبير . فقال له : نعم ونعمة عين ، قد جعلت لك ولاية مصر . فلما خرج من عند معاوية قال لابنيه : قد جعل لي ولاية مصر . فقال له : محمد ابنه : وما مصر في سلطان العرب . فقال : لا أشبع الله بطن من لم تشبعه مصر .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا بشير بن عقبة أبو عَقِيل :

عن الحسن قال : لما كان من أمر علي ومعاوية ما كان ؛ دعا معاوية عمرو بن العاص إلى قتال عليّ فقال : لا والله لا أظاهرك على قتاله حتى تطعمني مصر ؛ فأبى عليه فخرج مغضباً . ثم إن معاوية ندم وقال : رجل طلب إليّ في شيء على هذه الحال فَرَدَدْتُه ؟ فأجابه إلى ما سأل .

وحدثنا خلف بن سالم ، وأحمد بن إبراهيم ، قالا: حدثنا وهب بن جرير ، عن جويرية بن اسماء :

عن عبد الوهاب الزبيري عن أشياخه قالوا : لما وقعت الفتنة لم يكن أحد من قريش أعفى فيها من عمرو بن العاص أتى مكة فأقام بها ، فلم يزل كافاً حتى كانت وقعة الجمل ، فقال لابنيه : إني قد ألفيت نفسي بين جزاري مكة وما مثلي رضي بهذه المنزلة فإلى من تريان أن أصير؟ فقال له عبد الله :

صر إلى علي . فقال : إن علياً يقول : أنت رجل من المسلمين لك ما لهم وعليك ما عليهم ومعاوية يخلطني بنفسه ويشركني في أمره ، !! قالوا : فأتِ معاوية . فأتاه فما خير له .

المدائني ، عن سلمة بن محارب : كتب معاوية إلى عمرو بن العاص وهو بفلسطين ، بخبر طلحة والزبير ، وأن جرير بن عبد الله قد أتاه يطلب بيعته لعلي . فقدم عليه .

المدائني ، عن عيسى بن يزيد الكناني أن علياً لما بعث جرير بن عبد الله إلى معاوية ليأخذ له البيعة عليه ، قدم عليه وهو جالس والناس عنده فأعطاه كتاب علي فقرأه ثم قام جرير فقال : يا أهل الشام إن من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير ، قد كانت بالبصرة ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للإسلام بعدها فاتقوا الله وروئوا في علي ومعاوية وانظروا أين معاوية من عليّ ، وأين أهل الشام من المهاجرين والأنصار ؛ ثم انظروا لأنفسكم فلا يكون أحد أنظر لها منها . ثم سكت وسكت معاوية فلم ينطق وقال : أبلعني ريقي يا جرير . فأمسك فكتب من ليلته إلى عمرو بن العاص ـ وهو على ليال منه ، في المصير اليه ـ وصرف جريراً بغير إرادته ـ وكان كتابه إلى عمرو :

«أما بعد : فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير ؛ ما قد بلغك ، وقد سقط إلينا مروان في جماعة من أهل البصرة ممن رفض علياً وأمره ، وقدم عليّ جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وحبست نفسي عليك حتى تأتيني ، فاقدم عليّ على بركة الله وتوفيقه» .

فلما أتاه الكتاب دعا ابنيه عبد الله ومحمداً فاستشارهما ، فقال له عبد الله : أيها الشيخ إن رسول الله ﷺ قبض وهو عنك راض ومات أبو بكر

وعمر ، وهما عنك راضيان ، فإياك أن تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها من معاوية ، فتكبّ كبّاً في النار .

ثم قال لمحمد : ما ترى ؟ فقال : بادر هذا الأمر تكن فيه رأساً قبل أن تكون ذنباً . فروّى في ذلك :

رأيت ابن هند سائلي أن أزوره … وتلك التي فيها انثياب البوائق
أتاه جرير من علي بخطة … أمرّت عليه العيش مع كل ذائق
فو الله ما أدري إلى أيّ جانب … أميل ومهما قادني فهو سائقي
أأخدعه والخدع فيه دناءة … أم اعطيه من نفسي نصيحة وامق
وقد قال عبد الله قولاً تعلقت … به النفس إن لم تعتلقني علائقي
وخالفه فيه أخوه محمد … وإني لصلب العود عند الحقائق

فلما سمع عبد الله بن عمرو هذا الشعر ، قال : بال الشيخ على عقبيه وباع دينه ، فلما أصبح عمرو دعا مولاه وردان فقال : ارحل بنا يا وردان فرحل ، ثم قال : حط ، فحط ففعل ذلك مراراً ، فقال له وردان : أنا أخبرك بما في نفسك ، اعترضت الدنيا والآخرة في قلبك فلست تدرى أيّتهما تختار ، قال : لله درّك ما أخطأت ، فما الرأي ؟ قال : تقيم في منزلك فإن ظهر أهل الدين عشت في دينهم وإن ظهر أهل الدينا لم يستغن عنك ، فقال عمرو : ارحل يا وردان على عزم وأنشأ يقول :

ياقاتل الله وردانا وفطنته … أبدى لعمرك ما في النفس وردان

ثم قدم على معاوية فذاكره أمره، فقال: أما عليّ فلا تسوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء،وإن له في الحرب لحظّاً ماهو لأحد من قريش. قال:صدقت، وإنما نقاتله على مافي أيدينا ونلزمه دم عثمان. فقال

عمرو: وإنّ أحق الناس أن لايذكر عثمان لأنا وأنت، أما أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين، وأما أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلي فسار إليه، فقال معاوية: دع ذا وهات فبايعني. قال: لالعمرو الله لاأعطيك ديني حتى آخذ من دنياك فقال معاوية: سل قال: مصر تطعمني إيّاها. فغضب مروان بن الحكم وقال: مالي لاأستشار؟ فقال معاوية: اسكت فما يستشار إلا لك. فقام عمرو مغضباً فقال له معاوية: يا أبا عبد الله أقسمت عليك أن تبيت الليلة عندنا. وكره أن يخرج فيفسد عليه الناس، فبات عنده وقال:

معاوي لاأعطيك ديني ولم أنل ... به منك دنياً فانظرن كيف تصنع
فإن تعطني مصراً فأربح صفقة ... أخذت بها شيخاً يضرّ وينفّع
وما الدين والدنيا سواء وإنني ... لآخذ ماتعطي ورأسي مقنّع
ولكنني أعطيك هـذا وإنني ... لأخدع نفسي والمخادع يخدع

فلما أصبح معاوية دخل عليه عتبة بن أبي سفيان فقال له: يامعاوية ماتصنع؟ أما ترضى أن تشتري من عمرو دينه بمصر. فأعطاه إياها وكتب له كتاباً: لاينقض شرط طاعة. فمحا عمرو ذلك وقال: اكتب: لاتنقض طاعة شرطا. فقال له عتبة بن أبي سفيان:

أيّهـا المانـع سيفـا لم يّهـز ... إنّمـا ملت إلى خـزّ وقـزّ
إنمـا أنت خـروف واقـف ... بين ضَرْعَين وصوف لم يجزّ
أعط عَمْراً إن عَمْراً باذل ... دينـه اليوم لـدنيا لم تحزْ
أعـطه مصـراً وزده مثلهـا ... إنمـا مصر لمن عـزّ فبـزّ
إنّ مصـراً لعـلي أو لنـا ... يغلب اليوم عليها من عجز

وقال معاوية فيما جاء به جرير بن عبد الله:

تطاول ليلي واعترتني وساوسي ... لآت أتى بالتّرّهات البسابس
أتانا جرير من علي بحمقة ... وتلك التي فيها اجتداع المعاطس
يكاتبني والسيف بيني وبينه ... ولست لأثواب الذليل بلابس
وقد منحتني الشام أفضل طاعة ... تواصي بها أشياخها في المجالس
وإني لأرجو خير مانال طالب ... وما أنا من ملك العراق بيائس

وكان هشام بن عمار يقول: هذا حديث مصنوع، الشعر أتانا من ناحية العراق.

وقال الهيثم بن عدي لما كتب معاوية إلى عليّ يطلب قتلة عثمان، كتب الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى معاوية - والوليد بالرّقة -:

معاوي إنّ الشام شامك فاعتصم ... بشامك لاتدخل عليك الأفاعيا
وحام عليه بالقنابـل والقنا ... ولاتك ذا عجز ولاتلف وانيا
فإن كتاباً يابن حرب كتبته ... على طمع يجني عليك الدواهيا
سألت علياً فيه ما لاتناله ... ولو نلته لم يبق إلا لياليا
وإن علياً ناظر ماتريغه ... فأوقد له حرباً تشيب النواصيا

وكتب الوليد بن عقبة إلى معاوية يحرضه على قتال علي وأهل العراق:

ألا أبلغ معاوية بن حـرب ... فإنك من أخي ثقـة مليمُ
يمنّيـك الخلافـة كـل ركب ... لأنقاض العراق بهم رسيم
فـإنّـك والكتـاب إلى عـليّ ... كحـاليـة وقـد حلم الأديمُ
طويت الدهر كالسدم المعنّى ... تهدّر في دمشق وما تـريم
لك الخيرات فابعثنا عليهم ... فخير الطالب التِّرة الغشوم

وقومك بالمدينة قد أصيبوا فهم صرعى كأنهم الهشيم
هم جدعوا الأنوف فأوعبوها ولم يتقوا فقد بلغ الصميم
فلو كنت العقيل وكان حيا لـشمّـر لا ألـفّ ولاسؤوم

وكتب إليه معاوية ببيت أوس بن حجر التميمي:

ومستعجم لاترعوي من إيابنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وقال النجاشي الحارثي:

معاوي قد كنت رخو الخناق فسعرت حرباً تضيق الخناقا
فإن يكن الشام قد أصفقت عليك ابن حرب فإن العراقا
أجـابت عليـاً إلى دعـوة تعـزّ الهدى وتـذل النفـاقـا

قالوا: وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ بعثت بقميص عثمان إلى معاوية، فأخذه أبو مسلم الخولاني من معاوية؛ فكان يطوف به في الشام في الأجناد، ويحرّض الناس على قتلة عثمان.

وكان كعب بن عجرة الأنصاري أيضاً ممن بالغ في الحث على الطلب بدم عثمان.

وحدثني العمري، عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش وعوانة قالا: قال علي:

لأصبحنّ العاصي بن العاصي تسعين ألفاً عاقدي النواصي
مستحقبـين حلق الـدلاص آسـاد غيل حـين لامناص
مجنّبين الخيل بالقلاص[1]

فبلغ عمراً ذلك؛ فقال مجيباً له:

١ ـ ديوان الامام علي ص ٥٨ .

خـوفتني بـلابسي الـدلاص والقائدي الخيل مع القلاص
أهون بقومٍ في الوغى نكاص لو قد رأوها تنفض النواصي
لقال كُلٌّ أَرِني خَلَاصي

وقال معاوية ـ حين بلغه جد علي في النهوض نحوه وهو في طريق صفين:

لاتحسبّني يـا عـليّ غـافـلا لأوردنَ الكـوفـة القنـابـلا
والمشرفي والقنـا الـذوابـلا من عامنا هذا وعاماً قابلاً

فقال علي:

أصبحت عني يابن هند غافلاً اني لـرام منكم الكـواهـلا
بالحق والحق يزيل الباطـلا هذا لك العام وعاماً قابلا[1]

قالوا: ولما أجمع أمير المؤمنين على المسير إلى معاوية؛ كتب إلى عمّاله على النواحي في القدوم عليه؛ فاجتمعوا عنده، واستخلف عبد الله بن عباس أبا الأسود الديلي على صلاة البصرة، وزياداً على الخراج، ثم قدم الكوفة وجعل عليّ يخطب الناس ويحضّهم على محاربة معاوية وأهل الشام، فقام رجل من فزارة يقال لـه أربد بن ربيعة، فقال: ياعليّ أتريد أن تغزو بنا أهل الشام فنقتلهم كما قتلنا إخواننا من أهل البصرة؟ هذا والله مالايكون، فوثب إليه الأشتر، وعُنق من الناس فخرج هارباً فلحقوه بمكان كانت الدواب تباع فيه، فوطئوه وضربوه حتى مات، فقال أبو علاقة التيمي ـ تيم ربيعة:

معاذ إلهي أن تكون منيتي كما مات في سوق البراذين أربد
تعـاوره قـرّاؤنـا بنعـالهم إذا رفعت عنه يد وقعت يد

١ ـ ديوان الامام ص ٧٤ .

وفي رواية محمد بن إسحاق بن يسار: أن علياً كتب إلى معاوية يدعوه إلى بيعته، وحقن دماء المسلمين. وبعث بكتابه مع ضمرة بن يزيد، وعمرو بن زرارة اللخمي فقال: إن دفع إليّ قتلة ابن عمي وأقرّني على عملي بايعته، وإلا فاني لاأترك قتلة ابن عمي وأكون سوقة، هذا مالايكون ولا أقار عليه.

وقال أبو مخنف وغيره: قام علي خطيباً فأمر الناس بالمسير إلى الشام، فقال له: يزيد بن قيس الأرحبيّ: إن الناس على جهاز وهيئة وأهبة وعدّة، وأكثرهم أهل القوة؛ وليست لهم علة، فمر مناديك فليناد في النّاس أن يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة.

وقال عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخزاعي: إنّ أخا الحرب غير السؤوم ولا النؤوم، ولا الذي إذا أمكنته الفرص املى واستشار فيها، ولا من أخّر عمل اليوم إلى غد.

ويقال: إن الذي قال هذا القول يزيد بن قيس الأرحبي.

وتكلم زياد بن النضر الحارثي فصدق هذا القول. وتكلم الناس بعد، فدعا علي الحارث الأعور ـ وهو الحارث بن عبد الله الهمداني ـ فأمره أن ينادي في الناس أن يغدوا إلى معسكرهم بالنخيلة ـ وهو على ميلين من الكوفة ـ ففعل، وعسكر عليّ والناس معه.

وكان عبيد الله بن عمر بن الخطاب لما قتل أبوه؛ إتّهم الهرمزان، ورجلاً من أهل الحيرة ـ نصرانياً كان سعد بن أبي وقاص أقدمه المدينة معه فكان يعلم ولده [و] الناس الكتاب والحساب يقال له: جُفَيْنة ـ بالموالاة لأبي لؤلؤة، فقتلهما وقتل ابنة أبي لؤلؤة، فوقع بينه وبين عثمان في ذلك كلام حتى تناصيا

ثم بويع عليّ فقال: لأقيدنّ منه من قتل ظلما. فهرب إلى الكوفة، فلما قدمها عليّ نزل الموضع الذي يعرف بكويفة ابن عمر - وإليه ينسب، - ودسّ من طلب له من عليّ الأمان؛ فلم يؤمنه وقال: لئن ظفرت به فلا بدّ لي من أن أقيد منه وأقتله بمن قتل، فأتاه الأشتر - وكان أحد من طلب له الأمان - فأعلمه بما قال علي، فهرب إلى معاوية.

وكان مع عبد الله بن عباس - حين قدم من البصرة - خالد بن المعمر الذهلي ثم السدوسي على بني بكر بن وائل، وعمرو بن مرحوم العبدي ثم العصري على عبد القيس، وصبرة بن شيمان الأزدي على الأزد. وقيل: إنه لم يحضر من أزد البصرة إلا عبد الرحمن بن عبيد، وأقل من عشرة نفر، وشريك بن الأعور الحارثي على أهل العالية، والأحنف بن قيس على بني تميم وضبّة والرّباب.

وقد كان الأحنف وشريك قدما الكوفة مع عليّ، فردهما إلى البصرة ليستنفرا هؤلاء الذين ساروا معهما إلى الكوفة.

ويقال: إنهما شيّعاه فردّهما قبل أن يبلغا الكوفة ليستنفرا الناس إليه ففعلا، ثم أشخصهما ابن عباس معه.

وقدّم عليّ أمامه زياد بن النضر، وشريح بن هانىء الحارثيين، ثم اتبعهما.

وخلّف على الكوفة أبا مسعود عقبة الأنصاري. وولىّ المدائن أخا عدي بن حاتم الطائي لأمه، واسمه لأم بن زياد بن غُطيف بن سعد بن الحشرج الطائي.

ووجّه معقل بن قيس الرياحي في ثلاث آلاف لتسكين الناس

وأمانهم، وأمره أن يأخذ على الموصل ونصيبين ورأس العين، حتى يصير إلى الرقة؛ ففعل ذلك.

وسار علي حتى عبر الصراة[1]؛ ثم أتى المدائن ثم الأنبار، وعلى طلائعه سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد، وقصد قصد الرّقّة، وأخذ على شاطىء الفرات من الجانب الجزري.

وكان الأشعث بن قيس بآذربيجان، فلما قدم علي الكوفة، عزله وأمر بمحاسبته فغضب وكاتب معاوية، فبعث إليه من طريقه قبل أن ينفذ من الكوفة حجر بن عدي الكندي؛ وأمره أن يوافيه به بصفين؛ فوافاه بها وقد صار علي إليها أو قبل ذلك.

وقوم يقولون: إن عثمان ولّى الأشعث آذربيجان فأقرّه عليّ عليها يسيراً وولاه حلوان ونواحيها، فكتب إليه في القدوم؛ فقدم الكوفة من حلوان؛ فحاسبه على مالها ومال آذربيجان، فغضب وكاتب معاوية، والله أعلم.

قالوا: وكتب عليّ من طريقه إلى معاوية ومن قبله كتاباً يدعوهم فيه إلى كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ وحقن دماء الأمة فكتب إليه معاوية:

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فقال عليّ: قاتلت الناكثين، وهؤلاء القاسطون وسأقاتل المارقين.

ووافى عليّ الرّقة وبها جماعة ممن هرب إليها من الكوفة من العثمانية الذين أهواؤهم مع معاوية، مثل الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وسماك بن مخرمة بن حُمَين الأسدي الذي مدحه الأخطل فقال:

١ ـ تستمد صراة من الفرات بنى عليها الحجاج بن يوسف مدينة النيل التي بأرض بابل.
وقيل: هي نهر يأخذ من نهر عيسى من بلدة يقال لها المحول بينها وبين بغداد فرسخ.
معجم البلدان.

إن سماكاً بنى مجداً لأسرته حتى الممات وفعل الخير يبتدر[1]

والمحتمل بن سماعة بن حصين بن دينـار الجعفي، وشمر بن الحارث بن البراء الجعفي والقشعم بن عمرو بن نُذير بن البراء الجعفي وسلمان بن ثمامة بن شراحيل الجعفي وغيرهم، فأمر أهل الرقة أن يتخذوا له جسراً يعبر عليه؛ فأبوا، فسار يريد جسر منبج للعبور عليه، وأقام مالك بن الحارث الأشتر النخعي بعده فقال: أقسم بالله ياأهل الرقة لئن لم تتخذوا لأمير المؤمنين جسراً عند مدينتكم حتى يعبر عليه، لأجردنّ فيكم السيف. فعقدوا الجسر، وبعث الأشتر إلى عليّ فردّه من دون المنزل، فعبرت الأثقال والرجال، وأمر علي الأشتر أن يقف في ثلاثة آلاف حتى لايبقى من الناس أحد إلا عبر، ثم عبر أمير المؤمنين علي والأشتر آخر الناس.

ودعا عليّ بزياد بن النضر، وشريح بن هانىء فأمضاهما أمامه على هيئتهما، وكانا قد أخذا على طريق هيت، ثم عبرا منها ولحقاه بقرقيسيا وسارا معه إلا أنهما يقدمان عسكره، وجعل الأشتر أميراً عليهما، فلقيهم أبو الأعور السّلمي وهو على مقدمة معاوية ـ واسم أبي الأعور: عمرو بن سفيان بن سعيد بن قانف بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالغ ـ فحاربوه ساعة عند المساء ثم إنصرفوا.

ونزل معاوية ومن معه على الفرات على شريعة سبقوا إليها لم يكن هناك شريعة غيرها، وقال: لاتسقوا أصحاب علي الماء كما منعوه أمير المؤمنين عثمان.

وقال الهيثم بن عدّي: لما نزل معاوية صفين قال بعض الشعراء:

---

١ ـ ديوان الأخطل. ط. بيروت ١٩٨٦ ص١٨٧ .

أيمنعنا القوم ماء الفرات وفينا السيوف وفينا الجحف
وفينا علي له سورة إذا خوّفوه الردى لم يخف
ونحن الذين غداة الزبير وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا أمس أسد العرين وما بالنا اليوم فينا الضعف

وكان الوليد بن عقبة قد صار إلى معاوية؛ فكان أشد الناس في ذلك.

وقوم يقولون: إن الوليد كان معتزلاً بالرّقة، والثبت انه صار إلى صفين[1].

قالوا فقاتل أصحاب علي ومعاوية على الماء أشد قتال حتى غلبوا على الشريعة، وجعل عبد الله بن أحمر يقول:

خلّوا لنا عن الفرات الجاري وأيقنوا بجحفل جرّار
بكل قَرْمٍ مستميت شار مطاعن برُمْحه كرار

وأقبل أمير المؤمنين عليّ فكان نزوله صفين لليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ستّ وثلاثين، فغلب وأصحابه على الماء، فأمر رضي الله تعالى عنه أصحابه أن لايمنعوا أصحاب معاوية الماء، فجعل السّقاة يزدحمون عليه.

ويقال: إن معاوية ـ رضي الله تعالى عنه ـ لمّا رأى شدة قتالهم على تلك الشريعة أرسل إلى أصحابه أن خلّوا عن الماء ليشربوا وتشربوا.

وحدثنا أبو خيثمة، حدثنا وهب بن جرير، حدثني ابن جعدبة: حدثني صالح بن كيسان قال: لما بلغ معاوية وأهل الشام قتل الزبير، وطلحة؛ وظهور عليّ على أهل البصرة؛ دعا معاوية أهل الشام إلى القتال على الشورى والطلب بدم عثمان؛ فبايعوه على ذلك أميراً غير خليفة، فخرج على

١ ـ من المقدر أن موقع صفين حيث بلدة أبي هريرة قرب الرقة حالياً.

رأس سنة أو أكثر من مقتل عثمان، وخرج عليّ حتى التقوا بصفين.

وحدثني أبو مسعود الكوفي، عن عوانة بن الحكم عن أبيه قال: كتب عليّ إلى عمّاله في القدوم عليه واستخلاف من يثقون به، وكتب إلى سهل بن حنيف في القدوم وولّى مكانه قثم بن العباس بن عبد المطلب إلى ماكان يلي من مكة.

وكان قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري بالمدينة، قد قدم من مصر؛ وفي قلبه على عليّ شيء لعزله إيّاه عنها، فأقام بالمدينة متخلفاً عنه.

وكان مروان والأسود بن أبي البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزّى بن قصيُ ـ صاحبي معاوية ـ بالمدينة، والمكاتبين له، والمثبطين عن عليّ، فلقيا قيساً بماكَرِهَ، وتوعّداه بالقتل، فلما أراد سهل بن حنيف الشخوص إلى عليّ خاف قيس أن يبقى بعده فيقتلاه أو ينالاه بمكروه في نفسه، فشخص مع سهل إلى عليّ فكتب معاوية إلى مروان والأسود، يلومهما ويقول: لو أمددتما علياً بعشرة آلاف فارس ماكان ذلك بأغيظ لي من إمداد كما إياه بقيس بن سعد؛ وهو في رأيه وقوة مكيدته على ماتعلمان. وكان قيس جواداً حازماً ذا مكيدة.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن ابن جعدبة:

عن صالح بن كيسان قال: عزل عليّ قيس بن سعد؛ عن مصر، فلحق بالمدينة؛ وبها مروان والأسود بن أبي البختري، فبلغه عنهما أمر خافه وخشي أن يأخذاه فيقتلاه أو يحبساه، فركب راحلته وأتى علياً، فكتب معاوية إلى مروان والأسود، يعنفهما ويقول: أمددتما علياً بقيس ورأيه ومكيدته، والله

لو أمددتماه بمائة ألف مقاتل ماكان ذلك بأغيظ لي من إخراجكما قيساً إليه، والله لقد كان قيس يداري لعليّ أموراً يقصر رأي عليّ عنها.

قال: فشهد قيس معه صفين ثم ولاه أذربيجان.

وقال أبو مخنف وعوانة وغيرهما: مكث عليّ ومعاوية في عسكريهما يومين، لايرسل أحدهما إلى صاحبه، ثم إن علياًدعا سعيد بن قيس الهمداني،وبشير بن عمرو بن محصن أبا عمرة الأنصاري من بني النجار وشبث بن ربعي الرياحي من بني تميم،وعدي بن حاتم الطائي،ويزيد بن قيس وزياد بن خصفة فقال: ائتوا هذا الرجل وادعوه إلى الله وكتابه وإلى الجماعة والطاعة، ففعلوا فقال: وأنا أدعو صاحبكم إلى أن يسلم من قبله من قتلة عثمان إليّ لأقتلهم به، ثم يعتزل الأمر حتى يكون شورى.

قالوا: فتقاتل القوم باقي ذي الحجة، فكان هذا يخرج وجوه أصحابه ويخرج ذاك وجوه أصحابه نوائب فيقتتلون. ثم إن علياً ومعاوية تراسلا في المحرم ـ وهما متوادعان ـ فقال حابس بن سعد الطائي من أهل الشام:

كأنك بالتذابح بعد سبع بَقَيْنَ من المحرم أو ثمان
تكون دماؤنا طِلقاً حلالا لأهل الكوفة الحمر السمّان

وكان قول معاوية قولاً واحداً لاينثني عنه، فبعث إليه عليّ: لاأبقى الله عليك إن أبقيت؛ ولا أرعى عليك إن رعيت.

فلما أهلّ هلال صفر سنة سبع وثلاثين، أمر عليّ فنودي في أهل الشام بالإعذار إليهم،وحرّض الناس وأوصاهم أن يغضوا الأبصار ويخفضوا الأصوات، ويقلوا الكلام، ويوطّنوا أنفسهم على المجالدة والمنازلة ويستشعروا الصبر.

وجعل على ميمنته عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وعلى ميسرته محمد بن علي بن أبي طالب ، وعلى خيل الكوفة مالك بن الحارث الأشتر ، وعلى رجالتهم عمار بن ياسر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد بن عبادة ، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص ـ وهو المرقال ـ وكان أعور أصيبت عينه يوم اليرموك بالشام .

وكان شمر بن ذي الجوشن في كتيبة فيما يقول بعضهم .

وكان مسعر بن فدكي على القراء .

وقال الكلبي : كانت راية علي يوم صفين مع عمرو بن الحارث بن عبد يغوث بن قشر الهمداني .

وبعث عليّ إلى معاوية : أن أخرج إليّ أبارزك . فلم يفعل .

وكان القتال في أول يوم ـ وهو يوم الأربعاء في صفر ـ بين حبيب بن مسلمة الفهري والأشتر ؛ فانصرفا على انتصاف .

ثم كان القتال في اليوم الثاني بين هاشم بن عتبة المرقال وأبي الأعور السلمي .

وفي الثالث بين عمرو بن العاص وعمار بن ياسر .

وفي الرابع بين محمد بن عليّ بن أبي طالب ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، فنادى أهل الشام : معنا الطيب بن الطيب ابن عمر بن الخطاب . فرد أصحاب عليّ عليهم : معكم الخبيث بن الطيب .

وكان القتال في اليوم الخامس بين عبد الله بن عباس والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فجعل الوليد يسبّ بني عبد المطلب ويقول : قطعتم الأرحام وطلبتم ما لم تدركوه .

ومن قال : إن الوليد اعتزل القتال قال : كان القتال في اليوم الخامس بين عبد الله بن عباس ، ومِلْحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج الطائي ، وهو من طيء الشام وفيه يقول الشاعر :

ليبك على مِلحان ضيف مُدَقَّع وأرملة تزجي مع الليل أرملا

وفي اليوم السادس بين سعد بن قيس أو قيس بن سعد ، وبين ابن ذي الكلاع .

وفي اليوم السابع بين الأشتر أيضاً وحبيب بن مسلمة .

فلما كان اليوم الثامن عبّأ علي الناس على ما كان رتبهم عليه ، وعبّأ معاوية أهل الشام واقتتلوا قتالاً شديداً ، وجعل علي يقول لكل قبيلة من أهل الكوفة : اكفوني قبيلتكم من أهل الشام .

ثم غدوا يوم الخميس فاقتتلوا أبرح قتال وانتهت الهزيمة إلى علي فقاتل مع الحسن والحسين ، وقتل زياد بن النضر الحارثي ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وانهزمت ميمنة علي ثم ثابوا فأهمّت أهل الشام أنفسهم وكثر القتال والجراح فيهم وركب معاوية فرسه وجعل ينشد شعر ابن أطنابة الأنصاري - وهو عمرو بن عامر الخزرجي ، وأمه الأطنابة بنت شهاب من بلقين - :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فكان معاوية يقول بعد ذلك : ركبت فرسي ومن شأني الهرب حتى ذكرت شعر ابن الأطنابة :

أبت لي عفّتي وأبى حيائي وإقدامي على البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي

فأمسكني عن الهرب .

وقتل حابس بن سعد الطائي من أهل الشام ، قتله الحُمارس من أهل الكوفة فشد عليه زيد بن عدي بن حاتم فقتله ولحق بمعاوية ؛ ثم رجع بعد إلى الكوفة ؛ فخرج في جماعة يصيب الطريق فقتلته خيل للمغيرة بن شعبة ؛ وهو عامل معاوية على الكوفة .

وقال بعضهم : قتل مع الخوارج بالنهروان .

وقال شقيق بن ثور السدوسي : يا معشر ربيعة لا عذر لكم إن قتل علي ومنكم رجل حي . فتمثل علي قول رجل منهم يوم الجمل :

لمن راية سوداء يخفق ظلّها إذا قيل : قدّمها حضين تقدما

المدائني ، عن عيسى بن يزيد ، قال :

لما قامت الحرب بين علي ومعاوية بصفين فتحاربوا أياماً قال معاوية لعمرو بن العاص في بعض أيامهم : إن رأس الناس مع علي عبد الله بن عباس ، فلو ألقيت إليه كتاباً تعطفه به ، فإنه إن قال قولاً لم يخرج منه علي وقد أكلتنا هذه الحرب . فقال عمرو : إن ابن عباس أريب لا يخدع ولو طمعت فيه لطمعت في علي . قال : صدقت إنه لأريب ولكن اكتب إليه على ذلك . فكتب إليه :

من عمرو بن العاص إلى عبد الله بن العباس .

أما بعد : فإن الذي نحن وأنتم فيه ، ليس بأول أمر قاده البلاء ، وساقه سفه العاقبة ، وأنت رأس هذا الأمر بعد علي ، فانظر فيما بقي بغير ما مضي ، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حيلة ، واعلم أن الشام لا يملك إلا بهلاك العراق ، وأن العراق لا يملك إلا بهلاك الشام ، فما خيرنا

بعد إسراعنا فيكم وما خيركم بعد إسراعكم فينا ، ولست أقول : ليت الحرب عادت ولكن أقول : ليتها لم تكن ، وإن فينا من يكره اللقاء كما أن فيكم من يكرهه ، وإنما هو أمير مطاع ، أو مأمور مطيع ، أو مشاور مأمون وهو أنت ، فأما السفيه فليس بأهل أن يعدّ من ثقات أهل الشورى ولا خواص أهل النجوى . وكتب في آخر كتابه :

طال البلاء فما يرجى له آسٍ بعد الإله سوى رفق ابن عباس
قولا له قول مسرور بحظوته لا تنس حظك إن التارك الناسي
كـل لصاحبـه قرن يعـادله أسد تلاقي أسوداً بين أخياس
انظر فدى لك نفسي قبل قاصمة للظهر ليس لها راق ولا آسي
أهل العراق وأهل الشام لن يجدوا طعم الحياة لحرب ذات أنفاس
والسلم فيه بقاء ليس يجهله إلا الجهول وما النوكى كأكياس
فاصدع بأمرك أمر القوم إنهم خشاش طير رأت صقراً بحسحاس

فلما قرأ ابن عباس الكتاب والشعر أقرأهما علياً ، فقال علي : قاتل الله ابن العاص ما أغره بك ، يا بن عباس أجبه ، وليردّ عليه شعره فضل بن عباس بن أبي لهب . فكتب إليه عبد الله بن عباس :

أما بعد : فإني لا أعلم رجلاً من العرب أقل حياء منك ، إنه مال بك إلى معاوية الهوىٰ وبعته دينك بالثمن اليسير ، ثم خبطت للناس في عشواء طخياء[1] طمعاً في هذا الملك ، فلما لم تر شيئاً أعظمت الدماء إعظام أهل الدين ، وأظهرت فيها زهادة أهل الورع ، ولا تريد بذلك إلا تهييب الحرب وكسر أهل العراق ، فإن كنت أردت الله بذلك ، فدع مصر وارجع إلى

١ ـ الطيخاء : الليلة المظلمة . القاموس .

بيتك ، فإن هذه حرب ليس معاوية فيها كعليّ ، بدأها عليّ بالحق وانتهى فيها إلى العذر ، وابتدأها معاوية بالبغي فانتهى منها إلى السرف ، وليس أهل الشام فيها كأهل العراق ، بايع علياً أهل العراق وهو خير منهم ، وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ، ولستَ وأنا فيها سواء، أردتُ الله ، وأردتَ مصر ، فإن ترد شراً لا يفتنا ، وإن ترد خيراً لا تسبقنا .

ثم دعا الفضل بن العباس بن عتبة فقال : يا بن عم أجب عمرو بن العاص . فقال :

ياعمرو حسبك من خدع ووسواس	فاذهب فمالك في ترك الهدى آس
إلّا بوادر يطعنْ في نحوركم	ووشك ضرب يُفزّي[1] جلدة الراس
هذا لكم عندنا في كل معركة	حتى تطيعوا علياً وابن عباس
أمّا علي فإنّ الله فضّله	فضلاً له شرف عال علي الناس
لا بارك الله في مصر فقد جلبت	شراً وحظك منها حسوة الحاسي

فلما قرأ معاوية الكتاب قال : ما كان أغنانا عن هذا .

وكان هشام بن عمروالدمشقي يقول : هذا الحديث مما صنعه ابن دابكم[2] هذا .

وقال الهيثم بن عدي الطائي : قاتل عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء يوم صفين فقتل وهو يقول :

لم يبق إلا الصبر والتّوكل	وطعنــة وضربـة بـالمنصـل

١ ـ الجرح يفز فزيزا : سال وندّى . القاموس .
٢ ـ ابن داب : هو راوي هذا الخبر واسمه عيسى بن يزيد بن بكر بن داب ، أبو الوليد ، كان منكر الحديث ، واتهم أيضاً بوضع الحديث . الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ـ ط . بيروت ١٩٨٦ ج ٢ ص ٢٤٣ .

فقتل فقال معاوية هذا والله كما قال الشاعر :

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها وإن شمرت يوماً به الحرب شمراً

وقال هشام بن الكلبي عن أبيه : وفد زِمْل بن عمرو بن العَتر العذري على النبي ﷺ فعقد له لواءاً فشهد به صفين مع معاوية ، وهو أحد شهوده على القضية .

مقتل عمار بن ياسر العنسي أبي اليقظان بصفين
رضي الله تعالى عنه

قالوا : جعل عمار بن ياسر يقاتل يوم صفين وهو يقول :

نحن ضربناكم على تنزيله ثم ضربناكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

فقتله أبو الغادية .

قال أبو مخنف : هو عاملي . وقال : هشام بن الكلبي : هو مري . حدثني أبي محمد بن السائب قال : رأيت أبا الغادية المري أيام الحجاج بواسط وعليه قباء مكتوب من خلفه : شهدت فتح الفتوح - يعني صفين .

المدائني عن أبي عمرو ، عن منبه بن عمرو المخزومي قال : شهدت موت أبي الغادية بواسط ، فقال الحجاج : لا يتخلف عن جنازة أبي الغادية المري إلا منافق . فحضرت جنازته .

وأهل الشام يقولون : قتل عماراً حوي بن ماتع بن زرعة بن بيحص السكسكي .

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، حدثنا عمرة بن عون أنبأنا هشيم بن بشير ، عن العوام بن حوشب ، عن الأسود بن مسعود ، عن حنظلة بن خويلد ـ وكان يأمن عند علي ومعاوية ـ قال : بينا أنا عند معاوية إذ أتاه رجلان يختصمان في رأس عمار ، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص :

لتطب نفس كل واحد منكما لصاحبه برأس عمار ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «تقتل عمارّ الفئة الباغية» ، فالتفت معاوية إلى عمرو بن العاص فقال ألا تغبي[1] عنا مجنونك هذا فلم يقاتل معنا إذاً ؟ قال : إن رسول الله ﷺ أمرني بطاعة أبي ، فأنا معكم ولست أقاتل .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن عبد الله بن الحارث بن فضيل ، عن أبيه :

عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : شهد خزيمة الجمل فلم يسلّ سيفا ، وشهد صفين فقال : لا أقاتل أبداً حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «تقتله الفئة الباغية» . قال : فلما قتل عمار قال خزيمة : قد أبانت الضلالة . ثم اقترب فقاتل حتى قتل . قال : وكان الذي قتل عماراً أبو غادية المري ، طعنه برمحه فسقط . قال : وقتل وهو ابن أربع وتسعين سنة ، فلما وقع أكبّ عليه رجل آخر فاحتز رأسه فاختصما فيه ، فقال عمرو : ما يختصمان إلا في النار ، فقال معاوية : أتقول هذا لقوم بذلوا أنفسهم دوننا ، فقال عمرو : هو والله ذاك وإنك لتعلمه ؛ ولوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة .

وقال الواقدي : ويقال : إن عماراً قتل وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

---

١ ـ أي تغيب وتخفي . القاموس .

والثبت أنه قتل ابن ثلاث وتسعين سنة .

وقال الواقدي في اسناده : قاتل عمار يوم صفين فأقبل إليه ثلاثة نفر : عقبة بن عامر الجهني ، وعمرو بن الحارث الخولاني وشريك بن سلمة المرادي فحملوا عليه فقتلوه . وقد قيل : إن عقبة بن عامر قتله ، وهو الذي كان ضربه حين أمر به عثمان .

حدثنا عفان بن مسلم الصفار ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا كلثوم ابن جبر :

عن أبي غادية قال : سمعت عماراً يقع في عثمان ويشتمه بالمدينة ؛ فتوعدته بالقتل . فلما كان يوم صفين جعل عمار يحمل على الناس فقيل : هذا عمار . فحملت عليه فطعنته في ركبته ؛ فوقع فقتلته ، فأخبر عمرو بن العاص فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «قاتله وسالبه في النار» . فقيل لعمرو : ها أنت تقاتله : قال : إنما قال : «قاتله وسالبه[1]» .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد ، حدثني عفان بن مسلم ، حدثنا ربيعة بن كلثوم بن جبر :

أخبرني أبي قال : كنت بواسط القصب عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز ، فقال الآذن : أبو الغادية بالباب . فأذن له ، فدخل رجل ضرب من الرجال كأنه ليس من هذه الأمة ، فلما قعد قال : بايعت رسول الله ﷺ . قلت : بيمينك هذه ؟ قال : نعم . وذكر حديثاً عن النبي ﷺ قال : «كنا نعدّ عمار بن ياسر فينا حنانا[2]» فبينا أنا في مسجد قباء إذاً هو

١ ـ انظر ترجمه عمار بن ياسر في طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٦ ـ ٢٦٤ .
٢ ـ أي موضع بركة ورحمة ورزق . النهاية لابن الأثير .

يقول : إن نعثل هذا فعل وفعل . فقلت : لو أجد عليه أعواناً لوطئته حتى أقتله وقلت : اللهم إن تشأ تمكنني من عمار ، فلما كان يوم صفين أقبل في أول الكتيبة حتى إذا كان بين الصفين طعنه رجل في ركبته بالرمح فعثر فانكشف المغفر عنه فضربته فإذا رأس عمار بالأرض أوكما قال . فلم أرِ رجلاً أبين ضلالة من أبي غادية إنه سمع من النبي ﷺ في عمار ما سمع ثم قتله قال : ودعا بماء فأتي به في كوز زجاج فلم يشربه ، فأتي بماء في خزف فشربه ، فقال رجل بالنبطية : تورع عن الشرب في الزجاج ولم يتورع عن قتل عمار .

وحدثني وهب بن بقية وسريج بن يونس وأحمد بن هشام بن بهرام ، قالوا : أنبأنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن محمد بن عبد الله المرادي ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، قال : كنا عند عمار بصفين وعنده شاعر ينشده هجـاء في معاوية وعمرو ؛ وعمار يقول له : الصق بالعجوزين فقال له رجل : أيقال الشعر عندكم ويسب أصحاب رسول الله ويسبّ أصحاب بدر ؟! فقال : إن شئت فاسمع وإن شئت فاذهب فإن معاوية وعمراً قعدا بسبيل الله يصدان عنه ، فالله سابّهما وكل مسلم ، وإنه لما هجانا المشركون شكونا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : قولوا لهم كما يقولون لكم فإن كنا لنعلمه الإماء بالمدينة .

حدثنا عمرو بن محمد ، وإسحاق الهروي قالا : حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا الأعمش ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الله بن الحارث قال : إني لأسير مع معاوية منصرفه من صفين بينه وبين عمرو بن العاص فقال عبد الله بن عمرو : يا أبه سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار :

«ويحك يا بن سمية تقتلك الفئة الباغية» . فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع ما يقول هذا ؟ فقال معاوية : ماتزال تأتينا بهنة تدحض[1] بها في بولك ، أنحن قتلناه إنما قتله الذين جاؤوا به يعني علياً وأهل العراق .

حدثني روح بن عبد المؤمن النضري ، حدثني أبو داود الطيالسي أنبأنا شعبة ، أنبأني عمرو بن مرّة ، قال : سمعت عبد الله بن سلمة يقول : رأيت عمار بن ياسر يوم صفين شيخاً آدم في يده الحربة وإنها لترعد فقال : ـ ورأى مع عمرو بن العاص راية ـ لقد قاتلت هذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أنا على الحق وأنهم على الضلال .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير أنبأنا جويرية بن أسماء :

عن يحيى بن سعيد ، عن عمّه قال : لما كان اليوم الذي أصيب فيه عمار ، وإذا رجل جسيم على فرس ضخم ينادي : يا عباد الله روحوا إلى الجنة ـ بصوت موجع ـ الجنة تحت ظلال السيوف والأسل . وإذا هو عمار ، فلم يلبث أن قتل .

وقال الواقدي في إسناده : كان القتال الشديد بصفين ثلاثة أيام ولياليهنّ آخرهنّ ليلة الهرير ، شبهت بليلة القادسية ، فلما كان اليوم الثالث قال عمار لهاشم بن عتبة المرقال ـ ومعه اللواء ـ احمل فداك أبي وأمي . فقال هاشم : يا أبا اليقظان إنك رجل تستخفّك الحرب ، وإني إن خففت لم آمن الهلكة ، فلم يزل به حتى حمل فنهض عمار في كتيبة ونهض إليه ابن ذي

١ ـ أي تزلق ، ويروى بالصاد ، أي تبحث فيها برجلك . النهاية لابن الأثير .

الكلاع فاقتتلوا ، وحمل على عمار حوي بن ماتع بن زرعة بن بيحص السكسكي ، وأبو الغادية المري فقتلاه وقتل هاشم .

فحدثني أبو زكريا يحيى بن معين ، ومحمد بن حاتم المروزي ، قالا : حدثنا عبد الله بن نمير ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق :

أن علياً صلى على عمار بن ياسر ، وهاشم بن عتبة ، فجعل عماراً مما يليه ، وهاشماً أمامه وكبر عليهما تكبيراً واحداً قالوا : ذو الكلاع الأكبر : يزيد بن النعمان الحميري من وحاظة بن سعد ، تكلعت عليه قبائل من حمير - أي تجمعت - والذي كان مع معاوية سميقع بن ناكور[1] وقد تكلع على سمقيع وناكور جميعاً وناكور بن عمرو بن يعفو بن يزيد بن النعمان ، فكان رسول الله ﷺ بعث جرير بن عبد الله إلى سمقيع هذا . ويقال : إلى ناكور فأعتق أربعة آلاف كانوا قنّاً له ، وقتل شرحبيل بن سميقع ذي الكلاع يوم الخازر في أيام المختار .

وحدثني أحمد بن هاشم بن بهرام ، حدثنا وكيع ، عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت :

عن أبي البختري قال : قال عمار يوم صفين : ائتوني بشربة من لبن فإن رسول الله ﷺ قال لي : «إن آخر شربة تشربها شربة لبن» ، فشربها وقاتل حتى قتل .

وحدثني إسحاق الفروي عن أبي الفضل الأنصاري قال : سمعت بعض أصحابنا يقول : حضر أبو الهيثم بن التيهان صفين ، فلما رأى عماراً

١ ـ جاء مقتل ذي الكلاع قبل مقتل عمار ، ومن المرجح أنه سقط من الأصل خبر مقتله حتى بدا خبر نسبه كأنه أقحم بالرواية . انظر صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٤٠ ـ ٣٤٢ .

قد قتل قاتل حتى قتل فصلى عليه عليّ ودفنه .

وقال الواقدي : مات الهيثم بن مالك ـ وهو التيهان ـ سنة عشرين وهو من بلي حليف . وقال الكلبي : هو من الأوس . ويقال : إنه حليف لهم من بلي .

قالوا : وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص يقاتل يوم صفين وهو يقول :

أعـور يبغي اهــلا محـلا ... قـد أكثر القـول ومـا أقـلا
لابـد أن يفـلّ أو يفـلا ... قد عالج الحياة حتى مـلا
أشلهم بذي الكعوب شلا

فحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي فقتله فقال الحجاج بن غزّية الأنصاري :

فإن تفخروا بابني بديل وهاشم ... فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا

يعني حوشب بن القباعي الالهاني ، من ولد الهان أخي همدان . وابنا بديل عبد الله أبو علقمة . وعبد الرحمن أبو عمرة .

وطعن بسر بن أبي أرطاة القرشي قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فما شواه .

وبعض الرواة يزعم أن أويساً القرني العابد قتل مع علي بصفين ، ويقال : بل مات بسجستان .

قالوا : وكان علي عليه السلام بصفين في خمسين ألفاً ، ويقال : في مائة ألف . وكان معاوية ـ رحمه الله ـ في سبعين ألفاً . ويقال : في مائة ألف

فقتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ، والله أعلم .

قالوا : وطعن سعيد بن قيس الهمداني ابن الحضرمي فقتله فقال علي :

لو كنت بّواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام[1]

ويقال : إن عون بن جعفر بن أبي طالب وأخاه محمداً قتلا مع علي بن أبي طالب بصفين .

ويقال : إنهما قتلا مع الحسين عليهم السلام ، وبعض البصريين يزعم أنهما قتلا بتستر من الأهواز حين فتحت .

وكان عمرو بن العاص يقاتل بصفين وهو يقول :

الموت يغشاه من القوم الأنف يوم لهمدان ويوم للصدف
وفي سدوس نحوه ما تنحرف نضربها بالسيف حتى تنصرف
ولتميم مثلها أو تعترف[2]

قالوا : ولما كان صبيحة ليلة الهرير - وهي ليلة الجمعة لإثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين - اقتتلوا إلى ارتفاع الضحى ، ثم إن عمرو بن العاص أشار برفع المصاحف حين خاف أن ينقلع أهل الشام ورأى صبر أهل العراق وظهورهم ؛ فرفعوها بالرماح ونادوا : هذا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام ، ومن لثغور العراق بعد أهل العراق .

---

١ - ديوان الإمام علي ص ٨٨ .
٢ - روى نصر بن مزاحم هذه الأبيات بشكل مغاير ، صفين ص ٤٦٣ .

فقال علي : والله ما هم بأصحاب قرآن ، ولكنهم جعلوها مكيدة وخدعة ، بلغهم ما فعلت من رفع المصحف لأهل الجمل ففعلوا مثله ، ولم يريدوا ما أردت فلا تنظروا إلى فعلهم وامضوا على تقيتكم[1] ونياتكم .

فمال كثير من أصحاب علي إلى ما دعوا إليه وحرموا القتال واختلفوا ، وبعث علي الأشعث بن قيس الكندي إلى معاوية يسأله عن سبب رفعهم المصاحف فقال : رفعناها لتبعثوا رجلا ونبعث رجلا فيكونا حكمين ، فما اتفقا عليه عملنا به .

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي ، قال : حدثت عن الأعمش عن شقيق بن سلمة أبي وائل أنه سئل : أشهدت صفين ؟ قال : نعم وبئست الصفون أشرعنا الرماح في صدورهم وأشرعوها في صدورنا حتى لو مشت الرجال عليها ما اندقت ، أو كما قال .

المدائني عن شعبة ، عن أبي عون الأعور ، عن أبي الضحى عن سليمان ، عن الحسن بن علي قال : لقد رأيت أبي حين اشتدّ القتال يقول : يا حسن وددت أني متّ قبل هذا بعشرين سنة .

١ ـ كذا ولعلها تصحيف «تعبئتكم» .

مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بصفين

قال أبو مخنف وغيره : قاتل عبيد الله بن عمر بصفين حتى حمي القتال ؛ وذلك في آخر أيامهم ، فقتله هانىء بن الخطاب ، ويقال : محرز بن الصحصح من بني تيم الله بن ثعلبة . ويقال حريث بن جابر الحنفي ، وأخذ سيفه ذو الوشاح - وكان سيف عمر بن الخطاب - فلما ولّي معاوية أخذ السيف من قاتله ورده على آل عمر .

حدثنا أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم ، قالا : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا جويرية بن أسماء ، حدثني سعيد بن أبي عروبة :

عن قتادة قال : استحرّ القتل في صفين بأهل اليمن ، وقد كان عليّ عبأ ربيعة لليمن وكانت ربيعة قوما أدركهم الإسلام وهم أهل حروب ، فكانوا يصفّون صفين فيقاتل صف ويقف صف ، فإذا ملوا القتال وقف هؤلاء وقاتل هؤلاء ، وكانت اليمن تحمل بأجمعها فأفنيت اليمن يومئذ ، فقال معاوية لأصحابه : من لربيعة ؟ فقال عبيد الله بن عمر بن الخطاب : أنا لهم إن أعطيتني ما أسالك . قال : سل . قال : الغمامة تصرفها معي - وهي

كتيبة معاوية كان يقال لها : الغمامة والخضراء والشهباء ـ فقال : [معاوية للغمامة] : انصرفوا معه . فمال عبيد الله إلى فسطاطه ومعه امرأته بحرية بنت هانىء بن قبيصة الشيباني ، فدعا بدرع فظاهرها على درعه ، قالت : ما هذا يا بن عمر ؟ قال : عبأني معاوية لقومك في الغمامة فما ظنك ؟ قالت : ظنّي أنهم سيدعوني أيّماً منك . فلم ينشب أن قتل .

فلما كان العشي وتراجع الناس أقبلت بحرية على بغل لها وعليها خميصة سوداء ومعها غلمة لها حتى انتهت إلى ربيعة فسلمت ثم قالت : يا معشر ربيعة لا يخزي الله هذه الوجوه ، فوالله ما كنت أحب أن تخزى . قالوا : من أنت ؟ قالت : أنا بحرية . قالوا : بنت هانىء بن قبيصة ؟ قالت : نعم . قالوا : مرحباً وأهلاً بسيدة نسائنا وابنة سيدنا ما حاجتك ؟ قالت : جيفة عبيد الله بن عمر ، قالوا : قد أذنا لك فيها وأشاروا إلى الناحية التي صرع فيها ، وكانت الريح هاجت عليهم عند زوال الشمس فقلعت أوتاد أبينتهم ، فإذا رجل من بني حنيفة قد أوثق طنباً من أطناب خبائه برجل ابن عمر ، وإذاً هو مسلوب فلما رأته رمت بخميصها عليه ، وأمرت غلمانها فحفروا له ثم أجنته وانصرفت وأنشدت قول كعب بن جعيل فيه :

ألا إنما تبكي العيونِ لِفارس بصفين أجلت خيْله وهو واقف
تركن عبيد الله بالقاع مسنداً تمجّ دماً منه العروق النوازف

قال أبو مخنف : لما قتل عبيد الله بن عمر بصفين كلم نساؤه معاوية في جثته فأمر فبذلت فيها لربيعة عشرة آلاف درهم ، فاستأمروا عليّاً فقال : لا ولكن هبوها لابنة هانىء بن قبيصة . ففعلوا .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، حدثنا أبي عن النعمان بن راشد ، عن الزهري قال :

لما بلغ معاوية أمر طلحة والزبير ومن معهما ؛ دعا أهل الشام إلى القتال على الشورى والطلب بدم عثمان ، فبايعوه أميراً غير خليفة ، وخرج علي فاقتتلوا بصفين قتالاً لم يكن في الإسلام مثله قط ، فقتل من أهل الشام عبيد الله بن عمر ، وذو الكلاع وحوشب وحابس بن سعد الطائي . وقتل من أهل العراق عمار ، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، وابنا بديل الخزاعي ، وخزيمة بن ثابت ، وابن التيهان . فلما خاف أهل الشام ظهور القوم عليهم قال عمرو لمعاوية : ـ وهو على القتال ـ : هل أنت مطيع في أمر أشير به ؟ مر رجلاً فلينشر المصحف ، ثم يقول : يا أهل العراق بيننا وبينكم كتاب الله ، ندعوكم إلى ما بين فاتحته وخاتمته ، فإنك إن تفعل ذلك يختلفوا ، ولا يزدد أهل الشام إلا اجتماعاً وطاعة . فأمر رجلاً من أهل الشام يقال له : ابن لهية فنادى بذلك ، فاختلف أهل العراق فقالت طائفة منهم كرهت القتال : أجبنا إلى كتاب الله . وقالت طائفة : ألسنا على كتاب الله وبيعتنا وطلب الحق فإن كانت ها هنا شبهة أو شك فلم قاتلنا ؟ فوقعت الخصومة بين أهل العراق ، فلما رأى عليّ ما فيه أصحابه ، وما عرض لهم من الخلاف والتنازع ، ورأى وهنهم وكراهة من كره منهم القتال ، قارب معاوية فيما دعا إليه فقال : قبلنا كتاب الله ، نحن بيننا وبينكم كتاب الله ، فقال معاوية تختارون منكم رجلاً ونختار منا رجلاً . فاختار أهل الشام عمرو بن العاص ، واختار أهل العراق أبا موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، وكتبوا بينهم كتاباً أن يحكما بكتاب الله والسنة الجامعة غير المفرقة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير ، عن جويرية ، عن يحيى بن سعيد :

عن عتبة قال : تنازلنا بصفين فاقتتلنا بها أيّاماً فكثرت القتلى بيننا وعقرت الخيل ، فبعث علي إلي عمرو : إن القتلى قد كثروا ، فأمسك حتى يدفن الجميع قتلاهم . فأجابه[1] : فاختلط بعض القوم ببعض حتى كانوا هكذا : ـ وشبك بين أصابعه ـ وكان الرجل من أصحاب علي يشدّ فيقتل في عسكره فيستخرج منه ، وكان عمرو يجلس بباب خندقه فلا يخفى عليه قتيل من الفريقين ، فمر عليه برجل من أصحاب علي قد قتل في عسكر معاوية فبكى عمرو وقال : لقد كان مجتهداً ، فكم من رجل أخشن في أمر الله قد قتل يرى عليّ ومعاوية أنهما بريئان من دمه .

وحدثني عمر بن بكير ، عن الهيثم بن عدي ، حدثني ابن عياش الهمداني قال :

قال معاوية لعمرو : أتذكر إذ غشيك ابن أبي طالب فاتّقيته بسوءتك ؟ فقال إني رأيت الموت مقبلاً إليّ معه فاتقيته كما رأيت ، وكان ورعاً فصرفه عنّي حياؤه ولكنّي أذكرك حين دعاك للمبارزة ، فقلصت شفتك ، ورعدت فرائصك وامتقع لونك .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا عبدالرزاق ، عن معمر ، عن قتادة :

ان أهل الشام لما رفعوا المصاحف يوم صفين فركن إلى ذلك من ركن ؛ كان الأشتر يقاتل أشدّ قتال ؛ حتى بعث إليه علي مرة أو مرتين يعزم عليه لينصرفن ، فقال : أحين طمعت بالنصر والظفر انصرف ؟ فقال الذين

---

١ ـ في هامش الأصل ما يفيد في رواية أخرى «فما أجابه عمرو» .

أحبوا الموادعة لعلي : أنت تأمره بالحرب ، فبعث إليه بعزيمة مؤكدة فكفّ وقال : خدعتم والله .

حدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، قال :

سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث أن الأحنف بن قيس قال لعلي - حين أراد أن يحكم أبا موسى -: إنّك تبعث رجلاً من أهل القرى ، رقيق الشغر ، قريب القعر ، فابعثني مكانه آخذ لك بالوثيقة وأضعك من هذا الأمر بحيث أنت . فقال له ابن عباس : دعنا يا أحنف فإنا أعلم بأمرنا منك .

حدثني أبو خيثمة ، وأحمد بن إبراهيم ، قالا : حدثنا وهب بن جرير ، عن ابن جعدبة ، عن صالح بن كيسان قال : سار علي إلى معاوية بن أبي سفيان ، وسار معاوية إلى علي حتى نزلا بصفين ، وخلف علي على الكوفة أبا مسعود الأنصاري ، فمكثوا بصفين ما شاء الله ، ثم إن عبدالله وعبدالرحمن ابني بديل بن وَرقاء دخلا على علي فقالا : حتى متى لا تقاتل القوم ؟ فقال علي : لا تعجلا . فقال عبدالله بن بديل : ما تنتظر بهم ومعك أهل البصائر والقرآن ؟ فقال : اهدأ أبا علقمة . قال : إني أرى أن تقاتل القوم وتتركنا نبيّتهم . فقال : يا أبا علقمة لا تبيّت القوم ولا تدفّف على جريحهم ولا تطلب هاربهم .

ثم إن القوم اقتتلوا بعد ذلك بيومين فحرض معاوية أصحابه وهو يقول : فدى لكم أبي وأمي شدوا فإن علياً يزعم أنه لا حق لكم في هذا الفيء ومعاوية يتمثل في ذلك بقول ابن الأطنابة :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

ومحمد بن عمرو بن العاص أمامه يقاتل أشد قتال وهو يقول : يا أمير المؤمنين إلزم ظهري ، وكان أشد الناس مع معاوية ، وقال عمرو لابنه عبدالله : أقسمت عليك لتأخذن الراية ثم لتلتزمنّها أبداً ، فكثرت القتلى وطفق معاوية يقول لعمرو : الأرض الأرض أبا عبدالله ، ثم رجع بعض القوم .

قال:وقال : عياض بن خليفة : خرجت أطوف في القتلى فإذا رجل معه إداوة مملوءة ماءاً ، وإذاً رجل آخر مرّمل بالدماء يقول : أنا عبدالرحمن بن حنبل حليف بني جمح ـ وكان من أهل اليمن ـ اقرأوا على أمير المؤمنين السلام وقولوا له : الغلبة لمن جعل القتلى منه بظهر أي غيبهم ، ما تنغي يا عياض ؟ قال: قلت : أبتغي أصحابي : أخي ، وابن بديل ، قال : هيهات قتل أولئك أمس أول النهار ، فعرضت عليه الماء الذي مع الرجل في الإداوة ، فقال : سلني عمّا شئت قبل أن تسقيني فإني إذا شربت مت . قال : فسألته عما بدا لي ثم سقيته ، فما عدا أن شرب حتى مات ، وأتيت علياً فأخبرته بما قال فقال : صَدَق ، وأذن في الناس بالخروج وأمرهم أن يجعل القتلى منهم بظهر ، وغيب قتلاه حتى لا يرىَ رجل منهم .

ثم اقتتلوا قتالاً شديداً حتى قيل : انكشف معاوية وأقبل ابن لهّية معه مصحف بين أذني فرس وأقبل ناس معهم المصاحف بين أيديهم على خيلهم في رماحهم قد نشروها يقولون : بيننا وبينكم ما فيها . فقام فقال : قد قبلت ودعا بعضهم بعضاً إلى أن يحكم بينهم حكمان ، فزعموا أنهم دعوا إلى رجلين من الأنصار : عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس بن ثابت ، فقيل

لمعاوية : أجعلت أنصاريين ، والله ليحكمان عليك فقال معاوية : عمرو ، وقال علي: أبو موسى الأشعري ، وتراضيا بذلك، وكتبا كتاباً وأشهدا فيه من كل جند عشرة ، وتمثل علي عليه السلام :

واعجبا من أي يوميّ أفرّ   أيوم لم يقدر أم يوم قدر[1]

وقال معاوية رحمه الله :

ثكلتك أمك إن تعطمطَ[2] بحرهم   زبد غواربه وبَحْـرُكَ ساجي

وحدثني وهب بن بقية ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن عمران بن جرير ، عن أبي مجلز ، قال : عابوا على عليّ تحكيم الحكمين فقال علي : جعل الله في طائر حكمين ، ولا أحكم أنا في دماء المسلمين حكمين ؟

وحدثني أبو زكريا يحيى بن معين ، حدثنا عبدالله بن نمير ، أنبأنا الأعمش ، أنبأنا أبو صالح قال : قال علي : يا أبا موسى أحكم ولو في حزّ عنقي .

وقال أبو موسى الفَرْوي:سمعت ابن نمير يقول : لو حكموا بحكم القرآن نظروا أيّ الفئتين أبغى .

وحدثني المدائني ، عن عامر بن الأسود ، وإسماعيل بن عياش ، عن أبي غالب الجزري ، قال : لما صار الناس إلى الحكومة وأن يختاروا رجلين ، قال معاوية : قد رضيت عمرو بن العاص . وقال علي:قد رضيت عبدالله بن العباس ، فقال الأشعث : ابن عباس وأنت سواء لا يرضى القوم . قال : فأختار الأشتر ، قال : إذا والله يعيدها جذعة وهل نحن إلا في بليّة الأشتر ،

---

١ ـ ديوان الامام علي ص٤٣ .

٢ ـ العطم : الصوف المنفوش . القاموس .

قال : فشداد بن أوس . فقال معاوية : لا يحكم فيها يثربي . فقال الأشعث وجميع القرّاء : فأبو موسى فإنه لم يحضر حربنا ، فقال عليّ : إنه قد خذل الناس عني وفعل ما فعل ، فأبوا أن يرضوا إلا به . فكتب إلى أبي موسى في القدوم وكان ببعض البوادي حذراً من الفتنة فقال له الرسول : إن الناس قد اصطلحوا وقد حكّموك . فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ثم قدم على عليّ ، فقال الأشعث : لو لم يأتك ما طعن معك برمح ولا ضرب بسيف .

قالوا : وكانت القضية بين علي ومعاوية :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضي علي على أهل العراق ومن كان من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضي معاوية على أهل الشام ومن كان من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، أنّا ننزل عند حكم الله وبيننا كتاب الله فيما اختلفنا فيه من فاتحته إلى خاتمته ، نحيي ما يحيي ونميت ما أمات ، فما وجد الحكمان في كتاب الله فإنهما يتبعانه ، وما لم يجداه مما اختلفنا فيه في كتاب الله أمضيا فيه السنة العادلة الحسنة الجامعة غير المفرقة .

والحكمان : عبدالله بن قيس ، وعمرو بن العاص ، وأخذنا عليهما عهد الله وميثاقه ليحكمان بما وجدا في كتاب الله نصا ، فما لم يجداه في كتاب الله مسمّى عملا فيه بالسنة الجامعة غير المفرقة . وأخذا من علي ومعاوية ومن الجند كليهما وممن تأمّرا عليه من الناس عهد الله ليقبلن ما قضيا به عليهما وأخذا لأنفسهما الذي يرضيان به من العهد والثقة من الناس ؛ انهما آمنان على أنفسهما وأهليهما وأموالهما ، وأن الأمة لهما أنصار على ما يقضيان به على

عليّ ومعاوية ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما ، وان على عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يصلحا بين الأمة ، ولا يردّاها إلى فرقة ولا حرب ، وان أجل القضية إلى شهر رمضان ، فإن أحبّا أن يعجّلاها دون ذلك عجّلا ، وإن أحبّا أن يؤخراها من غير ميل منهما أخّراها ، وإن مات أحد الحكمين قبل القضاء فإن أمير شيعته وشيعته يختارون مكانه رجلاً ، لا يألون عن أهل المعدلة والنصيحة والإقساط وأن يكون مكان قضيتهما التي يقضيانها فيه مكان عدل بين الكوفة والشام والحجاز ، ولا يحضرهما فيه إلا من أرادا ، فإن رضيا مكاناً غيره فحيث أحبا أن يقضيا ، وأن يأخذ الحكمان من كل واحد من شاءآ من الشهود ثم يكتبوا شهادتهم في هذه الصحيفة أنهم أنصار على من ترك ما فيها : اللهم نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة ، وأراد فيها إلحاداً أو ظلماً .

وشهد من كل جند على الفريقين عشرة ، من أهل العراق : عبدالله بن عباس . الأشعث بن قيس . سعيد بن قيس الهمداني . وقاء بن سُمي ـ وبعضهم يقول : ورقاء بن سُميّ ، ووقاء أصح ذلك ـ وعبدالله بن طفيل . وحجر بن يزيد الكندي وعبد الله بن حجل البكري . وعقبة بن زياد . ويزيد بن حُجيّة التيمي ، ومالك بن كعب الأرحبي .

ومن أهل الشام : أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي . حبيب مسلمة الفهري . المخارق بن الحارث الزبيدي . زمل بن عمرو العذري . حُمرة بن مالك الهمداني . عبدالرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي . سبيع بن يزيد الحضرمي . علقمة بن يزيد أخو سبيع هذا . عتبة بن أبي سفيان . يزيد بن الحر العبسي .

قالوا : فلما كتبت القضية خرج بها الأشعث ليقرأها على الناس فمر بها على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أُدَية ـ وهي أمّه وأبوه حُدير أحد بني ربيعة بن حنظلة ـ وهو أخو مرداس بن أدية ـ وأدية محاربية ـ فقال عروة : أتحكّمون في أمر الله الرجال ؟ أشرط أوثق من كتاب الله وشرطه ، أكنتم في شكّ حين قاتلتم ؟ لا حكم إلا الله ـ وهو أول من حكم ـ ثم اعترض للأشعث ـ وهو على بغلة له ـ ففاته ، فضرب بسيفه عجز البغلة ، ويقال : إن أول من حكم يزيد بن عاصم المحاربي ، وقال البرك الصريمي ـ من بني تميم ، ثم من بني مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ـ : أتريدون حكما أقرب عهداً . نحكم في أطراف الأسنة ، ثم شدّ عروة بسيفه فضرب عجز دابة الأشعث بن قيس ، فغضب للأشعث قومه ، فمشى إليه الأحنف بن قيس ، وجارية بن قدامة ، ومعقل بن قيس ، ومسعر بن فدكي العنبري ، وشبث بن ربعي في جماعة من بني تميم ، واعتذروا إليه ، فرضي وصفح ، وكان سيف عروة أول سيف شهر في التحكيم .

وقيل لعلي : إن الأشتر لم يرض بالصحيفة ، ولم ير إلا قتال القوم ، فقال : ولا أنا والله رضيت ولن يصلح الرجوع بعد الكتاب .

المدائني ، عن عيسى بن عبدالرحمن ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة بن قيس قال : قلت لعلي : أتقاضي معاوية على أن يحكم حكمان ؟ فقال : ما أصنع أنا مضطهد .

المدائني عن سليمان بن داود بن الحصين ، عن أبيه قال : قيل لابن عباس : ما دعا علياً إلى الحكمين ؟ فقال : إن أهل العراق ملّوا السيف وجزعوا منه جزعاً لم يجزعه أهل الشام ، واختلفوا بينهم ، فخاف عليّ لمّا رأى

من وهنهم أن ينكشفوا ويتفرقوا عنه ، فمال إلى القضية ، مع أنه أخذ بكتاب الله حين أمر بالحكمين في الصيد والشقاق ولو كان معه من يصبر على السيف لكان الفتح قريباً .

وقال أبو مخنف : كان الكتاب يوم الجمعة في صفر ، والأجل لشهر رمضان على رأس ثمانية أشهر إلى أن يلتقي الحكمان .

ثم إن الناس دفنوا قتلاهم ، وأطلق علي ومعاوية من كان في أيديهما من الأسرى وارتحلوا بعد يومين من القضية ، فسلك علي طريقه التي بدا فيها ؛ حتى أتى هيت وصندودا ، وصار إلى الكوفة في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين .

حدثني علي بن المغيرة ، الأثرم ، حدثنا أبو عبيدة ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : كتبت القضية بين علي ومعاوية يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين ، فأتى رجل من بني يشكر علياً فقال : يا علي ارتددت بعد إيمان ، وشككت بعد يقين ، اللهم إني أبرأ إليك من صحيفتهم وما فيها . فطعن رجلاً من أصحاب علي فقتله ، وشدّ عليه رجل من همدان فقتله فقال بعض شعرائهم :

ما كان أغنى اليشكري عن التي ... يصلى بها حرّا من النار حامياً
عشية يدعو والرماح تنوشه ... خلعت علياً بادياً ومعاويا

حدثني بكر بن الهيثم ، عن أبي نعيم ، عن الحسن بن صالح ، عن عبدالله بن حسن قال : قال علي للحكمين : أو تحكما بما في كتاب الله لي ، وإلا تحكما بما في كتاب الله فلا حكم لكما .

حدثني عبدالله بن صالح بن مسلم ، حدثنا ابن كُناسة الأسدي عن

إسماعيل بن مجالد ، عن أبيه ، عن الشعبي قال :

لما اجتمع علي ومعاوية على أن يحكّما رجلين اختلف الناس على عليّ فكان عظمهم وجمهورهم مقرين بالتحكيم راضين به ، وكانت فرقة منهم - وهم زهاء أربعة آلاف من ذوي بصائرهم والعباد منهم - منكرة للحكومة ، وكانت فرقة منهم وهم قليل متوقفين ، فأتت الفرقة المنكرة علياً فقالوا : عد إلى الحرب - وكان علي يحبّ ذلك - فقال الذين رضوا بالتحكيم : والله ما دعانا القوم إلا إلى حق وإنصاف وعدل ، وكان الأشعث بن قيس وأهل اليمن أشدهم مخالفة لمن دعا إلى الحرب ، فقال علي للذين دعوا إلى الحرب : يا قوم قد ترون خلاف أصحابكم وأنتم قليل في كثير ، ولئن عدتم إلى الحرب ليكوننّ أشدّ عليكم من أهل الشام ، فإذا اجتمعوا وأهل الشام عليكم أفنوكم ، والله ما رضيت ما كان ولا هويته ، ولكني ملت إلى الجمهور منكم خوفاً عليكم . ثم أنشد :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

ففارقوه ومضى بعضهم إلى الكوفة قبل كتاب القضية ، وأقام الباقون معه على إنكارهم التحكيم ناقمين عليه يقولون : لعلّه يتوب ويراجع ، فلما كتبت القضية خرج بها الأشعث فقال عروة بن حُدير : يا أشعث ما هذه الدنية ؟ أشرط أوثق من شرط الله ؟ واعترضه بسيف فضرب عجز بغلته وحكم فغضب للأشعث أهل اليمن حتى مشى الأحنف ، وجارية بن قدامة ، ومعقل بن قيس ، وشبث بن ربعي ، ووجوه تميم إليهم فرضوا وصفحوا .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير حدثنا

الأسود بن شيبان قال سمعت الحسن يقول ـ وذكر الفتنة ـ : إن القوم نعسوا نعسة في دينهم .

وحدثنا عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه عن جدّهِ قال : كان زياد ابن الأشهب بن ورد الجعدي أتى علياً بعد مقتل عثمان وبيعة الناس علياً ليدخل بينه وبين معاوية ، فيقال : إنه أجابه إلى الصلح على أن يوليه فلما نقض طلحة والزبير نقض معهما فقال الجعدي بعد ذلك :

مقام زياد عند باب ابن هاشم ... يـريد صـلاحاً بينكم وتقـربـا

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه عن جده عن العريان بن الهيثم قال : كان الهيثم عثمانياً ، وكان شبث بن ربعي علوياً فلما مرض شبث بن ربعي مرضه الذي مات فيه ؛ بعثني إليه فقلت له : أبي يقرئك السلام ويقول لك : كيف تجدك ؟ ـ قال : وكان أبي يعيب عليه مشهده يوم صفين كثيراً ـ فقال : أنا في آخر يوم من الدنيا، فاقرىء أباك السلام وقل له : إني لم أندم على قتال معاوية يوم صفين ، ولقد قاتلت بالسلاح كله إلا الهراوة والحجر ، قال : فأتيت أبي فأخبرته ، ومات شبث فقال أبي :

إنّي الـيـوم وإن أمـلي لي ... لقليـل العمر من بعـد شبث
عـاش تسعين خـريفـاً همّـه ... جمع ما يكسب من غير خبث
غـير جـانٍ في تميم سنـة ... تنكس الرأس ولا عهداً نكث
ولـقـد زلّ هـواه زلّـة ... يـوم صفين فـأخـطا وحنث
فـلعـل الـلـه أن يـرحمـه ... بقيـام الليل والصـوم اللهث
وتقى كـان عليـهـا دائمـاً ... وبكـاء ودعـاءً فـي الملث[1]

١ ـ الملث : سواد الليل . القاموس .

وقال أبو مخنف في إسناده : خرج الناس إلى صفين وهم أحباء متوادون ، ورجعوا وهم أعداء متباغضون يضطربون بالسياط ، يقول الخوارج : أدهنتم في أمر الله وحكمتم في كتابه ، وفارقتم الجماعة . ويقول الآخرون : فارقتم إمامنا وجماعتنا ، فغم علياً تباغضهم واختلافهم فجعل ينشد :

لقد عثرت عثرة لا أعتذر سوف أكيس بعدها واستمرّ
وأجمع الأمر الشتيت المنتشر (١)

فلما دخل علي الكوفة في شهر ربيع الأول لم يدخلوا معه وأتوا حروراء فنزلوها ، وقد كانوا تتامُّوا اثنا عشر ألفاً ، ونادى مناديهم : إن أمير القتال شبث بن ربعي ، وأمير الصلاة عبدالله بن الكواء اليشكري ، والأمر بعد شورى ، والبيعة لله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فسموا الحرورية لمصيرهم إلى حروراء ، وعسكر علي بالنخيلة فيمن أطاعه ، وكان شبث قد مال إلى الحرورية ؛ ثم آب فرجع إلى علي عليه السلام .

وحدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا وهب بن جرير ، عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان : أن علياً لما كتب كتاب القضية نفروا من ذلك ، فحكم من حكم منهم ، ثم افترقوا ثلاث فرق : فرجعت فرقة منهم إلى أمصارهم ومنازلهم الأولى فأقاموا بها ، فكان ممن رجع الأحنف ، وشبث بن ربعي ، وأبو بلال مرداس بن أديه ، وابن الكواء ، بعد أن ناشدهم علي وقال : اصبروا على هذه القضية فإن رأيتموني قابلاً الدنية فعند ذلك

١ ـ ديوان الامام علي ص ٥١ .

ففارقوني فرجعوا[1] إلى العراق إلى منازلهم ، وأقامت الفرقة الثانية وقالوا : لا نعجل حتى ننظر إلى ما يصير شأنه ، ومضت الفرقة التي شهدت على علي وأصحابه بالشرك ؛ وهم أهل النهروان الذين قاتلوه .

١ ـ في رواية ثانية «فرجع من رجع» (من الهامش) .

أمر الحكمين وما كان منهما

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن وهب ، عن ابن جعدبة ، عن صالح بن كيسان قال : لما تقاضوا وانصرفوا إلى بلادهم مكثوا بقية السنة التي اقتتلوا فيها بصفين ؛ حتى إذا كان شهر رمضان من سنة ست ـ أو سبع ـ وثلاثين ، خرج عبدالله بن عباس وعمرو بن العاص ومعهما من جندهما من أحبّا ، وكان ابن عباس قاضي علي ـ أو قال : خليفة علي ـ حتى نزلا بتدمر شهراً يتراجعان ويكتبان إلى صاحبيهما ، ويكتب صاحباهما إليهما حتى دخلا في السنة المقبلة ، ثم تحولا من تدمر إلى دومة الجندل فأقاموا بها شهراً ، ثم تحولا من دومة الجندل إلى أذرح [1] ؛ وكتبا إلى صاحبيهما ومن أرادا من الناس ، وأنفذا إلى عليّ كتاباً مع معن بن يزيد بن الأخنس السلمي ، وجاء معاوية للميعاد ؛ في رجال أهل الشام فيهم عبدالرحمن بن الأسود بن عبديغوث ، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، وحبيب بن مسلمة .

وكتبوا إلى ناس من أهل المدينة منهم : سعيد بن زيد بن عمرو بن

---

١ ـ ما تزال تحمل الاسم نفسه في الأردن .

نفيل ، فأبى أن يخرج إليهم ، فكتبوا إلى سعد بن أبي وقّاص ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالرحمن بن أبي بكر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالرحمن بن الأرقم الزهري ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام . ويقال إن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام أتاهم من غير أن يكتب إليه .

وأتاهم أبو جهم بن حذيفة وهم بأذرح ، ورجع الرسول الموجّه إلى علي ولم يقدم علي معه . وقال سعد بن أبي وقاص : أنا أحق الناس بهذا الأمر لم أشرك في دم عثمان ، ولم أحضر شيئاً ما من هذه الأمور الفتنة .

وقال ابن الزبير لابن عمر : اشدد لي ضبعك فإن الناس لم يختلفوا فيك . ولم يشك الناس في ابن عمر ، وكان أبو موسى الأشعري مع ابن عباس [1] .

فتحاور الحكمان في أمرهما فدعا أبو موسى إلى عبدالرحمن بن الأسود ابن عبديغوث الزهري فاختلفا ، فقال عمرو : هل لك في أمر لا نختلف معه ؟ قال : وما هو ؟ قال : يجعل أيّنا ولاه صاحبه الأمر إلى من رأى ، وعليه عهد الله وميثاقه ليجهدنّ للمسلمين . قال أبو موسى : نعم . قال عمرو : ذاك إليك بعهد الله وميثاقه ؟ قال أبو موسى : لا . قال عمرو : فهو إلي بذلك. قال أبو موسى: قد أعطيتك إيّاه، قال عمرو: نعم قد قبلت . ثم ندم أبو موسى فقال : ألا تدري ما مثلك يا عمرو ؟ مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً . يقول : إنك لا تنظر لدين ولا ترعى الذي حملت من الأمانة والعهد . فقال عمرو : مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، إن جعلتُ الأمر إليّ أبيت ، وإن جعلته إليك أبيت .

١ ـ كذا بالأصل وهو خطأ ناسخ صوابه «ابن عمر» .

ثم خلا عمرو بعبدالله بن عمر فقال له : اجتمع أمر الناس عليك وأنت أحقهم بهذا الأمر ، فإن علياً قد تخلف عنا ، وترك ما افترقنا عليه ، ولا بد للناس من إمام يلي أمورهم ويحوطهم ويقاتل من ورائهم .

فقال ابن عمر : ما أنا بالذي أقاتل الناس فتؤمّروني عليهم ، ولا حاجة لي في الإمرة ، فزعموا أن عمراً قال له : أتجعلني على مصر ؟ فقال : والله لو وليت من الأمر شيئاً ما استعملتك على شيء .

قال : وأقبل معاوية حين خلا عمرو بابن عمر ليبايعه فقال له رجل بالباب : لا تعجل فإنهما قد اختلفا ؛ وابن عمر يأباها . فرجع معاوية فلما أبىٰ ابن عمر أن يقبلها تفرق الناس ورجعوا إلى أرضيهم ورجع أبو موسى إلى مكة ولم يلحق بعلي ، وانصرف معاوية ولم يبايع له ، وكان تفرق الناس والحكمين عن أذرح في شعبان ، فقال كعب بن جعيل التغلبي :

كأنّ أبا موسى عشية أذرح يطيف بلقمان الحكيم يُواربه
ولما التقينا في تراث محمد علت بابن هند في قريش مضاربه

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثني أبو خيثمة ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي قال :

سمعت يعلى بن حكيم يحدث عن نافع قال : لما اجتمعوا بدومة الجندل قال عمرو لابن عمر : إنا قد رأينا أن نبايعك فهل لك أن نعطيك مالاً وتدعها لمن هو أحرص عليها منك ؟ فوثب ابن عمر مغضباً ، فأخذ ابن الزبير بثوبه فجلس وقال : ويحك يا عمرو بعت آخرتك بدنياك ، إني والله لا أعطي عليها مالاً ، ولا أقبل عليها مالاً ، ولا أقبلها إلا عن رضى جميع الناس .

حدثني أبو خيثمة ، حدثنا وهب ، عن جويرية بن اسماء .

عن نافع ، أن ابن عمر شهد مجتمعهم بأذرح للحكومة وأنّ عمراً قال له:ما تجعل لي أن صرفتها إليك ؟ قال : لا أجعل لك والله شيئاً ولا أقبلها حتى لا يختلف عليّ فيها اثنان .

حدثنا علي بن محمد المدائني ، عن محمد بن صالح ، عن محمد بن السائب الكلبي قال :

قدم علي الكوفة من صفين لعشر ليال بقين من شهر ربيع الأول ، فأقام ستة أشهر يجبي المال ويبعث العمال وينظر في أمور الناس ، فبينا هو على ذلك والخوارج مقيمون على انكار الحكومة ، إذ قدم عليه معن بن يزيد بن الأخنس السلمي من قبل معاوية فقال له : إن معاوية قد وفى فينبغي لك أن تفي كما وفى . فبعث علي عبد الله بن عباس وأربعمائة وأبا موسى معهم فكان ابن عباس يصلي بهم ويلي أمورهم ، وكان أبو موسى الحكم ، فنزلوا دومة الجندل ، وحضرهم عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الأسود الزهري ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وأبو الجهم بن حذيفة العدوي ، والمغيرة بن شعبة الثقفي وكان معتزلاً لأول الأمر . والثبت أن سعداً لم يحضر ، وقد حرص ابنه عمر أن يشخص فلم يفعل .

المدائني عن أبي الفضل التنوخي ، عمن سمع ميمون بن مهران يحدث عمر بن عبد العزيز ، قال :

لما أهل شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ، خرج معاوية من دمشق في أربعمائة حتى نزل دومة الجندل ، وسرح يزيد بن الحرّ العبسي إلى علي يعلمه

نزوله دومة الجندل ، ويسأله الوفاء ، فأتى علياً فحثه على الشخوص وقال : إن في حضورك هذا الأمر صلاحاً ووضعاً للحرب واطفاء للنائرة . فقال علي : يا بن الحر ، إني آخذ بأنفاس هؤلاء فإن تركتهم وغبت عنهم كانت الفتنة في هذا المصر أعظم من الحرب بينهم وبين أهل الشام ، ولكني أسرح أبا موسى ، فقد رضيه الناس ، وأسرح ابن عباس ، فهو يقوم مقامي ، ولن أغيب عما حضره ، ففعل ذلك فبعث إلى ابن عباس فأقدمه من البصرة ، وأقدم أبا موسى ، وكان توجه إلى بعض النواحي فقدما عليه فوجههما في خيل وأقام .

حدثنا عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده محمد بن السائب والشرقي بن القطامي قالا : سمعنا الناس يتحدثون بأن ابن عباس خلا بعلي حين أراد أن يبعث أبا موسى فقال : إني أخاف أن يخدع معاوية وعمرو أبا موسى ، فابعثني حكما ولا تبعثه ولا تلتفت إلى قول الأشعث وغيره ممن اختاره فأبىٰ ، فلما كان من أمر أبي موسى وخديعة عمرو له ما كان ، قال علي : لله درّ ابن عباس إن كان لينظر إلى الغيب من ستر رقيق .

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء ، عن يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي وائل قال :

قال سهل بن حنيف الأنصاري بصفين حين حكّم الحكمان : ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا لأمر إلا أسهل بنا إلى ما نعرفه ، إلا أمرنا هذا .

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن أبي مخنف لوط بن يحيى ، وعن عوانة في اسنادهما قالوا : لما قدم علي الكوفة وقد فارقته المحكمة ـ وهم الخوارج ـ وثب إليه شيعته فقالوا : بيعتك في أعناقنا فنحن أولياء من واليت

وأعداء من عاديت ، فقال الخوارج : تسابق هؤلاء وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان ، بايع أهل الشام معاوية على ما أحبوا وكرهوا ، وبايع هؤلاء علياً على أنهم أولياء من والى ، وأعداء من عادى .

وبعث علي عبد الله بن عباس إلى الخوارج وهم معتزلون بحروراء وبها سموا الحرورية ، فقال : أخبروني ماذا نقمتم من الحكمين ؟ وقال الله في الشقاق : ﴿فابعثوا حكماً من أهله﴾[1] الآية : وقال في كفارة الصيد يصيبه المحرم : ﴿ويحكم به ذوا عدل منكم﴾[2] قالوا : ما جعل الله حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم ، وأما ما حكم به وأمضاه في الشرائع والسنن والعزائم فليس للعباد أن ينظروا فيه ، ألا ترى أن الحكم[3] في الزاني والسارق والمرتد وأهل البغي مما لا ينظر العباد فيه ولا يتعقبونه . وقالوا : إن الله يقول : ﴿ويحكم به ذوا عدل منكم﴾ فعمرو بن العاص عدل ؟ وحكم الله في معاوية وأتباعه أن يقاتلوا ببغيهم حتى يفيئوا إلى أمر الله . فلم يجبه أحد منهم ، ويقال أجابه ألفا رجل ، ويقال : أربعة آلاف رجل .

ثم إن علياً سأل عن يزيد بن قيس الأرحبي فقيل : إنهم يطيفون به ويعظمونه ، فخرج عليّ حتى أتى فسطاطه فصلى فيه ركعتين ثم خاطبهم فقال :

نشدتكم الله هل تعلمون أني كنت أكرهكم للحكومة فيما بيننا وبين القوم ، ولوضع الحرب ، واعلمتكم انهم إنّما رفعوا المصاحف خدعة ومكيدة ، فردّ عليّ رأيي وأمري ، فشرطت في الكتاب على الحكمين أن يحييا

١ - سورة النساء - الآية : ٤٠ .
٢ - سورة المائدة - الآية : ٩٥ .
٣ - في رواية أخرى «حكمه» (من الهامش) .

ما أحيا الكتاب ، ويميتا ما أمات ؟ فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف ما حكما به ، وإن أبيا وزاغا فنحن من حكمهما براء ، وإنما حكّمنا القرآن ولم نحكّم الرجال ، لأن الرجال إنما ينطقون بما بين اللوحين .

قالوا : فلم كتبت اسمك ولم تنسب نفسك إلى إمرة المؤمنين ، أكنت مرتاباً في حقك ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ لمّا كتب القضية بينه وبين قريش قال : اكتب : هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو ، فقال أهل مكة : لو كنا نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فكتب «محمد بن عبد الله» . قالوا : إنما قلت لنا ما قلت وقد تاب إلى الله من كان منا مائلاً إلى الحكومة ، وعادهم إلى المنابذة ونصب الحرب ، فإن تبت وإلا اعتزلناك ، قال : فإني أتوب إلى الله وأستغفره من كل ذنب ، وقال لهم : ادخلوا مصركم رحمكم الله . فدخلوا من عند آخرهم وبايعوه على إعادة حرب القوم ، وقالوا : نجبي الخراج ونسمن الكراع ثم نسير إليهم .

وقدم معن بن يزيد بن الأخنس بن حبيب السُّلمي على علي من قبل معاوية ، يستبطئه في الحكومة ، وقال : إن معاوية قد وفى ففه ولا يلفتنّك عن رأيك أعراب تميم وبكر . فبعث أربعمائة من أصحابه عليهم شريح بن هانىء ، وبعث ابن عباس على صلاتهم والقضاء بينهم وولاية أمورهم ، وبعث معهم أبا موسى الأشعري ، وبعث معاوية عمراً في أربعمائة من أهل الشام فتوافوا بدومة الجندل والتقى الحكمان فقال عمرو : يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوماً؟ قال: أشهد. قال: افلست تعلم أن معاوية ولي عثمان ؟ قال : بلى . قال : فإن الله يقول : ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا

لوليه سلطانا[1]﴾ فما يمنعك من معاوية مع موضعه وشرفه ، وإنه في صواب تدبيره ورفق سياسته على ما ليس عليه غيره ، وإن وليّ كنت المقدم عنده وبسط يدك فيما احببت من ولايته ، فقال أبو موسى : إن هذا الأمر لا يكون بالشرف ؛ وغيره مما ذكرت ، وإنما يكون لأهل الدين والفضل والشدة في أمر الله ، مع أني لو اعطيته أعظم قريش شرفاً أعطيته علياً وأما الولاية فلو إن معاوية خرج إليّ من سلطانه كله إذا ولي ما وليت ؛ ما كنت لأرضى بالدنية في دين الله وحقه ، ولكن إذا شئت احيينا ذكر عمر فقال عمرو : فإن كنت تريد بيعة ابن عمر ؛ فما يمنعك من ابني عبد الله بن عمرو ؟ وأنت تعرف فضله وصلاحه . قال : إن ابنك لرجل صدق لكنّك قد غمسته في الفتنة ، ولكن إن شئت ولينا الطيب بن الطيب عبد الله بن عمر . فقال عمرو : إن هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل له ضرس يأكل به ويطعم . فقال له : يا عمرو ويحك إن العرب قد اسندت إليك أمرها بعد أن تقارعت بالسيوف وتناكزت بالرماح ، فلا تردنهم إلى مثل ذلك .

وأخذ عمرو بن العاص يقدم أبا موسى في الصلاة والكلام يعظمه ويوقره ويقول: أنت صاحب رسول الله ﷺ قبلي ولك سنّك وفضلك، فإذا تكلم تكلم بعده عودّه ذلك ، ثم قال أبو موسى لعمرو : ما رأيك ؟ قال رأيي أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى فيختار المسلمون لأنفسهم وتنقطع الحرب . قال أبو موسى : نعْمَ ما رأيت . قال عمرو : فتقدم رحمك الله فإنك صاحب رسول الله ﷺ . فقال أبو موسى : أيها الناس إنّ رأينا قد اتفق على أمر أرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأمة . فقال

١ ـ سورة الاسراء .

عمرو : صدق وبرّ ، وتكّلم يا أبا موسى بما تريد فدعاه ابن عباس فقال له : ويحك أظنّه قد خدعك ، إن كنتما اتّفقتما على أمر فقدمه قبلك فليتكلم ثم تكلم أنت فإنه رجل غدار . وكان أبو موسى مغفّلاً ، فقال : إنّا قد اتفقنا ولا خلاف بيننا . وتكلم أبو موسى فقال ـ بعد أن حمد الله وأثنى عليه ـ : إنّا نظرنا في هذا الأمر فلم نر شيئاً أصلح من خلع هذين الرجلين ثم تستقبل الأمة أمورها فتكون أمورهم شورى يولون من اختاروا ، إني قد اختلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أموركم وولوا من رأيتم أنتم . وتنحى ، وأقبل عمرو فقال : إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلعه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه وليّ عثمان والطالب بدمه وهو أصلح سياسة وأحزم رأياً من غيره . ويقال إنه قال : إن أبا موسى قد خلع صاحبه وقد خلعته كما خلعت نعلي هذه ، وثبتّ صاحبي معاوية فقال له أبو موسى : مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت إنما مثلك ﴿كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث[1]﴾ فقال عمرو : مثلك ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾[2] وحمل شريح بن هانىء على عمرو فقنعه بالسوط ، وحمل محمد بن عمرو بن العاص ـ أو غيره من ولده ـ على شريح فضربه بسوطه وقام الناس فحجزوا بينهما . وطلب أهل الكوفة أبا موسى فركب راحلته ولحق بمكة . وقال ابن عباس : قبحاً لرأي أبي موسى لقد حذرته وأمرته بالرأي فما عقل ولا قبل . وكان أبو موسى يقول : لقد حذرني ابن عباس غدر الفاسق ولكن اطمأننت إليه .

١ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ١٧٦ .
٢ ـ سورة الجمعة ـ الآية : ٥ .

وانصرف أهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى عليّ بالخبر ، فكان عليّ إذا صلى الغداة قنت فقال : اللهم العن معاوية وعمراً وأبا الأعور ، وحبيب بن مسلمة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والضحاك بن قيس ، والوليد بن عقبة . فبلغ ذلك معاوية فكان يلعن علياً والأشتر ، وقيس بن سعد ، والحسن ، والحسين ، وابن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، رضي الله تعالى عنهم .

حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن أبي مخنف ، عن ابن أبي حرة الحنفي أن علياً خرج ذات يوم فخطب فإنه لفي خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد ، فقال علي : كلمة حق يعزى بها - او قال : يراد بها - باطل ، إنّه لا حكم إلا لله ؛ ولكنهم يقولون إنه لا إمرة ، ولابدّ من أمير يعمل في امرته المؤمن ويستمع الفاجر[1] فإن سكتوا تركناهم - أو قال : عذرناهم - وإن تكلموا حججناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم ، فقام يزيد بن عاصم المحاربي فقال : اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا ، فإن ذلك إدهان وذا يرجع إلى سخط الله فخرج هو وأخوه فقتلوا بالنهروان .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن النعمان بن راشد :

عن الزهري قال : لما قدم علي بن أبي طالب إلى الكوفة من صفين خاصمته الحرورية ستة أشهر وقالوا : شككت في أمرك وحكمت عدوك ووهنت في الجهاد ، وتأولوا عليه القرآن فقالوا : قال الله : ﴿والله يقضي

١ - في رواية ثانية «ويستمتع» (من الهامش) .

بالحق﴾[1] الآية : وطالت خصومتهم لعلي ، ثم زالوا براياتهم وهم خمسة آلاف عليهم ابن الكواء ، فأرسل إليهم علي عبد الله بن عباس وصعصعة بن صوحان فدعواهم إلى الجماعة وناشداهم فأبوا عليهما ، فلما رأى ذلك علي أرسل إليهم إنا نوادعكم إلى مدة نتدارس فيها كتاب الله لعلنا نصطلح ، وقال لهم : ابرزوا منكم اثنا عشر نقيباً ؛ وأبعث منا مثلهم ونجتمع بمكان كذا فيقوم خطباؤنا بحججنا وخطباؤكم بحججكم . ففعلوا ورجعوا فقام علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإني لم أكن أحرصكم على هذه القضية وعلى التحكيم ، ولكنكم وهنتم في القتال ، وتفرقتم علي وخاصمني القوم بالقرآن ودعونا إليه ، فخشيت ان أبيت الذي دعوا إليه من القرآن والحكم ، ان يتأولوا علي قول الله : ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾[2] الآية : ويتأولوا قوله : ﴿لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ ، إلى قوله : ﴿ذوا عدل منكم﴾[3] ويتأولوا قوله : ﴿فإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا﴾[4] الآية فلم آب عليهم التحاكم ، وخشيت أن تقولوا : فرض الله في كتابه الحكومة في أصغر الأمر فكيف الأمر الذي فيه سفك الدماء ، وقطع الارحام وانتهاك الحريم ، وخفت وهنكم وتفرقكم .

ثم قامت خطباء الحرورية ، فقالوا : دعوتنا إلى كتاب الله والعمل به فأجبناك وبايعناك وقد قتلت في طاعتك قتلانا يوم الجمل وصفين ، ثمّ

١ ـ سورة غافر ـ الآية : ٢٠ .
٢ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ٢٣ .
٣ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٩٥ .
٤ ـ سورة النساء ـ الآية : ٣٥ .

شككتَ في أمر الله وحكّمت عدوك ، ونحن على أمرك الذي تركت ، وأنت اليوم على غيره ، فلسنا منك إلا أن تتوب منه وتشهد على نفسك بالضلالة .

فلما فرغوا من قولهم : قال علي :

أما أن أشهد على نفسي بالضلالة فمعاذ الله أن أكون ارتبت منذ أسلمت ، أو ضللت منذ اهتديت ، بل بنا هداكم الله من الضلالة ، واستنقذكم من الكفر ، وعصمكم من الجهالة ، وإنما حكمت الحكمين بكتاب الله والسنة الجامعة غير المفرقة ، فإن حكما بكتاب الله كنت أولى بالأمر من حكمهما ، وإن حكما بغير ذلك لم يكن لهما علي وعليكم حكم .

ثم تفرقوا فأعاد إليهم عبد الله بن عباس وصعصعة فقال لهم صعصعة : اذكركم الله أن تجعلوا فتنة العام مخافة فتنة عام قابل ، فقال ابن الكواء : ألستم تعلمون إني دعوتكم إلى هذا الأمر ؟ فقالوا : بلى . قال : فإني أول من أطاع هذا الرجل فإنه واعظ شفيق . فخرج معه منهم نحو من خمسائة فدخلوا في جملة علي وجماعته ، وبقي منهم نحو من خمسة آلاف رجل فقال عليّ : اتركوهم حتي يأخذوا ؛ ويسفكوا دماً حراما ففعل ذلك.

حدثنا ابو خيثمة ، حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن الصلت بن بهرام قال : لما قدم علي الكوفة من صفين جعل يخطب الناس وجعلت الخوارج تقول ـ وهو على المنبر ـ : قبلت الدنية بالقضية ، وجزعت عن البلية لاحكم إلا لله . فيقول : حكم الله انتظر فيكم . فيقولون : ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾[1] ، فيقول علي : ﴿فاصبر إن وعد

١ ـ سورة الزمر ـ الآية : ٦٥ .

الله حق ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون﴾[1] .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا أبو الحكم العبدي ، عن معمر ، عن الزهري قال : أنكرت الحكومة على علي طائفة من أصحابه قدمت إلى بلدانها من صفين ، وانحاز منهم اثنا عشر ألفاً ـ ويقال ستة آلاف ـ إلى موضع يقال له : حروراء بناحية الكوفة فبعث إليهم علي ابن عباس وصعصعة ؛ فوعظهم صعصعة . وحاجهم ابن عباس فرجع منهم ألفان وبقي الآخرون على حالهم حيناً ، ثم دخلوا الكوفة ، فلما انقضت المدة في القضية وأراد علي توجيه أبي موسى أتاه حرقوص بن زهير التميمي وزيد بن حصين الطائي وزرعة بن البرج الطائي في جماعة من الحرورية ، فقالوا : إتق الله وسر إلى عدوك وعدونا ، وتب إلى الله من الخطيئة؛ وارجع عن القضية ، فقال علي : أما عدوكم فإني أردتكم على قتالهم وأنتم في دارهم فتواكلتم ووهنتم وأصابكم ألم الجراح فجزعتم وعصيتموني ، وأما القضية فليست بذنب ولكنها تقصير وعجز أتيتموه وأنا له كاره ، وأنا أستغفر الله من كل ذنب . فقال له زرعة : والله لئن لم تدع التحكيم في أمر الله لأجاهدنك ، فقال له علي : بؤساً لك ما أشقاك ؛ كأني أنظر اليك غداً صريعاً تسفي عليك الرياح ، قال : وددتَ ذلك قد كان ، فانصرفوا وهم يظهرون التحكيم ويدخلون الكوفة ، فإذا صلى علي وخطب حكّموا ، فيقول علي : كلمة حق يعتزى بها باطل .

وبلغ يزيد بن عاصم المحاربي قول علي لزرعة بن البرج ، فأتاه فقال : يا علي أتخوفنا بالقتل ؛ إنا لنرجو أن نضربكم بها عن قليل غير

١ ـ سورة الروم ـ الآية : ٦٠ .

مصفحات ، ثم تعلم أينا أولى بها صلياً ، اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في دينك فإنها إدهان وذلٍ .

وقام رجل إلى علي عليه السلام فقال : ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ فقال علي : ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ .

حدثنا عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن أبي المنذر ، عن عوانة وعن أبي مخنف[1] قالا : قال علي عليه السلام :

يـا شاهـد الله علي فـاشهد آمـنت بـالله وولي أحمـد[2]

من شك في الله فإني مهتد

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، عن يحيى بن آدم ، عن الحسن بن صالح ، عن فراس ، عن الشعبي قال : لما حاج علي أهل حروراء دخلوا جميعاً الكوفة ، فنظر علي إلى حصين بن يزيد الطائي فحطأ علي على كتفه وقال : ذبي[3] حجل فقال زيد :

حقاً لقد ذبَّت بأطراف الأسل في يوم صفين وفي يوم الجمل

فقال علي : إنها لجنيدة . قال زيد : وهل ينفع عندك الجند .

ولما دخلوا الكوفة جعل الناس يقولون : تاب أمير المؤمنين وزعم أن الحكومة كفر وضلال . وإنما ننتظر أن يسمن الكراع ثم نشخص إلى الشام . فبلغ ذلك علياً فقال : كذب من قال : إني رجعت عن القضية وقلت إن

١ ـ في رواية أخرى «وأبي مخنف» (من الهامش) .
٢ ـ ديوان الامام علي ص ٣٤ مع فوارق .
٣ ـ ذب : دفع ومنع .

الحكومة ضلال . وكانت الحرورية قد سكنت فعادت بعد إلى التحكيم .

المدائني في إسناده قال : لما دخل المحكمة الكوفة ، ونزلوا حروراء وذهب عنهم كلال السفر ؛ مشت عصبة منهم إلى علي فقالوا : علام كنا نقاتل يوم الجمل ؟ قال : على الحق . قالوا : فأهل البصرة ؟ قال : على النكث والبغي . قالوا : فأهل الشام ؟ قال هم وأهل البصرة سواء . قالوا : فلم أجبت معاوية إلى وضع الحرب ؟ قال : خالفتموني وخفت الفتنة . قالوا : فعد إلى أمرك . قال : قد أعطيتهم ميثاقاً إلى مدة فلا يحل قتالهم حتى تنقضي المدة ، وقد أخذنا على الحكمين أن يحكما بكتاب الله ، فإن حكما به فأنا أولى الخلق بالأمر . فقالوا : إن معاوية يدعي مثل الذي تدعي . ففارقوه .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثني عبد الرحمن بن غزوان ، أنبأنا محمد بن طلحة بن مصرف ، عن زُبيد اليامي أنه قال[1] لمرّة بن شراحيل الطيب : ألا تلحق بعلي بصفين ؟ فقال : إن علياً سبقني بخير عمله في بدر وذواتها وأنا أكره أن أشركه فيما صار فيه .

١ ـ في رواية أخرى «قال : قيل» (من الهامش) .

أمر وقعة النهروان

حدثني عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي ، حدثني يحيى بن آدم ، أنبأنا سفيان ، عن الأعمش وغيره ، قالوا : خرج علي إلى أهل حروراء فكلمهم وحاجّهم وذلك بعد بعثته ابن عباس إليهم فدخلوا جميعاً إلى الكوفة ، وكان الرجل منهم يذكر القضية فيخرج فيحكّم ، وكان علي يقول : إنا لا نمنعهم الفيء ولا نحول بينهم وبين دخول مساجد الله ، ولا نهيّجهم ما لم يسفكوا دماً وما لم ينالوا محرما .

وحدثني عبد الله بن صالح ، عن ابن مجالد بن سعيد ، عن أبيه ، عن عامر الشعبي قال : لما أراد علي إمضاء أمر أبي موسى الأشعري أتاه حرقوص بن زهير التميمي ، وشريح بن أوفى العبسي ، وفروة بن نوفل الأشجعي ، وعبد الله بن شجرة السلمي ، وحمزة بن سنان الأسدي ، وعبد الله بن وهب الراسبي ـ وكان يقال له : ذو الثفنات لأثر سجوده بوجهه ويديه وشبه ذلك بثفنات البعير ـ فسألوه أن لا يوجه أبا موسى ، وأن يسير إلى الشام ، فأبىٰ ذلك وقال : فارقنا القوم على شيء فلا يجوز نقضه . فانصرفوا

إلى منزل عبد الله بن وهب من فورهم ـ أو منزل زيد بن حصين ـ فذكروا من أصيب من أصحاب علي بصفين مثل عمار بن ياسر ، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وخزيمة بن ثابت وأبي الهيثم بن التيهان وأشباههم وذكروا أمر الحكمين ، وكفروا من رضي بالحكومة ، وبرئوا من علي ، ثم مشى ، بعض الحرورية إلى بعض ، وقال لهم عبد الله بن شجرة : يا قوم اخرجوا إلى المدائن فأقيموا بها حتى يجتمع لكم ما تحاولون أن يجتمع ، وفارقوا هذه القرية الظالم أهلها . فقال زيد بن حصين : إن سعد بن مسعود على المدائن وهو يمنعنَّها ويحول بينكم وبينها .

وعرضوا رئاستهم على وجوههم فلم يقبلوها ودفعوها حتى قبلها ذو الثفنات عبد الله بن وهب الراسبي ، وقال : والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أتركها جزعاً من الموت .

ثم إنهم مضوا إلى النهروان(١) .

وحدثني عبد الله بن صالح ، عن يحيى بن آدم ، عن رجل عن مجالد ، عن الشعبي قال : بعث علي عبد الله بن عباس إلى الحرورية ؛ فقال : يا قوم ماذا نقمتم على أمير المؤمنين ؟ قالوا : ثلاثا : حكم الرجال في دين الله ، وقاتل فلم يسب ولم يغنم ، ومحا من اسمه حين كتبوا القضية «أمير المؤمنين» واقتصر على اسمه . فقال عبد الله بن عباس : أمّا قولكم : حكم الرجال . فإن الله قد صير حكمه إلى الرجال في أرنب ثمنه ربع درهم وما أشبه ذلك يصيبه المحرم ، وفي المرأة وزوجها ، فنشدتكم الله أحكم الرجال في بضع المرأة وأرنب بربع درهم أفضل ، أم حكمه في صلاح

١ ـ النهروان : كورة واسعة بَيْنَ بغداد وواسط من الجانب الشرقي . معجم البلدان .

المسلمين وحقن دمائهم ؟ قالوا : بل هذا . قال : وأما قولكم : ولم يسب ولم يغنم ، أفتسبون أمكم عائشة بنت أبي بكر الصديق ، قالوا : لا . قال : وأما قولكم : محا من اسمه إمرة المؤمنين . فإن المشركين يوم الحديبية قالوا لرسول الله ﷺ : لو علمنا أنك رسول الله لم نقاتلك . فقال رسول الله ﷺ : «امح يا عليّ واكتب محمد بن عبد الله» . ورسول الله خير من علي . فرجع منهم ألفان ، وأقام الأخرون على حالهم ، فلما أراد على توجيه الأشعري إلى الشام لإمضاء القضية ، أتاه حرقوص بن زهير السعدي ، وزيد بن حصين ، وزرعة بن البُرّج الطائيان في جماعة فسألوه أن لا يوجه أبا موسى ، وأن يسير بهم إلى الشام ، فيقاتلوا معاوية وعمرو بن العاص ، فأبى ذلك .

وسار أبو موسى في شهر رمضان ، فاجتمع المحكمة في منزل زيد بن حصين الطائي فبايعوا عبد الله بن وهب ، وكان يدعى ذا الثفنات ـ شبه أثر سجود بجبهته وأنفه ويديه وركبتيه بثفنات البعير ـ وكانت بيعتهم له لعشر خلون من شوال .

ثم خرجوا فتوافوا بالنهروان ، وأقبلوا يحكمون ، فقال علي : إنّ هؤلاء يقولون : لا إمرة ، ولابد من أمير يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع الفاجر ، ويبلغ الكتاب الأجل ، وإنها لكلمة حق يعتزون بها الباطل ، فإن تكلموا حججناهم وان سكتوا غممناهم .

فلما تفرق الحكمان كتب علي إليهم وهم مجتمعون بالنهروان : إن الحكمين تفرقا على غير رضا ، فارجعوا إلى ما كنتم عليه ، وسيروا بنا إلى الشام للقتال ، فأبوا ذلك وقالوا : لا حتى تتوب وتشهد على نفسك بالكفر . فأبى .

وكان مسعر بن فدكي توجه إلى النهروان في ثلاثمائة من المحكمة ؛ فمر بـ «بهرسير»[1] وعليها عدي بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني ، فخرج إليهم ليمنعهم ، فقتله أشرس بن عوف الشيباني ، فطعنه فقال : خذها من ابن عم لك مفارق ؛ لولا نصرة الحق كان بك ضنيناً . ويقال إنه سلم من طعنته وبقي بعد علي وولاه الحسن بهرسير ، وكان فيمن أتى أشرس بن عوف ـ حين خرج بعد النهروان ـ فضربه وقال : خذها من ابن عمّ لك شانٍ .

ولقوا عبد الله بن خبّاب بن الأرت ، ومعه أم ولد له يسوق بها ، فأخذوه وذبحوه وأم ولده ، فأرسل إليهم علي ، أن ابعثوا إليّ بقاتل ابن الحارث وابن خباب حتى أترككم وأمضي إلى الشام . فأبوا وقالوا : كلنا قتله .

فسار إليهم في محرم سنة ثمان وثلاثين فدعاهم ، فاعتزل بعضهم فلم يقاتلوه ، وبقي الآخرون فقاتلهم بالنهروان فقتلوا لتسع خلون من صفر ، سنة ثمان وثلاثين ، وقتل عبد الله بن وهب الراسبي قتله زياد بن خصفة وهانىء بن الخطاب الهمداني جميعا . ويقال : إن شبث بن ربعي شاركهما في قتله ، وكان شبث على ميسرة علي ، وكان فيمن رجع عن التحكيم بعد محاجة ابن عباس المحكمة . وقتل شريح بن [أبي] أوفى . واعتزل ابن الكواء فلم يقاتل علياً ، وقتل حرقوص بن زهير . وقتل ذو الثدية وكانت في عضده شامة كهيئة الثدي .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف لوط بن يحيى

١ ـ من نواحي سواد بغداد ، قرب المدائن . معجم البلدان .

عن عبد الملك بن أبي حرة الحنفي : ان وجوه الخوارج اجتمعوا عند عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم ودعاهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بالحق وإن أمرّ وضرّ ، وقال : اخرجوا بنا معشر اخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض السواد ، وبعض كور الجبل ، منكرين لهذه البدع المكروهة .

ثم قام حرقوص بن زهير السعدي فتكلم وتكلموا جميعاً بذم الدنيا والدعاء إلى رفضها والجد في طلب الحق وانكار البدع والظلم ، وعرضوا رئاستهم على غير واحد منهم فأبوها ، وقبلها عبد الله بن وهب الراسبي ، فبايعوه وذلك ليلة الجمعة لعشر ليال بقين من شوال سنة سبع وثلاثين ، في منزل زيد بن حصين .

وقال أبو مخنف : حدثني النضر بن صالح أن الحرورية اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي بعد أن ولّوا أمرهم عبد الله بن وهب ، وبعد شخوص أبي موسى للحكومة ، فقال ابن وهب : إن هؤلاء القوم قد خرجوا لإمضاء حكمهم حكم الضلال ، فاخرجوابنا رحمكم الله إلى بلدة نبعد بها من مكاننا هذا ، فإنكم أصبحتم بنعمة ربكم أهل الحق . فقال شريح : فما تنتظرون ؟ أخرجوا بنا إلى المدائن لننزلها ونبعث إلى اخواننا من أهل البصرة فيوافونا ، فأشار عليهم زيد بن حصين ألا يعتمدوا دخول المدائن ؛ وأن يخرجوا وحداناً مستخفين لئلا يرى لهم جماعة فتُتَّبع وأن ينزلوا بجسر المدائن ، فعملوا على ذلك وكتبوا إلى من بالبصرة من اخوانهم يستنهضونهم ، وبعثوا بالكتاب مع رجل من بني عبس .

وخرج زيد بن حصين وشريح بن أوفى من منزليهما على دابتيهما ،

وخرج الناس وترافدوا بالمال والعتاد وخرج عتريس بن عرقوب الشيباني صاحب عبد الله بن مسعود ؛ مع الخوارج فاتبعه صيفي بن فُشَيل الشيباني في رجال من قومه فطلبوه ليردوه فلم يقدروا عليه .

وحدثني حفص بن عمر ، عن الهيثم ، عن المجالد وغيره ، قالوا : كان أول من خرج شريح بن أوفى صلاة الغداة وهو يتلو ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها[1]﴾ فخرج قومه من المسجد ليمنعوه، فقال: والله لا يعرض لي أحد منكم إلا أنفذت رمحي فيه . فقالوا : أبعدك الله إنّما أشفقنا عليك . وخرج زيد بن حصين وهو يقرأ : ﴿فاخرج إني لك من الناصحين * فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾[2] فلما عبر الفرات قرأ ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسىٰ ربي أن يهديني سواء السبيل﴾[3] ثم تتابعوا يخرجون ، وخرج القعقاع بن نفر الطائي فاستعان عليه أخوه حكم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة برجال فحبسوه ـ وحكم هذا جد الطرماح الشاعر ابن حكيم بن حكم ـ وكان يقال للقعقاع الطرماح الأكبر فقال :

إني لمقتـاد جوادي فقـاذف ... به وبنفسي اليوم إحدى المتالف
فيارب إن كانت وفاتي فلا تكن ... على شرجع[4] تعلوه خضر المطارف
ولكن أكُنْ يومي شهيداً بعصبة ... يصابون في فج من الأرض خائف
ليصبح لحدي بطن نسر مقيله ... بجوّ السماء في نسور عواكف
يوافون من شتى ويجمع بينهم ... تقى الله نزالون عند التزاحف

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٧٥ .
٢ ـ سورة القصص ـ الآيتان : ٢٠ ـ ٢١ .
٣ ـ سورة القصص ـ الآية : ٢٢ .
٤ ـ الشرجع : النعش . القاموس .

في أبيات . وقوم يقولون : إن هذا الشعر للطرماح الأصغر . وذلك باطل .

وخرج عتريس بن عرقوب الشيباني ، وخرج في طلبه صيفي بن فشيل الشيباني ابن عمه في جماعة من قومه ليردوه ؛ ففاتهم .

وخرج زيد بن عدي بن حاتم ، فاتبعه أبوه عدي بن حاتم ففاته ، فلم يقدر عليه ، فانصرف عدي إلى علي بخبرهم .

وقوم يقولون : ان الذي خرج فاتبعه عدى ابنه طريف . وذلك باطل ، قتل طريف مع علي يوم الجمل وفقئت عين أبيه وقتل طرفة مع علي يوم النهروان ، والذي خرج مع الحرورية زيد بن عدي .

وخرج كعب بن عميرة فاشترى فرساً وسلاحاً وقال :

هذا عتادي للحروب وإنّني ... لآمل أن ألقى المنية صابرا
وبالله حولي واحتيالي وقوتي ... إذا لقحت حربٌ تشيب الحزاورا[١]
ومازلت مذ كنت ابن عشرين حجة ... أهمّ بأن ألقى الكماة مغـاورا
وأصنع للهيجاء محبوكة القزا[٢] ... معقربة الأ نساء تحسب طائرا
إذا عضّها سوطي تمطت ملحة ... بأروع مختال يروق النواظرا

في أبيات . فقال له عبد الله بن وهب : جزيت خيرا ، فربّ سريعة موت تنجيك من النار وتوردك مورداً لا تظمأ بعده . فأخذه أهل بيته فحبسوه حتى قتل أهل النهروان ، فقال في محبسه :

أعوذ بربي أن أعود لمثل ما ... هممت به يا عمرو ما حنت الابل

١ ـ أي الرجال الأقوياء . القاموس .
٢ ـ قزا بعصاه الأرض : نكتَها، أو لعب بها . القاموس .

فيا عمرو ثق بي واتق الله وحده فقد خفت أن أردى بما عضني الكبل

في أبيات . وخرج عبيدة بن خالد المحاربي وهو يتمثل بشعر شعبة بن عريض :

إن امرءاً أمن الحوادث سالماً ورجا الحياة كضارب بقداح

فأراد عمّه ردّه فأبى .

وحدثني عباس بن هشام عن أبي مخنف ، عن أبي روق الهمداني عن عامر الشعبي . وعن المعلى بن كليب ، عن أبي الوداك جبر بن نوف وغيرهما : قالوا : لما هرب أبو موسى إلى مكة ، ورجع ابن عباس والياً على البصرة ، وأتت الخوارج النهروان ، خطب علي النّاس بالكوفة فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق المجرب تورث الحسرة ، وتعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وهذه الحكومة بأمري ، ونخلت لكم رأيي لو يطاع لقصير رأي ، ولكنكم أبيتم إلا ما أردتم فكنت وأنتم كما قال أخو هوازن[١] .

أمرتهم أمري بمنعـرج اللوا فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد[٢]

الا إن الرجلين اللذين اخترتموها حكمين قد نبذا حكم الكتاب وراء ظهورهما ، وارتأيا الرأي قبل أنفسهما ، فأماتا ما أحيا القرآن ، وأحييا ما أمات القرآن ؛ ثم اختلفا في حكمهما ، فكلاهما لا يرشد ولا يسدد ، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين ، فاستعدوا للجهاد ، وتأهّبوا

١ ـ هو دريد بن الصمة ـ انظر الأغاني ـ ط . دار الكتب ج ١٠ ص ١٠ .
٢ ـ ديوان دريد بن الصمة ـ ط . دار المعارف ـ القاهرة ص١٦ .

للسير ، وأصبحوا في معسكركم يوم الاثنين إن شاء الله .

حدثني وهب بن بقية ، عن يزيد بن هارون ، عن سليمان التيمي عن أبي مجلز : أن علياً نهى أصحابه أن يبسطوا على الخوارج حتى يحدثوا حدثا ، فمروا بعبد الله بن خَبّاب فأخذوه ، فمر بعضهم بتمرة ساقطة من نخلة فأخذها واحد فأدخلها فمه ، فقال بعضهم : بما استحللت هذه التمرة؟ فألقاها من فيه ، ثم مروا بخنزير فقتله بعضهم فقالوا له : بما استحللت قتل هذا الخنزير وهو معاهد؟ فقال لهم ابن خباب : ألا أدلُّكم على من هو أعظم حرمه من الخنزير؟ قالوا: من هو؟ قال : أنا . فقتلوه ، فبعث علي إليهم : ابعثوا إليّ بقاتل ابن خباب . فقالوا : كلنا قتله . فأمر بقتالهم .

وبعث علي إلى الخوارج أن سيروا إلى حيث شئتم ، ولا تفسدوا في الأرض فإني غير هائجكم ما لم تحدثوا حدثا ، فساروا حتى أتوا النهروان وأجمع عليّ على إتيان صفين ، وبلغ معاوية ، فسار حتى أتى صفين .

وكتب علي إلي الخوارج بالنهروان : «أما بعد فقد جاءكم ما كنتم تريدون ، قد تفرق الحكمان على غير حكومة ولا اتفاق ، فارجعوا إلى ما كنتم عليه فإني أريد المسير إلى الشام» . فأجابوه أنه لايجوز لنا أن نتخذك إماماً وقد كفرت حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب كما تبنا ، فإنك لم تغضب لله ، إنما غضبت لنفسك ، فلما قرأ جواب كتابه إليهم يئس منهم ؛ فرأى أن يمضي من معسكره بالنخيلة وقد كان عسكر بها ـ حين جاء خبر الحكمين ـ إلى الشام ، وكتب إلى أهل البصرة في النهوض معه ، فأتاه الأحنف بن قيس في ألف وخمسمائة ، وأتاه جارية بن قدامة في ثلاثة آلاف . ويقال : إن ابن قدامة جاء في خمسة آلاف . ويقال : في أكثر من ذلك . فوافاه بالنخيلة ،

فسار بهم علي إلي الأنبار ، وأخذ على قرية «شاهي» ثم على «دباها» من الفلوجة ، ثم إلى «دمما» .

وكان الخوارج الذين قدموا من البصرة مع مسعر بن فدكي استعرضوا الناس في طريقهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأته على حمار له، فدعوه وانتهروه ورعّبوه وقالوا له: من أنت؟ فقال: رجل مؤمن قالوا: فما اسمك؟ قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ . فكفوا عنه، ثم قالوا له: ماتقول في علي؟قال: أقول: إنه أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، وقد حدثني أبي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ستكون فتنة يموت فيها قلب الرجل فيصبح مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً». فقالوا: والله لنقتلنك قتلة ماقتلها أحد، وأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل مواقير فسقطت رطِبة منها فقذفها بعضهم في فيه، فقال له رجل منهم: أبغير حلها ولاثمن لها؟ فألقاها من فيه واخترط سيفه وجعل يهزه فمرّ به خنزير لذمي فقتله بسيفه، فقال له بعض أصحابه: إن هذا لمن الفساد في الأرض. فطلب صاحب الخنزير حتى أرضاه، فقال ابن خباب: لئن كنتم صادقين فيما أرى وأسمع إني لآمن من شرّكم. قال: فجاؤوا به فأضجعوه على شفير نهر وألقوه على الخنزير المقتول فذبحوه عليه، فصار دمه مثل الشراك قد امذقرّ[١] في الماء، وأخذوا امرأته فبقروا بطنها وهي تقول: أما تتقون الله؟ وقتلوا ثلاث نسوة كنّ معها.

فبلغ علياً خبر ابن خباب وامرأته والنسوة، وخبر سوادي لقوه بنفر فقتلوه،فبعث عليّ إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليتعرف حقيقة مابلغه

١ ـ أي اختلط بالماء أو صار الدم ناحية والماء ناحية. القاموس.

عنهم، فلما أتى النهروان وقرب منهم خرجوا إليه فقتلوه، وبلغ ذلك علياً ومن معه؛ فقالوا له: ماتركنا هؤلاء وراءنا يخلفونا في أموالنا وعيالاتنا بما نكره، سر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى عدونا من أهل المغرب، فإن هؤلاء أحضر عداوة وأنكى حدّاً ـ والثبت: انه بعث ابن الحارث رجلاً من أصحابه، لأن الحارث بن مرّة قتل بالقيقان من أرض السند في سنة اثنتين وأربعين ـ وقام الأشعث بن قيس فكلمه بمثل ذلك، فنادى عليّ بالرحيل، فأتاه مسافر بن عفيف الأزدي فقال: ياأمير المؤمنين لاتسر في هذه الساعة. فقال له: ولم أتدري ما في بطن هذه الفرس؟ قال: ان نظرت علمت. فقال علي: إن من صدقك في هذا القول يكذّب بكتاب الله لأن الله يقول في كتابه: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وماتدري نفس ماذا تكسب غدا وماتدري نفس بأيّ أرض تموت﴾[1] وتكلم في ذلك بكلام كثير، وقال: لئن بلغني أنك تنظر في النجوم لأخلدنّك الحبس مادام لي سلطان، فوالله ماكان لمحمد منجّم ولاكاهن، أو كما قال:

حدثنا سريج بن يونس، حدثنا إسماعيل بن علية، عن أيوب عن حميد بن هلال، عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم أنهم دخلوا قرية فخرج عبد الله بن خباب مذعوراً، فقالوا له: أنت ابن صاحب رسول الله فهل سمعت من أبيك عن رسول الله حديثاً؟ قال: نعم سمعته يقول قال رسول الله ﷺ: «تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والماشي خير من الساعي، فإذا أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول ولاتكن عبد الله القاتل». قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك عن رسول الله؟ قال: نعم

١ ـ سورة لقمان ـ الآية: ٣٤ .

فقدموه فقتلوه فسال دمه حتى كأنه شراك نعل قد امذقرّ في الماء، وبقروا بطن أم ولده.

وأتى عليّ المدائن وقد قدمها قيس بن سعد بن عبادة، وكان عليّ قدمه إليها. ثم أتى عليّ النهروان فبعث إلى الخوارج أن أسلموا لنا قتلة ابن خباب ورسولي والنسوة لأقتلهم ثم أنا تارككم إلى فراغي من أمر أهل المغرب فلعل الله يقبل بقلوبكم ويردكم إلى ماهو خير لكم وأملك بكم. فبعثوا إليه أنه ليس بيننا وبينك إلا السيف إلا أن تقرّ بالكفر وتتوب كما تبنا فقال علي: أبعد جهادي مع رسول الله ﷺ وإيماني أشهد على نفسي بالكفر؟ لـ ﴿ قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين﴾(١) ثم قال:

يا شاهدا لله عليَّ فـاشهد آمـنـت بـالله ولي أحمـد
من شك في الله فإني مهتد

وكتب إليهم: «أما بعد فإني أذكركم أن تكونوا من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً بعد أن أخذ الله ميثاقكم على الجماعة، وألف بين قلوبكم على الطاعة، وأن ﴿تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات﴾(٢). ودعاهم إلى تقوى الله والبرّ ومراجعة الحق، فكتب إليه ابن وهب الراسبي ﴿إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(٣) ان الله بعث محمدا بالحق وتكفل له بالنصر كما بلغ رسالاته، ثم توفاه إلى رحمته، وقام بالأمر بعده أبو بكر بما قد شهدته وعاينته متمسكاً بدين الله مؤثراً لرضاه حتى

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية: ٥٦ .
٢ ـ سورة آل عمران ـ الآية: ١٠٥ .
٣ ـ سورة الرعد ـ الآية: ١١ .

أتاه أمر ربّه، فاستخلف عمر، فكان من سيرته ماأنت عالم به، لم تأخذه في الله لومة لائم، ختم الله له بالشهادة، وكان من أمر عثمان ماكان حتى سار إليه قوم قتلوه لما آثر الهوى وغيّر حكم الله، ثم استخلفك الله على عباده فبايعك المؤمنون وكنت لذلك عندهم أهلاً، لقرابتك بالرسول، وقدمك في الإسلام، ووردت صفين غير مداهن ولا وان، مبتذلاً نفسك في مرضاة ربك فلما حميت الحرب وذهب الصالحون: عمار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التيهان، وأشباههم اشتمل عليك من لافقه له في الدين ولارغبة في الجهاد؛ مثل الأشعث بن قيس وأصحابه واستنزلوك حتى ركنت إلى الدنيا، حين رفعت لك المصاحف مكيدة فتسارع إليهم الذين استنزلوك، وكانت منا في ذلك هفوة ثم تداركنا الله منه برحمته، فحكمت في كتاب الله وفي نفسك، فكنت في شك من دينك وضلال عدوك وبغيه عليك، كلا والله يا بن أبي طالب، ولكنكم ﴿ظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً﴾[1] وقلت: لي قرابة من الرسول وسابقة في الدين فلا يعدل الناس بي معاوية، فالآن فتب إلى الله وأقرّ بذنبك، فإن تفعل نكن يدك على عدوك، وإن أبيت ذلك فالله يحكم بيننا وبينك.

قالوا: وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة فناداهم فقال: ياعباد الله اخرجوا إلينا طلبتنا وانهضوا إلى عدوكم وعدونا معاً. فقال له عبدالله بن شجرة السلمي: إن الحق قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم أبداً أو تأتونا بمثل عمر. فقال: والله مانعلم على الأرض مثل عمر إلا أن يكون صاحبنا، وقال لهم علي: «ياقوم انه قد غلب عليكم اللجاج والمراء واتّبعتم اهواءكم فطمح

١ ـ سورة الفتح ـ الآية: ١٢ .

بكم تزيين الشيطان لكم وأنا أنذركم أن تصبحوا صرعى بأهضام هذا الغائط وأثناء هذا النهر».

فلم يزل يعظهم ويدعهم فلما لم ير عندهم انقياداً ـ وكان في أربعة عشر ألفاً ـ عبّأ الناس فجعل على ميمنته حجر بن عدي الكندي وعلى ميسرته شبث بن ربعي وعلى الخيل أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري، وعلى الرجال أبا قتادة الأنصاري ـ واسمه النعمان بن ربعي بن بلدمة الخزرجي ـ وعلى أهل المدينة وهم سبعمائة ـ أو ثمانمائة ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري.

ثم بسط لهم عليّ الأمان ودعاهم إلى الطاعة، فقال فروة بن نوفل الأشجعي: والله ماندري على مانقاتل علياً؟ فانصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجين[1] والدسكرة، وخرجت طائفة منهم أخرى متفرقين إلى الكوفة، وأتى مسعر بن فدكي التميمي راية أبي أيوب الأنصاري في ألف، واعتزل عبد الله بن الحوساء ـ ويقال: ابن أبي الحوساء الطائي ـ في ثلاثمائة وخرج إلى عليّ منهم ثلاثمائة فأقاموا معه، وكانوا أربعة آلاف فارس ومعهم خلق من الرجّالة. واعتزل حوثرة بن وداع في ثلاثمائة، واعتزل أبو مريم السعدي في مائتين؛ واعتزل غيرهم؛ حتى صار مع ابن وهب الراسبي ألف وثمانمائة فارس، ورجالة يقال: إنهم ألف وخمسمائة.

وقال علي لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدأوكم. ونادى جمرة بن سنان: روحوا إلى الجنة، فقال ابن وهب: والله ماندري أنروح إلى الجنة أم إلى النار وتنادى الحرورية: الرواح إلى الجنة معاشر المخبتين وأصحاب البرانس المصلين، فشدوا على أصحاب علي شدّة واحدة؛ فانفرقت خيل علي

١ ـ بلدة في طرف النهروان. معجم البلدان.

منفرقين: فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة. وأقبلوا نحو الرجالة فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل حتى كأنهم معزى يتقى المطر بقرونها، ثم عطفت الخيل عليهم من الميمنة والميسرة، ونهض علي إليهم من القلب بالرماح والسيوف فما لبثوا أن أهمدوا في ساعة.

وقتل أبو أيوب الأنصاري زيد بن حصين الطائي. ويقال: بل قتله قيس بن سعد، واختصم هانىء بن خطاب وزيد بن خصفة التميمي في قتل عبد الله بن وهب الراسبي، فادّعى كل واحد منهما قتله، وقتل حنش بن ربيعة حرقوص بن زهير السعدي، وقتل عبد الله بن دجن الخولاني عبد الله بن شجرة السلمي. وكان على ميمنة الخوارج زيد بن حصين، وعلى ميسرتهم عبد الله بن شجرة.

ووقف جمرة بن سنان الأسدي في ثلاثمائة، فوقف عليّ بإزائه الأسود بن يزيد المرادي في ألفين. ويقال: أقل من ذلك.

وصار شريح بن أوفى العبسي إلى جانب جدار فقاتله على ثلمته قوم من همدان ملياً من النهار، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت جارية عبسية ناعمة في أهلها مكفيّة
أني سأحمي ثلمتي العشية

فشدّ عليه قيس بن معاوية المرهبي فضربه فقطع رجله، فأقبل يضاربهم ويقول:

الفحل يحمي شوله معقولا تمنعني نفسي أن أزولا

ثم شدّ عليه أيضاً قيس بن معاوية فقتله، فقال الشاعر:

اقتتلت همدان يوماً ورجل اقتتلوا من غدوة حتى الأصل

ففتح الله لهمدان الزجل

وكان من رجز ابن أوفى يومئذ:

أضربهم ولو أرى أبا حسن ضربته بالسيف حتى يطمئن

ومن رجزه أيضاً:

أضربهـم ولـو أرى عليـاً جـالدته أبيض مشرفيـا

حدثني روح بن عبد المؤمن حدثني عارم بن الفضل، حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم قال: قال رجل يوم النهروان وهو يرتجز:

أضربهـم ولا أرى عليـاً ولم أكن عن قتلهم ونيـا
أكسوهم أبيض مشرفيا

قال: وقال آخر:

أضربهم ولا أرى أبا حسن ها إن هذا حزن من الحزن

قال: ولم يقتل من أصحاب علي إلا عشرة نفر أو أقل، وكان ممن قتل معه عروة بن إنّاف بن شريح الطائي. والصلت بن قتادة بن سلمة بن خلادة الكندي من ولد حوت بن الحارث.

وروى بعضهم ان الذي قاتل على الثلمة عبد الرحمن بن قيس الحداني. والثبت: ان شريح بن أوفى الذي قاتل عليها.

وقاتل عدان بن المغذّذ وهو يقول:

ليس من الموت نجاة للفتى صبراً أبا المنهال صبراً للقضا
إن مصير الخلق طرّاً للبلى وليس ينجيك حذار من ردى
فاركب لك الخيرات أطراف القنا واصبر فإن الصبر أولى بالفتى

فقتل:

وقتل مع علي أيضاً زائدة بن سمير بن عبد الله بن نهاز المرادي.

قالوا: ووجد علي عليه السلام ممن به رمق أربعمائة فدفعهم إلى عشائرهم ولم يجهز عليهم، وردّ الرقيق على أهله حين قدم الكوفة وقسم الكراع والسلاح وماقوتل به بين أصحابه.

ووجد عدي بن حاتم ابنه الذي خرج مع الحرورية قتيلاً فدفنه بالنهروان.

وقتل جواد بن بشر ـ وهو أخو الزبرقان بن بدر ـ مع الخوارج، وقتل يزيد بن عاصم المحاربي وأربعة إخوة له معه، وقتل جمرة بن سنان الأسدي.

وشهد ابن الكواء النهروان وكان ممن اعتزل. ويقال: إنه اعتزل قبل أن يصيروا إلى النهروان.

وكان مقتل أهل النهروان لتسع خلون من صفر سنة ثمان وثلاثين.

وقال ابن الكلبي: استعمل عليّ على الكوفة حين شخص عنها وحارب أهل النهروان، هانىء بن هوذة بن عبد يغوث بن عمرو بن عدي النخعي.

قالوا: وطلب علي ذا الثدية فوجد في حفيرة دالية مع القتلى وكانت في عضده شامة تمتدّ كهيئة الثدي، عليها شعر كشعر شارب السنور، وكان مخدجاً وكان يسمّى نافعاً.

وروي عن نعيم بن حكيم، عن أبي مريم، عن علي عن النبي ﷺ قال: «إن قوماً يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية؛ طوبى لمن قتلهم وقتلوه، علامتهم فيهم رجل مخدج اليد».

وقال أبو مريم: والله إن كان المخدج لمعنا يومئذ في المسجد، وكان يجالس علياً في الليل والنهار، ولقد كان فقيراً يشهد طعام علي.

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ، عن يحيى بن آدم ، عن إسرائيل عن إبراهيم بن عبدالأعلى ، عن طارق بن زياد ، قال : قام علي بالنهروان فقال : إن نبي الله قال : «سيخرج قوم يتكلمون بكلام الحق لا يجاوز حلوقهم ، يخرجون من الحق خروج السهم ـ أو مروق السهم ـ سيماهم أن فيهم رجلاً مخدج اليد ، في يده شعرات سود» . فإن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس ، فطلب فوجد فخرّ عليّ وأصحابه سجوداً .

وروى حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن غلام لأبي جحيفة السوائي قال : لما قتل علي أهل النهروان جعل لا يستقر جالساً ويقول : ويحكم أطلبوا رجلاً ناقص اليدين في يديه [1] عظم طرفها حلمة كحلمة الثدي من المرأة ؛ عليها خمس شعرات ـ أو سبع شعرات ـ رؤوسها معقفة ، قالوا : قد طلبناه فلم نجده . فقال : أليس هذا النهروان ؟ قالوا : بلى . قال : فوالله ما كَذبت ولا كُذبت فاطلبوه ، فطلبناه فوجدناه قتيلاً في ساقية ، ففرح عليّ فرحاً شديداً .

وقال الأخنس بن العيزاز الطائي ثم السنبسي يرثي أهل النهروان من الخوارج ويذكر زيد بن حصين :

إلى الله أشكو أن كل قبيلة ... من الناس قد أفنى الجلاد خيارها
سقى الله زيدا كلما ذر شارق ... واسكن من جنات عدن قرارها

وقال حبيب بن خدرة في قصيدة له طويلة :

يا رب إنهم عصوك وحكّموا ... في الدين كل ملعن جبار
يدعو الى سبل الضلالة والردى ... والحق أبلج مثل ضوء نهار

١ ـ في رواية أخرى «اليد في يده» (من الهامش) .

فهم يرون سبيل طاغيهم هدى وأرى سبيلهم سبيـل الـنـار
يا رب بـاعد في الولاية بيننا إني عـلى مـا يفعـلون لـزار
وسبيل يوم النهر حين تتابعوا متـوازرين عـلى رضـا الجبـار

وقال في قصيدة له :

ألا ليتني يا أم صفوان لم أؤب وغودرت في القتلى بصفين ثاويا
فوالله رب الناس ما هاب معشر على النهر في الله المنايا القواضيا
تذكرت زيداً منهم وابن حاتم فتى كان يوم الروع أروع ماضيا

وروي أن النبي ﷺ قسم دنانير فسأله المخدج فلم يعطه فقال : والله ما عدلت في القسم ، فقال : «ويلك فمن يعدل» ؟

حدثني روح بن عبدالمؤمن ، حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، أنبأنا شعبة ، أنبأنا أبو إسحاق قال : سمعت عاصماً يقول : إن حرورية على عهد علي قالوا : لا حكم إلا لله . فقال علي : إنه كذلك ولكنهم يقولون : لا إمرة . ولا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر يعمل في امرته المؤمن ، ويستمتع الكافر ، ويبلغ الكتاب أجله .

أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد النهروان

قالوا : وأمر علي عليه السلام الناس بالرحيل من النهروان فقال لهم : إن الله قد أعزّكم وأذهب ما كنتم تخافون عنكم فامضوا من وجهكم هذا إلى الشام .

فقال الأشعث بن قيس : يا أمير المؤمنين نفدت سهامنا ، وكلّت سيوفنا ونصلت رماحنا ؛ فلو أتينا مصرنا حتى نريح ونستعدّ ثم نسير إلى عدونا . فركن الناس إلى ذلك ، وكان الأشعث طنينا ، وسماه علي عرف النار .

قالوا : وسار علي حتى أتى المدائن ثم مضى حتى نزل النخيلة ، وجعل أصحابه يدخلون الكوفة حتى بقي في أقل من ثلاثمائة ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة وقد بطل عليه ما دبّر من اتيان الشام قاصداً إليها من النهروان ، فخطب الناس فقال : «أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدوكم ففي جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن

رباط الخيل﴾ (١) وتوكلوا ﴿على الله وكفى بالله وكيلا﴾ (٢) ﴿وكفى بالله نصيرا﴾ (٣) فلم يصنعوا شيئاً ، فتركهم أياماً حتى إذا يئس منهم خطبهم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال : «يا عباد الله ما بالكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله إثّاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا وبالذّلّ والهوان من العزّ والكرامة خلقا ، أكلما دعوتكم إلى الجهاد دارت أعينكم في رؤوسكم كأنكم من الموت في سكرة ، وكأن قلوبكم قاسية فأنتم أسود الشرى عند الدعة ؛ وحين تنادون للبأس ثعالب رواغة ، تنتقص أطرافكم فلا تتحاشون ولا ينام عدوكم عنكم وأنتم في غفلة ساهون .

إن لكم عليّ حقا ؛ وإن لي عليكم حقاً ، فأما حقكم فالنصيحة لكم ما نصحتم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وأن أعلمكم كيلا تجهلوا ، وأؤدبكم كيلا تغلموا ، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصح في المغيب والمشهد ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم» .

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن أبي مخنف ، عن الحارث بن حصيرة ، عن أبي صادق ، عن جندب بن عبدالله الأزدي أن علياً خطبهم حين استنفرهم إلى الشام بعد النهروان ، فلم ينفروا فقال :

«أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة قلوبهم وأهواؤهم ، ما عزّت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم . كلامكم يوهن الصمّ

---

١ - سورة الأنفال - الآية ٦٠ .

٢ - سورة الأحزاب - الآية ٣ .

٣ - سورة النساء - الآية : ٤٥ .

الصلاب . وفعلكم يطمح فيكم عدوكم ، إذا دعوتكم إلى الجهاد قلتم : كيت وكيت وذيت وذيت أعاليل بأباطيل ، وسألتموني التأخير فعل ذي الدَّين المطول حيدي حياد ، لا يدفع الضيم الذليل ، ولا يدرك الحق إلا بالجدّ والعزم واستشعار الصبّر ، أيُّ دار بعد داركم تمنعون ، ومع أي إمام بعدي تقاتلون ، المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، أصبحت لا أطمع في نصركم ولا أصدق قولكم ، فرق الله بيني وبينكم وأبدلني بكم من هو خير لي منكم .

أما إنكم ستلقون بعدي ذلّاً شاملاً وسيفاً قاطعاً ، وإثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة ؛ فيفرق جماعتكم ويبكي عيونكم ، ويدخل الفقر بيوتكم ، وتتمنون عن قليل أنكم رأيتموني فنصرتموني فستعلمون حق ما أقول ولا يبعد الله إلا من ظلم وأثم» .

قالوا وخطبهم بعد ذلك خطباً كثيرة ؛ وناجاهم وناداهم فلم يربعوا إلى دعوته [1] ولا التفتوا إلى شيء من قوله وكان يقول لهم كثيراً : «إنه ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا» .

وقام أبو أيوب الأنصاري وذلك قبل تولية عليّ إياه المدينة بيسير فقال : إن أمير المؤمنين قد أسمع من كانت له أذنان وقلب حفيظ ، إن الله قد أكرمكم به كرامة بيّنة فاقبلوها حق قبولها ، إنه أنزل ابن عم نبيكم بين ظهرانيكم يفقهّكم ويرشدكم ويدعوكم إلى ما فيه الحظ لكم .

وأما حجر بن عدي الكندي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي وحبة بن جوين البجلي ثم العرني ، وعبدالله بن وهب الهمداني ـ وهو ابن سبأ ـ [فإنهم

---

١ ـ أي لم يستجيبوا له .

أتوا] علياً عليه السلام فسألوه عن أبي بكر وعمرو رضي الله عنهما فقال : أَوَقد تفرغتم لهذا ؟ وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي بها قد قتلت وكتب كتاباً يقرأ على شيعته في كلّ أيام فلم ينتفع بذلك الكتاب ، وكان عند ابن سبأ منه نسخة حرّفها .

وحدثني هشام بن عمار الدمشقي أبو الوليد ، حدثني صدقة بن خالد ، عن زيد بن واقد ، عن أبيه ، عن أشياخهم : إن معاوية لما بويع وبلغه قتال عليّ أهل النهروان ؛ كاتب وجوه من معه مثل الأشعث بن قيس وغيره ، ووعدهم ومنّاهم وبذل لهم حتى مالوا إليه وتثاقلوا عن المسير مع علي عليه السلام فكان يقول فلا يلتفت إلى قوله ، ويدعو فلا يسمع لدعوته ، فكان معاوية يقول : لقد حاربت علياً بعد صفين بغير جيش ولا عناء أو قال : ولا عتاد .

حدثني يحيى بن معين ، حدثنا سليمان بن داود الطيالسي أنبأنا شعبة بن الحجاج ، أنبأنا محمد بن عبيدالله الثقفي قال : سمعت أبا صالح يقول : شهدت علياً ووضع المصحف على رأسه حتى سمعت تقعقع الورق فقال : «اللهم إني سألتهم ما فيه فمنعوني ذلك ، اللهم إني قد مللتهم وملّوني ، وأبغضتهم وأبغضوني ، وحملوني على غير خلقي ، وعلى أخلاق لم تكن تعرف لي فأبدلني بهم خيراً لي منهم ، وأبدلهم بي شرّاً مني ، ومث[1] قلوبهم ميث الملح في الماء» .

حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن لوط بن يحيى - أبي مخنف : ان عمارة بن عقبة بن أبي معيط كتب إلى معاوية من الكوفة يعلمه أنه خرج

---

١ - ماث : خلط . القاموس .

على عليّ أصحابه ونسّاكهم فسار إليهم فقتلهم فقد فسد عليه جنده وأهل مصره ووقعت بينهم العداوة وتفرقوا أشد الفرقة ، فقال معاوية للوليد بن عقبة : أترضى أخوك بأن يكون لنا عينا ـ وهو يضحك ـ فضحك الوليد وقال : إن لك في ذلك حظاً ونفعاً ، وقال الوليد لأخيه عمارة :

فإن يك ظني بابن أمّي صادقا عمارة لا يطلب بذحل ولا وتر
مقيم وقَتّال ابن عفان حـوله يمشي بها بين الخورنق والجسر
وتمشي رخّي البال منتشر القوى كأنّك لم تشعر بقتل أبي عمرو
ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

وحدثني العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن عوانة وغيره قالوا : لما بلغ معاوية أن علياً يدعو الناس إلى غزوه ، وإعادة الحرب بينه وبينه هاله ذلك ، فخرج من دمشق معسكراً وبعث إلى نواحي الشام الصرخاء ينادون : إن علياً قد أقبل إليكم وكتب إليهم كتباً قال فيها : «إنا كنا كتبنا بيننا وبين علي كتاباً واشترطنا فيه شروطاً ، وحكمنا الرجلين ليحكما بحكم الكتاب علينا ، وإن حكمي أثبتني، وخلعه حكمه ، وقد أقبل إليكم ظالماً ناكثاً باغياً، ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾[1]، فتجهزوا رحمكم الله للحرب بأحسن الجهاز ، واستعدوا لها بأكمل العدّة و﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾[2] .

فاجتمعوا له من كل أوب ، وأرادوا المصير إلى صفين ثانية ، حتى بلغهم اختلاف أصحاب علي ، وكتب إليه بذلك عمارة بن عقبة ، فعسكر ينتظر ما يكون ، إلى أن جاءه خبر مقتله رحمه الله .

---

١ ـ سورة الفتح ـ الآية : ٤٨ .
٢ ـ سورة التوبة ـ الآية . ٤١ .

أمر مصر في خلافة علي ومقتل محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة رضي الله عنهم

قال أبو مخنف وغيره: استشهد أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم اليمامة وترك ابنه محمد بن أبي حذيفة، فكفله عثمان بن عفان ومانه[١] وأحسن تربيته، وكان محمد بن أبي حذيفة قد تنسك وأقبل على العبادة وذلك بعد أن حدّه عثمان في الشراب فيما يقال، فقال لعثمان: إني قد رغبت في غزو البحر؛ فاذن لي في إتيان مصر. فأذن له، فلما قدمها رأى الناس عبادته فلزموه وأعظموه ومالوا إليه، وكان خروجه إليها مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي ـ أو بعده في السنة التي شخص عبد الله فيها ـ وغزا محمد بن أبي حذيفة في البحر مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح في سنة أربع وثلاثين، فصلى ابن سعد بن أبي سرح يوما؛ فكبّر محمد بن أبي حذيفة من خلفه تكبيرة أفزعته فنهاه وقال: إنك حدث أحمق ولولا ذلك لقاربت[٢] بين خطاك وكان ابن أبي حذيفة يعيبه ويعيب عثمان بتوليته إياه، ويقول: استعمل عثمان رجلا أباح

١ ـ أي قام بكفايته. القاموس.
٢ ـ في رواية أخرى «ماقاربت» من الهامش.

رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح ونزل فيه ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله﴾[1] وكان محمد بن أبي بكر شخص إلى مصر، مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فكان يعين ابن أبي حذيفة على ذلك ويساعده عليه، فكتب عبد الله بن أبي سرح إلى عثمان بن عفان يشكوهما ويذكر أنهما قد انغلا عليه المغرب وافسداه، فقال عثمان: اللهم إني ربيته رحمة له وصلة لقرابته حتى لقد كنت أنكت المخ فأخصّه به دون نفسي وولدي.

وكتب إلى ابن سعد في جواب ماكتب إليه: «أما محمد بن أبي بكر فإنه يوهب لأبي بكر ولعائشة أم المؤمنين، وأما ابن أبي حذيفة فإنه ابني وابن أخي وتربيتي وهو فرخ قريش». فكتب إليه ابن أبي سرح: «إن هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق إلا أن يطير». فبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم، ويحمل إليه كسوة، فأمر بذلك أجمع فوضع في المسجد، ثم قال: يامعشر المسلمين، ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه، فازداد أهل مصر طعناً على عثمان رضي الله تعالى عنه، وإعظاماً لابن أبي حذيفة، واجتمعوا إليه فبايعوه على رئاستهم، فكتب إليه عثمان يذكره برّه به وتربيته إياه، وقيامه بشأنه، ويقول له: «إنك كفرت إحساني أحوج ماكنت إليّ بشكرك ومكافاتك» فلم يزل ابن ابي حذيفة يحرّض أهل مصر، ويؤلبهم على عثمان حتى سرّبهم إلى المدينة، فاجتمعوا عليه مع أهل المصرين، وكانوا أشدّهم في أمره، وشخص محمد بن أبي بكر معهم، فلما حوصر عثمان وثب محمد بن أبي حذيفة على عبد الله بن سعد، فطرده عن مصر؛ وصلى بالناس

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية: ٩٣ .

وتولى أمر مصر.

فصار عبد الله بن سعد إلى فلسطين ثم لحق بمعاوية، ثم إنه صار بعد ذلك إلى إفريقية فقتل بها. ويقال: مات بفلسطين وكان قد أقام بها، وكان موته في آخر خلافة علي.

وبويع علي بن أبي طالب بعد مقتل عثمان - رضي الله عنهما - فولّى قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري مصر، وكان رجلاً جواداً أريباً، فقال ابن أبي سرح: أبعد الله ابن أبي حذيفة؛ بغى على ابن عمّه وسرّ[1] أهل بيته وسعى عليه حتى وليّ بعده من لم يمتعّه بسلطان بلده حولاً ولاشهراً ولم يره لذلك أهلاً.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف لوط بن يحيى في اسناده قال:

لما بويع علي دعا قيس بن سعد الأنصاري فولاه المغرب، فشخص إلى مصر ومعه أهل بيته حتى دخلها فقرأ على أهها كتاباً من علي إليهم، ذكر فيه محمداً ﷺ وماخصّه الله به من نبوته، وأنزل عليه من كتابه، ، اكرم به المؤمنين من أتباعه، ثم ذكر أبا بكر وعمر؛ فوصف فضلهما وعدلهما وحسن سيرتهما وعلمهما وترحم عليهما. قال: «ثم وليّ بعدهما والٍ أحدث أحداثاً، وجد الناس بها عليه مقالاً، فلما نقموا غيّروا، ثم جاؤوني فبايعوني فاستهدي الله بالهدى واستعينه على التقوى»، وأعلمهم توليته قيس بن سعد بن عبادة لما ظن عنده من الخير، ورجا من قصده وايثاره الحق في أموره، وتقدمه إليه في العدل والإحسان، والشدة على المريب، والرفق بالخاصة والعامة، وأمرهم

---

١ - أي أفضل أهل بيته. القاموس.

بموازرته، ومكانفته، ومعاونته على الحق والعمل به.

فقام الناس فبايعوا علياً، واستقاموا لقيس إلا رجلاً يقال له: يزيد بن الحارث، وكان معتزلاً في قرية هناك، فبعث إلى قيس: إنا لانبايعك ولاننتزي عليك في سلطانك، فابعث عاملك فإن الأرض أرضك، ولكنا نتوقف حتى ننظر إلى مايصير أمر الناس.

ووثب مسلمة بن مخلد الساعدي من الأنصار؛ فنعى عثمان ودعا إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس ويحك أعليّ تثب؟ فوالله ماأحبّ أن أقتلك ولي ملك مصر والشام. فكُفّ، فتاركه، وجبى قيس الخراج وليس أحد ينازعه.

وسار علي إلى الجمل، وقيس بمصر، وصار من البصرة إلى الكوفة وهو بمكانه، فكان أثقل خلق الله على معاوية، فكتب إليه قبل خروجه إلى صفين: «إنكم نقمتم على عثمان إثرة رأيتموها وأشياء سوى ذلك أنكرتموها، وأنتم تعلمون أن دمه لم يكن لكم حلالا، فركبتم عظيما وجئتم أمراً إدّاً، فأما صاحبك فقد استيقنّا أنه الذي ألّب الناس عليه وأغراهم به وحملهم على قتله، فهو ينتفي من ذلك مرة ويُقرِّبه أخرى». ودعاه إلى الطلب بدم عثمان، فكتب إليه قيس: «قد فهمت كتابك، وأما قتل عثمان فإني لم أقاربه ولم أتّطف به، وأما صاحبي فلم أطلع منه على ماذكرت، وأما مادعوتني إليه فإن لي فيه نظراً وفكرة، وأنا كاف ولن يأتيك عني شيء تكرهه».

ثم كتب إليه معاوية كتاباً آخر؛ فأجابه قيس عنه ولم يقاربه فيما أراد من الالتواء على عليّ؛ والطلب بدم عثمان، فكتب إليه معاوية: «يايهودي بن

اليهودي». فأجابه قيس: «ياوثن بن الوثن، دخلتم في الإسلام كارهين، وخرجتم منه طائعين».

فلما يئس منه؛ كتم ماكتب به إليه وأظهر أن قيساً قد أجابه إلى المبايعة، ومتابعته على ماأراد، والدخول معه في أمره، فكتب على لسانه:

«للأمير معاوية؛ من قيس بن سعد، أما بعد فإن قتل عثمان كان حدثاً في الإسلام عظيما.وقد نظرت لنفسي وديني فلم أره يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً برّاً تقياً، فنستغفر الله لذنوبنا ونسأله العصمة لديننا، وقد ألقيت إليك بالسلم، وأجبتك إلى قتال قتلة إمام الهدى المظلوم».

فشاع في الناس ان قيساً قد صالح معاوية وسالمه، وسار به الركبان إلى العراق؛ وبلغ ذلك علياً، فاستشار عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في أمره فأشار عليه بعزله، فإنه ليروّي في ذلك، ويصدّق بما بلغه مرة، ويكذّب أخرى، حتى ورد عليه كتاب من قيس بخبر الكناني وأهل القرية التي هو فيها، وبخبر ابن مخلد، وما رأى من متاركتهم والكف عنهم. فقال له ابن جعفر: مره ياأمير المؤمنين بقتالهم لتعرف حاله في مواطاة القوم على ماتركوا من بيعتك، ويصح لك حق مابلغك أو غير ذلك، ففعل وكتب إليه بذلك، فأجابه قيس: «إني قد عجبت من سرعتك إلى محاربة من أمرتني بمحاربته من عدوك، ومتى فعلت ذلك لم آمن أن يتساعد أعداؤك ويترافدوا ويجتمعوا من كل مكان فيغلظ الأمر، وتشتدّ الشوكة».

فقال له ابن جعفر: ألم يصح لك الآن الأمر؟ فولّ محمد بن أبي بكر، مصر يكفك أمرها، واعزل قيساً فإنه بلغني انه يقول: إن سلطاناً لايقوم إلا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء ـ وكان ابن جعفر أخا محمد بن أبي بكر

لأمه أسماء بنت عميس تزوجها جعفر ثم خلف عليها أبو بكر ـ فعزل قيساً وولّى محمداً، فلما ورد محمد مصر؛ غضب قيس وقال: والله لاأقيم معك طرفة عين، وانصرف إلى المدينة، وقد كان مرّ في طريقه برجل من بني القين فقراه وأحسن ضيافته وأمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وقال: لا آخذ لقراي ثمناً. وكان قيس أحد الأسخياء الأجواد.

فلما ورد المدينة أتاه حسّان بن ثابت شامتاً ـ وكان عثمانياً ـ فقال له: نزعك عليّ وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم ولم يحسن لك الشكر؛ فقال له: ياأعمى القلب والعين لولا أن أوقع بين قومي وقومك شرّاً لضربت عنقك؛ اخرج عني. وكان حسان من بني النجار من الخزرج.

ثم ان قيس بن سعد؛ خرج وسهل بن حنيف جميعا حتى قدما على عليّ بالكوفة؛ فخبره الخبر وصدقه، وشهد معه صفين، وشهدها سهل أيضاً.

ولما قدم محمد بن أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ مصر قرأ عهده على أهلها؛ ونسخته.

«هذا ماعهد عبد الله علي أمير المؤمنين؛ إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، أمره بتقوى الله وطاعته في خاص أمره وعامه، سره وعلانيته، وخوف الله ومراقبته في المغيب والمشهد، وباللين للمسلم والغلظة على الفاجر، وانصاف المظلوم، والتشديد على الظالم، والعفو عن الناس والإحسان [إليهم] مااستطاع فإن الله يجزي المحسنين، ويثيب المصلحين.

وأمره أن يجبي خراج الأرض على ماكان يجبى عليه من قبل، ولاينقص منه ولايبتدع فيه.

وأمره أن يلين حجابه ويفتح بابه، ويواسي بين الناس في مجلسه ووجهه

ونظره، وأن يحكم بالعدل ويقيم القسط ولايتبّع الهوى ولايأخذه في الله لومة لائم».

وكتب عبيد الله بن أبي رافع.

قالوا: وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية: «من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر ـ وبعضهم يقول: العاوي، والغاوي أثبت ـ سلام على أهل طاعة الله ممن هو سلم لأهل ولاية الله.

أما بعد فإن الله بجلاله وقدرته وعظمته خلق خلقاً بلا ضعف كان منه، ولاحاجة به إلى خلقه، ولكنه خلقهم عبيداً وجعل منهم شقياً وسعيداً وغويّاً ورشيدا، ثم اختارهم بعلمه واصطفاهم بقدرته فانتحل منهم وانتجب محمداً ﷺ، فبعثه رسولاً وهادياً ودليلاً ونذيراً وبشيراً وسراجاً منيراً، فدعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب ووافق وأسلم وسلّم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب، فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه كل هول. وواساه بنفسه في كل حال وحارب حربه وسالم سلمه، حتى برز سابقاً لانظير له ممن اتبعه، ولامشارك له في فضله، وقد أراك تساميه وأنت أنت، وهو السابق المبرّز في كل خير، أطيب الناس ذرية وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم، أخوه الشاري نفسه يوم مؤتة، وعمه سيد الشهداء يوم أحد، وأبوه الذاب عن رسول الله ﷺ، وأنت اللعين بن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله ورسوله الغوائل، وتحالفان عليه القبائل، وتبذلان فيه المال، وتحالفان فيه الرجال، على ذلك مات أبوك، وعليه خلفته وأنت، والشاهد عليه من تؤوي وتلحي من رؤوس أهل النفاق وبقية الأحزاب وذوي الشناءة لرسول الله ﷺ وأهل بيته،

والشاهد لعلي سبقه القديم وفضله المبين، وأنصار الدين الذين ذكروا في القرآن، فهم حوله عصائب، وبجنيبتيه كتائب يرجون الفضل في اتبّاعه ويخافون الشقاء في خلافه، فكيف تعدل نفسك بعليّ وهو كان أول الناس لرسول الله ﷺ اتباعاً، وآخرهم به عهداً، يشركه في أمره، ويطلعه على سرّه، وأنت عدوه وابن عدوه، فتمتع بباطلك وليمدد لك عمرو في غوايتك، فكأن قد أنقضى أجلك، ووهن كيدك فتستبين لمن تكون العاقبة.

واعلم أنك يامعاوية إنما تكايد ربك الذي قد أمنت كيده ومكره، ويئست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور، وبالله ورسوله وأهل بيته عنك الغنى، والسلام على من تاب وأناب».

فأجابه معاوية:

من معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن أبي بكر الزاري على أبيه.

سلام على من اتبع الهدى وتزود التقوى.

أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه ماالله أهله وماصطفى له رسوله، مع كلام لفقته وصنعته لرايك فيه تضعيف ولك فيه تعنيف، ذكرت حق ابن أبي طالب وسوابقه وقرابته من رسول الله ونصرته إياه، واحتججت عليّ بفضل غيرك لابفضلك، فاحمد إلهاً صرف عنك ذلك الفضل وجعله لغيرك، فقد كنا وأبوك معنا في حياة من نبينا نرى حق ابن أبي طالب لنا لازماً وفضله علينا مبرزاً، فلما اختار الله لنبيه ماعنده، وأتمّ له وعده وافلج حجته، وأظهر دعوته؛ قبضه الله إليه، فكان أبوك - وهو صديقه - وعمر - وهو فاروقه - أول من أنزله منزلته عندهما، فدعواه إلى أنفسهما فبايع لهما لايشركانه في أمرهما ولايطلعانه على سرّهما حتى مضيا وانقضى أمرهما، ثم قام عثمان ثالثاً يسير

بسيرتهما ويهتدي بهديهما، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي وظهرتما له بالسوء وبطنتما حتى بلغتما فيه منا كما، فخذ - يا بن أبي بكر - حذرك وقس شبرك بفترك تقصر عن أن تسامي أو توازي من يزن الجبال حلمه، ويفصّل بين أهل الشك علمه، ولاتلين على قسر قناته.أبوك مَهَّدَ مهاده وثنى لملكه وساده فإن كان مانحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن كان خطأ فأبوك أسّسه ونحن شركاؤه، برأيه اقتدينا وفعله احتذينا، ولولا ماسبقنا إليه أبوك وانه لم يره موضعاً للأمر؛ ماخالفنا علي بن أبي طالب ولسلمنا إليه، ولكنا رأينا أباك فعل أمراً اتبعناه واقتفونا أثره، فعب أباك مابدا لك أو دع، والسّلام على من أجاب، وردّ غوايته وأناب».

قالوا: ولم يمكث محمد بن أبي بكر إلا يسيراً حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم فقال لهم: إما أن تبايعوا وتدخلوا في طاعتنا، وإما أن ترحلوا عنّا. فامتنعوا وأخذوا حذرهم وكانوا له هائبين؛ حتى أتى خبر الحكمين فاجترأوا عليه ونابذوه، فبعث ابن جُمَيهان البلوي إلى يزيد بن الحارث الكناني ومن قبله من أهل القرية التي كان بها، فقاتلوه فقتلوه، فبعث إليهم ابن أبي بكر رجلاً من كلب فقتلوه أيضاً.

وخرج معاوية بن حديج الكندي ثم السكوني، فدعا إلى الطلب بدم عثمان، وذلك أن معاوية دس إليه في ذلك وكاتبه فيما يقال وأرغبه، فأجاب ابن حديج بشرٌ كثير، وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر، وبلغ علياً فساد أمره وانتشاره.

وكان علي قد ولىّ قيس بن سعد - بعد أمر النهروان - أذربيجان وولّى الأشتر الجزيرة، فكان مقامه بنصيبين، فقال: مالمصر إلا أحد هذين

الرجلين، فكتب إلى مالك الأشتر: «إنك ممن أستظهر به على إقامة الدين، وأقمع ببأسه ونجدته نخوة الأثيم، وأسدّ به وبحزم رأيه الثغر المخوف».
وأخبره بأمر ابن أبي بكر، وشرحه له، وأمره أن يستخلف على عمله بعض ثقاته ويقدم عليه، ففعل فولاه مصر.

وأتت معاوية عيونه بشخوص الأشتر والياً على مصر، فبعث إلى رأس أهل الخراج بالقلزم فقال له: إن الأشتر قادم عليك؛ فإن أنت لطفت لكفايتي إياه لم آخذ منك خراجاً مابقيت، فاحتل له بما قدرت عليه.

فخرج الأشتر حتى إذا أتى القلزم ـ وكان شخوصه من العراق في البحر ـ استقبله الرجل فأنزله وأكرمه وأتاه بطعام، فلما أكل قال له: أي الشراب أحب إليك أيّها الأمير؟ قال: العسل. فأتاه بشربة منه قد جعل فيها سمّاً، فلما شربها قتلته من يومه أو من غده.

وبلغت معاوية وفاته فقال: كانت لعلي يدان ـ يعني قيس بن سعد والأشتر ـ فقد قطعنا إحداهما، وجعل يقول: إن لله لجنداً من عسل.

وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا وهب بن جرير، عن ابن جعدبة، عن صالح بن كيسان قال: وجّه عليّ الأشتر إلى مصر والياً عليها حين وهن أمر ابن أبي بكر، فلما صار بعين شمس شرب شربة من عسل ـ يقال: انه سمّ فيها ـ؛ فمات، فكان عمرو بن العاص يقول: إن لله لجنداً من عسل.

قالوا: ولما ورد على عليّ خبر الأشتر، كتب إلى محمد بن أبي بكر وقد كان وجد من تولية الأشتر مكانه:

«أما بعد فإني لم أولّ الأشتر عملك استبطاءً لك في الجهد، ولا استقصاراً لأمرك في الجدّ، ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليّتك

ما هو أيسر عليك مؤونة ، وأحبّ إليك ولاية منه ، وإن الرجل الذي وليته أمر مصر ؛ كان لنا نصيحاً ، وعلى عدوك وعدونا شديداً ، فقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن راضون عنه ، فأصحر للعدو ، وشمر للحرب و﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [1] واستعن بالله واستكفه يعنك ويكفك إن شاء الله .

قالوا : ولما انصرف الحكمان وتفرقا وبويع معاوية بالخلافة ، قوي أمره واستعلى شأنه ، واختلف أهل العراق على علي ؛ فلم يكن لمعاوية همة إلا مصر ، وقد كان لأهلها هائبا ، لقربهم منه وشدتهم على من كان يرى رأيه ، فدعا عمرو بن العاص فولاه إياها على ما كان افترقا عليه ويقال : إنه دعا : عمرو بن العاص ، وحبيب بن مسلمة ، والضحاك بن قيس الفهري ، وبسر بن أبي أرطاة، ،وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبا الأعور السلمي ، ومرّة بن مالك الهمداني وشرحبيل بن السمط الكندي ، فعرض ولايتها وحرب ابن أبي بكر عليهم فكرهوا ذلك إلا عمرو بن العاص ، ويقال : إن عمراً استبطأ معاوية في أمر مصر ؛ وما كان وعده من توليته إياها فدسّ إليه من أنشده هذين البيتين :

يا لك الخير انتهزها فرصة واشبب النار لمقرود يكزّ
أعطه مصر وزده مثلها انما مصر لمن عزّ فبزّ

فلما أراد الشخوص إلى مصر تقدم إليه معاوية في محاربة محمد بن أبي بكر وكتب ابن أبي بكر إلى علي ؛ يعلمه ولاية عمرو بن العاص مصر ، من قبل معاوية ويقول له : إنه توجه في جيش لجب ، وبمن قبلي من الفشل

١ ـ سورة النحل ـ الآية : ١٢٥ .

والوهن مالا انتفاع بهم معه ، فإن كانت لك بمصر حاجة فأمدّني بالأموال والرجال .

فكتب إليه يأمره بالتحرز والاحتراس ، وإذكاء العيون وجمع شيعته إليه ، وأن يندب كنانة بن بشر بن عتاب بن عوف السكوني ـ وهو الذي ضرب عثمان بن عفان بعمود على رأسه ـ إلى عدوه ، ويعلمه انه باعث إليه بالرجال على كل صعب وذلول ، فإن الله قد يعزّ أقل الفئتين بالحق ، ويذل أكثرهما بالباطل .

وخطب عليّ أهل الكوفة ودعاهم إلى إغاثة محمد بن أبي بكر ومن معه من أهل مصر ، فتقاعدوا ثم انتدب منهم جُنَيد أنفذهم إلى مصر ؛ مع كعب بن مالك الهمداني ، فلم يبلغوا حتى أتى علياً مقتل محمد بن أبي بكر ، فردهم من بعض الطريق وخطب فقال :

«الحمد لله الذي ابتلاني بمن لا يطيعني إذا أمرت ، ولا يجيبني إذا دعوت» . في كلام له .

وكتب معاوية إلى محمد ابن أبي بكر كتاباً يأمره فيه بالتنّحي والاعتزال . وشخص عمرو بن العاص من قبل معاوية في ستة آلاف ضمهم إليه ، فلما دنا من مصر ؛ كتب إلى ابن أبي بكر : «ان تنح عني بدمك فإني أكره أن يصيبك مني ظفر ، وقد صحّ عندي ووضح لي أن أهل البلد قد شنأوك ورفضوا رأيك وندموا على اتباعك» . فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وعمرو جواب كتابيهما بالتكذيب لهما فيما ادعيا لو ترك إجابتهما إلى ما أرادا ، وعزم على لقاء عمرو ، فقدم كنانة بن بشر ـ وهو التُجيبي نسب إلى تُجيب بنت ثوبان بن سليم من مذحج وهي أم ولد أشرس بن شبيب بن

السكون ـ وضمّ إليه زهاء ألفي رجل ، وأتبعه في مثل أولئك ، وورد عمرو فسرح الكتائب إليه كتيبة بعد كتيبة ، وجعل كنانة يستقدم فلا يلقى كتيبة إلا صبر على قتالها فيمن معه ، حتى جاء معاوية بن حديج بن جفنة بن قتير السكوني في الدهم فأحيط بكنانة ومن معه من خلفهم وأمامهم ، فأصيبوا ونزل كنانة فجالد بسيفه حتى قتل ، وأقبل الجيش نحو محمد بن أبي بكر فتفرق عنه أصحابه حتى بقي وما معه أحد ، فلما رأى ذلك خرج متعجلاً فمضى على الطريق حتى انتهى إلى خربة فآوى إليها ، وجاء عمرو فدخل القصر ، وخرج ابن حديج في طلب ابن أبي بكر ، فانتهى إلى أعلاج من القبط على قارعة الطريق فسألهم هل مرّ بهم أحد ينكرونه ويستريبون به ؟ فقال أحدهم : لا والله ولكني دخلت تلك الخربة فوجدت فيها رجلاً جالساً فقال ابن حديج : هو هو ورب الكعبة ، فانطلقوا يركضون دوابهم حتى دخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً ، فأقبلوا به نحو الفسطاط ، ووثب أخوه عبدالرحمن بن أبي بكر إلى عمرو وكان معه فقال : أيقتل أخي صبرا ؟ ابعث إلى ابن حديج فانهه عن قتله . فبعث إليه عمرو أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر ، فقال : قتلتم كنانة بن بشر وهو ابن عمي وأخليّ عن محمد ، هيهات هيهات .

واستسقي محمد ماءً فقال له ابن حديج : منعتم عثمان أن يشرب حتى قتلتموه صائماً فتلقاه الله بالرحيق المختوم ، والله لأقتلنك ظمآن حتى يلقاك الله بالحميم والغساق . فقال له : ليس هذا إليك لا أم لك ، أما والله لو أن سيفي في يدي ما بلغتم بي هذا ـ وكان ألقى سيفه ليختلط بالناس فلا يعرف ـ فقال معاوية بن حديج : إني قاتلك بعثمان الخليفة المظلوم ،

فقال محمد : إن عثمان عمل بالجور ، وترك حكم الكتاب فنقمنا ذلك عليه ، فقدمه فقتله وجعله في جوف حمار وحرقه بالنار .

فلما بلغ ذلك عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ جزعت عليه ، وقبضت عياله وولده إليها ، ولم تأكل مذ ذاك شواءاً حتى توفيت ، ولم تعثر قط إلا قالت : تعس معاوية بن حديج .

وفي بعض رواية الواقدي : ان كنانة بن بشر قتل يوم الدار ، وذلك باطل .

قالوا : وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان : «إنا لقينا محمد بن أبي بكر ، وكنانة بن بشر وهما في جموع أهل مصر ؛ فدعوناهم إلى الهدى والتنبه فغمطوا الحق ، وتهوكوا في الضلال فجاهدناهم واستنصرنا الله عليهم ، فضرب الله وجوههم وأدبارهم ومنحنا أكتافهم فقتل الله محمد بن أبي بكر ؛ وكنانة بن بشر ، وأماثل من كان معهما ، والحمد لله رب العالمين. والسلام» .

وبلغ علياً مقتل ابن أبي بكر ؛ فخطب الناس فقال : «ألا إن محمد ابن أبي بكر رحمه الله قتل ، وتغلب ابن النابغة ـ يعني عمرو بن العاص ـ على مصر ، فعند الله نحتسب محمداً ، فقد كان ممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء» . فتكلم بكلام كثير وبخ فيه أصحابه واستبطأهم وقال لهم :

«دعوتكم إلى غياث أصحابكم بمصر مذ بضع وخمسون ليلة فجرجرتم جرجرة البعير الأسرّ ، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليست له نية في الجهاد ولا اكتساب الأجر في المعاد ، ثم خرج إليه منكم جُنيد ضعيف ﴿كأنما

يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾[١] .

وقيل لعلي : لشدّ ما جزعت على ابن أبي بكر ؟! فقال : «رحم الله محمدا انه كان غلاماً حدثاً ، ولقد أردت تولية مصر ، هاشم بن عتبة ولو وليّته إياها ما خلا لهم العرصة ، بلا ذمّ لمحمد ، فقد كان لي ربيباً وكان لبني أخي جعفر أخاً ، وكنت أعده ولداً» .

وكانت أم عبدالله بن جعفر أسماء بنت عميس فخلف عليها أبو بكر ، ثم علي رضي الله تعالى عنهما ، وكان محمد ربيب علي رضي الله تعالى عنهما .

وحدثني زهير بن حرب ـ أبو خيثمة ـ وأحمد بن إبراهيم الدورقي ، قالا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه جرير بن حازم قال سمعت محمد بن سيرين قال : بعث علي قيس بن سعد بن عبادة أميراً على مصر ، فكتب إليه معاوية وعمرو بن العاص كتاباً أغلظا فيه وشتماه فكتب إليهما بكتاب لطيف قاربهما فيه ، فكتبا إليه يذكران شرفه وفضله ، فكتب إليهما بمثل جوابه كتابهما الأول ، فقالا : إنا لا نطيق مكر قيس بن سعد ، ولكنا نمكر به عند عليّ ، فبعثا بكتابه الأول إلى علي فلما قرأه قال أهل الكوفة : غدر والله قيس فاعزله . فقال عليّ : ويحكم أنا أعلم بقيس إنه والله ما غدر ولكنها إحدى فعلاته . قالوا : فإنا لا نرضى حتى تعزله . فعزله وبعث مكانه محمد بن أبي بكر ، فلما قدم عليه قال : إن معاوية وعمرو سيمكران بك ، فإذا كتبا إليك بكذا فاكتب بكذا ، فإذا فعلا كذا فافعل كذا ولا تخالف ما آمرك به فإن خالفته قتلت .

قالوا : وكتب علي إلى عبدالله بن عباس بمقتل محمد بن أبي بكر

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية:٦ .

وعبدالله بالبصرة ، قبل أن يكتب أبو الأسود الديلي إلى علي فيه ، وقبل أن تقع بينهما المنافرة ، وكان عبدالله قد نافر علياً بالنهروان ولحق بمكة .

وأما محمد بن أبي حذيفة :

فإن محمد بن أبي بكر خلّفه حين زحف إلى عمرو بن العاص على ما تحت يده ، فلما قتل ابن أبي بكر ؛ جمع من الناس مثل ما كان مع ابن أبي بكر وزحف نحو عمرو وأصحابه فآمنه عمرو ؛ ثم غدر به وحمله إلى معاوية ومعاوية بفلسطين ، فحبسه في سجن له ، فمكث غير طويل ثم إنه هرب وكان معاوية يحبّ نجاته ، فقال رجل من خثعم يقال له عبيدالله بن عمرو بن ظلام ـ وكان عثمانياً ـ : أنا أتبعه ، فخرج في خيل فلحقه بحوران وقد دخل غاراً فدلّ عليه فأخرجه وخاف أن يستبقيه معاوية ـ إن أتاه به ـ فضرب عنقه .

ويقال أيضاً : إن ابن أبي حذيفة توارى ، فطلبه عمرو بن العاص حتى قدر عليه وحمله إلى معاوية فحبسه ، ثم هرب من حبسه فلحق فقتل .

وقوم يقولون : إن ابن أبي حذيفة حين أخذ لم يزل في حبس معاوية إلى بعد مقتل حجر بن عدي ، ثم إنه هرب فطلبه مالك بن هبيرة بن خالد الكندي ثم السكوني ، ووضع الأرصاد عليه ، فلما ظفر به قتله غضباً لحجر ، وقد كان مالك بن هبيرة هذا التمس خلاص حجر حين قدم به على معاوية ، فألفاه قد قتل ، فأمر له معاوية بمائة ألف درهم حتى رضي .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثني عبد الله بن صالح ؛ عن الليث بن سعد ، قال : بلغنا أن محمد بن أبي حذيفة لما ولي قيس بن سعد شخص عن مصر يريد المدينة ـ أو يريد علياً ـ وبلغ معاوية خبر شخوصه فوضع عليه

الأرصاد حتى أخذ ، وحمل إليه فحبسه ، فتخلص من الحبس واتبعه رجل من اليمانية فقتله .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، عن ابن جعدبة ؛ عن صالح بن كيسان قال : خرج ابن أبي حذيفة من مصر ، يريد معاوية ، فحبسه فأفلت ودخل مغارة بفلسطين ، فأقبل رجل على دابة له وهو لا يشعر بمكانه ، فدخلت نعرة في منخر دابته[1] فنفرت حتى دخلت المغارة ، فأراد بعض من مع ابن أبي حذيفة قتله وقد عرفوه فنهاهم ابن أبي حذيفة عنه ، فمضى حتى دلّ عليهم ، فقتل ابن أبي حذيفة يومئذ .

وحدثني أبو خيثمة، وخلف بن سالم ، قالا : حدثنا وهب بن جرير عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال : لما اجتمع أمر معاوية وعمرو بن العاص بعد الجمل وقبل صفين ، سار عمرو في جيش إلى مصر ، فلما قرب منها لقيه محمد بن أبي حذيفة في الناس ، فلما رأى عمرو كثرة من معه أرسل إليه فالتقيا واجتمعا ، فقال له عمرو : إنه قد كان ما ترى وقد بايعت هذا الرجل وتابعته ، وما أنا راض بكثير من أمره ولكن له سنا ، وإني لأعلم أن صاحبك علياً أفضل من معاوية نفساً وقدما ، وأولى بهذا الأمر ، ولكن واعدني موعداً التقي أنا وأنت فيه على مهل في غير جيش تأتي في مائة راكب ليس معهم إلا السيوف في القرب وآتي في مثلهم . فتعاقدا وتعاهدا على ذلك ، واتعدا العريش لوقت جعلاه بينهما ، ثم تفرقا ، ورجع عمرو إلى معاوية ؛ فأخبره الخبر ، فلما حل الأجل ، سار كل واحد منهما إلى صاحبه في

---

١ ـ في هامش الأصل : النعرة خيال الصورة ، ذباب ضخم أزرق العين ، أخضر.مآبره في طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحافر خاصة .

مائة راكب ، وجعل عمرو له جيشاً خلفه ، وكان ابن أبي حذيفة يتقدمه فينطوي خبره فلما التقيا بالعريش قدم جيش عمرو على إثره ، فعلم محمد أنه قد غدر به ، فانحاز إلى قصر بالعريش فتحّصن فيه ، فرماه عمرو بالمنجنيق حتى أخذ أخذاً فبعث به عمرو إلى معاوية فسجنه عنده ، وكانت ابنة قرظة امرأة معاوية ابنة عمة محمد بن أبي حذيفة ـ أمها فاطمة بنت عتبة بن ربيعة ـ تصنع له طعاماً وترسل به إليه وهو في السجن ، فلما سار معاوية إلى صفين ، أرسلت ابنة قرظة بشيء فيه مساحل من حديد إلى ابن أبي حذيفة ؛ فقطع بها الحديد عنه ، ثم جاء فاختبأ في مغارة بجبل الذيب بفلسطين فدل نبطي عليه رشدين مولى أبي حذيفة أبيه ، وكان معاوية خلفّه على فلسطين فأخذه فقال له محمد : أنشدك الله لما خلّيت سبيلي فقال له : أخلي سبيلك فتذهب إلى ابن أبي طالب وتقاتل معه ابن عمتك وابن عمك معاوية ، وقد كنت فيمن شايع علياً على قتل عثمان ، فقدمه فضرب عنقه .

وقال المدائني : وقد قيل إن محمد بن أبي حذيفة كان في جيش ابن أبي بكر ، فأخذ وبعث به إلى معاوية . والله أعلم .

أمر الخرّيت بن راشد السامي في خلافة علي عليه السلام

قال أبو مخنف وغيره : كان الخرّيت بن راشد السامي - من ولد سامة بن لويّ - مع عليّ بن أبي طالب في ثلاثمائة من بني ناجية، فشهد معه الجمل بالبصرة ، وشخص معه إلى صفين فشهد معه الحرب ، فلما حكم الحكمان مثّل بين يدي عليّ بالكوفة فقال له : والله لا أطعت أمرك ولا صليت خلفك ، فقال له عليّ ثكلتك أمك إذاً تعصي ربّك وتنكث عهدك ولا تضر إلا نفسك ؛ ولم تفعل ذلك ؟ قال : لأنّك حكّمت في الكتاب ، وضعفت عن الحق حين جدّ الجدّ ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم ، فأنا عليك زار وعليهم ناقم ، فدعاه عليّ إلى أن يناظره ويفاتحه فقال : أعود إليك غدا .

ثم أتى قومه فأعلمهم ما جرى بينه وبين عليّ ، ولم يأت علياً وسار من تحت ليلته من الكوفة ومعه قومه ؛ وتوجه نحو كسكر ، فلقيه رجل من المسلمين في طريقه فسأله وأصحابه عن قوله في عليّ ؟ فقال فيه خيرا ، فوثبوا عليه بأسيافهم فقطعوه ، فكتب قرظة بن كعب وكان على طساسيج السواد ،

إلى علي : أنّ يهودياً سقط إلينا فأخبرنا أن خيلاً أقبلت من ناحية الكوفة ، فأتت قرية يقال لها : «نِفَّر»[1] فلقيت بها رجلاً من أهل تلك القرية يقال له : زاذان فرّوخ فسألته عن دينه قال : أنا مسلم . ثم سألوه عن أمير المؤمنين . فقال إمام هدى . فقطعوه بأسيافهم وانهم سألوا اليهودي عن دينه فقال : أنا يهودي . فخلوا سبيله فأتانا فأخبرنا بهذه القصة .

فكتب علي إلى أبي موسى الأشعري[2] : إني كنت أمرتك بالمقام في دير أبي موسى فيمن ضممت إليك إلى أن يتضح خبر القوم الظالمي أنفسهم الباغين على أهل دينهم ، وقد بلغني أن جماعة مرّوا بقرية يقال لها : «نفر» فقتلوا رجلاً من أهل السواد مصلياً ، فانهض إليهم على اسم الله ، فإن لحقتهم فادعهم إلى الحق ، فإن أبوه فناجزهم واستعن بالله عليهم . ففاتوه ولم يلقهم. وذلك قبل خروج أبي موسى للحكم .

ويقال : إن علياً لم يكتب إلى أبي موسى في هذا الشيء ، وكان عليّ قد وجّه زياد بن خصفة وعبد الله بن وائل التيمي نحو البصرة في كثف ، فلحقهم زياد بالمزار ، وقد أقاموا هناك ليستريحوا ويرتحلوا ، فكره زياد حربهم على تلك الحال ـ وكان رفيقاً حازماً مجّرباً ـ ثم دعا زياد الخريت إلى أن ينتبذا ناحية فيتناظرا ، فتنحيا حجرة مع كل واحد منهما خمسة من أصحابه ، فسأل زياد الخريت عن الذي أخرجه إلى ما فعل فقال : لم أرض صاحبكم ولا سيرته ، فرأيت أن أعتزل وأكون مع من دعا إلى الشورى ، فسأله أن

١ ـ قرية من نواحي بابل من أعمال الكوفة .

٢ ـ كذا بالأصل وليس من المؤكد تعاون أبي موسى آنذاك مع الامام علي ، وفي كتاب الغارات للثقفي ـ ط . بيروت ١٩٨٧ ص ٢٢٤ ـ ٢٣٠ ، وأن الامام علي كتب إلى زياد بن خصفة .

يدفع إليه قتله الرّجل المصلي ، فأبى ذلك وقال : ما إليه سبيل ، فهلا أسلم صاحبك قتلة عثمان ؟ فدعا كل واحد أصحابه فاقتتلوا أشدّ قتال حتى تقصفت الرماح وانثنت السيوف وعقرت عامة خيلهم وحال بينهم الليل فتحاجزوا .

ثم إنهم مضوا من ليلتهم إلى البصرة ؛ واتبعهم زياد بن خصفة حين أصبح ، فلما صار إلى البصرة بلغه مضيّهم إلى الأهواز ، فلما صاروا إليها تلاحق بهم قوم كانوا بالكوفة من أصحابهم اتبعوهم بعد شخوصهم وانضم إليهم أعلاج وأكراد ، فكتب زياد إلى عليّ بخبرهم ، وبما كان بينه وبينهم بالمزار ، فكتب إليه علي بالقدوم .

وقام مَعْقِل بن قيس الرياحي فقال : أصلح الله أمير المؤمنين إن لقاءنا هؤلاء بأعدادهم ابقاء عليهم ، إن القوم عرب ؛ والعدة تصبر للعدة فتنتصف منها ، والرأي أن توجه إلى كل رجل عشرة من المسلمين ليجتاحوهم فأمره بالشخوص وندب معه أهل الكوفة ألفين فيهم يزيد بن المُغَفَّل الأزدي ، وكتب إلى ابن عباس أن يشخص جيشاً إلى الأهواز ليوافوا معقلاً بها وينضموا إليه.فوجه إليه خالد بن معدان الطائي في ألفي رجل من أهل البصرة فلحقوا به.فلما وافوا معقلاً نهض لمناجزة الخريت وألفافه وقد بلغه انه يريد قلعة برامهرمز ، فأجد السير نحوه حتى لحقه بقرب الجبل ، فحاربه وعلى ميمنته يزيد بن المغفل ، وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبي من أهل البصرة ، فما لبث السامي وأصحابه إلا قليلا حتى قتل من بني ناجية سبعون رجلا ، ومن اتباعه من العلوج والأكراد ثلاثمائة ؛ وولوا منهزمين حتى لحقوا بأسياف البحر ، وبها جماعة من قومهم من بني سامة بن لويّ ، ومن عبد

القيس ؛ فأفسدهم الخريت على عليّ ودعاهم إلى خلافه ، فصار معه بشر كثير منهم وممن والاهم من سائر العرب ، وقال : إن حكم علي الذي رضي به قد خلعه ، والأمر بين المسلمين شورى ، وقال لمن يرى رأي عثمان : إنه قتل مظلوماً وأنا أطلب بدمه .

وكتب عليّ إلى أهل الأسياف يدعوهم إلى الطاعة ، وأمر معقل بن قيس أن ينصب لهم راية أمان ؛ فنصبها فانفضّ عن الخريت عامة من اتبعه من الناس ، وكان معه قوم من النصارى أسلموا فاغتنموا فتنته فارتدّوا وأقاموا معه ، وارتدّ قوم ممن وراءهم .

وقال الخريت لقومه : امنعوا يا قوم حريمكم . فقال له رجل منهم : هذا ما جنيته علينا . فقال : سبق السيف العذل وقد صابت بقر[1] .

وكان الخريت يوهم للخوارج انه على رأيهم ، ويوهم للعثمانية انه يطلب بدم عثمان .

ثم إن معقلاً عبأ أصحابه وانشب الحرب بينه وبين الخريت ومن معه ، فصبرا ساعة ؛ وحمل النعمان بن صهبان على الخريت فطعنه طعنة فصرعه ونزل إليه فوجده قد استقل ، فحمل الخريت عليه فاختلفا ضربتين فقتله النعمان بضربته ، وقتل أكثر ذلك الجمع وهرب فلهم يميناً وشمالاً .

وبعث معقل الخيل في مظان بني ناجية فأتى منهم برجال ونساء وصبيان. فأما من كان منهم مسلماً فإنه منّ عليه وخلّى سبيله ، وأمّا من كان نصرانيا أو مرتداً فإنه عرض عليهم الإسلام فمن قبله تركه ، ومن لم يقبله وكان نصرانياً سباه .

١ ـ فتنة باقرة : صادعة للألفة شاقة للعصا . وبيقر : هلك وفسد ، والبقارى : الكذب والداهية . القاموس .

وكتب معقل إلى عليّ : أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أنا دفعنا إلى عدونا بالأسياف فوجدناهم قبائل ذات عدد وحدّ وجدّ ، قد جمعوا لنا وتحازبوا علينا ، فدعوناهم إلى الجماعة وبصّرناهم الرشد ، ورفعنا لهم راية أمان ففاءت منهم إلينا طائفة ، وبقيت طائفة أخرى منابذة فقاتلناهم ، فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم ، فأما من كان مسلماً فمننا عليه وأخذنا بيعته وقبضنا صدقة ماله ، وأما من ارتدَ فإنا عرضنا عليه الإسلام فأسلموا إلا رجلاً واحداً فقتلناه ، وأما النصارى فإنا سبيناهم وأقبلنا بهم ليكونوا نكالاً لمن بعدهم من أهل الذمة ؛ كيلا يمنعوا الجزية ويجترئوا على قتال أهل القبلة .

وكان مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملاً على أردشير خرّة من فارس ، فمرّ بهم عليه وهم خمسمائة إنسان فصاحوا إليه يا أبا الفضل يا فكاك العناة وحمال الأثقال وغياث المعصبين امنن علينا وافتدنا فأعتقنا ـ وكانت كنية مصقلة أبو الفضيل ولكنهم كرهوا تصغيرها ـ فوجّه مصقلة إلى معقل بن قيس من يسأل بيعتهم منه ، فسامه معقل بهم ألف ألف درهم ، فلم يزل يراوضه ويستنقصه حتى سلمهم إليه بخمسمائة ألف درهم ، ويقال بأربعمائة ألف درهم ودفعهم إليه ، فلما صاروا إلى مصقلة قال له معقل : عليّ بالمال . فقال : أنا باعث منه في وقتي هذا بصدر ثم متبعه صدراً حتى لا يبقى عليّ شيء منه .

وقدم معقل على عليّ فأخبره الخبر ؛ فصوبّه فيما صنع ، وامتنع مصقلة من البعثة بشيء من المال وكسره وخلى سبيل الأسرى فكتب عليّ في حمله وأنفذ الكتاب مع أبي حُرة الحنفي وأمره بأخذه بحمل ذلك المال فإن لم يفعل

أشخصه إلى ابن عباس ليأخذه به ، لأنه كان عامله على البصرة والأهواز وفارس ، والمتولّى لحمل ما في هذه النواحي من الأموال إليه ، فلم يدفع إليه من المال شيئاً ، فأشخصه إلى البصرة ، فلما وردها قيل له : إنك لو حملت هذا الشيء قومك لاحتملوه ، فأبى أن يكلفهم إياه ، ودافع ابن عباس به ، وقال : أما والله لو أني سألت ابن عفان أكثر منه لوهب لي ، وقد كان أطعم الأشعث خراج آذربيجان .

ثم انه احتال حتى هرب فلحقّ بمعاوية ، فقال عليّ : ماله ترّحه الله فعل فعل السيد وفرّ فرار العبد .

وقد يقال : إن أمر الخريت كان قبل شخوص ابن عباس إلى الشام في أمر الحكومة .

ويقال : أيضاً : إنه كان بعد انصرافه من الحكومة .

وحدثنا علي بن عبد الله المديني ، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمار الدهني انه سمعه من أبي الطفيل : ان علياً سبى بني ناجية وكانوا نصارى قد أسلموا ثم ارتدّوا : فقتل مقاتلتهم وسبى الذرية فباعهم من مصقلة بمائة ألف فأدّى خمسين وبقيت خمسون فأعتقهم ولحق بمعاوية ، فأجاز علي عتقهم . قال عمار : وأتى عليّ داره فشعثها .

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي ، حدثنا سفيان ، عن عمار الدهني قال : قدمت مكة فلقيت أبا الطفيل عامر بن واثلة فقلت : إن قوماً يزعمون أن علياً سبى بني ناجية وهم مسلمون . فقال : إن معقل بن قيس الرياحي لما فرغ من حرب الخريت بن راشد الحروري سار على أسياف فارس ؛ فأتى على قوم من بني ناجية فقال : ما أنتم ؟ قالوا : قوم مسلمون . فتخطاهم ثم

أتى قوماً آخرين من بني ناجية فقال : ما أنتم ؟ قالوا : نصارى وقد كنا أسلمنا ثم رجعنا إلى النصرانية لعلمنا بفضلها على غيرها من الأديان . فوضع فيهم السيف فقتل وسبى ، وهم الذين باعهم عليّ من مصقلة بن هبيرة الشيباني .

قالوا : وكتب وجوه بكر بن وائل إلى مصقلة يذّمون رأيه في لحوقه بمعاوية وتركه عليا ، فأقرأ معاوية الكتاب فقال له : إنك عندي لغير ظنين فلا عليك أن لا تقرئني مثل هذا .

وكان نعيم بن هبيرة أخو مصقلة من شيعة علي ، فكتب إليه أن صر إليّ فقد كلمت معاوية في تأميرك واختصاصك ووطأت لك عنده ما تحب .

وبعث بالكتاب مع نصراني من نصارى تغلب يقال له : جلوان ، فظهر علي عليه وعلى الكتاب ، ورفع إليه أيضاً انه يتجسس فأمر به فقطعت يده فمات ، فقال نعيم بن هبيرة :

لا تأمنن هداك الله عن ثقة ... ريب الزمان ولا تبعث كجلوانا
ماذا أردت إلى إرساله سفها ... ترجو سقاط امرىء ما كان خوانا
عـرّضتـه لعـلي إنـه أســد ... يمشي العرضنة من آساد خفّانا
قد كنت في منظر عن ذا ومستمع ... تأوي العراق وتدعى خير شيبانا
لو كنت أديت مال القوم مصطبراً ... للحق أحييت بالإفضال موتانا
لكن لحقت بأهل الشام ملتمسا ... فضل ابن هند وذاك الرأي أشجانا
فالآن تكثر قرع السن من ندم ... وما تقول وقد كان الذي كانا
وظلت تبغضك الأحياء قاطبة ... لم يرفع الله بالبغضاء إنسانا

ثم إن معاوية بعد ذلك ولّى مصقلة طبرستان وبعثه في جيش عظيم ،

فأخذ العدو عليه المضائق فهلك وجيشه ، فقيل في المثل : حتى يرجع مصقلة من طبرستان .

وقالت بنو تغلب لمصقلة حين بلغها فعل عليّ بجلوان : عرّضت صاحبنا للقتل ، فودّاه .

وقال الكلبي : هدم عليّ دار مصقلة حين هرب إلى معاوية ، وتمثّل قول الشاعر :

أرى حـربـاً مفـرّقـة وسلما　　وعقداً ليس بالعقد الوكيع

وقال مصقلة حين بلغه قتل علي :

قضى وطراً منها علي فأصبحت　　إمارته فينـا أحاديث راكب

وقال مصقلة :

لعمرى لئن عاب أهل العراق　　عـليّ انتعاشي بني نـاجيـة
لأعــظم من عتقهم رقهـم　　وكـفي بـعتـقهـم عــاليــة
وزايــدت فيهم لإطــلاقهم　　وغـاليت إن العـلى غـاليـة

قالوا لعلي حين هرب مصقلة : اردد سبايا بني ناجية إلى الرق فإنك لم تستوف أثمانهم ، فقال : ليس ذاك في القضاء ؛ قد عتقوا ، وقال : أعتقهم مبتاعهم وصارت أثمانهم ديناً على معتقهم .

وقال الشاعر في بني ناجية :

سما لكم بالخيل قوداً عوابسا　　أخو ثقة ما يبرح الدهر غازيا
فصبّحكم في رجله وخيوله　　بضرب يرى منه المدجج هاويا
فأصبحتم من بعد كبر ونخوة　　عبيد العصا لا تمنعون الذراريا

أمر عبد الله بن عامر الحضرمي في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

قالوا : لما قتل محمد بن أبي بكر معاوية بن حديج من قبل عمرو بن العاص وظهر معاوية على مصر ، وذلك بعد الجمل وصفين والحكمين ؛ بعث معاوية عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة وقال له : إن جلّ أهلها يرون رأينا في عثمان وقد قتلوا في الطلب بدمه ، فهم يودّون أن يأتيهم من يجمعهم وينظم أمرهم وينهض بهم في الطلب بثارهم ودم إمامهم ، فتودد الأزد ؛ فإنّ الأزد كلها سلمك ، ودع ربيعة فلن ينحرف عنك أحد سواهم لأنهم ترابية كلهم . وكتب إلى عمرو بن العاص :

إني نظرت في أمر البصرة ، فوجدت جلّ أهلها لنا أولياء ، ولعلي وشيعته أعداء ، وقد أوقع بهم الوقعة التي قد علمت ، فأحقاد تلك ثابتة في صدورهم ، والغلّ بها غير مزايل لقلوبهم ، وقد أطفأ الله بقتل ابن أبي بكر وفتح مصر نيراناً كانت بها الآفاق مشتعلة مشبوبة مستعرّة، ورفع بذلك رؤوس أنصارنا وأشياعنا حيث كانوا من البلاد ، وقد رأيت أن أبعث إلى أهل البصرة عبد الله بن عامر الحضرمي فينزل البصرة ويتودّد إلى الأزد ،

وينعى دم عثمان ، ويذكرهم وقعة علي فإنها أتت على صالحيهم من إخوتهم وآبائهم وأبنائهم .

فكتب إليه عمرو :

إنه لم يكن منك مذ نهضنا في هذه الحرب ؛ وانتضيناها ونابذنا أهلها رأيٌ هو أضرّ لعدوك ، وأسرّ لوليك من رأيك هذا الذي ألهمته ، ووفقت له ، فأمضه يا أمير المؤمنين مسددا ؛ فإنك توجه الصليب الأريب النصيح غير الظنين .

فلما جاءه كتاب عمرو ؛ سرح ابن الحضرمي إلى البصرة ، وأوصاه أن ينزل في مضر ، ويحذر ربيعة ، ويتودد إلى الأزد . فسار حتى قدم البصرة ونزل في بني تميم ، فأتاه العثمانية مسلمين عليه معظمين له مسرورين به ، فخطبهم فقال : إن إمامكم إمام الهدى قتله علي بن أبي طالب ظلما فطلبتم بدمه وقاتلتم من قتله ، فجزاكم الله من أهل مصر خيرا .

فقام إليه الضحاك بن قيس بن عبد الله الهلالي - وكان عبد الله بن عباس ولاه شرطته أيام ولايته - وقال : قبحّ الله ما جئتنا به وما تدعونا إليه أتيتنا والله بمثل ما أتانا به طلحة والزبير ، وإنهما جاءآنا وقد بايعنا علياً وبايعاه ، واستقامت أمورنا فحملانا على الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضا ، ونحن الآن مجتمعون على بيعة هذا الرجل أيضاً ، وقد أقال العثرة وعفا عن المسيء ، فتأمرنا الآن أن ننتضي أسيافنا ثم نضرب بها بعضنا بعضاً ليكون معاوية أميراً ، والله ليوم من أيام عليّ مع النبي ﷺ خير من معاوية وآل معاوية .

ثم قام عبد الله بن خازم السلمي فقال للضحاك : أسكت فلست

بأهل أن تتكلم في أمور العامة ، ثم أقبل على ابن الحضرمي فقال : نحن أنصارك ويدك ، القول قولك .

ثم أمر ابن الحضرمي بقراءة كتاب كان معه من معاوية يذكرهم فيه آثار عثمان فيهم وحبّه العافية لهم وسدّه لثغورهم واعطاءه إياهم حقوقهم ، ويصف حاله وقتل من قتله مسلماً محرماً صائماً بغير دم انتهكه ، ويدعوهم إلى الطلب بدمه ويضمن لهم أن يعمل فيهم بالسنة ، ويعطيهم عطاءين في كل سنة ، ولا يحمل عنهم فضلاً من فيئهم أبدا .

فلما فرغ من قراءة الكتاب قام الأحنف بن قيس وقال : لا ناقتي في هذا ولا جمل واعتزل القوم .

وقام عمرو بن مرحوم العبدي فقال : أيها الناس الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم الواقعة ، وتصيبكم القارعة .

وقد كانت جماعة من العثمانية كتبوا إلى معاوية يهنونه بفتح مصر ، وقتل محمد بن أبي بكر ، ويسألونه أن يوجه إلى البصرة رجلاً يطلب بدم عثمان ليسمعوا له ويطيعوا ، فيقال : إن ذلك حدا معاوية على توجيه ابن الحضرمي .

وكان عباس بن صحار العبدي مخالفاً لقومه في حب علي ، فلما دعا ابن الحضرمي الناس إلى بيعة معاوية والطلب بدم عثمان قام إليه فقال : إني والذي له أسعى ، وإياه أخشى لننصرنك بأيدينا وألسنتنا .

فقال له المثنى بن مخربة العبدي : والله لئن لم ترجع إلى المكان الذي جئت منه لنجاهدنك بأسيافنا ونبالنا وأسنّة رماحنا ، فلا يغرّنك قول هذا ـ يعني عباس بن صحار ـ أترانا ندع طاعة ابن عم نبينا وندخل في طاعة حزب

من الأحزاب .

ثم أقبل ابن الحضرمي على صبرة بن شيمان العبدي فقال : يا صبرة أنت ناب من أنياب العرب ، وأحد الطلبة بدم عثمان فانصرني . فقال : لو نزلت في داري لنصرتك .

قالوا : وكثرت غاشية ابن الحضرمي وأتباعه فهال ذلك زياد بن أبي سفيان ورعّبه وراعه ـ وكان عبد الله بن عباس حين شخص إلى مكة مغاضباً لعليّ خلفّه على البصرة ، فلم ينزعه علي ، وكان يكاتبه عن ابن عباس على انه خليفته ، ثم كاتبه عليّ دون ابن عباس ـ فكاتب زياد علياً ، فلما رأى زياد ما صار إليه أمر ابن الحضرمي ؛ بعث إلى مالك بن مسمع وغيره من وجوه أهل البصرة فدعاهم إلى نصرته فلم يبعدوا ولم يحققوا ، وقال ابن مسمع : لن نسلمك ، فبعث زياد إلى صبرة بن شيمان فاستجار به فقال له : إن تحملت حتى تنزل في داري أجرتك وحميتك ، ففعل وانتقل إلى دار صبرة في الحدّان ليلاً وحمل معه ما كان في بيت المال من المال ويقال : إن أبا الأسود الدولي أشار على زياد بالبعث إلى صبرة والاستجارة به ، ولم يقلّـد ابن عباس أبا الأسود شيئاً من البصرة حين شخص ، لأنه كان كتب فيه إلى عليّ ، وكتب زياد بالخبر إلى علي عن نفسه ، وقال بعضهم : كتب به إلى علي عن ابن عباس، وقيل بل كان ابن عباس عند علي وكتب به زياد إلى ابن عباس فأنهاه إلى عليّ ، ومن قال هذا قال : إن ابن عباس قد كان قدم على عليّ بعد مقتل ابن أبي بكر ، ثم عاد إلى البصرة ، وليس ذلك بثبت .

قالوا : وأشار العثمانية على ابن الحضرمي بنزول دار الإمارة حين خلاها زياد ، فلما تهيأ لذلك ودعا أصحابه لنزولها ركبت الأزد ؛ وقالوا :

والله لا ينزلها . وركب الأحنف بن قيس فقال لأصحاب ابن الحضرمي : لستم والله أحق بالقصر من القوم . فأمسكوا .

وكان نزول ابن الحضرمي في بني تميم في دار سَنْبيل ، وبعض البصريين يقول : صِنْبيل .

قالوا : واتخذ صبرة بن شيمان لزياد في مسجدهم ـ وهو مسجد الحدّان ـ منبراً وسريراً فصلى بهم زياد الجمعة ، وغلب ابن الحضرميّ على مايليه ، وخطب زياد فأثنى على الأزد وحضّهم على نصرته ، وقال : قد أصبح دمي فيكم مضموناً وصرت عندكم أمانة مؤداة ، وقد رأينا فعلكم يوم الجمل ، فاصبروا مع الحق كصبركم على الباطل ، فإنكم حيّ لا تحمدون على نجدة ، ولا تغدرون بغدر وختر .

وقام أبو صفرة ـ ولم يكن شهد الجمل ـ فقال : يا قوم إنكم كنتم أمس على عليّ فكونوا اليوم له ، واعلموا أن ردّكم جوار جاركم عليه ذل ، وخذلانكم إياه عار ، وأنتم قوم عادتكم الصبر ، وغايتكم الوفاء .

وقوم يزعمون أن المتكلم بهذا الكلام غير أبي صفرة ، وأن أبا صفرة كان توجه مع ابن عباس إلى صفين فمات في الطريق .

قالوا : وقام صبرة فقال : يا قوم هبوا لنا أنفسكم وامنعوا جاركم . وبعث تميم إلى الأزد : أن أخرجوا صاحبكم ونخرج صاحبنا فنبلغ كل واحد منهما مأمنه ، ثم يكون لنا أمير ولكم أمير حتى تتفق الناس على إمام . فأبت الأزد ذلك وقالوا : قد أجرنا زياداً ولن نخذ له ولا نسلمه ولا نصير إلى شيء دون إرادته .

فكتب زياد إلى عليّ بخبر بني تميم ، فلما وصل إليه كتابه دعا أعين بن

ضبيعة المجاشعي ، فقال له : يا أعين أما بلغك ميل قومك مع ابن الحضرمي على عاملي ونصرتهم له التماساً لشقاقي ومشايعة للقاسطين عليّ ، قال : فابعثني إليه أكفك إياه . فبعث به وكتب معه إلى زياد يعلمه أنه وجهه ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فإن تفرقوا عنه وخذلوه وإلا نهض إلى ابن الحضرمي بمن أطاعه وتبعه منهم ومن غيرهم فحاكمه إلى الله وحده لا شريك له وحاربه .

فلما قدم أعين بن ضبيعة البصرة ، اجتمع إليه وجوه قومه فوعظهم ، ثم خرج بجماعة منهم فلقيت جماعة من أصحاب ابن الحضرميّ فناوشوهم ، ثم تحاجزوا ، ورجع أعين إلى منزله وتبعه عشرة ، يظن الناس أنهم خوارج - وكانوا من قيس - فلما آوى إلى فراشه بكعوه[1] بأسيافهم على الفراش ، فخرج عرياناً يعدو فلحقوه فقتلوه بالطريق .

وأراد زياد محاربة ابن الحضرمي حين أصيب أعين بن ضبيعة فأرسلت تميم إلى الأزد : إنا والله ما أردنا بجاركم مكروهاً فعلام تريدون المكروه بجارنا ؟ فكفوا وأمسكوا .

وكتب زياد إلى علي : أن أعين بن ضبيعة قدم علينا بجدّ ومناصحة وصدق يقين ، فجمع إليه من أطاعه ونهض بهم - وفسرّ له خبر وقعته ؛ ثم قال : - وإن قوماً من هذه الحرورية المارقة البريئة من الله ورسوله اتبعوه ، فلما آوى إلى فراشه أصابوه .

حدثني علي بن الأثرم ، عن معمر بن المثنى قال : دسّ ابن الحضرمي إلى أعين بن ضبيعة النفر الذين قتلوه .

---

١ - أي ضربوه ضرباً عنيفاً .

ويقال : إنه كان معهم متنكراً فطرقوه ليلا ، فجعل يقول ـ حين ضربوه ـ يا تميم ولا تميم ، يا حنظلة ولا حنظلة ، يا مجاشع ولا مجاشع ، وحمل إلى الأزد ؛ فدفن هناك فقبره في الأزد .

قالوا:ولما أتى علياً كتاب زياد ؛ بمقتل أعين بن ضبيعة ، دعا جارية بن قدامة التميمي ـ وكان قبله أشخصه ابن عباس إليه لمحاربة أهل النهروان ، فلم ينصرف إلى البصرة ـ فقال له : إن قومك بدّلوا ونكثوا ونقضوا بيعتي ، ومن العجب أن تمنع الأزد عاملي وتشاقني مضر ؛ وتنابذني ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ابعثني فبعثه .

فلما قدم البصرة بدأ بزياد ؛ فسلم عليه ، فحذره زياد ما لقي صاحبه ، فخرج جارية فقام في الأزد فجزاهم الخير ، وقال : عرفتم الحق إذ جهله غيركم وحفظتموه إذ ضيعوه ، وقرأ كتاباً كتبه عليّ إلى أهل البصرة معه يوبخهم فيه أشدّ التوبيخ ، ويعنفهم أشد التعنيف ، ويتوعدهم بالمسير إليهم إن ألجأوه إلى ذلك حتى يوقع بهم وقعة تكون وقعة يوم الجمل عندها لقعه ببعره[1] .

وكان صبرة حاضراً لقراءة الكتاب فقال : سمعاً وطاعة ، نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب ، ولمن سالم سلم .

وقام أبو صفرة فقال لزياد : والله لو أدركت الجمل ما قاتل قومي علياً ، وهو يوم بيوم ، وأمر بأمر ، والله إلى الجزاء بالحسنى أسرع منه إلى المكافاة بالسوء ، والتوبة مع الحوبة والعفو مع الندم .

وقال صبرة ـ أو غيره ـ : إنا والله نخاف من حرب عليّ في الآخرة ؛

---

١ ـ لقعه ببعره : رماه بها . النهاية لابن الأثير .

أعظم مما نخاف من حرب معاوية في الدنيا .

فلما أصبحوا سارت الأزد بزياد بن أبي سفيان ـ وكان يومئذ ينتسب إلى عبيد ـ وسار جارية بمن قدم معه ومن سارع إليه من بني تميم ؛ ودلفوا إلى ابن الحضرمي ، وعلى خيل ابن الحضرمي عبد الله بن خازم السّلمي فاقتتلوا ساعة ، وأقبل شريك بن الأعور الحارثي فصار مع جارية ، فما لبثوا : ابن الحضرمي وأصحابه أن هزموهم واضطروهم إلى دار سنبيل السعدي فحصروهم فيها يومهم ، وكان في الدار مع ابن الحضرمي عبد الله بن خازم ، فجاءت أمه ـ وكانت اسمها عجلى وكانت حبشية ـ فنادته فأشرف عليها ، فأخرجت ثدييها وقالت : أسألك بدريهما لما نزلت . فأبى ، فقالت : والله لتنزلن أو لأتعرنّ فأهوت بيدها إلى ثيابها ، فلما رآها نزل فمضت به إلى منزلها . ويقال : إنها حسرت قناعها فإذا شعرها أبيض ، ثم قالت : لئن لم تنزل لأتعرّنْ .

قالوا : وأحاط جارية بن قدامة بالدار الحطب والنار فقالت الأزد : لسنا من النار في شيء ، وهم قومك وأنت أعلم . فحرقها فهلك فيها ابن الحضرمي في سبعين رجلاً أحدهم عبد الرحمن بن عمير ، وسمي جارية محرّقا .

فلما هلك ابن الحضرمي قالت الأزد لزياد : أبقي علينا حق ؟ قال : لا . قالوا : فبرئنا من جوارك ؟ قال : نعم . فانصرفوا إلى رحالهم ، واستقام لزياد أمره ونزل القصر وحول إليه بيت المال ، وكتب بالفتح إلى علي مع ظبيان بن عمارة : «أما بعد فإن العبد الصالح جارية بن قدامة قدم من عندك فيمن أنهدتَ معه ؛ فناهض جمع ابن الحضرمي ففضه ثم اضطر ابن

الحضرمي إلى دار من دور البصرة في عدة من أصحابه ، فمنهم من حرق بالنار ، ومنهم من ألقي عليه جدار ، ومنهم من هدم عليه البيت من أعلاه سوى من قتل بالسيف ، فبعداً لمن عصى وغوى ، والسلام» .

وحدثني أبو الحسن المدائني قال : كانت دار سنبيل ـ ويقال : صنبيل ـ قصراً قديماً للفرس في الجاهلية ، وحوله خندق .

وحدثني العقوي الدلال عن أبي اليقظان ، عن أشياخه قالوا : اقتتل أصحاب ابن الحضرمي وأصحاب علي عند الجسر قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب ابن الحضرمي حتى دخلوا قصر سنبيل ، فطلب ابن الحضرمي الأمان من جارية بن قدامة فلم يؤمنه ، وطلب الأمان من زياد فلم يجبه إليه ، وكان معه عبد الله بن خازم ، فنادته أمه لينزل فأبى فكشفت رأسها كأنه ثغامة[1] ، وثديين كأنهما دلوان ، وأرادت التعري فنزل حين رأى ذلك ، وأحرق جارية الدار فاحترق ابن الحضرمي ، وذراع بن بدر الغّداني أخو حارثة بن بدر الغداني وسبعون رجلاً ، ورجع زياد إلى إمرته .

وحدثني علي بن المغيرة الأثرم ، عن أبي عبيدة ، قال : قدم جارية بن قدامة من عند علي في ألف ـ أو ألف وخمسمائة ـ فلما بلغ ذلك ابن الحضرمي أعدّ طعاماً وشراباً للحصار ، ورمّ حصناً كان لفارس في الجاهلية على نشزٍ ، وكان معاوية قد وعده أن يبعث إليه بالامداد ، فلما اقتتل وجارية بن قدامة عند الجسر ، انهزم حتى دخل الحصن ، وهو يومئذ لرجل يقال له : صنبيل ، فحصره فيه ، وكان معه عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت السُّلمي ـ وأمه حبشية يقال لها : عجلى ـ فكشفت رأسها وثدييها وأرادت أن

---

١ ـ الثغام : شجر أبيض الزهر .

تتعرى ، فلما رأى ذلك من شأنها نزل ، فوهن أمر ابن الحضرمي في نفسه ، وطلب الأمان فلم يعطه ، وأمر جارية بجـمع الحطب حول الدار ، فنقل ما بلغ أعلى الحيطان ثم أشعل فيه النّار وأعان ذلك بالهدم ، فاحترق ابن الحضرمي ، ومن كان معه ، وعاد زياد إلى دار الإمارة ، فقال بعض الأزد ـ وقال المدائني : قالها العِرَنْدَس ـ :

أجـرنا زيـاداً وقد أُصْفَقَتْ ... عليـه تميم وخاف العـطب
فـلما رأوا أنـنـا دونـه ... وقد خام عنه جميع العرب
عوى الحضرمي عواء الكلاب ... وبصبص من خوفنا بالذنب
ومن كـانت الأزد أنصـاره ... أصـاب بنصرتهم ما طلب
رددنـا زيـاداً إلى داره ... ودار تمـيـم رمـاد ذهـب

وقال أبو الاسود الدولي :

أبى الله إلا أن للأزد فضلها ... وأنهم أوتـاد كـل بـلاد
أجاروا زياداً حين أسلم نفسه ... إليهم وكان الرأي رأي زياد
فأصبح في الحدّان والأزد دونه ... بسمر كأشطان الجرور حداد
له منبر يرقاه في كل جمعة ... وآلـة ملك شرطة ومنـاد[1]

وحـثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا قرة بن خالد السدوسي ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال : لما كان يوم الدار ـ يعني دار ابن الحضرمي ـ أشرفوا على ابن أبي بكرة فجعلوا يسبّونه ، فقال لهم جارية بن قدامة : لا تؤذوا أبا بكرة ولا تقولوا له

١ ـ في هامش الأصل أراد المؤذن . ولم ترد هذه الأبيات في ديوان أبي الأسود .

إلا خيرا ، قال : فأخبرتني أمي أن أبا بكرة قال : لو دخلوا إليّ ما بهشت[١] إليهم بقضيب .

وحدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي قال : سمعت محمد بن الزبير الحنظلي يحدث قال : لما قدم ابن الحضرمي وقدم جارية بن قدامة البصرة نزل ابن الحضرمي دار الحداني في جانب دار أبي بكرة ؛ فأتاه أصحاب علي فأحاطوا بالدار ، وكان في الدار ، رجل قد سماه فأتته أمه ـ وكان يقال لها : عجلى وكانت حبشية راعية ـ فقالت لابنها : إن أنت نزلت وإلا ألقيت قناعي . قال : فالقت قناعها فإذا شعرها مثل الثغامة[٢] فلم ينزل فقالت : إن نزلت وإلا ألقيت ردائي فألقت رداءها فلم ينزل ، فقالت : إن نزلت وإلا ألقيت قميصي فلم ينزل ، فألقت قميصها وكانت في إزار ـ فقالت : إن نزلت وإلا ألقيت إزاري . فنزل ، وجاء أصحاب علي فأحاطوا بالدار وحرقوها بمن فيها .

وحدثنا خلف بن سالم ، حدثنا وهب ، عن أبيه ، عن محمد بن الزبير الحنظلي ، قال : بعث معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي ـ وكان ابن خالة عثمان ، أمه أم طلحة بنت كريز ـ إلى البصرة ، وكان جارية بن قدامة قدم على معاوية فقال له : ابعث معي رجلاً ، فإن لك بالبصرة شيعة ، فبعث معه ابن الحضرمي ، فلما قدم ابن الحضرمي البصرة أتته الأزد فقالوا : انتقل إلى دورنا لنمنعك فإنا نخاف أن يغدر بك بنو سعد .

فقال : أخرجوا زياداً فإني غير جامعه في قوم . وكان زياد عاملاً لابن

---

١ ـ أي ما مددت .

٢ ـ في هامش الأصل : الثغام نبت أبيض .

عباس بفارس فأصاب مالاً فلجأ إلى الأزد فألجأه صبرة بن شيمان الحدّاني وأنزل معه فأبوا أن يخرجوه ، وأبى ابن الحضرمي أن ينتقل إليهم إلا بإخراج زياد ، وأنزله جارية في دار في مربعة الأحنف ، وأتاه ناس فيهم عبد الله بن خازم ، ثم تركه جارية فسار إليه أصحاب علي وأحاطوا بداره وقالوا : من خرج عنه فهو آمنٌ . فخرج ناس من الناس ، ولم يخرج ابن خازم فأتته أمه ـ وكانت حبشَية راعية اسمها عجلى ـ فنادته فأشرف عليها فقالت : انزل ، فألقت درعها وقامت في إزار ، وقالت : لتنزلنّ أو لألقينّ إزاري فأفضحك ؟ فنزل واشتعلت النيران في دار ابن الحضرمي التي كان عليها ، فاحترق هو ومن معه فيها ، فقال ابن أبي العَرَنْدَس :

رددنـا زيـاداً إلى داره وجـار تميم دخـانـاً ذهب
لحى الله قوماً شووا جارهم ولم يدفعوا عنه حرّ اللهب

والثبت : إنّ جارية لم يأت معاوية ، والخبر هو الأول .

١ ـ في هامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث ، ولله الحمد .

أمر الغارت بين علي ومعاوية

غارة الضحاك بن قيس الفهري :

قالوا : وجّه معاوية الضحاك بن قيس الفهري ـ ويكنى أبا أنيس حين بلغه أن علياً يدعو الناس إلى الخروج إليه وأن أصحابه مختلفون عليه ـ في خيل كثيفة جريدة ، وأمره أن يمرّ بأسفل واقصة فيغير على الأعراب ممّن كان على طاعة عليّ وعلى غيرهم ممن كان في طاعته ممن لقيه مجتازا ، وأن يصبح في بلد ويمسي في آخر ، ولا يقيم لخيل إن سرّحت إليه ، وإن عرضت له قاتلها ، وكانت تلك أول غارات معاوية .

فأقبل الضحاك إلى القطقطانة فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف ، وجعل يأخذ أموال الناس من الأعراب وغيرهم ويقتل من ظنّ أنه على طاعة عليّ أو كان يهوىٰ هواه حتى بلغ الثعلبيّة ، وأغار على الحاج فأخذ امتعتهم ، ثم صار إلى القطقطانة منصرفاً ، ولقيه بالقطقطانة على طريق الحاج عمرو بن عميس بن مسعود ؛ أخي عبد الله بن مسعود فقتله ـ فلما ولاه معاوية الكوفة كان يقول : يا أهل الكوفة أنا أبو أنيس قاتل ابن عميس ، يعلمهم بذلك

أنه لا يهاب القتل وسفك الدماء ـ وأخذ طريق السماوة منصرفاً ، فلما بلغ علياً خبره قام في أهل الكوفة خطيباً فدعاهم إلى الخروج لقتال عدوّهم ومنع حريمهم ، فَرَدُّوا عليه ردّاً ضعيفا ورأى منهم فشلاً وعجزاً ، فقال : «وددت والله أنّ لي بكلّ عشرة منكم رجلاً من أهل الشام ، وأنيّ صرفتكم كما يصرف الذهب ، ولوددت أنيّ لقيتهم على بصيرتي فأراحني الله من مقاساتكم ومداراتكم كما يداري البكار العمدة والثياب المنهرئة كلما خيطت من جانب تهتكت من جانب .

ثم خرج يمشي إلى نحو الغريّين ، حتى لحقه عبد الله بن جعفر ؛ بدابة فركبها ولحقه الناس بعد ، فسرّح لطلبه حجر بن عدي الكندي في أربعة آلاف أعطاهم خمسين درهماً خمسين درهما .

فسار حجر حتى لحق الضحاك نحو تدمر فقاتله فأصاب من أصحابه تسعة عشر رجلاً ـ ويقال : سبعة عشر رجلاً ـ وقتل من أصحاب عليّ رجلان يقال : إنهما عبد الله وعبد الرحمن ابنا حوزة ـ وهما من الأزد ـ وحجز الليل بينهم فهرب الضحاك في الليل ، وأقام حجر يوماً أو يومين فلم يلق أحداً فانصرف .

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء ، حدثني أبو بكر بن عياش ، أنبأنا أبو حصين قال : خطب الضحاك بن قيس بالكوفة ـ وكان معاوية ولاه إياها حين مات زياد ـ فقال : إنه بلغني أن فيكم رجالاً يشتمون أئمة الهدى وينتقصون أمير المؤمنين عثمان ، والله لئن لم ينتهوا لأضعنّ فيكم سيف زياد وقلوسه[1] ثم لا تجدوني ضعيف السورة ، ولا كليل الشفرة ، والله إني لأول

---

١ ـ القلس : حبل من ليف أو خوص أو غيرهما . القاموس .

من غزا بلادكم وأغار عليها في الإسلام ، أنا الضحاك بن قيس أبو أنيس ، قاتل ابن عميس فأتّقوني .

قالوا : وخطب عليّ وبلغه أن قوماً ينتقصون أبا بكر وعمر رضي الله عنهم ، فذكر أبا بكر فقال : كان والله خير من بقي ، شبهه رسول الله بميكائيل رحمة وبإبراهيم حلماً ووقاراً ، فسار سيره رسول الله ﷺ حتى مضى . رحمة الله على أبي بكر الصديق ، ثم ولي عمر الأمر بعده واستشار المسلمين في ذلك فمنهم من رضي ومنهم من كره فكنت فيمن رضي فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كره فأقام الأمر على منهاج صاحبيه ؛ يتبع آثارهما كاتباع الفصيل أمّه ، وكان والله رحيماً للضعفاء ناصراً للمظلومين شديداً على الظالمين ، قوياً في أمر الله لا يأخذه فيه لومة لائم ضرب الله بالحق على لسانه حتى كنا نظنّ ان ملكا ينطق على لسان عمر ، شبهه رسول الله ﷺ بجبرائيل في غلظته في الأعداء ، وللغيظ على الكفار فمن أحبني فليحبهما ولكنه إن من أبغضهما فقد أبغضني وأنا منه بريء ولو كنت تقدمت إلى القائل ما قال لعاقبته فإنه لا ينبغي العقوبة قبل التقدمة ، فمن أتيت به يقول هذا القول جلّدته حدّ المفتري[1] .

حدثني أبو مسعود الكوفي ، عن أبيه ، عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي حصين بمثله :

١ ـ في هامش الأصل : قول علي في أبي بكر وعمر رضي الله عنهم وعن جميع الصحابة .

غارة سفيان بن عوف بن المغفل الأزدي ثم الغامدي

قالوا : ودعا معاوية سفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدي ؛ فسرّحه في ستة آلاف من أهل الشام ذوي بأس وأداة وأمره أن يلزم جانب الفرات الغربي حتى يأتي هيت فيغير على مسالح علي وأصحابه بها ؛ وبنواحيها ؛ ثم يأتي الأنبار فيفعل بها مثل ذلك حتى ينتهي إلى المدائن ، وحذّره أن يقرب الكوفة ، وقال له : إن الغارة تنخب قلوبهم وتكسر حدّهم وتقوي أنفس أوليائنا ومنّتهم ، فشخص سفيان في الستة آلاف المضمومين إليه ، فلما بلغ أهل هيت قربه منهم قطعوا الفرات إلى العبر الشرقي ، فلم يجد بها أحداً ، وأتى الأنبار فأغار عليها فقاتله من بها من قبل علي فأتى على كثير منهم ، وأخذ أموال الناس وقتل أشرس بن حسان البكري عامل علي ، ثم انصرف . وأتى علياً علج ، فأخبره الخبر ، وكان عليلاً لا يمكنه الخطبة ، فكتب كتاباً قرىء على الناس ، وقد أدني عليّ من السدة التي كان يخرج منها ليسمع القراءة ، وكانت نسخة الكتاب :

أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبس ثوب

الذلة ، وشملة البلاء ، وديث بالصغار ، وسيم الخسف ، ومنع النصف ، وقد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وعلانية وسرّا وأمرتكم أن تغزوهم قبل أن يغزوكم ، فإنه ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي ، وعصيتم أمري ، واتخذتموه وراءكم ظهريّا ، حتى شنّت عليكم الغارات من كل ناحية ، هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار ، فقتل ابن حسان البكري ، وأزال مسالحكم عن مواضعها ، وقتل منكم رجالاً صالحين ، لقد بلغني أن الرجل من أهل الشام كان يدخل بيت المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فيأخذ حجلها وقلبها ورعاثها وقلادتها ، فيا عجبا عجبا يميت القلب ، ويجلب الهمّ ، ويسعر الأحزان من جّد هؤلاء القوم في باطلهم ، وفشلكم عن حقكم فقبحاً وترحا صرتم غرضاً يرمى ، يغار عليكم ولا تغيرون ، ويعصى الله فترضون ، إذا قلت لكم : اغزوا عدوكم في الحر ، قلتم : هذه حمارة القيظ من يغزو فيها ؟ أمهلنا ينسلخ الحر ، وإذا قلت : أغزوهم في أنف الشتاء ، قلتم الصرّ والقّر ، أفكّل هذا منكم فرار من الحر والقّر ؟! فأنتم والله من السيف أفر ، يا أشباه الرجال ، ولا رجال ، يا أحلام الأطفال وعقول ربات الحجال ، لوددت أني لم أركم وأن الله أخرجني من بين أظهركم فلقد وريتم صدري غيظا ، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً ، وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش : ابن أبي طالب شجاع ، ولكنه لا علم له بالحرب . لله أبوهم وهل منهم أحد أشد لها مراساً ومقاساة مني ، لقد نهضت فيها وقد بلغت العشرين ، فهأنذا قد ذرفت على الستين.ولكنه لا رأي لمن لا يطاع. والسلام .

ثم إن علياً أتبعه سعيد بن قيس الهمداني . ويقال : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، ويقال هانىء بن خطاب ، فبلغ صفّين ثم انصرف ، ويقال : إن سعيداً ـ أو قيساً ـ وجَّه هانىء بن خطاب فأتبعه حتى بلغ أداني أرض قنسرين .

غارة النعمان بن بشير الأنصاري

قالوا : وبعث معاوية النعمان بن بشير الأنصاري ، وأبا هريرة الدوسي بعد أبي مسلم الخولاني إلى عليّ يدعوانه إلى أن يسلّم قتلة عثمان بن عفان ليقتلوا به فيصلح أمر الناس ويكف الحرب ، وكان معاوية عالماً بأن علياً لا يفعل ذلك ، ولكنه أحبّ أن يشهد عليه عند أهل الشام بامتناعه من إسلام أولئك ؛ والتبري منهم فيشرع له أن يقول : إنه قتله فيزداد أهل الشام غيظاً عليه وحنقاً وبصيرة في محاربته وعداوته ، فلما صارا إليه فأبلغاه ما سأله معاوية امتنع من إجابتهما إلى شيء مما قدما له فانصرف أبو هريرة إلى الشام فأمره معاوية بأن يعلم الناس ما كان بينه وبين عليّ ، وأقام النعمان بعد أبي هريرة أشهراً وهو يظهر لعليّ انه معه ، ثم خرج فمرّ بعين التمر وعليها مالك بن كعب الهمداني فحبسه ليكتب إلى عليّ بخبره ، فركب إليه قرظة بن كعب الأنصاري - وكان على جباية الخراج بالنهرين والفلاليج ونواحيها وما والى ذلك من الطساسيج فكلمه فيه فخلى سبيله فأتى معاوية ؛ فأخبره ومن قبله بمثل ما أخبرهم به أبو هريرة . وهذا في أول الأمر .

قالوا : ثم إن معاوية ندب أصحابه لغارة نحو العراق فانتدب لها النعمان بن بشير ، فسرحه في ألفين وأمره بتجنّب المدن والجماعات ، وأن لا يغير على مسلحة ، وأن تكون إغارته على من بشاطىء الفرات ثم يعجل الرجعة .

فسار النعمان حتى دنا من عين التمر ؛ وبها مالك بن كعب في مائة وقد كان في أكثر منها إلا إنه أذن لأصحابه في الانصراف إلى الكوفة في حوائج لهم فانصرفوا ، فكتب إلى قرظة يستنجده فقال قرظة : إنما أنا صاحب خراج وليس معي إلا من يقوم بأمري فقط . ووجّه إليه مخنف بن سليم الأزدي عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً وكان والياً على الحرب فيما يليه قرظة فقاتل مالك بن كعب النعمان حتى دفعه عن القرية ، فظن أهل الشام حين رأوا عبد الرحمن بن مخنف بن سليم ومن معه أنّه قد أتى مالكاً مدد كثيف ، فانهزموا حتى لحقوا بمعاوية ، وقتل منهم ثلاثة نفر ، ومن أصحاب علي رجل .

وقال النعمان : سرت ليلة فضللت ؛ ثم إني دفعت إلى ماء لبنى القين وإذاً امرأة تطحن في خباء لها وهي تقول :

شربت على الجوزاء كأساً رويّة وأخرى على الشعراء إذ ما استقلّت
مشعشعة كانت قريش تصونها فلما استحلّت قتل عثمان حلّت

فعلمت أني في حد الشام وأنه قد بلغت مأمني واهتديت .

ويقال : إن هذه الغارة قبل غارة سفيان بن عوف .

وقد كان علي حين أتاه خبر النعمان بالكوفة ؛ خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

عجباً لكم يا أهل الكوفة كلما أطلّت عليكم سرية وأتاكم منسر من أهل الشام أغلق كل امرىءٍ منكم بابه ، قد انجحر في بيته انجحار الضب في جحره والضبع في وجارها ، والذليل والله من نصرتموه ، ومن رمىٰ بكم رمى بأفوق[1] ناصل ، فقبحاً لكم وترحاً ، وقد ناديتكم وناجيتكم فلا أحرار عند النداء ، ولا إخوان عند النجاء ، قد منيت منكم بصم لا يسمعون ، وبكم لا يعقلون ، وكمه لا يبصرون .

فيقال : إن علياً أتبع النعمان عدي بن حاتم الطائي فمضى حتى شارف قنسرين ثم انصرف .

ويقال : إن عبد الرحمن بن حوزة الأزدي قتل مع مالك بن كعب يومئذ ، وإن أخاه عبد الله قتل حين لقي حجر بن عدي الضحاك بن قيس الفهري .

ويقال : إن عبد الرحمن بن حوزة قاتل الحسين مع من قاتله . والثبت أن الذي قاتل الحسين رجل من بني تميم يقال له : عبد الله بن حوزة ، وهو غير هذا .

١ ـ الفوق : موضع الوتر من القوس ، والناصل السهم المكسور أو المنزوع نصله .

غارة ابن مسعدة الفزاري

قالوا : ودعا معاوية عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة الفزارى ، فبعثه إلى تيماء ، وضمّ إليه ألفاً وسبع مائة[1] وأمره أن يصدق من مرّ به من العرب ، ويأخذ ؛ البيعة له على من أطاعه ، ويضع السيف على من عصاه ، ثم يصير إلى المدينة ومكة وأرض الحجاز ، وأن يكتب إليه في كل يوم بما يعمل به ويكون منه ، فانتهى ابن مسعدة إلى أمره ، وبلغ خبره علياً فندب المسيّب بن نجبة الفزاري في كثف من الناس فطلبه وقال له : إنك يا مسيّب من أثق بصلاحه وبأسه ، فسار حتى أتى الجناب ، ثم أتى تيماء وانضمّ إلى عبد الله بن مسعدة قوم من رهطه من بني فزارة ، وانضمّ إلى ابن نجبة قوم من رهطه أيضاً ، فالتقى هو وابن مسعدة فاقتتلوا قتالاً شديداً ؛ وأصابت ابن مسعدة جراحات ومضى قوم من أصحابه إلى الشام منهزمين لا يلوون عليه ، وبقي معه قوم منهم فلجأ ولجأوا إلى حائط حول حصن تيماء محيط به قديم ، فجمع المسيّب حوله الحطب وأشعل فيه النار ، فناشدوه أن

---

١ ـ في رواية أخرى «ألفين» (من الهامش) .

لا يحرقهم وكلم فيهم ، فأمر بإطفاء تلك النار .

وكان على الثلمة التي يخرج منها إلى طريق الشام عبد الرحمن بن أسماء الفزاري وهو الذي كان يقاتل يومئذ ويقول :

أنا ابن أسماء وهذا مصدقي أضربهم بصارم ذي رونق

فلما جنّ عليه الليل خلى سبيلهم فمضوا حتى لحقوا بمعاوية ، وأصبح المسيّب فلم يجد في الحصن أحدا ، فسأله بعض أصحابه أن يأذن له في اتباع القوم فأبى ذلك .

وقدم المسيب على عليّ وقد بلغه الخبر ؛ فحجبه أياماً ثم دعا به فوبخه وقال : حابيت قومك وداهنت وضيّعت ، فاعتذر إليه ؛ وكلمه وجوه أهل الكوفة في الرضاء عنه ؛ فلم يجبهم وربطه إلى سارية من سواري المسجد ، ويقال : إنه حبسه ثم دعابه فقال له : إنه قد كلمني فيك من أنت أرجى عندي منه ، فكرهت أن يكون لأحد منهم عندك يد دوني ، وأظهر الرضا عنه ، وولاه قبض الصدقة بالكوفة ، فأشرك في ذلك بينه وبين عبد الرحمن بن محمد الكندي ، ثم إنه حاسبهما فلم يجد عليهما شيئاً ؛ فوجّههما بعد ذلك في عمل ولاهما إياه ، فلم يجد عليهما سبيلا ، فقال : لو كان الناس كلهم مثل هذين الرجلين الصالحين ، ما ضرّ صاحب غنم لوخلاها بلا راع ، وما ضرّ المسلمات لاتغلق عليهنّ الأبواب ، وما ضر تاجر لو ألقى تجارته بالعراء .

غارة بسر بن أبي أرطاة القرشي

قالوا : كان عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ـ عامل علي على اليمن ـ أشتد على أهل صنعاء فيما يجب عليهم ، وطرد قوماً من شيعة عثمان عنها ، وكان سعيد بن نمران الهمداني على الجند ، فصنع مثل ذلك ، فتجمعت العثمانية وادعت أن الأمر قد أفضى إلى معاوية واجتمع الناس عليه ، فكتبا بذلك إلى علي فوجّه إليهما جبر بن نوف أبا الودّاك بكتاب ينسبهما فيه إلى العجز والوهن ، فأرجف عبيد الله وسعيد بن نمران بأن يزيد بن قيس الأرحبي قد فصل من عند علي في جيش عظيم يريدهم ، وسألا أبا الودّاك أن يحدث بذلك ويشيعه ففعل فكتبوا إلى معاوية

معاويَ إلا تسرع السير نحونا ... نبايع علياً أو يزيد اليمانيا

وإن كان فيما عندنا لك حاجة ... فأرسل أميراً لا يكن متوانيا

فبعث معاوية بسر بن أبي أرطاة بن عويمر ـ أحد بني عامر بن لوي ـ في ألفين وستمائة انتخبهم بسر ، وقال له : يا بسر إن مصر قد فتحت فعز وليّنا وذلّ عدونا ، فسر على اسم الله ، فمرّ بالمدينة فأخف أهلها وأذعرهم وهّول

عليهم حتى يروا أنك قاتلهم ، ثم كفّ عنهم وصر إلى مكة فلا تعرض فيها لأحد ، ثم امض إلى صنعاء فإن لنا بها شيعة فانصرهم واستعن بهم على عمال علي وأصحابه فقد أتاني كتابهم ، واقتل كل من كان في طاعة علي إذا امتنع من بيعتنا ، وخذ ما وجدت لهم من مال .

فلما دخل بسر المدينة أخاف أهلها وقال : إن بلدكم كان مهاجر نبيكم ومحل أزواجه والخلفاء الراشدين بعده ، فكفرتم نعمة الله عليكم ولم تحفظوا حق أئمتكم حتى قتل عثمان بينكم ، فكنتم بين خاذل له ومعين عليه ، ولم يزل يرهبهم حتى ظنّوا أنه موقع بهم ، ثم دعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعه قوم وهرب منه قوم فهدم منازلهم .

وكان عامل علي على المدينة يومئذ أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري فتوارى فأمر بسر أبا هريرة أن يصلي بالناس .

ولما قرب بسر من مكة توارى قثم بن العباس ، وكان عليها ، فكان شيبة بن عثمان العبدري يصلي بالناس حتى قدم بسر ، فلما قدم لم يهج أهل مكة ولم يعرض لهم .

وقدم على علي بن أبي طالب عين له بالشام فأخبره بخبر بسر ـ يقال إنه قيس بن زرارة بن عمرو بن حطيان الهمداني ، وكان قيس هذا عيناً له بالشام يكتب إليه بالأخبار ـ ويقال : إن كتابه ورد عليه بخبر بسر ، فخطب علي الناس ووبخهم وندبهم للشخوص إليه ، فانتدب جارية بن قدامة التميمي فأمره ان يأتي البصرة فيكون شخوصه لطلب بسر منها .

ووجّه إليه وهب بن مسعود الخثعمي من الكوفة .

ثم لما قرب بسر من الطائف تلقاه المغيرة بن شعبة ـ وكان مقيماً

بالطائف معتزلاً لأمورهم لم يشخص إلى البصرة ولا حضر صفين ، إلا إنه شخص مع من شهد أمر الحكمين ثم انصرف إلى الطائف ـ فقال له : أحسن الله جزاك فقد بلغتني شدتك على العدو ، وإحسانك إلى الولي ، فدم على صالح ما أنت عليه فإنما يريد الله بالخير أهله . فقال : يا مغيرة إني أريد أن أوقع بأهل الطائف حتى يبايعوا لأمير المؤمنين معاوية . فقال : يا بسر ولم ؟ أَتَثِبُ على أولياءك بما تثب على أعدائك ؟ لا تفعل فيصير الناس جميعاً أعداؤك . فقال : صدقتني ونصحت لي .

وقتل بسر كعب بن عبدة وهو ذو الحبكة ، بتثليث[1] .

ومضى بسر حتى إذا شارف اليمن ؛ هرب عبيد الله وسعيد ـ وذلك الثبت ـ ويقال : أقاما حتى قدم فتحصنا ، ثم خرجا ليلاً فلحقا بعلي ، وخلف عبيد الله بن العباس على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، فلما قدمها بسر قتله وقتل ابنه مالك بن عبد الله .

ثم دعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه له ، وقتل جماعة من شيعة علي .

وقال الهيثم بن عدي : حدثني يعقوب بن داود : أن عبيد الله كان عاملاً لعلي على اليمن ، فخرج إلى علي وخلف على صنعاء عمرو بن أراكة الثقفي ، فقدم عليه بسر من قبل معاوية فقتله ، فخرج عليه أخوه عبد الله فقال أبو أراكة :

لعمري لقد أردى ابن ارطاة فارساً   بصنعاء كالليث الهزبر إلى أجر
فقلت لعبد الله إذحنّ باكيا   تعزّ وماء العين منحدر يجري

١ ـ تثليث موضع بالحجاز قرب مكة . معجم البلدان .

فإنك إن تبعث عنيك لما مضى ... من الدهر أو ساق الحمام إلى قبر
لتنفدن ماء الشؤون بأسره ... وإن كنت تمريهنَّ من ثبج البحر
تبين فإن كان البكا ردّ هالكا ... على أحد فاجهد بكاك على عمرو
ولاتبك ميتاً بعد ميت أَجِلَّةٍ ... علي وعباس وآل أبي بكر

وكان عبيد الله بن العباس قد جعل ابنيه عبد الرحمن وقثم في قوم أمهما ـ وهي أم حكيم واسمها جويرية بنت قارظ الكناني ـ فلما انتهى بُسر إلى بلاد قومها قال : ائتوني بابني عبيد الله فلما أتي بهما قدمهما له فقتلهما فخرج نسوة من بني كنانة فقلن : هب الرجال يقتلون فما بال الولدان ؟! والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية ؟ وإن سلطاناً لا يسدد إلا بقتل الأطفال لسلطان سوء ، فأراد أن يوقع بهن ثم أمسك .

وغيّب الغلامين أياماً طمعاً في أن يأتيه أبوهما ؛ ثم قتلهما : ذبحهما ذبحاً ، فرثتهما أمهما بأبيات وهي :

ها من أحسّ بنيّ اللذين هما ... كالدرتين تشظّا عنهما الصدف
ها من أحس بنيي اللذين هما ... قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
ها من أحس بنيي اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا ... من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي طفليَّ مرهفة ... مشحوذة وكذاك الإثم يقترف
من دلّ والهة حرّاء ثـاكلة ... على صبيين ضلا إذ غدا السلف

وقالت أيضاً :

ألا من أبصر الأخوين أمّهما هي الثكلى ... تسائل من رأى ابنيها وتستبغي فما تبغى

وسار جارية بن قدامة السعدي حتى أتى اليمن فحرق بها وقتل قوماً

من شيعة عثمان ، وطلب بسراً فهرب فاتبعه إلى مكة ، وظفر بقوم من أصحابه فقتلهم . وقال جارية لأهل مكة . يا عباد الله بايعوا أمير المؤمنين علياً ، فقالوا : إنه قد هلك . قال : فبايعوا لمن بايعه أصحاب عليّ ففعلوا ذلك ، ثم أتى المدينة وقد اصطلح أهلها أن يصلي بهم أبو هريرة ، فقال لهم جارية : يا عباد الله بايعوا للحسن بن عليّ . فبايعوه ثم أقبل نحو الكوفة وتركهم فردّوا أبا هريرة فصلى بهم حتى اصطلح الناس .

وأما وهب بن مسعود الخثعمي فسار فلم يلحق بسراً ، ولم يظفر بأحد من أصحابه ويقال : إن علياً ردّه من الطريق .

وحدثنا أبو مسعود الكوفي ، عن عوانة ، أنّ وائل بن حجر الحضرميّ ، كان عثمانياً فاستأذن علياً في إتيان اليمن ليصلح له ما هناك ، ثم تعجل الرجوع فأذن له في ذلك ، فمالأ بسراً وأعانه على شيعة عليّ .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، عن أبي مخنف في إسناده : أنّ علياً لما بلغه خبر بسر بن أبي أرطاة ، وتوجيه معاوية إياه صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أما بعد فإني دعوتكم عوداً وبدءاً وسراً وجهراً ، في الليل والنهار ، والغدو والآصال ، فما زادكم دعائي إلا فراراً ؛ وإدباراً ، أما ينفعكم العظة والدعاء إلى الهدى ؟ وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم ، ولكني والله لا أرى إصلاحكم بفساد نفسي ، إن من ذل المسلمين وهلاك هذا الدين ان ابن أبي سفيان يدعو الأشرار فيجاب وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون وتدافعون» .

وولّى علي بن أبي طالب يزيد بن حجية بن عامر من بني تيم الله بن

ثعلبة ؛ الري ودستبي وتستر فكسر الخراج فبعث إليه فحبسه ثم خرج فلحق بمعاوية .

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه : أن عبيد الله بن العباس لما صار إلى معاوية ؛ وفارق الحسن بن علي ؛ رأى بسراً ، فقال له : أنت أمرت هذا اللعين بقتل ولديّ ؟ فقال : والله ما فعلت ولقد كرهت ذلك . فغضب بسر لقولهما وألقى سيفه إلى معاوية وقال له : خذه عني ولكن أمرتني أن أخبط به الناس فانتهيت إلى أمرك ، ثم أنت تقول لهذا ما تقول وهو بالأمس عدوك ؛ وأنا نصيحك دونه وظهيرك عليه فقال : خذ سيفك فإنك ضعيف الرأي حين تلقي سيفاً بين يدي رجل من بني هاشم وقد قتلت ابنيه ، فأخذ سيفه ، وقال عبيد الله : ما كنت لأقتل بسرا ، بأحد ابني ، هو أَلأَمُ وأوضع وأحقر من ذلك ، والله ما أرى أني أدرك ثأرهما إلا بيزيد وعبد الله ابني معاوية ، فضحك معاوية وقال : ما ذنب يزيد وعبد الله فوالله ما أمرت ولا علمت ولا هويت . ـ وكان معاوية مائلاً إلى ولد العباس لأن جدته أم أبيه كانت صفية بنت حزن ، وكانت أم بني العباس لبابة بنت الحارث بن حزن ـ فقال ابن لعبيد الله من سرية تدعى جمانة : والله لا نرضى إلا بيزيد وعبد الله . فقال معاوية : لا أم لك فلولا كرامة أبيك لأطلت حبسك .

ثم إن بسراً بعد ذلك وسوس ، وكان يهذي بالسيف ، فجعل له سيف من خشب أو من عيدان ، وكانت الوسادة تدنى إليه فيضربها حتى يغشى عليه ، وربما أدني إليه زق فيضربه ، فلم يزل كذلك حتى مات في خلافة عبد الملك بن مروان ، ولم يزل معاوية يصل عبيد الله بالمال العظيم بعد المال حتى سلّ ما في قلبه .

وقال هشام بن الكلبي : أغار البياغ الكلبي على بكر بن وائل ؛ فأخذ سبيهم ، فبعث إليه عليّ الأسود بن عميرة بن جزء النهدي فردّ عليه البياغ السبي فقال :

رهنت يميني عن قضاعة كلها فإبْتُ حميداً فيهم غير مغلق

قدوم يزيد بن شجرة الرهاوي مكة

قالوا : بعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي ، من مذحج إلى مكة لإقامة الحج ، وكان على الموسم من قبل علي قثم بن العباس بن عبد المطلب وكان يزيد بن شجرة متألها متوقياً ، فلما أمره معاوية بالمسير ؛ قال له : إن كان لا يرضيك إلا الغشم ، وإخافة البريءفابعث غيري فقال له معاوية : سر راشداً ؛ فقد رضيت رأيك . وكان عثمانياً ممن شهد صفين مع معاوية .

فمضى وكتم أمره ، فأتى وادي القرى ، ثم الجحفة ، ثم قدم مكة ؛ في غرة من ذي حجة فأراد قثم بن العباس التنحي عن مكة ، إذ لم يكن في منعة وكان أبو سعيد الخدري حاجّاً ، وكان له ودّا ، فأشار عليه أن لا يفعل ، وبلغه أن معقل بن قيس الرياحي موافيه في جمع بعث بهم علي حين بلغه فصول ابن شجرة من الشام .

فأقام وأمر ابن شجرة مناديه فنادى في الناس بالأمان ، وقال : إني لم آت لقتال وإنما أصلي بالناس ، فإن شئتم فعلت ذلك ، وإلا فاختاروا من يقيم لكم الحج ، والله ما مع قثم منعة ، ولو أشاء أن آخذه لأخذته ، ولكني

لا أفعل ، ولا أصلي معه ، وأتى أبا سعيد فقال له : إن رأيت والي مكة كره ما جئنا له ونحن للصلاة معه كارهون ، فإن شاء اعتزل الصلاة وأعتزلها ، وتركنا أهل مكة يختارون من أحبّوا . فاصطلحوا على شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدري ، فقال أبو سعيد : ما رأيت في أهل الشام مثل هذا ؟ وهب إلينا قبل أن نطلب إليه .

وقدم معقل يريد يزيد بن شجرة ؛ فلقي أخريات أصحابه بوادي القرى فأسر منهم ولم يقتل ، ثم صار إلى دومة الجندل وانصرف إلى الكوفة .

حدثني عباس بن هشام الكلبي ، [عن أبيه] عن أبي مخنف في إسناده قال : لما بلغ علياً توجيه معاوية يزيد بن شجرة ، دعا معقل بن قيس الرياحي فقال : إني أريد أن أرسلك إلى مكة لترد عنها قوماً من أهل الشام قد وجه إليها . فقال : أنا لهم فعقد اللواء واستنفر علي الناس معه ، فخطب فقال : «الحمد لله الذي لا يعز من غالبه ، ولا يفلح من كايده ، إنه بلغني أن خيلاً وجهت نحو مكة ؛ فيها رجل ؛ قد سمي لي ، فانتدبوا إليها رحمكم الله مع معقل بن قيس ، واحتسبوا في جهادكم والانتداب معه أعظم الأجر ، وصالح الذخر» .

فسكتوا فقام معقل فقال : أيها الناس انتدبوا فإنما هي أيام قلائل حتى ترجعوا إن شاء الله ، فإني أرجو أن لو قد سمعوا بنفيركم إليهم تفرقوا تفرق معزى الغزر[1] فوالله إن الجهاد في سبيل الله خير من المقام تحت سقوف البيوت ، والتضجيع خلف أعجاز النساء .

فقام الرباب بن صبرة بن هوذة الحنفي فقال : أنا أول منتدب .

١ ـ أي الكثيرة الدَرّ القاموس .

ثم وثب طعين بن الحارث الكندي ، فقال : وأنا منتدب وانتدب الناس .

فشخص لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة في ألف وتسعمائة ـ ويقال : سبع مائة ـ وأعطاهم علي مائة مائة .

وشخص يزيد بن شجرة من مكة لليلتين بقيتا من ذي الحجة ، وأغذ السير حتى خرج من أرض مكة والمدينة ، وهو يحمد الله على تمام حجه وأنه لم يقاتل في الحرم .

ولحق معقل أخريات أصحاب يزيد ، دون وادي القرى فأصاب منهم عشرة نفر ، وكره ابن شجرة أن يرجع للقتال ، فمضى إلى معاوية .

أمر ابن العشبة وأصحابه
بالسماوة

قالوا : وبعث معاوية رجلاً من كلب يقال له : زهير بن مكحول ؛ من بني عامر الأجدار ؛ إلى السماوة ، فجعل يصدّق الناس ، فبلغ ذلك علياً فبعث ثلاثة نفر : جعفر بن عبد الله الأشجعي ، وعروة بن العشبة من كلب ، من بني عبدودّ ، والجلاس بن عمير ؛ من بني عدي بن خباب الكلبي ، وجعل الجلاس كاتباً له ليصدّقوا من كان في طاعته من كلب ، وبكر بن وائل ، فأخذوا على شاطىء الفرات حتى وافوا أرض كلب ، ووافوا زهير الأجداري فاقتتلوا ، فهزم زهير أصحاب علي ، وقتل جعفر بن عبد الله وأفلت الجلاس ، وأتى ابن العشبة علياً فعنفه وقال : جبنت وتعصبت فانهزمت ، وعلاه بالدرّة ، فغضب ولحق بمعاوية ، فهدم علي داره ، وكان زهير حمل ابن العشبة على فرس فلذلك اتهمه عليّ ، وقال ابن العشبة :

أبلغ أبا حسن إذا ما جئته يدنيك منه الصبح والأمساء
لو كنت آتينا عشية جعفر جاشت إليك النفس والأحشاء
إذ نحسب الشجرات خلف ظهورنا خيلاً وان أمامنا صحراء

إنا لقينا معشراً قبض الخصا فكأنهم يوم الوغى شجراء

ومرّ الجلاس براع فأعطاه جبّة خزّ ، وأعطاه الراعي عباءة ، وأخذ العلبة في يده وأدركته الخيل فقال : أين أخذ هؤلاء الترابيون ؟ فأشار إليه أخذوا هاهنا ، ثم أقبل إلى الكوفة فقال الجواس بن المعطل :

ونجا جلاساً علبة وعباءة وقولك إني جيد الصرّ حالب
ولو ثقفته بالشُّعَيْبِ خيولهم لأودى كما أودى سمير وحاطب
وصار لقى بين الفريقين مسلماً جباراً ولم يثأر به الدهر طالب

قال هشام بن الكلبي : هو عروة بن العشبة ، وسمي عوف بن عمرو بن عبدود «العشبة» ؛ لأنه كان كالعشب لقومه ، وعروة من ولده ، وبعضهم يقول عمرو بن العشبة ، وذلك باطل .

أمر مسلم بن عقبة المري بدومة الجندل

قالوا : وبعث معاوية ابن عقبة المري إلى أهل دومة الجندل ـ وكانوا قد توقفوا عن البيعة لعلي ومعاوية جميعاً ـ فدعاهم إلى طاعة معاوية وبيعته ، وبلغ ذلك علياً فبعث إلى مالك بن كعب الهمداني أن خلّف على عملك من تثق به وأقبل إليّ . ففعل واستخلف عبد الرحمن بن عبد الله الكندي فبعثه علي إلى دومة الجندل في ألف فارس ، فلم يشعر مسلم إلا وقد وافاه فاقتتلوا يوماً ثم انصرف مسلم منهزماً ، وأقام مالك أياماً يدعو أهل دومة الجندل إلى البيعة لعلي فلم يفعلوا ، وقالوا : لا نبايع حتى يجتمع الناس على إمام . فانصرف .

غارة الحارث بن نمر التنوخي

قالوا : لما قدم يزيد بن شجرة على معاوية ، وجه الحارث بن نمر التنوخي على خيل مقدّحة(١) فأمره أن يأتي الجزيرة فيسأل عمن كان في طاعة علي فيأتيه فأخذ من أهل دارا(٢) سبعة نفر من بني تغلب ثم أقبل بهم وشبيب بن عامر الأزدي عامل علي على نصيبين ـ وهو جد الكرماني صاحب خراسان ـ وقد كانت جماعة من بني تغلب انحازت عن علي إلى معاوية ؛ فكلموه في السبعة النفر فلم يجبهم إلى إطلاقه ، فاعتزلوه أيضاً . فكتب معاوية إلى علي:إن في أيديكم أسارى من أهل طاعتنا كان معقل بن قيس أخذهم بناحية وادي القرى ، ممن كان مع يزيد بن شجرة ، وفي أيدينا رجال من شيعتك أصبناهم ، فان أحببت خلينا من في أيدينا وخليتم من في أيديكم ، فأخرج عليّ النفر الذين قدم بهم معقل بن قيس من أصحاب ابن شجرة الرهاوي وكانوا محتبسين فبعث بهم إلى معاوية مع سعد مولاه ؛ وأطلق معاوية السبعة الذين أخذوا بدارا .

١ ـ أي مضمرة .

٢ ـ دارا : بلده بين نصيبين وماردين . معجم البلدان .

قالوا : وبعث علي رجلاً من خثعم يقال له : عبد الرحمن إلى ناحية الموصل والجزيرة لتسكين الناس ، فلقيه أولئك التغلبيون الذين اعتزلوا علياً ومعاوية فتشاتموا ثم تقاتلوا فقتلوه ، فأراد علي أن يوجّه إليهم جيشاً ، فكلمته ربيعة فيهم ، وقالوا : هم معتزلون لعدوك داخلون في أهل طاعتك ، وإنما قتلوا الخثعمي خطأ ، فأمسك عنهم ، وكان على هذه الجماعة من بني تغلب قرثع بن الحارث التغلبي .

غارة مالك الأشتر وهو عامل علي على الجزيرة - قبل شخوصه إلى مصر - واستخلافه شبيب بن عامر على الجزيرة

قالوا : بعث معاوية الضحاك بن قيس الفهري على ما كان من سلطانه [من] الجزيرة والرقة ، وحران ، والرها ، وقرقيسيا ، فبلغ ذلك الأشتر ، فسار من نصيبين يريد الضحاك واستمدّ الضحاك أهل الرقة - وكان جلّ من بها عثمانية هربوا من علي - فأمدّوه عليهم سماك بن مخرمة الأسديّ ، فعسكروا جميعاً بين الرقة وحران ، وأقبل إليهم الأشتر فاقتتلوا قتالاً شديداً وفشت فيهم الجراح ، وأسرع الأشتر فيهم ، فلما حجز الليل بينهم سار الضحاك من ليلته فنزل حران ، وأصبح الأشتر فأتبعهم حتى حاصرهم بحران ، وأتى الصريخ معاوية ؛ فدعا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، فأمره بالمسير لإنجاد الضحاك ؛ فلما بلغ الأشتر ذلك كتّب كتائبه ليعاجل الضحاك ، ثم نادى ألا إن الحي عزيز ، ألا إن الذمار منيع ألا تنزلون أيتها الثعالب الروّاغة ، ثم مضى فمرّ بالرقة فتحصنوا منه وأتى قرقيسيا فتحصنوا منه ، وبلغ عبد الرحمن بن خالد انصرافه فأقام وقال أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي :

لولا مقام عشيرتي وطعانهم وجلادهم بالسيف أيّ جلاد
لأتاك أشتر مذحج لاينثني بالسيف ذا حنق وذا إرعاد[1]

١ ـ قصيدة ابن خريم كلها في الغارات ص ٢١٦ .

غارة عبد الرحمن بن قباث بن أشيم الكناني

قالوا : وكان كميل بن زياد النخعي على هيت في جند من شيعة علي فلما أغار سفيان بن عوف على الأنبار ، كان كميل قد أتى ناحية قرقيسيا لمواقعة قوم بلغه انهم قد أجمعوا على أن يغيروا على هيت ونواحيها ، فقال : أبدأهم قبل أن يبدأوني فإنه يقال: ابدأهم بالصراخ يفر. فاستخلف على هيت وشخص بجميع أصحابه ، فلما قربهم جيش سفيان عبر أهل هيت ومن بقي بها من أصحاب كميل وكانوا خمسين رجلاً ، فأغضب ذلك علياً وأحفظه فكتب إليه : «إن تضييع المرء ما وليّ وتكلفه ما كفي عجز ، وإن تركك عملك وتخطّيك إياه إلى قرقيسيا خطأ وجهل ورأي شعاع» . ووجد عليه وقال : إنه لاعذر لك عندي ، فكان كميل مقيماً على نجوم[1] وغمّ لغضب عليّ ؛ فبينا هو على ذلك إذ أتاه كتاب شبيب بن عامر الأزدي من نصيبين في رقعة كأنها لسان كلب يعلمه فيه أن عيناً له كتب إليه يعلمه أن معاوية قد وجّه عبد الرحمن بن قباث نحو الجزيرة ، وأنه لا يدري أيريد

١ ـ تنجم : رعى النجوم من سهر أوعشق . القاموس .

ناحيته أم ناحية الفرات وهيت . فقال كميل إن كان ابن قباث يريدنا لنتلقينه ، وإن كان يريد إخواننا بنصيبين ؛ لنعترضنه فإن ظفرت أذهبت موجدة أمير المؤمنين فأغنيت عنه ، وإن استشهدت فذلك الفوز العظيم ، وإن أبقى رجوت الأجر الجزيل ، فأشير عليه ؛ باستئمار علي ، فأبى ذلك ونهض يريد ابن قباث في أربعمائة فارس ، وخلف رجالته وهم ستمائة في هيت ، وجعل يحبس من لحقه ليطوي الأخبار عن عدوه ، وأتاه الخبر بانحيازه من الرقة نحو رأس العين ، ومصيره إلى كفرتوثا[1] وكان ينشد في طريقه كثيراً :

يا خير من جر له خير القدر فالله ذو الآلاء أعلى وأبـرّ
يخذل من شـاء ومن شاء نصر

ثم أغذّ السير نحو كفرتوثا ، فتلقاه ابن قباث ومعن بن يزيد السلمي بها في أربعمائة وألفين ، فواقعهما كميل ففضّ عسكرهما وغلب عليه وقتل من أصحابهما بشراً ، فأمر أن لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح ، وقتل من أصحاب كميل رجلان ، وكتب بالفتح إلى علي ، فجزاه الخير وأجابه جواباً حسنا .

قالوا : وأقبل شبيَب بن عامر ؛ من نصيبين في ستمائة فارس ورجالة ، ويقال : في أكثر من هذا العدد ، فوجد كميلاً قد أوقع بالقوم واجتاحهم فهنّاه بالظفر وقال : والله لأتبعن القوم فإن لقيتهم لم يزدهم لقائي ألا هلاكاً وفلا ، وإن لم ألقهم لم أثنّ أعنة الخيل حتى أطأ أرض الشام وطوى

١ -[قرية كبيرة من أعمال الجزيرة ، بينها وبين دارا خمسة فراسخ ، وهي بين دارا ورأس عين . معجم البلدان .

خبره عن أصحابه فلم يعلمهم أين يريد ، فسار حتى صار إلى جسر منبج فقطع الفرات ، ووجّه خيله فأغارت ببعلبك[١] وأرضها ، وبلغ معاوية خبر شبيب ، فوجه حبيب بن مسلمة للقائه ، فرجع شبيب فأغار على نواحي الرقة فلم يدع للعثمانية بها ماشية إلا استاقها ولا خيلاً ولا سلاحاً إلا أخذه ، وكتب بذلك إلى علي حين انصرف نواحي نصيبين ، فكتب إليه ينهاه عن أخذ مواشي الناس وأموالهم إلا الخيل والسلاح الذي يقاتلون به ، وقال : رحم الله شبيبا لقد أبعد الغارة وعجل الانتصار .

١ ـ كذا بالأصل ، ويصعب قبول ذلك .

غارة زياد بن خصفة بن ثقف التميمي على جانب الشام واستثارة علي أهل الكوفة لقتال معاوية

قالوا : لما استنفر علي أهل الكوفة فتثاقلوا وتباطأوا ؛ عاتبهم ووبّخهم، فلما تبين منهم العجز وخشي منهم التمام على الخذلان، جمع أشراف أهل الكوفة ودعا شيعته الذين يثق بمناصحتهم وطاعتهم فقال : الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد أيها الناس فإنكم دعوتموني إلى هذه البيعة فلم أردّكم عنها ، ثم بايعتموني على الإمارة ولم أسألكم أيّاها فتوثب علي متوثبون ؛ كفى الله مؤونتهم وصرعهم لخدودهم وأتعس جدودهم ، وجعل دائرة السوء عليهم ، وبقيت طائفة تحدث في الاسلام أحداثا ، تعمل بالهوى ، وتحكم بغير الحق ، ليست بأهل لما ادّعت ، وهم إذا قيل لهم : تقدّموا قدماً تقدّموا ، وإذا قيل لهم أقبلوا [أقبلوا] لا يعرفون الحقّ كمعرفتهم الباطل ، ولا يبطلون كإبطالهم الحق ، أما إني قد سئمتُ من عتابكم وخطابكم فبينوا لي ما أنتم فاعلون ، فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوي ، فهو ما أطلب وأحب ، وإن كنتم غير فاعلين فاكشفوا لي عن أمركم أرى رأيي ، فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى

عدوكم فتقاتلوهم ﴿حتى يحكم الله بيننا﴾ وبينهم ﴿وهو خير الحاكمين﴾[١] لأدعون الله عليكم ، ثم لأسيرن إلى عدوكم ولو لم يكن معي إلا عشرة ، أأجلاف أهل الشام وأعرابها أصبر على نصرة الضلال ، وأشد اجتماعاً على الباطل منكم على هداكم وحقكم ، ما بالكم ، ما دواؤكم ؟ إن القوم أمثالكم لا ينشرون إن قتلوا إلى يوم القيامة .

فقام إليه سعيد بن قيس الهمداني فقال : يا أمير المؤمنين مرنا بأمرك ؛ والله ما يكبر جزعنا على عشائرنا إن هلكت ، ولا على أموالنا إن نفدت في طاعتك ومؤازرتك .

وقام إليه زياد بن خصفة فقال : يا أمير المؤمنين أنت والله أحق من استقامت له طاعتنا ، وحسنت مناصحتنا ، وهل ندخر طاعتنا بعدك لأحد مثلك ، مرني بما أحببت مما تمتحن به طاعتي .

وقام إليه سويد بن الحارث التيمي من تيم الرباب فقال : يا أمير المؤمنين مر الرؤساء من شيعتك فليجمع كل امرىء منهم أصحابه فيحثهم على الخروج معك ، وليقرأ عليهم القرآن ، ويخوفهم عواقب الغدر والعصيان ، ويضم إليه من أطاعه وليأخذهم بالشخوص .

فلقي الناس بعضهم بعضاً ، وتعاذلوا وتلاوموا ، وذكروا ما يخافون من استجابة دعائه عليهم إن دعا ، فأجمع رأي الناس على الخروج وبايع حجر بن عديّ أربعة آلاف من الشيعة على الموت ، وبايع زياد بن خصفة البكري نحو من ألفي رجل ، وبايع معقل بن قيس نحو من ألفي رجل ، وبايع عبد الله بن وهب السبأي[٢] نحو من ألف رجل .

١ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ٨٧ .
٢ ـ في الهامش : نسب إلى أمه سبأ .

وأتى زياد بن خصفة علياً فقال له : أرى الناس مجتمعين على المسير معك ؛ فأحمد الله ياأمير المؤمنين . فحمد الله ثم قال : ألا تدلوني على رجل حسيب صليب يحشر الناس علينا من السواد ونواحيه ؛ فقال سعيد بن قيس : أنا والله أدلك عليه : معقل بن قيس الحنظلي ، فهو الحسيب الصليب الذي قد جربته وبلوته ، وعرفناه وعرفته ، فدعاه علي وأمره بتعجيل الخروج لحشر الناس ، فإن الناس قد انقادوا للخروج .

ثم قال زياد بن خصفة : يا أمير المؤمنين قد اجتمع لي من قد اجتمع فأذن لي أن أخرج بأهل القوة منهم ، ثم ألزم بشاطىء الفرات حتى أغير على جانب من الشام وأرضها ؛ ثم أعجل الانصراف قبل وقت الشخوص واجتماع من بعث أمير المؤمنين في حشره ، فإن ذلك مما يرهبهم ويهدهم . قال : فامض على بركة الله ؛ فلا تظلمنّ أحدا ، لا تقاتلن إلا من قاتلك ، ولا تعرضنّ للأعراب . فأخذ على شاطىء الفرات فأغار على نواحي الشام ، ثم انصرف ، ووجه معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد في طلبه ففاته ، وقدم زياد هيت فأقام بها ينتظر قدوم علي .

وخرج معقل لما وجّه له ، فلما صار بالدسكرة بلغه أنّ الأكراد قد أغارت على شهرزور ، فخرج في آثارهم فلحقهم حتى دخل الجبل فانصرف عنهم ، ثم لما فرغ من حشر الناس وأقبل راجعاً فصار إلى المدائن بلغه نعي علي ، فسار حتى دخل الكوفة ، ورجع زياد من هيت .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه عن عوانة بن الحكم قال : خطب علي الناس ودعاهم إلى الخفوف إلى غزو أهل الشام ، وأمر الحارث الأعور بالنداء فيهم فلم يوافه إلا نحو من ثلاثمائة ، فخطبهم

ووبخهم فاستحيوا فاجتمع منهم ألوف فتعاقدوا على الشخوص معه ، وأجمع رأيهم على الإقامة شتوتهم ثم الخروج في الفصل ، فإنهم على ذلك إذ أصيب علي عليه السلام .

وحدثني أبو مسعود الكوفي ، عن عوانة : أن علياً كتب إلى قيس بن سعد وهو عامله على أذربيجان : «أما بعد فاستعمل على عملك عبد الله بن شُبيل الأحمسي وأقبل فإنه قد اجتمع ملأ المسلمين وحسنت طاعتهم ، وانقادت لي جماعتهم ولا يكن لك عرجة ولا لبث ، فإنا جادّون مغذُّون ، ونحن شاخصون إلى المحلين ، ولم أؤخر المسير إلا انتظاراً لقدومك علينا إن شاء الله» والسلام .

وقال أبو مسعود : قال عوانة : قال عمرو بن العاص ـ حين بلغه ما عليه عليّ من الشخوص إلى الشام ، وأن أهل الكوفة قد انقادوا له ـ

لا تحسبني يا عليّ غافلا لأوردن الكوفة القبائلا
ستين ألفاً فارساً وراجلاً

فقال عليّ :

لأبلغن العاصي بن العاصي ستين ألفاً عاقدي النواصي
مستحقبين حلق الدلاص[1]

١ ـ ديوان الامام علي ص ٥٨ .

أمر أشرس بن عوف الشيباني في خلافة علي عليه السلام

قالوا : أول من خرج على عليّ بعد مقتل أهل النهروان أشرس بن عوف الشيباني ، خرج بالدسكرة في مائتين ثم صار إلى الأنبار ، فوجه إليه علي الأبرش بن حسان في ثلاثمائة فواقعه فقتل أشرس في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين .

وكان أشرس لما توجه يريد النهر لقيه علي بن الحارث بن يزيد بن رويم ليمنعه فطعنه وقال : خذها من ابن عم لك مفارق لولا نصرته الحق كان بك ضنينا ، فيقال : إنه قتله : والثبت أنه بقي وكان فيمن لقيه فضربه وقال : خذها من ابن عم لك شانٍ .

أمر هلال بن عُلفة

قالوا : ثم خرج هلال بن علفة من تيم الرباب ومعه أخوه مجالد ، وقال بعضهم : إن الرئاسة كانت لمجالد ؛ ومعه هلال ، فأتى ماسبذان يدعو إلى ماربه رأيه ، ويقاتل من قاتله ، فوجه إليه علي معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين ، وكان مقتلهم في جمادى الأول سنة ثمان وثلاثين .

أمر الأشهب بن بشير العرني وبعضهم يقول : الأشعث من بجيلة وهو كوفي

قالوا : ثم خرج الأشهب في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين في مائة وثلاثين[١] فأتى المعركة التي أصيب ابن علفة وأصحابه فيها ، فصلى عليه ، وأجن من قدر عليه منهم ، فوجه إليه علي جارية بن قدامة التميمي ، ويقال : حجر بن عدي الكندي ، فأقبل إليهم الأشهب فالتقوا بجرجرايا[٢] من أرض جُوخى ، فقتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين .

١ ـ «وثمانين» في رواية أخرى (من الهامش) .
٢ ـ بلد كانت بين واسط وبغداد . معجم البلدان .

أمر سعيد بن قَفَل التيمي من تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة

قالوا : ثم خرج سعيد بن قفل التيمي في رجب بالبندنيجين ، وكان معه مائتا رجل ، فأقبل حتى أتى قنطرة الدرزيجان[١] وهي على فرسخين من المدائن ، فكتب علي إلى سعد بن مسعود الثقفي ـ عم المختار بن أبي عبيد بن مسعود ، وكان عامله على المدائن ـ في أمره ، فخرج إلى ابن قفل وأصحابه فواقعهم فقتلهم في رجب سنة ثمان وثلاثين ، وبعضهم يقول : هو سعد بن قفل .

١ ـ درزيجان : قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي . معجم البلدان .

أمر أبي مريم السعدي - سعد مناة بن تميم

قالوا : رجع علي إلى الكوفة من النهر وبها ثلاثة آلاف من الخوارج ، وألف في عسكره ممن فارق ابن وهب وجاء إلى راية أبي أيوب الأنصاري ، ومن كان بالنخيلة ممن خرج يريد أهل الشام قبل النهر ، فلما قاتل علي أهل النهر ، أقاموا ولم يقاتلوا أهل النهر معه ، وقوم بالكوفة لا يرون قتاله ، ولا القتال معه .

فأتى أبو مريم شهرزور في مائتين ، جلهم موال ، فأقام بشهرزور أشهراً يحض أصحابه ويذكرهم أمر النهر ، واستجاب له أيضاً قوم من غير أصحابه ، فقدم المدائن في أربعمائة ، ثم أتى الكوفة ، فأقام على خمسة فراسخ منها ، فأرسل إليه علي يدعوه إلى بيعته وأن يدخل المصر ، فيكون فيه مع من لا يقاتله ولا يقاتل معه ، فقال : ما بيني وبينك إلا الحرب . فبعث إليه علي شريح بن هانىء في سبعمائة فدعاه إلى بيعة علي أو دخول المصر ، لا يقاتله ولا يقاتل معه . فقال : يا أعداء الله أنحن نبايع علياً ونقيم بين أظهركم تجوز علينا أحكامكم وقد قتلتم عبد الله بن وهب وزيد بن حصين ،

وحرقوص بن زهير ، وإخواننا الصالحين ، ثم تنادوا بالتحكيم وحملوا على شريح وأصحابه فانكشفوا ، وبقي شريح في مائتين ، فانحاز إلى بعض القرى وتراجع إليه بعض أصحابه فصار في خمسمائة ، ودخل الباقون الكوفة ، فأرجفوا بقتل شريح ، فخرج علي بنفسه وقدّم أمامه جارية بن قدامة في خمسمائة ثم أتبعه في ألفين .

فمضى جارية حتى صار بإزاء الخوارج فقال لأبي مريم : ويحك أرضيت لنفسك أن تقتل مع هؤلاء العبيد ؟ والله لئن وجدوا ألم الحديد ليسلمنك ، فقال : ﴿إنا سمعنا قرآنا عجباً* يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً[1]﴾ ولحقهم علي فدعاهم إلى بيعته فأبوها وحملوا على عليّ فجرحوا عدة من أصحابه ، ثم قتلوا إلا خمسين رجلاً استأمنوا فآمنهم عليّ .

وكان في الخوارج أربعون جريحاً ، فأمر عليّ بإدخالهم الكوفة ومداواتهم ثم قال : الحقوا بأيّ البلاد شئتم .

وكان مقتل أبي مريم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين .

وقال أبو الحسن المدائني : كان أبو مريم في أربعمائة من الموالي والعجم ، ليس فيهم من العرب إلا خمسة من بني سعد ، وأبو مريم سادسهم .

١ ـ سورة الجن ـ الآيتان : ١ ـ ٢ .

أمر ابن ملجم وأمر اصحابه ومقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المدائني عن مسلمة بن محارب ، عن داود بن أبي هند :

عن الشعبي قال : حجّ ناس من الخوارج سنة تسع وثلاثين وقد اختلف عامل علي وأصحاب معاوية ، فاصطلح الناس على شيبة بن عثمان ، فلما انقضى الموسم أقام الخوارج مجاورين فقالوا : كان هذا البيت معظماً في الجاهلية ، جليل الشأن في الإسلام ، وقد انتهك هؤلاء حرمته ، فلو أن قوماً شروا أنفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد أفسدوا في الأرض ، واستحلاً حرمة هذا البيت استرحنا واستراحت الأمة ، واختار الناس لأنفسهم إماماً ، فقال عبد الرحمن بن ملجم : أنا أكفيكم علياً ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريميّ ـ وهو البرك ـ أنا أقتل معاوية ، وقال زاذويه مولى بني حارثة بن كعب بن العنبر ـ واسمه عمرو بن بكر ـ : والله ما عمرو بن العاص بدونهما ؛ فأنا له . فتعاقدوا على ذلك ، ثم إنهم اعتمروا عمرة رجب .

فقدم ابن ملجم الكوفة وجعل يكتم أمره ؛ فتزوج قطام بنت علقمة من تيم الرباب ـ وكان علي قتل أخاها ـ فأخبرها بأمره، وكان أقام عندها ثلاث

ليال ، فقالت له في الليلة الثالثة : لشدّ ما أحببتَ لزوم أهلك وبيتك ، وأضربت عن الأمر الذي قدمت له ، فقال : إن لي وقتاً واعدت عليه أصحابي ولن أجاوزه . ثم إنه قعد لعليّ فقتله ، ضربه على رأسه ، وضرب ابن عم له عضادة الباب ، فقال علي - حين وقع به السيف - فزت ورب الكعبة .

وقال الكلبي : هو عبد الرحمن بن عمرو بن ملجم بن المكشوح بن نفر بن كلدة ، من حمير ، وكان كلدة أصاب دماً في قومه من حمير ، فأتى مراد فقال : أتيتكم تجوب بي ناقتي الأرض فسمي تجوب .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، وعمرو بن محمد الناقد ، قال : حدثني أبو داود الطيالسي ، أنبأنا شعبة ، أنبأنا سعد بن إبراهيم قال :

سمعت عبيد الله بن أبي رافع ، قال : شهدت علياً وقد اجتمع الناس عليه حتى أدموا رجله فقال : اللهم إني كرهتهم وكرهوني فأرحني منهم وأرِحْهم مني ، فما بات إلا تلك الليلة .

وحدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا ابن جعدبة :

عن صالح بن كيسان قال : مكث معاوية بالشام وعلي بالعراق وعمرو بن العاص بمصر ؛ بعد أن قتل ابن حديج محمد بن أبي بكر الصديق بمصر .

ثم إن نفراً اجتمعوا على أن يعدوا عليهم في ساعة واحدة فيقتلوهم ليريحوا الأمة منهم ، زعموا .

فأما صاحب علي فقتله حين خرج لصلاة الصبح ، وأما صاحب

معاوية فطعنه وهو دارع ـ فلم يضره ، وأما عمرو بن العاص فخرج أمامه خارجة بن أبي خارجة من بني عدي بن كعب ، فظن الرجل انه عمرو بن العاص ، فشد عليه فقتله ، ورجع عمرو وراءه .

فلما قتل علي تداعى أهل الشام إلى بيعة معاوية ، فقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد : نحن المؤمنون ومعاوية أميرنا وهو أمير المؤمنين ، فبايع له أهل الشام وهو بإيليا[1] لخمس ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة أربعين ، فكان ما بين قتل عثمان وبيعة الناس لمعاوية أربع سنين وشهرين وسبع عشرة ليلة .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن عوانة قال :

قال الشعبي : لم يزل الناس خائفين لهذه الخوارج على علي مذ حكم المحكمين وقتل أهل النهروان حتى قتله ابن ملجم ـ لعن الله ابن ملجم ـ .

وحدثني محمد بن سعد ؛ عن الواقدي .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، عن لوط بن يحيى ، وعوانة بن الحكم وغيرهما قالوا : اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج بمكة ، وهم عبد الرحمن بن ملجم الحميري ـ وعداده في مراد ؛ وهو حليف بني جبلة من كندة ، ويقال : إن مراد أخواله ـ والبرك بن عبد الله التميمي ثم الصريمي ، صريم مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ـ ويقال : إن اسم البرك الحجاج ـ وعمرو بن بكير ـ ويقال : بكر أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم ـ فتذاكروا أمر إخوانهم الذين قتلوا بالنهروان ؛ وقالوا : والله مالنا خير في البقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال والفتنة فأرحنا

---

١ ـ أي مدينة القدس .

العباد منهم ثائرين بإخواننا لرجونا الفوز عند الله غدا ، فتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، ثم توجّه كل رجل منهم إلى البلد الذي فيه صاحبه، فقدم عبد الرحمن [بن] ملجم[١] الكوفة ، وشخص البرك إلى الشام ، وشخص عمرو بن بكير ـ ويقال : بكر ـ إلى مصر وجعلوا ميعادهم ليلة واحدة وهي ليلة سبع عشرة من شهر رمضان[٢] .

فأما البرك فإنه انطلق في ليلة ميعادهم فقعد لمعاوية ، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه ، فأدبر معاوية فضرب طرف إليته ففلقها ووقع السيف في لحم كثير ، وأخذ فقال : إن لك عندي خبراً ساراً : قد قتل في هذه الليلة علي بن أبي طالب ، وحدثه بحديثهم . وعولج معاوية حتى برأ وأمر بالبرك فقتل .

وقيل : ضرب البرك معاوية وهو ساجد ، فمذ ذاك جعل الحرس يقومون على رؤوس الخلفاء في الصلاة ، اتخذ معاوية المقصورة . وروى بعضهم أن معاوية لم يولد بعد الضربة ، وان معاوية كان أمر بقطع يد البرك ورجله ثم تركه فصار إلى البصرة فولد له في زمن زياد فقتله وصلبه وقال له : ولد لك وتركت أمير المؤمنين لا يولد له .

وأما عمرو بن بكير ـ ويقال : بكر ـ فرصد عمرو بن العاص في ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ، فلم يخرج في تلك الليلة لعلة وجدها في بطنه ، وصلى بالناس خارجة بن حذافة العدوي ، فشد عليه ، وهو يظنه عمراً فقتله ، وأخذ فأتي به عمرو فقتله ، وقال : أردت عمراً وأراد الله

١ ـ أضيف ما بين الحاصرتين لاستقامة السياق .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٥ ـ ٣٧ .

خارجة ، فذهبت مثلاً .

وأما ابن ملجم قاتل عليّ فإنه أتى الكوفة ، فكان يكتم أمره ، ولا يظهر الذي قصد له ، وهو في ذلك يزور أصحابه من الخوارج فلا يطلعهم على إرادته ، ثم إنه أتى قوماً من تيم الرباب فرأى امرأة منهم جميلة يقال لها : قطام بنت شجنة ، كان علي قتل أباها شجنة بن عدي ، وأخاها الأخضرَ بن شجنة يوم النهروان ـ فهويها حتى أذهلته عن أمره فخطبها ، فقالت لا أتزوجك إلا على عبد ، وثلاثة آلاف درهم ، وقينة ، وقتل علي بن أبي طالب، فقال: أما الثلاثة الآلاف والعبد والقينة فمهر، وأما قتل علي بن أبي طالب . فما ذكرته وأنت تريديني ، فقالت : بلى تلتمس غرته ، فإن أصبته وسلمت شفيت نفسي ونفعك العيش معي ، وإلا فما عند الله خير لك مني ، فقال : والله ما جاء بي إلا قتل علي .

ولقي ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فدعاه إلى مظاهرته على قتل علي ، فقال : أقتل علياً مع سابقته وقرابته برسول الله ﷺ عليه وسلم ؟ فقال : إنه قتل إخواننا فنحن نقتله ببعضهم . فأجابه .

وجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين، وهذا الثبت، وبعضهم يقول: جاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ويقال : لإحدى عشرة ليلة خلت من غيره ، وذلك باطل ، وكانت تلك الليلة الميعاد الذي ضربه وصاحباه في قتل علي ومعاوية وعمرو ، فجلس ابن ملجم مقابل السدة التي كان علي يخرج منها ، ولم يكن ينزل القصر إنما نزل في خصاص في الرحبة التي يقال لها رحبة علي، فلما خرج لصلاة الصبح وثب ابن ملجم فقال : الحكم لله يا علي لا لك فضربه على

قرنه فجعل علي يقول : لا يفوتنكم الرجل ، وشد الناس عليه فأخذوه . ويقال ؛ إن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب استقبله بقطيفة فضرب بها وجهه ثم اعترضه فصرعه وأوثقه .

وضرب شبيب بن بجرة ضربة أخطأت علياً ووقعت بالباب ، ودخل بين الناس فنجا ، ثم إنه بعد ذلك خرج يعترض الناس بقرب الكوفة ، فبعث إليه المغيرة بن شعبة وهو واليها ؛ خيلاً فقتله .

وكان مع ابن ملجم وشبيب رجلًا يقال له : وردان بن المجالد التيمي ـ وهو ابن عم قطام بنت شجنة ـ فهرب وتلقاه عبد الله بن نجبة بن عبيد ، أحد بني تيم الرباب أيضاً ، فقال له : مالي أرى السيف معك ـ وكان معصباً بالحرير لكي يفلت إذا تعلق به ـ فلما سأله عن السيف لجلج وقال : قتل ابن ملجم وشبيب بن بجرة أمير المؤمنين ، فأخذ السيف منه فضرب به عنقه فأصبح قتيً في الرباب .

وكان علي آدم شديد الادمة ، ثقيل العينين ، ضخم البطن ، أصلع ذا عضلات ومناكب ، في أذنيه شعر قد خرج من أذنه ، وكان إلى القصر أقرب .

قالوا : لم يزل ابن ملجم تلك الليلة عند الأشعث بن قيس يناجيه حتى قال له الأشعث : قم فقد فضحك الصبح . وسمع ذلك من قوله حجر بن عدي الكندي ، فلما قتل علي قال له حجر : يا أعور أنت قتلته .

وقال المدائني قال مسلمة بن محارب : سمع الكلام عفيف عم الأشعث ، فلما قتل علي قال عفيف : هذا من عملك وكيدك يا أعور .

ويقال : إن رجلاً من حضر موت لحق ابن بجرة فصرعه ، وأخذ

سيفه فقال الناس : خذوا صاحب السيف . فخاف أن يتغاووا عليه ولا يسمعوا منه ؛ فألقى السيف ومضى وهرب ابن بجرة .

وحدثني أبو مسعود الكوفي ، وغيره أن عوانة بن الحكم حدث أن ابن ملجم كان في بكر بن وائل ، فمرت به جنازة أبجر بن جابر العجلي ـ وكان نصرانياً ونصارى الحيرة يحملونه ـ ومع ابنه حجار بن أبجر: شقيق بن ثور ، وخالد بن المعمر ، وحريث بن جابر وجماعة من المسلمين يمشون في ناحية إكراماً لحجار ، فلما رآهم ابن ملجم أعظم ذلك وأراد غيراً منهم ، ثم قال . لولا أني أعدّ سيفي لضربة هي أعظم عند الله أجراً وثواباً من ضرب هؤلاء ؛ لاعترضتهم فإنهم قد أتوا أمراً عظيماً ؛ ! فأخذ وأتي به [إلى] علي فقال : هل أحدث حدثا ؟ قالوا : لا . فخلى سبيله .

قالوا : وكان ابن ملجم يعرض سيفه ، فإذا أخبر أن فيه عيباً أصلحه ، فلما قتل علي قال : لقد أحددت سيفي بكذا وسممته بكذا ، وضربت به علياً ضربة لو كانت بأهل المصر ؛ لأتت عليهم .

وروي عن الحسن بن علي قال . أتيت أبي سحيراً فجلست إليه فقال : إني بت الليلة أرقا ؛ ثم ملكتني عيني وأنا جالس فسنح لي رسول الله ﷺ فقلت له : يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟ فقال : ادع عليهم ، فقلت : اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم ، وأبدلهم بي شراً لهم مني . ودخل ابن النباح عليه فقال : الصلاة . فأخذت بيده فقام ومشى ابن النباح بين يديه ومشيت خلفه ، فلما خرج من الباب نادى أيها الناس الصلاة الصلاة ، وكذلك كان يصنع في كل يوم ، ويخرج ومعه درته يوقظ الناس ، فاعترضه الرجلان ، فرأيت بريق السيف وسمعت قائلاً يقول : الحكم

يا علي لله لالك . ثم رأيت سيفا ثانياً ، فأما سيف ابن ملجم فأصاب جبهته إلي قرنه ووصل إلى دماغه ، وأما سيف ابن بجرة فوقع في الطاق وقال علي : لا يفوتنكم الرجل . فشد الناس عليهما من كل جانب ، فأما شبيب بن بجرة فأفلت ، وأما ابن ملجم فأخذ وأدخل على علي ، فقال اطيبوا طعامه وألينوا فراشه ، فإن أعش فأنا ولي دمي فإما عفوت وإما اقتصصت ، وإن امت فألحقوه بي ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[1] .

قالوا : وبكت أم كلثوم بنت علي وقالت لابن ملجم ـ وهو أسير ـ : يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين ، قال : لم أقتل أمير المؤمنين ولكني قتلت أباك فقالت : والله إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس . قال:فلم تبكين إذاً ، أعليّ تبكين ؟ والله لقد أرهفت السيف ونفيت الخوف ، وحثثت الأجل ، وقطعت الأمل ، وضربته ضربة لو كانت بأهل عكاظ ـ ويقال : بربيعة ومضر ـ لأتت عليهم ، والله لقد سممته شهراً فإن أخلفني فأبعده الله سيفا وأسحقه .

ويقال : إن أمامة بنت أبي العاص بن الربيع ، وليلى بنت مسعود النهشلية ، وأم كلثوم بكين عليه ؛ وقلن : يا عدو الله لابأس على أمير المؤمنين . فقال فعلى من تبكين إذاً أعلي تبكين ؟!

قالوا : وبعث الأشعث بن قيس ابنه قيس بن الأشعث صبيحة ضرب علي فقال أي بني انظر كيف أصبح الرجل وكيف تراه ؛ فنظر إليه ثم رجع فقال : رأيت عينيه داخلتين في رأسه . فقال الأشعث : عينا دميغ ورب الكعبة .

قالوا: ومكث علي يوم الجمعة ويوم السبت ، وتوفي ليلة الأحد

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٩٠ .

لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين ، وغسله الحسن ، والحسين ، وعبد الله بن جعفر ، وابن الحنفية ، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ، ونزل في قبره هؤلاء جميعاً ، ودفنه معهم عبيد الله بن العباس ، وحضره جماعة من أهل بيته والناس بعد ، وصلى عليه الحسن ابنه وكبر عليه أربعا .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ؛ وغيره قالوا : حدثنا وكيع ، عن يحيى بن مسلم ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه .

وحدثني عمرو الناقد ، عن شبابة بن سوار ، عن قيس بن الربيع ، عن بيان ، عن الشعبي : أن الحسن بن علي صلى على علي وكبر أربعا .

حدثني بكر بن الهيثم ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، قال : لما قتل علي صلى عليه الحسن ، وإليه أوصى ، وكبر عليه أربعا .

وحدثني عمرو بن محمد ، وبكر بن الهيثم ، وأبو بكر بن الأعين قالوا : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، عن خالد بن إلياس ، عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص بمثله .

قالوا : ودفن علي بالكوفة عند مسجد الجماعة في الرحبة ممايلي أبواب كندة ، قبل انصراف الناس من صلاة الفجر . ويقال : دفن في الغري[1] ويقال في الكناسة . ويقال : بالسدة . وغمي قبره مخافة أن ينبشه الخوارج فلم يعرف . وروي عن شريك بن عبد الله انه قال : حمل الحسين بن علي

---

١ ـ بناء كالصومعة بظاهر الكوفة . معجم البلدان .

بعد صلح الحسن معاوية أباه في تابوت فدفن بالمدينة عند فاطمة عليهما السلام .

قالوا : وكان الحسين بالمدائن قد قدّمه أبوه إليها وهو يريد المسير إلى الشام ، فكتب إليه الحسن بما حدث من أمر أبيه مع زحر بن قيس الجعفي فلما أتاه زحر بالكتاب انصرف بالناس إلى الكوفة ، وقال بعضهم : إن الحسين كان حاضراً قتل أبيه .

وكانت خلافة علي رضي الله تعالى عنه أربع سنين وتسعة أشهر . ويقال : عشرة أشهر . وكان له يوم توفي ثلاث وستون سنة ـ وذلك الثبت ـ، ويقال : إنه توفي وله تسع وخمسون سنة .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت ابن الحنفية يقول حين دخلت سنة إحدى ، وثمانون ـ وهي سنة الجحاف[1] ـ ونوّه : لي خمس وستون ، قد جاوزت عمر أبي ، قلت : فكم كانت سنُّهُ يوم قتل ؟ قال : قتل وله ثلاث وستون سنة[2] .

حدثنا أحمد بن إبراهِيم الدورقي ، وعبد الله بن أبي شيبة ، قالا : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، عن شريك ، عن أبي إسحاق قال : توفي علي وله ثلاث وستون سنة .

حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي ، عن طلق الأعمى ، عن جدّته قالت : كنت أنوح أنا وأم كلثوم بنت علي على علي .

١ ـ الجحاف بن حكيم السلمي أوقع في موقعة البشر ببني تغلب . انظر تفاصيل ذلك في بغية الطلب لابن العديم ـ ط . دمشق ١٩٨٨ ج ١ ص ٤٣١ ـ ٤٣٥ .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٨ .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، وإسحاق الفروي أبو موسى قالا : حدثنا عبد الله بن نمير ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة بن يريم ، قال : سمعت الحسن يخطب فذكر أباه وفضله وسابقته ثم قال : والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً .

المدائني عن يعقوب بن داود الثقفي ، عن الحسن بن بزيع : أن علياً خرج الليلة التي ضرب في صبيحتها في السحر وهو يقول :

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك[1]

فلما ضربه ابن ملجم قال : «فزت ورب الكعبة» . وكان آخر ما تكلم به : ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾[2] .

حدثنا محمد بن سعد ، أنبأنا عبيد الله بن موسى ، عن موسى بن عبيدة ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أنس - أو أيوب بن خالد أو كليهما - شك عبيد الله بن موسى - ان النبي ﷺ قال : «أشقى الأولين عاقر الناقة ، وأشقى الآخرين من هذه الأمة الذي يطعنك ياعلي» وأشار إلى حيث طعن[3] .

وحدثني محمد بن سعد ، عن أبي نعيم ، عن فطر ، حدثني أبو

---

١ - ديوان الامام علي ص ٧٢ .
٢ - سورة الزلزلة - الآيتان : ٧ - ٨ .
٣ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٥ .

الطفيل قال : دعا علي الناس للبيعة فجاءه عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، فرده مرتين ثم أتاه وقال : ما يحبس أشقاها ليخضبنّ ـ أو قال : ليصبغن هذه اللحية من جبهته ثم تمثل :

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك

وقال محمد : في حديث آخر : والله إنه لعهد النبي الأمّي إليّ[1] .

حدثني عمرو بن محمد ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن عمارة بن أبي حفصة ، عن أبي مجلز ، قال : جاء رجل من مراد إلى علي وهو في المسجد فقال : احترس فإن هاهنا قوماً من مراد يريدون قتلك ، فقال : إن مع كل إنسان ملكين موكلين يحفظانه ، فإذا جاء القدر خليّا بينه وبينه ، وإن الأجل جنّة حصينة .

حدثني أبو بكر الأعين ، ومحمد بن سعد ، قالا : حدثنا الفضل بن دكين أبو نعيم ، حدثنا سليمان بن القاسم الثقفي ، قال : حدثتني أمي ، عن أم جعفر سرية علي ، قالت : إني لأصبّ على يديه الماء إذ رفع رأسه فأخذ بلحيته فرفعها إلى أنفه ثم قال : واهاً لك لتخضبن بدم . قالت فأصيب يوم الجمعة .

حدثنا عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده قال : رفع علي لحيته إلى أنفه ثم قال : لتخضبن هذه بدم هذه يعني جبهته .

حدثنا وهب بن بقية ، عن ابن هارون ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن عبيدة ، قال : قال علي : ما يحبس أشقاكم أن يجيء فيقتلني ،

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٣ .

اللّهم إني قد سئمتهم وسئموني فأرحني منهم وأرحهم مني .

حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا خالد بن مخلد ، ومحمد بن الصلت قالا : حدثنا الربيع بن المنذر ، عن أبيه عن ابن الحنفية قال : دخل علينا ابن ملجم الحمام ، وأنا والحسن والحسين جلوس في الحمام فكأنهما اشمأزّا منه فقالا : ما أجرأك ما أدخلك علينا ؟ فقلت لهما : دعاه عنكما فلعمري إنّ ما يريد بكما لأجسم من هذا . فلما كان يوم أتي به أسيراً قال ابن الحنفية : ما أنا اليوم بأعرف به مني يوم دخل علينا الحمام ، فقال عليّ : إنه أسير فأحسنوا نزله وأكرموا مثواه ، فإن بقيت قتلت أو عفوت ، وإن متّ فاقتلوه قتلتي ﴿لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ .

حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا عفان ، حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري ، عن محمد بن سيرين قال : قال علي عليه السلام للمرادي :

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد[1]

حدثنا عمرو الناقد ، حدثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن الأصمّ قال : قيل للحسن بن علي : إن ناساً من شيعة أبي الحسن يزعمون أنه دابة الأرض وأنه سيبعث قبل يوم القيامة ، فقال : كذبوا ليس أولئك شيعته ، ولكنهم أعداؤه ، ولو علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه ، ولا أنكحنا نساءه .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، وشجاع بن مخلد الفلاس ، قالا : حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي ، حدثنا مغيرة ، عن قثم مولى علي قال :

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٤ ـ ٣٧ .

كتب علي في وصيته : «إن وصيتي إلى أكبر ولدي غير طاعن عليه في بطن ولا فرج» .

حدثني عمر بن بكير ، عن الهيثم بن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن زحر بن قيس قال : لما قتل علي أتيت المدائن فلقيني رجل فسألني عن الخبر فأعلمته بمقتل علي فقال : لو جئتنا بدماغه في صرّة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصا .

حدثني محمد بن عبد الله بن خالد الطحان ، عن أبيه ، عن ابن أبي ليلى عن عبد الرحمن بن جندب قال : لما ضرب علي قلت : يا أمير المؤمنين أبايع حسناً ؟ قال : لا آمرك ولا أنهاك .

ثم دعا ولده فأمرهم بتقوى الله والزهد في الدنيا ، وأن لا يأسوا على ما صرف عنهم منها .

المدائني ، عن علي بن هاشم ، عن الضحاك بن عمير قال : رأيت قميص علي الذي أصيب فيه كرابيس سنبلاني ، ورأيت أثر دمه فيه كالدندي[1] .

قال علي : وحدثني أبي قال : سمعت زيد بن علي يقول : البراءة من أبي بكر وعمر وعلي سواء .

حدثني الحسين بن الأسود ، عن يحيى بن آدم ، عن شريك وغيره ، قال : أوصى علي : هذا ما وقف علي بن أبي طالب أوصى به أنه وقف أرضه التي بين الجبل والبحر أن ينكح منها الأيمّ ، ويفكّ الغارم ، فلا تباع ولا تُشترى ولا توهب حتى يرثها الله الذي يرث الأرض ومن عليها ، وأوصى

---

١ ـ الدندن : ما اسود من نبات أو شجر . القاموس .

إلى الحسن بن علي غير طاعن عليه في بطن ولا فرج .

قالوا : وأوصى أن يقوم في أرضه ثلاثة من مواليه ولهم قوتهم ، وإن هلك الحسن قام بأمر وصيتي الأكبر فالأكبر من ولدي ممن لا يطعن عليه .

قالوا : وكان ابن ملجم رجلاً أسمر حسن الوجه أبلج ، شعره مع شحمة أذنيه ، مستجداً ـ يعنون أن في وجهه أثر السجود ـ فلما فرغ من أمر علي ودفنه ؛ أخرج إلى الحسن ليقتله ، فاجتمع الناس وجاؤوا بالنفط والبواري والنار فقالوا : نحرقه . فقال ولده وعبد الله بن جعفر : دعونا نشف أنفسنا منه ، فقالت أم كلثوم بنت علي : يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين ؟ قال : لو كان أمير المؤمنين ما قتلته ، ثم بدر عبد الله بن جعفر فقطع يديه ورجليه وهو ساكت لا يتكلم ، ثم عمد إلى مسمار محميّ فكحل به عينيه فلم يجزع وجعل يقول: كحلت عمك بملمول له مض[1]، ثم قرأ: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ حتى فرغ منها وعيناه تسيلان ، ثم عولج عن لسانه ليقطع فجزع وما نعهم ، فقيل له : أجزعت ؟ قال : لا ولكني أكره أن أبقى فواقاً ـ أو قال : وقتاً ـ لا أذكر الله فيه بلساني ، فقطعوا [لسانه] ، ثم إنهم جعلوه في قوصرة كبيرة ويقال : في بواري وأحرق بالنار ، والعباس بن علي يومئذ صغير لم يستبان بلوغه . ويقال : إن الحسن ضرب عنقه وقال : لا أمثل به .

ومضى إلى الحجاز بمقتل علي سفيان بن أمية بن أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس ولا ينعيه له فلما بلغ عائشة خبره أنشدت قول البارقي :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

---

١ ـ «ممض» ، في رواية أخرى (من الهامش) . وممض موجع ، محزن ، مؤلم . القاموس .

وروى بعضهم أن سيف ابن ملجم وقع في الحائط ، وأن سيف بن بجرة وقع بعلي ، وذلك باطل .

وقال المدائني في بعض روايته : ذكر بنو ملجم : عبد الرحمن وقيس ويزيد ، أمر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، ومابعدهم ، وأمر الحكمين ، فأجمعوا على قتل علي ، ومعاوية ، وعمرو بن العاصي فنهاهم أبوهم عن ذلك وأمرتهم أمهّم به فقال أبوهم : ودّعوا أهلكم فإنكم غير راجعين . فمضوا فخرج عبد الرحمن إلى الكوفة ، وقيس إلى الشام ويزيد إلى مصر ، فتولوا أمرهم ، ووثب رجل من كلب على قيس فقتله .

وهذا خبر شاذّ لا يرويه إلا قوم من الخوارج ، وزعم من روى هذا الخبر أن ابن ملجم قال :

لقد حملتكم أمّكم بجهالة ... على آلة شنعاء من كل جانب
فما تركت فيكم لها من مؤمل ... يؤمّله الآباء من رجع غائب

وقال الشاعر في قتل ابن ملجم علياً عليه السلام :

تضمّـن للحسـناء لادّر درّه ... فلاقى عقاباً عزّها غير مضرم
ولامهر أغلى من علي وإن غلا ... ولافتك إلا دون فتك ابن ملجم
ثـلاثـة آلاف وعبـد وقينـة ... وضرب عليّ بالحسام المصمّم

وقالت أم العريان بنت الهيثم في علي :

وكنـا قبـل مقتلـه بخيـر ... نـرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحدّ لا يـرتـاب فيـه ... بعـدل في البعيد والاقـربينا

وقال الكميت يذكر قتل عليّ :

والوصي الذي أمال التجوبـ ... يُّ بـه عـرش أمـة لانـهـدام

قتلوا يوم ذاك إذ قتلوه حكما لا كسائر الحكام[1]

يعني بالتجوبي ابن ملجم لأن جدّه تجوب ، والذي قتل عثمان التجيبي وقد ذكرنا خبره .

حدثني عبد الرحمن بن صالح الأزدي ، عن من حدّثه ، عن الشعبي ، عمن سمع النادبة تندب علياً بشعر كعب بن زهير وهو :

إنّ علياً لميمونة نقيبته بالصالحات من الأعمال محصور
صهر النبي وخير الناس كلهم فكل من رامه بالفخر مفخور
صلى الإله على الأمّي أوّلهم[2] قبل العباد وربّ الناس مكفور
بالعدل قام صليبا حين فارقه أهل الهوى من ذوي البهتان والزور
ياخير من حملت نعلاً له قدم الأنبياء لديه البغى مهجور[3]

وقال أبو الأسود الدولي :

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتينا
قتلتم خير من ركب المطايا وأكرمهم ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثاني والمبينا
وقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرهم حسباً ودينا[4]

وقال هشام بن الكلبي : قال ابن ميناس المرادي :

نحن ضربنا يا ابنة الخير حيدرا أبا حسن مأمومة فتفطرا

١ ـ الروضة المختارة ـ شرح القصائد الهاشميات للكميت الأسدي ـ ط . بيروت ١٩٧٢ ص ١٨ ـ ١٩ .
٢ ـ في ديوان كعب : «صلى الطهور مع الأمي أولهم» .
٣ ـ ديوان كعب بن زهير ـ ط . بيروت ١٩٨٧ ص ٤١ .
٤ ـ ديوان أبي الأسود الدولي ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

ونحن خلعنا ملكه عن نصابه بضربة فصل إذ علا وتجبرا
وعادتنا قتل الملوك وعزُّنا صدور القنا لما لبسنا السنورا
ونحن كرام في الصباح أعزّة إذا الموت بالموت ارتدى وتأزّرا

وقال النجاشي الشاعر :

وكنا إذا ماحيّة أعيت الرقىٰ وآبت بصرّ يقطر السمّ نابها
دسنا لها تحت العجاج ابن ملجم جريا إذا ما جاء نفساً كتابها

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن عوانة عن عبد الملك بن عمير أن الحجاج بن يوسف عمل في القصر بالكوفة عملاً فوجد شيخاً أبيض الرأس واللحية مدفوناً فقال : أبو تراب والله ، وأراد أن يصلبه فكلمه عنبسة بن سعيد في ذلك وسأله أن لا يفعل فأمسك .

وقال مصقلة بن هبيرة :

قضى وطراً منها علي فأصبحت إمارته فينا أحاديث راكب

أمر الحَسَن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

وكان الحسن بن علي يكنىٰ أبا محمد وكان يشبه النبي ﷺ من أعلى رأسه إلىٰ سرته ، وكان الحسين يشبه النبي ﷺ من سرته إلى قدميه ، ويقال إنه كانت فيه مشابه من النبي ﷺ في وجهه إلا أن الحسن كان أشبه الناس فيه وجهاً .

وكانت فاطمة عليها السلام إذا زفنته ـ أي رَقَّصَتْه ـ قالت :

وايـايـي شبـه الـنـبـي غـيـر شـبـيـه بـعـلـي

وحدثني الأعين ، عن روح بن عبادة ، عن محمد بن أبي حفصة ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يقبل الحسن ، فقال له الأقرع بن حابس : لي عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم قط ، فقال ﷺ : «من لا يَرحم لا يُرحم» .

وكان الحسن سيداً سخياً حليماً فروي عن علي أنه قال : أنا أخبركم عن أهلي . أما الحسن ففتىً من الفتيان صاحب جَفنة وخوان ، وأما عبدالله بن جعفر فصاحب لهو ، وأما الحسين ومحمد فهما مني وأنا منهما

وقال المدائني عن أبي معشر ، عن الضمْري ، عن زيد بن أرقم : أن الحسن خرج وعليه بردة له والنبي ﷺ يخطب ، فعثر الحسن فسقط ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر وابتدر الناس فحملوه إليه ، فتلقاه ﷺ فحمله ووضعه في حجره ، وقال : إن الولد فتنة .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا أبو شهاب الخيّاط ، عن يحيى بن سعيد ، عن عكرمة ، قال : عقّ النبي ﷺ عن الحسن والحسين عليهما السلام ، وقال ﷺ : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» .

وقال رجل من بني أسد في الحسن :

كـأنَّ جِفـانَــه أحيـاضُ نَهْيٍ   إذا وُضِعَتْ على ظهر الخُوانِ
ويبـذل مـا يُفيـد وكـلُّ شيءٍ   من الأشيـاء إلا الأجْـوَفَـانِ

المدائني عن خلاد بن عبيدة ، عن علي بن زيد قال : حج الحسن رحمه الله خمس عشرة حجة ماشياً والنجائب تنقاد معه ، وخرج من ماله لله مرتين ، وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، حتى ان كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً ، ويمسك خفاً ويعطي خفاً .

وروي أن النبي ﷺ سابق بين الحسن والحسين فسبق الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى ، ثم جاء الحسين فأجلسه على اليسرى ، فقيل له : يا رسول الله أيهما أحبُّ إليك ؟ فقال : «أقول كما قال إبراهيم وقيل له : أيُّ ابنيك أحبُّ إليك ؟ فقال : أكبرهما ، وهو الذي يلد محمداً - يعني اسماعيل عليهما السلام - » .

المدائني عن إبراهيم بن محمد ، عن زيد بن أسلم قال : دخل رجل على الحسن بالمدينة وفي يده صحيفة فقال له : ما هذه بأبي أنت وأمي ؟

قال : هذه من معاوية يَعِدُ فيها ويتوعَّد . فقال : قد كنت تقدر على النِّصْف منه ، قال : أَجَل ، ولكني خفت أن يأتي يوم القيامة سبعون أو ثمانون ألفاً أو أكثر من ذلك أو أقل كلهم تنضح أوداجه دماً ، يقول : يا رب فيم هريق دمي .

المدائني عن قيس بن الربيع ، عن بدر بن الخليل عن مولى للحسن بن علي إنه قال : أتعرف معاوية بن حديج إذا رأيته ؟ قال : نعم ، قال فأرنيه إذا لقيته ، فرآه خارجاً من دار عمرو بن حريث بالكوفة ، فقال : هو هذا . فقال له : ادْعُهُ ، فدعاه ، فقال له الحسن : أنت الشاتم علياً عند ابن آكلة الأكباد ، أما والله لئن وَرَدْتَ الحوض ـ ولن تَرِدَهُ ـ لَتَرَيَنَّهُ مشمراً عن ساقيه يذود عنه المنافقين .

المدائني عن سليمان بن أيوب ، عن الأسود بن قيس العَبْدي قال : لقي الحسن يوماً حبيب بن مسلمة الفهري فقال له : يا حبيب ، رب مَسِيْرٍ لك في غير طاعة الله . قال : أمَّا مسيري إلى أبيك فلا . قال : بلى ، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة فلئن قام بك في دنياك ، لقد قعد بك في آخرتك ، ولو كنت إذ فعلت شراً قلت خيراً كان ذلك كما قال الله عز وجل : ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ (١) ، ولكنك كما قال : ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ (٢) .

وقال علي لابنه الحسن ، ورآه يوماً يتوضأ : أَسْبغ الوضوء . فقال :

١ ـ سورة التوبة ـ الآية : ١٠٢ .
٢ ـ سورة المطففين ـ الآية : ١٤ .

قد قتلتم أمس رجلاً كان يُسْبغ الوضوء . فقال علي ؛ لقد أطال الله حزنك على عثمان .

وقال سعيد بن عبدالعزيز التنوخي عن الزهري : تفاخرت قريش عند معاوية وعنده الحسن وهو ساكت ، فقال معاوية : ما يمنعك أبا محمد من الكلام ؟ فوالله ما أنت بكليل اللسان ولا مأشوب الحسب. فقال : والله ما ذكروا مكرمة ولا فضيلة إلا ولي مَحْضُها ولُبابها . ثم قال :

فِيْمَ الكلام وقد سبقت مبرزاً سَبْقَ الجياد من المدى المتنفس

المدائني عن عبدالله بن عبدالرحمن ، عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ، قال : خطب الحسن بن علي امرأة من بني شيبان فقيل له : إنها ترى رأي الخوارج . فقال : أكره أن أضم إلى صدري جمرة من جهنم .

المدائني عن عبدالله بن سلم الفهري قال : خطب علي إلى سعيد بن قيس ابنته أم عمران لابنه الحسن فشاور الأشعث فقال : زَوِّجْها ابني محمداً فهو ابن عمها فدفعها فزوجه إياها ، ثم دعا الأشعث الحسن فغداه واستسقى ماء فقال لابنته : اخرجي فاسقيه ، فسقته ، فقال الأشعث : لقد سَقَتْكَ جارية ما خدمت الرجال وهي ابنتي ، فأخبر الحسن أباه فقال : تزوجها .

قال المدائني : ويقال إن علياً قال للأشعث : اخطب على الحسن ابنة سعيد بن قيس ، فأتى سعيداً فخطبها على ابنه فزوجه ، فقال علي : خنت . فقال : أزوجه من ليس بدونها ، فزوجه جعدة بنت الأشعث فَسَمَّت الحسن ، فخلف عليها يعقوب بن طلحة ثم العباس ، ثم عبدالله بن العباس .

وقال المدائني : قال ابن فسوة التميمي [1] للحسن بن علي عليهما السلام :

فَلَيْتَ قَلُوصي عُرِّيَتْ أو رَحَلْتُها إلى حسنٍ في داره وابن جعفرِ
إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى ويقرأ آيات الكتاب المطهَّرِ

المدائني عن عبدالله بن سلام ، عن عمرو بن ميمون بن مهران قال : تنازع عمرو بن سعيد والحسن بن علي فقال عمرو : أما والله لطال ما سلكتم مسلكاً صعب المنحدر ، طلباً للفتنة والفرقة فلم يُرِكُم الله فيها ما تحبون . فقال له الحسن : إنك لو كنت تسمو بفعلك ما سلكت فج قصد ولا حللت برابية مجد ، ولتوشك أن تقع بين لحيي ضرغامة رأس قروش [2] الأعادي فلا ينجيك الروغان إذا التقتا عليك حلقتا البطان [3] .

المدائني عن عبدالرحمن العجلاني ، عن سعيد بن عبدالرحمن قال : تفاخر رجال من قريش فذكر كل امرىء ما فيهم فقال معاوية للحسن : يا أبا محمد ، ما يمنعك من القول ؟ فما أنت بكليل اللسان . قال : يا أمير المؤمنين ، ما ذكر مكرمة ولا فضيلة إلا ولي محضها ولبابها ، ثم قال :

فيم الكلام وقد سبقتُ مبرزاً سبق الجياد إلى المدى المتنفس

المدائني عن الهذلي ، عن ابن سيرين قال : خطب الحسن بن علي إلى رجل فزوجه ، فقال : إني لأزوجك وأنا أعلم أنك غلق طلقة ، ولكنك خير الناس نفساً ، وأرفعهم جداً وبيتاً .

١ ـ هو عتيبة ـ ويقال عتبة ـ بن مرداس التميمي . انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢١٧ - ٢١٩ . حيث أورد البيت الأول .
٢ ـ قرش : قطع وجمع من ههنا وههنا وضم بعضه إلى بعض . القاموس .
٣ ـ حلقتا البطان : حلقتا حزام القتب . القاموس .

المدائني عن أبي اليقظان قال : نعىٰ الحسن بالبصرة عبدالله بن سلمة بن المحبق ، أخو سنان بن سلمة ، نعاه إلى زياد ، فخرج الحكم بن أبي العاص فَنَعَاهُ إلى الناس فبكوا ، وأبو بكرة يسمع البكاء فقال : ما هذا ؟ فقالت امرأته ابنة سحامة : مات الحسن بن علي فالحمد لله الذي أراح الناس منه ، فقال أبو بكرة : ويحك اسكتي فقد والله أراحه الله من شر طويل ، وفقد الناس منه خيراً كثيراً .

وقال الجارود بن أبي سبرة :

إذا كان شر سار يوماً وليلة ... وإن كان خير قصد السير أربعاً

إذا مايريد الشر أقبل نحـونا ... لإحدى الدواهي الربد جاء فأسرعا[1]

حدثنا بسام الجمال ، ثنا حماد بن سلمة عن ثابت ، عن الحسن ، أن الحسن بن علي كان يأتي النبي ﷺ وهو ساجد فيجلس عند رأسه فإذا رفع رأسه من السجود أخذه فأقعده في حجره .

قال المدائني : ولقي أبو هريرة الحسن بن علي فقال له : ائذن لي أقبل منك حيث رأيت النبي ﷺ يقبل منك ، فرفع قميصه عن سرته فقبلها .

وروي عن البهي مولى الزبير عن عبدالله بن الزبير أن الحسن كان يجيء والنبي ﷺ راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وروى بعض المدنيين أن النبي ﷺ قال : «الحسن ريحانتي من الدنيا ،

١ ـ الربدة : لون إلى الغبرة ، والربداء : المنكرة . القاموس . وكان الجارود بن أبي سبرة من أهل البصرة ، توفي سنة ١٢٠ هـ ، «من أبين الناس وأحسنهم حديثاً ، وكان راوية علامة ، شاعراً مفلقاً، وكان من رجال الشيعة» البيان والتبيين ، ط . هارون ج١ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ . تهذيب الكمال للمزي ـ ط . بيروت ١٩٩٤ ج٣ ص ٣١١ ـ ٣١٢ .

وهو سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين ، اللهم إني أحبه وأحب من يحبه» .

حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ، ثنا عيسى بن يونس ، ثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : سمع رسول الله ﷺ بكاء الحسن والحسين عليهما السلام فقام فزعاً فقال : «أيها الناس لقد قمت وما أعقل» .

حدثني أبو الصلت الهروي عن محمد بن السري ، عن عبدالله بن حسن بن حسين قال : قال الحسن : حفظت عن رسول الله ﷺ تعليمه إياي الصلوات الخمس ، وقوله لي : «قل إذا صليت : اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، إنه لا يَذِلُّ من واليت ، تباركت وتعاليت» .

المدائني قال : بلغنا أن الحسن كان إذا أراد أن يطلق امرأة جلس إليها فقال : أيسرك أني أَهَبُ لك كذا ؟ فتقول : ما شئتَ ، أو تقول : نعم . فيقول : هو لك ، فإذا قام أرسل إليها بمالها الذي سماه وبالطلاق .

قال : وتزوج الحسن هند بنت سهيل بن عمرو ، وكانت عند عبدالله بن عامر ، فطلقها فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها على يزيد ، فلقيه الحسن فقال : أين تريد ؟ قال : أخطب هند بنت سهيل على يزيد بن معاوية ، قال : اذكرني لها فأتاها أبو هريرة فأخبرها الخبر فقالت : خَرْ لي ، فقال : أختار لك الحسن ، فتزوجها ، فقدم ابن عامر المدينة فقال للحسن : إن لي عندها وديعة فدخل إليها والحسن معه فجلست بين يديه ، فرقَّ ابن عامر حين نظر إليها فقال الحسن : ألا أنزل لك عنها فلا أراك تجد محللاً لكما خيراً مني . قال : وديعتي فأخرجت سفطين فيهما جوهر ففتحهما فأخذ من

كل واحد قبضة وترك الباقي عليهما .

وكانت عند عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد قبل أن تكون عند ابن عامر وهو أبو عذرتها فكانت تقول : سيدهم جميعاً الحسن وأسخاهم ابن عامر ، وأحبهم إلي عبدالرحمن بن عتاب .

المدائني عن محمد بن عمر العبدي ، عن أبي سعيد أن معاوية قال لرجل من أهل المدينة من قريش : أخبرني عن الحسن . فقال : يا أمير المؤمنين ، إذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس ثم يساند ظهره فلا يبقى في مسجد رسول الله ﷺ أحد له شرف إلا أتاه فيتحدثون عنده حتى إذا ارتفع النهار صلى ركعتين ثم ينهض فيأتي أمهات المؤمنين فيسلم عليهن فربما أتحفنه ، ثم ينصرف إلى منزله ، ثم يروح الى المسجد فيصلي ويتحدث الناس إليه ، فقال : ما نحن معه في شيء .

حدثني بعض أصحابنا عن زبير بن بكار عن عمه مصعب ، بلغه أن حسناً لم يقل لأحد سوء قط في وجهه ولا في غيبته فقال يوماً وكانت بين الحسين وعمرو بن عثمان خصومة : ماله عندنا إلا ما يسوءه ويرغم أنفه .

المدائني عن سعيد بن عثمان ، ولم يكن بالحصيف أنه قال للحسن : ما بال أصداغنا تشيب قبل عنافقنا [١] ، وعنافقكم تشيب قبل أصداغكم ؟ فقال : إن أفواهنا عذبة فنساؤنا لا يكرهن لثامنا ، ونساؤكم يكرهن لثامكم فتصرف وجوهها فتتنفس في أصداغكم فتشيب .

المدائني عن سحيم ، عن حفص ، عن عيسى بن أبي هارون قال : تزوج الحسن حفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر ، وكان المنذر بن الزبير

١ ـ العنفقة : الشعيرات بين الشفة السفلى والذقن . القاموس .

هويها فأبلغ الحسن عنها شيئاً ، فطلقها الحسن وكان مطلاقاً ، فخطبها المنذر فأبتْ أن تتزوجه وقالت : نهرني ، فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها فرقى إليه المنذر شيئاً فطلقها ، ثم خطبها المنذر فقيل لها : تزوجيه فيعلم الناس أنه كان يعضهك[1] بباطل ، فتزوجته فعلم الناس ما أراد وأنه كان كذب عليها فقال الحسن لعاصم بن عمر : انطلق بنا حتى نستأذن المنذر فندخل على حفصة فاستأذناه فشاور أخاه عبدالله بن الزبير فقال : دعهما يدخلان عليها فدخلا فكانت إلى عاصم أكثر نظراً منها إلى الحسن ، وكانت إليه أشد انبساطاً في الحديث ، فقال الحسن للمنذر : خذ بيدها ، وقام الحسن وعاصم فخرجا ، وكان الحسن يهواها وإنما طلقها لما رقىٰ إليه المنذر .

وقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق ، وحفصة عمته وهو عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر : هل لك في العقيق ؟ فقال : نعم ، فخرجا فمرا بمنزل حفصة ، فدخل إليها الحسن فتحدثا طويلاً ثم خرج فقال لابن أبي عتيق يوماً آخر : هل لك في العقيق ؟ قال : نعم . فمرا بمنزل حفصة فدخل ، ثم قال له مرة أخرى : هل لك في العقيق ؟ فقال له : يا بن أم ألا تقول هل لك في حفصة ؟ .

المدائني عن أبي أيوب القرشي ، عن أبيه ، أن الحسن بن علي أعطى شاعراً مالاً فقال له رجل : سبحان الله ، أتعطي شاعراً يعصىٰ الرحمن ويقول البهتان ؟ فقال : إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك ، وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر .

قالوا:وتداق الحسن ومعاوية في أمر فقال الحسن : بيني وبينك سعد بن

١ ـ عضه عضهاً: كذب ، وسحر ، ونم ، وجاء بالإفك والبهتان . القاموس .

أبي وقاص ، فقال معاوية : لا أحكم رجلاً من أهل بدر ، قال الحسن : فترضىٰ عبيدالله بن أبي بَكْرَةَ بالعراق ؟ قال معاوية : لا أرضى به .

حدثني علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة عن يونس بن حبيب قال : مدح شاعر الحسن بن علي فأعطاه عشرة آلاف درهم ، فقيل : أتعطيه عشرة آلاف درهم ؟ قال : ان خير المال ما وقى العرض واكتسب به حسن الأحدوثة ، والله ما أخاف أن يقول لست بابن رسول الله ﷺ ولا ابن علي ولا ابن فاطمة ، ولكني أخاف أن يقول إنك لا تشبه رسول الله ولا عليا ولا فاطمة والله إنهم لخير مني ، وأُخرى إن الرجل أملني ورجاني .

المدائني عن ابن جعدبة عن ابن أبي مليكة قال : تزوج الحسن بن علي خولة بنت منظور بن زبان بن سيار بن عمرو الفزاري ، فبات ليلة على سطح له أجم لا ستر له فشدت خمارها برجله والطرف الآخر بخلخالها فقام من الليل فقال : ما هذا ؟ فقالت : خفت أن تقوم بوسنك في الليل فتسقط فأكون أشأم سخلة على العرب ، فأحبها فأقام عندها سبعة أيام ، فقال ابن عمر : لم نر أبا محمد منذ أيام فانطلقوا بنا إليه ، فأتوه فقالت خولة : احتبسهم حتى نهيء لهم غداء ، فقال : نعم . قال ابن عمر : فابتدأ الحسن حديثاً ألهانا بالاستماع إعجاباً به حتى جاءنا بالطعام وكانت خولة عند محمد بن طلحة فخلف عليها ، وكانت أختها عند عبدالله بن الزبير ، فعبد الله زوجه إياها ، واسم أختها تماضر بنت منظور ، فغضب أبوها ثم رضي .

وقال قوم : الذي شدت خمارها برجله هند بنت سهيل بن عمرو ، والأول أثبت .

قالوا : وتزوج الحسن امرأة من أهل اليمن فبعث إليها بعشرة آلاف

درهم وطلاقها ، فقالت : متاع قليل من حبيبٍ مفارق ، فقال الحسن : لو راجعتُ امرأة راجعتُ هذه .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال : أحصن الحسن بن علي تسعين امرأة . فقال علي : لقد تزوج الحسن وطلق حتى خفت أن يجني بذلك علينا عداوة أقوام .

حدثني روح بن عبدالمؤمن المقرىء ، ثنا المعتمر عن قرة بن خالد ، عن ابن سيرين قال : كان الحسن بن علي يقول : الطعام أيسر من أن يقسم عليه إذا دعي الرجل إلى أكله فلم يأكل .

المدائني عن أبي زكريا العجلاني قال : قال مخرمة بن نوفل : بنو هاشم أكمل سخاء من بني أمية . وقال جبير بن مطعم : بنو أمية أسخىٰ ، فقال له مخرمة : امتحن ذلك ونمتحنه ، فأتى جبير سعيد بن العاص ، وابن عامر ، ومروان فسألهم فأعطاه كل امرىء منهم عشرة آلاف ، وأتى مخرمة الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر فأعطاه كل واحد منهم مائة ألف درهم فردَّها وقال : إنما أردت امتحانكم .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده ، عن أبي صالح عن جابر بن عبدالله قال : أبطأ كلام الحسن بن علي فخرج رسول الله ﷺ الى البيت وهو معه ، فلما كبَّر رسول الله ﷺ كبَّر الحسن فسرَّ ذلك رسول الله ﷺ حتى تبينا السرور في وجهه ، وكبَّر رسول الله ﷺ فكبَّر الحسن إلى سبع تكبيرات ، فوقف الحسن عند السابعة ، وقرأ رسول الله ﷺ وركع ، ثم قام في الركعة الثانية ، فكبَّر النبي ﷺ وكبَّر الحسن حتى انتهى إلى خمس تكبيرات فوقف الحسن عندها وتلك سُنَّة العيد .

المدائني عن الهذلي عن الحسن أن فاطمة أتت النبي ﷺ بالحسن والحسين عليهم السلام فقالت : انحلهما . فقال : «قد نحلت الحسن الحلم والحياء ، وقد نحلت الحسين الجود والمهابة» ، وأجلس حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على اليسرى .

وحدثني عبدالله بن صالح عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال : خطب أبو بكر يوماً فجاء الحسن فقال : انزل عن منبر أبي . فقال علي : ليس هذا عن ملأ منا .

وحدثني أبو خيثمة زهير بن حرب ، ثنا جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه قال : وقع مغيرة بن عبدالله بن أبي عقيل الثقفي على الحسن بن علي وشتمه فقال رجل : يا أبا ظبيان ، وقع المغيرة في الحسن وسبَّه . فقال : ولم قل خَيْرَهُ ، فوالله لقد كان النبي ﷺ يفرج رجليه ويقبل زبيبه !

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف وعوانه بن الحكم في اسنادهما ، وحدثني عبدالله بن صالح العجلي عن الثقة عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قالوا : لما قتل علي بن أبي طالب بالكوفة ، قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فخطب وحمد الله وأثنى عليه ، ثم وصف فضل علي وسابقته وقرابته والذي كان عليه في هديه وعدله وزهده وقرَّظ الحسن ووصف حاله ومكانه من رسول الله ﷺ والذي هو أهله في هديه وحلمه واستحقاقه الأمر بعد أبيه ، ورغَّبَهم في بيعته ، ودعاهم إلى طاعته ، وكان قيس أول من بايعه ثم ابتدر الناس بيعته .

وقد كان قيس عامل علي على آذربيجان فكتب إليه في القدوم للغزو معه ، فقدم فشهد مقتله .

وخرج عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب إلى الناس بعد وفاة علي ودفنه فقال : إن أمير المؤمنين رحمه الله تعالى قد توفي بَرّاً تقيّاً ، عدلا مرضياً ، أحيا سنة نبيه وابن عمه ، وقضى بالحق في أمته . وقد ترك خَلَفاً رضياً مباركاً حليماً فإن أحببتم خرج إليكم فبايعتموه ، وإن كرهتم ذلك فليس أحد على أحد . فبكى الناس وقالوا : يخرج مطاعاً عزيزاً ، فخرج الحسن فخطبهم فقال : اتقوا الله أيها الناس حق تقاته فإنا امراؤكم وأضيافكم ، ونحن أهل البيت الذين قال الله :﴿ليذهب عنكم الرجس [أهل البيت] ويطهركم تطهيرا﴾ [1] . والله لو طلبتم ما بين جابلق وجابرس [2] مثلي في قرابتي وموضعي ما وجدتموه ، ثم ذكر ما كان عليه أبوه من الفضل والزهد والأخذ بأحسن الهدىٰ ، وخروجه من الدنيا خميصاً لم يَدَعْ إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه ، فأراد أن يبتاع بها خادماً . فبكى الناس ثم بايعوه ، وكانت بيعته التي أخذ على الناس أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم ، فقال بعض من حضر : والله ما ذكر السلم إلا ومن رأيه أن يصالح معاوية أو كما قال .

ثم مكث أياماً ذات عدد يقال خمسين ليلة ، ويقال أكثر منها وهو لا يذكر حرباً ولا مسيراً إلى الشام ، وكتب إليه عبدالله بن عباس كتاباً يعلمه فيه أن علياً لم يجب إلى الحكومة ، إلّا وهو يرىٰ أنه إذا حكم بالكتاب يرد الأمر إليه ، فلما مال القوم إلى الهوى فحكموا به ونبذوا حكم الكتاب رجع إلى أمره الأول فشمَّر للحرب ودعا إليها أهل طاعته ، فكان رأيه الذي فارق

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٣ .

٢ ـ في معجم البلدان : روى أبو روح عن الضحاك عن ابن عباس أن جابلق مدينة بأقصى المغرب وأهلها عن ولد عاد ، وأهل جابرس من ولد ثمود .

الدنيا عليه جهاد هؤلاء القوم ، ويشير عليه أن ينهد إليهم وينصب لهم ولا يعجز ولا يهن .

قالوا : وأتى أهل الشام قتل علي فقام معاوية خطيباً فذكر علياً وقال : إن الله أتاح له من قتله بقطيعته وظلمه وقد ولي الكوفة بعده ابنه وهو حَدَثٌ غِرٌّ لا علم له بالحرب ، وقد كتب اليَّ وجوه من قبله يلتمسون الأمان فانتدب معه أهل الأجناد ، فأقبل عمرو بن العاص في أهل فلسطين، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد في أهل الأردن ، فكتب الحسن إلى معاوية يعلمه أن الناس قد بايعوه بعد أبيه ويدعوه إلى طاعته ، فكتب إليه في جواب ذلك يعلمه أنه لو كان يعلم أنه أَقوَم بالأمر وأَضبط للناس وأَكْيَدُ للعدو وأَحْوَطُ على المسلمين وأَعْلَمُ بالسياسة ، وأقوى على جمع المال منه لأجابه إلى ما سأل لأنه يراه لكل خيرٍ أهلاً ، وقال له في كتابه : إن أمري وأمرك شبيه بأمر أبي بكر وأمركم بعد وفاة رسول الله ﷺ ، ووعده أن يسوِّغَه ما في بيت مال العراق ، وخراج أي الكور شاء يستعين به على مؤنه ونفقاته .

وكان رسول الحسن بكتابه إلى معاوية جُندب بن عبدالله بن ضَبّ ، وهو جندب الخير الأزدي ، فلما قدم جندب على الحسن بجواب كتابه أخبره باجتماع أهل الشام وكثرتهم وعدتهم ، وأشار عليه بتعجيل السير إليهم قبل أن يسيروا إليه ، فلم يفعل حتى قيل له أن معاوية قد شخص إليك وبلغ جسر منبج ، فتحرك عند ذلك ووجه حجر بن عدي الكندي إلى العمال يأمرهم بالجد والاستعداد إلى أن يمر بهم ، وأتاه سعيد بن قيس الهمداني فقال له : أخرج فعسكِر نَسِرْ معك . فخطب الحسن الناس فحضَّهم على الجهاد ، وعَرَّفَهم فضله وما في الصبر عليه من الأجر ، وأمرهم أن يخرجوا

إلى معسكرهم فما أجابه أحد ، فقال لهم عدي بن حاتم الطائي : سبحان الله ، ألا تجيبون إمامكم أين خطباءِ مضر ثم قال عدي للحسن : أصاب الله بك سبيل رشده يا أمير المؤمنين فقد سمعنا وأطعنا ، وهذا وجهي إلى المعسكر ومضى .

ثم قام قيس بن سعد وزياد بن خصفة ، ومعقل بن قيس فأحسنوا القول وأخبروا بمسارعتهم إلى أمرهم ، وخفوفهم للجهاد معه ، وأنهم لا يخذلونه فصدق مقالتهم ، وردَّ عليهم خيراً .

ثم إنه دعا بعبيد الله بن عباس وهو بمعسكره فقال له : يا بن عم . إني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب ووجوه أهل المصر فسربهم وأَلِنْ كَنَفَكَ وابسط لهم وجهك ، وأدنهم من مجلسك ، وسر على شاطىء الفرات حتى تقطع الفرات إلى أرض الأنبار ومسكن ثم تمضي فتستقبل معاوية وتحبسه حتى آتيك ، وليكن خبرك عندي كل يوم ، واستشر قيس بن سعد ، وسعيد بن قيس الهمداني واسمع منهما ولا تقطع أمراً دونهما ، وإن قاتلك معاوية قبل قدومي فقاتله فإن أُصبت فالأمير قيس بن سعد فإن أصيب فسعيد بن قيس . فأخذ عبيدالله على قرية شاهي[1] ثم لزم الفرات حتى قطع الفلوجة ، وجاز الفرات إلى دِمِّا ثم أتى الأخنونية[2] .

وروى بعضهم أن قيس بن سعد كان على الجيش ، وأن عبيد الله كان معه ، والأول أثبت .

فلما شخص عبيد الله بن العباس ، سار الحسن بعده ، واستخلف

---

١ ـ قرية كبيرة على الفرات ، قرب بغداد عند الفلوجة . معجم البلدان .
٢ ـ الأخنونية : موضع من أعمال بغداد ، قيل هي حربي . معجم البلدان .

على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وذلك بعد شهرين ويقال ثلاثة أشهر من بيعته .

ثم سار الحسن فأتى دير كعب فبات به ، ثم سار حتى أتى ساباط المدائن فنزل دون جسرها مما يلي ناحية الكوفة ، فخطب الناس فقال : إني أرجو أن أكون أنصح خَلَفٍ لخلقه ، وما أنا محتمل على أحد ضغينة ولا حقداً ولا مُريدٌ به غائلةً ولا سوءاً ، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفُرقة ، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا عليَّ ، غفر الله لي ولكم .

فنظر بعض الناس إلى بعض وقالوا : عزم والله على صلح معاوية وضَعُفَ وخَارَ ، وشدوا على فسطاطه فدخلوه وانتزعوا مصلاة من تحته وانتهبوا ثيابه ، ثم شَدَّ عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه فبقي متقلداً سيفه فدهش، ثم رجع ذهنه ، فركب فرسه وأطاف به الناس فبعضهم يُعَجِّزُه ويُضعِّفَه ، وبعضهم يُنحِّي أولئك عنه ويمنعهم منه .

وانطلق رجل من بني أسد بن خزيمة من بني نصر بن الهون بن الحارث بن ثعلبة بن دَوْدَان بن أسد ، ويقال له الجراح بن سنان وكان يرى رأي الخوارج إلى مظلم ساباط فقعد فيه ينتظره ، فلما مر الحسن به دنا من دابته فأخذ بلجامها ثم أخرج مغولاً[1] كان معه وقال : أشركتَ يا حسن كما أشرك أبوك من قَبْلُ ، وطعنه بالمغول في أصل فخذه فشقَّ في فخذه شقاً كاد يصل إلى العظم ، وضرب الحسن وجهه ثم اعتنقا وخَرَّا إلى الأرض ، ووثب

١ ـ المغول : حديدة تجعل في السوط فيكون لها غلافا ، أو نصل طويل أو سيف دقيق له قفاً القاموس .

عبدك لام بن الحمل الطائي ، وبعضهم يقول عبد الله بن الحصل فنزع المغول من يد الجراح وأخذ ظبيان بن عمارة التميمي بأنفه فقطعه ، وضرب بيده إلى قطعة آجرة فشدخ بها وجهه ورأسه حتى مات .

وحُمل الحسن إلى المدائن وعليها سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان عليٌّ ولاه إياها فأدخلوه منزله فأشار عليه المختار أن يوثقه ويسير به إلى معاوية على أن يطعمه خراج جوخي سنة ، فأبى ذلك وقال للمختار : قبَّح الله رأيك ، أنا عامل أبيه وقد ائتمنني وشرفني ، وهَبْنِي نسيتُ بلاء أبيه ، أأنسىٰ رسول الله ﷺ ولا أحفظه في ابن ابنته وحبيبه .

ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب وقام عليه حتى برىء ، وحوله إلى أبيض المدائن .

وتوجه معاوية إلى العراق واستخلف الضحاك بن قيس الفهري ، وَجَدَّ في المسير وقال : قد أتتني كتب أهل العراق يدعونني إلى القدوم عليهم فأومن بريئهم ويدفعون إليّ بغيتي ، وأتتني رسلهم في ذلك فسيروا إليها أيها الناس فإن كَدَر الجماعة خير من صفو الفُرقة ، وكانوا يدعونه أمير المؤمنين .

ولما رأى عمرو جدّ معاوية في المسير واخذامه[1] إياه قال : قد علم معاوية والله أن الليث علياً قد هلك وغالته شعوب .

قالوا : ومر معاوية بالرقة ثم بنصيبين وهو يُسكنّ الناس ويؤمِّنْ من مر به ، ثم أتى الموصل ، ثم صار إلى الأخنونية فنزل بإزاء عبيد الله بن العباس ، وأرسل عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس إلى عبيد الله وأصحابه أنَّ كُتُبَ الحسن قد أتتني مع رسله يسألني فيها الصلح ، وإنما

١ ـ خذمه : قطعه ، وأخذم : أقر بالذل وسكن . القاموس .

جئت لذلك ، وقد أمرت أصحابي بالكف عنكم فلا تعرضوا لهم حتى أفرغ مما بيني وبين الحسن ، فكذبوه وشتموه .

ثم بعث معاوية بعد ذلك عبد الرحمن بن سمرة إلى عبيد الله فخلا به ، وحلف له أن الحسن قد سأل معاوية الصلح ، وجعل لعبيد الله ألف ألف درهم إن صار إليه .

فلما علم عبيد الله رأي الحسن وأنه إنما يقصد قصد الصلح ، وحقن الدماء ، صار إلى معاوية فأكرمه وَبَرَّهُ ، وحفظ له مسارعته إليه .

وقام بأمر الناس بعد عبيد الله ، قيس بن سعد ، وقال في عبيد الله قولاً قبيحاً ، وذكر أخاه وما كان بينه وبين عليّ ، ونَسَبَ عبيد الله إلى الخيانة والغدر والضعف والجبن ، فبايع قيساً أربعة آلاف على الموت .

وظن معاوية أن مصير عبيد الله قد كسر الحسن فأمر بِسْر بن أبي أرطاة ، وكان على مقدمته وناساً معه فصاحوا بالناس من جوانب العسكر فوافوهم وهم على تعبئة فخرجوا إليهم فضاربوهم ، واجتمع إلى بسر خلق فهزمهم قيس وأصحابه .

وجاءهم بسر من الغد في الدهم فاقتتلوا فكُشف بسر وأصحابه وقتل بين الفريقين قتلى ، وعرض معاوية على قيس مثل الذي عرضه على عبيد الله فأبى ، ثم بعث إليه ثانية فقال له : على ماذا تقتل نفسك وأصحاب الحسن قد اختلفوا عليه ، وقد جرح في مظلم ساباط فهو لمابه[1] . فتوقف عن القتال ينظر ما يكون من أمر الحسن ففعل ، وجعل وجوه أهل العراق يأتون معاوية فيبايعونه ، فكان أول من أتاه خالد بن معمر فقال : أبايعك عن ربيعة كلها

١ - أي في وضع صحي خطير .

ففعل، وبايعه عفاق بن شرحبيل بن رهم التيمي فلذلك يقول الشاعر :

معاوي أَكْرِمْ خالاً بن المعمر فإنك لولا خالد لم تُؤَمَّر

وبلغ ذلك الحسن فقال : يا أهل العراق ، أنتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة ثم اختلفتم عليه ، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية فبايعوه ، فحسبي منكم لا تَغُرُّوني في ديني ونفسي .

قال المدائني : وكتب معاوية إلى قيس يدعوه إلى نفسه وهو بمسكن في عشرة آلاف فأبى أن يجيبه ، ثم كتب إليه : إنما أنت يهودي بن يهودي ، إن ظفر أحب الفريقين إليك عَزَلَك واستبدل بك وإن ظَفَرَ أَبْغَضُهما إليك قَتَلَكَ ونَكَّلَ بكَ ، وقد كان أبوك أَوْتَرَ غَيْرَ قوسه ، ورمى غير غَرَضه فأكْثَرَ الحَزَّ وأخطأ المِفْصَل فخذله قومه ، وأدركه يومه فَهَلَك بحوران طريداً والسلام . فكتب إليه قيس بن سعد بن عبادة : أما بعد يا معاوية ، فإنما أنت وثن بن وثن من أوثان مكة ، دخلت في الإسلام كُرْهاً ، وخرجتَ منه طوعاً ، لم يقدم إيمانك ، ولم يحدث نفاقك . وقد كان أبي وَتَرَ قوسه ورمى غَرَضَه فاعترض عليه من لم يبلغ كعبهُ ولم يَشُقَّ غباره ، وكان أمراً مرغوباً عنه مزهُوداً فيه ، ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه ، وأعداء الدين الذي صِرْتَ إليه . فقال له عمرو : أَجِبْهُ . فقال : أخاف أن يجيبني بما هو شر من هذا .

قالوا : وَوَجَّه معاوية إلى الحسن عبد الله بن عَامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فقال ابن عامر : اتَّقِ الله في دماء أمة محمد أن تسفكها لِدُنْيَا تُصيبها وسلطاناً تَنَالَه لعل أن يكون متاعك به قليلاً ، إن معاوية قد لَجَّ ، فنشدتُك الله أن تَلجّ فيهلك الناس بينكما ، وهو يوليك الأمر من بعده ، ويعطيك كذا .

وكلمَّه عبد الرحمن بن سمرة بمثل كلام عبد الله أو نحوه ، فَقَبِل ذلك منهما ، وبعث معهما عمرو بن سلمة الهمداني ثم الأرحبي ومحمد بن الأشعث الكندي ليكتبا على معاوية الشرط ويعطياه الرضى .

فكتب معاوية كتاباً نسخته : «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب للحسن بن علي من معاوية بن أبي سفيان ، إني صالحتُك على أن لك الأمر من بعدي ، ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ﷺ وأشد ما أخذه الله على أحدٍ من خلقه من عهد وعقد ، لا أبغيك غائلة ولا مكروهاً ، وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال ، وعلى أن لك خراج فسا ، ودرأبجرد ، تبعث إليهما عمالك وتصنع بهما ما بدالك» .

شهد عبد الله بن عامر ، وعبد الله بن سلمة الهمداني وعبد الرحمن بن سمرة ومحمد بن الأشعث الكندي . وكُتب في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين .

فلما قرأ الحسن الكتاب قال : يُطمعني معاوية في أمرٍ لو أردتُ لم أسلمه إليه .

ثم بعث الحسن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأمه هند بنت أبي سفيان فقال له : ائتِ خالك فقل له إن أمنت بالناس بايعتك ، فدفع معاوية إليه صحيفة بيضاء قد خُتم في أسفلها وقال : اكتب فيها ما شئت ، فكتب الحسن :

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ماصالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم، وعلى أن لايبغي الحسن بن علي غائلةً سراً ولاعلانية، ولايُخيف أحداً من أصحابه».

شهد عبد الله بن الحارث. وعمرو بن سلمة.

وردهما إلى معاوية ليشهدا ويشهدا عليه.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن رجل من قريش قال: رأى رسول الله ﷺ الحسن فقال: سيُصلح الله به بين فئتين من المسلمين.

قالوا: وشخص معاوية من مسكن إلى الكوفة فنزل بين النخيلة ودارا لرزق، معه قصاص أهل الشام وقراؤهم، فقال كعب بن جُعيل التغلبي:

من جسر منبج أضحى غُبَّ عاشرةٍ ... في نخل مَسْكَنَ تُتلى حوله السُّوَرُ

قالوا: ولما أراد الحسن المسير من المدائن إلى الكوفة حين جاءه ابن عامر وابن سمرة بكتاب الصلح وقد أعطاه فيه معاوية ماأراد، خطب فقال في خطبته: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[1]، وسار إلى الكوفة، فلقي معاوية بالكوفة فبايعه، وبايعه عمرو بن سلمة الهمداني، فقال له معاوية: ياحسن ـ أو ياأبا محمد ـ قم فاعتذر، فأبى، فأقسم عليه فقام فَحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال: إنّ أكْيَسَ الكَيْسِ التُّقى، وأحمقَ الحُمْق

١ ـ سورة النساء ـ الآية: ١٩ .

الفجور. أيها الناس انكم لو طلبتم بين جابلق وجابرس رجلاً جَدُّه رسول الله ﷺ ماوجدتموه غيري، وغير أخي الحسين، وإن الله قد هداكم بأولنا محمد وإن معاوية نازعني حَقّاً هُوَلي فتركتُه لصلاح الأمة وحقن دمائها، وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت، وقد رأيت أن أسالمه وقد بايعته، ورأيت أن ما حقن الدماء خير مما سُفِكَها، وأردت صلاحكم وأن يكون ماصنعتُ حجة على من كان يتمنى هذا الأمر، ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾[1]، ثم سكت وتفرق الناس.

ويقال أن معاوية قال للحسن: ياأبا محمد انك قد جُدْتَ بشيءٍ لاتطيب أَنْفُسُ الرجال بمثله، فاخرج إلى الناس فأَظْهر ذاك لهم. فقام فقال: إن اكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور، إنَّ هذا الأمر الذي سلمته لمعاوية إما أن يكون حقّ رجل كان أحقَّ به مني فأخذ حقَّه، وإما أن يكون حقي فتركته لصلاح أمة محمد وحقن دمائها، فالحمد لله الذي أكرم بنا أَوَّلَكُم، وحقن دماء آخركم.

حدثني أحمد بن سليمان الباهلي عن عبد الله بن بكر السهمي عن حاتم بن أبي صغيرة عن عمرو بن دينار قال: خطب الحسن حين صالح معاوية فقال: أيها الناس، إني كنت أُكْرِهُ الناس لأول هذا الأمر، وإني أصلحت آخره إما لذي حقٍ أديت إليه حقه، وإما لجور حق بي التمست به صلاح أمر أمة محمد، وإنك قد وليت هذا الأمر يامعاوية لخير علمه الله منك أو شرٍّ أراده بك ﴿وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾.

قالوا وجاء هانيء بن خطاب الهمداني إلى معاوية فقال: أبايعك على

---

١ - سورة الأنبياء - الآية: ١١١ .

كتاب الله وسنة نبيه، فقال: لاشرط لك، قال: وأنت أيضاً فلا بيعة لك.

ثم قال معاوية: إذن فبايع فما خير شيء ليس فيه كتاب الله وسنة نبيه، فبايعه. وكندة تقول إن الذي قال هذا القول سعيد بن الأسود بن جبلة الكندي.

قالوا: ثم قام معاوية فخطب الناس فقال في خطبته: أَلا إني شرطتُ في الفتنة شروطاً أردتُ بها الألفة ووضع الحرب، أَلا وإنها تحت قدمي، فقال المسيب بن نجبة الفزاري للحسن: بايعت معاوية ومعك أربعون ألفاً ولم تأخذ لنفسك منه ثقة، قد سمعت كلامه والله ماأراد بما قال غيرك.

وقام سفيان بن ليل إلى الحسن فقال له: يامُذِلَّ المؤمنين، وعاتبه حِجْر ابن عدي الكندي وقال: سودت وجوه المؤمنين، فقال له الحسن: ماكل أحد يحب ماتحب، ولا رأيه كرأيك، وإنما فعلت مافعلت إبقاء عليكم.

ويقال إنه قال له: سمعت أبي يقول: يلي هذا الأمر رجل واسع البلعوم كثير الطعم، وهو معاوية، ثم إن الحسن شخص إلى المدينة وشيَّعه معاوية إلى قنطرة الحيرة.

وخرج على معاوية خارجي فبعث إلى الحسن من لحقه بكتاب يأمره فيه أن يرجع فيقاتل الخارجي وهو ابن الحوساء الطائي، فقال الحسن: تركت قتَالك وهو لي حلال لصلاح الأمة وأُلفتهم، افتراني أقاتل معك؟ وكان لحاقه إياه بالقادسية.

قالوا: وخطب معاوية أيضاً بالنخيلة فقال: إني نظرتُ فعلمت أنه لايصلح الناس إلا ثلاث خصال: إتيان العدو في بلاده فإنكم إن لم تأتوه أتاكم، وهذا العطاء والرزق أن يقسم في أيامه، وأن يقيم البعث القريب

ستة أشهر والبعيد سنة وأن تستجم[1] بلاد إن جمدت خربت، وقد كنت شرطتُ شروطاً ووعدتُ عِداةٍ ومنيت أماني لما أردت من إطفاء نار الفتنة وقطع الحرب ومداراة الناس وتسكينهم.

ثم نادى بأعلى صوته: ألا إن ذمة الله بريئة ممن لم يخرج فيبايع، ألا وإني طلبت بدم عثمان قتل الله قاتليه، ورد الأمر إلى أهله على رغم معاطس أقوام، ألا وإنا قد أجلناكم ثلاثاً فمن لم يبايع فلا ذمة له، ولا أمان له عندنا.

فأقبل الناس يبايعون من كل أوب، وكان زياد يومئذٍ عاملاً لعلي فلما بلغه أن ابن عامر قد ولي البصرة هرب فاعتصم بقلعة بفارس.

قالوا وولى معاوية عبد الله بن عامر البصرة، والمغيرة بن شعبة الكوفة، ومضى إلى الشام، فوجه الحسن عماله إلى فسا ودرأبجرد، وكان معاوية قد أمر ابن عامر أن يُغري أهل البصرة بالحسن فضجوا وجعلوا يقولون قد انقصت أعطياتنا بما جعل معاوية للحسن، وهذا المال مالنا فكيف يُصرف إلى غيرنا، ويقال إنهم طردوا عماله في الكورتين فاقتصر معاوية بالحسن على ألفي ألف درهم من خراج أصبهان وغيرها، فكان حضين بن المنذر الرقاشي أبو ساسان يقول: ما وفى معاوية للحسن بشيء مما جعل، قتل حِجراً وأصحابه، وبايع لابنه ولم يجعلها شورى، وسَمَّ الحسن.

حدثني عباس بن هشام عن أبيه، عن أبي مخنف، عن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال: لما بايع الحسن بن علي معاوية أقبلت الشيعة تتلاقى باظهار الأسف والحسرة على ترك القتال، فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية فقال له سليمان بن صُرد الخزاعي: ماينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية

١ ـ استجمت الأرض: كثر نبتها.

ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة كلهم يأخذ العطاء، وهم على أبواب منازلهم ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في العقد ولاحظاً من العطية، فلو كنت إذ فعلت مافعلت أشهدت على معاوية وجوه أهل المشرق والمغرب، وكتبت عليه كتاباً بأن الأمر لك من بعده كان الأمر علينا أيسر، ولكنه أعطاك أشياء بينك وبينه ثم لم يف به، ثم لم يلبث أن قال على رؤوس الناس: إني كنت شرطتُ شروطاً ووعدت عداة إرادة لإطفاء نار الحرب ومداراة لقطع هذه الفتنة، فأما إذا جمع الله لنا الكلمة والإلفة وآمننا من الفُرقة فإن ذلك تحت قدمي، فوالله مااغترني بذلك إلا ماكان بينك وبينه وقد نُقض، فإذا شئت فأعد الحرب جذعة، وأنذر لي في تقدمك إلى الكوفة، فأخرج عنها عامله وأظهر خلعه وتنبذ إليه ﴿على سواء أن الله لايحب الخائنين﴾[1].

وتكلم الباقون بمثل كلام سليمان، فقال الحسن: أنتم شيعتنا وأهل مودتنا، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أربض وأنصب ماكان معاوية بأبأس مني بأساً، ولاأشد شكيمة ولاأمضى عزيمة، ولكني أرى غير مارأيتم. وماأردت فيما فعلت إلا حقن الدم، فارضوا بقضاء الله وسلِّموا لأمره، والزموا بيوتكم وأمسكوا ـ أو قال: كفُّوا أيديكم ـ حتى يستريح بِرّ أو يستراح من فاجر.

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي، ومحمد بن حاتم المروزي قالا: ثنا أبو داود صاحب الطيالسة عن شعبة عن يزيد بن حمير عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: قلت للحسن إن الناس يقولون إنك تريد الخلافة

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية: ٥٨ .

فقال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله، ثم أريدها بأهل الحجاز ؟! وقال أحدهما : بأتياس الحجاز .

حدثني أحمد بن أبراهيم الدورقي، ثنا وهيب بن جرير عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال: لما قتل علي بن أبي طالب، وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة، سار معاوية بالناس إلى العراق وسار الحسن بن علي بمن معه من أهل الكوفة، وَوَجَّهَ عبيد الله بن العباس وقيس بن سعد بن عبادة في جيش عظيم حتى نزلوا مسكن من أرض العراق، وقد رقَّ أمر الحسن، وتواكل فيه أهل العزاق، فوثبوا عليه فانتُزِعَ رداؤه عن ظهره، وأُخذ بساطه من تحته، وخُرق سرادقه. فأرسل عبيد الله بن عباس إلى عبد الله بن عامر يأمره أن يأتيه إذا أمسى بأفراس حتى يصير معه إلى معاوية فيصالحه ففعل، فلحق عبيد الله بمعاوية وترك جنده لاأمير لهم، وفيهم قيس بن سعد فقام بأمر أولئك الجند، وجعل معاوية يرسل إليه أربعين ليلة يسأله أن يبايعه فيأبى حتى أراد معاوية قتاله، فقال له عمرو بن العاص: إنك لن تخلص إلى قتل هؤلاء حتى تقتل أعدادهم من أهل الشام، فصار إلى أن أعطاه ماأراد من الشروط لنفسه ولشيعته، ثم دخل قيس في الجماعة ومن معه وبايعه.

ولم يزل معاوية بالحسن حتى بايعه وأعطاه كل ماابتغى، حتى قيل إنه أعطاه عيراً أولها بالمدينة وآخرها بالشام، وصعد معاوية منبر الكوفة فقال للوليد بن عقبة يذكر قوله حين استبطأه في حرب علي:

ألا أَبلغْ معاوية بن حرب فإنك من أخيَ ثقة مليم

ياأبا وهب كيف رأيت أهل المت؟

حدثني أحمد بن أبراهيم، ثنا وهب بن جرير بن حازم، ثنا أبي قال: سمعت محمد بن سيرين يقول: لما بلغ الحسن معاوية، ركب الحسن إليه في عسكره وأردف قيس بن سعد بن عبادة خلفه، فلما دخلا العسكر قال الناس: جاء قيس، فلما دخلا على معاوية بايعه الحسن ثم قال لقيس: بايع. فقال قيس بيده هكذا، وجعلها في حجره ولم يرفعها إلى معاوية ومعاوية على السرير، فبرك معاوية على ركبتيه ومد يده حتى مسح على يد قيس وهي في حجره، قال إلي.

وحكى لنا محمد صنيعه وجعل يضحك. وكان قيس رجلاً جسيماً.

حدثنا خلف بن سالم، ثنا وهب قال: قال أبي، وأحسب رواه عن الحسن البصري قال: لما بايع أهل الكوفة الحسن أطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه، واجتمع له خمسون ألفاً، فخرج بهم حتى أتى المدائن، وسرح بين يديه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في عشرين ألفاً، فنزل بمسكن، وأقبل معاوية من الشام في جيش، ثم إن الحسن خلا ناحية الحسين فقال: يا هذا إني نظرت في أمري فوجدتني لاأصل إلى الأمر حتى يُقْتَلُ من أهل العراق والشام من لاأحب أن احتمل دمه، وقد رأيت أن أسلِّمَ الأمر إلى معاوية فأشاركه في إحسانه ويكون عليه إساءته، فقال الحسين: أنشدك الله أن تكون أول من عاب أباك وطعن عليه ورغب عن أمره، فقال: إني لاأرى ماتقول، ووالله لئن لم تتابعني لأشدنَّك في الحديد فلا تزال فيه حتى أفرغ من أمري. قال: فشأنك، فقام الحسن خطيباً فذكر رأيه في الصلح والسلم لما كره من سفك الدماء وإقامة الحرب فوثب عليه أهل الكوفة وانتهبوا ماله وخرقوا سرادقه وشتموه وعجزوه ثم انصرفوا عنه ولحقوا بالكوفة، فبلغ الخبر

قيساً فخرج إلى أصحابه فقال: ياقوم إن هؤلاء القوم كذبوا محمداً وكفروا به ماوجدوا إلى ذلك سبيلاً، فلما أخذتهم الملائكة من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم دخلوا في الإسلام كرهاً وفي أنفسهم مافيها من النفاق، فلما وجدوا السبيل إلى خلافه أظهروا مافي أنفسهم، وإن الحسن عجز وضعف وركن إلى صلح معاوية، فإن شئتم أن تقاتلوا بغير إمام فعلتم، وإن شئتم أن تدخلوا في الفتنة دخلتم، قالوا: فإنا ندخل في الفتنة، وأعطى معاوية حسناً ماأراد في صحيفة بعث بها إليه مختومة اشترط الحسن فيها شروطاً فلما بايع معاوية لم يعطه مما كتب شيئاً، فانصرف الحسن إلى المدينة ومعاوية إلى الشام.

قالوا: ولما صالح الحسن معاوية وثب حمران بن أبان فأخذ البصرة، وأراد معاوية أن يبعث إليها رجلاً من أهل الشام من بلقين فكلمه عبيد الله بن عباس في ذلك فأمسك.

وولى عتبة بن أبي سفيان البصرة فقال له ابن عامر: ان لي بها أموالاً وودائع فإن لم تولنيها ذهبت بولاة البصرة.

وحدثني أبو مسعود عن ابن عون عن أبيه قال: لما ادعى معاوية زياداً وولاه، طلب زياد رجلاً كان دخل في صلح الحسن وأمانه، فكتب الحسن فيه إلى زياد ولم ينسبه إلى أب، فكتب إليه زياد: أما بعد فقد أتاني كتابك في فاسق يؤوي مثله الفساق من شيعتك وشيعة أبيك، وأيم الله لأطلبنّه ولو بين جلدك ولحمك فإن أحبُّ لحم إلي آكُلُهُ لَلَحْمٌ أنت منه.

فلما قرأ الحسن الكتاب قال: كفر زياد، وبعث بالكتاب إلى معاوية فلما قرأه غضب فكتب إليه: أما بعد يازياد فإن لك رأيين، رأي أبي سفيان ورأي

سميه، فأما رأيك من أبي سفيان فحزم وحلم، وأما رأيك من سمية فما يشبهها فلاتعرض لصاحب الحسن فإني لم أجعل لك عليه سبيلا، وليس الحسن مما يرمي به الرجوان[1]، وقد عجبت من تركك نَسَبَهُ إلى أبيه أفإلى أمه، وَكَلتَهُ وهي فاطمة بنت رسول الله، فالآن اخترت له والسلام.

وقال أبو مخنف: بويع الحسن في شهر رمضان سنة أربعين، وصالح معاوية في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين فكان أمره ستة أشهر وأياماً.

وقال الواقدي وغيره: وكان صالح الحسن في سنة إحدى وأربعين واجتمع الناس على معاوية في هذه السنة قالوا: وطال مرض الحسن بعد قدومه المدينة من العراق حتى قيل إنه السل.

ثم إنه شرب شربة عسل فمات منها، ويقال إنه سم أربع دفعات فمات في أخراهنَّ، وأتاه الحسين وهو مريض فقال له: أخبرْني من سقاك السم؟ قال: لتقتله؟ قال: نعم. قال: ما أنا بمخبرك إن كان صاحبي الذي أظن فالله أشد له نقمة وإلا فوالله لايقتل بي بريء.

وقد قيل أن معاوية دس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس امرأة الحسن، وأرغبها حتى سَمَّتْهُ وكانت شانئة له.

وقال الهيثم بن عدي: دس معاوية إلى ابنة سهيل بن عمرو امرأة الحسن مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها ففعلت.

وحدثني روح بن عبد المؤمن قال حدثني عمي عن أزهر بن عون قال: خرج الحسن بن علي على من كان يجالسه فقال: لقد لفظتُ الساعة طائفة من

---

١ ـ أي يُستهزأ به. القاموس.

كبدي أقلّها هذا العود، ولقد سقيت السم غير مرة وماسقيته آشد من مرّتي هذه. ثم دخل عليه من الغد وهو يكيد بنفسه.

وفاة الحسن بن علي عليه السلام

المدائني عن سلام بن مسكين عن عمران الخزاعي قال: رأى الحسن في منامه كأنه كتب على جبهته: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ السورة فقال أهله هذه الخلافة، فسئل سعيد بن المسيب فقال: يموت، لأن القرآن حق فهذا مصير إلى الحق. فمات بعد ثلاث.

حدثنا حفص بن عمر الدوري المقرىء عن عباد بن عباد عن هشام بن عروة عن أبيه قال قال الحسن حين حضرته الوفاة: ادفنوني عند قبر رسول الله ﷺ إلا أن تخافوا أن يكون في ذلك شر، فإن خفتم الشر فادفنوني عند أمي.

وتوفي فلما أرادوا دفنه أبى ذلك مروان وقال: لأيُدفن عثمان في حش كوكب ويُدفن الحسن ههنا. فاجتمع بنو هاشم وبنو أمية فأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم، وجاؤوا بالسلاح فقال أبو هريرة لمروان: يامروان أتمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول له ولأخيه حسين: «هما سيدا شباب أهل الجنة». فقال مروان: دعنا عنك، لقد ضاع حديث

رسول الله ان كان لايحفظه غيرك وغير أبي سعيد الخدري إنما أسلمت أيام خيبر، قال: صدقت، أسلمت أيام خيبر، إنما لزمت رسول الله ﷺ فلم أكن أفارقه، وكنت أسأله وعنيت بذلك حتى علمت وعرفت من أَحَبَّ ومَن أبغضَ ومن قَرَّبَ ومن أَبعد، ومن أَقَرَّ ومن نَفَى، ومن دعا له ومن لعنه.

فلما رأت عائشة السلاح والرجال، وخافت أن يعظم الشر بينهم وتُسفك الدماء قالت: البيت بيتي ولاآذن أن يدفن فيه أحد.

وقال محمد بن علي لأخيه: ياأخي إنه لو أوصى أن يدفن لدفناه أو نموت قبل ذلك، ولكنه قد استثنى فقال: إلا أن تخافوا الشر، فأي شر أشد مما ترى؟ فدُفن بالبقيع إلى جنب أمه.

ويقال إن الحسن أوصى أن يدفن مع النبي ﷺ فأظهر الحسين ذلك قبل موت الحسن، فأنكره مروان بن الحكم وكتب بقول الحسين إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: إذا مات الحسن فامنع من ذلك أشد المنع كما منعنا من دفن عثمان مع النبي ﷺ.

فأتى الحسين الحسن فأخبره بذلك فقال: ياأخي اجتنبت القتال في حياتي، أفتريد أن يكون ذلك عند سريري؟ فَضَمِنَ له ألايفعل.

ويقال إنه لم يجر بينه وبين الحسين في ذلك شيء، فلما توفي أراد الحسين دفنه مع النبي ﷺ فمنعه مرَوان من ذلك، وكاد أن يكون بين الحسين وبينه في ذلك شر فأمسك.

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال: قدم معاوية مكة فلقيه ابن عباس فقال له معاوية: عجباً للحسن شرب عَسَلَة طائفية فما روته، فمات منها، فقال ابن عباس: لئن هلك الحسن فلن ينسأ في

أجلك، قال وأنت اليوم سيد قومك. قال: أما مابقي أبو عبد الله فلا.

المدائني عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال : لقي معاوية ابن عباس بمكة فعزَّاه عن الحسن فقال : لا يسوءك الله يا أبا العباس . فقال : لن يسوءني الله ما أبقاك يا أمير المؤمنين ، فأمر له بمائة ألف درهم وأكثر من ذلك وبكسوة .

وسمعت من يحدث أن وفاة الحسن أتت معاوية وعنده ابن عباس ، فقال له: عجبت للحسن، شرب عسلة بماء رومة فمات، وعزىٰ ابن عباس عنه فقال : لا يسوءك الله ، وقال ابن عباس : لا يسوءني الله يا أمير المؤمنين ما أبقاك ، فأمر له بألف ألف درهم .

قالوا : وكانت وفاة الحسن سنة تسع وأربعين ، ويقال سنة خمسين ، لخمس خلون من شهر ربيع الأول ، وزعم بعضهم أنه توفي سنة إحدى وخمسين .

قالوا : ودفن الحسن بالبقيع ، وصلى عليه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، وكان والياً على المدينة .

وقال أبو مخنف : منع مروان من دفن الحسن مع رسول الله ﷺ حتى كاد يكون بين الحسين وبينه قتال ، واجتمع بنو هاشم وبنو المطلب ومواليهم إلى الحسين ، وقال أبو سعيد الخدري وأبو هريرة لمروان : تمنع الحسن من أن يدفن مع جده وقد قال رسول الله ﷺ : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» ؟ فقال مروان : لقد ضاع حديث رسول الله ﷺ إن كان لا يرويه إلا مثلك ومثل أبي هريرة . فدفن بالبقيع ، وكان للحسن يوم توفي سبع وأربعون سنة وأشهر .

وقال الواقدي : توفى الحسن في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين ، وهو ابن سبع وأربعين سنة ودفن بالبقيع ، وصلى عليه سعيد بن العاص .

وحدثت عن جويرية بن أسماء قال : لما مات الحسن بن علي أخرجوا جنازته فحمل مروان سريره ، فقال له الحسين : أتحمل سريره ، أما والله لقد كنت تُجرِّعَهُ الغيظ . فقال مروان : إني قد أفعل ذاك بمن يوازن حِلْمُه الجبال .

وحدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا وهب بن جرير بن حازم ، ثنا أبي قال : سمعت النعمان بن أسد يحدث عن الزهري قال : بويع الحسن بعد أبيه فقال لأصحابه في بيعته : تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت ، فلما سمعوا شرطه ارتابوا فطعنه رجل طعنة أشوته ، فازداد لهم بغضاً ومنهم ذعراً ، وأرسل إلى معاوية بكتاب شرط اشترطه وفيه : إن أعطيتني ما فيه بايعتك .

وكان معاوية بعث الى الحسن بصحيفة بيضاء مختومة في أسفلها ، فقال : اكتب فيها ما شئت . فكتب الحسن فيها ما أراد . ثم إن عمرو بن العاص أمر معاوية أن يأمر الحسن بالخطبة فأمره فقال الحسن بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد فإن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دار زوال ، وقال الله : ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾ .

ثم إن الحسن لحق بالمدينة وقال معاوية لعمرو بن العاص : اكفني الكوفة . قال : فكيف ترى في مصر ؟ قال : ابعث عليها ابنك .

وقدم المغيرة بن شعبة الثقفي عليه ، وكان مقيماً بالطائف معتزلاً أمر

الناس فقال لمعاوية : أَتُؤَمِّرُ عَمراً على الكوفة وابنه على مصر فتكون كالقاعد بين لحيي الأسد ! قال : فما ترى ؟ قال : انا أكفيك الكوفة . قال : نِعمَ ما رأيت . وبلغ عمراً ذلك فقال لمعاوية : ألا أدلك على أمير للكوفة ؟ قال : بلى . قال : المغيرة بن شعبة ، ولّه واستعن برأيه وقوة مكيدته ، واعزله عن الخراج والمال فقد كان عمر ، وعثمان فعلا به ذلك . فقال معاوية : نِعْمَ ما رأيت .

ودخل المغيرة على معاوية فقال له : إني قد كنت جمعت لك الجند والمال ، ثم ذكرت أن الخليفتين قبلي كانا يوليانك الجند ويعزلان عنك الخراج . فخرج المغيرة فقال لأصحابه : قد عُزلت عن الخراج وهذا رأي لم يَغِبْ عنه أبو عبدالله ، يعني عمرو بن العاص ، ويقول أنه من مشورته .

مرثية الامام حسن

قال بعض الرواة : رثى سليمان بن قتة الحسن فقال :

يا كَذَّب الله من نعىٰ حسناً ليس لتكـذيب قـولـه ثَمَنُ
أجول في الدار لا أرى في الـدّ ار أُنــاس جــوارهُمْ عُبُنُ[1]
كنتَ خليلي وكنت خالصتي لكل حيٍّ من أهله سَكَنُ
بَــدَلْتُهُم منــك ليت أنَّهُمُ أُمسـوا وبيني وبينهم عـدن

وقال هشام بن الكلبي : هذا لعلي بن ثابت بن يزيد بن وديعة الأنصاري في ابنه .

وقال النجاشي الحارثي الشاعر :

يا جَعْدُ بكيِّـه ولا تسأمي بكـاء حقٍّ ليس بـالبـاطـل
على ابن بنت الطاهر المصطفىٰ وابن عم المصطفىٰ الفاضل
كـان إذا شَبَّتْ لـه نــارُه يـوقدهـا بالشَرْفِ القـابـل
كيـما يراهـا يـائِسٌ مـرْمِـلٌ أو ذو اغتراب ليس بالآهل
لن تُغلقي بـابـاً عـلى مثله في الناس مِنْ حَافٍ ولا ناعِلِ

١ ـ العبن ـ بضمتين ـ السمان الملاح منا . القاموس .

نِعْمَ فتىً الهيجاء يوم الوغىٰ والسيِّـد القائـلِ والفـاعـلِ

وقال رجل من غطفان :

بنو حسنٍ كانوا مَنَاخ ركابنا قديماً وما كنا ابن عمران نتبع

وقال أبو اليقظان : قال شاعر من همدان :

أتاني فوق الغال من أرض مسكنٍ بأنَّ إمام الحق أمسىٰ مسالما

فما زلت مذ نُبِّئْتُـهُ بكآبـة أراعي النجوم خاشع الطَرْفِ واجما

فراجعت نفسي ثم قلت لها اصبري فإن الإمام كان بالله عالما

وقالت أم الهيثم بن الأسود :

أقَرَّ عيني أنْ جاءت مقلدة خيل الشآمين في أعناقها الخرق

فَحَمَلْنَ كلَّ فتىً حُلْوٌ شمائله بمثله تُـدرك الأوتار والحنق

قال أبو اليقظان وغيره : وُلد الحسن بن علي عليهما السلام : حَسَناً ، أمه خولة بنت منظور بن زبان بن سيار الفزاري ، وأمها مليكة بنت خارجة بن سنان المُرِّية ، وهو الذي قال : إن أطعنا الله فأحبونا ، وإن عصيناه فابغضونا ، فلو كان الله نافعاً أحداً بقرابته من النبي ﷺ لنفع بذلك أباه وأمه . قولوا فينا بالحق ودعوا الغلو .

وزيد بن الحسن الذي يقول فيه الشاعر :

وزيدٌ ربيع الناس في كل شَتْوَةٍ إذا أخلَفَتْ أنواؤُها ورعودُها

حَمُولٌ لأَسْيَاقِ الدِّيَاتِ كأنَّهُ سراج الدُّجىٰ إذ قَارنَتْهُ سُعُودُهَا

وفيه يقول قدامة ، أحد بني جمح :

إنْ يكُنْ زَيْدُ غَالَتْ الأرض شخصه فقد بانَ معروفُ هُناكَ وَجُوْدُ

وأم الحسن كانت عند عبدالله بن الزبير وأمها أم بشير بنت أبي مسعود البدري .

وحسيناً الأثرم . وعبدالله أمهما ظمياء أم ولد .

وأبا بكر وعبدالرحمن . والقاسم ، أمهم أم ولد ولا بقية لهم .

وطلحة بن الحسن أمه أم إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله ، وأمها ابنة قسامة طائيَّة .

وعمرو بن الحسن ، أمه ثقفية، ويقال أم ولد .

وأم عبدالله لأم ولد ، تزوجها علي بن الحسين .

وكان الحسن بن حسن بن علي وصي أبيه ، وَوُلِيَ صدقة عليّ فسأله الحجاج بن يوسف وهو على المدينة أن يُدخِلَ عمر بن علي في الوصية فأبىٰ ، ثم قَدِم الحسن علىٰ عبدالملك بن مروان فرحب به ، وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب فقال له عبدالملك : لقد أسرع إليك الشيب فقال يحيى بن الحكم : شَيَّبَتْهُ أماني أهل العراق الذين يَقْدُمُون عليه كل عام يمنُّونَه الخلافة . فقال له : ليس كما قلت . ولكنا أهل بيت يسرع إلينا الشيب .

فسأله عما قدم له فأخبره بما سأله الحجاج فكتب إليه أن يمسك عنه ووصله ، فلقي يحيى بن الحكم فقال له : ما حملك على ما قلت ؟ فقال : النظر لك . والله لولا فرقه منك ما قضى حاجتك .

فولد الحسن بن الحسن بن علي : عبدالله بن حسن بن حسن .

وحسن بن حسن بن حسن .

وابراهيم بن حسن . مات ببغداد ، وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي .

وقدم على الحسن بن الحسن بعض أخواله فقال له : مَنْ عندك من النساء ؟ قال : ابنة عمي الحسين . قال : ومالك ولبنات العم ؟ إنهنَّ

يضوين [1] وإن الغرائب أنجب ، اعرض علي بنيك ، فدعا بعبدالله فقال : هذا سيد . ثم دعا بالحسن بن الحسن بن الحسن فقال : ولابأس ، ثم دعا بابراهيم بن الحسن فلما رآه قال : حسبك منها .

وجعفر بن الحسن بن الحسن . وداود ، أمهما أم ولد .

ومحمد بن الحسن بن الحسن ، أمه رملة بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

فولد عبدالله بن حسن بن حسن بن علي : محمد . وابراهيم . وادريس مات بإفريقية . وموسىٰ ، أمهم هند بنت أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن المطلب بن أسد بن عبدالعزىٰ .

وعيسىٰ أمه عاتكة بنت عبدالملك بن الحارث بن خالد المخزومي ويحيىٰ ، أمه رُكَيح بنت أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة .

وحدثتُ أن حسن بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن كان متغيباً من المهدي أمير المؤمنين ، فبينا هو يطوف إذ عرضت له فاطمة بنت محمد بن عبدالله بن حسن في ستاره ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، اسألك بقرابتك من رسول الله ﷺ لَمَّا أمنت زوجي . قال : ومن أنتِ ؟ قالت : فاطمة بنت محمد بن عبدالله ، وزوجي الحسن بن إبراهيم . قال : وأين هو ؟ قالت : معي . فأمنه وأخذ بيده حين فرغ من طوافه ثم خلا به .

فأما عبدالله بن حسن فكان ذا عارضة ونفس أبية ، وكان يسأل الوالي الحاجة فإذا رده عنها لم يزل يعمل في أمره حتى يعزله ولم يمت حتى بلغت غلته مائة ألف ، وكان يقال لولد حسن بن حسن خلّاء البلاد .

١ - الضوى : دقة العظم وقلة الجسم خلقة ، أو الهزال .

وحدثني أبو مسعود الكوفي قال : كان عبدالله بن حسن يقول لابنه : إياك ومعاداة الرجال فإنك لن تَعدم فيها مكر حليم أو مباداة جاهل .

وكان عبدالله يرشح ابنيه محمداً وابراهيم للخلافة من قبل أن يستخلف أمير المؤمنين أبو العباس. ويُسميّ محمداً ابنه المهدي والنفس الذكية .

ويروي ذلك له المغيرة مولىً بجيلة الذي ينتسب إليه المغيرية ، وبيان التبان وكانا يكفِّران أصحاب محمد بن علي بن الحسين.فقال أبو هريرة العجلي ـ وكان أبو هريرة من شيعة محمد بن علي بن الحسين ـ :

أبـا جعفر أنت الإمـام نحبه ونرضىٰ الذي يرضى به ونبايع
أتتنــا رجــال يحملون عليكم أحاديث قد ضاقت بهن الأضالع
أحاديث أفشاهـا المغيرة عنكم وشَرّ الأمور المحْدَثَاتُ البدائع

وكان بَيَان خرج على خالد بن عبدالله القسري داعياً لمحمد بن عبدالله بن الحسن ، وخالدٌ على العراق فأدهشه خروجه ، فقال : أطعموني ماءً . ووجه إليه الخيل فأُخذ بيان وأُتي به خالداً فقتله وصلبه .

ثم خرج المغيرة عليه بعد بيان فأخذه فقتله وصلبه بحيال بيان فقال الشاعر لِخَالِدٍ :

وقلتَ لِمَا أصابَكَ أطعموني شراباً ثم بلتَ على السرير
إذا ذُكِرَ الكرام بيـوم خَيْرٍ فَأيْرٌ في حِرامِّكَ مِنَ أَمِيْرِ

وقد قيل أيضاً أن المغيرة استخفىٰ بعد قتل بيان ، فَدُلّ خالد عليه فأخذه وصلبه فقال الشاعر :

طار التجاور من بيان واقفاً ومن المغيرة عند جسر العاشر

قالوا : ولما قتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك . وكانت الفتنة ، كتب الفضل بن عبدالرحمن بن عياش بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب إلى عبدالله بن الحسن :

دونك أمر قد بدت أَشْراطُهُ وريشت من نَبله أَمْـراطُـهُ
إن السبيل واضح صِراطُـهُ لم يبق إلا السيفُ واختراطُهُ

فدعا عبدالله بن الحسن قوماً من أهل بيته إلى بيعة ابنه محمد ، وأتىٰ جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فأراده على أن يبايع لمحمد فأبىٰ وقال : اتق الله يا أبا محمد وأبق على نفسك وأهلك فإن هذا الأمر ليس فينا ، وإنما هو في ولد عمنا العباس ، فإن أبيت فادْعُ إلى نفسك فأنت أفضل من ابنك . فأمسك ولم يجبه .

واستتر محمد بن عبدالله وقد بايعه قوم من أهل بيته ومن قريش ، وكان يخرج إلى البادية فيطيل المقام بها ثم يظهر أحياناً ويستتر أحياناً ، فلم يزل على ذلك حتى بويع أبو العباس أمير المؤمنين ومحمد يومئذٍ في بلاد غطفان عند آل أرطاة بن شبيب ، وجعل يتنقل بالبادية ، وتسمَّىٰ المهدي .

وكان مروان بن محمد بن مروان يُخَوَّفُ من محمد بن عبدالله فيقول : لا تهيجوه فليس هو بالذي يُخاف ظهورهُ علينا .

قالوا : ولما بويع أبو العباس وظهر أمره استخفىٰ محمد ، وتمارض أبوه وأظهر أن ابنه محمداً قد مات ، وكتب أبو العباس إلى عبدالله بن الحسن يأمره بالقدوم عليه فقدم في رجال من أهله فأكرمهم أبو العباس وبَرَّهم ووصلهم ، وقال له : يا أبا محمد إني أُرضى من ابنك محمد بأن يبايع بالمدينة ولا يشخص إلي ؟ . فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أدري أين مستقره ،

فقال : أما إني لا أطلبه ، والله ليقتلنَّ محمد وليقتلنَّ ابراهيم ، فلما خرج من عنده قال لأخيه حسن بن حسن : ما نتهنأ باكرام هذا الرجل لنا مع كثرة ذكره محمداً وابراهيم .

وسمعه أبو العباس يقول : ما رأيت ألف ألف درهم قط مجتمعة . فدعا له بألف ألف درهم فوصله بها فقال : إنما أعطانا بعض حقنا .

وكان لا يمتنع من إظهار حسده ، فأطافه ذات يوم في مدينة يريد بناءها فجعل ينشد :

أَلَمْ تَـرَ حَوْشَبَـاً أَمْسَىٰ يُبَنِّي ... منــازِلَ نَفْعُهــا لبني بقيله
يُؤَمِّلُ أَنْ يُعَمِّرَ ألف عامٍ ... وأَمْرُ الله يَطْرُقُ كـلَّ ليله

فتطيَّر أبو العباس من إنشاده وقال : أفٍ لك . قَلَّما يملك الحسود لسانه ، فقال : أَقِلْنِي يا أمير المؤمنين فإني لم أُرد سوءاً ، فقال : لا أقالني الله إذاً ، وهجره أياماً ، واشتد عليه في طلب ابنيه فقال : تغيبا فما أدري أين هما ، فقال : أنت غيبتهما ، ثم أظهر الرجوع له وبره فدخل عليه ذات يوم وبين يديه مصحف فقال : يا أمير المؤمنين اعطنا ما في هذا المصحف بحق ما فيه ، فقال : أعطيك ما أعطاك أبوك حين ولي الأمر .

ثم إنه استأذنه في إتيان المدينة فأذن له في ذلك ووصله ومن معه ، وقضى حوائجهم وأقطع عبدالله قطائع ، وأقطع أخاه الحسن بن الحسن بن الحسن عين مروان بذي خشب [1] ، ولم يمت عبدالله حتى بلغت غلته مائة ألف درهم .

وكان عثمان بن حيان المرّي من قبل الوليد على المدينة فأساء بعبدالله

١ ـ واد على ليلة من المدينة . المغانم المطابة .

والحسن ، فلما عزل أتياه فعرضا عليه الحوائج فجزاهما خيراً ، وقال : الله أعلم حيث يضع رسالاته .

وكان عبدالله بن الحسن إذا كلم عاملاً في حاجة فلم يقضها عمل في عزله ، وقال لبنيه : إياكم ومعاداة الرجال فإنكم لن تعدموا فيها أمراً من أمرين : مكر حليم أو مباداة جاهل .

وقال عبدالله بن الحسن :

أُنسٌ غَرَائِرُ ما هَمَمْن بِرِيبَةٍ   كظِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَـرَامُ
يُحْسَبْنَ مِنْ أُنْسِ الحديثَ زَوَانِياً   وَيَصُدُّهنَّ عن الخَنَا الإسلامُ

ووليٰ أبو العباس المدينة داود بن علي بن عبدالله بن العباس عمه ، فَأَلفىٰ بها داود دعاة لمحمد فتغيبوا ، وتوفي داود بالمدينة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وقام بأمر المدينة موسىٰ بن داود بن علي بعد أبيه ، ثم قدم زياد بن عبيدالله الحارثي من قبل أبي العباس على المدينة في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فقدمها محمد بن عبدالله من البادية فدعا زياد الناس للبيعة ودعاه معهم فبايع مع الناس ، وأراد أن يحضر الناس بيعة محمد وحده ، فطُلب لذلك فاستخفىٰ ، فتكلم الناس فقال قائل : بَايَعَ وقال آخر : لم يبايع . وكتب أبو العباس إلى عبدالله بن الحسن :

أريـد حِبَـاءَهُ ويـريـد قتـلي   عَذِيْرُكَ من خليلك من مراد

فكتب إليه :

وكيف أُريدُ ذاكَ وأنت مني   وزندك حين يقدح من زنادي
وكيف أريد ذاك وأنت مني   بمنـزلـة النيـاط من الفؤاد

وكيف أريد ذاك وأنت مني وأنت لغـالب رأسٌ وهـاد

وقال بعضهم : كتب هذا البيت إلى محمد حين ظهر ، فكتب إليه بهذه الأبيات ، ثم كان بين الظاهر والمستخفي .

حدثني الأثرم عن الأصمعي عن نافع بن أبي نعيم قال : قدم عبدالله بن حسن بن حسن بن علي على عمر بن عبدالعزيز فقال له عمر : إنك لن تغنم غنيمة لا يغنمها أهلك خير من نفسك.فرجع وأتبعه حوائجه .

وكان عبدالله يقول لبنيه : اصبروا فإنما هي غدوة أو روحة حتى يأتي الله بالفرج .

خلافة المنصور

قالوا : ولما توفي أبو العباس واستخلف أمير المؤمنين المنصور كتب إلى زياد بن عبيدالله يأمره بالتشدد على عبدالله بن حسن حتى يأتيه بابنه محمد فلم يفعل وجعل يُعذر .

وكان كاتب زياد يتشيع فبلغ ذلك المنصور فكتب إليه أَنْ نَحِّ كاتبك حفصاً . فنحاه عنه ، ثم كتب زياد الى عيسى بن موسىٰ فكلم المنصور في رده فرده .

واستبطأ المنصور زياداً ، وشخص الى المدينة سنة أربعين ومائة فأعطىٰ أهل المدينة عطاء كاملاً ، وقسم فيهم مالاً وتحول زياد حين قدم المنصور عن دار الإمارة وترك داره التي أقطعه إياها أبو العباس وهي بالبلاط وهي التي يقال لها دار معاوية .

ودخل زياد على المنصور فلم يأمره بالجلوس ولم يرد عليه السلام ، ولم يزل قائماً حتى انتصف الليل ثم رفع رأسه إليه فقال : قتلني الله إن لم أقتلك . حَذَّرْتَ ابني عبدالله حتى هربا من بعدما ظهرا ، وقلت لمحمد :

اذهب إلى حيث شئت . فقال : يا أمير المؤمنين . وَجَّهتَ عقبة بن سلم في أمرهما فشخص من الكوفة فلم ينزلْ منزلاً إلا أظهر فيه سفطاً معه فيه سكاكين وقال أمرني أمير المؤمنين أن أذبح فلاناً وفلاناً ، فلما بلغهما ذلك حذرا فلو تركتني لرجوتُ أن أترفق بهما حتى يظهرا .

ثم إنه أمر زياداً بأخذ عبدالله بن حسن فأخذه وحبسه في دار مروان ، وكان المنصور قبل قدومه المدينة بعث عقبة بن سلم بن الملدّ إلى المدينة ليعلم عِلْمَ محمد فقدمها متنكراً فجعل يبيع العطر ويدس غلماناً يبيعون العطر ويسألون عن الأخبار ، وكان يبذل ويعطي في طَلبه ويكتب بالأخبار .

وكان المنصور يدس قوماً يتجرون في البلدان ويتعرفون الأخبار، ودس رجلاً أعطاه مالاً فأتى عبد الله بن حسن فأظهر التشيع وقال : إن معي مالاً أدفعه اليكم ، فوثق به وبعث معه من أوصله الى محمد وهو في جبل جهينة ، ثم علم عبدالله بعد ذلك أنه عين ، فبعث إلى محمد رجلاً من مزينة يحذره إياها فقيده محمد وحبسه عند بعض الجُهَنِيّين .

ثم إنه احتال فهرب في غراره مخيطة ولم يعرف ذلك العين اسم الرسول المزني، فبعث أبو جعفر المنصور من حمل إليه مائة رجل من المزنيين فكان صاحبه فيهم، فلما رآه أشار إليه فضرب تسعمائة سوط، واراد المسيب الضبي ضرب عنق عبد الله فمنعه المنصور من ذلك.

قالوا: وشخص المنصور من المدينة إلى الكوفة راجعاً وعبد الله محبوس،وأمر زياداً بطلب محمد وإبراهيم فغيب وقصَّر،وبلغ ذلك المنصور فعزله، ويقال إنه أغرمه مالاً ، وولى المدينة عبد العزيز بن عبد المطلب من آل كثير بن الصلت، ثم عزل عبد العزيز، واستعمل محمد بن خالد بن عبد الله

القسري على المدينة فقدمها في رجب سنة إحدى وأربعين ومائة فاستبطأه في أمر محمد، وبلغه أنه وجد في بيت مال المدينة ألف ألف درهم وسبعين ألف دينار،فأسرع في انفاقها،فعزله في سنة أربع وأربعين ومائة.وولى المدينة رياح بن عثمان بن حيان المري.فأخذ كاتب محمد بن خالد،وكان يقال له رزام فضربه وعذبه،وحبس محمدا فبعث بابنه علياً داعية إلى مصر فدل عليه وحمل إلى المنصور فأمر بحبسه.

وكان محمد بن عبد الله قدم إلى البصرة.فأرسل إلى عمرو بن عبيد صاحب الحسن.فلقيه فطالت النجوى بينهما فلم يجبه عمرو إلى شيء ووعظه وحذره الدماء وسوء العواقب.

وقدم المنصور البصرة فأرسل إلى عمرو أن الناس مجمعون على أنك قد بايعت محمداً، فقال عمرو: والله لو قلدني الناس أمرهم على أن اختار لهم إماماً مااخترته،فكيف أبايع محمداً.

وكتب المنصور على لسان محمد كتاباً إلى عمرو بن عبيد فلما قرأه قال للرسول: ليس له جواب على ذاك،قل له: دعنا عافاك الله نعيش في هذا الظل، ونشرب هذا الماء البارد حتى يأتينا الموت،فلما رجع الرسول إلى المنصور أخبره فقال: هذه ناحية قد كُفيناها.

قالوا: وضيق رياح على عبد الله بن الحسن وأخذ أخاه حسن بن حسن وعدة من أهلها فحبسهم، وحج المنصور سنة أربع وأربعين ومائة فتلقاه رياح بالربذة فأخبره بما صنع بعبد الله ومن معه، وقد كان حملهم يتلقى المنصور بهم، فدعا المنصور بعبد الله فأغلظ عبد الله له فأمر ببيع متاعه واصطفاء ماله، فبيع متاعه وصُيِّر في بيت المال بالمدينة، فأخذ مالك بن أنس

الفقيه رزقه من ذلك المال بعينه اختياراً منه.

ودعا المنصور بعقبة بن سلم فقال لعبد الله: أتعرف هذا؟ فسقط في يده، وكان يراه فلا يدري أنه عين عليه وعلى ولده، وأمر المنصور بحمل عبد الله ومن أُخذ معه ومحمد يومئذ بجبال رضوى.

وكان محمد بن عبد الله المطرف بن عمرو بن عثمان بن عفان قد زوج ابنته من ابراهيم بن عبد الله فأخذه المنصور بأن يدله على ابراهيم فأبى فضربه بالربذة ستين سوطاً، فقال له قولاً غليظاً تعدى فيه فضربه مائة وخمسين سوطاً، وحُمل مع القوم، وكان يقال لمحمد هذا الديباج.

وبعث المنصور عيسى بن علي عمه إلى عبد الله وهو بالربذة، فقال له: قل له أذكِّرك الله في نفسك وأهل بيتك، أظْهِر ابنيك وخذ على أمير المؤمنين ماشئت من عهد وميثاق، فقال: إني لاأجيب بشيء إلا أن يأذن لي أمير المؤمنين عليه فأكلمه، فأبى المنصور أن يأذن له عليه وقال: يسحرني بلسانه كما سحر غيري.

وقال بعض الرواة إن عبد الله وأهل بيته لم يكونوا مع رياح بالربذة ولكن المنصور وجَّهَ أبا الأزهر فحملهم من المدينة إلى الربذة، ومضى بالقوم ومضى معه إلى مكة، ثم انصرف إلى العراق وهم معه، فلم يزل عبد الله بن حسن محبوساً عنده حتى مات في محبسه بها شيمية الكوفة وهو يومئذ ابن اثنتين وتسعين سنة[1] ودفن عندها بقرب قنطرة الكوفة على الفرات

وتوفي حسن بن حسن بن حسن بن علي بالهاشمية أيضاً في حبس أبي جعفر سنة خمس وأربعين ومائة، وكان حسن صاحب جد فقدم السيالة في

١ - في هامش الأصل مايفيد أنه برواية أخرى «سبعين».

أيامه وبها إبراهيم بن هرمة(١) يشرب في أصحاب له وقد نفد ما معه فكتب إليه يعلمه ان قوما أتوه، وأنه لاشيء عنده وكتب في أسفل كتابه:

إني أُجِلُّكَ أنْ أقول لحاجتي فإذا قرأتَ صحيفتي فَتَفَهَّمِ
وعليك عهد الله أن أُخِبْر بها أهل السيالة إن فعلتَ وإنْ لمِ

قال: وعليّ عهد الله إن لم أخبرهم، فأخبر العامل بخبره وخبر أصحابه. فلما بلغ ابن هرمة ذلك فَرَّقَ أصحابه.

ولما بلغ محمد بن عبد الله حبس أبيه، ويقال موته، خرج بعد أيام بالمدينة، وصار إبراهيم إلى البصرة وأتى الأهوار فأمر المنصور بالعثماني فقتل.

وقال أبو اليقظان: ضرب المنصور عنقه صبراً، وشهر رأسه، وأظهر أنه رأس محمد، وبعث به إلى خراسان.

وقال المدائني: وجد المنصور كتباً للعثماني إلى محمد بن عبد الله فأحفظه ذلك فدعا به فأمر فضربت عنقه، وبعث برأسه إلى خراسان.

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء قال: مر المنصور بعبد الله بن حسن وهو مغلول مقيد في محمل بلا وطاء، فقال له: ياأمير المؤمنين، مافعل رسول الله هذا بأسارى بدر، فلم يكلمه بشيء.

---

١ ـ كان من الخلج من قيس عيلان، مولعاً بالشراب، ولما ولي المنصور شخص إليه وامتدحه، فاستحسن شعره، وقال: سل حاجتك، قال: تكتب إلى عامل المدينة أن لايحدني إذا أتي بي إليه وأنا سكران، قال أبو جعفر: هذا حد من حدود الله تعالى وماكنت لأعطله، قال: فاحتل لي فيه ياأمير المؤمنين، فكتب إلى عامل المدينة: من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده مائة جلدة، واجلد ابن هرمة ثمانين، فكان العون يمر به وهو سكران فيقول: من يشتري ثمانين بمائة. ويجوزه. الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤. وانظر الأبيات في شعر ابن هرمة ط. دمشق ١٩٦٩ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ مع فوارق.

وحدثني بعض أصحابنا عن الزبير بن بكار عن أحمد بن محمد عن محمد بن حوب قال: قال عبد الله بن حسن لابنه محمد حين أراد الاستخفاء من المنصور: يابني إني مؤدٍ إلى الله حقه في نصيحتك، فأدِّ إلى الله حقه في الاستماع والقبول، يابني كُفَّ الأذى، واستعنْ على السلامة بطول الصمت في المواطن التي تدعوك نفسك إلى الكلام فيها، فإن الصمت خير على كل حال إذا لم يكن للكلام موضع، وللمرء أوقات يضر فيها خطأه ولاينفع صوابه، واعلم أن من أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان والأناة بعد الفرصة، وأحذر الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر العاقل إذا كان لك عدواً.

خروج محمد بن عبد الله بن حسن ومقتله

قالوا: أقبل محمد بن عبد الله بن حسن في ولاية رياح بن عثمان بن حيان بن معبد المرّي المدينة في مائة وخمسين، وهو على حمار ويقال على أتان حتى أتى بني سلمة من الأنصار، فأقام وتوافى إليه أصحابه، ثم أتى السجن فأخرج من فيه فأقبل حتى أتى بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية الذي يقول فيه الأحوص بن محمد الأنصاري:

يابيتَ عاتكة الذي أتَعـزَّلُ   حَذَرَ العِدَى وبه الفؤاد مُوَكَّلُ[1]

فجلس على بابه وهو يقول: لاتقتلوا أحداً وادخلوا المقصورة فدخلوها وأحرقوا باب الخوخة، ودخلوا دار مروان وفيها رياح، وكان رياح يقول: أبدا هذه الدار مِحْلالٌ مِطْعَانٌ وأنا أول ظاعن عنها، فصعد رياح مشربة في الدار وهدم الدرجة، وصعدوا إليه فأنزلوه، وأمر محمد بحبسه وحبس أم ولد[2] له وأخرج محمد بن خالد القسري من الحبس وكان المري حبسه وابن أخيه نذير بن يزيد بن خالد بن عبد الله.

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ـ ط. القاهرة ١٩٩٠ ص٢٠٧ .

٢ ـ في الحاشية مايفيد أنه في رواية أخرى «أخ».

وأصبح محمد فبايعه الناس وخطبهم فقال: ياأهل المدينة إني والله ماخرجت فيكم للتعزز بكم فلغيركم أعزمنكم، وماأنتم بأهل قوة ولاشوكة، ولكنكم أهلي وأنصار جدي فحبوتكم بنفسي، والله ما من مصر يُعبد الله فيه إلا وقد أخذتْ لي دعاتي فيه بيعة أهله، ولولا ماانتهك مني وَوُتِرْتُ به ماخرجتُ.

ووجه حسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر إلى مكة فقدم حسن بن معاوية على مقدمته أبا عدي عبد الله بن عدي بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس الذي يقول للوليد:

إنَّ سَيْرِيْ إليكَ من قن أرضٍ لِمَنَ الحزم والفِعَال السَّدِيدِ
عبد شمس أبوكَ وهو أبونا لاتُنَادِيكَ من مكانٍ بعيدِ
والقرابات بيننا واشجاتٌ مُحَكماتُ القِوَى بعقدٍ سديدِ
فاثبني ثواب مثلك مثلي تَلْقَني للثواب غيرَ جَحُودِ

فكان أبو عدي يقدم مولى لبعض أهل المدينة يقال له سلجم أمامه حتى قدموا مكة وعليها السريُّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب فكان سلجم ينادي: ابرز يابن أبي عضل، وكان الحارث بن العباس يلقب أبا عضل، فكانت فيه لُكْنَةٌ.

فتنحى السريّ عن مكة، وكان خروج محمد ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، ويقال لأربع عشرة ليلة خلتْ من شهر رمضان في عَامِهِ ذلك سنة خمس وأربعين، وسارع أهل المدينة إلى بيعة محمد وقالوا: هذا الذي كنا نسمع به: «العجب كل العجب بين جمادى ورجب».

وأمر محمد بن عبد الله ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن طلحة بن

عمر بن عبيد الله بن معمر ببيعته فأباها وقال: قد بايعت لأبي جعفر المنصور أمير المؤمنين، فكان المنصور يقول له بعد مقتل محمد بن عبدالله: لو كان بالمدينة آخر مثلك لم يقتل محمد نفسه.

وكان الذين خرجوا مع محمد: جُهينة ومُزينة وأهل المدينة، وقدم الكوفة رجل في تسع ليالٍ فأخبر بخروج محمد، فلما تبين المنصور صِدْقَهُ أمر له بتسعة آلاف درهم كل ليلة بألف.

ولما ورد ذلك الرجل الكوفة كتب إلى المنصور يخبره وهو ببغداد يقدر بناء مدينته بها، فشخص من يومه حتى أتى الكوفة وقال: أطأ أسمختهم، وأقطعهم عن إمداد محمد بن عبد الله بن حسن فإنهم سِراع إلى أهل هذا البيت.

وغدر محمد بن خالد القسري بمحمد بن عبد الله وقال له: إن لك هذه اليد باخراجك إياي من الحبس فَسَمِّ لي من بايعك من أهل العراق حتى أكتب إلى مواليَّ هناك وأهل بيتي ومعاضدتهم ومكاتفتهم في أمرهم. فَسَمَّى له من بايعه، فكتب إلى المنصور بأسمائهم فظفر محمد بالكتاب والرسول.

وكان قد قال له أيضاً: إني مطاع بالشام فابعث أخاك موسى بن عبد الله مع ابن أخي نذير بن يزيد بن خالد ومولاي رزام ليدعو الناس بالشام إلى طاعتك، ويأخذ لك موسى البيعة عليهم ففعل، فخلفاه بدومة الجندل وقالا له: انتظرنا حتى نُحْكِمَ لك الأمور ثم نشخص، ثم مضيا إلى المنصور فأخبراه خبره ليوجه إليه من يحمله، فلم يُقِمْ موسى، وانصرف إلى المدينة لاسترابته بهما حين فارقاه، وأخذ محمد بن عبد الله محمد بن خالد القسري فحبسه.

كتاب المنصور إلى محمد بن عبد الله

وكتب المنصور إلى محمد بن عبد الله حين خرج: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله وَرسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدينا ولهم في الآخرة عذاب عظيم* إلا الذين تـابوا من قبل أن تقدروا عليهم فإن الله غفور رحيم﴾(١) فإن تبتَ ورجعتَ من قبل أن أقدر عليك فلَكَ أن اؤمنك وجميع اخوتك وولدك وأهل بيتك وأتباعك، وأعطيك ألف ألف درهم.

فكتب إليه محمد: ﴿طسم* تلك آيات الكتاب المبين* نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون* إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً ليستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين* ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين* ونمكنّ لهم في الأرض ونُريَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون﴾(٢).

١ ـ سورة المائدة ـ الآيتان: ٣٣ ـ ٣٤

٢ ـ سورة القصص ـ الآيات: ١ ـ ٦.

وقال في كتابه: إن الله اختارنا واختار لنا فولدنا من النبيين محمد أفضلهم مقاماً، ومن السلف أولهم إسلاماً، ومن الأزواج خيرهُنَّ خديجة الطاهرة وأول من صلى القبلة، ومن البنات خيرهنَّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، ومن المولودين في الإسلام الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة. وإن هاشماً ولد علياًمرتين وأن عبد المطلب ولد حسناً مرتين، فأنا أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أمّاًوأباً. لم تَعْرَق فيَّ العجم، وانا ابن ارفع الناس درجة في الجنة وابن أهْوَنِهم عذاباً في النار؛ ولك الأمان إن دخلت في طاعتي فأنا أولى بالأمر منك، وأولى بالوفاء بالعهد، فأيُّ الأمانات ليت شعري أعطيتني: أمان ابن هبيرة؟ أم أمان عمك عبد الله بن علي؟

فكتب إليه المنصور: قد بلغني كتابك، فإذا جُلَّ فخرك بقرابة النساء لتَغُرّ بذلك الجُفاة والغوغاء، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والعصبة، وقد جعل الله العم أباً وبدأ به قبل الوالد فقال: ﴿نعبد إلهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل وإسحاق﴾[1] فسمى اسماعيل أباً وهو عم يعقوب.

ولقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ وله عمومة أربعة فدعاهم وأنذرهم فأجابه أثنان أحدهما أبي، وأبى الإسلام اثنان أحدهما أبوك، فقطع الله وراثتهما وولايتهما عنه.

وزعمت أنك ابن أخف الناس عذاباً يوم القيامة وابن خير الأشرار، وليس من الكفر بالله صغير، وماشيء من عذاب الله بخفيف، وليس في الشرار خير، وليس ينبغي لمسلم يؤمن بالله أن يفخر بأهل النار.

وأما مافخرت به من أن علياً ولده هاشم مرتين، وأن عبد المطلب أبوه

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية: ١٣٣ .

أبو طالب وأمه فاطمة بنت سيد بني هاشم ولد حسناً مرتين، فخير الأولين والآخرين رسول الله ﷺ لم يلده هاشم ولاعبد المطلب إلا مرة واحدة.

وفخرت بأنك لم تلدك العجم، ولم تعرق فيك أمهات الأولاد، فقد فخرت على من هو خير منك نسباً وآباء أولاً وآخراً ابراهيم بن رسول الله ﷺ، كانت أمه مارية القبطية.

وما ولد فيكم أفضل من علي بن الحسين وهو لأم ولد وهو خير من جدك حسن بن حسن، وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي بن الحسين وأمه أم ولد.

وأما قولك أنكم بنو رسول الله ﷺ، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾[1] ولكنكم بنو بنته وهي رحمها الله لاتحرز الميراث، ولاترث الولاء، ولايحل لها أن تَؤُمّ، فكيف تورث بهذا إمامة.

وأما ماذكرتَ من أمر علي فقد حَضَرَتِ النبي ﷺ الوفاة فأمر غيره بالصلاة. في كلام طويل.

قالوا: وكانت أم علي بن الحسين سجستانيه تدعى سلافة تزوجها، فكان عبد الملك بن مروان يقول أن علي بن الحسين ليرتفع من حيث يتضع الناس.

قالوا: وأقام محمد بالمدينة حسن السيرة، وبلغه خروج ابراهيم أخيه بالبصرة[2] فكان يقول لأصحابه: ادعوا الله لإخوانكم بالبصرة واستنصروه

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية: ٤٠ .
٢ ـ المرجح أن خروج ابراهيم بالبصرة كان بعد مقتل النفس الذكية.

على عدوكم.

قالوا: وكتب المنصور في حمل سلم بن قتيبة وكان بالري مع المهدي، فلما قدم عليه قال: كيف تركت أبا عبد الله. قال: أكمل الناس لو بسطتَ من يده. قال: ياأبا قتيبة إن أبي وأباك رجلان ليس الفساد من شأننا، ثم قال له: قد خرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة. قال: ليس بشيء، خرج بأرض ليس بها حلقة[1] ولا كراع، قال: وقد خرج إبراهيم بالبصرة. قال: قد خرج بأرض لو شاء أن يقيم بها سنة يبايعه كل يوم ألف رجل ويضرب له فيها كل يوم ألف سيف لايعلم به أحد لأمكنه ذلك.

ثم قال: إنْوِ ياأمير المؤمنين العفو تظفر. قال: هو رأيي. قال: فأبشر ياأمير المؤمنين بالظفر والنصر.

قالوا: ووجه المنصور عيسى بن موسى إلى المدينة للقاء محمد بن عبد الله فقال له: ياأبا موسى. انك لتسير إلى حرم الله، وأهله ثلاث طبقات: طبقة قريش وهم قرابة رسول الله ﷺ وقومه بيضتي التي تفلقت عني، وطبقة «المهاجرون» والأنصار، وطبقة تجار جاوروا قبر النبي ﷺ، وأقاموا في حرمه. فإذا قتل محمد فارفع السيف ولاتتبعوا مُوَلِّيَاً ولاتجهزوا على جريح ولاتذبحوا فيها طائراً، وان طلب محمد الأمان فاعطوه إياه. أفهمت ياأبا موسى؟ ثلاث مرات يرددها. قال: نعم، فقال المنصور: اللهم اشهد، اللهم اشهد.

فتوجه في أربعة آلاف ومعه محمد بن أمير المؤمنين أبي العباس، وفي الجيش محمد بن زيد بن علي بن الحسين وغيره من ولد علي عليهم السلام.

ثم قال أبو جعفر لعيسى بن موسى: إني أعيد عليك الوصية: إن قتلت

١ - الحلقة: السلاح.

محمداً أو أسرته أسراً فلا تقتل أحداً، وإن قتل محمد بن أبي العباس فضلاً عن سواه أحداً بعد قتل محمد أو أسره فَأَقِدْه به. وإن فاتك محمد واشتمل عليه أهل المدينة فاقتل كل من ظفرت به من أهل المدينة.

وكان مع عيسى بن موسى حُميد بن قَحْطبة الطائي، فسار عيسى بذلك الجيش، وبلغ محمداً خبره فخندق على المدينة، وخندق على أفواه السكك.

فلما كان عيسى بِفَيْد كتب إلى محمد يعطيه الأمان، وكتب إلى أهل المدينة يعرض عليهم الأمان أيضاً، وبعث بالكتاب مع محمد بن زيد بن علي والقاسم بن حسين بن زيد، فلما قدما به قال محمد بن زيد: ياأهل المدينة، تركنا أمير المؤمنين أصلحه الله حياً معافى وهذا عيسى بن موسى قد أتاكم فاقبلوا أمانه. فقالوا: إشهد أنا خلعنا أبا الدوانيق.

وأقبل عيسى بن موسى إلى المدينة فكان أول من لقيه ابراهيم بن جعفر الزبيري على ثنيَّة واقم[1]، فعثر بابراهيم فرسه فسقط فقتل.

وسلك عيسى بطن قناة[2] حتى ظهر على الجرف، فنزل قصر سليمان بن عبد الملك صبيحة اليوم الثاني عشر من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وهو يوم السبت وأراد تأخير القتال حتى يفطر فبلغه أن محمدا يقول: أهل خراسان على بيعتي، وحميد بن قحطبة قد بايعني ولو قد رآني انقلب إلي.

وكان المنصور أمر القواد أن يكاتبوا محمداً ويطمعوه في أنفسهم لأنه كان على المضي إلى اليمن، فلما فعلوا أقام ولم يبرح المدينة.

ويقال ان حميداً خاصَّةً كان قد بايعه بمصر أو وعده مبايعته، قالوا

---

١ ـ واقم: اطم من آطام المدينة، على مقربة من مسجد قباء. المغانم المطابة.
٢ ـ قرب أحد.

وعاجله عيسى فلم يشعر أهل المدينة يوم الاثنين للنصف من شهر رمضان إلا بالخيل قد أحاطت بهم حين أسفر الصبح، وقال عيسى لحميد: أراك مداهناً، وأمره بالتجريد لمحمد فالتقوا فقاتلهم عيسى بن زيد ومحمد جالس بالمصلى، واشتد الأمر بينهم، ثم نهض محمد فباشر القتال فكان بازاء حميد بن قحطبة، وكان بازاء كثير بن الحصين العبدري يزيد وصالح ابنا معاوية بن عبد الله بن جعفر، وكان محمد بن أمير المؤمنين أبي العباس وعقبة بن سلم من ناحية جهينة، فطلب صالح ويزيد الأمان من كثير فأمنهما وأعلم عيسى ذلك فلم ينفذ أمانهما، فقال لهما كثير: امضيا إلى حيث شئتما فهربا.

وكانت أم يزيد وصالح فاطمة بنت الحسن بن علي، فكان عبد الله بن حسن خالهما، ومحمد ابن خالهما.

واقتتلوا إلى قريب من الظهر، ورماهم أهل خراسان بالنشاب فأكثروا فيهم الجراح، فتفرق الناس عن محمد ورجع إلى دار مروان فصلى فيها الظهر واغتسل وتحنط. فقال له عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن المسور بن مخرمة الزهري: إنه لاطاقة لك بمن ترى فالحق بمكة. فقال: إن فُقِدْتُ من المدينة قتل أهلها كما قتل أهل الحرة، وأنت مني في حلٍ ياأبا جعفر فاذهب حيث شئت.

وخرج محمد إلى الثنية فقاتلوه فقال: ياحميد أتقاتلني وتنكث بيعتي فهلم أبارزك. فقال حميد: ياأبا عبد الله لاأبارزك وبين يدي هؤلاء الأغمار فإذا فرغت منهم برزت لك، فحدثني بعض ولد حميد بن قحطبة قال: كانت هذه المقالة من محمد مكيدة لحميد.

قالوا: وجثا محمد على ركبتيه وجعل يذبّ بسيفه ويقول: ويحكم إني

مُخْرَجٌ مظلوم، وجعل الناس يتفرقون فقال له ابراهيم بن خضير[1] - هذا هو مصعب بن مصعب بن الزبير لقب خضيراً وكانت أمه أم ولد - لو شئت لحقتَ بأخيك ابراهيم بالعراق. فقال: ماكنت لأخيف أهل المدينة مرتين، مرة في خروجي وبعده.

ومضى ابراهيم بن خضير إلى السجن فذبح رياح بن عثمان المري، ولم يجهز عليه فلم يزل يضطرب حتى مات، وكان إبراهيم بن خضير على شرطة محمد بن عبد الله، ومضى ابراهيم بن خضير إلى محمد بن خالد بن عبد الله القسري ليقتله في محبسه فَنُذِرَ به، فردم باب البيت دونه فعالجه ابن خضير فأعياه فتركه ونجا محمد، وقدم الكوفة.

ورجع ابن خضير إلى محمد فقاتل بين يديه حتى قتل ابن خضير وقتل معه علي بن مالك بن خثيم بن عراك الغفاري، وسعيد بن أبي سفيان الصيرفي، في آخرين.

وصابرهم محمد إلى العصر ثم جعل الناس يتفرقون عنه وهو يقول: يابني الأحرار إلى أين؟. وقتل بيده اثنى عشر رجلاً، وولي حميد بن قحطبة قتاله عند المساء فقال له: اتق الله واذكر بيعتك، فيقال إن حميداً قال له: وأنت أيضاً فَافْشِ سرك إلى الصبيان، وولده يقولون أنه قال له: أبهذا يكاد مثلي. وقال غيرهم: قال له: إنما خدعناك.

وعرض لمحمدٍ رجلٌ فضرب ذقنه فسقطت لحيته على صدره فرفعها بيده وقال: ناولوني شيئاً أشدها به، فرُميَ إليه من سطح هناك بشقة

---

١ - خضير هو مصعب بن مصعب بن الزبير. انظر جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار - ط. القاهرة ١٣٨١هـ ص٣٣٨ - ٣٤١ .

شَطَوية(١) فشد بها لحيته، ورُميَ بنشابة في صدره وطعنه رجل من خلفه فأرداه عن دابته فسقط على يديه ثم استقل قائماً، ورماه رجل بصخرة فأصابت منكبه فأثخنته. وطعنه حميد في صدره فصرعه مثبتاً ونزل إليه فاحتز رأسه وأتى به عيسى بن موسى وعنده القاسم بن حسن بن زيد وغيره، فقالوا: هذا رأس محمد بعينه. وانهزم الناس، وانتهى عيسى إلى ماأمره به المنصور.

وبعث عيسى بعدة ألوية فنصبت في مواقع متعددة، ونادى مناديه: من أتى لواء من الألوية المنصوبة فهو آمن.

وبقي محمد بن عبد الله في مصرعه بقية يومه وليلته، وأصبح وقد سُلِبَ وهو ملقى على وجهه، ومطرت السماء تلك الليلة مطراً جواداً.

وأرسلت أخته زينب بنت عبد الله إلى عيسى: قد قضيتم أربكم منه فأذنوا لنا في دفنه، فأذن لهم فدفنوه في البقيع.

وبعث عيسى بن موسى برأس محمد بن عبد الله مع ابن أبي الكرام محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فدخل به على المنصور وهو عاض على أنفه.

حدثني أبو مسعود الكوفي وغيره قالوا: جعل محمد بن عبد الله بن محمد ـ ويكنى أبا عبد الله ـ يقول يوم قتل:

مُنْخَرِقُ الخُفَّيْنِ يشكو الوجا تُنَكِّبُهُ أطراف مَرْوٍ(٢) حِدَاد
أفردَني الخوف فلا أَمْنَ لي كذاك مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلَاد

١ ـ نسبة إلى شطا، قرية بأرض مصر. لب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي ـ ط. مصورة، دار المثنى، بغداد.

٢ ـ المرو: حجارة بيض براقة توري النار، أو أصلب الحجارة. القاموس.

قد كان في الموت له راحةٌ والموتُ حَتْمٌ في رقاب العباد

وحدثني مصعب بن عبدالله الزبيري قال : قال محمد بن عبدالله للغاضري: ابشر، فقد بويع لي بالشام وخراسان والمصرين. فقال : يا بن أم ، اجعل الأرض كلها لك ، وهذا عيسى بالأعوص [1] ما ينفعك منها ، والله ما أصبح قوم يعرفون آجالهم غيرنا .

قالوا : وكان أبو العباس زَوَّجَ محمداً ابنه زينب بنت محمد بن عبدالله ، فلما قتل أرسل ابن أبي العباس إلى عمتها زينب بنت عبدالله بن الحسن : إني أريد أن أدخل على أهلي فافرغوا من أمرها . فأرسلت عمتها إلى عيسى بن موسى : سبحان الله أرسل محمد إليَّ بكذا وقد قتلتم أباها بالأمس ويُعرس بها اليوم ، والله ما رقأ دم أبيها بعد .

فأرسل إليها عيسى ، يا ابنة عم ، ما علمتُ بهذا ، ولكنه غلام حديث السن سيء الأدب ، وأرسلَ إلى محمد بن أبي العباس يُسَفِّهُه ، ولما لقيه تناوله بسوطه وقال له : يا مائق [2] ، أما والله ما هي بضغينة ، فما كان بؤمنك أن يحضرها عَقْلُها فتطلبَ بثارِها وتشتمل على سكين فإذا أُفضَيْتَ إليها قَتَلَتْكَ فتكون قد أخذتْ قود أبيها قبل جفوف دمه .

ثم تزوجها عيسى بعد ، ويقال ضُمَّتْ إلى محمد بعد ذلك ، فلما مات تزوجها عيسى بعده ، ثم خلف عليها محمد بن إبراهيم الإمام ، ثم ابراهيم بن ابراهيم بن حسن بن زيد بن حسن بن علي ، ثم عبدالله بن حسن بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن فتوفيت عنده .

١ ـ الأغوص : موضع على أميال من المدينة يسرة . المغانم المطابة .
٢ ـ أي يا أحمق .

وكان مقتل محمد لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة .

وأمن عيسى الناس وخرج يريد مكة صبيحة تسع عشرة ليلة من شهر رمضان ، فلما كان بملل أتاه كتاب المنصور بخروج إبراهيم بن عبدالله بن حسن بالبصرة وأمره بالقدوم عليه ، ويقال بل أتاه كتاب المنصور بالعرج [١] فرجع إلى المدينة فبات بالأعوص ، ثم سار فقدم على أمير المؤمنين المنصور .

وكان الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بمكة فلما قتل محمد خرج من مكة ، وظهر السري بن عبدالله ، وكان هشام بن عروة ، وأيوب بن سلمة المخزومي قد بايعا محمد بن عبدالله فَأُمِّنا حين اعتذرا .

وقال ابن هرمة الفهري ودعاه محمد فلم يجبه :

عجبتُ لأحلام الأُولى ضل رأيهم ... وكانوا على وجه من الحق لا حبِ
دَعَوْني وقد شالت لابليس رايةٌ ... وأُوقد للغاوين نار الحباحب
فقلت لهم هذا من الشهر نغبة[٢] ... تنافي المنايا لست فيها بلاعب
أنا الليث تَغْتَرُّون يحمي عرينَهُ ... وتَلْقُونَ جهلاً اسده بالثعالب
فما أحكمتني السن إن لم يبدكم ... وما يقضنني ماضيات التجارب[٣]

ولما أتى ابراهيم مقتل أخيه محمد قال :

---

١ ـ العرج : موضع بين الحرمين ، على ثمانية وسبعين ميلا من المدينة ، مسيرة يومين وبعض الثالث .

٢ ـ النغبة : الجرعة ، والجوعة ، واقفار الحي . القاموس .

٣ ـ الأبيات نفسها غير موجودة في ديوان ابن هرمة وهناك أبياتاً اخرى من البحر الطويل وعلى القافية نفسها ولعل الأبيات المذكورة أعلاه تنتمي للقصيدة نفسها . انظر ، ديوان ابن هرمة طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق علم ١٩٦٩ ص ٧٦ .

يابا المبارك يا زين الفوارس من يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا
الله يعلم أني لو خشيتُهُم وَأَوجَسَ القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أُسلم أخي لهمُ حتى نعيش جميعاً أو نموت معا

وكان محمد يقول : إني لم أخرج حتى بايعني أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، وواسط ، والجزيرة ، والموصل ، ووعدوني أن يخرجوا في الليلة التي خرجت فيها .

وخرج عثمان بن إبراهيم التيمي الى اليمامة ليأخذها لمحمد فلم يصل إليها حتى بلغه قتل محمد .

قالوا : وكان محمد أسمر أرقط مخضوب الرأس بصفرة من أبناء ستين ، وكان أخوه ابراهيم شاباً قد وَخَطَهُ الشيب حلو الوجه خفيف اللحية فأفاءً ، وكان أيْداً شديد البطش ، وكان يكنى أبا إسحاق ، ويقال أبا الحسن .

وحدثني بعض أشياخنا قال : أرسل المنصور قبل خروج محمد بن عبدالله إلى عيسىٰ بن موسىٰ بن محمد بن علي فلما دخل عليه ذكر له أمر محمد وإبراهيم فقال : قد بهضني أمرهما وظننت أني إذا أخذت أباهما وعمومتهما وقرابتهما ظهرا لي سلم أوحرب وقد هدآ في مربضهما وقَرَّا في مكمنهما يلتمسان لي الغوائل ويتربصان بي الدوائر ، وترك إطفاء جمرة الشيطان قبل تأججها من تضييع أسباب الدولة ، وفي تضييع أسباب الدولة حلول البلاء ، وأنا أريد أن أبعثهما من مربضهما ، واستنهضهما من مكمنهما وأنصب الحرب لهما فإني أرجو أن ينصر الله ورثة نبيه ويعزهم بالحق الذي جعله لهم وأكرمهم به ، وينتقم لنا أهل البيت من الحاسدين الساخطين لما جرىٰ لنا به قضاؤه ،

فما الرأي فيما ذكرت لك ، وكيف وجه العمل فيما أعلمتك .

فقال عيسى : إن من سوء التدبير تركك الاستعداد للأمر المخوف قبل وقوعه فأرشد الله أمير المؤمنين وأدام توفيقه ، ومن الصواب أن تولي يا أمير المؤمنين المدينة رجلاً من أهل بيتك له مَكْرٌ ونُكْرٌ، وتأمره بطلبهما، والبحث عنهما ، وإذكاء العيون عليهما ، حتى يُظفرك الله بهما ، فقال : يا أبا موسىٰ ، إن عداوتهما لنا باطنة لم يظهروها فإن استكفيتُ أمرهما رجلاً من أهل بيتي منعته الرحم من مكروههما وحجزته القرابة عن طلبهما ، قال : فَوُلِّ المدينة رجلاً من أهل خراسان له حَدٌّ وجِدّ ، ومُرْهُ يقعد لهما بكل مرصد ولا يَفْتَر عن طلبهما حتى يَظْفَرَ بهما . فقال : يا أبا موسىٰ إن محبة آل أبي طالب في قلوب أهل خراسان ممتزجة بمحبتنا ، وإن وَلَّيْتُ أمرهما رجلاً من أهل خراسان حالت محبته لهما بينه وبين طلبهما والفحص عنهما ولكن أهل الشام قاتلوا علياً على أن لا يتأمَّر عليهم لبغضهم إياه ، ثم مات علي وهلك الذين قاتلوه فقام بنوه من بعده يطلبون الأمر فقام أبناء أهل الشام الذين قاتلوه فمنعوا بنيه الأمر وسفكوا دماءهم للبغض الذي ورثوه عن آبائهم ، فالرأي أن أولي المدينة رجلاً من أهل الشام ، فولىٰ رياح بن عثمان بن حيان المري المدينة وشحذه على طلب محمد وابراهيم ، فلما قدم المدينة صعد المنبر فقال : يا أهل يثرب لا مقام لكم فاربعوا[1]، أنا ابن عم مسلم بن عقبة الشديد الوطأة ، كان عليكم الوبيل الوقعة بكم الخبيث السيرة فيكم ، ثم أنتم اليوم عقب الذين حصدهم السيف ، وايم الله لأحصدنَّ منكم عقب الذين حَصَدَ ، ولأُلْبِسَنَّ الذل عقب مَنْ أَلْبَسَ .

---

١ ـ الربع : الدار حيث كانت ، والمحل والمنزل . القاموس .

ثم وضع على محمد وإبراهيم الأرصاد حتى خرج محمد في أهل المدينة وقتل رياح ، فلما قتل في محبسه خرج صبيان أهل المدينة يكبرون حول جثته ويقولون :

سَلَحَتْ أم رياح فأتتنا برَيَاحِ
فأتَتْنَا بأميرٍ ليس من أهل الصَّلاحِ
ما سمعنا بأميرٍ قبل هذا من سِفَاحِ

قالوا : ولما جاء المنصور خبر خروج محمد بن عبدالله قال : ألا تعجبون لهذا القاطعَ المُشَاقّ ، ترك هذا الأمر وهو لبني أمية مستقيم فلما فتقناه عليهم وثلمناه ، فَوَهَتْ عُراهُ ، واسترخى طَنَبُه ، وضعف عموده فصار لنا شديد العرىٰ محكم العقد والقوى عرض فيه للحين والردىٰ ، وبالله استعين عليه وعلى كل باغ .

قال وكان المنصور حين أتاه خبر محمد نازلاً بالدير الذي علىَ الصّراة من بغداد ، وهو يرتاد له منزلاً ، فاختار الموضع الذي يعرف بالخلد ، فلما قرأ الكتاب الوارد عليه بخبره استوى قاعداً فَتَلَا قول الله عز وجل : ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾ [1] .

ثم أمر فنودي في الناس بالرحيل وحملت الأثقال .

وقال : آتي الكوفة فاطأُ أصمختهم وأنزلُ على رقابهم وأكونُ مكبحةً لهم ، ثم دعا بثيابه ودابته فلما قُرِّبَتْ ليركبها تَمثَّل قول جذل الطعان الكناني :

سيروا إلى القوم يا خزاع ولا يأخذنكُمُ من لقائهم وَجَلُ

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٦٤ .

فالقوم أمثالكم لهم شعـــ ـــر في الرأس لا ينشرون إن قُتِلُوا

ثم ركب دابته فبات بنهر صرصر ، ثم غدا متوجهاً إلى الكوفة فنزل قصر أبي الخصيب مولاه .

قال : فلما قتل محمد بن عبدالله بالمدينة ، وابراهيم بالبصرة أقبل إلى بغداد ومعه عبدالله بن الربيع الحارثي يسايره ، فقال له عبدالله بن الربيع : لقد كان عبدالملك حازماً ، قال : أجل ، كان رجل قومه فما بلغك عنه ؟ قال عبدالله : بلغني عنه يا أمير المؤمنين أنه لما أنشد قول الأخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتوا باطهار (١)

قال : لا والله ما أتيت امرأة منذ وقعت حرب عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث حتى انقضت . فقال المنصور : وأنا والله يا أبا الربيع فما كشفت لامرأة كنفاً منذ وقعت حرب محمد وابراهيم حتى انقضت .

وقال السندي بن شاهك : كنت أيام حرب محمد وابراهيم وصيفا أقوم على رأس المنصور ، فلما غلظ أمرهما مكث على مصلى بضعاً وخمسين ليلة لا يتنحىٰ عنه ولا يجلس ولا ينام إلا عليه ، وعليه جبة ملونة ، فتدنست واتسخ جيبها وما تحت لحيته منها فما غيّرها حتى فتح الله عليه ، وكان إذا جلس للناس لبس فوقها سواداً وقال لا أغيرها حتى أدري أهي لمحمد وابراهيم أم لي .

قال السندي : وأتته رَيْسانة قَيِّمةُ جواريه في تلك الأيام وأنا قائم على رأسه ، وقد قدم عليه إسحاق الأزرق مولاه بامرأتين من قريش كان بعثه في خطبتهما : إحداهما فاطمة بنت محمد من ولد عيسى بن طلحة بن عبيدالله ،

١ ـ ديوان الأخطل ـ ط . بيروت ١٩٨٦ ص ١٤٤ .

وأمة الكريم بنت عبدالله ، من ولد خالد بن أسيد ، فقالت له : يا أمير المؤمنين إن هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما وساءت ظنونهما لما ظهر لهما من جفائك إياهما ، فانتهرها وزبرها وقال : أهذه الأيام من أيام النساء ؟ لا سبيل إليهما حتى أعلم أرأس ابراهيم لي أم رأسي له .

قالوا : وأتي المنصور برجل معه كتب إلى أهل الكوفة من محمد وابراهيم فأمر بضرب عنقه ، فذكر أنه مجبر مقهور محتاج كثير العيال ، فأمر بتخلية سبيله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني استُحلِفْتُ أن أوصل الكتب إلى اصحابها إلا أن يحاط بي ، وقد مَنَّ أمير المؤمنين علي ، فقال : خذها هبلتك أمك . فتناول الكتب ومضى فأوصلها ، فلم تزل منازل من كتب إليه بطون الأرض حتى توفي المنصور ، فبقي منهم بعد ذلك رجل أو رجلان .

قالوا : وخرج محمد ثم خرج ابراهيم فقال المنصور :

تفرقت الظباء على خداش ... فما يدري خداش من يصيد

وقال حين قُتلا :

فألقتْ عصاها واستقرت بها النوىٰ ... كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

قالوا : ولما قدم ابراهيم بن هرمة على المنصور وقد بلغه أن محمداً دعاه فلم يجبه ، وقال في ذلك شعره الذي قاله ، قال المنصور : يا إبراهيم ، سلني حوائجك . فقال : إن في هذه الأرواح الصننة [1] ، وإنما دواؤها شرب النبيذ ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلى عامله ألا يَحُدَّني فيه فَعَل . قال : لا سبيل إلى هذا ولكن اكتبوا له أن يجلد من أخذه مائة ويجلده ثمانين ، فقال : قنعت . فكان يقول إذا سكر بالمدينة : من يشتري ثمانين بمائة .

---

١ ـ الصن : البول ، وذفر الابط . القاموس .

وحدثني الحسن بن علي الحرمازي ، وأبو العباس الفضل بن العباس الهاشمي عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله وغيرهما فسقتُ حديثهم ورددت من بعضه على بعض أن أبا بكر بن أبي سبرة كان عاملاً لرياح بن عثمان على مسعاة أسد وطيء ، فلما خرج محمد بن عبدالله دفع إليه ما كان معه من المال وقال : استعن به على أمرك فلما قتل محمد قيل لأبي بكر اهرب فقال : ليس مثلي هرب فأخذ أسيراً فطرح في حبس المدينة وكان الحابس له عيسى بن موسى ، ويقال خليفته كثير بن الحصين العبدي ، وولي المدينة بعد عيسى بن موسى عبدالله بن الربيع الحارثي ، ويكنى أبا الربيع فعاث جنده وأفسدوا فوثب بهم أهل المدينة فقتلوا منهم وطردوا باقيهم وأخرجوا عبدالله عن المدينة وانتهبوا متاعه . فنزل بير المطلب يريد العراق ، واجتمع سودان ورعاع وقلدوا أمرهم ورئاستهم أسود يقال له اوتيوا ـ فكان السودان فيما ذكر الحرمازي يدعونه أمير المؤمنين ، وجاؤوا فكسروا باب السجن وأخرجوا من فيه ، وأخرجوا أبا بكر بن أبي سبرة فأرادوا فك حديده فأبى ذلك ، وأقام فخطب ودعا إلى طاعة المنصور وحذر الفتنة ، فقيل له : تقدم فَصَلِّ ، فقال : ان الأسير لا يَؤُمّ ، ورجع إلى السجن فأقام به ، واجتمع القرشيون فخرجوا إلى ابن أبي الربيع بما ذهب له أو آكثره ، وأرضوا من بقي من جنده .

ورأى ابن أبي ذئب اولئك السودان فقال لبعضهم : ما هذا ؟ فقال : هذا اوتيوا أميرنا وهو أمير المؤمنين . فقال ابن أبي ذئب وهو يبتسم : يا رب ان كان في سابق علمك ان يلي أمرنا أوتيوا هذا فارزقنا عدله .

وأتى محمد بن عمران بن ابرهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله أوتيوا

وقد خَفَّ من معه فلم يزل يخدعه حتى أمكنته الفرصة منه فقبض عليه ، وأمر به فأوثق ، وتفرق السودان بعد أن أخذ أوتيوا وقبض كل رجل على أسود منهم ، ومات أوتيوا في السجن وكان مثقلاً بالحديد ، ويقال إنه مات جوعاً ، وقال الحرمازي قتل قتلاً .

وقال هشام ابن الكلبي : ولى المنصور محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة قضاء المدينة ، ثم ولى المنصور جعفر بن سليمان المدينة فأمره باطلاق ابن أبي سبرة وقال : إن كان أساء ، فقد أحسن بما كان منه .

بسم الله الرحمن الرحيم
أمر ابراهيم بن عبدالله ومقتله .

قالوا : قدم ابراهيم ومحمد البصرة فنزلا على أبي حفص مولى آل كريز المازني ، ثم رجع محمد إلى المدينة ، فتحول ابراهيم فنزل عند المغيرة بن الفَزْع بن عبدالله بن ربيعة بن جندل أحد بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، ثم تحول إلى بني راسب ، ثم جعل يتنقل ، وهو الذي يقول لرجل معلم يقال له ابن مسعدة ، وكان يخدم بعض من استخفى عنده :

زعم ابنُ مسعدة المعلِّمُ أنَّهُ　　سَبَقَ الرجال بـراعةً وبيـانا
وَهُوَ المُبِينْ عن الحمامة شجوها　　وهو الملحّن بَعْدَهَا الغربانا

وكان يقول : ان الحمامة تقول كذا فيفسر معنى تغريدها ، ويقول : الغراب مُلحّن إنما ينبغي أن يقول غاق وغاق .

فكان خروجه في أول يوم من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، ولم يكن أراد الخروج ذلك اليوم ولكنه حُذِّرَ أن يُسعى به ، فقيل : أخرج والا بُعِثَ اليك فأُخِذْتَ، فخرج في عشرين أو أكثر، منهم المغيرة بن الفَزْع ، وعبدالله بن المسور بن عمر بن عباد بن الحصين التميمي ،

وعبد الواحد بن زياد بن عمرو العتكي ، فأتى مقبرة بني يشكر فأقام بها ساعة ، فاجتمع اليه قوم ، ثم سار حتى أتى دار الإمارة وبها سفيان بن معاوية ، بن يزيد بن المهلب ، وهو عامل البصرة ، وقد كان خاف خروج ابراهيم فتحصَّن واتخذ عدَّةً للحصار ، ومع سفيان في الدار ستة عشر رجلًا ، فنزل ابراهيم عند مسجد الأنصار ، ثم عسكر عند مسجد الحرورية ، وقدم البصرة قائدٌ أمر به سفيان قبل خروج ابراهيم بليلة ، فبعث إليه ابراهيم المضاء بن القاسم التغلبي فلقي القائد فهزمه المضاء ، وأرسل ابراهيم لَبْطَةَ بن الفرزدق إلى نهيلة بن مرة بن عبد العـزيز التميمي ، ثم أحد بني مـلادس بن عبد شمس بن سعد يدعوه إلى بيعته فأباها فقال له لبطة : أمِنْ خوف سياط أبي جعفر تمسك عن مبايعته ؟ فأتاه فبايعه ، واعتزل سوار بن عبدالله العنبري القضاء في أيام ابراهيم ، فتولَّاه عباد بن منصور .

قالوا: وأخرج جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي سلاحاً واجتمعا ومواليهما في كتيبة خشناء، فقاتلوا أصحاب ابراهيم المبيضة[1]، وجعل محمد بن سليمان يعبىء الكراديس في المربد فقال له عبد الجبار بن قطري مولى باهلة: إن هذه التعبئة لاتكون في السكك ولكن أَقِمْ بمكانك فإن رأيت خللاً فَسُدَّهُ، فلم يقبل منه.

---

١ - في هامش الأصل: «كانوا إذا أرادوا الخروج عن طاعة بني العباس أظهروا ذلك بلبسهم البياض المخالف لشعار بني العباس، الذي هو السواد». وفي الحقيقة يحمل هذا الشرح بعض الصحة، لأن شعار الدولة الأموية كان البياض، وكذلك كان شعار الشيعة، ويرى بعضهم أن العباسيين اتخذوا السواد شعاراً لهم مخالفة لهؤلاء، وعليه كان اظهار البياض هنا منسجماً مع تقليد مذهبي وليس مباينة لبني العباس.

والتقوا فانهزم محمد وجعفر قبل أن يكون بينهما وبين القوم كبير قتال، وكان محمد يومئذ على فرس كان لملبد الخارجي يقال له الملبدي، وأمر ابراهيم المغيرة بن الفزع أن يأتي السجن فيخرج من فيه ففعل.

ووقف ابراهيم عند القصر فطلب سفيان منه الأمان فأمنه، فخرج ثم أظهر أنه يخافه على أنه يشغب ويفسد فحبسه.

ودخل إبراهيم دار الإمارة فنزلها أياماً، ثم تحول فنزل الخُرَيْبَة، وبيَّضتِ القبائل، وبعث ابراهيم رجلاً فوجد أخاه محمداً قد قتل.

وولى ابراهيم شُرَطَهُ معاوية بن حرب، ووجه مغيرة بن الفزِع على حرب الأهواز، وولى خراجها عفو الله بن سفيان الثقفي، فقاتلهم محمد بن الحصين العبدري فغلبوا على الأهواز وهزموا محمداً، وغلب محرز الحنفي على كرمان، فلما قُتل ابراهيم هرب إلى السند، وأقام أهل عُمان والبحرين على طاعة المنصور، وأراد قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس أن يخرج عن اليمامة فقال له أهلها: نحن في طاعة المنصور فأقام.

وبلغ ابراهيم قتل محمد وهو يمضغ قصب سكر ويمصه فلم يظهر جزعاً وتجلد، ثم عزاه الناس، وغلب له برد بن لبيد اليشكري على كسكر، وسار إلى واسط ومعه حفص بن عمر من ولد الحارث بن هشام المخزومي، فكان يصلي بالناس، والحرب إلى برد بن لبيد. فبعث المنصور حرب بن عبد الله، وأسد بن المرزبان وعمر بن العلاء مولى بني مخزوم، وبعث ابراهيم عبد الخالق الخاقاني ومعه المفضل بن محمد الضبي الراوية، وكان المفضل يراعي ابراهيم ويتعرف خبره قبل خروجه، فلما قرب خروجه خرج إلى البصرة فجعل الناس يتكلمون في قدومه أياماً ولايَدْرُون لماذا قدمها، حتى خرج

ابراهيم فخرج معه فقاتل أصحاب المنصور بُرْدَاً وعبد الخالق ومن معهما، فانهزم برد وعبد الخالق وأصحابهما، وكفَّ الخراسانية عنهم.

وحدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال: كان سفيان مدهناً في إبراهيم، وجعل أصحاب ابراهيم حين خرج ينادون سفيان وهو محصور: اذكر بيعتك يوم كذا، وقال له خليفته على الشرطة: إني مررت بمقبرة بني يشكر فرُمِيتُ بالحجارة، فقال: أو ماكان لك طريق غير مقبرة بني يشكر؟.

وكان كردم السدوسي يغدو على سفيان ويروح إلى ابراهيم فلا يعرض له هذا ولاهذا، وقال سفيان لقائد من قواد ابراهيم: أقم عندي فليس كل أصحابك يعلم ماكان بيني وبين ابراهيم.

وقدم على المنصور جعفر بن سليمان بن علي فولاه البصرة، وكتب له عهده عليها، وبعث سلم بن قتيبة وكتب له أيضاً عهداً على البصرة، وقال له سلم: اجعل لي أيمان أهل البصرة. فقال أيمانهم إليك.

وقدم عيسى بن موسى بن محمد بن علي من الحجاز فَسَرَّحَهُ المنصور لحرب ابراهيم والمبيضة، فيقال إنه أمره أن يمضي على سُنَّته ولايدخل الكوفة.

وأمر المنصور باعطاء الناس أعطياتهم وبلغ ابراهيم الخبر فأجمع على المسير إلى عيسى فقال له المضاء: لا تفعل وأقم بمكانك ثم وَجِّه الجنود، فسار واستخلف ابنه الحسن بن ابراهيم على البصرة وسير على شرطه نُمَيْلَة بن مرة، فلما انتهى ابراهيم إلى قناطر ابن دارا أقام في باخمري وقد اجتمع إليه أصحابه. وكان ابراهيم لما حبس سفيان قيده بقيد خفيف ليتبرأ عند أبي جعفر من ممالأة ابراهيم. وكان ذلك عن إرادة من سفيان. وحمل سفيان إلى باخمرى.

قالوا: وكان جعفر بن سليمان قد جمع الطعام والعلف في معسكر له

ومعه سلم بن قتيبة وأبو دُفافة العبسي، فارتحل إبراهيم يريد عيسى واتبعه جعفر، فقال المضاء لابراهيم: صِرْ إلى معسكر جعفر الذي كان فيه فتحصن به، فأبى ذلك وأبَتْهُ الزيدية أيضاً، وكان مع إبراهيم أحد عشر ألفاً: سبعمائة فارس والباقون رجالة، فجعل إبراهيم على ميمنته عبد الواحد بن زياد بن عمرو العتكي، وعلى ميسرته برد بن لبيد اليشكري، وحملوا على أهل عسكر عيسى حتى خالطوه فتضعضع أهل عسكر عيسى وجالوا ثم انهزموا.

وجاء جعفر بن سليمان وأصحابه من خلف أصحاب ابراهيم وذلك أنهم عَبَرُوا نهراً كان وراءهم وكان أول من عبره سلم بن قتيبة وأصحابه فنادى الناس: الكمين، الكمين. وانهزم أصحاب ابراهيم، وكرَّ أصحاب عيسى بن موسى فوضعوا سيوفهم فيهم فقتلوا من جهتين، وقُتل ابراهيم وصبر بعض الزيدية فقُتلوا، وقُتل برد وعبد الواحد بن زياد وعبد الوارث بن الحواري .

ونادى منادي عيسى: من ألقى سلاحه فهو آمن. وأمر برفع السيف عن فلِّهم، فادعى عقبة بن مسلم أنه قتل ابراهيم، وإنما قتله غيره.

وكان الحر اشتد على ابراهيم في الحرب فألقى درعه وقاتل، فأصابته نشابة مات منها، ويقال إنه نزع ثيابه ليقع في الماء فأدرك فقُتل.

ووجه عيسى من احتز رأسه فبعث به إلى المنصور، فأمر فطيف به في الكوفة، وقال المنصور: «ياأهل الكوفة، ياأهل المدرة الخبيثة، تقولون إنه سمع في عسكر إبراهيم قائل يقول: أقدم حيزوم تشبهونه بعسكر رسول

الله ﷺ»، ووبخهم وقال: لعنكِ الله من بلدة، ولعن أهلكِ. والله للعجب لبني أمية كيف لم يقتلوا مقاتلتكم ويَسْبُوا ذريتكم.

ولما قتل ابراهيم أخرج جعفر عهده، وأخرج سلم عهده فقال له جعفر بن سليمان، عهدي قبل عهدك، فدعني أدخل البصرة أميراً، ثم تأتي بعدي فأقام سلم ودخل جعفر فأمن الناس ثم قدم سلم فأقام أشهراً ثم ولى المنصور البصرة محمد بن سليمان بن علي وقال: إنما وليت جعفراً وسلماًوإبراهيم بالبصرة ليقاتلاه ويُؤَمنا الناس فتقاعدا عنه.

ويقال إن المنصور كتب إلى سلم في قطع نخيل أهل البصرة ممن خرج مع ابراهيم، فغبَّب عنهم فعزله،

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء قال: لما خرج ابراهيم سنة خمس وأربعين ومائة كتب المنصور إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي يعجزهما ويوبخهما على نزول ابراهيم مِصْراً هُمَا بِهِ لايعلمان بأمره، وتمثل:

أَبْلغ هُدْيتَ بني سعد مُغَلْغَلَةً فاستيقظوا إن هذا فِعْلُ لوَّام
تَعْدُو الذئاب على من لاكلاب له وتَتَّقِي صَوْلَةَ المُسْتَنْفِرِ الحامي

ولما جاء المنصور خبر محمد وابراهيم جعل ينكت على الأرض بمخصرته ويقول:

ونصبتُ نفسي للرماح دريئة إنَّ الرئيس لمثل ذاكَ فَعُوْلُ

وكان المنصور يقول: إنما جَرَّأ إبراهيم على المسير إلى البصرة اجتماع أهل الكوفة وأهل السواد على الخلاف والمعصية والميل إليه. وقد رميت كل ناحية بحجرها، وكل كورة بسهمها، ووجهت إليه الميمون النجد عيسى بن موسى، واستعنت بالله واستكفيته.

وكان هارون بن سعد العجلي شيعياً فعاب خروج إبراهيم فقال:

يا من له كان ذو الرويَّـ ـة والهيئة منا في الدينُ متّبِعَا
أبينما لمت منتهى أهل الأمـ ـة إذْ قيلَ صار مبتدعا
يالهف نفسي على تَفَرُّقِ ما قد كان منها عليك مجتمعا

قالوا: ووجه المنصور أبا خزيمة خازم بن خزيمة التميمي إلى المغيرة بن الفَزع، وهو بالأهواز فواقعه فهزمه وهزم أصحابه، وهرب المغيرة إلى البصرة فاستخفى بها، وكان حسان مولى أمير المؤمنين على بريدها فافتعل أماناً من المنصور لابن الفزع جعل له فيه ذمة الله وذمة رسوله ألا يُهَيِّجَهُ ولايُرَوِّعَهُ ولايَعْرِض له بسوء في نفسه وشعره وبشره وماله وولده ولايؤاخذه بما كان منه، وأن يجزل صلته ويرفع قدره ويقوده على من أحب الفريضة من قومه.

ودعا رجلاً من موالي بني قُرَيع فاقرأه الأمان، وكتاباً كأنه ورد عليه من المنصور في أمره وقال له: أنا أعلم أن المغيرة يسمع منك ويقبل قولك، وأنك إن شئت أن تعرف موضعه وتصل إليه فيه عَرَفْتَهُ وَلَقِيْتَهُ، فَخُذْ هذا الكتاب وهذا الأمان واقرأهما عليه.

فلما صار الرجل إليه قرأ عليه الكتاب والأمان وأشار عليه بالظهور، فدعا المغيرة قومه فناظرهم، فكلهم رأى له أن يظهر فقبل ذلك منهم وخرج حتى أتى حسان. وقد أعلم حسان محمد بن سليمان أمره، فاعترضه رسل محمد فأخذوه وأتوه به فحبسه، وكتب إلى المنصور في أمره فوجه المنصور أسد بن المرزبان، ومعه الريان مولى أمير المؤمنين لقتله، فأُخرج من السجن، وسلمه محمد إليهما فقطع أسد يديه ورجليه ثم قتله وصلبه في القافلانيين[1]

١ ـ من محال البصرة حيث حرفة من كان يشري السفن ويكسرها ويبيع خشبها وقيرها وقفلها، وهو حديدها. اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ـ ط. بيروت دار صادر.

وقال بعضهم: أخذه محمد بن سليمان بأمان ثم قتله.

وأخذ المسيب بن زهير الضبي الأمان للمفضل الضبي الراوية بعد أن استخفى وتنقل في البوادي، وأُخذ أصحاب ابراهيم وعماله فقتلوا في البوادي والنواحي. وقَتَل هشام بن عمرو التغلبي الحسن بن ابراهيم بن الحسن بالسند، وكان قد هرب إليها، وقُتل عبد الله بن محمد بن عبد الله بالسند أيضاً وتوارى المضاء بن قاسم التغلبي.

وكان نُميلة قد أطلق سفيان وأخرجه من محبسه فأُمن وصار يعد في أصحابه.

وبلغ المنصور أن سفيان بن معاوية كان يقول: ماسرني أني شركت في دم إبراهيم وأن لي سُوْدُ النَّعَم وحُمْرِهَا. فكان المنصور يقول:-مارأيته إلا أظلم مابيني وبينه.

وولى المنصور سوار بن عبد الله إيمان الناس وتسكينهم، ففعل.

وحُدثت عن أبي عاصم النبيل أنه قال: لما دخل ابراهيم الدار وخرج سفيان منها بُسِطَ له حصير فقلبته الريح، فتطيَّر له من ذلك.

وبعث إلى محمد وجعفر ابني سليمان،وكانت أمهما أم الحسن بن جعفر بن حسن بن حسن: يقول لكما خالكما: إن أحببتما جواري وفي الأمن والسعة والرحب، وإن كرهتماه فاذهبا إلى حيث شئتما ولاتسفكا بيننا دماً.

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي قال: خرج ابراهيم بالبصرة فأخذها، ووجه إلى الأهواز وفارس، وولى خراج الأهواز عفو الله بن سفيان الثقفي،وحصر سفيان بن معاوية ثم أَمَّنَهُ فخرج عن دار الإمارة، فوجه

المنصور عامر بن اسماعيل السلمي[1] في جيش عظيم فنزل واسطاً، ووجه إلى البصرة جيشاً.

ثم إن إبراهيم خاف غدر أهل البصرة واختلافهم وقصيتهم، فأقبل نحو واسط فحاربه عامر بن اسماعيل، ثم مضى ابراهيم يريد الكوفة، وقد قدمها عيسى بن موسى من الحجاز، ووجهه المنصور لمحاربته فالتقيا بقرية تدعى باخمرى. فهزم ابراهيم عيسى هُنَيَّة. وكان جُلُّ أصحاب ابراهيم رَجَّالة، ثم عطفت عليه خيل عيسى ورجاله فقُتل، ورجع عيسى إلى الكوفة.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال: كان المغيرة بن الفزع من أشد الناس في أمر ابراهيم فأُخذ وقُتل، وكان الذي تولى قتله أبو الأعور الكلبي، فقال أبو زياد الكلبي.

مَنْ مبلغٌ عليا تميم بأننا نصبنا على الكَلَّاء بالمشط مَعْلَمَا
نصبنا لكم رأس المغيرة بائناً وجثمانُه بالجذع عُرْيَانَ ملحما

قالوا: تزوج ابراهيم بهكْنة بنت عمر بن سلمة الهجيمي، فكان يونس النحوي يقول: جاء ابراهيم ليزيل ملكاً فألهتْه امرأة بطيبها وخضابها، وأُتي المنصور بالقيمية فتركها بمزجر الكلب حتى فرغ من أمر ابراهيم.

وكان عمر بن سلمة على فرس أبلق فقال ابراهيم:

أما القتال فلا أراك مقاتلاً ولئن فررتَ ليعرفَنَّ الأبلق

قالوا: وحمل رأس محمد ورأس إبراهيم إلى خراسان، ثم رُدَّا، فدفنهما الذي حملهما تحت درجه في منزله بدرب أبي حنيفة في مدينة أبي جعفر ببغداد، وقال بعض بني مجاشع للمنصور:

١ ـ المسلمي في رواية أخرى (من هامش الأصل).

ابرزْ فَقَدْ لاقيتَ هَبْرَزِيّا[١] أَبيضَ يدعو جَدُّهُ عَليا
وجَدُّه من أمه النَّبِيَّا

قالوا : وكان إبراهيم يذكر بني العباس فيقول : عظَّموا ما صَغَّر الله ، وصغَّروا ، ما عظَّم .

وقال بشار الأعمى في إبرهيم :

أقول لبسام عليه جلالة غَدَا أَرْيَحِيًّا في الرجال الأكارم
من الفاطميين الدعاة الى الهدى قياماً وما يهديك مثل ابن فاطم[٢]

حدثني الحسن بن علي الحرمازي وغيره ، قالوا : كان سديف بن ميمون مولى بني هاشم مائلاً الى محمد بن عبدالله ، وقبل ذلك كان مائلاً الى المنصور قبل خلافته ، فوصله المنصور حين استخلف بألف دينار ، فلما خرج محمد دفع الألف دينار إليه تقوية له ، وخرج معه وأجلبَ على المنصور وهجا ولد العباس ، فلما قُتل محمد صار إلى إبراهيم أخيه بالبصرة فلما قُتل خاف سديف على نفسه فهجا بني الحسن فقال :

بني حسنٍ أحدثوا توبة فليس الحديث كما تزعمونا
أَقُلْتُم يكون لنا قائمٌ فنحن بقائمكم كافرونا

وقال أيضاً :

كَذَبَتْ بنو حسنٍ وربِّ محمدٍ ماالعم كابن العم في الميراث

وكان المنصور يقول : كأني بسديف يتهكم عند إبراهيم .

قالوا: وقال سديف وقد صعد إبراهيم المنبر :

١ - الهبرزي : الأسد . القاموس .
٢ - هما في ديوان بشار ص ٥٩٣ - بيروت ١٩٩٣ بشكل مختلف تماماً .

إيهاً أبا اسحاق منيّتها في صحة منك وعمر طويل
أذكُرْ هداك الله دحل[١] الألى سيرتهم في مُصْمِتَات الكُبُول

يعني أباه ومن حمل معه ـ فلما قتل إبراهيم هرب سديف واستخفى وكتب إلى المنصور :

أيها المنصور ياخير العرب خير من ينميه عبد المطلبْ
أنا مولاك وراج عفوكم فاعْفُ عني اليوم من قبل العَطَبْ

واحتال بالكتاب حتى وصل اليه فوقّعَ فيه :

ما نَمَاني مُحَمَّدُ بن عليٍّ إنْ تَشَبَّهْتُ بعدها بِوَلِيِّ

ثم إنه قتل :

وقال إبراهيم بن علي بن هرمة يعتذر الى إبراهيم بن عبد الله :

يابن الفواطم خير الناس كلهم عند الفخار وَأَوْلَاهُم بتطهير
إني لَحَامِلُ عُذْرِي ثم ناشِرُهُ وليس ينفع عُذرٌ غير مَنْشُورِ
وحالف بيمين غير كاذبة بالله والبُدْنِ إذ كُبَّتْ لتنحير
لقد أتاك العدا عني بفاحشةٍ منهم فَرَوُهَا بإسرافٍ وتكثير
لا تَسْمَعَنَّ بنا إفكاً ولا كذباً ياذا المعالي وياذا المجد والخَيْرِ[٢]

ويقال إنما اعتذر الى غيره منهم في أمر بلغه عنه .

وكان قُرَّةَ الصيرفي عيناً لأبي جعفر المنصور على إبراهيم فضربه إبراهيم وحبسه ، فلما قتل إبراهيم قال له أبو جعفر : مرحباً بك يا قرة ، مازلت أدعو الله لك بالسلامة . ووصله .

١ ـ الدحل : نقب ضيق فمه متسع أسفله حتى يمشى فيه ، أو مدخل تحت الجرف ، أو خرق في بيوت الأعراب يجعل لتدخله المرأة إذا دخل داخل .

٢ ـ ليست في ديوانه المطبوع .

خروج يحيى بن عبد الله بن الحسن

قالوا : وخرج يحيى بن عبد الله بن حسن بالجبل ، وصار الى ناحية الديلم فتوجه اليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك وزير الرشيد هارون أمير المؤمنين ، فجعل لملك الديلم ألف ألف ، فسلمه اليه على أن أعطاه الرشيد الأمان من القتل ، فكان محبوساً عند السندي بن شاهك فمات في الحبس

خروج الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي عليه السلام

وخرج في سنة تسع وستين ومائة الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة ، ثم أتى مكة فلقيه موسى بن عيسى بن موسى ، والعباس بن محمد بن علي ، ومحمد بن سليمان بن علي ، وسليمان بن أبي جعفر وهو على الموسم فقُتل بفخ[1] ، وبُعث برأسه إلى موسى الهادي أمير المؤمنين ، فنصب على الجسر ببغداد ، فصار علي بن محمد بن عبدالله بن حسن إلى مصر فحمل منها فمات ببغداد[2] .

وكان ادريس بن عبدالله بن حسن في وقعة فخ مع الحسين بن علي ، فهرب في خلافة الهادي إلى مصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور الذي يُعرف بالمسكين ، وكان واضح يتشيع فحمله على البريد الى المغرب فوقع الى أرض طنجة ، وأتى بعض مدنها فاستجاب له من بها من البربر .

١ ـ فخ : واد بمكة . معجم البلدان .

٢ ـ لمزيد من التفاصيل انظر مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني ـ ط . القاهرة ١٩٤٩ ص ٤٣١ ـ ٤٦٠ .

فلما استخلف الرشيد بعد موسى الهادي أُعلم ذلك فضرب عنق واضح ، ودسَّ الشماخ مولى المهدي وكتب له إلى إبراهيم بن الأغلب وهو عامله على إفريقية فأنفذه إلى بلاد طنجة ، فادعى الشماخ الطب ، فدعاه ادريس ليسأله عن وجع عرض له في أسنانه فأعطاه سنوناً فيه سم كان معه ، ثم هرب فطُلب فلم يُقْدَر عليه ، ومات ادريس وصار مكانه ابن له يقال له ادريس أيضاً .

قال الشاعر :

أَتَظُنُّ يا ادريس أنَّكَ مُفْلِتٌ كَيْدَ الخليفة أو يَقِيْكَ حَذَارُ
إنَّ السيوف إذا انتضاها سخْطُهُ طالتْ وقُصِّرَ عندها الأَعمارُ

وكان موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن ذا عارضةٍ وبيان فأخذه المنصور ثم عفا عنه ، وفيه يقول الشاعر :

إنك إمَّا كنتَ جوناً أُترعا[1] أخاف أن تضرهم وتنفعا
وتسلكُ العيسُ طريقاً ميهعا فرداً من الأصحاب أو مُشَيَّعَا

وكان موسى آدم ، وولدته أمه ولها ستون سنة ، وكان موسى أُحْدَثَ عَيْنَاً فَكَرِهَ ذلك أصحاب الانضاح فقال :

يا ويحهم من هذه المسفوحَةْ إذا غَدَتْ أطباؤها[2] مفتوحةْ
وأصبحتْ وجوههم مقبوحهْ

فقال له رجل من ولد مطيع من بني عدي بن كعب يقال له محمد بن

---

١ ـ الجون : الأسود والأبيض ، والنور والظلمة ، والأسود تخالطه حمرة . وأترعه : ملأه . المعجم الوسيط .

٢ ـ الطبي : حلمات الضرع . القاموس .

اسماعيل : يا أبا حسن ما وفقت فيما صنعتَ وقلتَ ، فقال له حسن : ومن أنت ، انما أنت ذَنَبٌ في قريش ، فحلم عنه المطيعي وسكت فلم يجبه ، ثم التقيا بعد ذلك فأحَدَّ موسى النظر إليه فقال المطيعي : أتحُدّ النظر إلي وتستطيل بالخيلاء علي ، أغَرَّكَ حلمي عنك وعفوي عما كان منك ، ولخير لك أن تَرْبَع على ظلعك وتقيس فترك بشبرك وتعرف حالك من حال غيرك .

فقال له موسى: والله لَمَا أُعِدُّكَ ولا أَعْتَدُّ بك، والله إنك الغَوِيُّ الغَبِيُّ القريب من كل سوء ، البعيد من كل خير . وما ذكرُك شبري وفتري ، فان فتري من شبري ، وشبري من فتري من كَفٍّ رحبة الذراع ، طويلة الباع يُقيمها ما يُقْعِدكَ ، ويرفعها ما يَخفضك ، مهما جَهلت مني فأني عالم بأني خير منك أماً وأباً ونفساً. وإن رَغِمَ أَنفُكَ وتصاغرت إليك نفسك .

وكان موسى شاعراً حَدِيَتْ[1] عنده أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق وهي التي يقال لها :

يعجبني من فِعْلِ كلُ مُسْلِمَهْ مثل الذي تفعل أم سَلَمَهْ
إقصاؤها عن زوجها كل أَمَهْ لأنها قِدْماً تُسامي المكرُمَهْ

وكتب موسى إليها يأمرها بالشخوص إليه في العراق فأَبَتْ فكتب إليها :

إني زعيمٌ أَنْ أجِيء بِضُرَّةٍ فَراسَيةٍ فرَّاسة للضرائر

فقال الربيع بن سليمان مولى محمد بن عبدالله بن حسن :

أبنْتُ أبي بكرٍ تكيدُ بضرةٍ لعمري لقد حاولتَ إحدى الكبائر

فكتب موسى إليها :

---

١ ـ حدي بالمكان : لزمه فلم يبرح . القاموس .

لا تتركيني في العراق فإنها بلادٌ بها أهل الخيانة والغدر
فإني زعيم أن أجىء بضُرَّةٍ مقابلةُ الأجداد طَيِّبَةُ النَّشْر
إذا انتسبت من آل شيبان في الذرا وَمُرَّةَ لم تَحْفَلْ بفضلِ أبي بكر

وكان جعفر بن الحسن بن الحسن أخو عبدالله بن الحسن وعم محمد وابراهيم من رجال بني هاشم ووجوههم ، واختصم ولد الحسن والحسين في وصية علي فقال كل قوم هي فينا ، فكان زيد بن علي بن الحسين يخاصم لولد الحسين ، وكان جعفر بن الحسن يخاصم لولد الحسن .

وتزوج سليمان بن علي أم الحسن بن جعفر فولدت محمد وجعفراً ابني سليمان ، ومات جعفر بالمدينة .

وكان بالرقة محمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي ، وتلقب إبراهيم بن حسن طباطبه وقدم أبو السرايا السري بن منصور الشيباني مفارقا لهرثمة بن أعين القائد في سبعمائة من قومه فدعاه محمد بن ابراهيم فأتاه فبايعه على الدعاء إلى الرضا من آل محمد .

وشخصا حتى دخلا الكوفة فصار أبو السرايا إلى قصر العباس بن موسى فأغلقوا دونه أبوابه ورمي ومن معه ، وكان مع أبي السرايا رجل يكنى أبا الشوك فرمى خادماً كان بين شرفتين فانقلب على رأسه ، ودخلوا القصر فأخذوا ما كان فيه ، وبايعه أهل الكوفة وذلك سنة تسع وتسعين ومائة ، فوجه اليهم الحسن بن سهل وهو خليفة المأمون ببغداد ، وكان ينزل الشماسية زهير بن المسيب الضبي في أربعة آلاف فهزمه أبو السرايا عند قنطرة الكوفة وأخذ ما كان معه ، وصار زهير إلى بغداد .

ثم إن محمد بن ابراهيم الطالبي مات بالكوفة بعد قدومه إياها بأقل من شهر ويقال بأربعين ليلة .

أمر الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

قالوا كان الحسن أَسَنَّ من الحسين بسنة ويقال بأقل منها ، وكان الحسين يكنى أبا عبدالله ، وكان شجاعاً سخياً ، وكان يُشَبَّه بالنبي ﷺ ، إلّا أنّ الحسن كان أشبه وجهاً بوجه رسول الله ﷺ منه ، ويقال إنه كان يشبه رسول الله ﷺ من سرته إلى قدميه .

وقال رسول الله ﷺ : «حسين مني وأنا منه ، أَحَبَّ الله من أَحَبَّ حسيناً . حسين سبط من الأسباط» .

حدثنا محمد بن مصفى الحمصي ، ثنا العباس بن الوليد عن شعبة عن بُريد بن أبي مريم عن أبي الحوراء السعدي قال : قلت لحسين بن علي : ما تذكر من رسول الله ؟ قال : أُتي رسول الله ﷺ بتمر من تمر الصدقة فأخذتُ منه تمرة فجعلتُ ألوكها ، فأخذها بلعابها حتى ألقاها في التمر وقال : «إن آل محمد لا تحل لهم الصدقة» .

قال وكان يقول : دع ما يريبك إلى ما لايريبك فإن الكذب ريبة ، وإن الصدق طمأنينة .

شبر وشُبَيْر ومُشْبر

حدثني هشام بن عمار، ثنا عيسى بن يونس، ثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: سمع رسول الله ﷺ بكاء حسن أو حسين فقام فزعاً فقال: «أيها الناس، الولد فتنة، لقد قمتُ إليه وما أَعْقِلُ».

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن هانىء عن علي عليه السلام قال: ولد لي ابن سميته حرباً. فقال رسول الله ﷺ: ما سميتموه؟ قلنا: سميناه حرباً. فقال: هو حسن. ثم ولد لي آخر فسميته حرباً فقال رسول الله ﷺ: ما سميتموه؟ قلنا: حرباً، قال: هو حسين. ثم ولد لي ابن آخر فسميته حرباً فقال رسول الله ﷺ ما سميتموه؟ قلنا: حرباً. قال: هو محسن، إني سميت بنيَّ هؤلاء بأسماء ولد هارون: شبر وشبير ومشبر.

فولد حسين: علياً الأكبر وأمه ثقفية، قتل بالطَفّ، وكان يقاتل وهو يقول:

أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنُ عليْ   أَنَا وبَيْتُ الله أَوْلَىٰ بالنبيْ

من شمرٍ وشبثٍ وابن الدَّعيْ

وعلياً الأصغر وهو الذي أعقب ، وأمه أم ولد تسمىٰ سلافة .

قال الزهري : ما رأيتُ قرشياً قط أفضل من علي بن الحسين ، ومات بالمدينة وهو ابن ثماني وخمسين سنة ويقال ابن ستين ويكنى أبا محمد . وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين ، ودفن بالبقيع ، ويقال مات في سنة اثنتين وتسعين .

وفاطمة بنت الحسين ، أمها أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله .

وسُكَيْنَةُ ، أمها الرباب بنت امرىء القيس ، وقد ذكرنا أمرها فيما تقدم .

وكانت فاطمة بنت الحسين عند الحسن بن الحسن بن علي ، ثم خلف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

فولد علي بن الحسين : محمداً . وعبد الله . وحسيناً ، وأمهم أم عبد الله بنت الحسن بن علي . وعمراً وزيداً لأم ولد . وعلياً وخديجة لأم ولد . وأم موسىٰ . وأم حسن . وكلثم . ومليكة ، لأمهات أولاد شتىٰ .

فولد محمد بن علي : جعفر . وعبد الله ، وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فإلىٰ جعفر بن محمد بن علي تنسب الجعفرية وهو أبو موسى بن جعفر . وكان يكنى أبا عبد الله ومات بالمدينة .

وأما عبد الله بن محمد فكان يلقب دورقاً . مات بالمدينة وله عقب .

وأما زيد بن علي بن الحسين ، فكان يكني أبا الحسين ، قتل بالكوفة .

وكانت ميمونة بنت حسين بن زيد بن علي بن الحسين عند المهدي ، وكان حسين بن زيد أعمىٰ .

وكان لزيد ابن يقال له عيسى ، مات بالكوفة .
وأما علي بن علي بن الحسين فكان يلقب الأفطس وله عقب .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثني علي بن عبد الله المديني عن سفيان بن عيينة ، عن ابراهيم بن ميسرة ، عن طاوس عن ابن عباس قال : استشارني الحسين في الخروج فقلت : والله لولا أن يزري ذلك بي وبك لنشبتُ يدي في رأسك . فقال : والله لأَنْ أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن تُسْتَحَل بي هذه الحرمة غداً .

حدثني يوسف بن موسىٰ ، ثنا حكام ، أنبأ عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد قال : قال علي وهو بالكوفة : كيف أنتم إذا أتاكم أهل بيت نبيكم يحمل قويهم ضعيفهم ؟. قالوا : نفعل ونفعل . فحرَّكَ رأسه ثم قال : توردون ثم تعردون[1] ، ثم تطلبون البراءة ولا براءة لكم .

قالوا : وكان الحسين بن علي منكراً لصلح الحسن معاوية فلما وقع ذلك الصلح دخل جندب بن عبد الله الأزدي والمسيب بن نجبة الفزاري ، وسليمان بن صُرد الخزاعي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي علىٰ الحسين وهو قائم في قصر الكوفة يأمر غلمته بحمل المتاع ويستحثهم ، فسلموا عليه فلما رأى ما بهم من الكآبة وسوء الهيئة ، تكلم فقال : إن أمر الله كان قدراً مقدوراً ، إن أمر الله كان مفعولاً . وذكر كراهته لذلك الصلح وقال : كنتُ طيِّب النفس بالموت دونه ولكن أخي عَزَّهم علي وناشدني فأطعته وكأنما يحزُّ أنفي بالمواسي ويُشَرِّحُ قلبي بالمُدَىٰ ، وقد قال الله عزوجل: ﴿فعسىٰ أن تكرهوا

١ ـ عرد تعريداً : هرب . القاموس .

شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[١] . وقال : ﴿وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسىٰ أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[٢] .

فقال له جندب : والله ما بنا إلاّ أن تُضاموا وتنتقصوا ، فأمّا نحن فإنا نعلم أن القوم سيطلبون مودّتنا بكل ما قدروا عليه ، ولكن حاشا لله أن نؤازر الظالمين ونظاهر المجرمين ونحن لكم شيعة ولهم عدو .

وقال سليمان بن صرد الخزاعي : إن هذا الكلام الذي كلمك به جندب هو الذي أردنا أن نكلمك به كلنا . فقال : رحمكم الله صدقتم وبررتم .

وعرض له سليمان بن صرد وسعيد بن عبد الله الحنفي بالرجوع عن الصلح فقال : هذا ما لا يكون ولا يصلح . قالوا : فمتىٰ أنت سائر ؟ قال : غداً إن شاء الله . فلما سار خرجوا معه ، فلما جاوزوا دير هند نظر الحسين إلى الكوفة فتمثل قول زميل بن أُبير الفزاري ، وهو ابن أم دينار :

فما عن قِلَىً فارقتُ دار معاشر هم المانعون باحتي وذِمَاري
ولكنه ما حُمَّ لابُدَّ واقعٌ نَظَارِ تَرَقَّبْ ما يُحَمَّ نَظَارِ

قالوا : ولما بايع الحسن معاوية ومضىٰ ، تلاقت الشيعة بإظهار الحسرة والندم على ترك القتال والإذعان بالبيعة ، فخرجت إليه جماعة منهم فخطؤوه في الصلح وعرضوا له بنقض ذلك ، فأباه وأجابهم بخلاف ما أرادوه عليه ، ثم إنهم أتوا الحسين فعرضوا عليه ما قالوا للحسن وأخبروه بما ردَّ عليهم فقال : قد كان صلح وكانت بيعة كنتُ لها كارها فانتظروا مادام هذا الرجل

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ١٩ .
٢ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢١٦ .

حياً فإن يهلك نظرنا ونظرتم ، فانصرفوا عنه فلم يكن شيء أَحبُّ إليهم وإلىٰ الشيعة من هلاك معاوية ؛ وهم يأخذون أعطيتهم ويغزون مغازيهم .

قالوا : وشخص محمد بن بشر الهمداني وسفيان بن ليلى الهمداني إلىٰ الحسن وعنده الشيعة الذين قدموا عليه أولاً فقال له سفيان كما قال له بالعراق : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال له : إجلس لله أبوك . والله لو سرنا إلى معاوية بالجبال والشجر ما كان إلا الذي قُضي .

ثم أتيا الحسين فقال : ليكن كل أمري منكم حلساً من أحلاس بيته مادام هذا الرجل حياً ، فإن يهلك وأنتم أحياء رجونا أن يخير الله لنا ويؤتينا رشدنا ولا يكلنا إلى أنفسنا فـ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[1] .

قالوا : وكان حجر بن عدي أول من ذمّ الحسن علىٰ الصلح ، وقال له قبل خروجه من الكوفة : خرجنا من العدل ودخلنا في الجور ، وتركنا الحق الذي كنا عليه ، ودخلنا في الباطل الذي كنا نذمه ، وأعطينا الدَّنِيِّة ورضينا بالخسيسة وطلب القوم أمراً ، وطلبنا أمراً ، فرجعوا بما أحبوا مسرورين ، ورجعنا بما كرهنا راغمين .

فقال له : يا حجر ، ليس كل الناس يحب ما أحببتَ ، إني قد بَلَوْتُ الناس فلو كانوا مثلك في نيتك وبصيرتك لأقدمتُ .

وأتىٰ الحسين فقال له : يا أبا عبد الله شريتم العز بالذل ، وقبلتم القليل بترك الكثير ، أطِعْني اليوم وَاَعْصَنِي سائر الدهر ، دع رأي الحسن واجمع شيعتك ، ثم ادْعُ قيس بن سعد بن عبادة وابعثه في الرجال ، وأخرج

---

١ ـ سورة النحل ـ الآية : ١٢٨ .

أنا في الخيل فلا يشعر ابن هند إلا ونحن معه في عسكره فنضاربه حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو خير الحاكمين ، فإنهم الآن غارون . . فقال : إنا قد بايعنا وليس إلى ما ذكرت سبيل .

قالوا : فلما توفى الحسن بن علي اجتمعت الشيعة ومعهم بنو جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، وأم جعدة أم هانىء بن أبي طالب في دار سليمان بن صرد ، فكتبوا إلى الحسين كتاباً بالتعزية وقالوا في كتابهم : إن الله قد جعل فيك أعظم الخلف ممن مضى ، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك ، المحزونة بحزنك ، المسرورة بسرورك ، المنتظرة لأمرك .

وكتب إليه بنو جعدة يخبرونه بحسن رأي أهل الكوفة فيه ، وحبهم لقدومه وتطلعهم إليه ، وأن قد لقوا من أنصاره وإخوانه من يرضى هديه ، ويُطْمَأَنُّ إلى قوله ، ويعرف نجدته وبأسه ، فأفضوا إليهم بما هم عليه من شنآن ابن أبي سفيان والبراءة منه ، ويسألونه الكتاب إليهم برأيه .

فكتب إليهم : إني لأرجو أن يكون رأي أخي رحمه الله في الموادعة ورأيي في جهاد الظَلَمَة رشداً وسداداً ، فالصِقُّوا بالأرض ، واخفوا الشخص ، واكتموا الهوىٰ واحترسوا من الأظناء مادام ابن هند حياً ، فإن يحدث به حدثٌ وأنا حي يأتكم رأيي إن شاء الله .

وكان رجال من أهل العراق ولثمان[1] أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين يُجِلُّونه ويعظمونه ويذكرون فضله ويَدْعُونه إلى أنفسهم ويقولون : إنَّا لك عضد ويد ليتخذوا الوسيلة إليه وهم لا يشكُّون في أن معاوية إذا مات لم يعدل الناس بحسين أحداً .

---

١ ـ اللثام : ما على الفم من نقاب . القاموس .

فلما كثر اختلاف الناس إليه ، أتى عمرو بن عثمان بن عفان مروان بن الحكم وهو إذ ذاك عامل معاوية علىٰ المدينة فقال له : قد كثر اختلاف الناس إلى حسين ، ووالله إني لأرىٰ أن لكم منه يوماً عصيباً .

فكتب مروان ذلك إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية : بأنْ اترك حسيناً ما تركك ولم يُظْهِر عداوته ويبدي صفحته ، واكمن عنه كمون الثرى إن شاء الله والسلام .

وكتب معاوية إلى الحسين : أما بعد فقد أُنهيت إلى عنك أمور إن كانت حقاً فإني لم أكن أظنها بك رغبة عنها ، وإن كانت باطلاً فأنت أسعد الناس بمجانبتها وبحظ نفسك تبدأ ، وبعهد الله توفي ، فلا تحملني على قطيعتك والإساءة إليك ، فإني متى أنكرتك تنكرني ، ومتى تُكِدْني أكِدْك ، فاتق الله يا حسين في شقِّ عصا الأمة ، وأن تُرْدِهِمْ في فتنة .

فكتب إليه الحسين كتاباً غليظاً يَعُدُّ عليه فيه ما فعل في أمر زياد وفي قتل حجر ، ويقول له : إنك قد فُتنت بكيد الصالحين مذ خَلَفْتَ : فكِدْني ما بدا لك .

وكان آخر نص الكتاب : والسلام على من اتبع الهدى .

فكان معاوية يشكو ما كتب به الحسين إليه إلى الناس ، فقيل له : اكتب إليه كتاباً تَعِيْبَه وأباه فيه ، فقال : ما عَسِيْتُ فيه أن أقول في أبيه إلا أن أكذب . ومثلي لا يعيب أحداً بالباطل ، وما عسيت أن أقول في حسين ولست أراه للعيب موضعاً إلا أني قد أردت أن أكتب إليه فأتوعده وأتهدده ، ثم رأيت ألا أجيبه .

ولم يقطع معاوية عن الحسين شيئاً كان يصله ويبره به ، وكان يبعث

إليه في كل سنة ألف ألف درهم وعروض وهدايا من كل ضرب ، فلما توفي معاوية رحمه الله للنصف من رجب سنة ستين وولي يزيد بن معاوية الأمر بعده كتب يزيد إلى عامله الوليد بن عتبه بن أبي سفيان في أخذ البيعة علىٰ الحسين وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، فدافع الحسين بالبيعة ، ثم شخص إلى مكة فلقيه عبد الله بن مطيع العدوي من قريش فقال له : جُعلتُ فداك أين تريد ؟ قال : أما الآن فأريد مكة وأما بعد أن آتى مكة فإني أستخير الله ، فقال : خار الله لك يا بن بنت رسول الله وجعلني فداك ، فإذا أتيت مكة فاتق الله ولا تأت الكوفة فإنها بلدة مشؤومة بها قتل أبوك وطُعن أخوك ، وأنا أرى أن تأتي الحرم فتلزمه فإنك سيد العرب ، ولن يعدل أهل الحجاز بك أحداً ووالله لئن هلكت لَنُسْتَرَقَّنَّ بعدك .

ويقال إنه كان لقيه على ماء في طريقه حين توجه إلى الكوفة من مكة ، فقال له : إني أرىٰ لك أن ترجع إلى الحرم فتلزمه ، ولا تأتي الكوفة .

ولما نزل الحسين مكة جعل أهلها يختلفون إليه . ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق ، وابن الزبير بمكة قد لزم جانب الكعبة يصلي ويطوف ، ويأتي الحسين وهو أثقل الناس عليه .

وحُدثت عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل عن مساحق عن أبي سعيد المقبري قال : رأيت حسيناً يمشي بين رجلين حين دخل مسجد رسول الله ﷺ وهو يقول :

لا ذَعَرْتُ السوام في وَضَح الصبح مغيرا
ولا دعيت يزيداً يوم أعطى مخافة الموت ضيما
والمنايا ترصدنني أن أحيدا

فعلمتُ أنه لا يلبث إلّا قليلاً حتى يخرج ، فما لبث أن خرج نحو مكة ثم خرج منها إلى العراق .

وقال العتبي : حجب الوليد بن عتبة أهل العراق عن الحسين فقال الحسين : يا ظالماً لنفسه ، عاصياً لربه ، علام تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقي ما جهلته أنت وعمك ؟ فقال الوليد : ليت حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك فجناية لِسانك مغفورة لك ما سَكَنَتْ يدك ، فلا تخطرها فتخطر بك ، ولو علمتَ ما يكونُ بعدنا لأحببتنا كما أبغضتنا .

وبلغ الشيعة من أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين من البيعة ليزيد ، فكتبوا إليه كتاباً صَدَّرُوْهُ :

«من سليمان بن صُرَد ، والمسيب بن نجبه ، ورفاعة بن شداد ، وحبيب بن مُظْهِر - وبعضهم يقول مُطَهّر - وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة .

أما بعد فالحمدلله الذي قَصَمَ عدوَّكَ الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيها ، وتأمَّرَ عليها بغير رضى منها ، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها ، وجعل مال الله دُوْلَةً بين أغنيائها فبُعْداً له كما بَعُدَتْ ثمود ، وليس علينا إمام فاقدم علينا لعل الله يجمعنا بك على الحق ، واعلم أن النعمان بن بشير في قصر الإمارة ، ولسنا نجمع معه جمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو بلغَنَا إقبالك الينا أخرجناه فالحقناه بالشام . والسلام» .

وكان معاوية ولى النعمان الكوفة بعد عبد الرحمن بن أم الحكم ، وكان النعمان عثمانياً مجاهراً ببغض عليٍّ ، سيء القول فيه ، وبعثوا بالكتاب مع

عبدالله بن سبع الهمداني ، وعبدالله بن وال التيمي فَقَدِما بالكتاب على الحسين لعشر ليال خلون من شهر رمَضان بمكة ، ثم سرحوا بعد ذلك بيومين قيس بن مُسْهِر بن خليد الصيداوي من بني أسد ، وعبد الرحمن بن عبدالله بن الكدر الأرحبي وعمارة بن عبد السلولي ، فحملوا معهم نحواً من خمسين صحيفة ، الصحيفة من الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة ، وكتبوا معهما :

«أما بعد فَحَيِّ هَلاَ ، فإن الناس منتظرون لا إمام لهم غيرك ، فالعجل ، ثم العجل ، ثم العجل ، والسلام» .

قالوا : وكتب إليه أشراف أهل الكوفة شبث بن ربعي اليربوعي ، ومحمد بن عمير بن عطارد بن حاجب التميمي ، وخجار بن أبجر العجلي ، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني ، وعَزْرَةَ بن قيس الأَحْمَسي ، وعمرو بن الحجاج الزبيدي : «أما بعد فقد اخْضرَّ الجناب ، وأيْنَعَتِ الثمار ، وطمَت الجمام ، فإذا شئت فأقدم علينا فإنما تقدم على جُنْدٍ لك مجند ، والسلام» .

فتلاحقت الرسل كلها واجتمعت عنده فأجابهم على آخر كتبهم وأعلمهم أنْ قد قدم مسلم بن عَقيل بن أبي طالب ليعرف طاعتهم وأمرهم ، ويكتب إليه بحالهم ورأيهم ، ودعا مسلماً فوجهه مع قيس بن مسهر وعمارة بن عبد ، وعبد الرحمن بن عبدالله بن ذي الكدر ، فكتب إليه مسلم من الطريق : «إني توجهت مع دليلين من أهل المدينة فَضَلاَّ عن الطريق واشتد عليهما العطش حتى ماتا ، وصرنا إلى الماء فلم ننج الا بحشاشة أنفسنا ، وقد تطيرتُ من وجهي هذا ، فإن رأيت أن تعفيني منه وتبعث غيري فافعل» .

فكتب إليه الحسين : «أما بعد فقد خشيتُ أن يكون الذي حملك على الكتاب إلي بالاستعفاء من وجهك الجبن ، فامض لما أمرتك به» .

فمضى لوجهه ، وكان من حين مقتله ما قد ذكرناه في خبر ولد عقيل بن أبي طالب ، وكان مخرج مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليالٍ خلون من ذي الحجة سنة ستين ، ويقال يوم الأربعاء لتسع خلونَ من ذي الحجة سنة ستين ، يوم عرفة بعد خروج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم .

وكان الحسين خرج من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شعبان ، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان ، وشوال ، وذو القعدة ، ثم خرج منها يوم الثلاثاء لثمان ليال خلون من ذي الحجة يوم التروية وهو اليوم الذي خرج فيه مسلم بالكوفة ، وقد يقال إنه خرج بالكوفة يوم الأربعاء وهو يوم عرفة .

وحدثني بعض قريش أن يزيد كتب إلى ابن زياد : بلغني مسير حسين إلى الكوفة وقد ابتُلي به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وابتُليت به من بين العمال ، وعندها تعتق أو تعوذ عبداً كما يُعتبد العبيد .

خروج الحسين بن علي من مكة إلى الكوفة

قالوا : ولما كتب أهل الكوفة إلى الحسين بما كتبوا به فاستخفّوه للشخوص ، جاءه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي بمكة فقال له : بلغني أنك تريد العراق وأنا مشفق عليك من مسيرك لأنك تأتي بلداً فيه عماله وامراؤه ومعهم بيوت الأموال ، وإنما الناس عبيد الدينار والدرهم ، فلا آمنُ عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ، ومن أنت أحبُّ إليه ممن يقاتلك معه ، فقال له : قد نصحتَ ويقضي الله .

وأتاه عبدالله بن عباس فقال له : يابن عم إن الناس قد أرجفوا بأنك سائر إلى العراق فقال : نعم . قال ابن عباس ، فإني أعيذك بالله من ذلك ، أتذهب رحمك الله إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم ، فإن كانوا قد فعلوا فسر إليهم وان كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم ، وعماله يجبون خراج بلادهم فإنما دعوك إلى الحرب والقتال ، فلا آمن من أن يغرُّوك ويكذبوك ويستنفروا إليك ، فيكونوا أشد الناس عليك ؟ قال الحسين : فاني أستخير الله وأنظر .

ثم عاد ابن عباس إليه فقال : يابن عم إني أتصبَّر فلا أصبر ، إني أتخوف عليك الهلاك إن أهل العراق قوم غدرٍ ، فأقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز ، فإن أرادك أهل العراق وأحبوا نصرك فاكتب إليهم أن ينفوا عدوهم ثم صِرْ إليهم ، وإلا فإن في اليمن جبالاً وشعاباً وحصوناً ليس بشيء من العراق مثلها ، واليمن أرض طويلة عريضة ولأبيكَ بها شيعة فَأْتِهَا ثم أبثث دعاتك وكتبك يأتك الناس .

فقال له الحسين : يابن عم ، أنت الناصح الشفيق ولكني قد أزمعتُ المسير ونويتهُ ، فقال ابن عباس : فإن كنت سائراً فلا تَسِرْ بنسائِك وأصْبِيتَكَ فوالله إني لخائف أن تقتل كما قُتل عثمان ونساؤه ينظرن إليه .

ثم خرج ابن عباس من عنده فمر بابن الزبير فقال له : قَرَّتْ عينك يابن الزبير بشخوص الحسين عنك ، وتخليته إياك والحجاز ، ثم قال :

يـالـك من قُبَّـرَةٍ بِمَعْمَـرِ ... خَلاَ لَكِ الجو فبيضي واصفري

ونَقِّري ما شئت أن تنقري

وروي أن ابن عباس خرج من عند حسين وهو يقول : واحسيناه أنعي حسيناً لمن سمع .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا شبابة بن سوار عن رجل - قال:أحسبه يحيى بن اسماعيل بن سالم الأزدي - عن الشعبي قال : لما أراد الحسين الخروج من مكة إلى الكوفة قال له ابن عمر حين أراد توديعه : أطِعْنِي وأَقِمْ ولا تخرج فوالله ما زواها الله عنكم إلا وهو يريد بكم خيراً . فلما ودعه قال : استودعك الله من قتيل .

وحدثني غير أحمد بن إبراهيم عن شبابه عن يحيى بن اسماعيل عن

الشعبي ان ابن عمر كان بمكة فقدم المدينة ، فأخبر بخروج الحسين فلحقه على مسيرة ثلاث ليال من المدينة فقال له : أين تريد ؟ قال : العراق ، قال : لا تأتهم ، لأنك بضعة من رسول الله ، والله لا يليها منكم أحد أبداً ، وما صرفها الله عنكم الا للذي هو خير لكم .

فقال : هذه بيعتهم وكتبهم ، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : استودعك الله من قتيل والسلام .

وحدثني الحسين بن علي عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش قال : كتب الأحنف إلى الحسين وبَلَغَهُ أنه على الخروج ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنَّك الذين لا يوقنون﴾[1] .

قالوا : وعرض ابن الزبير على الحسين أن يقيم بمكة فيبايعه ويبايعه الناس ، وإنما أراد بذلك أن لا يَتَّهِمهُ وأن يعذر في القول ـ فقال الحسين : لأن أُقتل خارجا من مكة بشبر أحبُّ إلي من أن أُقتل فيها ، ولأن أقتل خارجاً منها بشبرين أحب إلي من أن أُقتل خارجاً منها بشبر .

قالوا: واعترضت الحسين رسل عمرو بن سعيد الأشدق وعليهم أخوه يحيى بن سعيد بن العاصي بن أبي أُحيحة، فقالوا له: انصرف إلى أين تذهب ، فأبى عليهم . وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط ، ثم ان حسيناً وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً ، ومضى الحسين على وجهه فنادوه : يا حسين ألا تتقي الله ، أتخرج من الجماعة ؟

قالوا : ولقي الحسين بالتنعيم[2] عيراً قد أقبل بها من اليمن بعث بها

١ ـ سورة الروم ـ الآية : ٦٠ .
٢ ـ خارج مكة ما يزال يحمل الاسم نفسه .

بجير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن ، وعلى العير وَرْسٌ وحلل ، ورسله فيها ينطلقون إلى يزيد ، فأخذها الحسين فانطلق بها معه وقال لأصحاب الإبل : لا أُكْرِهُكُم من أحبَّ أن يمضي معنا إلى العراق وفيناه كراه وأحسنًا صحبته ، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض . فأوفى من فارقه حقه بالتنعيم ، وأعطى من مضى معه وكساهم ، فيقال إنه لم يبلغ كربلاء منهم الا ثلاثة نفر ، فزادهم عشرة دنانير عشرة دنانير ، وأعطاهم جملًا جملًا ، وصرفهم .

ولما صار الحسين إلى الصفاح[1] لقيه الفرزدق ابن غالب الشاعر فسأله عن أمر الناس وراءه فقال له الفرزدق : الخبير سألت ، إن قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية ، والقضاء من السماء ، والله يفعل ما يشاء ، فقال الحسين : صدقت .

وحدثني إسحاق الفروي أبو موسى عن سفيان بن عيينة عن لبطة بن الفرزدق عن أبيه قال : لقيني الحسين وهو خارج من مكة في جماعة عليهم يلامق[2] الديباج فقال : ما وراءك؟ قلت : أنت أحب الناس إلى الناس ، والسيوف مع بني أمية ، والقضاء من السماء .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة بن الحكم عن لبطة بن الفرزدق قال : أخبرني أبي قال : لقيت الحسين فقلت له : القلوب معك والسيوف

١ ـ الصفاح : موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش . معجم البلدان .

٢ ـ اليلامق : الأردية .

مع بني أمية ، وإذا في لسانه ثقل من برسام[١] كان عرض له بالعراق .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن الخِرِّيْت قال : سمعت الفرزدق قال : لقيت الحسين بذات عرق[٢] وهو يريد الكوفة ، فقال لي : ما ترى أهل الكوفة صانعين ، فإن معي جُمَلاً من كتبهم . قلت : يخذلونك فلا تذهب فإنك تأتي قوماً قلوبهم معك وأيديهم عليك، فلم يُطعْني .

قالوا : ولحق الحسين عون بن عبدالله بن جعدة بن هبيرة بذات عرق بكتاب من أبيه يسأله فيه الرجوع ، ويذكر ما يخاف عليه من مسيره ، فلم يعجبه .

وبلغ ابن الحنفية شخوص الحسين وهو يتوضأ فبكى حتى سمع وقع دموعه في الطست .

وحدثنا عباس بن هشام بن الكلبي ، ثنا معاوية بن الحارث عن شمر أبي عمرو عن عروة بن عبدالله الجعفي قال : كان عبدالله بن يسار - ويسار هو أبو عقب - قدم علينا فقال : ان حسيناً قادم فانصروه وجعل يحض على القتال معه ، وكان يقول : يقتلني رجل يقال له عبيد الله . فَتَطَلَّبَهُ ابن زياد فتوارى وتزوج امرأة من مراد ، فأتاه عبيد الله بن الحر فاستخرجه ثم أتى به السبخة فقتله .

قالوا : ولما بلغ عبيدالله بن زياد إقبال الحسين إلى الكوفة بعث الحصين بن تميم بن أسامة التميمي ، ثم أحد بني جُشَيْش بن مالك بن

١ - البرسام : علة يهذى فيها . القاموس .

٢ - مهل أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة . معجم البلدان .

حنظلة ، صاحب شُرطِهِ ، حتى نزل القادسية ونظم الخيل بينها وبين خفان[١] ، وبينها وبين القَطْقَطانة[٢] إلى لَعْلَع[٣] .

وكتب الحسين حين بلغ الحاجر[٤] مع قيس بن مسهر الصيداوي من بني أسد إلى أهل الكوفة : «أما بعد فإن كتاب مسلم بن عَقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم ، واجتماع ملأكم على نصرنا ، والطلب بحقنا فأثابكم الله على ذلك أعظم الأجر ، فاكمشوا أمركم ، وجدوا فيه فإني قادم عليكم في أيامي إن شاء الله ، والسلام» .

وقد كان مسلم كتب إليه قبل أن يقتل ببضع وعشرين ليلة : «أما بعد فإن الرائد لا يَكْذِبُ أهله ، ان جميع أهل الكوفة معك ، فأقبِل حين تنظر في كتابي» .

فلما صار قيس بن مسهر بالقادسية أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى ابن زياد فأمره ان يصعد القصر فيلعن علياً ويكذب الحسين على القصر ، فلما رقيه قال : أيها الناس ، إن الحسين بن علي خير خلق الله وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه وانصروه ، ثم لعن زياداً وابنه واستغفر الله لعلي ، فأمر ابن زياد فرمي به من فوق القصر فتقطع ومات رحمه الله .

قالوا : وكان زهير بن القين البجلي بمكة ، وكان عثمانياً ، فانصرف من مكة متعجلاً ، فَضَمَّه الطريق وحسيناً فكان يسايره ولا ينازله ، ينزل الحسين في ناحية وزهير في ناحية ، فأرسل الحسين إليه في إتيانه فأمرته امرأته ديلم

١ ـ خفان : موضع قرب الكوفة .
٢ ـ موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف .
٣ ـ لعلع : منزل بين البصرة والكوفة .
٤ ـ منزل للحاج بالبادية . القاموس .

بنت عمرو أن يأتيه فأبى ، فقالت : سبحان الله أيبعث إليك ابن بنت رسول الله فلا تأتيه ؟ فلما صار إليه ثم انصرف إلى رحله قال لامرأته : أنت طالق ، فالحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلاَّ خيراً ، ثم قال لأصحابه : من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد ، وصار مع الحسين .

ولقي الحسين ومن معه رجل يقال له بكر بن المعنقة بن رُود فأخبرهم بمقتل مسلم بن عقيل وهانىء ، وقال : رأيتهما يُجرّان بأرجلهما في السوق ، فطلب إلى الحسين في الانصراف ، فوثب بنو عَقيل فقالوا : والله لا ننصرف حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا . فقال حسين : ما خير في العيش بعد هؤلاء ، فعلم أنه قد عزم رأيه على المسير ، فقال له عبدالله بن سُلَيْم ، والمدري بن الشِّمَعْل الأسديان : خار الله لك ، فقال : رحمكما الله .

ثم سار إلى زبالة[1] وقد اسكثر من الماء ، وكان كلما مر بماء اتَّبَعَهُ منه قوم ، وبعث الحسين أخاه من الرضاعة وهو عبدالله بن يقطر إلى مسلم قبل أن يعلم أنه قُتل ، فأخذه الحصين بن تميم وبعث به إلى ابن زياد ، فأمر أن يعلى به القصر ليلعن الحسين وينسبه وأباه إلى الكذب ، فلما علا القصر قال : اني رسول الحسين ابن بنت رسول الله اليكم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة وابن سمية الدعي وابن الدعي لعنه الله ، فأمر به فألقي من فوق القصر إلى الأرض فتكسرت عظامه وبقي به رمق ، فأتاه رجل فذبحه ، فقيل له : ويحك ما صنعت ؟ فقال : أحببت أن أريحه . فلما بلغ الحسين قتل

---

١ ـ منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية . معجم البلدان .

ابن يقطر خطب فقال : أيها الناس قد خذلتنا شيعتنا وقتل مسلم وهانىء وقيس بن مسهر ويقطر ، فمن أراد منكم الانصراف فلينصرف . فتفرق الناس الذين صحبوه أيدي سبأ ، فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من الحجاز .

وأقبل الحسين حين نزل أشراف فلما كان السحر أمر فتيانه فاستقوا الماء فأكثروا ثم سار من أشراف فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار ، فما كان بأسرع من أن طلعت عليهم هوادي الخيل[1] فلما رأوها من بعيد حسبوها نخلاً ثم تبينوها ، فأمر الحسين بأبْنِيَتِهِ فضربت ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ثم اليربوعي حتى وقف الحر وخيله مقابلي الحسين وذلك في حر الظهيرة ، فقال الحسين لفتيانه : اسقوا القوم وارووهم ورشفوا الخيل ترشيفاً ففعلوا .

وكان مجيء الحر إليه من القادسية ، قَدَّمَه الحصين بن تميم بين يديه في ألف ، فلم يزل مواقفاً للحسين ، وصلى الحسين فصلىٰ خلفه ، ثم قال للحر وأصحابه ، إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن ذلك أرضىٰ لله ، وإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم وقدِمَتْ به عليّ رسلكم انصرفتُ عنكم ، فقال له : والله ما ندري ما هذه الكتب التي تذكرها ، فأخرج الحسين خرجين مملوءين صحفاً فنشرها بين أيديهم فقال الحر : فإنا ليس من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أُمرنا إن نحن لقيناك أن لا نقاتلك وأن نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد . فقال الحسين : الموت أدنىٰ إليك من ذلك .

---

١ - هوادي الخيل : أوائلها .

ثم قال لأصحابه قوموا فاركبوا فركبت النساء ، ثم أراد الانصراف وأمر به أصحابه فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين ذلك ، فقال الحسين للحر : ثكلتك أمك ، ما تريد ؟ فقال الحر : والله لو غيرك يقولها ما تركت ذكر أمه . ولكنه والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما أقدر عليه ، فقال الحسين : فما تريد ؟ قال : أريد أن أقدمك على عبيد الله بن زياد ، قال : فإني والله لا أتبعك ، فقال الحر : وأنا والله لا أدعك .

فلما ترادّا الكلام قال له الحر : لم أؤمر بقتالك وإنما أُمرت أن أقدم بك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة يكون بيني وبينك نِصْفاً حتى أكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أَحْبَبْتَ ذلك ، أو إلى ابن زياد إن شئت ، فلعل الله أن يرزقني العافية من أن أبتلَ بشيء من أمرك .

فتياسر الحسين إلى طريق العُذَيْب[1] والقادسية وبينه حينئذٍ وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلاً ، ثم إن الحسين سار في أصحابه ، والحر بن يزيد يسايره .

وخطب الحسين عليه السلام فقال : إن هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، فأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأنا أحق من غيَّرَ ، وقد أتتني كتبكم وقدِمَتْ علي رسلكم فإن تُتِمُّوا عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم ، ووبخهم بما فعلوا بأبيه وأخيه قبله ، فقام زهير بن القين فقال : والله لو كنا في الدنيا مخلدين لآثرنا فراقها في نصرتك ومواساتك . فدعا له الحسين بخير .

---

١ ـ ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة . معجم البلدان .

وأقبل الحر بن يزيد يقول : يا حسين أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقاتلنّ ولئن قوتلت لتهلكنّ ، فقال الحسين : أبالموت تخوفني ؟ أقول كما قال أخو الأوس :

سأمضي فما بالموت عار علىٰ الفتى إذا ما نوىٰ حقاً وجاهد مسلما
وآسىٰ الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرما
فإن عشت لم أُذمم وإن مت لم أُلَمْ كفىٰ لك ذلاً أن تعيش وتُرغَما

فلما سمع ذلك الحر بن يزيد تنحىٰ بأصحابه في ناحية عذيب الهجانات وهي التي كانت هجائن النعمان بن المنذر ترعىٰ بها ، وإذا هم بأربعة نفر مقبلين من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل ، وكان الأربعة النفر : نافع بن هلال المرادي ، وعمرو بن خالد الصيداوي[1] وسعد مولاه ومجمع بن عبد الله العائذي[2] من مذحج . فقال الحر : إن هؤلاء القوم ليسوا ممن أقبل معك فأنا حابسهم أو رادُّهم . فقال الحسين : إذاً أمنعهم مما أمنع منه نفسي ، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني ، وقد جعلت لي ألا تعرض لي حتى يأتيك كتاب ابن زياد . فكف عنهم .

وسألهم الحسين عن الناس فقالوا : أما الأشراف فقد أُعظمت رشوتهم ومُلِئَتْ غرائرهم لِيُستمال ودهم وتستنزل نصائحهم فهم عليك أَلْبٌ واحد ، وما كتبوا إليك إلا ليجعلوك سوقاً وكسباً ، وأما سائر الناس بعد فأفئدتهم تهوي إليك ، وسيوفهم غداً مشهورة عليك .

وكان الطِرِمّاح بن عدي دليل هؤلاء النفر فأخذ بهم على الغريين ثم

---

١ ـ «الصدائي» في رواية أخرى (من هامش الأصل) .
٢ ـ «العامرى» في رواية أخرى (من الهامش) .

طعن بهم في الجوف ، وخرج بهم على البيضة إلى عُذَيب الهجانات ، وكان يقول وهو يسير :

يا ناقتي لا تُذْعَري مِنْ زَجْرِي وشَمِّري قبل طلوع الفجر
بخير رُكْبانٍ وخيرِ سَفْرِ حتى تُجَلِّي بِكَريْم النَّجْرِ
أتىٰ به الله بخيرِ أمرِ ثُمَّتَ أبقاه بقاء الدهر

فدنا الطرماح بن عدي من الحسين فقال له : والله إني لأنظر فما أرىٰ معك كبير أحد ، ولو لم يقاتلك غير هؤلاء الذين أراهم ملازمين لك مع الحر لكان ذلك بلاء . فكيف وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة بيوم ظَهْرُ الكوفة مملوءاً رجالاً فسألت عنهم فقيل : عرضوا ليوجهوا إلىٰ الحسين ، أو قال ليسرحوا ، فنشدتك الله إن قدرت أن لا تتقدم إليهم شبراً إلّا فعلت ، وعرض عليه أن ينزله أجأ أو سلمىٰ أحد جبلي طيء ، فجزاه خيراً ثم ودعه ومضىٰ إلى أهله ، ثم أقبل يريده فبلغه مقتله ، فانصرف .

وحدثنا سعدويه ، ثنا عباد بن العوام ، حدثني حضين ، حدثني هلال بن إساف قال : أمر زياد فأُخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة فلا يُترك أحد يلِجُ ولا يخرج ، فانطلق الحسين يسير نحو طريق الشام يريد يزيد بن معاوية ، فتلقته الخيول فنزل كربلاء .

وكان فيمن بعث إليه ، عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وشمر بن ذي الجوشن ، وحصين بن نمير ، فناشدهم الحسين أن يُسَيِّرُوه إلى يزيدِ فيضع يده في يده فأبوا إلّا حُكْمَ ابن زياد ، وكان ابن زياد ممن بعث إليه الحر بن يزيد الحنظلي فقال : ألا تقبلون ما يسألكم من إتيان يزيد ، فوالله لو سألكم هذا الترك والديلم ما كان ينبغي أن تمنعوهم إياه ، فضرب الحر وجه فرسه وصار

مع الحسين ، فلما دنا منه سلم عليه وعلى أصحابه وقاتل أصحاب ابن زياد فقتل منهم رجلين ثم قُتل .

قالوا : ومضى الحسين إلى قصر ابن مقاتل[1] فنزل به فإذا هو بفسطاط مضروب فسأل عن صاحبه فقيل له : عبيد الله بن الحر الجعفي ، فبعث إليه رسولاً يدعوه فقال للرسول : إني والله ما خرجت من الكوفة إلّا كراهة أن يدخلها الحسين وأنابها ، فإن قاتلته كان ذلك عند الله عظيماً ، وإن كنت معه كنت أول قتيل في غير غناء عنه ، ووالله لا أراه ولا يراني .

فانتعل الحسين وأتاه فدعاه إلى الخروج معه وأعاد عليه القول الذي قاله لرسوله فقال الحسين : فإذا امتنعتَ من نصرتي فلا تظاهر عليّ ، فقال : أما هذا فكن آمناً منه .

ثم إنه أظهر الندم على تركه نصرة الحسين وقال في ذلك شعراً سنكتبه في موضعه إن شاء الله تعالىٰ .

وكان أنس بن الحارث الكاهلي سمع مقالة الحسين لابن الحر ، وكان قدم من الكوفة بمثل ما قدم له ابن الحر ، فلما خرج من عند ابن الحر سلم علىٰ الحسين وقال له : والله ما أخرجني من الكوفة إلا ما أخرج هذا من كراهة قتالك أو القتال معك ولكن الله قذف في قلبي نصرتك وشجعني على المسير معك ، فقال له الحسين ، فاخرج معنا راشداً محفوظاً .

وأقبل الحسين حتى دخل رحله فخفق برأسه خفقة فرأى في منامه قائلاً يقول : القوم يَسْرُوْنَ والمنايا تَسْرِي إليهم . ثم سار فلم يزل يتياسر حتى

١ ـ قصر كان بين عين التمر والشام قرب القطقطانة . معجم البلدان .

صار إلى نينوى[١] فإذا راكب قد أقبل على نجيب له من الكوفة، فلما انتهى إليهم سلم على الحر بن يزيد ولم يسلم علىٰ الحسين، ثم رفع الحر كتاباً من ابن زياد فيه: «أما بعد فَجَعْجِعْ[٢] بحسين حيث يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي ولا تنزله إلا في العراء في غير حصن وعلى غير ماء».

فقال الحر: هذا كتاب الأمير عبيد الله وقرأه وأخذهم بالنزول فأنزلهم في غير قرية وعلى غير ماء، وسألوه أن ينزلوا بنينوىٰ والغاضرية[٣] فأبى ذلك عليهم، فأشار عليه زهير بن القين بن الحارث البجلي أن يقاتلهم فقال: هؤلاء أيسر علينا فنقاتلهم حتى ننحاز إلى بعض هذه القرىٰ التي على الفرات، فلم يفعل، ونزل وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم سنة إحدى وستين.

فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف، وكان عبيد الله بن زياد أراد توجيه عمر بن سعد إلى دستبى[٤] لأن الديلم كانوا خرجوا إليها وغلبوا عليها فولاه الري ودستبى فعسكر للخروج إليها بحمام أعين[٥]، فلما ورد أمر الحسين علىٰ ابن زياد أمره أن يسير إلىٰ الحسين، فإذا فرغ منه سار إلى عمله فاستعفاه عمر من قتال الحسين فقال: نعم أعفيك على أن ترد عهدنا علىٰ الري ودستبى، فقال له: أنظرني يومي هذا. فجاءه حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته فقال

١ ـ بسواد الكوفة ـ المنطقة التي قامت فيها كربلاء. معجم البلدان.
٢ ـ أي سيره في الأرض الصعبة.
٣ ـ الغاضرية: قرية قريبة من الكوفة.
٤ ـ دستبى: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان. معجم البلدان.
٥ ـ حمام أعين: بالكوفة. معجم البلدان.

له : يا خال إن سِرْتَ إلى الحسين أثِمْتَ بربك وقطعتَ رحمك فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك خيرٌ من أن تلقى الله بدم الحسين .

ثم أتى عمر بن سعد ابن زياد فقال: إما أن تخرج إلى الحسين بجندنا وإما أن تدفع إلينا عهدنا ، فألح عليه في الاستعفاء ، وألح ابن زياد بمثل مقالته ، فشخص عمر بن سعد إلى الحسين في أربعة آلاف حتى نزل بإزائه ، ثم بعث إليه يسأله عن سبب مجيئه فقال : كتب إليَّ أهل الكوفة في القدوم فأما إذ كرهوني فإني أنصرف .

وكان رسول عمر إليه قرة بن قيس الحنظلي فقال له حبيب بن مظهر : ويحك يا قرة ، أترجع إلى القوم الظالمين ؟ فقال : أصير إلى صاحبي بالجواب ثم أرى رأيي .

وكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد بقول الحسين فقال ابن زياد :

الآن إذ عَلِقَتْ مخالبنا بـه يرجو النجاة ولاتَ حِينَ أَوانِ

وكتب إلى عمر : إعرض على الحسين أن يبايع يزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه ، فإذا فعل ذلك رَأَيْنَا رَأْيَنَا . فلم يفعله .

قالوا : ولما سرح ابن زياد عمر بن سعد من حمام أعين ، أمر الناس فعسكروا بالنخيلة[1] ، وأمر أن لا يتخلف أحد منهم ، وصعد المنبر فقرظ معاوية وذكر إحسانه وإدراره الأعطيات ، وعنايته بأمور الثغور ، وذكر اجتماع الألفة به وعلى يده ، وقال : إن يزيد ابنه المتقيل[2] له ، السالك لمناهجه المحتذي لمثاله ، وقد زادكم مائة مائة في أعطيتكم ، فلا يبقين رجل من

١ ـ معكسر لأهل الكوفة خارجها .

٢ ـ اقتال : احتكم والشيء اختاره . والقيل هو الملك عند أهل اليمن . القاموس .

العرفاء والمناكب والتجار والسكان إلّا خرج فعسكر معي ، فأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً عن العسكر برئت منه الذمة .

ثم خرج ابن زياد فعسكر وبعث إلى الحصين بن تميم ، وكان بالقادسية في أربعة آلاف فقدم النخيلة في جميع من معه ، ثم دعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي ، ومحمد بن الأشعث بن قيس ، والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمن المنقري ، وأسماء بن خارجة الفزاري ، وقال : طوفوا في الناس فَمُرُوهُمْ بالطاعة والاستقامة وخَوِّفُوهم عواقب الأمور والفتنة والمعصية ، وحثُّوهم على العسكرة . فخرجوا فعذروا وداروا بالكوفة ثم لحقوا به غير كثير بن شهاب فإنه كان مبالغاً يدور بالكوفة يأمر الناس بالجماعة ويحذرهم الفتنة والفرقة ، ويخذل عن الحسين .

وسرح ابن زياد أيضاً حصين بن تميم في الأربعة الآلاف الذين كانوا معه إلى الحسين بعد شخوص عمر بن سعد بيوم أو يومين ، ووجه أيضاً إلى الحسين حجار بن أبجر العجلي في ألف ، وتمارض شبث بن ربعي ، فبعث إليه فدعاه وعزم عليه أن يشخص إلى الحسين في ألف ففعل .

وكان الرجل يبعث في ألف فلا يصل إلّا في ثلاثمائة أو أربعمائة وأقل من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه .

ووجه أيضاً يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم في ألف أو أقل ، ثم ان ابن زياد استخلف على الكوفة عمرو بن حريث ، وأمر القعقاع بن سويد بن عبد الرحمن بن بجير المنقري بالتطواف بالكوفة في خيل ، فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة ، فأتى به ابن زياد فقتله فلم يبق بالكوفة محتلم إلا خرج إلى العسكر بالنخيلة .

ثم جعل ابن زياد يرسل العشرين والثلاثين والخمسين إلى المائة غدوة وضحوة ونصف النهار وعشية من النخيلة ، يُمدُّ بهم عمر بن سعد ، وكان يكره أن يكون هلاك الحسين على يده . فلم يكن شيء أحب إليه من أن يقع الصلح .

ووضع ابن زياد المناظر على الكوفة لئلا يجوز أحد من العسكر مخافة لأن يلحق الحسين مغيثاً له ، ورتب المسالح حولها وجعل على حرس الكوفة والعسكر زحر بن قيس الجعفي ، ورتب بينه وبين عسكر عمر بن سعد خيلاً مضمرة مقدحة فكان خبر ما قِبَلَهُ يأتيه في كل وقت .

وَهَمَّ عمار بن أبي سلامة الدالاني أن يفتك بعبيد الله بن زياد في عسكره بالنخيلة فلم يمكنه ذلك . فلطف حتى لحق بالحسين فقُتل معه .

وقال حبيب بن مظهر للحسين : إن ههنا حياً من بني أسد أعراباً ينزلون النهرين وليس بيننا وبينهم إلا روحه ، أفتأذن لي في إتيانهم ودعائهم لعل الله أن يجر بهم إليك نفعاً أو يدفع عنك مكروهاً ، فإذِنَ له في ذلك فأتاهم فقال لهم : إني أدعوكم إلى شرف الآخرة وفضلها وجسيم ثوابها ، أنا أدعوكم إلى نصر ابن بنت نبيكم فقد أصبح مظلوماً ، دعاه أهل الكوفة لينصروه فلما أتاهم خذلوه وعدوا عليه ليقتلوه ، فخرج معهم منهم سبعون .

وأتى عمر بن سعد رجل ممن هناك يقال له جبلة بن عمرو فأخبره خبرهم ، فوجه أزرق بن الحارث الصيداوي في خيل فحالوا بينهم وبين الحسين ، ورجع ابن مظهر إلى الحسين فأخبره الخبر فقال : الحمد لله كثيراً .

وكان فراس بن جعدة بن هبيرة المخزومي مع الحسين وهو يرى أنه لايخالف ، فلما رأى الأمر وصعوبته هاله ذلك فأذن له الحسين في الانصراف فانصرف ليلاً .

وجاء كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد أَنْ حُلْ بين حسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة، كما صُنع بالتقي الزكي المظلوم، فبعث خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ومنعوهم أن يستقوا منه وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، وناداه عبد الله بن حصن الأزدي: ياحسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لاتذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً.

فقال الحسين: اللهم اقتله عطشاً ولاتغفر له أبداً، فمات بالعطش، كان يشرب حتى يبغر[1] فما يُروى فما زال ذاك دأبه حتى لفظ نفسه.

فلما اشتد على الحسين العطش بعث العباس بن علي بن أبي طالب وأمه أم البنين بنت حزام من بني كلاب في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم بعشرين قربة فجاؤوا حتى دنوا من الشريعة، واستقدم أمامهم نافع بن هلال المرادي ثم الجملي، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي، وكان على منع الماء: من الرجل؟ قال: نافع بن هلال، قال: ماجاء بك؟ قال: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلأ تمونا[2] عنه. قال: اشرب هنيئاً. قال: أفأشرب والحسين عطشان ومن ترى من أصحابه؟ فقال: لاسبيل إلى سقي هؤلاء، إنما وُضِعْنَا بهذا المكان لنمنعهم الماء.

فأمر أصحابه باقتحام الماء ليملأوا قربهم فثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس ونافع بن هلال فدفعوهم ثم انصرفوا إلى رحالهم وقد ملأوا قربهم.

---

١ ـ بغر: شرب ولم يرو، فأخذه داء من الشرب. القاموس.

٢ ـ حلأ: منع وطرد. القاموس.

ويقال إنهم حالوا بينهم وبين ملئها فانصرفوا بشيء يسير من الماء.

ونادى المهاجر بن أوس التميمي: ياحسين ألا ترى إلى الماء يلوح كأنه بطون الحيَّات، والله لاتذوقه أو تموت، فقال: إني لأرجو أن يوردنيه الله ويحلأكم عنه.

ويقال أن عمرو بن الحجاج قال: ياحسين. إن هذا الفرات تلغ فيه الكلاب وتشرب منه الحمير والخنازير، والله لاتذوق منه جرعة حتى تذوق الحميم في نار جهنم.

قال: وتواقف الحسين وعمر بن سعد خلوين فقال الحسين: اختاروا مني الرجوع إلى المكان الذي أقبلتُ منه أو أن أضع يدي في يد يزيد فهو ابن عمي ليرى رأيه فيّ، وإما ان تُسَيِّرُوني إلى ثغر من ثغور المسلمين فأكون رجلاً من أهله لي ما له وعلي ماعليه. ويقال إنه لم يسله إلا أن يشخص إلى المدينة فقط.

فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بما سأل فأراد عبيد الله أن يجيبه إلى ذلك، فقال له شمر بن ذي الجوشن الكلابي ثم الضبابي: لاتقبلن منه إلا أن يضع يده في يدك فإنه إن لم يفعل ذلك كان أولى بالقوة والعز، وكنت أولى بالضعف والعجز فلا ترض إلا بنزوله على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت كان ذلك لك وإن غفرت كنت أولى بما تفعله، لقد بلغني أن حسيناً وعمر يجلسان ناحية من العسكر يتناجيان ويتحادثان عامة الليل، فقال ابن زياد: نِعْمَ مارأيت فاخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على حسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا ابعثْ بهم إليَّ سلْماً، وإن

هم أبوا قاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطعه، وإن أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الناس، وَثِبْ عليه فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.

وكان كتابه إلى عمر: «أما بعد فإني لم أبعثك إلى حسين لتطاوله، وتمنيه بالسلامة وتكون له عندي شافعاً، فانظر إن نزل حسين وأصحابه على الحكم فابعث بهم إليَّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، وإن قتلت حسيناً فأوطىء الخيل صدره وظهره لنذرٍ نذرتُه وقولٍ قلتهُ، فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم، فإن فعلت ذلك جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أنت أَبَيْتَ فاعتزل عملنا وجندنا وخَلِّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر وأمر الناس، فإنا قد أمرناه فيك بأمرنا والسلام».

فلما أوصل شمر الكتاب إليه قال عمر: ياأبرص ويلك لاقرَّبَ الله دارك ولاسهَّل محلَّتَك، وقَبَّحَكَ وقبحَّ ماقدمت له، والله إني لأظنك ثنيته عن قبول ماكتبتُ به إليه.

فقال شمر: أتمضي لأمر الأمير وإلا فَخلِّ بيني وبين العسكر وأمر الناس، فقال عمر: لا ولاكرامة، ولكني أتولى الأمر. قال: فدونك.

فجعل عمر شمراً على الرجال ونهض بالناس عشية الجمعة، ووقف شمر فقال: أين بنو اختنا؟ يعني: العباس، وعبد الله، وجعفر، وعثمان بني علي بن أبي طالب، وأمهم أم البنين بنت حزام بن ربيعة الكلابي الشاعر، فخرجوا إليه، فقال: لكم الأمان، فقالوا: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن بنت رسول الله لاأمان له؟

ثم إن عمر بن سعد نادى: ياخيل الله اركبي وابشري، فركب في الناس وزحف نحو الحسين وأصحابه بعد صلاة العصر والحسين جالس أمام

بيته محتبياً بسيفه، فقال العباس بن علي: ياأخي، أتاك القوم، فنهض فقال: ياعباس اركب، بنفسي أنت ياأخي حتى تلقاهم فتقول لهم: مابدا لكم وماتريدون؟

فأتاهم العباس في عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظهر، فسألوهم عن أمرهم فقالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو نناجزكم.

فانصرف العباس وحده راجعاً فأخبر الحسين بقولهم، وقال لهم حبيب بن مظهر. والله لبئس القوم عند الله قومٌ قتلوا ذرية نبيهم وعترته، وعُبَّادَ أهل المصر. فقال له عزرة بن قيس: انك لتزكي نفسك.

وقال عزرة لزهير بن القين: كنتَ عندنا عثمانياً فما بالك؟ فقال: والله ماكتبتُ إلى الحسين ولاأرسلتُ إليه رسولاً ولكن الطريق جمعني وإياه فلما رأيته ذكرت به رسول الله ﷺ وعرفتُ ماتقدم عليه من غدركم ونكثكم وميلكم إلى الدنيا، فرأيت أن أنصره وأكون في حزبه حفظاً لما ضيعتم من حق رسول الله.

فبعث الحسين إليهم يسألهم أن ينصرفوا عنه عَشِيَّتهُمُ حتى ينظر في أمره، وإنما أراد أن يوصي أهله ويتقدم إليهم فيما يريد.

فأقبل عمر بن سعد على الناس فقال: ماترون؟ فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله. لو كان هؤلاء من الديلم ثم سألوك هذه المنزلة لكان ينبغي أن تجيبهم إليها.

وقال له قيس بن الأشعث بن قيس، أجبهم إلى ماسألوا فلعمري

لنصحبنك بالقتال غداً، فقال: والله لو أعلم أنهم يفعلوا ماأَخَّرْتُهُم، فانصرفوا عنه تلك العشية.

وعرض الحسين على أهله ومن معه أن يتفرقوا ويجعلوا الليل جملاً، وقال: إنما يطلبونني وقد وجدوني، وما كانت كُتُبُ من كَتَبَ إليَّ فيما أظن إلا مكيدة لي وتَقَرُّباً إلى ابن معاوية بي، فقالوا: قبح الله العيش بعدك.

وقال مسلم بن عوسجة الأسدي: أنخليك ولم نعذر إلى الله فيك في أداء حقك، لا والله حتى أكسر رمحي في صدورهم، وأضربهم بسيفي ماثَبَتَ قائمه في يدي، ولو لم يكن سلاحي معي لقذفتهم بالحجارة دونك.

وقال له سعيد بن عبد الله الحنفي نحو ذلك، فتكلم أصحابه بشبيه بهذا الكلام، وكان مع الحسين حُوَيّ مولى أبي ذر الغفاري فجعل يعالج سيفه ويصلحه ويقول:

يادهرُ أُفٍّ لكَ من خليلِ ... كم لك بالإشراق والأصيلِ
من طالبٍ وصاحبٍ قتيلِ ... والدهر لايقْنَعُ بالبديلِ
وإنما الأمر إلى الجليلِ ... وكل حيٍّ سالكٌ سبيلِ

ورددها حتى حفظت وسمعتها زينب بنت علي فنهضت إليه تجر ثوبها وهي تقول: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة اليوم، ماتت فاطمة أمي وعلي أبي والحسن أخي ياخليفة الماضي، وثِمال[1] الباقي، فقال الحسين: ياأُخَيَّة، لايُذْهِبَنَّ حِلْمَكِ الشيطان. قالت: أتغتصب نفسك اغتصاباً، ثم لطمتْ وجهها وشقت جيبها وهو يعزيها ويصبرها، ثم أمر أصحابه أن يُقرِّبوا بعض بيوتهم من بعض وأن يُدخلوا بعض الأطناب في بعض، وأن يقفوا بين

١ ـ الثمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه، والملجأ. القاموس.

البيوت فيستقبلوا القوم من وجه واحد والبيوت وراءهم وعن أيمانهم وشمائلهم، وقد حَفَّتْ بهم البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم عدوهم منه.

ولما جُنَّ الليل على الحسين وأصحابه قاموا الليل كله يصلون ويسبحون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون.

مقتل الحسين بن علي عليهما السلام

قالوا: فلما صلى عمر بن سعد الغداة، وذلك يوم السبت ويقال يوم الجمعة عاشوراء خرج فيمن معه من الناس، وعبأ الحسين أصحابه الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً. فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه وحبيب بن مظهر في ميسرة أصحابه وأعطى رايته العباس بن علي أخاه، وجعل البيوت في ظهورهم.

وكان الحسين أمر فأُتي بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنه ساقية وكانوا حفروه في ساعة من الليل فصار كالخندق، ثم ألقوا فيه ذلك القصب والحطب وقالوا: إذا غدوا فَقَاتَلُوا، ألهبنا فيه النار لئلا يأتونا من ورائنا، ففعلوا.

وجعل عمر بن سعد على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجالة شبث بن ربعي الرياحي، وأعطى الراية دريداً مولاه.

وأمر الحسين بفسطاط فضُرب فأطلى فيه بالنورة، ثم أتى بجفنة أو

صحفة فَميْثَ فيها مسك وتَطَيَّبَ منه، ودخل برير بن خضير الهمداني فأطلى بعده، ومسَّ من ذلك المسك، وتحنط الحسين وجميع أصحابه وجَعلت النار تلتهب خلف بيوت الحسين وأصحابه فقال شمر بن ذي الجوشن: ياحسين، تعجلتَ النار، فقال: أنت تقول هذا يابن راعية المعزى، أنت والله أَوْلَى بها صلياً، فقال مسلم بن عوسجة: يابن رسول الله ألا أرميه بسهم فإنه قد أمكنني فقال الحسين: لاترمه فإني أكره أن أبدأهم.

وكان مع الحسين فرس يدعى لاحقاً يقال إن عبيد الله بن الحر أعطاه إياه حين لقيه فحمل عليه ابنه علي بن الحسين، ثم دعا براحلته فركبها ونادى بأعلى صوته: أيها الناس اسمعوا قولي، فتكلم بكلام عَدَّدَ فيه فضل أهل بيته، ثم قال: أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو بمال استهلكته أو بقصاص من جراخة جرحتها؟ فجعلوا لايكلمونه.

ثم نادى: ياشبث بن ربعي، ياحجار بن أبجر، ياقيس بن الأشعث، يايزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أنْ قد أينعت الثمار واخضرَّ الجناب وطَمَتِ الجمام، وإنما تَقْدم على جند لك مجند؟

قالوا: لم نفعل، ثم قال: أيها الناس، إذ كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمني، فقال له قيس بنَ الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك فإنهم لن يُرُوك إلا ماتحب.

فقال: إنك أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل الذي غَرَّهُ أخوك، والله لاأعطي بيدي إعطاء الذليل، ولاأفر

فرار العبد، عباد الله، ﴿واني عُذْتُ بربي وربكم أن ترجمونْ * وإن لم تُؤمِنوا لي فاعتزلونْ﴾(١).

وبكين أخواته فَسَكَّتَهُنَّ، ثم قال: لايبعد الله ابن عباس وكان نهاه أن يخرجهنَّ معه.

وقال له زهير بن القين: عباد الله، إنَّ ولد فاطمة أحقّ بالنصر والودّ من ولد سمية، فإن لم تنصروهم فلا تقتلوهم، وخلّوا بين هذا الرجل وابن عمه يزيد فلعمري أن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين.

فرماه شمر بسهم وقال: اسكتْ أسكتَ الله نَأْمَتَكَ. فقال له زهير: ابشر بالحرق يوم القيامة، فقال له شمر: إن الله قاتلُكَ وقاتِلُ أصحابك عن ساعة.

وكلمهم برير بن خضير وغيره ووعظوهم وذكروا غرورهم الحسين بكتبهم، وقال الحر بن يزيد اليربوعي وهو الذي كان يساير الحسين ويوافقه: والله لاأختار النار على الجنة، ثم ضرب فرسه وصار إلى الحسين فقُتل معه، وقال له الحسين حين صار إليه: أنت والله الحر في الدنيا والآخرة، وفي الحر بن يزيد يقول الشاعر:

لِنَعْمَ الحُرُّ حُرُّ بني رياحٍ وحُرٌّ عند مُخْتَلَفِ الرِّماح

وأقبل الحر على أهل الكوفة وهو عند الحسين فقال: لأمِّكُمُ الهبل والعبر، دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه فصار في أيديكم كالأسير قد حلأتموه ونساءه وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهود والنصارى والمجوس، ويتمرغ فيه خنازير السواد، لبئسما خَلَفْتُم به محمداً في ذُريته،

١ ـ سورة الدخان ـ الآيتان: ٢٠ ـ ٢١ .

فدعوا هذا الرجل يمضي في بلاد الله، أَمَا أنتم مؤمنون، وبنبوَّة محمد مصِّدقون ولابالمعاد موقنون؟. فحملت عليه رجالة لهم، فرمته بالنبل فأقبل حتى وقف أمام الحسين، وزحف عمر بن سعد نحوهم، ونادى يادُويد، أدْنُ رَايَتَكَ، فأدناها، ثم وضع عمر سهماً في كبد قوسه ورمى وقال: اشهدوا أني أول من رمى. فلما رمى عمر ارتمى الناس.

وخرج يسار مولى زياد، وسالم مولى ابن زياد فدعوا إلى المبارزة، فقال عبد الله بن عمير الكلبي: أبا عبد الله، رحمك الله إئذن لي أخرج إليهما، فخرج رجل آدم طوال شديد الساعدين بعيد مابين المنكبين فشدَّ عليهما فقتلهما وهو يقول:

إنْ تنكروني فأنا ابن كلبِ حَسْبِيَ بيتي في كليبٍ حَسْبَي
إني امـرؤٌ ذو مِرَّةٍ وعَصْبِ ولستَ بالخَوَّار عند النَّكْبِ
إني زعيمٌ لكِ أُمَّ[1] وَهْبِ بالطَّعْنِ فيهم مَقْدَمَاً والضَّرْبِ
ضرب غلام مؤمنٍ بالرَّبِّ

فأقبلت إليه امرأته فقالت: قاتِلْ بأبي أنت وأمي عن الحسين ذرية محمد فأقبل يردها نحو النساء.

وحمل عمرو بن الحجاج الزبيدي وهو في الميمنة، فلما دنا من الحسين وأصحابه جثوا له على الركب، وأشرعوا الرماح نحوه ونحو أصحابه، فلم تقدم خيلهم على الرماح، ورجعت فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالاً وجرحوا آخرين.

---

١ ـ في هامش الأصل مايفيد أنه في رواية أخرى «يابن» وهب.

وحمل شمر من قبل الميسرة في الميسرة فاستقبلوهم بالرماح فلم تقدم الخيل عليها فانصرفوا فرموهم بالنبل حتى صرعوا منهم رجالاً وجرحوا آخرين.

وقال رجل من بني تميم يقال له عبد الله بن حوزة، وجاء حتى وقف بحيال الحسين فقال: أبشر ياحسين بالنار، فقال: كلا، إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع، ثم قال: من هذا؟ قالوا: ابن حوزة. قال: حازه الله إلى النار، فاضطرب به فرسه في جدول فعلقت رجله بالركاب ووقع رأسه في الأرض، ونفر في الفرس فجعل يمر برأسه على كل حجر وأصل شجرة حتى مات، ويقال: بقيت رجله اليسرى في الركاب فشد عليه مسلم بن عوسجة الأسدي فضرب رجله اليمنى فطارت، ونفر به فرسه يضرب به كل شيء حتى مات.

وبارز يزيد بن معقِل بَرير بن خضير،فضرب بريراً ضربة خفيفة وضربه برير ضربة قَدَّتِ المغفر، وجعل ينضنض سيفه في دماغه.

وحمل رضيّ بن منقذ العبدي فاعتنق بريراً فاعتركا ساعة، ثم إن بريراً قعد على صدره فقال رضيّ: أين أهل المصاع والدفاع؟. فحمل كعب بن جابر بن عمرو الأزدي بالرمح فطعنه في ظهره، فلما وجد برير مَسَّ الرمح عَضَّ أنف رضي فقطع طرفه، وشد عليه كعب فضربه بسيفه حتى قتله.

فلما رجع كعب بن جابر قالت له أخته النوار بنت جابر: أعنتَ على ابن فاطمة وقتلت بريراً سيد القراء، لقد أتيت عظيماً، والله لاأكلمك أبداً.

وخرج عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري يقاتل دون الحسين وهو يقول:

قد علمتْ كتيبة الأنصار أني سأحمي حوزةَ الذِّمَارِ
أضربُ غير نَكْسٍ شارِ

وقاتل حتى قتل، وكان الزبير بن قرظة بن كعب أخوه مع عمر بن سعد فنادى: ياحسين ياكذاب يابن الكذاب أضللتَ أخي وغَرَرْتَهُ حتى قتلته، فقال حسين: إن الله لم يُضلّ أخاك ولكنه هداه وأضلك فقال: قتلني الله إن لم أقتلك، وحمل على الحسين فاعترضه نافع بن هلال المرادي فطعنه فصرعه، فاستنقذ وبرأ بعد. وقال بعضهم اسم ابن قرظة الذي كان مع عمر بن سعد: علي، والأول قول الكلبي.

وقتل الحر بن يزيد رجلين بارزاه أحدهما: من شقرة من بني تميم يقال له يزيد بن سفيان، والآخر من بني زبيد ثم من بني قطيعة يقال له مزاحم بن حريث، فقال عمرو بن الحجاج حين رأى ذلك: ياحمقى، أتدرون من تقاتلون، إنما تقاتلون نقاوة فرسان أهل المصر، وقوماً مستقتلين مستميتين فلا يَبْرُزَنَّ لهم منكم أحد، فإنهم قليل، وقَلَّ مايبقون. والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم. فقال عمر: صَدَقْتَ، هذا الرأي، ونادى: ألا لايبارزُنَّ رجل منكم رجلاً من أصحاب الحسين.

ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين من نحو ميمنة عمر بن سعد مما يلي الفرات، واضطربوا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين، فلم يلبث أن مات، فصاحت جارية له: يابن عوسجياه ياسيداه. وكان الذي قتله مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الرحمن بن خشكارة البجلي.

وسر أصحاب عمرو بن الحجاج بقتل مسلم، فقال لهم شبث بن

ربعي: ويحكم أتفرحون بقتل مسلم، والله لقد رأيته يوم سلق اذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تنام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟

وحدثنا عمر بن شبه، ثنا أبو أحمد الزبيري، حدثني عمي الفضيل بن الزبير عن أبي عمر البزار عن محمد بن عمرو بن الحسن بن علي قال: كنا مع الحسين بنهري كربلاء فجاءنا رجل فقال: أين حسين؟. قال: هاأنذا. قال: ابشر بالنار تَرِدُهَا الساعة، قال: بل أُبشِرُ برب رحيم وشفيع مطاع، فمن أنت؟ قال: محمد بن الأشعث.

ثم جاء رجل آخر فقال: أين الحسين؟. قال هاأنذا. قال: ابشر بالنار تردها الساعة. قال: بل أبشر برب رحيم وشفيع مطاع فمن أنت؟ قال: شمر بن ذي الجوشن. فقال الحسين: الله أكبر، قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت كلباً أبقع يلغ في دماء أهل بيتي».

قال: ثم قُتل الحسين فحمل رأسه إلى يزيد وحُملنا فأقعَدَني يزيد في حجره، وأقعد ابناً له في حجره ثم قال لي: أتصارعه؟ فقلت: اعطني سكيناً وأعطه سكيناً ودعني وإياه. فقال: ماتَدَعُون عداوتنا صغاراً وكباراً.

وحمل شمر في الميسرة فثبتوا له وطاعنوه ونادى أصحابه، فحمل على الحسين وأصحابه من كل جانِب، وقُتل عبد الله بن عمير الكلبي، فجعلت امرأته تبكي عند رأسه، فأمر شمر غلاماً له يقال له رستم فضرب رأسها بعمود حتى شدخه فماتت مكانها.

قالوا: وركب الحسين دابة له ووضع المصحف في حجره بين يديه فما زادهم ذلك إلا إقداماً عليه، ودعا عمر بن سعد الحصين بن تميم فبعث معه

المجففة(١) وخمسمائة من المرامية، فرشقوا الحسين وأصحابه بالنبل حتى عقروا خيولهم فصاروا رجالة كلهم، واقتتلوا نصف النهار أشد قتال وأبرحه، وجعلوا لايقدرون على إتيانهم إلا من وجه واحد لاجتماع أبنيتهم وتقاربها ولمكان النار التي أوقدوها خلفهم.

وأمر عمر بتخريق أبنيتهم وبيوتهم فأخذوا يخرقونها برماحهم وسيوفهم، وحمل شمر في الميسرة حتى طعن فسطاط الحسين برمحه ونادى: عليَّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله. فصحن النساء وولولن وخرجن من الفسطاط، فقال الحسين: ويحكَ أتدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي؟

وقال شبث بن ربعي: ياسبحان الله مارأيت موقفاً أسوأ من موقفك، ولاقولاً أقبح من قولك، فاستحيا شمر منه،

وحمل عليه زهير بن القين في عشرة نفر فكشفه وأصحابه عن البيوت، وشد الحصين بن تميم على حبيب بن مظهر، فشد حبيب على الحصين فضرب وجه فرسه بالسيف فشبَّ ووقع عنه فاستنقذه أصحابه، وجعل حبيب يقول:

أنا حبيب وأبي مظهر فارس هيجاء وحرب مسعر
وأنتم منا لعمري أكثر ونحن أوفى منكمُ وأَصْبَر
ونحن أعلى حجة وأظهر حقاً وأبقى منكمُ وأعذَر

فقاتل قتالاً شديداً، وحمل على رجل من بني تميم يقال له: بُديل بن صُرَيم فضربه بالسيف على رأسه فقتله، وحمل عليه رجل من بني تميم آخر فطعنه فوقع ثم ذهب ليقوم فضربه الحصين بن تميم بالسيف على رأسه فسقط، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه وأخذه الحصين فعلقه في عنق فرسه

١ ـ التجفاف: آلة الحرب يلبسه الفرس والانسان ليقيه في الحرب. القاموس.

ساعة ثم دفعه إلى التميمي يتقرب به إلى ابن زياد، فأتى به الكوفة فرآه القاسم بن حبيب بن مظهر فسأله أن يدفع إليه رأس أبيه فأبى فحقد ذلك عليه حتى قتله في أيام مصعب بن الزبير، وهو قائل نصف النهار، ضربه بالسيف حتى برد.

وقاتل الحر بن يزيد وهو يقول:

أَضرِبُ في أعراضهم بالسيف عن خير من حَلَّ منى والخَيف

فقاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً، وشدت رجاله على الحر فقتل، وحضرت الصلاة فصلى الحسين بأصحابه صلاة الخوف، فلما فرغوا شد عليهم العدو فاقتتلوا بعد الظهر قتالاً شديداً، ووصل إلى الحسين فاستهدف دونه سعيد بن عبد الله الحنفي، فمازال يرمي حتى سقط، ويقال إنه استهدف دونه رجل من بني حنيفة غير سعيد بن عبد الله.

وقاتل زهير بن القين وهو يقول:

أنا زهير وانا ابن القين أذودهم بالسيف عن حسين

وجعل يقول:

أَقْدِمْ هُديت هادياً مَهدياً فاليوم تلقى جدك النبيا
وحسناً والمرتضى عليا

فشد عليه مهاجر بن أوس التميمي وكثير بن عبد الله الشعبي فقتلاه.

وقاتل حُوَيّ مولى أبي ذر بين يدي الحسين وهو يقول:

كيف تَرَى الفُجَّارُ ضربَ الأسْوَدِ بالسيف صلتا عن بني محمدِ
أَذُبُّ عنهمْ باللسان واليد أرجو به الجنة يوم المَوْرِدِ

فلم يزل يكرُّ حتى قُتل.

وقاتل بشير بن عمرو الحضرمي وهو يقول:

اليوم يانفس ألاقي الرحمنْ   واليوم تُجزين بكل إحسانْ
لاتجزعي فكل شيء فانْ   والصبر أحظى لك عند الديَّان

وجعل عبد الرحمن بن عبد الله بن الكَدَن يقول:

إني لمن ينكرني ابن الكدن   إني على دين حسين وحسن

وقاتل حتى قتل، وكان نافع بن هلال قد سَوَّم نَبْلَهُ، أي أعلمها، فكان يرمي بها ويقول:

أَرْمِي بها مُعَلَّماً أفواقَها   والنفس لاينفعُها إشفاقُها

فقتل اثني عشر رجلاً من أصحاب عمر بن سعد، ثم كُسرت عضده وأُخذ أسيراً فضرب شمر عنقه.

قالوا: فلما رأى بقية أصحاب الحسين أنهم لايقدرون على أن يمتنعوا ولايمنعوا حسيناً تنافسوا في أن يقتلوا فجعلوا يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا.

وجاء عابس بن أبي شبيب فقال: ياأبا عبد الله، والله ماأقدر على أن أدفع عنك القتل والضيم بشيء أعز عليّ من نفسي فعليك السلام. وقاتل بسيفه فتحاماه الناس لشجاعته، ثم عطفوا عليه من كل جانب فقتل.

ولما رأى الضحاك بن عبد الله المشرقي، من همدان، انه قد خلص إلى الحسين وأهل بيته وقُتل أصحابه، قال له: كنت رافقتُك على أن أُقاتل معك ماوجدت مقاتلاً فَأذَنْ لي في الانصراف فإني لاأقدر على الدفع عنك ولاعن

نفسي، فأذن له، فعرض له قوم من أصحاب عمر بن سعد من اليمامة، ثم خلوا سبيله فمضى.

وترك أبو الشعثاء يزيد بن زياد بن المهاصر بن النعمان الكندي بين يدي الحسين فرمى ثمانية أسهم أصاب منها بخمسة، قتلت خمسة نفر وقال:

أنا يزيدٌ وأبي المهاصر أشجعُ من ليثٍ بغيْلٍ خادرْ
يارب إني للحسين ناصرْ ولا بن سعدٍ رافضٌ مُهاجرْ

وكان أبو الشعثاء مع من خرج مع عمر بن سعد ثم صار إلى الحسين حين ردوا ماسأل ولم ينفذوه، فقاتل حتى قتل.

وقتل مع الحسين زياد بن عمرو بن عريب الصائدي من هَمْدان فكان يكنى أبا ثمامة، وقاتل مع الحسين جياد بن الحارث السلماني من مراد فقتل وقتل معه سوار بن أبي خُمير، أحد بني فهم الجابري من هَمْدان، أصابته جراحة فمات منها، وسيف بن الحارث بن سريع الهَمْداني، ومالك بن عبد الله بن سريع وهو ابن عمه وأخوه لأمه.

وقاتل بدر بن المغفل بن جَعونه بن عبد الله بن خُطيط بن عتبة بن الكلاع الجعفي وجعل يقول:

انا ابن جعفي وأبي الكلاع وفي يميني مُـرْهَفٌ قَراع[1]
ومازنٌ ثَعْلَبُهُ لَمَّاع

فقتل، وقتل مع الحسين: الحجاج بن مسروق بن مالك بن كثيف بن عتبة بن الكلاع الجعفي أيضاً، وقتل مجمع بن عبد الله بن مجمع من عائذ

١ ـ في رواية ثانية «قطاع» (من هامش الأصل).

الله بن سعد العشيرة، وقتل معه عبد الأعلى بن زيد بن الشجاع الكلبي، وقتل معه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزرة الغفاري.

قالوا: وكان أول قتيل من آل أبي طالب: علي الأكبر بن الحسين بن علي، قتله مُرَّةُ بن منقذ بن الشجاع العبدي. ورمى عمرو بن صبيح الصيداوي عبد الله بن مسلم بن عقيل، واعتوره الناس فقتلوه ويقال إن رقاد الجنبي كان يقول: رميت فتى من آل الحسين ويده على جبهته فأَثْبَتُّها فيها وجعلت أنضنض سهمي حتى نزعته من جبهته، وبقي النصل فيها.

وحمل عبد الله بن قطبة الطائي على عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله، وشد بشر بن شوط العثماني، وعثمان بن خالد الجهني على عبد الرحمن بن عقيل فقتلاه.

وحمل عامر بن نهشل من بني تيم الله بن ثعلبة على محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله، ورمى عبد الله بن عروة الخثعمي جعفر بن عقيل بسهم فغلق قلبه، وقتل عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي القاسم بن الحسن فصاح ياعماه، فوثب الحسين وثبة ليث فضرب عمراً فأطَنَّ يده، وجاء أصحابه ليستنقذوه فسقط بين حوافر الخيل فتوطأته حتى مات.

ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسن بن علي بسهم فقتله، ففي ذلك يقول ابن أبي عقب:

وعند غَنِيٍّ قطرة من دمائنا وفي أسدٍ أخرى تُعَدُّ وتُذْكَرُ

وقال بعضهم: قَتَل حرملة بن كاهل الأسدي ثم الوالبي العباس بن علي بن أبي طالب مع جماعة وتعاوروه، وسَلَبَ ثيابه حكيم بن طفيل

الطائي، ورمى الحسين بسهم فتعلق بسرباله، ورَمَى حرملة بن كاهل الوالبي عبد الله بن حسين بسهم فذبحه.

وشد هانىء بن ثبيت الحضرمي على عبد الله بن علي فقتله وجاء برأسه، وقتل عثمان بن علي أيضاً، رماه خولي بن يزيد بسهم، ثم شد عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله.

قالوا: واشتد عطش الحسين بن علي عليهما السلام فدنا ليشرب من الماء فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه فجعل يتلقى الدم من فمه ويرمي به، ثم جعل يقول: اللهم أحصِهِم عَدَداً واقتلهم بَدَدَا، ولاتَذَرْ على الأرض منهم أحدا.

ويقال إنه لما فُضَّ عسكره مضى يريد الفرات فرماه رجل من بني أبان بن دارم فأصاب حنكه فقال: اللهم إني أشكو إليك مايُفْعَلُ بي.

قالوا: ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في عشرة أو نحوهم من رجال أهل الكوفة قِبَلَ منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله، فمشى نحوهم فحالوا بينه وبين رحله، فقال لهم: ويحكم إن لم يكن لكم دين فكونوا في أمر دنياكم أحراراً، امنعوا أهلي من طغامكم وسفهائكم.

فقال له شمر: ذاك لك يابن فاطمة، وأقدم عليه بالرجالة منهم أبو الجنوب عبد الرحمن بن زياد بن زهير الجعفي، وخولي بن يزيد الأصبحي والقاسم بن عمرو بن نذير الجعفي، وكان فيمن اعتزل علياً، وصالح بن وهب اليزني، وسنان بن أنس النخعي. فجعل شمر يحرضهم عليه، فقال لأبي الجنوب: أَقْدِم على حسين، فقال له: وما يمنعك أنت من ذلك؟. فقال:

إليَّ تقول هذا؟ فقال أبو الجنوب: هممتُ أن أخضخض سناني في عينك. وانصرف عنه شمر.

وكان أبو الجنوب شجاعاً مقداماً، ثم إن شمراً أقبل في خمسين من الرجالة فأخذ الحسين يشد عليهم فينكشفون عنه، حتى إذا أحاطوا به ضاربهم حتى كشفهم عن نفسه.

وشد بحر بن كعب بن عبيد الله على الحسين فلما أهوى إليه بالسيف غدا غلام ممن مع الحسين إلى الحسين فضمه الحسين إليه فقال الغلام: يابن الخبيثة، أتقتل عمي، فضربه بالسيف فاتقاه الغلام بيده فعلقها بجلدة منها.

ولما بقي الحسين في ثلاثة نفر أو أربعة دعا بسراويل محشوة فلبسها، فذكروا أن بحر بن كعب التيمي سلبه إياها حين قتل، فكانت يداه في الشتاء تنضحان الماء، وفي الصيف تيبسان فكأنهما عودان.

وكان الحسين يحمل على الرجالة عن يمينه وشماله حتى ينذعروا، وعليه قميص من خز أو جبة وهو مُعْتَمْ فما رأى الناس أربط جأشاً ولاأمضى جنانا منه، ينكشفون عنه انكشاف المعزى إذا شَدَّ فيها الذئب.

قالوا: ومكث الحسين طويلاً كلما انتهى إليه رجل فأمكنه قتله انصرف عنه كراهة أن يتولى قتله، ثم إن رجلاً يقال له مالك بن النسير الكندي وكان فاتكا لايبالي على ماأقدم، أتاه فضربه على رأسه بالسيف وعليه برنس فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه فأدماه حتى امتلأ البرنس دماً فألقى البرنس ودعا بقلنسوة فلبسها وقال للرجل: لاأكلتَ بها ولاشربت وحشركَ الله مع الظالمين.

وأخذ الكندي البرنس فيقال إنه لم يزل فقيراً وشلت يداه.

وقالت زينب بنت علي لعمر بن سعد: ياعمر أيُقْتَلُ أبو عبد الله وأنت تنظر؟. فبكى وانصرف بوجهه عنها.

ونادى شمر في الناس: مابالكم تَحيدون عن هذا الرجل؟ ماتنتظرون؟. اقتلوه ثكلتكم امهاتكم فحملوا عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك التيمي على كفه اليسرى وضُرب على عاتقه ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو.

وحمل عليه وهو في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي فطعنه بالرمح فوقع، ثم قال لخولي بن يزيد الأصبحي: احتز رأسه، فأراد أن يفعل فضعف وأرعد، فقال له سنان: فَتَّ الله في عضدك وأبانَ يدك، ونزل إليه فذبحه ثم دفع رأسه إلى خولي.

وكان قد ضرب قبل ذلك بالسيوف وطعن فوجد به ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة، ويقال أن خولي بن يزيد هو الذي تولى احتزاز رأسه بإذن سنان.

وسلب الحسين ماكان عليه، فأخذ قيس بن الأشعث بن قيس الكندي قطيفة له وكانت من خز، وأخذ نعليه رجل من بني أود يقال له الأسود، وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم، ومال الناس على الوَرْسُ والحُلَلُ والإبل فانتهبوها، وأخذ الرحيل بن زهير الجعفي، وجرير بن مسعود الحضرمي، وأسيد بن مالك الحضرمي أكثر تلك الحُلل والورس وأخذ أبو الجنوب الجعفي جملاً كان يستقى عليه الماء، وسماه حسيناً.

وكان سويد بن عمرو بن أبي المطاع قد صُرع فأثخن، فسمع قائلاً

يقول: قُتل الحسين فنهض بسكين معه فقاتل به فقتله عزرة بن بطان التغلبي، وزيد بن رقاد الجنبي، فكان آخر قتيل.

وجاذبوا النساء ملاحفهنَّ عن ظهورهن، فمنع عمر بن سعد من ذلك فأمسكوا.

ونادى عمر بن سعد في أصحابه: من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه فانتدب عشرة منهم اسحاق بن حيوة الحضرمي، وهو الذي سلب الحسين قميصه فَبَرِصَ، فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضُّوا ظهره وصدره.

وكان سنان بن أنس شجاعاً وكانت به لوثة، وقال هشام بن محمد الكلبي: قال لي أبي محمد بن السائب أنا رأيته وهو يُحْدِثُ في ثوبه، وكان هرب من المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الجزيرة. ثم انصرف إلى الكوفة، قالوا: وأقبل سنان حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى بأعلى صوته:

أَوْقِرْ ركابي فضة وذهبا ... أنا قتلتُ الملك المحجبا
قتلتُ خير الناس أماً وأبا ... وخيرُهمُ إذ يُنْسبُون نسباً
وخيرهم في قومهم مركبا

فقال له عمر بن سعد: أشهد أنك مجنون ماصَحَحْتَ قط، أدخلوه إليّ فلما دخل حذفه بالقضيب ثم قال: ياأحمق أتتكلم بهذا، والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك.

وكان مع الحسين عليه السلام عقبة بن سمعان مولى الرباب بنت امرىء القيس، الكلبية، أم سكينة بنت الحسين، فقال له عمر بن سعد: من أنت؟ قال: مملوك. فخلّى سبيله.

وكان المرقع بن ثمامة الأسدي مع الحسين فجاء قوم من بني أسد فأمنوه فخرج إليهم،فلما قدم به عمر على ابن زياد أخبره خبره فَسَيَّره إلى الزارة من البحرين،

قالوا: وكان جميع من قتل مع الحسين من أصحابه اثنين وسبعين رجلاً، ودفن أهل الغاضرية من بني أسد جثة الحسين، ودفنوا جثث أصحابه رحمهم الله بعدما قتلوا بيوم، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً، سوى من جرح منهم، فصلى عمر عليهم ودفنهم.

وبعث عمر برأس الحسين من يومه مع خولي بن يزيد الأصبحي من حمير، وحميد بن مسلم الأزدي إلى ابن زياد فأقبلا به ليلاً فوجدا باب القصر مغلقاً، فأتى خولي به منزله فوضعه تحت أجانة في منزله، وكان في منزله امرأة يقال لها النوار بنت مالك الحضرمي فقالت له: ماالخبر؟. قال: جئت بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار. فقالت: ويلك جاء الناس بالفضة والذهب وجئت برأس ابن بنت رسول الله، والله لايجمع رأسي ورأسك شيء أبداً.

وأقام عمر بن سعد يومه والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمري، فنادى في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه أخوات الحسين وبناته ومن كان معه من الصبيان، وعلي بن الحسين الأصغر مريض، فلطمن النسوة، وصحن حين مررن بالحسين، وجعلت زينب بنت علي تقول:

يامحمداه صلى عليك ملك السما.

هذا حسين بالعرا، مُزَمَّلٌ بالدما، مقطع الأعضاء

يامحمداه، وبناتك سبايا وذريتك مقتلةٌ تسفي عليها الصَّبَاء

فأبكتْ كل عدو وولي

واحتزت رؤوس القتلى فحمل إلى ابن زياد اثنان وسبعون رأساً مع شمر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وعزرة بن قيس الأحمسي من بجيلة، فقدموا بالرؤوس على ابن زياد.

وحدثني بعض الطالبيين أن ابن زياد جعل في علي بن الحسين جُعْلاً، فأتي به مربوطاً فقال له: ألم يقتل الله علي بن الحسين؟ فقال: كان أخي يقال له علي بن الحسين وإنما قتله الناس، قال: بل قتله الله. فصاحت زينب بنت علي: يابن زياد، حسبك من دمائنا فإن قتلته فاقتلني معه، فتركه.

وروى حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال: مارأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين، قال: وكان يقول ياأيها الناس احبتموا حب الإسلام، فما برح حبكم حتى صار علينا عاراً.

وقال أبو مخنف: لما قتل الحسين جيء برؤوس من قتل معه من أهل بيته وأصحابه إلى ابن زياد، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بعشرين رأساً، وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، وجاءت بنو تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستة عشر رأساً، وجاءت مذحج بسبعة أرؤس، وجاء سائر قيس بتسعة أرؤس.

قالوا: وجعل ابن زياد ينكث بين ثنيتي الحسين بالقضيب، فقال له زيد بن أرقم: إعْلُ بهذا القضيب غير هاتين الثنيتين فوالله لقد رأيت شفتي رسول الله عليهما تقبلهما، ثم جعل الشيخ يبكي، فقال له: أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفتَ لضربت عنقك، فنهض وهو يقول للناس: أنتم العَبِيدُ بعد اليوم يامعشر العرب، قتلتم ابن فاطمة، وأمَّرْتُم ابن

مرجانة، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم، فَبُعْدَاً لمن رضي بالعار والذل.

ولما أُدخل أهل الحسين على ابن زياد نظر إلى علي بن الحسين فقال: انظروا أنبت؟ قيل: نعم. قال: اضربوا عنقه. فقال: إن كانت بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلاً يحافظ عليهن، فقال: أنت الرجل فبعث به معهنّ.

حدثنا سعيد بن سليمان، ثنا عباد بن العوام عن أبي حصين قال: لما قتل الحسين مكثوا شهرين أو ثلاثة وكأنما تُلَطَّخُ الحيطان بالدم من حين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس.

وحدثني عمر بن شبه عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن سالم القاص قال: مُطِرْنَا أيام قتل الحسين دماً.

حدثني عمر بن شبه عن عفان عن حماد عن هشام عن محمد بن سيرين قال: لم تر هذه الجمرة في آفاق السماء حتى قتل الحسين.

حدثنا عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي قبيل أن السماء أظلمت يوم قتل الحسين، حتى رأوا الكواكب.

قالوا: وخطب ابن زياد فقال: الحمد لله الذي قتل الكذاب ابن الكذاب الحسين وشعيته، فوثب عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي وكان شيعياً وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل، واليمنى يوم صفين، وكان لايفارق المسجد الأعظم، فلما سمع مقالة ابن زياد قال له: يابن مرجانة، إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاه وأبوه، يابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟ فقال ابن زياد: عليَّ به فنادى بشعار الأزد: مبرور، يامبرور، وحاضروا الكوفة من الأزد

يومئذ سبعمائة، فوثبوا فتخلصوه حتى أتوا به أهله، فقال ابن زياد للاشراف: أما رأيتم ماصنع هؤلاء. قالوا: بلى. قال: فسيروا أنتم ياأهل اليمن حتى تأتوني بصاحبكم، وامتثل صنيع أبيه في حجر حين بعث أهل اليمن. وأشار عليه عمرو بن الحجاج بأن يحبس كل من كان في المسجد من الأزد، فحبسوا وفيهم عبد الرحمن بن مخنف وغيره فاقتلت الأزد وأهل اليمن قتالاً شديداً، واستبطأ [ابن] زياد أهل اليمن فقال لرسول بعثه إليهم: انظر مابينهم. فرأى أشد قتل. فقالوا: قل للأمير: إنك لم تبعثنا إلى نبط الجزيرة ولاجرامقة الموصل، إنما بعثتنا إلى الأزد، إلى أسود الأجم ليسوا ببيضة تُحْسَى ولاحرملة[1] توطأ، فقتل من الأزد عبيد الله بن حوزة الوالبي ومحمد بن حبيب الكبري[2] ،وكثرت القتلى بينهم وقويت اليمانية على الأزد وصاروا إلى خُصٍّ في ظهر دار ابن عفيف فكسروه واقتحموا، فناولته ابنته سيفه فجعل يذب به، وشدوا عليه من كل جانب فانطلقوا به إلى ابن زياد وهو يقول:

أُقْسِمُ لو يُفْسَحُ لي من بصري   شَقَّ عليكم مَوْرِدي وَصَدرِي

وخرج سفيان بن يزيد بن المغفل ليدفع عن ابن عفيف، فأخذوه معه، فقتل ابن عفيف وصلب بالسبخة، وأتي بجندب بن عبد الله فقال له ابن زياد: والله لأتقربن إلى الله بدمك فقال: إنما تتباعد من الله بدمي، وقال لابن المغفل: قد تركناك لابن عمك سفيان بن عوف فإنه خير منك.

وجعل عمر بن سعد يقول: مارجع أحد إلى أهله بشر مما رجعتُ به،

---

١ ـ الحرمل: حب بنات يخرج السوداء والبلغم اسهالاً. القاموس.

٢ ـ في هامش الأصل: «من بني كبير».

أطعتُ الفاجر الظالم ابن زياد وعصيتُ الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة.

حدثني عمر بن شبه عن أبي عاصم عن قرة بن خالد عن أبي رجاء قال: قال جار لي حين قتل الحسين: ألم تر كيف فعل الله بالفاسق ابن الفاسق، فرماه الله بكوكبين في عينيه.

قالوا: ونصب ابن زياد رأس الحسين بالكوفة وجعل يُدَارُ بِهِ فيها، ثم دعا زحر بن قيس الجعفي فسرح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه وأهل بيته إلى يزيد بن معاوية، وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي، وطارق بن أبي ظبيان الأزدي، فلما قدموا عليه قال: لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية، أما والله لو كنت أنا صاحبه لعفوت عنه، رحم الله الحسين فقد قتله رجل قطع الرحم بينه وبينه قطعاً، ولم يصل زحر بن قيس بشيء.

العمري عن الهيثم عن عبد الملك بن عمير أنه قال: رأيت في هذا القصر عجباً، رأيت رأس الحسين على ترس موضوعاً بين يدي ابن زياد، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي مصعب، ثم رأس المختار بين يدي مصعب ثم رأس مصعب بن يدي عبد الملك بن مروان.

وقال الهيثم بن عدي عن عوانة: لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد تمثل ببيت الحصين بن حمام المري:

يُفَلِّقْنَ هَامَاً مِنْ رجالٍ أَعِزَّةٍ عليها وَهُمْ كانوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

حدثني عمرو الناقد، وعمر بن شبة قالا: ثنا أبو أحمد الزبيري عن عمه فضيل بن الزبير وعن أبي عمر البزار عن محمد بن عمرو بن الحسن

قال : لما وضع رأس الحسين بن علي بين يدي يزيد قال متمثلاً :

يُفَلِّقْنَ هاماً من رجال أَعِزَّةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

قالوا : وأمر عبيد الله بن زياد بعلي بن الحسين فَغُلَّ بِغِلٍّ إلى عنقه ، وجهز نساءه وصبيانه ، ثم سرح بهم مع محفز بن ثعلبة من عائذة قريش ، وشمر بن ذي الجوشن وقوم يقولون : بعث مع محفز برأس الحسين أيضاً ، فلما وقفوا بباب يزيد رفع محفز صوته فقال : يا أمير المؤمنين هذا محفز بن ثعلبة أتاك باللئام الفجرة . فقال يزيد : ما تحفزتْ[1] عنه أمُّ محفز ألأمَ وأفْجَرَ .

وبعث يزيد برأس الحسين إلى نسائه فأخذته عاتكة ابنته وهي أم يزيد بن عبد الملك فغسلته ودهنته وطيبته . فقال لها يزيد : ما هذا ؟ قالت : بعثتَ إلي برأس ابن عمي شعثاً فلممته وطيبته .

ودفن رأس الحسين في حائط بدمشق إما حائط القصر وإما غيره ، وقال قوم : دفن في القصر حفر له وأعمق .

قالوا : وجعل يزيد ينكث بالقضيب ثغر الحسين حين وضع رأسه بين يديه ، فقال أبو برزة الأسلمي : أتنكث ثغر الحسين ، لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً ربما رأيت رسول الله ﷺ يرشفه ، أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وشفيعك ابن زياد ، ويجيء الحسين وشفيعه محمد . ثم قام . ويقال إن هذا القائل رجل من الأنصار .

وحدثني ابن برد الأنطاكي الفقيه عن أبيه قال : ذكروا أن رجلاً من

١ ـ حفز يحفزه : دفعه من خلفه ، وبالرمح طعنه ، وعن الأمر أعجله وأزعجه ، المرأة جامعها . القاموس .

أهل الشام نظر إلى ابنة لعلي فقال ليزيد : هب لي هذه ، فأسمعته زينب كلاماً ، فغضب يزيد وقال : لو شئت أن أهبها له فعلتُ ، أو نحو ذلك .

وقال يزيد حين رأى وجه الحسين : ما رأيت وجهاً قط أحسنَ منه . فقيل له : إنه كان يشبه رسول الله ﷺ ، فسكت .

وصيَّحَ نساءٌ من نساء يزيد بن معاوية وولولنَ حين أُدخل نساء الحسين عليهن ، وأقمن على الحسين مأتماً . ويقال إن يزيد أَذِنَ لهنَّ في ذلك .

وأعطى يزيد كلَّ امرأة من نساء الحسين ضعف ما ذهب لها وقال : عَجَّلَ ابن سمية لعنة الله عليه .

وبعث يزيد بالنساء والصبيان إلى المدينة مع رسول ، وأوصاه بهم ، فلم يزل يرفق بهم حتى وردوا المدينة ، وقال لعلي بن الحسين : إن أحببتَ أن تقيم عندنا بررناك ووصلناك . فاختار إتيان المدينة ، فوصله وأشخصه إليها .

ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين كثر النوائح والصوارخ عليه ، واشتدت الواعية في دور بني هاشم ، فقال عمرو بن سعيد الأشدق : واعية بواعية عثمان ، وقال مروان حين سمع ذلك :

عَجَّتْ نساء بني زبيد عَجَّةً كعجيج نسوتنا غداة الأَرْنَبِ

وقال عمرو بن سعيد : وددتُ والله أن أمير المؤمنين لم يبعث إلينا برأسه . فقال مروان : بئس ما قلتَ هاته :

يا حبذا بَرْدُكَ في اليدين ولونكَ الأحمر في الخدَّين

وحدثنا عمر بن شبة ، حدثني أبو بكر عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه قال : رعف عمرو بن سعيد على منبر

رسول الله ﷺ ، فقال بيار الأسلمي وكان زاجراً : إنه ليوم دم ، قال فجيء برأس الحسين فنصب فصرخ نساء أبي طالب فقال مروان :

عجت نساء بني زبيد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأزيب

ثم صِحْنَ أيضاً فقال مروان .

ضربت ذو شر فيهم ضربة أثبَتَتْ أَنْ كان مُلْكُ فاستقر

وقام ابن أبي حبيش وعمرو يخطب فقال : رحم الله فاطمة ، فمضى في خطبته شيئاً ، ثم قال : واعجباً لهذا الألثغ ، وما أنت وفاطمة . قال : أمها خديجة ، يريد أنها من بني أسد بن عبد العزىٰ . قال : نعم والله وابنة محمد . أخذتها يميناً وأخذتها شمالاً . وددت والله أن أمير المؤمنين كان نَحَّاهُ عين ولم يرسل به إلي ، ووددت والله أن رأس الحسين كان على عنقه ، وروحه كانت في جسده .

وقال عوانة بن الحكم : قتل الحسين بكربلاء ، قتله سنان بن أنس ، واحتز رأسه خولي بن يزيد ، وجاء به إلى ابن زياد ، فبعث به إلى يزيد مع محفز بن تعلبة .

ويقال إن الحجاج سأله كيف صنع بالحسين فقال : دسرته[1] بالرمح دسراً وهبرته بالسيف هبراً . فقال الحجاج : لا تجتمعان في الجنة والله أبداً ، وقال : ادفعوا إليه خمسمائة درهم ، فلما خرج قال : لا تعطوه شيئاً .

قال وكان الحسين يوم قتل ابن ثمان وخمسين سنة ، وذلك في سنة إحدى وستين يوم عاشوراء .

وقال الواقدي : قتل الحسين شمر بن ذي الجوشن وقد نصل

١ ـ الدسر : الطعن والدفع . القاموس .

خضاب[١] لحيته ، وكان يخضب بسوادٍ ، وأوطأه شمر فرسه وذلك في يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ويقال ابن ست وخمسين .

وقال الكلبي : ولد الحسن في سنة ثلاث من الهجرة ، والحسين في سنة أربع . وقال : بعث يزيد برأسه إلى المدينة فنصب على خشبة ، ثم رُدَّ إلىٰ دمشق فدفن في حائط[٢] بها ، ويقال في دار الإمارة . ويقال في المقبرة .

حدثني شجاع بن مخلد الفلاس عن جرير عن مغيرة قال : قال يزيد حين قتل الحسين : لعن الله ابن مرجانة ، لقد وجده بعيد الرحم منه .

حدثني هشام بن عمار ، حدثني الوليد بن مسلم عن أبيه قال : لما قدم برأس الحسين على يزيد بن معاوية وأُدخل أهله الخضراء تصايحت بنات معاويه ونساؤه ، فجعل يزيد يقول :

يا صيحةً تُحْمَدُ من صوائح ما أهونَ الموت على النوائح

إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً ، قد كنا نرضى من طاعة هؤلاء بدون هذا .

ولما أدخل علي بن الحسين على يزيد قال : يا حبيب . إن أباك قطع رحمي وظلمني فصنع الله به ما رأيت ، فقال علي بن الحسين : ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾[٣] . فقال يزيد لخالد ابنه أجبه ، فلم يدر ما يقول ، فقال يزيد : قل له :

١ ـ نصلت اللحية : خرجت من الخضاب . القاموس .

٢ ـ الحائط : الحديقة أو البستان ، ودار الإمارة هي قصر الخضراء وكان بجوار الجامع الأموي إلى الجنوب منه .

٣ ـ سورة الحديد ـ الآية : ٢٢ .

﴿ما أصاب من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[١].

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد بن سعيد قال : كتب يزيد إلى ابن زياد : «أما بعد : فَزِدْ أهل الكوفة أهل السمع والطاعة في أعطياتهم مائة مائة» .

قال الهيثم بن عدي ، قال سليمان بن قته :

إن قتيل الطَّفِّ من آل هاشمٍ أذلَّ رقاباً من قريشٍ فَذَلَّتِ
وكانوا لنا غُنْماً فعادوا رزيةً لقد عَظُمَتْ تلك الرزايا وجَلَّتِ
وعند غنيٍّ قطرة من دمائنا سيجزيهمُ يوماً بها حيث حَلَّتِ
مررتُ على أبيات آل محمدٍ فألفيتها أمثالها يوم حلت

وقال أبو دهبل الجمحي :

يبيت السكارى من أمية نُوَّماً وبالطَّفِّ قتلىً ما ينام قتيلها

وقالت زينب بنت عقيل ترثي قتلىٰ أهل الطفّ . وخرجتْ تنوح بالبقيع :

ماذا تقولون إن قال النبي لكمْ ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأنصاري أَما لكمُ عهدٌ كريمٌ أما توفون بالذمم
ذرِّيتي وبنو عمي بمَضْيَعَةٍ منهم أسارى وقتلىٰ ضُرِّجوا بدمِ
ما كان ذا جزائي إذا نصحتكُمُ أنْ تخلِفُوْني بسوءٍ في ذوي رحمي

فكان أبو الأسود الدولي يقول : ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[٢].

---

١ ـ سورة الشورى ـ الآية : ٣٠ .
٢ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ٢٣ .

وكانت زينب هذه عند علي بن يزيد بن ركانة من بني المطلب بن عبد مناف ، فولدت له ولداً منهم عَبْدَة ، وولدت وهب بن وهب أبا البختري القاضي .

وقال المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

أضحكني الدهر وأبكاني والدهر ذو صرفٍ وألوانِ
يا لهف نفسي وهىٰ النفسـ ـس لا تنفكُّ من هَمٍّ وأحزانِ
على أناس قُتِّلُوا تسعةٌ بالطَّفِّ أمسوا رَهْنَ أكفانِ
وستَّةٌ ما إن أرىٰ مثلهم بني عقيلٍ خيرِ فرسانِ

قال عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم بن أبي العاص :

لهام بجنب الطَّفِّ أدنىٰ قرابة من ابن زياد العبدذي الحسب الوَغْلِ
سمية أمسىٰ نسلها عدد الحصا وبنت رسول الله ليس لها نسل

فذكر أنه أنشد يزيد هذه الأبيات فضرب صدره وقال : اسكت .

وقال الهيثم : خرج رجل من الأزد فيمن وُجِّهَ إلى الحسين فنهته امرأته فلما رجع قال :

ألم تخبري عني وأنت ذميمةٌ غداة حسينٍ والرماح شوارعُ
ألم آتِ أقصىٰ ما كرهتُ ولم يُعَبْ عليَّ غداة الرَّوْعِ ما أنا صانعُ

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا وهب بن جرير عن أبيه عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أنس بن مالك ، قال : لما جيء برأس الحسين إلى ابن زياد وضع بين يديه في طست فجعل ينكث في وجنته بقضيب ويقول : ما رأيتُ مثل حُسْن هذا الوجه قط . فقلت إنه كان يشبه النبي ﷺ .

حدثنا حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب عن عبد الملك بن عمير قال : لقد رأيت في قصر الكوفة عجباً ، رأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد على ترس ، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار على ترس ، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب على ترس ، ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان على ترس .

وقال سراقة البارقي :

عين بَكيٍّ بعبرةٍ وعويل   واندبي إنْ نَدَبْتِ آل الرسول
خمسةٌ منهُمُ لصلبِ عليٍّ   قد أُبيدوا وسبعةٌ لعقيلِ

قال المدائني : قتل الحسين والعباس وعثمان ومحمد لأم ولد بنو علي ، وعلي بن الحسين وعبد الله وأبا بكر والقاسم بنو حسين ، وعون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر ، وعون وعبد الرحمن وعبد الله بن عقيل ، وعبد الله بن مسلم بن عقيل ، ومحمد بن أبي سعد بن عقيل .

حدثنا سعيد بن سليمان ، ثنا عباد بن العوام عن حصين أن أهل الكوفة كتبوا إلى الحسين : إنَّا معك ومعنا مائة ألف سيف ، فبعث إليهم مسلم بن عقيل فنزل بالكوفة دار هانىء بن عروة ، فبعث إليه ابن زياد فأتى فضربه بقضيب كان معه ، ثم أمر فكُتِّفَ فضربت عنقه فبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج في ناس كثير .

قال حصين : فحدثني هلال بن إساف قال : لقد تفرقوا عنه ، فلما قَلَّتِ الأقوات قيل لابن زياد : ما نرى معه كبير أحد . فأمر فرفعت جرادي[1] فيها النار حتى نظروا فإذا ليس مع مسلم إلّا قدر خمسين ، فقال

١ - الجرادي جمع جريدة ، والجريدة سعفة طويلة رطبة أو يابسة ، أو التي تقشر من خوصها . القاموس .

ابن زياد للناس : تميزوا أرباعاً ، فانطلق كل قوم إلى رأس ربعهم فنهض إليهم قوم قاتلوا مع مسلم فجرح مسلم جراحة ، وقتل ناس من أصحابه ، ولجأ إلى دار من دور كندة ، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس عند ابن زياد فأخبره بذلك ، فقال لابن زياد : إنه قال لي أن مسلماً في دار فلان ، فقال ائتوني به ، فدخل عليه وهو عند امرأة قد أوقدت ناراً فهي تغسل عنه الدم فقالوا له : انطلق إلى الأمير : فقال : عفواً ؟ قالوا : ما نملك ذلك . فانطلق معهم فلما رآه أمر به فكُتِّفَ . وقال : أجئتَ يا بن حلية لتنزع سلطاني ؟ وأمر به فضربت عنقه ، قال : وحلية أم مسلم بن عقيل ، وهي أم ولد .

ثم أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة .

وأقبل الحسين وهو لا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب فسألهم فقالوا : والله ما ندري غير أنا لا نقدر على أن نخرج أو نلج ، فانطلق يسير نحو الشام الى يزيد فلقيته الخيول بكربلاء فناشدهم الله ، وكان بعث اليه عمر بن سعد ، وشمر بن ذي الجوشن ، وحصين بن نمير، فناشدهم الله أن يسيروه الى يزيد فيضع يده في يده ، فقالوا : لا إلا على حكم ابن زياد .

وكان فيمن بعث اليه الحر بن يزيد الحنظلي فقال لهم : يا قوم لو سألتكم هذا الترك والديلم ما حَلّ لكم أن تمتنعوا منه ، فأبوا إلا أن يحملوه على حكم ابن زياد ، فركب وصار مع الحسين ، ثم كَرَّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم فقتل منهم رجلين ثم قتل .

وذكر أن زهير بن القين العجلي لقي الحسين وكان حاجاً فأقبل معه .

قالوا : وأخرج اليه ابن زياد ابن أبي حويزة المرادي ، وعمرو بن

الحجاج ، ومَعْناً السُّلَمي . قال حصين : فحدثني سعد بن عبيدة قال : إن أشياخنا من أهل الكوفة لوقوف على تلٍ يبكون ويقولون : اللهم أنزل عليه نصرك ، فقلت : يا أعداء الله ألا تنزلون فتنصرونه .

قال : وأقبل الحسين يكلم من بعث اليه ابن زياد ، وإني لأنظر اليه وعليه جبة بُـرد فلما أبوا ما قال لهم انصرف الى مصافه ، وإنهم لمائة رجل أو قريب من مائة فيهم من صُلْبِ علي خمسة وستة عـشر من الهاشميين ، وفيهم رجل من سليم حليف لهم ، ورجل من كنانة حليف لهم .

قال حصين : وأخبرني سعد بن عبيدة قال : إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد إذا أتاه رجل فَسَارَّهُ فقال : بعث إليك ابن زياد ابن حويزة بن بدر التميمي وأمره ان أنت لم تقاتل أن يضرب عنقك ، قال فخرج فوثب على فرسه ، ثم دعا بسلاحه وصار إليهم فقاتلهم ، فجيء برأس الحسين الى ابن زياد فوضع بين يديه وجعل ينكته بقضيب له ويقول : أرى أبا عبدالله قد كان شمط[1] وأمر ببناته ونسائه فكان أحسن ما صنع بهن أن أمر لهن بمنزل في مكان معتزل وأجرى عليهن رزقاً وأمر لهن بكسوة ونفقة .

ولجأ ابنان لعبدالله بن جعفر الى رجل من طيء فضرب أعناقهما ، وأُتى ابن زياد برؤوسهما ، فَهَمَّ بضرب عنقه ، وأمر بداره فَهُدِمَتْ .

قال حصين : فلما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة وكأنما تلطخ الحوائط بالدماء مذ صلاة الصبح الى ارتفاع الشمس .

قال حصين فحدثني مولى ليزيد بن معاوية قال : لما وضع رأس

١ ـ الشمط : بياض الرأس يخالط سواده . القاموس .

الحسين بين يدي يزيد رأيته يبكي ويقول : ويلي على ابن مرجانة فعل الله به كذا ، أما والله لو كانت بينه وبينه رحم ما فعل هذا .

حدثني عبيدالله بن محمد بن عائشة عن مهدي بن ميمون عن محمد بن أبي يعقوب الضبي عن ابن أبي نعيم قال : سأل رجل ابن عمر عن دم البعوض يصيب المحرم ، فقال له : من أين أنت؟ قال : أنا من أهل العراق ، فقال ؛ واعجباً من قوم يسألون عن دم البعوض وقد سفكوا دم ابن بنت نبيهم .

وحدثني أبو خيثمة ، ثنا وهب بن جرير عن أبيه قال : بعث ابن زياد عمر بن سعد على جيش وبعث معه شمر بن ذي الجوشن وقال له : اذهب معه فإن قتل الحسين والا فاقتله وأنت على الناس ، فلقوه في تسعة عشر من أهل بيته فقال : يا أهل الكوفة كتبتم إلي في القدوم ثم صنعتم ما أرى ، فأنا أنزل على حكم يزيد ، قالوا : انزل على حكم الامير ، قال : ما كنت لأنزل على حكم ابن مرجانة . وقاتل ومن معه حتى قتلوا . فقال الشاعر .

فأيُّ رزيَّةٍ عَدَلَتْ حُسَيْناً غداةَ سَطَتْ به كَفًّا سِنَانِ

وحدثنا عمرو بن شبه ، ثنا الصلت بن مسعود الجحدري ، ثنا عاصم بن قرْهد عن أبي بكر الهذلي عن الحسن[1] أنه لما قتل الحسين بكى حتى اختلج جنباه ، ثم قال : واذل أمة قَتَل ابن دَعِيِّها ابن نبيها .

وحدثت عن أبي عاصم النبيل ، عن ابن جريج ، عن ابن شهاب قال : ما رفع حجر بالشام يوم قتل الحسين إلا عن دم .

١ ـ الامام الحسن البصري .

حدثنا يوسف بن موسى عن جرير عن الأعمش أن رجلاً أحدثَ على قبر الحسين فجذم وبرص وجن ، فولده يتوارثون ذلك[1] .

١ - في هامش الأصل : آخر الجزء الحادي عشر من الأصل ، ولله كل حمد وكمال [وله بالغ الجزاء] على ما هو [أهله] ولله الحمد .

أمر زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

كان زيد بن علي لَسِناً خطيباً دخل على هشام بن عبد الملك فقال : إنه ليس أحد بدون أن يوصي بتقوى الله ولا أحدٌ فوق أن يوصى بها . وأقام قبله في خصومة فلما شخص عن بابه كتب إلى عامله على المدينة : «أما بعد فإن زيد بن علي قدم عليَّ فرأيته رجلاً حُوَّلاً قُلَّباً خليقاً بصوغ الكلام وتمويهه» ، وأمره بتفقده والإشراف عليه وحَذَّرَهُ إياه .

وحدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن أبيه قال : نازع محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عبدالله بن حسن بن حسن في صدقة علي بن أبي طالب ، فوكل محمدٌ أخاه زيد بن علي بالخصومة فكان محمد وعبدالله يتنازعان عند عامل المدينة ابراهيم بن هشام ، فقال عبدالله لزيد ، وكانت أمه سندية : يابن السندية الساحرة ، أتطمع في الخلافة ؟ فانصَرَفَ زيد فدخل على عمته فاطمة بنت الحسين بن علي وهي أم عبدالله بن حسن ، وأخويه ابراهيم ، وحسن بن حسن بن حسن ، فشكا فبكى إليها فقالت : إنْ سَبَّ أمك فَسُبَّني . فعاد للخصومة فَعَادَ لَهُ عبدالله فشتم أمه فقال له

زيد : أوتذكر عبدالله بن الضحاك بن قيس حين كانت أمك تبعث إليه بالعَلْك الأحمر والأخضر والأصفر فتجيئه فتقول له : فمك . فإذا فتح فاه طرحته فيه ، فأخبرها بنوها عبدالله ، وحسن ، وابراهيم بنو حسن بن حسن بن علي بقول زيد ، فغضبت وقالت : كنتم أحداثاً فكنت أُداريه وأُمَنِّيه أتزوجه لأنه كان يتوعدني إن لم أفعل ، حتى كتبت الى يزيد بن عبد الملك فعزله .

قال : وشخص ولد الحسن بن علي والحسين إلى هشام بسبب هذه المنازعة ، فاجتمع زيد بن علي وحسن بن حسن عنده ، فَأَعَانَ عمر بن علي زيداً على حسن ، فقال هشام لعمر : كيف لا تطلب القيام بهذه الصدقة لنفسك ؟ فقال حسن : يمنعه من ذلك «خولة والرباب» جَرَّتَاهُ اللتان كان ينتبذ فيهما ، فَصَبَّ أبان بن عثمان ما فيهما على رأسه وهو والي المدينة ،

وروى بعضهم أن زيداً رأى في منامه أنه أضرم بالعراق ناراً ثم أطفأها ، فقصها على يحيى ابنه وقد راعته ، وَوَرَدَ عليه كتاب هشام في القدوم عليه ، فلما أتاه قال له : إلحق بأميرك يوسف بن عمر . فقدم عليه وحذره إياه .

المدائني عن ابن جُعْدَبة قال : كان جعفر بن حسن بن الحسن بن علي من رجال بني هاشم ، فاختصم ولد الحسن والحسين في وصية علي فقال كل قوم : فينا . فكان زيد يخاصم لولد الحسين ، وكان جعفر يخاصم لولد الحسن .

المدائني عن جويرية بن أسماء قال: تنازع ولد الحسن والحسين في أموال علي فكان القائم بأمر ولد الحسين زيد ، والذي يقوم بأمر ولد الحسن

جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي ، فكانا يختصمان . ثم مات جعفر بن الحسن بن الحسن فقام مقامه عبدالله بن الحسن بن الحسن ، ثم جرى بين زيد وخالد[1] كلام بالكوفة فخرج هو وعبدالله بن الحسن وعمر بن علي بن أبي طالب ومحمد بن عمر إلى هشام فلما عذب يوسف بن عمر طارقاً غلام خالد بن عبدالله القسري ، ادعى أن له عند زيد بن علي وعمر ، ومحمد بن عمر ، وداود بن علي بن عبدالله بن عباس مالاً ـ وكان داود مع خالد بن عبدالله في أصحابه ـ وعند أيوب بن سلمة المخزومي ودائع وأموالاً فكتب يوسف بذلك إلى هشام فحملهم هشام إليه ولم يحمل المخزومي لأن مخزوماً أخواله .

وكان عمر مسناً فأمر بالرفق به ، وكتب هشام الى يوسف : إن ثبت عليهم حق فَخُذْهُم به وإلا فلا تطالبهم بشيء ، وسرح هشام معهم رجلاً ، فلما جمع بينهم وبين طارق قال : إنما التمستُ أن يُكَفَّ عني العذاب الى أن يذهب الرسول ويحملوا . وما لخالد قِبَلَهُم شيء .

وقال عمر بن علي : كيف يُودِعُنَا من كان يلعننا ؟ فخلى سبيلهم ، فخرج محمد بن عمر وداود بن علي الى المدينة ، وخرج زيد معهما ، فاتبعه قوم من أهل الكوفة فدعوه الى أن يبايعوه ، فرجع وأقام بالكوفة ، فبلغ يوسف أمره فقال : لا أصدق به . لقد كلمت زيداً فرأيت ثَمَّ نُبلاً وعقلاً ولم يكن ليفسد نفسه .

وبلغ هشاماً مكان زيد بالكوفة وأنه يدعو الناس ، فكتب الى

---

١ ـ خالد بن عبدالله القسري ـ والي هشام على العراق .

يوسف : أن أحبس الناس في المسجد واحلفهم رجلاً رجلاً على خبره وأَمرِهِ حتى تَتَيَقَّنَهُ .

فلما اجتمعوا سد الأبواب إلا باب الفيل وحده وأحلف الناس وبحثهم عن أمر زيد ، ثم إن زيداً قتل فبعث يوسف برأسه الى هشام فنصبه هشام بدمشق ، فقال بعض الشعراء

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلةٍ وما كان مَهْدِيٌّ على الجذع يُصْلَبُ

فلما ظهر عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما على الشام أخذ ذلك الشاعر فجعل يضرب رأسه بعمود بيده حتى نثر دماغه ، وأمر فأحرق بالنار .

قال وقال الكميت بن زيد الأسدي :

دعاني ابن الرسول فلم أُجِبْهُ أيا لهفي على القلب الفَرُوقِ
حذارَ مَنِيَّةٍ لا بُدَّ منها وهل دون المنية من طريقِ

وقال أيضاً :

دعاني ابنِ الرسول فلم أُجِبْهُ فلهفي اليوم للرأي الغَبِيْنْ
فواندمي على أن لا أكن عاضدت زيداً[1] حفاظاً لابن آمنة الأمين

وقال الشاعر حين أُشخص زيدٌ وداود :

يَأْمَنُ الظبي والحمام ولا يأ منُ أهل النبي عند المَقَام
طِبْتَ بيتاً وطابَ أهلك أهلاً أهلُ بيت النبيِّ والإسلام

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف ، وقرأتُ على المدائني عن أشيَاخ ذكرهم ، وأخبرني عبدالله بن صالح رحمه الله عن عبثر بن

١ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الكميت المطبوع ، وصدر البيت الرابع مضطرب الوزن .

القاسم بن زبيد ، وابن كناسة قالوا : كان زيد بن علي رضي الله تعالى عنه مع خالد بن عبدالله القسري في أصحابه في الكوفة ، وخالد والي العراق . وكان داود بن علي بن عبدالله بن العباس رضي الله تعالى عنهم مع خالد أيضاً ، فلما ولي يوسف بن عمر الثقفي العراق مكان خالد بلغه أن خالداً أودع زيد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم وداود بن علي بن عبدالله بن العباس مالاً ، فَحَلَفَا على ذلك فقبل يمينهما ، وانصرفا إلى مكة فلقيهما نصر بن خزيمة العبسي فدعاهما الى الخروج فأجابه زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما ، فقال داود لزيد : يابن عم لا تفعل فإنهم يَغُرُّوْنَكَ ويُسلمونك . قال عبدالله بن صالح في حديثه عن ابن كناسة ، وأنشد داود :

أنا ابن بجدتهم[1] عِلْماً وتَجْرِبَةً فَاسْأَلْ بِسَعْدٍ تجِدْني أَعْلَمُ الناسِ

قالوا : فقال زيد : يابن عم ، كم نصبر لهشام ؟ قال داود : نصبر يا أبا الحسين حتى نجد الفرصة . فقال : يابن عم من أحبَّ الحياة ذَلَّ . ومضى داود لوجهه ، ثم رجع الى الكوفة وقد صُلب زيد فأراد انزاله فأدركته خيل يوسف فتركه ، فقال له سلمة بن كهيل : إن أباك كان خيراً منك ، وقد كان بايعه أكثر ممن بايعك ، وكان اولئك خير من هؤلاء فامض لوجهك .

فلما أتى الى اليمامة كتب هشام الى يوسف إن سلمة كان خيراً لك بالمصر من عشرة آلاف دارع ،وقد كان ينبغي لك أن لا تحول بينه وبين الشخوص عن الكوفة .

---

١ ـ يقال هو ابن بجدتها للعالم بالشيء والدليل الهادي ، ولمن لا يبرح عن قوله . القاموس .

وقد قيل إنه بايعه هو وحجية بن الأجلح الكندي ، وقتل حجية معه .

عمرو بن محمد عن ابن ادريس عن ليث قال : جاء منصور الى زياد اليامي وهو يبكي ويقول : ابن بنت نبيكم فقال زياد : ما كنت لأخرج إلاّ مع نبي وما أنا بواجده فأمسك .

المدائني عن أبي مخنف وغيره : ادعى يزيد بن خالد بن عبدالله القسري ، وقد جلده يوسف بن عمر وحلقه ، مالاً قبل زيد بن علي ، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وداود بن علي بن عبدالله ، وسعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، وأيوب بن سلمة بن عبدالله بن سلمة بن الوليد المخزومي ، دفعه أبوه إليهم ، فكتب يوسف بن عمر فيهم إلى هشام بن عبدالملك، وزيد بن علي، ومحمد بن عمر يومئذ برصافة هشام[1] يخاصمان عبدالله بن حسن بن حسن بن علي في صدقة علي ووصيته ، فلما ورد كتاب يوسف على هشام بعث إليهما فذكر لهما ما كتب به يوسف ، فأنكرا ، فأشخص زيداً ومحمدا إلى يوسف ، وأمره أن ينظر فيما ادعى ابن خالد عليهما وعلى أصحابهما ، فإن أقام البينة أشخصهم إليه ، وإلاّ أخرجهم بعد العصر الى المسجد وأحلفهم على صدقهم ، فإن حلفوا خلى سبيلهم .

فقدم زيد بن علي الحيرة، فنزل بها على رجل يقال له عبد المسيح ، فولد له غلام فسماه عيسى، وناظر يوسف زيداً ومحمد بن عمر وأصحابهما، فقال ابن خالد: ما لي قبلهم شيء، فقال يوسف: أبي كنت تهزأ أم بأمير المؤمنين؟ قال: لا ، ولكني استرحت إلى قولي، وقلت تمسك عن عذابي إلى أن تكتب بحمل من حمل.

---

١ ـ على مقربة من الرقة ، مازالت بقاياها موجودة .

فعذبه حتى ظن أن قد قتله، ثم أخرج زيد وأصحابه إلى المسجد بعد العصر فحلفوا أنه ليس لخالد ولاليزيد عندهم شيء، وغلّظ عليهم الأيمان وكتب بذلك إلى هشام، فأمره بتخلية سبيلهم وإشخاصهم إلى المدينة.

وقد روي أن ابن داود، وزيدا، ومحمد بن عمر كانوا في عسكر هشام، وأن يوسف بن عمر حمل إليه باقيهم فأحلفهم فحلفوا فخلى سبيلهم.

قالوا: ولقي زيد بن علي الأبرش الكلبي وهو خارج من عند هشام فقال: إنه والله ماترك قوم الجهاد إلا ذَلُّوا، فسمعها خادم لهشام، ويقال سمعها الأبرش فأبلغها الأبرش هشاماً فاحتملها عليه وقال له: يازيد أخرج إلى حيث شئت ولاتدخل الكوفة.

قالوا: ولحق زيداً بعد شخوصه من الكوفة قوم من الشيعة فقالوا له: أنا نرجو أن تكون المنصور[1]، وأن يكون هذا الزمان زمان هلاك بني أمية، فقال له داود حين أراد المضي إلى الكوفة وقد أطَّلَعَ على أمره: ياأبا الحسين، إن أهل الكوفة أصحاب علي وأصحاب الحسين فاحذرهم، فلم يقبل ورجع إلى الكوفة مستتراً، فقال له محمد بن عمر بن علي: قد صَدَقَكَ ابن عمك فلا تخرج، فلما أبى مضى إلى المدينة وتركه.

قالوا: ولما قدم زيد الكوفة أقبلتِ الشيعة تختلف إليه وأتته المَحكِّمَةُ[2] أيضاً فبايعوه جميعاً حتى أحصى في ديوانه خمسة عشر ألفاً، ويقال، اثنا عشر ألفاً من أهل الكوفة خاصة، سوى: أهل المدائن، والبصرة، وواسط،

١ ـ من ألقاب المهدي المنتظر.

٢ ـ أي خوارج.

والموصل، وخراسان، والري، وجرجان، والجزيرة، فأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً، وأتى البصرة وأقام بها شهرين.

وقد كان وَجَّهَ دعاته إلى الآفاق فأجابه ناس من أهل كل ناحية، وكان قد نزل بالكوفة في منزل مولى له يقال له حميد بن دينار في أحمس وفي منزل نصر بن خزيمة العبسي، فبلغ يوسف أنه بالكوفة في عبس فتحوَّلَ إلى بارق فنزل فيهم في منزل نصر بن عبد الرحيم البارقي، ثم تحوَّل إلى بني يربوع ثم إلى بني بكر بن وائل، وكتب إلى هلال بن خبَّاب فأجابه.

وكان إذا بويع قال: أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، واعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء على أهله، وَرَدِّ المظالمِ وإقفال المُجَمَّرة، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب، أتبايعون على هذا؟ فيبايعونه ويضع يده على يد الرجل، ثم يقول: عليك عهد الله وميثاقه لَتَفِيَنَّ لنا، ولتَنْصَحَنَا في السر والعلانية، والرخاء والشدة، والعسرة واليسرة، فَيُماسِح على ذلك.

وقرأتُ في كتاب سالم كاتب هشام كتاباً نُسْخَتُهُ: «أما بعد فقد عرفتَ حال أهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت، ووضعهم إياهم في غير مواضعهم لافتراضهم على أنفسهم طاعتهم، ونحلتهم إياهم عظيم ماهو كائن مما استأثر الله بعلمه دونهم حتى حملوه على تفريق الجماعة والخروج على الأئمة، وقد قدم زيد بن علي على أمير المؤمنين في خصومه، فرأى رجلاً جدلاً لَسِنَاً حُوَّلاً قُلَّباً، خليقاً بصوغ الكلام وتمويهه واجترار الرجال بحلاوة لسانه، وكثرة مخارجه في حُجَجِهِ، وبما يدلي به عند الخصام من العُلُوِّ على الخصم بالقوة المؤدية إلى الفَلْج، فَعَجِّل إشخاصه إلى الحجاز، ولاتدعه العام قِبَلَكَ

من لين لفظه، وحلاوة منطقه، مع مايدلي به من القرابة برسول الله، وجدهم سبيلاً إليه غير متفرقين».

وكتب زيد إلى أهل الآفاق كتباً يصف فيها جور بني أمية، وسوء سيرتهم، ويحضهم على الجهاد ويدعوهم إليه، وقال: لاتقولوا خرجنا غضباً لكم، ولكن قولوا خرجنا غضباً لله ودينه.

وبعث زيد بن علي عطاء بن مسلم وهو ابن اخت سالم بن أبي الجعد إلى زبيد اليامي يدعوه إلى الجهاد معه، فقال: أخبره أنَّ نصرته حق وحظ، ولكني أخاف أن يخذل كما خُذل جده الحسين.

وبعث إلى أبي حنيفة فكاد يغشى عليه فرقاً، وقال: من أتاه من الفقهاء؟ فقيل له: سلمة بن كهيل ويزيد بن أبي زياد، وهاشم البرند، وأبو هاشم الرماني وغيرهم. فقال: لست أَقوى على الخروج، وبعث إليه بمال قواه به.

وقد كان سلمة بن كهيل فيما يقال أشد الناس نهياً لزيد عن الخروج، ويقال: إنه بايعه.

وبعث زيد إلى سليمان الأعمش فقال: قولوا له إني لا أثق لك بالقوم، ولو وثقت لك بثلاثمائة رجل منهم لغَيَّرنا لك جوانبها.

وكتب إلى الزهري مع رسول له يدعوه إلى الجهاد معه، فقال: أما مادام هشام حياً فلا. فإن أَخَّرْتَ الخروج إلى ولاية الوليد خرجتُ معك.

وحدثنا يوسف بن محمد، ثنا حكام الرازي عن عنبسة قال: سمعت أبا حصين قال لقيس بن الربيع: ياقيس. قال: لبيك. قال: لالبيك ولاسعديك، تبايع رجلاً من ولد رسول الله ثم تخذله، وكان ممن بايع زيداً.

قالوا: وبلغ يوسف بن عمر بيعة من بايع من أهل واسط فحصَّنها وتوثق من أبوابها واستَدَّ عليهم، وكذلك المدائن، وشحن واسطاً بالخيول.

وكان خليفته على الكوفة الحكم بن الصلت بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل، فقدم يوسف الكوفة وصار إلى الحيرة فنزل بها، ولما رأى أصحاب زيد المبايعون أن يوسف بن عمر قد علم بأمر زيد وصحَّ عنده خبره، وأنه يبحث عنه، ويفحص عن خبره، ويدس إليه، اجتمع إلى زيد جماعة منهم من الرؤساء، فقالوا: يرحمك الله ماقولك في أبي بكر وعمر؟ فقال: كنا أَحَقَّ البَرِيَّةِ بسلطان رسول الله ﷺ فاستأثرا علينا، وقد وُلِيا علينا وعلى الناس فلم يألوا عن العمل بالكتاب والسنَّة، ففارقوه ورفضوا بيعته، وقالوا: إن أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين هو الإمام، وجعفر بن محمد إمامنا بعد أبيه، وهو أحق بها من زيد، وإن كان زيد أخاه، فسماهم زيد حين رفضوا بيعته: الرافضة.

وقال لهم زيد: وجهوا إلى أبي جعفر رسولاً، فإن أمركم بالخروج معي فاخرجوا، فاعتلُّوا عليه، ثم قالوا: لو أمرنا بالخروج معك ماخرجنا لأنا نعلم أن ذلك تقية منه واستحياء منك. فقال: كُفُّوا أيديكم عني.

وكان زيد يقول: رَفَضَتْنِي الرافضة كما رفضت الخوارج علياً.

ويقال إن طائفة منهم قالوا لمحمد بن علي قبل خروج زيد: إن أخاك زيداً فينا يبايع، فقال بايعوه فهو اليوم أفضلنا، فلما قدم الكوفة كتموا زيداً ماسمعوا من أبي جعفر محمد بن علي أخيه.

قالوا: وكتب عبد الله بن حسن إلى زيد: يابن عم، إن أهل الكوفة

قوم نفج(١) العلانية خور السريرة، هرج الرخاء جزع عند اللقاء، تقدمهم ألسنتهم ولاتشايعهم قلوبهم لايثوون بِغنَاء فيرجون ولايثبتون على عداوة فيخافون، ولقد تواترت إليّ كتبهم فصممت عن ندائهم وأَلْبَسْتُ قلبي غطاء عن ذكرهم يأساً منهم واطراحَاً لهم، وإنما هم كما قال عليّ رحمه الله تعالى: «إن أُهملتم خضتم، وإن حُوربتم خُرتُم، وإن اجتمع الناس على إمام طَعَنْتُم، وإن دُعيتمُ إلى مشاقة أجبتم».

وقال علي بن هاشم: إني سمعت زيداً يقول: البراءة من أبي بكر وعمر: البراءة من علي.

قالوا: ولما استَتَبَّ لزيد خروجه واعَدَ أصحابه الزيدية الذين وافقوه على تولي أبي بكر وعمر ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة، فخرج قبل الأجل، وذلك أنه بلغ يوسف بن عمر أمره، فأمر الحكم أن يجمع وجوه أهل الكوفة في المسجد الأعظم ثم يحصرهم فيه، فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب ووجوه المقاتلة فأدخلهم المسجد، ثم نادى مناديه: أيما رجل من وجوه العرب والموالي أدركناه في رَحْلِهِ الليلة فبرئَتْ منه الذمة، إئتوا المسجد الأعظم.

فأتوا المسجد وطلبوا زيداً في دار إسحاق بن معاوية الأنصاري ثم الأوسي وبلغهم أنه تحول إليها فلم يقدروا عليه وذلك لأنه هرب منها حين بلغه إقبالهم إليها لطلبه.

وخرج ليلة الأربعاء لسبع ليال بقين من المحرم سنة إثنتين وعشرين ومائة في جماعة كانوا حوله، وآخرين بعث إليهم رسله فوافوه، وأمر فأشعلت

---

١ ـ النفاج: المتكبر والمفرط فيما يقول، وتنفج: افتخر بأكثر مما عنده. القاموس.

النيران في الجرادي، فكلما أكلت جردياً رفعوا آخر فلم يزالوا كذلك إلى طلوع الفجر، وكانت ليلة باردة فلم يتتامّ إليه فيها إلا أربعمائة، فقال: أين الناس، أتراهم تخلفوا للبرد؟ فقيل له: لا، ولكنهم جُمعوا في المسجد وأُغلقت الدروب ليُقطعوا عنك.

وقد ذكر بعض أهل الكوفة أنه اجتمع إلى زيد أربعة آلاف فلم يصبح إلا وهو في ثلاثمائة أو أقل منها.

وقال أبو مخنف فيما حدثني به عباس بن هشام عن أبيه عنه أن زيداً أصبح في مائتين وثمانية عشر رجلاً.

وقال عوانة: أصبح في مائتين وخمسين.

وقيل إن يوسف دس مملوكاً خراسانياً ألكن، وأعطاه خمسة آلاف درهم فأمره أن يَلْطَأ لبعض الشيعة فيخبر أنه قدم من خراسان حباً لأهل البيت، وأن معه مالاً يريد تقويتهم به، فلم يزل يتدسس حتى أُدخل على زيد، ثم دل يوسف عليه، فوجه إليه الخيل فخرج زيد ونادى بشعاره، فخرج إليه أقل من ثلاثمائة، فقال: لاتبعد ياداود.

قالوا: وكان زيد وجه القاسم بن عبد الله التنعي من حضرموت لينادي بشعار رسول الله ﷺ في الناس وهو: يامنصور أمت، وهو كان شعار زيد الذي واطأ عليه أصحابه، فلقيه جعفر بن عباس بن زيد الكندي فشد عليه وعلى أصحابه فقتل من أصحابه رجلاً وارْتَثَّ القاسم، فأتي به يوسف بن عمر فضرب عنقه على باب القصر، فأقبل نصر بن خزيمة العبسي يريد زيداً في جماعة من الزيدية، فلقيه خليفة الحكم بن الصلت فشد عليه نصر بن خزيمة فقتله وانهزم من كان معه.

وندب يوسف بن عمر بن الحكم لمحاربة زيد عبيد الله بن عباس بن يزيد الكندي، والأصبغ بن ذؤالة بن لقيم بن لجأ بن حارثة بن زامل الكلبي، وبعث يوسف لمحاربته أيضاً: الريان بن سليمة الأراشي من بلي في القيقانية وهم ألفان وثلاثمائة، وهم من أهل السند يقال إنهم بخارية، لقبوا القيقانية. فلما كان من الغد يوم الأربعاء عبأ زيد أصحابه وعليه درع تحت قباء أبيض ومعه سيف ودرقة فجعل على ميمنته نصر بن خزيمة، وعلى ميسرته معاوية بن إسحاق الأنصاري، ثم خطب فذكر أبا بكر وعمر فترحم عليهما، وذكر عثمان وماأَحْدَثَ، وذَمَّ معاويةوبني أمية ثم انحاز إلى جبانة الصائديين[١] من همدان، وبها خمسمائة فارس من أهل الشام، فحمل عليهم فهزمهم، وكان على فرس له جواد، فوقف على باب رجل ممن بايعه يقال له أنس بن عمرو فناداه ياأنس، قد ﴿جاء الحق وزُهق الباطل﴾[٢]، فلم يُجبه ولم يخرج إليه، فقال زيد: ماأخلقكم أن تكونوا فعلتموها فالله حسبكم.

ثم أتى زيدٌ الكناسة فحمل على جماعة من أهل الشام كانوابها فهزمهم وشلهم إلى المقبرة، ويوسف على تلٍ مشرفٍ ينظر إلى زيد وأصحابه وهو في مائتين فلو شاء قتل يوسف قتله، ولكنه صرف عنه.

ودعا زيد الناس بالكناسة وناشدهم فلم يجبه إلا رجلان أو ثلاثة، فقال لنصر بن خزيمة: أراها والله حسينية، فقال نصر: إنما علي أن أضرب بسيفي حتى أموت.

قالوا: وقال نصر لزيدٍ إن الناس محصورون في المسجد فامض بنا

---

١ ـ في رواية أخرى «الصيادين» (من هامش الأصل).

٢ ـ سورة الاسراء ـ الآية: ٨١ .

إليهم، فخرج زيد معه يريد المسجد، فمر على دار خالد بن عرفطة وبلغ عبيد الله بن عباس الكندي، وكان قائداً من قواد يوسف بالكوفة، إقباله فخرج إليه في أهل الشام الذي كانوا بالكوفة، وأقبل زيد إليه فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري فكاع صاحب لواء عبيد الله، وهو مولى يقال له سلمان، فقال له: احمل يابن الخبيثة، فحمل حتى انصرف وقد خُضِّبَ لواؤه. ويقال إنهم التقوا بجبانة السبيع.

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف قال: لما التقوا ضرب واصل الحناط الأحول عبيد الله بن عباس الكندي ضربة وقال: خذها وأنا الغلام الحناط. فقال: والله لأتركنك لاتكيل بقفيز بعدها، وحمل عليه فضربه، فلم يصنع شيئا وانهزم ابن عباس حتى انتهى الى دار عمرو بن حريث.

وجاء زيد ومن معه إلى باب الفيل، وجعل نصر بن خزيمة ينادي: ياأهل المسجد اخرجوا من الذل إلى العز، ومن الضلالة إلى الهدى، اخرجوا إلى الدين والدنيا فإنكم لستم في واحدٍ منهما.

وأشرف أهل الشام عليهم يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد، وكانت بالكوفة يومئذٍ مناوشة في نواحيها، وكان منادي زيد ينادي بين يديه: من ألقى سلاحه فهو آمن. وأمر أصحابه أن ينادوا بذلك، وعرض نساء من نساء أهل الكوفة على زيد أن يخرجن فيقاتلن معه فقال: قِرْن في بيوتكنَّ فوالله فما ترجىٰ رجالكم فكيف النساء. ليس علىٰ النساء ولا علىٰ المرضى قتال.

وحدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش

الهمداني قال : إني لواقف على رأس يوسف قبل قتل زيد إذ قال لي : يا بن عياش إن هذا الزاني ابن الزانية ـ يعني زيداً ـ قد خرج بأجمة سالم ـ وهو يريد جبانة سالم ـ فقلت : أصلح الله الأمير ، أجمة سالم على خمسة عشر فرسخاً منْ الكوفة وأكثر فلعله خرج بجبانة سالم . فقال : نعم ويحك . جبانة سالم .

قال : وبلغني أن على شرطته نصر بن سيار ، قلت : نصر بن خزيمة العبسي ، قال : نعم . فوجَّه رسولاً يأتيه بخبرهم فقال : قد استقبل نصر بن خزيمة أبا حفص عمر بن عبد الرحمن خليفة الحكم فقتله ، قال:وكان يوسف دهره سكران من الخمر لا يفيق .

قالوا : ولما نادى زيد أهل المسجد ونودوا له فلم يخرج إليه أحد منهم انصرف إلى ناحية دار الرزق ، فوجه يوسف إليه الخيول فجعلت تمر كردوساً كردوساً ، ونادى مناديه : إن من جاء برأس الفاسق زيد بن علي فله ألف دينار . فقوتل أشد قتال وصبر أشد صبر .

وقدم عامر بن ضَبَّارة المري على يوسف ، أمدَّه به هشام حين بلغه أن زيداً بويع ، ومعه ثمانية آلاف فانتدب رجل من أصحاب ابن ضبارة من أهل الشام فطلب المبارزة ، فبرز له نصر بن خزيمة العبسي ، فقال أهل الشام ؛ من أنت ؟ قال : نصر بن خزيمة العبسي . قال : ما أحد أبغض إلي من أن أصيبه منك ، وكان قيسياً ـ فصاح به الشاميون : فعل الله بك وفعل ، وأنَّبوه وعيروه ، فعطف على نصر فتشاولا ساعة ، ثم ضرب كل واحد منهما صاحبه فأثبته ، فرجع نصر مثخناً ، ورجع الشامي وقد قطع نصر رجله من

الفخذ فهو مثخن أيضاً ، فمات الشامي ومات نصر ، وقد عرف مكانه فأتي به يوسف فأمر بصلبه .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن أبيه قال : اجتمع إلى زيد في أول ليلة أربعمائة ، ثم أصبح وهم أقل من ثلاثمائة ثم لم تزل يثوب إليه العدة بعد العدة ، ودعا نصر بن خزيمة قوماً من قيس فتتام مع زيد ألف رجل فلقي بهم من لقي من أصحاب ابن ضبارة . وكانت وقعتهم بجبانة سالم ، ويقال بغيرها .

قالوا : ولما قتل نصر بن خزيمة وأحاطت الخيول بزيد بن علي قال : إن القيام لهؤلاء الطغاة لغرر فلو لجأنا إلى الحيطان فجعلناها من وراء ظهورنا فلم يأتوا إلا من وجه واحد . فصوبه أصحابه فعطف برأس دابته . فناداه أهل الشام : يا بن أبي تراب ، يا بن المنافق ، يا بن السندية . إلى أين ؟ فلما سمع زيد ذلك كر عليهم فكشفهم ، فما رأى الناس قط فارساً أشجع منه ، وقد كانوا على ذلك كالمتهيبين لقتله ، وكانت مواقعته إياهم عند دار الرزق بالكوفة ، فلما كان المساء رمي زيد بسهم في جبهته من يسارها ، وذلك الثبت ، ويقال في رجله .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : تولىٰ حرب زيد بالكوفة عبيد الله بن العباس الكندي والأصبغ بن ذؤالة الكلبي في جماعة بعث بهم إليه يوسف من الحيرة وكان بها وهو يومئذ على العراق ، وكان الحكم بن الصلت بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي خليفته على الكوفة ، فأهل الكوفة يقولون : رمى زيداً داود بن سليمان بن كيسان مولى بشر بن عمارة بن حسان بن جبار الكلبي ، وكيسان صاحب الباب بدمشق

وأولاد داود يدفعون ذلك وينتفون منه ويقولون رماه رجل من القيقانية فأصاب جبهته وذلك عند المساء،فدعي له بحجام فنزع النشابه فسالت نفسه معها .

وقال أبو مخنف : رُمي زيد بسهم في جبهته فبلغ الدماغ فرجع ورجع أصحابه ، وأهل الشام يظنون أنهم إنما رجعوا للمساء والليل .

مقتل زيد بن علي

وتحامل زيد حتى دخل دار الجرارين التي بالسبخة وأوصىٰ يحيى ابنه بتقوى الله وجهاد بني أمية ، ومكث هنيهة ثم قضىٰ ليلة الجمعة فدفن في دار الجرارين وأجروا عليه ساقية من ماء السبخة كي يخفى قبره ، وكان معهم غلام سندي أتى زيداً من أول النهار في قوم أتوه ليقاتل معه فلم يقبله وقال : لا يقاتل مملوك بغير إذن مولاه ، فدل على قبره .

وحدثني عبد الله بن صالح عن حمزة الزيات قال : دخل زيد دار جرار فجاءه[1] بطبيب يقال له سفيان مولى لبني رؤاس فانتزع النصل الذي رمي به من جبهته فلم يلبث أن مات .

وقال أبو مخنف : أرسل إلى حجام حميد الرؤاسي فقال له الحجام : انك إن نزعته متَّ مع إخراجه فقال : الموت أيسر مما أنا فيه ، فأخذ الكلبتين وانتزعه فخرجت نفسه معه ودفن في حفرة من الحفر التي يؤخذ منها الطين ، ومضى عبد سندي إلى الحكم فأخبره بخبره .

١ ـ فجاؤوه في رواية أخرى (من هامش الأصل) .

وحدثني العمري عن الهيثم عن عوانة قال : رمي زيد بسهم فأصاب جبهته أو عينه فسقط فحامىٰ عليه يحيى ابنه ووجوه من معه حتى جاوزه إلى عسكرهم وبه رمق ذلك في الظلام ، ثم عبروا به الفرات بالكوفة وقطعوا الجسر وانتزعوا السهم ففاضت نفسه معه ، ثم دفنوه وتفرقوا ، فلما أصبح الصبح جاء علج وقد رآه يُدْفَنُ ، فَدَلَّ الحكم على قبره فنبشه واحتزّ رأسه ، وبعث به إلى يوسف فحُملت جثته على بعير وصُلبت بالكناسة بالكوفة، وكان عليه قميص أصفر هروي.وصلب معه معاوية بن إسحاق الأنصاري وكان قتل قبل ذلك في المعركة ، ونصر بن خزيمة العبسي وزياد النهدي ثم خلى سبيل أهل المسجد .

وبعث يوسف برأس زيد وسائر رؤوس من قتل معه إلى هشام بن عبد الملك ، وطُلب يحيى بن زيد فلم يُقْدَر عليه .

حدثني أبو الحسن المدائني قال : لما أُتي يوسف برأس زيد وهو بالحيرة نظر الناس إليه ، ثم تفرقوا وهو مطروح في ناحية من منزل يوسف ، فجاء ديك فنقره ، فقال زُميل الكلابي :

اطرد الديك عن ذؤابة زيد   طال ما كان لا يطأه الدجاج[1]
ابن بنت النبيِّ أكرم خلق اللـ   ـه زين الوفود والحجاج
حملوا رأسه إلى الشام ركضاً   بالسُّرىٰ والبكور والإدلاج

في أبيات .

وحدثني محمد بن الاعرابي عن سعد بن الحسن بن قحطبة قال : رمىٰ

١ ـ في هامش الأصل : يريد الشعر .

زيداً رجل من ولد كيسان مولى كلب فأخذه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بالشام فقتله وصلبه .

وقال ابن عباس الكلبي حين قُتل زيد لريطة بنت أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية أم يحيى بن زيد :

بسيف ابن عباسٍ وسيف ابن زاملٍ بَدَتْ مقلتاها والبَنَانُ مُخَضَّبُ

يعني عبيد الله بن العباس الكندي والأصبغ بن ذؤالة يقول : بسيفي هذا غلب أصحاب زيد وظهرتْ حرمته .

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء ، حدثني أصحابنا قالوا : أعطى يوسف الذي جاءه برأس نصر بن خزيمة ودلهم على جثته ألف درهم ، وأعطى الذي جاءه برأس معاوية بن إسحاق الأنصاري ودلهم على جثته سبعمائة درهم .

وقال بعض الهلاليين في زيد :

يا ابا الحسين فلو رجال نُصَّرٌ نصروك كان لِوِرْدِهِم إصدار
يا ابا الحسين كيف عذت بمعشر غُدْرٍ لئام أسلموك وطاروا
غَرُّوا أباك وأسلموه وقبلهم غروا الوصيَّ وكلهم غرَّار

وقال أبو ثُميلة في قصيدة له :

يا ابا الحسين أعاد فقدك لوعة من يَلْقَ ما لاقيت منها يكمدِ
كنت المؤمَّلُ للعظائم والذي يرجىٰ لأمر الأمة المتأوِّدِ
أَرَضِيْتُمُ في دينكم أن تأمنوا والخَوْفُ في أبيات آل محمدِ
ونساؤكم بغضارة وبشاشة ونساؤهم يُعْوِلْنَ بين العُوَّدِ
يبكين أَشْيَبَ بالكناسة طيباً نَبَشَ الترابَ عليه من لم يُوْسِدِ

وقال آخر :

لعن الله حوشباً وخراشاً ومزيدا
إنهم حاربوا الإله وآذوا محمدا
يا خراش بن حوشب أنت اشقى الورى غدا

وكان خراش على شرط يوسف بن عمر وهو تَوَلَّى نبش زيد وصلبه .

وحدثني يوسف بن موسىٰ عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال : كنت كثيراً أضحك فلما قتل زيد انقطع ضحكي .

قالوا: وبعث يوسف بن عمر إلى أم امرأة لزيد أزدية فهدم دارها وحملت إليه فقال لها : أزوجت زيداً ؟ قالت : نعم زوجته وهو سامع مطيع ، ولو خطب إليك إذ كان كذلك لزوجته . فقال : شقوا عليها ثيابها فجلدها بالسياط وهي تشتمه وتقول : ما أنت بعربي تعريني وتضربني لعنك الله ، فماتت تحت السياط ثم أمر بها فألقيت في العراء فسرقها قومها ودفنوها في مقابرهم .

قالوا : وأخذ امرأة قَوَّتْ زيداً على أمره فأمر بها أن تقطع يدها ورجلها فقالت : اقطعوا رجلي أولاً حتى أجمع عليّ ثيابي ، فقطعت يدها ورجلها ولم تحسم حتى ماتت . وضرب عنق زوجها .

وضرب امرأة أشارت على أمها أن تؤوي ابنة زيد خمسمائة سوط ، وهدم دوراً كثيرة .

وأُتي يوسف بعبد الله بن يعقوب السلمي من ولد عتبة بن فرقد ، وكان زوج ابنته من يحيى بن زيد فقال له يوسف : ائتني بابنتك . قال :

وما تصنع بها جارية[1] عاتق في البيت . قال : أقسم لتأتيني بها أو لأضربَنَّ عنقك .

وقد كان كتب إلى هشام يصف طاعته ، فأبى أن يأتيه بابنته ، فضرب عنقه ، وأمر العريف أن يأتيه بابنة عبد الله بن يعقوب فأبى فأمر به فدقَّتْ يده ورجله .

ووكل يوسف بخشبة زيد أربعمائة رجل يحرسونها . ينوب في كل ليلة مائة رجل ، وبنىٰ حول جذعه بناء كالدكة من آجر .

وكان زهير بن معاوية أحد من يحرسه ، فلما مات هشام وولي الوليد بن يزيد وفد إليه يوسف فلما رجع من عنده إلى الكوفة أمر بإحراق زيد عليه السلام ، فجمع الحطب والقصب ، وجاء الغوغاء من ذلك بشيء كثير فأعطاهم دراهم كثيرة ، ثم أمر به فأحرق وألقى رماده في الفرات .

ويقال إن الوليد قال له : انظر عجل أهل الكوفة فَحَرِّقْهُ ثم انسِفْهُ في اليمِّ نسفاً ، ويقال إنه كتب إليه بذلك .

وكتب يوسف بن عمر إلىٰ هشام في أم ولد لزيد ومعها ثلاثة أولاد لها صِبْيَان ، فأمر أن يُدفعوا إلى أقرب الناس إليهم فدفعوا إلى الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو الذي يقول :

إذا ما كنت متخذاً خليلاً   فلا تجعل خليلك من تميم
بَلَوْنَا حُرَّهُم والعبدَ منهم   فما عُرِف العبيد من الصميم
موالينا إذا احتاجوا إلينا   وسَيْرٍ قُدَّ من من وسط الأديم
وأعداءٌ إذا ما النعل زَلَّتْ   وأولٍ من يُغِيْرُ على الحريم

١ ـ العاتق : الجارية أول ما أدركت . القاموس .

وهو الذي يرثي زيداً في قصيدة طويلة :

ألا عين جُودي ثم جودي بدمعك ليس ذا حينُ الجمودِ
ولا حِينُ التجَلُّدِ فاستهلِّي وكيف جمود دمعك بَعْدَ زيدِ
أَبَعْدَ ابنُ النبيِّ أبي حسينٍ صليباً بالكناسة فوق عودِ
يظل على عمودهمُ ويُمْسي بنفسي أَعْظُمٌ فوق العمودِ
تعدى المترف الجبار فيه فأخرجه من القبر اللحيدِ
دعاه معشر غَرُّوا أباه حُسَيْناً بعد توكيد العهود

قالوا : ولما فرغ يوسف من أمر زيد صعد منبر الكوفة فشتم أهلها وقال : يا أهل المِدْرَة الخبيثة ، والله ما يقَعْقعُ لي بالشِّنَان ، ولا تقرن بي الصعبة ، لقد هممت أن أخرب بلدكم وأن أحربكم بأموالكم ، والله ما أَطَلْتُ منبري إلا لأُسمعكم عليه ما تكرهون ، فإنكم أهل بغي وخلاف . ولقد سألتُ أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ولو فعل لقتلت مقاتلتكم وسبيتُ ذريتكم ، إن يحيى بن زيد ليتنقل في حجال نسائكم كما كان أبوه يفعل وما فيكم مطيع إلا حكيم بن شريك المحاربي ، وواللهِ لو ظفرت بيحياكم لَعَرَقْتُ خصيتيه كما عَرَقْتُ خصيتي أبيه .

وكتب إلى هشام في أهل الكوفة ، فكتب إليه : أهل الكوفة أهل سمع وطاعة ، فَمُرْ لهم بأعطياتهم . فقال : يا أهل الكوفة ، إن أمير المؤمنين قد أمر لكم بأعطياتكم فخذوها لا بارك الله لكم فيها .

وكان شريك بن حكيم سعى بزيد .

ورأت امرأة على زيد برداً حسناً وذلك قبل خروجه ، فسألت زوجها أن يشتري لها مثله فقال :

تكلفُني أبـراد زيـد ووشيـه ولست ببياع لدى السوق تاجر

ويقال إنه زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب .

وحدثني أبو مسعود قال : دخل رجل من الأنصار بين زيد وعبد الله بن حسن فقال له زيد : ما أنت والدخول بيننا فأنت من قحطان ، فقال : أنا والله خير منك ، فانْبَرى له رجل من قريش فقال : كذبت والله . هو خير منك نفساً وأماً وأباً ، وأولاً وآخراً . وفوق الأرض وتحتها ، فحلف زيد أن لا ينازع عبد الله بين يدي الوالي وقاما .

أمر يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام

حدثني الحسين بن علي الحرمازي عن علي القصير مولى قريش قال : لما قتل زيد بن علي استخفى ابنه يحيى ثم هرب حين سكن عنه الطلب إلى خراسان فقتل بها ، رماه رجل من أصحاب نصر بن سيار فقتله ، وأخذ رأسه فبعث به نصر إلى يوسف بن عمر .

وكان يحيى بن الحسين بن زيد يسمى ذا الدمعة ، وكانت عينه لا تكاد تجف من الدموع فقيل له في ذلك فقال :

وهل ترك السهمان فيَّ مَضْحَكاً سهم زيد وسهم يحيى بن زيد

وقال الكوفيون : لما قتل زيد أتى يحيى جبانة السبيع فلم يزل بها وهو في عشرة فقيل له : قد فضِحك الصبح وأين تريد ؟ فأتى نينوى ، ثم أتى قرية قصر ابن هبيرة ولم يكن القصر يومئذٍ ، فنزل على رجل من أهل الكوفة يقال له سالم فتفرق أصحابه عنه ، ثم أتى المدائن وهي إذ ذاك طريق الناس إلى خراسان ، فبلغ يوسف خبره فَسَرَّحَ في طلبه حريث بن أبي الجهم الكلبي فخرج حتى أتى المدائن ، ومضى يحيى حتى أتى الري فأقام بها أياماً ، ثم

توجه إلى سرخس فأقام بها ستة أشهر عند يزيد بن عمر وأتاه قوم من المحكِّمة فسألوه أن يبايعوه على قتال بني أمية ، فأعجبه ذلك منهم ، فنهاه يزيد بن عمر ، وقال : كيف تقاتل بقوم يتبرأون من علي وأهل بيته ؟ فقال لهم قولاً جميلاً وفرقهم عنه ، وأتى بلخ من سرخس فأقام عند الحريش وهو رجل من ربيعة ، فلم يزل عنده حتى مات هشام بن عبد الملك ، وكتب يحيى إلى بني هاشم من خراسان :

خليليَّ عني بالمدينة بَلِّغَا بني هاشمٍ أهل النُّهىٰ والتجارب
فحتَّى متى لا تطلبون بثأركم أمية إن الدهر جَمٌّ العجائب
لكل قتيلٍ معشر يطلبونه وليس لزيدٍ بالعراقين طالب

قالوا : وبلغ يوسف بن عمر خبر يحيى فكتب إلى نصر بن سيار أنْ خذ الحريش بيحيى بن زيد حتى يأتيك به ، فكتب نصر إلى عقيل بن معقل عامله على بلخ في ذلك فجحد الحريش أن يكون يعرف مكانه ، فحمله إلى نصر فلم يقر له بأنه عنده ولا أنه يدري أين هو ، فضربه ستمائة سوط وهو يقول : دلني على يحيى فيقول : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه فاصنع ما أنت صانع . فلما رأى ذلك ابنه قريش بن الحريش دلَّ على يحيى فوجد في بيت فأخذوه ومعه يزيد بن عمر ، ورجل آخر من عبد القيس شخص معه من الكوفة فحمله إلى نصر فلما صار إليه حبسه .

وكتب نصر إلى يوسف بخبره ، فكتب بذلك إلى الوليد ، فأمر الوليد أن يؤمن يحيى ويخلى سبيله وسبيل أصحابه وقال : إنما هو رجل هرب واستخفى فأطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد وأعطاه ألفي درهم وبغلين ، فخرج حتى أتى سرخس ، فبعث إليه نصر من أزعجه وكتب إلى العمال في

إزعاجه وأن يسلمه كل عامل إلى العامل الذي يليه ، وكان يبسط لسانه في بني أمية ، والوليد ، ويوسف بن عمر ، وهشام فيكف عنه ، فلما صار بأبر شهر سلم إلى عاملها عمرو بن زرارة فَبَرَّهُ وأمر له بألف درهم نفقة ، ويقال بخمسة آلاف درهم ، فلما صار ببيهق خاف أن يصير إلى يوسف فيغتاله يوسف ، وبيهق أقصى عمل خراسان وكان يحيى بن زيد قد اشترى دواب لحمل أصحابه عليها وهم سبعون رجلاً ، فرجع إلى عمرو بن زرارة فقال : إني إنما أريد بلخ ولست أقيم في عملك إلا ريثما أريح وأستريح فإني أجد علة ، فأقام بأبر شهر أياماً .

وكتب عمرو بن زرارة بذلك إلى نصر ، فوجه نصر جيشاً أمده به فواقعهم يحيى وهو في سبعين فهزمهم وقتل عمراً وعدة من أصحابه ، وأخذ سلاحهم ، وسار حتى أتى هراة ، ثم أتى الجوزجان فانضم إليه قوم من أهلها ، وأهل الطالقان ، والفارياب ، وبلخ فَتَتَامَّ جميع من معه مائة وخمسون رجلاً ، فلما بلغ نصراً مقتل عمرو بن زرارة ونزول يحيى الجوزجان ، وجه سلم بن أحوز التميمي من بني كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم في ثمانية آلاف من أهل الشام ، وغيرهم من أهل خراسان ، فخرج سلم فواقعه وقد عَبَّأَ أصحابه فجعل سورة بن محمد بن عبد الله بن عزيز الكندي على ميمنته ، وحماد بن عمرو السعدي على ميسرته .

وعبأ يحيى أيضاً أصحابه فاقتتلوا ثلاثة أيام ينتصف كلٌ من كلٍ وليست تزول قدم رجل من أصحاب يحيى .

فلما كان اليوم الثالث من آخر النهار رمى رجل من موالي عنزة يحيى بنشابة فأصابت جبهته ، وحَفَّ به أصحابه فقاتلوا أشد قتال سمع به ، ولم

يفارقوه حتى قتلوا عن آخرهم ، وَوَجد سورة بن محمد بن عبد الله يحيى قتيلاً فاحتز رأسه ، وأخذ الذي رماه سَلَبَهُ حتى قميصه .

فلما ظفر أبو مسلم بَعْدُ ، أخذ سورة بن محمد بن عبد الله بن عزيز الكندي والرجل الذي رمى يحيى فقطع أيديهما وأرجلهما وصلبهما .

وكان عبد الله بن عزيز من أصحاب ابن الحنفية ، وقتل يوم عين الوردة مع التوابين .

وبعث سلم بن أحوز برأس يحيى إلى نصر ، فبعث به نصر إلى يوسف بن عمر ، وبعث به يوسف إلى الوليد بن يزيد ، وصلبت جثته على باب الجوزجان سنة خمس وعشرين ومائة ، فلم تزل جثة يحيى مصلوبة إلى أن ظهرت المسودة بخراسان فأنزلوه وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه ، وتولى ذلك أبو داود خالد بن ابراهيم وخازم بن خزيمة ، وعيسى بن ماهان .

وبلغ أبا مسلم أن ابراهيم بن ميمون الصائغ ، كان ممن أعان على يحيى فقتله ، وتتبع قتلة يحيى وأصحابه فجعل يقتلهم فقيل له : إن أردت استقصاء أمرهم فعليك بالديوان ، فلم يَدَعْ أحداً ممن وجد اسمه في الجيش الموجه إليه ممن قدر عليه إلا قتله .

وكان ابراهيم البيطار أشد الناس على يحيى فمر أبو مسلم يوماً في غلمان يلعبون بالحمام فقال قائل منهم : سقط حمامي في منزل ابراهيم البيطار ، فسأل عن منزل ابراهيم فوقفوه عليه فأمر به فاستُخرِجَ من منزله فعرفه بالصفة ، وأقر باعانته على يحيى فقطع يديه وصلبه .

فقال الشاعر

ألا يا عين ويحك أسعديني لمقتل ماجدٍ بالجوزجان

وقتل سلم بن أحوز بجرجان حين قدمها قحطبة وهو يريد العراق ، وسلم هو الذي قتل جهم بن صفوان صاحب الجهمية بمرو .

حدثني محمد بن الأعرابي قال : قتل يحيى بالجوزجان ، وصلب في طاق بها ، فلم يزل مصلوباً حتى ظهر أمر أبي مسلم بخراسان ، فأمر به فأنزل ووُوري وتولى الصلاة عليه ودفنه وتتبع جميع من قاتله فقتلهم إلا من أعجزه منهم ، وسود أهل خراسان .

وقال أبو عبيدة : هرب يحيى ومعه زهير بن محمد العامري فأخفاه في قرية لعبد الملك بن بِشر بن مروان فطلب فلم يقدر عليه ، فلما سكنت الأفوه مضى إلى خراسان ، وكان معه أبو نميلة مولى بني عبس وكان دليل نصر بن سيار عليه .

وحدثني علي بن الأثرم عن أبي عبيدة معمر بن المثنى عن أبي جنادة العدوي ، قال : خرج أبو مسلم في رمضان للطلب بدم يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، فعقد لواءً أسود ، وخرج ومن معه مسوِّدين كما يلبس للإحداد ، وكان ذلك أول سواد رأيناه فاقشعررنا منه .

وحدثني أبو مسعود الكوفي قال : هرب يحيى بن زيد فاستخفى ولم يقدر يوسف بن عمر عليه ، وانطوى عنه خبره ، فلماكف عنه الطلب مضى إلى خراسان ، فدل نصر بن سيار عليه فكتب إلى عامله على بلخ فأخذه وحمله إلى نصر في الحديد ، فقال له نصر : ارحل عن خراسان إلى حيث شئت فإن أباك قتل أمس وأنا أكره أن أقتلك اليوم أو أعرضك للقتل ، فلم يقبل قوله وأتى نيسابور فاجتمع إليه قوم فقتل عاملها وهو رجل من بني

سليم ، وأخذ ما في بيت المال ، فوجه نصر بن سيار إليه سلم بن أحوز المازني من تميم صاحب شرطته فقاتله في يوم جمعة إلى وقت الصلاة ثم تحاجزوا ، ودخل يحيى وأصحابه مبقلة ليتوضأوا للصلاة ويصلوا فكارَّ عليهم سلم الخيل وهم غارون فقتلهم ، وشد رجل من كندة يقال له سورة بن محمد على يحيى فقتله واحتز رأسه وأتى نصراً به ، فبعث به إلى الوليد بن يزيد فنصبه بدمشق .

قال الشاعر في يحيى حين حمل مكبلاً :

أليس بعين الله ما تَصنَعُونَهُ عَشِيَّةَ يحيى مُوْثَقٌ في السلاسل

كلاب تعاوَتْ لا هَدَى الله أمرها فجاءَتْ بصيدٍ لا يَحِلُّ لآكل

وبعضهم يقول : صلب بالطالقان ، وذلك غلط .

المدائني قال : كان زيد بن علي يقول : اطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك ، فإن في ترك ما لا يعنيك دَرْكاً لما يعنيك ، وإنما تُقْدِمُ على ما قَدَّمْتَ لا على ما أخَّرْت . وآثِرْ ما تلقاه غداً على ما لا تلقاه أبداً .

أمر محمد بن محمد بن زيد بن علي عليهم السلام

قالوا : لما مات ابن طباطبا عقد أبو السرايا لمحمد بن محمد بن زيد بن علي بن حسين بن علي وهو يومئذٍ غلام ، فخطب فأحسن القول في بني العباس ، وقال : إن قوماً يزعمون أن مال بني العباس فيء لنا ، جهال ضلال ، يحكمون بلا علم ويقولون بلا رويَّة ، فقام إليه عبد العزيز بن عيسى بن موسى فجزاه خيراً وشكره ، وقال له عبد الله بن رئاب : قد كان هذا الكلام يتلجلج في صدري حتى أخرجه الله على لسانك .

ووجه الحسن بن سهل عبدوس بن أبي خالد المروزي أحد قواد الأبناء في كثف من الناس فقاتله فقتل عبدوس وجميع أصحابه ، وأسر هارون أخوه المقتول بالسند في خلافة الواثق بالله فحبس بالكوفة ، ونزل أبو السرايا قصر ابن هبيرة ، ثم نهر صرصر ، وبعث إلى المدائن من أخذها .

فوجه الحسن بن سهل إليه بمشورة منصور بن المهدي وغيره هرثمة بن أعين . وقال علي بن أبي سعيد : هبوا أن هرثمة قد مات أتضيع الخلافة ؟

وكان هرثمة قد شخص يريد خراسان والمأمون بها ، فوجه إليه من

رده ، وضم إليه محمد بن إبراهيم الإفريقي وموسى بن يحيى بن خالد بن برمك فعسكر بالفرك ، ومضى إلى نهر صرصر واتخذ جسراً ربطه بالسلاسل فقاتل أبا السرايا فهزمه ، ولقيته خيل ابن أبي سعيد بالمدائن فقتل أبو الهرماس أحد أصحابه ، ومضى أبو السرايا يريد قصر ابن هبيرة ، وأقحم هرثمة مهراً له في الأجمة، فلم تكن له حيلة فنادى: يا أبا السرايا إني لم آت لمحاربتك ، ولكنه بلغنا موت المأمون فجئت لنجتمع على رجل يلي الأمر ، فربثه[1] حتى تخلص وتلاحق به أصحابه ، فحمل على أبي السرايا وأصحابه ، وأنشب الحرب ، فهزمهم هرثمة ، وقتل من أهل الكوفة زهاء ثلاثين ألفاً ، وصار أبو السرايا إلى الكوفة منهزماً .

وقدم قوم من أهل قم فصاروا مع أبي السرايا فلقي هرثمة فتضعضع أصحابه للقاء القميين إياهم ، ثم لم يزل هرثمة يغاديهم القتال ويراوحهم إياه أربعين يوماً حتى قتل من أهل الكوفة خلق ، وفشلوا ، فكان يصاح السلاح فلا يخرج منهم أحد .

وتوجه أبو السرايا إلى البصرة وعامله عليها العباس بن محمد الجعفري ، فغلبه عليها زيد بن موسى ، وسبق علي بن أبي سعيد أبا السرايا إلى البصرة فقاتله أهلها ومن بها من العلوية ، وكان أحمد بن سعيد بن سلم على مقدمة ابن أبي سعيد ، فخرج زيد بن موسى إلى المدينة ، ومال أبو السرايا إلى الأهواز فلقيه الباذغيسي وهو يلقب المأموني ، والقطيعة بسر من رأى منسوبة إليه ، فقتل أصحاب أبي السرايا تحت كل حجر .

واعتل أبو السرايا فمضى هو ومحمد بن محمد ، وأبو الشوك ،

١ ـ الربث عن الحاجة : الحبس عنها ، كالتريث .

والطبكي ـ وكان الطبكي قد صار مع أبي السرايا ـ متنكرين حتى صاروا إلى ناحية خانقين ، فأنزلهم رجل هناك ، وكان حماد الكندغوش على طريق خراسان ، فبعث إليه الذي آواهم : إن أردت أبا السرايا ، ومحمد بن محمد ، وأبو الشوك فإنهم عندي ، فركب حماد وأحسَّ القوم بالشر فتسوروا حائطاً ومضوا فدخلوا الجبل فطلبهم حماد حتى وقف عليهم فأخذهم وجاء بهم إلى الحسن بن سهل ، والحسن بالنهروان فأدخلهم عليه ، فأمر بضرب عنق ابن أبي السرايا ، فضربه هارون بن أبي خالد ، وبعث بمحمد وبأبي الشوك إلى المأمون بخراسان ، فمات محمد بعدما شاء الله وبقى أبو الشوك حياً ثم مات .

فكان عقب علي من ولده للحسن والحسين والعباس ابن الكلابية ، وعمر ابن التغلبية ، ومحمد ابن الحنفية ، عليهم السلام .

أمر محمد بن علي بن أبي طالب وهو ابن خولة الحنفية

حدثنا الحسين بن علي الأسود العجلي عن يحيى بن آدم عن عبدالله بن المبارك عن الحسن بن عمرو الفُقَمي عن منذر الثوري عن ابن الحنفية أنه قال : ليس بحليم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بداً حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً .

وحدثني عبدالله بن صالح المقرىء عن ابن كناسة ، حدثني مشايخ لنا قالوا : أهدى يزيد بن قيس إلى الحسن والحسين هدية فحطأ[1] على كتف ابن الحنفية ثم قال متمثلاً :

وماشر الثلاثة أم عمروٍ بصاحبك الذي لا تصحبينا

فأهدى إليه كما أهدى إلى أحدهما .

وحدثنا أبو الحسين المدائني قال : قال ابن الحنفية : الكمال في ثلاث : العفة في الدين والصبر على النوائب وحسن التقدير للمعيشة .

المدائني عن أبي العباس التميمي قال : قال محمد بن الحنفية : من كَرُمَتْ عليه نفسه صَغُرت الدنيا في عينه .

١ ـ حطأ فلانا : ضرب ظهره بيده مبسوطة . القاموس .

وقال ابن الكلبي : كان خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد مع ابن الحنفية ، وكان المهاجر أبوه قتل مع علي بصفين ، فأخذ عبدالله بن الزبير خالد بن المهاجر فعلق في عنقه زكرة[1] مملوءة شراباً ، ثم ضربه الحد ، فقال ابن الحنفية : ان ابن الزبير لرحب الذراع بما يضره .

وكان ابن الحنفية يقول : إنما يأمن في غده من خاف الله في يومه .

وكان يقول : شر عادات المرء اتباعه هواه .

المدائني قال : قال رجل لابن الحنفية وهو بالشام : أعليٌّ أفضل أَم عثمان ؟ فقال : اعفني ، فلم يعفه فقال : أنت شبيه فرعون حين سأل موسى فقال : ما﴿بال القرون الأولى * قال عِلْمُها عند ربي في كتاب﴾[2] فصاح الناس بالشامي : يا شبيه فرعون ، حتى هرب إلى مصر .

وروي عن ابن الحنفية أنه قال : من لم يستعن بالرفق في أمره أضر الخلق بعمله .

وولد لمحمد بن الحنفية ، ويكنى أبا القاسم : الحسن بن محمد لا بقية له وأمه جمال بنت قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وأمها دُرة بنت عقبة من الأنصار ، وهو أول من تكلم في الإرجاء[3] ، وكان ناسكاً مات في خلافة عمر بن عبد العزيز . وأخوه لأمه الصلت بن سعد بن الحارث بن الصمة من بني النجار من الأنصار .

وعبدالله بن محمد ويكنى أبا هاشم . وجعفر الأكبر . وحمزة . وعلي ، لأم ولد تدعى نائلة .

١ ـ الزكرة : زق للخمر والخل . القاموس .
٢ ـ سورة طه ـ الأيتان : ٥١ ـ ٥٢ .
٣ ـ في المكتبة الظاهرية رسالة مخطوطة بالارجاء منسوبة له .

وجعفر الأصغر . وعون ، أمهما أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب .

والقاسم بن محمد . وعبد الرحمن ، لا بقية لهما . وأم القاسم ، وأم أبيها . ورقيه . وحبابه ، أمهم الشهباء بنت عبد الرحمن بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأمها ابنة المطلب بن أبي وداعة السهمي .

وابراهيم بن محمد ، وأمه مشرعة ويقال بسرة بنت عباد بن شيبان بن جابر بن نسيب بن وهيب من ولد مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ، وأمها أميمة بنت ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، وأمها أم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب .

وقال أبو اليقظان : لا عقب لأبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية .

وقال غيره : ولد له هاشم ومحمد الأكبر أمهما من ولد آبي اللحم[1] الغفاري . ومحمد الأصغر وغيرهم .

حدثني عبدالله بن صالح عن ابن كناسة عن قيس بن الربيع أن الشيعة كانت تزعم أن محمد بن الحنفية هو الإمام بعد علي بن أبي طالب ، فلما توفي قالوا : هو أبو هاشم ابنه ، فوشى بأبي هاشم رجل إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان وقال : ان له بالعراق شيعة وإنه يتسمى أمير المؤمنين ، فقبل الوليد ذلك ، وبعث إلى عبدالله بن محمد فقدم به عليه فحبس في

١ ـ في هامش الأصل : عن الإكمال لابن ماكولا : «آبي اللحم الغفاري ، له صحبة ، اختلف في اسمه فقيل : عبدالله بن عبد الملك ، وقيل خلف بن عبدالملك ، وقيل الحويرث بن عبدالله بن خلف بن مالك ، كان لا يأكل ما ذبح للأصنام ، قتل يوم حنين» . انظر الاكمال ـ ط . حيدرأباد ١٩٦٢ ج ١ ص ٣ .

سجن دمشق ، ثم حُوِّل من السجن إلى دار حتى قدم علي بن الحسين بن علي على الوليد وكان مرضياً عندهم ، فكلمه فيه فأطلقه وأنزله في قصره ، فكان يسمر عنده ، فقال له ليلة من الليالي : لقد أسرع إليك الشيب يا أبا البنات ، وكان أكثر ولده بنات . فقال له : أتعيرني بالبنات وقد كان نبي الله لوط ، ونبي الله شعيب ، ومحمد نبي الله صلى الله عليهم آباء بنات ، فغضب الوليد وقال : إنك لألد[1] ، وأمره أن يرحل عنه فرحل يريد المدينة ، فلما كان بالبلقاء مرض فمال إلى محمد بن علي بن عبدالله بن العباس فتوفي عنده وأوصى إليه .

المدائني عن غسان بن عبد الحميد قال : وفد أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية على سليمان بن عبد الملك فوصله ، ثم تجهز فَقَدَّمَ ثقله ، وأتى سليمان ليودعه فحبسه سليمان حتى تغدى عنده في يوم شديد الحر ، فخرج نصف النهار وقد عطش عطشاً شديداً فمر بأخبية ، فعدل إلى خباء منها فاستسقى فسُقي فَفَتَر وسقط ، فأرسل رسولاً إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وقال له : ان هذا الأمر أمر أنت أَوَّلُ من يقوم به ولولدك آخره .

المدائني قال : كان ابراهيم بن محمد بن طلحة أخا الحسن بن الحسن لأمه وكان جَلْداً فغلب على الأموال التي لبني الحسن فشكوا ذلك لأبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، فإنه لعند هشام بن اسماعيل المخزومي ، وهو والي المدينة ، اذ دخل ابراهيم بن محمد بن طلحة ، فقال أبو هاشم : أصلح الله الأمير ، إن أردتَ الظالم الظالع فهذا ، وكان ابراهيم أعرج ، فأغلظ له

١ ـ الألد : الخصم الشحيح الذي لا يزيع إلى الحق . القاموس .

ابراهيم وقال : أما والله إني لأبغضك . فقال : ما أحقك بذلك ، ولم لا تبغضني وقد قتل جدي أباك ، وناك عمي أمك ، وأمه خولة بنت منظور .

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن معن بن يزيد الهمداني قال : لما استخلف سليمان بن عبد الملك أتاه أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وافداً في عدة من الشيعة منهم أبو ميسرة ، وأبو عكرمة مولى قريش ، وحيان خال ابراهيم بن سلمة ، وغيرهم . وكان محمد بن الحنفية حين حضرته الوفاة أوصى إليه وقلده أمر الشيعة والقيام بشأنهم ، فلما دخل عليه استبرع بيانه وعقله ، وقال : ما أظن هذا إلاّ الذي يُحَدَّثُ عنه . فأجازه وقضى حوائجه ثم شخص ، فبعث سليمان معه دليلاً وأمره أن يخدمه فحاد به عن الطريق ، وقد أعدله أعرابياً في خباء ومعه غنم له ومعه سم ، فوافاه وقد كاد العطش يأتي عليه ، فاستسقى من الأعرابي فسقاه لبناً قد جعل فيه ذلك السم ، فلما شربه مرض ، فمال إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وهو بالحميمة ، فمات عنده .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : قدم أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية على سليمان بن عبد الملك فَبَرَّهُ وأكرمه ، ثم صرفه واعدَّ له في طريقه أعراباً في أخبية ، وعندهم أغِنامَ لهم ، ووجه معه رجلاً من خاصته ينزله ويقوم بحوائجه ، فلما صار إلى الأخبية عرض عليه لبناً وقد اشتد عطشه ، فدعا الرجل له به فأتي بشيء منه في قدح نطار[1] فألقى فيه سماً دفعه سليمان إليه وأبو هاشم لا يدري ، فلما شربه أحس بالسم فعدل إلى الحميمة

١ ـ الناطور حافظ الكرم والنخل ، والنطار : الخيال المنصوب بين الزرع . القاموس .

فمات هناك عند محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب ، وقال له : يابن عم ، إنا كنا نظن أن الإمامة فينا ، فقد زال الشك ، وصرح اليقين بأنك الامام دون أبي رحمه الله ، وأعطاه كتبه وسمى له شيعته .

خبر محمد ابن الحنفية وابن الزبير وعبد الملك بن مروان .

قالوا: بايع محمد ابن الحنفية ليزيد بن معاوية حين أخذ معاوية له البيعة على الناس غير مغتاص ولا ملتوٍ عليه ، فكان معاوية يشكر له ذلك ويصله عليه ويقول : ما في قريش كلها أرجح حلماً ولا أفضل علماً ولا أسكن طائراً ، ولا أبعد من كل كبر وطيش ودنس من محمد بن علي ، فقال له مروان ذات يوم : والله ما نعرفه الا بخير ، فأما كل ما يذكر فإن غيره من مشيخة قريش أولى به ، فقال معاوية : لا تجعلن من يتخلق لنا تخلقاً وينتحل لنا الفضل انتحالاً كمن جبله ، إنه على الخير وأجراه على السداد ، فوالله ما علمتك إلا موزعا مغرى بالخلاف .

وكان يزيد يعرف ذلك له أيضاً ، فلما ولي يزيد لم يسمع عن ابن الحنفية الا جميلاً وببيعته إلا تمسكاً ووفاءً ، وازداد له حمداً وعليه تعطفاً ، فلما قتل الحسين بن علي ، وكان من ابن الزبير ما كان مما نحن ذاكروه ان شاء الله كتب يزيد إلى ابن الحنفية يعلمه أنْ قد أَحَبَّ رؤيته وزيارته إياه ، ويأمره بالإقبال إليه ، فقال له عبدالله ابنه : لا تأته فإني غير آمنه عليك ، فخالفه

ومضى إلى يزيد ، فلما قدم عليه أمر فأنزل منزلاً وأجرى عليه ما يصلحه ويسعه ، ثم دعا به وأدنى مجلسه وقرَّبَه حتى صار معه ، ثم قال له : آجرنا الله وإياك في الحسين بن علي ، فوالله لئن كان نغضك[1] لقد نغضني ، ولئن كان أوجعك لقد أوجعني ، ولو أني أنا الذي وليت أمره ثم لم استطع دفع الموت عنه إلا بحزٍّ أصابعي أو بذهاب نواظري لفديته بذلك ، وإن كان قد ظلمني وقطع رحمي ولا أحسبه إلا قد بلغك أنا نقوم به فننال منه ونذمه ، وأيم الله ما نفعل ذلك لئلا يكونوا الأحباء الأعزاء ، ولكنا نريد إعلام الناس أنا لا نرضى إلا بأن لا ننازع أمراً خصنا الله به ، وانتخبنا الله له .

فقال له ابن الحنفية : وصلك الله ، ورحم حسيناً وغفر له ، قد علمنا أن ما نغضنا فهو لك ناغض ، وما عالنا فهو لك عائل ، وما حسين بأهل أن تقوم به فتقصيه وتجذبه ، وأنا أسألك يا أمير المؤمنين أن لا تُسمعني فيه شيئاً أكرهه .

فقال يزيد : يابن عم . لست تسمع مني فيه شيئاً تكرهه ، وسأله عن دَيْنِهِ ، فقال : ما علي دين فقال يزيد لابنه خالد بن يزيد : يا بني إن عمك هذا بعيد من الخبّ واللؤم والكذب ، ولو كان لبعض هؤلاء لقال : عليَّ كذا وكذا ، ثم أمر له بثلاثمائة ألف درهم فقبضها ، ويقال انه أمر له بخمسمائة ألف ، وعروض بمائة ألف درهم .

وكان يزيد يتصنع لابن الحنفية ويسأله عن الفقه والقرآن ، فلما جاء ليودعه قال له : يا أبا القاسم إن كنت رأيت مني خلقاً تنكره نزعتُ عنه ، وأتيت الذي تشير به عليّ ، فقال : والله لو رأيت منكراً ما وسعني إلا أن

١ ـ نغض : تحرك واضطرب . القاموس .

أنهاك عنه وأخبرك بالحق لله فيه ، لما أخذ الله على أهل العلم من أن يبينوه للناس ولا يكتموه ، وما رأيت منك إلاّ خيراً .

وشخص من الشام حتى ورد المدينة ، فلما وثب الناس بيزيد وخلعوه ومالوا إلى ابن الزبير ، وأتاهم مسلم بن عقبة المري في أهل الشام ، جاء عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن مطيع في رجال من قريش والأنصار فقالوا لابن الحنفية : أخرج معنا نقاتل يزيد ، فقال لهم محمد بن علي : على ماذا أقاتله ولم أخلعه ؟ قالوا : إنه كفر وفجر ، وشرب الخمر ، وفسق في الدين ، فقال لهم محمد بن الحنفية : ألا تتقون الله هل رآه أحد منكم يعمل ما تذكرون ، وقد صحبته أكثر مما صحبتموه فما رأيت منه سوءاً .

قالوا : إنه لم يكن يطلعك على فعله . قال : أفأطلعكم أنتم عليه ؟ فلئن كان فعل إنكم لشركاؤه ، ولئن كان لم يطلعكم لقد شهدتم على غير ما علمتم .

فخافوا أن يُثَبِّط قعوده الناس عن الخروج فعرضوا عليه أن يبايعوه إذكَرِهَ ان يبايع لابن الزبير ، فقال : لست أقاتل تابعاً ولا متبوعاً . قالوا : فقد قاتلت مع أبيك . قال : وأين مثل أبي اليوم .

فأخرجوه كارهاً ومعه بنوه متسلحين وهو في نعل ورداء ، وهو يقول : يا قوم اتقوا الله ولا تسفكوا دماءكم . فلما رأوه غير منقاد لهم خلوه . فذهب أهل الشام ليحملوا عليه فضارب بنوه دونه فقتل ابنه القاسم بن محمد ، وضرب أبو هاشم قاتل أخيه فقتله .

وأقبل ابن الحنفية إلى رحله فتجهز ثم خرج إلى مكة من فوره ذلك ، فأقام بها حتى حصر عبد الله بن الزبير حصاره الأول ، وهو في ذلك قاعد عنه

لا يغشاه ولا يأتيه ، وسأل قوم من الشيعة من أهل الكوفة عن خبره فأُعلموا أنه بمكة ، فشخصوا إليه وكانوا سبعة عشر رجلاً وهم : معاذ بن هانىء بن عدي ابن أخي حجر بن عدي الكندي ، ومحمد بن يزيد بن مزعل الهمداني ثم الصائدي ، ومحمد بن نشر الهمداني ، وأبو المعتمر حنش بن ربيعة الكناني ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني ، وهانىء بن قيس الصائدي ، وصخير بن مالك المزني، وسرح بن مالك الخثعمي، والنعمان بن الجعد الغامدي ، وشريح بن احناء الحضرمي ، ويونس بن عمرو بن عمران الجابري من همدان ، وعبد الله بن هانىء الكندي ، وهو الذي قتل بعد ذلك مع المختار ، وجندب بن عبد الله الأزدي ، ومالك بن حزام بن ربيعة ، قتله المختار بَعْدُ بجبانة السبيع ، وهو ابن أخي لبيد بن ربيعة الشاعر ، وقيس بن جعونة الضبابي ، وعبد الله بن ورقاء السلولي .

فبعث عبد الله بن الزبير إلى ابن الحنفية بعد انصراف أهل الشام من مكة مع الحصين بن نمير السكوني ، وموت يزيد بن معاوية : أَنْ هَلُمَّ فبايعني . فأبىٰ عليه ، وبايع الناس ابن الزبير بالمدينة والكوفة والبصرة ، فأرسل إليه أن الناس قد بايعوا واستقاموا فبايعني . فقال له : إذا لم يبق غيري بايعتك .

وبعث إلى السبعة عشر الكوفيين فسألهم عن حالهم وأَمَرَهم بالبيعة له ، فقالوا : نحن قوم من أهل الكوفة اعتَزَلْنا أمر الناس حين اختلفوا ، وأتينا هذا الحرم لئلا نؤذي أحداً ولا نؤذىٰ ، فإذا اجتمعت الأمة على رجل دخلنا معهم فيما دخلوا فيه ، وهذا مذهب صاحبنا ، ونحن معه عليه وله صحبناه .

فوقع في ابن الحنفية وتنقصه وقال : أما والله ما صاحبكم بِمَرْضيٍّ الدين ، ولا محمود الرأي ، ولا راجح العقل ، ولا لهذا الأمر بأهل .

فقام عبد الله بن هانىء فقال : قد فهمت ما ذكرت به ابن عمك من السوء ، ونحن أعلم به وأطول معاشرة له منك ، وأنت تقتل من لم يبايعك ، وهو يقول والله ما أحب أن الأمة بايعتني كلها غير سعد مولى معاوية ، فبعثت إليه فقتلته ، وإنما عرض به لأنه كان بعث إلى سعد فقتله .

وكلمه عبد الله بن هانىء بكلام كثير فقال : إلهِزُوه وجَؤُوا[1] في قفاه . فقال : أتفعل هذا في حرم الله وأمنه وجوار بيته ؟ فقالوا له : لئن لم يَضُرَّكَ إلا تركنا بيعتك لا يضرك شيء أبداً ، ولا يلحقك مكروه ، ودعا به فقال : إيه ، أبيَ تضرب الأمثال ، وإياي تأتي بالمقاييس ؟ فقال : ﴿إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾[2] فقال ابن الزبير : ادفعوهم عني لعنكم الله من عصابة .

فأتوا ابن الحنفية فأخبروه بما كان بينهم وبين ابن الزبير ، فجزاهم خيراً وعرض عليهم أن يعتزلوه فأبوا وقالوا : نحن معك في العسر واليسر ، والسهل والوعر ، لا نفارقك حتى يجعل الله لك فسحة وفرجاً ، وبايعوه على ذلك فقال لهم : إني بكم لمتأنس كثير ، وسأله بعضهم أن يرصدوا ابن الزبير فيقتلوه إذا خرج من الحرم فكره ذلك ، وقال : ما يسرني أني قتلت حبشياً مُجَدَّعاً ثم أجمع سلطان العرب كله .

وقدم على السبعة العشر الرجل من أبنائهم ثلاثة نفر : بشر بن

---

١ ـ أي اضربوا وادفعوه . القاموس .

٢ ـ سورة غافر ـ الآية : ٢٧ .

سرح ، والطفيل بن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، وبشر بن هانىء بن قيس . فلما يئس ابن الزبير من بيعة ابن الحنفية وأصحابه وقد فسدت عليه الكوفة ، وغلب المختار بن أبي عبيد الثقفي عليها ، وأخرج ابن مطيع عامله عليها ، ودعت الشيعة بها لابن الحنفية ثقل عليه مكان ابن الحنفية معه ، وخشي أن يتداعىٰ الناس إلى الرضى به . فحبسه وأهل بيته ومن كان معه من أصحابه أولئك بزمزم ومنع الناس منهم ، ووكل بهم الحرس ، ثم بعث إليهم : أعطي الله عهداً لئن لم تبايعوني لأضربنَّ أعناقكم أو لأحرقنكم بالنار .

وكان رسوله بذلك عمرو بن عروة بن الزبير ، فقال له ابن الحنفية : قل لعمك لقد أصبحت جريئاً على الدماء منتهكاً للحرمة متلثلثاً[1] في الفتنة .

وقال له عدة من السبعة العشر الرجل فيهم ابن مزعل : إن هذا حصرنا بحيث ترىٰ ، وخوفنا بما تعلم ، ووالله ما ننتظر إلا أن يقدم ، وقد ظهر بالكوفة من يدعو إلى بيعتك والطلب بدماء أهل بيتك فالطُفْ لبعثة رسل من قِبَلَك يعلمونهم حالك وحال أهل بيتك . فقال : اختاروا منكم نفراً فاختاروا الطفيل بن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، وهو المقتول مع ابن الأشعث ، ومحمد بن نشر ، وأبا المعتمر وهانىء بن قيس ، فأمرهم ابن الحنفية بكتمان أمرهم ، وأمر لهم بأربع نجائب وأجَّلَهُم لذهابهم ومجيئهم ستاً وعشرين ليلة ، فلما هدأت العيون ونام طالع الكلاب ، ورمق الحرس فوجدهم نياماً مستثقلين دفع إليهم كتاباً منه إلى المختار بن أبي عبيد ومَنْ قِبَلَهُ من الشيعة ، يخبرهم فيه بحالهم وما يتخوفون من ابن الزبير ، ويقول فيه :

---

١ ـ اللثلثة : الإلحاح والإقامة . القاموس .

يا غوثنا بالله يا غوثنا بالله . وقال : إن رأيتم منه ما تحبون حمدتم الله على ذلك ، وإن رأيتم منه تقصيراً فاعلموا الناس ما جاء بكم ، والحال التي تركتمونا عليها .

فلما قرأ المختار الكتاب دعا أصحابه فقرأه عليهم، فوثب جميع من في القصر يبكون ويضجون ويقولون للمختار : سَرِّحْنَا إليه وعجِّل ، فخطب المختار الناس وقال : هذا كتاب مهديكم وصريخ أهل بيت نبيكم ومن معه من إخوانكم وقد تُركوا محظوراً عليهم حظار كزرب الغنم ينتظرون القتل والتحريق في آناء الليل ونارات النهار ، لستُ بأبي إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً وأُسُرِّبُ إليهم الخيل آثار الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل - يعني بابن الكاهلية عبد الله بن الزبير وذلك أن أم خويلد أبي العوام زهرة بنت عمرو بن حنثر من بني كاهل بن أسد بن خزيمة - .

وأنفذ المختار جواب كتاب ابن الحنفية مع محمد بن نشر والطفيل بن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، واحتبس قِبَلَهُ أبا المعتمر وهانىء بن قيس ليسرح معهما جيشاً .

ثم وجه أبا عبد الله بن عبد من ولد واثلة بن عمرو بن ناج بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان - وهو الذي يعرف بأبي عبد الله الجدلي، لأن أم عدوان بن عمرو بن فهم بن عمرو، يقال لها جديلة فهم ينسبون إليها - في سبعين راكباً ، وعقبة بن طارق الجشمي في أربعين راكباً ، ويونس بن عمرو بن عمران الجابري في أربعين راكباً ، وكان يونس قد رجع إلى الكوفة قبل شخوص هؤلاء الأربعة النفر ، فسار هؤلاء المائة والخمسون

ومن عليهم حتى وافوا مكة وابن الحنفية وأهل بيته وأولئك القوم بزمزم قد أعد لهم عبد الله بن الزبير الحطب ليحرقهم بالنار فيما يظهر للناس ولهم، حتى يبايعوا. فعقل القادمون رواحلهم بالباب ودخلوا فكبروا ونادوا: يالثارات الحسين ثم شدوا على الحرس الموكلين بابن الحنفية وأصحابه فطردوهم، ودخلوا عليه يفدونه بآبائهم وأمهاتهم ويقولون: خَلِّ بيننا وبين ابن الزبير. فقال: لا أستحل القتال في حرم الله.

وقال ابن الزبير: واعجباً من هذه الخشبية[1] الذين اعتزلوني في سلطاني ينعون حسيناً كأني أنا قاتل حسين، والله لو قدرت على قَتَلَتِه لقتلتهم.

وكان دخولهم على ابن الزبير وفي أيديهم الخشب كراهة أن يشهروا السيوف في الحرم والمسجد الحرام. وقال بعضهم بل وثبوا على الخشب الذي كان ابن الزبير جمعه حول زمزم لإحراق ابن الحنفية وأصحابه، فأخذ كل امرىء منهم بيده خشبة فسموا خشبية.

وأقبل ابن الزبير على أبي عبد الله الجدلي وأصحابه فقال: أتروني أخلي سبيل صاحبكم دون أن يبايع وتبايعوا؟ فقال الجدلي: ورب الركن والمقام

١ ـ عرفت الحركة التي قادها المختار باسم الكيسانية، وأدخلت هذه الحركة عدداً من الأفكار الجديدة، من ذلك القتل الطقوسي بوساطة الأسلحة الخشبية، ولقد اختفى الخشبية بعيد المختار، ثم عاودوا الظهور بعد قرابة ألف سنة في المغرب الأقصى، فقد تحدث اليوسي في محاضراته وفي رسالة خاصة عن جماعة وجدوا في أيامه في القرن الحادي عشر الهجري اسمهم «العكاكزة» استخدموا القتل الطقوسي، فكانوا يتخلصون من خصومه بضربهم بالعصي فقط حتى الموت.

والحل والإحرام لتخلين سبيله فينزل من مكة حيث شاء ، ومن الأرض حيث أحب أو لنجالدنَّك بأسيافنا .

فقال ابن الزبير ـ ورأىٰ أن أصحابه قد ملأوا المسجد ، وأن أصحاب ابن الحنفية لا يبلغون مائتين ـ : وما هؤلاء ، والله لو أذنت لأصحابي فيهم ما كانوا عندهم إلا أكلة رأس .

فقال صخير بن مالك : أما والله لأرجو إن رمت ذلك أن يوصَلَ إليك قبل أن ترى فينا ما تحب .

وقام الطفيل بن عامر فقال :

قد علمتْ ذات الشباب الرُّودِ والجرم ذي البضاضة المسودِ

إنا أسودٌ وبنو الأسُودِ

فقال ابن الحنفية لعامر : يا أبا الطفيل مر ابنك فليسكتْ ، وتكلم ابن الحنفية فقال : آمركم بتقوىٰ الله وأن تحقنوا دماءكم ، وإني معتزل لهذه الفتنة حتى تجتمع الأمة . إذ اختلفت وتفرقت فأطيعوني .

وقال عبد الله بن عباس بن عبد المطلب لابن الزبير : قد نهيتك عن هذا الرجل وأعلمتك أنه لا يريد منازعتك فاكفف عنه وعن أصحابه .

فقال : والله لا أفعل حتى يبايع وتبايعوا ، أما بايع يزيد ولا يبايعني ؟!

فمكث القوم ثلاثة أيام قد صفّ بعضهم لبعض في المسجد والمعتمرون يمشون فيما بينهم بالصلح ـ فلما كان اليوم الثالث قدم عليهم من قبل المختار أبو المعتمر في مائة ، وهانىء بن قيس في مائة ، وظبيان بن عمارة التميمي في مائتين ، ومعه مال بعث به المختار ، وهو أربعمائة ألف درهم ،

ثم أقبلوا جميعاً حتى دخلوا المسجد يكبرون وينادون : يالثارات الحسين ، فلما رآهم اصحاب ابن الزبير خافوهم .

ورأىٰ ابن الحنفية أنه قد امتنع وأصحابه فقال لهم : اخرجوا بنا إلى الشِّعْب . ولم يقدر ابن الزبير على حبسهم فخرج فنزل شعب علي ، وضم إليه المال الذي عنده ، وأتته الشيعة من عشرة وعشرين ورجل ورجلين حتى اجتمع عنده أربعة آلاف رجل ، ويقال أقل من أربعة آلاف فقسم بينهم المال الذي أتاه ، فلما صار ابن الحنفية في هذا الجمع استأذنه قوم ممن كان قدم إليه في إتيان الكوفة للإلمام بأهليهم ثم الرجوع إليه ، منهم عبد الله بن هانىء الكندي ، وعقبة بن طارق الجشمي ، ومالك بن حزام بن ربيعة الكلابي ، وعبد الله بن ربيعة الجشمي ، فقدموا الكوفة ، فلما كانت وقعة جبانة السبيع[1] قاتلوا المختار إلاّ عبد الله بن هانىء فيقال إنه رجع إلى ابن الحنفية .

ثم إن المختار بعث إلى ابن الحنفية بثلاثين ألف دينار مع عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي ، وعبد الله بن شداد الجشمي ، والسائب بن مالك الأشعري ، وعبد الله وهو عَبْدَل لام بن الحُصل الطائي ، وبعث معهم برأس عبيد الله بن زياد ، وحصين بن نمير ، وابن ذي الكلاع ، فنصبت هذه الرؤوس على باب المسجد .

وقسم ابن الحنفية ذلك المال بين أصحابه فقووا وعزوا .

قالوا : ولم يزل ابن الحنفية بالشعب عزيزاً منيعاً حتىٰ قتل المختار ، وظهر مصعب بن الزبير على الكوفة ، واشتد أمر عبد الله بن الزبير وتضعضع

١ ـ سيرد ذكر هذه الوقعة لدى الحديث عن المختار .

أمر أصحاب ابن الحنفية ، وانقطعت عنهم موادهم ، واشتدت حاجتهم ، وقال ابن الزبير لابن عباس : لم يبلغك قتل الكذاب ؟ . قال : ومن الكذاب ؟ . قال : ابن أبي عبيد . فقال : قد بلغني قتل المختار ، قال : كأنك تكره تسميته كذاباً وتتوجع له ؟ . فقال : ذلك رجل قتل قتلتنا ، وطلب بدمائنا ، وشفى غليل صدورنا ، ليس جزاؤه منا الشتم والشماتة .

فقال ابن الزبير : لست أدري أأنت معنا أم علينا .

ومر ابن عباس بعروة بن الزبير فقال : قد قتل الكذاب المختار وهذا رأسه ، فقال ابن عباس : إنه قد بقيت لكم عقبة فإن صعدتموها فأنتم أنتم - يعني عبد الملك وأهل الشام - .

وبعث ابن الزبير إلى ابن الحنفية إن البلاد قد افتتحت ، وإن الامور قد استوسقت فاخرجْ إليَّ فادخل فيما دخل فيه الناس وإلا فإني منابذك .

وكان رسوله بذلك عروة بن الزبير ، فقال له ابن الحنفية : بؤساً لأخيك ما أَلَحَّهُ في إسخاط الله وأغفله عن ذات الله .

وقال لأصحابه في خطبة خطبها : إنه بلغني أن هذا العدو الذي قربت داره وساء جواره واشتدت ضغينته يريد أن يثور إلينا بمكاننا هذا من يومنا هذا ، وقد أذنت لمن أحب الأنصراف عنا في ذلك فإنه لا ذمام عليه منا ولا لوم فإني مقيم حتي يفتح الله بيني وبينه وهو خير الفاتحين .

فقام إليه أبو عبد الله الجدلي ، ومحمد بن نشر ، وعبد الله بن سبيع فتكلموا وأعلموه أنهم غير مفارقيه .

قالوا : وَجَدَّ ابن الزبير في قتال ابن الحنفية ، وكره ابن الحنفية أن يقاتله في الحرم ، وقد كان خبر ابن الحنفية انتهىٰ إلى عبد الملك بن مروان ،

وبلغه فعل ابن الزبير فبعث إليه يعلمه إنه إن قدم عليه أحسن إليه ، وعرض عليه أن ينزل إي الشام شاء حتى يستقيم أمر الناس ، وكان رسوله إليه حبيب بن كُرَّه مولاهم .

وكتب عبد الله بن عباس إلى عبد الملك في محمد بن الحنفية كتاباً يسأله فيه الوصاة بمحمد بن الحنفية والعناية بشأنه والحيطة عليه ، إذا صار إلى الشام ، فأجابه عبد الملك بكتاب حسن يعلمه فيه قبول وصيته ، وسأله أن ينزل به(١) حوائجه ، وخرج ابن الحنفية وأصحابه يريدون الشام ، وخرج كثير عزة أمامه وهو يقول :

هُديت يا مهديّناً ابن المهتديْ ... أنت الذي نرضىٰ به ونرتجيْ
أنت ابنُ خير الناسِ من بعدِ النبيْ ... أنت إمام الحق لسنا نمتريْ
يا بنَ عليٍّ سِرْ وَمَنْ مثلُ عليْ(٢)

وأتى ابن الحنفية مدين وبها مظهر بن حبّي العكي من قبل عبد الملك ، فحدثه أصحابه بما كان من غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد بن العاص بعد أن أعطاه العهود المؤكدة فحذره ونزل أيلة ، وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة صلاته وزهده وحسن هديه ، فلما بلغ ذلك عبد الملك ندم على إذنه له في قدوم بلده فكتب إليه : إنك قدمتَ بلادنا بإذن منا ، وقد رأيت أن لا يكون في سلطاني رجل لم يبايعني . فلك ألف ألف درهم أعجل لك منها مائتي ألف درهم ولك السفن التي أرفأت إليك من مصر ، وكانت سفناً بعث إليه فيها بأمتعة وأطعمة .

---

١ ـ في رواية أخرى «يعلمه فيه» (من هامش الأصل) .
٢ ـ ليسوا في ديوانه المنشور .

فكتب إليه ابن الحنفية : قد قدمنا بلادك بإذنك إذ كان ذلك لك موافقاً وارتحلنا عنها إذ أنت لجوارنا كارهاً .

وقدم ابن الحنفية فنزل الشعب بمكة ، فبعث إليه ابن الزبير : ارتحل عن هذا الشعب فما أراك منتهياً عنه أو يشعب الله لك ولأصحابك فيه أصنافاً من العذاب .

وكتب إلى مصعب بن الزبير أخيه يخبره بأسماء رؤساء أصحاب ابن الحنفية ويأمره أن يسيِّر نساءهم من الكوفة فسير نساء نفر منهم فيهن امرأة طفيل بن عامر بن واثلة ، وهي أم سلمة بنت عمرو الكنانية ، فجاءت حتى قدمت عليه فقال الطفيل في ذلك :

إنْ يَكُ سَيَّرَها مصعبٌ فإني إلى مصعب مُذْنِبُ
أقود الكتيبة مُسْتَلْئِماً كأني أُخُو عرة[1] أجربُ
عليَّ دلاصٌ تَخَيَّرْتُها وبالكف ذو رونق مقضبُ
سَعَرْتُ عليهم مع الساعِرِين ناراً إذا خَمَدَتْ تنقبُ
فلو أن يحيى به قوةٌ فيغزو مع القوم أو يركبُ
ولكن يحيى كفرخ العقاب ريش قوادمه أزغبُ

فكفَّ ابن الزبير عن ابن الحنفية حتى إذا حج الناس ، وكان يوم النفر أرسل إليه : تنحَّ عن هذا المنزل وانفر مع الناس وإلا فإني مناجزك .

فسأله معاذ بن هانىء وغيره من أصحابه أن يأذن في مقارعته ، وقالوا : قد بدأك بالظلم واضطرك وإيانا إلى الامتناع ، فقال له ابن مطيع : لا يَغُرَّنَّكَ قول هؤلاء فإنهم قتلة أبيك وأخيك ، فقال له : نصبر لقضاء الله ،

١ ـ العرّ والعرة : الجرب . القاموس .

اللهم ألبس ابن الزبير لباس الذل والخوف ، وسلط عليه وعلى أشياعه وناصريه من يسومهم مثل الذي يسوم الناس ، اللهم أَبْلِسْهُ بخطيئته ، وأجعل دائرة السوء عليه ، سيروا بنا على اسم الله إلى الطائف .

فقام ابن عباس فدخل على ابن الزبير فقال له : ما ينقضي عجبي من تَنَزِّيْكَ على بني عبد المطلب ، تخرجهم من حرم الله وهم والله أولى به وأعظم نصيباً فيه منك ، إن عواقب الظلم لَتُرَدُّ إلى وَبَالٍ .

فقال ابن الزبير : ما منك أعجب ولكن من نفسي حين أدعك تنطق عندي ملء فيك ، فقال ابن عباس : والله ما نطقتُ عند أحد من الولاة أَخَسُّ منك ، قد والله نطقتُ غلاماً عند رسول الله ﷺ ، وأبي بكر ، ونطقت رجلاً عند عمر وعثمان وعلي يروني أحقّ من نطق فيُستمع لرأيي ، وتُقبل مشورتي ، وكل هؤلاء خير منك ومن أبيك .

فقال : والله لئن كنت لي ولأهل بيتي مبغضاً ، لقد كتمتَ بغضك وبغض أهل أبيك مذ أربعون سنة . فقال ابن عباس : ذلك والله أبلغ إلى جاعِرتيك[1] ، بُغضي والله ضرك واثمك إذ دعاك إلى ترك الصلاة على النبي ﷺ في خطبك فإذا عوتبت على ذلك قلت إن له أُهَيْلَ سوءٍ ، فإذا صليت عليه تطاولت أعناقهم وسَمَتْ رؤوسهم .

فقال ابن الزبير : اخرج عني فلا تقربني . قال : أنا أزهد فيك من أن أقربك ، ولأخرجنَّ عنك خروج من يذمُّكَ ويَقْلِيْكَ . فلحق بالطائف فلم

١ ـ الجاعرة : الأست أو حلقة الدبر ، والجاعرتان : موضع الرقمتين من أست الحمار ، ومضرب الفرس بذنبه على فخذيه ، القاموس .

يلبث يسيراً حتى توفي فصلى عليه ابن الحنفية ، فكبّر عليه أربعاً وضرب على قبره فسطاطاً .

ولم يزل ابن الحنفية بالطائف حتى أقبل الحجاج بن يوسف من عند عبد الملك إلى ابن الزبير ، فلما حصره عاد ابن الحنفية إلى الشعب .

وكتب إليه عبد الملك بعد مقتل مصعب بن الزبير وبعثه الحجاج : أما بعد فإذا أتاك كتابي فاخرج إلى الحجاج عاملي فبايعه . فكتب إليه : إني لا أبايع حتى يجتمع الناس عليك فاذا اجتمعوا كنت أول من يبايع .

فلما قتل عبد الله بن الزبير ، وهو يومئذ بالشعب أيضاً سرح أبا عبد الله الجدلي بكتاب منه إلى عبد الملك يسأله فيه الأمان لنفسه وأصحابه ، وبعث اليه الحجاج يأمره بالبيعة فأبى وقال : قد كتبت الى عبد الملك كتاباً ، فإذا جاءني جوابه بما سألته بايعت .

قال : أو تشترط على أمير المؤمنين الشروط لتبايعنّي طائعاً أو كارهاً ؟! فأتاه عبدالله بن عمر بن الخطاب فقال له : ما تريد من رجل ما نعلم في زماننا مثله . أمْسِك عنه حتى يأتيه كتاب ابن عمه .

وقد كان كتاب عبد الملك أتى الحجاج قبل قتل ابن الزبير يأمره فيه بالكف عن ابن الحنفية والرفق به ؛ فأمسك الحجاج حتى قدم على ابن الحنفية رسوله أبو عبد الله الجدلي بجواب كتابه ببسط الأمان وتصديق قوله ووصف ما هو عليه في إسلامه وعفافه وفضله وقرابته وعظيم حقه ، وقال له : لعمري لئن ألجأتُك الى الذهاب في الأرض خائفاً لقد ظلمتُك وجفوتُك ، وقطعتُ رحمك ، فبايعِ الحجاج على بركة الله ، وأمره بالقدوم عليه آمناً مأموناً وفي الرحب والسَّعة ، والى الكرامة والاثرة والمواساة .

فخرج الى الحجاج فبايعه لعبد الملك ، وأشخصه الحجاج إليه في جماعة منهم عبدالله بن عمرو بن عثمان ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعروة بن الزبير ، فلما قدم على عبد الملك أعظمه وأكرمه وبره وأقبل عليه ، فحسده الحجاج على ما رأى من احتفاء عبد الملك به فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد أردت أن أضرب عنقه لولا تقدمك إلي في أمره لتأخره وتثاقله عن البيعة .

فقال له عبد الملك: مهلاً يا حجاج . فسأله ابن الحنفية أن ينزع عنه سلطانه فقال : إنه لا سلطان له عليك ولا لأحد من الناس دوني ، ولك في كل سنة رحلة ترفع إلي فيها حوائجك فأقضيها لك .

ويقال إنه قال : أخْلِني يا أمير المؤمنين . فقال : إنه ليس دون الحجاج سر . قال : فاعْدِني عليه فإنه يكلفني الغدوّ والرواح اليه ويعدي عليَّ غرمائي قبل بيع الثمرة . فقال عبد الملك : لا سلطان لك عليه دون بلوغ الثمرة ، ولا على عبدالله بن جعفر فإنهما ينتظران الغلة ، أَوْ صَلَتنا .

ثم انصرف من عند عبد الملك وكان معه جماعة من أصحابه منهم عامر بن واثلة أبو الطفيل، ومحمد بن نشر، ومحمد بن يزيد بن مزعل حتى قدموا المدينة .

حدثني أبو الحسن المدائني عن ابن جعدبة عن ابن كيسان قال : قال عبد الملك لابن الحنفية حين قدم عليه وهما خلوان : أتذكر فِعْلَتَكَ يوم الدار ؟ فقال : أُنشدك الله والرحم يا أمير المؤمنين . فقال : والله ما ذكرتها ولا أذكرها .

وكان محمد سمع مروان قال لعلي يوم الدار : قطع الله الليلة أثرك ، فأخذ محمد بحمائل سيف مروان فرجع ففرق بينهما .

ويقال ان الحجاج وجه ابن الحنفية الى عبد الملك وافداً فأكرمه وبره ، ثم رده الى المدينة وقال : فِدْ إليَّ في كل عام ، وإن الحجاج لم يشخصه معه .

وفاة محمد ابن الحنفية

وتوفي محمد ابن الحنفية بالمدينة ودفن بالبقيع سنة احدى وثمانين ، ويقال في سنة اثنتين وثمانين .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في اسناده قال : أرسل ابن الزبير إلى ابن العباس وابن الحنفية ان يبايعا فقالا : يجتمع الناس على رجل ثم نبايع فإنك في فتنة ، فغضب من ذلك ، ولم يزل الأمر يغلظ بينه وبينهما حتى خافا خوفاً شديداً ، وحبس ابن الحنفية في زمزم ، فبعث الى الكوفة يخبر بما هو فيه من أمر ابن الزبير ، فأخرج اليه المختار أربعة آلاف عليهم أبو عبدالله الجدلي فصاروا الى المسجد الحرام ، فلما رأى ابن الزبير ذلك دخل منزله ، وقد كان أيضاً ضيَّق على ابن عباس ، وبعث إلى حطب فجعله على باب ابن عباس وحَوْل محبس ابن الحنفية من زمزم فمنعه ذلك الجيش مما أراد .

وصار ابن الحنفية الى الشعب فنزله ، ثم ان ابن الزبير قوي على ابن الحنفية حين قتل المختار وغلب مصعب على الكوفة ، فأخرج ابن عباس وابن الحنفية عنه وقال : لا يجاوراني ولم يبايعاني ، فخرجا الى الطائف فمرض

ابن عباس ثمانية أيام ثم توفي بالطائف فصلى عليه ابن الحنفية ودفنه وكبر عليه أربعاً ، وكان الذي تولى حمله ودفنه مع ابن الحنفية أصحابه الشيعة .

وقال بعض الرواة : مات ابن الحنفية بأيلة وذلك غلط . والثبت ان ابن الحنفية مات بالمدينة وله خمس وستون سنة ، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وهو والي المدينة ، وقال له أبو هاشم ابنه : نحن نعلم أن الإمام أولى بالصلاة ، ولولا ذلك ما قدمناك .

ويقال ان أبا هاشم أبى أن يصلي على أبيه أبان ، فقال أبان : أنتم أولى بميتكم ، فصلى عليه أبو هاشم .

وروى الواقدي أن محمد ابن الحنفية قال في سنة الجحاف[1] حين دخلت سنة احدى وثمانين : هذه لي خمس وستون سنة قد جاوزتُ سن أبي بسنتين ، وتوفي تلك السنة[2] .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عيسى بن يزيد الكناني قال : سمعت المشايخ يتحدثون أنه لما كان من أمر ابن الحنفية ما كان تجمع بالمدينة قوم من السودان غضباً له ومراغمة لابن الزبير ، فرأى ابن عمر غلاماً له فيهم وهو شاهر سيفه فقال له: رباح؟ قال رباح: والله إنا خرجنا لنردكم عن باطلكم الى حقنا . فبكى ابن عمر وقال : اللهم ان هذا بذنوبنا .

وقال غيره : تجمعوا أيام الحرة وهم يظهرون نصرة يزيد على ابن الزبير وخرج غلام ابن عمر معهم .

---

١ ـ في هامش الأصل : يقال سيل جحاف ، وسيل جراف .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٠١ ـ ١١٦ .

المحتوى

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م

الجزء الرابع

أمر العبّاس بن عبد المطلب بن هاشم وولده

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الطبعة الاولى

دار الفكر

بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا : فكسي - ص.ب : ١١/٧٠٦١

تلفون : ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس : ٩٦١٢٨٣٧٨٩٨ ..

دولي : ٩٦١١٨٦٠٩٦٢ .. - دولي وفاكس : ٤٧٨٢٣٠٨ - ٢١٢ - ١ ..

أمر العباس بن عبد المطلب بن هاشم ووَلَده

وأما العباس بن عبد المطلب فكان محباً لرسول الله ﷺ ، مائلاً اليه ، وكان رسول الله ﷺ يأتي منزله فيُقيل فيه ، واسلمت لبابة بنت الحارث امرأته حين بُعث رسول الله ﷺ ، فقال الشاعر :

بها ثُلِّثَ الاسلامُ بعد محمدٍ وزوج رسول الله بنتِ خُوَيلدِ

حدثني يحيى بن معين ، حدثنا جرير بن عبد الحميد ، اخبرنا مغيرة عن أبي رزين أنه قيل للعباس أنت أكبر أمْ رسول الله ، فقال:هو أكبر مني وأنا ولدتُ قبله .

وحدثني بعض المدنيين أن العباس قال : أبعَدُ عقلي أنه قيل لأمّي:قد وَلَدتْ آمنةُ غلاماً ، فخرجتْ وخرجتُ معها فكأنّي أراهُ يمصَعُ برجليه فاجتذبني النساء اليه وقُلنَ قَبِّلْ أخاك .

وأما عبد الكعبة بن عبد المطلب فماتَ صغيراً قبل النّذر الذي نذره عبد المطلب في ذبح ولده .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح ، قال : قال العباسُ : أنا أسنُّ من رسول الله ﷺ بثلاثٍ ، وُلِدَ عام الفيل وولدت قبل الفيل بثلاث سنين .

حدثني أبو مَشْعَرٍ -رجلٌ من أهل اليمن - عن عبد الرزاق ، عن معمر عن ابن عباس ، أنّ رجلاً من قريش رأى العباس فقال : هذا عم النبي وما أسلم حتى لم يبقَ كافر ، فشكا العباس قوله إلى النبي ﷺ فخرج مغضباً فقال : «من آذى العباسَ عمّي فقد آذاني ، إنّ عمَّ الرجل صنُو أبيه» .

قالوا : وقال رسول الله ﷺ يوم بدر: «إني قد عرفتُ أنَّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم أُخرجوا مُكرهين منهم عمي العباس ، فمن لقيه منكم فلا يعرضنّ له فإنه خرج مُكرهاً . ومن لقي أبا البختري - يعني العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي - فلا يعرضنَّ له»، وكان ابو البختري ممن أعان على نقض الصحيفة التي كتبتها قَريش على بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف حين دخلوا الشِّعب ، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وأخواننا ونترك العباس ، لئن لقيتُه لأضربنَّ وجهه بالسيف؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص، أيُضرَبُ وجه عم محمد رسول الله بالسيف»؟ فقال عمر: دعني اضرب عنق أبي حذيفة فقد نافق ، فكان أبو حذيفة يقول : ما آنا بامن شرّ كلمتي ولا أزال خائفاً منها إلاّ أنْ يُكفِّرها الله بشهادة ، فقُتل يوم اليمامة .

وحدثني بكر بن الهيثم ، حدثني أبو الحكم العدني عن أبيه عن عكرمة ، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أنه قال : كنت غلاماً للعباس وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت ، أسلم العباسُ واعتقد البيعة لرسول الله

ﷺ على الانصار ليلة العقبة ، على قبه[1] وقريش تطلبُه ، وأسلمتْ أمّ الفضل فكانت ثالثة ، أو قال ثانية النساء بعد خديجة ، وكان العباسُ يهاب قومه فيكتم اسلامه وكان ذا مال متفرّق على قريش وكان يحامي على مكرمته ومكرمة بني عبد المطلب من السقاية والرفادة ويخاف خروجهما من يده ، فخرج مع المشركين يوم بدر وأطعَم تجلّداً مع المطعمين ، وكان يكتب إلى رسول الله ﷺ بخبر المشركين ، فكتب إليه بخبرهم وما أعدّوا له يوم أُحُد وحذرّه إياهم كيلا يصيبوا غِرتّه .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده ، عن أبي صالح ، عن جابر بن عبد الله قال : كتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ عند خروج المسلمين إلى بدر يعلمه السبب الذي خرج له من مداراةِ قريش وأنه غير مقاتل مع المشركين وإن أمكنه أن ينهزم بهم ويكسرهم فعل ، فلما أُسِر يوم بدر بعث إلى رسول الله ﷺ أنْ ألزِمني من الفِداء أغلظَ ما يؤخذ مِن أحدٍ ؛ وكان كتابُه من مكة مع رجلٍ من بني كنانة ومعه كتابه إلى رسول الله ﷺ باستعداد قريش لغزوه يوم أُحد إشفاقاً من أن يصيبوا غرَّتَهُ ، وبلغه فتح خيبر فأعتق غلاماً له يكنى أبا زبيبة .

قالوا : وكان العباس آخذاً بلجام بغلة رسول الله ﷺ يوم حُنين ، ويقال بحَكَمَته ، وأقبل يومئذ نفرٌ من بني ليث من كنانة يريدون رسول الله ﷺ فدنا منه أحدُهم فاحتضنه العباس وأحدق به موالي رسول الله ، فقال العباس لأقرب الموالي منه : اضرب ولا تتّقِ مكاني ولا تُبَلْ أيّنا قتلت ، فقتل

---

١ ـ قب القوم يقبون : صخبوا في الخصومة .

المولى الليثي وجاء أخو المقتول فرفع يده إلى رسول الله ﷺ أيضاً فاحتضنه العباس وقال كما قال أوّلاً فقُتل ، حتى فعل ذلك بستة منهم ، فدعا له النبي ﷺ وقبّل وجهه ، وفي يوم حنين يقول العباس :

ألا هل أتى عرسي مكرِّي ومقدَمي ... بوادي حنينٍ والأسنّةُ شُرَّعُ
وقولي إذا ما النفسُ جاشت ألاقري ... وهامٌ تَدَهْدَي يوم ذاك وأذرعُ
وكيف رددتُ الخيلَ وهي مُغيرةٌ ... بزوراءَ تعطي في اليدَين وتمنعُ
وقولي إذا ما الفضلُ شدَّ بسيفِه ... على القوم : أُخرى يا بُنيَّ فيرجعُ
كأنّ السهامَ المرسلاتِ كواكبٌ ... إذا دَبَرَت عن عَجْسها[1] وهي تلمع
نصرنا رسول الله في الحرب سبعةً ... وقد فرّ من قد فرّ عنه فأقْشَعوا

يعني بالسبعة : نفسه ، وعلي بن أبي طالب ، والفضل بن العباس ، وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وأبا رافع مولى رسول الله ، وأيمن بن عُبيد أخا أسامة لأمّه أم أيمن ، ويقال إن السابع مكان أيمن بعضُ ولد الحارث بن عبد المطلب ، ويقال إنهم : العباس ، وعلي ، وأبو سفيان بن الحارث ، وعقيل بن أبي طالب ، وعبد الله بن الزبير ، والزبير بن العوام ، وأسامة بن زيد ، وبنو الحارث يقولون : إن جعفر بن أبي سفيان شهد حُنيناً أيضاً .

وحدثني مظفّر[2] بن مُرَجّى ، عن ابن أبي أويس عن أبيه ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة

---

١ - العجس : مقبض القوس . القاموس .
٢ - في هامش الأصل «مطرف» .

قال : قال رسول الله ﷺ لعمه العباس : «فيكم النبوة وفيكم الخلافة»[١] .

حدثني عبد الله بن صالح ، حدثني إبراهيم بن حمزة الزبيري عن اسماعيل بن قيس الانصاري عن أبي حازم[٢] بن دينار عن سهل بن سعد قال : نزل رسول الله ﷺ منزلاً فقام يغتسل ، فأخذ العباس كساءً فستره به ، قال : فرأيتُ النبي ﷺ رافعاً رأسه من جانب الكساء وهو يقول : «اللهمَّ استر العباس من النار» ، أو قال : «العباس وولده من النار»[٣] .

وحدّثني مظفّر[٤] بن المُرجّى ، حدثنا ابراهيم الهروي عن عبد الله بن عثمان الوقاصي عن جده أبي أمه مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي قال : دخل رسول الله ﷺ على العباس وبنيه فقال : «تقاربوا» ، فزحف بعضهم إلى بعض ثم اشتمل عليهم بملاءته وقال : «يا رب هذا عمي وصنُو أبي ، هؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي» ، فأمِنَتْ أسْكُفَّةُ البيت وحوائطُ البيت .

وحدثني هشام بن عمار الدمشقي عن اسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن كثير بن مرة الحضرمي قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله ﷺ : «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً ، وإن منزلي في الجنّة تجاه منزل إبراهيم ، ومنزل العباس عميّ فيما بين منزله ومنزلي ، مؤمنٌ بين خليلين» .

---

١ ـ انظر موسوعة أطراف الحديث ج ٥ ص ٦٠٣ .

٢ ـ في هامش الأصل «اسمه سلمة» ،

٣ ـ موسوعة أطراف الحديث ج ٢ ص ١٨٢

٤ ـ في هامش الأصل «مطرف» .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا خلاد بن يحيى عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى قال : قال العباس بن عبد المطلب لرسول الله ﷺ : إني لأعرف ضغائن في صدور أقوام أوقعتُ بهم ، فقال : «أما إنهم لن يَنالوا خيراً حتى يحبّوكم ، أوَ يرجوا سِلْهِم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب» ! سلهم حيٌّ من ولد حكم بن سعد العشيرة وعِدادهم في مراد .

حدثني عمرو بن محمد ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف عن موسى بن كردم عن مجالد بن سعيد عن الشعبي قال : «كان النبي ﷺ إذا رأى العباس عمه أوسع له وقال : هذا عمي وبقيّة آبائي» .

وحدثني بعض أصحابنا عن زبير بن بكار عن عتيق بن يعقوب عن عبد العزيز بن محمد الدّراوردي عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن عبد الله بن أبي بكر أنه بلغه أن النبي ﷺ قال : «احفظوني في العباس عمِّي فإنّ عمَّ الرجل صِنُو أبيه» .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال : قال علي بن أبي طالب : لم أرَ رأياً قط أوثقَ فَتْلاً ، وأحكم عَقْداً من رأي عمي العباس .

حدثني عبد الله بن صالح العجلي ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين ، أن العباس بن عبد المطلب قال لابنه عبد الله بن عباس حين اختصه عمر بن الخطاب وقَرَّبَهُ : يا بُنَيّ لا تكذِبْه فيطرحك ، ولا تَغْتَبْ عنده أحداً فيمقتك ، ولا تقولنَّ له شيئاً حتى يسألك ، ولاتُفشين له سراً فيزدريك ، ويقال أنه قال له : إن هذا الرجل قد أدناك وأكرمك فاحفظ عني ثلاثاً : لا يُجرّبَنّ عليكَ كذباً ، ولا تَفْشِينّ له سرّاً ، ولا تغتابن عنده أحداً .

حدثني الأعين ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دُكين ، حدثنا زهير عن ليث عن مجاهد عن علي بن عبد الله بن عباس قال : أعتق العباسُ عند موته سبعين مملوكاً .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك الطفاوي عن سفيان بن حبيب عن شعبة عن عمرو بن مرة عن ذكوان عن صهيب مولى العباس قال : رأيت علياً يُقبّل يَدَ العباس ورجله ويقول : يا عم ارضَ عنّي .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، حدثنا وكيع بن الجراح عن اسرائيل الملاّي عن الحكم بن عُتيبة ، أن النبي ﷺ بعث عمر بن الخطاب مصدّقاً ، فشكاهُ العباس إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «أما علمتَ أن العم صنُو الأب ، وأنا قد استسلفنا زكاةَ العباس العام عام أول» .

وحدثني إسحاق الفَرْوي أبو موسى ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله العمري عن نافع قال : خرج عمر عام الرَّمادة يستسقي فقال : اللهم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنّا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، فَسُقُوا .

وحدثني إسحاق الفَرْوي ، حدثنا وكيع عن أسامة بن زيد عن ميمون بن ميسرة عن السائب بن يزيد قال : نظرت إلى عمر يومَ غدا ليستسقي عام الرّمادة متواضعاً خاشعاً عليه بُرْدٌ لا يبلغ ركبتيه ، فرفع صوته بالاستسقاء وعيناهُ تفيضان والدموع تجري على خده ولحيته ، وإن العباسَ لَعَنْ يمينه ، فاستقبل القبلة يعجّ إلى ربه ، وأخذ بيد العباس فقال : اللهم إنا

نستشفع إليك بعم نبيك ، والعباسُ قائمٌ إلى جنبه مُلحّ في الدعاء وعيناهُ تَهملان .

حدثني أبو بكر الوراق ، حدثنا اسحاق بن البهلول عن محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرج عمر يستسقي فأخذ بضبعي[1] العباس وقال : اللهم هذا عمّ نبيك فاسقنا ، فما برح الناس حتى سقوا .

ويروى عن الكلبي عن أبي صالح قال : أجدبت الأرض على عهد عمر حتى التقت الرِّعاء وأُلقيت العصيّ وعُطلَت النعم ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين إن بني اسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء ، فاستسقى عمر بالعباس فجعل عمر يدعو والعباس يدعو .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال : استسقى عمر بن الخطاب بالعباس عام الرمادة فقال : اللهم إن هؤلاء عبادك وبنو إمائكَ أتوك راغبين متوسلين إليك بعم نبيك ، فاسقنا سقيا نافعة تعمّ البلادَ وتحيي العباد ، اللهم إنّا نستسقيك بعم نبيك ونستشفع إليك بشيبته ، فُسقوا ، فقال في ذلك الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب :

بعميَ سقى الله الحجازَ وأهلَه ... عشيَّة يستسقي بشيبتِهِ عُمَرْ
توجَّه بالعباس في الجَدْب راغباً ... إليه فما أن رام حتى أتى المطر
ومنا رسولُ الله فينا تُراثُهُ ... فهل فوق هذا للمفاخرِ مفتخر

١ ـ الضبع : العضد كلها ، أو وسطها بلحمها ، أو الإبط ، أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه . القاموس .

وقال ابن عفيف النضري :

مازال عباس بن شيبة عائلاً ... للنـاس عند تنكُـر الأيـامِ
رجل تفتحتِ السماءُ لصوتِه ... لما دعـا بفضيلة الاســلام
عرفتْ قريشٌ يومَ قام مقامه ... فيهِ له فضلٌ على الاقـوام

وقال آخر :

رسـول الله والشُهـداءُ منّـا ... وعبـاسُ الذي فتق الغـماما

وقال الواقدي في روايته : لما كان عام الرمادة ، وهو عام الجدب سنة ثماني عشرة ، استسقى عمر بن الخطاب بالعباس وقال : اللهم إنّا كنا نستسقيك بنبيّنا إذا قحطنا ، وهذا عمُّه بين أظهرنا ونحن نستسقيك به ، فلم ينصرف حتى أطبق السحاب ، قال : وسقوا بعد ثلاثة أيام ، وكان عام الرمادة الذي كان فيه طاعون عَمْواس[1] بالشام .

حدثنا خلف بن هشام البزار عن خالد بن عبد الله الواسطي عن يزيد بن عبد الله بن الحارث أن النبي ﷺ قال : «من آذى العباس فقد آذاني ، إنَّ عم الرجل صنُو أبيه» .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال للعباس : «يا عم من حفظني فيكم حفظه الله ولن يستكمل رجل الايمان حتى يعرف لك فضلك يا عم» .

---

١ ـ قرية تقع جنوب شرق الرملة ، . فتحها عمرو بن العاص ، وأصبحت مقر جند المسلمين . معجم بلدان فلسطين لمحمد محمد شراب ـ ط . دمشق ١٩٨٧ .

حدثني عمر بن بكير، حدثني هشام بن محمد الكلبي عن أبيه عن الصلت بن عبد الله عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال للمغيرة بن نوفل الهاشمي : بأبي وأمي أنتم يا بني هاشم، كيف تُفلح هذه الأمة وترجو شفاعة نبيها وقد ترك فيهم عمه، فاستأثروا بالرأي عليه ؟

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال للعباس : «من سمعتُ منه مكروهاً أو رأيتهُ في جاهلية أو اسلام فلم أسمعه منك قط ولم أره، ولقد سألتُ ربي أن يعضدني بأحب عمومتي إليه وإليّ، فعضدني بحمزة وبك.

وحدثني محمد بن زياد الأعرابي، حدثني شبابة عن اسرائيل عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير قال : وقع رجل في بعض آباء العباس فلطمه العباسُ، فأخذ قومُه السلاحَ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فصعد المنبر ثم قال : «أيها الناس، أيُّ الخلق أكرم على الله ؟ قالوا : أنت يا رسول الله، قال : فان العباس منّي وأنا منه، لا تسبّوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا»، قالوا : نعوذ بالله من غضبك، فاستغفر لنا يا رسول الله.

وحدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن كريب أبي رشدين مولى ابن عباس قال : «لقد كان رسول الله ﷺ يُجلّ العباس من بين الناس إجلالَ الولد والدَه». وحُدثتُ أنّ كريباً قال : ما ينبغي لنبي أن يُجل إلاّ أباً أو عَمّاً.

وحدثني الوليد عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : «لقد رأيتُ من تعظيم رسول الله ﷺ العباس عمه

أمراً عجيباً ، أغمي على رسول الله ﷺ في مرضه فَلَدَدْنَاهُ[١] ثم سُرِّي عنه فأفاق ، فلما علم أنه قد لُدَّ قال : والذي نفسي بيده لا يبقى في البيت أحد إلّا لُدَّ سوى عمي العباس ، فرأيتهم يلدّون رجلاً رجلاً وفي البيت رجال يُذكر فضلهم حتى لقد لُدّت امرأة صائمة» .

حدثني رجل من أصحابنا عن زبير بن بكار عن إسماعيل بن عبد الله عن بكار بن محمد عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت الخاصرة تأخذ رسول الله ﷺ ولا نهتدي لاسم الخاصرة ونقول عرق النَّسا ، فأخذته يوماً فلددناه ، فلما أفاق قال : «والذي نفسي بيده لا يبقى أحد في البيت إلّا لُدّ غير عمي العباس» ، قالت : وفي البيت رجال يذكر فضلهم فلُدّوا رجلاً رجلاً .

وحدثني الزبير بن بكار عن إبراهيم بن حمزة عن محمد بن طلحة عن نافع أبي سهل عن سعيد بن المسيب قال : سمعتُ سعد بن أبي وقاص قال : خرج رسول الله ﷺ إلى نَقيع الخيل[٢] ، وهو موضع سوق النخاسين اليوم ، فطلع العباس ، فقال النبي ﷺ : «هذا العباس أجود قريش كفّاً وأوصلها» .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أن النبي ﷺ اشتكى الشكاةَ التي

---

١ ـ اللدود : ما يصب بالمسعط من الدواء في أحد شقي الفم . القاموس .
٢ ـ أورد الفيروز أبادي عدة روايات حول مكان النقيع وأنه كان يبعد عن المدينة المنورة ما لا يقل عن عشرين فرسخاً .

توفي فيها فغُمر[1] من شدة الوجع فلدّوه ، فلما أفاق قال : من فعل هذا ؟ قالوا : خشينا ان تكون بك ذاتُ الجنب ، فقال ﷺ : ما كان الله ليعذبني بها ، ثم قال : «لا يبقينَّ في البيت أحد إلّا التدّ غير عمي العباس» عقوبة لهم ، فالتدّت ميمونة وهي صائمة[2] .

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال : خرج رسول الله ينظر إلى بعث أو يجهزه ، فطلع العباس فلما رآوه قال : «هذا عم نبيكم أجود قريش كفّاً وأوصلها لرحم» .

حدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن الثقات من آل عثمان وغيرهم ، أن العباس لم يمر بعمر وعثمان وهما راكبان وهو راجل إلا نزلا حتى يجوزهما إجلالاً له أو يمشيان معه حتى يبلغ منزله أو مجلسه .

حدثني يوسف بن موسى القطان ، حدثني جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد قال : جاء عبد الرحمن بن صفوان ، وكان صديقاً للعباس ، بأبيه يوم فتح مكة إلى النبي ﷺ ليبايعه على الهجرة ، فقال ﷺ : «إنّه لا هجرة» ، فقال العباس : أقسمتُ عليك لما بايعته ، فقال بيده : «هاه ، أبررتُ قسمَ عمي ولا هجرة» .

حدثني أبو مسلم الأحمري المؤدِّب ، حدثني هشام الكلبي عن أبيه محمد بن السائب عن أبي صالح عن عدّة من الهاشميين ، «أن النبي ﷺ

---

١ ـ أي أغمي عليه . النهاية لابن الأثير .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

اشتاق إلى عمه العباس وقد خرج إلى بعض بوادي المدينة فزاره وأقام عنده أياماً» .

حدثني أبو بكر الأعين ، حدثنا اسحاق بن إسماعيل عن سفيان عن أبي هارون موسى بن عيسى قال : كان للعباس ميزابٌ يصُبّ في المسجد فكسره عمرَ فقال العباس : أما إن رسول الله ﷺ وضعه بيده ، فقال عمر : لا جرم والله لا يكون لك سلَّمٌ إلاّ ظهري ، فطأطأ له حتى ركب ظهره ثم وضعه .

وذكروا أن العباس بنى داره التي كانت إلى المسجد وجعل يرتجز :

بنيتُها باللِّبن والحجارهْ   فباركنْ لأهلِ هذي الدّارهْ

فدعا له رسول الله ﷺ بالبركة .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، حدثني يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن أبي حصين قال : أمر عمرُ بقلع الميازيب التي تصبُّ في المسجد ، فأتاه العباسُ فقال : أرأيت لو أتاك عم موسى عليه السلام مُسلْماً ما كنت تصنعُ به ؟ قال كنت أفعل به كذا ، فذكر إعظاماً وإجلالاً واسعاً ، قال : فأنا عم محمد ﷺ ، قال : اذهب فاصنع ما شئت .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن عكرمة ، أن العباس كان يأمره فتوضع مائدته في السفر فيأكل من حضره ومن مرّ به ثم يلقي فضلها للطير والسباع .

حدثني عبد الله بن صالح عن يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن يونس بن يزيد عن الزهري عن ابن المسيب قال : لقد جاء الاسلام وان

جفنة العباس لتدور على فقراء بني هاشم وإنّ سوطه وقدّه معه لسفهائهم ، يطعم الجائعَ ويؤدّب السفيه ، وقال الزهري : هذا والله السّؤدد .

قال إبراهيم بن علي بن هَرْمة :

وكانت لعباسٍ ثلاثٌ يعدّها — اذا ما شتاءُ الناس أصبح اشهبا
فسلسلةٌ تنهى الظلومَ وجفنةٌ — تباح فيكسوها السنامَ المرُعّبا
وحلّة عصبٍ ما تزال معدةً — لعارٍ ضريكٍ ثوبهُ قد تهبّبا[1]

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن رجل من أهل المدينة قال : كنت عند الحسين بن علي فأتاه رجل فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من عند عبد الله بن عباس فأُطعم طعامه وأيطب كلامه ، فقال الحسين : إن أباه كان سيد قريش غير مدافع ، وإن رسول الله ﷺ قال : «يا بني هاشم أطعموا الطعام وأيطبوا الكلام» ، فأخذها والله العباس وولده

حدثني أبو حسان الزيادي ، حدثنا موسى بن داود عن الحكم بن المنذر عن عمر النخعي عن أبي جعفر قال : أقبلَ العباس بن عبد المطلب وعليه حُلّة وهو أبيض له ضفيرتان ، فلما رآه النبي ﷺ تبسَّم ، فقال له : يا رسول الله ممّ تَبسّمت ؟ قالَ : «من جمالك يا عم» ، قال : وما الجمالُ في الرجل بأبي أنت وأمي قال : «اللسان» . قال أبو جعفر ، يقول : أعجب من بيانك ولسَنَك[2] .

---

١ - ديوان ابراهيم بن هرمة - ط . دمشق ١٩٦٩ ص ١٣ - ١٤ .
٢ - في هامش الاصل : بلغ العرض، لله كل حمد وفضل وافضال.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أخبرنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر : عليك العير فإنه ليس بينك وبينها كبير شيء ، فناداه العباس : انها لا تصلح لك ، فقال رسول الله ﷺ : «ولم ؟» قال : لأن الله وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك . قال أحمد بن ابراهيم : وفي حديث آخر مثله ، فقال رسول الله : «صدق عمي» .

وحدثني أحمد بن ابراهيم ، حدثنا ابو داود الطيالسي عن شعبة عن عمرو بن مرة عن ذكوان عن صهيب مولى العباس قال : أرسلني العباس إلى عثمان بن عفان أدعوه ، فأتيته وهو يغدّي الناس ، فلما فرغ أتاه فقال : افلح الوجه يا أبا الفضل ، فقال : ووجهك يا أمير المؤمنين ، ثم قال عثمان : أتاني رسولك وأنا أغدّي الناس فما زدتُ حين غدّيتهم على أن أتيتك ، وذكر كلاماً .

حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله عن نافع ولا أعلمه ألاّ عن ابن عمر ، أن العباس استأذن رسول الله ﷺ في المبيت بمكة ليالي منى فأذِنَ له .

حدثني بعض أصحابنا عن الزبير بن بكار عن ساعدة بن عبيد الله عن داود بن عطاء عن موسى بن عُبيدة الرَّبَذي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، ان النبي ﷺ قال : «اللهم إن عمي العباس حاطني بمكة من أهل الشرك وأخذ لي البيعة على الأنصار ونصرني في الاسلام ، اللهم فاحفظه وحُطْهُ واحفظ ذريته من كل مكروه» .

وحدثني هشام بن عمّار قال : سمعتُ الوليد بن مسلم يقول : قُرِىء علينا كتاب أبي جعفر أمير المؤمنين يذكر فيه سابقة جده العباس فقال فيه : ومن ذلك أنه جهز في جيش العسرة بثمانين ألف درهم .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله ، أن غلاماً للعباس بن عبد المطلب يقال له كلاب قدم على رسول الله ﷺ المدينة بألطافٍ بعث بها إليه عمّه العباس ، وكان رسول الله ﷺ قد شكا القيام على رجليه ، وكان كلاب نجاراً مُجيداً ، فأمره فعمل له مِنْبَرَهُ من أثلِ[1] الغابة درجتين ومقعداً وذلك قبل فتح مكة .

وحدثنا وهب بن بقيّة الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا أبو أمية بن يعلَى عن سالم أبي النضر قال : لما كثر المسلمون على عهد عمر ضاق بهم المسجد ، فاشترى عمر ما حوله من الدور إلّا دار العباس وحُجَر أمهاتِ المؤمنين ، فقال عمر للعباس : يا أبا الفضل إن المسجد قد ضاق وقد ابتعتُ ما حوله من المنازل لأوسّع بها على المسلمين مسجدهم إلّا دارك وحجر أمهات المؤمنين ، فأما حُجَر أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها ، وأما دارك فإما أن تبيعنيها بما شئت من بيت المال ، وإما أن أخطك خطة حيث شئت من المدينة وأبنيها لك من بيت مال المسلمين ، وإما أن تتصدق بها على المسلمين فتوسّع بها مسجدهم ، فقال العباس : لا ولا واحدة منها ، فقال عمر : أنت أعلم ، اذهب فلن أعرض لك في دارك ، قال العباس : أما إذا قلت هذا فإني قد تصدّقتُ بها على المسلمين ، فخطّ له عمر داره التي هي له اليوم ، وبناها من مال المسلمين .

---

١ ـ الأثل : شجر واحدته أثلة . القاموس .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أسامة بن محمد بن أسامة بن زيد عن أبيه عن دحية بن خليفة الكلبي قال : أهديتُ إلى النبي ﷺ زبيباً وتيناً من الشام فقال : «اللهم أدخلْ عليّ أحبّ أهلي إليك» ، فدخل العباس فقال : «ها هنا يا عمّ ، دونك فَكُلْ» .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن ابن عباس قال : لما صار أمرُ السقاية والرفادة لبني عبد مناف بن قصي اقترعوا فخرج سهم هاشم فولي ذلك وقام به ، فلما مات هاشم بغزّة قام بأمر السقاية والرفادة بعده بوصية منه المطلب بن عبد مناف أخوه ، ثم لما مات المطلب قام بذلك عبد المطلب بن هاشم ثم ابنُه الزبير بن عبد المطلب بن عبد مناف ثم أبو طالب بن عبد المطلب ؛ ثم إن أبا طالب أمْعَر[1] واختلّت حالُه فعجز عن القيام بأمر السقاية والرفادة فاستسلف من أخيه العباس بن عبد المطلب للنفقة على ذلك عشرة آلاف درهم ، فلما كان العام المقبل سأله سلف خمسة عشر ألف درهم ، أو قال اربعة عشر ألف درهم ، فقال له العباس : انك لن تقضيني ما لي عليك فأنا أعطيكَ ما سألت على أنك إن لم تؤدِّ إليّ مالي كله في قابل فأمرُ هذه المكرمة من السقاية والرفادة إليّ دونك والمال لك ، فأجابه إلى ذلك ، فلما كان الموسم من العام المقبلِ ازداد أبو طالب عجزاً وضعفاً لقلة ذات يده فلم تمكنه النفقة ولم يَقْضِ العباس ماله ، فصارت السقاية والرفادة إليه ، وكان للعباس كرم بالطائف يؤتى بزبيبه فينبذ في السقاية ، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة أخذ مفتاح الكعبة وهمَّ بدفعه إلى العباس ، فنزلت

١ ـ أمعر : افتقر وفني زاده . القاموس .

﴿إن الله يأمركم ان تؤدوا الامانات إلى أهلها﴾(١) فأقرَّ السقاية والرِّفادة في يد العباس وأقرّ الحجابة في يد عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي . وقال رسول الله ﷺ حين فتح مكة : «ألا إني قد وضعت كل مأثرة ومكرمة كانت في الجاهلية تحت قدمي إلاّ سدانة البيت وسقاية الحاج» .

وحدثني علي الأثرم عن أبي عبيدة قال : قام العباس بالسقاية والرفادة ، ثم قام بذلك عبد الله بن عباس ثم علي بن عبد الله ثم محمد بن علي ثم داود بن علي ، ثم سليمان بن علي ، ثم عيسى بن علي ، فلما استخلف أمير المؤمنين أبو جعفر قال : انكم تقلدون هذا الامر مواليكم فموالي أمير المؤمنين أحقّ بالقيام به ، فولّى السقاية ونفقاتِ البيت مولى له يقال له زَربى ، وجُعلت الرفادة من بيت المال .

المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال : دخل عثمان بن عفان على العباس رضي الله تعالى عنهما ، وكان العباس خالَ أمه أروى بنت كُرَيز فقال : يا خال أوصني ، فقال : أوصيك بسلامة القلب ، وترك مُصَانَعة الرجال في الحق ، وحفظ اللسان ، فإنك متى تفعلْ ذلك تُرضِ ربك وتصلُحْ لكَ رعيتك .

المدائني عن ابن جُعْدُبة عن محمد بن علي بن عبد الله ، أن العباس قال لعبد الله بن العباس : يا بنيّ إن الله قد بلَّغك شَرَفَ الدنيا فاطلب شرف الآخرة ، واملك هواك واحرزْ لسانك إلاّ مما لَكَ .

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٥٨ .

حدثني عمر بن حماد بن أبي حنيفة عن محمد بن الفضيل بن غزوان عن زكريا بن عطية عن أبيه قال : أخذ كعب الأحبار بيد العباس وقال : اختبئها لي عندك للشفاعة ، فقال : وهل لي شفاعة ؟ قال : نعم ليس أحد من أفاضل أهل النبي يُسْلم إلّا كانت له شفاعة .

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، حدثنا يحيى بن آدم عن أبي أسامة وعبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن عروة بن الزبير قال : أخذ العباس بيد رسول الله ﷺ حين وافاه السبعون من الأنصار بالعقبة فجعل يأخذ لرسول الله البيعة ويعتقدها عليهم ويشترط له ، قال عروة : وذلك في غُرَّة الاسلام وأوله وَليس يُعبدُ الله علانيةً .

حدثني علي بن حماد بن كثير ، حدثنا الحزامي عن محمد بن طلحة عن اسحاق بن إبراهيم الأنصاري عن أبيه قال : لما قدم صفوان بن أمية الجمحي على رسول الله ﷺ قال له : «على من نزلت يا أبا وهب» ؟ قال : على عمك العباس ، قال : «نزلت على أشدّ قريش لقريش حُبّاً» .

المدائني عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس قال : سمعتُ عمر بن الخطاب يقول : قريش رؤساء الناس وليس منهم أحد يدخل في أمر إلا دخل معه فيه طائفة ، فلما طعن عمر أمر صُهَيباً أن يصليَ بالناس ويطعمهم ثلاثة أيام حتى يجتمعوا على رجل من الستّة ، فلما وُضعت الموائد كفَّ الناسُ عن الطعام ، فقال العباس : أيها الناسُ إن رسول الله ﷺ قبض فأكلنا بعده وشربنا ، وتوفي أبو بكر فأكلنا بعده وشربنا ، وإنه لابدَّ من الأكل ، فأكل وأكل الناس ، قال : فعرفتُ قولَ عمر .

ومن حديث الواقدي وغيره ، إن الله فتح على نبيه ﷺ خيبر ، وكان الحجاج بن عِلاط السُّلَمي قدمَ من غارةٍ له يوم خيبر فأسلم وأستأذن رسول الله ﷺ في إتيان مكة ليأخذ مالاً له هناك عند زوجته أم شيبة بنت عمير أخت مصعب بن عمير العبدري ، فأذن له رسول الله ﷺ في ذلك ، فقدم مكة وأهلُها لا يعلمون بخبر خيبر ولا بإسلامه ، فقال لقريش متقرباً إليها : إن محمداً قد أسِر ونُكب أصحابه ، فلما بلغ العباس ذلك اشتد عليه وغمَّه فخرج مُدَلَّهاً حتى لقي الحجاج في خلوة فسأله عن الخبر ، فقال : اكتم عليَّ فداك أبي وأمي جميعَ ما أقول لك ثلاثاً حتى آخذ مالي عندَ زوجتي ثم أظهر الأمر ، إني قد أسلمتُ وإن رسول الله قد ظفر ، وجئتك وهو عروس بابنة ملك خيبر ، فَسُرِّيَ عنهُ ؛ فلما مضت ثلاثة أيام وخرج الحجاج يريد رسول الله ﷺ ، غدا العباس على قريش وعليه حُلّة خزّ مصبوغة وهو متعطِّر فوقف على باب أم شيبة فقال : أين الحجاج ؟ قالت : خرجَ يبتاعُ ممّا غنم أهل خيبر من محمد وأصحابه ، فقال : ذاك والله الباطل ، لقد خلص ماله ، وإنك لا تَحِلّين له حتى تتبعي دينه ، فقالت : صدقت والثواقب ، ثم أتى قريشاً فقالوا : ما هذا التجلد يا أبا الفضل ؟ فأخبرهم الخبر فسيء بهم واكتأبوا وجعل بعضهم يصدّق وبعضهم يكذّب ، حتى ورد عليهم الخبر بعد يومين أو ثلاثة أيام ، وذلك في سنة سبع .

حدثني الوليد بن صالح عن ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق بن يسار عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس .

وعن محمد بن اسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، أن عاتكة بنت عبد المطلب رأت في منامها ـ قبل قدوم ضمضم بن عمرو

الغفاري مكة برسالة أبي سفيان ، حين استأجره وأرسله إلى قريش ، يُعلمِها طلب رسول الله ﷺ العيرَ التي قدم بها أبو سفيان من الشام ويأمرها بالخروج لمنعها والذبّ عنها بثلاثة أيام - كأنّ راكباً أقبل على بعيره حتى وقف بالأبطح ثم قال بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فمَثَل به بعيره فوق الكعبة ثم صرخ بمثل ذلك ، ثم مثَل به بعيره فوق أبي قبيس فصَرخ بمثل ذلك ، ثم أخذ صخره فأرسلها فأقبلت تهوي حتى ارفضّت فما بقي بيتٌ من بيوت مكة إلا دخلته منها فلقة ، فقال لها العباس : اكتمي رؤياك يا أخت ، وخرج فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان له صديقاً ونديماً مع أبي سفيان بن حرب ، فذكر له الرؤيا فأخبر بها الوليد أباهُ عتبة ، ففشا الحديث حتى جعلت قريش تقول : امضوا بنا إلى الوليد بن عتبة نسأله عن رؤيا عمّه محمد ، ولقي أبو جهل العباس فقال : يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبّية ! أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تَنَبَّت نساؤكم ! والله لئن مضت ثلاثة أيام ولم يكن لهذه الرؤيا تأويل لنكتبنّ عليكم كتاباً أنكم اكذب العرب . قال العباس : فانكرتُ الرؤيا ، ثم لم يلبث ان جاء ضمضم وقد جدع أنف بعيره وحوّل رَحْله وشقّ قميصه وهو يقول : اللطيمةَ اللطيمةَ ، أموالكم أموالكم ، فقد عرض لها محمد ، الغوثَ الغوثَ ! فتجهز الناسُ سراعاً ، وخاف العباس على نفسه فخرج معهم ليوري بذلك عليهم ، وأطعم مع المطعمين تجلداً ، وأظهر انه داخل فيما دخلوا فيه لئلا يقال انه مسلم فيصيبوه بشرّ . وقالت عاتكة بعد بدر :

ألم تكن الرؤيا بحقٍّ أتاكمُ بتأويلها فلٌّ من القوم هاربُ
أتى فأتاكم باليقين الذي رأى بعينيه ما تفري السيوفُ القواضب
فقلتم ، ولم اكذبْ ، كذبتِ وانّما يكذّبني بالصدق من هو كاذب

وسمعت أن العباس قال لأبي جهل ، حين قال لنكتبن عليكم كتاباً أنكم أكذب العرب : يا مُصفّر استِه ، أنت أولى منّا بالكذب(١) .

وأنشدني بعض قريش شعراً ذكر أنه قاله ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، ويقال غيره :

يا قوم كيف رأيتم تأويلَ رؤيا عاتكه
قلتم لها يا آفكه جهلاً وما هي آفكه
حتى بدا تأويلها بكداء غير متاركه
خصّت وعمّت معشراً أرحامهم متشابكه
هلكوا ببدرٍ كلهم فابكوا النفوسَ الهالكه

قالوا : ولما كانت عُمْرَةُ القضاء ، وقدم رسول الله ﷺ مكة ، زوّجهُ العباس ميمونة بنت الحارث اخت امرأته أمّ الفضل لُبابة بنت الحارث .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا عبد الله بن صالح المصري عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة قال : خرج العباس من مكة مُجاهراً باسلامه فلقي النبي ﷺ بذي الحُلَيْفَة وهو يُريد مكة ، فأمره أن يمضي ثَقَلَهُ إلى المدينة ويكون هو معه وقال : «هِجْرَتُكَ يا عم آخرُ هجرةٍ كما أن نبوّتي آخر نبوة» .

---

١ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤٣ .

وقد روي أنه لقي النبي ﷺ بالسُّقيا فلم يفارقه حتى دخل معه مكة، ففتحها، ثم انصرف معه إلى المدينة. وكان العباس وهب رسول الله ﷺ غلامه أبا رافع، ورسولُ الله بمكة، فلمّا قدم على رسول الله ﷺ بشّر أبو رافع رسول الله بقدومه معلناً لإسلامه فأعتقه.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي السائب المخزومي عن أبيه قال: كان العباس أكرم قريش: له ثوب لعاريهم، وجفنة لجائعهم، ومِقطرة لجاهلهم؛ وكان في الجاهلية نديماً لأبي سفيان، فجاور رجل من بني سليم رجلاً لم يحمد جواره، فقال له عباس بن مرداس السلمي:

إن كان جارُك لم تنفعكَ ذِمَّتُهُ ... حتى سُقيتَ بكاسِ الذلّ أنفاسا

فَأتِ القبابَ فكن من أهلها سدداً ... تلقى ابن حرب وتلقى المرء عباسا

قَرْمَيْ قريشٍ وحلاًّ في ذوائِبها ... بالمجد والحزم ما حازا وما ساسا

ساقي الحجيج وهذا ماجدٌ أنِفٌ ... والمجد يُورِثُ أخماساً وأسداسا[1]

وحدثني بكر بن الهيثم، حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان أبي أبيض بَضّاً رجل الشعر[2]، حسن اللحية في رقة، تام القامة رحب الجبهة أهدب الأشفار، أو قال اوطف، أقنى الأنف عظيم العينين سهل الخدين بادناً جسيماً، وكان قبل أن تكبر سنّه ذا ضفيرتين، وكفّ بصره قبل موته بخمس سنين، وقد كان خضب ثم ترك الخضاب.

---

١ ـ للعباس بن مرداس ترجمة في الأغاني ج ١٤ ص ٣٠٢ ـ ٣٢٠ ووردت هذه الأبيات في ج ١٧ ص ٢٨٨ مع فوارق واضحة.

٢ ـ شعر رجل: بين السبوطة والجعودة. القاموس.

وقال الواقدي وغيره : توفي العباس في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، وكان معتدل القناة ، ودفن بالمدينة بالبقيع ، وصلى عليه عثمان بن عفان ، وكان يقول حين نشب الناسُ في أمر عثمان : اللهم اسبق بي أمراً لا أحبّ أن أدركه .

قالوا : ونزل في حفرة العباس : علي بن أبي طالب ، وعبد الله وعبيد الله ابنا العباس ، والحسن والحسين ابنا علي ، وقثم بن العباس ، ويقال إن عثمان بن عفان نزل في قبره ، وقال عبد الله بن العباس : لقد كنا محتاجين إلى نزول أكثَرَ منّا لبدنه وعظمه .

فولد العباس بن عبد المطلب

الفضل وبه كان يكنى ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وقثم ، وعبد الرحمن ، ومعبد بن العباس ، وأم حبيب ، وأمهم لُبابَةُ بنت الحارث بن حَزْن بن بُجير بن الهُزَم بن رُؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وأمها هند بنت عمرو وهي خولة ، ويقال إن أباها عوف من حَمامة من جرش ؛ وتَمَّام بن العباس ؛ وكثَير بن العباس ، وأمهما أم ولد . والحارث بن العباس وأمه حجيلة بنت جندب بن الربيع ، هُذَلِيّة . وصفيّة بنت العباس وأمها أم ولد . وآمنة بنت العباس ، ويقال أمينة ، كانت عند العباس بن عتبة بن أبي لهب فولدت له الفضل الشاعر وأمها أم ولد . وكانت أم حبيب عند الأسود بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي. فولدت له رزق بن الأسود ، ولبابة بنت الأسود وهم يسكنون مكة ، وكانت صفية عند محمد بن عبد الله بن مسروح واسمه الحارث بن يعمر أحد بني سعد بن بكر .

قال عبد الله بن بُرَيْد الهلالي :

ما ولدت نجيبةٌ من فحلِ بجبلٍ نعلمُـهُ أو سهـلِ
كستةٍ من بطنِ أمِّ الفضل أكرمْ بها مِن كهلةٍ وكهل
عمّ النبيّ المصطفى ذي الفضل وخاتم الرُّسْلِ وخير الرسل

وقال أيضاً :

ونحن ولدنا الفضلَ والحَبْر بعده عنيتُ أبا العباس ذا الدين والندى
ألا وعبيدُ الله ثم ابن امه ألا قثماً أعني وذا الباع معبدا
غيوثٌ على العافين خُرْسٌ عن الخنا أسودٌ إذا ما موقد الحرب أوقدا
اذا افتخرت يوماً قريش رأيتهم يفوقونهم حلماً وجوداً وسؤددا

وقال أيضاً :

ألا إنني صهرُ النبيّ محمد وخالُ بني العباسِ والخالُ كالأب

الفضل بن العباس

فأما الفضل بن العباس :

ابن عبد المطلب ويكنى أبا محمد ، فإن رسول الله ﷺ دفع من المُزدَلفة وهو ردفُه إلى منى فسمى الرّدف ، وكان ممن غسَل رسول الله ﷺ ، ونزل في حفرته . وقال له رسول الله ﷺ : «يا غلام احفظ أمر الله يحفظك ، واعلم أن ما اصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأن الخلائق جميعاً لو اجتمعوا على إعطائك شيئاً لم يُقدّر لك لم يقدروا عليه ، ولو أطبقوا على مَنعك شيئاً قد قدر لك لم يستطيعوه» . ويقال انه قال ذلك لعبد الله بن عباس .

وحدثني حفص بن عمر المعروف بالعمري عن هشام بن الكلبي عن أبيه قال : لما أراد الفضلُ بن العباس الخروج إلى الشام ودّع أباه فقال له أبوه : أي بني إن عمود الجهاد النيّةُ ، وتمامهُ الصبر والاحتساب فجاهد صابراً محتسباً. فإنَّ نبيّ الله قال : «الجهاد رهبانية الاسلام» ، وانك ستُسأل عن حديث رسول الله ﷺ لموضعك منه فلا تَعْدُ في ذلك اليقين والغِ الشك ، واجعل ما رويتَ عنه تديّناً ولا تجعله فخراً .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش الهمداني عن أبي علاقة الحضرمي عن أبيه قال : حضرت الفضل بن عباس في سفره إلى الشام فكان يطعم طعامه ويأمر فيتصدّق بفضلته ويقول : كثرة الطعام وسعته في السفر من المروءة . وكان إذا سار تعجل على فرسه حتى يسبق ثقله ورفقاءه ، ثم لايزال يصلي حتى يلحقوا به وهو مطول لفرسه وفرسه يرعى وعنانه في يده ، وكان يُجدّد الوضوءَ لكل صلاة مكتوبة ، وينامُ من أول الليل ثم يقوم فيصلي إلى وقت الرّحيل ، واذا مَرّ بركب من المسلمين سلّم عليهم ، وأتاه مولى له وقد نال الناسَ طاعونُ عمواس فقال له : بأبي أنت وأمي لو انتقلتَ إلى مكان كذا ، فقال : والله ما أخاف ان أسبق أجلي ، ولا أحاذر أن يغلظ[1] بي ، وان ملك الموت لبصير بأهل كلّ بلد .

المدائني عن حُبَاب بن موسى عن جعفر بن محمد ، وأنه ذكر العباس وولده فقال : كان عبد الله أعلم الناس بكل شيء ، وكان عبيد الله أجود الناس كفّاً وأوسعهم بذلاً ، وكان الفضل أجمل الناس وجهاً وأثبتهم زهداً وأصدقهم قولاً .

حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال : كان يقال من أراد الجمال والفقه والسّخاء فليأت دار العباس بن عبد المطلب : الجمالُ للفضلِ ، والفقه لعبد الله ، والسخاء لعبيد الله .

حدثني عمرو الناقد ، حدثنا محمد بن الفضيل بن غزوان الضبي عن يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن

---

١ ـ أغلظ : نزل بها . القاموس .

ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال: مشى بنو عبد المطلب الى العباس فقالوا له: تُكلّمُ لنا رسول الله ﷺ في أن يجعلَ إلينا ما يجعل إلى الناس من هذه السّعاية على الصدقات، قال: فبعث العباس ابنه الفضل، وبعثني أبي ربيعةُ بن الحارث إلى النبي ﷺ حتى دخلنا عليه فأجلسنا عن يمينه وشماله، ثم أخذ رسول الله بأذني وأذن الفضل فقال: «أخرجا ما تُسِرّان»، فقلنا: بَعَثنا إليك عمّك واجتمع اليه بنو عبد المطلب يسألون ان تجعل لهم نصيباً في هذه السعاية، فقال: «إن الله أبى لكم يا بني عبد المطلب أن يطعمكم أوساخَ أيدي الناس ـ أو قال غُسَالةَ أيدي الناس ـ ولكن لكما عندي الحباء والكرامة، اما أنت يا فضل فقد زوجتك فلانة، واما انت يا عبد المطلب فقد زوجتك فلانة»، فرجعنا فأخبرنا بقول رسول الله ﷺ.

وحدثني عمرو الناقد قال: ويروى عن أبي اسحاق وغيره أن العباس مشى إلى النبي ﷺ ومعه الفضل، وعبد المطلب بن ربيعة بن الحارث فكلّمه في توليتهما مما ولّاه الله وقال: إن هذين ابنا عمك، وقد بلغا وليس لهما نساء فلعلهما يصيبان مما يصيب الناس فيتزوجان، فقال رسول الله ﷺ: «انما هي أوساخ الناس وما أنا بموليهما».

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي السائب المخزومي عن أبيه قال: أخبرني رجل من قريش أنه سمع الفضل بن العباس يقول بالشام: والله ما بخل بالمال من أيقن بالخلف، ولا استغني بالكثير من لم يغنه الكفاف، ولا خاف العواقبَ من أمن شرَّ الناس.

وقال هشام بن محمد الكلبي: قال الفضل بن عباس حين نزل به

الموت : هذا أمرُ الله الذي لا مردَّ له ، فصبراً واحتساباً وتسليماً ، والله ما أخافُ الموت الذي له خُلقتُ ولكني أخاف التقصير في العمل .

حدثني أبو حفص الشامي ، حدثني أبو الزبير الدمشقي عن أبيه قال : بلغني أنه لما نزل الطاعون قال الفضل بن عباس ، وكان فتى قريش يومئذ عقلاً وجمالاً وشجاعة ومروءة : إن أحقَّ ما صُبِر عليه ما لا سبيل إلى تبديله .

وحدثني أبو حفص عن أبي الزبير ، حدثني أبي قال : نفق فرس لرجلٍ كان مع الفضل بن عباس في رفقته ، فأعطاه فرساً كان يَجنِبُه ، فعاتبه بعض المنتصحين إليه فقال : أبتبخيلي تنتصح إليّ ؟! إنه كفى لؤماً أن تمنع الفضل وتترك المواساة ، والله ما رأيتُ الله حمد في كتابه إلا المؤثرين ﴿على أنفسهم ولو كانتْ بهم خصاصة﴾[1] .

قالوا : وتوفي الفضل في طاعون عمواس بالشام سنة ثماني عشرة ، وكان له يوم قبض النبي ﷺ ثماني عشرة سنة وأشهر ، ولم يولد للفضل إلا أم كلثوم بنت الفضل ، وأمها صفيّة بنت مَحْمِية بن جزء الزبيدي حليف بني جمح ، وأمها جمحيّة ، فتزوج الحسن بن علي أم كلثوم وكان أبا عذرها ، وهي أول من تزوج من النساء ، فولدت له ثلاثة بنين وابنة درجوا كلهم ، **وفارقها فخلف عليها أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري فولدت له موسى بن أبي موسى ، ويقال إنها ولدت له أيضاً ولدين آخرين ، وتوفي أبو موسى عنها فخلف عليها عمران بن طلحة بن عبيد الله ، ثم فارقها فرجعت إلى دار أبي موسى بالكوفة فماتت بها ، وهي أول قرشية دفنت في ظهر**

---

١ ـ سورة الحشر ـ الآية : ٥٩ .

الكوفة ، ويقال بل دفنت قبلها أم عمرو بن سعيد الأشدق . وكان أول من دُفن بظهر الكوفة من الرجال خباب بن الأرتّ في سنة سبع وثلاثين أو ست وثلاثين .

وقال بعض الرواة : وكانت أم كلثوم بنت الفضل عند أبي موسى فمات عنها وتزوجها الحسن ، فتوفي عنها في سنة تسع وأربعين أو سنة خمسين ، فتزوجها عمران بن طلحة ولا عقب له .

عبد الله بن عباس

وأما عبدالله بن عباس :

فيكنى أبا العباس وهو حبْرُ الأمة ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال : ولد عبد الله بن عباس وبنو عبد المطلب في الشِّعب ، وذلك قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين ، فجاء به أبوه إلى النبي ﷺ فقبّله ومسح وجهه ورأسه ودعا له ، فقال : «اللهم املأ جوفه فهماً وعلماً ، واجعله من عبادك الصالحين ، ثم قال : يا عم ، هذا عن قليل حبرُ امتّي وفقيهها والمؤدي لتأويل التنزيل» .

قال أبو صالح : وكان عبد الله بن عباس مقدّماً عند أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم ، وحجَّ بالناس سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان وعثمان محصور ، وولاه علي بن أبي طالب البصرة وشخص معه إلى صفين ، ثم رجع إليها والياً عليها ، ثم كتب أبو الاسود فيه إلى علي فغاضَبَ عليّاً وشخص إلى الحجاز .

وحدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن خالد بن الياس عن شعبة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس قال : ولدتُ قبل الهجرة بثلاث ونحن في الشعب ، وتوفي رسول الله ﷺ ولي ثلاث عشرة سنة .

وحدثني مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه عن مالك بن أنس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : كنت في حجة رسول الله ﷺ مراهقاً للحلم[1] .

وحدثني الزبير بن بكار عن سفيان بن عُيَيْنَة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : سمعتُ ابن عباس يقول : أنا في من قدَّمه رسول الله ﷺ من ضَعَفةِ أهله مع الثقل من المزدلفة إلى منى .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا زهير بن معاوية عن عبد الله بن عثمان بن خثيْم عن سعيد بن جبير أنه سمع عبد الله بن عباس يقول : وضع رسول الله ﷺ يده بين كتفي ، أو قال منكبيّ ، وقال : «اللهم فقّهْهُ في الدين وعلّمه التأويل» .

حدثنا عفان بن مسلم ، أخبرنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عبد الله بن عثمان بن خُثيم عن سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس يقول : إن رسول الله ﷺ كان في بيت ميمونة ، قال : فوضعتُ له وضوءاً من الليل ، فقالت ميمونة : يا رسول الله وضع لك هذا ابن عباس ، فقال : «اللهمّ فَقّهْه في الدين وعلّمه التأويل» .

١ - نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٦ .

حدثنا الحسين بن علي بن الاسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا أبو كُدَيْنَة يحيى بن المهلب البجلي عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس انه قال : رأيتُ جبريل مرتين ودعا لي رسول الله ﷺ ان يؤتيني الله الحكمة مرتين .

حدثنا إبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا سفيان عن أبي بكير عن عكرمة عن ابن عباس ، أنه دخل إلى النبي ﷺ وعنده رجل فقال له : من هذا يا رسول الله ؟ قال : «جبريل» .

حدثنا عبد الله بن صالح المقرىء عن حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال : كنت وأبي عند النبي ﷺ فكان كالمُعرض فلما خرجنا قال لي أبي : أي بُنيّ ألم تَرَ إلى النبي كأنه معرضٌ عني ؟ فقلت : إنه كان يناجي رجلاً ، فرجعنا إليه ، فقال له : إني قلتُ لعبد الله كذا فقال كذا أفكان معك أحد يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : «أرأيته يا عبد الله ؟ قلتُ : نعم ، قال : ذاك جبريل» .

وحُدثت عن عاصم بن علي بن عاصم عن زينب بنت سليمان بن علي قالت : حدثني أبي عن أبيه قال : دخل عبد الله بن عباس على رسول الله ﷺ وعنده رجل فقام عبد الله وراَهُ فالتفت النبي ﷺ فقال : «متى جئت يا حبيبي ؟ قال : منذ ساعة . فقال : هل رأيت عندي أحداً ؟ قال : نعم رأيت رجلاً ، فقال ﷺ : ذاك جبريل لم يره خلق إلاّ عمي إلاّ أن يكون نبياً ، ولكن أسأل الله أن يجعل ذلك في آخر عمرك ، ثم قال : اللهم فقِّهه في الدين وعلمه التأويل واجعله من أهل الايمان» .

حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا عبد الوارث ، أخبرنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال : ضمّني رسول الله ﷺ وقال : «اللهمّ علمه الحكمة» .

حدثنا عبد الله بن أبي شيبة ، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي عن حاتم بن أبي صغيرة عن عمرو بن دينار ، أن كريباً أخبره عن ابن عباس قال : «دعا لي رسول الله ﷺ أن يزيدني الله علماً وفهماً» .

حدثني محمد بن حاتم المَرْوزي ، حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن اسماعيل بن مسلم المكي عن عمرو بن دينار عن طاووس عن ابن عباس قال : دعاني رسول الله ﷺ فمسح ناصيتي وقال : «اللهم علمه الحكمة وتأويلَ الكتاب» .

حدثنا سريج بن يونس أبو الحارث ، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله : ﴿ما يعلمهم الاّ قليل﴾[1] قال : أنا من أولئك القليل .

حدثنا وهب بن بقية عن يزيد بن هارون عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس بمثله .

حدثني الحسين بن علي بن الاسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا عبد الله بن ادريس الأودي عن ليث عن طاووس قال : أدركتُ سبعين شيخاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا تدارؤوا في شيء أتوا ابن عباس حتى يبيّنه لهم ويقررهم به فينتهون إلى قوله .

---

١ - سورة الكهف - الآية : ٢٢ .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد ، أخبرنا عبد الله بن ادريس عن ليث عن طاووس قال : ادركت سبعين شيخاً من أصحاب محمد فتركتُهم وانقطعتُ إلى هذا الفتى ، يعني ابن عباس ، فاستغنيتُ به .

وحدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن طاووس قال : ما رأيت رجلاً قط أعلم من ابن عباس .

وحدثني عبد الله بن صالح عن يحيى بن يمان عن سفيان عن مسعر عن حبيب بن أبي ثابت عن طاووس أنه قال : ما رأيت رجلاً خالفَ ابنَ عباس قط فتركه ابن عباس حتى يقرره بما قال .

حدثنا عبد الرحمن بن صالح الازدي والحسين بن علي بن الأسود قالا : حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا قيس بن الربيع عن الاعمش عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قال : نعمَ ترجمانُ القرآن ابن عباس .

وحدثني محمد بن حاتم بن ميمون المَرْوزي ، حدثنا عبد الله بن نميرعن مالك بن مغول عن سلمة بن كهيل عن ابن مسعود بمثله .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا شَريك بن عبد الله عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق أنه قال : كنتَ إذا رأيت ابن عباس قلتَ أجمل الناس ، فاذا تكلم قلتَ أفصح الناس ، فاذا حدَّث قلت أعلم الناس .

حدثني الحسن بن عرفة عن عمار بن محمد عن خشيش بن فرقد عن الحسن عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : يا غلام ـ أو يا غُليم ـ الا أعلمك شيئاً ينفعك الله به ، احفظ الله يحفظك ، اذكر الله يذكرك ، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا

استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم ان النصر مع اليقين ، وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يُسراً ، وانه لو اجتمع الخلائقُ على ان يعطوك شيئاً لم يقضه الله لك لم يستطيعوا ، ولو اجتمعوا على أن يمنعوك شيئاً قضاه الله لم يستطيعوا .

حدثنا الحسين بن علي الأسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : ما رأيت أحداً كان أعلمَ بالسنّة ، ولا أجلد رأياً ، ولا أثقب نظراً من ابن عباس ، وان كان عمر بن الخطاب ليقولُ له : إنه قد طرأتْ علينا عُضَلُ أقْضَيةٍ أنتَ لها ولأمثالها ، فإذا قال فيها رضيَ قولَه ، وعُمَرُ ما عُمَرُ في نظره للمسلمين وجِدّهِ في ذات الله .

حدثنا عمرو الناقد وعلي بن عبد الله قالا : ثنا سفيان بن عيينةَ ، أخبرناابن أبي نجيح عن مجاهد قال : ما سمعت فُتْيا أحسن من فتيا ابن عباس إلا أن يقولَ : قال رسول الله .

حدثني نصر بن علي الجهْضمي ، حدثنا أبو داود الطيالسي عن شعبة عن منصور عن مجاهد قال : كنتَ إذا رأيتَ ابن عباس يفسّر القرآن أبصرتَ على وجهه نوراً .

حدثنا عبد الأعلى بن حماد النّرسي أبو يحيى ، حدثنا عبد الجبار بن الورد عن عطاء بن أبي رباح قال : ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس ، لا أعظم جفنة ولا أكثر علماً ، أصحاب القرآن في ناحية ، وأصحاب الفقه في ناحية ، وأصحاب الشعر في ناحية ، يوردهم في وادٍ رحب .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس عن سعيد بن سالم القداح عن عبد الجبار بن الورد عن عطاء بمثله ، وزاد فيه : وأصحاب الانساب وأيام العرب في ناحية .

حدثنا محمد بن الصبّاح البزاز ، حدثنا هشيم بن بشير عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : جمعت المُحكَمَ على عهد رسول الله ﷺ ، قلت : وما المحكم ؟ قال : المفصّل .

حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا حماد بن زيد عن علي بن زيد عن سعيد بن جبير ويوسف بن مهران عن ابن عباس أنه كان يُسأل عن القرآن فيقول : هو كذا ، أما سمعتم الشاعر يقول كذا ؟

حدثنا محمد بن الصباح وعمرو الناقد قالا : حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم ، فذكر أنه سأله وسألهم فأجابه ، فقال لهم : كيف تلومونني على ابن عباس بعد ما ترون ؟

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن الفضيل عن أبيه عن عطاء بن يسار ، أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس مع أهل بدر ، وكان يفتي في عهد عثمان إلى أن مات .

حدثنا علي بن عبد الله المديني ، حدثنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : كان ابن عباس اذا سُئل عن الأمر فكان في القرآن أخبر به ، فان لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به ، فان لم يكن في القرآن ولا عن رسول الله وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به ، فإن لم يكن في شيء من ذلك اجتهد رأيه .

حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني ، حدثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال : قيل لابن عباس : بمَ أصبت هذا العلم ؟ فقال : بلسان سؤولٍ وقلب عقول .

وحدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا عبد الله بن صالح المصري عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، أن ابن عباس قال : سلوني عن التفسير فإن ربي وهب لي لساناً سؤولاً ، وقلباً عقولاً .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الخريت عن عكرمة قال : كان ابن عباس أعلم بالقرآن من علي بن أبي طالب ، وكان علي أعلم بالمبهمات منه .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد، حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة، أخبرنا الاعمش عن مجاهد قال : كان عبد الله بن عباس يسمَّى البحر لكثرة علمه .

حدثني أبو صالح الفرّاء الأنطاكي ، حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن عطاء أنه كان يقول : قال البحر كذا ، وأفتى البحر بكذا ، يعني ابن عباس .

حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون المروزي وعمرو بن محمد قالا : حدثنا اسحاق بن يوسفَ الأزرق عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير قال : وَجِدَ ناسٌ من المهاجرين على عمر بن الخطاب في إدنائه ابن عباس دونهم ، فقال عمر : اما إني سأريكم اليومَ منه ما تعرفون به فضلَه ، فسألهم عن هذه السورة ﴿اذا جاء نصرُ الله والفتح﴾ فقال بعضهم : أمر الله نبيه اذا رأى الناس يدخلون في دين الله افواجاً أن يحمده على ذلك

ويستغفره ، فقال عمر : يا بن عباس تكلم ، فقال أعلمه أنه ميت ، يقول : ﴿اذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً﴾(١) فهي آيتك في الموت ، ثم سألهم عن ليلة القدر فأكثروا القولَ فيها ، فقال بعضهم : ليلة احدى وعشرين ، وقال بعضهم : ليلة ثلاث وعشرين ، وقال بعضهم : ليلة سبع وعشرين ، فقال لابن عباس : تكلم ، فقال ابن عباس : إن الله وتر يحبّ الوتر ، خلق السموات سبعاً والأرضين سبعاً ، وجعل عدة الأيام سبعة ، وجعل الانسان من سبع ، فقال :﴿ولقد خلقنا الانسانَ من سُلالةٍ من طين * ثم جعلناه نُطفةً في قرار مكين * ثم خلقنا النّطفَةَ علقةً فخلقنا العلقة مضغَةً فخلقنا المُضغَةَ عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخرَ فتباركَ الله أحسنُ الخالقين﴾(٢) ثم جعل رزق الانسان من سبع فقال ﴿أنّا صببنا الماء صَبّاً * ثم شققنا الأرض شقاً * فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غُلباً * وفاكهةً وأبّاً * متاعاً لكم ولأنعامكم﴾(٣) فاما السبعة فمتاع لبني آدم ، وأمّا الأبّ فهو ما تنبت الأرض للانعام ، وما نراها إن شاء الله إلا لثلاث وعشرين تمضي ولسبع يبقين ، فقال عمر : كيف تلومونني على ابن عباس ؟ .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة بن الحكم عن أبيه قال : قيل لعبد الله بن عباس : أرَجُل كثير الذنوب كثير الحسنات أحب إليك أم رجل قليل الذنوب قليل الحسنات ؟ فقال : ما أعدل بالسلامة شيئاً .

---

١ ـ سورة النصر ـ الآيتان : ١ ـ ٢ .
٢ ـ سورة المؤمنون ـ الآيات : ١٢ ـ ١٤ .
٣ ـ سورة عبس ـ الآيات : ٢٥ ـ ٣٢ .

حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء ، حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن قال : أول من عَرَّف[1] بالبصرة ابن عباس ، وكان كثير العلم ، قرأ سورة البقرة ففسّرها آيةً آيةً وحرفاً حرفاً .

حدثنا وهب بن بقيّة عن يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس قال : وجدتُ عامّة حديث رسول الله ﷺ عند الانصار ، فان كنتُ لآتي الرجل منهم فأجده نائماً ولو أشاء أن يوقَظ لي أوقظ ، فأجلس على بابه تسفي الريح على وجهي الترابَ حتى يستيقظ متى استيقظ ، فأسأله عمّا أريد ثم أنصرف .

حدثني أبو مسعود القتّات ، حدثني بقيّة بن الوليد الحمصي عن سليمان الأنصاري ، أن ابن عباس كان يقول : من حلم ساد ومن تفهّم ازداد .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا اسماعيل بن عُليَّة عن ابن عون عن عكرمة أن علياً أحرق ناساً ارتدوا عن الاسلام ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : ما كنت لأحرقهم لأن رسول الله ﷺ قال : «لا تعذبوا بعذاب الله» ، ولكني كنتُ أقتلهم فإن رسول الله ﷺ قال : «من بدّل دينه منكم فاقتلوه» ، فبلغ ذلك علياً فقال : لله درّ ابن عباس .

حدثنا يحيى بن أيوب الزاهد ، حدثنا اسماعيل بن عُليّة عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن أبيه عن ابن عباس انه نُعيَ اليه أخوهُ قُثَم وهو في سفر ، فاسترجَعَ ثم عَدلَ عن الطريق فأناخ راحلته وصلى ركعتين أطال فيهما ، ثم عاد إلى راحلته فركبها ، فقيل له : ما رأينا كما فعلت ، فقال :

1- أي اختار العرفاء لمجموعات قبائل البصرة .

أما سمعتم الله يقول : ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾[١] .

حدثني عبد الله بن صالح ، حدثني يحيى بن يمان عن سفيان الثوري عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس ، أن معاوية قال له : أنت على ملّة علي ؟ فقال : لا ولا على ملة عثمان ، ولكني على ملّة محمد رسول الله ﷺ .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، أن علياً قال في قوله : ﴿والعاديات ضبحاً﴾[٢] هُنّ الإبل ، وقال ابن عباس : هي الخيل ، فبلغ ذلك علياً فقال : صدق والله ابن عباس .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدّورقي ، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث قال : كان رسول الله ﷺ يصفّ عبد الله وعبيد الله وكثيراً بني العباس ويقول : «من سبق إليّ فله كذا ، فيستبقون إليه ويقعون على صدره وظهره فيقبّلهم ويلتزمهم» .

حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري عن ابن الدَراوردي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : لم يبايع رسول الله ﷺ ممن لم يبلغ الامناء إلا عبد الله بن العباس والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدّورقي ، حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الرحمن بن عابس قال : قلت لابن عباس:أشهدتَ العيد مع رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم ولولا مكاني منه ما شهدته

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٤٥ .

٢ ـ سورة العاديات ـ الآية : ١٠٠ .

حدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان عن سلمة بن كُهيل عن الحسن العُرَني عن ابن عباس قال : قدمنا ونحن أُغَيْلمة من بني عبد المطلب على حُمُراتنا ليلةَ المُزدَلفة فجعل النبي ﷺ يلطح[1] على أفخاذنا ويقول : «لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس» .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، حدثنا جرير بن عبد الحميد عن ليث عن طاووس قال : ما رأيت ابن عباس مفطراً جمعة تامة قط .

حدثني القاسم بن سلام أبو عبيد ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا نوح بن أبي مريم عن يزيد النحوي عن عكرمة قال : كان ابن عباس في العلم بحراً ، فلما عمي أتاهُ ناس من أهل الطائف معهم علمٌ من علمه ، أو قال :كتب من كتبه ، فجعلوا يستقرئونه وجعل يقدم ويؤخر ، فلما رأى ذلك قال : إني قد بلهتُ من مصيبتي هذه ، فمن كان علم من علمي شيئاً فليقرأه عليّ فانّ إقراري له به كقراءتي إياه عليه ، قال : فقرأوا عليه .

حدثني أبو بكر الأعين ، حدثنا اسحاق بن اسماعيل ، حدثنا سفيان عن نافع عن ابن أبي مُليكة قال : كان ابن عباس يجلس في الصُفّة وكان الناس يتصدعون عن فُتياه ، فيقول السقاة : كأنّه رسول الله ﷺ إلا أنه لم يُبعث .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا ابن يمان العجلي عن عمار بن رُزَيق عن عُمير بن بشر الخثعمي قال ، قال ابنُ عمر : ابن عباس أعلم الناس بما أنزل على محمد ﷺ .

---

١ ـ لطحه : ضرب ببطن الكف ، أو ضربا لينا على الظهر . القاموس .

حدثني الزبير بن بكار ، حدثني ساعدة بن عبد الله عن داود عن ابن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال عمر لابن عباس : أني رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوماً فمسح رأسك وتفل في فيك وقال : «اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل» ، فكان يُقِرُّ بِهِ .

حدثني عبد الله بن صالح وعمرو قالا : حدثنا يحيى بن يمان عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير قال : قال عمر بن الخطاب لابن عباس : لقد علمتَ علماً ما علمناه .

حدثنا الاعين ، حدثنا اسحاق بن اسماعيل عن سفيان عن أبي بكر الهذلي عن الحسن قال : لقد كان ابن عباس من الاسلام بمكان ، ومن علم القرآن بمنزلة رفيعة ، وكان عمر إذا ذكره قال : ذاكم كهلُ الفتيان .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا اسماعيل بن عُليّة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بن دعامة قال : كان ابن عباس منطقياً .

حدثنا سريج بن يونس : حدثنا مروان بن شجاع ، حدثنا سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال : لقيني رجل من يهود الحيرة فقال : يا عبد الله أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قلتُ : لا أدري ، ثم لقيت ابن عباس بعدُ فسألتهُ فقال : قضى أكبرهما وأتمهما ، فلقيت اليهوديّ فأعلمته ذلك فقال : صاحبك والله عالم .

حدثني عمرو بن محمد ، حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش ، حدثنا شقيق بن سلمة قال : شهدتُ ابنَ عباس وهو على الموسم فخطب ثم تلا سورةَ النور وفسّرها ، فقال رجل : ما رأيت كلاماً أحسن من هذا ، سمعه الترك والروم لأسلموا .

حـدثني يحيى بن معين ، حدثنا يزيد بن هارون عن كهمس عن الحسن عن عبد الله بن بُريدة قال : أسمْعَ رجلٌ ابنَ عباس كلاماً فقال له ابن عباس : اما انك تسمعني وفيّ ثلاث خلال : إني لأسمعُ بالحاكم العدل من حكام المسلمين فأفرحُ به ولعلّي لا أقاضي إليه أبداً ، وإني لأسمع بالغيث يصيب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح له وما لي بالبلد سائمة ، وإني لآتي على الآية من كتاب الله فأودّ أن الناس جميعاً يعلمون منها ما أعلم .

حدثنا عباس بن الوليد ورَوْح بن عبد المؤمن قالا : حدثنا المعتمر بن سليمان عن شعيب بن درهم عن أبي رجاء العُطاردي قال : رأيت هذا المكان من ابن عباس مثل الشِّراك البالي من الدموع ، ووضع أبو رجاء يده عليه ، قال عباس : ووضع معتمر يده على مجرى الدموع .

حدثنا خلف بن هشام ، حدثنا هُشيم عن العّوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي قال : خلا عمر بن الخطاب يوماً ففكر كيف تختلف الامة ونبيها واحد وقِبلتها واحدة وكتابها واحد ، فدعا ابنَ عباس فسأله عن ذلك فقال ابن عباس : أنزل القرآن علينا فقرأناه وعلمنا فيما نزل ، وسيكون بعدنا أقوام يقرأونه ولا يدرون فيما نزل فيكون لهم فيه رأي ، فإذا كان ذلك اختلفوا ، فزبره عمر ، ثم إنه أرسل إليه فقال : أعِدْ عليَّ قولك ، فأعاده فعرف عمر صوابه وأعجبه .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدّورقي وشجاع بن مخلد الفلاّس قالا : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا العوام بن حوشب ، حدثني القاسم بن عوف الشيباني ، أن عبد الله بن عباس قال لكعب الأحبار : إني سائلكَ عن

أشياء ، فلا تحدثني بما حُرِّفَ من الكتاب ولا بأحاديث الرجال ، وإن لم تعلم فقُل لا أعلم فإنه أعلم لك .

حدثنا سريج بن يونس والقاسم بن سلام قالا : حدثنا محمد بن يزيد الواسطي ، حدثنا أبو ثوبان عمن سَمِعَ الضحاكَ يحدث عن ابن عباس انه قال : قال لي رسول الله ﷺ : «حدِّثْ اذا حُدّثت ، إلّا ان تجد قوماً تحدثهم بشيء لا تضبطه عقولهم فيكون ذلك فتنة لبعضهم» ؛ قال : فكان ابن عباس يُخفي أشياء ويفشيها إلى أهل العلم .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، حدثنا مُعتمر بن سليمان عن أبي عامر الخزّاز عن عبد الله بن أبي مليكة قال : سافرت مع ابن عباس فكان يسيرُ النهار وينزل الليل ، فيقوم فيصلي في نصف الليل ، يقرأ القرآن ، فيكثر ان يقرأ ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾[1] ثم يبكي حتى نسمع له نشيجاً .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا ابو نُعيم الفضل بن دُكين عن طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس انه قال : لو أُخبرُ الناسَ ببعض تأويل القرآن لرجموني بالحجارة .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا الحجاج بن محمد ، حدثني ابن جريج قال : قال لي ابن أبي مليكة جاء ابنَ الزبير مالٌ أوّلَ ما جاءه ، فانطلق ابنُ عباس إليه وهو في قُعَيْقِعان[2] فقال : انك قد دعوت الناسَ الى ما قد علمت ، وقد جاءك مال وبالناس حاجة ، فقال

---

١ ـ سورة ق ـ الآية : ٢١ .

٢ ـ جبل بمكة منه إلى مكة اثنا عشر ميلا . معجم البلدان .

ابن الزبير : وما أنت وهذا ؟ إنك أعمى ، أعمى الله قلبك ، قال ابن عباس : بل أعمى الله قلبك ، قال ابن الزبير : والله ما أنت بفقيه ، فقال ابن عباس : والله لأنا أفقهُ منك ومن أبيك ، فلما خرج قال لقائده : من عنده ؟ قال : ابنته وامرأته ، قال : فهلا أخبرتني ، فوالله لو علمتُ ما أسمعتهما شتمه ؛ قال : ثم أرسل اليه ابن الزبير أبا قيس الزرقي بأنّا لسنا باوّل ابنَيْ عمٍّ استبّا ، فاكففْ عني وأَكفّ عنك ، قال ابن عباس : ان كفَّ كففت ، وإن أذاع أذعتُ .

قال ابن جريج : قال ابن أبي مُلكية : وكان بينهما شيء ، فغدوتُ على ابن عباس فقلتُ : أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتُحِل حرم الله ؟ فقال : معاذ الله ، إن الله كتب بني أمية وابن الزبير محلّين ، وإني والله لا أحلّه أبداً ، قال الناس بايعْ لابن الزبير ، فقلتُ : وأنَّى بهذا الأمر عنه ، أما أبوه فحواريّ رسول الله ﷺ ، وأما جدّه فصاحب الغار ، يعني أبا بكر ، وأما أمه فذات النطاق ، وأما خالته فعائشة أم المؤمنين ، وأما عمته فخديجة زوج النبي ﷺ ، وأما عمّةُ رسول الله ﷺ صفية فجدته ، ثم عفيفٌ في الاسلام قارىء للقرآن ، والله لأحاسبنّ نفسي له محاسبةً ما حاسبتها لأبي بكر ولا عمر ؛ ان ابن أبي العاص برز يمشي القدميّة ـ يعني عبد الملك ـ وإنه لوى ذنبه ، يعني ابن الزبير .

المدائني عن ابن مجالد عن أبيه عن الشعبي ، أن ابن الزبير قال لابن عباس : قاتلتَ أم المؤمنين وحواريّ رسول الله ، وأفتيت بتزويج المتعة ، فقال : أما أم المؤمنين فأنت أخرجَتها وأبوك ، وبنا سميت أم المؤمنين وكُنّا لها خير بنينَ ، فتجاوز الله عنها ، وقاتلتَ أنت وأبوك عليّاً ، فإن كان علي مؤمناً

فقد ضللتم بقتال المؤمنين ، وإن كان كافراً فقد بؤتم بسخطٍ من الله لفراركم من الزحف ، وأما المتعة فقد بلغني أن رسول الله ﷺ رخّص فيها ، وأن أول مجمر سطع في المتعة لمجمر في آل الزبير .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده ، وعن أبي مخنف وعوانة قالوا : قال عبد الله بن الزبير يوماً وهو على منبر مكّة وابن عباس حاضر : إن هاهنا رجلاً أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ، يزعم أن متعة النساء حلال من الله ورسوله ، يُفتي في القملة والنملة وقد حمل ما في بيت مال البصرة وترك أهلها يرضخون[1] النوى ، وكيف يُلام على ذلك وقد قاتل أمَّ المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ ومن وقاهُ بيده ، يعني طلحة ، فقال ابن عباس لقائده ـ يقال انه سعيد بن جبير مولى بني أسد بن خزيمة ـ : استقبلْ بي ابنَ الزبير ، ثم حَسَر عن ذراعيه فقال : يا بن الزبير :

إنَّـا إذا مـا فئـة نلقـاهـا ... نـردُّ أولاها عـلى أُخـراهـا

حتى يصـير ضرعاً دعـواها ... «قد أنصفَ القارة من راماها»[2]

يا بن الزبير : أما العمى فان الله يقول ﴿فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [3] ، واما فُتياي في القملة والنملة فان فيهما حكمين لا تعلمهما أنت ولا أصحابك ، وأما حمل مال البصرة فانه كان مالاً

---

١ ـ رضخ الحصى : كسرها ، والمرضاخ حجر يرضخ به النوى . القاموس .

٢ ـ هذا العجز مثل انظره في كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ ط. دمشق ـ١٩٨٠ص ١٣٧ جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ـ ط. القاهرة ١٩٦٤ ج ١ ص ٥٥ ـ ٥٦ .

٣ ـ سورة الحج ـ الآية : ٤٦ .

جبيناهُ ثم أعطينا كلّ ذي حق حقه ، وبقيتْ منه بقيةٌ هي دون حقنا في كتاب الله وسهامه فأخذناهُ بحقنا ، وأما المتعة فانّ أول مجمرٍ سطع في المتعة مجْمَرٌ في آل الزبير ، فسلْ أمك عن بُرْدَيْ عَوْسَجة[1] وأما قتال أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لا بكِ وبآبائك ، وانطلق أبوك وخالك ـ يعني طلحة ـ فعمدا إلى حجاب مَدَّهُ الله عليها فهتكاه عنها ثم اتخذاها فئةً يقاتلان دونها ، وصانا حلائلهما في بيوتهما ، فوالله ما أنصفا الله ولا محمداً في ذلك، وأما قتالنا إياكم فإن كُنا لقيناكم زحفاً ونحن كفار فقد كفرتم بفراركم من الزحف ، وإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا ، وأيم الله لولا مكانُ خديجة فينا وصفيّة فيكم ما تركتُ لك عظماً مهموزاً إلا كسرته .

فلما نزل ابن الزبير سأل أمه عن بُرْدي عوسجة فقالت : أَلَم أنهك عن ابن عباس وبني هاشم فانهم كُعُم الجواب إذا بُدهوا ، قال : بلى فعصيتُكِ ، قالت فاتّقِه فان عنده فضائحَ قريش ؛ فقال في ذلك أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي :

يا بنَ الزبير لقد لاقيتَ بائقةً ... من البوائقِ فالطف لطفَ مُحتال
لقيتَهُ هاشمياً طابَ مَغْرِسُهُ ... في منبتيه كريمَ العمّ والخال
ما زال يقرعُ منك العظمَ مقتدراً ... على الجواب بصوتٍ مُسمعٍ عال
حتى رأيتك مثلَ الكلب منجحراً ... خلف الغبيط[2] وكنتَ البادىء الغالي
ان ابن عباسٍ المحمول حكمته ... حبر الانام لهُ حالٌ من الحال

١ انظر العقد الفريد ـ ط . القاهرة ١٩٥٣ ج ٤ ص ٨٥ .
٢ ـ الغبط : القبضات المحصودة المصروفة من الزرع ، والمركب الذي هو مثل أكف البخاتي . القاموس .

عيّرتَهُ المتعـةَ المتبوعَ سُنّتُهـا ... وبالقتالِ وقد عَيَّرْتَ بالمال
لما رماك على رسلٍ بأسهُمِهِ ... جرى عليك كسوف الحال والبال
فاعلم بانك إن حاولت نقصته ... عادت عليكَ مخازٍ ذاتِ أذيال [1]

وقال حسان بن ثابت الانصاري في عبدالله بن العباس :

اذا قال لم يترك مقالاً لقائل ... بمنتظماتٍ لا ترى بينها فَصْلا
كفى وشفى مافي النفوس ولم يدع ... لذي إربةٍ في القولِ جدّا ولا هزلا
سموتَ إلى العليا بغير مشقةٍ ... فنلتَ ذَراها لا دنيّا ولا وغلا [2]

ويقال انه قال هذا الشعر فيه لأنه كلم عاملاً في الأنصار ، وكلمه فيهم غيره ، فلم يبلغ أحدُ منهم مبلغه في الكلام حتى قضيت حاجتهم .

حدثني محمد بن حاتم الثغري عن حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج عن عطاء ، أن ابن عباس قال : المعروف أوثق الحصون وأرشد الأمور ، ولن يصلح المعروف الا بتعجيله وستره وتصغيره ، فانك اذا عجّلته هنّأته ، واذا سترته اتممته ، واذا صغرته عظّمته ، واذا مطلته نكدته ونغّصتَه [3] .

حدثني رَوْح بن عبدالمؤمن ، حدثنا عبدالرحيم بن موسى ، حدثني أبو روح عُمارة بن أبي حفصة عن عبدالله بن بريدة عن كعب الأحبار ، أنه كان عند معاوية فقرأ معاوية : في عين حامية ، فقال كعب : (في عين حَمِئَة) [4] ،

---

١ ـ ترجم صاحب الأغاني لابن خزيم في ج٢ ص ٣٠٧ ـ ٣١٦ . وانظر الأبيات في أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول ـ ط . بيروت ١٩٧١ ص ١١٢ ـ ١١٣ .
٢ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٣٣١ .
٣ ـ في هامش الأصل : آخر المجلد الثاني عشر من الأصل ، ولله كل حمد .
٤ ـ سورة الكهف ـ الآية : ٨٦ .

فلم يقبل منه وقال : عليَّ بابن عباس ، فلما جاء قال كيف تقرأونها ؟ فوافق كعباً ، فلم يرجع معاوية فغضب كعب ، فقال له ابن عباس : لا تغضبْ يا كعب فانك من الذين أوتوا الكتاب يؤمنُ به ومعاوية من الأحزاب يُنكر بعضه ، فقال معاوية : أمُشاتمي أنت يا بن عباس ! فقال : إن شئتَ ، قال : شئتُ ، فقال : لولا البيعةُ التي لك عندي ولولا السلطان لفعلتُ ، قال : فلا بيعة لي عليك ولا سلطان فَقُلْ ، قال : بل أُجلّكَ يا أميرَ المؤمنين واكرمك ، فسكن بعض غضبه ثم قام إلى الصلاة وقال : أطبق المصحف يا غلام فاني ما أرى الحرف إلا كما قالا .

حدثني اسحاق الفروي أبو موسى ، حدثنا زافر بن سليمان عن أبي عصام الخراساني قال : لما أنكر الخوارجُ على عليٍّ بن أبي طالب تحكيم الحكمين فانحازوا عنه ، خرج اليهم ابن عباس فقالوا له : مرحباً بك يا بن عباس ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأخبركم عن أصحاب محمد فليس فيكم رجل منهم ، فقال بعضهم لبعض : لا تخاصموه فان الله يقول : ﴿بل هم قوم خصمون﴾ [1] . فقال ابن عباس : أخبروني ما الذي نقمتم على ابن عم رسول الله علي ؟ قالوا : نقمنا عليه انّه حكم الرجال في دين الله ولا حُكْمَ إلّا لله ، وأنه قتل ولم يَسْبِ ، ومحا أميرَ المؤمنين وكتب اسمَه ، فقال ابن عباس : أمّا قولكم : حكَّم الرجال ، فان الله تبارك وتعالى حكّم الرجال في دينه في الشقاق بين الرجال والنساء وفي أرنب ثمنُها ربع درهم يصيبها المحرمُ فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيدَ وأنتم حُرُمٌ ومن قَتَلَهُ منكم

١ ـ سورة الزخرف ـ الآية : ٥٨ .

مُتعمّداً فجزاءٌ مثل ما قَتَلَ من النَّعم يحكُمُ به ذوا عدل منكم﴾ (١) فالحكم في حقن الدماء وصلاح ذات البين أفضل ، قالوا : نعم ؛ قال : واما قولكم : قتلَ ولم يسبِ ، فأيّكم كان يأخذ عائشة أمَّ المؤمنين في سهمه وهي أمّكم ، فإن قلتم انها ليست بأمّنا فقد كفرتم ، وإن قلتم نأخذها ضللتم ؛ وأما قولكم : محا عليٌّ اسمَه ، فان رسول الله ﷺ وهو خيرٌ من علي وادَعَ قريشاً بالحديبية فكتَبَ : «هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله» ، فقالوا : لو أقررنا بأنك رسول الله لم نُخالفك ، فقال : «امحُ واكتب : هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله» ، قال فاتبعه ألفان وبقيت بقيتهم .

حدثنا عثمان بن محمد بن أبي شيبة ، أخبرنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : أُتيت في منامي فقيل لي هذه ليلة القدر ، فقمتُ وأنا ناعسٌ فتعلقتُ ببعض أطناب فسطاط رسول الله ﷺ فنظرت فإذا هي ليلة ثلاث وعشرين .

حدثني أبو محمد الشامي المؤدب عن أبيه قُرّان بن تمام عن موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب قال : قال ابن عباس بعد أن أُصيبَ ببصره : ما آسى على شيء فاتني إلا أني لم أحجّ ماشياً لأني سمعتُ الله يقول ﴿وأذِّنْ في النَّاسِ بالحجّ يأتوك رِجَالاً وعلى كلّ ضَامِرٍ﴾ (٢) .

حدثني الوليد بن صالح عن الفيّاض بن محمد عن عمرو بن عيسى انه بلغه عن وبرة بن عبدالرحمن المُسلْي (٣) أنه قال : قال ابن عباس : إياك

---

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٩٥ .
٢ ـ سورة الحج ـ الآية : ٢٧ .
٣ ـ في هامش الأصل : من بني مسلية .

والكلام فيما يعنيك إذا كان في غير موضعه ، ولا تُمارِ سفيهاً ولا حليماً ، فان السفيه يؤذيك وإن الحليم يقليك ، واذكر أخاك في غيبته بما تحب أن يذكرك به ، ودعه مما تحبّ أن يدعك منه .

المدائني قال : قال ابن عباس لوبرة : دعِ الكلام فيما لا يعنيك فانه فضل ، ولا تتكلم فيما يعنيك إذا لم تصب موضعه فإنه جهل .

المدائني عن يحيى الأنصاري قال : قيل لابن عباس ان ابن الزبير يتنقَّصُكَ ، فقال ابن عباس : دِبِّي حَجل ، لو ذاتُ سِوَارٍ لطمتني [1] ، أما والله اني لأعرف دَخلا ودُخيْلاً ، وما سابتُ قرشياً قط إلا يحيى بن الحكم ، فاشتفى من لحمٍ سمين واشتفيتُ من مثله .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : عزَّى معاوية عبدالله بن عباس عن الحسن بن علي فقال : لا يسوءك الله ، فقال : لا يسوءني ما أبقى الله أمير المؤمنين . ثم ان يزيد ركب الى ابن عباس فجلس مجلس المعزّي ، فلما قام قال ابن عباس : ما تكادُ تعدمُ من الأموي عقلاً وكرماً .

حدثني الأعين عن روح بن عبادة عن الثوري عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال : الهَدْيُ الصالح والسمتُ الحسن والاقتصاد في الأمور جزءٌ من أجزاء النبوة .

حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، أخبرنا داود بن هند عن محمد بن أبي موسى عن ابن عباس ، أنه فقد غلاماً له فحلف بالله ليضربنه ، فلما جاء الغلامُ قال له : أين كنت ؟ قال : كنت في موضع كذا ،

---

١ - انظر الأمثال لأبي عبيد ص ٢٦٨ . جمهرة الأمثال للعسكري ص ١٩٣ .

فعفا عنه ولم يضربه ، فقيل : أولستَ قد حلفت ؟ قال : أوَ لم أعفُ عنه ، احداهما بالأخرى .

حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال : حُدِّثت أن ابن عباس لما كفَّ بصره قال أو تمثل :

مازال عمري على الأيام منتقصاً حتى فنيتُ وحبلُ الدهرِ ممدودُ
أُقَدِّمُ العودَ قدّامي وأتبعُه وكنت أمشي وما يمشي بيَ العودُ

حدثنا إسحاق بن أبي اسرائيل واسحاق الفروي قالا : حدثنا سفيان بن عيينة ، أخبرنا عمرو قال : لما وقع في عين ابن عباس الماءُ أراد أن يتعالج منه فقيل له : إنك تمكث كذا وكذا يوماً لا تصلي إلا مضطجعاً فكره ذلك .

حدثني اسحاق الفَرْوي عن العباس الأنصاري عن أبي عمرو بن العلاء عن عبدالله بن كثير الأنصاري ـ أحسبه عن مجاهد ـ قال : أتى ابن عباس عثمان بن عفان وعنده زيد بن ثابت فخرجا جميعاً ، فأراد زيد أن يركب فأخذ ابن عباس بركابه ، فامتعض زيد من ذلك وقال : ما هذا فداك أبي وأمي ! فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا ، فقبل زيد يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عبيدالله بن موسى وزيد بن الحُباب العُكلي جميعاً قالا : حدثنا سفيان بن سعيد الثوري عن ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يبتاع الرداء بألف درهم .

حدثني أحمد بن إبراهيم أخبرنا معاوية عن أبي حيان التيمي عن حبيب بن أبي ثابت قال : رأيتُ على ابن عباس قميصاً سابرياً[١] يتبينّ إزاره من رقته .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن الكلبي عن أبي صالح ، قال : أنشد الأحوصُ بن محمد بن عبدالله الأنصاري ابنَ عباس :

الله بيني وبين قيّمها يفرُّ مني بها وأتّبعُهْ[٢]

فقال ابن عباس : بيني وبين قيّمها وبينك .

حدثني أبو مسعود الكوفي عمر بن عيسى قال : سمعتُ ابن كناسة يقول : لما قال عمر بن أبي ربيعة قصيدته التي أولها :

تشطّ غداً دارُ جيراننا

أنشدها ابنَ عباس ، فلما قال عمر : «تشطّ غداً دارُ جيراننا» ، قال ابن عباس :

وللدار بعدَ غدٍ أبعدُ[٣]

فقال : كذا والله قلتُ ، جُعلتُ فداكَ ، فقال ابن عباس : الكلام مُشترك . فلما أنشد :

تحمّلَ للبين جيرانُنا

١ ـ السابري نوع من الثياب . اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير .
٢ ـ شعر الأحوص الأنصاري ـ ط . القاهرة ١٩٩٠ ص ١٧٩ وفيه «وأتبع» .
٣ ـ شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ـ ط. بيروت ١٩٨٣ ص ٣٠٨ .

قال ابن عباس :

وقـد كان قُـرْبُهُمْ يُحْمَـدُ[1]

فقال عمر : كذا والله قلتُ ، وقبَّل يده .

حدثني عبدالله بن صالح العجلي قال : قال أبو بكر بن عياش : بلغني أنّ ابن عباس كان يقول : إن لكلّ داخل دهشة فآنِسوه بالتحية .

حدثني أبو إسحاق الفروي عن عبدالله بن نمير عن خالد بن طهمان عن حصين قال : كان ابن عباس جالساً فجاءه سائل فسأله ، فقال : ألستَ مُسْلماً تصلي وتصوم ؟ فقال : نعم ، فقال : إن مواساتك لواجبة ، ونزع ثوبه فألقاه عليه .

حدثنا محمد بن مُصَفّى الحمصي ، حدثنا أبو الفضل التميمي ، حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي الطفيل قال : حج معاوية فوافق ابنَ عباس ، فرآه يستلم الأركان كلها ، فقال معاوية : إنما استلم رسول الله ﷺ الركنين ، فقال ابن عباس : إنه ليس من أركانه شيء مهجور .

حدثني مظفر بن مُرَجّى ، حدثنا أبو ربيعة عن أبي عوانة عن الأعمش عن الضحّاك عن ابن عباس قال : منّا المهدي ، والمنصور ، والسفاح .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي صالح قال : كنت أنا وعكرمة عند ابن عباس وليس عنده أحدٌ غيرنا ، فأقبل الحسن والحسين ابنا علي فسلّما عليه ثم ذهبا ، فقال : ان هذين يزعمان أن المهدي من ولدهما ، ألا وإن : السفاح ، والمنصور ، والمهدي من وَلَدي .

---

١ - ليس في ديوانه المطبوع .

حدثني علي بن عبدالله المديني ، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي معبد قال : سمعتُ ابن عباس يقول : إني لأرجو أن لا تذهب الأيام والليالي حتى يكونَ منا أهل البيت من يقيمُ أمرها : شابٌ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لم يلبس الفتن ولم تلبسه ، وأرجو أن يُختم هذا الأمر بنا كما فُتح بنا ؛ قال:فقلت : عجز عنه شيوخكم وترجونه لشبابكم ! قال : يفعل الله ما يشاء .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مالك عن وهب بن كيسان عن محمد بن عمرو عن عطاء ، انه سمع ابن عباس يقول : انتهى السلام إلى البركات .

حدثني الحسن بن علي الحرمازي عن العُتبي عن أبيه أنّ رجلاً قال لعبدالله بن عباس : بماذا عرفتَ ربك ؟ فقال عبدُالله : ويلك من طلب الدين بالقياس ، لم يزل الدهرَ في التباس ، مائلاً عن المنهاج ، طاعناً في الاعوجاج ، أعرفه بما عرّف به نفسه من غير رؤية ، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة ، لا يُدرَكْ بالحواس ، ولا يقاسُ بالناس ، حيٌّ في ديمومته ، لا يجور في أقضيته ، يعلم ما هم عاملون وما هم إليه صائرون ، فتبارك الذي سبق كلَّ شيء علمُه ، ونفذت في كل شيء مشيئته .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف قال : لما نزل ابنُ عباس الطائفَ حين نافره ابن الزبير كان صلحاءُ الطائف يجتمعون إليه ، ويأتيه أبناءُ السبيل يسألونه ويستفتونه ، فكان يتكلم في كلّ يوم بكلام لا يدعه وهو : الحمد لله الذي هدانا للاسلام ، وعلّمنا القرآن ، وأكرمنا بمحمد عليه السلام ، فانتاشنا به من الهلكة ، وأنقذنا من الضلالة ، فأفضلُ الأئمة

أحسنُها لسنّته اتباعاً ، وأعلمها بما في كتابه احتساباً ، وقد عمل بكتاب الله ربكم وسنة نبيكم قومٌ صالحون على الله جزاؤهم ، وهلكوا فلم يدعوا بعدهم مثلهم ولا موازياً لهم ، وبقي قوم يريغون الدنيا بعمل الآخرة ، يلبسون جلود الضأن لتحسبوهم من الزاهدين ، يرضونكم بظاهرهم ويسخطون الله بسرائرهم ، إذا عاهدوا لم يُوفوا وإذا حكموا لم يعدلوا ، يرون الغدر حزماً ، ونقض العهد مكيدة ، ويمنعون الحقوق أهلها ، فنسأل الله أن يهلك شرارَ هذه الأمّة ، ويولّي أمورها خيارها وأبرارها .

فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب اليه : بلغني انك تجلس العصرين فتفتي بالجهل ، وتعيبُ أهلَ البر والفضل ، واظن حلمي عنك واستدامتي إياك جرّأك عليّ ، فاكفف عني من غَرْبِكَ ، واربعْ على ظلعك ، وَأَرْعِ على نفسك .

فكتب اليه ابن عباس : فهمتُ كتابك ، وانما يُفتي بالجهل من لم يؤت من العلم شيئاً ، وقد آتاني الله منهُ ما لم يؤته أباك ، وزعمتَ أن حلمك عني جرّأني عليك فهذه «أحاديثُ الضَّبعِ آسْتَها»[1] ، فمتى كنت لعرامك هائباً وعن حدّكَ ناكلاً ؟! ثم تقول : إني ان لم أنتهِ وجدتُ جانبك خشناً ، ووجدتك إلى مكروهي عجلاً ، فما أكثر ما طرتَ إليَّ بشُقّةٍ من الجهل ، وتعمدتني بفاقرة من المكروه ، فلم تضررْ إلّا نفسك ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت ، ولا أرعى عليك إن أرعيت ، فوالله لا انتهيت عن ارضاء الله باسخاطِك .

---

١ ـ يقال في ذم التمني والطمع الكاذب . جمهرة العسكري ج ١ ص ٢٧٤ .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثني عمرو بن عثمان عن عبد الرحمن بن السائب عن ابن عباس أنه قال : أكرم الناسِ عليّ جليسي ، إن الذبابَ ليقع عليه فيشقُّ ذلك عليَّ .

حدثنا شريح ، حدثنا علي بن ثابت عن عبد الله بن المؤمل عن عبد الله بن أبي ملكية عن ابن عباس أنه قال : أكرمُ الناس عليَّ جليسي ، أو قال : رجل تخطّى رقاب الناس حتى جلس إليّ .

المدائني عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : قال ابن عباس : لجليسي عندي ثلاث : اذا أقبل رحّبتُ به ، واذا قعد أوسعتُ له ، واذا تحدّث أنصتُّ لحديثه واستمعت منه .

حدثني سعيد بن الربيع الضبّي ، حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة قال : قال عبد الله بن عباس : ثلاثة لا اقدر على مكافأتهم : رجل جئت ظمْآن فسقاني ، ورجل ضاق بي مجلسي فأوسع لي ، ورجل اغبَرَّتْ قدماه في الاختلاف إلى بابي ؛ ورابع هو أعظمهم حقاً عليّ : رجلٌ بات ساهراً يعرض الناس على نفسه فأصبح لا يجدُ لهُ في حاجته معتمداً سواي .

حدثني اسحاَق الفروي عن المعافى بن عمران الموصلي ، حدثنا أبو العوام عن عطاء قال : كنّا نأتي ابن عباس فيؤتى بغدائه فأقول : إني صائم ، فما يزال يقسم عليَّ حتى أدنو فاتغدَّى معه .

حدثني مصعب بن عبد الله عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن القاسم بن محمد قال : ما رأيتُ في مجلس ابن عباس باطلاً قط .

حدثني الزبير بن بكار الزبيري ، حدثني محمد بن عيسى بن كثير الأنصاري عن فليح بن اسماعيل عن عبد الملك بن صالح بن علي عن أخيه سليمان بن علي عن عكرمة قال : إنّا لمع ابنِ عباس يومَ عرفة إذا فتيةٌ يحملون فتى معروقَ الوجه ناحل البدن ، فوضعوه بين يدي ابن عباس وقالوا : استشفِ له يا بن عم رسول الله ، فقال : ما به ؟ فأنشده الفتى :

بنا من جوى الأحزان والوجد لوعةٌ   تكاد لها نفسُ الشفيقِ تذوبُ
ولكنما أبقى حشاشةَ مُعْوِلٍ   على ما به عُودٌ هناك صليبُ

ثم حملوه فخفَتَ في أيديهم فقال ابن عباس : هذا قتيلُ الحب لا عَقْلَ ولا قوَد ؛ وما رأيته سأل الله إلّا العافية مما أصاب ذلك الرجل حتى أمسى[1] .

حدثني أبو الحسن علي بن محمد المدائني عن النضر بن إسحاق عن أبي المليح قال ، قال معاوية : ما باحتُّ[2] أحداً في عقله أشدّ عليّ من ابن عباس .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال : كتب ابنُ عباس إلى الحسن بن علي : إن المسلمين قد ولّوك أمورهم بعد عليّ ، فشمّر لحربك وجاهد عدوّك ، ودارِ أصحابَك ، واشترِ من الظنين دينه ، ولا تسلم دينك ، ووالِ أهل البيوتات والشرف تستصلح عشائرهم، واعلم أنك تحارب من حادَّ الله ورسوله ، فلا تخرجنَّ من حقٍّ أنت أولى به ، وإن حال الموتُ دون ما تحب .

---

١ ـ الفتى هو عروة بن حزام ترجم له صاحب الأغاني ج ٢٤ ص ١٤٥ ـ ١٦٦ ، وورد الخبر في الصفحة الأخيرة من الترجمة .
٢ ـ في هامش الأصل : أي ما خاصمت .

حدثني عباس عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال : قال ابنُ عباس : من التمس الدين بالمخاصمة حيّرته المنازعة ، ولن يميل إلى المغالبة إلا من أعياه سلطان الحجة .

حدثني عمر بن حماد عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ، أن العباس قال لعبد الله : أنت اعلمُ مني ولكني أشد تجربة للأمور منك ، وان هذا الرجل - يعني عمر - قد قرّبك وقدّمك فلا تُفشِ له سراً ، ولا تغتب عنده مسلماً ، ولا تبتدئهُ بشيء حتى يسألك عنه .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عباس الهمداني عن أبيه قال : كانت عند ابن عباس يتيمة فخطبها إليه رجل فقال : إني لا أرضاها لك ، قال : وكيف وقد نشأت في حجرك وعندك ! قال : إن فيها بذاءً وهي تتشرّف ، فقال لا أبالي ، فقال ابن عباس : فانّي إذاً لا أرضاك لها .

وقال الهيثم : أخبرني عوانة عن شيخ من أهل المدينة أنّ رجلاً شكا إلى ابن عباس زوج ابنته فقال ابن عباس : ألم أقل لك إن من زَوَّجَ ابنته من سفيه فقد عَقَّها ؟

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن ابن عباس قال : ما رأيت رجلاً أوليتُه معروفاً إلا أضاء ما بيني وبينه ، ولا رأيت رجلاً فرط مني إليه سوء إلا اظلم ما بيني وبينه .

حدثني ابو عمر العمري عن هشام بن الكلبي عن المساحق عن أبيه ، أن ابن عباس كان يقول : إذا تَرَكَ العالم قول لا أدري أصيبت مقاتِلُه .

وحُدّثت عن اسحاق بن عيسى بن علي عن أبيه قال : سأل ابن عباس بعض أصحابه عن شيء فقال : لا أدري ، فقال ابن عباس : أحسنت ، كان يُقال : إنّ قولَ لا أدري نصفُ العلم .

وقال ابن الكلبي : كان ابن عباس يقول : اسمح يُسْمَحْ لك .

حدثني هشام بن عمار ، حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس انه قال : قال رسول الله ﷺ : اسمح يُسمح لك .

وذُكر لي أن ابن عباس كان يُعشّي الناس بالبصرة في شهر رمضان ويحدثهم ويفقههم ، فاذا كانت آخر ليلة من الشهر ودّعهم ثم قال : ملاك أمركم الدين ووصلتكم الوفاء وزينتكم العلم ، وسلامتكم في الحلم ، وطَوْلكم المعروف ، إن الله كلفكم الوسع فاتقوه ما استطعتم .

ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقول : عالم واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد ؛ غير مرفوع .

وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن روح بن أبي جناح أبي سعيد عن مجاهد أنه سمع ابن عباس يقول : قال رسول الله ﷺ : «عالم واحد اشد على الشيطان من ألف عابد» .

المدائني عن مسلمة قال : دخل زياد على معاوية وعنده ابنُ عباس ، فلم يسلّم زياد عليه ، فقال له ابن عباس : ما هذا الهجران يا أبا المغيرة ؟ فقال : ما هاهنا بحمد الله سوء ولا هجران ، ولكنه مجلس لا يقضى فيه إلا حقّ أمير المؤمنين وحده .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جعدبة عن ابن شهاب قال : وفد أبو أيوب الأنصاري على معاوية فقضى حوائجه ثم قال له أبو

أيوب : يا أمير المؤمنين لي مال ولا غلمان فيه يقومون به ، فأعطني مالا أشتري به غلماناً ، فقال : ألم اعطك لوفادتك وأقضِ حوائجك في خاصتك وعامتك ؟ قال : بلى ، قال : فما لك عندي شيء سوى ذلك ، فقال أبو أيوب : ألا تفعل يا معاوية ، فإن رسول الله ﷺ قال لنا : «إنكم ستلقون بعدي أثرة يا معاشرَ الأنصار فاصبروا حتى تلقوني» ، قال : فاصبر يا أبا أيوب ، قال : أَقُلْتَها يا معاوية ؟ والله لا اسألك بعدها شيئاً أبداً ، وبلغ ابنَ عباس قولُ معاوية ، وهو يومئذ وافد عليه وقد تيسّر للخروج ، فأعطى أبا أيوب قيمة مائة مملوك وأعطاه جميع ما كان في داره ثم شخص .

قالوا : ولما أخرج عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية عن مكة أغلظ لهُ ابن عباس وقال له : أَتُخرج بني عبد المطلب عن حرم الله وهم أحقُّ به منك ! فقال : وأنت أيضاً فالحقْ به ، فخرج إلى الطائف فمات بها ، وأوصى عليَّ بن عبد الله بإتيان الشام والتنحّي عن سلطان ابن الزبير إلى سلطان عبد الملك ، فكان عبد الملك يحفظ له ذلك .

قالوا : ولما صار علي بن عبد الله إلى دمشق ابتنى بها داراً ثم صار ولده إلى الحميمة وكُداد من عمل دمشق

حدثنا محمد بن الصباح البزاز ، حدثنا هشيم عن أبي جمرة قال : توفي ابن عباس بالطائف .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا عبدالله بن صالح المصري عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة قال : كان عبد الله بن عباس مديد

القامة جيد[1] الهامة ، مستدير الوجه ، جميله أبيضه ، وليس بالمفرط البياض ، سبط اللحية ، في أنفه قنىً ، معتدل الجسم ، وكان أحسن الناس عيناً قبل أن يكف بصره ، وكفَّ قبل موته بست سنين أو نحوها ، وتوفي بالطائف

وقال الواقدي وغيره : نزل في قبر عبد الله بن العباس وتولى دفنه علي بن عبد الله ومحمد بن الحنفية والعباس بن محمد بن عبد الله بن العباس ، وصفوان ، وكريب ، وعكرمة ، وأبو معبد مواليه ، وكان يخضب بالحناء ثم صَفّر .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن التوزي عن عمران بن أبي عطاء قال : أدخل ابنُ الحنفية ابنَ عباس معترضاً وصلَّى عليه فكبّر أربعاً ، وضرب على قبره فسطاطاً ثلاثة أيام .

حدثني محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي عن عمير بن عقبة وخالد بن القاسم الأنصاري عن شعبة مولى ابن عباس ، قال : مات ابن عباسٍ بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة وأشهر ، أو اثنتين وسبعين ، وكانِ يِصفّر لحيته ، وكان مرضه ثمانية أيام ، وصلى عليه ابن الحنفية .

وقال بعض البصريين:توفي رسول الله ﷺ وابنُ عباس ابنُ عشرٍ وأشهرٍ ، وتوفي ابن عباس وله سبعون سنة ، والأول اثبت .

---

١ ـ الجيد طول العنق وحسنه . اللسان .

حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع عن سفيان عن سالم بن أبي حفصة عن كلثوم قال : سمعت ابن الحنفية يقول في جنازة ابن عباس : اليوم مات ربّانيّ العلم .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ، أخبرنا أبو أسامة عن الأجلح عن أبي الزبير قال : توفي ابن عباس بالطائف فجاء طائر فدخل في نعشه حين حُمل فلم يُر خارجاً منه .

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة ، حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال : توفي ابن عباس بالطائف فشهدتُ جنازته ، فجاء طائر لم يُرَ على خلقته فدخل في نعشه .

قال سالم : وقال اسماعيل بن علي وعيسى بن علي : لما دفن تُليت هذه الآية عند قبره وهم لا يرون تاليها : ﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضيةً مرضيّة * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي﴾[1] .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن معمر عن الكلبي عن أبي صالح عن رافع بن خديج أنه قال حين أخبر بوفاة ابن عباس : مات والله من كان المشرقُ والمغرب وَمَنْ بَيْنَهما يحتاجون إلى علمه .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يحيى بن العلاء عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال : سمعتُ جابر بن عبد الله حين بلغته وفاةُ عبد الله بن عباس يقول ، وصفّق بإحدى يديه على الأخرى : مات أعلمُ الناس ، وأحلمُ الناس ، لقد أصيبت الأمة به .

١ - سورة الفجر الآيات : ٢٧ - ٣٠ .

وحدثني الزبير بن بكار ، حدثني ساعدة بن عبيد الله المزني عن داود بن عطاء عن موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن عمر بن عطاء أن النبي ﷺ رأى عبد الله بن عباس مقبلاً فقال : «اللهم إني أحبّ عبد الله بن عباس فأحبَّه» .

عبيد الله بن العباس

وأما عبيد الله بن العباس .

ويكنى أبا محمد ، وبينه وبين أخيه عبد الله بن عباس في السن سنة أو سنة وأشهر ، فكان جواداً ، دعاه عبد الله بن عباس إلى أن يقاسمه داراً كانت بينهما فمدَّ القاسم الحبلَ بينهما فقال عبد الله : أمَلْتَ الحبلَ عليّ ، فقال عبيد الله : أقم الحبل لأخي ، فأقامه ، فقال له : هل لك أن أنحيّه شبرا ؟ قال : نعم ؛ فنحّاه ثم قال : هل لك ان أنحيّه ذراعاً ؟ قال : نعم ؛ قال : هلَ لك أن أرفعه ؟ قال : نعم ؛ فرفعه ووهب له حصتّه من الدار .

قالوا : وكان عبد الله يُوسِعُ الناسَ علماً ، وكان عبيد الله يوسعهم طعاماً ، فدخل أعرابي يوماً دار العباس فرأى عبد الله في ناحية منها يفتي الناس ويعلّمهم ويسألونه عن القرآن فيفسّره لهم ، ورأى عبيد الله في ناحية أخرى يطعم الناس ، فقال : من أراد الدنيا والآخرة فليأتِ دار ابني العباس ، هذا يفسّر القرآن ، وهذا يطعم الطعام .

وحدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه عن مشايخه قال : كانت بين الزبير بن العوام وبين عبد الله بن جعفر ضيعة بالقرب من المدينة ، فلما قتل

الزبير سأل عبد الله بن الزبير ابنَ جعفر أن يقاسمه فأجابه إلى ذلك ، ووعده البكور معه إليها ، ومضى ابنُ الزبير إلى الحسن والحسين وعبيد الله بن العباس وإلى جماعةمن أبناء المهاجرين والأنصار فسألهم أن يحضروا ما بينه وبين ابن جعفر ، فأجابوه وغدوا لميعاده ، ووافاهم ابن جعفر ، وجاء ابن الزبير معه بجزور ودقيقه وقال لوكيله : أنِخِ الجزورَ ناحية واستُر أمرها ولا تُحدِثنّ فيها حدثاً حتى آمرك فإني لا آمن انتقاض هذا الأمر بيني وبين ابن جعفر ، ثم سأل القومَ أن يسألوا عبد الله بن جعفر أخذ الغامر من الضيعة وتسليم العامر له ، فكلموه فأجابهم إلى ذلك ، وجاعَ القوم حتى تشاكوا الجوع ، فقال الحسن بن علي : لو كانت البراذين تؤكل أطعمتكم برذوني ، وقال الحسين : لو كانت البغال تؤكل أطعمتكم بغلي ، فقال عبيد الله بن العباس : لكن البخاتي تؤكل ، وكان تحته بختيّة قد ريضت فأنجبت فنهض إليها فكشطَ عنها رَحْلَهَا ، وأخذ سيفه فوجأ به لبّتها ، ونهض الناسُ إليها بكسر المَرْوِ والسكاكين وغير ذلك يسلخونها ، وأخذوا لحمها وأوقدوا سعف النخل ، وبعث عبيد الله بن العباس فأتـوا بقدور وخبز كثير فشووا وطبخوا ، فلم يشعر ابن الزبير إلا بريح القتار[1] وبالدخان ، فظنّ أن وكيله نحر جزوره ، فجعل يشتُمه ويعذله ، فقال له : يرحمك الله ، إن جزورك على حالها ، ولكن عبيد الله بن عباس أطعمهم بختيته ؛ فأكل القوم وانصرفوا ، وأُتي عبيد الله بدابّة فركبها وانصرف .

---

١ ـ القترة : ريخ البخور ، والقدر والشواء . القاموس .

وحدثني عبيد الله بن صالح عن ابن كناسة عن القاسم بن معن قال : أراد رجل أن يضارَّ عبيد الله بن العباس ، فأتى وجوه الناس بالمدينة فقال لهم : إن عبيد الله يأمركم أن تحضروا غداً ، فأتاه الناس حتى ملأوا داره ، فلما رأى اجتماعهم أرسل إلى السوق فلم يترك فاكهة إلا أتى بها ، فأكلوها ، وبعث من هيّأ لهم الطبيخ والشواء والخبز والحلواء ، فغدُّوا غداءً واسعاً سَرِيّاً ، فلما انصرفوا قال : الحمد لله ، أليس كلما أردنا مثلَ هذا وجدناه ؟ ما أبالي من هجم عليّ بعد يومي هذا .

وحدثني محمد بن الأعرابي عن الهيثم بن عدي عن عوانة بن الحكم قال : بلغني أن عبيد الله بن العباس وفد على معاوية فصحبه بشر كثير في الرفقة فكان يمونهم ولم يدع أحداً منهم يوقد ناراً ولا يتكلف شيئاً حتى ورد الشام .

وحدثني محمد بن الاعرابي عن الهيثم عن عوانة عن أبيه قال : اضطرّت السماءُ عبيدَ الله بن عباس وهو في بعض أسفاره إلى منزلِ أعرابي فذبح الأعرابي له عنزاً لم يكُن له غيرها وقراهُ ، فقال عبيد الله لقهرمانه مقسم مولاه : كم معك ؟ قال : خمسمائة دينار ، قال ؛ ادفعها إلى الأعرابي ، فقال : انما ذبح لك عنزاً قيمتها خمسة دراهم وهو رجل لا تعرفه ، قال : هبني لا أعرفه أما أعرف نفسي وقدري ؟ لقد فعل بنا أكثر مما فعلناه به ، بذل لنا مجهوده وبذلنا له ميسورنا .

قال : ثم إن عبيد الله مرَّ بالأعرابي وهو منصرف من سفره يريد المدينة فإذا لَه نعم وشاءٌ وعبيد ، فسأله النزول به وقال : هذه نعمتك وفضلك ، فأخبره بحاجته إلى إغذاذ السير والتعجيل ثم فكر فقال : إني لأخافُ أن يظن

الأعرابي إنما إعتللنا عليه كراهة أن نرفده ، فردَّ وكيله إليه بخمسمائة دينار فقبضها ، وأقبل مع الوكيل حين رجع ، فقال لعبيد الله ، إن المدح ليقل لك غير أني أنشدك أبياتاً كنت قلتها فيك ، فانشده :

تـوسّمتـهُ لمـا رأيتُ مهـابـةً عليه فقلتُ المرءُ من آل هاشم
أو المرءُ من آل المُرار[1] فإنهم ملوك وأبنـاء الملوك الأكارم
فقمتُ إلى عنز بقية أعنـزٍ فجدّلتها فعل امرىءٍ غير نادم
فعوضني منها غناي وجادَ لي بما لم يجد عفواً به كفُ آدمي
فقل لعبيد الله لا زلتَ سالماً عزيزاً ومن عاديتَهُ غير سالم

وكان عبيد الله يقول : ثوبُك على غيرك أحسن منه عليك .

وحدثني بكر بن الهيثم عن أبي الحكم الصنعاني عن أبيه عن جده قال : كان عبيد الله بن العباس عاملاً لعلي بن أبي طالب على اليمن ، فأهدي اليه عنبر وحلل وذهب ، فبلغت قيمة ذلك مالاً عظيماً ، ففرّق جميع ما أهدي إليه على من حضره ، حتى لقد كان في منزله صانع يُصلح درجةً له فأعطاه من ذلك ما قيمته مائتا دينار . قال بكر : وسمعتُ شيخاً من أهل اليمن يحدث عن عبيد الله بن عباس أنه قال : الجواد من آسى من الكثير وآثر بالقليل . قال : وكان يقول : أفضل الجود ما عدّه الجاهل سَرَفاً .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن أبي معشر ، حدثني خالد مولى بني أمية قال : وفد عبيد الله بن العباس على معاوية ، وكان قد جعل له حين صار إليه وفارق الحسن بن علي في كل سنة ألف ألف درهم ، ويقال ألفي ألف

---

١ ـ ملوك كنده .

درهم ، فأعطاه معاوية ما جَعَل له ، فما رام دمشق حتى قَسَم ذلك أو أكثره ، فقيل له : أسرفت ، فقال : والله لولا لذة الاعطاء واكتساب المحامد ما بالَيْتُ ألّا أكتسب المال وألا أرى معاوية ولا يراني .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال: كان عبيدالله بن عباس عاملاً لعلي على اليمن ، وهو أحد من نزل في قبر علي حين قُبر بالكوفة ، ولم يزل مع الحسن بن علي حتى عرف زهادته في الأمر فصار إلى معاوية . قال : ويقال إن علياً ولاه الموسم سنة ست وثلاثين فأقام للناس الحج ثم شخص الى اليمن والياً . قال : ويقال ان علياً ولاه ايضاً الموسم سنة سبع وثلاثين فقدم من اليمن فاقام الحج ثم رجع .

وقال الواقدي: حدثني ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال: كان عبيد الله بن عباس جالساً في المسجد فسقطت دارٌ عند الصفا ، فارتاع من حضره ونهضوا ينظرون إليها ، وبقي معه فتى أنصت لحديثه واستمعه حتى قضاه ، فقال لوكيله : ما بقي عندك ؟ قال : ألف دينار ، قال : اعطِ الفتى ثلثيها واحبس لنا ثلثها .

قالوا : وكان ينحر ويطعم الناس ، وكانت مجزرته في السوق ، وهي تعرف بمجزرة ابن عباس .

قالوا : وتوفي عبيد الله بن العباس رضي الله عنه بالمدينة في أيام معاوية . ويقال : إنه كفّ بصره .

وقالوا : مرَّ معن بن أوس المزني بعبيد الله بن العباس وقد ضعف بصره فقال له : كيف حالك ؟ قال : قد كثر ديني وضعفت حالي وأنشده :

أخذتُ بعين المال حتى نهكته وبالدَّين حتى ما أكاد أُدانُ
وحتى طلبت القرضَ عند ذوي الغنى وردَّ فلانٌ حاجتي وفلان

فقال : كم دينك ؟ قال عشرة آلاف ، فأعطاه إياها ، فقال في عبيد الله :

إنّك فرعٌ من قريش وإنما تمجُّ الندى منها البحور الفوارعُ
همُ قادة للدين ، بطحاءُ مكةٍ لهم وسقاياتُ الحجيج الدوافع
ولما دعوا للموتِ لم تبكِ مثلهم على حدثِ الدهر العيونُ الدوامع

وولد لعبيد الله بن العباس ، العباس. وعبد الله. وجعفر. والعالية ، أمهم عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان بن الديّان الحارثي ، والعالية هي أم محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . وعبد الرحمن بن عبيد الله ، وقثم بن عبيد الله ، وأمهما أم حكيم بنت قارظ واسمها جويرية ، وهما اللذان ذبحهما بسر بن أبي أرطاة ، وقد كتبنا خبرهما في الغارات بين علي ومعاوية . وميمونة تزوجها عبد الله بن علي بن أبي طالب ، وقتل مع مصعب بن الزبير ، ثم خلف عليها أبو سعيد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، ثم نافع بن جبير بن مطعم .

ومن ولد عبيد الله بن عباس ، قثم بن العباس بن عبيد الله ولاّه اميرُ المؤمنين المنصورُ اليمامة ، وكان سخياً ومدحه ابن المولى فقال :

يا ناقُ إن أدنيتني من قُثَمْ عتقِت من حَلٍّ ومن رحلةٍ
عاش لنا اليُسرُ ومات العدم انكِ ان بلّغِتِنيه غداً
نور وفي العِرْنين منهُ شمم في باعه طولٌ وفي وجهه

وقال الراجز :

يا قُثَم الخيرِ جُزِيتَ الجنَّة أُكسُ بنيّاتي وأُمَّهُنَّهْ

والله والله لتفعلنَّه

فقال : والله لأفعلنّ ، وأعطاه مالاً . ومرَّت جارية جميلة الوجه حسنة القد بقثم وداود بن سلم وهو بالمدينة أو بمكة قبل أن يملك شيئاً ، فلم يمكنه ابتياعها لأنه لم يكن عنده ثمنها ، فلما ولي قثم اليمامة اشترى الجارية رجل يقال له صالح فكتب داود بن سليم إلى قثم :

يا صاحبَ العيس ثم راكبها أبلغ إذا ما أتيتَهُ قثما

إن الغزالَ الذي أجاز بنا معارضاً إذ توسّط الحرما

حوّله صالحُ فصار مع الـ ـإنس وخلَّى الوحوشَ والسلما

فأرسل قثم في طلب الجارية ليشتريها فوجدها قد ماتت .

وسمر عند قثم ليلةً جلساؤه ، وكانت ليلة باردة ، فأمر فأوقدت نار عظيمة وقال : من وصفها فله عشرة آلاف درهم ؛ فأخبرني عبد الرحمن بن حزوَرة(١) أن أباه قال في ذلك ، وهو من ولد جرير بن عطيَّة :

لم تَر عيني كمثل ليلتنا والدهرُ فيه طرائف العَجَبِ

إذ أُوقدتْ مَوهناً تُشبُّ لنا نارٌ فباتت تُحَشُّ بالحطب

يحشُّها بالضّرام محتَرمٌ مطاوعٌ للرفيق ذو أدب

رفّعها بالوقود فانتصبت ثم سمت للسماء باللهب

حمراءَ زهراءَ لا نحاسَ لها كأن فيها صفائح الذهب

١ ـ في رواية أخرى «حَزْرَة» (من الهامش) .

تزهر في مجلس لدى ملكٍ عفٍّ نجيبٍ من سادة نُجُب
عذبِ السجياتِ لا يُرى أبداً يقبض وجهَ الجليس من غضب

وزعم بعضهم أن هذا الشعر لعبد الأعلى من ولد صفوان بن أمية الجمحي في جعفر بن سليمان بن علي وهو بالمدينة وزاد فيه هذين البيتين :

يمنعه البرُّ والوفاءُ ونفس بِدَنِيٍّ الأمور لم تُشبِ
جيبت له هاشم فوسّطها جَوْبَ الرَّحى بالحديد للقُطب

ومن ولد عبيد الله بن العباس أيضاً حسين بن عبد الله بن عبيد الله الجواد ، وأمه أسماء بنت عبد الله بن العباس ، وكان فقيهاً حُمل عنه الحديث ، ومات في سنة أربعين أو احدى وأربعين ومائة ، وكان يكنى أبا عبد الله .

وذكر بعضهم أن الشعر الذي يقال إنه للوليد بن يزيد له ، وهو :

لا عيشَ إلا بمالك ابن أبي السـ ـمح فلا تَلْحُني ولا تَلُمِ
أبيضُ كالسيف او كما يلمع البر ق في حالكٍ من الظُّلَمِ[1]

والحسن بن عبد الله أخوه ، وأمه أيضاً أسماء بنت عبد الله بن العباس ، وأم أسماء أم ولد ، وفي الحسن يقول الراجز :

أعني ابن اسماء الذي توثّقا من مجده يوماً فما تفرّقا
كانا حليفين معاً فاتفقا عفواً كما وافق حُقّ طبقا[2]

وكانت عند الحسن هذا لبابةُ بنت الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر ، فولدت له أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن

١ ـ شعر الوليد بن يزيد ـ ط . عمان ١٩٧٩ ص ١٥٨ مع فوارق .
٢ ـ المثل هو : «وافق شن طبقه» الأمثال لأبي عبيد ص ١٧٧ .

العباس ، وهي التي كانت تسكن المدينة ، ورفعت السواد على منارة مسجد رسول الله ﷺ زمن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن حين دخل عيسى بن موسى المدينة ، فكسر ذلك المبيِّضة .

وقال الزبير بن بكار : كان حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس يسكن المدينة ، وقد رُوي عنه الحديث ، وكان يقول الشعر ، وكانت عنده عابدة الحسناء بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص فقال فيها :

أعابِدُ حُيّيتم على النّأي عايدا   سقاكِ الالهُ المُسْبِلاتِ الرواعدا
أعابِد ما شمسُ النهار إذا بدت   بِأحسن ممّا بين عينيك عابِدا
وهل أنت إلا دُميةٌ في كنيسةٍ   يظل لها البطريقُ بالليل ساجدا

وكان بكار بن عبد الملك خطب عابدة هذه فأبتهُ وتزوجت حسيناً ، فقال له بكار بن عبد الملك : كيف تزوجتك على فقرك ؟ فقال حسين : أتعيّرنا بالفقر وقد نحلنا الله الكوثر .

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يعاتب حسيناً ، وكان له صديقاً ثم تنكّر ما بينهما :

انّ ابـنَ عَمِّك وابـنَ أمـــ   ــك مُعْلَمٌ شـاكي السِّلاحِ
لا تحسبنّ أذى ابن عمِّـــ   ــك شُـربَ ألبـانِ اللقاح
بـل كالشـجى ورا اللّهـــ   ــاةِ إذا جَرَعْتَ من القراح
يقص العدو وليس يرضـــ   ــى حيـن يبطـشُ بالجراح
فاحتل لنفسـك مَنْ يجيبـــ   ــك تحت أطراف الرمـاح
مـن لايـزال يَسُـوءُه   بـالغيبِ أنْ يَلْحـاك لاحِ

وقال حسين بن عبد الله بن عبيد الله :

أبرِق لمن يخشى وأر عِدْ غيرَ قومِكَ بالسلاحِ

وقال عبيد الله بن معاوية :

قل لذي الوُدِّ والصفاء حسين أقدر الوُدِّ بيننا قَدَرَهْ
ليس للدابغ المحُلّم بُدٌّ من عتاب الأديم ذي البَشَرَة
لستُ ان زاغ ذو إخاء ووِدٍّ عن طريق بتابع اثره
بل أُقيمُ القناة والودَّ حتى يَتبع الحقَّ بعدُ أو أذره

قثم بن العباس بن عبد المطلب

وأما قثم بن العباس بن عبد المطلب :

فكان يشبّه بالنبي ﷺ ، وكان العباس يقول له في صغره :

أيا بنيَّ يا قثم ويا شبيهَ ذي الكرمْ

منا وذي الأنف الأشم

وبلغني أن الحسين بن علي كان أخاه من الرضاع ، أرضعته لبابة بنت الحارث امرأة العباس ، وكانت لبابة رأت كأنّ عضواً من أعضاء النبي ﷺ في بيتها ، فقال لها ﷺ : «تلد فاطمة ولداً وتكفلينه» ، فأتت به النبي ﷺ يوماً فبال عليه فقرَصَتْهُ فبكى ، فقال : «بكيّتِ ابني» ، وأُتي بماء خدره على البول حدراً .

وقال الكلبي : ولّى علي بن أبي طالب قثم بن العباس مكة ، وهو كان عامله عليها وعلى الموسم في سنة تسع وثلاثين حين وجه معاوية يزيد بن شجرة الرُّهاوي لإقامة الحج وأخذ البيعة له ، فقام قثم خطيباً حين بلغه إقبال ابن شجرة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى علي نبيه ﷺ ثم قال : أما بعدُ فانه قد أقبل إليكم جيش من الشام عظيم ، وقد أظلكم ، فإن كنتم على

طاعتكم وبيعتكم فانهضوا معي إليهم حتى أناجزهم ، فإن كنتم غير فاعلين فأبينوا لي أمركم ولا تغُرّوني من أنفسكم ، فان الغرور حيفٌ يضل معه الرأي ويصرع به الأريب . فلم يجبه أحد ، فأراد التنحّي ثم أقام ، واصطلح الناسُ على أن أقام الحج شيبة بن عثمان بن طلحة العبدري .

وقال هشام بن الكلبي : من زعم أن احداً من ولد العباس كان على الموسم في تلك السنة ـ عبيد الله أو معبداً أو تمّاماً ـ فقد غلط .

قالوا : وشخص قثم إلى خراسان غازياً مع سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان معاويةُ ولّى سعيداً خراسان ، فقال له سعيد في بعض غزواته : يا بن عم ، أضرب لك بمائة سهم ، فقال : يكفيني سهم واحدٌ لي وسهمان لفرسي أسوةَ المسلمين ، ومات بسمرقند ويقال استشهد بها ولا عقب له ، ويروى عن قثم أنه قال : الجواد من إذا سُئل أعطى عطيّة مكافٍ على يد عظيمة ، ورأى مَنْ بَذَلَ وَجْهَهُ إليه متفضّلاً عليه .

معبد بن العباس

وأما معبد بن العباس :

فشخَصَ في خلافة عثمان غازياً إلى إفريقية ، وعلى الجيش عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري من قريش ، فقتل بها شهيداً ، وأخذت سرية له حبلى فولدت جارية يقال لها أُبيَّة ثم استنقذت . وتزوج أُبيّه بنت معبد يريمُ بن معدي كرب بن أبرهة الحميري ، فولدت له النضر بن يريم . وكان عمّ يريم هذا وهو شمر بن أبرهة مع علي فقتل معه بصفّين ، وكان متزوجاً بابنة أبي موسى الاشعري .

وقال بعضهم : أبية بنت معبد جاريةٌ إفريقيّة قدمت بها أمها ، فأمرهم علي بن أبي طالب أن يقروا بها[1] ، فتزوجها يريم بن معدي كرب ، ويكنى معدي كرب أبا الشعثاء . وكان معبد يكنى أبا عبد الرحمن ، ومن ولده عبد الله الأكبر بن معبد وقد روي عنه الحديث . ومن ولد معبد محمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد ، والعباس بن عبد الله بن معبد ، ولاه أبو

١ ـ في رواية أخرى «يقربوها» (من الهامش) .

العباس أمير المؤمنين مكةَ والطائف ، وكان أول من سوّد بالحجاز في الدولة ، وكان محمد بن محمد وأخوه العباس من رجال بني هاشم ، وكان محمد لَسِناً خطيباً عالماً ، ولاه أمير المؤمنين المأمون أصبهان ، وكان مقدماً عند أمير المؤمنين المعتصم بالله ، ومات في خلافته حاجاً ودفن بالعَرْج[1] ، وهو الذي منزله ببغداد عند دار القطُن ، وكان يكنى أبا عبد الله .

---

١ ـ العرج : قرية جامعة في واد من نواحي الطائف . معجم البلدان .

عبد الرحمن بن العباس

وأما عبد الرحمن بن العباس :

فلا بقية له ، وكان أصغر أخوته ، مات في طاعون عمواس بالشام ، ويقال استشهد يوم اليرموك في خلافة عمر . وكان قد ولد لعبد الرحمن عبدُ الرحمن بن عبد الرحمن سمّي باسم أبيه ، درج ، وقال بعضهم : قتل عبد الرحمن بإفريقية ، وذلك غلط .

وأما تمام بن العباس :

فكان ذا بطش واقدام ، وكان يكنى أبا جعفر . وزعم ابن دأب أن عليًا ولاه مكة ، وأنه كان عليها حين قدمها ابن شجرة من قبل معاوية وليس ذلك بثبتٍ ، فولد تمام : جعفرَ بن تمام ، وقثم بن تمام . وكانت ابنة لأبي جعفر المنصور عند يحيى بن جعفر بن تمام ، ويقال بل كانت عند ابنٍ لقُثَم بن تمام . وكان آخر من بقي من ولد تمام يحيى بن جعفر ، وكان المنصور معجباً به محباً له ، فلما مات لم يكن له عقب ، فورثه بنو علي ، فوهبوا ميراثهم منه لعبد الصمد بن علي .

وأما كثير بن العباس :

فكان فقيهاً صالحاً حُمل عنه الحديث ، وكان ينزل بقريس[1] على فراسخ من المدينة ، فيأتي المدينة في كل جمعة وينزل دار أبيه العباس فإذا صلى انصرف ، وكتب كثير على كفنه الذي أمر أن يكفّن فيه : كثير بن العباس يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . ووُلد لكثير الحسن بن كثير ، درج .

وقال بعضهم : ولد له يحيى ، أمّه أم كلثوم الصغرى بنت علي بن أبي طالب ، فدرج .

أما الحارث بن العباس :

وهو ابن الهُذليّة ، وقال بعضهم أمه أم ولد ، فكان يلقب أبا عَضل ، وكان العباس وجد عليه فلحق بالزبير بن العوام وهو ببعض مغازيه ، فانصرف به معه ، فكلمه فيه فرضي عنه .

وقال هشام بن الكلبي والهيثم بن عدي : طرد العباسُ الحارث فأتى الشام ، ثم صار إلى الزبير وهو بمصر ، فلما قدم الزبير قدم به معه وأتى به العباس فلما رآه قال له : يا زبير جئتني بأبي عضل لا وصلتك رحمٌ نحَّه عني ، فمات العباس وَعمِي الحارث بعده فقال حين عَمِي : كُلاً زعمتم أنه ليس أبي وأني لست ابنه ، وقد عَميتُ كما عَمي .

---

١ ـ في المغانم المطابة : قريس جبل قرب المدينة

ومن ولد الحارث بن العباس السريّ بن عبد الله بن الحارث ولاه المنصور مكة ، ويقال ولاه المدينة وولاه اليمامة ، ومدحه ابن هرمة فقال :

فأنتَ من هاشم في بيتِ مكرمةٍ ... تنمى إلى كلّ ضخم المجدِ صنديدِ
ومن بني الخزرج الأخيار مولده ... بين العَتيكين والبهلولِ مسعود
قومٌ همُ أيّدوا الاسلام إذ صبروا ... للسيف فالله ذو نصر وتأييد
ذاك السريّ الذي لولا تدفقه ... بالعرف بُدنا حليف المجد والجود[1]

وأم السري جمال بنت النعمان بن أبي حزم بن عتيك بن النعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول وهو عامر بن مالك بن النجار ، ومسعود بن أوس بن زيد بن ثعلبة أحد بني غَنْم بن مالك بن النجار ، وكان السريّ جواداً ممدوحاً وله يقول نوح بن جرير بن عطية :

ورثتُ أبي قصائدَ محكماتٍ ... وكان الشيخ شيخاً عُدمُليّا[2]
لقد صدق الذي سماك لما ... تباشرتِ النساءُ بكَ السريا

وله يقول حبيب بن شوذب حين عزل عن اليمامة :

راح السريّ وراح الجودُ يتبعه ... وإنما الناس مذمومٌ ومحمودُ
لقد تروَّحَ إذ راحتْ ركائبُهُ ... من أرضِ حَجْرٍ، وربِّ الكعبة، الجود
من كان يضمنُ للسؤّال حاجتهم ... ومن يقولُ إذا أعطاهم عودوا

وله يقول الفرزدق[3] :

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .
٢ ـ العدمل : كل مسن قديم ، والضخم القديم مر الشجر . القاموس .
٣ ـ لم يرد هذا الرجز في ديوان الفرزدق ، وفي هامش الأصل «الفزاري» .

سريٌّ لقاك مليكُ الأمر الأجرَ ذخراً وهو خيرُ ذخرِ
عافيةَ الدنيا ويومَ الحشر وشرٌّ ما تدري وما لا تدري
ما بكَ عن مكرمةٍ من قصر وأنت بعد الله معطي الوفر
ومطعمُ البطنِ وكاسي الظهر

وقال الحنفي :

إن السريَّ بن عبد الله قال لنا خيراً وكان وفياً بالذي زعما
ما إن رأيتُك في قوم وإن كثروا الا تبينتُ في عرنينك الكرما
نلقاك في الأمرِ مفضالاً أخا كرمٍ وفي المزاهزِ ليثاً تضرب البُهما

ومن ولد عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب : الزبير بن العباس بن عبد الله بن الحارث بن العباس ، ولي السند ، وله يقول ابن هرمة :

عمدتُ إلى الزبير وسيطِ فهرٍ وقد حمد الاقاربُ والصديقُ
كريمٌ في الأورمةِ من قريشٍ يزين فعَاله الحسبُ العتيقُ
وقد بُني الزبير على سماحٍ وما زالت مكارمُهُ تروق[1]

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .

وأما عبدالله بن عباس بن عبد المطلب فولد :

العباس وبه كان يكنى . وزعم بعضهم أنه كان يقال للعباس الأعنق ، ومحمد بن عبد الله ، وعلي بن عبد الله ، ويكنى أبا محمد وهو السجاد ، ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب فسماه أبوه عليّاً ، وكان معاوية أراده على أن يسميه معاوية فأبى . وكان علي يصلي في كل يوم ولَيْلة ألف ركعة ، ويقال ألف سجدة . وعبيد الله بن عبد الله ، والفضل ، وعبد الرحمن ، ولبابة تزوجها اسماعيل بن طلحة بن عبيد الله ، وخلف عليها علي بن عبد الله بن جعفر ، وأمهم زرعة بنت مِشْرَح بن معد يكرب بن وليعة بن معاوية بن شرحبيل بن معاوية بن حُجر القَرِد بن الحارث الولادة بن عَمْرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور ، ويقال وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حُجر ، والقَردُ في كلامهم الجواد ، وثور هو كندي بن عفير . وأسماء بنت عبد الله بن عباس ، وأمها أمّ ولد ، تزوجها عَبْد الله بن عبيد الله بن العباس .

فأمّا العبّاس بن عبد الله بن العبّاس :

فولد له ابن يقال له عون وبه كان يكنى وامّه حبيبة بنت الزبير بن العوام ، فدرج ولا عقب له .

وأمّا محمد بن عبد الله بن العباس :

ابن عبد المطلب فولد له العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس وهو المُذهب ، وكان بارع الجمال سخياً ، مدحه الأخطل فقال :

ولقد غدوت على التجار بمُسمحٍ هرّت[1] عواذله هريرَ الاكلبِ
لـذٍّ يقبله النعيم كـأنمـا مُسِحت ترائبه[2] بماء مُذْهب
لبّاسِ أرديةِ الملوك تَـرُوقُه من كلّ مرتقبٍ عيونُ الربرب[3]
ينظرنَ من خلل الستور اذا بدا نظر الهِجان[4] إلى الفنيق المصعب[5]
خَضِل الكياس[6] إذا تنشّى لم يكن خلفا مواعده كبرق الخُلّب[7]

فوهب له ألف دينار فقضى بها دينه . وانما سمي مذهباً لجماله وحسْن لونه ، وقال بعضهم : المذهب عبيْد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وقال بعضهم : هو العباس بن محمد بن عبْيد الله بن عبد الله، والأول اثبت .

---

١ ـ هرت : نبحت .
٢ ـ الترائب : السمات والمزايا .
٣ ـ الربرب : البقر الوحشي ، وهنا الغانيات ذوات العيون الجميلة .
٤ ـ الهجان : الإبل البيضاء الكريمة .
٥ ـ الفنيق المصعب : الفحل المكرم المخصص للضراب .
٦ ـ الكياس جمع كأس .
٧ ـ ديوان الأخطل ـ ط . بيروت ١٩٨٦ ص ٤٣ ـ ٤٤ .

وكان العباس المذهبَ ركب فرساً فصرعه فمات ، وامّه ام إبراهيم بنت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري ولا عقب له ولا لأحدٍ من ولد عبْد الله بن العباس سوى علي بن عبْد الله بن عباس السجاد .

وذكروا أنه كان لعَبْد الله بن عباس أيضاً ابن يقال له عثمان ، درج ، وامّه أمّ ولد .

فولد علي بن عبد الله :

محمد بن علي بن عبدالله .

وهو ذو الثفنات ، شُبِّه أثر السجود بجبهته وأنفه ويديه بثفنات البعير ، ويكنى أبا عبد الله ، وأمّه العالية بنت عبْيد الله بن العباس ، وكان بيْنه وبين أبيه أربع عشرة سنة وأشْهُر ، فلما شابا خَضب علي بالسواد وخضَب محمد بن علي بالحنّاء فلم يكن يفرق بينهما إلا بخضابهما لتشابههما وقرب سن بعضهما من بعض . وداود وعيسى لأم ولد ، وسليمان وصالحاً لأم ولد اسمها سُعْدَى . واسماعيل ، وعبد الصمد لأم ولد . ويعقوب لأم ولد . وعبد الله الأكبر لأم ولد ، ويقال لأم أبيها ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وعبيْد الله وأمّه حرشيّة . وعبد الملك ، وعثمان ، وعبد الرحمن ، درجوا ، وهم لأمهات شتى ، وعبد الله الأصْغر[1] الخارج بالشام ، وبعضهم يسمّيْه الشمّاخ وله عقب . ويحيى ، واسحاق ، ويعقوب ، وعبد العزيز ، واسماعيل الاصغر ، وعبد الله الأوسط وكان أحنف ، درجوا وهم لأمهات شتى .

---

١ ـ خرج على أبي جعفر المنصور .

وأمينة ، وأم عيسى تزوجها ابن حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، ولبابة تزوجها ابن قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس وهن لأمهات أولاد . وذكر أبو اليقظان ، أن أمينة ماتت ولم تزوج .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة بن الحكم عن أبيه قال : دخل عبد الملك بن عبْد الله بن نُديرة العذري على الوليد بن عبد الملك فسأله حمالة لزمته فمنعه إياها وزبره وقال : أنت صهر لطيم الشيطان ، يعني عمرو بن سعيد الأشدق ، فقال : أنا صهر أبي أميّة عمرو بن سعيد ، وكانت عند عمرو أم حبيب بنت حريث بن سُليم العذري من بني رزاح فولدت له أمية ، وسعيداً ، فأنشأ العذري ينشد شعر يحيى بن الحكم بن أبي العاص :

وما كان عمرو عاجزاً غير أنه أتته المنايا بغتةً وهو لايدري

فلو أن عمراً كان بالشام زرته بأغوارها أو حلَّ يوماً على مصر

فقالت أم البنين بنت عبد العزيز امرأة الوليد ، وهي جالسة خلف الستر : يا أمير المؤمنين ، من هذا الأحمق ؟ فقال العُذري ، يعرّض بأبيها عبد العزيز بن مروان وكان ضربه في الخمر :

وددت وبيت الله أني فديته وعبد العزيز يوم يضرب في الخمر

فقالت : أجُرْأةً عليك ؟ قال : كُفّي قبل أن يأتي بخيط باطل ، وكان قد قيْل في هذا الشعر :

غدرتُم بيحيى يا بني خيط باطلٍ وكلكمُ يبني البيوت على غدرِ

فأمر به الوليد فأخرج عنه فصار ابن نديرة إلى علي بن عَبْد الله فأخبره خبره ، فقال عليّ : علينا المعوّل وعندنا المحتمل ، فاعْطاه حمالته ، وأجازه وكساه ، فقال العذري :

شهدت عليكم انكم خير قومكم وانكم آلُ النبي محمّدِ
فنعم أبو الاضياف والطالبي القرى عليٌّ حليف الجود في كل مشهد
فإن الذي يرجو سواكم وأنتمُ بنو الوارث الزاكي لغيرُ مُسدَّدِ
وإني لأرجو أن تكونوا أئمة تسوسون من سستم بملك مؤيّد
وإني لمن والاكم لألـوفـه وإني لمن عاداكم سمٌّ أسود

وحدثني محمد بن الأعرابي عن اسحاق بن عيسى بن علي عن أبيه قال : كان علي : بن عبْد الله يقول لبنيه : يا بَنيَّ إن أسعد الرجلين بالمعروف مصطنِعُه فلا تُخدعوا عنه .

وحدثني أحمد بن الحارث عن المدائني عن مسلمة بن محارب قال : دخل علي بن عبد الله بن عباس على عبد الملك بن مروان في يوم شديد البرد وقد حال بينه وبينه دخانُ العود فقال : ياأمير المؤمنين احْمدِ الله على ما أنت فيه من الدفء مع ما الناس فيه من البرد ، ودعا له ، فقال عبد الملك : يا أبا محمد أَبَعْدَ ابن هند وكان أميراً عشرين سنة وخليفة مثلها أصبَحَتْ تهتز على قبره يَنْبُوتة ، ما هو إلا ما قال الشاعر :

وما الدهر والايام الا كما أرى رزّية مال او فراق حبيب
وان امرءاً قد جرب الدهر لم يخف تصرُّف عَصْريه لغيرُ اريب

ثم دعا عبد الملك بغدائه فأكل عليّ معه ، ودعا بشربة عسل فأُتي بها في عسٍّ فسقاه ثم شربَ بعد علي .

حدثني الحَرْمازي عن العتبي عن أبيه قال : وقف علي بن عبد الله بن عباس وخالد بن يزيد بن معاوية بباب عبد الملك بن مروان فجرى بينهما قول تغالظا فيه فقال له عليّ : ما الظالم بسالم ، ولا السيف عنه بنائم . قال : وخرج اذن عبد الملك ، فدعا بخالد فقالَ له عبد الملك : ما لي أراك كالغضبان ؟ قال : لست بغضبان ولكني محجوج ، قال : ومن حجَّكَ ، وبيانُك بيانُك ولسانك لسانك ؟ قال : علي بن عبد الله ، مَتّ بحرمةٍ اعرفُها وذكر القرابة التي لا أدفعها ، وأعْلمني أن عليه دَيْناً وأن له عيالاً وما للصنيعة عند مثله مَترك ، فأمر له عبْدُ الملك بمائة ألف درهم ، فخرج إليه خالد وهو يضحك ويقول : تخطّينا ما تكره إلى ما تحب ، قد أمر لك أمير المؤمنين بمائة ألف درهم ، فقال له خيراً .

حدثني أبو أيوب سليمان الرقي المؤدب ، حدثني الحجاج بن الرّصافي عن أبيه قال : كان علي بن عبد الله بالشراة من أرض دمشق لازماً لمسجده يصلي فيْه كل يوم خمسمائة ركعة ويسجد على لوح أتى به من زمزم ، وكان لا يمر به أحد يريد الشام من الحجاز أو يريد الحجاز من الشام إلا أضافهُ ووصله ، إن كان ممن يلتمس صلته ، فقيْل له إن المؤونة تعظم عليك ، فتمثّل قول السّلولي :

وماذا علينا ان يُوافيَ نارَنا كريم المحيّا شاحب المتحسّر
فيخبرنا عما يريدُ ولو خلت لنا القدر لم نُخبر ولم نتخبّر[1]

---

١ ـ السلولي هو العجير بن عبد الله السلولي ترجم له صاحب الأغاني ج ١٣ ص ٥٨ ـ ٨٣ . انظر أيضاً أخبار الدولة العباسية ص ١٤٢ .

حدثني حفص بن عمر العُمري عن الهيثم بن عَدي عن عَوانة قال : لقيتْ عجوزٌ من قريش عليَّ بن عبد الله بن عباس فشكت اليه الخلة فأمر غلامَه فأعطاها مائتي دينار ، فقالت : جعلني الله فداك أنت كما قالت أمّ جميل بنت حرب بن أميّة :

زيـنُ الـعـشـيرة كـلـهـا في الـبـدو منـه والحَضَرْ
وكـريـمـهـا في الـنـائـبـات وفي الـرِّحـال وفي السَّفَـرْ
ضخمُ الـدسيعـة مـاجـد يعطي الجزيـل بلا كَـدَرْ[١]

وحدثني أبو عدنان ، حدثنا ابن الكلبي عن أبيه محمد بن السائب قال : ساير علي بن عَبْد الله ، الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي ، فأصابَ ساقَه ركابُ عليّ فقالَ : سبحان الله ما رأيت أحداً يسايرُ الناسَ بمثل هذا الركاب ؛ فقال علي : إنه من عمل قين لنا بمكة ، يُعرّض بالعاص بن هشام حين أسلمه ابو لهب بن عبد المطلب قيناً[٢].

قال ابو عدنان : وأخبرني الهيثم بن عدي ومعمر بن المثنى ، قالا : لاعب العاص بن هشام أبا لهب على إمرة مطاعة فقمره ابو لهب فجعله قيناً ، ثم لاعبه فقمره ايضاً فبعث به مكانه يوم بدر بديلاً فقتله عمر بن الخطاب . وفي الحارث بن خالد بن العاص يقول الشاعر :

أبا فاضل ركّبْ عِلاتك والتمس مكاسبها إن اللئيمَ كسوبُ

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه قال : لم يزل علي بن عبد الله بن عباس أثيراً عند عبد الملك بن مروان كريماً عليه حتى

١ ـ الدسيعة : الجفنة . والأبيات والحكاية في أخبار الدولة العباسية ص ٣٨٠ .
٢ ـ في هامش الأصل «القين : الحداد» .

طلق عبد الملك أم أبيها بنت عبْد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فتزوجها عليّ فتغّير له وثقلُ عليه ، فبسط لسانَه بذمّه وقال : إنما صلاته رياء ؛ وكان **الوليد بن عبد الملك يسمع ذلك من أبيه ، فلما ولي أقصاه وعابه وتجنّى عليه حتى ضربه وسيّره .**

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : كانت لعبد الله بن عباس جارية صفراء مولدة تخدمه ، فواقعها مرةً ولم يطلب ولدها فاغتنمت ذلك واستنكحت عبداً من عبيد أهل المدينة ، فوقع عليها حتى حبلت وولدت غلاماً ، فحدَّها عبدُ الله بن عباس واستعبد ولدها وسماه سليطاً ، فنشأ ظريفاً جلداً ، ولم يزل يخدم علي بن عبْد الله وشخص معه إلي الشام فكان له من بني أميّة موقع ومن الوليد بن عبد الملك خاصّة ، فادّعى انه ابن عبد الله بن عباس ودسَّ اليه الوليد ـ لما كان في نفسه على علي بن عبد الله ـ أنْ خاصِمْ عليّاً ، فخاصمه واحتال شهوداً على إقرار عَبْد الله بأنه ابنه ، فشهدوا له بذلك عند قاضي دمشق ، وعرّفَ الوليدُ قاضيَه رأيه في تثبيت نسب سليط ، فتحامل معه على عليّ وألحقهُ بعبْدِ الله بن عباس ، وكان الوليد شرّيراً ، ثم إن سليطاً جعل يخاصم علي بن عبد الله في الميراث حتى لقي منه غماً وأذىً ؛ وكان مع علي رجل من ولد أبي رافع مولى رسول الله ﷺ يقالُ له عمر الدنّ لم يزل منقطعاً إليه ، فقالَ لعليّ يوماً : ألا أقتل هذا الكلب ابن الكلب وأريحك منه ؟ فزبره عليٌّ وقال : هممتُ والله ان لا تدخل لي رحلاً ، ولا اكلمك بذات شفة أبداً . ثم إن علياً رفق بسليط حتى كفّ عنهُ ، فإنه لفي بستان له يدعى الجنينة على فرسخ من دمشق ، ومساحةُ البستان أربعة أجربة أو أشفّ ، إذ أتى عمر الدَّن ومعه سليط فجعلا يخدمان

عليّاً حتى أكل وقام يصلي ، ثم انحاز عمر بسليط إلى ناحية من البستان فجعلا يأكلان من الفاكهة ، وجرى بينهما كلام فوثب الدَّن على سليط بصخرة فدمغه بها وحفر له فدَفنه وأعانه على دفنه مولى لعليّ يقال له فايد أبو المُهنّا ، ويقالُ عروة أبو راشد ، ثم عَفّيا موضعَ قبره ، وهرب الدّن وصاحبه الذي أعانه وعليّ مقبل على صلاته لا يعلم بشيءٍ مما كان ، وكان لسليط صاحب قد عرف دخولَه البستان فطلبه فلم يجده ، فصار إلى أمّ سليط فأخبرها بأنه دخل البستان ولمْ يخرج منه ، وافتقد عليّ الدن وصاحبَه وسليطاً فلم يجد منهم أحداً ، وخرج من البستان وقد أُتي بدابته فركبها وهو يسأل عن الدنّ وصاحبه وسليط، وغدت أم سليط إلى باب الوليد مستعديةً على عليّ فأتى الوليد من ذلك ما أحبّ واراد ، فدَعَا بعلي بن عبد الله وسأله عن خبر سليط فحلف انه لا يعلم من خبره شيئاً بعد قيامه للصلاة ، وأنه لم يأمر فيه بأمر ، فسأله احضار عمر الدن ، فحلف أنه لا يعرف موضعه ، فوجه الوَليد إلى الجُنينة من سرّح فيها الماء ، فلما انتهى إلى موضع الحفرة التي دفن فيها سَليط دخلها فانخسفت ، فأمر الوليد بعلي بن عبد الله فأقيمَ في الشمس ، وجَعَل على رأسه الزيت ، وضربه ستين أو أحداً وستين سوطاً ، وألبَسَهُ جبّة صوف وحَبَسه ليخبره خبرَ سلَيط ويدله على الدنّ وصاحبه ؛ وكان يُخرج في كل يوم فيقامُ في الشمس ، وكان عباد بن زياد له صديقاً ، فجاءه فألقى عليه ثيابه ، وكلم الوليد في أمره فأمر أن يسير إلى دهلك ، وهي جزيرة في البحر ، فكلمه سليمان بن عبد الملك فيه وسأله ردَّه ، فأرسل من يحبسه حيث لحقه . ثم كلم الوليدَ عبادُ بن زياد في عليّ وقال : انه ليس بالفلاة موضع ، فأذن له فنزل الحجر ، فلم يزل بالحجر حتى هلك الوليد سنة ست

وتسعين وولي سليمان بن عبد الملك فردّه إلى دمشق . وكان علي يروي في نزول الشراة أثراً فانتقل إليها .

وحدثني هشام بن عمار ، حدثنا مشايخنا قالوا : تولى ضرب علي بن عبد الله بين يدي الوليد أبو **الزعيزعة** البربري مولاه فجزع فقال له مولى له يكنى أبا نزار : لا تجزع ، فقال : إن كرام الخيل تجزع من السوط ؛ ثم قال : لا تُساكنّي ، فنزل الشراة .

وقال الهيثم بن عدي : ضربه **خمسمائة** سوط وقال : لا تُساكنّي ، فنزل الحميمة[1] .

وحدثني أبو مسعود الكوفي ابن القتّات عن اسحاق بن عيسى بن علي عن أبيه ، قال : كان الوليد بن عبد الملك ينتقص علي بن عبد الله ويشتمه ، فرأى عبد الملك أباه في منامه يقول له : يا هذا ما تريد من علي بن عبد الله فقد ظلمته ، والله لا يبتزكم أمركم ولا يسلب ملككم إلا ولده ، فازداد بذلك بغضَةً له وحنقاً عليه ، فلما ضربه كتبَ إلى الآفاق يشنع عليه ويقول إنه قتل أخاه .

قال أبو مسعود : وكان مما عدده المنصور أمير المؤمنين على أبي مسلم أن قال : وزعمتَ أنك ابن سليط ، فلم ترض حتي نسبت إلى عبْد الله غيرَ وَلَده ، لقد ارتقيت مرتقىً صعباً .

وقالوا : لما فرغ مسلم بن عقبة المري من أمر الحرة أخذ الناس بأن يبايعوا ليزيد بن معاوية على انهم عبيد قنّ ، وبعث إلى علي بن عبْد الله وهو

---

١ ـ انظر أخبار الدولة العباسية ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

يومئذ بالمدينة ، وذلك قبل موت أبيه عبد الله بن عباس بأربع سنين ، فمر في العسكر بفسطاط على بابه جماعة فسأل عن صاحبه فقيل له : هذا الحُصين بن نُمير السكوني ، فقال لمولى له : ائته فأخبره بمكاني ، فِأتاه فقال له : ان ابن اختك علي بن عبد الله وقد أخرج من منزله يُراد به مسلم بن عقبة ، فأرسل ناساً فانتزعوه من أيدي الحرس فجاذبوهم فقال الحصين : ميلوا عليهم بالسياط ، فضُربوا حتى فرّوا ، وانطلق الحصين معه إلى مسلم حتى بايعه ليزيد كما يبايع السلطان ، ثم انصرف .

المدائني عن أبي الوليد القرشي عن أبي نزار مولى علي بن عبْد الله قال : كنت مع علي بن عبْد الله يوماً وعنده ابنه محمد بن علي وأبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ، فقال : يا أبا هاشم إن أهل المغرب يؤمّلونك ، وقال لابنه محمد : إن أهل المشرق يؤمّلونك ، ثم نظر إلى حمارٍ بين شجرتين فقال : والله لا تليان حتى يلي هذا الحمار ، كبرتما عن تبيّن صاحب هذا الأمر .

وقال الواقدي : توفي علي بن عبْد الله في سنة ثماني عشرة ومائة وله ثمان وسبعون سنة وإنه لمعتدل القناة .

وقال الهيثم بن عدي : توفي علي بن عبْد الله بالحميمة من عمل دمشق في سنة سبع عشرة ومائة وله ثمان وسبعون سنة ، وذلك في أيام هشام بن عبد الملك .

وقال أبو اليقظان : مات بالحميمة في سنة سبع عشرة ومائة وقد بلغ ثمانين سنة .

فأما محمد بن علي بن عبدالله :

ابن العبّاس وهو ذو الثفنات ، ويكنى ابا عبد الله ، فقد أخبرنا بقرب سنّه من سنّ أبيه وكان بينهما في الموت ، في قول هشام بن الكلبي ، خمس سنين أو نحوها ، مات سنة اثنتين وعشرين ومائة .

وقال الواقدي : الثبت أنه توفي سنة خمس وعشرين ومائة ، قبل قتل الوَليد بن يزيد بقليل ، وكان له يوم مات سبعون سنة .

وولد المهدي أميرُ المؤمنين في السنّة التي مات فيها محمد بن علي فسمّي باسمه وكني أبا عَبْد الله بكنيته ، وكانت وفاة المهدي سنة تسع وستين ومائة وله ثلاث وأربعون سنة .

وقال ابو اليقظان : مات وله ثمان وثلاثون سنة ؛ وولد محمد بن سليمان بن علي والمهدي في سنة واحدة .

وقال المدائني : توفي محمد بن علي سنة اربع وعشرين ومائة وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة .

قالوا : وكانت الشيعة تروي أن الامامَ محمدُ بن علي ، فيظن أنه ابنُ الحنفية ، فلما مات ابن الحنفية قالوا : الامام ابنه عبد الله بن محمد بن علي ، وهو أبو هاشم ، فلما سُمّم أبو هاشم في طريقه وهو يريد الحجاز عَدَل إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالحُميمة فأوصى إليْه وأعطاهُ كتُبه وجمع بينه وبين قوم من الشيعة ، فقال : إنا كنا نظن أن الإمامة والأمر فينا فقد زالت الشبهة وصرح اليقين بأنك الإمام والخلافة في ولدك ، فمال إليه الناس فثبتوا إمامته وإمامة ولده .

حدثنا أبو مسعود الكوفي ، حدثني بعض آل خالد بن عبدالله القسري قال : لم يكن خالد يشك في إمامة محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، فكان إذا بعث إلى وجوه الناس بالهدايا مع ما يبعث به إلى هشام ، بعث إلى محمد بن علي بدنانير ، فبعث اليه مرّة من المرات بثلاثة آلاف دينار ولم يبعث بغير ذلك كراهة الشُّهرة ، وكتبَ إليه كتاباً عنوانه : من خالد بن عبدالله إلى محمد بن علي ، وفي باطنه : لأبي عبدالله أصلحه الله من خالد بن عبّد الله ، فقال محمّد : وَصَلَ الله أبا الهيثم وحفظه فوالله مازال يبرّنا مذ ولي .

وحدثني الحسن بن علي الحرمازي عن أبي سليمان مولى بني هاشم قال : كان الخراسانيون الذين قدموا لطلب الامام يقولون : هذا أمر لا يصلح الا لذي شرف ودين وسخاء ، فتبعه قومٌ لشرفه وآخرون لدينه وآخرون لسخائه ، وأتوا رجلاً من وَلَد علي بن طالب فدلّهم على محمَّد بن علي بن عبدالله وقال : هو صاحبكم وهو أفضلنا فأتوه .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن أبيه قال : أن محمد بن علي اختار خراسان وقال : لا أرى بلداً إلاّ وأهله يميلون عنا إلى غيرنا ، أمَّا أهل

الكوفة فميلهم إلى ولد علي بن أبي طالب ، وأما أهل البصرة فعثمانية ، وأما أهل الشام فسفيانية مروانية ، وأما أهل الجزيرة فخوارج ، وأما أهل المدينة فقد غلب عليهم حبّ أبي بكر وعمر ، ومنهم من يميل إلى الطالبيّين ، ولكن أهل خراسان قوم فيهم الكثرة والقوة والجلد وفراغ القلوب من الأهواء ، فبعث إلى خراسان ، وقد كان أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية سمّى له قوماً من أهل الكوفة .

وحدثني حفص بن عُمر العُمَري عن الهيثم بن عدي عن معن بن يزيد ، وحدثني محمد بن الأعرابي عن بعض ولد قحطبة قالوا : قدم على محمدِ بن علي ناسٌ من أهل خراسان من الشيعة بعد مولد أبي العباس ، فأخرجه إليهم في خرقة وقال : هذا صاحبكم الذي يتم الأمر على يده ، فقبلوا أطرافه .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي ، والمدائني عن ابن فايد وغيره ، وأبو اليسع الأنطاكي عن أشياخه قالوا : كانت رَيْطَة بنت عبيد الله بن عبدالله بن عبد المدان الحارثي عند عبدالله بن عبد الملك بن مروان فمات عنها فتزوجها بعده الحجاج بن عبد الملك بن مروان فطلقها ، فقدم محمد بن علي بن عبدالله من الشراة وهو يريد الصائفة فسأل عمر بن عبد العزيز ، وهو يومئذ خليفة ، ان يأذن له في تزوجها ، فقال : ومن يمنعك رحمك الله من ذلك إن رضيَت ، هي أملكُ بنفسها ، فتزوجها بحاضر قنسرين في دار طلحة بن مالك الطائي ، واشتملت على أبي العباس وولدته في سنة مائة ، وقيل في سنة إحدى ومائة .

المدائني عن الحسن بن رشيد ويحيى بن الطفيل ، أن الامام محمد بن علي قال : لنا ثلاثة أوقات : موتُ الطاغية يزيد ، ورأس المائة ، وفتقٌ بإفريقية ، فعند ذلك يدعو لنا الدعاة ثم يقبل أنصارنا من المشرق حتى يوردوا خيولهم أرض المغرب ويستخرجوا ما كنز الجبارون فيها ، فلما قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ، وانتقضت البربر ، بعث رجلاً إلى خراسان فأمره أن يدعوا إلى الرضا من آل محمد ولا يسمّي أحداً ، ومثّل له مثالاً يعمل به ، فأجابه ناسٌ ، فلما صاروا سبعين جعل منهم اثني عشر نقيباً .

وحُدثتُ عن أميّة بن خالد البصري عن أبيه عن وضاح بن خيثمة قال : لما استُخلف عمر بن عبد العزيز دفع إليَّ يزيد بن أبي مسلم فحبسته ، فنذر دمي ، ووليّ إفريقية وكنت بها فجعلتُ أتفارّ منه ، ثم إنه ظفر بي فقال : طال ما نذرت دمك ، قلت : وأنا والله طال ما استعذت بالله منك ، قال : فوالله ما أعاذك ، والله لو ان ملك الموت يسابقني إلى قبض روحك لسبقته ، قال : وأمر بالنطع فبسط وكُتِّفتُ وقدم السيف لتضرب عنقي ، وأقيمت صلاة العصر فوثب ليصلي ، فوالله ما فرغ من صلاته حتى قطع إرباً إرباً ثم جاءوا فحلّوا كتافي . قال : وكان جنده من البربر فوسمهم على أيديهم ، في إحدى يدي الرجل اسمه وفي الأخرى حَرَسيّ ، وأساء سياستهم فوثبوا فقتلوه .

حدثني أبو حفص الشامي عن أبيه عن أبي معن الكدادي قال : مرَّ قومٌ من سفهاء بني أميّة بالحميمة فتكلموا في محمد بن علي وولده بكلام قبيح ، فقال محمد بن علي : دعوهم فربما كان السكوت جواباً والحلم أبلغ في

رضى الله من الانتقام ، وجعل يقول : ومن ﴿بُغي عليه لينصرنّه الله﴾[1] .

حدّثني عَبْد الله بن مالك الكاتب عن أبي عبيدالله قال : كان محمد بن علي الامام يقول : الصّدق محمود في كل موطن إلاّ صدق ذي السعاية والنميمة ، فإنه شرّ ما يكون أصْدق ما يكون .

وحدّثني أبو مسعود الكوفي عن غالب بن سعيد عن زياد بن أبي عامر الشروي قال : سمعت محمد بن علي يقول : كان يقال إذا سمعتَ العَوْراء فتطأطأ لها تُخْطِك . قال : وسمعته يقول ، أو يحدث عن أبيه أنه قال : طاعةُ المحبّة أفضلُ من طاعةِ الهيبة .

حدّثني ابن القتّات عن اسحاق بن عيسى بن علي قال : كان محمد بن علي يقول : لن يبلغ الرجل غاية الحلم حتى يُعَدّ ذليلاً ، قال : وكان يقول : كفاك من حظّ البلاغة ان تقول فتُفهِم ، وتصفَ فتُوجز .

وحدّثني ابن القتات قال : قال محمد بن علي : لا يدرك الشباب بالخضاب ، ولا الغنى بالمُنى ، ولا العلم بالادِّعاء . قال : وكان محمد بن علي يقول : شر الآباء من دعاه البرّ إلى الافراط ، وشر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق .

وحدّثني بعض الهاشميين أن موسى بن محمد بن علي غزا مع أبيه في غزاة ذي الشامة المعيطي فمات ببلاد الروم فقدَّم محمد بن علي ذا الشامة فلم يتقدم ، فصلى عليه ووقف ذو الشامة على قبره حتى دُفِن ، فشكر ذلك له بنو العباس فلم ينالوا مُعَيْطياً بمكروه .

---

١ ـ سورة الحج ـ الآية : ٦٠ .

حدّثني أبو مسعود بن القتات عن زهير بن المسيب الضبي عن أبيه قال : وفد محمد بن علي الامام على هشام بن عبد الملك فلما دخل عليه قال : ما جاء بك ؟ قال : حاجةٌ يا أمير المؤمنين ، قال : انتظر بها دولتكم التي تتوقعونها وتروون فيها الأحاديث وترشحون لها أحداثكم ، فقال : اعيذك بالله يا أمير المؤمنين ، ثم نظر الى حاجبه نظرة مُغضَبٍ لإذنه لهُ ، فدنا الحاجب منه فقالَ ، أُصدقُك والله يا أمير المؤمنين ، إني رجل عقيم فسمعني أشكو ذلك فقال : إن عندي دعوات رويتها عن أبي عن أبيه عن رسول الله ﷺ يدعو بها مثلك فيرزق الولد ، فإن علمتك إياها تأذن لي ؟ فضمنتُ له فعلمنيها ووفيتُ له ، فقال : قبحك الله فما أعجز رأيك ، لهَممتُ أن أضرب عنقك ، إنّ هؤلاء قوم جعلوا رسول الله لهم سوقاً . ثم قالَ لمحمد بن علي : ان عامل ناحيتكَ كتب يُعلمنا أن الولاة قَبْله تركوا لكم من الخراج مائة ألف درهم في سنين لغير حقّ واجب فَأَدِّ ذلك ، وأمر ان يؤخذ بالمائة الألف فيقام في الشمس ويُبسط عليه العذاب . وكان في عسكر هشام يومئذ عيسى بن إبراهيم أبو موسى السراج الذي كان أبو مسلم يتعلم منه السراجة ويخدمه ، وأبو مسلم يومئذ معه ، وكان عيسى يومئذ من أهل الكوفة ، ورئيساً من رؤساء الشيعة ، وكان موسراً يأتي بالسّروج إليها وإلى أصبهان والجبال ، والرقّة ، ونصيبين ، وآمد ، ونواحي البلاد فيبيعها بها ، فجمع نفراً من الشيعة ذوي يسار وانطلق بهم إلى سالم كاتب هشام فضمنوا ما على محمد بن علي وجعلوا يؤدّون عنه الأوّل فالأوّل منه ، وأبو مسلم يأتي محمد بن علي برسالة صاحبه وألطافه وما يجب معرفته من الخبر ، فلما أدّيت المائة الالف كُلِّم هشام في محمد بن علي فخلَّى سبيله، فرجع إلى الحميمة ،

ورجع أبو موسى السراج إلى الكوفة وأبو مسلم معه وهو يومئذ ابن عشرين سنة ، وكان أبو مسلم يسمى إبراهيم بن حَيْكان ، فتسمى عبد الرحمن بن مسلم ، ويقال إن الذي سماه عبد الرحمن وكنّاه أبا مسلم إبراهيم بن محمّد الإمام .

حدّثني هشام بن عمار عن أشياخهم أن هشام بن عبد الملك هَمَّ بحبس محمد بن علي وَوَلده وقال: إنهم يزعمون أن الخلافة تصير إليهم فقد استشرف الناس لهم ، فقال له الأبرش الكلبي ، واسمُه سعيد بن الوليد بن عبْد عمْرو : إن كان في المقدور أن ينالوا الخلافة فلابد والله أن ينالوها ، فلا تقطع أرحامهم وتأثم بربّك فيهم ، وصانعهم فإن مصانعتك إياهم لعقبك لَهُوَ الرأي والحزم ، وإلاّ يكونوا ، من هذا الأمر في شيء فما خوفك لما ليس بمقدور ؟ على أن إظهارك التخوف لهم تنبيه للناس عليهم ، فأمسك .

وحدّثني سليمان المؤدب الرقي عن الحجاج الرُّصافي عن أبيه ، قال : نظر عبد الملك بن مروان إلى محمد بن علي وهو غلام ، وكان جميلاً ، فقال : هذا والله يفتن المرأة الشريفة ، فقال خالد بن يزيد بن معاوية : أما والله إن ولده لأصحاب هذا الأمر ، فقال عبد الملك : كلا ، فقال خالد : هو والله ذاك ، إنّ تُبَيْعاً أخبرني عن كعب أن هذا الأمر يصير إلى بني العباس وأنه لا يليه رجل من آل أبي طالب إلا أن يخرج على وال فيقتل ، وأنها لولد العباس إلى أن ينزل المسيح ، قال : وتبيع ابن امرأة كعب .

وكان محمد بن علي يقدم المدينة في كل سنة فيقيم بها الشهر والشهرين ويؤتى بالمال فيفرقه ، وكان يمر بمولى لبني أميّة يبيع الحديد فاذا رآه ومعه أهل بيته قال : هؤلاء الزنادقة الذين يتمنون الباطل ، والله لا يخرج هذا الأمر من

موضعه أبداً . فقال محمد لابن شعبة مولاه : امض فترفق به حتى تدخله إليّ ، فأتاه فجالسه أياماً ثم لطف به حتى أدخله الدار ثم أمر بابها فأُغلق واحتمله وغلمانٌ معه حتى أُدخل على محمد بن علي ، ومعه قوم من أهل بيته وغيرهم يأكلون ، فرحّبَ به وأدناه وأجلسه بينه وبين عبدالله بن حسن ، وجعل يلقمه بيده ، ثم خلع عليه وأعطاه ثلاثمائة دينار وثياباً لعياله ، فلما مرّ به بعد ذلك في أهل بيته قال : هؤلاء أقمار الدجى ، وأهل النبوة والخلافة والهدى ، فقال محمد لابن شعبة : قل له عليك بالقصد لا هذا كله ، ولا الذي كان قبله .

وحدّثني سليمان ، حدثنا الحجاج الرصافي عن أبيه ، قال : كان هشام بن عبد الملك بالرصافة[1] قاعداً في منظرة له فرفع له رَكبٌ ، فقال يا غلام : ائتني بخبر هؤلاء ، فمضى بعض من كان بين يديه حتى تلقاهم فقال : من أنتم ؟ قالوا : هذا محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وأخوته ، قال : فما أقدمكم ؟ قالوا : قدمنا نشكو إلى أمير المؤمنين حالنا ودَيْننا ، فرجع إلى هشام فأخبره ، فقال : ارجع فقل لمحمد ارجع من حيث جئت وانتظر أن يقضي دينك ودينَ أخوتك ابنُ الحارثية ـ يعني أبا العباس ـ فقال محمد بن علي : قل لأمير المؤمنين إنِ كان الأمر صائراً إلى ابن الحارثية فما عليك أن يكون لكم عنده يد ، وإلاّ يكن ذلك فعلام تحرمنا فضلك وصلتك وعائدتك ! فقال هشام للرسول : قل له ما قلت لك وازعجهم حتى يرجعوا عودهم على بدئهم ، فقال محمد : دعونا لنريح فقد نصبنا وتعبنا ، فابلغوا قولهم هشاماً فأذن لهم فأراحوا ، فلما جن عليهم الليل أتى محمداً بعض

١ ـ على مقربة من الرقة ما تزال آثارها قائمة .

جلساء هشام يعرض عليه مالاً فلم يقبله ، وسأله عن ابن الحارثية فأراه أبا العباس وهو صبي ثم رجع الى الشراة وقال : اللهم ان هذا بعينك .

قالوا : وكانت لمحمد بن علي بالحميمة خمسمائة شجرة ، فكان يصلي تحت كل شجرة ركعتين ، وتوفي محمّد في سنة أربع وعشرين ومائة .

وأما داود بن علي :

فيكنى أبا سليمان ، وكان لسناً خطيباً ، وَلِيَ مكة والمدينة لأبي العباس ، وأقطعه قطائع ، وهو كان المتكلم يوم استخلف أبو العباس .

وكان داود في أيام بني أمية مع خالد بن عبدالله القسْري ، وكان خالد مكرماً له ، ولما قدم داود مكة والياً عليها قام خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه : والله ما قمنا إلّا لإحياء الكتاب والسنة والعمل بالحق والعدل ، ورَبِّ هذه البنية ، ووضع يده على الكعبة ، لا نُهيجُ منكم أحداً إلّا أن يُحدثَ بعد يومه هذا حدثاً ، أمِنَ الأسودُ والأبيضُ ، ممّن لم يأت بعد هذا اليوم سوءاً ولم يُحاول لأمرنا نَقْضاً ولا علينا بغياً ، ما بال الوحوش والطير تأمنُ في حرم الله ويخاف من أمنّاه على سالف ما كان منه ؟

حدّثني المدائني عن إسحاق بن عيسى بن علي قال : ولم يكن منّا من يرتجل الكلام ويبلغ حاجته في الخطب إلّا المنصور ، وداودُ بن علي ، فلما رقي داود منبر الكوفة ، حين ظهر أبو العباس بالكوفة وقام دونه على المنبر ليخطب ، خفنا أن يتكلم بحلاوة لسانه وتصاريف لفظه ولطف حيلته فيدعو

إلى نفسه ، وليس بوقتِ خلافٍ ، فتكلم في بيعة أبي العباس وبلغ له ما كنا نريد .

وحدّثني أبو مسعود الكوفي ، حدّثني أبو الحسن إسحاق بن عيسى قال : لما أراد أبو العباس قتل أبي سلمة الداعية لميله إلى آل أبي طالب قال له داود : لا تَتَوَلَّ قتله فيحتجّ عليك أبو مسلم بذلك ، ولكن اكتب اليه فليُوجِّه من يقتله ، ففعل ، فكان ذلك أصوب رأي ، ومدحه ابنُ هَرْمة وفيه يقول :

داود داود لا تُفْلِت حبـائله واشدُد يديك بباقي الودّ وصّال[1]

في أبيات .

قالوا : ولما بلغ داودَ قتلُ ابن هبيرة وقتلُ مروان وهو بالحجاز التقط قوماً من بني أميّة فقتلهم ببطن مُرّ[2]، ووجّه [أبا] حماد إبراهيم بن حسان الأبرص إلى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليمامة فقتله ، ويقال بل بعث به إليه من العراق ، وتوفي داود بالمدينة سنة ثلاث وثلاثين ومائة فولي مكانه موسى بن داود ثم صُرِف ، وولّى أبو العباس مكانه زياد بن عبيدالله الحارثي ، وسيب بني داود ببغداد نُسِب إلى بني داود بن علي .

حدثني العمري عن الهيثم عن ابن عياش ، قال : قدم داود بن علي وزيد بن علي ، ومحمد بن علي ، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب على خالد القسري وهو بالعراق فأجازهم ورجعوا إلى المدينة ، فلما ولي يوسف بن عمر كتب إلى هشام بخبرهم ، وكتب يذكر أن خالداً ابتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف درهم ، ثم ردّ الأرضَ عليْه . فكتب هشام إلى عامله

١ - ديوانه ص ١٧٨ .

٢ - يبعد عن مكة المكرمة خمسة أميال . معجم البلدان .

بالمدينة أن يشخصهم إليه ففعل ، فسألهم هشام عما كتب به يوسف فأقروا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك ، وأنكر زيد أمر الأرض ، وحلفوا فصدّقهم ، وقال هشام لداود ، أنت أصدق من ابن النصرانية[1] فصر إلى يوسف فأكذِبْهُ في وجهه ، قال ابن هرمة في شعر له يمدح داود :

اروع لا يُخلفُ العدات ولا ... يمنـع منه نـوالـه العِلَلُ
لكنّـه سـابـغ عـطيّتـه ... يدركُ منه السؤّال ما سألوا
يسبق بالفعل ظنَّ صاحبه ... ويُذهِبُ الرّيث عُرْفُه العَجلُ
حَلَّ مِنَ المجد والمكارم في ... في خير محلّ يحله رجُـل[2]

١ ـ خالد بن عبدالله القسري .
٢ ـ ليست في ديوانه المطبوع .

وأما عيسى بن علي :

ويكنى أبا العباس ، فإن أمير المؤمنين أبا العباس ولاه فارس ، فلما قدمها وجد بها محمد بن الأشعث الخزاعي من قبل أبي مسلم ، وجّهه من خراسان ، فلم يسلّمها وأراد قتله : ثم أحلْفَه أن لا يلي عملاً أبداً ، ولا يتقلد سيفاً ، إلا لغزوٍ ، وكان عيسى أثيراً عند أبي العباس وأبي جعفر ، ونهر عيسى وقطيعة عيسى ببغداد عند فُرضَة الرّكاب إلى واسط والبصرة يُنسبان إليه ، وقصر عيسى معروف ، وفيه توفي إسحاق بن عيسى ، ثم نزلته أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، ثم صار بعدها لولد أمير المؤمنين المأمون .

سمعتُ إبراهيم بن السندي بن شاهك يحدث عن أبيه ، قال : ولاّني المنصور الشرقيّة ببغداد فمر بي عيسى بن علي ، فقمت إليه فقبّلتُ يدهُ ، فقال : يا سندي أقللِ الضرب وأطل الحبس ، وأهنِ السبال في الشفاعات ، ففعلتُ ما أمرني به ، فكنت محموداً عند المنصور[1] .

١ ـ في هامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

وأما سليمان بن علي :

ويكنى أبا أيوب ، فإنه كان مُقدَّماً عند أبي العباس وأبي جعفر ، ووَلِيَ البصرة وكور دجلة والأهواز والبحرين وعمان للمنصور بعد أبي العباس ، وكان كريماً جواداً مرّ برجل قد حمل عشر ديات ، فهو يسأل فيها فأمر له بها كلها ، وسمع وهو في سطحٍ له نسوة كنّ يغزلن في سطح لهنّ بقُرْبه يقلن ليت الأمير اطلع علينا فأغنانا ، فقام فجعل يدور في قصره فجمع حلياً من ذهب وفضة وجوهر وصير ذلك في منديل ، ثم أمر فالقي إليهن فماتت إحداهن فرحاً ، ويقال إنه أُخبر بقول النسوة ففعل ذلك .

وكانت له بالبصرة آثار جميلة ، كان الناس بها يستعذبون الماء من الأُبلة حتى قدم سليمان بن علي فاتخذ المغيثة وضرب مسناتها على البطيحة وسكّر القِنْدَل(١) فعذب ماء أهل البصرة ، وأنفق على المغيثة ألف ألف درهم حتى استخرجها من بطن البطيحة ، وبنى مساجد كثيرة فقال الشاعر :

---

١ ـ القندل : من أخوار دجلة .

كم من يتيمٍ ومسكينٍ وأرملةٍ جبرتَه بعد فقرٍ يا سليمان
ومسجد خَرِبٍ لله تَعمرُه فيه كهول وأشياخٌ وشُبّان

واحتفر الحوض الذي في رحبة بني هاشم ، واتخذ مناراً بين البصرة ومكة ، فقال الراجز :

إن الأمير قد بنى المنارا واضحة يهدي بها السفارا

وجرى وادي العقيق بالبصرة فأخرب دوراً من دور العتيك ، فدفع إلى جرير بن حازم مائة ألف درهم ، فعمر بها ما خرب من دورهم .

وكتب عَبْد الله بن حسن بن حسن بن علي إلى سليمان يستميحه ، فأرسل إليه بألف دينار وأمر كاتبه غسّان بن عبد الحميد أن يكتب إليه فيعلمه أنّ البُقْيا عليه وعلى نفسه منعته من أن يزيدهُ .

وقال سفيان بن عيينة : كُلّم سليمان في أهل عسْقلان فأمر لهم بثلاثين ألفاً ، فيقال إنه سليمان بن علي ويقال إنه سليمان بن عبد الملك .

وقدم سليمان بن علي والياً على البصرة والحجاج بن أرطاة يلي قضاءها فعَزلهُ ، وولّى عباد بن منصور ، ثم عزله وولّى سَوّار بن عبد الله فاستعفى فأعفاه وأعاد عباداً وفيه يقول الشاعر :

ألا أيها القاضي الذي الجور له عاده
أعادوك لكي تقضي لمعروف بحمّاده

وكان سليمان أول من قدّم الصّلاة قبل الخطبة في العيد من عُمّال أبي العباس فضجّ الناس وقالوا : ذهبت السنّة .

قالوا : وكان سليمان حليماً رفيقاً لم يعرض لمن كان بالبصرة من بني أميّة فلم يسلموا في بلد سلامتهم بالبصرة ، وكتب أبو العباس إلى سليمان بن

علي في قبض أموال بني زياد بن أبي سفيان ، فأرسل إلى مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد وغيره : إن أمير المؤمنين كتب إليّ في قبض كل خضراء وبيضاء لكم ،فإني [إن] كتبتُ أني لم أجد لكم خضراء ولا بيضاء لم آمن أن يأتيكم من يقبض ذلك ، فإن احببتم فحدّوا لي من أموالكم شيئاً ظاهراً أقطع به عنّي قالته وسوء ظنه ، فحدّوا له ثماني مائة جريب أظهروها فقبضها ، ولما صار عبد الله بن علي إلى سليمان رأى رجلاً على بغل أو برذون فاره وله سرج نظيف ، ولجامه محلّى ، فقال : من هذا ؟ قال له سليمان : هذا سلم بن حرب بن زياد ، فقال : أوَ قد بقي من آل زياد مثل هذا ؟ فقال سليمان : نعم لم أجد إليهم سبيلاً ، منعني منهم الحق ، قال : اما والله لئن بقيت لهم لأبيدنّهم ، فبلغ ذلك سلْماً فهرب عن البصرة فلم يدخلها حتى شُخِصَ بعبد الله عنها .

قالوا : وقدم الحكم ، ومحمد ، وعمر بنو الصلت بن يوسف بن عمر البصرة فنزلوا في بني سعد مستخفين ، فظهرت لهم هيئةٌ في لباسهم ومطعمهم ، فحسدهم بعض جيرانهم أصحاب الدار التي نزلوها فسعوا بهم إلى سليمان بن علي ، فأرسل إليهم من أتاه بهم في ستر ، فقال : من أنتم ؟ فانتسبوا له ، فقال : يا بني اخي كان ينبغي لكم إذ اخترتم هذه الناحية أن تستخفوا في الزطّ والأندغار ، وإلا ففي عبد القيس أو بني راسب ، ثم أطلقهم .

حدّثني عمر بن شبّة عن محمد بن عبيد بن عمر ، وأخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال : قال لي عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان : جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن منتشر الاموال ، فكنت

لا أكون في قبيلة إلا شُهر أمري ، فلما رأيت ذلك عزمت على أن أفدي حرمي بنفسي ؛ قال : فأرسل إليّ أن القنَي على باب الأمير سليمان بن علي ، فانتهيت اليه فاذا عليه طيلسان مطبق جديد وسراويل وشي مسدولة ، فقلت : يا سبحان الله ما تصنع الحداثة ، أهذا لِبْسُ هذا اليوم ؟ فقال : لا ولكنه ليس عندي ثوب إلا وهو أشهر ممّا ترى ، قال : فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانه وشمرتُ سراويلَه إلى ركبتيه ، قال فدخل على سليمان ثم خرج مسروراً ، فقلت له : حدثني بما جرى ، فقال : دخلت على أكرم الناس وأحلمهم وأنبلهم ، فلما وصلتُ اليه ولم يرني قط قلتُ : أصلح الله الامير لفظتني البلاد إليك ، ودلّني فضلُك عليك فإمّا قبلتني غانماً أو رددتني سالماً ، قال : ومن أنت ؟ فانتسبت له ، فقال : مرحبا بك ، اقعد فتكلّم آمنا ، ثم أقبل علي فقال : حاجتك يا بن اخي ، قلت : إن الحُرَم اللائي أنت أقرب الناس إليهن معنا وأنت أولى الناس بهن بعدنا ، وقد خِفْنَ لخوفنا ، ومن خافَ خيفَ عليه . قال : فبكى ثم قال : يا بن أخي يحقن الله دَمَكَ ويحفظك في حرمك ، ويوفر عليك مالك ، ولو أمكنني ذلك في جميع أهلك لفعلت ، فكن متوارياً كظاهر ولتأتني رقاعك في حوائجك وأمورك ، قال : فكنت والله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمّه . قال : فلما فرغ من حديثه رددتُ عليه طيلسانَه ، فقال : مهلاً فإن ثيابنَا إن فارقتنا لم ترجع إلينا .

وقال عبد الله بن علي لسليمان : اخرج بنا إلى بعض المتنزهات ، فخرجا ومعهما حميد الطويل ، فمّرا بمنزل عطاء السليمي فدخلوا عليه فلم يزل يعظهم حتى بكى سليمان وأمر بما حمل معه من الطعام أن يتصدق به على

فقراء الخُرَيبة ، وانصرف ، فجعل عبد الله بن علي يقول : ما لنا ولعطاء السّليمي .

وحدثت أن سليمان بن علي أعتق خلقاً ، كان يعتق في كل عشية عَرَفَة مائة نسمة ، فهم متفرقون بالبصرة ، فإذا كانَت كتب لعطاء : اكتبوا في الموالي ، وكانوا يُشترون له في سائر السنة فإذا كان ذلك اليوم أعتقهم ، ويقال إنه أنفق في الموسم في صِلاتِ قريش والأنصار وسائر الناس في الصّدقات خمسة آلاف ألف درهم ، ويقال ألف ألف درهم . وتوفي في سنة أثنتين وأربعين ومائة وهو ابن ثلاث وستين سنة وصلى عليه عبد الصمد بن علي .

وقال أبو نخيلة[1] في سليمان بن علي :

جاورتُ بالبصرة قرما ماجداً أمسى لسادات الرجال سائدا
بنو علي فرّجوا الشدائدا أكرم بهم وبعليّ والدا
يا خير خلق مُقدماً وصافدا

في أبيات . وقال أبو القوافي الاعرابي يمدح سليمان في أرجوزة طويلة :

يطلبن بالمدح عجالاً شُرَّبا جدوى سليمان فلا مستجدبا
خير قريش من قريش منصبا وخيرها خالاً وعمّاً وأبا
وخير ذي قربى لمن تقربا

ومدحه رؤبه وغيره .

قالوا : وكان المنصور جعل لسليمان جميع ما يجتبي من عمله ، فكان يقسم في السنة أموالاً عظاماً .

١ ـ أبو نخيلة اسمه لا كنيته ، ترجم له صاحب الأغاني ج ٢ ص ٣٩٠ ـ ٤٢٢ .

فولد سليمان بن علي : جعفراً ، ومحمداً ، وابراهيم ، وهارون ، وموسى ، وعليّاً ، وعبد الرحمن ، وعبد الرحيم ، وعيسى ، وعبد الله ، واسحاق ، لأمهات شتى . وكان له بنات منهن : عائشة بنت سليمان تزوجها عبد الوهاب بن إبراهيم الامام ، ومنهن زينب بنت سليمان تزوجها محمد بن إبراهيم الامام . وكان جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي لأم الحسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، ووَلي عبد الرحمن بن سليمان ـ ويكنى أبا الفضل ـ للرشيد السّند . ووَلي عَبْد الله بن سليمان ـ ويكنى ابا العباس ـ للمهدي اليمن ، وفيه يقول الشاعر :

قل لعبد الله يا حلف الندى ... وربيع الناس في قحط الزمن
أشرقت بغداد لما جئتها ... واقشعّرت حَزَناً أرض اليمن

وولي إسحاق بن سليمان ـ ويكنى ابا يعقوب ـ المدينة ، والبصرة ، والسّند ، ومصر لهارون الرشيد ، وولي حمص ، وأرمينية لمحمد بن الرشيد .

وأمّا محمد بن سليمان ـ ويكنى أبا عبد الله ـ فإنه ولي الكوفة والبصرة لأبي جعفر المنصور ، وكان عليها قبله سلم بن قتيبة ، فكتب إليه في هدم دور من خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن ، فكتب إليه يسأله الصّفح عنهم ، فقال : لو كتبتُ اليه في شربة ماء لراجعني ، فعزله وولّى محمداً مكانه . ثم ولي : البصرة ، وكور دجلة ، وفارس ، والأهواز ، واليمامة ، وعُمان والبحرين للمهدي ، ولموسى ، وهارون ومات وهو ابن احدى وخمسين سنة .

قال عبد الله بن صالح المقرىء : ولي محمد بن سليمان الكوفة لأبي جعفر فولى شرطته المساور بن سوّار الجَرْميّ ، واستخلف المساور زهدماً ، فقال الشاعر :

قل للمساور إن زهدم جائرٌ فخفِ الاله وأَعْفِنَا من زهدم
ما أن يبالي ويحه من لامه من خَلق ربك كلهم في الدرهم

وحدّثني أبو محمد التوزي النحوي ، حدّثني أبو عبيدة عن أبي سفيان بن العلاء قال : كنا بالكوفة مع محمد بن سليمان ، فسأل عن إبراهيم النخعي أعَرَبيٌّ هوَ أم مولى ؟ فاختلفوا عليه فيه ، فأرسل إلى عرفاء النخع فأتوه بديوانهم فوُجِد في الديوانِ مولىً .

وقال التوزي : وقد سألتُ ابن الكلبي عنه فقال : هو إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع ، ويكنى أبا عمران وكان أعور .

وحدّثني عبد الله بن صالح العجلي عن أبي زبيد عبْثر قال : ولّى أبو جعفر محمد بن سليمان بن علي الكوفة بمشورة عيسى بن علي ، فشهدت جماعة من أهل السوق على عبد الكريم بن نويره ـ وهو ابن أبي العوجاء الذهلي ـ أنه رأى عدلاً قد كتب عليه صاحبه آية الكرسي فقال له : لم كتبت هذا ؟ قال : لئلا يسرق ، فقال عبد الكريم : فقد رأينا مصحفاً سرق ، وشهد عليه انه صلى فقيل له : أنت لا تؤمن بما جاء به فلم تصلي ؟ فقال : هي عادة الجسد[1] ، وسنة البلد ، وإرضاء الأهل والولد . فأمر بحبسه ، فكلم فيه

١ ـ في متن الأصل «البدن» وقد صححت بالهامش «الجسد» .

فقال : أذكرتموني أمره ودعا به فضرب عنُقُه ، قال عَبْثَر : فزعموا أنه لما أيقن بالقتل قال : لئن قتلتموني لقد وضعتُ في احاديثكم أربعة آلاف حديث .
قال عبد الله بن صالح : وأنكر المنصور على محمد بن سليمان قتله ابن أبي العوجاء من غيرِ مؤامرة له وقال : أيُقتل رجلٌ من العرب بغير علمي ، وأغضبه ذلك . وكان معن بن زائدة يشكو فعل محمد بن سليمان إلى المنصور ويقول : قتل رجلاً بريئاً مما قُرِفَ به ، وإنما قتله لأنه قال : انا تلميذ الحسن ، فقال : «تلميذ» من قول الزنادقة . وبعث المنصور إلى عيسى بن علي فقال له : أيقتل محمد بن سليمان رجلاً بشهادة قوم رعاع لا يدرى من هم ؟ لقد هممتُ أن أقيده به ، فقال له عيسى : إن محمداً قتله على زندقة هو ينسب إليها ، فإن كان قتله صواباً فهو لك وإن كان خطأً فهو على محمد ، والله لئن عذلت محمداً على ما صنع ليذهبن بالثناء والذكر ولترَجِعنّ القالةُ من العامة عليك ، وقد كان المنصور أمر بعزل محمد وكُتبت الكتب ، فدعا بها فمزقت ، وقال لعيسى : أغررتني من هذا الغلام .

وقال أبو اليقظان : أتى أبو الزحف بن عطاء بن الخطفي محمد بن سليمان فأمره أن ينشده وهو سكران فقال :

يا بن سليمان أقلني عثرتي يا بن الملوك وأَسِغْني ربقتي
حتى تجلِّي عن فؤادي غمتي ثم اجمع الرّجاز عند صولتي
كل فزاريّ دهين اللِمّةِ أبو بدويّ ودعٍ ذي ثُلّة

وحدّثت ، أن جعفر بن سليمان بن علي وَليَ المدينة بعد قتل محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسَن ، وكان أبو بكر بن أبي سبرة ، وهو أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن عبْدالله بن أبي سبرة بن أبي رُهم ، أحد بني عامر بن

لؤي ، الفقيه ، عاملاً على الصدقات من قبل عامل المنصور ، فلما خرج محمد بن عبْدالله أتاه بما اجتمع عنده من المال فقواه به ، فحبسه عيسى بن موسى بن محمد بن علي حين قتل محمداً ، وخرج سودان بالمدينة وعليهم رجل منهم يقال له اويتُوا فكسروا باب السجن وأخرجوه فيمن اخرجوا ، وأرادوا فك حديده فأبى وعاد إلى محبسه . وقيل له حين أُخرج : صلِّ بالناس ، فقال : كيف يُصلي بالناس أسير؟! وبلغ ذلك أبا جعفر المنصور فرضي عنه وأوصى به جعفراً وقال : أطلقه وارفعه فقد أحسن بعد أن أساء ، ولعله فعل ما فعل ابقاءً على نفسه وحَقْناً لدمه ، فلما قدم جعفر المدينة أخرج ابن أبي سبرة وأطلقه وبره وأكرمه ، فقال له : أصلح الله الأمير إن حالي مختلة ودَيْني كثير لما نالني ، وبيني وبين معن بن زائدة مودّة فاكتب لي إليْه بالوَصاة والصّلة . فإنه إذا قرأ كتابك بذلك لم يستوحش مني ، فكتب له بما سأل . فلقي الراتجي [1] فدعاه إلى الخروج معه وأعطاه دنانير خلفها نفقةً لعياله ، وسار إلى مكة فاعتمرا ، ثم مضيا جميعاً إلى اليمن ، فقال معن لابن أبي سبرة : إن جعفراً أقدر على صلتك مني ، وكيف قدمت عليّ وقد عرفت ما كان منك ومن غضب أمير المؤمنين عليك ؟! فأخبره خبره وحلف له على رضى المنصور عنه ؛ فقال له : كم دينك ؟ قال : أربعة آلاف دينار ، فأمر له بسبعة آلاف دينار وقال : إني إنما كلمتك بما كلمتك به على رؤوس الناس وما كنت لأخيّبك ولو استمحتني وأنت في محبسك لوصلتك ، وأخبره بخبر الراتجي ، فلما راح إلى معن أدخله معه ، فأنشد الراتجي مَعْناً :

١ ـ الراتجي منسوب إلى راتج من أطام يهود المدينة ، وهو عباءة بن عمر الراتجي . سمط اللآلي ـ ط . القاهرة ١٩٣٦ ج٢ ص١٠٣ .

الراجي يقول في مدحٍ ... لأبي الوليد أخي الندى الغَمرْ
ملك بصنعاء الملوك له ... ما بين بيت الله والشحر
لو جاودته الريحُ مُرسَلة ... لجرى بجودٍ فوق ما تجري
حَمَلَتْ به أمُّ مباركة ... فكأنها بالحمل لم تدري

فقال معن : فكان ويحك ماذا ؟ قال :

حتى إذا ما تمَّ تاسِعُها ... ولدتهُ أوّل ليلة القدر

فقال معن : ثم ماذا ويحك ؟ قال :

وأتت به بيضاً أسرّته ... يُرجَى لحمل نوائب الدهر
مسح القوابلُ وجهه فبدا ... كالبدر أو أبهى من البدر
فنذرنَ حين رأينَ غرتهُ ... إنْ عاشَ أنْ سَيفِين بالنُّذر
لله صوماً شكرَ نعمته ... والله أهل الحمد والشكر

قال معن : ويحك ثم ماذا ؟ قال :

فأتى بحمد الله حين أتى ... حسن المروءة باقي الذكر
حتى إذا ما طَر شاربُه ... خشع الملوك لسيد قَهر
فإذا وهي ثغرٌ يقال لهُ ... يا معنُ أنت سدادُ ذا الثغر

فأمر له بألف دينار فأخذها وانصرف مع ابن أبي سبرة ، فأعطاه ابن أبي سبرة ألف دينار أخرى .

حدثني بكر بن الهيثم ، قال : سمعت عبدالرزاق يحدث ، قال : قدم ابن أبي سبرة على مَعْنٍ فأعطاه وكساهُ ، فقال ابن أبي سبرة : إن الله جعل من عباده معادن الخير ، ومعن بن زائدة من أفضلهم ، وبلغ المنصور خبرُ ابن أبي سبرة ، فكتب إلى جعفر بن سليمان : ما حَملك على أن أذنت لابن أبي سبرة

في الشخوص إلى اليمن ، واستوصلت له مَعْناً ؟ فكتب إليه : أوصيتني به وقلتَ أطلقه وأرفِقْهُ ، فكان عندي من الاستيصاء به وارفاقه أن كتبتُ له إلى معن ، فكتب إلى معن : ما حملك على ما صنعت بابن أبي سبرة ؟ فكتب إليه : إن جعفر بن سليمان كتب إليّ برضى أمير المؤمنين عنه واستماحَني له ، فظننت أنه لم يكن ليفعل ذلك إلّا بأمر أمير المؤمنين .

ومدح إبراهيم بن علي بن هَرْمة جعفرَ بن سليمان بأبيات يقول فيها :

إذا هاشم قادت لفخرٍ جيادها أتـوه فقـادوه أغـرّ محَجّـلا
فاحرز غايات الرهان ونحتها مُـريحـاً بأدنى شـأوه متمهّلا
إذا كسد الجودُ الربيح بسوقه أتى جعفرٌ فابتاعه ثم أجزلا
أرى جعفراً والله جارٌ لجعفر يجوّد في كسب العلا ويعمّلا

وقال فيه أيضاً :

وإن أمـير المؤمنـين بـرأفـةٍ علينا وخصيصاه أمَّر جعفرا
وثقنا بخير منك لا شرّ بعده فَأَسْهَلَ منّا آمناً من توعّرا[1]

في أبيات ، ومدحه شعراً فأعطاه . وقال فيه ابن المولى :

أوحشتِ الجمّاء[2] من جعفر وطال ما كـانت بـه تعمرُ
كم صارخ يدعو وذي كُرْبَةٍ يا جعفر الخيراتِ يا جعفـر

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .
٢ ـ الجماءات ثلاث بالمدينة ويبدو أي المقصود هنا الجماء الثالثة ، انظر المغانم المطابة (مادة : جماء) .

وأما صالح بن علي :

ويكنى أبا الفضل ، فهو المتوجه إلى مصر لمحاربة مروان بن محمد وعلى مقدمته عامر بن اسماعيل المُسلي ، فقتل مروان وفتح مصر ، ولم يَحُل عن طاعة أبي العباس ، ولا مال إلى عبدالله بن علي ، وقدم معهُ ابن لَهِيعة والليث بن سَعْدٍ . وكان قد أخذ خصيًّا لمروان فدلهم على البُرْد والقَعْب والمخضب والقضيب . ويقال : ان البرد لم يكن فيما دُلّ عليْه .

وحدثني عبيدالله بن عبد العزيز من ولد صالح بن علي قال : لما أُتي صالح برأس مروان وأمر بأن يُنتف وينفض انقطع لسانه فتناوله هِرٌ ، فقال صالح : ماذا ترينا الأيّام من العجائب ، هذا لسان مروان في فم هرّ ! وقال الشاعر :

قد فَتّح الله مصراً عنوةً لكُم ... وأهلك الفاجر الجعديّ إذ ظلما
فـلاكَ مِقـوَلـه هِـرٌّ يجـرّره ... وكان ربُّك من ذي الكفر مُنتقما

وإنما قيل لمروان «الجعديّ» لأنه نُسب إلى الجَعْد بن درهم معلّمه وأليفه ، والجعد بن درهم مولى لسويد بن غفلة الجُعفي ، ويقال ، إنه مولى

لآل مروان ، وكان زنديقاً أو دهرياً فقيل لهشام بن عبدالملك : ان الجعد كافر ، وشهد عليه أن ميمون بن مهران وعظه فقال : لشَاةُ قياد أحَبّ إلي مما تدين به ، فقال له : قتلك الله وهو قاتِلُك .

ويقال إن ميمون بن مهران شهد عليه ، فطلبه فهرب إلى حران ، ثم إنه ظفر به فحمل إلى هشام فأخرجه من الشام والجزيرة إلى العراق ، وكتب إلى خالد بن عبدالله القسري يأمره بحبسه ، فلم يزل محبوساً حيناً ثم رفعت امرأته إلى هشام قصة في أمره ، فقال هشام: أوَ حَيٌّ هو ؟ قالوا : نعم ، فكتب إلى خالد يلومه على حبسه ويعزم عليه أن يقتله ، فقال خالد في يوم أضحى بعد فراغه من خطبته : أيها الناس انصرفوا إلى أضاحيكم فاني مُضَحٍّ بعدوّ الله الجعد بن درهم ، فلما انصرفوا قتله ، فيقال انه ذبحه ويقال انه ضرب عنقه . وقوم يزعمون ان الجعد كان يقول بقَوْل غيلان [1] وقد كذبوا .

١ ـ غيلان الدمشقي : انظر كتابي «مائة أوائل من تراثنا» ـ ط . دمشق ١٩٨٩ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٩ .

وأما اسماعيل بن علي :

ويكنى أبا الحسن ، فولّاه المنصور فارس والبصرة وكسكر ، ولما توفي أبو العباس تزوج امرأته أمّ سلمة بنت يعقوب ، فغضب عليه المنصور وقال : أتنكح امرأة أمير المؤمنين ! فطلقها ، ويقال إنه خطبها فلما غضب عليه أمسك ، ثم إنه رضي عنه .

وقال ابن الدمينة الخثعمي لأحمد بن اسماعيل :

يا أحمد الخير ابن اسماعيـلا إليك اشكو الغلّ والكبولا
وغشم ظلم من بني سلولا أزجي إليـك شارفـاً نسولا
أظلُّ فوق رَحلها معدولا

وأما عبد الصمد بن علي :

ويكنى أبا محمد ، فكان مع عبدالله بن علي بالشام ، فلما خَلَع عبدُالله صيّره ولي عهده ، فحارب أهل خراسان فظُفِر به ، وكلّم المنصورَ فيه إسماعيلُ بن علي فرضي عنه . وأنشد المنصور :

قل لاسماعيل لولا أنت لم ينج مني سالماً عبد الصَّمَد

وهو شعرٌ قيل في عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ، وذلك أن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وَفَد على الشام ، وكان غلاماً ، فكان يختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى ، وهو يؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك بسبب الأدب ، فراوده عبد الصمد على نفسه ، فدخل على هشام مغضباً فقال :

انـه والله لـولا أنـت لم ينجُ مني سالماً عبدُ الصمد

قال هشام ولِمَ ذاك ؟ قال :

إنـه قـد رام منّي خـطّة لم يـرمهـا قبله مني أحـد

فهو فيما كان منه كـالذي يبتغي الصيّد لدي خيس الأسد

وقد وَلِي عبد الصمد للمنصور وغيره ولايات ، وحجّ بالناس غير مرة . وتوفي عبد الصمد ببغداد في سنة خمس وثمانين ومائة ، وإلى عبد الصمد تُنسب هذه القباب التي يقال لها العبدُ الصَّمَديّة . وكان مولد عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الذي يقال له بَبَّة على عهد النبي ﷺ ، ومولد عبد الصمد في سنة تسع ومائة وهما في القُعدُد إلى هاشم سواء ، وحج عبد الصمد سنة خمسين ومائة ، وحج يزيد بن معاوية في سنة خمسين وهما في القُعْدُد إلى عبد مناف سواء ، وبين عبد الصمد وبين خالد بن عبْدالله ذي الجدّين بن عمرو بن الحارث بن همّام بن مُرّة بن ذُهَل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعمي بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار من الآباء إلى نزار سواء ، وذو الجدّين جاهلي ، وبين طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة وبين نزار من الآباء أقل ممن بين عبد الصمد ونزار من الآباء بأبٍ واحد . وبين عبد الصمد وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العُزّى بن رِياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب إلى كعب من الآباء سواء ، وسعيد من أصحاب النبي ﷺ . وكان في عصر عبد الصمد مَنْ بينه وبين علي بن عبدالله خمسة آباء ، وهو جعفر بن الفضل بن العباس بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي .

وقال بعضهم : إن عَبْد الصَمَد واسماعيل بن محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة وعبدالله بن عُروة بن الزبير ورثوا آخر من بقي من بني عبد قصي بالقُعْدُد .

وقال الشاعر يمدحه :

استمع مدحةً اتتك ابتداراً جمعت شـدةً وعنفـاً ولينــا
فاغرٍ بين الأبيات لا مكرهات مثل ما يُكرِهُ السباق الحرونا
فتغنًى يا طيبَ[1] عن كل قطر بـالأمير الـذي به تُغبـطينـا

وأما يعقوب بن علي

ابن عبدالله وهو أبو الاسباط فلا عقب له .

١ ـ في هامش الأصل : «يعني طيبة مدينة رسول الله ﷺ .

وأما عبدالله بن علي الأصغر :

فيكنى أبا محمد ، ولاه أبو العباس محاربة مروان بن محمد وضمّ إليه وجوه قواد خراسان ، فلقي مروان بالزابي نحو الموصل ومروان في مائة ألف فقاتله وهزمه ، وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً فكان من غرق في الزابي أكثر ممن قتل ، وكان ممن غرق ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع فيما يقال ، ويقال إن إبراهيم لم يحضر هذه الحرب وأن مروان كان قتله وصلبه .

ويقال أيضاً إن عبدالله بن علي قتله بنهر أبي فطرس[1] مع من قتل من بني أمية ، وقتل في هذه الوقعة سعيد بن هشام بن عبد الملك ، ويقال : قتله عبْدالله بالشام . ومضى مروان إلى حران ثم إلى دمشق ، فاقتطع أهل حمص بعض ثقله ، ومضى من دمشق إلى مصر وخلف بدمشق الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان فحصره عبدالله بن علي وافتتحها وقتل الوليد بن معاوية ، ويقال بل بعث به إلى العباس فقتله وصلبه بالحيرة .

١ ـ قرب الرملة في فلسطين .

ومكث الناس يقتتلون بالمدينة ساعات وهدم عبدالله سور مدينة دمشق . ثم توجه عبدالله إلى فلسطين وصار إلى نهر أبي فطرس ، ووجه أخاه صالح بن علي إلى مصر في طلب مروان وعلى مقدمته عامر بن اسماعيل بن عامر بن نافع أحد بني مُسْلِيَة ، وهو عمرو بن عامر بن عمرو بن عُلَّة بن خالد فقتل مروان ببوصير من مصر .

ويقال إن أبا العباس كتب إلى عبد الله بن علي يأمره بتوجيه صالح إلى مصر ، وبعث صالح برأس مروان إلى عبدالله فأنفذه إلى أبي العباس وهو بالكوفة فنُصب بها ، ويقال بل بعث به صالح إلى أبي العباس .

ولما صار عبدالله بن علي إلى نهر أبي فطرس أمر فنودي في بني أمية بالأمان فاجتمعوا إليه فعجلت الخراسانية إليهم بالعمد فقتلوهم ، وقتل عبدالله جماعةً منهم ومن أشياعهم ، وأمر بنبش قبر معاوية فما وُجِد من معاوية إلّا خط ، ونبش قبر يزيد بن معاوية فوجد من يزيد سلاميّات رجلَة ووُجِد من عبد الملك بن مروان بعض شؤون رأسه ، ولم يوجد من الوليد وسليمان إلّا رفات ، ووجد هشام صحيحاً إلّا شيئاً من أنفه وشيئاً من صدغه ، وذلك أنه كان طلي بالزئبق والكافور وماء الفُوّة ، ووُجدت جمجمة مسلمة فاتخذت غرضاً حتى تناثرت ، ولم يعرض لعمر بن عبد العزيز ، وجمع ما وجد في القبور فأحرق .

ولما توفي أبو العباس كتب إليه عيسى بن علي وعيسى بن موسى بن محمد بوفاته وتوليته عَهْدَه أبا جعفر عبدالله بن محمد ، وعيسى بن موسى بن محمد إن كان بعده ، وكان أبو جعفر حاجاً فشخص إليه بالكتاب بذلك أبو غسان حاجب أبي العباس ومولاه واسمه زياد ، ويقال يزيد ، والهيثم بن

زياد الخزاعي ، فلما قرأ الكتاب قال : إن أمير المؤمنين نَدَب الناس إلى مروان ، فتثاقلوا عنه فقال : من انتدَبَ له من أهل بيتي فهو الخليفة بعدي ، فانتدبتُ له ، فصدقه أبو غسان وسلم عليه بالخلافة ، ووعظه الهيثم فقال له : نشدتك الله أن تهيج الفتنة وتعرض نفسك وأهل بيتك للهلكة وزوال النعمة ، وخطب عبدالله بن علي فقال : ان أمير المؤمنين رحمه الله استخلفني ، فصدّقه أبو غسان وكذبه الهيثم فأمر به فضربت عنقه .

وقال المدائني : كتب أبو العباس إلى عبدالله بن علي يأمره بغزو الصّائفة ، فوافاه خبر وفاته وهو ممايلي درب الحَدَث يريد دخول بلاد الروم فدعا عبد الحميد بن ربعي الطائي وخُفاف بن منصور المازني ونصير بن المحتفز المزني وحبّاش بن حبيب الطائي صاحب جوبة حَبّاش ببغداد في ظهر ربض حميد بن قحطبة ، فقال : إنّ أبا العباس وجهني إلى مراون على أن لي الامر بعده ، فقاموا له فسلموا عليه بالخلافة . وأرسل إلى الحكم بن ضبعان الجذامي ، وزفر بن عاصم الهلالي ، وبكار بن مسلم العُقيلي ، وعثمان بن سراقة بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي فقال لهم مثل مقالته لأبي غانم وأصحابه ، فقال بكار : أنا سهمك ، وقال زفر : إنكم أهل البيت لم تطمعوا في بني أمية حتى اختلفوا ، فأنا أحذّرك الاختلاف فإن اجتمع أمرك وأمر من بالانبار عززْتم وإن اختلفتم فهي الفتنة ، وقال ابن ضبعان : ان كان عهد إليك وعقَدَ لك عند وفاته فقد كُفيتَ الأمر وإلا فلسْتَ من الأمر على ثقة ، وقال ابن سراقة : إن بلاءك عند أهل الشام غير جميل فلن ينفعك إلا مثلي ممن لك عنده بلاء حسن وأيادي متظاهرة أو رجل صاحب فتنة يلتمس ان يُدرك فيها شرفاً . فعزم على ادعاء الخلافة وخطب الناس بين

دُلُوك ورَعْبان[١]، وقد كان قدم عليه أبو غسان والهيثم بن زياد فاسْتشهدهما، فأما أبو غسان فشهد له، وأما الهيثم فقال: أشهد أن أبا العباس ولّى الخلافة أبا جعفر، فقتله.

وبايع الناس عبدالله بن علي، وبايعه حُميد بن قحطبة، وسار فنزل قنسرين فاستعمل عليها زُفَر بن عاصم، ووَلّى عثمان بن عبد الأعلى دمشق، والحكم بن ضبعان فلسطين، وكتب إلى الحسن بن قحطبة وهو بأرمينية، وإلى مالك بن الهيثم وهو بأذربيجان، وإلى محمد بن صول وهو بشمشاط مقيم في خمسة آلاف يدعوهم فلم يجيبوه، فسار إلى حران وعليها مقاتل بن حكيم العكّي وهو في أربعة آلاف وهو على الجزيرة فحصره ووضع عليها المجانيق، ثم طلب مقاتل الصلح فصالحه ودخل مدينة حران في صفر سنة سبع وثلاثين ومائة، ثم إلى الرقة، واستعمل على الجزيرة عبد الصمد بن علي أخاه ولّاه عَهدَه وصيّر على شرطته منصور بن جعونة بن الحارث أحد بني عامر بن ربيعة، وبعث بالعكي إلى ابن سُراقة وأمره أن يقتله وابنه خالداً، فلم يفعل وحبسه. واستعمل حميد بن قحطبة على قنسرين وعزل زفر بن عاصم في الظاهر وكتب إلى زفر: إذا ورد عليك حميد فاقتله ومن معه، فعلم حميد بذلك فسار إلى المنصور حتى قدم عليْه، فأمره أن يلحق بأبي مسلم.

وكان أبو مسلم كتب إلى أبي العباس يستأذنه في الحج فأذن له فقدم فحج، وكان المنصور حاجاً أيضاً، فلما قدما الأنبار قال أبو مسلم لأبي

---

١ ـ انظر حولها بغية الطلب ج ١ ص ٢٥٩ ـ ٢٦١.

جعفر : إن شئتَ جمعتُ ثيابي في منطقتي وخدمتك وان شئت أتيت خراسان فأمددتك بالجنود، وإن شئت شخصت إلى عبدالله بن علي فحاربته ، فوجهه لمحاربة عبدالله بن علي وشيّعه إلى عكبرا .

وكان الحسن بن قحطبة بأرمينية فكتب إليه المنصور في اللحاق بأبي مسلم فوافاهُ بالكحيل من أرض الموصل في ألفٍ ، فصيّره أبو مسلم على مقدمته ، ووافى مالك بن الهيثم أبا مسلم بالموصل لكتاب المنصور إليه في اللحاق به والسمع والطاعة له ، ودسّ المنصور محمد بن صول إلى عبدالله بن علي ليفتك به إن أمكنه ذلك ويكتب إليه بأخباره فأتاه وصار معه، فكتب بعض عيون عبدالله بن علي في عسكر المنصور : صُل بابن صول قبل أن يصول بك ، فقتله ابنُ علي وابنين له .

وقال غيرُ أبي الحسن : وقدم أبو جعفر الكوفة فولاها طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، وسار إلى الأنبار فوجد أبا مسلم بها فولاه حرب ابن علي وأعطى الجند الذين انهضهم معه اثني عشر ألف ألف درهم ، ويقال ثمانية عشر ألف ألف . وكان أبو العباس حطّ الأرزاق في سنة خمس وثلاثين إلى ستين ستين فصيرها أبو جعفر ثمانين ثمانين ، وسوّغهم عطاءً أعطاهم إياه عيسى بن موسى ، فشكروا ذلك ، ووهب المنصور لكل رجل من عمومته ألف ألف درهم فكان أول خليفة أعطى ألف ألف بصك إلى بيت المال يجري في الدواوين . ولم يقم بالأنبار إلا جمعة ، وعزل جَهْور بن مرار العجلي عن شرطته وولاها عبد الجبار بن عبد الرحمن ، ووجه جَهْور بن مرار إلى قرقيسيا[1] فتلقى أصحاب ابن علي ، وخرج المنصور فعسكر بدير

١ ـ هي البصيرة (البو سرايا) حالياً في سورية على الفرات حيث يلتقي به الخابور .

الجاثليق على دجلة ، ووجه عيسى بن عقيل إلى هيت ، وعبد العزيز أخا عبد الجبار إلى بلد ، وقال له : ان بلغك ان ابنَ عليّ انهزم فلا تبرح مكانك ولا تخل بمركزك ، ووجه قائداً إلى تكريت ، وكتب إلى موسى بن كعب : ان استخلف ابنك عُيَيْنة واقدم وقد أمرتُ لك بخمسمائة ألف درهم فاقبضها ، وكتب إلى الحسن بن قحطبة وهو بأرمينية فقدم .

وقالوا : قدم ابن علي نصيبين فخندق وجمع الأطعمة واستعد للحرب ، وكان هشام بن عمرو التغلبي مع أبي مسلم فأشار عليه أن يعسكر دون نصيبين لئلا يكون بينه وبين المنصور عدو ، فقال : ليس هذا بشيء ، ونزل أبو مسلم بإزاء ابن عليّ وكايده لينزل منزله فغرّب وأظهر أنه يريد الشام لتوليه أمير المؤمنين إياه الجزيرة والشام ، وأنّ قادماً يقدم لمحاربة ابن علي مكانه ، فضج أهل الجزيرة والشام وقالوا : الآن يقدم أبو مسلم بلادنا فيجتاح أموالنا ويسبي نساءنا وذرارينا ويقتل من وراءنا من رجالنا ونحن مِنْ مُلك الدنيا وسعتها في خندق ، فرحل عبدالله من خندقه ، ونزل أبو مسلم رأس العين ، ثم انكفأ راجعاً حتى نزل خندق عبدالله ، ونزل عبدالله خندقه وقال : إنما كانت هذه مكيدة من العبد ، وكاتَبَ أبو مسلم أهل خراسان فانحاز إليْه بشر منهم ، ووقعت في نفس ابن علي تهمتهم وسوء الظن بمن بقي معه منهم ، فأمر حبّاش بن حبيب صاحب شرطته فقتل منهم خلقاً .

وحارب أبو مسلم ابن علي أربعة أشهر ، ثم إنهم اقتتلوا ذات يوم قتالاً شديداً وقد خَفّ أصحاب ابن علي وأتت أبا مسلم الامداد وأبو مسلم يقول :

فرَّ من الموت وفي الموت وَقَعْ   من كان ينوي أهلَهُ فلا رجع

فانهزم أصحاب ابن علي أقبح هزيمة ، وهرب فصار إلى ناحية حرّان ثم إلى الرقة وعبر إلى جسر الرقة ، ثم أحرقه ، وسار في البر حتى أتى البصرة فنزل على سليمان بن علي أخيه ، وكان أبوه قد أوصاه به فيما يقال .

وكان أبو مسلم لما قدّم مقدّمته وعليها حميد بن قحطبة من الموصل لقوا عبد الصمد بن علي ببلد فقاتله حميد فهزمه ثم أخذه أسيراً . ويقال إن أبا مسلم وجه في أيام محاربته ابن علي حُمَيداً إلى عبد الصمد وهو بالجزيرة فقاتله وهزمه حتى لحق بالرّصافة فأُخِذ بها وأُتِيَ به أبو مسلم ، فوجّه المنصور مرزوقاً أبا الخصيب مولاه فحمله إليه في سلسلة ، فكلمه فيه إسماعيل بن علي فعفا عنه وأمر له بألف دينار . وقال بعضهم : قدم به أبو مسلم معه .

وقال بَعض وَلده : أتى الكوفة فاستخفى بها حتى كُلّم المنصور فيه فأمّنه ووصله .

وقال أبو الحسن المدائني في بعض روايته : هُزم عبد الصمد فهرب إلى الرصافة ، ووافاه ابن علي منهزماً هارباً فمضى ، وأقام عبد الصمد لأمرٍ أراده وعزم على أن يتبع ابن علي من يومه ولم ير أنه مطلوب فوافاه زُبارة بن جرير ، وكان ممّن رُتّب بقرقيسيا ، فجرّ برجله ثم أوثقه وحمله إلى أبي مسلم وهو بتَلّ مَذايا ، وقدم صالح بن علي بن عبدالله من مصر متمسكاً بطاعة المنصور مقيماً عليها ، فحارب ابن ضبعان في اليوم الذي هُزِم فيه عبدالله بن علي ، وحوى أبو مسلم أموال ابن علي ، وجميع ما كان في عسْكره ، وأطلق الأسرى ووهب لكل أسير أربعة دراهم ولم يقتل إلا أبا غسان لشهادته بما شهد به لابن علي . ولما بلغ عاملُ ابن عليٍّ على دمشق ، قَتَل العكّي وخالداً ابنه وكانا في حبسه .

وكتب أبو مسلم إلى المنصور يعلمه أن أهل الجزيرة والشام بمواضع من الثغور مشحنة للعدو وأنها لا تُسَدُّ إلاّ بهم ، وسأله الصفح عنهم ، وأشار عليْه باستصلاح وجوههم واصطناعهم ، ووفد معه إليه عدة من أشرافهم ، وكان عبدالله بن علي لما توجه لغزو الصائفة بلغه أن أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك قد أقبل يريده في أربعة آلاف ، فقصد له ووجّه على مقدمته حميد بن قحطبة والعباس بن زبيد ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزم أبان وأصحابه وتحصنوا في حصن كيسوم ، فنزل عليه عبدالله فطلبوا الأمان فأمنهم وهرب أبان فدُلّ عبدالله عليه وكان في غار فقطع عبدالله يديه ورجليه ، ثم ضرب عنقه وأتى دابق فبلغه خبر وفاة أبي العباس .

قالوا : وكانت عند ابن علي أمةُ الحميد ، ويقال اختها أمّ البنين بنت محمد بن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، فقالت له : قتلت أهل الشام فأسرفت ، ثم قتلت أهل خراسان وكانوا أنصاركم وأولياء دعوتكم ثم انتحلْتَ الخلافة وقاتلت ابن أخيك ـ وهو الخليفة ـ فلم تبقِ غاية ولم تدع جُهْداً ، ثم هربت إلى غير ملجأ ولا حرز ، فهلا مُتَّ كريماً ، وأما والله لنُقاسينّ ذلاً طويلاً ، فغضب فطلقها ، وكان له منها : محمد ، وعيسى ، وأم محمد ، بنو عبْدالله بن علي ، ولما هرب ابن علي بلغ المنصوَر أن عبد الحميد بن ربعي أبا غانم بالرها ، وكان صديقاً لأبي الأزهر المهلب بن العبيثر المهري فوجهه لطلب الشراة وأهل الفساد من الأعراب ويُسكّن الناس ، فجعل يقتل الأعراب من أهل الدعارة حتى أتى الرُّها فبعث إلى أبي غانم : إني مشتاق إليك وقد وُجِّهتُ في أمر فتركتُه وملتُ إليك لأحدث بك عهْداً ، فخرج إليه وجعلا يتنادمان ثم ذاكره

الخروج إلى أبي جعفر فقال : أنا مُسْتوحش ولا عذر لي ولا حُجّة فيما كان مني ، ثم إنه خرج إليه يوماً في خف فأسكره وحمله وارتحل فأورده على حميد بن قحطبة وهو وال على الجزيرة ، فأنفذه إلى المنصور فقال له المنصور : ويحك ما حملك على ما صنعت ؟ قال : لا عذر لي فأتكلم . فقال : أنا أكره قتل رجل من آل قحطبة ولكني أهبُ مسيئهم لمحسنهم وقد وهبتك لابني قحطبة حمْيد والحسن ، فقال : يا أمير المؤمنين إن لم يكن فيّ مصطنع فاقتلني . قال : إنك أحمق أهوج ، اخرج فأنت عتيقٌ لهم أبداً .

وحدثني الغاضري الرقي قال : نزل أبو غانم بالهني[1] في بعض أيامه فتهدد أهل الرقة وقال : قولوا لنسائكم يحلقن يتهيأن للجماع ، وأساء اللفظ ، فعبر إليه مصعب بن الضحضح الأسدي ، وعبدالله بن البختري العقيلي في جماعة فقتلا من أصحابه بشراً ، فقال ابن الضحضح :

الحمـــد لله المنـــزّل نصره يوم الخميس عليك يا بن الضحضحِ
عبر الفرات على فظاعة هوله بالدارعين على الجياد القُرحِ
مستشعري حلق الحديد كأنهم بُزل الجمال تخاطرت في مسرحِ

وفي ذلك يقول الشاعر وهو ربيعة يحرض ابن الضحضح :

ألا ترى المعشر السودان قد جمعوا لابني نزار فماذا بعد ينتظرِ
شمِّر فان حروبَ الناس قد لقحت وجمّع الأمر إن الأمر منتشر
وكُنْ من الحربِ إذ شبَّت على حَذَرِ ما صاحب الحرب إلا الحازم الحذر

في أبيات .

---

١ ـ قناة (نهر) استخرجت من الفرات للسقاية قرب الرقة .

قالوا : ولما أقام عبدالله بن علي بالبصرة خرج سليمان بن علي إلى أمير المؤمنين المنصور فطلب له أماناً وقال : ياأمير المؤمنين إن عفوك لا يضيق عنه وهو ابن أبيك وفيه مستصلح ، فقال : هو آمن إذا رأيته ، واستأذن له في الحج فقال : إن حج ظاهراً فقد أذنت له ، فلم يحج .

ومات يونس بن عبيد الفقيه مولى عبد القيس فمشى عبدالله وسليمان في جنازته . وأراد المنصور استخراج مزارع من البطيحة فضجّ أهل البصرة وقالوا : إنما نستعذب الماء من البطيحة ، وأتوا عبدالله بن علي فقالوا : انزل يا أمير المؤمنين إلينا نبايعك ، فكفهم سليمان وفرقهم ، وكان عبدالله يجمّع بالبصرة ويقعد في حلقة الرقاشي ، ووجه المنصور سليمان بن مجالد وأمره بابلاغ سليمان بن علي أن يشخص عبدالله معه وكتب إليه في ذلك فلم يفعل وقال : قد جعلت له عهد الله أن أتوثق له ، فولّى المنصور سليمان بن مجالد بريد البصرة وأخبارها ، ووجه روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب إلى البصرة في أربعة آلاف من أهل البأس والنجدة والطاعة ، وأظهر أنه قد ولاه عُمان ونواحيها ، ثم وجه سفيان بن معاوية والياً على البصرة في جيش كثيف ، وبعث أبا الأسد القائد صاحب النهر في جيش ، وأمر أبا الأسد أن يقيم على آخر البطيحة ، فعسكر على فم النهر المنسوب إليه .

ودخل سفيان البصرة فتسلمها من سليمان بن علي ، فوهن أمر سليمان ووجد المنصور عليه لما كان منه في أمر عبدالله ، وتتامّ بالبصرة أكثر من اثني عشر ألفاً من أهل خراسان ، وكتب سليمان إلى عيسى بن علي يسأله أن يستأذن له المنصور في القدوم عليه منفرداً ، فقدم ودخل مع عيسى إلى المنصور فكلماه في أيمان عبدالله بن علي فأجابهما إلى ذلك .

وكان عبدالله بن المقفع كاتب عيسى بن علي ، فأمره فكتب له أماناً تعدّى فيه ما يكتب الخلفاء من الأمانات وكتب : «فان لم يَفِ أمير المؤمنين بما جعل له فيه فهو بريء من الله ورسوله ، والأمّةُ في حل وسعةَ من خلعه» .

ثم شخص عيسى وسليمان ابنا علي من البصرة وأشخصا عبدالله بن علي منها وشخصا معه ، ووكّل بهم سفيان قائداً يقال له عقبة بن عازب في ألف ، وسار أبو الأسد أيضاً معهم ، فلما صاروا إلى واسط تسلّم عاملها عبْدَالله بن علي ، ثم سلمه إلى أبي الأسد فأورده الكوفة . وكان المنصور قد وقّع في الأمان : هذا الأمانُ نافذ إن رأيتُ عبدَالله ، فلما قدم به وأتى بابه قال لأبي الأزهر المهلّب بن العبيثر : إذا أمرتك بإدخال عَبْدالله عليّ فلا ترني وجهه وأدخله المقصورة ، ففعل ذلك ووكل به الحرس ، فكلمه فيه بنو علي فجعل يقول : أقسمْتُ عليكم لما لم تكلموني فيه فإنه أراد أن يفسد علينا وعليكم أمرنا . ومكث محبوساً تسع سنين ، ثم حوله من عنده إلى عيسى بن موسى وأمره بقتله خفية ، فحبسه وأراد قتله فقال له أبو عون يونس بن فروة الأنباري ، وكان كاتبه : إن قتلته قتلك به ، فأمسكَ عن قتله . ثم إن المنصور سأل عيسى بن موسى عنه فقال : قتلتهُ ، فأظهر غضباً وقال : أتقتل عمي ! لأقتلنّك به ، فقال : إني والله خفت منك فاسْتبقيتُه . قال : فادفعه إلى المهلب بن العبيثر ، فدفعه إليه فغمَّهُ وجاريةً له حتى مات ، ثم جعلها إلى جانبه فكأنها تعانقه ، ثم عرقب البيت فسقط عليهما ، ودفن عبدالله ببغداد في مقابر أبي سويد بباب الشام بعد أن أدخل عليه ابن علاثة القاضي وعدوله فنظروا إليه وما به كدمة . وبعث المنصور إلى عبدالله بن عياش الهمداني المنتوف أن أخبرني عن خلفاء ثلاثة أول اسم كل امرىء منهم عين قتل رجلاً

من أقربية أوّل اسم كل رجل منهم عين ، فقال : عبدالله بن الزبير قتل عمرو بن الزبير ، وعبد الملك قتل عمرو بن سعيد بن العاص ، وعبدالله بن علي سقط عليْه البيت ، فقال المنصور : فإذا سقط عليه البيت فما ذنبي .

وحدثني حماد بن بَغْسل الوراق قال : حبس عبد الله بن علي في مقصورة مع المنصور ، ووكل به ، فقال له بنو علي : يا أمير المؤمنين سجنتَ عبد الله ، فقال إن أهل خراسان متسرّعون إليه لما كان منه إليهم ، ولا آمن أن يفتكوا به فقد بلغني أنهم مجمعون على ذلك فجعلته عندي إلى أن أدعو به ، فيئس سليمان بن علي منه فمضى إلى البصرة فمات في سنة اثنتين وأربعين ومائة . قال : وقد كان عبد الله بن علي مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فأسره ابن ضبارة وبعث به إلى مروان ، فقال : إنما أتيته طالباً لرفده ، فخلى سبيله ، فلما حاربه قيل له : هذا الرجل الشديد البياض الحسن الوجه المصفّر الدقيق الذراعين الفصيح اللهجة الذي كنت أُتيتَ به فعفوتَ عنه ، فقال مروان : رب معروف يخبىء لصَاحبه شرّاً . وكان عبْد الله اذا ضحك انقلبت شفته العليا . ومات في سنة سَبْع وأربعين ومائة وهو ابن اثنتين وخمسين سنة .

قالوا : وهدم عبد الله بن علي قصر مروان بن محمد بحران وكان أنفق عليه عشرة آلاف ألف درهم .

قال رؤبة بن العجاج في عبد الله بن علي :

أيها القائل قولاً أحنفا ... سفاهةٍ من رأيه وصلفا
ما قام عبد الله إلا أنفا ... خوفاً على الاسلام أن يُستضعفا
ومِنْ صلاحِ الدّين أن يُستخلفا ... أشجع من ليث عرين أغضفا

قال أيضاً :

ان لعبـد الله عندي أثـراً ونعماً جزاؤها أن تشكرا[1]

وقال ابن شبرمة :

أقول لذي مكاشرة وضغن سعرتَ الحرب بين بني أبيكا
وأورثت الضغائن من بنيهم بني أبنـائهم وبني بنـيكـا
كأنك قد أصابك سهم حتف وأسلمـك العـداة لأقـربيكـا

وقال ابن شبرمة في أبي مسلم :

سـما بـالجيـاد وفـرسـانها إلى الشـام كالأسـد الأزور

١ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان رؤبة المطبوع .

أمر ولد محمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس

ولد محمد بن علي ، وهو الإمام : ابراهيمَ الامام وأمه جان أم ولد . وعبدَ الله أبا العباس وأمّه ريطة الحارثية . وعبد الله أبا جعفر ، وأمه سلامة بربرية . وموسى لأم ولد ، ويقال أنها أم ابراهيم . ويحيى بن محمد أمّه أم الحكم بنت عبد الله بن الحارث من ولد نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو ببّة . والعباس بن محمد لأم ولد . ولُبابَة تزوّجها جعفر بن سليمان بن علي . ويقال إنه كان له داود وعبيد الله ويعقوب فلم يُعقبوا .

فأما إبراهيم بن محمد :

فإن أباه محمد بن علي قال لميسرة وأبي عكرمة مولى قريش وغيرهما ممن كان مع أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية، حين عدل أبو هاشم إلى محمد بن علي فأعلمه أنه الامام : هذا ابني ووصيّي والامام بعدي ، فبايعوا محمداً ، وإبراهيم على ذلك . ووجه محمد أبا رياح ميسرة مولى بني أسد الى الكوفة ، بمشورة أبي هاشم ، فصيره صاحبه بها ، وكان أبو هاشم قال له : عليك

بالكوفة فَبِها شيعتك وأهل مودتك ، واجتنب الشام فليس ببلد يحتمل دعاتك ولا يصلح لهم ، وعليك بخراسان ، فوجّه إلى خراسان رجلاً أمره أن يدعو إلى الرضا من آل محمد ولا يسمّي أحداً .

ويقال : إن ميسرة وجّهه من الكوفة ، وهو محمد بن خُنَيس ، فأجابه من أجابه فلما صاروا سبعين جعل منهم اثني عشر نقيباً وهم : سليمان بن كثير مولى خزاعة ، ويكنى أبا علي ، ويقال هو سليمان بن كثير بن أمية بن اسماعيل بن عبد الله بن المؤتنف من أنفسهم . موسى بن كعب التميمي ، ويكنى أبا عُيينة ، ومالك بن الهيثم ، ويكنى أبا نصر . والقاسم بن مجاشع التميمي ، ويكنى أبا حامد . ولاهز بن قُرَيْظ ، ويكنى أبا النضر . وعيسى بن أعين ، ويكنى أبا الحكم . وعمرو بن أعين الخزاعي ، ويكنى أبا حمزة . وقحطبة بن شبيب الطائي ، واسمه زياد ، ويكنى أبا عبد الحميد . وشبل بن طهمان الرَّبَعي ، ويكنى أبا اسماعيل . وعمران بن اسماعيل مولى آل أبي معيط ، ويكنى أبا النجم . وخالد بن إبراهيم ، ويكنى أبا داود . وطلحة بن رزيق ، ويكنى أبا منصور . ومنهم من يجعل زياد بن صالح مكان أبي النجم عمران بن إسماعيل ، ويجعل العلاء بن حُرَيث مكان عيسى بن أعين .

فلم يزل الرجل مقيماً بخراسان حتى توفي بها ، فقدم قحطبة وسليمان بن كثير بن أميّة إلى الكوفة فلم يعرفا الإمام ، فأتيا المدينة فسألا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن الإمام فقال : هو منا وهو بالشام ، فمضيا إلى الشام فلقيا محمد بن علي فذاكراه أمرهم وسألاه أن يبعث إلى خراسان رجلاً معهما ، وكتب إلى أبي عكرمة الصّادق ، واسمُه

زياد بن درهم وهو بالكوفة ، فخرج معهما إلى خراسان . ويقال بل كتب إلى ميسرة في توجيه رجل يثق به ، فوجّه أبا عكرمة ، فلما صار بخراسان اكتنى بأبي محمد ، وتسمى ماهان ، فلم يزل بها حتى قدم أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسري والياً على خراسان من قبل أخيه ، وذلك في أيام هشام فسعى إليه جبلة بن أبي رَوّاد - واسم أبي رَوّاد حسين - بأبي عكرمة وأصحابه ، فقتل أسد أبا عكرمة ، وضرب أبا داود ألفاً ، ويقال ثلاثمائة ، وأمر به فضرب على رأسه حتى عمش ، ثم كلم فيهم ورَشا بعضهم حتى تخلّصوا . ومكث محمد لا يبعث أحداً سنة ، ثم بعث أبا الحسن كثير بن سعد ، فأقام ثلاث سنين ، ثم قدم ، فبعث محمد بن علي : عمار بن يزداد ، فتسمى بخداش بن يزيد . ويقال إن عماراً هذا كان فاخرانياً من أهل الحيرة نصرانياً ، ثم أظهر الاسلام وصار معلماً بالكوفة ، فلما مات ميسرة صيّر محمدُ بن علي بكيرَ بن ماهان ، أبا هاشم ، مكانه .

ويقال : بل صيّر سالماً الأعمى أبا الفضل بالكوفة بوصية ميسرة ، وصار بكير بعده بالكوفة ، فوجه بكير عماراً هذا فغيّر سنن الامام ، وبدّل ما كان في سيرة من قبله ، وحكم بأحكام منكرة مكروهة ، فوثب به أصحاب محمد بن علي فقتلوه ، ويقال بل قتله أسد بن عبد الله وصلبه ، وكان هشامٌ عزل خالداً فانصرف أسد عن خراسان معزولاً ، وولّى هشام الجنيد بن عبد الرحمن ، ثم ولى هشام : أشرس بن عبد الله السلمي ، ثم عاصم بن عبد الله الهذلي . ثم أعيدت خراسان إلى خالد بن عبد الله ، فولّاها أسداً ، وكان لا يظفر بداعية ولا مدعوّ إلا ضرب عنقه وصلبه حتى أخذ سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وموسى بن كعب ، ولاهز بن

قريظ ، وخالد بن إبراهيم ، وطلحة بن رزيق ، فأتي بهم فقال : يا فسقة ! ألم اظفر بكم في إمرتي الاولى فأعفو عنكم ؟ فقالوا : والله ما نعرف إلاّ طاعة أمير المؤمنين هشام وإنه لمكذوب علينا . فدعا بموسى بن كعب فقال : يا ذا الثنايا أعليّ تتوثّب وفي سلطاني تُدغل ، ثم تدعو هذه السّفلة إلى هذه الدعوة الضالة ؟ فألجمه بلجام حمار ، ويقال بايوان ، ثم أمر به فجذِب حتى حطمت أسنانه ، ثم أمر به فرُتم أنفه ، وأمر بلاهز فضرب ثلاثمائة سوط وحُبس ، ثم طلب فيهم نَفَرٌ من الأزد ، وشهدوا لهم بالبراءة ، فخلى سبيلهم .

وقال الهيثم بن عدي : ضرب أبا داود وكان معهم .

وحدثني أبو مسعود الكوفي قال : لّما غَيّر خداش سيرة الإمام ونكب عن الحق قيل : خدش خداش الدين ، فقال أبو السريّ الاعمى :

وخداش المحلّ إذ خدش الديـ ـن وأوفى بدعوة الضُلاّل
دانَ بالرفض والتخرّم[1] حيناً وبقتل النساء والاطفال
أيُّ شيءٍ يكونُ أعجبُ مِنْ ذا أزرقي[2] ورافضٌ في حال

وشخص بكير إلى خراسان فأصلح ما كان خداش أفسده ، ورد الناس إلى أمر الإمام وسنته .

قالوا : واحتُضر بكير فأوصى إلى سليمان بن حفص أبي سلمة الداعية مولى همدان ، وهو صهره ، وكان صيرفياً ، ويقال خلالاً ، وكتب إلى

---

١ ـ الإشارة هنا إلى مذهب الخرمية .
٢ ـ شهر الأزارقة من الخوارج باستعراض جميع المسلمين .

محمد بن علي الإمام باستخلافه إياه لرضاه مذهبه ونيته ونصيحته ، فكتب إليه محمد بن علي بالقيام بما كان بكير بن ماهان يقوم به ، وكان سليمان بن كثير القائم بأمر خراسان .

ومات أسد بخراسان فولى خالدٌ أمرها جعفر بن حنظلة البهراني ، ثم عزل خالد عن العراق ، ووليه يوسف بن عمر ، فولّى هشام خراسان نصر بن سيار ، وأمره بمكاتبة يوسف ومعاملته ، وقدم على الإمام محمد بن علي : سليمانُ بن كثير ، ولاهز بن قريظ ، وقحطبة بن شبيب في رجالٍ آخرين ، ومعهم أموال وكسىً فأوصلوا ذلك إليه ، فقال لهم : ما أظنكم تلقوني بعد عامي هذا ، فإن حدث بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد ، وأنا أوصيكم به خيراً ، فقد أوصيته بكم ، ومات محمد بن علي فصار الأمر إلى ابراهيم الإمام .

وكان أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم من أهل ضياع بني معقل العجليين بأصبهان أو غيرها من الجبل ، وكان يسمّى إبراهيم بن حيّكان ، وانما سماه عبد الرحمن وكناه أبا مسلم ابراهيمُ الامام ، وكان ادريس وعيسى ابنا معقل محبوسين بالكوفة مع قوم ، حبسهم يوسف بن عمر من أهل الجبل بسبب الخراج ، فكان أبو مسلم يخدمهما ويقضي حوائجهما ، وهو في ذلك مع أبي موسى السراج صاحبه يخرز الأعنّة ، ويعمل السروج وله بضاعة في الأدم ، وكان عاصم بن يونس العجلي محبوساً بسبب فسادٍ ، فكان يخدمه أيضاً وكان شيعياً ، فقدم سليمان بن كثير ، ولاهز ، وقحطبة الكوفة يريدون الحج ، فدخلوا على عاصم مسلّمين فرأوا أبا مسلم عنده فأعجبهم عقله وظرفه وأدبه وشدة نفسه وذهابه بها ، ومال إليهم فعرف أمرهم فقال : أنا

أصحبكم وأكون معكم ، فسألوا أبا موسى السراج أن يعينهم به ، وكان من كبار الشيعة ، ففعل وكتب معه كتاباً الى إبراهيم الإمام ، وقد كان علم أن إبراهيم على الحج في سنته ، وأن القوم واعدوه الالتقاء بمكة . فشخص أبو مسلم معهم ووجدوا إبراهيم بمكة فأعطوه عشرين ألف دينار ، ومائتي ألف درهم ، وأوصلوا إليه كسيً حملوها له ، ورأى إبراهيم الإمام فعرفه وأثبته لأنه كان يراه أيّام اختلافه إلى أبيه في محبسه ، وتأمل أمره وأخلاقه فأعجبه منطقه ورأيه وجزالته ، فقال : هذا عضلة من العضل ، ومضى به فكان يخدمه ، ثم إن هؤلاء النقباء قدموا على إبراهيم يطلبون رجلاً يتوجه معهم إلى خراسان ، فعرض على سليمان بن كثير أن يكون ذلك الرجل فأبى ، وعرض مثل ذلك على قحطبة ، فأبى فأراد توجيه رجل من أهل بيته فكره ذلك ، وذكر أبا مسلم فأطرياه ، ووصفا عقله وعلمه بما يأتي ويذر ؛ فاستخار الله ووجهه إلى خراسان ، فنزل على سليمان بن كثير فكان والشيعة جميعاً له مُكرمين مبجّلين سامعين مطيعين ، وجعل أمرهم ينمو حتى كان منه ما كان .

وحدثني عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الامام قال : كان أبو مسلم لبعض أهل هراة أو بوشنج ، فقدم مولاه على الإمام ، وقدم به معه فأعجبه عقله فابتاعه منه بألفين وعشرين درهماً وأعتقه ، ومكث عنده سنين ، ثم وجهه إلى خراسان .

وقال هشام بن الكلبي : كان ابوه من خَوَل آل معقل فأُسلم إلى أبي موسى السراج فكان معه ، وقدم أبو موسى الكوفة فبينا ابو مسلم يخرز شيئاً في يده اذ رأى الناس يتعادون ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هاهنا فيل ينظر

الناس إليه ، فقال : وأي عجب في الفيل ؟ انما العجب أن تروني وقد قلبت دولة وقمت بدولة .

وقال غير ابن الكلبي : كانت أُمُّه أَمَةً لبني معقل ، وكان أبوه من أهل ضياعهم فأتى الكوفة معهم فابتيع للامام ، وذكر بعضهم أنه من أهل أصبهان وأن رجلاً من ضبّة اختدعه وهو صبي فأقدمه الكوفة ، وقيل أيضاً إن أباه كان من أهل بابل أو خطرنية[1] وكيلاً للعجليين وكان اسمه زاذان بن بنداد هرمز ، وأمه وشيكة ، فقدم العراق مع عيسى بن معقل فكان يخدمه في سجن الكوفة ويسمع قول الشيعة ، فمال إليهم ، وقوم يزعمون أنه كان يسمى ابراهيم وكان يقال لأبيه عثمان ، وأنه من ولد كسرى ، وأن الامام كان يبعثه إلى خراسان .

وذكر بعض ولد قحطبة أنه كان عبداً للعجليين فأسلموه إلى أبي موسى ، فتعلم منه السراجة ، فابتيع للإمام بسبعمائة درهم ، وأُهدي إليه ، وان اللذين أهدياه : سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ .

وحدثنا المدائني عن شهاب بن عبد الله قال : كان أبو مسلم يختلف الى خراسان ، يبعثه الإمام بكتبه إلى سليمان بن كثير فيشخص على حمارٍ له ، فقال خادمٌ لسليمان : لقد جاءنا مرة فلم نعرض عليه الطعام ، فلامنا سليمان على ذلك ، وكان أصغر عندنا من أن نلتفت اليه .

قالوا : ووجه إبراهيم أبا مسلم إلى خراسان ، وكتب إلى من بها من أوليائه بالسمع والطاعة له ، وإلى أبي حفص سليمان بن سلمة الداعية يعلمه

---

١ ـ خطرنية : ناحية من نواحي بابل العراق . معجم البلدان .

توجيهه إياه ، ويأمره بإنفاذه إلى خراسان ، فشخص فنزل على سليمان بن كثير ، فكان يجلّه ويوقره ويعظم أمره ؛ حتى إذا ظهر أمر أبي مسلم والدعاة بخراسان ، وعليها نصر بن سيار ، دسّ نصر رجلاً استأمن إلى أبي مسلم ، وأظهر الدخول معه في أمره فعرف أن الذي يكاتبهم ويكاتبونه ويدعون له إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فكتب بذلك إلى مروان بن محمد ، فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان - ومن قال الوليد بن معاوية بن مروان باطل ، لم يكن لمعاوية بن مروان ابن يقال له الوليد - وهو عامله على دمشق يأمره أن يكتب إلى عامله على البلقاء في المسير إلى كداد والحميمة وأخذ إبراهيم بن محمد بن علي ، وشدّه وثاقاً ، وحمله إليه في خيل كثيفة يحتفظ به ، فإذا وافى إلى ما قبله أنفذه إليه مع من يقوم بحفظه وحراسته ، فأُتي إبراهيم وهو في مسجد القرية ، فأُخذ ولُفَّ رأسه وحمل إلى دمشق ، فأنفذه الوليد بن معاوية إلى مروان ، وكان معه عدة من أهله قد شيّعوه فيهم : عبد الله بن علي ، وعيسى بن علي ، وعيسى بن موسى ، فانصرفوا من حرّان ، ووبّخ مروانُ إبراهيم حين دخل اليه فاشتدّ لسان ابراهيم عليه فيما خاطبه به ، وقال له مروان : أيَرْجو مثلك أن ينال الخلافة ؟ فقال : رجوتَها وقُلدّتَها وأنت ابن طريد رسول الله ولعينه ، وكيف لا أرجوها وأنا ابن عمّه ووليّه ؟! وقال : لقد علمنا أن الذي يذكر من بغضك بني هاشم ومن به شرفوا ، لحق ، فأمر به إلى الحبس فحبس بحرّان في سجنها ، وفيه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز . ثم بعث مروان في بعض الليالي إلى حاجبه صقلاب ومعه عشرون من مواليه خزر ، وصقالبة ، وروم إلى السجن ، ومعهم صاحب السجن ففتح لهم ودخلوا ،

ثم خرجوا فأصبح إبراهيم ، وعبد الله بن عمر ميّتين ؛ فيقال ديست بطونهما ، ويقال غُمّا ، ويقال سُمّا ، ويُقال عُصِر ما تحت سراويلهما حتى ماتا .

وقال الهيثم بن عدي : غُمّ إبراهيم الإمام في جراب نورة ، وغمّ الآخر بمرفقة فيها ريش ، وكان مهلهل مولاه يقول : كنت أخدمه وهو محبوس بحران ، وأشتري حوائجه ، وكان شراحيل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك محبوساً في حجرة غير حجرة ابراهيم التي كان محبوساً فيها ، وكان صديقاً لابراهيم فكانا يتلاطفان ويتهاديان في محبسهما ، فأُتي ابراهيم بلبن مسموم أو غير لبن وقيل له : بعث إليك به أخوك شراحيل ، ولم يكن شراحيل بعث به ، فشربه فتوفي ، قال : فأنا الذي صليت عليه .

وقال أبو مسعود الكوفي : بلغني أن إبراهيم أخرج فوضع على باب السجن فأخذه رجل من بني سَهْم فكفنه وصلى عليه ودفنه ، قال : وبلغني أن أبا العباس كان أشبه الناس بأخيه إبراهيم الإمام ، فلما جاء الرسول لحمل ابراهيم وجد ابراهيم متغيّباً فأخذ أبا العباس ، فلما علم ابراهيم بأخذه قال : ما من الموت مَفَرٌّ ولا لأمر الله مدفع ، فخرج فقال للرسول : أنا بغيتك فَخَلِّ عن أخي ، فحمله ، وكان لإبراهيم يوم مات فما يقال تسع وأربعون سنة ، وقال بعضهم أربع وثلاثون سنة .

وهرب أبو العباس بعد مقتل إبراهيم إلى الكوفة ومعه أهل بيته ، فأخفاهم أبو سلمة الداعية في سرداب في دار بني أودٍ حتى قدم المسوِّدَة ، فكان يقال : ما رأى الناس أبعد هِمَماً ، ولا أكبر نفساً من قوم خرجوا على تلك الحال يطلبون الخلافة .

وقال الهيثم بن عدي : رأى إبراهيم الإمام رجلاً من ولد زياد بن أبي سفيان يجر ثيابه ، وإن إبراهيم لفي محملٍ على غير وطاءٍ يُؤتى به مروان ، فقال :

أطلها فيما طولُ الثياب بنافع إذا كان فرع الوالدين قصيرا

وقال الهيثم : لما وقعت العصبية بخراسان ، وتحرك أمر الدعاة ، كتب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم :

دونك امر قد بدت أشراطه وريّشت من نبله مـــراطـه
إن الهدى لواضـح صراطه لم يبق الا السيف واختراطه
إن السبيل واضح صراطه

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة عن أبيه قال : كان إبراهيم الإمام يدعو وهو في حبس مروان : اللهم رب السموات السبع ، والأرضين السّبع ، والبحار السّبع ، وربّ العرش العظيم ، والآيات والذكر الحكيم صل على نَبيك ونجيبك محمد وعلى آله وخلفه ، علينا وعلى أهل ملتنا ودعوتنا ، بما ينعش العاثر ، ويبرىء السقيم ويفك الأسير ، ويشفي المريض ، اللهم العن أهل بيت اللعنة ، وأُنزل بهم النقمة وحقّق فيهم الرواية ، واحصدهم بالسّيف حصداً ، إنك على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم .

وحدثني داود عن أبيه ، قال : كان إبراهيم الإمام يصلي في كل يومٍ خمسمائة ركعة ويقول : هذه صلاة أبي وجدّي .

وحدثني داود عن أبيه قال : تَحَيّن إبراهيم غفلةَ من كان وُكّل به حين حُمل، فكتب كتاباً إلى أخيه أبي العباس، ودفعه إلى سابق مولاه وأمره أن يوصله

إليه ، فلمّا وقف بباب مروان بحران أسَرَّ إلى سابق شيئاً سُئل عنه سابق بعد ذلك فقال : أمرني أن أقرأ على أبي العباس السّلام وأعلمه أنه وصيّه ، بأمر الإمام محمد بن علي . وكانت نسخة الكتاب :

«بسم الله الرحمن الرحيم .

حفظك الله يا أخي بحفظ أهل الايمان ، وتولاك بالخير والإحسان ، كتابي إليك وقد وَرَدْتُ حران ، والرجل قاتلي لا محالة ، فإذا أنا هلكت فأنت الإمام الذي يقيم أمرنا ، ويرعى حرمة أوليائنا ، ودعاتنا ، ويُتِم الله به وعلى يديه ما أثلّنا وأُثّل لنا ، فعليك أي أخي بتقوى الله وطاعته في قولك وفعلك ، وإصلاح نيتك ليصلح لك عملك ، واستوص بأهل دعوتنا وشيعتنا فاحفظ عبد الرحمن أميننا والسّاعي في أمورنا ، وعرّف أهل خراسان ما توجبه لنا بايثار طاعتنا ، ولا يكونن لك رأي ، ولا لأهلنا إلا الشخوص عن الحميمة وكداد إلى أوليائنا وشيعتنا بالكوفة ، مخفين لأشخاصكم مستترين عمن تخافون غيلته لكم وسعيه بكم إن شاء الله ، وأنا استودعكم الله وحده ، وأسأله لكم الصنع والكفاية ، وعليكم السّلام ورحمة الله وبركاته» .

وحدثني بعض أصحابنا عن أبي الحسن المدائني قال : كان إبراهيم الإمام جواداً معطاءً ، فوفد عليه رجلٌ من الأنصار فأعطاه كل دينار كان عنده ، فلقيه رجل فحدثه بما أعطاه إبراهيم وقال : هو والله كما قال الشاعر :

يرى البخل مُرّاً والعطاء كأنما يلذ به عذباً من الماء باردا

قالوا : وقدم إبراهيم الإمام المدينة فأتته عجوزٌ من ولد الحارث بن عبد المطلب ، فشكت الحاجة ، فقال : نحن على سفر وما يحضرنُا لك الكثير ، ولا نرضى بالقليل ، فاقبلي بما حضر ، وتفضلي بالعذر ، فأعطاها ناقة له برحلها وعبداً ومائة دينار .

وقال المدائني : كان إبراهيم الإمام يقول : إنَّا قومٌ لا نخشو عند السؤال ولا نجفو عند الاستعطاف . قال : وكان يقول : السّخاء من رقّة القلب والرحمة أصل كل حسنة .

وحدثني ابو مسعود الكوفي عن هشام بن الكلبي قال : كان إبراهيم الإمام يقول : الكامل المروءة من حصّن دينه ، ووصل رحمه ، واجتنب ما يلام عليه .

حدثنا علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة ، قال : كان إبراهيم الإمام يقول : سمعتُ أبي يقول : لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن استشاره ، قال : وأنا أقول نُصح المستشير قضاء لحق النعمة في صواب الرأي .

المدائني عن اسماعيل بن حفص ، قال : أتى رجل إبراهيم الإمام فسأله فأعطاه وكساه وحمله ، فقال : أنتم والله أحق بهذا البيت ممن قيل فيه :

زينت أحسابَهم أحلامُهم وكذاك الحلم زين للحسب

وحدثني محمد بن الاعرابي ، قال : سأل أبو مسلم إبراهيم بن محمد الإمام عن البلاغة فقال : معرفة الوصل من الفصل ، وإصابة المعنى ، واختصار الطريق إلى الغاية التي يريد .

قالوا : قدم إبراهيم المدينة فشكا إليه عبيدٌ مواليهم ، فابتاعهم وأعتقهم ورَفَدهم ، وسأل عن ابن هَرْمة فقيل مُستخفٍ من دينٍ عليه ، فقضاه عنه ، فقال ابن هرمة في قصيدته التي يقول فيها :

كريم اذا ما أوجب اليوم نائلاً عليه جزيلاً بث أضعافه غدا
أغرٌّ كضوء البدر يستمطر الندى ويهتز مرتاحاً اذا هو أنفدا

وأولها :

جزى الله ابراهيم عن جُلّ قومه رشاداً بسكفيه ومن شاء أرشدا[1]

وقال ابن هرمة في الإمام إبراهيم :

ناعٍ نعى لي ابراهيم قلتُ له شلّت يداك وعشت الدهر خزيانا
ولا رجعت الى مال ولا ولد ما كنت حيّاً وما سميت إنساناً
تنعي الإمام وخير الناس كلهم أخنت عليه يد الجعدي مروانا
فاستدرج الله مروانا بقدرته سبحان مستدرج الجعدي سبحانا
فأصبح القوم لم تطلل دماؤهم وكان حَيْنُ بني مروان قد حانا[2]

وقال سديف بن ميمون[3] :

كيف بالعفو عنهم وقدما قتّلونا وهَتّكوا الحرمات
قتلوا سبط أحمد لا عفا الرحمن عنهم مكفّر السيئات

١ - ديوانه ص ٩٠ - ٩٥ .
٢ - ديوانه ص ٢٢٥ - ٢٢٧ .
٣ - ترجمته في الأغاني ج ١٦ ص ١٣٥ - ١٣٦ .

اين زيدٌ واين يحيى بن زيد يـا لها من مصيبـة وتراتِ
والامامُ الذي أصيب بحـــ ـران إمام الهدى ورأسُ الثِّقات(١)

وقال ابن هرمة ، ويقال سديف :

قد كنت أحسبني جلداً فضعضعني قبرٌ بحرّان أمسى عصمة الدين
قبر الامام وخير الناس كلهم بين الصفائح والاحجار والطين
قبر الامام الذي عمّت مصيبته وعيّلت كل ذي وفر ومسكين
فلا عفا الله عن مروان مظلمة فـإنه كـان ملعونـاً لملعونِ(٢)

فولد إبراهيم بن محمد الامام :

عبد الوهاب ، ومحمداً ، وأخوة لهما درجوا ، وأم حبيب تزوجها عيسى بن موسى فولدت له موسى بن عيسى بن موسى بن محمد . والعقب من ولد ابراهيم لعبد الوهاب ، ومحمد الأصغر . وكان المنصور ولّى عبد الوهاب بن إبراهيم الشام فمات هناك .

فولد عبد الوهاب : محمد بن عبد الوهاب ، وأمّه عائشة بنت سليمان بن علي .

فولد محمد : إبراهيم ، ويكنى أبا إسحاق ، وكان يقال له ابن عائشة ، نُسِبَ إلى جدته ، وكان أبوه أيضاً ينسب إلى أمه عائشة ، وكان إبراهيم هذا أراد الخروج على أمير المؤمنين المأمون ، وبايعه على ذلك قومٌ من أهل الحضرة ببغداد ، منهم : محمد بن إبراهيم الإفريقي ، وفرج البغواري

١ ـ انظر الأبيات هذه في الأغاني ج ٤ ص ٣٥٠ ، مع فوارق .
٢ ـ انظر أخبار الدولة العباسية ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ . ديوان ابن هرمة ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

مولى أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، ومالك بن شاهي الكاتب ، ودَبُّوا معه في أمره ، فاطلع المأمون على من كان يسعى له ، فحبسه في المطبق ببغداد ، فأفسد أهله حتى شغبوا فركب المأمون ليلاً إلى باب المطبق ، فأخرج إليه إبراهيم هذا ، فأمر بضرب عنقه وصلبه ، فضربت عنقه ، والمأمون واقفٌ ، وصلب في صبيحة تلك الليلة ، ثم أنزل من يومه .

ووَلَد محمد بن إبراهيم الإمام : عبْد الله ، وأمه زينب بنت سليمان بن علي ، فإليها نُسب الزينبي محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ، وكان المنصور ولّى محمد بن ابراهيم مكة والمدينة واليمن ، ثم ولّاه الجزيرة ، فلما توفي أخوه عبد الوهاب بالشام ، ولاه الشام مكانه .

ولمحمد بن إبراهيم يقول العنبري :

اقضِ عنّي يا بن عم المصطفى ... أنا بالله من الدين وبك
من غريم فاحش يقذعُني ... أشوه الوجه لِعرضي منتهك
ليس بالمقلع عنى دهرهُ ... حيثْ مازلت من الأرض سلك[1]

وقال ، ورهَن مصحفه :

ما ان عمدت كتاب الله ارهنه ... إلا ولم يبق هذا الدهر لي نشبا
فافتكّ طه وياسيناً فانهما ... والسبع من محكم الآيات قد نشبا

---

١ ـ صحف العنبري في أخبار الدولة العباسية ص ٤٠٥ إلى «العبدى» حيث الأبيات .

وأمّا عبد الله بن محمد بن علي أبو العباس :[١]

فحدثني غير واحد أنه لما قتل إبراهيم الإمام خرج من الحميمة يريد الكوفة ، وكان أول بني أبيه خروجاً لخوفه على نفسه لمصير الإمامة إليه ، فلقيه عمه داود بن علي بدومة الجندل فقال : يا بن أخي أين تريد ؟ قال : الكوفة ، قال : أتأتي الكوفة وشيخ بني مروان بحران مطلّ على العراق في خيل العرب ورجالها ؟! فقال : يا عم ان الله إذا اراد أمراً بلغه ، ومن أحبَّ الحياة ذل ، وتمثل :

وما موتة إن متُّها غير عاجز بعارٍ إذا ما غالت النفس غولها[٢]

فالتفت داود إلى ابنه موسى ، وأمه أم موسى بنت علي بن الحسين بن علي فقال : صدق ابن عمك فارجع بنا معه نحيا أعزّاء أو نموت كراماً ، فلم يزل أبو العباس بالكوفة حتى ولي الخلافة .

١ ـ في هامش الأصل «السفاح ـ قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب الألقاب : لقب بالسفاح لكثرة ما سفحه من دماء المسلمين .

٢ ـ ديوان الأعشى ـ ط . دار صادر بيروت ص ١٣٦ .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن معن بن يزيد الهمداني ، قال : كنا نتحدث أن الجعدي قتيل ابن الحارثية .

قالوا : وكان ممّا زاد أمر أبي مسلم بخراسان قوة العصبية التي وقعت بين : مضر ، وربيعة ، واليمن ، بسبب تقديم نصر بن سيار الكناني بني تميم وتوليته إياهم ، وتعصّبه على ربيعة واليمن ، حتى غضب جُديع بن سعيد ، ويقال ابن علي الأزدي ، المعروف بالكرماني ، وإنّما قيل له الكرماني لأنه ولد بجيرفت من كرمان .

وقال ابن الكلبي : هو جديع بن سعيد بن قُبيصة بن سراق ، وكلم نصراً مرة بعد مرة ، فأغلظ له حتى أمر بحبسه ، وأخرجه غلام له من مجرى ماء وهو متسلخ فاجتمعت إليه اليمن وربيعة ، فلم يزل نصر يحاربه ، ثم انفرد بمحاربته الحارث بن سريج بن يزيد المجاشعي ، فقتله الحارث ، وصلبه نصر وعلق معه سمكة ، يُعيّره بعُمان وصيد السمك ، وقام عليٌّ بن جديع مقام أبيه فقاتله الحارث فقتل الحارث ، ويقال إن الحارث قاتل جديعاً فقتله جديع ، ثم وثبت تميم وفيهم حاتم بن الحارث بن سريج فقتلوا جديعاً والله أعلم .

وقال نصر بن سيار للحارث :

يا مُدخِل الذُّلّ على قومه بُعْداً وسُحْقاً لك من هالك
ما كانت الأزد وأشياعها تطمع في عمرو ولا مالك

في أبيات .

وكان تشاغل نصر فُرصَة لأبي مسلم فقوّى أمره حتى أظهر دعوته وكتب إلى دعاته في الكور بإظهارها .

فلما قتل الكرماني قام بأمر عسكره عليٌّ ابنه ، فأظهر خلع مروان فانضم إليه خلق ، وكان شيبان بن عبد العزيز الخارجي ، وهو شيبان الصغير ، قد صار من سجستان إلى خراسان ، فكتب إليه الكرماني : إنك ونحن خالعون لمروان ، فَصِرْ إليّ لنجتمع على محاربة أوليائه ، أولياء الشيطان ، فصار إليه فكانا يحاربان نصر بن سيار ، ومال أبو مسلم فيما أظهر إلى ابن الكرماني وسلّم عليه بالإمرة وقال له : قد قوي أمرك ووهن أمر نصر ، فابعث عمالك إلى النواحي ، فكان يبعث بالرجل إلى الناحية في جماعة ، ويبعث أبو مسلم إليها مع صاحبه باضعافها فيدعون إلى الرضا من آل محمد .

ثم إن أبا مسلم إنفرد بعسكره ، وبعث إلى نصرٍ وابن الكرماني وشيبان : إني رجل أدعو إلى الرضا من آل محمد ولست أعرض لكم ، ولا أعين منكم أحداً على صاحبه .

ولما رأى نصر قوة أمر أبي مسلم بعث إليه يسأله مُوادعته وأن يدخل مرو ، فقصد لدخولها وزَوى أصحاب ابن الكرماني وأصحاب نصرٍ عنها ، فدخلها في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وهو يقرأ : ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾[1] ، فلما استولى عليها قال نصر : لا مقام لنا مع ما أرى من إقبال أمر هذا الرجل وإدبار أمرنا ، فبعث إلى ابن الكرماني : هذا رجل يظهر الميل إليك ، وإنما يريد ختلك فصالِحْني ، فصالحه على أن يكون أمرهما واحداً ، وإن حاربه أبو مسلم رجعا إلى ناحية مرو ، وكان أبو مسلم يظهر لابن

١ ـ سورة القصص ـ الآية : ١٥ .

الكرماني إعظاماً وإجلالاً حتى إذا ضبط أمر خراسان وغلب أصحابُه ودعاتُه عليها ، ومال الناس إليه من كل أوب ، واشتدّ حجابه ، وغلظ أمرُه ، واستفحل ، بعث رسُلَه إلى نصر بن سيار ، وقد آنسه وبسطه وضمن له أن يكف عنه ، ويقوم بشأنه عند الامام ، وأعلمه أن كتاباً أتاه من عند الإمام يعدُه فيه ويُمنّيه ويضمن له الكرامة . وكان رسُلَه لاهز بن قريظ ، وسليمان بن كثير ، وعمران بن اسماعيل ، وداود بن كرّاز ، وقال لهم : أعلموه اني اريد مشافهته وقراءة كتاب الإمام عليه ، فلما أتوه تلا لاهز قول الله عز وجل : ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾[١] ، فتنبه نصر لما أراد من تحذيره فقال : أنا صائر معكم إلى الأمير أبي مسلم ، ودخل بستاناً له كأنه يريد أن يلبس ثيابه ثم ركب دابته وهرب إلى الري فمات بقِسْطانة[٢] . وسأل أبو مسلم عن نصر وهل أنذره أحد ، فأخبر بتلاوة لاهز الآية ، فقال له : يا لاهز أعصبية في الدين ؟! قوما فاضربا عنقه ، فضربت عنق لاهز ، ويقال إن نصراً سار إلى الري فلما دخلها مرض فحمل إلى ساوة بقرب همذان فمات بها .

ووجّه أبو مسلم إلى ابن الكرماني رُسُله وقال لهم : ائتوني بابن الكرماني على الحال التي تجدونه عليها ، فجاؤوا به فحبسه ، وكان أخوه عثمان بناحية هراة فكتب إلى أبي داود في أمره ، فقال له أبو داود : إن أبا مسلم كتب إليّ في عبور النهر لأمر ستعْرفُه ، فإذا عدنا خلّيتُ ما بينك وبين ما وراء النهر وانصرفتُ إليه ، ثم قال : لا يعبرنّ أحد إلا أصحاب عثمان ،

١ ـ سورة القصص ـ الآية : ٢٨ .

٢ ـ قرية بينها وبين الري مرحلة في طريق ساوة . معجم البلدان .

فعبروا حتى إذا بقي في نفر وثب به فقتله ، وبعث برأسه إلى أبي مسلم ، فأخرج عليّاً عند ذلك فقتله ، وكان أبو مسلم قد وادع شيبان إلى مدّة ، فوجه إليه جيشاً فواقعوه فكشفوه ، وصار إلى ناحية أبيورد وأهلها أول من سوّد ، فكتب أبو مسلم إليه أن بايع للرضا من آل محمد حتى لا أعرض لك ، فبعث إليه : بل بايعني أنت ، فكتب أبو مسلم إلى بسام بن ابراهيم مولى بني ليث بن بكير ، وهو بأبيورد ، في مناهضته فناهَضَهُ فقتله وأصحابَه الا عدة تفرقوا في البلاد ، ويقال بل صاروا إلى نصر قبل هربه .

حدثني أبو مسعود عن أشياخه قال : لما ظهر أبو مسلم بعث نصر إليه عرفجة بن الورد فقال : القَهُ فأسأله من هو وما أمره ، فأتاه فقال له : ما اسمك ؟ فنظر إليه شزراً ، ثم قال : عبد الرحمن بن مسلم . فقال : مِن مَن ؟ فنظر إليه حتى قيل سيقتله ، ثم قال : علمُ خبري خير لَكَ من علم نسبي ، فقال أبو نُخيلة :

نفّستَ عن عرفجة بن الورد　　غيـاطلاً من كـرب وجهـد

ثم إن عرفجة أتى البصرة ومات بها بعد حين .

قالوا : وأتى أبا مسلم قومٌ من أصحاب الحديث فسألوه عن شيء من الفقه ، فقال : ليس هذا بوقت فُتيا ، نحن مشاغيل عن هذا ومثله .

وحدثني أبو مسعود وغيره ، قال : لما ظهر أمر أبي مسلم كتب نصر بن سيّار بن رافع بن جري أحد بني جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، قال نصر بن سيار :

أبْلِغ ربيعة في مروٍ وذا يمن　　أن اغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب

ما بالكم تنشبون الحرب بينكم　　كأنّ أهل الحجى عن رأيكم غيب

وتتركون عدوًّاً قد أحاط بكم ممن تأشّب لا دين ولا حسب
لا عُرْب مثلكم في الناس نعرفهم ولا صريح موالٍ إن هُمُ نُسِبوا
من كان يسألني عن أصل دينهم فإن دينهم ان تهلك العرب
قومٌ يقولون قولاً ما سمعت به عن النبيّ ولا جاءت به الكتب

قالوا : وكتب نصرٌ إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، عامل مروان على العراق حين ظهرت المسودة :

أبلغ يزيد وخيرُ القولِ أَصْدَقُه وقد تيقَّنتُ أن لا خير في الكذب
بِأن خراسان أرضٍ قد رأيت بها بيضاً لو افرخ قد حُدِّثت بالعجب
وقد وجدنا فراخاً بعد قد كثرت لّما يَطِرن وقد سربلن بالزغب
إلاّ تُدارك بخيل الله مُعلمة ألهبنَ نيران حرب أيّما لهب

فقال يزيد : لا عليه فما عندي رجل واحد أمدّه به ، وكان مبغضاً له مستثقلاً لولايته خراسان .

قالوا : وكتب نصر إلى مروان يستمدّه ، فأمدّه بنباتة بن حنظلة الكلابي فقتل بجرجان . وكتب إلى مروان :

أرى خلل الرماد وميض جمر حريّ أن يكون له ضرام
فقلتُ من التعجب ليت شعري أأيقاظ أميّة أمْ نيام
فإلاّ تطفئوه يجرّ حرباً يكون وقودها قصر[1] وهام

وقتل ابنٌ لِنصرٍ في العصبية يقال له تميم ، فقال نصر :

نَأى عني العزاءُ وكنت جلدا لأنْ أجلى الفوارس عن تميم

---

١ ـ القصر : أعناق الناس والإبل ، القاموس .

أمر قحطبة

قالوا : وجه أبو مسلم في ذي القعدة سنة ثلاثين ومائة قحطبة بن شبيب بن خالد بن معْدان بن شمس بن قيس بن أكلَب بن سعد بن عمرو بن الصامت بن غَنْم بن مالك بن سعد بن نبهان - وهو أسودان - بن عمرو بن الغوث بن طيء ، إلى العراق ، ومعه أبو غانم عبد الحميد بن رِبْعي بن خالد بن مَعْدان ، والمسيب بن زهير بن عمرو بن حُمَيْل الضبي ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ، وموسى بن كعب بن عيينة بن عائشة بن سري التميمي ، ثم احد امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، وحيّة بن عبدالله بن خلدة بن النطّاق ، من بني العصبة بن امرىء القيس ، ومالك بن الطوّاف بن حضرمي بن مالك بن كنانة ، من ولد العصبة أيضاً ، والقاسم بن مجاشع بن تميم بن حبيب من ولد عرعرة بن عادية بن الحارث بن امرىء القيس ، وأبو عون عبد الملك بن يزيد ، ومُقاتل بن حكيم بن عبد الرحمن العكي وغيرهم ، وحمل معهم مالاً عظيماً لأعطيتهم وكانوا في ستين وفي ثمانين وفي مائة من العطاء . وكان على مقدّمة قحطبة ابنه الحسن بن

قحطبة ، فلما وافى جرجان قال : يا أهل خراسان إن النصر مع الصبّر ، والتنازع فشل ، وإنكم تقاتلون بقية قوم حرقوا بيت الله وكتابه ، واغتصبوا هذا الأمر ، فانتزوا عليه بغير حقّ .

وكان مروان قد أمر ابن هبيرة أن يمدّ نصر بن سيار بنباتة بن حنظلة أحد بني بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ، وكان نباتة قد لقي سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة بالأهواز ، وسليمان واليها من قبل عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب حين خرج عبدالله ودعا لنفسه ، فهرب منه سليمان بعد قتال وصار إلى فارس ، فكتب ابن هبيرة إليه في المصير إلى خراسان مدداً لنصر بن سيار ، فأتى أصبهان ، ثم الري ومضى إلى قومس ، فلم تحمله وأصحابه ، فصار إلى جرجان ، وسار قحطبة إليه فالتقيا في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين ومائة يوم جمعة ، وقال قحطبة : هذا يوم يرجى فيه النصر ونزول الرحمة ، وجعل يدعو إلى الرّضا من آل محمد ، ونادى أهلُ خراسان : يا محمد يا منصور ، ونادى أهل الشام : يا مروان يا منصور ، فاقتتلوا طويلاً فقتل نباتة بن حنظلة ، وانهزم أهل الشام أقبح هزيمة ، فوضع السيف فيهم ، فقتل منهم عشرة آلاف ، ويقال ستة آلاف وبعث قحطبة برأس نباتة إلى أبي مسلم ، فأمر فطيف به في كور خراسان .

وقال بعض شعراء طيّ :

لما رمتنا مُضَرٌ بالقبّ قَرْضبهم قحطبةُ القرضبّ

يدعون مروانَ وأدعو ربّي

قال الحرمازي : أخبرني علماء من أهل خراسان أن نصر بن سيار كان يتضجّع في طريقه حتى قُتل نباتة ، فأتى الريّ فمرض بها وحمل إلى ساوة فمات بها .

قالوا : وقدم قحطبة الري وكتب إلى أبي مسلم يستمده ، فأمده بأبي الجهم بن عطية مولى باهلة في سبعمائة ، ويقال في ألف وسبعمائة ، وكان عامر بن ضبارة المرّي قد وُجّه لمحاربة شيبان الخارجي ففاته ولحق بكرمان ، فأتى كرمان فأوقع به واستباح عسكره ، فأتى شيبان سجستان ثم صار إلى خراسان ، وواقَع عامرٌ عبدالله بن معاوية قبل ذلك بفارس فهزمه ، فكتب ابن هبيرة إليه يأمره بالمسير إلى قحطبة ووجه معه ابنه داود بن يزيد بن هبيرة ، فسارا في خمسين ألفاً حتى نزلا أصبهان وانضم إليهم بها ولد نصر بن سيّار وجماعة من المروانية من أهل خراسان ، ووافى قحطبة فاقتتلوا ، وعلى ميمنة قحطبة خالد بن برمك والعكّي ، وعلى ميسرته أبو غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي ، ومعه مالك بن الطوّاف التميمي ، وقحطبة يومئذ في اثني عشر ألفاً ، فلم يلبث أهل الشام أن انهزموا ، فقتلوا قتلاً ذريعاً ، وقتل عامر بن ضبارة ، وقتل مساور ، وقديد ، ومبشّر بنو نصر بن سيار ، وخالد بن الحارث بن سريج المجاشعي ، وعامر بن عَميرة السمرقندي ، وكان مع قحطبة ، فانقلب الى ابن ضبارة وبعث برأسه إلى أبي مسلم مع عيسى بن ماهان مولى خزاعة ، فاحتبسه أبو مسلم فلم يخرج من خراسان حتى قتله ، وهرب داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة إلى أبيه .

وكان مالك بن أدهم بن محرز الباهلي على الري فلما قدمها قحطبة

هرب فصار إلى نهاوند فأمنه قحطبة وفتح نهاوند ، وقال قوم : كان بنو نصر بن سيار بها فقتلهم ، والثبت أنهم قتلوا بأصبهان .

وبلغ عامل حلوان وهو عبيدالله بن العبّاس الكندي خبر أصبهان ونهاوند ، فهرب فلم يلق كيّداً .

ووجه قحطبة عبد الملك بن يزيد الأزدي - أبا عون ، ومالك بن الطوّاف في أربعة آلاف إلى شهرزور ، وبها عثمان بن سفيان ، وهو على مقدمة عبدالله بن مروان بن محمد فناهضا عثمان فقتلاه ، وذلك في العشر من سنة احدى وثلاثين ومائة .

وبلغ قحطبة أن ابن هبيرة بالدسكرة يريده ، فعدلَ إلى راذان فعبر القاطول ثم أتى العلث فعبر في السفن ، ثم أتى أوانا ، ثم الأنبار ثم مليقيا من الفلّوجة ، ثم قدّم قحطبة أمامه الحسن بن قحطبة وهو يريد الكوفة ، فواقعه ابن هبيرة ، ومعه محمد بن نباتة بن حنظلة ، وحوثرةُ بن سهيل الباهلي ، فهزمهم أهل خراسان وفُقِد قحطبة ، فيقال ان قوماً من الطائيين دلّوه على مخاضة فغرق فيها ، ويقال بل وُجد مقتولاً فدفنه أبو الجهم بن عطية ، وكانت الواقعة بفم الزابي من الفلّوجة ، ويقال : وجد مقتولاً وإلى جانبه حرب بن سلم بن أحوز وقد اختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه .

وقال أحلم بن إبراهيم بن بسام : أنا قتلت قحطبة ، نظرت إليه وَاقفاً فذكرت شيئاً كان في نفسي عليه فقتلته ، ويقال انه سقط من جرف وقد اعترم به فرسه فغرق ، وقال سلم مولى قحطبة : جزنا المخاضة التي دلّنا الطائيون عليها فقاتل ليلاً فوجد فرسه عاثراً فلم يُدْرَ ما خبره . وزعموا أن معن بن

زائدة ضرب قحطبة على حبل عاتقه فأسرع فيه السيف وسقط إلى الماء فأخرجوه ، وكان قحطبة أوصى إن حدث به حدث فالأمير الحسن بن قحطبة ، فبعثوا إليه فردّوه من قرية شاهي فبويع ، وسار بالناس حتى نزل النُّخيلة ، وواقع ابن هبيرة فقتل من أهل الشام أكثر من ثلاثة آلاف . وسَـوَّدَ محمد بن خالد بن عبدالله القسري بالكوفة ، وخرج في أحد عشر ألفاً ، فدعا الناس إلى الرضا من آل محمّد ، وضبط الكوفة ، وهرب عاملها ، فدخل الحسن بن قحطبة والناس في السوّاد وسألوا عن أبي سلمة وزير آل محمد ، فدلّوا على منزله ، فَخَرَجَ إليهم فقدّموا إليه داية من دواب الحسن بن قحطبة فركبها وجاء حتى وقف بجبانة السبيع ، فبايعه أهل خراسان والناس .

ثم وجه أبو سلمة الحسن بن قحطبة إلى ابن هبيرة ، وقد صار إلى واسط ، وضم إلى الحسن خازمَ بن خزيمة التميمي والعكي ، وزياد بن مشكان صاحب المشكانية ببغداد ، وعثمان بن نوفل وغيرهم ، وولّى الكوفة محمد بن خالد ، ووجه حميد بن قحطبة إلى المدائن ، ووجه خالد بن برمك ، والمسيب بن زهير إلى دير قُنّى ، وبعث يزيد بن حاتم في أربعمـائة إلى عين التمر ، وبعث بسام بن ابراهيم إلى الأهواز وعليها عبد الواحد بن عمر بن هبيرة فخرج عنها إلى البصرة .

واقتتل أهل خراسان وأهل الشام بواسط مرّات ، هُزم أهل الشام فيهن كلهن ، وجعل محمد بن خالد على شُرَطِهِ طلحة بن اسحاق الكندي ، وكان قبله على شرطة زياد بن صالح الحارثيّ عامل الكوفة من قبل ابن

هبيرة ، وكان يقال لزياد أبا الصواعق ، ومدح محمداً بن خالد حُوَيْصٌ الأشجعي ، فلم يرضه فقال :

أرى كل جار يفيد الغنى وجار بجيلة لا يفلح
محضتُ بجيلة حسن الثناء فما أحسنوا بي ولا انجحوا
ولو انصفوني لقالوا ثناه عنا فما مثلنا يمدح

وكان أبو العباس وأهل بيته بالكوفة قد أخفاهم أبو سلمة في دار في بني أوْدٍ ، فكان إذا بعث إليه أبو العباس يسأله عن خبرهم عنده يقول : لم يأْن ظهوركم بعد ، فلم يزل قبل ظهوره كذلك أربعين ليلة وهو يريد أن يَعْدِلَها عنهم إلى ولد فاطمة .

وكان أهل خراسان يسألونه عن الإمام فيقول : نحن نتوقعه ولم يأْن لظهوره ، ثم أرسل أبو العباس إلى أبي سلمة : إني على إتيانك اللّيْلة فقد عرفت أني صاحب هذا الأمر ، فقال لسَلْمٍ موْلى قحطبة والأسد بن المرزبان : إن رجلاً يأتيني الليلة فإن قمتُ وتركته فاقتلوه فإنه يحاول فساد ما نحن فيه ، فلما صار أبو العباس إليه ناظره فغضب أبو سلمة وأراد القيام ، فعلق أبو العباس بثوبِهِ وضاحكه ثم خرج فركب ولم يعرض له ، فلمّا لقي أهل بيته حدّثهم حديثه وقال : والله ما أفلتُّ منه حتى ساعدتُه على ما يريد ، وانّه لعلى صرف الأمر عنّا . فقال داود بن علي : الرأي أن نرجع إلى المدينة ، وقال عبدالله بن علي : اخرج فاعلم الناس أنك هاهنا . وخرج صالح بن الهيثم رضيع أبي العباس ومعه مولى لهم أسود يقال له سابق فلقيهما أبو حميد السمرقندي فعرفهما ، لأنه كان يأتي الإمام فقال لصالح : ألسْتَ رضيع ابن الحارثية ؟ وقال لسابق : ألستَ مولى الإمام ؟ فقالا : بلى ،

قال : فما تصنعان ههنا ؟ قالا : أبو العباس ابن الحارثية ورجال من أهل بيته بالكوفة مذ كذا وكذا . فأتى أبو حميد أبا الجهم بن عطية بهما ، فصارا معهما إلى بني أود في جماعة ، ثم دخل دار الوليد[1] فقال : أيّكم أبو العباس عبدالله بن الحارثية ؟ فقالوا : هو هذا ، فسلم عليه أبو الجهم بالخلافة ، ثم بكى فقال له : تركنا أبو سلمة هاهنا وأنتم حضور فلم يعلمكم خبرنا ، وبعث أبو الجهم إلى وجوه الناس فأتى عبد الحميد بن ربعي ، وإبراهيم بن سلمة ، وشبيب بن راح ، صاحب مربعة شبيب ببغداد فوق باب الشام ، في جماعة فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه ، وبلغ الخبر أبا سلمة فسقط في يده ، ثم أتى أبا العباس وسلم عليه بالخلافة ، فقال له أبو حميد : على رغم أنفك يا بن الخلّالة ، فقال أبو العباس : مَهْ ، وجعل أبو سلمة يقول : إنما أردتُ اظهار أمير المؤمنين بعد أن أحكم له الأمور ، ومنع أبو الجهم وأصحابه أبا سلمة من الدخول على أبي العباس إلاّ وَحْدَه . وأتى أبو الجهم أو غيره أبا العباس ببرذون أبلق ، وأتى أهل بيته بدواب ، فركب وركبوا وداود بن علي يسايره وهو عن يساره ، فجعل الناس يقولون لداود : هذا أمير المؤمنين ، وهم لا يعرفونه ، فقصّر دون أبي العباس حتى عُرف أنه الخليفة ، وكان أبو الجهم ، وعبدالله بن بسام يمشيان بين يديه ، وأبو سلمة يسير خلفه على فرس له والوجوم يتبينّ فيه .

وصار أبو العباس إلى المسجد فصعد المنبر ، وصعده داود بن علي فصار دونه بمرقاة ، وأمره أبو العباس بالكلام فقال : «شكراً ، شكراً ،

---

١ ـ الوليد بن سعد مولى بني هاشم ، وكانت داره في بني أود . انظر العيون والحدائق لمؤلف مجهول ـ ط . ليدن ١٨٧١ ج ٣ ص ١٩٦ .

شكراً، إنا والله ما خرجنا فيكم لنحفر نهراً ، ولا نبني قصراً ، ولا نسير سير الجبارين الذين ساموكم الخسفَ ، ومنعوكم النصف ، أظَنَّ عدوّ الله أن لن يُقدَر عليه ؟ أرخي له في زمامه حتى عثر في فضل خطامه» ، ثم ذكر العرب فاستبطأهم وقرّظ أهل خراسان ، ثم قال : «الآن عادَ الأمرُ إلى نصابه ، الآن طلعت الشمس من مطلعها ، الآن أخذ القوس باريها ، وصارالأمر إلى النزعة ، ورجع الحق إلى مُستقرِّه في أهل بيت نبيّكم وورثته أهل الرأفة والرحمة ، والله لقد كنا نتوجّع لكم ونحن على فرشنا ، أمِنَ الأبيضُ والأسود بأمان الله وذمته وذمة رسوله ﷺ ، وذمّة العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ ، إنّه والله ما بينكم وبين رسول الله ﷺ خليفة إلاّ علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين ، وما بايعتم قطّ بيعة هي أهدى من بيعتكم هذه» .

وحدثني عبدالله بن صالح قال داود بن علي في خطبته : «إن العرب قد أطبقت على إنكار حقّنا ، ومعاونة الظالمين من بني أميّة ، حتى أتاح الله لنا بهذا الجند من أهل خراسان ، فأجابوا دعوتنا وتجردوا لنصرنا» ، قالوا : ثم أجلس أبو العباس موسى بن كعب لأخذ البيعة على الناس ، وبات أبو العباس ليلة الجمعة في قصر الكوفة ، ثـم صلى بالناس يوم الجمعة .

وقال هشام بن الكلبي : وُلِد أبو العباس في أوّل أيام يزيد بن عبد الملك وظهر بالكوفة عشيّة يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وملك أربع سنين وتسعة أشهر ، وتوفي يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وهو ابن ست وثلاثين سنة . قال ابن هشام[1] : وبعضهم يقول ظهر يوم الاربعاء

١ ـ كذا بالأصل وابن كما هو مرجح زائدة .

بالعشيّ ، وبويع في يومه ، ويوم الخميس ، وصلى بالناس يوم الجمعة .

وحدثني ابن القتّات عن المفضّل الضبيّ قال : خطب أبو العباس بعد قيامه بأيام بين الكوفة والحيرة فقال في خطبته : «والله لأعملنّ اللين حتى لا تنفع إلا الشدّة ، ولأكرمنّ الخاصّة ما أمِنتهم على العامة ، ولأغمدنّ سيفي إلّا أن يسلُّه الحق ، ولأعطينّ حتى لا أرى للعطية موضعاً ، إنّ أهلَ بيتِ اللعنة كانوا عليكم عذاباً ، ساموكم الخسف ومنعوكم النصف ، وأخذوا الجار منكم بالجار ، وسلّطوا شراركم على خياركم ، وقد محا الله جورهم وأزهق باطلهم ، وأصلح بأهل بيْت نبيّه ما أفسدوا منكم ، ونحن متعهدوكم بالأعطية والصدقة والمعروف ، غير مُجمّرين لكم بعثاً ، ولا راكبين بكم خطراً» .

وقال ابن القتات : خطب أبو العباس يومَ ظَهَر فقال : «الحمدلله الذي اصطفى الاسلام ديناً لنفسه ، فكرّمه وشرّفه وعظّمه ،واختاره لنا ، وأيّده بنا وجعلنا أهله وكَهْفهُ وحصْنه والقوّام به والذابينّ عنه والناصرين له ، وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحقّ بها وأهلها [و][1] خَصّنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته ، ونسلنا من آبائه وأنشأنا من شجرته واشتقّنا من نبعته ، وجعله من أنفسُنا ، فوضعنا مِن الاسلام وأهله بالموضع الرفيع وذكرنا في كتابه المنزل فقال : ﴿إنما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهلَ البيت ويطهركم تطهيراً﴾[2] ثم جعلنا ورثته وعصبته ، فزعمت السبئية الضُلّال ، والمروانيّةُ الجُهّال أن غيرنا أحق بالأمر منّا ، فشاهت وجوههم ، بمَ ، ولمَ ،

١ ـ زيدت الواو من العيون والحدائق ج ٣ ص ٢٠٠ .
٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٣ .

وبنَا ، هُدي الناسُ بعد ضلالهم وبُصِّروا بعد جهالتهم وأنقذوا بعد هلكتهم ! فظهر الحقّ وأدحض الباطل ، ورُفعت الخسيسة ، وتُمّمت النقيصة ، وجُمعت الفُرقة وذلك بالنبي ﷺ ، فلما قبض الله نبيّه قام بالأمر من بعده أصحابُه فحووا مواريثَ الأمم فَعَدَلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها وخرجوا من الدنيا خماصاً ، ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزّوها أهلها ، فجاروا فيها وأساؤوا ، وظلموا فأملى الله لهم حتى آسفوه ، فانتقم منهم بأيدينا وردّ علينا حقّنا وتدارك أمّتنا ووَلي نُصرتنا والقيام بأمرنا كما قال : ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾[1] وإني لأرجو أن يتمّ لنا ما افتتح بنا ، وسيأتيكم العَدْل والخير بعد الجور والشرّ ، وما توفيقنا إلا بالله . يا أهل الكوفة انكم محلّ دُعاتنا وأوليائنا وأهل محبّتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة مائة ، فاستعدّوا فإنّي السفّاح المُبيح والثائر المُبير» . وكان مَوْعوكاً فجلس على المنبر ، وقام داود دونه فتكلم .

وحدثني عبدالله بن صالح قال : كان المُسْتَخفون بالكوفة : أبو العباس ، وأبو جعفر ، وداود بن علي ، وموسى ابنه ، وعيسى ، وإسماعيل ، وعبد الصمد ، وعبدالله ، وسليمان ، وصالح بن علي ، والعباس بن محمد ، ويحيى بن محمد ، وعبدالوهاب بن إبراهيم الإمام ، وعيسى بن موسى ، ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس ، ومحمد بن جعفر بن عبيدالله بن العباس ، وبعض ولد معبد بن العباس .

١ - سورة القصص - الآية : ٥ .

قال وحدثنا عبثر أبو زبيد قال : أقرّ أبو سلمة محمد بن خالد القسري على صلاة الكوفة ، وولّى طلحة بن اسحاق شرطها ، فلما بويع أبو العباس ولّى داود بن عليّ الكوفة ، فأقرّ طلحة على شُرطها ،ثم صرف داود وولاّه الحجاز ، وولّى يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس الكوفة ، ثم عزله وولّى عيسى بن موسى بن محمد .

قال : فكان الربيع بن رُكَيْن ، أو غيره ، يختار لعيسى الرجال فيوليهم فقال خلو بن خليفة أو غيره :

أصبح ديني ودين الربيع على مثل دين أبي مسلم
وأصبحت تطلب أهل الصلاح فهل لك في شاعر مُحرم
يُقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وقد حلقَ الرأس بالموسم

قالوا : وكان عيسى يستشير عبدالله بن شبرمة ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى فيمن يوليه عمله فسميّا له ، أو أحدهما ، نفراً فخانوا وكسروا الخراج ، فأمر بهم عيسى البطين - صاحب استخراجه - فحبسوا وعذبوا ، فقال مساور الوراق :

رأيت نواهض البقّال خيراً من الشبوط والجدي السّمين
وأحمد في العواقب حين تُبلى اذا كان المردُّ إلى البطين
فيا هذا اللطيف بقاضيينا فكنْ من علم ذاك على يقين
بانك طال ما بهرجت فيها بمثل الخنفساء على الجبين
وقل لهما إذا عرضا لصك برئت إلى عُرَينة من عَرين

وحدثني غير واحد أن عيسى تزوج امرأة من آل جرير بن عبدالله ، فقال : من يحملها إليّ ؟ فقال له ابن شبرمة : يحملها أبو السمح ، وهو رجل

كان يدخل في أعمال الخراج ، فقال مساور :

بينمـا نحـن نرتجي لأبي السـمح طساسيج تستر والفراتا
إذ أتانا على الزفاف بعهد ليتـه قبل هـذه كان مـاتا

ولقي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عيسى فقال له : ما يمنعك من إتياني ؟ قال : وما أصنع عندك ، إن أدنيتني فتنتني ، وإن أقصيتني حزنتني ، وليس عندك ما أرجوه ، ولا عندي ما أخافك عليه ، وكان عامل عيسى على الصدقات الجرّاح بن مليح ، وعلى بيْت ماله حميد الرواسي ، وكان ابن أبي ليلى على قضاء الكوفة ، وابن شبرمة على قضاء الحيرة .

قالوا : لما بويع أبو العباس ندب أهل بيته إلى قتال مروان ، فلم ينتدب له إلا عبدالله بن علي فوجههُ لحربه ، فكان من أمره ما كان .

أمر ابن هبيرة ومقتله

قالوا : ووجه أبو سلمة : الحسن بن قحطبة إلى ابن هبيرة ، وقد تحصّن بواسط فحاصره ، وكتب أبو سلمة إلى أبي نصر مالك بن الهيثم وهو بسجستان من قبل أبي مسلم يأمره بالمصير إلى البصرة ، فلما قدمها وجد عليها سفيان بن معاوية قد سوّد بها ودعا إلى بني هاشم ، فكتب أبو سلمة إلى نصر يأمره بالمصير إلى الحسن بواسط ففعل ، وواقع الحسنُ ابنَ هبيرة فهزم أهل الشام وغرق منهم خلق ، ثم واقعهم أيضاً فهزمهم ابن هبيرة ، وقاتل عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة قتالاً شديداً ، وثابَ الناسُ فهزم ابن هبيرة .

ثم إن أبا العباس رأى توجيه أبي جعفر المنصور إلى واسط ، وذلك أن قوماً من أهل خراسان كان في أنفسهم على الحسن أشياء فكرهوه ، وسألوا أبا العباس أن يوجه مكانه رجلاً من أهل بيته ليسكنوا إليه ويقاتلوا معه ، فلما قدم المنصور واسطاً تحول له الحسن بن قحطبة عن مضربه . وكتب أبو العباس إلى الحسن : إنما وجهتُ أخي إلى ما قبلك ليسكن الناس إليه ويثق ابن هبيرة بأمانه إن طلب الأمان ، وأنتَ على أمرك وجيشك والتدبير لك .

ثم التقوا وأهل الشام ، فانهزم أهل الشام ، وثبت معن بن زائدة الشيباني ، وكان مع ابن هبيرة فقاتل ، وترجل أبو نصر مالك بن الهيثم ثم افترقوا . ومكثوا أياماً ، فخرج معن بن زائدة ، ومحمد بن نباتة بن حنظلة ، فقاتلوا أهل خراسان فهزموهم إلى دجلة ، فقال لهم أبو نصر : يا أهل خراسان، ويلكم إلى أين تفرون؟ إن الموت بالسيف خيرٌ منه غرقاً، فثابوا وحملوا فهزموا أهل الشام ، فكانوا على ذلك أحد عشر شهراً ، فلما طال عليهم الحصار وجاءهم قتل مروان ببوصير من أرض مصر طلبوا الصلح ، وأتاهم اسماعيل بن عبدالله القسري فقال : علامَ تقتلون أنفسكم وقد قتل مروان ! فطلب معن بن زائدة الأمان فأمنه المنصور ، ثم طلب ابن هبيرة الأمان فأمنه المنصور أيضاً ، وكتب له كتاباً ، واشترط عليه أنه إن نكث أو غدر فلا أمان له . وكان مقيماً بواسط يغدو ويروح إلى المنصور في جماعة كثيرة ، ويتغدّى عنده ويتعشّى إذا حضر في وقت غذائه وعشائه ، وهو في ذلك يدسّ إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وغيره ، ويهمّ بالدعاء لآل أبي طالب وخلع أبي العباس ، فتيقن أبو العباس ذلك من أمره . وكان أبو مسلم يكتب إليه فيشير عليه بقتله ، ويقول : إن الطريق إذا كثرت حجارتهُ فسد ، وصعب سلوكه ، فكتب أبو العباس إلى أبي جعفر يأمره بقتل ابن هبيرة ، فأبى ذلك وكرهه للذي أعطاه من الأمان . فكتب إليه : إن هذا الرَجل قد غدر ونكث وهو يريد بنا العظمى ، وما لكتاب عبد الرحمن فيه اقتله ولكن لما أبان لي من نكثه وفجوره ، فلا تُراجعني في أمره فقد أحلّ لنا دمه . فأمر المنصور الحسن بن قحطبة بأن يقتله فأبى . فقال خازم بن خزيمة : أنا أقتله ، وساعده على ذلك الاغلب بن سالم

التميمي ، والهيثم بن شعبة وغيرهما ، فداروا في القصر ثم دخلوا على ابن هبيرة وعليه قميص مصريّ وملاءة مورّدة أو صفراء ، ومعه ابنه داود وكاتبه عمر بن أيوب في عدة من مواليه ، وكان قد دعا بحجام ليحتجم ، فلما رآهم مقبلين خرّ ساجداً فضرب بالسيوف حتى مات ، وقتل ابنه ومن كان معه ، وأراد عمر بن أيوب الخروج فقتل ، ويقال إنهم جرّوه برجله حتى أنزلوه عن فراشه ثم قتلوه ، وجاؤوا برأسه ورؤوس من كان معه إلى المنصور . وأخذ عثمان بن نهيك سيف حوثرة بن سهيل فضرب به عنقه ، وفعل بمحمد بن نباتة مثل ذلك ، وفعل بيحيى بن حُضَين بن المنذر مثل ذلك . وكان معن بن زائدة الشيباني قد وفد إلى أبي العباس ببيعة ابن هبيرة ، وأقام بالكوفة ، فقتل ابن هبيرة وهو بالكوفة فسلم .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : كان ابن هبيرة إذا رأى وهناً وضعفاً من أمره أنشد :

والثوب إن أسرع فيه البلى أعيا على ذي الحيلة الصانع
كنا نداريها فقد مزّقت واتسع الخرق على الراقع

قال الهيثم : وكان زياد بن صالح الحارثي مع ابن هبيرة ، فكتب إليه أبو العباس : ان لك قرابة وحقاً ، وأرغَبَه فخرج إليه ، فانكسر ابن هبيرة وطلب الأمان .

قال الهيثم : لما أُومن ابن هبيرة ونزل بواسط كتب ابو مسلم : انه قلّ طريق سهل فيه حجارة إلا أضرّت بأهله ، ولا يصلحُ والله لكم أمر دونه ابن هبيرة فاقتلوه عاجلاً فلست آمنُ ان يكيدكم ، فوجّه ابو العباس رسولاً إلى المنصور بكتاب منه يعزم عليه فيه ليقتلنّه ، فوجه المنصور أبا خزيمة والهيثم بن

شعبة والاغلب بن سالم وسليمان بن سلام الحاجب في جماعة فدخلوا رحبةَ القصر وارسلوا إلى ابن هبيرة ، انا نريد حمل ما في الخزائن ، فقال : افعلوا ، فدخلوا الخزائنِ فوكلوا بكل باب خزانة جماعة ودخلوا عليه فقتلوه ، ونادى منادي المنصور : أمِنَ خلق الله إلاّ عمر بن ذر ، والحكم بن بشر ، وخالد بن سلمة المخزومي ، وقتل من وجوه أصحاب ابن هبيرة خمسون رجلاً ، ونودي : يا أهل الشام الحقوا بشامكم ، فاشهدوا أسماءكم هناك ، ووجّه الى المثنى بن يزيد بن عمر أبا حمّاد الابرص ، وهو إبراهيم بن حسّان ، فقتله ويقال إن داود بن علي وجّهه ، واستخلف أبو جعفر بواسط الهيثم بن زياد الخزاعي ، وانصرف هو والحسن ومن معهم إلى أبي العباس .

قال أبو عطاء السندي يرثي ابن هبيرة :

ألا إنّ عيناً لم تجدُ يومَ واسطٍ عليكَ بجاري دمعها لجمودُ
عشيَّةَ قام النائحاتُ وصُفِّقت جيوب بأيدي مأتمٍ وخُدودُ
فإن تُمسِ مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفودُ
يقولون لا تبعد على متعهدٍ بلى كلُّ من تحت التراب بعيدُ

أبو الحسن المدائني عن مسلم بن المغيرة قال : كنت مع أبي أيوب الخوزى في عسكر أبي جعفر ، وكان لأبي جعفر بيت قد بني له ومضربُه يحيط به وكان في ستارة المضرب خلل ، فكنت أنظر منه فرأيت الحسن بن قحطبة إلى جانب المنصور يحدثه ، ثم دعا بحوثرة بن سهيل فجاء عثمان فأخذ سيفه فأراد أن يتكلم ثم سكت فأدخل البيت وأغلق عليه ، ثم خرج سلام صاحب أبي جعفر فدعا بمحمد بن نباتة فصنع به مثل ذلك ، ثم خرج فقال : أين يحيى بن الحضين ؟ ثم دُعي ببشر بن عبد الملك بن بشر ، أو قال

بالحكم بن عبد الملك ، فقام ومعه أخوه أبان فقال : ما فرق بيني وبينه شيء قط ، فقال له سلام : اجلس فانما نفعل ما نؤمر به فجلس ، ثم دعا بخالد بن سنان المرّي وكان على شرطة ابن هبيرة ، ثم قتل خالد بن سلمة المخزومي وابنه ، ثم قتل حرب بن قطن الهلالي ، ثم خرج سلام فقال للناس : انصرفوا .

قال مسلم بن المغيرة : فسألت عثمان بن نُهيك عن السبعة النفر ، فقال : أما حوثرة فإني أدخلت السيف بين ضلعين من أضلاعه وقلتُ : يا عدو الله أنت الكاتب إلى مروان إنّ الله مخزيهم ، ثم لم يُرضك إلاّ شتمنا ! ولم يكن في القوم أجزع من ابن نباتة ، كان يصيح كما يصيح الصبيان على شجاعته وبأسه ، وأما خالد بن سنان فقال : يا مجوس قتلتمونا غدراً ، والله لقد قتلنا سيدكم قحطبة ، وقتل مع ابن هبيرة رباح بن أبي عمارة مولى هشام ، وكان هشام اشتراه بعشرة آلاف فأعتقه ، فلما جرى الصلح بين ابن هبيرة وبين أبي جعفر قال له أبو جعفر : أعربي أم مولى ؟ قال : ان كانت العربية لساناً فقد نطقنا بها ، وإن كانت ديناً فقد دخلنا فيه ، فاستبرعه فسأل عنه فقيل قتل ، ويقال إنه أمر أن يُستبقى فعجل عليه ، وهرب ابن علاثة ، وهشام بن هُشيَم بن صفوان الفزاريان فلُحقا فقتلا على الفرات ، وقتل أبو عثمان الحاجب وهو يتغدى بلحم بقر ، دعا به خازم فضرب وسطه . وقتل الحكم بن عبد الملك أخو بشر بن عبد الملك وابنان له ، وقيل إنه هرب ، وأبو علاثة الفزاري وكان على حلوان ، ويوسف بن محمد بن القاسم الثقفي . ودعي بحرب بن قطن فطلب فيه الحسن بن قحطبة وقال :

خالكم ، فقال أبو جعفر : إن أمير المؤمنين كتب يؤمنك لرحمك وحقن دمك .

قال بعض الرواة : قام سعد الموصلي ـ ويقال سعيد ـ خليفة عثمان الحاجب دون ابن هبيرة فقال : وراءكم ، فضربه الهيثم على حبل عاتقه فصرعه ، وقام داود دون أبيه فقتل .

قالوا : وكان عمر بن ذر يقول : ضاقت عليَّ الأرض ، فخرجت على دابتي أقرأ آية الكرسي فما عرض لي أحد ، فاستأمن لي زياد بن عبيد الله الحارثي فآمنني أبو العباس ، وكان عمر يقص ويحرّض على المسوِّدة . وكان أبو جعفر قد آمن خالد بن سلمة ، فقال أبو العباس ، لو كانت له ألف نفس لأتيت عليه ، فقتله .

قالوا : وكان خازم يقول : والله ما بدرت إلى قتل ابن هبيرة إلاّ مخافة أن يُدفع الى رجل من اليمانية فيفخر علينا بقتله ،. وطلب سليمان بن علي الأمان لعقال بن شبة بن عقال المجاشعي ، فأمنوه فذكر بني العباس ففضّلهم وذمّ بني أمية وتنقصهم ، وتكلم ثمامة بن الرحيل الحنفي ، وكان خطيباً ، فقال :

ألا ليت أم الجهم سقيا لذكرها ... ترى حيث قمنا بالفراق مقامي
عشية بذّ الناس جهدي ومنظري ... وبـذّ كـلام الناطقين كلامي

وحُدثت ان ابن هبيرة لما بنى مدينته همّ بأن يسميها الجامعة ، فقال له سلم بن قتيبة ، وهو يومئذ معه : أرأيت إن قيل أين الامير ، أيقال في الجامعة ؟ فتطيّر فسماها المحفوظة ، فلما قدم أبو العباس سماها الهاشمية وأتم بناءها .

قالوا : وكان يزيد سخياً وكان يطعم الناس طعاماً واسعاً ويؤتون قبل الطعام بعساس اللبن وبأنواع الأشربة . وكان جلساؤه وسُمّاره داود بن أبي هند ، وابن شبرمة وابن ابي ليلى ، فقال ابن شبرمة :

اذا نحن أعتمنا وماد بنا الكرى   أتانا باحدى الركعتين عياض

يعني حاجبه . وكان يقضي في كل ليلة عشر حوائج ، فإذا أصبح أنفذها . وكان ربما لحن في كلامه ، فقال له سلم بن قتيبة في ذلك فتحفظ .

حدثنا المدائني قال : كتب أبو مسلم إلى أبي العباس : إن أهل الكوفة قد شاركوا شيعة أمير المؤمنين في الاسم ، وخالفوهم في الفعل ، ورأيهم في آل علي الرأي الذي يعلمه أمير المؤمنين ، يؤتى فسادهم من قبلهم باغوائهم إياهم واطماعهم فيما ليس لهم ، فالحظهم يا أمير المؤمنين بلحظة بوار ولا تؤهلهم لجوارك فليست دارهم لك بدار ، واشار عليه أيضاً عبد الله بن علي بنحو من ذلك ، فابتنى مدينته بالأنبار وتحول إليها وبها توفي .

وأخذ يوماً بيد عبد الله بن حسن فجعل يطوف به فيها وكان له مكرماً ، وكان ذلك لا يمنعه من حسد ، فجعل يتمثل قول الشاعر :

أَلَم تَرَ حوشبا أضحى يُبَنّي   منـازل نفعُهـا لبني بقيلَهْ
يؤمِّل أن يعمّر عُمَر نوحٍ   وأمـرُ الله يـأتي كـل ليله

فتطيّر أبو العباس وقال : أُفٍّ ، لقَلَّ ما يملك الحسود نفسه ولسانه ، فقال عبد الله : اقلني ، فقال : لا أقالني الله إذاً ، اخرج عني ، فخرج إلى المدينة . ويقال إنه أنشد هذا الشعر ، وقد طوّفه الهاشمية حين استتمّ بناءها .

قالوا : واستعمل أبو العباس أبا جعفر المنصور على : الجزيرة ، وأرمينية ، وأذربيجان ، في ذي العقدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وولى يحيى بن محمد بن علي الموصل ، فقدم ابو جعفر قرقيسيا وعليها المنذر بن الزبير بن عبد الرحمن بن هبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى ، فدعاه إلى الطاعة فأبى ، فخلّف عليها مالك بن الهيثم فقتل المنذر وصلبه وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وفي تلك السنة وُلد عبد الله بن مالك . ومضى المنصور إلى الرقة فدعاهم فلم يجيبوه ، فخلف عليها موسى بن كعب ففتحها وغلب عليها ، وسار المنصور في مدن الجزيرة يُصالح من دخل في طاعته ، ويخلّف على من التوى عليه حتى فتحها ، فكان ممن صالح أهل الرها ، وأهل نصيبين ، وأهل دارا .

قالوا : وخرج على أبي العباس ، والمنصور عامُله على الجزيرة ، قومٌ من الخوارج وأميرهم بكر بن حميد الشيباني ، فوجه إليهم محقن بن غزوان فهزموهم فأتى رأس عين ، وبلغ ذلك أبا جعفر فوجه اليهم مقاتل بن حكيم العكّي ، وأتبعه أبو جعفر من كفرتوثى ، إلى بعض قرى دارا ، فالتقوا فقتل محمد بن سعيد خدينة بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، وكان مع الخوارج ، وانهزمت الخوارج ؛ واعتصم بكر بجبل دارا ، فتوجه اليه العكي فقتله . وأمر أبو جعفر بهدم مدائن الجزيرة إلا حرّان ، واستعمل على أرمينية يزيد بن أُسيَد بن زافر السّلمي ، ثم شخص أبو جعفر في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين ومائة إلى أرمينية فدوخّها ، واستأمَنَ إليه جماعة كانوا في قلعة الكلاب ، وقفل منها سنة ست وثلاثين ومائة ؛ وعزل يزيد بن أسيد ، ووَلّى أرمينية الحسن بن قحطبة .

وقال الهيثم بن عدي : وجّه أبو العباس حين استخلف أبا جعفر في ثلاثين من بني هاشم والفقهاء فيهم الحجاج بن أرطاة ، إلى أبي مسلم ليهنؤوه بظهور الإمام وما فتح الله على يديه ، ويعلموه ما كان له من الأثر الجميل عند أمير المؤمنين والذي هو عليه من شكره ، فلما قدم عليه ابو جعفر وقف على بابه محجوباً ساعات . ثم أذن له ولم يُظهر له من التبجيل ما كان يستحقه ولم يؤمّره ، فحقد عليه ، فلما قدم على أبي العباس قال : إنه لا مُلك ولا سلطان حتى تقتل أبا مسلم فقد أفْرَط في الدالّة وعدا طَوْره ، فأشار إليه أن أسكت .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن اسحاق بن عيسى بن علي عن المنصور ، حدثني عبد الله بن صالح عن الهيثم بن عدي وغيره قال : أرسل يزيد بن عمر بن هبيرة وهو محصورٌ بواسط إلى المنصور وهو بإزائه : «إني خارج اليك يوم كذا وداعيك الى المبارزة فقد بلغني تجبينك إيّاي» ، فكتب إليه المنصور : «يا بن هبيرة إنك امرؤ متعدٍّ لطورك جارٍ في عنان غيّك ، يَعدُك الشّيطان ما الله مُكذّبه ، ويُقَرِّبُ لك ما الله مُباعِدهُ ، أفصح رُويداً تتمّ الكلمةُ ويَبْلُغ الكتابُ أجلَه وقد ضرّيت لي ، مثلي ومثلك أن أسداً لقي خنزيراً فقال الخنزير : قاتلني ، فقال الأسد : إنما أنت خنزير ولست لي بكفؤ ولا نظير ، ومتى فعلت الذي دعوتني إليه فقتلتك قيل قتل خنزيراً ، فلم أعتقد بذلك فخراً ولا ذكراً ، وإنْ نالني منك شيء كان سُبّةً عليّ وإنْ قلّ ، فقال : إن أنت لم تفعل رجعتُ فأعلمت السباع أنك نَكَلْتَ عني وجبنت عن قتالي ، فقال الأسد : احتمال عار كذبك أيسر عليّ من لَطْخِ شاربي

بدمك» ، ولم يمكث ابن هبيرة بعد ذلك إلاّ أيّاماً حتى طلب الأمان وضرع إليه .

حدثني المدائني قال : قال بعض أهل خراسان لبعض الفزاريين : ما كان أعظم رأس صاحبكم ؟! فقال : أمَانُكم له كان أعظم .

وقال أبو الحسن : حصره أبو جعفر تسعة أشهر ، ولما قُتِل أخرج إلى باب المضمار بواسط فَصُبَّ النّفط على جثته وأحرق ، وأمر أبو جعفر بهدم مدينة واسط ، وقال : حُصر ابن هبيرة وما في رأسه بيضاء ، فما قتل إلا وقد شاب .

قالوا : وكان ابن هبيرة يقول حين حُصر : والله لو كان أبو جعفر أعزّ من كليب وائل ما قدر عليّ ، ولو كان أشجع من شبيب ما هِبتُه . وقال المنصور لإسحاق بن مسلم العقيلي : كيف رأيت صنيعي بابن هبيرة ؟ قال : تغرير وقد سلّم الله ، كنت في خرق وحولك من يطيعه ويموت دونه ويتعصب له من قيس وغيرها ، فلو ثاروا لذهب الناس ولكنّ أمركم جديد والناس بين راجٍ وهائب .

وقال هشام : خرج ابن هبيرة حين خرج إلى أبي جعفر في جماعة ، فيهم جعفر بن حنظلة البهراني ، فألقى له الحاجب وسادة وقال : اجلس راشداً يا أبا خالد ، وقد أطاف بالحجرة عشرة آلاف من أهل خراسان ، ثم أذن له فدخل على أبي جعفر فالقيت له وسادة فحدّث أبا جعفر ساعة ، وكان يركب في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل ، فقال يزيد بن حاتم : ما ذهب سلطان ابن هبيرة بعدُ ، إنه ليأتينا فيتضعضع له العسكر ، فليت شعري ما يقول في هذا عبد الجبار وجهور بن مرّار وأشباههم ؟! فقال سلاّم

لابن هبيرة : يقول لك الأمير لا تسر في هذه الجماعة ، فلما ركب ركب في ثلاثين ، فقال سلام : كأنك تريد المباهاة ؟! فقال : إن أحببتم أن نمشي إليكم فَعَلنا ، فقال : ما هذا باستخفاف ولكن أهل العسكر كرهوا هذا الجمع ، فأمر الأمير بهذا نظراً لك ، فكان يركب في رجلين وغلامه ، وختمت خزانته وبيت ماله ودار الرزق وفيها طعام كثير ، وعزم أبو العباس على قتله ووُجد له كتاب إلى عبدالله بن حسن ، فأمر أبو جعفرُ عثمان بن نَهيك بقتله ، فقال : ليقتله رجل من العرب ، فندب له خازماً ، والأغلب ، والهيثم بن شعبة .

قالوا : وسأل المنصور ابن هبيرة عن أدمٍ كان قسمه ، فقال : أيها الرجل توسّعاً توسّعاً قرشياً ولا تضق ضيقاً حجازياً فما مثلي يسأل عن أدم ولا يعاتب عليه ، وهذا ضربُ أخماسٍ لأسداس ، وقال له المنصور يوماً : يا أبا خالد حَدّثنا ، فقال : والله لأمحضنك النصيحة إمحاضاً ، ولأخلصنها لك إخلاصاً ، إنّ عهد الله لا يُنكث وعقده لا يُحلّ ، وإن امارتكم حديثة ، وخلافتكم بكر فأذيقوا الناس حلاوتها وجنّبوهم مرارتها ، ثم نهض ونهض معه سبعمائة من القيسية ، فقال المنصور : لا يعزّ ملكٌ هذا فيه .

المدائني عن أبي عمرو القرشي قال : دخل ابن هبيرة على أبي جعفر فجعل يحدّثه وأبو جعفر مزْوَرٌّ عنه ، فجعل ابن هبيرة يقول : عليّ ، فأقبلْ أيها الرجل ، فلما خرج قال أبو جعفر ، ألا تعجبون من ابن اللخناء وقوله لي .

حدثني ابن القتّات قال : قال أبو جعفر لسلم بن قتيبة : ما كلمت عربياً قط أعظم نخوة من ابن هبيرة ولا أحسن عقلاً ، قال لي يوماً وهو يكلمني : اسمع لله أبوك ، ثم تداركها فقال : إن عهدنا بالإمرة والولاية قريب فلا تلمني فإنها خرجت مني على غير تقدير فاغفرها ، فقلت : قد غفرتها .

أمر أبي سلمة

قال ابن القتّات:قال المنصور : دعاني أبو العباس فذاكرني أمر أبي سلمة ، فقال : والله ما أدري لعل الذي كان منه عن رأي أبي مسلم وما لها غيرُك ، اخرج إلى أبي مسلم مهنّئاً بما وهب الله لنا ، وبِنُجْحِ سعيه فيما قام به من أمرنا ، وخذ البيعة عليه وأعلمه بما كان من أمر أبي سلمة ، واعِرف رأيه ، وعرّفه الذي نحن عليه من شُكرِه ومَعرِفة حقّه . قال : فخرجت إلى خراسان ومعي ثلاثون رجلاً منهم إسحاق بن الفضل الهاشمي والحجاج بن أرطاة ونحن على وَجَل ، فلما شَارَفْتُ مرو تلقاني أبو مسلم فلما دنا مني نزل وقبّل يدي ، فقلت : اركب ، فركب وقدمت مرو فنزلتُ داراً ، ومكث ثلاثة أيام لا يَسألني عن شيء ، ثم قال لي : ما أقدمك يا أبا جعفر ؟ فأخبرته ، فقال : قد تقدّمت بيعتي وأخذتها لأمير المؤمنين قبل قدومك عليّ ولكني أماسِحُك له ، فماسحني ، ثم قال : أفَعَلها أبو سلمة ؟ قلت : قد فعلها ، فقال : اكفيكموه ، ودعا بمرار بن أنس الضبي فقال : انطلق إلى حفص بن سليمان بالكوفة فاقتله حيث لقيته ، فقدم مرار الكوفة ، وكان أبو

سلمة يسمر عند أبي العباس فقعد له بعض الليالي على طريقه فلما خرج قتله، فقالوا: قتلته الخوارج. وكان أبو جعفر يأتي دهليز أبي مسلم فيجلس فيه ويستأذن له الحاجب، ثم أمره بعد ذلك أن يرفع له الستور إذا جاء ويفتح له الأبواب.

وحدثنا ابن القتّات عن إسحاق بن عيسى قال: أراد أبو العباس قتل أبي سلمة فقال له عمه داود بن علي: لا تتولّ قتله فتخبث نفس أبي مسلم ويحتج بذلك عليك، ولكن اكتب إليه فليوجّه من يقتله، ففعل.

وقال أبو اللفائف الأسدي:

ويح من كان مذ ثلاثون حَوْلاً يبتغي حتف نفسه غير آل
لم يزل ذاك داب كفيّه حتى عضّه حدُّ صارم في القذال
كاده الهاشمي منه بكيدٍ حيلة غير حيلة الخلال

وحدثني أبو مسعود عن المفضل الضبيّ قال: كتب أبو العباس بخطه أو بإملائه إلى أبي مسلم كتاباً مع أبي جعفر حين وجّهه إلى خراسان: «إنه لم يزل من رأي أمير المؤمنين وأهل بيته الإحسان إلى المحسن، والتجاوز عن المسيء ما لم يكد دِيناً، وإن أمير المؤمنين قد وهب جرم حفص بن سليمان لك وترك إساءته لإحسانك إن أحببتَ ذلك». فلما قرأ أبو مسلم الكتاب وجّه مرار بن أنس إلى الكوفة لقتل حفص حيث ثَقِفه، وكتب: «إنه لا يتم إحسان أحد حتى لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد قلبتُ مِنّةَ أمير المؤمنين وآثرت الانتقام له»، فقتل مرار أبا سلمة غيلةً، فقيل قتلته الخوارج، وأمر أبو العباس أخاه يحيى بن محمد بالصّلاة عليه.

وقال الهيثم بن عدي : كان أبو مسلم يكتب إلى أبي سلمة : «لوزير آل محمد من عبد الرحمن بن مسلم أمين آل محمد» . فكتب أبو العباس إلى أبي مسلم يعلمه الذي كان من تدبيره في صرف الأمر عنه ونكث بيعة الإمام ، فكتب أبو مسلم يشير بقتله ، فكتب إليه : «أنت أولى بالحكم فيه فابعث من يقتله» ، فوجّه مرار بن أنس الضبيّ فلقيه ليلاً فأنزله عن دابته ثم ضرب عنقه ، ثم جمع أبو الجهم بن عطية ، وكان عيناً لأبي مسلم ، يكتب إليه بالأخبار ، جميعَ القواد ، فقال : إن حفصاً كان غاشاً لله ورسوله والأئمة فالعنوه ، فلعن . فقال سليمان بن مهاجر البجلي :

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيرا

قالوا : وقال المنصور حين قتل أبو سلمة : دَوِي العبد وأصاب أمير المؤمنين دواه . وقال عبدالله بن علي حين بلغه قتله : كلب أصابه قدر فطاح .

قال : وسمع أبو العباس الصراخ على أبي سلمة فتمثل قول الشاعر :

أفي أن أحشَّ الحرب فيمن يحشّها ألامُ وفي ان لا اقر المخاويا
ألم آلُ ناراً يتقي الناسُ حرّها فترهبُني إن لم تكن لي راجيا

وكان بقاء أبي سلمة في الدولة ثلاثة أشهر ، أو أربعة أشهر .

وحدثني محمد بن عباد ، حدثني رجل من ولد جرير بن عبدالله قال : أعطى أبو العباس محمد بن خالد بن عبدالله القسري ضياع أبيه ، فأعطى محمد ولد أخيه يزيد نصفها ، فقال له أبو العباس : إنا إنما سلّمنا هذه الضياع إليك لبلائك ومخاطرتك بنفسك ولم نعطك إياها لتقسمها بينك وبين ورثة أبيك . قال : وقال قوم إنما أعطاه نصف ضياع أبيه ، فقال له داود بن

علي : ما جزاؤه معها فعل إلا أن تعطيه إياها كملاً ، فقد أحسن وأجمل ، فأعطاه جميعها .

وقال المدائني : حصر عبدالله بن علي إسحاق بن مسلم العقيلي بسميساط ، أو بسروج ، أو غيرها أيام ولايته لأبي العباس ، فقال : إن في عنقي بيعة فأنا لا أنكثها ولا أزال متمسكاً بها حتى أعلم أن صاحبها قد هلك ، فقال له عبدالله : إن مروان قد قتل ، فلما تيقن ذلك طلب الصلح والأمان فأومن وحمل إلى أبي العباس فكان أثيراً عنده وعند المنصور . وكانوا ينسبونه إلى الوفاء وكان فيه جفاء يُدارى له ، فلما خالف عبدالله بن علي أبا جعفر وصار بكار بن مسلم معه فكان أشد الناس على أهل خراسان قال أبو جعفر : يا إسحاق ألا تكفينا أخاك ؟! قال : اكفني عمك حتى أكفيك أخي ، فضحك لقوله .

قالوا : وكان أبو نخيلة[1] يوماً عند أبي العباس وإسحاق بن مسلم حاضرٌ ، وذلك بعد قتل ابن هبيرة وهدم مدينة واسط وبناء أبي العباس مدينته بالأنبار ، فأنشده :

أصبحت الأنبارُ داراً تُعمر ... وخَرجت من النفاق أدْوُر
حمص وقنّسرينها وتدمر ... أين أبو الورد وأين الكوثر
وأين مروان وأين الأشقر ... وأين أجسادُ رجالٍ قبروا

١ ـ ترجم له صاحب الأغاني ج ٢٠ ص ٣٩٠ ـ ٤٢٣ .

هيهات لا نَصْرَ لمن لا ينصر   وواسط لم يبق إلا القرقر[١]
بها وإلاَّ الديدبان الأخضر   منازلٌ كانت بهنّ العُقَّرُ[٢]

فغضب إسحاق وقال : والله لقد سمعته يقول فيكم مثل هذا القول ، فقال المنصور : إنما أنت يا أبا نخيلة مع كل ريح ، وكان في إسحاق جفاء ، وأمر أبو العباس لأبي نخيلة بخمسين ألف درهم .

وحدثنا المدائني قال : جلس أبو العباس للناس ذات يوم ، فقام رجل فذمَّ أهل الشام والجزيرة ، فقال له إسحاق : كذبت يا بن الزانية ، فقال زياد بن عبيدالله : خذ للرجل بحقه يا أمير المؤمنين . فقال أبو العباس : أترى قيساً ترضى بأن يُضرب سيدها حدّاً ؟ لو دعوته بالبينة لجاء مائة من قيس يشهدون أن القول قوله ، فترك الرجل مطالبته .

---

١ ـ أي لم يبق فيها سوى الركام . انظر مادة «قرقر» في النهاية لابن الأثير .
٢ ـ القصيدة في الأغاني ج ٢ ص ٤١٥ ـ ٤١٦ مع فوارق .

ذكر برد رسول الله ﷺ وقضيبه وقعبه ومخضبه

وحدثني عبدالله بن صالح العجلي ، حدثنا يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح ، أن رسول الله ﷺ دفع بُرداً له إلى أناس من النصارى من أهل دومة الجندل أو أهل مَقْنا أماناً لهم فاشتراه أبو العباس أمير المؤمنين من أولادهم بأربعمائة دينار ، فهو الذي يلبسه الخلفاء .

قال عبدالله ، وذكر الواقدي ، أن الذين دفع البرد إليهم أهل تبوك ، قال : وقال الهيثم بن عدي : هم أهل أيلة . وقال بعضهم : دفن مروان البرد والقعب والقضيب والمخضب لئلا يصير إلى بني العباس فدلهم عليه خصيّ لمروان .

حدثني محمد بن الربيع بن أبي الجهم بن عطية عن أبيه قال : قال أمير المؤمنين أبو العباس : إذا عظمت القدرة قلّت الشهوة ، وقلّ تبرّع إلا ومعه حق مضاع .

وحدثني محمد بن الربيع عن أبيه قال : قال أبو العباس : إن من أدنياء الناس ووضعائهم من عدّ البخل حزماً والحلم ذلاً .

حدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عدي عن عبدالله بن عياش الهمداني قال : دخلتُ على أبي العباس أمير المؤمنين بعد مقتل مروان فقلت : الحمدلله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ابن عم رسول الله ﷺ وابن عبد المطلب .

قال الهيثم : وكان محمد بن مروان بن الحكم أخذ جارية لابراهيم بن الأشتر النخعي حين حاربه أيام مصعب ، فولدت مروان بن محمد .

وكان الجعد بن درهم قد أفسد دين مروان ، وكان مروان عاتياً لا يبالي ما صنع ، فكان يقال : مروان أكفر من حمار الأزد ، وهو حمار بن مالك بن نصر بن الأزد ، وكان جبّاراً قتّالاً لا يبالي ما أقدم عليه ، فسمي حمار الجزيرة .

حدثني عبدالله بن صالح ، عن رجل ، عن عمارة بن حمزة ، قال : كان أبو العباس يقول : أو قال كتب : «إذا كان الحلم مفسدةً كان العفو معجزةً ، والصبر حسن إلا على ما أوتغ[1] الدّين وأوهن السلطان ، والأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة» .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : دخل على أبي العباس مشيخة من أهل الشام فقالوا : والله ما علمنا أنَّ لرسول الله ﷺ قرابة يرثونه إلّا بني أمية حتى وليتم . فقال إبراهيم بن مهاجر :

أيها الناس اسمعوا أخبركم عجباً زاد على كل عجب
عجباً من عبد شمس انهم فتحوا للناس أبواب الكذب

---

١ - الوتغ : الاثم والهلاك ، والملامة ، وسوء الخلق ، وفرط الجهل . القاموس .

ورثوا أحمد فيما زعموا دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمه يحرز الميراث ألاَّ من قَرُب

وحدثني عبدالله بن صالح ، أخبرني الثقة ، قال : وَجِد أبو العباس على إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ، وكان من صحابته وسمّاره فحجبه ، فذكر عنده وقيل إنه لحسن العلم والحديث ، فقال عيسى بن علي : إنه لكذلك أفلا تصفح عنه يا أمير المؤمنين وتعيده إلى مجلسك وسمرك ؟ فقال : ما يمنعني من ذلك إلا أني لا أحب أن يتبين الناس أن رضاي قريبٌ من سخطي ، وسوف أدعو به .

المدائني قال : قالت أم سلمة ، امرأة أبي العباس : يا أمير المؤمنين ما أحسن الملك لو كان يدوم ، فقال : لو كان يدوم لدام لمن قبلنا فلم يصل إلينا .

حدثني الحسن بن علي الحرمازي عن العُتبي وغيره ، قالوا : كان أبو العباس يقول : إن أردنا علم الحجاز وتهامة فعند سعيد بن عمرو بن الغسيل الأنصاري ، وان أردنا علم تميم وعلوم فارس والعجم فعند خالد بن صفوان ، وإن أردنا علم الدنيا والآخرة والجن والأنس فعند أبي بكر الهذلي ، وكان هؤلاء سمّارة وحُدَّاثه .

وقال عبدالله بن صالح العجلي : ركب أبو العباس بالأنبار فمر بقوم من الفعلة فقال لعيسى بن علي : يا أبا العباس إن السعيد لمن سلم من الدنيا ، ووددت أني لم أتقلد شيئاً مما تقلدت ، أهؤلاء أحسن حالاً وأخف ظهوراً في معادهم أم أنا ؟ فقال عيسى : يا أمير المؤمنين قد أحسن الله إليك وإلى الأمة بك وأنقذهم ببركتك من جور بني أمية وجبروتهم .

المدائني قال : كتب أبو العباس إلى زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثي وهو عامله على المدينة أن يخرج المخنثين عنها ، فأمر بإخراجهم ، فقال له صاحب شُرَطِه : إن في دارنا مخنثاً ، فإن رأى الأمير أن يدعه ، فقال : دع في كل دار مخنّثاً ، فقال : إذاً نحتاج إلى أن نجلبهم من الآفاق . وكان زياد بخيلاً حقن بادهان لعلة كانت به ، فأراد غلمانه هراقة ما خرج منه ، فقال : صفّوا هذه الأدهان واستصبحوا بها ولا تهريقوها ، وأكل معه رجلٌ يوماً فأتي بجدي فجعل الرجل يتناول منه تناولاً شديداً ، فقال له : إني أراك تأكل لحم هذا الجدي كأن أمه نطحتك ، فقال : وأراك أيها الأمير تشفق عليه كأن أمه أرضعتك . وأكل عنده الغاضري ، ويقال أشعب ، في شهر رمضان فقدمت إليه مضيرة فجعل يأكل منها أكلاً شديداً ، فقال له : إن أهل السجن يحتاجون في هذا الشهر إلى إمام يصلي بهم فأدخلوا فلاناً ليصلي بهم ، فقال : أو غير ذلك أصلح الله الأمير ، أحلف بالطلاق أن لا آكل مضيرة أبداً .

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي قال : كانت أم سلمة بنت يعقوب المخزومية امرأة أبي العبّاس عند مسلمة بن هشام المعروف بأبي شاكر، وكان أبو شاكر صاحب شراب فشكته أم سلمة إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك فعاتبه فطلقها ، فصارت إلى فلسطين فتزوجها أبو العباس أمير المؤمنين فكلمته في سليمان بن هشام وقالت انه كان مبايناً لمروان فأمر أن لا يعرض له ، فكان يدخل عليه . فبينا هو ذات يوم عنده إذ دخل عليه سديف بن ميمون مولى بني هاشم ، وكان طويلاً أحنى ، فأنشده :

أصبح الدين ثابت الآساس بالبهاليل من بني العباس
يا كريم المطهرين من الرجـ ـس ويا رأس كل قرم وراس
أنتَ مهديُّ هاشم ورضاها كم أُناس رجوك بعد أناس
لا تقيلنَّ عبد شمس عثاراً واقطعن كل رقلة وغراس
انزلوها بحيث انزلها اللـ ـه بدار الهوان والاتعاس
فلقد غاظني وأوجع قلبي قربها من نمارق وكراسي
اذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلاً بجانب المهراس[١]
والامام الذي بحّران أمسى رهن رمس مجاور الأرماس[٢]

وأنشد :

لا يَغُرَّنْكَ ما ترى من رجالٍ إن تحت الضلوع داءً دويّا
فضع السيف في ذوي الغدر حتى لا ترى فوق ظهرها امويّا[٣]

وأنشد :

علامَ وفيمَ تُترك عبد شمسٍ لها في كل ناحية ثُغاءُ
فما بالرمس من حران فيها وان قُتلت بأجمعها ، وفاءُ

وكان أبو مسلم يكتب إلى أبي العباس في أمر سليمان : «إذا كان عدوك ووليّك عندك سواء ، فمتى يرجوك المطيع لك المائل إليك ، ومتى يخافك عدوك المتجانف عنك» ؟ فلما خرج سليمان من عند أبي العباس قال لسديف : قتلتني قتلك الله .

---

١ ـ المشار إليه هنا حمزة عم النبي ﷺ ، والمهراس مما كان يتجمع فيه الماء بأحد .
٢ ـ القصيدة في الأغاني ج ٤ ص ٣٤٥ مع فوارق .
٣ ـ انظر الأغاني ج ٤ ص ٣٤٨ مع فوارق .

قال : ثم دعا أبو العباس أبا الجهم بن عطية فقال له : قد بلغني عن سليمان بن هشام أمر أكرهه فاقتله ، فأخرجه إلى الغريّين فقتله وابناً له وصلبهما ، وحضر غلام له أسود فجعل يبكي على مولاه ويقول : هكذا الدنيا تصبح عليك مقبلة وتمسي عنك مدبرة .

وقال غير الهيثم : دُفع سليمان إلى عبد الجبار صاحب شرط أبي العباس فأمر المسيب بن زهير فقتله . ويقال ، إن سديفاً لما أنشد الشعر قام سليمان فقال : ان هذا يشحذك عليّ ، فقد بلغني أنك تريد اغتيالي ، فقال : يا جاهل ، ومن يمنعني منك حتى أقتلك اغتيالاً ، خذوه ، فأخذ فقتل .

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب وغيره ، قالوا : ضمّ سالم بن عبد الرحمن كاتب هشام بن عبد الملك : عبد الحميد بن يحيى إلى مروان حين شخص إلى أرمينية ، وكان عبد الحميد من حديثة النورة من الأنبار ، وأتى الشام فتخّرج هناك ، وقوم يقولون إنه مولى لبني أمية ، وقوم يقولون إنه مولى لغيرهم من قريش ، فلم يزل عبد الحميد مع مروان حتى نزل بمروان الأمر فقال له : إن القوم محتاجون إلى مثلك ، فاستأمن إليهم فلعلك تنفعني في حياتي أو تحفظني في حرمتي بعد وفاتي ، فأنشأ عبد الحميد يقول أو ينشد :

أُسِرُّ وفاءً ثم أُظهر غـدرةً ... فمن لي بعذرٍ يُوسع الناس ظاهره

وأنشد أيضاً :

فلومي ظاهر لا شك فيه ... لِـلاَئِمَـةٍ وعــذري بـالمغيب

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك وأقبحهما لي ، ولكني أصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك ، فأخذ فحبس ثم قتل .

وحدثني عدة من ولد عبد الحميد بن يحيى أن عبد الحميد استخفى فوجد بالشام أو بالجزيرة ، فدفعه أبو العباس ، إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن وكان على شرطه ، فكان يحمي طستاً ويضعه على رأسه حتى مات . وكان يقول : ويحكم إنّا خطباء كل دولة ، وسُئِل عن أموال مروان فقال : والله ما أعلم منها إلا ما تعلمون .

وحدثني بعض ولد عبد الحميد أنه كان يكنى أبا يحيى وأنه كان يقول : من كان منطقه أكثر من عقله كان منطقه عليه ، ومن كان عقله أكثر من منطقه كان منطقه له .

وحدثني ابن القتّات قال : لما وَلي أبو العباس مدح أبو عطاء السّندي[1] بني العباس فقال :

ان الخيار من البرية هاشمٌ ... وبنو أُمية أرذل الأشرار
وبنو أُمية عودهم من خِرْوَعٍ ... ولهاشم في المجد عودُ نُضار
أما الدعاةُ إلى الجنان فهاشمٌ ... وبنو أُمية من دُعاه النار

فلم يصله بشيء ، فقال :

يا ليت جور بني مروان عاد لنا ... وان عدل بني العباس في النّارِ

وقال أبو عطاء أيضاً :

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكم ... فقد عاد سعر التمر صاعا بدرهم
فإن قلتُمُ رهطُ النبي محمد ... فإن النصارى رهط عيسى بن مريم

١ ـ هو أفلح بن يسار ، مولى بني أسد ، نشأ بالكوفة ، وكان مخضرمي الدولتين . انظر ترجمته في الأغاني ج ١٧ ص ٣٢٧ ـ ٣٤٠ .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : دفع ابن عياش المنتوف إلى أبي العباس حوائج له وكان فيها أن يجزّ لحية علي بن صفوان ليسويّه به ، وكان علي طويل اللحية ، فلما ودخل أبو العباس المقصورة وصعد المنبر رأى ابن عياش وابن صفوان قبالته ، ورأى طول لحية ابن صفوان فاستضحك فوضع كمه على وجهه فلما انصرف قال لابن عياش : ويلك كدت تفضحني ، فقال : والله ما أردت إلا أن تذكر حاجتي .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عيّاش قال : ابتدأ أبو العباس آل أبي طالب بالبر والتكرمة ، فكان ذلك لا يزيدهم إلا التواءً عليه ، وكان عبد الله بن حسن بن حسن أشدهم له حسداً ، وأقلهم له شكراً ، فقال يوماً : لقد صدق معاوية حين قال : ما أحَدٌ من الناس إلا وأنا استطيع رضاه إلا حاسد نعمة لا يرضيه عني إلا زوال نعمتي فلا أرضاه الله عني أبداً ، وهؤلاء بنو أبي طالب قد وصلت أرحامهم وأحسنت برّهم وهم يأبون بحسدهم وسوء نياتهم إلا القطيعة ، وإني لأتخوف أن يعود حلمي عليهم بما يكرهون في عواقب الأمور والله المستعان .

وحدثني عبد الله بن صالح عن علي بن صالح صاحب المصلّى قال : أقدم أبو العباس عبدَ الله بن حسن عليه ، فبّره وأكرمه وأعطاه ألف ألف درهم ، فلما انصرف إلى المدينة أتاه أهلها مُسلّمين عليه وجعلوا يدعون لأبي العباس لبّره به واجزاله صِلتَهُ ، فقال عبد الله : يا قوم ما رأيت أحمق منكم تشكرون رجلاً أعطانا بعض حقنا وترك أكثره . فبلغ ذلك أبا العباس فدعا إخوته وأهل بيته وجعل يعجبهم من قول عبد الله ، فقالوا : يا أمير المؤمنين إنما يتمّ احسانك إليه وإنعامك عليه بالصفح عنه ، وتكلم أبو جعفر فيه

بكلام شديد وقال : إن الحديد بالحديد يفلح . فقال أبو العباس : من تشدّد أنفر ، ومن لان تألّف ، والجاهل تكفيكَه مساوئه .

حدثني عمر بن بكير عن الهيثم عن ابن عياش ، قال : كان أبو العباس أسخى الناس ، ما وعد عدة قط فأخرها عن وقتها أو قام من مجلسه حتى يقضيها ، ولقد سمعناه يقول : إن المقدرة تصغّر الأمنية ، لقد كنا نستكثر أموراً أصبحنا نستقلّها لأخسّ من صحبنا ، ثم يسجد لله شكراً .

المدائني قال : سمر خالد بن صفوان عند أبي العباس ، ففخر قومٌ من بني الحارث بن كعب وخالد ساكت ، فقال له أبو العباس : تكلم يا خالد ، فقال : هؤلاء أخوال أمير المؤمنين ، قال : وأنت من أعمامه وليس الأعمام بدون الأخوال ، فقال : وما أكلم من قوم إنما هم على افتخارهم بين ناسج بُرد وسائس قرد ودابغ جلد ، دلّ عليهم هدهد ، وغرّقتهم فأرة ، وملكتهم امرأة ، فجعل أبو العباس يضحك .

أبو الحسن المدائني عن أبي محمد المغربي قال : قال أبو العباس لخالد بن صفوان حين أخذ سليمان بن حبيب : أشعرت أن سليمان أخذ من بثر ؟ فقال : هذا الذي خرج رقصاً ، دخل قفصاً .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن عبد الجبار الكاتب قال : دخل بخالد بن صفوان على أبي العباس أمير المؤمنين ، فقال له : لقد وَليت الخلافة فكنت أهلها وموضعها ، ورعيت الحق في مسارحه وأوردته موارده فأعطيت كلاً بقسطه من نظرك وعدلك ورأيك ومجلسك ، حتى كأنك من كل أحد ، وكأنك لست من أحد ، فأعجبه قوله وأمر له بمال .

المدائني قال : دخل خالد بن صفوان على أبي العباس فقال له : ما تقول في أخوالي بني الحارث بن كعب ؟ قال : هنالك هامة الشرف ، وخرطوم الكرم ، وغرس الجود ، إنّ فيهم لخصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ، إنهم لأطولهم أمماً وأكرمهم شيماً وأطيبهم طعماً ، وأوفاهم ذمماً ، وأبعدهم همماً ، هم الجمرة في الحرب ، والرفد في الجدب ، والرأس في كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب ، فقال : لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت .

حدثني أبو دُهمان بن أبي الأسوار قال : كان أبو العباس يسمع الغناء فإذا قال للمغني «أحسنت» لم ينصرف من عنده إلاّ بجائزه وكسوة .

وقيل له أن الخلافة جليلة ، فلو حجبت عنك من يشاهدك على النبيذ ، فاحتجب عنهم ، وكانت صلاته قائمة لهم .

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب قال : لما بلغ أبا جعفر استئذان أبي مسلم للحج وهو يومئذ بالجزيرة ، وكان والي الجزيرة وأرمينية لأبي العباس ، كتب إلى ابي العباس يسأله توليته الموسم فكتب إليه يأمره بالقدوم ليقلده الموسم ، ووافى أبو مسلم فدخل على أبي العباس وأبو جعفر عنده ، فسلم على أبي العباس ولم يسلم على أبي جعفر ، فقال له أبو العباس : هذا أبو جعفر أخي ؟ فقال : إن مجلس أمير المؤمنين لا تُقضي فيه الحقوق .

قالوا : وكان سليمان بن كثير الخزاعي من النقباء ، فلما قدم المنصور خراسان على أبي مسلم قال له : إنما كنا نحب تمام أمركم وقد تم بحمد الله ونعمته ، فإذا شئتم قلبناها عليه ، وكان محمد بن سليمان بن كثير خداشيّاً فكره تسليم أبيه الأمر إلى أبي مسلم ، فلما ظهر أبو مسلم وغلب على الأمر

قتل محمداً ، ثم قال سليمان للكفّية ـ وهم الذين بايعوا على أن لا يأخذوا مالاً وأن تؤخذ أموالهم إن احتيج اليها ويدخلوا الجنة ، ويقال إنهم أعطوا كفّاً كفّاً من حنطة فسمّوا الكفّية ـ : حفرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء ، يعني أبا مسلم ، فبلغ قوله أبا مسلم فاستوحش منه ، وشهد عليه أبو تراب الداعية ومحمد بن علوان المروزي وغيرهما في وجهه بأنه أخذ عنقود عنب فقال : اللهم سّود وجهَ أبي مسلم كما سوّدت هذا العنقود واسقني دمه ، وشهدوا أن ابنه كان خداشيّاً وأنه بال على كتاب الإمام ، فقال لبعضهم : خذه بيدك فألحقهُ بخوارزم ، وكذلك كان يقول لمن أراد قتله ، فقتل سليمان ، وكتب إلى أبي العباس بخبره وقتله إيّاه ، فلم يجبه على كتابه ، فكان ممّا عاتبه عليه المنصور أن قال : قتلت سليمان بن كثير نقيب نقبائنا ، ورئيس شيعتنا ، وشيخ دعوتنا ، وابنه ، وقتلت لاهزاً .

أمر زياد بن صالح

وحدثني أبو الصلت الخراساني وغيره ، قالوا : بلغ أبا مسلم عن زياد بن صالح تنقّص له وذم ، وأنه كان يقول : إنما بايعنا على إقامة العدل وإحياء السنن ، وهذا جائر ظالم يسير سَير الجبابرة ، وإنه مخالف له قد أفسد عليه قلوب أهل خراسان ، فدعا به فقتله . وكان عيسى بن ماهان مولى خزاعة صديقاً له ومطابقاً على بعض أمره ، فقال للناس : إن أمير المؤمنين قد أعظم قتل زياد ، وذمّ أبا مسلم وأنكر فعله وقال : إنه قتل رجلاً ذا قِدَمٍ وبلاء حسن في دولتنا ، وبرىء منه ، وقد بعث إليّ بعهدي على خراسان ، ودعا قوماً إلى حرب أبي مسلم فأجابوه سراً وخالفه أقوامٌ قتلهم ، وكان عيسى يومئذ بإزاء قرية وجهه أبو داود إليها ليحارب أهلها ، وقدم رسول أبي العباس وهو أبو حميد إلى أبي مسلم بخلعٍ وبزٍّ وبكتاب يلعن فيه زياد بن صالح وأشياعه ويصوّب رأي أبي مسلم في قتله ، فأمر أبو مسلم أبا داود بقتل عيسى بن ماهان فكتب إليه : إن رسول أمير المؤمنين قد قدم على الأمير بخلع وبزّ له وللأولياء ، وذكرناك له فصر إلينا لتشركنا في أمرنا وسرورنا

وترى رسول أمير المؤمنين فتعرّفه حالك ، فقدم على أبي داود فقال : خذوا ابن الفاعلة ، وأمر به فأدخل في جوالق ثم ضرب بالخشب حتى مات ، فكتب أبو العباس إلى أبي مسلم يعظم قتل عيسى ، ويأمره أن يقتل أبا داود به ، فكتب في جواب ذلك يعذر أبا داود خالد بن إبراهيم ويذكر ان ابن ماهان لو ترك لكان منه مثل الذي كان من زياد بن صالح ، من إفساد الناس وحملهم على المعصية والخلاف .

أمر السّفياني

قالوا : ونزل عبدالله بن علي على نهر أبي فطرس ، وكانت ببالس ابنة لمسلمة بن عبد الملك ، فخطبها عامل عبدالله بن علي ، وهو رجل من أهل خراسان فأنعمت له وقالت : أتهيأ لك ، وكتبت إلى أبي الورد مجزأة بن الهذيل بن زفر الكلابي تستجير به ، فخرج أبو الوازع أخو أبي الورد في جماعة فأتوا بالس والخراساني في الحمام فدخلوا عليه فقتل ، ولحق بهم أبو الورد ودعا الناس فأجابه من قيس وغيرها زهاء سبعة ألاف ، أكثرهم من قيس ، وبلغ أبا محمد زياد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية ، وذلك الثبت ـ وقيل ان اسم هذا السفياني العباس بن محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية ، وان زياداً كان خرج طالباً بدم الوليد بن يزيد وليس هو بالخارج أيام عبدالله بن علي ، والثبت أنه زياد ـ فطمع وقال : أنا السفياني الذي يروى أنه يردّ دولة بني أميّة ، ونزل دير حنينا ، وبايعه الوليد والناس وكتب إلى هشام بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط يدعوه إلى الخروج معه فاعتلّ عليه .

وبلغ عبدالله بن علي الخبر فقتل جميع من كان معه من بني أمية ومن يهدي هداهم ، ووجه عبد الصمد إلى السفياني وأصحابه وهم بقنسّرين في

سبعة آلاف فاقتتلوا فانهزم الناس عن عبد الصمد حتى أتوا حمص ، وأقبل ابن عليّ حتى نزل على أربعة أميال من حمص ووجّه بسام بن إبراهيم وخفافاً المازني بين يديْه إلى حمص ، وكتب إلى حُميد بن قحطبة فقدم عليه . وصار السّفياني وأبو الورد إلى مرج الأخرم[1] ، وأتاهم عبدالله بن علي ومعه عبد الصمد وحميد بن قحطبة فاقتتلوا في آخر ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وعلى ميمنة أبي محمد أبو الورد وعلى ميسرته الأصبغ بن ذُؤالة الكلبي ، فانهزم أهل الشام وهرب السفياني وجرح أبو الورد ، فحمل إلى أهله فمات ، ولجأ قومٌ من أصحاب أبي الورد إلى أجمة فأحرقت عليهم .

وبلغ ابن علي أنّ أبا محمد لبس الحُمرة ودعا الناس ، فأجابه خلقٌ ، فسار إليه فهزمه فتوارى ، ثم أتى المدينة وعليها زياد بن عبيدالله الحارثي فاستدّل عليه حتى عرف الدار التي هو فيها فوجّه إليه من يأخذه ، فخرج من الدار فقاتل ورماه رجل بسهم فأصاب ساقه فصرعه واعتوروه فقتلوه وكبّروا ، فسمع التكبير ابنٌ له يقال له مَخْلد ، فخرج فقاتل حتى قتل ، وصلب أبو محمد وابنه .

قال الحرمازي : خرج السفياني في أيام أبي العباس ثم انهزم وتوارى حيناً فقتل في أول خلافة المنصور .

١ ـ قرب قنسرين ـ بغية الطلب ج ٩ ص ٣٩٢٧ ـ ٣٩٣٣ حيث ترجم للسفياني بشكل موسع .

أمر بسّام بن إبراهيم

قال المدائني وغيره : كان بسام بن إبراهيم مع نصر بن سيار ، فلما ظهر أبو مسلم صار إليه وترك نصراً ، فقدم مع قحطبة وشخص مع ابن علي إلى الشام ، فلما خلع أبو الورد وبايع أبا محمد السفياني ثم هرب السفياني واستخفى ، صار بسّام إلى تدمر وعزمه على الخلاف لأشياء أنكرها من سيرة ابن علي ، فمنعه أهل تدمر من دخولها فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم جماعة بعث برؤوسهم إلى عبدالله بن علي ليُوهمه أنه على طاعته . وأظهر بسام الخلاف فانصرف عنه عامة جنده وأتى قرقيسيا ، فكتب ابن عليّ بخبره إلى أبي العباس ، ثم أتى المدائن في جمع فوجه إلَيْه أبو العباس خازم بن خزيمة فقاتله فانهزم بسام وصار إلى السوس وتفرق عنه أصحابه ، ثم مضى إلى ماه وخازم يتبعه ، ثم توارى وكتب إلى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين : إن أجبتني ضربت بين أهل خراسان وبايعتُ لك ، فخاف جعفر أن يكون أبو العباس دسّ الكتاب إليه فأتى أبا العباس بكتاب بسام ، فقال : أحسن الله جزاءك يا بن عم ، اكتب إليه فواعده مكاناً يلقاك فيه ، فواعده الحيرة ووجه إليه

بذلك ابنه إسماعيل بن جعفر ، وأمر أبو العباس أبا غسان مولاه وحاجبه بتفقده ومراعاته ، فلما رآه أبو غسان مع إسماعيل بن جعفر عرف أنه بسام وكان عليه سواد بلا سيف ، فقال له : من أنت ؟ قال له : رجلٌ من أهل الجزيرة من العباد ، فرفع أبو غسان عليه العمود ، فشتمه بسّام وقال : لو كان معي سيفي ما اجترأت أن ترفع عليّ عمودك ، فأخذه وأتى به أبا العباس ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم صلب .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : خرج على أبي مسلم ببخارىٰ .

شريك بن شيخ المهري

وقال : إنما بايعناكم على العدل ولم نبايعكم على سفك الدماء والعمل بغير الحق ، فاتبعه أكثر من ثلاثين ألفاً ، فبعث إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي قبل قتله بسنة أو نحوها ، ويقال بعث غيره ، فحاربه وأوقع بأصحابه وقتله .

أمر سلم بن قتيبة بن مُسلم

حدثني علي بن المغيرة الأثرم عن معمر بن المثنى ، وحدثني غيره : أن يزيد بن عمر بن هبيرة قدم والياً على العراق من قبل مروان بن محمد ، فكتب ابن هبيرة إلى مروان يستأذنه في تولية سلم بن قتيبة البصرة ، فنهاه عن ذلك للذي كان من قتيبة بن مسلم في خلع سليمان بن عبدالملك والخلاف عليه ، فلم يزل يراجعه في أمره ويصف له دينه وفضله ومذهبه حتى أذن له في توليته البصرة ، وكان سلم يجالس محمد بن سيرين ، ومات ابن سيرين وله عليه خمسة آلاف درهم جعله منها في حلٍّ ، وكان يجالس بعده أيوب السختياني فقال بعض أهل البصرة حين ولي سلم : ترفقي تصيدي .

ولما ولي سلم ، بعث إليه آل المهلب عبدَالله بن عبيدالله أبا النضر النحوي الأزدي ، وكان خلاً له ، يستأذنونه في قدوم البصرة ، وكان آل المهلب مع عمرو بن سهيل فهربوا ، فأذن لهم ، وكتب إليه ابن هبيرة يأمره بأخذهم والجدّ في طلبهم فغيّب عنهم وعذر في أمرهم وأمر الناس ، وبعث إليه بنو المهلب بثلاثين ألف درهم ، ويقال أكثر من ذلك ، فلم يقبلها وردّها

وقال : يا سبحان الله ، أبيعُ المعروف بيعاً ؟! وكانوا ربما أتوا سلماً ليْلاً في حوائجهم ، فلم يزالوا كذلك حتى ظهرت المسوّدة وحصر الحسنُ بن قحطبة يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط . وولّى سلم بن قتيبة شرطته الحكم بن يزيد بن عُمير الأسيِّدي ، فاستخلف ابن رَالان المازني ، من بني مازن بن مالك بن عمرو واسمه الفضل بن عاصم بن عبد الرحمن بن شداد بن أبي محياة بن جابر بن رُويل بن رَالان وهو يعرف بابن رَالان ، ثم إن ابن هبيرة ولّى الحكم بن يزيد كرمان فقتل بها ، قتلهُ تميم بن عمر التيمي وأقر ابن رَالان على شرطه ، فقال سلمة بن عياش[1] يهجوه :

أتيتُ ابنَ رَالان في حاجة فلم أرَ خيــراً ولم أحْمَــد
وقـد جاءنـا عـاقـداً نخـوةً يضيق لهـا شكـة المـربـد
فيا ليت أني غرمتُ الذي أصبْت وإنــك لم تـشهـد

حدثنا إسحاق حدثنا إسماعيل بن عُليّة عن ابن عون قال : مات محمد بن سيرين ولسلم عليه خمسة آلف درهم فجعله منها في حِلّ وقال : أترون عبدالله بن محمد مستعدياً إن لم آخذها ؟ قال : وأتى سلم بن قتيبة رجل فقال له : اني كنت في نعمة من الله فزالت ولم أجد أحداً أولى بأن أفزع إليه منك فافعل ما يشبهك ، فقال سلم :

يرى بدهات الحمد لا يستطيعها فيجلس وسط القوم لا يتكلّمُ

ثم نهض ، وقال : الرجل لا يبرحُ ، فدخل إلى أهله ثم جمع ملء كمه دنانير وحليً من ذهب وجوهر ، ثم خرج إلى الرجل فنبذ ذلك إليه

١ ـ ترجم له صاحب الأغاني . ج ٢٠ ص ٢٩٤ ـ ٣٠٠ .

وقال : استمتع بهذا . وكان يقول : عجباً لمن يضنّ بما يصيرُ إلى هذه المزابل .

وقال له رجل : لي إليك حاجة لا مرزئة عليك فيها ولا عناء ، فقال : ما مثلي يسألُ عن هذه الحاجة ، وقال سلم : ما أعرف قافية يستغنى عن صدرها إلا قول الحطيئة .

- - - - - - - لا يذهب العرف بين الله والناس[1]

المدائني قال : قال عمرو بن هَدّاب : إنما كنا نعرف سؤدد سلم بأنه كان يركب وحده ثم يرجع في خمسين .

قال : واستنشد سلم أبا عمرو بن العلاء شعر الفرزدق :

تحنّ بـزوراء المدينـة نـاقتي حنين عجول تبتغي البوَّ رَائمِ[2]

ونسي أبو عمرو ما فيها من هجاء قيس ، فوقف ، وعرف سلم ما سبب وقوفه فقال : هات لله أبوك ، فقال : اعفني أصلح الله الأمير ، قال : والله لتسلسلنّها في آذانهم في سواد هذا الليل .

المدائني قال : قيل لسلم بن قتيبة : قد ساءت آداب حشمك لحسن خلقك ، فقال : لأن ينسب حشمي إلى سوء الأدب أحبّ إليّ من أنسب إلى سوء الخلق . وكان أهل طستنجان قطعوا الطريق في عمل سلم ، ففرض فرضاً بالبصرة ووجهه إليهم فقاتلوهم ، ثم اصطلحوا فكتب عليهم كتاباً وكان أول من فعل ذلك .

---

١ ـ ديوان الحطيئة ـ ط . دار صادر بيروت ص ١٠٩ والشطر الأول قوله :
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه - - - - - - - -
٢ ـ ديوان الفرزدق ـ ط . دار صادر بيروت ج٢ ص ٣٠٧ ، والبو «ولّد الناقة» .

وقال المدائني : قسم يزيد الرِّشك بين سلم واخوته أرضاً بالطفّ ، فجار على سلم ، فلما ولي تجنَّى عليه فضربه ، وكان يزيد قاسم أهل البصرة في زمانه ، وتكلم رجل بكلام حسن ، فقال بعض من حضر : هذا كلام تعلمُه ، فقال سلم : قد أحسن من تعلّم كلاماً حسناً من غيره فأداه في موضعه .

قالوا : ولمّا حُصر ابن هبيرة ، وظهر أمر المسودة كتب سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب إلى أبي سلمة حفص بن سليمان الداعية : إنك إن وليتني البصرة أخذتها لك ، فكتب إليه بولايتها ، فسوّد وأرسل إلى سلم : إني لك شاكر ما سلف من بلائك عندنا وقد ولاني هؤلاء القوم البصرة فأخرج من دار الامارة وانزل حيث شئت في الرحب والسعة ، فأرسل إليه سلم : اني غير خارج منها ، ولكن وادِعْني حتى ننظر ما يصنع ابن هبيرة فإن خرج عن واسط وقتل خرجت لك عن دار الامارة فإنك تعلم أن مروان وابن هبيرة لم يُقتلا ولم يُهزما ، فأبى سفيان أن يفعل ، فأرسل سلم إلى بني تميم يستنصرهم ، فحثّهم على نصرته جيهان بن محرز المنقري وأذكرهم خذلانهم عديّ بن أرطاة ، فأجابوه ، وسفر بين سلم وسفيان : إسماعيل بن مسلم المكي ، هو وعباد بن منصور، وعثمان البتي مولى ثقيف، وأبو سفيان بن العلاء ، ومعاوية بن عمر بن غلاب ، ومسلمة بن علقمة ، وقال أبو النضر النحوي : أنشدك الله في نفسك فإن تميماً لا تناصحك وقد ذهبت دولة أهل الشام ، فنهره وزبره ، وكلّم هؤلاء الذين سميناهم سفيان وحذّروه الفتنة ، فقال سفيان لابن العلاء : أترى سلماً مقاتلي ؟ فقال : أي والله ولو كنت في تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعين وهو وحده حتى تخرج نفسه ، وكان عبد

الرحمن بن يزيد بن المهلب حاضراً فصوّب قول ابن العلاء وقال : صدقته ونصحته ، فوادعه سفيان وكتب بينهما كتاباً على أن يقيما على هيئتهما حتى ينظرا ما يصنع ابن هبيرة والمسودة .

وبلغ الخبر أبا سلمة ، فكتب إلى بلج بن المثنى بن مُحربة العبْدي : ان قاتل سفيان سلماً وإلّا فأنت أمير البصرة ، فأعلم بلج سفيان ذلك ، فقال : لا بل أقاتل سفيان ، وأمسك بلج عن تولي البصرة ، وكتب أبو سلمة إلى الصمّة بن دريد بن حبيب بن المهلب بعهده على البصرة ، فحرّك ذلك سفيان بن معاوية تحريكاً شديداً وعزم على محاربة سلم ، فأرسل إلى المشارع فأخذ كل دابة وجدها ، وبلغ ذلك سلماً فأبرز سريره وأرسل إلى أصحابه فجاءته : قيس ، وتميم ، وبنو مسمع من بكر بن وائل ، وأتاه تسنيم بن الحواري ، واجتمع إلى سفيان أصحابه الأزد وبكر بن وائل وعبد القيس ، فعقد سلم لأبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان على أهل العالية ومن كان من قريش وثقيف ، ولعمر بن المسور بن عمر بن عبّاد على بني عمرو وحنظلة ، وعمر بن المسور الذي يقول فيه غيلان بن حريث التميمي :

يا عمر بن مسور بن عبّاد أنت الجواد ابن الخيار الأجواد

وجعل سفيان على ميمنته معاوية ابنه ، وعلى ميسرته محمد بن المهلّب ، وعقد لعبد الواحد بن زياد بن عمرو على طائفة من أصحابه ، وصار سفيان في أصحابه إلى موضع بالبصرة يعرف بسقاية ابن بُرثُن ، وأتته بنو حنيفة ، وبنو هزان من عنزة بن أسد بن ربيعة .

وخرج دريد بن الصمّة بن حبيب بن المهلب في أحسن من عدة سفيان ، وقدم على سلم مددٌ من أهل الشام فالتقوا في يوم أربعاء ، وأمر سفيان فنودي : من جاء برأس فلهُ خمسمائة درهم ومن جاء بأسير فله ثلاثمائة ، ووجه عبد الواحدبن زياد بن عمرو العتكي فحرق ظلال السوق ، ووجه سلم أبان بن معاوية ومعه أميّة بن خالد بن أبي عثمان ، من ولد خالد بن أسيد ، وعبدالله بن عمرو الثقفي إلى ناحية من النواحي فمرّ بقومٍ لهم صنيع فأخرجوا فالوذج فإنه ليأكل اذ حُمل على أصحابه فانهزموا ، فمسح يده ووضع بيضته على رأسه وركب فهزم أولئك الذين حملوا على أصحابه وهزم أصحاب سفيان أقبح هزيمة ، وقاتل سفيان سلماً في يوم الخميس فهزم سفيان وأصحابه حتى خرج من باب البصرة ومعه عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب ، وقتل معاوية ابنه ، وكان على الشاميين الذين أُمدّ سلم بهم جابر بن تَوبة الكلابي ، فانتهبوا دور العتيك حتى أخذوا الشاء والدجاج ، وارادوا استعراض ربيعة حتى كُلّم جابر فكفّهم ، وصار سفيان إلى ناحية ميسان أوكسكر ، وأقام سلم بالبصرة نحواًمن شهرين فلما رأى علوّاً من المسودة شخص عن البصرة إلى البادية واستخلف على البصرة محمد بن جعفر أحد بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فكان أول من سوّد بعد سفيان بن معاوية . ولما هرب سفيان سوّد مسمع بن مالك بن مسمع الأبرص وضبط البصرة ، وقدم بسام وهو والي الأهواز فأمّ بالبصرة حتى ولي سفيان بن معاوية البصرة ثانية.

ولما قدم بسام بن إبراهيم البصرة هدم دار عبدالله بن أبي عثمان وهو ابن عبدالله بن خالد بن أسيد ، ودار محمد بن واسع بن عبيد بن عاصم بن

قيس بن الصلت بن حبيب السلمي ، ودار ابن رالان ودار بشر بن هلال بن أحوز ، ودوراً من دور المضرية . وكان بسّام قد ولي الأهواز من قبل أبي سلمة الداعية .

وقال المدائني : هدم هذه الدور سفيان حين ولي البصرة بعد أن سكنت الفتنة . وقدم عبد الصمد بن علي فأخذ بيعة أهلها .

ولما خرج سلم من البصرة كتب أبو العباس إلى داود بن علي وهو عامله على الحجاز يأمره بطلبه ، فوجه في طلبه فلم يقدر عليه ، وبعث سلم إلى أبي العبّاس ببيعته مع محمد بن سعد الأنصاري وكتب يذكر طاعته وأنه استخلف على البصرة رجلاً من بني هاشم لميله إليهم ، فقال : لو أقام لنفعه ذلك ، وكتب له أماناً وأمره بالظهور والقدوم . وكتب سفيان إلى أبي العباس مع سليمان بن أبي عيينة يعلمه ما كان من مبادرته إلى الطاعة والتسويد ويشكو اجتماع مضر عليه ، فقال أبو سلمة : يُكتب عهد سفيان على البصرة ، فكُتب له عهد من أمير المؤمنين أبي العباس بولايتها ، فلما قتل أبو سلمة أمر أبو العباس بعزل سفيان وقال : هو من عمال الناكث أبي سلمة ، وولّى البصرة عمر بن حفص هزارمرد ، ثم ولّى سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس .

وقال أبو عبيدة : اتى سلم البادية فأقام في قومه وولد له ، ثم أتاه أمان أبي العباس عن غير طلب منه له فأقبل إلى البصرة حتى نزل في دار أبي سفيان بن العلاء ليلاً ، وبعث إلى سليمان بن علي يعلمه مكانه ، وقد كان كتاب أبي العباس ورد عليه بإيمانه وأخذ البيعة عليه ، فغدا على سليمان فأمنه وأخذ عليه البيعة ، فاعترضه محمد بن أبي عيينة بن المهلب فقال : أصلح الله

الأمير أتؤمنه وسيفه يقطر من دماء أنصاركم ؟ فلم يكلمه ، فقال سليمان : كلمه ، فقال سلم : إن آل المهلب فراش قين وذبان طمع شرابون بأنقع ، لا يوثق منهم بثقة ، ولا يحامون على حرمه وهم أصحاب يزيد بالعقر أسلموه ، وأصحاب سليمان بن حبيب بالأمس خذلوه ، وهذا بعد في نفسه فإنما هو نطفة سكران في رحم صنّاجة . فقال محمد : أصلح الله الأمير خذ لي بحدّي ، فأمر سليمان بإخراجه فأخرج ، ثم غدا على سليمان مستعدياً عليه ، فقال له : ويحك ما كان سلم ليقول شيئاً إلّا شهد عليْه ألف نزاريّ ، فأمسك .

وقال يونس النحوي : نظرت إلى رؤبة بن العجاج في مربعة باب عثمان وذلك في الحرب بين سلم وسفيان وهو على فرس متقلداً سيفه ومتنكبّاً قوسه يقول : يا معشر الفتيان - يعني بني تميم - أطلقوا لساني بجميل ذكركم ، فإذا أتى رجل بأسير أو رأس قتيل قال : لا شلل ولا عمى . وقال ابن المقفع ، ويقال يحيى بن زياد الحارثي :

ما كنت أعجب ممن نال ميسرة	حتى مررت على دار لسفيان
لا تعجبنّ ، فقد يُلفى الكريم له	جد عثور ويضحي الوغد ذا شأن
إن كنت لا تدّعي بيتاً له قدم	إلا بقصرك لم تنهض بأركان
سام الرجال بآباءٍ لهم شرفٌ	تلك الفضيلةُ لا ما شيّد الباني
وإن سموتَ بيوم العقر مفتخراً	فذلك العار للباقي وللفاني
واذكر ليالي سلْم إذ تركتَ له	ما في رحالك من مال ونسوان
فظل يفري أديم الأزد ضاحية	فرياً وامعنت منه أيّ إمعان

وكان سلم لا يؤتي بأسير الا حبسه ، حتى أُتي بابن عم له يكنى أبا عصام فأمر بضرب عنقه وقال :

دقّـك بالمنحـاز حبَّ الفُلْفُل[1]

وكان عمر بن مسور يأخذ أسلحة الاسارىٰ ويخلي سربهم .

قالوا : ولما ولي سفيان دعا بخالد بن صفوان وكان قد قتل له ولد أيضاً في الحرب فقال له : عزّني ، فقال: أنا وأنت كما قالت الباكية :

اسـعدنني اخواتي فالويل لي ولكُنَّه

فغضب وقال : جدّدت لي حزناً ، فقال : ليسلّ عنك ما تجد من اللوعة عليه علمُك بأنك غير باقٍ .

١ ـ ويروى «حب القلقل» ، وحب القلقل ثمر شجرة من العضاة ، يخبط بالمنحاز لكثرة شوك شجره فيسقط ، والمنحاز : المدق . انظر الأمثال لأبي عبيد ص ٣١١ .

[وفاة السفاح][1]

حدثني أبو مسعود عن مشايخ الكوفيين قالوا : كان أبو العباس طويلاً أبيض أقنى ذا شعر أسود جعد حسن اللحية جعدها ، قدم من الشام ثم قدم أهله بعده ، فجاءته الخلافة ومعه داود بن علي ، وموسى بن داود ، والمنصور ، وعيسى بن موسى ، ومحمد وعبد الوهاب ابنا ابراهيم الإمام ، والعباس بن محمد ، ويحيى بن محمد ، وسليمان ، وصالح ، وعبد الله ، وعبد الصمد ، واسماعيل ، وعيسى بنو علي بن عبد الله ، ويحيى بن جعفر بن تمام ، ومحمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس ، ورجل من بني معبد بن العباس . قال : وكان قاضياه ابن أبي ليلى وابن شبرمة .

حدثني أبو مسعود عن زهير بن المسيب الضبي عن أبيه قال : اجتمع لأبي العباس في سنة ست وثلاثين : فتح السند ، وإفريقية ، ومكاتبة صاحب الأندلس فقال لبعض عمومته : سمعت أنه إذا فتح السند وإفريقية

---

١ ـ أضيف ما بين الحاضرتين لضرورة السياق .

مات القائم من آل محمد ، فقال له : كلا ، فما برح حتى دعا بدوّاج لقشعريرة أصابته .

المدائني وأبو مسعود قالا : كان الدم قد هاج بأبي العباس فأشار عليه الاطبّاء بالفصد فلم يقدم عليه فحُمّ ، ثم خرج بعد المُوم[1] فمات بالأنبار . وكان أراد البيعة لابنه محمد ، ثم قال : ابني حدث فما عذري عند ربي ، فقالت له أم سلمة بنت يعقوب امرأته وهي أم محمد : ولِّ غيره واجعله ثانياً ، وكلمت أخواله في أن يسألوه ذلك ، فقال : أخاف أن يقصر عمر من اجعله قبله فتدركه الخلافة وهو صغير فيصير الأمر إليه قبل أن يستحقه ، ولكني أصيّره إلى رجل من أهلي أثق بفضله واحتماله ، فاثبت اسم أبي جعفر المنصور ، وعيسى بن موسى بن محمد من بعده في كتاب ، وخُتم الكتاب ، وجُعل في منديل وجُمعت أطرافه وخُتم عليه بخاتم أبي العباس ، وأخذه عيسى بن علي إليه .

وحدثني أبو الحسن المدائني قال : كان أبو العباس يتقلب فيبقى جلده على الفراش ، وخرج رجيع داود بن علي من فمه ، وسُقي بطن يحيى بن محمد .

وحدثني أبو الحسن المدائني قال : قال لأبي العباس بعض عمومته : كيف أصبح أمير المؤمنين ؟ فقال الطبيب : أصبح صالحاً ، فسَلَتَ ذراعه بيده فتناثر لحمه وقال : كيف يكون صالحاً من هذه حاله ؟ وكانت خلافة أبي العباس أربع سنين وثمانية أشهر وأياماً ، وتوفي بالأنبار سنة ست وثلاثين

---

١ - «الموم : البرسام» . والبرسام علة يهذى بها . القاموس .

ومائة ودفن بالأنبار ، وصلى عليه عيسى بن علي عمه ، وقال بعضهم عيسى بن موسى ابن أخيه ، وكان له يوم توفي ست وثلاثون سنة ، ويقال أقل من ذلك . وكان آخر ما تكلم به أن تشهّد ، ثم قال : إليك ربيّ لا إلى النار .

وحدثني عبد الله بن صالح قال : بلغني أن عيسى بن علي قال لأبي العباس : يا أمير المؤمنين اذكر رجلاً يمدّ الناسُ إليه أعناقهم بعدك ، فإن ذلك لا يقدم ولا يؤخر ، فقال : كنت وعدت عبد الله بن علي إن قام بهذا الأمر أن أوليه الخلافة بعدي ، فقال له سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي : لا تخرجها من ولد محمد بن علي ، فقبل قوله .

وولد لأبي العباس

محمّد والعباس وعلي وابراهيم واسماعيل ، درج هؤلاء الأربعة ، وريطة ، وأمهم أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي .

فأما ريطة فتزوجها محمد بن عبد الله بن علي المخالف لأبي جعفر ، فتوفي قبل أن يجتمعا ، فتزوجها محمد فولدت له علياً وعبد الله ابني المهدي ، وكانت ريطة من أشد الناس قوةً وبطشاً .

وأمّا محمد بن أبي العباس ، فكان أشد الناس أيضاً بطشاً عابثه المهدي وهو أمير فغمز ركابه حتى ضاق وضغط رجله فلم يقدر على إخراجها منه حتى ردّه فأخرجها . وأغزى المنصور محمد بن أبي العباس الديلم في سنة إحدى وأربعين ومائة في أهل البصرة والكوفة والجزيرة والسواد ، ووجهه في سنة

سبع وأربعين ومائة عاملاً على البصرة ، فاشتكى واستعفى فأعفاه ، واستخلف على البصرة عقبة بن سلم ، فأقرّه المنصور بعده إلى سنة إحدى وخمسين ومائة . وكان محمد يقول الشعر ويتغنى به الحكم الوادي المغني ، فمن شعره :

زينب ما ذنبي وماذا الذي غضبتم فيه ولم تُغضبوا
والله ما أعرف لي عندكم ذنباً ، ففيم العتب يا زينب[1]

ويقال ان حماداً المعروف بعجرد قال له هذا الشعر ، وقال له :

يا ساكن المربد قد هجت لي شوقاً فما أَنْفَكُّ بالمربد
سوف أوافي حفرتي عاجلاً يا منيتي إن أنت لم تُسعدي

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه قال : دخل دحمان الأشقر المغني ، وحكم الوادي على محمد بن أبي العباس بالبصرة ، فدعا بكيس فيه أربعة آلاف درهم فقال : من غنّى صوتاً يطربني فالكيس له ، فغنى دحمان صوتاً قديماً ثقيلاً فلم يطرب له ، فغنّى حكم هزجاً[2] فطرب له وحرّك رجليه ورأسه ، وأمر بالكيس فدفع إليه . قال : والحكم منسوب إلى وادي القرى .

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب قال : كان محمد بن أبي العباس يلوي العمود ويلقيه إلى أخته ريطة فتردّه ؛ قال : وولاه المنصور البصرة ، فكان يخضب لحيته بالغالية فكنوه أبا الدبس . قال : وكان معه حكم الوادي

---

١ ـ أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق للصولي ـ ط . بيروت ١٩٧٩ ص ٤ .
٢ ـ الهزج : صوت فيه بحح ، صوت دقيق مع ارتفاع . معجم الموسيقى العربية لحسين محفوظ ـ ط . بغداد ١٩٦٤ . ص ١١٩ .

وكان ضارباً ، قال : وقد رأيته في خلافة الرشيد جسيماً أحول . قال المدائني : ومن غناء الحكم شعر حمّاد عجرد[1] في محمد بن أبي العباس :

أرجو بعد أبي العباس إذ بانا ... يا أكرم الناس أعراقاً وعيدانا
فأنت أكرم من يمشي على قدم ... وانضر الناس عند المحل أغصانا
لو مَجّ عودٌ على قوم غضارته ... لمجّ عودك فينا المسك والبانا

وقال المدائني : قال محمد بن أبي العباس :

قولا لزينب لو رأيـ ... ـتِ تشوفي لك واشترافي
وتبدّدي كيما أرا ... كِ وكان شخصك غير جاف
ووجدت ريحك ساطعاً ... كالبيت جُمِّر للطواف
وتركتني وكأنما ... قلبي يوجَّأُ بالأثافي[2]

قال : وفيه غناء ليونس الكاتب .

قال : ويقال إن زينب هذه زينب بنت سليمان ، ويقال زينت بنت محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ، وكان قد زُوّجها فأراد الابتناء بها في المدينة حين قتل أبوها فمنعه عيسى بن موسى من ذلك ولامه عليه وقال له : يا جاهل ، ما يؤمنك أن تقتلك بأبيها ؟ فيقال ان عيسى بن موسى تزوجها بعد وفاته ، ولم يدخل بها محمد حتى توفي . وكان موت محمد بن أبي العباس ببغداد .

---

١ ـ حماد بن عمر بن يونس السوائي ، شاعر من مخضرمي الدولتين ، توفي سنة ١٦١ هـ/٧٧٨ م . الأعلام للزركلي .
٢ ـ أشعار أولاد الخلفاء ص ٥ ـ ٧ مع فوارق .

وقال الحرمازي : كان حماد عجرد يقول الشعر لمحمد بن أبي العباس في زينب بنت سليمان بن علي ، فطلب محمد بن سليمان عجرداً فاستجار عجرد بقبر سليمان بن علي فلم ينفعه ذلك عنده . وقيل إن محمدّ بن سليمان لما ولي الكوفة طلب عجرداً فشخص إلى البصرة فاستجار بقبر سليمان بن علي ، وقال في أبيات له :

إن اكــن مـذنبـاً فأنـت ابـ ـن مـن كان لمن كان مذنبـاً غفارا
يا بن بنت النبي إنّي لا أجعـ ـل إلاّ إليك منك الفرارا
غير أني جعلت قبر أبي أيو ب لـي من حوادث الدهر جارا
لم أجد لي من الأنام مجيراً فاستجرت التراب والأحجارا

فألح في طلبه فأتى قبر سليمان فكتب عليه :

قل لوجه الخصيّ ذي العار إني ســوف أُهـدي لزينب الأشـعارا
قد لعمري فررتُ من شدّة الخـو ف وأنكــرتُ صاحبيّ جهارا
وظننت القبـور تمنـع جـارا فاستجرت التراب والأحجارا
فـاذا القبـر ليس لي بمجير فحشا الله ذلك القبر نارا

وكانت أم سلمة بنت يعقوب عند مسلمة بن هشام المعروف بأبي شاكر ، فطلقها فخلف أبو العباس عليها ؛ ويقال كانت عند عبد الله بن عبد الملك ، ويقال عند مسلمة بن عبد الملك ، والثبت عند أبي شاكر ، وكان اسماعيل بن علي تزوج أم سلمة بعد أبي العباس ، فغضب المنصور من ذلك فطلقها ، وقال بعضهم : خطبها فلمّا أنكر المنصور ذلك أمسك .

وأما عبدالله بن محمد أبو جعفر وهو المنصور :

فكان يعرف بعبد الله الطويل ، ولم يزل مشهوراً بطلب العلم والفقه والآثار .

حدثني ابن الاعرابي الراوية عن سعيد بن سلم قال : وجه محمد بن علي عبد الله ابنه أبا جعفر إلى البصرة ليزور من بها ، ويدعو إلى الرضا من آل محمد ، فكان يأتي عمرو بن عبيد ويألفه ، فلما صار إلى الشام سمعه أبوه يتكلم بشيء يقايس فيه فأنكره عليه وقال : هذا من كلام مولى بني تميم ، يعني عمرو بن عبيد .

وحدثني جماعة من المشايخ قالوا : لما خرج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، عامل يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، سار إليه المنصور فيمن أتاه من بني هاشم ، فولاه ايذج من الأهواز ، فأخذه سليمان بن حبيب بن المهلب وكان عامل عبد الله بن عمر على الأهواز فحبسه وشتمه ومَنْ هُوَ منه وأراد قتلَه ، فقال له سفيان بن معاوية ويزيد بن حاتم : إنما أفْلَتْنَا من بني أميّة بالأمس ، أفَتُريدُ أن يكون

لبني هاشم عندنا دمٌ ؟ فخلى سبيله ، ويقال إنه كان ضربه ؛ فلما خلّصا المنصور من يد سليمان بن حبيب ، صار إلى عمرو بن عبيد فأقام عنده ، ثم سار مستتراً إلى الحميمة من أرض الشراة .

وحدثني أبو مسعود عن اسحاق بن عيسى قال : لما شخص ابو جعفر يريد عبد الله بن معاوية مرّ بالراوي[1] فقيل له : إن ها هنا منجماً يقال له نوبخت ، فعدل إليه وسأله عما يؤول إليه حاله في وجهه فيما بعد ذلك ، فقال له نوبخت : أما أنت فسيصير إليك ملك العرب ، وأما وجهك هذا فسينالك فيه مكروه ، فلحق بعبد الله وكان من أمره ما كان .

حدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عدي وغيره ، أن أبا مسلم كتب إلى أبي العباس يستأذنه في الحج ، فكتب إليه : إن الجهاد أفضل من الحج ، فكتب إنه لا بُدّ لي من الحج فإني حججت وأنا تابع بغير مالي وعلى غير ظهري ، وفي نفسي من ذلك شيء ، فكتب إليه يأمره بالقدوم في ألف ويقول : إنما تسير في سلطان أهلك ، وطريق مكة طريق لا يحتمل العساكر ، فأما المال فلا تستكثر منه وعوّل علينا فيه ؛ فأقبلَ في الرجال ومعه الأموال حتى نزل الري وخلف بها ثمانية آلاف فارس ، وخلف الأموال ، وأتى الأنبار في ألف وقال : أني لأرجو ان يموت أبو العباس فأكون مع أقوى من يأتي بعده ، ثم أغلب على الأمر ، ويكون لي شأن من الشأن فلا يبقى بلد إلّا وطئته برجليّ هاتين .

---

١ ـ كذا بالأصل ولعلها تصحيف «الزاوية» وهي موضع قرب البصرة وقرية على الدجلة بين واسط والبصرة ، وقرية بالموصل معجم البلدان .

فلما دخل على أبي العباس أظهر أبو العباس له جفوة ، لما بلغه عنه ، ثم أظهر مبرته وقال له : لولا أن أخي على الحج في عامه هذا لوليتك الموسم فإنك رجلٌ منّا أهل البيت ، وكان المنصور لما بلغه أن أبا مسلم على الحج كتب من الجزيرة يسأل أن يُوَلّى الموسم ، ويقال : بل كره أبو العباس أن يسأله أبو مسلم ولاية الموسم فلاَ يجد بداً من توليته إياه . فكان أبو مسلم يتقدم أمام أبي جعفر بادياً وراجعاً خوفاً على نفسه لما كان حقد عليْه حين أتاه بخراسان من إجلاسه إياه في دهليزه ، وكتابه إليه يبدأ بنفسه ، مع أشياء كانت تبلغه عنه فكان أبو مسلم يقول : أما وجد أبو جعفر سنة يحج فيها إلا هذه السنة التي حججت فيها ؟ فلما قضيا حجهما ، فأقبل أبو مسلم فكان بين البستان وذات عِرْق[1] جاء المنصور خبر وفاة أبي العباس ، وأبو مسلم متقدمه بمرحلة ، فكتب إلى أبي مسلم : إنه قد حدثَ حَدَثٌ ليس مثلك غاب عنه فصر إليّ ، فلم يقدم عليه وكتب إلى المنصور كتاباً بدأ فيه بنفسه ، فقال المنصور : انا بريء من العباس ان لم أقتل ابن وشيكة . وكان أبو مسلم يصلح العقاب ويكسو الأعراب في كلّ منزل ، فكان ذلك يغيظ أبا جعفر ، ويرى أنه استطالة منه عليه . فلما ورد أبو جعفر الأنبار وجد عيسى بن موسى بها وقد حوى الخزائن والأموال وحفظها ، فسلمها إليه .

وكان عبد الله بن علي قد خلع ، فندب المنصور أبا مسلم لحربه ، فسارع إلى ذلك ليتخلص من يده . وذكروا أن أبا مسلم لما ورد الأنبار أراد

---

١ ـ لعل البستان هنا هو ما عرف باسم بستان ابن عامر ، وأما ذات عرق فهي مُهَلّ أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة . معجم البلدان .

عيسى بن موسى على خلع المنصور ومخالفته ، وقال له : أنت وصيّ الإمام وأحق بالأمر من أبي جعفر ، فقال له : الأمر لعمّي ولو قدّمني أبو العباس لقدّمتُه على نفسي .

وحدثني ابن الأعرابي عن المفضّل قال : أتت أبا مسلم وفاة أبي العباس ولم يعلم أنه قد ولّى المنصور الخلافة بعده ، فكتب إلى المنصور : «عافاك الله وأمتع بك ، أتاني خبر وفاة أمير المؤمنين رحمة الله ، فبلغ مني أعظم مبلغ وأمسّهُ وَجَعاً وألماً ، فأعظم الله أجرك ، وجبر مصيبتك ، ورحم الله أمير المؤمنين وغفر له وجزاه بأحسن من عمله» . فلما قرأ المنصور كتابه استشاط غضباً ، وكتب إليه : «من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الرحمن ، وصل إليّ كتابك فرأيتك غير موفق فيه للرشد ولا مسدّد للصواب ، ولكني ذكرت ما تقدم من طاعتك فعطفني عليك ، وقد وليتك مقدمتي فسر على اسم الله وبركته حتى توافي الأنبار ، ومن انكرت من أمره شيئاً من عمالنا فصرفُه والاستبدال به إليك» ، فحقد كل واحد منهما على صاحبه .

قال ابن الأعرابي : وحدثني سعد بن الحسن ، أن المنصور لما قرأ كتابه أجابه عليه وقد استشاط فقال لعطية بن عبد الرحمن التغلبي : لمثلها كنت أحسيك الحُسى ، إن العبد كتب إليّ بما ترى وقد أجبته فانطلق بالكتاب إليه ، فإذا أخذ في قراءته فاضرب عنقه ، فإن قُتِلتَ فشهادة والله خليفتك على من تخلّف وهم عندي عدل ولدي ، وإن سلمتَ فلك من المكافأة ما تطأ العرب به عقبك ، فقال له اسحاق بن مسلم : يا أمير المؤمنين إنه لا يؤمن أن ينبُو سيفُه فيقتل باطلاً ويكرّ العلج علينا ، وقال له يزيد بن أسيد اذكر قول القطامي :

قد يُدرك المتأنّي بعضَ حاجِته وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلَلُ[1]

وقال له أبو أيوب كاتبه : أخِّر الأمر حتى تقدم إلى شيعتك وأهل بيتك . فأنفذ المنصور كتابه مع غير عطية .

وحدثني عبد الله بن خلف الوراق عن عدة من آل حميد بن قحطبة قالوا : لما بلغ أبا مسلم موت أبي العباس كتب به إلى أبي جعفر وهو لا يعلم باستخلافه إياه ، فلما أتاه أنه قد استخلفه كتب إليه : «أصلحك الله يا أمير المؤمنين صلاحاً نامياً باقياً ، بلغني هذا الأمر الذي أفظعني وأتاني به كتاب عيسى بن موسى مع محمد بن الحُصين ، إلا أنه سرّى عني الغمّ ولوعة المصيبة ما صار إليك من الأمر ، فنسأل الله أن يعظّم أجرك ويحسن الخلافة عليك فيما ولّاك ، وأن يبارك لك فيما قلدته ، إعلم أنه ليس أحد يا أمير المؤمنين أشد تعظيماً لحقك وحرصاً على مسرّتك مني ، والله اسأل لك السّلامة في الدين والدنيا» . وكان ورود الكتاب بصُفينة[2] ، ثم بعث ابو مسلم بالبيعة بعد يومين ، وإنما أراد أن يرهبه .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن اسحاق بن عيسى بن عليّ ، أن أبا العباس توفي والمنصور بمكة ، وأبو مسلم حاج أيضاً ، فقام أبي ـ عيسى بن علي ـ فخطب الناس بالأنبار فقال : «الحمد لله أهل الحمد ووَلّيه ، ذي المجد والعظمة الكبرياء والقدرة الذي كتب الموت على خلقه وسوّى فيه بين عباده

---

١ ـ القطامي هو عمير بن شييم ، شاعر اسلامي مقل مجيد ، انظر ترجمته في الأغاني ج ٢٤ ص ١٧ ـ ٥٠ ، وورد بيته هذا في ص ٢١ .

١ ـ صفينة قرية بالحجاز على يومين من مكة ، وعقبة صفينة : يسلكها حاج العراق ، وهي شاقة . معجم البلدان .

فلم يعزّ منه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا خليفة هادياً ، جعلهم فيه شرعاً ، وجعله عليهم حتماً ، فقال لنبيه ﷺ : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مُتَّ فهم الخالدون﴾[١] ، وقال : ﴿إنك ميّت وإنهم ميّتون فتبارك الله رب العالمين﴾[٢] . ثم ان خليفتكم عبْد الله أبا العباس أمير المؤمنين رحمة الله عليه كان عبْداً من عباد الله الذين كتب عليهم الموت ونقلهم إلى دار الثواب ، أكرمه بخلافته وأحيا به سُنّة نبيه وردَّ به حقّ أهل هذا البيت إليهم حتى استقر في مقرّه ، وحلّ محله وخرج من أيدي الفجرة الظلمة أهل بيت اللّعنة الذين أخذوه اغتصاباً وظلماً وابتزازاً بالتمويه والشُّبه وادّعاء الأباطيل ، ثم استعمله الله بطاعته الى انقضاء مدته وأثره ونفاد أجَلِه وأكله ، وقبضه إليه حميداً رشيداً ، قد رضي سَعْيَه وأقام به حقّه ، فرحمةُ الله عليه وبركاته وصلواته ، وقد استخلف أخاه أبا جعفر أصلحه الله وأمتع الخاصّة والعامّة به لكمال سنّه ، وفضل رأيه ، وصحة عزمه ، ونفاذ بصيرته ، وجعل وليّ العَهد بعدَه عيسى بن موسى بن علي ، وهو من قد عرفتم جَزالَتَهُ وبراعته وفضله ، فعند الله نحتسب أبا العباس أمير المؤمنين ، وإياه نسألُ أن يعظّم أجورنا وأجوركم فيه ، وأن يبارك لأمير المؤمنين فيما ولّاه واسترعاه ، ويحضره الرشد والسداد في أموره . فبايعوا رحمكم الله لأمير المؤمنين عبْد الله أمتع الله به ، ولعيسى بن موسى بن محمد بن علي إن كان من بعده ، بيعة صادقة عن طوع واعتقاد ونيّة حسنة بيعةً تنشرح بها صدوركم ، وتخلص فيها نياتكم ، لتنالوا بها عاجل المكافأة وآجل الثواب إن شاء الله ، أحسن الله عليكم

١ - سورة الأنبياء - الآية : ٣٤ .
٢ - سورة الزمر - الآية : ٣٩ .

الخلافة وتولاكم بالكفاية» . ثم بكى وبكى الناس ، فلما نزل كتب إلى عيسى بن موسى بالقدوم وكان بالكوفة فقدم الأنبار وأعطى الناس أرزاقهم ، وكتب عيسى بن علي إلى أبي جعفر : «أما بعد ، أصلح الله أمير المؤمنين ، وأصلح به وعلى يديه ، فإن أقل المصائب يا أمير المؤمنين نكاية وإن عظُمت بها الرزِّية وجلّ الخطب وأفظع الأمر مُصيبةٌ جبرت بحسن العوض في الدنيا وجزيل الثواب في الآخرة ، وإن أمير المؤمنين أبا العباس رحمةُ الله وصلاته عليه كان من عباد الله الذين حتم عليهم الموت وخلقهم للفناء ، فقبضه الله حميداً سعيداً قائماً بالحق جميل النظر للخاصة والعامة ، مشفقاً عليهم ، مُعَفِّياً بعدله على جور الظلمة من أهل بيت اللعنة ، وبإحسانه على إساءتهم وشرارتهم ، وقد استخلفك يا أمير المؤمنين بعده وجعل وليّ عهدك عيسى بن موسى بن محمد ، فأعظم الله أجر أمير المؤمنين على الرزِيَّة الفاجعة ، وبارك له في العطية الفاضلة ، فلا مصيبة أجلّ من مصيبته ولا عُقبى أحسن من عقباه ، ورحم الله أبا العباس وغفر له وضاعف له حسناته ، وجعل الله أمير المؤمنين خير خليفة وإمام ، أعْمَلَهَ بعدل ، وأقومَهَ بحق ، وأنظرهُ لعامّة ، وأحناه على خاصة بَمَنّه وقُدرته ، وقد دعوت الناس إلى بيعتك يا أمير المؤمنين ، فسارعوا إليها واحتسبوا الخير فيها ، حقّقَ الله آمالهم وبَلّغهم لك وفيك أمانيهم يا أمير المؤمنين ، فاشكر الله يزدك ، واستعنه يُعنِك ، واستكفِهِ يكفك ، أسأل الله لأمير المؤمنين أحسن الحفظ وأدوم العافية والسلامة في الدنيا والآخرة» .

قال : وكتب رقعة أدرجها في الكتاب لم يُدر ما فيها ، وبعث بالكتاب مع محمد بن الحصين العَبْدي ، فلما قرأه أبو جعفر بكى . وحمّل عيسى بن

علي وعيسى بن موسى محمّد بن الحصين كتابين إلى أبي مسلم بالتعزية والتهنئة بولاية أمير المؤمنين أبي جعفر . وقال محمدَ بن الحصين لأبي جعفر حين قرأ كتاب عيسى بن علي إليه : قد أعقب الله المصيبة الجليلة بالنعمة العظيمة ، فأحسنَ الله يا أمير المؤمنين من المصيبة عقباك وبارك لك فيما ولاك وأعطاك ، فأمر له بخمسائة دينار ، ويقال بألف دينار ، وكتب إلى عيسى بن علي بأبرّ كتاب وألطفهِ وجزاه الخير على ما كان منه ، وكتب إلى عيسى بن علي وعيسى بن موسى في القيام بأمر الناس وضبط ما قبلهما إلى قدومه .

قال : وكتب عيسى بن علي إلى عبد الله بن علي بالخبر وعزاه عن أبي العباس وهنأه بولاية أمير المؤمنين أبي جعفر ، وأنفذ الكتاب مع أبي غسّان حاجب أبي العباس والهيثم بن زياد الخزاعي ، فلما دخلا عليْه سلم الهيثم بالإمرة وسلم أبو غسان بالخلافة ، فقال الهيثم : مَهْ فإن أبا العباس قد استخلف أبا جعفر أخاه ، فقال عبد الله : أنا أحق بالأمر منه ، إن أمير المؤمنين رحمه الله ندب الناس إلى الجَعْدي فتثاقلوا عنه فقال : من انتَدَبَ إليه فهو الخليفة بعدي ، فانتدبتُ ، فقال الهيثمُ : نشدتُك الله أن تهيج الفتنة وتعرض أهل بيتك لزوال النعمة ، فقال : اسكت لا أُمّ لك ، وقام فخطب ونعى أبا العباس وادعّى أنه ولاّه الخلافة بعده ، فصدّقه أبو غسّان وكذّبه الهيثم ورجل آخر معه ، فأمر بالهيثم والرجل فضربت أعناقهما . وخرج ابن علي من دابق ، وكان متوجهاً إلى بلاد الروم للغزو في مائة ألف ، فقال له ابن حنظلة البهراني : يا أمير المؤمنين ، الرأي أن توجه ألف رجل وتبعث عليهم رجلاً تثق بصرامته وبأسه ونصيحته ، وتأمره أن يأخذ طريق السماوة فلا يشعر أبو جعفر وأبو مسلم إلا بموافاته إياهما ، وتغذّ أنت السير حتى تنزل

الأنبار ، فلم يقبل مشورته لأنه من أهل الشام ، وقد كان أبو جعفر خاف هذا الفعل من عبد الله فأسرع السير وأغذّه حتى نزل الأنبار فسأل عن ابن علي فأخبر أنه بحران قد صَمَد صَمْد مقاتل بن حكيم العكي لإبائه بيعته حتى يجتمع الناس ، فحمد الله على ذلك ، ثم بلغه أنه قد أخذه وبعث به إلى عثمان بن سُراقة فحبسه بدمشق فقال : لله العكي ماذا يذهب منه .

حدثني أبو مسعود قال : لما أتى أبا جعفر خبر وفاة أبي العباس دعا إسحاق بن مسلم العقيلي ، وكان قد حجّ معه ، فقال له : ماذا ترى أن نصنع ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان ابن علي حازماً فسيوجه خيلاً تلقانا في هذه البراري فتحول بيننا وبين دار الخلافة ، ويأخذنا أسراء فاقعُد على دوابك فإنما هي ليالٍ حتى نقدم الأنبار ، قال : فإن هو لم يخالف ؟ قال : فلا حياة به ، والرأي اغذاذ السّير على حال. قال : فارتحل أبو جعفر وقدّم أبا مسلم أمامه يطوي المراحل إلى الأنبار ، وندب أبا مسلم لعبد الله بن علي فسارع إلى محاربته .

حدثني محمد بن الأعرابي قال : لَقِيَتِ المنصور أعرابيّةٌ في طريقه ، وقد توفي أبو العباس والمنصور مقبل إلى الأنبار ، فقالت له : أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في أخيك ، فإنه لا مصيبةَ أعظم من مصيبتك ، ولا عوض أفضل من خلافتك ، فقال : بلى ، الأجر ؛ فقالت : هو لك مذخور إن شاء الله ، فوهب لها ألف درهم .

وحدثني أبو مسعود قال : حجّ المنصور أمير المؤمنين في السنة التي استخلف فيها ، وفي سنة سبع وأربعين ومائة أو ثمان وأربعين ومائة، وفي السّنة التي توفي فيها ، وكانت وفاته بمكة .

وحدثني المدائني قال : حجّ مع المنصور اسحاق بن مسلم العقيلي ، فكان عديله ، فقال المنصور ذات يوم : لقد أبطأنا عن الحج وإني لأخاف فَوْتَهُ ، فقال اسحاق ، وكان فيه جفاء : اكتب في تأخير الحج إلى قدومك ، فقال : ويحك أوَ يكون أن يؤخر الحج عن وقته ؟ فقال : أوَ تريدون شيئاً فلا يكون ؟

وحدثني المدائني قال : كان أمير المؤمنين المنصور يقول : الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاث خلال : إفشاء السر ، والتعرض للحرم ، والقدح في الملك .

وحدثني المدائني قال : قال اسحاق بن مسلم العقيلي : حججت مع أبي جعفر فقال : قل للحادي أُحْدُ ، فقلت : يا عاصم أُحدُ ، فحدا فأجاد ، فقال : قل له : قد أمر لك أمير المؤمنين بألف درهم فدعا له ، ثم قال : قل له أُحْدُ أيضاً ، فأعاد فأجاد ، فقال : قل له : قد أمر لك أمير المؤمنين بكسوة ، فدعا له ، ثم قال : قل له احد ايضاً فحدا فأجاد ، فقال : قل له : أمر لك أمير المؤمنين بخادم ، فقلت : يا عاصم قد أمر لك أمير المؤمنين بخادم ، فقال لي مُسِرّاً لقوله : بأبي أنت مُسّه فلعله موعوك ؟ فأعطى ذلك الذي أمر له به .

حدثني محمد بن عباد البجلي ، حدثني زهير بن المسيب عن أبيه قال : جرى عند المنصور ما كان من مداراته إياه ، فقال المنصور : إذا مدّ عدوك إليك يده فإن أمكنك أن تقطعها وإلّا فقبّلها .

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء قال : حدثني من أثق به قال : كان أبو الجهم بن عطية مولى باهلة من أعظم الدعاة قدراً وغَنَاءً ، وهو الذي

أخرج أبا العباس من موضعه الذي أخفاه فيه أبو سلمة وخزيمة ، وقام بأمره حتى بويع ، وكان أبو العباس يعرف له ذلك ، وكان أبو مسلم يثق به ويكاتبه من خراسان ويأمره أن يكاتبه بالأخبار ، فلما استخلف المنصور بلغه أنه يكتب إلى أبي مسلم بخبره ، وأنه قال : ما على هذا بايعناهم وإنما بايعناهم على العدل ، فدعاه ذات يومٍ فتغدّى عنده ثم سُقي شربة عسل فلما وقعت في جوفه هاج به وجع فتوهم أنه قد سمّ فوثب ، فقال له المنصور : إلى أين يا أبا الجهم ؟ قال : إلى حيث أرسلتني ، ومات بعد يوم أو يومين .

وحدثني بعض ولد أبي الجهم أنه سُقي شربة من سويق لوز ، فقال الشاعر :

احذر سويق اللوز لا تشربنّه فشرب سويق اللوز أردى أبا الجهم

قالوا : وسار أبو جعفر في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين ومائة إلى أرمينية فدوّخها ، واستخلف الحسن بن قحطبة عليها ، ثم قفل منها إلى الجزيرة في سنة ست وثلاثين ومائة، وأذن له أبو العباس في القدوم عليه ، وولاه الموسم ، فحج بالناس ومعه اسحاق بن مسلم فكان عديله .

حدثني المدائني قال : أُهديت إلى ولد المنصور حملان من هذه البربرية فقال لقهرمانه : خذها إليك فاذبح لنا كل يوم منها حملاً فإن الصبيان يكتفون بالصّعْو[1] .

---

١ ـ الصعو : عصفور صغير . القاموس .

قال : وقال المنصور لعيسى بن عبد الله النوفلي لما مات أبو العباس : قد عرفتني في السلطان وقبله ، فهل رأيت لي لذة في مطعم أو مركب أو ملبس ؟ ولقد أتتني الخلافة وما طلبتها ، فقال : مازلتُ والله أعرفك بالزّهد والفضل وطلب العلم .

وحدثني علي بن المأمون عن أبيه عن الرشيد قال : أُدخلت على المنصور وأنا صبيّ فرأيته جالساً على حصير متكئاً على مسورة جلود فدعا بعشرة دنانير جدد فوهبها لي ، وأخذني فقبّلني وصرفني .

وحدثني المدائني قال : كان المنصور يخرج من مقصورة النساء ليلاً يريد المسجد ومعه جارية حبشية ، أو قال صفراء ، تحمل له سراجاً .

وحدثني قال : كان المنصور يقول : الملوك ثلاثة : معاوية وكفاهُ زياد ، وعبد الملك وكفاه الحجاج ، وأنا ولا كافي لي .

وكان يذكر بني أميّة فيقول : رجلهم هشام . وكان يقول : الخلفاء أربعة والملوك أربعة ، فالخلفاء : أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وعثمان على ما نال وقد نيل منه أعظم ، والملوك : معاوية ، وعبد الملك ، وهشام ، وأنا ، ولنعم الرجل كان عمر بن عبد العزيز ، كان أعور بين عميان . وكان يقول : نعم صاحب الحرب حمار الجزيرة من رجل لم يكن عليه طابع الخلافة ، يعني مروان .

المدائني ، قال : أتى ابنٌ ليوسف بن عمر المنصور فوصله بثلاثة آلاف درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين أمّلتُ منك أكثر من هذا ، فقال : هذه كانت صلة أبيك لنا ، قال : يا أمير المؤمنين فأين فضل قريش على ثقيف ، وفضل الخلافة على الإمارة ؟ فضحك وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وحدثني ابن الأعرابي قال : قال المنصور : معاوية للحلم والأناة ، وعبد الملك للإقدام والإحجام ، وهشام لتقسيط الأمور ووضعها مواضعها ، قال : وشاركتُ عبد الملك في قول كثيِّر :

يصدُّ ويَرْضى وهو ليثُ عرينه وإن أمكنْته فرصةٌ لا يقيلُها[1]

حدثني المدائني قال : بلغني أن المنصور قال ذات يوم في كلامه : إن الحلم يزيد العزيز عزاً ، والذليل ذلاً .

المدائني ، قال : قال أبو جعفر لسفيان بن معاوية : ما أسرع الناس إلى قومك ، فقال :

إنّ العرانين تلقاها محّسدة ولن ترى للئام الناس حُسّادا

قال : صدقت . قال : وبينا المنصور يخطب اذ قام رجلٌ فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون﴾[2] ، فأُخذ ، لما قضى المنصور صلاته ودخل القصر ودعا به فقال : طالت صلاتك وكثر صومك ، فضجرت من الحياة وقلت : أعترضُ هذا الرجل فأعظه فإن قتلني دخلت الجنة ، وهيهات أن تدخلها بي ، خلّوا سبيله .

وحدثني أبو فراس الشامي عن أبيه ، قال : خطب المنصور في بعض الجمع ، فقام رجلٌ من الصّوفيين فقال : ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾[3] ؟ فأُخذ ، فلما فرغ المنصور من خطبته وقضى كلامه أمر أن

---

١ ـ ديوان كثير عزة ـ ط . الجزائر ١٩٣٠ ج ٢ ص ٢٦ مع فوارق واضحة .
٢ ـ سورة الصف ـ الآية : ٢ .
٣ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٤٤ .

يضرب أربعين درة فضرب ، ثم دعا به فقال : إنّا لم نضربك لقولك ، إنما ضربناك لكلامك في الخطبة فلا تَعُد ، وأمر بتخلية سبيله .

وحدثني أبو مسعود وغيره قال : خطب المنصور فلما قال : «وأشهد أن لا اله إلا الله» ، قام إليه رجلٌ كان في أخريات الناس فقال : يا أمير المؤمنين إني أذكّرك من ذكرت ، فقال : «سمعاً سمعاً لمن ذكّر بالله وأيامه وأعوذ بالله أن أكون جبّاراً عنيداً ، وأن تأخذني العزّةُ بالاثم لقد﴿ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين﴾[1] ، وأنتَ فما أردتَ الله بها إنما أردت أن يُقال قامَ فقال فعوقب فصبر ، وأهوِنْ عليّ بقائلها لو هممتُ ، فاهتَبِلْها ويلك إذ عفوتُ وإياك وإياكم أيها الناس وما أشبهها ، فإن الموعظة علينا نزلت ومن عندنا انتشرت وعنّا أخذت وحملت» ، ثم عاد في خطبته .

حدثني أبو مسعود ، قال : قدم على المنصور قومٌ من أهل الشام بعد هزيمة عبدالله بن علي ، وفيهم الحارث بن عبد الرحمن الحرشي ، فقام عدة منهم فتكلموا ، ثم قام الحارث فقال : يا أمير المؤمنين لسنا وفد مباهاة ولكن وفد توبة ، ابتلينا بفتنةٍ استفزّت شريفنا ، واستخفّت حليمنا ، فكنا بما قدّمنا معترفين ، ومما فرط منّا معذورين ، فإن تعاقبنا فبجرمنا ، وإن تعفُ عنّا فبفضلك علينا ، فاصفح يَا أمير المؤمنين إذا ملكت وأمُنن إذ قدرت ، وأحسن فطال ما أحسنت ، فقال المنصور : أنت خطيبهم ، وأمر بردّ قطائعه بالغوطة عليه .

قال : ووجّه المنصور إسحاق الأزرق مولاه فأتاه بامرأتين وُصفتا له ، احداهما من ولد خالد بن أسيد ، والأخرى فاطمة بنت محمد بن محمد بن

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٥٦ .

عيسى بن طلحة بن عبيْدالله ، فجيء بهما وقد خرج إبراهيم بن عبدالله بن حسن بالبصرة ، فقيل له إن هاتين الجاريتين قد استوحشتا إذ لم ترهما ، فقال : والله لا كشفتُ ثوب امرأة عني حتى أدري أرأسي لإبراهيم أو رأس إبراهيم لي . ومحمد بن عيسى بن طلحة الذي يقول :

فلا تعجل على أحد بظلم فـان الـظلم مـرتَعُـه وخيمُ
ولا تفحِش وان مُلِّئتَ غيظاً على أحدٍ فإن الفحش لومُ
ولا تقطع أخاً لك عند ذنبٍ فـإن الذنب يغفـرهُ الكريم
وما جزعٌ بمغنٍ عنك شيئاً ولا ما فات تُرجعه الهموم

وقال :

اجعل قرينك من رضيتَ فَعَاله واحذر مقارنة القرين الشائن

وقال :

لا تـلُم المـرء عـلى فعـله وأنت منـســوبٌ إلى مثـله
مـن ذَمّ شيئـاً وأتى مـثله فـإنمـا يُزري عـلى عقله[1]

فزعموا أن أبا جعفر كان يقول : كان محمد بن عيسى عاقلاً ، وينشد شعره ويقول : كان محمد بن محمد عاقلاً أيضاً ، وإن صاحبتنا لعاقلة .

وحدثني محمد بن عباد ، حدثني أزهر بن زهير عن أبيه زهير بن المسيب قال : بعث أمير المؤمنين المنصور إلى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فقال : إني أريد مشاورتك في أمر ، فلما دخل عليه قال : إني قد تأنّيت أهلَ المدينة مرة بعد أخرى ، وثانية بعد أولى ، فلا أراهم ينتهون

١ ـ معجم الشعراء للمرزباني ـ ط . دمشق مكتبة النوري ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ مع فوارق .

ولا يرجعون ، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يعقر نخلهم ويغور عيونهم ، قال : فسكت جعفر ، فقال له : ما لك لا تتكلم ؟ قال : إن أذِن لي أمير المؤمنين تكلمتُ ، فقال : قل ، قال : إنّ سليمان عليه السّلام أعطيَ فشكر ، وإنّ أيّوب ابتُليَ فصبر ، وإنّ يوسف قدر فغفر ، وقد وضعك الله في السطة من بيت النبوّة وفضّلك بالخلافة وآتاك علماً كاملاً فأنت حقيق بالعفو عن المسيء والصفح عن المجرم ، قال : ففثأ غضبه وسكّنه .

حدثنا محمد بن الأعرابي عن علي مولى قريش قال : دخل رجلٌ من قيس أحسبه أبا الهيذام ، وقال غيرُ علي : دخل ابن شبرمة على المنصور فقال له المنصور : أَلَكَ حاجة ؟ قال : نعم بقاؤك يا أمير المؤمنين ، فقال : ويحك سلني قبل أن لا يمكنك مسألتي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أستقصر عمرك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتنم ما لك ، وإن سؤالك لشرف وعطاك لفخر ؛ وما بامرىء بذل وجهه إليك شَيْنٌ ولا نقص ، وعندي من فضل الله خيرٌ كثير .

وحدثني أحمد بن الحارث عن المدائني قال : مات إسحاق بن مسلم من بثرةٍ خرجت به في ظهره ، فحضر المنصور جنازته ، وحمل سريره حتى وضعه وصلى عليه ، وجلس عند قبره ، فقال له موسى بن كعب أو غيره : يا أمير المؤمنين ، أتفْعل هذا به ، وكان والله مبغضاً لك كارهاً لخلافتك ؟ قال : ما فعلت هذا إلاّ شكراً لله إذ قدمه أمامي ، قال : أفلا أخبر أهل خراسان بهذا من رأيك ، فقد دخلتهم وحشةٌ لما فعلت ؟ قال : بلى ، فأخبرهم فكبّروا .

وكان مروان بن محمد أودع يزيد بن أسيد جاريتين يقال لهما سبيكة وزنبرة ، فلما صار يزيد إلى المنصور استوهبهما منه فوهبهما له ، وفيهما يقول إسحاق بن سماعة المعيطي في شعر له :

لعن الله أحمد بن يزيـ ـد بنِ زافرٍ حيث كانا
فضح الله أحمدَ بنَ يزيـ ـد وكَساهُ مذلة وهوانا
شان قيساً بخونه وأبوه لم يزل شانياً لها خوانا
خان مروانَ في سبيكةَ لمّا زال ظلُّ السلطان عن مروانا
فأتتني بأحمدٍ من حلال أو حرامٍ من التّقى عريانا
يشتهي ما اشتهت سبيكـ ـةُ بالأمس وان كان في الحروب جبانا
هو دان الزبير دين غويّ راح من سورة الهوى سكرانا
وابنُه في الفعال ليس بمحمو دٍ اذا الفعلُ زيّن الفتيانا

وحدثني أبو مسعود قال : حدثني من سمع المنصور يوم مات إسحاق بن مسلم وكان موتُه بالهاشمية يتمثل :

كفاك عديّاًموتُه ولربما تُغيظك أيامٌ له وليال

وحدّثني أبو مسعود ، حدثني إسحاق بن عيسى قال : ولّى المنصور عبداً له يقال له طارق ضيعةً من ضياعه بالشام فاستقصى على أهلها ، فقدم منهم قوم على المنصور فشكوه فقال : إنما نقمتم عليه لما اخترتُه له وأحمدتُه عليه ، قالوا : انه عبدٌ وربّما صلى بنا ، قال : هو حرّ فصلوا خلفه ، فقام متكلمهم فقال : بُتَّ بخير يا أمير المؤمنين ، فضحك وكتب إلى صاحبهم بالرفق بهم .

وحدثني جماعة من بني العباس وغيرهم أن المنصور كان ربما علّق البواري على أبوابه في الشتاء، وقال هي أوقى. حدثني بعض ولد إسحاق بن عيسى ، عن أبيه عن جده ، قال : قُدّمتْ إلى المنصور عصيدة فقال : ليس هذه بالعصيدة التي نعرف ، ليعمل لنا تمرها بنواه . فلما كان الغد من ذلك اليوم حضرتُ غداهُ فأتينا بقصعةٍ فيها ثردة صفراء وعليها عُراق وأكلنا منها ثم رفعت ، وأتينا بلونين فلما رفعا أتي بالعصيدة فأكل منها أكلاً صالحاً ، وقال : هذه هي فلما رُفِعتَ المائدة غَسَل يده ودعا ببخور فبخرها ثم قال : إنما فعلتُ هذا لأني أريد الجلوس للناس ومنهم من يقبّل يدي .

وحدثني أبو مسعود قال : قال المنصور لعبد الله بن الربيع : قد عرفتني سوقة وخليفةً ، فهل رأيتني كَلِفاً بأمر مطعم أو مشرب أو ملبس ؟ فقال : لا ولكني رأيتك تلذ حُسن الذكر ، وتنفي الضيم ، وتضع الأمور مواضعها .

وحدثني الربيع بن عبيدالله بن عبدالله بن عبد المدان وأخوه زياد ، وحدثني بعض ولد المنصور ، أنه كان إذا ولد لرجل من أهل بيته مولود ذكر أمر له من دار الرقيق بظئر وجارية تخدمه ووصيف ، وأمر لأمه بجاريتين ومائتي دينار وطيب ، وإذا كان المولود انثى بعث نصف ذلك .

وحدثني أبو مسعود وغيره قالوا : قدم إسحاق الأزرق ، صاحب الدار ببغداد عند القنطرة العتيقة ، وهو مولى المنصور ، عليْه بامرأتين كان أشخصه لحملهما، إحداهما فاطمة بنت محمد الطلحية ، والأخرى أمةُ الكريم بنت عبد الرحمن بن عبدالله من ولد خالد بن أسيد بن أبي العاص ، ويقال العالية بنت عبد الرحمن بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، فقالت له ريسانة قيّمة

نسائه : يا أمير المؤمنين ان الطلحية قد استحقبتك واستبطأت برّك وأنكرت وصاحبتها تركك الدعاء لهما ، فقال : أما ترين ما نحن فيه ، وكان إبراهيم بن عبدالله قد خرج بالبصرة ، ثم أنشد :

قومٌ اذا حاربوا شدّوا مآزرهم دون النساء ولو باتت باطهار

وقال : ما أنا بناظر إلى امرأة حتى أدري أرأسي لإبراهيم أو رأس إبراهيم لي ، وكانت عليْه جبة قد اتّسخَ جيبها ، فقيل له : لو نزعتها وغيّرتها ، فقال : لا والله أو أدري أهي لي أم لإبراهيم .

المدائني قال : قال عبدالله بن الربيع الحارثي : قال لي أبو العباس ذات يوم : إني أريد أن أبايع لأبي جعفر أخي ، فأخبرت أبا جعفر بذلك فأمر لي بكسوة ومال ، فقلت : أصلح الله الأمير ، إن لك مؤونة ولعله ان يأتيك من أنا أعذر لك منه ، فأمر بردّ ذلك ، وقمتُ فانصرفتُ وراح ورحت إلى أبي العباس ، فدخل عليه وجلست غير بعيد ، فطال تناجيهما ، ثم ارتفعت أصواتهما بقول أبو العباس : بلى والله ، وبقول المنصور : لا والله ، ثم خرج أبو جعفر فأخذ بيدي فسألته عن تحالفهما ، فقال : ليس هذا وقت اخبارك وغمز بيدي ، فلما أفضى الأمر إليه وقتل أبا مسلم دخلت عليه وهو طيب النفس فقال : ألقوا لأبي الربيع وسادة ، فثنيت لي وسادة وجلست ، فقال : ألا أخبرك بالأمر الذي سألتني عنه يوم دخلتُ على أبي العباس فتحالفنا ؟ فقلتُ : أمير المؤمنين أعلم ، قال : تذاكرنا الدعوة ، فقلتُ : أتذكر إذ كنا نرمي وأبو مسلم يردّ علينا النبل ، فقال إبراهيم : ما أكيسه ويقتله عبْد الله ! فقلتُ : بلى ، قال : فأنت عبدُ الله وأنت تقتله ، فقلت :

لا والله ، قال : بلى والله ، فلما خالف عبدالله بن علي وجهته إليه فقلت هو يقتله ، فلما سلم منه وصنع ما صنع قلت أنا عبدالله ، أقتله ، فقتلته .

حدثني أبو مسعود الكوفي ، حدثني إسحاق بن عيسى وجماعة من العباسيين ، أن المنصور قال : رأيت فيما يرى النائم ، وأنا بالشراة ، كأنّا حول الكعبة فنادى منادٍ من جوف الكعبة : أبو العباس ، فنهض فدخل الكعبة ثم خرج وبيده لواء قصيرٌ على قناة قصيرة فمضى ، ثم نودي : عبدالله ، فنهضت أنا وعبدالله بن علي نبتدر ، فلما صرنا على درجة الكعبة دفعتُه عن الدرجة فهوى ودخلت الكعبة ، وإذا رسول الله ﷺ جالس فعقد لي لواءً طويلاً على قناة طويلة ، وقال خذه بيدك حتى تقاتل به الدجال .

وحدثني عبدالله بن أبي هارون الكاتب قال : وردت على المنصور خريطة من صاحب أرمينية ليلاً فلم يوصلها الربيع الحاجب إلا مصبحاً ، فقال له : يا بن اللخناء ، والله لهممت أن أضرب عنقك ، أتحبس عني خريطة صاحب الثغر الأعظم ساعةً واحدة فضلاً عن ليلة ! وسخط عليه يوماً ، ثم رضي عنه وقال : لا تعد .

وحدثني المدائني قال : قال المنصور : من أحب أن يحمد بغير مرزئة فليحسّن خلقه ولينبسط بِشره .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، قال : قدم وفد من أهل المدينة على أبي جعفر ، وفيهم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، فدخلوا عليه فساءل عبد الرحمن عن حالهم فأخبره بما كان من الوليد من أخذ أموالهم ، فأمر بردّها عليهم .

حدّثني الحرمازي ، حدثني عبدالله بن صالح ، عن شيخ له ، قال : كان زياد بن عبيد الله الحارثي ، خال أبي العباس ، مع خالد بن عبدالله القسري بالعراق وولي شرطته ، ثم كان مع يوسف بن عمر بعده ، ومع يزيد بن عمر بن هبيرة ، فلما ولي أبو العباس قال له يزيد بن عمر : والله لأضربن عنقك فقد سررتَ بأمر بني العباس ودولة ابن اختك ، وكان معه بواسط ، فلما وقع الصلح خرج حتى قدم على أبي العباس فقال له : أبطأت عني يا خال ، فأخبره بقصته ، ثم ولاه مكة والمدينة بعد داود بن علي ، وابنه موسى بن داود ، فلما توفي أبو العباس بعث إليه المنصور بعهده فغذَّر[1] فيما كان يأمره به في عبدالله بن حسن وفي طلب ابنه ، فعزله وأغرمه ثم ضمّه إلى المهدي حين وجهه إلى الري ، فلما سار ثلاث مراحل تغدى المهدي ثم صار إلى فسطاطه فأُتي بقدح فيه عسل قد خيض له فشربه ونام ، فطلبه المهدي فوُجد ميتاً فبكى عليه وأمر فحفر له وصلى عليه ودفنه ، فكان يقال انه سمّ ووجد منتفخاً ، وذلك باطلٌ والثبتُ أنه مات فجأة .

حدثنا المدائني قال : حُدّث المنصور بأن عجلان بن سهيل الباهلي سمع رجلاً قال ، وقد مرّ هشام بن عبد الملك : قد مرّ الأحول ، فقال له : يا بن اللخناء أتسمّي أمير المؤمنين بالنَّبز ، وعلاه بسوطه ، ثم قال : لولا رحمتي لك لضربتُ عنقك ، فقال المنصور : هذا والله الذي ينفع معه المحيا والممات .

وحدثني سليمان بن أبي شيخ قال : قدم ابن أنعُم المحدّث على المنصور فقال له المنصور : لقد استرحت من وقوفك بباب هشام وذوي هشام ،

---

١ ـ أي قصر .

فقال : يا أمير المؤمنين ما رأيت في تلك المواضع شيئاً يكره إلاّ وقد رأيت في طريقي إليك ما هو أعظم منه ، فقال المنصور : ويحك إنا لا نجد من نوليه أعمالنا ممّن نرتضيه ، فقال : بلى والله يا أمير المؤمنين لو طلبتهم لوجدتهم ، إنما الملك بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها .

قال : وأقبل المنصور يوماً راجعاً من ركوبه يريد قصره ، فلما صار على بابه رأى فِرج بن فضالة المحّدث جالساً فلم يقم له ، فلما دخل القصر دعا به فقال : ما منعك من القيام حين رأيتني ؟ قال : منعني من ذلك أني خفت أن يسألني الله لم فعلتُ ، ويسألك لِمَ رضيتَ ، وقد كره رسول الله ﷺ ذلك ، فسكت المنصور ، وخرج فرج .

وحدثني محمد بن حبيب عن أبي فراس قال : قال المنصور لهشام بن عروة : أتذكر يا أبا المنذر حين دخلتُ إليك أنا وإخوتي مع أبي الخلائف وأنت تشرب سويقاً ، فإنّا لما خرجنا قال لنا أبونا : يا بنيّ استوصوا بهذا الشيخ فإنه لا يزال في قومكم عمارة ما بقي مثله ، فقال : ما أذكر ذلك . فلما خرج هشام قيل له : ذكرّك أمير المؤمنين شيئاً يُتوسل بدونه ، فقال : لم أذكر ما ذكرني ، ولم يعودني الله في الصدق إلاّ خيراً .

قالوا : ودخل عليه سوّار بن عبدالله العنبري فقال : السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ادنُ أبا عبدالله، فقال : أأدنو على ما مضى عليه الناس أم على ما أحدثوا ؟ قال : على ما مضى ، فدنا ومدّ يَدَهُ ، فصافحه ثم جلس .

قال : وكتب المنصور إلى سوّار في بعض الأمور ، فكان في ذلك إضرار بقوم ، فلم ينفّذ سوّار الكتاب ، فاشتدّ ذلك على المنصور ، فكتب إليه

سوار : إنّ عدْلَ سوّار مضافٌ إليك ، وزينٌ لخلافتك ، فسكن غضبه وأمسك عن ذلك الأمر .

وحدّثني الحسن بن علي الحرمازي قال : نظر المنصور إلى بعض القضاة ، وبين عينيه سجّادة فقال له : لئن كنت أردتَ الله بالسجود فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه ، وان كنت إنما أردتنا بهذه السجادة فينبغي لنا أن نحترس منك .

وحدّثنا أبو مسعود الكوفي قال : كان يحيى بن عروة رضيع المنصور ، وهو مولى لهم ، فصيْرهُ أبو جعفر على ثقله عام حَجَّ ، فلما دعا عبدالله بن علي إلى نفسه حمل ثقل أبي جعفر وجواريه وصار إلى عبدالله بن علي ، فلما هرب استخفى يحيى ، ثم ظفر به المنصور ، فقطع بالسيوف .

حدّثني أبو مسعود الكوفي قال : كانت عَبْدةُ بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية عند هشام ، وكانت أجمل الناس ، وكانت إذا رأت أم حكيم بنت يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص امرأة هشام أيضاً عنده قالت لها : كيف أنت يا أمه ؟ فيضحك هشام من قولها ويعجبه ظرفها ، وأم حكيم هذه التي يقول فيها الوليد بن يزيد :

علِّلاني بعـاتِقـاتِ الكـروم واسقياني بكأس أُمِّ حكيم[1]

فلما صار عبدالله بن علي إلى الشام خطب عبدة ، فأبت عليه التزويج فأمر بها فبقر بطنها ، فكان المنصور إذا ذكر فعله بها لعنَهُ . قال : وجعلت عبدة حين أتي بها ليبقر بطنها وتقتل تنشد :

فقُـل للشامتـين بنا أفيقـوا سيلقى الشامتون كـما لقينا

١ ـ شعر الوليد بن يزيد ص ١٤ .

أمر أبي مسلم في خلافة المنصور

حدّثني محمد بن عباد الكاتب ، عن أزهر بن زهير ، عن أبيه ، قال : كان أبو مسلم مُستخفّاً بمواليه، فإذا أتاه كتابُ المنصور فقرأه لوى شدقه ثم ألقاه إلى أبي نصر مالك بن الهيثم فيتضاحكان ، ويبلغ أبا جعفر ذلك فيقول : إنا لنخاف من أبي مسلم أكثر مما كنا نخاف من حفص بن سليمان .

قال : ولما فرغ أبو مسلم من محاربة عبدالله بن علي ، وحوى عسكره وما فيه ، بعث المنصور مرزوقاً أبا الخصيب لإحصاء ذلك ، فغضب أبو مسلم وقال : ما لأبي جعفر ولهذا ، إنما له الخمس ، فقال مرزوق : هذا مالُ أمير المؤمنين دون الناس ، وليس سبيل هذا سبيل مَا لَهُ منهُ الخمس ، فشتمه وهَمَّ بقتله ثم أمسك .

وحدّثنا عبدالله بن صالح ـ وذكره المدائني ـ قال : بعث المنصور يقطين بن موسى إلى أبي مسلم بعد هزيمة عبدالله بن علي ليحصي ما كان في عسكره ، فقال أبو مسلم : أفَعَلَها ابنُ سلامة الفاعلة ، لا يُكَنِّي ، فقال يقطين : عجِلتَ أيّها الأمير ، إنما أمرني أن أحصي ما وجد في عسكر الناكث

ثم أسلمه إليك لتعمل فيه برأيك وتصنع به ما أردتَ ، ويكون قد عرفَ مبلغه .

فلما ورد يقطين على المنصور أعلمه ما قال وما قال هو له ، فخاف أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان ، فكتب إليه : «إني قد وليتك الشام ومصر ، فهما أفضل من خراسان ، ومنزلك بالشام أقرب إلى أمير المؤمنين فمتى أحببت لقاءه لقيته» ، وأنفذ الكتاب إليه مع يقطين أيضاً ، فلما قرأه قال : أهو يوليني الشام ومصر مكان خراسان وخراسان لي ؟ وعزم على إتيان خراسان ، فنزل المنصور المدائن ، وأخذ أبو مسلم ، طريق حلوان ، فقال المنصور : رُبَّ أمرٍ لله دون حلوان ، وأمر عمومته ومن حضر من بني هاشم أن يكتبوا إليه فيعظّموا عليه حق الطاعة ويحذروه سوء عواقب الغدر والتبديل والنكث ويسألوه الرجوع ويشيروا عليه به . وكتب إليه المنصور : «إني أردت مذاكرتك أشياء لم يحتملها الكتاب فأقبل فإن مقامك قِبَلي يسير» ، فلم يلتفت إلى الكتاب ، فبعث إليه جرير بن يزيد البجلي ، وكان صديقاً لأبي مسلم راجحاً عنده ، فلم يزل يمسح جوانبه ، ويرفق به ، ويعرّفه قُبح ما ركب ، وأن النعمة إنما دامت عليه بالطاعة ، وقال له : إن أمر القوم لم يبلغ بك ما تكره ، وإنما لك إن عصيتهم خراسان ولا تدري ما ينباق[1] عليك من شيعتهم من أهل خراسان ممّن ترى أنه معك ، وإن أطعتهم فخراسان وغيرها من البلاد لك ، فانصرفَ راجعاً .

وحدثني محمد بن عباد عن أزهر بن زهير ، وحدثني شيخ لنا أيضاً ، أن المنصور كتب إلى أبي مسلم كتاباً لطيفاً مع أبي حميد المرورذي وقال : إن

١ ـ انباق : هجم على قوم بغير اذنهم أو تعدى . القاموس .

أجاب إلى الانصراف وإلّا فقل له ، يقول لك أمير المؤمنين : نُفيتُ من العباس لئن مضيتَ ولم تلقني لا وكلتُ أمرك إلى أحدٍ سواي ، ولو خضتُ إليك البحر الأخضر حتى أموت أو أقتلك . فلما قرأ الكتاب عزم على المضيّ لوجهه ، فأدّى إليه أبو حميد الرسالة فكسرته وعزم على الانصراف إلى المنصور ، وخلّف ثقله بحلوان وعليه مالك بن الهيثم وقال : لئن أمكنني قتله لأقتلنّه ثم لأبايعن من أحببت ، وتمثل بعض من معه :

ما للرجالِ مع القضاء محالةٌ ذهبَ القضاءُ بحيلة الأقوامِ

وحدثني بعض ولد يقطين بن موسى قال : كان أبو مسلم آنس الناس بيقطين ، فلما قدم الكوفة وهو يريد الحج قال له : يا يقطين بلغني أنه نشأ بالكوفة رجل يقال له جحا ظريف مليح ، وأن أهلها عملوا بعدنا جُوذابة[1] تنسب إلى رجل يكنى أبا جرير ، فأطعمني من الجوذابة وأرني جُحاكم ، فاتُّخذتْ جوذابات وأتي بها مع طعام كثير ، فلما تغدى أبو مسلم قال : أرني الآن جُحا هذا ، فطُلب حتى وجد وأُتي به يقطين وأبو مسلم وهما في غرفة ليس فيها غيرهما ، فأخذ بعضادة الباب ثم قال : يا يقطين ، أيكم أبو مسلم ؟ فضحك أبو مسلم وكلمه فاستملحه فوهب له خمسة آلاف درهم .

قال : ثم شخص أبو مسلم إلى مكة ، وقدم فمضى لمحاربة عبدالله بن علي ، فلما هزمه بعث المنصور إليه يقطيناً فكلمه بكلام شتم المنصور فيه لأُنْسِهِ كان بيقطين ، فأدّاه يقطين إلى المنصور ، فكان أبو مسلم يقول والله لأقتلنّ يقطيناً .

---

١ ـ طعام يصنع بسكر وأرز ولحم . ألفاظ الأطعمة والأشربة في كتاب الأغاني لرشيدة اللقاني ـ ط . الاسكندرية ١٩٩١ ص ٥٣ .

قال : ولما قدم أبو مسلم على المنصور وهو بالروميّة التي عند المدائن أمر الناس بتلقيّه ، وقام إليه فعانقه وأكرمه ، وقال : كدت تمضي قبل أن نلتقي فألقي إليك ما أريد ، وأمره أن ينصرف إلى منزله فيستريح ويدخل الحمام ليذهب عنه كلال السفر ثم يعود ، وجعل يزيده برّاً وإعظاماً وهو ينتظر الفرصة فيه حتى قتله .

وحدثني أبو مسعود الكوفي قال : لما أراد أبو مسلم الشخوص إلى خراسان عاصياً كتب إلى المنصور : «من عبد الرحمن بن مسلم إلى عبدالله بن محمد ، أما بعد فاني اتخذت أخاكَ إماماً ، وكان في قرابته برسول الله ﷺ ومحله من العلم على ما كان ، ثم استخفَّ بالقرآن وخرقه طمعاً في قليل من الدنيا قد نعاه الله لأهله ، ومثلت له ضلالته على صورة العدل ، فأمرني أن أجرّد السيف ، وآخذ بالظنّة ، ولا أقبل معذرةً وأن اسقّم البريء ، وأبرّىء السقيم وآثر أهل الدين في دينهم ، وأوطأني في غيركم من أهل بيتكم العُشوة بالأفك والعدوان ؛ ثم إن الله بحمده ونعمته استنقذني بالتوبة وكرّهَ إليّ الحوبة ، فإن يعفُ فقديماً عرف ذلك منه ، وإن يُعاقب فبذنوبي وما الله بظلام للعبيد» .

فكتب إليه المنصور : «قد فهمت كتابك وللمدل على أهله بطاعته ونصيحته ونصرته ومحاماته وجميل بلائه مقال ، ولم يُرِك الله في طاعتنا إلاّ ما تُحب ، فراجع أحسن نيّتك وعملك ولا يدعونّك ما أنكرته إلى التجنّي ، فإن المغيظ ربما تعدّى في القول فأخبرَ بما لا يعلم ، والله وليُّ توفيقك وتسديدك ، فأقبل رحمك الله مبسوط اليد في أمرنا ، محكّماً فيما هويت الحكم فيه ، ولا تُشمت الأعداء بك وبنا إن شاء الله» .

قال : فلما قدم بَرَّه وأكرمه وهو يريد أن تمكنه الفرصة . ثم صرفه إلى منزله ليستريح .

حدثني محمد بن عباد عن أزهر بن زهير بن المسيب الضبي قال : ندم المنصور على انصراف أبي مسلم حين دخل عليه ، وكان أبو أيوب الموریاني أشار عليه بالاذن له ، فلما أصبح غدا إلى المنصور فتلقاه أبو الخصيب فقال له : إن أمير المؤمنين مشغول فانصرِفْ ساعةً حتى يفرغ ، فأتى منزل عيسى بن موسى وكان يحبه ، وكان عيسى شديد التعظيم له ، فدعا له عيسى بالغداء ، فبينا هو على ذلك إذ أتاه الربيع ، وهو يومئذ مع مرزوق أبي الخصيب ، فقال له : يدعوك أمير المؤمنين ، فركب وشغل عيسى بن موسى بالوضوء ، وقد كان أبو مسلم قال له : اركب معي فقد أحسست بالشر ، فقال له : أنت في ذمتي فتقدم فإني لا حِقُك . فلما صار أبو مسلم إلى الرواق قيل له إن أمير المؤمنين : يتوضأ فلو جلست ، فجلس ، وأبطأ عليه عيسى فجعل يسأل عنه ، وأعدّ له المنصور عثمان بن نهيك ، وهو يومئذ على حرسه ، وعدّةً منهم : شبيب بن واج ، صاحب المربّعة ببغداد ، وأبو حنيفة صاحب الدرب في المدينة ببغداد ، ورجلين من الحرس ، وقال لعثمان ، إذا عاتبتُه فَعَلا صوتي فلا تخرجوا ، وكان وأصحابه وراء سترٍ خلف أبي مسلم ، فإذا أنا صفّقتُ فدونكم العلج . ثم قيل لأبي مسلم : قد جلس أمير المؤمنين فقم ، فلما قام ليدخل نزع سيفه فقال : ما كان يصنع بي مثل هذا ، فقيل : ليس ذاك إلا الخير . وكان عليه قباء خزّ أسود وتحته جُبّة خز بنفسجي فدخل فسلّم وجلس على وسادة ليس في البيت غيرها والقوم خلف ظهره ، فقال : يا أمير المؤمنين استُخف بي وأخذ سيفي ، قال : ومن فعل ذلك قبحه الله ؟

ثم قال : هيه ، قتلت أهل خراسان وفعلت وفعلت ، ثم جعلت تقول بمكة أيُصلّي هذا الغلام بالناس ، وألقيتُ نعلي من رجلي فرفعت نفسك عن مناولتي إياها حتى ناولنيها معاذ بن مسلم ، وأعجبُ من هذا إقعادك إياي في دهليزك بخراسان مستخفاً بحقي ، حتى أشير عليك بخلاف ذلك ، فتكارهتَ على تسهيل إذني وفتح الأبواب لي ، ثم كتابُك إليّ تبدأ بنفسك ، وخطبتُك إليّ أمينة بنت علي ، وقولك أنك ابنُ سليط بن عبدالله ، لقد ارتقيت يا بن اللخناء مرتقىً صعباً ، ثم ذمّك أخي وسيرته وقولك : إنه أوطأك العشوة ، وحملك على الاثم ، ثم أنت صاحبي بمكة تنادي : من أكل طعام الأمير فله درهم ، ثم كسوتك الأعراب وقولك : لأتخذنكم دون أهل خراسان ، وأعجب من هذا أني دفعت في صدر حاجبك ، بخراسان فقلتَ لي أيضرب حاجبي ، رُدّوه عنا إلى العراق . فقال أبو مسلم : إنه لا يقال لِ هذا القول بعد بلائي وعنائي . فقال : يا بن الخبيثة إنما عملت ما عملت بدولتنا ولو كان الأمر إليك ما قطعت فتيلاً ، ثم فتل شاربه وفرك يده . فلما رأى أبو مسلم فعله قال : يا أمير المؤمنين لا تدخلنَّ على نفسك ما أرى فإن قدري أصغر من أن يبلغ شيء من أمري منك هذا المبلغ . وصفق المنصور بإحدى يديه على الأخرى ، فضرب عثمان بن نهيك أبا مسلم ضربة خفيفة ، فأخذ برجل المنصور فدفعه برجله ، وضربه شبيب بن واج على حبل عاتقه ضربة أسرعت فيه فقال : وانفساه ، ألا قوة ، ألا مغيث ؟ فقال المنصور : اضربوا ابن اللخناء ، فاعتوره القوم بأسيافهم ، وأمر به فلفّ في مسحٍ ويقال في عباءة وصُيّر ناحية ، وكان الطعام قد وضع للحرس في وقت دخول أبي مسلم فكانوا قد شغلوا به فلم يعلم أحد بمقتله . ووافى عيسى الباب

فاستؤذن له فقال المنصور : أدخلوه ، فلما وقف بين يديه قال : يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم ؟ قال : كان هنا آنفاً ، فقال : يا أمير المؤمنين قد عرفتَ طاعته ومُناصحته ورأي الإمام كان فيه ؟ فقال : اسكت يابن الشاة ـ وكانت أم عيسى توفيت وهو صغير أو مرضت فأرضع لبن شاة ـ فوالله ما كان في الأرض عدوٌّ أعدى لك منه ، ها هو ذا في البساط ، والله ما تمّ سلطانك إلّا اليوم . ودخل إسماعيل بن علي وهو لا يعلم الخبر فقال : إني رأيت يا أمير المؤمنين في ليلتي هذه كأنّك قتلتَ أبا مسلم ، وكأني وطئته برجلي ، فقال : قم فصدّق رؤياك فها هو ذا في البساط . فوطئه ثم رجع فرمى بخفه وقال : لا ألبس خفاً وطئت به مشركاً ، فأتي بخف فلبسه ، وأنشد المنصور :

وما العجز إلّا تؤامر عاجراً   وما الفتكُ إلا أن تهم فتفعلا

وقال أبو مسعود : بلغني أن المنصور سأل أبا مسلم عن نصلين أصابهما في متاع عبدالله بن علي ، فقال : أحدهما سيفي الذي كان عليّ . قال أبو دُلامة مولى بني أسد[1] :

أبا مسلم[2] ما غيّر الله نعمةً   على عبدِهِ حتى يغيّرها العبد
أفي دولة المنصور حاولت غدرة   ألا إن أهل الغدر أباؤك الكرد
فلا يقطع الله اليمين التي بها   علاكَ صقيل الشفرتين له حَدُّ
فما كان الا الموت في غمد سيفه   وما خلت أن الموت يضبطه غمد

---

١ ـ اسمه زند بن الجون ، انظر ترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ـ ط . القاهرة ١٩٦٨ ص ٥٤ ـ ٦٢ .

٢ ـ في طبقات الشعراء ص ٦٢ «أبا مجرم» .

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى عليك بما خوفتني الأسد الوَرْد
فأصبحتُ في أهلي وأصبحتَ ثاويا بحيث تلاقي في ذرى دجلة المد[1]

وحدثني محمد بن موسى الخوارزمي الحاسب ، عن بعض آل الحسن بن قحطبة وغيرهم ، قال : قتل أبا مسلم : عثمان بن نهيك ، وشبيب بن واج ، وأبو حنيفة ورجلان من الحرس ضربوه بأسيافهم فلم يمت ، وجر برجله فألقي في دجلة ، وكان يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة .

قال : وحدّثني أبي قال : لما قتل أبو مسلم حمل أبو حنيفة جيفته في صندوق حتى توسط بدجلة ثم ألقاه . وسار أبو جعفر بعد ذلك بثلاث إلى الحيرة .

وحدثني أبو مسعود قال : تمثّل المنصور بعد قتل أبي مسلم ببيت الشمّاخ :

وما ان شفى نفساً كأمرٍ صريمةٍ اذا حاجةٌ في النفس طال اعتراضها[2]

وقال بشار الأعمى :

أبا مسلم ما طيبُ عيشٍ بدائمٍ وما سالمٌ عمّا قليلٍ بسالم
كأنّك لم تسمع بقتل متوّجٍ عزيزٍ ولم تعلم بقتل الأعاجم
لحى الله قوماً شَرفوك عليهم وقد كنت مشروفاً خبيثَ المطاعم[3]

قالوا : وكان المنصور يقول : اخطأت مرّات وقاني الله شرّها ، قتلتُ أبا مسلم وحولي من يقدّم طاعته على طاعتي فلو وثبوا بي وأنا في خَرْقٍ[4]

١ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٦٢ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ـ ط . القاهرة ١٩٧٧ ص ٢١٥ مع فوارق .
٣ ـ ديوان بشار بن برد ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ص ٥٩٢ ـ ٥٩٣ مع فوارق .
٤ ـ أي في أرض واسعة . القاموس .

لذهبتُ ضياعاً ، وخرجتُ يوم الراوندية ولو أصابني سهم غَرب لذهبت ضياعاً ، وخرجتُ إلى الشام ولو اختلف بالعراق سيفان لذهبت الخلافة ضياعاً .

قالوا : وأمر المنصور حين قتل أبا مسلم بوضع الاعطاء في الناس ، فجعلوا يأخذون ويبايعون ويلعنون أبا مسلم . وقال أبو دلامة أيضاً :

أبو مسلم عبدٌ لعيسى بن معقلٍ   أخي دلف لا قول من يتكذب
حمدت إلهي حين قيل عدوكم   أبو مجرم أمسى على الوجه يسحب
فإن يكُ عبداً ذاق حتفاً بجرمه   فقد صادف المقدار والحين يجلب
بكت عين من تبكيه ميتاً ولا أرى   من الله روحاً من له يتغضّب

وقال أبو عطاء السّندي :

زعمتَ أنّ الدَّيْن لا يُقتضى   كـذبـتَ والله أبـا مجـرم
سُقيت كأساً كنتَ تسقي بها   أمـرّ في الحلق من العلقم

المدائني قال : كان أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري بخراسان وكان صديقاً لأبي مسلم يلاعبه بالشطرنج ويؤانسه ، وكان ذا قدرٍ بخراسان ، فلما ظهرت الدعوة قدم على أبي مسلم وقال :

قـل لـلأمـير أمـين الامـام   وصيٌّ وصيٍّ وصيّ الـوصيّ
أتيتـك لا طـالبـاً حـاجـة   ومالي في أرضكم من كفيّ

وكان أبو مسلم يبره ويكرمه ، ثم أمر بقتله ، فقيل له : صديقك وأنيسك ، فقال : رأيته ذا همّة وأبهة فقتلته مخافة أن يحدث حدثاً ، وكان لا يقعد على الأرض إذا قعدتُ على السرير ، ولقد كان عليّ كريماً وكنت له محباً . قال : فعيّر المنصور أبا مسلم بقتله فيما عيّره به .

حدّثني الأثرم عن أبي عمرو الشيباني الراوية قال : لما قتل المنصور أبا مسلم دعا بجعفر بن حنظلة البهراني فأراه إياه مقتولاً ، فقال : وفّقك الله يا أمير المؤمنين وسدّدك عُدّ خلافتك مُذ اليوم .

وحدثني الأثرم عن الأصمعي قال : قال رؤبة بن العجاج : كان أبو مسلم فصيحاً على غلظ وفصح كان في لسانه ، دخلت عليه فأنشدته :

لبيك اذ دعوتني لبيكا أحمد ربّاً ساقني إليكا

أصبح سيفُ الله في يديكا[1]

فأمر لي بكسوة ومال وقال لي : يا رؤبة ، إن لك إلينا عودة وعلينا معوّلا ، والدهر اطرق مستتبّ ، فاذا أتيت خراسان فصر إليّ أغنِك ، فقلت له : إني أريد أن اسألك وأنا أفرقُ منك ، فقال : سَلْ آمنا ، قلت : أرى لساناً عضباً وكلاماً فَصْيحاً، فأين نشأت أيها الأمير؟ قال : بالكوفة والشام ، قلت : بلغني أنك لا ترحم ، قال : كذبوا إني لأرحم ؛ قلت : فما هذا القتل ؟ قال : إنما أقتل من يريد قتلي .

قالوا : ولمّا قتل أبو مسلم كتب المنصور إلى أبي نصر مالك بن الهيثم ، وكان أبو مسلم خلّفَهُ في ثقله بحلوان ، وهو يرى أنه يرجع إلى خراسان ، كتاباً عن لسان أبي مسلم في القدوم بثقله وما خلّف معه ، وختم الكتاب بالخاتم الذي أخذه من إصبع أبي مسلم ، وكانت بينهما علامة فلم يعرفها فيكتب بها ، فامتنع أبو نصر من القدوم ، فكتب المنصور إلى عامله بهمذان يأمره بمنعه من النفوذ ، فأخذه وحبسه في القصر وقال لمن معه : والله

١ - ديوان رؤبة ص ١٨١ .

لا يتحرك متحرك إلّا رميت إليكم برأسه ، ثم حمله إلى المنصور فعفا عنه ، فلما كان يوم الراونديّة قام على الباب فَذَبَّ وأبلى ، فرضي عنه وصارت له مكانة عنده وولّاه الموصل .

حدّثني المدائني قال : قال ابن شبرمة : دخلت على أبي مسلم وفي حجره مصحف وإلى جانبه سيف ، فسلمت عليه ، فقال : يا أبا شبرمة إنما هما أمران : زهدٌ في الدنيا أو سيف يضرب به أهل العناد .

وحدثني عباس بن القاسم أبو الفضل قال : سمعت مشايخنا يذكرون أن أبا مسلم كان رجلاً رَبْعَةً ، وكانت له شعرة وكان أسمر اللون حسن الوجه جيّد الألواح ، قليل اللحم تعلوه صفرة .

وحدثني الحرمازي قال : استشار المنصور إسحاق بن مسلم العقيلي ، أو سلم بن قتيبة ، في أمر أبي مسلم فقال : ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلّا الله لفسدتا﴾[1] .

حدثني ابراهيم بن عتاب ، حدثني سلام الأبرش قال : أرِق المنصورُ ذات ليلة فقال للربيع : انظر من في الدار من الصحابة فأدخله إلّا أن يكون عبد الله بن عياش فإنه سائل ملحف ، فنظر فلم يجد في الدار غيره ، فقال : أدخله وتقدم إليه في ترك مسألتي شيئاً ، فضمن له أن لا يسأل ليلته شيئاً ، فلما دخل أقبل يحدّث بأمر السواد وفتوحه وما كان يرتفع من جباياته ، ثم قال : فطول السواد يا أمير المؤمنين كذا وعرضه كذا ولا والله ما لعبدك منه شبر في شبر ، فضحك المنصور وقال : قد أقطعتك غلة ثلاثين ألف درهم من حيث تختار من السواد .

---

١ ـ سورة الأنبياء ـ الآية : ٢٢ .

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب ، عن الربيع قال : جلس المنصور يوماً بالنجف بالكوفة يشرف على الخورنق وظهر الكوفة ، فقال : يا ربيع ابغني رجلاً يحدثني ، فقال : يا أمير المؤمنين بالباب عبد الله بن الربيع الحارثي وأنت تحب حديثه ، فقال : نعم لولا كثرة سؤاله الحوائج ، فقال : أنا أقطع عنك حوائجه في هذا اليوم ، فخرج إليه فاشترى منه مسألته الحوائج بمائتي دينار ، فلما دخل ورأى طيب نفس المنصور جعل يعرّض بالسخاء وينشد شعر حاتم الطائي ، فقال : يا ربيع لا تفِ له فإنه لم يفِ لك ، كفى بالتعريض مسألة . وقال : أنشدني قول كثّير : إذا المال لم يوجب عليك ، فأنشده :

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه صَنيعةٌ تقوى او صديق تخالقه
مَنَعت وبعض المنع حزمٌ وقوةٌ فلم يفتِلذك المالَ إلاّ حقائقه[1]

فكان عبد الله بن الربيع يقول : خرجتُ من عند المنصور وأنا أحب الناس إليه .

المدائني ، قال : دخل المنصور المدينة فقال للربيع : ائتني برجل يسامرني ويحدثني ، فأتاه برجل ظريف كان منقطعاً إليه ، فقال له المنصور : من أنت وأين منزلك ؟ قال : ما لي منزل وإني لمغمور النسب لا تبلغني معرفتك . وحدثه فاستظرفه وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فلما انصرف قال للربيع : تنجّز لي صلتي بأبي أنت وأمي ، فقال الربيع : هيهات احتل لنفسك ، فلما ركب المنصور من الغد دعا به فحدثه ثم أنشده قصيدة الأحوص :

---

١ - ديوان كثير ج ٢ ص ٨٣ مع فوارق .

يا بيتَ عاتكة الذي أتعزّل حذر العِدى وبه الفؤاد موكّلَ

حتى انتهى إلى قوله :

وأراك تفعلُ ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل[1]

فقال المنصور : وأبيك لقد اقتضيت فأحسنت ولطفت ، يا ربيع يُعطى جائزته .

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ٢٠٧ ـ ٢١٤ .

باب في أخبار الربيع

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي وهشام بن محمد وغيرهما ، قالوا : كان عيسى بن روضة ـ وهي أَمَة وأبوه نجيح ـ عبد لآل طلحة ، فرآه المنصور بالكوفة في حَلقَةَ المسجد وذلك قبل خلافة أبي العباس ، فقال : لئن ملكنا لنشترينّه فإني لم أرَ ألسن ولا أظرف منه مع عقل كامل ، فلما ولي أبو العباس سأله أن يشتريه فاشتراه بمائة ألف درهم ، فكان حاجب المنصور حتى ظهر منه على تشيعّ فعزله عن حجابته .

حدثني أبو فراس الشامي قال : كان حاجب المنصور عيسى بن روضة مولاه ، ومعه مرزوق أبو الخصيب مولاه ، فلما نحّي ابن روضة أو مات صيّر أبا الخصيب مكانه ، وكان الربيع مع أبي الخصيب يكون فلما مات أبو الخصيب صار الربيع مكانه .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، قال : كان أبو فروة من أراشة من بليّ سبيّاً أخذ من جبل الخليل بالشام فيما يقال ، قال : والثبت أنه كان من سبي عين التمر فأعتقه رجلٌ من بني ضبّة .

وقال الهيثم والمدائني : كان أبو فروة من سبي عين التمر فابتاعه ناعم الأسدي ، ثم ابتاعه منه عثمان بن عفان فأعتقه وجعله يحفر القبور ، فلما وثب الناس بعثمان قال له : يا أثمان ردّ المذالم[1] ، فقال له عثمان : أنت أوّلها ، ابتعتُك من مال الصدقة لتحفر القبور فتركت ذلك . وكنّى أبا فَرْوة لانه أدخل المدينة وعليه فروة .

فحدثت عن أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل ، عن محمد بن صبيح الأبيضي ، قال : كان يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة يتيماً في حجر جدته ، وكانت لجدته جارية نفيسة ، فغشيها يونس يوماً بغير علم جدته فأحبلها فولدت الربيع ، أبا الفضل بن الربيع ، وربيع هو صاحب المنصور ، فجحدته جدته وجحده يونس ، فلما شبَّ باعته جدته فاشتراه زياد بن عبيد الله الحارثي عامل أبي العباس على المدينة وأهداه إلى أبي العباس ، ثم صار إلى المنصور ، فلما استحجبه استمال بني أبي فروة وبرّهم وأرغبهم فشهدوا أنه ابن يونسَ وأنه كان قد أقرّ به .

حدثني الوليد بن صالح عن الواقدي ، قال : كان لهشام بن عمرو مولى قبيصة بن ذؤيب قدر في نفسه وفعالٌ جميل ، وكانت بنو أميّة تجيزهُ وكان سخيّاً مطعاماً للطعام ، فطلب عِينَةً في بعض أيامه وبلغ ذلك عبد الله بن أبي فروة مولى عثمان فقال لقهرمان هشام هذا : بلغني أن أبا عمرو يطلب عينة وعندنا مال فخذ حاجتك منه قرضاً إلى متى شئت واكتمه اسمي ، فأخبر القهرمان هشاماً بذلك ولم يزل يقسم عليه فأخبره بأن ابا فروة صاحبه ،

١ - أي «يا عثمان المظالم» .

فقال : إنا نحضر أبواب السلطان وغيره فنتساوى وإن كان له عليّ دينٌ ذللتُ له وعلاني فخذ لي من غيره مالاً .

وكان عبدُ الله كاتب مصعب بن الزبير وأنيسهُ ، وكان عبد الله بن أبي فروة سرياً يفعل افعالاً شريفة ويعمّ بمعروفه من انقطع إليه وغيرهم فشهد بعض دور السّلطان ومطرت السّماء فنظر إلى جلسائه فقال : يا غلام هاتِ لنا مماطر ، فأتى بمماطر خزّ بعدتهم وكانوا نحواً من عشرينَ .

قال : وامسك رجل بركابه يوماً ، فقال : ألك حاجة ؟ قال : لك على أبي ألف دينار وقد ترك مالاً ولي إخوة ، فقال : صدقت قد عرفتك ، أعطوه الصك ، والمال لك دون إخوتك .

وحدثني الحسن بن علي الحرمازي عن القاسم بن سهل النوشجاني ، ان زياد بن عبيد الله الحارثي ، خال أبي العباس ، ابتاع الربيع في خمسين غلاماً بالمدينة وهو عامل المنصور عليها وأهداهم إليه فصيّره مع أبي الخصيب ثمّ ضمه إلى ياسر صاحب وضوئه ، وهو يومئذ ابن ثمان عشرة سنة . وحج المنصور في تلك السنة فكان ياسر إذا وضع للمنصور الماء عند نزوله لحاجته لم يَرُمْ حتى يفرغ المنصور من الاستنجاء ، واعتلّ ياسر فصيّر الربيع يقوم مقامه في الخدمة ، فكان إذا وضع الماء للمنصور تنحى عنه فإذا تحرك صار إلى الابريق فأخذه ، فقال له : ويحك يا غلام ما أكيسك وأخفك على قلبي ، وسأله عن سنيه فزاد فيها ليتكبر بذلك ، فأعجبه ما رأى منه ، ورأى المنصور في طريقه كتاباً على حائط فقرأه فإذا هو :

وما لي لا أبكي وأنشد فاقتي ... إذا صدر الرعيانُ عن كل منهل

وفي أسفله : آه ، آه ، آه ، فجعل المنصور يردد نظره في ذلك وينكره ، فقال الربيع : ان أذن لي أمير المؤمنين تكلمتُ ، فقال : تكلم ، فقال : اتبع البيت تأوهاً وحكايةً للبكاء ، فأعجبه ما رأى من فطنته فقال : قاتلك الله ، وأعتقه وصيره مكان ياسر ، ثم رأى تقليده أمر حجابته فكان مع أبي الخصيب فلما مات صيّره مكانه . قال : فدخل بعض الهاشميين على المنصور يوماً فذكر أباه فترحم عليه ، فقال له الربيع : مَهْ ، اتترحمّ على أبيك وأنت تخاطب أمير المؤمنين ؟ فقال : انك لو عرفت حلاوة الآباء ومواقعهم من القلوب لم تنكر عليّ ما قلت . وكان الفضل بن الربيع حاجب الرشيد ، وكان يدعوه العباسي .

وحدثني الحرمازي أو غيره أن المنصور أمر رجلاً ولاه عملاً بالقصد ، فقال : عليك بالقصد والسداد فإنه كان يقال الظمأ الفاضح خيرٌ من الري الفاضح .

حدثني العمري قال : مرَّ المنصور في بعض السكك وكانت مضيقة بالبناء فأمر بهدم ما ضيقت به من ذلك البناء وبلغ الهدم دار أبي دلامة فدخل على المنصور فقال :

يا بن عم النبي زارك زور قد دنا هدم داره وبَوارُه
فهو كالماخِض التي اعتا دها الطّلق فقرّت وما يقرُّ قرارهُ
كيف يخشى البوار شاعر قوم هرمت في مديحهم أشعاره
لكم الأرض كلها فأعيروا عبدكم ما احتوى عليه جداره

وحدثني أبو مسعود قال : أمر المنصور الربيع أن يحضر أبا دلامة القصر ويأخذه بصلاة الظهر والعصر والمغرب فأنشأ يقول :

ألم تـريا ان الامـام ألزّني بمسجده والقصر مالي وللقصر
يكلفني الأولى جميعاً وعصرنا فويلي من الأولى وويلي من العصر
لقد كان في أهلي مساجد جمّة ولكنّ هذا الأمر قدر من القدر
ويحبسني عن مجلسٍ استلذّه وأكرمُ فيه بالسماع وبالخمر
وماذا عليه أرشد الله أمره لو ان خطايا العالمين على ظهري

فقال : صدق لعنه الله ، دَعُوه .

قال المدائني : وماتت ابنة للمنصور ، فرأى المنصور ابا دلامة عند قبرها فقال : ما أعددت لهذا المضجع ؟ قال : التي حفر لها يا أمير المؤمنين ، فقال : ويلك الا قلت كما قال الفرزدق حين سأله البصري ورآه عند قبر النوار امرأته عن مثل ما سألتك فقال : شهادة أن لا إله إلا الله مُذ ثمانون سنة ! فقال أبو دلامة : إنّا لا نحب المعاد من الكلام .

وحدثني الحرمازي ، قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشد :

لو كان يقعدُ فوقَ الشمس من كرم قومٌ لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم إلى السماء فأنتم أكرم الناس

فقال المنصور : لقد غدا بك أمر ، قال : نعم ، ولدت لي البارحة ابنة فقلت فيها :

فما وَلَدتكِ مريم أمُّ عيسى ولم يكفلك لقمانُ الحكيم
ولكن قد تضمُّك أمُّ سوء إلى لَبّـاتِهـا وأب لئيـم

فتبسم المنصور وأمر له بأربعة آلاف درهم .

وحدثني أبو العالية البصري قال : أنشد المنصورَ أبو دلامة قولَه :

قالت تبغِّ لنا نخلاً ومزرعة كما لجيراننا نخل ومزدرع
خادع خليفتنا عن ذاك في لطف إن الخليفة للسّؤال ينخدع

فقال لعبد الملك بن حميد : أقطعه ألف جريب نصفها عامر ونصفها غامر .

فقال : بأبي أنت وما الغامر ؟ قال : الذي لا يناله الماء إلّا بالكلفة والنفقة ، قال : أبو دلامة : فإني قد أقطعت عبد الملك بن حميد بادية بني أسد وصحراء بزيقيا وصحراء أنقُف[1] ، فضحك المنصور وأمر ان تجعل الألف جريب عامرة كلها ، فقال له : جعلني الله يا أمير المؤمنين فداك ايذن لي في تقبيل رجلك ، فقال : لستُ أفعل ، فقال : والله أصلحك الله ما منعت عيالي شيئاً أهون عليهم من هذا .

وحدثني أبو أحمد سلموية بن عمرو النحوي قال : أشار أبو عبد الله الكاتب على المهدي بنزول الرافقة وأراد أن يبعده من المنصور فكتب أبو دلامة :

إن الخليفة والمهدي إذ نأيا فنحن في حيث لا ماء ولا شجرُ
ولا نهارٌ ولا ليل يطيب لنا ولا تضيءُ لنا شمسٌ ولاقمر
الله يعلم أني ناصح لكم فيما أقول وأني حية ذكر
أرى وأسمع ما لا تسمعان به من الحسود وفي في الحاسد الحجر

فرد المنصور المهدي إليه ولم يأذن له في نزول الرافقة .

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب ، قال : كان المنصور يقول : ما شيء أجلب لقلب من كلام يصاب به موضعه ، ويروى ذلك أيضاً عن ابن المقفع .

---

١ ـ كذا بالأصل ولعلها تصحيف «القف» أنظرها في معجم البلدان .

حدثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي قال : قال المنصور لابن عياش المتنوف : لو تركت لحيتك لطالت ، أما ترى عبد الله بن الربيع ما أحسنه ، فقال : ياأمير المؤمنين أنا أحسن منه ، فقال ابن الربيع : اما ترى هذا الشيخ يا أمير المؤمنين ما أكذبه ! فقال ابن عياش : يا أمير المؤمنين مُرْ بجزّ لحيته ويقام إلى جانبي حتى ينظر أيّنا أحسن .

وحدثني عمر بن بكير ، عن الهيثم بن عدي ، عن ابن عياش ، قال : قال المنصور للأعلم الهمداني : ما مالُك ؟ قال : ما أكف به وجهي ولا أعود بفضله على صديق ، فقال : لقد ألطفت المسألة ، وأمر له بخمسة آلاف درهم .

وحدثني عمر عن الهيثم ، قال : قال المنصور لسفيان : ما أسرع الناس إلى قومك ، فقال :

إن العرانين تلقاها محسّـدةً ولن ترى للئام الناس حُسّادا

أمر ابن المقفع

كان عبد الله بن داذبة ، وهو المقفّع ، من أشراف أهل فارس وكان أبوه دخل في عمل للحجاج فخرج عليه مال فضرب به حتى تقفّعت يده ، فغلب على اسمه المقفّع ، واحتال حتى اقترض من صاحب العذاب مالاً ، فكان يُبقي عليه من القتل ، وكان منزله البصرة وكان حريصاً على تأديب عبد الله ابنه يجمع إليه الأدباء ويأخذه بمشاهدة مجالسهم ، وألزمه أبا الغول الأعرابي وأبا الخاموش ، وكانا فصيحين ، فلما مات المقفّع كتب لعامر بن ضبارة ، ثم لما جاءت الدولة صحب بني علي بن عبد الله فكان يكتب لهم كتبهم ، وكان أكثر ميله إلى عيسى بن علي وعلى يده أسلم .

فحدّثني محمد بن قادم النحوي ، عن بعض الهاشميين ، أن عبد الله بن المقفّع دخل على عيسى ليلاً فقال له : إني أريد الاسلام فقد خامر قلبي حبّه وكرِهتُ المجوسية ، فقال له : إذا أصبحنا جمعت أخوتي ووجوهاً من وجوه الناس فشهدوا إسلامك . وحضر عشاء عيسى فدعاه ليأكل فامتنع فعزم عليه ، وكان نظيفاً حسن المؤاكلة ، فلم يَدْنُ من الطعام إلاّ على زمزمة

فقيل : اتزمزم وأنت على الاسلام غداً ؟ فقال : إني أكره أن أبيت غداً على غير دين ، فلما أصبح أسلم . وكان يكنى أبا عمرو فتكنى أبا محمد .

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب قال : كانت لعبد الله بن المقفّع حال جميلة وغلّة تأتيه من فارس كافية ، وكانت له مروج تقاد إليه منها البراذين والبغال فيهديها ويحمل عليها .

حدثني المدائني ، قال : حضر سلم بن قتيبة ومعن بن زائدة وعبد الله بن المقفّع منزل ابن رامين ، وكان له قيان وهو الذي يقول فيه الشاعر :

إن ابن رامين قد أضحى له بقر عين وليس لنا غير البراذين
لو شئت أعطيته مالاً على قدر يرضى به منك دون الربرب العين

قال : فتغنت الزرقاء أم سعدة جارية ابن رامين صوتاً أعجب سلماً فبعث إلى خازنه فحمل إليه عشرة آلاف درهم فدفَعَها إليها ، ثم غنت إحداهما صوتاً اقترحه معن ، فبعث إلى وكيله فحمل إليه إلف دينار ، وغنت صوتاً لعبد الله بن المقفّع ، وكان قد ابتاع ضيعة بمائة ألف درهم فأمر غلمانه فأتوه بصك الضيعة فدفعه إليها ، فقال معن : لله الفارسي لقد برز علينا . وكان ما بين ابن شبرمة وابن أبي ليلى متباعداً فحاول ابن المقفّع أن يصلح بينهما فأبى ذلك ابن أبي ليلى . وكان ابن شبرمة صديقاً لابن المقفع ، فقال ابن المقفّع :

تنوّقت في الاحسان لم آل جاهداً إلى ابن أبي ليلى فصيّره ذمّا
ووالله ما آسي على فوتِ شكره ولكن سوء الرأي يحدث لي غمّا
وماذا يضرّ المرء من قول قائل إذا هو لم يغش الدناءة والإثما

وحدثني عبد الله بن مالك ، قال : أُخبرت أن عبد الله بن المقفّع كان إذا أقبل يريد منزله يقدم غلام له مجيئه ، فمن كان من غلمانه على غير هيئة

تهيّأ ، ويفتح له أبوابه فيدخل منزله ومعه عدة من إخوانه ، فإذا حضر طعامه وقف قهرمانه فقال : قد هُيّىء في المطبخ كذا وكذا وكذا ، ليعلموا ما يؤتون به من الطعام فيُبقي الرجل نفسه لما يشتهيه ، وكانت أيديهم تغسل بالاشنان قبل الأكل ويقول : ان الأيدي تقع في الحار والبارد ولا يؤمن ان يتحلل في ذلك شيء من وسخها مما لا ينقيه الغسل بالماء وحده .

وحدثني المدائني عن ابن جابان ، قال : كان ابن المقفّع ظريفاً مزّاحاً ذا دُعابة ، فكان بعض من يحسده يقول : إن أدبه أكثر من عقله . وقال ابن المقفّع يوماً لغلامه ، وسمعه يقول : ما أكثر الدُخّان ، فقال : ويلك لا تقل الدُخّان . إنما هو الدُخَان[1] . ثم سمع يوماً كلاماً فقال : ما هذا الذي اسمع ؟ فقال الغلام : هذا كلامُ قومٍ جلوس على الدُكَان[2] ، فضحك وقال : أنا كنت أعجب منك يا بني . وسمع يوماً بعض ولد اسماعيل بن علي يقول : أعطوني برذوني الأسود ، فقال له : لا تقل هذا وقل برذوني الأدهم ، فلما أتي ببرذَوْنِهَ قال : هاتوا طيلساني الأدهم ، فقال له : إنّ عناءً تقويم ما لا يستقيم .

وحدثني المدائني ، قال : كان ابن شبرمة يقول : في الناس رائدان كاذب وصادق ، فأمّا الكاذب منهما فسلم بن قتيبة ، رآني ملزوماً بدين عليّ فسألني عن خبري فأعلمته إياه فمضى ولم يكن عنده ما يرجوه الصديق من صديقه ، وأما الصادق فابن المقفع مرّ بي وأنا على حالي تلك فصفحني وأسرع السير ، فلم ألبث أن جاءني رسوله بحُقٍّ فيه حُليّ وجوهر فقال لي : يقريك

١ ـ في هامش الأصل : «يعني بتخفيف الخاء» .
٢ ـ في هامش الأصل : «يعني بتخفيف الكاف» .

أبو محمد السّلام ويقول : إني مررتُ بك ولم أكن على ثقة من أن يتهيأ لي ما بعثت به إليك فيسّرهُ الله وهيأه فاقض من ثمنه دينك واستعن بباقيه على دهرك .

ومرّ ابن المقفع برجل يقاد فقال لخصمائه : إن عزمكم أن تقتلوا هذا الرجل متعمدين لقتله ، ولعله ألا يكون أراد قتل صاحبكم فخذوا مني ديته وهبوه لله ، فلم يزل يطلب إليهم ويزيدهم حتى أخذوا منه ثلاث ديات وأطلقوه .

وحدثت عن عثمان البتي انه ذكر ابن المقفع فقال : اخاؤه عقده .

المدائني قال : عاد ابن المقفع شبيبَ بن شيبة فصادَفه في دهليز فنزل إليه فإنه ليحدثه اذ جاءت جارية لبعضهم وقد ودى[1] بعضهم بغل ابن المقفع فقالت : يا أبا معمر مولاي يقريك السّلام ويقول كيف أصبح اير بغلكم ؟ فقال ابن المقفع : كما ترين عافاك الله ، فتسوّرت الجارية ، وكانت فيه دُعابة .

وكان ابن المقفع يقول : اللسان ترجمان عن القلب فذلله بأسهل اللفظ .

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب وغيره ، ان المنصور ولى سفيان بن معاوية البصرة ، وكان بنو علي أمروا ابن المقفع أن يكتب لعبد الله بن علي أماناً حين أجابهم المنصور إلى أيمانه ، فكان فيه : «إنْ عبد الله عبد الله أمير المؤمنين لم يف بما جعل لعبد الله بن علي فقد خلع نفسه والناس في حل وسَعَةٍ

---

١ ـ ودى البعير : أدلىٰ ليضرب ، أوليبول . القاموس .

من نقض بيعته» ، فأنكر المنصور ذلك وأكبره واستبدّ به غيظُهُ على ابن المقفع ، وكتب إلى سفيان أن اكفني ابن المقفع ، ويقال إنه شافهه بذلك عند توديعه إياه . وكان ابن المقفع يهزأ بسفيان ويستجهله ويقول له : ما تقول في زوج وامرأة ، كم لكل واحد منهما من الميراث ؟ وأنشد يوماً :

له إطِلا[1] ظبي وساقا نعامةٍ

فقال ابن المقفع : ما هذا الطائر الذي تصفه ؟ وسمع سفيان يقول يوماً : ما ندمت على سكوت قط ، فقال له : والله ما تؤجر على الخرس لأنه زين لك ، فكيف تندم على سكوتك ، وكان يلقي عليه مسائل من النحو ثم يقول له : أخطأت ويتضاحك به ، وكان أنف سفيان عظيماً فكان يقول له : السلام عليكما ، كيف أنتما ، يعنيه وانفه . وجرى بينهما كلام فقال له ابن المقفع : يا بن المغتلمة ، والله ما رضيت أمّك برجالِ العراق ولا اكتفت بهم حتى نكحها رجال الشام ، وكانت أم سفيان ، ميسون بنت المغيرة بن المهلب ، تزوجها القاسم بن عبد الرحمن بن عِضاه الأشعري ، وعيره بهربه من سلم بن قتيبة بالبصرة ، فكان سفيان أشد الناس بغضاً لابن المقفع ، فلما أمره المنصور بما أمره رأى أن الفرصة قد امكنته ، فجاءه ذات يوم في حاجة لعيسى بن علي ، وعيسى بالبصرة وكان قدمها مع سليمان في أمر عبد الله بن علي ، فقتله أشرّ قتلة .

عبد الله بن مالك الكاتب ، والمدائني ، قالا : وجه عيسى بن علي ابنَ المقفع إلى سفيان في حاجة ، فقال له : أرسل في حاجتك غيري ، فأبى

١ ـ الإطل : الخاصرة . القاموس .

وقال : لن يقدم عليك بمكروه وأنا حاضر ، فلما دخل على سفيان ثم أراد الخروج قال له حاجب سفيان : اصبر ، قال : ويلك ان الصبّر لا يكون الا على بلاء ولكن قل انتظر ، فقال : اجلس في هذه الحجرة فإن للأمير إليك حاجة ، وأومأ إلى حجرة معتزلة ، ثم سجرّ له تنّور وأتاه الحاجب فدَقّ عنقه ، فكأنما قصف قثاءة ، ثم ألقاه في التنور وابن المقفع يقول : يا أعوان الظلمة ، وهذا الثبت . ويقال إنه ألقي في بئر وأطبق عليه حجر ، ويقال بل أدخل حماماً فلم يزل فيه حتى مات .

وقال عباس بن الوليد النرسي : بلغني أن عنقه دقّت بعد أن قطّع عضواً عضواً وألقيت أعضاؤه في النار وهو يراها ويصيح صياحاً شديداً .

وقال بعضهم : ألقي في بئر النورة في الحمام وأطبق عليه الحاجب صخرة فمات .

وكان الهيثم بن درهم مولى بني قيس صديقاً لابن المقفع ، فقال :

إعمد الى بظرِ ميسون فعضّ به　　لعل ذلك منه سوف يشفيكا
أردت ذمّة عيسى أن تُدنّسها　　فقد فعلت فرب الناس يجزيكا

قالوا : وشكا بنو علي بن عبد الله ما صنع سفيان بابن المقفع إلى المنصور ، فأمر بحمل سفيان إليه فحمل وشخص معه أهل بيته ، وجاء عيسى بن علي بقوم يشهدون أن ابن المقفع دخل داره فلم يخرج وصرفت دوابه وغلمانه يصرخون وينعونه ، وبآخرين يبُثّون الشهادة أنه قتله ، فقال المنصور : أرأيتكم إن أخرجتُ ابن المقفع اليكم ماذا تقولون ؟ فانكسروا عن

الشهادة وكفّ عيسى عن الطلب بدمه . وقال أبو الغول الأعرابي يرثي عبدَ الله بن المقفع :

وجمتَ وراعكَ الخطبُ الجليلُ ... وأجرى دمعَك الحزنُ الدخيل
كأنّ دموعَ عينك إذ تداعَتْ ... جمانٌ خانه سلك سحيل
عشيّةَ قلتَ للداعي ينادي ... بعبد الله ويحك ما يقول
فقال ابنَ المقفع فاحتسبهُ ... فليس إلى لقائكهُ سبيلُ
قتيلُ مَغالةٍ في السِّر غدراً ... وقد يغتال ذا العزّ الذليلُ
لقد أودى به كرمٌ وبرّ ... وعلم زانَهُ رأيٌ أصيل
وجود يد بمنفسها إذا ما ... نفيس المال ضنّ به البخيل
أبو الأضياف يغمرهم قراه ... رحيبٌ بالعظيم له حَمول

وقال أيضاً ، ويقال غيره :

لعمري لمن أوفىٰ لجارٍ إجارةً ... لقد غرّ عيسى جارَهُ ابن المقفع
فلو بابن موسى كان شدّ حباله ... لعاذَ بمشبوح الذراع سميدعِ
دعا دعوةً عيسى وهم يسحبونه ... برُمّته سحب الفصيل المقرّعِ
فلو كابن حرب كان أو كابن ظالمٍ ... لما اغتيل عبدُ الله في شرّ مصرعِ
ولو كابن موسى كان أوفى لجاره ... فآب سليماً لحمهُ لم يقطعِ
فإذْ لم تكن مثل السموأل وافياً ... فعش غادراً ما عشتَ في الناس أودَعِ
أهابوا به حتى إذا قيل قد علا ... مع النجم خلّوه وقالوا له قَعِ
وكان إذا ما راح راحت بغاله ... بذي كرم جم الفضائل أروعِ
فعينيّ إن أنزفتما الدمع منكما ... فسُحّا دماً يا مقلتي بأربعِ

حدثني عبد الله بن صالح عن أبي بكر بن عياش ، قال : كان مما يعد من دهاء المنصور أنه لما وجه جيشه إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بلغه أنه يريد اليمن فأمر كبار قوادره الذين في الجيش أن يكتبوا إلى محمد فيعلموه أنهم إذا صاروا إلى المدينة فواقفوه انقلبوا إليه ، فأقام طمعاً في ذلك ، فلما لقوه كانت إياها .

أمر سديف

حدّثني أحمد بن الحارث عن علي بن صالح قال : كان سديف مولى لآل أبي لهب ، وكان مائلاً إلى المنصور ، فلما استخلف وصله بألف دينار فدفعها إلى محمد بن عبد الله بن الحسن تقوية له ، فلما قتل محمد صار مع أخيه ابراهيم بالبصرة حتى إذا قتل إبراهيم أتى المدينة فاستخفى بها ، فيقال إنه طلب له الأمان من عبد الصمد بن علي وكان واليها فأمنه وأحلفه أن لا يبرح المدينة ، وقدم المنصور المدينة فقيل له : قد رأينا سديف بن ميمون ذاهباً وجائياً ، فبعث في طلبه وأخذ عبدَ الصمد به أشدّ أخذ ووجد عليه في أمره ، فلما أُتي بسديف أمرَ فجعل في جوالق ثم خِيطَ عليه وضرب بالخشب حتى كسر ، ورمي به في بئر وبه رمق حتى مات .

وقال غير علي بن صالح ، كتب المنصور إلى عبد الصمد في طلب سديف ، فظفر به وحبسه حتى قدم المنصور ، فقال لعبد الصمد : ما فعل سديف ؟ قال : محبوس ، فقال إنه لطويل الحياة ، فقال عبد الصمد لصاحب شرطته : اكفناه ، فقتله .

حدثّني عبد الله بن مالك الكاتب ، قال : كان أحب الطيب إلى المنصور المسك ، فكان يبتاع له منه في كل سنة اثنا عشر ألف مثقال من غلة ضياعه فيستعمل منه في كل يوم عشرين مثقالاً ينفح منها في ثيابه ويغير شيبه ويمسح جسده ، ويصرف باقي المسك فيما يهبه .

أمر ابن هَرْمة

وحدّثني الحسن بن علي الحرمازي، عن أبي مسعود الكوفي، قال: قال المنصور: مارأيت ابن هرمة قط فذكرت أبياته في عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلا هممتُ بأن أسوءَهُ، والأبيات:

إذا قيل من خيرٌ من يُرتجى لمعترٍّ فِهرٍ ومحتاجِها
ومن يعجل الخيل عند اللقاء بإلجامها قبل إسراجِها
أشارت نساء بني مالك إليك به قبل أزواجها[1]

فقال عيسى بن علي: ياأمير المؤمنين، فهو الذي يقول فيك:

كريمٌ له وجهان وجهٌ لدى الرضا أسيل ووجهٌ في الكريهة باسل
له لحظات عن حفافي سريره إذا كرّها فيها عقاب ونائل
يقاتل عنه الناس مجلود رأيه على الحق والرأي الجليد مقاتل[2]

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع.
٢ ـ لم يرد البيت الثالث في ديوانه ص ١٦٥ ـ ١٦٩ .

المدائني قال: مدح إبراهيم بن علي بن هرمة المنصور فأعطاه عشرة آلاف درهم فاستقلّها وقال: لي حاجة ياأمير المؤمنين فان قضيتها كنتَ قد كافأتني، قال: وما هي؟ قال: تأذن لي في شرب النبيذ بالمدينة فإن لي هذه الأرواح والماء يضرني، فقال: وكيف أفعل وأنت تعرف كراهة أهل الحجاز للشرب؟ قال: احتل لي ياأمير المؤمنين، فأمر الوالي هناك أن ينظر فمن أتاه بابن هرمة وهو سكران ضربه مائة وضرب ابن هرمة ثمانين، فكان الشرطي يراه سكران بالمدينة فيقول: من يشتري الثمانين بالمائة ويدعه.

وحدثني أبو يحيى المديني مولى الانصار قال: لم يجبه المنصور إلى الاذن في شرب النبيذ ولكن بعض عمال المدينة كان أمر فيه بهذا، وكان ابن هرمة مستهتراً بالنبيذ لايصبر عنه، وهو الذي يقول:

أسأل الله سكرةً قبل موتي   وصياحَ الصبيانِ ياسكرانُ

المدائني قال: وَعَظ سوّارٌ المنصور فوصله فأبى قبول صلته، فقيل له في ذلك فقال: كرهت أن أكون مثل سعيد بن الفضل وعظ هشاماً ثم سأله فأعطاه، فقال هشام: إلى هذا أُجري الحديث!.

أمر أبي داود خالد بن إبراهيم

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي، وأخبرنا المدائني، قالا: استخلف أبو مسلم خالد بن ابراهيم أبا داود الذّهلي حين سار للحج على خراسان، فلما توفي أبو العباس بايع أبو داود للمنصور فكان متخوفاً من أبي مسلم إذ فعل ذلك بغير أمره فلم يكتب بالبيعة إلى أبي مسلم إلا بعد حين، فلما قتل أبو مسلم أتاه البريد بخبر مقتله فأنكر قتله وذكر المنصور ذكراً قبيحاً ونسبه إلى الغدر، فكتب المنصور إليه يأمره بغزو ما وراء النهر، ثم كتب إليه في القدوم عليه ووجّه بكتابه إليه رسولاً مفرداً، فقال: مايقدمني عليه إلا لمسألتي عن أمور أبي مسلم وأمواله ثم قتلي بعد ذلك، ثم قام يفرقع أصابعه ويرقص ويقول: ياأبا جعفر غُرَّ غيري، والرسول يراه. فرجع إلى المنصور فأخبره بما عاين، ولم يجب المنصور على كتابه. فكتب المنصور إلى أبي عصام عبد الرحمن بن سليم مولى عبد الله بن عامر بن كريز: «إن قتلتَ أبا داود فأنت أمير خراسان»، فخرج أبو عصام إلى كُشماهن[1] وقد دسّ إلى أهلها من

١ ـ قرية كانت عظيمة من قرى مرو على طرف البرية، آخر عمل مرو لمن يريد قصد آمل جيحون. معجم البلدان.

هيّجهم ليخرج أبو داود فيفتك به، وسمع أبو داود الضجة فصعد لينظر فمشى على جناح في داره وكان ضعيف البصر فسقط على وتد، فقالت له امرأته: من ذا؟ قال: أنا أبو داود قد نزل بي مايريد أبو جعفر، واحتمل فمات ودفن وذلك في سنة تسع وثلاثين ومائة.

وكتب أبو عصام بموته إلى المنصور واجتمع الناس إلى أبي عصام فبايعوه للمنصور، ثم لم يلبث إلا قليلا حتى قدم عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي خراسان والياً عليها على أربع من دواب البريد[1].

---

١ - في هامش الأصل: بلغ العرض بالأصل الثالث ولله الحمد كله.

أمر عبد الجبّار بن عبد الرحمن الأزدي

حدثني أبو مسعود الكوفي، وغيره، قالوا: دعا المنصور عبد الجبار فقال له: قد وليتك خراسان فأطع الله في معصيتي، ولاتطِعني في معصية الله، ولِنْ للمُحسن، وكن خشناً على المسيء. وكان عبد الجبار على شرط أبي العباس، ثم على شرط المنصور إلى أن ولاه خراسان، ثم ولى الشرطة بعده عمر بن عبد الرحمن أخاه، ثم عزله وولى موسى بن كعب التميمي حتى مات، ثم ولى بعده المسيب بن زهير الضبي. فكان المسيب يسعى في فساد حال عبد الجبار عند المنصور ويوحشه منه ويغريه به، وكتب إلى عبد الجبار إن المنصور قال ذات يوم: «من ولّي خراسان، فأصلح ثغورها، وأحسن السيرة في أهلها ورزق جنودها، وكان في بيت ماله بعد ذلك عشرة آلاف ألف فهو الكامل»، فكتب إلى المنصور يعلمه أن عنده بعد سدّ الثغور واعطاء المقاتلة عشرة آلاف ألف، فكتب إليه المنصور في حملها، ولم تكن عنده وإنما كَذَبه، وألح المنصور فيها، فكتب يسأل الإذن له في إشخاص عياله إليه فلم يأذن له في ذلك، وكان يبلغه فسادُ قلبه عليه بما يكيده به المسيب عنده ويقول له فيه، فخلع

وقال: إن أبا جعفر دعاني إلى عبادته وأسرف في القول، فأشخص المنصور إليه المهدي ومعه خازم بن خزيمة فقاتله خازم فظفر به.

المدائني قال: لما مات أبو داود خالد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن قَعْبَل بن ثابت بن سالم بن حذلم بن الحارث بن عمرو بن سالم بن الحارث بن عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة، كتب المنصور إلى أبي عصام عبد الرحمن بن سليم بولاية خراسان، ثم عزله بعد أربعين يوماً، واستعمل عبد الجبار بن عبد الرحمن بن زيد بن فيل بن قيس بن زيد بن جابر بن رافد بن سَبالة بن عامر بن عمرو بن كعب بن الحارث - وهو الغطريف الأصغر - بن عبد الله بن الغطريف الأكبر - واسمه عامر - بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد - واسمه ذر - بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان عبد الجبار يتشيّع فسار سيرة حسنة ونظر في أمر الخراج وقوّى الدعوة، ثم كتب إلى المنصور يسأله الإذن في حمل عياله فلم يأذن له في ذلك فدسّ إلى قوم من عمال أبي داود وغيرهم ممن كان مخالصاً للعباسيين فقتلهم. وصار إليه علْجٌ ينظر في النجوم، فقال له: إنك ستغلب على خراسان وغيرها وتنال ملكاً عظيماً، فكتب رجل من عيون المنصور ونصحائه إلى المنصور إنه قد نغل الأديم، فقال لأبي أيوب المورياني، كاتبه ووزيره: ماتراه يقول؟ قال: يخبرك أن عبد الجبار على الخلع، فقال: ماترى؟ قال: تكتب إليه أنك تريد الغزو برجال خراسان ووجوه أهلها وتأمره بتوجيههم إليك، ففعل. فكتب إليه عبد الجبار: إن الترك قد جاشت وخراسان محتاجة إلى رجالها. فكتب المنصور

إليه: إني بخراسان أعنى منيّ بغيرها فإن أحببت أن يوجه إليك أمير المؤمنين رجالاً ممّن قبله فعل، وإنما أراد أن يوجه إليه من الجند من يلطف لأخذه. فكتب: إن خراسان مجدبة فليتها تقوم بمن فيها من الرجال وتحملهم، وأظهر الخلع وقال: ان أبا جعفر دعاني إلى عبادته، وشتمه، وحضّ على طاعة آل أبي طالب ووجه إلى ابراهيم بن عبد الله بن حسن، وهو مُستخف يسأله أن يشخص إليه فلم يفعل، فنصب رجلاً قال إنه إبراهيم بن عبد الله، وكان اسم الرجل يزيد. فولى المنصور المهدي خراسان ووجه معه خازم بن خزيمة، فأقام المهدي بالري ووجه خازماً إلى خراسان.

وخرج على عبد الجبار، الحسن بن حمران مولى مطر بن وساج أخي بكير بن وساج، ودعا إلى المنصور وحضّ على التمسك بطاعته والوفاء ببيعته، ثم إنه غيّر وبدّل فبعث إليه خازم بن خزيمة مَنْ حاربه فقتله وأتى خازماً برأسه.

وخرج على عبد الجبار، الأشعث أبو جابر بن الأشعث الطائي باشتيخن[1] ثم أتى بخارى فقتل عامل عبد الجبار عليها واصطفى أموال من قتل.

وكان عبد الجبار حبس حرب بن زياد الطالقاني من عجمها، ثم خلاه، ووجه إلى بلخ وكتب إلى عاملها في حبسه فحبسه فهرب، ودعا إلى خلاف عبد الجبار وأتى بداعية الطالبيين فقتله بالطالقان.

ولبس عبد الجبار البياض ومعه يزيد المدّعي أنه إبراهيم بن عبد الله، وكان مولى لبجيلة وعمّمه بعمامة سوداء، فخطب المدّعي في يوم جمعة، ودعا

١ ـ من قرى صغد سمرقند، وبينها وبين سمرقند سبعة فراسخ. معجم البلدان.

على المنصور، وخطب أيضاً يوم السبت، وذكر قتل المنصور من قتل من آل أبي طالب، وبكى فأبكى الناس ممن كان معه.

وناهض عبد الجبار حربُ بن زياد، فقُتل المدعي، وهزم عبد الجبار في عُصيبة بقيت معه، وكان له دليل فغدر وفرّ عنه، ثم تفرق من معه إلا خمسة نفر ووقع في مقطنة ومعه كاتبه، فطلب وأتاه عبد الغفار بن صالح الطالقاني فقال: ألقِ سيفك، فألقاه، ثم أتاه الجنيد بن خالد بن هريم فحمله على برذون تركي وقد شدّت يده إلى عنقه وهو عريان قد مزق الناس ثيابه وأرادوا قتله وتسرّعوا إليه، فمنعهم حرب من ذلك وأنفذه إلى خازم وهو بسرخس، فحمله خازم إلى المهدي مع نضلة بن نعيم بن حازم، والمهدي بنيسابور، وكان المنجم معه وعدّة غيره، فأمر المهدي بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم، وحمل عبد الجبار إلى المنصور، ورجع إلى الري. فلما صار عبد الجبار إلى المنصور قال له: استبقني ياأمير المؤمنين ولا تذهبن زلتي بحسن بلائي وحرمتي، وماكان مني في هذه الدولة والدعوة، فقال: يابن اللخناء قتلتَ نظراء قحطبة وطبخت أولياءنا طبخاً، وكانت له قدر عظيمة كان أبو مسلم أصابها فكان يغلي فيها الدهن ثم يقيم الرجل من العباسية فيه حتى يتفسّخ، ثم أمر به أن تقطع يده ورجله، فقال: ياأمير المؤمنين قتلةً كريمةً، فقال: يابن اللخناء تركتها بخراسان، فقتل وصلب بالكوفة عند باع المختار. وكان خلع عبد الجبار في سنة إحدى وأربعين ومائة.

وقد قال قوم ان حرب بن زياد بعث بعبد الجبار إلى المهدي، والأول أثبت.

وحدثني المدائني قال: لما خلع عبد الجبّار كتب إلى محمد بن عبد الله بن حسن يسأله أن يتوجه إليه، أو يوجه بعض ولده، وذلك قبل خروجه وظهوره، فأراد الشخوص إليه بنفسه في أربعين من أهل بيته، فلما بلغته هزيمته رجع إلى المدينة فخرج في سنة خمس وأربعين.

قالوا: ولما قتل عبد الجبار أمر المنصور بتسيير عياله إلى دهلك[1] فسبتهم الحبشة فاشتراهم قومٌ من التجّار وأرادوا ادخالهم المدينة، فمنعهم عبد الصمد بن علي من ذلك، وكان عاملاً للمنصور عليها، وكتب إلى المنصور يعلمه خبرهم، فكتب إليه أن اشترهم منهم، فاشتراهم وبعث بهم إلى العراق. وكان عبد العزيز أخو عبد الجبار والياً على البصرة، فلما خلع أخوه وجه المنصور أبا الخصيب مولاه فقدم به، وولى المنصور سوّار بن عبد الله بن قدامة العنبري البصرة مكانه، ثم ولاها هزارمرد، وهو عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة، وجعل سوّاراً على الصلاة والقضاء.

قال المدائني: وكانت بنت عبد الجبار عند روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب.

وقال أبو الحسن المدائني: كان يطعن في نسب عبد الجبار وكان شيعياً، وكان أخوه عبد العزيز قاصّاً يرى الاعتزال، وكان له أخ يرى رأي الجماعة، فقتلوا جميعاً.

١ ـ دهلك: جزيرة في بحر اليمن، وهي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة. معجم البلدان.

قالوا: قدم حرب بن زياد على المنصور في وجوه أهل خراسان فردّه المنصور إلى خراسان والياً، فهمّ بالخلع وأطلق لسانه بقول سيء، فبلغ ذلك المنصور، فكتب إلى وجوه أهل خراسان في أمره، فقتل ببلخ.

أمر عمرو بن عبيد في خلافة المنصور

حدثني عبد الله بن صالح ومسلم بن عبد الله بن مالك الكاتب وغيرهما فسقت حديثهم، قالوا: أحرم المنصور في سنة أربعين ومائة من الحيرة، وحج بالناس، ثم أتى المدينة ومضى إلى بيت المقدس زائراً له، ثم انصرف منه في سنة إحدى وأربعين ومائة إلى الرقة، فأتي بمنصور بن جعونة العامري فقتله، ثم قدم إلى المدينة الهاشمية بالكوفة. وتوجه في سنة اثنتين وأربعين ومائة إلى البصرة فولى عمر بن حفص السند، ودعا بعمرو بن عبيد مولى بني تميم فوصله فلم يقبل صلته، فقال له: بلغني أن محمد بن عبد الله بن حسن كتب إليك يدعوك إلى طاعته فأجبته، وكان محمد مستخفياً يبثّ دعاته، فقال: ياأمير المؤمنين والله لو قلدتني الأمة اختيار إمام لها ماوجدته، فكيف أجيب محمداً وأبايعه، لقد كتب إلي فما أجبتُه، فقال: صدقت ياأبا عثمان وبررت، فلما ولّى قال: من مثلك ياعمرو.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه قال: قدم المهدي من خراسان فبنى بامرأته ريطة بنت أبي العباس بالحيرة في شهر رمضان سنة أربع وأربعين

ومائة، وحج مع المنصور في هذه السنة، فأُخبر المنصور أن عمرو بن عبيد حاج فدعاه واستدناه وأكرمه وسأله أن يعظه فوعظه، وقضى عمرو بن عبيد حجته وانصرف فمات في طريقه في آخر السّنة، فبلغ المنصور موتُه فقال: يرحم الله عمراً هيهات أن يُرى مثل عمرو.

وحدثني محمد بن سعد، عن الهيثم بن عدي، قال: لما بايع المنصور للمهدي كتب إلى عمرو بن عبيد كتاباً لطيفا يستزيرُه فيه، وكتب إلى عامله على البصرة في إشخاصه مكرّماً، فلما صار إليه بالكوفة ودخل عليه استدناه وقال: كيف كنت بعدي أبا عثمان؟ فقال: أحمد الله وأُذُمّ عملي، فتغرغرت عينا المنصور ثم قال له: عظني ياأبا عثمان، فقال: ياأمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها، وأعلم أن الأمر الذي صار إليك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك، واعلم أنك لست أول خليفة تموت، فاحذر ياأمير المؤمنين ليلةً صبيحتها القيامة، ليلة تتمخض بيوم الفزع الاكبر، إن الله يقول: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعـاد * إرم ذات العماد﴾، إلى قوله: ﴿لبالمرصاد﴾[1]، ثم قال: هذا تخويف لمن سلك جادتهم واتبع آثارهم، فبكى المنصور ونزل عن فرشه، ثم سكن، فقال: ياأبا عثمان ناولني هذه الدواة، فأبى أن يناوله، فقال: أقسمت لتفعلنّ، فقال: والله لاناولتك إياها، فقال له المهدي، وكان حاضراً: يحلف عليك أمير المؤمنين فتراده باليمين؟ فقال: إن أمير المؤمنين أقدر على الكفارة مني، ثم قال: من هذا الفتى ياأمير المؤمنين؟ قال: هذا ابن أخيك، هذا محمّد المهدي ولي عهد

---

١ ـ سورة الفجر ـ الآيات: ٦ ـ ١٤ .

المسلمين، فقال: أرى شباباً وجمالاً ونشاطاً، وقد رشحته لأمر يصير إليه إن صار، وأنت عنه في شغل، وقد وطأت له الدنيا، وأنت منتقل عنها إلى الآخرة فهناك الحساب، إن الله قد جعلك فوق كلّ أحد فلا ترضى أن يكون فوقك في طاعته أحَدٌ. ثم سكت عمرو، فقال له المنصور: سلني حوائجك، فقال: حاجتي ان لاتبعث إليّ حتى أجيئك ولاتعطني شيئاً حتى أسألَك، ثم نفض ثوبه وقام، فابتعه المنصور بصرهُ وقال: شُغِل والله الرجل بما هو فيه عما نحن فيه، وقال:

كلكم طالب صيد وهو ذو مشي رُوَيْدِ

غير عمرو بن عبيد

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب، عن الفضل بن الربيع عن أبيه، قال: دخل عمرو بن عبيد على المنصور، وعليه طيلسان مخرق، فأخذ المنصور طيلساناًكان عليه طبرياً فألقاه فوق ظهره، وقال له: عظني، فوعظه حتى بكى، ثم قال له: سلني حوائجك، قال: أولها أن تأمر برفع الطيْلسان عني، وأن لاتعطني شيئاً حتى أسألك، ولاتبعث إليّ حتى أجيئك، فإنه إن جمعني وإياك بلد صرت إليك فيه، ثم مضى.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثني أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثني عبد السلام بن حرب، قال: قدم أبو جعفر البصرة فنزل عند الجسر الأكبر، وبعث إلى عمرو بن عبيد فجاءه فأمر له بمال فقال: والله لا أقبله، فقال المنصور: لتقبلنه، فقال له المهدي يوهمه، إن أمير المؤمنين قد حلف لتقبلنه، فقال عمرو: أمير المؤمنين أقوى على الكفارة عن يمينه من عمك، قال له المنصور: يا أبا عثمان، أعلمت أني قد جعلت محمّداً وليّ

عهد المسلمين ؟ فقال : يأتيه الأمر يوم يأتيه وأنت مشغول عنه ، قال : يا أبا عثمان ذكِّرنا ، قال : أذكرك ليلة تمخّض عن صبيحة يوم القيامة .

حدثني علي بن المأمون قال : حُدّث المأمون أمير المؤمنين بأن المنصور كان يكني عمرو بن عبيد ، فقيل له : ان أمير المؤمنين يكنّيك ، فقال : ما ذكرتُ ذلك إلا دخلتني له غضاضة ، فقال المأمون : هذا باطل كان عمرو أعقل وأحلم من أن يقول هذا القول .

حدثني أبو محمد التوزي النحوي عن أبي زيد الأنصاري ، قال : مشى شبيب بن شيبة ونفرٌ معه إلى عمرو بن عبيد فقالوا له : يا أبا عثمان إن أمير المؤمنين المنصور قد قدم ولا نراه قدم إلّا لمكانك لينظر فيما بلغه من كتاب محمد إليك فتنحّ عنه ، فأطرق ثم قال : لا يكون والله ذاك حتى أقوم بما يجب لله عليّ استحياني أو قتلني . قال أبو زيد : فقال المنصور لعمرو : أبايعت محمد بن عبد الله ؟ فقال : لو قلدتني الأمّة أن اختار لها رجلاً ما وجدته ، فكيف أبايع محمداً ؟! .

قال : وكتب أبو جعفر إلى عمرو كتاباً عن لسان محمد ، فلما قرأه خرقه ، فطلب الرسول جواب الكتاب فلم يجبه ، فألح الرسول عليه فقال : دعونا نشرب من الماء البارد ونتنقل في هذا الظل الى أن يأتي الموت ، فقال أبو جعفر : هذا ثغر قد أمنّاه .

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب ، عن الفضل بن الربيع ، عن أبيه ، قال : دخل عمرو بن عبيد على المنصور ، ودخل رجل حسن الأدب ، كأنما لم يزل مع الملوك ، فأجلسه المنصور إلى جانبه فأبى إلّا أن يجلس بين يديه ، ثم قال له : إن الله واقفك وسائلك عن مثاقيل الذر من

الخير والشر ، وأن أمّة محمّد خصماؤك يوم القيامة وإنك لا ترضى لنفسك إلا بان يعدل عليك فإن الله لا يرضى منك إلّا بالعدل على رعيتك يا أمير المؤمنين ، إنّ على بابك نيراناً تأجّج من الجور ، فبكى المنصور ونشج ، فقال سليمان بن مجالد : يا عمرو قد شققتَ على أمير المؤمنين ، فقال : ويحك إنّ أمير المؤمنين ميّت ومُخلٍّ ما في يديه من هذه الدنيا ومرتهن بعمله ، وأنت غداً جيفة بالعراء لا تغني عنه شيئاً ، ولقرب هذا الجدار منه خير له من قربك ؛ يا أمير المؤمنين ، إن هؤلاء اتخذوك سلماً إلى درك ارادتهم وصفاء دنياهم لهم فكلهم يوقد عليك ؛ قال : فكيف أصنع يا أبا عثمان ، ادعُ لي أصحابك استعملهم ، قال : ادعهم أنت واطرد هؤلاء الشياطين عن بابك ، فإن أهل الدين لا يأتون بابك وهؤلاء محيطون بك لأنهم إن باينوهم ولم يعملوا باهوائهم أرشوك بهم وحملوك عليهم ، والله لئن رأوك عُمّالك لا تقبل منهم إلا العدل ليتقربنّ إليك به من لا نيّة له فيه .

حدثني التوزي عن أبي زيد قال : قدم المنصور البصرة قبل الخلافة فقال عمرو بن عبيد لبحر بن كثير السقاء : قد قدم هذا الرجل وكان زوّاراً إذا قدم بلدنا فامض بنا إليه ، فأتياه فلما وقفا ببابه نادى عمرو : يا جارية ، فأجابته جارية ، فقال : قولي لأبي جعفر : أبو الفضل وأبو عثمان ، فأذن لهما فدخلا عليه فإذا هو على مصلّى مخلق دارس ، وإذا بين يديه طبق عليه قصعة فيها مرق لا لحم فيه ، فقال : يا جارية أعندكِ شيء تزيدينا؟ قالت : لا ، قال : أفعندكِ درهم نشتري به فاكهة لأبي عثمان ؟ قالت : لا ، قال :

ارفعي ، ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾[1] .

وحدثني أبو محمد التوزي عن أبي عبيدة ، قال : قال المنصور لعمرو بن عبيد : أكاتبت عبد الله بن حسن بن حسن ؟ فقال : جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه ، فأجبتُه بخلاف ما أحبّ ، وأنت تعرف رأيي في الخروج ، قال : أفتُبرىء صدري بيمين ؟ قال : وما تصنع باليمين ، لئن كذبتُ تقيّة لاستجيزنّ أن أحلف لك تقية .

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب ، عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : دعا أمير المؤمنين المنصور بعمرو بن عبيد ، فلما استأذنتُ له وكانت عليه جبّةُ وَشْي ، دعا بمبطنة مروية فلبسها ، ثم نزل عن فرشه ، فقلت : يا نفس ما كنت أظن أبا جعفر يداري أحداً .

حدثني المدائني قال : كان أمير المؤمنين المنصور يقول : الندم على السكوت خير من الندم على الكلام .

١ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ١٢٩ .

أمر الراوندية ومعن بن زائدة

حدثني أبو مسعود والعمري عن الهيثم وغيره ، أن قوماً من أصحاب أبي مسلم من أهل خراسان كانوا يقولون بتناسخ الأرواح ، فيزعمون أن روح آدم عليه السلام في عثمان بن نهيك ، ويقولون إن أمير المؤمنين يرزقنا ويطعمنا ويسقينا فهو ربنا ، وأنه لو شاء أن يسيّر الجبال لسارت ، ولو أمرنا أن نستدبر القبلة لاستدبرناها ، وكانوا يطوفون حول قصر المنصور فيقولون قولاً عظيماً ، فحبس المنصور منهم نحواً من مائتين من رؤسائهم ، فغضب أصحابهم ، وكان المنصور أمر أن لا يجتمعوا ، فاتخذوا نعشاً وأظهروا أن فيه امرأة ميتة ، وملأوه سلاحاً ، ثم حملوه ومروا إلى باب السجن فأخرجوا أصحابهم وهم مائتان، وكانوا أربعمائة فتتاموا ستمائة ، وقصدوا القصر فتنادى الناس وأُغلقت أبواب المدينة .

وخرج المنصور يمشي من القصر ولم يكن عنده دابّة ، فمن ذلك اليوم ارتبط فرساً في القصر يكون معه ، فلما برز أمير المؤمنين أُتي بدابة فركبها وقصد قصدهم ، فجاء معن بن زائدة الشيباني حتى دنا منه ثم ترجّل وأخذ

أسافل ثيابه فجعلها في منطقته ، وأخذ بلجام دابة أمير المؤمنين ، وقال : أنشدك الله إلاّ رجعت فإنّك تُكفى إن شاء الله ، ونودي في أهل السوق والعامة فرموهم بالحجارة وقاتلوهم وفتح باب المدينة فدخل الناس ، وجاء خازم على فرس محذوف فحمل عليهم فكشفهم ، وقاتل معن يومئذ قتالاً لم يُرَ مثله ، فكان المنصور يقول : كنتُ اسمع انّ رجلاً يقاتل ألفاً فلم أصدق حتى رأيت معناً ، فقتلوا عن آخرهم وهم ستمائة . ورُمي عثمان بن نهيك بنشابة مرض منها فمات ، فصار أبو العباس الطوسي على الحرس مكانه .

وكان أمرُ الراوندية بالمدينة الهاشمية بالكوفة في سنة تسع وثلاثين ومائة أو في أول سنة أربعين ، وجاء الربيع فأخذ بلجام دابة المنصور فقال له معن : تنحّ يا بني فليس هذا من أيامك ، ولما صار المنصور إلى القصر دعا بالعشاء وأمسك يده حتى أتي بمعن ، وأمر بعض أهل بيته فتزحزح له حتى جلس مكانه ، فلما فرغوا من العشاء قال المنصور لعيسى بن علي : يا أبا العباس أسمعتَ بأسَد الرجال ، هو والله معن بن زائدة ، فقال معن : والله ما قوّي مُنّتي إلاّ ما رأيتُ من شجاعتك ولقد وردتُ وَجِلَ القلب حتى أبصرتك ، فقال : أخبرهم عني بما رأيت .

وحدثني أبو الحسن المدائني قال : قال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة : يا أبا الوليد لقد كبُرتْ سنّك ، قال : في طاعتك ، قال : وإنّ فيك لبقية ، قال : هي لك ، قال : وإنك لتتجلّدُ ، قال : على أعدائك . قال : وقال له : أني لأعدّك لأمر جسيم ، فقال : يا أمير المؤمنين إنّ الله قد أعدّ لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطةً بطاعتك ، وسيفاً مشحوذاً على أعدائك ، قال : ويقال إن هذا قول جرير بن يزيد بن خالد .

وحدثني العمري ، حدثني الهيثم ، قال : كان معن مع ابن هبيرة فاستأمن هو وطارق بن قدامة ، فلما قتل ابن هبيرة كان معن بالكوفة قد وجّه ببشارة فتح واسط وصلح ابن هبيرة ، فأقام في أهله فنجا وقتل طارق ، ثم ظهر من مناصحة معن ما قدّم به على جميع القواد ، فولاه المنصور مصر ، وكان كاتبه محمد بن عبد الله بن المقفع ، وكان جواداً حلواً ظريفاً أتاه رجلٌ بكتاب مزور لم يجفّ طينه ، فقرأه ثم كلم فيه معناً فولاه ولاية سنيّة أفاد فيها مالاً ، فلما انصرف أتى محمداً فقال له : أني أريد العراق ، فأمر له بألف دينار ، وقال له : إن كان من رأيك العودة إلينا فافعل ، وإن كتب لك صديقنا إلينا كتاباً فانتظر أن يجف طينهُ ، ثم قال له : إن حسن ظنك والله بنا أعظم الوسائل لك عندنا ، ومات محمد بمصر . وولي معن اليمن فاعطى عطايا لم يعط مثلها أحد ، وقدم عليه أعرابي من بكر بن وائل فأنشده :

أصلحكَ الله قلَّ ما بِيدي فما أطيق العيال إذ كثروا
ألَحَّ دهرٌ انحى بكلكلهِ فأرسلوني اليك وانتظروا

فقال : لا جَرمَ ، لأعجّلنّ أوبتك إليهم ، يا غلام أعطه ألف دينار وناقتي الفلانية ، ومدحه رجل فقال :

أنت امرؤٌ همّك المعالي وفيضُ معروفك الربيعُ
وأنت من وائل صميمٌ كالقلبِ تحنو له الضلوعُ
في كل يوم تزيد خيرا يُشيعُهُ عنك ما يشيعُ

فقال : لأصلنّك صلة شائعة الذكر ، وأمر له بمائة ألف درهم .

وحدثني العمري عن غيرِ الهيثم ، قال : كان معن يقول : لم أرَ كالشعر ، لا يواتيني جيّدهُ ولا يدعني رديّهُ .

قال : ونظر معن الى الخطاب بن يزيد يخطر في دار المنصور ، وكان قد وُجّه إلى بعض الشُّراة فهرب منهزماً ، فقال :

هلاَّ مشيتَ كذا غداةَ لقيتَهم وصبرتَ عند الموت يا خطابُ
نجّاك خوّار العنان كأنه فوت الرماح إذا استحث عُقاب

وحدثني الحرمازي عن أبي اليقظان ، قال : ولد لمعنٍ : زرارةُ ـ وكان خليفته على اليمن ـ والوليد وشراحيل وجسّاس ويزيد ـ ويكنى أبا داود ـ ومزيد ، وغيرهم فقال معن :

لا تسألنّ أبا داود شبعته عوّل على مزيدٍ في الخبز واللبن
وفي النبيذ اذا ما جزرة نحرت فإنه بقرى الأضياف مرتهن

وحدثني محمد بن حفص الكاتب عن خالد بن يزيد ، أن معن بن زائدة قال : يحتاج الخطيب إلى تخليص المعاني وتلخيصها مع قلة حصر وجرأة على البشر ، وقال : الصمتُ عن الكلام في موضعه عيٌّ يضع الشريف ويُهجّنُه .

قال : وكان معن في دار المنصور فسقط حائط أو حدث أمرٌ تقوّض الناس له ، وكان يحدّث ورجل يستمع حديثه لم يقم عنه مع من قام ، فلما انصرف إلى منزله وكّل بالرجل من أتاه به فأمر له بكسوة وألف دينار ، وقال له : هذا لحسن استماعك حديثي وإيناسك إياي .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي ، قال : بعث معن إلى ابن عباس : بعني دينك بألف دينار ، فبعث إليه : قد بعتك إياه إلا شهادة أن لا إله إلا الله ، ولو كانت من شأنك لساَمحتك فيها . وولي معن سجستان للمنصور ، فاندسّ له قوم من الخوارج مع قوم من الصنّاع كانوا يعملون في

داره ففتكوا به وهو يحتجم ، فقتلهم يزيد بن مزيد فلم يفلت منهم أحدٌ ، فرثاه الشعراء ، وفيه يقول حسين بن مطير الأسدي في قصيدة له :

ألا بكَّ معنا ثم قُل لدياره سقتكِ الغوادي مربعاً ثم مربعا
فيا قبرَ معنٍ كنتَ أول بقعة من الأرض خُطّت للمكارم مضجعاً
ويا قبر معنٍ حلّك الجودُ كله وما ضمّ قبرٌ قبلكَ الجودَ اجمعا
ولما مضى معن مضى الجودُ كله وأصبح عرنين المكارم اجدعا
فتىً عِيشَ في معروفه بعد موتِهِ كما عاد بعد السيل مجراهُ مرتعا
وقد كان معنٌ في المواقفِ غُرّةً لآل نزار سامِيَ الطرفِ أروعا

ومدح شاعرٌ الوليدَ بن معن ، فقال :

تعزَّ أبا العباس بالصبر لا يكن نصيبك من معنِ الندى ان تصعضعا
فما مات من كنتَ ابنَه لا ولا الذي له مثلُ ما أسدى أبوك وما سعى
وما كان مسبوقاً بوتر ولم يدع إلى الغرض الأقصى من المجد منزعا

وحدّثني العمري قال : كان بعض الأعراب يأتي معناً فيعطيه ، ويغيب عنه فيبعث إليه بصلته ، فأبطأت عليه صلته مرةً فقدم من البادية فألفاه قد جاء نعيه ، وأتى ولده فلم يجد عندهم ما أحب فوقف على مجلسٍ هم فيه مجتمعون فقال : لله درك يا معن ، رحمك الله أبا الوليد ، إن كنتَ لمنتهى فخر عشيرتك وبدْع الكرام في أهل دهرك ، فلو كنتَ إذ مُتَّ أبقيتَ لنا خلفاً منك سليّتنا عنك ببعضك فكيف العزاء وقد ذهب كلّك ، إنّا لله وإنا إليه راجعون ، وانشأ يقول :

يا معنُ كنت بداءة الكرم وغنى المُقلِّ وطاردَ العدم
فسطا عليك الدهرُ مقتدراً بصوائب من صرفه غُشُم

وأراك لم تـترك لنا خلفـاً يأوي إلى فضل ولا كـرم
فعليك يا معن السلام فما أبقيت معتصَمـاً لمعـتصـم

وأنشدني الفضل بن زياد من ولده لبعضهم :

كانت سحائب معن الخير تمطرنا فقد تولى فلا معنٌ ولا مطرُ
مَن للجفانِ إذا عزّ القِرى رذما وللطعان إذا ما استشعر الحصَرُ

وبلغني أن رجلاً مدح مَعْناً فقال :

أتيتُكَ اذ لم يبقَ غيرك جابر ولا واهبٌ يعطي اللّهى والرغائبا

فقال معنٌ : يا أخا بني أسد ليس هذا بمديح انما المديح قول أخي بني تميم لمسمع بن مالك حين قال :

قَلَّدَتْـه عـرى الأمـور نـزار قبل ان يَهلِك السُّراةُ البحورُ

باب في تلطيف الحرارة

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب قال : أصاب عيسى بن علي في بعض الليالي حر شديد فبُلّ له إزار فنام فيه ، فلما أصبح قال له المنصور : يا عم كيف كنت في ليلتك من هذا الحر ؟ فقال : بللت إزاراً ونمت فيه فكنتُ بخيرٍ ونمتُ أطيب نوم ، فقال : وأنا والله أمرت فبُلّ لي ثوبٌ فنمتُ فيه ثم لم أزل أرَوِّح . ثم ان المنصور فكّر فأمر فأتي بكرابيس غلاظٍ ثخانٍ فبُلّت وجعلت على ثلاثة أعواد مثل السبائك ونام تحتها ، ثم أخبر عيسى بن علي بما صنع واتخذ عيسى مثل ذلك ، ثم قال عيسى : يا أمير المؤمنين لو اتخذت قبة ثم غشيت بمثل هذه الكرابيس المبلولة وجعلت طاقات كان ذلك أنفى للحر وأوسع في المبيت والمقيل ، فقال المنصور : أو غير ذلك يا عم ؟ يعمد إلى هذا الخيش الذي يأتي فيه القند والأمتعة من مصر فيغسل وينظّف ثم يبلّ وتغشى به القبة مخيطاً عليها فإنه أحبس لرطوبة الماء وأبطأ جفوفاً ، فأمر المنصور بذلك وتتبع الخيش فاشتري من التجار ، وأمر فكتب إلى مصر في اتخاذ شقاق الخيش ، ووجّه في ذلك رسولاً حمله فاستعمله ثم استعمله

الناس . وكانت للمهدي في أيام أبيه قبة تنقل من مقيله إلى مبيته ومن مبيته إلى مقيله ، وكان أول من اتخذ له الخيش الأبيض المهدي في خلافته . قال : وكانت الخيرزان أول من اتخذ السرايح[1] .

وحدثني عبد الله بن مالك قال : كان أول من اتخذ الشمع الغلاظ التي فيها الأمْناء الوليد بن يزيد ، ثم صالح بن علي بمصر ، وإنما كانت لبني أميّة ومَنْ قبلَهم من الملوك بالشام سوى الوليد شمعٌ في الشمعة منها الرطلان والثلاثة الأرطال وكانت لها أتوار صغار في التور منها شوكة ترزّ[2] الشمعة فيها ، أو مسرجة عليها شوكة .

وحدثني المدائني عن أبي اليقظان عن جويرية ، قال : كتب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة : إن من قبلي من الأمراء كان يجري عليهم رزق للشمع ، فكتب إليه : إنك طال ما مشيت في طرق المدينة بلا شمع يُمشىٰ به بين يديك ، فأعرض عن هذا ولا تعاودني فيه .

وحدثني أبو اليسع الأنطاكي عن أبيه قال : كانت ملوك بني أمية تستصبح بالزيت في القناديل ، ويُمشى بين أيديها بالشمع الطوال التي طول الواحدة منها ثلاثة أشبار ، وكان مَن دونهم يستعملون من الشمع الفتايل المثنيّ بعضها على بعض ، فلما كان يزيد بن عبد الملك اتخذ له من الشمع

١ ـ السريحة : القطعة من الثوب جمعها سرائح ، القاموس .
٢ ـ التور : الإناء . ورزّ : غرز . القاموس .

الطوال ما فيه ستة أرطال أو أكثر من ذلك ، ثم أسرف الوليد في استعمال الشمع في مجالسه .

وحدثني عبد الله بن مالك قال : ما كان المنصور يستصبح إلا بالزيت في القناديل ، وربما خرج إلى المسجد ومعه من يحمل سراجاً بين يديه ، ثم إنه حمل بين يديه من الشمع ما فيه الرطل والمَنَا وكان اذا اراد قراءة الكتب أو كتابها أحضر شمعة في تور ثم يرفع اذا فرغ .

حدثني أبو هشام الرفاعي ، عن عمه ، عن عبد الله بن عياش ، قال : قال المنصور لابي أيوب كاتبه في أمر قطيعة اراد ان يقطعها بعض ولده : التمسوا حدودها في ديوان الأحول فانه كان ضابطاً لامره ، يعني هشاماً .

أمر أبي أيوب المورياني كاتب أمير المؤمنين المنصور

المدائني قال : كان أبو أيوب سليمان بن أبي سليمان المورياني ، مولى بني سليم فيما يقال ، في مجلس من مجالس ديوان يوسف بن عمر ، فلما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة العراق والياً عليها استعمل الفضل بن زهير الضبي على مناذر ، فقال له أبو أيوب : أنا خليفتك بباب ابن هبيرة في حوائجك فلا تهتم بها واستوص بخالد أخي خيراً واحفظه وأرفقه ، فوليها سنة . ثم وجَّهَ ابن هبيرة رجلاً من أهل الشام إلى مناذر عاملاً عليها ، فزور أبو أيوب إليه كتاباً في ترك مناظرة الفضل بن زهير فيما جرى على يده والتخليه بينه وبين الانصراف ، فاطلع ابن هبيرة على ذلك من فعل أبي أيوب فأمر بطلبه فهرب إلى سوق الأهواز ، فاستخفى بها حتى قدم المسوّدة العراق فأتى أبو أيوب واسطاً والحسن بن قحطبة محاصر لابن هبيرة والمنصور بعدُ بخراسان حين وجَّهه أبو العباس إليها أول ما استخلف لتهنئة أبي مسلم وأخذ البيعة عليه ، فلما قدم المنصور ووجَّهه أبو العباس إلى واسط أتى أبو أيوب إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ، وكان كريماً على المنصور ، فسأله أن يضمه إلى أبي

جعفر ليجعله كاتبه ، فكلّمه فيه وأعلمه نفاذه ، وأنه كان يقوم بديوان يوسف بن عمر ، فلما رآه أعجب به فاستكتبه فغلب على الأمر في خلافته ، فكان أول من أفسد حال أبي أيوب عند المنصور حمزة بن زُنَيم ، وذلك أنه ولي الأهواز فعذب رجلاً من أهلها في الخراج وكان كاتب البلد حتى قتله ، فكلم المنصورَ أبو أيوب في أمره حتى عزله ، فلما قدم ودخل على المنصور وكان خبيث اللسان قال : يا أمير المؤمنين إن لك بالأهواز شريكاً في ملكك ، قال : ومن هو ويلك ؟ قال : خالد أخو أبي أيوب له بيت مال ، ولك بيت مال فما يحمل إليك درهم إلا حمل إلى خالد مثله ، فقال أبو أيوب : إن هذا قد اختلط ، ومن اختلاطه قتله كاتب البلد ، فقال : ما اختلطتُ ولكني صدقتُ فادفع إليّ خالدا حتى ادفع إليك خمسين الف الف درهم ، فقال المنصور : قُمْ ، وقد وقر قولُه في قلبه . ومكث المنصور حيناً ثم قال لأبي أيوب : اكتب إلى أخيك خالد أن يحمل إلينا مالاً من بيت ماله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ان ذاك بيت مال مشهور صيّره خالد للمهدي من ضياع استخرجها وابتاعها ومن أشياء كان العمال يرتفقون بها فرأى أن المهدي أحق بها ، قال : فكم اجتمع فيه ؟ قال : عشرون ألف ألف درهم ، قال : فاكتب إليْه أن يحملها ، فحُملت ، وكفّ عن خالد أخي أبي أيوب . قال : وحَسَد مخلد بن خالد أبان بن صدقة ، وكان أبان على أمر أبي أيوب كله وعلى الرسائل من قبله ، فرفع عليه مائة ألف دينار ، فأمر المنصور بأخذها من أبان ، فأدخل بيتاً وطينّ عليه بابه . ثم ندم مخلد بن خالد على رفيعته ولا مَه عمّه أبو أيوب ، فقال مخلد : أنا أؤدي عنه عشرة آلاف دينار ، وقال أبو أيوب : وأنا أحمل عنه خمسين ألف دينار ، فتوزعها آل أبي أيوب فيما بينهم

وأدوها وأخرجوا أبان بن صدقة من محبسه . فعاد أبان إلى أبي أيوب وفي نفسه ما فيها ، فكان يأتي أبا أيوب نهاره ثم ينصرف إلى منزله ، فإذا كان الليل صار إلى الربيع الحاجب فأطلعه على أخبار أبي أيوب وأسراره وكتبها له فيعرضها الربيع على المنصور ، فيأمره المنصور أن يمنّيه ويَعِدَهُ ، ففطن أبو أيوب أمر أبان فوبخه وقال : ويلك يرفع عليك مخلد فتقصد لقتلي ، وأنت تعلم أني داويت الجرح الذي جرحَكه مخلد بمالي حتى أصلحت شأنك ، اذهب عني ، قال : نعم والله يا أبا أيوب ثم لا أعود أبداً ، وخرج حتى أتى الربيع وكاشف أبا أيوب . ومرض أبو أيوب فاستمكنوا منه ، فأرسل المنصور ابنه صالحاً المعروف بالمسكين إلى أبي أيوب يعوده التماساً لأن يصله ، فأرسل أبو أيوب إلى خالد أخيه : ابعث إليّ بمائة ألف درهم لصالح ، فلم يفعل ، فانصرف صالح وقد أبطأ على المنصور فسأل عن سبب إبطائه فأخبر به ، فبعث إلى خالد فأتي به فأمر بخنقه فخنق حتى بال ، ثم أمر به فحبس ، وطلب كل من عنده مال لأبي أيوب وأهل بيته ، ومن كان منه بسبب ، فتتبع التجار وغيرهم وحُبس أبو أيوب في دار ، ثم حُمل إلى السجن وهو مريض فمات فيه .

ويقال إن أخا السجّان كان مع خالداً أخي أبي أيوب بالأهواز فضربه ضرباً مرض منه ومات ، فوضع السجّان على وجه أبي أيوب مرفقة غمّه بها حتى مات ، فلما مات أبو أيوب أخرج أخوه خالد من محبسه وهو مقيد على حمار حتى صلى عليه ودفن ، ثم رُدَّ إلى الحبس واستودي آل أبي أيوب وعذّبوا ، وخرج المنصور إلى الشام وقد استخلف المهدي بمدينة السلام فأمره باستيداء آل أبي أيوب من كان له ولهم عنده مال وديعة ، فسألوه أن يكفلهم

ويخرجوا فيضطربوا في المال فأجابهم المهدي إلى ذلك ، وتوجه منارة مولى أمير المؤمنين إلى المنصور ، فقال له أبو عبيدالله كاتب المهدي : احطِب عليهم وقل لأمير المؤمنين إن مخلداً وغيره منهم يقولون إنك لا تعود إلى العراق ولا تُرى فيه أبداً ، فلما وصل منارة إلى المنصور سأله عنهم فأخبره بما فارق أبا عبيدالله على أن يقول للمنصور ، فقال له : أما الرجوع فإني أرجو أن يكون سريعاً إن شاء الله ، وأما وجهي فلن يروه أبداً . وكتب إلى المهدي بخطه يعنّفه على الترفيه عن آل أبي أيوب ، ويأمره أن يجمعهم فيقطع أيديهم وأرجلهم ويقتلهم ، وختم الكتاب بخاتمه الذي كان في يده وكان نقشُه : «الله ثقة عبدالله وبه يؤمن» ، فقتلوا وقطعت أيديهم وأرجلهم ، ووضع رأس كل امرىء منهم إلى جثته ويداه ورجلاه على صدره على باب المدينة ، ثم حملوا فدفنوا وقد أخذت أموالهم وضياعهم ، وحيز عن أبي أيوب وحده ثمانية آلاف وقيل ثمانية عشر ألف جريب بالبصرة ، وأخذت منهم أموال عظام بلغت مائة ألف ألف درهم .

حدّثنا المدائني قال : دعا المنصور ذات يوم بأبي أيوب فامتقع لونه ، فلما صار إليه ثم عاد إلى مجلسه قال له رجل كان يأنس به : إني رأيت بك منظراً غمّني ، فقال له أبو أيوب : سأضرب لك مثلاً ؛ بلغني أنّ بازياً عاتب ديكاً ، فقال له : أنا طائرٌ وَحشيّ أوخذ من وكري فآنسُ بأصحابي حتى أصيد لهم وأحبس صيدي عليهم ، وأنت تؤخذ بيضة فتحضن وتربّى على الأيدي وإذا رأيت انساناً نفرتَ ، فقال : أما والله لو رأيتَ من البزاة في سفافيدهم[1] مثل ما رأيتُ من الديوك في التنانير لكنت أشد وحشةً وروعة

١ ـ سفد الذكر على الانثى : نـزا ، والسفود : حديدة يشوى بها . القاموس .

منّي ، فهذه قصّتي ، ما صرتُ إليه قط فظننت أني أرجع إلى مجلسي ، ومن كان من رجال السلطان ولم يكن هكذا فهو جاهل مغتر .

وكان ابن المقفع كتب إلى أبي أيوب رسالة منه وعظه فيها ، فقال في فصل منها : أذمّ إليك السلطان فإن إقبالَه تعبٌ ، واعراضه مذلّة ، فكان يقول حين حُبس : لله درّك يا بن المقفع .

وحدثني الحرمازي ، عن أبي عمرو الجاباني ، قال : ولّى المنصور عقبة بن سلم الأزدي البحرين وعمان ، فقتل سليمان بن حكيم العبدي وكان مخالفاً ، وأسر من أهل البحرين بشراً كثيراً ، وحملهم إلى المنصور ، فقطع عدة منهم ووهب باقيهم للمهدي فمنَّ عليهم وكسى كل انسان منهم ثوبين هرويّين ، وأعطاه دينارين . وكان أسد بن المرزبان صاحب المربّعة بقرب الجسر مع عقبة فكان كثير الخلاف عليه ، وبلغه عنه أنه على الخلع ، فكتب عقبة إلى المنصور بخبره فأمر بقتله ، فولي ذلك منه أبو سويد صاحب المقبرة ببغداد عند باب الشام ، ولما صار عقبة إلى مدينة السّلام قدم جماعة من الخوارج تريد الفتك به لقتله من قتل منهم ، فكمن له بعضهم في الجسر ، فلما مرّ به خرج عليه فوجأ بخنجر له رأسان فقتله وقتل ، ويقال بل ألقى نفسه في الماء فغرق ، فقال الناس : هو أجرأ من قاتل عقبة بن سلم . وكان عقبة يكنى أبا الملد ، وهو الذي مدحه بشار بأرجوزته الدالية[1] .

١ ـ ديوان بشار ص ٣٠٠ ـ ٣٠٧ .

أمر سنفاذ

قال المدائني وغيره : قُتل أبو مسلم وسنفاذ بحلوان فحمل أموالاً كانت معه ومضى يريد خراسان ، فلما كان بالري منعه عاملها من النفوذ ، وكان قد أُمر أن لا يدع أحداً من أصحاب أبي مسلم يجوزه ، وكان معاذ بن مسلم على بريد الري فقال سنفاذ : عَلامَ أُحبس ولست بذي ديوان وإنّما صحبتُ أبا مسلم على المودّة فلما قتل انصرفت أريدُ أهلي ! ثم إنه خرج كالمتنزه وهرب بالليل فبلغ ذلك عامل الري فاتبعه حتى لحقه فاقتتلا قتالاً شديداً وهزم سنفاذُ العاملَ إلى الري ودخلها فحصره في بعض القصر ، وكان يكنى أبا عبدة ، وكان جباناً ، فطلب منه الأمان فأمنه فلما صار في يده قتله سنفاذ ، وغلب على الري وعاد إلى المجوسية فلم يأته مجوسيّ يدّعي على مسلم شيئاً إلا قضى له به ، وأخذ صبياً فذبحه وشواه وأطعم أباه لحمه ، وكان يقتل العرب بالخشب .

وكتب إلى ملك الديلم أنه قد انقضى ملك العرب ، فخفّ إليه في ديالمته ، واجتمع المسلمون فقاتلوهم فقتل من المسلمين بشر كثير ، وقاتله

والي دستُبى وقد جمع له جمعاً فهزمه سنفاذ ، وأقبل صاحب قومس يريده ، فوجه إليه سنفاذ خيْلاً فهزمها ، ثم لقيه سنفاذ فهزمه إلى قومس ، فوجّه المنصور جهور بن مرار العجلي لمحاربة سنفاذ ، فلما صار إليه حضّ أصحابه على الصبر فقال : إنكم تريدون قتال قوم يريدون محق دينكم وإخراجكم من دنياكم ، فلما التقوا وعدوّهم اقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم الله سنفاذ ومن معه ونادى جهور بالنهي عن التعرض للغنيمة قبل الاثخان ، فقتل من أصحاب سنفاذ زهاء ثلاثين ألفاً وحوى المسلمون عسكرهم . وهرب سنفاذ إلى الأصبهبذ بطبرستان ومعه أخوه في عدّة يسيرة ، فقتلهما صاحب طبرستان وتقرب برأسيهما إلى جهور وصلب جثتيهما .

وكان عمر بن العلاء جزاراً بالري فجمع جمعاً حين قدم جهور وقاتل معه سنفاذ ، فقال له جهور : من أنت ؟ قال : رجلٌ خرجتُ متطوّعاً ، فأبلى وعظم غناؤه ، فأوفده جهور إلى المنصور وكتب يحمده ويثني عليه فقوّده المنصور وعظم شأنه عنده ثم ولي طبرستان فاستشهد بها ، وكان بعده موسى ابنه ومحمد بن موسى مع السلطان .

قالوا : وكان جهور شجاعاً سخياً فقسم ما صار إليه من مال سنفاذ على الجند ، فكتب المنصور إليه يخوّنه وعزله عن الري ، وولاها مجاشع بن يزيد الضبعي وكان على شرطة عيسى بن موسى بالكوفة ، فلما قدم الري أبى جهور أن يسلم إليه العمل فكلمه فأمر به فضربت عنقه وبعث إلى المنصور برأسه وأظهر الخلع ، فوجّه المنصور اليه هزارمرد ، ثم محمد بن الأشعث في قواد منهم شبيب بن واج فاجتمعوا بأصبهان ، فوجّه إليهم جهور ، زبارة البخاري فلقوه فكسروا عسكره وفضوه ورجع إلى الري جريحاً ، وسار جهور

يريد أصبهان فلقيه محمد بن الأشعث وهزارمرد فقاتلاه أشدّ قتال ، فهزم جهور وهرب وأخوه وأرادا اللحاق بملبد الخارجي فلم يبعدا حتى بلغهما خبر مقتله ، فمضى جهور يريد أذربيجان وعليها يزيد بن حاتم ليأخذ له ولأخيه أماناً ، فلما صار ببعض الطريق وثب بعضُ من كان معه من أصحابه به وبأخيه فقتلوهما ، وأتوا يزيد برؤوسهما ، فقال لهم يزيد : ويحكم وثق بكم الرجل وأمِنكم فغدرتم به وقتلتموه ؟ وأمر بهم فقتلوا وبعث برؤوسهم ورأس جهور ورأس أخيه الى المنصور فنصبت بالحيرة ، ووضعت على زبارة العيون والأرصاد حتى أخذ وحمل إلى المنصور ، فأمر بقتله فقتل بالكوفة وصلب .

أمر مُلبّد بن حرملة بن معدان بن سيطان بن قيس بن حارثة ، أحد بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان

المدائني عن سلمة بن سليمان وغيره .

وحدّثني أبو الكردي عن أشياخهم ، قالوا : لما أقبل أبو مسلم مراغماً بعد هرب عبدالله بن علي إلى الرصافة ثم منها إلى البصرة ، بعث المنصور إلى الجزيرة أبا الأزهر المهلب بن العبيثر المهري وصالح بن صبيح مولى كندة وغيرهما إلى الكور بالجزيرة ليتبع أهل الفتنة والفساد من الأعراب والشراة وغيرهم وتسكين الناس ، فنزل رجل من قواد أهل خراسان منزل ملبد بن حرملة بالجزيرة وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائة ، فرأى ابنته ويقال ابنة أخيه فقال له : يا ملبد مُر هذه الجارية أن تغسل رأسي ، فقال ملبد : بل تغسل هذه الأمة رأسك ، فقال : إنكم تأتون خراسان فلا ترضون أن يغسل رؤوسكم إلاّ نساؤنا ، فأمر ملبد تلك الجارية أن تغسل رأسه ، وكان ذا شعرة فأومأ إليها أن ارفعي شعرته عن قفاه ، ففعلت ، وخرج إليه ملبد بسيفٍ قاطعٍ فأندر به رأسه ، ثم حكّم وتتبع بيوت داره وفيها عدة من الجند فقتلهم هو وابن عم له ، وسمع الخوارج بخبره فأتاه عشرون منهم

فبايعوه فأتى مسلحة فيها بكار المروزي فقتله وأخذ سلاحاً ودواب ، ثم صار في مائتين فأتى الموصل فطرد عاملها عبد الحميد بن ربعي ، ولقيه المهلب أبو الأزهر بقرب تكريت بعد حمله عبد الحميد وانصرافه فهزم أبا الأزهر ، وبعث إليه زياد بن مشكان فلقيه بباجَرمى فهزم زياداً وقتل تسعين من أصحابه وزياد في خمسة آلاف ، فكتب إليه المنصور : «العجب كل العجب لمن يخاف ما لم يقض عليه أو يفرّ مما هو مُصيبهُ وإني رأيتك هبتَ قتال عدوك وأنت في أضعاف رجاله وظننت أن فرارك يؤخر يومك ويزيد في عمرك ، أفما علمتَ أنّ للعباد آجالاً لا يستقدمون عنها ولا يستأخرون ! فيا سبحان الله ما أعجزك وأضعف رأيك ورويتك ، أطَمِعتَ في البقاء بعد نفاد عمرك أم تخوفت القتل قبل فناء مدتك حتى آثرت العار واخترت الفرار ورضيت بالشين في ضعف اليقين» ؟ ويقال إنه وجّه الرّيان مولاه فانهزم ، فكتب إليه بهذا الكتاب . وكتب المنصور إلى صالح بن صبيح يأمره بالمسير إلى ملبد فسار إليه ، وكان على مقدمته ابرازخذاه في ألفين واتبعه صالح في أربعة آلاف ، فواقع ملبد ابرازخذاه فقتله بين نصيبين ورأس العين وانهزم أصحابه ، وهجم ملبد على عسكر صالح فحوى ما فيه .

وولى المنصور اسماعيل بن علي عمه الموصل ، فوجه اسماعيل إلى ملبد قائداً في رابطة الموصل فقتله وهزم أصحابه . ثم ولى المنصور يزيد بن حاتم أذربيجان فعرض له ملبد في طريقه فقاتله فقتل من أصحاب يزيد ثمانمائة ونجا يزيد في قميصه راجلاً حتى أتاه بعض من معه بدابة فركبها ، وبعث إليه المنصور بمال فسار يزيد حتى أتى أردبيل . وأتى ملبد أذربيجان فبعث إليه المنصور روح بن حاتم في ثلاثة آلاف ، والشمر بن عبيد الخزاعى في ألفين ،

وسماك بن الشحاج الأزدي في خمسمائة ، ووجّه مهلهل بن صفوان ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن الأزدي في عشرة آلاف ، فلقيهم ملبد فقتل منهم ألفاً ومات ناس كثير عطشاً وانهزموا ، وأصاب ملبد متاعاً كثيراً ، فكانوا يبيعون الخرجة مقفلة لا يدرون ما فيها . فلما رأى المنصور ذلك جدّ في أمر ملبد فعقد لخازم بن خزيمة ووجّهه في ستة آلاف منتخبين ، فسار خازم حتى نزل الموصل ، وبلغ ملبداً خبره فتوجه نحوه وعبر دجلة يريد الموصل ، وعلى طلائع خازم ومقدمته نضلة بن نعيم النهشلي ، فلقيهم ملبد فهزمه أصحاب خازم واتبعوهم ، ثم عطف عليهم ملبد فكشفهم فألقوا الحسك ، وأمر خازم أصحابه بالنزول فنزلوا فلما رآهم الخوارج نزلوا أيضاً ، فلما اشتغلوا عن القتال أمر خازم أصحابه بالركوب فلم يشعر الخوارج إلا بالرماح في أكتافهم فقتلوا جميعاً فلم ينج منهم أحدٌ ، وكان بين عسكر خازم وعسكر الخوارج مقدار ألفي ذراع . قال الشاعر :

لم يغنِ عن ملبّد تلبيدهُ إذ خازم في بأسه يكيده

أمر ظبي بن المسيّب بن فُضالة العَبْدي

قالوا : خرج ظبي بن المسيّب في ثلاثة وعشرين رجلاً وثلاث نسوة ، ابنتين له وجارية سوداء ، وعبد أسود فأتوا موقوع[1] ونزلوا الجلحاء ، فوجه إليهم سفيان بن معاوية اسماعيل بن مسلم فوعظهم فبينا هو كذلك إذ طلعت عليهم الخيل مع عيسى بن عمرو بن أبي الجمل ، ومعهم ناس من الزط ، وعليهم العاقب الأزدي ، فاقتتلوا فقتلوا جميعاً ، وبعث برؤوسهم إلى سفيان

١ ـ موقوع : ماء بناحية البصرة . معجم البلدان .

فبعث بها إلى أمير المؤمنين المنصور في سفينة فغرقت السّفينة بالبطيحة .

خبر عطية بن بعثر التغلبي

خرج عطية بالموصل في مائة ، ومعهم ابن الوليد بن طريف ، فأخذ على راذان وأتى ابراز الروز والنهروان وأتى مهرجانقذق ، وصار إلى الكلبية ليعترض مالاً قد اجتمع بالسوس يريدون حمله ، وبلغ ذلك أهل الأهواز فبعث محمد بن الحصين ابن أخيه ثابت بن كثير بن حصين بالمال فحمله ثابت فلم يقدروا عليه ، وأقبل الخوارج وهم مائة فنزلوا بالسوس فلم يؤذوا أحداً حتى وقع بين رجل من أهل السوس وبين رجل من الخوارج كلام فاستعرض عطيةُ أهل السوس ، وكان منارة مولى أمير المؤمنين بناحية الأهواز فقاتله عطية فقتل من أصحابه أكثر من مائتين وانهزم منارة . وتوجه عطّية إلى الموصل في طريقه التي ابدأ فيها ، فوجه إليْه المنصور أبا حَمْيْد المروروذي فوافقه بكلبانية مهرجانقذق نائماً وأصحابه في غفلة ، فأمر أبو حميد أصحابه فرموهم بالنشاب فقتل عطّية وأصحابهُ ، فلم يبق منهم أحدٌ .

خبر حسان بن غسان الهمداني :

خرج حسان في خلافة المنصور فلقي قوماً يريدون مكة فقتلهم ، فسرّح إليه المنصور جميل بن عبد الله الضبي ، وهو ابن عم المسيب ، في سبعة آلاف فلم يزل حسان يتنّقل حتى صار إلى أذربيجان وصار جميل إلى أذربيجان ، فرأى الخوارج تتبعهم ، وكان الحرشي معه ، فكتب إلى أبي جعفر بذلك ، فكتب أبو جعفر المنصور إليه : «قد بلغني يا بن اللخناء أنك

رأيت حساناً فتركته ولم تناجزه» ، وأمره بقتاله اذا لقيه . ونزل الخوارج قصر الجراح فبيت جميل حسان وهو حذر فخرج عليهم وأصحابهُ فهزموهم ، ثم أتى حسان الحنّاية[1] فلقيه سعيد الحرشي في شعب حِبْتُون[2] فعطف عليه حسان فقتله وأصحابه ومضى إلى نصيبين ، فوجه إليه المنصور أبا قرّة صاحب المربّعة ببغداد في أربعة آلاف من أصحاب حميد بن قحطبة فكانت بينهم وقعة . ثم مضى حسان يريد الزابي ، فلحقه أهل خراسان ممن وجه إليه وقد عبر أصحابه وبقي في ستين ، فقتلوه ومن معه ومضى الآخرون فتتبع بعضهم فقتلوا .

خبر عيسى مولى بني شيبان

خرج على المنصور عيسى مولى بني شيبان في خمسين ، فوجّه إليه زياد بن مشكان مولى بني مازن فقتله وأصحابه .

خبر الضحضح الشيباني

حدثني أبو الكردي الإباضي قال : نزل رجلٌ من الجند في أيام المنصور على آل الضحضح ، فأعطوه وأحسنوا قراه ، فمدّ يده إلى امرأة منهم فولوت ونادت قومها ، فشدّ عليه الضحضح فقتله ، ودعا واعتقد فاتبعه خلق يقال إنهم ألف وذلك بسنجار ، فقتل بسنجار من الجزيرة، قتله داود بن اسماعيل الزندي ، وقائد آخر . وقال غير أبي الكردي : هو عامر بن الضحضح .

---

١ ـ في معجم البلدان «الحنانة» هي ناحية من غربي الموصل .

٢ ـ حبتون جبل بنواحي الموصل . معجم البلدان .

أمر بيعة المهدي

حدثني مشايخ لنا ، والمدائني ، قالوا : استخلف أبو العباس المنصور وعيسى بن موسى بعد المنصور ، لأنه كان غائباً بمكة ، فلم يأمن عليه الحدثان في سفره فيضطرب الناس وينتشر أمرهم ، فلما قام المنصور جعل يُرشّح ابنه محمّداً المهدي للخلافة لما رأى فيه من أمارات الخير ، وقدم أبو نخيلة على المنصور فقال له أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله كاتب المهدي : قُلْ شعراً تدعو فيه أمير المؤمنين إلى البيعة للمهدي ، فقال :

قل للأمين الواحد الموحّد إنّ الذي ولّاك ربُّ المسجدِ
ليس وليُّ عهدها بالأرشد عيسى فزحلفها إلى محمّد[1]

فلما أنشد أبو نخيلة أرجوزته هذه وهي طويلة رَوّاها الخدم والبطانة وأبلغوها المنصور ، فدَعا به وعنده أهلُ بيته وقواده والناس وعيسى بن موسى عن يمينه فاستنشده فأنشده إياها ، وخرج فلحقه عقال بن شبّة فقال له : يا أبا نخيلة ، أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين ، فلئن تمّ الأمر لتصيبنّ خيراً

١ ـ الأغاني ج ٢ ص ٤١٧ مع فوارق . الصولي ـ أشعار أولاد الخلفاء ص ٣١٠ .

ولئن لم يتم فابتغِ نفقاً في الأرض أو سُلمّاً في السماء[1] ، وكتب المنصور لأبي نخيلة بصلة إلى الريّ ، فوجّه عيسى من لحقه فقتله وسلخ وجهه ، ويقال إنه قتل بعد رجوعه من الري ، وكان المنصورُ يُظهر لعيسى تكرمةً وبرّاً وإجلالاً ، فيوضع له نمارق عن يمينه وشماله ، ثم يدعى بعيسى فيجلس عن يمينه ، ثم يدعى بالمهدي فيجلس عن يساره ، فكلمه في العقد للمهدي ألين كلام وأرفقه ، فقال له : يا أمير المؤمنين كيف بالأيمان والعهود والمواثيق ، ولئن فعلتَ هذا لتكوننّ حجةً لمن ترك الوفاء وخاسَ العهد ، فلما رأى ذلك قدّم المهدي عليه فكان يجلسه عن يمينه .

قالوا : ولما سمع الجند بما يحاول المنصور في أمر المهدي تكلموا فكان عيسى إذا ركب عُرض له بما يكره وأسمع الكلام وينغّص ، فشكا ذلك إلى المنصور ، فقال للمسيّب : تقدّم إلى القواد والجند في أن يمسكوا عن ابن أخي ولا يؤذوه فإنه ثمرة قلبي وجلدةُ ما بين عينيّ ، ودعا بقوم من الحرس فشتمهم فكفّوا ، وكانوا محبين للمهدي لما نشأ عليه من العقل والفضل والسخاء .

وكتب المنصور إلى عيسى كتاباً يذكر فيه ما قذف الله في قلوب أنصار الدعوة وأهل المشايعة على الحق ، وأشرَبَهَا من محبة المهدي ومودته وتفضيله ، حتى صاروا له صاغين ولأعناقهم مادّين ، لا يذكرون إلا فضله ، ولا يعرفون إلّا حقه ولا ينوّهون إلّا باسمه ، وأنه لما رأى ذلك علم أنه أمر تولاه الله له ليس للعباد فيه صنع ، وأنه لابد من استصلاحهم ومتابعتهم ، ويعلمه أنه يرى له إذا اجتمع الناس على ابن عمه أن يكون أوّل من يبدرُ إلى

١ ـ انظر سورة الأنعام ـ الآية : ٣٥ .

البيعة له ، وأن يعرف له ما عرفوه ويؤمل فيه ما أمّلوه . فكتب إليه في جواب ذلك يذكّره الوفاء ، ويعلمه أن كثيراً من الناس قد نازعتهم أهواؤهم ودعتهم أنفسهم إلى مثل الذي همَّ به في ولده فآثروا الله وحقّه ، وكرهوا الغدر وعاره ، وسوء عواقبه في الدنيا والآخرة فأمسكوا عن ذلك وكرهوه .

فلما قرأ المنصورُ كتابهَ غضب وقرأه على الناس ، فعاد القواد والجند لأشدِّ ما كانوا عليه ، وكان أشدّ الناس في ذلك قولاً أسد بن المرزبان ، ونصر بن حرب ، وعقبة بن سلم ، وكانوا يأتون باب عيسى فيمنعون من أن يدخل إليه أحدٌ ، ويمشُونَ حوله ويسيرون اذا ركب ويقولون : أنت البقرة التي قال الله : ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾[1] . فشكاهم إلى المنصور فقال : إن هؤلاء قومٌ قد غلب عليهم حبّ هذا الفتى حتى سيط بدمائهم ، واجتمعت عليه آراؤهم ، وأنا والله يا بن أخي وحبيب قلبي أخافهم عليك وعلى نفسي فلو قدّمته بين يديك حتى يكون بيني وبينك لكفّوا ، وأنا لك ناصحٌ وأنت أعلم .

وذكروا أنه دسّ إلى عيسى شربة سمّ فافلت منها ، فقال يحيى بن زياد ابن أبي حُزابة البرجمي الشاعر :

أفلتّ من شربة الطبيب كما ... أفلت ظبيُ الصريم من قبره
من قانص يقنص الفريص اذا ... ركّب سهم الحتوف في وتره
دافع عنك المليك صولته ... بكفٍّ ليث يرمز في خمره
حين اتانا وفيه شربته ... تعرف في سمعه وفي بصره
ازعر قد طار عن مفارقه ... وَحْفُ أثيثُ النبات من شعره[2]

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٧١ .
٢ ـ انظر الصولي ـ أشعار أولاد الخلفاء ص ٣٠٩ .

ودخل سلم بن قتيبة على عيسى فقال له : أيها الرجل بايع هذا الأمير وقدّمه فإنك لن تخرج من الأمر وأرضِ عمك ، قال : أوَ ترى أن افعل ؟ قال : نعم ، قال : فإني أفعل ، فأتى سلم المنصور فأعلمه بذلك فسُرّ به وعظم له قدرُ سلم عنده ، ودعا المنصور الناس إلى البيعة فتكلم عيسى وسلّم الأمر إلى المهدي وصار بعده ، وخطب المنصور فشكر عيسى على ما كان منه وذكر أنه التالي للمهدي عنده في موضعه من قلبه وحاله عنده ، ووهب له مالاً عظيماً وأقطعه قطائع خطيرة نفيسة ، وولّاه الأهواز والكوفة وطساسيجها . فلما استخلف أمير المؤمنين المهدي ورأى تولية موسى وهارون ابنيه عهده ، قال له المهدي : يا أبا موسى إني آمرك بأمر إن أطعتني فيه سعدتَ ورشدتَ بطاعتي ، وإن عصيتني استحللت منك ما يستحلُّ من العاصي المخالف ؛ قال : وما هو؟ قال : إني قد عزمت على تولية موسى وهارون العهدَ بعدي ، فاخلع العهد وأنا أعوضك منه ما هو خيرٌ لك من الخلافة ولاسيما مع كراهة القواد والجند لك ؛ قال : فإني قد حلفت بصدقة جميع ما أملك وبعتق غلماني وجواريّ أن لا أخلع هذا الأمر حتى يؤتى على نفسي ؛ قال له المهدي : فلكَ بكل درهم اثنان ، وبكل مملوكٍ مملوكان ، وبكل ضيعة ضيعتان ، فرضي وسلّم ، وبايع المهدي لموسى ، وهارون بعد موسى ، ووفى لعيسى بما شرط له ، فأعطاه عشرين ألف ألف درهم ، وأقطعه وأقطع ولده ، فقال مروان بن أبي حفصة :

بمحمدٍ بعد النبي محمد حَيِي الحلالُ وماتَ كلُّ حرام
عُقدت لموسى بالرصافة[1] بيعةٌ شدَّ الإله بها عُرى الاسلام

١ ـ رصافة بغداد .

موسى وليُّ عصا الخلافةِ بعدهُ   جَفّت بذاك مواقُع الأقلام
موسى الذي عرفت قريشٌ فضلَه   ولها فضيلتُها على الاقوام[1]

وقال قومٌ من ولد موسى بن عيسى : أمر المنصور بعيسى فخنق بحمائل سيفه فخَلعَ وضمن له المنصور رضاه ، فوفى له به .

وحدثني أبو مسعود قال : خرج ، في ولاية عيسى بن موسى للمنصور الكوفة رجلٌ يكنى أبا الخطاب وكان رافضياً مسرفاً يدّعي علم الغيب ، وكان جعفر بن محمد يقول : كان أبو الخطاب يأتيني ويخرج من عندي فيكذّب عليّ ويقول إن السلاح لا يعمل فيَّ ، فوجه عيسى من حاربه فقتله وأصحابه وأراحني الله منه .

وفي أبي الخطاب يقول الشاعر :

أو مثل أصحاب أبي الخطاب   القائل الزور العمي الكذاب
قال لهم وقوله فضّاحُ   ما أن يحيك فيكم السلاحُ
فصدقوه للعمى والحين   وربما صدِّق أهل المين
فأصبحوا قتلى ذوي غرور   بقوله والويل للمغرور

وحدثني أبو مسعود قال : أراد المنصور أن يبايع لصالح المسكين بعد المهدي ويجعل عيسى تالياً ، فركب المهدي إلى عيسى بن علي فقال له : يا عم قل لأمير المؤمنين أنشدك الله أن تحملني على قطيعة أخي وعقوقه فإنك إن فعلتَ فعلتُ ، وإن كنتَ لابدّ مولّيه فقدّمه قبلي لتبقى الخلافة لعقبي ، فأدّى قوله إليه فأعفاه من ذلك وقال : صدق ابني لو فعلتُ لفعلَ . قال : وكان

---

١ ـ ليست في شعر مروان بن أبي حفصة المنشور في القاهرة ١٩٨٢ .

المنصور يحب صالحاً ويقول : هذا ابني المسكين ، ويأمر الناس أن يَهَبوا له ويعرضه للجوائز ويقول : هذا لابني المسكين ، فُسمّي المسكين .

وحدثني عبد الله بن مالك عن المبارك الطبري قال : لما بايع المنصور للمهدي كتب إلى اسماعيل بن علي ، وهو عامله على واسط ونواحيها في ذلك ، فكتب إليه يذكر بيعة عيسى بن موسى وما في عنقه منها ، فكتب إليه المنصور في القدوم فأقبل حتى نزل كلواذى فلم يلقَه من أهل بيته أحد ، ثم أرسل إليه المنصور في الدخول فلما صار إليه بَرَّهُ وأدنى مجلسه ، ثم قال له : ما بالك تلّويت وتثنيتَ في بيعة ابن أخيك ؟ قال : ظننت أن الكتاب الذي أتاني كان اختياراً ، فإن كان عزماً بايعتُ ، قال : فبايعْ فقد بايع أهل بيتُك والناس ، وبسط له يده فبايعهُ ، وصار إلى المهدي فبايعه .

وحدثتُ أنه لما بويع للمهدي بعث المنصور ، الأعلم الهَمداني ببيعته إلى الحجاز ، فخطب بمكة على منبرها فقال في خطبته : وقد بايع أمير المؤمنين لمحمد ابن أمير المؤمنين ، وهو عباسي النسبة ، يثربي التربة ، حجازي الأسرة ، شامي المولد ، عراقي المنبت ، خراساني الملك ، يملك فلا يأشر ، ويقدر فلا يبطر ، إن سئُل أعطى وإن سُكت عنه ابتدا ، جاءت به الروايات وظهرت فيه العلامات وأحِكمتْه الدراسات ، في كلام كثير .

وحدثني المدائني قال: لما بويع المهدي أمير المؤمنين جعل الناس يدخلون عليه فيسلمون وقد جلس لهم، فكان فيمن دخل عليه شبيب بن شيبة التميمي، فلما خرج من عنده سُئل فقال: رأيتُ الداخل راجياً والخارجَ راضياً.

وحُدّثنا أنّ شريك بن عبد الله النخعي لقي عيسى بن موسى فقال له عيسى: ياأبا عبد الله مارأيتُ قاضياً عُزل، فقال: بلى تعزل القضاة، وتخلع ولاة العهد، ويقال إنه قال: مارأيتُ قاضياً عزل، قال: ولا وليّ عهد خُلع.

أمر سوار بن عبد الله العنبري

قالوا: كان محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن قدم البصرة مستخفياً ثم خرج عنها، وبلغ المنصور ذلك فقدم البصرة فنزل عند الجسر الأكبر، ويقال بل قدم في أمر القطائع والمسائح، وأمير البصرة عمر بن حفص، فولى عمر بن حفص السّند، وشهاب بن عبد الملك بن مسمع البحرين، وولّى عبد العزيز بن عبد الرحمن الأزدي، أخا عبد الجبّار بن عبد الرحمن، البصرة، وولى سوّار بن عبد الله بن قدامة بن عَنَزَةِ بن نَقَب - على مثال فَعَل - بن عمرو بن الحارث بن خلف بن مُجَفَّر بن كعب بن العنبر بن عمرو بن تميم القضاء. فكان عبد العزيز يكتب إلى أبي جعفر المنصور يذمَهُ، فيدرج المنصور كتبَه بذلك في كتب منه إلى سوّار، فلم يزل على ذلك حتى خالف عبد الجبار وحُمل عبد العزيز إلى المنصور، فولى المنصور سوّاراً صلاة البصرة، وكان عبد العزيز صاحب شراب ولهو فأخرج له من دار الامارة شراب، فأمر سوّار بكسر آنيته وهراقته. وفي سوّار يقول الشاعر:

فمن كان لايرضى أميراً فإننا   رضينا بسوّارٍ أميراً وقاضيا

وتقدم إلى سوار رجلان احدهما من عبد القيس فتحفّز العبدي فضرط فقال له سوار: أفسادٌ في الجاهلية وضراط في الإسلام؟ وقال رجل لسوّار وكانت أمّه أمّ ولد: إنك لقليل الخالات بالدهناء، فقال: ولكني كثير العمّات هناك. وقضى على أعرابي فقال:

رأيت رؤيا ثم عبّرتها وكنت للأحلام عَبّارا
رأيتني أخنق في نومتي ضبّاً فكان الضبّ سوّارا

ثم أقبل يدعب خلفه ورمى بنفسه عليه، فوثب الناس إليه فنحوه عنه، فكلمه كلاماً رفيقاً ولم يعاقبه.

وخرج في أيامه عبيد سودان يقال إنهم كانوا أربعين أو أكثر، وكان اجتماعهم عند دار عقبة بن سلم، فاستشار في أمرهم فقائل يقول اقتلهم، وقائل يقول عبيد أضرّ بهم الجوع والضر وإن تركوا تفرقوا، وقائل يقول وجِّه إليهم من يفرقهم من الجند؛ فوجه السري بن الحصين الباهلي وعبد الله بن حي بن حُضين الرقاشي فلقياهم عند دار عقبة، أو نهر سليمان بالبصرة، فقتل منهم أربعة عشر عبداً، ويقال عشرة، ويقال سبعة عشر، ويقال أقل من عشرة، فأعطى مواليهم أثمانهم، وبعث برؤوسهم إلى المنصور، ويقال إنه كان يتصدّق في كل سنة من ماله بمثل أثمانهم. وقال له السري بن حصين: مابالك أعظمت قتل هؤلاء؟ والله لو لم تقتلهم لقتلوك، قالوا: وتفرّق من بقي من أولئك السودان فلم يعرض لهم.

قالوا: وكان سوّار يخذِّل الناس عن إبراهيم بن عبد الله، وعن أخيه، وسوّد بعد خروج إبراهيم وتمثّل وهو على المنبر:

أين الرجال التي عن حظّها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب، قال: لما حُبس أبو أيوب أمر المنصور الربيع الحاجب بتقلد ديوان الرسائل والنفقات إلى ما كان يقوم به من الحجابة، ففعل، ثم عزله عن الرسائل وصيرها إلى أبان بن صدقة، وأقره على النفقات مع الحجابة فشخص أبان معه إلى الشام وهو كاتبه عليها.

وحدّثني أبو علي الحرمازي عن الفضل بن الرّبيع قال: كان المنصور معجباً بمحمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس، وكان كريماً يسأله الحوائج للناس حتى ثقل ذلك عليه، فحجبه أياماً ثم أذن له على أن لايسأله حاجة لأحد، فدخل عليه يوماً وكمُّه مملوءٌ رقاعاً، فلما جلس تناثرت من كمه فجعل يردها ويقول: إرجعن خاسئات؛ فقال المنصور: ماهذه الرقاع؟ قال: فيها حوائج للناس، فضحك وقال: لاتبرح حتى تُقضى كلها، فقضاها له.

قال الحرمازي: وبعضهم يزعم أن الرجل يحيى بن جعفر بن تمّام، وهو آخر من بقي من ولد تمام، وكان المنصور له محبّاً.

وحدثني ابن الأعرابي قال: قال المنصور لرجل: ممّن أنت؟ قال: من يَشكُر، فتمثل:

ويشكُرُ لاتستطيعُ الوفاء وتعجز يشكرُ ان تُشكرا

وحدثني أبو مسعود، قال: أقدم المنصور، عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب من المدينة بسبب محمد بن عبد الله بن حسن، ويقال لأمر بلغه عنه غير ذلك، فلما أُدخل إليه قال له: ياعدو الله، قال: لست بعدو الله، وليس الأمر على مابلغك، واذكر إدناء أبي أباك وتقديمه إياه على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: قبحك الله، أفَمَا كان لي عليك من الحق ماكان لأبي على أبيك؟ ثم أمر به إلى المطبق، فوقع بينه وبين قوم من

الرافضة مُلاحاة فوثب إلى خشبة فاقتلعها ثم ضربهم بها، فبلغ ذلك المنصور فأمر أن يؤتى به. فلما وقف بين يديه قال له: أما نهتك أولاك عن أُخراك؟ فقال: ياأمير المؤمنين إني كنت أسمع شيئا لو سمعته لأنكرته، سمعت هؤلاء يشتمون عمومتك من المهاجرين: أبا بكر، وعمر، وعثمان، فقال: ردوه إلى المدينة.

حدثني الحسن الحرمازي قال: حبس المستهل بن الكميت بسبب تهمة في أمر الطالبيين، فقال:

لئن نحن خفنا في زمانِ عدوِّكم وخفناكم إن البلاء لراكد

حدّثنا محمّد بن داود الكاتب قال: وليّ القنجز الشيباني عملاً فألزم مالاً، فأمر المنصور أن يؤخذ به فحبس في دار العذاب وكانت إلى جانب المطبق، فكان يعذب فلا يُقر بشيء، فلما طال ذلك كلم معن فيه المنصور فقال: إني عزمت أن لايخرج من محبسه وهو مقيم على هذه المراغمة، ولكني أبعث إليه بمال يؤديه، فبعث إليه بمقدار ماكان يطالب به وهو مائة ألف درهم، فلما صار ذلك إليه حمله إلى منزله، فقال له المستخرج: احمل المال، فقال: أيّ مال، وجحد، فعُذِّب فلم يقر بشيء، فبلغ ذلك المنصور فقال: هذا شيطان، فخلوا سبيله، واصطنعه وقال: لاتولوه جباية، فكان يقال: أصبر من القنجز.

حدثني أبو دهمان قال: عرضت على المنصور قينة فتغنت:

مانقموا من بني أمية إلا انهم يحلمون ان غضبوا
وإنهم صفوةُ الملوكِ فما تَصلُحُ إلا عليهم العربُ

فغضب وأمر بها فأخرجت سحباً. قال: ويقال انها ألقيت من

الخضراء، وذلك باطل، وكان المنصور لايُرى شارباً نبيذاً، ولم يعطِ مُغنياً شيئاً قط، ولاأجرى عليه رزقاً يثبت في ديوان أو يخرج به أمر وكتاب.

وحدّثني المدائني قال: قال أبو عبيدة الكاتب: كان المنصور أعْطَى الناسَ في حقٍّ وأعلمهم بحزم وأشدهم شكيمةً على عدو، حدثني عبدوس مولى جعفر بن جعفر، عن جعفر بن جعفر، قال: أقبل المهدي من داره يريد المنصور، والمنصور جالس في الخضراء في قصره بالمدينة ببغداد، فلما وقعت عينه عليه جعل يعوّذه ويدعو له، حتى إذا تبينه غضب وقال: ردّوه ردّوه، أما رأيتم عليه خفاً أحمر كأنه من عبيد الروم، أهذا لبس من كان مثلَه! فألزمه منزله أياماً ثم دعا به وعاتبه، قال: وكان أمر المنصور جداً كله.

وحدّثني أبو الحسن المدائني قال: كاتب العبسيون من أهل حيار بني القعقاع[1] ومن معهم محمد بن عبد الله بن حسن وكاتبهم محمّد، وكان ممن كاتبه أبو ذفافة. فلما شخص المنصور إلى بيت المقدس في سنة أربع وخمسين ومائة، وغزا الصائفة وتتبع الأجناد والكور، أقدم أبا ذفافة معه فأصحبه المهدي فخص به، وكان يطلعه على أسراره وأموره، فقال له الربيع: ياأمير المؤمنين قد غلب أبو ذفافة على المهدي ورأيُه ما تعلم، فقال: يابني إن المهدي قدم من الري في زيّ أهل خراسان، فجهدتُ أن أنقله عن ذلك بكل حيلة يُحتال بها في مواجهة وتعريض فلم ينتقل عنه، فلما صحبه أبو ذفافة لم أشعر به ذات يوم إلا وقد طلع عليّ معتماً على قلنسوته، وفي رجليه خُفّان أسودان، فوالله لو ضُمّ إلى ملكي مثلّه ماكان ذلك بأسرّ إليّ من هيئته، وإنما أبو ذفافة

١ ـ على مقربة من حلب.

رجل أراد أن ينال شيئا من الدنيا فقد ناله وأكثر منه، وهو رجلٌ شريف وللشريف شكر فلا يسوءنكم مكانَه.

حدثني الحرمازي قال: قال الربيع الحاجب: دخلتُ على المنصور يوماً وعليّ خفٌّ أبيض محكوك مكعب، فقال: لولا أني لم أتقدم إليك لأدّبتك، مالك وخِفاف الزفّانين[1]؟

حدّثني هدبة بن خالد، قال: دخل المبارك بن فضالة على أبي جعفر وهو بالجسر الأكبر فقال له: ياأمير المؤمنين حدثني الحسن قال: بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له على الله حق فليقم، فما يقوم إلا العافون عن الناس»[2]، فقال المنصور: قد عفوت، ولم يدخل البصرة.

وحدّثني بعض أصحابنا قال: كان المنصور وهو بالبصرة قبل أمر المسوِّدة يجلس في حلقة فيها أزهر السمّان، فلما أفضت إليه الخلافة وَفَدَ إليه أزهر فقال له: ماجاء بك ياأزهر؟ قال: ياأمير المؤمنين داري مستهدمة، وعليّ دَين مبلغُهُ أربعة آلاف درهم وأريد أن أزوّج ابني محمداً، فقال: قد أمرنا لك باثني عشر ألف درهم فخذها ولاتأتنا طالباً، فأخذها وانصرف، فلما كان العام المقبل أتاه، فلما رآه قال: ماجاء بك ياأزهر؟ قال: أتيتك ياأمير المؤمنين مسلّماً، فقال: إنه ليقع في خلد أمير المؤمنين أنك أتيت طالباً، قال: ماأتيت إلا مسلّما، فقال: قد أمرنا لك باثني عشر ألفاً فخذها ولاتأتنا طالباً ولامسلّماً، فلما كانت السنة الثالثة عاد إليه، فقال: ماجاء بك ياأزهر؟ قال: أتيتك

---

١ - زفن: رقص. القاموس.

٢ - انظر كنز العمال - الحديث ٧٠١٣.

عائداً، فقال: قد أمر لك أمير المؤمنين باثني عشر ألف درهم فخذها ولاتأتنا طالباً ولامسلّماً ولاعائداً، فلما كانت السنة الرابعة قدم عليه فقال: ماجاء بك ياأزهر؟ فقال: سمعتك تدعو بدعاء فجئت لأكتبه عنك، قال: إنه غير مستجاب، قد دعوت الله به ألا أراك فلم يجب، وأمر له باثني عشر ألفاً، وقال: تعال متى شئت فقد أعيت فيك الحيَلُ.

حدثني عبد الله بن صالح العجلي، قال: بعث أبو جعفر المنصور إلى مسعر بن كدام الهلالي فقال له: ياأبا سلمة هل لك في أن أوليك؟ فقال: والله ياأمير المؤمنين ماأُرضي نفسي لأن اشتري لأهلي حاجة بدرهم حتى أستعين بغيري، على أن الثقات قليل، فكيف أغرك من عملك، وأنا إلى أن تصل قرابتي ورحمي أحوج مني إلى الولاية؛ فقال: قال النابغة الجعدي:

وشاركنا قريشاً في تقاها ... وفي أنسابها شِرْكَ العنان
بما ولدت نساءُ بني هلال ... وما ولدت نساء بني أبان[1]

يعني لُبابة جدّتك فإنها هلالية، فأمر له بأربعة آلاف درهم وكساه ولم يزل يتعهده ويصله، وكانت آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر، أم العاص وأبي العاص والعيص وأبي العيص بني أمية بن عبد شمس، وكانت صفية بنت حزن عمّة أم الفضل وهي لبابة بنت الحارث بن حزن أم أبي سفيان بن حرب بن أميّة وهي هلاليّة.

وحدثني عبد الله بن صالح قال: كان أبو بكر الهذلي يجالس المنصور، قال: فرأى المنصور في بعض قصره الجديد قوماً في ثياب بيض، قال: ماهؤلاء؟ قلت: جهابذتك وقوم يعملون في خزائنك، فتمثل قول الشاعر:

١ ـ ديوان النابغة الجعدي ـ ط. دمشق ١٩٦٤ ص١٦٤ .

كما قال الحمارُ لسهم رامٍ   لقد جُمّعتَ من شتّى لأمرِ
أراكَ حديدةً في رأس قدح   ومتن جلالة مع ريش نسرِ

ثم قال: ياربيع تفقّد هؤلاء وانظر من كان منهم في غير عمل فاخرجه.

وحدثني العُقوي الدلال البصري قال: بلغ المنصور أن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بالبصرة، فخرج إلى البصرة وأظهر أنه يريد ان يُقطع صالحاً المسكين بابقليا، ويقطع سليمان الهنيئة؛ وكان عيسى مستخفياً عند رجل يقالُ له يزيد، فبينا المنصور يخطب في يوم جمعة إذ وقعت عينه على عيسى، وعرف عيسى أنه قد عاينه، فلما دخل المنصور في الصّلاة انسلّ عيسى ويزيد صاحبه فاستعرض الناس بعد الفراغ من الصّلاة فلم يوجدا. ثم إن عيسى مات عند يزيد فأتى يزيد الربيع فقال له: اطلب لي الأمان من أمير المؤمنين وأدخلني إليه حتى أخبره من أمر عيسى بما يسر به، فطلب له الربيع الأمان فأمنه المنصور، فلما دخل عليه قال: ياأمير المؤمنين قد مات عيسى بن زيد وأراحك الله منه، فخر المنصور ساجداً، ووجّه من نظر إليه ميتاً، فوفى ليزيد بأمانه.

وحدثني محمد بن موسى الخوارزمي أن المنصور حج فكان يأتي الطواف ليلاً فيطوف مستخفياً متنكراً لايعلم أحدٌ من هو، فإذا طلع الفجر عاد إلى دار الندوة، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى بالناس، فسمع رجلاً يقول في بعض الليالي: اللّهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، ومايحول بين الحق وأهله من الطمع، فوقف على الرجل ثم خلا به ثم سأله عمّا قال فقال له: أتُؤمنّي؟ قال: نعم لك الأمان، قال: ماعنيت سواك؛ فقال: كيف تنسبني إلى الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض

بيدي؟ قال: وهل دخل أحداً من الطمع مادخلك؟ احتجبت عن الضعفاء فلم يصلوا إليك، ثم أوعبت الأموال وجمعتها فلم تقسمْها في أهلها، ورآك القوم الذين استعنت بهم خائناً فخانوك وأنت متغافلٌ عن الأمور، كأنك لاتعلم وعلمك حجةٌ عليك، ثم أنت تطمع في السلامة في دينك ودنياك، ووعظه فاحتمل له ذلك وقال: جزيت عن النصيحة خيراً، وأقيمت الصلاة فصلى المنصور بالناس، وطلب الرجل فلم يوجد.

حدثنا الذيّال مولى بني هاشم، قال: سمع المنصور جلبة في داره فقال: ماهذا؟ فإذا خادمٌ له قد جلس وغلمةٌ حوله وهو يضرب لهم بطنبور وهم يضحكون منه، فأخبر بذلك فقال: وما الطنبور؟ فوصفه له حمّاد التركي، فقال له: وأنت فما يدريك ماالطنبور؟ قال: رأيته بخراسان، فقال: نعم، فدعا بنعله وقام يمشي رويداً حتى أشرف على الغلمان فرآهم فلما أبصروه تفرقوا، فقال: خذوا الخادم فاكسروا ما معه على رأسه، ثم قال: ياربيع أخرجه من قصري وابعث به إلى حمران النخّاس حتى يبيعه، فوجه به الربيع من ساعته فبيع بالكرخ.

وحدّثني رجل من ولد حمّاد التركي عن حمّاد قال: ولاني المنصور المدائن ثم عزلني، فقال لي ذات يومٍ: يا بن الخبيثة كم عندك من المال؟ فقلتُ أصدقه فإنه لا ينفعني عنده الا الصّدق، فأخبرتُه بمبلغ المال، فقال: ادفعه إلى الربيع، ففعلت، ثم رحت بالعشي فإني لبين يدي المنصور واقف لاأشك في ذهاب المال إذ دخل الربيع فقال له: يا ربيع أحَمَلَ حمادٌ إليك ذلك المال؟ قال: نعم، قال: أفعرفت وزنه؟ قال: نعم، قال: احتفظ به فإذا تزوج حماد فادفعه إليْه.

وحدثني بعض الهاشميين عن رجل من حشم المنصور ، قال : كان المنصور يقسم علينا الأرزاق وما في الخزائن حتى الفانيد[1] والترياق ، وكان مشايخ أهله يدخلون عليه بالعشيات في النعال والأردية .

وحدثني محمد بن موسى الخوارزمي قال : بلغني أن المنصور خرج يوماً نحو باب قَطْرَبُّل حتى دخل من ناحية باب حرب فأساء بعض أحداث مواليه الأدب ، وسار في ناحية أمر أن لا يسير فيها أحدٌ كراهة للغبار ، فالتفت إلى عيسى بن علي وهو يسايره فقال : والله ما ندري يا أبا العباس ما نصنع بهؤلاء الأحداث لئن حملناهم على الأدب وأخذناهم بما يجب ليقولن جاهل إنّا لم نحفظ آباءهم فيهم ، ولئن تركناهم وركوب أهوائهم ليفسدن علينا غيرهم .

حدّثني المدائني قال : لما خرج ابنا عبد الله بن حسن على المنصور ، وجاءه فتق من ناحية غير ناحيتيهما جعل ينكث بقضيب معه ويقول :

ونصبتُ نفسي للرماح دريّة إن الرئيس لمثل ذاك فعول

قال : وقال المنصور في آل أبي طالب :

فلولا دفاعي عنكم إذ عجزتم وبالله أحمي عنكم وأُدافعُ
ومازال منا قد علمتم عليكم على الدهر أفضال يُرى ومنافع
ومازال منكم أهل غدر وجفوة وبالله مغترّ وللرحم قاطع

قالوا : وركب المنصور وأهل بيته حوله ، وقد بلغه خبر محمد بن عبد الله ، فقال عثمان بن عمارة المريّ : إن حشوَ اثواب هذا الرجل لمكر ودهاء ونكر وما هو إلا كما قال جذل الطعان :

فكم من غارة ورعيل خيل تداركها وقد حمي اللقاءُ

---

١ - الفانيد : السكر المكرر .

فـردَّ رعيلها حتى ثناها باسمر ما يرى فيه التواءُ

وقال اسحاق بن مسلم : لقد سبرتُه فوجدتُه بعيدَ الغور ، وعجمت عوده فوجدتُه صلبَ المكسر ، ولمسته فوجدته خشن الملمس ، وذقته فوجدته مرّ المذاق ، وإنه ومن حوله لكما قال ربيعة بن مكدم :

سما لي فرسان كأنّ وجوههم مصابيح تبدو في الظلام زواهرُ
يقودهم كبش اخو مُصمئلّة حليف سرىً قد لّوحته الهواجر

وقال عبد الله بن الربيع الحارثي : هو والله ليث خيسٍ شرس ، وللأقران مفترس ، وإنه لكما قال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

فإن لنا شيخاً إذا الحرب شمّرت بديهته الإقدامُ قبل التزاحف
أخو الحرب قد عضت به فتفللت نواجذُ من أنيابها في المزاحف

وحدثني الحرمازي قال : لما مات جعفر الأكبر ابن المنصور اشتدّ جزعه عليه ، فلما قُبر وسُوّي عليه التراب قال : يا ربيع كيف قال مطيع بن إياس في يحيى بن زياد ؟ فأنشده :

يا أهلِ بكّـوا لقلبي القرِحِ وللدموعِ الذوارف السُّفُح
راحوا بيحيى فلو تطاوعني الأقـ ـدار لم يبتكر ولم يَرُح
يا خير من يحسُنُ البكاء له اليـ ـوم ، ومن كان أمس للمِدَح
أعقبتَ حزناً من السرور وقد أدلتَ مكروهنا من الفرح

قال : فبكى المنصور وقال : صاحب هذا القبر أحقّ بهذا الشعر .

وحدثني بعض مشايخنا أن المنصور قال للمهدي : يا بنيَّ ، استدم النّعمة بالشكر ، والقدرة بالعفو ، والطاعة بالتألّف ، والنصر بالتواضع لله والرحمة للناس .

وحدثني الحرمازي قال : لما أتى المنصورَ مخرجُ محمد بن عبد الله شنّ عليْه درعه ، ولبس خُفّه ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

مالي أُكفكف عن سعدٍ ويشتمُني ولو شتمتُ بني سعدٍ لقد سكنوا
جهلًا علينا وجُبناً عن عدوهم لبئست الخلّتان الجهل والجبن

أما والله لقد عجزوا عما قمنا به ، فما عضدوا الكافي ، ولا شكروا المنعم ، فماذا حاولوا ، أشرب رَنْقاً[1] على غصص ، وأبيتُ منهم على مضض ، كلا والله إني لا أصِلُ ذا رحم بقطيعة نفسي ، ولئن لم يرضَ بالعفو منّي ليطلبنّ مالا يوجد عندي ، ولأنْ أُقتل معذوراً أحبّ إليّ من أن أحيا مُستذلاً ، فليبقِ ذو نفسٍ على نفسه قبل أن يقضي نحبه ، ثم لا أبكي عليه ولا تذهب نفسي حسرة لما ناله .

حدثني بعض أصحابنا عن ابراهيم بن عيسى الهاشمي قال : خطب المنصورُ يوم عرفة فقال : «أيها الناس إنما انا سلطانُ الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وإرشاده ، وخازنُه على ماله وفَيْئِه أعمل فيه بمشيئتِهِ وأقسمه بارادته وأعطيه باذنه ، وقد جعلني الله عليه قفلاً ، فإذا شاء أن يفتحني فتحني ، فارغبوا إلى الله واسألوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه إذ يقولُ : ﴿اليومَ أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[2] ، أن يوفقني للصواب ويسددني للرشاد ، ويلهمني الرأفة بكم ، وقَسْم أرزاقكم فيكم بالعدل عليكم ، والإحسان إليكم» .

---

١ ـ رنق الماء : كدر . القاموس .
٢ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٣ .

وحدثني عبد الله بن مالك ، أخبرني اسحاق بن عيسى بن علي ، قال : بعث المنصور في سنة خمس وأربعين ومائة رجالاً يطلبون له موضعاً يبنى له فيه مدينة ، فكانوا يأخذون تربة كل أرض فإذا عفنت خرجت منها العقارب والخنافس ، فلما عفنت تربة بغداد خرجت منها بنات وردان فقال : هذه ، هذه ، فنزل الدير الذي على الصراة وقال : بغداد بلد يأتيه الميرة من الفرات ودجلة . فاختطّ المدينة وفرغ من أساسها ، فإنه لنائم في يوم صائف إذ أقبل سليمان بن مجالد ، وسُليم المكي ، فاستأذنا على المنصور ، فدخل الربيع فاحتال له حتى استيقظ ودخلا عليه ومعهما كتاب صغير من محمد بن خالد بن عبد الله القسري يخبر فيه بخروج محمد بن عبد الله ، فقال المنصور : نكتبُ إلى مصر الساعة أن تقطع الميرة عن أهل الحرمين وإنهم في مثل الحرجة إذا لم تأتهم الميرة من مصر ، وأمر أن يكتب إلى العباس بن محمّد أخيه وهو على الجزيرة أن يمدّه بمن قدر عليه ولو أن يبعث إليه في كل يوم رجلاً واحداً لينكسر بهم أهل خراسان ، فإنه لا يؤمن فسادُهم مع دالتّهم ، ونادى بالرحيل من ساعته فخرج في حرّ شديد حتى عسكر بنهر صَرْصَر ، وصلى العصر هناك ، وأتى الكوفة وعسكر وخندق عليْه ، ودعا بعيسى بن موسى فقال له : إمّا أن تخرج وأقيم فأمّدك وإمّا أن أخرج وتقيم فتمدنّي ، فقال : بل أقيك بنفسي وأكفيك هذا الوجه إن شاء الله ، فشخص ، ثم خرج ابراهيم في عقب خروج أخيه محمد ، فجمع المنصور ولد أبيه فقال : ما تقولون وما ترون ؟ فقالوا : توجه إليه موسى بن عيسى ، فقال : والله يا ولد عليّ ما أنصفتم ، وجهتُ أباه وأوجّهه فأكون قد وجهتُ من ولد محمد بن علي رجلين ، فقالوا : توجه عبد الله بن علي وتصطنعهُ ، فقال :

أبعثُ عليَّ حرباً أخرى ، إن خافني مالأ عدوي عليّ ، وإن ظفر أعاد الحرب بيني وبينه جذعة ، وقد سمعتكم تذكرون أن له أربعة آلاف مولى يموتون تحت ركابه فأيّ رأيٍ هذا ؟ والله لو دخل عليّ إبراهيم بسيف مسلول لكان آمن عندي من عبد الله بن علي

وحدثني الحرمازي قال : لما قُتل إبراهيم بن عبد الله وبعث عيسى بن موسى برأسه أمر المنصور أن يُطاف به بالكوفة ، ثم خطب المنصور بالكوفة فقال : يا أهل الكوفة عليكم لعنةُ الله وعلى بلد أنتم فيه ، للعجب لبني أميّة وصبرهم عليكم كيف لم يقتلوا مقاتلتكم ويَسبْوا ذراريكم ويخربوا منازلكم ، سبئيّة خشبيّة ، قائل يقول : جاءت الملائكة ، وقائل يقول : جاء جبريل ، وهو يقول : أقدم حيزوم ، ثم عمدتم إلى أهل هذا البيت وطاعتهم حسنة فأفسدتموهم وانغلتموهم ، فالحمد لله الذي جعل دائرة السوء عليكم ، أما والله يا أهل المدرة الخبيثة لئن بقيت لكم لأذِلّنكم .

وحدثني عبد الله بن مالك وغيره ، قالوا : أتمّ المنصور بناء مدينته بغداد ونزلها في سنة ست وأربعين ومائة ، وبنى قصره في الخلد على دجلة سنة سبع وخمسين ، وتولّى ناحيةً منه الربيع ، وناحيةً أخرى أبان بن صَدقَة . قال عبد الله بن مالك : وأنا يومئذ مع أبان ، وكان المنصور يعاقب من سمّاه الخلد ويقول : الدنيا دار فناء وإنما الخلد في الجنة .

حدثني الحرمازي قال : ولى المنصور الحسن بن زيد المدينة بعد جعفر بن سليمان ، فعبث بجلساء جعفر وأصحابه ، وأضرّ باسماعيل بن أيوب المخزومي ، فقال :

وإن بني العباس لن نستطيعهم فلا ذنب لي فانظرهم حسرات

هُمُ ورثوا ميراثَ أحمد كله   ولم يـدّعوه بـاطـلاً لبنـات

حدثني العمري عن ابراهيم بن السندي ، أن المنصور لما أراد الحج في السنة التي توفي فيها أتى قصر عبدويه فأقام به ، ثم دعا بالمهدي فقال له : يا أبا عبد الله اقرأ هذا الكتاب واعمل بما فيه ، فإذا فيه : «أوصيك بتقوى الله ومراقبته ، وعليك بإكرام أهل بيتك وإعظامهم ، ولاسيما من استقامت طريقته ، وطهرت سيرته ، وحسُنت مودّتُه منهم ، فإنّ أقرب الوسائل المودّة ، وأبعد النّسب البغضة ، وانظر أهل الجزالة والفضل والعقل منهم فشرّفهم ، وأوطىء الرجال أعقابَهم ، فإنه لايزال لأمرِ القوم نظام ما كانت لهم أعلام ، وأجزل لهم الإعطاء ، ووسعّ عليهم في الأرزاق ، فإن أكثر الناس مؤونة أعظمهم مروءةً، ثم ليكن معروفك لغيرهم بعدهم، فإن الصلة تزيد الألْفة ، وصنهم ينبلوا ولا تَبتِذْلهم فيخلقوا ، واعلم أن رضى الناس غاية لا تدرك فتحبَّبْ إليهم بالإحسان جهدك وتثّبت فيما يرد من أمورهم عليك ، ووكل همومك بأمورك ، وتفقّد الصّغير تفقُّدك الكبير ، وخذ أهبة الأمر قبل حلوله ، فإنّ ثمرة التواني الإضاعة ، وكن عند رأس كل أمر لا عند ذَنَبه ، فإن المستَقبِلَ لأمره سابقٌ ، والمستدبِرَ له مسبوق . وَوَلِّ أمورك الفاضلَ تكن مستعلياً ، ولا تولِّ المفضول فإنه مُزرٍ باختيارك ، وانظر الأموال فإنها عدة الملوك ، وبهاءُ السلطان ، ونظام التدبير ، فوفّرها بولايةِ أهل العفافِ عنها والحيطة عليها ، ولا تبتذلها إلاّ في إصلاح أمور السلطان والرعية ، وثواب أهل الطاعة والنصيحة ، وأحسن إلى نصائحك[1] واستدِم مودّتهم ومحبتهم بجميل التعهد لهم والتفقّد لأمورهم ولا تُعطِ عطيّةً تُبطِر

١ - في رواية أخرى «أصحابك» [من الهامش] .

الخاص ، وتؤسِف العام ، واجعل لكل إليك حاجة ، واجعل لهم من فضلكِ مادة ، واسمع من أهل التجارب ، ولا تردّنّ على ذوي الرأي ، وعوّدْ نفسك الصّبرَ على التّعب في إصلاح الرعيّة وترك الهوينا والدّعةِ ، واعلم أن ذهاب السّلطان يؤتى من ثلاثة أمور : قلة الحزم ، وضعف العزم ، وفقد صالحي الأعوان وأنّ ثباته بأربع خلال : المعرفة ، وحسن التّخير ، وإمضاء الاختيار ، وتنكبّ أهل الحرص ، فإن الحريص يبيعك باليسير من حظّه ، وشَرَهُ الوزراء أضرُّ الأعداء ، ومن خانَك كَذَبك ، ومن كذبك غشَّك ، واعلم أنّ مادّة الرأي المشاورة ، فاختر لمشاورتك أهل اللب والرأي والصدق وكتمان السّر ، وكافِ بالحسنة ، وتجاوز عن السيّئة ما لم يكن في ذلك ثلم دين ، ولا وهن سلطان ، ودع الانتقام فإنه أسوأ أفعال القادر ، وقد استغنى عن الحقد من عظم عن المجازاة ، وعاقب بقدر الذنب ، واعفُ عن الخطأ ، وأقِل العثرات من أهل الحرمة والبلاء ، وعليك بتلاد نعمتك ، ومواليك من أهل خراسان وغيرها من الآفاق ، فإنهم أنصحُ الناس لك ، وأشدهم سعياً في بقاء دولتك فإنما عزّهم بعزك ، وتجنب دقيق أخلاق أهل العراق ، فإنهم نشأوا على الخبّ ومذموم الأخلاق ، وإذا اطلعت من خاصتك وأهل نعمتك على هوىً مفسدٍ لنصيحتك فلا تُقله عثرةً ، ولا تَرْعَ له حُرْمة ، ودع الاغترار به فإنك إذا اغتررت به كنت كمدخل الحيّة دون شعاره ، إن شاء الله» . ولّما قرأ الكتاب قال : أفهمتَهُ يا بُنيّ ؟ قال : نعم ، قال : فاتخذه لك إماماً ومثالاً ، ثم قال : أستودعك الله يا بني وأنشد :

المرءُ يأمل أن يعيشَ وطولُ عيشٍ قد يَضُرّه
تبلى بشاشته ويبقى بعد حلوِ العيش مُرُّه

وتخونه الأيامُ حتى لا يرى شيئاً يَسرُّه
كم شامتٍ بي إن هلكـ ـتُ وقائلٍ لله دَرّه

قال العمري : وقرأتُ هذا الكتابَ بعدُ عند قومٍ من الكُتّاب فوجدتهم قد كثّروه .

حدثني عزّون بن سعد مولى الأنصار ، عن أبيه سعد بن نصر ، قال : حج المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة فودّع المهدي فقال : «يا أبا عبد الله إني وُلدتُ في ذي الحجة ، ووليتُ الخلافة في ذي الحجة ، وقد هجس في نفسي أني أموتُ في ذي الحجة من سنتي وذلك حداني على الحج ، فإذا أفضى إليك الأمر فإن استطعت أن تكون حديثاً حسناً فافعل» .

وحدثني عبد الله بن مالك وغيره عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : إني لَمعَ المنصور في حجته التي توفي فيها ، فلما دنا من مكة اشتد به الوجع فقال ذات ليلة وأنا زميله ، أنزلني ، وكانت به خلفة[1] فعدلنا به عن الطريق فأنزلناه ، فأبطأ ثم أقبل متكئاً على رجلين من مواليه ، وأبو العباس الطوسي ، والمسيب بن زهير مع وجوه أهل خراسان وقوف ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين أبطأتَ فهل حدث شيء ؟ فقال : أنا صالح ، وصاحَ بي فلما صرنا في المحمل قال : ويحك أترى هؤلاء الخراسانية وهم هم وتسألني عن هذه المسألة ؟! أتذكر رؤياي التي أخبرتكم بها ، إني رأيت كأنّ الكعبة انصدعت فجئتُ بحبلٍ فضممتها به حتى التَأمَتْ ثم دفعت الحبل إلى رجل من مواليّ لم أسمّه لكم ، فقلت له : شُد ، أفتدري مَن مولاي ذلك ؟

---

١ ـ أخذته خلفه : كثر تردده إلى المتوضا . القاموس .

قلت : لا ، قال : أنت هو ولكني كرهتُ أن أخبرك بذلك فاتّقِ الله وانظر كيف تكون طاعتك للمهدي .

وحدثني علي بن أمير المؤمنين المأمون ، قال : سمعتُ المأمون يحدّث عن عصيمة سرية المنصور ، وكانت معه في حجته التي توفي فيها ، أنها قالت : مازال يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمد يُحيي ويُميت وهو حيّ لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، ثم يعيد ذلك ويهلل ويكبر ويُلبّي حتى قبض ، فغمضه الربيع وشدّ لحيته بعصابة ثم قال : والله لأملأنّ سيفي ممن صاح حتى أحكم ما أمرني به مولاي . فخرج إلى الناس فأحكم ما أراد . قال ، وقالت عصيمة : كان المنصور في تسبيحه وتهليله وتشهيده فكلمته فقال : كفي عني ساعة ، فما قطع ذلك حتى شخص .

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب عن جماعة ممن حضر وفاة المنصور بمكة قالوا : خرج الربيع إلى من حضر من بني العباس وغيرهم فقال : إن أمير المؤمنين يأمركم بتجديد البيعة للمهدي ، فقال عيسى بن موسى : أحبّ أن أسمع ذاك من أمير المؤمنين ، فدخل ثم خرج فقال : عند أمير المؤمنين حرمه وهو لايستُرُهنّ من عمه عيسى بن علي فليقم فيدخل عليه ويخبركم عنه بما أعلمتكم ، فقال عيسى بن موسى : لابأس قم ياعم ، فقام عيسى فدخل فقال له الربيع : إن أمير المؤمنين قد قضى وكان أمر بتجديد البيعة للمهدي وأنا أريد تجديدها وأنت أعلم ، فخرج عيسى بن علي إلى عيسى بن موسى فقال : يأمرك أمير المؤمنين بتجديد البيعة ، فبايع عيسى بن موسى للمهدي وبايع

الناس، ثم عرف عيسى بن موسى القصة بعد ذلك فقال لعيسى بن علي: أنت الفاعل مافعلتَ.

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي قال: عرض للمنصور اختلافٌ، فكان يحتاج إلى الخلاء في اليوم الخمس مرات وأكثر، ثم أسرف ذلك حتى كان يقوم في اليوم والليلة خمسين مرّة، فتوفي بعد التروية أو قبله بيوم، وفرغ من جهازه عند العصر، وصلى عليه عيسى بن موسى، ويقال عيسى بن علي، ويقال إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي، وهو ابن أخيه، وهو قائم بالموسم عامئذ، ولم يُغَطّ رأس المنصور لانه كان مُحْرماً ودفن عند بئر ميمون بن الحضرمي.

وكان المنصور لما بلغ ثلاثاً وستين سنة يقول: إنه كان يقال لهذه السنة داقّة الاعناق، قبض بها رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر رضي الله تعالى عنهما، فقبض وله أربع وستون سنة.

وقال الواقدي: دُفن المنصور في شعب نافع الخوزي في المقبرة التي تطل عليها ثنية المعلاة، وهي التي صُلب عليها عبد الله بن الزبير، ونزل في حفرته عيسى بن علي، والعباس بن محمد، وعيسى بن موسى، والربيع، ويقطين، والريان مولاه، وجعل في صندوق وأطبقت عليه ألواح، وتوفي وله أربع وستون سنة إلا أيّاماً.

وحدثني عمرو بن عيسى أبو مسعود قال: توفي المنصور بمكة في سنة ثمان وخمسين، ودفن بين الحجون، وبئر ميمون بن الحضرمي، وصلى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بوصيّة منه، وكان يوم توفي ابن أربع وستين سنة،

وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وأياماً، وحجّ بالناس في تلك السنة إبراهيم بن يحيى بن محمّد.

وقال بعضهم: مات وله ثمان وستون سنة، وأثبت ماروُي في عمره أربع وستون سنة.

وقال الحسن بن علي الحرمازي، وهو مولى لقريش، غير أنه كان ينزل في بني الحرّماز، قال سلم الخاسر يرثي المنصور، وإنما قيل له الخاسر، لأن أباه كان تاجراً فمات وترك مالاً فأنفقه في طلب العلم وابتياع الدفاتر فقيل هو خاسر:

أين ربُّ الزوراء إذ سوّغتهُ الملـ ـلكَ عشرين حجة واثنتان

قال: وقال آخر.

قَفَلَ الحجيجُ وخلّفوا ابن محمّد رهناً بمكة في الضريح الملحد

شهدوا المناسك كلها وإمامُهم تحت الصفائح محرمٌ لم يشهد

وأنشدني غير الحرمازي:

لقيَ الله مُحـرِماً وشهيـداً فهنيئـاً لـه هنيئـاً مـريئـا

وأُنشدت لبعضهم:

ببئـر ميمـون ثـوى قـراره في ملحـد اسلمـه انصـاره

خلافة المهدي بن المنصور

فولد أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله، محمداً المهدي أمير المؤمنين، ويكنى أبا عبْد الله، وأمّه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن شهر بن يزيد بن مثّوب بن الحارث بن شمر ذي الجناح الحميري، ولي الخلافة في سنة ثمان وخمسين ومائة، وفي ذي الحجة، وكانت خلافته عشر سنين وشهرين وأياماً، وكان من أسخى الناس وأجملهم وتوفي بماسبذان[1] في سنة تسع وستين ومائة، ودفن بها، وصلى عليه ابنه هارون الرشيد أمير المؤمنين، وكان معه بماسبذان. وفي المهدي يقول الشاعر:

أكرِم بقرم أمين الله والده وأمّه أم موسى بنت منصور

وجعفر بن المنصور وهو الأكبر، ويكنى أبا الفضل، وأمه أم موسى أيضاً، ولاه أبوه الموصل وأعمالها والجزيرة وتوفي ببغداد. فولد جعفر بن أبي جعفر عيسى بن جعفر، وجعفر بن جعفر، وزبيدة بنت جعفر.

فأمّا عيسى بن جعفر فوليَ للرشيد أعمال البصرة، وكور

١ ـ نقل ياقوت أن المهدي دفن في موقع اسمه الرذ يبعد عدة فراسخ عن ماسبذان.

دجلة، والأهواز، واليمامة، والبحرين، والسند، وكان أليف الرشيد وأنيسه وعديله إذا ركب جملاً أو بغلاً عليه قُبّة، وكان جسيماً، فإذا ركب مع الرشيد ثُقِّلت ناحية الرشيد بحجر أو بمثقلات رصاص.

وأمّا جعفر بن جعفر فقد ولي البصرة للرشيد وولايات، وهو صاحب الدار التي ببغداد عند الباب المعروف بباب النَّقْب وهي مُطلّة على دجلة.

وأمّا زبيدة وهي أم جعفر، فتزوجها الرشيد، فولدت له محمد الأمين قتل ببغداد وهو خليفة، ثم ولي أمير المؤمنين المأمون بعده. وأنشدني أبو الأحوص المؤدب في الرشيد.

أبـو أمين ومـأمـون ومؤتمن أكرِم به والداً برّاً وبالولد

والمؤتمن وهو القاسم بن الرشيد، كان الثالث في ولاية العهد بعد محمد وعبد الله المأمون، فتوفي في خلافة المأمون، وكان محمد بن زياد الأعرابي مؤدباً لهارون ابنه.

وإبراهيم بن أبي جعفر المنصور وأمه الحميرية أيضاً، توفي بالهاشمية ولا عَقِب له.

وسليمان بن أبي جعفر المنصور. ويكنى أبا أيوب وَليَ الموسم للرشيد، وولي البصرة والجزيرة والشام، وأمه فاطمة من ولد طلحة بن عبيد الله التيمي، صاحب رسول الله ﷺ.

وحدّثني من أثق به أن اسحاق بن سماعة المعيطي قال قصيدة طويلة يفخر ببني أميّة وبظفر معاوية وبيوم الحرة، وقال، وقد غزا الرشيد الروم وخلّف بالرافقة ابنه المأمون ومعه سليمان بن أبي جعفر، شعراً وهو:

يا طالباً من بني العباس فُرصته في الأمر دونكها إن كنت يقظانا

أما ترى الرقة البيضاء شاغرةً إلا شرادم ثذاذاً وخصيانا
ماترتجي بعد هذا اليوم لاظفرت [كفاك][1] إن لم تنلها من سليمانا
لاعيب بالمرء الا انّه رجل يحكي الخرائد تانيثاً وتِلْيانا

فبلغت الأبيات سليمان فحبسه وحلقه وضربه، فتكلم فيه سعيد الجوهري فخلى سبيله، ثم كلم المأمون فأذن له في حبسه فحبسه فقال في الحبس:

تعفو الكلوم وينبت الشعر ولكل وارد منهلٍ صدرُ
والعار في أبواب منبطح لعبيده ما أورق الشجر

وقال أيضاً:

قل لسليمان على مأرى من طول حبسي واقتراب الأجل
حبستني في غير جرمٍ سوى حكايتي عنك مقال الخطل
قولك ما أعرف من لذة لم أشفِ منها النفس الا الحَبَل

ومات في الحبس، وله شعر يهجو به البرامكة، ويقول في يحيى بن خالد:

يَتبعُ الزنديق يحيى وابنه إنه للغي قِدما مُتّبع

ويعقوبُ بن أبي جعفر، وأمّه فاطمة أيضاً وله عقب، وقد حج بالناس سنة اثنتين وسبعين، سقط عن فرسه فاندقّت عنقه.

وعيسى بن أبي جعفر، وأمّه فاطمة.

وصالح بن أبي جعفر، وأمه أم ولد، وكان يسميه صالحاً المسكين لرقّته عليه، ويقول: ماأشبعُ لصالح من حال ولا برّ، ويقول: ادعوا ابني المسكين،

---

١ ـ زيد مابين الحاصرتين مَن الصولي ـ أشعار أولاد الخلفاء ص١٦ .

ويقول لقوّاده: بُرّوه، فكانت الأموال تُهدى إليه،وقد ولي صالح بن أبي جعفر الموسم سنة خمس وستين ومائة للمهدي.

والقاسم بن أبي جعفر توفي في خلافة أخيه المهدي، وثب من قُبّة إلى قُبّة فسقط بينهما فمات، وأمه أم ولد.

وعبد العزيز بن أبي جعفر درج؛ والعباس درج وأمهما أم ولد. وعلي بن أبي جعفر، وأمه أم علي من أهل وادي القرى مات ابن سبع سنين.

وجعفر الأصغر وهو ابن الكرديّة، واسم الكردية صغيرة.

والعالية وأمها من ولد خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، تزوجها اسحاق بن عيسى بن علي. وعبيدة، توفيت في حياة أبيها. وفاطمة، زوَّجها المنصور يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس بن عبد المطلب.

ووُلد لأمير المؤمنين المهدي موسى، ويكنى أبا محمد، وهو الهادي، وهارون ويكنى أبا جعفر وهو الرشيد، والبانوقة، أمهم الخيزران جُرشيّة ويقال الخيزرانة، وعيسى، وهي أمّه أيضاً، وإليه نسبت عيساباذ ببغداد.

وعيسى وعبيد الله، أمهما ريطة بنت أبي العباس.

ومنصور بن المهدي، وأمه ابنة الأصْبَهْبَذ صاحب طبرستان وتسمى البخترية، وقيل إنها ولدت للمهدي أيضاً العالية. وسليمة وهي اسماء. والعباسة بنت المهدي لأم ولد. ويعقوب واسحاق لأم ولد. وابراهيم لأم ولد اسمها شكلة وهي من سبي دنباوند.

فأما موسى فولي الخلافة سنة تسع وستين ومائة، وكان يوم وَليها ابنُ خمس وعشرين سنةً، وأتاه خبر وفاة المهدي وهو بجرجان، فقدم الرشيد من ماسبذان مسرعاً إلى بغداد فضبط الأمور هو والربيع الحاجب، إلى أن قدم

الهادي. وكان المهدي حين شخص إلى ماسبذان استخلف الربيع على بغداد. وتوفي موسى بعيساباذ من بغداد وصلى عليه الرشيد، فكانت خلافته سنة وشهرين، وفيه يقول الشاعر:

لما أتت خيرَ بني هاشمٍ خلافةُ الله بجرجانِ
شَمّر بالحزم سرابيله تشمير لاغُمرٍ ولا وانِ

وأمّا هارون، فولي الخلافة في سنة سبعين ومائة، ومات بطوس[1] من خراسان في سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن خمس وأربعين سنة.

وقال أبو مسعود الكوفي: ولي هارون الرشيد الخلافة وله ثلاث وعشرون سنة، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وتوفي ابن ست وأربعين.

وأما البانوقة فتوفيت صغيرة.

وأما علي بن المهدي فحج بالناس غير مرة ومات ببغداد، والقصرُ الذي يعرف بقصر ابن رَيْطة بقرب سوق يحيى نُسب إليه، ووَليَ البصرة. وأما عيسى فمات صغيراً.

وأما عبيد الله بن المهدي فولى أرمينية وولي الجزيرة.

وأما منصور بن المهدي فولي فلسطين وغيرها وحَجّ بالناس ووَليَ البصرة، ومال الناسُ إليه في أيام فتنة محمّد الأمين بن الرشيد ببغداد، فأبى أن يدخل فيها أو في شيء من أمرهم.

وأما ابراهيم بن المهدي فإن ابنه هِبَة الله حدّثني أن مُحيّاة الطائفيّة أم ولد المنصور كانت بعثت بشكلة أم ابراهيم إلى الطائف فنشأت هناك ففصحت وقالت الشعر، وأنشدني لها شعراً في أخ كان له يقال له أحمد وهو:

---

١ ـ هي مشهد الحالية في ايران.

أحمدُ يفديه شبابُ فهرِ من كلّ ماريبٍ وأمرٍ نُكرِ
قد جاء مثل الشمس غبّ قَطِرِ في حُسن بدرٍ واعتدالِ صَقْرِ
بُنيّ احشايَ وذخر ذخري شدّ الهي بأخيك ظهري
وزاده ربُّ العُلى من عمري وذبَّ عنهُ من مخوف الدهرِ
وعنك ماأدري وما لاأدري

وكان ابراهيم شاعراً عالماً بالغناء، بايعه أهل بغداد بعد قتل محمد بن الرشيد، فلما ظهر قُوّاد أمير المؤمنين المأمون وأصحابُه، وعلا أمرهم استخفى فمكث حيناً مستخفياً، ثم خرج من موضع إلى موضع، فأنكر أمرُه، وأُخذ فعفا المأمون عنه، فقال فيه شعراً كثيراً، منه قوله:

رددتَ مالي ولم تبخل عليّ به وقبل ردّك مالي ماحقنتَ دمي
ففزت منك وما استحققتها بيد هي الحياتان من موت ومن عدم

ومن قوله:

فلو وُزنت بحلمك هضبُ رضوى لخف بحلمك الجبل الصلود
مننتَ ولو تشاءُ إذاً أسالت يداك دمي وقد قطع الوريد

وقوله بعد أبيات:

وعفوتَ عمن لم يكن عن مثله عفوٌ ولم يشفع إليك بشافع
الا العُلُوّ عن العقوبة بعدما ظفرت يداك بمستكين خاضع
ورحمتَ أولاداً كافراخ القطا وعويل باكية كقوس النازع

وأما العباسة بنت المهدي فزوجها الرشيد من هارون بن محمد بن سليمان فمات عنها فزوّجها بعده من ابراهيم بن صالح بن علي.

وأما موسى بن محمد

ابن علي بن عبدالله بن العباس فغزا مع أبيه فتوفي ببلاد الرّوم ، وولد له عيسى بن موسى ، ولاه أمير المؤمنين أبو العباس عهده وكان من خبره ماقد ذكرناه ، وولي داود بن عيسَى المدينة ومكة ، فأقام بمكة فكتب إليه يحيى بن هشام :

ألا قُلْ لداود ذي المكرمات والعدل في بلد المصطفى
أقمت بمكة مستوطناً فهاجر لِهجرةِ من قد مضى

وقد وليَ ابنُه موسى بن عيسى، وأمّه بنت ابراهيم بن محمّد، ويكنى أبا عيسى، المدينة للرشيد، وولي الكوفة وسوادها للمهدي، وموسى، والرشيد، وولي أرمينية لهارون الرشيد، وولي الموسم للرشيد، وولي مصر للرشيد.

وولي أيضاً أحمد بن موسى بن عيسى اليمامة للرشيد. ومدح ابن هرمة عيسى بن موسى بالأبيات التي يقول فيها:

أتتك الرواحلُ والملجما ت بعيسى بن موسى فلا تعجل

وقال لي الناسُ إن الحباء أتــاك مــع المَلِكِ المقبــل
فدونكها يابن ساقي الحجيج فـإني بها عنـك لم أبخلِ
أبـوك الـوصيُّ وأنتَ ابنُـه وصيٌّ نبيّ الهدى المرسل[1]

وكان عيسى إذا حجّ حجّ ناس يتعرضون لمعروفه فيصلهم ويعطيهم، فقال أبو الشدائد الفزاري:

عصابةٌ إن حجّ عيسى حجّوا وإن اقام بـالعـراق دجّـوا
قــد نـالهم نــائله فلجّــوا فـالقوم قـومٌ حجُّهم معوجُّ
ما هكذا كان يكون الحج

فقيل له: أتهجو الحاجّ؟ فقال:

اني وربِّ الكعبــة المبنيَّــة والله ماهجوتُ من ذي نيّه
ولا امرىء ذي رعةٍ تقيـه لكنني أُبقي عــلى البَـريّــه
من عصبة أغْلَوْا علِي الرعية اسعار ذي مشيٍ وذي مَطِيّه

1 ـ ديوان ابن هرمة ص١٨٥ ـ ١٨٦ .

وأما يحيى بن محمد

ابن علي بن عبدالله فإن أمير المؤمنين أبا العباس ولاه الموصل ، فجرد في أهلها السيف ، وهدم حائطاً كان عليها . وكان أهل الموصل أصناف : خوارجَ ، ولصوصاً ، وتجاراً ، فنادى منادي يحيى : الصَّلاةُ جامعة . فاجتمع الناس فأمر بقتلهم جميعاً ،وفيهم تجار ؛ وكان العامل على الموصل قبله محمد بن صول ثم صار خليفته . وقد كان ابن صول يقتل وجوه أهل الموصل ليلاً ويلقيهم في دجلة ، فلما ولي يحيى أمَره بمكاشفتهم ، وكانت ولايته في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وكان أهل الموصل لشرارتهم يسمون خزر العرب . وولّي المنصور يحيى فارس .

وحدثني معافى بن طَاووس الموصلي قال: هرب رجل من أهل الموصل من يحيى بن محمّد فدخل غاراً ومعه ابن له، فبعث ابنه ذات يوم ليتعرف له الخبر فعرفه ثم انصرف، فدلّى رجليه ليدخل الغار، وذهب عن الرجل أنه ابنه وظن أنه رجل جاء ليأخذه فضربه بالسيف فقطع رجله فنزف حتى مات، فذهب عقل الرجل. قال المعافى، قال أبي: فأنا رأيته بعد ذلك بحين

يجلس فيفكّر ثم يسقط فيبكي على ابنه.

وحدثني أبو موسى الفروي عن أبي الفضل الأنصاري قال: كان يحيى ابن محمّد عجولاً قليل الرويّة فيما يصنع، وكان أهل الموصل يسمونه الحتف.

وأما العباس بن محمد

ابن علي فهو صاحب العباسيّة ببغداد ، ولاه المنصور الجزيرة وأعمالاً سواها ومات ببغداد ، وكان يكنى أبا الفضل ، وكان الأعراب قد كثروا ببغداد في حُطمة فأجرى العباس على بعضهم خبزاً كان يفرق فيهم ، فقال شاعرهم حين قطع ذلك عنهم .

إن يقطع العباسُ عني رغيفه فما فاتني من نعمة الله أكثرُ

وفيه يقول سعيد بن سلم المساحقي :

ألا قُل لعباسٍ على نأي داره عليك السلامُ من أخٍ لك حامدِ
أتاني ولّما ينس ماكان بينه وبيني من ود فكنت كشاهدِ

في أبيات .

وقد حج عبيد الله بن العباس بالناس، وولي الفضل بن العباس مكة للرشيد، وحج بالناس.

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر ضرار بن عبد المطلب:

وأما ضرار بن عبد المطلب أخو العباس لأمه، فإنه لم يولد له ولم يتزوج وماتَ قبل الاسلام وهو حدّث.

وقال الكلبي: كان يُكنى أبا عمرو. وذكر بعضهم أنه كان أسن من العباس بسبع سنين.

وقال أبو اليقظان: كان ضرار يقول الشعر ولاعقب له.

وأما حمزة بن عبد المطلب:

فيكنى ابا يعلى وأبا عمارة وهو أسد الله وأسد رسوله، وامه هالة بنت أهيب الزهري. وروي أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده انه لمكتوب في السماء حمزة بن عبد المطلب اسد الله وأسد رسوله».

وقال الكلبي: كان لحمزة بن عبد المطلب من الولد يعلى وبكر وعامر درج، وأمهم بنت الملّة بن مالك من الأوس.

وقال غير الكلبي هي من بني سليم.

وعمارة بن حمزة وأمه خولة بنت قيس بن قَهْد من الأنصار من بني

النجار. وأمامة بنت حمزة، وأمها سلمى بنت عُميس الخثعمية.

قال: وكان ليعلى بن حمزة أولاد وهم: عمارة، ويعلى، والفضل، والزبير، وعقيل، ومحمد، درجوا فلم يبق لهم عقب.

وقال هشام الكلبي: زوّج النبي ﷺ أمامة بنت حمزة، سلمة ابن أم سلمة زوجته، وأبوه أبو سلمة بن عبد الأسد، فهلك قبل أن يجتمعا، وأخوا امامة لأمها: عبد الله، وعبد الرحمن ابنا شداد بن الهاد الكناني.

وقال الواقدي: كانت ابنة حمزة بمكة، فقال علي لرسول الله ﷺ في عمرة القضاء: علام نترك ابنة عمنا حمزة يتيمة بين ظهراني المشركين، فأخرجها فتكلم فيها زيد بن حارثة فقال: أنا أحق بها لأني وصي أبيها، وقال علي: أنا أحق بها هي ابنة عمي وأنا اخرجتها، وقال جعفر بن أبي طالب: أنا أحق بأن تكون عندي، هي ابنة عمي، وخالتها عندي، فقال رسول الله ﷺ: «الخالة والدة»، وقضى بها لجعفر. وبعض الرواة يقول ان اسم بنت حمزة أمة الله، وبعضهم يقول أم أبيها، وقال بعضهم اسمها عمارة، والثبت أن اسمها أُمَامة.

وحدثني حفص بن عمر العمري، حدثني اسحاق بن عيسى بن علي عن أبيه عن جده، أن عُمارة بن حمزة قدم العراق مع المسلمين فجاهد وقتل دهقاناً ثم انصرف فتوفي.

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن يونس بن يزيد الايلي عن الزهري، قال: زوّج رسول الله ﷺ أمامة بنت حمزة من سلمة بن أبي سلمة، فلم يضمّها إليه، وذلك أنه أصابه خبل وإكسال، ومات في أيام عبد الملك بن

مروان، وكان عمر أخوه أسن منه، فتزوج أمامة ومات أيضاً في أيام عبد الملك.

قالوا: وكان اسلام حمزة عليه السلام غضباً لرسول الله ﷺ، وذلك أن أبا جهل بن هشام آذى رسول الله ﷺ وأسمعه وشتمه، فأخبرتْ حمزة بذلك مولاة لابن جُدعان التيمي، ويقال سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب، وقد انصرف من قنصه، وكان صاحب صيد، فقصد إلى أبي جهل فضربه بقوسه فشجه وقال: اتشتم ابن أخي وتضيمه وأنا على دينه، وشهد بشهادة الحق.

وقال الواقدي: نال أبو جهل وابن الأصدا الهذلي، وابن الحمراء ذات يوم من رسول الله ﷺ وآذوه، فبلغ ذلك حمزة، فدخل المسجد مغضباً فضرب رأس أبي جهل بقوسه ضربة أوضحت في رأسه، ثم أسلم، فعزّ به رسول الله ﷺ وذلك بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وفيها جدد البيعة على حمزة وعلى أخته صفية بنت عبد المطلب، وكان أسلم قبلها، وكان حمزة أسنّ من النبي ﷺ بنحو من أربع سنين.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي أن يعضدني بأحب عمومتي إليه، فعضدني بحمزة والعباس».

وروي أن النبي ﷺ قال: «إن الله أكرمني باسلام خيار أهل بيتي، فيميني حمزة، وشمالي جعفر».

وحدثني علي بن محمد المدائني قال: بلغني أن هالة بنت أُهيب كانت تقول، وهي تعني حمزة: والله ماحملته وضعاً ولاوضعته يَتْناً، ولاأرضعته غيلاً، ولاأنمته على مأقة، وقد روي هذا القول عن أم تأبط شراً الفهمي. الوضعُ

والتُّضْعُ جميعا ان تحمله على استقبال الحيض، واليَتْنُ أن تخرج رجلاه قبل رأسه، والغَيْلُ: أن تسقيه لبنها وهي حامل، والمأقَةُ البكاء.

وقال الواقدي: لما هاجر حمزة نزل مع رسول الله ﷺ على مكتوم بن الهدم، ويقال على سعد بن خيثمة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة مولاه، وإليه أوصى يوم أُحد عند القتال. وكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ لواء حمزة. ويقال كان لواؤه ثانياً. وكان حمزة يوم بدر معلماً بريشة نعامة، ويقال بصوفة بيضاء في صدره، وبارز يومئذ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، فقال حمزة: أنا أسد الله ورسوله، فقال عتبة: أنا أسد الحلفاء، فقتله حمزة. وبارز علي عليه السلام، الوليد بن عتبة بن ربيعة فقتله، وبارز عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، شيبة بن ربيعة فاختلفا ضربتين فارتثّ عبيدة وكرّ حمزة وعلي جميعاً على شيبة فأجهزا عليه وتخلصا عبيدة فمات بالصفراء(1)، وقال بعضهم ان الذي بارز حمزة شيبة وان المبارز لعبيدة عتبة، وقتل حمزة وعلي يومئذ حنظلة بن أبي سفيان بن حرب وغيره، ونكيا في العدو نكاية شديدة، فقالت قريش: مافعل الأفاعيل إلا أخو صفية وابنها وابن أَخيها يعنون: حمزة، والزبير، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وروى محمد بن اسحاق أن حمزة قتل يوم بدر: الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وطعيمة بن عدي النوفلي بأمر النبي ﷺ بين يدي النبي ﷺ صبراً(2).

علي بن محمد المدائني عن أشياخه قالوا: انصرف حمزة يوم بدر، ولعلي

---

١ ـ الصفراء: واد قرب المدينة بينه وبين بدر مرحلة. المغانم المطابة.

١ ـ سيرة ابن هشام ج١ ص٥٢٨ ، ٥٣١ .

شارف، فنظر حمزة إليها وهو يشرب وذلك قبل تحريم الخمر وقينة تغنيهم، فقالت القينة:

الا يا حمز للشَّرفِ النواء   وهنَ مُعقّلاتٌ بالفِناء
ضع السكين في اللبات منها   فضرجهن حمزةُ بالدماء
وعجّل من أطايبها لشرب   كرام من طبيخ أو شواءِ

فقام حمزة إلى الشارف فنحرها وجبّ سنامها، فشكا علي ذلك إلى رسول الله ﷺ وبكى، فقال حمزة: لقد أنكرت غيرَ منكر، ومتى لم أكن لك سيّداً!.

قالوا: وحمل حمزة لواء رسول الله ﷺ في غزاة بني قينقاع ولم تكن الرايات يومئذ، وكان اللواء ابيض.

وحدثني عبد الله بن أبي أميّة عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال أمية بن خلف الجمحي لعبد الرحمن بن عوف يوم بدر: ياعبد الإله من المعلم بريش نعامة في صدره؟ قال: ذلك حمزة عم رسول الله ﷺ، فقال: ذاك الذي فعل الأفاعيل. قالوا: وبارز حمزة يوم أحد أبا نيار سباع بن عبد العزى بن نضلة بن عمرو بن غبشان الخزاعي، وكانت أمه قابلة بمكة، فقال له حمزة: هلمّ إليّ يابن قطّاعَة البظور، فقتله حمزة وأكبّ ليأخذ درعه فزرقه وحشي فقتله.

وقال الكلبي والواقدي: أم انمار بنت سباع هذا هي مولاة خباب بن الأرت.

واستشهد حمزة رضي الله عنه يوم أحد على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، وهو ابن تسع وخمسين سنة؛ وكان رجلاً ربعة ليس بالطويل

ولاالقصير، قتله وحشي بن حرب الأسود عبد جبير بن مطعم؛ وذلك أن جبيراً ضمن له إن أصاب رسول الله ﷺ أو حمزة أو علياً أن يعتقه، ويقال إنه كان مولاه ولم يكن عنده فجعل له جعلاً، ويقال إنه كان عبداً لطعيمة بن عدي.

وروي أن وحشياً كان عبداً لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان أبوها قتل يوم بدر فقالت له: إن قتلت أحد هؤلاء الثلاثة فأنت عتيق، فلما قتل حمزة عتق. ويقال إن هنداً بنت عتبه أم[1] معاوية قالت لوحشي: إن قتلت حمزة أو علياً فلك حكمك، فلما قتل حمزة أعطته سلبها وما كان عليها من حلي، وزادته على ذلك، وكانت في رجليها خواتيم فدفعتها إليه.

وروي أيضاً ان حمزة لما قتل سباعاً وأكبّ ليأخذ درعه سقط في جرف فرماه وحشي بمزراقه فوقع في ثنّته[2] حتى خرج من بين رجليه فقتله، ثم شقّ بطنه وأخرج كبده فجاء بها إلى هند فمضغتها ثم لفظتها، وجاءت فمثلت به واتخذت مما قطعت منه مَسَكتين[3] ومعضدين وخدمتين[4] فقدمت بذلك وبكبده إلى مكة، فسميت آكلة الاكباد.

وعمد معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن امية إلى حمزة فجدع أنفه فقُتِل على أحد بعد انصراف قريش، وليس له عقب إلا عائشة بنت معاوية أم عبد الملك بن مروان.

---

١ ـ بالأصل: بنت وهو تصحيف صوابه ماأثبتناه.
٢ ـ في هامش الأصل: الثنة مابين السرة والعانة.
٣ ـ المسك: الأسورة والخلاخيل. القاموس.
٤ ـ أي خلخالين. القاموس.

قالوا: وفقد رسول الله ﷺ حمزة، فقال للحارث بن الصمة الانصاري: «ألا تعلم لي علم عمي حمزة»، فمر به مقتولاً فكره أن يخبر النبي ﷺ بذلك، فقال لعلي: «ألا تعلم لي علم حمزة»، فمرّ به مقتولاً فكره أن يخبر النبي ﷺ بذلك، فقال لسهل بن حُنيف الأنصاري: «ألا تعلم لي علم حمزة»، فلقي علياً والحارث بن الصمة فأخبراه بخبر حمزة فأقام معهما. ثم قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: «ائتني بخبر حمزة»، فلم يجد بداً من أن يأتيه به فأخبره بمصابه فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال: «لاأُصاب بمثله فعند الله أحتسبه». وتصفح رسول الله ﷺ القتلى فوجده في بطن الوادي قد مُثِّل به فبكى، وقال: «لولا أن أغمَّ صفية أو تكون سُنّة بعدي ان لا يُدفن القتلى لتركته حتى يُحشر من حواصل الطير وبطون السباع، ولئن اظهرني الله عليهم لأمثّلنّ بقتلاهم»، فانزل الله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾[1] فقال ﷺ: «بل نصبر».

وقال الواقدي في روايته: وجاءت صفية وكانت أخته لأمه وأبيه تسأل عن خبر رسول الله ﷺ، وخبر حمزة فقالت لعلي: كيف رسول الله ﷺ؟ فقال: سالم صالح، فسألته عن حمزة فلم يبين لها شيئاً من خبره فجعلت تطلبه وقد تزاحمت الأنصار عليه فلم تره، فأمر رسول الله ﷺ ابنها الزبير بن العوام فردها فانصرفت. وكفن رسول الله ﷺ حمزة في بردة قصُرت عنه، فغطى وجهه، وجعل الحرمل[2] على رجليه.

حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، حدثنا حاتم بن اسماعيل، حدثنا

---

١ ـ سورة النحل ـ الآية: ١٢٦ .

٢ ـ الحرمل نبات، حبه يخرج السوداء والبلغم اسهالا. القاموس.

أسامة بن زيد عن ابن شهاب عن أنس بن مالك، قال: أتى رسول الله ﷺ على حمزة يوم أحد فوقف عليه فرآه قد مثِّل به فقال: لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته تأكله الطير العافية حتى يحشر من بطونها، ثم دعا بنمرة فكفنه فيها فكانت إذا مدت على رأسه بدت رجلاه وإذا مدت على رجليه بدا رأسه.

قال: وكثرت القتلى وقلت الثياب، فكفّن الرجلان والثلاثة في ثوب واحد، ودفنوا في قبر واحد جميعاً، وجعل رسول الله ﷺ يسأل عنهم أيّهم أكثر قرآنا فيقدمه إلى اللحد، ودفنهم رسول الله ﷺ ولم يصلِّ عليهم.

وحدثنا اسحاق بن أبي إسرائيل،حدثنا أبو الوليد سليمان بن داود الهاشمي، حدثنا ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عروة،قال: أخبرني الزبير أنه لما كان يوم أحد اقبلت امرأة تسعى حتى كادت تشرفُ على القتلى،قال: فكره النبي ﷺ أن تراهم فقال: المرأة المرأة! قال الزبير: فتوسمت فإذا هي أمي صفية بنت عبد المطلب، فخرجت أسعى إليها فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى قال: فلدمت[1] في صدري، وكانت امرأة جلدة وقالت: إليك لاأرض لك، قال فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك، قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مقتله فكفنوه فيهما، قال: فجئت بالثوبين ليكفن فيهما حمزة فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قد فعل به كما فعل بحمزة فوجدنا غضاضة وحياء أن يكفن حمزة في ثوبين والأنصاري بلا كفن فقلنا: لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر فاقترعنا بينهما فكفنّا كل واحد في الثوب الذي طار له.

١ ـ لدم: لطم،وضرب بشيء ثقيل يسمع وقعه.

قالوا : ودفن حمزة وعبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي ، وأمه أُميمة بنت عبد المطلب ، وهو أخو زينب بنت جحش في قبر واحد . وكان حمزة أول من صلى عليه النبي ﷺ من الشهداء يومئذ ، ثم جعل يؤتى بشهيد بعد شهيد فيوضع إلى جنب حمزة فيصلّي عليه النبي ﷺ ، وعلى الشهيد حتى صلى على حمزة سبعين مرة ، ونزل في قبره : أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، والزبير ، وكان رسول الله ﷺ على شفير القبر وقال : لقد رأيت الملائكة غسلت حمزة .

قالوا : وانصرف رسول الله ﷺ من أُحُد فسمع بكاء النساء على قتلاهن فقال : «لكن حمزة لا بواكي له» ، فجمع سعد بن معاذ نساء بني عبد الأشهل بن الأوس إلى باب رسول الله ﷺ فبكين على حمزة ، حتى سمع رسول الله ﷺ بكاءهن فقال : «قد آسيتن وأحسنتنّ» ، ودعا لهن وردهن ، فليس تبكي امرأة من الأنصار مُذْ ذاك ميتها حتى تبدأ بالبكاء على حمزة ، ثم تتبع ذلك بالبكاء على ميتها .

حدثني عبدالله بن صالح قال : حُدّثت عن عبد الجبار بن الورد عن أبي الزبير عن جابر أنه قال : لما أراد معاوية أن يجري عينه التي بأُحد كتبوا إليه : إنا لا نستطيع أن نجريها إلاّ على قبور الشهداء ، فكتب : انبشوهم ، قال : فرأيتهم يحملون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام ، وأصابت المسحاة طرف رجل حمزة فانبعثت دماً .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ، حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله أن معاوية بن أبي سفيان أمر بكظامة[1] تصنع له ، فمرت

١ ـ الكظامة : فم الوادي ، وبئر بجنب بئر بينهما مجرى في بطن الأرض . القاموس .

بقتلى أحد فاستخرجوا من قبورهم رطاباً تنثني أطرافهم بعد أربعين سنة .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا أبو الزبير عن جابر وعمرو بن دينار ان المسحاة أصابت قدم حمزة فدميت بعد أربعين سنة .

قال كعب بن مالك الانصاري يرثي حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه :

ولقد هُدِدْتُ لفقد حمزة هَدّةً ... ظلّت بنات القلب منها ترعدُ
ولو انه فجع الجبال بمثله ... ظلت رواسي صخرها تتهدّد
قرمٌ تمكّن في ذؤابة هاشم ... حيثُ النبوة والتُّقى والسؤدد
التاركُ القِرن الكمّي مجدّلاً ... يوم الكريهة والقنا يتقصّد
وتراه يرفل في الحديد كأنه ... ذو لبدةٍ شثن البراثن أربد
عم النبي محمد وصفيّة ... ورد الحِمامَ فطابَ ذاك المورد
وأتى المدينة معلماً في أُسرة ... نصروا الإله وحقّه فاستشهدوا
ولقد أتاني أنّ هنداً بشّرت ... لتميت عاجل غصّةٍ لا تبرد
مما صبحنا بالعقنقل[1] قومها ... يوماً تغيَّب فيه عنها الأَسعد[2]

وقال أيضاً :

صفيّةُ قومي ولا تعجزي ... وبكّي النساءَ على حمزة
ولا تسأمي أن تطيلي البكاء ... على أسد الله في الهِزَّة[3]

١ ـ العقنقل : الكثيب من الرمل .
٢ ـ انظر القصيدة كاملة في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٧ .
٣ ـ الهزاهز : تحريك البلايا والحروب للناس .

فقد كان ركناً لنا راسياً وليث الملاحم في البزّة[١]
يريد بذاك رضى أحمد ورضوان ذي العرش والعزّة[٢] .

وقال حسان ويقال كعب بن مالك :

بكت عيني وحُقّ لها بكاها وما يُغني البكاءُ ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول[٣]

في أبيات .

وحدثني المدائني عن الوقاصي عن الزهري ، قال : كان حمزة مُعلماً يوم أُحد بريشه نسر ، فنظر إليه صفوان بن أمية وهو يهدّ الناس هدّاً فقال : من هذا ؟ قالوا : حمزه بن عبد المطلب ، فقال : ما رأيت كاليوم رجلاً أسرع في قومه .

حدثني محمد بن سعد والوليد بن صالح عن الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة عن الحسن بن عبدالله عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بقتل وحشي قاتل حمزة فيمن أمر بقتله من ابن خطل وغيره ، فهرب إلى الطائف ، فلم يزل مقيماً هناك حتى قدم في وفد أهل الطائف فدخل على رسول الله ﷺ وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقال ﷺ : وحشي ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : حدثني كيف قتلت حمزة ؟ فأخبره فقال رسول الله ﷺ : «غيّب

١ ـ البزة : السلاح والشارة الحسنة .
٢ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٨ .
٣ ـ نسب ابن إسحاق القصيدة إلى عبدالله بن رواحة . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٦٠ .

عني وجهك قاتلك الله»[1] . قال وحشي : فكنت اذا رأيته تواريت ، ثم خرج الناس إلى مسيلمة الكذاب وخرجت معهم فزرقته بالحربة ، وضربه رجل من الأنصار فربّك أعلم أيُّنا قتله .

وحدثني الوليد ومحمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن ابن أبي عون عن الزهري عن عروة عن عبيدالله بن عدي بن الخيار قال : غزونا الشام في زمن عثمان ، فمررنا بحمص فقلنا : وحشي ، قالوا : لا تقدرون عليه هو الآن يشرب الخمر حتى يصبح ، فبتنا من أجله ونحن ثمانون رجلاً ، فلما صلينا الصبح أتيناه فقلنا له : حدثنا عن قتلك حمزة ، فكره ذلك فألححنا عليه ، فقال : كنت عبداً لمطعم بن عدي فورثني جبير بن مطعم ، فلما خرج إلى أُحد دعاني فقال : قد رأيت مقتل عمي طعيمة بن عدي قتله حمزة بين يدي محمد ، فإنْ قتلته فأنت حر ، ومررتُ بهند بنت عتبة فقالت : ايه أبا دسمة اشتَفِ واشف .

فلما وردنا أُحد رأيت حمزة يقدم الناس ويهدُّهم هدّاً ، فكمنت له خلف شجرة ومعي مزراقي ، وعرض له سباع الخزاعي ـ وكانت أمه ختّانة بمكة وهي مولاة لشريق بن عمرو الثقفي ـ فقتله . وأزرقه زرقة وقعت في ثنّته حتى خرجت من بين رجليه فقتلته ، وأمرّ بهند فأعطتني حليها وثيابها ،

وأما مسيلمة فاني زرقته وضربه رجل من الأنصار فالله أعلم أينا قتله ، إلا أني سمعت امرأة تصيح : قتله العبد الحبشي . قال عبيدالله : فقلت اتعرفني ؟ فأكرّ بصره ينظر إليّ ثم قال : ابن عدي لعاتكة بنت أبي العيص ؟

١ ـ مغازي الواقدي ص ٨٦٢ ـ ٨٦٣ .

قلت : نعم ، قال : أما والله ما لي بك عهد بعد أن رأيتك في محفتك التي أرضعتك فيها فعرفت قدميك .

وقال عبدالله بن جعفر : بلغني أن هنداً أعطته خدمتين من جزع ظفار ، كانتا في رجليها ، ومسكتين من ورق ، وخواتيم من ورِق .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو داود صاحب الطيالسة ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، حدثنا عبدالله بن الفضل الهاشمي عن سليمان بن يسار عن عبيدالله بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل قال : أقبلنا من الروم فلما كنا بحمص قلنا : نأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة ، فانطلقنا فرأينا رجلًا فسألناه عنه فقال : هو رجل قد غلب عليه شرب الخمر فإن أنتم أدركتموه شارباً فلا تسألوه عن شيء ، وإن وجدتموه صاحياً فسيخبركم عما تسألونه عنه . فمضينا نريده فاذا هو قاعد على بابه ، فلما رفعنا له نظر فقال : ابن الخيار ؟ قلت : نعم ، قال : والله ما رأيتك مذ ولدتك أمك بذي طوى ، فإني حملتك إليها فلما رُفعت لي قدماك عرفتهما . فقلت : جئنا نسألك عن قتلك حمزة . فقال : سأحدثكم كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألني ؛ إني كنت غلاماً عبداً لآل مطعم بن عدي فقال لي ابنُه : إن قتلت عمَّ محمد بعمّي فأنت عتيق . فخرجت وما لي حاجة إلّا قتل حمزة ، فأخذتُ حربتي وأنا من الحبشة ألعب بالحربة لعبَهم وذلك يوم أُحد ، فنظرتُ إلى حمزة وهو مثل البعير الأورق ، وما يرفعُ له أحد إلا قمعه بالسيف فهبتُه هيبة شديدة ، ونظرت كيف أصنع ، فبدرني إليه سباع فلما رآه حمزة قال : هلمّ إليّ يا بن مقطّعةالبظور ـ وكانت أمه ختّانة ـ فدنا منه فضربه ضربة بالسيف ففرغ منه ، فهبتُه وفرقته فاستترت بشجرة وأمَلْتُ حربتي حتى

إذا رضيتُ موقعها أرسلتها فوقعت بين ثندوتيه ، فذهب ليقوم فلم يستطع ، ثم أخذت الحربة وجلست فما قاتلت أحداً قبل ولا بعد ولا قتلته ، فلما قدمت مكة عتقتُ .

وقال الكلبي : قتل وحشي حمزة وشرك في قتل مسيلمة فكان يقول : قتلت خير الناس وشر الناس .

قال : وقالت صفية بنت عبد المطلب : أشرفت من الأطم فرأيت رجلاً زرق أخي بمزراق فقلت : أو من سلاحهم المزاريق ؟ ولم أدر أنه إنما وقع بأخي حمزة .

وحدثني محمد بن حاتم بن ميمون وعمرو بن محمد قالا : حدثنا ابن نمير ـ زياد بن المنذر عن أبي جعفر قال : كانت فاطمة تأتي قبر حمزة فترمّه وتصلحه .

وحدثني مظفر بن المرجّى عن ابن أبي فديك عن أبي حميد عن ابن المنكدر قال : لما ناح نساء الأنصار على حمزة قام النبي ﷺ يتسمّع ثم انصرف ، فقام على المنبر من الغد ينهى عن النياحة كأشدّ ما نهى عن شيء قط وقال : كل نادبة كاذبة إلا نادبة حمزة .

وأما المقوم بن عبد المطلب :

وهو أخو حمزة لأمه ، فكان يكنى أبا بكر ، ومات عبد المطلب وهو ابن خمس عشرة سنة ، ومات هو قبل المبعث بست سنين . وكان للمقوم ابنة تزوجها عمرو بن محصن أحد بني مبذول بن مالك بن النجار من الخزرج يقال لها هند ، فولدت له بشيراً ، وهو أبو عمرة بن محصن قتل مع علي يوم صفين . وكانت عند مسعود بن معتب الثقفي فاختة بنت المقوم ، ثم خلف عليها معتب بن أبي لهب ، ثم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وفاختته لقب ، وكانت تكنى أم عمرو . وكانت عند أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أروى بنت المقوم فلها منه بنات . وأم ولد المقوم بنت عمرو بن جعونة بن عربة من بني سهم .

وأما حجل[1] بن عبد المطلب :

وهو أخو حمزة أيضاً لأمه ، فكان اسمه المغيرة ، والحجل لقب ، وهو اليعسوب[2] ، وكان أصغر من المقوم بسنة مات بعد المقوم بسنة فاستكمل عمره ، قال ابن الأعرابي : أخبرني بذلك المسيبي . قال : وكان لحجل ابن يقال به قُرّة بن حجل ، وبه كان يكنى ، وهو القائل :

اذكر ضرارا إن عددتَ فتى ندىً   والصتم[3] حجلاً والفتيّ الرآسا
واذكر زبيرا والمقوّم بعده   والليث حمزة واذكر العباسا

وقد كتبنا أبياته على تأليفها فيما تقدم .

١ ـ في هامش الأصل : بتقديم الحاء المهملة على الجيم الساكنة .
٢ ـ اليعسوب : أمير النحل . القاموس .
٣ ـ الصتم : الرجل البالغ أقصى الكهولة . القاموس .

وأما الحارث بن عبد المطلب :

وبه كان يكنى ، فأن كنيته أبو ربيعة ويقال أبو المغيرة ، ومات قبل مولد رسول الله ﷺ ، وهو أكبر اخوته وأمه صفية بنت جُنيدب من بني سُواءة بن عامر بن صعصعة ، وكان له من الولد : ربيعة وهو أسنّ من عمه العباس بسنتين ، ويقال أربع ، أسر يوم بدرٍ كافراً ففداه العباس ثم أسلم ، وقد روَى عن النبي ﷺ ، وكان يكنى أبا أروى وداره بالمدينة في بني جَدِيلة ومات في خلافة عمر بن الخطاب . وقال رسول الله ﷺ : «نعم الرجل ربيعة لو قصَّ من شعره وشمّر من ثوبه» . وكان لربيعة ابن يقال له آدم قتلته بنو ليث في حرب كانت بينهم وبين هذيل ، وكان مسترضعاً له في هذيل فأصابه حجر وهو يحبو ، فوضع رسول الله ﷺ دمه مع ما وضع من الدماء في الجاهلية يوم الفتح .

قال أبو عمرو الشيباني وغيره : خرج حذيفة بن أنس الشاعر بقومه غازياً لبني الدِّيل وبكر بن كنانة فوجدهم قد انتقلوا عن المنزل الذي عهدهم فيه ونزله بنو سعد بن ليث فأغار عليهم ، فقتل آدم بن ربيعة ، وكان

مسترضعاً له فيهم ، وهو صغير . ومن ولد ربيعة ، محمد بن ربيعة بن الحارث ويكنى أبا حمزة ، وكان فقيهاً . ومن ولد ربيعة عبد المطلب بن ربيعة .

حدثني عمرو بن محمد عن محمد بن فضيل بن غزوان عن يزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال : مشى بنو عبد المطلب إلى العباس فقالوا : كلِّم رسول الله ﷺ في أن يجعل إلينا من هذه السعاية على الصدقات ما يجعل إلى الناس . قال : فبعث العباس ابنه الفضل وبعثني أبي ربيعة بن الحارث إلى النبي ﷺ حتى دخلنا عليه فأجلسني والفضل عن يمينه وشماله ثم أخذ بأذني وأذن الفضل فقال : «أخرجا ما تصرّران» ، فقلنا : بعثنا إليك عمك واجتمع بنو عبد المطلب يسألون أن تجعل لهم نصيباً في هذه السعاية ، فقال : «إن الله أبى لكم يا بني عبد المطلب أن يطعمكم أوساخ أيدي الناس ، أو قال غسالة أيدي الناس ، ولكن لكما عندي الحباء والكرامة ، أما أنت يا فضل فقد زوجتك فلانة ، وأما أنت يا عبد المطلب بن ربيعة فقد زوجتك فلانة» ، فرجعنا فأخبرنا بقول رسول الله ﷺ .

وقد روي أيضاً أن العباس مشى إلى النبي ﷺ ومعه الفضل و(عبد) المطلب فكلمه في توليتهما الصدقة وقال : قد بلغا ولا نساء لهما ، فقال : «إنما هي أوساخ الناس وما أنا بموليهما» .

ومن ولد ربيعة ، محمد بن عبد المطلب بن ربيعة كان ناسكاً فاضلاً ، من ولده : عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبد المطلب ولي اليمن ، ومحمد بن عبدالله بن سليمان ولاه الرشيد المدينة ، والمغيرة بن الحارث بن عبد

المطلب ، وهو أبو سفيان الشاعر الذي كان يهاجي حسان بن ثابت الأنصاري وفيه يقول :

أبوك أبو سوءٍ وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالكا[١]

وكان يقول في رسول الله ﷺ ، ثم أسلم في الفتح فحسن اسلامه ، ومدح رسول الله ﷺ وهو الذي يقول :

لعمرك إني يومَ أحملُ راية لِتغْلِبَ خيلُ اللاتِ خيلَ محمدِ

لكالمدلج الحيران أظلمَ ليلُه فهذا أواني اليوم أهدي وأهتدي

في أبيات .

وأسلم أبو سفيان بن الحارث في الفتح فحسن إسلامه ، وصبر مع النبي ﷺ يوم حنين ، وقال له رسول الله ﷺ : «أنت ابن أمي ومن خير أهلي» ، وقال : «إني لأرجو أن تكون خلفاً من حمزة» . ومات أبو سفيان بالمدينة سنة عشرين وصلى عليه عمر بن الخطاب ، ودفن في دار عقيل بن أبي طالب . وأُمُ أبي سفيان (و) ربيعة ونوفل وعبد شمس ، وعبدالله ، وأميّة بني الحارث غُزَيّة بنت قيس بن طريف بن عبد العُزّي بن عَامِر ، من بني الحارث ابن فهر .

ومن ولد أبي سفيان : جعفر بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، يذكر أهله أنه أدرك مع النبي ﷺ حنيناً ، ومات في وسطٍ من أيام معاوية .

ومن ولد الحارث بن عبد المطلب نوفل بن الحارث وكان يكنى أبا الحارث ، ويقال إنه محمد ، ثبت مع النبي ﷺ يوم حنين ومات لسنتين من

١ ـ ديوان حسان ج١ ص ٥٠١ .

خلافة عثمان . ومن ولده المغيرة بن نوفل ولاه الحسن بن علي الكوفة حين سار إلى معاوية . وسعيد بن نوفل كان فقيهاً ، والصلت بن عبد الله بن نوفل كان فقيهاً ، وعبد الله بن المغيرة بن نوفل بن الحارث أبو محمد هلك في زمن عمر بن عبد العزيز . وكان لوط بن اسحاق بن المغيرة بن نوفل بن الحارث ، يكنىٰ أبا المغيرة ، عابداً عالماً فقيهاً مات في خلافة أبي جعفر أمير المؤمنين ، ومات ابنه محمد بن لوط في خلافة أبي جعفر أيضاً .

ومن بني نوفل يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل ، ويكنى أبا خالد ، وكان فقيهاً مات بالمدينة سنة سبع وستين ومائة . ومنهم الزبير بن سعيد بن سليمان بن نوفل بن الحارث ، ويكنى أبا القاسم ، مات في أيام المنصور أبي جعفر .

ومن ولد جعفر بن الحارث ، الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، صحب النبي ﷺ واستعمله على بعض أعمال مكة ، وولاه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم مكة ، ثم انتقل إلى البصرة واختط بها داراً ونزلها في ولاية عبد الله بن عامر بن كريز ، ومات في آخر خلافة عثمان .

وقال محمد بن سعد : كان عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أول من ولي القضاء بالمدينة في زمن مروان بن الحكم ، ومات في سنة أربع وثمانين . وقال أهل بيته مات في زمن معاوية ، وكان يشبّه بالنبي ﷺ ، وأنكروا أن يكون ولي القضاء[1] .

ومن ولد نوفل ، عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو بَبَّة ، وإنما سمي ببّة لأن أمه هند بنت أبي سفيان بن حرب

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٤٤ ـ ٤٥ مع شيء من الفوارق .

ـ وأمها أم عمرو ابنة أبي عمرو بن امية ـ وكانت تزفنه صغيراً ـ أي ترقصه فتقول :

لأُنِكحن بّبه	جارية خدبّه	عظيمة كالقبه
إذا بدت في نقبه	تمشطُ رأس لعبه	تجب أهل الكعبه

كريمة في النسبه

وكان ممن سفر بين الحسن بن علي وبين معاوية في الصلح ونزل مع أبيه بالبصرة . وكان سأل معاوية توليته فقال : لام الف ، يعني لا ، وولاه عبيد الله بن زياد أمر مدينة الرزق ، وأعطاء الناس ، وحبسه ابن زياد ثم خلى سبيله .

ولما هاج أهل البصرة بابن زياد بعد موت يزيد بن معاوية واستخفى ابن زياد في منزل مسعود بن عمرو الأزدي ، التمس أهل البصرة من يقوم بأمرهم ، فقلدوا الاختيار لهم النعمان بن صهبان الراسبي ، وقيس بن الهيثم السُّلمي . وكان رأي قَيس في بني أمية ، ورأي النعمان في بني هاشم ، فخلا النعمان بن صهبان بقيس فقال له : الرأي أن نقيم رجلاً من بني أمية ، فقال : نِعْمَ ما رأيت ، فخرجا إلى الناس فقال قَيس : قد رضيت بمن رضي به النعمان وسماه لكم ، فقال النعمان : قد اخترت لكم عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث الهاشمي ، فقال له قَيس : ليس هذا بالذي اعلمتني أنك تختاره ، فقال : بلى لعمري ما ذكرتُ غيره أفَبَدَا لك وقد مضى الأمر ؟ فرضوا به وبايعوه إلى أن يجتمع الناس على إمام ، ومكث عليهم أشهراً .

ثم إن الامور انتشرت واضطربت فقيل لبّبه : قد أكل بعض الناس

بعضاً وظهر الفساد حتى أن المرأة لتؤخذ فتفضح فلا يمنعها أحد ، وقد انتشرت الخوارج بالمصر، قال: فماذا ترون؟ قالوا: تبسط يدك وتشهر سيفك ، قال : ما كنت لأصلحكم بفساد نفسي وديني ، يا غلام هات نعلي ، فأعطاه نعله فلبسها ومضى إلى أهله ؛ وقال : ولّوا أمركم من شئتم ؛ فأمّروا عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي من قريش ، وقدم بعده القباع من قبل عبد الله بن الزبير ، وكان عمر قد أخذ البيعة لابن الزبير ، فزعم بعضهم أنه كتب إليه بولايته ، ثم بعث بالقباع بعده . ثم إن ببّه خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ، فلما هزم ابن الاشعث خاف ببّه الحجاج فهرب إلى عُمان فمات بها بعد دخولها بقليل ، وهو شيخ كبير . وكان في اذن ببّه ثقل . ويقال إن أهل البصرة ولّوا بعد ببّة عمر بن عبيد الله بن معمر أو أخاه عبيد الله بن عبيد الله بن معمر ، ثم ولى ابن الزبير عمر بن عبيد الله فاستخلف أخاه عبيد الله . وكان ببّة قد تناول من مال عمله أربعين ألفاً من بيت المال واستودعها رجلاً فأخذه بها عمر وحبسه وعذب مولى له فأدّاها . وقال يزيد بن عبد الله بن الشخّير لببة : اصبت من المال وزعمت أنك اتقيت الدّم ، فقال : تبعة المال أهون من تبعة الدم .

وقال الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش ، ان اهل البصرة كتبوا الى ابن الزبير : إنّا قد اصطلحنا على ببّة ، فأقره عليهم سنة ثم ولّى القباع المخزومي ، والخبر الاول أثبت ، فقال الشاعر الحنظلي :

وبايعتُ أقواماً وفيتُ بعهدهم وبايعتُ عبد الله أهل المكارم
وفيتُ له لما عقدتُ ولم يكن أمية لولا العهد عندي كهاشم

وكان أهل البصرة يقولون :

قد خطبَ الجمعةَ بانكويَّه أميرُنا ببّة لا لُبَيّه

وقال الفرزدق :

وبايعتُ أقواماً وفيتُ بعهدهم وببّةَ قد بايعتُه وهو نائم[1]

وكان من ولد ببّة الأرجوان ، وهو عبيد الله بن عبد الله ببّة بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وحُدَّ في الشراب مرتين . وكان من ولد ببة عبد الله بن عبد الله ببة بن الحارث أبو يحيى ، قتلته الشموس والسموم بالأبواء سنة تسع وتسعين ، وهو مع سليمان عبد الملك ، وهو صَلى عليه .

وكان من ولد الحارث بن عبد المطلب ، عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه الفضل بن العباس ، وابنه الفضل بن عبد الرحمن الذي يقول :

إذا ما كنت متّخذاً خليلاً فلا تجعل خليلك من تميم

بلونا حُرّهم والعبدَ منهم فما عُرف العبيدُ من الصميم

موالينا إذا احتاجوا إلينا وسيرٌ قُدَّ من وسط الاديم

وأعداءٌ إذا ما النعل زلّت وأولُ من يغير على الحريم

وهو الذي رثى زيد بن علي ، وقد كتبنا شعره مع مقتل زيد .

وكان عبد الرحمن مع ابن الاشعث وشخص معه الى سجستان فتأمّر بها على فلّه حين لجأ ابن الأشعث إلى رتبيل ، وصار إلى خراسان فغلب على هراة ، فزحف إليه يزيد بن المهلب فهزمه يزيد ، وأمر أن لا يتبع وأن يمسك عنه ، فمضى إلى السند فمات بها . وكان يقال لعبد الرحمن هذا روّاض

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

البغال ، وكان يتخذها ويجيد ركوبها ، وقاتل أيضاً بأهل البصرة وأهل الكوفة ممن كان مع ابن الاشعث بالمربد حتى هزم ، وكان يقول :

أنا ابن عباس بن عبد المطلب للاجر يوم المربد من محتسب
ابيض شارٍ بالدماء مختضب

ثم هرب فلحق بسجستان ، فقال الفرزدق :

وافلت روّاض البغال ولم تدع له الخيل في عرسيه اذ فَرَّ مشغرا[١]

وحدثني أبو مسعود بن القتّات قال : لما بلغ عبد الله بن حسن بن حسن موت الفضل بن عبد الرحمن ، وجم حتى عرف ذلك فيه ، فقيل له ما الخبر فقال : مات سيدنا بالعراق الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث ، وكان الفضل زيدياً ، ومات في سنة تسع وعشرين مائة .

١ ـ ديون الفرزدق ج ١ ص ٢٤٠ وفيه «له الخيل من إخراج زوجيه معشرا» .

رؤيا عبد المطلب

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن ابن عباس قال : رأى عبد المطلب بن عبد مناف في منامه أن يحتفي زمزم ويحفرها ، ودُلّ موضعها ، وكانت جرهم دفنتها عند إخراج خزاعة إياها عن مكة ، فنازعته قريش حين حفر زمزم في حفرها ، وليس له يومئذ من الولد إلا الحارث وحده فقال له عدي بن نوفل بن عبد مناف : يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذّ لا ولد لك إلا الحارث ؟ فقال عبد المطلب : أأنتَ تقولُ هذا ؟ وإنما كان نوفل أبوك في حجر هاشم ، وكان هاشم خلف على أمه وافدة نكاح مقت ؛ أبالقلة تعيرني ؟ فوالله لئن آتاني الله عشرة من الذكور لأنحرن أحدهم عند الكعبة . فآتاه عشرة فأقرع بينهم فوقعت القرعة على عبد الله ، وكان أحب الناس إليه ، فقال : اللهم هو أم مائة من تلاد إبلي ، فأقرعَ بينه وبين مائة من إبله فوقعت القرعة على المائة فنحرها وقسمها في فقراء مكة ومن وردها من الأعراب .

وقال الواقدي : تكأد[1] عبد المطلب حفر زمزم فقال : لئن تمّ حفرها

١ ـ تكأد الأمر : تكلفه وكابده . القاموس .

لأنحرنّ بعض ولدي ، فوقعت القرعة على عبد الله فاقرع بينه وبين مائة ناقةٍ من إبله فوقعت القرعة على الإبل فنحرها ، ومات الحارث بن عبد المطلب في السنة التي نحر فيها عبد المطلب الإبل ، وكان لابنه ربيعة بن الحارث حين مات أبوه سنتان .

وقال الواقدي : كان نحر الابل قبل الفيل بخمسن سنين ، فكان ربيعة أسنّ من رسول الله ﷺ بسبع سنين لأن رسول الله ﷺ ولد في عام الفيل ، وكان ربيعة أسن من عمه العباس بأربع سنين . وكان العباس أسنّ من رسول الله ﷺ بثلاث سنين ، وكانت لمحمد بن ربيعة بن الحارث شعرة حسنة فذهبت ، فكان أبو هريرة الدّوسي يقول : إنما مثل الدنيا مثل جُمّة أبي حمزة محمد بن ربيعة . وكانت للحارث بن عبد المطلب ابنة يقال لها أروى تزوجها أبو وَداعة بن صُبيرة السهمي .

وكان لأبي سفيان بن الحارث من الولد : جعفر ، وأبو هيّاج ، أمهما جمانة بنت أبي طالب ولا عقب لهما ، ويقال ان جعفراً شهد وقعة حنين مع النبي ﷺ وكانت عنده أروى بنت المقوّم فولدت له بنات .

وكان من ولد الحارث بن عبد المطلب لصلبه عبد شمس ، فولده قليل يقال لهم المَوْزة بالشام ، وهم بالشام ولهم عدة لا يزيدون عليها ، وقال بعض الرواة إنهم لم يزيدوا على اثنين قط ؛ وقال بعض المدنيين هو عبد شمس بن ربيعة بن الحارث .

وكانت عند تميم الداري أم حكيم من ولد نوفل بن الحارث .

وكانت رقية ابنة سعيد بن نوفل بن الحارث عند بكر بن حصين بن ربيعة بن أُويس بن سعيد بن أبي سرح ، من بني عامر بن لؤي ، وكانت

تقدمت إلى عبد الملك بن مروان وهو بالمدينة فتكلمت في أمر زوجها فقال : ومن زوجك ؟ قالت : بكر بن حُصين ، قال : اذكري أباً آخر ، قالت : عهدي بالقوم حديث إلا انه يُنسب إلى أويس ، فقال : ويحك أوَ تنكح الحرة عبدها ! فقالت : يا أمير المؤمنين :

إنّ القبور تنكح الأيامى النسوة الأرامل اليتامى
المرء ما تبقى له السُّلامى

فقال عبد الملك : لعن الله هشام بن اسماعيل ، وكان عامله على المدينة ، وقضى حاجتها .

وكان عبد الله بن المغيرة بن نوفل بن الحارث ويكنى أبا محمد محدِّثاً هلك في أيام عمر بن عبد العزيز .

وكان عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، ويكنى أبا يحيى محدِّثاً قتلتهُ السموم بالأبواء سنة تسع وتسعين وهو مع سليمان بن عبد الملك وصلى عليه سليمان ، وروى عنه الزهري .

وقال محمد بن سعد : كان يقال للحارث الأرَت ، وكانت ابنته بُحينة عند مالك الأزدي حليفهم ، وعبد الله بن بُحينة أحد المحدثين .

وأما قثم بن عبد المطلب :

وأمه صفية بنت جنيدب أم الحارث بن عبد المطلب ، فدرج صغيراً . وقال غير الكلبي : مات قبل مولد النبي ﷺ بثلاث سنين وهو ابن تسع سنين فوجد عليه عبد المطلب وجداً شديداً ، وكان له محبّاً يتبرك به ، فلما ولد رسول الله ﷺ سماه عبد المطلب قثم ، فأخبرته أمه آمنة أنها أُرِيت في منامها أن تُسَميه محمداً فسماه محمداً .

وأما أبو لهب :

فاسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكان فائق الجمال فكناه أبوه أبا لهب لذلك ، وكانت كنيته أبا عتبة ويقال أبا عتيبة ، وأمه لُبْنَى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشيّة بن سلول من خزاعة ، وكان جواداً وفيه يقول حذافة بن غانم العدوي :

أبو عتبة الملقي إليّ حباله أغر هجان اللون من نفرٍ غرّ

ومات بعد وقعة بدر بسبعة أيام ولم يشهدها ، لأنه وجه العاص بن هشام المخزومي مكانه ، وكان لا عَبه على إمرةٍ مطاعة ، فقمره فبعثه إلى بدر بديلاً منه فقتله عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان لأبي لهب من الولد : عُتْبة ، ومُعَتِّب ، وعُتيبة . وكان عتيبة سمع النبي ﷺ يقرأ : ﴿والنجم إذا هوى﴾[1] فقال : كفرت برب النجم ، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» ، فإنه لبحوران من أرض الشام إذ أقبل أسد فجعل يتشمّم أصحابه واحداً واحداً حتى بلغ إليه فضمغه ضمغة فجعل يقول ،

١ ـ سورة النجم ـ الآية : ١ .

وهو بآخر رمق: ألم أقل لكم إن محمداً أصدق الناس ، ثم مات . وقال بعضهم احتمله الأسد فأكله .

وأم أولاد أبي لهب أم جميل بنت حرب بن أمية ، أمها أزدية . وكان موت أبي لهب بداء يعرف بالعَدَسة[١] .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده وغيره ، قالوا : أُرِي عبد المطلب ان يحتفر زمزم ، وكانت جرهم دفنتها وطمّتها ، فلما احتفرها وجد غزالاً من ذهب وفضة مُقرّطاًمشنّقاً ، فصيّره في الكعبة . وكان لمقيس بن قيس بن عدي السهمي قينتان يقال لهما أسماء وعثمة ، وكان بيته مألفاً لرجال من قريش ، وكان أبو لهب بن عبد المطلب ، والحكم بن أبي العاص بن أمية ، والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وأبو اهاب بن عزيز بن قيس بن سويد بن ربيعة بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وديك ودُبيك موليا خزاعة يجتمعون عنده ، فإن هؤلاء جميعاً لعنده إذ نفدت خمرهم وأقبلت ضافطة[٢] من الشام فقال أبو لهب : ما أعلم موضع شيء نبتاع به خمراً إلا غزال أبي الذي في الكعبة ، فأعظم القوم ذلك وأبوه فقال : أنا أحق الناس به قوموا بنا ، فقاموا معه فسرقوا الغزال واشتروا ببعضه خمراً وحلّى أبو لهب منه القينتين ، وحلاهما الحارث بن عامر بن نوفل من قسمه قرط الغزال أو شنفه ، فقال فيه أبو إهاب بن عزيز :

أبلـغ منـافـاً إذا جئـتهـا فـأيّ فتى ولـدت نـوفـل

---

١ ـ بثرة تخرج بالبدن فتقتل . القاموس .

٢ ـ الضافطة : الإبل الحمولة ، والرفقة العظيمة . القاموس .

إذا شرب الخمر أغلَى بها وإن جهدت جهدها العُذَّل
دعــاه إلى الشّـنـف شــ ــف الغزال هواه لخمصانة عيطل

وقال حسان بن ثابت لأبي اهاب بن عزيز :

أبا إهاب أَبِنْ لي عن حديثكم أين الغزال عليه القرط من ذهب(١)

فطلبت قريشٌ سَرَقَةَ الغزال فقطعوا بعضهم وهرب بعض ، ولجأ أبو لهب إلى أخواله من خزاعة فمنعوه ودفعوا قريشاً عنه ، وكان أشدّ قريش طلباً لسرقة الغزال عبدالله بن جُدعان التيمي ، فقال الشاعر في منع خزاعة من أبي لهب :

هُمُ منعوا الشيخ المنافيّ بعدما رأى الشفرة الحجناء(٢) فوق البراجم

وقد كتبنا لأبي لهب أخباراً فيما تقدم من كتابنا فلم يحتج إلى اعادتها .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه قال : كانت ابنة زرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم عند سويد بن ربيعة جدّ أبي إهاب بن عزيز ، وكان المنذر بن ماء السماء ـ وهي أمّه ، وهي من ولد النمر بن قاسط ـ وضع ابناً له عند زرارة يقال له مالك ، فمرّ مالك بإبِل لسويد فأعجبته بكرةٌ منها فأمر بها فنحرت وأكل منها وأطعم باقيها . وكان سويد قد خرج يتصيّد فلما جاء أُخبر بخبر البكرة فاستشاط غضباً فوثب على مالك بن المنذر فضربه فأمّه(٣) فلم يلبث أن مات ، فحلف عمرو بن المنذر ليحرقن من بني حنظلة مائة ،

١ ـ انظر ديوان حسان ج ١ ص ١٣٥ مع فوراق .
٢ ـ التحجن : الاعوجاج . القاموس .
٣ ـ أي أصاب راسه .

فأحرقهم ، وهرب سويد فلحق بمكة فحالف بني نوفل بن عبد مناف ، واختط بمكة داراً فولده بها ، وسمي عمرو محرّقاً .

ومن ولد أبي لهب الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر ، وأمه ابنة العباس بن عبد المطلب .

حدثني منصور بن أبي مزاحم عن شعيب بن صفوان قال : كان الفضل بن عباس بن عتبة أِنساً بالوليد بن عبد الملك ، فحج الوليد فبينا هو مسند ظهره إلى زمزم قال له الفضل : ألا آتيك بماء من زمزم تشربه وتغسل منه وجهك ، فقال : افعل ، فجعل يستقي ويقول :

يأيها السائل عن عليٍّ تسأل عن بدرٍ لنا بدري
مردّد في المجد أبطحيٍّ سائلة غُرَّتُه مضيّ
زمزمُ يا بوركت من طويّ بوركت للساقي وللمسقيِّ
اسقي على مائرة النبي

فقال له الوليد ، ما أكثر لغطك ، فقال : ان هذا الشعر في علي بن عبدالله بن عبدالله بن العباس ، ويُروى :

تسأل عن قرم لنا بدري

نسبة إلى البدر ، ويقال هو في علي بن أبي طالب ، يريد أنه شهد بدراً .

وحدثنا محمد بن زياد الأعرابي الراوية عن المفضل الضبي قال : كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب يُعَيِّن فاذا حلّت دراهمه على غرمائه ركب حماراً له كان يسميه شارب الريح فيقف عليه ثم يقول :

بني عمنا رُدُّوا الدراهم إنه يفرق بين الناس حبُّ الدراهم

قال : وكان رجل من بني الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة يقال له عقرب عَسِر القضاء فإذا تعلّق به غرماؤه أفلتهم وهرب عنهم وقال :

فلو كنتُ الحديد لكسّروني ولكني أشدّ من الحديد

فعيّنه الفضل مالاً ، فلما كان قبل محله جاء فبنى على باب عقرب معلفاً لحماره وأتى بشيء فبسطه ، فلقي كل واحد منهما من صاحبه شرّاً ، فهجاه الفضل فقال :

قد تَجَرَتْ عقرب في سوقنا لا مرحباً بالعقرب التّاجِره
إن عادت العقربُ عُدنا لها وكانت النّعلُ لها حاضره
كل عدو يُتقى مقبلاً وتُتّقى لسعتُها دابره
إنّ عدوًا كيدهُ في استِه لغير ذي كيد ولا نائره
قد خابت العقرب واستيقنت أنْ ما لها دنيا ولا آخره

المدائني عن أبي اليقظان قال : وفد الفضل بن عباس بن عتبة على الوليد فوصله وأجازه ، فقال : يا أمير المؤمنين لا تنس شارب الريح ، يعني حماره ، فقال : ولِمَ لا نحملك على خير منه ، قال : إن له بي حُرمة وهو أحب إليّ من غيره فارزقه ، فأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير فكان يقبضها مع رزق كان أجرَاه عليه ؛ وكان لا ينفق على حماره شيئاً إنما كان يتطلب له العلف والحشيش من الناس ، فكتب بعض أهل المدينة قصة وجعلها في عنق الحمار وساقه إلى صاحب الشرطة بالمدينة ، وكان في القصة : إني بالله وبالمسلمين ، فإن صاحبي يقبض رزقي ولا يعلفني منه بشيء .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين قال : دخل الفضل بن عباس بن عتبة على الوليد بن عبد الملك فأنشده :

أتيتُك خالاً وابنَ عمّ وعمّةٍ ولم أكُ شعباً ناطني بك مُشْعب
فَصِلْ واشجاتٍ بيننا من قرابةٍ ألا صلةُ الأرحام أدنى وأقرب

وكان عند الوليد ، الحارث بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط الدعيّ ، فهمس إلى الوليد فيه بشيء ، فقال الفضل : يا أمير المؤمنين إن نوحاً عليه السلام حمل في سفينته من كل زوجين اثنين ولم يكن معه فيها دعيّ ، فامتقع لون الحارث واطرق .

وحُدّثت عن المسيّبي أنه قال : دخل الفضل بن عباس بن عتبة على الوليد بن عبد الملك ، وعنده عبّاد بن زياد ، وكان بينه وبين عمر بن عبد العزيز شيء ، فأنشد الفضل شعره الذي يقول فيه :

ولم أكُ شَعْباً ناطني بك مُشْعب

فقال عبّاد : ينبغي والله يا أمير المؤمنين أن توصل رحمه ، فقال عمر بن عبد العزيز :

النخس يكفيك البطيء المحثل[1]

المدائني قال : لما مات الوليد بن عبد الملك ، وقد كان مسيئاً إلى أخيه سليمان ، وفد الفضل إلى سليمان ورثى الوليد فقال :

امررْ على قبر الوليد فقل له صلى الإله عليك من قبر
يا واصل الرحم التي قطعت وأصابها الجفواتُ في الدهر

فقال سليمان : يصل رحمك ويقطع رحمي ؟ ثم أمر به فوجئت عنقه وأخرج من بين يديه .

---

١ ـ أي أن الحث يحرك البطيء الضعيف ويحمله على السرعة . مجمع الأمثال للميداني ـ ط . القاهرة ١٩٥٩ ج ٢ ص ٣٤٦ .

قالوا : وهاجى الفضلُ الحارثَ بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة فاجتمع الناس لحضور انشادهما فأنشد الفضل :

وأنـا الأخضرُ من يَعرفُني أخضرُ الجلدةِ في بيتِ العرب
من يُساجِلْني يُساجِلْ ماجداً يملأُ الدَّلو إلى عَقْدِ الكُرَب

فلما فرغ قال الحارث : ﴿تبّت يدا ابي لهب وتب﴾[1] فصاح الناس بالفضل وضحكوا ، وانهزم عنه وأنشأ يقول بعد ذلك :

ماذا يريد إلى شتمي ومنقصتي أم ما يريد إلى حمّالةِ الحطبِ
غرّاء سائلةٌ في المجد فضّلها فـي الجاهلية فضلُ السادة النجب

ويروى :

غراءُ سائلةٌ في المجد غُرتّها كانت سلالة شيخ ثاقب النسب

وكان أبو خداش بن عتبة من جلساء معاوية ، وكان ذا لسن .

وحدثني عافية التميمي عن إسحاق بن إبراهيم قال : أنشد الأحوص الشاعر الأنصاري الفضل شعراً من شعره فقال : ما أحسن شعرك إلا أنك لا تأتي من غريب الكلام بشيء ، فقال : وكيف وأنا أقول :

ما ذاتُ حبلٍ يراهُ الناسُ كلُّهم وسط الجحيمِ فلا يخفى على أحد
ترى الحبال حبال الناس من شَعرٍ وحبلُها وَسطَ أهلِ النّارِ مِنْ مَسَد[2]

وكان مسلم بن معتب بن أبي لهب يشبّه بالنبي ﷺ ، وكان جميلاً ، وقد شهد وقعة حنين مع النبي ﷺ .

وكان من ولد أبي لهب ، حمزة بن عتبة بن إبراهيم ، وكان جميلاً ،

١ ـ سورة المسد ـ الآية : ١ .
٢ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

وكان حماد البربري رفعه إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد في قوم من القرشيين من أهل مكة ذكر أنهم يتشيّعون في آل أبي طالب ، فلما رآه الرشيد رأى جمالاً ونبلاً ، فقال : ياحمزة أَتَتَشّيع في آل أبي طالب ؟ فقال : والله ما أعرف من أتشيّع له من نظرائي خيراً منّي ، لأني رجل من بني هاشم . فأعجب ذلك الرشيد وجعله في صحابته .

وأما الغيداق بن عبد المطلب :

واسمه نوفل ، والغيداق العام الكثير المطر ، يقال جاء في عام غيداقٍ ويقال هو مطر غيداق اذا كان كثير الماء ، والغيداق أيضاً الغلام قبل بلوغ الحُلم ، ويقال أيضاً لفرخ الضب غيداق . ومات الغيداق بعد وفاة أبيه بخمس سنين .

وقال الكلبي : الغيداق من أكابر ولد عبد المطلب ، تزوج أمه أيام حالفته خزاعة وهي ممتعة بنت عمرو بن مالك بن مؤمل من خزاعة . وأخو الغيداق لأمه عوف بن عبد عوف ، أبو عبد الرحمن بن عوف الزهري . وزعم بعضهم أن الغيداق هو حجل ، وذلك غلط ولا عقب للغيداق .

وقال أبو اليقظان قال حسان بن ثابت يهجو أبا لهب :

عَليك سماهيجاً فانت ابن نوفها   متى كنت ترجو أن تنال الأعاظما
فإن أباك اللؤم لحيان فانتسب   اليه ودع عنك الاكارم هاشما(١)

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٣٩٠ ، مع فوارق .

ذكر أن سماهيج جدة له يعاب بها ، ونسبها إلى لحيان بن هذيل بن مدركة .

قال حذافة بن غانم العدوي لابنه :

أخارج أما أهلكن فلا تزل   لهم شاكراً حتى تُغيّب في القبر
بني شيبة الحمد الذي كان وجهه   يضيء ظلام الليل كالقمر البدر
كهولهمُ خيرُ الكهول ونسلهم   كنسل الملوك كلهم طيب النشر
لساقي الحجيج ثم للشيخ هاشم   وعبدِ منافٍ ذلك السيد الفهر
ابوكم قصيٌّ كان يدعى مُجَمِّعاً   به جمع الله القبائلَ من فِهر
وأنتم بنـو زيد ابـوكم به   زيدت البطحاءُ فخراً على فخر

وقد سمعتُ من ينشد منها بيتاً مفرداً فيقول :

«وعبد مناف ذلك السيد القمر» ، ويذكر أنه كان يقال لعبد مناف القمر .

بنات عبد المطلب

أمُّ حكيم البيضاء ، توأمة أبي رسول الله ﷺ ، وُلِد ثم وُلِدت بعده ، وهي الصنَّاع لا تعلم ، والحَصان لا تكلم ، يقال انها قالت هذا القول لنفسها ، تزوجها كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فولدت له أروى بنت كريز ، فتزوج أروى عفّان بن أبي العاص بن أمية ، فولدت له عثمان بن عفّان ، فأم حكيم جدة عثمان لأمّه . ثم خلف على أروى بعد عفان عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية ، فولدت له الوليد بن عقبة ، وعُمارة بن عقبة ، وخالد بن عقبة ، وأم حكيم جدتهم لأمهم أيضاً . وبقيت أروى إلى خلافة عثمان فصلى عليها وانصرف من قبرها وجعل يقول : اللهم اغفر لأمي . وماتت أم حكيم بعد المبعث ولها سبعون سنة ، أو قريب منها .

وقالت أم حكيم وهي ترقص عثمان ابن بنتها في صغره :

ظنّي به صدق وبر يأمره ويأتمر من فتية بيض زهر
يحمون عورات الدبر ويضرب الكبش النعر يضربه حتى يخر
من قُبُلٍ ومن دبر

وعاتكة وهي : أم عبد الله بن أبي أمية ، وزهير بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ لابيها ، وأم عاتكة أيضاً أم أبي رسول الله ﷺ . وعاتكة صاحبة الرؤيا التي رأتها ، فقال أبو جهل للعباس : أما رضيتم يا بني عبد المطلب بأن تتنبأ رجالكم حتى تنبّت نساؤكم ! وقد كتبنا خبرها في أخبار العباس ، وقد أسلمت وماتت قبل الهجرة .

وبَرّة : وهي أم أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي ، زوج أم سلمة قبل رسول الله ﷺ ، وهي أيضاً أم أبي سبرة بن أبي رُهْم أحد بني عامر بن لؤي ، وكان أبو رهم خلف عليها بعد عبد الأسد ، وأمها أم أبي رسول الله ﷺ .

وأروى : وهي أم طُلَيب بن عُمير بن وهيب بن عبد بن قصي ، ويكنى أبا عدي ، واستشهد طُليب يوم أجنادين بالشام وهو ابن خمسٍ وثلاثين سنة . وكان طليب لقي أبا إهاب بن عزيز التميمي ، وقد دُسّ للفتك برسول الله ﷺ ، فضربه بلحي جمل فشجّه ، فضرب وحمل إلى أمه فقالت : محمد ابن خاله وهو أولى من دافع عنه وغضب له . وقالت أروى :

إنّ طُليباً نصر ابنَ خالـه آسـاهُ في ذي دِمِهِ ومـالـه

وكان المسلمون يصلون في شعبٍ فهجم عليهم أبو جهل ، وعقبة بن أبي معيط وجماعة من سفهائهم ، فعمد طليب إلى أبي جهل فشجّه فاوثقوه ، فقام أبو لهب دونه فتخلّصه وشكي إلى أروى ، فقالت : خير أيّامه أن ينصر محمداً ، وكانَت قد أسلمت . ورأى طليب عقبة بن أبي معيط يوماً ومعه مكتل فيه مَذر[1] قد نثره على باب رسول الله ﷺ في السحر ، فأخذ المكتل

١ ـ المذر : القذر . القاموس .

وأخذ باذنيه فجعل يضرب به رأس عقبة فتشبث به عتبة وذهب به إلى أمه فقال : ألا ترين ما صنع طليب ؟ فقالت : أنفسنا وأموالنا دونه .

وأميمة بنت عبد المطلب : وهي أخت أبي النبي ﷺ لأمه وأبيه ، وهي أم زينب بنت جحش ، وعبد الله بن جحش ، وأبي احمد ، وعبيد الله ، وجحش من بني أسد بن خزيمة .

وصفية بنت عبد المطلب ، وهي أخت حمزة لأمه وأبيه ، وأخت المُقَوّم وحَجل ، وهي أم الزبير بن العوام والسائب بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي ، وكانت قبل العوام عند الحارث بن حرب بن أمية ، فولدت له جارية . وتوفيت صفية في سنة عشرين ، وهي ابنة ثلاث وسبعين سنة .

حدثني بعض أصحابنا عن الزبير بن بكار قال : أُقطع عثمان بن عفان رضي الله عنه المغيرة بن شعبة داره التي بالبقيع ، فأخذ الزبير سيفه ، والمغيرة يحدُّها ، فجعل يذود به عن قبر أمه صفية .

وحدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري أن علياً والزبير رضي الله عنهما اختصما في ولاء موالي صفية ، فقال علي: أنا أحق بولاء موالي عمتي وأنا أعقل[1] عنهم، وقال الزبير: أنا أحق بولاء موالي أمي وميراثهم ، فقضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الزبير احق بميراثهم بالولاء . قالوا : فإن عقلهم على علي وبني عبد المطلب . وذكر أبو اليقظان أن عبد المطلب كان يسمى عامراً .

انقضى نسب بني عبد المطلب .

١ ـ العقل : الدية والحصن والملجأ . القاموس .

بسم الله الرحمن الرحيم

وأما نضلة بن هاشم[1]

وبه كان يكنى ، وأمه أميمة ، وكان قد ولد له الأرقم بن نضلة فلم يبق له عقب . ولد الأرقم نساءً إحداهن زينب تزوجها عبد يغوث بن وهب الزهري ، وهند تزوجها جميل بن معمر ذو قلبين الجمحي ، والشفّاء ولدت السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكان السائب يُشبّه بالنبي ﷺ .

وأما صيفي بن هاشم فدرج ولم يولد له قط .

وأما أبو صيفي ، واسمه عمرو ، وسماه أبوه باسمه في حياته ، وكان اسم هاشم عَمْراً ، فولد له الضحاك ورقيقة وهي أم مخرمة بن نوفل الزهري ، وهذا قول الكلبي .

1 ـ في هامش الأصل : رجع إلى ذكر أولاد هاشم بن عبد مناف المذكور في أوائل هذا الكتاب .

وقال بعضهم : ولد له صيفي وعمرو فسماهما باسمه واسم ابيه ، وأمهما كنانية .

ورقية أمها هالة بنت كلدة من بني عبد الدار بن قُصي ، تزوجها نوفل بن عبد مناف بن زهرة ، ولا عقب لصيفي وعمرو .

وأما أسد بن هاشم :

وأمه قيلة وهي الحزوز بنت عامر الخزاعية ، فولد فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأخوته ، وأمها حُبّى بنت هرم بن رواحة من بني عامر بن لؤي ، وخالدة بنت أسد ، تزوجها الأرقم بن نضلة بن هاشم .

ويقال ان رجلاً يقال له حنين[1] ، وأُمّه أَمَةٌ رومية تسمى سميّة ، ويقال مارية ، ادعى انه ابن أسد بن هاشم ، فلم يثبت نسبه ، فأتى القافة فأنكروه فرجع إلى مكة وخُفَّاهُ على عاتقه ، فقيل : رجع حنين بخفيه خائباً ، وضرب بذلك المثل ، فقيل لكل مخفق وراجع بغير طلبته : «رجع بخُفَّيْ حنين» ، وهذا الثبت .

ومن الناس من يقول إن حنين بن بَلّوع العَبادي المغنيّ سافر سفراً ، فقطع عليه الطريق فدخل الحيرة وهو عريان قد علّق خُفّيه ، فقيل لمن اخفق : «رجع بخفي حنين» . وقيل أيضاً إن أعرابياً قدم الحيرة ومعه راحلة ، فوقفها ناحية ودخل السوق فرأى عند اسكاف يقال له حنين خفّين فابتاعهما منه ثم مضى يريد راحلته فوجدها قد سُرقت ، فانصرف إلى قومه

١ ـ في هامش الأصل : ضرب المثل بخفي حنين .

راجلاً فقالوا : أين راحلتك ؟ فقال : سرقت ، وأراهم الخفين فاستحسنوهما فقال : إنهما من عمل اسكاف بالحيرة يقال له حنين فارِه[1] سهل البيع ، فضحكوا به وقالوا : «رجع بخفّي حنين» ، فمضت مثلاً .

وكان لحنين المدّعي انه ابن أسد بن هشام من الولد : عمرو ، وعبد الرحمن ، وأمهما سخطى بنت عبد عوف بن عبد الحارث الزهري .

وولد عبد الرحمن بن حنين امرأة تزوجها المثلّم بن جبار الفزاري فولدت له .

وولد عمرو بن حنين امرأة ولدت في آل سعد بن أبي وقاص . ويقال إنه كان لحنين ابن يقال له عبد الله فوُلدت له ابنة يقال لها أم هارون ، كانت عند موسى بن سعد بن أبي وقاص .

المدائني عن شريك قال : سئل علي عن بني أمية وبني هاشم فقال : هم أكثر، وأنكر ، وأمكر ، ونحن أفصح ، وأصبح ، وأنصح . قال : وقيل لمعاوية أنتم اشرف ام بنو هاشم ؟ قال : كانوا أشرفَ واحداً ، ونحن أكثر عدداً حتى جاء مزبّد الأولين والآخرين ﷺ .

انقضى نسب بني هاشم بن عبد مناف[2] .

---

١ ـ فاره : حاذق . القاموس .

٢ ـ في هامش الأصل : بلغ العرض بأصل ثالث ، ولله كل حمد وفضل .

المحتوى

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر
البلاذري
المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م

الجزء الخامس

نسب بني عبد شمس بن عبد مناف

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار
الدكتور رياض زركلي

بإشراف
مكتب البحوث والدراسات
في

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

الجُزء الخامس

نسب بني عبد شمس بن عبد مناف

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب بني عبد شمس بن عبد مناف

وولد عبد مَناف بن قُصَيّ أيضاً عبد شمس ، وبه كان يكنى ، وأمّه عاتكة بنت مُرّة أُمّ هاشم ، فولد عبد شمس بن عبد مناف أُميّة الأكبر ، وحَبيبَ بن عبد شمس وبه كان يكنى ، وأُمهما تعجز بنت عُبيد بن رُؤاس بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة وآسمها أيضاً عاتكة ، وإيّاها عنى ابن هَمّام السَلولي بقوله :

فجالَتْ بِنا ثُمَّ قُلْتُ آعْطِفي بِنـا يا صَفِيَّ ويـا عاتِكـا

يعني بصَفيّة بنت حَزْن بن بُجَيْر الهِلاليّة أمّ أبي سفيان بن حَرْب بن أُميّة ، وهي عمّة لُبابة بنت الحارث أمّ عبدالله بن عبّاس بن عبد المطلب ؛ وربيعةَ بن عبد شمس ، وأمّه آمنة بنت وَهْب بن عُمير بن نَصْر بن قُعَيْن بن الحارث بن ثَعْلبة بن دُودان بن أَسد بن خُزَيْمة ؛ وأميّةَ الأصغر ، وعبدَ أُميّة ، ونَوْفلَ بن عبد شمس ، وأمّ هؤلاء الثلاثة عَبْلَة بنت عُبَيْد بن جاذِل من بني تميم بن مُرّ ثمَّ من البراجِم ؛ فأُميّة الأصغر وعبد أُمية ونوفل يُدْعون العَبَلات بها يُعرفون ، فبنو أُميّة الأصغر بمكّة ، وبنو عبد أميّة ونَوفْل بالشام ؛ وعبدَ

العُزّى بن عبد شمس ، وأمّه فاطمة من حِذْجِنَة الأَزْد ؛ وعبدَالله الأعرج بن عبد شمس ، وأمّه عَمْرَة كِنْديّة ، وبالحِيرة قوم من العِباد يُقال لهم بنو الغُمَيْنَى يدّعون أنّهم من بني عبد الله الأعرج بن عبد شمس وذلك زُور وباطل . وكان لعبد شمس مِن تَعْجز أُمَيْمة ، تزوّجها حارثة بن الأوقص السُلَمي ثمّ خلف عليها عمرو بن ثَعْلبة الكِناني ؛ وكان له من آمنة بنت وَهْب الأَسديّة سُبيعة ، تزوّجها مسعود بن مُعتِّب ؛ وكانت له رُقيّة ، وأمها عَمْرَة بنت كَرِب الكِندية تزوّجها أبو الصلْت بن ربيعة الثَقَفي .

فولد أمية الأكبر حَرْبَ بن أميّة ويكنى أبا عمرو ، وأبا حرب درج ، وسفيانَ ، وأبا سفيان وآسمه عَنْبَسَة لا عَقِبَ له ؛ وعمروَ بن أميّة ، لا عقبَ له ، وأمّهم أَمة بنت أبي هَمهَمَة من ولد الحارث بن فِهْر ؛ وأبا عمرو بن أميّة وأمّه من لَخْم ؛ والعاصَ ، وأبا العاص ، وكان حليماً ، قال له قومه : آهجُ بني أَسد بن عبد العُزّى فقال :

أَنَّى أُعـــادي مَـعْـشَــراً ... كـانوا لنا حِصْناً حَصيناً
خُــلِقــوا مـعَ الجَـوزاءِ إذ ... خُلِقــوا ووالِــدُهم أَبــونــا
أبْلِــغ لــديــكَ بـني أُمَـ ... ـيّة آيةً نُصحاً مبينــا
أنّـــا خُـلِقْنـــا مُـصْـلِحيـ ... نَ ومـــا خُلِقْنا مُفْسِـدينا

والعِيصَ درج ، وأبا العيص ، وقال غير الكلبيّ : ولد العُوَيْصَ أيضاً درج ، وهم الأَعْياصُ الذين يقول فيهم فَضالة بن شَريك الأَسَدي :

مِنَ الأَعياصِ أو مِن آلِ حربٍ ... أَغَـرُّ كَغُرَّةِ الفَـرَس الجـوادِ

وأمّ الأَعياص آمنة بنت أَبان بن كُليْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة ، ولها يقول النابِغة الجَعْدي[١] :

وشاركْنا قُرَيْشاً في تُقاها ... وفي أنْسابِها شِرْكَ العِنانِ

بِما وَلَدَتْ نِساءُ بَني هلالٍ ... وما وَلَدتْ نِساءُ بَني أَبانِ

وكانت أمّ سفيان بن حَرْب وعبدِالله بن العبّاس هِلاليّتَيْن .

قال ابن الكلبي : فالعَنابِس من بني أُميّة : حرب وأبو حَرْب وسفيان وأبو سفيان وآسمه عَنْبسَة ، والعَنْبَس الأَسد ؛ وقال غيره : صَبَروا على الحرب فسُمّوا العنابس .

وكان حَرْب شريفاً وكان ينادم عبد المطّلب ، ثمّ جري بينهما كلامٌ فتنافرا فَنُفِّرَ عليه عبد المطّلب ، وزعم رجل من أهل المدينة : أنّ حَرْباً لما مات كانت نساءُ قريش تبكيه في كلّ مأْتمٍ ويقلن وَاحَرْباه واحَرْباه ، فمكثن بذلك حيناً ، ثم إنّ آمرأة أُصيبت بابنها فجعلن النساء يقلن : وَاحَرباه ، فقالت : وما أصنع بحربٍ ؟ بل وَاحَرَباه ، فقلن : وَاحَرَباه ، من الحَرَب ، والله أعلم .

وقد كتبنا ما كان بين عبد المطّلب وحَرْب فيما تقدّم مشروحاً ، وقال الشاعر في حَرْب وأبي عمرو ابنْي أُميّة :

إمّا سَأَلْتَ من آهْلِ مَكَّة ماجِداً ... فآسْأَلْ أَبا عَمْرٍو وحَرْبَ الفاضِلا

أَعْطى وقَدْ بَخُلَ الجَوادُ بمالِهِ ... هَوْجَاء تَحْسِبُها مَهاةً خـاذِلا

أَخَوانِ مِثْلُ أَبيهِما لِلْمُعْتَفي ... قَدْ أَحْرَزا مَجْداً قَديماً كامِلا

---

١ ـ ديوان النابغة الجعدي ص ١١٧ .

وقال ابن الكلبي : اختطّ القُرَيَّة وهي في حَرّة بني سُلَيْم مِرْداسُ بن أبي عامر ، قال : وقال أبو السائب : ابتاع حَرْب ومِرْداس القُرَيّة من خُوَيْلِد بن مُطْحَل الهُذَلي ، وقال أبيّ : اختطّها مِرْداس وكُلَيْب بن عَهْمَة الظَّفَري من بني سُلَيْم فلم يكن عندهما نفقة فجعلا لحَرْب ثُلثَها على أن يُنفق عليها فقال مِرْداس :

إنّي آنْتَجبْتُ لَها حَرْباً وإخْوَتَهُ ... وكانَ حَرْبُ لِما قَدْ عالَنا آسِ
إنّي أُقَدِّمُ قَبْلَ الأَمْرِ حُجَّتَهُ ... كَيْما يُقالَ وَلِيُّ الأَمْرِ مِرْداسُ

ومات حَرْب ومِرْداس فغلب على القُريَّة كُليب بن عَهْمَة فقال عَبّاس بن مِرْداس :

أَكُلَيْبُ ما لكَ كلَّ يَوْمٍ ظالِماً ... والظُلْمُ أَنكَدُ وَجْهُهُ مَلْعُونُ
قد كان قَومُك يَحْسبونَكَ سيِّداً ... وإخالُ أَنَّك سيِّدٌ مَفْتونُ
إن القُريَّة قد تَبَّين أَمْرُها ... إنْ كانَ يَنْفَعُ عِنْدَكَ التَبْيينُ

فولد حرب بن أمية أبا سفيان بن حرب ، واسمه صَخْر ، والفارِعَةَ ، أمّها صَفيّة بنت حَزْن بن بُجَيْر بن الهُزَم الهِلالي ؛ وعمرو بن حرب ، وأمَّ جَميل بنت حرب ، هي حَمّالَةُ الحطبِ ، أمّها فاخِتة بنت عامر بن مُعَتِّب الثَقَفي ؛ وأُمَيْمَة ، وأمّ الحَكَم ، وفاختة ، لأُمّهاتٍ شتّى ؛ والحارث ، أمّه يمانّية ، فدرج عمرو والحارث ؛ وكانت الفارعة عند شَيْبة بن ربيعة بن عبد شمس ثم خلف عليها الأسود بن المطلب بن أَسَد بن عبد العُزّى ، وكانت أمُّ جميل عند أبي لَهَب بن عبد المطّلب ؛ وكانت فاختة عند جثّامة اللَيْثي ثم تزوّجها عُتْبة بن غَزْوان من ولد مازِن بن منصور أخي سُلَيْم بن منصور ، وكان لحرب الضَهيْاء ؛ تزوّجها بِشْر بن عبد الملك السَكوني .

فولد أبو سفيان صَخرُ بن حَرْب : معاويةَ ، وعُتْبَةَ بن أبي سفيان ، وكان يُضعّف ، وشهد الجَمَل مع عائشة رضي الله عنها وهرب ، فحمله عِصْمة بن أُبَيْر من تَيْم الرِباب حتى أتى المدينة ، ثم ولاه معاوية مِصْر ، وقال جَرير :

وَفَى ابْنُ أُبَيْرٍ والرِماحُ شوارعُ ۝ لآل أَبي العاصي وَفاءً مُشَهَّرا
ولابْنِ أَبي سُفْيانَ عُتْبَةَ بَعْدَما ۝ رأى المَوْتَ قد أنحى عَلَيْهِ فَعَسْكَرا[1]

وجُويريةَ ، تزوّجها السائب بن أبي حُبَيْش بن المطّلب بن أَسَد بن عبد العُزى ثم عبدالله بن الحارث بن أميّة الأصغر ؛ وأمَّ الحَكَمَ ، تزوّجها عبدالله بن عثمان الثَقَفي فولدت له عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم ، ولاّه معاوية الكوفة وولاّه الجزيرة والمَوْصِل ومصر ، وأمّهم جميعاً هِنْد بنت عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مَناف ؛ وحنظلةَ بن أبي سفيان ، قُتل يوم بَدْر كافراً ؛ وأمَّ حَبيبة ، واسمها رَملة الكُبْرى ، وهي زوج رسول الله ﷺ وقد كتبنا خبرها في الأزواج ، وآمنةَ ، تزوّجها حُوَيْطِب بن عبد العزّى العامريّ من قريش ، ثم صَفْوان بن أميّة الجُمَحي ، ثم المُغيرة بن شُعْبة الثقفي ، أمّهم صَفيّة بنت أبي العاص بن أُميّة ؛ وعمروَ بن أبي سفيان ، أُسر يوم بَدْر فأُطلق بِرجلٍ من المسلمين أسره المشركون فأطلقوه ، ولا عَقبَ له ؛ وهِنداً ، تزوّجها الحارث بن نَوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب ، وصَخرةَ ، أمّهم أمّ عمرو بنت أبي عمرو بن أميّة ؛ وعَنْبَسةَ بن أبي سفيان ، ومحمّداً ، أمّهما عاتِكة بنت أبي أُزيْهِر الدَوْسي ؛ ومحمد بن أبي سفيان القائل :

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

أُؤَمِّلُ هِنْداً أنْ يَموتَ ابن عامرٍ ورَمْلَةَ يَوماً أن يُطَلِّقَها عمرو

يعني رَمْلةَ بنت معاوية وهِنْد بنت معاوية ، ويعني عمرو بن عثمان بن عفّان ، وكانت لعثمان بن محمد بن أبي سفيان ابنة عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك فولدت له عثمان بايع له بالعَهْد ، وكانت هِند بنت معاوية عند عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ؛ ويزيدَ الخيْرِ بن أبي سفيان ، أمّه من كِنانة ، ولّاه أبو بكر بن أبي قُحافة بعضَ الشام ولا عَقِبَ له ؛ ورَمْلَةَ الصُغْرى ، أمّها أُمَيْمة بنت الأشْيَم الكِنانيّة ، تزوّجها سعيد بن عثمان بن عفّان ثم عمرو بن سعيد الأشدق بن سعيد بن العاص ؛ ومَيْمونةَ ، أمّها شَمْسة ، هِلاليّة .

وقال الكلبي وغيره : كان أبو سفيان قائدَ قريش في حروبها للنبيّ ﷺ ثم أسلم ، وقد ورد رسول الله ﷺ مكّة قبل أن يدخلها ويفتحها ، وولّاه رسول الله ﷺ نَجْران فقُبض وهو عليها .

وقال أبو اليقظان : ولّاه رسول الله ﷺ صدقات الطائف .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : كانت هند بنت عُتْبة قبل أبي سفيان عند حَفْص بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ثم خلف عليها الفاكه بن المُغيرة فقتلته بنو كِنانة بالغُمَيْصاء[1] في الجاهليّة ، ويقال : بل تزوجها الفاكه بن حَفْص ثم خطبها أبو سفيان وسُهَيْل بن عمرو فأخبرها أبوها بذلك وقال : خطبَكِ من قومكِ كُفُؤان كريمان ، فقالت : صِفْهما لي ، فقال : أحدهما سهيل بن عمرو وهو مُوسرٌ سخيّ سيّد مُفَوّض يحكّم في ماله ، والآخر أبو سفيان بن حرب وهو شريف سّيد حازم ، قالت : الحازم

١ ـ الغميصاء : موضع في بادية العرب قرب مكة . معجم البلدان .

أحبّهما إليّ ، فتزوّجها أبو سفيان فولدت له معاوية ، وعُتْبة ، وأمّ الحَكَم ؛ ويقال إنه قال لها : قد خطَبكِ رجلان ، أمّا أحدهما فَخِضَمٌّ[1] تخالين به غَفْلةً لِلينه ، ليس بالغُضُبَّة الغَلِق ولا المِغْيار النَزِق ، وأمّا الآخر ففي الحَسَب الحَسيب والرأي الأَريب ، شديد الغَيْرة سريع الطَّيرة ، مكرم للكريمة حَسَن الصُحبْة ، وكِيدُ العَهْدِ ، فاختارته .

حدثنا المدائني قال : مرّ حَمْزة بن عبد المطّلب على نفر من بني مخزوم فلاحاه رجل منهم ، فذكر المخزومي نساءً من نساء بني عبد مَناف فضربه حمزة فقتله ، وأتى أبا سفيان فأخبره ، فأتى أبو سفيان بني مخزوم فعرض عليهم ثلاث ديات بصاحبهم فلم يقبلوها ، فانصرف عنهم يومَه ، فلما كان من الغد جاؤوا يطلبون الديات الثلاث ، فقال أبو سفيان : القوم يأْبَون أنْ يعطوا أكثر من ديَتين ، فأبوا ورجعوا ، فلما كان الغد جاؤوا يطلبون الديَتْين فقال : إنّ القوم أبوا أنْ يعطوا إلّا ديةً واحدة ، فأبوا ورجعوا ، فلما كان الغد عادوا فطلبوا الدية فقال أبو سفيان : إنّ القوم قد أبو الدية ، وهذا قتيل لا دية له ، فطُلّ دَمُه .

المدائني قال : أتى أبو سفيان عمر بن الخطاب فسأله شيئاً فقال : أتسألني وأنت حميتٌ[2] ينطف ؟

المدائني عن محمد بن الحجّاج عن عبد الملك بن عُمَير قال : أقبل أبو سفيان من الشام ومعه هِند ومعاوية على حمار ، فلما دنوا من مكة لقيهم

---

١ ـ المخضم : الموسع عليه في الدنيا . القاموس .
٢ ـ في هامش الأصل : الحميت : الزق الذي لا شعر عليه . ينطف : يقطر .

رسول الله ﷺ ، فقال أبو سفيان لمعاوية : آنْزل يركب محمد ، فقالت هِنْد : أينزل ابني لهذا الصابىء ؟! قال : نعم إنه خير منكِ ومنّي ومن ابنك ، فقال رسول الله ﷺ : أَسْلِم يا أبا سفيان ، وأنت يا هند فأَسْلِمي ، فإنّي أَضَنُّ بكما عن النار .

قال : وأُصيبت عينُ أبي سفيان مع رسول الله ﷺ بالطائف فقال له رسول الله ﷺ : إنّ لك بها عيناً في الجنّة ؛ وعمي قبل أن يموت .

قال : ولطم أبو جهْل فاطمةَ بنت رسول الله ﷺ ، فرأت أبا سفيان فشكت إليه ، فرجع معها إليه وقالَ : آلطِميه قبحه الله ، فلطمتْه ، فقال : أدركتْكم المنافيَةُ يا أبا سفيان . وأخبرتْ فاطمةُ رسولَ الله ﷺ بما كان من أبي جَهْل ومن أبي سفيان فقال : اللّهمّ لا تنسَها لأبي سفيان .

المدائني عن عبد الرحمن بن معاوية عن اسماعيل بن أميّة قال : أفاض النبيّ ﷺ وعن يمينه أبو سفيان وعن يساره الحارث بن هشام ، وبين يديه يزيد ومعاوية ابنا أبي سفيان على فرسَيْن .

وقالوا : لما حجَّ أبو بكر رضي الله عنه حجَّ معه أبو سفيان ، فكلّمه أبو سفيان فرفع أبو بكر صوته ، فقال أبو قُحافة لأبي بكر : يا بُنيّ آخفِضْ صوتك عند ابن حرب ، فقَال أبو بكر : إنَّ الله قد هدم بالإسلام بيوتاً ، وبيت أبي سفيان مّما هدم ، وبنَى بالإسلام بيوتاً مهدومة في الجاهليّة ، وبيتك مّما بناه .

قالوا : واستعدى رجلٌ من بني مخزوم عمرَ بن الخطّاب على أبي سفيان وقال : ظلمني في حَدٍّ فحجّ عمر ووقف على الحدّ ، فقال لأبي سفيان : ضَع العلامة هاهنا ، فقال : والله لا أفعل ، فقال عمر : والله لتفعلنَّ ، فأبى

فضربه بالدِرّة حتى حوله ، فاستقبل أبو سفيان القِبلة ثم قال : الحمد لله الذي لم يُمِتْني حتى أُدخَلَ قلبي من الإسلام ما ذَلّلني لعمر بن الخطّاب ، فكأنَّ عمرَ تذمَّمَ ممّا فعل بأبي سفيان ، رضي الله عنهما .

المدائني عن جُوَيْرية بن أسماءَ أن أبا سفيان نازع عمر في أرض فنادى أبو سفيان يا لَقُصيّ ، فخفقه عمر بالدِرّة وقال : أتدعو بدَعْوى الجاهليّة ؟! فقالت هِنْد : يا عمر أتضربُ ابن حرب ؟! أَما لَرُبّما رُمْتَ ذلك منه فاقشعرّت بطون البَطْحاءِ ، فقال عمر : الحمد لله الذي أبدلنا بذلك اليوم خيراً منه .

حدثني العُمَري عن الهيثم عن يونس بن يزيد الأَيْلي عن الزهري قال : لما هلك عمر وجد عثمان في بيت المال ألفَ دينار قد كُتب عليها : عُزل ليزيد بن أبي سفيان ، فقال لأبي سفيان : آقبِضْها ، فأبى وقال : لو رآها عمر واجبةً لي لبعث بها إليَّ .

وحُدثت عن مالك بن أنس قال : رأى معاوية عمر بن الخطّاب يحبس الناس فبعث إليه من الشام بأَدْهَم[1] ، أو أداهم ، وبعث معه بدنانير وقال للرسول : آدفع ذلك إلى أبي سفيان حتى يتولّى إيصاله إلى أمير المؤمنين ، فأوصل الأدهم ، أو الأداهم ، واختزل الدنانير ، فسأله عمر عنها فقال : إنّي احتجتُ إليها فقضيت منها دَيْناً وأنفقت الباقي ، فقال عمر : ضَعوا رِجْلَ أبي سفيان في الأدهم ، فوُضِع فيه حتى أتى بالدنانير ، فبلغ معاويةَ ذلك فقال : والله لو أنّه الخطّاب لَفَعَل به مثل ما فعل بأبي سفيان .

١ - بهامش الأصل : الأدهم : القيد .

حدثني العُمري عن الهيثم بن عدي عن ابن جُرَيْج عن عِكْرِمة قال حدثنا ابن عبّاس قال : دخلتُ على أبي سفيان بن حرب وهو يتغدّى ، فذكرتُ له حاجتي ثم قلتُ : فما منعكَ من أنْ تدعوني إلى غَدائك ؟ فقال : إنّما وضع الطعام ليؤكل ، فإن كانت بك إليه حاجة فكُلْ .

المدائني قال : قال رسول الله ﷺ لعِكْرِمة بن أبي جَهْل : «أقاتلتَني وأنت تعلم أني رسول الله» ؟ قال : لا ، وقال لأبي سفيان مثل ذلك فقال : علمتُ أنك صَدوق لا تكذب ، وإنّما قاتلناك لأنّك تعلم حالي في قريش ، وجئت بأمرٍ لا يبقى معه شرَف ، فقاتلناك حَمِيَّةً وكَراهةً لأنْ تُذهب شرَفي .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : أذِن رسول الله ﷺ يوماً وأبطأ الإذن لأبي سفيان ، فلما دخل قال : يا رسول الله ما كِدتَ تأذن لي حتى تأذن لِحجارة الجَلْهَتَيْنْ ، فقال رسول الله ﷺ : «يا أبا سفيان كُلُّ الصيدِ في جنب الفَراء» ، والفراء حمار الوَحْش .

المدائني قال: أناخ رجل من أهل اليَمَن ناقته بالحزْوَرة[1] وقال: لا ينحَرها إلاّ أعزّ أهل الوادي ، فقال عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس لأبي سفيان : أنت أعزّ أهل الوادي ، فقال أبو سفيان : من تكن عَمَّه يا أبا الوليد يكن أعزّ أهل الوادي .

المدائني عن عليّ بن مجاهد عن عَنْبَسة بن سعيد عن اسماعيل بن أميّة عن جابر بن عبد الله قال ، قال رسول الله ﷺ لأبي سفيان : «يا أبا سفيان :

١ ـ كانت الحزورة سوق مكة . معجم البلدان .

ألم يتمم الله هذا الأمر وأنت كاره» ؟ قال : بلى يا رسول الله ، فداك أبي وأميّ ، فما هاجتك بحمد الله جُمّاءُ[1] ولا ذات قَرْن .

قالوا : قدم أبو سفيان من الشام ، والنبيّ ﷺ يدعو سِرًّا ، ومع أبي سفيان بضاعة للنبيّ ﷺ ، فلم يسأله عنها ، فتعرّض له أبو سفيان فقال : يا بن عبد الله أَما تريد بضاعتك لا أراك تذكرها ، قال : «يا أبا سفيان إنه لا بدّ من أن يكون فيها رِبْح أو وضيعة ، وأي ذلك كان فأنت مؤدٍّ فيه الأمانة إن شاء الله» .

وقال الهَيْثم بن عديّ : كان أبو سفيان تحت راية ابنه بالشام ، فخفِيت الأصوات وأبو سفيان يقول : يا نَصْر الله آقترب .

حدثني بكر بن الهَيْثم عن عبد الرزّاق عن مَعْمر عن الزهري عن سعيد بن المُسيَّب أنّ النبيّ ﷺ جعل أبا سفيان على السَبْي يوم حُنَيْن .

المدائني قال : لما تُوفّي أبو بكر وولي عمر ولّى يزيد بن أبي سفيان بعد وفاة أبي عُبيدة بن الجراح الشام ، فقدم معاوية من الشام على عمر وقد حجّ عمر ، فدخل عليه معاوية فقال له عمر : متى قدمت ؟ قال : الآن ، وبدأتُ بك ، قال : فأْتِ أبَويْك وآبدأْ بهند ، فانصرف معاوية فبدأ بهند فقالت له : يا بُني إنّه والله قلّ ما ولدت حرةٌ مثلك ، وقد استنهضكم هذا الرجل فآعملوا بما يوافقه واجتنبوا ما يكرهه ؛ وقال له أبو سفيان : إنّ هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقوا وتأخّرنا ، فرفعهم سبقُهم وقصَّر بنا تخلُّفنا ، وصاروا قادةً وصرنا أتباعاً ، وقد ولَّوكم جسيماً من أمرهم فلا تخالفوهم ، وإنّك تجري إلى أمدٍ لم تبلغه وستبلغه .

---

١ ـ الجماء : بلا قرون .

قالوا : ومشى معاوية بمكة مع عمر يوماً ، وعمر راكب ، فقلن نسوة من قريش : ابن حَنْتَمة راكب وابن هند راجل .

قال المدائني عن مسلمة : شخص أبو سفيان إلى معاوية وهو على الشام بعد يزيد أخيه ومعه عُتْبَة وعَنْبَسَة، فكتبت هند إليه : قد قدم عليك أبوك وأخواك ، فاّحمل أباك على فرس وأُعطه أربعة آلاف درهم ، واحملْ عُتْبة على بَغل وأعطِه ألفَيْ درهم واحملْ عنبسة على حمار وأَعطه ألف درهم ، ففعل ، فقال أبو سفيان : أَشهد أن هذا عن رأي هند .

المدائني عن مَسْلَمة قال : قُبض رسول الله ﷺ وأبو سفيان على صدقة نجران فقال : من قام بالأمر ؟ قالوا : أبو بكر ، قال : أبو الفصيل ؟! إنّي لأرى أمراً لا يسكّنه إلاّ الدم .

المدائني عن مجاهد عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن أبي أُمامة قال : أعطى رسول الله ﷺ سائلاً فأثنى وشكر فقال رسول الله ﷺ : «لكن أبو سفيان لو أُعطي لم يُثن ولم يشكر» .

حدثني عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم التَيْمي قال : أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب مائةً من الإبل ، وأعطى عيينة بن حصن مائة من الإبل ، وأعطى الأَقرع بن حابس مائة من الإبل ، فقال رجل : أعطى هؤلاء وترك جُعَيّلاً ، فقال : «أُعطي هؤلاء لأتأَلف قلوبهم وأَكِلُ جعيلاً إلى ما جعل الله عنده» .

وروى هشام بن محمد الكلبي عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن أبا سفيان دخل على عثمان وهو مكفوف ، ثم خرج من عنده وهو يقول : تلقّفوها يا بني أميّة تلقف الكرة فما الأمر على ما يقولون .

حدثني أبو صالح الفرّاء عن الحجاج بن محمد عن ابن جريج عن أبي مُلَيْكة قال : لما ارتدت العرب قال أبو سفيان : يا لغالب ، الدين العتيق .

وروي عن هشام بن حسان عن ابن سيرين قال ، قال أبو سفيان حين قُبض رسول الله ﷺ : تلقفوها الآن تلقف الكرة فما من جنة ولا نار .

قالوا : وحجب عثمان أبا سفيان فقيل له : حجبك أمير المؤمنين ، فقال : لا عَدِمْتُ مِن قومي مَن إذا شاء حَجَبَ .

وقال الواقدي : مات أبو سفيان بن حرب بالمدينة سنة ثلاثين قبل قتل عثمان بخمس سنين وهو ابن ثلاث وتسعين ، وُلد قبل الفيل بعشر سنين ، وكان حكيم بن حِزام أسنّ منه بثلاث سنين .

وقال غير الواقدي : مات سنة إحدى وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، ويقال : انه مات سنة ثلاث وثلاثين .

وأما معاوية بن أبي سفيان

ويكنى أبا عبد الرحمن فأسلم في الفتح ، وقال : لقد دخل الإسلامُ قلبي ، ولكن أبويَّ كانا يقولان لئن أسلمت لنمنعنَّك القوت . وولّاه عمر الشام بعد أخيه يزيد ، وولّاه عثمان الشام في خلافته فلما قتل أظهر الطلب بدمه ، وقد كتبنا خبر محاربته عليّاً حين طلب قَتَلَة عثمان وصُلْحَه الحسن .

وحدثني المدائني عن سُحَيْم بن حفص قال : أتى رجل من الأنصار معاوية فقال له : إنّ لي سنًّا وسابقة وقرابة ، فقال : أما السن فبينة الأَثر عليك ، وأما سابقتك فقد عرفناها ، فما القرابة ؟ قال : ولدتني وولدتك فلانة ، فقال : صدقت ، وأنشد :

قَبَحَ الإلهُ عداوةً لا تُتَّقَى ... وقَرَابةً يُدْلَى بها لا تَنْفَعُ

ووصله .

المدائني عن ابن جُعدُبة قال : قدم معاوية المدينة حاجاً فأتاه سَعْية بن غريض فقال له : أسألك بالحق الذي كان بين أبي سفيان وبين أبي إلّا نزلت عندي ، فأتاه ، فلما حضر الغداء جاء الطبيب فجعل يقول : كُلْ ذا ودَعْ ذا

حتى أُتي بحَيْس ، فقال ابن غريض : هذا أَقِط جُهينة وسمن مُزَينة وتمر ناعِمة ، فقال : طيبات جمعن من شَتّى ، وأكل .

قالوا : واستعمل معاوية النعمان بن بشير على الكوفة فكتب اليه معاوية يأمره أن يلحقَ لأهل الكوفة في أعطياتهم زيادة عشرة دنانير عشرة دنانير فكان ينفذ بعضاً ويردّ بعضاً ويقول : أنا قُفْلٌ مفتاحه بالشام ، وكان يكثر تلاوة القرآن على المنبر ويقول : إن فقد تموني لم تجدوا أحداً يحدثكم عن رسول الله ﷺ . ثم جاؤوا بكتب من معاوية فعَمَّهم بالزيادة ، فقال ابن هَمَّام السلولي :

أَفاطِمَ قد طال التَدَلُّلُ والمَطْلُ ... أَجِدَّكِ لا صُرْمٌ جَلِيٌّ ولا وَصْلُ
زِيادتَنا نُعمانُ لا تَحْبِسَنَّها ... تَقِ الله فينا والكتابَ الذي تَتْلو
فإِنَّكَ قد حُمِّلْتَ فينا أَمانَةً ... وقد عَجَزَتْ عنها الصلادِمَةُ البُزْلُ
فلا تكُ باب الشرِّ تُحْسِنُ فَتْحَهُ ... علينا وبابُ الخَيْرِ أَنْت له قُفْلُ
وقد نِلْتَ سُلْطاناً عظيماً فلا تَكُنْ ... لِغَيْرِكَ جَمّاتُ النَدَى ولكَ البُخْلُ
وأَنت امْرُؤٌ حُلْوُ اللِسانِ بَليغُهُ ... فما بالُهُ عند الزيادةِ لا يحلو
وقَبْلَكَ ما كانَتْ علينا أَئِمَّةٌ ... يهمُّهُمُ تَقْويمُنا وهُمُ عُصْلُ
يَذُمّونَ دُنْيانا وهُمْ يَرْضَعونها ... أَفاويقَ حتَّى ما لنا مِنْهُمُ سَجْلُ
إذا نطقوا بالقَوْلِ قالوا فأَحسنوا ... ولكِنَّ حُسْنَ القَوْلِ خالَفَهُ الفِعْلُ
أَيُنْفَذُ ما زيدوا وتُمْحى زِيادتي ... فما إنْ دَمي [إنْ] ساغ هذا لَكُمْ بَسْلُ
أَبى لي كتابُ الله والدينُ والتُقى ... وبالشام إنْ حَكَّمْتَهُ الحَكَمُ العَدْلُ

أُريـدُ أَمـيرَ المُؤمِنـينَ فـإِنَّـهُ على كلِّ أَنحاءِ الرجالِ له الفَضْلُ
مُهاجِرَةُ الأَقوامِ يَرْجونَ فَضْلَهُ وهُلاّكُ أَعْرابٍ أَضَرَّ بها المَحْلُ[١]

المدائني قال : كتب معاوية إلى زياد : إنّ حولك مضر وربيعة واليمن ، فأمّا مضر فوَلِّهم الأعمال واحمل بعضَهم على رقاب بعض ، وأمّا ربيعة فأَكْرِمْ أشرافهم فإِنَّ أَتباعهم منقادون لهم ، وأما اليمن فأَكْرِمْهم في العلانية وتَجافَ عنهم في السرّ .

وقال هشام بن عمار : سأل بعض قريش معاوية شيئاً فأعطاه إيّاه ، ثم سأله شيئاً آخر فأعطاه ، ثم سأله ثالثاً فمنعه ، فلم يزل ملحاً عليه حتى أعطاه ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ الضَجور تُحْلَبُ العُلْبَةَ ، فقال معاوية : نعم وربما زبنت[٢] الحالب وكسرتْ أنفه .

المدائني عن أبي عاصم الزيادي قال : ذكر النساء عند معاوية فقال من أراد النجابة فعلية بالمشرق ، ومن أراد الخدمة فعلية بالمغرب . ومن أراد اللذاذة فعلية بالبربر ، قيل فالمولَّدات ؟ قال : إذا شبعت إحداهنّ فليس همّتها الا التشرُّف .

المدائني عن عبد الملك بن مسلم قال : قدم مالك بن هُبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث بن المِخْصَف السكوني على معاوية فقال له : كيف رأيت قومي بالحجاز ؟ قال : رأيت ابن عمر فرأيته رجل نفسِه ، ورأيت الحسن بن عليّ فرأيته ظاهر الجمال طاهر القلب ، ورأيت عبد الله بن

---

١ ـ في رواية ثانية «المحل» [من حاشية الأصل] .
٢ ـ زبن : دفع . القاموس .

مطيع العَدَوي فرأيت سفيهاً يريد أن يُعَدَّ فقيهاً ورأيت ابن الزبير فرأيت رجلاً تكفيه واحدة[1] فيُصَيِّرها عشراً وهو يحاول أمراً ليس من أهله، قال معاوية: فمن سيد قومك؟ قال: من سوَّدْتَه يا أمير المؤمنين، قال: فأنت سيّدهم، قال: فقرِّب مجلسي وآقض حاجتي وآلقني ببِشْر حسن.

وقال هشام بن عمار: قال معاوية لعمرو بن العاص رضي الله عنهما: من أبلغ الناس؟ قال؛ أتركُهم للفضول، قال: فمن أصبر الناس؟ قال: أردُّهم لهواه برأيه، قال: فمن أسخاهم؟ قال: من بذل دنياه لدينه، قال: فمن أشجع الناس؟ قال: من ردّ جهله بحِلْمه، قال: فمن أعلم الناس؟ قال: من آثر دينه، قال: صدقت.

المدائني قال، قال الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب لمعاوية: أنا أكرم أم أنت؟ قال معاوية: أنا قال: فأنا أكرم مَن يبقى بعدك، فقال معاوية:

أَتَرْجو أَنْ أَموتَ وأَنت حَيٌّ ولستُ بِمَيِّتٍ حَتَّى تَموتا

المدائني وابن الكلبي قالا: قال معاوية لابن الكوّاء اليشكُري: نشدتك الله كيف تَعلَمني؟ فقال: أما إذ نشدتني الله فإني أعلمك واسع الدنيا ضيّق الآخرة، قريب الرِّشا بعيد المدى، تجعل الظلمة نوراً والنور ظلمة.

حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم قال، قال: معاوية: أُعنت على علي بكتماني سرّي ونشره أُسراره، وبطاعة أهل الشام لي ومعصية أصحابه له، وبذلي مالي وإمساكه إيّاه.

---

١ - أي كلمة واحدة (من هامش الأصل).

المدائني عن مسلمة قال : قال عبد الرحمن بن حسان وقد قدم على معاوية وقد طال مُقامه ببابه :

طال لَيْلي وبِتُّ جِدَّ حَزينٍ ومَلِلْتُ الثَـواءَ في جَيْرونِ[1]
ولذاك آغْتَرَبْتُ بالشامِ حتَّى ظنَّ أهلي مُرَجَّماتِ الظنـون

المدائني عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال : شَّبب عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاري بأخت معاوية ، فغضب يزيد فقال لمعاوية : يا أمير المؤمنين اقتل عبد الرحمن بن حسّان ، قال : ولم يا بني ؟ قال : لأنّه شبّب بعمتي ، قال : وما قال ؟ قال : قال :

طـالَ لَيْلي وبِتُّ كـالمَحْزونِ ومَلِلْتُ الثّـواءَ في جَيْـرونِ

قال : وما علينا يا بني من طول ليله وحزنه أبعده الله ، قال : إنّه يقول :

ولِذاكَ اغْتَرَبْتُ بِالشامِ حتَّى ظَنَّ أَهْلي مُرَجَّمـاتِ الظُنونِ

قال : وما علينا من ظنّ أهله ؟ قال : إنّه يقول :

هِـيَ زَهْـراءُ مِثْـل لُؤلُؤةِ الغَوّاصِ ميـزَتْ مِـنْ جَوْهَـرٍ مَكْنـونِ

قال : صدق يا بني إنّها لَمِن جوهر مكنون ، قال : وإنّه يقول :

وإذا مـا نَسَبْتَها لَمْ تَجِـدْها في سَناءٍ مِنَ المَكارِمِ دونِ

قال : صدق وهي بحمد الله كذاك ، قال : إنّه يقول :

ثُمّ خاصَرْتُها إلى القُبَّةِ الخَضْـــــراءِ[2] تَمْشي في مَرْمَرٍ مَسْنونِ

١ ـ يقع باب جيرون على مقربة من باب النوفرة الذي هو الباب الرئيسي لجامع بني أمية في جهة الشرق .

٢ ـ قصر الخضراء : دار الخلافة بدمشق إلى الجنوب من مسجد بني أمية .

قال : ولا كلّ هذا ، ثم ضحك وقال : ما قال أيضاً ؟ قال : قال :

قُبَّةٍ مِنْ مَراجِلٍ ضَرَبوها عِنْدَ حَدِّ الشِتاءِ في قَيْطونِ[1]
عَنْ يَساري إذا دَخَلْتُ مِنَ البا بِ وإنْ كُنْتُ خارِجاً عَنْ يَميني
تَجْعَلُ النَدّ والأَلُوَّةَ والعُو دَ صِلاءً لها على الكانونِ
وقِبابٍ قد أُشْرِجَتْ وبُيوتٍ نَطَّفوها بِالآسِ والزَرْجونِ

قال : يا بُنيّ لا يجبُ القتل في هذا ، والعقوبةُ دون القتل تُغْريه فيزيد في قوله ، ولكنّا نكفّه بالتجاوز والصلة ، فوصله وصرفه .

المدائني وغيره قالوا ، قال معاوية : ثلاث من السُؤْدَد : الصَلَعُ واندحاق البطن وتَرْك الإفراط في الغَيْرة .

حدثني التَوَّزي النحوي عن الأصْمَعي قال : خرج معاوية إلى مال له بمكة ، ومعه عبد الله بن صفوان بن أميّة الجمحي ، وكان معاوية قد غرس في ذلك المال غروساً وزرع ، فقال له : يا بن صفوان كيف ترى ؟ قال : أرى أنَّ الله يقول ﴿بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾[2] وقد زرعتَ فيه كأنّك تريد الخلاف فقال معاوية : متى قرأتَ هذه الآية يا بن صفوان ؟ قال : أمّا أنا فقد أحرقتُ قلبكَ بها فلا عليك أنْ تعلمَ متى قرأْتُها .

حدثني العُمَري عن الهيثم بن عَديّ عن شيخ من حِمْير قال ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : والله ما تقاتل عليًّا ولا يقاتلك ليدخل الجنة

١ ـ في معجم البلدان قيطون : بلدة بإفريقية بينها وبين قفصة ثلاث مراحل . ولا وجه له هنا إلا إذا كان اسما دمشقياً اندثر .
٢ ـ سورة ابراهيم ـ الآية : ٣٧ .

أغْلَبُكما لصاحبه ، وما تَقَاتلانِ إلاّ على الدنيا ، فأَطْعِمْنا ممّا تأكل لِنناضلَ عنكَ نِضالَ مَن يريدُ الأكل .

المدائني قال : قدم عبد الله بن جعفر على معاوية فأنزله معه في قصره ، فدخل عليه معاوية يوما وبُدَيْح يُسْمعه :

إنّك ما أَعْلَمْكَ ذو مَلَّـةٍ يُذْهِلُكَ الأَدْنَى عَنِ الأبْعَـدِ

وعبد الله يتخلّج ، فقال : ما هذا ؟ قال : أَرْيحيّةٌ تعتريني عند الطَرَب .

المدائني قال : قال معاوية للأحنف : أتراني نسيتُ قولك حسن بأبي حَسَن، ورضاك بأنْ تُذْبَحَ قريشٌ بالبصرة كما تُذْبَح الحِيران[1]؟! ولكنّي أستصلحك وقومَك ، فقد كفيتُك ما قِبَلي فاكفني ما قِبَلك ، فكان الأحنف يقول : لقد كلّمني معاوية بكلام ما بعده نَغَلٌ ولا دَغَلٌ .

قال ، وقال الأحنف لمعاوية : والله ما أتيناك يا أمير المؤمنين لتهدينا من ضلالة ، ولا لتغنينا من عَيْلة ، ولا لتمنعنا من ذلّة ، ولكن للسمّع وللطاعة .

حدثني العُمَري عن الهيثم بن عَديّ عن مجالد عن الشَعْبي أنّ معاوية قال : آستعينوا على الحوائج بالكتمان فإنّ كلَّ ذي نِعْمَةٍ محسود .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يزيد بن عِياض قال : قال معاوية : الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذتُ فلي ، وما تركتُه للناس فبالفضل منّي فقال صَعْصَعَة بن صوحان : ما أنت وأقصى الأُمّة في ذلك إلاّ سواءٌ ، ولكن مَن مَلَكَ استأثر ، فغضب معاوية وقال : لهممتُ ، قال صَعْصَعَة : ما كلّ مَن هَمّ فَعَلَ ، قال : ومَن يحول بيني وبين ذلك ، قال :

١ ـ الحيران : الذي لم يهتد إلى سبيله ، وسيرد هذا الخبر في ج ١٢ «الحيذان» .

الذي ﴿يحول بين المرء وقلبه﴾[١] ، وخرج وهو يقول بيت الشمّاخ :

أُريــدوني إرادَتَكُــم فــإنّــي وحَذْفَـةَ كالشَّـجا تحـتَ الوريـدِ[٢]

المدائني عن مَسْلَمَة وغيره قالوا : أغلظ رجل لمعاوية وأسرف فحلُم عنه فقيل : أَتحلمُ عن هذا ؟! فقال : إنّي لا أحولُ بين الناس وأَلْسْنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين مُلْكنا .

المدائني عن علي بن مالك قال : لا أضع لساني حيث يكفيني مالي ، ولا أضع سَوْطي حيث يكفيني لساني ، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، فإذا لم أجدْ من السيف بُدّاً ركبتُه .

المدائني قال : قال معاوية لعبد الرحمن بن الحارث بن أميّة الأصغر ، وقد كُفّ بَصَره : كيف أصبحتَ ؟ قال : أصبحتُ وقد ذهب خيري وبقي شرّي ، قال : هذا من مُقَدّمات أَفاعِيكَ ، ووصله .

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه قال ، قال معاوية لدَغْفَل النَسّابة : ابْغِني رجلاً عالماً يكون معك أَقرُّ مِنه إليك ومنك إليه ، وَلْيكن كتوماً فإنَّ الرجل إذا أنسَ بالرجل ووثق به أَلْقى إليه عُجَرَه وبُجَرَه .

المدائني عن سعيد بن أبي سعيد قال : اغلظ أبو الجَهْم بن حُذَيْفة العَدَوي لمعاوية وقال : أراحنا الله منك يا معاوية ، فقال : وَيْحك إلى مَنْ : إلى بني زُهْرة فما عندهم نصر ولا فضل ، أم الى بني مخزوم فوالله لو نالوا من

---

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٢٤ .

٢ ـ ليس في ديوان الشماخ المطبوع ، وحذفة اسم فرس خالد بن جعفر الكلابي انظر البيت بشيء من الخلاف في نسب الخيل لابن الكلبي ـ ط بيروت ١٩٨٧ ص ٤٥ ـ ٤٦ .

الأمر شيئاً ما كلّموكم كِبْراً ، أم الى بني هاشم فوالله لو نالوها لاستأثروا عليكم ، وإنّا على ما فينا لنُعْطي السائل ونجود بالنائل ، ولا تزال العرب غُلْبَ الرقابِ ما رأوا أشياخنا على المنابر .

حدثني رجل من ولد عمر بن الخطّاب عن أبيه قال ، قال أبو الجَهْم : أمرَ لي معاوية بمائة ألف درهم فذممُته وقلت : أراحنا الله منك ، فلمّا ولي يزيد أعطاني خمسين ألف درهم ، ثم أتيتُ ابن الزبير فأعطاني ألفاً فقلت : أبقاك الله فإنّا لا نزال بخير ما بقيتَ ، فقيل لي : أتدعو لابن الزبير بالبقاء ولم تدعُ به لمعاوية ولا يزيد ؟ فقلت : أخشى والله أن لا يأتي بعده إلّا خنزير .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : حجّ معاوية فلمّا كان بالأبواء خرج يستقري مياه كنانة حتى صار الى عجوز عَشَمَة[1] فقال لها : مِمَّن أنت ؟ قالت : من الذي يقول لهم الشاعر :

هُمْ مَنَعوا جَيْشَ الأحابيشِ عَنْوَةً   وَهُمْ نَهْنَهوا عَنّا غُواةَ بَني بَكْرِ

فقال معاوية : كوني دُيليَّةً ، قالت : فإنّي دُيلية ، قال : أَعندك قرىً ؟ قالت : عندي خبز خمير وحَيْس فطير ولبن ثمير وماءٌ نمير ، فأناخ ، وجعل يأخذ الفِلْذة من الخبز بمثلها من الحيس فيغمسه في اللبن ثم قال : حاجتك ، قالت : حوائج الحيّ ، فأمر فنودي فيهم ، فأتاه أعراب فرفعوا حوائجهم فقضاها لهم ، وامتنعت العجوز أنْ تأخذ شيئاً لنفسها وقالت: أآخذ لِقرايَ ثمناً ؟

١ ـ العشمة : اليابس هزالا . القاموس .

المدائني عن مسلمة قال : مات عمرو بن العاص بمصر ، فقال معاوية حين أتاه خبر موته لامرأته ابنة قَرَظَة ؛ قد مات رجل كان الأمرُ بمصر أَمْرَهُ ، هلك عمرو وأتتكِ قَباطيٌّ مصر .

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي سُكَين قال : قال معاوية لعبد الرحمن بن الحَكَم بن أبي العاص : إنَّك قد لهجت بالشِعر فإيّاك والتشبيب بالنساء فتعرّ الشريفة ، وإيّاك والهِجاء فإنّك تهجّن به كريماً أو تستثير لئيماً ، وإيّاك والمدح فإنّه طُعْمة الدنيء الوقاح ، ولكن افخرْ بمفاخر قومك وقُلْ من الأمثال السائرة ما تزين به نفسك وتدلّ على صحة عقلك وتؤدّب به غيرك .

المدائني عن حمّاد قال : نظر معاوية الى النخّار[1] في عَباءَة فآزدَراه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العباءَة لا تكلّمك إنّما يكلّمك من فيها .

المدائني عن شُعْبة عن قَتادة قال ، قال معاوية : أي الناس أفصح ؟ فقال له رجل ممّن حضره : قومك من قريش ، ارتفعوا عن لُكْنة أهل العِراق وكَسْكَسَة بكر وكَشْكَشَة أسد ، قال : فمّن أنت ؟ قال : من جَرْم .

حدثني المدائني عن عبدالله بن فائد وسُحيم بن حفص قالا : كتب معاوية إلى المُغيرة بن شُعْبة : أَظْهِرْ شَتْمَ عليّ وتنقّصه ، فكتب إليه : ما أُحبُّ لكَ يا أمير المؤمنين أنْ كُلّما عتبتَ تنقّصتَ ، وكلّما غضبتَ ضربتَ ، ليس بينك وبين ذلك حاجز من حِلْمك ولا تجاوُز بعَفْوك .

عبدالله بن صالح عن عبدالله بن المبارك عن هشام بن عروة قال : كتبتْ عائشة إلى معاوية : آتق الله فإنّك إذا اتّقيتَه كفاك الناس ، وإذا اتّقيتَ الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً .

---

١ ـ النخار العذري النسابة .

المدائني عن أبي سليمان العَنْبَري قال : قال معاوية لأبي هوذة بن شَمّاس الباهلي : لقد هممتُ أنْ أحملَ جمعاً من باهلة في سفينة ثم أغرقهم ، قال : إذاً لا نرضى بعدّتهم من بني أميّة ، فقال : آسكتْ أيّها الغراب الأبقع[١] ، قال : إنّ الغرابَ ربّما درج إلى الرَخَمَة حتى ينقر دِماغها ويقتلع عينْيها ، فقال يزيد : آقتله يا أمير المؤمنين ، قال : مَهْ ؛ ثم إنّ معاوية وجّهه بعد في سريّة فقُتل ، فقال معاوية ليزيد : يا بُنَيّ هذا أُخْفَى .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه قال : دخل سعد بن أبي وقّاص على معاوية فقال : السلام عليك أيّها الملك ، فضحك معاوية وقال : ما كان عليك يا أبا اسحاق رحمك الله لو قلتَ أمير المؤمنين ، فقال : أتقولها جَذلانَ ضاحكاً ؟! والله ما أحبُّ أنّي وليتُها بما وليتَها به .

المدائني عن سُحَيم قال : قال معاوية : لو وُزنتُ بالدنيا لرجحتُ بها ، ولكنّي وُزنت بالآخرة فرجحتْ بي .

المدائني قال : قال معاوية : مَن كَتَمَ سرَّه كان الخِيارُ له ، ومن أفشاه كان الخيارُ عليه .

حدثني منصور بن أبي مُزاحم عن شُعيب بن صفوان قال : قدم ابن أبي عتيق[٢] على معاوية فتعذّر عليه الوصول إليه ، فقال عبدالله بن جعفر : يا أمير المؤمنين أَمثل ابن أبي عتيق في سِنّه وموضعه لم تصله في بلده حتى جاءت به الحاجة إليك ؟!

---

١ ـ قال له هذا لأنه كان به برص .
٢ ـ عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وكان الصديق يسمى عتيقاً لجماله .

فقال : عَزّ والله عليّ ، لو علمتُ بمكانه لكنتُ إلى صلته أسرع من الماء إلى قَراره ، ثم أعطاه مالاً وقضى حوائجه .

وقال هشام بن عَمّار : قال معاوية لعمرو بن العاص : مَن للعراق ؟ قال : رجل رفيق لا يهمطهم[1] في الجباية ولا يعنف عليهم في الرعاية ، يحلِب فيهم حَلْب الشاة العَزوز ، يعني الضيّقة الإحليل .

المدائني قال ، قال معاوية : إنّي لأرفعَ نفسي عن أنْ يكون ذنب أعظم مِن عَفوي ، وجهل أكبر من حِلمي ، وعَوْرة لا أواريها بستري ، وإساءة أكبر من إحساني .

وحدّثني هشام بن عمّار عن أبيه قال ، قال معاوية : أنا أعرف أغْلى شيءٍ في السوق وأرخصه ، أعلم أنّ الجَيّد رخيص والرديء غالٍ .

قالوا : وقدم زياد على معاوية فقال مُضْحِك لمعاوية : ألا أُمازح زياداً ؟ قال : شأنك ، فقال : يا أبا المغيرة أيسُرُّكَ أنّكَ من الحُور العِين ، فقال ; مَهْ ، كلُّ ما دُخلتْ به الجنّة فحسنٌ ، ويقال : إنّ زياداً آفتدى جوابه بعشرة آلاف درهم .

عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة قال : قال معاوية لُزرْعة بن ضَمْرة الهِلالي : ما أنزلك بين هذين الجُفَّين ؟ قال : إنّ لنا ولهم مَثَلاً يا أمير المؤمنين ، نحن كالأير ، أير شديد صادَف اسْكَتَيْن خَوّارتَين ، فقال معاوية : لا يلبثان حتى يَمَصّا ماءه ويُلينا منه ما اشتدّ واسبطرّ[2] .

---

١ ـ همط : ظلم . القاموس .
٢ ـ اسبطر : اضطجع وامتد . القاموس .

وقال معاوية للأحنف : يا أبا بَحْر ما المرّوة ؟ قال : الفِقه في الدين والعَفاف وبِرّ الوالدَيْنْ ، فقال معاوية : هو ذاك .

حدثني هشام بن عمّار عن الوليد قال : بلغني أنّ معاوية قال : العِيال أرضة المال ، يذهب المال ويبقى العيال ، وما في الأرض تبذير إلّا إلى جانبه حقٌّ مضاع .

وقال هشام:حدثني شيخ لنا قال ، قال معاوية ليزيد : يا بُنيّ اتخذ المعروف عند ذوي الأحساب لتستميل به مودّتهم وتعظم به في أعينهم وتكفّ به عنك عاديتهم ، وإيّاك والمنع فإنّه مفسدة للمروّة وإزراء بالشريف .

المدائني قال : دخل أبو الأَسْوَد الدُولي على معاوية فإنّه ليحدّثه إذ حَبَقَ ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا عائذ بالله وبسِتْرك ، ثم خرج ودخل عمرو بن العاص فحدّثه ، وبلغ ذلك أبا الأسود فأتاه فقال : يا معاوية إنّ الذي كان منّي قد كان مثله منك ومن أبيك ، وإنّ مَن لم يُؤْتَمَن على ضَرْطة لجَديرٌ ألّا يُؤْتَمَن على أمر الأمّة .

المدائني قال : سمع معاوية غِناء سائب خاثر عند يزيد بن معاوية فلمّا أصبح قال : مَن كان جليسك في ليلتك يا بُنيّ ؟ قال : سائب خاثر ، قال : فأَخْثِرْ له فما رأيتُ بنشيده بأساً .

قالوا : وأدخل عبدالله بن جعفر سائباً أو بُدَيحاً على معاوية ، فأخذ بحَلْقة باب البيت وجعل يوقّع بها ويغنّي معاوية ، ومعاوية يحّرك رِجله ، فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنّ الكريم طَروب .

وحدّثني الزُبير بن بَكّار عن عمّه مُصعب بن عبدالله قال : كان معاوية يفضّل مُزَيْنة في الشعر ، ويقول : كان أشعر أهل الجاهليّة زهير وابنه بعده ، وأشعر أهل الإسلام مَعْن بن أَوْس المُزَني .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن ابن كُناسة قال : دخلت لَيْلَى الأخيليّة على معاوية فوصلها وأمر فأُدخلت على نسائه فوهبن لها ثم قال : أخبريني عن مُضَر ، فقالت : قريش سادُتها وقادتها وتميم كاهلها وقيس فرسانها وخطاطيفها .

المدائني عن مَسْلَمَة قال : وفد زياد على معاوية فحدا به الحادي :

قـد عَلمَتْهُ الضُمَّـرُ الجِيـادُ إنّ الأمـيرَ بَـعْـدَهُ زِيـادُ

فبلغ ذلك معاويةَ فغضب ولم يذكر لزياد شيئاً منه ، فقال يوماً لحُضَيْن بن المُنْذر الرقاشي بحضرة زياد : يا أبا ساسان إنّ لك رأياً وعقلاً ، فما فرّق أمر هذه الأمّة حتى سُفكت دماؤها واختلف مَلأُها وسفِهتْ أحلامها ؟ فقال : قتلُ أميرِ المؤمنين عثمان ، فقال : صدقت ، والخلافةُ لا تصلحُ لمنافقٍ ولا ذي دُعابة ـ يعرّض بعليّ وأنَّ زياداً كان من أعوانه ـ ففطن زياد فقال : راجزٌ رجز بشيءٍ لم يكن عن أمري ولقد زجرتُه ونهرتُه ، فقبل ذلك معاوية .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزِناد عن أبيه قال : لما صار معاوية بالأَبْواء في حِجّته اطّلع في بئر فأصابته اللقْوة ، فقال : إنّ المؤمن لبعَرض خير ، إمّا ابتُلي فأُجرَ ، إمّا عوفِيَ فشكر ، وإمّا عوقبَ بذنب فمُحّص ، ولئن ابتُليتُ لقد ابتُلي الصالحون ، ولئن مرض عضوٌ منّي فما أُحْصي صحيحي ، ولَمَا عوفيتُ أكثر ، وإنّي اليوم ابن بضع وسبعين سنة ،

ومالي على ربيّ أكثر مما أعطاني ، فرحم الله عبداً دعا لي بالعافية ، فقال له مروان : جزعتَ يا أمير المؤمنين ، قال : يا مروان إنّي قد رَقَقْتُ وذكرت ما كنت عنه عَزوفاً ، وقد ابتليتُ في أحسني ، وخفت أنْ يكون عُقوبةً من ربّي ، ولولا هوايَ في يزيد لأبصرتُ رُشْدي .

المدائني عن محمد بن الحَكَم عن أبيه أنّ معاوية أوصى بنصفِ ماله أنْ يُرَدّ إلى بيتِ المال ، كأنّه أراد أنْ يطيبَ له الباقي لأنّ عمر قاسم عمّاله .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة قال : قيل لعبدالله بن العبّاس إنّ الوليد بن عُقْبة يقول : ما رأيتُ أحداً أحقّ بما هو فيه من معاوية ، فقال : إذا لم يقل الوليد هذا فمنَ يقوله .

المدائني قال ، قال معاوية للنَخّار العُذْري : أيّ العرب أكرمُ بعد قريش ؟ فقال : بيت زُرارة بن عُدْس ، قال : فأيّهم أشجع ؟ قال عَبسيٌّ طالبك بذَحْلٍ أو طالبتَه ، قال : فأيّهم أفصح ؟ قال أسديٌّ وصف سَحاباً وغَيْثاً ، قال : فأيّهم أفرس ؟ قال : رجل من بني عامر يلعب على فرسه لَعب الصبيّ على زحاليف الرَمْل ، قال : فأيّهم أدهى ؟ قال : أُرَيْمِص[1] من ثقيف مارستَه في أمر ومارسك .

المدائني عن أبي عاصم الزيادي قال : قال معاوية لمروان : مَن ترى للعراق ؟ قال : من لا يُفحّج الحَلوب قبل الدِرَّة ، ولا يُدْني العُلْبة حتى يمسَح الضَرّة .

١ ـ يقال رمصت العين وهو البياض الذي تقطعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان . النهاية . لابن الأثير .

المدائني عن سفيان بن عُيَيْنة قال : كتب معاوية إلى عائشة رضي الله عنها أن عِظيني ولا تُطيلي ، فكتبتْ إليه : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «مَن التمس رضا الناس بسُخط الله وكله الله إليهم حتى يعود حامدُه ذامّاً ، ومَن التمس رضا الله بسُخْط الناس كفاه الله إيّاهم» .

حدثني هشام بن عمّار قال : لما حجَّ معاوية مرَّ بالمدينة فأتى سقيفةَ بني ساعدة فقال : مارِسْ بعَوْد أو دَعْ[1] إنْ كانَ أبو بكر هاهنا لَعَلَى أعظمِ الخَطَر .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفِهري قال : قال معاوية لعمرو : أيّنا أدهى ؟ قال : أمّا في البديهة فأنا ، وأمّا في الأناة فأنت ، قال معاوية : أصْغِ إليَّ أسارّك بشيءٍ ، فأدنى عمرو رأسه وكانا خِلْوَيْن يَتسايّران ، فقال معاوية : غلبتُكَ أيّها الداهية هل هاهنا أحد أسارّك دونه .

حدثني هشام بن عمّار عن أبيه عن أشياخهم قالوا : قال معاوية على منبر دمشق : ما أحدٌ ترك تقوى الله إلاّ عاد حامدُه ذامّاً .

وكتب معاوية إلى زياد يشكو قَرابته ، فكتب إليه : عليك بالموالي فإنّهم أنصر وأغفر وأشكر .

المدائني عن سُحيم بن حَفْص قال : قال معاوية : لو أنّ النجوم تساقطت لسقط قمرها في حجور بني يَرْبوع .

وقالوا : قدم الأحنف والمنذر بن الجارود الشام ، فرشا المنذر حاجبَ معاوية بأربعة آلاف درهم على أن يُدخله قبل الأحنف ، فدخل المنذر قبل

---

١ ـ هو في مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٣٢٠ ـ المثل ١٧٢٧ ـ «زاحم بعود أو دع» أي لا تستعن إلا بأهل السن والتجربة في الأمور ، وأراد زاحم بكذا أودع المزاحمة .

الأحنف ، فقال معاوية للحاجب : كيف قدّمت منذراً على الأحنف ؟! فحدّثه الحديث ، فضحك معاوية وقال : لا تَعُدْ .

المدائني عن سُحيم قال : قال معاوية : مَن أكرم الناس أباً وأمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وخالاً وخالة ؟ فقال صَعْصَعة بن صُوحان ، ويقال عبد الله بن عَجْلان : هذا الجالس بين يديك ، يعني الحسن بن عليّ ، جدّه رسول الله ، وجدّته خَديجة بنت خُويلد الطاهرة ، وأبوه عليّ بن أبي طالب ، وأمّه فاطمة بنت رسول الله ، وعمّه جعفر بن أبي طالب ، وعمّته أمّ هانىء بنت أبي طالب ، وخاله القاسم ابن رسول الله ، وخالته زَيْنب بنت رسول الله .

المدائني عن فُلَيح بن سليمان قال : وفد عمرو بن العاص على معاوية ومعه قوم من أهل حِمْص فأمرهم إذا دخلوا أن يقفوا ولا يسلموا بالخِلافة ، فلما دخلوا قالوا : السلام عليك يا رسول الله ، وتتابعوا على ذلك ، فضحك معاوية وقال : اغربوا وزجرهم ، فلمّا خرجوا قال لهم عمرو : نهيتُكم عن أن تسلّموا بالخلافة فسلّمتم بالنّبوة ؟! عليكم لعنة الله .

المدائني عن جُوَيرية بن أسماء أنّ بُسْر بن أبي أرطاة نال من عليّ عند معاوية ، وزيد بن عمر بن الخطّاب حاضر ، فعَلاهُ بعصاً فشجّه ، فقال معاوية : عمدتَ إلى شيخ قريش وسيّد أهل الشام فضربتَه ، ثم أقبل على بُسْر فقال : شتمتَ عليّاً وهو جدّه ، وهو أيضاً ابن الفاروق أفكنتَ ترى أنه يصبر لك ؟ قال : وأمّ زيد بن عمر أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب ؛ ثم إن معاوية أرضاهما جميعاً وأصلح بينهما .

المدائني عن سعيد بن المبارك وعَوانة قالا : قال معاوية : [معروفِ] زماننا مُنْكَرُ زمانٍ قد مضى ، [ومنكره] معروف زمان قد بقي .

المدائني قال : لما قدم أبو موسى للحكومة دسّ معاوية رجلاً إلى عمرو ليعرف رأيه وعَزْمه ، فأتاه الرجل فكلّمه بما أراد ممّا أمره معاوية ، فعضّ عمرو على إبْهامه ولم يُجبه ، فأتى الرجل معاوية فأخبره فقال : قاتله الله أعْلَمَك أنّك تَفُرّ قارحاً[1] .

المدائني عن عَوانة قال : قال معاوية : أشدّ العرب طعاناً عن نسائهم بنو ضَبّة ، وأشدّ العرب بأساً بنو الحارث بن كَعْب ، كانوا يَغْزون ولا يُغْزون .

المدائني عن عَوانة قال : قدم صَعْصَعة بن صُوحان على معاوية فقال : قدمتَ خير مَقْدَم قدمت أرض المَحْشَر، فقال صعصعة : إنّ خير المَقْدم لِـمَن قدم على الله آمِناً يوم القيامة ، وأمّا أرضُ المحشرِ فليس ينفع الكافرَ قُرْبُ المحشر ولا يضرّ المؤمن بُعْدُه .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : قال معاوية لصَعْصَعة : يا أهل العراق قلّدتم أمركم غلاماً من النَخع ، يعني إبراهيم بن الأشتر ، فقال : لو كان معك لقلّدتَه أمرك ، إنّه شُجاع نجيح نصيح يعلم ما يأتي ويذر ، وما رأينا بعد أبيه مثله .

المدائني عن سُحَيم بن حَفْص قال : أتى معاويةَ رجلٌ فسأله بالرَّحِم ، فقال معاوية : ذكرتَني رحماً بعيدة ، فقال : يا أمير المؤمنين إنّ الرَحِم شُنة إنْ بللتَها ابتلّتْ وإنْ تركتَها تقصّفتْ ، قال له : سَلْ ، قال : مائة ناقة مُتبع ومائة شاة رُبًّى[2] ، فأمر له بذلك .

---

١ ـ القارح من ذي الحافر بمنزلة البازل من الابل . القاموس .
٢ ـ شاه ربى : شاه يتبعها وليدها .

حدثني هشام بن عمّار عن الوليد بن مسلم قال : بلغني أنّ معاوية صارع رجلاً على عهد رسول الله ﷺ فصرعه ، فقال : «وأَوَما علمتم أنّ معاوية رجلٌ لا يصارعُ أحداً إلاّ صرعه» .

وقال الواقدي : كان معاوية يُغري بين سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة وبين مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أميّة ، فكتب إلى سعيد وهو على المدينة يأمره بهدم دار مروان فلم يفعل ، فأعاد عليه فلم يفعل ، فلما ولي مروان المدينة كتب إليه بهدم دار سعيد ، فأرسل الفَعَلة وركب مروان ليهدمها ، فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك أتهدم داري ؟! قال : كتب أمير المؤمنين إليّ في هدمها ، فبعث سعيد فجاء بكتب معاوية إليه في هدم دار مروان ، فقال مروان : يا أبا عثمان كتبَ إليك بهذه الكتب فلم تُعلمني ؟! قال : ما كنتُ لأُمَرِّرَ عليك عيشك ، وإنّما أراد أنْ يُغري بيننا ، فقال مروان : فِداك أبي وأميّ فإنّك أكرمنا ريشاً وعقباً ، وأمسك عن هدم داره .

المدائني قال : قدم معاوية المدينة وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليل فركب إليه معاوية في الناس ، فقال رجل من قريش لسائب خاثر : مُطْرِفي لك إنْ غنّيتَ ومشيت بين أيديهم ، وقيل : انّ ذلك كان في وليمة ، فغنّى .

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضحى وأَسْيافُنا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدَةٍ دَما[1]

١ ـ ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٣٥ .

فنصت معاوية حتى فرغ ، وأخذ سائب المطْرَف . وقُتل سائب يوم الحَرّة .

المدائني قال: كتب معاوية إلى قيس بن سعد بن عُبادة حين أبى المَصير إليه ، وكان مع الحسن بن عليّ عليهما السلام : يا يهوديّ بن اليهودي إنّما أنت عبد من عبيدنا ، فكتب إليه : يا وَثَن يا بن الوَثَن دخلتم في الإسلام كارهين وخرجتم منه طائعين .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : قال معاوية لأُسامة بن زيد : رحم الله أمّ أيْمَن كأني أنظر إلى ساقَيْها وكأنّهما ظُنبوبا نعامة خرجاء ، فقال : هي والله خيرٌ من أمّك وأكرم ، فقال معاوية : وأكرم أيضاً ؟ قال : نعم ، قال الله عزوجل ﴿إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أتْقاكُمْ﴾[١] .

المدائني عن مَسْلمة بن مُحارب قال : كان سُليم مولى زياد من الدُهاة فساير معاوية ومعاوية على ناقه وسُليم على جمل قراسي[٢] فعلا معاوية ، فقال : يا سُليم آنزلْ عن بعيرك ، فنزل وركبه معاوية ، ثم قال : يا سُليم تزعم أنّك من الدُهاة وقد غبنتُك ، فقال : يا أمير المؤمنين لو خرجتُ لك من كلّ ما أملك بتحويلي إيّاك عن مركبك وركوبي إيّاه كنتُ قد غبنتُك .

قال عمر بن بُكَير : أُنْشِدَ معاوية :

لا يُبْعِدِ الله جيراناً لنا فُقدوا ماتوا لِوَقْتِ مَناياهُمْ فقد بَعُدوا
قَبْرٌ بِمصْرَ وقَبْرٌ بالحجاز وقبـ ـرٌ بالعراقِ منايا بينهمْ بَدَدُ

١ ـ سورة الحجرات ـ الآية : ١٣ .
٢ ـ القراسي : الضخم الشديد من الابل . القاموس .

كانتْ لهمْ هِمَمٌ فَرَّقْنَ بَيْنَهُمُ إذا المَقاريفُ عن أَمْثالِها قَعَدوا
فهُمْ رهائِنُ لِلأجداثِ ليس لَهُمْ مِنَ العَوائِدِ إلاّ الهَامةُ الغَرَدُ

فقال معاوية : من كَرَم الحيّ بَدَدُ قبورهم .

المدائني قال : قال معاوية لعبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب : لقد هممتُ بأنْ أولّيك الكوفة غير مرّة فما منعني من ذلك إلاّ أنّي قلت : أوليّه فيقول أنا ابن زيد بن الخطّاب أحد أبناء المهاجرين البَدْرِيّين وعمّي ، الفاروق أمير المؤمنين ، وأنا أحقّ بالأمر من معاوية ، قال : لو ولّيتَني لقلتُ ذلك ، وأنا أقوله الآن ، فضحك معاوية .

وحدثني أبو مسعود عن ابن دأب قال : نظر معاوية إلى عمر بن سعد بن أبي وقّاص فقال : ما أحد أودُّ أنّ هِنْداً ولدته غير هذا وعبدالله بن جعفر .

المدائني قال : قدم صَعْصَعة بن صُوحان على معاوية قال : نحن أهل البيضاوَيْن[1] لم يُتعبّد فيهما قطُّ غير الله ، ولم يُضْرب فيهما بِناقوس ، ولا كانت فيهما بِيعة ولا كنيسة .

المدائني قال : قال عمرو بن العاص لمعاوية : غلبتْك امرأتُك ، فقال : إنّهنّ يغلبن الكرام ، ويغلبهنّ اللئام .

المدائني قال : ذُكر الأشتر النَّخَعي عند معاوية ، فقال رجل من النخَع للذي ذكره : اسكتْ فإنّ موته أذلّ أهلَ العراق ، وإنّ حياته أذلّتْ أهل الشام ، فسكت معاوية ولم يقل شيئاً .

---

١ ـ لعله أراد أولاً البيضاء وهي أرض ذات نخل ومياه دون ثاج والبحرين ، وثانياً البيضاء وهي قريات برملة بالقطيف فيها نخل . المشترك وضعاً والمفترق صقعا لياقوت الحموي .

المدائني قال : قال رجل لمعاوية : يا أمير المؤمنين البِرّ أهْون أم الفُجور ؟ فقال : هما يتنازعانك ، يروح عليك أحدهما ويغدو الآخر ، فأهْونهما ما لم يغالب عليه هَواك ونفسك .

المدائني عن عَوانة وغيره قال : قال معاوية : يرحم الله أمير المؤمنين عثمان لو كان قَتَل الطعّانين عليه لكان ذلك خيراً له ، فما الذي يقول قائلهم ؟ فقال أبو الأسود : يقول قائلهم : أنكرْنا مُنكَراً فقتيلنا شهيدٌ وحَيُّنا ثائرٌ ؛ فسكت معاوية .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : تمضمض معاوية يوماً فسقطت ثَنِيَّتُه فاسترجع ، وشكا ذلك إلى البراء بن عازب فقال : والله ما يسُرنا أنّها كانت بغيرك لعظَم الأجر لك ، وما بلغ رجلٌ مَبْلَغك من السنّ إلا زايلَه بعضُ ما كان مشتدّاً منه .

المدائني عن الوقّاصي قال : قدم المِسْوَر بن مَخْرَمة على معاوية فقال له : بلغني أنّك تنتقصني ، فماذا نقمتَ فيه عليّ ؟ هل تعلم أنّي أقاتل عدوَّ المسلمين وأُجبي فيئهم وأُعْنى بأمورهم ، وأُصل وافدهم ؟ فقال : اللهمّ نعم ، قال : فنشدتُك الله أتُذْنِب ؟ قال : نعم ، قال : فما جعلك أحقَّ برجاء المَغْفِرة منّي : قال : غفر الله لك يا أمير المؤمنين .

المدائني عن أبي محمد القرشي قال : ذُكر عند معاوية قول حُذيفة بن اليَمان : إنّي لم أشرك في دم عثمان فقال : بلى لقد شرك في دمه ، فقال عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يَغُوث : الرجل كان أعلم بنفسه ، قال معاوية : وأنت أيضاً قد شركتَ في دمه بطعنك عليه وخِذْلاِنك له ، فقال : إنّي كنت

أنهى عثمان عمّا قيل فيه وكنتَ تأمره به ، فلما اشتدّ الأمر والتقتْ حَلْقتا البطان كتب إليك يستنصرك ، فابطأت عنه حتى قُتل .

المدائني عن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال : كان عامل معاوية على المصر من الأمصار إذا أراد أن يكتب إلى معاوية نادى مُناديه : مَن يكتب إلى أمير المؤمنين ؟ فكتب إليه زِرّ بن حُبَيش ، ويقال أيْمَن بن خُرَيم ، كتاباً لطيفاً ورمى به في الكتب وكان فيه :

إذا الرجال وَلَدَتْ أَوْلادُها وجَعَلَتْ أسْقامُها تَعْتادُها
فَهْيَ زُروعٌ قد دَنا حِصادُها

فقال معاوية : ليت شِعْري مَن ذا الذي نعى اليّ نفسي ، لقد أبلغ في موعظتي .

حدثني عليّ بن المغيرة الأَثْرَم عن الأصمعي قال : استأذن رجل من ولد الحُصين بن حُمام المُرّي على معاوية فقال : إئذَنوا لابن آبي الضَيْم ، ثم قال لآذنه : إنْ جاء رجل من ولد حصينٍ أو من ولد خِداش بن زُهير فاستأذنْ له وإلاّ فاْغرب .

وحدثني عبدالله بن صالح قال: سمعت عَبْثَر بن القاسم يقول : قال معاوية : رَبُّ المعروف أفضل من ابتدائه .

المدائني قال : قال معاوية : ما شيء أعجبُ إليّ من غيظ أتجرّعه أرجو بذلك ثواب الله .

المدائني قال : قال معاوية لابن الزبير : ألا تعجب من الحسن وتثاقله عنّي ؟ فقال ابن الزبير : مثلك ومثل الحَسن كما قال الشاعر :

أُجامِلُ أقْواماً حَياء وقد أرى   قُلوبَهُمُ تأْرَى[1] عَلَيَّ مِراضُها

فقال معاوية : والله ما جامل ولقد أعلن ، قال : بلى والله لقد جامل ، ولو شاء أنْ يُطلق عليك عِقال حربٍ زَبون لَفعل ، فقال : أراك يا بن الزبير تجول في ضلالتك ، أما والله لو ظفر بك لَقتلَك كما قتل أبوه أباك أو لَغرَّبك ونفاك .

المدائني عن مَسْلمة قال : قال معاوية : ازدحام الكلام في السمع مضلّة للفَهم .

المدائني عن عليّ بن سُليم قال : قال معاوية : رجلان إنْ ماتا فكأنهما لم يموتا ، ورجل إنْ مات مات ، أنا إنْ متُّ فخليفتي ابني يزيد ، وسعيد بن العاص إن مات فخليفته عمرو بن سعيد ، وابن عمر إنْ مات مات ، فقال مروان : أما ذكر ابني عبد الملك فوالله ما أحبّ أنّ لي بآبني آبنَيْهما .

حدثني عليّ بن المُغيرة عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال : وفد المُغيرة بن عبدالله الرياحي على معاوية في وفد بني تميم فقال المُغيرة : يا أمير المؤمنين وَلِّني خُراسان ، فقال : ما هجا ما لا هجا[2] له ، قال : فشرطة البصرة ، قال : لا يمكن ، قال : فآحملْني على بغلة وأعطني قطيفة ، فقال : أمّا هذا فنعم ، فوهب له بغلة وقطيفة خَزٍّ ، فلامه أصحابهُ فقال : أمّا أنا فقد أخذت شيئاً وأنتم لم تأخذوا .

---

١ ـ الإرة : النار نفسها أو موضعها ، أو استعارها وشدتها ، وأرت القدر تأرى أريا : لزق بأسفلها شبه الجلبة السوداء من الاحتراق . القاموس .

٢ ـ الهجا : الشكل والقدر . القاموس .

المدائني عن حَفْص بن عمر بن مَيْمون قال : بعث معاوية إلى عبدالله بن عمر بمال فدعا بصحيفة دَيْنه فقضى ما فيها ، ثم دعا بصحيفة العيال فأعطاهم ، ثم أمر بصدقة فتصدّق بها ، وقسم في أصحابه قطعة من المال ، وبعث إلى عبدالله بن الزبير بمال فدعا بصندوق فوضعه فيه ، فأخبر معاويةَ رسولُه بفِعْلهما فقال : هكذا هما لو وليا .

المدائني عن جُوَيْرية قال : زار حسّان بن ثابت في الجاهليّة جَبَلة بن الأَيْهَم الغسّاني بِجِلّق فجفاه يوماً أو يومين ، ثم لقيه جَبَلة متنكّراً فقال له : من أنت ؟ قال : حسّان بن ثابت ، قال : ما تقول في هذا الذي قدمتَ عليه ؟ قال : لو أعلم أنّي أصدق في ذمّه لذممتُه ، ولكّني أسكت فلا أذمّ ولا أحمد ، قال : فآرجعْ ؛ ثم وصله وقال : لا يأتيك منّي تحيّة إلاّ ومعها صلة ، فلمّا ظهر الإسلام ولحق جَبَلة بالروم بعث معاوية رجلاً يفدي مَن في أيدي الروم من أُسارى المسلمين ، فرآه جَبَلة فسأله عن حسّان فأعلمه أنّه باقٍ وأنّه خلّفه عند معاوية ، فقال : أَقرئْه السلام وأَعطه هذه الخمسمائة الدينار ، فقدم الرجل على معاوية وحسّان عنده ، فقال له : جَبَلة يُقْرئك السلام يا حسّان ، قال : هات ما معك ، قال : ما معي شيء ، قال معاوية : أُعطه ، فأعطاه الدنانير ، فقال معاوية : إنّ هذا لَعَهْد كريم .

المدائني قال : قال معاوية حين مات عُتْبة أخوه : لولا أنّ الدنيا بُنيتْ على نسيان الأَحبّة لَظننتُ أنّي لا أنسى أخي عُتْبة أبداً .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : ولّى معاوية عَنْبَسة بن أبي سفيان ، وأمّه ابنة أبي أُزَيْهر ، الطائفَ ، ثم عزله وولّى الطائف عُتْبة بن أبي سفيان ، وأمّه هِنْد بنت عُتْبة ، فقال له عنبسة : يا أمير المؤمنين والله

ما نزعتَني عن ضعف ولا خيانة فقال معاوية : إنّ عتبةَ ابنُ هند ، فولًى عنبسة وهو يقول :

كُنّا لِحَرْبٍ صالحاً ذاتُ بَيْنِنا جميعاً فَأَمْسَتْ فَرَّقَتْ بَيْنَنا هِنْدُ
فإنْ تَكُ هِنْدٌ لم تَلِدْني فإنَّني لِبَيْضاءَ يَنْميها غَطارِفَةٌ مُجْـدُ
أبوها أبو الأَضْيافِ في كُلِّ شَتْوَةٍ ومأوى ضِعافٍ قد أَضَرّ بها الجَهْدُ

المدائني عن سُحيم بن حَفْص قال : قال معاوية : إذا ذهب أصحاب رسول الله ﷺ ذهب الورع ، وإذا ذهب مَن بقي من أهل الجاهلية ذهب الحلم .

حدثني هشام بن عمّار حدثنا صدقة عن يزيد بن واقد قال : قال معاوية : أفضلُ ما أُعطِيَه الرجل العقل والحِلم ، فإن ذُكّر ذَكر ، وإنْ أُعطي شكر ، وإن ابتُلي صبَر ، وإنْ غضب كظم ، وإن قدر غفر ، وإنْ أساءَ استغفر ، وإنْ وُعظ ازدجر .

المدائني عن مَسْلمة وغيره قالوا : قال معاوية لعمرو بن العاص : ما بلغ من دَهْيك ؟ قال : لم أدخل في أمر قطّ إلّا خرجت منه ، قال معاوية : لكنّي لم أدخل في أمر قطّ فأردتُ الخروج منه .

المدائني عن أبي محمد العَبْدي قال : أكل صَعْصَعة بن صُوحان مع معاوية فتناول شيئاً من بين يديه ، فقال له : لقد أبعدتَ النُجعة ، قال : مَن أجدبَ انتجع .

المدائني قال : قال معاوية لمعاوية بن حُديج : ما جّرأك على قتل محمد بن أبي بكر ؟ قال : الذي جرَّأك على قتل حُجْر بن عَديّ[١] ، أفَتقتل حلماءنا وتلومنا على قتل سفهائكم ؟!

حدثني العُمري عن الهيثم عن ابن عيَّاش قال : دخل مالك بن هُبيرة السَّكونيّ على معاوية ، فلمّا طلع قال لعمرو بن العاص : يا أبا عبدالله ما أحبّ أنّ هذا من قريش ، قال : وما يهولك منه ؟ قال : أُقسم بالله لو كان منهم لأهمّتْك نفسك وما خلوتَ بمصر ، فلمّا دنا سلّم وجلس ، قال : وخدرتْ رِجله فمدّها فقال له معاوية: يا أبا سعيد وددتُ أنّ لي جارية لها مثل ساقَيْك ، قال : في مثل عَجيزتك يا أمير المؤمنين ، قال : حَبْجة بلَبْجة والبادىء أظلم[٢] ، فلمّا نهض قال معاوية لعمرو : إن الله قد أحسن بك إذ جعل هذا من كندة .

حدثنا محمد بن سعد عن عفّان عن سليمان بن المُغيرة عن حُمَيد بن هِلال عن أبي بُرْدة بن أبي موسى قال : دخلتُ على معاوية حين أصابتْه قَرْحته فقال : هلُمَّ يا بن أخي فانظر إليها ، فنظرت إليها وقد سُبرت فقلتُ : ليس عليك يا أمير المؤمنين بأس ، ودخل يزيد فقال له : إنْ وليتَ من أمر المسلمين شيئاً فاستوصِ بهذا فإن أباه كان أخاً لي وخليلاً ، غير أنّي رأيت في القتال غير رأيه .

---

١ ـ معاوية بن حديج وحجر بن عدي ـ كلاهما من كندة ، وكان حجر من أصحاب الإمام علي ، اعتقله زياد بن أبيه وبعث به مع عدد من أصحابه إلى دمشق ، فأمر معاوية بقتلهم بمرج عذراء قبل دخولهم دمشق .

٢ ـ في أمثال أبي عبيد ص ١٣٨ «هذه بتلك ، فهل جزيتك» .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن شَريك قال : كتبت عائشة إلى معاوية في قتل حُجْر أو غير ذلك : أمّا بعد فلا يَغُرّنّك يا معاوية حلمُ الله عنك فيزيدك ذلك استدراجاً ، فإنه بالمِرْصاد ، وإنّما يَعْجَلُ مَن يَخافُ الفَوْت .

حدثني العُمري عن الهيثم بن عدي عن عَوانة عن عبدالملك بن عُمير قال : سأل قَبيصة بن جابر معاويةَ عن قريش فقال : أمّا سيّدها غير مُدافَع فسعيد بن العاص ، وأمّا رجلها فمروان مع غَلَقٍ فيه وَحَدٌّ ، وأمّا فتاها نائلاً وتوسُّعاً فعبدالله بن عامر بن كُريز ، وأمّا أكرمها أباً وأمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّة وخالاً وخالة فالحسن ، وأمّا رجل نفسه فعبدالله بن عمر ، وأمّا من يَرِد مع دَواهي السِباع ويروغ رَوَغان الثَعْلب فعبدالله بن الزبير ، وأمّا سيّد الناس جميعاً فمن يقعد هذا المَقْعَد بَعْدي ، قال : فأخبرْني عن نفسك ، قال : قد علمتْ قريش أنّي أشدّها ثَبات قَدَمَيْن في بُعْثُط [1] البَطْحاء .

المدائني عن عوانة قال : تغدّى مع معاوية يوماً عبيدالله بن أبي بَكْرة ومعه ابنه بَشير أو غيره من ولده فأكثر من الأكل ، وكان معاوية أكولاً نَهِماً ، فلحظه معاوية ، فلمّا خرج ابن عبيدالله لامه أبوه على ما صنع ، ثم عاد ابن أبي بكرة من الغد وليس ابنه معه ، فقال معاوية : ما فعل ابنك التِلْقامةُ ؟ قال : اشتكى ، قال : قد علمتُ أنّ أكْله سيُورِثُهُ داءً .

المدائني عن أبي أيّوب بن عبدالله قال : كان معاوية يحسد الناسَ على النكاحِ ، فقال لرجل من جلسائه من كَلْب ، وكان شيخاً كبيراً ، كيف أنت

١ ـ البعثط : سرة الوادي . القاموس .

والنساء ؟ قال : ما أشاء أن أفعل إلاّ فعلتُ ، فجفاه وحرمه صِلته ، فدسّ الكلبيُّ امرأته الى ابنة قَرَظَة امرأة معاوية فشكت وقالت : ما أنا وهو في اللِحاف الاّ بمنزلة امرأتَيْن ، ودخل معاوية على ابنة قرظة فقال : مَن المرأة التي عندك ؟ قالت : امرأة فلان الكلبي ، قال : وما قالت ؟ قالت : شكت حالَها وكِبَر زوجها وأنَّه لا ينال منها شيئاً ولا يقدر عليه ، فقال : ما كذا يزعم ؛ فأرسل إليه وتوارت امرأته عند النساء ، فقال له معاوية : يا فلان كيف قُوّتك على الجِماع ؟ فقال : ما أشاء أن أفعل إلاّ فعلتُ ، فقالت امرأته : كذب يا أمير المؤمنين ، فقال الشيخ : أَقِلْني هذه الكذبة ، فضحك معاوية وقال : أنا أبو عبدالرحمن ، وأَمره فانصرف ، وعاد إلى ما كان عليه من بِرّه وصلته .

قالوا : وقدم على معاوية روميّ لم يُرَ قطّ أطول منه ، فدعا معاوية قيسَ بن سعد بن عُبادة فطاله ، فقال معاوية لقيس : أَعطه سراويلك ، فلبسها الرومي فكادت تبلغ عنقه ، فقال : آتركها عليه ، فتركها ، وأمر معاوية لقيس بِسراويل من سَراويلاته فوجده قصيراً عليه فقال : إنما أمرت لي بتُبّان ، يعيّره بذلك ، فقال معاوية :

أَمَّا قُرَيْشٌ فأشْياخٌ مُسَرْوَلَةٌ ... واليَثْرِبيّون أُصْحابُ التَبابِينِ

فقال قيس :

تِلْكَ اليهودُ التي تَعنَى بِقَرْيَتِنا ... أُضحت قُرَيْشٌ هُمُ أَهل السَخاخين[1]

---

١ ـ في الهامش : «جمع سخينة» والسخينة طعام حار يتخذ من دقيق وسمن ، وقيل دقيق وتمر ، وكانت قريش تكثر من أكلها ، فعيرت بها حتى سموا سخينة . النهاية لابن الأثير .

المدائني عن جُوَيْرية بن أسماء قال : قدم أبو موسى على معاوية فدخل عليه في بُرْنُس أسود ، فلمّا خرج من عنده قال : قدم الشيخ لأُولِّيه ووالله لا ولّيتُه .

المدائني عن محمّد بن مروان العِجْلي عن حبيب بن الشهيد قال : قال معاوية لعبدالله بن عامر : يا أبا عبدالرحمن لا يزال يكون بينك وبين مروان الشيء فتقهره وتستعليه وتظفر به ، فقال ابن عامر : إنّه يجدني عِضّا ، فقال معاوية : إنّك لو لقيتَ رجلاً عرفّك نفسك ، قال : فَكُنْ أنت ذلك الرجل يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : أنا ابن هِنْد ، قال ابن عامر : أنا ابن أُم حَكيم ، قال معاوية : ارتفعت جدّاً ، قال ابن عامر : وانخفضتَ يا أمير المؤمنين . قال : أمّ عبدالله بن عامر دِجاجة بنت [أسماء بن] [1] الصَلْت وأُم أبيه أَرْوى بنت كُريز وأمّها أمّ حَكيم البيضاء بنت عبدالمطلب .

المدائني عن أبي اسحاق التميمي قال : كتب معاوية إلى عمرو بن العاص والمُغيرة بن شُعْبة في القدوم ، فقدم عمرو من مصر والمغيرة من الكوفة ، فقال عمرو للمغيرة بن شعبة : ما جَمَعَنا إلاّ ليعزلنا ، فإذا دخلتَ عليه فآشكُ الضعْف وآستأذنْه في إتيان المدينة أو الطائف ، فإني سأسأله إتيان مكّة أو المدينة ، فسيقع في قلبه أنّا إنّما نريد إفساد الناس عليه ، ففعل المغيرة ذلك ، ثم دخل عمرو فسأله أن يأذن له في إتيان مكّة أو المدينة فقال : قد تواطأتما على أمرٍ وإنّكما لتريدان شرّاً فآرجعا الى عملكما .

المدائني قال : نظر معاوية إلى فتيان من بني عبد مناف فتمثّل :

---

١ ـ زيد ما بين الحاصرتين من أسد الغابة لابن الأثير .

بنو الحربِ لم تَقْعُدْ بِهِم أُمَّهاتُهُمْ   وآباؤهُمْ آباءُ صِدْقٍ فأَنجَبوا

ونظر إلى فتيان من بني أسد بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ فقال :

شَرِبْنَ حَتَّى نَفِــدَ القَلِيبُ   أَكَلْنَ حَمْضاً فالوجُـوهُ شِيبُ

المدائني عن سعيد بن عامر الخَزْرَجي عن عُبادة بن نُسَيّ قال : خطب معاوية فقال : إنّي كزَرْعٍ مستحصَد ، وقد طالت إمرتي عليكم حتى مللتُكم ومللتموني ، وتمنّيتُ فراقكم وتمنّيتم فراقي ، ولن يأتيكم بعدي إلّا مَن أنا خيرٌ منه كما أنَّ مَن كان قبلي كان خيراً منّي ، وقد قيل : من أحبَّ لِقاء الله أحبَّ الله لقاءَه ؛ اللّهم إنّي أحببتُ لِقاءك فأَحِبَّ لقائي وبارِكْ لي فيه .

حدثنا هشام بن عَمّار حدثنا اسماعيل بن عَيّاش عن صَفْوان بن عمرو عن الأزهر بن عبدالله الهَوْزَني [1] عن أبي عامر الهَوْزني قال: حججنا مع معاوية ، فلمّا قدمنا مكّة أُخبر برجلٍ قاصٍّ يقصّ على أهل مكّة ، وكان مولى لبني مخزوم ، فقال له معاوية : أُمرتَ بالقصص ؟ فقال : لا ، قال : فما حملك على أنْ تقصّ بغير إذْن ؟ قال : إنّما ننشر علماً علّمناه الله ، قال : لو كنتُ تقدّمت إليك لقطعتُ طابقاً منك .

المدائني عن سُحيم بن حَفْص قال : خطب ربيعة بن غِسْل ـ وذلك الثبْتُ ، ويقال عِسْل ـ اليربوعي إلى معاوية فقال معاوية : آسقوه سَويقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين أَعِنّي في بناء داري بآثْنَي عشر ألف جِذْع ، قال : وكم دارك ؟ قال : فَرْسخان في فَرْسَخَيْن أو أكثر ، قال : فدارك بالبصرة أم

١ ـ بالأصل : «الهروي» وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه ، انظر توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ج ٢ ص ٣٥٥ .

البصرة في دارك ؟! قال : فدخل رجل من ولده على ابن هُبَيْرة فقال : أنا الذي خطب أبي إلى معاوية ، قال : فزّوجه معاوية ؟ قال : لا ، قال : فما صنع شيئاً ؛ ثم قال لسلم بن قُتَيبة : مَن هذا ؟ قال : ابن أحمق قومه ، قال : وان الحُمْق لبيّن فيه أيضاً .

المدائني قال : ذكر مروان يوماً لمعاوية كثرةَ عددِ آل أبي العاص وقلّة عدد آل حَرْب ، فتمثّل معاوية :

تُفاخرني بكثرتها قُرَيطٌ وقَبْلَكَ طالَتِ الحَجَلَ الصقورُ
فإنْ أَكُ في عِدادِكُمُ قَليلاً فإنّي في عَدُوِّكُمُ كَثيرُ
بُغاث الطيرِ أَكْثَرُها فِراخاً وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزورُ

وحدثني عبدالله بن صالح عن هشام بن محمد قال : زوّج معاوية ابنته رَمْلة من عمرو بن عثمان بن عفّان ، فسمعتْ مروان بن الحكم يقول له وقد عاده : إنّما ولي معاوية الخلافة بذِكْر أبيك ، فما يمنعك من النهوض لطلب حقّك ، فنحن أكثر من آل حَرْب عدَداً ، مِنّا فلان وفلان ؛ وحجّ عمرو بن عثمان وخرجت إلى أبيها فقال لها : مالك ، أُطلّقك زوجك ؟ قالت : الكلب أَضَنُّ بشَحْمته ، وحدّثته حديثَ مروان واستكثاره آل أبي العاص واستقلاله آل حرب ، فكتب معاوية إلى مروان :

أَواضِعَ رِجْلٍ فوق رِجْلٍ يَعُدُّنا كَعَدِّ الحَصا ما إن يزالُ يُكاثِرُ
وأُمُّكُمُ تزجي تُؤاماً لِبَعْلها وأم أَخيكُمْ نَزْرَةُ الوُلْدِ عاقِرُ

المدائني عَن مَسْلَمة قال : لمّا بلغ معاويةَ موت زياد قال :

وأَفْرِدْتُ سهماً في الكِنانَةِ واحداً سَيُرْمى به أو يَكْسِرُ السَّهْمَ كاسِرُهْ

المدائني عن عَوانة وابن جُعْدُبة قالا : قال معاوية لابن عبّاس : إنّ عثمانَ أصاب من هذه الدنيا وأصابت منه ، وإنّها قد مالت بي ومِلْتُ بها ، فما ترى يا أبا عبّاس ؟ فقال : إنّ الدنيا قد أمكنتْك فهي في يدك ولك دَرُّها ، وإنّ الآخرة ممكنة لك إنْ أردتَها ، ولَمَا نقصك من دنياك وزادك في آخرتك خيرٌ لك ممّا نقصك مِن آخرتك وزادك في دنياك .

المدائني عن جُوَيْرية قال : قال معاوية لعمرو بن العاص ، وعمرو عنده بدمشق : قد جاشت الروم ، وهرب عامل من عُمّالنا ، وخرج أهل السِجْن ، قال : فلا يكبرنَّ عليك ذلك ، أمّا الروم فأرْضِهم بشيء تَرُدُّهُم به عنك ، وأمّا أهل السجن فإنّما خرجوا حُفاة عُراة فآبعث في طلبهم تُؤْتَ بهم ، وأمّا عاملك فأَظهر أنّك قد تركت له ما عليه فإنّه سيرجع فإذا رجع فطالبْه ، قال : ففعل معاوية ذلك .

المدائني عن غسان بن عبد الحَميد عن جعفر بن عبدالرحمن بن المِسْوَر ابن مَخْرَمة عن أبيه [عن جدّه المسور] قال : دخلتُ على معاوية فقلت : السلام عليك أيّها الملك ، فقال : قد علمت أحسن ما قلتَ فكيف طَعْنُك على الأمراء ؟ فلم أَدعْ شيئاً إلّا بَكَّتُه به ، فقال : يا مِسْوَر إنّا غير متبرّئين من الذنوب ونرجو رحمة الله ؛ إنّي لعلى شريعة يقين يقبل الله معها الحُسنى ويتجاوز عن السَّوْآى، ولو خُيّرت بين الله وما سِواه لاخترتُه ، ثم قضى حوائجه .

المدائني عن محمد بن الحجّاج عن عبدالملك بن عُمَيْر انّ أبا موسى الأشعري عبدالله بن قيس دخل على معاوية فقال : السلام عليك أيّها الأمير ، فضحك معاوية وقال : بايْع يا أبا موسى ، وبسط يده ، فقال أبو

موسى : أُبايع علينا ولنا ، فقبض معاوية يدَه وانصرف أبو موسى ، فقالَ له ابن عِضاه الأشعري : ياأبا موسى إنّك رأيت رجالاً من قريش يقولون لمعاوية فيحلم عنهم ، ففعلتَ كما فعلوا ، وإنّه يهونُ على معاوية أن يقتلك فيؤدّب بك غيرَك ، فإنّي سمعته يقول : إنّ السلطان يضحك ضحك الصبيّ ويصول صَولة الأسد ؛ فراح أبو موسى إلى معاوية فسلَّم عليه بالخلافة وقال : ما أنكرتَ من تسليمي عليك بالإمرة فقد كنّا نقولها لعمر بن الخطّاب فيراها وغيرَها سواءً ، وما أنكرتَ من قولي أُبايعك علينا ولنا ؟ علينا الوَفاء بها ولنا أجرُها ، فتبسّم معاوية وقال : بايعْ أبا موسى فلَعمري ما أخرجتَها حتى زَمَمتَها وخطمتَها ، ولئن كنتَ قد قلتَ خيراً لقد أُردتَ شرّاً .

المدائني عن أبي عبدالله الحَنفي عن رجل قال : قال عبدالله بن العبّاس : ما رأيتُ أحداً كان أحقَّ بالملك من معاوية ، لله دَرُّه إنْ كان لَحليماً وإنْ كان الناس لينزلون منه بأرجاء وادٍ خَصِبٍ، لم يكن بالضَيّق الليّق المتصعّب الحصوص ، يعني الذي يُحاصّ في كلّ شيء .

المدائني عن شِهاب بن عبدالله عن يزيد بن سُويد قال : أذن معاوية للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث بن قيس ، فجلس محمد فوق الأحنف ، فقال معاوية: إنّي لم آذن له قبلك لتكونَ دونه إليّ ، وقد فعلتَ فِعل مَن أحسَّ مِن نفسه بذُلّ ، إنّا كما نملك أُموركم نملك تأديبكم ، فأَريدوا منّا ما نريد بكم فإنّه أبقى لكم ، فقال محمد : إنّا لم نأتِك ليُقصى مكانُنا منك ، ولم نعدم الأدب فنحتاج إلى تأديبك ، فخُذْ منّا عَفْونا تستوجب مَودّتنا ، وإنّا عنك لفي غِنىً وسعَةٍ ، ثم خرج .

المدائني عن مُبارك بن سلّام عن مجالد قال: قال معاوية لسعيد بن العاص: كم ولدك؟ فذكر عشرة أو أكثر، فقال معاوية: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِنَاثاً ويَهبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[1] فقال سعيد: ويؤتي الملك مَن يشاء وينزع الملك ممّن يشاء[2].

المدائني عن غسّان بن عبدالحَميد عن جعفر بن عبدالرحمن بن المِسوَر عن أبيه قال: قدم معاوية المدينة فخطبهم فقال: إنّي رمتُ سيرة أبي بكر وعمر فلم أُطقها، فسلكتُ طريقةً لكم فيها حَظّ ونفع، على بعض الأثرة، فآرضوا بما أتاكم منّي وإنْ قَلّ، فإنّ الخير إذا تتابع وإنْ قلّ أغنى، وإنّ السُخط يكدّر المعيشة، ولستُ بباسطٍ يدي إلاّ إلى من بسط يده، فأمّا القولُ يستشفي به ذو غِمْر فهو دَبْرَ أُذني وتحت قَدَمي حَتى يَرومَ العَوْجاء.

حدثني عبدالله بن صالح عن أبي بكر بن عَيّاش قال: حُدثْت عن الشّعْبي أنّ عمر بن الخطّاب ذكر معاوية فقال: آحذروا آدم قريش وابن كريمها فإنّه لا ينام الاّ على الرِضا ويضحك عند الغَضَب، ويتناول ما فوقه مِن تحته.

المدائني عن أبي قُحافة عن أبي قُرَّة مولى عبّاد بن زياد قال: دخل أعرابي المسجدَ ومعاويةَ يخطب فقال: أيّها المتكلِّم آسكتْ أُنشُدْ جَمَلي، فسكت معاوية، فقال الأعرابي: أيّها الناس مَن دعا الى جَمَلٍ عليه قتب، فردّد القول مِراراً، فقال معاوية: أيّها الأعرابي حَلّه حِلْيةً سِوَى القتب فلعلّ القتب قد ضاع، ثمّ مضى في خطبته.

١ ـ سورة الشورى ـ الآية: ٤٩.
٢ ـ انظر سورة آل عمران ـ الآية: ٢٦.

المدائني عن غَسّان بن عبدالحَميد عن جعفر بن عبدالرحمن بن مِسْور قال : قدم عبدالله بن عبّاس على معاوية وافداً فأمر ابنه يزيد أن يَأتيَه مسلّماً فأتى يزيد ابن عبّاس فرحَّب به ابن عبّاس وحدّثه ، فلمّا خرج قال ابن عبّاس : إذا ذهب بنو حرب ذهب حُلماء الناس .

قالوا : دخل عبدالله بن الحارث بن أميّة الأصغر على معاوية وكان بَذيئاً ، فجرى بينه وبين معاوية كلام ، فقال عبدالله : والله لقد شججتُ أخاك حنظلة فما أُعطيتُم عَقْلاً ولا سألتم فِدىً ، قال معاوية : إنّك هربت إلى أخوالك بالطائف ، فقال : إنّي إذا مال أحدُ شِقّيَّ عدلتُه بالآخر .

المدائني عن عبد ربّه بن نافع عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : مرض معاوية فحسر عن ذراعَيْهِ وكأنَّهما عَسيبان [1] ثمّ قال : هل الدنيا إلّا ما جرّبنا وذُقْنا ، ولوددتُ أنّي لم أعمّر فيكم فوق ثلاث حتى ألحق بربّي ، فقال له رجل عنده : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : بما شاء الله أن يقضي لي ، فقد علم أنّي لم أهوَ ما كره .

المدائني قال : دخل على معاويةَ عَديُّ بن حاتم فقال ابن الزبير وهو حاضر : إن عند هذا الأعور جواباً ، فأحركه ؟ قال : نعم ، فقال : يا عَديّ أين ذهبتْ عينك ؟ قال : يوم قُتل أبوك هارباً وضُربتَ أنت على قفاك مُوليّاً ، وأنا يومئذ مع الحقّ وأنت مع الباطل .

المدائني عن الفَضْل بن سليمان عن سعيد بن عبدالعزيز التَنوخي عن أبيه عن حَبيب بن مَسْلمة الفِهْري قال : ركب معاوية وأنا معه ، فبينا نحن

---

١ ـ العسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . القاموس .

نسير إذ طلع رجل باذّ الهيئة فلم أره أكبرَ معاويةَ ولا آكترث له ، وأعظمه معاوية إعظاماً شديداً ثم قال : أجئتَ زائراً أم طالب حاجة ؟ فقال : لم آتِ لشيء من ذلك ولكنّي جئتُ مجاهداً وأرجع زاهداً ، فمضى معاوية عنه ، فقلتُ : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : عُقْبة بن عامر الجُهَني ، قلتُ : ما أدري ما أراد بقوله أخْيراً أم شرّاً ، قال : دَعْه فلعَمْري لئن كان أراد الشر إنّ الشرَّ عائد بالسوء على أهله ، قلتُ : سبحان الله ما ولدتْ قرشيّة قرشيّاً أذلَّ منك ، فقال : يا حَبيب أحلُم عنهم ويجتمعون خيرٌ أم أجهلُ ويتفرّقون ؟ قال : قلتُ : بل تحلم ويجتمعون ، قال : آمضِ فما ولدتْ قرشيّة قرشيّاً له مثلُ قلبي ، قال : قلتُ : إنّي لأخاف أن يكون ما تصنع ذُلّاً ، قال : وكيف وقد قاتلتُ عليّاً فصبرت على مُناوأته ؛ وبعضهم يروي هذا عن الضحّاك بن قيس .

حدثني عمر بن بُكَير عن هشام بن الكلبي عن عَوانة قال : قال معاوية : يا معشر بني أميّة إنّ محمداً لم يدعْ من المجد شيئاً إلّا حازه لأهله ، وقد أُعِنْتم عليهم بِخَلَّتَيْن : في ألسِنتهم ذَرَب وفي العرب أنَف ، وهم محدودون ، فأوْسِعوا الناس حِلْماً فوالله إنّي لألقى الرجلَ أَعلمُ أنّ في نفسه عليّ شيئاً فأستثيره فيثور عليّ بما يجد في قلبه ، فيوسعني شَتْماً وأُوسعه حِلْماً ، ثمّ ألقاه بعد ذلك أخاً أستنجده فيُنجدني .

حدثنا حَفْص بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن اسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه قال : بينا رجل يخاطب مُعاويةَ إذ قال : والله يا معاوية لتَستقيمنّ أو لنقوّمنّ صَعَرك [1] ، قال : ومَن أنت رحمك الله ؟

١ ـ صعر خده تصعيراً : أماله عن النظر إلى الناس تهاونا من كبر . القاموس .

قال : أنا فلان بن فلان الحِمْيري ، قال : وما كان عليك لو كان كلامك ألينَ من هذا ؟ فلمّا ولّى قال يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين لو نكّلتَ بهذا تأدب به غيرُه فقال : يا بُنيّ لَرُبّ غَيْظٍ قد تحطَّم بين جوانح أبيك لم يكن وَبالُه إلّا على مَن جناه .

وقال ابن أمّ الحَكَم ليزيد : خالي من قريش وخالك من كلب فجِئْني بخال مثل خالي ، فشكاه يزيد إلى معاوية فقال معاوية : قلْ له هاتِ أباً مثل خالك .

حدثني عبدالله بن صالح قال : بلغنا أنّ معاوية قال : أحبّ الناس إليّ أشدّهم تحبيباً لي إلى الناس .

المدائني عن أبي اسماعيل الهمداني عن مُجالد عن الشعبي قال : قال علي رضي الله تعالى عنه : لا تمنَّوا موتَ معاوية فإنّكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها .

قال العُتبي : وقع بين هُدْبة بن خَشْرَم العُذري وبين آخر من عُذرة كلام عند معاوية ، فقال العُذري : إنّه لا يقال في مجلس أمير المؤمنين الكذب ، فقال هُدْبة : إنّه لا مجلس يدخله من الكذب أكثر ممّا يدخل مجلس أمير المؤمنين ، ولكنّ فيه عزّاً نيل بالصّدْق ، يعني الإسلام .

أبو الحسن المدائني عن عَلْقمة عن الفَضْل بن سُويد قال : قال عبدالملك : ما رأيت أكرم من معاوية ، خرج حاجبه يوماً فلم يَرَ في المسجد غيري فرجع ، ثم خرج معاوية فقُمْتُ إليه ، فتوكّأ عليّ حتى خرجَ من المسجد ، ثم أجرى الخيل فسُبق في الثُنْيان ، فلمّا كان بعد ذلك غدوتُ إليه وخرج فصنع بي كما صنع أوّلاً ، ثم أجرى الخيلَ فسُبق في الربْعان ، ثم أتيتُه

يوماً ثالثاً وخرج الحاجب فاستترت منه مخافةَ أن يتشاءَم بي فقال لحاجبه : آطلبْهُ ، فرآني ، فأتيتُ معاوية فتوكّأ عليّ ثم قال : أجْرِ القُرَّح ، فَسَبَقَ ، فقال : يا بن مروان ، هكذا القُرّح تُسْبق لها القُرّح ، هاتِ حاجتك ، فما سألتُ حاجةً إلاّ أمر بها فعُجّلتْ .

المدائني عن النضر بن اسحاق عن بَشير بن عبيدالله بن أبي بَكْرة قال : قال معاوية لآذنه : ابْغني قوماً يتحدّثون عندي ويحدّثوني ، فأدخل إليه أربعةً من سُلَيم فيهم نَصْر بن الحجّاج ، فقال معاوية : أتدرون لِمَ دعوتُكم ؟ فقال نَصْر : دعوتَنا لأمرٍ حَزَبَ ونازلةٍ نزلتْ فأردتَ أهلَ النصيحة والرأي، قال: ما كان بحمدالله إلاّ خير ولا جاءنا إلاّ ما نحبّ ، قال : فدعوتَنا لأنك روأتَ [1] فقلتَ ما تركتُ رَحِماً إلاّ وصلتُها وزيّدتها إلاّ رَحِم هذا الحيّ من سُليم ، فدعوتَنا للصِلة وقضاء الحقّ ، قال : إنّكم لذلك لأهْل وما لذلك دعوتُكم ، قالوا : فدعوتَنا لأمر عَراك فأردتَ أن نحدّثك ليذهب غَمّك ، فإن أردتَ حديث الجاهليّة وأيّام العرب وأنسابها فنحن بنوها ، وإن أردت حديثَ الإسلام فنحن أهله ، قرأنا كتاب الله وفَقهنا في الدين ، وإن أردت علم العَجَم فقد غزوناهم ولنا بأمورهم علم ، قال : فأطرق معاوية طويلاً ثم قال : أنا خيرُ قريش لها حيّاً وميتاً ، قال نَصر : ذاك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، هداها الله به من الضلالة ، وبصّرها بعد الحَيْرة ، وأعزّها بعد الذِلّة ، وأغناها من الفَقْر ، وجمع لها به الحُسْنَيَيْنْ الخلافة في الدنيا وحُسن الثواب في الآخرة ، وأورثها كتاب الله فصرتم به علينا أربابا ، ولكن إن

---

١ ـ روأ في الأمر : نظر فيه وتعقبه ، ولم يعجل بجواب . القاموس .

شئتَ أخبرناك أنّك شرّ قريش لها حَيّاً وميتاً ، قال : وكيف ؟ قال : لانتْ لها أكنافك ، وانثنتْ لها أعطافك ، وجادت لها كفّك ، وعودتَها بحِلْمك عادةً لا يحملها لها مَن بعدك ، فأَطْغيْتَ بَرّها وأكفرتَ فاجرها ، فكأنّي بهم إذا فقدوا ما عوّدتَهم قد ثاروا إلى القنا فعقدوا فيها خُمرهم ، فأصبحوا مصرّعين شائلةً أرجلهم بأفواه السِكَك ، فقام معاوية وخرجوا ، فدعا آذنه فقال : والله ما استرحتُ من هؤلاء إلى مستراحٍ ، وَيْحك أردتُ قوماً يحدّثوني حديثاً سهلاً فجئتَني بشيطان .

ويروى أنّ معاوية قال لسَعْد مولاه : إنّ جُلسائي قد ثقلوا عليّ ونازعوني الكلام فأُدخِل إليّ غيرهم ، فأدخل إليه أبا الأعور السُّلَمي ورجلا آخر ، فجرى بينه وبين معاوية ما نُسب إلى نَصْر بن الحجّاج ، قالوا : فلمّا قال أبو الأعور : وأضحوا شائلة أرجلهم بأفواه السِكك ، قال معاوية : وأبو الأعور فيهم ، فقال : أَغَضبتَ يا معاوية أن صدقتُك ؟ ذلك إلى الله فإن شاء كنتُ فيهم .

المدائني عن سُحيم بن حَفْص قال : كانت لعبدالله بن الزبير أرض إلى جانب أرضٍ لمعاوية ، فاقتتل غلمان معاوية وغلمان آبن الزبير : فكتب ابن الزبير : إلى معاوية بن أبي سفيان ، أمّا بعد فقد غلبتَنا بحُمْرانك وسودانك ، ولو قد التقتْ حَلْقتا البِطان واستوتْ بنا وبك الأقدام علمتَ مِنْ عبدِالله أنّ سودانك وحمرانك لا يُغْنون عنك شيئاً ، فقرأ معاوية الكتاب ثم رمى به إلى ابنه يزيد فقال : ما عندك ؟ قال : تبعث إليه مَن يقتله فتستريح من حُمقه وعُجبه ، قال : يا بُنيّ له بنون وعشيرة تمنعه ، إن بعثتُ بمائة رجل وأعطيتُ كلّ رجل ألفاً بلغ ذلك مائة ألف ، ولا أدري على مَن تكون

الدَبْرة ، فإن غُلبوا بعثتُ ألفاً وأعطيتُهم ألف ألف ، ولكنّي أكتب إليه ، فكتب إليه : من عبدالله معاوية أمير المؤمنين إلى عبدالله بن الزبير ، أمّا بعد فقد جاءَني كتابك تذكر أنّا غلبناك بحمراننا وسوداننا وأنّه إن التقتْ حلْقتا البِطان واستوتْ بنا وبك الأقدام علمنا أنّ حمراننا وسوداننا لا يُغنون عنّا شيئاً ، وإنّ أمير المؤمنين قد وهب لك ذلك المال بحمرانه وسودانه فخُذْه خِضْرا نضرا والسلام . فكتب إليه عبدالله بن الزبير : لعبدالله معاوية أمير المؤمنين من عبدالله بن الزبير ، أمّا بعد ، فقد غلبتَنا بحِلْمك وجُدتَ لنا بمالك ، فجزاك الله يا أمير المؤمنين خير جزاء ، فلمّا أتى معاويةَ الكتابُ قال ليزيد : يا بُنَيّ أهذا خير أم ما أردت ؟

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يزيد بن عِياض قال : قال معاوية لأبي الجَهْم بن حُذَيفة : أيما أسنّ أنا أم أنت ؟ فقال أبو الجَهْم : والله إنّي لأذكر دخول أمّك على زوجها ، قال : أيّ أزواجها ؟ فوالله إنْ كانت لكريمة المَناكح ، فإيّاك يا أبا الجَهْم والإقدام بعدي على السلطان بمثل هذا ، فإنّما أمر السلطان كاللعب وصَوْلته كصولة الأسد ، فاحذر أن يؤمَر بك فيُؤتى على نفسك .

وحدثني العُمري عن الهيثم عن ابن عَيّاش عن أبي الهيثم الرحبي عن ابن عِضاه الأشعري قال : دخل أبو الجَهْم على معاوية فأجلسه معه على سريره وأكرمه ثم قال له : أيّما أسنّ أنا أم أنت ؟ قال : لقد أكلتُ في عُرس أمّك قبل أن يتزوّج أبوك ، فقال : لقد كانت تستكرمُ الأزواجَ ، ففي عُرس أيّ أزواجها أكلتَ ؟ قال : في عُرس حَفْص بن المغيرة ، قال : ذاك سيّد

قومه ، ثم قال : إيّاك والسلطان فإنّه يغضب غضب الصبيان ويصول صَولةَ الأسد .

أبو الحسن المدائني عن أبي عبد الرحمن العجلاني عن سعيد بن عبد الرحمن قال : دخل قومٌ من الأنصار على معاوية فقال لهم : يا معشر الأنصار ، قريش لكم خير منكم لها ، فإن يك ذلك لقَتلَى أُحدُ فقد نلتم يوم بدر مثلهم ، وإن يكن لِلأَثَرة فوالله ما تركتم لنا إلى صلتكم سبيلاً ، لقد خذلتم عثمان يوم الدار وقتلتم أنصاره يوم الجمل وصَلِيتم بالأمر يوم صفّين ؛ فتكلم قيس بن سعد فقال : أما ما قلت من أنّ قريشاً خير لنا منّا لهم فإن يفعلوا فقد أسكناهم الدار وقاسمناهم الأموال وبذلنا لهم الدماء ودفعنا عنهم الأعداء ، وأنت زعمت سيّد قريش فهل لنا عندك جزاء ؟ وأمّا قولك إن يكن ذلك لقتلى أحد فإنّ قتيلنا شهيد وحيّنا ثائر ، وأمّا ذكرك الأثَرة فإن رسول الله ﷺ أمرنا بالصبر عليها ، وأمّا خِذلان عثمان فإنّ الأمر في عثمان كان الأَجْفَلَى[1] ، وأمّا قتلُ أنصاره يوم الجمل فما لا نعتذر منه وبوُدّك أنّ الجميع آصطلموا ، وأمّا قولك إنّا صَلِينا بالأمر يوم صِفّين فإنّا كنّا مع رجل لم نأُله خيراً ؛ ثم قاموا فخرجوا ، فقال معاوية : لله دَرّهم فوالله ما فرغ كلامه حتى ضاق المجلس عليَّ وما كان فيكم رجل يجيبه ؛ ثم ترضّاهم ووصلهم .

المدائني عن أبي عبد الرحمن العجلاني عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان قال : دخل قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري مع رهط من الأنصار على معاوية فقال معاوية : يا معشر الأنصار بماذا تطلبون ما قِبَلي ؟ والله لقد

١ ـ الأجفلي : الجماعة من كل شيء . القاموس .

كنتم قليلاً معي كثيراً عليّ ، ولقد فللتم حدّي يوم صِفّين حتى رأيتُ المنايا تَلَظّى في أسنّتكم ، وهجوتموني بأشدّ مِن وَخْز الأشافي[1] ، حتى إذا أقام الله ما حاولتم مَيْله قلتم ارْعَ فينا وصيّةَ رسول الله ﷺ ، هَيْهاتِ هَيْهاتِ يأبى الحَقينُ العِذرة ، فقال قيس بن سعد : إنّا نطلب ما عندك بالإسلام الكافي به الله فَقْدَ ما سِواه لا بما تَمُتُّ به إليك الأحزاب ، وأمّا عَداوتنا لك فلو شئتَ كففتَها عنك ، وأمّا هِجاؤنا إيّاك فقولٌ يزول باطله ويثبت حقّه ، وأمّا استقامة الأمر لك فعلى كُرْهٍ كان منّا ، وأمّا فلّنا حَدَّكَ يوم صِفّين فإنّا كنّا مع رجل نرى طاعته لله طاعةً ، وأمّا وصيّة رسول الله ﷺ بنا فإنّ مَن آمن به رَعاها بعده ، وأما قولك يأبى الحقين العِذرة فليس دون الله يد تحجزك ، فشأْنَك يا معاوية ، فقال معاوية : سَوْءَةً ، ارفعوا حوائجكم ، فرفعوها فقضاها .

المدائني عن مَسْلمة بن مُحارب قال : هجَا عُقَيبة الأَسَدي أبا بُرْدة بن أبي موسى فقال :

أَنت امرؤٌ في الأَشْعَرينَ مُقابَلٌ وبالبيتِ والبَطْحاءِ أَنت غريبُ
وما كُنْتُ من حُدّاثِ أُمِّك بالضحى ولا مَن يُزَكّيها بِظَهْرِ مَغيبِ

فشخص أبو بُرْدة إلى معاوية فشكا عُقيبة ، فقال معاوية : لم يهجُك ، قال:أنت بالبطحاء غريب وقد صدق ، وجعلك مقابلاً في قومك وانّه لم يكن من حُدّاث أمك ، وقد قال لي أشدَّ ممّا قال لك :

---

١ ـ الإشفى : المثقب والسراد يخرز به . القاموس .

أكلْتُمْ أَرْضَنـا فَجَـرِدْتُمُـوهـا فهل من قائِمٍ أو من حصيدِ
فَهَبْهـا أُمَّةً هَلَكَتْ ضَيـاعـاً يزيدُ يَسـوسُها وأبـو يزيـدِ

فهلُمّ نَدْعو الله عليه .

المدائني عن جُوَيرية بن أسماء عن مُسافع بن شَيْبة قال : حجَّ معاوية فلمّا كان عند الرَّدْم[1] أخذ الحسين بخِطام ناقته فأناخ به راحلته ، ثم سارّه طويلاً ثم انصرف ، وزجر معاوية راحلته وسار ، فقال عمرو بن عثمان بن عفّان : يُنيخ بك الحسين وتكفُّ عنه وهو ابن أبي طالب وتسرّعه على ما تعلم ، فقال معاوية : دَعْني مِن عليّ فوالله ما فارقني حتى خشيتُ أن يقتلني ، ولو قتلني ما أفلحتم ، وإنّ لكم من بني هاشم ليوماً عصيباً .

حدثني الحِرمازي عن جُهيم بن حسّان قال : أُخبرتْ رَملةُ بنتُ معاويةَ امرأةُ عمرو بن عثمان أباها بقول قاله مروان لزوجها فكتب إليه : يا مروان سمعتُ رسول الله ﷺ وسلّم يقول : «إذا بلغ ولد الحَكَم ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دُوَلاً ودين الله دَخَلاً وعِباد الله خَوَلاً» ، فكتب إليه مروان : فإنّي أبو عشرة وأخو عشرة وعمّ عشرة والسلام .

المدائني عن محمد الثَقَفي قال : دعا معاوية بجارية له خُراسانية فخلا بها ، وعرضت له وصيفةٌ مولّدة فترك الخُراسانيةَ وخلا بالوصيفة فنال منها وخرج ، فقال للخراسانية : ما اسم الأسد بالفارسية ؟ فقالت : كَفْتار ، فخرج وهو يقول : أنا الكَفْتار ، فقيل له : يا أمير المؤمنين أتدري ما الكَفْتار ؟ قال : نعم الأسد ، قالوا : لا ولكنّه الضَّبُع العرجاء ، فقال : ما لها لله دَرُّها ما أَسرعَ ما أدركتْ بثأرها .

---

١ - ردم بني جمح بمكة . معجم البلدان .

العُمَري عن الهيثم عن عَوانة قال : قال عبد الرحمن بن حسّان :

ألا أَبْلِغْ معاويةَ بنَ حَرْبٍ فقد أَبْلَغْتُمُ الحَنَقَ الصدورا
تَقـونَ بنا نُفـوسَكُمُ المنـايـا عَسَتْ بِكُمُ الدّوائرُ أن تدورا
بِحَرْبٍ لا يُرى القُرَشيُّ فيها ولا الثَقَفِيُّ إلاّ مُسْتَجـيرا

فبلغ معاوية الشعر فقال : لَئن استجار القرشيُّ إنّه لأسوأ الحالات .

المدائني عن عامر بن الأسود قال : وفد الزّعْل بن مَنان على معاوية فقال : لقد كنتُ أحب أن أراك قبل أن تموت ، فقال معاوية : أو تنعى إليّ نفسي ، بك الوَجبة ، وضحك .

حدثني هشام بن عمّار حدثنا الوليد بن مسلم عن مروان بن جَناح قال : قال عمرو بن العاص وذكر معاوية وهو بمصر : انّ إمامكم لَمّن سهّل الله خليقته ، وقوّم طريقته ، وأحسن صِيغَته ، فَمن كانت النِعْمة تُبْطره إنّها لتذلّله وتوقّره .

وحدثني هشام عن صَدَقة القرشي قال : قال يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ما أدري أنخدع الناس أم يتخادعون لك ؟ فقال : مَن تخادع لك لِيخدعك فقد خدعتَه .

المدائني عن عَوانة قال : قال معاوية : ما شيء أحبّ إليّ من عين خرّارة في أرض خوّارة ، فقال عمرو بن العاص : ما شيء أحبّ إليّ من أن أبيتَ عَروساً بعَقيلة من عَقائل العرب ، فقال وَرْدان مولى عمرو : ما شيء أحبّ إليّ من الإفضال على الإخوان ، فقال معاوية : أنا أولى بهذا منك ، قال : قد ملكتَ فافعلْ .

المدائني عن عبد الحميد ، عن جابر بن يزيد أنّ عمرو بن العاص قال وهو عند معاوية : ما بقي من لذّتي إلا الحديث وأن يأتيني من ضَيْعتي ما أحب ، فقال معاوية : وأنا والله كذلك ، فقال ورْدان : مَا بقي في الدنيا شيء أحبّ إليّ من حديث حسن أسمعه ، أو أن يأتيني رجل في حاجة قد عَيَّ بها وضاق ذَرْعه فأُفرّج كُرْبته وأقضي حاجته ، فأنال بذلك ذِكْراً في الدنيا وأجرْاً في الآخرة ، فقال معاوية : أين كنّا عن هذه يا عمرو ؟ قال وَرْدان : أنتما والله أقدر على ذلك منّي .

حدثني العُمري عن الهيثم عن ابن عَيّاش عن [أبي الهيثم] الرحبي قال : قال معاوية ليزيد : ما ألقى الله بشيء أعظم في نفسي من استخلافك .

حدثني عبيد الله القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن عِمْران بن حُدَير قال : سألتُ أبا مجْلَز عن بيع المصاحف قال : انّما بيعتْ في زمن معاوية ، قلت : فأكتبها ؟ قال : استعملْ يدك بما شئتَ .

المدائني عن مَسْلمة وغيره قالوا : كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يسأله أن يولّي عبدالله ابنه مِصْرَ بعده ، فقال معاوية : أراد أبو عبدالله أن يكتّ[1] فهدر .

وروي عن عمرو بن العاص انّه قال : ما رأيت معاوية قطّ متّكئاً واضعاً إحدى رجلَيْه على الأخرى كاسراً عينه يقول لَمن يكلّمه:إيهِ إلّا رحمتُ الذي يكلّمه .

١ ـ يكت : يلقى السر في أذنه رفيقه .

المدائني عن مَسْلمة قال : قال عبد الملك بن مروان : ما رأيتُ مثلَ ابن هِنْد في حِلْمه وكرمه ، وما رحمتُ أحداً قطّ رحْمتي لرجل رأيت ابن هِنْد قد احتبج[1] على يده اليُسْرى ثمّ قال : يا هذا قُلْ .

المدائني قال : اشترى معاوية من حُوَيْطِب بن عبد العُزّى داره بخمسة وأربعين ألف دينار ، فهنّأه قوم فقال : وما خمسة وأربعون ألف دينار بالحجاز مع سبعة من العِيال .

المدائني قال : قال معاوية لرجل من قريش : ما المُرُوّة ؟ قال : إطعام الطعام وضَرْب الهام ، ثم قال لرجل من ثَقيف : ما المروّة ؟ فقال : تَقْوى الله وإصلاح المال ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فقال : أمّا قول القرشي فهو الفُتُوّة ، وأمّا الثَقَفي فأصاب في قوله تقوى الله ولم يصنع بعد ذلك شيئاً ، ولكّن المروّة أن تُعطي مَن حَرَمك وتعفوا عمّن ظلمك وتسلّط الحقوق على مالك .

وقال معاوية لصَعْصَعة بن صوحان : ما المروّة ؟ قال : الصبر على النوائب والصمْت حتّى يُحتاج إلى الكلام .

وزعموا أنّ معاوية قال للحسين بن علي : ما المُروّة ؟ فقال : فِقْه الرجل في دينه وإصلاحه معاشه وحُسن مخالقته للناس ، قال : فما النَجْدة ؟ قال : الذبّ عن الجار والإقدام على الكريهة ، قال : فما الجود ؟ قال : التبرّع بالإفضال والإعطاء قبل السُؤال والإطعام عند الإمحال ، فقال معاوية : أشهد بالله لقد صدقتَ .

---

١ ـ أحبج : قرب وأشرف حتى رئي ، والعروق شخصت ودرت . القاموس .

المدائني عن أبي اليقظان وغيره قالوا : وفد إلى معاويةَ الأحنف وجارية بن قُدامة والحُتات بن يزيد المُجاشعي فقال معاوية لجارية : أأنت الساعي مع عليّ والمُوقد النار في نُصْرَته ؟ فقال جارية : يا معاوية دَعْ عنك علياً وذكره ، فوالله ما أبغضناه مُذ أحببناه ، ولا غششناه مُذ نصحناه ، قال : ويحك يا جارية ما كان أهْونك على أهلك إذ سمّوك جارية ، فقال : أنت كنت أهْون على أهلك إذ سمَّوك معاوية ، فقال معاوية : اسكتْ لا أمّ لك ، قال : أمٌّ لم تلدْني ، إن قوائم السيوف التي لقيناك بها بصِفّين لفي أيدينا ، قال : إنّك لتوعدني ، قال : إنّك لم تملِكنا قَسْراً ولم تفتحنا عَنْوَةً ولكنّا أعطينا عهوداً ومَواثيق ، فإن وفيتَ لنا وفينا ، وإن نزعتَ إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالاً أنجاداً وأذْرُعاً شِداداً وأسِنّة حِداداً ، فإن بسطتَ لنا فِتْراً من غَدْر دَلَفنا إليك بِباعٍ من خَتْر ، فقال له معاوية : اسكتْ فلا أكثر الله في الناس أمثالك ، فقالَ : قُلْ معروفاً يا أمير المؤمنين فقد بلونا قريشاً فوجدناك اليوم أَوْراها زنْداً وأكثرها زُبْداً وأحسنها رِفْداً ، فارْعَنا رُوَيدا ، فإنَّ شرّ الرِّعاء الحُطَمَة(١) .

المدائني عن عامر بن عبدالله عن أبي الزناد قال : قال معاوية لرجل من سَبَأ : ما كان أجهلَ قومَكَ حين ملّكوا عليهم امرأة ثم قالوا ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾(٢) فقال : قومك أجهل من قومي حين قالوا ورسول الله يدعوهم :

---

١ ـ الحطمة : ما تكسر من اليبس . القاموس ، وانظر المثل في أمثال أبي عبيد ص ٣٠٢ .
٢ ـ سورة سبأ ـ الآية : ١٩ .

﴿إِنْ كانَ هذَا هُوَ الحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماء أَوِ ائتِنَا بِعَذَابٍ أَليمٍ﴾[1] .

المدائني قال ، قال معاوية يوماً للحسين : يا حسين ، فقال ابن الزبير : يا أبا عبدالله أيّاك يعني ، فقال معاوية : يا بن الزبير أتُريد أن تغريه بي إذْ سمَّيتُه وكَنَيتَه ؟! أما والله ما أولِعَ شيخُ قومٍ قطّ بالرتاج والباب إلاّ مات بينهما .

حدثني عبيدالله بن مُعاذ عن أبيه عن شُعبة قال : أراد معاوية أن يَدَّعي جُنادة بن أبي أميّة الأَزْدي[2] ، فقال عبدالله بن عمرو بن العاص : سمعت النبي ﷺ يقول : «لا يريح ريحَ الجنّة مَن ادّعى إلى غير أبيه» ، فقال جُنادة : أنا سهمك في كِنانتك ، فأمّا الدعوة فلا .

حدثنا العُمري عن الهيثم بن عَديّ حدثني ابن زَغْبان عن أبي المخارق قال : كنتُ أحمل كتبَ كاتب معاوية وأدخل بها معه إليه ، فدخلتُ ذاتَ يوم فكأنّه أعجبه منّي ما يُعجب الملك من خادمه فقال لي : ويحك مَن أنت ؟ قلتُ : أنا زياد مولى عبدالله بن أُذَيْنة الحارثي ، قال : صاحبنا بِصِفّين ؟ قلتُ : نعم يرحمه الله ، ثم أقبل على كاتبه فقال : عليك أبداً بصاحبك الأوّل فإنّك تلقاه على مودّة واحدة ، وإن طال العهد وشَطّت الدار ، وإياك وكلَّ مستحدثٍ فإنّه يستطرفُ قوماً ويميلُ مع كلّ ريح .

أبو الحسن المدائني عن المغيرة بن عطيّة قال : خرج معاوية من دمشق هارباً من الطاعون ، فلما كفَّ الطاعون رجع إليها ، فبينا هو يسير وقد قرب

---

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٣٢ .

٢ ـ بهامش الأصل : الأرحبي .

من الغوطة وقيس بن ثَوْر الكِندي وابن زِمْل السَّكْسَكي يُسايرانه أقبل همّام بن قَبيصة النُمَيري فأراد أن يدخل بين معاوية وبينهما ، فقال معاوية : ألا أُخبركم عن صَدْرنا ؟ قالوا : بلى ، قال : إن الله بعث رسول الله ﷺ فكان فَضْله لا يوصف ولا يُبَلغ حتى توفّاه الله إليه ، ثم ولي أبو بكر فلم يُرِدِ الدنيا ولم تُرِدْه ، ثم ولي عمر فأرادتْه الدنيا ولم يُرِدْها ، ثم ولي عثمان فأرادتْه الدنيا وأرادها حتى قُتل ، ثم صار الأمر إليّ فوالله ما بلغ مِن حُسن عملي ما يكون مثل سَيِّء عثمان الذي قُتل عليه . ثم بكى ، فقال همّام بن قَبيصة : ما بُكاؤك من أمر أنت مقيمٌ عليه لا تنزع عنه ؟! فلم يكلّمه معاوية ومضى حتى أشرف على الغوطة فقال : أيّ بستان رجلٍ ، فقال همّام : يا معاوية ملكتَ الشرق والغرب فلم تكتفِ بذلك حتى أردتَ أن تأخذ أموالنا ، لا أشبع الله بطنك . فضحك معاوية ثم حرك دابّته فقال : حتى نُمَير تُحاقّني في الغوطة .

المدائني عن علي بن سُليم قال : قال عبدالله بن همّام السَلولي :

فـإنْ تأْتـوا بِبَـرَّةَ أَوْ بِهِنْـدٍ ... نُبـايِعْهـا أَميـرَةَ مُؤمِنينـا
وكُلّ بَنِيكَ نَرْضاهُمْ جَميعـاً ... وإنْ شِئْتُم فعَمُّهُمُ البَـطينا
إذا ما ماتَ كِسْرَى قام كِسْرَى ... نَعُـدُّ ثَـلاثَـةً مُتَنـاسِقينـا
أَيا لَهْفَا لوَ انَّ لنا رِجالاً ... ولكِنّـا نَعـود كَـما عُنينـا
إذاً لَضُـرِبْتُمُ حتّى تَعـودوا ... بمَكّـةَ تَلْعَقونَ بها السخينا
خُشينا الغَيْظَ حتّى لَوْ سُقينا ... دِمـاءَ بَني أُمَيَّةَ مـا رَوينـا
لَقد ضاعَتْ رعِيَّتُكُمْ وأَنْتُمْ ... تَصيـدونَ الأرانِبَ غـافِلينـا

فقال معاوية : ما ترك ابن هَمّام شيئاً ، عيّرنا بالسخينة وذكّرنا أمَّهاتنا وتهدّدنا وذكر أنّه لو شرب دماءنا ما اشتفى، اللّهمّ اكفِناه .

المدائني عن عبد العزيز بن عِمْران قال : قال معاوية لعبد الرحمن [بن الحَكم] بن أبي العاص أخي مروان بن الحَكَم يا أبا مُطَرِّف ألا أَعرض عليك خيلا ؟ قال : بلى ، فعرض عليه أفراساً فقال : هذا سابح وهذا أَجشّ وهذا هَزيم ، فقال معاوية : إنّ صاحبها لا يشبّب بكَنَّاتِهِ ولا يُتَّهَمُ بريبة ، أراد عبد الرحمن قول النجاشي لمعاوية :

ونَجَّى ٱبْنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلالَةٍ أَجَشُّ هَزيمٌ والرِّمــاحُ دَوانِ

فعيّره بالفرار يوم صفّين ، وأراد معاوية تشبيبَ عبد الرحمن بأمرأَتَيْ أخيه مروان بن الحَكَم أمِّ أَبان بنت عثمان وقُطَيّة بنت بِشْر بن عامر بن مُلاعب الأسنّة .

قُطَيَّةُ كَالدينارِ أُحْسِنَ نَقْشُهُ وأُمُّ أَبـانٍ كالشَّرابِ المُبَـرَّدِ

المدائني عن مَسْلمة بن مُحارب عن حرب بن خالد بن يزيد قال : أراد معاوية عزل مروان بن الحَكَم عن المدينة ، فبلغ ذلك مروان فقدم على معاوية ، فلم يأذن له وقال : لا آذن له إلاّ مع جماعة الناس ، فقال : ما شاء الله ! وتَهدَّده، فبلغ معاويةَ قولُهُ فأذن له وتعوذَ من شرّه ، فدخل فقال : يا أمير المؤمنين عَلامَ تعزلني ؟ فوالله لقد أمرّناك فما عزلناك ، ووصلناك فما قطعناك ، ولا حرمناك مُذ أعطيناك ، فقال معاوية : أعزلك لثلاث لو لم تكن إلا واحدة منهنّ لوجب أن تُقتلع اقتلاع الصَّمْغة ، قال : وما هنّ ؟ قال : أتيتَني وعبدالله بن عامر في يدي وقد أقرّ لي بألف ألف درهم فانتزعتَه منّي ، واستصرختْك ابنتي على زوجها فلم تُصرخها ، ورأيتُ أنّك قد ذهبت في

السماء عالياً فأردتُ أن أضع منك ، قال : يا أمير المؤمنين أمّا ابن عامر فقرابته منّي ومنك سواءٌ ، فلستُ بأحقّ به منك ، فإن تطبْ نفسُك بما عليه وإلّا فإنّي ضامن لك ما أقرَّبه ، وأمّا ابنتك فإنّ أخت زوجها عمرو بن عثمان عندي ، وأنا أُغيرها وأُمضّها فلم أكن لأنهى عمراً عن شيء أصنع مثله بأخته ، وأمّا ذهابي في السماء ، فأنا ابن عمّك وشرفي شرفك وزَيني زينك ، قال : صدقتَ أبا عبد الملك ، فارجعْ إلى عملك وأزِرْني رَمْلة ابنتي ، فرجع مروان إلى المدينة وحمل رَمْلة إلى معاوية ، فقال : يا بُنّية كيف رضاك عن عن عمرو بن عثمان زوجك ؟ قالت : والله ما يزال بنو أبي العاص يتكثّرون علينا بعددهم حتى لوددتُ أنّ ابنيَّ هذَيْن منهم في البحر ، قال : يا بُنيّة إن هذا منك كبير ، ولنحنُ كنّا أشقى بُمناوأة الرجل مِن أن تكوني رجلاً .

حدثني عبدالله بن صالح عن يحيى بن يَمان عن سفيان قال : ذكر الأعمش معاوية فقال : لقد كان مستصغراً لعظيم ما يُجبَهُ به من القول الغليظ مغتفراً له إذا قيل له يا أمير المؤمنين .

حدثني محمد بن سعد الواقدي عن محمد بن راشد عن مكحول قال : قال معاوية : ما من عدوّ إلا وأنا أقدر على مداراته واستصلاحه ، إلّا عدوّ نِعْمة وحاسدها ، لا يُرضيه منّي إلّا زَوالُ نِعْمتي ، فلا أرضاه الله أبداً .

المدائني عن عبدالله بن فائد وغيره قال : أراد معاوية ابتياع ضَيْعة من بعض اليهود ، وذُكرتْ له ، فبعث إلى صاحبها فأُتي به ، وهو شارب نبيذ ، فلمّا رآه معاوية طمع في غَبْنه ، فقال له : بِعْني ضيْعتك ، فضحك اليهودي

وقال : ليس هذا وقتَ بيعٍ ولا شراء ، ولكن إن شئتَ غنّيتُك صوتاً ، فضحك معاوية وقال : اللّهمَ أخزهِ فما أشد عُقْدته وأثبتَ عُكْدته[1] !

المدائني عن علي بن مُجاهد عن هشام بن عروة قال : سأل عبدالله بن الزبير معاويةَ حوائجَ فمنعه فقال : يا أمير المؤمنين ، أو يا معاوية ، إنّي لخليق أن أخرج فأقعد على طريق الشام فلا أشتم لك عِرْضاً ولا أقصب لك حَسَباً ، ولكنّي أسدل عِمامتي بين يديّ ذِراعاً وخلْفي ذِراعاً ، وأذكر سيرة أبي بكر وعمر ، فيقال هذا ابن حَواريّ رسول الله ﷺ ، فقال معاوية : كفى بذلك ، وقضى حوائجه .

المدائني قال : طلب عبدالله بن الزبير الإذن على معاوية هو وعمرو بن الزبير ، وكانت أمّ عبدالله بن الزبير أسماء بنت أبي بكر ، وأمّ عمرو بنت خالد بن سعيد بن العاص ، فقال سعيد بن العاص : يا أمير المؤمنين آئذنْ لعمرو أوّلاً ، فقال معاوية : دَعْني من ولادتكم له ، فما هما عندي إلا كَجَنْبَيْ شاة لا أُبالي أيّهما وُضع على النار أولاً .

حدثني أبو مسعود عن ابن الكلبي عن عوانة قال : دخل الضحّاك بن قيس الفِهْريّ على معاوية وعنده أبو الجَهْم بن حُذَيفة ، فقال أبو الجَهْم : يا أبا أُنيس كيف ترى الدَهْر ؟ قال : هو كما قال الأسَدي :

أبى الخُلْدَ أَنَّ الدّهْرَ أَفنتْ صرُوفُهُ   رِجالاً كِراماً من لُؤَيّ بنِ غالِبِ
فَلا تأْمَنَّ الدّهر إنّي رَأَيْتُهُ   تَناوَلَ كسرى مُجْدِباً في الكتائِبِ
فلَم تُنْجِهِ مل الموتِ حَزْمٌ وحيلةٌ   وقد كان مُحتالاً كثيرَ التَجارِبِ

---

١ ـ العكدة : العصعص والقوة . القاموس .

فقال أبو الجهم ـ وكان شريراً : كأنّك أردتَ أميرَ المؤمنين بهذا ، قال : كِلَيْكما أردتُ ، فقال معاوية : كلّنا يجري إلى غايةٍ وهو بالغُها .

المدائني عن بكر بن الأسود عن سعيد بن عمرو بن سعيد قال : قال عبد الرحمن بن الحكم لمعاوية : والله يا معاوية لو لم تجدْ إلاّ الزّنْج لتكّثرتَ بهم علينا قِلّةً وذِلّةً ، كأنا لسنا بني أبيك ؟! فأقبل معاوية على مروان فقال : ألا تُغْني عنّا أخاك هذا الخليع ! فقال مروان : قد علمتَ يا أمير المؤمنين أنّه لا يُطاق ، فقال معاوية : والله لولا حِلْمي لعلمتَ أنّه يُطاق .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : استأذن نافع بن جُبَير بن مطعم على معاوية فمنعه الحاجب ، فكسر أنفه ومعاوية ينظر ، فلمّا دخل عليه قال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وما يمنعني من ذلك وأنا بالمكان الذي أنا به من أمير المؤمنين ؟ فقال له أبوه : وَيْحك ، ألا قلتَ وأنا بالمكان الذي أنا به من عبد مناف بن قُصيَ ؟!

المدائني عن أبي محمد القرشي عن أبي حَرْب بن أبي الأسود الدُولي قال : وجّه معاوية رَوْح بن زِنْباع الجُذامي إلى بعض الملوك في صُلْح جرى بينه وبينه ليكتب بينهما كتاباً ، فلمّا قدم رَوْح على الملك تشدَّد في الشرط فقال له الملك : ما هذا التشدّد ، وقد بلغني أنّك من صَعاليك العرب ، وأنّك تريد الركوب إلى صاحبك فتستعير الدوابّ ، وأنّك لستَ تبصر أمرك ولا تقصد لما فيه الحَظّ لك ، فأَصِبْ من هذا المال وآعملْ لنفسك ، فأعطاه عشرين ألف دينار ، وليّن له الشرط ، فلمّا قدم على معاوية نظر في الشرط فقال : وَيحك ما عملت إلاّ له عليّ ، ولقد خُنْتَني وغششتَني ، والله لأُعاقبنّك عقوبةً أجعلك فيها نَكالاً لِمَن بعدك ، خُذاه ، فقال رَوْح ، أنشدك الله يا أمير

المؤمنين أن تُبْدي منّي خسيسة أنت رفعتها ، أو تهدم منّي رُكنا أنت بنيتَه ، أو تنقض لي مريرة[١] أنت أبرمتَها ، وأن تُشمِت بي عدوّا أنت وَقَمْتَه وكَبَتَّه ، ليأْتِ حِلْمك على جهلي ، وعفْوك على ذنبي ، وإحسانك على إساءتي ، فرقّ له معاوية رضي الله عنه وقال : خَلّوه :

* إذا الله سَنَّى حلَّ عَقْدٍ تَيَسَّرا *

المدائني عن علي بن مجاهد عن عبد الأعلى بن مَيْمون بن مِهْران عن أبيه أنّ معاوية قال لعمرو بن العاص رضي الله عنهما : أحبّ أن تصفح لي عن الوَهْط[٢] ، ضيعتِك ، فقال : يا أمير المؤمنين أحبّ أن تُعْرِضَ لي عنها ، قال : لا ، فأبى عمرو أن يفعل ، فقال معاوية : مثلك يا عمرو كمثل ثَوْر في روضة ، إنْ تُرِك رتع ، وإن هيج نطح ، فقال عمرو : ومثلك يا أمير المؤمنين مثل بعير في روضة يُصيب مِن أخلاط الشجر فيها ، فرأى شجرة على صخرة زلّاء ، فرغب عمّا هو فيه وتعاطَى الشجرة فتكسّر .

المدائني عن علي بن سُليم التميمي قال : قال معاوية لقيس بن سعد بن عُبادة : والله يا قيس لقد كنتُ أكره أن تنجلي هذه الغُمّة وتنكشف هذه الهَبْوة[٣] وِأنت حيّ ، فقال قيس : وأنا والله يا معاوية قد كنت أكره أن تنجلي وأنت أمير المؤمنين .

---

١ ـ المريرة : قوة الخلق وشدته .

٢ ـ الوهط : بستان ومال كان لعمرو بن العاص بالطائف على ثلاثة أميال من وج ، كان يعرش على ألف ألف خشبة ، شراء كل خشبة درهم . القاموس .

٣ ـ الهبوة : الغبره . القاموس .

المدائني عن عبدالله بن سَلام عن عبد الملك بن نوفل عن محمد بن كعب قال : تنازع عبدالله بن الزبير ومروان بن الحكم فمال معاوية مع مروان ، فقال ابن الزبير : يا معاوية إنّ لنا حقّاً وحُرْمة وطاعة ، ما أطعتَ الله نُطِعْك ، إنّا يا معاوية لا نَدَع مروان يركبنا في جماهير قريش بمَشاقِصِه ، ويضرب صَفاتهم بمَعاوِله ، ولولا مكانك كان أخفَّ على رِقابنا من فَراشة ، وأذلَّ في أنفسنا من خَشاشة ، ولئن ملك أعِنَّة خيل تنقاد له ليركبنّ منك طَبَقاً تخافه ، فقال معاوية : إن يطلب الأمر فقد يطمع فيه مَن هو دونه ، وإن يتركه يتركه لَمن هو فوقه ، وما أراكم يا معشر قريش بمنتهين حتى يبعثَ الله عليكم مَن لا يعطف على أحد منكم بقرابة ، ولا يذكركم في مُلِمّة ، يسومكم الخَسْف ويوردكم التَلَف ، قال ابن الزبير : إذاً والله يا معاوية نُطْلِق عِقال الحرب بكَتائب تَمور كرجْل الجَراد ، لها دَوِيّ كدويّ الريح ، تتبع غِطريفاً من قريش لم تكن أمّه براعية ثَلّة[1] ، فقال معاوية : أنا ابن هِنْد ، أطلقتُ عِقال الحرب ، وأكلتُ عَبيط[2] السَّنام ، وشربتُ عُنْفُوان المَكْرَع ، فليس للآكل بعدي إلاّ الفِلذة ، ولا للشارب إلاّ الرّنْق[3] ، فقال ابن الزبير : رُبَّ آكل عَبيط سَيغصّ ، وشارب صَفْوٍ سيشرق ويقال قال : رُبّ آكل عَبيطٍ سيُقَدّ ، والقُداد حرّ في الصدر .

---

١ ـ الثلة : جماعة الغنم أو الكثيرة منها ، أو من الضأن خاصة . القاموس .
٢ ـ عبط الذبيحة يعبطها : نحرها من غير علة وهي سمينة فتية ، ولحم عبيط : طري القاموس .
٣ ـ رنق الماء : كدر . القاموس .

المدائني عن حفص بن عمر عن معاوية بن عمرو عن ابن سيرين قال : دخل معاوية البيت الحرام ومعه عبد الله بن الزبير ، فكلّمه ابن الزبير في حاجة للحسين بن علي فأباها معاوية ، فأخذ ابن الزبير بيده فغمزها ، فقال له معاوية : خَلّني وَيْحك ، قال : لا والله أوْ تقضي حاجة الحسين وإلا كسرتُها ، قال : فإنّي أفعل ، فخلّى يده ، ثم قال : يا أمير المؤمنين أكنتَ ترى أنّني أكسر يدك ؟ قال : وما يؤمنني ذلك منك ؟

حدثني العُمري عن الهيْثم بن عَدي قال حدثني ابن عَيّاش عن [أبي] الهيثم الرحبي ، قال : دخل ابن الزبير على معاوية وهو خالٍ ، فأخذ يده فغمزها غمزة شديدة تأوّه لها معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ما يؤمنك أن أقتلك ؟ قال : لستَ من قَتّالي الملوك ، إنّما يصيد كل طائر قدره ، قال : يا أمير المؤمنين إنّي قد استجفيتُك ، قال : ولِمَ ؟ فسأله حوائج فقضاها .

وقد قيل : إنّ معاوية خرج من مكّة ليلاً مستخفياً ، وبلغ ابن الزبير خروجُه فلحقه وسايره ساعة ، ثم قال : لو شئتُ يا أمير المؤمنين لقتلتُك مُذ الليلة ، قال : كَلّا لستَ من قَتّالي الملوك ، إنّما يصيد كلّ طائر قدره .

قال الهيثم بن عَدّي : أراد معاوية أن يأخذ أرضاً لعمرو بن العاص فكتب اليه عمرو بشعر [هجي به] خُفاف بن نُدْبَة :

أَبا خُراشَةَ إما كُنْتَ ذا نَفَرٍ فَإنَّ قَوْمِيَ لَمْ تأْكُلْهُمُ الضَّبعُ[1]
وكُلُّ قَوْمِكَ يَخْشَى منكَ بائِقَةً فانْظُرْ قَليلاً وأَبْصِرْها بِمَنْ تَقَعُ
فالسِّلْمُ تأْخُذُ منها ما رَضيتَ به والحَرْبُ يَكْفيكَ مِنْ أنفاسِها الجُرَعُ

---

١ ـ الضَّبُع : السنة المجدبة . القاموس .

المدائني عن أبي عبد الرحمن العجلاني قال : قال معاوية يوماً وهو في جماعة من أهل بيته : مَن يكفيني ابن الزبير ، فوالله ما أردتُ أمرا إلاّ عانَد فيه ، ولا تكلّمت في شيء إلاّ اعترض في قولي ، وهو بعدُ غلام من غلمان قريش ، إلا أنّه غير معروف بالأفن[1] وإن كان حديث السنّ ، فقال عمرو بن العاص : ضمنت لك يا أمير المؤمنين أن أُلين عَريكتَه ، وأُذهب نَخْوته ، وأُخرس لسانه ، وأُعدمه بيانه ، حتى أَدعه أَلْينَ من خَميرة مُرَيَّثة ، وأذلّ من نَقَدة [2] على أن ترفدني وتقضي حوائجي ، قال : نعم ؛ وجاء ابن الزبير وقد بلغه الخبر ، فَنكتَ عمرو بن العاص في الأرض ثم قال :

إنّي لَنارٌ ما يُرامُ آصْطِلاؤها لَدَى كُلِّ أَمْرٍ مُعْضلٍ مُتَفَاقِمِ

فقال ابن الزبير مجيباً له :

وإنّي لَبحرٌ ما يُسامَى عُبابُهُ متى يَلْقَ بَحْري حَرَّ نارِكَ تَخْمَدِ

فقال عمرو : مهلاً يا بن الزبير فإنّك لا تزال متجلبِباً جلابيب التيه ، مؤتِزراً بوصائل التهكّم ، تَعاطَى الأَقْوَرينَ ولستَ من قريش في لُباب حَسَبها ولا مؤنق جوهرها ، فقال ابن الزبير : أمّا ما ذكرت من تجلببي جلابيب التيه وائتزاري بوصائل التهكّم فمعاذَ الله من ذلك ، لقد عرف مَن عرفني أنّ الأُبَّهة ليستْ من شأني ، وإنّك لأنت المتوَّه في وادي الضلالة ، المستشعر جَخائف[3] الكِبْر ، اللابس للسُّبَّةِ ، المُتَجَرْثِم جراثيم البطالة ، الساهي عن كلّ مروءة وخير ، وأَيْم الله لتنتهينّ عن تناولك القُلَل الشامخة والذُرَى الباسقة

١ ـ المأفون : الضعيف الرأي والعقل ، والمتمدح بما ليس عنده . القاموس .
٢ ـ النقد جنس من الغن قصار الأرجل قباح الوجوه . مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٢٨٤ .
٣ ـ الجخيف : الطيش ، والروع ، والتكبر ، والافتخار بما ليس عنده . القاموس .

أو لأرمينّك بلسانٍ صارم من أريب مُراجِم ، يلدَغك بحُسبان ، فإنّك ذو خَدْع ومكر ، قَتّاتٌ عَيّابٌ مُغْتابٌ ، تُقلّب لسانك في قريش كتقليب المَحالة ، ووالله لتَدَعَنَّ وقيعَتك في الرجال أو لأسِمَنّك بِسِمَة تَدَعك شَناراً وتُكسبك عاراً ، فقال عمرو : كلا يا بن الزبير لقد أحْكَمَتْني التجارب ، وجرّستني الدُهور ، وعرفتُ نظائر الأمور ، وحلبتُ الزمان أشطره ، ورضعتُ أفاويقه ، فأغرق سَهْمي نزعاً ، ولم تُعَرف لي نَبْوة في شدة ، ولا جهالة عند الحدّة ، ولقد ضربتُ أمور الباطل بذَرِب الحقّ حتى أقمتُ مَيلها ، وثقّفتُها بعد آعوجاجها . فقال ابن الزبير : لقد قرب غوْرك ، وضاق صدرك ، فآنتفخ سَحْرك ، والتوى عليك أمرك ، فأمّا ما ذكرتَ من تعاطيَّ ما أتَعاطاه فإنّي آمرؤ سَما بي إلى ذلك ما لا تَصولُ بمِثلِهِ : أنفي حميّ ، وحسبي زكيّ ، وقلبي ذكيّ ، وأمري سديد ، ورأيي رشيد ، ولقد قعد بك عن ذلك ضعف جَنانك ، وصغير همّتك ، وأمّا ذمّك نسبي وحسبي فقد حضرني وإيّاك النظراء الأكفاء العلماء بي وبك وأنشد :

تَعالَوْا فإنّ العِلْمَ عندَ ذَوي النُّهَى ... مِنَ الناس كالبَلْقاءِ بادٍ حُجولُها
نُنافِرْكُمُ بِالحَقِّ حَتَّى تَبَيَّنوا ... على أيِّنا تُلْقي الفُروعَ أُصولُها[1]

فقال معاوية ومن حضر : أنْصَفَك ، فقال ابن الزبير : أما والله لأُغِصّنّك بريقك ، ولأُلَيّننّ أخدعيْك ، ولأُقيمنّ صعَر خدَّيك ، ولأُبيّننّ للناس كهامة لسانك ، يا معشرَ قريش أأنا في نفسي خير أم هو ، قالوا : أنت: قال: فأبي خير أم أبوه، قالوا: اللهمّ أبوك حواريّ رسول الله، قال:

١ ـ ديوان الأعشى ـ ط . دار صادر ، بيروت ص ١٣٤ .

أفأمّي خير أم أمّه ؟ قالوا : أمّك والله أسماء بنت الصدِّيق ، قال : أفجَدّتي خير أم جدّته ؟ قالوا : جدّتك صفيّة عمّة محمد ﷺ ، قال : فظفر به ابن الزبير فأنشد :

قَضَتِ الغَطارِفُ مِنْ قُرَيْش بَيْنَنا ... فاصْبِرْ على رَغْمٍ لِفَصْل قَضَائِها
وإذا جَرَيْتَ فلا تُجارِ مُهَذَّباً ... بَذَّ الجيادَ لدى احتِفال جِرائِها

ثم قال : والله يا عمرو لو أنّ الذي أمرك بهذا إيّايَ واجَهَ ، لقصرتُ من سامي طَرْفه ، ولجرجرتُ الغيظ في صدره ، فوالله ما استغاث بكهف ولا لجأ إلى وَزَر ، يعني معاوية . فلما خرج ابن الزبير قال معاوية لعمرو : والله لقد علاك بخصومته . وفلج عليك بحُجَّته ، وما زدتَ على أن فضحتَنا ونفسك ، فقال : يا أمير المؤمنين عجلَ عليّ بالمقالة ، فقطعتم عليّ الشهادة ، فقال معاوية : لله أبوك أفأردتَ أن نبْهَته لك ؟!

المدائني قال : قدم الزعل السُّلَمي من الأزد على معاوية فقال : الحمدلله الذي لم يُمِتْك حتى رأيتُك ، فقال : بك الوَجبة ، أتنعاني إلى نفسي لا أمّ لك ؟! وابنه سفيان بن الزعل كان على شرطة عبد الملك بن المهلَّب ، وعبد الملك يومئذ خليفة الحَكَم بن أيّوب .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن اسماعيل بن عَيّاش قال : قدمتْ رَمْلة بنت معاوية على أبيها فقال : أطلّقَك عمرو ؟ فقالت : لا ، فقال : ليْتَه فعل ، وكانت هِنْد بنت معاوية عند ابن عامر ، فقال عبد الرحمن بن الحَكَم :

أيَرْجو ابنُ هِنْدٍ أنْ يَموتَ ابْنُ عامِرٍ ... ورَمْلة يَوْماً أَنْ يُطَلِّقَها عَمرُو

وحُدثتُ عن عيسى بن يزيد الكِناني قال : كان بين الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط وعمرو بن العاص لحاء بين يدي معاوية ، فقصبه عمرو ، فقال له الوليد : اسكتْ يا عبد السلطان وأخا الشيطان ، يا منزوع الحَياء وطَوْع النساء، يا ألأم أهل بيته وأذلّ عشيرته، لقد بلغ بك اللُؤم الغاية القُصْوى المُذلّة لأهلها في الآخرة والأولى ، فمنعتَ الحقوق ولزمت العُقوق ومارَيْت أهل الفضل ، فقال عمرو : إنّك لتعلم أنّي مُرّ المَذاقة وأن ليس لك بي طاقة ، وأنّي حيّة الوادي ، وداهية الأعادي ، لا أتبع الأفياء ولا أنتمي إلى غير الآباء ، أحمي الذِمار في المِضْمار ، غير هَيوبة للوعيد ولا فَروقة رِعْديد ، أُطعم الطعام وأضرب الهام ، أفَبالبُخْل تعيّرني وإيّاه حالفتَ وعليه جُبلتَ ؟! فقال معاوية : أقسمتُ لما سكتّما ، ثم أنشد :

وَليدُ إذا ما كُنْتَ في القَوْمِ جالِساً فَهُنْ وَلْيَكُنْ مِنْكَ الوَقارُ على بالِ
ولا يأتِيَنَّ الدهرَ مِنْ فيكَ مَنْطِقٌ بلا نَظَرٍ قد كان منك وإعْمالِ
لِرَأْيِكَ فيهِ ، خَوْفَ ما ليس راجِعاً فما كُلُّ مَنْ تَلْقَى ابنُ عَمٍّ ولا خالِ

قال لي هشام بن عَمّار : نظرتُ في أحاديث معاوية عندكم فوجدتُ أكثرها مصنوعاً ، وذكر هذا الحديث .

حدثني العُمري عن الهيثم عن يعقوب بن داود عن يزيد بن بِشْر عن هَمّام بن قَبيصة وعن ابن عَيّاش عن [أبي] الهَيْثم الرحبي قالا : كان عند عبدالله بن معاوية امرأة من بني مخزوم فأغارها ، فشكتْ فعله إلى أخيها ، فقال لمعاوية : إنّ عبدالله يُسيء إلى أختي ، ولولا مكانك لعدلتُه عن طريقته ، فقال معاوية : أَما والله إنّي لأَقْنى العِرْنين ، أصمع[1] الكَعْبَين ،

---

١ ـ أصمع الكعبين : لطيف الكعبين .

أحذّ القدمَين ، أعزّ قرشيّ في الجاهليّة ، ولم يزدْني الإسلام إلا عِزّاً ، فقال المخزومي : لم أردْ هذا يا أمير المؤمنين ، فدعا بعبدالله فقال : أَحْسِنْ إلى امرأتك .

المدائني عن مَسْلمة بن مُحارب قال : كان معاوية مُعجباً بجارية له ، فدخل عليه يزيد يوماً وهي جالسة على السرير ، ومعاوية على الأرض ، وفي يدها قضيب تَلْويه على رأسه ، فقال يزيد : أوَهذا أيضاً ؟! وهمّ بها ، فبادرت فدخلت بيتاً ، فقال معاوية : ويحكِ شُدّي لِزاز الباب دونه ، وأراد يزيد دفعَ الباب فنهاه معاوية ، ثم قال : مَن يعذرنا مِن هذا ، يدخل علينا ويضرب جوارينا ، ارجعْ يابُنيّ فإنّ الجواري لُعَبٌ ، والرجل في بيته مع أهله بمنزلة الصبيّ ، فاستحيا يزيد وخرج .

المدائني عن يعقوب بن عمر قال : قال ابن الزبير لمعاوية : والله لقد قاتلتُ علياً لحُبّ عثمان فلم تجزِني ، فقال معاوية : قاتلتَ علياً مع أبيك فغلبكما بشماله ، ووالله أنْ لولا بُغضك علياً لجَرُرتَ برِجْلٍ مع الضبع ، فقال ابن الزبير : إنّا قد أعطيناك عهداً سنفي لك به ، ولكن سيعلم من بعدك ، فقال معاوية : أما إنّي لا أخافك إلاّ على نفسك ، وكأنّي بك قد تورّطتَ في الحِبالة فعلقتك الأُنْشوطة ، فليتني عندك فاستشليتُك منهما ، ولبئس المَوْلى أنت في تلك الساعة .

المدائني عن محمد بن علي بن الحَكَم قال : حضر ناجذ بن سَمُره وواثلة بن الأَسْقع الكِناني باب معاوية فقال معاوية لآذنه ، وهو أبو أيّوب يزيد مولاه : ايذنْ لِناجذ ، فأذن له ، فمنعه واثلة ، وواثلة أحد بني لَيث بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة، وناجذ أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كِنانة،

فدخل الآذن فأعلم معاوية ، فأمره أن يُدخلهما معاً ، فقال واثلة : يا أمير المؤمنين لِمَ أذنتَ لهذا قبلي ولي صحبة برسول الله ﷺ ولي السنّ عليه ؟ قال معاوية : إنّي وجدت بَرْد أسنانك بين ثَدييّ ، ووجدتُ كفّ هذا تدفع ذلك البَرْد ، يعني يوم الفِجار الذي كان بسبب البَرّاض ، وهو يوم نَخلة ، فقال : يا معاوية أبثأر الجاهليّة تطالبني ؟! أفلا آخذتَ الذي قال :

أَغَرَّكَ أَنْ كانَتْ لِبَطْنِكَ عُكْنَةٌ   وأَنَّكَ مَكْفِيٌّ بِمَكَّةَ طاعِمُ[1]

فقال معاوية :

إذا جاءَكَ البَكْرِيُّ يَحْمِلُ قُصْبَهُ   فَقُلْ قُصْبُ كَلْبٍ صادَهُ وهو نائمُ

فقال واثلة :

فما مَنَعَ العَيْرُ الضَّروطُ ذِمَارَهُ   ولا مَنَعَتْ مَخْزاةَ والِدِها هِنْدُ[2]

فقال معاوية : سَوْءة أجهلتَنا وأجهلناكَ ، وأسأنا إليك ولنا المقدرة عليك ، ارفعْ إلينا حوائجك ، فقضاها ووصله .

المدائني عن اسحاق بن أيّوب قال : شهد أعرابيّ عند معاوية بشهادة فقال : كذبتَ ، قال : الكاذب والله المتزمّل في ثيابكَ ، فقال معاوية : هذا جَزاء مَن عجل .

حدثني هشام بن عمّار قال : قال معاوية : خير الصنائع ما أبقى ذِكراً حسناً ، وخير الجود ما لم يعدّ سرفاً ، وخير السلطان ما لم يورث صاحبه كِبْراً ، ورَبُّ المعروف أفضل من ابتدائه .

---

١ ـ هذا البيت لخداش بن زهير ، وهو من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية . الشعر والشعراء ص ٤٠٩ .

٢ ـ البيت لحسان . ديوانه ج ١ ص ٣٦٢ .

المدائني عن مَسْلَمة قال : قال معاوية يوماً : ما أعجب الأشياءِ ؟ فقال يزيد ابنه : أعجب الأشياء هذا السحاب الراكد بين السماء والأرض لا يدعَمه شيء من تحته ولا هو مَنوط بشيء مِن فوقه ، وقال الضحّاك بن قيس : أعجب الأشياء إكْداء العاقل وحظّ الجاهل ، وقال سعيد بن العاص : أعجب الأشياءِ ما لم يُرَ مثله ، وقال عمرو بن العاص : أعجب الأشياء غَلَبة مَن لا حقّ له ذا الحقّ على حقّه ، فقال معاوية : أعجب من ذلك إعطاء مَن لا حقّ له ما ليس له بحقّ مِن غير غلبة . وإنّما عرّض عمرو بمعاوية وعرّض معاوية بعمرو في أمر مِصْر .

المدائني عن ابن المُبارَك عن هشام بن عوف أنّ مروان نازع ابن الزبير ، فكان هوى معاوية مع مروان ، فقال ابن الزبير : يا أمير المؤمنين إنّ لك حقّا وطاعة ، ولنا بَسْطة وحُرْمة ، فأَطِع الله نُطِعك ، فَإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية خالق ، ولا طاعة لكَ علينا إلاّ في حق الله ، ولا تُطرِقْ إطراق الأفْعُوان في أصول السّخْبَر[1] فإنّه أقرُّ صَامتٌ .

المدائني عن مَسْلمة بن مُحارب عن حَرْب بن خالد قال : كان عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم ينازع يزيد بن معاوية كثيراً ، فقال معاوية لأبي خِداش بن عُتْبة بن أبي لَهَب : إنّ عبد الرحمن لا يزال يتعرَّضُ ليزيد ، فتعرّضْ له أنت حتّى يسمع يزيد ما يجري بينكما ، ولكَ عشرة آلاف درهم ، فقال : عجِّلْها ، فحُملتْ إليه ، ثم التقيا عند معاوية فقال أبو خِداش : يا أمير المؤمنين أَعْدِني على عبد الرحمن فإنّه قتل مولى لي بالكوفة ، فقال عبد

---

١ ـ السخبر : شجر يشبه الإذخر . القاموس . انظر جمهرة الأمثال للعسكري ج ٢ ص ١٢٦ .

الرحمن : كذبت يا بن المتبوب التابّ ، فقال أبو خداش : يا بن تَمَدُّر[١] ، يا بن البَريح يا بن أمّ قِدْح ، فقال معاوية : حسبك رحمكَ الله ، عليّ دية مولاك ؛ فخرج أبو خداش ثم رجع فقال لمعاوية : أُعطِني عشرة آلاف درهم أُخرى وإلا أعلمتُه أنّك أمرتني بالكلام ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ، ثم قال له : فسّرْ ليزيدَ ما قلتَ لعبد الرحمن ، قال : هنَّ أمّهات له حَبَشيات ، وقد ذكرهنّ ابن الكَلْبية الثّقَفي فقال :

ثَلاثٌ قد وَلَدْنَك مِن حُبوشٍ إذا تَسْمو جَذَبْنَكَ بِالزِّمام
تَمَدُّرُ والبَرِيحُ وأُمُّ قِدْحٍ ومَحْلوبٌ يُعَدُّ مِنَ آل حام

المدائني عن الأسود بن شيبان ، حدثني أبو نَوْفَل عن موسى بن عبيدة أنّ معاوية حجّ فدخل البيت الحرام وأرسل إلى عبدالله بن عمر ، وبلغ ابن الزبير ذلك فجاء فحرّك الباب ، فقال معاوية : لا تفتحوا له ، ثم جاء ابن عمر ففتح له ودخل ، فقال معاوية : يا أبا عبد الرحمن أين صلّى النبي ﷺ حيث دخل البيت ؟ فذكر السارية اليسرى ، ثم دخل ابن الزبير بعد خروج ابن عمر فقال : يا معاوية أما هو إلّا عبدالله بن عمر ؟! قال : نعم يا بن الزبير ، أمّا عُرَى الأمور التي هي عُراها فلها قوم سواك ، وفيها دون تلك أمور يُستعان بك فيها ، فقال ابن الزبير : والله يا معاوية لقد علمتَ أنّي أَعلَمُ من الذي سألت ، ولكنّك حسود فحسدتَني ، قال : يا أبا بكر لو شئتَ قلتَ أحسن من هذا القول .

المدائني عن اسحاق بن أيّوب عن خالد بن عَجْلان قال : قال عبدالله بن الزبير لمعاوية : لقد أعظَم الناسُ ولادة صفيّة إيّانا حتى كأنه لم

---

١ ـ سيوضح بعد قليل من هي تمدر ، والبريح ، وقدح .

تلذْنا حُرّة غيرها ، فقال معاوية : هي والله أُدنَتْك من الظِلّ ولولا ذلك كنت ضاحياً ، ويحك هل ولدك مثلها أو تجدُ مثلها إلا أختها أو عمّتها ، فقال ابن الزبير : والله يا معاوية إنّها وبني أبيها مع قولك لرَضْفةٌ بين جنبَيْك يوشك أن تطلع على قلبك ، فقال معاوية : إنّ بيننا وبين ذلك زماناً وهم الرديف .

المدائني عن علي بن سُحيم قال : خطب معاوية فقال : الحمدلله الذي أدالنا على عدوّنا وردّ علينا زماننا ، فقال رجل من أهل الشام : أما والله ما ذاك لكرامتك على الله يا معاوية ، فقال عمرو بن العاص للشامي : ما أنت والكلام ، وأنت من حُثالة أهل الشام وسُقّاطهم وسِفْلَتهم ، فقال الشامي : يا عمرو ما عدوْتَ صِفَتك ، فقال معاوية :

إنّي أَرَى الحِلْمَ محْموداً مَغَبَّتُهُ والجَهْلُ أَرْدى مِنَ الأَقوامِ أَقْواما

حدثني العُمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي أنّ معاوية بعث إلى رجل من الأنصار بخمسمائة دينار فاستقلّها ، وأقسم على ابنه أن يأتيَ معاوية فيضرب بها وجهه ، فانطلق حتى دخل على معاوية ، فلمّا رآه قال : ما جاء بك يا بن أخي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ لأبي طَيْرة وفيه حِدّة ، وقد قال لي كَيْت وكَيْت ، وعَزْمه الشيخ على ما قد علمتَ ، فوضع معاوية يده على وجهه وقال : افعلْ ما أمرك به أبوك وارفقْ بعمّك ، فرمى الدنانير ، وأمر معاوية للأنصاري بألف دينار ، وبلغ الخبر يزيد فدخل على معاوية مُغضَباً وقال : لقد أفرطتَ في الحِلْم حتى خِفْت أن يُعدّ ذلك منك ضعفاً وجبناً ، فقال : أي بُنيّ إنّه لا يكون مع الحلم ندامة ولا مَذمّة ، فامضِ لشأنك .

وحدثني هشام بن عمّار عن الوليد قال : بلغنا أنّ يزيد بن معاوية ضرب غلاماً له ، فقال له معاوية : يا بُني كيف طوّعت لك نفسك ضربَ مَن لا يستطيع امتناعاً منك ؟!

المدائني عن أبي زكريّا العجلاني قال : دخل عبدالله بن العَجْلان أخو يَعْمَر بن العَجْلان الزُّرَقي على معاوية فشكا عمراً فقال : يا أمير المؤمنين إنّ ابن العاص بِمصْر ينبعق منه كلامٌ لَهُو أشدُّ من وَخز الأشافيّ ، لا يَرْعَوي عن إسَاءة ، ولا يرجو الله في عاقبة ، فقال معاوية : يا أبا سعيد إنّ عمراً رجل حديد ، فاحملْ له قوله فإنّه يفيء إلى خير ، فقال : اكففْه يا أمير المؤمنين فإنّه راعٍ ونحن رعيّة ، ورُبَّما ساق السيءُ الرَّعيِ الثَلّةَ إلى مَجْزِرها ، قال معاوية : أجل ثم تُفلت ، قال عبدالله : ذاك إذا كنتَ أنت الجازر ، فأمّا اذا كان الجازر مَن قد كدّحتْه السَّنة الحمراء فمِن أنيابه تُفلت ؟ فقال معاوية : أو يخالَفُ أمري وتُهْمَط[1] رعيَّتي ؟ إنّي إذاً لغافل مُضيع ، أَلي تقول هذا يا عبدالله ؟! ثم تمثّل :

أَلَمْ تَكُ قَدْ جَرَّبْتَني قَبْلَ هذِهِ وَعَضَّكَ مِنّي حَدُّ نابٍ ومِخْلَبُ

قال : فحلماً يا أمير المؤمنين وصَفحاً ، فضحك ثمّ قال : ذاك لك ، وتقدّم إلى عمرو في أمره .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن الكلبي عن عَوانة عن أبيه قال : قال سعد بن أبي وقّاص لمعاوية في كلام جرى : قاتلتَ عليّاً وقد علمت أنّه أحقّ بالأمر منك ، فقال معاوية : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنّ رسول الله ﷺ

---

١ ـ همط : ظلم وخبط ، وأخذ بغير نقد ، ولم يبال ما قال . القاموس .

يقول : «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهمّ والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه» ، ولِفضله في نفسه وسابقته ، قال : فما كنتَ قطّ أصغر في عيني منك الآن ، قال سعد : ولِمَ ؟ قال : لترْكِكَ نصرته وقعودك عنه وقد علمتَ هذا من أمره .

المدائني عن عبدالله بن سَلام قال : كتب معاوية إلى مروان «والله لفلان أهون عليّ من ذرّة ، أو كلب من الحَرّة» ثم قال للكاتب : امْحُ الحرة واكتب «من كلب من الكلاب» .

المدائني عن عامر بن الأسود قال ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : رأيتك في منامي وقد ألجمك العَرَق وأنت تحاسَب ، فقال معاوية : فما رأيتَ ثَمّ دنانير مِصر ؟

المدائني عن جعفر بن سليمان الضُّبَعي عن مالك بن دينار قال : قال عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب لمعاوية ، وَلّني ، فقال : لام أَلِف .

المدائني عن ابن أبي الزِناد عن أبيه قال : لمّا بايع معاوية ليزيد قال رجل : أعوذ بالله من شرّ معاوية ، فقال معاوية : تعوَّذْ بالله من شرّ نفسك فشرُّها أضرّ عليك ، وبايعْ رحمك الله فإن الله جعل في الكثرة خيراً كثيراً .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : مرض معاوية فأرجف به مَصْقَلة بن هُبيرة الشَيْباني وساعده قوم على ذلك ، ثم تماثل معاوية وهم يُرجفون به ، فحمل زياد مَصْقلة إلى معاوية وكتب إليه : إنّ مَصْقلة كان يجمع مُرّاقاً من مُرّاق أهل العراق فيُرجفون بأمير المؤمنين ، وقد حملتُه إليك يا أمير المؤمنين لترى فيه رأيك ، ويرى عافية الله بأمير المؤمنين ، فلمّا قدم

بمَصْقلة جلس معاوية للناس ، فلمّا دخل مَصْقلة عليه قال له معاوية : آدنُ ، فدنا ، فأخذ معاوية بيده فجذبه فسقط مَصْقلة ، فقال معاوية للناس :

أَبْقَى الحوادث مـن خَليـ ـلِكَ مِثْـلَ جَنْدَلَـةِ المَراجِمْ
قــــد رامَـني الأَقْــوامُ قَبْـ ـلَكَ فـاَمْتَنَعْتُ مِنَ المَـظالِمْ

فقال مَصْقلة : قد أبقى الله منك يا أمير المؤمنين ما هو أعظم من ذلك : حِلْماً يزينك ، وكَلأً ومَرعىً لأوليائك ، وسَمّاً ناقعاً لأعدائك ، فمن يرومك وكان أبوك سيّد أهل الجاهليّة، وأنت في الإسلام أمير المؤمنين، فقال له : قمْ ، وأمر بصِلته وأذن له ، فآنصرف إلى الكوفة فقيل له : كيف تركتَ معاوية ؟ فقال : زعمتم أنّه لِما به ، والله لغمز يدي غَمْزة فكاد يحطمها ، وجبذني جَبْذة فكاد يكسر منّي عَظْماً .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفِهْري عن زياد بن حُدَيْر أنّ معاوية قال لرجل : هل تذكر أبا سفيان ؟ فقال : نعم أذكره وقد تزّوج هِنْداً ، فأطعمنا في أوّل يوم لحم جَزور وسقانا خمراً ، وفي اليوم الثاني لحم غنم وسقانا نبيذ زبيب ، وفي اليوم الثالث لحم طير وسقانا نبيذ عَسَل ، وإن كانت لذات أزواج ، فقال معاوية : كِرامٍ[1] .

المدائني عن عبد الحَميد الأشجّ عن خالد بن سعيد قال : خرج عبد الملك ومعه نافع بن جُبير بن مُطعم ، فوقف على راهب ، فذكر الراهب معاوية فأطراه ، فقال عبد الملك لنافع : لشدّ ما أطرى هذا الراهب ابنَ

---

١ ـ في هامش الأصل : بلغ العرض بأصل ثالث ، ولله كل حمد .

هِنْد ، فقال نافع : إنّ معاوية كان لذلك أهلاً ، أصمتَه الحِلْم وأنطقه العلم ، بجأْش رَبيط ، وكَفّ نديّة .

المدائني قال : دخل معاوية المدينة فتلقّاه بعض سودانها فقال : والله لكأنَّ وجهك وجه هِند ، قال : وأين رأيتها ؟ قال : في مأْتم سَوْدة بنت زَمْعة ، فقال معاوية : إنْ كانت لَكريمةَ المَحْيا والمَمات .

قال ابن دأب : خرج نابغة بني جَعْدة إلى صفّين مع علي ، فساق به يوماً فقال :

قـد عَلِمَ المِصْرانِ والعِراقُ أَنّ عَليّـاً فَحْلُهـا العُتـاقُ
أَبْيَضُ جَحْجـاحٌ[1] لَـهُ رِواقُ إنّ الأُلَى جارَوْكَ لا أَفاقوا
لَكُمْ سِباقٌ ولَهُمْ سِباقُ[2]

فلمّا قدم معاوية الكوفة قام النابغة بين يديه فقال :

أَلم تَأْتِ أَهْلَ المَشْرِقَيْنِ رِسالتي وإنّي نَصيحٌ لا يَبيتُ عَلَى عَتْبِ
هَلَكْتُمْ وكان الشرُّ آخِرَ عَهْدِكُمْ لَئِنْ لم تَدراكْكُمْ حُلومُ بني حَرْبِ[3]

وكان مروان قد أخذ أهل النابغة وماله ، فدخل على معاوية فأنشده :

مَنْ راكِبٌ يأْتي آبْنَ هِنْدٍ بحاجَتي ومَرْوانَ والأَنْباءُ تَنْمي وتُجْلَبُ
فإن تأْخُذوا أَهْلي ومالي بِظِنَّةٍ فإنّي إذا ما ريمَ ظُلْمِيَ أَغْضَبُ[4]

١ ـ الجحجاج : السيد .
٢ ـ ديوان النابغة الجعدي ص ١٩٢ مع فوارق .
٣ ـ ديوان النابغة الجعدي ص ٢١٤ .
٤ ـ ديوان النابغة ص ٧ ـ ٨ .

فقال معاوية لمروان : ما تقول ؟ قال : لا نردّ عليه ، فقال معاوية : وما أهونَ عليك أن ينجحر هذا في غارٍ فيقطع عرضي بشعر ترويه العرب ، فردّ عليه ماله وأهله .

المدائني عن أبي عبد الرحمن بن اسماعيل بن هشام قال : قال ابن الزبير : لله دَرّ معاوية إن كان ليتخادع لنا وإنّه لأدهَى العرب ، مع حلم لا يُنادَى وليدُهُ ، وإنْ كان ليتضاعف لنا وهو أنجد العرب ، فكان كما قالت النادبة :

ألا يا عَيْنِ فٱبْكيهِ ألا كُلُّ النُهَى فيهِ

ولَوددتُ أنّه بقي لنا ما بقي أبو قُبَيْس .

المدائني قال : قال عبدالله بن فائد : كانوا يذكرون عبد الملك ومعاوية فيقولون : معاوية أحلم وعبد الملك أحزم .

المدائني عن عَوانة عن أبيه أنّ ابن عبّاس قال : لله دَرّ ابن هِند وَلِينَا عشرين سنة فما آذانا على ظهر منبر ولا بساطٍ ، صيانةً منه لعِرضه وأعراضنا ، ولقد كان يُحسن صِلتنا ويقضي حوائجنا .

المدائني عن اسحاق بن أيّوب ومَسْلَمة بن مُحارب قالا : قدم رجل ممّن كان في الصائفة على معاوية ، فسأله معاوية عن الناس وحالهم ، فبينا هو يحدّثه إذْ حبق الرجل فحصِر وسكت ، فقال معاوية : خذ أيّها الرجل في حديثك فما سمعتها من أحد أكثر ممّا سمعتُها من نفسي .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : قال زياد : لم يغلبني معاوية بالسياسة إلاّ في رجل من بني تميم استعملته فكسر الخراج ولحق به فآمنه ، فكتبتُ اليه : إنّ في هذا مَفْسَدةً للعمّال وحملاً على سوء الأدب ، فٱبعثْ به

إليّ ، فكتب إليّ معاوية : إنّه لا يصلح أنْ أسوس وتسوس الناس سياسةً واحدة ، إنّا إنْ نشتدّ جميعاً نُهلك الناس ونُحْرجهم ، وإنْ نَلِنْ جميعا نُبْطِرْهُم ، ولكن تلين وأشتدّ وتشتدّ وألين ، فإذا خاف أحدهم وجد باباً فدخله .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود حدثنا عبدالله بن نُمَيْر حدثنا مجالد عن الشعبي عن زياد قال : ما غلبني أمير المؤمنين معاوية إلا بواحدة ، استعملتُ فلاناً فكسر الخراج وهرب إلى معاوية ، فكتبت اليه : إنّ هذا أدب سوء لمن قِبَلي ، فكتب إليّ : إنّه لا ينبغي لي ولك أن نسوس الناس سياسة واحدة ، فنلين جميعاً نمرج الناس في العصبيّة ، وأنْ لا نشتد جميعاً فنحمل الناس على المَهالك ، ولكن تكون أنت للغلظة والشدّة ، وأكون أنا للّين والرأفة ، أو قال : للَرحْمة .

المدائني عن اسحاق بن أيّوب عن خليد بن عَجْلان قال : دخل سعد بن أبي وقّاص على معاوية فقال له : يا معاوية أراك مُعجَباً بما أنت فيه ، والله ما أحب أنّي نلت ما أنت فيه وأنّي هرقت مِحْجَمةً من دم ، قال : ولكنّني وابن عمّك قد هرقنا محجمة ومحجمة ومحاجم .

حدثني العمري عن لَقيط المحاربي عن أشياخ من الزهريين قالوا : لمّا دخل سعد بن أبي وقّاص الشام في ولاية معاوية ، بعث معاوية قوماً ينعون عثمان ويلعنون قَتَلته ومَن خذله وقعد عن نصرته ، فقال سعد : هذا عمل الفاسق معاوية ، فأتاه فدخل عليه فقال : يا معاوية قد سمعتُ قول هؤلاء الذين دسستَهم ، أفمن نهى عثمان عمّا فعله ثم كفّ عنه واعتزله خيرٌ أم مَن

أمر عثمان بما فعله ثم خذله وخذَّل عنه ؟ فقال معاوية : ما أراك أبا اسحاق رحمك الله إلا محتاجاً إلى عطائك ، فقد حُرمتَه مُذ ولينا ، فأمر له بذلك .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزِناد عن أبيه قال : ولي معاوية فلم يزل أمره مستقيماً ، ولم تزل الأموال عليه دارّة ، فاستمال القلوبَ بالبذْل والإعطاء ، وكان يقول : البَذْل يقوم مقام العَدْل .

المدائني عن أزهر عن ابن عَوْن عن مولىً لأبي أيّوب الأنصاري أنّ أبا أيّوب قدم على معاوية فجلس معه على سريره ، فقال له : يا أبا أيّوب مَن قتل صاحب الفرس الأشقر الذي كان يجول ؟ قال : أنا قتلته يومَ كُنْتَ أنت وأبوك على الجمل الأحمر تحملان لواء المشركين .

المدائني عن ابراهيم بن محمد قال : قال معاوية : لو كانت بيني وبين الناس شَعْرة ما انقطعتْ ، قيل : وكيف يا أمير المؤمنين ؟ قال : إن جبذوها أرسلتُها ، وإن خلّوها جبذُتها .

ورُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّه قال : قد علمتُ بما كان معاوية يغلب الناس ، كان إذا طاروا وقع وإذا وقعوا طار ، وإذا قعدوا قام وإذا قاموا قعد .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عَوانة عن أبيه قال : أغزى معاوية الناس في سنة خمسين وعليهم سفيان بن عَوْف ، وأمر يزيد بالغزو فتثاقل واعتلّ فأمسك عنه ، وأصاب الناس في غزاتهم جوع وأمراض ، فأنشأ يزيد يقول :

ما إنْ أُبالي بِما لاقَتْ جُموعُهُم بِالقَرْقَذونَةِ[1] مِنْ جوعٍ ومِن مومِ[2]
إذا ٱتَّكَأْتُ عَلى الأَنماطِ في غُرَفٍ بِدَيْرِ مُرّانَ[3] عِنْدي أُمُّ كُلْثومِ

وأمّ كلثوم امرأته ، وهي بنت عبدالله بن عامر بن كُرَيْز ، فبلغ معاويةَ شعْرُه ، فأقسم عليه ليلحقنّ بسفيان في أرض الروم ليُصيبه ما أصاب الناس ولو مات ، فلحق به في فُرسٍ أَنْطاكِية وبَعْلَبَكّ وجماعةٍ أنهضهم معه ، فبلغ بالناس الخَليج ، وضرب بسيفه باب الذهب وهزم الروم ، وخرج وسفيان بالناس .

حدثني العمري عن الهيثم قال : ولّى معاوية روح بن زِنْباع بَعْلَبَك فرجم امرأة ورجلاً ، فقال الشاعر :

إنَّ الجُذامِيَّ رَوْحاً في إقامَتِهِ حَدَّ الإلهِ لَمَعْذورٌ وإنْ عَجِلا
لَو كانَ رَفَّهَ عن حَسْناءَ ناعِمَةٍ وعَنْ أخي غَزَلٍ لَمْ يُحْسِنِ الغَزَلا

فبلغ الشعرُ معاوية فكتب إلى رَوْح : لا تعجَلنّ بإقامة حدّ حتى تَثَبَّتَ في أمره ، فتكون إقامتك إيّاه بإقرار ظاهرٍ ، أو بأربعة شهداء مستورين .

حدثني العمري عن الهيثم بن عَدّي عن يعقوب بن داود قال : خطب معاوية فقال : إنّ عمر ولاّني ما ولاّني من الشام ثم عثمان بعده ، فوالله ما غششت ولا استأثرت ، ثم ولاّني الله الأمر فأحسنت وأسأت ، فقام اليه رجل فقال : يا معاوية بل استأثرتَ وأسأتَ ولم تُحسن ولم تُنصف ، فقال له

---

١ ـ لم أقف لقرقذونة على ذكر لدى ياقوت ، وعنده بدلاً عنها «الطوانة» وكذلك عند البكري في معجم ما استعجم .
٢ ـ الموم : البرسام ، وأشد الجدري . القاموس .
٣ ـ كان موقع دير مران عند خانق الربوة خارج دمشق .

معاوية : آجلسْ فما أنت والكلام ؟! والله لكأنّي أنظر إلى بيتك بفَخّ[1] تهفو الريح بجوانبه، بفنائه تيسٌ وبَهْمَة وأعنز، دَرُّهنّ نَزْر يُحلَبْن في مثل محارةٍ ألقاها الموج ، فقال : يا معاوية رأيتَ ذلك في شرّ زمان ، وكان تحت ما رأيتَ حسبٌ كريم غير دَنِس ، فهل رأيَتني قتلتُ مسلماً وانتهكتُ محرماً ؟ قال : وأين أنت حتى أراك وأنت لا تبرز إلاّ في خمار ، وأيّ مسلم تقوى عليه حتى تقتله ، آجلسْ لا جلست ، قال : لا أجلس ولكنّي سأذهب عنك إلى أبعد أرض وأسحقها ، وقام الرجل فولّى ، فقال معاوية : ردّوه ، فردوه فقال : أستغفر الله ، أما لقد رأيتُك أتيتَ رسول الله ﷺ فسلّمتَ عليه فرّد عليك ، وأهديت إليه فقبل منك ، وأسلمت فحسن إسلامُك ، ولقد غلظ عليك منّا القول ، فآذكْر حاجتك فإنّي أعطيك حتى ترضى .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم قال : خطب معاوية الناس فذكر تولية عمر أيّاه ثم قال : فوالله ما خنت ولا كذبت ، ثم وليت هذا الأمر فتقدّمت وتأخّرت ، وأصبت وأخطأت ، وأحسنت وأسأت ، فقام اليه رجل من كِنانة يقال له سَلَمة[2] فردّ قوله ، فقال له : وما أنت وذاك ؟! كأنّي أنظر إلى حِفْش بيتك مربوطاً بطُنُب منه تيسٌ ، وبطنب بَهْمة ، والريح تخفق به كأنّه جناح نسر ، ولك أعنز تحتلب في مثل قُواره حافر عَيْرٍ ، قال : رأيتَ ذلك في زمن علينا لا لنا ، أما والله إنّ حَشْوُهُ لَحَسَب غير دَنِس ؛ ثم ذكر باقي الحديث .

---

١ ـ فخ : واد بمكة . معجم البلدان .

٢ ـ هو سلمة بن الخطل العرجي : انظر العقد لابن عبدربه ـ ط . القاهرة ١٩٥٣ ج ٤ ص ١٠٠

المدائني عن عبد الرحمن الأنصاري قال : قدم قوم من قريش على معاوية وفيهم عبدالله بن جعفر وعبدالله بن صَفْوان بن أُميّة الجُمَحي وعبدالله بن الزبير ، فوصلهم وفضّل عبدالله بن جعفر عليهم ، أعطاه ألف ألف درهم ، فقال عبدالله بن صَفْوان : يا معاوية إنّما صغُرت أُمورُنا عندك لأنّا لم نقاتلك كما قاتلك غيرُنا ، ولو كنّا فعلنا كنّا كابن جعفر ، فقال معاوية : إنّي أعطيكم فتكونون إمّا رجلاً مُعِدّاً بما أعطيه لحربي ، وإما مضَمّاً[1] له مع بُخْل به ، وإنّ عبدالله يُعطي أكثر ممّا يأخذ ، ثم لا يلبث أن يَلْزمه من الدَّين بتوسعه أكثر ممّا نعطيه ، فخرج ابن صَفْوان وهو يقول : إنّ معاوية ليحرمنا حتى نيأس ويعطينا حتى نطمع .

المدائني عن مَسْلمة قال : أراد المغيرة أن يبلو ما عند معاوية ، فكتب إليه يسأله أن يأذن له في إتيان الحجاز أو المصير اليه ، فكتب إليه معاوية : إن شئتَ فَأْتِ الحجاز وإن شئت فصِرْ الينا ، فإنّك كما قال الأوّل :

اخْتَرْ لِنَفْسِكَ ما بدا لك راشِداً ... وَدَعِ آلخِداعَ فقد كَفَاكَ الأوَّلُ

فكتب إليه المغيرة :

إنَّ الذي يَرْجو سِقاطِكَ والذي ... سَمَكَ السَّماءَ مَكانَها لَمُضَلَّلُ
أَجَعَلْتَ ما أُلْقي إِلَيْكَ خديعَةً ... حاشا الإلهِ وتَرْكُ ظَنِّكَ أَجْمَلُ

المدائني عن علي بن سُليم قال : قال عمرو بن العاص في مجلس معاوية : آحمدوا الله يا معشر قريش الذي جعل واليَ أمركم معاوية ، مَن يُغضي على القَذَى ، ويتصامّ عن العَوْراء ، ويجُرُّ ذَيله على الخدائع ، فقال

١ ـ أي جامعاً له ، فالضم قبض شيء إلي شيء . القاموس .

عبدالله بن صَفْوان : لو لم يكن كذلك لَمَشينا إليه الضرَّاءَ ودَبَبْنا له الخَمَرَ ، وقلبنا له ظَهْر المِجَنّ ، ورجونا أن يقوم بأمرنا مَن لا يعطيك مال مِصْر ، فقال معاوية : يا معشر قريش حتى متى لا تُنصفون من أنفسكم ؟ فقال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : يا أمير المؤمنين إنّ عمراً وذَويه أفسدوَك علينا وأفسدونا عليك ، لو أغضيتَ عن هذه ، فقال معاوية : إنّ عمراً لي ناصح ، فقال عبد الرحمن : فأطعمّنا مِصْر كما أطعمتَه ثم خُذْنا بمثل نصيحته ، إنّا رأيناك تضرب عَوامّ قريش بأياديك في خواصّها ، كأنك ترى أنّ كِرامَها جَازُوْكَ عن لئامها ، ولَعَمْرُ الله إنك لتُفرغ من وعاءٍ ضخم في إناءٍ فَعْم[1] ، وكأنّك بالحرب قد حُلّ عليك عِقالُها ثم لا يُنْظر إليك ، فقال معاوية : يا بن أخي ما أحْوَجَ أهلك إليكَ ؛ ثم قال معاوية :

أَغَرَّ رِجالاً مِنْ قُرَيْشٍ تتايعوا[2] على سَفَهٍ مِنِّي الحَيا والتَكَرُّمُ

المدائني عن مَسْلَمة قال : قال قوم من قريش : ما نظنّ معاوية أغضبه شيء قط ، فقال بعضهم : بلى إذا ذُكر[3] من أمّه غضب ، فقال مالك بن أسماء المُنَى القرشي ـ وهي أمّه ، وإنّما قيل لها المُنى لجمالها ـ: والله لأغضبنّه إن جعلتم لي جُعْلًا ، فجعلوا له جعلاً رضي به ، فأتى معاويةَ وقد حضر الموسم فقال له في جماعة : يا أمير المؤمنين ما أشبه عينيك بعيني أمّك ، قال : تانِكَ عينان طال ما أعجبتا أبا سفيان ، انظْر يا بن أخي إلى ما أُعطيت من الجُعْل

١ ـ أفعم الاناء : ملأه . القاموس .

٢ ـ التتايع : ركوب الأمر على خلاف الناس والتهافت ، والاسراع في الشر ، واللجاجة . القاموس .

٣ ـ في رواية أخرى «ذكرت أمه» (من هامش الأصل) .

فخُذْه ، ولا تتّخذْنا مَتْجراً ، ثم دعا معاوية مولاه سعداً فقال له : أعددْ لأسماء المُنَى دِيَةَ ابنها فإنّي قد أقتلته[1] فرجع مالك فأخذ جُعْله ، فقال له رجل : لك ضِعْفا جُعْلك إن أتيتَ عمرو بن الزبير فقلتَ له كما قلتَ لمعاوية، وكان عمرو ذا نَخْوة وكِبْر ، فأتاه فقال له : ما أشبهك بأمّك يا عمرو ، فأمر به فضُرب حتى مات ، فبعث معاوية بديته إلى أمّه وقال :

ألا قُلْ لأَسْماءِ المُنَى أُمّ مالكٍ فإنّي لَعَمْرُ الله أقتَلْتُ مالِكا

المدائني عن ابن جُعْدُبة قال : ذكروا عند معاوية قول حُذيفة : إنّي لم أشركْ في دم عثمان ، فقال معاوية : بلى والله لقد شرك فيه ، فقال عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث : الرجل كان أعلم بنفسه ، فقال معاوية : وأنت قد شركتَ في دمه ، قال : كلا والله ، ولكني كنت أنهاه عمّا قيل فيه ، وكنتَ تأمره به ، فلمّا صعب الأمر عليه استغاث بك ، فأبطأت عنه حتى قُتل .

المدائني عن مَسْلَمة قال : أوفد زياد عبيدَ الله بن كعب النُّميري إلى معاوية فقال معاوية : أخبرْني عن زياد ، قال : يستعمل على الجُرْأة والأمانة دون الهوى والمُحاباة ، ويعاقب فلا يعدو بالذنب قدره ، ويسمر ويحبّ السَمَر ليستجمّ بحديث الليل تدبير النهار، قال: أحسنَ، إنّ التثقيل على القلب مضرّة بالرأي ، فكيف رأيه في حقوق الناس ؟ قال : يأخذ ما له عَفْواً ويُعطي ما عليه عَفْواً ، قال : فكيف عطاياه ؟ قال : يُعطي حتى يُقال جواد ويمنع حتى يُقال بَخيل ، قال معاوية : إنّ العَدْل ضَيِّقٌ وفي البَذْل عِوَض من

---

١ ـ في هامش الأصل : أقتلته : أي عرضته للقتل .

العَدل ، فكيف الشفاعة عنده ؟ قال : ليس فيها بمَطْمَع ، ما أراد من خير جعله لك أو له .

المدائني قال : قال رجل من قريش لمعاوية : يا معاوية لا تباعدنّ منّا ما قرّب الله ، ولا تصغّرنّ ما عظّم ، ولا تقطعنّ منّا ما أمر الله به أن يوصل ، فقال معاوية : يرحمك الله ، والله ما صغّرتُ منكم شيئاً إلا بما أنزلتموه بأنفسكم ، وما باعدت منكم إلّا ما تباعدتم به منّي ، ولا قطعتُ إلّا ما بدأتم بقطعه ، هذا مروان بن الحَكَم ، وسعيد بن العاص ، وعبدالله بن عامر ، وعمرو بن العاص شرّفتُهم بالمنابر ، وولّيتُهم مَعالي الأمور ، ثم لا تزال تأتيني منهم هنة كراغِيَة البَكْر[1] .

المدائني عن علي بن سُليم قال : قال ابن الزبير : يا معاوية إذا استعتَبْناك من أمر فأعتِبْناه منه ، ولا تحمِلْنا على ما نكره ، فإنّك إن لم تحتملْ رجال قريش عابوك وخذلوك وقاتلوك ، وإذا هممتَ لنا بخير فهَنِّئْناه قبل المسألة ، فإنّك إذا ألجأْتَنا إلى المسألة أخذتَ ثمن عطيّتك ، فقال معاوية : والله ما استعتبتموني من أمر قطّ إلا وجدتموني قد استعتبتُكم من أعظم منه ، وأمّا إعطائي إيّاكم قبل المسألة فمَن سألنا أعطيناه ومَن استغنى عنّا وكلناه إلى غِناه ، وأحبُّكم إلينا السائل ، فاعترفوا بذنوبكم ، فقال عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنه : ما لنا إليك ذنب فنعتذر منه ، وإنّ خيرك علينا لقليل فقال معاوية متمثّلاً :

---

١ ـ اشارة إلى قوم صالح الذين رغا فوقهم البكر (ولد الناقة) .

إذا العَفْوُ لم يَنْفَعْ ولم يَشْكُرِ امْرُؤٌ وجاشَتْ صُدورٌ مِنْكُمُ حَشْوُها الغِمْر
فكَيْفَ أُداوي دَاءَكُمْ ودَواؤُكُمْ يَكونُ لَكُمْ داءً فقد عَسْرَ الأَمرُ[1]

المدائني عن جُوَيْرية بن أَسماء قال : ذكر معاوية يوماً الوليد بن عُقْبة فتنقّصه أُسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه وقال : إنّه يرى أنّه أحقّ بما أنت فيه منك لمكانه من عثمان ، أخيه لأمّه ، فلم يجبه معاوية رضي الله تعالى عنه ، وبلغ الوليدَ فدخل عليه فقال : يا معاوية إذا دَبّت الرجالُ إليك فينا بالباطل فلا تقبل منهم ما لا تعرفنا به ، وخذْ منّا عفو طاعتنا ، ولاتجشّمْنا ما لا نريد ، فقال معاوية رضي الله تعالى عنه : إنّي لا أقبل فيكم إلا ما أعرفكم به ، وكلّ ذنب عنكم موضوع ما خلا القَدْحَ في هذا المُلْك .

وحدثني أبو مسعود عن عَوانة قال : دخل عدّي بن حاتم الطائي على معاوية فقال له ابن الزبير : يا أبا طريف متى ذهبتْ عينُك ؟ قال : يوم فرّ أبوك وقُتل خالك ـ يعني طلحة لأنّه من بني تَيْم ـ وضُربتَ على قفاك ، وأنا مع الحقّ وأنت مع الباطل ، فقال معاوية : ما بقي مِنْ حُبّك لعلي ؟ قال : هو على ما كان وكلّما ذُكر زاد ، فقال معاوية : يا أبا طَريف ما نريد بذكرك له إلا خلافه ، قال : إنّ القلوبَ إذاً بيدك يا معاوية ، فقال معاوية : إنّ طيّئاً كانوا لا يحجّون البيت ولا يعظّمون حُرمته ، فقال عديّ : كنّا كما قلتَ إذ كان البيت لا ينفع حجّة ولا يضرّ تركه ، فأمّا إذ نفع وضرّ تركه فإنّا نغلب الناس عليه ، وكانت طيء وخَثْعَم لا يحجّون فكانوا يُدْعـون الأفجران .

---

١ ـ في عيون الأخبار ـ لابن قتيبة ـ ط . دار الكتب المصرية ، ج ٣ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ : «وقال معاوية بن أبي سفيان يعاتب قريشاً» .

المدائني عن عبدالله بن عبد الرحمن الهَمْداني قال : دخل أبو الطُفيل عامر بن واثلة على معاوية فقال له معاوية : يا أبا الطفيل أنت مِن قَتَلة عثمان ؟ قال : لا ولكنّي ممّن حضره فلم ينصره ، قال : وما منعك من نصره ؟ قال : منعني أنّ المهاجرين والأنصار لم ينصروه ، ولا رأيت أحداً نصره ، قال : أَوَما طَلَبي بدمه نصرةً له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال : يا معاوية أنت وعثمان كما قال الشاعر :

لا أُلْفِيَنَّكَ بَعْدَ المَوْتِ تَنْدُبُني   وفي حَياتِيَ ما زَوَّدْتَني زادي

فقال معاوية : يا أبا الطُفيل فما بقي من وَجْدك بعلي ؟ قال : وجد العجوز المِقْلاةِ والشيخ الرَّقوب ، قال : فكيف كان حبّك له ؟ قال : حبّ أمّ موسى لموسى ، وأشكو إلى الله التقصير .

المدائني عن عامر بن حَفْص أنّ الأحنف بن قيس وجارية بن قُدامة والجَوْن بن قَتادة العَبْشمي والحُتات بن يزيد المُجاشِعي وفدوا على معاوية ، فوصلهم وفضّل الأحنف وجارية ، أعطاهما مائة ألف ، وكان الأحنف بن قيس وجارية علويّين وكان الحُتات مع عائشة يوم الجمل : فقال : يا أمير المؤمنين فضّلتَ مَن كان عليك على مَن كان لك ، قال : إنّي اشتريت دِينهم ، قال : ومنّي فاشتَرِ دِيني ، فأَلحَقَه بهما ، فعرضتْ له عِلّة مات منها قبل قَبْضه صلته ، فحبس معاوية المال ، فقال الفرزدق :

أَبوكَ وعَمّي يا مُعاوِيَ أَوْرَثا   تُراثاً فَيَحْتازُ التّراثَ أَقارِبُه
فما بالُ ميراثِ الحُتاتِ حَبَسْتَهُ   وميراثُ حَرْبٍ جامِدٌ لك ذائبُهْ
ولو كان إذ كُنّا ولِلْكَفِّ بسْطَةٌ   لصمَّمَ عَضْبٌ فيكَ ماضٍ ضَرائبُهْ
فلو كان هذا الأمرُ في جاهِلِيَّةٍ   عَلِمْتَ مَنِ المَوْلَى القَليلُ حلائبُهْ

ولو كان في دينٍ سوى ذا عَرَفْتُمُ لنا حَقَّنا أو غَصَّ بالماءِ شارِبُهْ
وكم من أَبٍ لي يا مُعاوِيَ لم يَزَلْ أَغَرَّ يُباري الريحَ مذ طَرَّ شارِبُهْ
نَمَتْهُ فُروعُ المالِكيْنِ ولم يَكُنْ أبوكَ الذي من عبدِ شَمْسٍ يُخاطِبُهْ
تَراهُ كَنَصْلِ السَيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَدَى جَواداً مَنيعَ الجارِ جزْلاً مَواهِبُهْ[1]

فأُنشد معاويةُ الشعرَ ، فلمّا بلغ إلى قوله : «وَلَمْ يَكُنْ أَبوكَ الذي مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ يُخاطِبُه» قال : صدق والله ، ما كان قَدْرَهُ أن يخاطبه أبي .

وزعموا أنّ الفرزدق كان باع جملاً وصرَّ ثمنه ، فعيّره رجل بصرّه وقال : لو كنتَ كريماً ما صررتَ هذا الصرّ ، فرمى بالدراهم ونثرها حتى انتهبها الناس، وبلغ ذلك زياداً فقال: هذا أحمق يضري الناس بالنَهْب، فطلبه فلم يوجَد وبلغه هذا الشعر فقال : مَن صاحبه ؟ فقيل : الذي نثر الدراهم ، فجدّ في طلبه ، فكان يهرب من البصرة إلى الكوفة ، ومن الكوفة إلى البصرة ، وذلك أنّ زياداً كان يأتي هذه مرّة وهذه مرّة .

وكان المنصور أمير المؤمنين إذا ذُكر شعر الفرزدق في معاوية قال : قبح الله معاوية ورأيه ، ما كان هذا لحلمٍ وما كان إلاّ ضُعْفاً .

المدائني قال : قال ابن أمّ الحَكَم ليزيد بن معاوية : خالي من قريش وخالك من كلب ، فشكاه يزيد إلى معاوية ، فقال معاوية : قل له فجِئْني بأبٍ مثل خالك .

ولمّا مات سعيد بن العاص قال معاوية لعمرو بن سعيد : إلى مَن أوصى بك أبوك ؟ قال : أوصى إليَّ ولم يُوصِ بي ، فقال : إنّـه الأشدق .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٥ مع فوارق .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة ـ وذكره المدائني عن جُوَيْرية ـ أنّ عمرو بن العاص قال لعبدالله بن عبّاس : يا بني هاشم ، أما والله لقد تقلّدتم من دم عثمان كفَرَم(١) الإماء العوارك ، وأطعتم فُسّاق أهل العراق في عيبه ، وأجزرتموه مُرّاق أهل مِصْر ، وآويتم قَتَلَتَه ، وإنّما نظر الناس إلى قريش ، ونظرت قريش إلى بني عبد مناف ، ونظر بنو عبد مناف إلى بني هاشم ، فقال ابن عبّاس لمعاوية : ما تكلّم عمرو إلا عن رأيك ، وإنّ أحقّ الناس أن لا يتكلّم في قتل عثمان لأنتما ، أمّا أنت يا معاوية فزيَّنْتَ له ما صنع ، حتى إذا حُصِرَ طلب نصرك ، فأبطأت وتثاقلت وأحببت قتله ، وتربّصت لتنال ما نلت ، وأما أنت يا عمرو فأضرمت المدينة عليه ناراً ، ثم هربت إلى فلسطين ، فأقبلت تحرّض عليه الوارد والصادر ، فلمّا بلغك قتله دعتك عَداوة علي إلى أن لحقت بمعاوية ، فبِعْتَ دينك منه بمصر ، فقال معاوية : حسبك يرحمك الله ، عَرَّضَني لك ونفسَه فلا جُزي خيراً .

المدائني عن عبدالله بن المبارَك قال : أراد عمرو بن العاص معاويةَ على أن يكتب له مِصرِ طُعْمة ويبايعه ، فقال معاوية : إنّي لا أحب أن يقول الناس إنّك إنّما بايعتني على تأمير لك وشَكْم(٢) ، فقال له مروان : أبا عبدالله إنّ هذا ليس بيوم مسألة ، وقد تدانت الأمور بك فلا تُدبِرنّ بعد إقبالها ، فقال عمرو : يا مروان قدمت على معاوية وأمره زلِقٌ دَحْضٌ منفرج انفراج القَتَب ، فما برحتُ أُبْرِمُهُ قوّة بعد قوّة حتى تركته على مثل دائرة الفَلَكَة ،

١ ـ الفرم : دواء تتضيق به المرأة . القاموس .
٢ ـ الشكم : الجزاء والعطاء . القاموس .

ولعمر الله إن تركته والشُبَهَ المُشْكِلات لتهننّ قواه حتى يُدبر عنه ما قد تدانى منه ، فقال مروان : إن يكن الله قد سهَّل بك أمراً ، فمثلك سهّل الله به الوَعْر وأعان به على حُسن العاقبة ، فقاربه فإنه مؤاتيك ، ثم قال لمعاوية : أيّها الرجل إنّ الأمور قد لَزِم بعضها بعضاً ، فاكمشْ أمرك ، واكتبْ له بما أراد ، فليس مثل عمرو يُبخَل عليه بالجزيل يطلبه ، فكتب له ؛ وقال معاوية للكاتب : اكتبْ لا يَنْقُضُ شرطٌ طاعةً ، فقال عمرو : لا ولكن اكتب ولا تنقض طاعةٌ شرطاً .

فلمّا قُتل محمّد بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما بمِصْر ، غلب عمرو عليها ، واستقامت الأمور لمعاوية ، فلم يحملْ عمرو إليه منها شيئاً ، فكان أهل معاوية يسألونه أن يكتب إلى عمرو في هدايا مِصْر فيقول : عمرو جَموحٌ طَموح مَنوع ، فاعفوني من الكتاب إليه واكتبوا أنتم ، فكانوا يكتبون إليه فلا يبعث إليهم بشيء ، فقالوا لمعاوية : اعزلْه ، فقال : أمّا عزله فلا ، ولكنّي أروّعه بالقدوم فإنّه شبيه بالعزل له ، فكتب إليه فقدم ، فقال معاوية : يا عمرو بلغني أنّك تقوم على منبر مِصْر فتذكر بلاءك بصِفّين ، فإن كان ذلك لله فأجرك عليه ، وإن كان للدنيا فقد أعظمنا مكافأتك ، فهل علمت أنّك قد نقضت شرطك لردّك كتبي ؟ قال : ما رددت لك كتاباً أعلم أنّه منك ، ولكنّه كانت تأتيني كتب على لسانك ؛ فأمّا قيامي على المنبر فلم أرِدْ به مَنّاً عليك ، وأمّا قولك إني أعظمتُ مكافأتك بمِصْر فعليها بايعتك ، قال : انصرفْ إلى رحلك ، فانصرف ثم عاد إليه من الغد ، فقال : يا أمير المؤمنين لم أزلْ أقدح في غارب خير بمصر حتى رجعت إليك ، وقد رأيت أن أُحضِرك ما قدمت به لترى فيه رأيك ، فقال معاوية : أمسكْ عليك مالك ،

واعلم أنّك اذا دُعيت إلى مأْدُبَة قوم ـ أو قال مائدة قوم ـ فقد عدَّك أهلها ممّن يأكل ، فإن شئت فكلْ وإن شئت فجُع ، وما أعطيتك مِصْر إلا لأنفعك ، فارجعْ إلى عملك .

المدائني عن أبي زكرياء العجلاني عن عِكْرمة بن خالد قال: قدم معاوية المدينة يريد الحجّ ، فلقيه الحسين عليه السلام فقال له : يا معاوية قد بلغني ذكرك وذكر ابن النابغة بني هاشم بالعيوب ، فارجعْ إلى نفسك وسلّط الحقّ عليها ، فإنّك تجد أعظم عيوبها أصغر عيب فيك ، لقد تناولتَنا بالعداوة وأطعت فينا عمراً ، فوالله ما قَدُم إيمانه ولا حَدُث نِفاقُه ، والله ما ينظر لك ولا يُبْقي عليك ، فانظرْ لنفسك أو دَعْ .

المدائني عن غَسّان بن عبد الحميد عن أبيه أنّ معاوية قال لشَدّاد بن أَوْس : قُمْ فآذكر علياً وتنقّصْه ، فقام شَدّاد فقال : الحمد لله الذي افترض طاعته ، وجعل في التقوى رضاه ، على ذلك مضى أوّل الأمة ، وعليه يمضي آخرهم ؛ أيّها الناس إنّ الآخرة وعدٌ صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، وإنّ الدنيا أجل حاضر ، يأكل فيها البرّ والفاجر ، وإنّ السامع المطيع لا حُجّة عليه ، وإنّ السامع العاصي لا حُجّة له ، وإن الله إذا أراد بالناس صَلاحاً عمل[1] عليهم صلحاؤهم ، وقضى بينهم فقاؤهم ، وجعل المال في سُمحائهم ، وإذا أراد بالعباد شرّاً عمل عليهم سفهاؤهم ، وقضى بينهم جهلاؤهم ، وجعل المال عند بُخلائهم ، وإنّ مِنْ صلاح الوُلاة أن تصلح

---

١ ـ في رواية أخرى «استعمل» (من هامش الأصل) .

قَرابينها[١] ووزراؤها ، نَصَحك يا معاوية مَن أسخطك بالحقّ ، وغشّك مَن أرضاك بالباطل ؛ فكره معاوية أن يجيء بشيء يكرهه فقال : آجلسْ رحمك الله ، وأمر له بمال ، فقال معاوية : ألستُ من السمحاء ؟ قال : إن كان من مالك دون مال المسلمين ممّا تعهّدتَه عند جمعه مخافةَ تَبِعَته ، تعهّده لك مَن مَحَضَك النُصْح وآثر الحقّ ، وإن كنت أصبتَه اقترافاً وأنفقته إسرافاً فإنّ الله يقول ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ﴾[٢] .

وقال العُتْبي : دخل عبد الرحمن بن شِيحان ، وكان أبوه حليفاً لحَرْبٍ ، على سعيد بن العاص فقال له سعيد : قلتَ :

إنِّي لأَشْرَبُها حتَّى تَميلَ بِنا كَما تَمايَـلَ وَسْنانٌ بِـوَسْنانِ

قال : مَعاذَ الله أن أشرب الخمر وأصفها ، ولكنّي الذي أقول :

عَمَدْتُ بِحِلْفي لِلطوالِ ولِلذُّرَى ولَمْ تَلْقَني كَالنّسْيِ في مُلْتَقى الحَرْبِ

فقال عمرو بن سعيد لأبيه : ما يمنعك من ضربه مائة سوط ؟ قال ؛ أي بُنَيَّ أضربُهُ وهو حليف معاوية ؟! فقال معاوية لسعيد : أمَرَك أحمقُك أن تَضربَ حليفي ، والله لو ضربتَه مائة سوط لضربتُك مائتَيْن ، ولو قطعت يده لقطعت يَدْيك ، قال غَفْراً يا أمير المؤمنين ، فإنّك ضربت حليفك عمرو بن جَبَلة ، قال : إنّي آكلِ لَحْمي ولا أُوكله .

المدائني عن جُوَيْريه بن أسماء قال : قال معاوية لشَدّاد بن أَوْس : أنا أفضل أم عليّ ، وأيّنا أحبّ أليك ؟ قال : عليّ أقدم إسلاماً وهِجْرة ، وأكرم بيتاً وعِتْره ، وأقدم لنبي الله نصرة ، وأشدّ إلى الخير سبقاً ، وأشجع نفساً

١ ـ في هامش الأصل «جمع قربان» .
٢ ـ سورة الاسراء ـ الآية : ٢٧ .

وأسلم قلباً ، وأمّا الحبّ فقد مضى عليّ رحمه الله ، وأنت اليوم عند الناس أرجى منه .

المدائني قال : قال معاوية لرجل من اليهود : هل تروي من شعر أبيك شيئاً ؟ قال : أيَّ شعره أردت ؟ قال : أبياتاً كانت قريش تستحسنها ، فأنشده :

هل أَضْرِبُ الكَبْشَ في مَلْمومةٍ قُدُماً ... أَمْ هل سَمِعْتَ بِشَرٍّ كانَ لي نُشِرا
أَمْ هل يَلومَنَّني قَوْمٌ إذا نَزَلوا ... أَمْ هَلْ يَقولَنَّ يَوْماً قائِلٌ بَسَرا
نَقْريهِم الوَجْهَ ثُمَّ البِشْرُ يَتْبَعُهُ ... لا يُمْنَعُ العُرْفُ مِنّا قَلَّ أَوْ كَثُرا

فقال معاوية : أنا أحقّ بهذا الشعر من أبيك ، فقال اليهودي : لا لعمرو الله لأبي أحقّ بها إذ سبق إليها ، فاستلقى معاوية ووضع ساعده على وجهه ، فقال الوليد بن عُقْبة وعبد الرحمن بن أمّ الحَكَم ، آسكتْ يا بن اليهوديّة ، وشتماه ، فقال : كُفّا عن شتمي وإلّا شتمتُ صاحب السرير ، فرفع معاوية رأسه ضاحكاً ثمّ قال : كُفّا عنه يكفّ عنّي ، ثمّ قال لليهودي : إنّكم أهل بيت تُجيدون صنعة الهَريسة في الجاهليّة ، فكيف صنعتكم لها اليوم ؟ قال : نحن اليوم يا أمير المؤمنين لها أجودُ صنعةً ، قال : فاغْدُ بها عليّ ، وأمر له بأربعة آلاف درهم . فخرج ، فقال الوليد وعبد الرحمن : كذّبك وتأمر له بجائزةٍ ؟! قال : أنتما أجزتماه بما شتمتماه ، فأردت أن أسُلّ سخيمته ؛ وغدا بالهَريسة فأكلها معاوية .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة قال : أغزى معاوية الناس ، فحمل اليمانية في البحر ، وحمل مضر في البرّ ، فقال رجل من صُداء متهدّداً لمعاوية :

يا أيُّها القَومُ الذين تَجَمَّعوا   بِعَكّا أُناسٌ أَنْتُمُ أَمْ أباعِرُ
أَتُتْرَكُ قَيسٌ تَرْتَعي في بِلادِكُمْ   ونَحْنُ نُسامي البَحرَ والبَحرُ زاخِرٌ
فوالله ما أَدْري وإني لَسائِلٌ   أَكِنْدَةُ تَحْمي أَصْلَنا أَمْ يُحابِرُ[1]
أم الغُرُّ مِن حَيَّيْ قُضاعَةَ إِنَّهُمْ   هُمُ أَصْلُنا لَوْ تَسْتَمِرُّ المَرائِرُ
أَما كان في هَمْدانَ حامي حَقيقَةٍ   ولا كان في عَكٍّ ولا في الأشاعِرِ

فبلغ معاويةَ الشعرُ فقال : حتّى صُداء تهدّدني ! ويقال إنّ معاوية غرّب قوماً من اليمانية فحملهم في البحر ، فقال شاعرهم هذا الشعر ، وكان يقال ليزيد بن يزيد بن حَرْب بن عُلَة : صُداء .

المدائني عن عَوانة قال : قدم زياد على معاوية ومعه شريك بن تمّام الحارثي ، فقال معاوية : ما هذا الرجل يا أبا المغيرة ؟ فقال شريك : لم أرَ لك هَفْوَةً قبل هذه ، قال : ما رأيتَ رحمك الله ؟ قال : إنكارك مثلي من رعيّتك ، فقال معاوية : عسى أن تكون معرفتي إيّاك متفرّقة ، أعرف وجهك إذا حضرتَ في الوجوه الحاضرة ، وأعرف اسمَك إذا ذُكرت في الأسماء الكافية ، فلا أعلم أنّ هذا الوجه هو لذلك الاسم ، فما آسمك تجتمع لي معرفتك ؟ قال : أنا شريك بن تمّام الحارثي ، فقال معاوية : الآن عرفتك .

المدائني عن عَوانة قال ، قال معاوية ليزيد : يا بُنَيَّ احفظْ عنّي ما أقول لك : أكرم أهلَ مكّة والمدينة فإنّهم أَصْلك ومنصبك ، ومَن أتاك منهم فأكْرمه ، ومن لم يأتك فآبعثْ إليه بصِلة ، وانظْر أهلَ العراق فإنّهم أهل طعن على أمرائهم ومَلالَةٍ لهم ، فإن سألوك أن تبدل كلّ يوم أميراً فافعل ،

١ - بهامش الأصل : «يحابر هو مر بن أد بن مالك» .

وآنظر أهل الشام فليكونوا عَيْبَتَك وحِصْنك ، فمَن رابك أمره فآرمه بهم ، فإذا فرغوا فأقفلْهم فإنّي لا آمن الناس على إفسادهم ، وقد كفاك الله عبد الرحمن بن أبي بكر ، فليس يخالف عليك غير الحسين وابن الزبير ـ فأمّا ابن عمر فقد وقذه الإسلام ـ وأمّا ابن الزبير فخَبٌّ خَدِعٌ ، فإذا هو شخص لك فآلبَدْ له فإنّه ينفسخ على المطاولة ، وأمّا الحسين فلستُ أشكّ في وثوبه ، ثمّ يكفيكه الله بمن قتل أباه وجرح أخاه ؛ إنّ بني أبي طالب مدّوا أعناقهم إلى غايةٍ أبت العربُ أن تعطيهم أيّاها ، وهم محدودون .

حدثني العمري عن الهيثم بن عَديّ عن عوانة قال : هجا عُقيبة بن هُبيرة الأَسَدي عمرو بن قيس الأَسدي فقال :

لَعَمْرُكَ إنَّ اللُّؤْم خِدْنٌ وصاحِبٌ ... لِعَمْرِو بن قَيْسٍ ما دعا الله راغبُ
تراهُ عظيماً ذا رُواءٍ ومَنْظَرٍ ... وأَجْبَنَ من مَنْزوفٍ[1] ان صاح ناعبُ
شجاعٌ على جيرانِهِ وصديقِهِ ... وأَجْرأُ منهُ في اللقاءِ الثَّعالبُ

فشكاه إلى معاوية فقال معاوية : قد هجانا بأشدّ من هذا ، فقال :

أَرَى ابنَ أَبي سفيان يُزْجي جِيادَهُ ... ليغـزو عَلِياً ضلَّةً وتحـامُقـا
وبئس الفتى في الحَرْبِ يوماً إذا بَدَتْ ... بَرازِيقُ خيلٍ يتَّبِعْنَ برازقا[2]

فهلمّ ندعو الله عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أَما غير هذا ؟ قال : لا ، وإن شئت هجوته .

---

١ ـ المثل : «إنه لأجبن من المنزوف ضرطاً» . الأمثال لأبي عبيد ص ٣٦٧ .
٢ ـ البرازيق : الجماعات من الناس . القاموس .

حدثنا بعض أصحابنا عن عمر بن بُكَيْر عن الهيثم بن عديّ قال: دخل الحسن بن عليّ على معاوية، فلمّا أخذ مجلسه قال معاوية: عَجباً لعائشة تزعم أنّي في غير ما أنا أهْلُه، وأنّ الذي أصبحتُ فيه ليس لي بحقّ، ما لها ولهذا يغفر الله لها، إنّما كان ينازعني في هذا الأمر أبوك، وقد استأثر الله به، فقال الحسن: أوعَجَبٌ هذا يا معاوية؟ قال: أيْ والله إنّ هذا لعجب: قال: أفلا أُنبئك بأعجب منه؟ قال: وما هو؟ قال: جلوسك في صدر المجلس، وأنا عند رِجْلَيْك، فضحك معاوية ثمّ قال: يا بن أخي بلغني أنّ عليك دَيْنَا، قال: إنّ عليّ دَيْنا، قال: وكم هو؟ قال: مائة ألف، قال: فقد أمرنا لك بثلاثمائة ألف، ثمّ قال: مائة ألف لقضاء دَيْنك، ومائة ألف تقسمها في أهل بيتك، ومائة ألف لخاصّة بدنك، فاْقبض صلتك؛ فلمّا خرج الحسن قال يزيد: تالله ما رأيت رجلاً استقبلك بما أستقبلك به، ثمّ أمرت له بثلاثمائة ألف درهم، فقال: يا بُنيّ إنّ الحقّ حقّهم، فمَن أتاك منهم فاْحث له واْحتفل.

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة عن عبد الملك بن عُمير قال: قال قبيصة بن ذؤيب الأسَدي[1]: ما رأيت أحداً قطّ أعلم بالله من عمر بن الخطّاب، ولا رأيت أحداً أطول بلاءً في الله من عليّ بن أبي طالب، ولا رأيت أحداً قطّ أعطى من طلحة، ولا رأيت أحداً قطّ أحملَ لأحدٍ من

---

١ - سيورد البلاذري بعد رواية مشابهة عن قبيصة بن جابر، وقد ترجم ابن حجر في تهذيب التهذيب لقبيصة بن جابر بن وهب الأسدي، كما ذكر قبيصة بن ذؤيب لكن الخزاعي، وكلاهما رويا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة. تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٤٤ - ٣٤٦.

معاوية لَمَصْقَلة بن هُبَيْرة ، ولا رأيت أحداً قطّ أظهرَ جَلَداً وظَرْفاً من عمرو بن العاص ، ولا رأيت أحداً أيسر لصديق في عداوة العامّة من المغيرة بن شُعْبة ، ولا رأيت أحداً قطّ أخصب رفيقاً ولا أقلّ أذىً لجليسه من زياد .

المدائني عن أبي بكر الهُذلي قال : دخل صَعْصَعَة بن صُوحان على معاوية أوّل ما دخل عليه ، وقد كان يبلغه عنه ما يكره ، فقال له معاوية : ممّن الرجل ؟ قال : من نِزار ، قال : وما نِزار ؟ قال : كان إذا غزا احتوش ، وإذا انصرف انكمش ، وإذا لقي افترش ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخيل ، ويُغير بالليل ، ويجود بالنَّيْل ، قال : فمن أيّ ربيعة ؟ قال : من ولد أَسَد ، قال : وما أَسد ؟ قال : كان إذا طلب أفضَى ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا آب أنضى ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من جَديلة ، قال : وما جَديله قال : كان يُطيل النجاد ويُعِدُّ الجياد ويُجيد الجلاد ، قال : فمن أي ولده أنت؟ قال: من ولد دُعْميّ [قال]: وما دُعْميّ؟ [قال]: كان نوراً ساطعاً وشرّاً قاطعاً وخيراً نافعاً ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من ولد أفْصَى ، قال : وما أفصى ؟ قال : كان ينزل القارات ويُغير الغارات ويحمي الجارات ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من عَبْد القَيْس ، قال : وما عبد القيس؟ [قال]: أبطال ذادةٌ جَحاجِحةٌ سادة صناديد قادة، قال: فمن أيّ ولده أنت؟ قال: من ولد أفْصى، قال: وما أفْصى؟ [قال]: كانت رماحُهم مُشْرعة وقدورهم مُتْرعة وجِفانهم مُشْبعة ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال : من ولد عمرو ، قال : وما عمرو ؟ قال : كانوا يستعملون

السيف ويُكرمون الضيف في الشتاء والصيف ، قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ قال: من ولد لُكَيْز، [قال]: وما لُكَيْز ؟ [قال]: كان يباشر القِتال ويعانق الأبطال ويبذّر الأموال ، قال : فمن أيّ ولده أنت : قال : من ولد عِجْل ، [قال]: وما عِجْل؟ [قال]: الليوث الضَراغمة الملوك القَمامة القُروم القَشاعِمة، قال: فمن أيّ ولده أنت؟ قال : من ذُهْل بن عَجْلان، [قال]: وما ذُهْل؟ [قال]: كان يَغْشى الحرب ويُجيد الضرب ويكشف الكَرْب، قال: يا بن صُوحان ما تركت لهذا الحيّ من قريش شيئاً ، قال : تركت لهم أكثره وأكبره ، تركت لهم الوَبَر والمَدرَ والأبيض والأصفر والصَفا والمَشْعَر ، والسرير والمنبر ، والمُلْك إلى المَحْشَر ، قال : يا بن صُوحان لقد كان يسوءني أن أراك خطيباً ، قال : وأنا والله لقد كان يسوءني أن أراك أمير المؤمنين ، فردّه ووصله . قالوا : هو صَعْصَعَة بن صوحان بن حُجْر بن الحارث بن الهِجْرِس بن صبرة بن حِذْرجان بن عِساس بن لَيْث بن حُداد بن ظالم بن ذُهل بن عِجْل بن عمرو بن وَديعة بن لُكَيْز بن أَفصَى بن عبد القيس بن أَفْصَى بن دُعميّ بن جَديلة بن أَسَد بن ربيعة بن نِزار .

المدائني عن عَتّاب بن إبراهيم أنّ معاوية استعمل على الصائفة وقد جاشت الروم عبدَ الرحمن بن خالد بن الوليد وكتب له عهداً ثمّ قال له : ما تصنع بعهدي هذا ؟ قال : أتّخذه إماماً فلا أتجاوزه ، قال : ردّ عليّ عهدي ، فقال : أتعزلني ولم تخبرني ؟ أما والله لو كنّا ببطن مكّة على السَّواء ما فعلت بي هذا ؛ فقال : لو كنّا ببطن مكّة كنتُ معاوية بن أبي سفيان بن حرب ، وكنتَ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان منزلي بالأبطح ، وكان منزلك بأجيادٍ ، أعلاه مَدَرَةَ وأسفله عَذِرَة . ثمّ بعث إلى سفيان بن

عوف الغامدي فقال له : قد ولّيتك الصائفة وهذا عهدي ، فما أنت صانع به ؟ قال : أتّخذه إماماً ما أمّ الحَزْم ، فإذا خالفه أعملت رأيي ، وبالله التوفيق . قال معاوية : أنت لها ، فلمّا ودّعه قال : هذا والله الذي لا يُدفع عن نُطْق ، ولا يُكفكف من عَجَلةٍ ، ولا يضرب على الأمور ضَرْبَ الجمل الثفال ؛ فغزا بالناس الصائفة ، ثم هلك فاستخلف عبد الرحمن بن مسعدة الفَزَاري وقال له : احرصْ على أن ترجع بالناس سالمين ، فغزا بهم فأصيبوا ورجع منهزماً ، وقد كان الشاعر قال فيه :

أَقِمْ يا بنَ مَسْعودٍ قَناةً قَويمَةً ... كَما كانَ سُفْيانُ بْنُ عَوْفٍ يُقيمُها
وسُمْ يا بن مَسْعودٍ مَدائنَ قَيْصَرٍ ... كما كان سُفْيان بنُ عَوْفٍ يَسومُها

فلمّا قدم على معاوية قال : «أَقِمْ يا بن مسعود» فقال : يا أمير المؤمنين ، قرنتني إلى رجل قلّ أشباهه في حزمه ، فقال معاوية : إنّ من فضلك عندي معرفتك بفضل من هو أفضل منك ، ولكنّك قلتَ هذه أوّلُ ولاياتي ومِحَني فحرصتَ فغُررتَ ، والله يغفر لك .

المدائني عن أبي البَخْتَري عن جعفر بن محمّد عن أبيه قال : كتب معاوية إلى عبدالله بن عبّاس : أمّا بعد فإنّكم معشر بني هاشم لستم إلى أحدٍ بالمساءة أسرع منكم إلى أنصار عثمان ، فإنْ يك ذلك لسلطان بني أميّة فقد وليها بنو تَيْم وعَديّ فأظهرتم الطاعة ، وقد وقع من الأمر ما ترى مَعَما كان من وقعة البَصْرة[١] التي لم يَخْفَ عليك ما كان فيها من عظيم المصائب ، وذهاب طلحة والزبير ، وأخذ هذه الحرب منّا ومنكم ، حتّى استوينا فيها ،

---

١ ـ يعني معركة الجمل .

وقد رجونا غير الذي كان ، وخشينا دون الذي وقع ، ولستم بلاقينا اليوم بأحدّ من حدّكم أمس ، ولا غَداً بأحدّ من حدّكم اليوم ، وقد منعنا بما كان منّا الشام ، ومنعتم بما كان منكم العِراق ، فاتّقوا الله في قريش فإنّما بقي من رجالها سبعة نفر : رجلان بالشام ورجلان بالعراق وثلاثة بالحجاز ، فأمّا الذي بالحجاز فسعد بن أبي وقّاص ، وسعيد بن زيد ، وعبدالله بن عمر ، وأمّا اللذان بالشام فأنا وعمرو ، وأمّا اللذان بالعراق فعليّ وأنت ، ومن السبعة رجلان ناصبان ، ورجلان مدبران ، وثلاثة وقوف عنّا وعنك ، وأنت رأس هذا الجمع اليوم ، ولو بايع الناس لك بعد عثمان كنّا إليك أسرع منّا إلى عليّ.والسلام . فلمّا قرأ ابن عبّاس كتابه ضحك ثمّ قال : حتّى متى يخطب إليّ معاوية عقلي وأُجمجمُ له عمّا في نفسي ؟! ثمّ كتب .

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبدالله بن عبّاس إلى معاوية بن أبي سفيان ، أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك ، فأمّا ما ذكرت من سُرْعتنا إلى أنصار عثمان بسلطان بني أميّة فقد أدركتَ حاجتك بعثمان ، لقد استنصرك فلم تنصرْه حتى صِرْتَ إلى ما صرت إليه، وبيني وبينك في ذلك ابن عمّك الوليد بن عُقْبة وما كتب به إليك، وأمّا طلحة والزبير فإنهما طلبا المُلْك ونكثا البيعة ، فقاتلناهما على النكث ، وقاتلناك على البَغْي ، وأما قولك لم يبق من قريش غير سبعة نفر ، فما أكثَرَ رجالَها وأَحسنَ بقيّتَها بحمد الله ونعمته ، وقد قاتلك من خِيارها مَن قاتلك ، وأمّا إغراؤك إيّاي بتَيم وعَديّ فأبو بكر وعمر خير من عثمان ، كما أنّ عثمان خير منك ، وماذا تَقيس به نفسَك بأبي بكر وعمر ، وأمّا قولك إنّا لَنْ نلقاكم بمثل ما لقيناكم به بالأمس، فقد بقي لك منّا يوم يُنسيك ما قبله،

ويُخيفك ما بعده ، وأمّا قولك إنّه لو بايعني الناس استقمتَ لي ، فقد بايعوا عليًا وهو خير منّي فلم تستقمْ له ، وإنّ الخلافة لا تصلح إلاّ لمن كان في الشورى ، ممّن سمّاه عمر ، فما أنت والخلافة يا معاوية ، وأنت طليق الإسلام ، وابن رأس الأحزاب ، وابن آكلة الأكباد ؟! فلمّا أتى معاويةَ كتابُه قرأه على عمرو ، فقال له عمرو : أنت عرضت نفسك لهذا ، فقال : لستُ والله أعودُ لمثلها .

حدثني أبو مسعود عن عليّ بن صالح عن عيسى بن يزيد المدني قال : قالت فاختة بنت قَرَظة امرأة معاوية : يا أمير المؤمنين ، لِمَ تصانع الناسَ وترى أنّهم مُنْصفون منك ، فلَوْ أخذتهم مِن عَلٍ كانوا الأَذلّين وكنتَ لهم قاهراً ، فقال : وَيْحكِ إنّ في العرب بقيّة بَعْدُ ، ولَوْلا ذلك لَجعلتُ عاليها سافلها ، فقالت : والله ما بقي أحد إلاّ وأنت عليه قادر ، قال : فهل لكِ في أن أُريك بعض ذلك منهم ؟ قالت : نعم ، فأدخلها بيتاً وأسبل عليها سِتْرهُ ، ثمّ أمر حاجبه أن يُدخل عليه رجلاً من أشراف من بالباب ، فأدخل عليه رجلاً من قيس يقال له الحارث ، فقال له معاوية : يا حُوَيْرث ، إيهِ أنت الذي طعنت في الخلافة وتنقّصت أهلها ؟ والله لقد هممتُ أن أجعلك نكالاً ، فقال : يا معاوية إنّما دعوتني لهذا ؟ والله إنّ ساعدي لشديد ، وإنّ رُمْحي لمديد ، وإنّ سيفي لحديد ، وإنّ جوابي لعتيد ، ولئن لم تأخذْ ما أُعطيت بشُكْر لتُنتزَعنّ عمّا نكره بصُغْر ، فقال : أخرجوه عنّي ، فأُخرج ، فقالت فاختة : ما أَجْرَأَ هذا وأقوى قلبَه ؟! فقال معاوية : ما ذاك إلاّ لإدلاله بطاعة قومه له ، ثمّ أمر الحاجب فأدخل عليه رجلاً من ربيعة يقال له

جارية ، فقال له معاوية ، إيه يا جُوَيْرية ، أنت الذي بلغني عنك تخبيب[1] للجند وقلّة من الشكر ؟ فقال : وعلامَ نشكر ؟ ما تُعطي إلاّ مُداراةً ولا تحلم إلاّ مصانعةً ، فاجهدَ جَهْدك ، فإنْ ورائي من ربيعة رُكناً شديداً لم تصدأ أدْرُعهم مذ جَلْوها ، ولا كَلّتْ سيوفهم مذ شحذوها ، فقال : أخرجوه ، ثمّ أمر معاوية حاجبه فأدخل إليه رجلاً من أهل اليَمَن يقال له عبدالله ، فقال له : إيه يا عُبَيْد السوء ، ألحقتُك بالأقوام وأطلقتُ لسانك بالكلام ، ثمّ يبلغني عنك ما يبلغني من سوء الإرجاف ؟! لقد هممت أن أُخرجك وأنت عِبرة لأهل الشام ، فقال : أيا معاوية أَلهذا دعوتني ، ثم صغّرت اسمي ولم تنسبْني إلى أبي ؟ وإنّما سُمّيت معاوية باسم كلبة عاوت الكلاب ، فاربَعْ على ظَلْعِك فذلك خير لك ، فقال لحاجبه : أخرجْه ، فقالت فاختة : صانع الناس بجَهْدك ، وسُسْهم بِرفقك وحِلْمك ، فأخزى الله مَن لامك .

حدثني أبو حفص السامي قال : بلغنا أن يزيد بن معاوية قال لأبيه : يا أمير المؤمنين متى يكون العلم ضارّا ؟ قال : إذا نقصت القريحة وفُصلت الرواية .

وقال معاوية : إذا لم يكن الهاشمي شجاعاً سخيّاً لم يشبهْ قومه ولم يشبهْ مَن هو منه ؛ وقال : إذا لم يكن الأموي مصلحاً لماله ، حليماً عند غضبه ، لم يشبهْ من هو منه ، ولَنْ تعدم من الهاشمي لَسَناً أو سخاءً أو شَجاعة ، وربمّا اجتمع ذلك لبعضهم .

المدائني عن أبي إسحاق التميمي قال : سمع معاوية رجلاً يقول :

ومِنْ رَقاشِ ماجِدٌ سَمَيْدَعُ ... يَـأْبَى الذي يَكْـرَهُهُ فيمنع

---

١ ـ الخب : الخداع والخبث والغش ، والخبب ضرب من العدو والسرعة . القاموس .

فقال معاوية : ذلك منّا ، ذاك ابن الزبير .

المدايني عن سَلاّم بن أبي مُطيع عن قَتادة قال : حرم مروان بن الحَكَم ابناً لصُهَيْب عطاءه ، فبلغ ذلك معاويةَ فكتب إليه معاوية : إنّك حفظت على ابن صُهَيْب ما كان من أبيه في أمر عثمان ، ونسيت ما كان من سابقته مع رسول الله ﷺ ، فارددْ عليه عطاءه وأكرمْه وأحسنْ مجاورته ، إن شاء الله .

وقال معاوية لخالد بن معمر : كيف حبّك لعليّ ؟ قال : شديد ، أحبّه لِحِلْمه إذا غضب ، وصِدْقه إذا قال ، ووفائه إذا وعد ، وجوده إذا سُئل .

وقال عمرو بن العاص : عُقِم النساء أن يلدن مثل معاوية ، وما استدرّ لمعاوية كلام قطّ فقطعه حتّى يأمر بخير ويُصيب الناس بفضل .

حدثني هشام بن عَمّار عن أبيه أو غيره قال : قدمت رملة بنت معاوية الشام من المدينة ، وكانت عند عمرو بن عثمان بن عفّان ، وكان عمرو لها محبّا إلاّ أنّه كان ربما أغارها ، فقال لها : أُطلّقكِ ابن عمّي ؟ فقالت : كلا ، الكلب أضنّ بالشَحْمَة ، قال: ويقال : قالت بشَحْمته .

وقال هشام : كان معاوية يقول : زَيْنُ الشَرَف العَفاف .

وقال هشام : أُتي معاوية بصريع فقال ليزيد : أما في أخوالك من يصارع هذا ؟ قال : بلى ، الزَبّان خالي ، فأُتي به فصرعه ، فقال يزيد :

أقولُ لَهُ والعَبْدُ يَكْبو لِوَجْهِهِ   لقد فَعَلَ الزَبّانُ ما كُنْتُ أَعْرِفُ

وقال المدائني : قدم بَحير بن رَيْسان الحِمْيري على معاوية وعنده أبو الأَسْوَد الدُولي فقال :

أَلا إنّ خَيْرَ الناسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وبعـد أَميرِ المـؤْمنـينَ بَحـيرُ
وإِنّي لأَرْجو مِنْ بَحيرٍ وَليدَةً وذاكَ على الحُرِّ الكريمِ يسيرُ[1]

فقال بَحير : بل وليدةٌ ووليدة ، ولو قلتَ ألف دينار لأعطيتُك إيّاها .

وحدثني محمّد بن سعد عن الواقدي قال : توفّي خالد بن الوليد بن المغيرة بحِمْص سنةَ عشرين وأوصى إلى عمر بن الخطّاب وكان عبد الرحمن بن خالد يلي الصوائف فيُبلي ويُحْسن أثره ، فعظم أمره بالشام ، فدسّ إليه معاوية متطبّباً يقال له ابن أُثال ليقتله وجعل له خراج حِمْص ، فسقاه شربة فمات ، فاعترض خالد بن المهاجر بن خالد ـ ويقال خالد بن عبد الرحمن بن خالد ـ ابنَ أُثال فضربه بالسيف فقتله ، فرفع أمره إلى معاوية ، فحبسه أيّاماً وأغْرمَه دِيَتَه ولم يُقِدْه به .

المدائني وغيره قالوا : غزا عبد العزيز بن زُرارة الكِلابي الصائفة مع يزيد بن معاوية فمات وبلغ معاوية ذلك فقال لأبيه : هلك والله فتى العرب ، فقال : ابني أوْهِ ، قال : ابنك ، فآجرك الله ، وأمر فنودي ليعزّي الناس أمير المؤمنين عن عبد العزيز بن زُرارة، فقال زرارة .

فإِنْ يَكُنِ المَوْتُ أَوْدَى بـه وأَصْبَحَ مُخُّ الكِلابيِّ ريرا[2]
فكُـلُّ فَتىً شـارِبٌ كَـأْسَـهُ فـإِمّـا صغيـراً وإِمّـا كبـيرا

المدائني قال : قال معاوية ذات يوم : إنّ الله بعث رسوله بفضل بيّن فلم يُرِد الدنيا ولم تردْه، وكان بعده أبو بكر وعمر فلم يُرداها ولم تردْهما، ثمّ

---

١ ـ ديوان أبي الأسود ـ ط . العراق ص ٢٤٠ ، البيت الثاني فقط أما البيت الأول فيختلف تماماً .

٢ ـ الرير : الذائب من المخ . القاموس .

كان عثمان فنال منها ونالت منه ، ثمّ آتانا الله هذا الأمر والمال فأعطينا كلَّ ذي حق حقَّه ، وفضل مال كثير عاث فيه أهل معاوية ، فإنْ يغفرِ الله لهم فأهل ذاك هو ، وإن يعذّبهم فأهل ذاك هم .

المدائني قال : قال معاوية لسَعْية بن عريض اليهودي : أنشدْني مرثية أبيك نفسه ، فأنشده :

ياليت شِعْري حين أُنْدَبُ هالِكاً ... ماذا تُـؤَبِّنُني بـه أنـواحي
ولَقد حَمَلْتُ عنِ العشيرةِ ثِقْلَها ... ولقد أَخَذْتُ الحَقَّ غَيْرَ مُلاحِ
إنَّ امْرءاً أَمِنَ الحوادثَ جاهِلاً ... ورجا الخُلودَ كضارِبٍ بِقِداحِ

فقال معاوية : صدق ، وتَغَرْغَرَت عيناه .

وزعموا أنّ معاوية كتب إلى عليّ رضي الله تعالى عنهما : يا أبا الحسن ، إنّ لي فضائل كثيرة ، كان أبي سيّداً في الجاهليّة ، وولّاني عمر في الإسلام ، وأنا صهر رسول الله ﷺ وخال المؤمنين ، وأحد كُتّاب الوَحْي ، فلمّا قرأ عليّ كتابه قال : أَبِالفضائل يفخر عليَّ ابنُ آكلة الأكباد ؟! يا غلام اكتبْ ، فكتب :

مُحَمَّدٌ النَبِيُّ أَخي وصِهْري ... وحَمْزَةُ سيِّدُ الشُهَداءِ عَمّي
وَجَعْفَرٌ الذي يُمْسي ويُضْحي ... يطيرُ معَ المَلائِكَةِ ابنُ أُمّي
وبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَني وعِرْسي ... مَسوطٌ لَحْمَها بِدَمي ولَحْمي
وسِبْطا أَحْمَدٍ ولَـدايَ منهـا ... فـأَيُّكُم لـه سَهْمٌ كسهمي
سَبَقْتُكُم إلى الإسْـلامِ طُرّاً ... غُلاماً قَبْلَ حينِ أَوانِ حِلْمي[1]

---

١ ـ ليست في ديوان الامام علي المطبوع .

فلمّا قرأه معاوية قال : يا غلام مَزّق الكتاب لئلا يقرأه أهل الشام فيميلوا إليه دوني . قالوا : وانتحل السيّد الحميري هذه الأبيات فأدخلها في شعره .

ورحل حُضَيْن بن المُنْذِر إلى معاوية في وفد من أهل العراق ، فتأخر وصوله إليه من بينهم ، فقال :

وكُلُّ صَغيرِ الشأْنِ يسعى مُشَمِّراً إذا فَتَحَ البَوّابُ بابكَ إِصْبَعَا
ويبقى الجَلوسُ الماكثونَ رَزَانَةً حَياءً إلى أَنْ يُفْتَحَ البابُ أَجمعا

فأمر معاوية أن يدخل أوّلَ الناس .

وذكروا أنّ معاوية أقبل على بني هاشم فقال : يا بني هاشم إنّ خيري لكم ممنوح ، وبابي مفتوح ، فلا تقطعوا خيري عنكم ، ولا تُغلقوا بابي دونكم ، وقد رأيتُ أمري وأمركم متفاوتاً ، ترون أنّكم أحقّ بما في يدي منّي ، وأنا أرى أنّي أحقّ به منكم ، فإذا أعطيتُكم العطيّة فيها قضاء حقوقكم قلتم : أَخَذْنا دون حقّنا وقصّر بنا عن قدرنا ، فصرتُ كالمسلوب لا يُحمَد على ما أُخذ منه ، فبئست المنزلة نزلتُ بها منكم ، أُعطي فلا أُشْكَر ، وأمنع فلا أُعذَر ، ونِعْمت المنزلة نزلتم بها منّي : إنصافُ قائلكم ، وإعطاءُ سائلكم ، فقال عبدالله بن عبّاس ، والله ما منحتنا خيرك حتّى طلبناه ، ولا فتحتَ لنا بابك حتّى قرعناه ، ولئن قطعتَ عنّا خيركَ لَلّهُ أوسعُ لنا منك ، ولئن أغلقتَ دوننا بابك لنكفَّنَّ أنفسنا عنك ، فوالله ما أحفيناك في مَسألة ولا سألناك باهِظَةً، فأمّا هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين، ولنا في كتاب الله حقّانِ : حقّ الغنيمة وحقّ الفيء ، فالغنيمة ما غلبنا عليه ، والفيء ما اجتبيناه ، فعلى أيِّ وجهٍ خرج ذلك منك أخذناه وحمدنا

الله عليه ، ثمّ لم نُخْلِكَ مِن شُكْر خير جرى على يدك ، ولولا حقُّنا في هذا المال ما أتاك منّا زائرٌ يحمله خُفٌّ ولا حافرٌ ، أَكَفاك أم أزيدك ؟ فقال معاوية : حسبك يا أبا عبّاس فإنك تَكْوي ولا تغوي ، فقال الفَضْل بن عبّاس بن عُتْبة بن أبي لَهَب :

ألا أَبْلِغْ مُعاوِيَةَ بنَ صَخْرٍ فإنَّ المَرْءَ يَعْلَمُ ما يَقولُ
لنا حَقّانِ حَقُّ الخُمْسِ وافٍ وحَقُّ الفَيْءِ جاء به الرسولُ
فكُلُّ عَطِيَّةٍ وَصَلَتْ إلينا وإن سُحِبَتْ لِخَدْعَتِها الذّيولُ
ففي حُكْم القُرَانِ لنا مَزيدٌ على ما كان لا قالٌ وقيلُ
أتَأْخُذُ حَقَّنا وتريدُ حَمْداً له ، هذاكَ تَأْباهُ العُقولُ
فقال له ابْنُ عَبّاسٍ مُجيباً فَلَمْ يَدْرِ ابْنُ هِنْدٍ ما يقولُ
فلا تَهجِ ابْنَ عَبّاسٍ مُجيباً فإنَّ جَوابَهُ جِذْعٌ أَصيلُ

حدثني محمّد بن اسماعيل الواسطي عن الفُرات العِجْلي عن أبيه عن قَتادة قال : خطب معاوية بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر عليّاً فنال منه ونسبه إلى قتل عثمان وإيواءِ قَتَلَته ، والحسن بن عليّ تحت المنبر ، فقال بعد أن حمدالله وأثنى عليه : يا أهلَ الشام إنّ معاويةَ يخدعكم بهذا الخاتم الذي من كان في يده جازت كتبه في الآفاق ، وادخر لعِياله الذخائر ، فقام رجل من أهل الشام فأراد أن يقطع على الحسن كلامه فقال : يا حسن قد وصفت لنا معاوية ، فكيف صفتك للخِراءَة ؟ فقال الحسن : يا أُحَيْمق أبعِد المَمْشى ، وأنفي الأَذَى ، وأستنجي باليُسْرى ، فغاظ قوله مَن حضر من أهل المدينة ، واستنشاط الحسن ، فلمّا رأى معاوية ذلك نزل عن منبره تخوّفاً أن يأتي الحسن بشيء يكرهه ، وأن يتشارّ الناس ، فأخذ بيد الحسن وأدخله منزله ، ثمّ دعا

بماء وسَويق فجدحه بيده ، ثمّ قال : اشربْ يا بن فاطمة فوالله ما جدحته[١] لأحد قبلك ، فأخذه الحسن فشرب منه الحسن ، ثمّ ناوله معاوية وقال : اشرب يا بن هِنْد فوالله ما ناولك مثلي ، وانّ بين الأمريْن لَبَوْناً بعيداً ، فقال معاوية : أجل والله وما أردتُ بما قلتُ بأساً .

وقال معاوية لعقيل : إنّ فيكم ليناً قال : أجل في غير ضُعْف ، وإنّ لنا لعِزا في غير كِبْر ، وأمّا أنتم فإنْ في لينكم غدراً ، وإنّ في كِبْركم كُفْراً ، فقال معاوية : دون هذا يا أبا يزيد ، فقال عَقيل :

لذي الحِلْمِ قَبْلَ اليومِ ماتُقْرَعُ العصا وما عُلِّمَ الإنْسانُ إلّا لِيَعْلَما[٢]

فقال معاوية :

وإنَّ سَفاهَ الشيخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ وإنَّ الفَتَى بعد السَّفاهِ لَيَحْلُمُ[٣]

فقام عَقيل وهو يقول :

إنّ السَفاهَةَ قِدْماً مِنْ خَلائِقِكُمْ لا قَدَّسَ الله أَخْلاقَ الملاعينِ

العمري عن الهيثَم عن ابن عبّاس قال : قال معاوية : الرأي الثاقب كِهانة ، والحِلْم سؤدد .

المدائني وغيره قالوا : دخل شَريك الحارثي على معاوية ، وكان رجلاً دميماً آدم شديد الأُدْمة شريفاً في قومه ، فلمّا استقرّ به المجلس أراد معاوية أن يضع منه فقال : إنّك لشريك وما لله شريك ، وإنّك لابن الأعور والصحيح

---

١ ـ جدح السويق : لته . القاموس .

٢ ـ البيت للمتلمس الضبعي ـ انظره في ديوانه ، ط . القاهرة ١٩٦٨ ص ٢٦ .

٣ ـ البيت لزهير بن أبي سلمى في معلقته . شرح المعلقات السبع ـ ط . دمشق ١٩٨٢ ص ١٢٣ .

خير من الأعور ، وإنَّك لدميم جِنْزَقْرةٌ[١] أسود ، فكيف سوَّدك قومك ؟ فقال شريك : انّك لمعاوية ، وما معاوية إلاّ كَلْبه عاوت فاسْتَعْوت فسميّت معاوية ، وإنّك لابن صَخْر والسّهْل خير من الصَخْر ، وإنّك لابن حَرْب والسِلْم خير من الحرب ، فكيف صِرْتَ أمير المؤمنين ؟ ثمّ خرج مغضباً وهو يقول :

أَيَشْتِمُني معاويةُ بن صخر وسيفي صارِمٌ ومعي لِساني
وحولي من ذوي يَمَنٍ ليوثٌ ضَراغِمَةٌ تهشّ إلى الطعان
يُعَيِّر بالدمامةِ مِنْ سفاهٍ ورَبّاتُ الحِجالِ هي الغَواني
ذَواتُ الحُسْنِ ، والرئبالُ جَهْمٌ شَتيمٌ وَجْهُهُ ماضي الجَنانِ
فلا تَبْسُطْ لِسانَكَ يا بنَ هِنْدٍ علينا أَنْ بَلَغْتَ مَدَى الأماني
فإنْ تَكُ للشقاءِ لنا أَميراً فإنّا لا نُقيمُ على الهوان
وإنْ تَكُ من أُميَّةَ في ذُراها فإنّي مِنْ بني عبدِ المَدانِ

قالوا : وصعد معاوية المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، فلمّا أراد الكلام قطع عليه غلام من الأنصار قام فقال : يا معاوية ما جعلك وأهلَ بيتك أحقَّ بهذه الأموال منّا ؟ وإنّما أفاءَها الله على المسلمين بسيوفنا ورماحنا ، وما لنا عندك ذنب نعلمه إلاّ أنّا قتلنا خالك وليداً وجّدك عُتْبة وأخاك حنظلة ، فقال معاوية : لا والله يا بن أخي ، ما أنتم قتلتموهم ولكنّ الله قتلهم بملائكة بعد ملائكة ، على يَدَي بني أبيهم ، وما ذاك بِعارٍ ولا مَنْقَصة ، قال الأنصاري : فأين العار والمنقصة إذاً ؟ قال : صدقتَ ، أَفلك حاجة ؟ قال : نعم لي

---

١ ـ الجنزقرة : القصير الدميم .

عجوز كبيرة وأخوات عواتق وقد عضّنا الدهر وحلّ بنا الحَدَثان ، فقال له معاوية : خذْ من المال ما استطعت ، وكان مالاً ورد من بعض النواحي ، فحمل الغلام وِقْره ، ومضى معاوية في خطبته حتّى فرغ .

وقال سعيد بن عثمان لمعاوية : ولَيناك فما عزلناك ولا نازعناك ، ووصلناك فما قطعناك ، ثمّ حَلأْتَنا[1] ما نرى كله ، فولّاه خُراسان ، ويقال كتب إلى زياد في توليته .

وحُدّثت أنّ معاوية خطب الناس يوماً ، فذكر عليّا فتنقّصه ، فقال أبو الدرداء : كذبت يا معاوية ليس هو كما تقول ، فنزل معاوية ، فقال يزيد : أتحتمل هذا كلّه ؟ فقال : إنّه من عُصْبَةٍ عاهدوا الله أن لا يسمعوا كذبة إلاّ ردّوها .

المدائني قال : حجّ معاوية فلمّا قرب من المدينة تلقّاه الناس ، وتلقّته الأنصار وأكثرها مُشاةٌ ، فقال : ما منعكم من تلقّيَّ مِن بُعْدٍ كما تلقّاني الناس مِن بُعْدٍ ؟ فقال ابن لسَعْد بن عُبادة يقال له سعيد : منعنا من ذلك قِلّة الظَهْر وخِفّة ذاتِ اليَدْ بإلحاح الزمان علينا وإيثارك بمعروفك غيرَنا ، فقال معاوية كالمُعيّر لهم : فأين أنتم عن نَواضح المدينة ؟ قالوا : أحرثناها[2] يوم بَدْر ، يومَ قتلنا حنظلة بن أبي سفيان ، فأعرض معاوية عنه وتبسّم وقال : حَبْجَةٌ بِلَبْجَةٍ ، والبادىء أظلم .

---

١ ـ حلأه : طرده ومنعه . القاموس .

٢ ـ في هامش الأصل : أي أهزلناها .

وقال القحذمي : يُروى أنّ رسول الله ﷺ نظر إلى الحَكَم بن أبي العاص فقال : «إذا بلغ ولده ثلاثين[1] كان الأمر لهم» ، فشاجر معاوية مروانَ يوماً فقال : أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعمّ عشرة ، فقال معاوية : لقد أخذتَها من عَيْنٍ صافية .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفِهْري قال : قال معاوية يوماً : لقد أكرم الله الخلفاء أفضل الكرامة ، أنقذهم من النار وأوجب لهم الجنّة ، وجعل أنصارهم أهل الشام ، فقال صَعْصَعَة بن صُوحان : تكلّمت فهجرت ، وليس الأمر كما ذكرت ، أنّى يكون خليفةً مَن ضرب الناس قَسْراً ، وخدعهم مكراً ، وساسهم خترا[2] ؟! فأمّا إطراؤك أهل الشام فلا أعلم أحداً أطوع لمخلوق في معصية خالق منهم ، اشتريتَ أديانهم بالمال ، فإن تُدرّه عليهم يمنعوك وينصروك ، وإن تقطعه عنهم يخذلوك ، فاستبان الغضب في وجه معاوية ثمّ قال : لولا أن القُدْرة تُذْهب الحفيظة ، وأنّ الحِلْم محمود المغبَّة ، ما عُدْتَ لقولك يا صَعْصَعَة مرّةً بعد مرّة ، ثمّ قال :

عَفَوْتُ عَنْ جَهْلِهِمْ حِلْماً ومَكْرُمَةً   والحِلْمُ عن قُدْرَةٍ من أَفضَلِ الكَرَمِ

قالوا : واجتمع ذاتَ يوم عند معاوية وهو بِصفّين عُتْبة بن أبي سفيان ، والوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط وغيرهما ، فقال عُتْبة : إنّ أمرنا وأمر عليّ لعجب ، وذكر مَن قَتَلَ عليٌّ يوم بَدْر منهم ، فقال معاوية : إنْ كان لَيَنبغي أن تشجروه بالرماح طَلَباً لثأركم ، فقام الوليد بن عقبة وهو يقول :

---

١ ـ بهامش الأصل «أربعين» .

٢ ـ بالأصل «خبرا» وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه .

يَقولُ لنا مُعاوِيَةُ بنُ حَرْبٍ أَمـا فيكُمْ لِـوتْـرِكُم طَلوبُ
يَشُدُّ على أَبي حسنٍ عَـلِيٍّ بِـأَسْمَـرَ لا تُهَجّنـهُ الكعـوبُ
فقُلْتُ له أَتَلْعَبُ يا بنَ هندٍ كـأَنَّكَ بَيْنَنـا رَجُلٌ غـريب
أتـأْمُـرُنـا بِحَيَّةِ بَـطْنِ وادٍ إذا نَكَزَتْ فليس لها طبيب
كـأَنَّ القَـوْمَ لَمَّـا عـايَنـوهُ خلالَ النَّقْعِ ليس لهم قلوب
لَعَمْرُو أَبي مُعاوِيَةَ بنِ حَرْبٍ ورأْيُ المرءِ يُخْطِىءُ أَوْ يصيب
لقـد ناداهُ في الهيجـا عليٌّ فـأَسْمَعَـهُ ولـكن لا يجيب

وحدثني هشام قال : قال معاوية : ما غضبي على مَن أملك وأنا قادر عليه ، وما غضبي على من لا أملك ويدي لا تناله[1] .

العُمري عن الهيثم بن عَديّ عن عَوانة وغيره قالوا : قال عليّ بصِفّين : يا معاوية ما تَقْتُلُكَ الناسَ بيني وبينك ، ابرُزْ لي فإن قتلتَني كان الأمر إليك ، وإن قتلتك كان الأمر إليَّ ، فالتفتَ معاوية إلى عمرو كالمستشير له ، فقال له عمرو : ما أرى الرجل إلاّ مُنْصِفاً ، ولن تَبُلَّ لك بالَّةٌ عند أهل الشام إن لم تبارزْه ، فحقدها عليه وأمسك وعلم أنّه يريد قتله ، فقال :

يا عَمْرُو إنَّكَ قد تَقَشَّرْتَ لِيَ العصا بِرِضاكَ لي وسطَ العجاجِ برازي
مـا للملوكِ ولِلْبِراز وإنّمـا حَظُّ المُبارِزِ خَطْفَةٌ من بازِ
ولقد أَعَدْتَ فقُلْتُ مَزْحَةَ مازِحٍ والمَرْءُ يُفْحِمُهُ مَقـالُ الهازي

فقال عمرو :

١ - في هامش الأصل : بلغ .

مُعاوِيَ إنْ ثَقُلْتَ عنِ البِرازِ لك الخَيْراتُ فانْظُرْ مَنْ تُنازي
وما ذنْبي إذا نادى عليٌّ وكَبْشُ القومِ يدعو للبراز
أجُبْناً في العجاجةِ يا بْنَ هندٍ وعند السِّلمِ كالتَّيْسِ الحجازي

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارب قال: قال قَبِيصة بن جابر: ما رأيت رجلاً أقرأ لكتاب الله ولا أشدّ في دين الله من عمر بن الخطاب، وما رأيت أحداً أُسوَد من معاوية، ولا رجلاً أعْطى لماله في غير ولاية من طلحة بن عبيدالله، ولا رأيت رجلاً أنصع ظَرْفاً ولا أحضر، جواباً ولا أكثر صواباً من عمرو بن العاص، ولا رأيت رجلاً المعرفة عنده أنفع منها عند المغيرة بن شُعبة، ولا رأيت رجلاً أحلم جليساً ولا أخصب رفيقاً ولا أشبه سريرةً بِعَلانية من زياد.

وقال معاوية لعَديّ بن حاتم ودخل عليه: ما فعل الطَرَفات يا أبا طَريف: طريف، وطَرَفة، وطِراف؟ فقال: قُتلوا يوم صفّين، قال: ما أنصفك عليّ، أخرّ بنيه وقدّم بنيك، قال: لئن فعل فقد قُتلَ وبقيتُ، قال: قد بقيت قَطْرةٌ من دم عثمان عند قوم ولا بدّ من أن نطلب بها، قال عَديّ: اغْمُدْ سيفك، فإنّ السيف إذا سُلَّ سُلّت السيوف، قال: فالتفت معاوية إلى عمرو فقال له: ضَعْها في قَرْنِكَ فإنّها كلمة حكم.

المدائني عن إسحاق بن أيّوب عن الوليد بن المُغيرة عن حُضَيْن بن المنذر قال: قال لي معاوية: إنّ لك رأياً، فما فرّق هذه الأمّة وسفك دماءَها وشقّ عصاها وشتّت ملأها؟ قلت: قَتْل عثمان، قال: صدقت.

كتب معاوية إلى الحسين

قالوا : وكتب معاوية إلى الحسين بن عليّ رضي الله تعالى عنهم : أمّا بعد ، فقد انتهت إليّ عنك أمور أرغب بك عنها ، فإن كانت حقّا لم أُقَارَّكَ عليها ، ولعمري إنّ مَن أعطى صفقة يمينه وعَهْد الله وميثاقَه لَحَرِيّ بالوفاء ، وإن كانت باطلاً فأنت أسعد الناس بذلك ، وبحظّ نفسك تبدأ ، وبعَهْدِ الله توفي ، فلا تحملْني على قطيعتك والإساءة بك ، فإنّي متى أُنكرْك تُنكرني ، ومتى تَكِدْني أَكِدْك ، فاتّقِ شقَّ عصا هذه الأمَّة وأن يرجعوا على يدك إلى الفتنة ، فقد جرّبتُ الناس وبلوتُهم ، وأبوك كان أفضلَ منك ، وقد كان اجتمع عليه رأي الذين يلوذون بك ، ولا أظنّه يصلح لك منهم ما كان فسد عليه ، فانظر لنفسك ودينك ﴿وَلا يسْتَخِفنّك الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[1] .

جواب الحسين

فكتب إليه الحسين : أمّا بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر أنّه بلغتك عنّي أمور ترغب عنها ، فإنْ كانت حقاً لم تقارّني عليها ، ولن يَهْدِيَ إلى الحسناتِ ويسدِّد لها إلاّ الله ، فأمّا ما نُميَ إليك فإنّما رقّاه المَلاقون المَشّاؤون بالنمائم المفرّقون بين الجميع ، وما أريد حرباً لك ولا خِلافاً عليك ، وأيم الله لقد تركتُ ذلك وأنا أخاف الله في تركه ، وما أظنُّ الله راضياً عنّي بتَرْك محاكمتك إليه ، ولا عاذِري دون الإعذار إليه فيك وفي أَوْليائك القاسطين المُلْحدين ،

---

١ ـ سورة الروم ـ الآية : ٦٠ .

حِزْبِ الظالمين وأولياء الشياطين ، أَلستَ قاتلَ حُجْر بن عَديّ وأصحابه المصلّين العابدين ، الذين يُنكرون الظلم ويستعظمون البدع ، وَلا يَخَافُونَ في الله لَوْمَةَ لائمٍ ، ظُلْماً وعُدواناً ، بعد إعطائهم الأمان بالمواثيق والأيمان المغلَّظة ؟ أَوَلستَ قاتلَ عمرو بن الحَمِق صاحب رسول الله ﷺ الذي أبلته العِبادة وصفّرت لونه وأنحلت جِسْمه ؟! أَوَلست المدّعي زياد بن سُمَيّة المولود على فِراش عُبَيْد عبد ثقيف ، وزعمت أنّه ابن أبيك وقد قال رسول الله ﷺ : «الولد للفِراش وللعاهرِ الحَجَرُ»[1] ، فتركت سنّة رسول الله ﷺ وخالفت أمره متعمّداً ، واتّبعت هواك مكذّباً ، بغير هُدىً من الله ، ثمّ سَلّطته على العراقَيْنْ فقطع أيدي المسلمين وسملَ أعْيُنَهم ، وصلبهم على جذوع النخل ، كأنّك لست من الأمّة وكأنّها ليست منك ، وقد قال رسول الله ﷺ : «مَن ألحق بقومٍ نسباً ليس لهم فهو ملعون» ، أَوَلست صاحب الحَضْرَمِيِّينْ الذين كتب إليك ابن سُمَيّة أنّهم على دين عليّ، فكتبت إليه : اقتلْ مَن كان على دين عليّ ورأيه ، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك ، ودين عليّ دين محمّد ﷺ الذي كان يضرب عليه أباك ، والذي انتحالُك إيّاه أجلَسك مجلسك هذا ، ولولا هو كان أفضل شَرَفِك تجشّمُ الرِحْلَتَيْنْ في طلب الخمور ، وقلت : انظرْ لنفسك ودينك والأمّة واتّقِ شقَّ عصا الأُلفة وأن تَرُدّ الناس إلى الفتنة ، فلا أعلم فتنةً على الأمّة أعظم من ولايتك عليها ، ولا أعلم نَظَراً لنفسي وديني أفضل من جهادك ، فإنْ أفعله فهو قُرْبَة إلى ربّي ، وإن أتركه فذنبٌ أستغفر الله منه في كثير من تقصيري ، وأسأل الله

---

١ ـ انظره في كنز العمال ـ الحديث : ٤٥٢٥ ، ١٥٢٩٩ ، ١٥٣٤٥ ـ ٤٠٦٠٧ .

توفيقي لَأرشد أموري ؛ وأمّا كَيْدُكَ إيّاي فليس يكون على أحدٍ أضرَ منه عليك ، كفعلك بهؤلاء النفر الذين قتلتهم ومثّلت بهم بعد الصُلْح من غير أن يكونوا قاتلوك ولانقضوا عهدك ، إلّا مخافةَ أمرٍ لَوْ لم تقتلهم مُتَّ قبل أن يفعلوه ، أو ماتوا قبل أن يُدركوه ، فأبشرْ يا معاوية بالقصاص ، وأيقنْ بالحساب ، وآعلم أنّ لله كتاباً لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلّا أحصاها ، وليس الله بناسٍ لك أخْذَك بالظِّنَّة ، وقَتْلك أولياءه على الشُبهة والتُهْمة ، وأخذك الناس بالبيعة لابنك ، غلامٍ سفيه يشرب الشرابَ ، ويلعب بالكلاب ، ولا أعلمك إلّا خسِرْتَ نفسك ، وأوبقت دينك ، وأكلت أمانتك ، وغششت رعيّتك ، وتبوَّأت مقعدك من النار فـ ﴿بُعْداً لِلْقومِ الظَّالمين﴾[1] .

المدائني قال ، قال معاوية لصُحار بن عيّاش العَبْدي : يا أزرَق ، قال : البَازي أزرق ، قال : يا أحمر ، قال : الذهب أحمر ، قال : يا صُحار ما هذه البلاغةُ في عبد القيس ؟ قال : شيء يعتلج في صدورنا فنلفظه كما يلفظ البحر الزَبد ، قال : فما رأس البَلاغة ؟ قال : أن تقول فلا تُخطىء وتعجَل فلا تُبطىء ؛ ثمّ قال : يا أمير المؤمنين ، ومنّا أعقل[2] أهل زمانه ، اشترط على رسول الله ﷺ حين أسلم الجنّة ؛ ومنّا الذي قال له رسول الله ﷺ: «فيك خَصْلتان يحبّهما الله ورسوله الأناة والحِلْم»[3]؛ ومنّا أزهد أهل زمانه هَرِم بن حَيّان ؛ ومنّا أشجع أهل زمانه حُكَيْم بن جَبَلَة العَبْدي الذي

١ ـ سورة هود ـ الآية : ٤٤ .
٢ ـ بهامش الأصل : هو الجارود [بن بشر بن المعلى] . انظره في الإصابة لابن حجر .
٣ ـ بهامش الأصل هو الأشج [عبدالله بن عوف بن عبد القيس]، وقيل اسمه المنذر بن عائذ، وقيل عائذ بن الحارث . طبقات ابن سعد ج ١ ص ٣٤١ . طبقات خليفة ط . بيروت ١٩٩٣ ص ١١٧ .

قُطعت رِجلُه فرمى بها قاطعه فقتله ثمّ توسّده ، فقيل له : مَن بك يا أبا نُجيد ؟ فقال : وِسادي ؛ ومنّا أبلغ الناس في زمانه صَعْصَعة بن صُوحان ؛ ومنّا الحارث بن مُرّة ، حمل في غزاةٍ على خمسمائة دابّة ؛ ومنّا عبدالله بن سَوّار خرج في أربعة آلاف إلى ثغر السِنْد ولم يوقدْ أحد في عسكره ناراً لطعام حتّى أتى البلاد ، ورأى في عسكره ناراً فسأل عنها فقيل امرأة ولدت فاتُّخذ لها خبيص ، فأمر أن يُطعم أهل العسكر كلّهم الخبيص ثلاثةَ أيام ، ومنًّا أرمى أهل زمانه عمرو بن مُساوِر النُكْري ؛ ومنّا أيمن الناس في زمانه شِعْرا : المُمَزَّق ، غزا النعمانُ بن المنذر بلاد عبد القيس فسايَرَه وحدّثه وأنشده فأعجبه فكلّمه فيهم فعدل عنهم .

حدثني حَفص بن عمر عن الهيثم بن عديّ عن ابن عَيّاش عن أبي الهيثم الرحبي قال : قال لي عبد الملك بن عُمير وأنا أماشيه عند الباب الصغير بدمشق : مررنا بقبر معاوية فوقف عليه عبد الملك بن مروان فقيل له : لَمن القبر؟ فقال : لرجل كان والله ما علمتُه يُسْكِته الحِلْم ويُنطقه العِلم ، إذا أعطى أغنى ، وإذا حارب أفنى ، ثمّ عجّل له الدهر ما أخّر لغيره ، إنّا لله ما يصنع الزمان ، هذا قبر معاوية .

حدثني حَفْص عن الهيثم وغيره قالوا : أُتِيَ معاوية بشابّ قد سرق فأمر بقَطْع يده فقال :

يَدي يا أميرَ المُؤْمِنينَ أُعيذُها بِعَفْوِكَ أَن تُلْقَى مَكاناً يَشينُها
ولا خَيْرَ في الدُنْيا وكانَتْ حَبيبَةً إذا ما شِمالُ فارَقَتْها يَمينُها
ولَو قد أَتى الأَخبْارُ قَوْمي لَقَلَّصَتْ إِلَيْكَ المَطايا وَهْيَ خوصٌ عُيُونُها

ودنت أمّه وهي تبكي فقالت : يا أمير المؤمنين ، واحدي اعْفُ عنه ، عفا الله عنك ، فقال : وَيْحكِ إنّ هذا حدٌّ من حدود الله ، فقالت : اجعلْ تَرْكَه يا أمير المؤمنين من ذنوبك التي تستغفر الله منها ، فخلّى سبيله وتصدَّق بمائة ألف درهم .

وروى المدائني عن أبي بكر الهُذَلي أنّه قال : وقف عبد الملك بن مروان على قبر معاوية ومعه محمّد بن جُبَيْر بن مُطعِم ، فرأى على القبر ثُمامة(١) تهتزّ ، فقال عبد الملك : يرحمك الله أبا عبد الرحمن . ثمّ قال لابن جُبَيْر : يا أبا سعيد ما كان علمك به ؟ قال : كان والله ممّن يُنْطقه العِلم ويُسكته الحِلْم ، فقال عبد الملك : كذلك كان وولّى وهو يقول :

وما الدَهْرُ والأَيّامُ إلاّ كَما أَرَى رَزيئَةُ مالٍ أَوْ فِراقُ حَبيبِ(٢)

المدائني عن مَسْلمة قال : قال رجل من ولد أميّة بن خَلَف الجُمَحي لمعاوية : انّا تركنا الحقّ وعليّ يدعونا إليه ، وبايعناك على ما تعلم ، فلمّا تسهّلت لك الأمور جعلت الدنيا لأربعة : سعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص السهْمي ،ومروان بن الحَكَم ، والمغيرة بن شُعْبة ، وتركتَنا لا في عِيرٍ ولا في نَفيرٍ ، فأطرق معاوية طويلا ثمّ قال : يا بن أخي إنّي ميّلتُ بين

١ ـ نبات ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حشي به وسدّ به خصاص البيوت ، ويظلل به المزاد فيبرد الماء . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس ـ ط . القاهرة ١٩٦٥ .

٢ ـ نسبه الابشيهي في المستطرف ـ ط . القاهرة (عبد الحميد أحمد حنفي) ج ٢ ص ٦٣ إلى أبي الأسود الدولي ، ولم يرد في ديوانه المطبوع .

معاتبتك وتركك فوجدتُ معاتبتك أبقى لك ، إنّي أراك شديد التقحّم رحب الذِراع بالقول ، ولستَ كلّما شئتَ وجدتَ مَن يحمل لك سَفَهَك .

المدائني عن عيسى بن يزيد قال : قدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان ، فقالت عائشة بنت عثمان بن عفّان : وا أبتاه : وبكت فقال معاوية : ابنة أخي إنّ الناسَ أعطَوْنا طاعةً تحتها حقدٌ ، وأظهرنا لهم حِلْماً تحته غَضَب ، ومع كلِّ إنسان سيفٌ وهو يرى أنصاره ، فإن نَكثْنا بهم نكثوا بنا ، ولا ندري أعلينا يكونُ أو لنا ، ولأن تكوني ابنةَ عمِّ أمير المؤمنين خيرٌ من أنْ تكوني امرأةً من عُرْض المسلمين .

المدائني عن عُقْبة الأصمّ عن عبدالله بن بُرَيْدة قال : كان معاوية يُؤتَى بالثريدة تكاد تستُر الذي يواكله فيأكل ويدعو إلى طعامه عِدّة بعد عدّة فيأكل معهم جميعاً .

المدائني عن عامر بن الأسود قال : كان معاوية يأكل في اليوم أربع أَكْلات آخرهنّ أعضلهنّ وأشدّهنّ ، ويتعشّى فيأكل ثردة عليها بَصَل كثير .

حدثنا أبو صالح الفَرّاء ومحمّد بن حاتم وإسحاق قالوا : حدثنا الحجّاج بن محمّد الأعوَر حدثنا شُعْبة عن أبي حَمْزة قال : سمعت ابن عبّاس يقول : مرّ بي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فاختبأت منه خلف باب، فدعاني فحطأني[1] حَطْأَةً ثم بعثني إلى معاوية؛ فرجعت إليه فقلت: هو يأكل ، ثمّ بعثني إليه فقلت : هو يأكل بعدُ ، فقال النبي ﷺ : «لا أشبع الله بطنه» ؛ قال أبو حَمْزة : فكان معاوية بعد ذلك لا يشبع .

١ ـ حطأ : صرع ، ضرب ظهره بيده مبسوطة . القاموس .

المدائني عن أبي أيّوب عن هشام بن حسّان عن ابن سِيرين أنّ النبي ﷺ بعث إلى معاوية ليكتب له شيئاً فقال الرسول : هو يأكل ثمّ أعاده فقال : هو يأكل ، فقال : «لا أشبع الله بطنه» .

حدثني مُظَفَّر بن مُرجَّى حدثني هِشام بن عمّار حدثنا عبد العزيز بن السائب عن أبيه عن ابن عمر قال : كنت جالساً عند النبيّ ﷺ فقال : «الآن يطلع علينا من هذا الفَجّ رجلٌ من أهل الجنّة ، فطلع معاوية ، فقلت : هو هذا ؟ قال : نعم هو هذا» .

وحدثني إسحاق وبكر بن الهَيْثَم قالا حدثنا عبد الرَزّاق بن همّام أنبأنا مَعْمَر عن ابن طاوس عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : كنت عند النبيّ ﷺ فقال : «يطلع عليكم من هذا الفَجّ رجلٌ يموت على غير مِلّتي ، قال : وكنت تركتُ أبي قد وُضِعَ له وَضُوء ، فكنت كحابس البَوْل مخافةَ أن يجيء ، قال : فطلع معاوية فقال النبيّ ﷺ : هو هذا»[1] .

وحدثني عبدالله بن صالح حدثني يحيى بن آدَم عن شريك عن لَيْث عن طاووس عن عبدالله بن عمرو قال: كنت جالساً عند النبيّ ﷺ فقال: «يطلع عليكم من هذا الفَجّ رجلٌ يموت يومَ يموت على غير مِلتّي ، قال : وكنت تركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع ، فطلع معاوية» .

وحدثني مُظَفَّر بن مُرَجَّى حدثنا شَبّابة بن سَوّار حدثنا يوسف بن زياد التميمي عن محمَّد بن شُعَيب عن عُقْبة بن رُوَيْم اللخمي قال : دعا رسول

١ ـ لم يرد هذا الحديث في مصنف الامام عبد الرزاق ، وروى الامام عبد الرزاق ما يشبهه عن أنصاري يدخل الجنة . المصنف ـ ط . بيروت ١٩٧٢ ج ١١ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

الله ﷺ لمعاوية فقال : «اللّهمّ آهدِه وآهد به وعلّمْه الكتاب والحساب وقه العَذاب» .

وحدثني أبو بكر الأعْيَن عن شَبّابة في هذا الإسناد بنحوه .

حدثني عليّ بن إبراهيم السَوّاق حدثنا عليّ بن حَيّان حدثنا محمّد بن عبد العزيز بن أبان حدثنا اسماعيل بن عَيّاش عن يحيى بن عبدالله عن أبيه عن أبي هُرَيْرة قال : قال رسول الله ﷺ : «أتاني جِبْريل فقال : يا محمّد ائتمنني الله على وَحْيه وائتمنك وائتمن معاوية بن أبي سفيان» .

وحدثني عليّ بن إبراهيم حدثنا عليّ بن حَيّان حدثنا إسحاق بن وَهْب الواسطي حدثنا عبد الملك بن يزيد الواسطي عن عبد الرحمن بن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال : أهدى جعفر بن أبي طالب لرسول الله ﷺ أربع سَفَرْجَلات فأعطى معاويةَ منهنّ ثلاثاً وقال : «آلقَني بهنّ في الجنّة» .

حدثني عليّ بن إبراهيم عن عليّ بن حَيّان عن أبي داود الطَيالِسي عن حمّاد بن سَلَمَة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هُرَيْرة قال : دخلت على رسول الله ﷺ ومعاوية يصبّ على يَدْيه الماء ، فلما فرغ من وُضوئه أخذ كَفًّا من ماء فضرب به وجه معاوية ثمّ قال : «يا بن أبي سفيان كأنّي بك في الجنّة» .

حدثني عليّ بن إبراهيم حدثنا داود بن عبدالله التِرْمِذي عن حمّاد بن منصور المِنْقَري عن عبدالله بن كثير عن هشام بن عُرْوة عن أبيه عن عائشة قالت : أتيت النبيّ ﷺ في منزل أمّ حبيبة في يومها ، فدقّ معاوية الباب فأذن له فدخل وعلى أُذنه قلم لم يُمَطّ به[1] ، فقال النبي ﷺ : «ما هذا على أُذنك ؟

---

١ ـ في البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٢٠ «لم يخط» .

قال : قلم أعددتُه لله ولرسوله ، فقال النبيّ ﷺ : أَما إنّه جزاك الله عن نبيّك خيراً ، والله ما استكتبتك إلاّ بَوْحي من السماء» .

حدثنا يوسف بن موسى وأبو موسى إسحاق الفَرْوي قالا: حدثنا جرير بن عبد الحميد حدثنا إسماعيل والأعمش عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيتم معاوية على منبري فاْقتلوه» ؛ فتركوا أمره فلم يُفلحوا ولم ينجَحوا .

حدثني خَلَف بن هشام البَزّاز حدثنا أبو عَوانة عن الأعمش عن سالم بن أبي الجَعْد قال ، قال رسول الله ﷺ : «معاوية في تابوت مقفل عليه في جهنّم» .

حدثنا إسحاق بن أبي اسرائيل وأبو صالح الفَرّاء الأنطاكي قالا: حدثنا حجّاج بن محمّد حدثنا حمّاد بن سَلَمَة عن عليّ بن زيد عن أبي نَضْرة عن أبي سعيد الخدْري أنّ رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية ، فقلنا له : لا تسُلّ السيفَ في عهد عمر حتّى تكتب إليه ، قال : إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاْقتلوه» ، قال : ونحن قد سمعناه ولكن لا نفعل حتّى نكتب إلى عمر ، فكتبوا إليه فلم يأتِهم جواب الكتاب حتّى مات .

حدثنا خَلَف حدثنا عبد الوارث بن سعيد بن جُمْهان عن سَفينة مولى أُمّ سَلَمَة أنّ النبيّ ﷺ كان جالساً فمرّ أبو سفيان على بعير ومعه معاوية وأخٌ له ، أحدهما يقود البعير والآخر يسوقه ، فقال رسول الله ﷺ : «لعن الله الحامل والمحمول والقائد والسائق» .

وحدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن عبيد الله بن موسى قال : ذُكر معاوية عند الأعمش فقالوا : كان حليماً ، فقال الأعمش : كيف يكون حليماً وقد قاتل عليّاً وطلب ـ زَعم ـ بدم عثمان مَن لم يقتلْه ، وما هو ودم عثمان ، وغيره كان أولى بعثمان منه ؟!

وحُدثّت عن شَريك عن الأعمش أنّه قال : كيف يُعَدّ معاوية حليماً وقد قاتل عليّ بن أبي طالب ؟

وحدثني الحسين بن عليّ بن الأسود عن يحيى عن عبدالله بن المُبارَك قال : ها هنا قوم يسألون عن فضائل معاوية ، وبحسب معاوية أن يُتْرَك كفافاً .

المدائني عن عبدالله بن فائد عن أبي بكر الهُذَلي قال : قال الحسن : لو سلك معاوية بالناس غيرَ سبيل الاحتمال والبَذْل والمُدارة لاخُتطِف اختطافاً .

وحدثنا يوسف وإسحاق قالا: جرير عن الأعمش عن أبي وائل قال : كنت مع مسروق بالسِلْسِلة فمّرت به سفائن فيها أصنام من صُفْرٍ تماثيل الرجال ، فسألهم عنها فقالوا : بعث بها معاويةُ إلى أرض السِنْد والهِنْد تُباع له ، فقال مسروق : لو أعلمُ أنّهم يقتلونني لغَرّقتُها ، ولكنّي أخاف أن يعذّبوني ثم يفتنوني ، والله ما أدري أيّ الرجَلْين معاوية ، أَرجل قد يئس من الآخرة فهو يتمتعّ من الدنيا أم رجل زيّن له سوء عمله .

وحدثني إبراهيم بن العّلاف البَصْري قال ، سمعت سلاّماً أبا المنذر يقول : قال عاصم بن بَهْدَلة حدثني زِر بن حُبَيْش عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على المنبر فآضربوا عنقه» .

وروى الحَكَم بن ظُهَيْر عن عاصم عن زِرّ عن عبدالله بن مسعود بمثله .

وحدثني الحِرْمازي عن محمّد بن الحسن بن زَبالة قال : سمع الزبير بن خُبَيْب رجلاً من الطالبّيين يقول أُمِصُّ معاويةَ ، فقال له الزبير ، وهو أشدّ لمعاوية بُغضاً وعَداوةً من الطالبيّين : أي رحمك الله ليس هكذا يقال ، إنّما يلعنه مَن عاداه أو يكفّره ، فأمّا أن يُمِصَّه فلا ، هو يرتفع عن ذلك .

المدائني قال ، قال معاوية لابن عبّاس : ما حالت الفتنة بيني وبين أحدٍ كان أعزّ عليّ فَقْداً وأحبّ إليّ قُرْباً منك ، فالحمد لله الذي قتل عليّاً ، فقال ابن عبّاس : أَوَ غير هذا ، تدع لي ابن عمي وأدع لك ابن عمك ؟ قال : ذاك لك ، ثمّ قال : أخبرني عن أبي سفيان ، قال : اللّهمّ إنّه تجر فأربح وأسلم فأفلح ، وكان رأس الشِرْك حتّى انقضى ، فقال : يا بن عبّاس في علمك ما تَسرّ به جليسك ولَوْلا أن أقارضك الثناء لأخبرتُك عن نفسك .

المدائني قال : لمّا مات المغيرة بن شعبة قال زياد : لم يبقَ للمُعْضِلات إلاّ معاوية ورجلٌ آخر ، يعني نفسه .

وقال هِشام بن عَمّار ، قال معاوية بن حُدَيْج : أتيت عمرو بن العاص وقد ثقل فقلت : كيف تَجِدُكَ ؟ قال : أجدني أذوب ولا أثوب ، وأجِد نَجْوي أكثر من رُزْئي ، فما بقاءُ الكبير الفاني على هذا ؟ فلمّا مات قال معاوية : مات رُبْع رأي الناس وإرْبهم . وقال المغيرة بن شعبة : ذهب نصف دَهاء قريش ، أراد أن النصف الباقي معاوية ولم يَعُدّ زياداً .

---

١ ـ أي شتمه بقوله : يا ماص بظر أمه . القاموس .

المدائني قال : قال عمرو بن العاص : أنا للبَديهة ، ومعاوية للأناة ، والمغيرة للمُعْضِلات ، وزياد لصغار الأمور وكِبارها .

المدائني قال : لمّا مات المغيرة بن شعبة قال معاوية : لله رأي دُفن مع المغيرة ؛ وقال معاوية حين مات ابن عامر بن كُرَيز : بمن أُباهي بعد ابن عامر ؟ وقال معاوية حين أتاه موت سعيد بن العاص : ما ماتَ مَن ترك مثل عمرو بن سعيد، وقال: قد مات مَن هو أكبر منّي ومَن أنا أكبر منه وأنشد:

إذا سارَ مَنْ خلْفَ آمْرِىء وأَمَامَهُ وأَجْمَعَ يَوْماً رِحْلَة فَهْوَ ظاعِن

حدثني محمّد بن سعد عن الواقدي قال: كانوا يقولون إنّ أبا سفيان بن حَرب رجل شحيح بخيل له مال ، وإنّما سُوِّد لرأيه وعُظّم لماله ، وهلك في أيّام عثمان وله ثمان وثمانون سنة ؛ وكانوا يقولون : إنّ معاوية كان ذا رأي وسخاءٍ .

وقال الواقدي:حدثني أصحابنا عن ابن جُعْدُبَة وغيره قالوا : كان لعبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب أرضٌ إلى جانب أرض لمعاوية ، وكان وكيل معاويةَ بالمدينة النَّضير مولاه ، فعمد إلى أرض عبد الرحمن فضمّها إلى أرض معاوية وقال: هذه لأمير المؤمنين ، فقال عبد الرحمن : عندي البّينة أنّ أبا بكر بن أبي قُحافة قطعها لي مَقْتَلَ أبي باليَمامة ، فقال النضير : هذه قطيعة أمير المؤمنين ، فخاصمه إلى مروان بن الحَكَم فقال : آصطلحا ، وكره أن يجزم القضاء على معاوية ، فأتى عبد الرحمن بن زيد الشام فلمّا صار إلى باب معاوية ألفاه جالساً بالخَضْراء بدمشق ، فقال لأبي يوسف : آستأذنْ لي على أمير المؤمنين ، فاعتلّ عليه ، فرفع صوته فقال : ما لي بُدٌّ من الوصول إليه ، فإنّا إلى أن توصل أرحامُنا وتُثَمَّرَ لنا أموالُنا أحوج منّا إلى أن يؤخذ منّا ما في

أيدينا ، فسمعه معاوية فقال : أُدخلْه ، فدخل فسلّم وقال : إنّ وكيلك بالمدينة تعدّى عليَّ ، وعمد إلى ما قطع لي خليفة رسول الله ﷺ وأجازه لي عمر فألجأه إلى أرضك ، وزعم أنّ عنده كتاباً من عثمان بأنّه قطعه لك ، وكيف يقطع لك عثمان حقاً هو لي ؟ فقال معاوية : تركتَ أرضك لم تعمرها حتّى عملتُها ، فلمّا غرستُ فيها خمسة آلاف وَدِّية قلتَ : قطيعة أبي بكر ، وقد رُوي عن عمر أنّه بلغه أنّ قوماً يتحجّرون الأرض ثمّ يدعونها عُطُلاً فيجيء آخرون فيزرعونها ، أنّها لَمن زرعها ، فقال : والله ما قلتَ الحقّ يا معاوية فأنصفْني ، فقال : عليَّ بالقاضي ، وهو فَضالة بن عبيد الأنصاري ثمّ الزُرَقي ، فلم يأته وقال : في بيته يُؤتَى الحَكَم ، فصار معاوية وعبد الرحمن إليه ، فأُلقيت لهما وِسادة وقيل آجلسا عليها ، فتكلّم عبد الرحمن بقوله الأوّل، وتكلّم معاوية بقوله الأوّل، فرأى فَضالة أنّ القولَ قولُ عبد الرحمن والحقَّ معه ، فقضى به ، فقال معاوية : نقبل ما قلت ، أَرأيتَ ما غرستُ فيها ؟ قال : يقوَّم ذلك لك ، فإن شاء عبد الرحمن دفع إليك قيمة غِراسك ، وإن شاء ضمَّنك قيمة الأرض . فقال عبد الرحمن : قد أنصفتَ ، فقال فَضالة : يا أمير المؤمنين أَوَ بمثل زيد بن الخطّاب وعمر يُفعل هذا بعَقبهما؟! فقال معاوية: فالغِراسُ له، وما مدّ إليه يده من أرضي فهو له صلةً لرَحِمه ، وكتب له بذلك إلى وكيله وقضى دَيْنه وألحقه في شَرَف العطاء وقال : أنت مستحقّ لذلك يا بن أخي الفاروق والشهيد ، وأعطاه مالاً ، فقال فَضالة لمعاوية حين مضى عبد الرحمن : والله لو فعلتَ غير هذا فقدم على أهل مدينة الهجرة وبقيّة الناس فشكاك لكان في ذلك ما لا يحسن

ولا يجمل ، فقال معاوية : جزاك الله على المعاونة على الحقّ خيراً ، وانصرف ابن زيد فأخذ ماله .

حدثني محمّد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : خطب معاوية فقال : أيّها الناس والله لَنَقْل الجبال الراسيات أَيْسَر من اتّباع أبي بكر وعمر في سيرتهما ، ولكنّي سالِكٌ بكم طريقاً تقصر عمن تقدّمني ولا يُدركني فيها مَن بعدي .

حدثني الحِرمازي عن جَهْم بن حسّان قال : دخل عبد الرحمن بن سِيحان على سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه فقال له سعيد أأنت القائل :

إنّا لَنَشْرَبُها حَتَّى تَميلَ بِنا ... كَما تَمايَلَ وَسْنانٌ بِوَسْنانِ

فقال: مَعاذَ الله ولكنّي أقول :

عَمَدْتُ بحِلْفي لِلمَعالي ولِلذُرَى ... وَلَمْ تُلْفِني كَالنِّسْيِ في مُلْتَقَى الحَرْبِ

إذا ما حَليفُ الذُلِّ أَقْعى مَكانَهُ ... ودَبَّ كما يَمْشي الكَسيرُ عَلَى العَتْبِ

وَهَصْتُ[1] الحَصَى لا أَرْهَبُ الذُلَّ قائِماً ... إذا أَنا راخَى لي خِناقي بَنو حَرْبِ

فقال له ابنه عمرو الأشدق : اضربْه ، فقال : هذا حليف معاوية ؛ فلمّا لقي سعيد معاوية قال له معاوية : أأمرك أحمقُك أن تَضْرِبَ حليفي ؟! والله لو ضربتَه لضربتُك ، فقال سعيد : اللّهم غَفْراً ، قد ضربتَ حليفك عمرو بن جَبَلة ، فقال معاوية : إنّي آكل لحمي ولا أُوكله ؛ وكان حليفاً لحَرْب .

---

١ ـ وهص : كسر الشيء الرخو ، وشدة الوطء ، والرمي العنيف . القاموس .

المدائني عن أبي اليقظان قال : قدم[١] سَحْبان وائل الباهلي على معاوية فخطب ببابه ، فقال له : يا سَحْبان أنت السحّ[٢] ، فقال :

لَقَدْ عَلِمَ الوَفْدُ العِراقِيُّ أَنَّني إذا قُلْتُ عِنْدَ البابِ أيُّ خطيبِ

المدائني عن عبدالله بن أبي سعيد أنّ معاوية قال لجلسائه : أيّكم ينشد قصيدةً أنصفَ فيها صاحبُها ولم يخفّ لقومه ؟ فلم يأتوا بشيء ، فقال : يا غلام هات تلك الرُقعة ، فقرأ عليهم من قصيدةٍ للمُفَضَّل العَبْدي :

بِكُلِّ قَرارَةٍ منّا ومِنْهُمْ بَنانُ فتىً وجُمْجُمَةٌ فَليقُ
فأشبعنا الضِباعَ وأَشْبَعوها فَراحَتْ كُلُّها تَئِقٌ تَفوقُ
قَتَلْنا الفارس الوَضّاحَ مِنْهُمْ كأَنَّ فُروعَ لِمَّتِهِ العُذوقُ[٣]
وقَدْ قَتَلوا بِهِ مِنّا غُلاماً كَريماً لَمْ تُخَوِّنْهُ العُروقُ
فأَبْكَيْنا نِساءَهُمُ وأَبْكَوْا نِساءً ما يَسوغُ لَهُنَّ ريقُ[٤]

حدثني محمّد بن مُصَفّى الحِمْصي عن بَقِيّة بن الوليد قال : بلغنا أنّ عمرو بن سعيد بن العاص وفد على معاوية بعد موت أبيه فقال له : إلى مَن أوصى بك أبوك ؟ قال : أوصى إليّ ولم يوص بي ، قال : فما كانت وصيتّه ؟ قال : أن أقضي دَيْنَه وألّا يفقد إخوانُهُ منه إلّا وجهه ، فقال معاوية : انّ ابن سعيد هذا لأشدق .

---

١ ـ في هامش الأصل : «وفد» .
٢ ـ السح : الصب والسيلان . القاموس .
٣ ـ العذوق جمع عذق . والعذق : النخلة بحملها والعنقود من العنب .
٤ ـ قصيدة المفضل والتعريف به في الأصمعيات ـ ط . القاهرة ١٩٥٥ ص ٢٣٠ ـ ٢٣٥ .

حدثنا محمّد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزِناد عن أبيه قال : كان ابن سِيحان المُحاربي شاعراً حُلْو اللسان ، وهو على ذلك يقارف الشراب ، وكان نديماً للوليد بن عتبة ، فخرج يوماً سكران ، فدسّ مروان من غلمانه مَن أخذه وكان له عدوّا وللوليد بن عتبة ، فلما رأى الوليد أنّ مروان إنما أراد فضيحته ضربه الحد تحسناً عند الناس بذلك ، فكتب معاوية إليه : من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عُتْبة أما بعد : فالعَجَبُ مِن ضرْبك ابنَ سِيحان فيما تشرب منه ، ما زدتَ على أن أعلمتَ أهل المدينة أنّ شرابك الذي تشربه معه يُوجِب الحد . إذا جاءك كتابي فأَبطل الحدَّ عن ابن سِيحان ، وأَطِفْهُ على حَلَق المسجد ، وأعلمْهم أنّ صاحب شُرَطك ظلمه ، وأنّ أمير المؤمنين قد أبطل ذلك الظلم عنه ؛ أوليس ابن سِيحان الذي يقول :

إنّي آمرؤ أَنْمي إلَى أَفْضَلِ الرُبى ... عَديداً إذا آرْفَضَّتْ عَصا المُتخَلّفِ
إلى نَضَدٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ كَأَنَّهُمْ ... هِضابُ أَجا أَرْكانُها لَمْ تَقَصَّفِ
مَيامينُ يَرْضَوْنَ الكِفايَةَ إِنْ كُفُوا ... ويَكْفونَ ما وُلُّوا بِغَيْرِ تَكلُّفِ
غَطارِفَةٌ ساسوا البلادَ فأَحْسَنوا ... سِياسَتَها حَتَّى أقَرَّتْ لِمُرْدِفِ
فَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ موسِراً يَفْشُ فَضْلُهُ ... ومَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُعْسِراً يَتعَفَّفِ

وأمر له بخمسمائة دينار وإبل وغنم ، وكتب إلى مروان يلومه على ما فعل .

وروى جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال : قال معاوية بن أبي سفيان: مَن أولى الناس بهذا الأمر؟ قالوا: أنت، قال: لا ولكن عليّ بن الحسين ، أمّه ابنة أبي مُرَّة بن عُرْوَة بن مسعود ، وأمّها بنت أبي سفيان ، فيه

شَجاعة بني هاشم ، وحلم بني أمية ، ودهاء ثقيف . كذا روي هذا ، والثبت أنّ غير معاوية قال ذلك .

أبو الحسن المدائني قال : كان عمر بن سعد بن أبي وقاص ولي خراج كورة همذان فبقي عليه مال ، فلما وَلَّى معاويةُ ابن أمّ الحَكَم الكوفة وقدمها أخذ عمر بذلك المال فقال له : إنّه لا سلطان لك عليَّ ، وكان معاوية كتب له كتاباً بأنّه لا سلطان لأحد عليه غيره ، فاجتمعا عند معاوية بَعْدُ وجرى بينهما كلام ، فقال ابن أمّ الحَكَم : أنت الذي ذهبت بمال الله قبلك فقال عمر : اسكتْ ، قال : أنت أحق بالسكوت يا أحمق ، فأنا والله خير منك ، قال : وكيف إنّما تُعْرف بأمّك وتُنْسَب اليها كالبَغل ، يقال له مَن أبوك فيقول أمّي الفرس ، وأنا أُعرَف بأبي وأدْعى له فاسكت يا بن تَمَدُّر، وهي جدّة له سوداء ، فقالت أم الحكم ، وهي من وراء الستر : أيذكر هذا منّي ما يذكر وأنت تسمع ؟! فقال معاوية : مَن شتم الرجال شتموه ، فقال ابن همّام السَلولي في ذلك وسأله حاجةً فلم يقضها :

لَعَمْرُ أَبي تَمَدُّرَ ما بَنوها ... بِمَذْكورينَ إنْ عُدَّ الفَخارُ
فإنْ تَفْخَرْ بأُمِّكَ مِنْ قُرَيْشٍ ... فقَدْ يَنْزو على الفَرَسِ الحِمارُ

وحدثني عمر بن شَبّة عن القَحْذمي قال : استعدى عمر بن سعد معاويةَ على ابن أمّ الحَكَم وتظلّم منه في ولايته الكوفة حتّى تشاتما ، فقال عمر : إنّما كانت أمّ الحَكَم مجنونة فلم يرغب فيها رجال قريش ، فزوجها أبو سفيان أباك ، فنادت أمّ الحَكَم : لا وصلتك يا معاوية رَحِمٌ ، فقال : وما أصنع بك ؟ ابنكِ جنى هذا عليك .

قال هشام بن الكلبي والهيثم بن عديّ : كان سبب عزل معاوية ابن أمّ الحَكَم ، وهو عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي ، أنّه قيل لمعاوية : إنّ ابن أختك خطب في يوم جمعة قاعداً ، وإنّ كَعْب بن عُجرة رآه فقال : ألا ترون هذا الأحمق وما فعل ، والله يقول ﴿آنفضُّوا إلَيْهَا وَتَركُوكَ قائِماً﴾[1] وإنّه اشتدّ في أمر الخراج حتّى قتل ابن صَلوبا ، وكان صاحب شراب يشرب مع سعد بن هَبّار من ولد أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ ، فقال حارثة بن بَدْر الغُداني فيه :

نَهارُهُ في قَضايَا غَيْر عادِلَةٍ ولَيْلُهُ في هَوَى سَعْدِ بنِ هَبّار
لا يَسْمَعُ الناسُ أَصواتاً لهم خَفِيَتْ إلّا دَوِيًّا دَوِيَّ النّحْلِ في الغار
فُيصْبِحُ القَوْمُ أَطْلاحاً أَضَرَّ بِهِمْ سيرُ المَطِيِّ وما كانوا بِسُفّارِ
لا يَرْقُدونَ ولا تُغضي عُيُونُهُمُ لَيْلَ التِمامِ ولَيْلَ المُدْلِجِ الساري

فبلغ الشعر خاله معاوية ، وقدم أبو بُرْدة بن أبي موسى الأَشعَري على معاوية فقال له : أَيشرب عبد الرحمن ؟ قال : لا ، قال : أَفيسمع الغناء ؟ قال : لا ، قال : فما تنقمون عليه ؟ قال : إنكارُهُ بَيْعَةَ يزيد ابن أمير المؤمنين، وظنّه أنّ الفيء له وأنّه أحقّ به، قال معاوية : فما نصنع بأبيات ابن هَمّام[2] ؟ قال : كذب عليه ، قال : أنشدْني إيّاها إنْ كنتَ ترويها ، فأنشده فقال معاوية : شربها والله الخبيث ، وعزله وولّى النُعمان بن بَشير الأنصاري الكوفة .

---

١ ـ سورة الجمعة ـ الآية : ١١ .
٢ ـ وكذا والأصوب «فما نصنع بأبيات حارثة بن بدر» .

وقالَ الهيثم : قدم الفرزدق متعرّضا لمعروف ابن أمّ الحَكَم فشرب مع بعض الكوفيّين فأخذه صاحب العَسَس ، فقالوا لابن أمّ الحَكَم : إن الفرزدق في حبسك ، فأمر بإطلاقه وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فقال :

فداكَ مِنَ الأَقْوامِ كُلُّ مُزَنّدٍ قَصيرِ يَدِ السِربالِ مُسْتَرِقِ الشِبْرِ
فأَنْتَ ابنُ بَطْحاوَيْ قُرَيْشٍ وإنْ تَشأْ تَكُنْ مِنْ ثَقيفٍ في أُرومَتِها الكُبْرِ
وأَنْتَ آبْنُ سَوّارِ اليَدَيْنِ إلى العُلَى تَلَقَّتْ بِك الشَمْسُ المُنيرةُ لِلْبَدْرِ(١)

فقيل له : فضّلت أمّه على أبيه ، فقال : إنّها بنت قريع البطحاء أبي سفيان ، و[هو] ابن اخت أمير المؤمنين .

ومدح الفرزدق ابن أمّ الحَكَم فقال :

إلَيْكَ آبْنَ عَبْدِالله حَمَّلْتُ حاجَتي عَلَى صُبُرِ الأخفاف خوصِ المَدامِعِ
نواعِجَ كُلِّفْنَ الذَميلَ فَلَمْ تزَلْ مُقَلِّصَةٍ أَبْصارُها كَالشَراجِعِ
وما ساقَها من خَلَّةٍ أَجْحَفَتْ بها إلَيْكَ ولا مِنْ قِلَّةٍ في مُجاشِعِ
ولكّنها آختارَتْ بِلادَكَ رَغْبَةً عَلَى مَنْ سِواها مِنْ ثَنايا المَطالِعِ(٢)

المدائني قال : خطبت أمّ الحَكَم إلى معاوية ابنته على ابنها فأبى تزويجه فقالت : قد زوّج أبوك أباه ، وأنا خير من ابنتك ، وهو خير من أبيه ، فقال : أنّ أبا سفيان كان سُوقَةً ونحن اليوم ملوك ، وكان أبو سفيان يُحبّ الزبيب والزبيب عندنا كثير ، فقال ابن أمّ الحَكَم : إنّ عليّاً زوّج ابنته ابن أُخته ، فقال معاوية : إنّ عليّا زوّج قرشيّاً وأنت ثَقفي .

---

١ ـ ديون الفرزدق ج ١ ص ١٩٨ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ .

قالوا : وكانت لابن الزَّبير الأَسدي[1] منزلة من ابن أمّ الحَكَم ، فقتل قومٌ من بني أَسَد رجلاً من بني عمّ ابن الزَّبير ، فخرج ابنُ أمّ الحَكَم وافداً إلى معاوية وابن الزَبير معه ، وكان مع ابنِ أمّ الحَكَم قوم من بني أَسَد ، فكلَّموه في فَتْكة الرجل ، فكلّم ابن أمّ الحَكَم ابن الزَّبير في أن يقبل دِيَتَيْن فأبى ، فغضب عليه ابن أمّ الحَكَم وردَّه عن الوفد وتوعّده ، فاستجار بيزيد بن معاوية ، وكان يزيد يتنقّص ابنَ أمّ الحَكَم ، فقال ابن الزبير :

أَبْلِغْ يَزيدَ آبْنَ الخَلِيفَةِ أَنَّني ... لَقِيتُ مِنَ الظُلْم الأَغَرّ المُحجّلا
بِأَنَّ ابْنَ عُودٍ قَدْ أَناخَ مَطِيَّتي ... بِجَوٍّ[2] لَقَدْ أُثْويتُ مَثْوًى مُضَلَّلا
وقالَ تَعَلَّمْ أَنَّ رَحْلَكَ ماكِثٌ ... بِجَوٍّ ونادَى وَفْدَهُ فَتَرَحَّلا
فلا هُوَ أعْطَى الحَقَّ حينَ سَأَلْتُهُ ... ولا هُوَ إِذْ رَسَّ العَداوَةَ أَجْمَلا
فلَوْلا أَميرُ المُؤمِنِينَ ودَفْعُهُ ... وَراءَكَ كُنْتَ العاجِزَ المُتَذَلِّلا
عِياذاً أميرَ المؤمِنينَ فلا أكُنْ ودَفْعُهُ ... طَريدَ ابْنِ عُودٍ أَوْ أَسيراً مُكَبَّلا

وكان عبد الله أبو ابن أمّ الحَكَم دخل بستاناً فأفسد فيه فليم على ذلك ومُنِع من البستان ، فقال : آجعلوني كعُودٍ من عيدان البستان . وقال ابن الكلبي : وكان قد كتب في هَدْم داره وحَبْس أهله فقال :

أَلَسْتَ بِبَغْلٍ أُمُّهُ عَرَبِيَّةٌ ... أَبوهُ حِمارٌ أَدْبَرُ الظَهْرِ يُنْخَسُ
أَتاني من أهلي كتابٌ بأَنَّنا ... حُبِسْنا وَلَمْ يُتْرَكْ مِنَ المالِ مُنْفِسُ
وأَنَّ بِناءَ الدارِ فُضَّ فَأَصْبَحَتْ ... أَماليسَ ما فيها لِضَيْفٍ مُعَرَّسُ

---

١ ـ في هامش الأصل : الزبير ـ بفتح الزاي ـ هذا شاعر مشهور .
٢ ـ جو : هي الطائف .

فلِلّهِ عَينا مَنْ رَأى مِن مُسَيَّرٍ كأسْماءَ إذْ تَمْشي قَليلاً وتَجْلِسُ
دَعَتْ دَعْوَةً إذْ عَضَّ كَلْبُكَ ساقَها ومِنْ دونها مُسْتَنَّةُ الآل بَسْبَسُ
فلو كان أزْمَانَ الطِعانِ تَركْتَها ذَمِياً وقَدْ مارَتْ دِماءٌ وأنْفُسُ
وَصَدّك عَنْها مِنْ خُزَيْمَةَ أُسْرةٌ يَقودُهُمُ ذو نَخْوَةٍ مُتَغَطْرِسُ
تصاغَرْتَ إذْ جِئْتَ ابْنَ حَرْبٍ ورَهْطَهُ وفي أَرْضِنا أَنْتَ الهُمامُ القَلَمَّسُ
فَهَلْ يَعْمُرَنَّ الأرْضَ رَدُّكَ رِحْلَتي وأَسْماءُ مَحْروساً عَلَيْها المُخَيَّسُ

فقالت أمّ الحَكَم لمعاوية: أَما تسمع هذا الشاعر يشتمني ويهجوني؟ فقال معاوية : ما شتمكِ ولا هجاكِ ولكنّه مدحك .

وقال ابن الزَّبير :

ألا إنَّ ذُلّاً أَنْ أُقيمَ بِبَلْدةٍ مُـؤَمَّـرةٌ فيهـا عَلَـيَّ ثَقـيفُ
فأَبْلِغْ بَني دودانَ أَنّ أَخـاهُمُ رَهينٌ بأَرْطالِ الحَديدِ رَسوفُ
يَرُدُّ عَلَيْهِ الهَمَّ بابٌ مُضَبَّبٌ وَذو طَنَفٍ دُونَ السَماءِ مُنيفُ

الطَنَف الإفريز ببعض الحائط ويُرْوى «وأجرد من دون» يعني الحائط .

وذو بُرْدَةٍ [. . .] له عَجْرَفيَّةٌ عَنيفٌ وبَوَّابُ السُجونِ عَنيفُ

المدائني قال : هجا ابنُ الزَّبير ابن أُمِّ الحَكَم ، فقال له معاوية : ما دعاك إلى هِجاء ابن أختي ؟ قال : إنّه هدم داري ، قال : فأنا كنت أبنيها ، قال : وأين كنتُ يومئذ منك ؟ فآبْنِها الآن وأنا أكفّ عنه ، فقال : ومَن يعلم أنّه هدمها ؟ قال : عبد الله بن عامر . فسأل عبد الله فقال : ما أدري ولكّني أعطيته أربعين الف درهم فاشترى بها ساجاً .

وقال ابن الزَّبير أيضاً .

ألا أَبْلِغْ مُعاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ فَقَـد خَـرِبَ السوادُ فلا سَوادَا
وإِنَّ جِبالَنا خَـرِبَتْ وبادَتْ فقَـد تُركَـتْ لِحالِبِها جَمـادا
فَهَـلْ لَكَ أَنْ تَدارِكَ ما لَدَيْنا وتَرْفَـعَ عَنْ رَعيَّتِـكَ الفســادا
فـإِنَّ أَمينَكُـمْ لا الله يَخْشَى ولا يَنْـوي لأُمَّتِكُـمْ سـدَادا
إِذا ما قُلْتَ أَقصَرَ عَنْ هَواهُ تَمـادَى فـي ضَـلالَتِـهِ وزادا

وقال المدائني : نازع مروانُ ابنَ عامر ، فقال عبد الرحمن ابن أمّ الحَكَم : أَما تجدُ ريحَ الفَرْث من هذا ؟ فقال ابن عامر ؛ أَمِنّي تجد ريح الفَرْث ؟ أما إنّي لو شئت أن أختنك على الصَفاة التي ختنتُ عليها أخاك لفعلتُ ؛ فغلبه ابن عامر .

حدثني الرفاعي عن عمّه عن ابن عَيّاش الهَمْداني قال : قدم وفد أهل الكوفة على معاوية يشكون ابن أمّ الحَكَم إليه وزعيمهم هانىء بن عُرْوة ، فقال : عليكم لعنة الله من أهل بلدٍ لا ترضون عن أميرٍ ، فقال أبو بُرْدة : قد سمعتم وأنا أعزِله لكم ، فدخلوا على يزيد ، فقال هانىء : ما ننقم على عبد الرحمن أن لا نكون أَحْظَى أهلِ المِصْر عنده ، ولكنا غضبنا لك ، وذلك أنّه أُتي بجام من مها ـ أيْ بِلَّورٍ ـ فقال : آرفعوها حتّى نُهْديها إلى يزيد يشرب فيها الخمر بماء بَرَدى ، فقال يزيد : ومَن سمع ذلك ؟ قال أبو بُرْدة : أنا ، وقال غيره : أنا ، فقام يزيد فدخل إلى معاوية فأخبره بقولهم ، فقال هذا أمر مصنوع ، فالله الله في ابن عمتّك ، فقال : ما شاء فليكن ، أَليس قد سمع به الناس ؟ فعزل ابن أمّ الحَكَم وولّى النُعْمان بن بَشير الأنصاري .

وحدثني الرِفاعي عن عمّه عن ابن عَيّاش قال : ولّى معاوية ابن أمّ الحَكَم مِصْر فقال له معاوية بن حُدَيْج الكِنْدي : يا بن أخي انّما بعث بك

أهلك ليفكّهوك بها . آلحقْ بأهلك ؛ ثمّ إنّ ابن حُدَيْج قدم على معاوية فقالت له أمّ الحَكَم : يا أمير المؤمنين دَعْني اكلّمه قال : لا تفعلي ، قالت : بالقَرابة لما فعَلتَ ، قال : فأَنتِ وذاكَ ، فقالت : يا بن حُدَيْج ، لا جزاكَ الله خيراً عن واحدي ، قال ابن حُدَيْج : مَن هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : أمّ الحَكَم بنت أبي سفيان ، قال : آسكتي أيّتها الوَرْهاءُ[1] ، فقد تزوّجتِ فما استكرمتِ ، وولدت فما أنجبت ، فقال معاوية : قد والله نهيتُها فأبت .

محمّد عن الواقدي عن ابن أبي الزِناد أنّ خارجة بن زيد بن ثابت حدّثه أنّ أباه كتب إلى معاوية في آخر كتابه : والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومَغْفِرته .

حدثني محمّد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أمّ بكر بنت المِسْوَر عن أبيها قال : كتب معاوية إلى مروان وهو على المدينة أن يخطب أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ، وأمّها زَيْنَب بنت عليّ . وأمّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، على ابنه يزيد ويقضي عن عبد الله دَيْنه ، وكان خمسين ألف دينار ، ويُعطيه عشرة آلاف دينار ، ويُصْدقها أربعمائة ويُكرمها بعشرة آلاف دينار ، فبعث مروان إلى ابن جعفر فأخبره فقال : نعم واستثنى رضاءَ الحسين بن عليّ ، فأتى الحسين فقال له : إنّ الخال والدٌ وأمْرُ هذه الجارية بيدك ، فأشهد عليه الحسين بذلك ، ثمّ قال للجارية : يا بنيّة إنّا لم نُخْرِجْ منّا غريبة قطّ ، أَفأمركِ بِيَدي ؟ قالت : نعم ؛ فأخذ بيد القاسم بن محمّد بن جعفر بن أبي طالب فأدخله المسجد ، وبنو هاشم وبنو أميّة وغيرهم

---

١ ـ ورهاء هنا : حمقاء . القاموس .

مجتمعون ، فحمد مروان الله وأثنى عليه ثمّ قال : انّ أمير المؤمنين قد أحبَّ أن يزيد القرابة لُطْفاً والحقّ عظماً ، وأن يتلافى ما كان بين هذَيْن الحيَّيْن بصِهْرهما ، وعائدة فضله وإحسانه على بني عمّه من بني هاشم ، وقد كان من عبد الله في ابنته ما يحسن فيه رأيه ، وولّى أمرها الحسين خالها ، وليس عند الحسين خلاف أمير المؤمنين ؛ فتكلَّم الحسين فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : انّ الإسلام دفع الخسيسةَ وتمّم النقيصة وأذهب اللائمة ، فلا لومَ على مسلم إلّا في أمر مَأْثَم ؛ وإنّ القرابةَ التي عظّم الله حقّها وأمر برعايَتها ، وأن يَسأَلَ نبيُّهُ الأجْرَ لَهُ بالمودّة لأهلها قرابتُنا أهلَ البيت[١] ، وقد بدا لي أن أزوِّجَ هذه الجاريةَ مَن هو أقرب نسباً وألطف سبباً ، وهو هذا الغلام ، وقد جعلتُ مَهْرها عنه البُغَيْبِغة[٢] ؛ فغضب مروان وقال : غَدْراً يا بني هاشم ؟! ثمّ قال لعبد الله بن جعفر : ما هذا بِمُشبِهٍ أيادي أمير المؤمنين عندك ، فقال عبد الله : قد أخبرتك أنّي جعلت إمرها إلى خالها فقال الحسين : رُوَيْدَك ، ألا تعلم يا مِسْوَر بن مخرمة أنّ حسين بن عليّ خطب عائشة بنت عثمان ، حتّى إذا كنّا في مثل هذا المجلس ، وقد أشفينا على الفراغ ، وقد ولَّوْكَ يا مروان أمرها قلتَ : قد رأيت أن أزوّجها عبد الله بن الزبير ؟ قال مروان : قد كان ذلك ، قال الحسين : فأنتم أوّل الغَدْر وموضعه ، ثمّ نهض فقال مروان للمِسْوَر : يا أبا عبد الرحمن والله لغيظي على عبد الله بن جعفر أشدّ من غَيْظي على الحسين ، لرأي أمير المؤمنين فيه وأياديه عنده ، ولأنّ الحسين وَغْرُ

---

١ ـ اشارة إلى قوله تعالى في سورة الشورى ـ الآية : ٢٣ ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾ .

٢ ـ هي عين كثيرة النخل ، غزيرة الماء ، وقيل هي قرية بالمدينة . المغانم المطابة .

الصدر علينا وعبد الله سليم الصدر لأمير المؤمنين لصنائعه عنده ، فقال المِسْوَر : لا تحمل على القوم ، فالذي صنعوا أفضل ، وصلوا رحماً ووضعوا كريمتهم حيث أرادوا ، فأمسك مروان[1] .

قال : وحدثني عبد الحميد بن حبيب عن أشياخه قالوا : لمّا أخذ معاوية البيعة ليزيد على أهل الحجاز وقدم الشام قال له : يا بُنَيَّ إنّي قد وطأتُ لك الأمور وأخضعت لك أعناق العرب ، ولم يبق الّا هؤلاء النفر وهم حسين بن عليّ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير ، ولست أتخوّف أن ينازعك في هذا الأمر غيرهم ، فأمّا حسين فإنّ له رحماً ماسّة وحقاً عظيماً وقَرابة بالنبيّ ﷺ ، ولا أظنّ أهلَ العراق تاركيه حتّى يُخرجوه عليك ، فإن قدرتَ عليه فآصفح عنه ، فلو أنّي الذي إليَّ أمره لعَفوتُ عنه ، وأمّا ابن عمر فرجل قد وقذته العِبادة وقراءةُ القرآن وتخلّى من الدنيا ، ولا أظنّه يرى قتالك على هذا الأمر ، ولا يريده ما لم يأتِه عفواً ، وأمّا عبد الرحمن فشيخ عَشَمة هامةُ اليوم أو غدٍ وهو مشغول عنك بالنساء ، وأمّا الذي يَجثِم لك جُثومَ الأسد ويُراوغك مراوغةَ الثعلب فإن أمكنته فُرصة وثب ، فهو عبدالله بن الزبير ، فإذا فعلها واستمكنت منه فلا تُبْقِ عليه ، قَطِّعْه إِرْباً إِرْباً إلّا أنْ يلتمس منك صُلْحاً ، فإن فعل فآقبَلْ منه ، وآحقُنْ دماء قومك ما استطعت . ولم يمكثْ إلّا يسيراً حتّى أتاه موت عبد الرحمن بن أبي بكر فدعا يزيد فبشّره بذلك .

---

١ ـ بهامش الأصل : يتوله في الأصل الثالث بعد قوله فأمسك مروان : «حدثني محمد بن سعد عن الواقدي أن ابن عباس» .

وحدثني حَفْص بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن عَوانة قال : قال معاوية لابنه في وصيّته : يا بُنَيَّ إنّي قد وطأت لك الأشياء ، وأذللت لك الأعداء ، وأخضعت أعناق الناس ببيعتك ، فانظرْ أهلَ مكّة والمدينة فأكرمْهم ، فإنّهم أصلك ومنصبك : مَن ورد عليك منهم فأكرْمه ، ومَن لم يأتك فابعثْ إليه بصلته ، وانظرْ أهل العراق فإنّهم أهلُ طعنٍ على الأمراء ومَلالةٍ لهم ، فإن يسألوك أن تبدل لهم كلَّ يوم عاملاً فافعلْ ، وانظرْ أهل الشام فليكونوا بطانتك وعَيبتك وحصنك ، فمن رابك أمره فارمِه بهم ، فإذا فرغوا فأقفلْهم إليك فإني لا آمن الناس على إفسادهم وقد كفاك الله عبد الرحمن بن أبي بكر ، فلست أخافُ عليك إلّا : حسيناً ، وابنَ عمر ، وابن الزبير، فأمّا حسين فلست أشكّ في وثوبه عليك، فسيكفيكه مَن قتل أباه وجرح أخاه ، إنّ آل أبي طالب قد مدّوا أعناقهم إلى غايةٍ أبت العرب أن تُعطيهم المَقادةَ فيها ، وهم محدودون ، وأمّا ابن عمر فقد وقذه الإسلام وشغله عن منازعتك ، وأمّا ابن الزبير فخبٌّ خَدِعٌ فإذا شخص إليك فالبدْ له فإنّه ينفسخ على المطاولة .

حدثنا هشام بن عَمّار حدثنا عيسى بن يونس عن ابن جُرَيْج عن ابن أبي مُلَيْكة قال : توفّي عبد الرحمن بن أبي بكر بحُبْشيّ ـ وهو على اثني عشر ميلاً من مكّة ـ فحُمل ودُفن بمكّة ، فلمّا قدمت عائشة مكّة من المدينة أتتْ قبره فقالت :

وكُنّا كَنَدْمانَيْ جَذيمَـةَ حِقْبَةً مِنَ الدَهْرِ حَتَّى قيلَ لَن يَتَصَدّعا

قالوا : وتُوفّيت عائشة سنة ثمان وخمسين . وروى بعضهم أنّ عبد الرحمن كان باقياً حتىّ مات معاوية ، وذلك باطل .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة وغيره قالوا : لمّا حضرت معاوية الوفاةُ وذلك في سنة ستّين كان يزيد غائباً ، فدعا معاويةُ الضَحّاكَ بنَ قيس الفِهْري ، وكان على شُرَطه ، ومسلم بن عُقْبة بن رياح بن أسْعَد المُرّي ، فأوصى إليهما فقال : بلّغا يزيد وصيّتي ، وكتب فيها : يا بُنيَّ انظرْ أهل الحجاز فإنهم أصلك فأكرمْ من قدم عليك منهم ، وتَعهّدْ من غاب عنك من وجوههم ، وانظرْ أهل العراق وإن سألوك أن تعزل عنهم في كلّ يوم عاملاً فافعلْ ، فإنّ عَزْل عاملٍ أهون عليك من أن تُشْهَر عليك مائة ألف سيف ، وانظرْ أهل الشام فإنّهم بِطانتك وعَيْبتك فإذا رابك من عدوّ شيءٌ فانتصرْ بهم ثمّ ردّهم إلى بلادهم فإن هم أقاموا في غيرها فسدت أخلاقهم .

حدثني هشام بن عَمّار عن الوليد بن مسلم وغيره قال : جامع معاوية جارية له خراسانيّة ثم حُمّ من يومه فمات من مرضه ذلك .

حدثني هشام بن عَمّار قال : مات معاوية وعامله على مِصْر مَسْلَمة بن مُخَلَّد الأنصاري ، وقد كان ولّى ابن أمّ الحَكَم مِصْر بعد الكوفة .

وحدثني محمّد بن مُصَفّى عن بَقيّة عن الزُبَيْدي عن الزُهْري قال : أعطى رسول الله ﷺ رجلاً فشكر وأثنى ، فقال : «لكنّ أبا سفيان أُعْطي فلم يُثْن ولم يشكر» ، فبلغَ ذلك معاويةَ فقال : إنّ أبي يرى له حقاً على الكرام .

قالوا : وولّى معاوية رَوْح بن زنْباع الجُذامي عملاً ، فرجم رجلاً وامرأة فقال الشاعر :

إنّ الجُذاميَّ رَوْحاً في إقامَتِهِ حَدَّ الإلهِ لَمَعْذورٌ وَإنْ عَجِلا

فبلغ معاويةَ هذا البيت فقال : أولى الأمور بالتعجيل أُداء حقوق الله .

وحدثني هشام بن عَمّار قال : بلغنا أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه لمّا أتى الشام رأى معاويةَ في موكبٍ يغدو ويروحُ فيه ، فقال له : يا معاوية تروح في موكبٍ وتغدو في مثله ، وبلغني أنّك تُصْبحُ في منزلك وذوو الحاجات ببابك؛ فقال : يا أمير المؤمنين إنّا بأرضٍ عدوُّنا قريبٌ منها ، وله علينا عيون ذاكية ، فأردت أن يروا للإسلام عِزّاً ، فقال عمر : انّ هذا لَكَيْد لبيبٍ أو خُدْعة أريبٍ ، فقال معاوية : يا أمير المؤمنين فأمرْني بما شئتَ أنتهِ إليه ، قال : ويحك ما ناظرتُك في أمر أعتبُ فيه عليك إلاّ تركتَني منه في أضيق سُبلي حتّى ما أدري أآمرك أم أنهاك .

وقال هشام والمدائني : كان عمر يرى معاوية فيقول : هذا كسْرى العرب .

وحدثني محمّد بن مُصَفًّى الحِمْصي عن أشياخهم أنّ معاوية بنى الخَضْراءَ بدمشق من لبن وطين ، فقدم عليه وفد صاحب الروم فقال لهم : كيف ترون بِنائي هذا ؟ قالوا : ما أحسنه إلاّ أنّك تبنيه لنفسك وللعصافير ، يريدون أن العصافير تحفِره وتنقُره ، ولم تبنِه ليبقى لمن بعدك ، فهدمها وبناها بالحجارة .

المدائني قال : شخص سليمان بن قَتَّة مولى بني تَيْم[1] إلى سعيد بن عثمان فلم يصلْه ، فقيل له : إنّه يهجوك فقال : أَوَيهجوني وأنا ابن عثمان بن

---

١ - بهامش الأصل «تميم» .

عَفّان ؟! فبلغ ابن قَتَّة قولُهُ فقال : صدق والناس كلّهم بنو آدم ، فمنهم ذهب ومنهم فضّة ومنهم نحاس فسعيد فَلْسُ بني عثمان ؛ وقال :

سَأَلْتُ قُرَيْشاً عَنْ سَعيدٍ فأَجْمَعوا عَلَيْهِ وقالوا مَعْدِنُ اللُؤْمِ والبُخْلِ
فقُلْتُ لِنَفْسي حينَ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ بَخيلٌ ألا لَيْسَ ابْنُ عُثْمانَ منْ شَكْلي
فكَمْ مِنْ فَتىً كَزِّ اليَدَيْنِ مُذَمَّمٍ وكان أَبوهُ عِصْمَةَ الناسِ في المَحْلِ
فأَجْمَعْتُ يَأْساً حينَ أَيْقَنْتُ أنَّه بَخيلٌ وقد أَلْقَى عَلى غارِبي رَحْلي[1]
فَوَجَّهْتُ عَنْساً نَحْوَ عمروٍ فأَسْرَعَتْ مُواشِكَةً تَهْوي مُواشَكَةَ الفَحْلِ
إلى ماجِدِ الجَدَّيْنِ سَبْطٍ بَنانُهُ إذا سُئلَ المَعْروفَ يَهْتَزُّ كَالنَصْلِ

يعني عمرو بن سعيد بن العاص ؛ فشكا سعيد حين قدم على معاوية ابنَ قَتَّة ، فقال له : كان ينبغي لك أن تفتدي منه عِرْضك ، وأعطاه عمرو بن سعيد ألف دينار وجارية فقال :

ودونَ سَعيدٍ إنْ أَرادَ ظُلامَتي أَغَرُّ كَريمُ الوالِدَيْنِ نَجيبُ
سَيَمْنَعُني مِنْ خُطَّةِ الضَيْمِ سَيْفُهُ وَرَأْيٌ إذا حارَ الرجالُ صَليبُ

فأعطاه سعيد بن عثمان ألفاً وجارية فقال :

لَقَدْ نالَني سَيْبُ ابْنِ عثمانَ بَعْدَ ما يَئِسْتُ وكانَ المَرْءُ تُرْجَى فَضائُلهْ
فجادَ كما جادَ السَحابُ ولَمْ يَكُنْ بكيئاً ولكِنْ غَرَّقتنا نَوافِلُهْ
وإنْ عادَ عُدْنا لِلَذي هُوَ أَهْلُهُ وأَحْظَى عِبادِ الله بالخير فاعِلُهْ

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه وشَرقي بن القُطامي قالا : ولي معاوية الشام لعمر وعثمان ، فأتاه وهو بالشام بَحْدَل بن

١ ـ كتب فوقها بالأصل : «حبلي» .

أُنَيْف بن دُلْجة من وَلَدِ حارثةَ بن جَناب الكَلْبي بابن أخٍ له قد قتل أخاه ، وكان ابنا أخيه هذان خطبا مَيْسون بنت بَحْدَل جميعاً فَزوّج المقتول ، فإنَّ رأسه لفي حِجْرها وهي تَفْليه إذ دخل عليه أخوه بصخرة فَلَقَ بها رأسه ، فلمّا أتى معاوية قال له : إنْ شئت قتلتُه لك فذهب ابنا أخيك جميعاً ، وإن شئتَ فالدِيَة ، فقبل الدِيَة .

ووجّه معاوية بعد ذلك رسولاً إلى بهدل بن حسّان بن عَديّ بن جَبَلة بن سَلامة بن عُلَيْم بن جَناب الكلبي ليخطب عليه ابنته ، وكانت بكراً ، فغلط فمضى إلى بَحْدَل بن أُنَيْف فخطب ابنته ، فزوّجه ميسون ، فقال عَمْرو الزُهري من كَلْب يهْجو حسّان بن مالك بن بَحْدَل :

إذا ما انْتَمى حَسّانُ يَوْماً فَقُلْ لَهُ ... بمَيْسون نِلْتَ المَجْدَ لا بِابْنِ بَحْدَلِ
بخُمْصانَةٍ رَيَّا العِظامِ كَأَنَّها ... مِنَ الوَحْشِ مَكْحول المَدامِعِ عَيْطَلِ
ولَوْلا ابْنُ مَيْسونٍ لَما ظَلْتَ عامِلاً ... تَخَمَّطُ أَبْناءَ الأكارِمِ مِن عَلِ
وما كانَ يَرْجو مالِكٌ أَنْ يَرى ابْنَهُ ... عَلَى مِنْبَرٍ يَقْضِي القضاءَ بِفَيْصَلِ
أَلا بَهْدَلاً كانوا أَرادوا فضُلِّلَتْ ... إلى بَحْدَلٍ نَفْسُ الرَسولِ المُضَلَّلِ
فشَتّانَ إنْ قايَسْتَ بَيْنَ ابْنِ بَحْدَلٍ ... وبَيْنَ ابْن ذي الشَّرْطِ الأَغَرِ المُحَجَّلِ

وكان لعَديّ بن جَبَلة بن سَلامة شرط في قومه : لا يدفنوا ميّتاً حتّى يكون هو الذي يخطّ له موضع قبره ، وفيه يقول طُعْمَة بن مَدْفَع الكلبي :

عَشِيَّةَ لا يَرْجو امْرُؤ دَفْنَ أُمِّهِ ... إذا هِيَ ماتَتْ أَوْ يَخُطَّ لَها قَبْرا

وقال المدائني : طلّق معاوية مَيْسون وهي حامل ، وكان زوجها الذي قُتل عنها زامِل بن عبد الأعلى فرماه بعض الأعراب ؛ ولم يقلْ شيئاً ، والصحيح أنّ الذي قتله أخوه .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي السائب قال : كان رأس معاوية كبيراً فقال أبو سفيان : والله ليسودَنَّ ابني هذا قريشاً ، فقالت هِنْد : إنّي لأرجو أن يسود العرب قاطِبَةً .

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عَوانة قال : بلغ معاويةَ وهو مريض أنّ قريشاً ببابه تتباشر بموته ، فلمّا دخلوا عليه دَعْوا له ، فقال : أتتباشرون بموتي إذا خلوتم وتدعون لي إذا حضرتم ؟! فانتفوا من ذلك واعتذروا ، فقبل منهم ، وقال :

وهَلْ مِنْ خالِدٍ إمّا هَلَكْنا وهَلْ في المَوْتِ يا لَلنّاس عارُ

حدثني هشام بن عَمّار قال : أُغمي على معاوية في مرضه ثمّ فتح عينَيْه فقال : اتّقوا الله فإنّ مَن اتّقاه وقاه ، ولا وقاء لَمن لم يتّقِ الله .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي السائب قال : لمّا احتُضر معاوية رضي الله تعالى عنه قال :

إنْ تُناقِشْ يَكُنْ نِقاشُك يا رَ بِّ عَذاباً لا طَوْقَ لي بِالعَذابِ
أو تَجاوَزْ فأنْتَ رَبٌّ غفورُ عَنْ مُسيءٍ ذُنوبُهُ كالتُّرابِ

حدثني أبو مسعود الكوفي عن أبي عَوانة قال : لما حَضرت معاويةَ الوفاةُ وضع رأسه في حجرْ رَمْلَة ابنته ، فجعلت تُقَلّبه فقال : انّكِ لتقلبينّه حُوَّلا قُلَّباً ، ثمّ تمثّل قول الشاعر :

لا يَبْعَدَنَّ ربيعَةُ بْنُ مُكَدَّمٍ وسَقَى الغَوادي قَبْرَهُ بِذَنوبِ

وقال المدائني ، قال معاوية لابنتَيْه وهما تقلّبانه في مرضه : قَلّباه حُوَّلا قُلَّباً ، جمع المال مِنْ شُبَّ إلى دُبَّ ، فَلَيْتَه لا يدخل النار ، ثمّ تمثّل :

لَقَدْ سَعَيْتُ لَكُمْ سَعْيَ امْرِىءٍ نَصِبٍ وقَدْ كَفَيْتُكُمُ التَطْوافَ وَالرِّحَلا

المدائني عن بِشْر بن موسى وأبي ظبية الحِمّاني قالا : أُغمي على معاوية في مرضه الذي مات فيه فقالت رَمْلة ابنته ، أو امرأة من أهله ، متمثّلةً بشعر الأَشْهَب بن رُمَيْلة :

إذا مُتَّ مات الجودُ وانقَطَعَ النَدَى مِنَ النّاس ألّا مِنْ قَليلٍ مُصَرَّدِ[1]
ورُدَّتْ أَكُفُّ السائلينَ وأَمْسكوا مِنَ الدينِ والدُنيا بِخِلْفٍ مُجَدّدِ

ثم أفاق وأُغمي عليه فأنشدت :

لو دامَ شيءٌ لها لَدامَ أبو حَيّانَ لا عاجـزٌ ولا وَكَلُ
الحُوَّلُ القُلَّبُ الأَريبُ وهَلْ يَـدْفَـعُ زَوَّ[2] المَنِيَّـةِ الحِيَـلُ

ويقال إنّ معاوية أفاق فأنشد البيتَيْن . وكان معاوية ينشد :

وهَلْ مِنْ خالِدٍ إمّا هَلَكْنا وهَلْ في المَوْتِ يا لَلنّاسِ عارُ

وحُدّثت عن هشام بن عَمّار عن الوليد بن مسلم أنّه قال : جعل معاوية يَهْذي في مرضه ويقول : كم بيننا وبين الغوطة ؟ فقالت ابنته : واحَرْباه ، فأفاق وقال :

إنْ تَنْفِري فقَدْ رأَيْتِ مَنْفَرا

المدائني عن عليّ بن مُجاهد عن عبد الأعْلى بن ميمون عن أبيه أنّ معاوية قال في مرضه الذي مات فيه : إنّ رسول الله ﷺ كساني قميصاً فرفعتُه ، وقلّم أظفاره فأخذت قُلامتَها فجعلتُها في قارورةٍ ، فإذا مُتُّ فألبسوني القميص ، واسحقوا تلك القُلامة وذرّوها في عَيْنيَّ ، واجعلوا القميصَ بين جِلْدي وكَفَني فعسى ، ثم تمثّل :

---

١ ـ الصرد : الخالص من كل شيء . القاموس .
٢ ـ الزو : القرينان ، وكل زوج . القاموس .

إذا مُتُّ ماتَ الجودُ وٱنْقَطَعَ النَدَى ... مِنَ الناسِ إلاّ مِنْ قَليلٍ مُصَرّدِ
ورُدَّتْ أَكُفُّ السائلينَ وأَمْسكوا ... مِنَ الدينِ والدُنْيا بِخِلْفٍ مُجَدَّدِ

فقالت رَمْلة أو بعض أهله : بل يدفع الله عنك ، فقال :

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ

وحدثني هشام بن عمّار عن عبد الحميد بن حبيب عن الأَوْزاعي عن عبد الأعلى بن ميمون بن مِهْران عن أبيه أنّ معاوية قال في مرضه الذي مات فيه : كنت أُوَضّيءُ رسول الله ﷺ فقال لي : «ألا أكسوك قميصاً» ؟ قلْتُ : بلى بأبي أنت وأمّي ، فنزع قميصاً كان عليه فكسانيه ، وقَلّم أظفاره فأخذت قُلامتها ، فإذا متّ فألْبسوني القميص ، وخذوا القُلامة فٱجعلوها في عَيْنيَّ ، فعسى الله .

المدائني عن محمّد بن الحَكَم عن أبيه أنّ معاوية أمر برَدّ نصفِ ماله إلى بيت المال كأنّه أراد أن يطيبَ له الباقي ، وقال : إنّ عمر بن الخطّاب قاسم عُمّاله .

المدائني عن أبي زكريا العَجْلاني قال : دخل عمرو بن سعيد الأشدق على معاوية وهو ثقيل ، فقال : كيف أصبحتَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : أصبحتُ صالحاً ، قال : لقد أصبحتْ عينك غائرةً ولونك كاسفاً وأنفك ذابلاً ، فٱعهد أيّها الرجل ولا تخدعْ نفسك ، فتمثّل معاوية :

وهَلْ مِنْ خالِدٍ إمّا هَلَكْنا ... وهَلْ في المَوْتِ يا للَناسِ عارُ

فلمّا خرج قال له قائل : ما كنت أُحبّ لك أن تُسمعه هذا الكلام ، فقال عمرو : والله ما أحبّ أنه سبقني بنفسه ولم أُسمعْه ما أسمعتُه من هذا الكلام .

المدائني عن إسحاق بن أيّوب عن خالد بن عَجْلان قال : ثقل معاوية ويزيد بُحّوارين[١] ، فأتاه الرسول بخبره ، فجاء وقد دُفن معاوية ، فلم يدخلْ منزله حتّى أتى قبره ، فترحّم عليه ودعا له ثمّ انصرف إلى منزله وقال :

جاءَ البَريدُ بِقِرْطاسٍ يَخُبُّ بِهِ فأَوْجَسَ القَلْبُ مِن قِرْطاسِهِ فَزِعا
قُلْنا لَكَ الوَيْلُ ماذا في كِتابِكُمُ قالَ الخَليفَةُ أَمْسَى مُثْبَتاً وَجِعا
فمادَتِ الأَرْضُ أو كادَت تَميدُ بِنا كَأَنَّ أَغبَرَ مِنْ أَرْكانه[٢] آنْقَلَعا
ثُمّ آنْبَعَثْنا عَلَى خوصٍ مُزَمَّمَةٍ نَرْمي الفِجاجَ بِها لا نأْتَلي سِرَعا
وما نُبالي إذا بَلَّغْنَ أَرْحُلَنا ما ماتَ مِنْهُنَّ بِالبَيْداءِ أَوْ ظَلَعا
مَنْ لا تَزَلْ نَفْسُهُ تُشْفي عَلَى تَلَفٍ تُوشِكْ مَقاديرُ تِلْكَ النَفْسِ أَنْ تَقَعا
لَمّا آنْتَهَيْنا وبابُ الدارِ مُنْصَفِقٌ لِصَوْتِ رَمْلَة ريعَ القَلْبُ فَانْصَدَعا
ثُمّ آرعَوَى القَلْبُ شَيْئاً بَعْدَ طَيْرَتِهِ والنَفْسُ تَعْلَمُ أَنْ قَدْ أُثْبِتَتْ جَزَعا
أَوْدَى آبنُ هِنْدٍ وأَوْدَى المَجْدُ يَتْبَعُهُ كانا جَميعاً خليطاً قاطِنَيْنِ مَعا
أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بِهِ لَوْ قارَعَ الناسَ عَنْ أَحْسابِهِم قَرَعا

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة وغيره قالوا: توفّي معاوية للنصف من رَجَب سنة ستّين وله اثنتان وثمانون سنة ؛ فلمّا قبض صعِد الضحّاك بن قيس الفِهْري المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيّها الناس إنّ معاوية أمير المؤمنين كان عود العرب وحدَّها ونابَها ، قطع الله به الفتنة وجمع به الكلمة ، وملّكه خزائم العِباد وفتح له البلاد ، أَلا وإنّه قد

١ ـ حوارين : قرية في هضبة حمص الجنوبية ، تمر بجوارها سكة حمص ـ دمشق . المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري .
٢ ـ بهامش الأصل : «أركانها» .

مات وهذه أكفانه ونحن مُدرجوه فيها ثمّ مُدخلوه قبْره ، ومُخَلّون بينه وبين ربّه ، ثمّ هو الهَرْج إلى يوم القيامة ، فَمن كان يريد أن يشهده فليحضرُ عند الظهر . قال هشام : وكانت أكفان معاوية في يد الضحّاك وهو يخطب ؛ قال هشام : ويقال إنّ معاوية مات في أوّل رجب سنة ستّين ، وكان عمره سبعاً وسبعين سنة .

أبو الحسن المدائني عن أبي أيّوب عن عمرو بن ميمون قال : خرج الضحّاك حين مات معاوية فقال : إنّ معاوية أمير المؤمنين كان عبداً من عبيد الله أطفأ الله به الفِتَن ، وبسط به الدنيا ، فقد قضى نَحبْه ، ونحن رائحون به مُدْرجاً في أكفانه ، ومُدخلوه في قبره ومُخلّون بينه وبين ربّه وعلمه ، فإنْ شاء الله رحمه وإن شاءَ عاقبه .

حدّثني العُمري عن ابن عَديّ عن ابن عَيّاش قال : كان يزيد بن معاوية حين مات أبوه بحُوّارين ، فقدم وقد دُفن أبوه عند الباب الصغير بدمشق ، فأتى قبره فدعا له ثمّ انصرف فخطب فقال : إنّ معاوية كان عبداً من عبيد الله أنعم عليه ثم قبضه إليه ، وهو خير ممّن بعده ودون مَن قَبْله ، ولا أزكّيه على الله فهو أَعْلَم ، فإن عفا عنه فبرحمته ، وإنْ عاقبه فبذنبه ، ولن أني عن طَلَبٍ ولا أعتذر من تفريط ، وعلى رِسْلِكم إذا أراد الله شيئاً كان .

وحدثني الحسن بن عليّ الحِرمازي عن عليّ القَصير عن أبي يعقوب الثّقفي قال : عزّى عَطاءُ بن أبي صَيفي الثّقَفيّ يزيدَ حين مات معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إنّك رُزئتَ الخليفة ، وأُعطيتَ الخلافة ، قضى معاوية نَحْبَه فغفر الله له ذنبه ، وُوليتَ الرِئاسة وكنت أحقَّ بالسياسة ، فاْحتسبْ

عند الله عظيم الرَزيّة ، وآشكْره على حُسْن العطّية ، أعظمَ الله على أمير المؤمنين أجرك ، وأحسنَ على الخلافة عَوْنَك .

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن عَوانة وابن عَيّاش قالا : لمّا مات معاوية جاء عبد الله بن هَمّام السَلولي أو غيره فقال : يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك في الخليفة ، وبارك لك في الخلافة ، ثمّ أنشد :

اصْبِرْ يَزيدُ فَقَدْ فارَقْتَ ذا ثِقَةً وآشْكُرْ عَطاءَ الذي بِالْمُلْكِ أَصْفاكا
أصبَحْتَ لا رُزْءَ في الأَقْوامِ نَعْلَمُهُ كَما رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كَعُقْباكا
أُعْطيتَ طاعَةَ أَهْلِ الأَرْضِ كُلّهِم فَأَنْتَ تَرْعاهُمْ والله يَرْعاكا
وفي مُعاوِيَةَ الباقي لَنا خَلَفٌ إِذا فُقِدْتَ ولا نَسْمَعْ بِمَنْعاكا

قال أبو الدَرْداء العَنْبَري يرثي معاوية :

أَلا أَنعى مُعاوَيَةَ بْنَ حَرْبٍ نَعاهُ الحِلُّ والشَهْرُ الحَرامُ
نَعَتْهُ الناعِجاتُ لِكُلِّ حَيٍّ خواضِعَ في الأَزِمَّةِ كالسِهامِ
فَهاتيكَ النُجومُ وهُنَّ خُرْسٌ يَنُحْنَ عَلَى مُعاوِيَةَ الشآمي

قال أَيمن بن خُرَيْم بن فاتك الأَسَدي :

رَمَى المِقْدار نِسوةَ آلِ حَرْبٍ بحادَثةٍ سَمَدْنَ[1] لَها سُمودا
فردّ شُعورهُنَّ السودَ بيضاً ورَدَّ خُدودَهُنَّ البيضَ سودا
فإِنَّك لَوْ سَمِعْتَ بُكاءَ هِنْدٍ ورَمْلَةَ إِذْ يُلَطِّمْنَ الخُدودا
بكَيْتَ بُكاءَ موجَعَةً بحُزْنٍ أصابَ الدَهْرُ واحِدَها الفَريدا

١ ـ السمود : يكون حزناً وسروراً . القاموس .

وقال الأَحْوَص :

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُوكَّلُ بالصِبا وصِبا الكَبِير إذا صَبَا تَضْليلُ
قَدِّمْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ يَوْمِكَ صالِحاً وآعملْ فلَيْسَ إلى الخُلودِ سبَيلُ
إنّ الحِمامَ لَطالِبٌ لَكَ لاحِقٌ والمَوْتُ رَبْعُ إقامَةٍ مَحْلولُ
لا بُدّ مِنْ يوم ٍ لكلّ مُعَمَّرٍ فيهِ لِعِدّة عُمْرِهِ تكميلُ
والناسُ أَرْسالٌ إلى أَمَدٍ لَهُم يَمْضي لَهُمْ جيلٌ ويَخْلُف جيلُ
إنَّ آمْرءاً أَمِنَ الزمانَ وقَدْ رأى غَيرَ الزَمانِ ورَيْبَهُ لَجَهُولُ
أَينَ آبنُ هِنْدٍ وَهْوَ فيه عِبَرةٌ أَفَما آقْتديْتَ بمَن لَهُ معقولُ
مَلكٌ تَدينُ لَهُ الملوكُ مُباركٌ كادَتْ لِمهلكِهِ الجِبالُ تَزولُ
تُجبى لَهُ بَلْخٌ ودِجْلَةُ كُلُّها ولَهُ الفُراتُ وما سَقَى والنيلُ
والشَامُ أَجْمَعُ دارُهُ فبكُلِّهِ تُلْفى كَتائبُ جَمّةٌ وخُيولُ
وبكُلِّ أَرضٍ لِلْعدَى مِنْ غَزْوه حِصْنٌ يُخربُ أَوْ دمٌ مطْلولُ
يَقْضي فَلا خَرِقٌ ولا مُتَتَعْتعٌ لِغَباوةٍ في القَوْلِ حينَ يقولُ
لَوْ أَنَّه وزنَ الجبالُ بِحِلْمِهِ لـوَفَى بها ثِقلاً بها ويَميلُ
مُتَأَثِّلٌ ما إن يُظَنُّ لِمُلْكِهِ عنه ولا لِسُرورِهِ تَحْويلُ
فَأَزال ذلكَ رَيْبُ يوم ٍ واحدٍ عنه وحُكْمُ ما له تَبْديلُ
حَتّى ثَوى جَدثاً كَأَنَّ تُرابَه مِمّا تُطَيِّرُهُ الصَبا مَنْخولُ
وَهْوَ الذي لَوْ كانَ حيٌّ خالِداً يَوْماً لَكانَ عَلَى المَنونِ يَؤُولُ[1]

---

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .

وحدثني هشام بن عَمّار عن إسْماعيل بن عَيّاش أبي عُتْبة عن صَفوان بن عمرو أنّ عبد الملك مرّ بقبر معاوية فوقف عليه فترحم ، فقال له رجل من قريش : قبر من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قبر رَجُلٍ كان والله ما علمتُه ينطق عن عِلْم ويسكت عن حِلْم ، إذا أعطى أغنى وإذا حارب أفنى ، ثمّ عَجَّلَ له الدهر ما أخُره لغيره ممّن بعده ، هذا قبر أبي عبد الرحمن معاوية يرحمه الله .

ووجدت في كتاب لعبد الله بن صالح العِجْلي : ولّى معاوية المدينةَ مروانَ بن الحَكَم ثمّ عزله وولّى سعيد بن العاص ، ثم رد مروان ثمّ عزله وولّى الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان . وولّى معاوية مكّةَ عُتْبة بن أبي سفيان ثمّ عزله ، وولّى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المَخْزومي ثمّ عزله ، وولّى عَنْبَسة بن أبي سفيان وضم إليه الطائف ، فلم يزلْ عليها حتّى مات في سنة ثمان وأربعين ، فضمّ مكّة إلى مروان أشهراً ، ثم عزله وولّى سعيد بن العاص المدينةَ ومكّة والطائف ، فولّى سعيد آبنه عمراً الأشدق مكّة والطائف ، فاشتدّ عليهم وعسفهم ، فشكاه عبد الله بن صفوان بن أميّة ، فعزل معاويةُ سعيداً عن عمله وولّى مروان المدينةَ ومكّة ، فقال ابن صفوان لعمرو بن سعيد : الحمد لله الذي عزلك عن رقاب قريش ، فقال : عزلني عن رَقَبتك ووضعني على رأسك ، ثمّ عزل مروان وولّى الوليد بن عُتْبة المدينة ومكّة .

وقال أبو الحسن المدائني : كان كاتب معاوية سَرْجون مولاه ، وكان على شُرَطه يزيد بن الحُرّ العَبْسي ، ثمّ زِمْل بن عمرو ؛ وكان معاوية أوّل مَن

اتّخذ حَرَساً ؛ وولّى حَرَسه الضحّاك بن قيس ، ثمّ ولّاه شُرَطه ، وصيّر على حَرَسه يزيد بن الحُرّ .

قال المدائني ، قال معاوية للأحنف : مَن أعزّ أهل العراق ؟ قال : بنو الحارث بن كَعْب : الربيع بن زياد على خراسان ، وقَطَن بن عبد الله على أذْرَبيجان ، وشَريك بن الأعْوَر على فارس وكِرمان ، وكثير بن شِهاب على الرَيّ ، والسَريّ بن وقّاص على أعمال الكوفة ، وزياد بن النَضر على أصْبَهان ، فكتب معاوية إلى زياد : رأيتُ جُلَّ عمّالك بني الحارث بن كعب ، فكتب إليه زياد : وجدتُ فيهم خَلَّتَين لو كانتا في الزَّنْج لوليّتُهم ، معهما الأمانةَ والكِفاية .

وقال المدائني عن جُوَيْرية بن أسماء : كتب مروان إلى معاوية يسأله تولية عبد الملك بن مروان ديوان المدينة ففعل ، فكان عليه إلى آخر أيّام يزيد .

المدائني عن جعفر بن سليمان الضُبَعي قال : ذكر محمّد بن مَسْلَمة الأنصاري عند معاوية قَتْل كَعْب بن الأشْرَف اليهودي ، فقال يهوديّ كان عند معاوية : غُدِرَ به ، فقال محمّد: يا معاوية أتُمْسكُ عنه وقد نَسَبَ رسول الله ﷺ إلى الغَدْر ؟ فقال لليهودي : آخرجْ عنّا ، وطلبه محمّد فلم يقدرْ عليه ، وقال لمعاوية : والله لاكلّمتك أبداً ولأقتلنَّ اليهودي إن قدرتُ عليه .

المدائني قال : كتب عبد الله بن الزبير إلى معاوية : إنك كنت أذنت لي في سفينة من الجار[1] ، فكان لنا في ذلك مَرْفَق ، وقد قطعتَ ذلك ، فإن

---

١ ـ بهامش الأصل : «الجار اسم موضع» ، والجار مرسى أهل المدينة . معجم البلدان .

أذنتَ لنا فيها فقد أحسنتَ ، وإن أبيت فعسى أن يكون ذلك خيراً ، وعندي فلانة وفلانة ولهن بك حُرْمه ، وبهن إلى صلتك حاجة وهن أيتام ، فوصلهنّ .

قال معاوية : صحبني أربعة من الأنصار : النعمان بن بشير فولّيتُه حِمْص ، ومَسْلَمة بن مُخَلَّد فولّيته مِصْر ، وعمرو بن سعيد فولّيته فِلَسْطين ، وفَضالة بن عبيد فولّيته القضاء ، ولو زادوني لزِدْتُهم ، ولأنا خيرٌ لهم من أبي بكر وعمر .

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عَوانة وحدّثني العمري عن الهَيْثم بن عَديّ عن عَوانة وابن عَيّاش قالوا : ولّى معاوية زياداً العراق، فلمّا مات ولّى سَمُرة ثمّ ولّى بعده عبد الله بن عمرو بن غَيْلان بن سَلَمة بن المُحبّق، ثمّ ولّى عبيد الله بن زياد؛ وولّى الكوفة بعد زيادٍ الضَحّاكَ بن قيس الفِهْري، وكان زياد استخلف على الكوفة عبدَ الله بن خالد بن أَسِيد فأقرّه معاوية أشهراً ثمّ ولّى الضَحّاك، ثم ولّى بعده ابنَ أمّ الحَكَم، ثمّ النعمانَ بن بَشير.

حدثني العمري عن الهَيْثم عن ابن عَيّاش والمدائني عن مَسْلمة قالا : ولَّى معاويةُ النعمانَ بن بَشير حَضْرَمَوْت فكتب إلى يزيد بن معاوية :

أبا خالدٍ لاتَتْركَنّي ببلْدَةِ الـ ـقرودِ ونيرانُ الحَوادِثِ تَلْمَعُ
أبوكَ خَليلي واصْطَفَيْتُكَ بَعْدَهُ على الناس ما كانوا معاً وتَصَدَّعوا

فكلّم معاوية في إعفائه، وولاّه الكوفة بعد ابن أمّ الحَكَم.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار الخوارج في أيام معاوية رحمه الله

أمر عبدالله بن أبي الحَوْساء الطائي أحد بني ثُعَل

قالوا: كان فَرْوَة بن نَوفَل الأشْجَعي اعتزل يومَ النَّهْروان في خمسمائة - وذلك الثبت، ويقال في ألف وخمسمائة - وقال: والله ماندري على أيّ شيء نقاتل عليّاً، ومضى حتّى نزل بناحية البَنْدَنيجَين والدَّسْكَرَة ثمّ أتى شَهْرَزور[1]، فلمّا بلغه صُلْحُ الحسن وولاية معاوية وقُدومه الكوفة قال لأصحابه: قد جاءَ من لانشكّ في أمره ولانرتاب بأنّ الحقّ في قتاله فقالوا: صدقت، وأقبل من شَهْرَزور ومعاوية بالنُخَيْلة، فعسكر بالنُخَيْلة بالقرب منه؛ وكان الحسن بن عليّ عليهما السلام قد شخص يريد المدينة، فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتال فَرْوَة، فلحقه رسولُهُ بالقادسيَّة أو فُوَيْقَها فلم يرجعْ، وكتب إلى معاوية: إنّي

١ - شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان. معجم البلدان.

لو آثرتُ أن أقاتل أحداً من أهل القِبْلة لبدأت بقتالك، فإنّي تركته لصلاح أمرِ الأُمّة وأُلْفتَها وَحقْنِ دمائها، فأمسكَ معاوية؛ وبعث إليهم جماعةً من أهل الشام فهزمهم الخوارج، فندب معاويةُ أهل الكوفة لقتالهم وقال: لاأمانَ لكم عندي ولارِزْقَ أو تكفوني أمرهم، فخرج من أهل الكوفة بَشَرٌ كثير وعليهم خالد بن عُرْفُطَة العُذْري، فواقفهم وتراموا بالحجارة والنّبْل، وجاءت أَشْجَع إلى فَرْوَة فقالوا: هلمَّ نكلّمك، فاعتزل معهم، فوعظوه ثمّ حملوه حتّى أدخلوه الكوفة، وأخذت طيّء القَعْقاعَ بن نَفْر الطائي فأدخلته، وأخذ بنو شَيبان عِتْريس بن عُرْقوب فأدخلوه، وكان فَرْوَةجعل خليفته والقائمَ بأمرِ أصحابه إن حدث به حدثٌ عبدَ الله بن أبي الحَوْساء الطائي، وكان ممّن اعتزل يوم النهر في ثلاثمائة، وقدم الكوفة فبايعه الخوارجُ من أصحاب فَرْوَة بعد دخول فَرْوَة الكوفة وحَبْسِ قومِهِ إيّاه عندهم، فقاتل خالدَ بن عُرْفُطَة وأهل الكوفة فقُتِل ابن أبي الحَوْساء، قتله رجلٌ من بني تَغْلِب يقال له عبيد ابن جرير، وذلك في سنة إحدى وأربعين في شهر ربيع الأوّل، ويقال في جُمادى الأولى، وقُتل جُلُّ أصحابه؛ وكان ابن أبي الحوساء حين ولي أمْرَ الخوارج قد خُوّف من السلطان أن يصلبه إذا قتله فقال:

ما إنْ أُبالي إذا أَرْواحنا قُبِضَتْ ماذا فَعَلْتُمْ بأَوْصالٍ وأَبْشارِ
تَجْري المَجَرّةُ والنَسْرانِ عَنْ قَدَر والشَمْسُ وَالقَمَرُ الساري بِمقدارِ
وقَدْ عَلِمْتُ وخَيْرُ القولِ أَنْفَعُهُ أنَّ السَعيدَ الذي يَنْجو مِنَ النارِ

ويقال: انّ الشعر لفَرْوة بن نَوْفَل حين خرج على المغيرة بن شعبة.

أمر حوثرة بن وداع الأسدي:

قالوا: لمّا قُتل ابن أبي الحَوْساء اجتمعت الخوارج فولّوا أمرهم حَوثَرة بن وداع بن مسعود الأسَدي، وكان حَوْثَرة نازلاً ببَراز الرُّوز[1] من السَواد فلمّا قتل ابن أبي الحَوْساء قام فعاب فَرْوَة بن نَوْفل لشكّه في قتال عليّ، ثمّ دعا الخوارجَ واعتقد من بَراز الرُوز وسار في مائة وخمسين حتّى قدم النُّخَيْلة، وانضمّ إليه فلٌّ ابن أبي الحوساء وهم قليل، فدعا معاويةُ أبا حَوْثَرة فقال: اخرجْ إلى ابنك فلعلّه يرِقُّ إذا رآك، فأتاه أبوه فكلّمه وناشده وقال له: أَلا أجيئك بابنك فلعلّك إذا رأيته كرهت فراقه؟ فقال: أنا إلى طعنةٍ من يد كافر برمح أتقلَّبُ فيه ساعةً أشْوقُ منّي إلى ابني، فرجع أبوه إلى معاوية فأخبره بقوله، فقال: هذا عاتٍ؛ ووجَّه معاويةُ عبدَ الله بن عوف بن أحمر في ألفَيْن، وخرج أبو حَوْثَرة فيمن خرج، فدعا ابنَهُ إلى البرازِ، فقال: ياأبتِ لك في غيري من القوم سعة فأَعْفني منك، فقاتلهم ابن أحمر وصبر وصبروا، وبارز حَوْثَرةُ ابنَ أحمر فطعنه ابنُ أحمر فقتله وقتل أصحابه، إلا خمسين رجلاً دخلوا الكوفة، وذلك في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين. ونظر ابن أحمر إلى حَوْثَرة فرأى بوجهه أثرَ السجود قد غلب على وجهه، وكان صاحبَ صلاة وعِبادة، فندم على قتله وقال:

قَتَلْتُ أخا بَني أَسَدٍ سَفاها   لَعَمْرُ أَبيكَ ما لُقِّيتُ رُشْدي
قَتَلْتُ مُصَلِّيا مِحْياءَ لَيْلٍ   طَويلَ الحُزْنِ ذا بِرٍّ وقَصْدِ

---

١ ـ براز الروز: من طساسيج السواد ببغداد من الجانب الشرقي. معجم البلدان.

قَتَلْتُ أَخا تُقى لأنال دُنْيا وذاك لِشَقْوَتي وعِثارِ جَدّي
فَهَبْ لي تَوْبَةً يارَبِ واغْفِرْ لِما قارَفْتُ مِنْ خَطَأ وعَمْدِ

ومضى معاوية إلى الشام واستعمل المُغيرةَ بن شعبة على الكوفة.

أمر فروة بن نوفل ومقتله:

قالوا: ثمّ إنّ فَرْوَة بن نَوْفَل الأشْجَعي اعتقد وخرج على المغيرة بن شعبة، فوجّه إليه المغيرة خيلاً عليها شَبَث بن رِبْعيّ ـ ويقال مَعْقِل بن قيس ـ فلقيه بشَهْرَزور فقتله، ويقال بل لقيه ببعض السّواد فقتله وقتل أصحابه.

أمر شبيب بن بجرة الأشجعي:

كان شَبيب مع ابن مُلْجَم حين قتل عليّا، ثمّ إنّه أتى معاوية وهو بالكوفة كالمتقرّب إليه فقال له: إنّي وابن مُلْجَم قتلنا عليّا، فوثب معاوية من مجلسه مذعوراً فَزِعاً حتّى دخل منزله، وبعث إلى أَشْجع فقال: والله لئن رأيتُ شبيباً أو بلغني أنه ببابي لأبيرنّكم، أَخرجوه عن بلدكم، وكان شَبيب إذا جَنَّ عليه الليلُ خرج فلم يَلْق صبيّاً ولا رجلاً ولاامرأة إلا قتله، فلمّا ولي المغيرة بن شعبة الكوفةَ خرج عليه شبيب بالقُف، فبعث إليه المغيرة خيلاً عليها خالد بن عُرْفُطة ـ ويقال مَعْقِل بن قيس ـ فواقعه فقتله وأصحابه. وقال الهَيْثَم: القُفّ بين باجَوًا وسُورَا، وقال الكلبي: القُف بين زبارا وتَلّ بَوَنّا وذلك كله قريب من الكوفة. وقال رجل من ضَبّة كان معه:

إنّي أَدينُ بِما دانَ الشُراةُ بِهِ يَوْمَ النُّخَيْلَةِ عِنْدَ الجَوْسَقِ الخَرِبِ

ويقال قبل ذلك بعده.

أمر مُعَيْن المحاربي:

قالوا: بلغ المغيرة أنّ مُعَيْن بن عبد المحاربي يريد الخروج عليه، وكان اسمه مَعْناً فصُغِّر، فأرسل إليه فأتته الخيل وعنده جماعة، فنذروا بها فتفرّقوا، وأُخذ مُعَيْن ورجل من بني تميم فحبسهما المغيرة، وكتب إلى معاوية بخبرهما، فكتب إليه إنْ شهدا أنّي خليفة فخلِّ سبيلهما، إذ كانا لم يخرجا ولم يقتلا أحداً، فأمّا التميمي فشهدت بنو تميم أنّه مجنون فخلّى سبيله، وأمّا مُعَيْن فقال له: أشهدْ أن معاوية خليفة وأنّه أمير المؤمنين، فقال: أشهد أنّ الله حق ﴿وأنّ الساعة آتيةٌ لاريبَ فيها﴾[1]، قال: إنّك لمجنون، قال: وددت أنّي من صالحي الجِنّ، قال: أَتشهد وَيْحك بما قلتُ لك؟قال: أشهد أنّ تميماً أكرم من مُحارب، فقال رجل من بني هِلال يقال له قبيصَة: اسقني دمه، قال: دونك، فقتله؛ فلمّا كانت ولاية بِشْر بن مروان وقف رجل من خوارج الكوفة من أهل عُمان على حلقةٍ فيها قَبيصَة وهو في صدرها، فقال: مَن هذا؟ فقالوا: هذا قاتل مُعَين، فجلس على باب قَبيصة حتّى إذا خرج من منزله مشى معه ثمّ ضربه حتّى قتله، فلم يُعْرفْ له أثرٌ حتّى خرج مع شَبيب بن يزيد، فلمّا قدم الكوفة جعل ينادي: ياأعداءَ الله أنا قاتلُ قبيصة.

أمر أبي مريم مولى بني الحارث بن كعب:

قالوا: خرج مولى لبني الحارث بن كَعْب يقال له أبو مَرْيَم ومعه امرأتان قَطام وكُحَيْلة، وكان أوّلَ مَن أخرج معه النساء، فعاب عليه ذلك أبو بِلال

---

١ - سورة الحج - الآية: ٧.

مِرْداس ابن أُدَيَّة، وكان أوَّلَ مَنْ كره خروجَ النساء، فقال: قد قاتلتِ النساء مع رسول الله صلّى عليه وسلّم، وقاتلن مع المسلمين بالشام، ولكنّي أردّهما، فردّهما، فوجّه إليه المغيرة جابراً البَجَلي[١] فالتقوا بِبَادورَيَا[٢]، وجعل جابر يقول لهم: يافَسَقَة، ياأصحاب قَطام وكُحَيْلة، يعرّض لهم بالفجور، وجعل أصحابه ينادونهم بمثل ذلك، فقال: وَيْلكم إنَّ الله يقول، ﴿ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُوَلِئك كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا﴾[٣] وقاتلهم فقتلهم.

أمر أبي ليلى الخارجي:

قالوا: وأتى أبو لَيْلى، وكان أسود طويلاً، مسجدَ الكوفة وفيه عدّة من الاشراف، فأمسَك بعِضادَتي بابٍ من أبوابه، وحكَّمَ بصوتٍ جهير سمعه أهل المسجد، فلم يعرضْ له أحد، فخرج واتّبعه ثلاثون راكباً من الموالي، فبعث إليه المغيرة بن شعبة مَعْقِلَ بن قيس الرياحي أو غيره، فقتله بسَواد الكوفة سنة اثنتين وأربعين.

وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى: جاء أبو لَيْلى مولى بني الحارث، فحكّم في عدّةٍ فقتلهم الشُرَط، وكان قد دبَّر أمراً فلم يتمّ له.

---

١ ـ بهامش الأصل: «الجعفي».
٢ ـ طسوج بالجانب الغربي من بغداد.
٣ ـ سورة الاسراء ـ الآية: ٣٦.

أمر حيان بن ظبيان وأمر المستورد بن عُلَّفة:

كان حَيّان ممَّن ارْتُثَّ يوم النَّهْر من الأربع المائة الذين عفا عليّ عنهم ودفعهم إلى قومهم، وكان مجتهداً، فمكث في منزله شهراً أو نحوه، ثم خرج إلى الريّ لقتال الدَيْلَم في رجالٍ يرون رأيه، فلمّا بلغه مقتلُ عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام دعا أصحابه إلى الرجوع إلى الكوفة، فأجابوه وفيهم سالم بن ربيعة العَبْسي، وقال وكان شاعراً:

خَليلَيَّ ما بي مِنْ عَزاءٍ ولا صَبْرِ ولا إرْبَةٍ بَعْدَ المُصابينَ بِالنَهْرِ
سِوَى نَهَضاتٍ في كتائبَ جَمَّةٍ إلى الله ماندعْو ولله مانَفْري
إذا جاوَزَتْ قُسْطانَةَ الريِّ بَغْلَتي فَلَسْتُ بِسارٍ نَحْوَها آخِرَ الدَهْرِ(١)

فلمّا ولي المغيرة بن شعبة الكوفة اجتمع سالم بن ربيعة والمُسْتَوْرِد بن عُلَّفة التَيْمي ـ تَيْم الرباب ـ ومُعاذ بن جُوَيْن الطائي وعِتْريس بن عُرْقوب وغيرهم إلى حَيّان في منزله ليتشاوروا فيمَن يولّون أمرهم ، ليخرجوا مُنْكرين للجَوْر والظلْم ، ودعوه إلى تولّي أمرِهم فأبى ، ودعوا مُعاذ بن جُوَيْن إلى ذلك فأبى ، ورضي حَيّان ومُعاذ بالمُسْتَوْرِد بن عُلَّفَة ، فبايعاه وبايعه القوم في جمادى سنة ثلاث وأربعين ، وعزموا على الخروج في غُرّة شعبان سنة ثلاث وأربعين . وأقبلوا يتجهّزون ، فأتى شَمِرُ بن جَعْوَنة الطائي قَبيصَة بن الدَمّون وهو على شُرطة المغيرة فأخبره ، فأنهى ذلك إلى المغيرة ، فوجّه إليهم خيلاً وبلغ المُسْتَوْرِدَ فأمر أصحابه فتفرّقوا وغيّبوا ما عندهم من السلاح وتغيّب ،

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ـ جمع وتحقيق د.احسان عباس، ط.بيروت ١٩٨٢ ص٥٨ .

فلمّا هجم رسلُ المغيرةِ في منزل حَيّان لم يجدوا هناك شيئاً من السلاح ، ولم يجدوا إلاّ سالمَ بن ربيعةَ وحَيّان بن ظَبْيان ومُعاذ بن جَوْين ، فقال المغيرة لحَيّان : ما هذا الذي بلغني ؟ فقال سالم ومُعاذ : كنّا نأتي حَيّان فنقرأ عنده ، فحبسهم نحواً من سنة ، وكانت الخوارجُ تختلف إلى المُسْتَوْرِد وهو ينزل في عبد القيس ، ويقال إنّه خرج فنزل قصر العَدَسيْين بالحيرة مستتراً ، فاطّلع حَجّار بن أَبْجر على بعض أمره ، فخافه فنزل على سُلَيْم بن مَحْدوجٍ أحدِ بني سَليمَة وهو صِهْره ، وأتى حَجّارٌ المغيرةَ فأخبره بما سقط إليه واطّلع عليه ، فتواعد المُسْتَوْرِد وأصحابه سُورَا[1] ، ووافاه ثلاثمائة وعزموا على إتيان المدائن ، وبلغ المغيرةَ خبرهم ، فوجّه إليهم مَعْقِلَ بن قيس الرياحيّ في ثلاثة آلاف ، وكان المنتدب لهم ، فقال له المغيرة . سِرْ أبا زُمَيْلة راشداً حتّى تكفيني هذه المارقة ؛ وقال له صَعْصَعَة بن صوحان : ابعثْ بي إليهم فإنّي لدمائهم مُسْتحل وبحملها مستقلٌّ ، فقال له المغيرة : اجلسْ فإنّك خطيب . وندب المغيرة مع مَعْقِل مَن عرف من الشيعة ، وأتى المُسْتَوِرد مدينة بَهُرَسِير[2] فمنعه عُبَيْد بن سِماك بن الخزّان بن حصين العَبْسي - ويقال بل منعه سِماك بن عُبَيْد بن سِماك بن الخزّان - من العبور إلى المدينة العتيقة ، وأمر بالجسر فقطع ، وسار المُسْتَوْرِد من الجانب الغربي حتّى عبر إلى جَرْجَرايا ، ثمّ أتى المَذار ، وأقبل مَعْقِل إلى المدائن على مقدّمته أبو الرُّوَاعِ الشاكريّ من هَمْدان في ثلاثمائة ، فالتقى أبو الرّوَاع والمُسْتَوْرِد فاقتتلا ، وأبو الرواع يقول :

---

١ - سورا : موضع بالعراق من أرض بابل ، قريبة من الحلة المزيدية . معجم البلدان .
٢ - من نواحي سواد بغداد ، قرب المدائن . معجم البلدان .

إنَّ الفَتَى كُلَّ الفَتَى مَنْ لَمْ يُهَلْ
إذا الجَبانُ حادَ عَن وَقْعِ الأَسَلْ
أَنا أَبو رُوَاعٍ الشَهْمُ البَطَلْ

وقاتل قليلاً ثم انهزم فلحق بمَعْقِل ، وانحاز المُسْتَوْرِد إلى المَذار واتّبعه مَعْقِل ، ووجّه عبدُالله بن عامر من البصرة شَريكَ بن الأَعْوَر في ثلاثة آلاف فيهم خالد بن مَعْدان لأنّه من شيعة عليّ ، فنزل على فرسخٍ من عسكر المُسْتَوْرِد ، فقال المُسْتَوْرِد : ليس الرأي أن نقيمَ بين جندَيْن ، فارتحل نحو المدائن ، وانصرف شريك إلى البصرة ، وواقع مَعْقل الخوارجَ بِجَرْجَرايا فقاتلهم أشدّ قتال ، وكان معه مِسْكين بن عامر بن أُنَيْف الدارِمي الشاعر ، فقاتل يومئذٍ قتالاً شديداً عُرِفَ به موقفه ، وأتى الخوارج ساباطَ ، ونزل مَعْقِل دَيْلمايا[1] فأقام يومَيْن ، ثمّ لقي المُسْتَوْرِد وأصحابه فدعاه إلى المبارزة ، فبرز له مَعْقِل ، فاختلفا طعنتَيْن فمات مَعْقِل والمُسْتَوْرِد جميعاً ، ويقال إنّ المُسْتَوْرِد طعنَ مَعْقِلاً فأنفذ رمحه في صدره ، وضربه مَعْقِل بالسيف على رأسه فخرّا ميّتَيْن . فلمّا قُتل مَعْقِل أخذ الرايةَ عمرو بن مُحْرِز بن شِهاب المِنْقَري فقتل أصحاب المُسْتَوْرِد فلم ينجُ منهم إلاّ خمسةُ نفر ، وكان مقتلهم في شعبان سنة ثلاث وأربعين ، ويقال في شهر رمضان ، وكان من رجز مِسْكين بن عامر الدارِمي يومئذٍ :

أَضْرِبُهُمْ وَلو أَرَى مُسْتَوْرِدا
تَرَكْتُهُ بِالقاعِ يَكْبو مُقْصَدا[2]

---

١ ـ هي قرية من قرى استان بهرسير إلى جانب دجلة . تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

٢ ـ لم يرد هذا الرجز في ديوان مسكين الدارمي المطبوع .

وأوفد المغيرة مِسكيناً وأبا الرّواع إلى معاوية ، فوصلهما وزاد في إعْطائهما ، فقال جَرير بن عَطيّة :

ومِنّا فَتى الفِتْيانِ والجودِ مَعْقِلٌ ومِنّا الذي أَرْدَى بِدِجْلَةَ مَعْقلا[1]

يعني المُسْتَوْرِد .

وقال عمر بن لَجَأ التَيْمي :

ونَحْنُ قَتَلْنا مَعْقِلاً يَوْمَ دِجْلَةٍ بِمُرْهَفَةٍ تُفْلى بِهِنَّ الجَماجِمُ

وقال أيضاً :

نَحْنُ قَتَلْنا مَعْقِلاً وتَداعكت[2] بِنا الحَرْبُ إِذْ هابَ الجَبانُ وَعَرَّدا

وقال مُعاذ بن جوين وهو محبوس في أبيات له :

ألا أيُّها الشارونَ قَد آنَ لامْرِئٍ شَرَى نَفْسَهُ لله أَنْ يَتَرَحَّلا
أقيمُ بِدارِ الخاطِئِينَ جَهالَـةً وكُلُّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ يُصارُ لِيُقْتَلا
ألا فَاقْصِدوا يا قَوْمِ لِلغايَةِ التي إذا ذُكِرَتْ كانَتْ أَبَرَّ وأَعْدَلا
ألا لَيْتَني فيكُمْ عَلَى ظَهْرِ سابحٍ شَديدِ القُصَيْري دارِعا غَيْرَ أَعْزَلا
فَلَوْ أَنّني فيكُمْ وقَدْ قَصَدوا لَكُمْ أَثَرْتُ إذاً بَيْنَ الفَريقَيْنِ قَسْطَلا[3]

أمر معاذ بن جوين الطائي :

قالوا : أخرج المغيرة مُعاذاً ، فأشار عليه حَيّان بن ظَبْيان أن يخرج مُنْكراً للجَوْر ، فخرج في ثلاثمائة ببانِقِيا ، وهي في حدّ الكوفة ، فوجّه إليهم

---

١ ـ ديوان جرير ـ ط . دار صادر ، بيروت ص ٣٣٩ .
٢ ـ تداعكت : تدافعت . ديوان عمر بن لجأ ـ ط . الكويت ١٩٨١ ص ٨٣ مع فوارق .
٣ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٥٩ .

المغيرة بن شُعْبة أبا الرّواع الهَمْدانيّ ثمّ الشاكري ، وعمرو بن مُحْرِز بن شِهاب المِنْقَري في ألف وثلاثمائة ، فقُتل مُعاذ وأصحابه بِجوخى ، وقال مُعاذ حين دهمه الناس : إنّا لقليل عددنا ولكنّا نجاهد عدوّنا فنقتل منهم مَن قتلنا ثم نستشهدَ .

أمر سهم بن غالب الهجيمي والخطيم وعياذ بن حصن[1] :

قالوا : خرج على عبدالله بن عامر بالبصرة سَهْم بن غالب الهُجَيْمي في أيّام معاوية ، وكان سَهْم من المستبصرين في رأيه ، وهو أوّل مَن سمّى أهل القبلة بالكفر ، ولم تكن الخوارج قبله تقطعُ بالشهادةِ في الكفر والإيمان ، وكان خروجه في سنة أربع وأربعين في سبعين رجلاً فيهم الخطيم الباهلي ، وهو يزيد بن مالك أحد بني وائل ، وإنّما سمّي الخَطيم لضربةٍ ضُربها على وجهه، فنزلوا بين الجِسْرَيْنِ بالبصرة، فصلّى بهم سَهْمٌ الغداةَ، ومرَّ بهم عُبادة بن قُرص اللَيْثي ومعه ابنه وابن أخته فأنكروهم فقالوا : مَن أنتم ؟ فقالوا : قوم مسلمون ، قالوا : كذبتم ، فقال عُبادة : سبحان الله اقبلوا ما قبل النبيّ ﷺ منّي ، قالوا : وما قبل منك ؟ قال : كذّبتُه وقاتلته ثمّ أتيته فقلتُ : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله فقبل ذلك ، قالوا : أنت كافر، وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخته، فخرج إليهم ابن عامر بنفسه، فقاتلهم فقتل منهم عِدّة ، وانحازت بقيّتهم إلى أُجَمَةٍ ، وفيهم سَهْم والخَطيم ، فعرض عليهم ابن عامر الأمانَ فقبلوه فآمنهم فرجعوا ، وكتب إليه معاوية

---

١ ـ هو عباد بن حصين في تاريخ خليفة ـ ط . دمشق ٩٦٧ ج ١ ص ٢٦٤ .

يأمره بقتلهم فكتب إليه ابن عامر : إنّي قد جعلت لهم ذِمّتك ؛ فلمّا قدم زياد البصرة في سنة خمس وأربعين خاف سَهْم والخَطيم أن لا يُنفذ لهما أمان ابن عامر ، فخرجا إلى الأهواز ، فاعتقد بها سَهْم ودعا قوماً فأجابوه ، وأقبل يريد البصرة فأخذ قوماً ، فقالوا : نحن يهود فخلاّهم ، وأخذ سعداً مولى قُدامة بن مَظْعون الجُمَحي فقتله ، ثمّ أتى البصرة وقد تفرّق عنه أصحابه فاستخفى ـ ويقال إنَّ أصحابه تفرّقوا بعد استخفائه ـ فطلب الأمان ورجا أن يسوغ له عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر ، وبعث بأمان ابن عامر إليه فلم يُؤمنه ، وبحث زياد عنه فدُلّ عليه ، فأخذه فقتله وصلبه في داره ـ ويقال انّه استخفى حتّى مات زياد فدُلّ عليه عبيدُ الله بن زياد فقتله وصلبه ـ فقال رجل من الخوارج :

فإنْ يَكُنِ الأحْزابُ باؤوا بِصَلْبِهِ فَلا يُبْعِدَنَّ الله سَهْمَ بنَ غالِبِ

وكان قتل سَهْم في سنة أربع وخمسين ـ ويقال قبل ذلك ـ وسأل زياد الخَطيم وقد أُخِذ وأُتي عن قتل عُبادة بن قُرْص فأنكر ذلك ، فسيّره إلى البَحْرَيْن ، ثمّ إنّه أذن له بعد ذلك لأنّه لمّا أراد رسولُ زيادٍ الشخوصَ من البَحْرَيْن قال له : أبلغْ زياداً أنه لي ظالم . ولمّا صار الخطيم إلى البصرة قال له زياد : أقمْ في منزلك ، وأمر مسلم بن عمرو أبا قُتَيْبة أن يتفقّده وقال : إن غاب عن منزله ولم يبتْ فيه ليلةً واحدةً فما فوقها فأعلمْني ذلك ، فغاب عن منزله ليلةً من الليالي ، وعلم به مسلم بن عمرو فأتى به زياداً فسأله أين بات ؟ فقال : أدْنِني منك أُخبِرْك ، فقال زياد : إنْ كنتَ تريدُ أن تُسرّ إليّ شيئاً فأسِرَّه إلى مسلم بن عمرو ، فقال : والله لو أدنيتَني لقطعتُ أنفك لو أمكنني ذلك ، فأمر بقتله فقُتل وأُلقي في باهلة ، فحملته امرأة يقال لها عَمْرة

فدفنته ، وأخذ زياد امرأتَيْن أرادتا الخروج مع الخَطيم يقال لهما:أراكة ، وأمّ سريع ، فقتلهما ، فقال رجل يعيب باهلة :

لَعَمْري لَقَدْ أَخزَتْ أراكَةُ قَوْمَها   وما قَصَدَتْ لِلدّينِ أُمُّ سَريعِ

واستعمل زياد على المسجد وباب عثمان[1] شَيْبان بن عبدالله السَعْدي صاحب مقبرة شَيْبان ، وهو أحد بني ربيعة[2] بن كَعْب بن سَعْد بن زيد مَناة بن تميم ، ففتك به قومٌ من الشُراة وهو على باب داره وقتلوا ابناً له ، وكان رئيسهم عَبّاد بن حُصين ، وذلك في سنة سبع وأربعين ، وكان شَيْبان شديداً عليهم ، فخرج إليهم بِشْر بن عُتْبة التَميمي في الشرط فقاتل الخوارج فقتلهم ، فقال الفرزدق :

لَعَمْرُكَ ما لَيْثٌ بِخَفّانَ خادِرٌ   بأَشْجَعَ مِنْ بِشْرِ بنِ عُتْبَةَ مُقْدِما
أَباءَ بِشَيْبانَ النَّؤوم وقَدْ رَأى   بَني فاتِكٍ هابوا الوَشيجَ المُقَوَّما[3]

وبنو فاتك قومه . وكان زياد إذا أخذ رجلاً من الخوارج قال : اقتلوه متّكئاً كما قُتِل شَيْبان متّكئاً ، وكان زياد يبعث إلى الرجل من قَعَد الخوارج فيعطيه ويكسوه ويقول :

ما أراه منعك من إتياننا إلاّ الخَلّة والرُّجْلَة .

---

١ ـ باب عثمان بالبصرة .
٢ ـ بهامش الأصل : «زمعة» .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٥٨ .

أمر حارثة بن صخر القيني :

قالوا : كان معاوية سيّر حارثة بن صَخْر إلى مصر ، فلقي قوماً من الخوارج فأمالوه إلى رأيهم فصار خارجيّاً ، وقدم العراق فأراد الخروج على زياد وتأهب لذلك ، فبلغ ذلك زياداً فطلبه فهرب وقال :

تَمَنّاها لِيَلْقانا زِيادٌ سَفاهاً والمُنَى طُرَفُ الضَلالِ
فَقُلْنا يا زِيادُ دَعِ الهُوَيْنا وشَمِّرْ لا أَبا لَكَ لِلقِتالِ
فإنّا لا نَفِرُّ مِنَ المَنايا ولا نَنْحاشُ مِن ضَرْبِ النِصالِ
ولكِنّا نُقيمُ لَكُم طِعاناً وضَرْباً يَخْتَلي هامَ الرِجالِ[1]

فبعث زياد في طلبه شُعَيْبَ بن زيد ين السائب ، فدخل بلاد قُضاعة فلم يقدرْ عليه لأنّهم منعوه ، وكُلّم فيه معاوية فآمنه ، وكتب إلى زياد في الكفّ عنه فكفّ ، ومضى مع مسلم بن عقبة إلى المدينة فقُتل يوم الحَرَّة ؛ وقال حين هرب :

سَنُلْقِحُ حَرْباً يا بْنَ حَرْبٍ شَديدَةً ونَنْتِجُها يَتْناً[2] بِسُمْرٍ ذَوابِلِ
فما لِزِيادٍ يَحْرُقُ النابَ ظالِماً عَلَيَّ فَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِغافِلِ[3]

في أبيات .

أمر قريب بن مرة وزحاف بن زحر الطائي :

قالوا : ثمّ خرج قُرَيْب بن مُرّة الأزْدي ، وزَحّاف بن زَحر الطائي وهما ابنا خالة في ثمانين ـ ويقال في ستّين ، ويقال في سبعين ـ وأرادوا أن يولّوا

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٦١ .
٢ ـ اليتن : أن تخرج رجلا الجنين قبل رأسه . القاموس .
٣ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٦١ .

زحّافاً أو قُرَيْباً فلم يَفْرُقْ لهم الرأي في ذلك حتّى بلغ زياداً خبرهم ، فبعث إليهم الشُرَط ، فقالوا : نقاتل يومنا هذا ، فإن سلمنا أمَّرْنا قُرَيْباً أو زحّافاً ، فقال بعضهم : لا قتالَ إلاّ مع إمام ، فصيّروا قُرَيْباً إمامهم .

وقال بعض الرواة : صيّروا إمامهم زحّافاً ، وخرجوا يستعرضون الناسَ ، ويقتلون مَن لقوا ، وكانوا يدينون بالاستعراض ، وكان خروجهم بناحية جبّانة بني يَشْكُر ، وذلك في شهر رمضان ، فقال أبو بلالٍ مِرْداسُ بن أُدَيّة : قُرَيْب [لا] قرّبه الله من كلّ خير وزحّاف [لا] عفا الله عنه ، لقد ركباها عَشْواءَ مُظْلِمةً ، يقول : لاستعراضهما ، فقتلوا رجلاً من بني ضُبَيْعة يقال له حكاك رآهم فظنّهم مع صاحب الشُرَط ، وقتلوا غيره ، وضربوا رجلاً من بني قُطَيْعة فصار أَضْجَم[1] ، وأتوا مسجد بني قُطَيْعة فأخذوا بأبوابه حتّى هرب الناس ووثبوا الجُدُر ، وصعد رجل المنارة فنادى : يا خيل الله اركبي ، فأنزلوه وقتلوه ، وخرج بُكَيْر بن وائل الطاحي من الأزد وقد اتّقاهم بطَيْلسانٍ له فقطعوه بأسيافهم ، ثمّ نجا ، وأتوا بني راسب فقاتلوهم ، وكان حَجّار بن أبْجر العِجْلي بالبصرة قد قدمها من الكوفة في حاجة ، فضربوه فصُرِع ، وحامى عليه شَقيق بن ثَوْر السَدوسي فنجا ، فقال العُدَيْل بن فَرْخ العِجْلي :

وَنَجَّيْتَ حَجّارَ بنَ أبْجَرَ بَعْد ما بَدَتْ لِلحَرورِيّينَ مِنه مَقاتِلُهْ
وإنَّ بَني ثَوْرٍ إذا ما لَقيتَهُمْ لَهُمْ زُبْرتا[2] مَجْدِ العِراقِ وكاهِلُهْ

١ ـ الضجم : عوج في الفم ، والشدق ، والشفة ، والذقن ، والعنق . القاموس .
٢ ـ الزبر : القوي الشديد ، والعقل ، والكلام ، والصبر . القاموس .

ونادى حجّار : يا بني راسب جئت لأنصركم أفأُقتل بينكم ؟! فقالوا : لابأس عليك يا أبا الفضل ، وحموه حتّى ركب ، وجاءت الشُّرَط ـ وكان الشُّرَط خمسمائة ـ فقاتلوهم مع بني راسب حتّى اضطروهم إلى دار فحصروهم فيها، وكان عبّاد بن الحُصين الحَبَطي مستخفياً لأنّ زياداً غضب عليه ، فأتاهم مع الفَجْر فدخل الدار ودخل الناس معه ، وقصد لقَرَيْب فاجتلدا ، وضربه عَبّاد فصرعه وقتله ، وقُتل الباقون في الدار ، وبعث عَبّاد برأس قُرَيْب إلى زياد فرضي عنه ، وكان خليفة زياد يومئذ بالبصرة عبيدَ الله بن أبي بَكْرة ، وكان زياد بالكوفة يومئذ ، فلمّا قدم زياد البصرة رأى مع الشُّرَط رماحاً قصاراً فقال : أراكم تُحضرون برماح كأنّها أيدي الجِداء . وصُلب قُرَيب وزحّاف وناس من أصحابهم ، فجاءت جارية لقوم من الخوارج فقالت : سلام الله ورحمته ﴿عليكم طِبْتم فادخلوها خالدين﴾[1] ، فأمر زياد فصُلبت معهم ، وقال زياد : أيّ خارجةٍ خرجت في قبيلة فلم تقاتلْها كما فَعَلَتْ بنو راسب حرمتُهم العطاء وأجليتُهم ، وسيّر زياد أهل قُرَيْب وزحّاف ، وحمل نساءً من نساء مَن خرج معهما في البحر ، ووهب امرأة زحّافٍ لشَقيق بن ثَوْر ، وامرأة قُرَيْب لعَبّاد بن الحُصين ، فردّها عبّاد إلى أهلها وكساها .

ومرض بُكَيْر بن وائل من جراحه فكان الناس يعودونه ، ويدخل النساء على أهله يسألن به ، فقال :

غَناءٌ قَليلٌ عَنْ بُكَيرِ بْنِ وائِلٍ   تزمّر أُسْتاهِ النِساءِ العَـوائِد

---

١ ـ سورة الزمر ـ الآية : ٧٣ .

وقال أيضاً :

عَشِيَّةَ لَوْلا الطَيْلَسانُ لَقُطِّعَتْ طوابِقُ منّي أَوْ يَميني لَشلَّتِ
عَشِيَّةَ قالوا إنَّما القَوْمُ شُرْطَةٌ وتِلْكَ حَرُورِيُّو البلادِ استَقَلَّت
وهل هيَ إلاّ عُصْبَةٌ سَبَئِيَّةٌ دَعاها مُضِلٌّ لِلهَوَى وأَضَلَّتِ

وأُتي زياد بأمرأة فصلبها وعرّاها وقال : أيّتما امرأة خرجت فعلتُ بها مثل هذه ، فكفَّ النساء عن الخروج خوفاً من أن يُعَرّين .

وحدثني بعض البصريّين عن أبي عُبيدة قال : مرّ أصحاب قُرَيب وزَحّاف ببني عليّ وفيهم رماة فرموهم فقالوا لهم : يا بني عليّ لِمَ ترمونا ؟ خلّوا لنا طريقنا ، فقال رجل من أهل عُمان :

يَقولُ لَنا الزَحّافُ خَلُّوا طَريقَنا فَقُلْنـا لَهُ لا وآلإلـهِ نَرِيمُ

أمر زياد بن خراش العجلي :

قالوا : وخرج على زياد بالكوفة زياد بن خِراش العِجلي في سنة اثنتين وخمسين في ثلاثمائة ، فأتى الأخيونية[1] من أرض مَسْكِن بالسَواد ، فسرّح إليه زياد خيلاً عليها سعد بن حُذَيْفة أو غيره ، فقتلوا وصاروا إلى ماه[2] .

١ ـ كذا وفي معجم البلدان الأخنونية : موضع من أعمال بغداد ، قيل هي حربي .
٢ ـ الماه : قصبة البلد ، ومنه قيل : ماه البصرة ، وماه الكوفة ، وماه فارس . معجم البلدان .

أمر معاذ الطائي الثاني :

قالوا : وخرج على زياد رجل من طيّء يقال له مُعاذ ، فأتى نهر عبد الرحمن ابن أمّ الحَكَم في ثلاثين رجلاً ، في سنة اثنتين وخمسين ، فبعث إليه زياد مَن قتله وأصحابه ـ وقال بعض الرواة : بل حلَّ لواءه واستأمن ـ ويقال لهم أصحاب نهر عبد الرحمن ابن أمِّ الحَكَم .

خبر طَوّاف بن عَلّاق وعقبة بن الورد الجاوي وأصحاب الجدار في ولاية ابن زياد :

قالوا : كان قوم من الخوارج يجتمعون إلى جِدار فيتحدّثون عنده ويعيبون السلطان ، فأخذهم عبيدالله بن زياد فحبسهم ، ثم دعا بهم فعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً ويخلّي سبيلهم ، فقتل اثنا عشر رجلاً منهم اثني عشر رجلاً من أصحابهم ، قتل كلُّ رجل رجلاً ، وكان ممّن قَتَلَ طَوّاف بن علّاق وأَوْس بن كَعْب ، فعذلهم أصحابهم وقالوا : قتلتم إخوانكم ، قالوا : أُكْرِهنا وقد يُكْرَهُ الرجلُ على الكفرِ وهو مطمئنٌّ بالإيمان ، وكان حُجَيْر الباهلي أتى الحيَّ وقد أصابه نَضْح دم من دماءِ الخوارج المقتولين، فقيل له: ماهذا؟ فقال: قتل الأمير اليوم هؤلاء الكلابَ فأصابني من دمائهم ، فأتى عُقْبة بن الوَرْد الباهلي منزلَه واشتمل على سيفه ، وكان يري رأيَ الخوارج ، فحكّم وقتل حُجَيْراً فأُخذ فقُتل ، وندم طَوّاف وأصحابه فقال طَوّاف : أَما من توبة ؟ فكانوا يبكون ؛ وعرض وأصحابه على أولياء مَن قتلوا القَوَد فأبوا ، وعرضوا الدّياتِ فأبوها ، ولقي طَوّاف الهثْاث بن ثَوْر السَدوسي فقال له : يا بن عمّ أما ترى لنا من توبة ؟ قال : ما أجد لك إلّا

آيةً من كتاب الله قوله : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] فدعا طّوافٌ أصحابَهُ إلى الخروج وإلى أن يفتكوا بابن زياد فبايعوه وذلك في سنة ثمان وخمسين ، وكانوا سبعين رجلاً في عبد القيس ، فسعى بهم رجل من أصحابهم إلى ابن زياد ، وبلغ طوّافاً ذلك فقال : إنّا مأخوذون فعجّلوا الخروجَ ، فخرجوا من ليلتهم فقتلوا رجلاً من بني ضُبَيْعة ومضوا إلى الجَلْحاءِ[2] ، فندب عبيدالله الشُّرَطَ والبُخاريّة ، فأتوهم وواقعوهم ، فهزموا الشرطَ والبُخاريّة حتّى دخلوا البصرة واتّبعوهم ، وذلك في يوم الفِطْر ، فكثرهم الناس فقاتلوا فقُتلوا ، وبقي طوّاف في ستّة ، وعطش فرسه فاحتمله واقتحم به الماء ، فرماه البخاريّة بالنشّاب حتّى قتلوه ، فأمر به ابنُ زياد فصُلب ، وجاء عند المساء ابنٌ لأخيه بَيْهس وبعض آل عَلاق فاحتملوه ودفنوه ، فقال شاعر منهم بعد ذلك :

يا رَبِّ هَبْ لي التُقى والصِدْقَ في ثَبَتٍ ... وآكفِ المُهِمَّ فأَنتَ الرازِقُ الكافي
حَتَّى أبيعَ الذي يفنى بآخِرَةٍ ... تَبْقَى ، على دينِ مِرْداسٍ وطَوّافِ
وكَهْمَسٍ وأبي الشَعْثاءِ إذْ نَفَروا ... إلى آلإلهِ وذي الإخبْاتِ زَحّافِ[3]

في قصيدة .

---

١ ـ سورة النحل ـ الآية : ١١٠ .

٢ ـ تحدث ياقوت في معجم البلدان عن جلحاء على أنه موضع على ستة أميال من الغوير المعروف بالزبيديه بين العقبة والقاع ما أراه المقصود هنا .

٣ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٧٣ ـ ٧٤ .

وقال عيسى الخَطِّي للهَنْهاث في قصيدة له :

فَجَهَّلْتَ طَوّافاً وَزَيَّنْتَ فعِلَهُ   فَأَصْبحَ طَوَّافُ يُمزِّقُ بالنَبْل
فَقُلْ لعُبَيْدِ الله إنْ كُنْتَ طالِباً   ذَوِي الغِشِّ والبغضاء واللُؤمِ والبُخْلِ
فَدونَكَ أَقْواماً سَدوسٌ أَبوهُمْ   فَإِنَّ سَدوساً آفَةُ الدينِ والعَقْلِ[1]

وطلب ابنُ زياد بعضَ أولئك الخوارج ، فترك مجالسَة إخوانه وقال :

ما زالَ بي صَرفُ الزمانِ ورَيْبُهُ   حَتَّى رَفَضْتُ مَجالِسَ الفِتْيانِ
وأَلِفْتُ أَقْـواماً لِغَـيْرِ مَـوَدَّةٍ   وهَجَرْتُ غَيْرَ مُفارِقٍ إِخْواني
وأَفَضْتُ في لَهوِ الحَديثِ وهُجرِهِ   بَعْـدَ اعْتِياد تِـلاوةِ القُـرْآن

وحدثني العمري عن الهَيْثم بن عَدي قال : كان قوم يجتمعون إلى جِدار في بني حَنيفة ، فإذا أتاهم رجل ليس منهم قالوا له : يا عبد الله آلحق بإخوانك ، فبلغ ذلك ابنَ زياد فبعث قوماً فأخذوهم ، وفيهم نافع بن الأزرق الحَنفي ، فأُخذوا فحُسبوا وقُتل بَعْضهم ، وكُلّم في بعض فأخرجهم فقال بعد ذلك رجل منهم :

ما كان في دينِ طَوّافٍ وإخوتِهِ   وأَهْلِ الجِدارِ جِراثُ القُطْنِ والعِنَبِ

أمر أبي بلال مرداس بن أدية :

قالوا : كان أبو بِلال مِرْداس بن أُدية ، وهي أمّه ، وأبوه حُدَيْر بن عمرو بن عبيد بن كعب ، أحد بني ربيعة بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وأمّه من محارب بن خَصَفَة ، وكان عابداً مجتهداً عظيم القدر

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٦٩ .

في الخوارجِ ، وشهد مع عليّ صفّين فأنكر التحكيم ، وشهد مع الخوارج النّهْروان ، وكانت الخوارج كلّها تتولّاه ، وسمع زياداً يقول : لآخذنّ البريءِ بالسقيم والجار بالجار ، فقال : يا زياد إنّ الله يقول : ﴿ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1] فحكم الله خير من حكمك ، فقال زياد : إنّا لا نصل إلى ما نريد إلّا ببعض الإغماض .

وكان غَيْلان بن خَرَشة ذكر الخوارج فعابهم ، فقال له مْرداس : ما يؤمنك يا غَيْلان أن يلقاك بعضُ مَن عِبْتَ وتنقّصْتَ فَيُنْدِرُ أكثرَك شَعْراً ، فقال له : أذكرك الله يا أبا بِلال والله لا أذكرهم بسوءٍ أبداً .

ورأى مرّةً ابنَ عامر وعليه قَباءٌ أنكره فقال : هذا لباس الفسّاق ، فقال أبو بكرة : لا تقلْ هذا للسلطان فإن مَن أبغض السلطان أبغضه الله .

وكان أبو بلال لا يدين بالاستعراض ، ويحرِّم خروج النساء ويقول : لا نقاتل إلّا مَن يقاتلنا ولا نَجْبي إلّا ما حَمَيْنا ، وردَّ امرأة خرجت معه ، وكانت الثَّبْجاءُ إحدى بنات حَرام بن يَرْبوع من تميم تحرّض على عبيدالله بن زياد وتذكر تجبّره وسوء سيرته وفعْله ، وكانت من مخابيت[2] الخوارج ، فذكر ابن زياد الثَبجاءَ ، فأعلم غَيْلانُ بنُ خَرَشَة أبا بلالٍ بذلك ، فقال لها أبو بِلال : إنّ الله قد جعل لأهل الإسلام سعةً في التقيّة ، فإن شئتِ فتغيّبي فإن هذا الجَبّار المُسرف على نفسه قد ذكركِ ، فقالت : أكره أن يلقى أحدٌ مكروهاً بَسببي إن طلبني ، فأخذها ابن زياد فقطع يَدْيها ورِجْلَيْها ، ومرّ أبو بِلال

---

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٦ .
٢ ـ بالأصل : «مخانيث» وهو تصحيف واضح .

فنظر إليها في السوق فعضَّ على لحْيته وقال : هذه أطيبُ نفساً بالموت منك يا مِرْداس ، ما من مِيتَةٍ أموتها أحبّ إليّ من ميتة الشَّبْجاءِ كل منية سوى منية الشبجاء ظُنونٌ .

ومرّ أبو بلال ببعير قد هُنِىءَ فلمّا رأى القَطِران غُشي عليه ثم أفاق ثم تلا ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ﴾[1] . وألح ابن زياد في طلب الشراة فملأ منهم السجن ، وأخذ الناس بسببهم ، وحبس أبا بِلال ، فكان السجان يأذن له في الانصراف إلى منزله بالليل لِما رأى من عِبادته . وعزم ابن زياد على قتل مَن في السجن وأَخْذِ الناس بسببهم لوثوب بعضهم على رجل من الحرس وقَتْلِهِ إيّاه ، وكان أبو بلال في منزله ، فتنكّر حتّى عاد إلى محبسه وقال : ما كنت لأغدر بصاحبي وقد ائتمني ؛ وأصبح ابن زياد فدعا بالخوارج فقتل بعضهم وكُلّم في بعض . وكان مِرْداس ممّن كُلّم فيه فصفح عنه وخلّى سبيله . وألحّ ابن زياد في طلب الخوارج بعد ذلك وأخافهم ، فعزم أبو بلال على الخروج ، ودعا قومه فأجابوه وقال في قصيدة له :

وقَدْ أَظْهَرَ الجَوْرَ الوُلاةُ وأَجْمَعوا عَلَى ظُلْمِ أَهْلِ الحَقِّ بِالغَدْرِ والكُفْرِ
وفيكَ إلهي إنْ أَرِدْتَ مُغَيِّرٌ لكُلِّ الذي يَأْتي إلَيْنا بَنو صَخْرِ

وقال لأصحابه : إنّ الإقامة على الرِضى [بما يُرى] لَذنبٌ ، وإنّ تجريد السيفِ وقتلَ الناسِ لعَظيم ، ولكنّا نخرجُ من بين أظهرهم ولا نَهيجُ أحداً ، ونمنع مَن قدرنا على مَنْعه من الظلم ، فإنْ أرادنا قوم بظلمهم امتنعنا منهم .

---

١ ـ سورة إبراهيم ـ الآية : ٥٠ .

وأتوا قُدامة جدَّ سَوّارِ بن عبدالله بن قُدامة بن عَنَزة بن نَقْب العَنْبَري فقالوا : أما ترى ما نحن فيه من الجَوْر ؟ فلو خرجنا على هؤلاء القوم فمنعاهم من الظلم ، فقال : أنا معكم مُنكرٌ لما تُنكرون ، فإذا جّردتم السيف فلا أنا ولا أنتم .

وقال الحسن البصري لأبي بِلال : أخْبرني عن رجلَيْن خرجا في أمرٍ فغشيتهما ظلمة ، فوقف أحدهما حتّى انجلت الظلمة فمضى ، وتقحّم الآخر الظلمة ، أيّهما أصوب رأياً ؟ قال : أصوبهما عندي أخطأهما عندك .

وبايعوا أبا بلال فخرج من البصرة في ثلاثين ، فمّروا بعبدالله بن ربَاح الأنصاري وكان على الجسر من قبل عبيدالله بن زياد ، فخوفهم السلطان فأبوا الرجوع ، وأتوا الأهوازَ فأصابوا بها مالاً يُحْمل إلى ابن زياد ، فأخذ منه أبو بِلالٍ ما أعطى أصحابه ولم يعرضْ لما سوى ذلك ، وقال للرسل : لابأس عليكم ، وبلغ ابنَ زياد خبرهم فندب لقتالهم أَسْلم بن زُرْعة الكِلابي في سنة ستِّين ، وندب الناسَ معه ، وبلغ الخبرُ أبا بلال فنزل بآسَك فيما بين رامهُرْمُز وأرّجان ، وكان معه أربعون رجلاً منهم عشرة صاروا معه بعد خروجه من البصرة ، وكان مع ابن زُرْعة عبدالله بن ربَاح الأنصاري ، فقيل لأبي بِلال : إنّ فيهم صديقك ابن رَباح : فقال : الله المستعان ، هم أعوان الظَلَمة ، وقال أصحاب ابن زُرْعة لأصحاب أبي بلال : اتّقوا الله وآرجعوا ، فقالوا : تردّوننا إلى ابن زياد الفاسق الذي أخذ دِيَة المسلم أربع مرّات ؟! والتقى أَسْلم وأبو بِلال فرمى أصحاب ابن زُرْعة رجلاً من الخوارج فقتلوه ، فقال أبو بلال : استعينوا بالله وآصبروا ﴿إنّ الأرض لله

يورثها من يشاء من عباده﴾[١] وقد بدا لكم القوم ، فشدّ الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجلٍ واحد ، فهزموهم حتّى قدموا البصرة ، فغضب ابن زياد على ابن زُرْعة وقال : هزمك أربعون رجلاً وأنت في ألفينْ ؟! ما عندك خير ، فقال ابن أَسْلَم : لأنْ يذمني ابن زياد وأنا حيّ أحبّ إليّ من أن يمدحني وأنا ميّت ، إنّي لقيت ناساً ليسوا كالناس ؛ فكان أسلم بن زُرْعة إذا مرَّ صاح الصبيان : يا أسلم ، أبو بلال خلْفك ، حتّى بعث ابن زياد الشُّرطَ فضربوا مَن صاح به فكفّوا ، فقال عيسى الخَطّي :

أأَلفــا مُؤمِنٍ فيــما زَعَمْتُمْ ويَهْـزِمُهُمْ بِــآسَكَ أَرْبَعـونا
كَذَبْتُم لَيْسَ ذاكَ كَما زَعَمْتُم ولكِنَّ الخَــوارِجَ مُؤْمِنـونـــا
هُمُ الفِئَةُ القليلةُ قَدْ عَلِمْتُم عَلَى الفِئَةِ الكَثيرَةِ يُنْصَرونا[٢]

فوجّه إليهم ابنُ زياد عَبّادَ بن أَخْضَرَ المازني ـ وأَخضَر زَوْج أمّه نَسب إليه ، وكان خلف عليها بعد أبيه ـ وهو عبّاد بن عَلْقمة بن عبّاد بن جُعْفّي بن حُزابة بن صُعَيْر بن خُزاعيّ بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ـ فسار عبّاد إليهم في أربعة آلاف ، فلقيهم بناحية دَرأَبْجَرد من فارس في يوم جمعة ، فدعا أبا بلالٍ وأصحابه إلى طاعة السلطان ، فقال أبو بلال : أتدعونا إلى طاعة من يسفك الدماء وينتهك المحارم ، والرجوعِ إلى الفاسق ابن زياد الذي يقتل على الظِنّة ويأخذ بالشُبْهة ؟! فقاتلهم حتّى دخل وقت العصر ، وكان القَعْقاع بن عَطيّة قدم من خراسان يريد الحجّ ، فرآهم

---

١ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ١٢٨ .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٦٨ ـ ٦٩ .

يقتتلون فقاتل معهم ، حتّى إذا علم أنّهم خوارج كرَّ على الخوارج حينئذ وقال :

غَـزَوْتُهُمُ وَلَيْسَ عَـلَيَّ بَعْثُ   نَشاطاً أَوْ أَشَدَّ مِنَ النَشاطِ
أَكُرُّ على الحَروريّين مُهْـري   لأَحْمِلَهُمْ على وَضَحِ الصِّراطِ

فقُتل ، قتله كَهْمَس بن طَلَق التميمي . وقال أبو بِلال : انّكم في يوم عظيم ، وهذا آخر أوقات العصر ، فوادِعونا حتّى نصلّي ، فأجابهم ابن أخْضَر وتحاجزوا ، فعجّل عبّاد وأصحابه الصلاة ـ ويقال قطعها والقوم يصلّون صلاتهم ـ ثمّ شدّ عَبّاد وأصحابه فقتلوهم وهم بين قائم وراكع وساجد ، ولم ينثنِ أحد منهم عن حاله التي كان عليها حتّى أتوا عليهم ، وأخذ رأسَ أبي بلال : بِشْر بن حَجْل احد بني تَيْم اللات وجاءَ به ، وقُتل مع أبي بِلال خُبَيْبَة بن هَمّام النُكْري من عَبْد القيس ، فقال عِمْران بن حِطّان السَّدوسي في قصيدة له أوّلها :

أَصْبَحْتُ مَن وَجَلٍ منّي وإيجاسِ   أشكو كُلومَ جراحٍ ما لها آسي
يا لَهْفَ نَفْسي لِمِرْداسٍ وصُحبَتِهِ   يا رَبَّ مِرْداسٍ آلحِقْني بِمِرْداسِ (١)

وله شعر كثير ، وكان من قَعَد الخوارج ، وكان يبوح برأيه .

وقالت أمّ الجَرّاح العِدوية :

وما بعد مِرْداسٍ وعُرْوَةَ بيننا   وبَيْنَكُمُ شيءُ سوى عِطْرِ مَنْشِمِ
فلستَ بِناجٍ مِنْ يَدِ الله بعد ما   هَرَقْتَ دماءَ المُسْلِمينَ بلا دمِ (٢)

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ١٥٨ .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٦٧ .

وقعد قوم من الخوارج لابن أَخْضَر في يوم جمعة عند مسجد بني كُلَيْب بالبصرة ، فخرج على بغلة له وابنه ردفه ، فظفروا به في موضع يخفى فيه أمره فقتلوه ، ومسحوا سيوفهم بفَخْذه ، وحكّموا ، ولم يعرضوا لابنه فهرب . وجاء مَعْبَد بن عَلْقمة أخو عَبّاد فقاتل الخوارج فقُتلوا ، ولم ينجُ منهم أحد إلاّ عبيدة بن هِلال ، فإنّه خرق خُصّاً وخرج منه فمضى ، فلقيه رجل من الشرط يقال له يحيى فتهدّدَ عبيدة فقال :

قولوا لِيَحىَ يَسْتَعِدَّ كَتيبَةً تُجالِدُ عَنْ حَوْبائِهِ حِينَ يَحضرُ
فَعَمّا قليلٍ سوف يَلْقى حِمامَهُ كَمِثْلِ الذي لاقاهُ عَبَّادُ فَاحذَروا

وقال مَعْبَد بن عَلْقَمة :

ولَقَد قُلْتُ لِخَيْلي والقَنا تَمْتَري الحَرْبَ سَهاماً مُنْقَعا
انْزلوا صَبْراً إلى أَقْرانِكُم فاصْطَلُوا المَوْتَ على الارضِ معا
انْزِلوا نَظْفَرْ بهمْ في حَرْبِنا أَوْ نَمُتْ لم نُبْدِ منّا جَزعا

وقال الشاعر :

لقد كان قَتْلُ ابنَيْ سُمَيْرٍ خيانةً كما غالَ ذُؤْبانُ العراقِ ابنَ أَخْضَرا

ابنا سُمَيْر رجلان من بني نَهْشَل .

وقال الرهين في قصيدة له طويلة :

كَزيْدٍ وَمِرْداسٍ وَعَمْروٍ وكَهْمَسٍ وكَابْنِ عَقيلٍ في الكَتيبَةِ عامِرِ
أَقاموا بِدارِ الخُلْدِ لا يَرْتَجيهِمُ حَميمٌ كَما يُرْجى إِيَابُ المُسافِرِ

وقال الفرزدق يذكر قتل عَبّاد في بني كَلْب :

لَقَدْ طَلَبَ الأَوْتارَ غَيْرَ ذَميمَةٍ إذا ذُمَّ طُلّابُ التِراتِ الأخاضِرُ

أراد لقد طلب الأخاضر غيرَ ذميمة .

هُمُ جَرَّدُوا الأَسْيافَ يَوْمَ أُخَيْضِرٍ فَنَالوا التي ما فَوْقَها نالَ ثائِرُ
وخاسَتْ كُلَيْبٌ يَوْمَ مات ابْنُ أَخْضَرٍ وقَدْ شُرِعَتْ فيه الرِماحُ الشواجِرُ
هُمُ شَهِدوهُ عاتِمينَ بِنَصْرِهِمْ ونَصرُ المُليمِ عاتِمٌ غَيْرُ حاضِرِ
فما لِكُلَيْبٍ في المَكارِمِ أَوَّلٌ وما لِكُلَيْبٍ في المَكارِمِ آخِرُ(١)

وقالت امرأة من بني سَليط في أبيات :

سَقَى الله مِرْداساً وأَصْحابَهُ الأُلَى شَرَوْا مَعَهُ غَيْثا كَثيرَ الزَماجِرِ
فَكُلُّهُمُ قَدْ جادَ لله مُخْلِصاً بِمُهْجَتِهِ عِنْدَ التِقاءِ العَساكِرِ(٢)

وحدثني أبو خَيْثَمة زُهير بن حرب عن وهب بن جرير حدثنا غسّان بن مضر عن سعيد بن يزيد قال : خرج أبو بلال بالبصرة في أربعين فأتوا بعض كُوَر الأهواز فلم يقاتلوا إلاّ من قاتلهم ولم يَجّبوا مالاً . وقال كَعْب بن عُمير السُمْني :

شَرَى ابْنُ حُدَيْرٍ نَفْسَهُ الله فاحْتَوَى جِناناً منَ الفِرْدَوْسِ جَمّاً نَعيمُها
وأَسْعَدَهُ قَوْمٌ كأَنَّ وجُوهَهُمْ نُجومُ دُجُنّاتٍ تَجَلَّتْ غيُومُها
مَضَوْا بسيوفِ الهندِ قُدْما وبِالقَنا على مُقْرَباتٍ بادِياتٍ سُهومُها(٣)

في أبيات .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣١٥ ـ ٣١٦ مع فوارق .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٦٧ .
٣ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٧٥ ـ ٧٦ .

أمر زياد ودعوته :

قالوا : كان من خبر زياد ـ ويُكنى أبا المغيرة ـ أنّ سُميّة أمّه كانت لرجل من بني يشكر ينزل بناحية كَسْكَر[1] . فأصاب اليَشْكُريَّ وجعٌ شديد أعيا مَن حوله مِنَ الأطبّاء ، فبلغه مكانُ الحارثِ بن كَلَدَة بن عمرو بن عِلاج بن أبي سَلِمَة بن عبد العُزّى بن غِيَرَة بن عوف بن ثقيف الثَقَفي بالطائف ، فحجّ ثمّ أتاه ، فعالجه حتّى برىء ، فوهب له سُمَيَّةَ فوقع الحارث عليها فولدت على فراشه نافع بن الحارث ، ثمّ ولدت له نفَيْعاً وهو أبو بكرة ، فأنكره الحارث ونسبه إلى غلام له يقال له مَسْروح ، وكان أشبه الناس بمسروح ، فكان أبو بكرة يقول : أنا نُفَيْع بن مَسْروح ، وقيل للحارث : إنّ جاريتك فاجرة لا تدفع كَفّ لامسٍ ، فزوّجها الحارثُ من عبدٍ لامرأته صفيّة بنت عُبَيْد بن أسيد بن عِلاج الثَقَفي ، روميٍّ يقال له

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض بأصل ثالث ، ولله كل حمد وجمال .
٢ ـ منطقة واسعة بالعراق قصبتها واسط التي بين البصرة والكوفة . معجم البلدان .

عُبَيْد ، كان ساقه في مَهْرها ، فولدت له زياداً على فراشه ، وتزوّج عُتْبَة بن غَزَوان أحد بني مازن بن منصور أَزْدَة بنت الحارث بن كَلَدَة ، فلمّا ولّاه عمربن الخطّاب البصرة قدمها ومعه نافع بن الحارث بن كَلَدَة ، ونُفَيْع أبو بكرة ، وزياد ، وهو يومئذ ينسب إلى عُبَيْد فيقال له زياد بن عُبيد ، وكان له فهم وذكاءٌ وفِطْنة ، ولم يكنْ مع عُتْبة بن غَزْوان مَن يكتب ويحسب كِتابَ زياد وحِسابه ، فلمّا فتح الله على المسلمين ما فتح على يد عُتْبة ولّاه قِسْمة الغنائم ، وأمره فكتب له كتاباً إلى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه بالفتح ، ثمّ ولّى عمر المغيرة بن شعبة البصرة بعد عُتْبة بن غَزْوان ، فكان زياد كاتبه ، ثمّ لم يزْل في عُلوٍّ يدبّر أمرَ كلِّ عاملٍ يكون على البصرة ويكتب له ، فلمّا ولي أبو موسى البصرة استكتبه ، ثمّ خرج غازياً فاستخلفه على البصرة ، فبلغ ذلك عمر فكتب إلى أبي موسى : بلغني أنّك استخلفتَ على البصرة غلاماً حديثَ السنِّ ليس له قَدَمٌ ولا هِجْرة ولا تَجْرِبة ، فإذا أتاك كتابي فأشْخِصْه إليّ ، فلمّا قرأ أبو موسى الكتاب بعث بزياد إليه ، فكلّمه عمر وسأله فردّ عليه ردّ فَهِم عاقل ، فقال له عمر : أتُخبر الناس بما أخبرتني ؟ فقال : إذا أخبرتك أنت فالناس عليّ أهون ، فخرج عمر آخذاً بيده وهو يقول : هذا ممّن يرفع الله به خسيسة أهله ، فقال زياد : أيّها الناس أنفقْنا في عامِ كذا كذا وبقي كذا ، وفي عامِ كذا كذا وبقي كذا ، فتعجّب الناس من حفظه وعقله ؛ ثمّ أمر له عمر بألف درهم ، فاستأذن على عمر في بعض الأيّام فبعث إليه : انتظرْ أُخرجْ إليك ، فغلبته عينه فنام وعليه خُفّان جديدان ، فلمّا رآه عمر علاه بالدِرّة ، فلمّا انتبه قال : إنّما أخذتُه بدرهم واحد ، فقال عمر : فلابأس إذاً ، وعجب من فِطْنته ، فأمره عمر أن يكتب

في بعض الأمر فكتب كتاباً بليغاً فقال : غيّره ، فكتب في ذلك المعنى كتاباً آخر ، فقال غيّره ، فكتب كتاباً ثالثاً ورابعاً ، فعجب عمر من سعة معرفته وتصرّفه في بلاغته ، ثمّ ردّه إلى البصرة فاشترى بالألف أباه عُبيداً فعُتق ، فلمّا كان مِن قابلٍ وفد على عمر فسأله عن الألف ، فقال : ابتعت بها عُبَيْداً أبي من صفيّة بنت [عبيد بن] أسيد بن عِلاج ، فقال له : نِعْم الألف كان ألْفك .

ثمّ لمّا قدم علي بن أبي طالب البصرة فأخذها فاستعمل عبدالله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، استكتب ابنُ عبّاسٍ زياداً ، ثمّ ولّاه فارس ، فسأل زياد عن أمثل سيرة الفرس ، فقيل له سيرة أنوشَرْوان كِسْرى بن قُباذ ، كان يضع عن أهل فارس من خراج كلّ عشر سنين خراجَ سنة ، ففعل زيادٌ مثلَ ذلك حتّى عُمرت فارس عِمارةً لم يُعمر مثلها قطّ .

واستخلف ابنُ عبّاس حين غاضب عليّاً وشخص إلى مكّة زياداً ، فكتب معاوية إلى زياد يتوعّده ويتهدّده ، فخطب الناس فقال : أيّها الناس كتب إليَّ ابن آكلةِ الأكباد وكَهْف النِفاق وبقيّة الأحزاب يتوعدّني ، وبيني وبينه ابن عمّ رسول الله في سبعين ألفاً ، قَبائعُ سيوفِهم عند أذْقانِهِم ، لا يلتفت أحد منهم حتّى يموت ، أما والله لئن وصل هذا الأمر إليه ليجدنّي ضَرّاباً بالسيف ، فلمّا قُتل عليّ وصالح الحسنُ معاويةَ رضي الله تعالى عنهم ، واستقام الناس له ، تحصَّنَ زياد في قلعة بفارس هي تدعى قلعة زياد .

وبعث معاوية بُسْر بن أبي أرْطاة إلى البصرة ، وأمره بقتل مَن خالفه ، وكان هواه مع عليّ ، فلمّا قدم بُسْر البصرة أخذ بني زياد وهم : عبيد الله ، وسَلْم، وعبد الرحمن، والمغيرة و[أبو] حَرْب، وكانوا غلماناً، فقال:

لأقتلنّكم أو لَيأتيني زياد ، فشخص أبو بَكْرة إلى معاوية فكلّمه في تخلية أولاد زياد وقال : أحداث ولا ذنب لهم ، فكتب إلى بُسْر بتخلية سبيلهم ، وكتب لزياد أماناً ، ويقال انّ أبا بَكْرة طلب إلى بُسْر أن يؤجّله أياماً سمّاها ليأتي معاوية فيكلّمه في بني زياد ، فأجابه إلى ذلك ، فلمّا كان آخر يوم من الأجل وقد طلعت الشمس أخرج بني زياد ليقتلهم ، فبينا هو ينظر غروبَ الشمس إذ أقبل أبو بَكْرة وأعْيُنُ الناسِ طامحة ينتظرون قدومه ، وهو على دابّة له قد جهدها ، حتّى أعطى بُسراً الكتاب من معاوية بالكفّ عنهم ، فكبّر الناس . وقال بعضهم : كان مقام بُسر بالبصرة ستّة أشهر .

وكان المغيرة بن شعبة صديقاً لزياد لِكتابته له ، ولأنه لمّا وُجد مع المرأة فشهد عليه الشهود كان زياد رابعهم ، فلمّا نظر إليه عمر قال : أرى رجلاً لا يفضح الله ـ أو لا يُخْزي ـ به رجلاً من أصحاب محمّد ، فأحجم عن قطع الشهادة حتّى دَرَأَ عمر الحدّ عن المغيرة ، فدخل المغيرةُ على معاوية فقال معاوية حين رآه :

إنَّمَا مَوْضِعُ سِرِّ المَرْءِ إنْ ... باحَ بِالسِرّ أخوهُ المُنْتَصِحْ
فإذا بُحْتَ بِسِرٍّ فَإلَى ... ناصِحٍ يَسْتُرُه أوْ لا تَبُحِ

فقال له المغيرة: يا أمير المؤمنين إن تستَوْدِعْني سرّك تستودِعْه ناصحاً شفيقاً ووِعاءً وثيقاً ، فقال معاوية : شر الوطاء العَجْزُ ، أترضى أن يكون زياد وهو داهية العرب وقريع ذوي الرأي والحزم بمكانه ؟ ما يؤمّنني أن يبايع لبعض أهل هذا البيت فيعيدها جَذَعَةً ، والله لقد بتّ ليلتي ساهراً لذكري زياداً واعتصامه بقلعةٍ بأرض فارس ، قال المغيرة : فأذنْ لي في إتيانه آتِك به ، قال : نعم فمضى جواداً حتّى قدم على زياد ، فلمّا رآه قال : أفْلَحْ

رائد ، قال : إليك ينتهي الخُبْر يا أبا المغيرة ، انّ الوجَل منك قد استخفّ معاوية حتّى بعثني إليك ، وقد بايعه الحسن واجتمع عليه الناس ، قال : فأشرْ عليّ فإنّ المستشار مؤتمنُ ، وارم ِ الغَرَض الأقصى ، قال المغيرة : انّ في مَحْض الرأي بَشاعةً ولا خيرَ في التمذيق ، أرى أن تَصِل حبلك بحبله وتشخص إليه ، قال : أرى ويقضي الله ؛ وانصرف المغيرة ، ومضى زياد بعد يوم أو يَوْمَين من مُضيِّ المغيرة فسار حتّى صار إلى معاوية ، فسأله معاوية عن المال فضمن له أن يحمل إليه الفَي ألف درهم ، فرضي بذلك .

وقال الهيثم بن عَديّ : قال المغيرة لمعاوية ، ومعاوية بالكوفة : أترضى بأن يكون زياد وهو في دَهائه ورأيه متحصّناً في قلعة بفارس ؟ قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن أشخص إليه فآتيك به ، قال : افعلْ .

قالوا : وشخص زيادُ إلى العراق لحمل ِ الألفيْ ألف إلى معاوية ، فلقيه مَصْقَلة بن هُبَيْرة الشَيْباني فقال له : أين تريد يا أبا الفُضَيْل ؟ قال : معاويةَ ، قال : فلك عشرة آلاف درهم معجّلة ومثلها مؤجّلة إن ألْقيت إليه ما أقول لك ، إذا لقيته فقلْ له : يا أميرَ المؤمنين كان زياد عندك وقد أكل العراق بَرَّه وبَحْرَهُ ، فخدعك حتّى رضيتَ منه بألفيْ ألف درهم ، ما أرى ما تقول الناس من أن زياداً ابن أبي سفيان إلاّ حقاً ، فضمن له ذلك ، فلمّا لقي معاويةَ ألقي إليه ما قال له زياد ، قال : أَو قَالوها ؟ قال : نعم ، فبعث معاوية إلى زياد فقدم عليه فادَّعاه ؛ وقال معاوية للمغيرة : يا أبا عبدالله سبقك زياد إليّ وقد خرجتَ قبله ، فقال : يا أمير المؤمنين انّ الأريب إذا كتمَ الأريب شامَهُ خُذْ حذرك واطْوِ عنّي شرَّك ، إن زياداً قدم يرجو الزيادة وقدمتُ أتخوَّف النُقْصان ، فكان سَيْرُنا على حسب ذلك .

قالوا : فلمّا قدم زياد على معاوية في مرّته الثانية صعد المنبر ، وأمر زياداً فصعد معه ، فحمد معاوية الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيّها الناس إنّي قد عرفتُ شَبَهَنا أهْلَ البيت في زياد ، فمن كانت عنده شهادة فليُقمْها ، فقام الناس فشهدوا أنّه ابنُ أبي سفيان ، أقرَّ به قبل موته ثمّ مات .

وقام أبو مَرْيَم السَلولي ـ وكان خمّاراً في الجاهليّة ـ فقال : أشهد أنّ أبا سفيان قدم علينا يا أمير المؤمنين الطائف ، فأتاني فاشتريت له لحماً وأتيته بخمر وطعام ، فلمّا أكل قال : يا أبا مَرْيَم أصِبْ لي بَغيّاً ، فخرجت فأتيته بسُمَيّة وقُلْت لها : انّ أبا سفيان مَن قد عرفتِ شرفَهُ وحاله ، وقد أمرني أن أصيبَ له عِرساً فقالت : يجيء عُبيْد زوجي من غنمه . فإذا تعشّى ووضع رأسه أتيته ، فلم تلبث أن جاءت تجُرّ ذَيْلها فدخلت معه ، فلم تزلْ معه حتّى أصبحتْ ، فقلت له : كيف رأيتها ؟ قال : خير صاحبة لولا ذَفَر إبْطَيْها ونَتْن رُفْغَيْها[1] ، فقال زياد من فوق المنبر : مَهْ يا أبا مَرْيَم ، لا تشتمْ أمّهات الرجال فتشتم أمّك . ثمّ جلس أبو مَرْيَم .

وقام آخر فقال : أشهد أنّ عمر بن الخطّاب أخذ بيد زياد فأخرجه يومَ أخرجه إلى الناس ، فقال رجل ممّن كان حاضراً : لله أبوه مِن رجلٍ لو كان له عُنْصُر . فقال أبو سفيان وهو إلى جانبي : أنا والله وضعته في رحم أمّه سُمَيّة وما له أبٌ غيري .

وقال هشام بن الكلبي : قال معاوية لأبي البَيْضاء النَهْدي ، وزياد حاضر : ما عندك في أمر زياد ؟ قال : شهدتُ أبا سفيان واقعَها في

---

١ ـ الرفغ : الابط وما حول فرج المرأة . القاموس .

الجاهليّة ، ورجع وذَكَرُهِ يقطر ، وهو يقول : لعنها الله فما أَنْتَنَها ! فقال زياد : أدّ شهادتك ولا تُفْحِشْ ، فإنّما دُعيتَ شاهداً ولم تُدْعَ شاتماً .

قالوا: فلمّا تكلّم معاوية على المنبر، تكلّم زياد فقال: أيّها الناس إنَّ أمير المؤمنين والشهود قد قالوا ماسمعتم، ولستُ أدري ماحقٌّ هذا من باطله، وهو وهُمْ أعلم، وإنّما عُبَيْد أبٌ مبرور ووَالٍ مشكور، ثمّ نزل.

وقد كان معاوية بعث إلى سعيد بن عُبَيْد أخي صفية بنت عُبيْد، فأرضاه حتّى أقرّ ورضي بما صنع معاوية، وأبى يونس ابنه أن يرضى، وطلب الدخول على معاوية فلم يصلْ إليه، فلمّا كان يوم الجمعة ومعاويةُ يخطُبُ على المنبر، أقبل يونس بن سعيد حتّى قام بين يديه فقال: يامعاوية قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأنّ الولد للفِراش وللعاهر الحَجَر، وإنّك قضيت بالولد للِعاهر وجعلت للفِراش الحَجَر، فاتّق الله فوالله لئن كان زيادٌ ابنَ أبي سفيان إنّه لعَبْدي ومولايَ أعتقته عمّتي، فقال معاوية: والله لتكفّنَّ يايونس أو لأُطيرنّ نُعَرتَك[1] ـ ويقال أنّه قال له: والله لتكفّنّ يايونس أو لأطيرنَّ بك طَيْرَةً بَطيئاً وقوعُها ـ فقال يونس بن سعيد: أَوَليس المَرْجِعُ بي وبك بَعْدُ إلى الله؟ وقال الشاعر:

وقـائِلةٍ إمّا هَلَكْتُ وقَـائِلٍ   قَضَى ماعَلَيْهِ يونُسُ بنُ سعيدِ
قَضَى ما عَلَيْهِ ثُمَّ وَدَّعَ ماجِداً   وكُلُّ فتىً سَمْحُ الخَليقَةِ مُودي

وقال ابن الكلبي، قال يونس بن سعيد العلاجي: رُدَّ عليّ ولاءَ عمّتي من زياد، فقال: أَتركتَ شُرْبَ ما في الدنان؟ قال: نعم، وترك أبي الزّنا في الجاهلية.

١ ـ أي خيشومك، القاموس.

حدثني المَدائني قال: أُسْلِمَ زياد بالطائف وهو ابن خمس سنين في كُتّاب جُبَيْر بن حَية الثَقَفي، فحفظ له زياد ذلك وولاه إصبهان، وكان يكنى أبا فَرْتَنا.

وزعم أبو اليقظان عن آل زياد أنّ زياداً لأبي سفيان، وأمّه أسماء بنت الأعْوَر من بني تميم ثمّ من بني عَبْشَمْش، وذلك باطل.

قالوا: ووقع بين زياد وأبي الأسود حين ولّى ابنُ عبّاس أبا الأسود الصلاة وولّى زياداً الخراج تدارؤاً فقال أبو الأسود:

رَأَيْتُ زِياداً بادِيــاً لِيَ شَرُّهُ ... وأُعْرِضُ عَنْهُ وَهْوَ بادٍ مَقاتِلُهْ
وكُنْتُ امْرءاً بالدَهْرِ والناسِ عالِماً ... لَهُ عادَةٌ قامَتْ عليها شَمائِلُه
تَعَوَّدَها فيما مَضى مِنْ شَبابِه ... كذلك يَدْعو كُلَّ أَمرٍ اوائِلُهْ
ويُعْجِبُهُ صَفْحي لَهُ وتَحَمُّلي ... وذو الجَهْلِ يَجْزي الفُحْشَ مَن لا يُعاجِلُهْ[1]

في أبيات؛ وقال أيضاً:

نُبِّئْتُ أَنّ زِياداً ظَلّ يَشْتُمُني ... والقَوْلُ يُكْتَبُ عِنْدَ الله والعَملُ
وقد لَقيتُ زِياداً ثُمَّ قُلْتُ لَهُ ... وقَبْلَ ذلك ما جاءَتْ به الرُسُلُ
حَتّامَ تَشْتُمُني في كُلّ مُجْتَمَعٍ ... حتّى إذا ما التَقَيْنا ظَلْتَ تَنْتَقِلُ[2]

وقال أبو الأسود الدؤلي أيضاً:

أَلا أَبْلغا عَني زياداً رِسالَةً ... تَخُبُّ إلَيْهِ حَيْثُ كان مِنَ الأرْضِ
فما لك تَلْقاني إذا ما لَقيتني ... وتَصْرفُ عَنّي طَرْفَ عَيْنِكَ كالمُغْضي[3]

١ ـ ديوان أبي الأسود ص٢١٦ ـ ٢١٧ .
٢ ـ ديوان أبي الأسود ص٢١٨ .
٣ ـ ديوان أبي الأسود ص٢٤٥ مع فوارق.

أمر زياد بعد الدعوة:

قالوا: وولّى معاوية زياداً البصرة، فلمّا قدمها كان بينه وبين أقوام عداوة صعد المنبر فقال: الحمد لله الذي رفع منّي ماوضع الناس، وعظّم ماصغّروا، أَلا وإنّه قد كان بيني وبين أقوام منكم أشياءُ قد جعلتُها دَبْرَ أُذْني وتحت قدمي، ألا إنّ القُدْرَة تُذْهب الحَفيظة، ألا وإني لو اطّلعت على بعضكم وقد ورّاه بُغْضي لَما هتكت له سِتراً ولاكشفت له قِناعاً حتّى يُبْدِي صَفحته، فإذا فعل لم أناظره، فأعينوني على أنفسكم يرحمكم الله، ألا ورُبَّ مغتبطٍ بقدومنا سَيَيْأَسُ ممّا قِبَلنا، وآيس ممّا قِبَلنا سيَغتبط بنا، ثم نزل، فلمّا كان الغد من يومه دعا رجلاً من الشُرَط فقال له: انطلقْ إلى سنان بن مشنوء المُزَني فادْعُه، فانطلق إليه فوجده متصبّحاً، فرجع إلى زياد فأعلمه، فقال: انطلق إلى ابن أبي الحُرّ فادْعُه فإنّك ستجده متحزّماً، وكان بينهما شيء، فانطلق فوجده في داره متحزّماً، بين يديه رواحل تُعْلفْ، فقال: أجِب الأمير، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ما لي وللأمير، ثمّ ذكر قوله على المنبر فانطلق مع الرسول، فاستعمله على دَسْتُمَيْسان(٢) فمكث عليها حيناً.

المدائني قال: جاء قوم من أهل مَيْسان أو دَسْتُمَيْسان فقالوا: البصرة من أرضنا، فحُطَّ عنّا من خراجنا بقدر ما في أيدي العرب، فدعا بني الُشَعيْراء، وكانوا أشعَب أهل البصرة فأخبرهم بقولهم، فشتموهم وضربوهم حتّى تركوا خصومتهم وهربوا.

---

١ ـ الصبحة: نوم الغداة. القاموس.

٢ دستميسان: كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز، وهي إلى الاهواز أقرب. معجم البلدان.

قالوا: وسمع زياد حين قدم البصرة تكبيراً في بعض الليالي، فقال: ماهذا؟ قيل هذه دار عبيد بن عُمَيْر تُحْرس لأنّ الناس من البَيات والسَّرَق في أمرٍ عظيم، وإن المرأة لتَستغيث فما يُغيثها أحد، فقال زياد: ماكلّ الناس يقدر على مايقدر عليه عبيد، ما قدومي ها هنا إلا باطل، فلمّا أصبح جمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس أنّه بلغني مالا صَبْرَ عليه، إني قد أجّلتكم في أن يُبلغ شاهدُكم غائبَكم ثلاثاً، إنّا إن وجدنا أحدا بعد صلاة العَتَمة ضربنا عنقه، ثمّ نزل.

وجعلوا يتحدثون بقوله فيهزأوون، فلمّا مضى الأجل دعا عبّاد بن الحصين الحَبَطي، وكان قد ولاه شُرَطه، فأمره فطاف فلم يجدْ أحداً بعد العَتَمة الا ضرب عنقه، فأصبح في الرحبة خمسمائة رأس، وفعل ذلك ليالي متواليةً، فجعل الناس إذا سلّم الإمام في العَتَمة نهض الرجل من خلفه مبادراً فربّما ترك نعلَيْه من العَجَلة، ثمّ نادى مُناديه: بَرئَت الذِمّة مِن رجلٍ أغْلق بابه، ومَن ذهب له شيءٌ فأنا له ضامن، ففتح الناس أبوابهم لايخافون سرَقاً.

قال هشام بن الكلبي: وبعث زياد بقطيفة ديباج مَنْسُوجَة بذهب فأُلقيت بالخُرَيْبة[1]، فمكثتْ لِياليَ وأَياماً مايَمسّها أحد، فبعث إليها بعدُ فأُتي بها.

قال: وقدم أعرابيّ ذات ليلة بغنم له يريد بَيْعها، فلمّا استوحش من الجبّانة دخل البيوت، فأخذه عَبّاد بن الحصين فقال: وَيْحك أما علمت بِنِداء

١ ـ الخريبة موضع بالبصرة. معجم البلدان.

الأمير؟ قال: لا والله، فرحمه عبّاد. فلمّا أصبح دفعه إلى زياد فسأله عن قصّته فأخبره، فقال: لا أراك إلا صادقاً ولكن أكره أن أكذِب نفسي في وعدي ووعيدي، اضربوا عنقه. فقُتل.

قال هشام بن الكلبي: وأُتي زياد بنباشين فأمر بهم فدفُنوا أحيَاء، وأُتي برجل غرّق زَرْعاً فغرّقه في الماء، وأمر برجل أحرق داراً فأُحرق بالنار.

قالوا: ونُبش قبر فقال زياد لنافع بن الحارث: اخرجْ فانظرْ قبراً دُفِن صاحبه اليوم فكُنْ قريباً منه، فإنّك ستجد الذي نَبَشَ القبرَ ينبشه، ففعل، وجاء النّبّاش على ماظنّ زياد، فأخذه بعدَ أن رماه رَمْيَةً أَثخَنَتْه، فأمر زيادٌ بدفنه في القبر.

وقال ابن الكلبي: قدم زياد وهو يريد البصرة، فلمّا صار ببعض الطريق أتاه موت المغيرة بن شعبة بالكوفة، فخاف أن يُستعمل ابنُ عامرٍ على الكوفة وقال: إن وليها لم آمن أن يضرّنا جواره ويلجأ أهل خراجنا إليه، فكتب إلى معاوية: كتبت إليك وقد مات المغيرة وترك بحمد الله ونِعْمته من عُرْوَة بن المغيرة خلفاً صالحاً عفيفاً أميناً مسلماً طيّباً، وأرى أن يولّيه أمير المؤمنين عَمَلَ والده فيصطنعه ويرعى حقّ والده فيه، فإنّي أرجو أن يعرف في ذلك الخيرة إن شاء الله، فلمّا قرأ معاوية الكتاب ضحك وعرف ما أراد، فكتب إليه: لِيُفْرِخْ رَوْعُك ياأبا المغيرة، لست بمَوَلٍّ عبد الله بن عامر؛ وبعث إليه بعَهْده على الكوفة، فجمع له المِصْرَيْن وأعمالهما، فكان أوّل مَن ضُمّا إليه.

وقال ابن الكلبي: قدم زياد الكوفة حين أتته ولايتها وهو بالبصرة، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ هذا الأمر أتاني وأنا بالبصرة، فأردت أن

ي الف من الشرط ثمّ نظرت فوجدتكم أهلَ حق، ووجدتُ حقكم حال مادَمَغ الباطل، فجئتكم في أهل بيتي، فالحمد لله الذي رفع منّي ماوضع الناس وحفظَ ماضيّعوا.

المدائني أنّ جماعة قال بعضهم لبعض: أَزياد أفضل أم عبيد الله؟ فقال: شيخ منهم: إنّ لم يولّدْ لعبيد الله ابنٌ مثله فزياد أفضل من عبيد الله.

وحدثني الحسين بن عليّ بن الأسود العِجْلي حدثنا أبو بكر بن عَيّاش حدثنا أبو حصين قال: لمّا استعمل معاوية زياداً، حين هلك المغيرة، على الكوفة جاء حتى دخل المسجد فصلّى ركعتين ثمّ خطب فقال: الحمد لله الذي رفع مني ماوضع الناس وحفظ منّي ماضيّعوا، أيها الناس إنّا قد سُسْنا وساسَنا السائسون، فوجدنا هذا الأمر لايصلح إلا بالشدِة في غير عُنْف، واللين في غير ضُعْف، أَلا فلا أفتحنّ باباً فتُغلقوه، ولا أُغلق باباً فتفتحوه، ولاأعقِد عُقْدة فتحلّوها، ولاأحُلّها فتعقدوها، أَلا وإنِي لا أعِدُكم خيراً ولاشراً إلا وفيتُ به، فمتى وجدتم عليَ خُلْفاً أو كذباً فلا طاعة لي عليكم، وأيّ رجل مكتبه بعيد فأجلُه سنتان ثمّ هو أمير نفسه، وأيّ رجل مكتبه قريب فأجله سنة ثمّ هو أمير نفسه، وأيّ عِقال ذهب فيما بين مقامي هذا وخُراسان فأنا له ضامن؛ إنّا لكم قادة وعنكم ذادة، ومَهْما قصّرتُ فيه فلن أقصّر في ثلاث: لن أحبسَ لكم عطاءً، ولاأحرمكم رِزْقاً، ولا أجمِّرُ لكم جيشاً، فاستوجبوا عَدْلنا بطاعتكم إيَانا، وسخاءنا بسَخاءِ أنفسكم لنا، وأدعوا الله لأَئمّتكم بالعافية فإنّهم حِصْنكم الذي تستجنُّون[1] وكَهْفكم الذي إليه تلجأوون.

١ ـ أي تتخذونهم جنة ووقاء.

المدائني قال: استأذن عَوْف بن القَعْقاع على زياد، وكانت عنده أخته عَمْرة بنت القَعْقاع، فأغلظ له الحاجب فضربه بقضيب كان معه فأدماه، فدخل على زياد فقال: مَن ضربك؟ فقال: رجل بالباب لاأعرفه، فقال زياد للاحنف: أَقدم عوف؟ قال: نعم، فهو صاحبه، أدخلْه، فلمّا دخل قال له: ياعوف إنّ خَدَمي لا يُسْتذلُّون ولو كنتُ تقدّمت إليك لقطعت يدك.

المدائني عن أبي هلال الراسبي قال: استعمل زياد أُمَيْر بن أَحْمَر على سابور، فكتب إليه أن يقتل دِهقاناً هناك فلم يفعلْ، فاستعمل غيره فقتل الدهقان.

المدائني عن مَسْلَمة قال: استعمل زياد أميّة بن عبد الله بن خالد على الآبُلَّة، واستعمل مَسْروق بن الأجْدَع على السِلْسِلة، فهنأه رجل فقال: وقاك الله خشية الفَقْر، وطول الأمل.

العمري عن الهيثم بن عَديّ عن ابن عيّاش قال: قال أميّة بن عبد الله بن خالد بن أَسيد لأبيه: قد أردت التزويج وماعندك مال، وماأَظُنُّني إلا سآتي زياداً فأخطب إليه، فقال: يابني والله ماأحبّ أن تخلط سَمْنك بإهالته، قال: فرحل إليه فلقيه بالبصرة، فسأله عن سبب قدومه فقال له: قدمتُ إليك لتزوْجني وتَصِلني، فقال: نَعَم ونُعْمَةَ عَينٍ، فزوّجه آمنة بنت زياد، ثمّ قال لِمهْران مولاه وكاتبه على الخراج: اطلب له كورة ترتفع عن عُمق السواد وتتنحّى عن حُزونة الجبال وبردِها، فقال: السُوس، فولاه إيّاها، قال أميّة: فوالله ماكنتُ أَفترشُ إلا الخزَّ ولاأشربُ إلا السُكّر، ولقد عُزِلْتُ عنها وماأَظُنّ أحداً من الخَلْق يلبس إلا الخزّ ولايشرب إلا السُكّر. ولّما قدم على زياد أمر

بمحاسَبته، فرآه أبوه فقال لزياد: أيّها الأمير أتحاسب أميّة؟ فقال: نعم ياأبا أميّة، إنّا نريد أن نُصلح له حِسابه خوفاً من التَبِعَة عليه، قال: فنعم إذاً.

وقال المدائني، قال زياد لأميّة: انّك تحب النِعْمة، وبالسُوس خزّ وسُكّر، فولاه إيّاها فأصاب خمسمائة ألف درهم، فأخذ منه زياد نصفها وسوّغه النصف.

المدائني قال: أرسل زياد إلى قوم كانوا يُصيبون الطريق فيهم مالك بن الرَيب فضمَّنَ كلَّ رجلٍ منهم مايليه، فقال الشاعر يذكر مالكاً وأصحابه:

الله نَجّانا مِنَ القَصيمِ ومِنْ أَبي حَرْدَبَةَ الأَثيمِ
ومِن غُويْثٍ فاتِحِ العُكُومِ ومالِكٍ وسَيْفِهِ المَسْموم

قالوا: وأراد زياد الحجّ، فأتاه أبو بكرة - وهو لايكلّمه مُذ تَرَك زياد الشهادة على المغيرة بن شعبة وعرَّضَهُ لأن حُدَّ - فدخل عليه، وأخذ ابنَهُ فأجلسَهُ في حِجْره ليخاطبه ويُسمعَ أباه زياداً فقال: انّ أباك هذا أحمق قد فجر في الإسلام ثلاث فجرات: أولاهنّ كِتْمانه الشهادة على المغيرة، والله يعلم أنّه قد رأى مارأينا، والثانية في انتفائه من عُبَيْد وادعائه إلى أبي سفيان، وأُقسم أنّ أبا سفيان لم يَرَ سُمَيّة قطّ، والثالثة أنّه يريد الحجّ وأمّ حبيبة زوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هناك، وإن اذنت الأختُ لأخيها فأعْظِمْ بها مصيبةً وخِيانةً لرسول الله صلى الله عليه وسلّم، وإن هي حَجَبَتْه فاعْظِمْ بها عليه حُجَّةً، فقال زياد: ماتدعُ النُصْح لأخيك على حالٍ، وترك الحجّ في تلك السنة، وماتت أمّ حبيبة في سنة أربع وأربعين.

حدّثني رَوْح بن عبد المؤمن حدثني عمّي أبو هشام عن المبارك بن فضالة عن الحسن البَصْري قال: ذكر الحسن زياداً فقال: ماكان أجرأه على

الله، سمعتُه يقول لآخذنّ الجارَ بالجارَ، والله يقول: ﴿ولا تَزرُ وازرةٌ وِزرَ أُخرَى﴾[1] وكنتَ تراه فترى جمالاً: يكسر عينيه ويثني عِطْفه مُعْرِضاً عمّا خُلِقَ له، قتل حُجْراً وملأ الأرض شرّاً.

المدائني عن مسلمة بن محارب قال: قال زياد: يُعجبني من الرجل إذا سيمَ خُطّة ضَيْم أن يقول: «لا» بملء فيه، وإذا أتى مجلسَ قوم أن يعرف قَدْره فيجلس مَجْلِسَه، وإذا ركب دابّة أن يحملها على مايُريد ولاتحمله على ماتريد، وقلَّ من رأيته هكذا إلا وجدته مُبرّزاً.

قال: وقال زياد: جَنَّبوني عَدُوّيْن لايقاتلان الشِتاءَ وبطونَ الأودية.

وكان يقول: لم يُعجبْني فَتْحٌ أَتى على غير تقدير.

وقال زياد لعُمّاله: استعملوا عُمّال المَعْذُرة ومَن يُزَنُّ بصَلاح، وإيّاكم ومَن يُحْتَرَسُ منه.

وكان بالبصرة حين قدمها زياد سبعمائة ماخور فهدمها، وركب إلى ماخور كان في بني قيس بن ثَعلَبة فتولّى هدمَه، وكان لايقبل شَهادة بني قيس بن ثَعْلَبَة بالعَشيّ ولا يُعدي عليهم.

وقال المدائني: أُهدِيَ لزياد حمار وحش فقال له فيل مولاه: قد بُعث إلينا بهمار وَهْش، قال: اسكتْ قبحك الله فما أدري ماتقول، قال: أُهْدِيَ إلينا أيْرٌ ـ يعني عَيْراً ـ فقال: الأوّل أمثل.

قال: ووفد زياد إلى معاوية وعنده عبد الله بن عبّاس رضي الله تعالى عنهما فنظر إليه، وسلّم عبد الله عليه فلم يردَّ السلام، فقال له: ياأبا المغيرة

---

١ ـ سورة الاسراء ـ الآية: ١٥ .

ماهذه الهُجرة؟ فقال: إنّه ليس بيننا بحمد الله هجرة، ولكنّه مجلس لايُقْضى فيه إلا حقّ أمير المؤمنين وحده.

قال: وكتب كاتب في ديوان زياد: ثلاثة دِنانٍ فقال: أخرجوا هذا الكاتب من ديوانكم وأصلحوها ثلاثة أَدُنٍّ.

وكان زياد يقول: العَجبُ من الخوارج أنّك تجدهم من أهل البيوتات والشرَف وذوي الغَناء وحَمَلَة القرآن وأهل الزُهد، وما أشْكَلَ عليّ أمرٌ نظرتُ فيه غير أمرهم، فمَن كفّ عنّي يده ولسانه كففت عنه.

قالوا: وكان زياد أوّل من أحدث ديوان خاتِم وديوان زِمام، وأولَّ من عرّف العُرْفاء ونكّب المَناكب[1] وحبس بالظِنّة وأخذ الجار بالجار.

وحدثني عمرو بن محمّد عن أبي نُعَيْم عن يونس عن الحسن قال: تتبّع زياد شيعة عليّ بن أبي طالب يقتلهم، فقال الحسن: اللّهمّ تَفَرَّد بموته فإنّ القتل كفّارة.

حدثني العمري عن الهيثم عن مجالد عن الشعبي أنّه قال: لم أسمع متكلّما قطّ يُكثر ويُطيل إلا تمنّيت أن يسكت مخافة أن يسيء، إلا زياداً فإنّه كان لايزداد كلاماً إلا ازداد إحساناً.

قال: وكان حارثة بن بَدْر الغُداني أليفاً لزياد، فأتاه وبوجهه أثر، فقال: ما هذا؟ قال: ركبتُ بِرْذَوْني الكُمَيْتَ فاعترم بي فسقطت، فقال: أَما والله لو ركبت الأشهبَ لسلمِتَ.

---

١ ـ المناكب: عرفاء القوم أو أعوانهم. القاموس.

وكان زياد يقول: المروءة اجتناب الريب وإصلاح المال وقيام الرجل بأمر أهله، فإنّه لايستكمل النُّبْلَ مَن احتاج أهلُه إلى غيره.

المدائني قال: قال زياد لعَجْلان حاجبه: كيف تأذن للناس؟ قال: أبدأ بأهل السابقة والقدَم، ثمّ أدعو أهل الشرَف، ثمّ ذوي الأسنان، قال: فقد ولّيتك حجابتي وعزلتك عن أربعة: المنادي بالصلاة، وطارق الليل فأمْرٌ جاء به، ورسولِ صاحب الثَغْر فإن أبطأ ساعةً فسد بإبطائه عملُ سنة، وصاحبِ الطعام إذا أدرَكَ طعامُهُ فإنّه إذا أُعيد إسخانُ الطعامِ فسد.

قالوا: وكان زياد يقول: ماأعلم شيئاً بعد الإخلاص وأداءِ الفرائض أفضل من نصيحة الوالي رعيّته.

قالوا: وكان زياد يقول: لأن يجاور أحدكم أسداً في أَجَمة خيرٌ له من أن يجاور تاجراً إذا شاء أن يسلفه أسلفه وكتب عليه صكّاً.

وقال هشام بن الكلبي عن عوانة: قدم زياد على معاوية في بعض وفاداته فقال له: مابلغ من سياستك رعيّتك؟ قال: أقمتهم بعد جَنَف[1]، وكففتهم عمّا لايُعرف، فأذْعَنَ المُعانِدُ رَغْبَةً، وخَضَعَ الأصْيَدُ الغشوم رَهْبَةً، قال: لله أبوك، فبأي شيء صيّرتهم إلى ذلك؟ قال: بالمُرْهَفات القواضب يُمضيها الحَزْم يتبعه العَزْم، فقال معاوية: أنا ابن هِنْد، لكنّي ضبطت رعيتي بالحِلْم والحِجى، وتودّدت ذوي الضِغْن بالبَذْل والإعطاء، واستملت العامّة بأداء الحقوق، وعقبت بين أهل الثغور فسَلِمَتْ لي الصدورُ عَفواً، وانقادت لي الأخِشّة[2] طَوْعاً.

١ ـ الجنف: الميل. القاموس.
٢ ـ أي الرجال الاشداء. القاموس.

المدائني عن مسلمة أنّ زياداً قال: اثنان يتعجّلان النَصب ولعلّهما لا يظفَرانِ ببُغيةٍ: الحريص في حِرْصه، ومعلّم البليد مالايبلغه فَهْمُه.

وقال مسلمة بن محارب، قال زياد: ماكذبت قطّ إلا مرّة واحدة، رأيت رجلاً من بني تميم فقلت له اين تريد؟ قال: أريد عبد الرحمن بن زياد، وكان بالطَفّ، فقلت: أرجعْ وإلا قطعت منك طابقاً، وكان الرجل يشارب عبد الرحمن النبيذ، ثمّ رأيته بعد فقلتُ: أين تريد؟ قال: عبد الرحمن، فقلت: ألم أَنْهَك عنه؟ فقال: أيّها الأمير لاصَبْرَ عنه، فقلت: إنّ رجلاً طابت نفسُه بقطع طابق منه بمَحَبّة عبد الرحمن لأهلٌ لأنْ لايُؤْذَى، أمضِ إليه.

وقال أبو اليقظان: كان زياد يكسر عينه فقال الفرزدق.

وقبْلَكَ ما أَعْيَيْتُ كاسِرَ عَيْنِهِ زِياداً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ حَبائلُهْ

المدائني عن مسلمة بن محارب وابن الكلبي عن عوانة قال: أشرف زياد على بَلْج بن نشبة السَعْديّ وهو بباب داره، وكان خليفة لصاحب حرسه، وهو صاحب حمّام بَلْج، فقال:

ومُحْتَرِسٍ مِنْ مِثْلِهِ وَهْوَ حارِسُ

المدائني قال: اختصم بنو راسب والطُفاوة في رجل وأقاموا جميعاً البيّنة عند زياد، فقال سَعْد الرابِيَة: أصلح الله الأمير، يُؤتى به النهر فيُلقى فيه فإن كان من راسِب رَسَبَ، وإن كان من الطُفاوة طفا، فضحك زياد وقال: لاتَعُدْ لِمزاح في مجلسي.

المدائني عن مسلمة وغيره أنّ زياداً قال على المنبر: إنّ الرجل ليَتكلّم بالكلمة لايَقْطَعُ بها ذَنَبَ عَنْز مصور[1] لو بَلَغَت إمامَهُ سَفَكتْ دَمَه.

---

١ - أي قليلة اللبن. القاموس.

المدائني قال: كان زياد يقول مَن قدر فلا يمنعنّ حُسْن الاستماع.

حدثني عبد الله بن صالح حدثني بعض أصحابنا أنّ رجلاً قدّم إلى زياد صديقاً له في مُنازَعة كانت بينهما، فقال: أصلح الله الأمير إنّه يدّعي أنّ بينك وبينه مَوَدّة، فقال: صدق وأنا ناظر فيما بينكما، فإن ثبت لك عليه حقّ أَدَّيْناه عنه، وإن ثبت له عليك شيء أخذناك به له أخذاً عنيفاً.

المدائني عن مسلمة، قال: شخص زياد إلى معاوية ومعه الأحنف وعدّة من وجوه أهل البصرة، فقال زياد: ياأمير المؤمنين أشخصَ أقواماً إليك الرّغْبَة، وأقعد آخرين العذر، ولكلّ من سعة رأيك وفضلك ماتجبر المتخلّف، ويُكافأ به الشاخص، فقال الأحنف: مانعدم منك ياأمير المؤمنين نائلاً جزيلاً وبلاءً جميلاً ووعداً ناجزاً، وزياد عاملك المستَنّ بسُنّتك المحتذي لمثالك، ونستمتع الله بك، فما نقول الا كما قال زُهير، فإنّه ألقى عن المادحين فضل الكلام حين قال:

وما يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْه فإنّما تَـوارَثَهُ آبـاءُ آبائِهِمْ قَبْـلُ[1]

فحباهم معاوية وبعث معهم إلى مَن تخلّف من الوجوه بصِلات.

حدثني الحِرْمازي عن جَهْم بن حسّان السَليطي وغيره قالوا: كتب زياد كتاباً قُرِىء على أهل المِصْر نُسْخَته: أمّا بعد، فالحمد لله على إفضاله وإحسانه، وإيّاه أسأل المزيدَ في نَعْمائه، وإليه أرغب في زيادتنا شكراً كما زادنا إحساناً، ثمّ إنّ الجَهالة الجهلاء والضَلالة العَمْياءَ والغَيّ المورد أَهله النارَ مايأتيه سُفهاؤكم ويَشتمل عليه حُلماؤكم، من الأمور العِظام التي ينبت عليها

١ ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ـ ط. القاهرة ١٩٦٤ ص١١٥ .

الصغير ولاينحاش لها الكبير، كأن لم تسمعوا بنبيّ الله، ولم تقرأوا كتاب الله، ولم تعرفوا ماأعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب. الأليم لأهل معصِيَته، في الدار التي لاتزول شدّتها ورخاؤها، أترضون أن تكونوا كمنَ طَرَفَتْ عَيْنَه الدنيا وسدّت مسامعه الشهواتُ، فاختار الفانية على الباقية؟ قد أحدثتم هذه المَواخير وسلبتم الضعيف في النهار المُبصِر والليل المُظْلِم، أَما منكم نُهاة تمنع الغُواةَ من الغارة في النهار والسرق في الليل؟ تعتذرون بغير عُذر، وتسحَبون ذيولكم على الغَدْر، كلّ امرىء منكم يذبّ عن سفيهه، صنيعَ مَن لايخاف عاقبة ولايرجو مَعادا، فلم يزل بسفهائكم ماترون من قيام حلمائكم دونهم، وذبّهم عنهم، وسَترهم عليهم، حتّى انتهكوا حُرْمَة الإسلام، وكنسوا في مَكانِس الرَيْب، حَرُمَ عليّ الطعام والشراب حتّى أُسَوِّيَها هَدْماً وإحراقاً، وتقطيعاً ببطونِ السِياط ظُهورَ الغاوين، وإني أقسم بالله لآخذن الوليّ بالولي، والمُقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح في نفسه بالسقيم النَطِف، حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه فيقول: أنْجُ سَعْدُ فقد هلك سُعَيْد، أو لتَستقيمنَّ قَناتُكم. إنّ كِذْبَةَ المِنْبَر مشهورة، فإذا تعلّقتم عليّ بكِذْبة في وعد أو وعيد حلَّت لكم معصيتي؛ مَن ذهبَ له منكم شيء فأنا ضامن له، وإيّايَ ودَلَجَ الليل فإني لاأُوتَى بمُدْلجٍ إلا سفكت دمه، وقد أجّلتكم في ذلك قَدْرَ مايأتي الخبرُ الكوفةَ ثمّ يرجع إليكم، وإيَّايَ ودَعْوَى الجاهليّة فإنّي لاأجد أحداً دعا دَعْوتها واعتزى عزْوَتها إلا قطعتُ لسانه، وقد أحدثْتم أحداثاً لم تكن، وأحدثنا لكلّ ذَنْبٍ عُقوبة، فمَن غرّق قوما غرّقناه، ومَن حرق على قوم حرقناه ومن نَقَبَ على بيت نَقَبْتُ عن قلبه، ومن نبش قبراً دفنتُه فيه حيّاً، فكُفّوا أَيْدِيَكم أكفّ يدي عنكم، ولايُظهر أحدٌ

منكم خلاف ماعليه عامتكم إلا ضربت عنقه، وقد كانت بيني وبين قوم منكم إحَنٌ جعلتها دَبْر أذني وتحت قَدَمي، فمَن كان منكم مُحسناً فليزددْ إحسانا، ومَن كان مُسيئا فلينزعْ عن إساءته، ولو علمتُ أنّ رجلا قد قتله السُلّ من بُغْضي لم أكشِفْ له قِناعاً ولم أهْتِكْ له سِتراً حتّى يُبْدي لي صَفْحَتَه ويبادي بمَعْصيته، فإذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على انفسكم، أيّها الناس إنّا أصبحنا لكم ساسةً وعنكم ذادةً، نسوسُكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونَذودُ عنكم بالفَيء الذي خَوّلنا.

قالوا: وكتب زياد إلى معاوية: اني قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة، فولّني الحجاز والعَروض أكْفك هذا الحيَّ من قريش، فبلغ ذلك ابن عمر فقال: اللّهمّ اشغَلْه، فما مكث إلا أياماً حتّى طُعن في إصبعه، فلمّا مات وبلغ ابنَ عمرَ موتُهُ قال: يا بن سميّة لا في الدنيا بقيتَ ولا الآخرة أدركت.

المدائني عن مسلمة أنّ زياداً قال: لو أنّ لي ألف ألف دينار ولي بعير جَرِب لقُمْتُ عليه قِياماً يقول من رآه إنيّ لاأملك معه غيره، ولو أنّ لي عشرة دراهم لاأملك غيرها ثمّ لَزِمَني حقٌّ وضعتُها فيه.

المدائني عن مسلمة قال: شكا الناس إلى زياد نُقْصان المكاييل التي يُرْزَقون بها، فدسّ مَن اتّبع خَدَمهم الذين يتولّون قَبْض أرزاقهم لهم، فوجدهم يشترون من أرزاقهم الطَيْر ومايُلْعب به والحَلْواء، فخطب الناس فقال: انّكم تحملون علينا ذَنْبَ أنفسكم في أرزاقكم، يبعث أحدكم خادمه لقَبْض رِزْقه، فيشتري من رزقه ماشتهى فتعهدوا أرزاقكم وتولّوا قَبضها بأنفسكم. وكان زياد يقول: مابالُ أحدكم يأخذ عطاءه ومؤونتُه خفيفة ثمَّ يَدَّانُ؟ تعهدوا معايشكم وأصلحوا ماتحتاجون إليه من أموركم.

وكان زياد يقول: إذا لم يجدْ أحدكم سعة لتزوّج مَن ترغب فيه لموضعه فليتزوّج سَبيّةً.

المدائني قال: خطب زياد فلمّا فرغ قام عبد الله بن الأهتم فقال: أشهد أيّها الأمير أنّك قد أُوتيتَ الحِكْمة وفَصْل الخِطاب، فقال: كذبتَ، ذاك نبي الله داود؛ فقام الأحنف فقال: إنّ الثَناء بعد البَلاء والحمد بعد العَطاء، فقال زياد: صدقتَ، وقام أبو بِلال الخارجي فجعل يَهْمِس فقال زياد: إنّا لانبلغ ماتريد وأصحابك حتّى نخوض إليه الدِماء.

المدائني قال: أمر زياد حاجبه أن يُدخل مَن على بابه في وقت انتصاف النهار فأدخلهم، فتمثّل زياد:

وهاجِرَةٍ تحلُبُ الناعِجاتِ ماءً حَمِياً إذا الشاةُ قالا

ثمّ قال لهم: ماالذي تخافون على أهل البصرة؟ فقال بعضهم: الحرق، وقال بعضهم: الغَرَق، قال زياد: أَخْوَف من ذلك عدوّ يأتيكم لارَهْجَ له، أو رجل يأتيكم فيشتدّ شِدّتي ولايلين ليني، فجاء الحَجّاج فاشتدّ شدّته ولم يَلِنْ لينه، وكان عَدُوّاً لارَهْجَ له، فكان يُسيء بصالحهم، ويحسُدهم على نِعَمِهم، فينتزعها منهم.

المدائني قال: كان الحسن يقول: أوعد عمر فعوفِيَ، وأوعد زياد فابتُلِي.

المدائني قال: أُهْدِيَ إلى زياد خِوان بايْزَهْر[1] قوائمه منه، فاقتلع نافع بن خالد قائمة وجعل مكانها قائمة ذهب فحبسه، فكلّمه فيه سَيْف بن وَهْب الأَزْدي، فقال زياد:

---

١ ـ بالفارسية: بادزهر: حجر الترياق.

أَذْكَرْتَنا مَـوْقِفَ أَفراسِنا بالجَوِّ إذْ أَنْتَ إلَيْنا فَقيرْ

ثمّ وهبه له.

المدائني عن مسلمة وغيره قالوا: كان زياد يؤخّر العِشاء الآخرة حتى يكون آخر من يصلّي، ثمّ يأمر رجلاً فيقرأ سورة البَقَرة أو غيرها من الطِوال ويرتّل القرآن، فإذا أمهل بقدر مايرى أنّ إنساناً يبلغ الخُرَيْبة أمر صاحب شرطته بالخروج، فيخرج فلا يرى انساناً إلا قتله.

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة وغيره قالوا: لمّا جمع معاوية لزياد الكوفة والبصرة في سنة خمسين كان يخلّف سَمْرة بن جُنْدَب الفَزاري حليفَ الأنصار بالبصرة إذا خرج إلى الكوفة، ويخلفُهُ بالكوفة إذا خرج إلى البصرة عمرو بن حُرَيْث، وكان يُقيم بالبصرة ستّة أشهر وبالكوفة ستّة أشهر، وكان سَمُرة يُحدث أحداثاً عظيمة من قَتْل الناس وظُلْمهم، أعطى رجل زكاةَ ماله ثمّ صلّى ركعتين فأمر به سَمُرة فقُتل، فقال أبو بَكْرة: ماشأن هذا؟ فأخبروه فقال: لقد قتله سَمُرة عند أحسن عمله فاشهدوا أنّه منّي وأنا منه، ثمّ قال لسَمُرة: وَيْلَك لِمَ قتلت رجلاً عند أحسن عمله؟ فقال: هذا عمل أخيك زياد هو يأمرني بهذا، فقال: أنت وأخي في النار، أنت وأخي في النار، وتلا أبو بَكْرَة، ﴿قَدْ أَفلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[1] ويزعمون أنّ زياداً نهاه بعد ذلك عن القتل.

حدثني عبيد الله بن عمر القواريري عن أبي المُعَلّى الجَنّاني عن أبيه قال: كنت واقفاً على رأس سَمُرة بن جُنْدَب فقدم إليه بضعة عشر رجلاً،

---

١ - سورة الأعلى - الآية : ١٤ .

يسأل الرجلَ منهم مادينك؟ فيقول الإسلام ديني ومحمّد نَبِيِّي فيقول: قدِّماه فاضربا عنقه، فإنْ يَكُ صادقاً فهو خير له.

وروي عن أَنس بن سيرين قال: استخلف زياد سَمُرة على البصرة وخرج إلى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف، فقال له: هل تخاف أن تكون قتلت بريئاً؟ فقال: لو قتلت مثلهم لم أخفْ أن أقتل بريئاً.

حدثني عمر بن شبّة عن محمّد بن عبد الله بن الزبير عن سفيان عن عاصم الأحْوَل عن ابن سيرين عن ابن سَمُرة قال: مَن عرض لنا عرضنا له، ومَن مشى على الكلاّء ألقيناه في النهر.

حدثنا عفّان حدثنا حَمّاد بن سَلَمة أنبأنا عليّ بن زيد حدثنا أَوْس بن خالد قال: كنت أقدم على أبي مَحذورة فيسألني عن سَمُرة، وأقدم على سَمُرة فيسألني عن أبي محذورة، فقلت لأبي محذورة: إنّك لتسألني عن سَمُرة فِلمَ ذاك؟ فقال: كنت أنا وسَمُرة وأبو هُرَيْرة في بيت واحد فأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلّم بعضادَتَي الباب ثمّ قال: «إنّ آخركم موتاً في النار»، قال: فمات أبو هُرَيْرَة ثمّ مات أبو محذورة ثمّ سَمُرة.

المدائني عن نوح بن قيس عن أَشْعَث الحُدّاني عن أبي السَوّار العَدَوي، قال: قتل سَمُرة بن جُنْدَب من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين رجلاً كلّهم قد جمع القرآن.

المدائني عن جعفر بن سليمان الضُبَعي، حدثنا عوف قال: أقبل سَمُرة من المِربَد فخرج رجل من بعض الأَزِقّة فتلقّى الخيل، فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحَرْبَة، ثم مضت الخيل، ومرّ به سَمُرة وهو يتشحّط في

دِمائه، فقال: ماهذا؟ فقيل: رجل أصابته أوائل خيل الأمير، فقال: إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنّتنا.

حدثنا عفّان حدثنا أبو هِلال عن ابن سيرين قال: كان سَمُرة صَدوقَ الحديث عظيمَ الأمانة يحبُّ الإسلام وأهلَه حتى أحدث ماأحدث.

حدثنا عفّان حدثنا حمّاد بن سَلَمَة عن أبي عِمْران وعليّ بن زيد عن الحسن أنّ سَمُرة قال لأبي بكرة: رأيت كأنّ الدَجّال خرج فجعلت أُهَرْوِلُ حَذَراً، ثم التفتُ خلفي فأراه قريباً منّي، ثمّ انشقّت لي الأرض فدخلتها، فقال أبو بكرة: ان صدقت رؤياك أصبْتَ قُحَماً[1] عِظاماً في دينك.

المدائني، قال: كان زياد يقول: أكره للرجل[2] أن يكون وصّافاً لبَطْنِه وفَرْجه.

المدائني عن مسلمة قال: نُقب على رجل من بني سَعْد فذهب ماكان له، فأتى زياداً فأخبره خبره، فقال زياد: لايبقى محتلم من بني سَعْد إلا حضر، فحضروا فقال: هل تفقدون أحداً؟ قالوا: لا، قال: تألّفوا عشرة عشرة، ثمّ قال لكلّ عشرة: أخرجوا إليّ خيركم، ثمّ قال لأولئك الصُلحاء: أخبروني عن أهل الريبَةِ منكم، فقام رجل لم يكنْ بخيرهم فقال: الأمان، فأمنه، فأخبره بأهل الريبة، فُردّ المال.

قال: وأرسل زياد رجلاً إلى بني رُميلة، وبلغه أنّهم يُصيبون الطريق، وكان رئاب بن رُمَيْلة يعضُد قوماً يُصيبون الطريق، فلمّا قدموا قال زياد للأشْهَب بن رُمَيْلة: أنت رئاب فقال: لاأنا الأشهب، وهذا أخي رئاب،

---

١ ـ القحمة: المهلكة، والسنة الشديدة. القاموس.

٢ ـ بهامش الأصل: يتلوه في الورقة: المدائني قال: كان زياد يقول أكره للرجل.

فقال زياد: قد بلغني عنكم أمرٌ كرهته لكم ولِمَن كان مثلكم في موضعكم وشَرَفكم وجَلَدكم، أتدعان أن يكون حدكم على عدوكم وعدوّ الإسلام وتجعلان ذلك في أهل دَعْوَتكم؟! فانتفوا من ذلك وجحدوه، فقال زياد لابْنَيْ رُمَيْلَة: قد قبلت قولكما وصدقتكما، وعرض عليهما الفريضة وضمَّنهما مايليهما، فقال الأشْهَب.

تَداركَني أَسْبابُ ورْدٍ وردَّني زِيادُ كَما رَدَّ الجَموحَ الشَكائِمُ
ولَوْ أَنَّني أَجْمَعْتُ إذْ أنا مُحْرَمٌ فِراراً وَنَتْ دوني العِتاقُ الرّوائمُ
إذاً لاتَّخَذْتُ اللَيْلَ في الأرْضِ جُنَّةً وبيْني وبَيْنَ اللَيْلِ أَبْيَضُ صارِمُ

وقال زياد: واحدة مَن رأيتموها فيه لم يُخْطِىء أن يكون ضعيفاً: مَن إذا مشى حرك رأسه وعنقه وكثر التِفاته.

وقال: يُعْجبني من الرجل إذا سمع قولاً فيه عليه ضَيْمٌ أن يقول: لايملء فيه، وإذا أتى مجلس قوم عرف قدره وعلم أين ينبغي له أن يجلس منه، وإذا ركب دابّة حملها على مايريد ولم تحملْه على ماتريد وقَلَّ من رأيته كذا إلا كان مُبرّزاً.

وقال زياد لأبي الأَسْوَد الدولي: لولا ضُعْفك وسنّك لولّيتُك، فقال: لعَمْري لئن كنتَ تريد منّي مصارعة أهل عَمَلي إنّي لضعيف عن ذلك، وإن كنت تريد منّي ماتريد من غيري من عُمّالك إنّي لقويّ عليه.

المدائني قال: مرّ رجل من الدّهاقين بِخَمْرٍ فأُتي به زياد فقال: ينبغي أن يكون أراد التوصُّلَ إليَّ فأقدَمَ على حَمْلِ الخمر وإدخالِهِ البصرة بعد نَهْيي عن ذلك، فدعا به، فأخبر أنّ رجلا عقر نَخْلاً له، فوجّه مَن أغرم الرجل لكلّ نَخْلة ألف درهم، وقال: ان لم يُعطِهِ هذا المال بعد ثلاث ساعات

فاضربوا عنقه، فغرّم له أربعين ألف درهم، وقال لو جئتَني برأسه كان أحبَّ إليّ من المال.

المدائني عن مسلمة وغيره قالوا: بنى زياد دار الرِزْق ثمّ زاد فيها عبيد الله ابنه بعد، وكان عاملُ زيادٍ على دار الرِزْق عبد الله بن الحارث بن نوفل ثم روّاد بن أبي بَكْرة، وكان الجَعْد بن قيس النَمَري على السوق، وكان زياد يجلس في كلّ يوم جُمعة، فيسأل رسل عُمّاله عن بلادهم وينظر فيما قدموا له وفي أمر الأموال والنفقات، ثمّ يأتيه عُمّاله على دار الرِزْق والكلاء والسوق فيسألهم عمّا ورد دارَ الرِزْق، وعن الأسعار والأخبار وما يحتاجون إليه من مَصالحهم.

حدثني العمر عن الهيثم بن عَديَ قال: كتب معاوية إلى زياد في أمر من الأمور يكرهه الناس، فقال زياد: إن شاء معاوية أن يُعصى عُصي، وأغلظ للرسول وردَّه أعنفَ رَدٍّ، فلمّا قدم على معاوية قال له: أنا أخبرك بما كان، دخلت على ألْيَنَ الناس جانباً وأغلظهم كلاماً، قال: والله ماأخطأت.

وقال الهيثم:حدثنا المجالد بن سعيد عن الشعبي قال: كتب زياد إلى معاوية: إن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إليّ بسيرة أسيرها في العرب، فكتب إليه معاوية: ياأبا المغيرة قد كنت لهذا منك منتظراً، انظْر أهل اليمن فأكْرمهم في العَلانية وأهِنْهم في السرّ، وانظرْ هذا الحيّ من ربيعة فأكرمْ أشرافهم وأهِنْ سَفِلَتهم، فإنّ السَفِلة تبع للأشراف، فأمّا هذا الحيّ من مُضَر فإنّ فيهم فَظاظة وغِلْظة، فاحملْ بعضهم على رِقاب بعض، ولاتَرْض بالظَنّ دون اليقين، وبالقول دون الفعل، واترك الأمور بينك وبين الناس على أشدّها، والسلام.

المدائني قال: نهى زياد عن النَّوْح، فبكت امرأة على بعض أهلها فأتوا زياداً بها فقالت: ماعندي نساء، وإنّما بكيتُ إخوتي فجهرتُ بالبُكاء، فقال: وما قلتِ؟ قالت قلتُ:

أَلا زَعَموا أَنّي جَزِعْتُ عَلَيْهِما ... وَهَلْ جَزَعٌ أنْ قُلْتُ وابائي هُما
إذ افْتَقَرا لَمْ يَجْشَعا خَشْيَةَ الرَّدَى ... وَلَمْ يَخْشَ رُزْءاً مِنْهُما مَوْلَياهُما
وإنْ غَنِيا حُبَّ الصَديقُ إلَيْهِما ... وَلَمْ يُزْوَ عَنْ رِفْدِ الصَديقِ غِناهُما

المدائني عن الهُذَلي ومَسْلمة أنّ بني عِجْل تحوّلوا إلى الكوفة أيام الجَمَل، فنزلت الأزْد دورهم، فقال رجل من بني عِجْل:

لَعَمْري لَقَدْ بُدِّلْتُمْ مِنْ فَوارِسٍ ... سِراعٍ إلى الهَيْجا بِطاءٍ عَنِ الجَهْلِ

وكان رجل من بني عِجل باع دارا لبني أخيه، وكانوا أيْتاماً، فلمّا غلت الدور بالبصرة خاصم العِجْليَّ بنو أخيه إلى شُرَيْح، فردّ البَيْع، فأتى الرجل زياداً فأخبره بقصّته وقال: خاصموني حين كثرت أثمان الدور وغلتْ، فقال زياد لبني أخي الرجل: أتحلفون أنّ الدور لو كانت على حالها في الرُخْص لم تخاصموا عمّكم، ولم تحاولوا نَقْض بَيْعه فلم يحلفوا، فقال: إنّ عمّكم لم يَبعْ إلا نَظراً لكم، فأنا أُجيز بَيْعَه.

المدائني عن إسماعيل الباهلي عن ابن عون عن إبراهيم قال: أمر رجل بالكوفة عبداً لرجل أن يشجّه حتّى يستحقّه، فشجّه فتعلّق به وخاصم مولاه إلى زياد، فأخبره مولى العبد بالقصّة، وأعطى زياد مولى العبد قيمته، وقطع العبد ودفعه إلى المشجوج.

المدائني عن جرير بن حازم قال: كان زياد بن سُمَيّة أول مَن أخذ بالظِنّة وعاقب على الشُبْهَة وأخاف الناس في سلطانه، فلمّا قدم الحجّاج سأل عن سيرته فأخذ بشدّته وترك لينه.

قال: وكان زياد قد آمن الناس حتّى إنَّ الشيء ليَسقُط من الرجل فلا يعرض له أحدٌ حتّى يأتي صاحبه فيأخذه، وتَبيتُ المرأة لاتُغلق عليها بابَها، وأدرّ العطاء، فقال حارثة بن بَدْر الغُداني:

ألا مَنْ مُبْلغٌ عَنّي زِيـاداً فَنِعْمَ أَخـو الخَليفَةِ والأَمـيرُ
وأَنْتَ إمـامُ مَعْدَلَـةٍ وقَصْدٍ وحَزْمٍ حينَ تحضُرُكَ الأمورُ
أَخوكَ خَليفَةُ الله ابنُ حَرْبٍ وأَنْتَ وَزيـرُهُ نِعْمَ الـوَزيـرُ
بِـإِذْنِ الله مَنْصـورٌ مُعـانٌ إذا جـارَ الرَعِيَّةُ لا تجورُ
يَدِرُّ عَلَى يَدَيْكَ لِمـا أَرادوا مِنَ الدُنْيا لَهُمْ حَلَبٌ غزيرُ
وتَقْسِمُ بِـالسَـواءِ فـلا غَنِيٌّ بِـظُلْمٍ يَشْتَكيـكَ ولا فَقيـرُ
ولَمّـا قـامَ سَيْفُ الله فينـا زِيـادٌ قـامَ أَبْلَجُ مُسْتَنـيرُ
قَوِيٌّ لا مِنَ الأَحْداثِ غِرٌّ ولا ضَـرِعٌ ولا فانٍ كَبـيرُ

قالوا: واستعمل زياد على شُرْطته بالبصرة عبدالله بن حِصْن صاحب مقبرة ابن حِصْن، وهو أحد بني ثَعْلَبَة بن يَرْبوع، والجَعْد بن قيس صاحب طاق الجَعْد السُّلَمي، وكانا جميعاً يسيران بين يَدْيه بالحَرْبَة، ثمّ اقتصر على عبدالله بن حِصْن فحمل الحَرْبَة بين يَدْيه، وولّى الجَعْدَ أمر الفُسّاق فكان يتبعهم، وفيه يقول جرير:

إِلَيْكَ إِلَيْكَ يا جَعْد بْنَ قَيْسٍ فإِنَّكَ لَسْتَ مِن حَيَّيْ نِزارِ[1]

١ ـ ديوان جرير ص ١٧٣.

وولّى زياد قضاء البصرة عِمْران بن الحُصين الخُزاعي من أصحاب النبيّ ﷺ .

المدائني قال : أبطأ زياد يوماً بالغَداء لأمر كان ناظر فيه الدهاقين ، فقال سَعْد بن المَخَشّ الضَبّي : الغداء أصلح الله الأمير ، فقال رجل من الدهاقين : بأيّ ذنوبنا ابتلينا بهؤلاء الكلاب ؟! فسمعها زياد فقال : بجُرْأتك على الله وكُفْرك به وكِذْبك عليه ، وقال لابن مَخَشّ : لا تعودنّ لمثل هذا ، ثمّ دعا بالغداء فأكل وأكل معه ابن المَخَشّ ، وكان أكولاً ، فقال له زياد : مالك من الولد ؟ قال : تسع بنات ، أنا أجمل منهنّ وهنّ آكَلُ منّي ، فقال : لقد لطفت في المسألة ففرض لهنّ فقال ابن المَخَشّ :

إذا كُنْتَ مُرْتادَ السَماحَةِ والنَدى ... فَنادِ زِياداً أَوْ أَخـاً لِزيـادِ
يُجِبْكَ امْرُؤٌ يُعْطي عَلَى الحَمْد مالَهُ ... إذا ضَنَّ بالمَعْروفِ كُلُّ جَوادِ
وما لِيَ لا أُثْني عَلَيْكَ وإنّما ... طَريفِيَ مِنْكُمْ كُلُّهُ وتِلادي

المدائني ، قال : لقي زياداً رجلٌ نشأ بالأهواز فقال : أصلح الله الأمير إنّ أبينا مات ، وإنّ أخونا شدّ على ميراثنا فأخذه ، فقال : لا رحم الله أباك ولا حفظ أخاك ، ولا أحسن الخِلافة عليك ، فما ضيّعت من نفسك أكثرُ ممّا ضاع من مالك .

المدائني عن مسلمة قال : قال زياد : جمال السلطان لين في غير إهمال ، وشِدّة في غير افراط .

المدائني عن مسلمة قال : قال عَجْلان حاجب زياد : أصبتُ في غداةٍ واحدة ألفيْ ألف درهم وألفيْ سيف ، أعطى زياد العطاء فأعطاني كلّ رجل نصف عطائه وسيفه .

المدائني عن مسلمة بن محارب أنّ زياداً كان يَجْبي من كُور البصرة ستّين ألف ألف ، فيُعطي المقاتلة من ذلك ستّة وثلاثين ألف ألف ، ويُعطي الذُرّية ستّة عشر ألف ألف درهم ، ويُنفق في نفقات السلطان ألفي ألف ، ويجعل في بيت المال للبَوائق والنوائب أَلْفَيْ ألف درهم ، ويحمل إلى معاوية أربعة آلاف ألف درهم . وكان يجبي من الكوفة أربعين ألف ألف ، ويحمل إلى معاوية ثُلُثَي الأربعة الآلاف ألف لأن جِباية الكوفة ثُلْثا جِباية البصرة . وحمل عبيدالله بن زياد إلى معاوية ستّة آلاف ألف درهم فقال : اللّهمّ ارضَ عن ابن أخي .

حدثنا خلف بن سالم عن وَهْب بن جرير عن محمّد بن أبي عُيَيْنة عن سَبْرة بن نَخْف قال : ما بلغ الناس عاشوراء قطّ في أيّام زياد إلاّ وطائفة يأخذون العطاء ، ولا رأينا الهِلالَ إلاّ مضينا إلى دار الرِزْق فأخذنا الأرزاق لعيالاتنا ، وكان يأخذ الجِزْيَة ممّن عجز عن الدراهم عُروضاً ، فكانت خزائنُنا مملوءة من ذلك .

وحدثنا عبدالله بن صالح عن الحسين الجُعْفيّ عن شَيْبان النَحوي عن قَتادة قال : كان زياد إذا أهلَّ هِلال المُحَرَّم أخرج للمقاتلة أعطياتهم ، وإذا رأى هِلال شهر رمضان أخرج للذُرّيّة أرزاقهم .

المدائني قال : قال الحسن : أيّ سائس كان زياد لولا إسرافه على نفسه في العُقوبات وسَفْك الدماء ، كان إذا جاء شعبان أخرج أُعْطِيَة المقاتلة فملأوا بيوتهم من كلّ حُلْو وحامض واستقبلوا رمضان بذلك ، وإذا كان ذو الحِجّة أخرج أُعْطِيَة الذُرّية .

حدثني بعض أصحابنا عن عفّان حدثنا حمّاد عن الحسن أنّ زياداً قال لَمَعْقِل بن يَسار : أبا زياد ألست تعلم أنّ الأسواق قائمة ، وأنّ السُبُل آمنة ، وأنّ الأعطيات والأرزاق تُخرج إلى شهر معلوم ، ويبيع البائع إلى شهرٍ معلومٍ ؟ قال : بلى ، قال : فللّه الحمد لا يزال الناس بخير ما كان أمرهم هكذا .

وقال المدائني : كان المقاتلة بالبصرة حين قدم زياد أربعين ألفاً فبلغ بهم ثمانين ألفاً ، وكانت الذُرّيّة ثمانين ألفاً فبلغ بهم عشرين ومائة ألف ، ويقال انّ ابنه فعل ذلك .

قال : وجعل زياد الناس بالبصرة أخماساً ، وجعل على كلّ خُمْس رجلاً ، وعرّف العُرَفاء ، ونكّب المناكب ، وجعل خروج القبائل على الرايات ، وكان أوّل مَن بنى المقصورة بالبصرة ، وأوّل من جعل الأذانَيْن يوم الجمعة ، وأوّل من جُلس بين يدَيْه على الكراسي ، وأولّ من لبس الخِفاف الساذجة بالبصرة ، وأوّل من سقف حَوانيت السوق ، وأوّل من دعا النَّقَرَي وكانوا يدعون الجَفَلَى[1] .

حدثني عبدالله بن صالح قال : قال زياد لعَجْلان حاجبه : كيف تدعو الناس ؟ قال : على الشرَف ثمّ على الأسنان ثمّ أترك الذين لا يعْبأُ الله بهم ، قال : وَيْحك ومَن هم ؟ قال : الذين يلبسون في الصيف ثياب الشتاء وفي الشتاء ثياب الصيف ، قال : يا بن اللخناء هذا هَزْل ، ولو كنت تقدّمتُ إليك فيه لأحسنتُ أدبك .

---

١ ـ دعاهم الجفلى : أي بجماعتهم وعامتهم ، ودعوتهم النقرى : أي دعوة خاصة ، وهو أن يدعو بعضاً دون بعض . القاموس .

قالوا : وكان رجل من بني مخزوم أعمى يُكنى أبا العُريان ، فمرّ به زياد في موكبه ، فقال مَن هذا ؟ قالوا : زياد بن أبي سفيان ، قال : ما ولد أبو سفيان إلا فلاناً وفلاناً ، فمَن هذا فوالله لرُبَّ أمرٍ قد نقضه الله ، وبيتٍ قد هدمه الله ، وعبدٍ قد ردّه الله إلى مواليه ، فبلغ معاوية قوله ، فأرسل إلى زياد : ثكِلَتْك أمّك اقطعْ لسان أعمى بني مخزوم ، فبعث إليه بألف دينار وقال لرسوله : أقرئْه السلام وقُلْ له : يقول لك ابن أخيك أنْفِقْ هذه حتّى يأتيك مثلها ، ومرَّ به زياد من الغد فسلّم فقال قائل : مَن هذا ؟ فقال أبو العُرْيان : هذا زياد بن أبي سفيان ، وجعل يبكي ويقول : والله إنّي لأعرف منه حَزْمَ أبي سفيان ونُبْله وأشبّه جِرْمه بجِرْمه ، وبلغ معاوية خبره فكتب إليه :

ما لَبّثَتْكَ الدنانيرُ الّتي رُشِيَتْ أنْ لَوَّنَتْك أبا العُرْيانِ ألْوانا
لله دَرُّ زِيادٍ لَوْ يُعَجِّلُها كانَتْ لَهُ دونَ ما يَخْشاهُ قُرْبانا

فكتب إلى معاوية :

أحْدِثْ لَنا صِلَةً تَحْيا النُفوسُ بها قَدْ كِدْتَ يا بْنَ أبي سُفْيان تَنْسانا
مَنْ يُسْدِ خيراً يَجِدْهُ حينَ يَطْلُبُهُ أوْ يُسْدِ شَرًّا يَجِدْهُ حيثما كانا

قالوا : وكان زياد أوّل من اتّخذ الحَرَس واتّخذ الثياب الزياديّة ، وأوّل مَن مُشي بين يَديْه بالحِراب والأعْمِدَة ، واتّخذ زياد رابِطةً عِدَّتهم خمسمائة وولّى أمرهم شَيْبان صاحبَ مَقْبَرة شيبان من بني سعد ، فكانوا لا يَبْرحون المسجد .

وحدثني محمّد بن خالد الواسطي حدثنا يزيد بن هارون عن هشام بن حسّان عن الحسن أنّ زياداً ولّى الحَكَم بن عمرو الغِفاري خُراسان فغزا فغنم

فكتب إليه زياد أن اصْطفِ كلّ صفراء وبيضاء لأمير المؤمنين ، ولا تقسمْ ذلك واقسمْ ما سِواه ، فكتب الحَكَم إليه : إنّي وجدت كتاب الله قبل كتابك ، فلو أنَّ السَّموات والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً على عبدٍ فاتّقى الله لجَعل له منهما مَخْرَجاً ، والسلام ؛ وقسم الغنائم بين الناس .

المدائني عن يزيد بمثله وزاد فيه : فكتب إليه زياد : والله لئن بقيتُ لك لأقطعنَّ منك طابقاً ، فقال الحَكَم : اللّهمّ إنْ كان ما عندك خيراً لي فاقبضْني إليك ، فمات بعد أيّام بخُراسان .

وقال المدائني: صلّى أَنَس بن أبي أُناس على الحَكَم وذلك في سنة خمسين ، ويقال بعد ذلك ، وكتب الحَكَم إلى زياد : إنّي قد استخلفت أَنَساً وإنّي أرضاه لك وللمسلمين ، فقال زياد : اللّهم إنّي لا أرضى أَنَساً لك ولا لي ولا للمسلمين ، وولّى خُراسان خُليد بن عبدالله ، فقال أَنَس :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي زِيـاداً مُغَلْغَلَةً يَخُبُّ بها البَريـدُ
أيعْـزِلُني ويـطْعمُهـا خُلَيْداً لَقَدْ لاقَتْ حَنيفَةُ ما تُريدُ
عَلَيْكُمْ بِاليَمامَـةِ فاحـرُثوها فَـأَوَّلُكُمْ وآخِـرُكُمْ عَبيـدُ

فولّى خُليداً أشهراً ثمّ عزله وولّى الربيع بن زياد خُراسان فغزا فغنم ، وأعتق الربيع فرّوخاً ـ وكان كاتبَه على مائة ألف ـ فقال : ما أقبح أن آخذ لك ثمناً يا فروخ ، وما أقبح أن تكون مُكاتَبا ، أنت حُرٌّ ومالك لك .

وحَمَل الربيع مرزبانَ مَرْو إلى زياد ، فأمر الناسَ فصُفّوا من المِربَد إلى دار الإمارة وعليهم السِلاح ، فقال : كيف رأيت عُدّتنا مع قُرْب عهدنا بالسلطان ؟ فقال : ما أحسنَ ما رأيتُ ، قد ملك السِلاحَ قبلكم أقوامٌ فلم أَرَهُ أغنى عنهم شيئاً حين انقطعت آثارُهم وانقضت مُدّتهم .

قال الهَيْثَم : كان لزياد صديق من بني شيبان يقال له عُمَيْر ، فقال له زياد يوماً : كيف ترى عملي ؟ قال : أراك أصلحتَ الناس بفساد نفسك ، فقال له زياد : ما فَسُدَ مَن صلحتْ عليه العامّة .

قالوا : وأقبل رجل ومعه سِكّين ، فظنّ صاحب شرط زياد أنّه يريده ، فطعنه فقتله ، فقيل له : إنّ قوماً نحروا جَزوراً ، فعبث بعضهم بهذا الرجل فهرب من بين يَدَيْه ، فوداه زياد .

وكان زياد يمنع الحَمّامات إلاّ في المواضع التي لا تضرُّ بأحد .

وتعرّض رجل من أصحابه لرجل في سفينة فأخذ منه درهماً وقال : أُمِرْتُ أن أجبي من كلّ سفينة درهماً ، فأخذ الرجل فقطع يده .

وجبى عامل له خراجَ السنة في ثُلْث السنة فقال له زياد : لو أردنا هذا لقدرنا عليه ، فارددْ عليهم ثلثي ما جبيت .

وكان يقول : أحسنوا إلى الدَهاقين فإنّكم لن تزالوا سِمانا ما سِمنوا .

حدثني عمر بن شبّه حدثنا أبو عاصم النبيل قال : كان زياد يبعث إلى سِكّة المِربد فيمسَحها ، فإن زيد فيها بناء أمر به فهُدم .

قالوا : وكتب معاوية إلى زياد أن أوفدْ إليّ بنيك من مُعاذة العُقَيْليّة ، وهم : عبد الرحمن ، ومغيرة ، ومحمّد ، وكُنْ معهم ففعل ، فزوّج عبد الرحمن فاختة بنت عتبة بن أبي سفيان ، وزوّج المغيرة ابنة المُهاجِر بن طليق بن سفيان بن أميّة ، وزوّج محمّداً ابنته صَفِيّة بنت معاوية ، وقال : أَما إنّها أحسن بناتي ، فقال زياد : وهو أحسن بنيَّ .

المدائني قال : كان مع زياد رجل من عبد القَيْس فاستأذن زياداً في إتيان عبدالله بن عامر بن كُرَيْز وقال : إنّ له عندي أَيادي ، فأتاه فقال : هيه

وابن سُمَيّة يقبّح آثاري ويعرّض بعُمّالي ؟ لقد هممتُ أن آتي بقَسامةٍ من قريش يحلفون أنّ أبا سفيان لم يَرَ سُمَيّة قطّ ، فقال زياد للرجل : ما قال لك ؟ فأبى أن يخبره ، فأحلفه فأخبره ، فشكا ذلك زياد إلى معاوية ، فأمر حاجبه بضرب وَجْه دابّة ابن عامر إذا حضر بابه ، ففعل ، فقال ابن عامر : ليس الرأي إلاّ إتيانَ يزيد ، فأتاه فشكا ما فُعل به ، فقال يزيد : لعلّك ذكرت زياداً ، فقال : نعم ، فركب معه يزيد حتّى أدخله على معاوية ، فلمّا رآه معاوية قام فدخل ، فانتظراه فأبطأ ثم خرج وفي يده قضيبٌ يضرب به الأبواب ويتمثّل :

لَنا سِياقٌ ولَكُمْ سِياقُ قَدْ عَلِمَتْ ذلِكُمُ الرِفاقُ

ثمّ قعد فقال لابن عامر : أنت القائل في زياد ما قلت ؟ والله لقد علمت العرب أنّي كنتُ من أعزّها في الجاهليّة وما زادني الإسلام إلاّ عزّاً ، وأنّي لم أتكثّرْ بزياد من قِلّة ، ولم أتعزّزْ به من ذِلّة ، ولكنّي عرفت حقّاً فوضعتهُ موضعه ، فقال : يا أمير المؤمنين نرجع إلى ما يحبّه زياد ، فقال : إذن نرجع لك إلى ما تحبّه ، فخرج ابن عامر إلى زياد فترضّاه .

حدثني بَسّام الحمّال حدثنا حمّاد بن سلمة عن عليّ بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال : وفد أبو بكرة مع زياد إلى معاوية ، فقال : يا أبا بكرة ، حدّثني بشيء سمعتَه عن النبي ﷺ ، فقال : كانت الرؤيا الحسنة تُعجب رسول الله ﷺ ، فقال ذات يوم : «أيّكم رأى رؤيا ؟ فقال رجل : أنا رأيت كأنّ ميزاناً دُلّي من السماء فوُزنتَ فيه وأبو بكر فرجحتَ بأبي بكر ، ثمّ وُزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ، ثمّ وُزن عمر وعثمان فرجح عمر بعثمان ، ثمّ رُفع الميزان ، فقال النبيّ ﷺ : تكون خِلافة نبوّة ثمّ يُؤتي الله

المُلك مَن يشاء» ، فقال : فأمر فَزُخَّ(١) في أقْفِيَتنا فأُخرجنا ، فقال زياد : لا أبالك أما وجدتَ غير هذا الحديث ؟! ثمّ دعا معاويةُ بأبي بكرة فسأله عن الحديث فحدّثه به ، فأمر بإخراجه وقال : أتقول المُلْك ، قد رضينا بالمُلْك .

المدائني قال : قال معاوية : ضبط زياد العراق بالسيف ، وضبطتُ العراق والشام والحجاز واليمن بالحِلْم .

وجمع معاوية لزياد البصرة والكوفة في سنة خمسين حين مات المغيرة بن شعبة .

المدائني : انّ زياداً أمر أن لا يباع القَتّ(٢) إلاّ وَزْناً ، فسأل غلاماً له عن قَتّ اشتراه فقال : أخذته كذا وكذا حَبْلاً بدرهم ، فتنكّر وركب إلى أصحاب القَتّ فقال لرجل منهم : كيف تبيع القَتّ ؟ قال : كذا وكذا حَبْلاً بدرهم ، قال : أوَلم يأمر الأمير ببيع القتّ وَزْناً ؟ فقال : أَوَكلّ ما يأمر الأمير به أُطعناه فيه ؟! فقطع يده ، فلم يُبَعْ إلاّ وَزْناً(٣) .

المدائني ، قال : بعث غالب أبو الفرزدق معه بحَلوبةٍ من البادية فباعها وأقبل يصر ثمنها ، فقال له رجل : لو كان مكانَك رجلٌ أعرفه ما صَرَّ الدراهم كما تصرّ ، قال : ومَن هو؟ قال : غالب بن صَعْصَعة ، فنثرها الفرزدق فانتهبها الناس ، وصاح به صائح : ألقِ رِداءك يا بن غالب فألقاه وصاح صائح آخر : ألقِ قميصك فألقاه ، وبلغ ذلك زياداً فقال : هذا أحمق يضري الناس بالنَهْب ، فطلبه فلم يُوجدْ ، فلمّا قال الشعر في معاوية بسبب

١ ـ أي دفعنا وهو مغضب . انظر القاموس .
٢ ـ القت : الفصفصة الرطبة من علف الدواب . معجم أسماء النبات .
٣ ـ بهامش الأصل : «الفرزدق» .

ميراث الحُتات المُجاشِعي بلغ زياداً فغضب وازداد عليه حَنَقاً ، فطلبه فلم يقدرْ عليه ، ثمّ استعْدَتْ نَهْشَل وبنو فُقَيْم عليه زياداً حين هجا بني نَهْشَل وبني فُقَيْم ، فلم يعرفْه زياد ، فقيل هذا الذي نثر الدراهم وقال الشعر ، فطلبه فهرب إلى عيسى بن نضلة السُلَمي فحمله على ناقة وخرج في الليل يريد الشام وقال :

حَباني بِها البَهْزيُّ حُمْلانَ ناصِرٍ مِنَ الناسِ وَالجاني تُخافُ جَرائِمُهْ
إذا أَنْتِ جاوَزْتِ الغَرِيَّيْنِ فاسْلَمي وأَعْرَضَ مِنْ فَلْجٍ وَرائي مَخارِمُهْ

وبلغ زياداً خروجه ، فوجّه في طلبه فلم يقدرْ عليه ، وجعل زياد إذا نزل البصرة نزل الفرزدق الكوفة ، وإذا نزل الكوفة أتى البصرة ، فكتب زياد إلى عامله على الكوفة في طلبه .

وكان الفرزدق يقول : طُلِبْتُ حتّى تفطّنَ النَاس بمَذاهبي ، فأتيت أخوالي من بني ضَبّة فحملوني ووجّهوا معي رجلاً من بني تَيْم اللات بن ثَعْلَبَة ليدلّني على الطريق ، فعرض لنا الأسد على مَتن طريقنا فلم نَهِجْه حتّى أصبحنا ، فقلت :

ما كُنْتُ أَحْسِبُني جَباناً بَعْدَما لاقَيْتُ لَيْلَةَ جـانِبِ الأَنْهارِ
لَيْثاً كَأَنَّ عَلَى يَدَيْهِ رِحالَـةً شَثْنَ البَراثِنِ مُؤْجَدَ الأَظْفارِ
لَمّا سَمِعْتَ لَهُ زَماجِرَ أَجْهَشَتْ نَفْسي إِلَيَّ وَقُلْتُ أَيْنَ فِراري
فَرَبَطْتُ جِرْوَتَها وَقُلْتُ لَها اصْبِري وشَدَدْتُ في ضِيقِ المَقامِ إِزاري
فَلأَنْتَ أَلْيَنُ مِنْ زِيادٍ جانِباً فاذْهَبْ إِلَيْكَ مُخَرِّمَ السُفّارِ[٢]

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٥٧ مع فوارق .

فأنشد شَبَث بن رِبْعي زياداً شعره فرقّ له فقال : لو جاءني لآمنته ووصلته ، فبلغ الفرزدق قوله فقال :

دعاني زيادٌ لِلْعَطاءِ ولَمْ أَكُنْ ... لآتِيَهُ ما نالَ ذو حَسَبٍ وَفْرا
وعِنْدَ زِيادٍ لَوْ يُريدُ عَطاءَهُمْ ... رجالٌ كَثيرٌ قَدْ أَماتَهُمُ فَقْرا
قُعودٌ لَدَى الأبْوابِ طُلّابُ حاجةٍ ... عَوانٍ مِنَ الحاجاتِ أَوْ حاجَةً بِكْرا
فَلَمّا خَشيتُ أَنْ يَكونَ عطاؤه ... أَداهِمَ سوداً أَوْ مُدَحْرَجَةً سُمْرا
نَمَيْتُ إِلَى حَرْفٍ أَضَرَّ بِنِيِّها ... سُرَى اللَّيْلِ واسْتِعْراضُها البَلَدَ القَفْرا
يَؤُمُّ بِها المَوْماةَ مَنْ لا يَرَى لَهُ ... إِلَى ابْنِ أَبي سُفْيانَ جاهاً ولا عُذْرا(١)

وقدم الفرزدق المدينة هارباً من زياد ، فمدح سعيد بن العاص وهو على المدينة بقصيدة يقول فيها :

عَلَيْكَ بَني أُمَيَّةَ فاسْتَجِرْهُمْ ... وخُذْ مِنْهُمْ لِما يُخْشَى حِبالا
إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ ومِنْ زِيادٍ ... ولَمْ أَحْسِبْ دَمي لَكُما حَلالا
فإِنْ يَكُ في الهِجاءِ يُرادُ قَتْلي ... فلَم أَتْـرُكْ لِمُنْتَصِرٍ مَقـالا(٢)

فلم يزل بمكّة والمدينة ، وقال :

أَلا مَن مُبْلِغٌ عَنّي زِيـاداً ... مُغَلْغَلَةٍ يَخُبُّ بِها البَريـدُ
بأَنّي قَدْ هَرَبْتُ إلى سَعيدٍ ... ولا يُسْطاعُ ما يَحْوي سَعيدُ
فَرَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ لَيْثٍ هِزَبْرٍ ... تَفادَى مِنْهُ في الغَيلِ الأُسودُ

---

١ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٨٧ - ١٨٩ مع فوارق .
٢ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٧٠ .

فإنْ شِئْتَ انْتَسَبْتُ إلى النَصارَى وإنْ شِئْتَ انْتَسَبْتُ إلى اليَهودِ
وإنْ شِئْتَ انْتَسَبْتُ إلى فُقَيْمٍ وما نَسَبي وما نَسَبُ القُرودِ(١)

وقال أيضاً في قصيدة :

وَعيدٌ أتاني مِنْ زِيادٍ فَلَمْ أَنَمْ وإن كُنْتُ عِنْدَ الهضْبِ هَضْبِ التَّهائِمِ
فَبِتُّ كَأَنّي مُشْعَرٌ خَيْبَرِيَّةً سَرَتْ في عَظامي أَوْ سِمامَ الأَراقِمِ
زِيادَ بْنَ صَخْرٍ لا أُظُنُّكَ تارِكي وبالظَّنِّ ما جَشَّمْتَني غَيْرَ ظالِمِ
فإنَّك مَنْ تَغْضَبْ عَلَيْهِ مِن امْرِىءِ وإنْ كانَ ذا رَهْطٍ يَبِتْ غَيْرَ نائِمِ
نَمَتْك العَرانِينُ الطِوالُ ولا أَرَى لسَعْيِكَ إلّا حامِداً غَيْرَ لائِمِ(٢)

وكان فتيان المدينة يدعونه ، فدعي إلى قينة فقال :

إذا شِئْتُ غنَّتْني مِنَ البيض قَيْنَةٌ لَها مِعْصَمٌ رَيّانُ لَمْ يَتَخَدَّدِ
لِحَسْناء مِنْ أَهْلِ المَدينَةِ لَمْ تَعِشْ بِبُؤْسٍ ولَمْ تَتْبَعْ حَمولَةَ مُجْحِدِ
وقامَتْ تُخَشِّيني زِياداً وأجْفَلَتْ حَوالَيَّ في بُرْدٍ يَمانٍ ومُجْسَدِ
فَقُلْتُ دَعيني مِنْ زِياد فإنَّني أَرى المَوْتَ وَقّافاً عَلَى كَلِّ مَرْصَدِ(٣)

ولم يزل الفرزدق هارباً من زياد حتّى مات زياد ، ثمّ كان يضرب به المثل بعد موته في كلّ ما خافه فقال :

إذا ذَكَرَتْ نَفْسي زِياداً تَكَمَّشَتْ مِنَ الخَوْفِ أحْشائي وشابَتْ مَفارِقي(٤)

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٤٦ مع فوارق شديدة .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢١٥ ـ ٢١٦ مع فوارق .
٣ ـ ديوانه ج ١ ص ١٥٣ مع فوارق .
٤ ـ ديوانه ج ٢ ص ٤٠ .

وقال :

هُمُ مَنَعوني مِنْ زِيادٍ وقَدْ رَأى زِيادٌ مَكاني وَهْوَ لِلناسِ قاهِرُ

وقال الفرزدق لمّا حبسه مالك بن المنذر :

وَلَوْ كُنْتُ أَخْشَى مالِكاً أَنْ يَروعَني لَطِرْتُ بِوافٍ ريشُهُ غَيْرَ جاذِفِ
كَما طِرْتُ عَنْ مِصْرَي زِيادٍ وإِنَّهُ لَتَصْرِفُ لي أَنيابُهُ بالمَتالِفِ(١)

وقال للقُباع المخزومي حين طلبه :

وقَبْلَكَ ما أَعْيَيْتُ كاسِرَ عَيْنِهِ زياداً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ حَبائلُهْ(٢)

قالوا : وكان كَسر عين زياد خِلْقَةً .

المدائني ، قال : تواقف حُبَيّ بن هَزّال التميمي ثمّ السَعْدي وزَيْنب بنت أوْس بن مَغْراء القُرَيعيّ في المِرْبَد ، فترافثا فقال حُبَيّ :

زيْنَبُ ذاتَ العُنْبُلِ(٣) النَّواسِ هَلْ تَذْكُرينَ لَيْلَةَ الأَوَاسي
ولَيْلَةَ الأَزِديّ ذي الأفراس إِذْ تركبينَ طَرَفَ المِنحاسِ

فقالت زَيْنَب :

ناكَ حُبَيٌّ أُمَّهُ نَيْكَ الفَرَسْ أَرْبَعَةً وخَمْسَةً ثمّ جَلَسْ
مُنْتَزَعَ الشَهْوَةِ مَحْفوزَ النَفَسْ

فجاء قوم إلى زياد فسألوه يكفّهما ، فأرسل في طلب حُبَيّ فهرب إلى معاوية ، فأخاف زياد أهلَه وأخذ ولدَه ، فكتب معاوية إلى زياد في الكفّ

---

١ ـ ديوانه ج ٢ ص ١١ وفيه «خالداً» بدلاً من «مالكاً» .
٢ ـ ديوانه ج ٢ ص ١٧٢ .
٣ ـ العنبل : البظر .

عنه ، فقدم البصرة وزياد يخطب ، فقال : أردتُ أن أشهر مَقْدمي وأماني لئلا يُقدم عليّ زياد ، وقال :

أَتَيْتُ بِقِرْطاسٍ يَلوحُ كِتابُهُ … كَنارِ اليَفاعِ شَبَّها الركْبُ لِلْقَفَلْ
كِتـابُ أَمير المُؤمِنـينَ وإِذْنُه … فَمَنْ شاءَ فيهِ الآنَ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلْ
ولجَّ الأميرُ قَبْلَ عَيْرٍ وما جَرَى … بإِخْراجِنا فاغْفِرْ لَهُ رَبِّ ما فَعَلْ
لَو انَّ زِياداً قَبْلَ ما قادَنا لَهُ … دعانا عَلياً بالبَراءَةِ أَوْ سَأَلْ
لَجِئْنا بِبُرْهانٍ مِنَ الحَقِّ واضِحٍ … وما شَكَّ في أَنّا ظُلِمْنا وما عَدَلْ
فلا تَعْجَلوا بِاللَّوْمِ حَتَّى تَبَيَّنوا … ويَحْصُلَ مِن هَرْجِ الأَحاديثِ ما حَصَلْ
فلا كوفَةٌ أُمي ولا بَصْرَةٌ أَبي … ولا أَنا يَثْنيني عَنِ الرِحْلَةِ الكَسَلْ
وفي العَيْشِ لَذّاتٌ وفي المَوْتِ راحَةٌ … وفي الأَرْضِ مَنْأًى عَن زِياد ومُحْتَمل(١)
وفي الكُرْهِ خيرٌ للصبور وفي الهَوَى … إِذا ما الفَتَى لَمْ يُوقَ سَيِّئَهُ خَبَلْ

المدائني قال : كان أبو الأَسْوَد الدولي يسأل زياداً الحوائج فربّما قضى له الحاجة وربّما رده ، فقال :

رَأَيْتُ زِياداً صَدَّ عَنّي ورَدَّني … ولَمْ يَكُ مَحروماً مِنَ القَوْمِ سائِلُهْ
يُنَفِّذُ حاجاتِ الرِجالِ وحاجَتي … مُؤَخَّرةٌ عَنْ إحْنَةٍ ما تُزايِلُهْ(٢)

المدائني قال : خطب زياد فقال : إنّه حضرتني ثلاثة أشياء وجدت صلاحكم فيها فمنعتني من غُمْضي ، فاسمعوها ، والله لا أجد ساقطاً ردّ على شريف قولَه ليهجّنه إلاّ أوجعتُ بطنَه وظهره وأطلتُ حبسه ، ولا أُوتَى

---

١ - بهامش الأصل : «ومعتزل» .
٢ - ديوانه ص ٢١٩ .

بحدَثَ ردّ على ذي شَيْبة رأْيَه إلاّ فعلت ذلك به ، ولا أجد جاهلاً ردّ على ذي عِلْم رأيه تهجيناً له إلاّ فعلت ذلك به ، ثمّ نزل .

قالوا : وبنى زياد مساجد لشيعة بني أميّة ومَن يبغض عليّاً ، فمنها مسجد بني عديّ ، ومسجد بني مجاشع ، ومسجد الأساورة ، ومسجد الحُدّان ، وكان لا يدع أحداً يبني بقُرْب مسجد الجماعة مسجداً ، فكان مسجد بني عديّ أقربها منه .

قالوا : وكان زياد عاتباً على المهلّب ، فشخص زياد من البصرة يريد الكوفة ، فشيّعه المهلّب مع مَن شيّعه ، وزياد على بغلةٍ وَرْدٍ عليها رِحالةٌ وتحته قطيفةٌ حمراءُ ، وعليه قَباء ، فسار والناس معه ، فدنا المهلّب منه فاعتذر إليه ، فقبل عذره وقال : إذا عدتُ ولّيتك خُراسانَ ، فمات في وجهه ذلك .

قال المدائني قال مسلمة بن محارب : كانت لزياد بغلة تُدعى أطْلال فقال يوماً :

كأنّما أطْلالُ تَحْتي حُمَمَهْ نَعامَةٌ في زَعْلَةٍ[1] مُلَمْلَمَهْ
تَحْمِلُ وَضّاحاً رَفيعَ الحَكَمَهْ

قال مسلمة : ونظرت ابنة لزياد إلى المقاتلة ، وهم يومئذ ثمانون ألفاً ، يعرضون فبكت ، فقال لها أبوها : ما يُبكيك ؟ قالت : أبكي لزَوال هذا ، قال : لا تبكي من ذلك ، ولكن ابكي من دَوامة ، فلولا زواله عمَّنْ كان قبلنا لم يصِلْ إلينا .

---

١ ـ الزعلة : النعامة . القاموس .

قال الحِرْمازي : أُتي زياد بفِتْيَةٍ من بني قيس بن ثَعْلَبَة قد شربوا خمراً ، وعنده عمرو بن مُعْتَق اليَشْكُري ، فأمر بضربهم فقال عَمْرو أروني هذا الشراب ، فإنّي قد شربت الخمر في الجاهليّة والطِلا في الإسلام ، فشرب جُرْعة منه وقال : طِلا جيّد ، فخلّى عنهم زياد ، فقيل لعمرو : شربت الخمر ؟! فقال : أَوَلا أدْرأ الحَدَّ عن فِتْيَةٍ من بني بكر بن وائل بجُرْعة أجرَعها .

حدثني العمري عن الهيثم بن عَدّي عن ابن عيّاش عن الشعبي قال : أتى عامر بن مسعود زياداً بأبي عِلاقة التميمي فقال : أصلح الله الأمير . إنّه هجاني فقال :

وكيف أُرَجّي بعد يَوْمي نَماءَها وقَدْ سارَ فيها خُصْيَةُ الكَلْبِ عامِرُ

فقال أبو عِلاقة : لم أقلْ هكذا ، ولكنّي قلت :

وإنّي لأرْجو بَعْدَ يَوْمي نَماءَها وقَدْ سارَ فيها يأْخُذُ الحَقّ عامِرُ

فقال زياد : قاتل الله الشعراءَ يقلّبون ألسنتهم كما يريدون ، والله لولا أن تكون سُنّةً يُقْتدى بها لقطعتُ لسانَه ، فقام قيس بن قَهْد الأَنصاري فقال : أصلح الله الأمير ، أحدّثك بما سمعتُ من عمر بن الخطّاب ، شهدتُه وأتاه الزِبْرِقان بن بَدْر بالحطيئة العَبْسي فقال له : هجاني ، فقال : وما قال لك ؟ قال :

دَع المكارِمَ لا تَرْحل لبُغْيَتَها واقعد فإنَّكَ أَنْتَ الطاعِمُ الكاسي[1]

---

١ ـ ديوان الحطيئة ـ ط . دار صادر بيروت ص ١٠٨ .

فقال عمر : ما أسمع هجاءً ولكنّها معاتبةٌ جميلة ، فقال الزِبْرِقان : أَوَ ما تُبلغ مُروءتي إلّا أن آكل وألبس ؟! فقال عمر : عليَّ بحسان بن ثابت ، فجيء به فسأله عمر عن البيت فقال : لم يَهْجُه ولكنّه خَرِىءَ عليه ، فأمر به عمر فحُبس ببئر وأُلقِيت عليه خَصَفة ، فقال الحُطَيئة :

ماذا تَقولُ لأفْراخٍ بِذي مَرخٍ حُمْر الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجرُ
أَلْقَيْتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَٱغْفِرْ عَلَيْكَ سَلامُ الله يا عُمَرُ[1]

فأخرجه عمر وقال : إيّاك وهِجاءَ الناس ، قال : إذاً يموت عِيالي جوعاً ، هذا كَسْبي ومَعاشي ، قال : فإيّاك والقَذْعَ وأن تقول في شعرك فلانٌ خير من فلان وفلانٌ أكرم من فلان ، فقال الحُطَيْئة : أنت والله أَهْجى منّي ، فقال عمر : والله لولا أن تكون سُنّةً لقطعت لسانك ، ولكن خُذْه إليك يا زِبْرِقان ، فألقى الزِبْرِقان في عنقه عمامته وجعل يقوده ، وعارضتْه غَطَفان فقالت : يا أبا شَذْرَة نحن إخوتُك وبنو عمّك فهَبْه لنا فوهبه لَهم . فأمر زياد عامر بن مسعود أن يفعل بأبي عِلاقة مثل ذلك ، فألقى في عنقه نِسْعة واجترّه بها ، فعارضتْه بكر بن وائل فقالوا : جيرانك وإخوانك ، هَبْه لنا ، فوهبه لهم ، وقوم يقولون إنّ عامراً الشعبي المهجّو ، وهذا باطل .

حدثني سُرَيج بن يونس حدثنا هُشَيْم بن بشير عن مجالد عن الشعبي ، قال : جاء رجل إلى معاوية فقال : عِزّ الإسلام ينفعني أو يضرّني ؟ قال : بل ينفعك ولا يضرّك ، فقال : إنّ أبي كان نصرانياً وله ولد نصرانيّ ، وإنّي أسلمت ، ومات أبي وترك مالاً كثيراً ، فذكر إخوتي أنّ المال لهم دوني ، فقال معاوية : أنت وهم فيه شرع سَواء ، وكتب إلى زياد : ورّث المسلم من

---

١ ـ ديوان الحطيئة ـ ص ١٦٤ .

الكافر ولا تورث الكافر من المسلم ، فأرسل زياد إلى شريح[1] يأمره بذلك ، وكان شريح لا يفعله قبل ذلك ، ولا يرى أن يتوارث ملتان ، فكان إذا قضى به قال : هذا رأي أمير المؤمنين .

قال هُشَيْم أخبرنا إسماعيل عن الشعبي بمثله وقال : لمّا قضى معاوية بذلك قال عبدالله بن مَعْقِل : ما حدثَ في الإسلام حدثٌ بعد قضاء أصحاب رسول الله ﷺ أعجب إليَّ منه .

المدائني قال : أمر زياد شُريحاً بأن يورث المسلم من الكافر فقضى بذلك وقال : هذا رأي زياد ، فقال قوم من الفقهاء : لقد أحسن ، فقال شُرَيْح : سُنّة رسول الله ﷺ أحسن .

وحُدثت عن شعبة عن حصين عن إبراهيم قال : أوّل مَن لم يُتِمّ التكبيرَ زياد ، واستخلف شُرَيْحاً فكان لا يُتمّ التكبير ، فمشى إليه علقمة وأصحابُ عبدالله بن مسعود فقالوا : ما هذا ؟ فقال : استخلفني رجل كرهت مخالفته .

المدائني عن القلافْلائي عن محمّد بن سيرين قال : قدم شُرَيْح مع زياد الكوفة فقضى بالبصرة ، فكان زياد يُجلسه إلى جنبه ، وقال : إن حكمتُ بشيءٍ ترى غيره أقربَ إلى الحقّ فأعلمنْي ، فكان زياد يحكم فلا يردّ عليه شُرَيْح شيئاً .

حدثنا محمّد بن الصبّاح البَزّاز حدثنا هُشَيْم أنبأنا مجالد عن الشعبي قال : أثنى شريح بن الحارث على زياد ، فقال له شُرَيْح بن هانىء الحارثي : أَمِثْلك يُثني على زياد ؟ فقال : إنّه لو ولّاك ما ولّاني لأثنيتَ عليه .

---

١ ـ بهامش الأصل : «القاضي شريح» .

المدائني قال : قال زياد لشُرَيْح : إنّي أريد أن أزيدك في رزقك ، فقال : لا حاجة لي في أكثرَ ممّا فرض لي عمر ، قال : فإنّي أولّيك عملاً أُجْري عليك رزقَه ، قال : أنت وذاك ، قال : أولّيك الصلاة قال : إنّي لا آخذ على الصلاة رزقاً ، فولّاه بيت المال وأجرى عليه ألفاً فكان يأخذها .

حدثني رَوْح بن عبد المؤمن حدثنا أبو عَوانة عن مغيرة عن إبراهيم قال : كان زياد بن سميّة أوّلَ من جعل الوَرِق في الدِيَة ، وكان الوَرِق بالبصرة وَزْن سبعة فجعلها عشرة آلاف درهم ، وكان الوَرِق بالكوفة وَزْن ستّة فجعلها اثني عشر ألفاً ، قوَّمَ الجَذَعَةَ وابنة مخاضٍ وما بينهما عشرين ومائة وَزْن ستّة .

حدثني بكر بن الهيثم أنبأنا أبو نُعيم حدثنا سفيان بن مغيرة عن إبراهيم قال : إنّما كان يُقضيَ في الدِيَة بالإبل حتّى قوّمها زياد اثنيْ عشر ألفاً ، البعير عشرين ومائة .

حدثنا خلف بن هشام حدثنا هُشَم أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد ومجالد بن سعيد عن الشعبي قال : ابتاع رجلاً داراً فوجد فيها كنزاً ، فقال البيّع : ما دفنتُ فيها شيئاً ، وقال المشتري : ما الكنز لي ، فأتيا شُرَيْحاً فقصّا عليه قصّتهما ، فقال : ما أدري أَجادّانِ أنتما أم لاعبانِ ، ودخل على زياد فأخبره خبرهما فقال : اعرض عليهما المال فأيّهما قبله فهو له ، وإن أبيا قبوله فانطلقْ به إلى بيت المال ، فلم يقبلاه ، فحمله إلى بيت المال ، وكان أربعة آلاف وافٍ .

حدثني عمر بن شبّة حدثنا عمرو بن عاصم عن حمّاد بن سَلَمة عن الحجّاج عن الحَكَم بن عُتَيْبة أنّ زياداً قطع تميم بن مَصاد في سَرَقٍ ثمّ تاب وأصلح فأجاز شُرَيْح شهادته .

حدثني عمر بن شبّة عن يزيد بن هشام عن محمّد بن سيرين أنَّ ابن أخٍ لزياد خرج إلى السَواد فقتل دِهْقاناً ، فدفعه زياد إلى وليّ الدِهْقان فعفا عنه .

حدثني عمر عن عفّان عن عبد الواحد بن زياد عن مجالد عن الشعبي قال : أُتى زياد بنبّاش أسود فقطع يده ورِجْله وقال : هذا ممّن حَارَبَ الله وَرَسولَهُ وسعى في الأرض فساداً .

حدثني خلف بن هشام البزّار حدثنا أبو بكر بن عيّاش أخبرني مَن صلّى مع زياد فقرأ بالمُعَوِّذَتَيْن ، قال : وما قرأهما أحد من أمراء الكوفة قبله .

حدثنا عمر بن شبّة حدثنا أبو خَيْثَمة بن جرير الضَبّي عن ابن شُبْرُمة قال : قال ابن سمّية : مَن عرّض عرّضنا له السَوْط ، ومن صرّح صرَّحنا له بالحدّ ، يعني التعريض بالشتيمة .

المدائني قال : كان زياد يأخذ صاحب كلّ دار بعد المطر إذا أَصْحَتْ برفع ما بين يديْ فِنائه من الطين ، فَمن لم يفعلْ أمر بذلك الطين فأُلقي في حَجَلته[1] ، ويأخذ الناس بتنظيف طُرُقهم من القَذَر والكُناسات ثمّ انّه اشترى عَبيداً ووكلّهم به فكانوا يُنَحُّونَهُ .

---

١ ـ الحجلة : كالقبة ، وموضع يزين بالثياب والستور للعروس . القاموس .

المدائني قال : غلا الطعام على عهد زياد فدفع إلى التجار مالاً فابتاعوا به طعاماً ، وقال : زيدوا رُبْعاً رُبْعاً ، فلمّا رخص الطعام وشَغَرَ بِرِجْلِه ارتجع ماله .

حدثنا العمري عن الهيثم عن ابن عيّاش عن الشعبي قال : كانت حُطْمة زياد ، فقال للعرب : إنّ عشائركم قد وردت علينا ، فآختاروا أن نأخذ نصف أعطِياتكم وأرزاقكم فنقوتهم بها مع ما لهم عندنا ، أو تكفينا كلُّ عشيرة مَن فيها ، فمنهم مَن ضمّ عشيرته ، ومنهم مَن طابت نفسُه بنِصف عطائه ورِزْقه وأرزاق عِياله ؛ وكان لكل عَيّل جَريبانِ ومائة درهم ، ومعونة الفِطْر خمسين ، ومعونة الأضحى خمسين ، وكان يعهَدهم كلّ يوم ويقول : لِتَحْسُنْ رِعْيُكم ، فإنّ العرب إذا سَغَبت[1] اقتتلت .

حدثنا خَلَف بن هشام حدثنا هُشَيْم عن داود بن أبي هِنْد عن الشعبي أنّ زياداً أرسل إلى مسروق : انّه شغلتنا أمور وأشغال فكيف التكبير في العِيدَيْن ؟ قال : تِسْعٌ ، خَمْسٌ في الأُولى ، وأربعٌ في الآخرة ، ووالِ بين القِراءتَيْن .

المدائني قال ، قال زياد : آحفظوا عنّي اثنتَين : لا يستحيينّ مَن لا يعلم من أن يتعلّم ، ولا يستحيّين مَن يعلم إذا سُئِل عمّا لا يعلم أن يقول: الله اعلم .

حدثني إبراهيم بن الحسن العَلّاف حدثنا أبو عَوانة عن عبد الملك بن عُمَيْر قال : أوّل من جلس يوم الجمعة وأُذِّن له في الجَبّانة زياد بن سمّية .

---

١ ـ بالأصل «شبعت» وهو تصحيف .

المدائني قال : رأى زياد وهو على المنبر امرأة على سَرْج فقال : أَفعلتموها وكتب إلى عمّاله على الأمصار في مَنْع النساء من السروج ، وأن لاتوجد امرأة على سَرْج إلاّ اشْتدّ عليها .

المدائني قال : بينا زياد يسير بظهر الكوفة إذ رأى امرأة تهدج على عَيْر لها فقال لها : مَن أنت ؟ قالت : حُرَقَة بنت النعمان بن المنذر ، قال : ما كان أغلب الأشياء على أبيك ؟ قالت : محادثة الرجال والإفضال عليهم ، وأنشدته :

وكُنّا مُلوكَ الناسِ والأَمْرُ أَمْرُنا نُحَكِّمُ فيهِمْ ثُمَّ لا نَتَنَصَّفُ
فما بَرِحَ العَصْرانِ إلّا وحالُنا تَقَلَّبُ فيهِم تـارَةً وتَصَـرَّفُ

فأمر لها بمائة دينار وَوِسقاً من طعام وقال : إذا تقاربَ فناؤُه فاعلمينا فقالت : جَزْتك يدٌ افتقرت بعد غِنىً ، ولا أعْطَتْك يدٌ استغنت بَعْدَ فَقْرٍ .

المدائني قال : سأل مولى لفاختة بنت قَرظَة أن يكتب له معاوية كتاباً منشوراً بأن يُخلى له سوق الطعام بالبصرة ، فلا يبيع فيها أحد غيره حتّي يخرج ما في يده منه ، فكتب له بذلك وقال له : وَيْحك إنّي أحذّرك زياداً ، فلمّا مُنع الناس من بَيْع الطعام غلاِ النِسِعْر ، فركب زيادٌ وهو شاربُ دواءً ، فوجده على سَطْح وهو يناول الدنانير والرِقاع بالقَصَب . فأمر به فأُنزل ، فقال : إنّ معي كتابَ أمير المؤمنين ، فقال : آقطعوا يده ، فقُطعت يده ، ثمّ قال : آدفعوا إليه منشوره ويده ، فرجع إلى معاوية فقال له : قد نهيتك وحذّرتك فأبيتَ .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا أبو الوليد الطيالسي عن زائدة عن سِماك بن حرب قال : رأيت زياداً يصلّي يوم الفِطْر والأضْحى بغير أذان ولا إقامة .

حدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عَدّي عن ابن عيّاش عن عَجْلان حاجب زياد ومولاه قال : دخل زياد يوماً من صلاة الظُهْر فإذا هِرّة في زاوية المجلس ، فأردت طَرْدها فنهاني ، فلم تزلْ كذلك حتّى صلّى العَصْر ، ثمّ عاد فجعل يلاحظها ، فلمّا كادت الشمس تغرب خرج جُرَذ فوثبت عليه فأخذته ، فقال : مَن طلب حاجةً فليصْبر صبر هذه الهِرّة فإنّه يظفر بحاجته .

قال عَجْلان : وقال لي زياد يوماً : آطلبْ لي رجلاً عاقلاً ، قلت : لا أعرفه ، قال : وهل يخفى العاقل في وجهه وقَدّه ولفظه ؟ فخرجت فإذا رجل حسن الوجه مديد القامة فصيح اللسان ، فأدخلته إليه ، فقال : إنّي أريد مشاورتك في أمرٍ ، فقال : إنّي حاقن جائع ولا رأي لحاقن ولا جائع ، فأمر عَجْلان فأدخله المُتَوَضّأ فقضى حاجته ، ثمّ خرج فأمَر فأُتي بطعام ، فلمّا شبع قال : هاتِ ، فما أَوْرَد عليه شيئاً إلاّ وجد عنده فيه ما يُريد ، وكتب إلى عمّاله : لا ينظرنَّ في أمر الناس حاقنٌ ولا جائع .

حدثني الحسين بن عليّ بن الأسود عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عيّاش قال : أخبرني مَن صلّى مع زياد فقرأ بالمُعَوِّذَتَيْن .

المدائني قال : قال أبو بُرْدَة : ولاّني زياد صَدقَة أَسَد وغَطَفان ، وأعطاني من بيت المال ثلاثة عشر ألف درهم فقال : آنطلقْ فأعطِ ، وألصقْ بأهل الفاقة ، ومَن أعطيتَه ورِقاً فلا تعطه غنماً ، ومن أعطيته غنماً فلا تُعطهِ وَرِقاً ، وما وجدتَ من شِغار فآرْدُدْه ، وما رأيتَ من آمرأة معضولة فأنِخْ إبلَ

صاحبها في العَطَن حتّى يُنكحها كُفؤاً ، ولا يكن كالأَعْوُر بن بَشَامَة حبس أخته حتّى شمِطت أصداغُها .

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزّاق عن مَعْمَر عن قَتادة قال : كان زياد سَيّئة من سَيّئات معاوية ، وكان سَمُرة بن جُنْدَب سيّئة من سيّئات زياد .

قالوا : ومات زياد وعلى الكوفة من قبله عبدالله بن خالد بن أسيد ، وعلى البصرة سَمُرة ، فأقرّ معاوية سَمُرة على البصرة ستّة أشهر ، ويقال ثمانية عشر شهراً ، ثمّ عزله فقال سَمُرة : لعن الله معاوية لو أطعتُ الله كما أطعت معاوية ما عذّبني أبداً .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا أبو داود الطَيالِسي عن شعبة عن قَتادة عن مُطَرِّف قال : قيل لعِمْران بن الحُصين مات سَمُرة ، فقال : مَا ذَبَّ الله به عن الإسلام أعظم .

وروى عليّ بن عاصم عن عُيَيْنة بن عبد الرحمن عن أبيه أنّه قال: جاءت امرأة إلى سَمُرة فأعلمته أنّ زوجها لايستطيعها، وذَكَر زوجها أنّه يأتيها، فأشكل عليه القضاء فكتب إلى معاوية يستطلع رأيه، فكتب إليه معاوية أن زَوّجْه امرأة جميلة وأصدقْها من بيت المال، فزوَّجه امرأةً وأصدقها أربعة آلاف درهم، ثمّ أدخلها عليه ليلاً فلمّا أصبح دعا سَمُرة بالرجل، فجاء وعليه أثر صُفْرة، فقال: ماصنعت؟ فقال: كان ذلك منّي إليها حتّى حَصْحَصَ[1] من ورائها في الثوب، فدعا بها سَمُرة فقال لها: ماصنع؟ قالت:

---

١ ـ أي حركته حتى استمكن واستقر. النهاية لابن الأثير.

لاشيء عنده، فقال: انتشَرَ؟ قالت: نعم، ولكنّه إذا دنا أكسل، قال سَمُرة: طلِّقْ يامُحَصْحِص.

المدائني قال: وقيل لسَمُرة في رجل أنّه طويل الصلاة، فقال: لو مات ما صلّيتُ عليه، ذهبَ إلى أنّه خارجيّ.

وولّى معاوية بعد سَمُرة عبد الله بن عمرو بن غيلان بن المُحَبَّق الهُذَلي، فحصبه رجل وهو أمير، فأُتِيَ بالرجل فقَطع يده ورِجله.

المدائني عن قُرّة بن خالد عن عبد الله بن الداناج أنّ رجلا حصب عبد الله بن عمرو بن غيلان على منبر البصرة، وكان يقال للرجل جُبَيَر بن الضحّاك أحد بني ضِرار من ضَبّة، فأُخذ وأُتي به عبد الله، فأمر به فقُطعت يده ورِجْله وقال:

العَفْــوُ والـطاعَــةُ والتَسْليم خَــيْرٌ وأَعْـفى لِـبَني تَمـيـم

فكُتِبَ بذلك إلى معاوية وقالوا: قَطَعَ على شُبْهة، فعزل عبد الله بن عمرو وقال: قد وَليت عليكم عبيد الله ابن أخي زياد.

قال زياد: ليس يُعْجبني من الرجل أن يكون وصّافاً لبطنه وفَرْجه، ويعجبني منه إذا سيم خَسْفاً أن يقول: لا ، بملء فيه .

حدثنا عمرو الناقد عن موسى بن قيس عن سَلَمَة بن كُهيل قال: أوّل مَن وَطيءَ على صِماخ الإسلام زياد.

قالوا: وكان زياد يُغَدّي الناس ويعشّيهم وكانت له ألف ناقة يُؤتى بلبنها، وقد نثر التمر على الأنطاع، فيتمجّعُون اللبن بالتمر، فإذا ارتفع النهار غُدُّوا، ثمّ يعشّي بعد العصر، ويَحضر غداءهُ وعَشاءه الصحابةُ والشُرَط والمقاتلة

ومَن حضر، وكان يُطعم بالبصرة والكوفة، فإذا غاب عن إحداهما قام عمّاله مقامه.

المدائني قال: حمل شَريك بن الأَعْوَر مالاً من اصطخر مع رجل فقال له الخزّان: أَحْضِرْ وَزْنه ونَقْده، فقال: انّما دفع إليّ مالاً مختوماً، فرفعوا قوله إلى زياد فقال: إن نقص المال فليُؤخذْ به شريك، فأمّا هذا فلا شيء عليه ثمّ تمثّل بنصف بيت:

وأَبْرزُ للبراءَةِ للبَرَازِ

أمر حجر بن عدي الكندي ومقتله:

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عَوانة قال: جمع معاوية لزياد البصرة والكوفة، فأتى الكوفة فبعث إلى حُجْر فأجلسه معه على السرير، وقال: ياأبا عبد الرحمن إنّ الأمر الذي كنّا فيه مع عليّ كان باطلاً، وإنّما الأمر مانحن فيه الآن، فقال حُجْر: كلّا والله ياأبا المغيرة، ولكن الدنيا استمالتك وأفسدتك، فالله المستعان. فقال زياد: ياأبا عبد الرحمن هذا مقعدك، ولك في كلّ يوم عشر حوائج لاتُردّ عنها، واضبطْ لسانك وأمسك يدك، فوالله لئن أقطرتُ من دمك قَطْرةً لأستفرغنّه كلّه، وأنت تعلم أنّي إذا قلتُ فعلت، فقال: لستُ من هذا في شيء.

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبي مخنف وغيره قالوا: لم يزلْ حُجْر بن عَدي منكراً على الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلحه لمعاوية، فكان يعذله على ذلك ويقول: تركتَ القتال ومعك أربعون ألفاً ذوو نِيّات وبصائر في قتال عدوّك. ثمّ كان بعد ذلك يذكر معاوية فيعيبه ويظلّمه، فكان هذا هِجّيراهُ وعادّته.

وولّى معاوية المغيرةَ بن شعبة الكوفةَ، فأقام بها تسع سنين وهو أحسن رجل سيرة وأَشدّهُ حُبّاً للعافية، غير أنّه لايدع ذمَّ عليٍّ والوقيعة فيه، والعَيْب لقَتَلَة عثمان واللعن لهم، وكان معاوية حين أراد توليته قال له: يامغيرة:

لِذي الحِلْمِ قَبْلَ اليَوْمِ ماتُقْرَعُ العَصا وما عُلِّمَ الإنْسان إلا لِيَعْلَما

وقد يُجزىء عنك الحلمُ بغير تعليم، وقد أردتُ أن أوصيك بأشياء كثيرة، فتركتُ ذلك اعتماداً على بصَرك بما يرضيني ويشدّد سلطاني ويُصْلح رعيّتي، غير أنّي لاأدع إيصاءك بخَصْلةٍ: لاتَكَفْكَفَنَّ عن شَتْم عليّ وذمّه، والترحّم على عثمان والاستغفار له، والعَيْب لأصحاب عليّ والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم، والإطراء لشيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم. فقال المغيرة: قد جَرَّبتُ وجُرِّبت، وعملت قبلك لغيرك، فلم يُذمم لي رَفْع ولا وَضْع، وسَتبلوا فتحمد أو تذمّ، فقال: نحمد إن شاءَ الله فسمع حُجْر المغيرة يقول يوماً: لعن الله فلاناً ـ يعني عليّاً ـ فإنّه خالف ما في كتابك، وترك سنّة نبيّك، وفرَّقَ الكلمة وهراق الدماء، وقتل ظالماً، اللّهم العنْ أشياعه وأتباعه ومحبّيه والمهتدين بهدَيْه والآخذين بأمره، فوثب حُجْر رضي الله تعالى عنه، فنعر[1] بالمغيرة نَعْرة سُمعت من كلّ جانب من المسجد، وسُمعت خارجاً منه فقال له: انّك لاتدري بِمَنْ تولَعُ، وقد هَرِمْتَ أيها الإنسان وحرمتَ الناس أرزاقَهم، وأخّرت عنهم عطاءهم، وإنّما أراد بهذا القول تحريض الناس عليه. وقام مع حُجْر أكثر من ثلاثين كلّهم يقول مثل قوله ويُسمعون المغيرة، فيقولون له: أُولِعْتَ بذَمّ الصالحين وتقريض[2] المُجرمين،

١ ـ نعر: صاح وصوت بخيشومه. القاموس.

٢ ـ التقريض: المدح والذم. القاموس.

فنزل المغيرة فدخل داره، فعاتبه أصحابه على احتمال حُجْر وقالوا: انّ معاوية غير محتملك على هذا، فقال: وَيْحَكم إنّي قد قتلته بحِلْمي عنه، سيأتي بعدي مَن لايحتمله فيقتله في أوّل وَهْلَةٍ، وقد قرب أَجَلي وضعف عملي، ولاأحب أن أبتدىء أهلَ المصر بقتل خيارهم ووجوههم، فَيسْعدوا وأشقى، ويَعِزُّ معاوية في الدنيا ويذلّ المغيرة في الآخرة، ولكنّي قابل من مُحْسنهم وعافٍ عن مُسيئهم، وحامد حليمهم وواعظ سفيههم، حتّى يفرق الموت بيني وبينهم.

وكانت ولاية المغيرة في سنة إحدى وأربعين ووفاته في سنة خمسين، فجُمعت البصرة والكوفة لزياد، فخطب خطبةً قال فيها: إنّا وجدنا هذا الأمر لايصلح آخرُه إلا بما صلح به أوّله، من الطاعة الليّنة الشبيهة سريرتها بعَلانيتها، وغَيْبُها بشهادتها، وقلوب أهلها بألسنتهم، وقد بلغني أنّ قوماً يعيبون الخليفة إرصاداً للفِتْنة، فمَهْلاًمَهْلاً، فإنّ لكم صَرْعَى فَلْيَخْشَ كل امرىء منكم أنْ يكون من صَرْعاي، فإنّي آخذ الكبير بالصغير، والقريب بالبعيد، والبريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، والمُقبل بالمُدبر، حتّى تستقيم لي قناتكم، وحتّى يلقى الرجل صاحبه فيقول: ياسَعْدُ أنْجُ فقد قُتل سعيدٌ.

وخطب أيضاً ذات يوم وعليه عمامة حمراء وقد أرسلها فقال: أيّها الناس، أنّ هذه السبئيّة الخائنة ـ يعني الشيعة ـ المتحيّرة قد ركبت أعجاز أمور هلك مَن ركب صدورَها، فـ ﴿إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَر لَهُم ما قَد سَلَفَ وَإنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأوَلِينَ﴾[1] ونزل، فبعث إلى حُجْر، وقد كان له قبل ذلك وَدّا وصديقا فقال له: قد بلغني ماكنتَ تصنَع بالمغيرة وماكان يحتمل منك، وإني والله غير محتملك، والرائد لايكذِب أهلَه، وأنت الأثير عندي ما لم

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية: ٣٨ .

تبسط لساناً ولا يداً بشيء ممّا أكرهه، وإن فعلت فأقطرتُ من دمك قَطْرةً استفرغته أجمع، فأرعَ على نفسك، فخرج حُجْر من عنده وهو هائب له، وكان زياد يُدينه ويُكرمه، والشيعة في ذلك تختلف إليه وتسمع منه.

وكان زياد يقيم بالبصرة ستّة أشهر وبالكوفة ستّة أشهر، يَصيف بهذه[1] ويشتو بهذه[2]، ويستخلف على البصرة سَمُرة بن جُنْدَب الفَزاري، وعلى الكوفة عمرو بن حُرَيْث المخزومي. فلمّا أراد زياد أن يشخص من الكوفة إلى البصرة دعا حُجْراً فقال له: إنّ غِبَّ البَغْي والغَيّ وَخيمٌ، وقد بلغني أنّك تُلقح الفِتَن، ولو صحّ ذلك عندي لم أبرَحْ حتّى أقتلك، فاتقِ الله في نفسك وأربَعْ على ظَلعك، فوالله لئن أفرغتُ من دمك قَطْرةً لآتينّ على آخره، وقد أَعْذَر مَن أَنْذَر، وقد ناديتُك وناجيتُك، فقال حُجْر: أَبلغتَ، دون هذا يكفيني أيّها الأمير. وكان حُجْر وطائفة من أصحابه يجتمعون في المسجد بعد شخوص زياد، ويجتمع الناس إليهم، فيذمّون معاوية ويشتمونه، ويذكرون زياداً فيتنقصونه ويجدبونه[3] حتّى تعلو أصواتهم بذلك، فأتى عمرو بن حُرَيث المسجد فصعد المنبر وقد اجتمع إليه رؤوس أهلِ المصر فقال: ماهذه الأصوات العالية والرعة السّيئة؟ فوثب إليه عُنق من أصحاب حُجْر، فضجّوا وشتموا، ودنوا منه فحصبوه حتّى دخل القصر، وكتب إلى زياد مع سِنان بن حُرَيث الضَبّي بخبر حُجْر وأصحابه، وأنّه لايملك من الكوفة معهم إلا دار الإمارة، فلمّا قرأ زياد كتاب عمرو قال: بئسَ الرجل حُجْر، ونعْمَ الرجل

١ - كتب فوقها بالأصل: بالكوفة.
٢ - كتب فوقها بالأصل: بالبصرة.
٣ - الجدب: العيب. القاموس.

عمرو، أركبوا بنا، فركب مُغِذّاً لِلسَيْر، وتمثّل قول كعب بن مالك الأنصاري:

فَلَمّا استوَوْا بِالعِرْضِ قالَ سَرَاتُنا   عَلامَ إذا لَمْ يُمْنَعِ العِرْضُ يُزْرَع [1]

ثم قال: وَيْلَ أمِّك حُجْرُ: سَقطَ العَشاءُ بِكَ عَلى سِرْحانِ[2]؛ فلما أتى الكوفة صعد المنبر فقال: ياأهل الكوفة جممتم فأشِرتم، وأمِنتم فاجترأتم، وإنّ عواقب البَغْي شرّ العواقب، والله ياأهل الكوفة لئن لم تستقيموا لأداوينّكم بدوائكم، فإنّه عندي عتيد، ثمّ بعث الهيثم بن شدّاد الهِلالي صاحبَ شرطته إلى حُجْر بن عديّ ليأتيه به - ويقال: بل أمر الهيثم أن يوجّه إلى حُجْر مَن يأتيه به، فوجّه حسين بن عبد الله البُرْسُمي - فأبى أصحاب حُجْر أن يخلّوا بينه وبين إتيان زياد، فغضب زياد وقال لوجوه أهل المصر: ياأشراف أهل الكوفة، أتَشُجّون بِيَدٍ وتأسون بِأُخْرى؟! أبدانُكم معي وقلوبكم مع الهَجْهاجة المَذْبوب؟! قوموا إليه، فقالوا: مَعاذ الله أن نكون إلا على طاعتك وخِلاف حُجْر والزَرْي عليه، وخرجوا فنحّى كلّ امرىءٍ عن حُجْر من أطاعه من أصحابه.

وقال الهيثم بن عديّ عن أبيه وعن مجالد عن الشعبي وعن أبي جَناب الكلبي قالوا: لمّا قدم زياد الكوفة بعث إلى حُجْر فقال: يا هذا كنّا على ماعلمتَ، وقد جاء أمر غير ذلك، أمْسِكْ عليك لسانَك، ولَيَسَعْكَ منزلُك، وهذا سريري فهو مجلسك، فإيّاك أن تستزلّك هذه السِفلة أو تستفزّك، إنّي لو استخففتُ بحقّك هانَ عليّ أمرك، ولم أكلّمك من كلامي

---

١ - لكعب بن مالك ترجمة بالأغاني ج١٦ ص٢٢٦ - ٢٤٠ ، ولم يرد هذا البيت فيها.
٢ - يضرب مثلاً للحاجة تودي صاحبها إلى التلف. جمهرة الأمثال للعسكري ج١ ص٥١٤ .

هذا بحَرْف. فلمّا صار إلى منزله اجتمعت إليه الشيعة فقالوا: أنت شيخنا وأحقّ الناس بإنكار هذا الأمر. فلمّا شخص زياد إلى البصرة استخلف عمرو بن حُرَيث على الصلاة والحرب، ومِهْران مولاه على الخراج، وأمر العمّال بمكاتبة عمرو، وكان الطريق يومئذ على الظَهْر، وربّما ركبت الرسل الفرات حتّى ترد آجام البصرة ثمّ تدخل البصرة، فأرسل عمرو إلى حجر: ماهذه الجماعات التي تجتمع إليك؟ فقال: جماعة يُنكرون ماأنتم فيه، فأرسل إليه قوماً فقاتلهم أصحابه وألجأ وهم إلى قصر الإمارة، فكتب عمرو إلى زياد: إن كانت لك بالكوفة حاجة فالعَجَل، فإنّي كَتَبْتُ إليك وليس في يدي منها مع حُجْر بن عديّ إلا القصر، فأَغَذَّ السَيْرَ حتّى قدم الكوفة، فبعث إلى عديّ بن حاتم الطائي وجَرير بن عبد الله البَجَلي وخليفة بن عبد الله الجَعْفَري وعمرو بن الحجّاج الزَبَيْدي وهانىء بن عُرْوَة المُرادي وثابت بن قيس النَّخَعي وخالد بن عُرْفُطة العُذْري فقال: ائتوا هذا الشيخ المفتون فإنّي خائف أن يحملنا من أمره على ماليس من شأننا، فأتوه، فقال له عديّ بن حاتم: قد علمت ياأبا عبد الرحمن ما كان من كلام الأمير لك ومِن ردّك عليه مارددْت، وهذه عشيرتك، نسألك بالله والقرابة أن لاتفجَعنا بنفسك، فهَبْ لنا هذا الأمر، واكظمْ غيظك حتّى يرى غيرك ما أنت عليه، فقال حُجْر: ياغلام اعِلف البَكْرَ ـ لِبَكْرٍ كان في جانب داره ـ فقال عديّ: أَمجنون أنت؟ نكلّمك وتقول هذا القول غير مُكْتَرث لكلامنا؟! فقال: أما والله انّي لأرجو أن أوقره من الغنائم غَداً، قال عدي: فنحن نوقره لك الآن فضّةً وذهباً، وتكفّ عن هذا الأمر، فقال حُجْر: لك أوّل ماسمعتَ، فقال عدّي: ماظننتُ أن الضُعْف بلغ بحُجْر ماأرى؛ وكلّمه القوم فلم يكلّمْ منهم أحداً،

فأتوا زياداً فقال: مَهْيَمْ؟ قال عَديّ: أيّها الأمير استذِمَّه فإنّ له سِنّاً، فقال: لستُ لأبي سفيان إذاً، ثم أرسل إليه الشُّرَط فقوتلوا.

قال أبو مخنف: لمّا حال أصحاب حُجر بينه وبين رسل زياد، أمر الهيثم بن شدّاد أن يأتيه به، فلمّا صار إليه قال أصحابه: لا ولا نُعْمَةَ عَيْنٍ، لانجيبه، فشدَّ الهيثم ومَن معه عليهم بعُمُد السوق، فضرب رجل من حَمْراءِ الدَيْلَم يقال له بكر بن عُبَيْد رأس عمرو بن الحَمِق الخُزاعي ـ ويقال: بل ضربه رجل من الأزْد يقال له عبد الله بن مرغد ـ فحُمل إلى أهله، وشدَّ عبد الله بن خليفة الطائي وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ يَوْمَ الهِياجِ طَلَّتي[1] أَنّي إذا ما فِئَتي تَوَلَّتِ
أَو كَثُرَتْ أَعْداؤُها وقَلَّتِ أَنّيَ قَتّالُ لِكُلِّ ثُلَّةِ

وضرب رجلاً من جُذام كان في الشُّرَط، وضُربت يد عائذ بن حَمَلة وكُسر نابه فقال:

إنْ يَكْسِرِوا نابي ويُحْطَم ساعدي فَإِنّي امْرُؤٌ في سَوْرَةِ المَجْدِ صاعِدُ

وحمى حجراً أصحابه حتّى خرج، وبغلته موقوفة، فحمله أبو العَمَرَّطَة عُمَيْر بن يزيد الكِنْدي عليها فركبها، وشدّ يزيد بن طَريف المُسلي على أبي العَمَرَّطة فضربه، واختلج[2] أبو العَمَرَّطة سيفه فضربه به على رأسه، فخرّ لوجهه ثمّ بَرِىء بعدُ، وله يقول عبدالله بن همّام السَلولي:

---

١ ـ الطلة: الزوجة. القاموس.

٢ ـ خلج: جذب، وانتزع، وحرك، وطعن. القاموس.

أَلوم آبْنَ لُؤْمٍ ما عدا بكَ حاسِراً إِلَى بَطَلٍ ذي جُرْأةٍ وشَكيمِ
مُعاوِدِ ضَرْبِ الدّارعينَ بِسَيْفِهِ على الْهام عندَ الرَوْع غَير لئيمِ
حَسِبْتَ آبْنَ بَرْصاءِ العِجانِ قِتالَهُ قِتالَكَ زَيْداً عِنْدَ دارِ حَكيمِ

وكان قتل رجلاً بالكوفة عند دار حكيم ، وكان ذلك أوّل سيف ضُرب به بالكوفة في الاختلاف بين الناس . وخرج قيس بن قَهْدان الكِنْدي ثم البَديّ على حمارٍ له وهو يقول :

يا قَوْمَ حُجْرٍ دافِعوا وصاوِلوا وعَنْ أَخيكُمْ ساعَةً فقاتلوا
لا يُلْفيَنْ مِنْكُمْ لِحُجْرٍ خاذِلُ أَلَيْسَ فيكُمْ رامِحٌ ونابِلُ
وفارِسٌ مُسْتَلْئِمٌ أَوْ راجِلُ وضارِبٌ بِالسَيْفِ لا يُواكِلُ

فلم يُجبه من كندة أحدٌ ، ثمّ عطف عدّة من كندة منهم عُمَيْر بن يزيد أبو العَمَرَّطة وقيس بن يزيد أخوه ، وهو الذي يقول فيه ابن همّام السَلولي :

وقَيْسُ كِنْدَةَ قَدْ طالَتْ إِمارَتُهُ في سُرَّةِ الأَرْضِ بَيْنَ السَهْلِ والجَبَلِ

وعبد الرحمن بن مُحْرِز بن مُرّة الكِنْدي ثم الطُمحي وقيس بن سُمَيّ الكِنْدي ثم البَديّ وعُبَيْدة بن عمرو البَدّيّ الشاعر ، فقاتلوا ساعة .

قالوا : ووجّه زياد أشرافَ أهل الكوفة من مضر ومَذْحِج وهَمْدان إلى حُجْر ليأتوا به ، وفرق بين مضر واليمن لئلا يختلفوا .

وقال الهيثم بن عديّ : أرسل زياد حين قوتل أصحابه إلى عديّ بن حاتم وخُرَيْم بن أُوس بن حارثة بن لامٍ ، وسعيد بن قيس الهَمْداني ، وهانىء بن عُرْوة المُرادي وزياد بن النَضْر الحارثي ، وشُرَيْح بن هانىء ، وكَثير بن شِهاب الحارثي ، ووائل بن حُجْر الحَضْرَمي ، وثابت بن قيس النخعي ، وجماعةٍ غيرهم من وجوه اليمانية فقال : هذا عن مَلأ منكم ؟

فقالوا : معاذَ الله ، قال : فاكفوني بوائقكم ، فخرجوا فخّوفوا أصحاب حُجْر وأعلموهم أنّه لا ينصرهم أحد فتفرّقوا ، وأرسل زياد إلى كندة يتهدّدهم إن لم يُسلِموا حُجْراً .

وقال أبو مخنف وغيره : استخفى حُجْر في دارٍ بالنَخَع ، ثمّ أتى الأَزْد فنزل في دار ربيعة[1] بن ناجذ بن أُنَيْس الأَزْدي فمكث بها يوماً وليلة .

وقال الكلبي : لجأ حجر إلى سليمان بن يزيد بن شراحيل الكندي ، من ولد حُوت بن الحارث ، ودعا زياد محمّد بن الأشعث بن قيس فقال له : يا مُؤَنَّث لتأتينّي بحجر أو لا أَدَعُ لك نخلةً إلّا قطعتُها ولا داراً إلا هدمتُها، ثمّ لا تسلم منّي ، أقطعك إِرْباً إِرْباً ، وأمر به إلى الحبس ، فقيل له : خَلِّهِ يطلب صاحبه ، ففعل ؛ وبعث حجر إلى محمد غلاماً له أسود ، فقال له : يقول لك مولاي قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبّار العنيد ، وأنا خارج إليك ، فاْجمعْ نفراً من قومك يسألونه أن يؤمنني حتّى يبعث بي إلى معاوية فيرى رأيه فيّ ، فأتى محمّد وجرير بن عبدالله البجلي وعبدالله بن الحارث النَخَعي أخو الأشتر زياداً ، فطلبوا إليه أن يؤمن حجراً حتّى يبعث به إلى معاوية ولا يعجل ، ففعل ، وأرسلوا إلى حجر فأتى زياداً ، وهو جريح ، وكان يزيد بن طَريف المُسليّ ضربه على فخذه بعمودٍ ، فلما رآه زياد قال : يا أبا عبد الرحمن أَحرب في أيّام الحرب ، وحرب في أيّام السِلْم ؟! على نفسها تَجني بَراقِشُ ، فقال حجر : ما فارقت طاعةً ولا جماعة ولا مِلْتُ إلى خلاف ومَعْصية ، وإنّي لعلى بَيْعتي ، فقال : تشجّ وتأسو ؟! وأمر به إلى الحبس وقال : لولا أنّي آمنته ما برح حتّى يلفظ عَصْبَه .

---

١ ـ بهامش الأصل : «زمعة» .

وجدَّ زياد في أمر أصحاب حجر وطلبهم أشدّ الطلب ، فأخذ مَن قدر عليه منهم ، فأُتي بِربْعِيّ بن حراش العَبْسي بأمان فقال : والله لأجعلنّ لك شُغْلاً بنفسك عن تَلْقيح الفِتنَ ، ودعاه إلى الوقيعة في عليّ فأبى فحبسه ، ثمّ كُلّم فيه فأخرجه ، وأُتي بكَريم بن عفيف الخَثْعمي ، فقال : وَيْحك ما أحسنَ اسمَك وأقبحَ فعلك !! وأمر به إلى الحبس .

وجاء رجل من بني شيبان إلى زياد فقال له : انّ آمرءاً منّا يقال له صَيْفيّ بن فشيل من رؤساءِ أصحاب حجر وهو أشدّ الناس عليك ، فبعث إليه فأتي به فقال : يا عدوّ الله ، ما تقول في أبي تُراب ؟ قال : ومَن أبو تُراب ؟ قال : ما أَعْرَفَك به ، أما تعرف عليّ بن أبي طالب ؟ قال : الذي كنتَ عاملَه ؟ ذاك أبو الحسن والحسين ، فقال له صاحب شرُطه : يقول لك الأمير أبو تُراب وتقول : لا ؟! قال : أكْذِبُ إن كذبَ الأمير وأشهد بالباطل كما شهد ؟ فقال زياد : ما قولك في عليّ ؟ فقال : أحسنُ قولٍ أقوله في أحد من عِباد الله ، أقول مثلَ قولك فيه قبل الضلال ، قال : آضربوا عاتقه بالعصا حتّى يلصق بالأرض ، فضُرب حتّى لصق بالأرض ، ثمّ قال : أَقْلِعُوا عَنْهُ ، ما قولك في عليّ ؟ قال : لو شرّحتني بالمَواسي والمُدَى ما زُلْتُ عمّا سمعتَه منّي ، قال : لَتلعنّنه أو لأضربنّ عنقك ، قال : إذاً تضربها قبل ذلك ، فألقوه في السجن .

وبلغ زياداً أنّ عبدالله بن خليفة الطائي بالكوفة ، وكان قد قاتل مع حجر رضي الله تعالى عنه ، فحبس عَدّي بن حاتم ليأتي به ، فلم يبقَ أُحد من نِزار واليمن بالكوفة إلّا ارتاع واغتمّ لحبسه ، وبعث إليه عبدالله : إن احببتَ أن أخرج فعلتُ ، فبعث إليه : لو أنّك تحت قَدَمي ما رفعتُها عنك ،

ودعا به زياد فقال : أُخلي سبيلك على أن تنفي ابن خليفة من الكوفة فينزل بالجبلَيْنْ ، فقال : نعم ، فلحق عبدالله بالجبلَيْنْ ، وقال له عدّي : إذا سكن غَضَبه كَلّمته فيك .

وقال الهيثم بن عديّ ، قال زياد لحجر حين أُدخل اليه : أَتريد أن تنجو بعد أن أمكن الله منك ؟! فقال : أنا على بَيْعتي لم أنكْثها ولم استقِلها ، ولم آتك إلّا على أمان ، قال : يا دَبِر بن الأَدْبَر[1] والله إن كنتَ في حربك لسِلْماً وإنك في سِلْمكَ لَحَرْبٌ ، ثمّ حبسه .

وروي أنّ المغيرة لمّا شتم علياً وقام إليه حجر بن عديّ قال له : والله لئن عدتَ لمثلها لأضربنّ بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي ، فكتب المغيرة بذلك إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية : إنّك لست من رجاله فدارِه ، فقال زياد : يا آبن الأدبر أتظنّ أنّي كالمغيرة إذا كتب أمير المؤمنين إليه بما كتب به فيك ؟ أنا والله من رجالك ورجال مَن يغمرك رأياً وبأساً ومكيدة ؛ وكان زياد قد كتب إلى معاوية في حجر إنّه وأصحابه يردّون أحكامي وقضاياي ، وكتب يستأذنه في قتله ، فكتب إليه : ترفقْ حتّى تجد عليه حُجّة ، فكتب إليه : إنّي قد وجدت على حجر أعظم الحجّة : خَلعَكَ وشهدَ الناسُ عليه بذلك . وكان رجل من بني أَسَدَ قتل رجلاً ، كان من أهل الذِمّة فأسلم ، فقال زياد : لا أقتل عربيّاً بنبطيّ ، وأمر القاتلَ أن يُعطي أولياءَ المقتول الدِيَةَ فلم يقبلوها ، وقالوا : كنّا نُخْبَرُ أنّ دماء المسلمين تتكافأ ، وأنْ لا فضلَ لعربيّ على غيره ؛ فقام حجر وأصحابه ، فقال حجر : يقول الله عزّوجلّ

---

١ ـ الأدبرجد حجر ، قيل اسمه عدي ، وقبل جبلة ، وإنما سمي الأدبر لأنه طعن مولياً. الحسين بن علي وحجر بن عدي لابن العديم ـ ط . دمشق ١٩٨٩ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ وتقول أنت غير ذلك ، والله لتُقيدنّه أو لأضربّنك بسيفي ، فما برح حتّى قُتل الأَسَدي ، فلذلك كتب إلى معاوية في أمره .

قالوا : فاجتمع في سجن زياد من الشيعة أربعةَ عشر رجلاً وهم : حجر بن عديّ الأدبر ، الأرقم بن عبدالله الكِنْدي ، شَريك بن شَدّاد الحَضْرَمي ، صَيْفي بن فشيل الشيباني ، قَبيصة بن ضُبَيْعة بن حَرْمَلة العَبْسي ، كَريم بن عَفيف الخَثْعَمي ، عاصم بن عَوْف البَجَلي ، وقاء بن سُمّي البَجَلي ، ويقال : وَرْقاء بن سُمَيّ ، وكدام بن حيّان العَنَزي ، وأخوه عبد الرحمن بن حيّان من بني هُمَيْم ، ومُحْرِز بن شِهاب المِنْقَري ، وعبدالله بن حَوِيّة الأعرجي - وبعضهم يقول جُوَيّة والأول أثبت - وعُتْبة بن الأخْنس من بني سعد بن بكر وسعيد بن نمران الناعطي من هَمْدان ، فأمر زياد وجوه أهل المصر أن يكتبوا شهادتهم عليهم ، فكتب أبو بُرْدة بن أبي موسى أوّلهم : هذا ما شهد عليه الشهود أبو بُرْدة بن أبي موسى لله ربّ العالمين ، شهد أنّ حجر بن عديّ خلع الطاعة وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه جموعاً يدعوهم إلى نَكْث البيعة ، وخلع أمير المؤمنين معاوية ، فكفر بالله كَفْرَةً صلْعاءَ ، وأتى معصية شنعاءَ ، فقال زياد : آشهدوا على مثل شهادته فشهد اسحاق بن طلحة ، وموسى بن طلحة ، وإسماعيل بن طلحة بن عبيدالله ، وعُمارة بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط ، وخالد بن عُرْفُطة ، والمنذر بن الزبير بن العَوّام ، وعبد الرحمن بن هبّار ، وعمر بن سعد بن أبي وقّاص ، وعامر بن أميّة بن خَلَف الجُمَحي ، ومُحْرْز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمس ، وعبدالله بن مسلم الحَضْرَمي ، وعِفاق بن شرحبيل بن أبي رُهْم التَيْمي من ربيعة ، ووائل بن

حُجْر الحَضْرَمي ، وكَثير بن شِهاب بن الحصين الحارثي ، وقَطَن بن عبدالله الحارثي ، والسَرِيّ بن وقّاص الحارثي ، وهانىء بن أبي حيّة الوادِعيّ ، وكُرَيْب بن سلمة بن يزيد ، وعمرو بن حُرَيْث المخزومي ، وأسماء بن خارجة الفَزاري ، ومحمّد بن عُمير بن عُطارِد التميمي ، ويزيد بن رُوَيْم الشيباني ، وشَبَث بن رِبْعي التميمي ، وعَتّاب بن وَرْقاء الرِياحي ، ومحمد بن الأشعث الكِنْدي ، وعمرو بن الحجّاج الزُبَيدي ، والعُرْيان بن الهيثم النَخَعي .

وقال المدائني : شهدوا أنّ حجراً وأصحابه شتموا عثمان ومعاوية وبرئوا منهما ، فقال : ما هذه بقاطعة ، فقام أبو بُرْدة فشهد أنّهم خلعوا الخليفة ، وفارقوا الجماعة ، ودعوا إلى الحرب ، وكفروا بالله ؛ وشهد رؤساء الأرباع على مثل شهادته، وكان على رُبْع المدينة عمرو بن حُرَيْث، وعلى رُبْع تميم وهَمْدان خالد بن عُرْفُطة العُذْري حليف بني زُهْرة ، وعلى ربع كندة وربيعة قيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المَخْزومي ، وعلى رُبْع مَذْحِج أبو بُرْدة ، فقام عِفاق فقال : أنا أشهد على مثل شهادته ، فقال زياد : معروف بالنصيحة ، آكتبوا شهادته بعد مُضَر .

وشهد عليه لبيد بن عُطارِد ، وسُوَيْد بن عبد الرحمن ، وشَمِر بن ذي الجَوْشَن ، وعبدالله بن أبي عقيل الثقفي ، ومُحفِّز بن ثعلبة من عائذةَ قريش الشَيْباني ، ومن ربيعة قَعْقاع بن شَوْر ، وحَجّار بن أَبْجَر العِجْلي ، وشهد أيضاً زحر بن قيس الجُعْفيّ ، وقُدامة بن عِجْلان الأُزدي ، وعزرة بن قيس الأَحْمَسي ، وشُرَيْح بن هانىء ، وهرب المختار بن أبي عُبيد ، وعُروة بن المغيرة بن شُعْبة من أن يشهدا .

وقوم يقولون : ان مَصْقَلَة بن هُبَيْرة كان من الشهود ، وقوم يقولون : انّ مَصْقَلة هلك بَطَبَرستان في أيّام المغيرة ، وقال بعضهم : شهد بِسْطام بن مَصْقلة .

وقال الكلبي : كان من الشهود الهَيْثَم بن الأسود ، وشَدّاد والحارث ابنا الأزْمَع الهَمْداني ، وسِماك بن مَخْرَمة الأسَدي .

ويقال: إن [زياد[1]] دعا إلى الشهادة من أمسك عن الشهادة أو غاب فكتب زياد بشهادتهم ، وكتب زياد شهادة شُرَيْح بن الحارث الكندي القاضي وهو غائب ، فلمّا بلغه ذلك كتب إلى معاوية : انّي نُبِّئت انّ زياداً كتب إليك كتاباً في منزله ستره عن العامّة أكّد فيه شهادات قوم على حجر أخي كندة وسمّاني فيهم ، ألا وإنّ شهادتي على حجر أنّه رجل مسلم عفيف يُقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم شهر رمضان ويُديم الحجّ والعُمْرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المُنْكَر ، حرامُ الدم والمال ، وإن له لغناءً في الإسلام ، وقد رفعتها إليك فتقلّد معها ما أنت مختار لنفسك ، والسلام . فقال معاوية حين قرأ كتاب شُرَيْح : أمّا هذا فقد أخرج نفسه من الشهادة .

وكان فيمن شهد على حجر شَدّاد بن المنذر أخو حُضَيْن بن المنذر لأبيه، وكانت أمّه نَبَطية من بِارق، وهو موضع بطريق الكوفة، واسمها بزعة وكانت تصغر فيقال بُزَيْعَة ، ولم يكن يُنسب إلاّ إليها ، فلمّا مرّ اسمه بزياد فرأى : وشهد شدّاد بن بُزَيْعة قال : أما لهذا أبٌ يُنْسب إليه ؟ فقالوا : هذا أخو حُضَيْن بن المنذر الرقاشي فقال : اطرحوا اسمه ، فقال شَدّاد : وَيْلي على ابن الزانية وهل يُعْرف إلاّ بسُمَيّة الزانية .

---

١ ـ فراغ بالأصول ، والإضافة من سياق الخبر .

وحمل زياد حجراً وأصحابه إلى معاوية في السلاسل على جمال اكتراها لهم صِعابا ، ووجّه معهم شَبَث بن رِبْعي الرِياحي ، ووائل بن حُجْر الحَضْرَمي ، ومَصْقَلَة بن هُبَيْرة الشيباني ـ ويقال ابنه وذلك أثْبت ـ وكثير بن شِهاب الحارثي ، وكتب إليه : قد بعثت إليك بحجر ووجوه أصحابه ؛ فلمّا نفذوا قال عبيدالله بن الحُرّ الجُعْفي : ألا أجد خمسين فارساً ألا عشرين ألا خمسة نفر يتبعوني فأتخلّصهم ؟! فلم يُجبْه أحد ، ومُضي بهم إلى الشام ، فلم يُدخلوا على معاوية ، وأمر أن يُحبسوا في مَرْج عَذْراء ، فحُبسوا هناك . وكتب معاوية إلى زياد : إنّي متوقّف في أمرهم . وتوقّف معاوية في أمرهم ، فمرةً يرى قتلهم ومرّةً يرى الصفح عنهم، فكتب إليه زياد: قد عجبت من اشتباه الأمر عليك في حجر وأصحابه ، وقد حضرتُ أمرهم ، وشهد خيار أهل المصر بما شهدوا به عليهم ، فإن كانت لك في المصر حاجة فلا تُردّن حجراً وأصحابه . فلمّا قرأ معاوية الكتاب في جواب ما كتب به إلى زياد قال : ما ترون يا أهل الشام ؟ فقال عبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان الثَقَفي ، وهو ابن أمّ الحَكَم أخت معاوية : جِذادَها جِذادَها[1] ، فقال معاوية : لا يُغني أمراً ، وقال يزيد بن أَسَد البَجَلي : أرى أن تفرّقهم في قُرى الشام فيكفيكهم طَواعينها ، وقال له سعيد بن العاص : فرّقهم في قبائلهم بالشام يكفل كلّ قوم صاحبهم ، ولعلّ طواعين الشام تكفيك أمرهم . فكُلّم معاوية في وقاء بن سُمَيّ وعاصم بن عوف ، وكتب فيهما جرير بن عبدالله البَجَلي ، فشفّعه معاوية ووهبهما له ، وكلّمه أبو الأعْوَر السُلَمي في

---

١ ـ جذذ : قطع ، أي اقتل اقتل . النهاية لابن الأثير .

عُتْبة بن الأخْنس فوهبه له ، وكلّمه حمزة بن مالك الهَمْداني في سعيد بن نِمْران فوهبه له ، وكلّمه حَبيب بن مسلمة الفِهْري في ابن حَوِيّة فخلّى سبيله ، وكلم في الأرقم فخلَّى سبيله ، وكلّمه مالك بن هُبَيْرة السَكوني في حجر فلم يُجِبْه ، وقال : هذا رأس القوم ، وهو أَنْغَل المصر وأفسده ، ولئن وهبته لك اليوم لتحتاجنّ أن تقاتله غداً ، فقال : والله ما أنصفتَني ، قاتلتُ معك ابن عمّك حتّى ظفرتَ ، ثمّ سألتك ابن عمّي فسطَرت عليَّ من القول ما لا أنتفع به ، ثمّ انصرف فجلس في بيته . وبعث معاوية إلى من بقي منهم بأكفان وحَنوط مع رجل من أهل الشام لُيرعبهم بذلك ، وأمره أن يدعوهم إلى البراءة من علي وإظهار لعنه، ويَعد مَن فعل ذلك أن يتركه، فإن لم يفعلْ قُتل، فإنّ دماءهم حلال لشهادة أهل مصرهم عليهم ، فقالوا : اللّهمّ فإنّا لا نفعل ذلك ، ثم أمر بقبورهم فحُفرت وأُدنيت أكفانهم ، فقاموا الليل يصلّون ، فلمّا أصبحوا عرض عليهم مثل الذي عرض فأبوه ، وبعث إليهم معاوية هُدْبة الأعور بن فيّاض القُضاعي والحُصَيْن بن عبدالله الكِلابي وأبا شريف الفَزاري ليقتلوهم ، فلمّا رأوهم يصلّون قالوا : ما أحسنَ صلاتكم !! فما تقولون في أمير المؤمنين عثمان ؟ قالوا : جار في الحُكُم وعمل بغير الحقّ وخالف صاحبَيْه ، فقالوا : أمير المؤمنين أعلم بكم ، وما كان الله لَيظلمكم ولا يدعكم ، وقال الهيثم بن عَديّ : هو ابن أبي شـريف .

وقالوا : لمّا رأى حجر الأكفان قال : تكفوننا كأنّا مسلمون ، وتقتلوننا كأنّا كافرون .

وكان هُدْبَة أعور فلما رآه كَريم بن عَفيف الخَثْعَمي قال : يُقتل نصفُكم وينجو نصفُكم ، فقال ابن نِمْران : اللّهم آجعلني ممّن ينجو وأنت

عنّي راضٍ ، وقال عبد الرحمن بن حيّان العَنَزي : اللّهم آجعلْني ممّن يُكْرَمُ بَهوانهم وأنت عنّي راضٍ ، فعزلوا الثمانية ، وعرضوا على الباقين البراءة من عليّ رضي الله تعالى عنه ، فقال كَريم بن عَفيف وعبد الرحمن بن حَيّان : آنطلقوا بنا إلى معاوية فنحن نقول بقوله ، فعزلوهما وأبى الآخرون .

قالوا : وأخذ كّل رجل رجلاً فقتله ، وسألهم حجر أن يصلّي ركعَتْين فأذنوا له في ذلك، فصلّى وقصرَّ ثمّ قال: والله ما صلّيت قطّ أقصر منها لأنّي خفت أن تظّنوا بي أنّي أطلت صلاتي جَزَعاً من القتل ، فقتله الأعور بن فيّاض بالسيف ، ويقال : ذبحه ذبحاً ، وجيءَ بكَريم بن عَفيف الخَثْعَمي وعبد الرحمن بن حيّان الى معاوية ، فأما الخَثْعَمي فقال له : ما تقول في عليّ ؟ قال : مثل مقالتك أنا أَبْرَأُ من دين عليّ الذي يَدينُ به فحبسه شهراً ليستبرىء أَمَره ، فكلّمه فيه شَمِر بن عبدالله الخَثْعَمي فخلّى سبيله على أن لا يدخل الكوفة ، فأتى المَوْصِل فأقام بها ومات قبل معاوية بشهرٍ ، وأمّا ابن حيّان فقال له : ما تقول في عليّ ، قال : كان من الذاكرين كثيراً والآمرين بالحقّ سِرا وجَهْرا ، فلا تسألني عن غير هذا! فهو خير لك ، فبعث به إلى زياد وكتب إليه أن آقتلْه شرّ قِتْلَةٍ ، فبعث إلى قُسّ الناطف[1] فدُفن حَيّاً .

وقال الهيثم بن عديّ : حمل هُدْبة بن فيّاض الأعور على حجر بالسيف فاتّقاه ، فقال : ألم تزعم أنّك لا تجزع من الموت ؟ فقال : وما يمنعني وأنا أرى سيفاً مشهوراً وكَفَناً منشوراً وقبراً محفوراً ، ولا أدري على ما أقدم ؛ فُقتلوا وكُفنوا ودُفنوا .

---

١ ـ موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقي . معجم البلدان .

وقال الهيثم:قال عوانة : قال حجر : الله بيننا وبين أمّتنا ، أمّا أهل العراق فشهدوا علينا ، وأمّا أهل الشام فقتلونا ، والله لقد فتحتُ هذا الموضع وإنّي لأرجو أن أكون شهيداً فيه ؛ وهو كان فتح مَرْج عَذْراء .

قال : ولمّا صلّى ركعتَيْن فقصرهما فقال : والله لئن كانت صلاتي فيما مضى لم تنفعني ما هاتان الركعتان بنافعتي .

وقال المدائني : أخذ زياد بعد مضيّ حجر رجلَيْن : عُتْبة بن الأخْنَس من بني سعد بن بكر ، وسعيد بن نِمران الهَمْذاني ، فبعث بهما مع يزيد بن حُجَيَّة التيميّ وعامر بن الأسود العجْلي .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن ابن عَوانة عن أبيه قال : دعا معاوية عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يَغوث الزهري فقال : اذهب فاقتلْ حجراً وأصحابه ، فقال : أما وجدتَ رجلاً أجهل بالله وأعمى عن أمره منّي ؟! فدعا هُدْبَة بن الفَيّاض الأعور فأعطاه سيفاً ، وسرّح معه عِدّة ، وأمره أن يعرضهم على البراءة من عليّ ، فإن فعلوا وإلاّ قَتَلهم ، وبعث معه بأكفان وأمر أن يُقبروا ، فعرض عليهم ما أمر به معاوية ، فلم يجيبوا ، فقُتلوا وذُبح حجر ذبحاً ، وبلغ ذلك أمّه فشهقت وماتت .

وقال عليّ بن الغَدير :

لو كان حُجْرٌ من بَجيلَةَ لَمْ يُنَلْ هُناكَ ولم يُقْرَعْ بأَبْيَضَ صارِمِ
يَزيدهُمُ أَنْجى أُساراهُ بَعْدَما جَرَى قَتْلُهم ذبحاً كَذَبْحِ البَهائمِ

يعني يزيد بن أسد بن كُرْز البَجَلي جدّ خالد بن عبدالله بن يزيد القسري، لأنه تكلّم في من كان من بَجيلة فوُهبوا له، وهم ثلاثة .

وحُدِّثت عن غِياث بن إبراهيم قال : بعث معاوية ابن خُرَيْم المُرّي جدّ أبي الهَيْذام ليقتلهم ، فلمّا صار إليهم قال : ما أنتم ؟ قالوا : مسلمون ، فقال : على معاوية لعنة الله يأمرني بقتل المسلمين !! ثمّ انصرف ، ثمّ بعث عبدالله بن يزيد أبا خالد بن عبدالله فقتلهم ، وذلك غير ثبت .

حدثني رَوْح بن عبد المؤمن عن سعيد بن عامر عن هشام بن حسّان عن ابن سيرين قال : لمّا أُتي معاوية بحجر قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ، قال : أوَ أمير المؤمنين أنا ؟! آضربا عنقه ، قال : دعوني أصلّ فصلّى ركعتَيْن خفيفتَيْن ثمّ قال : لولا أن يظّنوا أنّ الذي بي غيره ، يعني من خوف الموت ، لأطلتهما ، فلعمري لئن كانت صلاتي لا تنفعني فيما مضى لا تنفعني الآن ، ثمّ قال لأهله : لا تُطلقوا عنّي حديداً ، ولا تغسلوا عنّي دماً ، فإنّي لاقٍ معاوية عند أعلى الجادّة ، فكان ابن سيرين إذا سُئل عن غسل الشهيد حدّث بهذا الحديث . والمجتمع عليه أنّه لم يُدخلْ على معاوية .

وقال الهيثم بن عديّ : كان الذي كفن حجراً وأصحابة هُدْبة من بني سَلامان إخوة عُذْرة .

وقال المدائني : ومضى هدبة ومعه كريم بن عَفيف فنظر إلى قبر حجر فقال :

كَفَى بثَواءِ القَبْرِ بُعْداً لِهالكٍ ... وبِالمَوْتِ قَطّاعاً لِحَبْلِ القَرائِنِ

لا يُبعِدَنْك الله يا حجر .

وقال هشام بن عمّار سمعت مشايخنا يتحدّثون أنّه قيل لحجر بن الأدبر : مُدَّ عنقك ، قال : إنّه لَدَمٌ ما كنت لأُعِين عليه ، فأُقيم وضُربتْ عنقه ، رحمه الله تعالى .

حدثني عمر بن شبّة عن سعيد بن عامر عن هشام بن حسّان عن ابن سيرين قال : لما أُتي معاوية بحجر قال : السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله ، قال : وأنا عندك أمير المؤمنين ؟! آضربا عنقه .

قالوا : وجمع مالك بن هبيرة جموعاً وغضب لقتل حجر ، وأنه لم يُجَبْ إلى إطلاقه ، فبعث إليه معاوية بمائة ألف وداراه حتّى رضي ، فقال عليّ بن الغَدير في ذلك :

تَدارَكْتُمُ أَمْرَ الهُبَيْرِيّ بَعْدَما سما لِلّتيا وآلّتيَّ كُنْتَ تَحْذَرُ
فأَضْحَى الهُمامُ عاقِداً ثم رَايَة بِحِمْصَ تُناجيهِ السَّكونُ وحِمْيَرُ
يُدارِسُهُمْ آيَ الكِتابِ وقَلْبُهُ شجٍ بِمُصاب أَهْلِ عَذْراءَ مُشْعَرُ

وحدثني هشام بن عمّار حدثنا اسماعيل بن عيّاش عن شرحبيل بن مسلم قال : لّما أُتي معاوية بحجر بن عديّ وأصحابه حبسهم بمرج عَذْراء ، فأوصى حجر فقال : آدفنوني وما أصاب الأرض من دمي ، ولا تُطلقوا حديدي ، فأنّي سألقى معاوية غداً ؛ إنّي والله ما قتلت أحداً ، ولا أحدثت حَدَثاً ، ولا آويت مُحدثاً .

حدثنا عمرو الناقد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم يعني ابن عُلَيّة عن ابن عَوْن عن نافع قال : لّما بلغ ابنَ عمر قَتْلُ حجر بن عديّ وهو محتبٍ حلّ حُبْوته وقام وقد غلبه النحيب .

قالوا : فكان من قُتل بعَذراء : حجر بن عديّ ، شريك بن شَدّاد الحَضْرمي ثم التُبَّعي ، صَيْفيّ بن فشيل الشيباني ، قَبيصة بن ضُبَيْعة بن حَرْمَلة العَبْسي ، مُحْرِز بن شِهاب المِنْقري ، كدام بن حيّان العَنَزي من بني هُمَيْم ـ وكان بعضهم يقول العَصَري من عبد القيس ـ عبد الرحمن بن حيّان دُفن حيّاً بالكوفة . وكان من نجا منهم : كَريم بن عَفيف الخَثْعمي ، عبدالله بن حَوِيّة السَعْدي ، عاصم بن عوف البَجَلي ، وقاءُ بن سُمَيّ البَجَلي ، الأرْقم بن عبدالله الكِنْدي ، عُتْبة بن الأَخْنس من بني سعد بن بكر ، سعيد بن نِمْران الهَمْداني ، وصُلّي على حجر ومَن قُتل معه ودُفنوا ، يرحمهم الله .

وقد قيل : أنّ رِبْعِيّ بن حِراش كان ممّن حُمل مع حجر ، فكلّم فيه يزيد بن الحُرّ العَبْسي ، فخلّى سبيله .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : مشى هُدْبَة بن فيّاض إلى حجر بالسيف فأُرْعِدَ فقال : كلّا ، زعمتَ أنّك لا تجزع من الموت ، قال : وإن جزعت فإنّي لا أقول ما يُسخط الرب ، فقتله وجُرّ بقَيْده .

وقالت هند امرأة من كندة في قتل هُدبة حجرا :

كَـأَن عَيْني ديمَـةٌ تَـقْـطُرُ   تَبْكي على حُجْرٍ وما تَفْتِرُ
لـو غَضِبَتْ للدينِ أَبْنـاؤهُ   لم يَحْملِ السَيْفَ له الأعْوَرُ

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه قال : كان حجر فتح حين غزا المسلمون الشام مَرْج عَذْراء ، فلمّا أرادوا قتله وهو بها قال : لئن قُتلت بها إني لأوّل مَن نَبحته كِلابُها ، ومشى في أكنافها ، وكبّر في واديها .

حدثني العمري عن الهيثم عن أبي جناب قال : لم يبعثْ معاوية إلى حجر وأصحابه بأكفان ، ولكن عشائرهم جاؤوا بأكفان فكفنوهم فيها ودفنوهم .

وحدثني أبو فراس الشامي عن هشام بن الكلبي عن أبيه أنّ مسروقاً قال : قالت عائشة حين قُتل حجر : لو علم معاوية أنّ عند أهل الكوفة مَنَعةً وغِيراً ما اجترأ على قتل حجر وأصحابه ، ولكنّ ابن آكلة الأكباد علم أنّ الناس قد ذهبوا ، لله دَرّ لبيد حين يقول :

ذهَبَ الذينَ يُعاشُ في أَكْنافِهِمْ وبَقيتُ في خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ[1]

قالوا : وبعث معاوية رجلاً وقال له : امضِ حتى تجلس إلى الحسين وتنعي حجراً ، وانظر ما يقول ، فقال له الرجل : إن معاوية قتل حجراً [وأصحابه] قال : ثم صنع ماذا ؟ قال : كفنهم ودفنهم ، فقال : خصموه ورب الكعبة ، ثم ترحم على حجر .

قالوا : وبعثت عائشة عبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية ليسأله الصفح عن حجر وأصحابه ، فوجده قد قتلهم ، فقال له : أَقتلت حجراً ! فقال : إنّه خلع يداً من الطاعة وفارق الجماعة وفعل وفعل ، فقال له : وأين كان حِلْمك وأحلام بني حرب عنك ؟ قال : غابت عنّي حين غاب عني مثلك من حُلَماء قومي .

حدّثنا أبو عبد الرحمن الجُعْفيّ مُشْكدانة عن عبدالله بن المبارك عن عبيدالله بن أبي يزيد عن ابن أبي مُلَيْكَة أنّ معاوية لما حجّ أتى باب عائشة

---

١ ـ شرح ديوان لبيد ـ ط . الكويت ١٩٨٤ ص ١٥٣ .

رحمها الله يستأذن فلم تأذنْ له ، فلم يزلْ بها ذَكْوان غلامُها حتّى أذنت له ، فذكرت أمر حجر فقال : خشيت فتنةً فكان قتله خيراً من حرب تُهْراق فيها الدمَاء وتستحلّ المَحارِمُ ، فدعيني يفعل الله بي ما يشاء ، فقالت : ندعك والله ، ندعك والله .

حدثني عمرو بن محمّد حدثنا عفّان حدثنا حمّاد بن سَلَمة أنبأنا عليّ بن زيد قال: سمعت سعيد بن المسيَّب يقول: دخل معاوية على عائشة فقالت: ويحك فعلت وفعلت، وقتلت بعد ذلك حجراً وأصحابه، أَما خفت أن أُقعد لك رجلاً يقتلك؟ قال: [ما] كنتِ لتفعلي فأنا في بيت أمان، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قيّد الإسلام القتل»[1]؛ كيف أنا في حوائجك وما بيني وبينك؟ قالت: صلح، قال: فدعينا وإيّاهم حتّى نلقى ربّنا.

حدثني شيبان بن فَرّوخ عن عثمان البَرِّي قال: كان الحسن إذا ذكر معاوية قال: وَيْل معاوية من حجر وأصحاب حجر، ياوَيْله.

المدائني قال: لمّا بلغ عائشةَ أخذُ حجر وحَمْلُ زياد إيّاه وجّهتْ إلى معاوية عبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام في أمره، فقدم عليه وقد قتله وأصحابه، فقال له: أَيْنَ كان حلمك وحلم أبي سفيان؟ فقال: غاب عنّي مثلك من حُلّماء قومي، وحملني ابن سميّة فاحتملت.

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزّاق عن مَعْمر عن الكلبي وقَتادة قالا: قالت عائشة رضي الله تعالى عنها، وقد دخل عليها معاوية حين حجّ: وَيْحك أَقتلت حجراً وأصحابه بكتاب زياد؟! فقال: إنّي لم أقتلْهم، إنّما قتلهم

---

١ - في كنز العمال ج١ ص٤٠٥ ، ٦٩٦ الايمان قيد الفتك، لايفتك مؤمن.

الذين شهدوا عليهم، فقالت: وَيْحك أفلا تثَّبتَّ، فما كان يؤمنك أن أكمن لك رجلا يقتلك بمن قتلت من الصالحين؟ قال: إنّما دخلت بيت الأمْن والأمان وقد قيّد الإسلام القتل. ثمّ لم يَعُدْ إليها.

حدثنا سَعْدَويه عن هشيم عن عَوّام بن حَوْشَب قال: حُدّثنا عن عائشة أنّها قالت: لولا أنّا لم نَنوِ لامرٍ الا غلبنا عليه سفهاؤُنا لكان لي ولمعاوية في قتل حجر وأصحابه حال.

حدثني عمر بن شبّة حدثنا أبو عاصم النَبيل عن ابن عَوْن عن عمّه قال: بلغ أمَّ المؤمنين أنّ معاوية قتل حجراً، فجاء يستأذن عليها فمنعته، فلم يزل حتّى دخل، فقالت: أنت صاحب حجر؟! فقال: لم يكنْ عندي مَن يمنعني.

قال ابن عَوْن: وأنبأنا نافع قال: بلغ ابنَ عمر قتله وإنّه لمحتبٍ في السوق، فأطلق حُبْوَته ومضى، فسمعت نَحيبه.

وحدثني بكر بن الهيثم حدثني عبد الله بن صالح عن ابن لَهِيعة عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هِلال أنّ عائشة قالت لمعاوية، ودخل عليها بالمدينة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُقتل بعَذراء سبعة نفر يغضب الله وأهل السماء من قتلهم».

وحدثني بكر عن عبد الله بن صالح عن ابن لهيعة عن أبي قَبيل قال: لّما قُتل حجر بن الأدبر وأصحابه، ومعاوية بن حُدَيْج بإفريقية، بلغه قتله فقام في أصحابه فقال: ياأشِقّائي في الرحم، وأصحابي في السَفَر، وجِيرتي في الحَضَر، نقاتل لقريش في المُلْك حتىَ إذا استقام لهم قتلونا.

المدائني عن مسلمة وغيره أنّ معاوية لمّا احتُضر جعلوا يقلّبونه فيقول: أيّ جَسَدٍ يقلّبون إنْ نجا من ابن عَديّ.

وحدثني الحسين بن عليّ بن الأسود عن أبي بكر بن عيّاش عن أبي حصين قال: دخل عبد ا لله [بن خالد] بن أَسيد على معاوية في مرضه الذي مات فيه، فرأى منه جزعاً فقال: ماجزعك ياأمير المؤمنين؟ إن متَّ دخلت الجنّة، وإن حييت فقد علم الله حاجة الناس إليك، فقال: رحم الله أباك إن كان لنا لَناصحاً، نهاني عن قتل ابن الأدبر وأصحابه.

المدائني قال: كتب معاوية إلى زياد: أنّه قد تلجلج في صدري شيء من أمر حجر، فابعث إليّ رجلاً من أهل المصر له فضل ودين وعلم، فأشخص إليه عبدَ الرحمن بن أبي ليلى وأوصاه أن لايقبّح له رأيه في أمر حجر، وتوعّده بالقتل إن فعل، قال ابن أبي ليلى: فلمّا دخلت عليه رحَّب بي وقال: اخلعْ ثياب سَفَرك والبس ثياب حَضَرك، ففعلت وأتيته، فقال: أَما والله لَوددت أنّي لم أكنْ قتلت حجراً، ووددتُ أنّي كنت حبسته وأصحابه أو فَرقتهم في كُور الشام فكفتنيهم الطواعين، أو مَنَنْتُ بهم على عشائرهم. فقلت: وودت والله أنّك فعلتَ واحدةً من هذه الخِلال، فوصلني فرجعت وما شيء أبغض إليّ من لقاء زياد، وأجمعت على الاستخفاء، فلمّا قدمت الكوفة صلّيت في بعض المساجد، فلّما انفتل الإمام إذا رجل يذكر موتَ زياد، فما سررت بشيء سروري بموته.

وحُدّثت عن عثمان بن مِقْسَم البَرّي عن الحسن، وكان مع الربيع بن زياد بناحية خراسان، قال: قال الربيع لمّا بلغه قتل حجر وأصحابه: أَلا إنّ الفتنة قد كانت تكون ولم يكن قتلُ الصَّبرِ، وقد قُتِلَ حجرٌ وأصحابه صبراً،

فهل من ثائر، هل من مُعين، هل من مُنكرٍ؟! قال ذلك مراراً، فلم يجبْه أحد، فقال: أما إذْ أَبَيْتُم فستبتلون بالقتل صبراً على الظلم.

ورُوي أنّ الحسن بن الربيع قال: رَبّ إنّ حجراً قُتل صبراً، فإن كنت مُغَيّراً ذلك وإلا فاقبْضني إليك، فمات من ليلته.

قالوا: وفرق معاوية مَن صفح عنه من أصحاب حجر فلم ينزلْ اثنان بكورة واحدة.

وقال عوانة: فقالت عائشة لمعاوية، وقد حجّ فدخل إليها: أَقتلت حجراً وأصحابه؟! فقال: أنا قتلتهم؟! إنّما قتلهم من شهد عليهم.

حدثني محمّد بن سعد عن الواقدي عن محمّد بن بجاد عن عائشة بنت سعد ابن أبي وقّاص قالت: لمّا قتل معاويةُ حجر بن عديّ قال أبي: لو رأى معاوية ما كان من حجر يوم عبر قنطرة حُلوان لعرف أنَّ له غناءً عظيماً عن الإسلام.

وقال هشام بن محمّد عن أبيه: إنّ حجر بن عديّ الأدبر بن جبلة جاهلي إسلامي، وإنّما طُعن عديّ أبو حجر في دبره فسمّي الأدبر، وإنّ حجراً وفد على النبي صلّى الله عليه وسلّم هو وأخوه هانىء بن عديّ، وكان في ألفينْ وخمسمائة من أهل العطاء، فشهد القادسيّة، وافتتح مَرْج عَذراء بالشام وبها قتله معاوية، وقد كان شهد مع عليّ الجمل وصفّين ويكنّى أبا عبد الرحمن.

قالوا: قالت امرأة من كِنْدة يقال لها هِنْد، وقال الهيثم: هي هند بنت مَخْربة أنصاريّة، رضي الله تعالى عنها:

أَلا يــا[1] أَيُّها القَمَــرُ المُنيرُ   تَأَمَّلْ هَلْ تَرى حُجْراً يَسيرُ
يَسيرُ إلى مُعاوِيَةَ بن صَخْرٍ   لِيَقْتُلَه كَــذا زَعَـمَ الأمــيرُ
أَخافُ عَلَيْكَ أَسْبابَ المَنايا   وشَيْخاً في دِمَشْقَ لَهُ زَئـيرُ
يَرى قَتْلَ الخِيار عليه حَقّاً   لــه من شَرِّ أُمَّتِهِ وزيــرُ
أَلا يا لَيْتَ حُجْراً ماتَ مَوْتاً   ولم يُنْحَرْ كَما نُحِرَ الجَزورُ
تَطاوَلَتِ الجَبابِرُ بَعْدَ حُجْرٍ   وطاب لها الخَوَرْنَقُ والسديرُ

قالوا: وعوتب الهيثم بن الأسود النَخَعي على شهادته على حجر، وكان مِمّن عاتبه عُمير أبو العَمَرَّطة ورجل يقال له عمرو بن أبي فَرْوَة، فقال:

أَلا مَنْ عَذيري مِن عُمَيْرٍ ومِنْ عَمْرو   يَلومانِني أَنْ مالَ دَهْرٌ عَلى حُجْرِ
وهل لِيَ ذَنْبٌ أَنْ زِيادٌ أَرادَهُ   وأصحابَهُ يَوْماً بقاصِمَةِ الظَهْرِ
وقد حَدَّثَ الأقوام مَيْناً بأَنَّني   دَلَفْتُ له عَمْداً بداهِيَةٍ هِتْرِ
فَهلا إذاً إنْ كُنْتَ حُرّاً مَنَعْتَهُ   وطاعَنْتَ عنهُ بِالْمُثَقَّفَةِ السُمْرِ

في أبيات:

وقال الشاعر يحرّض بني هِنْد من بني شَيبان:

دعا ابْنُ فَشيلٍ يَالَ مُرَّةَ دَعْوَةً   وولّى ذُبابَ السَيْفِ كَفّاً ومِعْصَما
لِتَبْكِ بَني هِنْدٍ قُتَيْلَةُ مِثْلَ ما   بَكَتْ عِرْسُ صَيْفِيٍّ وتَبْعَثُ مَأْتَما

وقال عبد الله بن خليفة يرثي حجراً بقصيدة طويلة، يقول فيها:

فَيا حُجْرُ مَنْ لِلْخَيْلِ تَدْمَى نُحورُها   ولِلْمَلِكِ الغاوي إذا ما تَغَشْمَرا

---

١ ـ بهامش الأصل: ترفع أيها القمر. انظر ابن العديم ص١٥١ حيث القصيدة مع فوارق.

وقال قيس بن قَهْدان الكِنْدي:

طافت جُمان بِأَرْحُلِ السَفْرِ وسَرَتْ إلَيْكَ ولم تَكُنْ تَسْري

وهي طويلة يقول فيها:

يا حُجْرُ يا ذا الخَيْرِ والحِجْرِ يا ذا النوالِ ونابِهَ الـذِكْرِ

وقال أبو مخنف: قالت امرأة معاوية، ورأته قد أطال الصلاة: ماأحسن صلاتَك ياأمير المؤمنين، لولا أنّك قتلت حجراً وأصحابه، فقال: أنّهم فعلوا وفعلوا.

قال: وأحسن معاويةُ صِلاتِ القوم القادمين بحجر،وولّى مَصْقَلة طَبَرِسْتان. وقوم يزعمون أنّ مَصْقَلة لم يشهدْ على حجر، وهلك قبل ولاية زياد.

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي وأبو خَيْثَمة قالا: حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه حدثنا محمّد بن الزُبير الحَنْظَلي عن فيل مولى زياد قال: لّما قدم زياد الكوفة أميراً أكرم حجر بن الأدبر وأدناه وشفّعه، فلمّا أراد الانحدارَ إلى البصرة دعاه فقال له: ياحجر انّك قد رأيت ماصنعتُ بك، وإنّي أريد البصرة فُاحبّ أن تشخص معي، فإنّي أكره أن تتخلّف بعدي، فعسى أن أُبْلَغ عنكَ شيئاً فيقع في نفسي، وإذا كنتَ معي لم يقعْ في نفسي منك شيء، فقد علمتُ رأيك في عليّ بن أبي طالب، وقد كان رأيي فيه قبلك على مثل ذلك، فلمّا رأيت الله صرف الأمر عنه إلى معاوية لم اتّهمْ قضاء الله ورضيتُ به، وقد رأيتَ إلى ماصار أمر عليّ وأصحابه، وإنّي أحذرك أن تركب أعجازَ أمور هلك مَن ركب صدورها؛ فقال له حجر: إنّي مريض ولاأستطيع الشخوص، قال: صدقتَ والله إنك لمريض الدين والقلب مريض العقل،

وأيْم الله لئن بلغني عنك شيء أكرهه لأحرصن على قتلك، فانظرْ أو دَعْ، فخرج زياد فلحق بالبصرة، واجتمع إلى حجر قُرّاءُ أهلِ الكوفة، فجعل لاينَفُذ لعاملِ زيادٍ معهم أمرٌ، ولا يريد شيئاً إلا منعوه إيّاه، فكتب إلى زياد: إنّي والله ماأنا في شيء مع حجر وأصحابه، وأنت أعلم، فركب زياد بِغاله حتّى اقتحم الكوفة، فلمّا قدمها تغيّب حجر، فجعل يطلبه فلا يقدر عليه، فبينا زياد جالسٌ يوماً وأصحاب الكَراسيّ حوله فيهم محمّد بن الأشعث بن قيس إذ أتى ابنَ الأشعث ابنُه فناجاه وأخبره أنّ حجراً قد لجأ إلى منزله، فقال له زياد: ماقال ابنك؟ قال: لاشيء، قال: والله لتُخْبرنّي ماقال لك حتّى أعلم أنّك قد صدقتني، أو لاتبرح مجلسك حتّى أقتلك، فلمّا عرف ابنُ الأشعث رأيه أخبره، فقال لرجل من أشراف أهل الكوفة: قمْ فاتني به، قال: أعفني أصلحك الله من ذلك وابعث غيري، فقال: لعنة الله عليك مُخبث خبيث، والله لتأتينّي به أو لأقتلنّك، فخرج الرجل فدخل عليه حتّى أخبره وقال له: ابعث إلى جرير بن عبد الله ليكلّمه فيك، فإنّي أخاف أن يعجل عليك، فدخل جرير على زياد فكلّمه فيه، فقال: هو آمِنٌ أن أقتله، ولكنّي أُخرجه إلى معاوية فجاء به على ذلك، فأخرجه من الكوفة ورهطاً معه، وكتب إلى معاوية أن أَغْنِ عنّي حجراً إن كان لك بما قِبَلي حاجة، فبعث معاوية إليه فتلقي بالعَذْراء فقُتل هو وأصحابه. وولي زياد العراق ومات سنة ثلاث وخمسين[1].

---

١ - بهامش الأصل: بلغ العرض بالأصل الثالث ولله كل حمد.

أمر عمرو بن الحمق الخزاعي

قالوا: لمّا طلب زياد أصحاب حجر بن عدي هرب عمرو بن الحَمِق بن الكاهن الخُزاعي ورِفاعة بن شدّاد البَجَلي إلى المدائن، ثم مضيا إلى الأنبار ثمّ إلى المَوْصل، فصارا إلى جبل من جبالها ممّا يلي الجزيرة، فكَمَنا فيه، وبلغ عاملَ الرُّستاقِ أنّ رجلَيْن كامنان في الجبل، فأنكر شأنهما واستراب بهما، وكان العامل رجلاً من هَمْدان يقال له عبد الله بن أبي تلعة، فصار إليهما ومعه أهل البلد، فلمّا انتهى إلى موضعهما خرجا إليه، فأمّا عمرو بن الحمق فكان مريضاً قد سَقَى بطنه، فلم يكنْ عنده امتناعٌ فأُخذ، وأما رفاعة بن شدّاد البَجَلي فكان شاباً قوياً، فوثب على فرسٍ له جوادٍ، وحمل على القوم فأفرجوا له، فخرج وخرجت الخيل في طلبه، وكان رامياً فجعل يرمي مَن لحقه فيجرحه، حتّى نجا بنفسه وأمسكوا عن طلبه، فيقال إنّه قال لعمرو بن الحمق: أقاتل عنك، فقال: انجُ بنفسك؛ وسألوا عمراً مَن هو فلم يخبرْهم، فبعث به عبد الله بن أبي تلعة إلى عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم أخت معاوية، وهو الذي قتل عليٌّ جدَّه عثمان الثَقَفي يوم حُنَيْن، وكان عبد الرحمن على

المَوصِل والجزيرة ـ ويقال على المَوْصل وأعمالها ومعها شَهْرَزُور ـ فلمّا رأى عمرو بن الحمق عرفه فحبسه، وكتب إلى خاله معاوية بظفره به، فكتب معاوية إليه: إنّه يزعم أنّه طعن عثمان تسع طَعَنات، وإنّا لانريد أن نعتدي عليه، فاطعنْه تسع طعنات كما طعن عثمان، فأخرج فطِعِنَ تسعاً مات في الأولى منهنّ أو الثانية، ثمّ احتزّ رأسه وبُعث به إلى معاوية، فهو أوّل رأس بُعث به إلى معاوية؛ ويقال إنّه اتّخِذت له مَشاقِص فطُعن بها كما فعل بعثمان؛ فإنّه قعد على صدره ووجأه بمشاقِصَ كانت معه تِسْعَ وَجَآت مات في اثنَتْين منها؛ وقال ابن الكلبي عن أبيه: قتله ابن أمّ الحَكَم في عمل الجزيرة.

وقال الهيثم بن عديّ: هرب عمرو بن الحمق إلى المَوْصِل وعليها ابن أمّ الحَكَم، فصار إلى غارٍ في جبلٍ، فعُثر عليه وأُخبر عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم بمكانه، فبعث إليه خيلاً فدخل أقصى الغار فنهشته حيّة فقتلته وأُخذ رأسه فحُمل إلى زياد، فحمله زياد إلى معاوية، فكان أوّلَ رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى بلد.

حدثنا محمّد بن الصبّاح عن شريك عن أبي اسحاق قال: أوّل رأس أُهدي في الإسلام رأس عمرو بن الحَمِق أُهدي إلى معاوية.

وروي أنّ ابن الحَمِق أتى اذربيجان فنزل على رجل من بَجيلة فمات عنده، فاحتزّ رأسه فأتى به ابن أمّ الحَكَم، فبعث به إلى معاوية، فنصبه للناس، ثمّ بعث به إلى امرأته آمنة بنت سُوَيْد وكانت محبوسة عند معاوية، فقالت: لقد نفيتموه طويلاً وأهديتموه قتيلاً، فمرحباً به من هَديّةٍ غير مَقْليّة؛ ونفاها إلى حِمْص فماتت بحِمص.

حدثنا خَلَف بن هشام حدثنا هُشيم عن يونس بن عبيد عن حُميد بن هِلال قال: ولّى زياد أبا بُرْدة بعض الصدقة فقال: انّى أنزل نفسي وإيّاك في المال بمنزلة وليّ اليتيم، مَن كان غنيّاً فليَسْتَعْفِفْ ومَن كان فقيراً فليأكل بالمعروف.

المدائني قال: كان الجموح بن عمرو الفَهمي شهد صفّين مع عليّ فآمنه معاوية وكتب إلى زياد: إنّي قد عرفت زَلّته وغفرتها له لحِلفه أبا سفيان، فدعاه زياد إلى ولاية بيت المال فأبى، فقال له زياد: أتتأبى عليّ وقد سفكتَ الدماء مع علي بن أبي طالب؟! فقال: يازياد: أَتقول هذا فوالله إن كنتَ لمنتفياً من الأب الذي صرتَ إليه منسوباً إلى الأبِ الذي انتفيتَ منه وأنت تسفك الدماء معه وتجبي الخراج إليه، وأنت يومئذ خير منك اليوم، فضربه زياد مائة سوط وحلق رأسه ولِحْيته، فكتب إليه معاوية كتاباً غليظاً يقول فيه: لهممتُ أن أوجّه إليك مَن يقتصّ له منك، فأوفد الجموح إليه فأظهر كرامته، وأنشده الجموح:

مُعاويَ إنَّ الله فَوْقَ سَمائِهِ ... وإنّك ذو ذَنْبٍ ولا يُؤْمَنُ الذَنْبُ
سَطا بِبَني عادٍ فلم يَبْقَ مِنْهُمُ ... بَقايا ولا عَينٌ لِعادٍ ولا شِرْبُ
وإنَّ زياداً موعَبٌ في أَديمِكُمْ ... وشائِمُكُمْ والشُؤْمُ أَعْظَمُهُ الخَطْبُ
وتارِكُكُمْ في لَعْنَةٍ بَعْدَ لَعْنَةٍ ... وداءُ الصِحَاحِ أَنْ تُقارِفَها[1] الجُرْبُ
فـوالله مايَنْهَى زِيـاداً وغَيَّـهُ ... سِوَى أَنْ تقولَ لا زِيادٌ ولا حَرْبُ

١ ـ بالأصل: «تفارقها» وهو تصحيف.

فقال معاوية: قلْ ما شئت فإنّك حليف أبي سفيان، ودعا له بخِلْعة قد لبسها فكساه أيّاها وقال: امش مِشْيَتك في قريش، وأعطاه مِخْصَرة فقال: اختصر بها.

وحدثني إبراهيم بن الحسن العَلاف حدثنا أبو عَوانة عن مغيرة عن الشعبي أنّ زياداً أهدى إلى عائشة وأمّ سَلَمة وصَفيّة هديّةً، وفضّل عائشة بفُسطاطٍ، وأمر رسوله أن يعتذر إلى أمّ سَلَمة وصَفيّة من تفضيل عائشة عليهما، فقالتا: لقد آثرها علينا مَن كانت أَثَرته أشد علينا مِن أثرة زياد.

المدائني عن عبد الله بن المبارك عن داود بن عبد الرحمن أنّ زياداً كتب إلى معاوية: إنّي أشكو إليك ماألقى من سفهاء قريش، فكتب إليه: كتبتَ تشكو ماتِلَقى من سفهاء قريش، فأصبر فإنّ حُلماءها صبروا عليك حتّى وضعوك بهذا الموضع.

المدائني قال: حُصب زياد على منبر الكوفة فأمر بالأبواب فمُنعت، وجلس وعرض الناس عليه، فمن حلف تركه ومن أبى قطع يده، فقطع يومئذ ثمانين يداً.

المدائني عن مسلمة بن محارب قال: كان زياد إذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة أيّام ثمّ دعا به، فإن رأى أن يعاقبه عاقبه ثمّ قال: لم يمنعني من عقوبته إلا مخافة أن أكون إنّما عاقبته للغَضَب.

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف عن القاسم بن النضر العَبْسي عن أبيه عن عمّه قال: أرسل إلينا زياد لنلعن عليّاً ونَبْرأَ منه، فإنّا لمجتمعون إذ أَغْفَيْتُ إغْفاءَةً، فرأيت رجلاً أسود فراعني فقلت له: مَن أنت؟

فقال: أنا النَقّاد ذو الرَقَبَة، أُرسلت إلى هذا الشاتمِ صاحِبَ الرَحَبَة، فأتانا رسول زياد فقال: انصرفوا فإنّ الأمير عليل، فعَرضت له الأَكِلة فمات بعد ثلاثة أيام، فقلت:

ما كانَ مُنْتَهِياً عَمّا أَرادَ بنا حَتَّى أُتيحَ لَهُ النَقّادُ ذو الرَقَبَة
فجلَّلَ الرَأْسَ مِنْهُ ضَرْبَةً عَجِلاً لَمّا تَناوَلَ بَغْياً صاحِبَ الرَحَبَة

المدائني قال: وفد زياد إلى معاوية بأهل المِصْرَين واشتعل الطاعون بالكوفة، فقال له معاوية: أقِمْ عندنا، فأقام ثلاثة أشهر، ثمّ قال له: ماجاءك عن بلادك يا أبا المغيرة؟ قال: ارتفاع الطاعون، قال: قد بلغني ذاك فإن شئت فسِرْ، فلمّا قدم الكوفة توفي بعد قليل من مقدمه.

قالوا: وكان زياد كتب إلى معاوية مع الهيثم بن الأسود: إنّي قد أحكمت أمر العراق وضبطته بشمالي، ويميني فارغة ـ أو قال: بيميني، وشمالي فارغة ـ فولّني الحجاز واشغلْها به، فبلغ ذلك ابن عمر فاستقبل القبلة فقال: اللهمّ اشغلْه عنّا، فما أتى له من مقدمه عشرون ليلة حتّى طُعن في خِنْصِره؛ ويقال إنّه قال: اللهمّ إنّ في القتل كفارةً لـمَن تشاء من خلقك، وإنّي اسألك لابن سُمَيّة موتاً لاقتلاً، فخرجت في إصبعه بَثْرة فما أتت عليه جُمْعة حتّى مات؛ ويقال لم تأتِ عليه ثلاثون ساعة.

وقال عبد الله بن مطيع: ياأهل المدينة اكتبوا كتاباً إلى معاوية بالاستعفاءِ من زياد ومن ولايته، واكتبوا كتاباً إلى زياد، فإذا أكبَ عليه ليقرأه ضربت عنقه، فقال ابن الزبير: أنّ الرجل ليبذل دمه في صلاح عشيرته.

حدثني الأعْيَن حدثنا أبو نُعيم الفضل بن دُكين عن سفيان عن يونس عن الحسن قال: بلغ الحسنَ بن عليّ أنّ زياداً يتَبع شيعة عليّ فيقتلهم، فقال: اللهمّ تفرّدْ بموته فإنّ في القتل كفارة.

المدائني قال: قدم الهيثم بن الأسود بولاية زياد الحجاز، فقيل له قدم الهيثم بعَهْدك على الحجاز، فقال: لَشَرْبة ماءٍ باردٍ أجد طَعْمَها أحبّ إليّ ممّا قدم به الأسود، ولم يلبثْ أن مات.

قالوا: وكان زياد لايقطع أمراً دون شُرَيْح، فقال له: ياأبا أميّة ماترى في قطع إصبعي؟ قال: سلْ أهل الطبّ، فبعث إلى دينار مولى أبي بكر بن وائل، فقال له: أين تجد الأَلَم؟ قال: في قلبي، قال: عِشْ سويًّاً ومُتْ سويّاً ولا تمثّلْ بنفسك؛ وقال أبو بكر بن عيّاش: الذي أشار عليه أن لا يقطع يده أبو جُهَيْم مالك الأسدي الطبيب.

قالوا: وخرج شُرَيح من عند زياد، فسأله مسروق بن الأجدع والمُسَيَّب بن نَجَبَة وسليمان بن صُرَد، وعُرْوة بن المغيرة، وخالد بن عُرْفُطة، وأبو بُرْدة بن أبي موسى: كيف تركت زياداً؟ قال: تركته يأمر وينهى، عَنَى شريح أنّه يأمر بالوصيّة والكفن وينهى عن النوح والبكاءِ.

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن كُناسة وعَوانة، قال: لما شاور زياد شُرَيْحاً في قطع اصبعه قال له: إن كانَ الأجَل قد حضرك لقيت الله وقد قطعتَ يدك فراراً من لقائه، وإن كان الأجَل متأخرّاً عِشْتَ أجْذَمَ فعُيِّر بذلك ولدُك، فلم يلبثْ أن مات.

وقال له ابنه: لقد هيّأتُ لكفنك ستّين ثوباً، فقال: يابُنَيَّ قد دنا من أبيك لباسٌ خير من هذا وسلبٌ لاخيرَ معه؛ وكان موت زياد بالكوفة.

وكان سُليم مولى زياد على ديوان خراجه، فقال لشُرَيْح: أشرِ على الأمير بالوصيّة فإنّه لايخالفك، ففعل، فقال له زياد: مَن سألك أن تكلّمني في الوصيّة؟ فقال: سُلَيْم، فقال: أما انّه غير متّهم في وصيّةٍ[1] ولاشُفْعة، فكتب وصيّته في ثلاث نُسَخ، فدفع نُسْخةً إلى شُرَيْح ونسخةً إلى سُليم، وأخرى إلى أمّ ولده.

واستخلف عبد الله بن خالد بن أسيد على الكوفة، وأقرّ سَمُرة على البصرة، ويقال إنّه استخلف عبد الله عليهما جميعاً إلى أن يرى معاوية رأيه.

وكثُر بُكاء الناس رجالِهم ونسائِهم عليه، فلمّا وُضع ليُصلّى عليه تقدّم عبيد الله بن زياد ليصلّي عليه، فأخذ مِهْران بمَنْكِبيه وقال: وَرَاءَكَ؛ وقال شُرَيْح لعبيد الله: الأمير غيرك، وقدّما عبد الله بن خالد فصلّى عليه، ووجد عبيد الله على مهران فأضرّ به حين ولي.

وقال عبد الله بن خالد لشُرَيْح وسُليم: بماذا تأمرانني؟ قالا له: أنت الأمير فانزلِ القصر، فنزله، وقال معاوية حين بلغه خبره: لا والله ولا على عَجَمِ أحدِ المصرَيْن، فتركه سنةً ثمّ بعث إليه: إن شئت حاسبناك وأعطيناك ألف ألف درهم، وإن شئت فلا محاسبة ولاجائزة، فدعا خالداً وأميّة ابنيه فقال:

---

١ - بهامش الأصل «نصيحة».

ماتريانِ؟ قالا: قد أخذنا لك عشرين ألف ألف فلا ترد محاسبة ولاجائزة، فعزله وولّى الضحّاك بن قيس الكِنْدي الكوفة.

حدثني هشام بن عمّار عن الوليد بن مسلم قال: كان زياد عند معاوية وقد وقع الطاعون بالعراق، فقال له: انّي أخاف عليك ياأبا المغيرة عبر الطاعون، فلمّا صار إلى العراق طُعن فمكث شهراً ثمّ مات.

قالوا: وكان موت زياد في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وهو ابن خمس وستّين سنة.

وحدثني الحِرْمازي عن العُتْبي قال: كانت وصيّة زياد: هذا ماأوصى به زياد بن أبي سفيان حين أتاه من أمر الله ما لايُنْظر، ورأى من قدرته ما لايُنكر، أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، شهادةَ مَن عرف ربّه وخاف ذنبه، وأن محمّداً عبده ورسوله، أرسله إمامَ هُدى صدّق به مَن قبله وهدى به مَن بعده صلّى الله عليه وسلّم، وأوصى أمير المؤمنين وجماعة المسلمين بتقوى الله حق تُقاته، وأن لايموتوا إلا وهُم مسلمون، ولايراهم حيث نهاهم ولايفقدهم أثرهم، وأن يتعهّدوا كبير أمورهم وصغيره، فإنّ الله جعل لعِباده عقولاً عاقبهم بها على معصيته، وأثابهم بها على طاعته، ولله النِعمة على المُحسن، والحُجّة على المُسيء، فما أحقَّ مَن تمّت به نِعْمة الله عليه في نفسه ورأى العبْرة بأن يضع الدنيا حيث وضعها الله، فيُعطي ماعليه فيها، ولايتكثّر بما ليس له منها، فإنّ الدنيا دار زوال لاسبيلَ إلى بقائها، وأحذرّكم الذي حذّركم نفسه، وأوصيكم بتعجيل ماأخّرت العَجَزَةُ حتّى صاروا إلى

الحَسْرة والندامة ولم يقدروا على الأَوْبَة، وقد ولْيت فلاناً وفلاناً أمْر تِرْكَتي فإن يُحسنا أو يُسيئا فالله وأمير المؤمنين من ورائهم، وكفى بالله شهيداً.

حدثنا خَلَف بن هشام البزار عن أبي بكر بن عيّاش عن أبي إسحاق أنه قال: والله مارأينا بعد زياد مثله؛ فتعجّبنا من يمينه، وقد رأى عمر بن عبد العزيز فلم يستَثْنِهِ.

وحُدّثت عن سفيان بن عُيَيْنة عن مجالد عن الشعبي عن قَبيصة بن جابر قال: مارأيت رجلًا أخصب جليساً ولا أَشْبَه سريرةً بعَلانية من زياد.

وقال معاوية حين بلغه موت زياد:

أُفرِدْتَ سَهْماً في الكِنانَةِ واحِداً سَيُرْمَى به أو يَكْسِرُ السَهْمَ كاسِرُه

حدثني عمرو بن محمّد حدثنا أبو نُعيم عن موسى بن قيس عن سَلَمة بن كُهَيْل قال: أوّل مَن وطِيء على صِماخ الإسلام زياد.

وأوصى زياد أن يُدفن عند أبي موسى الأشعري، وقبره عند دُكّان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب، وهو عند مُنْقَطَع البيوت بالكوفة.

وحدثني الأثرم عن ابن الكلبي عن أبي عبيدة أنّ زياداً ولّى عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أميّة فارسَ، ووهب له ابنة جُوانبوذان بن المُكَعْبِر. فولدت له الحارث بن عبد الله، ولمّا مات زياد استخلفه على الكوفة وهو صلى عليه.

وقال المدائني: كتب زياد إلى معاوية بن أبي سفيان: إنّ الأنْفُس يُغْدَى عليها ويُراح، وأخاف أن يحدث بي حدث ولاأجد أحداً أوليّه ماقِبَلي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يوجّه إليّ رجلًا من قريش له بيتٌ وموضع ودين فيكون

عندي، فإن حدث بي حَدَثٌ ولّيته، فكتب إليه: سَمِّ لي رجلاً، فسمّى له عبد الله بن خالد، فوجّهه إليه فولاه أَرْدَشيرْخُرَّه، وزوّج ابنته أميّة بن عبد الله.

المدائني قال: قصّر عبد الله بن خالد بن أَسيد بعمر بن سعد فشكاه إلى معاوية، فقال معاوية: لقد وجدته أحضَر صلالا[1]، قال: أَما والله لو جَرَيْتُ وهو على السواء مانزل بذلك المنزل، ولكّنه قهرني بسلطانه، وخرج فأَتْبَعَه معاوية بَصَرَهُ وقال: ما في الأرض قرشيٌّ كنتُ أحبّ أنّ أمّي ولدته غيره.

وقال المدائني وغيره: أوّل مَن قدم بنَعْي زياد إلى البصرة مسعود بن عمرو، فقال حارثة بن بدر الغُداني وكان صديق زياد:

لقد جاء مَسْعودُ أخو الأَزْدِ غُدْوَةً ... بداهِيَةٍ شَنْعاء بادٍ حُجولُها
مِنَ الشرِّ ظَلَّ القَوْمُ فيها كَأَنَّهُمْ ... وقد جاءَ بِالأَخْبارِ مَنْ لا يُحيلُها
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الأَرْضَ أَصْبَحَ خاشِعاً ... لِفَقْدِ زِيادٍ حَزْنُها وسُهولُها
قَضى أَجَلَ الدُّنْيا وغادَرَ أُمَّةً ... به شُفِيَتْ أَضْغانُها وذُحولُها
وحَذَّرَها ما يُتَّقى مِنْ أُمورِها ... وقَوَّمَها حَتَّى استَقامَ سَبيلُها
وأَبْرَأَ مَرْضاها وأَقْسَطَ بينهـا ... فَبانَ وقد فاءَتْ إِليها عُقولُها

في أبيات؛ وقال أيضاً:

صَلَّى الإلهُ على مَيْتٍ وطَهَّرَهُ ... دونَ الثُوَيَّةِ تَسْفي فَوْقَهُ المورُ
زَفَّتْ إليه قُرَيْشٌ نَعْشَ سَيِّدها ... فَفيهِ ضافي النَدَى والحَزْمُ والخيرُ

---

١ ـ الصلالة: بطانة الخف أو ساقها. القاموس.

أبا المُغيرَةِ والدُنْيا مُفجِّعَةٌ ... وإنَّ مَنْ غَرَّتِ الدنيا لَمَغْرورُ
قَد كانَ عِنْدَكَ لِلْمَعْروفِ مَعْرِفَةٌ ... وكان عِنْدَك لِلْنَكْراءِ تَنْكيرُ
ولا تَلْينُ إذا عوسِرْتَ مُقْتَسِراً ... وكُلُّ أَمْرِكَ ما يوسِرْتَ مَيْسورُ
لَم يَعْرِفِ الناسُ مُذْ وُوريتَ سُنَّتَهُمْ ... ولم يُجَلِّ ظَلاماً عنهمُ نورُ

وقال أيضاً :

صَلَّى الإلهُ عَلَى مَيْتٍ وَطَهَّرَهُ ... دون الثُوَيَّةِ لَم نَشْهَدْ له جَنَنا
مِنْ آلِ حَرْبٍ بها لاقَى مَنِيَّتَهُ ... فَغُيِّبَ الحَزْمُ ذاك اليوم إذ دُفِنا
أَبا المُغيرَةِ وَالدُّنْيا مُفَجِّعَةٌ ... مَنْ ذا الذي لم يُجَرَّعْ مَرَّةً حَزَنا

قالوا : ومات زياد وما يملك الاّ أقلّ من عشرة آلاف درهم ، ولم يترك من الكسْوة غير قميصَيْن وإزارَيْن وسَراويلَيْن ، وكان يقول : ما دام سلطاننا فالدنيا كلّها لنا ، فإذا زال عنّا فالذي يجزينا من الدنيا أقلُّها .

وقال مِسْكين الدارمي :

رَأَيْتُ زِيـادَةَ الإِسْلام وَلَّتْ ... جِهـاراً حـينَ وَدَّعَنـا زِيادُ[1]

وقال الفرزدق :

أَمِسْكينُ أَبْكَى الله عَيْنَيْكَ إِنَّما ... جرى في ضَلالٍ دَمْعُها فَتَحَدّرا
بَكَيْتَ امْرءاً مِنْ أَهْلِ مَيْسانَ أُمُّهُ ... كَكِسْرى على عِدّانِهِ أَوْ كَقَيْصَرا
أَقـولُ له لَمّـا أَتـاني نَعِيُّـهُ ... به لا بِظَبْيٍ بِالصَرِيمَةِ أَعْفَرا[2]

١ ـ ديوان مسكين الدارمي ص ٣٠ .
١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٠١ .

فقال مِسْكين :

أَلا أَيُّها المَرْءُ الذي لستُ ناطِقاً ولا قاعِداً في القوم إلاّ انْبَرَى ليا
فجِئْني بِعَمٍّ مِثْلِ عَمِّيَ أَوْ أَبٍ كَمِثْلِ أَبي أَوْ خالِ صِدْقٍ كَخاليا[1]

وقال الفرزدق :

أَبْلِغْ زِياداً إذا لاقَيْتَ مَصْرَعَهُ أَنَّ الحَمامَةَ قَدْ طارَتْ مَنَ الحَرَمِ
طارَتْ فَما زالَ تَنْميها قَوادِمُها حَتى اسْتَقَامَتْ إِلَى الأَنْهارِ وَالأَجَمِ[2]

وقال أيضاً :

كَيْفَ تَـراني قـالِبـاً مِجَنِّي أَقْلِبُ أَمْـري ظَهْرَهُ لِلْبَـطْنِ
قَدْ قتل الله زِياداً عَنِّي[3]

قالوا : ووفد عبيدالله بن زياد إلى معاوية فسأله ان يولّيه ، فقال له : لو كان فيك خير لولاّك أخي ، فقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن يقول الناس لو علم أبوك وعمّك فيك خيراً لولّياك ، ثمّ ولاّه البصرة حتّى شكاه عبدالله بن عمرو لقطعه رجلًا من بني ضَبّة على شُبْهة .

وكان الحَجّاج بن عِلاط ادّعى مولى لبني مخزوم ، وذكر أنّه أتى أمّه في الجاهليّة ، فقضى به معاوية لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكانت الخصومة فيه بَين نَصْر بن الحَجّاج وبين عبد الرحمن بن خالد ، وقال نَصْر بن الحجّاج :

١ ـ قصيدة مسكين الدارمي من كتاب النقائض ـ ط . لندن ١٩٠٧ ص ٦٢١ .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٢٣ .
٣ ـ لم يرد هذا الرجز في ديوانه المطبوع انظره في النقائض ص ٦٢١ .

إليكَ أميرَ المُؤْمِنـينَ رَحَلْتُها لأَمْر أَشابَ الرَأْسَ مِنّي وأَنْصَبا
مُعاوِيَ إلّا تُعْطِنا الحَقَّ نَنْتَصِرْ بِأَسْيافِنا والشَرُّ لم يَكُ تُرْتُبا

في أبيات ، وسَنذكر الخبر في نسب بني مخزوم ، وكان عبيدالله بن رِياح الذي اختصما فيه رجلاً ظريفاً ، وقد نادم يزيد بن معاوية ، وفيه يقول :

لَهانَ علينا أنْ تَبيتي مُناخَةً على الخَسْفِ يا بُخْتِيَّةَ ابنِ رياحِ

ولد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما :

ولد معاوية : عبدَ الرحمن وبه كان يُكنى ، وأمّه أمّ ولد يقال لها فاختة بنت قَرَظَة بن عبد عمرو بن نَوْفَل بن عبد مَناف .

لا عقبَ له ، وعبدَالله وهنداً ، وأمّهما فاختة بنت قَرَظَة .

وكان عبدالله بن معاوية من أضعف الناس عُقْدَةً وأحمقهم ، وكان يُكنى مُبَقَّتاً[1] ويُكنى أبا سليمان ، ونكح بعض الموالي خالةً ليزيد فقال :

يـا راكباً ألا ابْلغَنْ يـزيـدا فكيفَ تَرْجو بعدُ أن تَسودا
وأنْكَحوا خالَتَهُ العبيدا

وقال في إبل من إبل الصدقة كانت تُجْمع ثمّ تُخرج للرَّعْي :

ألا ارْسِلا مِنْ أَرْبَعٍ وخَمْسٍ ذلِكَ خَيْرٌ مِنْ زِيادِ الحَبْسِ

ومرّ بقوم من كَلْب ولهم فرس دقيقة القوائم كأنّها قَصَب ، ولها مَتْن ذو خِلْقة عجيبة ، وكان الناس ينتابون فيَنْحلون أصحابها إذا أخرجوها إليهم

١ ـ المبقت : الأحمق . القاموس .

شيئاً ، فأخرجوها إليه فقال : من أيّ شيء قوائمها ؟ فقالوا : من صَفْصاف ، قال : فمن أيّ شيء مَتْنها ؟ قالوا : من تين ، قال : أُترون . وقال أبوه : سلْني حوائجك ، فقال : عبيد يمشون معي ويحفظوني ، وكان يُمْدح فيُسرّ ذلك أمَّه ، فتصل مادحيه وتستميح لهم معاويةَ ، فقال فيه الأخطل في قصيدته التي أولها :

بانَ الخَليطُ فَشاقَني أَجْواري وَنـأَوْكَ بعدَ تَقـارُبٍ وَجِوارِ
لأُحَبِّرَنْ لابْنِ الخَليفَةِ مِدْحَةً ولأَقْـذِفَنَّ بِها إلَى الأَمْصـار
قَرْمٌ تَمَهَّلَ في أُمَيَّةَ لم يَكُن فيهـا بِـذي أُبَنٍ لا خَـوّارِ
بِأَبِي سُلَيْمانَ الذي لولا يَدٌ منه عَلِقْتُ بِظَهْرِ أَحْدَبَ عارِ[1]

وشهد عبدالله مَرْج راهط ، فقاتل مع الضحّاك بن قيس والقيسيّة ، ثمّ هرب فآمنه عبدالملك بعد ذلك .

المدائني قال : لمّا قدم الحجّاج العراق وجد قُبّة كان بعث بها عبدالله بن معاوية إلى خالد بن عبدالله بن أسيد ، فكتب الحجّاج إلى عبدالملك : انّي وجدت قُبّة كان بعث بها عبدالله بن معاوية إلى مُصْعب ، فغضب عبدالملك وقال : تُهدي لأعدائي ؟! ألستَ صاحب المَرْج ؟! فقال : كَذَبَ إنّما أهديتها إلى خالد بن عبدالله ، فقبل عبدالملك قوله .

وكانت هند عند عبدالله بن عامر بن كُرَيْز ثمّ عند عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان فماتت عنده .

---

١ ـ ديوان الأخطل ـ ط . بيروت ١٩٨٦ ص ١٤٦ ـ ١٥٠ مع فوارق .

ورَمْلة وأمّها كَنُود بنت قرظة كانت عند عمرو بن عثمان بن عفّان .

وصفِيَّة لأمّ ولد كانت عند محمّد بن زياد بن أبي سفيان .

ويزيد وأَمَةَ الشارق ـ وبعضهم يقول أَمَة رَبّ المشارق ـ أمّهما مَيْسون بنت بَحْدَل الكَلْبيّة ، فماتت أَمَة الشارق وهي صغيرة ، وأمّا يزيد فولي الخلافة .

قال أبو اليقظان : وكانت لعبدالله بن معاوية ابنة يقال لها عاتكة ، وفيها يقول الشاعر :

يا بيتَ عاتِكَةَ الذي أَتَعَزَّلُ حَذَرَ العِدَى وبه الفُؤادُ مُوكَّلُ

إنّي لأَمْنَحُكَ الصُدودَ وإنّني قَسَماً إليكَ مَعَ الصُدودِ لأَمْيَلُ[1]

---

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ـ ط . القاهرة ١٩٩٠ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

أمر يزيد بن معاوية :

وأمّا يزيد بن معاوية فكان يُكنى أبا خالد .

حدثني العُمَري عن الهيثم بن عَديّ عن ابن عيّاش وعَوانة وعن هشام ابن الكلبي عن أبيه وأبي مخنف وغيرهما قالوا : كان يزيد بن معاوية أوّلَ من أظهر شُرْبَ الشراب والاستهتارَ بالغناء والصيد واتّخاذ القيان والغلمان والتفكّه بما يضحك منه المُترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة ثم جرى على يده قتل الحسين ، وقَتْلُ أهل الحَرّة ، ورَمْيُ البيت وإحراقه ، وكان مع هذا صحيح العُقْدة فيما يَرَى ، ماضيَ العزيمة لا يهمّ بشيءٍ إلّا ركبه .

قالوا : ووقع بين غلمان يزيد وغلمان عمرو بن سعيد الأَشْدق شرٌّ فأغضبه ذلك ، وأمر بإحضار أولئك الغلمان ، فلما أُتِي بهم قال : خلّوا سبيلهم فإنّ القُدرة تُذهِب الحفيظة .

المدائني قال : دعا يزيد بأُمّ خالد لينالَ منها فأَبطأت عليه ، وعرضت له جاريةٌ سوداء من جواريه فوقع عليها ، فلما جاءت أمّ خالد أنشأ يقول :

اسْـلَمـي أُمَّ خـالِـدِ ... رُبَّ سـاعٍ لِـقـاعِـدِ
إنَّ تِـلْكَ الـتي تَـرَيْـنَ سَـبَـتْـنـي بِـوارِدِ
تُـدْخِـلُ الأَيْـرَ كُلَّـهُ ... في جِـرٍ غَـيْرِ بـارِدِ

المدائني والهيثم وغيرهما قالوا : كان ليزيد بن معاوية قرد يجعله بين يديه ويكنيه أبا قيس ويقول : هذا شيخ من بني اسرائيل أصاب خطيئة فمُسخ ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك ممّا يصنع ، وكان يحمله على أتان وَحْشيّة ويُرسلها مع الخيل فيسبقها ، فحمله عليها يوماً وجعل يقول :

تَمَسَّكْ أبا قَيْسٍ بفَضْلِ عِنانِها ... فليس عليها إن هَلَكْتَ ضَمانُ
فقد سَبَقَتْ خَيْلَ الجَماعَةِ كُلَّها ... وخَيْـلَ أميرِ المُؤْمِـنينَ أتـانُ

وذكر لي شيخ من أهل الشام أنّ سبب وفاة يزيد أنّه حمل قرده على الأتان وهو سكران ، ثم ركض خلفها ، فاندقّت عُنقه أو انقطع في جوفه شيء .

وحدثني محمد بن يزيد الرفاعي حدثني عمّي عن ابن عيّاش قال : خرج يزيد يتصيّد بحُوّارين وهو سكران ، فركب وبين يديه أتان وحشيّة قد حمل عليها قرداً وجعل يُركض الأتانَ ويقول :

أبا خلفٍ إحْتَلْ لِنَفْسكَ حيلةً ... فليس عليها إن هَلَكْتَ ضمانُ

فسقط فاندقّت عُنقه .

قالوا : وكان يزيد هَمَّ بالحجّ ثمّ إتيانِ اليمن فقال رجل من تنوخ :

يَزيدُ صَديقُ القِرْدِ مَلَّ جِوارَنا ... فحَنَّ إلى أَرْضِ القُرودِ يزيدُ
فتَبّاً لِمَنْ أَمْسَى علينا خَليفَةً ... صَحابَتُهُ الأَدْنَوْنَ منْهُ قُـرودُ

المدائني قال : كان يزيد ينادم على الشراب سَرْجون مولى معاوية .

وليزيد شعر منه قوله :

وهـا بـالمـاطِـرونِ إذا أَكَـلَ النَمْـلُ الـذي جَمَعـا
مَـنِـزلٌ حَتّى إذا ارْتَـبعَـتْ سَـكَنَـتْ مِن جِـلّقٍ بِيَـعـا
في جِـنـانٍ ثَـمَّ مُـؤْنِـقَـةٍ حَـوْلَها الـزَيْتـونُ قـد يَنَعـا

وقال لأمّ خالد :

إذا سِرْتُ مِيلاً أو تَخَلَّفْتُ ساعَةً دَعَتْني دَواعي الحُبِّ مِن أُمِّ خالِدِ

وقال أيضاً :

إني إذا ما جِئْتُكُمْ أُمَّ خالِدٍ لَذو حاجَةٍ عنها اللسانُ كَليلُ

وقال أيضاً :

إذا اتَّكَأْتُ عَلَى الأَنْماطِ في غُرَفٍ بِدَيْرِ مُرّانَ عندي أُمُّ كُلْثومِ
فلا أُبالي بِما لاقَتْ جُموعُهُمُ بِالقَرْقَذونَةِ مِنْ حُمّى ومِن موم(١)

وكان ناس غازين فأصابهم وباء ومرض وجوع فلما بلغ معاويةَ شعره قال : والله ليغزونَّ ولو مات ، فأغزاه بلادَ الروم ومعه فُرْس أَنْطاكِية وبَعْلَبَكّ وغيرهم فلحق بسفيان بن عَوْف بالقَرْقَذَونة فغزا حتى بلغ الخليج ثم انصرف . وأمّ كلثوم بنت عبدالله بن عامر .

المدائني قال : دخل عبدالله بن جعفر على يزيد فقال : كم كان أبي يُعطيك في كلّ سنة ؟ قال : ألف ألف ، قال : فإنّي قد أضعفتُها لك ، فقال

١ ـ تقدم هذا الخبر ، والقرقذونة من بلدان بيزنطة في آسيا الصغرى هي Chalidon .

ابن جعفر : فداك أبي وأمّي ووالله ما قُلتها لأحد قبلك ، قال : فقد أضعفتُها لك ، فقيل أتُعطيه أربعة آلاف ألف ؟! فقال : نعم إنّه يفرّق ماله ، فإعطائي أيّاه إعطائي أهلَ المدينة .

قالوا : وكان يزيد آدمَ جعداً معصوباً[1] أحور العينين طُوالاً بوجهه أثرُ جُدَرِيٍ ، ويقال كان أبيض وكان حسن اللحية خفيفَها .

المدائني عن أبي عبد الرحمن العبدي عن عبد الملك بن عُمَيْر قال : قال رجل لسعيد بن المسيّب : أخبِرنْي عن خُطباء قريش قال : معاوية ، وابنه يزيد ، ومروان ، وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وما ابن الزبير بدونهم .

قالوا : وأخطأ يزيد في شيء فقال له مؤدبّه : اخطأتَ يا غلام فقال يزيد : الجواد يعثر ، فقال المؤدّب : أي والله ويُضْرَب فيستقيم ، فقال يزيد : أي والله ويضرِبُ أَنْفَ سائسه .

المدائني عن عبد الرحمن بن معاوية قال ، قال عامر بن مسعود الجُمَحي : إنّا لبِمكة إذْ مرّ بنا بريدٌ ينعى معاويةَ ، فنهضنا إلى ابن عبّاس وهو بمكة وعنده جماعة وقد وُضعت المائدة ولم يُؤتَ بالطعام فقلنا له : يا أبا العبّاس ، جاء البريد بموت معاوية فوجم طويلاً ثم قال : اللهمَّ أَوْسِعْ لمعاويةَ ، أَما والله ما كان مِثْلَ مَنْ قَبْلَه ولا يأتي بعده مِثْلُه ، وإنّ ابنه يزيد لَمن صالحي أهله فالزموا مجالسكم وأعطُوا طاعتكم وبيعتكم ، هاتِ طعامك يا غلام ، قال : فبينا نحن كذلك إذ جاء رسول خالد بن العاص وهو على

---

١ ـ المعصوب الجائع جداً ، والعصب : اتساخ الأسنان من غبار ونحوه ، وجفاف الريق في الفم . القاموس .

مكة يدعوه للبيعة فقال : قل له ٱقض حاجتك فيما بينك وبين مَن حضرك فإذا أمسينا جئتُك ، فرجع الرسول فقال : لابدّ من حضورك فمضى فبايع .

المدائني قال : تزوّج يزيد بن معاوية فاخِتة وهي حَبَّة بنت أبي هاشم بن عُتْبة بن ربيعة فولدت له : معاوية ، وخالداً ، وعبدالله الأكبر ، وأبا سفيان ؛ وتزوّج أمّ كلثوم بنت عبدالله بن عامر فولدت له : عبدالله الأصغر الذي يقال له الأُسوار ، وعمر ، وعاتكة أمّ يزيد بن عبد الملك ؛ وتزوّج امرأة من غسّان فولدت له رَمْلة ؛ ففي فاختة يقول :

اسْلَمي أُمَّ خالد رُبَّ ساعٍ لقاعدِ

وفي أمّ كلثوم يقول :

إذا اتَّكَأْتُ عَلَى الأَنْماطِ في غُرَفٍ بِدَيْرِ مُرّانَ عِنْدي أُمُّ كُلْثومِ

وكان قد وجد على أمّ خالد بنت [أبي] هاشم وكان لها مؤثِراً فتزوّج في حِجّةٍ حَجها أمّ مِسْكين بنت عمر بن عاصم بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وقال :

أَراكِ أُمَّ خالِدٍ تَضِجّينْ باعَتْ على بَيْعِكِ أُمُّ مِسْكينْ
مَيْمونَةٌ مِن نِسْوَةٍ مَيامينْ زارَتْكِ مِن طَيْبَة في حُوَّارينْ
في بَلْدَةٍ كُنْتِ بها تَكونينْ فالصَبْرُ أُمَّ خالِدٍ مِنَ الدينْ
إنَّ الذي كُنْتِ بِهِ تُدِلّينْ ليس كما كُنْتِ به تَظُنّينْ

وطلّق يزيد أمّ مِسْكين فتزوّجها عبيدالله بن زياد ، وإنّما رضيت به مغايَظةً ليزيد ، فقُتل عنها ابن زياد ، فخطبها محمد بن المنذر بن الزبير فتزوّجته ثم نافرته وقالت : إنّي والله ما تزوّجتك رغبةً فيك ، ولكني أردتُ أن أغسلَ سوءةً كنتُ وقعت فيها .

المدائني عن يعقوب بن داود أنّ عَطاء بن أبي صَيْفي بن نَضْلَة بن قائف الثَقَفي دخل علي يزيد وقد مات معاوية فقال : أصبحتَ يا أمير المؤمنين فارقتَ الخليفةَ وأُعطيتَ الخلافة ، فأُجَرك الله على عظيم الرَزيّة ، ورزَقك الشكرَ على حسن العطيّة ، فاحتذى ابن همّام مِثالَه في هذا النثر فنظمه فقال :

اصْبِرْ يَزيدُ فَقَدْ فارَقْتَ ذا ثقةٍ ... وَآشكُرْ عَطاءَ الذي بِالْمُلْكِ أَصْفاكا
أَصْبَحْتَ لا رُزْءِ في الأَقْوامِ نَعْلَمُهُ ... كما رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كَعُقْباكا
أُعْطِيتَ طاعَةَ أهلِ الأَرْضِ كُلِّهِمُ ... فأَنْتَ تَرْعاهُمُ والله يَرْعاكا
وفي مُعاويةَ الباقي لنا خَلفٌ ... إذا هَلكْتَ ولا نَسْمَعْ بِمَنْعاكا

وقال أيضاً :

تَعَزَّوْا يا بَني حَرْبٍ بِصبرٍ ... فمَنْ هذا الذي يرجو الخُلودا
تلقّاها يَزيدُ عن أَبيهِ ... فخُذها يا مُعاوِيَ عن يَزيدا
أُديروها بني حَرْبٍ عليكُمْ ... ولا تَرْموا بها الغَرَضَ البعيدا
وإنْ دُنْياكُم بكُمُ استقرَّتْ ... فأَوْلوا أَهْلَهَا أَمْراً سَديدا
فإن شَمَستْ عَليكُمْ فَآعصِبوها ... عِصاباً تُسْتَدَرُّ[1] لكُمْ شديدا

وقال أيضاً أو غيره :

يَزيدُ يا بن أَبي سُفْيَان هل لَكُمُ ... الى ثَناءٍ ووُدٍّ غَيْرِ مُنصرمِ
إنا نَقولُ وَيَقْضي الله مُقْتَدِراً ... وما يَشَأْ رَبُّنا من صالِحٍ يَدُمِ
فاقتدْ بقائلكم خُذْها يَزيدُ وقُلْ ... خُذْها مُعاويَ غَيْرَ العاجزِ البَرمِ

---

١ ـ العصب : شد فخذي الناقة لتدر . القاموس .

ولا تَحُطَّ بها في غَيْرِ دارِكُمُ إنّي أخافُ عليكُمْ حَيْرَةَ النَدَمِ
إنَّ الخِلافَةَ إن تُعْرَفْ لِثالثكُم تَثْبُتْ مَعادِنها فيكُمْ ولا تَرِمِ
ولا تَزالُ وُفودٌ في دِياركُمُ في ظِلّ أَبْلَجَ سَبّاقٍ الى الكَرَمِ

فبايع يزيد لابنه معاوية ، ويقال إنّه إنّما بايع له حين احتُضر يزيد .

وكان على شرطة يزيد حُميد بن حُريث بن بَحْدَل ثم عامر بن عبدالله الهَمْداني من أهل الأُرْدُنّ .

المدائني عن أبي عمرو المدني قال : وفد جرير بن عَطِيّة بن الخَطَفى على يزيد ووفد شعراء سواه ، فخرج إليهم الآذِن فقال : إنّ أمير المؤمنين أمرني ألاّ أُدخِل اليه إلاّ مَنْ عرف شعره فأنشِدوني ، فقال جرير : أنا الذي أقول :

تَعَرَّضْتُ فاستمررْتَ مِن دونِ حاجتِي فحالَكَ إنّي مُسْتَمِـرٌ لِحالِيـا
وإنّي لَمَغْـرورٌ أُعلَّلُ بِـالمُنى لَيالِيَ أَدْعو أَنَّ مالَكَ مالِيا
بأيّ نجادٍ تحمِلُ السيْفَ بعدما قَطَعْتَ القُوى من مِحْمَلٍ كان باقِيا
بأيٍّ سِنانٍ تطعُن القَوْمَ بعدما نَزَعْتَ سِناناً من قَناتك ماضيا[1]

فدخل فأنشده الأبيات فقال : أُدْخل صاحبها ، فقال له : من أنت ؟ قال : جرير بن عَطِيّة بن الخَطَفى اليَربوعي قال : انّي سمعت أبياتك هذه عائِرةً ولم أَدْرِ لمن هي ، فعَاتبتُ أمير المؤمنين معاوية يوماً فأَنشدتهُ إيّاها وهو يرى أنها من قولي ، ووصل جريراً .

---

١ ـ ديوان جرير ص ٤٩٨ ـ ٥٠٢ .

المدائني قال : قدم عبد الرحمن بن زياد من خراسان فأمره يزيد أن يعطي عبدالله بن جعفر خمسمائة ألف درهم فأعطاه ألف ألف درهم فقال : خمسمائة من يزيد ، وخمسمائة مني .

المدائني عن عليّ بن مجاهد عن هشام بن عُروة قال : كان عبدالله بن صفوان مع عبدالله بن الزبير فذمّ يزيد واغتابه فقيل له ألم تبايعه ؟ قال : انّي وجدت في البيعة له عَواراً فرددتُها .

أبو الحسن المدائني عن أبي أيّوب القرشي قال : لما قدم [. . . .] يزيد بن معاوية كتب إليه أن أحملْ إليَّ ابن همّام السَلولي ، وكان قد وجد عليه في قصيدته التي يقول فيها :

حُشينا الغَيْظَ حتّى لو شَرِبْنا دِمـاءَ بني أُمَيَّةَ ما رَوِينا

فأخذه ابن زياد فسأله أن يكفله عريفه ، وكان اسم العريف مالكا ، ففعل ، وهرب ابنُ همام وأُخِذَ عريفه به ، وقدم على يزيد فعزّاه عن معاوية وهّنأه بالخلافة وأتى ابنه معاوية فاستجار به ، فآمنه يزيد وصفح عنه ، وكتب إلى ابن زياد يأمره أن لا يعرض له وأوصاه به ، فقال ابن همّام حين رجع :

جَعَلْتَ الغَـوانيَ من بالِكـا ولم يَنْهكَ الشَيْبُ عن ذالكا
أقـولُ لِعُثمـانَ لا تَلْحُني أفِقْ عُثْمَ عن بَعْضِ تَعْذالِكا
غَريبٌ تَـذَكَّرَ إخْوانـهُ فهـاجوا لـه سَقماً نـاهكـا
وكَـرَّهـني أرْضُكـم أنّـني رَأَيْتُ بهـا أَسَدَاً نـاهِكـا
فلَمّـا خَشِيتُ أظـافيـرَهُ نَجـوتُ وأرْهَنْتُهْم مـالِكـا
عَـرِيفاً مُقيمـاً بدارِ الهَوانِ أهْـوِنْ علـيَّ بـه هـالِكـا
ويَمَّـمـتُ أَبْيَضَ ذا سُؤدَدٍ عـلا ذِرْوَةَ المَجْدِ والحـارِكا

فلمّـا أَنَخْـتُ إلى بـابِـهِ رأيـتُ خَليفَـتَنـا ذالكـا
فقلت أجرني أَبـا خـالـدٍ وإلّا فَهَبْني آمْـرَءاً هـالِكـا
فجادَ بنا ثُمَّ قُلْتُ آعطِفي بنـا يا صَفِي ويـا عاتِكـا
فـأَطَّتْ لَنـا رَحمٌ بَـرَّةٌ ولم يَحْقِرِ النَّسَبَ الشابِكـا
فكَمْ فُرِجَت بكَ من كُرْبَةٍ ومِنْ حلْقَةٍ عِنْـد أَبْـوابِكـا
وكـان وراءكَ ضِرْغـامـةٌ تُوائـل منـه بحَوْبـائِكـا
فَيَا ابْنَ زيادٍ وكُنْتَ آمْرءاً كَما زَعموا عـابِـداً ناسِكـا
فـإنَّ مَعي ذمَّةً من يَـزيدَ وإنّي أَعـوذُ بـإسلامِكـا
مِنْ آن أُظْلمَ اليْومَ أَوْ أَنْ تُطِيع بيَ الكـاذِبَ الآثِمَ الآفِكـا
فلَوْلا الثِقـالُ شفـاعـاتُهُمْ وَعَهْـدُ الخَليفَـةِ لم آتِكـا
فقَدْ خطَّ لي الرَقَّ فيه الأَمانُ إليـك مَخـافَـةَ أَنْبـائِكـا
فـلا تَخْفِرَنْـهُ فقَدْ خَطَّ لي رُقىً من مَخافَـةَ حَيّـاتِكـا
وأَحْضَرْتُ عُذْرا عليهِ الشُهودُ إنْ قـابـلاً ذاك أَو تـارِكـا
وقَد شهِدَ الناسُ عند الإمام أَنِّي عَـدُوٌّ لأَعْـدائِكـا

وقال الهيثم بن عديّ وابن الكلبي عن عوانة : كتب يزيد لابن همّام بالرضا عنه وبجائزة فبسطه وآنسه وأطلق عريفه ، وكان حبسه إذْ لم يُعد همّام اليه لِيَتولّى حمله إلى يزيد وهرب ، وأَمر كاتبيه عمرو بن نافع وحسّان مولى الأنصار أنْ يدفعا إليه جائزته ، فكان عمرو يدافعه وحسّان يعينه عليه ، فدخل ذات يوم على ابن زياد فقال : أَلَكَ حاجة ؟ قال :

نَعَمْ حاجةٌ كلَّفْتُها القَيْظَ كُلَّهُ أُراوِحُها البَرْدَيْنِ حَتّى شَتِيتُها
يُعاوِدُها حسّانُ عَمْرَو بن نافِعٍ فحسّانُ يُحْيِيها وعَمْروٌ يُميتُها

وقال ابن همّام في عمرو بن نافع :

أَفي جَرْجَرايا أَنْتَ كَفْنا بْنُ فَرْزَنٍ وفينا أبو عُثْمانَ عَمْرُو بْنُ نافِعِ
وأُنْبِئْتُ في جُوخَا فلا تَتْركَنَّهُ بَقِيَّة ميراثٍ لِشَيخكَ ضائِعِ
ثَلاثَة أَخْـلاقٍ بَلينَ ومِنْجَلاً وأُمَّ جراءٍ تُتَّقى في المراتِـــع
فَلَهْفَا عليكُمْ آل كفْنا بْنِ فَرْزَنٍ فكم كان فيكُمْ من مُثيرٍ وتارِعِ

وبعضُ الرواةِ يزعم أنّ ابن همام عصى فطلبه ابنُ زياد فأخذ به عريفه فهرب إلى يزيد .

المدائني عن إبراهيم بن حكيم عن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال : دخل عطاء بن أبي صَيْفي الثقفي على يزيد بن معاوية فقال له يزيد : لِمَ تحالفتْ ثقيف فصارت بنو غِيَرَةَ وسعد بن عوف وأسعد بن غاضرة يدا وصارت بنو مالك يداً ؟ و[. . . .] لم يتحالف قوم قط الا عن ذلّة وقلّة ، فقال عمرو بن عبد عمرو : ما رأيتُ قطّ كلاماً أبعد من صواب وسداد ، والله لتكُفَنّ يا بن أبي صَيْفي أو لأَرِدَنّ لك شعاباً يباباً ، لا تُنبتُ إلّا سَلعاً وصاباً ، فقال عطاء : إنْ ترد شعابي تلْقَها مُكْلِئَةً خِصابا ، تفهَق بمياهها عِذابا ، وتلق أهلها شُوساً غِضابا ، قال : إنْ أَرِدْها أُلْقَها قليلا نَداها ، يابساً ثراها ، ذليلا حماها ، خاشعة صُواها ، قال : بل إنْ تَرِدْها تلقها مَريًّاً مرعاها ، نَديّا ثَراها ، عزيزاً حِماها ، مُضِرةً بِمْثلك هَيْجاها ، قال : بل أُلْقَها لِلريح الزَعْزَع ، والذئاب الجُوَّع ، كبَيْداء بَلْقع ، قال : بل تلقها طّيبة المَرْتَع ، يضيق بها على مِثْلك المَضْجَع ، فقال يزيد : عنكما فقد أحسنتما وما قلتما فُحْشاً ، فقال عَطاء : يا أمير المؤمنين الأصل مُؤتِلف ، والشَكْل بَعْدُ مختلف ، وأنا بذاك مُقِرٌ مُعتَرِف .

المدائني قال ، قال عاصم الجَحْدَري : جاءت بَيْعة يزيد البصرةَ وأنا اكتبُ في مصحف ﴿إذا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[1] .

المدائني قال : استعمل ابن زياد عبدَ الرحمن بن أمّ بُرْثُن ـ كما يقال فَيْروز حُصَيْن ـ وأُمّ بُرْثُن امرأة من بني ضُبَيْعة كانت تعالج الطِيب وتخالط آل عبيدالله بن زياد ، وكان منبوذاً فأخذته وربّته وتبنّته حتى أدرك وصار رجلاً جزلاً له نُبْلٌ وفضل وتألُّهٌ ، ثم كلّمت نساءَ عبيدالله بن زياد فيه فكلّمن عبيدَالله فيه فولاه ، فرمى عبدٌ له ذات يوم بسَفُّود فأصاب السفّود رأسَ ابنه فنُثر دِماغُه فظنّ أنّه سيقتله فقال له حين أُتي به : اذهب يا بني فأنت حُرّ فإنّك قتلت ابني خطأً ولن اقتلك متعمّداً ، ثم عمي بعد . ولما استعمله ابن زياد ثم عزله أغرمه مائتي ألف درهم فخرج إلى يزيد بن معاوية ، فلما كان على مَرْحلة من دمشق نزل وضرب له خِباءً وحُجْرة ، فإنّه لجالس إذا كلبة من كلاب الصيد قد دخلت عليه وفي عنقها طوق من ذهب وهي تلهث ، فأخذها وطلع يزيد على فرس له ، فلما رأى هيئته أدخله الحجْرةَ وأمر بفرسه أنْ تقاد ، فلم يلبث أن توافت الخيل فقال له يزيد : مَن أنت وما قصّتك ؟ فأخبره ، فكتب له من ساعته إلى عبيدالله بن زياد في ردِّ المائتي الألف عليه ، وأعتق ذلك اليوم ثلاثين مملوكاً وقال : مَنْ أحبَّ أنْ يقيم فليُقِمْ ومَن أحبّ أن يذهب فليذهب .

المدائني قال : هجا فَضالة بن شَريك رجلاً من قريش يقال له عاصم ـ قال المدائني : وأراه عاصم بن عمر ـ فخافه فعاذ بيزيد بن معاوية وقال فيه :

---

١ ـ سورة الانشقاق ـ الآية : ١ .

إذا ما قُرَيْشٌ فاخَرَتْ بِطَريفِها فَخَرْتَ بِمَجْدٍ يا يَزيدُ تَليدِ
بِمَجْدِ أَميرِ المُؤْمِنينَ ولم يَزَلْ أبوكَ أمينُ الله جِدَّ رَشيدِ
به عَصَمَ اللهُ الأنامَ مِنَ الرَّدَى وأَدْرَكَ نُبْلاً من معاشِرَ صِيدِ

فكتب يزيد إلى عاصم : إنّي قد أجرتُ فَضالة فَهْبه لي ، ووصله .

وقال عبد الرحمن بن الحَكَم أخو مروان في يزيد حين خلعه ابن الزبير :

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ مِنْ إمامِ جَماعَةٍ أَيَضِلُّ رَأْيُكَ في الأُمورِ ويَعْزُبُ
مُتَوَسِّدٌ إذْ فالَذَتْهُ جَيْأَلٌ هَلْباءُ أَوْ ضِبْعانُ سُوءٍ أَهلَبُ[1]
أَلْهاكَ بُرْقُعَةُ الضِباعِ عَنِ العَمَى حَتَّى أتاكَ وأَنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ

وحدثني الحِرْمازي عن أبي سُويد الشامي عن أبيه قال : قال يزيد بن معاوية : حِفْظ النديم والجليس وإكرامها من كرم الخليفة وقضاءِ حقَ النِعْمة .

وقال المدائني : لاط خالد بن اسماعيل بن الأشعث بغلام له في استه فشهد عليه امرءان من مواليه وامرأتاهما وغلامٌ لم يحتلم فحدّه يزيد وكان ماقتاً له .

قالوا : ومن شعر يزيد قوله :

لَشَرُّ الناسِ عَبْدٌ وابنُ عَبْدٍ وآلَمُ من مشى مولى الموالي

١ ـ يقال ذو مطارحة ومفالذة : يفالذ النساء . الجيأل : الضبع والضخم من كل شيء ، وهلباء : شعراء . اللسان والقاموس .

وقوله :

إِعْصِ العَواذِلَ وَارْمِ اللَّيْلَ عن عُرُضٍ بِذي سبيبٍ يُقاسي لَيْلَهُ خَببا
أَقَبَّ لم يَثْقُبِ البَيْطارُ سُرَّتَهُ ولم يَدِجْهُ ولم يَرْقُمْ له عَصَبا
حَتَّى يُثَمِّرَ مالاً أَوْ يُقالَ فَتىً لاقى التي تَشْعَبُ الفِتْيانَ فَانْشَعَبا
لا خَيْرَ عِند فَتىً أَوْدَتْ مُرُوءَتُهُ يُعْطي المَقادَةَ من لا يُحْسِنُ الجَنَبا(١)

وقال :

وساعٍ يَجْمَعُ الأَمْوالَ جَمْعاً لِيُورِثَها أَعاديَهُ شَقاءَ
وكم ساعٍ لِيُثْرِيَ لم يَنَلْهُ وآخرُ ما سعى نال الثَّراءَ
ومَنْ يَسْتَعْتِبِ الحَدَثانَ يَوْماً يَكُنْ ذاكَ العتاب له عَناءَ

وقال :

وإنَّ نَديمي غَيْرَ شَكٍّ مُكَرَّمٌ لَدَيَّ وعِنْدي من هَواهُ الذي ارْتَضى
ولَسْتُ له في فَضْلَةِ الكَأْسِ قائلاً لأَصْرَعَهُ سُكْراً تَحسَّ وقد أبَى
ولكِنْ أُحَيِّيهِ وأُكْرِمُ وَجْهَهُ وأَصْرِفُها عنه وأَسْقيهِ ما اشتهى
وَلَيْسَ إذا ما نامَ عندي بِمُوقَظٍ ولا سامِعٍ يَقْظانَ شيئاً مِنَ الأَذى

وقال يزيد :

اسْقِني مُزَّةً تُرَوّي مُشاشي وأَدِرْ مِثْلَها على ابن زياد
مَوْضِعِ السِرِّ والأَمانَةِ عِنْدي وعلى ثَغْرِ مَغْنَمي وجهادي

يعني سَلْم بن زياد وكان على خراسان .

---

١ ـ انظر الأصمعيات ص ٤٦ ـ ٥٠ حيث قصيدة لسهم بن حنظلة الغنوي هي الأصل لهذه الأبيات المنسوبة ليزيد .

وكان مسلم بن عمرو الباهلي أبو قُتَيْبة نديماً ليزيد يشرب معه ويغنّيه ، فقال الشاعر حين عُزل يزيد بن المهلّب عن خراسان ووَلِيها قُتَيْبةُ :

شَتَّانَ مَنْ بالصّنج أَدْرَكَ والذي بِالسَّيْفِ أَدْرَكَ والحُروبُ تُسَعَّرُ

المدائني ، قال : أتى عبد الرحمن بن حسّان يزيدَ فرأى منه جفوة له وإغفالاً فهجاه فقال شعراً استبطأه فيه ، فقال حصين بن نُمير أو مسلم بن عُقْبة : اقتُلْه فإنّ حِلْم أمير المؤمنين معاوية جرّأَ الناسَ عليكم ، فقال : جفوناه وحرمناه فاستحققنا ذلك منه ، فبعث إليه بثلاثين ألف درهم ، فمدحه .

ذكر ما كان من أمر الحسين بن علي ، وعبدالله بن عمر ، وابن الزبير في بيعة يزيد بعد موت معاوية بن أبي سفيان :

قال أبو مخنف وعَوانة وغيرهما : ولي يزيد بن معاوية وعمّال أبيه : على الكوفة النعمان بن بَشير الأنصاري ، وعلى البصرة عبيدالله بن زياد ، وعلى المدينة الوليد بن عُتْبة بن أبي سفيان ، وعلى مكة عمرو بن سعيد الأَشْدَق ـ وقال بعضهم : كان على مكة الحارث بن خالد ، وعلى المدينة الأشدق والأوّل أثبت ـ فلما ولي كتب إلى الوليد مع عبدالله بن عمرو بن أُوَيس ، أحدِ بني عامر بن لُؤَيّ : أمّا بعد فإنّ معاوية بن أبي سفيان كان عبداً من عبيدالله أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له فعاش بقَدَرٍ ، ومات بأَجَل فرحمة الله عليه ، فقد عاش محموداً ، ومات بَرّاً تَقيّاً. والسلام .

وكتب إليه في صحيفة كأنّها أُذْنُ فأره : أمّا بعد فخذْ حسيناً وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخْذاً شديداً ، ليست فيه رُخْصةٌ ولا هَوادة ، حتى يبايعوا والسلام .

قالوا : فلما أتى ابنَ عُتْبة الكتابُ فَظِعَ بموت معاوية وكَبُرَ عليه ، وقد كان مروان بن الحَكَم على المدينة قَبْله ، فلما ولي بعد مروان كان مروان

لا يأتيه إلّا معذّراً متكارهاً حتى شتمه الوليد في مجلسه فجلس عنه مروان، فلما جاء نَعِيُ معاوية إلى الوليد قرأ عليه كتاب يزيد واستشاره فقال: أرى أن تَبعَثَ الساعةَ إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة فإن بايعوا قبلت ذلك منهم وإن ابوه قدّمَتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بوفاة معاوية، فإنّهم إن علموا بها وثب كلُّ امرىء منهم في ناحية، فأظهر الخلاف والمنابذة ودعا إلى نفسه.

فقال الوليد: أمّا ابن عمر فإنّي أراه لا يرى القتال ولا يختار أن يَلِيَ أمرَ الناسِ إلّا أنْ يُدْفَع الأمر إليه عَفْواً.

وأرسل الوليد عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان، وهو إذ ذاك غلام، إلى الحسين وعبدالله بن الزبير يدعوهما فوجدهما جالسَيْن في المسجد وكان إتيانه إيّاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتونه فقال: أَجيبا الأمير، فقالا له: انصرِف الآن نأتِهِ بعد، ثم أعاد إليهما الرسل وألحّ عليهما، فأمّا الحسين فامتنع بأهل بيته ومن كان على رأيه، وفعل ابن الزبير مثل ذلك، وبعث إليه الحسين أن كُفّ حتّى نَنْظُر وتَنظروا ونرى وتروا، وبعث ابن الزبير: لا تعجلوا فإنّي آتيكم، فوجّه الوليد مواليَ له فشتموه وقالوا: يا بن الكاهِلِيّة إن أتيتَ الأمير وإلّا قتلناك، فجعل يقولُ: الآن أجيء الآن أجيء، وأتى جعفر بن الزبير الوليدَ فقال له: كُفّ رحمك الله عن عبدالله فقد أفزعتَه وذعرته بكثرة رسلك وهو يأتيك غداً إن شاء الله، فصرف الوليد رسله عنه وتحمّل ابن الزبير من ليلته ـ وهي ليلة السبت لثلاث ليال بقين من رجب سنة ستّين ـ فأخذ طريق الفُرْع ومعه أخوه جعفر بن الزبير وتجنّبا الطريق الأعظم، فلما أصبح الوليد طلبه فلم يجده، فقال

مروان : ما أخطأ مكة ، فوجّه الوليد في طلبه حبيب بن كُرَّة مولى بني امية في ثلاثين راكباً من موالي بني أميّة فلم يَلحقوه وتشاغلوا عن الحسين بطلب ابن الزبير ، فخرج الحسين ليلة الأحد ليومَيْن بقيا من رجب سنة ستّين ، وسمع عبدالله بن الزبير جعفرا أخاه يتمثّل ببيت مُتَمِّم بن نُوَيْرة الحَنْظلي :

وكُلُّ بَني أُمٍّ سَيُمْسون لَيْلَةً ولم يَبْقَ مِن أَعْقابِهِمْ غَيْرَ واحِدِ

فتَطيّر ابن الزبير فقال لجعفر أخيه : ما أردت بإنشادك هذا البيت ؟ قال : ما أردت إلّا خيراً ؛ ونزل ابن الزبير مكة وعليها عمرو الأَشدق بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة فقال : إنّما أنا عائذٌ ولم يكن يصلّي بصلاتهم ، ولزم جانب الكعبة فكان يصلّي عندها عامّةَ نهارِه ويطوف ، يأتي الحسينَ بن عليّ فيُشير عليه بالرأي في كلّ يومين وثلاثة أيّام ، وحسين أثقل الناس عليه لعلمه بأنَّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام حسين بالبلد ، لأنّ حسيناً كان أعظم في أنفسهم وأطوع عندهم ، فأتاه يوماً فحادثه ساعة ثم قال : ما أدري ما تَرْكنُا هؤلاء القومَ وكَفُّنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وأولِي الأمرِ منهم ، فخبّرني بما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حَدَّثْتُ نفسي بإتيان الكوفة ، فإنّ شيعتي بها ، وأشراف أهلها قد كتبوا إليّ في القدوم عليهم ، وأستخير الله ، فقال ابن الزبير : لو كان لي بها مثل شيعتكم ما عَدَلْتُ بها ، ثم خشي أن يتّهمه فقال : إنّك لو أقمت بالحجاز ثم أردت الأمر هاهنا ما خُولِفَ عليك إن شاء الله ، ثم خرج من عنده فقال الحسين : ما شيء من أمر الدنيا يُؤْتاه أحبّ إليه من خروجي عن الحجاز لأنّه قد علم أنه ليس له معي من الأمر شيء .

وبعث الوليد إلى عبدالله بن عمر أن بايْع ليزيد فقال : إذا بايَعَتِ الناسُ بايعتُ ، فتركوه لِثقتهم بزهادته في الأمر وشغله بالعبادة .

وأخذ الوليد ممّن كان هواه مع ابن الزبير وميله إليه : عبدالله بن مُطيع بن الأسود بن حارثة العَدَوي ، وهو ابن العَجْماء ـ نُسب إلى جدّته ، وذلك اسمها ، وهي خُزاعِيّة ـ ومصعب بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُهري فحبسهما ، فاجتمعت بنوعديّ إلى عبدالله بن عمر فقالوا : حُبِس صاحبنا مظلوماً ، وبلغ الوليد ذلك فصار إلى ابن عمر ، فحمد ابن عمر الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه ﷺ ثم قال : استعينوا على إقامة أمركم بالحقّ ولا تطلبوه بالظلم فإنّكم إن استقمتم أُعِنتم وإن جُرتم وُكِلْتم إلى أنفسكم ، كُفّ رحمك الله عن صاحبنا وخلّ سبيله فإنّا لا نعلم لكم حقاً تحبسونه به ، فقال : حبسته بأمر أمير المؤمنين ، فنكتب وتكتبون ، فانصرف ابن عمر واجتمع فتية من بني عديّ فانطلقوا حتى اقتحموا على ابن مُطيع وهو في السجن فأخرجوه ، فلحق بابن الزبير ثم رجع بعدُ فأقام بالمدينة .

وقد رُوي أيضاً أنّ الحسين أتى الوليد فقال له الوليد : قد آن أن تعلم بموت معاوية وهو في مواليه وفتيانه ، فلما رأى عنده مروان ، وقد كانت بينه وبين الوليد تلك النّفرةُ قال : الصلة خير من القطيعة ، والصلح خير من العداوة ، وقد آن لكما أن تجتمعا ، أصلح الله ذات بينكما ، فلم يجيباه بشيء ، وأقرأه الوليد كتاب يزيد ونعى إليه معاوية ، ودعاه إلى البيعة ، فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، رحم الله معاوية وأعظم لك الأجر ، وأمّا البيعة فإنّ مثلي لا يبايع سرّاً ولا أراك ترضَى منّي إلاّ بإظهارها على رُؤُوس الناس ، فإذا خرجتَ إليهم فدعوتَهُم إلى البيعة دعوتَنا فكان أمرنا واحداً ،

وكان الوليد رجلاً محبّاً للعافية فقال : انصرف على اسم الله حتى تبايع مع جماعة الناس ، فقال مروان : لئنْ فارقك الساعةَ لا قدرتَ منه على مثلها أبداً حتى يكثر القتلى بينكم وبينه ، احبِس الرجلَ فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضربَ عنقه ، قال : فوثب الحسين فقال : يا بن الزَرْقاء كذبتَ والله [و]لؤمت لا تقدر ولا هو على ضرب عنقي ، ثم خرج فقال مروان للوليد : لتندَمَنّ على تركك إيّاه ، فقال : يا مروان إنّك أردت بي التي فيها هَلاك ديني ، والله ما أُحبّ أن أملك الدنيا بحذافيرها على أن أقتلَ حسيناً ، إنّ الذي يُحاسَب بدم الحسين لخفيفُ الميزان عند الله يوم القيامة .

وقال بعض أهل العلم : حجب الوليد بن عُتْبة أهلَ العراق عن الحسين ، فقال له : يا ظالماً لنفسه عاصياً لربّه ، عَلامَ تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقّي ما جهِلته وعمُّك معاوية ؟ فقال الوليد : ليت حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك ، فجِناية لسانك مغفورة لك ما سكَنَتْ يدُك فلا تَخْطِرْ بها فيُخْطَر بك .

وخرج الحسين إلى مكة في بنيه وإخوته وبني أخيه وجُلّ أهل بيته غير محمد ابن الحَنَفيّة فإنّه قال له : يا أخي أنت أعزّ الناس عليّ ، تَنَحَّ عن مروان ببيعتك وعن الأمصار ، وابعث رسلك إلى الناس فإن أجمعوا عليك حمدت الله على ذلك ، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله دينك ومروءتك وفضلك ، إنّي أخاف أن تدخلَ بعضَ الأمصار ويختلفَ الناسُ فيك ويقتتلون فتكون لأوّل الأسنّة ، فإذا خيرُ الناس نفساً وأُمّاً وأباً قد ضاع دمه وذَلَّ أهلُه ، قال : وأين أذهب يا أخي ؟ قال : تنزل مكة فإن اطمأنت بك الدار وإلّا لحقتَ باليمن ، فإن اطمأنت بك وإلّا لحقتَ بِشَعَفِ الجبال حتى تنظر

إلى ما يصير أمر الناس ويَفْرُقَ لك الرأي ، فأتى مكة وجعل يتمثّل قول الشاعر :

لا ذَعَرْتُ السَوامَ في وَضَحِ الصُبْـ ـحِ مُغيراً ولا دُعيتُ يزيدا
يَوْمَ أُعْطي مَخافةَ المَوْتِ ضَيْماً والمنايا يَرْصُدْنَني أنْ أَحيدا[١]

ومضى الحسين إلى العراق فقُتل ، وقد كتبنا حديثه مع أخبار آل أبي طالب .

وقال المدائني : كتب يزيد إلى ابن الزبير يدعوه إلى بيعته فكتب ابن الزبير يدعوه إلى الشورى ، وكان فيما كتب به يزيد :

لَوْ بِغَيْرِ المـاءِ حَلْقي شَرِقٌ كُنْتُ كالغَصّانِ بالماءِ اعْتِصاري[٢]

فأُذكرك الله في نفسك ، فإنّك ذو سِنّ من قريش ، وقد مضى لك سَلَفٌ صالحٌ وقَدَمُ صِدْقٍ من اجتهاد وعبادة ، فارْبُبْ صالح ما مضى ولا تُبْطل ما قدّمتَ من حَسَنٍ ، وادخل فيما دخل فيه الناس ولا تردّهم في فتنة ولا تُحِلّ حَرَمَ الله . فأبى أن يبايع ، فحلف أن لا يقبلَ بيعته إلاّ في جامعة .

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ الحميري ـ ط . بيروت ١٩٨٢ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .
٢ ـ ديوان عدي بن زيد العبادي ـ ط . البصرة ١٩٤٥ ص ٩٣ .

أمر عبدالله بن الزبير بعد مقتل الحسين :

قالوا : لما قُتل الحسين عليه السلام قام عبدالله بن الزبير في أهل مكة خطيباً فعظّم مقتله ، وعاب أهل الكوفة خاصّةً ، وذمّ أهل العراق عامّةً ، وقال : دَعوْا حسيناً ليولّوه عليهم فلما أتاهم ساروا إليه فقالوا : أمّا أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سُمَيّة فيُمضي فيك حكمَه ، وإمّا أن تحارب ، فرأى أنّه وأصحابه قليلٌ في كثير ، فاختاروا المنيّة الكريمة على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسيناً ولعن قاتله ، لعمري لقد كان في خذلانهم إياه وعصيانهم له واعظٌ وناهٍ عنهم ، ولكن ما حمَّ نازلٌ ، والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامُه ، كثيراً في النهار صيامُه ، أحقّ بما هم فيه منهم ، والله ما كان ممّن يتبدّل بالقرآن الغِناءَ، ولا بالبكاء من خشية الله الحُداءَ، ولا بالصيام شرب الحرام ، ولا بالذكر كلاب الصيد ـ يعرّض بيزيد بن معاوية ـ وقد قتلوه ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾[1] فثار إليه أصحابه فقالوا : أيّها

١ ـ سورة مريم ـ الآية : ٥٩ .

الرجل أظهِرْ بيعتك فإنّه لم يبق أحد ـ إذْ هلك الحسين ـ ينازعك في هذا الأمر ، وقد كان ابن الزبير يبايع سرّاً على الشورى ويُظهر أنّه عائذ بالبيت ، فقال لهم : لا تعجلوا ، وعمرو بن سعيد الأشدق يومئذ على مكة ، وكان شديداً عليه وعلى أصحابه وهو مع ذلك يداري ويرفق ، فلما استقرّ عند يزيد بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير بمكة وما قيل له في أمر البيعة وإظهارها أعطى الله عهداً لَيُؤْتَيَنَّ به في سلسلة ، فبعث بسلسلة من فضّةٍ فمرّ بها البريد على الوليد بن عُتْبة ومروان بالمدينة فأخبرهما الرسول خبرَ ما قدِم له وخبر السلسلة التي معه ، فقال مروان :

خُـذْها فليستْ للعزيزِ مذَلَّةً   وفيها مقالٌ لِامْرِىءٍ مُتَضَعِّفِ

ويقال أنّ مروان بعث بهذا البيت اليه مع عبد العزيز بن مروان ، والثبت :

خُـذْها فَلَيستْ للعزيزِ مَذَلَّةً   وفيها مَقالٌ لامرىءٍ مُتذلِّلِ[1]

ثم مضى البريد من عندهما حتى قدم على ابن الزبير وقد كان كُتب إلى ابن الزبير بتمثلّ مروان بالبيت فقال : والله لا أكون أنا المتضعّف ، وردّ ذلك البريد ردّاً رفيقاً .

وعلا أمر ابن الزبير بمكة وكاتبه أهل المدينة .

قال هشام ابن الكلبي فحدثني عوانة قال : أرسل يزيد إلى عبدالله بن الزبير إنّي قد جعلتُ عليّ نَذْرَاً أنّ يُؤتى بك في سلسلة ، قال : فلا أَبّر الله

---

١ ـ هذا البيت لعباس بن مرداس . انظره في حماسة أبي تمام بشرح الأعلم الشنتمري ط . دمشق ١٩٩٢ ج ١ ص ٢٩٧ .

قَسَمه ولا وفّق له الوفاء بنذره ، فقال له أخوه عُرْوة بن الزبير أو غيره : وما عليك أن تُبّر قسم ابن عمّك ؟ قال : قلبي إذاً مثلُ قلبك ، فقال أبو دَهْبَل الجُمَحي وهو وَهْب بن وهب بن زَمْعة بن أُسيد بن أُحَيْحة بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح :

لا يَجعلنَّكَ في قَيْدٍ وسِلسلةٍ كيما يقولَ أتانا وهو مَغلولُ
بين الحَواريِّ والصِدّيقِ ذو نَسَبٍ صافٍ وسيفُ على الأعداءِ مَسلولُ

وأراد ابن الزبير ابنَ عَبّاس على البيعة وقد بايعه الناس فامتنع عليه نحواً من سنة ، ثم بايعه بعد ، ويقال إنّه لم يَبايعه حتى توفّي .

وكان امتناع ابن عبّاس عن البيعة لابن الزبير قد بلغ يزيد فظنّ أنّ ذلك لتمسّكه ببيعته ، فكتب يزيد إليه : أمّا بعد فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزبير دعاك إلى نفسه وعرض عليك الدخول في طاعته لتكون له على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً وأنّك امتنعت من طاعته واعتصت عليه في بيعته وفاءً منك لنا وطاعةً لله بتثبيت ما عَرفك من حقّنا ، فجزاك الله من ذي رَحِم كأفْضَل جزاء الواصلين لأرحامهم الموفين بعهودهم ، فما أَنْس من الأشياء لا أَنْس برِّك وحسن مكافاتك وتعجيل صِلَتك ، فانظر من قبلك ومن يطرأ إليك من الآفاق ممّن يسحَره المُلحِد وزُخرُف قوله ، فأَعلِمْهم حسن رأيك في طاعتي وتمسّكك ببيعتي ، فإنّهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للمُحِلّ الحارب الملحد المارق والسلام .

فأجابه عبدالله بن عباس بجواب طويل يقول فيه : سألتني أن أُحُثّ الناس عليك وأثبطهم عن نُصْرة ابن الزبير وأخذّلهم عنه ، فلا ولا كرامةً ولا مسرةً ، تسألني نصرك وتحذوني على ودّك وقد قتلتَ حسيناً ، بفيك

الكَثْكَثُ[1] ، وإنّك إذ تُمَنِّيك نفسك لَعازبُ الرأي ، وإنّك لأنتَ المُفنّد المثبور ، أتحسبني لا أبالك نسيت قتلك حسيناً وفتيانَ بني عبد المطلب مصابيح الدُجى الذين غادرهم جنودك مصرَّعين في صعيد واحد مرّملين بالدماء مسلوبين بالعَرَاء غير مكفّنين ولا موسّدين تَسْفِي عليهم الرياح وتعرُوهم الذئاب وتَنْتابُهم عُرْجُ الضباع ، حتّى أتاح الله لهم قوماً لم يشركوك في دمائهم فكفّنوهم وأجنّوهم ، ومهما أَنْسَ من الأشياء فلن أَنْسَى تسليطك عليهم ابن مَرْجانة الدَعِيّ ابن الدعيّ للعاهرة الفاجرة البعيد منهم رحماً ، اللئيم أُماً وأباً ، الذي اكتسب أبوك في ادّعائه إيّاه لنفسه العارَ والخِزْي والمذلّة في الدنيا والآخرة ، فلا شيء أعجب من طلبك ودّي ونصري وقد قتلتَ بني أبي ، وسيفك يقطر من دمي ، وأنت أحد ثأري . وذكر كلاماً بعد ذلك .

وكتب يزيد إليه كتاباً يأمره بالخروج إلى الوليد بن عُتْبة ومبايعته له وينسبه إلى قتل عثمان والممالأة عليه ، فكتب ابنّ عبّاس إليه أيضاً كتاباً يقول فيه : إنّي كنت بمَعْزل عن عثمان ، ولكنّ أباك تربّص به وأبطأ عنه بنصره وحبس مَن قِبله عنه حين استصرخه واستغاث به ، ثم بعث الرجال إليه معذِّراً حين علم أنّهم لا يُدْركونه حتى يهلك .

وقال الواقدي : عزل يزيد الوليد بن عُتْبة لأنّ مروان كتب يذكر ضَعْفه ووهنه وإدهانه ، وولّى المدينة عمرو بن سعيد الأشدق ، وولّى يحيى بن الحَكَم بن صفوان بن أميّة بن خلَف الجُمحي مكة ـ وقال هشام بن

---

١ ـ الكثكث : التراب ، وفتات الحجارة . القاموس .

الكلبي: هو يحيى بن حكيم بن صفوان ـ ولّاه عمرو بن سعيد مكة وصار إلى المدينة. قال الواقديّ: فأتاه ابن الزبير فبايعه ليزيد وقال: إني سامع مطيع، غيرَ أنّ الوليد رجل أخرق، فكرهت جواره، ولقد خبرنا من معاوية ما لم نَخْبره من غيره، وإنّما أنا عائذ بالبيت من أمر لا آمنه.

قال أبو مخنف وعوانة: عزل يزيد: الولَيد بن عُتْبة، وجمع مكة والمدينة لعمرو بن سعيد، فحجّ بالناس وحجّ ابن الزبير بمن معه فلم يصلّ بصلاة عمرو ولا أفاض بإفاضته، ثم قدم المدينة فأغْزى ابنَ الزبير منها جيشاً بكتاب يزيد إليه في ذلك.

وقال الواقدي: وجّه يزيد إلى ابن الزبير النعمان بن بشير الأنصاري، وهَمّام بن قَبيصة النميري، وقال لهما: ادْعُواه إلى البيعة لي وخذاها عليه وأْمُراهُ أن يُبّر قسمي، فلما صارا إلى المدينة لقيهما عبدالله بن مُطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عبيد بن عَويج بن عديّ بن كعب، ـ ويقال حارثة بن نَضْلة بن عوف بن عَبيد، وهو أثبت ـ فقال: يا بن بشير أتدعو ابن الزبير إلى بيعة يزيد وهو احقّ بالخلافة منه؟ فقال له النُعْمان: مهلاً فإنّ عواقب الفِتنَ وَبِيلة وخيمة، ولا طاقة لأهل هذا البلد بأهل الشام. ثم أتيا مكة فأبلغا ابن الزبير عن يزيد السلام، وسألاه أن يبايع له، فوقع في يزيد وذكره بالقبيح، وخلا بالنعمان فقال له: اسألك بالله أأنا أفضل عندك أم يزيد؟ قال: أنت، قال: فأيّنا أفضل أباً وأما، قال: أنت ولكّني أحذّرك الفتنة إذ بايعَ الناس واجتمعوا عليه، وانصرف النُعْمان وهَمّام ـ ويقال إنّ عبدالله بن عِضاه كان مع النُعمان، وبعثُهُ بهمامٍ أثبتُ ـ فأعلما يزيد ما كان من ابن الزبير فغضب

واستشاط وأكّد يمينه في ترك قبول بيعته إلاّ وفي عنقه جامعة يُقدم به فيها ، فقال له عبدالله بن جعفر ومعاوية بن يزيد : يا أميرَ المؤمنين إنّ ابن الزبير رجل أبيٌّ لَجوج فدَعْه على أمره ولا تَهِجهُ لِما لا تحتاج إليه ؛ فأوفد اليه الحُصينَ بن نُمير السكوني ، ومسلم بن عُقْبة المُرّي ، وزُفَر بن الحارث الكِلابي ، وعبدالله بن عِضاه الأشعري ، ورَوْح بن زِنْباع الجُذامي ، ومالك بن هُبيرة السَكوني ، ومالك بن حَمْزَة الهَمْداني ، وأبا كَبْشَة السَكْسَكي ، وزَمْل بن عمرو العُذْري ، وعبدالله بن مَسْعَدة الفَزاري ، وناتل بن قيس الجُذامي ، والضَحّاك بن قيس ، وأمرهم أن يعلموه أنّه إنّما بعث بهم احتجاجاً عليه وإعذارا إليه ، وأن يحذّروه الفتنة ويُعرفوه ماله عنده من البّر والتكرمة إذا أبّر يمينه وأتاه في الجامعة التي بعث بها إليه معهم ، وكان قد دفع إليهم جامعة من فضّة ، فقال له ابن عِضاه : يا أبا بكر قد كان من أَثَرك في أمر الخليفة المظلوم ونصرتك إيّاه يوم الدار ما لا يُجّهل ، وقد غضب أمير المؤمنين بما كان من إبائك ممّا قدم عليك فيه النعْمان وهَمّام ، وحلف أن تأتيه في جامعة خفيفةٍ لِتحلَّ يمينه ، فألبس عليها برنساً فلا تُرى ، ثم أنت الأثير عند أمير المؤمنين الذي لا يُخالف في ولاية ولا مالٍ ، وقال له القوم مثل ذلك ، فقال : والله ما أنا بحامل نفسي على الذّلة ولا راضٍ بالخسْف ، وما يحلّ لي أن أفعل ما تدعوني إليه ، فليجعل يزيد يمينه هذه في أيْمانٍ قد حنث فيها ؛ وقال أيّوب بن زُهير بن أبي أميّة المَخزومي : ليست يمين يزيد في ابن الزبير بأوّل يمين حنث فيها ووجب عليه تكفيرها ولا آخِرها ، ثم بسط ابن الزبير لسانه في يزيد بن معاوية وتنقّصه وقال : لقد بلغني أنّه يُصبح سكران ويُمسي كذلك ، ثم تمثّل قول الشاعر :

ولا أَلينُ لِغيرِ الحَقِّ أَسْأَلُهُ حتى يَلينَ لضِرسْ الماضِغِ الحَجَرُ

يا بن عِضاه والله ما أصبحتُ أرَهب الناس ولا الباس ، وإنّي لعلى بيّنة من ربّي وبصيرة من ديني ، فإن أُقْتَل فهو خير لي ، وإنْ مُتّ حتف أنفي فالله يعلم إرادتي وكراهتي لأنْ يُعمل في أرضه بالمعاصي ، وأجاب الباقين بنحو من هذا القول .

وقال الواقدي والهيثم بن عديّ في روايتهما : قال ابن الزبير لابن عِضاه : إنّما أنا حمامة من حمام هذا المسجد ، أفكنتم قاتلي حمامةٍ من حمام المسجد ؟! فقال ابن عِضاه : يا غلام آئتني بقَوْسي وأَسهُمي ، فأتاه بذلك ، فأخذ سهماً فوضعه في كَبِد القوس ثم سدّده لحمامة من حمام المسجد وقال : يا حمامة أيشرب يزيد الخمر؟ قُولي نعم ، فوالله لئن قلتِ لأقتلنّك ، يا حمامة أَتَخلَعين أمير المؤمنين يزيد وتفارقين الجماعة وتقيمين بالحرم لِيُسَتحلّ بك ؟ قولي نعم ، فوالله لئِن قلتِ لأقتلنّك . فقال ابن الزبير : ويحك يا بن عِضاه أَوَ يتكّلم الطيْر؟ قال : لا ولكنّك أنت تتكّلم ، وأنا أُقسم بالله لتُبايعنّ طائِعاً أو كارهاً أو لتُقْتَلن، ولئن أُمرنا بقتالك ثم دخلتَ الكعبة لنهْدمنّها أو لنحرقنها عليك ، أو كما قال ، فقال ابن الزبير : أَوَ تُحِلّ الحرم والبيت ؟ قال : إنّما يُحِلّه من أَلحِد فيه .

وقال لوط بن يحيى أبو مخنَف : قدم الأشدق المدينة والياً عليها وحجّ في تلك السنة في جماعة من مواليه وهو خائف من ابن الزبير ، وكان يزيد قد ولاّه الموسم، فأتاه ابن الزبير فسكن لذلك وأتى عمرو ابن عباس فشكا ابنَ الزبير فقال : عليكم بالرِفْق فإنّ له قرابة وحقاً ، ثم انصرف الأشدق إلى المدينة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن الزبير الحَنْظلي حدثني زُريق مولى معاوية قال : لما هلك معاوية بعثني يزيد إلى الوليد بن عُتبة ، ولم يكن بسيرته بأس ، وكتب إليه بموت معاوية وأن يبعث إلى هؤلاء الرهط فيأخذهم بالبيعة ، قال : فقدمتُ المدينة ليلاً فاستأذنت على الوليد ، فلما قرأ كتاب يزيد بموت معاوية جزع جزعاً شديداً وجعل يقوم ويرمي بنفسه على فراشه ثم بعث إلى مروان فجاءه وعليه قميص أبيض ومُلاءة مورَّدة لبيسة ، فنعى إليه معاوية وأعلمه أنّ يزيد بعث إليه بأخذ البيعة على هؤلاء الرهط ، فترحّم مروان على معاوية ثم قال : ابعث إلى النفر الساعة فادْعُهم إلى البيعة ، فإن بايعوا وإلا فاضرب أعناقهم ، فقال الوليد : يا سبحان الله أأقتل الحسين وعبدالله بن الزبير؟! قال : هو ما قلتُ لك ، فبعث إلى الحسين وابن الزبير وابن عمر وابن مُطيع ، فجاء الحسين أوّلهم وعليه قميص قُوهّي وإزار مصبوغ بزعفران ، وهو مُطلقٌ إزارَهُ ، فسلم ثم جلس ، ثم جاء عبدالله بن الزبير في ثوبين غليظين مشمّراً إلى نصف ساقه فسلّم وجلس ، ثم جاء عبدالله بن مُطيع فإذا رجل ثائر الشعر أحمر العينين فسلّم ثم جلس، فحمِد الوليد الله وأثنى عليه، ثم نعى معاوية ودعاهم إلى بيعة يزيد ، فبدر ابن الزبير بالكلام وكأنّه خافَ أن يَهنوا ، ثم ترحمّ على معاوية ودعا له ، ثم ذكر الوليد فجزّاه خيراً فقال : وليتنا فأحسنت ولايتنا ووصلت أرحامنا ، وقد علمت الذي كان منّا في بيعة يزيد، وأنّه قد احتمل ذلك علينا، ومتى بايَعْنا والبابُ مُغلقٌ علينا تَخَوّفْنا أن لا يُذهِب ذلك ما في قلبه ، فإن رأيت أن تصل أرحَامنا وتُحسن فيما بيننا وبينك فتُخلّي سبيلنا ثم تأمر فُينادَى الصلاة جامعة وتصعد المنبر فنأتي فنبايع

على رؤوس الناس طائعين غير مُكْرَهين ، قال : وجعل مروان كلّما نظر إلى الوليد أشار إليه أن اضرب أعناقهم ، قال : فخلّى الوليد عنهم ، فخرجوا فقال مروان : والله لا يُصْبح وبها منهم أحد ، فلما أتى كلّ واحد منهم منزله دعا براحلته ثم رمى بها الطريق إلى مكة وأصبح الوليد فلم يجد منهم أحداً .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم ، وأبو خيثمة قالا : حدثنا وهب بن جرير عن ابن جُعْدُبة عن صالح بن كيسان قال : مات معاوية والوليد أمير على مكة والمدينة ، وكان على مكة من قبله لأمّه عبد الرحمن بن نبيه ، فكتب إليه يزيد يأمره أن يأخذ بيعة حسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير ، فاستضعفه في ذلك فعزله ، وامّر عمرو بن سعيد الأشدق على المدينة ومكة ، وأمره أن يبعث إليه بابن الزبير في جامعة ولا يؤخّره ، وبعث في ذلك النُعمان بن بَشير ، وابن مَسْعدة الغِفاري ، وابن عِضاه الأَشعري ، وبعث معهم بجامعة من فضة لتُبَرَّ يمينه ، فلما قدموا قال قائل وهو يسمع ابنَ الزبير ذلك :

خُـذْها فليستْ لِلْعزيزِ بِسُبَّةٍ فيها مَقالٌ لامْرىءٍ مُتَذلِّلِ

فأبى أن يخرج معهم وقال : قولوا ليزيد يجعلْ يمينه هذه من أيْمانه التي يجب عليه أن يكّفرها .

أمر عمرو بن الزبير بن العوام ومقتله :

قال الواقدي في روايته : لما قدمت رسل يزيد عليه وليس ابن الزبير معهم وأعلموه ما يقول ، كتب إلى عمرو بن سعيد الأشدق يأمره أن يوجّه إلى عبدالله بن الزبير جيشاً من أهل العطاء والديوان لمحاربته ويولّي أمرهم رجلًا حازماً مناصحاً ، وكان عمرو بن الزبير ـ وأمه أَمَة بنت خالد بن

سعيد بن العاص ـ على شرطة عمرو بن سعيد الأشدق ، فسأله تَوْجيهه على ذلك الجيش ، وكان مبايناً لأخيه عبدالله بن الزبير يظهر عيبه ويُكثر الطعن عليه ، وكان عمرو عظيم الكبر شديد العُجْب ظَلوماً وقد أساءَ السيرة وعسف الناس ، وأخذ من عرفه بموالاة عبدالله والمَيل إليه فضربهم بالسياط، وله يقال: عمرو لا يكلِّم، من يكلِّمْه يندمْ، فكان ممّن ضرب : المنذر بن الزبير ، ومحمد بن المنذر ، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، وخُبيب بن عبدالله بن الزبير ، ومحمد بن عمّار بن ياسر ، وطلب قوماً من قريش يرون رأي أخيه فاستخْفَوا ثم لحقوا بمكة فأتى رافع بن خديج الأنصاري عمراً الأشدق فقال له : اتّق الله ولا تُغْزِ الجيوش مكة فإنّ الله حرَّمها ، فلم تحلّ لنبيّه إلّا ساعة من نهار ثم عادت حرمتها ، فقال : وما أنت وهذا ؟ لقريشٍ علمٌ لا تَبْلغُهُ أنت ولا أصحابك ، فانصرف رافع .

وقال أبو مخنف في روايته : صار عمرو بن سعيد الأشدق إلى المدينة فجهّز جيشاً يريد به ابنَ الزبير بمكة ، فقال عمرو بن الزبير لعمرو بن سعيد : أَمِّرْني على هذا الجيش فأنا أكفيك أخي ، فقد تعرف الذي بيني وبينه لاستخفافه بحقّي وقطيعته إيّاي، فولاه الجيش، وكان أكثر الجيش بُدَلاءَ من العطاء وجُلّهم يهْوَوْن ابن الزبير عبدالله ، فساروا حتى انتهوا الى مكة ، فأخرج إليهم عبد الله بن الزبير رجالاً من أهل الحجاز ذوي دين وفضل ورأي وثباتٍ وبصائر ، فلما التقوا لم يَنْشَب جند عمرو بن الزبير أن تفرّقوا وأُخذ عمرو بعد أن أجاره عُبيدة[1] وآمنه ، فلما أُتي به عبدالله قال :

---

١ ـ يعني عبيدة بن الزبير .

من كانت له قِبَل عمرو بن الزبير مَظْلَمة فليأخذها منه ، فكان عبدالله يخرجه إلى الناس فيُلطَم ويُوجَأ ويضربه ضارب بعصاً ويشجّه آخر بحجر اقتصاصاً ثم يرد إلى السجن ثم يُخرج فيُفعل به بمثل ذلك ، وضُرب بالسياط اقتصاصاً للذّين ضربهم إلاّ مَنْ عفا عنه ، ثم إن رجلا من هُذيل بن مُدْركة يقال له جُنادة بن الأسود أتى عبدالله بن الزبير فقال : إنّ عمراً نطحني مرّة في وجهي نَطْحة لم ازل أُصَدَّع منها حيناً ، فأذِنَ له في الاقتصاص منه ، فنطح جبينه نطحة خرّ منها مغْشياً عليه، وكان عبد الله إذا ضربه بالسياط اقتصاصاً لرجل ، تركه أيّاماً حتى يَبْرأ ، ثم يضربه لآخر فيوجد صَبوراً ، فكان ذلك قد نهكه وأضعفه ، فلما نطحه الهُذَلي لم يمكث إلاّ ليلةً حتى مات ؛ فقال عبدالله بن الزَّبير الأسدي في قصيدة قالها بعد حصار ابن الزبير الأوّل :

فَيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ كَبيرَ بَني العَوّام إنْ قيلَ مَنْ تَعْني
لَعَمْري لقد أَرْدَى عُبَيْدةُ جارَهُ بِشَنْعاءِ غَدْرٍ لا تُوارَى عَلَى الدَفْنِ
قَتَلْتُم أَخاكُمْ بالسياطِ سَفاهةً فَيا لَكَ من رأيٍ مُضل ومِنْ أَفْنِ
فلَوْ أَنَّكُمْ أَجْهزتُمُ إذْ قَتَلْتُمُ ولكِنْ قَتَلْتُمْ بالسِياط وبالسِجْنِ
جَعَلْتُم لِضَرب الظَهرِ منه عُصِيَّكُمْ تُراوِحُهُ والأَصْبَحِيَةَ[1] لِلْبطنِ
وتُخْبِرُ مَنْ لاقيتَ أَنَّكَ عائذٌ وتُكْثِرُ قَتْلَى بين زَمزمَ والرُكنِ

وقال الواقدي في روايته : إنّ مروان بن الحكم أشار على عمرو بن سعيد ألاّ يُغزي مكة جيشاً وقال: إنّكم إن تركتم ابن الزبير كُفِيْتم مُؤْنَتَهُ بالموت فأبى ، قال : وسار عمرو بن الزبير على جيش الأشدق وبين يديه لواء

١ ـ من أنواع السياط .

عقده له عمرو الأشدق ، وخرج في أربعمائة من الجند وقوم من موالي بني اميّة وقوم من غير أهل الديوان ، وتحَلَّب الناس على ابن الزبير من نواحي الطائف يعاونونه ويدفعون عن الحرم ، وشَخَص المِسْوَر بن مَخْرَمة من المدينة إلى مكة فسأل عنه عمرو بن سعيد فأُخْبِر بشخوصه فقال : لا يزال حُبّ الفتنة بالمِسْوَر حتى يُرْديه ، فكان ابن الزبير يشاوره في أموره . وقدم أيضاً على ابن الزبير مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، وعُبيد بن عُمير ، وعبدالله بن صَفْوان بن أميّة بن خَلَف الجُمَحي ، وهو عبدالله الطويل ، فأوصى الأشدق عمرو بن الزبير بالصبر على القتال وأن يتبع الهاربَ ويُجهز على الجريح ، ولا يرضى إلاّ بأسر عبدالله بن الزبير أو بنزوله على حُكْم يزيد ولُبْس الجامعة ، فلما فصل عمرو من المدينة ندم وقال : قد فعلت بعبدالله وأصحابه ما لا يخرج من قلبه ، ووافى مكة ومع ابن الزبير بشر كثير في عُدّة وسلاح ، فقدّم عبّاد بن عبدالله ابنه ثم تلاحق الناس وراسل عمرو أخاه في بيعة يزيد وقال له : وما عليك في قبول ما دعاك أمير المؤمنين إليه من لُبْس الجامعة والمصير إليه فيها ثم يصير إلى مَحَبَّتك ؟ فقال : إنّي على طاعة يزيد وقد بايعتُ عاملَ مكة حين دخلها ؛ وكان عسكر عمرو بن الزبير بذي طُوىً ، وعليه أُنيس بن عمرو الأَسلمي ـ ويقال كان بالحَجُون إلاّ أنّهم انكشفوا فقُتل من قُتلٍ بذي طُوىً ـ فقال عبدالله بن صفوان بن أميّة لعبدالله بن الزبير : إنّ هذا أعدى عدوٍّ لك فناجِزْه ، قال : نعم ، فنهد إليه في جماعة من موالي ابن الزبير وهو وأصحابه غارّون ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل أُنيس بن عمرو الأسلميّ وأُسِر عمرو ، وقد قال له أخوه عُبيدة بن الزبير أنا أجيرك ، فعندها وضع يده

في أيديهم ، فأُتي به عبدالله بن الزبير وقد شُجّ في وجهه والدم يقطر على قدميه ، فقال عمرو متمّثلاً :

لسنا على الأعقابِ تدْمى كُلومُنا ولكنْ على أقْدامِنا تقْطُرُ الدّما

فوبّخه فقال : أي عدوّ الله استخففتَ بحرم الله ، وأمر به إلى الحبس ، فقال عُبيدة بن الزبير : إنّي قد أجرته ، فقال عبدالله : إنّ للناس عليه حقوقاً ولابدّ من أن أُقِصَّهم ، فضربه عبدالله بكلّ سوط ضربه أحداً بالمدينة سوطاً وأقصّ منه كلَّ من لطمه وتناوله حتى سقط ميتاً ؛ وقيل انّ عمرو بن الزبير لم يزل محبوساً حتى بويع ابن الزبير وأقاد منه حتى مات ؛ وإنّ فَلّ عمرو قدموا المدينة فضربهم الأشدق فلامه يزيد على ذلك .

وقال الواقدي في رواية أُخرى : لما قُتل أُنَيس في المعركة وانفضَّ عن عمرو جُلّ من معه وجّه إليه عبدُ الله بن الزبير مصعب بن عبد الرحمن بن عوف فأسره ، فجاءه عُبيدةُ فقال : أنا أجيرك يا عمرو ، فلما أخبر أخاه بإجارته إياه قال : لابدّ من أن يقتصّ الناس منه ، وأمر به فحُبس ومعه غلام لمحمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي - ويقال إنّه مولى لبني زُهْرة واسمه زيد ولقبه عارم ، ويقال هو غلام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف .

وقال أبو الحسن المدائني : أُسِر زَيْد - عارم - غلام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف فبني له بِناء في ذراعين وأُقيم فيه ، وكان ذلك البِناء في السجن فقيل سجن عارم ، وصُيِّر عارم وعدّة معه في بناءٍ بُني لهم ضيق وأُطبق عليهم حتى ماتوا ؛ قال كُثيِّر يذكر ابن الحَنَفيّة ويهجو عبدالله .

تُخبِّرُ مَن لاقيتَ أنَّك عائِذٌ بل العائذ المَحبوسُ في سِجنِ عارِمِ
فما وَرقُ الدُنْيا بباقٍ لأَهْلها ولا شدَّةُ البَلْوى بِضَربةِ لازِمِ(١)

وكان ابن الزبير يخطب فيقول : والله لا أريد إلّا الإصلاح وإقامة الحقّ، ولا ألتمس جمع مال ولا ادِّخاره ، وإنّما بطني شِبْر أو أقلّ ، يكفيني ما ملأه ؛ فلما قتل عمراً أخاه قال الضَحّاك بن فيروز بن الدَيْلَمي من أحرار اليمن :

تَقولُ لَنا أَنْ سَوْفَ تَكْفيكَ قَبْضَةٌ وبَطْنُكَ شِبْرٌ أَوْ أَقلُّ منَ الشِبْرْ
وأَنت إذا ما نْلتَ شيئاً قَضمْتَهُ كما قضمَتْ نارُ الغَضا حَطَبَ السِدْرِ
لَكُمْ سُنَّةُ الفاروقِ لا شَيْءَ غَيْرُها وسُنَّةُ صِدّيقِ النَّبيِّ أَبي بَكْر
فلو ما اتَّقَيتَ الله لاشيْءَ غَيْرَهْ إذاً عَطفتكَ العاطفات على عَمْرِو

ويروى :

فلو كُنْت تَجْزي أَوْ تُثيبُ بِنعمةٍ قريباً لردَّتك العُطوفُ على عَمْرِو

وقال أبو حُرّة مولى بني مخزوم :

ما زالَ في سورَةِ الأَعْرافِ يَقْرَأُها حَتَّى فُؤادِيَ مِثْلُ الخَزِّ في اللينِ
لو كانَ بَطْنُكَ شِبراً قد شَبِعْتَ وقد أَفْضَلْتَ فَضْلاً كثيراً لِلْمساكينِ
فإِنْ تُصِبْ مِنَ الأَيّام جائحةٌ لا نَبْك مِنْكَ على دنيا ولا دينِ

وقال المدائني : لما تفرّق أصحابُ عمرو عنه قال بعض الشعراء :

كَـرِهْتُ كَتيبَةَ الجُمَحيِّ لَـمّا رأَيْتُ المَوْتَ سالَ به كَداءُ
فقُلْتُ أَبا أُميَّة سوف تُلْقَى شَهيداً أَوْ يكونُ لك العَناءُ

يعني ابن صَفْوان .

---

١ ـ ديوان كثير ـ ط . الجزائر ١٩٣٠ ج ١ ص ٢٧٧ ـ ٢٨٠ .

وقال الهيثم بن عديّ : كان عمرو بن الزبير مائلاً إلى أخواله من ولد العاصي ، فوجَّههُ الأشدق إلى مكة لقتال أخيه ، فوجّه عبدُالله عبدَالله بن صَفْوان بن أميّة الجُمَحي فقاتله فهزمه وأسره . فلما رآه عبدالله قال : ويحك ما صنعت ؟ امّا حقّي فقد تركتُه للأخوّة ولابد من الأخذ بمظالم الناس ، فحبسه أشهراً يقفه كلّ يوم فيأتي الرجل فيقول : لكزني فيلكُزه ، ويقول الآخر : لطمني فيلطمه ، ويقول الآخر : نتف لحيتي فيقول : انتف لحيته ، حتى قدم سُهيل بن عبد الرحمن بن عوف فقال : جلدني مائة ولم أجْنِ ذنباً ، فأمر به فُجّرد وقال : اضربهْ مائةً ، فضربه مائة سوط فَنَغِل ظهره حتى مات ، فأمر به عبدالله فصُلب ، فكان ذلك أوّلَ ما نقمه الناس عليه .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عديّ عن عبدالله بن عيّاش الهمداني قال ، حدثني محمد بن المُنْتَشِر قال : حضرتُ مكةَ أيّام ابن الزبير فما رأيت أحداً قطّ أبخل منه ولا أشدّ أفْناً ، أتته الخوارج فضلّلهم وعاب قولهم في عثمان حتى فارقه نافع بن الأزرق الحَنَفي وبنو ماحوز بن بُحْدُج ، فانصرفوا عنه وغلبوا على اليمامة ونواحيها الى حضرموت وعامّة أرض اليمن ، وأظهرَ سوء الرأي في بني هاشم ، وتَرَكَ ذكر النبي ﷺ من أجلهم ، وقال : إنّ له أُهَيل سُوءٍ فإنْ ذُكر مدّوا أعناقهم لذكره ، وحبسَ ابن الحنفيّة في الشِعْب حتى شخص من أهل الكوفة مَن شخص وعليهم أبو عبدالله الجَدَلي ، فلم يقدر له على مَضرَّة ، ففارقته الشيعة بهذا السبب وأكفرته ، وكان المختار معه فلما رأى تفّننه وتخليطه تركه وانصرف إلى الكوفة ، وقال له الحُصين بن نُمير: صرْ معي إلى الشام أبايْعك والناسُ فأبى ، وجعل حُصين يكلّمه سراً وذلك حين ورد عليهم موت يزيد وهو يرفع صوته فقال له : ما عرفك من زعم أنّك

داهية ، أكلّمك سراً وترفع صوتك ، وزعم أنّه عائذ بالبيت ، دعا الناس إلى بيعته فبايعه من بايعه .

وقال الهَيْثم بن عَدي : وجاءه قوم من الأعراب لِينصروه فقال : إنّ سلاحكم لَرَثٌّ وإنّ حديثكم لَغَثٌّ ، وإنّكم لأعداء في الخِصْب ، عيال في الجَدْب . وأتاه أعرابيّ فقال له : افْرِضْ لي قال : أُثبتوه فأُثبتوه قال : أَعطِني ، قال : قاتِلْ أَوَّلاً فقال : بَأستِ هذا ، دمي نَقدٌ ودرهمك نسيئة ، هذا والله ما لا يكون . قال : وولّى الحارث بن الحُصين بن الحارث بن قيس الجُعْفي وادي القُرَى وبها تمر كثير من تمر الصدقة ، ففرَّقه فيمن معه ، وكان كتب إليه أن يحتفظ به ، فلما قدم عليه جعل يضربه بالدِرّة ويقول : أكلتَ تَمري وعصيت أمْري .

وقال أبو مخنف في روايته : رَفعَ الوليد بن عُتْبة وناس معه على عمرو بن سعيد الأشدق وقالوا : لو شاء أن يأخذ ابنَ الزبير لأخذه ، فسرّح يزيد عند ذلك الوليد والياً على الحجاز، وعزل عمرو بن سعيد، فشخص عمرو إلى الشام ، فعاتبه يزيد فقال : كنتُ أرفق به لآخُذَه ولو كان معي جند لناهضتُه ، على أنّي قد اجتهدتُ ، فقال يزيد : اشدّ ما أنكرتُ عليك أنّك لم تكتب إليّ تسألني أن أُمدك بأهل الشام إذا لم يكن فيمن أنهضت معك إلى ابن الزبير كفاية غير أُولي عدد وعُدّة .

قالوا : ولما قُتل الحسين ثار نَجْدة بن عامر باليمامة فحجّ فيمن حجّ ، وكان الوليد بن عُتْبة يُفيض من عَرَفَةَ ويُفيض معه عامّة الناس، وابن الزبير واقف بأصحابه ، ونَجْدة واقف بأصحابه ، ثم يُفيض كلّ امرىء منهم بأصحابه على حِدَته .

قالوا : وكتب ابن الزبير إلى يزيد عن أهل مكة : إنّك بعثت إلينا رجلاً أخرق لا يَتَّجِه لأمرِ رُشدٍ ولا يَرْعوي لعِظَة الحليم ، فلو بعثت إلينا رجلاً سهل الخليقة لينّ الكنف لرجونا أن يسهل من هذه الأمور ما استوعر ، وأن يجمع منها ما تفرّق ، فانظر في ذلك ، فإنّ فيه صلاحَ خواصّنا وعوّامنا . فلما ورد الكِتاب عليه عزل الوليد وولّى عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، فقدم عليهم فتىً حَدثٌ لم تحنكه الأمورُ ولم تُحكِمه التجارب ولم تجرّسه[1] الأيّام .

وقال المدائني : قدم عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب على يزيد فقال له : قد لجحتَ في أمر ابن عمّك ، فلو أعطيتَهُ شيئاً يطمئنّ إليه ، فقال له : قد ولّيتك مكة فاعمل في أمره بما يطمئنّ به ، فمال الى ابن الزبير ميلاً شديداً وقال له : أنت أحبّ إليّ من اولاد الطُلَقاء ، فعزله يزيد وولّى عبدالله بن معين[2] بن عبد الأسد المَخْزومي .

قال : وقدم مروان على ابن الزبير فقال له : إنّ القوم لا يدَعون سلطانَهم حتى يَذُبّوا عنه ، وخوّفه أهلَ الشام ، فلم يجبه إلى شيء ممّا أشار به عليه .

وقال الهيثم : تحّصن سعد مولى عُتْبة بن أبي سفيان بالطائف في خمسين رجلاً فاستنزلهم ابن الزبير وضرب أعناقهم في الحرم ، فقال ابن عمر : يا سبحان الله ما أحمقَ هذا الرجل ، أما أنّه لم يقتل أحدٌ أحداً بالحرم إلاّ قُتل به ؛ وقال ابن عبّاس : لو لقيتُ قاتل أبي بالحرم ما قتلته .

---

١ ـ التجريس : التحكيم والتجربة . القاموس .

٢ ـ بهامش الأصل : سفيان .

خبر يوم الحرة :

قال الواقدي وغيره في روايتهم : لما قتل عبدالله بن الزبير أخاه عمرو بن الزبير خطب الناسَ فذكر يزيد بن معاوية فقال : يزيد الخُمور ، ويزيد الفجور ، ويزيد الفهود ، ويزيد القرود ، ويزيد الكلاب ، ويزيد النَشَوات ، ويزيد الفلوات ، ثم دعا الناس إلى إظهار خلعه وجهاده ، وكتب على أهل المدينة بذلك ، فاجتمع أهل الحجاز على أمر ابن الزبير وطاعته ، وأَخَذَ البيعة له على أهل المدينة عبدُالله بن مُطيع العَدَوي ، وقد كان ابن عِضاه وأصحابه الوافدون معه عرَّفوا يزيد ميلَ أهلِ المدينة على يزيد مع ابن الزبير ، وأتاه خبر عمرو بن الزبير وما أعلن عبدالله من الأمر بعد ذلك ، وأنّ أهل المدينة قد كاشفوا بعداوته ، فكتب يزيد إلى عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامله أن يّوجّه إليه وفداً ليستمع مقالتهم ويستميل قلوبهم ، فأوفد إليه المنذر بن الزبير بن العوام ، وعبدالله بن أبي عمرو بن حَفْص بن المغيرة المَخْزومي ، وعبدالله بن حنظلة الغَسيل ابن أبي عامر الأنصاري في آخَرين من الأشراف ، فلما قدموا عليه أكرمهم ووصل كلَّ

واحدٍ منهم بخمسين الف درهم ، ووصل المنذر بمائة ألف درهم ، ثم انصرفوا من عنده ، فلما وردوا المدينة قالوا : قدمنا من عند رجل فاسق يشرب الخمور ويضرب الطنابير ، ويعزف عنده القيانُ ويلعب بالكلاب ، فعاقدهم الناس على خلعه ، وولّوا أمرهم عبدالله بن حنظلة الغَسيل ، وقدم المنذر بن الزبير البصرة من بين الوفد ، فأكرمه ابن زياد وبرّه وأمر له بمائة ألف درهم .

وقال عوانة : كان مِسْوَر بن مَخْرمة وفد إلى يزيد قبل ولاية عثمان بن محمد ، فلما قدم شهد عليه بالفسق وشرب الخمر ، فكُتب إلى يزيد بذلك ، فكتب إلى عامله يأمره أن يضرب مِسْوراً الحدّ ، فقال أبو حُزَّة :

أيشْرَبها صَهباءَ كَالمِسكِ ريحُها   أبو خالِدٍ ويُضْربُ الحَدَّ مِسْوَرُ

وقال هشام ابن الكلبي : أخبرني أبو مخنف قال : لما بلغ يزيد خَلعُ أهلِ المدينة وتوليتهم ابنَ الغَسيل أمْرَهم ، كتب إلى ابن زياد في حمل المنذر بن الزبير إليه ، فكره ابن زياد ذلك إذ كان ضيفه وصديق أبيه زياد ، فكتب إليه : إنّه انّما صار إليَّ متبرّئاً من أصحابه مخالفاً لقولهم وفعلهم ، ثم أمر منذراً أن يستأذنه على رُؤوس الناس في إتيان الحجاز ، وقد كتم ابن زياد أمر الكتاب ، فلما فعل أذن له في اللحاق بأهله ، فلما صار إلى الحجاز قال في يزيد مثل قول الوفد وقال : إنّ يزيد أجازني بمائة الف درهم ، وما يمنعني ذلك من أن أخبركم خبره ، والله إنّه ليسكر من الخمر حتى يدع الصلاة ، فيقال إنّ المنذر أقام فشهد الحرة ، ثم صار إلى مكة ، ويقال إنّه قدم مكة قبل الحرة .

وبعث يزيد إلى النُّعْمان بن بشير فقال له : إنّ عدد الناس بالمدينة الأنصار وهم قومك ، فأْتِهم فٱفْثأْهُمْ عمّا يريدون ، فصار النعمان إلى قومه فاستنهاهم من أنفسهم ، وحذّرهم جنود أهل الشام ، ورغّبهم في بيعة يزيد فقال له عبدالله بن مُطيع العَدَوي : يا نعمان قد جئتنا بأمر تريد به تفريق جماعتنا وإفساد ما قد أصلح الله من أمرنا ، فقال : النُّعْمان : كأنّي بك على بغلتك تضرب جنبيها ثم تلحق بمكة ، وتتركُ هؤلاءَ المساكين من الأنصار يُقْتَلون في سِكَكِهم ومساجدهم ، فلم يلتفت إلى قوله ؛ وكان مع النعمان كتاب من يزيد نُسْخته : من عبدالله يزيد أمير المؤمنين إلى أهل المدينة أمّا بعد فقد أنظرتكم حتى لا نَظِرة ، ورفقتُ بكم حتى عُجِّزتُ عندكم ، وحملتكم على رأسي ثم على عيني ثم على نحري ، وأَيم الله لئنْ وضعتكم تحت قدمي لأَطَأَنكم وطأَة أجعلكم بها أحاديث تُؤَثَر مع أحاديث عاد وثمود ، وتمثّل بهذين البيتين :

أَظُنُّ الحِلمَ دلَّ عليَّ قَوْمي وقد يُسْتضعفُ الرَّجُلُ الحَليمُ
ومارَسْتُ الرجالَ ومارَسوني فمُعوجٌّ عليَّ ومُسْتَقيمُ

ووثب أهل المدينة على عثمان بن محمد ومن بالمدينة من بني أميّة ومواليهم ومن عُرف بالميل إليهم من قريش ، وكانوا زُهاء ألف ، فأخرجوهم . فخرجت بنو أميّة حتى نزلوا بجماعتهم دار مروان ، فحاصرهم الناس في دار مروان وهو معهم وابنه عبد الملك حصاراً ضعيفاً ، وهتفوا بخلع يزيد ، فكتب مروان ومن معه بخبرهم إلى يزيد كتاباً مع حبيب بن كُرَّة ، فلما قدم حبيب على يزيد دفع الكتاب إليه ورجلاه في الماء لِنِقْرس عَرَض له ، فقال : يا حبيب ما كان بنو أميّة بالمدينة ألف رجل ؟ فقال : بلى

يا أمير المؤمنين ، قال : فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ؟ وقرأ يزيد الكتاب على عمرو بن سعيد الأشدق وعرض عليه أن يصير إلى المدينة فقال : قد كنتُ ضبطت لك البلد وأحكمت الأمور وأردت أن ألطفُ للرجل فآخذه في رفق أو أقتله وحده بحِيلة ، فأمّا الآن فإنّي لا أحبّ هراقة دماء قريش ، فبعث بالكتاب إلى مسلم بن عقبة المُرّي ، فجاء حتى دخل على يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ما أعجبَ هذا ، أما قدروا وهم ألف رجل أن يقاتلوا عن أنفسهم ساعةً واحدة ؟ ثم أمره يزيد بالشخوص ونادى مناديه في الناس بالمسير إلى الحجاز على أن يُعطَوا أعطياتهم كمَلاً ويُعان كلّ امرىء منهم بمائة دينار ، وانْتدب اثنا عشر ألفاً وركب يزيدُ فرساً وتقلّد سيفاً وتنكّب قوساً وأقبل يتصفّح الخيل ويقول :

أَبلغْ أَبا بَكرٍ إذا الجَيشُ آنْبَرَى   وأَشْرَف القَومُ على وادي القُرَى
أَجْمَعَ سَكرانَ مِنَ الخَمْرِ تَرَى   أَمْ جَمْعَ يَقظانَ إذا حَثَّ السُرَى
وا عَجَبا مِن مُلْحدٍ وا عَجَبا   مُخادعٍ في الدينِ يَقْفو بِالفِرَى

ولما بلغ أهلَ المدينة خبرُ مَنْ أَقبلَ عليهم حصروا بني أميّة في دار مروان حصاراً شديداً وضيّقوا عليهم وقالوا : لا نكفّ عنهم حتى يوثقوا لنا بالعهد أنّا إذا جليناهم من المدينة لم يبغونا غائلة ولم يدلّوا لنا على عَوْرة ولم يظاهروا علينا أحداً ، ففعلوا ذلك ، ثم أخرجوهم بأثقالهم وأموالهم فمضوا إلى الشام .

وقال يزيد لمسلم بن عُقبة : أنت أمير الجيش وإن حدث بك حدَثٌ فأمير الجيش الحُصين بن نُمير السَكوني ، فإذا وردت المدينة فادْعُ الناس ثلاثاً ، فإن أجابوك وإلاّ فقاتِلهم ، فإن ظهرتَ عليهم فأَبِحها ثلاثاً ، فما كان

بها من مال او رِثّة او سلاح او طعام فهو للجند ، فإذا مضت الثلاث فاكفُفْ عن الناس واسَتْوص ِ بعليّ بن الحسين بن علي خيراً وأُدنِ مجلسَهُ فإنّه لم يدخل في شيء ممّا دخل الناس فيه ، واعلم أنّك تقدمُ على قوم ذوي جهالة واستطالة قد أفسدهم حلمُ أمير المؤمنين معاوية وظّنوا أنّ الأيْدي لا تنالهم ، فلا تَرُدَّنّ أهل الشام عمّا أرادوه بهم ، وكان عليّ بن الحسين آوى عائشة بنت عثمان بن عفان وهي أمُّ أَبان بن مروان بن الحكم واعتزل في ضيعة بقرب المدينة كراهةً أن يشهد شيئاً من أمرهم .

ولقيت بنو أميّة مسلمَ بنَ عقبة بوادي القُرى فسلّموا عليه ، فدعا عمرو بن عثمان بن عفّان أوّل الناس فسأله عن الخبر فلم يخبره بشيء ليمينه التي حلفها لأهل المدينة ، فقال : لولا أنّك ابن عثمان لضربت عنقك ، والله لا أَقَلتُها قُرشياً بعدك . وقدّم مروانُ ابنهَ عبد الملك ليُخبره خوفاً من الحِنْث ، فسأل مسلم عبد الملك فأخبره فقال : لله دَرُّك يا بن مروان لقد رأى بك أبوك خلفاً منه في حياته .

ويقال إنّ يزيد لما عرض جنده كتب إلى ابن الزبير رُقعة لطيفة أفرد بها رسولاً ، ويقال إنّه لم يكتب ولكّنه قال قولاً ظاهراً :

إسْتعدِ ربَّكَ في السَّماءَ فإنّني ... أَدْعُو إليكَ رجالَ عَكَّ وأَشْعرِ
ورِجال كَلبٍ والسَكونِ ولَخْمِها ... وجُذامَ تَقْدُمُها كَتائِبُ حِمْيَر
كيف النَجاءُ أَبا خُبْيبٍ مِنهُمُ ... فَاْحْتَل لنفْسِكَ قَبلَ أَتْي العَسْكَرِ

والشاميّون يقولون إنّما قال :

اجْمَعْ رِجال الأَبْطحينَ فإنني ... أدْعُو إليكَ رِجالَ عَكَّ وأَشْعرِ

قالوا : وارتحل مسلم فلما قدم المدينة مضى في الحَرّة حتى أتى المدنّيين فقدم من قبل المشرق ، وكان عبد الملك بن مروان أشار عليه بذلك ، ثم أجّلهم ثلاثاً وقال : إن دخلتم فيما دخل الناس فيه انصرفتُ عنكم وأتيت المُلْحِد الذي بمكة ، وإن أبيتم قاتلتكم بعد الإعذار إليكم ، وكان أهل المدينة قد اتّخذوا خندقاً ونزل بباب من أبوابه جمعٌ عظيم ، فكان عليهم عبد الرحمن بن أَزْهَر بن عوف الزُهْري وكانوا رُبعاً ، وكان عبدالله بن مُطيع على ربع آخر ممّايلي المدينة ، وكان مَعِقْل بن سِنان الأَشجَعي على ربع مثل ذلك ، وكان عبدالله بن حنظلة الغَسيل على ربع آخر ممّايلي الحَرّة ، وجعلوا إليه رئاستهم وترتيبهم . ويقال إنّ كلّ قوم خندقوا على ربعهم ، وكان ابن الغسيل وابن مُطيع في الأنصار ومَعِقْل في المهاجرين ، وكان على الموالي يزيد بن هُرْمُز ، فقال الشاعر وهو شَهَوات[1] مولى بني تَيْم وذلك الثبت ، وقوم يقولون مولى آل الزبير :

إنَّ في الخَنْدَقِ المُكَلَّلِ بِالمَجْـ ـد لضرباً يَسوءُ ذا النَشَواتِ
لَستَ منّا ولَيْسَ خالُكَ منّا يا مُضيعَ الصلاةِ لِلشَهَواتِ
بَرْقِعِ الدُبَّ وآحْمِلِ القِرْدَ وآنْزِلْ في بلادِ الوُحوشِ بالفَلَواتِ
فـإذا مـا غَلَبْتَنـا فَتَـنَّصرْ واتْرُكَنَّ الصلاةَ والجُمُعـاتِ

وقال ابن الكلبي : سُمّي شَهَوات لهذا البيت ، وقال غيره : سُمّي شَهَوات لأنّه كان يتشهّى على عبدالله بن جعفر الشهوات فيُطعمه إيّاها . وقال المدائني : يقال إنّ هذا الشعر لمحمد بن عبدالله بن سعيد بن زيد بن

١ ـ أي موسى شهوات .

عمرو بن نُفيل هجاه به حين عزل عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب عن مكة ، وسمعت من يذكر أن أهل المدينة كتبوا بهذا الشعر إلى يزيد ، فقال رجل من كلب :

أنتَ مِنّا وليس خُالك منّا يا مُجيبَ الصلاة لِلدَعوات

قالوا : ولما انقضت الأيّام الثلاثة التي ضربها مسلم بن عُقْبة لهم أجلاً قال لهم : يا قوم إنّ أمير المؤمنين يكره إراقة دمائكم ، ولقد استدامكم منذ زمان لأنّكم أصله ، فاتّقوا الله في أنفسكم ، فشتموه وشتموا يزيد وفجّروه ، وقالوا : بل نحارب ثم نحارب ، فأمر مسلم بفسطاط عظيم فضُرب له ثم زحف إلى أهل المدينة وصمد بمَنْ معه صَمْد ابن الغَسيل ، فحمل ابن الغسيل بالرجال حتى كشف الخيل ، فانتهت الخيل إلى فسطاط مسلم ، فصاح مسلم بالخيل فكرّها فقاتل طويلاً ، ثم إنّ الفضل بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب قال لابن الغسيل : مُرْ فُرْسانَك أن يصيروا إليّ ، فأَمَرهم بالمصير اليه فقاتل بهم فكشف أصحابَ مسلم حتى لم يبق إلاّ في خمسين قد أشرعوا أسنّتهم وجَثْوا على رُكبهم فشدّوا عليه فقتلوه وقُتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف الزُهْري وابراهيم بن نُعيم بن عبدالله النحّام في رجال من أهل المدينة .

ويقال إنّ مسلماً كان مريضاً يوم القتال ، فأمر بسرير أو كرسيّ فوُضع له بين الصفّين ، ثم حضَّ أهل الشام وحرّضهم على القتال فقاتلوا ، فقُتل الفضل بن العبّاس ومن كان معه بعد قتال شديد انثنت فيه السيوف وانقصفت الرماح ، فحمل الفضل في جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلماً وهو على سريره أو كرسيّه فقال : احملوني فحُمل فجُعل أمام

فسطاطه ، وكان الفضل رجلاً أحمر ، فصاح بهم : إنّ العبد الأحمر قاتلي فأين انتم يا بني الحرائر ، اشْجُروه برماحكم ، فطعنوه حتى سقط .

قالوا : ثم إنّ خيل ابن الغَسيل ورّجالته رجعوا إلى مسلم يريدونه ، فركب فرساً وجعل يقول : يا أهل الشام إنّكم لستم بخير العرب وإنّما رُزِقتم النصر بطاعتكم لأمرائكم وصبركم في لقاء عدوكم . ثم انتهى إلى مَصافِّهِ وأمر أن يحملوا على ابن الغَسيل وأصحابه ، فقاتلوهم أشدّ قتال ، ونزل حُصين بن نُمير في أهل حِمْصَ ثم مشى إليهم فقال ابن الغسيل حين رآهم يمشون تحت راياتهم : إنّ عدوَّكم قد أصاب جهة قتالكم ، ولن يلبثوا إلاّ ساعة من نهار حتى يحكم الله بينكم وبينهم ، ثم قدّم أمامه ولده حتى قُتلوا واحداً بعد واحد ، ودنا عبدالله بن عِضاه بن الكَرْكَر الأَشْعري وأصحابه فمشى في خمسمائة رامٍ فنضحوهم بالنبل ، فقال ابن الغسيل : علامَ تستهدفون للنبل ؟ مَن أراد التعجّل الى الجنّة فليلزَم رايتي ، فتقدم إليه كلُّ مستميت ، فنهض القومُ واقتتلوا أبْرحَ قتال وأشدّه ، وجعل ابن الغسيل يقول :

بُؤساً لِمَنْ شدَّ فَساداً وطَغى   وجانَبَ القَصْدَ وأسْباب الهُدَى
لا يُبْعِد الرَحْمنُ إلاّ مَن عَصَى

ثم استقدم فجالد حتى قُتل وقُتل أخوه لأمّه محمد بن ثابت بن قيس بن شَمّاس الأنصاري ، ومحمد بن عمرو بن حَزْم النجّاري .

ومن رواية الواقدي : إنّ مروان والأمّويين رجعوا إلى المدينة مرّتهم الأولى ، فلمْ يعيبوا على أهل المدينة ، فكانوا بها حتى أمر ابن الزبير بإشخاصهم بعد موت يزيد .

قالوا : فقال مراون حين رأى ابن الغسيل : رحمك الله فلُربَّ ساريةٍ رأيتك تُطيل الصلاة إلى جانبها .

قالوا : وخرج محمد بن سعد بن أبي وقّاص يَرُدّ الناس بسيفه حتى غلبْته الهزيمةُ ، فذهب فيمن ذهب من الناس ، وأباح مسلم المدينة ثلاثة أيّام يقتلون ويأخذون المتاع ويَعبَثون بالإماء ويفعلون ما لا يحبه الله ، وخرج أبو سعيد الخُدْري فاقتحم مَغارة فدخل عليه رجل بسيفه فانتضاه لُيْرعبه ، فلما أقبل عليه قال أبو سعيد ﴿لئن بسطتَ إليّ يَدَكَ لِتَقتلَني ما أنا بباسطٍ يديَ إليك لأقتَلك إنّي أخافُ الله ربَّ العالمين﴾[1] فقال له الشاميّ : مَن أنت لله أبوك ؟ قال : أبو سعيد الخُدْري ، قال : صاحب رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، فتركه وقال : استغفِرْ لي .

وقال عَوانة بن الحكم : دخلوا من قِبل بني حارثة إلى المدينة فلم يبق دار إلّا انتُهبت ، إلّا دارَ أُسامةَ بن زيد بن حارثة مولى ﷺ فإنّ كلباً حَمْتْها ، ودار امرأة من حِمْيَر فإنّ حمير حَمَتْها ، وكان أهل الشام يقاتلون أهل المدينة ويقولون يا يهود .

وقال الواقدي في بعض رواياته : ولّى الأنصارُ أمرهم ابنَ الغَسيل وتساند القوم ، فلما قرب مسلم من المدينة عسكروا بحَرّة وَاقمٍ وخندقوا ، وكان ابن الزبير أمر بإخراج بني أميّة ومواليهم من مكة والمدينة إلى الشام ، وفي ذلك يقول ابن قيس الرُقيّات :

---

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٢٨ .

لِيَبْكِ البَقيعُ ودورُ البَلاطِ رَهْطَ ابْنِ عَفّانَ والمَسْجدُ
فمَرْوةُ فالسُنْحُ يَبْكيهِمُ فَعُسفانُ فالحَجَرُ الأَسودُ[1]

فخرج منهم أربعة آلاف فيما يزعمون ، فلما صاروا بوادي القُرى أمرهم مسلم بالرجوع معه ، فنفذت من وجوههم إلى يزيد جماعةٌ ورجع سائرهم ، فلما قدم مسلم المدينة أكمن كميناً ممّايلي منازل بني حارثة ، فتناهض الجمعان ، وكان بمسلم النقرس فحمل في ترس ووضع أمام الصف ثم جلس عليه وقال : يا أهل الشام قاتلوا عن إمامكم أو دَعوا ، فنِشبَت الحرب فصبر أهل المدينة وقاتلوا أشدّ قتال ، فلم يشعروا إلاّ بالكمين يضربهم في أدبارهم فانهزموا ، وقُتل عبدالله بن الغسيل وابن عمرو بن حَزْم الأنصاري ـ وكان قاضيهم ـ وفرّ ابن مُطيع فلحق بابن الزبير . ثم أنهب الناسَ المدينةَ ثلاثة أيّام .

فلما انقضت الثلاثة الأيام جلس للبيعة ودعاهم إليها ، فكان أوّل من اتاه يزيد بن عبدالله بن زَمْعة بن الأسود ، وأمّه بنت أبي سَلَمة ، وجدّته أمّ سَلَمة زوج رسول الله ﷺ ، فقال : بايعْ لأمير المؤمنين على أنّك عبد قِنّ يحكم في مالك ودمك ، قال : أبايعك له على كتاب الله وسُنّة نبيّه ، وعلى أنّي ابن عمّه فقدّمه فضرب عنقه وقال : والله لا تَشْهَد على أمير المؤمنين بشهادة بعدها ، وكان وفد إليه فأعطاه فقدم يفجّره ويشهد عليه بشرب الخمر ، ثم أُتي بمَعْقِل بن سِنان الأَشْجعي فقال له : مرحباً بأبي محمد ، فأخذ بيده فأقعده معه على طنفسته ، ودعا مَعْقِل بماء فقال مسلم : ائتوه بشربة عسل وخضوها له بثلج ممّا حُمل معنا ففعلوا ، فلما شربها قال : سقى

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

الله الأمير من شراب الجنّة فقال : والله لا شربتَ بعدها شراباً إلّا من جهنّم حين تُسقى من حميمها ، فقال مَعْقِل : نشدتُك الله والإسلام ، قال : أتذكر حين مررتَ بطبريّة فقلت لك : من أين اقبلتَ ؟ فقلت : سِرنا شهراً وأَحَرثنا ظَهْرا ورجعنا صِفْرا ووجدناه يشرب خمراً ، نأتي والله المدينة فنخلع الفاسق بن الفاسق ونبايع رجلاً من أبناء المهاجرين ، فإنّي آليت تلك الليلة ألا أقدر عليك في موطن يُمكنني فيه قتلُك إلّا قتلتُك ، وما أَشْجَعُ والخلافةَ والخَلْعَ ؟! قدماه فاضربا عنقه ، فضُربت عنقه ، فقال الشاعر :

ألا تِلْكُمُ الأَنصارُ تَبْكي سراتَها وأَشْجَعُ تَبْكي مَعْقِلَ بْنَ سِنانِ

الهَيْثَم بن عَديّ عن عَوانة قال : أتى محمد بن أبي الجَهْم فقال له : أبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه ، فأمر فضُربت عنقه وقال : حباك أمير المؤمنين وأعطاك ثم تشهد عليه بشرب الخمر ؟! والله لا تشهد بعدها بشهادةِ زورٍ أبداً ؛ ودعا بعمرو بن عثمان بن عفّان وكان ممّن رجع وقد كان سأله عن خبر أهل المدينة فلم يخبره به فأغلظ له وقال : لولا أنّك ابن أمير المؤمنين لقتلتُك فإنّك الخبيث ابن الطيّب ، إذا ظهر أهلُ المدينة قلتَ : أنا رجل منكم وإذا ظهر أهل الشام قلت : أنا ابن أمير المؤمنين عثمان ، يا غلام انتِفْ لحيته ، فنُتفت حتى ما تُركت فيها طاقة ، ثم قال : إنّ أمّ هذا كانت ورهاء تحمل في شِدْقها الشيء ثم تقول لعثمان : حاجيتُك ما في شِدْقي ، وفيه ما يسوءها ، ويقال حملت مرّة خُنْفساء ، ويقال انّه ضربه بالسياط وقال : نحن نقاتل عن دولتكم وأنت تَكيدها . وتكلّم فيه مروان وقال : ابن عمّي فقال : ومَعْقِل ابن عمّي أيضاً . ويقال أنّه وهب له ضَرْبَهُ وخلّى سبيله ؛ وكانت أمّه من دَوْس يقال لها أمّ عمرو بنت جُنَيدبة، وأتاه مروان وعبد الملك

بعليّ بن الحسين بن عليّ ليطلبا له الأمان وذلك أنّه استجار بهما ، فلما رآه أدناه وقرّبه وقال : لولا أنّ أمير المؤمنين أمرني ببرّه وإكرامه وعرفتُ براءته وسلامته ما شفّعتُكما فيه ، ثم أمره بالانصراف على بغله وجزاه الخير ، وبعث إلى عليّ بن عبدالله بن عبّاس ليدخل فيما دخلوا فيه من البيعة ليزيد على حكمه ، فرأى فسطاطاً فسأل عن صاحبه فقيل فسطاط حُصين بن نُمير بن ناتل السَكوني ، فأتاه فاستجار به فأجاره بالخُؤولة لأنّ أمّ عليّ بن عبدالله كنديّة ، وحال بينه وبين رسل مسلم ومنعهم أهل حمص منه تعصّباً لحُصين بن نُمير وأحالوا عليهم بالسياط حتى تركوه ، ثم أتى به الحصين مسلماً فبايعه ليزيد على السمع والطاعة .

وقال الهيثم بن عديّ : أُتي مسلم بعليّ بن عبدالله فأراد تناوله فكلّمه فيه حُصين وكان حاضراً . وقال عليّ بن عبدالله :

أبِي العَبّاسُ قَرْمُ بني لُؤَيٍّ ... وأخوالي المُلوكُ بَنو وَليعَهْ
هُمُ مَنَعوا ذِماري يَوْمِ جاءَتْ ... كَتائِبُ مُسْرِفٍ وبَني اللَكيعَهْ
أرادَ بِيَ التي لا عِزَّ فيها ... فحالَتْ دونَهُ أَيْدٍ رَفيعَهْ
هُمُ مَلَكوا بَني أَسَدٍ وأُدّاً ... وقَيْساً والعَمائِرَ من رَبيعه
وكِنْدَةُ مَعْدِنُ لِلْمُلكِ قدماً ... يَزينُ فِعالَهُمْ عُظْمُ الدَسيعَهْ

وقال الهيثم بن عديّ : وجّه رسول الله ﷺ أسامة بن زيد إلى بني غَطَفَان فسَبى مسلمَ بن عُقْبة المُرّي فيمن سَبَى ، فاشترت مسلماً امرأة من الأنصار وأعتقته ، فلما كان يوم الحَرّةبعث الأنصار إلى مسلم احفَظْ بلاءَنا عندك فقال : ما أَحْفَظَني ولكنّكم قتلتم عثمان .

قالوا : ثم شخص مسلم بالجيش بعد أخذه البيعة على ما أراد وبعد

إنهابه المدينة وتفتيشه النساء وهو يريد عبدالله بن الزبير بمكة كما أمره يزيد ، وخلّف على المدينة رَوْح بن زِنباع الجُذامي ـ فلما صار إلى المُشَلَّل ـ ويقال عقبة هَرْشَى ـ اعتلّ علّة شديدة وكانت به دُبَيْلة أو علّة غيرها ، فلما حضره الموت قال : أَسندوني فأسندوه ، فرفع يديه ثم قال : اللهمّ إنّك تعلم إنّي لم أغُشّ خليفةً قطّ في سرّ ولا علانية ، وأنّ أزْكى عملٍ عملتُه قطّ في نفسي بعد شهادة أنّ لا اله الاّ الله قتلي أهل الحَرّة ، ولئن دخلتُ النار بعد قتلهم إنّي لشَقيّ ، ثم قال لحُصين بن نُمير بن ناتل بن لبيد بن جِعْثِنة السَكوني : يا بنَ برْذَعة الحمار لولا عَهْد أمير المؤمنين اليّ في توليتك أمرَ هذا الجيش إن حَدَث بي حدثٌ لوليّت حُبَيْش بن دُلْجة ، فإذا قدمتَ مكة فناجز عدوَّك ، وإيّاك أن تمكّن قريشا من أذنيك ، فإنّهم قوم خُدُع ، وإذا لقيت عدوّك فالوِقافَ ثم الثقافَ ثم الانصراف ، ثم أَعْلَمَ الناس بأنّ واليهم الحُصين .

وقال المدائني عن عَوانة ويزيد بن عِياض قالا : قال مسلم لحُصين : إنّ أمير المؤمنين أمرني أن أولّيك أمر هذا الجيش وأكره خلافه عند الموت ، ولولا ذلك كان الوالي حُبَيْشُ بن دُلْجة فإنّه أولى بذلك منك ؛ ثم مات فدُفن على ظَهْر المُشَلَّل ، وسار حُصين بالجيش إلى مكة .

المدائني عن ابن جُعْدُبة : أنّ يزيد أَصحب مسلم بن عُقبة طبيباً فقال للطبيب : إليك عنّي إنّما كنتُ أحبّ أن أبقى حتى أشتفي من قَتَلَة عثمان ، وقد أدركتُ ما أردتُ ، فما شيء أحبّ إليّ من أن أموت على طهارتي قبل أن أُحدِث حدثا فإنّ الله قد طهّرني بقتل هؤلاء الأرجاس .

قالوا : وأقبلت أمّ ولد ليزيد بن عبدالله بن زَمْعة وكانت بُخاريّة في غِلْمة لها ، فلما انتهت إلى قبر مسلم قالت بالفارسيّة : يامُسرف خرّبتَ

البيوت وأحرقت القلوب ، ثم نبشْته وصلبته على نخلة ـ ويقال على جِذْع ـ ثم أحرقته . ويقال : إنَّ امرأة من قريش قَتَل ابنَيْن لها نبشته وأحرقته ، والأوَّل اثبت .

ويقال إنّ مسلم بن عُقبة قال للحُصين : احفظ عنّي ما أقول لك ، لا تطلبنّ المقام بمكة فإنّها أرضٌ مُحْتَدِمَة الحَرّ لا تصلح الدواب بها ، ولا تمنع أهل الشام الحملة ، ولا تمكّن قريشاً من أذنيك فإنّهم قوم خُدُع ، وعليك بالوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ، ولئن دخلتُ النار بعد قتلي أهل الحَرّة إنّي لشقيّ .

وقال الواقدي : كانت وقعة الحَرّة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وستّين ، وكان مسير مسلم من المدينة للنصف من المحرّم سنة أربع وستّين ، ومات لسبع بقين من المحرّم سنة أربع وستّين ، وقال غيره : كان يوم الحَرّة يوم الأربعاء .

وكان ممن قتل بالحرة من الأشراف :

الفضل بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المُطلب ، اسماعيل بن خالد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط ، يحيى بن نافع بن عُجَيْر بن عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب بن عبد مَناف ، عُبيدالله بن عُتبة بن غَزْوان من بني مازن بن منصور ، المغيرة بن عبدالله بن السائب بن أبي حُبَيْش بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ ، عِياض بن حُمير بن عوف الزُهْري ، في خلق من قريش والأنصار .

وقال أبو مخنف : قُتل بالحَرّة من وجوه قريش سبعمائة رجل وكَسْرٌ

سوى مَن قُتل من الأنصار[١] ، فقال محمد بن أَسْلَم بن بَجْرَة الساعدي :

إنْ يَقْتُلونا يَوْمَ حَرَّةِ واقِمٍ فنحن على الإِسْلام أَوَّلُ مَنْ قَتَلْ
ونحن قَتَلْنـاكُمْ بِبَـدْرٍ أَذِلَّـةً وأُبْنا بأَسْيافٍ لنا منكُمُ نَفَلْ
فإنْ يَنْجُ منها عَائِذُ البيتِ سالِماً فما نالنا مِنْهُمْ وإنْ شَفَّنا جَلَلْ

وقال الهيثم بن عديّ : قُتل يوم الحَرَّة من أخلاط الناس نحو من ستّة آلاف وخمسمائة وذلك في سنة اثنتين وستّين .

قالوا : وقال يزيد بن معاوية حين بلغه خبر وقعة الحَرَّة :

لَيْتَ أَشْياخي بِبَدْرٍ شَهِـدوا جَزَعَ الخَزَرَجِ من وَقْعِ الأَسَلْ[٢]

وذكر القصيدة كاملة .

وحدثني أبو خيثمة زهير بن حرب وخلف بن سالم وأحمد بن إبراهيم الدورقي قالوا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن ابن جُعْدُبة عن صالح بن كَيْسان قال : لما أقبل مسرف بن عُقْبة من الشام مرّ بأسفل المدينة فقال : أنزلوني منزلاً إذا حارَبْتُ القومَ استدبرتْني الشمس واستقبلتْهم ، فنزل بِحَرَّةِ واقِم شرقيَّ المدينة ، وكان الذي يُقيم أمر أهل المدينة عبدالله بن مُطيع العَدوي وعبدالله بن الغَسيل الأنصاري ، وذلك قبل أن يستجمع أمر ابن الزبير ، فالتقوا بَحَرّة واقِمٍ بعد صلاة الصبح ، فلم ينشب أهل المدينة أن انهزموا ، وأُخرج جميع أهل المدينة حتى أربعمائة رجل من أهل البَحْرَيْنِ من أهل دارِينَ كانوا عَطّارين فقالوا : ما لنا وهذا إنّما نحن تُجّار ، فأبوا

١ ـ في تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيقي ـ ط . دمشق ١٩٦٧ ج ١ ص ٢٩٣ ـ ٣١٤ ، ثبت كامل بأسماء من قتل بالحرة من الأعيان .
٢ ـ شعر عبدالله بن الزبعرى ـ ط . بيروت ١٩٨١ ص ٤٠ ـ ٤٣ .

إلّا إخراجَهم ، وعقدوا لهم لواء ، فكانوا أوّلَ من انهزم بالناس ، وكانوا عمدوا إلى لوائهم فجعلوا حوله الحجارة وعمدوه بها حتى تماسك ، ثم انصرفوا فجعل أهل البصائر يرون لواءهم منصوباً فيقاتلون عنده حتى كاد أهل الشام يفنون فكان مسرف يقول : ويلكم لِمَنْ هذا اللواء ؟ فيقال للداريّين العَطّارين ، فيقول : ما لي وللعطّارين ؛ فلما فرغ مسرف من أمر أهل الحَرّة ذكر أمرهم في كتابه إلى يزيد ، فكتب يزيد إلى عامله بالبحرين ، فأُغْرم أهل دارِينَ أربعمائة ألف درهم ؛ قال : وقُتل يومئذ ابن حنظلة الغسيل ، ومحمد بن عمرو بن حَزْم وعبدالله بن أبي عمرو بن حفص المَخزومي ، وعُبيدالله ، وسليمان ابنا عاصم بن عمر بن الخطّاب . وأباح مسرف المدينة ثلاثة أيّام حتى كانوا ينقضون صُوف الفُرُش ويأخذونها ، وشخص عن المدينة وبه السِلّ فمات ، ودُفن بالمُشَلّل ، واستخلف على عسكره حُصين بن نُمير .

حدثنا خلف وأحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير عن جُوَيْرية عن أشياخ أهل المدينة أنّ معاوية قال ليزيد ابنه : إنّ لك من أهل المدينة يوماً فإن فعلوها فارمِهم بمسلم بن عُقبة فإنّه رجل قد عَرَفْنا نصيحته ، فلما ملك يزيد وفد إليه وفد أهل المدينة ، وكان فيهم عبدالله بن حنظلة غَسيل الملائكة ، وكان حنظلة استُشهد يوم أُحُد فغسلته الملائكة ، وكان عبدالله شريفاً عابداً ، ومعه ثمانية أولادٍ له ، فأعطاه مائة ألف وأعطى كلّ واحد من بنيه عشرة آلاف سوى كسوتهم وحُملانهم ، فلما رجع إلى المدينة سألوه عن يزيد فقال : جئتكم من عند رجل والله إنْ لو لم أَجِدْ غير بَنيّ هؤلاء لجاهدتُه بهم ، فقالوا : بلغنا أنّه أجازك وأعطاك ، فقال : ما قبلت ذلك منه إلّا لأَقْوى به

عليه ، فبايَعوه ، وبلغ ذلك يزيد فبعث إليهم مسلم بن عُقْبة ، وبعث أهلُ المدينة إلى كلّ ماءٍ بينهم وبين الشام فصُيِّرَ فيه زِقّ من قطران وغوّروه ، فتتابع المطر فلم يستقوا بدَلْوٍ حتى وردوا المدينة ، فخرج أهل المدينة بجموع كثيرة وأُهبة ، لم يُرَ مثلها ، فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، ومسلم شديد الوَجع ، فأمر بسريره وهو عليه فقُدّم حتى جُعل بين الصَفّين ، ثم أمر مُناديه فنادى : قاتلوا عنّي أَوْ فدَعُوا ، فبينا الناس في قتالهم إذ أتاهم أهل الشام من قبل بني حارثة وهم في أجدّ ما كانوا فيه من القتال وهم لا يشعرون ، وقيل انّ بني حارثة أَقحموهم فسمعوا التكبير من ورائهم فانهزم الناس ، فكان من أُصيب في الخندق أكثَر ممّن قُتل ، فدخلوا المدينة ، وكان عبدالله بن حنظلة مسنداً إلى أحد بنيه وهو مُعْيٍ[1] يغطّ نوماً فنبّهه ابنه ، فلما رأى ما صنع الناس قدّم أكبر بنيه فقُتل بين يديه ، ثم فعل ذلك بجميع بنيه واحداً بعد واحد حتى قتلوا بين يديه ، ثم كسر جَفْن سيفه وقاتل حتى قُتل ، ودخل مسرف المدينة ودعا الناس إلى البيعة على أنّهم خَوَل ليزيد يحكم بما شاء في دمائهم وأموالهم وأهليهم ، حتى أُتي بابن زَمْعة وكان صديقاً ليزيد فقال : أُبايع على أنّي ابن عمّ أمير المؤمنين يحكم في دمي ومالي ، فقدّمه فضرب عنقه .

وحدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عَديّ عن أبي زُهير عن أبي أَسماء السَكْسَكي قال : لما شارف مسلم بن عُقبة المدينة لقي طُوَيْساً المغنّي ، وهِبَة الله ، وسائِب خاثر في آخرين وهم يريدون الشخوص عن المدينة فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : نحن قوم مغنّون فإن أحببتَ غنّيناك وكنّا

١ - أي هو عيان ، لا يهتدي لوجه مراده ، عجز عنه ولم يطق إحكامه . القاموس .

بين يديك فقال : وَيْش - وهي كلمة لأهل حِمْص - أَلِلغِنَاءِ واللَّهْو جئنا ؟! اضربوا أعناقهم ، فقتلهم .

وحدثنا خلف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن أبي عقيل الدورقي قال سمعت أبا نضرة قال : دخل أبو سعيد الخُدْري يوم الحَرّة غاراً فجاء رجل من أهل الشام فدخل عليه وفي عنقه سيف ، فوضع أبو سعيد سيفه وقال أبو سعيد : بُؤْ بإثمي وإثمك وكن من أصحاب النار ، فقال : أنت أبو سعيد الخُدْري ؟ قال : نعم ، قال : استغفر لي غفر الله لك ، قال خلف قال وهب : فيقال إنّ الرجل الشامي يزيد بن شجرة الرهاوي نظر إليه فأثبته معرفةً .

وحدثنا خلف بن سالم وأحمد بن إبراهيم قالا: حدثنا وهب بن جرير عن جُوَيرية عن أشياخ أهل المدينة قالوا : لما سار مسرف بالناس نحو مكة وهو ثقيل في الموت فصدر عن الأَبْوَاءِ هلك ، فلما عرف الموتَ دعا حُصين بن نُمير الكندي فقال له : قد دعوتك وما تدري أستخلفك على جيش أم أقدّمك فأضرب عنقك ، فقال : أصلحك الله إنّما أنا سهمك فارْمِ بي حيث شئت ، فقال : إنّك أعرابيّ جِلْف جافٍ ، وإنّ هذا الحيّ من قريش قوم لم يمكّنْهم قطّ رجل من أذنيه إلّا غلبوه على رأيه ، فسِرْ بهذا الجيش فإذا لقيت القوم فلا يكوننّ إلّا الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ولا تُمكّنهم من اذنيك ، فمضى الحُصين فلم يزل محاصراً عبدالله بن الزبير وأهل مكة حتى مات يزيد ، وكان خبره قد بلغ ابن الزبير قبل أن يبلغ ابن نُمير .

حدثنا أبو خيثمة حدثنا وهب بن جرير عن جويرية عن أشياخ أهل المدينة أنّ أمّ ولد لابن زَمْعة لما بلغها موتُ مسرف خرجت في عبيد لها حتى

أتت قبره فنبشته ، فلما رفع ما على لحده إذا أسْوَدُ مثل الجَمْرة[1] قد وضع فاه على فمه ، فهابه الغلام الذي رَفع عنه ، فاحتزمت وأخذت فأساً لتضرب بها الأسْود فانساب عن مسرف فاستخرجته فألقته على شجرة ثم انصرفت .

وقال المدائني : لما توجّه مسلم يريد مكة انشد :

خُذْها إلَيْكَ أَبا خُبَيْبٍ إنَّها حَرْبٌ كناصِيَةِ الجَوادِ الأَشْقَر

وسار بين يديه عامِر الخُضَريّ من خُضر مُحارِب فقال : احْدُ بشعر نُصَيْب فإنّ فيه صفتي فقال ؛

تَرَى المُلوكَ حَوْلَهُ مُرِعْبَلَه[2] يقْتُلُ ذا الذَنْبِ ومَن لا ذَنْبَ لَهْ

فقال: أنا كذاك، وأعطاه شيئاً ضمِنه له.

وفي رواية المدائني قال: كان بمسلم النِقْرس فركب بقُدَيْد فرساً فسقط عنه فتوطّأه الفرس فثقل ومات، فقال الشاعر.

قَدْ خَرَّ مُنْجَدِلاً بِوَطأَة حافرٍ والمَـوْتُ يَغْشاهُ وَلاتَ أَوَانِ

وقال الحُصين قال مسلم حين احتُضر: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لم أشاقّ خليفة ولم أفارق جماعة، فأغْفِر لي.

---

١ ـ بالأصل : الجزيرة ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه ، فالجمرة : الظلمة الشديدة .

٢ ـ بالأصل «مزعبلة» وهو تصحيف ، والرعبلة : التقطيع والتمزيق . القاموس . هذا ولم يرد هذا البيت في ديوان نصيب بن رباح المطبوع .

حصار ابن الزبير بمكة في أيام يزيد بن معاوية وهو الحصار الأول:

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف قال: خرج مسلم بن عُقبة المُرّي بالناس إلى مكة بعد الحَرّة وخلّف على المدينة رَوْح بن زِنْباع الجُذامي، فنزل به الموت بقفا المُشَلَّل، فقال لحُصين بن نُمير: يابَرْدَعَة الحمار أما والله أن لو كان إلي ماولّيتك هذا الجند، ولكنّ أمير المؤمنين أوصاني أن أوليك إيّاه، فأسْرعْ وعَمِّ الأخبار وعجّل الوقاع، وكان موت مسلم لِسبع بقين من المحرّم، فسار حُصين فدخل مكة في آخر المحرّم سنة أربع وستّين.

وقال المدائني: نزل الموت بمسلم، فقال حين احتُضر: اللهمّ إنّك تعلم أنّي لم اشاقّ خليفة ولم أفارق جماعة ولم أَغشّ إماماً سرّاً ولاعلانية، ولم أعمل بعد الإيمان بالله ورسوله عملاً أحبّ إليّ ولاأرجى عندي من قتل أهل الحَرّة، فاغفِرْ لي ذنوبي وبارِكْ لي فيما أقدم عليه؛ ثم قال: ما أغلقت عليه فلانة امرأتي بابَها فهو لها، وداري بَحَوْران صدقةٌ على مهاجرِة بني مُرّة، ثم دعا حُصين بن نُمير، وحُبَيْش بن دُلْجة القَيْني، وعبد الله بن مَسْعدة الفَزاري فقال: إنّ أمير المؤمنين عهد إليَّ في أن أولّي أمركم حُصينَ بن نُمير وأكرهُ خلافه عند الموت، ثم قال لحُصين: إنّ حُبَيش بن دُلْجة أَوْلى بما ولّيتُك منك لكنه أَمرُ أَمير المؤمنين، فاحفظ عنّي ما أقول لك : لا تُطيلنّ المقامَ لمكة فإنّها أرضٍ

جَرَدِيَّة لا تحتمل الدوابّ ، ولا تمنَعْ أهلَ الشام من الحملة ، ولا تمكّن قريشاً من أُذنِكَ فإنّهم قومٌ خُدُع، وليكن أمرك الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف، أفهمت يا حُصين؟ قال: نعم، قال: واعلم أنّك تقدم على قوم لا منعة لهم ولا عُدّة ولا سلاح، ولهم جبال مشرفة عليهم، فانُصب عليهم المجانيق فإن عاذوا بالبيت فارْمِه فما أَقْدَرَكَ على بِنائه . وأقام حُصين بمَرّ الظَهْرانِ ثلاثة أيّام.

وقال الواقدي: دخل الحُصين مكة لثلاثٍ بقين من المحرّم سنة أربع وستّين.

قالوا: وخطب ابن الزبير الناس وحرّضهم على قتال أهل الشام، ودعاهم إلى بيعته فبايعه أهل مكة على القتال، وأتاه فلُّ أهلِ الحَرّة فصار في بشر كثير، وقدم عليه نَجْدَةُ بن عامر الحنفي في ناسٍ من الخوارج وفيهم حسّان بن بُحْدُج الحنفي ليمنعوا البيت من أهل الشام، فقال عبد الله بن الزبير لأخيه المنذر بن الزبير: مايريد هؤلاء، يعني أهلَ الشام، إلا أنا وأنت ـ قال أبو مخنف: وكان المنذر شهد الحَرّة ثم لحق بأخيه، وقال غيره: لم يشهدها ـ فناهضهم المنذر ساعةً ثم دعاه رجل من أهل الشام إلى البراز فاختلفا ضربتين فسقط المنذر والشاميّ قتيلَيْن ـ وقال بعضهم: لم يُقْتَلِ المنذرُ في هذا الحصار ولكنّه قُتل في الحصار الثاني.

وقال لي مصعب بن عبد الله الزبيري: الرُواة تُدْخِل من خبر هذا الحصار في هذا وخبر هذا في هذا ـ قال: ودعا عبد الله لنفسه واجتُمع على خلافته بعد موت يزيد وكان قبل ذلك يدعو إلى الشورى.

وقال المدائني: أقبل الحُصين فنزل مُعَسْكره من الحَجونُ إلى بِئْر مَيْمون[١] فخرج إليه عبد الله بن صفوان فوعظه حُصين وخوّفه ثِقْلَ وطأة أهل الشام، فأغلظ لحُصين فقال: إنّما أباح حرمَ الله من قاد الخيل إليه قَبْلُ. ومَيْمون هو ابن شُعبة الحَضْرمي أَبو عَمّار.

وقال أبو مخنف: جئا ابنٌ لعبد الله بن الزبير[٢] وقال لأصحابه: قاتِلوا، فقاتَلوا إلى المساء فقُتل المِسْوَر بن مَخْرَمَة، ويقال أصابه حجر فمات يوم أتاهم نعيّ يزيد وقاتل أهلُ الشام إلى أن انسلخ صَفَر، فلما مضت ثلاثة أيّام من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستّين نصبوا على البيت المجانيق فدقّوه بها، وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خَـطّارَةٌ مِثْلُ الفَنيقِ المُـزَبِدِ نَرْمي بِها عُوَاذَ هَذا المَسْجِدِ

وكان صاحب الرمي الزبير بن خُزَيْمة الخَثْعَمي من أهل فلسطين، وهو أوّل من ارتجز بهذين البيتين، قالوا: وجعلوا يقولون:

كيف ترى صَنيعَ أُمِّ فَرْوَهْ نَأْخُذُهُمْ بين الصفا والمَرْوَهْ

وحدثني مصعب بن عبد الله الزّبيري قال: كان الشاميّون يرتجزون في الحصار الثاني بمثل مايرتجزون به في الحصار الأوّل مَعَما زادوا فيه.

وقال المدائني: نصب حصين منجنيقاً في الجبل الأحمر الذي يلي دار النَدْوة؛ قال: وكان المِسْوَر قد أعان ابنَ الزبير بمواليه وسلاحٍ كثير فاقتتلوا، وكان أوّل قتالهم يوم الأَحد لثلاث عشرة ليلة خلت من صَفَر، فقُتل في أوّل يوم ثلاثةٌ من أصحاب حُصين وأربعة من أصحاب ابن الزبير؛ وكان

---

١ ـ خارج مكة االمكرمة فيه مات المنصور ودفن.

٢ ـ في تاريخ الطبري ج٥ ص٤٩٧ الذي جثا هو عبد الله بن الزبير، وهو أقوم.

المختار بن أبي عبيد الثقفي قال لابن الزبير: انهض إلى القوم، وكان قد مكث أيّاماً لايقاتل، وقال له المختار أيضاً: إنّ الله يقول ﴿وَلا تُقَاتِلُوهمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَام حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهم﴾[1] فنهض ابن الزبير ومعه عُمير بن ضُبَيْعة في سبعين من الخوارج فقيل له أتقاتل بهذه المارقة؟فقال: لو أعانتني الشياطين على أهل الشام لقاتلتهم بهم؛ وقال: ما أبالي إذا قاتل معي المختارُ مَن لقيتُ فإني لم أر أشجعَ منه قطّ؛ وأبلى غلام لابن الزبير يقال له سُلَيْم أو سُليمان فأعتقه؛ وقال بعض الشعراء:

وشَدَّ أَبو بَكْرٍ لَدَى البابِ شَدَّةً ... أَبَتْ لِحُصَينْ أَنْ يُحَيَّا ويُكْرَما
هُنالِكَ لا أَخْشَى حُصَينْ بن نَاتِلٍ ... ولا جِلْدَ أير العَيْرِ نُعْمانَ خَثْعَما[2]

ونُعْمان قائد من قُوَاد أهل الشام.

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش والمُجالد عن الشَعْبي قال: نصب ابنُ نُميرٍ المنجنيقَ على الكعبة فارتفعت سحابة فاستدارت على أبي قُبَيْس ثم رعدتْ وأصعقت فأحرقت المنجنيق ومَن تحتها فلم يعيدوا الرمي، فقال أَعْشَى همدان:

ورَمَى البَيْتَ بِالحِجارَةِ حَتَّى ... أَحْرَقَ الله مَنْجَنيقَ الزُبَيْر[3]

يعني الزُبير بن خزيمة الخَثْعَمي وكان صاحب الرمي مع حُصين بن نُمير، وكان ابن الزبير يَهْزِمهم فيتبعهم وحده وهو يقول:

إنّــا إذا عَضَّ الــثِـقــا ... فُ بِـرَاسِ صَعْدَتِنا أَبَيْنا

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية: ١٩١ .
٢ ـ البيتان للشاعر ذو العنق الجذامي، واسمه الملوح بن أبي عامر. معجم الشعراء للمرزباني ـ ط. دمشق، دار النوري ص٤٤٨ . وانظر أيضاً تاج العروس للزبيدي ج٧ ص٢٦ .
٣ ـ ليس في ديوانه المطبوع.

فقيل لابن نُمير: أَلا ترى أنّ رجلًا واحداً يتبعنا على رجلَيْه فلا يعطف عليه أحد، فقال:

كُلُّ امْرِىءٍ يُحاذِرُ البَلِيَّهْ يَخافُ أنْ تُدْرِكَهُ المَنِيَّهْ

من يتعرّض لأسدٍ يحامي بجدّ وشجاعة عن مُلك يحاوله؟ وأرسل ابن الزبير إلى حُصين يدعوه إلى مبارزته، فقال: والله ما بي جُبن، ولكنّي أخاف أن أفعل فإن قتلَتني كنتُ قد ضيَّعتُ أصحابي، وإن قتلتُك فأنا على خطأ في التدبير وإضاعة للحزم. وقال المختار: يا بني الكرّارين ياحُماة الحقائق قاتلوا، فقُتل من أهل الشام بشر كثير، فقال بعض الشعراء:

لَقَدْ ضَرَبَ المُخْتارُ ضَرْبَةَ حازِمٍ أَزالَتْ يَزيدَ عن حشاياهُ ضارِطا

وَقَتل مصعَبُ بن عبد الرحمن بن عوف عدّة، وأجهزت عليهم امرأة من الخوارج يقال لها سَلْمَى، فقال رجل من الشاميّين:

إنّيَ لم أَنْسَ إلا رَيْثَ أَذْكُرُهُ أَيّامَ تَطْرُدُنا سلمى وتَنْفِينا

وحَكَّم ابنُ بُحْدُج فقتلوا جماعة من أهل الشام فقال رجل من قُضاعةً:

يا صاحِبَيَّ ارْتَحِلا وامَّلسا لا تَحْبسا لَدَى حُصَيْنٍ مَحْبَسا
إنَّ لَدَى الأَرْكانِ بَأْساً أَبأَسا وبارِقاتٍ يَخْتَلِسْنَ الأنْفُسا
إنَّ الفَتَى حَكَّمَ ثُمَّ كبَّسا

وجُرح عبد الله بن مَسْعَدة الفَزاري فلم يقاتل حتى جاءت وفاة يزيد، وكان الذي جرحه مصعب بن عبد الرحمن.

المدائني قال، قال عبد الله في بَعض أيّامه للمنذر: احمل عليهم، فقال: إنّي عليك لَهيّنٌ، تعرِضني لأنباط الشام، فحمل وهو على بغلة له وَرْدٍ فنفرت من قعقعة السلاح وَتوقّلت في الجبل، فقال عبد الله: انْجُ أبا عثمان،

ولحقه أهل الشام فقتلوه، فقال ابن مُفَرِّغ:

لابْنُ الزُبيْر غَداة يأمر مُنْذِراً أَوْلَى بغايَةِ كُلِّ يَوْمِ دِفاعِ
وأَحقُّ بِالصَبْرِ الجَميلِ مِن امْرِيءٍ كَـزٍ أَنامِلُهُ قَصيرِ البـاعِ[1]

وقال المدائني: قُتل المنذر بن الزبير، وأبو بكر بن الزبير، وحُذافة بن عبد الرحمن بن العوّام، والمِقْداد بن الأسود بن العوّام، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف بعد أن قَتل خمسة من أهل الشام وانحنى سيفه فقال:

سَنورِدُ بيضاً ثُمَّ نُعْقِبُ حُمْرَةً وفيها انْحِناءٌ بَيِّنٌ بَعْدَ تَقْويمِ

وقاتل مصعب بن عبد الرحمن يوماً حتى يَبِست يده، فدعا ابنُ الزبير بشاة فحُلبت على يده حتى لانت. وقال ابن الزبير: ماكنت أُبالي إذا كان المختار معي مَن فارَقَني، فما رأيت قطّ أشدّ قتالاً منه.

قالوا: ووضع أهل مكة مجانيقَ أو خشباً حول الكعبة وجلّلوها بالجلود لتَرُدّ عن الكعبة.

وقال المدائني عن ابن أبي الزِناد عن هشام بن عروة: أرسل النجاشي جماعةً من الحبش للدَّفْعِ عن الكعبة وأعان ابنَ الزبير بهم، فضمّهم إلى أخيه مصعب بن الزبير فكانوا يقاتلون معه، فانكشفوا ذات يوم فاعتذروا وقالوا: نحن أصحاب مزاريق نرمي بها مَن انكشف.

وقال ابو مخنف في روايته: مكث أهلُ الشام يقاتلون ابن الزبير حتى إذا مضى من شهر ربيع الأوّل أربعةَ عشر يوماً مات يزيد، فمكثوا أربعين يوماً لايعلمون بموته، وبلغ ابنَ الزبير موتُه قبل أن يبلغَ الحُصين، وقد ضيّقوا على ابن الزبير مكةَ وحصروه حصاراً شديداً، فقال: ياأهل الشام لماذا تقاتلون

١ - ليسا في ديوانه المطبوع.

وقد هلك طاغِيتكم؟ فجعلوا لايصدّقون حتى قدم عليهم ثابت بن المُنْقَع النَخَعي ـ واسم المُنْقَع قيس ـ وهو من أهل الكوفة وكان صديقاً للحُصين، فأخبره بهلاك يزيد.

وقال المدائني: مات يزيد للنصف من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستّين، فبلغ أهلَ المدينة ذلك ولم يأتهم من يقوم بالأمر، فمنعوا عاملَ المدينة الصلاة وتراضوا بسَعْد القَرَظِ فصلّى بالناس، وكان مؤذّنهم؛ وجاء الخبر أهلَ مكة فخافهم حُصين فاستأمنهم وقال: يامعاشر قريش أنتم ولاة الأمر، وإنّما قاتلناكم في طاعة رجل منكم قد هلك، فأذَنوا لنا في الطواف، فقال عبد الله بن صفوان: لايحلّ لنا أن نمنعهم، وبعث إلى المِسْوَر يشاوره فوجده ثقيلاً، فقال: أرى أن تأذَن لهم وإن لم يكونوا لذلك أهلاً لقول الله عزّ وجلّ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجد الله أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[1]

وأُغميَ عليه، ووادعهم ابن الزبير ومنعهم من الطواف ثم أذن لهم فيه.

وقال عوانة: لما أذن ابن الزبير للحُصين وأصحابه في الطواف أراد الخوارج منعهم، ثم قالوا: ندَعهم يطوفون ويذهبون إلى لعنة الله فلن يزيدهم الله بطوافهم إلا شرّاً.

قالوا: وبعث الحُصين إلى عبد الله بن الزبير حين مات يزيد وبلغه موتُ معاويةَ ابنه فواعده بالأبْطَح ليلاً، فلما اجتمعا قال له الحُصين: إنّك أحقُّ الناس بهذا الأمر اليوم، فهَلُمَّ فلنبايعك ثم اخرج معنا إلى الشام فإنّي من أهله بمكانٍ قد علمتَه والجند الذين معي أشراف أهل الشام ووجوههم

١ ـ سورة البقرة ـ الآية: ١١٤ .

وفرسانُهم، فليس يختلف عليك منهم اثنان، والشام معدن الخلافة اليوم إذ نقله الله إليها؛ وجعل الحُصين يقول له هذا القولَ سِرّاً وابنُ الزبير يرفع صوته بإبائِه، فقال: لله أبوك ماعَرَف مَن نَسَبَكَ إلى الدّهاء، أنا أكلّمك بمثل هذا سرّا وتجيبني عليه علانيةً.

قالوا : وكان ابن الزبير يقول لأصحابه صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم .

قال المدائني : وكان عُبيد بن عُمير الليثي يُقصّ أيّام الموادعة فيقول له أهل الشام : أيّها الرجل الصالح آرجع إلى ما كنتَ فيه ، ولا تَنَقَّصْ خليفة الله في أرضه فإنّه أعظم حُرْمةً من البيت .

قال المدائني : وانصرف نافع بن الأزرق وقوم من الخوارج فالتقطهم عُبيدالله بن زياد فحبسهم مع من كان في حبسه من الخوارج .

قال المدائني : دعا حُصين عبدَالله بن عمر إلى مثل ما دعا إليه ابن الزبير فأباه وقال : لستُ من هذا الأمر في شيء .

قالوا : وحمل بعض أصحاب ابن الزبير ناراً فأطارتها الريح فاحترق ما جُعل حول الكعبة ليقيها ، واحترقت استارها وتصدَّعت فبناها بعد ، وقال الشاعر :

أَبْلِغْ أَميرَ المُؤْمِنينَ مَنْ كانْ ابنُ الزُبَيْرِ عـائِذٌ بـالأَرْكانْ

وقال ابن قيس الرُقَيّات :

ليس لله حُرْمَةٌ مِثْـلُ بَيْتٍ نحن جـيرانُـهُ عليـهِ المُـلاءُ
خَصَّـهُ الله بِالكَـرامَةِ فَـالبا دونَ والعـاكِفونَ فيـه سَواءُ
حَـرَّقتْهُ رِجـالُ كَلْبٍ وعَكٌّ حـينَ جاءُوا وحِمْـيرُ وصُداءُ

فَبْنَيَناهُ بعدما حَرَّقوهُ فاستوى السَّمكُ واسْتَقَلَّ البِناءُ[1]

وقال بعضهم :

ابْنُ الزُبير بِئْسَ ما تَوَلَّى إِذْ حَرَّقَ المَقامَ والمُصلَّى
قِبْلَةَ مَنْ حَجَّ مَعاً وَلَبَّى

وقال رجل من بني تميم :

أقولُ لأَهْلِ الله لَمّا أتاهُمُ مُحرِّقُ بَيتِ الله هيجوا البَواكِيا
جَزى الله أَهلَ الشأم فيهِ مَلامَة وأَصلاهُمُ جَمْراً مِنَ النارِ حامِيا

وقال عمرو بن الوليد بن أبي مُعَيْط :

جَلَبْنا لَكمْ من غوطَةِ الشأم خَيْلَنا إلى أَرض بَيْتِ الله يا بُعْدَ مَجْلَبِ
تَلوذُ قُريشٌ كُلُّها بِلِوائِهِ لأَمْحَضَ منها في قُريشٍ وأَطيبِ

وقال أبو حرّة مولى خُزاعة :

يا ربِّ إنَّ جُنودَ الشام قد كثروا وهَتَّكوا من حِجابِ البيتِ أَسْتارا
يا رَبِّ إنّي ضعيفُ الرُكْنِ مُضطَهدٌ فآبْعثْ إليَّ جُنوداً منكَ أَنصارا

وقال أَعْشى همدان :

ورَمى البيتَ بالحِجارَةِ حَتّى أَحْرَقَ الله منجنيقَ الزبير

يعني الزبير بن خزيمة الخثعمي وكان رمى البيت فأحرقت الصاعقة منجنيقه .

وحدثني المدائني عن مَسْلمة بن عَلْقَمة عن خالد عن أبي قِلابة أنّ معاوية قال لعبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم : إنّ الشُحَّ والحِرصْ لَنْ يَدَعاك حتى يُدْخلاك مُدخلاً ضيّقاً ، فوددتُ أنّي حينئذ عندك فأستنقذك ،

١ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ـ ط . دار صادر بيروت ص ٩٥ ، مع فوارق .

فلما حُصر ابن الزبير قال : هذا ما قال لي معاوية ، ودِدتُ أنّه كان حيّاً .

وقال الواقدي : كان أصحاب ابن الزبير فيما حول المسجد إلى المروة ، وإلى ماوراء ذلك ، ونزل الحُصين بالحَجُون إلى بِئر مَيْمون ، وصيّر عسكره هناك ، ونصب منجنيقاً فرمى بها فرُميت بصاعقة فأحرقتها ومن كان فيها ، فكفّ الحُصين عن الرمي .

قال : ولما قدم الحُصين مكة أمسك عن القتال حتى وقف عند دار عمر بن عبد العزيز فقال لأصحاب ابن الزبير : لو أنّ صاحبكم أبرَّ قَسم أمير المؤمنين لوجد عنده ما يحب من البّر والصلة ولردّه والياً على الحجاز ، فجعلوا يقولون : نحنَ عُواذ بالبيت وابن الزبير أحدنا إلاّ أنّه يصلّي بنا ، وكان ابن الزبير قد رتّب أصحابه في مواضع ، ومعه قوم من الخوارج أنكروا غَزْوا البيت وانتدبوا للذبّ عنه ، فهم في حَيِّز ابن الزبير ، فكانت كلّ مَسلحَة تذبّ الحُصين عن ناحيتها ، ثم إنّهم اقتتلوا يوم أحد وتراموا بالنبل وتشاولوا بالرماح في الليل ، ثم رجعوا إلى معسكرهم وقد قُتل من الشاميّين ثلاثة نفر وجُرح من أصحاب ابن الزبير عدّة وقُتل أربعة نفر ، فمكثوا على ذلك أيّاماً ؛ وأخرج المِسَوْر بن مَخْرمة سلاحاً فرّقه على مواليه وكان متسلّحاً يقف عند الحَذّائين، ويخرج ابن الزبير، وجُبير بن شَيْبَة، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، وعُبيد بن عُمير فيجتمعون إلى المِسْوَر فكانوا يردّون الشاميّين إلى الأَبْطَح ، وجاءهم نعيّ يزيد فكان القتال أربعة وستّين يوماً ، وكانت وفاة يزيد لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل ووصول الخبر إلى مكة في ستّة عشر يوماً ؛ وكان أهل الشام يشتمون ابن الزبير فيقولون : يا بن ذات النطاقَيْن ، فيقول :

وعَيَّرَها الواشونَ أَنّي أُحِبُّها وتِلْكَ شَكاةٌ ظاهِرٌ عَنْكَ عارُها

وشتموه أيضاً في الحصار الثاني فتمثّل بهذا البيت .

وقال الواقدي : لما جاء نعيّ يزيد أرسل الحُصين الى ابن الزبير والمِسور وأصحابهما يسألهم فتحَ أبوابِ المسجد ليطوفوا بالبيت ثم ينصرفوا إلى الشام ، فأبى ذلك ابن الزبير ثم اجابهم فطافوا وانصرفوا . وقال الحُصين لابن الزبير : صِرْ معي إلى الشام حتى أدعو لك ، فقد مَرِجَ أمْرُ الناسِ وما أجد أحقَّ بالأمر منك ، فقال ابن الزبير رافعاً صوته : أمّا دون أن أَقْتلَ بكلِّ رجل من أهل الحَرّة عشرة من أهل الشام فلا ، فقال حُصين : يزعم هذا أنّه داهية أكلّمه سرّاً ويكلّمني علانية، وأدعوه إلى الخلافة ويتوعدني بالقتل ، فسيعلم ، ثم انصرف وأصحابه إلى الشام ، فلما صار بالمدينة بلغه أنّ أهلها يريدون محاربته ، فقام رَوْح بن زِنْباع على منبرها فقال : يا أهلَ المدينة ما هذا الذي بلغنا عنكم ؛ فاعتذَروا وكذّبوا عن أنفسهم ، ومضى الحُصين ومن معه إلى الشام[1] .

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

احتراق الكعبة وبناؤها

قال الواقدي : وصدع حجر المنجنيق الحجرَ الأسودَ فضبَّبه ابن الزبير بفضة .

قال : **واحترقت الكعبة** قبل أن يأتيَ خبرُ موتِ يزيدَ بسبعة وعشرين يوماً وكان إحراقها بعد الصاعقة التي أصابت المنجنيق ، وكان سبب احتراقها أنّ رجلاً من أصحاب ابن الزبير يقال له مُسلم أخذ ناراً في ليفة على رأس رمح في يوم ريح فطارت شرَرَة فتعلّقت بأستار الكعبة فأحرقتها ، وكانت لهم حول الكعبة بيوت من خَصَف ودُفوف .

قال : ويقال انّ جُرَذاً جَرّ فتيلة فيها نار فسقطت في متاع بعض مَن حول الكعبة فاحترق ، وهاجت ريح حملت الشرر إلى الأستار .

قال : فلما ارتحل ابن نُمير هدم ابنُ الزبير ما حول الكعبة حتى بدت وأمر بالمسجد فكُنس ممّا فيه من الحجارة ، وإذا الكعبة ترتجّ وإذا الركن قد أسودّ من النار ، فشاور في هدمها ، فأشار عليه جابر بن عبدالله الأنصاري وعبدالله بن عُمر بهدمها ، وكره ذلك ابن عبّاس وقال : أخاف أن يأتيَ مَن

بَعدك فيهدمها ، فجمع ابن الزبير الفَعَلة فهدمها إلى الأرض ثم بناها ، وقال ابن عبّاس : مازلنا نعلم أنّ الحِجْر من البيت ، فبُنيت وأُدخل الحِجر فيها ، وجَعلَ لها بابين بالأرض ، باباً يُدخل منه وباباً يُخرج منه ، وجعل الحَجَر الأسود في سَرَقة حرير في تابوت ، وجعل ما كان في البيت من شيء في تابوت ، وكان الناس يطوفون من وراء أساس البيت ويصلّون إلى اساسه حتى بُني ، ثم ستر الركنَ بثوب وردّ الحَجَر ووضعه هو وولده فغضب الحَجَبة من ذلك ؛ ويقال انّه تولّى وضعه هو وولده حمزة وقوم من الحَجَبة . وكان ابن الزبير روى عن عائشة عن النبيّ ﷺ أنّه قال : «لولا حَداثة عهْد قومِكِ بالشِرك لأعدتُ فيها ما تُرك منها»[1] فعمل ابن الزبير على ذلك ، فلما فرغ من بنائها ردّ إليها جميع ما كان فيها وسترها بالديباج ، فلما هدمها الحجّاج ردّها إلى ما كانت عليه حين هدمها ابن الزبير وأخرج الحِجْرَ منها ورفع بابها .

وقال بعضهم : بعث ابن الزبير إلى اليمن في حَمْل الوَرْس إليه ليجعله كالقَصّة[2] يُمْسك مَدَرها ، فقيل له انّه لا يثبت فبناها بالقَصّة .

وقال عبد الملك : لو بلغني حديثُ عائشة قبل بناء الحجّاج إيّاها لأمرته أن يبنيها على بناء ابن الزبير ولولّيته ما تولّى .

وقال الواقدي : أصابت المِسْور شَظيّةٌ من حجر في وجنته فتوفّي منها يوم جاء نعيّ يزيد في آخر النهار ، ومات مصعب بن عبد الرحمن في حصار ابن نُمير ، ويقال بل قُتل . قال : فلما مضى هذان الرجلان وكان الأمر بينهما وبين ابن الزبير شورى وشخص ابن نُمير ، بويع ابن الزبير بالخلافة بمكة ،

١ ـ انظره في كنز العمال الحديث ٣٨٠٧٥ .

٢ ـ القصة : الجصة . القاموس .

وكان عبدالله بن صفوان أسرعَ الناس إلى بيعته ، ثم عُبيد بن عُمير ، وعبدالله بن مُطيع العَدَوي ، والحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة ؛ فولّى المدينة فيما يقول بعضهم المنذرَ بن الزبير ـ ويقال ولاّها غيرَ المنذر لأنّ المنذر قُتل في هذا الحصار ـ وولّى الكوفة ابن مُطيع وولّى البصرة الحارث بن عبدالله المخزومي وولّى الشام الضحّاك بن قيس الفِهْري وكان مائلاً إليه .

حدثني بسّام الحمّال عن حمّاد بن سَلَمة عن عليّ بن زيد عن الحسن قال : كتب الضحّاك بن قيس حين مات يزيد بن معاوية إلى قيس بن الهَيثم : إنّ يزيد قد مات وأنتم إخوانُنا وأشقّاؤنا فلا تسبقونا بشيء حتى نختار لأنفسنا ، قال حمّاد : فاختار ابنَ الزبير ؛ قال : وولّى مِصْر ابن جَحْدم وفرّق عُمّاله .

وقال الواقدي : وكان ممّن قُتل في هذا الحصار ـ ويقال في الثاني ـ المنذر بن الزبير ، وأبو بكر بن المنذر بن الزبير ، والزبير بن المنذر ، وحُذافة بن عبد الرحمن بن العوّام ، والزبير بن المِقْداد بن الأسود بن العوّام ، وعامر بن عُروة بن الزبير ، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف ـ ويقال مات حَتْفَ أنِفه في أيّام هذا الحصار ـ وزيد بن عبد الرحمن بن عوف ، والمِسْوَر ، أصابه حجر مات منه ، وأبو عمرو بن عبدالله بن أُبيّ بن خَلَف الجُمَحي .

وقال المدائني : أرسل ابن نُمير إلى ابن الزبير يستأذنه في الطواف زُفَر بن الحارث الكِلابي وابن مَسْعدة الفَزاري .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن جُويرية بن أسماء قال: حدثني بُرد مولى آل الزبير أنّ حُصيناً بعث إلى ابن

الزبير إني أُحبّ لقاءك ؟ قال : فموعدك بعد العَتَمة بأعلى مكة ، فخرج ابن الزبير بعد أن صلّى بالناس إلى المكان الذي وعده فيه وليس عليه سلاح ، وأقبل ابن نُمير وعليه الدرع والسيف وقد لبس مِمْطَراً ، فلما أراد الجلوس بدت نعل السيف ، فقال له ابن الزبير : أَغَدْراً يا بن نُمير؟ قال : لا ولكنّي خفتُ أصحابك ، ثم قال له : أبايعك غداً بين الركن والمقام أنا وجميع أصحابي على أن تنتقل إلى الشام فتسكنها ونقاتل عنك الناس ما بَقيتْ أرواحنا ، فقال : إنّ لي أُمراء لستُ أقطع أمراً دونهم ، فأناظرهم ثم يأتيك رأيي ، فرجع فأخبر ابن صفوان وذويه فقالوا : أَتخرج من بلدٍ نصرك الله به وتفارق حرم الله وأمَنه وتستعين بقوم رموا بيتَ الله لا خَلاقَ لهم ؟! فأرسل إلى الحُصين : إنّ أصحابي قد أبوا أن يتحوّلوا إلى الشام ، قال : فهل أنت مؤمّني وأصحابي حتى نطوفَ بالبيت ثم ننصرف عنك ؟ فآمنهم فطافوا ثم انصرفوا .

وحدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة حدثنا وهب بن جرير حدثنا جويرية عن نافع انّ ابن الزبير لم يُدْع له بالخلافة حتى مات يزيد ، وقال نافع : كنت تحت منبره يوم دعا إلى نفسه ، وكان قبل ذلك يدعو إلى الشورى .

وقال المدائني : جرح عبدالله بن مَسْعدة الفزاري فلم يقاتل حتى انفضّ أمرهم ، وكان الذي جرحه مصعب بن عبد الرحمن ، وقاتل مصعب بن عبد الرحمن يوماً حتى يَبِست يده فدعا ابن الزبير بشاة فحلبها عليها حتى لانت ؛ وأرسل النجاشي إلى ابن الزبير مائَتي رجلٍ فضمّهم إلى أخيه مصعب ، فكانوا يقاتلون معه في ناحية .

قال جويرية وحدثني غير نافع أنّ ابا حُرّة مولى أَسْلَم ، كان شاعراً

شجاعاً فقال : يا بن الزبير ما أرانا سفكنا الدماء وقاتلنا الناس إلّا لتملك ، وأنشأ يقول :

إنَّ المَوالِيَ أمْسَتْ وَهْيَ عاتِبَةٌ على الخَليفَةِ تَشْكو الجوعَ والحَرَبا
ماذا علَيْنا وماذا كانَ يَرْزَؤنا أيُّ المُلوكِ على ما حَوْلَنا غَلَبا

وقال أيضاً :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقَيْتَ أَنكَ عائِذٌ وتُكْثِرُ قَتلاً بينَ زَمزمَ والرُّكْنِ

قال جويرية : كان الخوارج يقاتلون مع ابن الزبير نصرةً للبيت وذباً عنه إذْ تعوّذ به ، فلما رماه أهلُ الشام ازدادوا عليهم حَنقاً ، قال : وقاتل المختار مع ابن الزبير ثم انصرف عنه فأتى العراق .

المدائني عن أشياخه قالوا : لما دعا ابن الزبير إلى نفسه بايعوه على كتاب الله وسنّة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، فبايعهُ عبيد الله بن عليّ بن أبي طالب وقبض ابن مُطيع يده ، وقام مصعب فبايع فقال الناس : بايع مصعب ولم يبايع ابن مطيع ، أمْرٌ فيه صُعوبة والتياث طاعة ؛ وبايعه عبدالله بن جعفر ، وأراد ابنَ الحنفّية على البيعة فلم يبايع ، وأبى ابنُ عمر أن يبايع وقال : لا أُعطي صفقة يميني في فُرقة ولا أَمنعها في جماعة وأُلفة ، فقال له : آلزم المدينة ، قال أبو حُرّة مولى خزاعة : ألا صبرت حتى نختارك فنبايعك ؟

وقال :

أَبْلِغ أُميّة عنّي إنْ عَرضْتَ لها وابنَ الزُّبَيْر وأَبلغ ذلك العَرَبا
أَنَّ المَواليَ أَضْحَت وَهْيَ عاتِبَةٌ على الخَليفَةِ تَشْكو الجوعَ والحَرَبَا
إخوانُكُم إن بَلاءٌ حلَّ ساحَتَكُمْ ولا تَرَوْن لنا في غَيْرِهِ سبَبَا
نُعاهِدُ الله عَهْداً لا نَخيسُ بِهِ لن نقبلَ الدهرَ شورى بعْدَ مَنْ ذَهَبا

وأتت ابنَ الزبير بيعةُ أهل الآفاق : أتته بيعة أهل الشام ما خلا الأُردنّ ، ودعا له النُعْمان بن بشير بحمص ، وزُفَر بن الحارث الكِلابي بقنّسرين ، والضحّاك بن قيس الفِهْري بدمشق ، ودعا بالكوفة أهلها وتراضوا بعامر بن اسماعيل الجُمحي[1] ، ودعا له بالبصرة سَلَمة بن ذؤيب الرياحي وأخرجوا عبيد الله بن زياد ، ودعا له بخراسان عبدالله بن خازم السُلَمي ، وباليمن بَحير بن رَيْسان وكان قبلُ عاملاً ليزيد بن معاوية ، وولّى ابن الزبير المدينةَ جابر بن الأسود بن عوف الزُهْري .

المدائني قال : ولّى ابن الزبير المدينة رجلاً يكنى أبا قيس أو ولّاه بعض أعمالها فأساء السيرة فقال الناس : قد كان ليزيد بن معاوية أبو قيس لا يضرّ ولا ينفع ، ولابن الزبير أبو قيس يضرّ و[لا] ينفع .

وقال ابن الكلبي : ولّى ابن الزبير المدينة جابر بن الأسود بن عوف فقدم حُبَيش بن دُلْجة من الشام فخرج جابر عنها إلى مكة ، فبعث ابن الزبير مكانه عبيدة بن الزبير حين خرج حُبَيْش عن المدينة يريد الرَبَذَة ، فلقيه الحَنْتَف بن السِجْف فقتله ، ثم وجّه مصعبَ بن الزبير فقتل أُسراءَ أسرهم الحَنْتَف من أصحاب حُبَيْش ، ثم رجع إلى مكة ، وعزل ابن الزبير عبيدة وولّى ابن أبي ثور حليف بني عبد مناف ، فأصابت الناسَ في ولايته مجاعة وغلت أسعارُهم ، فكان يخطب فيقول : اتّقوا الله وتَأَسَّوا بنبيّكم وانزعوا عن المعاصي فإنّه أهلك قوم صالحٍ في ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فسمّي مُقوِّم الناقة ، وكان الناس يأكلون من ليل إلى ليل ما ينالون إلّا حُسىً من حنطة

١ ـ كذا بالأصول وهو وهم صوابه «ابن مسعود» انظر تاريخ خليفة ج ١ ص ٣٢٨ .

وعدس ؛ ثم عزله وولّى الحارث بن حاطب الجُمحي ثم عزله وولّى جابر بن الأسود ثم عزله وولّى جعفر بن الزبير ثم وَهْب بن أبي مُعَتّب مولى الزبير ثم أبا قيس ، وولّى صدقة المدينة عبد الرحمن بن محمد بن الأشْعث ، وولّى الكوفة عبدالله بن يزيد الخَطْمي ، وولّى إبراهيم بن طلحة الخراج بها ثم عزلهما وولّى عملها عبدالله بن مُطيع العَدَوي فأخذ بيعتهم .

وقال الراعي عُبيد بن حُصين يمدحَ يزيد في شعر يقول فيه :

راحَتْ كَما راحَ أَوْ تَغْدُو كَغُدْوتِهِ عنسٌ وَخُودٌ عَلَيْها راكِبٌ يَفِدُ
تَنْتابُ آلَ أَبِي سُفْيانَ وَاثِقةً بِسَيْبِ أَبْلَجَ مِنْجازٍ لما يَعِدُ[1]

وقال المدائني : كان على شُرَط يزيد حُميد بن حُريث بن بَحدل وصاحب أمره سَرْجون بن منصور ، وقاضيه أبو إدريس الخَوْلاني ، ومات يزيد بُحّوارين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، ويقال : ابن تسع وثلاثين وأشهر وكانت ولايته ثلاث سنين ، ويقال وتسعة أشهر ، ويقال وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً ، وكان موته يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوَّل سنة أربع وستّين ، وصلّى عليه معاوية ابنه .

وقال ابن الكلبي : ولي يزيد لهلال رجب سنة ستّين ، فولي ثلاث سنين وثمانية أشهر ، ومات لتسع عشرة ليلة خلت من صفر سنة أربع وستّين وهو ابن ستّ وثلاثين سنة .

وقال الواقدي : دُفن يزيد بدمشق في مقبرة[2] الباب الصغير ومات بحُوّارين فحُمل على أيدي الرجال إليها ، وفيها دُفن أبوه معاوية .

---

١ ـ ديوان الراعي ـ ط . بيروت ١٩٨٠ ص ٧٠ مع فوارق .
٢ ـ بالأصل «المقبرة» .

وقال الواقدي: قيل لأبي مسلم الخولاني يوم مات يزيد: ألا تصلّي على يزيد ؟ فقال : يصلي عليه ظِباءُ حُوّارين ؛ وقال غيره : دُفن بحُوّارين .

المدائني عن أبي أيّوب القرشي عن خالد بن يزيد، بن جابر قال : مات يزيد ابن تسع وثلاثين سنة ، وكان عامله على مكة الحارث بن خالد بن العاص بن هشام ، ويقال خالد بن العاص بن هشام .

وقال الأخطل يرثي يزيد :

لَعْمري لقد دَلَّى إلى القبرِ خَالدُ جنازَةَ لا كابي الزِنادِ ولا غُمْرِ
مُقيم بحُوّارينَ ليس ببارحٍ سَقتهُ الغَوداي من ثَوِيٍّ ومِن قبرِ
يَضِجُّ المَوالي أنْ رأوْا أُمَّ خالِدٍ مُشَنَّعةً بالريط والسَرَقِ الحُمرِ
إذا حَلَّ سِرْبٌ من نِساءٍ يَعُدْنها تعرَّيْنَ إلاّ مِن جلابيبَ أوْ خُمْرِ[1]

وقال ابن عَرادَة السعدي :

أبني أُميَّةَ إنَّ آخِرَ مُلْكِكُمْ جَسدٌ بحُوّارينَ ثَمَّ مُقيمُ
طَرقَتْ مَنِيَّتُه وعندَ وسادِهِ كوبٌ وزِقٌ راعِفٌ مَرْثومُ
ومُرِنَّةٌ تَبْكي على نَشَواتِهِ بالصِّنْجِ تقعُدُ ساعةً وتقومُ

وقال رجل من عَنَزة يقال له أبو بكر بن حَنْظَلة :

يا أيُّها المَيْتُ بحُوّارينا أَصْبحتَ خَيْرَ الناسِ أجمعينا

ويروى :

يا أيُّها القبرُ بِحُوّارينا ضَمَمْتَ خيرَ الناس أجمعينا

وقال أبو اليقظان : ولي يزيد سنة ستّين وهلك بحُوّارين بعد ثلاث سنين وأشهر .

---

١ - ديوان الأخطل ص ١٤٥ .

فولد يزيد بن معاوية :

معاوية ، وخالداً ، وعبدَالله الأكبر ، وأبا سفيان ، أمّهم أمّ خالد بنت [أبي] هاشم بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وكان اسمها فاختة وتُلقّب حَبّة ؛ وعبدالله الأصغر الذي يقال له الأُسْوار ، وعمرَ ، وعاتكةَ تزّوجها عبد الملك بن مروان فولدت له يزيد بن عبد الملك ، أمّهم أمّ كُلْثوم بنت عبدالله بن عامر بن كُرَيْز ؛ [وعبدَ الرحمن] ، وعبَدالله الذي يقال له أصغر الأصاغر ، وعثمانَ ، وعُتْبة الأعور ، ويزيد ، ومحمداً ، وأبا بكر ، وأمَّ يزيد ، لأمّهاتِ أولادٍ شَتّى ، وأمَّ عبد الرحمن ، ورَمْلةَ ؛ فتزوّج أمَّ يزيد الأصبغُ بن عبد العزيز بن مروان ، وأمّا رَمْلَة وأمّ عبد الرحمن فتزوّجهما عبّاد بن زياد واحدة بعد أخرى ، وكان الذي زوّج عّباداً خالد بن يزيد ، فعّيره عبد الملك بذلك وقال : زوّجته وقد عرفتَ دِعْوته فقال خالد : أَما إنّه سِلْفُك وهو دَعيّي ، ولو كان دَعيَّ غيري ما زوجته .

وأما معاوية بن يزيد :

فولّاه أبوه يزيد عهده في صحّته ، ويقال بايع له حين احتُضر ، فلما مات يزيد بايع الناسُ معاويةَ وأتته بيعة الآفاق إلّا ما كان من ابن الزبير ، فولي ثلاثة أشهر ـ ويقال أربعين يوماً ، ويقال عشرين يوماً ـ ولم يزل في أيّامه مريضاً ، وكان الضحّاك بن قيس يصلّي بالناس ، فلما ثقل قيل له لو عهِدتَ عهداً فقال : والله ما نفعتني حيّاً أفأتحملها ميّتاً ، والله لا يذهب بنو أمّية بحلاوتها القليلة وأتحمّل مَرارتها الطويلة ، وإذا مِتُّ فليصلِّ عليّ الوليد بن عُتْبة وليصلّ بالناس الضحّاك بن قيس حتى يختاروا لأنفسهم رجلاً مرضيّاً عندهم ، فلما صلّى عليه الوليد وقام مروان بن الحكم على قبره فقال : أتدرونَ من دفنتم ؟ قالوا : نعم معاوية بن يزيد ، قال : بل دفنتم أبا لَيْلَى ، يستضعفه ، وكانوا يكنون كلَّ ضعيف أبا لَيلى ، فقال بعض بني فزارة :

لا تُخْدعنَّ فإنَّ الأَمْرَ مُختلفُ والمُلْكُ بعدَ أَبي ليلى لِمَنْ غلبا

وقام الضحّاك بأمر الناس بدمشق ، ولم يعزل معاويةُ بن يزيدَ أحداً من عمّال أبيه ولا حرّك شيئاً ولا أمر ولا نهى وكان موته سنة أربع وستّين وهو

ابن تسع عشرة سنة ، ويقال ابن عشرين ، ويقال ابن ثماني عشرة سنة - ويقال ابن احدى وعشرين سنة - ودُفن بدمشق .

وحُدّثتُ عن ابن الكلبي أنّه قال : ولي أبو ليلى معاوية بن يزيد أربعين يوماً ، وتُوفّي وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وثمانية عشر يوماً .

حدثني هشام بن عمّار حدثنا صَدقَة بن خالد حدثني زيد بن واقد قال : مرض يزيد بن معاوية بعد ولايته الأمر بسنتين من كَبِده ، فلما برىءَ واستقل قال لحسّان بن مالك بن بحدل : إنّي أريد البيعةَ لمعاوية بن يزيد ، قال : فآفعل ، فدعاه يزيد فصافقة بولاية العهد ، وبايع له حسّان بن مالك والناس ، وكان معاوية ركيكاً ليّناً فكُني أبا ليلى ، وهي كنية كلِّ ضعيف .

قال هشام بن عمّار ، وسمعت الوليد بن مسلم يقول : كانت أمّ معاوية بن يزيد - وهي أمّ هاشم بنت أبي هاشم بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس - امرأةً بْرزة عاقلة فدعا يزيد يوماً بمعاوية بن يزيد وأمّه حاضرة فأمره بأمر ، فلما ولّى قالت له : لو ولّيت معاوية عهدك ، فقال : أَفْعلُ ، وناظر حسّان بن مالك بن بحدل الكلبي في أمره فشجّعه على البيعة له ، فأحضر الناس وأعلمهم أنّه قد ولّاه الخلافة بعده ، فبايع له ابن بحدل والناس ، فلما مات يزيد بحُوّارين بويع لمعاوية بالخلافة وهو كاره ؛ وكان سبب موت يزيد أنّه ركض فرساً فسقط عنه وأنّه أصابه قُطْع ، ويقال انّ عنقه اندقّت .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثني وهب بن جرير حدثنا أبي أنّ يزيد بن معاوية كان استخلف معاويةَ بن يزيد فولي شهرين أو اربعين ليلة ثم مات ، فلما حضرته الوفاة قيل له لو استخلفتَ فقال : كفيتُها حياتي

وأتضمنّها بعد موتي ؟ فأبى ؛ قال : وكان فتى لابأس به ، ومات وله تسع عشرة سنة .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : كان معاوية بن يزيد كارهاً للخلافة ، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن بكنية جدّه ، ومات ابن ثلاث وعشرين ، ودُفن في مقبرة باب الصغير بدمشق .

حدثني محمد بن يزيد الرفاعي حدثني عمّي كَثير بن محمد عن ابن عَيّاش الهمداني عن أبي أسماء السَكْسَكي قال: كان معاوية بن يزيد يُظهر التألّه ، وكان ضعيفاً في أمر دنياه فكُني أبا ليلى ، فلما أفضى الأمر إليه قام خطيباً فقال : أيّها الناس إن يكنْ هذا الأمر خيراً فقد استكثر منه آل أبي سفيان ، وإن يكن شرّاً فما أولاهم بتركه ، والله ما أحبّ أن أذهبَ إلى الآخرة وأدع لهم الدنيا ، ألا فليصلِّ بكم حسّان بن مالك ، وتشاوروا في أمركم ، عَزَم الله لكم على الرشد والخيرة في قَضائه ؛ ثم نزل فأغلق بابه وتمارض فلم يَنظر في شيء حتى مات ، وصلّى حسّان بالناس وهم منكرون لأمرهم حتى ولّى ابن الزبير الضحّاك بن قيس فبايعوه له ، وأتى حسّان أوّلَ حَدِّ الأردنّ فأقام هناك .

وحدثني هشام بن عمّار عن الوليد بن مسلم قال : دخل مروان بن الحكم على معاوية بن يزيد فقال له : لقد أعطيتَ من نفسك ما يُعطي الذليل المَهين ، ثم رفع صوته فقال : من أراد أن ينظر في خالفةِ آل حرب بن أميّة فلينظر إلى هذا ، فقال له معاوية : يا بن الزرقاء اخُرجْ عنّي لا قبل الله لك عُذراً يوم تلقاه .

وحدثني محمد بن مُصَفّى الحمصي قال : سمعت مشايخ من مشايخنا يقولون : إنّ معاوية بن يزيد بن معاوية قَبِلَ البيعة وهو لها كارهٌ ، فلما مات أبوه أُنْفذت كتب بيعته إلى الآفاق فلم يرجع الجواب حتى مات ، وكان فتىً صالحاً كثير الفكر في أمر مَعادِه .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال : ولّى يزيد بن معاوية معاوية بن يزيد ابنه الخلافة بعده وكان كارهاً لها ، فلما مات أبوه خطب الناس فقال : إن كانت الخلافة خيراً فقد استكثر آل أبي سفيان منه ، وإن كان شرّاً فلا حاجة لنا فيه ، فاختاروا لأنفسكم إماماً تبايعونه هو أحرص على هذا الأمر منّي واخلعوني فأنتم في حِلّ من بيعتي ، فقالت له أمّه أمّ هاشم : لوددتُ يا بُنَيَّ أنّك كنتَ نَسْياً مَنْسِياً وأنّك لم تَضْعف هذا الضَعْف ، فقال : وددتُ والله أني كنتُ نِسْياً مَنْسِياً ولم أسمع بذكر جهنّم ، فلما احُتضر قيل له : لو بايعت لأخيك خالد بن يزيد فإنّه أخوك لأبيك وأمّك ، فقال : يا سبحان الله كفيتها حياتي وأتقلّدها بعد موتي ؟! يا حسّان بن مالك اضبط ما قبلك وصلِّ بالناس إلى أن يرضى المسلمون بإمام يجتمعون عليه .

وحدثني هشام بن عمّار حدثني اسماعيل بن عَيّاش عن عبدالله بن دينار عن مولى لمعاوية بنحوه وزاد فيه : فلما مات معاوية مال أكثر الناس إلى ابن الزبير وقالوا : هو رجلٌ كاملُ السِنّ ، وقد نصر أمير المؤمنين عثمان ، وهو ابن حَواريّ رسول الله ﷺ ، وأمّه بنت أبي بكر بن أبي قُحافة ، وله فضل في نفسه ليس كغيره ؛ فما هو إلّا أن ورد كتاب ابن الزبير بتولية الضحّاك بن قيس دمشقَ حتى سارعوا إلى طاعة ابن الزبير وبيعته ، فأخذها الضحّاك له

عليهم ، وانخزل ابن بحدل إلى فلسطين فأقام بها ينتظر ما يكون ، وهو في ذلك يدعو إلى خالد بن يزيد ويذكره ، وكانت فلسطين والأردنّ في يده من قبل يزيد بن معاوية ، ثم بقي عليهما وعُمّاله فيهما .

قال المدائني : كان اسم أمّ معاوية وخالد ابنْي يزيد فاختة ، وكُنيت أمّ هاشم ثم كناها يزيد أمّ خالد بخالدٍ ابنها ولُقّبت حَبّةً .

وأما خالد بن يزيد بن معاوية :

ويُكنى أبا هاشم : فكان شاعراً ينظر في الكيمياء والنجوم وغيرهما من العلوم ، وكان طويل الصمت فقال مولى له : أرى الناس يخوضون فيما أنت أعلم به منهم وأنت ساكت ، فقال : ويحك إنّي عُنِيت بطلب الأحاديث والعلم وصَحّحتُ ذلك فأخاف إن نشرتُ ذلك أن يحفظوه ، فقال : جُعلتُ فداك يكفيكَهم الله بالبلغم . وتزوّج ابنةَ عبدالله بن جعفر فقال فيها :

مَنافِيةٌ غَرّاءُ جادتْ بِودِّها لِعَبْدِ مَنافيٍّ أغرَّ مُشَهَّرِ
مُطهَّرةٌ بينَ النَبيِّ مُحمَّدٍ وبينَ الشهيدِ ذي الجناحينْ جَعْفرِ

وقال عبد الله بن جعفر ما صنع في قوله «لعَبْد» شيئاً ، لو كان قال «لِقَرْمٍ مَنافيٍّ» .

وأنشدني بعض الحجازّيين لخالد في ابنة عبدالله بن جعفر :

أَتَتْنا بها دُهْم البغالِ وشُهْبُها عَفيفةِ أخلاقٍ كريمةِ عُنصرِ
مُقابَلَةٍ بينَ النَبيَّ مُحمَّدٍ وبينَ عليٍّ ذي الفَخار وجَعْفَر
مَنافِيَّةٍ جادَتْ بخالِصِ وُدّها لِعَبْدِ مَنافيٍّ أغرَّ مُشَهَّرِ

وقد قيل: إنّه لم يتزوّجها وأنّ هذا الشعر معمول.

وتزوّج أيضاً رَمْلَة بنت الزبير بن العوّام فقال:

أُحبُّ بني العوّامِ طُرّاً لحُبِّها ... ومِنْ حُبِّها أَحْببتُ أخوالَها كَلْبا
ولا تُكْثِروا فيها الضِجاجَ فإنَّني ... تَنَخَّلتُها عَمْداً زُبَيْرِيَّةً قَلْبا
فإنْ تُسْلمي نُسْلِم وإنْ تتنَصَّري ... يخُطّ رِجالٌ بين أَعيُنِهِمْ صُلْبا
تَـجولُ خَلاخيلُ النساءِ ولا أرى ... لِرمْلَةَ خَلْخالاً يجولُ ولا قُلْبا

وحدثني عمر بن بُكير عن أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي عن عوانة قال: كان خالد بن يزيد بن معاوية قد حجّ في السنة التي قَتل فيها الحجّاجُ عبدَالله بن الزبير فخطب رملة بنت الزبير، فبلغ ذلك الحجّاجَ فأرسل إليه حاجبه وقال: قُلْ له ماكنت أَراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني، ولاكنت أراك تخطب إليهم وليسوا لك بأكفاءٍ وقد قاتلوا أباك على الخلافة ورموه بكلّ قبيح، فلما بلّغه الرسالة نظر إليه خالد طويلاً ثم قال: لو كانت الرسل تُعاقَب لقَطّعتُك آراباً ثم أَلْقيتك على باب صاحبك، قل له: ما كنت أظنّ أنّ الأمر بلغ بك إلى أن تؤهّل نفسك لأن أشاورك في مناكحة قريش، قلتَ ليس القوم لك بأكفاء، فقاتلك الله يابن أمّ الحجّاج تزوّج رسول الله ﷺ خديجة ابنة خُوَيْلِد، وتزوّج العوّام صَفيّة بنت عبد المطّلب ولاتراهم أكفاءً لآل أبي سفيان وبني أميّة؟ وأمّا قولك: قاتلوا أباك على الخلافة ورموه بكلّ قبيح، فهي قريش تقارع بعضُها بعضاً حتى إذا أَقَرّ الله الأمرَ مَقَرّه عادت إلى احلامها وفضلها، فرجع إليه رسوله فأدّى إليه قوله؛ فتزوّج خالد رملة وهي أخت مصعب بن الزبير لأبيه وأمه؛ أمّهما

الرَباب الكلبيّة، وهي ابنة أُنَيْف بن عُبيد بن مَصاد بن كعب بن عُليم بن جناب، وكانت قبله عند عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام.

قال أبو اليقظان: تزوّجها خالد بعد عثمان بن عبد الله بن حكيم وقال:

لمّا رَأيتُ العِتْقَ فيها مُبيَّنَاً   تَنَخَّلْتُها منهمْ زُبَيْرِيَّةً قَلْبا

ويروى:

تَخَيَّرْتُها من سرِّ قَومٍ كريمَةً   مُـوَسَّطَةً فيهمْ زُبَيْـرِيَّةً قلبـا

قالوا: وكانت معروفةً بالجزَالة والعقل والفضل. وقال شديد بن شَدّاد أحد بني عامر بن لُؤي:

لا يَسْتَوي الحَبْلانِ حَبْلٌ تَنقَّضَتْ   قُواهُ وحبلٌ قد أُمِرَّ شديدُ

عليكَ أميرَ المُؤمِنينَ بخالـدٍ   ففي خالِدٍ عمّا تُريدُ صدودُ

إذا ما نظرنا في مناكِحِ خالِدٍ   عَرَفْنا الذي يَهْوى وأَيْنَ يُريدُ[1]

قالوا: وقال الأسوار بن يزيد لخالد: والله لقد هممتُ اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك، فقال له: بئس ماهممتَ به، ابنُ أمير المؤمنين ووليُّ عهد المسلمين، قال: إنّه لقي خيلاً لي فنفّرها وتلعّب بها، فأتى خالد عبدَ الملك فأخبره بما شكا إليه أخوه، فرفع رأسه وهو يضحك ثم قال: ﴿إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُو أَعِزَّةَ أَهلِها أَذِلَّةً وكَذلِكَ يَفْعَلُون﴾[2] فقال خالد ﴿وَإذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْها القَوْلُ

---

١ ـ بالأصل: «تريد».

٢ ـ سورة النمل ـ الآية: ٣٤.

فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾[١] فقال عبد الملك: أَتكلّمني فيه وهو لحّان وقد أَعْياكم تقويم لسانه، فقال: أعيانا منه ماأعياك من الوليد، فقال عبد الملك: إن يكن لحّاناً فأخوه سليمان فصيح، قال خالد: وإن يكن عبد الله لحّاناً فأخوه خالد غير لحّان، فقال الوليد لخالد: أَتتكلّم ولستَ في عِيرٍ ولانَفيرٍ، فقال خالد: ألا تسمع ياأمير المؤمنين مايقول؟ أنا والله ابنُ العِير والنَّفير، سيِّد العِير جدّي أبو سفيان، وسيد النفير جدّي عُتْبة بن ربيعة، ولكن لو ذكرتَ حُبَيْلاتٍ وغُنَيْماتٍ بالطائف لصدقتَ، فرحم الله عثمان. ثم نهى عبد الملك الوليدَ عن التعَبّث بعبد الله بن يزيد.

وقال المدائني: دخل الوليد حائطاً لعبد الله بن يزيد الأُسوار فشكا ذلك إلى أخيه وجرى هذا القول بسببه ولم يذكر خيلاً وقال: الذي قال لستَ في عِير ولانَفير رجلٌ من بني الحكم، قال ذلك لأبي القاسم بن أبي سفيان بن خالد بن يزيد في عسكر هشام، فأجابه أبو القاسم بجواب أغلظ له، فطرده هشام عن عسكره.

وقال خالد لبعض قريش: لقد رَضيتَ بالقليل لِدَناءتك، فقال: أَدْنى منّي من نِيكَتْ أُمُّه وسُلب خلافته وفُرّغ لعمل الكيمياء الذي لايُدْرِك منه شيئاً.

وكان خالد يتعصّب لأخوال ابيه من كلب ويُعينهم على قيس في حرب قيس وكلب، فقال شاعر قيس:

---

١ ـ سورة الإسراء ـ الآية: ١٦ .

ياخالِدَ بنَ أَبي سفيانَ قد قَرِحَتْ   منّا القلوبُ وضاق السهلُ والجَبَلُ
أَأَنْتَ تَأْمُرُ كَلْباً أَنْ تُقَتِّلَنا   جَهْلاً وتَمْنَعُهُمْ منّا إذا قُتِلوا
ها إنَّ ذا لا يُقِرُّ الطَيْرَ ساكِنَةً   ولا تكفكف مِن نَكْرَائِهِ الإِبِلُ

وتزوَج مروان بن الحكم أمّ خالد بن يزيد، فدخل عليه يوماً فأراد أن يضَع منه فقال: يابن الرَطْبَة فقال: أمينٌ مُخْتَبرٌ، لولا حُمْقها ماقلتَ لها هذا، فأتى أُمَّه فأخبرها، فَغَمّته وجواريها وهو نائم بِمرفَقة فمات،ويقال بل سقته شربةَ لبنٍ مسموم فقتلته.

وقال خالد بن يزيد:

أَرى زَمَناً ثَعالِبُهُ قِيامٌ   على الأشْرافِ تَخْطِرُ كَالأسودِ
وكان الثعلبُ الضَبّاحُ يرضَى   بما يَرِثُ الكلابُ مَنَ الصيود

وقال خالد:

سَرَحْتُ سَفاهَتي وأرَحْتُ حِلْمي   وفيَّ على تَحَلُّمِيَ اعتِرَاضُ
على أنّي أُجيبُ إذا دعتني   إلى حاجاتِها الحَدَقُ المراضُ

وكان خالد على حمص فبنى مسجدَها، وكان له أربعمائة عبد يعملون في المسجد، فلما فرغوا من بنائه أعتقهم، وهو صلّى على أخيه أبي ليلى، ويقال الوليد بن عتبة.

وحضر خالد مع عبد الملك بن مروان أمْرَ زفر بن الحارث الكلابي بقرقيسيا[١].

---

١ - هي البصيرة (البوسرايا) في سورية حيث يلتقي الخابور بالفرات.

وكان خالد قصيراً فلما خطب رَمْلَة استقصروه فبلغه ذلك، فجمع قوماً قصاراً ومشى معهم ولبس قلنسوة فرضيت به.

ومات خالد في أيّام عبد الملك بن مروان.

قال المدائني: كان أبو بكر بن حنظلة العنزي منقطعاً إلى خالد بن يزيد فجفاه فقال:

بدا لِيَ ما لم أَخْشَ منكَ ورابني صُدودٌ وطَرْفٌ مِنْكَ دونيَ خاشِعُ
وما ذاك مِنْ شيءٍ سوى أنَّ أَلْسُناً عَلَيَّ فَرَتْ ذَنْباً وهُنَّ سَوابعُ[1]
أَبا هاشِمٍ لا ضارِعٌ إنْ جَفَوْتَني ولا مُسْتكينٌ لِلَّذي أَنْتَ صانِعُ
ولكِنَّ إعراضاً جَميـلًا وعِفَّةً وبَيْناً سَليماً عنكَ والبينُ فاجعُ

قال: وفاخر معاوية [بن] مروان بن الحكم، وكان مائقاً، خالدَ بن يزيد، فقال سالم بن وابصة:

إذا افْتَخَرَتْ يوماً أُمَيَّةُ أَطْرَقَت قُرَيْشٌ وقالوا مَعْدِنُ الفَضْلِ والكَرَمْ
فإنْ قيلَ هاتوا خَيْرَكُم أَطْبَقوا مَعاً على أَنَّ خيرَ الناسِ كُلِّهِمُ الحَكَمْ
أَلَسْتُمْ بني مَرْوانَ غَيْثَ بلادِنا إذا السَنَةُ الشَهْباءُ سَدَّتْ على الكَظَمْ

وقال خالد بن يزيد:

دَعوا الحُكْمَ ليس الحُكْمُ فيكُمْ بني استِها ولكِنَّـهُ في الغُرِّ مِنْ آلِ غـالِبِ[2]
بني مُرَّةَ الأثرون كانت إليهمُ تُساقُ حُكوماتُ الكِرامِ المَناجِبِ

---

١ ـ بهامش الأصل: «ضوالع».
٢ ـ أي غالب بن فهر.

وكانت عند خالد بن يزيد آمنة بنت سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن اميّة فولدت له سعيداً.

وكان له ابن يقال له يزيد لأمّ ولد وكان سخيّاً وفيه يقول الشاعر وهو موسى شَهَوات، مولى بني سَهْم، ويقال مولى بني تَيْم، ويقال مولى بني عَديّ، ويقال غيره:

ثُمَّ صَوِّتْ إذا دَخَلْتَ دِمَشْقاً ... يا يَزيدُ بنَ خالِدِ بن يزيدِ
يا يزيدُ بنَ خالدٍ إنْ تُجِبْني ... يَلْقَني طائِري بِسَعْدِ السُعودِ
كُنْتُ أَرْجو نَداكَ والشامُ دُوني ... كرجاءِ الأسـيرِ فَكَّ القُيـودِ
ثُمَّ لَمْ يُخْلِفِ الرجاءَ ولكِنْ ... زاد فَوْقَ الرجاءِ كُلَّ مَزيدِ

وليزيد هذا عقب بالشام.

وفي آمنة بنت سعيد، وأمّها أمّ عمرو بنت عثمان بن عفّان، وأمّها رملة بنت شَيْبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول خالد بن يزيد:

كعابٌ أبوها ذو العِمامَةِ وابْنُهُ ... وعثـمان ما أَكْفـاؤُها بِكَثـيرِ
فإنْ تَسْتَفِدْها والخِلافَةَ تَنْقَلِبْ ... بِأَفْضَلِ عِلْقَيْ مِنْـبَرٍ وسَريرِ

وفيها يقول وطلّقها:

وَلَّيْتُ آمِنَـةَ الطلاقَ كـريمةً ... عِنْدي ولم يَكْبُرْ عليَّ طَلاقُها
ولأَقْطَعَنَّ حبالَ أُخرى بَعْدَها ... يَوْماً إذا لم تَسْتَقم أَخْلاقُها

وقال المدائني: قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام غازياً فدخل على عمّته آمنة امرأةِ خالد فقال خالد: مايقدم أحد من الحجاز إلا اختار المُقام عندنا على المدينة، فقال محمد: ومايمنعهم وقد قدموا من المدينة

على النواصح فنكحوا أمّك وسلبوك مُلكك وفرّغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب، وطلب ما لايُقْدَرُ عليه، يعني الكيمياء.

وكان لخالد أيضاً ابن يقال له حرب بن خالد وكان ذا قدر ونُبْل وله عقب بالشام، وأمّه أمّ ولد، ففيه يقول داود بن سَلْم ونزل به، فبدر غلمانه إلى راحلته فحطّوا عنها، وأكرمه وأجازه بجائزة سنيّة، ثم استأذنه في الانصراف فأذن له، وأمر له بألف دينار، ولم يقم غِلْمانه معه ولم يعاونوه حين أراد الرحيل كما فعلوا حين نزل، وقالوا: إنّا نُكرم مَن نزل بنا نُعينه ونخدمه سُروراً به، ولانفعل ذلك بمَن رحل عنّا، وفي حرب يقول داود:

ولّما دَفَعْتُ لأبْوابهِمْ ... ولاقَيْتُ حرباً لقيتُ النجاحا
وَجَدْناهُ يَحْمَدُهُ المُعْتَفونَ ... ويأبى على العُسْرِ إلا سماحا

فحدّث داودُ الغاضريَّ بالمدينة بحديثه وقولِ غلمانه وأنشده شعره، فقال: أنا لِزَنْيَةٍ إن لم يكن فعلُ غلمانه خيراً من شعرك فيه.

وأنشد حمّاد الراوية لخالد بن يزيد:

قَصْرُ الجديدِ بِلى وقَصْـ ... ـرُ العَيْش في الدُنْيا انْقِطاعُهْ
مَن نال في الدُنْيا مَتا ... عاً ثُمَّ طال بِهِ مَتاعُهْ؟
أمْ أيُّ مُنْتَفِعٍ بشَيْـ ... ـءٍ ثُمَّ دامَ به انْتِفاعُهْ؟
أمْ أيُّ شَعْبٍ ذي الْتِئا ... مٍ لم يُشَتِّتْهُ انْصِداعُهْ
والأوَّلُ الماضي الذي ... حَقٌّ على الباقي اتِّباعُهْ
قد قال في أمثالِهِ: ... «يَكْفيكَ مِن شَرٍّ سَماعُهْ»

واما عبد الله الأُسوار بن يزيد بن معاوية:

فكان فارساً صاحب خيل ، فتزوّج أُمَّ عثمان بنت سعيد بن العاص ، فولدت له أبا سفيان وأبا عتبة ، وهي أمّ سعيد ورملة ابني خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فقيل لسعيد بن خالد اخطُب أُمَّه أمَّ كلثوم بنت عبدالله بن عامر لتُذلّه كما أَذلّك ، فخطبها وهي بادية في قبّة من نمور اشترت جلالها بألف دينار ، فقال لها وهو غلام : أحبّ أن تزوّجيني نفسك ، وكانت يومئذ عجوزاً كبيرة قد قيّدت أسنانها بالذهب فقالت : مرحباً بك يابن أخي لو كنتُ متزوّجة أحداً من قريش لتزوّجتُك ، إنّ أمّك امرأة شابّة وأنا عجوز مُسِنّة ، وأراهم قالوا لك : تزوّج أمّه كما تزوّج أُمَّك ، فانطلق يابنَ أخي في حِفْظ الله وستره ، فقام مثبوراً .

وقال مدرك بن حِصْن الأسدي يهجو عبد الله الأُسْوار :

قَبَحَ الإلهُ ولا أُقَبِّحُ غَيْرَهُ نَسَباً أَمُتُّ به إلى الأُسْوارِ
المُؤْكِلِي حَيّيْ فَزارَةَ بَعْدَ ما أَكَلَتْ فزارَةُ أَيْرَ كُلِّ حِمارِ
إنّا لَنَعْلَمُ يا سَخينَةُ أَنَّكُمْ بُطُنُ العَشيِّ مباشِمُ الأسْحارِ

وكان من ولد الأسْوار أبو محمد بن عبد الله السفياني الذي قُتل بالمدينة وكان مستخفيا بقُبَاء.

وأما عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية: فكان ناسكاً متألّهاً، أتاه رجلٌ ضرير بمكة ليسأله فقال لقَيِّمه: أَعْطِهِ ما عندك، وكان عنده ثمانية آلاف درهم، فقال له القيّم: هذا يكتفي منك بأقلّ مما عندنا، أَفأُعطيه بعضه؟ فقال: إنّي أكره أن يفضُل قولي فعلي، فأعطاه ثمانية آلاف درهم.

وقال عبد الله بن المبارك، قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل من إخوانه كان يجالسه: أترضى حالك هذه للموت؟ قال: لا، قال: فهل أنت مُجْمع على الانتقال إلى حال ترضاها للموت؟ قال: ماسَخَتْ نفسي بذلك بَعْدُ، قال: ويحك، فهل بعد الموت دار فيها مُعْتَمَل؟ قال: لا، قال: فهل تأمن أن يأتيك الموت على حالك هذه؟ قال: لا، فقال: مارأيتُ مثل هذه الحال رضي بها عاقل، فاتّق الله ياأخي واعمل قبل أن تندم.

واما عمر بن يزيد: فحدثني ابو الحسن المدائني عن مَسْلَمة بن محارب أنّه أصابته صاعقة فهلك، ويقال رعدت السماء رعدة شديدة فمات خوفاً، فقال ابن همّام:

عُمَـرَ الخَيرِ يـا شَبيهَ أَبيـهِ ... أَنت لو عِشْتَ قد خَلَفْتَ يزيدا
سُلِّطَ الحَتْفُ في الغَمامِ عليهِ ... فتَلقَّى الغَمامُ روحاً سَعيدا
أَيُّها الراكِبانِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ ... بَلِّغا الشامَ أَهْلَهـا والجُنودا
أَنَّ خير الفِتْيانِ أَصْبَحَ في لَحْـ ... ـدٍ وأَمْسَى مِنَ الكرامِ فقيدا

وأما أبو بكر بن يزيد بن معاوية :

فإنّ خالد بن يزيد هجاه فقال :

سَمينُ البغلِ مِن مالِ اليَتامَى ... رَخِيُّ البالِ مَهْزولُ الصديقِ

وقال خالد في أبي بكر :

فقَدِّمْ أَبا بَكْرٍ لكُلِّ عظيمةٍ ... وقَدِّم أَبا جَهْلٍ لِلَقْمِ الثَرائِدِ

أبو جهل حرب بن عبدالله بن يزيد بن معاوية ، ويقال هو عبدالله بن سليمان بن يزيد بن معاوية ، والثْبت أنّه ابن سليمان بن عُتبة بن يزيد بن معاوية .

وأبو بكر الذي يقول :

وإذا العبدُ أَغْلقَ البابَ دوني ... لم يُحرِّم عليَّ مَتْنَ الـطريقِ

وقال المدائني : كان أبو بكر بن يزيد ذا نيقة في الطعام وكان صاحب تنعُّم ، فمرّ بقرية لعبّاد بن زياد بن أبي سفيان بالشام ومعه رجل من تَيْم الله بن ثَعْلبة بن عُكابة ، وكانت القرية تُدْعى تَنْهَج[1] فلم يقْرُوهم فقال التيمي :

بِتَنْهَجَ لَيْلةٌ طـالَتْ علينـا ... وأَخْلَفَنـا المَـواعِـدُ والعَشـاءُ
نُنـاديهِمْ لِيَقْـرونـا فقـالـوا : ... سَنَقْريكُمْ إذا خرجَ العَطاءُ
ودون عَطائِهِمْ شهرا رَبيعٍ ... ونحن نَسيرُ إنْ مَتَعَ الضُحاءُ
أُنادي خالِـداً والبابُ دوني ... وكيف يُجيبُكَ البَرَمُ العَيـاءُ

١ ـ تنهج : قرية بها حصن من مشارف البلقاء من أرض دمشق . معجم البلدان .

ويقال : إنّ الأبيات لأبي بكر نَحَلَها التَيْمي ، فأجاب خالد بن عبّاد على الشعر على أنّه للتَيْميّ فقال :

وما عَلِمَ الكِرامُ بِجوعِ كلبٍ   عَوَى والكَلبُ عادتُهُ العُواءُ
وتَيْمُ اللاتِ لا تُرْجَى لِخَيْرٍ   وتَيْمُ اللاتِ تفْضُلُها النِساءُ

وأمّا عُتْبَة بن يزيد : فله عقب بالشام .

وكذلك يزيد بن يزيد وعقُبه بالبصرة .

وكانت عند عثمان بن يزيد كاملة بنت زياد الكلبيّة ، وبعضهم يقول : هي ابنة زياد بن أبي سفيان .

وولد محمد بن يزيد : محمد بن محمد لأمّ ولد .

ولد زياد بن أبي سفيان

ولد زيادٌ : عبدَ الرحمن ، والمغيرة وبه كان يكنى زيادٌ ، ومحمداً ، وأبا سفيان ، أمّهم معاذة عُقَيْلِيّةٌ من بني خَفاجة ؛ وسَلْم بن زياد ، لأمّ ولد ؛ وعثمانَ ، وعَبّاداً ، والربيع ، وأبا عُبَيْدة ، ويزيد ، لأمّهات أولاد شتّى ؛ وعَنْبسة ، وأمّ معاوية ، أمّهما بنت عثمان بن أبي العاص الثَقَفي ؛ وعمراً ، امّه بنت القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة ؛ والغُصن ، وعُتبة بن زياد ، وأبان بن زياد ، وجَعْفر بن زياد ، وإبراهيم ، وسعيداً ، لأمّهات أولاد ؛ وبناتٍ منهنّ أمّ حبيب ، أمّها خُزاعِيّةٌ ، ورَمْلَة ، ورَيْطة ، وصَخْرة ؛ وأم أُبان ، أمّها لُبابة بنت أُوفى الحَرَشي ؛ وجُويْرية ؛ وعبدالله ، وعبيدالله ، أمّهما مَرْجانة أمّ ولد .

فأمّا جوَيْرية فكانت عند عبد الرحمن بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب ؛ وأمّا أمّ أُبان فكانت عند عبيد الله بن عبيد الله بن مَعْمَر التيمي من قريش ؛ وأمّا صَخْرَة فكانت عند عبيد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ وأمّا رَمْلة فكانت عند اميّة بن عبدالله بن

خالد بن أُسِيد ؛ وأمّا رَيْطة فكانت عند رَوّاد بن أبي بَكْرة ، وأمّا أمّ حَبيب فكانت عند أبي الصَهْباء بن عامر .

وأمّا عبد الرحمن بن زياد فكان يكنى أبا خالد ولاّه معاوية خراسان فأصاب مالاً فقال : أعيش مائة سنة وأُنفق كلّ يوم ألف درهم ، ثم قدم البصرة فأتلف ذلك المال قبل موته ، ومات بالبصرة وله عقب بها ، وكانت عنده فاختة بنت عُتْبة بن أبي سفيان .

وأمّا المغيرة بن زياد فلا عقب له ؛ وأمّا محمد فكانت عنده صَفيّة بنت معاوية ولا عقب له ؛ وأمّا أبو سفيان فكانت عنده بنت حكيم بن قيس بن عاصم فهرب من الطاعون الجارف إلى البادية ، فطُعن بالبادية فمات وله عقب بالبصرة .

وأمّا سَلْم فيكنّى أبا حرب وكان أجود بني زياد ، وولي خراسان ليزيد بن معاوية وفيه يقول زياد الأعجم :

إلى سَلْمٍ أبي حَرْبِ آبنِ حَرْب غَدَتْ سَفْواءُ مِنْ فُرْهِ البِغالِ
فما عَدَلَت يَمينَكَ مِنْ يَمينٍ ولا عَدَلَتْ شِمالَكَ من شِمالِ(١)

وفيه يقول ابن عَرادَة السَعْدي :

يَقولونَ آعْتَذر مِنْ حُبّ سَلْمٍ إذاً لا يَقْبَلُ الله آعتذاري
تَخيرتُ المُلوكَ فحَلَّ رَحْلي إلى سَلْمٍ ولَمْ يُخِبِ آختِياري

ولم يزل بخراسان حتى مات يزيد فقدم البصرة ، ثم أتى ابنَ الزبير وقد ظهر بمكة فحبسه وأغْرمه أربعة آلاف ألف درهم فاحتال لصاحب سجن ابن

١ ـ شعر زياد الأعجم ـ ط . دمشق ١٩٨٣ ص ١٦٠ .

الزبير حتى أخرجه أيّام قِدم الحجّاج مكة ، فلحق بعبد الملك بن مروان ، فكتب له عهده على خراسان فقدم البصرة فمات بها وله بها عقب .

وأمّا عبّاد بن زياد ، ويكنى أيضاً أبا حرب ، فولّاه معاوية سِجِستان ، ويقال ولّاه إيّاها أخوه ، وكان منزله بالشام ، وكان صاحب خيل يسابق عليها ، فقال الراجز :

سَبَقَ عَبّـادٌ وصَـلّى وثَلَثْ   بِأَعْوَجِيّـاتٍ قَليلاتِ اللبَثْ[1]

وفيه يقول الأخطل :

وما أَرْضُ عَبّادٍ إذا ما أَتَيْتَها   بِحَزْنٍ ولا أَعْطانُها بِجُدوبِ
رَبيعٌ لِهُلّاكِ البِلادِ إذا ارْتَمَتْ   رياحُ الثُّرَيّا من صبَاً وجَنوب
حباني بِطِرْفٍ أَعْوَجيٍّ وقَيْنَةٍ   مِنَ البَرْبريّات الحِسانِ لَعوبِ
إلَيْـهِ أَشارَ النـاظِرونَ كَـأَنَّهُ   هِلالٌ بدا لِلناس بَعْدَ غُيوبِ
ولولا أَبو حَرْبٍ وفَيْضُ بِحارِهِ   علينا رَمانا دَهْرُنـا بِخُطوبِ
كريمُ مُناخِ القومِ لا عاتِمُ القِرَى   ولا عند أَطْرافِ القنا بِهَيوبِ[2]

في أبيات ؛ وقال الأخطل أيضاً :

إلى فتىً لا تَخَطّاهُ الرفاقُ ولا   جَذْبِ الخِوانِ إذا ما آسْتُحْسِنَ المَرَقُ
مُوطَّأُ البيتِ محمـودٌ شَمائُلهُ   عندَ الحَمالَةِ لا كَزٌّ ولا عَوِقُ[3]

١ ـ الرجز ليزيد بن مفرغ الحميري ، ولم يرد في ديوانه المطبوع .
٢ ـ ديوان الأخطل ص ٤٧ ـ ٤٨ مع فوارق .
٣ ـ ديوان الأخطل ص ٢١٤ ـ ٢١٥ مع فوارق .

وله عقب بالشام والبصرة ، ومات سنة مائة بجَرُود[1] ، وكان صديقاً لعليّ بن عبدالله بن عبّاس ، وهو كلّم الوليد فيه حين ضربه وأقامه في الشمس .

وأمّا الربيع بن زياد فكان أعْرج وكانت عنده تاجة بنت القَعْقاع بن شَوْر الذُهْلي وله عقب بالبصرة قليل .

وأمّا أبو عُبَيْدة فولّاه سَلْم بن زياد كابُلَ وأُسر ففداه بسبعمائة ألف درهم ، وله عقب بالبصرة .

وأمّا يزيد بن زياد ، فإنّ سَلْماً ولّاه سجستان ، فقتله العدوّ ولا عقب له .

فأمّا الغُصن فمات وهو غلام لا عقب له .

وأمّا عمرو فهلك وهو غلام ، ولا عقب له .

أمّا عُتْبة فله عقب بالبصرة .

وأمّا أبان فلا عقب له .

فأمّا جعفر فكان من أشدّ الناس ولا عقب له .

وأمّا إبراهيم بن زياد فقُتل مع ابن الأشعث ولا عقب له .

وأمّا سعيد بن زياد فله عقب .

وأمّا عبدالله فله عقب قليل بالبصرة .

---

١ ـ جرود : بلدة في القلمون تتبع منطقة القطيفة وتبعد عنها ٢٠ كم وهي من نواحي محافظة ريف دمشق ، وهي بلدة قديمة تعود إلى العصر الآرامي . المعجم الجغرافي للقطر السوري .

وأما عبيد الله بن زياد :

فكان يكنى أبا حفص ، وكان جميلاً أُرقَط ، ولّاه معاوية خراسان ، ثم ولي بعد أبيه البصرة ، وولّاه الكوفة بعد ابن أمّ الحَكَم ، وهو قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ، وقد كتبنا خبره وخبر الحسن في أخبار آل أبي طالب ؛ وأخرجه أهل البصرة حين مات يزيد فصار إلى الشأم ، ثم قُتل بالخازَرِ وهو نهر بالموصل بالقرب من الزاب ، فقال فيه ابن مُفرّغ الحِميري :

إن الذي عاشَ خَتَّاراً بِذمِتِه ومات عَبْداً قَتيلُ الله بِالزابِ[1]

وكان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مُفَرّغ الحِميري صديقاً لسعيد بن عثمان بن عفّان فسأله أن يخرج معه إلى خراسان حين ولّاه إيّاها معاوية فلم يفعل ، وصحب عَبّاد بن زياد ، وقد ولي سِجِسْتان ، فجفاه ولم يَرَ منه

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ٨١ .

ما يحبّ فهجاه ، فأمر عَبّاد غُرماءَه أنْ يَسْتعدوا عليه ففعلوا فباع غلاماً له يقال له بُرْد كان ربّاه وجارية له يقال لها أراكة وقضى غرماءه ثمنها وقال :

لَهْفي عـلى الأمرِ الـذي كـانَتْ عَـواقِبُـهُ نَـدامَـة
تَـرْكي سَعيـداً ذا النَـدَى والبَيْتُ يُعْمـدُ بِـالـدعِـامَـةْ
وصَحِبتُ عبـدَ بَني عِـلا جٍ تلكَ أشراطُ القِيـامـةْ
وشـريْـتُ بُـرْداً لَـيْـتَـني مِن بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هَـامَهْ
[يا]هَامةً تَـدعـو الصَـدَى بَـيْنَ المُشَقَّـرِ واليَمـامَـةْ[1]

ثم هرب فكتب عَبّاد الى عبيدالله اخيه بهجاء ابن المُفَرّغ ، فألفاه الكتاب وهو عند معاوية وافداً عليه ، فاستأذن معاويةَ في قتله فقال:لا ولكن ما دون القتل ، فأتى ابن مُفَرّغ البصرة ، فاستخفى عند المنذر بن الجارود العَبْدي ، وكانت ابنته عند عبيدالله بن زياد ، فلما قدم عبيدالله البصرة طلب يزيدَ بن المُفَرّغ وجعل يستدل عليه حتى قيل له هو عند المنذر ، فبعث إلى المنذر مَنْ أتاه به والمنذر لا يعلم، فكّلمه المنذر فيه فلم يُجْبه ابن زياد، وأخذ ابن المُفَرّغ فقيَّده وحبسه ، ثم دعا به فحُمل على جمل عَوْد[2] ، ويقال : على حمار ، وقَرَن به خِنْزيرة وسقاه مُسهِلا وأمر أن يطاف به في الأسواف والمحالّ وجعلت الخنزيرة تصيح من شدة وثاقها فيقول ابن المُفَرّغ :

ضَجَّتْ سُمَيَّةُ لَمّا مَسَّها القَرَنُ

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ٢٠٩ ـ ٢١٤ وأضيفت (يا) في مطلع البيت الأخير اعتماداً على ما أورده محقق الديوان في الحواشي .
٢ ـ العود : المسن من الإبل . القاموس .

وأقبل يسلَح في ثيابه ، ويقال : إنّه ضربه مع هذا بالسياط ، ورآه رجل من الفرس فقال ابن شبست؟ فقال ابن مُفَرّغ : آب است نبيذ است، عُصارات زبيب است ، سُمَيَّة روسبي است ، وفي ذلك يقول :

يَغْسِلُ الماءُ ما صَنَعْتَ وشِعْري   راسِخٌ في العِظام مِنْكَ البَوالي(١)

وذكر بعضهم : أنّ شعرا قيل في معاوية نُسب إلى ابن مُفَرّغ فاحتمل عليه غيظاً وهو :

ألا أَبْلِغ مُعاوِيةَ بنَ حَرْبٍ   مُغَلْغلةً مِنَ الرَجُلِ اليَماني
أَتَغْضَبُ أَنْ يُقالَ أَبوكَ عَفٌّ   وتَرْضَى أَنْ يُقالَ أَبوكَ زانِ
فأُقْسِمُ أَنَّ رِحْمَكَ مِنْ زِيادٍ   كَرِحْمِ الفيلِ مِنْ وَلَدِ الأَتانِ(٢)

وبعضهم يقول أنّ الشعر لابن قَتَّة .

ثم إن وجوه أهل الشام كلّموا معاويةَ في أمر ابن مفرغ ، لليمانية ، وقالوا : شاعرنا وقد تعدّى عليه ابن زياد وفضحه ، وخرج طلحة الطَّلَحات في أمره إلى معاوية ، فكتب معاوية بإطلاقه ، فأطلقه ابن زياد وعاتبه فقال له ابن مُفَرَّغ : إنّي أُحبّ أن أنزل كِرْمان لئلّا تُبْلغ عنّي شيئاً ، فكتب له إلى عامله على كِرْمان بصلة ، وأمره ان يُقْطِعه بها قطيعةً ففعل ، ولم يزل بكرمان حتى هرب ابن زياد إلى الشام من البصرة فقدم البصرة .

وحدثني أبو عَدْنان الأَعْور عن أبي زيد الأنصاري قال : كتب عَبّاد بن زياد إلى أخيه عبيدالله بشعر لابن مفرغ يقول فيه :

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ١٨٨ .
٢ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

إذا أَوْدَى مُعاوِيَةُ ابْنُ حَرْبٍ فَبَشِّرْ شَعْبَ قَعْبِكَ بِٱنْصِداعِ
شَهِدتُ بأَنَّ أُمَّكَ لَمْ تُباشِرْ أَبـا سُفْيانَ واضِعَـةَ القِناعِ
ولكِنْ كانَ أَمرٌ فيـهِ لَبْسٌ على وَجَلٍ شديدٍ وَٱرتِياعِ[1]

فأنشده عبيدالله معاوية وكان قد وفد إليه، واستأذنه في قتل ابن مفرغ، فقال: أَمّا القتل فلا ولكن أَدِّبْه.

وقدم ابن مُفَرِّغ البصرة هارباً من عَبّاد بن زياد، فاستجار الأحنف فقال: إنّي لا أُجير على ابن سُمَيّة، فإن شئتَ كفيتُك شعراء بني تميم فقال: ذلك مالا أُبالي أَلّا أُكفاه، فأتى خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد، فوعده أن يكلّم فيه ابنَ زياد، ووعده عمرو بن عبيدالله بن مَعْمَر مثل ذلك، ثم أتى المنذر بن الجارود فأجاره، وكانت ابنته بَحْرِيَّة عند ابن زياد، فلما قدم عبيدالله البصرة دسّ إليه من أتاه به، فسقاه دَواءً سلّحه في ثيابه وهو على حمار يُطاف به فقال ابن مفرغ:

تَركْتُ قُرَيْشاً أَنْ أُجاوِرَ فيهمُ وجاوَرْتُ عَبْدَ القيسِ أَهلَ المُشَقَّرِ
أُناساً أَجاروني فكان جوارُهُمْ أَعاصِيرَ مِنْ فَسْوِ العِراقِ المُبَذَّرِ
فأَصبحَ جاري نائِماً مُتَبَسِّطاً ولا يَمْنَعُ الجيرانَ غيرُ المُشَمِّرِ[2]

وقال أيضاً:

أَصْبَحْتُ لا مِنْ بَني بَكْرٍ فتَنْصُرَني بَكْرُ العِراقِ ولَمْ تَغْضَبْ لَنا مُضَرُ
ولَمْ تُكَلِّمْ قُرَيْشٌ في حَليفِهِمُ إِذْ غابَ ناصِرُهُ بِالشّامِ واحْتَضَروا[3]

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص١٥٦ ـ ١٥٧ .
٢ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص١٣٦ ـ ١٣٧ مع فوارق.
٣ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص١٢١ ـ ١٢٢ .

وكلّمت اليمانية معاويةَ في أمره فأرسل رسولاً إلى عبيد الله وأمره بحمل ابن مُفَرِّغ معه، وكان قد أشخصه إلى أخيه عبّاد وهو بِسجستان، فرُدّ وأُتي به معاوية فقال في طريقه:

فما إنْ لِعَبّادٍ عَلَيْكِ إمارةٌ ... نَجَوْتِ وهذا تَحْمِلينَ طَليقُ
لَعَمْري لقد نَجّاكِ مِن هُوَّةِ الردى ... إمامٌ وَحَبْلٌ لِلأميرِ وَثيقُ
سَأَشْكُرُ ما أَوْلَيتَ مِن فَضْلِ نِعْمَةٍ ... ومِثْلي بِشُكْرِ المُنعِمينَ حَقيقُ[1]

فلما دخل على معاوية بكى وقال: رُكِب مِنّي ما لم يُركب من مسلمٍ على غير حَدَث ولا جُرْم، فقال ألستَ القائل:

أَلا أَبْلِغْ مُعاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ اليَماني

وأنشده أشعاراً بلغَتْه عنه، فحلف أنّه لم يَقُلْها فقال: اذهبْ فقد عفوتُ عنك وانظر أيَّ بلد تحبّ أن تسكنه فاسْكنه، فنزل الموصل ثم ارتاح للبصرة فقدمها ودخل على عبيد الله بن زياد فآمنه.

قالوا: ولم يزل عبيد الله على البصرة حتى ماتْ معاوية فأقرّه يزيد بن معاوية على ما ولاه أبوه.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي عن موسى بن إسماعيل عن عبد الحميد بن عبد الله عن ثابت البُناني قال: كنت عند الحسن فقام سائلٌ ضرير البصر فقال: تصدّقوا على من لاقائدَ له يقوده ولابصرَ يهديه، فقال الحسن: ذاك صاحب هذه الدار ـ يعني عبيدالله بن زياد ـ ما كان له من حَشَمه قائد يقوده إلى خير ولا يشير به عليه ولا كان له بصر يبصر به فينفعه.

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص١٧٠ ـ ١٧٥ . مع فوارق كبيرة.

قالوا: وكان عبيد الله بن زياد أوّل من طلب المثالب وعُنِيَ بجمعها ليعارض الناس بمثل مايقولون فيه.

أبو الحسن المدائني، قال: كان ابن زياد يقول حبّذا الإمارة لولا قعقعة البريد والتشزّن[1] للخُطَب.

وقال الهَيْثَم بن عَديّ: قال عبيد الله للاحنف:أيّ الشراب أطيب؟ قال: الخمر، قال: كيف علمت ذلك؟ قال:إنّي رأيت مَن استحلّها لا يتعدّاها، وَمن حرمها يتناولها فعلمتُ أنها أطيبه، فضحك عبيد الله وقال: صدقت.

قال: وكان ابن زياد يُغري بين الشعراء فقال يوماً لحارثة بن بدْر الغُداني أهْجُ أَنَس بن زُنَيْم فقال أَعْفِني فلم يُعْفِه فقال:

وحُــدِّثْــتُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّــهُ قَــلـيــلُ الأمــانَــةِ خَــوّانُها
بَصيرٌ بِما ضَرَّ مِنْهُ الصَديقُ وشَرُّ الأخِــلاء عــورانُها

فقال أَنس:

أَتَـتْني رِســالَــةُ مُـسْـتَـكُـرَهٍ فــكــانَ جَــوابِيَ غُـفْــرانُها

وقال المدائني عن مَسْلمة: ولّى ابن زياد جَزْء بن معاوية عمّ الأحنف الفُرات فاختان مائة ألف درهم، وعرف الأحنف ذلك فأخبر به ابن زياد فقال له عبيد الله: هات خاتمك فأخذه منه وبعث به إلى أهله مع رسل له: هذا خاتم جَزْء وابعثوا بالمال الذي قدم به، فبعثوا بالمائة الألف مع رسل ابن

---

١ ـ التشزن: التأهب والتهيؤ للشيء والاستعداد له، والمتشزن هو الذي يدع الطمأنينة في جلوسه، ويتعد مستوفزاً على جانب. النهاية لابن الأثير.

زياد، فقال جَزْءٌ للأحنف: لاجزاك الله عن الرحم خيراً، فقال الأحنف: وأنت فلا جزاك الله عن الأمانة خيراً، ويقال: إنّ زياداً فعل هذا.

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء عن أبي زُبيد عن أبي حصين قال: بلغ يزيد بن معاوية أنّ الحسين عليه السلام يريد الخروج إلى الكوفة فغمّه ذلك وساءَه فأرسل إلى سَرْجون مولاهم وكان كاتبه وأنيسه فأستشاره فيمن يولّيه الكوفة فأشار بعبيد الله بن زياد، فقال: إنّه لاخير عنده، قال: أَرأيتَ لو كان معاوية حيّا فأشار عليك به أكنت تولّيه؟ قال: نعم، قال: فهذا عهد معاوية إليه بخاتمه وقد كان ولّاه فلم يمنعني أن أُعلمك ذلك إلا معرفتي ببغضك له، فأنفذه إليه وعزل النُعْمان بن بَشير، وكتب إليه: أمّا بعد فإنّ الممدوح مسبوب يوماً، وإنّ المسبوب ممدوح يوماً، وقد سُمِيَ بك يوماً إلى غايةٍ أنت فيها كما قال الأَوّلُ:

رُفِعْتَ فجاوَزْتَ السَحابَ وفَوْقَهُ فما لكَ إلا مَرْقَبَ الشَمْسِ مَقْعَدُ

حدثني عمر بن شَبَّة حدثنا موسى بن اسماعيل وحدثني يوسف بن موسى القَطّان قالا: حدثني حَكّام عن عمرو بن معروف عن لَيْث عن مُجاهد قال: قال عليّ عليه السلام وهو بالكوفة: كيف أنتم إذا أتاكم أهل بيت نبيّكم يحمل قويُّهم ضعيفهم؟ فقالوا: نفعل ونفعل، فحرّك رأسه ثم قال: تُورِدون، ثم تعرِّدون[1]، ثم تطلبون البراءة ولابراءة لكم.

وحدثني صديق لي عن يوسف بن موسى أَنّ في حديثه: وتعينون عليه شرَّ أهلِ زمانه في نسبه وسيرته.

---

١ ـ عرد تعريدا: هرب، وترك الطريق، القاموس.

حدثنا عمر بن شَبّة حدثنا محمد بن حاتم حدثنا القاسم بن مالك حدثنا مِسْعَر بن كِدام عن مَعْبَد بن خالد قال: قال لنا مروان: صلّوا مع ابن زياد واجعلوا صلاتكم معه سُبْحَة.

حدثني يوسف بن موسى حدثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال: أوّل من جهر بالمُعَوِّذَتَيْن في الصلاة عبيد الله ابن مَرْجانة.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا أبو داود حدثنا المسعودي عن عليّ بن مُدْرِك قال: أُتي ابن زياد بابن مُكَعْبِر فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه، فقال علقمة سمعت ابن مسعود يقول: أعصى الناسِ قَتَلَهُ اهلِ الإيمان.

قالوا: وبنى ابن زياد مسجد الكوفة ووَهى بعض ما بنى فبناه يوسف بن عمر.

قالوا: وتزوّج عبيد الله بن زياد هِنْداً بنت أسماء بن خارجة الفَزاري، فعاب ذلك على أسماء محمد بن عُطارد، ومحمد بن الأشعث بن قيس، فتزوّج أمّ النعمان ابنة محمد بن الأشعث، وزوّج أخاه عثمان بن زياد ابنة محمد بن عُمير، وزوّج أخاه عبد الله بن زياد ابنة عمرو بن حُرَيْث المَخْزومي، فقال ابن الزَّبير الأسَدي:

لَقَد أنْكَحْتَ خَوْفَ الهَزْلِ عَبْداً وَصِهْرُ العَبْدِ أَدْنَى لِلهُـزالِ

ويقال إنّ عُقْبة الأسدَي تقلّد سيفا ليفتك بهند فلم يمكنه ذلك فقال:

أَرَدْتُ بها أَمْراً قضى الله غَيْرَهُ وليس لأمْرٍ حَمَّهُ الله مَدْفَعُ
وأُقْسِمُ لو عايَنْتُها لَكَسَوْتُهـا بَتوكاً إذا عَضَّ الضَرِيبَةَ يقْطَعُ

وقال أيضاً:

جزاكَ الله يا أَسماءُ خَيْراً كما أَرْضَيْتَ فَيْشَلَةَ[1] الأمير
بِفَرْجٍ قد يفوحُ المِسْكُ مِنْهُ عَظيمٍ مِثْلِ كِرْكِرَةِ البَعير
وذي حُبُكٍ كَأَنَّ الجَمْرَ فيه يُشَبَّهُ حَرُّهُ لَهَبَ السَعير

وقال الهيثم بن عديّ: أرسل ابنُ زياد مولى له إلى أسماء قبل ولاية ابن زياد الكوفة وهو بالبصرة يخطب عليه ابنته فزوّجه إيّاها، فقال له عمرو بن حُرَيْث: أزوّجتَه ولا سُلْطان له عليك؟ فلمّا قدم الكوفة زوّج أخاه ابنة عمرو بن حُرَيْث، قال: وقال عبيد الله بن زياد لجرير بن عبد الله البَجَلي زوّجني ابنتك قال: قد زوّجتُها مِنْ عمرو بن حُرَيث، قال: أكذاك ياعمرو؟ قال: نعم، فلما خرجا زوّجه إيّاها.

المدائني عن جرير بن حازم عن الحسن وعن هُشَيْم عن مغيرة عن إبراهيم، قالا: مارأينا أحداً شرّاً من ابن زياد:

وقال الأعمش : كان مملوءاً شرّاً ونَغلا .

المدائني ، قال : هجا عبدالله بن همّام عمرو بن نافع ـ مولى بني أميّة ـ وكان يتولى ديوان الكوفة لزياد ـ فلما ولي عبيدالله وشي به إليه فطلبه فهرب إلى يزيد بن معاوية، ومدح عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان واستجار به في شعر يقول فيه :

أَراكَ إذا أَجَرْتَ على أَميرٍ وَثيقَ عُرَى الأمانِةِ والجوار
فإنّي لا أُبُثُّكَ بَثَّ فَقْري ولكنّي أُحاذِرُ مِنْ طَمارِ
أَعوذُ مِنَ العُقوبَةِ يا بنَ حَرْبٍ ومَعْقِدِ ما عَقَدْتُ مِنَ الإزارِ

١ ـ الفيشلة: الحشفة. القاموس.

وكان ابن زياد إذا غضب على رجل ألقاه من فوق قصر الكوفة، وطَمار كلّ مرتفع.

حدثني العُمري عن الهَيْثم بن عَديّ قال: اذن ابن زياد إذنا عامّا فدخل الناس عليه فزحم غسّان بن نُباتَة - أخو الأصْبَغ بن نُباتَة المُجاشعي - عمرو بن الزبير فلما استقرّ بهم المجلس، رفع عمرو يده فلطم لَبيد بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة، فغضبتْ له بنو تميم، وكلّم الناس لبيداً فقال: لا أطلبها أبدا، وبلغ الخبر أهل الكوفة فقال عبد الله بن الزَبير الأسَدي.

فلا يَصْرِمِ الله اليَمينَ التي عَلَتْ   على البُغْضِ والشَحْناء أَنْفَ لَبيدِ
فَآبَ بَنو وَلْدِ أستِها بمُضاعَفٍ   مِنَ اللَطْمِ لايُحْصونَهُ بِعَديدِ
نَمَتْ بِكَ أَعْراقُ الزُبَيْرِ وهاشِمٍ   وعِرْقٌ نَمى مِن خالِدِ بن سَعيدِ

أمّ عمرو أمّ خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص أبي أُحَيْحة، وأمّ الزُبَيْر صَفِيّة بنت عبد المطّلب بن هاشم، فقال مِسْكين الدارمي وهو [ابن] عامر بن أُنيْف بن شُرَيْح بن عمرو بن عُدُس:

مَعاذَ الله أَنْ تُلفَى رِكابي   سِراعاً إِذْ وَرَدْنَ على ضُمَيْر
طِوالَ الدَّهْرِ أَوْ يَرْضَى لَبيدٌ   وكانَ الضَيْفُ مَحْقوقاً بِخَيْر
سَتَلْطِمُ مُنْذِراً أَوْ وَجه عمروٍ   ولو دَخَلا بِيَثْرِبَ في اسْتِ عَيْر
فإِنْ تَكُ لَطْمَةٌ أَدْرَكْتُموها   فلَمّا تُدْرِكوا بِدَمِ الزُبَيْر [1]

وكان المنذر وافدا على عبيد الله بن زياد حين ولي الكوفة، وكان صديقاً له فرصده رجال من بني تميم منهم نُعيم بن القَعْقاع بن مَعْبد بن زُرارة، ورجل من بني ظاعنة إخوة تميم، وهم حلفاء لبني عبد الله بن دارِم، وثالِثٌ معهم، وجاء المنذر يوم جمعة يريد المسجد فلطمه أحدهم، ثم الثاني، ثم

١ - ليست في ديوانه المطبوع.

الثالث، فدخل المنذر على عبيد الله فقال له: ماأتيتك حتى ظننت أنّ الجُدْران ستلطمني، فأرسل ابن زياد إلى محمد بن عُمير، ولم يكن فيمن لطمه، إلا أنّه قد أمرهم بذلك، فحبسه في السجن، وأخذ نُعيما وأصحابه فضربهم بالسياط، وقال بعضهم: إنّه قطع أيديهم.

وقال ابن الأعرابي قال المفضّل الضَبّي: لما قدم منذر بن الزبير على ابن زياد بعد لطم عمرو لبيداً، لطم محمد بن عُمير منذراً، فأخذه ابن زياد فضربه وجاءت بنو أسد بن خُزَيْمة فجعلت تلطم بني تميم، فيقال: إنّه لم يبق من بني تميم أحد يظهر إلا لُطم، فقال الشاعر:

ونَحْنُ لَطَمْنا مُنْذِراً يَوْمَ جُمْعَةٍ ... إذا نَهلَتْ مِنّا الأَكُفُّ نُعيدُها
لَطَمْناهُ حَتّى أَسْبَلَتْ بِدمائِها ... خَياشيمُ كانتْ مُسْتَكِنّاً فَصيدُها
رَأى مُنْذِرٌ دُفّاعَ مَوْجٍ عرَمْرَمٍ ... وكثْرَةَ أَيْدٍ لم يَجِدْ مَن يَذودُها
فقُلْ لِبَني العَوّامِ يَنْهُوا سَفِيهَهُمْ ... عَنِ الجَهْلِ لا تُنْكَأ بِلَطْمٍ خُدودُها

وقد روى بعضهم أنّ عمر بن سعد بن أبي وقّاص نازَع ابن أمّ الحَكَم عند معاوية، فأجابه لبيد عن ابن أمّ الحَكَم، وكان ابن أمّ الحَكَم مائلاً إلى بني حنظلة، فقام معاوية فدخل إلى أهله، فقال عمر بن سعد: يامعاشر قُريش أَما أحد يكفيني هذا الكلب التميمي؟ فقال عمرو بن الزبير لغلام له: ائت صاحِبَ العِمامة الحمراء فاكسرْ أنفه، ففعل الغلام، فصاح لبيد: ياأمير المؤمنين أَيُفعل بي هذا في مجلسك؟ فخرج معاوية وأمر بضرب الغلام، فقال لبيد: مايُقنعني هذا، فقال: أَيضربك الغلام وأضرب عمراً؟ لستُ بفاعل، وبلغ ذلك بني تميم ففعلوا بعد ذلك مافعلوا والله أعلم.

وقال المدائني: حبس ابن زياد عبدَ الله بن الحارث بن نوفل وأراد قتله لإِحْنَة كانت في صدور آل زياد عليه، وبلغ خبره خالاتِه بنات أبي سفيان، لأنّ أمّه هند بنت أبي سفيان، فكلّمن يزيد فيه وقُلْن: إنّا لانأمن عليه، فوجّه يزيد رسولاً وكتب معه إلى ابن زياد بتَخْلية سبيله، وكتب للرسول منشوراً، فانطلق الرسولُ إلى عبيد الله فأخرجه، وكان مع المختار في محبس واحد حين حبس ابنُ زيادٍ المختارَ.

قالوا: وكان زياد يُطعم الناس بالغداة والعشيّ، إلا يوم الجمعة فإنّه كان يعشّي ولايغدّي، وكان لايُرَدّ عن طعامه أحد، وكان يتمجّع[1] عنده بالغداة اللبنَ مَن حَضَرَه، وكان لعبيد الله بن زياد طعام لخاصّته وحَرَسه ولم يكن له طعام للعامّة، وكان عبيد الله أكولاً يأكل في اليوم خمس أكلات آخِرُها جبنة بعسل توضَع بين يديه بعد فراغه من الطعام،وكان يأكل جَدْياً أو عناقاً[2] يُتخيّر له في كلّ يوم فيأتي عليه، ومرّ بالطَفّ فقال له رجل من بني أَسَد: أَتتغدّى أصلح الله الأمير؟ فأكل عنده عشر بَطّات وزَبيلاً من عنب، ثم عاد وأكل عشر بطّأت أُخر وزبيلاً من عنب وجَدْياً.

وحدثنا المدائني عن عبد الله بن سَلْم وعن عامر بن فائد قالا: قال الحسن: قدم علينا عبيد الله بن زياد فقدم شابّاً مترفاً فاسقاً يأكل في اليوم خمس أكلات، وإن فاتته أكلة ظلّ لها صريعاً يتّكىء على شماله ويأكل بيمينه،

---

١ ـ تمجع: أكل التمر اليابس باللبن معاً. القاموس.

٢ ـ العناق: الأنثى من أولاد الماعز. القاموس.

حتى إذا غلبت عليه الكِظّة[1] قال: أبغوني حاطوماً[2]، ثكِلَتْك أمُّك إنّما تَحْطِم دينَكَ.

وقال ابن الكلبي وغيره: حلف ابن زياد لَيقتلنَّ المختار بن أبي عبيد، فسمع ذلك أسماءُ بن خارجة، وعُرْوة بن المغيرة، فدخلا عليه فأخبراه بذلك، وقالا: أَوصِنا في مالك واحفظ لسانك، فقال: كَذب والله ابن مَرْجانة الزانية، والله لأقتلّنه وَلأضَعنّ رجلي على خَدّه، فقال أسماء: يا أبا اسحاق قد كانت تبلغنا عنك أشياءُ فأمّا إذ سمعنا منك هذا القول فما فيك مُسْتَمْتَع، ثم نهضا متعجّبين من قوله مستحمقين له، وبَكَرا إلى ابن زياد فإذا زائدة بن قَدامة الثَقَفي قد دخل عليه بكتاب من يزيد بن معاوية يُعْلمه فيه أنّ عبد الله بن عمر كتب إليه فيه، ويعزم عليه أن يخلّي سبيله، فقال لزائدة: يابن جُمانة أيّ الرجلين: الكذّاب الذي في محبسي أَم الخارج بغير إذني[3]؟ ثم أمر به فُوجئت عنقه وقال: انطلقوا به إلى الحبس، فقام إليه مسلم بن عمرو الباهلي فطلب فيه حتى أخرجه من الحبس وقال للمختار: ياكذّاب قد أجَّلتُك ثلاثاً فلا تُساكِنّي، ففُكّت قيوده بالعُذَيْب.

وقال عُقَيْبة الأسَدي، وهو عقيبة بن هُبَيْرة بن فروة بن عمرو بن عبيد بن أسعد بن جَذيمة بن مالك بن نصر بن قُعَين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أَسَد:

---

١ ـ كظه الطعام: ملأه حتى لايطيق النفس. القاموس.

٢ ـ الحاطوم: الهاضوم. القاموس.

٣ ـ الخارج بغير اذنه هو زائده نفسه، انظر تاريخ الطبري ج٥ ص٥٧٠ ـ ٥٧١ .

لبس ابن زِيادٍ كِساءَ الخَزِّ مُنْكَرَةٌ لكِنْ كِساءُ زيادٍ كان مِن صوفِ
نِجارُ فِهرٍ مُبينٌ في تَوَسُّمِهِمْ لكِنْ نِجارُ زِيادٍ غَيْرُ مَعْروفِ
لَسْتُمْ قُرَيْشاً ولكِنْ أَنْتُمُ نَبَطٌ صُهْبُ اللحَى والنواصي صُهْبَةَ الليفِ

فكان عبيد الله بن زياد يذكر هذا الشعر ثم يقول: كذب ابن الفاعلة.

حدثني الحِرْمازي قال: كان سعيد بن شَدّاد اليربوعي معلّماً، وكان ابن زياد يستملحه ويدعو به كثيراً، فَابطأت عليه صلته، وقال ابن زياد يوما: ماأحْوَجني إلى وُصَفاء، فعمد إلى صِبيْةٍ في كُتَّابه فألبسهم الثياب وأتاه بهم وقال: هؤلاء وُصَفاءُ، فاشتراهم منه، فلمّا أمسوا جعلوا يبكون ويطلبون منازلهم، فأطلقهم ابن زياد وقال لسعيد: ماحملك على هذا؟ قال: إبطاءُ صلتي، فضحك وسوّغه أثمان الصبيان وزاده.

قالوا: ولم يزل ابن زياد على العِراقَيْن حتى مات يزيد بن معاوية، وهو يومئذ بالبصرة، وعلى الكوفة من قِبَله عمرو بن حُريث، ومات أبو لَيْلَى بعد أبيه بيسير، فأخرج أهل الكوفة عمراً، وتراضوا بعامر بن مسعود الجُمَحي، وهو دُحُروجَة الجُعَل وكان قصيراً[1].

قالوا: ولما طلب ابن زياد الخوارج تضمّن عُبيد الله بن أبي بَكْرة بعُرْوة بن أُدَيّة فهرب، فقال له ابن زياد: ائتني به وإلا قتلتُك، فطلبه أشدَّ الطلب وجعل فيه جعلاً، فُوجد في سَرَب في دار لبعض بني سفيان، فقرأ عبيد الله قصّته: «إنّا وجدنا عُرْوةَ يَشْرَب في دار» فضحك عبيد الله وقال:

١ ـ بهامش الأصل: «يتلوه: وحدثني يحيى بن معين قال: كان ابن زياد يوم قتل الحسين» وطبعا لم يرد أي شيء.

كذبتم ليته كان يشرب، فقال له بعض مَن حضره: انّما وُجد بِسَرَب. فلما أُدخل عُرْوة عليه قال: جهزّتَ عليَّ أخاك، فقال: والله لقد أردتُه على المُقام فأبى، ولقد كنتُ ضنيناً وبحياتِه كثيراً، قال: أَفأَنت على دينه؟ قال: كلّنا نعبد ربّاً واحداً، قال: فما قولك فيَّ؟قال: أَوّلُك لِزنْيةٍ وآخِرُك لدِعْوَةٍ، قال: لأَمَثِلَنّ بك، قال: اختر لنفسك من القِصاص ما أحببت، فأمر به فقطعوا يديه ورجليه، فقال: كيف ترى؟ قال: أراك أفسدتَ علي دُنْيايَ وأفسدتُ عليك آخِرتَك، وما أُحبّ أَنّ الذي نالني نال غيري، فأمر به أن يُصلبَ في داره، فسقط عن الجِذْع فقال: لا حُكْم إلا الله ﴿ولو كرِه المُشْرِكُون﴾[1]، فصُلب، وسأل ابن زياد رجلاً كان يخدم عُرْوة عنه فقال: لم أفْرُش له بلَيْلٍ مُذْ صَحِبْتُه ولم أُعِدَّ له طعاماً بنهار.

وتغيّب رجل من بني حنيفة فقتل ابن زياد كفيله.

وقال الرهين بن سَهْم المُرادي:

[يا] نَفْسِ قد طالَ في الدُنْيا مُراوَغَتي ... لا تَأْمَني لِصُروفِ الدَهْرِ تَنْغيصا
فأسألُ الله بَيْعَ النَفْسِ مُحْتَسِباً ... حَتّى أُلاقِيَ في الفِرْدَوْسِ حُرْقوصا
وَابْنَ المَنيحِ ومِرْداساً وإِخْوَتَهُ ... إِذْ فارَقوا زَهْرَةَ الدُنْيا مَخاميصا
تَخالُ صَفَّهُمُ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... لِلْمَوْتِ سُوراً مِنَ البُنْيانِ مَرْصوصا[1]

وحدثنا أبو خَيْثَمة وأحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن عيسى بن عاصم قال: خرج ابن زياد في رِهان له، فلما جلس ينتظر الخيل جمع الناس وفيهم عُرْوة بن أُدَيّة، فأقبل عُرْوة على ابن زياد

١ ـ سورة التوبة ـ الآية : ٣٣ .

٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص٧٦ ـ ٧٧ .

فقال: خمسٌ كنَّ في الأمَم قبلنا قد أصبحن فينا، قال الله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيةً تعْبثون * وَتَتخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَّلَكُمْ تَخْلُدُونَ وَإذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[1] وخَلَّتان أُخريان ذَكَرَهما لاأَحفَظُهما، فظنّ ابن زياد أنّه لم يقل له هذا القول إلا وهو في جماعة من أصحابه، فقام فانصرف وترك رهانه، فقيل لعُرْوة: ماصنعتَ؟ والله ليقتلنّك، فتوارى عُرْوة وطلبه ابن زياد فخرج إلى الكوفة، فأخذه ابن أبي بكرة وكتب إلى ابن زياد: إنّي أخذت عُرْوة بن أُدَّيّة بسَرَب فظنّ ابنُ زياد أنّه كتب: «وجدته يشرب» فلما أُتي به أمر فقُطعت يداه ورِجْلاه، ثم قال: كيف ترى؟ قال: أفسدتَ دُنْيايَ وأفسدتُ عليك آخرتكَ، ثم بعث برأسه إلى ابنته، فجاءت وجُثّته مطروحة بين يدي ابن زياد، فقال لها: أنتِ على دينه؟ قالت: وكيف لا أكون على دينه وما رأيت قطّ خيراً منه، فأمر بها فقتلت مع أبيها.

وأنشدني أبو الكُرْدي الإباضي لعِمْران بن حِطّان أو سعيد بن مسجوح:

لقد زادَ الحياةَ إليَّ بُغْضاً ... وحُبّاً لِلْخُروجِ أَبو بِلالِ
وعُرْوَةُ بَعْدَهُ سَقْياً ورعْياً ... لِعُرْوَةَ ذي الفَضائِلِ والمعالي
أَخافُ أَنْ أَموتَ على فِراشي ... وأَرْجو الفَتْكَ تَحْتَ ذُرَى العَوالي
ولَوْ أَنّي وَثِقْتُ بأَنَّ حَتْفي ... كَحَتْفِ أَبي بِلالٍ لَمْ أُبالِ[2]

---

١ ـ سورة الشعراء ـ الآيات: ٢٨ ـ ١٣٠ .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص١٥٨ ـ ١٥٩ .

أمر مالك النميري: قالوا: أخذ ابن زياد رجلاً يقال له مالك بن نُمير فقال ابن زياد لنُمَيْلة بن مالك: أَتعرفه؟ فقال: أبو عَزّة الشُرَطيُّ يعرفه لأنه من بني نُمير، فقال ابن زياد: قم يا أبا عَزّة فاقتله، فقال: دمي دون ديني، فقال ابن زياد: أراد أبو عزّة أن يتشبّه بعبد الله بن عمر، وأمر بحبس أبي عَزّة، فكلّمه فيه نُمَيْلة فخلّى سبيله، وأمر غيرَ أبي عَزّة فقتل مالكاً. وقال أبو عَزّة.

نُمَيْلَةُ إنَّ اللهَ أعْظَمُ طاعَـةً   على خَلْقِهِ مِن طاعَةِ ابنِ زِيادِ
دَمِي دونَ ديني ليس لِلقَتْلِ تَوْبَةٌ   بِذاكَ يُنادي يا نُمَيْلَ مُنادي

أمر سُلَيم عبد اليشكري: قالوا: كان عبد لبعض بني يَشكُر يقال له سُليم يرى رأي الخوارج، ففسد على مولاه فحبسه وحال بينه وبين أصحابه من الخوارج، فجاء قوم من عَنَزَة إلى مولاه فسألوه أن يبيعهم إيّاه فأبى، ثم إنّم فقدوا العبد فعلموا أنّ مولاه قتله، فجاء نفر منهم إلى إبل اليَشْكُري ليلاً فعقروها، وقال شاعرهم:

نَحْنُ عَقَرْنا الإبلَ البَهازِرْ[1]   بِسَيْفِ حُمْرانَ وسَيْفِ جابِـرْ
والیَشْکُرِيُّ ساءَ ما يُباكِرْ

فكان بين يَشْكُر وعَنَزَة في امر الإبل كلام، فكادوا يقتتلون حتى غرمها حُمْران العَنَزِي، فقال رجل من بني شَيْبان:

لقد دَرْبخوا بِالإبْلِ بَعْدَ نُفورِهِمْ   كما دَرْبَخَتْ لِلمُؤكِفينَ[2] حَميرُها

١ ـ البهازر من النوق: العظام. القاموس.
٢ ـ دربخ: طأطأ رأسه، وبسط ظهره، والموكفون: الذين يضعون الاكاف ـ وهو القتب وماأشبهه ـ على ظهر الدابة.

أمر خالد بن عباد السدوسي في أيّام يزيد، ويقال: في أيّام معاوية،

قالوا:

أخذ عبيد الله بن زياد في أيّام معاوية، أو أيّام يزيد خالد بن عَبّاد، ويقال عُباد، وكان من عُبّاد الخوارج ومجتهديهم، وهو من بني عمرو بن سدوس بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلبة فكُلّم فيه فخلّى سبيله، وقيل له إنّه قد كُذب عليه وليس من أهل هذا الرأي، وضمِنه صَهْرٌ له، فكان لاينام الليل لتعهّده أيّاه في بيته، ففقده ليلةً وأُخبر أنّه لم يبتْ في بيته فأَتى ابنَ زياد فأعلمه ذلك، فدعا ابن زياد خالداً فسأله اين بات، فقال: كنت مع إخوان لي نذكر الله ونقرأ القرآن، قال: فدُلّني عليهم، قال: لو دللتُك عليهم لقتلتَهم ولو فعلتَ لنالوا سعادةً وشهادةً، ولكنّي أكره أن أروّعهم، فقال ابن زياد: العَنْ أهل النهروان قال: إن كانوا أَعْداء الله فلعَنهم الله قال: فَتَولَّ معاوية، أو قال يزيد بن معاوية، قال: إن كان مؤمناً وليّا لله فأنا وليّ له فلم يزدّه على هذا، فقال رجل ممّن حضر: أنا أكفيكه أيّها الأمير، فخلا به فقال: إنّك في تقيّة، لاتقيّه اليوم في الله، فقال ابن زياد: أَخرجوه إلى السوق فاقتلوه، وكان ضاوياً من العِبادة، فلم يُقدم احد على قتله وجعلوا يَتَفادَوْن منه، فمرّ به المُثَلَّم بن مَسْروح الباهِلي أحد بني وائل أو فَرّاص، وكان في الشُرَط، فشدّ عليه فقتله، فوضع الخوارج عليه عُيوناً فرأوه يسوم بِلِقْحَةٍ، فقال له رجل منهم: إنّ عندي لِقْحَة من حالها وحالها فانطلقْ معي لتراها وأنا أُساهلك في ثمنها، فمضى معه يمشي بين يديه، والمُثَلَّم على فرسه، ثم دخل داراً ودخل المُثَلَّم معه، وفي الدار خوارج فوثبوا عليه فقتلوه، وكان الذي قتله حُريث بن حَجْل، ودفنوه في ناحية الدار وجعلوا دراهم كانت معه في بطنه، وحكّوا أثر

الدم، وخلّوا فرسه حين أَمسوا، وطُلب المُثَلَّم فلم يوجد، فاتّهموا به بني سَدوس واستَعْدوا عليهم ابنَ زياد، وخرج قوم من باهلة إلى معاوية، أو يزيد فحكم على بني سَدوس بالقَسامة، فحلفوا بالله ماقتلنا ولا علمنا له قاتلاً، فأخذ به ابن زياد أربع دِيات من أَعْطِيَة بني سدوس؛ وقال ابن زياد: ماأدري كيف أصنع ماأَقتلُ رجلا من هذه المارقة إلا قُتل قاتلُه، فقال أبو الأسود الديلي:

آلَيْتَ لا أَمْشي إلى رَبِّ لِقْحَةٍ ... أُساوِمُـهُ حتى يَؤوبَ المُثَلَّمُ
وقال له كَوْمَاءُ حَمْراءُ جَلْدَةٌ ... وقارَبَهُ في السَّوْمِ والفَتْكَ يَكتمُ
فأَصْبَحَ قَدْ عُمِّي على الناسِ أَمْرُهُ ... وقد بات يَجْري فَوقَ أَثْوابِهِ الدمُ[1]

وكان أبو الأَسْوَد يقول: ماقتل المُثَلَّمَ إلا الطمعُ.

أمر عقبة بن الورد الجآويّ من باهلة: قالوا: رأى مسلم بن عمرو عند مسجد بني قُتَيْبَة عُقْبَةَ ومعه سيف، وكان خارجيًا مجتهداً، وأقبل حُجَيْر الجآوي من عند عبيد الله بن زياد وقد قتل عبيد الله قوما من الخواج فأصاب حُجَيْراً نَضْحٌ من دمائهم، فرآه عُقْبة مسرورا بذلك وهو يمضي إلى المسجد، فضربه بسيفه في المسجد فقتله، وضرب ربيعة بن عمرو، ومضى ليخرج، فألقى عليه رجل من أهل المسجد من بني أَوْد شَمْلَةً كانت عليه فصرعه، فقالت بنو جآوة: ثأرنا، وقالت بنو أَوْد: ثأرنا، وجآوة وأَوْد أَخَوان أبوهما مَعْن بن وَائِل من باهلة، وفرّاص أخوهما أيضاً، فضُربت عنقه وقُذف في بئر.

---

١ ـ ديوان أبي الأسود الدولي ص١٥١ ـ ١٥٣ .

أمر الهثهات بن ثور السدوسي: قالوا: سعى بالهَثْهَاث بن ثور ابن عمّ له إلى ابن زياد، فكلّمه فيه سُويد بن منجوف بن ثْور وقال: إنّ عمّي بريءٌ مّما قُرف به، فشتمه عبيد الله وقال: يابن البظراء فقال: لقد كَذَبَتْ نساءُ بني سَدوس إذاً، فاستحيا عبيد الله من سُويد ودعاً بالهَثْهَاث فقال له شَقيق بن ثَوْر: إنّك لاتدع هذا الرأي فاخرج عن هذه البَلدة، فخرج إلى الطَفّ فمات هناك، وقال بعضهم: إن ابن زياد لما أخرج الهَثْهَاث غرّبه إلى أُدام، ويقال: أدم[1].

قالوا: وسُعي بأُمّ الفضل بنت شَقيق إلى ابن زياد فحبسها، ثم كُلّم فيها فأخرجها، وكان الذي سعى بها رجل من ولد مَجْزَأة بن ثَوْر يقال له فَدكي فقال لأيُ بن شقيق يهجو فَدكيّا في شعر يقول فيه:

لَنْ تَجِدي في بُيوت الناس صالِحَةً ... إلا لها مِنْ بيوتِ السُّوءِ أَعْداءُ

في أبيات.

أمر أبي السليل: قالوا: خرج خارجي بالبصرة فحكّم في المسجد، وكان يُكنى أبا السَليل، فقام إليه عُقْبة بن وَسَّاج البُرْساني من الأَزْد، وعليه بتّ[2] فألقاه عليه فصرعه، وأخذ سيف الخارجي فقتله به.

أمر جزعة وصاحبها: قالوا: خرج رجل وامرأة يقال لها جَزْعَةُ ومعهما سيفان فحكما في مسجد البصرة ثم أخذت المرأة نحو بني سُليم، وأخذ الرجل نحو رَحْبة بني تميم فرآها قد بعدت منه فناداها: ياجزعة أقربي منّي، فقالت:

---

١ ـ أدم: موضع قريب من ذي قار. معجم البلدان.

٢ ـ البت: الطيلسان من خز ونحوه. القاموس.

﴿إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] فقتلهما الناس؛ ويقال: بل أُتي بهما ابن زياد فأمر بقتلهما، ويقال أنّه قتل الرجل وحبس المرأة.

وحدثنا المدائني قال: دخل رجل مسجد البصرة فحكّم فيه، فقام إليه رجل من بني تميم فقتله، وبلغ ابن زياد خبرُهُ فقال: من كان في المسجد؟ فقيل: كان فيه أبو حُمَيْلة مولى سَمُرَة بن جُنْدَب الفَزاري، فلامه ابن زياد وقال: لَمْ تقم إليه حتى قتله غيرُك، فقال: إنّي لو قمت إليه لاحتملته حتى أضربَ برأسه الحائط فأنثر دِماغَه، ولكنّي كرهت أن يقال قام اثنانِ إلى واحد.

أمر أبي الوازع الراسبي: قالوا: لما قُتل عُرْوة بن أُدَيّة ـ وهو عُرْوة بن حُدير بنَ عمرو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ـ قال أبو الوازع لبني الماحوز: إنّي شار فاشرُوا ودَعوا المَضاجع فطال ما نمتم، وغفلتم عن أهل البَغْي حتى صيّرهم ذلك إلى تتبعكم يقتلونكم في مضاجعكم قَتْلَ الكلاب في مَرابِضها، وقال لنافع بن الأزْرق الحنفي صاحب الأزارقة: لقد أُعطِيتَ لساناً صارماً وقلباً كليلاً، فلَيْتَ كَلال قلبك لِلسانِك، وصلابة لسانك لقلبك، ولقد خفتُ أن يكون حبّ هذه الدنيا الفانية قد غلب على قلبك، فملتَ إليها، وأظهرتَ بلسانك الزهد فيها، وذلك أنّه سمع نافعاً يصِف جَوْر السلطان ويعِظ أصحابه ويحضّهم على الجهاد، فقال له نافع: كلا ياأبا الوازِع، ولكنّني أطلب الفُرَص، فُروَيْدَكَ يجتمِعْ مَلأ

---

١ ـ سورة يونس ـ الآية: ٦٢ .

اصحابك، قال كلّا إنّ في غُدُوِّ الموت ورَاوحِه ما يُعْجلني فأخاف معه فَوْتَ ما أُريد، وقال:

سَأَشْري ولا أَبْغي سِوَى الله صاحِباً   وأَبْيَض كَالِمخْراقِ عَضْبِ المَضاربِ
فقد ظهر الجَوْرُ المُبيرُ وأَجْمَعَتْ   على ذاكَ أَقْوامٌ كَثيرُ التَكاذُبِ

في أبيات. ثم اشترى أبو الوازِع سيفاً، وأتى صَيْقلاًكان يشتم الخوارج ويَدلّ عليهم، فقال له: اشْحَذْ لي سيفي هذا، فشحذه، ثم أخذه فهَزّه وحكَّم وقتل به الصَيْقل، فهرب الناس عنه، وأُخِذ في بني يشكر وهو يحكّم، فدفع عليه رجل حائطاً ابراسبج[1] فقتله، فأمر به ابن زياد فصُلب في بني يِشْكُر، فكرهوا ذلك وخافوا أن يتّخذ الخوارج مصلبه مُهاجَراً.

أمر ثابت بن وعلة الراسبي: قالوا: كان ثابت من مخابيت الخوارج، وكان عظيم الشأن فيهم، فبينا قوم من أصحابه يتحدّثون في بيته إذ أنشد الزبير بن عليّ مرثيةً للخوارج، فبكى وقال لأصحابه: عليكم السلام، لا والله لاأتأخر عن إخواني بعد يومي هذا إلا مُكْرَهاً، فخرج في يوم جمعة، فحكّم عند مسجد الحَروريّة بالبصرة وجعل يقول:

سَأَتْبَعُ إخْواني وأحسُو بِكَأسِهِمْ   وفي الكَفِّ عَضْبُ الشَفْرَتَيْنِ مُهَنَّدُ

وقتل يومئذ مولى لبني الحارث بن كعب وآخرُ من بني نَهْد، وكانا قتلا ابنَ عمّ له بأمر عبيد الله بن زياد، ثم اعترض الناسَ فقُتل، ولم يُدرَ من قَتَله لكثرة الناس عليه، وصُلب.

---

١ ـ في الكامل للمبرد: ط. القاهرة ١٩٣٧ ج٣ ص١٠٢٢ «حائط السترة».

أمر عيسى الخَطِّي: قالوا: أراد عيسى الخَطِّي[١] ـ وهوعيسى بن حُدَيْر أحد بني وَديعة بن مالك بن تَيْم الله بن ثَعْلَبة بن عُكابة، ويقال هو عيسى بن عاتك ـ الخروج، وله بنات فتعلّقن به وبكَيْنَ وقلن: إلى من تَدَعُنا؟ فقال:

لقد زادَ الحَياةَ إليَّ حُبّاً ... بَناتي أَنَّهُنَّ مِنَ الضِعافِ
مَخافَةَ أَنْ يَرَيْنَ البُؤْسَ بَعْدي ... وَأَنْ يَشْرَبْنَ كَدْراً بَعْدَ صافِ
وأَنْ يَعْرَيْنَ إنْ كُسِيَ الجَواري ... فَتَنْبُو العَيْنُ عَنْ حُرَمٍ عِجافِ
ولولا ذاكُمُ أَرْسَلتُ مُهْري ... وفي الرَّحْمنِ لِلضُعَفاءِ كافِ[٢]

وكان عيسى يذمّ السلطان ويعيبهم، فعذله أصحابه وقالوا: أتّقِ الله في نفسك وفينا أن نُقْتَل بجريرتك، فقد ترى مايصنع عبيد الله بن زياد، فقال في قصيدة له:

أَخافُ عِقابَ الله إن مُتُّ راضِياً ... بِحُكْمِ عُبَيْدِ الله ذي الجَوْرِ والغَدْرِ
وأَحْذَرُ أَنْ أَلْقَى إلهي ولم أَرُعْ ... ذوي البَغْي والإلْحادِ في جَحْفَلٍ مَجْرِ

وله شعر كثير.

أمر رجاء النمري[٣]: قالوا: لما بلغ أهل اليمامة مسيرُ أهل الشام إلى المدينة لقتال أهلها، قال رجاءُ النَمَري لقوم من الشُراة: إنّ أهل الشام قد ساروا إلى المدينة ولا شكّ أنّهم يأتون مكة إن ظهروا وغلبوا على المدينة، فاخرجوا نمنعْ مكة ونقاتل عن حَرَم الله وكعبته إن أتوا مكة، فأَجابه ثمانون

١ ـ بهامش الأصل: نسبة إلى خط باليمن.
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص٧١ ـ ٧٢ .
٣ ـ بهامش الأصل: نسبة إلى النمر بن قاسط.

منهم: نَجْدَة بن عامر، وبنو بخدج: حسّان وعبد الرحمن وأخ لهما ثالث، وحُجَيّة بن أَوْس العُطاردي من بني تميم، وأبو الأخْنَس الهِزّاني، وأبو مالك، وأبو طالوت سالِم بن مَطَر من بني مازن، ويقال مولاهم، وعَطيّة الأسود، فلما خرجوا لحق أوس العُطاردي ابنَه حُجَيّة فقال له: إنّ الشَوْصَة[1] عرضتْ لأمّك بعد خروجك فَأتِها فانظر إليها ثم عُدْ إلى أصحابك. فلما أتى منزله أخذه فحبسه، فانتظره أصحابه ثلاثاً ثم مضوا وعليهم رَجاء، ويقال: كان عليهم حسّان بن بخدج؛ فقدموا مكة قبل أن يأتيها أهل الشام فقال الشاعر:

يا بْنَ الزُبَيْرِ أَتَرْضى مَعْشَراً قَتَلوا أَباكَ ظُلْمًا فَما أَبْقَوْا ولا تَركوا
ضَحَّوا بِعُثْمانَ يَوْمَ النَحْرِ ضاحِيَةً ما أَعْظَمَ الحُرْمَةَ العُظْمى التي انتَهَكوا[2]

فقال: نعم لو أَعانني الشيطان على أهل الشام لقَبِلْتُه، ولحق بهم عيسى الخَطّي وعُمير بن ضُبَيْعة الرَقاشي وخرجا من البصرة في ستّة عشر راكباً من الخوارج فكانوا مع ابن الزبير، فبعضهم يقول: بايَعوه، وبعضهم يقول: لم يبايعوه، وكانوا مُعْتزلين له، إلا أنّهم يقاتلون أهل الشام إذا قاتلوه؛ فلما انقضى الحصار الأوّل وجاء موت يزيد بن معاوية انصرفت طائفة من الخوارج إلى البصرة، وأقامت طائفة وقالوا: قد انصرف أهل الشام عن مكة، وإنّما قدمنا لهم، فينبغي أن نفتّش ابنَ الزبير عن قوله في عثمان وعليّ، فان كان لنا موافقاً أقمنا معه، وإن كان لنا مخالفاً انصرفنا عنه، فأتاه عيسى الخَطّي وأبو طالوت وعَطيّة ونَجْدَة فسألوه عن رأيه في عثمان وعليّ رضي الله تعالى عنهما

---

١ ـ الشوصة: وجع في البطن، أو ريح تعتقب في الأضلاع، أو ورم في حجابها من داخل، واختلاج العرق. القاموس.

٢ ـ انظر الكامل للمبرد ج٣ ص١٠٢٩ مع فوارق.

فخالفهم، فولّوا أمرهم ابن بخدج وانصرفوا إلى البصرة ثم تفرّقوا، وذلك في سنة أربع وستّين، وأصيب في قتال أهل الشام رجاءٌ وناس من أصحابه فبكاهم حُجيّة بن أوْس فقال:

إذا ذكرت نَفْسي رَجاءً وَصَحْبَهُ أَكادُ على بَعْضِ الأمورِ أَلومُها
فِلَلّهِ عَيْنَا مَن رأى مِثْلَ عُصْبَةٍ أَقام بِضَبْعِ ابْنِ الزُبَيْرِ مُقيمُها
ترى عافِيات الطَيْرِ يحجلنَ حَوْلَهُمْ يُقَلِّبْنَ أَجساماً قَلْيلاً لُحومُها
فَوا حَرَبا ألا أَكونَ شَهِدْتُهُمْ بمَكَّةَ والخَيْلانِ تَدْمَى كُلومُها

وقال أيضاً:

نَدِمْتُ على تَرْكي رَجاءً وَصَحْبَهُ وتِلْكَ لَعَمْري هَفْوَةٌ لا أُقالُها[1]

وقال بعض أهل الشام يذكر حُصين بن نُمير السَكوني وكان على أهل الشام بمكة، وقد كتبنا خبره في خبر ابن الزبير:

يـا صاحِبَيَّ ارْتَحِـلا وَامَّلِسا لا تَحْبِسا لَدَى حُصَيْنٍ مَحْبَسا
إنَّ لدى الأركانِ بَأساً أَبْأَسا وَبـارِقـاتٍ يَخْتَلِسْنَ الأَنْفُسـا
إذا الفَتَى حَكَّمَ ثُمَّ كَبَّسا

١ - ديوان شعر الخوارج ص٨٣ .

المحتوى

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م

الجزء السادس

بنو أمية بن عبد شمس

حققه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الطبعة الاولى

بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٤٧٨٢٣٠٨ - ٢١٢ - ٠٠١

خبر عبيدالله بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية ومقتل مسعود بن عمرو

قال هشام ابن الكلبي في إسناده: أتى عبيدَ الله بن زياد خبرُ وفاة يزيد بن معاوية وهو بالبصرة، وخليفته على الكوفة عمرو بن حُريث المَخزومي، فقال لأهل البصرة: إن شئتم فبايعوني بالإمْرة حتى تنظروا مايصنع الناس وتروا رأيَ مَنْ وراءكم، فبايعه أهل البصرة على ذلك، ووجّه عبيد الله من البصرة عامر بن مِسْمَع من بني قيس بن ثعلبة وسعد بن القرحاء ليُعلِما أهلَ الكوفة ماكان من أهل البصرة ويسألاهم البيعة لابن زياد على الإمْرة حتى يصطلح الناس على إمام، فجمع عمرو بن حُريث الناس وعرض ذلك عليهم، وأمر عامر بن مِسْمَع أن يتكلّم فتكلّم ودعاهم إلى البيعة لعبيد الله وقال: إنّما الكوفة والبصرة شيء واحد فليكن أمرنا وأمركم مجتمعاً، وقام سعد بن القرحاء فقال نحواً من ذلك، فقام يزيد بن الحارث بن رُويم الشيباني فحصبهما، ثمّ حصبهما الناس وقالوا: أنحن نبايع لابن مرجانة! لا ولا كرامةً، فشرُف بذلك يزيد بالمِصْر وارتفع، فرجع الرجلان إلى البصرة فأخبرا الناس الخبر، فقال أهل البصرة: أيخلعه أهل الكوفة ونبايعه نحن؟

هذا مالايكون! فوثب الناس به وكان عبيد الله يقول: مانزلتْ بزياد نازلة فاستجار فيها إلا بالأزد، فاستجار بمسعود بن عمرو الأزدي من ولد معن بن مالك بن فِهْر[1] بن غَنْم بن دَوْس، وكان مسعود يُدعى القمر لجماله، وهو جدّ الوجناء الحبلي فيما يقال، فأجار ابنَ زياد ومنعه، فمكث ابنُ زياد بالبصرة أربعين ليلة بعد موت يزيد، ثم خرج إلى الشام، واستخلف مسعوداً على البصرة، ووجّه معه مسعود مَن شَخَصَ به إلى مَأْمَنه من الشام؛ فقالت بنو تميم وقيس: لانرضىَ ولا نولّي علينا إلا رجلا ترضاه جماعتنا، فقال مسعود: استخلفني عبيد الله ولا أَدَعُ ذلك أبداً، وخرج في قومه حتى انتهى إلى القصر فدخله، واجتمعت بنو تميم إلى الأحنف بن قيس فقالوا له: إنّ الأزد قد دخلت المسجد، فقال الأحنف: وإن دخلوه فَمَهْ، إنّما هو لكم ولهم وأنتم تدخلونه أيضاً، ثم قالوا: إنّ مسعوداً قد دخل القصر وصعد المنبر، وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا بنهر الأساورة حين مضى عبيد الله إلى الشام، فزعموا أنّ الأحنف بعث إلى أولئك الخوارج: إنّ الرجل الذي دخل القصر عدوّ لنا ولكم، فما يمنعكم أن تبدأوا به؟ فجاءت عصابة من الخوارج حتى دخلوا المسجد ومسعود على المنبر يبايعُ مَنْ أتاه، فضربه علج فارسي يقال له مُسْلم، وكان مسلم هذا دخل البصرة فأسلم وصار مع الخوارج، فضرب مسعوداً فقتله وخرج، فجال بعضُ الناس في بعض وقالوا: قُتل مسعود، قَتَله الخوارج، فخرج الأزد إلى تلك الخوارج فقاتلوهم، فقتلوا منهم وطردوا من بقي وأخرجوهم عن البصرة، ودفنوا مسعود بن عمرو، وجاء ناس من

---

١ - في الاشتقاق لابن دريد - ط. القاهرة ١٩٥٨ ص٥٠٢ «ابن فهم»، وهو الأصح.

الناس إلى الأزد فقالوا: أتعلمون أنّ قيساً من بني تميم يزعمون أنّهم قتلوا مسعوداً؟ فبقيت الأزد تسأل عن ذلك، فإذا قوم يقولون ويتحدّثون بما كان من رسالة الأحنف، فاجتمعت الأزد عند ذلك إلى زياد بن عمرو بن الأشرف العَتَكي فرأسْتهُ عليها، ثم ازدلفوا إلى بني تميم وخرج مع الأزد مالك بن مِسْمَع في بكر بن وائل، وأتت بنو تميم الأحنفَ فقالوا له: قد جاء القوم فاخرجْ، فجعل يتمكّث حتى جاءته امرأة من بني تميم من قومه فقالت: ياأحنف اجلس على هذا، وأشارت إليه بإصبعها الإبهام، أي إنما أنت امرأة، فقال: استكِ أحقّ به، فما سُمعتْ من الأحنف قطّ كلمة أرفثُ منها؛ ويقال إنّها جاءته بمِجْمَر فقال: استكِ أوْلى بالمجمر، ثم دعا الأحنف برايته فقال: اللهمّ انصرْها ولا تُذِلّها، اللهمّ احقِنْ دماءنا وأَصلحْ ذاتَ بيننا، وكانت قيس مع بني تميم، فسار الأحنف وسار بين يديه ابن أخته إياس بن قَتادة بن أَوْفَى من بني عبد شمس بن سعد، فالتقى القوم فاقتتلوا أشدّ قتال فقُتل بينهم قَتْلى كثيرة، فقالت بنو تميم: الله الله يامعشر الأزد في دمائنا ودمائكم، بيننا وبينكم القرآن أو من شئتم من أهل الإسلام، فإن كانت لكم علينا بقتل مسعود بيّنةٌ فاختاروا أفضلَ رجل منّا فاقتلوه به، وإن لم تكن بيّنة فنحن نحلف لكم بالله أنّا ماقتلنا ولاأمرنا، وأنّ الخوارج اعتمدت صاحبكم من قِبَل أنفسهم، وأنّا لانعرف قاتله، وإن كرهتم ذلك فنحن نَدي صاحبكم مائة ألف درهم، فاصطلحوا، وأتاهم الأحنف في وجوه مضر إلى منزل زياد بن عمرو العَتَكي فقال لهم: يامعشر الأزد أنتم جيراننا في الدار، وإخواننا عند القتال، وقد أتيناكم في رحالكم لنُطفىء حَسِيكَتكم[1] ونسلّ

---

١ ـ الحسيكة: الحقد والعداوة. القاموس.

سخيمتكم، ولكم الحُكمُ، فعَولّوا على أموالنا فإنّا لايتعاظمنا منها شيءُ يكون فيه صلاح ذات بيننا، ولأنتم أحبّ إلينا من تميم الكوفة، فقالوا: تَدُونَ صاحبَنا عشر دياتٍ، فقال: هي لكم، وانصرف الناس وقد اصطلحوا.

وقال هشام ابن الكلبي عن أبيه: انّهم قتلوا مسعودا وهم يظنّون أنّه عبيد الله بن زياد فاقتتلوا، ثم إنّ إياس بن قَتادة حمل الديات التي وَدَوْهُ إيّاها وهي عشر؛ قال: وكانت الأزد تقاتل وهي تقول:

إيـاسُ لا نَـرْضَى بِـهِ   أَحـنَفُ لا نُـنْـطَى بِـهِ

قال: وقُتل مسعود وهو ابن ثمانين سنة؛ قال، وقال الهَيْثم بن الأسود النَخَعيِ أبو العُريان بن الهيْثم بن الأسود:

عَلا النَعِيُّ لِمَسْعودٍ فَقُلْتُ لهم   نِعْمَ اليَمانيُّ تَنْعَى أَيُّها الناعي
وَفّى ثَمانينَ لا يَسْطِيعُهُ أَحَدٌ   حَتّى دَعاهُ لِرأسِ العِدَّةِ الداعي
آوى ابْنَ حَرْبٍ وقَدْ سُدَّتْ مَذاهِبُهُ   وأَوْسَعَ السَرْبَ منه أيَّ ايساعِ

وقال عُبيد الله بن الحُرّ الجُعْفي:

ما زِلْتُ [أَرْجو] الأزْدَ حتى رَأَيْتُها   تَقاصَرُ مِنْ بُنْيانِها المُتَطاوِلِ
ومَقْتَلُ مَسْعودٍ فَلَم يَثْأَروا بِهِ   وصارَتْ سُيوفُ الأزْدِ مِثْلَ المَناجِلِ
وما خَيْرُ عَقْلٍ أَوْرَثَ الأزْدَ ذِلَّةً   يُسَبُّ بِها أَحْياؤُهُمْ في المَحافِلِ

قالوا: وكان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيَري قد قدم من كِرْمان حين مضى ابن زياد إلى الشام فقال:

أَعُبَيْدُ هلاّ كُنْتَ أَوَّلَ فارِسٍ   يَوْمَ الهِياجِ دَعا لِحَيْنِك داعِ
أَسْلَمْتَ أُمَّكَ والرِماحُ شَوارِعُ   يا ليتني لك لَيْلَةَ الأفْزاعِ

لابْنَ الزُبيْرِ غداةَ يُجْمِعُ أَمْرَهُ   أَوْلَى بِغايَةِ كُلِّ يَوْمِ وِقاعِ
وأَحَقُّ بِالصَّبْرِ الجَميلِ مِن امْرِيءٍ   كَـزٍّ أَنامِلُهُ قَصيـرِ البـاعِ[١]

وقال ابن الكلبي في إسناده عن أبي مخنف وغيره: لما اصطلح الناس وتفرّقوا جعلوا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب يصلّي بهم، ارتضوا به، ثم إنّ ابن الزبير ولّى البصرةَ القُباعَ، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المَخْزومي، وإنّما سُمّي القُباع لأنّ أهلَ البصرة أتوه بمِكْيال لهم فقال: ماهذا القُباع، والقُباع الأجْوَف، وله يقول أبو الأسود الدُيلي:

أبـا بَكْرٍ جَـزاكَ الله خَيْراً   أَرِحْنا مِنْ قُباعِ بني المُغيرَهْ[٢]

وأبو بكر عبد الله بن الزبير:

قال: واجتمع أهل الكوفة على عامر بن مسعود بن أميّة بن خَلَف الجُمَحي وكان يلقّب دُحْروجَة الجُعَل لِقَصْره، وفيه يقول عبد الله بن هَمّام السَلولي:

يا بْنَ الزُّبيرِ أميرَ المُؤْمِنينَ أَلَمْ   يَبْلُغْكَ ما فعلَ العُمّالُ بِالعَمَلِ
باعوا التِجارَ طَعَامَ الأَرْضِ واقْتَسموا   صُلْبَ الخَراجِ شِحاحاً قِسْمَةَ النَفَلِ
وقَدَّموا لَكَ شَيْخاً خائِناً خَذِلاً   مَهْما يَقُلْ لَكَ شَيْخٌ كاذِبٌ يَقُلِ
وقيلَ طالِبُ حقٍّ ذو مزابنة[٣]   جَلْدُ القُوَى ليس بالواني ولا الوكَلِ
أُشْدُدْ يَدَيْكَ بِزَيْدٍ إنْ ظَفِرْتَ بِهِ   واشْفِ الارامِلَ مِنْ دُحْروجَةِ الجُعَلِ

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص١٥٩ ـ ١٦٥ .
٢ ـ ديوان أبي الأسود ص٢٢٠ وفيه «أمير المؤمنين جزيت خيراً» .
٣ ـ المزابنة: بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر. القاموس.

يريد [مَرْثد بن] شراحيل كان أساء في البيع، و[زيد] مولى عتّاب بن وَرْقاء الرياحي كان خازنه، فمكث عامر ستّة أشهر ثم عزله ابن الزبير وولّى عبد الله بن يزيد الخَطْمي.

وحدّثني العمري عن الهَيْثم بن عديّ أنّ مسعوداً آوى ابن زياد ، ثم وجّه معه رجلاً في جماعة فأبلغه مَأمَنه من الشام ، وكان ابن زياد صيّر مسعوداً خليفته ، فصعد مسعود المنبر وجعل يخطب ، فبايعه قوم يهوون هوى بني أميّة ، فلم يزل كذلك إلى الليل ، ثم انصرف وقد تفرّق الناس عنه ، وبقي في جُمَيِّعَةٍ ، فلما صار في بني تميم شدّت عليه الخوارج فقتلته ، فاتُّهم بنو تميم ، وجعل قوم يقولون : إنّ الأحنف دسّهم وجعلها زُبَيْريّة ، يعني أنّه دسَّ للزبير[1] حتى قُتل .

وقال أبو عبيدة مَعْمر بن المُثنّى في روايته : عاد ابن زياد عبدالله بن نافع بن الحارث بن كَلَدة الثَقَفي ثم خرج من عنده فلقيهُ حُمْران مولاه ، وكان قد وجّهه إلى يزيد ، فأسرّ إليه موت يزيد واختلافَ أهل الشام ، فأمر عبيدالله فنُودِيَ الصلاة جامعةً ، ثم خطب فنعى يزيد وحضّ الناس على الطاعة وقال : اختاروا لأنفسكم فماسحوه ، ثم بدا لهم في بيعته وجعلوا يَمْسحون أَيْدِيَهم منها بالحيطان ؛ وكان في سجنه نافع بن الأزرق الحَنَفي ، ونَجْدَة بن عامر الحَنَفي ، وعبدالله بن إباض ، وعبيدة بن هِلال العنزي ، وعمرو القنا بن عميرة من بني مُلادِس بن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانوا غضبوا للبيت فقاتلوا مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره ،

١ ـ الزبير بن العوام ، إثر معركة الجمل .

ولكّنهم احتسبوا في جهاد أهل الشام . ثم إنّهم قدموا البصرة فالتقطهم ابن زياد وحبسهم ، فيقال إنّه كان في سجنه من الخوارج مائة وأربعون .

وقال أبو عبيدة : لما هرب ابن زياد إلى الأزد أقام أهل البصرة ببّة ؛ وكان هربه إلى الشام بعد قتل مسعود .

قال أبو عبيدة في بعض روايته : لما كان موت يزيد بن معاوية وإظهار ابن زياد إيّاه بالبصرة ، خرج سَلَمة بن ذُؤَيْب الرِياحي الفقيه وهو على فرس له شهباء وقد لبس سلاحه ومعه لواءٌ ، فدعا الناس إلى بيعة ابن الزبير وطاعته وقال : عليكم بالعائِذ بالبيت الحرام ، وابن حَواريّ رسول الله ﷺ، فبايعه جماعة يسيرة، وبلغ ابنَ زياد ذلك فخطب الناس فاقتصّ أوّلَ امرِهِ وأمرِ ابيه بالبصرة ، وعدّد بَلاءه عند أهلها ثم قال : بايعتموني ثم مسحتم أيديَكم بالحِيطان وقلتم ما قلتم ، ثم هذا سَلَمة بن ذُؤَيب يدعوكم إلى الخلاف إرادة أن يُفرِّقَ جماعتكم ليضرب بعضُكم جِباهَ بعضٍ ؛ وكان الذي أخبر [ابنَ] زياد بأمر سَلَمة بن ذُؤَيْب عبدُ الرحمنِ بن أبي بَكْرة ، ويكنى أبا الحُرّ ، فقال الأحنف بن قيس والناس : نحن نجيئك بسَلَمة فأتوا سَلَمَة فإذا معه جمع كثيف قد سافر إليه وإذا الفَتْق قد اتّسعَ ، فامتنع عليهم ، فلما رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه ، فقال : والله لقد لبسنا الخَزّ حتى اجِمَتْه جلودُنا فما نبالي أن نُعْقِبها الحديد أيّاماً ، والله لو اجتمعتم على قرن عنز لِتكسِروه ما كسرتموه ؛ ودعا البُخاريّة ومن كان من أصحاب السلطان إلى المحاربة معه ، فلم يجيبوه واعتلّوا عليه ، فانغمس في الأزد في بيت مسعود .

قال : وكان في بيت مال ابن زياد نحو ثمانية آلاف ألف درهم ، فقال للناس حين خطب : هذا فَيْئكم فخذوا أرزاقكم وأرزاق عيالاتكم

وذُرِّيَّتكم ، وأمر الكُتّاب بتحصيل الناس وتقرير ما لهم ، فلما رأى قعودَ الناسِ عنه وظهورَ أمرِ سَلَمة كفَّ عن ذلك ، وأمر بنقل المال حين هرب فهو يتردَّد في آل زياد ، وقال له إخوته : والله ما من خليفةٍ تقاتل عنه ، ولا تأمن أن يُدال عليك فَتْعطَب وتهلك وتذهب أموالنا ، وقال له عبدالله أخوه وهو ابن مرجانة ، والله لَئِن قاتلتَ القوم لأقتلنَّ نفسي بسيفي هذا ؛ فلما رأى عبيدالله ذلك أرسل إلى الحارث بن قيس بن صُهْبان الجَهْضَمي فسأله أن يسأل مسعوداً أن يُجيره ، فسأله ذلك فأباه ، فقال له الحارث : يا معشر الأزرد إنّكم أَجَرْتمْ زياداً فبقي لكم شرف ذلك وذكره وفخره ، فقال مسعود : أترى أن نُعادي أهل مِصْرنا في عبيدالله وقد أَبْلَيناه في أبيه ما أبليناه فلم يكافِنا ولم يَشكْر ، ما كنتُ أحب أن يكونَ هذا رأيك ، فقال : قد بايعتَه فيمن بايع ولن يُعاديك أحدٌ على الوفاء له ؛ فلما أبى مسعود إجارة ابن زياد أتى الحارث إلى أمّ بِسطام امرأةِ مسعود وهي ابنةُ عمِّه فقال لها : إنّي دعوتُ مسعوداً إلى مَكْرُمَةٍ فأباها ، وأنا أدعوكِ إلى أن تَسودي نِساءَ قومك أبداً ، وكلّمها في إجارة ابن زياد ، فأجارته ، ويقال إنّه أعطاها مائة ألف درهم كانت مع ابن زياد ، فأدخلته حَجَلَتها وألبسته ثوباً لزوجها ، فلما جاء مسعود أعلمته ذلك ، فغضب وأخذ برأسها ، حتى خرج عبيدالله والحارث فحَجَزا بينهما ، وقال له عبيدالله : أجارَتْني عليك وألبستْني ثوبك وأكلتُ من طعامك وقد التفّ عليَّ منزلك ، وتلطّف والحارث له حتى رضي ، فلم يزل في منزل مسعود حتى قُتل مسعود ، ثم شخص إلى الشام ؛ وقال أبو عبيدة : وآل زياد ينكرون أن يكون ابن زياد شخص قبل قتل مسعود ، وأن يكون مسعود بعث معه من بَذْرَقَهُ .

وقال يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ شعراً ذكر فيه فرارَ ابنِ زياد من دار الإمارة إلى الأزد ، ثم إلى الشام بعد مقتل مسعود وخذلانه أيّاه ، وذكر هربه عن أمّه وامرأته هِنْد الفَزاريّة :

أَقَـرَّ لِعَيْني أَنَّـهُ عَقَّ أُمَّـهُ ... دَعْتهُ فولّاها آستَهُ وَهْوَ يَهْرُبُ
وقالَ عَلَيْكِ التاسَ[1] كوني سَبِيَّةً ... كما كُنْتِ أو موتي فَلِلْمَوْتُ أَقْرَبُ
وقد هَتَفَتْ هِنْدٌ بِهِ ما أَمَرْتَني ... أَبِنْ لي وخَبِّرْني إلى أَيْنَ أَذْهَبُ
فقالَ أُريد الأَزْدَ في عَقْرِ دارِهِم ... وبَكْراً فما لي عَنْهُمُ مُتَجَنَّبُ
بما قَدَّمَتْ كفّاكَ مالَكَ مَهْربٌ ... مِنَ القومِ يَوْماً والدِماءُ تَصَبَّبُ
ولَوْ كُنْتَ صُلْبَ العودِ أَوْ ذا حَفيظةٍ ... كَرَرْتَ على هِنْدٍ وَهِندٌ تَسَحَّبُ
وغادَرْتَ مَسْعوداً رَهِينَةَ حَتْفِهِ ... يَمُجُّ نَجيعَ الجَوْفِ وهْوَ مُلَحَّبُ
ولو لم يَفُتْ رَكْضاً حَثيثاً لَحَلَّقَتْ ... بأَشْلائِهِ في الجَوِّ عَنْقاءُ مُغْرِبُ[2]

وقال أيضاً :

قَدَّمْتَ مَسْعوداً لِيَصْلَى حَرَّها ... وَوَأَلْتَ[3] لَمّا أَنْ نَعاهُ الناعي
أَفَلا كَرَرْتَ وَراءَهُ مُتَشَـزِّباً ... لَمّا أُصيبَ ، دَعا لِحَتْفِك داعِ
وتَرَكْتَ أُمَّكَ والرِّماحُ شَوارِعٌ ... يا ليتني لكِ لَيْلَةَ الأَفْـزاعِ
ليس الكَريمُ بِمَنْ يُفارقُ أُمَّه ... وَبنـاتِـهِ بِـالْمَنْـزِلِ الجَعْجـاعِ
وخَذَلتَ مَسْعوداً وطِرْتَ مُوَلِّياً ... مِثْلَ الظليمِ أَثَرْتَهُ بالقاعِ[4]

---

١ ـ في ديوانه : الصبر .
٢ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ٦٤ ـ ٦٧ .
٣ ـ وألت : نجوت .
٤ ـ ديوانه ص ١٥٩ ـ ١٦٥ .

وقال أبو عبيدة : فهذا دليل على أنّه انما هرب الى الشام بعد مسعود وأنّه حين قُتل مسعود كان بالمصر[1] فلم يبرح .

قال أبو عبيدة : ولما هرب ابن زياد بقي الناس بغير أمير فلما لم يكن لهم أمير ارتضوا بنعمان بن صُهْبان الراسبي ، وقيس بن الهَيْثَم يختاران لهم، فكان رأيُ قيس في عبدالله بن الأسود الزُهْري، ورأي النعمان بن صُهْبان في بَبّة ، وقال النعمان : هو هاشمي وابن أخت القوم الذين الملك فيهم ، لأنّ أمّ بَبّة هند بنت أبي سفيان ، وكان النعمان شِيعِيّاً شهد مع عليّ صِفّين ، وأقبلوا بِبَبّة فنزل دار الإمارة ؛ قال أبو عبيدة : وكان ذلك برضا جميع الناس الأزد وغيرهم ، وقوم يقولون إنّ ذلك لم يكن برضا الأزد فقولهم باطل ، قال الفرزدق :

وبايَعْتُ أقْواماً وَفَيتُ بِعَهْدِهِمْ ... وبَبّةُ قَدْ بايَعْتُهُ غَيْرَ نادِمِ[2]

وقوم يروونه : وَهْوَ نائِمُ .

قال أبو الحسن المدائني : جعل بَبّة على شرطتهِ هِمْيان بن عَدّي ـ ويقال النعمان بن صُهْبان، وهِمْيانُ بن عديّ أثبت ـ فأتى هِمْيان دار فِيل مولى زياد، وهي في بني سُليم ، فأمر بتَفْريغها لِينزلها رجل قدم على بَبّة من المدينة ، وكان فِيل قد هرب وأقفل أبواب داره ، فمنعت بنو سُليم هِمْيانَ بن عَديّ ما أراد حتى قاتلوه ، واستصرخوا عبدَ الملك بن عبدالله بن عامر بن كُريز ، فأرسل بُخارِيّتَه ومواليه في السلاح حتى طردوا هِمْيان بن عَدّيّ ، وعدل عبد

---

١ بهامش الأصل : بالبصرة .
٢ ـ النقائض ص ١١٢ ، ٧٢٧ .

الملك من الغد إلى دار الإمارة ليُسلّم على بَبّة ، فلقيه على الباب رجلٌ من قيس بن ثعلبة فقال : أنت المعين علينا بالأمس ، ورفع يده فلطمه ، فضرب رجل من البُخاريّة يدَ القَيْسي فأطارها ، ويقال بل ضربه ضربةً شَلّت منها يده ، وغضب ابن عامر فرجع ، وغضبت له مضر واجتمعت ، وأتت بكرُ بن وائل أشْيَمَ بنَ شَقيق بن ثَوْر فاستصرخوه ، فأقبل ومعه مالك بن مِسْمَع ، ثم إنّ القوم تحاجزوا وانصرفت بكر والمُضَريّة ، وتحالف بكر والأزد ، فقال حارثة بن بدر الغُداني :

نَزَعْنا وَأَمَّرْنا وبكرُ بنُ وائِلٍ   تَجُرُّ خُصاها تَبْتغي مَنْ تُحالِفُ
وما باتَ بَكْريٌّ من الدَهْرِ لَيْلةً   فيصبح إلا وَهْوَ لِلذُلِّ عارِفُ

وقال أبو عبيدة حدثني زهير بن هُنَيْد عن عمرو بن عيسى قال : كان مالك بن مِسْمع في المسجد ، فبينا هو قاعد ، وفي الحلقة رجل من ولد عبدالله بن عامر بن كُرَيْز ، اذ نازع القرشيّ مالكاً فأغلظ له القرشيُ ، فلطم رجلٌ من بكر القرشيَّ ، فتهايجَ مَن ثَمَّ من مُضَر وربيعة ، وكَثَرتْهم ربيعةُ ممّن في المسجد ، فنادى رجلٌ يالَ تميمٍ ، فوثب قومٌ من بني ضَبّة على رِماح حَرَس المسجد وتِرَسَتهم ، ثم شَدّوا على الرَبَعيّين فهزموهم ، وبلغ ذلك أشْيم بن شَقيق بن ثَوْر ، وهو يومئذ رئيس بكر بن وائل ، فأقبل إلى المسجد فقال : لا يَجِدَنَّ رَبَعِيٌّ مُضَريّا الاّ قتله ، فبلغ ذلك مالكَ بن مِسْمَع فأقبل متفضّلاً[1] فسكّن الناس حتى كفّ بعضُهم عن بعضٍ ، وسأل مالك أن يجدِّد الحلفُ بين الأزد وربيعة .

١ ـ التفضل : التوشح ، وأن يخالف بين أطراف ثوبيه على عاتقيه . القاموس .

حدثنا المدائني : أنّ الأحنف قال لمالك بن مِسْمَع حين تحالفوا : أحِلْفٌ في الإسلام؟! قال: حالفتُ على الزُطّ والسيابِجَة، فقال: معاذ الله ، قال : يا أبا بَحْر كانت نعمة سَبَقْناك إليها ، فقال الأحنف : والله ما أردتها ولَتَحْلِبَنّها دَماً عَبيطاً ، لقد حالفت قوماً إن اتّبعتهم استذَلّوك ، وإن خالفتهم عَزُّوك وقهروك .

وقال المدائني في بعض روايته : لما جدّدوا الحلف وأقبلوا مع مسعود إلى المسجد الجامع فزعتْ تميم إلى الأحنف فعقد عمامته على قناة ودفعها إلى سَلَمة بن ذُؤَيْب الرياحي ، فأقبل وبين يديه الأساورة حتى دخل المسجد ومسعود يخطب ، فاستنزلوه فقتلوه ، فجعلوا يحكّمون فقيل إنّ الخوارج قتلته ؛ وزعمت الأزد أنّ الأزارِقة قتلوه بأمر الأحنف ، فكانت الفتنة ، وسَفَر بينهم عمر بن عبيدالله بن مَعْمر ، وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام حتى رضيت الأزد من دم مسعود بعشر دياتٍ ، ولزم بَبّة بيته وكان متديّناً ، وكان القاضي في هذه الفتنة هشام بن هُبَيْرة .

وكتب ابن الزبير إلى عمر بن عبيدالله بعهده على البصرة فوافاه وهو متوجّه يريد العُمْرة ، فكتب عمر بن عبيدالله إلى أخيه عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمر أن يصلّي بالناس ، فصلّى بهم حتى قدم عمر بن عبيدالله ؛ قال أبو الحسن : ولما لزم بَبّة بيته كتب أهل البصرة إلى عبدالله بن الزبير بذلك ، فكتب إلى أنس بن مالك يسأله أن يصلّي بهم ، فصلّى بهم أربعين يوماً .

وقال أبو عبيدة : لما جدّدوا الحلفَ في الفتنة قالت الأزد : لا نرضى حتى يكون الرئيس منّا، فرأسوا مسعوداً، وقال [مسعود لعبيدالله] سرْ معنا

حتى نُنْزِلك الدار ، وبعث عبيدالله غِلماناً له على خيل مع مسعود ، وأُتي بكرسيّ فجلس على باب مسعود ، وقدّم مسعودٌ مالكَ بن مسمع في ربيعة فأخذوا سكّة المدينة ، فامتلأ المِرْبَد رماحاً ، وجاء مسعود حتى علا المنبر وببّة في دار الإمارة ، وقيل له : إنّ ربيعة واليمن قد ساروا وسَيهيج بين الناس شرٌّ فلو أصلحتَ بينهم وركبت مع بني تميم إليهم ، فقال : أبعدهم الله والله لا أُفسد نفسي بصلاحهم ، وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول :

لأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ جارِيَةً في قُبَّهْ تَمْشُطُ رَأْسَ لَعْبَهْ

فلما لم يَحُلْ أحد بين مسعود وبين صُعود المنبر ، خرج مالك بن مِسْمَع في كتيبة حتى علا الجَبّان ، وأتى دورَ بني تميم فدخل بني العَدَويّة ، فجعل يحرّق دروهم ، وذلك أنّ رجلاً من بني ضَبّة كان لَاحى رجلاً من بني يَشْكُر فقتله الضَبيّ ، فبينا هو كذلك إذ أتاه قتلُ مسعود .

قال : وأتت بنو تميم الأحنفَ فقالوا يا أبا بَحْر أنت سيّدنا وقد اجتمعت الأزد وربيعة ، فقال : سيّدكم الشيطان ، فقيل : قد أتوا الرَحَبة ، فقال : لستم بأحقّ بها منهم ، ثم قالوا : قد دخلوا المسجد ، فقال : لستم بأحقّ بالمسجد منهم ، فقال سَلَمة بن ذُؤَيب : يا معشر مضر إنّما هذا كَبْش مُنْجَرٌ في أُذْنَيْه لا خيرَ لكم عنده ، فَنَدب بني تميم فانتدب منهم خمسمائة ، وتلقّاه رأسُ الأساورة يومئذ في بعض الطريق وهو في أربعمائة من الرُماة ، فقال لهم سَلَمة : أين تريدون ؟ قالوا : إيّاكم . وأتت الأحنفَ امرأةٌ بِمِجْمَر فقالت : ما لك وللرئاسة ، تجمَّرْ ، فقال : آستْ المرأة أحقّ بالمِجْمَر ، فعُتِبَت عليه ؛ وتحوَّل الأحنف في تلك الأيام من داره إلى بني عامر بن عبيدة ، وأتوه فقالوا : إنّ عَبلة بنت ناجية الرياحي ، وهي أخت

مَطَر ، وامرأة أخرى قد سُلبتا وأُخذت خلا خيلهما من أسْؤُقهما ، وقُتل المُقْعَد الذي كان على باب المسجد والصبّاغ الذي في طريقك ، وحرق مالك بن مسمع دور بني العَدَويّة ، فقال : ثبتوا ذلك ، فثبتوه ، فطلب عبّاد بن الحُصين فلم يوجد ، فدعا بعَبْس بن طلْق ـ ويقال طليق ـ السعدي ثم انتزع مِعْجراً[1] في رأسه ثم جثا على رُكْبَتيه وعقده في رمح ثم دفعه إليه ثم قال :

ما إنْ أرَى فخراً ولا حَياءَ إذا ٱتَّخَذْتُ مِعْجَري لِواءَ

ثم قال لِعَبْس: سِرْ، فلمّا وَلَّى قال : اللهمّ لا تُخْزِها اليوم فإنّك لم تُخْزِها فيما مضى ، فسار عَبْس وصاحت النظّارة هاجت زَبْرَاءُ ، وزَبْراءُ أَمَةٌ للأحنف ـ أرادوه بذلك وقال الأحنف : يا بني تميم إنّ شرّ الناس مَنْ لم يستحي من الفرار ، ثم جاء عبّاد في ستين راكباً ، فأبى أن يسير تحت لواء عبس ، ولقوا القوم فاقتتلوا ، ورمى الأساورة بألْفي نُشّابة في رِشْق واحد فتلقّوهم برماحهم ، فرماهم الأساورة بأَلْفَي نُشّابة في رِشْق آخر ، فأَجْلَوا عن أفواه السكك وأقاموا على أبواب المسجد ، فاقتتلوا ، ورماهم الأساورة فقلعوهم عن الأبواب ، ودخلت تميم المسجد فاقتتلوا فيه ومسعود على المنبر ، وكان الحَكَم بن مَخْرَمَة العبدي قد ثبط قومه وقال : أتقتلون إخوتكم مع الأزد ؟ فردّهم ، وذلك عند باب المسجد ، قال اسحاق بن سُوَيد العدوي : فأتوا مسعوداً وهو على المنبر واستنزلوه وقتلوه ، وذلك في شَعْبان

---

١ ـ الاعتجار : لف العمامة دون التلحي . والمعجر : ثوب تعتجر به ، وثوب يمني ، وما يُنسج من الليف شبه الجوالق . القاموس .

سنة أربع وستّين ، فانهزم القوم ، وهرب أُشَيم بن شَقيق فطعنه رجل طعناً فتنحّى ، فقال الفرزدق :

لَوْ أَنَّ أُشَيمَ لَمْ يَسْبِقْ أَسِنَّتنا وأَخْطَأَ البابَ إِذْ نيرانُنا تَقِدُ
إذاً لَصاحَبَ مَسعوداً وصاحِبَهُ وَقَدْ تَماءَتْ لَهُ الأَعْفاجُ والكَبِدُ(١)

قال : فبينا ابن زياد ينتظر ما يكون من مسعود أُتي فقيل : قد صعد المنبر ، فتهيّأ للركوب ، فبينا هو كذلك إذ قيل قد قُتِل ، فاغترز في رِكابه ولحق بالشام ، وذلك في أوّل شَعْبان سنة أربع وستّين ، قال : وقوم يقولون أنّه شخص في شوّال ، وكان مقتل مسعود في شوّال ، والأوّل أصحّ ، وكان نزوله دار مسعود في جُمادى الآخرة سنة أربع وستّين .

وقال المدائني : مات الحارث بن معاوية أيّام مسعود فقال الأحنف : رحمك الله أبا المُؤَرِّق فارقْتنا أَحْوَج ما كنّا إليك .

أبو الحسن المدائني عن عامر بن حفص ، قال : خرج ابن زياد من البصرة هارباً إلى الشام في قوم وفَوا له ، فقال ذات ليلة : إنّه قد ثقل عليَّ ركوب الإبل فوطئوا لي على ذات حافر ، فأُلقيت له قطيفة على حمار فركبه وإنّ رجليه لتخُدّان في الأرض ، فقال بعض من كان معه ورآه قد سكت سَكْتَةً طويلة : هذا عبيدالله بن زياد أمير العراق بالأمس نائماً على حمار لو سقط عنه أَعْنَتَهُ ، ثم دنا منه فقال : أَنائمٌ أَنت ؟ فقال ابن زياد : لا ، قال : فما هذه السَكْتَة ؟ قال : كنت أُحدّث نفسي ، قال له : أنا أخبرك بما فكرتَ فيه ، قال : قل ،قال : قلتَ لَيتني لم أقتل حسيناً ، وليتني لم أكن

١ ـ النقائض ص ٧٣٤ .

بنيتُ البيضاء[1] ، وليتني لم أكن استعملت الدَهاقين ، وليتني لم أقتل من قتلت ، فقال ابن زياد : والله ما نطقت بصوابٍ ولا سكتَّ عن خطأ ، أمّا الحسين فإنّه سار إليَّ يريد قتلي فاخترتُ قتله على أن يقتلني ، وأمّا البيضاء فإنّي اشتريتها من عبدالله بن عثمان الثَقَفي فأرسل إليَّ يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها ، فإنَ بَقِيَتْ فلأهلي [و] إلاّ فإنّي لا آسَى عليها ، وأمّا استعمالي الدهاقين فإنّ عبد الرحمن بن أبي بكرة وزاذانفرُّوخ رَفَعا عليَّ عند معاوية فخيّرني معاوية بين الضَمان والعزل فكرهتُ العزل ، وكنت إذا استعملت الرجلَ من العرب فكسر الخراج فأقدمت عليه أَوْغَرْتُ صدور عشيرته ، أو أغْرَمْتُه فَحَمَلْتُ على عطاء قومه أضررتُ بهم ، وإن تركتُه تركتُ مال الله وأنا أعرف مكانَه ، فوجدت الدهاقين أبصرَ بالجباية وأوفى بالأمانة وأهون عليّ مُطالَبةً ، وأمّا قتلي مَن قتلتُ فما عَلِمتُ بعد قولي كلمةَ الإخلاص عملاً أقربَ إلى الله مِن قتلي مَنْ قتلتُ من الخوارج ، ولكنّي حدّثتُ نفسي فقلتُ : ليتني قاتلتُ أهل البصرة فإنهم بايعوني طائعين ثم نكثوا ، ولقد أردت ذلك ولكنّ بني زياد أتوني فقالوا : إنّك إن قاتلتهم فظهروا عليك لم يُبقوا منّا أحداً إلاّ قتلوه ، وإن تركتَهم تَغيَّبَ الرجل منّا عند أخواله وأصهاره وخُلطائه ، فلم أقاتل ، وقلت : ليتني أخرجتُ أهل السجن فضربت أعناقهم ، فأمّا إذ فاتت هاتان فليتني أقدم الشام ولم يُبرموا شيئاً فأكون معهم فيما يبرمون ، قال : وبينا هو يسير إذ عرض له فارس بيده رمح ، فقال : لا وألتُ إن وألتَ ، فقال : أَوَما هو خير لك ، ألفُ دينار ، فركن إليها ، فشددنا عليه

١ ـ البيضاء : دار عبيد الله بن زياد .

فأخذناه ، فقال له ابن زياد : لا تُرَعْ فكان دليلنا حتى وردنا الشام ، فقال الرجل : عَهْدُنا بابن زياد يأكل في كلّ يوم أكلاتٍ أوّلها عَناق أو جَدْي يُتخيّر له ، فكان يأكل وهو يريد الشام أقلّ مما يأكله أحدنا ويقول : الأكل مع الأمر والسرور .

وقال أبو عبيدة قال يونس بن حبيب : لما قتلوا مسعوداً وهرب ابن زيادٍ إلى الشام أَقبلت فَعْمَة ابنة مسعود وقد ركبت دابّة مُوكَّفة ، وولّت وجهها قِبَلَ ذنبها ، وسدلت شعرها وتَجَلْبَبَتْ مِسْحها ومعها نادبة تقول :

مسعود مَن يُقتَل بك احنفُ لا نُعْطَى بك

ثم أتت مالكاً وهو واقف في سكّة المِرْبَد وقد رجع من تحريق دور بني العَدَويّة فقال : ارْجعي ، فقالت : لا أو أُوتَى برأس الأحنف ، فأتوها برأس من رؤوس القتلى ضَخْمٍ فأزمت بأنفه عضّاً وغمست أطراف كُمَّيْها في دمِ لَغاديده[١] ثم انصرفت إلى رحلها ، فتزوّجت بعد .

قال : وأتى دارَ مالكٍ قومٌ من مضر وحرّقوا عليه ، فقال غطفان بن أُنيف الكَعْبي في ذلك :

كيف تَرانا وترى الأَميرا بِصَرْحَةِ المِرْبَدِ إذْ أُبيرا
نَقودُ فيه جَحْفَلاً جَرورا أَكْثَرَ جَمْعاً حَلَقاً مَسْمورا
وصارِماً ذا هَيْبَةٍ مَأْثورا فقَدَّ قَدَّ الجازِرِ الجَزورا
لَمّا رَجا مَسْعودُ التَأْميرا وأَصْبَحَ ابْنُ مِسْمَعٍ محْصورا
وقد شَبَبْنا حَوْلَهُ السَعيرا

١ ـ اللغاديد : ما أطاف بأقصى الفم إلى الحلق من اللحم . القاموس .

ولما هرب عبيدالله طُلب فأعجز طَلَبَتَهُ ، فانتُهب ما وُجد له ، فقال واقد بن خليفة السعدي :

يا رُبَّ جَبّارٍ شَديدٍ كَلَبُـهْ ... قد صارَ فينا تاجُـهُ وسَلَبُهْ
لو لم يُنجِّ ابْنَ زِيادٍ هَرَبُهْ ... مِنّا لَلاقَى شَرَّ يَوْمٍ يَشْعَبُهْ
وقـادَ مَسْعوداً شَقـاءٌ يَأْدِبُـهْ ... في عارِضٍ أَرْعَنَ ضاحٍ كَوْكَبُهْ

وقال جرير بن عطية :

ويَوْمَ عُبَيْدِ الله خُضْنا برايَةٍ ... وزافِـرَةٍ تَمَّتْ إِلينا تَميمُهـا[1]

وقال سُؤْر الذئب السعدي :

نَحْنُ نَهَطْنا[2] الأَزْدَ يَوْمَ المَسْجِدِ ... والحَيَّ مِنْ بَكْرٍ ويَوْمَ المِرْبَدِ
بِكُلِّ عَرّاصٍ[3] المَهَزِّ مِذْوَدِ ... مُحَـرَّبٍ وصارِمٍ لم يَنْـأَدِ
كَأَنَّهُمْ مِن مُقْعَصٍ ومُقْصَدِ ... وداحِضٍ بالرِجْلِ مِنْهُ واليَدِ
مِنَ السَواري وطَريقِ المَسْجِدِ ... أَعْجازُ نَخْلِ النَيْطِ والمُسَنَّدَ
إِذْ خَرَّ مَسْعودٌ ولَمْ يُوَسَّدِ

وقال جرير أيضاً :

سائِلْ ذَوي يَمَنٍ إذا لاقَيْتَهُمْ ... والأَزْدَ إِذْ نَدَبوا لَنا مَسْعودا
لاقاهُمُ عِشْرونَ أَلْفَ مُدَجَّجٍ ... مُتَسَـرْبِلينَ دُلامِصاً وَحـديدا
فلَغادَروا مَسْعودَهُمْ مُتَجَـدِّلاً ... قد أَوْدَعوه جَنادِلاً وصَعيدا[4]

---

١ ـ النقائض ص ١١٢ .
٢ ـ نهطة بالرمح : طعنه . القاموس .
٣ ـ العراص : الرمح الدن . القاموس .
٤ ـ النقائض ص ٧٣٦ .

قال أبو عبيدة : وقال قوم : انصرف مسعود من عِيادة صديقٍ له ، فلما كان بموضع من بني تميم عرض له خارجي فقتله وذلك بُهْت وباطل ، وقال قوم : لما صعد مسعود المنبر وأغفل الناسُ الخوارجَ خرجوا من السجن ودخلوا المسجد لا يلقون أحداً إلّا قتلوه حتى قتلوا مسعوداً في المسجد في اثني عشر من قومه ثم ظهروا إلى الأهواز ، وأقبل قوم من بني مِنْقَر فاحتملوا مسعوداً إلى دورهم ثم مثلوا به ، وذلك باطل أيضاً .

وقال أبو عبيدة : لما قُتل مسعود وَلَّت الأزد رئاستها زياد بن عمرو بن الأشرف العَتَكي ، ثم خرجوا من الغَدِ ، وخرجت ربيعة وعليها مالك بن مِسْمَع يطلبون بدماء مَن أُصيب منهم ، وعبّوا عبد القيس وألفافها من أهل هَجَر وعليهم الحَكَم بن مُخَرَّبة مَيْسَرَةً ، وعبّوا بكراً وألفافها من عَنَزَة والنَمِر وعليهم مالك بن مِسْمَع مَيْمَنَةً ، وعلى الأزد زياد بن عمرو ، وهم القلب ، وخرجت مُضر وعليها الأحنف بن قيس ، وقد عبّأ بني سعد وألفافهم من الأساورة والاندعان وضَبّة وَعديّاً وعبد مناة وعليهم قَبيصة بن حُريث بن عمرو بن ضِرار الضَبّي ، وعلى الآخرين من بني سعد والأساورة عَبْس بن طَلْق الصَريمي - ويقال طليق - فجعلهم بإزاء الأزد ، وعبّأ قيس عَيْلان وعليهم قيس بن الهَيثم السُلَمي فجعلهم بإزاء الأزد ، وعبد القيس ، وعبّأ بني عمرو بن تميم وعليهم عَبَّاد بن الحُصين الحنظلي ومعهم بنو حنظلة بن مالك وألفافُها من بني العَمّ والزُطّ والسَيابِجَة ، وعلى جماعتهم سَلَمة بن ذُؤَيْب الرِياحي ، وجعلهم بإزاء بكر ، وفي ذلك يقول الشاعر من بني عمرو أو بني حنظلة :

سَيَكْفيك عَبْسٌ أخو كَهْمِسٍ   مُقارَعَةَ الأَزْدِ بِالمِرْبَدِ
وتَكْفيكَ قَيْسٌ وَأَلْفافُها   لُكَيْزَ بْنَ أَفْصَى وما عَدَّدوا
وَنَكْفيكَ بَكْراً وأَلْفافَها   بِضَرْبٍ بَشيبُ لَهُ الأَمْرَدُ

فاقتتلوا ثم إنّ عمر بن عبيدالله بن مَعْمر ، وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مَشَيا للصلح فيما بينهم حتى التقى الأحنفُ ومالكٌ والعُمَرانِ في الصلح ، فجعل الأحنف يَخِفّ عند المُراوضة وجعل مالك يَثْقُل ، فقال القُرَشيّان : ياأبا بَحْر ، مالك تَخِفّ وقد ذهب حلمك في الناس ، ومالكٌ يَرْزُنُ ؟ فقال : إنّه يرجع إلى قوم لا يخالفونه إذا قال ، وأنا أرجع إلى قوم يتأَبَّون عليَّ ، فلم يتَّفِقْ بينهم صلح ؛ واجتمعت ربيعةُ واليمن فكتبوا قتلاهم فلما بلغوا دِيَّة مسعود كتبوها عشر دِيات لأنه كان مُثِّل به ، فقال الأحنف : لانَزيدُ على دية رجل من المسلمين فاضطربوا بالأَيْدي والنِعال ، ثم عادوا للقتال فاقتتلوا أيّاماً ، ثم إنّ عُمَر وعُمَر أتيا الأحنفَ فعظّما أمرَ الإسلام وحرمته وحقّ الجوار وقالا : إنّما انتم إخوان وأصهار ويدٌ على العدوّ ، فقال الأحنف : انطلقا فاعقدا على ما أحببتما وأَبعِدا عني العار ، فأَتيا ربيعة واليمن ، فلما دنوا رماهما السفهاء فركضا حتى وقفا حيث لا ينالهما النَبْل والنُشّاب ، وصبّ عَبْس بأَمر الأحنف عليهم الخيل فأَجْلَتْ عن قَتْلى ، فقال أهل الحِجَى منهم : رَمَيتم رجلَين مَشَيا في الصلح بينكم ؛ ثم إنّهم اجتمعوا على الرضا بما حكم به عمر وعمر ، فحمل عمر بن عبيد اللهتسع ديات ، ويقال حملاها بينهما وقالا : قد لَجّ الأحنف وأَبى إلاّ دِيةً وإنما سَأَلَنا أن نَحْكم عليه ونحن أَولى بأن نَحْمِل هذا الشيء ، قال : ويقال انّ بني تميم قالوا : نحن نحملها ، وقال عبدالله بن حكيم بن زياد بن

حُوَي بن سفيان بن مُجاشِع بن دارم:أنا في أيديكم رَهينة بهذه الديات ، فقبلا ذلك ، فقال الفرزدق :

ومِنّا الذي أَعْطَى يَدَيْهِ رَهينَةً لِعارَيْ نِزارٍ قَبلَ ضربِ الجَماجِمِ
كَفَى كُلَّ أُمٍّ ما تخافُ على ابْنِها وهُنَّ قِيامٌ رافِعاتُ المَعاصِمِ
عَشِيَّةَ سالَ المِرْبَدانِ كِلاهُما عَجاجَةَ موتٍ بالسُيوفِ الصَوارِمِ
رَأَوْنا أَحَقَّ ابْنَيْ نِزارٍ وغَيْرِها بِإِصْلاحِ صَدْعٍ بَيْنَهُمْ مُتَفاقِمِ
حَقَنّا دِماءَ المُسْلِمينَ فَأَصْبَحَتْ لنا نِعْمَةٌ يُثنى بِها في المَواسِمِ

المدائني عن محمد بن حفص الباهلي عن هلال بن أحْوَز قال : أتى الغَضْبانُ بن القَبَعْثَري الأحنفَ فقال : يا أبا بَحْر أتيتك في أمر عليك فيه قضاءٌ ، قال : أَيُصلحني وإيّاك ؟ قال : نعم قال : فلا قضاهُ الله عليَّ فيما يُصلحنا ، فما هو؟ قال : اختاروا واحدة من ثلاث ، إن شئتم فاخرُجوا من المصر فلا يبقى فيه مُضَري وتُهدَر هذه الدماء ، وإن شئتم فدُوا قَتْلانا ولا ندي قتلاكم وتدون مسعوداً عشر ديات ، أو الحرب ، فقال الأحنف : لا حول ولا قوّة إلاّ بالله لقد سُمتمونا خُطّة الذليل ، أمّا خروجنا عن المصر فإنّا لا ندعُ مُهاجَرَنا ومراكزنا وفَيْءَ الله علينا فيه فنتعرّب بعد الهجرة ، وأمّا الحرب فلسنا بأَجزع فيها منكم ، وأمّا أن ندي قتلاكم ونُلغي قتلانا فليس ذلك في صلاحنا ، وأمّا مسعود فرجل مسلم ديته دية رجل من المسلمين ، ثم قال الأحنف : في ربيعة عُجْب شديد .

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣١٨ ـ ٣٢١ .

المدائني في إسناده قال : لما توادعوا ورضوا بالديات خطب الأحنف فقال : يا معشر الأزد وربيعة إنّكم إخواننا في الإسلام ، وشركاؤنا في الصهر ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدوّ ، ولأزْد البصرة أحب إليّ من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب إليَّ من تميم الشام ، فإذا اسْتَشْرَتْ شَأْفَتُكم ، وحَمِيَتْ جَمْرَتُكم ، وأبتْ حسائكَ صدوركم أن تَلين ، ففي أموالنا وأحلامنا سَعة لنا ولكم ، أرضيتم بحمل هذه الديات ـ يعني ديات الأزد ـ من أعطيتنا في بيت المال ؟ قالوا : رضينا ، فضمِنها والقِيامَ بها إياس بن قَتادة بن أوفَى ، وأمّة من رهط الأحنف ، وعَرَض ذلك على غيره من وجوه تميم فأباه ، وقالت الأزد وربيعة لإياس : قد رضينا بك لأنّك رجل شريف مسلم وَرِع ، فقام بذلك ، ثم رجع إلى منزله فقال قومه : طُلّت دماؤُنا وحملت دماءُ الأزد وربيعة فحملها لهم ، وكان إياس ناسكاً فقال لبني تميم : قد وهبتُ لكم شبيبتي فهبوا لي شَيْبتي ، وأقام يُؤَذّن في مسجده حتى مات ، فقال الحسن البصري : علم والله أنّ القبر يأكل السمن ولا يأكل الإيمان .

قال أبو عبيدة : وحمل القُرَشيّانِ أو أحدهما تسع ديات أرضَوْا بها الأزد من دم مسعود ، وقال القُلاخ في أرجوزته :

ثُمَّ بَعَثْنا لَهُمُ إياسا حَمّالَ أَثْقالٍ بها قِنْعاسا[1]

وقال عمرو بن دَرَّاك العبدي :

قَتَلْنا بِقَتْلى الأَزدِ مَثْنى وضوعِفَت ديِاتٌ وأَهْدَرْنا دِماءَ تَميمِ
بِعَشْرِ دِياتٍ لابنِ عَمْرو تُوُفِّيَتْ عِياناً ولم تُجْعَلْ ضَمانَ نُجومِ
نَزَلْتُمْ على حُكْمِ الأَغَرِّ ابْنِ مِسْمَعٍ على حُكْمِ طَلّابِ التِراتِ غَشومِ

١ ـ القنعاس : الشديد المنيع ، والقلاخ وهو ابن حزن (تاج العروس مادة : قلخ) .

قال أبو عبيدة : وكان هذا وَبَبّة ملازمٌ لمنزله لا يعين أحداً ولا يدخل في شيء ، والناس على الرضا به ، وكان متديّناً ، وكانت هذه الهَزاهِز ثمانية أشهر أو تسعة أشهر .

وقال أبو الحسن المدائني : خرج نافع بن الأزرق في أيّام بَبّة حتى أتى الأهواز ، وخافه الناس ، فانتدب مسلم بن عُبيس بن كُريز لقتاله ، فعقد له بّبة فسار إلى نافع ، فقُتل مسلم بِدولابَ من الأهواز ، واختلط أمر الناس ، فأخذ بَبّة نعله فلبسها وصار إلى منزله ـ وكان متديِّناً ـ وقال : لست أُحبّ إصلاحكم بفساد نفسي وديني .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال : جاء مسعود وعليه قَباء ديباج وحوله قومه حتى صعد المنبر فخطب وهم يقولون الشمس .

وقال أبو عبيدة حدثنا سلّام عن الحسن قال : أقبل مسعود من هنا ، وأشار إلى منزل الأزد ، في أمثال الطير مُعْلماً عليه قباء ديباج أصفر مُغَّين بسواد يأمر بالسنّة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا محمد بن أبي عُيَينة حدثني شَهْرَك قال : شهدتُ عبيدالله بن زياد حين جاء موتُ يزيد بن معاوية فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة أتسبّوني فوالله لتجدُنّ مُهاجرَ أبي ومَولِدي وداري فيكم وبينكم ، ولقد وُلّيتُكم وما أُحصيَ [في] ديوان مقاتلتكم إلاّ أربعون ألفاً ، ولا في ديوان عيالاتكم إلاّ سبعون ألفاً ، ولقد أُحصيَ إليَّ اليوم في ديوانكم ثمانون ألفَ مقاتِلٍ ، وفي ديوان عيالاتكم مائة وعشرون ألفا ، وما تركتُ لكم ظنيناً

أخافه عليكم إلّا وهو في سجنكم ، وإنّ أمير المؤمنين قد تُوفّي ، وولّى عهده من بعده معاوية بن يزيد ابنه ، وإنّكم اليوم أكثر الناس عدداً وأعرضُهم فيئاً ، وأغناهُم عن الناس ، فآختاروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم ، فأنا أوّل من يرضى ويبايع ويُعين بنصيحته وماله ، فإذا اجتمع أهل الشام على رجل يرضونه لدينهم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون ، فقامت خُطباء أهل البصرة فقالوا : قد سمعنا مقالتك أيّها الأمير ، ولا نعلم أحداً أقوى عليها منك فهلّم نبايعك ، فقال : لا حاجةَ لي في ذلك فآختاروا لأنفسكم ، فلمّا كّرروا عليه القول بسط يده ودعاهم إلى بيعته فبايعوه ، ثم انصرفوا وهم يقولون : أيظنّ ابنُ مَرجانة أنّنا ننقاد له في الجماعة والفُرقة ، كذب والله ؛ ثمّ وثبوا به .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير حدثنا غسّان بن مضر عن سعيد بن يزيد قال : بايعوا عبيدالله بن زياد ثم قالوا : أَخْرجْ لنا إخواننا . وكانت السجون مملوءة من الخوارج ، فقال : لا تفعلوا فإنّهم يُفسدون عليكم ، فقالوا : لابدّ من إخراجهم ، فجعلوا يخرجون ويبايعونه فما تتامَّ آخرهم حتى جعلوا يُغلظون له .

حدثني أبو خَيْثَمة زهير بن حرب حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنا أبي عن مصعب بن يزيد قال : لما مات يزيد بن معاوية نعاه ابن زياد وقال : آختاروا لأنفسكم ، قالوا : قد رضينا بك ، ثم خرجوا فجعلوا يمسحون أيدِيَهم بجُدُر دار الإمارة ويقولون : هذه بيعة ابن مَرجانة ، واجترأ الناس عليه حتى جعلوا يأخذون دوابّه من مَرْبطه .

حدثني أحمد بن إبراهيم وخَلَف بن سالم قالا حدثنا وهب بن جرير حدثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سُمَير أنّ شَقيق بن ثَوْر ، ومالك بن مِسْمَع ، وحُضين بن المنذر أتوا ابن زياد وهو في دار الإمارة ليلاً ، قبل أن يتحوّل إلى مسعود بن عمرو ، فأقاموا عنده عامّة ليله ثم خرجوا ومعهم بغل مُوقر مالاً ، فقال رجل من بني سَدوس : خوّفْتُهم بأن أُنادي إنّ فلاناً وفلاناً قد اجتمعوا في دمائكم ، فأعطوه خمسمائة درهم .

وحدثني أبو خَيْثَمة وأحمد بن إبراهيم قالا : حدثنا وهب بن جرير حدثنا القاسم بن الفضل الحُدّاني قال : أخرج ابن زياد الحَروريّة من السجن حين طُلب إليه ، فخرجوا مع نافع بن الأزرق فعسكروا بالمِرْبَد ، فلما رأى ذلك ابن زياد خافهم على نفسه ، فعرض نفسه على أشراف أهل البصرة فكرهوا وأبوا أن يقبلوه ، فأرسل إلى الحارث بن قيس ، فمضى به إلى منزل مسعود .

وحدثني أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم قالا حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن الزبير بن خِرّيت عن أبي لبيد عن الحارث بن قيس قال ، قال ابن زياد : إنّي لأعرف سُوء رأيٍ كان في قومك ، ولكّنهم قوم كرام كان بلاؤهم عند أبي جميلاً ، فرققت له فأردفته على بغلي ليلاً ، وأخذت به على بني سُليم ، فقال : من هؤلاء قلتُ : بن سُليم ، قال : سَلِمنا إن شاء الله ، ثم مررنا ببني ناجية وهم جُلوس ومعهم السلاح ، وكان الناس يومئذ يتحارسون فقال رجل منهم : هذا والله ابن مرجانة خَلْف الحارث بن قيس فرماه بسهم وقع في كَوْر عمامته ، فقال : يا أبا محمد من هؤلاء ؟

قلتُ : الذين كنت تَزعم أنّهم من قريش ، هؤلاء بنو ناجية فقال : نَجوتُ إن شاء الله .

قال وهب : وحدثني القاسم بن الفضل الحُدّاني بِنَحْو هذا الحديث . وزاد فيه : ومررنا ببني طاحية فوثبوا علينا وتشبثّوا بنا حتى افتدينا منهم بشيء .

وحدثني أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم قالا: حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن الزبير بن خِرّيت عن أبي لبيد عن الحارث بن قيس قال : قال لي ابن زياد : إنّك قد أحسنت وأجملتَ ، فهل أنت صانع ما أُشير به عليك ؟ قد عرفتَ منزلة مسعود بن عمرو وشَرَفه وسِنّه وطاعة قومه له ، فهل لك في أن تذهب بي إليه فأكون في داره فهي في وسط الأزد ؟ قال : فانطلقت به فما شعر مسعود بشيء حتى دخلنا عليه وهو جالس يوقَد له بقَصَب على لبنةٍ ، وهو يعالج خُفَّيْه حتى خلع أحدهما وبقي الآخر ، فلما نظر في وجوهنا عرفَنا فقال : إنّه كان يَتَعوَّذ من طارق السَوْء وإنّكما لَمِن طارق السوء ، قال الحارث : فقلنا أَتُخرج رجلاً قد دخل إليك متعوّذاً بك ؟ قال : فأَمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود وامرأته خَيْرة بنت خُفاف بن عمرو ، ثم ركب مسعود من تَحْتِ ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه فطافوا في الأزد وهم في مجالسهم فقالوا : إنّ ابن زياد قد فُقِد ولا نأمن أن تُلطَخوا به ، فأصْبِحوا في السلاح ، فأصبحت الأزد في السلاح ، وفَقَد الناس ابنَ زياد فقالوا : أَيْن توجّه ؟ وما هو إلاّ في الأزد ؛ فقالت عجوز من بني عقيل : اندحسَ والله في أَجَمَة أبيه ـ يعني الأزد ـ لأن أباه كان فيهم أيّام دار ابن الحَضْرَمي .

قال وهب فقال جرير بن حازم : أقبلت الحَروريّة إلى الأزد فخرجوا إليهم فقاتلوهم حتى نفوهم ، ومرج امرُ الناس .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير حدثنا غسّان بن مضر عن سعيد بن يزيد أنّ ابن زياد قال لمسعود في بعض الليالي : آبعث إليَّ رجلاً من الأزد نستشيره ، فبعث إلى رجل منهم يقال له حدش الأعور ، فجاء يجرّ مِلْحَفته ، فقال له مسعود : هذا ابن زياد وقد بعث إليك يستشيرك ، فقال لابن زياد : والله ما أتيتَنا لمعروفٍ صنعتَه إلينا ، ولقد كنت تُقْصينا وتُهيننا وتَذمّنا وتقع فينا ثم لم تَرْضَ حتى جئتنا لُتهريقَ دماءنا، ثم أقبل على مسعود فقال له : أيْها الشيخ الأحمق آدفنْ هذا ولا تُرِهِ أحداً من الناس حتى تدسَّه فينطلقَ فيكون كطائرٍ وقع ثم طار ، فقال ابن زياد : أين كنّا عن مثل هذا الرأي قبل اليوم ؟ فأخرجه في نحوٍ من ستّين أو سبعين من الأزد معه .

حدثنا أبو خيثمة حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن خِرّيت عن خيرة بنت خُفافٍ قالت : كان ابن زياد يُقبل عليَّ فيشكو بَثَّهُ وهو في حَجَلتِي ، فاذا اتته امرأته هند بنت أسماء الفزاريّة ضاحكها وحدّثها وذهب عنه الهَم حتى كأنّه لم يصبه شيء ، وكان أرفق الناس كفّاً ، رقعتُ يوماً ثوباً لي فقال : ما أرى لك رِفقاً ، وأخذه فعالجه فإذا أَرْفَق الناس .

حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن خِرّيت قال : بعث مسعود مع ابن زياد مائة عليهم فَرْوَة بن عمر حتى قدموا به الشام .

وحدثني أبو خيثمة حدثنا وهب عن أبيه عن الزبير بن خِرّيت قال : أقام ابن زياد عند مسعود نحواً من ثلاثة أشهر .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن خِرِّيت عن أبي لبيد أنّ أهل البصرة اجتمعوا فقلّدوا أمرهم النعمان بن صُهبان الأزدي ثم الراسبي ، ورجلاً من مضر ، ليختارا لهم رجلاً يولّونه عليهم ، فقالوا : من رضيتماه لنا فقد رَضينا به ، قال وهب : وقال غير أبي لبيد : إنّ الرجل قيس بن الهيثم السُلَمي ، قال : وكان رأي المُضري في بني أميّة ، ورأي النعمان في بني هاشم ، فقال النعمان للمضري : ما أرى أحداً أولى بهذا الأمر من فلان ، يعني رجلاً من بني أميّة ، قال : أَوَذاك رأيك ؟ قال : نعم قال : فقد قلّدتك أمري ورضيتُ بمن رضيتَ به ، ثم خرجا إلى الناس فقالوا لهما : ما صنعتما ؟ فقال المضري : رضيتُ بمن رضي به النعمان فمن سمّى فأنا راضٍ به ، فقال الناس للنعمان : ما تقول ؟ فقال : ما أرى أحداً غير عبدالله بن الحارث يعني بَبّة ، فقال المضري : ما هذا الذي سمّيتَ فقال : إنّه لَهُوَ ، فرضي الناس بَبّة وبايعوه .

قال وهب:فحدثني ابن أبي عُيينة عن سَبْرة بن النَّحْف قال : بايعوا عبدالله بن الحارث ، وغدت الأزد مع مسعود للبيعة .

وحدثني خَلَف بن سالم المَخْزومي حدثنا وهب بن جرير حدثنا غسّان بن مُضَر عن سعيد بن يزيد عن إبراهيم بن عبدالله قال : سارت الأزد وربيعة حتى أتوا المسجد ، وصعد مسعود بن عمرو المنبر ، ثم خرج وخرجنا فإذا بمسعود على بغلته وقد ازدحم الناس عليه حتى سقط ، وأقبل ابن الأزرق من قبل بني سُليم في نحو من أربعين يحكّمون ، فقصدوا له فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه ، قال خَلَف:قال وهب : فكان يقال إنّ الأحنف بعث إلى الخوارج فحرّضهم عليه .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن القاسم بن الفضل الحُدّاني قال : لما بايعوا عبدالله بن الحارث انطلقت الأزد مع مسعود للبيعة ، ووقفت بكر بن وائل بالمِرْبَد ، فلما كان الغد أراد بنو بكر أن ينطلقوا للبيعة فأتاهم ناس من قومهم حروريّةٌ فقالوا : لا تنطلقوا فإنّا نخاف عليكم الحروريّةَ إلّا أن ينطلق معكم الأزد ، فكلّمت ربيعة مسعوداً في ذلك ، فقال له عبدالله بن حَوْذان : ألا تسير معهم ؟ قال : قد بايعنا أمس ووقفوا بالمِرْبَد فدَعْهم فلينطلقوا ونقف لهم بالمِرْبَد ، فإن أتاهم شيء أعنّاهم وأغثناهم ، فقالوا لمسعود : لابدّ من أن تسير معنا ، فقال له ابن حوْذان : والله لَئِن ذهبتَ لا ترجع ، والله لا أسير معك ، فإنّا لم نخرج أمس حتى ظنّنا أنّك لا ترجع ، فسار مسعود معهم ، وتخلّف ابن حَوْذان ، وناس من الأزد ، فلما كان مسعود بالرحبة ازدحم الناس عليه فلم يشعر حتى أتاه قوم من الحروريّة فقتلوه ، وهرب الناس .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثني وهب بن جرير عن أبيه عن مصعب بن يزيد قال : كان مسعود يدعو إلى بني أميّة وقد بايعه قوم ، وكانت الخوارج قد ظهرت بالبصرة وكانت تطلبه ، فقتله قوم منهم وقد انصرف من المسجد ، فلما انصرفت الأزد وجدته في بني مِنْقَر وقد مُثِل به ، فرُميت به بنو تميم ، فاقتتلوا ثم اصطلحوا ، واجتمع أهل البصرة على عبدالله بن الحارث ببّة ، فبايعوه ، ثم إنّه كثر الشّر والقتال فاعتزلهم .

حدثنا خَلَف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن أبي عُيينة قال : حُدّثت أنّ مسعوداً لما قُتل اجترّته بنو منقر إلى دُور بني إبراهيم فأصبح وقد مُثِل به وأصبحت بنو تميم تُرْمى بقتله .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب أخبرني القاسم بن الفضل الحُدّاني عن أشياخه قالوا: لما قُتل مسعود جعلت الأزد زيادَ بن عمرو العَتَكي رئيساً عليهم، والمُهَلَّبُ بن أبي صُفرةَ يومئذٍ غائب، فلما قدم أتاه زياد فقال له: إنّي قد كفيتك أمر قومك ما غِبْتَ، فأمّا إذ شهدتَ فشأنك بهم، وجاءت الأزد فدخلت على المهلّب فقال لهم: أَلْجأتُم هذا العبد وناوَيْتم أهلَ بلدكم، فغضبت الأزد وقالت: إنّما سّيدنا من غضب لغضبنا ورضي لرضانا، ثم انطلقوا فشقَّ ذلك على المهلّب ومضى إلى ابن الزبير وأظهر أنّه كاتَبَهُ في القدوم عليه، واجتمعت تميم إلى الأحنف فقالوا: إنّ الأزد قد اجتمعت علينا ولابدّ من أن تليَ أمرنا فقال: لا إلاّ أن تجعلوا الأمر إليَّ فما امضيتُه قبلتموه وأُمضيتموه، اتُّهمتم بقتل مسعود ولم تنتفلوا من دمه، فولُّوْه أمرهم فسار بهم إلى المِربْدَ، واجتمعت الأزد وبكر بن وائل فاقتتلوا ثم تواقفوا، فبعث الأحنف إلى زياد بن عمرو أن هَلُمَّ فرُسّوا بيننا صلحاً، وبعثوا بالغَضْبان [بن] القَبَعْثَرَى الشيباني فأتى الأحنفَ فقال: تدي قتلاهم، وتهدر قتلاك، وتدي مسعوداً بمائة ألف، فقال الأحنف: أمّا قتلانا فندعهم وأمّا قتلاهم فنديهم، وأمّا دية مسعود فكدية رجل مسلم.

وحدثني أحمد بن إبراهيم وأبو خيثمة زهير بن حرب قالا: حدثنا وهب بن جرير أنبأنا حمّاد بن زيد أنبأنا خالد الحَذّاء عن المثنّى بن عفّان قال: رأيت الأحنف يطوف في المسجد على الحَلَقِ وهو يقول: إنّكم تلقون عدوّكم غداً فآصبروا فإنّهم يألمون كما تألمون.

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب حدثنا محمد بن أبي عيينة قال: حُدّثت أنّ الأحنف قال: يا معشر الأزد آتقوا الله فإنا والله ما نحن قتلنا

مسعوداً إنّما قتله الخوارج ، قالوا : فإنّا وجدناه عندكم في دوركم وما نطلب به إلّا من وجدناه عنده قتيلاً وفي داره ، قال الأحنف : فما الذي يُرضيكم ؟ قالوا : واحدة من ثلاث ، ترحلون فتلحقون بباديتكم وتخلّون بيننا وبين المصر ، أو تقيمون الحرب بيننا وبينكم حتى تكون الدار لنا أو لكم ، أو تدون مسعوداً عشر ديات وتهدرون قتلاكم وتدون قتلانا ، فقال الأحنف : أمّا هذه فقد قبلناها ، وأما الأُخريان فلا ، فدعا لها أُناساً من قومه فأَبوا أن يحملوها ، فدعا لها إياس بن قَتادة فتحمّلها وأَدّاها كلّها من عطائه وأُعطيات قومه وأمواله ، فقال الفرزدق :

وَمِنّا الذي أَعْطَى يَدَيْهِ رَهينةً لِغار نِزارٍ يَوْمَ ضَرْبِ الجَماجِمِ
كَفَى كُلَّ أُمٍّ ما تَخاف على آبْنِها وهُنَّ قِيامٌ رافِعاتُ المَعاصِمِ

قال : وكان الأحنف قام في قومه يحرّضهم على الأزد في الليلة التي اقتتلوا في صبيحتها فكان ذلك مما تُعُلِّقَ به عليه .

وحدّثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب عن القاسم بن الفضل الحُدّاني عن أشياخه قالوا : لم يزالوا في أمرهم وقد أبوا أن يدوا مسعوداً إلّا دية رجل من المسلمين حتى قدم القباع وهو الحارث بن عبدالله المَخْزومي ، أميراً من قبل عبدالله بن الزبير، فأُخبر بأنّ الأحنف كره أن يحمل دية مسعود مائة ألف ، فقال : قد تحمّلتها من بيت المال ، فقالت له الأزد : فمن يقوم لنا بذلك ؟ فدعا الأحنف إياس بن قَتادة وهو ابن اخته فاصطلح الناس ووَدَوْا قتلى الأزد وهدروا قتلاهم ، وأُعطى القُباع ـ وهو الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة ـ مائةَ ألف درهم من بيت المال فقام بذلك إياس بن قَتادة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن الزبير قال : وليهم عبدالله بن الحارث بَبّة أربعة اشهر ، وخرج نافع بن الأزرق إلى الأهواز فقال الناس لبَبّة : قد أكل بعض الناس بعضاً ، تُؤخَذ المرأة من الطريق فتُفضح فما يمنعها أحد ، قال : فتريدون ماذا ؟ قالوا : تشهر سيفك وتبسط يدك ، فقال : ما كنت لأُصلح أمركم بفساد أمري ؛ ثم انتقل ولحق بأهله وأمَّر الناس عليهم عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر التَيْمي أخا عمر بن عبيدالله .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن صَعْب بن يزيد أنّ الطاعون الجارف وقع بالبصرة وعبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر التيمي عليها ، فماتت امّه فما وجدوا من يحملها حتى استأجروا لها أربعة أعلاج فحملوها إلى حُفْرتها ، وهو الأمير يومئذ .

وقال هشام بن الكلبي : صلّى بهم بَبّة أشهراً ثم أمّروا عليهم عمر بن عبيدالله فاستخلف أخاه .

قالوا : وكان من موالي آل أبي سفيان بن حرب عبدالله بن هُرْمُز مولى عنبسة وكان على ديوان الجند زمن الحجّاج ثم ولدُه من بعدِه ، وله يقول القائل :

أعـوذَ بِـالله الأَحَـدْ مِنْ هُرْمُزٍ ومـا وَلَـدْ

وكان قدرهم بالبصرة عظيماً وكان لهم يسار ، وعبدالله بن درّاج مولى معاوية ولاّه خراج الكوفة مع مَعونتها وكان قدم مكة أيّامَ ابن الزبير فقتله ، فقال ابن الزَّبير الشاعر :

أَيُّها العائِذُ في مَكَّةَ كَمْ مِنْ دَمٍ تَسْفِكُهُ مِن غَيْرِ دَمْ
أَيِّدٌ عائِذَةٌ مُعْصِمَةٌ ويَدٌ تَقْتُلُ مَنْ جاءَ الحَرَمْ

وولد سفيان بن أمية[1]

الحارث ، وطليقا ، وحَمْنة وهي أمّ سعد بن أبي وَقّاص ؛ وكان لسفيان قدر في زمانه ، وكان حكيم بن طليق من المُؤَلَّفة قلوبُهم ، أعطاه النبيّ ﷺ يوم حُنين مائة من الإبل ، وكان له ابن يقال له مُهاجر تزوّج ابنته زياد بن سُميّة فدرج عقبُه .

وكان من بني أبي سفيان بن أمية :

[سفيان بن] أميّة بن أبي سفيان بن أميّة ، وهو الذي قدم بموت عليّ عليه السلام إلى الحجاز .

١ ـ بهامش الأصل : صح ، وهذا معطوف على ما رتبه في أول نسب بني أمية ، فلا يتوهم خلل .

وولد العاص بن أمية :

سعيداً ابا أُحَيْحة ، وأمَّ حبيب تزوّجها عمر بن عبيدالله بن أبي قيس من بني عامر بن لُؤيّ خلف عليها بعد أخٍ له ؛ وكان أبو أُحَيْحة عظيم القدر عزيزاً في قومه وكان إذا اعتمَّ لم يعتمَّ أحدٌ بمكة بلون عمامته إعظاماً له ، وكان يقال له ذو التاج وذو العمامة ، وكان عظيم النَخْوةِ وأُدرك النبيّ ﷺ ، فلما احُتضر بكى فقال له أبو جَهْل وأبو لَهَب : ما يُبكيك ؟ فقال : والله ما أبكي جَزَعاً من الموت ولكن أخاف أن يُعبَدَ إلهُ ابن أبي كبشة بعدي ، فأبكي على العُزَّى ومفارقتها ، ومات فدُفن بالظُّرَيبة . وأمّ أبي أُحَيْحة رَيْطة بنت البيّاع بن عبد ياليل من كنانة .

فمن ولد أبي أحيحة :

أُحيحة بن سعيد ، قُتل يوم الفِجار ، قتلته خُزاعة وله عقب ، وأمّه هند بنت المغيرة ؛ والعاص بن سعيد ، وعبيدة بن سعيد قُتلا يوم بَدْر

كافرين ، فأمّا عبيدة فقتله الزبير ، وأمّه صَفيّة بنت المغيرة ، وأمّا العاص فقتله عليّ بن أبي طالب وأمّه هند بنت المغيرة .

وخالد بن سعيد بن العاص :

ويُكنى أبا سعيد وأمّه ثَقَفيّة وكان قديم الإسلام ، رأى في منامه كأنّه وقف على شفير جهنّم فذكر من نَعْتها ما الله به أعلم ، ورأى كأنّ اباه جعل يدفعه فيها ورسول الله ﷺ آخذٌ بحَقْويه لِئلاّ يقع فيها ، فلقي أبا بكر فأعلمه فقال له أبو بكر : تدرك خيراً ، هذا رسول الله فاتّبِعْه فإنّ الإسلام هو الذي يمنعك من الوقوع في النار ، وأبوك واقع فيها فإن أطعتَه واتّبعتَه كنتَ معه ، فلقي خالد رسول الله ﷺ فقال له : يا محمد إلى ما تدعو ؟ فقال : إلى الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله وخَلْعِ ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضرّ ولا يعرف من عَبَده ممّن لم يعبده ، فقال خالد : فإنّي اشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله ، فسُرّ النبيّ ﷺ بإسلامه . ويقال انّه رأى ناراً خرجت من زمزم فملأت الأُفقين وسمع قائلاً يقول : هلكت اللاّت والعُزّى ، فأتى النبيَّ ﷺ فقصّ عليه رُؤْياه ثم أسلم ؛ ولما أسلم خالد تغيّب ، وبلغ أباه خبره فأرسل في طلبه إلى الطائف فلم يوجد بها فأُخبر أنّه بأعلى مكة في شِعْب أبي دُبّ الخُزاعي ، فأرسل إليه أبانَ وعمراً أخويه ورافعاً مولاه فوجدوه قائماً يصلّي ، فأتوه به فأنّبه وبكّته وضربه بعَصاً كانت معه حتى كسرها وقال : اتّبعْتَ محمداً وأنت ترى خلافة لقومه وما جاء به من عيب آلِهتِهم والزَرْي[1] على من مضى من آبائهم، وزعمه

١ ـ بهامش الأصل : «والازراء» .

أنّ بعد موتهم ناراً يخلدون فيها ، فقال خالد : قد اتّبعتُه وهو والله صادق ، فقال : أَو تُصدّقه أيضاً ؟ فحدّثه رؤياه فشتمه أبو أُحَيْحة وقال : آذهب يا لُكَع حيث شئت فوالله لأمنعنَّكَ القُوت، وأَمر بنيه أن لا يكلموه، ولقي أبا سفيان بن حرب فقال له : هدمتَ شرَفك ، قالِ : بل شيّدتُه وعمّرته ، فقال : أنت غلام حدث ولو بُسِط عليك العذاب لأَقْصرتَ ، فانصرف خالد فلزم رسول الله ﷺ ، وكثُر تأْنيب قريش له ، ودخل أبو جهل على أبي أُحَيْحة فقال له: والله ما أدري أَضعفتَ أَمْ ضجعت الرأيَ أَمْ ادركَتْك المنافيّة، فقال أبو أُحَيْحة : والله لقد غاظني أمر محمد وإنّه لأَوسطنا نسباً ، ولقد نشأ صادقَ الحديث مؤَدّياً للأمانة ، ولقد جاء بدينٍ مُحْدَثٍ فَرَّقَ به جماعتنا وشَتَّتَ أمرنا وأَذهب بَهاءَنا ، ولَئِن صَدَقَني ظَنّي فيه ليخرجنّ إلى قوم يَقْوَى بهم علينا ، فقال أبو جَهْل : لا تقل هذا فما الفرج لنا إلاّ في خروجه عنّا وتحوّله من دارنا حتى تعود أُلْفَتُنا .

ورُوي عن أمّ خالد بنت خالد بن سعيد أنّها قالت : كان أبي خامساً في الإسلام ، تقدّمه ابن أبي طالب وزيد بن حارثة وابن أبي قحافة وسعد بن أبي وقّاص .

قالوا : وقدم عثمان بن الحُوَيْرِث بن أَسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ على قيصر ، وكان قد رفض الأَوثان ومات على النصرانيّة ، فكان ترجمانُ قيصر يحرّف ما يقولُ له عثمان فلا يرى عند قيصر ما يحبّ ، فبينا هو يمرّ يوماً في مدينة قيصر إذ سمع رجلاً في زِيّ الروم يتكلّم بالعربيّة وينشد بيتاً فقال له : يا هذا ممّن أنت ؟ قال : أنا عربيّ من بني أَسد فآكتم ما سمعتَ ، فشكا إليه جَفْوة قيصر فقال : قد بلغني خبرك ، وإنّما تُؤْتَى من الترجمان ، فدخل عثمان

على قيصر فدعا له الترجمانَ فقال : قل للملك إنّ الكَذوبَ الفاجرُ الغادرُ ، قال الملك: هِيه، فالتزم عثمانُ الترجمانَ يريد أنّه الموصوف بهذه الصفة ، فقال : إنّ لهذا العربيّ لقصّة ، فدعا له ترجماناً آخر فكلمه وأدّى عنه إلى قيصر فقال : إنّي ضارب للملك ضريبة على قريش يؤدّونها إليه كلَّ عام إذا جاؤوا بتجاراتهم، فأتى مكة فقال لقريش وغيرها : إنّ قيصر يأمركم أن تجعلوا له ضريبة عليكم وإلاّ منعكم من الدخول إلى بلاده ، فزبروه وأغلظوا له وعابوا دينه ، وكان أشدّهم عليه أبو أُحَيْحة والوليد بن المغيرة ، ثم إنّ أبا أُحَيْحة قدم الشام ومعه أبو ذُؤَيب هشام بن شُعبة بن عبدالله بن أبي قيس أحد بني عامر بن لُؤَيّ ، وكان أبو ذُؤَيب ابن اخته ، فسعى بهما عثمان إلى قيصر وقال : إنّ هذين اعترضا عليّ وحملا قريشاً على مخالفتي ، فحبس قيصر أبا أُحَيْحة والوليد وعدّةً من قريش ، فمات أبو ذُؤَيب في الحبس ، وتكلّم عثمان في الباقين فخُلّوا ، فقالت أَرْوَى بنت الحارث بن عبد المطّلب :

أَبْلِغْ لَدَيْكَ بني عَمّي مُغَلْغَلَةً ... حَرْباً وعَفّانَ أَهْلَ الصِيتِ والحَسَبِ
وآبْنَيْ رَبيعَـةَ والأَعْياصَ كُلَّهُمُ ... وآعْمُمْ بني عَبْدِ شَمْسٍ سادَةَ العَرَبِ
ما لي أَراكُمْ قُعوداً في بُيوتكُمُ ... وَخَيْرُكُمْ مِنْكُمُ لِلجارِ ذي الجنبِ
وذو الحِفاظِ على جُلِّ الأُمورِ إذا ... نابَتْ نَوائِبُها في شِدَّةِ الكُرَبِ
أبو أُحَيْحَة مَحْبوسٌ لدى مَلِكٍ ... بِالشام في غيرِ ما ذَنْبٍ ولا رِيَبِ
لو كان بَعْضُكُمُ في غير مَحْبِسِهِ ... أَلْفَيْتُموهُ شَديـدَ الهَمِّ والنَصَبِ
إنَّ الذي صَدَّهُ عَنْكُمْ وثَبَّطَكُمْ ... عَبْـدٌ لِعَبْـدٍ لَئيمٍ حَقُّ مُجْتَلَبِ
لو كان مِنْكُمْ صَميماً في أَرومَتِكُمْ ... لشَفَّهُ ما عَناكُمْ غَيْرَ ما كَذِبِ

ومن ولد أبي أحيحة .

عمرو بن سعيد بن العاص ويكنى أبا عتبة ، سمع قول أخيه خالد ودعاه إلى الإسلام ، فأتى رسول الله ﷺ فأسلم ، وهاجر خالد وعمرو إلى أرض الحَبَشة وأقاما بها حتى قدما مع أصحاب السفينتين حين قدم جعفر بن أبي طالب ، فوافوا رسول الله ﷺ بخَيْبَر ، وكلّم رسول الله ﷺ المسلمين في خالد وعمرو فأسهموا لهما في الغنيمة .

ويقال إنّ خالداً هاجر إلى الحَبَشة ثم أتى عمرو النبيَّ ﷺ فأسلم ولحق بخالد بالحَبَشة ، وولّى رسول الله ﷺ خالداً صدقات اليَمَن ، ويقال : ولّاه أمر بني زُبَيْد خاصّة ، فتُوفي رسول الله ﷺ وهو باليَمَن وقدم منها بعد أن بويع أبو بكر ، فكان جالساً في بيته نحواً من ثلاثة أشهر ، فمر عليه أبو بكر مُظهراً وهو في داره فسلّم فقال : أتحب أن أبايعك ؟ قال أبو بكر : أحبّ أن تدخل فيما دخل فيه الناس ، فقال له : مَوْعِدك العشيّةَ ؛ فجاءه وهو على المنبر فبايعه ، وكان قال حين قدم من اليَمَن لعليّ وعثمان : أرضيتم يا بني عبدَ مناف بأن يَلي عليكم الأمْرَ غيرُكم ؟ فاحتملها أبو بكر ، وحقدها عمر رضي الله عنهم ، واستشهد خالد يوم مَرْج الصُفَّر بالشام ، ويقال انّه استُشهد يوم اليَرموك ، وكان ممّن كتب لرسول الله ﷺ . ووهب عمرو بن مَعْدي كَرِب لخالدٍ سيفَهُ الصَمصامة وقال :

حَبَوْتُ بِهِ كريماً من قُرَيْشٍ فسُرَّ به وصينَ عَنِ اللِئام[1]

فأعطاه خالد خاتم ذهب كان عليه .

---

١ ـ شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ـ ط . دمشق ١٩٧٤ ص ١٤٩ .

وولّى رسول الله ﷺ عمرو بن سعيد قُرَى عربية منها تَبُوك وخَيْبَر وفَدَك واستُشهد يوم أجْنادين بالشام ، ويقال : يوم فِحْلٍ بالأرْدُنّ ، وأمّه صَفيّة بنت المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم .

وأبان بن أبي أحيحة :

ويكنى أبا الوليد وأمّه صَفيّة بنت المغيرة وكان مقيماً بمكة حتى قدم خالد وعمرو ابنا أبي أُحَيْحة من أرض الحَبَشة ، فكتبا إليه يدعُوَانه إلى الإسلام فأجابهما وخرج حتى أتى المدينة مسلماً ، وصار معهما إلى خَيْبَر ، وكان أبان أجار عثمان بن عفّان وأنزله حين دخل مكة في عمرة القضيّة ، وأبان يومئذ كافر ، ولما رأى أبو أُحَيْحة أنّ عمراً وخالداً قد أسلما غمّه ذلك ، فشخص إلى الطائف فاعتزل في مال له هناك ، ومات بعد الهجرة بسنة أو سنَتْين وله تسعون سنة ، فلما غزا رسول الله ﷺ الطائف رأى أبو بكر قبر أبي أُحَيْحة مشرفاً قال : لعن الله صاحب هذا القبر فإنّه كان ممن يحادّ الله ورسوله ، فقال ابناه عمرو وأبان ، وهما مع رسول الله ﷺ : بل لعن الله أبا قُحافة فإنّه كان لا يَقْري الضيف ولا يمنع الضَيْم ، فقال رسول الله ﷺ : «سَبُّ الأَمْوات يُؤذي الأحياء فإذا سببتم فعُمّوا» .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن ابن خَرَّبوذ عن مشايخ أهل مكة أنّ أبا أُحَيْحَة مات بالظُّرَيْبَة ، وكان عمرو وخالد ابناه مهاجرين بالحَبَشة ، فكتبا إلى أبان أخيهما يدعوانه إلى الإسلام واللحاق بهما فقال :

ألا ليتَ مَيْتاً بِالظُّرَيْبَةِ شاهِدُ لِما يَفْتَري في الدينِ عَمْروٌ وخالِدُ
أطاعا بنا أَمْرَ الغُواةِ فأَصْبَحا يُعينانِ مِنْ أَعْدائِنا ما نُكابِدُ

فأجابه خالد :

أخي ما أَخي لا شاتِمٌ أنا عِرْضَهُ ولا هُوَ عن سُوءِ المَقالَةِ يُقْصِرُ
يَقولُ إذا شَدَّتْ عليه أُمورُهُ ألا ليت مَيْتاً بِالظُّرَيْبَةِ يُنْشَرُ
فدَعْ عَنْكَ مَيْتاً قد مضى لِسَبيلِهِ وأَقْبِلْ على الحَقِّ الذي هو أَحْضَرُ

فأسلم حين قدم أخوه من الحَبَشة مع جعفر بن أبي طالب ، ولحق برسول الله ﷺ وولّاه رسول الله ﷺ واستُشهد أَبان يوم أَجْنادَيْن بالشام ؛ وقال بعضهم : تُوّفي في سنة تسع وعشرين ، وقيل إنّه توفيّ يَوم فِحْل بالشام ، والأوّل أثبت .

ومن ولد أبي أُحَيْحَة سعيدُ بن سعيد بن العاص :

وأمّه هند بنت المُغيرة أخت صفّية أمّ عمرو ، فلحق سعيد بالمدينة بعد أَبان فقلّده النبيّ ﷺ بعض أمره ، واستُشهد مع رسول الله ﷺ يوم الطائف .

والحَكَم بن أبي أُحَيْحَة :

وأمّه هند بنت المُغيرة ، لحق بإخوته مسلماً قبل الفتح فسمّاه رسول الله ﷺ عبدالله وجعله يعلّم الحِكمة بالمدينة واستُشهد يوم مُؤْتَة ، ويقال يوم اليمامة ، ويقال إنّه تلقّى رسول الله ﷺ مسلماً فيمن تلقّاه وهو يريد مكة .

وكان لأبي أُحَيْحة فيما ذكر غيرُ الكلبي ابن يقال له عَيّاش درج .

ومن بني أبي أحيحة :

سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن اميّة ، وأمّه أمّ كلثوم من ولد عامر بن لُؤَيّ ، ويكنى أبا عثمان ، ويقال أبا عمرو ، وكان جَواداً مُبرِّزاً ، وولّاه عثمان بن عفّان الكوفة فقال : ويل للأشراف منّي وقال : انّما السَواد بستان لقريش ، فأخرجه أهلها عنها ، وولّاه معاوية المدينة وولّاه المَوْسم ، وفيه يقول الحُطيئة[١] :

سَعيدٌ وما يَفْعَل سعيدٌ فإنَّهُ ... نَجيبُ فَلاهُ في الرِباطِ نَجيبُ
سَعيدٌ فلا يَغْرُرْكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ ... تَخَدَّدَ عنه اللَحْمُ وهو صَليبُ
إذا غاب عَنّا غاب عَنّا رَبيعُنا ... ونُسْقَي الغَمامَ الغُرَّ حينَ يَؤوبُ

وكان سعيد آدم خفيف اللحم لا ينزع قميصه ، ومات في سنة تسع وخمسين فقال فيه إبراهيم بن متّمم بن نُويرة .

فِدىً لِسعيدٍ مِنْ أَميرٍ وخُلَّةٍ ... ردائي وما ضمَّتْ عليهِ الحَمائِلُ
أَتاني ورَحْلي بالشَرَبَّـةِ[٢] أَنَّهُ ... تُوُفِّيَ والأَخبارُ حَقٌّ وبـاطِلُ
فأَصْبَحتُ لا أدْري أَحَيٌّ بِغِبْطَةٍ ... فأَفْرَحَ أَمْ غالَتْهُ ثَمَّ الغَوائِلِ

وحدثني محمد بن الأعرابي عن المفضَّل الضَبّي أنّ عُبيد بن الحُصين الراعي لما مدح سعيداً بقصيدته التي يقول فيها :

كَـريمٌ تَعْزُبُ العِـلّاتُ عنهُ ... إذا ما حان يوماً أَنْ يُزارا[٣]

---

١ ـ ديوان الحطيئة ـ ط . دار صادر بيروت ص ٨٧ .
٢ ـ الشربة : موضع بين السليلة والربذة . معجم البلدان .
٣ ـ ديوان الراعي النميري ط . بيروت ١٩٨٠ ص ١٤٤ .

قال لوكيله : كم عندك ؟ قال : ثلاثة آلاف دينار ، قال : آدفعها إليه ، واعتذر من قلّتها .

وكان سعيد بن العاص حين قُتل أبوه العاص بِبَدْر صغيراً فكفله عمّه الحَكَم بن سعيد ، فرآه رسول الله ﷺ معه بالمدينة أو بمكة في أيّام الفتح فقال له : مَن هذا الصبيّ ؟ قال : ابن أخي ، فمسح رسول الله ﷺ رأسه ودعا بثوب يمانٍ مُسَهَّم فكساه إيّاه ، فقُطعت له منه جُبّة ، فسُمّي كلّ ثوب مسهّم مُذ ذاكَ سعيدياً بسعيد بن العاص ، ويقال إنّه كساه جُبّة مسهّمة مَخيطة .

وقال هشام بن الكلبي : كان سعيد يوجّه في كلِّ قليلٍ إلى اليَمَن فيُعمل له ثياب مسهّمة تبرّكاً بكسوة رسول الله ﷺ ، فكان يلبسها ويكسو منها ويُهْدي .

وحدثني العُمَري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش عن رجل من آل سعيد بن العاص أنّ الجُبّة التي كانت لسعيد من كسوة النبيّ ﷺ لم تزل عنده حتى دُفنت معه .

وحدثني المدائني عن أبي اليقظان قال : كان سعيد بن العاص أوّل من خَشّ[1] الإبل - والخَشّ أن تُجعل البُرَة في جَوْف عَظْم الأَنْف ، وهو الخشاش - وذلك لأنّه كان يسير إلى معاوية فجذب زمام ناقته فانخرمت البُرة ، فآلى أن لا يركب بعيراً إلّا وفي يده عَظْم منه ، فخشّ إبله .

المدائني عن ابن جُعْدُبة عن أبي الزناد قال : قال عبدالله بن الزبير : أرسل الزبير إلى سعيد بن العاص يسأله قرض مائة الف درهم فبعث بها

١ - الخشاش : ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب .

إليه ، فلما قُتل الزبير قلتُ لسعيد : اقبِضْ مالك فإنّه بِخواتيمه ، قال : ابعثْ به ، قلت : أحبّ أن تتولّى قبضه ، فلما صار إليّ أخرجت المال إليه فقال : ما تريد ؟ قلت : أريد أن تدعه ، فتركه ولم يأخذ منه درهماً .

وحدثني عبدالله بن صالح العِجْلي قال : سمعت سفيان بن عيينة قال : كُلِّم سعيد بن العاص في يتيم كان يمونه أن يزوّجه فقال : والله ما عندي ما يحتاج إليه لتزويجه فادّانوا عليَّ ما يُصلحه ، فاستقرضوا عشرة آلاف درهم ، فأتوا ابنَه عمرو بن سعيد وهو الأشدق حين مات فأخبروه بالقصّة فقال : سبحان الله والله لو أنّها مائة ألف لقضيتُها فقضاها .

قال : وكان سعيد يُسأل المال بالغاً ما بلغ مما يُسأله مِثْله ، فإذا لم يكن عنده مال قال لِسائِله : اكتبْ عليَّ ذكر حقّ .

وحدثني منصور بن أبي مُزاحم عن شُعيب بن صَفْوان قال : لما احتُضر سعيد بن العاص قال لابنه عمرو الأشدق : انظروا في دَيْني ، فوجدوه تسعين ألف دينار منها سبعون الفاً لِمَنْ سأله الرِفْد والصِلة ، فإذا هو قد كتب بذلك أَجْمَعَ على نفسه صِكاكاً ، فحوّل عمرو تلك الصِكاك على نفسه وقضاها .

وحدثني منصور عن شُعَيْب.وحدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عَديّ عن الضَحّاك بن رمل السَكْسَكي قال : خرج سعيد بن العاص ذات يوم من عند معاوية مُظهراً ، فبصر به رجل وهو وحده ، فسار معه نحو منزله ، فلما قرب منه قال : ألك حاجة ؟ قال : لا ولكني رأيتك وحدَك فأحببت أن أُونِسَكَ وأَصِل جناحك ، فتركه حتى إذا وصل إلى منزله قال لخازنه : كم

عندك ؟ قال : الفا دينار ، قال أَعطِه منها ألفاً واحبِس لنفقتنا الفاً ، وقال : هذا لك عندي في كلّ سنة .

المدائني عن ابن أبي الزِناد ، قال : سال مِيزاب لسعيد بن العاص في الطريق فقال رجل من الأنصار : لقد آذتُنا ميازيب سعيد فأَمر بكلّ ميزاب له أن يُحَوَّل إلى داره .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي حدثني ابن كُناسة الأَسَدي عن بعض ولد عنبسة بن يحيى بن سعيد بن العاص قال : كان سعيد سخيّاً على كِبْرٍ فيه ، وكان يقول : إنّ رجلاً بات ليله متململاً يراوح بين شِقَّيه يَعْرِض الناس على نفسه أَيَّهم يراه موضعاً لحاجته ورغبته ، فاعتمدني دونهم بأَمَله واختارني لتنفيس كُرْبته ، لأَعظمُ مِنَّةً عليَّ من مِنّتي عليه إذا قضيتُ حاجته وبلّغتُه أَمَلَه .

وحدثني منصور بن أبي مُزاحِم عن شُعيب بن صَفوان عن عبد الملك بن عُمَير قال : لما حضرت سعيدَ بن العاص الوفاةُ دعا ولده فقال أيّكم يكفل دَيْني ؟ فقال عمرو الأَشدق : أنا أكفله ، وكم هو يا أبهِ ؟ قال : سبعون ألف دينار أو تسعون ألف دينار ، فقال : فيما ادَّنْتَ هذا المال يا أبه ؟ قال : في لئيم اشتريتُ عِرْضي منه أو كريم وفرتُ عِرْضَه وسددت خَلّته ، فدعا غُرماءه فحوّل صِكاكهم على نفسه ، ثم قال سعيد : يا بُنَيّ لا تزوّج بناتي إلّا من أكفائهن ولو بِفَلق خبز الشعير وانظرْ أخواتي فلا تقطعْ وجوههن عنك ولا معروفي الذي كنت آتيه إليهم عنهم .

وحدثني أبو الحسن المدائني عن ابن جُعْدُبة وغيره قالوا : قال سعيد بن العاص لابنه : يا بُنيَّ إنّي والله ما شتمت رجلاً مذ كنت رجلاً ولا زحمته

بُركبتي ولا كلّفت راجياً لمعروفي أن يسألني فيبذل وجهه إليّ .

المدائني عن عوانة قال : كان سعيد بن العاص يقول : أربعة لا أبلغ مكافأتَهم ولو خرجتُ إليهم من مالي كلّه ، رجل قام لي في مجلس غاصٍّ بأهله فأجلسني مكانه ، ورجل تخطّى الناسَ إليّ حتى أتاني مسلّماً عليّ لغير رغبة ولا رهبة ، ورجل رآني منفرداً فآنسني بحديثه ووصل جَناحي بِمُسايَرته ومماشاته ، ورجل فكّر ليلَهُ فرآني موضعاً لحاجته ورغبته فغدا إليّ حتى واجهني بمسألته .

وحدّثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عَوانة وابن خَرَّبوذ وغيرهما قالوا : كان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة يقول : قبّح الله المعروف إلّا ابتداءً ، فأمّا إذا سألك الرجل حاجته وجبينُهُ يرشحُ رَشْحَ السِقاء والدمُ يكاد يبرز من وجهه مُخاطراً لا يدري أتقضيها له أم لا ولسانُهُ مُعْتَقَلٌ بحَصرِ المسألة وذُلِّ الطَلَبِ ، فوالله لو خرجتُ إليه من جميع ما أملكه ما كافأته ولا بلغت ما يستحقّه .

حدثني عليّ بن [المغيرة] الأَثْرَم عن أبي عبيدة قال : لما طلب زيادُ الفرزدقَ وهرب من البصرة أتى المدينة فدخل على سعيد بن العاص ، فأنشده قوله فيه وهو والٍ يومئذ على المدينة :

إليكَ هَرَبْتُ مِنْكَ ومِنْ زِيادٍ ولم أَحْسِبْ دمي لَكما حَلالا
تَرَى الغُرَّ الجَحاجحَ مَنْ قُرَيشٍ إذا ما الأَمْرُ في الأَحداث عالا
قِياماً ينْظُرونَ إلى سعيدٍ كأَنَّهُمُ يَرَون بِهِ الهِلالا[1]

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٧٠ ـ ٧١ .

فقال له مروان بن الحكم وكان حاضرا : لو جعلتَنا قعودا ، فقال : كَلّا يا أبا عبد الملك وإنّك فيهم لَصافِنٌ[١] . وأنشد الفرزدقُ بِلالَ بن أبي بُرْدَة شعراً له فيه فقال له : هلّا مدحَتني بمثل ما مدحتَ به سعيداً وفلاناً وفلاناً ، قال : جِئْني بحَسَبٍ كأحسابهم[٢] حتى أقول فيك مثلَ قولي فيهم .

وحدثني العُمْري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش الهمَداني أنّ سعيد بن العاص كان جالساً ومعه قوم وهو يحدّثهم فسقط جدار على قوم فانفضّوا إلّا فتىً ثبتَ معه حتى اسْتتمّ حديثَه ، فقال لغلامه : ادْعُ وكيلنا ، فلما جاءه قال : أَعْطِ الفتى عشرة آلاف درهم لإعظامه حقّنا ، وحُسن مُجالسته إيّانا .

وحدثني بعض أهل العلم قال : خرج هُدْبة بن خَشْرَم بن كُريز بن أبي حَبَّة بن الأَسْحَم بن عامر بن ثعلبة بن قُرّة بن حبيش بن عمرو بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن زيد ، أخي عُذْرَة بن زيد في نفر من بني عمّه وزيادة بن زيد بن مالك بن ثعلبة من ولد الحارث بن سعد أيضاً في نفر من بني عمّه في سفر ، ومع هُدْبة أخته فاطمة بنت خَشْرَم ، ومع زيادة اخته أمّ القاسم ، وكان هُدْبة وزيادة شاعرَين راجزَين ، فساق بهم زيادة وهو يقول :

عوجي عَلَيْنا وارْبَعي يا فاطِما أَلا تَرَيْنَ الدَمْعَ مِنّي ساجِما

فظنّ هُدْبة أنّه عرّض بأخته فاطمة ، ثم إنّ هُدْبة ساق بهم فقال :

---

١ ـ صفن الفرس يصفن صفونا : قام على ثلاث قوائم ، وطرف حافر الرابعة ، والرجل صف قدميه . القاموس .

٢ ـ بهامش الأصل : حتى تحسن كاحسانهم .

لَقَدْ أراني والغُلامَ الحازِما نُزْجي المَطِيَّ ضُمَّراً سَواهِما
مَتَى تَظُنُّ القُلُصَ الرَواسِما يذكرن[1] أُمَّ قاسِمٍ وقاسِما

فغضب زيادة ، وقال هُدْبة : إني والله ما ذهبتُ حيث ذهبتَ ، ولا عنيتُ اختك ولقد عنيتَ اختي ، وتشاتما ثمّ تناصيا ، ووثب رهط هُدْبة ورهط زيادة فتضاربوا بالنعال ، ثم أقبل كلّ واحد منهما يهجو صاحبه ، وجعلا يتفاخران ، وجاء زيادة في قومه ليلاً إلى هُدْبة فشجّوا أباه عَشْراً وعقروه فقال زيادة :

شَجَجْنا خَشْرَماً في الرَّأْسِ عَشْراً وَلَمْ نَرْهَبْ هُدَيْبَةَ إِذْ هَجانا

ثم اقتتل هُدْبة ورهطه وزيادة ورهطه ، فقتل هُدْبة زيادةَ وجدع زيادة أنف هُدْبة ، وهرب هُدْبة والنفر الذين كانوا معه فلحقوا باليمن وقال :

أَلا ليتَ الرِياحَ مُسَخَّراتٌ لِحاجَتِنا تُباكِرُ أَوْ تَؤوبُ
فَتُخْبِرَنا الشَّمالُ إذا التَقَيْنا وتُخْبِرَ أَهْلَنا عَنّا الجَنوبُ

ثمّ إنّ رهط زيادة استعْدوا معاوية بن أبي سفيان على هُدْبة ، فكتب لهم إلى سعيد بن العاص ، وهو عامل المدينة ، يأمره بإعدائهم على هُدْبة ، وأن ينظر في دعواهم عليه ، وأن يطلبه طلباً حثيثاً ، وأن يأخذ به أولياءه ، فأخذ عمّه وأهله فحبسهم في السجن حيناً ، فلما بلغ هُدْبة ذلك أتى السلطان فوضع يده في يده كراهةَ أن يُسْلم عمَّه وأهله ، فأمر سعيد بحبس هُدْبة وخلّى سبيل مَن حبس بِسببه ووهب لهم مالاً ، وسأل أولياء زيادةَ سعيداً أن ينظر في أمرهم فأخرّ ذلك وأبطأ به ، وكان هُدْبة قد مدحه ، وعرض عليهم

---

١ - بهامش الأصل : يدركن .

أن يدي صاحبهم عنه ثلاث ديات ، فأبوا وقالوا : ارفعْنا إلى أمير المؤمنين معاوية ، فقال هُدْبة :

ألا يا لَقَوْمِ لِلنوائبِ والدَهْرِ ... ولِلْمرءِ يُرْدي نَفْسَهُ وَهْوَ لا يَدْرِي
ولِلأرْضِ كَم مِنْ صالِحٍ قَدْ تلاءَمَتْ ... عَلَيْهِ فَوارَتْهُ بِداوِيَّةٍ قَفْرِ
ولَمَّا دَخَلْتُ السِجْنَ يا أُمَّ مَعْمَرٍ ... ذَكَرْتُكِ وَالأطْرافُ في حَلَقٍ سُمْرِ

ولم يزالوا بسعيد حتى حملهم إلى معاوية ودسّ إلى هُدْبة صلة وكسوة ، ونظر معاوية في أمرهم فقضى بِقَوَد هُدْبة ، وكتب بذلك كتاباً مع أولياء زيادة إلى سعيد فجعل لهم سعيد عشر ديات على أن لا يقتلوه فأبى أخوه وأهل بيته ذلك فأُخرج فقُتل ، وقال حين أُخرج :

إنْ تَقْتُلوني في الحَديدِ فإنَّني ... قَتَلْتُ أَخاكُمْ مُطْلَقاً غَيْرَ موثَقِ

فقيل لسعيد لا تقتلْه إلاّ مطلقاً عنه حديده ثم قُتل[1] .

ومن ولد سعيد بن العاص :

عمرو بن سعيد وكان سخيّاً لَسِناً وقيل له الأشدق لِلَقْوَةٍ عرضت له فأمالت شِدْقَه ، وسُمّي أيضاً لطيم الجنّ ، ولطيم الشيطان ، ويقال إنّ معاوية دعاه في غلمة من بني أميّة فاستنطقهم فقال عمرو : إنّ الابتداء مَرْكَب صَعْبٌ ومع اليوم غَد ، ثم دعاه فتكلّم بكلام أعجبه فقال : إنّ ابن سعيد لأشدق ، وهذا مما يقوله ولده ، وكان عمرو يُكنى أبا أميّة ، وأمّه أمّ

---

١ ـ انظر الشعر والشعراء ص ٤٣٤ ـ ٤٣٨ . الأغاني ج ٢١ ص ٢٥٤ ـ ٢٧٤ . حماسة أبي تمام [ط . دمشق] ج ١ ص ٣٨٥ ـ ٥٧٦ .

البنين بنت الحَكَم بن أبي العاص ، وهي أخت مروان وعَمَّةُ عبد الملك بن مروان ، وقد ولي المدينة ليزيد بن معاوية .

اخراج بني أمية عن المدينة

حدثني أبو هشام محمد بن يزيد الرِفاعي حدثني عمّي كثير بن محمد أخبرني عبدالله بن عيّاش الهمداني حدثني أميّة بن عمرو عن أبيه عن محمد بن عمرو المُعَيْطي قال : كتب ابن الزبير إلى عبدالله بن مطيع في نَفْي بني أميّة عن المدينة إلى الشام ، ومروان يومئذ شيخهم ، وابنه عبد الملك ناسكهم ومَن يَصْدُرون عن رأيه ، وكان بعبد الملك يومئذ جُدَري قد ظهر به ، فدخلهم من إخراجهم عن المدينة أمر عظيم ، وكان ابن الزبير رجلاً إذا عرض له الرأي أمضاه من غير رَوِيَّة ولا مشاورة ، فأشخصهم ابن مطيع ، وحمل مروانُ ابنَه عبد الملك على جملٍ وشدّه عليه شَدّاً ، ثمّ إنّ وجوه قريش ومشايخهم اجتمعوا إلى ابن الزبير فقالوا : بلغنا ما أمرتَ به من إلحاق بني أميّة بالشام ، وإنّما بَعَثْتَ عليك أفاعِيَ لا يُبِلُّ سَليمُها ، أَمِثْلُ مروان وبني أميّة يُشْخَصون إلى الشام ؟ فوجّه ابن الزبير رسولاً إلى ابن مطيع بكتاب منه يأمره فيه بإقرار بني أميّة بالمدينة وتَرْك إشخاصهم ، فاتّبعهم حتى وافاهم بأداني أرض الشام فعرض عليهم الانصراف فأبوا ، وقال عبد الملك وقد نقه من مرضه للرسول : قل لأبي خُبيب إنّا نقول لا حول ولا قوّة إلّا بالله ، يصنع الله .

وكان فيمن شخص معهم عمرو بن سعيد الأَشدق ، وخاله مروان بن الحكم ، وكان معهم خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسيد بن أبي العاص بن

أميّة فكانا خاصّين بمروان وبعبد الملك ، فوافوا الشام وقد بايع الناس لمعاوية بن يزيد وهو كاره لذلك ، فلم يلبث مروان بعد ذلك إلّا يسيراً حتى مات معاوية بن يزيد وبويع له بالخلافة ، فبايع لابنه عبد الملك بن مروان ولعبد العزيز من بعده ، وكان عمرو الأشدق أجدّ الناس في أمر مروان وأحسَنهم مُعاونَةً ومُكانفةً له واجتهاداً في صَلاح أمره وإفساد أمر ابن الزبير ، فقاتل معه يوم المَرْج ، ووجّه ابن الزبير أخاه مصعب بن الزبير إلى فلسطين فوجّه مروان عمراً الأَشدق في جيش لُهام(١) ، فلقيه قبل أن يدخلها فهزم مصعباً وأصحابه حتى رجعوا إلى المدينة ، وكان مروان يَعِدُ عمراً بالخلافة بعده ، يستدعي بذلك طاعته ويستنزل نصيحته ، فكان يقول : الأَمرُ لي بعد مروان فقد ولّاني العهد ، فلما استقام لمروان أمرُه ووجّه عمراً إلى ابن جَحْدَم عامل ابن الزبير على مصر ـ وهو عبد الرحمن بن عُتبة بن أبي إياس بن الحارث بن عبد بن أُسد بن جَحْدَم بن عمرو بن عابِس بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر ـ وفُتحت مصر ورجع مروان إلى دمشق ، قال لحسّان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي : إنّي أريد توليةَ عهدي عبد الملك وبعده عبد العزيز ، وإنّ عمرو بن سعيد يَدَّعي أنّه الخليفة بعدي ، وخالد بن يزيد يدّعي مثل ذلك ، فقال حسّان : أنا أكفيك أمرهما ، وجمع الناس ثم قام فقال : يَبْلغ أميرَ المؤمنين ويَبْلغنا أنّ رجالاً يتمنَّون الأَمانيَّ ويدّعون الأَباطيل ويحدّثون أنفسَهم بما لم يجعله الله لهم ، وما أُولئك بالراشدين ولا المُسَدَّدين ، فقوموا أيها الناس فبايعوا لعبد الملك ابن أمير المؤمنين ولعبد العزيز من

---

١ ـ اللهام : الجيش العظيم . القاموس .

بعدِه ، فقام الناس فبايعوا مسارعين غير مثقّلين من عند آخرهم ، حتى لم يبق منهم أحد .

المدائني عن خالد بن عطيّة قال: ولّى يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد المدينةَ فشكوه إلى يزيد فعزله، وولّى مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان، فلما قرب من المدينة تلقّوه بذي خُشُب فشكوا إليه عمراً، فلما قدم عثمان خطبهم فمنّاهم ووعدهم ونال من عمرو وقال: ماكان قُرَشيٌّ ليفعل هذا بقريش، فقال عمرو من تحت المنبر: مَهْلاً ياعثمان فوالله ما أنا بحُلْو المَذاق وإنّي لقَمَنُ المَضَرّة، ولقد ضَرَّسَتْني الأمور وجَرَّستني الدهور فَزَعاً مَرّةً وأَمنا مّرةً، وإنّ قريشاً لتعلم أنّي ساكنُ الليل، داهيةُ النهار لا أَتَتَبع الظلال، ولا أقمّص[1] حاجبي ولاتُستنكر شِبْهي، ولا أُدْعَى لغير أبي.

وقيل لعمرو بن سعيد إلى من أوصى بك أبوك؟ قال: أوصى إليَّ ولم يوص بي.

مقتل عمرو بن سعيد بن العاص: قال أبو مخنف في روايته وغيره: كان عمرو بن سعيد أشدّ الناس في أمر مروان حتى ولي الخلافة، وقاتل معه الضحّاكَ بن قيس الفِهْري يوم مرج راهط، فلما مات مروان وبويع عبد الملك بالخلافة بلغه أنّ مصعب بن الزبير بن العوّام يريد الجزيرة متوجّهاً من العراق، فسار عبد الملك حتى شارف الفرات ومعه عمرو بن سعيد الأشدق، فقال له عمرو: إنّك تشخصُ إلى العراق فقد كان أبوك أوعدني[2] أن يولّيني الأمر بعده، وعلى ذلك قمت بشأنه وحاربت معه، فاجعل لي الأمر بعدك،

---

١ ـ يقال: وما بالعير من قماص: يضرب لضعيف لاحراك به، ولمن ذل بعد عز.

٢ ـ كذا بالأصول .

فلم يجبْه عبد الملك بشيء مما يسُرّه، فانصرف عن عبد الملك وقصد إلى دمشق حتى دخلها وقال: إنّ مروان كان ولاني عهده ولذلك قمتُ بنصره وصنعتُ ماأنتم عالمون به، فبايعه عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْز - وهو أبو خالد بن عبد الله البَجَلي ثم القَسْري - ثم بايعه وجوه أهل دمشق ومالوا إليه لسَخائه وجُود كفّه، وألقى على سور دمشق المُسوح والخشب والكرابيس والفُرُش المحشُوَّة وتهيّأ للحصار واستعدّ له، وبلغ عبدَ الملك خبره فانكفأ راجعاً يُغِذُّ السير ويجِدّ فيه حتى أتى دمشق، وقد أغلق عمرو أبوابها وجعل على شُرَطه عبد الله بن يزيد، فحاصره عبد الملك ولم يزل يراسله ويمنّيه ويعده، وضمن له أن يولّيه بيت المال والديوان ويجعل له ولاية الأمر بعده مُقدماً على عبد العزيز، وكتب بينه وبينه بما شرطه له كتاباً، فخرج عمرو إليه وهو في عسكره وكان نازلاً في قصر بالمُعَسكر وأصحابه حوله، فلما دخل عليه بسطه ووانسه ثم قال: يا أبا أميّة إنّي حلفت أن أجعل في عنقك سلسلة وأُوثقك بجامعة ثم لابأس عليك، فأُوثق وجعل السلسلة في عنقه، فقال عمرو: ياأمير المؤمنين أَخرجْني إلى الناس لأقوم فيهم بما تحبُّ وأقول ما تريدُ، وإنّما التمس أن يُخرجه من عنده فيُخلصه اصحابه وكانوا مطيفين بالقصر، فقال عبد الملك: هَيْهاتَ أَمَكْراً في السلسلة أبا أميّة، ثم قال عبد الملك لبِشْر بن مروان: قم فاقتله، فأبى، وقال لعبد العزيز: اقتله، فأبى، فأسمعهما وشتمهما وعجّزهما، ثم قال لأبي الزُعَيْزِعَة البربري مولاه: خذه اليك فاقتله، فجرّه بالسلسلة فقال: ارفق ارفق، وأصاب فمه الأرض وخدّيه، فقال: فمي فمي فقال عبد الملك: اللهمّ اخزه فما أحمقه يسأل الرفق ويشكو فمه وهو يُجَرّ للقتل، ثم قال لأبي الزُعَيْزِعَة: لاأنصرفنّ من الصلاة إلا وقد كفيتَنيه، فقتله

أبو الزُعَيْزِعة قبل انصرافه، ذَبَحه ذَبْحاً، فلما انصرف عبد الملك من صلاته أمر برأسه فاحتُزّ ورُمي به إلى أصحابه الذين حضروا باب القصر، ومعهم يحيى بن سعيد أخوه، فشدّ يحيى على الوليد بن عبد الملك وهو قائم على باب القصر بالسيف، فلما رآه أدبر فضرب به أليته، فبادر الوليد فدخل، وأمَّن عبد الملك الناس أسودهم وأبيضهم ولم يَعْرِضْ ليحيى في ذلك الوقت ولا لغيره، ودعا الناسَ إلى العطاء، ولحق يحيى بن سعيد بمصعب بن الزبير فصار معه، فلما رآه مصعب قال: يايحيى أَفْلَتَ العَيْرُ وانحصّ الذَنَبُ، قال: إنّه لَبِهُلْبِهِ[1].

وحدثني هشام بن عمّار الدمشقي انبأنا صدَقَة بن خالد القرشي عن خالد بن دِهْقان قال: كان عمرو بن سعيد في عسكر عبد الملك وقد فصل من دمشق وهو يريد العراق فقال له: إنّ اباك وعدني أن يجعل لي الأمر بعده فبايع لك ولعبد العزيز إن كان بعدك، فاجعل لي العهد بعدك، فقال له: يالطيم الشيطان أَوَ أنت تصلح للخلافة: أنت ذو كِبْر وجُبْن وسَرَف وعُجْب وإفْك ظاهِرٍ، لا ولا كرامةَ ولانُعْمَةَ عَيْنٍ، فانخزل عنه وأتى دمشق ودعا إلى نفسه، وكان سخيّاً، فبويع واغلق أبوابَ المدينة واستعدّ للحصار، فرجع عبد الملك وترك وجهه ذلكَ، فحاصره وجعل يرسل إليه ويعده ويرفق به ويحلف له لَيولّينّه عهده، فقبل ذلك وسكن إليه وخرج إلى عبد الملك، فيقال إنّه دخل عليه وهو في قصر كان في عسكره وأصحابه مطيفون به فقتله من يومه.

---

١ ـ الهلب: شعر الذنب، وقيل ماغلظ من الشعر، انظر المثل في أمثال أبي عبيد ص٣٢٠ ، وقد أراد: أفلت ولم يتناثر شعره، أو شعر ذنبه.

قال صَدَقَة، وقال غير خالد بن دِهْقان: أنّه فتح أبواب دمشق لعبد الملك فدخلها ونزل في دار الخلافة، وكان عمرو يركب إليه أيّاماً، ثم إنّه جعل في عنقه جامعةً فقال له: ياأمير المؤمنين أنشدك الله أن تُخرجني إلى الناس في هذه الجامعة فيروني، وإنّما أراد أن يُريه كراهته للخروج، يُغريه ذلك بإخراجه فيُخلصه أصحابه، فقال أَمْكراً في الجامعة أبا أميّة؟ ثم أمر أبا الزُعَيْزِعة بقتله فقتله، وجعل يحيى بن سعيد أخوه ومن كان على باب القصر من أصحابه يقولون: ياأبا أميّة ماخبرك؟ أَسْمِعْنا كلامك؛ فأمر عبد الملك برأسه فاحتُزّ ورُمي به إليهم فسكنوا، ووثب أصحاب عمرو على بيت المال بدمشق فانتهبوه، فلم يَعْرِضْ لهم عبد الملك فيه حتى إذا استقام الأمر أخذهم به فارتجعه وفضل مائة ألف درهم.

قال هشام: وسمعت بعض مشايخنا يحدّث أنّ عبد الملك خرج إلى الصلاة وأمر ابا الزُعَيْزِعة أن يقتله قبل انصرافه من الصلاة، فلما ابتدأ عبد الملك صلاته ضجّ أصحاب عمرو فقالوا: أَخْرِجوه إلينا، فوضع عبد الملك يده على أنفه كأنه قد رعف ثم انسلّ فدخل القصر، وأمر برأس عمرو فاحتُزّ وألقاه إلى أصحابه فسكنوا.

وحدثني هشام بن عمّار عن الوليد بن مسلم حدثني رجل من ولد سعيد بن العاص قال: خرج عبد الملك إلى صلاة العصر، وأَقبل يحيى بن سعيد في خلق ينادون: يا أبا اميّة أين أنت؟ اخرج الينا، أَسمعْنا كلامك، فراع ذلك عبدَ الملك فقال: ماأحْسِبْني على طهر للصلاة، ودخل القصر كأنّه يريد الطهور، وإذا عمرو مقتول، فأمر برأسه فأُلقي إلى اصحابه والناس، ثم وضع لهم المال ودعاهم إلى العطاء فسكتوا.

المدائني عن عليّ بن مجاهد عن عبد الأعْلَى بن ميمون بن مِهْران قال: لما صالح عمرو بن سعيد عبد الملك دخل عبد الملك دمشق فأقام بها وعمرو يدخل عليه مُكرَماً، فدخل عليه ذات يوم فكلّمه بكلام شديد، فأغلظ له عمرو وقال: إنّي لأحقّ بالخلافة منك فإن شئتَ فافْسَخ الصلح وأَعِد الحرب، فأمر به فجعُلت في عنقه سلسلة وأُوثق بجامعة من فضّة، ثم قال لعبد العزيز بن مروان: قم فاضرب عنقه، فأَبى، فقال لأبي الزعيزعة مولاه: لاأرجعنّ من الصلاة إلا وقد قتلَته وأرحتَني منه، فخرج إلى صلاة العصر فلما انصرف وجد أبا الزعيزعة قد ضرب عنقه، فأمر برأسه فأُلقي إلى اصحابه وكانوا مجتمعين يطلبونه ومعهم يحيى بن سعيد أخوه.

وقال هشام بن عمّار: سمعت من يذكر آن ابا الزعيزعة أدخل سيفه في ظهر عمرو حتى أخرجه من بطنه ثم جذبه ففاضت نفسُه.

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن ابن عيّاش الهمداني وأبي جنّاب قالا: قال قبيصة بن ذُؤَيب الخُزاعيّ: كنت عند عبد الملك بن مروان أنا وحسّان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي وولده وإخواته وأبو الزعيزعة مولاه فجاء الآذن فاستأذن لعمرو بن سعيد، فأذن له وجعل يقول:

إحْذَرْ عَدُوَّكَ أَنْ يكونَ صُدَيِّقاً ... وإذا هَمَمْتَ بِقَتْلِهِ فتَـمَكَّـنِ
أَدْنَيْتُـهُ مِنّي لِيَسْكُنَ رَوْعُـهُ ... فأَصولَ صَوْلَةَ حازمٍ مُسْتَمكِنِ
غَضَبـاً ومَحْمِيَـةً لِـديني إنَّـهُ ... ليس المُسيءُ سَبيلُهُ كالمُحْسِنِ

ثم التفت إليّ وإلى حسّان فقال إن شئتما فقوما، فلما نهضنا وقد أقبل عمرو قال عبد الملك وهو يتضاحك: ياحسّان أنت أطولُ من قبيصة، ثم

خرجنا فقال حسّان: هو والله قاتِلُه، إنّ عبد الملك رجلٌ ليس في منطقه فضل، وإنّما مازحنا ليؤنسه ثم يثب به.

قال: وسلّم عمرو ثم جلس مع عبد الملك على سريره فحادثه ساعةً ثم أقبل أبو الزعيزعة فأخذ السيف عن عاتقه فقال: ياأمير المؤمنين أَيؤْخذ سيفي؟ فضحك عبد الملك ثم قال: أَوَتَطْمع لاأبا لغيرك أن تقعدَ معي بسيف بعد الذي كان منك؟ فأَطرق عمرو ثم قال له عبد الملك: ياأبا أميّة إنّي كنت أعطيت الله عهداً إنْ ملأتُ عيني منك مستمكناً أن أجمع يديك إلى عنقك ثم أُثقلك حديداً، فقال عبد العزيز بن مروان: ثم تصنع ما ذا ياأمير المؤمنين؟ قال: ثم أُطلقه وما عسيتُ أن أصنع بأبي أميّة؟ قم يا أبا الزعيزعة فأْتِ بجامعة وقَيْدٍ، فأتى بهما وكانا قد أُعِدّا له فصيّرهما في عنقه ورجليه، فقال عمرو: نشدتك الله ياأمير المؤمنين أن تُخرجني فيهما على رؤوس الناس، فقال: أَوَمكراً ياأبا أميّة، لعمري ماأُخرجك فيهما ولاأُخرجهما منك إلا صُعُداً، ثم جذبه أبو الزعيزعة جذبةً سقط منها على وجهه فأصابت قائمة السرير ثنيّته فانكسرت، فقال: ياعبد الملك نشدتك الله أن يدعوك كسرُ عظمٍ منّي إلى أن تركبني بأَشدّ منه، فقال: ياأبا أميّة لو علمتُ أنّ العرب والعجم يبقون هَمَلاً ويصلح أمرُ قريش فقط لفديتك بدم النواظر، ولكنّه والله مااجتمع فَحْلان في هجمةٍ قطّ إلا قتل أحدُهما صاحبَه، قم ياعبد العزيز فاضرب عنقه؛ وخرج عبد الملك لصلاة العصر فإذا يحيى بن سعيد قد وافى في ألفٍ من مواليه من أهل حِمْص، فلما أحسَّ به عبد الملك أمسَكَ أنفه بيده كالرعيف وقدّم ابنَ أمّ الحَكَم الثقفي وكان خلفه، فصلّى ابنُ أمّ الحَكَم بالناس، ودخل عبد الملك القصر فقال لعبد العزيز: ماصنعتَ؟ قال: ياأمير

المؤمنين ناشدني الله والرحم فكرهت قتله، فقال: أخزى الله أمّك البَوّالة على عقبيْها فإنّك لم تُشبه غيرَها ـ وكانت أمّه لَيْلَى بنت زبّان بن الأصْبَغ الكلبي ـ أَدْنِه ياغلام، فأُضْجعَ له ثم ذبحه بيده بالسيف ذبحاً وهو يقول:

يا عَمْرُو إلا تَدَعْ شَتْمي ومَنْقَصَتي أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقولُ الهامَةُ[1] اسْقوني

قال: وانقضت الصلاة وخرج يحيى بن سعيد إلى الباب في مواليه وأصحابه، فكثر ضَجيجهم وجعلوا يقولون: أَسمعْنا صوتَك ياأبا أميّة، فخرج إليهم الوليد بن عبد الملك في موالي عبد الملك وغيرهم فناوشوهم فأصابته ضربة على أَليته وذلك الصحيح ـ ويقال على رأسه ـ فأخذه ابن أرْقم فأَدخله بيتا وأجاف عليه الباب، ودخل عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم من باب المسجد فقال لعبد الملك: أيّها الرحل ماصنعت فقد جَلّ الخَطْب؟ قال: قتلته، قال: اصاب الله بك الخير والرشد، فأخذ ابن امّ الحَكَم الرأسَ فرمى به إلى أصحاب الأشدق فانكسروا حين يئسوا منه، وأمر عبد الملك ببيت المال ففُتح ونادى في الناس أن احضروا أعطياتكم، فأقبل الناس وتركوا ماكانوا فيه. ووُضع لعبد الملك سرير فخرج فجلس عليه وهو يقول: اين الوليد والله لئن كانوا أصابوه لقد أدركوا ثأرهم، فأُخبر بمكانه وأنّه لم يُصَبْ فأَمسك، وأمر عبد الملك فنودي: مَن أتى بيحيى بن سعيد أو بأحد من ولد سعيد فله ألف دينار فأُخذوا جميعاً من ساعتهم فأمر بإشخاصهم إلى الكوفة فصار يحيى مع مصعب بن الزبير.

---

١ ـ كانت عرب ماقبل الاسلام تعتقد أن روح الانسان هي الهامة، وأنه عندما يقتل انسان ظلما تظل الها مة تحلق فوق قبره وتنادي اسقوني حتى يثأر له.

المدائني عن سُحَيم بن حفص قال: انتدب قوم يقاتلون عن عمرو بن سعيد فبعث إليهم عبد الملك قوماً فقاتلوهم وعليهم خالد بن الحَكَم بن أبي العاص.

قالوا: وقال عَوانة بن الحَكَم: كان عبد الملك يتمثّل قبل قتل عمرو.

يا عَمْرُو إلا تَدَعْ شَتْمي ومَنْقَصَتي   أَضْربْك حَتَّى تَقول الهامَةُ اسقوني

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه عن أبي صالح عن ابن عبّاس أنّه بلغه قتلُ عبدِ الملك عمراً الأشدق فقال: أيها الناس إنّ عبد الملك قتل ابن عمّه وابن عمّته بعد أن آمَنَه فلا تأمنوه ولاتصدّقوه. قالوا: وكان ابن الحنفيّة قد شخص يريد عبد الملك بن مروان، فلما بلغه قتلُه عمراً بعد الذي أعطاه من المواثيق استوحش فانصرف إلى الحجاز.

وقال يحيى بن الحَكَم بن أبي العاص، ويقال بِشر بن مروان:

أَعَيْنَيَّ جودا بِالدُموعِ على عَمْرو   عَشِيَّةَ شَدَّدْنا الخِلافَةَ بِالغَدْر
كأَنَّ بني مَرْوانَ إِذْ يَقْتُلونَهُ   بغاثٌ من الطَيْرِ اجْتَمعْن على صَقْرِ
فرُحْنا وراح الشامِتونَ بِنَعْشِهِ   كأَنَّ على أكْتافِها فِلَقُ الصَخْرِ
لَحا الله دُنْيا تُدْخِلُ النارَ أَهْلَها   وتَهْتِكُ ما دونَ المَحارِمِ مِنْ سِتْرِ
وما كانَ عَمْروٌ عاجِزا غَيْرَ أَنَّـه   أَتَتْهُ المَنايا بَغْتَةَ وهو لايدري

وقال يحيى بن سعيد أخو الأشدق:

غَدَرْتُمْ بِعَمْرو يا بني خَيْطِ باطِلٍ   ومِثْلُكُمْ يَبْني البيوتَ على الغَدْرِ
وَدِدتُ وبَيْتِ الله أَنّي فَدَيْتُهُ   وعَبْدَ العَزيزِ يَوْمَ يُضْرَبُ في الخَمْرِ

وكان مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ضرب عبد العزيز في شراب، ويقال بل حَدَّة عمرو بن سعيد.

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن أشياخه قال: بايع عبدَ الملك أهلُ الشام والجزيرة، إلا زُفَر بن الحارث الكلابي فإنّه غلب على قَرْقيسياء وتحصّن بها، فخرج إليه عبد الملك وخلّف بِعَقِبِه عمراً الأشدق، فغلب على دمشق وأَغلق أبوابها وأعطى أهلها عطايا كثيرة، فرجع عبد الملك حين أتاه الخبر، فأغلق عمرو أبواب المدينة وتحصّن،فقال له عبد الملك: إنّك قد أفسدت أمرَ أهلِ بيتك، وأطمَعْتَ فيهم عدوّهم، [و] فيما صنعت قُوّةٌ لابن الزبير، أرجعْ إلى بيعتك وطاعتك، فإنّي اجعل لك العهد وأُنفذ كلَّ ماأعطيت من الأموال، فرضي وفتح الأبواب ودخل عبد الملك المدينة، ومع عمرو خمسمائة رجل ينزلون حيث نزل، فقال عبد الملك لحاجبه: ويحك أتستطيع إذا جاء عمرو بن سعيد أن تغلق الباب دون أصحابه؟قال: نعم، قال: فافعل؛ وكان عمرو عظيم الكِبْر لايرى لأحد عليه فضلاً ولا يلتفت إذا مشى، فلما جاء فتح له الحاجب، وأَعوانُه بالباب دون أصحاب عمرو، ومضى وهو لايلتفت وهو يظنّ أنّ أصحابه قد دخلوا معه كعادتهم، فعاتبه عبد الملك طويلاً وكان قد أوصى أبا الزُعَيْزِعة صاحبَ شُرطه أن يضرب عنقه، فكلّمه عبد الملك فأغلظ له، فقال لعبد الملك: أَتستطيل عليَّ كأنّك ترى أنّ لك عليّ فضلاً، إن شِئتَ نقضت العهد بيني وبينك ثم نصبتُ لك الحرب، فقال عبد الملك: فقد شئتُ،فقال عمرو: قد فعلتُ، ثم قال عبد الملك: يا أبا الزُعَيْزِعة شأنَك به، فنظر عمرو فإذا ليس أصحابه في الدار، فسُقط في يده، فدنا من عبد الملك فقال: وما يُدنيك منّي؟قال: أَستعطفك بما بين الرحم والقرابة،فقال لأبي الزعيزعة: إيهِ، فقتله أبو الزعيزعة فقال عبد الملك: ارموا برأسه إلى أصحابه، فلما رأوه

تفرّقوا، وخطب عبد الملك فذكر عمراً وشِقاقه وما جنى بعُقوقه ومُروقه وادّعائه ماليس له حتى قتله، وأنشد:

أَدْنَيْتُـهُ مِنّي لِيَسْكُنَ نَفْـرُهُ وأَصولَ صَوْلَةَ حازِمٍ مُسْتَمكِنِ
غَضَباً ومَحْمِيَـةً لِـديني إِنَّـهُ لَيْسَ المُسيءُ سَبيلُهُ كالمُحْسِنِ

وكان عبد الملك إذا توعَّد رجلاً قال: إنّ جامِعة عمرو عندي، والله لا يدخل فيها عنق رجل فيخرج منها إلاّ صُعُداً؛ وقال هذه المقالة في خطبته بالكوفة.

ومن ولد سعيد بن العاص سوى الأشدق:

يحيى بن سعيد ويكنى أبا أيّوب، وهو الذي ضرب الوليد بن عبد الملك ولحق بمصعب، فكان عبد الملك مَغيظاً عليه، فلما قُتل مصعب آمن الناسَ كلّهم إلاّ نفراً يحيى أحدهم ثم كُلّم فيه فتركه؛ وولدُه بالكوفة وواسط.

قال هشام ابن الكلبي: لما وُلد يحيى بن سعيد اسُترضع من بني كنانة، فأتاه قوم من كنانة في حَمالة فمتُّوا إليه بالرضاع فلم يصنع بهم خيراً، فقال بعضهم:

ورَبَّتْـكَ مِنّـا كَهْلَةٌ نَـوْفَلِيَّـةٌ لها في بني الدِيلِ الكِرامِ عُروقُ
رَأَيْتُ أَبا أَيّوبَ لِلصِهْرِ مُنْكِراً وما أَنْتَ يا يحيى لِذاكَ خَليقُ
غَذَوْناكَ يا يَحْيى فكان جَزاؤنا لَكَ الخَيْرُ فيكُمْ جَفْوَةٌ وعُقوقُ

فاعتذر وقضى حاجتهم.

ومن ولد يحيى بن سعيد هذا عَنْبَسة بن يحيى الذي يقول فيه الشاعر العَدْواني :

إذا ما جِئْتَ عَنْبَسةَ بنَ يحيى ... رَجَعْتَ مقَلَّداً خُفَّيْ حُنَيْنِ
يَظُنُّكَ حين تَطْلُبُهُ لأَكْلٍ ... غريماً جاءَ يَطْلُبُهُ بِدَيْنِ
فما هُوَ بِالمُؤَمَّلِ مِنْ قُرَيْشٍ ... ولا هو في بني العاصي بِزَيْنِ[1]

وسعيد بن يحيى بن سعيد :

وولده في جُعْفيّ وكان شريفاً ، وحدثني المدائني عن عليّ بن مجاهد عن عبد الأعلى بن ميمون بن مِهْران قال : حبس عبد الملك سعيدَ بن يحيى بن سعيد أربعين يوماً ، ثمّ دعا به وعنده رجال من خاصّته فشاورهم في قتله فقال بعضهم : اقتلْه ، وقال بعضهم : لا تقتلْه ، فقال عبدالله بن مَسْعدة الفَزاري : إنّ له يا أمير المؤمنين رحماً وقرابة ، والعفو أقرب للتقوى ، وأنت أحقّ بالفضل ، فَمُنَّ عليه وسيّره إلى عدوّك تُكْفَ أمْره بخيل من خيلك ، فلحق بعبدالله بن الزبير فقال له : آلحقْ بمصعب .

ومحمد بن سعيد بن العاص

وولده بالشام وأمّه أمّ الأَشدق .

---

١ ـ البيتان الأول والثالث في المؤتلف والمختلف للآمدي ـ ط . القاهرة ١٩٦١ ص ٢٩٥ للنابغة العدواني .

وعبدالله بن سعيد

وولده بالكوفة وواسط ، هو الذي مدحه الأخطل فقال :

فَمَن يَكُ سائِلاً بِبَني سعيدٍ فعبد الله أَكْبَرُهُمْ نِصابا
أَيَجْمَع نَوْفَلاً وبَني عِكَبٌّ كِلا الحَيَّيْنِ أَفْلَحَ مَنْ أَصابا(١)

فقال عبد الملك : كذب الأخطل ، عثمان بن سعيد أكبرهم نصاباً . وأم عثمان بن سعيد ابنة عثمان بن عفّان وولده بالكوفة ، وأمّ عبدالله بنت جُبير بن مُطْعم بن عَديّ بن نوفل بن عبد مناف ، وأمّ أُمّه من بني عِكَبّ من بني تغلب .

وعنبسة بن سعيد بن العاص :

وكان أثيراً عند الحجّاج ، ولم يزل معه لا يفارقه ، وأمّهُ أَمَةٌ يقال لها عَصماء ، وولده بالمدينة والكوفة ، وبقي بعد الحجّاج ، ومات وقد هِرم ، ويكنى أبا خالد .

قالوا : ولما وُلد عَنْبَسة قال سعيد ليحيى ابنه : أنحلْه قال : وما انحله وهو ابن أمة ؟ فنحله دجاجةً فقال سعيد : لئن صدق القائل ليكوننَ أكثرهم ولداً .

ومن ولد عنبسة عبدالله بن عَنْبَسة ، وكان بمكة قبل أيّام داود بن عليّ وهو والي الحجاز ، وعبد الرحمن بن عَنْبَسة بن سعيد كان شريفاً بالكوفة .

---

١ ـ ديوان الأخطل ص ٥٤ .

وأبان بن سعيد بن العاص بن [أبي] أحيحة :

كان ينزل أَيْلَة للعُزلة ، فخطب عائشة ابنة عثمان بن عفّان فقالت : ما أَنْزَلَه أَيْلَة إلاّ سقوطُه وتمثّلت :

مُقيمٌ بجحر الضَبِّ لا أنت ضائِرٌ عَدُوّاً ولا مُسْتَنْفِعاً أَنْتَ نافِعٌ

وله يقول عبدالله بن عنبسة بن سعيد وهو ابن أخيه :

أَتركْتَ طَيْبَة رَغْبَةً عن أَهْلِها وَنَزَلْتَ مُنْتَبِذاً بِدَيْرِ القُنْفُذِ

فأجابه :

أَوطَنْتُ أَرْضاً بُرُّها كَثُرابِها والفَقْرُ مَعْدنُهُ بِقَصْرِ الجُنْبُذِ

وولد أبان بالكوفة .

وعبد الرحمن بن سعيد :

وكان ابنه سعيد بن عبد الرحمن بن سعيد مع يزيد بن عمر بن هُبيرة وفيه يقول خلف بنَ خليفة :

وأمّا سعيدٌ إذا ما مَشَى فحُبْلَى تُرادُ لها قابِلَهْ

وكان عظيم البطن وقُتل مع ابن هُبيرة .

وكان لعنبسة بن سعيد ابن يقال له الحجّاج بن عنبسة سمّاه الحجّاج بأسمه فآمنه المنصور ، وله عقب .

ومن بني عمرو الأشدق :

موسى بن عمرو الذي يقول فيه ابن قُنَيْع النَصْري :

وكُلُّ بني العاصي حَمِدْتُ عَطاءَهُ ... وإنّي لِموسَى في العَطاءِ لَلائِمُ
ولَيْسَ بِمُعْطٍ نائِلاً وَهْو قاعِدٌ ... وحَسبُكَ مِن بُخْلِ امْرِىءٍ وَهْوَ قائِم
فإنْ يَكُ مِنْ قَومٍ كِرامٍ فإنَّهُ ... ذُنابَى أَبَتْ أَنْ تَسْتَوي وِالْقَوادِمُ

فزعموا أنّ خالد بن سعيد قال : والله ما أَعْطى أحدٌ خيرا قطّ حتى يقعد .

ومنهم اسماعيل بن عمرو بن سعيد وهو صاحب الأَعْوَص الذي قال فيه عمر بن عبد العزيز : لو أنّ لي من الأمر شيئاً لولّيت صاحب الأَعْوَص .

ومنهم اسماعيل بن أميّة بن عمرو الأَشدق الفقيه وكان بمكة .

وسعيد بن عمرو الأَشدق وكان أعلم قريش بالكوفة وولده بها ، وفيه يقول داود بن مُتَمِّم بن نُويرة :

إنْ تَجْفُني بِشْرُ بْنَ مَرْوانَ يَكْفِني ... سَعيدُ بْنُ عَمْروٍ ذو الندى ابْنُ سُعيدِ
فَتىً وَجَدَ الخَيْراتِ قد قَدَّمَتْ لَهُ ... مَساعِيَ آباءٍ لـه وجُدودِ

وعمرو بن أميّة بن عمرو بن سعيد الشاعر .

وزعم أبو اليقظان : انّ مُعَيقيب بن أبي فاطمة الدَوْسي كان مولىً أو حليفاً لأبي أُحَيْحة ، وكانت له صحبة وكان به جُذام ، وكان لسعيد بن العاص مولىً له يقال له أبو رافع ، وله ابن يقال له رافع ، وله ابن يقال له عبيدالله ، وكان رسول الله ﷺ أعتق رافعاً ، فكان يدّعي ولاء رسول الله ﷺ، فضربه الأشدق بالسياط حتى قال: أنا مولاك، وقد ذكرنا خبره في موالي رسول الله ﷺ ، فلما قُتل الأَشدق قال عبيدالله بن أبي رافع :

صَحَّتْ ولا شُلَّتْ وضَرَّت عَدُوَّها يَمِينٌ هَراقَتْ مُهْجَةَ ابْنِ سعيد
وَجَدْتُ ابْنَ مَرْوانَ الرَّشيدَ فِعالُهُ أبيّاً حَديدَ العَزْمِ غَيْرَ بَليدِ
هُوَ ابْنُ أبي العاصي قراراً ويَنْتَمي إلى عُصْبَةٍ طابَتْ له وجُدودِ

وولد أبو العيص بن أمية :

أسيد بن أبي العيص ، أمّه أَرْوَى بنت أسيد بن عِلاج الثقفي ، وأمّها صَفيّة بنت وهب بن الحارث بن زُهْرة، وكانت أمّ أُسيد الثقفي سوداء، فكان أبو سفيان وولده يُسبّون بالسواد ، وأَرْوَى بنت أبي العيص أمها رُقيّة مخزوميّة فتزوّج أَرْوَى أبو جَهْل بن هشام ؛ وعمي أُسيد بن أبي العيص ، ولم يدرك الإسلام .

فمن ولد أسيد أبي العيص : **عَتّاب بن أسيد** بن أبي العيص ، أسلم يوم فتح مكّة فحسن إسلامه واستعمله رسول الله ﷺ على مكة فقال له : يا رسول الله أصحبك وأكون معك ، فقال له : «أَوَما ترضى بأن استعملتُك على أهل الله» ، فلم يزل عليها حتى قُبض رسول الله ﷺ ، وولاّه رسولُ الله الطائف أيضاً، وأمره أن يخرص[1] أعناب ثقيف كخرص النخل ؛ ولما استُخلف أبو بكر رضي الله تعالى عنه أَقَـرَّه خلافته كلّها ، فماتا جميعاً لم يعلم واحد منهما بموت صاحبه . ولما حضرت عَتّاباً الوفاةُ استخلف مُحْرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمس ، فأقرّه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ؛ وقال الهَيْثم بن عَديّ : بقي عَتّاب إلى خلافة عمر ومات بمكة

١ ـ خرص النخلة والكرمة يخرصها خرصاً : إذا حزر ما عليها من الرطب تمراً ومن العنب زبيباً . النهاية لابن الأثير .

وذلك وهم ، وقال مصعب بن عبدالله الزبيري : جاء نعي أبي بكر حين توفيّ عَتّاب .

وحدثني عمر بن شبّة عن أبي عاصم النَبيل عن خالد بن أبي عثمان قال : قال عَتّاب بن أسيد : ما أصبت من عملٍ إلاّ ثوبَيْن معقّدين كسوتهما غلامي كيسان .

وولد عَتّاب بن أسيد عبد الرحمن بن عَتّاب ، وأمّه جُوَيْرية بنت أبي جَهْل ، وأمّها أرْوَى بنت أبي العيص ، وكان من رجال قريش ، وشهد الجمل مع عائشة فقُتل فمرّ به عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : هذا يَعْسوب قريش[1] ، ويقال إنّ كفّه قُطعت فاحتملها عُقاب فأصيبت ذلك اليوم بِحَجْر من اليَمامة ، فعُرفت بخاتمه .

وكان لعبد الرحمن هذا ابن يقال له سعيد ويُلّقب الطِرْس لسواده ، وفيه يقول عُبيد بن حُصين الراعي :

أَبْلِغْ سَعيدَ بن عَتّابٍ مُغَلْغلةً إنْ لَمْ تَغُلْكَ بِأَرْضٍ دونَهُ غولُ[2]

وكان مَعْبَد بن عَلقَمة المازني عنده فخرج فوجد سرجه مكسوراً ، فلم يعطهِ سرجاً مكانه فقال :

أَلا فَأَبْلِغا ابْنَ أَبي سعيدِ جَـزاهُ اللهُ شرّاً مِنْ عَميدِ
فلو في دارِ طَلْحَةَ دُقَّ سَرْجي لأداني عـلى سَرْجٍ جَـديـدِ
وما اَعْرَوْرَيْتُ تَحْتَ الليلِ لِبْداً على بَغْلٍ وسِيساءٍ[3] حديدِ

١ ـ اليعسوب : أمير النحل وذكرها ، والرئيس الكبير . القاموس .
٢ ـ ديوان الراعي النميري ص ١٩٣ .
٣ ـ السيسياء : الظهر من الحمار أو البغل .

يقال اعْرَوْرَيْتُ الدابّة : إذا ركبتها عُرْياً .

ومن ولده أمّ الجُلاس بنت سعيد بن عبد الرحمن بن عَتّاب ، وأمّها من تَيْم قريش تزوّجها الحَجّاج بن يوسف الثقفي .

ومن ولد عَتّاب بن أُسيد حُلَيْلان وهو عَتّاب بن عَتّاب بن سعيد بن عبد الرحمن بن عَتّاب بن أُسيد بن أبي العيص بن أميّة، وأمّه أمة، وكان من فتيان أهل البصرة ، وكان صاحب حمام وصيد ولَهْو وشُرْب ينتابه الفتيان والمغّنون وأصحاب الشِطْرَنْج والنَرْد ،واستشهده رجلٌ على رجل بمال فدعاه الى الشهادة عند سَوّار بن عبدالله العنبري قاضي أمير المؤمنين المنصور بالبصرة ، فخاف ألاّ يُجيز شهادته ، فغرم المال افتداءً من الشهادة ، وكان ذا يسار وسخاءٍ يصوغ الغناء ويتغّنى للناس أيضاً ؛ وكان لحليلان ابن يقال له سعيد ، صاحب نبيذ ، وكان حسن المذهب سخيّاً .

وكان كنية عَتّاب بن أُسيد أبا عبد الرحمن ، وأمّه وأمّ خالد بن أُسيد بن أبي العيص زَيْنب بنت أبي عمرو بن أميّة ، وأسلم خالد بعد فتح مكة وتوفّي بمكة ، ويقال انّه استُشهد باليمامة ، ويزعم قوم أنّ رسول الله ﷺ مرّ به فسلّم عليه فلم يُردّ فقال : «اللهمّ جَنّبْهم النصر وألْزِمْهم العجز» ، فلم يلق أحد من ولده أحداً إلاّ هزمه العدوّ .

فولد خالد بن أُسيد:أميّة بن خالد ، وعبدَالله بن خالد ، وأبا عثمان .

فأمّا عبدالله بن خالد فكان ذا قدر ، ولاّه زياد أُرْدَشيرخُرَّه من فارس ، ويقال ولاّه فارس بِأَسْرها ، ووهب له ابنة جُوانْبوذان بن المُكَعْبر فولدت له الحارث بن عبدالله ، وكتب زياد إلى معاوية وعبدالله بن خالد عنده أن آبعث إليّ رجلاً من قريش يكون بقربي فإن حدث بي حدث استخلفته ، فكتب

إليه : آختَرْ من شئت ، فاختار عبدالله بن خالد ، فكان عند زياد وهو صلّى عليه حين مات ، وجعله خليفته فلم يزل قائماً بعمله حتى قدم الضحّاك بن قيس الفِهْري والياً على الكوفة ، فلعبدالله بن خالد يقول قُبَيْع النَصْري :

وأنْتَ كَريمٌ من لُؤَيِّ بْنِ غالِبٍ   وقَومُكَ أَقْوامٌ وأَنْتَ شَرِيفُ

فولد عبدالله بن خالد بن أُسيد أميّة بن عبدالله ، وخالدَ بن عبدالله ، وعبد الرحمن ، وأمّهم بنت شَيْبة بن عثمان العَبْدَري يقال لها أمّ حُجْر ؛ وعبدَ العزيز بن عبدالله ، وعبدَ الملك بن عبدالله ، وأمّهما أمّ حبيب بنت جُبير بن مُطْعِم ؛ وعمران ، والقاسم ، وعمر ، ومحمداً ، والمُخارِق ، والحصين ، وأبا عثمان لأمّهات أولاد شَتّى .

فأمّا أميّة بن عبدالله بن خالد فكان يكنى أبا عبدالله ، استعمله زياد على السُوس ، ثم على الأُبُلَّة وكُوَر دِجْلة ، وزوّجه رَمْلة بنت زياد ، وكان أميّة جواداً ، فتوجّه إلى أبي فُديك عبدالله بن ثور الخارجي وهو بالبَحْرين ، ففرّ أبو فُديك ، فقال الفرزدق :

جاءوا على الريحِ أَوْ طارِوا بِأَجْنِحَةٍ   ساروا ثلاثاً إلى الجَلْحاءِ مِنْ هَجَرا[1]

حدثنا خَلَف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن عمّه مصعب بن زيد ومحمد بن أبي عُيَيْنة قالا : خرج أبو فُديك بالبَحْرين فلقيه أميّة بن عبدالله فهُزم ، فركب أميّة فرساً له جواداً كان يقال له المِهْرَجان فدخل البصرة عليه في ليلتين ، فقال يوماً وهو بالبصرة : لقد سرت على

١ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص ٣١٠ وفيه «إلى البحار من هجرا» .

المِهْرَجان إلى البصرة فدخلتها في ليلتين ، فقال بعضهم : هذا المِهْرَجان فلو ركبت النَوْروز لم تسر إلاّ ليلةً حتى تدخلها .

وحدثنا خَلَف وأحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي قالا : حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن مصعب بن زيد وغيره أنّ خالد بن عبدالله قدم البصرة فتجهّز لقتال الحروريّة ، ثم خرج اليهم وهم بِنَهْر تِيرَى ، وكان بإزائه قَطَريّ ، وخرج أبو فُديك بالبَحْرين ، فبعث إليه خالد أخاه أميّة فهُزم ، فبعث عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر فقتله ، ثم استعمل عبد الملك أميّة على خراسان فمكث عليها حيناً ، ثم أتى دمشق فمات بها ، وصلّى عليه عبد الملك وقال : أما إنّي أعلم أنّ بقائي بعده قليل .

وكان أميّة ولّى ابنه عبدالله بن أميّة سِجستان فقال أبو حُزابة[1] :

إنّي وإن كُنْتُ كبيراً نازِحا ... يَطَّرِحُ القفر بِيَ المَطارِحا
أَلْقَى مِن الغُرّام[2] بَرْحاً بارِحا ... لَمادِحٌ إنّي كَفَى بي مادِحا
مَن لَمْ أَجِدْ في العِرْضِ مِنْهُ قادحا ... إنَّ لِعَبْدالله وَجْهاً واضِحا
ونَسَباً في الصالحين صالحا ... النافِحينَ بالنَدَى المَنافِحا

وخرج عبدالله بن أميّة مع ابن الأشعث فآمنه الحجّاج وبعث به إلى عبد الملك ، فلما دخل عليه قال : ويلك أَخَرَجْتَ مع ابن الأشعث ؟ فقال : إنّما مثلي ومثلك قول الشاعر :

---

١ ـ الوليد بن حنيفة ، شاعر من شعراء تميم في الدولة الأموية ، بدوي ، حضر وسكن البصرة . الأغاني ج ٢٢ ص ٢٦٠ .
٢ ـ أي الدائنون .

إذا نَزَواتُ الحُبِّ أَحدَثْنَ بَيْننا عِتاباً تَراجَعْنا وعادَ العَواطِفُ

فقال له : كذبت يا أحمق ، وعفا عنه .

ووُلد لعبدالله بن أميّة عبدالله ، أمّه ابنة ضِرار بن القَعْقاع ، وأبو عثمان ، وإبراهيم ، وعبد العظيم .

وكان عبد العظيم فاضلاً ناسكاً ، وذكروا أنّه سأل الحَسَن البَصْري عن لعب الشطرنج فقال : لابأس ما لم تحلفوا عليها ، وتزوّج محمد بن سليمان بن عليّ ابنته نُهَيَّة ، ثم خلف عليها اسحاق بن سليمان وماتت عنده .

وكان عبدالله بن أبي عثمان بن عبدالله بن أميّة بن خالد بن أُسيد ولي البصرة ، وذلك أنّ أهلها اصطلحوا عليه حين قُتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، وهرب القاسم بن محمد الثقفي عامل يوسف بن عمر عليها ، وهو القائل :

ما قُرَيْشٌ بِمُنْكِرينَ إذا ما قُلْتُ إنّي كَريمُها وفَتاها

وأقرّه عبدالله بن عمر بن عبد العزيز على البصرة ، ويقال إنّه كان المتولّي لحفر نهر عبدالله بن عمر بالبصرة ، ثم ضعف أمره لأنّه لم يكن معه جند فولّى عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان البصرة وعزله ، وكان ابن أبي عثمان هذا يشذ حين اصطلحوا عليه في كلّ أيّام ساعة ، فيصير إلى منزله فيأتيه وجوه أهل البصرة فيردّونه .

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن ابن عيّاش أنّ أميّة بن عبدالله بن خالد بن أسيد قال لأبيه : والله ما عندك شيء أَقْوَى به ، وقد أردت التزويج ، وماأُظُنّني إلاّ سآتي زياداً فأخطب إليه ، فقال : يا بُنيّ والله

ما أحبّ أن تخلط سَمْنك بإهالته ، قال : فرحل إلى زياد وهو بالبصرة فقال : يا بن أخي ما أقدمك ؟ قال : لِتَصِلني وتزوّجني ، قال : نَعَم ونُعْمَةَ عَيْنٍ ، فزوّجه آمنة بنت زياد ، ثم دعا كاتبه على الخراج فقال : اطلب له كورةً يعيش بها مرتفعةً عن عُمق السواد ، متنحيّةً عن حُزونة الجبال وبَرْدِها ، فقال الكاتب : السُوس ، فولّاه إيّاه فقال أميّة : والله ما كنت أُفرش إلّا الخزّ ، ولا أستشعر إلّا به ، ولا أشرب إلّا السكر ، ولقد عُزِلْتُ عنها وما أظُنّ أحداً يلبس إلّا الخزّ ولا يأكل إلّا السُكّر ، ثم ولّاه كُوَر دِجْلة ، وولّاه عبد الملك خراسان ، ثم عزله وضمّ خراسان إلى الحجّاج .

وحدثني عليّ بن المغيرة الأَثْرم عن مَعْمر بن المُثَنّى قال : كانت عند عبدالله بن خالد بن أُسيد أمّ حُجْر الحَجَبيّة وكانت مُوسِرة ، فضاق عبدالله ضيقاً شديداً فقال لأمّ حُجْر: إنّي خارج إلى معاوية فأَصحبيني جاريةً تخدمني ، فأَصحبته جارية لها فزّانيّة سوداء ، فخرج إلى معاوية وهي معه ، فوصله معاوية وأسنى له العطيّة ، فانصرف إلى منزله وبالجارية حَبَلٌ ، فسألتها أم حُجْر عن حَبَلها فقالت : هو من عبدالله بن خالد ، فقال عبدالله : والله ما وطئتُها قطّ ، أَوَمِثْلي يطَأُ مثلَها ، وحلف على كذبها ، فولدت غلاماً فسُميّ رشيداً فكان يخدمهم ، ومات عبدالله وبلغ رشيد أربعين سنة فأَعتقته أمّ حُجْر ، فاكتنى أبا عثمان ، وادّعى أنّه ابن عبدالله بن خالد .

وأمر عبد الأَعْلَى بن أبي عثمان لِخَلَفِ الأَقْطع بشيء ولم يُنْفذه فقال :

أَراكَ إذا هَمَمْتَ بِفِعْلِ خَيْرٍ   هَمَمْتَ لِدَفْعِ ذاكَ بِأَمْرِ شَرِّ
أَبَتْ لَكَ ذاكَ أُماتٌ ثَلاثٌ   مِنَ الأُحْبوشِ هُنَّ لِشَرِّ نَجْرِ

وَلَمْ يُعْتَقْ أَبـوكَ مِن اعْتِبادٍ أَبـو عُثْمانَ إِلّا بَعْـدَ دَهْرِ
أَلَمْ تَـكُ أُمُّهُ أَمَـةً لُكـاعـاً مِنَ الفَزّانِ قَيْنَةَ أُمِّ حُجْرِ
تَعَمَّمَتِ الخَبيثَ على اعْتِداءٍ بِـلا إِذْنِ الحَليلَةِ أَوْ بِمَهْـرِ

وأبو عثمان جدّ الحسن بن محمد بن أبي الشوارب عَبْدِ الملك بن محمد بن عبدالله بن أبي عثمان بن عبدالله بن خالد بن أُسيد قاضي سرَّ مَن رأى .

خبر يوم الجفرة بالبصرة سنة تسع وستين :

كان يقال لها جُفْرة نافع ثم سُميّت جُفْرة خالد .

قالوا : وأمّا خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد فكان جواداً ، ويكنى أبا سعيد ، وكان بالشام مع عبد الملك يحبّه ويستصحبه .

فحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف بإسناده أنّ خالداً قال لعبد الملك : وجّهني إلى البصرة في جماعة من أهل الشام آخُذْها لك وأُدعو الناس إلى طاعتك ، فقال له : اذهب بكتبي إلى وجوه أهلها وامض مستخفياً ، وأنا مُتبعك جنداً كثيفاً مع رجل أثق به ، فسار خالد حتى دخلها وعليها من قِبل مصعب بن الزبير عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر القرشي ثم التَيْمي ، وجّهه إليها من الكوفة عند مقتل المختار بن أبي عبيد ، وكان صاحب شرطته عبّاد بن الحُصين الحَبَطي من بني تميم ، وكان مصعب يستخلفه عليها ويوليّه تدبير الأمر فيها اذا حضرها أو غاب عنها ، فنزل خالد على عليّ بن أُصْمع الباهلي ، فعجز عليّ عن الذبِّ عنه ومَنْعِه من عبّاد إن اراده ، فدلّه على مالك بن مِسْمع بن شِهاب أحد بني جَحْدَر بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة ، فأتى مالكاً فاستجار به وأوصل إليه كتاباً من عبد

الملك ، فسرّه ما وعده فيه ومنّاه فأجاره ، وبعث إلى مَنْ يثقُ به من أهل البصرة ممّن كتب إليه عبد الملك بن مروان وغيرهم ، فأتاه زياد بن عمرو العَتَكي في الأزد إلاّ آل المهلّب ، ووافته خيول بَكْر بن وائل إلاّ آل شقيق بن ثَوْر السَدوسي ، واجتمعت إليه شيعة بني أميّة من العثمانيّة ، وأتاه صَعْصَعة بن معاوية عمّ الأحنف ، وكان ممّن كتب إليه عبد الملك ، وأتاه عبيدالله بن أبي بَكْرة ، ثم قدم عليه عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان من الشام في جيش سرّحه معه عبد الملك إلى خالد كما وعده ، وكان عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان قد خلع مصعباً ولحق بعبد الملك بن مروان لأنّ مصعباً قتل أخاه النابيء بن زياد فكان حنقاً عليه ، فسأل عبد الملك أن يكونَ الذي يوجّهه إلى العراق لمحاربته ، فسرّحه إلى خالد بذلك الجيش وأمره أن يسمع له ويطيع ، فاجتمعوا بالجُفْرة التي تُعرف بجُفْرة خالد ، وزحف إليهم عمر بن عبيدالله بن مَعْمر في الزُبَيْريّة ومن معه من أهل البصرة فاقتتلوا أشدّ قتال وأبْرَحَهُ ، وفُقئت عين مالك بن مِسْمع يومئذ ، ثم إنّ القوم كرهوا الحرب وخافوا أن يتفانوا فتحاجزوا ، وأقبل مصعب بن الزبير من الكوفة حين بلغه خبر خالد بن عبدالله بن خالد وشَغْلِ عبدِ الملك بن مروان عنه بعَمْرو وبزفر بن الحارث ، وكتابِه إلى خالد أنّه لا يمكنه ورود العراق في عامه لِما انتشر عليه من الأمور ، فوهن أمر خالد ، وطلب مالكُ بن مسمع بن شِهاب ومن معه ممّن أنجد خالداً الأمان من عمر بن عبيدالله فآمنهم ، وهرب خالد بن عبدالله حتى أتى عبدَ الملك ، وهرب أيضاً مالك بن مِسْمع إلى قرية من قرى اليمامة لبَكْر بن وائل يقال لها ثاج ، فلم يزل بها إلى أن صالح عبدالملك زُفَر بن الحارث الكِلابي وانصرف إلى الشام ثم شخص إلى

العراق فقتل مصعباً ، ويقال إنّه رجع إلى البصرة في أيّام حمزة بن عبدالله ثم رَجع إلى ثاج ، ويقال أيضاً انّ مصعباً استُؤمِنَ له حين رجع إلى البصرة .

وولّى عبد الملك خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد بعد استقامة الأمور له بالبصرة ، فأكرم مالكاً ومن كان أجاره وقاتل معه ، فكان عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان أتى الشام بعد الجُفرة ثم قدم العراق مع عبد الملك ، ويقال إنّه اعتزل في بعض النواحي حتى أقبل عبد الملك إلى العراق فأتاه .

وحدثني عليّ بن المغيرة الأَثْرم عن مَعْمَر بن المُثَنّى عن أبي عمرو قال : كان قيس بن الهَيْثَم ويكنى أبا كبير خليفةً للحارث بن أبي ربيعة - وهو القباع - على البصرة أيّام ابن الزبير ، وكان ممّن قاتل مالك بن مِسْمع مع الزُبيْريّة وهو على فرس مجلجل ، وقد استأجر قوماً يقاتلون معه فكانوا يرتجزون :

لَساءَ ما تَحْكُمُ يا جَلاجِلُ النَقْدُ دَيْنٌ والطِعانُ عاجـلُ
وأَنْتَ بِالماءِ ضَنينٌ باخِلُ

وحدثنا خلف بن سالم حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال :- ولا أعلمه إلّا عن مصعب بن زيد - أنّ أشرافَ أهلِ العراق كتبوا إلى عبد الملك بن مروان يدعونه إلى أنفسهم ويخبرونه أنّهم مُبايعوه، فلم يبق بالبصرة شريف إلّا كتب إليه غير المهلّب بن أبي صفرة ، فبعث عبد الملك خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد ليقاتل في طاعته ، فقدم وقد كان الطاعون الجارف وقع بالبصرة ، وذلك في سنة تسع وستين ، فكثر الموت بالبصرة حتى جعل أهل الدار يموتون عن آخِرهم لا يجدون من يدفنهم ، وأمير البصرة يومئذ

عمر بن عبيدالله بن مَعْمر بها ، استعمله عليها مصعب ، فقدم خالد على مالك بن مِسْمع وعَسْكَرَ بجُفْرة خالدٍ ، ومال إليه كثير من الناس ، فكان ممّن أتاه من الأزد مَعْن بن المغيرة بن أبي صُفْرة ، وكان قد عتب على المهلّب في تأخير صلته ، فكان القوم يغدون إلى المِرْبَد ثم يفترقون : فرقةٌ إلى خالد وفرقة إلى المُصْعَبيّة فإذا رجعوا رجع الأَخَوانِ أحدهما من هؤلاء وأحدهما من هؤلاء فيقول هذا : فعلنا بكم ، ويقول هذا : فعلنا بكم ، فلم يزالوا على ذلك حتى هرب خالد بن عبدالله وتفرّق أصحابه وهرب مالك إلى اليمامة ، فلما قتل عبد الملك مصعباً ودخل الكوفة بعث خالداً أميراً على البصرة ، واستعمل بِشر بن مروان أخاه على الكوفة ، وبلغ ذلك مالكَ بن مِسْمع وهو باليمامة ، فأقبل حتى دخل البصرة ، فأتى دار الإمارة على ناقته ، ففُتح له الباب فدخل حتى أناخ على بِساط خالد ، وأُقطعه عبد الملك قطائع كثيرة ووصله ، وكتب عبد الملك إلى المهلّب وهو بإزاء الحَروريّة : إنّ الناس مجتمعون على بيعتي ، فإن دخلتَ فيما دخل الناس فيه عرفنا لك منزلتك وشرفك ، وإن لم تفعل استعنّا بالله عليك ، فكتب إليه : أمّا إذ اجتمع الناس فإنّي لم أكن أُشُقّ عصا المسلمين ، ولا أسفك دماءهم ، ولا أفرّق جماعتهم ، فكتب إليه بإقراره على ما هو بسبيله .

وحدثني العمري عن الهَيْثم بن عَديّ قال : التقى الأُمَويّة والزُبَيْريّة بالبصرة ففُقئَت عين مالك بن مِسْمع ، وقال وَهْب بن أَبْجَر العِجْلي :

وَنَحْنُ صَرَمْنا أَمْرَ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ وأَنْتَ بِتَاجٍ لا تُمِرُّ ولا تُحْلِي
هَجَرْتَ لُجَيْماً أَنْ أَصبْتَ زِيادَةً وَعُذْتَ بهم عِنْد الزَلازِلِ والأَزْلِ

فَلا تَرْجُ خَيْراً عِنْدَ بابِ ابْنِ مِسْمَعٍ إذا كُنْتَ مِنْ حَيَّيْ حَنيفَةَ أَوْ عِجْلِ [١]

قال : فقال جرير :

وَفَيْنا كَما أَدَّتْ رَبيعَةُ خالِداً إلى قَوْمِهِ حَرْباً ولَمّا يُسالِمِ [٢]

وحدثنا خَلَف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن أبي عُيَيْنة عن ذَكْوان مولى أبي عُيَيْنة قال : لمّا قدم خالد البصرة واجتمعت الحَروريّة بالأَهْواز خرج إليها خالد في نحو تسعين ألفاً من أهل البصرة والكوفة ومن أمدّه به بِشْر بن مروان ، فقاتلته الخوارج وفلّوه ونادوا : يا خالد يا مُخَنَّث ، فأتى البصرة، وكان رئيس الخوارج قَطَريّ، وكان خالد قد وجّه أخاه عبد العزيز إلى جماعة من الخوارج انحازوا إلى فارس ، بعد قتل أبي فُدَيْك ، فهزموه أقبحَ هزيمة وفضحوه ، فكتب خالد بأمر الخوارج إلى عبد الملك وقال للمهلّب : ما ظَنّك بأمير المؤمنين ؟ قال : أحسبه سَيعزلك فما كنتَ صانعاً فاصنعه فقال : أَتراه يَنْسى بَلائي ويستخفّ بحـقّ قرابتي ؟ قال المهلّب : إنّ الناس حديثو عَهْدٍ بفِتْنَة ، ويبلُغه ما لقيتَه من الخوارج ويأتيه خبرُ أخيك عبد العزيز فيخاف أن يُطمَع فيها قِبَلَك ويُجْتَرأَ عليك ، فتنتشرَ الأمورُ وَيضيعَ العملُ ، فعزله عبد الملك وجمع البصرة والكوفة لبِشْر بن مروان .

قالوا : ولما قتل عبد الملك مصعباً ودخل الكوفة ولّاها حين أراد الرجوع إلى الشام قَطَن بن عبدالله بن الحُصين الحارثي أربعين يوماً

---

١ ـ البيتان الأول والثالث ـ مع فوارق ـ في حماسة أبي تمام ـ ط . دمشق ص ١٠٧١ والشاعر هو عمرو بن الهذيل العبدي ، وهو شاعر ربعي مخضرم له ذكر بالاصابة لابن حجر (ترجمة رقم ٦٥١٩) ، وقيل الشاعر رجل من عجل .

٢ ـ ديوان جرير ص ٤٥٨ مع فوارق .

أو شهرين ، ثم عزله وولّى بِشْراً أخاه ، فاستخلف بِشر على الكوفة حين ولي البصرة عمروَ بن حُريث ، ثم قدم البصرة فأقام أشهراً ، ثم احتُضر فاستخلف خالداً على عمله حتى قدم الحجّاج وقد شدّ خالد على بيت المال فأخرج جميع ما فيه ففرقه على الناس ، فيزعمون أنه جلس مجلسين فلم يقم حتى فرق ألف ألف درهم ؛ وكان الحجاج أراد حبسه ومُحاسبته ، فأمر عبد الملك أن لا يعرض له فتركه ، فلما شخص عن البصرة شيّعة القرشّيون ، ففرّق فيهم ثلاثمائة ألف درهم .

وقال المدائني وأبو عبيدة : أقبل عبد الملك من الشام يريد العراق ومعه خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسيد فقال له : إن وجّهتنيَ إلى العراق وأَتْبَعْتني خيلًا يسيرة كفيتُك البصرة ، فوجّهه عبد الملك فقدمها مستخفياً في خاصّته ومواليه حتى نزل على [علي] بن أُصْـمَع الباهلي ، فأرسل إلى عبّاد بن الحُصين وهو على شرطة ابن مَعْمر : إني قد أَجرت خالداً وأنا أحبُّ أن تعلم ذلك وتكون لي ظهيراً ، فبعث إليه : والله لا أنزل عن فرسي حتى آتيك في الخيل ، فقال ابن أُصْمَع لخالد : لا أغرّك إنّ عبّاداً يأتينا الساعة ولا أقدر على منعك ولكن عليك بمالك بن مِسْمع ، ويقال انّ نزوله كان على عمرو بن أُصْمَع ، وأنّ عبّاداً أرسل اليه ابتداءً : إنّه قد بلغني نزول خالد عليك ، وأنا موافيك في الخيل .

المدائني عن مسلمة وعوانة قالا : فخرج خالد من عند ابن أُصْمَع يركض وعليه قميص قُوهيّ رقيق ، وقد حسر عن فخذَيْه وأخرج رجليه من الركابين حتى أتى مالكاً فقال : إنّي قد اضطُرِرْتُ إليك فأَجِرْني ، قال : نعم ، وخرج وبنو أخيه فأرسل إلى بكر بن وائل والإزد ، فكانت أوّل رايه

أتته راية بني يَشْكُر ، وأقبل عبّاد بن الحُصين في الخيل فتواقفوا ولم يقتتلوا ، فلما كان الغد بدروا إلى جُفْرة نافع بن الحارث التي نُسبت بعدُ إلى خالد ، ومع خالد رجال من بني تميم وافوه ، وهم : صَعْصَعة بن معاوية وعبد العزيز بن بشر ومُرَّة بن مِحْكان الرُبَيْعي ، ومعه عبيدالله بن أبي بَكْرة وحُمْران ومغيرة بن المهلّب ، وكان على الزُبَيْريّة قيس بن الهَيْثَم السُلَمي ، وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه ، فتقاضى رجل أُجرته فقال : غداً أُعطيك إيّاها ، وكان في عنق فرسه جلاجل ، فقال رجل يقال له غطفان بن أُنَيْف أحد بني كعب بن عمرو بن تميم :

لَبِئْسَ ما حَكَمْتَ يا جَلاجِلُ النَقْدُ دَيْنٌ والطِعانُ عاجِـلُ
وأَنْتَ بِالْبَذلِ ضَنينٌ باخِلُ

وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن وَبَرة العُجَيْفي ، وكان [له] عَبيدٌ يؤاجرهم كلَّ يوم بثلاثين فيُعطيهم عشرةً عشرةً ، فقيل له :

لَبِئْسَ ما حَكَمْتَ يا بنَ وَبَرَه تُعْطَى ثَلاثينَ وتُعْطي عَشَرهْ

ووجّه مصعبُ بن الزبير زَحْر بن قيس الجُعْفِي مدداً لابن مَعْمَر في ألف ، ووجّه عبد الملك عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان بن الجَعْد أحد بني عائِش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة مدداً لخالد ، فوافى وقد تفرّق الناس عنه ، فلحق بعبد الملك .

أبو الحسن المدائني عن رجل عن السَكَن بن قَتادة قال : اقتتلوا أربعة وعشرين يوماً فأُصيبت عين مالك بن مِسْمعِ ، فضجّوا من الحرب ، ومشت السفراءُ بينهم وفيهم : يوسف بن عبدالله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، فصالحهم ابن مَعْمَر على أن يُخْرِج خالداً من البصرة وهم آمنون ، فخرج

خالد فلحق بالشام ، وخاف مالك ألاّ يُجيز مصعبٌ أمانَ عمر بن عبيدالله أو عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمر فلحق مالك بِثاج ، فقال الفرزدق :

عَجِبْتُ لأقوامٍ تَميمٌ أَبُوهُمُ وهُمْ في بَني سَعْدٍ عِظامُ المبارِكِ
وكانوا أَعزَّ الناسِ قَبْلَ مَصيرِهِمْ إلى الأَزْدِ مُصْفَرّاً لِحاها ومالِك
وما ظَنُّكُمْ بِآبنِ الحَوارِيِّ مُصْعَبٍ إذا آفْتَرَّ عَنْ أَنْيابِه غَيْرَ ضاحِكِ
ونَحْنُ نَفَيْنا مالِكاً عَنْ بِلادِهِ ونَحْنُ فَقَأْنا عَيْنَهُ بالنَّيازِكِ[1]

وقال بعض بني حنظلة :

أَبْلِغْ أَبا حَسّان أَنَّكَ إنْ تَعُدْ تَعُدْ لَكَ بالبِيضِ الخِفافِ تَميمُ
تَقاضَوْكَ عَيْناً مِنْكَ حَتّى قَضَيْتَها ورُحْتَ وفي الأُخْرَى عَلَيْك خُصومُ

وقال غَطَفان بن أُنَيْف :

كَيْفَ رَأَيْتَ نَصْرَنا الأَميرا بِصَرْحَةِ المِرْبَدِ إذْ أُبيرا
يقودُ فيهِ جَحْفَلاً جَرورا الخَيْلَ والصَّلادِمَ الذّكورا
وصارِماً ذا هيئةٍ مَأْثُورا فأَصْبَحَ ابْنُ مِسْمَعٍ مَحْصورا
يَرَى قُصوراً دونَهُ ودورا

وقال الشاعر لمصعب :

أَلْحِقْ أُميَّةَ بِالحِجازِ وخالِداً وآضرب عِلاوَةَ مالِكٍ يا مُصْعَبُ
فلَئِنْ فَعَلْتَ لَتَحْزُمَنَّ بِقَتْلِهِ ولَيصفُوَنْ لَكَ بِالعِراقِ المَشْرَبُ

وقال آخر :

أَخافُ عَلَيْكَ زِيادَ العِراقِ وأَخْشَى عَلَيْكَ بَني مِسْمَعِ

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥٧ .

فقال مصعب : يكفي الله مؤونتهم .

قالوا : ولما بويع مصعب وانصرف عبد الملك إلى دمشق بسبب عمرو الأشدق لم يكن له همّة إلاّ البصرة ، وطمع أن يدرك خالداً ، فلمّا قدمها وجده قد خرج ، ووجد ابن مَعْمَر قد آمن الجُفْريّة ، فغضب على ابن معْمر وحلف أن لا يوليّه ، وأرسل الى الجُفْريّة فشتمهم وأنّبهم وقال : نصرتم ابن طَريدِ رسولِ الله ﷺ على ابن حواريه ، وأقبل على عُبيدالله بن أبي بكْرة فقال : يا بن مَسْروحٍ إنّما أنت ابن كلبة تعاورتها الكلاب فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كلّ كلبٍ ما يُشبهه ، وإنما كان أبوك عبداً نزل إلى رسول الله ﷺ من حصن الطائف ، تدّعون أنّ أبا سفيان زنى بأُمكم ، أَما والله لئن بقيتُ لأُلحِقَنْكم بنسبكم ، ثم دعا بحُمْران فقال : يا بن اليهوديّة إنّما انت علج نَبطيّ سُبيتَ من عَيْن التَمْر وكان أبوك يُدْعى أبي . ثم قال للحَكَم بن المنذر بن الجارود : يا بن الخبيثة اللَخْناء أَتدري من أنت ومن الجارود ؟ إنما كان علجاً بجزيرة ابن كاوانَ فارسيّاً فقطع إلى ساحل العرب فانتمى إلى عبد القيس ، ولا والله ما أعرف حيّاً أشدّ إشتمالاً على سَوْءَة منهم ثم انكح أختَه المُكَعْبِر الفارسيّ فلم يُصِبْ شرفاً قطّ أعظم من ذلك ، فهؤلاء ولدها يا بن قباذ ؛ ثم أُتي بعبدالله بن فَضالة الزَهْراني فقال : أَلستَ من أهل هَجَر ثم من اهل سمَاهِيج[1] ؟ أَما والله لأَرُدَّنّك إلى نسبك . ثم أُتي بعليّ بن أُصْمَع فقال : أنت عبد لبني تميم مرّة ، وعربي من باهلة مرّة . ثم أُتي بعبد العزيز بن بِشْر بن حناط فقال : يا بن المشتور أَلْم يسرق عَمّك في زمن عمر

---

١ ـ سماهيج : اسم جزيرة في وسط البحر بين عمان والبحرين . معجم البلدان .

فأمر به فسُيِّر ليقطعه ؟ أما والله ما أعيبُ إلاّ من نكح أختَك ، وكانت اخته تحت مُقاتل بن مِسمع ، ثم أُتي بأبي حاضر الأَسَدي فقال : يا بن الإصْطخْريّة وما أنت والأشراف ؟ إنّما أنت دعيّ في بني أَسَد . ثم أُتي بزياد بن عمرو فقال : يا بن الكِرْماني إنّما أنت علج من أهل كِرْمان قطعت إلى فارس فصرت ملاّحاً ، مالك وللحرب ؟ أنت بجرِّ القَلْسِ أعلمُ . ثم أُتي بعبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص فقال : أَعليَّ تكْثر وأنت علج من أهل هَجَر لحق أبوك بالطائف ، وهم يضمّون مَن تأشّب اليهم ليتعزّزوا به ، أما والله لأُرُدَّنّك إلى أَصْلك ، ثم أُتي بشَمْخ بن النعمان فقال : يا بن الخبيثة أنت علج من أهل زَنْدَوَرْد[1] هربت أمّك وقُتل أبوك فتزوّج أخته رجلٌ من بني يَشْكُر فجاءت بغلامَيْن فألحقك بنسبهما . ثم ضربهم مائةً مائةً ، وحلق رؤوسهم ولِحاهم ، وهدم دورهم ، وصهرهم في الشمس ثلاثاً ، وحملهم على طلاق نسائهم ، وجمّر أولادهم في البعوث ، وطاف بهم في أقطار البصرة ، وأحلفهم أن لا ينكحوا الحرائر ؛ فلما استقام الأمر لعبد الملك أمر ببناء دورهم . وبعث مصعبٌ خِداشَ بن يزيد في طلب مَن هرب من أصحاب خالد ، فأدرك مُرَّةَ بن مِحْكان فقال :

بَني أَسَدٍ إنْ تَقْتُلوني تُحارِبوا ... تَميماً إذا الحَرْبُ العَوانُ أَشْمَعَلَّتِ
بَني أَسَدٍ هَلْ عِنْدكُم مِنْ هَوادَةٍ ... فَتَعْفوا وإنْ كانتْ بِيَ النَعْلُ زَلَّتِ
أَيْمْشي خِداشٌ في الأَزِقَّةِ آمِناً ... وقد نَهِلَتْ مِنّي الرِماحُ وعَلَّتِ

---

١ - زندورد : مدينة كانت قرب واسط ، ممايلي البصرة ، خربت بعمارة واسط . معجم البلدان .

فضربه خِداش فقتله وكان على شُرَط مصعب يومئذ ، وهدم مصعب دارَ مالك بن مسمع وأخذ ما كان فيها فكان مّما أخذ جارية ولدت له عمر بن مصعب ، ولم يزل مصعب بالبصرة حتى أتى الكوفة ثم مَسكِن[1] فقُتل .

قالوا : لما قُتل مصعب وثب حُمْران بن أَبان ، وعبيدالله بن أبي بَكْرة فتنازعا ولاية البصرة ، فقال ابن أبي بَكْرة : أنا أعظم غناءً منك ، أنا كنت أُنفق على أصحاب خالد بن عبدالله يوم الجُفرة ، فقيل لحُمْران : إنّك لا تقوى على ابن أبي بكْرة فآستعن بعبدالله بن الأَهْتَم ، فاستعان به فغلب حُمْرانُ على البصرة ، وجعل ابنَ الأَهْتَم على شُرَطها ، وكان لحُمْران عند بني أميّة منزلة ، وزعموا أنّ رداءَ حُمْران زال عن كتفه فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيّهما يسويه ، وقيل إنه مدّ رجلَه فابتدرها معاوية وابن عامر أيّهما يغمزها ؛ وكان الحجّاج حبس حُمْران لأنّه وليَ لخالد بن عبدالله سابور فكتب إلى عبد الملك :

لو بِغَيْرِ المـاءِ حَلْقي شَرِقٌ   كُنْتُ كالغَصّانِ بِالماءِ اعتِصاري

فكتب إلى الحجّاج : إنّ حُمْران أخو مَن مضى منّا ، وعمّ من بقي ، وهو رُبْع من أرباع بني أميّة ، فلا تعرضْ له وأَكْرِمْه واعرف له حقَّه ، ففعل واعتذر إليه ورد عليه ما استأداه ، وبعث بذلك مع غلمان وَهَبهم له ، وكان الذي أغرمه مائة ألف درهم ، فقسمها في أصحابه ، وقال للغلمان : أنتم أحرار .

---

١ ـ مسكن : موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق . معجم البلدان .

المدائني قال : ولي خالد بن عبدالله البصرةَ سنتَيْن فوجّه في ولايته أخاه أميّة إلى أبي فُدَيْك إلى البَحْرين فهزمه أبو فُدَيْك ، ووجه أخاه عبد العزيز بن عبدالله إلى الأزارقة بفارس فهزموه أيضاً ، وأخذوا امرأته أمَّ حَفْص بنت المنذر بن الجارود فقتلوها ، فقال الفرزدق :

كلُّ بَني السَوْداءِ قَدْ فَرَّ فَرَّةً فلَمْ يبْق إلاّ فَرَّةٌ عِنْدَ خالِدِ
فَضَحْتُمْ قُرَيْشاً بِالفِرارِ وأَنْتُمُ لدى الحَرْبِ أَنْكاسٌ قِصارُ السواعِدِ[١]

فطلبه خالد فلحق بِبِشْر بن مروان وقال :

وما كفَّ عَنّي خالدُ عَنْ تَقِيَّةٍ ولكِنْ بَدَتْ دوني اللُيوثُ الهَواصِرُ
غَداةَ رَأى مِن مالِكٍ تَحْتَ غابها وَرائي ودوني مَن يَخافُ المُحاذِرُ
تحلَّلْتَ إذْ أَقْسَمْتَ أنَّكَ قاتِلي وكفِّرْ إذا آليت أَنَّكَ قادِرُ
أَتوعِدُني والمالِكانِ[٢] كِلاهما ورَائي وسَعْدٌ والحُلولُ الكَراكِرُ
هُمُ مَنَعوني مِنْ زيادٌ وقد رأى زِيادٍ مَكاني وَهْو للناس قاهِرُ
ومِن مُصْعَبٍ حَيْثُ القُباعُ لخوفه عَليَّ ولَمّا تَسْتَطِعْني زَماجِرُ[٣]

وقال في ابن أبي بَكْرة :

تَداركَني مِنْ خالِدٍ بَعْدَ ما آلْتَقَتْ على ودَجي أنيابُهُ[٥] ومَخالِبُهْ[٤]

قال أبو الحسن : ولما قُتل مصعب خرج رسول فَطَمَّ إلى مالك بن مِسْمع وهو بثاج يبشّره بقتله ، فقدم وخالد بن عبدالله بالبصرة قد قدمها

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٢ ـ المالكان : مالك بن زيد مناة ، ومالك بن حنظلة .
٣ ـ ليست في ديوانه المطبوع .
٤ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٥٤ .
٥ ـ طم : خف ، أوعدا سهلاً . القاموس .

والياً ، فجاء يسيرُ حتى أناخ ناقته على بساط خالد ، فقال العُدَيْل بن الفَرْخ :

أُنيخت على ظَهْرِ البِساطِ فَلَم تثرْ على رَغْمِ مَنْ أمْسَى عَدُوّاً لِخالِدِ

ثم انصرف مالك إلى داره وقد هُدمت ، فعدل عنها فنزل في بني جَحْدرَ ، ولم يمكث مالك إلّا سبع عشرة ليلة حتى هلكْ ، فدُفن عند دار عيسى بن سليمان حيث دُفن بعده بِشر بن مروان ، وجاءَ مالك فخاصم في الجارية التي أخذها مصعب ، فمات قبل أن يُحكم له بها .

وقال الأخطل يمدح خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد ، وقدم إليه وهو بالبصرة :

إلى خالدٍ حَتَّى أَنَخْنَ بِخالدٍ فنِعْمَ الفتَى يُرْجَى ونِعْمَ المُؤَمَّلُ
أخالِدُ مَأْواكُمْ لِمَنْ حَلَّ واسِعٌ وجَدْواكَ غَيْثٌ للصَعاليكِ مُرْسَلُ
أَبَى عودُكَ المَعْجومُ إلّا صَلابَةً وكَفَّاكَ إلّا نائِلاً حينَ تُسأَلُ
ألا أيُّها الساعي لِيُدْرِكَ خالِداً تَناهَ وأَقْصِرْ بَعْضَ ما كُنْتَ تَفْعَلُ
فَهَلْ أَنْتَ إن مَدَّ المَدَى لَكَ خالِدٌ مُوازٍ لَهُ أو حامِلٌ ما يُحَمَّلُ[1]

وحدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن ابن عَوانة عن عَوانة قال : كان خالد وأميّة ابنا عبدالله بن خالد بن أُسيد عند عبد الملك بن مروان ، فقدمت عليه عِير من العراق عليها مالٌ حمله الحجّاج بن يوسف ، فقال عبد الملك : هذا والله الجَلَب الأَغرّ لا جَلَبُكما ، أمّا أنت يا خالد فاستعملتُك على البصرة وهي تهدم[2] بالأموال فاستعملتَ كلَّ ذئب فاجر : تحمل من العشرة درهماً

١ ـ ديوان الأخطل ص ٢٢٨ .
٢ ـ الهدمة : الدفعة من المال . القاموس .

وتحتجن التسعة لنفسك ، وأما أنت يا أميّة فإنّي ولَيتك خُراسان وسجستان وهما يقلسان الذهب والفضّة ، فبعثتَ إليّ ببِرذون حَطِم وحريرتَيْن ومفتاح فيه رطل من ذهب زعمت أنّه مفتاح مدينة الفِيل ، وما مدينة الفيل قبحها الله ، فإذا استعملناكم أسأتم وقصّرتم ، وإذا استعملنا غيركم قلتم : حَرَمَنا وقَطَع أرحامنا وآثر علينا غيرنا ، والمُلك لا يصلح إلاّ بالرجال ، والرجال لا يُقيمها إلاّ الأموال ، والأموال لا تجتمع إلاّ بالتوفير والاحتياط وأداء الأمانة ، فقال خالد : بعثَتني إلى البصرة والنَاس بها رجلان : رجل هواه معك ، ورجل هواه لسواك ، فأعطيتُ الذي هواه معك لأَسْتَثْبت مَوَدَّته وأَستديم طاعته ، وأعطيتُ الذي يهوى غيرَك متألفاً لأجتّر هواه وأُعطّف قلبه وأَستنزل نصيحته ، وكان اتّخاذ الرجال أحبَّ إليّ وأصْوب عندي من جمع الأموال ، وإنّ الحجّاج جمع الأموال وأَوْغر صدور الرجال ، فكأني بهم قد انتقضوا عليه ، فأَنفقْتَ هذه الأموال وأَضْعافها ، فلما خرج أهل العراق على الحجّاج قال عبد الملك : يا خالد هذا مصداق ما قُلْتَ .

وحدثني الحسن بن عليّ الحِرْمازي عن أبي الحسن المدائني عن عبدالله بن مسلم قال : قال عبد الملك بن مروان : إنّـا لنولّي الرجلَ فيخون ويعجز ، كأنه يعرِّض بخالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد ، فقال خالد : أمّا العجز فإنّه لم يعجز مَن وطّأ لكَ مجلسك هذا ، وأمّا الخيانة فما طُلب العمل إلاّ لاصطناع المعروف ، وما زال الناسُ من لدن عثمان يصيبون من هذا المال : أنت وغيرك ، فسكت عبد الملك .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مِسْكين المَدَني قال : باع خالد بن عبدالله ثمرة أبيه وحمل ثمنها في كُمّه ، فلقيه أبو صخر الهُذَلي

فقال له : هب لي هذه الدنانير التي في كمّك ، فقال : والله ما مدحتَني قطّ ، قال : بلى والله قبل أن تولد ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

إذا نُفِسَ المَوْلودُ مِنْ آلِ خالِدٍ ... بَدا كَرَمٌ لِلنـاظِرينَ يَـطيبُ

قال : خذها فهي لك ، فأتى أباه عبدالله بن خالد فسأله عن ثمن الثمرة فأخبره بخبرها فقال : أحسنَت ، وكانت ثلاثمائة دينار .

وكان سعيد بن خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد جواداً يقال له عَقيد الندى ، فمدحه موسى شَهَوات فقال :

فِدىً لِلكَريمِ العَبْشَمِيِّ ابْنِ خالدٍ ... بَنِيَّ ومـالي طـارِفي وتَليـدي
عَقيدُ النَدَى ماعاشَ يَرْضَى به الندى ... فإن ماتَ لم يَرْضَ الندى بِعقيدِ
أَبا خالِدٍ أَعْني سَعيدَ بْنَ خالدٍ ... أَخا العُرْفِ لا أَعْني ابْنَ بِنْتِ سَعيد
ولكِنَّني أَعْني ابْنَ عائِشَةَ الذي ... كـلا أَبَوَيْـهِ خالِـد بنُ أُسيدِ
دَعُوه دَعوهُ إنَّكُمْ قـد رَقَدْتُمْ ... وما هُوَ عن إحْسانِكُمْ بِرَقـودِ

وأمّ عَقيد الندى عائشة بنت عبدالله بن خَلَف الخُزاعي أخت طَلْحة الطَلَحات الجواد ، وأبوه خالد ، وجدّه خالد بن أُسيد ، وكلّ واحد منهما ابن أُسيد ، وابن بنت سعيد : سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان امّه آمنة ـ ويُقال حُمَيْدة ـ بنت سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة فهو ابن بنت سعيد ، ويقال انّه كان يُغلب على عقله ستّة أشهر ويُفيق ستّة فيكون أصحّ الناسِ وأسخاهم ، وقد ذكر ذلك أبو اليقظان .

وحدثني عبدالله بن صالح المُقْرىء عن ابن عَوانة عن أبيه عن جدّه قال : شكا سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان موسى شَهَوات إلى سليمان بن عبد الملك وقال هجاني ، فقال سليمان لموسى : لا أُمّ لك أتهجو

سعيد بن خالد وهو ابن أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أحدّثك بقصّتي وقصّته، عشقتُ جارية لبعض أهل دمشق، فأبى أهلها أن ينقصوها من مائَتْي دينار ، فأتيتُ سعيدَ بن خالد هذا فأخبرته بذلك وسألته أن يشتريها لي ، فقال : بُورِكَ فيك ، فقال سليمان : ما هذا بموضع بُورِكَ فيك ، قال : ثم أتيتُ سعيدَ بن خالد بن عبدالله [بن خالد] بن أُسيد فشكوتُ إليه ذلك فدعا بمُطْرَف خزّ فبُسط ثم قال : يا جارية صُرِّي في كلّ جانب منه مائَتيْ دينار وفي وسطه مائتي دينار ، ثم قال : خذ المُطْرف بما فيه ، فأخذتُه وفيه ألف دينار فقُلْتُ ، وأَنْشَدَهُ الأبيات التي تقدّم ذكرها ، وزاد فيها ببيت وهو :

فقُلْ لِبُغاةِ الخَيْر قد مات خالدٌ ... ومات النَدَى إلاّ فُضولَ سَعيدِ

قال : فقال سليمان بن عبد الملك : قُل ما بدا لك فلن تُلام .

المدائني عن سُحَيْم قال : كان عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد سيّداً ، وجّهه أخوه خالد إلى الخوارج بفارس وعليهم قَطَريّ فهزموه وقتلوا أصحابه وأخذوا امرأته امّ حَفْص بنت المنذر بن الجارود ، فمرّ بالمهلّب فكساه ووصله وحمله ، فقال الشاعر :

عَبْدَ العزيزِ فَضَحْتَ جَيْشَكَ كُلَّهُمْ ... وتَرَكْتَهُمْ صَرْعَى بِكُلِّ سَبيلِ
هَلاّ صَبَرْتَ مَعَ الشهيدِ مُقاتِلٍ ... إذْ رُحْتَ تُمْعِنُ هارباً بِأصيلِ
وتَرَكْتَ عِرْسَكَ والرِماحُ شَوارِعٌ ... عارٌ عَلَيْكَ إلى المَماتِ طَويلُ

الشهيد : مُقاتل بن مِسْمع كان معه فقُتل .

وولّى عبد الملك عبدَ العزيز بعد ذلك مكة ، فمدحه رجل من بني الحارث بن كعب فقال :

أبا خالدٍ إنّي أعوذُ بخالِدٍ وما جارُهُ بالْمُسْتَذَلِّ الْمُغَرَّرِ
أعوذُ بِبُرْدَيْهِ اللَّذَيْنِ ارْتَداهُما كريمُ الْمُحَيّا طَيِّبُ الْمُتَأَزَّرِ

وعزل عبد الملك عبد العزيز وولّى بعده أخاه عمرو بن عبدالله ، وبقي عمرو إلى دولة بني العبّاس .

وأما عبد الملك بن عبدالله بن خالد بن أسيد فله شرفٌ وعقب بالبصرة .

ومن ولد عبد الرحمن بن عبدالله بن خالد بن أسيد العالية بنت عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، تزوّجها المنصور أمير المؤمنين ، وبعث اسحاقَ الأزرقَ مولاه فحملها من الحجاز ، وحمل إليه امرأة أخرى تزوجها من ولد طلحة بن عبيدالله التيمي .

وولد أبو العاص بن أمية :

عفّان وعفيف بن [أبي] العاص درجا ، وعَوْفاً درج في الجاهليّة ، وصفيّة ، أمّهم آمنة بنت عبد العزيز بن حارث من بني عَديّ ، والحَكَم ، والمغيرة ، ورَيْحانة تزوّجها بشر بن دُهْمان الثَقَفي ، أمّهم رُقَيّة بنت الحارث بن عُبيد بن عمر بن مخزوم ؛ فأمّا صفيّة فتزوجها أبو سفيان بن حرب ، وسعيدَ بن أبي العاص درج ، وخالدةَ تزوّجها الأَخْنَس بن شريق الثقفي ، ولُبابَة أمّها صفيّة بنت ربيعة بن عبد شمس ، تزوّجها غَيْلان بن سَلَمة بن مُعَتِّب الثقفي ، وأمّ حبيب بنت أبي العاص تزوّجها أميّة بن أبي الصَلْت الثقفي الشاعر .

وأما المغيرة بن أبي العاص فولد معاويةَ بن المغيرة ، وأمّه ابنة صفوان بن نوفل بن أَسَد بن عبد العُزى ، فولد معاويةُ بن المغيرة عائشةَ أمَّ عبد الملك بن مروان ، وكان معاوية بن المغيرة جدع أنفَ حمزة بن عبد المطّلب ، فقُتل بأُحُد بعد انصراف قريش بثلاث ، ولا عقبَ له سِوى عائشة ، وأمّ عائشة ابنة عُقْبَة بن أبي مُعَيط .

وكانت لمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ابنة يقال لها أمّ جميل ، تزوّجها سفيان بن عبد الأَسد المخزومي ، وكانت له ابنة ثالثة يقال لها عَمْرة تزوجها أبو تجراه النصراني فهم يعابون بذلك .

وقال المدائني : لعن رسول الله ﷺ الحَكَم وولده إلاّ المؤمنين منهم ، وسيّره النبي ﷺ إلى بطن وجّ .

وقال المدائني : في آل الحَكَم يقول حسّان ، وكانوا في الجاهليّة فقراء :

لَقَدْ أَبْصَرْتُكُمْ عن غَيْر بُعْد وما تُلْقُونَ في بيت بِساطا
وكان أَبي لَكُمْ في الدَهْر نكْلاً وفي الإسلام كُنْتُ لَكُمْ عِلاطا(١)

فقال عبدالله بن عمر : عِلاط سوء ، وقال عبد الملك : ما كان ابن الزبير يعيّرنا به ؟ قالوا : الفقر .

فولد عفّان بن أبي العاص عثمانَ بن عفّان ويكنى أبا عمرو وأبا عبدالله ، وآمِنةَ وأرْنب وهي أمّ طَلْحة ، أمهم أرْوَى بنت كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فأمّا آمنة فتزوجها الحكم بن كيْسان حليف بني

---

١ ـ لم يردا في ديوان حسان ، وهما في الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار ـ ط . بغداد ١٩٧٢ ص ٢٥٦ ، لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

المغيرة ثم تزوّجها عبدالله بن أبي سعد ـ ويقال ابن سعد ـ حليف أبي أميّة بن المغيرة ، ويقال انّه من سَعْد العشيرة .

وقُتل عفان بالغُميْصاء[١] مع الفاكه بن المغيرة ، ويقال إنّه مات بالشام في تجارة ، ومات عفّان وحربُ بن أميّة في شهر واحد ، فقال الحارث بن أميّة الأصغر بن عبد شمس وكان شاعراً :

والله لولا أنّ حَرباً دعامة لَقُلْتُ على عفّانَ ما يُسْمعُ الصُمّا
أفي نصف شَهرٍ كان مَوْتُهما معاً لقد جاء أهلَ الله[٢] ما يُنْطِقُ البُكما

وإخوة عثمان لأمّه: الوليد ، وخالد ، وعمارة ، وأمّ كلثوم ، بنو عُقْبَة بن أبي مُعَيْط .

وقال المدائني : لم يكن لعفّان نباهَةٌ فقال الشاعر :

عفـان اوّل حائـك لثيابكم قدْماً وقد يُدْعى أخا الأشْرارِ

ولكن جاء والله الإسلام فشرف عفّان بعثمان ، والحمدلله[٣] .

---

١ ـ الغميصاء : موضع في بادية العرب قرب مكة المكرمة . معجم البلدان .
٢ ـ بهامش الأصل : يعني أهل مكة .
٣ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر عثمان بن عفان
وفضائله وسيرته ومقتله رضي الله تعالى عنه

أمّ عثمان أَرْوَى بنت كُرَيْز وأمّها أمّ حَكيم البيضاء بنت عبد المطَّلب ، تَوْأَمة عبدالله والد رسول الله ﷺ ، وكان عثمان يُدعى في الجاهليّة أبا عمرو ، فلما ولدت له رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ عبدالله اكتنى أبا عبدالله ، وكناه المسلمون بذلك .

وكانت أمّ حكيم بنت عبد المطَّلب تُرقص عثمان في صغره فتقول :

ظَنّي بِهِ صِدْقٌ وَبِرّ يَأْمُرُهُ وَيَأْتَمِرْ
مِنْ فِتْيَةٍ بيض ، صُبُرْ يَحْمُونَ عَوْراتِ الدُّبُرْ
ويَضْرِبُ الكَبْشَ النَّعِرْ يَضْرِبُهُ حَتَّى يَخِرْ
مِنْ سررٍ ومِنْ أُخُرْ

المدائني قال : نزل عصفان بن قيس اليربوعي على أروى بنت كريز فقُري وأُكرم فقال :

خَلِّفْ على أَرْوَى السَّلامَ فإنَّما جَزاءُ الثَّوِيِّ أَنْ يَعِفَّ ويَحْمَدا

حدثني محمد بن سعد مولى بني هاشم عن الواقدي محمد بن عمر عن محمد بن صالح عن يزيد بن رُومان قال : خرج عثمان وطلحة بن عبيدالله على أثر الزبير بن العوّام حين أسلم ، فدخلا على النبيّ ﷺ فعرض عليهما الإسلام وقرأ القرآن فآمنا وصدّقا . وقال عثمان : يا رسول الله قدمتُ حديثاً من الشام ، فلما كنتُ بين معان وموضع سمّاه إذا منادٍ ينادي : أيها النيام هبُّوا إنّ أحمد قد خرج بمكة ، فقدمنا فسمعنا بك ، فلم أتمالك أن جئتك[1] .

قالوا : ولما أسلم عثمان بن عفّان أوثقه عمُّه الحَكم بن أبي العاص بن أميَّة رباطاً وقال : أترغب عن دين آبائك إلى دين مُحدث ؟ والله لا أحُلُّك أبداً ! فلما رأى صلابته في دينه تركه ، وحلفت أمُّه أرْوَى بنت كُريز ألا تأكل له طعاماً ولا تلبس له ثوباً ولا تشرب له شراباً حتى يدع دينَ محمد ، فتحوّلت إلى بيت أخيها عامر بن كُريز فأقامت به حولاً ، فلما أيست منه رجعت إلى منزلها .

قالوا : وأتى عثمان رضي الله تعالى عنه أبا أُحَيْحة فقال له : إنّي قد آمنتُ واتّبعتُ محمداً ﷺ ، فقال : قُبِّحْتَ وقُبِّح ما جئت به . ثم خرج من عنده وأتى أبا سفيان بن حَرْب فأعلمه إسلامه فعنَّفَهُ . وكان عثمان ممَّن هاجر الهجرتين جميعاً إلى أرض الحبشة فراراً من قريش بأديانهم وتنحّياً عن أذاهم ومكروههم ، وكانت معه في هجرته الثانية رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «وإنّهما لأوّل من هاجر إلى الله تعالى بعد إبراهيم ولوط». ثم هاجر إلى المدينة ، ولما هاجر من مكة إلى المدينة نزل على أُوس بن ثابت

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٥ .

الأنصاري من بني النجَّار ، فأقطعه رسول الله ﷺ داره التي في المدينة وآخى بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ، وآخى أيضاً بينه وبين أوس بن ثابت ، ويقال : آخى بينه وبين سعد بن عثمان الزُرَقي من الأنصار ، ويُكنى أبا عبيد .

وحدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أنَّ عثمان دفع مالاً مضاربةً على النصف[١] .

وحدث ابن دأب عن داود بن الحصين عن عبدالله بن عمرو بن عثمان قال : قال عثمان : دخلت على خالتي بنت عبد المطَّلب أعودها وعندها رسول الله ﷺ فقلت له : يا أبا القاسم ما أعجب ما يقال عليك مع مكانك منَّا ، فقال : «يا عثمان لا إله إلا الله» ، الله يعلم أنّي قد اقشعررت ثم قال : ﴿وَفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون * فَوَرَبِّ السَّماءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُون﴾[٢] فخرج فاتبعتُه فأسلمت .

المدائني عن سعيد بن خالد عن صالح بن كيسان عن سعيد بن المسيّب قال : نظر رسول الله ﷺ إلى عثمان فقال : «هذا التَّقيّ المؤمن الشهيد شبيهُ إبراهيم» .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عتبة بن جَبيرة عن الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ عن محمد بن لبيد أنّه رأى عثمان على بغلة عليه ثوبان أصفران وراءَه غديرتان .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٠ .

٢ ـ سورة الذاريات ـ الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ .

حدثني محمد بن سعد عن خالد بن مَخْلَد عن الحكم بن الصَلْت عن أبيه قال : رأيت عثمان وعليه خميصة سوداء وهو مخضوب بالحنَّاء[١] .

المدائني عن شعبة عن حصين قال : قلت لأبي وائل : أعليٌّ أفضل أم عثمان ؟ قال : عليٌّ إلى أن أحدث ، فأمَّا الآن فعثمان .

وحدثني محمد بن سعد حدثنا عفَّان بن مسلم حدثنا يزيد بن هارون عن ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن سعد قال : رأيت عثمان على بغل مُصَفِّراً لحيته .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن محمد عن ثابت بن عجلان عن سُليم أبي عامر قال : رأيت على عثمان بُرْداً ثمنه مائة دينار[٢] .

حدثنا عفَّان حدثنا حمَّاد بن سَلَمة أنبأنا عبدالله بن عثمان بن خُثيم حدثنا إبراهيم عن عكرمة عن ابن عبَّاس في قول الله عزّ وجلّ ﴿هلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[٣] قال : عثمان بن عفَّان .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سَبْرة عن مروان بن أبي سعيد قال : حدثني الأعرج عن محمد بن ربيعة بن الحارث قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يوسعون على نسائهم في اللباس الذي يُصان ويُتجمَّل به ، ثم يقول : رأيت على عثمان مُطْرف خزٍّ ثمَّنته مائة دينار ، فقال : هذا لنائله ، كسوتُها إيَّاه فأنا ألبسه لأسرّها بذلك[٤] .

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٧ .

٢ - في ابن سعد ج ٣ ص ٥٨ : برداً يمانياً ثمن مائة درهم» .

٣ - سورة النحل - الآية : ٧٦ .

٤ - بهامش الأصل : مائتي ، وفي ابن سعد ج ٣ ص ٥٨ : «مائتي درهم»

حدثنا عبدالله بن صالح عن ابن أبي الزِناد عن أبيه قال : كان عثمان يتختَّم في اليسار .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده قال : كان عثمان رَبْعة ليس بالطويل ولا القصيرِ حسنَ الوجه رقيق البَشَرة كثُّ اللحية أسمر اللون عظيم الكراديس بعيدَ مابين المنكبين كثير شعر الرأس يصفِّر لحيته[1] .

حدثنا محمد بن الصبّاح البزّاز حدثنا هُشيم بن بَشير عن حصين [عن عمرو] بن جاوان عن الأحنف بن قيس قال : رأيت على عثمان مُلاءة صفراء .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن واقد بن أبي ياسر أنّ عثمان كان قد شدّ أسنانه بالذهب ، قال واقد بن أبي ياسر : وأخبرني عبيدالله بن أبي دارة أنّه كان بعثمان سَلَس البول فكان يتوضّأ لكلّ صلاة[2] .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد وأحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي قالا : أنبأنا أبو أُسامة حمَّاد بن أُسامة عن عليّ بن مَسعَدة الباهلي عن عبدالله الدومي قال : كان عثمان يَلي وضوء الليل بنفسه فقيل له : لو أمرتَ بعضَ الخدَم لكفاك ، فقال : الليل لهم يستريحون فيه .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا عفَّان أنبأنا وهيب بن خالد عن يونس عن الحسن قال : رأيت عثمان بن عفَّان نائماً في المسجد متوسّداً رداءَه[3] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٨ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٨ .
٣ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٠ .

حدثنا خَلَف بن هشام البزّار حدثنا هُشيم أنبأنا محمد بن قيس عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان على المنبر يوم الجمعة والمؤذّنون يؤذّنون وهو يحدّث الناس ويستخبرهم عن أسعارهم وأخبارهم ومَرْضاهم .

ورورى الواقدي في إسناده عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان على المنبر ، فذكر نحوه وزاد فيه : فإذا سكت المؤذّن قام فتوكأ على عصاً له عقفاء وخطب وهي بيده ثم يجلس جلسته فيبتدىء كلام الناس فيسألهم كمسألته الأولى ثم يقوم فيخطب ويُقيم المؤذّنون .

حدثنا عفان حدثنا سُليم بن أخضر عن ابن عون عن ابن سيرين قال : كان عثمان أعلمهم بالمناسك وبعده ابن عمر .

وحدثنا عفّان بن مسلم ، حدثنا وُهيب بن خالد ، أنبأنا خالد الحذّاء ، حدثني أبو قِلابة عن أنس بن مالك قال:قال رسول الله ﷺ : «أصدق[1] أُمّتي حياءً عثمان» .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا عبدالله عن نُمير عن قيس عن أبي إسحاق عن رجل سمّاه قال : رأيت رجلاً طيِّب الريح نظيف الثوب قائماً يصلِّي إلى الكعبة وغلام خلفه كلّما تعايا فتح عليه فقلت : من هذا ؟ قالوا : عثمان[2] .

حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي شيبة حدثنا زيد بن الحُباب أنبأنا ابن لَهيعة عن يزيد بن عمر المَعافري قال : سمعت أبا ثور الفَهْمي يقول : قال عبد الرحمن بن عُديس البَلَوي وكان ممّن بايع تحت الشجرة : دخَلْنا على عثمان وهو محصور فقال : إني رابع الإسلام .

١ ـ بهامش الأصل : «أشد» .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧٦ .

محمد بن أبان والمدائني عن أبي هلال عن قتادة قال : قال رجل بالكوفة : أشهد أنّ عثمان قُتل شهيداً ، فأُتي به عليٌّ عليه السلام فقال له عليّ : وما علّمك ؟ قال : فأنت تعلم ، أتيتُ رسول الله ﷺ وأنت حاضر فسألته فأعطاني ، وسألت أبا بكر فأعطاني ، وسألت عمر فأعطاني ، وسألت عثمان فأعطاني ، فقلت للنبي ﷺ : ادعُ لي بالبركة ، فقال : «وكيف لا يبارك الله لك إنما أعطاك نبيّ أو صدّيق أو شهيد» .

وحدثنا خَلف البزّار حدثنا أبو شهاب عن خالد عن أبي قِلابة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «أرحمُكم أبو بكر ، وأشدُّكم في الدين عمر ، وأقرؤكم أُبَيّ ، وأصدقكم حياءً عثمان ، وأعلمكم بالحلال والحرام مُعاذ بن جَبَل ، وأفرضُكم زيد بن ثابت ، ألا وإن لكلّ أُمة أميناً وامينُ هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجرّاح» .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا يحيى بن الحجّاج عن أبي مسعود الجُريري عن ثُمامة بن حزن[1] القُشيري قال : أشرفَ عثمان من داره علينا فقال : ائتوني بصاحبَيْكم اللّذَيْنِ ألّباكم عليّ ، قال : فجيء بهما كأنّهما حماران فقال : أنشدكما الله هل تعلمان أنّ رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء مستعذَب إلّا بئر رُومة فقال : «مَنْ يشتري بئر رومة فيجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين بِخَيْرٍ له منها الجنّة» ؟ فاشتريتها من صُلب مالي ؟ قالا : اللهمّ نعم ، قال : فأنشدكما الله والإسلامَ هل تعلمان أنّ المسجد ضاق بأهله ، فقال رسول الله ﷺ : «من يشتري بقعة آل فلان لتُزاد في المسجد بخيرٍ له

١ ـ بالأصل «ابن حرب» وهو تصحيف ، انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ـ عثمان بن عفان ـ ط . دمشق ١٩٨٤ ص ٣٣٩ . تهذيب التهذيب لابن حجر (مادة ثمامة) .

منها الجنَّة» ؟ فاشتريتها من صلب مالي ؟ قالا : اللهمّ نعم ، قال : فأنشدكما الله هل تعلمان أنّي جهَّزت جيش العُسرة من مالي ؟ قالا : اللهم نعم ، قال : أنشدكما الله هل تعلمان أنّ رسول الله ﷺ كان بثَبير - أو قال بِحراء - فتحرّك الجبل حتى تساقطت حجارته إلى الحضيض فركضه برجله فقال : «اسكُنْ ، فما عليك إلا نبي أو صدّيق أو شهيد» ؟ قالا : اللّهم نعم[1] .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ومحمد بن حاتم بن ميمونَ قالا : حدثنا عبدالله بن ادريس قال : سمعتُ حصيناً يذكر عن عمرو بن جأوان عن الأحنف بن قيس قال : قدمنا حاجِّين فإنّا لَبِمنى[2] إذ أتى آتٍ فقال : إنّ الناس قد اجتمعوا في المسجد ، فانطلَقْنا فإذا الناس مجتمعونَ على نَفَر في وسط المسجد ، وإذا عليٌّ والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقّاص ، قال : فإنّا كذلك إذ جاء عثمان وعليه مُلاءةٌ صفراءُ قد قنَّع بها رأسه فقال : أَنشدكم الله الذي لا إله إلا هو ، أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال : «من ابتاع مِرْبَد بني فلان غفر الله له» ، فابتعته له بعشرين - أو قال : بخمسة وعشرين - ألفاً فقال : «اجعَلْه في مسجدنا وأجرُه لك» ؟ قالوا : نعم ، قال أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال : «من ابتاع بئر رُومة غفر الله له» ، فابتعتها بكذا وكذا ، فقال : «اجعَلْها سقاية للمسلمين وأجرُها لك» ، قالوا : اللهمَّ نعم ، قال : أنشدكم الله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم فقال : «من جهَّز هؤلاء - يعني جيش العُسرة - غفر الله له» ، فجهَّزتهم حتى

---

١ - ورد هذا الخبر مع أخبار مماثلة في تاريخ دمشق - نفسه - ص ٣٣٤ - ٣٤٣ .
٢ - في ابن عساكر ص ٣٣٤ - ٣٣٥ «بالمدينة» .

لم يفتقدوا عِقالاً ولا خِطاماً ؟ قالوا : نعم ، قال اللهمّ اشهَد ، اللهمّ اشهَد ، اللهمّ اشهَدْ .

وحدثني عمر بن بكير عن هشام ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عبَّاس قال : تدارَأ[1] عثمان والزبير في شيءٍ فقال الزبير : أنا ابن صفيَّة ، فقال عثمان : هي أَدْنتك من الظلّ ، ولولا هي كنتَ ضاحياً .

حدثني رَوْح بن عبد المؤمن المقرىء حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا قرّة بن خالد عن محمد بن سيرين قال : جمع عثمان القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، يقول : حفظه .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن مسلم بن يسار قال : جمع عثمان القرآن على عهد عمر ، قال الواقدي : وهذا أثبتُ ما رُوي .

حدثنا شيبان بن فَرُّوخ الأُبُلِّي حدثنا سلام بن مسكين وأبو هلال قالا : حدثنا محمد بن سيرين قال : قالت امرأة عثمان حين أرادوا قَتْلَه : إن تقتلوه أو تَدَعوه فقد كان يُحيي الليل بركعة يختم فيها القرآن .

حدثني الحسين بن عليّ بن الأسود أنبأنا أبو أسامة عن محمد بن عمرو عن محمد بن إبراهيم عن عبد الرحمن التَيْمي قال : قمت في الحِجْر فقلت : لا يغلبني عليه أحد الليلة ، فجاء رجل من خلفي فغمزني ، فأبيتُ أن ألتفت ، ثم غمزني فأبيت أن التفت ، ثم غمزني الثالثةَ فالتفتُّ ، فإذا عثمانُ ، فتأخّرتُ عن الحِجْر ، فقرأ القرآن في ركعة ثم انصرف[2] .

---

١ ـ تدارأوا : تدافعوا في الخصومة . القاموس .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧٦ .

حدثنا شيبان الآجُرّي حدثنا عقبة بن الأصمّ قال ، سمعت الحسن يقول : أعطى رسول الله ﷺ عثمانَ من غنيمة بدرٍ ولم يشهد القتال ، تخلَّفَ على رُقيَّة .

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام حدثنا شعيب بن حرب حدثنا عبيد بن بُخْت حدثنا رِبْعيّ بن حِراش قال : قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطَّاب : «ألا أدلُّك على خَتَنٍ خير لك من عثمان وأدلّ عثمان على ختن خير له منك» ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : «زوِّجْني ابنتك وأزوّج ابنتي من عثمان» .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي قال ، حدثتني أُمّ غُراب جدّة عليّ بن غراب عن بُنانة أنّ عثمان كان يتنشَّف إذا توضّأ بعد الوضوء ، فكنت أجيئه إذا تنشَّف بثيابه فقال : لا تنظري إليّ فإنّه لا يحِلّ لك ، وعليه حُلَّة صفراء كانت لامرأته ؛ قالت : وكان لحيته بيضاء .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة قال : أعطى عثمانُ طلحةَ في خلافته مائتي ألف دينار .

حدثني خَلف البَزار حدثنا عبد الوهّاب عن عطاء عن سعيد بن أبي عَرُوبة عن ابن أخي مُطرِّف بن عبدالله بن الشِخِّير عن مُطَرِّف قال : لقيت عليّاً يوم الجَمَل ، فأسرع إليَّ بدابّته فقلت : أنا أحقُّ أن أُسرع إليك ، فقال : أحسبُ عثمانَ منعك من إتياننا ، فأقبلتُ أعتذر إليه فقال : لئن أُحبَبْتَهُ لقد كان أبرَّنا وأوصلنا .

حدثني عبدالله بن صالح وأبو نصر التمّار أخبرني شَريك أخبرني بعض آل حاطب عن أبيه قال : رأيت على عثمان قُوهيّاً وهو على المنبر .

وحدثنا محمد بن سعد حدثنا خالد بن مَخْلَدَ عن إسحاق بن يحيى بن طلحة عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان وعليه ثوبان مَمصَّران[١] .

المدائني عن عبد الحميد بن مِهْران عن أبيه قال : دخل على سالم بن عبدالله بن عمر رجلٌ ، وكان ممّن يحمد عِليّاً ويذمّ عثمان ، فذكر له فضائل عثمان ثم قال : غزا رسول الله ﷺ غزاة تبوك فلم يلقَ في غزاة من غزواته ما لقي فيها من الظَمَأ والمَخْمَصة ، فاشترى عثمان طعاماً وأُدماً وما يصلح للنبي ﷺ والمؤمنين ، فنظر إليه النبي ﷺ وهو مقبل فرفع يديه وقال : «اللهمّ إنّي راضٍ عنه فارْضَ عنه» ، ثلاثاً .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي قال : أتى عثمان منزل عائشة فسأل عن رسول الله ﷺ فقالت : ذهب يبتغي لأهله قُوتاً فإنّه ما أُوقد في أبياته نار منذ سبعة أيّام ، فقال : رحمك الله أفلا تُعلميني إذا كان مثل هذا ؟ ورجع فبعث بطعام وشاة إلى كلّ بيت . فلما رجع رسول الله ﷺ قال : ما هذا يا عائشة ؟ قالت : بعثَ به عثمان ، فقال : ابعثي منه إلى النسوة ، فقالت : ما منهنّ امرأة إلاّ أتاها مثل هذا ، فرفع يديه وقال «اللهمّ لا تنسَها لعثمان» .

حدثني وهب بن بَقِيَّة عن يزيد بن العَوام بن حَوْشب قال : قال محمد بن حاطب لعليّ : إنّ هؤلاء سيسألونا عن عثمان غداً فما نقول ؟ قال : نقول : كان من الذين ﴿آمنوا وعَمِلُوا آلصَّالِحاتِ ثُمَّ آتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ آتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾[٢]

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٥٧ ـ ٥٩ . الممصر : المصبوغ بالأحمر . القاموس .
٢ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٩٣ .

حدثني أبو عمر الدُوري المقرىء عن عبَّاد بن عبَّاد المهلَّبي عن هشام بن عروة عن عروة قال : أوصى عثمان ولم يتشهَّد في الوصيَّة ؛ قال عبَّاد : إن يتشهَّد الرجل فحسنٌ ، وإن لم يتشهَّد فلا بأس .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا خالد بن مخلد عن إسحاق بن يحيى بن طلحة قال : قال رجل لعثمان : إنك لأجمل الناس ، قال : ذاك رسول الله ﷺ .

حدثنا عمرو الناقد حدثنا قَبيصة بن عقبة عن سفيان الثوري قال : بلغني أنّ عثمان كان إذا وُلد له ولدٌ دعا به وهو في خِرْقة فشمَّه ، فقيل له : لِمَ تفعل هذا ؟ قال : أُحبّ إن أصابه شيء أن يكون قد وقع له في قلبي شيءٌ ، يعني من الحبّ والرِقّة .

المدائني عن أبي اليقظان عن أبي المِقْدام ، قال : بعث رسول الله ﷺ إلى عثمان بشيء ، فأبطأ الرسول بالانصراف ، فلما رجعَتْ إليه قال : «أراكِ جَعَلْتِ تنظرين إلى عثمان ورُقَيَّة أيّهما أحسن» .

حدثني عَلان الورّاق عن الجُمَحي عن ابن دأب ، قال : كان سعيد بن يربوع بن عَنْكَثة المَخْزُومي يقول : دخلت وأنا غلام ومعي طائر أُريد أن أُرسله وذلك في الهاجرة وإذا شيخ نائم تحت رأسه لِبْنة ، فجعلت أنظر إليه متعجباً من حسنه ، ففتح عينه فقال : مَن أنت يا غلام ؟ فأخبرتُه ، فدعا لي بألف درهم وحُلَّة ، فأمر فأُلبستُ الحُلَّة وأُعطيت الألف الدرهم ، فرجعت إلى أبي فأخبرته ، فقال : يا بُنّي هذا أمير المؤمنين عثمان .

حدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن أبيه عن أشياخهم أنّ عبدالله بن الزبير قال : لَقِيَني قوم ممّن يطعن على عثمان فحاجّوني فحدّثتُهم

بسيرة أبي بكر وعمر وما كان منهما ممّا لم يُعَبْ وعِيبَ على عثمان فحججتُهم حتى كأنّهم صبيانٌ يمضغون سُخُبهم[١] .

وحدثني وهب بن بقيَّة عن يزيد بن هارون عن القاسم الحُدّاني عن أبي سعيد أخي محمد بن زياد قال : قال عليّ : أنا والله على أَثَرِ الذي أتى عثمانُ ، لقد سبقتْ له في الله سوابقُ لا يعذّبه بعدها أبداً .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزِناد عن أبيه أنّ رجلاً كان آنساً بعثمان ، وكان الرجل من ثقيف ، فحُدَّ في الشراب ، فقال له عثمان : لن تعود والله إلى مجلسي والخلوة معي ما لم يكن لنا ثالثٌ .

حدثني عمرو الناقد حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق عن عوف عن محمد بن سيرين قال : قال عليّ بن أبي طالب : إنّي لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممّن قال الله : ﴿ونَزَعْنَا مَا في صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِين﴾[٢] .

وحدثني عمرو الناقد عن عمرو بن عاصم عن جعفر بن أبي وَحْشِيَّة أبي بشر عن يوسف بن سعيد مولى حاطب عن محمد بن حاطب ، وكان قدم البصرة مع عليّ ، أنّ عليّاً ذكر عثمان فقال ومعه عُود يَنْكُت به ﴿إِنَّ ٱلذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلْحُسْنَىَ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُون﴾[٣] أُولئك عثمان وأصحاب عثمان .

---

١ ـ السخب : قلادة من سك وقرنفل ومحلب بلا جوهر ، ومضغهم لها دليل على حيرتهم . القاموس .

٢ ـ سورة الحجر ـ الآية : ٤٧ .

٣ ـ سورة الأنبياء ـ الآية : ١٠١ .

المدائني عن الحسن بن دينار عن ابن سيرين عن أبي موسى الأشعريّ ، أو عبدالله بن عمرو بن العاص ، أنَّ النبيّ ﷺ كان في حائط مدّلياً رجله في بئر، فاستأذن أبو بكر فقال: «ائذنْ له وبَشرِّه بالجنَّة»، فدخل فدلّى رجله في البئر؛ ثم جاء عمر فقال: «ائذن له وَبشِّرْه بالجنَّة»، فدخل فدلّى رجله في البئر أيضاً ؛ ثم جاء عثمان فقال النبيّ ﷺ : «ائذن له وبشِّرْه بالجنَّة على بَلْوى شديدة ستناله» ، فدخل وعيناه تذرفان .

المدائني عن الأسود بن شيبان عن ابن سيرين قال : قالت عائشة : دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ وهو مضطجع وعليه ثوبه فقضى حاجته وخرج ، ودخل عمر فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء عليّ فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء عثمان فجلس له رسول الله ﷺ ، فقلتُ له : لم تصنع هذا بأحد ، فقال : «إنّ عثمان شديد الحياءِ ولو رآني على تلك الحال لانقبض عن حاجته وقصَّر فيها» .

المدائني عن عبَّاد بن راشد عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «من يجهِّز هذا الجيش - يعني جيش العُسرة - بشفاعة متقبَّلة» ؟ فقال عثمان : يا رسول الله بشفاعة متقبلَّة ؟ قال : «نعم عَلَى الله ورسوله» ، قال : أنا ، فجهَّزهم بسبعين ألفاً .

وفي حديث آخر أنّ النبيّ ﷺ قال : «كيف لا أستحيي ممّن تستحيي منه الملائكة» ؟

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام حدثنا شعيب بن حرب أنبأنا إسرائيل أنبأنا أبو إسحاق عن حارثة بن مضرِّب قال : حججتُ مع عمر فسمعت الحادي يقول :

إِنَّ الأَمِيرَ بَعْدَهْ ابْنُ عَفَّانْ

وحدثني أحمد بن هشام ، حدثنا وكيع بن الجَرّاح عن الأعمش عن أبي صالح قال : كان الحادي يحدو لعثمان فيقول :

إِنَّ الأَمِـيرَ بَعْـــدَهُ عَـلِيٌّ وفي الـزُّبَـيْرِ خَلَفٌ رَضِيٌّ

فقال كعب : لا بل هو صاحب البغلة الشهباء ـ يعني معاوية ـ فأتى معاوية كعباً فقال : يا أبا اسحاق أنّى يكون هذا وهؤلاء أصحاب النبيّ ﷺ ؟ قال : أنت صاحبها يا أبا عبد الرحمن .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا حمّاد بن أُسامة أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي سَهْلَة مولى عثمان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه : «وددتُ أنّ عندي بعض أصحابي ، فقلت : يا رسول الله ، أندعو لك أبا بكر ؟ فاسكت ، فقلت : أندعو لك عمر ؟ فأسكت ، فقلت : أندعو لك عثمان ؟ قال : نعم ، فدعوته ، فلما أقبل أشار رسول الله ﷺ أن تَباعَدي . وجاء عثمان فجلس فجعل رسول الله ﷺ يقول له قولاً ولونُ عثمان يتغيّر ، فلما كان يوم الدار قيل لعثمان : ألا تقاتل ؟ فقال : إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً وأنا صائر إليه» ؛ قال أبو سهلة : فيرَوْن أنّه ممّا كان قال له ذلك اليوم .

المدائني عن يزيد بن عِياض عن ابن جُعْدُبة عن صالح بن كيسان قال : كان عثمان محبَّباً في قريش ، قال القائل :

أُحِبُّكَ والرحمنْ حُبَّ قُرَيْشٍ عُثمانْ إذا دعا بالميزانْ

حدثنا عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن خالد بن سعيد الأموي قال : تزوّج سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة هند بنت الفَرافِصة[١] بن الأحوص الكلبي ، فبلغ ذلك عثمان فكتب إليه إن كان لها أُخت أن يخطبها عليه ، فبعث سعيد إلى الفَرافِصة بن الأحوص الكلبي ، وكان نصرانيّاً ، أن زوّج أميرَ المؤمنين ابنتَك فقد ذكرها ، فقال لضبّ بن الفرافَصة : زوِّجْها أمير المؤمنين فإنك على دينه ، فزوّجه نائلة ؛ وقال لها الفَرافِصة : إنّكِ تقدمين على نساء من قريش هُنّ أقدر على العطر منك فلا تُغْلَبي على الكحل والماء ، تَطَهَّري حتى يكون ريحك ريح شَنَّةٍ أصابها قَطْر ، فقالت حين حُملت إلى المدينة :

أَلَستَ ترى يا ضَبُّ بِالله أَنَّني مُصاحبةٌ نَحْوَ المَدينَـةِ أَرْكُبا
أُريدُ أميرَ المُؤمِنينَ أَخا التُّقى وخَيْرَ قُرَيْشٍ مَنْصِباً ثمَّ مَرْكَبا

وكان عثمان مَهَرَها عشرة آلاف درهم وأعطاها كيسانَ أبا سليم وامرأتَه رُمّانة ، وهي من سَبَيْ كِرْمان ، فأعتقتها نائلة وهو خرج معها الى الشام بعد عثمان ، ويقال إنّه من موالي كلب ، قدم معها ثم خرج الى الشام معها . فلما دخلت على عثمان جلس على سرير وأُجلست على سرير ثم وضع قلنسوته فبدت صلعته فقال : لا تكرهِن ما ترَيْنَ من صلعي فإنّ وراءه ما تحبِّين ، فقالت : إنّي من نسوةٍ أَحَبُّ بعولتهنّ إليهنّ الشيخُ السيِّد ، قال : إمّا أن

---

١ ـ بهامش الأصل : «قال ابن ماكولا : قال ابن حبيب : كل اسم في العرب فرافصة فهو مضموم الفاء إلا الفرافصة بن الحارث بن الحصين الكلبي» . الإكمال لابن ماكولا ج ٧ ص ٦٤ ـ مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ـ ط . الرياض ١٩٨٠ ص ٢٣٣ . وفي هذين المصدرين «ابن حصن الكلبي» .

تقومي إليَّ أو أقوم أليكِ، قالت: ما تجشّمتُ من مسافة السَماوة أبْعَدُ من عَرْض البيت ، ثم قامت فجلست الى جانبه فمسح رأسها ودعا لها ثم قال : اطرحي ملحفتك ، فطرحتها ، ثم قال : اطرحي خمارك ، فطرحته ، ثم قال : اطرحي درعك ، فطرحته ، ثم قال : اطرحي إزارك ، فقالت : أنتَ وذاك ، فلم تزل عنده حتى قُتل ، فلما دخل عليه أهل مصر ، وكانت عظيمة العَجيزة، ضرب رجل منهم بيده على أَلْيَتها فقالت: أشهدُ أنّك فاسق وأنك لم تأْتِ غضباً لله ولا مُحاماةً عن الدين ، وذهب بعضُهم ليضرب عثمان فاتّقَتْه بيدها فقطع السيف إصبعَيْنْ من أصابعها ، وولدت لعثمان مريم ، فتزوّجها عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، وكانت مريم سيِّئة الخُلق، فكانت تقول له : جئتك بَرْداً وسلاماً ، فيقول : قد أفسد بَرْدَك وسلامَكِ سوءُ خلقك ، وخطب معاوية نائلة وألحّ عليها ، فنزعت ثنيَّتَيْن من ثناياها فأمسك عنها ، وولدت لعثمان أمّ أبان وأمّ خالد وأَرْوَى أيضاً ، وقالت نائلة حين قُتل عثمان :

وما لِيَ لا أبْكي وأَبْكي قَرابَتي ... وقد نُزِعَتْ مِنَّا فُضولُ أَبي عَمْرِو
إذا جِئْتَهُ يَوْماً تُرَجِّي نَوالَهُ ... بَدَتْ لَكَ سيماهُ بِأَبْيَضَ كَالبَدْرِ

قال : وكان جُنْدَب بن عمرو بن حُمَمَة الدَوْسي قدم المدينة مهاجراً ، ثم أتى الشام غازياً وخلَّف ابنته عند عمر بن الخطّاب وقال : إن حدث بي حدثٌ فزوِّجها كفوءاً ولو بشِراكِ نعله ، فكان يدعوها ابنتي وتدعوه أبي ، فلما استُشهد أبوها قال عمر : مَن يتزوّج الجميلة الحسيبة ؟ فقال عثمان : أنا ، فزوّجه إيّاها على صداق بذله ، فأتاها به عمر فوضعه في حجرها ، فقالت : ما هذا ؟ قال مَهْرك ، فنفحت به ، فأمر حفصة فأصلحت من شأنها ،

ودخل بها عثمان فولدت له . وكان يقول : ما شيء أحببته في امرأة إلا وهو فيها .

وتزوّج عثمان رضي الله تعالى عنه ابنة شَيْبة بن ربيعة على ثلاثين ألفاً ، ويقال أربعين ألفاً .

وتزوّج ابنةَ خالد بن أُسيد على أربعين ألفاً .

وتزوّج أمّ عبدالله بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على ثلاثين ألفاً .

وخطب فاطمة بنت عمر الخطّاب رضي الله تعالى عنه، بعد وفاة عمر، وأصدقها مائة ألف ، فقال ابن عمر : إنّ ابن عمّها أحقّ بها ، فزوّجها عبدَ الرحمن بن زيد بن الخطّاب .

وتزوّج ابنة عُيَيْنة على خمسمائة دينار .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عمّن حدّثه عن حسين بن عبدالله بن عبدالله بن عبّاس عن أبيه عن عبدالله بن عبّاس أنّ عثمان شكا عَليّاً الى العبّاس فقال له : يا خال إنّ علِيّاً قد قطع رَحِمي وألّب الناسَ عليَّ ، والله لِئن كنتم يا بني عبد المطّلب أقررتم هذا الأمر في أيدي بني تَيْم وعَدِيّ فبنو عبد مناف أحقّ أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسدوهم عليه ، قال عبدالله بن العبّاس : فأطرق أبي طويلاً ثم قال : يا ابن أختِ ، لئن كنت لا تحمد عَلِيّاً فما نحمدك له ، وإنّ حقّك في القرابة والإمامة لَلحقُّ الذي لا يُدْفَعُ ولا يُجحد ، فلو رقَيْتَ فيما تطأطأ أو تطأطأت ما يرقى تقاربتما ، وكان ذلك أوصل وأجمل ، قال : صَيّرتُ الأمرَ في ذلك إليك ، فقرِّب الأمر بيننا ، قال : فلما خرجنا من عنده دخل عليه مروان فأزاله عن رأيه فما لبثنا أن جاء

أبي رسولُ عثمان بالرجوع إليه ، فلما رجع قال : يا خالِ ، أُحبّ أن تؤَخِّر النظر في الأمر الذي ألقيتُ إليك حتى أرى من رأيي ، فخرج أبي من عنده ثم التفتَ إليّ فقال : يا بُنيّ ، ليس الى هذا الرجل من أمره شيءٌ ، ثم قال : اللهمّ اسبقْ بي الفِتَنَ ولا تُبْقِني الى ما لا خير لي في البقاء إليه ، فما كانت جمعة حتى هلك .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرقي ، حدثني أبو داود الطيالسي عن شعبة عن عمرو بن مُرّة عن ذَكْوان عن صُهيب مولى العبَّاس انّ العبَّاس قال لعثمان : أُذكرك الله في أمر ابن عمّك وابن خالك وصهرك وصاحبك مع رسول الله ﷺ ، فقد بلغني أنّك تريد أن تقوم به وبأصحابه ، فقال : أوّل ما أُجيبك به أنّي قد شفّعتك ، إنّ علِيّاً لو شاء لم يكن أحد عندي إلا دُونَه ، ولكنّه أبى إلا رأيه ، ثم قال لعليّ مثل قوله لعثمان فقال عليّ : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت .

وجدت في كتابٍ لعبدالله بن صالح العِجْلِي : ذكروا أنّ عثمان نازع الزبير ، فقال الزبير : إن شئتَ تَقَاذَفْنا ، فقال عثمان : بماذا ؟ بالبعر يا أبا عبدالله ؟ قال : لا والله ولكن بطَبْعِ خَبَّابٍ وريش المُقْعَد ، وكان خبَّاب يطبَع السيوف وكان المقعد يَريش النَبْل .

حدثني عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه محمد بن السائب عن محمد بن سهل بن سعد الساعدي قال : تنازع عليّ وطلحة في شِرْب ، فكان عليّ يحبّ إقراره وكان طلحةُ يحبّ إبطاله ، فاختصما الى عثمان ، فركب معهما الى الشِرْب ، ووافاهم معاوية قادماً من الشام فأدركته المنافيَّة فقال : إن كان هذا الشرب مُقَرّاً في خلافة عمر فمن ذا يغيّر شيئاً أقرّه عمر ؟ فلَقِنَها

عثمان فقال : هذا شِرْبٌ لم يغيّره عمر ولسنا بمغيّري ما أقرّه عمر ، فقال طلحة : وماذا الذي أنت عليه من أمر عمر؟

المدائني قال : وقع بين سالم بن دارة ـ وهي أُمُّهُ وأبوه مُسافِع بن عقبة من بني عبدالله بن غَطَفان ـ وبين زُمَيْل بن أُبَيْر الفَزاري ـ وهو ابن أُمّ دينار ـ كلامٌ ، فضربه فجرحه زُميل ، فأُدخل المدينة وحُمل الى عثمان ، فأمر عثمان الطبيبَ فنظر إليه فقال : لا عمق للجِراحة ، فأمر أن يداوى ، فدسّت ابنة عُتَيْبة امرأة عثمان الى الطبيب دنانير فذَرّ على جرحه سمّاً فانتقض فمات ، ويقال : أعطى منظورٌ الطبيبَ دينارَيْن فسمّ جرحه ، فقال لابيه وهو بالموت :

أَبلِغْ ابا سالِمٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً فلا تَكونَنَّ أَدْنَى القَوْمِ لِلْعارِ
لا تَأْخُذَنْ مِائَةً مني مُوَسَّمةً ولَوْ أَتاكَ بها يحذي[1] ابْنُ سَيَّارِ

١ ـ تحاذى القوم فيما بينهم : تقاسموا . وحذا الإبل : ساقها . القاموس .

أمر الشورى وبيعة عثمان رضي الله تعالى عنه :

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أنّ عمر رضي الله تعالى عنه قال : إنّ رجالاً يقولون إنّ بيعة أبي بكر كانت فَلْتة وقى الله شرّها ، وإنّ بيعة عمر كانت عن غير مشورة ، والأمر بعدي شورى ، فإذا اجتمع رأي أربعة فليتبع الاثنان الأربعة ، وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتبعوا رأي عبد الرحمن فاسمعوا وأطيعوا ، وإن صفّق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى فاتبعوه[1].

وحدثنا عبيدالله بن مُعاذ العنبري ، حدثنا أَبي ، أنبأنا شعبة ، أنبأنا قتادة عن سالم بن أبي الجَعْد عن مَعْدان اليَعْمُري انّ عمر بن الخطّاب خطب الناس يوم جمعة فذكر النبيّ ﷺ وأبا بكر ثم قال : إنّي رأيت كأنّ ديكا نقرني ولا أراه إلا حضور أجَلي ، وإن قوماً يأمرونني أن أستخلف ، وإن الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته والذي بعث به نبيَّه ، فإن عجل بي الأمرُ فالخلافة شورى بين هؤلاء الستَّة الذين تُوفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وقد

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦١ .

علمتُ أنّه سيطعن في الأمر أقوامٌ أنا ضربتهم بيدي على الإسلام ، فإنْ فعلوا فأولئك أعداء الله الضالّون .

وحدثني الحسين بن عليّ بن الأسود حدثنا عبيدالله بن موسى أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : كنت شاهداً لعمر يوم طُعن ، فذكر حديثاً طويلاً ثم قال : [قال عمر] : ادعوا لي عليّاً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص ، فلم يكلِّم أحداً منهم غير عليّ وعثمان ، فقال : يا عليّ ، لعل هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النبيّ ﷺ وصهرك وما أنالَك الله من الفقه والعلم، فإن وَلِيتَ هذا الأمر فاتّقِ الله فيه ، ثم دعا بعثمان فقال : يا عثمان ، لعلّ هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسِنَّك ، فإن وَليتَ هذا الأمر فاتّقِ الله ولا تحمل آل أبي مُعيط على رقاب الناس ، ثم قال : ادعوا لي صُهيباً ، فدُعي ، فقال : صلِّ بالناس ثلاثاً وليَخْلُ هؤلاء النفر في بيت ، فإذا اجتمعوا على رجل منهم فَمَن خالفهم فاضربوا رأسه . فلما خرجوا من عند عمر قال : إنْ وَلَّوْها الأجْلَح[1] سلك بهم الطريق ، قال ابن عمر : فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين ؟ قال : أكره أن أتحمَّلها حيّاً وميتاً .

حدثنا محمد بن سعد حدثنا الواقدي عن محمد بن عبيدالله الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عُتبة عن ابن عبّاس قال : قال عمر : لا أدري ما أصنع بأمّة محمد ـ وذلك قبل أن يُطعن ـ فقلت : ولم تهتمّ وأنت تجد من تستخلفه عليهم ؟ قال : أصاحبَكم ؟ يعني عليّاً ، قلت : نعم هو أهل لها

١ ـ أي الامام علي بن أبي طالب .

في قرابته برسول الله ﷺ وصهره وسابقته وبلائه ، فقال عمر : إنّ فيه بطالةً وفكاهة ، قلت : فأين أنت عن طلحة ؟ قال : فأين الزَهْو والنَّخْوة ؟ قلت : عبد الرحمن بن عوف ، قال : هو رجل صالح على ضَعْف فيه ، قلت : فسعد ، قال : ذاك صاحب مِقْنب وقتال لا يقول بقرية لو حُمِّلَ أمْرَها ، قلت : فالزبير ، قال لقسٌ[1] ، مؤمن الرضى ، كافر الغَضب ، شحيح ، إنّ هذا الأمر لا يصلح إلا لقويٍّ في غير عُنف ، رفيقٍ في غير ضَعف ، جوادٍ في غير سَرَف ، قلت : فأين أنت عن عثمان ؟ قال : لو وَلِيَها لحمل بني أبي مُعَيط على رقاب الناس ، ولو فعلها لقتلوه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن عبد الرحمن بن عبدالله عن أبيه قال : ذكر عمر من يستخلف فقيل : أين أنت عن عثمان ؟ قال : لو فعلتُ لحمل بني أبي مُعيط على رقاب الناس ، قيل : الزبير ، قال : مؤمن الرضى كافر الغضب ، قيل : طلحة ، قال : أنفه في السماء واسته في الماء ، قيل : سعد ، قال : صاحب مِقْنب ، قريةٌ له كثيرٌ ، قيل : عبد الرحمن ، قال : بِحَسبِهِ أن يُجْري أهل بيته .

حدثني محمدِ بنَ سعد عن الواقدي عن الثوري عن حصين عن عمرو بن ميمون أنّ عمر جعل الشورى الى ستّة وقال : عبدالله بن عمر معكم وليس معه من الأمر شيء[2] .

حدثنا هشام بن عمّار الدمشقي قال : سمعتُ مالك بن أنس يقول : قال عمر بن الخطّاب : من يدُلّني على رجلٍ بَرّ تقيّ أُوَلّيه ؟ فقال المغيرة بن

١ ـ اللقس : من يلقب الناس ويسخر منهم ، ومن لا يستقيم على وجه . القاموس .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ، ٣٤١ ـ ٣٤٤ .

شُعبة : أنا أدلّك عليه يا أمير المؤمنين ، قال : من هو ؟ قال : عبدالله بن عمر ، قال : قاتلك الله ، والله ما الله أرَدْتَ بها . قال هشام : وبلغنا أنّ عثمان لما ولي الخلافة قال له المُغيرة : أما والله لو ولي غيُرك ما بايعتُه ، فقال عبد الرحمن بن عوف ، كذبتَ يا أعور ، لو ولي غيره لبايعتَه ولقلتَ له مثل هذا القول .

وفي رواية الواقدي أنّ عمرو بن العاص تطاول ليدخل في الشورى فقال له عمر :اطمئنّ كما وضعك الله ،لا أجعل فيها أحداً حمل السلاح على نبي الله .

حدثنا محمد بن سعد حدثني شهاب بن عبادة حدثنا إبراهيم بن حميد عن ابن أبي خالد عن جُبير بن محمد بن جبير بن مُطعِم قال : أُخبرنا إنّ عمر قال لعليّ : إن وَليتَ من أمر الناس شيئاً فلا تحملنّ بني عبد المطّلب على رِقاب الناس ، وقال لعثمان : إن وليتَ من أمر الناس شيئاً فلا تحملنّ بني أبي مُعَيط على رِقاب الناس .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده أنّ عمر بن الخطّاب لما طُعن قال : ليُصَلِّ صُهيب ثلاثاً وتشاوروا في أمركم والأمر الى هؤلاء الستّة ، فمن نَغِلَ بأمركم فاضربوا عنقه[١] .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن نافع بن أبي نُعيم عن نافع عن ابن عمر قال : قال عمر : ليَتبع الأقلُّ الأكثر ، فمن خالفكم فاضربوا عنقه .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦١ .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده أنّ المِسَور بن مَخْرَمة قال : كان عمر بن الخطّاب وهو صحيح يُسأل أن يَستخلف فيأْبَى ذلك ، ثم صعد المنبر فتكلّم بكلمات ثم قال : إن مِتُّ فأمركم الى هؤلاء الستّة النفر فارقوا رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ : عليّ بن أبي طالب ، ونظيره الزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، ونظيره عثمان ، وطلحة ، ونظيره سعد بن مالك ، ألا وإني أُوصيكم بتقوى الله في الحُكْم والعدل في القَسْم .

وحدثني عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده أنّ عمر بن الخطّاب أمر صُهيباً مولى عبدالله بن جُدْعان حين طُعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار ، فلما دخلوا عليه قال لهم إنّي قد جعلتُ أمركم شورى الى الستَّة نفر المهاجرين الأوَّلين الذين قُبض رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ليختاروا أحدهم لإمامتكم ، وسمّاهم ، ثم قال لأبي طلحة زيد بن سهل الخَزْرَجي : اختَرْ خمسين رجلاً من الأنصار يكونون معك فإذا تُوُفِّيتُ فاستحثَّ هؤلاء النفر حتى يختاروا لأنفسهم وللأمّة أَحدَهم ولا يتأخرُنَّ عن أمرهم فوق ثلاث . وأمر صُهيباً أن يصلّي بالناس الى أن يتَّفقوا على إمام ، وكان طلحة بن عبيدالله غائباً في ماله بالسَّراة فقال عمر : إن قدم طلحة في الثلاثة الأيّام وإلا فلا تنتظروه بعدها وأَبرِموا الأمر واصرِموه وبايعوا من تتّفقون عليه ، فمن خالف عليكم فاضربوا عنقه ، قال : فبعثوا الى طلحة رسولاً يستحثُّونه ويستعجلونه بالقدوم فلم يَرِدِ المدينة إلا بعد وفاة عمر والبيعةِ لعثمان ، فجلس في بيته وقال : أَعَلَى مثلي يُفْتَأتُ ؟ فأتاه عثمان فقال له طلحة : إن رددتُ الأمر أَتَرُدُّه ؟ قال : نعم قال : فإنّي أَمضيتُه ، فبايَعَه ،

وقد قال بعض الرواة إنّ طلحة كانَ حاضراً لوفاة عمر والشورى ، والأوّل أثبت .

وقال أبو مخنف : أمر عمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل واثنان على رجل رجعوا في الشورى ، فإن اجتمعوا أربعةٌ على واحد وأباه واحدٌ كانوا مع الأربعة ، وإن كانوا ثلاثة [وثلاثة] كانوا مع الثلاثة الذين فيهم ابن عوف ، إذ كان الثقةَ في دِينه ورأيه المأمونَ على الاختيار للمسلمين .

وحدثنا محمد بن سعد والوليد بن صالح عن الواقدي عن إسماعيل بن إبراهيم من ولد عبدالله بن أبي ربيعة أنّ عبدالله قال : إن بايعتم علياً سمعنا وعصينا وإن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا ، فاتّقِ الله يا بن عوف .

وحدثاني عن الواقدي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أنّ عمر قال : إن اجتمع رأيُ ثلاثة وثلاثة فاتبعوا صِنْف عبد الرحمن بن عوف واسمعوا وأطيعوا .

وحدثني عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده أنّ عليّاً شكا إلى عمّه العبَّاس ما سمع من قول عمر «كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف» وقال : والله لقد ذهب الأمر منَّا ، فقال العبَّاس : وكيف قلت ذلك يا بن أخي ؟ فقال : إنّ سعداً لا يخالف ابنَ عمّه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن نظير عثمان وصهره ، فأحدهما لا يخالف صاحبه لا مَحالةَ ، وإن كان الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذ كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين ؛ وقال ابن الكلبي : عبد الرحمن بن عوف زَوْجُ أمّ كلثوم بنت

عقبة بن أبي مُعَيط ، وأمّها أَرْوَى بنت كُريز ، وأروى أمّ عثمان فلذلك قال صهره .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أبي بكر بن إسماعيل عن أبيه قال : كان طلحة بالسّراة في أمواله وَافَى الموسمَ ثم أتى أمواله وانحدر عمرُ ، فلما طُعن وذَكره في الشورى ، بُعث إليه رسولٌ مُسرع ، فأقبل مُسرعاً فوجد الناس قد بايعوا لعثمان ، فجلس في بيته وقال : مثلي لا يُفتأت عليه ، ولقد عجلتم وأنا على أمري ، فأتاه عبد الرحمن بن عوف فعظَّم عليه حُرْمَةَ الإسلام وخوّفه الفرقةَ .

حدثني محمد عن الواقدي عن محمد بن إسماعيل عن محمد بن زيد أنّ طلحة لما قدم أتاه عثمان فسلَّم عليه ، فقال طلحة : يا أبا عبدالله ، أرأيتَ إن رددتُ الأمر أتَرُدّه حتى يكون فينا على شورى ؟ قال عثمان : نعم يا أبا محمد ، قال طلحة : فإنّي لا أردّه ، فإن شئتَ بايعتُك في مجلسك وإن شئت ففي المسجد ، فبايعه ، فقال عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح : مازلت خائفاً لأن ينتقض هذا الأمر حتى كان من طلحة ما كان فَوَصَلَتْهُ رَحِمٌ . ولم يزل عثمان مُكْرِماً لطلحة حتى حُصر ، فكان طلحة أشدّ الناس عليه .

وقال الواقدي في إسناده ، قال عمر قبل أن يموت بساعة : يا أبا طلحة كن في خمسين من الأنصار من قومك مع أصحاب الشورى ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث من وفاتي حتى يؤمّروا أحدهم ؛ قال : فلما قُبض عمر وافى أبو طلحة في أصحابه فَلَزِم أصحابَ الشورى ، فلما جعلوا أمرهم إلى عبد الرحمن بن عوف ليختار لهم لزم بابَ عبد الرحمن حتى بايع عثمان .

وفي رواية أبي مخنف أنّ عليّاً خاف أن يَجتمع أمرُ عبد الرحمن وعثمان وسعد فأتى سعداً ومعه الحسن والحسين فقال له : يا أبا إسحاق إنّي لا أسألك أن تدع حقّ ابن عمّك بحَقّي أو تؤثرني عليه فتبايِعَني وتَدَعَهَ ، ولكن إن دعاك إلى أن تكون له ولعثمان ثالثا فأنْكِرْ ذلك فإنّي أُدْلي إليك من القَرابة والحقّ بما لا يُدْلي به عثمان ، وناشده بالقرابة بينه وبين الحسن والحسين وبحق آمنة أمّ رسول الله ﷺ ، فقال سعد : لك ما سألت ؛ وأتى سعدٌ عبدَ الرحمن فقال له عبد الرحمن : هُلمَّ فلنجتمع ، فقال سعد : إن كنتَ تَدعوني والأمر لك وقد فارقك عثمان على مُبايعتك كنتُ معك ، وإن كنت إنَّما تريد لعثمان فَعِليٌّ أحقّ بالأمر وأحبّ إليَّ من عثمان ؛ قال : وأتاهم أبو طلحة فاستحثّهم وألحّ عليهم ، فقال عبد الرحمن : يا قومُ أراكم تتشاحّون عليها وتؤخّرون إبرام هذا الأمر ، أفكلُّكم رحمكم الله يرجو أن يكون خليفةً ؟ ورأى أبو طلحة ما هم فيه فبكى وقال : كنت أظنّ بهم خلاف هذا الحرص ، إنَّما كنتُ أخاف أن يتدافعوها .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن موسى بن عقبة عن مكحول قال : لم يكن سعد في الشورى ؛ قال: وحدثني ابن أبي ذئب عن الزهري قال : لم يكن سعد في الشورى .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفِهري وابن جُعْدُبة انّ عمر أدخل ابنه عبدالله في الشورى على أنّه خارجٌ من الخلافة وليس له إلا الاختيار فقط ، قال أبو الحسن المدائني : ولم يجتمع على ذلك .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناد له قال : لما دُفن عمر أمسك أصحاب الشورى وأبو طلحَةَ يومَهم فلم يُحْدِثوا

شيئاً ، فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوشهم للمناظرة في دار المال ، وكان دَفْن عمر يوم الأحد وهو اليوم الرابع من يوم طُعن وصلَّى عليه صُهيب بن سِنان ؛ قال : فلما رأى عبد الرحمن طول تناجي القوم وتناظرهم وأنّ كلّ واحد منهم يدفع صاحبه عنها قال لهم : يا هؤلاء ، أنا أُخرج نفسي وسعداً من الأَمر على أن إختاروا معشر الأَربعةِ أحدكم ، فقد طال التناجي وتطلَّع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم واحتاج مَنْ أقام لانْتظار ذلك من أهل البلدان إلى الرجوع إلى أوطانهم ؛ فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلا علياً فإنّه قال : أَنْظْرِ . وأتاهم أبو طلحة فأخبره عبد الرحمن بما عرض وبإجابة القوم إيّاه إلا عليّاً ، فأقبل أبو طلحة على عليّ فقال : يا أبا الحسن ، إنّ أبا محمد ثقة لكوللمسلمين فما بالك تخالفه وقد عدل الأَمَر عن نفسه فلن يتحمَّل المأْثَم لغيره ؟ فأحلف عليٌ عبدَ الرحمن بن عوف أن لايميل إلى هوىً وأن يؤثر الحقَّ ويجتهد للأمّة وأن لا يُحابِيَ ذا قرابة، فحلف له ، فقال : آخْتَرْ مُسدَّداً ، وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المِسْوَر بن مَخْرَمة ، ثم إنّ عبد الرحمن أحلف رجلاً رجلاً منهم بالأَيمان المغَلظة وأخذ عليهم المواثيق والعهود أنّهم لا يخالفون إن بايع منهم رجلاً وأن يكونوا معه على مَن يناويه ، فحلفوا على ذلك ، ثم أخذ بيد عليّ فقال له : عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتُك أن لا تحمل بني عبد المطَّلب على رقاب الناس ولتسيرنّ بسيرة رسول الله ﷺ لا تحول عنها ولا تقصرٍ في شيء منها ، فقال عليّ : لا أحمل عهدَ الله وميثاقه على ما لا أدركه ولا يدركه أحدٌ ، مَن ذا يطيق سيرةَ رسول الله ﷺ ؟ ولكنّي أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد منّي وبما يمكنني وبقدر علمي ، فأرسل عبد الرحمن يده . ثم أحلف عثمانَ وأخذ عليه العهود والمواثيق أن لا يحمل بني

أميَّة على رقاب الناس ، وعلى أن يسير بسيرة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئاً من ذلك ، فحلف له ، فقال عليّ : قد أعطاك أبو عبدالله الرضا فشأْنَك فبايِعْهُ ، ثم إنّ عبد الرحمن عاد إلى عليّ فأخذ بيده وعرض عليه أن يحلف تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر ، فقال عليٌّ : عليَّ الاجتهادُ ، وعثمانُ يقول : ونَعَمْ ، عَلَيَّ عهدُ الله وميثاقُه وأشدُّ ما أَخَذَ على أنبيائه أن لا أخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر في شيء ولا أقصرِّ عنها ، فبايعه عبد الرحمن وصافقه وبايعه أصحاب الشورى . وكان عليّ قائماً فقعد ، فقال له عبد الرحمن : بايعْ وإلاَّ ضربتُ عنقك ، ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره ، فيقال إنّ عليّاً خرجَ مُغْضَباً فلحقه أصحابُ الشورى وقالوا : بايعْ وإلاَّ جاهدناك ، فأقبل معهم يمشي حتى بايع عثمان .

وحدثني عبَّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عبَّاس أنّ عليّاً أوّل من بايع عثمان من أصحاب الشورى بعد عبد الرحمن بن عوف ، لم يتلعثم .

محمد عن الواقدي عن محمد بن عبدالله بن جُبير عن خالد بن كيسان عن كثير بن عبَّاس ، قال : لما اسْتخلف عثمان دخل عليّ على العبَّاس فقال له : إنّي ما قدَّمْتُكَ قطّ إلا تأخّرتَ ، قلتُ لك : هذا الموت بَيِّنٌ في وجه رسول الله فتعالَ نسأَلْه عن هذا الأَمر ، فقلتَ : أتخوَّفُ أن لا يكون فينا فلا نُستخلَف أبداً ، ثم مات وأنت المنظور إليه ، فقلتُ : تعالَ أُبايِعْكَ فلا يُختْلَف عليك ، فأبيتَ ، ثم مات عمر فقلت لك : قد أطلق الله يديك فليس لأَحد عليك تَبِعَةٌ فلا تدخل في الشورى عسى ذلك أن يكون خيرا .

وقال الواقدي : قال العبَّاس لعليّ حين طُعن عمر : الزَمْ بيتك ولا تدخل في الشورى فلا يختلفُ عليك اثنان .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن سعيد المكتِّب عن سَلَمة بن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : رأيتُ أوّلَ مَن بايع عثمان : عبد الرحمن بن عوف ثم عليّ بن أبي طالب[1] .

حدثنا عفَّان بن مسلم ، حدثنا حَمّاد بن سَلَمة ، أنبأنا عاصم بن بَهْدَلَة عن أبي وائل أن عبدالله بن مسعود سار من المدينة إلى الكوفة حين اسُتخلف عثمانُ في ثمان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، فإنّ أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب مات فلم نَر يوماً كان أكثر نَشيجاً من يومه ، وإنّا اجتمعنا معشرَ أصحابِ محمد فلم نألُ عن خيرنا ذا فُوق فبايعنا عثمان بن عفَّان فبايِعوه .

حدثنا خلف بن هشام البّزار ، حدثنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن عبدالله بن سنان قال : قال عبدالله حين استُخلف عثمان : ما ألَوْنا أعْلانا ذا فُوق .

وحدثني محمد بن سعد عن أبي معاوية وعبيدالله بن موسى والفضل بن دُكين عن عبد الملك بن مَيْسَرَة عن النَزّال بن سَبْرة قال : قال عبدالله بن مسعود : استخلفنا خَيْرَ من بقي ولم نألُ[2].

وقال الواقدي في إسناده : بويع عثمان يومَ الاثنين لليلةِ بقَيت من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين واستقبل بخلافته المحرمَ سنة أربع وعشرين ،

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٢ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٢ ـ ٦٣ .

ووجه في سنة أربع وعشرين للحجّ عبد الرحمن بن عوف فحجّ بالناس ، ثم حجّ عثمان في خلافته كلّها عشر سنين إلى السنة التي حُوصر فيها ، ووجه في تلك السنة على الموسم وهي سنة خمس وثلاثين عبدَالله بن العبّاس بن عبد المطّلب فحجّ بالناس .

وحدثني محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي ، حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه أنّ عثمان لما بويع خرج إلى الناس فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس، إنّ أوّل مَرْكَب صَعْبٌ وإنّ بعد اليوم أيّاماً وإن أَعِشْ تأْتِكم الخطبة على وجهها فما كنّا خطباء وسيعلّمنا الله .

وروى أبو مخنف أنّ عثمان لما صعد المنبر قال : أيّها الناس ، إن هذا مقامٌ لم أُزَوِّرْ له خطبة ولا أعددت له كلاماً وسنعود فنقول إن شاء الله .

المدائني عن غِياث بن إبراهيم أنّ عثمان صعد المنبر فقال : أيّها الناس ، إنّا لم نكن خطباء وإن نَعِشْ تأْتِكم الخطبة على وجهها إن شاء الله ، وقد كان من قضاء الله أنّ عبيدالله بن عمر أصاب الهُرْمُزان ، وكان الهرمزان من المسلمين ولا وارثَ له إلا المسلمون عامةً وأنا إمامكم وقد عفوتُ أَفَتعفون ؟ قالوا : نعم ، فقال عليّ : أقدِ الفاسقَ فإنّه أتى عظيماً ، قَتَلَ مسلماً بلا ذنب ، وقال لعبيد الله : يا فاسق لئن ظفرتُ بك يوماً لأقتلنك بالهرمزان .

وقال الواقدي في رواية له : خطب عثمان الناس فقال : الحمد الله أحْمَده وأستعينه وأُومن به وأتوكّل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، من يُطِع الله ورسوله فقد

رشد ومن يَعْصِهما فقد غوى ؛ إنّي أيّها الناس قد وليت أمركم فأستعين الله ولو كنت بمَعْزِل عن الأمر كان خيراً لي وأسلَمَ، مضى قبلي صاحبايَ رحمهما الله فهما لي سَلَف وقدْوة فإنّما أنا متّبع ، وأرجو القوّة من القويّ العزيز ، فأدعوا لي بالله العون والتسديد ، فدعا الناسُ له ثم بايعوه .

وقال الواقدي في رواية له : خطب عثمان فقال : الحمد لله الذي لا ينبغي الحمد إلا له الحمدُ لله الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، أمّا بعد أيّها الناس ، فاتقوا الله في سرّ أمركم وعلانيته ، وكونوا أعواناً على الخير والبّر والصِلَة ولا تكونوا إخواناً في العلانية أعداءً في الستر فإنّا قد كنّا نَحْذَرُ أولئك ، مَن رَأى منكم منكَراً فليغَيّرْه فإن كان لا قوة له به فليرفَعْه إليّ ، وكُفّوا سفهاء كم وشُدّوا بهم أيديَكم فإنّ السفيه إذا قُمع انقمع وإذا تُرك تتايع[1] ، ثم جلس وبايعه الناس .

ورُوي أنّ عثمان خطب فقال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالاً وسيأتي الله به .

وقال الفرزدق :

صَلّى صُهَيْبٌ ثَلاثاً ثُمَّ أَنزَلها على ابْنِ عَفّانَ مُلْكاً غَيْرَ مَقْسور
وَصِيَّةً مِنْ أَبِي حَفْصٍ لِسِتَّتِهِمْ كانوا أَخِلّاءَ مَهْدِيٍّ ومَأْمور[2]

١ ـ التتايع : ركوب الأمر على خلاف الناس . القاموس .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢١٤ مع فوارق .

ذكر ما أنكروا من سيرة عثمان بن عفّان وأمرِه رضي الله عنه

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن أمّ بكر بنت المِسْوَر بن مَخْرَمة عن أبيها قال : سمعتُ عثمان يقول : أيّها الناس ، إنّ أبا بكر وعمر كانا يتأوّلان في هذا المال ظِلْف أنفسهما وذوي أرحمهما وإنّي تأوّلت فيه صِلة رَحِمي .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي حدثني محمد بن عبدالله عن الزهري قال : لما ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميراً ، فمكث ستّ سنين لا يَنْقِم الناسُ عليه شيئاً وإنّه لأَحبُّ إلى قريش من عمر لشدّة عمر ولين عثمان لهم ورِفْقه بهم ، ثم تَوانَى في أمرهم واستعمل أقاربه وأهل بيته في الستّ الأواخر وأهملهم وكتب لمروان بن الحكم بُخُمْس إفْريقية ، وأعطى أقاربه المال وتأوّل في ذلك الصلة التي أمر الله بها ، واتّخذ الأموال واستسلف من بيت المال مالاً وقال : إنّ أبا بكر وعمر تركا من هذا المال ما كان لهما وإني آخُذه فأصِل به ذوي رَحِمي ، فأَنكر الناس ذلك عليه[1] .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٤ .

وحدثنا هشام بن عمّار الدمشقي حدثنا محمد بن عيسى بن سُميعٍ عن محمد بن أبي ذئب عن الزهري عن سعيد بن المسَّيب قال : لما ولي عثمان كره ولايَته نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ لأنّ عثمان كان يحبّ قومه ، فَولِيَ الناسَ اثنتي عشرة حجّة وكان كثيراً ما يولي من بني أميَّة مَن لم يكن له مع النبي ﷺ صحبة ، فكان يجيء من امرائه ما ينكره أصحابُ محمد ﷺ وكان يُسْتَعْتَبُ فيهم فلا يَعْزِلهم ، فلما كان في الستّ الأواخر استأثر ببني عمّه فولاهم وولّى عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلّمون منه ، وقد كانت من عثمان قبلُ هنَاتٌ إلى عبدالله بن مسعود وأبي ذَرّ وعَمَّار بن ياسر ، فكان في قلوب هُذيل وبني زُهْرة وبني غِفار وأحلافها مِن غَضَب لأبي ذرّ ما فيها ، وَحَنِقت بنو مخزوم لحال عمّار بن ياسر ، فلما جاء أهل مصر يشكون ابنَ أبي سَرْح كتب إليه كتاباً يتهدّده فيه ، فأبى أن ينزع عمّا نهاه عثمانُ عنه وضرب بعض من كان شكاه إلى عثمان من أهل مصر حتى قتله ، فخرج من أهل مصر سبعمائة إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا ما صنع بهم ابن أبي سرح في مواقيت الصلاة إلى أصحاب محمد ، فقام طلحة إلى عثمان فكلّمه بكلام شديد ، وأرسلت إليه عائشة رضي الله تعالى عنها تسأله أن يُنْصِفهم من عامله ، ودخل عليه عليّ بن أبي طالب ـ وكان متكلّم القوم ـ فقال له : إنَّما يسألك القوم رجلاً مكانَ رجل ، وقد ادَّعَوا قِبَلَه دماً فاَعْزِلْه عنهم واَقْضِ بينهم فإن وجب عليه حقّ فأَنصِفْهم منه ، فقال لهم : اختاروا رجلاً أوّليه عليكم مكانه ، فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر الصِدِّيق ، فقالوا : استعمِلْ علينا محمد بن

أبي بكر ، فكتب عهده على مصر ووجّه معهم عدّةً من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله الزهري أنّ عثمان كان يأخذ من الخيل الزكاة، فأُنكر ذلك من فعله وقالوا: قال رسول الله ﷺ : «عفوتُ لكم عن صدقة الخيل والرقيق»

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري، وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه ـ وفي أحد الحديثين زيادة عن الآخر فسُقْتُهما ورددت بعضهما على بعض ـ أنّ الحَكَم بن أبي العاص بن أُمّية عمّ عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة كان جاراً لرسول الله ﷺ في الجاهليّة ، وكان أشدّ جيرانه أذى له في الإسلام وكان قدومه المدينة بعد فتح مكّة ، وكان مَغْمُوصاً عليه في دينه ، فكان يمُرّ خلف رسول الله ﷺ فيَغمِز به ويحكيه ويَخْلِج بأنفه وفمه وإذا صلّى قام خلفه فأشار بأصابعه ، فبقي على تخليجه وأصابته خَبْلَةٌ ، واطّلع على رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في بعض حُجَر نسائه فعرفه وخرج إليه بِعَنَزَة[1] وقال : «من عَذيري من هذا الوَزَغَة اللعين[2] ، ثم قال : لا يساكنني ولا ولدهُ» ، فَغَرَّبَهم جميعاً إلى الطائف ، فلما قُبض رسول الله ﷺ كلّم عثمانُ أبا بكر فيهم وسأله ردَّهم فأبى ذلك وقال: ما كنت لآوِيَ طُرداءَ رسول الله ﷺ . ثم لما استُخلف عمر

١ ـ رمح قصير.
٢ ـ الوزغة: الرجل الحارض الفشل. القاموس.

كلّمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر . فلما استُخلف عثمان أدخلهم المدينة وقال : قد كنت كلّمتُ رسول الله فيهم وسألته ردَّهم فوعدني أن يأذن لهم فقُبض قبل ذلك ، فأنكر المسلمون عليه إدخاله إيّاهم المدينة .

قال الواقدي: ومات الحكم بن أبي العاص بالمدينة في خلافة عثمان فصلّى عليه وضَرب على قبره فسطاطاً.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري عن سعيد بن المسيّب قال: خطب عثمان فأمر بذبح الحمام وقال: إنّ الحمام قد كثر في بيوتكم حتى كثر الرَمْيُ ونالنا بعضُه، فقال الناس: يَأْمُرُ بذبح الحمام ، وقد آوَى طُرداءَ رسول الله ﷺ .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أُسامة بن زيد بن أسلم عن نافع مولى الزبير عن عبد الله بن الزبير قال: أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين إفريقية، فأصاب عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح غنائم جليلة، فأعطى عثمان مروان بن الحكم خُمس الغنائم.

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن لوط بن يحيى أبي مخنف عمّن حدّثه قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخا عثمان من الرضاعة وعامِلَه على المغرب، فغزا إفريقية سنة سبع وعشرين فافتتحها وكان معه مروان بن الحكم، فابتاع خُمس الغنيمة بمائة ألف أو مائتي ألف دينار، فكلَّم عثمان فوهبها له، فأنكر الناسُ ذلك على عثمان.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أمّ بكر بنت المِسْوَر قالت: لما بنى مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه، وكان المِسْوَر فيمن دعا، فقال مروان وهو يحدّثهم: والله ماأنفقتُ في داري هذه

من مال المسلمين درهماً فما فوقه، فقال المِسْوَر: لو أكلتَ طعامك وسكتَّ لكان خيراً لك، لقد غزوْتَ معنا إفريقية وإنك لأقلُّنا مالاً ورقيقاً وأعواناً وأخفُّنا ثَقَلاً فأعطاك ابنُ عفّان خُمس إفريقية، وعملتَ على الصدقات فأخذتَ أموال المسلمين؛ فشكاه مروان إلى عُرْوة وقال: يُغْلِظ لي وأنا له مُكْرِمٌ مُتَّقٍ.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أمّ بكر عن ابيها قالت: قدمتْ إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص.

وحدثني محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا الحجّاج الأعور عن ابن جُرَيْج عن عطاء عن ابن عبّاس قال: كان ممّا أنكروا على عثمان أنّه ولّى الحَكَم بن أبي العاص صدقات قُضاعة فبلغت ثلاثمائة ألف درهم، فوهبها له حين أتاه بها.

وقال أبو مخنف والواقدي في روايتهما: أنكر الناس على عثمان إعطاءَه سعيد بن العاص مائة ألف درهم، فكلَّمه عليٌّ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك، فقال: إنّ له قَرابةً ورَحِماً، قالوا: أفما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذوو رحم؟ فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يَحْتَسِبان في منع قرابتهما، وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي، قالوا: فهَدْيُهما والله أحبّ إلينا من هَدْيك، فقال: لاحول ولاقوّة إلا بالله.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سَبْرة عن أشياخه قالوا: كان عثمان يبعث السُعاة لقبض الصدقات إذا حضر الناسُ المياه، ثم

يَعْهَد إليهم فيتعدّون حدوده فلا يكون منه لذلك تغيير ولانكير، فاجترأوا عليه ونُسِبَ فعلهم إليه وتَكَلَّمَ الناسُ في ذلك وأنكروه.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن زيد بن السائب عن خالد مولى أبان بن عثمان قال: كان مروان قد ازدرع بالمدينة في خلافة عثمان على ثلاثين جملاً، فكان يأمر بالنوى أن يُشترى فيُنادى: إنّ أمير المؤمنين يريده، وعثمان لايشعر بذلك، فدخل عليه طلحة وكلّمه في أمر النَوَى فحلف أنّه لم يأمر بذلك، فقال طلحة: هذا أعجب أن يُفتأت عليك بمثل هذا، فهلا صنعت كما صنع ابن حَنْتمَة، يعني عمر بن الخطّاب، خرج يَرْفأُ[1] بدرهم يشتري به لحماً فقال للحّام: إنّي أريده لعمر، فبلغ ذلك عمر فأرسل إلى يَرْفَأ فأُتي به وقد برك عمر على ركبتيه وهو يَفْتِل شاربه، فلم أَزَل أُكلِمّه فيه حتى سكّنْتُه، فقال له: والله لئن عُدتّ لأجعلنك نكالاً، أتشتري السِلْعة ثم تقول هي لأمير المؤمنين؟.

أمر الوليد بن عقبة حين ولاه عثمان الكوفة:

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف ومحمد بن سعد عن محمد ابن عمر الواقدي أنّ عمر بن الخطّاب أوصى أن يُقرَّ عُمَّالَه مَن وَلِيَ الأمر بعده سنةً وأن يولّي سعدَ بن أبي وقّاص الكوفة، ويُقرّ أبا موسى الأشعري على البصرة، فلما وَلِيَ عثمان عزل المغيرة بن شعبة وولّى سعداً الكوفة سنةً ثم عزله وولّى أخاه لأمّه الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أميّة، فلما دخل الكوفة قال له سعد: ياأبا وَهْب، أأَمير أم زائر؟ قال: لابل أمير، فقال سعد ماأدري أَحَمقْتُ بعدك؟ قال: ماحَمِقْتَ بعدي ولا كِسْتُ بعدك، ولكنّ القوم

١ - يرفأ غلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

مَلَكوا فاستأثروا، فقال سعد: ماأراك إلا صادقاً؛ وقال الناس: بئسما ابتدَلَنا به عثمان، عزل أبا إسحاق الهيِّن الليِّن الحبْر، صاحب رسول الله ﷺ وولّى أخاه الفاسق الفاجر الأحمق الماجن، فأعظمَ الناسُ ذلك، وكان الوليد يُدْعَى الأشْعَرَ بَرْكاً، والبرك الصدر. وعزل أبا موسى عن البصرة وأعمالها وولّى ذلك عبد الله بن عامر بن كُرَيْز، وهو ابن خاله، فقال له عليّ بن أبي طالب وطلحة والزبير: ألم يُوصِك عمر ألا تحمل آل أبي مُعَيط وبني أميّة على رقاب الناس؟ فلم يُجِبْهم بشيء.

وقال أبو مخنف في إسناده: لما شاع فعلُ عثمان وسارت به الرُّكْبان كان أوّل من دعا إلى خلعه والبيعة لعليّ عمرو بن زُرارة بن قيس بن الحارث بن عمرو بن عَداء النَخعي، وكُمَيْل بن زياد بن نَهيك بن هُتَيْم النَخَعي ثم أحد بني صُهبْان، فقام عمرو بن زُرارة فقال: أيّها الناس، إنّ عثمان قد ترك الحقّ وهو يعرفه وقد أُغري بصُلَحائكم يولّي عليهم شِراركم، فمضى خالد بن عُرْفُطة بن أَبْرَهَة بن سِنان العُذْري حليف بني زُهرة إلى الوليد فأخبره بقول عمرو بن زرارة واجتماع الناس إليه، فركب الوليد نحوهم، فقيل له: الأمر أشدُّ من ذاك، والقوم مجتمعون، فاتّق الله ولاتسعِّر الفتنة، وقال له مالك بن الحارث الأشتر النَخَعي: أنا أكفيك أمرهم، فأتاهم فكفّهم وسكّنهم وحذّرهم الفتنة والفرقة فانصرفوا. وكتب الوليد إلى عثمان بما كان من ابن زُرارة، فكتب إليه عثمان: إنّ ابن زُرارة أعرابي جِلْف فسَيِّره إلى الشام، فسيَّره وشيَّعَه الأشترُ، والأسودُ بن يزيد بن قيس وعلقمة بن قيس بن يزيد، وهو عمّ الأسود، والأسود أكبر منه، فقال قيس بن قهدان بن سَلَمة من بني البَدّاء من كندة يومئذ:

أُقْسِمُ بِاللهِ رَبِّ البَيْتِ مُجْتَهِداً أَرْجو الثَوابَ بِهِ سِرّاً وإِعْلانا
لأَخْلَعَنَّ أَبا وَهْبٍ وصاحِبَهُ كَهْفَ الضَلالَةِ عُثْمانَ بنَ عَفّانا

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال: لما قدم الوليد الكوفة أَلفى ابنَ مسعود على بيت المال فاستقرضه مالاً وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثم تردّ ماتأخذ، فأقرضه عبد الله ماسأله، ثم إنّه اقتضاه إيّاه، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان فكتب عثمان إلى عبد الله بن مسعود: انّما أنت خازنٌ لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال، فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظنّ أنّي خازن للمسلمين فأمّا إذ كنتُ خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك، وأقام بالكوفة بعد إلقائه مفاتيح بيت المال.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مَعْمَر عن جابر عن عامر الشعبي قال: قدِم الوليد الكوفة فكان عَمَلُهُ خمس سنين، وغزا أذربيجان، وكان يشرب الخمر.

حدثني عمرو بن محمد الناقد حدثنا حفص بن غياث حدثنا الأعمش عن إبراهيم قال: كان حُذيفة وعلقمة وأصحاب عبد الله في غزاة، فأصاب أميرُ الجيش حدّاً فأرادوا أن يقيموه عليه فقال حُذيفة: أتقيمون عليه الحدّ وهو بإزاء العدوّ؟ فَكَفّوا عن ذلك؛ قال حفص: أراه الوليدَ بن عقبة.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مَعْمَر عن جابر عن عامر الشعبي قال: كان عمر بن الخطّاب ولّى الوليد بن عقبة صدقات بني تغلب، فوجد أبا زُبيد حَرْمَلة بن المنذر الطائي الشاعر فيهم وقد ظلمه أَخْوالُه، فأخذ له منهم بحقّه فمدحه، فلما سمع بولايته الكوفة لعثمان قدم فيمن قدم عليه فكان ينادمه، وأنزله داراً بقربه تُعرف بدار الضيافة.

وقال أبو مخنف: كان الوليد يُدخل أبا زُبيد المسجد وهو نصراني ويُجري عليه وظيفة من خمر وخنازير تُقام له كل شهر، فقيل له: قد عظم إنكارُ الناس لِما تُجري على أبي زُبيد، فقوَّمَ ماكان وظّف له دراهمَ وضمّها إلى رزق كان يُجريه عليه.

وروى أبو مخنف وغيره أنّ الوليد أتي بساحر يقال له نطروي، ويقال بساني، فرآهُ جُنْدَب الخير ـ وهو جندب بن عبد الله الأزْدي، وقال غير الكلبي: هو جندب بن كعب ـ يلعب بين يديه فأتى مَعْقِلاً مولى الصَقْعَب بن زهير الكبيري من ولد كبير بن الدُول من الأزد، ويقال: بل أتى مولى لبني ظَبْيان بن غامِد وهم قومه، فاستعار منه سيفاً قاطعاً فاشتمل عليه وخرج يريد الوليد بن عقبة، فلِقَيَه مِعضَدُ بن يزيد أحد بني تَيْم الله بن ثَعْلَبة بن عُكابة، وكان ناسكاً، فأخبره بما يريد، فقال له: أمّا قتْلُ الوليد فإنّه يورث فرقة وفتنة ولكن شأنك بالعلج؛ فشدّ على الساحر فقتله ثم قال له: أَحْيِ نفسك إن كنت صادقاً، فقال الوليد: هذا رجل يلعب فيأخذ بالعين سُرْعَةً وخِفّةً، فقدّم جُنْدَباً ليضرب عنقه فأنكرت الأزد ذلك وقالوا: تقتل صاحبنا بعلجٍ ساحر؟ فحبسه، فلما رأى السجّان طول صلاته وكثرة صيامه تحوّب من حبسه فخلّى سبيله، فمضى جندب فلحق بالمدينة وكان يُكنى أبا عبد الله، فأخذ الوليد السجّان، وكان يقال له دينار ويُكنى أبا سِنان، فضرب عنقه وصلبه بالسَبَخة، ويقال إنّه ضرب عنقه بالسبخة ولم يصلبه. ولم يزل جندب بالمدينة حتى كلّم فيه عليُّ بن أبي طالب عثمانَ فكتب إلى الوليد يأمره بالإمساك عنه، فقدم الكوفة.

وقال أبو مخنف وغيره: خرج الوليد بن عقبة لصلاة الصبح وهو يَميل، فصلّى ركعتين ثم التفت إلى الناس فقال: أَزِيدكم، فقال له عَتّاب بن عَلاق أحد بني عُوافة بن سعد وكان شريفا: لازادك الله مَزيد الخير، ثم تناول حفنة من حَصى فضرب بها وجه الوليد، وَحَصَبَه الناسُ، وقالوا: والله ماالعجب إلا ممّن ولاك، وكان عمر بن الخطّاب فرض لعَتَّاب هذا مع الأشراف في ألْفَين وخمسمائة وذكر بعضهم أنّ القَيءَ غلب على الوليد في مكانه، وقال يزيد بن قيس الأرْحَبي ومَعْقِل بن قيس الرياحي: لقد أراد عثمان كَرامة أخيه بهَوان أُمّة محمد ﷺ.

وفي الوليد يقول الحُطَيْئة، وهو جَرْوَل بن أَوْس بن مالك بن جُؤَيَّة العَبْسي:

شَهِدَ الحُطَيْئَةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّه ... أَنَّ الوَليدَ أَحَقُّ بِالغدر
نادَى وقد نَفِدَت صَلاتُهُمُ ... أَأَزيدُكُمْ ثَمِلاً وما يَدْرِي
لِيَزيدَهُمْ خَيْراً ولو قَبِلُوا ... مِنْهُ لزادَهُمُ عَلى عَشْرِ
فَأَبَوْا أبا وَهْبٍ ولو فَعَلُوا ... لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَفْعِ والوَتْرِ
حَبَسوا عِنانَكَ إذْ جَرَيتَ ولو ... خَلَّوْا عِنانَكَ لم تَزَلْ تَجْري[1]

قالوا: ولم يكن بسيَرة الوليد في عَمَله بأس، ولكنّه كان فاسقاً مسرفاً على نفسه.

حدثني العبّاس بن يزيد البصري حدثنا عبد الوهّاب الثقفي عن جعفر بن محمد عن أبيه أنّ الوليد صلّى بالناس الصُبْح ثم أقبل عليهم فقال:

---

١ ـ ديوان الحطيئة ـ ط. دار صادر بيروت ص١٨٠ مع فوارق.

أزيدكم، فرحل في ذلك رجل - أو قال رجال - إلى عثمان فأتي بالوليد فأمر بجَلْده، فلم يقُمْ أحد، فلما قال الثالثةَ: مَن يجلِده؟ قال عليٌّ: أنا، فقام إليه فجلده بدِرَّة يقال لها السبْتيّة لها رأسان، فضربه بها أربعين فذلك ثمانون.

وقال أبو مخنف: لما صلّى الوليد بالناس وهو سكران، أتى أبو زينب زهير بن عوف الأزدي صديقاً له من بني أَسد يقال له مُوَرّع، فسأله أن يعاونه على الوليد في التماسِهِ غِرّته، فتفقّداه ذات يوم فلم يَرَيَاه خَرَجَ لصلاة العصر، فانطلقا إلى بابه ليدخلا عليه فمنعهما البّواب، فأعطاه أبو زينب ديناراً فسكت، فدخلا، فإذا هما به سكران ما يعقِلُ، فحملاه حتى وضعاه على سريره، فَقاء خمراً، وانتزع أبو زينب خاتَمه من يده ومضى وصاحبه على طريق البصرة حتى قدما على عثمان فشهدا عليه عنده بما رأيا حين صلّى وبما كان منه حين دخلا عليه، فقال عثمان لعليّ: ماترى؟ قال: أرى أن تُشخصه إليك، فإذا شهدا في وجهه حددته، فعَزَله عثمان وولّى سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة الكوفة، وأمره بإشخاص الوليد ففعل، ودعا عثمان بالرجلين فشهدا عليه في وجهه، فقال عليٌّ للحسن ابنه: قم يابنيّ فاجلده، فقال عثمان: يكفيك ذلك بعض من ترى، فأخذ عليٌّ السوط ومشى إليه فجعل يضربه والوليد يسُبّه، وكان للسوط طرفان فضربه أربعين وعليه جُبّة حِبْرٍ.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عيسى بن عبد الرحمن عن أبي اسحاق الهَمْداني أنّ الوليد بن عقبة شرب فسكر فصلّى بالناس الغداة ركعتين ثم التفت فقال: أَزيدُكم؟ فقالوا: لا، قد قضينا صلاتنا، ثم دخل عليه بعد ذلك أبو زينب وجندب بن زهير الأزْدي وهو سكران فانتزعا خاتمه من يده وهو لايشعر سُكراً.

قال أبو اسحاق: وأخبرني مسروق أنّه حين صلّى لم يَرِمْ حتى قاء، فخرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر: أبو زينب وجندب بن زهير وأبو حبيبة الغفاري والصعْب بن جثّامة، فأخبروا عثمان خبره، فقال عبد الرحمن بن عوف: ما له أَجُنَّ؟ قالوا: لا، ولكنّه سكر، قال: فأوعدهم عثمان وتهدّدهم وقال لجندب: أنت رأيتَ أخي يشرب الخمر؟ قال: معاذ الله، ولكنّي أشهد أنّي رأيته سكران يَقْلِسها[1] من جوفه وأني أخذت خاتمه من يده وهو سكران لايعقل؛ قال أبو اسحاق: فأتى الشهود عائشةَ فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان وأنّ عثمان زَبَرَهم، فنادت عائشة: إنّ عثمان أَبطلَ الحدود وتوعّد الشهود.

قال الواقدي: وقد يقال إنّ عثمان ضرَبَ بعض الشهود أسواطاً، فأتوا عليّاً فشكوا ذلك إليه، فأتى عثمان فقال: عطّلتَ الحدود وضربت قوماً شهدوا على أخيك فَقَلَبْتَ الحكمَ وقد قال عمر: لاتحملْ بني أميّة وآل ابي مُعَيط خاصّة على رقاب الناس، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن تعزله ولا تولّيه شيئاً من أمور المسلمين، وأن تسأل عن الشهود فإن لم يكونوا أهل ظنّة ولا عداوة أقمتَ على صاحبك الحدّ.

قال: ويقال إنّ عائشة أغلظت لعثمان وأغلظ لها وقال: وما أنتِ وهذا؟ إنّما أُمِرْتِ أن تَقرّي في بيتك، فقال قومٌ مثلَ قوله، وقال آخرون: ومن أولى بذلك منها؟ فاضطربوا بالنعال، وكان ذلك أوّلَ قتالٍ بين المسلمين بعد النبيّ ﷺ.

---

١ ـ ما خرج من الحلق ملء الفم أو دونه وليس بقيء.

وقال الهَيْثم بن عَدِيّ: اللذان دخلا على الوليد وهو سكران: زياد بن عِلاقة التَيْمي، وجُنْدب بن زهير الأزْدي.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده وعبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه وأبي مخنف وغيرهما قالوا: أتى طلحة والزبير عثمانَ فقالا له: قد نهيناك عن تولية الوليد شيئاً من أمور المسلمين فأبيتَ، وقد شُهد عليه بشرب الخمر والسكر فاعْزِلْه، وقال له عليٌّ: اعزله وحُدَّه إذا شهد الشهود عليه في وجهه، فولّى عثمانُ سعيدَ بن العاص الكوفةَ وأمره بإشخاص الوليد، فلما قدم سعيدُ الكوفةَ غسل المنبر ودار الإمارة وأشخص الوليد، فلما شُهد عليه في وجهه وأراد عثمان أن يحدّه ألْبَسَهُ جُبّة حِبْرٍ وأدخله بيتاً، فجعل إذا بعث إليه رجلاً من قريش ليضربه قال له الوليد: أَنشُدك الله أن تقطع رحمي وتُغضب أمير المؤمنين عليك، فيكُفُّ، فلما رأى ذلك عليّ بن أبي طالب أخذ السوط ودخل عليه ومعه ابنه الحسن، فقال له الوليد مثلَ تلك المقالة، فقال له الحسن: صَدَقَ ياأبه، فقال عليّ: ما انا إذاً بمؤمن، وجلده بسوطٍ له شُعبتان أربعين جَلْدة ولم ينزع جُبّته، وكان عليه كِساء فجاذبه عليّ إيّاه حتّى طرحه عن ظهره وضربه ومايبدو إبطه.

قالوا: وسئل عثمان ان يحلقه، وقيل له إنّ عمر حلق مثلَه، فقال: قد كان فَعَلَ ذلك، ثم تركه.

وكان النبيّ ﷺ وجّه الوليد على صدقات بني المُصْطَلِق فجاء فقال: إنّهم منعوا الصدقة، فنزل فيه ﴿إنْ جاءكمْ فاسِقٌ﴾[1] فَتَبَيَّنُوا الآية.

---

١ ـ سورة الحجرات الآية: ٦.

وحدثني عبّاس بن يزيد البَحْراني حدثنا عبد الرحمن بن عثمان عن سعيد بن أبي عَرْوبة عن عبد الله الداناج عن حُضين بن المُنْذِر أنّه شهد على الوليد بن عقبة عند عثمان بشرب الخمر، فكلَّم عليٌّ عثمان فيه، فقال: دُونَكَ ابنَ عمّك، فقال عليٌّ قم ياعبد الله بن جعفر، فقام عبد الله فجلده، وعدَّ عليٌّ، فلما أتمَّ اربعين قال: حَسْبُك، أو قال: أَمْسِكْ، جَلَدَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر أربعين واكتمل عمر ثمانين وكلُّ سُنَّةٌ.

وحدثني هشام بن عمّار حدثنا عيسى بن يونس عن اسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم قال: لما ضرب عليّ الوليد بن عقبة الحدّ جعل الوليد يقول: يا مكيثة يامكيثة.

قالوا: وقال الوليد حين حُدّ:

باعَدَ الله ما بيني وبَيْنَكُمُ ... بني أُمَيَّةَ مِنْ قُرْبَى ومِنْ نَسَبِ
إنْ يكْثرِ المال لايُذْمم فعالَكُمُ ... وإنْ يَعِشْ عائِلاً مَوْلاكُمُ يَخِبِ

امر عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه:

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعَوانة في إسنادهما أنّ عبد الله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال: مَن غَيَّرَ غَيَّرَ الله مابه، ومن بَدَّل أسْخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلا وقد غيّر وبدّل، أَيُعْزَلُ مثلُ سعد بن أبي وقّاص ويولى الوليد. وكان يتكلَّم بكلام لا يَدَعُهُ وهو: إنّ أصْدَقَ القول كتابُ الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور مُحْدَثاتُها، وكلّ مُحْدَثٍ بِدْعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلّ ضلالة، في النار.

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال: إنّه يَعِيبك ويطعن عليك، فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه، وشيّعه أهلُ الكوفة، فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن، فقالوا له: جُزِيْتَ خيراً، فلقد علَّمتَ جاهلَنا وثَبَّتَّ عالمنا، وأقرأتَنا القرآن، وفقَهتنا في الدين، فنِعْمَ أَخو الإسلام أنت، ونِعْم الخليلُ، ثم ودّعوه وانصرفوا وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله ﷺ فلما رآه قال: ألا أنّه قَدِمَتْ عليكم دُوَيْبة سُوءٍ من تَمْشِ على طعامه يقيء ويسْلَحْ، فقال ابن مسعود: لست كذلك، ولكنّي صاحب رسول الله ﷺ يومَ بدر، ويوم بيعة الرِضْوان، ونادت عائشة، أي عثمان، أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ ؟ ثم أمر عثمان به فأُخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً، وضرب به عبد الله بن زَمْعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ الأرضَ، ويقال بل احتمله يحمومُ غلام عثمان ورِجْلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدُقَّ ضِلْعه، فقال عليٌّ: ياعثمان أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ بقول الوليد بن عقبة؟ فقال: مابقول الوليد فعلتُ هذا، ولكن وجّهْت زُبيد بن الصَلْت الكندي إلى الكوفة فقال له ابن مسعود: إنّ دم عثمان حلال، فقال عليّ أَحَلْتَ من زبيد على غير ثقة، وقال ابن الكلبي: زُبيد بن الصَلتْ أخو كَثير بن الصلت الكندي.

وقام عليّ بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزلَه، فأقام ابن مسعود بالمدينة لايأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي، وأراد حين برِىء الغَزْوَ فمنعه من ذلك؛ وقال له مروان: إنّ ابن مسعود أفسد عليك العراق أفتريد أن يفسد عليك الشام؟ فلم يبرح المدينة حتى تُوّفي قبل مقتل

عثمان بسنتين، وكان مقيماً بالمدينة ثلاث سنين؛ وقال قوم إنّه كان نازلاً على سعد بن أبي وقّاص.

ولما مرض ابن مسعود مرضَه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً فقال: ماتشتكي؟ قال: ذنوبي قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربّي، قال: ألا أدعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: أفلا آمر لك بعَطائك؟قال: مَنَعْتَنِيْهِ وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا مستَغْنٍ عنه؟ قال: يكون لولدك،قال: رزقهم على الله قال: استغفِرْ لي ياأبا عبد الرحمن، قال: أَسأل الله أن يأخذ لي منك بحقّي، وأَوْصَى أن لايصلّي عليه عثمان، فدُفن بالبَقِيع وعثمان لايعلم، فلما علم غضب وقال: سبقتموني به، فقال له عمّار بن ياسر: إنّه أوصى أن لاتصلّي عليه؛ وقال الزُبير:

لأعْرِفَنَّكَ بعد الموتِ تَنْدُبُني وفي حياتيَ ما زَوَّدْتَني زادي[1]

وكان الزبير وَصيَّ ابن مسعود في ماله وولده، وهو كلّم عثمان في عَطائه بعد وفاته حتى أخرجه لولده، وأوصى ابن مسعود أن يصلّي عليه عمّار بن ياسر، وقوم يزعمون أنّ عمّاراً كان وصِيَّهُ، ووصِيَّةُ الزبير أثبت.

وحدثني اسحاق الفروي أبو موسى حدثنا عبد الله بن إدريس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن رجل نسيه اسحاق قال: دخل عثمان على ابن مسعود في مرضه فاستغفر كلّ واحد منهما لصاحبه، فلما انصرف عثمان قال بعض من حضر: إنّ دمه لحلال، فقال ابن مسعود: مايَسرُّني أَنَّنِي سَدَّدت إليه سهماً يُخْطِئه وأنّ لي مثلَ أُحُدٍ ذهباً.

---

١ ـ ديوان عبيد بن الأبرص ط. دار صادر ص٦٣ .

وقال الواقدي: مات عبد الله بن مسعود في سنة اثنتين وثلاثين وله بضع وستّون سنة، ودُفن بالبَقِيع، وكان نحيفاً قصيراً، شديد الأدْمة، يُغَيّر شَيْبَه، ويُكنى أبا عبد الرحمن.

أمر الحمى وغيره:

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن معمر عن الزهري: أنّ عثمان حَمى النَقِيع لخيل المسلمين، وكان يحمل في كلّ سنة على خمسمائة فرس وألف بعير، وكانت الإبل ترعى بناحية الرَبَذَة في حِمى لها؛ وقال الواقدي: النقيع على ليلتين من المدينة.

وقال أبو مخنف في إسناده: أُنكر على عثمان مع ماأُنكر أنْ حَمى الحِمى، وأن أعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم من ألف ألف درهم حملها أبو موسى الأشعري وقال له: هذا حقُّك فقال أَسْلَم بن أَوْس بن بَجْرة الساعِدي من الخزرج، وهو الذي منع أن يُدفن عثمان بالبَقِيع:

أُقْسِمُ بالله رَبِّ العبادِ ... ما تَرَكَ الله خَلْقاً سُدَى
دَعَوْتَ اللَّعينَ فأَدْنَيْتَهُ ... خِلافاً لِسُنَّةِ مَنْ قد مَضَى

يعني الحَكَم:

وأَعْطَيْتَ مَرْوانَ خُمْسَ العِباد ... ظُلْماً لَهُمْ وَحَمَيْتَ الحِمَى
ومالٌ أَتاكَ بِهِ الأشْعَرِي ... مِنَ الفَيءِ أَنْهَبْتَهُ مَنْ تَرَى
فأَمّا الأمينانِ إذْ بَيَّنا ... مَنارَ الطريقِ عليه الصُوَى
فلم يأْخُذا دِرْهَماً غِيلَةً ... ولم يَصْرِفا درهماً في هوى

وحدثني مصعب بن عبد الله الزُبَيْري عن مالك بن أنس عن الزهري قال: وسَّع عثمانُ مسجدَ النبيّ صلى الله عليه وسلّم فأنفق عليه من ماله عشرة آلاف درهم، فقال الناس: يوسّع مسجدَ رسول الله ويغيّر سُنّته.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: صلَّيت مع رسول الله ﷺ بمنىً ركعتين، ومع أبي بكر وعمر ومع عثمان صدراً من خلافته، ثم أتمّها أربعاً فتكلّم الناس في ذلك فأكثروا، وسئل أن يرجع عن ذلك فلم يرجع.

قال الواقدي: بلغنا أنّ عبد الرحمن بن عوف قال له: أَلَمْ تُصَلِّ مع رسول الله ﷺ بهذا المكان ركعتين، وصلّيت في خلافتك كذلك؟ قال: بلى، قال: فما هذا؟ قال: إنّي أُخبرك ياأبا محمد أَنّ بعض حجّاج اليمن وجُفاة الناس قالوا في عامنا هذا: إنّ صلاة المقيم أربعاً، وإنّ إمامنا عثمان قد اتّخذ بمكّة أهلاً فهو كالمقيم وقد صلّى اثنتين فرأيت أن أصلّي أربعاً، فقال عبد الرحمن: ياسبحان الله زوجتك بالمدينة تقدم بها إذا شئت وتخرجها إذا أردت، فعظم إنكار الناس لذلك وكانت تلك الحجّة في سنة تسع وعشرين، وكان أوّلَ فسطاطٍ ضرب بمنى فسطاطٌ ضُرِبَ له.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن اسماعيل بن محمد عن السائب بن يزيد قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج للصلاة أَذَّن المؤذِّنُ ثم يُقِيمُ، وكذلك كان الأمر على عهد أبي بكر وعمر وفي صدرٍ من أيّام عثمان، ثم إنّ عثمان نادى النداءَ الثالث في السنة السابعة، فعاب الناس ذلك وقالوا بدعة.

قال: وكان رَبيعة بن الحارث بن عبد المطّلب شريكَ عثمان في الجاهليّة، فقال العبّاس بن ربيعة بن الحارث لعثمان: اكتُب إلى ابن عامر يُسلفني مائة ألف درهم، فكتب له فأعطاه مائة ألف درهم صِلَةً، وأقطعه دارَ العبّاس بن ربيعة فهي تُعرف به.

أمر سعيد بن العاص بن أبي أحيحة وولايته الكوفة بعد الوليد:

حدثنا عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال: لما عزل عثمان بن عفان رضي الله عنه الوليدَ بن عقبة عن الكوفة ولّاها سعيد بن العاص وأمره بمداراة أهلها، فكان يجالس قُرّاءها ووجوهَ أهلها ويسامرهم، فيجتمعُ عنده منهم: مالك بن الحارث الأَشْتَر النَخَعي، وزيد وَصَعْصَعَة ابنا صُوحان العَبْدِيّان، وحُرقُوص بن زُهير السَعْدي، وجُنْدب بن زهير الأَزدي، وشُريح بن أَوْفَى بن يزيد بن زاهر العَبْسي، وكعب بن عَبْدة النَهْدي - وكان يقال لعَبْدة بن سعد ذو الحَبَكة، وكان كعب ناسكاً، وهو الذي قتله بُسْر بن أبي أَرْطأة بتَثْلِيث[1] - وعدِيّ بن حاتِم الجواد بن عبدالله بن سعد بن الحَشْرَجُ الطائيّ ويكنى أبا طَريف، وكدام بن حَضْرَميّ بن عامر أحدبني مالك بن مالك بن مالك بن ثَعْلَبَة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزيمة، ومالك بن حَبيب بن خِراش من بني ثعلبة بن يَرْبُوع، وقيس بن عُطارد بن حاجب بن زُرَارة بن عُدسُ بن زيد بن عبدالله بن دارِم، وزياد بن خَصَفة بن ثَقْف من بني تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة، ويزيد بن قيس

---

١ - مكان قرب مكة. معجم البلدان.

الأَرْحَبي وغيرهم ؛ فإنّهم لَعِنْدَه وقد صلّوا العصر إذ تذاكروا السَواد والجبلَ ففضّلوا السواد وقالوا: هو ينبت ما ينبت الجبل، وله هذا النخل، وكان حسّان بن مَحْدُوج بن بِشْر بن حَوْط بن سَعْنة الذُهْلي الذي ابتدأ الكلام في ذلك ، فقال عبد الرحمن بن خُنيس الأَسدي صاحب شرطه : لوددتُ أنّه للأمير وأنّ لكم أَفْضَلَ منه ، فقال له الأشتر : تَمَنَّ للأمير أفضل منه ولا تَمَنَّ له أموالنا ، فقال عبد الرحمن : ما يضُرّك مِن تَمَنّيَّ حتى تَزْوِيَ ما بين عينيك ؟ فوالله لو شاء كان له ، فقال الأشتر : والله لو رام ذلك ما قدر عليه ، فغضب سعيد وقال : إنّما السواد بستان لقريش ، فقال الأشتر : أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك ؟ والله لو رامه أحد لقُرِع قرعاً يتصاصأ[1] منه ، ووثب بابن خُنيس فأَخَذَتْهُ الأَيْدِي ، فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال : إنّي لا أَمْلِك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الذين يُدْعَون القُرّاء ـ وهم السُفَهاء ـ شيئاً ؛ فكتب إليه أن سَيِّرْهم إلى الشام ، وكتب إلى الأشتر : إنّي لأراك تُضْمِرُ شيئاً لو أظهرته لحلّ دمك ، وما أظنّك مُنْتَهياً حتى تصيبك قارعةٌ لا بُقْيا بعدها ، فإذا أتاك كتابي هذا فسِرْ إلى الشام لإفسادك مَن قِبَلك وأنّك لا تأْلوهم خبالاً ، فسَيَّر سعيدٌ الأشترَ ومن كان وثب مع الأشتر وهم : زيد وصَعْصَعة ابنا صُوحان ، وعائذ بن حَمَلة الطُهَويّ من بني تميم ، وكُميل بن زياد النَخعي ، وجُندب بن زهير الأزدي ، والحارث بن عبدالله الأَعور الهَمْداني من بني حُوث بن سَبُع بن صَعْب إخوة السَّبِيع بن سَبُع بن صَعْب ويزيد بن المكفّف النَخعي ،

---

١ ـ صأصأ : خاف وذل . القاموس .

وثابت بن قيس [بن] المُنْقَع بن الحارث النخعي ، وأُصْعَر بن قيس بن الحارث بن وقّاص الحارثي من بني المُعَقَّل .

فكتب جماعة من القُرّاء إلى عثمان منهم : مَعْقِل بن قيس الرِياحي ، وعبدالله بن الطُفيل العامِري ، ومالك بن حَبيب التميمي ، ويزيد بن قيس الأَرحبي ، وحُجْر بن عَدِيّ الكندي ، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي ، وسليمان بن صُرَد الخُزاعي ، ويُكنى أبا مُطَرِّف ، والمسَيَّب بن نَجَبَة الفَزَاري ، وزيد بن حِصْن الطائّي ، وكعب بن عَبْدة النَهْدي ، وزياد بن النَضْر بن بشْر بن مالك بن الدَيّان الحارثي ، ومَسْلَمة بن عَبْدٍ القاريُّ من القارة من بني الهون بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة ، أنّ سعيداً كثر على قوم من أهل الوَرَع والفضل والعَفاف فَحَمَلَك في أمرهم على ما لا يحلّ في دين ، ولا يحسن في سماع ، وإنّا نُذكّرك الله في أُمّة محمد فقد خفنا أن يكون فساد أمرهم على يديك ، لأنّك قد حملت بني أبيك على رقابهم ، وآعلم أنّ لك ناصراً ظالماً ، وناقماً عليك مظلوماً ، فمتى نصرك الظالم ونقم عليك الناقم تباينَ الفريقان واختلفت الكلمة ، ونحن نُشهد عليك الله وكفى به شهيداً ، فإنّك أميرُنا ما أطعتَ الله واستقمت ، ولن تَجِدَ دون الله مُلْتَحَداً ولا عنه مُنْتَقَذاً . ولم يُسَمِّ أحدٌ منهم نفسَه في الكتاب ، وبعثوا به مع رجل من عَنَزَةُ يكنى أبا ربيعة ، وكتب كعب بن عَبْدة كتاباً من نفسه تسمّى فيه ودفعه إلى أبي ربيعة .

فلما قدم أبو ربيعة على عثمان سأله عن اسماء القوم الذين كتبوا الكتاب فلم يخبره ، فأراد ضَرْبَه وحَبْسَه ، فمنعه عليٌّ من ذلك وقال : إنّما هو رسول أدّى ما حمل ؛ وكتب عثمان إلى سعيد أن يضرب كعبَ بن عَبْدة عشرين

سوطاً ويُحوّل ديوانه إلى الرَيّ ففعل ، ثم إنّ عثمان تحوَّبَ وندم فكتب في إشخاصه إليه ففعل ، فلما ورد عليه قال له : إنّه كانت مِنّي طَيْرة ، ثم نزع ثيابه وألقى إليه سوطاً وقال : اقتَصّ ، فقال : قد عفوتُ يا أمير المؤمنين .

ويقال إنّ عثمان لما قرأ كتاب كَعْب كتب إلى سعيد في إشخاصه إليه ، فأشخصه إليه مع رجل أعرابيّ من أعراب بني أَسَد ، فلما رأى الأعرابيّ صلاته وعرف نسكه وفضله قال :

ليت حظّي من مَسيري بِكَعْبِ عَفْـوُهُ عنّي وغُفْـرانُ ذنبي

فلما قدم به على عثمان قال عثمان: لأن تَسْمَع بالمُعَيْدِيّ خيرٌ من أن تراه ، وكان شاباً حديث السنّ نحيفاً ، ثم أقبل عليه فقال : أأنت تعلّمني الحقّ وقد قرأتُ كتابَ الله وأنت في صُلْبِ رجلٍ مشرِك ، فقال له كعب : إنّ إمارة المؤمنين إنّما كانت لك بما أَوْجَبَتْه الشُورَى حين عاهدتَ الله على نفسك لتسيرنّ بسيرة نبيّه لا تقصّر عنها ، وإنْ يشاورونا فيك ثانيةً نَقَلْناها عنك ، يا عثمان إنّ كتاب الله لمن بلغه وقرأه ، وقد شركناك في قراءته ، ومتى لم يعمل القارىء بما فيه كان حُجّةً عليه ، فقال عثمان : والله ما أظنّك تدري أين ربّك فقال : هو بالمِرْصاد ، فقال مروان : حِلْمُك أغرى مثلَ هذا بك وجَرَّأه عليك ، فأمر عثمان بكعب فجُرّد وضُرب عشرين سوطاً وسيّره إلى دُباوَنْد ، ويقال إلى جبل الدُّخان[1] ؛ فلما ورد على سعيد حمله مع بُكير بن حُمْران الأَحْمَري فقال الدهقان الذي ورد عليه : لِمَ فُعل بهذا الرجل ما أرى ؟ قال بُكير : لأنّه شرير ، فقال : إنّ قوماً هذا من شرارهم لَخيارٌ .

---

١ ـ هما سواء انظر مادة «دنباوند» في معجم البلدان .

ثم إنّ طلحة والزبير وّبخا عثمان في أمر كعب وغيرِهِ ، وقال طلحة : عند غِبّ الصَّدَرِ تُحْمَدُ عاقبة الوِرْد ، فكتب في ردّ كعب رضي الله تعالى عنه وحَمْله إليه فلما قدم عليه نزع ثوبه وقال : يا كعب اقْتَصّ ، فعفا رضي الله عنهم أجمعين .

أمر المسيّرين من أهل الكوفة إلى الشام :

قالوا : لما خرج المسيَّرون من قُرّاء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق نزلوا مع عمرو بن زُرارة ، فَبَرَّهم معاوية وأكرمهم ، ثم إنّه جرى بينه وبين الأشتر قول حتى تغالظا ، فحبسه معاوية ، فقام عمرو بن زرارة فقال : لئن حبسته لتجدنّ مَن يمنعه ، فأمر بحبس عمرو ، فتكلّم سائر القوم فقالوا : أَحْسِن جِوارنا يا معاوية ، ثم سكتوا فقال معاوية : ما لكم لا تَكلَّمون ؟ فقال زيد بن صُوحان : وما نصنع بالكلام لئن كنّا ظالمين فنحن نتوب إلى الله ، وإن كنّا مظلومين فإنّا نسأل الله العافية ، فقال معاوية : يا أبا عائشة أنت رجلُ صدقٍ ، وأَذِن له في اللحاق بالكوفة ؛ وكتب إلى سعيد بن العاص : أمّا بعد فأني قد أذنت لزيد بن صُوحان في المسير إلى منزله بالكوفة لما رأيت من فضله وقَصده وحسن هديه ، فأَحْسِن جواره وكُفّ الأذى عنه وأَقْبِلْ إليه بوجهك ووِدِّك فإنه قد أعطاني مَوْثِقاً أن لا ترى منه مكروهاً ، فشكر زيد معاويةَ وسأله عند وداعه إخراج مَن حبس ففعل . وبلغ معاوية أنّ قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشتر وأصحابه ، فكتب إلى عثمان : إنّك بعثت إليّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوه ولا آمنُ أن يُفسدوا طاعةَ من قِبَلي ويعلّموهم ما لا يُحسنونه حتى تعود سلامتُهم غائلةً واستقامتهم اعْوِجاجاً ، فكتب إلى

معاوية يأمره أن يسيّرهم إلى حمص ففعل ، وكان واليها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة . ويقال إنّ عثمان كتب في ردّهم إلى الكوفة فضجّ منهم سعيد ثانيةً ، فكتب في تسييرهم إلى حمص فنزلوا الساحل .

قالوا : وكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى أُمرائه في القدوم عليه للذي رأى من ضجيج الناس وشَكِيَّتهم ، فقدم عليه معاوية من الشام ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح من المغرب ، وعبدالله بن عامر بن كُريز من البصرة ، وسعيد بن العاص من الكوفة ، فأمّا معاوية فقال له : أَعِذْني وعُمّالَك إلى أعمالنا وخُذْنا بما تحت أيدينا ، وأشار عليه أيضاً بالمسير إلى الشام فأبى وقال : لا أخرج من مُهاجَر رسول الله وجوار قبره ومسكن أزواجه ، فعرض عليه أن يوجّه إليه جيشاً يقيم معه فيمنع منه فقال : لا أكون أوّلَ من وطيء أصحاب رسول الله ﷺ وأنصاره بجيش ؛ وأمّا سعيد بن العاص فقال له : إنّما دعا الناسَ إلى الشكيّة وسوء القول الفراغُ فاشْغَلْهم بالغزو ، وأمّا ابن عامر فقال : إنّ الناس نقموا عليك في المال فأَعْطِهم إيّاه ، فَرَدَّهُمْ إلى أعمالهم .

وقال عليّ : يا عثمان إنّ الحقّ ثقيل مَرِيءٌ ، وإنّ الباطل خفيف وبيءٌ ، وإنّك متى تُصْدَقْ تَسخَطْ ، ومتى تُكْذَبْ تَرْضَ ؛ وقال له طلحة : إنّك قد أحدثت أحداثاً لم يكن الناسُ يعهدونها ، فقال عثمان : ما أحدثتُ حدثاً ولكنّكم أَظِنّاءُ تُفسدون عليَّ الناس وتؤلّبونهم .

وكان عِلْباء بن الهَيْثَم السَدُوسي قد شخص مع سعيد بن العاص إلى المدينة ليقرّظه ويُثْني عليه لأنّه سأله ذلك ، وأَحَبَّ عِلْباءُ أيضاً أن يلقي عليّاً ويعلمَ حالَ عثمان وما يكونُ منه ، فلما رأى أنّ عثمان قد عزم على ردّ عُمّاله

تعجَّل إلى الكوفة على ناقةٍ له ، فلما قدمها قال : يا أهل الكوفة هذا أميركم الذي يزعم أنّ السواد بستان له قد أقبل ، واغتنم أهلُ الكوفة غيبة معاوية عن الشام ، فكتبوا إلى إخوانهم الذين بِحِمْص مع هانِىء بن خَطّاب الأَرْحَبي يدعونهم إلى القدوم ويشجّعونهم عليه ويُعلمونهم أنّه لا طاعة لعثمان مع إقامته على ما يُنْكَر منه ، فسار إليهم هانىء بن خطّاب مُغِذاً للسير راكباً للفَلاة ، فلما قرأوا كتاب أصحابهم أقبل الأشتر والقوم المسيّرون حتى قدموا الكوفة ، فأعطاه القُرّاء والوجوه جميعاً مواثيقهم وعهودهم أن لا يَدَعوا سعيد بن العاص يدخل الكوفة والياً أبداً ، وكان الذين كتبوا مع هانىء بن خطّاب : مالك بن كعب بن عبدالله الهَمْداني ثم الأرْحَبي ، ويزيد بن قيس بن ثُمامة الأرْحَبي ، وشُرَيْح بن أوفى العَبْسي ، وعبدالله بن شَجَرة السُلَمي ، وجَمْرة بن سِنان الأسدي ، وحُرْقُوص بن زُهير السَّعْدي ، وزياد بن خَصَفة التَّيْمي ، وعبدالله بن قَفَل البكري ثم التيمي ، وزياد بن نَضْر الحارثي ، وعمرو بن شرحبيل أبو مَيْسَرة الهمداني ، وعَلْقَمة بن قيس النَخَعي في رجال أشباههم .

وقام مالك بن الحارث الأشتر يوماً فقال : إنّ عثمان قد غيّر وبدّل ، وحضّ الناس على منع سعيد من دخول الكوفة ، فقال له قَبِيصة بن جابر بن وهب الأَسَدي من ولد عَمِيرة بن جدار : يا أشتر دامَ شَتَرُك ، وعَفَا أثرك ، أَطَلْتَ الغيبة ، وجئت بالخَيْبة ، أتأمرنا بالفرقة والفتنة ونكث البيعة وخلع الخليفة ؟ فقال الأشتر : يا قَبيصة بن جابر وما أنت وهذا ، فوالله ما أسلم قومك إلّا كرهاً ولا هاجروا إلّا فقْراً ، ثم وثب الناس على قبيصة فضربوه

وجرحوه فوق حاجبه ، وجعل الأشتر يقول : لا حُرَّ بوادي عَوْفٍ[١] ، مَنْ لا يَذُدْ عن حَوْضِهِ يُهَدَّم[٢] ؛ ثم صلّى بالناس الجمعة وقال لزياد بن النَضْر : صَلِّ بالناس سائر صلواتهم والزم القصر ، وأَمَرَ كميل بن زياد فأخرج ثابت بن قيس بن الخَطِيم الأنصاري من القصر ، وكان سعيد بن العاص خلَّفه على الكوفة حين شخص إلى عثمان ، وعسكر الأشترُ بين الكوفة والحيرة وبعث عائذَ بن حَمَلة في خمسمائة إلى أسفل كَسْكَرَ مَسلْحَةً بينه وبين البصرة ، وبعث جمرة بن سِنان الأسدي في خمسمائة إلى عَيْنِ التَمْر ليكون مسلحة بينه وبين الشام ، وبعث هانىء بن أبي حَيَّة بن عَلقمة الهمداني ثم الوادِعي إلى حُلْوان في ألف فارس ليحفظ الطريق بالجبل ، فلقي الأكراد بناحية الدِينَور وقد أفسدوا فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبعث الأشتر إيضاً يزيد بن حُجَيّة التيمي إلى المدائن وأرض جُوخَى ، وولّى عُرْوة بن زيد الخيل الطائيّ ما دون المدائن ، وتَقَدَّمَ إلى عُمّاله أن لا يَجْبوا درهماً وأن يسكّنوا الناس وأن يضبِطوا النواحي ، وبعث مالكَ بن كعب الأرحبي في خمسمائة فارس ومعه عبدالله بن كَباثة أحد بني عائذالله بن سعد العَشيرة بن مالك بن أُدَد بن زيد إلى العُذيب لِيلقَى سعيد بن العاص ويردّه ، فلقي مالك بن كعب الأرحبي سعيداً فردّه وقال : لا والله لا تشرب من ماء الفرات قطرة ، فرجع إلى المدينة فقال له عثمان : ما وراءك ؟ قال : الشرّ ، فقال عثمان : هذا كلّه عمل هؤلاء يعني عليّاً والزبير وطلحة .

---

١ - أي كل من صار في ناحيته خضع له وذل . كتاب الأمثال لأبي عبيد ص ٩٤ - المثل (٢١٣) .

٢ - من قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وأنهب الأشترُ دارَ الوليد بن عقبة وكان فيها مال سعيد ومتاعه حتى قُلعت أبوابها ، ودخل الأشتر الكوفةَ فقال لأبي موسى : تولَّ الصلاة بأهل الكوفة ، ولْيَتَولَّ حُذيفةُ السَواد والخراج .

وكتب عثمان إلى الأشتر وأصحابه مع عبد الرحمن بن أبي بكر ، والمِسْوَر بن مَخْرَمة يدعوهم إلى الطاعة ويُعلمهم أنّهم أوّلُ مَن سَنّ الفرقة ويأمرهم بتقوى الله ومُراجعة الحق والكتاب إليه بالذي يُحبّون ، فكتب إليه الأشتر : من مالك بن الحارث إلى الخليفة المبتلى الخاطىء الحائد عن سنّة نبيّه ، النابذ لحُكم القرآن وراءَ ظهره ، أمّا بعد فقد قرأنا كتابك فَآنْهَ نفسَكَ وعُمّالَكَ عن الظلم والعُدْوان وتسيير الصالحين نَسْمَحْ لك بطاعتنا ، وزعمتَ أنّا قد ظلمنا أنفسنا وذلك ظنّك الذي أرداك فأراك الجَوْرَ عدلاً والباطل حقاً ، وأمّا مَحَبَّتُنا فأن تَنْزِعَ وتتوب وتستغفر الله مِن تَجَنّيك على خيارنا وتسييرك صلحاءَنا وإخراجك إيّانا من ديارنا وتوليتك الأحداث علينا ، وأن تُوَلِّيَ مصرنا عبدالله بن قيس أبا موسى الأشعري وحُذيفة فقد رَضِيناهما ، واحْبسْ عنّا وَليدك وسعيدك ومَن يدعوك إليه الهوى مِن أهل بيتك إن شاء الله والسلام .

وخرج بكتابهم يزيد بن قيس الأرْحَبي ومسروق بن الأَجْدَع الهمداني وعبدالله بن ابي سَبْرة الجُعْفي ، واسم أبي سبرة يزيد ، وعلقمة بن قيس أبو شِبْلْ النَخَعي وخارِجة بن الصَلْت البُرْجُمي من بني تميم في آخرين ، فلما قرأ عثمان الكتاب قال : اللهمّ إنّي تائب ، وكتب إلى أبي موسى وحُذيفة : أنتما لأهل الكوفة رضىً ولنا ثِقَةٌ فتوليا أمرهم وقُومَا به بالحقّ ، غَفَرَ الله لنا ولكما ، فتولّى أبو موسى وحذيفة الأمر وسَكّن أبو موسى الناس .

وقال عُتْبَة بن الوَغْل :

تَصَدَّقْ علينا يا بْنَ عَفّان وَٱحْتَسِبْ وأَمِّرْ علينا الأَشْعَرِيَّ لياليَـا

فقال عثمان : نعم وشهوراً إن بقيتُ .

ذكر قول جبلة الأنصاري وجهجاه الغفاري لعثمان رضي الله عنه

قال الكلبي : هو رُخَيْلة بن ثَعْلَبة البياضي بَدْرِيٌّ .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده قال : مرّ عثمان بن عفّان على جَبَلة بن عمرو الساعِدي وهو على باب داره وقد أنكر الناس عليه ما أنكروا فقال له : يا نَعْثَلُ والله لأُقتلنّك ولأحملنّك على قَلوصٍ جَرْباء ولأُخرجنّك إلى حَرّة النار ؛ ثم أتاه وهو على المنبر فأنزله وكان أوّل من اجترأ على عثمان وتجهّمه بالمنطق الغليظ ، وأتاه يوماً بجامعة فقال : والله لأُطْرَحنّها في عنقك أو لتتركنّ بِطانتك هذه ، أطعمت الحارث بن الحَكَم السوق وفعلتَ وفعلت . وكان عثمان ولّى الحارث السوق فكان يشتري الجَلَبَ بحُكْمه ويبيعه بسَوْمه ، ويجبي مقاعد المتسّوقين ويصنع صنيعاً مُنكراً ، فكُلِّم في إخراج السوق من يده فلم يفعل ؛ وقيل لجبلة في أمر عثمان وسُئل الكَفّ عنه فقال : والله لا ألقى الله غَداً فأقول ﴿إنّا أَطَعْنا سادَتنا فأضلّونا السبيل﴾[1] .

وقال الواقدي في بعض إسناده : خطب عثمان في بعض أيّامه فقال له جَهْجاهُ بن سعيد الغِفاري : يا عثمان انزلْ نُدَرِّعْك عَباءَةً ونحملك على

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٦٧ .

شارف من الإبل إلى جبل الدُخان كما سُيّرتَ خِيارَ الناس ، فقال له عثمان : قبحك الله وقبح ما جئت به ، وكان جَهْجاهُ متغيّظاً على عثمان ، فلما كان يوم الدار دخل عليه ومعه عصاً كان النبيّ ﷺ يتخصرَّ بها فكسرها على رُكْبته ، فوقعت فيها الأَكلة .

حدثني رَوْح بن عبد المؤمن حدثني أبو الربيع سليمان بن داود الزَهْراني انبأنا حمّاد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يَسار أنّ جَهْجاهاً الغفاري دخل على عثمان فأخذ منه عصا النبيّ ﷺ التي كان يتخصرَّ بها فكسرها على ركبته فأخذته الأَكلة في ركبته ؛ وكان جهجاه ممّن بايع تحت الشجرة ، رضي الله تعالى عنه .

أمر عمار بن ياسر العنسي رضي الله تعالى عنه :

حدثنا عبّاس بن هشام بن محمد عن أبي مخنف في إسناده قال : كان في بيت المال بالمدينة سَفَط فيه حلي وجوهر فأخذ منه عثمان ما حلَّى به بعض أهله ، فأظهر الناسُ الطعنَ عليه في ذلك وكلَّموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه ، فخطب فقال : لنَأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإنْ رَغِمَتْ أُنوف أقوام ، فقال له عليّ : إذاً تُمْنع من ذلك ويُحال بينك وبينه ، وقال عَمّار بن ياسِر : أُشهد الله أنّ أَنْفِي أوّل راغم من ذلك ، فقال عثمان : أعَلَيَّ يا بن المّتكاءِ[1] تجترىء ؟ خُذوه ، فأُخذ ودخل عثمان فدعا به فضربه حتى غُشي عليه ثم أُخرج فحُمل حتى أُتي به منزل أمّ سَلَمة زوج رسول الله ﷺ فلم

١ ـ المتكاء : البظراء ، والمفضاة ، والتي لا تمسك البول . القاموس .

يصلّ الظهر والعصر والمغرب ، فلما أفاق توضأ وصلّى وقال : الحمد لله ليس هذا أوّلَ يوم أُوذينا فيه في الله ؛ وقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان عمّار حليفاً لبني مخزوم فقال : يا عثمان أمّا عليٌّ فاتَقَيْته وبني أبيه ، وأمّا نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتى أشفيتَ به على التلَف ، أمّا والله لئن مات لأقتلنّ به رجلاً من بني أميّة عظيم السُرّة ، فقال عثمان : وإنك لَها هنا يا بن القَسْرِيّة ، قال : فإنهما قَسْرّيتان ، وكانت أمّه وجدته قسرّيتين من بَجيلة ، فشتمه عثمان وأمر به فأُخرج ، فأتى أمّ سلمة وإذا هي غضبت لعمّار ، وبلغ عائشةَ ما صنع بعمّار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثم قالت : ما أَسْرَعَ ما تركتم سُنّة نبيّكم وهذا شعره وثوبه ونعله ولم يَبْلَ بعدُ ، فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول ، فالتجّ المسجد وقال الناس : سبحان الله سبحان الله ؛ وكان عمرو بن العاص واجداً على عثمان لعزله إيّاه عن مصر وتوليته إيّاها عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح ، فجعل يُكثر التعجّب والتسبيح ، وبلغ عثمان مصير هشام بن الوليد ومَن مشى معه من بني مخزوم إلى أمّ سَلَمة وغضبُها لعمّار فأرسل إليها : ما هذا الجمع ؟ فأرسلت إليه : دع ذا عنك يا عثمان ولا تحمِلِ النّاسَ في أمرك على ما يكرهون . واستقبح الناس فعله بعمّار ، وشاع فيهم ، فاشتدّ إنكارهم له .

ويقال إنّ المقداد بن عمرو وعمّار بن ياسر وطلحة والزبير في عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عدّدوا فيه أحداث عثمان وخوّفوه ربَّه وأعلموه انّهم مواثبوه إن لم يُقْلِعْ ، فأخذ عمّار الكتاب وأتاه به ، فقرأ صدراً منه فقال له عثمان : أعَلَيَّ تقدمُ مِن بينهم ؟ فقال عمّار : لأنّي أنصحهم لك ،

فقال : كذبت يا بن سُمَيَّة ، فقال : وأنا والله ابن سميَّة وابن ياسر ، فأمر غلماناً له فمدّوا بيديه ورجليه ثم ضربه عثمان برجليه وهي في الخُفَّين على مذاكيره فأصابه الفَتْق ، وكان ضعيفاً كبيراً فغُشي عليه .

وقد قيل أيضاً إنّ عثمان مرّ بقبر جديد فسأل عنه فقيل قبر عبدالله بن مسعود ، فغضب على عمّار لكتمانه إيّاه موته إذ كان المتولّي للصلاة عليه والقيام بشأنه ، فعندها وطىء عمّاراً حتى أصابه الفتق .

وكان محمد بن أبي بكر بن أبي قُحافة ، ومحمد بن أبي حُذيفة خرجا إلى مصر عامَ خرج عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح إليها ، فأظهر محمد بن أبي حذيفة عَيْبَ عثمان والطعنَ عليه وقال : استعمل عثمان رجلاً أباح رسولُ الله ﷺ دمه يوم الفتح ونزل القرآن بكفره حين ﴿قال سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله﴾[1] .

وكانت غزاة ذات الصَواري في المحَّرم سنة أربع وثلاثين وعليها عبدالله بن سعد فصلّى بالناس ، فكبّر ابن أبي حُذيفة تكبيرة أفزعه بها فقال : لولا أنّك حَدَثٌ أحمق لقاربت بين خَطْوك ، ولم يزل يبلغه عنه وعن ابن أبي بكر ما يكره ، وجعل ابن أبي حذيفة يقول : يا أهل مصر إنّا خَلَّفنا الغَزْوَ وراءَنا يعني غزو عثمان ؛ وقد كان عثمان رضي الله تعالى عنه ضربَ ابن أبي حذيفة في الشراب فاحتمل عليه لذلك حقداً وحنقاً وهو كان ربّاه بعد مقتل أبيه باليَمامة ، فكتب ابن أبي سَرْح إلى عثمان إنّ محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة قد أَنْغلا عليَّ المغرب وأفسداه ، فكتب إليه عثمان : أمّا محمد بن

---

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٩٣ .

أبي بكر فإنّي أَدَعه لأبي بكر الصدّيق وعائشةَ أمّ المؤمنين ، وأمّا محمد بن أبي حذيفة فإنّه ابني وابن أخي وأنا ربيّته وهو فَرْخ قريش .

وحدثني خَلَف بن سالم حدثنا وهب بن جرير عن ابن جُعْدُبة عن صالح بن كيسان عن عمر بن عبد العزيز أنّ محمد بن أبي حذيفة ، ومحمد بن أبي بكر حين أكثر الناس في أمر عثمان قدما مصر وعليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، ووافقا بمصر محمد بن طلحة بن عبيدالله وهو مع عبدالله بن سعد ، وأنّ ابن أبي حُذيفة شهد صلاة الصبح في صبيحة الليلة التي قدم فيها ففاتته الصلاة فجهر بالقراءة ، فسمع ابن أبي سرح قراءته فسأل عنه فقيل رجل أبيض طوال وضيء الوجه ، فأمر إذا صلّى أن يُؤتى به ، فلما رآه قال : ما جاء بك إلى بلدي ؟ قال : جئت غازياً قال : ومن معك ؟ قال محمد بن أبي بكر ، فقال ؛ والله ما جئتما إلاّ لتُفسدا الناس وأمر بهما فسُجنا ، فأَرسلا إلى محمد بن طلحة يسألانه أن يكلّمه فيهما لئلاّ يمنعهما من الغزو ، فأطلقهما ابن أبي سرح ، وغزا ابن أبي سرح إفريقية فأعدّ لهما سفينة مُفَردة لئلاّ يُفسدا عليه الناس ، فمرض ابن أبي بكر فتخلَّف وتخلَّف معه ابن أبي حُذيفة ، ثم إنّهما خرجا في جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلاّ وقد أوغرا صدورَ الناس على عثمان ، فلما وافى ابنُ أبي سَرْح مصرَ وافاه كتاب عثمان بالمصير إليه ، فشخص إلى المدينة ، وخلَّف على مصر رجلاً كان هواه مع ابن أبي بكر ، وابن أبي حُذيفة ، فكان ممّن شايعهم وشجّعهم على المسير إلى عثمان .

قالوا : وبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبجملٍ عليه كسوة فأمر به فُوضع في المسجد وقال : يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان

يخادعني عن ديني ويَرْشوني عليه ، فازداد أهلُ مصر عَيْباً لعثمان وطعناً عليه ، واجتمعوا إلى ابن أبي حذيفة فرأَّسوه عليهم ؛ فلما بلغ عثمان ذلك دعا بعمّار بن ياسر فاعتذر إليه ممّا فعل به واستغفر الله منه وسأله أن لا يحقده عليه وقال : بحسبك مِن سلامتي لك ثقتي بك ، وسأله الشخوصَ إلى مصر ليأتيه بصحّة خبر ابن أبي حذيفة وحقِّ ما بلغه عنه من باطله ، وأَمَرَه أن يقوم بعُذره ويَضْمَنَ عنه العُتْبَى لِمَن قدم عليه ، فلما ورد عمّار مصر حرّض الناسَ على عثمان ودعاهم إلى خلعه وأشعلها عليه ، وقوّي رأيَ ابن أبي حُذيفة وابن أبي بكر وشجّعهما على المسير إلى المدينة ، فكتب ابنُ أبي سرح إلى عثمان يعلمه ما كان من عمّار ويستأذنه في عقوبته ، فكتب إليه : بِئس الرأيُ رأيتَ يا بن أبي سرح ، فأَحْسِن جهاز عمّار واحمله إليّ ، فتحرّك أهلُ مصر وقالوا : سُيِّر عمّار ، ودَبَّ فيهم ابنُ أبي حذيفة ودعاهم إلى المسير فأجابوه .

حدثني رَوْح بن عبد المؤمن المُقْرىء وأحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي قالا : حدثنا بَهْز بن أسد حدثنا حُصين بن نُمير عن جُهيم الفِهْري قال : أنا حاضر أَمْرَ عثمانِ ، قال : فجاء سعد وعمّار ومعهما من معهما إلى باب عثمان فأرسلوا إلى عثمان : إنّا نريد أن نذاكرك أشياء أحدثّتها ، فأرسل إليهم : إنّي مشغول عنكم اليوم فانصرِفوا يومَكم وعودوا يوم كذا ، فانصرف سعد ولم ينصرف عمّار ، وأعاد الرسول إلى عثمان ، فردّ عليه مثلَ القول الأوّل ، فأبى أن ينصرف فتناوله رسول عثمان ، فلما اجتمعوا للميعاد قال لهم عثمان : ما تنقمون عليَّ ؟ قالوا : أوّل ذلك ضربُك عمّاراً ، فقال : تناوله رسولي بغير رضائي وأمري ، وذكر كلاماً بعد ذلك .

أمر أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه : من بني كنانة بن خُزيمة .

قالوا : لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه . وأعطى الحارثَ بن الحَكَم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم ، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم جعل أبو ذَرّ يقول بَشِّر الكانزين بعذاب أليم ويتلو قول الله عزّوجلّ ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلفِضَّة﴾ الآية[1] فرفع ذلك مروان بن الحَكَم إلى عثمان فأرسل إلى أبي ذَرّ ناتلا مولاه أن انْتَهِ عمّا يبلغني عنك فقال : أيَنْهاني عثمان عن قراءة كتاب الله وعَيْبِ مَن ترك أمر الله ، فوالله لأن أُرضي الله بسُخْط عثمان أحبُّ إليّ وخيرٌ لي من أن أُسخط الله برضاه ، فأغضب عثمان ذلك وأُحفَظَهُ ، فتصابر وكفّ .

وقال عثمان يوماً : أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيْسَرَ قَضَى ؟ فقال كعب الأحبار : لابأس بذلك ، فقال أبو ذَرّ : يا بن اليهوديّين أتعلّمنا ديننا ؟ فقال عثمان : ما أكْثَرَ أذاك لي وأُوْلَعَك بأصحابي ، ٱلحَقْ بمَكْتَبك ، وكان مكتبه بالشام إلّا أنّه كان يقدم حاجّاً ويسأل عثمان الإذن له في مُجاوَرة قبر رسول الله ﷺ فيأذن له في ذلك ، وإنّما صار مَكْتَبُه بالشام لأنّه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ سَلْعاً[2] : إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا بلغ البناءُ سَلْعاً فالهَرَبَ» ، فأذَنْ لي آتِ الشام فأغزو هناك ، فأذن له .

---

١ ـ سورة التوبة ـ الآية : ٣٤ .
٢ ـ سلع جبل بالمدينة المنورة .

وكان أبو ذرّ ينكر على معاوية أشياء يفعلها ، وبعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار فقال : إن كانت من عَطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتُها ، وإن كانت صِلةً فلا حاجة لي فيها ، وبعث إليه حبيبُ بن مَسْلَمة الفِهْري بمائتي دينار فقال : أما وجدتَ أَهْوَنَ عليك منّي حين تبعث إليَّ بمال ؟ وردّها . وبنى معاوية الخَضْراءَ بدمشق فقال : يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة ، وإن كانت من مالكَ فهذا الإسراف ، فسكت معاوية .

وكان أبو ذرّ يقول : والله لقد حَدَثَتْ أعمالٌ ما أعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ولا سُنَّةِ نبيّه ، والله إنّي لأَرَى حقاً يُطفأ ، وباطلاً يحيا ، وصادقاً يُكَذَّبُ . وأَثَرَةً بِغَيْر تُقى وصالحاً مُستأثراً عليه . فقال حبيب بن مَسْلمة لمعاوية : إنّ أبا ذَرّ مُفسدٌ عليك الشام فَتدارَكْ أهلَه إن كانت لكم به حاجة ، فكتب معاوية إلى عثمان فيه ، فكتب عثمان إلى معاوية : أمّا بعد فاحمل جُنْدباً إليّ على أغلظ مركب وأَوْعَرِهِ ، فوجّه معاوية من سار به الليلَ والنهارَ ، فلما قدم أبو ذَرّ المدينة جعل يقول : يستعمل الصبيانَ ويحمي الحِمَى ويقرّب أولاد الطلقاء ، فبعث إليه عثمان آلحَقْ بأي أرض شئت ، فقال : بمكّة ، فقال : لا ، قال:فبيت المقدس ، قال : لا ، قال:فبأحد المصْرَين[1] ، قال : لا ، ولكني مُسَيِّرُك إلى الرَّبَذَة[2]، فسيَّره إليها فلم يزل بها حتى مات.

---

١ ـ أي الكوفة والبصرة .
٢ ـ كانت الربذة محطة هامة على طريق الكوفة ـ المدينة المنورة .

ويقال إنّ عثمان قال لأبي ذرّ حين قدم من الشام : قُرْبُنا يا أبا ذرّ خير لك من بُعدنا يُغدَىٰ عليك باللقاح ويُراح فقال : لا حاجةَ لي في دنياكم ولكنّي آتى الرَبَذة ، فأذِن له في ذلك فأتاها ومات بها .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام بن الغاز حدثنا مكحول قال : قدم حبيب بن مَسْلَمة من أرْمينية فمرّ بأبي ذرّ بالرَبَذة فعرض عليه خادَمَيْن معه ونفقة فأبى قبولَ ذلك فقال له : ما أتى بك ها هنا ؟ قال : نفسي ، رأيت ما هاهنا اسْلَمَ لي .

حدثني محمد عن الواقدي عن عبدالله بن محمد بن سَمْعان عن أبيه أنّه قيل لعثمان إنّ أبا ذرّ يقول إنّك أخرجته إلى الرَبَذَة ، فقال : سبحان الله ما كان من هذا شيء قطّ ، وإنّي لأعرف فضله وقَديِمَ إسلامه وما كُنّا نعدُّ في أصحاب النبيّ ﷺ أكَلَّ شوكةً منه .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف عن فُضيل بن خَديج عن كُميل بن زياد قال : كنت بالمدينة حين أمر عثمان أبا ذرّ باللحاق بالشام ، وكنت بها في العام المقبل حين سيّره إلى الرَبَذة .

وحدثني بكر بن الهَيْثَم عن عبد الرزّاق عن معمر عن قتادة قال : تكلّم أبو ذرّ بشيء كرهه عثمان فكذّبه فقال : ما ظننت أنّ أحداً يكذّبني بعد قول رسول الله ﷺ : «ما أقَلّت الغَبْراءُ ولا أطْبَقَتِ الخَضْراءُ على ذي لَهْجةٍ أَصْدَقَ من أبي ذَرّ» ، ثم سيّره إلى الرَبَذَة ، فكان أبو ذرّ يقول : ما ترك الحقُّ لي صديقاً ؛ فلما سار إلى الرَبَذَة قال : ردّني عثمان بعد الهجرة أعرابيّاً .

قال : وشيّع عليٌّ أبا ذرّ فأراد مروان منعه منه ، فضرب عليٌّ بسوطه بين أُذُنَي راحلته ، وجرى بين عليّ وعثمان في ذلك كلام حتى قال عثمان :

ما أنت بأفضل عندي منه ، وتغالظا ، فأنكر الناسُ قولَ عثمان ودخلوا بينهما حتى اصطلحا .

وقد رُوي أيضاً أنّه لما بلغ عثمانَ موتُ أبي ذرّ بالرَبَذة قال : رحمه الله ، فقال عمّار بن ياسر : نعم فرحمه الله من كلِّ أنفسنا ، فقال عثمان : يا عاضَّ أيْرِ أبيه أتراني ندمتُ على تسييره ؟ وأمر فدُفع في قفاهُ وقال : الْحَقْ بمكانه ، فلما تهيّأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلِّم عثمان فيه فقال له عليّ : يا عثمان آتّق الله فإنّك سيّرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك ، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نَظِيرَه ، وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان : أنت أحقّ بالنَفْي منه ، فقال عليّ : رُمْ ذلك إن شئت ، واجتمع المهاجرون فقالوا : إن كنت كُلَّما كَلَّمَكَ رجل سيرته ونفيته فإنّ هذا شيء لا يسوغ ، فكفّ عن عمّار .

حدثني محمد عن الواقدي عن موسى بن عُبيدة عن [عبدالله بن] خراش الكَعْبي قال : وجدت أبا ذرّ بالربذة في مظَلَّة شَعرٍ فقال : مازال بي الأمْرُ بالمعروف والنهي عن المُنْكَر حتى لم يترك الحقُّ لي صديقاً .

حدثني محمد عن الواقدي عن شيبان النحوي عن الأعمش عن إبراهيم التَيْمي عن أبيه قال : قلتُ لأبي ذَرّ ما أُنزلك الربذة قال : نصحي لعثمان ومعاوية .

محمد عن الواقدي عن طلحة بن محمد عن بشر بن حَوْشَب الفزاري عن أبيه قال : كان أهلي بالشَرَبَّة فجلبتُ غنماً لي إلى المدينة فمررت بالربذة وإذا بها شيخٌ أبيضُ الرأسِ واللحية ، قلت : من هذا ؟ قالوا : أبو ذرّ صاحب رسول الله ﷺ ، وإذا هو في حِفشٍ ومعه قطعةٌ من غنم ، فقلت :

والله ما هذا البلد بمحلَّةٍ لبني غِفار ، فقال : أُخرجتُ كارهاً ؛ فقال بشر بن حَوْشَب : فحدّثت بهذا الحديث سعيدَ بن المسيّب فأنكر أن يكون عثمان أخرجه وقال : إنّما خرج أبو ذرّ إليها راغباً في سكناها .

وقال أبو مخنف : لما حضرت أبا ذرّ الوفاة بالربذة أقبل ركْبٌ من أهل الكوفة فيهم جرير بن عبدالله البَجَلي ، ومالك بن الحارث الأشتر النَخَعي ، والأسود بن يزيد بن قيس بن يزيد النَخَعي ، وعلقمة بن قيس بن يزيد عمّ الأسود في عدّة آخرين فسألوا عنه ليسلّموا عليه فوجدوه وقد تُوفّي ، فقال جرير : هذه غنيمة ساقها الله إلينا ، فحنّطه جرير وكفنه ودفنه وصلّى عليه ـ ويقال بل صلّى عليه الأشتر ـ وحملوا امرأته حتى أتوا بها المدينة ، وكانت وفاته لأربع سنين بقيَتْ من خلافة عثمان ، وقال الواقدي : صلّى عليه ابنُ مسعود بالرَّبَذة في آخرِ ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين .

وحدثنا عفّان بن مسلم حدثنا مُعْتَمِر بن سليمان حدثنا أيّوب حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حُميد بن هلال أنّ رفقةً خرجوا من الكوفة لحِجَّةٍ أو عُمرةٍ فأتوا الرَبذة فبعثوا رجلاً يشتري لهم شاة ، فأتى على خِباءٍ فقال : هل عندكم جَزَرة ؟ فقالت أمّ ذرّ : أَوَ خيرٌ من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قالت : مات أبو ذرّ والناس خُلوف ، وليس عنده أحد يغسله ويُجنُّه وقد دعا الله أن يوفّق قوماً صالحين يغسلونه ويدفنونه ، فرجع الرجل فأعلمهم فأقبلوا مسارعين ومعهم الكَفَن والحنوط فقاموا بأمره حتى أجنّوه .

وروى الواقدي عن هُشيم في إسناده أنّ أبا ذرّ رضي الله تعالى عنه مات فقالت امرأته : بينا أنا جالسة عنده وقد تُوفّي إذ أقبل ركْب فسلّموا فقالوا : ما فعل أبو ذرّ ؟ قلت : هو هذا ميّتاً قد عجزتُ عن غسله ودَفْنِهِ ،

فأناخوا فحفروا له وغسلوه ، وأخرج جرير بن عبدالله حنوطاً وكفناً فحنّطه وكفنه ، ثم دفنوه وحملوها إلى المدينة ؛ فقالت حدثني أبو ذرّ قال : قال لي رسول الله ﷺ : «إنّك تموت بأرض غُرْبة وأَخْبَرني أنّه يلي دفني رهطٌ صالحون» .

وحُدّثتُ عن هشام[1] عن العّوام بن حَوْشب عن رجل من بني ثَعْلَبة بن سعد قال : رأيت أبا ذرّ وقوم يقولون له فَعَلَ بك هذا الرجل وفعل ، يعنون عثمان ، فهل أنت ناصبٌ لنا رايةً فتجتمع إليك الرجال ؟ فقال: لو أنّ ابن عفّان صلبني على أطول جذع لسمعتُ وأطعت واحتسبت وصبرت فانّه مَن أذلّ السلطان فلا توبة له ، فرجعوا .

قول عبد الرحمن بن عوف في عثمان رضي الله تعالى عنه :

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال : لما تُوفّي أبو ذرّ بالرَبَذَة تذاكر عليّ وعبد الرحمن بن عوف فِعْل عثمان فقال عليّ : هذا عَمَلُك ، فقال عبد الرحمن : إذا شئتَ فخُذ سيفك وآخُذُ سيفي ، إنّه قد خالف ما أعطاني .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن صالح عن عبيد بن رافع عن عثمان بن الشريد قال : ذُكر عثمان عند عبد الرحمن بن عوف في مرضه الذي مات فيه فقال عبد الرحمن : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه ، فبلغ ذلك عثمان ، فبعث إلى بئر كان يُسقى منها نَعَمُ عبد الرحمن بن عوف

---

١ ـ كذا ولعل الصواب هشيم ـ كما تقدم أعلاه .

فمنعه إيّاها ، فقال عبد الرحمن : اللهمّ اجعل ماءها غَوْراً ، فما وُجدت فيها قَطْرة .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبدالله عن أبيه عن عبدالله بن ثَعْلَبة بن صُعير أنّ عبد الرحمن بن عوف كان حلف ألّا يكلِّم عثمان أبداً .

وحدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن إبراهيم بن سعد عن أبيه أنّ عبد الرحمن أوصى أن لا يصلّي عليه عثمان ، فصلّى عليه الزبير ، أو سعد بن أبي وقّاص ، وتُوفّي سنة اثنتين وثلاثين .

أمر عامر بن عبد قيس بن ناشب العنبري من بني تميم :

قال أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره : كان عامر بن عبد قيس التميمي يُنكر على عثمان أمره وسيرته ، فكتب حُمران بن أبان مولى عثمان إلى عثمان بخبره ، فكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بن كُريز في حمله فحمله ، فلما قدم عليه فرآه ، وقد أعظم الناسُ إشخاصَهُ وإزعاجه عن بلده لعبادته وزهده ، ألطفه وأكرمه وردّه إلى البصرة ؛ وكان عثمان وجّه حُمران إلى الكوفة حين شكا الناسُ الوليدَ بن عقبة ليأتيه بحقيقة خبره فرشاه الوليد ، فلما قدم على عثمان كذَّب عن الوليد وقرّظه ، ثم إنّه لقي مروان فسأله عن الوليد فقال له : الأمر جليل ، فأخبر مروانُ عثمان بذلك ، فغضب على حُمران وغرّبه إلى البصرة لكذبه إيّاه وأقطعه داراً ، وكان يقال للوليد الأشْعَرُ بَرْكاً ، والبَرْك الصدر .

أمر عبدالله بن الأرقم الزهري :

قال أبو مخنف : كان على بيت مال عثمان عبدالله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مَناف بن زُهرة بن كِلاب ـ وبعض الرواة يقول : عبدالله بن الأرقم بن أُهَيب بن عبد مَناف بن زهرة ـ فاستسلف عثمان من بيت المال مائة ألف درهم وكتب عليه بها عبدالله بن الأرقم ذِكْرَ حَقٍّ للمسلمين وأشهد عليه عليّاً وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن عمر ، فلما حلَّ الأجل ردّه عثمان ، ثم قدم عليه عبدالله بن خالد بن أَسيد بن أَبي العيص من مكّة وناسٌ معه غُزاةً ، فأمر لعبدالله بثلاثمائة ألف درهم ولكلِّ رجل من القوم بمائة ألف درهم وصَكَّ بذلك إلى ابن أرقم فاستكثره وردَّ الصكَّ له ، ويقال انّه سأل عثمان أن يكتب عليه به ذِكْرَ حقّ فأبى ذلك ، فامتنع ابن الأرقم من أن يدفع المال إلى القوم ، فقال له عثمان : إنما أنت خازن لنا فما حَمَلَك على ما فعلت ؟ فقال ابن الأرقم : كنت أراني خازناً للمسلمين ، وإنما خازنك غلامك ، والله لا أَلي لك بيتَ المال أبداً ، وجاء بالمفاتيح فعلَّقها على المنبر ، ويقال بل ألقاها إلى عثمان ، فدفعها عثمان إلى ناتل مولاه ، ثم ولّى زيد بن ثابت الأنصاري بيتَ المال وأعطاه المفاتيح ، ويقال إنّه ولّى بيت المال مُعَيْقِيب بن أبي فاطمة ، وبعث إلى عبدالله بن الأرقم ثلاثمائة ألف درهم فلم يقبلها .

مسير أهل الأمصار إلى عثمان واجتماعهم إليه مع من اجتمع من أهل المدينة :

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قالوا : التقى أهل الأمصار الثلاثة : الكوفة ، والبصرة ، ومصر في المسجد

الحرام قبل مقتل عثمان بعام ، كان رئيس أهل الكوفة كعب بن عَبْدة النَهْدي، ورئيس أهل البصرة المُثَنّى بن مُخَرِّبة العَبْدي ورئيس [أهل] مصر كِنانة بن بِشْر بن عتّاب بن عوف السَكُوني ثم التُجِيبي ، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديَلَه وتَرْكَهُ الوفاءَ بما أعطى من نفسه وعاهَدَ الله عليه وقالوا : لا يَسَعُنا الرضى بهذا ، فاجتمع رأيهم على أن يرجع كلُّ واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصره فيكون رسولَ من شهد مكّة من أهل الخلاف على عثمان إلى من كان على مثل رأيهم من أهل بلده ، وأن يوافوا عثمان في العام المقبل في داره فيستعتبوه فإن أُعْتَبَ وإلاّ رأوا رأيهم فيه ، ففعلوا ذلك ؛ فلما حضر الوقت خرج الأشتر إلى المدينة في مائتين ، وخرج حُكيم بن جَبَلة العَبْدي في مائة ولحق به بعد ذلك خمسون فكان في مائة وخمسين ، وجاء أهل مصر وهم أربعمائة ، ويقال خمسمائة ويقال سبعمائة ويقال ستّمائة ، عليهم أمراء أربعة : أبو عمرو [بن] بُديل بن وَرْقاء بن عبد العُزّى الخُزاعي على رُبْع ، وعبد الرحمن بن عُدَيس البَلَوي على ربع ، وكِنانة بن بِشْر التُجِيبي على ربع ، وعُرْوة بن شِيَيْم بن البيّاع الكِناني ثم اللَّيْثي على ربع ؛ فلما أتوا دار عثمان ، ووثب معهم رجال من أهل المدينة منهم : عمّار بن ياسر العَنْسي ، ورِفاعة بن رافع الأنصاري ـ وكان بَدْرياً ـ والحجّاج بن غَزيّة ـ وكانت له صحبة ـ وعامر بن بُكير أحد بني كنانة ، فحصروا عثمان الحصار الأوّل .

وقال الواقدي في إسناده : لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب بعض أصحاب رسول الله ﷺ إلى بعض يتشاكَوْن سيرة عثمان وتغييرَهُ وتبديله ، وما الناس فيه من عُمّاله وَيَكْثُرون عليه ويسأل بعضهم بعضاً أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد ، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يدفع

عن عثمان ولا يُنكر ما يقال فيه ، إلاّ زيد بن ثابت ، وأبو أُسيد الساعِدي ، وكعب بن مالك بن أبي كعب من بني سَلَمة من الأنصار ، وحسّان بن ثابت الأنصاري ، فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى عليّ فسألوه أن يكلّم عثمان ويَعِظَه ، فأتاه فقال له : إنّ الناس ورائي قد كلّموني في أمرك ، والله ما أدري ما أقول لك ، ما أُعرّفك شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، وأنّك لَتعلم ما نعلم وما سبقناك إلى شيء فنُخْبِرَك عنه ، لقد صحبتَ رسول الله ﷺ وسمعت ورأيت مثل ما سمعنا ورأينا ، وما ابن أبي قحافة وابن الخطّاب بأَوْلَى بالحق منك ، ولأَنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً ، ولقد نِلْتَ من صِهْره ما لم يَنالا ، فالله الله في نفسك ، فإنَّك لا تُبَصَّرُ مِن عَمى ولا تُعَلَّم من جَهْل ؛ فقال له عثمان : والله لو كنتَ مكاني ما عَنَّفْتُك ولا أسلمتك ولا عَتَبْتُ عليك أنْ وصلتَ رحماً وسدَدت خلَّة وآويت ضائعاً ووليّتَ من كان عمر يولّيه ، نشدتُك الله ألم يُوَلِّ عمر المُغِيرة بن شُعْبة وليس هناك ؟ قال : نعم ، قال:أَوَلم يَولِّ معاويةَ ؟ فقال عليّ : إنّ معاوية كان أشدَّ خوفاً وطاعة لعمر من يَرفَأ[1] ، وهو الآن يبتزّ الأمور دونك ، ويقطعها بغير علمك ويقول للناس : هذا أمر عثمان ، ويبلغك فلا تُغيّر ، ثم خرج وخرج عثمان بعده فصعد المنبر فقال : أمّا بعد فإنّ لكلّ شيء آفةً ، ولكلّ أمر عاهةً ، وإنّ آفة هذه الأمّة وعاهة هذه النِعمة عيّابون طعّانون يُرُونكم ما تُحبّون ، ويُسرّون لكم ما تكرهون مثل النَعام ، يتبعون أوّل ناعق ، أَحبُّ مواردهم إليهم البعيدُ ، والله لقد نقمتم عليّ ما أقررتم لابن الخطّاب بمثله ،

---

١ ـ بهامش الأصل : يرفأ غلام عمر .

ولكنّه وطئكم برجله وخبطكم بيده وقمعكم بلسانه فدِنْتم له على ما أحببتم وكرهتم ، وأَلَنْتُ لكم كَنَفي وكففتُ عنكم لساني ويدي فاجترأتم عليَّ ، فأراد مروان الكلام فقال له عثمان : اسكتْ ودَعْني وأصحابي .

وقال الواقدي في روايته : وكان محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حُذيفة لا يفتران من التحريض على عثمان بمصر ، فخرج عبد الرحمن بن عُديس البَلَوي ، وسُودان بن حُمْران المُرادي ، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي ، وعُروة بن شِيَيْم الليثي في خمسمائة ، وأظهروا أنهم يريدون العُمرة ، وكان خروجهم في رَجَب ، ووجّه عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح إلى عثمان بخبرهم رسولاً سار إحدى عشرة ليلة ، وساروا المنازل حتى نزلوا بذي خُشُب[1] ، فقال عثمان : هؤلاء يُظهرون أنّهم يريدون العُمرة ووالله ما يريدون إلّا الفتنة ، لقد طال على الناس عمري ، ولئن فارقتُهم ليتمنَّوْن يوماً من أيّامي . فأتى عثمان عليّاً في منزله فقال له : يا بن عمّ إنّ قرابتي قريبة وحقّي عظيم ، والقوم فيما بلغني على أن يصبّحوني ليقتلوني ، وأنا أعلم أنّ لك عند الناس قدراً وأنهم يسمعون منك ، فأُحبّ أن تركب إليهم فتردّهم على أن أصيرَ إلى ما تُشير به وتراه ولا أخرج عن أمرك ولا أخالفك . فركب عليّ ومعه : سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل أبو الأعور ، وأبو الجَهْم [بن] حُذيفة العَدَوي ، وجُبير بن مُطْعِم ، وحَكيم بن حِزام ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن عَتّاب بن أسيد ، ومن الأنصار : أبو حُميد الساعِدي ، وأبو أُسيد الساعدي ، وزيد بن ثابت ، وحسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ،

١ ـ واد على ليلة من المدينة . المغانم المطابة .

ومحمد بن مَسْلَمة ـ وقال بعضهم : إنّ عمّار بن ياسر كان معهم ـ فكلَّمهم عليٌّ ومحمد بن مسلمة حتى انصرفوا راجعين إلى مصر ، ثم لم يَنْشَبوا أن رجعوا وادّعوا أموراً ، فأقسم عثمان أنّه لم يفعلها .

وحدثني بكر بن الهيثم حدثني اسماعيل بن عبد الكريم ، من آل مُنّبه اليماني ، حدثني عبد الرزّاق عن مَعْمَر عن الزهري أنّ الناس كانوا يأتون عليّاً لسابقته وقرابته وفضله، لا أنّه أراد ذلك منهم، وكان مروان يأتي عثمان فيُخبره أنّه يؤلّب الناسَ عليه ويَعْصِب كلَّ شيء يكون من أهل مصر وغيرهم له ، وأبلغه عنه أنّ قوماً قدموا من مصر فاستقلّ عدّتَهم فقال لهم : ارجعوا فتأهبوا فإنّي باعثٌ إلى العراق مَن يأتيني من أهله بجيش يُبطل الله به هذه السيرة الجائرة ويُريح من مروان وذَوِيه ، فقال عثمان : اللهمّ إنّ عليّاً أَبى إلاّ حُبَّ الإمارة فلا تُبارك له فيها .

محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جُريج ، وداود بن عبد الرحمن العطّار عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبدالله أنّ المصريّين لما نزلوا بذي خُشُب بعث عثمان إليهم محمد بن مَسْلمة في خمسين من الأنصار أنا فيهم ، فلم يزل بهم حتى رجعوا ، فرأوا بعيرا عليه مِيسَم الصدقة وعليه غلامٌ لعثمان فوجدوا معه كتاباً أن اقتلْ فلانا وفلانا ، فرجعوا فحصروه .

وروى أبو مخنف أنّ المصريّين وردوا المدينةَ فأحاطوا وغيرُهم بدار عثمان في المرّة الأُولى فأشرف عليهم عثمان فقال : أيّها الناس ما الذي نقمتم عليّ فإنّي مُعْتبِكُم ونازلٌ عند محّبتكم ، فقالوا : زدت في الحِمَى لإبل الصدقة على ما حمى عمر فقال : إنّها زادت في ولايتي ، قالوا : أُحرقت كتابَ الله ، قال : اختلف الناس في القراءة فقال هذا : قرآني خير من قرآنك ، وقال

هذا : قرآني خير من قرآنك ، وكان حُذيفة أوّلَ من أنكر ذلك وأَنْهاه إليّ ، فجمعتُ الناسَ على القراءة التي كُتبتْ بين يدي رسول الله ﷺ ، قالوا : فَلِم حرَّقْت المصاحف ، أما كان فيها ما يوافق هذه القراءة التي جمعتَ الناس عليها ، أفهَلاّ تركتَ المصاحف بحالها ؟ قال ؛ أردتُ أن لا يبقى إلاّ ما كُتب بين يدي رسول الله ﷺ وثبت في الصحف التي كانت عند حَفْصة زوج رسول الله ﷺ ، وأنا استغفر الله ؛ قالوا : فإنّك لم تشهد بَدْراً ، قال : خلَّفني رسول الله ﷺ على ابنته ، قالوا : لم تشهد بيعةَ الرضوان ، قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى مكّة فصفق عنّي بيده ، وشمالُ رسول الله ﷺ خير من يميني ، قالوا : فررت من الزَحْف[1] قال : فإنّ الله قد عفا عن ذلك ، قالوا : سيّرت خيارنا وضربت أبشارَنا وولّيت علينا سفهاء أهل بيتك ، قال : إنما سّيرتُ مَنْ سيَّرتُ من مخافة الفتنة فمن مات منهم فأرضَوا بالله حَكَماً بيني وبينه ومن بقي منهم فردّوه واقتصّوا منّي لمن ضربتُ ، وأمّا عُمّالي فمن شئتم عَزْلَه فاعزلوه ومن رأيتم إقراره فأقرّوه ، قالوا : فمال الله الذي أعطيتَ قرابتك ؟ قال : اكتبوا به عَلَيَّ للمسلمين صَكاً لأُعجل منه ما قدرت على تعجيله وأسعى في باقيه ، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يحلّ دم امرىء مسلم إلاّ بإحدى ثلاث زنىً بعد إحصان أو كُفر بعد إيمان ، أو أن يقتل رجلٌ رجلاً فيُقْتَل به»[2] ، ووالله ما زنيت في جاهليّة ولا إسلام ولا قتلت نفساً بغير حقّها ، ولا ابتغيت بديني بدلاً مذ هداني الله للإسلام ، ولا والله ما وضعت يدي على عَوْرتي مذ بايعتُ رسول الله ﷺ إكراماً ليده .

١ ـ في معركة أحد .

٢ ـ انظر صحيح البخاري الحديث ٦٨٧٨ .

فلما قال هذه المقالة كُسر حُلماؤهم عنه ، ونَصَبَ له كِنانة بن بِشْر التُجيبي وعروة بن شِيَيْم فأقبلا لا يقلعان ولا يَكُفَّان عنه ، وأتى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له : دعْني آتِ القوم فأنظر ما يريدون ، فمضى نحوهم فلما دنا منهم صاحوا به يا أعور وراءك ، يا فاجر وراءك ، يا فاسق وراءك ، فرجع ؛ ودعا عثمان عمرو بن العاص فقال له : إئتِ القومَ فادعُهم إلى كتاب الله والعُتْبَى مّما ساءَهم ، فلما دنا منهم سلَّم فقالوا : لا سَلَّمَ الله عليك ، ارجعْ يا عدوّ الله ، ارجع يا بن النابغة فلست عندنا بأمين ولا مأمون ، فقال له ابن عمر وغَيْرُه : ليس لهم إلاّ عليّ بن أبي طالب فبعث عثمان إلى علي فلما أتاه قال : يا أبا الحسن آئتِ هؤلاء القوم فآدْعُهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ، قال : نعم إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أنّك تفي لهم بكلّ ما أُضمنُه عنك ، قال : نعم ، فأخذ عليٌّ عليه عهدَ الله وميثاقَهُ على أَوْكَدِ ما يكون وأَغلظ ، وخرج إلى القوم فقالوا : وراءك قال : لا بل أمامي تُعْطَوْنَ كتاب الله وتُعْتَبون من كلّ ما سَخِطتم ، فعرض عليهم ما بذل عثمان فقالوا : أَتَضْمَنُ ذلك عنه ؟ قال : نعم ، قالوا : رضينا ، وأقبل وجوههم وأشرافهم مع عليّ حتى دخلوا على عثمان وعاتبوه فأعتبهم من كلّ شيء فقالوا : اكتب بهذا كتاباً فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبدالله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين ، إنّ لكم أنّ أعملَ فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ، يُعْطَى المحرومُ ويُؤَمَّن الخائف ويُرَدّ المَنْفيّ ولا تُجَمَّر البُعوثُ ويوفَّر الفيءُ ، وعليّ بن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء بما في هذا الكتاب ، شَهِدَ : الزبير بن العّوام ، وطلحة بن عبيدالله وسعد بن مالك بن أبي وقّاص ، وعبدالله بن عمر ، وزيد بن ثابت ،

وسَهْل بن حُنيف ، وأبو أيّوب خالد بن زيد ، وكُتب في ذي القَعْدة سنة خمس وثلاثين ، فأخذ كل قوم كتاباً فانصرفوا .

وقال عليّ بن أبي طالب لعثمان : اخرج فتكلّم كلاماً يسمعه الناس ويحملونه عنك وأُشْهد الله على ما في قلبك فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك ولا تأْمَن أن يأتي ركْب آخر من الكوفة أو من البصرة أو من مصر فتقول : يا عليّ اركِبِ إليهم فإن لم أفعل قلتَ : قَطَعَ رَحِمي واستخفّ بحقّي ، فخرج عثمان فخطب الناسَ فأقرّ بما فعل واستغفر الله منه وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زَلّ فَلْيتُبْ» فأنا أوّل من اتّعظ، فاذا نَزَلْتُ فليأْتِني اشرافكم فليروني رأيهم ، فوالله لو ردّني إلى الحقّ عَبْدٌ لاتّبعته ، وما عن الله مذهب إلاّ إليه ، فُسرّ الناس بخطبته واجتمعوا إلى بابه مبتهجين بما كان منه ، فخرج إليهم مروان فزبرهم وقال : شاهت وجوهكم ، ما اجتماعكم ؟ أميرُ المؤمنين مشغول عنكم ، فإن احتاج إلى أحد منكم فسيدعوه فانصرفوا ، وبلغ عليّاً الخبر فأتى عثمان وهو مُغْضَب فقال : أما رضيت من مروان ولا رَضيَ منك إلاَّ بإفساد دينك وخديعتك عن عقلك ، وإنّي لأراه سيوردك ثم لا يُصدرك ، وما أنا بعائدٍ بعد مقامي هذا لمعاتبتك . وقالت له امرأته نائلة بنت الفَرافِصة : قد سمعتَ قولَ عليّ بن أبي طالب في مروان وقد أَخبرك أنَّه غير عائد إليك ، وقد أطعتَ مروان ولا قدر له عند الناس ولا هيبة ، فبعث إلى عليّ فلم يأته .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عَوْن عن أبيه قال : سمعت عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يَغُوث ذكر مروان فقال : قبحه الله خرج عثمان على الناس فأعطاهم الرضى وبكى على المنبر حتى استهلّت

دموعه ، فلم يزل مروان يَفْتِله في الذِرْوة والغارب حتى لَفَتَه عن رأيه ، قال : وجئت إلى عليّ فأجده بين القبر والمنبر ومعه عمّار بن ياسر ، ومحمد بن أبي بكر ، وهما يقولان صَنَعَ مروانُ بالناس وصنع وآنتهرهم وأغلظ لهم حتى ردَّهم عن باب عثمان على أقبح الوجوه ، فأقبل عليٌّ علي فقال : أحضرتَ خطبة عثمان ؟ قلت : نعم ، قال : أفحضرت مقالة مروان للناس ؟ قلت نعم .

قال أبو مخنف : لما شخص المصرّيون بعد الكتاب الذي كتبه عثمان فصاروا بأَيْلة أو بمنزل قبلها رأوا راكباً خلفهم يريد مصر فقالوا له : من أنت ؟ فقال : رسول أمير المؤمنين إلى عبدالله بن سعد وأنا غلام أمير المؤمنين ، وكان أَسودَ ، فقال بعضهم لبعض : لو أنزلناه وفتشناه لا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء ، ففعلوا فلم يجدوا معه شيئاً فقال بعضهم لبعض: خلّوا سبيله ، فقال كِنانة بن بِشْر : أَمَا والله دون أن أنظر في إداوته فلا ، فقالوا : سبحان الله أيكون كتاب في ماءٍ ؟ فقال : إنّ للناس حِيَلاً ، ثم حلّ الإداوة فإذا فيها قارورة مختومة[1] ـ أو قال مضمومة ـ في جوف القارورة كتاب في أُنْبوب من رَصاص فأخرجه فقُرِىءَ فإذا فيه : «أمّا بعد فإذا قدم عليك أبو عمرو بن بُديل فآضرب عنقه ، وآقطع يدي ابن عُديس ، وكِنانة ، وعروة ، ثم دعهم يتشحّطون في دمائهم حتى يموتوا ، ثم أَوْثقهم على جُذوع النخل» . فيقال إنّ مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان ، فلما عرفوا ما في الكتاب قالوا : عثمان مُحَلّ ، ثم رجعوا عَوْدَهم على بَدْئهم حتى دخلوا المدينة ، فلقوا عليّاً بالكتاب وكان خاتمه من رصاص ، فدخل به عليّ

١ ـ بهامش الأصل : محشوة .

على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه وقال : أمّا الخطّ فخطّ كاتبي ، وأمّا الخاتم فعلىٰ خاتمي ، قال عليّ : فمن تتّهم ؟ قال أتّهمك وأتّهم كاتبي ، فخرج عليّ مُغْضَباً وهو يقول : بل هو أمرك .

قال أبو مخنف : وكان خاتم عثمان بدياً في يد حُمران بن أبان ، ثم أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه .

وجاء المصريّون إلى دار عثمان فأحدقوا بها وقالوا لعثمان وقد أشرف عليهم : يا عثمان أهذا كتابك ؟ فجحد وحلف ، فقالوا : هذا شرٌّ ، يُكتب عنك بما لا تعلمه ، ما مثلُك يَلي أمور المسلمين ، فاختلعْ من الخلافة ، فقال : ما كنت لأنزع قميصاً قمّصنيه الله ـ أو قال:سربلنيه الله ـ وقالت بنو أميّة : يا عليّ أفسدت علينا أمرنا ودسست وألّبت ، فقال : يا سفهاء إنّكم لتعلمون أنّه لا ناقةَ لي في هذا ولا جمل ، وأنّي رددتُ أهلَ مصر عن عثمان ثم أصلحت أمره مرة بعد أخرى فما حيلتي ؟ وانصرفَ وهو يقول : اللهمّ إنّي بريء ممّا يقولون ومن دمه إن حدث به حدثٌ .

قال : وكتب عثمان حين حصروه كتاباً قرأه ابن الزبير على الناس يقول فيه : «والله ما كتبتُ الكتابَ ولا أمرت به ولا علمت بقصّته وأنتم مُعْتبَون من كلّ ما ساءكم فأمِّروا على مصركم من أحببتم ، وهذه مفاتيح بيت مالكم فادفعوها إلى من شئتم» ، فقالوا : قد آتهمناك بالكتاب فاعْتزِلْنا ؛ وقال بعضهم : الذي قرأ كتاب عثمانَ الزبيرُ نفسه ، والأوّل أثبت .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن داود العطّار عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبدالله أنّ عثمان وجّه إلى المصريّين لما أقبلوا يريدونه محمد بن مَسلمة في خمسين من الأنصار أنا فيهم فأعطاهم الرضى وانصرفوا ،

فلما كانوا ببعض الطريق رأوا جملاً عليه مِيسَم الصدقة فأخذوه ، فإذا غلامٌ لعثمان ، ففتشوه فإذا معه قصبةٌ من رصاص في جوف إداوة فيها كتابٌ إلى عاملِ مصر أن افعلْ بفلان كذا وبفلان كذا ، فرجع القوم إلى المدينة ، فأرسل إليهم عثمان محمد بن مسلمة فلم يرجعوا وحصروه .

وحدثني هشام بن عمّار الدمشقي أبو الوليد حدثنا محمد بن سُمَيع عن محمد بن أبي ذئب عن ابن شِهاب الزهري عن سعيد بن المسَّيب أنّ المصريّين لما قدموا فشكوا عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح سألوا عثمان أن يولّي مكانه محمد بن أبي بكر ، فكتب عهده وولّاه ووجّه معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح ، فشخص محمد بن أبي بكر وشخصوا جميعاً ، فلما كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير وهو يخبط البعير خبطاً كأنّه رجل يَطْلُب أو يُطلب ، فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر : ما قصّتك وما شأنك كأنّك هارب أو طالب ، فقال لهم مرةً : أنا غلام أمير المؤمنين ، . وقال مرّة أخرى : أنا غلام مروان وجَّهني إلى عامل مصر برسالة ، قالوا : فمعك كتاب ؟ قال : لا ، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً ، وكانت معه إداوة قد يبست وفيها شيء يتقلقل ، فحركوه ليخرجَ فلم يخرج ، فشقّوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح . فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ثم فكّ الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه : «إذ أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فَاحْتَلْ لقتلهم وأَبْطِل كتاب محمد ، وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي ، واحبسْ من يجيء إليّ متظّلماً منك إن شاء الله» . فلما قرأوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة ، وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر

ممّن كان معه ودفعه إلى رجل منهم ، وقدموا المدينة فجمعوا عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب النبي ﷺ ، ثمّ فكّوا الكتابَ بمحضر منهم وأخبروهم بقصَّة الغلام وأقرأوهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلّا حنق على عثمان ، وزاد ذلك مَنْ كان غضب لابن مسعود وعمّار بن ياسر وأبي ذرّ حنقاً وغيظاً ، وقام أصحاب النبيّ ﷺ بمنازلهم ما منهم أحد إلّا وهو مغتّم لِما في الكتاب .

وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم ، وأعانه على ذلك طلحة بن عبيدالله ، وكانت عائشة تقرُصه كثيراً ، ودخل عليّ وطلحة والزبير وسعد وعمّار في نفر من أصحاب محمد ﷺ كلّهم بَدْريٌّ على عثمان ، ومع عليّ الكتابُ والغلامُ والبعير ، فقال له عليّ : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم ، قال : والبعير بعيرك ؟ قال : نعم ، قال : وأنت كتبتَ هذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله ما كتبتُ هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علمتُ شأنه ، فقال له عليّ : أفالخاتم خاتمك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به ؟ فحلف بالله ما كتبت الكتاب ولا أمرتُ به ولا وجّهت هذا الغلام إلى مصر قطّ ، وعرفوا أن الخطّ خطّ مروان فسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده في الدار ، فخرج أصحاب محمد ﷺ من عنده غضاباً وعلموا أنّه لا يحلف بباطل ، إلّا أنّ قوماً قالوا : لن يبرأ عثمان في قلوبنا إلّا بأن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه عن الأمر ، ونعرف حالَ الكتاب وكيف يُؤْمَر بقتل رجال من أصحاب رسول الله بغير حقّ ، فإن يكن عثمان كتبه عزلناه ، وإن يكن مروان كتبه عن لسان عثمان نظرنا ما يكون منّا

في أمر مروان ، فلزموا بيوتهم وأبىٰ عثمان أن يُخرج مروان ؛ فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء ، فأشرف على الناس فقال : أفيكم عليٌّ ؟ فقالوا : لا ، قال : أفيكم سعد ، فقالوا : لا ، فسكت ثم قال : ألا أحدٌ يبلّغ فيسقينا ماءً ؟ فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاثِ قِرَبٍ مملوءة ماءً فما كادت تَصِل إليه ، وجُرح بسببها عدّة من موالي بني هاشم وبني أميّة حتى وصلت . وبلغ عليّاً أنَّ القوم يريدون قتلَ عثمان فقال : إنما أردنا مروان ، فأمّا قتل عثمان فلا ، وقال للحسن والحسين : اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تَدعا أحداً يصل إليه ، وبعث الزبير ابنه عبدالله ، وبعث طلحة ابنه على كَرهٍ ، وبعث عدّة من أصحاب النبيّ ﷺ أبناءهم ليمنعوا الناس من الدخول على عثمان ويسألوه إخراج مروان ؛ فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر ، وقد رمى الناس عثمان بالسهام حتى خُضب الحسن بالدماء على بابه ، وأصاب مروانَ سهمٌ وهو في الدار ، وخُضب محمد بن طلحة ، وشُجَّ قَنْبَر مولى عليّ ، خشي محمد بن أبي بكر أن يغضبَ بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيروها فتنةً ، وأخذ بيد رجلين فقال لهما : إنْ جاءت بنو هاشم فرأت الدماءَ على وجه الحسن كشفوا الناسَ عن عثمان وبطل ما تريدون ، ولكن مُرّوا بنا حتى نتسوّر عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد ، فتسوّر محمد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممّن كان معه لأنّهم كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلّا امرأته . فقال محمد بن أبي بكر : أنا أبدأُ كما بالدخول ، فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجّآه حتى تقتلاه ، فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان : والله لو رآك أبوك لساءه مكانُك منّي ، فتراخت يده ، ودخل الرجلان عليه فتوجآه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا ،

وصرخت امرأته إلى الناس فلم يُسمع صُراخها لِما كان في الدار من الجَلَبة ، وصعدت امرأته إلى الناس فقالت : إنّ أمير المؤمنين قد قُتل ، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحاً ، فانكبّوا عليه يبكون ، وخرجوا ودخل الناس فوجدوه مذبوحاً ، وبلغ عليّ بن أبي طالب الخبرُ ، وطلحةَ ، والزبير ، وسعداً ، ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا ، وقال عليّ لابنَيه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسن وضرب صَدَر الحسين وشتم محمدَ بن طلحة ، ولعن عبدَالله بن الزبير ، وخرج عليّ وهو غضبان يرى أنّ طلحة أعانَ على ما كان ، فلقيه طلحة فقال : ما لك يا أبا الحسن ضربتَ الحسن والحسين ، فقال : عليك لعنةُ الله أَبَيْتَ إلاّ أن يسوءني ذلك ، يُقتل أمير المؤمنين ، رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ بدريٌّ لم يُقَمْ عليه بيّنةٌ ولا حجّة ، فقال طلحة : لو دفع مروانَ لم يُقتل ، فقال عليّ : لو أخرج إليكم مروان لقُتل قبل أن تثبت عليه حكومة .

وخرج عليّ فأتى منزله وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى عليّ ، أصحابُ النبيّ ﷺ وغيرهم وهو يقولون : إنّ أميرَ المؤمنين عليٌّ ، حتى دخلوا داره فقالوا له : نبايعك فمُدَّ يدك فإنّه لابدَّ من أمير ، فقال عليّ : ليس ذاك إليكم إنما ذاك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحد من أهل بدر إلاّ أتى عليّاً فقالوا : ما نرى أحداً أحق بها منك فمدّ يدك نبايعك ، فقال : أين طلحة والزبير ؟ وكان طلحة أوّلَ من بايعه بلسانه وسعدٌ بيده ، فلما رأى عليّ ذلك صعد المنبر وكان أوّل من صعد إليه ، فبايعه طلحة بيده ،

وكانت إصبع طلحة شلّاء فتطيّر منها عليٌّ وقال : ما أَخْلَقَهُ أن ينكث ، ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبيّ ﷺ جميعاً ، ثم نزل فدعا الناس وطلب مروان ، وبني أبي مُعَيط فهربوا منه .

وخرجت عائشة رضي الله تعالى عنها باكية تقول : قُتل عثمان رحمه الله ، فقال لها عمّار بن ياسر : أنت بالأمس تحرّضين عليه ثم أنت اليوم تبكينه . وجاء عليّ إلى امرأة عثمان فقال لها : من قتل عثمان رحمه الله تعالى ؟ فقالت : لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما إلّا أن أرى وجوههما ، وكان معهما محمد بن أبي بكر ، وأَخْبَرَتْ عليّاً والناس بما صنع محمد ، فدعا عليّ محمداً فسأله عمّا ذكرت امرأة عثمان فقال محمد : لم تكذبْ فقد دخلتُ والله عليه وأنا أريد قتله ، فذكر أبي فقمت عنه وأنا تائب ، والله ما قتلته ولا أمسكته ، قالت امرأة عثمان : صدق ولكّنه أدخلهما .

حدثني محمد بن هشام بن بَهْرام حدثنا وكيع عن الأعمش عن عُبيد بن عُمير قال : قال عليّ : لا آمركم بالإقدام على عثمان فإن أبَيْتم فَبيضُ سيُفْرِخُ .

وحدثني عمرو بن محمد عن قَبيصة بن عقبة عن سفيان عن أبي إسحاق عن عمرو [بن] الأصمّ قال : كنت فيمن أُرسلوا من ذي خُشُب فقالوا : سَلُوا أصحاب النبيّ ﷺ واجعلوا عليّاً آخِرَ مَن تسألونه ، فسألناهم فقالوا : أَقدموا إلّا عليّاً فإنه قال : لا آمركم فإن أبيتم فَبيضُ سيُفْرِخُ .

حدثنا محمد بن حاتم المَرْوَزي عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قال ، قال عليّ : لو علمتُ أنّ الأمر يبلغُ ما بلغ ما دخلت فيه .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدَوْرقي حدثني محمد بن الأعرابيّ حدثنا أزهر بن سعد السّمان أبو بكر حدثنا ابن عَوْن عن الحسن قال : خَطب عثمان فقام رجل فقال : نريد كتابَ الله فقال له : اقعدْ أَمَا لِكتاب الله طالبٌ غيرك ؟ فحُصب وتحاصبوا فنزل الشيخ وما يكاد يقيم عنقه ، فقال ابن عَوْن : فقلتُ للحسن ابنُ كم كنتَ يومئذٍ ؟ قال : ابن أربع عشرة خمس عشرة .

وقال أبو مخنف وغيره : حرس القومُ عثمان ومنعوا مِن أن يُدخَل عليه ، وأشار عليه سعيد بن العاص بأن يُحْرِم ويلبّي ويخرج فيأتي مكّة فلا يُقدَم عليه ، فبلغهم قوله فقالوا : والله لئن خرج لا فارقناه حتى يحكم الله بيننا وبينه ، واشتدّ عليه طلحة بن عبيدالله في الحصار ، ومنع من أن يُدخل إليه الماء حتى غضب عليّ بن أبي طالب من ذلك ، فأدخلت على رَوايا الماء .

قالوا : وكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بن كُريز ، ومعاوية بن أبي سفيان يُعلِمهما أنّ أهل البغي والعُدْوان من أهل العراق ومصر والمدينة قد أحاطوا بداره فليس يُرضيهم بزَعْمهم شيءٌ دون قتله ، أو يخلع السربال الذي سربله الله إيّاه ، ويأمرهما بإغاثته برجال ذوي نَجدة وبأس ورأْي لعلّ الله أن يدفع بهم عنه بأسَ مَن يَكيده ويريده ، وكان رسوله إلى ابن عامر جُبير بن مُطْعِم ، وإلى معاوية المِسْوَر بن مَخْرَمَة الزهري ، فأمّا ابن عامر فوجّه إليه مُجاشِع بن مسعود السُلَمي في خمسائة أُعطاهم خمسائة خمسائة درهم ، وكان فيمن ندب مع مُجاشِع زُفَر بن الحارث الكِلابي على مائة رجل ، وأمّا معاوية فبعث إليه حبيب بن مَسلمة الفِهْري في ألف فارس ، فقدّم حبيب أمامه يزيد بن أَسَد البَجَلي جدّ خالد بن عبدالله بن يزيد القَسْري من

بَجيلة ، وبلغ أهلَ مصر ومن معهم ممّن حاصر عثمان ما كَتَبَ به إلى ابن عامر ومعاوية فزادهم ذلك شدّةً عليه وجدّاً في حصاره ، وحِرصاً على معاجلته بالقتل .

المدائني عن حُبان بن موسى عن مجالد عن الشَعْبي قال : كتب عثمان إلى معاوية أن أمدّني ، فأمدّه بأربعة آلاف مع يزيد بن أُسد بن كُرْز البَجَلي فتلقّاه الناس بمقتل عثمان فرجع من الطريق وقال : لو دخلت المدينة وعثمان حيّ ما تركت بها محتلماً إلاّ قتلته لأن الخاذل والقاتل سواء .

ذكر كراهة عثمان للقتال رضي الله عنه :

قال أبو مخنف والواقدي وغيرهما في روايتهم : إنّ المُغِيرة بن شُعبة الثَقَفي أشار على عثمان بأن يأمر مواليه ومن معه من أهل بيته بالتسلّح ليراهم المحاصرون له فينكسروا عنه ، ففعل ، وجعلوا يمّرون على تَعْبِيَتهم ، ثم أمرهم بالانصراف وأن لا يقاتلوا ، فقال الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط :

وكفَّ يَدْيَه ثُمَّ أَغْلَقَ بـابَهُ … وأَيْقَنَ أَنَّ الله ليس بغافِلِ
وقال لأَهْلِ الدّارِ مَهْ لا تُقاتِلوا … عفا الله عن كُلِّ امرىءٍ لم يُقاتِلِ
وكيف رَأَيْتَ الله أَلْقى عَلَيْهِمُ الـ … ـعَداوَةَ والبَغْضاءَ بَعْدَ التَواصُلِ
وكيف رَأَيْتَ الخَيْرَ أَدْبَرَ بَعْدَهُ … عَنِ الناسِ إِدْبارَ المخاضِ الحواملِ[1]

قالوا : ولما انصرف أولئك الذين تسلّحوا خرج سِيدان بن حمران المُرادي ـ ويقال سُودان بن حُمْران ـ حتى لحق بهم ، فرجع إليه مروان

---

١ ـ الأبيات في الأغاني ج ١٦ ص ٢٣٣ منسوبة لكعب بن مالك ، مع فوارق .

فاضطربا بسيفيهما فلم يصنعا شيئاً ، فقال عثمان : يا سبحان الله أكلّ هذا في نَزْعي وتأميري ، يا ناتِلُ الْقَ مروان بعزمة منّي أن ينصرف إليّ ومن معه ، فجاء مروان حتى دخل الدار .

قالوا : وأتىٰ قَطَنُ بن عبدالله بن الحُصين ذي الغُصَّة الحارثيُّ عثمانَ وهو محصور فدعاه إلى دفعهم عن نفسه بمن أطاعه ومال إليه فقال : أنا أَكِلُهم إلى الله ولا أقاتلهم فإنّ ذلك أعظمُ لحُجَّتي عليهم فانصرفْ محموداً رشيداً ، فكان يقول : لوددتُ أنّي قُتِلت مع عثمان .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قلت لعثمان يوم الدار يا أمير المؤمنين:أنفرّجهم عنك بالضرْب ؟ فقال : لا إنّك إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً[١] ، قال : فرجعتُ ولم أقاتل .

حدثني محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا عبدالله بن إدريس الأَزْدي عن هشام بن حسّان عن ابن سيرين قال : جاء زيد بن ثابت إلى عثمان فقال له : إنّ الأنصار بالباب يقولون إن شئتَ كّنا أنصار الله مرّتين فقال عثمان : أمّا القتل فلا .

حدثني يحيى بن مَعِين حدثنا ابن إدريس عن يحيى بن سعيد عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال : قال عثمان يوم الدار : أعظمكم عَنيٍّ غَناءً رجل كَفَّ يده وسلاحه .

---

١ ـ إشارة إلى قوله تعالى في سورة المائدة ـ الآية ٣٢ : ﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا أبو داود الطَيالسي عن قُرّة بن خالد عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : كنتُ في الدار يَوْمَ قُتل عثمان فسمعته يقول : عَزمتُ على مَن رَأى لنا عليه سَمْعاً وطاعةً أن يُلقي سلاحه ، فألقى القوم أسلحتهم إلاّ مروان فإنّه قال : وأنا أعزم على نفسي ألاَّ أُلقي سلاحي ، قال : وكان شُجاعاً ، قال أبو هريرة ، فألقيت سيفي فلا أدري من أخذه .

وحدثنا يحيى بن أيّوب الزاهد حدثنا اسماعيل بن عُلَّية[1] عن ابن أبي مُليكه عن عبدالله بن الزبير قال : قلت لعثمان يومَ الدار إنّ في الدار معك عصابة مستبصرة تنصر الله فأذَنْ لي أقاتلْ ، فقال : أُذَكِّرُ الله رجلاً هراق فيَّ دماً .

وحدثني يحيى بن أيّوب عن اسماعيل بن عُلَيّة عن ابن عَوْن عن ابن سيرين قال : كان مع عثمان في الدار سبعمائة لو يدعهم لضَربوهم إن شاء الله حتى يُخرجوهم من أقطارها منهم الحسن والحسين ابنا عليّ وابن الزبير .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا أبو أُسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن الزبير قال : قلت لعثمان يوم الدار قاتِلْهم فوالله لقد أُحلّ لك قتالهم فقال : لا والله لا أقاتلهم أبداً ، فدخلوا عليه وهو صائم فقتلوه ، وكان عثمان قد أمرّ ابنَ الزبير على الدار وقال : من كانت لي عليه طاعة فليُطِعْ عبدالله بن الزبير .

---

١ ـ هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم مولى بني أسد بن خزيمة ، أمه علية ، يكنى أبا بشر ، مات ببغداد سنة ثلاث وتسعين ومائة . طبقات خليفة ـ ط ـ . بيروت ١٩٩٣ ص ٦١٣ .

وفي رواية أبي مخنف وغيره أنّ عثمان بن أبي العاص الثقفي دخل على عثمان وهو محصور فعرض عليه أن يقاتل لِيقاتل معه فأبى ، فاستأذنه في إتيان البصرة فأذِن له في ذلك فلحق بالبصرة .

أمر عمرو بن العاص وغيره :

قالوا : وكان عمرو بن العاص قال لعثمان حين حضر الحصار الأوّل : إنّك يا عثمان ركبت بالناس النَهابِيرَ[1] فاتّق الله وتُب إليه ، فقال له : يا بن النابغة وإنّك لمّن تؤلّبُ عليّ الطغام لأن عزلتك عن مصر ، فخرج إلى فلسطين فأقام بها في ماله هناك ، وجعل يحرّض الناس على عثمان حتى رُعاة الغنم ، فلما بلغه مقتله قال : أنا أبو عبدالله إنّي إذا حككتُ قَرْحة نكأتها .

قالوا : ومرّ مجمِّع بن جارية الأنصاري بطلحة بن عبيدالله فقال : يا مجمّع ما فَعَلَ صاحبك ؟ قال : أظنّكم والله قاتليه ، فقال طلحة : فإن قُتل فلا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبي مُرْسل .

قالوا : وقال عثمان لعبدالله بن سلام : اخرج إليهم فكلّمْهم ، فخرج إليهم فوعظهم وعظَّم حِرْمة المدينة وقال لهم : إنَّه ما قُتل خليفة قطّ إلاّ قُتل به خمسة وثلاثون ألفا ، فقالوا : كذبتَ يا يهوديّ ابن اليهودية .

قالوا : ولما اشتدّ الأمر على عثمان أمر مروانَ بن الحَكَم وعبد الرحمن بن عتّاب بن أُسيد فأتيا عائشة وهي تريد الحجّ فقالا لها : لو أقمتِ فلعلّ الله

---

١ - النهابير : المهالك . القاموس .

يدفع بك عن هذا الرجل ، فقالت : قد قُرِّبْت رِكابي وأوجبت الحجّ على نفسي ووالله لا أفعل ، فنهض مروان وصاحبه ومروان يقول :

وحَـرَّق قَيْسٌ عَـلَيَّ البِـلادَ حَتَّى إذا اضْطَرَمَتْ أَجْذَمَـا

فقالت عائشة : يا مروان وددت والله أنّه في غِرارة من غرائري هذه وأنّي طُوِقّتُ حَمْلَه حتى أُلقيه في البحر ، ومرّ عبدالله بن عبّاس بعائشة وقد ولّاه عثمان الموسم وهي بمنزل من منازل طريقها فقالت : يا بن عبّاس إنّ الله قد آتاك عقلاً وفَهْماً وبياناً فإيّاك أن تردَّ الناس عن هذه الطاغية .

حدثنا خلف بن هشام البّزار حدثنا حمّاد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن أبي أُمامة بن سَهْل قال : كنّا مع عثمان وهو محصور فدخل يوماً لحاجته فسمع كلامَ من بالبلاط ثم خرج إلينا وهو متغيّر اللون فقال : إنّهم لَيتوعّدونني بالقتل ، أما إنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «لا يحلّ دم امرىء مسلم إلاّ في إحدى ثلاث : رجل كَفَرَ بعد إيمانه أو زنى بعد إحصانه أو قتل نفساً بغير نفس» ، ووالله ما زنيت في جاهليّة ولا إسلام ولا تمنّيت أنّ لي بديني مُذ هداني الله بَدَلاً ولا قتلت نفساً ، فبماذا يقتلونني ؟

حدثنا عَفّان عن حمّاد عن يحيى بن سعيد عن أبي أُمامة بن سَهْل بنحوه .

حدثني القاسم بن سلّام ـ أبو عبيد ـ حدثنا كثير بن هشام أنبأنا جعفر بن بُرْقان عن ميمون بن مِهْران قال : لما حوصر عثمان في الدار بعث رجلاً فقال له : اسمع ما يقولُ الناسُ ، فأتاه فقال : سمعت بعضهم يقول : لقد حلَّ دمه ، فقال عثمان : «ما يحل دم مسلم إلا أن يكفر بعد

إيمانه أو يزني بعد إحصانه أو يقتل رجلاً فيُقتَل به أو يسعى في الأرض فساداً» .

وحدثني الحسين بن عليّ بن الأسود حدثنا أبو أُسامة حمّاد بن أُسامة عن عبد الملك بن أبي سليمان عن أبي ليلى الكِنْدي قال : شهدت عثمان وهو محصور فاطّلع من كُوٍّ فقال : أيّها الناس لا تقتلوني فوالله لئن قتلتموني لا تصلّون جميعاً أبداً ولا تجاهدون جميعاً ابدا ولتختلفُنْ [حتى تصيروا هكذا][1] وشبك بين أصابعه ، ثم قال : ﴿يا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُم مِثْلُ مَا أصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُم بِبَعِيدٍ﴾[2] ثم دعا ابنَ سلام فقال : ما ترى ؟ قال : الكفَّ فإنّه أبلَغُ في الحُجّة .

حدثنا عفّان بن مسلم أبو عثمان حدثنا جرير بن حازم انبأنا يَعْلَى بن حكيم عن نافِع حدثني عبدالله بن عمر قال : قال عثمان وهو محصور : ما تقول فيما أشار به عَلَيَّ المغيرة بن الأخنس ؟ قال : قلت : وما هو ؟ قال : إنّ هؤلاء القوم يرون[3] خلعك ، فإن فعلتَ وإلاّ قتلوك ، فدَعْ أمرهم إليهم قال : فقلت : أرأيتَ إن لم تَخْلَعْ هل يزيدون على قتلك ؟ قال : لا ، قال: فقلت : فلا أَرَى أن تسنّ هذه السنّة في الإسلام فكلّما سخِط قومٌ أميرَهم خلعوه ، لا تخلَعْ قميصاً قمّصكه الله .

---

١ ـ زيد ما بين الحاصرتين من ابن سعد .
٢ ـ سورة هود ـ الآية : ٨٩ .
٣ ـ بهامش الأصل : يريدون .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف بإسناده قال : أشرف عثمان على الناس فسمع بعضهم يقول لا نقتله ولكن نعزله فقال : أمّا عزلي فلا وأمّا قتلي فعسى ؛ وسلَّم على جماعة فيهم طلحة فلم يردّوا عليه فقال : يا طلحة ما كنتُ أرى أنّي أعيش إلى أن اسلِّم عليك فلا تردّ عليَّ السلام .

قال : وجاء الزبير إلى عثمان فقال له : إنّ في مسجد رسول الله ﷺ جماعة يمنعون من ظلمك ويأخذونك بالحقّ فاخرجْ فخاصِم القومَ إلى أزواج النبيّ ﷺ ، فخرج معه فوثب الناس عليه بالسلاح فقال : يا زبير ما أرى أحداً يأخذ بحقّ ولا يمنع من ظلم ، ودخل ومضى الزبير إلى منزله .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا شَبابة بن سّوار عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جدّه قال : سمعت عثمان بن عفّان يقول : إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجليَّ في القيود فضَعُوهما .

وقال أبو مخنف والواقدي في روايتهما : أنّ أمّ حَبيبة بنت أبي سفيان زوج النبيّ ﷺ أتت عثمان بإداوة وقد اشتدّ عليه الحصار فمنعوها من الدخول فقالت : إنّه كان المتولّي لوَصايانا وأمر أَيْتامنا وأنا أريدُ مناظرته في ذلك ، فأذنوا لها فأعطته الإداوة .

وحدثني عبدالله بن صالح عن عبد الجبّار بن الوَرْد قال سمعت ابن أبي مُليكة يقول قال جُبير بن مُطعِم : حُصر عثمان حتى كان لا يشرب إلاّ من فَقِير[1] في داره ، فدخلتُ على عليّ فقلت : أَرَضيت بهذا أن يُحصَر ابن عمّتك

---

١ ـ بهامش الأصل : «الفقير : البئر القريب القعر» .

حتى والله ما يشرب إلّا من فقير في داره ؟ فقال : سبحان الله أَوَقد بلغوا به هذه الحال ؟ قلت : نعم ، فعمد إلى روايا ماء فأدخلها إليه فسقاه .

وحدثني اسحاق الفَرْوي أبو موسى حدثنا عبدالله بن إدريس حدثنا يحيى بن سعيد قال : كان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار ، فبعث عثمان عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب إلى عليّ بهذا البيت :

إنْ كُنتُ مَأْكولاً فكُنْ أنت آكِلِي ... وإلّا فأَدْرِكْني ولَمّا أُمَزَّقِ

وقال هشام ابن الكلبي : هذا البيت للمُمَزَّق العَبْدي واسمه شَأس بن نَهار بن الأسود بن حزيل ، وبه سميّ المزَّق .

قالوا : وقال أُسامة بن زيد بن حارثة لعليّ بن أبي طالب : والله يا أبا الحسن والله لأنت أعزّ عَلَيَّ من سمعي وبصري فأَطِعْني وأخُرج إلى أرضك بَينْبُع فإنّ عثمان إن قُتل وأنت بالمدينة رُميتَ بدمه ، وإن أنت لم تشهدْ أمره لم يَعدِل الناس بك ، فقال ابن عبّاس لأُسامة : يا أبا محمد أتطلب أثراً بعد عَيْنٍ ؟ أَبعد ثلاثةٍ من قريش ينبغي لعليّ أن يعتزل ؟

وقال أبو مخنف : صلّى عليٌّ بالناس يومَ النحر وعثمان محصور ، فبعث إليه عثمان ببيتِ المزق :

إنْ كُنتُ مَأْكولاً فكُنْ أَنتَ آكلي ... وإلّا فأَدْرِكْني ولَمّا أُمَزَّقِ

وكان رسوله به عبدالله بن الحارث ، ففرّق عليٌّ الناس عن طلحة ، فلما رأى ذلك طلحة دخل على عثمان فاعتذر فقال له عثمان : يا بن الحَضْرَميّة ألّبت عليَّ الناس ودعوتهم إلى قتلي حتى إذا فاتك ما تريد جئت معتذراً ، لا قَبِلَ الله ممّن قبل عذرك .

وقال أبو مخنف في روايته : نظر مروان بن الحكم إلى الحسين بن عليّ فقال له : ما جاء بك ؟ قال : الوَفاءُ ببيعتي ، قال : اخرج عنّا ، أبوك يؤلّب الناس علينا وأنت هاهنا معنا ؛ وقال له عثمان : انصرف فلست أريد قتالاً ولا آمر به .

حدثنا عمرو الناقد عن عبدالله بن جعفر الرَقّي عن عبيدالله بن عمرو عن اسحاق بن راشد عن أبي جعفر انبأنا أبان بن عثمان قال : لما كثر علينا الرمي بالحجارة أتيت عليّاً فقلت : يا عمّ قد كثرت علينا الحجارة ، فمشى معي فرماهم حتى فَترت يده ، ثم قال : يا بن أخي اجمعْ مواليكم ومن كان منكم بسبيل ثم لتكن هذه حالكم .

قال أبو مخنف في روايته : إنّ زيد بن ثابت الأنصاري قال : يا معشر الأنصار إنّكم نصرتم الله ونبيّه فانصروا خليفته ، فأجابه قوم منهم فقال سَهْل بن حُنيف : يا زيد أَشبعك عثمانُ من عِضْدان المدينة ـ والعَضِيدة نخلة قصيرة يُنال حَمْلَها ـ فقال زيد : لا تقتلوا الشيخ ودَعوه حتى يموت فما أَقْرَبَ أَجلَه ، فقال الحجّاج بن غَزِيّة الأنصاري أحد بني النجّار : والله لو لم يبقَ من عمره إلاّ ما بين الظهر والعصر لَتقرَّبنا إلى الله بدمه . وجاء رِفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري ثم الزُرَقي بنارٍ في حطب فأشعلها في أحد البابَين فاحترق وسقط وفتح الناس الباب الآخر واقتحموا الدار . وقال عديّ بن حاتم الطائيّ : أيّها الناس اقتلوه فإنّه لا تَحْبِقُ فيه عَناقٌ . وتهيّأ مروان وعدّة معه للقتال فنهاهم عثمان فلم يقبلوا منه وحملوا على من دخل الدار فأخرجوهم ، ورُمي عثمان بالحجارة من دار بني حَزْم بن زيد بن لَوْذان الأنصاري ونادوا :

لسنا نرميك الله يرميك ، فقال : لو رماني الله لم يخطئْني . وشدّ المغيرة بن الأخنس بالسيف وهو يقول :

قد عَلِمَتْ جارِيَةٌ عُطْبول لها وشاحٌ ولها جَديل
أنّي بمَنْ حارَبْتُ ذو تَنْكيل

فشدّ عليه رفاعة بن رافع وهو يقول :

قد عَلِمَتْ خَوْدٌ سَحوبٌ لِلذَّيْلْ تُرْخي قُروناً مِثْلَ أَذْنابِ الخيلْ
أنَّ لِقِرْني في الوَغى مِنّي الويلْ

فضربه على رأسه بالسيف فقتله ـ ويقال بل قتله رجل من عُرْض الناس ـ وقاتل يومئذ عبدالله بن الزبير حتى جُرح جراحاتٍ ، وخرج مروان بن الحكم وهو يقول :

قد عَلِمَتْ ذاتُ القُرونِ المِيلِ والكَفِّ والأَنامِلِ الطُّفولِ
أنّي أروعُ أوَّلَ الرَعيـــــل

ثم ضرب عن يمينه وشماله ، فحمل عليه الحجّاج بن غِزيّة وهو يقول :

قد عَلِمَتْ بَيْضاءُ حَسْناءُ الطَّلَلْ واضِحَةُ اللِيتَيْنِ قَعْساءُ الكَفَلْ
أنّي غَداةَ الرَوْعِ مِقْدامٌ بَطَلْ

فضربه على عنقه بالسيف فلم يقطع سيفُه وخرّ مروان لوجهه ، وجاءت فاطمة بنت شَريك الأنصاريّة من بَلِيّ . وهي أمّ إبراهيم بن عربيّ الكناني الذي كان عبد الملك بن مروان ولّاه اليمامة وهي التي كانت رَبَّتْ مروان ، فقامت على رأسه ثم أمرت به فحُمل وأُدخل بيتاً فيه كتب . وشدّ عامر بن بُكير الكِناني وهو بَدْريٌّ على سعيد بن العاص بن سعيد بن

العاص بن أُميّة فضربه بالسيف على رأسه فصرعه ، وقامت نائلة بنت الفَرافِصَة على رأسه ثم احتملته فأدخلته بيتاً وأغلقت بابه .

المدائني عن مسلمة بن مُحارب عن خالد بن حرب قال : لجأ بنو أميّة يوم قُتل عثمان إلى أم حَبيبة ، فجعلت آل العاص وآل حَرْب وآل أبي العاص وآل أَسيد في كَنْدُوج[1] وجعلت سائرهم في مكان آخر ؛ ونظر معاوية يوماً إلى عمرو بن سعيد يختال في مِشْيته فقال : بأبي وأمي أُمُّ حَبيبة ما كان أَعْلَمَها بهذا الحيّ حين جعلتك في كَنْدُوج .

قالوا : ومشى الناس إلى عثمان وتسلّقوا عليه من دار بني حَزْم الأنصاري ، فقاتل دونه ثلاثة نفر من قريش : عبدالله بن زَمْعة بن الأَسود أحد بني أَسَد بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ ، وعبدالله بن عوف بن السَبّاق بن عبد الدار بن قُصيّ ، وعبدالله بن عبد الرحمن بن العَوّام بن خُوَيْلد ، وكان عبدالله بن عبد الرحمن بن العَوام يقول : يا عباد الله بيننا وبينكم كتاب الله ، فشدّ عليه عبد الرحمن بن عبدالله الجُمَحي وهو يقول :

لأضربَنَّ اليَوْمَ بـــالقِرْضابِ بَقِيَّـةَ الكُفّـارِ والأَحْـزابِ
ضَرْبَ امْرِىءٍ ليس بِذَي آرْتِياب أَأَنْتَ تَـدْعُـونـا إلى كِتاب
نَبَـــذْتَهُ في سائرِ الأَحقاب

فقتله ، وشدَ جماعةٌ من الناس على عبدالله بن وهب بن زَمْعة وعبدالله بن عوف بن السَبّاق فقتلوهما في جانب الدار .

---

١ ـ الكندوج : هو مخزن تجمع فيه الغلال .

وقال المدائني : كان كنانة مولى صفيّة بنت حُيَيّ بن أُخطب أخرج أربعةً محمولين كانوا يذودون عن عثمان : الحسن بن عليّ ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن حاطب ، ومروان بن الحكم . والذي قتله رجلٌ من أهل مصر يقال له جَبَلة بن الأَيْهم طاف بالمدينة ثلاثة أيّام يقول : أنا قاتل نَعثَل ، وكان عليٌّ في داره .

قالوا : وجاء مالك الأشتر حتى انتهى إلى عثمان فلم ير عنده أحداً فرجع ، فقال له مسلم بن كُريب القابضي من هَمْدان : يا أشتر دعوتنا إلى قتل رجل فأجبناك حتى إذا نظرتَ إليه نَكَصتَ عنه على عقَبيك ، فقال له الأشتر : لله أبوك أما تراه ليس له مانع ولا عنه وازع ، فلما ذهب لينصرف قال ناتِل مولى عثمان : واثُكلاه هذا والله الأشتر الذي سَعّرَ البلاد كلَّها على أمير المؤمنين ، قتلني الله إن لم أقتله ، فشدّ في أثره فصاح به عمرو بن عبيد الحارثي من هَمْدان وراءَك الرجل يا أشتر ، فالتفت الأشتر إلى ناتل فضربه بالسيف فأطار يده اليسرى ، ونادى الأشتر : يا عمرو بن عبيد إليك الرجلَ ، فاتّبع عمرو ناتلا فقتله .

وقال مروان في يوم الدار :

وما قُلْتُ يَوْمَ الدّارِ لِلْقَوْمِ حاجِزوا روَيداً ولا آختاروا الحياةَ على القَتْلِ
ولكِنَّني قد قلتُ لِلْقَوْمِ قاتلوا بِأَسيْافِكُمْ لا يُوصَلَنَّ إلى الكَهْلِ

المدائني عن قيس بن الربيع عن أبي حصين قال ، قال عليّ : لو أعلم أنّ بني أميّة يُذهِب ما في أنفسها أن أحلف لها لَحَلفت خمسين يميناً مردَّدة بين الرُكن والمقام أنّي لم أقتل عثمان ولم أُمالىء على قتله .

المدائني عن أبي جَزِيّ عن أيّوب وابن عَوْن عن ابن سيرين قال : لم يكن أحد من أصحاب النبيّ ﷺ أشد على عثمان من طلحة .

المدائني عن أبي جَزِيّ عن قتادة عن أبي موسى قال : لو كان قتل عثمان هُدىً لاحتلبوا به لَبَناً لكنّه كان ضلالاً فاحتلبوا به دماً .

المدائني عن أبي جَزِيّ عن قتادة قال : رأى عليٌّ الحسن عليهما السلام يتوضّأ فقال له : أَسبغ الوضوء ، فقال الحسن : لقد قتلتم رجلاً كان يُسبغ الوضوء لكلّ صلاة ، فقال عليّ : لقد طال حزنك على عثمان .

رؤيا عثمان رضي الله تعالى عنه ومقتله :

قالوا : لما كان اليوم الذي قُتل فيه عثمان ، وقد أصبح صائماً ، قال لأصحابه : إنّي مقتول ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما أتوني في منامي البارحةَ ، فقال لي رسول الله ﷺ : «أفْطِر عندنا غداً يا عثمان» .

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا فَرَج بن فَضالة عن مروان بن أبي أميّة عن عبدالله بن سلاّم قال : أتيت عثمان وهو محصور فقال حين دخلت عليه : مرحباً بأخي ، رأيتُ رسول الله ﷺ في هذه الليلة فقال لي : «يا عثمان حصروك ؟ قلت : نعم ، قال : أعطشوك ؟ قلت : نعم ، قال : فأدلى لي دلواً فشربت منها حتى رويت فإنّي لأجد برد الماء بين ثدْيَيَّ وكتفيَّ ، ثم قال : إن شئتَ أَفطرتَ عندنا وإن شئت نُصِرْتَ عليهم فاخترتُ أن أُفطر عنده» ؛ فقُتل ذلك اليوم .

حدثنا عفّان بن مسلم حدثنا وهُيب بن خالد حدثنا موسى بن عقبة عن أبي عَلقَمة مولى عبد الرحمن بن عوف عن كثير بن الصَلْت الكندي قال : قال عثمان في اليوم الذي قُتل فيه ، وهو يوم الجمعة ، وقد استيقظ من النوم : رأيت رسول الله ﷺ وسلّم في منامي هذا فقال : «إنّك شاهدٌ فينا الجمعةَ» .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وَهْب بن جَرير حدثنا أبي قال : سمعت يَعْلَى يحدّث عن نافع أنّ عثمان رأى في الليلة التي قُتل في صبيحتها أنّ النبيّ ﷺ أتاه فقال له : «أفْطِر عندنا يا عثمان» فقُتل وهو صائم .

قال الواقدي : ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان حتى جلس بين يديه وأخذ بلحيته فقال : يا نعثل - ونعثل دهقان اصبهان كان جميلاً جيّد اللحية فشبّهوا عثمان به - كيف ترى صَنَعَ الله بك ؟ قال : خيراً اتّق الله يا بن أخي ودَعْ لحيتي فإنّ أباك لو كان حيّاً لم يقعد منّي هذا المقعد ولم يأخذ بلحيتي ، فقال محمد : إنّ أبي لو كان حيّاً ثم رآك تعمل هذا العمل لأنكره عليك ، وتناول عثمان المصحف فوضعه في حجره وقال : عباد الله لكم ما فيه والعُتْبَى ممّا تكرهون ، اللهمّ أشهد . فقال محمد بن أبي بكر ﴿أَلآنَ وَقَد عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفسِدِين﴾[1] ثم رفع جماعة قِداحٍ[2] كانت في يده فوجأ بها خُشَشائه[3] حتى وقعت في أوْداجه فحزّت ولم تقطع فقال : عبادَ الله لا تقتلوني فتندموا وتختلفوا ، فرفع كِنانة بن بِشر بن عتّاب التُجِيبي عموداً من حديد كان معه

١ - سورة يونس - الآية : ٩١ .
٢ - بهامش الأصل : أي سهام .
٣ - بهامش الأصل : الخشاء : عظم خلف الأذن .

فضرب به جبهته فوقع ، وضربه سُودان بن حُمْران ـ ويقال سِيدان بن حمران ـ المُرادي بالسيف ضربةً فكانت أوّل قطرة قطرت من دمه في المصحف على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] وقعد عمرو بن الحَمِق الخُزاعي على صدره فوَجأه تسع وجآت بمشاقص كانت معه فكان عمرو يقول : طعنتُه تسع طعنات علمتُ أنّه مات في ثلاث منهنّ ، ولكني وَجَأْتُه الستَّ الأُخَر لِما كان في نفسي عليه من الحَنَق والغيظ ؛ وانصرف الناس عن عثمان وتُرك قتيلاً في داره يوماً أو يومين حتى حمله أربعةٌ فيهم امرأةٌ ، أحدُ الأربعة جُبير بن مُطعِم .

المدائني : يُقال إنّ أوّل من دَمَّى عثمان رضي الله تعالى عنه نِيار بن عِياض الأَسْلَمي ، وَجأَهُ بمِشقَص في وجهه فدمّاه ، وكان بالمدينة نِياران فكان يُقال لهذا نيار الشرّ وللآخر نيار الخير[2] .

ومن رواية أبي مخنف لوط بن يحيى : أنّ عثمان رضي الله عنه قُتل يومَ الجمعة فتُرك في داره قتيلاً ، فجاء جُبير بن مُطعِم ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، ومِسوَر بن مَخرمة الزُهْري ، وأبو الجَهْم بن حُذيفة العَدَوي ليصلّوا عليه ويُجنّوه ، فجاء رجال من الأنصار فقالوا : لا نَدَعُكم تصلّون عليه ، فقال أبو الجهم : إلاّ تَدَعونا نصلّي عليه فقد صلَّت عليه الملائكة ، فقال الحجّاج بن غَزِيّة : إن كنتَ كاذباً فأَدْخَلَك الله مدخله قال : نعم

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٣٧ .
٢ ـ نيار بن مكرم الأسلمي ، هو أحد الذين دفنوا عثمان بن عفان رحمه الله . طبقات خليفة ص ٤١٦ . طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٨ .

حَشَرَنى الله معه ، قال ابن غَزِيّة : إنّ الله حاشِرُكَ معه ومع الشيطان ، والله إن تَرْكي إلحاقَك به لخطأٌ وعجزٌ ، فسكت أبو الجهم ؛ ثم إنّ القوم أغفلوا أمر عثمان وشغلوا عنه فعاد هؤلاء النفر فصلّوا عليه ودفنوه ، وأَمَّهم جُبير بن مُطعِم ، وحملت أُمّ البَنِين بنت عُيَيْنة بن حِصْن امرأة عثمان لهم السراج ، وحُمل على باب صغير من جَرِيد قد خرجت عنه رِجْلاه .

وقال : إنه لقيهم قوم من الأنصار فقاتلوهم حتى طرحوه ثم توّطأ عُمير بن ضابىء بن الحارث بن أرطاة التميمي ثم البُرْجُمي بطنه ، وجعل يقول : ما رأيت كافراً أَلينَ بطناً منه ، وكان عُمير أشدّ الناس على عثمان ، وكان أبوه ضابىء اندسّ ليتوجّأ عثمان ويفتك به ففطِنَ به ، فحبسه عثمان فقال في الحبس :

هَمَمْتُ ولَمْ أَفْعَلْ وكِدتُ ولَيْتَني فَعَلْتُ فكان المُعوِلات حَلائِلُهْ
وما الفَتْكُ إلّا لامْرِىءٍ ذي حَفيظَةٍ إذا رِيعَ لم تُرْعَدْ لجبنٍ خَصائِلُهْ
وما الفَتْكُ ما آمرْتَ فيهِ ولا الذي تُخَبِّرُ مَن لاقَيْتَ أَنَّكَ فاعِلُهْ
فلا يَرأَمَنْ(١) بَعْدي امْرؤٌ ضَيْمَ ضائِمٍ حِذارَ لِقاءِ المَوْتِ فالمَوْتُ نائِلُهُ

وكان عُمير بن ضابىء ممّن شهد الدار ، وكان أشدَّ الناس على عثمان فكان يقول يومئذ : أَرني ضابئاً ، أَحْيِ لي ضابئاً ، يقول ليرى ما عثمان عليه من الحال وما فَعَلَتْ به ، فقرّعه الحَجّاج بن يوسف بذلك يومَ قَتَله . وكان من خبر ضابىء أنّ بني جَرْوَل بن نَهْشَل وهبوا له كلباً سألهم إيّاه ، ثم ركبت إليه جماعة منهم فارتجعوه منه ، وكان الكلب يُسَمّى قُرْحانَ فقال فيهم :

---

١ ـ رئم الشيء : أحبه وألفه ، ورئمت الناقة ولدها : عطفت عليه ولزمته فهي رؤوم . وشاة رؤوم : ألوف . والجرح عالجه حتى رئم . والحبل فتله شديداً . القاموس .

تَجاوَزَ نحوي رَكْبُ قُرْحانَ مَهْمَهاً تظَل به الوَجْناءُ وهي حَسيرُ
فأُمُّكُمْ لا تَعْقِلوها لِكَلْبِكُمْ فإنَّ عُقوقَ الـوالِدَيْنِ كَبـيرُ
فمَنْ يَكُ مِنْكُمْ ذا غفولٍ فإنّهُ عَليمٌ بما تحت النطاقِ بَصيرُ
رَدَدتُ أَخاهُمْ فاسْتَمَرُّوا كأنَّما حَباهُمْ بِتاجِ الهُرْمُزانِ أَميرُ

فاستَعْدَوا عليه عثمانَ لِما قال في أمّهم وفيهم ، فيقال إنّه أدّبه وخلّاه ، ويقال بل حبسه ثم خلّاه ، فأراد الفتك ففُطن له وأُخذ فحُبس حتى مات في السجن ، فقال في الحبس :

هَمَمْتُ ولَمْ أَفْعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَني فَعَلتُ فكان المُعْوِلاتِ حَلائِلُهْ
ما الفَتْكُ إلّا لامْرِىءٍ ذي حَفيظَةٍ إذا رِيعَ لَمْ تُرْعَدْ لِجبنٍ خَصائِلُهْ

قالوا : ودُفن عثمان في حَشّ كَوْكَب وهو نخلٌ لرجل قديمٍ يقال له كوكب ، ثم أقبل الناس حين دُفن إلى عليّ فبايعوه ، وأرادوا دفنَ عثمان بالبَقيع فمنعهم من ذلك قوم فيهم أسلم بن بَجْرة الساعدي ويقال جَبَلة بن عمرو الساعدي ، وقال ابن دأب : صلّى عليه مِسوَر بن مَخرَمة .

وقال المدائني عن الوقّاصي عن الزهري : امتنعوا من دفن عثمان فوقفت أمّ حبيبة بباب المسجد ثم قالت : لتُخَلّنَّ بيننا وبين دفن هذا الرجل أو لأكشفنّ سِتْر رسول الله . فخلُّوا بينهم وبين دفنه .

قال الواقدي : بُويع عثمان بالخلافة أوّل يوم من المحرّم سنةَ أربع وعشرين وقُتل يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين بعد العصر ، ودُفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حَشّ كَوْكَب إلى جانب البَقيع في موضع نخل ، وكوكب رجلٌ ، فهي مقبرة بني أميّة اليوم ، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يوماً ، وقُتل وهو ابن

اثنتين وثمانين سنة ؛ وكان الذين حملوه جُبير بن مُطعِم بن عَدِيّ بن نوفل بن عبد مناف وهو ممّن أسلم في هدنة الحُدَيْبية وحَكيم بن حِزام بن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزّى ، وأبو الجَهْم بن حُذيفة بن غانم العَدَوي ، واسمه عُبيد ، ونِيار بن مُكْرَم الأسلمي . ويقال إنّ عبد الرحمن بن أبي بكر ، والمِسوَر بن مَخرَمة الزهري كانا معهم .

قال الواقدي : لما حجّ معاوية نظر إلى منازل أسلم شارعةً في السوق فقال : أظلموا عليهم بيوتَهم أَظْلَم الله عليهم قبورَهم ، فإنّهم قتلةُ عثمان ، فقال نِيار بن مُكْرَم الأسلمي : تُظْلِمُ عليَّ بيتي وأنا رابع أربعةٍ حملنا عثمان وقبرناه ؟ قال : فعرفه ، فقال : لا تبنُوا في وجه داره ، ثم دعا به خالياً فقال : حَدِّثني كيف صنعتم ؟ فقال : حملناه ليلة السبت بين المغرب والعشاء الآخرة ، فكنت أنا ، وحَكيم ، وجُبير ، وأبو الجهم بن حُذيفة ، وتقدّم جُبير فصلّى عليه ونزّلناه في حُفرته . قال الواقدي : ويقال إنّه قُتل في عشر ذي الحجّة ، والأوّل أثبت .

قال هشام بن محمد الكلبي: قال عَوانة وغيره : كان مقتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً من مقتل عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، وقُتل صلاةَ العصر ، وبايع الناس عليّاً يوم السبت لتسع عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين .

حدثنا عفّان بن مُسلم الصفّار حدثنا مُعْتَمِر بن سليمان قال: سمعت أبي يقول : حدثنا أبو عثمان النَهْدي أنّ عثمان بن عفّان قُتل في أوسط أيّام التشريق .

قال الواقدي : وكان عثمان رجلاً ليس بالقصير ولا الطويل ، حسنَ الوجه رقيق البشرة كبير اللحية عظيمها ، أسمر اللون ، عظيم الكراديس ، بعيدَ ما بين المنكَبين ، كثير شعر الرأس يصفّر لحيته ، وكان يشُدّ أسنانه بالذهب .

وقال أبو مخنف في روايته : أقبل القاسم بن ربيعة بن أميّة بن أبي الصَلْت الثقفي ، وكان عاملَ عثمان على الطائف ، لينصرُه ، فلما انتهى إلى العَقيق بلغه أنه قد قُتل فانصرف ؛ وأقبل عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، وكان عامله على مخاليف الجَنَد ، لينصرُه ، فلما انتهى إلى بطن نَخْلة[١] سقط عن راحلته فانكسرت رجله فانصرف إلى أهله ، وهو أبو عمر [بن] عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر ؛ وأقبل مُجاشِع بن مسعود السُلَمي من البصرة فيمن وجّه معه عبدالله بن عامر ، فلما كان ببعض الطريق إذا راكبٌ مُقبلٌ ، فلقيه زُفَر بن الحارث الكِلابي وكان مع مُجاشِع فقال له : ما وراءك ؟ قال : قَتَلَ المسلمون نَعْثَلاً ، قال : ويحك ما تقول ؟ قال : الحقَّ ، وهذه طاقاتٌ من شعره معي ، فقال له زُفَر : لعنك الله ولعن ما أقبل منك وما أدبر ، وشدّ عليه فقتله ، فكان أوّل قتيل بعثمان . وخرج النُعمان بن بَشير الأنصاري يريد الشام ، فدفعت إليه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ قميصَ عثمان وعليه الدم ، فخرج به يركُضُ حتى لقي يزيد بن أَسَد البَجَلي بوادي القُرى ، وهو على مقدّمة حبيب بن مَسْلَمة ، فرجع إلى

١ ـ لعله أراد نخلة اليمانية ، حيث هناك أكثر من نخلة هي جميعاً على مقربة من مكة المكرمة . معجم البلدان .

حبيب فانصرفا جميعاً . وفي حبيب يقول شُريح القاضي حين بعثه معاوية في الخيل من الشام لنصر عثمان :

كلُّ امْرِىءٍ يُدْعى حَبيباً ولو بَدَتْ مُرُوَّتُهُ يَفْـدي حبيبَ بني فِهْرِ
أَمـيرٌ يَقودُ الخَيْـلَ حتى كأنَّمـا يَطَأْنَ بِرَضْراضِ الحَصَى جاحِمَ الجَمر

قالوا : وبلغ عمروَ بن العاص مقتلُ عثمان وهو بفلسطين فقال : أنا أبو عبدالله ، إنّي إذا حَكَكتُ قَرْحةً أدميْتُها ونكأْتُها .

قالوا : ولما قُتل عثمان قال حُذيفة بن اليَمان : إنّ عثمان استأثر فأساءَ الأثَرةَ ، وجزِعنا فأسأنا الجزَع ، رَأَوا منه أشياءَ أنكروها ولَيَرَوُنَّ أَنْكَرَ منها فلا يُنكرونها ؛ وقال عمرو بن العاص : أَسخط عثمانُ قوماً ، وأرضى قوماً ، وآثرهم فأنكر ذلك أهل السخط فغلبوا أهلَ الأَثرة فقُتل .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنا أَبي عن يونس بن يزيد الأَيْلي عن الزهري قال : كان مّما عابوا على عثمان أن عزل سعدَ بن أبي وقّاص ، وولّى الوليد بن عُقْبة ، وأقطع آلَ الحَكَم دُوراً بناها لهم واشترى لهم أموالاً ، وأعطى مروان بن الحَكَم خُمس إفريقية ، وخصَّ ناساً من أهله ومن بني أميّة فقال له الناس : قد ولي هذا الأمر قبلك خليفتان فمنعا هذا المالَ أنفسَهما وأهليهما ، فقال : إنّما صنعا ذلك احتساباً ووصلتُ به احتساباً ، فقال له الناس إنّ أبا بكر استسلف من بيت المال شيئاً فقضَتْه عنه عائشةُ بعد وفاته ، واستسلف عمر شيئاً ضمنه عنه عبدالله وحَفْصة فباعوا سهامه ووفوا عنه ، واستسلفتَ من بيت المال خمسمائة ألف درهم وليس عندك لها قضاء ، وقال له عبدالله بن الأرقم خازن بيت المال وصاحبه : اقبضْ عنّا مفاتيحك ، فلم يفعل وجعل يستسلف ولا يردّ ،

فجاء عبدالله بالمفاتيح هو وصاحبه يوم الجمعة فوضعاها على المنبر وقالا : هذه مفاتيح بيت مالكم ـ أو قال : مفاتيح خزائنكم ـ ونحن نبرأ إليكم منها ، فقبضها عثمان ودفعها إلى زيد بن ثابت .

قال الزهري : وكان في الخزائن سَفَط فيه حلي فأخذ منه عثمان فحلّى به بعض أهله فأظهروا عند ذلك الطعن عليه ، وبلغه ذلك فخطب فقال : هذا مال الله أعطيه مَن شئتُ وأمنعهُ من شئت ، فأرغم الله أنفَ مَن رغم ، فقال عمّار : أنا والله أوّل من رغم أنفه من ذلك ، فقال عثمان : لقد اجترأت عليَّ يا بن سُمَيّة ، وضربه حتى غُشي عليه ، فقال عمّار : ما هذا بأوّل ما أُوذِيتُ في الله ، وأَطْلعت عائشة شَعراً من شعر رسول الله ﷺ ونعله وثياباً من ثيابه ـ فيما يحسب وَهْبٌ ـ ثم قالت : ما أَسْرَعَ ما تركتم سُنّة نبيّكم ، وقال عمرو بن العاص : هذا منبر نبيّكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يَبْلَ فيكم وقد بدّلتم وغيّرتم ، فغضب عثمان حتى لم يَدْرِ ما يقول ، والتجّ المسجد واغتنمها عمرو بن العاص ، وقد كان عثمان قال لعمرو قبل ذلك وقد عزله عن مصر : إن اللقاح بمصر قد دَرَّتْ بَعْدَك أَلبانُها ، فقال : لأنّكم أَعجفتم أولادَها ، فقال له عثمان : قَمِلَتْ جُبّتك مذ عُزلتَ عن مصر ، فقال : يا عثمان إنّك قد ركبت بالناس نَهابِيرَ وركبوها بك فإما أن تعدل وإمّا أن تعتزل ، فقال : يا بن النابعة وأنت أيضاً تتكلّم بهذا لأنّي عزلتك عن مصر ؟! وتوعّده .

ونشِب الناسُ في الطعن على عثمان ، وأرسل عثمان إلى امرائه سعيدِ بن العاص وابن عامر ومعاوية فجمعهم وقال : إنّ الناس قد صنعوا ما تَرَوْنَ فأشِيروا عَليَّ ، فقال سعيد بن العاص : جَمِّرْهم وتابع البعوث عليهم حتى

تكون دَبَرةُ دابّة أحدِهم أهمَّ إليه من الكلام ، وقال ابن عامر : أَعْطِهم ما بين لَوْحَي المصحف تُرْضِ الناس كلّهم ، وقال معاوية : قد أشارا عليك بما أشارا به فَأْمُرهما فليعملا بذلك في أهل عمليهما ، وأنا أكفيك أهلَ الشام .

حتى إذا كان أوّل سنة خمس وثلاثين قدم عليه المصريّون فنزلوا ذا خُشُب ، فخرج إليهم عليُّ بن أبي طالب فردّهم فقال بعض الناس : - قال جرير[1] : يعني مروانَ - استَقَلَّهم عليٌّ وأَمَرهم أن يجتمعوا فيكونوا أكثر ممّا هم ، فانصرفوا ثم رجعوا أكثر ممّا كانوا ، وقدم طوائف من أهل الأمصار فاجتمعوا بالمدينة ، فخرج عثمان إلى الجمعة وكان رجلاً مربوعاً حسن الشعر والوجه أصلع أَرْوَح الرجلين ، فلما صعد المنبر قام إليه رجل من أهل مصر من تُجيب عليه كساء خزّ أصفر فشتمه وعابه وقال : فعلت كذا وفعلت كذا ، فجعل عثمان يلتفت إلى الناس فلا يتكلّم أحد ولم يردّ عليه ، فقعد ولم يكَدْ ، فقام جَهْجَاهُ بن سعيد الغفاري ، فقال مثل قول المصري ، ثم انتزع منه عصا كانت في يده فكسرها ، فما ردّ أحدٌ عليه ولا منعه ، فقام عثمان على دهش شديد فتكلّم بكلمات يسيرة وصلّى ، وحفّ به الناس من بني أميّة وغيرهم حتى دخل داره وحصروه .

واجتمعت الأنصار إلى زيد بن ثابت فقالوا : ماذا ترى يا أبا سعيد ؟ فقال أتطيعوني ؟ قالوا : نعم إن شاء الله ، فقال : إنّكم نصرتم رسول الله ﷺ فكنتم أنصار الله ، فانصُروا خليفته تكونوا أنصاراً لله مرّتين ، فقال

---

١ - أي جرير بن حازم .

الحجّاج بن غَزِيَّة : والله إن تَدْري هذه البَقَرةُ الصَيْحاءُ ما تقول ، والله لو لم يْبقَ من أَجله[1] إلاّ ما بين العصر إلى الليل لتقرّبنا إلى الله بدمه ؛ فقال عبدالله بن سلام : الله الله في دم هذا الرجل ، فوالله ما بقي من أَجله إلا اليسير ، فدَعُوه يَمُتْ على فراشه فإنّكم إن قتلتموه سُلّ عليكم سيف الله المغمود فلم يُغْمد حتى يُقْتَل منكم خمسةٌ وثلاثون ألفاً .

وكان الزبير وطلحة قد استَوليَا على الأمر ، ومنع طلحةُ عثمانَ مِن أن يدخل عليه الماء العذب ، فأرسل عليٌّ إلى طلحة وهو في أرض له على ميل من المدينة أن دع هذا الرجل فليشرب من مائه ومن بئره - يعني بئر رُومة - ولا تقتلوه من العطش ، فأبى ، فقال عليّ : لولا أنّي قد آليت يوم ذي خُشب أنّه إن لم يُطِعْني لا أردّ عنه أحداً لأُدخلتُ عليه الماء .

قال : وسمعهم عثمان يقولون لنقتلنه فقال : أيريدون قتلي ؟ فوالله ما يحلّ لهم ذلك ، ولقد كنت في أوّل المسلمين إسلاماً ، ولقد مات رسول الله ﷺ وهو عنّي راضٍ ، ثم أبو بكر من بعده ، ثم عمر ، ثم أمر بكتابٍ فكُتب وأمر عبدالله بن الزبير أن يقرأه على الناس ، فلم يدَعوه حين اطّلع من الدار يقرأه حتى تَرَّسوه بالتِرَسَة ، ثم قرأه بأَعْلى صوته ولم ينزع حتى فرغ منه ورموه بالنبل ، فكان فيما كتب به عثمان : «إنّي أَنزع عن كلّ شيء أنكرتموه منّي وأتوب من كلّ قبيح عملته ، ولا آتَمِرُ إلاّ ما أجمع عليه أزواجُ النبيّ ﷺ وذوو الرأي منكم ، ولست أخلع قميصاً قمّصنيه الله ولا أُقِيلكم بيعتكم .

---

١ - بهامش الأصل : أجلي .

وأرسل عثمان عبدَالله بن الحارث بن نوفَل إلى عليّ فقال قل له :

إنْ كُنْتُ مَأكولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ

أترضى بأن يُقْتَل ابن عمّتك وتُسلَب مُلْكَك ؟ فقال عليّ : صدق والله لا نترك ابن الحَضْرَمِيّة يأكلها ـ يعني طلحة ـ فلم يُرَع الناسُ ـ صلاةَ الظهر ـ إلاّ بعليّ وهو يقول لهم : أيّها الناس هلمّوا إليَّ ، فتقدّم فصلّى بهم فمال الناس إليه وصلّى بهم يوم النّحْر ، وعثمان محصور في الدار .

وقد كان عثمان بعث عبدالله بن عبّاس على الموسم ، فلما صدر ابن عبّاس بلغه قتل عثمان بالطريق فقال : وددت أنّي لا أبرح حتى يأتيني الذي قتل عثمان فيقتلني ، جَزَعاً مِن قَتْله .

وقد كانت عائشة وأمّ سَلَمة حَجَّتا ذلك العام ، وكانت عائشة تؤلّب على عثمان ، فلما بلغها أمره ، وهي بمكّة ، أمرت بقُبتها فضُربت في المسجد الحرام وقالت : إني أرى عثمان سيشوم قومه كما شَأَمَ أبو سفيان قومه يوم بَدرٍ .

وقُتل عثمان فزعم بعض الناس أنّه قُتل في أيّام التشريق ، وقال بعضهم قتل يوم الجمعة لثمانيَ عشرة ليلة خَلَتْ من ذي الحجّة ، وولي قتلَه محمد بن أبي بكر ومعه سُودان بن حُمْران ، وبايع الناسُ عليّاً ، ومكث عثمان في الدار يوماً أو يومين حتى أخرجه أهله على باب من جَريد النخل صغير خرجت عنه رِجلاه ، وتلّقاهم قوم فقاتلوهم حتى طرحوه وتوطّأه بعضهم ، ثم حملوه وقد حُفر له قبر إلى جانب البَقيع ودفنوه ،

وخرجت عائشة من مكّة حتى نزلت بِسَرِف ، فمرّ راكب فقالت : ما وراءك ؟ قال : قُتل عثمان ، فقالت : كأنّي أنظر إلى الناس يبايعون طلحة

وإصبُعه تحس أيديَهم ، ثم جاء راكب آخر فقال : قُتل عثمان وبايع الناس عليّاً فقالت : واعُثماناه ، ورجعت إلى مكة فضربت لها قبّتها في المسجد الحرام وقالت : يا معشر قريش إنَّ عثمان قد قُتل ، قَتَلَهُ عليّ بن أبي طالب ، والله لأُنْمُلَةٌ - أو قالت لَلَيْلَةٌ - من عثمان خيرٌ من عليٍّ الدهرَ كلَّه ، وخرجت أمّ سَلَمة إلى المدينة وأقامت عائشة بمكة .

حدثني أبو عُبيد حدثنا ابن عُلَيَّة عن ابن عَوْن عن الحسن عن وثّاب ، وكان مع عثمان يوم الدار وأصابته طعنتان كأنّهما كيّتان ، قال : بعثني عثمان فدعوتُ الأَشْتَرَ له فقال : يا أشتر ما يريد الناس منّي ؟ قال : يخيرونك أن تَخْلَع لهم أمرهم أو تُقِصَّ من نفسك وإلّا فهم قاتِلوك ، قال : أمّا الخلع فما كنت لأَخْلَعَ سِربالاً سَرْبَلَنيه الله ، وأمّا القِصاص فوالله لقد علمتَ أنّ صاحَبيَّ كانا يعاقبان ، وما يقوم بَدِني للقِصاص ، وأمّا قتلي فوالله لئِن قتلتموني لا تتحابّون بعدي أبداً ولا تُقاتلون عدوّاً جميعاً أبداً .

حدثني خَلَف بن هشام البَزّار حدثنا أبو شهاب عن ليث عن رجل عن حُذيفة أنّه قال : اللهمّ إنّي بريء إليك من دم عثمان ، عهِدوا إليه واستعتبوه ثم قتلوه .

حدثني هُدْبة حدثنا أبو الأشْهب عن عوف عن محمد بن سيرين أنّ حُذيفة بن اليَمان قال : اللهمّ إن كان قتل عثمان خيراً فليس لي منه نصيبٌ ، وإن كان شرّاً فأنا منه بريء ، ولئِن كان خيراً لَيَحتلبُنّها لَبَناً ، وإن كان قتله شرّاً ليمتصرُنّها دماً .

وحدثني هُدْبة بن خالد حدثنا أبو هلال قال سمعت الحسن يقول : عمل عثمان اثنتي عشرة سنة ثم جاء فَسَقَةٌ فقالوا : يا عثمان أَعطِنا كتاب

الله ، وتراموا بحصباء المسجد حتى ما يُرَى أديمُ السماء من الغُبار ، فحصروه ثم أغلقوا باب القصر ؛ قال الحسن: فحدثني وثاب مولى عثمان قال : أصابتني جراحة فأنا أُنَزفُ مرّةً وأقوم مرّةً ، فقال لي عثمان : هل عندكَ وضوءٌ ؟ قلت : نعم ، فتوضّأ ثم أخذ المصحف فتحرّم به من الفسَقة فبينا هو كذلك إذ جاء[1] هرٌّ كأنّه ذئب فاطلّع ثم رجع فقلنا لقد ردّهم أمرٌ ونهاهم ، فدخل محمد بن أبي بكر حتى جثا على ركبتَيْه ، وكان عثمان حسن اللحية ، فجعل يَهُزّها حتى سُمِع نَقيضُ أضراسه ثم قال : ما أغنى عنك معاويةُ ، ما أغنى عنك ابن أبي سرح ، ما أغنى عنك ابنُ عامر ؟ فقال : يا بن أخي مهلاً فوالله ما كان أبوك لِيجلس مني هذا المجلس ، قال : فأشْعَرَهُ وتعاوَوا عليه فقتلوه ، فوالله ما أفلت منهم مُخبر .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثني محمد بن الأعرابي الراويةَ حدثني سعيد بن سلم عن ابن عَوْن قال : سمعت القاسم بن محمد بن أبي بكر يقول وهو ساجد : اللهمّ اغفر لأبي ذنبه في عثمان .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا قُريش بن أَنَس عن سليمان التَيْمي عن أبي نَضْرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال : دخل المصريّون على عثمان فضربه أحدُهم على يده فقطر من دمه في المصحف على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ﴾ فقال عثمان عند ذلك : أما إنّها لأوّل يد خطّت المفصَّل .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا محمد بن أبي عَديّ عن ابن عْون عن ابن سيرين قال : لما نزل القوم بابن عفّان قال ابن عمر : صحبتُ

---

١ - في ابن سعد ج ٣ ص ٧٣ «رويجل» .

رسول الله ﷺ فلا أعلمه ظَلّ يوماً ولا بات ليلةً إلّا وهو عني راضٍ ، ثم صحبت أبا بكر فكان كذلك ، ثم صحبت عمر فرأيت له حقّين حقّ الإبّوة وحقّ الإمامة فكان كذلك ، ثم صحبتُك يا أمير المؤمنين فرأيت لك مثل الذي رأيت لمن مضى ، أو كما قال ، فقال له عثمان : جزاكم الله خيراً يا آل عمر ، وسأله عن القوم فقال : اعرضْ عليهم كتاب الله فإن أَبَوْهُ فهو خيرٌ لك وشرّ لهم ، وإن قبلوه فهو خير لهم [وخير لك] . فأرسل علي بن أبي طالب فعرض عليهم كتاب الله فقبلوه ، واشترطوا جميعاً : أنّ المَنْفيَّ يُقْلَبُ والمحرومُ يعطَى ويُوفَّر الفيء ويُعدَل في القسم ويُستعمَل ذوو القوّة والأمانة ؛ وقال : لقد قُتل عثمان وإنّ في الدار لسبعمائة منهم الحسن وابن الزبير ، فلو أُذِن لهم لأخرجوهم من أقطار المدينة .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد حدثنا يزيد بن هارون ومحمد بن يزيد الواسطي عن العّوام بن حَوْشب عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال : بعث عثمان إلي عليّ يدعوه وهو محصور فأراد أن يأتيه فتعلَّقوا به ومنعوه فقال : اللهمّ إنّي لا أرضى قتله ولا آمُرُ به ، مرّاتٍ .

وحدثني محمد بن سعد حدثنا كَثير بن هشام حدثنا جعفر بن بُرْقان حدثني راشد أبو فَزارة العَبْسي أنّ عثمان بعث إلى عليّ وهو محصور ، فأراد أن يأتِيَه فقام إليه بعض اهله فحبسه وقال : ألا ترى ما بين يديك من الكتائب ولن تَخْلصَ إليه ، فنفض عمامةً سوداء كانت على رأسه ثم رمى بها إلى رسول عثمان وقال : أَخْبِرْه بالذي رأيتَ ، ثم إنّه خرج إلى سوق المدينة فقال : اللهمّ إنّي ابرأ إليك من دمه أن أكون قتلتُه أو مالأْتُ على قتله[1] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٨ ـ ٦٩ .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يعقوب بن عبدالله القُمّي عن جعفر بن أبي المُغيرة عن سعيد بن عبد الرحمن بن أَبْزَى عن أبيه قال : لما رجع أهل مصر وأحاطوا بالدار بعث عثمان إلى عليّ بن أبي طالب أن ائْتِني ، فبعث إليه حسيناً ابنه ، فلما جاءه قال له عثمان : يا بن أخي ما جاء بك ؟ قال : جئتُ لأفيَ ببيعتي ، قال : يا بنِ أخي أتقدر على أن تمنعني من الناس ؟ قال : لا ، قال : فأنت في حِلٍّ من بيعتي ، فقُل لأبيك يأتِني ، فجاء الحسين إلى عليّ فأخبره بقول عثمان ، فقام عليّ ليأتيه فقام إليه ابن الحَنَفيّة فأخذ بضَبْعَيه يمنعه من ذلك ، قال ابن أَبْزَى : فأنا رأيت علياً يَطْرِف له ويقول: لا أمَّ لك ، حتى جاء الصَرِيخُ أن قد قُتل عثمان فمدّ عليٌّ يده إلى القِبْلة ثم قال : اللهمّ إنّي أبرأ إليك من دم عثمان .

حدثني عمرو بن محمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مُنْذِر أبي يَعلَى عن ابن الحَنفيّة قال : لما كان اليومُ الذي أرادوا فيه قَتْلَ عثمان أرسل مروان إلى عليّ : ألا تأتي هذا الرجلَ فتمنعه فإنّهم لن يُبرموا أمراً دونك ولو كنتَ بمُنْقَطَعِ التُرابِ ، قال : فقام عليّ ليأتِيهم فأخذ ابن الحَنفيّة بكتفيه ـ أو قال بحَقْوَيه ـ وقال : والله ما يريدونك إلاّ رهينةً ، فجلس وأرسل إليهم بعمامته ينهاهم عنه .

حدثني الحسين بن عليّ العِجْلي عن عبيدالله بن موسى عن إسرائيل عن عبد الأعلى عن محمد بن عليّ قال : والله لقد قُتل عثمان وعليٌّ في داره ما علم به وبمن قتله .

وحدثني عمرو بن محمد عن عبدالله بن جعفر الرَقّي عن عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن محمد بن عبيد الأنصاري عن أبيه قال :

أتيتُ عليّاً في داره يومَ قُتل عثمان فقال : ما وراءك ؟ قلتُ:شرٌّ ، قُتل أمير المؤمنين ، فاسترجع ثم قال : أَحْبِب حبيبك هَوْناً ما عسى أن يكون بغيضَك يوماً ما ، وأَبْغِض بغيضك هَوْناً ما عسى أن يكون حبيبَك يوماً ما ، قال: وسمعته يقول مراراً : اللهمّ إنّي أبرأ إليك من قتل عثمان .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا موسى بن داود حدثنا نافع بن عمر الجُمَحي عن عمرو بن دينار قال : كلَّم أهل المدينة ابن عبّاس في أن يَحُجّ بهم وعثمان محصور ، فاستأذنه في ذلك فقال : حُجّ بهم ، ثم رجع وقد قُتل عثمان فقال لعليٍّ : إنّك إن قُمْتَ بهذا الأمر أَلزَمك الناسُ دمَ عثمان إلى يوم القيامة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا بَهْز حدثنا حُصين بن نُمير عن جُهيم الفِهْري قال : أنا حاضر أمر عثمان ، فذكر كلاماً في أمر عمّار ، فانصرف القوم راضين ، ثم وجدوا كتاباً إلى عامله على مصر أن يضرب أعناق رؤساء المصريّين فرجعوا ودفعوا الكتاب إلى عليّ فأتاه به فحلف له أنّه لم يكتبه ولم يعلم به ، فقال له عليّ : فمن تتّهم فيه ؟ فقال : أَتّهم كاتبي وأتّهمك يا عليّ لأنّك مُطاع عند القوم ولم تردَّهُمْ عنّي ، قال : فحصروه .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا الضحّاك بن مَخْلَد أبو عاصم النبيل عن سعدان بن بشر الجُهَني عن أبي محمد الأنصاري قال : شهدت عثمان في الدار ، والحسنُ بن عليّ يضارب عنه فجُرح الحسن ، فكنت فيمن حمله جريحاً ، قال : وجاء رجل فضرب عثمان فرأيت الدم ينثعب على المصحف .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد حدثنا سليمان بن حرب أنبأنا حمّاد بن

زيد حدثنا أبو سَلَمة عن أبي نَضْرة العَبْدي المنذر بنِ مالك عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال : كلَّم المصريّون ومن معهم عثمان وذكروا ما نقموا عليه فيه ، فأعطاهم الرضى وحلف على الكتاب الذي وجدوه ، فقال الأشتر : أي قومِ ارجعوا فوالله إنّي لأَسمع حَلْفَ رجلٍ قد مُكر به ومُكر بكم عنه ، فقال رجل : انتَفَخَ سَحْرُك يا أشتر ـ يا مالك ـ ثم أُقاموا حتى قتلوه .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنا أَبي قال : سمعت حُميد بن هلال قال ، حدّث رجل ممّن دخل على عثمان يوم الدار قال : قتلوه ثم فتحوا تابوتاً له فاستخرجوا منه جَوْزاً فجعلوا يأكلونه ويضحكون فقلت في نفسي : لا يُصيب هؤلاء خيرٌ أبداً ، قتلوا أمير المؤمنين ثم هم يأكلون ويضحكون .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا ابن أبي عَديّ عن ابن عَوْن عن نافع قال : لبس ابن عمر الدرع يوم الدارِ مرّتَيْنْ .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير حدثنا جُوَيْرية بن أَسْماء حدثنا محمد بن الحارث بن زَهْدَم وهو ابن فاخِتة عمّة مالك بن أنس أَنَّ مالك بن أبي عامر حدّثه قال : احتملنا عثمان فانتهينا به إلى أقصى البَقِيع إلى حائط قد كان عثمان اشتراه ليَصِلَه بالمقبرة ، فكان الناس يتحامونه للدعوة التي ذُكرت في أهل البَقِيع[1] فقيل : يا أمير المؤمنين لو أُكرهت الناس عليه ، فقال : دَعُوه لعلّه يُدفَن فيه رجل صالح فيستنّ الناس في الدفن به ، فكان عثمان أوّل من دُفن فيه .

١ ـ حول البقيع ودعاء النبي ﷺ بالمغفرة لمن دفن به ، انظر تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي ـ ط. القاهرة ١٩٥٥ ص ١٢٣ ـ ١٢٩ .

المدائني عن أبي جَزِيّ عن عمرو بن دينار عن طاوس قال : لما قُتل عثمان قال أبو موسى : هذه حَيْصَةٌ من حَيْصَات الفِتَن ، وبقيَت المُثْقِلَةُ الرَّداحُ التي من هاج فيها هاجت به ومن أَشْرَفَ لها أشرفت له .

المدائني عن الوقّاصي عن الزهري قال : كان سعيد بن المسيّب يسمّي العام الذي قُتل فيه عثمان عام الحُزْن .

المدائني عن أبي جَزِيّ عن عمرو عن طاوس أنّه سمع رجلاً يقول : ما رأيت رجلاً أجرأ على الله من فلان ، فقال : إنّك لم تر قاتِلَ عثمان .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن الحَكَم بن القاسم عن [ابن عَوْن مولى] المِسوَر بن مَخرَمة قال : كان المصريّون كافّين حتى بلغهم أنّ الأَمْداد قد اقبلتْ إلى عثمان من قِبَل عُمّاله فعند ذلك عاجَلوه .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن [عبدالله] بن أبي سَبْرة عن عبد المجيد بن سُهيل قال : قال سعد بن أبي وقّاص حين رأى الأشتر وحُكيم بن جَبَلة وعبد الرحمن بن عُديس : إنّ أَمراً هؤلاء أُمراؤُهُ لأَمْرُ سَوْءٍ .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزِناد عن أبي جعفر القارىء مولى بني مخزوم قال : كان المصريّون الذين حصروا عثمان ستّمائة عليهم عبد الرحمن بن عُديس البَلَوي وكِنانة بن بِشر بن عَتّاب الكِنّدي وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي ، والذين قدموا من الكوفة مائتين عليهم مالك بن الأشتر النَخَعي ، والذين قدموا من البصرة مائة رجل رئيسهم حُكيم بن جَبَلة العبدي وضَوَتْ إليه حثالة من الناس قد مَرِجَت أماناتهم وسفِهت أحلامهم ، وكان أصحاب النبيّ ﷺ الذين خَذَلوه لا يرون أنّ الأمر يبلغ به

القَتْلَ فلما قُتل ندِموا ، وَلَعَمْري لو قام بعضُهم فحثا التراب في وجوه أولئك لانصرفوا(١) .

وقال الواقدي في روايته : تَسَوَّر على عثمان من دار عمرو بن حَزْم محمدُ بن أبي بكر ، وكِنانةُ بن بِشْر ، وسُودان بن حُمران المُرادي ، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي ، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلةَ وهو يقرأ سورة البقرة في المصحف ، فتقدّمهم محمد وأخذ بلحيته وقال : قد أخزاك الله يا نَعْثَل ، فقال عثمان : لست بنعثل ، ولكنّي عبدالله أمير المؤمنين ، فقال محمد : ما أغنَى عنك معاويةُ وفلان وفلان ؟ فقال : يابن أخي دع لحيتي فما كان أبوك لِيجلس هذا المجلس ، ولا يقبض عَلَى ما قبضتَ عليه منها ، فقال : الذي أُريد بك أشَدُّ من هذا ، فقال عثمان : أستعين بالله وأستنصره عليك ، فاجتمعوا على قتله .

المدائني عن أبي هلال عن ابن سيرين قال : جاء ابن بُديل إلى عثمان ، وكان بينهما شَحْناءُ ، ومعه السيف وهو يقول : لأقتلنّه ، فقالت له جارية عثمان : لأنت أهونُ على الله من ذاك ، فدخل على عثمان فضربه ضَرْبَةً لا أدري ما أخذتْ منه .

وقال الواقدي في روايته : لما ضرب محمد بن أبي بكر عثمان بمشاقصه قال عثمان : بسم الله توكّلت على الله ، وإذا الدم يسيل على لحيته وعلى المصحف حتى وقع على : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله﴾ وأطبق عثمان المصحف .

وقال الكلبي : ضرب كِنانةُ بن بِشْر التُجيبي عثمان بعمودٍ ضربةً على مُقَدَّم رأسه وجبينه ، فقال الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعيط .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧١ ـ ٧٢ .

أَلا إِنَّ خَيْرَ الناسِ بَعْدَ ثَلاثَةٍ قتيلُ التُجِيبِيِّ الذي جاءَ مِن مِصْرِ

قال : وقال الوليد أو غيره :

عَـلاهُ بِالعَمـودِ أَخـو تُجيبٍ فأَوْهَى الرَّأْسَ مِنْـهُ والجبينا

حدثني محمد بن سعد حدثنا عفّان حدثنا حوثرة بن بشير حدثني أبو خلدة : أنّه سمع عليّاً رضي الله تعالى عنه يقول وهو يخطب ، فذكر عثمان فقال : والله الذي لا اله الاّ هو ما قتلته ولا مالأْتُ على قتله ولا ساءني .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن رجل عن الزهري قال : قُتل عثمان عند صلاة العصر ، وشَدَّ عبدٌ أسود على كِنانة بن بِشْر فقتله ، وشدّ سُودان بن حُمران على العبد فقتله ، وركب الغوغاءُ دار عثمان ، فصاح إنسان منهم : أَيَحِلُّ دم عثمان ولا يحلّ ماله ؟ فانتهبوا متاعه ، فقالت نائلة امرأته : لُصوصٌ وربِّ الكعبة ، والله ما أردتم الله بقتله ، ولقد قتلتموه صوّاماً قوّاماً يقرأ القرآن في ركعة . وخرج الناس من الدار وأُغلق الباب على ثلاثة قَتْلَى : عثمان وعبدٍ لعثمان وكِنانة بن بشر .

قال محمد بن سعد:قال الواقدي : والثبت أنّ كنانة بن بشر قُتل بمصر حين قُتل ابن أبي بكر بها ، وذِكرُ كنانةَ هاهنا وَهْم .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن غياث بن إبراهيم قال : تُوفّي عثمان وله خمس وثمانون سنة . وقال الواقدي وابن الكلبي : تُوفّي وله اثنتان وثمانون سنة .

وقال المدائني عن أبي مخنف ومَسْلَمة بن مُحارب : كتبت نائلةُ بنت الفَرافِصة امرأة عثمان إلى معاوية كتاباً تُخبره فيه بأمر عثمان ومقتله ، وتُعلمه أنّ أهل مصر أَسندوا أمرهم إلى عليّ بن أبي طالب ، وابن أبي بكر ، وعمّار بن

ياسر فأمروهم بقتله، وأنّ فيمن حصره خُزاعةَ وسعد بن بكر وهُذيلاً وطوائف من جُهينة ومُزينة وأنباط يثرب ، وبعثت بقميصه إليه ، فقال قوم من أهل الشام : والله لنقتلنّ علياً .

حدثني عبدالله بن صالح عن إسرائيل عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن مسلم بن يسار قال : سألت ابن عمر هل شرك عليٌّ في دم عثمان ؟ فقال : لا والله ما علمت ذلك في سرّ ولا علانية ، ولكنّه كان رأساً يُفْزَعْ إليه فأُلْحِقَ به ما لم يكن .

حدثني عبدالله بن صالح العِجلي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : خرجت نائلةُ امرأة عثمان ليلة دُفِنَ ومعها سراج وقد شَقَّت جيبها وهي تصيح واعُثماناه واأمير المؤمنيناه ، فقال لها جُبير بن مُطعِم : أُطْفِئي السرج فقد تَرَيْنَ مَن بالباب ، فأطفأت السراج وانتهوا به إلى البَقيع فصلّى عليه جُبير ، وخَلْفه حَكيم بن حِزام بن خُويْلِد بن أسد بن عبد العُزَّى ، وأبو جَهْم بن حُذيفة ، ونِيار بن مُكْرَم ، ونائلة ، وأمّ البنين بنت عُيينة بن حِصن امرأتاه ، ونزل في حُفرته : نيار ، وأبو جَهْم ، وجُبير ، وكان حَكيم والامرأتان يُدَلُّونه على الرجال حتى قُبر ، وبُنِي عليه وعمُّوا قبره وتفرّقوا .

وخرجت نائلة إلى الشام فخطبها معاوية فنزعت ثنيتيها ولم تُجِبْه .

وخلفَ أبو هريرة على فاخِتةَ بنت غَزْوان وهي بُسرَةُ فكان يقول : كنت أجيرَ ابن عفّان بطعام بطني وعُقْبة رجْلي أخدُمُهم إذا نزلوا ، وأسوق بهم إذا ركبوا ، فغضب عَلَيَّ يوماً فقال : لتمشينّ حافياً ، ثم تزوجتُ امرأته .

وقال أبو الحسن المدائني في روايته : طلّق عثمان ابنة عُيينة في حصاره ، وكان فيها جَفاء كجفاء أبيها ، بلغها أنّ النبيّ ﷺ قال : مُزينةُ وجُهينة وأَسْلَم وغفار خير من تَميم وأسد وعامر وغَطَفان ، فقال عُيينة : لأن أكون مع هؤلاء في النار أحبّ أليَّ من أن أكون مع أولئك في الجنّة ، فقالت : والله ما أَبْعَدَ أبي .

حدثني هُدْبة بن خالد البصري حدثنا المبارك بن فَضالة عن الحسن قال : أدركتُ عثمان على ما نقموا منه ، وما يأتي على الناس يومٌ إلّا وهم ينالون فيه خيراً ويقال : اغدُوا على أعطياتكم فيغدون فيأخذونها ، ويقال : اغدوا على كسوتكم فيأخذونها ، حتى لَرُبّما أُعطوا العَسَل والسمن ، فالأعطيات دارّة ، والعدوّ مقموعٌ وذاتُ البيْن صلح .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا سليمان بن حرب . حدثنا حمّاد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : كانت الامرأة تجيء على عهد عثمان فتحْمِل وِقْرها من الطعام والثياب وغير ذلك ثم تقول : اللهمّ بَدِّلْ ؛ فلما قُتل عثمان قال حسّان بن ثابت :

ما نَقَمْتُم مِنْ ثِيابٍ خِلْفَةٍ وعَبيدٍ وإماءٍ وذَهَبْ[1]

قال : وقال أبو حُميد الساعدي ـ وكان بَدْرِيّاً ـ : والله ما كُنّا نَرَى أنّه يُقْتَل ، اللهمّ إنّ لك عليَّ ألاّ أفعل كذا ولا أُضْحَكَ حتى ألقاك .

حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا حمّاد بن زيد أنبأنا هشام بن حسّان عن ابن سيرين قال : لقد قُتل عثمان يوم قُتل وما أحدٌ يتّهم عليّاً في قتله .

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١٢٢ .

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام حدثنا وكيع أنبأنا الأعمش عن ثابت بن عُبيد عن أبي جعفر الأنصاري قال : رأيتُ عليّاً يومَ قُتل عثمان وعليه عمامة سوداء وهو مُحْتَبٍ بسيفه في ظُلّة النساء فسمعتُه يقول : تبّاً لكم سائرَ الدهرِ .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن الحكَم بن الصَلْت عن محمد بن عمّار بن ياسر عن أبيه قال : رأيت عليّاً على منبر رسول الله ﷺ حين قُتل عثمان وهو يقول : ما أحببت قَتْلَه ولا كرهتُه ، ولا أمرتُ به ولا نهيت عنه .

حدثنا سُريج بن يونس أبو الحارث الزاهد حدثنا أبو معاوية الضَرير أنبأنا لَيْث عن طاووس عن ابن عبّاس أنّه سمع عليّاً يقول حين قُتل عثمان : والله ما قتلتُ ولا أمرتُ ولكنّي غُلِبتُ ، يقولها ثلاثاً .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد أبو عثمان حدثنا عبدالله بن نمير انبأنا شريك عن عبدالله بن عيسى عن ابن أبي ليلى قال : رأيتُ عليّاً عند أحجار الزَيْت رافعاً يديه يقول : اللهمّ إنّي ابرأ إليك من دم عثمان .

حدثني عمرو بن محمد عن اسحاق بن يوسف الأزرق عن مِسْعَر بن كِدام عن عبد الكريم عن طاووس عن ابن عبّاس قال: أَشهدُ على عليٍّ أنّه قال في قتل عثمان : لقد نهيتُ عنه ولقد كنت كارهاً لقتله ولكنّي غُلِبتُ[1] .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا عبدالله بن إدريس عن ليث عن زياد بن أبي المليح عن أبي المليح قال: قال ابن عبّاس : لو أنّ الناس أُجمعوا على قتل عثمان لرُمُوا بالحجارة كما رُمي قومُ لُوطٍ .

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٨٢ .

حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال: سمعت يَعْلَى بن عبيد يحدّث عن نافع عن ابن عمر قال : مازال ابن عبّاس يَنْهَى عن قتل عثمان ويعظّم شأنه حتى جعلتُ ألومُ نفسي على أن لا أكونَ قلتُ مثلَ ما قال .

حدثنا أبو خَيْثَمة زُهير بن حرب وأحمد بن إبراهيم قالا: حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن النعمان بن راشد عن الزهري عن عُروة عن عائشة قالت : ليتني كنت نَسياً مَنْسِيّاً قبل أمر عثمان فوالله ما أحببت له شيئاً إلاّ مُنِيتُ بمثله ، حتى لو أحببتُ أن يُقْتَلَ لَقُتِلتُ .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا أبو داود الطَيالسي انبأنا وكيع عن قيس بن مسلم عن أمّ الحجّاج العَوْفيّة قالت : كنت عند عائشة وعثمانُ محصورٌ فجاء الأشتر فقال لها : يا أمّ المؤمنين ما تقولين في أمر هذا الرجل ؟ فتكلّمت امرأةٌ صَيِّتَةٌ بيّنةُ اللسان فقالت : معاذ الله أن آمُرَ بسفك دماء المسلمين ، وقَتْلِ إمامهم واستحلال حُرْمتهم ، فقال الأشتر : كَتَبْتُنَّ إلينا حتى إذا قامت الحربُ على ساق أنشأتن تَنْهَيْنَنا .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم عن أبي داود عن حَزْم القُطَعي عن أبي الأسود عن طَلْق بن خُشّاف قال : قدمتُ المدينة بعد مقتل عثمان فسألتُ عائشة عن قتله فقالت : لعن الله قَتَلَتَه فقد قُتل مظلوماً ، أقادَ الله من ابن أبي بكر وأهدى إلى الأشتر سهماً من سهامه وهراق دم ابنَي بُديل ، فوالله ما من القوم أحد إلاّ أصابته دَعْوَتها .

المدائني عن النَضْر بن إسحاق عن قتادة أنّ رجلاً من بني سَدُوس قال : كنتُ فيمن قَتل عثمان فما منهم رجلٌ إلاّ أصابته عقوبةٌ غيري ؛ قال

قتادة : فما مات حتى عَمِيَ ، قال أبو داود : وقُتل ابنا بُديل بصِفّين .

وقال ثُمامة بن عَديّ ، وكان أميراً على صنعاء ، وكانت له صُحبة : أَقُتِلَ عثمان ؟ قالوا : نعم ، فقال : هذا حِينَ انْتُزِعَتْ خلافة النبوّة وصار الأمرُ مُلكاً وجَبْرِيَةً مَن غَلَبَ على شيءٍ أَكَلَه .

حدثني أحمد بن إبراهيم حدثني عبد الرحمن بن مهديّ عن سفيان عن موسى الجُهَني عن ابنة عبدالله بن عُكيم أبي معبد الجُهَني قالت : كان أَبِي يُحبّ عثمان وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يحبّ عليّاً ، وكانا مُتآخِيَيْن ، فما سمعت أبي يقول لعبد الرحمن شيئاً قطّ في عليٍّ إلاّ إنّي سمعته يوماً يقول : لو أنَّ صاحَبك صَبَر لأَتاه الناسُ .

حدثني أحمد بن إبراهيم عن ابن إدريس عن محمد بن [أبي] أيّوب عن حميد بن هلال عن عبدالله بن عُكيم الجُهَني قال : لا أُعينُ على دم خليفة أبداً بعد عثمان ، فقيل له : يا أبا معبد وأُعنتَ على دمه ؟ قال : إنّي أَعُدُّ ذِكْرَ مساويه إعانةً على دمه .

حدثنا عبدالله بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قال : كان أبو هُريرة إذا ذُكر ما صُنع بعثمان بكى فكأنّي أسمعه يقول هاه هاه ، ينتحب .

المدائني عن سَلَمة بن عثمان عن عليّ بن زيد عن الحسن قال : دخل عليٌّ يوماً على بناته وهنّ يمسحن عيونهنّ فقال : مالكنّ تَبْكِينَ ؟ قُلْنَ : نبكي على عثمان ، فبَكى وقال : ابْكِين .

حدثني سُريج بن يونس ومحمد بن سعد قالا: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن خَيْثمة عن مسروق عن عائشة أنّها قالت حين قُتل عثمان :

تركتموه كالثوب النَّقيِّ من الدَنَس ثم ذبحتموه كما يُذْبَح الكبش ، فهَلاّ كان هذا قبل هذا ؟ فقال مسروق : هذا عملكِ ، كتبتِ إلى الناس تأمُرينهم بالخروجِ إليه ، فقالت : لا والذي آمنَ به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبتُ إليهم بسوداء في بياض حتى جلستُ مجلسي هذا ؛ قال الأعمش : فكانوا يَرَوْن أنّه كُتب على لسانها .

وحدثني هُدبة بن خالد حدثنا أبو الأشهب عن الحسن أنّه كان لا يسمّي محمد بن أبي بكر إلاّ بالفاسق .

وقال مصعب الزُبيري : أُوصى عثمان إلى الزبير إلى بلوغ عمرو ابنه .

حدثني محمد بن خالد الطحّان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون عن اليمان بن المغيرة عن اسحاق بن سُويد قال : رثى حسّان بن ثابت عثمان رضي الله تعالى عنه فقال :

أَبْكي أبا عَمْرٍو لِحُسنِ بَلائِهِ أمْسَى رَهيناً في بَقيع الغَرْقَدِ
وكأنَّ أَصْحابَ النَبِيِّ عَشِيَّةً بُدُنٌ تُنَحَّرُ عِنْدَ بابِ المَسْجِدِ[1]

وقال مصعب بن عبدالله الزبيري : لقي الوليد بن عُقبة بِجاداً مولى عثمان بن عفّان بالمِراض وهو صادر عن المدينة فسأله عن الخبر فأعلمه بقتل عثمان فقال :

ليتَ أنّي هَلكْتُ قبلَ حَديث سَلَّ جِسْمي وريعَ مِنْهُ فُؤادي
يَوْمَ لاقَيْتُ بالمِراضِ بِجاداً ليتَ أَنّي هَلَكْتُ قبلَ بِجادِ

وقال الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط في أمر عثمان :

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١١٨ .

بَني هاشِمٍ رُدّوا سِلاحَ ابْنِ أُخْتِكُمْ ولا تُنْهبوهُ لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ
هُمُ قَتَلوهُ كَيْ يَكونوا مَكانَهُ كما غَدَرَتْ يَوْماً بِكِسْرَى مَرازِبه
وكَيفَ يُرَجُّونَ البَراءَةَ عِنْدَنا وعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ ونَجائِبُهْ
فإلَّا تكونوا قاتِليهِ فإنَّهُ سَواءٌ عَلَيْنا مُمْسِكاهُ وضارِبُهْ

في أبيات .

وقال حسّان بن ثابت :

انْ تُمْسِ دارُ بني عَفّانَ خاوِيَةً بابٌ صَريعٌ وبابٌ مُحْرَقٌ خَرِبُ
فقد يُصادِفُ باغي الخَيْرِ حاجَتَهُ فيها ويأْوِي إِلَيْها العِزُّ والحَسَبُ
يا أيُّها الناسُ أَبْدوا ذاتَ أَنْفُسِكُمْ لا يَسْتَوِي الصِدْقُ عِندَ اللهِ والكَذِبُ
إلّا تتوبوا إلى الرحمنِ تَعْتَرِفوا بِغارَةٍ عُصَبٍ مِنْ خَلْفِها عُصَبُ
فيهِمْ حَبيبٌ إمام القَوْمِ يَقْدُمُهُمْ مُسْتَلْئِماً قد بدا في وَجْهِهِ الغضب[1]

وقال حسّان أيضاً :

صَبْراً جَميلاً بني الأَحرار لا تَهِنُوا قد يَنْفَعُ الصَبْرُ في المَكْروهِ أَحيانا
يا ليتَ شِعْري وليتَ الطير تخبرني ما كان شأنُ عَلِيٍّ وَآبْنِ عَفّانا
لَتَسْمَعُنَّ وشيكاً في دِيارِكُمُ اللهُ أَكْبَرُ يا ثاراتِ عُثْمانا[2]

وقال عليّ بن الغدير بن المضرّس الغَنَوي ، ويقال إهاب بن همّام بن صَعْصَعَة بن ناجية بن عِقال المجاشِعي ، ويقال ابن الغَريرة النَهْشَلي :

لَعَمْرُ أَبيكَ فلا تُكْذَبي لقد ذَهبَ الخَيْرُ إلّا قليلا
لقد فُتِنَ الناسُ في دينِهِمْ وخَلَّى ابنُ عَفّانَ شَرّاً طويلا

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١٢٠ .
٢ ـ ديوانه ج ١ ص ٩٦ .

وقال حبيب بن عوف العَبْدي :

أَرى عَيْني تَأَوَّبها قَذاها فما تُغْفي فيَنْفَعها كَراها
لقد كَرِهَتْ قِتالَ الشيخ إنّي أَرى حَرْباً سَيَنْدَمُ منْ جَناها
أَتى الرَّحْمنُ أُمَّتَنا بِأَمْرٍ وأَقْشَعَ عن جَماعَتِها دُجاها
وأَصْلَحَ بَيْنَها حتى نَراها تُقارِعُ أُمَّةً أُخْرَى سِواها

وقال الأَعْوَر الشَّنّي :

بَكَتْ عَينٌ مَنْ يَبْكي ابْنَ عَفّانَ بَعْدَما نَفى وَرَقَ الفُرْقانِ كُلَّ مَكانِ
ثَوَى تارِكاً لِلحَقِّ مُتَّبعَ الهَوَى وأَوْرَثَ حَرْباً حَشُّها بِطعانِ
بَرِئْتُ إلى الرَّحْمنِ مِنْ دينِ نَعْثَلٍ ودينِ ابن صَخْرٍ أَيُّها الرَّجُلانِ

وقال عبد الرحمن بن الحَكَم :

لَقَدْ شَرِكَتْ زُرَيْقٌ في ابْنِ أَرْوَى فقدْ ضَلَّتْ زُرَيْقٌ أَجْمَعونا

حدثني المدائني عن ابن جُعْدُبة قال : مرّ عليّ بدار بعض آل أبي سفيان فسمع بعضَ بناته تضرب بدُفّ وتقول :

ظُلامَةُ عُثْمانَ عِنْدَ الزّبَيْرْ وَأَوْتَرُ مِنْهُ لنا طَلْحَهْ
هما سَعَّراها بِأَجذالهاَ وكانا حَقيقَيْنِ بالفضْحَهْ
يهرّان شَرَّ هرير الكلاب ولو أعلنا كانت النبحه

فقال عليّ : قاتلها الله ما أَعْلَمَها بموضع ثأْرها .

وولد لعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

عبدالله الأصغر ، أمّه فاخِتة بنت غَزْوان أخت عتبة بن غزوان ، وعبدالله الأكبر ، أمّه رُقَيّة بنت النبي ﷺ نقر عينه ديكٌ فمات وقد ذكرناه فيما تقدّم ، وعمرو ، وأبان ، وخالد ، وعمر ومريم ، أمّهم أمّ عمرو بنت جُنْدب بن عمرو بن حُمَمَة الدَوْسي من الأَزْد ، وسعيد ، والوليد ، وأمّ سعيد ، أمّهم أمّ عبدالله بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومي واسمها فاطمة ، والمُغيرة ، أمّه أسماء بنت أبي جَهْل بن هشام ، وعبد الملك ، أمّه مُلَيْكة بنت عُيَيْنة بن حِصْن الفَزاريّة وهي أمّ البنين .

قال أبو الحسن المدائني : تزوّج عثمان أمّ البنين بنت عُيَيْنة بن حِصْن فدخل عليها عُيَيْنة ليلاً وهي عند عثمان وهو يُفْطِر فدعاه إلى العشاء فقال : إنّي صائم فقال عثمان : سبحان الله أَيُصامُ بالليل ؟ قال : إنّي مثلتُ بين صوم الليل والنهار فوجدتُ صيامَ الليل أخفّ عليّ ، فتبسّم عثمان .

وأمّ أبان ، وأمّ عمرو ، وعائشة ، أمّهنّ رَمْلة بنت شَيْبة بن رَبيعة بن عبد شمس وكانت من المهاجرات ، ولها تقول هند بنت عُتْبة :

عَـدِمْنا كُـلَّ صـابِئَـةٍ بِـوَجٍّ ومَكَّةَ أو بأَطْـرافِ الحَجُونِ
تَـدينُ لِمَعْشَرٍ قتلوا أبـاهـا أَقَتْلُ أبيكِ جاءَكِ باليقـينِ

ومريم الصُغْرى ، وأمها نائلة بنت الفَرافِصة الكلبي ، وأخواتٌ لها وهنّ أمّ خالد ، وأرْوَى ، وأمّ أَبان الصغرى .

فأمّا أمّ عمرو فتزوّجها سعيد بن العاص بن أميّة فهلكت عنده فتزوّج أختها مريم الكبرى بنت عثمان ، ثم هلك عنها فخلف عليها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فهلكت عنده .

وأمّا عائشة فتزوجها الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص ، ثم خلف عليها عبدالله بن الزبير .

وأمّا أمّ أَبان فتزوجها مروان بن الحَكَم بن أبي العاص .

وأمّا أمّ سعيد فتزوجها عبدالله بن خالد بن أَسيد بن أبي العِيص .

وأمّا مريم الصُغرى فتزوجها عمرو بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط .

وأمّا عمرو فكان أكبر بني عثمان وأشرفهم ولداً ، دعاه مروان إلى أن يَشْخَصَ إلى الشام ليبايع له فأبى ومات بمِنًى ؛ وكان مع أهل المدينة حين قدم مُسْلم بن عُقبة لقتالهم بالحَرّة فدعا به فقال له : إيهِ يا فاسق إذا خرج أهل المدينة قُلْتَ : أنا رجل منكم ، وإذا ظهر أهل الشام قلت : أنا ابن أمير المؤمنين عثمان ، ثم التفت إلى من معه فقال : هذا الخبيث بن الطيّب ، وإنّما أُتي من قِبَل أمّه ، لقد بلغني أنّها كانت تجعل الشيء في فيها ثم تقول لأمير المؤمنين : حازَيْتُك ما في فمي ، وفي فَمِها ما ساءها وناءها ، ثم أمر فضُرب بالسياط .

فولد عمرو بن عثمان بن عفان عثمان الأكبر ، وخالداً ، أمّهما رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، وعبدَالله الأكبر ، أمّه حَفْصة بنت عبدالله بن عمر بن الخطّاب وأمّها صفيّة بنت أبي عُبيد أخت المُختار بن أبي عُبيد الثَقفي وأمّها عاتكة بنت أُسيد بن أبي العيص ، وعثمانَ الأصغر بن عمرو ، وأمّه بنت عُمارة بن الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّي ، وعبدالله الأصغر ، والمغيرة وكان شاعراً ، وعَنْبَسَةَ ، وعمرَ ، والوليدَ لأمّهات أولاد شتّى .

فأمّا عبدالله الأكبر بن عمرو بن عثمان فكان يسمّى المُطْرَفَ لجَماله ، وفيه يقول الفرزدق :

أعبْدَ الله إنَّك خَيْرُ ماشٍ وساعٍ بالجَراثيمِ الكِبارِ
نَمى الفاروقُ جَدَّكَ وابنُ أَرْوَى أبوكَ فأَنْتَ مُنْصَدِعُ النَهارِ
كِلا أَبَوَيْكَ عِنْدَ الله حَيٌّ شَهيدٌ في المنازِلِ بالخِيارِ[1]

يعني عمراً وعثمان .

وفي المُطْرَف يقول الثعلبيّ عباد :

جميلُ المُحَيَّا واضِحُ اللَوْنَ لم يَطَأْ بِحَزْنٍ ولم تَأْلَمْ له النَكْبَ إصْبَعُ
مِن النفرِ الشُمِّ الذين إذا أَتَوْا وهابَ اللِئامُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعُوا
إذا النفر الأُدْمُ اليمانون يَسَّروا له حَوْكَ بُرْدَيْهِ أَرَقُّوا وأَوسَعُوا[2]

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٩٢ .
٢ ـ في كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري ـ ط . القاهرة ١٩٥٣ ص ١١٣ ، لابن الرئيس الثعلبي .

وأمّا **خالد بن عمرو** فولد سعيد بن خالد ، أمّه ابنة سعيد بن العاص وأمّها ابنة جرير بن عبدالله البَجَلي ، وكان سعيد بن خالد بن عمرو هذا بخيلاً وله يقول موسى شَهَواتٍ يذمّه :

أَبا خالدٍ أَعْني سعيدَ بن خالدٍ ... أخا العُرْفِ لا أَعْني ابنَ بِنْت سعيدِ[1]

وقال كُثَيِّر يمدحه :

أُذْكُرْ سَعيداً بِخلّاتٍ سَبَقْنَ لَهُ ... ميراث والِدِهِ والعِرْقُ مُنْتَسَبُ

يابْنَ الأكارِمِ والمحْمودِ سَعْيُهُم ... وابْنَ الذي عُوقِبَتْ في قَتْلِهِ العربُ[2]

وكانت ابنة له عند هشام بن عبد الملك وكانت أُخرى عند الوليد بن يزيد فطلّقها قبل الخلافة ثم خلف على ابنة له أخرى وهو خليفة ، وله يقول الفرزدق :

كُلُّ امْرِىءٍ يرضى وإنْ كان كامِلاً ... إذا نالَ نِصْفَا مِنْ سَعيد بْنِ خالِد

له من قُرَيْشٍ طَيِّبُوها وَقِبْصُها ... وإنْ عَضَّ كَفَّيْ أُمِّهِ كلُّ حاسِدِ[3]

وكان يقول إذا برقت السماءُ : آمطري حيث شئت فما تَمْطُرين إلاّ على بلد لي فيه مالٌ ، وهو صاحب الفَدَّين ، وكان الديباج بن المُطَرَف يمرّ فَيَصلُه ، فقيل له لِمَ تمرّ به وتعدل إليه ؟ فقال : إنّه يَصِلُني في كلّ مرّة بألف دينار فيَقَعُ منّي موقعاً حسناً .

وأمّا **عثمان بن عمرو بن عثمان** فكان يلقّب خَرْءَ الزَنْج ، وكان مَضْعوفاً وفيه يقول الشاعر :

---

١ ـ الشعر والشعراء ص ٣٦٧ .

٢ ـ ديوان كثير عزة ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ص ٣٩ ـ ٤٠ .

٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٥٢ . وقبصها : نشاطها وخفتها .

لَعَمْرُكَ ما يَأتي وإنْ كان مُعْرِقاً … خَرُ الزَنْج عُثْمانُ بنُ عَمْرٍو بطائلِ

وأمّا عَنْبَسة بن عمرو فله يقول الشاعر :

ياقَصْرَ عَنْبَسَةَ الذي بالرايع[1] … لا زِلْتَ تُحْيا بِالحيا المُتَتابعِ

كم لذَّةٍ قد نِلْتُها ومَسَرَّةٍ … بِفِنَائِكَ الحَسَنِ الرحيبِ الواسِعِ

حدثني[2] أبو الحسن عليّ بن محمد المدائني عن سُحيم بن حَفْص وغيره قالوا : كان عبدالله بن عمرو بن عثمان يلقَّب المُطْرَف لجماله وبهائه ، وقيل سُمِّي بذلك لأنه قيل هذا حسنٌ مطرف بعد عمرو بن الزبير ؛ وكان [عبدالله بن] عمرو فائق الجمال فأتاه مُدْرِك الفقعسي فقال له : أنا ابن عمّك قال : ومن أنت ؟ قال : مُدْرِك الفَقْسي من بني أَسَد ، فقال : إنّما بنو عمّي من قريش ، فقال مدرك :

كَأَنّي إذ دَخَلْتُ على ابنِ عَمْرٍو … دَخَلْتُ على مُخَبَّأَةٍ كَعابِ

مُنَعَّمةٍ لها آباءُ صِدْقٍ … تحلُّ بُيُوتُهُمْ أَعْلَى الروابي

تَخونُ بِغَيْبِهِمْ ويَكونُ مِمّا … يُعَدُّ عَلَيْهِمُ يَوْمَ السِبابِ[3]

وكان عثمان بن حَيّان المُرّي أيّامَ وِلايته المدينةَ أخذ مثجور بن غيلان في قصر لعبد الله بن عمرو بن عثمان المطرف لأنّه كان استخفى فيه من الحجّاج وقد هرب من العراق ، فادّعى المطرف دروعاً له ، فقال لعثمان : ذَهَبَ بها أصحابُك ، فقال عثمان بن حيّان : ما دروعك إلّا دروع النساءِ يا مُخنَّث -

---

١ - فناء من أفنية المدينة . المغانم المطابة .

٢ - بهامش الأصل : رجع المصنف إلى خبر عبدالله المطرف وأولاده .

٣ - في المعارف لابن قتيبة - ط . القاهرة ١٩٣٤ ص ٨٥ - ٨٦ ، الشاعر هو مدرك بن حصن .

ويقال قال له : يا منكوح - فلما استُخلفَ سليمان بن عبد الملك وعزل عثمان بن حيّان وولي أبو بكر بن عمرو بن حزم جلد عثمانَ له حدّاً .

وكان للمُطْرف من الولد خالد ، وعائشة ، أمهما أسماء بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المُغيرة المخزومي وأمّها أمّ الحسن بنت الزبير بن العوّام وأمّها أسماء بنت أبي بكر الصدّيق ؛ وعبد العزيز ، وأميّة ، وأمّ عبدالله ، أمّهم أمّ عبد العزيز بنت عبدالله بن خالد بن أسيد ، ومحمد الأصغر ، والقاسم ، ورُقيّة ، أمّهم فاطمة بنت حسين بن عليّ بن أبي طالب ، ومحمد الأكبر ، لأمّ ولد وهو الحازوق ، وعمرو ، وسعدة ، أمّهما أمّ عمرو بنت أبان بن عثمان بن عفّان .

فأمّا عائشة بنت المطرف فتزوّجها عبدالله بن سليمان بن عبد الملك ، وأمّا سعدة فتزوّجها يزيد بن عبد الملك ، وأمّا أمّ عبدالله فتزوّجها الوليد بن عبد الملك .

وكان يقال لمحمد الأصغر بن المطرف الديباج لجماله ، وكان له قَدْر ونُبْل وصلاة طويلة ، حدثني الزبير بن بكّار عن عمّه مصعب بن عبدالله قال : أمّ الديباج - وهو محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان - فاطمة بنت حسين بن عليّ بن أبي طالب ، وكان الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب خطبها إلى الحسين فزوّجه إيّاها ، فلما حضرت الحسنَ بن الحسن الوفاةُ قال لها : كأنّي بكِ قد نظرتِ إلى عبدالله بن عمرو بن عثمان المطرف مُرَجِّلاً جُمّته لابساً حُلّته معترضاً لك ، فانكحي من شئتِ سواه ، فحلفت أن لا تتزوّجه وكانت جميلةً يُرْغَب فيها ، ومات الحسن بن الحسن وخُرج بجنازته فحضرها المطرف عبدالله بن عمرو بن عثمان ، فنظر إلى فاطمة حاسراً تلطم وجهها

فأرسل إليها : إنّ لنا في وجهك حاجةً فارفقي به ، فعُرف فيها الاسترخاءُ وخمّرت وجهها ، ثم خطبها حين حلّت للأزواج فقالت : كيف أُصنع بيميني ؟ فقال : لكِ مكانَ كلّ شيء شيئانِ ، فتزوّجها وكفّر عن يمينها ، فولدت له محمداً الذي يقال له الديباج . وكان جميلٌ يقول لبُثَيْنَةَ : ما رأيتُ عبدالله بن عمرو بن عثمان يَخطِر على البلاط قطّ إلاّ أخذتني الغيرة عليك خوفاً أن ترَيْه أو تريْ مثله وإن بَعُدَت داركِ .

وقال موسى شهَواتٍ[1] يمدحه :

ليس فيما بدا لنا مِنْكَ عَيْبٌ عابَهُ الناسُ غَيْرَ أَنَّكَ فاني
أَنْتَ خَيْرُ المَتاعِ لو كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لا بقاءَ لِلإنسانِ

وقال فيه رجل من ولد عُوَيْم بن ساعِدة[2] :

يا بْنَ عُثمانَ وابْنَ خَيْرِ قُرَيْشٍ أَبْغني ما يُقرُّني بِقُباءِ
رُبَّما بلَّني نَداكَ وجلَّى عن جبيني عَجاجةَ الغُرَماءِ

وحدثني المدائني قال : كان الديباج نبيلاً فقال الناس : هو سَميّ النبيّ وابن سميّ أبي النبيّ ومن ذرّيته ونسل الخليفة المظلوم ، فعظم في أعينهم وجلّ أمره عند أهل الشام خاصّة وهمّوا بأن يبايعوا له . وكان كثير التزويج كثير الطلاق فقالت له امرأة من نسائه : إنّما مثلك مثل الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تُؤْمَن فجعاتها ؛ فأخذه أمير المؤمنين المنصور مع الطالبيّين أيّام

---

١ ـ موسى شهوات هو موسى بن يسار مولى قريش ، ترجم له صاحب الأغاني في ج ٣ ص ٣٥١ ، والبيتان في ص ٣٦٠ .

٢ ـ هو السري بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري . الأغاني ج ٢٠ ص ١٩٨ ، ٢٠٣ .

محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ فضُربت عنقه صَبْراً وبُعث برأسه إلى الهند وأظهر أنّه رأس محمد بن عبدالله بن الحسن .

قال أبو اليَقْظان : زوّج الديباج ابنتَه محمدَ بن عبدالله أو إبراهيمَ بن عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ ، فدعا به المنصور أمير المؤمنين بالمدينة فعاتبه على مَيْله إلى ولد عبدالله بن حسن بن حسن وضربه ستّين سوطاً وأمر بحبسه ، فلما خرج محمد وإبراهيم دعا به فضرب عنقه صَبْراً بالهاشميّة وقال : والله لا تقرّ عينُك بخروج صاحبَيْك ، وبعث برأسه إلى خراسان ، وكان الديباج أخا عبدالله بن حسن بن حسن لأمّه ، أمّهما فاطمة بنت حسين .

وكان القاسم بن المطرف شديد النفس واللسان ، وخطب عليه هشام ابنتَه وهو خليفةٌ على ابنه فأبى أن يزوّجه إلاّ على حكمه وشروطٍ يشترطها ، ومات في خلافة هشام فزوّج ابنَهُ ابنَته .

وأما خالد بن المطرف فكان نبيلاً وفد إلى يزيد بن عبدالملك فخطب إليه يزيدُ أُختَه فقال له : إنّ عبدالله بن عمرو بن عثمان أبي قد سنّ لنسائه عشرين ألف دينار فإن أعطيتَنيها وإلاّ لم أزوّجك ، فقال يزيد : أَوَما ترانا أكْفاءً إلاّ بالمال ؟ قال : بَلىَ والله إنّكم بنو عمّنا ، قال : إنّي لأظنّك لو خطب إليك رجل منَ قريش لزوّجته بأقل ممّا ذكرت من المال ، قال : أي لعمري لأنّها تكون عنده مالكة مُملَّكة وهي عندكم مملوكة مقهورة وأبى أن يزوّجه ، فأمر أن يُحمل على بعير ثم يُنْخَسَ به إلى المدينة ، وكتب إلى ابن الضحاك[1] بن

١ ـ هو عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري . تاريخ خليفة ـ ط. دمشق ـ ج٢ ص ٤٨٢ .

قيس الفِهْري وهو عامله على المدينة أن وكِّل بخالد من يأخذ بيده في كلّ يوم وينطلق به إلى شَيْبة بنِ نِصاح المُقْرىء ليقرأ عليه القرآن فإنّه من الجاهلين ، فأُتي به شيبة فقيل له : يقول لك أمير المؤمنين عَلِّمْه القرآن فإنّه من الجاهلين فقال شيبة حين قرأ عليه : ما رأيت أحداً قطّ أقرأ للقرآن منه وإن الذي جهّله لأجهل منه . ثم كتب يزيد إلى عامله : بلغني أنّ خالداً يذهب ويجيء في سِكَك المدينة فمُرْ بعض مَن معك أن يبطش به ، فضربوه حتى مرض ومات ، وله عقب بالمدينة .

وأمّا عبد العزيز بن المُطْرَف فكان على الجيش الذين قاتلوا الإباضيّة بقُديد ، فسقط لواؤه يومَ سار فتطيّروا من ذلك ، وانهزم ، وقُتل يومئذ أُميّة بن المطرف أخوه . وولّى يزيد بن الوليد بن عبد الملك عبد العزيز هذا مكة والطائف .

المدائني قال ، قال المطرف : أنا ابن أبي العاص ، فقال له محمد بن المنذر بن الزبير : دون ذلك ما يَدُقُّ عُنُقَك ، يعني عفّان ، كان مُوضَّعاً .

وأمّا عمر بن عمرو بن عثمان فمن ولده:عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفّان وأمّه ابنة عمر بن عثمان بن عفان وكان ينزل عَرْج الطائف فكان يُعرَف بالعَرْجي ، وكان شاعراً سخياً له يَسارٍ وحال؛ فحُدِّثتُ أنّ عمر بن أبي ربيعة المخزومي لما نُعِي وكان موتُه بالشام بكت عليه مولَّدة من مولّدات مكة كانت لبعض بني مروان وجعلت توجع له وتفجع عليه وقالت : مَن لأباطح مكة بعده ؟ وكان يَصف حسنها وملاحة نسائها ، فقيل لها : إنّه قد حدث فتى من ولد عثمان بن عفّان يسكن بَعرْجِ الطائف شاعرٌ

يذهب مذهبه ، فقالت : الحمدلله الذي جعل له خلفاً ، سرَّيْتم والله عَنيّ .
وضُرب العَرْجيُّ الحَدَّ في السكر في أيّام هشام بن عبدالملك .

قالوا : وكان العَرْجي من فتيان قريش ، وكان فتيان قريش وغيرها يَفِدون إليه فيُفْضل عليهم ويُعْطيهم ، وغزا مع مَسْلَمة بن عبد الملك في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك فقال : يا معشر التجّار من أراد من الغُزاة المُعْدمين شيئاً فأَعْطوه إيّاه ، فأعطَوهم عليه عشرين ألف دينار ، فلما استُخلف عمر بن عبد العزيز قال : بيتُ المال أَوْلَى بمال هؤلاء التجّار من مال العرجي ، فقضى ذلك من بيت المال .

ولم يزل العرجي فتى قريش حتى حبسه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، وهو والي المدينة من قِبَل هشام بن عبد الملك ، وكان العرجي هجا إبراهيم هذا فقال وقد حجّ بالناس :

كَأَنَّ ٱلعامَ ليس بعامِ حَجٍ   تَغَيَّـرتِ المَـواسِمُ والشُكُولُ
وقد بَعَثوا إلى جَيْدا رَسولاً   لِيُخْبِرَها فلا رَجَعَ الرَسولُ[1]

وجَيْداء أُمّه بعث إليها رسولاً بسلامته ، وقال أيضاً :

حتى دُفِعْتَ إلى جعداء جالِسةٍ   قد ترَّكَتْ أَهْلَ بيت الله في ضيقِ

فلم يزل في الحبس حتى مات ، وقال في حبسه :

يا ليتَ شِعْري وليتَ الطَيْرَ تُخْبِرُني   هَلْ أَدْخُلُ القُبَّةَ الحَمْراءَ مِنْ أَدَم
أَسْلَمَني أُسْرَتي طُرّاً وحاشِيَتي   حتى كَأَنِّيَ مِنْ عادٍ ومِنْ إرَمِ

---

١ ـ الأغاني ج١ ص ٤٠٦ .

وحدثني المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفِهْري قال : كان ابن هشام بن اسماعيل والياً لهشام بن عبدالملك على مكة وهو ابن خاله وأُمّه أمّ هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة فحبس عبدَالله بن عمر بن عمرو بن عثمان في تُهمة دمٍ مولى لعبدالله بن عمر ادَّعى عليه قَتْلَه ، فلم يزل محبوساً حتى مات ، وكان ابن هشام متحاملاً عليه فقال في السجن :

أَضاعوني وأَيَّ فَتىً أَضاعوا لِيَـوْمِ كَريهَـةٍ وسِـدادِ ثغْـرِ

قال المدائني : ويقال إنّ هذا البيت لمحمد بن القاسم الثقفي وإنّما تمثّل به العرجي .

وقال أبو الحسن المدائني : يقال إنّ إبراهيم بن هشام حبس العرجي ، ويقال بل حبسه اسماعيل بن هشام بن اسماعيل .

قال مصعب الزبيري : وكَّلَ العرجيُّ مولى له بحُرَمه فكان يخالف اليهنّ وصحّ ذلك عند العرجي فقتل مولاه ثم أحرقه ، فاستَعْدَت عليه امرأة مولاه محمدَ بن هشام بن اسماعيل وكان حَنِقاً عليه بهجائه إيّاه ، فحبسه وضربه وشَهَرَه .

قال : وله في زوجة محمد بن هشام :

عُـوجي علينا رَبَّـةَ الهَوْدَجِ إنَّكِ إنْ لا تَفْعَلي تَحْرَجِي
نَلْبَثْ حَـوْلاً كـامِـلاً كُلُّهُ لا نَلْتَقي الاّ عـلى مَنْهَجِ

وفيها يقول :

عُـوجي علـيَّ فَسَلِّمي جَـبْرُ فيمَ الـوُقـوفُ وأَنْتُمُ سَفْــرُ

وقال الواقدي : كان من قول العَرجي في سجن ابن هشام :

سَيَنْصُرُني الخَليفَةُ بَعْدَ رَبّي ... ويَغْضَبُ حينَ يُخْبَرُ عن مَساقي
عليَّ عَباءَةٌ بَرْقاءُ ليستْ ... مع البَلْوَى تُغَيِّبُ نِصْفَ ساقي
ويَغْضَبُ لي بِأَجْمَعِها قُصَيٌّ ... قَطينُ البَيْتِ والدُّمْثِ الرِّقاقِ

قال : فلما طال حبسه ولم يُغَثْ قال :

أَضاعوني وأَيَّ فَتىً أَضاعوا ... لِيَوْمِ كَريهَةٍ وسِدادِ ثَغْرَ
وخَلَّوْني بِمُعْتَرَكِ المنايا ... وقد شُرِعَتْ أَسِنَّتُها لِصَدْري
كأَنّي لم أَكُن فيهِمْ وسيطاً ... ولم تَكُ نِسبَتي في آلِ عَمْرِو[1]

يعني عمرو بن عثمان ، وقال أيضاً :

ياليتَ سَلْمَى رَأَتْنا لا نزاعَ لنا ... لَمّا هَبَطْنا جَميعاً أَبْطَحَ السُوقِ
وكَشْرَنَا وكُبُولُ القَيْنِ يَنْكُبُنا ... كالأُسْدِ تَكْشِرُ عن أَنْيابِها الرُوقِ
والنّاسُ صَفّانِ مِن ذي بِغْضَةٍ حَنِقٍ ... ومُمْسِكٍ لِدُموعِ العَيْنِ مَخْنوقِ
وفي السطوحِ كأَمْثالِ الدُمى خُرُدٌ ... يَكْتُمْنَ لَوْعَةَ حُبٍّ غَيْرِ مَمْذوقِ
مِنْ كُلِّ ناشِرَةٍ فَرْعاً لِرُؤْيَتِنا ... ومَفْرِقاً ذا نَباتٍ غَيْرِ مَفْروقِ
يَضْرِبْنَ حُرَّ وُجوهٍ لا يُلَوِّحُها ... لَفْحُ السَمومِ ولا شَمْسُ المَشاريقِ
كأَنَّ أَعْناقَهُنَّ التُلعَ مُشْرِفَةً ... مِنْ كُلِّ جِيزٍ[2] كأَعْناقِ الأباريقِ

ومن ولد عمر بن عثمان [سوى] العرجيِّ عاصمُ بن عمر الذي يقول فيه الشاعر[3]:

١ ـ الأغاني ج ١ ص ٤٠٦ ـ ٤١٤ .
٢ ـ الجيز : جانب الوادي . القاموس .
٣ ـ هو الحزين الكناني ـ عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك . الأغاني ج ١٥ ص ٣٢٣ ، ٣٤٠ .

سِيرًا فقد جَنَّ الظلامُ عَلَيْكُما فيا بُؤْسَ مَن يَرجو القِرَى عِنْدَ عاصِم
فما كان لي ذَنْبٌ إليهِ عَلِمْتُهُ سِوَى أَنَّني قد زُرْتُهُ غَيْرَ صائِمِ

وقال أيضاً وهو من كِنانة :

فقُلْ لابْنِ عُثْمانَ بنِ عَفّانَ عاصِمٍ إليكَ سَرَتْ عِيسٌ فطال سُراها
أَتَتْكُمْ بنا نُدْلي بِحَقٍّ وحُرْمَةٍ ونَقْطَعُ أَرْضاً ما يُثارُ قَطاها
فقد صادَفَتْ كَزَّ اليَدَيْنِ مُلَعَّناً(١) جباناً إذا ما الحَرْبُ شَبَّ لظاها
بخيلاً بما في رَحْله غَيْرَ أَنَّهُ إذا ما خَلَتْ عِرْسُ الصديقِ قفاها

فقال عاصم : الآن أُنضج الكَيُّ .

وحُدِّثت أنَّ العرجي أو غيره من قريش بعث إلى امرأة فأتته على حمار ومعها جارية على أُتان فوثب الحمار على الأتان ، وغلامه على جاريتها ، وقام فباضعها فقال : هذا يوم قد غاب عُذّالُه .

واتهم العرجيُّ جاريةَ أبي جراب أحد بني أميّة الأصغر عنده بشعرٍ قاله فيها فحملها أبو جراب على غِرارتي بعير إلى مكة ، فأحلفها بين الرُكْن والمقام على كذبه ، فحلفت فرضي عنها .

وأما الوليد بن عثمان بن عفّان فكان من فتيان قريش سَخاءً وفتّوة وشَرَفاً ، قال أبو اليَقظان ، قال رجل من ولد عثمان : قبح الله الوليد فإنّ أباه عثمان قُتل وهو مُخَلَّقٌ في حَجَلته .

وفي الوليد يقول عبد الرحمن بن أَرْطاة بن سِيحان المُحاربي ورأى عنده إداوةً كان بُعث إليه فيها بشراب :

---

١ ـ في الأغاني ج ١٥ ص ٣٤٠ «مبخلًا» .

لاتَبْعـدَنَّ إداوَةٌ مَـطْروحَـةٌ كانت قَديماً لِلشَرابِ العاتِقِ
بِأَبِي الوليدُ وأُمِّ نَفْسي كُلُّها طَلَعَ النجومُ وذرَّ قَرْنُ الشارقِ
لَمّـا أَتَيْنـاهُ أَتَيْنـا مـاجـداً ضَخمَ الدَسائِعِ (١) ذا ندىً وخَلائِقِ
أَثْوَى وأَحْسَنَ في الثَّواءِ وقُضِّيتْ حاجاتُنا مِن عندِ أَرْوَعَ باسِقِ

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : كان ابن سيحان حليفُ بني حرب بن أُميّة شاعراً حُلْـو الحديث وهو على ذلك يقارف الشراب ، فكان ينادم أُحداث بني أميّة ، وكان يشرب مع الوليد بن عُتْبة بن أبي سُفيان ، وكان الوليد بن عثمان بن عفّان ينادم الوليد بن عتبة ، وهو جاءَ بابن سيحان إليه ، فأصاب الوليدَ بن عُتبة خُمـارٌ فدعا بابن سيحان فقال له : اشرَبْ ، فأتى بإداوة فيها فَضْلة شراب فشربها ، ثم أمدّوه فقال :

بأَبِي الوليدُ وأُمِّ نفسي كُلُّها كان الصَباحُ وذرَّ قَرْنُ الشارقِ
أَثْوَى فَأَحْسَنَ في الثَواءِ وقُضِّيَتْ حاجاتُنا مِن عند أَبْيَضَ باسقِ
كَم عِنْدَهُ مِن نائِلٍ وسمَاحَةٍ وشَمائِـلٍ مَيْمونـةٍ وخَلائِـقِ
وكَرامَةٍ لِلْمُعْتَفِينَ إذا آعْتَفَوْا في مالِهِ حَقاً وقَوْلٍ صادِقِ
فالى الوَليد يدي لكم ولِغَيْركُمْ رَهْنٌ بِصامِتِ مالِهِ والناطِقِ
لا تَبْعَـدَنَّ إداوَةٌ مَـطْروحَـةٌ كانت زَماناً للشَرابِ العاتقِ

وحدثني المدائني قال : ويقال أنّ أبا زُبيد قال هذا الشعر في الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعيط ، والأوّل أثبت .

---

١ ـ الدسيعة : الجفنة ، والمائدة الكريمة . القاموس .

وكان للوليد بن عثمان بن عفّان ابنٌ يُظهر التَأَلُّهَ يقال له عبدالله بن الوليد ، وكان يلعن عليّاً ويقول : قَتَلَ جدِّيَّ عثمانَ والزبيرَ ، وكانت أمّه ابنة الزبير بن العّوام ، وقام إلى هشام بن عبد الملك وهو على المنبر عشيّةَ عَرَفة فقال : يا أمير المؤمنين إنّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحبّ فيه لَعْنَ أبي تُراب ، فقال له : يا عبدالله إنّا لم نَأتِ ها هنا لسبّ الناس ولعنهم .

وأما خالد بن عثمان بن عفّان فتُوفيّ في خلافة أبيه ، ركَضَ دابّةً فأصابه قَطْعٌ فهلك منه ، وله عقب ، وهو الذي يقال له الكسير ، وكان مُصْحَف عثمان الذي قُتل وهو في حجره عند ولده . وقال الواقدي : كان بالسُّقْيا[1] فركب بغلةً ليلحقَ صلاة الجُمعة مع أبيه عثمان وأسرع السَيْرَ فسقطت البغلة نافِقَةً وأصاب خالداً كسر .

وكان زيد بن عمر بن عثمان تزوّج سُكَينة بنت الحسين بن عليّ ، فنهاه سليمان بن عبد الملك عنها فطلّقها ، لأنّ عبد الملك خطبها بعد مصعب بن الزبير فأَبَتْه .

وأما سعيد بن عثمان بن عفّان ويكنى أبا عثمان فـإنّ معاوية ولّاه خراسان ففتح سمرقند ، وكان أعور نحيلاً أُصيبت عينُه بسمرقند ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

سَعيدُ بنُ عُثْمانَ بنِ عَفّانَ لا يَرَى ... لِصَاحِبِهِ قَرْضاً عليهِ ولا فَرْضا

وفيه يقول ابن مُفَرّغ :

---

١ ـ السقيا : قرية جامعه من عمل الفرع على يومين من المدينة . المغانم المطابة .

إنَّ تَرْكي نَدَى سعيدِ بنِ عُثما ... نَ بنِ عَفّانَ ناصِري وعَديدي
واتِّباعي أخا الرَضاعَةِ واللؤ ... مِ لَنَقْصٌ وفَوْتُ شَأْوٍ بعيد
قُلْتُ قَوْلَ المَحْزونِ والليلُ داجٍ ... ليتني مُتُّ قبلَ تَرْكِ سعيد[1]

هذا حين تركه وخرج مع ابن زياد .

وكان عند سعيد غِلمانٌ من أبناء ملوك السُغْد دُفعوا إليه رهائنَ ، فقدم بهم معه حين عزله معاوية لما خاف من طلبه الخلافة ، فلما صار بهم إلى المدينة جعل يأخذ كسوتهم ومناطقهم فيدفعها إلى غلمانه ، وألبسهم جِبابَ الصوف وألزمهم السَوانيَ والعملَ الصعب ، فدخلوا عليه في مجلسه ففتكوا به ثم قتلوا أنفسهم ، فقال الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط :

ألا إنَّ خَيْرَ الناسِ نَفْساً ووالِداً ... سَعيدُ بنُ عثمانٍ قتيلُ الأعاجِمِ

وقال عبد الرحمن بن سِيحان المُحارِبي :

يَلومونني في الدار أنْ غِبْتُ عَنْهُمُ ... وقد فَرَّ عَنْهُمْ خالدٌ وَهْوَ دارِعُ
فإنْ كان نادَى دَعْوَةً فَسَمِعْتُها ... فشَلَّتْ يَدي وآستَكَّ مِنِّي المَسامِعُ

يعني خالد بن عُقبة بن أبي مُعَيط ، وكان قاضياً بالمدينة في أيّام مروان بن الحكم .

فقال خالد :

لَعَمْري لقد أبْصَرْتَهُمْ فَتَركْتَهُمْ ... بِعَيْنِك إذْ مَمْشاكَ في الدارِ واسِعُ

قالوا : ولما بويع يزيدُ بن معاوية جعل صبيانُ أهل المدينة وعبيدهم ونساؤهم يقولون :

والله لا يَنالُها يزيدُ ... حتى ينالَ رأْسَهُ الحديدُ ... إنَّ الأميرَ بعده سعيدُ

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

فقدم سعيد على معاوية فقال له : يا بن اخي ما شيء بلغني يقوله أهل المدينة ؟ قال : وما تُنْكر من ذلك يا معاوية ؟ والله إنّ أبي لَخَيْرٌ من أبي يزيد ، وإنّ أمّي لخير من أمّه ، وإنّي لخير منه ، ولقد، استعملناك فما عزلناك ، ووصلناك فما قطعناك ، وصار أمرنا في يدك فحلأتَنا عنه أجْمَعَ ، فقال معاوية : قد صدقت في قولك إنّ أباك خير مني وأنّ أمّك خير من أمّه لأنّ أمّك من قريش وأمّه من كلْب ، وبحَسْب امرأة أن تكون من صالحي نسائها ، وأمّا قولك أنك خير منه فوالله ما يَسرُّني أن بيني وبين العراق حَبْلاً نُظِمَ لي فيه أمثالُك . ثم قال له : الحَقْ بعمّك زِياد فقد أمرته أن يولّيك خراسان ، وأن يولّي الخراج رجلاً حازماً ، فولّاه زياد خراسان ، وولّى أسلم بن زُرْعة الكلابي خراجها ، ثم عزله خوفاً منه .

وقال مصعب بن عبدالله الزبيري : لما قتل السغدُ سعيداً كان معه في الدار عبد الرحمن بن أرطاة بن سِيحان ، فقال خالد بن عقبة بن أبي مُعَيط :

يا عينُ جودي بِدَمْعٍ منكِ تَهْتانا وآبكَي سعيدَ بنَ عُثْمانَ بنِ عَفّانا
إنَّ المُواكِلَ لم تَصْدُقْ مَوَدَّتُهُ وفَرَّ عَنْهُ ابْنُ أرطاةَ بنِ سِيحانا

المواكِل الضعيف ، يعني بالمواكل ابنَ أرْطاة لم تصدق مودّته وفر عنه ، فقال ابن سيحان :

يقولُ خليلي قد دَعاكَ فلم تُجِبْ وذلك من تِلْقاءِ مِثْلكَ رائِعُ
فإنْ كان نادَى دَعْوَةً فَسَمِعْتُها فشَلَّتْ يَدي واسْتَكَّ مِنّي المَسامِعُ
يَلومونَني أَنْ كُنْتُ في الدارِ حاسِراً وقد فَرَّ عنه خالدٌ وهو دارِعُ

وقال بعضهم لابن سِيحان :

فإنَّكَ لم تَسْمَعْ ولكنْ رَأَيْتَهُ بعَيْنِكَ إذ مُجْراك في الدارِ واسِعُ
فأَسْلَمْتَهُ لِلْسُّغْدِ تَدْمَى كُلومُهُ وفارَقْتَهُ والصوتُ في الدارِ شائِعُ
وما كان فيها خالدُ اللُّؤْمِ مُعْذِراً سواءً عليه صمٌّ أو هُوَ سامِعُ
فلا زِلْتُما في حالِ سَوْءٍ ذَميمَةٍ ودارتْ عَلَيْكُمْ بِالبَلاءِ القَوارِعُ

قال : وقال بعض ولد أبي مُعَيط :

يا نفسُ موتي حَسْرَةً وآبْكي هُبلْتِ على سعيدِ
وابكي لِقَرْمٍ ماجِدٍ بين الخليفة والوليد
ولقد أُصِبْتَ بِغَدْرَةٍ وحَمَلْتَ حَتْفَك مِن بَعيدِ

قال : وقال الوليد أو خالد بن عُقبة :

ألا إنَّ خَيْرَ الناس نَفْساً ووالِداً سعيد بن عُثمانٍ قتيلُ الأعاجمِ
فإنْ تَكُنِ الأيّامُ أَرْدَتْ صُروفُها سعيداً فهل حَيٌّ على الدهر سالمُ

المدائني عن سُحيم بن حفص قال : لقي الحسين بن عليّ سعيداً وأبناء السُغْد معه فقال متمثّلاً :

أبا عُمارَةَ إمّا كُنْتَ ذا ثَقَلٍ فإنَّ قَوْمَكَ لم تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

وكان قوم من بني عثمان يقولون : ما قتله إلاّ عَيْنُ الحسين ؛ قال : فبينا سعيد في حائط له وقد جعل أولئك السغد فيه يعملون بالمساحي إذ أغلقوا باب الحائط ووثبوا عليه فقتلوه ، فجاء مروان بن الحكم يطلب المدخل عليهم فلم يجده ، وقتل السُغْدُ أنفسهم ، وتسوّرت الرجال ففتحوا الباب وأخرجوا سعيداً .

وأما أبان بن عثمان بن عفّان ويكنى أبا سعيد فشهد الجملَ مع عائشة فكان أوّل من انهزم ، وكان أبرص أحول أصمّ ، وقال مالك بن الريب المازني :

ولَولا بنو حَرْبٍ لَطُلَّتْ دماؤُكُمْ بُطونَ العظايا مِنْ كَسيرٍ وأَعْوَرا
وما كان في عثمانَ عَيْبٌ عَلِمْتُهُ سِوَى عَقْبِهِ مِنْ بَعْدِهِ حينَ أَدْبَرا

يعني ببطون العظايا البُرْصَ .

المدائني قال : ولّى عبد الملك عَلْقَمة بن صَفْوان[1] بن المُحَرّث مكة فشتم طلحةَ والزبير على المنبر ، فلما نزل قال لأبان : أَرْضيتُك في المدهِنَيْنْ في أمير المؤمنين عثمانَ ، قال : لا والله ولكن سُؤْتَني ، بِحَسْبي بَلِيّةً أن يكونا شركاء في دَمه .

ووليَ أَبان المدينة في أيّام عبد الملك فقال عُرْوة بن الزبير : الله أكبر جاء في الحديث إنّ هَلاك بني أميّة عند ولاية رجل أحول وأرجو أن يكون هذا ، وإنما كان الأحول هِشاماً ، وكانت عند أَبان أمّ كلثوم بنت عبدالله بن جعفر خلف عليها بعد الحجّاج ، وكان أَبان صاحب رشْوة وجَوْر في عمله .

وقال الواقدي : أصاب أَبانَ فالج شديد قبل موته بسنة ، فكانوا يقولون بالمدينة ادا دَعَوا : أَصابك فالجُ أبانَ ، ومات في خلافة يزيد بن عبد الملك .

وكان عبد الرحمن بن أَبان بن عثمان ، وأمّه بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، مصلّياً يصلي في كلّ يوم ألف ركعة ويكثر

---

١ ـ الصواب : نافع بن علقمة بن صفوان . تاريخ خليفة ج ١ ص ٣٨٤ .

الحج والعُمْرة ، وكان له خَطَر ومروءة وصلاح وصدقة كثيرة ؛ وكان إذا تصدّق بصدقةٍ قال : اللهم هذا لوجهك الكريم فخَفِّف عنّي الموتَ ، فانطلق حاجّاً فصلّى الغداة ثم نام ، فذهبوا يوقظونه للرحيل فوجدوه ميّتاً ، فأقاموا عليه المَأْتَم بالمدينة ، وجاء أشعب أبو العَلاء الطَمعُ وقد طيّن رأسه ووجهه ـ ويقال : بل جعل على رأسه كُمّة من طينْ ـ فجعل يلتدم مع النساء ، وكان إليه محسناً .

وكان عبد الرحمن بن أبان يخرج إلى مكة للحج ومعه أصحابه فيقول لغلامه : قدِّم لنا طعامنا يا خداش ، على الطعام يقتل الناس الناس .

ولأبان ولدٌ بالأندلس . وكان لأبان ابنٌ يقال له مروان وكان ردّياً فَسْلاً ، وكان مخنَّثاً مأبونا يجمع بين الرجال والنساء على الريبة والفاحشة ، فلما مات لم يبق أحد بلغه موته ممّن في مسجد رسول الله ﷺ إلاّ لعنه وذكره بسوء ، فقال ربيعة الرَأْي : لو شاؤوا لأخفوا موته فكان ذلك أجمل .

وحدثني بعض العَدَويّين من قريش قال : قدم الوليد بن عبد الملك المدينة وهو خليفة فوضع أربعة كراسيّ جلس عليها أربعة أشراف من قريش ، أُمُّ كلّ واحد منهم عدويّة : عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان المُطْرَف ، أمّه حَفْصة بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب ؛ ومحمد بن المنذر بن الزبير ، أمّه عاتكة بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ؛ وطلحة النَدى بن عبدالله بن عوف بن عبد الحارث بن زُهْرة ، وأمّه ابنة مُطِيع بن الأسود العَدَوي ؛ ونَوْفَل بن مُساحِق بن عبدالله بن مَخْرَمَة بن عبد العُزّى بن أبي قيس بن عبد وُدّ من بني عامر بن لُؤَيّ ؛ [وأمّه] ابنة مُطيع بن الأسود العَدَوي أيضاً .

ووقع بين محمد بن المنذر وبين المطرف كلام فقال محمد : ما كنت أظنّك إلاّ جارية لقد هممت أن أخطبك إلى ابيك ، فقال : أنا عبدالله أبو محمد بن عمرو بن عثمان ، فقال : لك اسمٌ أحبُ إليك من هذا ، يعني المُطْرَف .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال : كان المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفّان شاعراً وهو الذي يقول :

أَرْوَ سَقْيا لِعَهْدِكِ المعهودِ ولنا في ودادِكِ المودودِ
ولشرْب لَدَيْكِ يا أُرْوَ يَشْفي مِنْ جوى حائم لحِين الورود
حَذراً أَنْ نُردَّ منكِ بيأسٍ أو صُدودٍ فتولعي بالصدود
أَرْوَ إنّي سِلْمٌ لأهلِكِ أَرْوَى فصليني وأَنْجِزي موعودي

وحدثني الزبير بن بكّار عن عمّه وغيره قالوا : زوّج بكيرُ بن عمرو بن عثمان بن عفّان ابنته أمَّ عثمان بنت بكير ، وأمُّها سُكينة بنت مصعب بن الزبير، عامرَ بن حمزة بن عبدالله بن الزبير، فبلغ ذلك إبراهيم بن هشام المخزومي وهو على المدينة ، فبعث إلي بكير فقال له : ما حملك على أن زوّجت ابنتك زُبَيْرِيّاً وبالشام مَن به من فتيان بني الحَكَم بن أبي العاص لم تعرضها عليهم وهم بنو عمّك ، فقال له : إنّ يدَ عبدالله بن الزبير عندنا يوم الدار ما علمتَ ، فسكت .

وحدثني الزبير بن بكّار قال: لما زوّجت فاطمة بنت الحسين ابنتها من عبد الله المُطَرفِ دخَلَتْ وسُكينة بنت الحسين على هشام بن عبد الملك فقال لفاطمة : صفي لنا يا بنت حسين ولدك من ابن عمّك ـ يعني حسن بن حسن ـ وصفي لنا ولدك من ابن عمّنا ـ يعني المطرف ـ فقالت : أمّا

عبدالله بن حسن فسّيدنا وشريفنا والمطاع فينا ، وأمّا حسن بن حسن بن حسن فلِسانُنا ومِدْرَهنا ، وأمّا ابراهيم بن حسن فأشبه الناس برسول الله ﷺ شمائلاً ولوناً وتقلُّعاً ـ وكان رسول الله ﷺ إذا مشى تقلّع فلا تكاد تمسّ عقباه الأرض ـ وأمّا اللذان من ابن عمّكم فإنّ محمد بن عبدالله ـ تعني الديباج ـ جَمالُنا الذي نُباهي به ، والقاسم عارضتنا التي نمتنع بها وأشبه الناس بأبي العاص بن أُمية عارضةً ونفساً ، فقال : والله لقد أحسنتِ في صفاتهم يا بنتَ حسين ، ووثب فجبذت سكينة بردائه وقالت : والله يا أُحَول لقد أصبحتَ تَهكّم بنا ، أما والله ما أَبْرَزَنا لكَ إلاّ يومُ الطَفِّ ، فضحك وقال : أنتِ امرأة كثيرة الشرّ ، ولكنّك كبيرة السنّ فنحن نكرمك .

قال الزبير: وأنشدني عمّي لأبي وجزة[1] السعدي في الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان:

وَجَدْنا المحضَ الأَبْيَضَ مِنْ قُرَيْشٍ ... فتىً بَيْنَ الخَليفَةِ[2] والرسولِ
أَتاكَ المجدُ مِنْ هُنّـا وهُنّا ... فَكُنْتَ لـه بمُعْتَلَجِ السُيولِ
فما لِلْمَجْدِ دونكَ مِن مَبيتٍ ... وما للمجدِ دونَكَ مِن مَقيلِ
فِدى لكَ من يذودُ الحَقَّ عنه ... ومَن يُـرضي أَخاهُ بـالقليلِ
فلوْلا أنتَ ما رُحِلَتْ رِكابي ... مُحَمَّلَةً ولا حمـدَتْ رحيـلي

قال المدائني: وخطب الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان امرأة، وخطبها عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وكان يقال له الديباج أيضاً، فجعلت تبحث عن أَحسنهما، فبينا هي كذلك

١ ـ اسمه يزيد بن عبيد، وقيل يزيد بن أبي عبيد. الأغاني ج١٢ ص٢٣٩ .
٢ ـ بهامش الأصل: يعني عثمان رضي الله عنه.

إذ خرجت ليلة فرأت الديباجَيْن جميعاً يتعاتبان في أمرها أو أمرٍ غيره في ليلة مُقْمِرة، وكان وَجْهُ عبد العزيز إليها فرأت بياضه وطوله فقالت: حَسبي به، فتزوّجها ودعا محمدَ بن عبد الله في وليمتها فأكرمه، فلما أكل بَرك له ثم خرج وهو يقول:

بَيْنا أُرَجّي أَنْ أكونَ وَلِيَّها رَضيتُ بِعِرْقٍ مِن وليمتها سُخْنِ

وحدثني الزبير قال: أتى الرَّماح بن مَيّادة، وهو ابن أَبْرَد، المدينةَ وعليها عبد الواحد بن سليمان، فسمع عبدَ الواحد يقول: إنّي لأهمُّ بالتزويج فابغوني أيماً، فقال الرَّمّاح: أنا أدُلّك، فقال: على من ياأبا شرحبيل؟فقال: دخلت مسجدكم فإذا أشبه شيء به وبمن فيه الجنّة وأهلها، فبينا أنا أمشي إذ قادتني رائحة عِطْرِ رجل، فلما وَقَعَتْ عيني عليه استلهاني حسنُه، وتكلّم فكأنّما قرأ قرآنا أو زبوراً حتى سكت، فلولا علمي بالأمير لقلت: هو هو، فسألت عنه فأُخبرت أنّه بين الحَيَّيْن للخليفتين عُثمان وعليّ رضي الله عنهما، وأنّه قد نالته ولادة من النبيّ صلى الله عليه وسلّم فلها نور ساطع في غرّته، فإن اجتمعتَ وهو على ولد بأن تتزوّج ابنته سادَ العِبادَ وجاب ذكرُه البلادَ؛ فقال: ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان لفاطمة بنتَ الحسين ياأبا شرحبيل، فقال ابن مَيّادة:

لَهُمْ نَبْزَةٌ لَمْ يُعْطِها الله غَيْرَهُمْ وكُلُّ عَطاءِ الله فَضْلٌ مُقَسَّمُ(١)

قال: وكان محمد الأكبر ابن المُطْرَف، وهو الحازوق، يلبس أَسرى الحُلَل، فإذا تعجَب الناس من حُلّة قالوا: كأنها حُلّة الحازوق، وإذا فخر أحد بحلّة قالوا: لو كانت حلّة الحازوق ماعدا.

---

١ ـ شعر ابن ميادة ـ ط. دمشق ١٩٨٢ ص٢٢٣ وفيه: «لهم نبوة».

قال: وقُتل أميّة بن المُطْرَف بقُدَيْد، وكان عبد الواحد بن سليمان قد ولاه على أَسد وطيّء فجاءه سبعون من فزارة، وذلك في أيّام مروان بن محمد، فسألوه أن يخرج بهم معه ليغيروا على طيّء لثأرٍ كان لهم فيهم، فخرج بهم وتجمّع إليهم ناس من أهل المعادن طَلَباً للغنائم، فلقيه مَعْدان الطائيّ بالمُنْتَهَب[1] في جماعة من طيّء فهزموه، وقد كانوا عرضوا عليه أن يردّ فزارة ويأتي فيمن أحبّ لأخذ صدقة أموالهم، وفي ذلك يقول مَعْدان يعتذر إلى عبد الواحد وأهل المدينة ويذكر عرضهم على أميّة أن يردّ فزارة ويعطوه صدقاتهم:

ألا هل أَتى المَدينَةِ عَرْضُنا خِصالاً مِنَ المَعْروفِ يُعْرَف حالُها
على عامِلينا والسّيوف مَصونَةٌ بأَغْمادِها ما زايَلَتْها نِصالُها
أَتَيْنا إلى فِرْتاجٍ[2] سَمْعاً وطاعةً نُؤَدّي الزكاةَ حين حانَ عِقالُها
ومِنْ قَبْلِ ما صِرْنا وجاءَتْ وفُودُنا إلى فَيْدَ[3] حتى مايُعَدُّ رِجالُها
فقالوا أَغِرْ بالناسِ تُعْطِكَ طَيّءٌ إذا وَطِئَتْها الخَيْلُ وَاجْتيحَ مالُها
ودون الذي مَنَّوْا أُمَيَّةَ هَبْوَةٌ مِنَ الضَّرْبِ قِدْماً لاتُجَلَّى ظِلالُها
دَعَوْا بِنِزارٍ فَاعْتَزَيْنا بِطَيّءٍ هنالك زَلَّتْ في نِزارٍ نِعالُها

وولّى يزيد بن الوليد عبد العزيز بن المطرف مكة والطائف.

١ ـ المنتهب: قرية في طرف سلمى أحد جبلي طيء. معجم البلدان.
٢ ـ فرتاج: موضع في بلاد طيء. معجم البلدان.
٣ ـ فيد: منزل بطريق مكة في نصف الطريق من الكوفة. معجم البلدان.

مروان بن الحكم

ومن بني أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس أيضاً مروان بن الحَكَم بن أبي العاص، وهو ابن عمّ عثمان، ويكنى أبا عبد الملك؛ وأمّه آمنة بنت عَلْقَمة بن صَفْوان بن أُميّة بن المحرَّث بن جمل بن شِقّ بن رَقَبة بن مُخْدَج بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزيمة.

وكان الحَكَم أبو مروان مغموصاً عليه في إسلامه وكان إظهاره الإسلام في يوم فتح مكة؛ فكان يمرّ خلف رسول الله ﷺ فَيخْلِج بأنفه ويَغْمِز بعينَيْه فبقي على ذلك التخليج وأصابته خَبْلة؛ فقال عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاري لمروان:

إنَّ اللَّعينَ أباكَ فَارمِ عِظامَهُ ... إنْ تَـرْمِ تَرْمِ مُخَلَّجاً مَجْنونـا
يُضحي خَميصَ البَطنِ مَنْ عَمِلَ التُّقى ... ويُظلُّ مَنْ عَمِلَ الخَبيثَ بَطينا

وطلع الحكم ذات يوم على رسول الله ﷺ وهو في بعض حُجَر نسائه فخرج إليه بعَنَزة[1] وقال: «من عذيري من هذه الوَزَغَة»[2]، وكان يفشي

١ - رمح قصير.
٢ - الوزغة: الرجل الحارض الفشل. القاموس.

أحاديث رسول الله ﷺ فلعنه وسيّره إلى الطائف ومعه عثمان الأزرق، والحارث وغيرهما من بنيه وقال لا يساكّني فلم يزالوا طُرَداءَ حتى ردَّهم عثمان رضي الله تعالى عنه ، فكان ذلك ممّا نُقم فيه عليه .

وقال المدائني عن أشياخه: كان مروان من رجال قريش وكان من أَقرأ الناس للقرآن وكان يقول: ماأَخللت بالقرآن قطّ، أي لم آتِ الفواحش والكبائر قط.

ورُوي: أنّ النبي ﷺ قال للحكم: «كأنّي ببنيه يصعدون منبري وينزلون».

وكان مروان يكنى أبا القاسم ثم اكتنى أبا عبد الملك.

حدثنا روح بن عبد المؤمن المُقرىء حدثنا مسلم بن إبراهيم عن جعفر بن سليمان عن سعيد بن زيد عن عليّ بن الحَكَم عن أبي الحسن الجَزَري عن عمرو بن مرة الجُهَني قال: استأذن الحَكَم بن أبي العاص على النبي ﷺ فقال: «ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ماهم، يشرفون في الدنيا ويتّضعون في الآخرة».

قال المدائني: نزل الحَكَمُ في الجاهلية على حاتم طيّء فتناوله قوم من رهط أوْس بن حارث فغضب حاتم فقال:

الآنَ إذْ مَطَرَتْ سَماؤُكُمُ دَماً ورَفَعْتَ رَأْسَكَ مِثْلَ رَأْسِ الأصيد[1]

قالوا: وكان مروان يلقّب خيط باطل لدقّته وطوله، شبه الخيط الأبيض الذي يُرَى في الشمس، فقال الشاعر، ويقال انّه عبد الرحمن بن الحكم أخوه:

١ ـ ديوان حاتم الطائي ـ ط.دار صادر بيروت ص٤٢ مع فوارق.

لَعَمْرُكَ ما أَدْري وإنّي لسائِلٌ حَليلَةَ مَضروبِ القَفا كيف يصنع
لَحَى الله قَوْماً أَمَّروا خَيْطَ باطِلٍ على الناسِ يُعْطِي ما يَشاء ويمنع

وكان ضُرِب يوم الدار على قفاه.

وكانت أمَّ آمنة أمّ مروان وإخوتِهِ صفية، ويقال الصَعْبة، بنت أبي طلحة العَبْدَري، وأمّها مارية بنت موهب كندية، وهي الزَرْقاء التي يُعَيَّرون بها فيقال بنو الزرقاء وكان موهب قَيْنا.

وولى معاوية بن أبي سفيان مروان بن الحكم البَحْرَيْن وولاه المدينة مرّتين؛ وهو الذي كان رمى طلحة بن عبيد الله بالبصرة، فمات من رميته.

وقال أبو مخنف والواقدي في روايتهما: كان مروان بالمدينة حين مات مسلم بن عقبة المُرّي بعد إيقاعه بأهل الحَرَّة، ثم أُشخص إلى الشأم فلم يزل بها حتى ولي الخلافة بعد معاوية بن يزيد بن معاوية.

وقال المدائني: لم يزل مروان بالمدينة حتى كتب ابن الزبير بعد موت يزيد، وشخوصِ حُصين بن نمير السَكوني، إلى ابن مُطِيع في تسيير بني أميّة فسيّره وسيّرهم فورد الشأم ومعاوية بن يزيد قد بويع؛ وكان مروان لما سُيروا اكترى أَبعِرة ركبها وبنوه وأمر أن يُحَثَّ به وبهم، فقال راجزه:

حَـرَّمَ مَروانُ علَيْهِنَّ النَّـوْمْ إلا قليـلاً وتَـلاهُنَّ القَـوْمْ
حتى يَقِلْنَ أو يَبِتْنَ بالدَوْمْ

والدوم على مسيرة ليلتين من المدينة؛ وكان عبد الملك بن مروان عليلا فقال للرسول الذي وُكل بإزعاجهم: قل لأبي خُبيب: يصنع الله، وفي ذلك يقول أبو قطيفة، واسمه عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط وإنّما قيل له

أبو قطيفة لأنه كان كثير شعر الرأس ثائره عظيمَ اللحية، وكان ممّن سيّره ابن الزبير إلى الشام.

بكى أُحُدٌ لما تَحَمَّـلَ أَهْلُهُ فكيف بِذي وَجْدٍ مِنَ القَوْمِ آلِفِ

وقال أيضاً، ويقال غيره:

ألا هل أتاها والحَوادِثُ جَمَّةٌ بِأَنَّ قَطينَ الله بَعْدَكَ سُيِّرا

ولما بنى مروان داره قال له أبو هريرة: ابنِ شديداً، وَأْمُلْ بعيداً وعِشْ قليلاً وكلْ خَضماً[1] والموعِدُ الله.

وكان مروان إذا سمع الأذان قال مرحباً بالقائلين عدلاً وبالصلاة مرحباً وأهلِها؛ ويُروى هذا عن معاوية أيضاً.

وأمر مروان عبد الملك حين ولاه فلسطين بتقوى الله، وقال له: مُرْ حاجبك أن يخبرك بمن يحضر بابك في كلّ يوم فتأذن أو تحجب، وآنس من يدخل عليك بالحديث يبسطوا إليك، ولاتعجل بالعقوبة إذا اشكل عليك أمرٌ فإنّك على العقوبة إذا أردتها أقدر منك على ارتجاعها إذا أمضيتها؛ ويقال إنّه اوصى بهذه الوصيّة عبد العزيز حين ولاه مصر، والأوّل أثبت.

ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية أبو ليلى، علم ابن الزبير أنّه لم يبق أحد يضاده فولى الضحّاك بن قيس الفِهْري دمشق، وكان صاغياً إليه وقد كاتبه فبعث إليه بعهده وكتابٍ إلى من قِبَله يدعوهم إلى طاعته، وبعث إلى النعمان بعهده على حمص، وكان النعمان مائلاً إليه، وولّى ناتل بن قيس بن زيد الجُذامي فلسطين وكان لناتل فيه هوى، ويقال: بل كان عنده بمكة فقال

---

١ - الخضم: الأكل، أو بأقصى الأضراس، أو ملء الفم بالمأكول، القاموس.

له: ألا تكفيني قومك فخرج ناتل حتى أتى فلسطين، وكان والِيهَا ووالِيَ الأردنّ من قِبَل يزيد بن معاوية حسّانُ بن مالك بن بحْدَل، فبَقِيَتا في يده وفيهما عُمّاله فأرسل إليه ناتل: إما تخرج من بلاد قومي وإمّا أن أدخل عليك فأقاتلك فعرف ابن بحدل أنّه لاقوة له به وبقومه من جُذام، فخرج ابن بحدل إلى الأردنّ فنزل طبريّة وبويع لابن الزبير بفلسطين، وضبط له الضحّاك بن قيس دمشق، وأخذ له بيعة أهلها وفرق عُمّاله فيها، وأخذ له النعمان بن بشير الأنصاري بيعة أهل حمص فاستقامت لابن الزبير الشام كلّها إلا الأردنّ وهذا الثبت.

ويقال: إنّ بعض أهل الأردن قد كانوا مائلين إلى ناتل، ومنحرفين عن حسّان بن مالك بن بحدل وكانت الزبيريّة بالشام تقول: ابن الزبير أولى أهل زمانه بالأمر لأنّه ابن حَواري رسول الله ﷺ، والطالب بدم الخليفة المظلوم عثمان، ورجل له شجاعة وسِنٌّ وفضل، وولّى ابن الزبير مصر عبدَ الرحمن بن عُتْبة بن جَحْدَم الفِهْري فضبطها له، وأظهر حسّان بن مالك بن بحدل الدعاء لخالد بن يزيد بن معاوية وعزم عليه فسار في كلب حتى نزل الجابية[1] فاجتمع إليه بها الحُصين بن نمير السَّكوني ومالك ابن هُبيرة السكوني، ورَوْح بن زِنْباع الجُذامي وزَمْل بن عمرو العُذْري وعبد الله بن مسْعَدة الفَزاري، وعبد الله بن عضاه الأشعري، وأبو كبشة حيويل بن يسار السَكْسَكي، وصار إليه مروان بن الحَكَم وهو لا يفكر في الخلافة وخالد بن يزيد بن معاوية، وعمرو الأشدق بن سعيد بن العاص وغيرهم من الأمويين ودعا قوما من أهل البلقاء وأَذْرِعات فأجابوه؛ فقال له ابن عِضاه الأشعري:

١ ـ على مقربة من بلدة نوى بحوران سورية.

أراك تريد هذا الأمر لخالد بن يزيد، وهو حدث السنّ فقال: إنّه معدن المُلْك ومقر السياسة والرئاسة، فأتى ابن عِضاه خالدا في جماعة من نظرائه من الوجوه فوجده نائماً متصبِحاً، فقال: ياقوم أتُجعَل نحورنا أغراضاً للأسنّة والسهوم بهذا الغلام وهو نائم في هذه الساعة، وإنما صاحب هذا الأمر المُجِدُّ المُشمِّر الحازم المتيقظ، ثم أتى مروان بن الحكم فألفاه في فسطاط له وإذا درعه إلى جانبه والرمح مركون بفنائه وفرسه مربوط إلى جانب فسطاطه، والمصحف بين يديه وهو يقرأ القرآن، فقال ابن عِضاة ياقوم هذا صاحبنا الذي يصلح له الأمر وهو ابن عم عثمان أمير المؤمنين وشيخ قريش وسِنّها؛ فرجعوا إلى حسّان بن مالك فأخبروه بخبر خالد ومروان، وأعلموه انّهم مُجمعون على مروان لأنّه كبير قريش وشيخها، فقال ابن بحدل: رأيي لِرأيكم تَبعٌ، إنّما كرهتُ أن تُعْدَل الخلافة إلى ابن الزبير، وتخرج من أهل هذا البيت؛ ثم قام حسّان خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر مروان فقال: هو كبير قريش وسِنّها، وابن عمّ الخليفة المظلوم والطالب بدمه قبل الناس أَجمعين فبايِعوه رحمكم الله فهو أولى بميراث عثمان وأحق بالأمر من المُلْحِد ابن الزبير الذي خلع الخلافة وجاهر الله بالمعصية، فسارَعوا إلى بيعته وماسحوه ودعوا له والتفّت إليه بنو أميّة فقالوا: الحمد لله الذي لم يخرجها منا.

وقال مروان أَحيَيْتُ ليلةً كلّها فلما طلع الفجر صلّيتُ الغداة ونمتُ فجاء عمر حين أصبحتُ، فقال: مابال مروان لم يحضر الصلاة؟ فقيل له: أَحيى ليلته ونام حين صلّي الغداة، فقال:لأن أصلّيهما في جماعة يعني العشاء والغداة أَحبُّ إليّ من أن أحيي مايميتهما.

وقال مروان حين وَلِيَ: لقد رأيتني عند عمر في فِتْيَةٍ من قريش كلّهم يقرب دوني فما زال إيثاري الحقَّ حتى كان يبعثني في مهمّ أمره، ولو لم يبق من أَجلي إلا ظِمءُ حمار ثم أُخيِّر بين أَمْرَيْن من الدنيا والآخرة لاخترت الآخرة.

وكان بين مروان وعمرو بن العاص منازعة فقال عمرو: يابن الزرقاء، فقال مروان: إن كانت زرقاء فقد أنجبت وأدّت الشبه إذ لم تؤده النابغة.

المدائني؛ قال: قال مروان. لـحُبَيْش بن دُلجة: إنّي لأظنك أحمق فقال حُبَيْش: أحمقُ مايكون الشيخ إذا أَعْمَلَ ظَنَّه.

المدائني عن مسلمة، قال: كان لمروان بأرضه بذي خُشُب غلام يقال له جُرَيْج، فقال له يوما: ياجريج أَدْرَكَ شيءٌ من غَلاتنا؟ قال: يوشك أن يدرك، وكأنّك بها، فركب مروان إلى أرضه فتلقّته أحمالٌ، فقال: من أين هذه؟ قالوا: من ضيعتك بذي خُشُب، فأتى الأرض فقال: ياجُرَيْج إنّي أظنّك خائناً؟ قال: وأنا والله اظنّك أيّها الأمير عاجزاً اشتريتني وأنا في مِدْرَعة صوف، ثم أنا اليوم موسرٌ قد اتّخذتُ الخدم وابتنيت المنازل والله إني لأخونك، وإنّك لتخون أمير المؤمنين، وإنّ أمير المؤمنين ليخون الله فلعن الله شرَّ الثلاثة.

المدائني، قال: قيل لمروان وهو بمكة إنّ عمرا الكناني يبيت في دارك فبعث مروان ابن جحش الكناني وأمره أن يحمل كلّ من يجد في الدار، فسار من مكة إلى المدينة على ناقة له يقال لها الزلوج، وكان يقال إن في ظهرها زيادة فَقارتَيْن، فورد ليلا فحمل كلّ من وجد في الدار من عيال مروان إلى مكة ودخل الدار وهو يقول:

يـأَيُّهـا الخـالِفَـةُ اللجـوجُ أُخْرُجْ فقد حانَ لَكَ الخُروج
أنا ابنُ جَحْشٍ وَهِيَ الزَّلوجُ كَـأَنَّ فـاهــا قَتَبٌ مَعـروج

وأتى أعرابيّ مروانَ فقال: أفرض لي، فقال: قد طوينا الدفتر وفرغنا قال الأعرابيّ أما إنّي الذي أقول:

إذا مُدِحَ الكَريمُ يَزيدُ خَيْراً وإنْ مُدِحَ اللئيمُ فلا يَزيد

وقد كان مدح مروان ثم هجاه فقال: أنت هو لابدّ لك من فرض ففرض له.

المدائني قال: قال الجارود بن أبي سَبْرة: دخلتُ على مروان فإذا رجل أحمر أزرق كأنّه من رجال خراسان لو أشاءُ أن أُدخل يدي في عَلابي عنقه لفعلت، وكان ضُرِب يوم الدار على قفاه وله يقول عبد الرحمن بن الحكم:

واللّهِ ما أَدْري وإنّي لَسائِلٌ حَليلَةَ مضْروبِ القَفا كَيفَ يَصْنَعُ
لَحَى اللّهُ قَوْماً أَمَّروا خَيْطَ باطِلٍ على الناسِ يُعْطي مَن يَشاءُ ويَمْنَعُ

وكان على شرطة مروان يحيى بن قيس الغسّاني.

المدائني عن أبي مخنف، وعوانة، ومَسْلَمة بن مُحارب: أنّ مروان قاتَلَ أهل المرج[1] فظفر بهم وقتل الضحاك، ثم قدم دمشق فبايعه الناس بيعة جديدة فقال بعض الأنصار أو غيرهم:

اللّهُ أَعْـطاكَ التي لا فَوْقَهـا وقد أَرادَ المُلْحِدونَ عَـوْقَها
عَنْكَ ويَأْبى الله إلاّ سَوْقَها إِلَيْكَ حتى قلَّدوكَ طَوْقَها[2]

١ ـ مرج راهط على مقربة من بلدة جوبر خارج دمشق إلى الشرق منها.
٢ ـ ليسا في ديوان كثير عزة المطبوع.

ويقال : ان هذا الشعر قيل في عبد الملك قاله كثيّر بن عبد الرحمن .

قالوا: ودخل زياد الأعجم على مروان بالمدينة فقال له يا أبا أمامة أنشِدْني فقال له : بألف دينار فأنشده :

رَأَيْتُكَ أَمْسِ خَيْرَ بَني لُؤَيٍّ وأَنْتَ اليَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسِ
وأَنْتَ غَداً تَزِيدُ الضِعْفَ خيْراً كَذاكَ تَكونُ سادَةُ عَبْدِ شَمْسِ[1]

فأعطاه أَلفَيْ دينار ؛ ويقال : إنّه قال هذا في غير مروان .

قالوا : وكان عُبيد الله بن زياد بن أبي سفيان لما أخرجه أهل البصرة بعد موت يزيد بن معاوية قدم دمشق فبلغه خبر ابن بحدل ونزوله الجابية ، وكان الضحاك بن قيس الفهري بدمشق ، قد بايعه الناس لابن الزبير وتابعوه على أمره ، فقال له ابن زياد قد بويع صاحبك واستقامت له النواحي وأنت ها هنا قد حصرت نفسك بدمشق فاخرُجْ فعَسْكِر ناحيةً يأتك الناس من كلّ أَوْب فإنّك كبير قريش والمنظور إليه منها ؛ فخرج الضحاك إلى مرج راهط فعسكر فما هو الا أن خرج حتى دخلها عمرو بن سعيد الأشدق فأغلقها على نفسه وذلك أنه كانت بلغت عمراً حركة الضحاك ، وكتب إليه بها ابن زياد فدنا من دمشق فاستعد لدخولها وأتى ابن زياد مروان وهو بالجابية فقال : إنّي قد أخرجت الضحّاك إلى الصحراء وأدخلتها عمرو بن سعيد .

وقال عوانة بن الحكم : لما مات يزيد بن معاوية ، وأُخرج عبيد الله بن زياد من البصرة ، قدم دمشق وعليها الضحّاك بن قيس بن خالد الفِهْري عاملاً لعبد الله بن الزبير ، وقد ثار زفر بن الحارث الكلابي بقنّسرين

١ ـ شعر زياد الأعجم ـ ط . دمشق ١٩٨٣ ص ١٣١ .

يبايع لابن الزبير والنعمان بن بَشير بحمص على طاعته ، وكان حسّان بن مالك بن بحدل عاملاً ليزيد بن معاوية على فلسطين ، وكان بفلسطين ناتل بن قيس وهو ممالىء لابن الزبير وكان سيّد أهل فلسطين فاستخلف حسّان روح بن زنباع الجذامي على فلسطين، وأتى الأردن فوثب ناتل على روح بن زنْباع فأخرجه عن فلسطين ، واستولى عليها وبايع لابن الزبير لهواه فيه ، وقد كان ابن الزبير أمر بنفي بني أميّة عن المدينة فسيّرهم عامله على المدينة إلى الشام وفيهم مروان ، وكان الناس فريقين حسّاني وزبيريّ فقال عبد الرحمن بن الحَكَم أخو مروان :

وما الناس إلاّ بَحْدَليٌّ عنِ الهَوَى ... وإلاّ زُبَيْـرِيٌّ عَصَى فَتَزَبَّـرا

فقام حسّان بالأُردنّ فقال : يا أهل الأردن ما تقولون في عبد الله بن الزبير وقَتلَى أهل الحرّة قالوا : عبد الله منافق وقتلى أهل الحَرّة في النار، قال : فما تقولون في يزيد بن معاوية ومن قُتل بالحَرّة من أهل الشأم ؟ قالوا يزيد في الجنّة وقتلانا في الجنة ، فقال:لئن كان يزيد يومئذ على حقّ إنّ شيعَتَهُ على حقّ ، ولئن كان ابن الزبير يومئذ على باطل إنّه اليومَ لَعلى باطل ، قالوا : صدقت نبايعك على قتال من خالفك وأطاع ابن الزبير على أن تجنّبنا هذين الغلامين : خالد بن يزيد ، وأخيه عبد الله فإنّهما حديثةٌ أسنانُهما ، ونحن نكره أن يأتي الناس بشيخ ونأتيهم بصبي .

وكان الضحاك بدمشق يبابع الناسَ لابن الزبير سرّاً خوفاً من بني أمية وكلب ، فكتب إليه ابن بحدَل كتاباً يشتم فيه ابن الزبير ، ويعظم له حق بني أمية ويُذكره إحسانهم إليه واصطناعهم له وبرهم به ، وأنفذ الكتاب إليه مع رجل يقال له ناعصة من ولد تغلب بن وبَرَة إخوة كلب ، ودفع إليه

نسخته وقال : إن لم يظهر الضحَاك هذا الكتاب وكَتَمه فاقرأْه أنت على الناس ، فأوصل الكتاب إليه فقرأه ولم يظهره فقرأ ناعصة نسخته فقام الوليد بن عُتْبة بن أبي سفيان فقال: صدق حسّان وكذب ابن الزبير وشتمه ، وقام يزيد بن أبي النِمْس ، واسم أبي النمس الأسود بن المعد بن شَراحيل الغسّاني ، فصدّق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير ، وقام سفيان بن الأبرد الكلبي فقال مثل ذلك ، ثم قام أبو رجاء عمر بن زيد الحكمي فشتم حسّان بن مالك وكذّبه وأثنى على عبد الله بن الزبير ، واضطرب الناس بنعالهم ، ثم أمر الضحاك بالوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان فحبسوا ، وجال بعض الناس في بعض ، ووثبت كلب على عمر بن زيد الحكمي ، وقام خالد بن يزيد بن معاوية على مرقاتين من المنبر فتكلم وسكّن الناس ، وجاءت كلب فأخرجت سفيان من الحبس ، وجاءت غسان فأخرجت ابن أبي النمس ، فقال الوليد بن عتبة : لو كنت من كلب أو غسّان أُخرجتُ فجاء خالد بن يزيد ، وعبد الله بن يزيد ومعهما أخوالهما من كلب فأخرجوا الوليد ؛ فكان أهل الشأم يسمّون هذا اليوم يوم جَيْرون[1] ، وجيرون موضع بدمشق عند المسجد .

قال : وخرج الضحاك بن قيس إلى مسجد دمشق فجلس فيه فوقع في يزيد بن معاوية ، فقام إليه شاب من كلب بعصاً فضربه بها والناس جلوس في الحلق وعليهم سيوفهم ، فقام بعضهم إلى بعض فاقتتلوا ، وقيس تدعو إلى ابن الزبير ونُصرةِ الضحاك ، وكلب تدعو إلى بني أميّة وإلى خالد بن يزيد

---

١ ـ كان باب جيرون الباب الرئيسي لمسجد دمشق ، وما زال قائماً يعرف الآن باسم باب النوفرة .

وتتعصب ليزيد بن معاوية ؛ قال : ودخل الضحاك دار الإمارة ولم يخرج لصلاة الفجر وبعث إلى بني أميّة فاعتذر إليهم ، وقال : لم يقم منكم قائم ، وكتب إليّ هذا الرجل فولاني وذكر حسن بلائهم عنده ، وأنّه لا يريد شيئاً يكرهونه ، وقال : اكتبوا ونكتب إلى حسان حتى يوافي الجابية ونوافيه فنبايع لرجل منكم ، فرضِيت بنو أميّة بذلك ، فكتب الضحاك إلى حسّان وكتبوا ، وخرج الناس وبنو أميّة للميعاد ، فجاء ثَوْر بن معن بن يزيد السُلَمي ، ويقال معن بن يزيد بن الأخنس نفسه، إلى الضحاك فقال له: عجباً لك دعوتنا إلى طاعة رجل فبايعناك ، ثم أنت الآن تسير إلى هذا الأعرابي من كلب ليستخلف ابن اخته خالد بن يزيد وهو صبي غُمْر قال الضحاك : فما الرأي ؟ قال : أن تُظهر ما كنا نستره من بيعة ابن الزبير ، ونقاتل على طاعته فعرّج الضحاك بمن معه وعطفهم وأقبل حتى نزل مرج راهط ، وأظهر بيعة ابن الزبير وخلع بني أمية .

وصار بنو أمية إلى الجابية ، ووافى حسّان فصلى بهم أربعين ليلة والناس يتشاورون ، وكتب الضحّاك إلى النعمان بن بشير وهو بحمص وإلى زُفَر بن الحارث وهو على قنّسرين ، وإلى ناتل وهو بفلسطين فأمدّوه فصار إليه خلق من الخلق بمرج راهط ؛ وكانت الأهواء بالجابية مختلفة : حُصينُ بن نُمير يهوى أن يولى مروان ، ومالك بن هُبيرة يهوي أن يولّى خالد بن يزيد ، فقال مالك بن هُبيرة للحُصين : هلم نبايع خالد بن يزيد فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه ، فقال الحصين : لا والله لا يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي ، فقال : ما لك ويحك إنّ مروان وآل مروان يحسدونك على سوطك وشراك نعلك ، وظلّ شجرة تستظل بها ، ومروان أبو عشرة وأخو عشرة ، وعم

عشرة وإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ، ولكن عليكم بابن أختكم خالد فقال : مروان شيخ قريش ، والطالب بدم الخليفة المظلوم ، وهو يدبرنا ويسوسنا ولا يحتاج إلى أن ندبره ونسوسه ، وغيره يحتاج إلى أن يدبر ويساس ! وذكر بعضهم عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال روح بن زنباع : إنكم تذكرون عبد الله بن عمر وفضله وهو كما ذكرتم إلا أنه ضعيف وليس صاحب أمة محمد بالضعيف ، وتذكرون ابن الزبير ، وهو والله ابن حواري رسول الله وابن أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين ، وهو بعد كما ذكرتم في قدمه ولكنه منافق خلع خليفتين: يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، وسفك الدماء ، وشق العصا ، وأما مروان فما كان في الإسلام صدع إلّا كان ممن شعبه وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان يوم الدار ، وقاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل ، ورمى طلحة فاستقاد منه لعثمان ، أفنبايع الصغير وندع الكبير ؟! فتم رأيهم على البيعة لمروان وأجمعوا عليها ، ثم لخالد من بعده ، ثم لعمرو بن سعيد الأشدق من بعد خالد ، فبويع مروان ، فلم يقع البيعة لغيره ، وسار مروان حتى نزل مرج راهط فصار بازاء الضحاك وحاربه ودعا الناس فاجتمع إليه خلق .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد والقاسم بن سلام قالا: حدثنا محمد بن يزيد الواسطي عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي قال : دعاني مروان إلى القتال معه فقال: ألا تخرج فتقاتل معنا ؟ قلت : لا لأن أبي وعمي شهدا بدراً مع رسول الله ﷺ وقد عهدا إلي أن لا أقاتل انساناً يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن أتيتني ببراءة من النار قاتلت معك ، فقال : انطلق لا حاجة لنا بك فقلت :

ولستُ مقاتلاً رجلاً يُصَلِّي على سُلْطانِ آخَرَ مِنْ قُرَيْشِ
لـه سُلْطانُهُ وعَليَّ إثْمي مَعاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وطَيْشِ
أأقتل مُسلِماً في غَيْرَ ذَنْبٍ فلَيْسَ بِنافِعي ما عِشْتُ عَيْشي

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده قال: سُلِّمَ على حسان بن مالك بن بَحْدَل أربعين ليلة بالخلافة، ثم سلّمها إلى مروان وقال:

فإلا يَكُنْ مِنّا الخَليفَةُ نَفْسُهُ فـما نالَهـا إلاّ ونحن شُهـودُ

وقال بعض الكلبيّين:

نزلنا لكُمْ عن مِنْبَرِ المُلْكِ بَعْدَ ما ظَلَلْتُمْ وما إنْ تَسْتَطيعُونَ مِنْبَراً

خبر يوم مرج راهط

قال عَوانة بن الحَكَم وغيره : جعل مروان على ميمنته عمرو بن سعيد الأشدق ، وعلى ميسرته عبيدالله بن زياد ، وجعل الضحّاك بن قيس على ميمنته زياد بن عمرو بن معاوية العُقَيْلي ، وعلى ميسرته زَحْر بن أبي شَمِر الهلالي من أهل حمص ، وثار يزيد بن أبي النِمْس بدمشق ، فغلب عليها وأخرج عامل الضحّاك منها ، وغلب على الخزائن وبيوت الأموال ، وبايع بها لمروان ، وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح ، وأقبل عَبّاد بن زياد من حُوّارين في أَلفَيْن من مواليه وغيرهم ، وكان الضحّاك في ستّين ألفاً ، فقاتل مروان الضحّاك بالمرج عشرين ليلة ، ثم هُزم أهل المرج وقُتلوا ، وقُتل من قيس مَن لم يُقتل مثلهم قطّ وقُتل الضحاك ، وقُتل معه من الأشراف ثمانون كلُّهم كان يأخذ القطيفة ، كان لكلّ رجل منهم في العَطاء أَلفان وقطيفة يُعْطَونها مع عطائهم وقُتل من أهل الشأم مقتلة عظيمة ، وقُتل ثَوْر بن مَعْن السُلَمي ، وجاء رجل من كلب برأس الضحّاك فلما رآه مروان قال : الآن حينَ كبرتْ سنّي ، ودقّ عظمي ، وصرت في مثل ظِمْء الحمار ، أقبلتُ أضرب الكتائب بالكتائب ؟!

قال الهيثم : ولم يحضر عبد الملك يوم المرج تورّعاً .

وقال ابن مُقْبِل :

يا جَدْعَ آنُفِ قَيْسٍ بَعْدَ هَمّامٍ بَعْدَ المُذَبِّبِ عن أَحْسَابِها الحامي[1]

يعني همّام بن قَبيصة وكان ممّن قُتل يوم المرج .

وقال الفرزدق :

ولَوْلا بَنو حَسّانَ أَسْيافُ عِزِكُمْ لَعادَ نِصابُ المُلْكِ في آلِ هاشمِ

ولكِنْ أبَى مَرْوانُ أنْ يَقْبَلَ التي يُسَبُّ أبو العاصي بها في المواسم[2]

ويقال : إنّه قال هذا حين بايع مروان لابنيه عبد الملك وعبد العزيز بالعهد .

قال الكلبي : مرّ رجل يوم المرج فقال :

وما ضَرَّهُمْ غَيْرُ حَيْنَ النُفو سِ أَيُّ رَئيسَيْ قُرَيْش غَلَبْ

ويقال : إنّ مروان رأى رجلاً يعرفه صريعاً فتمثّل بهذا البيت ؛ ويقال : إنّ ابنه عبد العزيز قال له : يا أَبَهْ الله أن يسمع هذا منك أحد ، فقال : صدقت يا بنيّ آسترُها على أَبيك .

وقال المدائني : أُتي مروان برأس زياد بن عمرو العُقَيْلي ، وثَوْر بن مَعْن السُلَمي ، فتمثّل بهذا البيت ، وهو لأَيْمَن بن خُرَيْم الأسدي .

حدثني عبّاس بن يزيد البصري عن عبد العزيز بن عبد الحميد عن عَوانة قال : وفد الوازع بن ذُؤالة الكلبي على الحجّاج بن يوسف ، وكانت عينه أُصيبت يوم المرج ، فقال له الحجّاج : ما الشجاعة ؟ قال : غرائز

---

١ - ليس في ديوان ابن مقبل المطبوع .

٢ - ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .

يجعلها الله في الناس ، فقد تجد الرجل شجاعاً لا رأيَ له ، فتلك الشجاعة الضارّة لصاحبها لأنّها تُقدم به في غير حال الإقدام ، وتُحجم به في غير وقت الإحجام فيُهْلِك ويَهلك ، وقد تكون الشجاعة نافعة لصاحبها إذا أقدمت به حين الإقدام ، وأحجمت به في حين الإحجام ، والله أصلح الله الأمير لقد رأيتُني يوم مرج راهط وإنّ همّام بن قبيصة النُميري لَواقفٌ وقد انفضّ عنه أصحابه ، وإنّه من شجاعته لواقف لا يدري ما يصنع ، لو فرّ لكان الفرار يُمكنه ، ولكن حَميَ أنفاً فحمل عليَّ وحملت عليه فبادرته بضربة على عاتقه فأرْدَيته عن دابته ، ثم نزلت إليه لأحتزّ رأسه فتفل في وجهي ثم قال :

ألا يا بْنَ ذاتِ النَوْفِ أَجْهِزْ على آمْرِىءٍ يَرَى المَوْتَ خَيْراً مِنْ فِرارٍ وأَكْرَما
ولا تَـتْرُكَنّي بـالحُشـاشـةِ إنـنـي أَكُرُّ إذا ما الناسُ مثلك أَحْجَما

فأخذتُ رأسه وأتيت به مروان ، وقلت : هذا رأس همّام بن قَبيصة ، قال : أأنت قتلته ؟ قلت : نعم ، قال : فهل أعانك عليه أحد ؟ قلت : نعم الله وإنقضاءُ مدّته ، فقال : هو والله كما قال الشاعر :

وفارِسِ هَيْجا لا يُقامُ لِبأسِهِ له صَوْلَةٌ يَزْوَرُّ عَنْها الفوارِسُ
وشِدَّةُ لَيْثٍ تَرْهَبُ الأُسْدُ وَقْعَها وتُذْعَرُ مِنْها العاوِياتُ العَساعِسُ
جَريءٌ على الإقدامِ ليس بناكِلٍ ولا يَزْدَهِيهِ الأَحْوَشيُّ المُغامِسُ

قالوا : وقال مروان في حربه يوم المرج :

لّما رَأَيتُ الأَمْرَ أَمراً صَعْباً يَسَّـرْتُ غَسّـانَ لَهُمْ وكَلْبـا

ويُروى :

لّما رَأَيْت الناسَ مالوا جَنْبا والسَكْسَكِيّينَ الرِجـالَ الغُلْبا
والقَيْنَ تَمْشي في الحَديدِ نَكْبا وَطيِّئـاً يـأْبَـوْنَ إلّا ضَـربْـا

ومِنْ تَنوخَ مُشْمَخِراً صَعْبـا لا يَأْخُذونَ المُلْكَ إلا غَصْباً
فإنْ دَنَتْ قَيْسٌ فقُلْ لا قُرْبا

وقال أبو مخنف : جاء عبيد الله بن زياد ، وعبد الرحمن بن عبدالله الثَقفي ، وهو ابن أمّ الحَكَم أُخت معاوية إلى مروان ، فقال عبد الرحمن : يا مروان إجمعْ إليك موالي بني أميّة فأنا أُسلّحهم لك أجمعين ، وقال عبيدالله بن زياد : وأنا أبذل لك من المال والقوّة على عدوّك ما شئت ، واجتمع رؤوس أهل الشام ينظرون من يولّون ، فقالوا : مالكم في تولية الأحداث خيرٌ ، وهذا مروان شيخ قريش ، وسيّد بني أمية ، وهو ذو رأي وحيلة وتجربة للحرب ، فقاموا إلى مروان فبايعوه ، ثم بعثوا إلى أهل الأردنّ فجلبوهم وأقبلوا بهم يسيرون إلى الضحّاك ، وأصحر الضحّاك حتى عسكر بمرج راهط ، واستمدّ عُمّال ابن الزبير فأمدّوه من الأجناد ، فبعث مروان على ميمنته الحُصين بن نُمير السَكُوني ، وعلى ميسرته عبد الرحمن بن أم الحَكَم ، وعلى الخيل حسّان بن مالك بن بَحْدَل ، ومالك بن هُبيرة بن خالد السكوني ، وعلى الرجالة عبيدالله بن زياد ، ثم زحف بهم فاقتتلوا أيّاماً ، ثم قُتل الضحّاك بن قيس .

وقال الكلبي والشَرْقِيّ بن القُطامي : كان الذي قتل الضحّاك زُحنة بن عبد الله الكلبي، من بني تيم الله بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وَبَرَة ، وأخذ رأسه عُليم بن رقيم التميمي ؛ فقال الشاعر ، وهو رُوَيْفع البَلَوي :

ويَوْمَ لدى الضَّحَاكُ حين تَألَبَتْ عَلَيْنا العُدَى مِنْ كُلِ شَرْقٍ ومَغْرِبِ
حشاهُ ابْنُ تَيْمِ اللاتِ زُحْنَةَ ثَعْلَباً طَريراً كَقَبْسِ القابِسِ المُتَلَهِّبِ

قالوا : وكانت بيعة مروان بالجابية يوم الأربعاء لثلاث ليال خلون من ذي القعدة سنة أربع وستّين ؛ ويقال : في رجب سنة أربع وستّين ؛ وكانت وقعة مرج راهط ، ومقتل الضحّاك بن قيس الفِهري في سنة أربع وستين .

وقال ثُمامة بن قيس بن حِصن أحد بني العُبيد من كلب :

أُشْهِدُكُمْ أنّي لِمَرْوانَ سامِعٌ مُطيعٌ وللضَّحّاكِ عاصٍ مُخالِفُ

قالوا : ولما برز مروان إلى المرج جعل الناس يقولون : أبا أُنَيْس ، أعَجْزاً بعد كَيْس ؟ فقال : نعم قد يكون العجز بعد الكيس .

قالوا : وكانت مع بشر بن مروان يوم المرج راية يقاتل بها وهو يقول :

إنْ عَلى كُلّ رَئيسٍ حَقّاً أَنْ يَخْضِبَ الصَعْدَةُ أو تَنْدَقّا

ورأى مروان رجلاً من مُحارِب يقاتل في قِلّة فقال له : لو انضممت إلى الناس فإنّك منفرد في قلّة ، فقال : إنّ معنا مدداً من السماء ، فسُرّ مروان وضحك وأمر قوماً كانوا حوله أن ينضموا إليه ، وقال سَهْم بن حَنْظَلة :

نصر الإلٰهُ بَني أُميّة إنّهُ مَن يُعْطِهِ سَبَبَ الخلافَةِ يُنْصَرِ
الوارِثينَ مُحَمَّداً سُلطانَهُ وجَوازَ خاتَمِهِ وعودَ المِنبَرِ
لما لقوا الضَّحّاكَ ضَلَّ ضَلالَهُ في يَوْمِ مَوْتٍ لِلْجَبانِ مُحَيِّرِ
حطّوا سُيوفَهُمُ بِحَبْلِ نَخاعِهِ وفَلَقْنَ هامَتَهُ وَراءَ المِغْفَرِ
ألق السِلاحَ أبا خُبَيْبٍ إنّهُ عارٌ عليك وخُذْ وِشاحَيْ مُعْصِرِ
لو أَدْرَكتْ زُفَرَ الضَّلالَةِ خَيْلُنا لَتَرَكْنَهُ لِخَوامِعٍ ولأَنْسُرِ

وقال ضَبْثَم الكلبي : وقفت مع عبد العزيز بن مروان ومعي راية قومي فقال :

إقْدَمْ بها يا ضَبْثَمُ فالمَوْتُ قَدْماً أكْرَمُ

فإذا رجل يَفْرِي الفَرِيّ ، فأقبل حتى فرّق جمعنا عن عبد العزيز ثم طعنه فأرداه ثم نجله برُمحه وقال خُذها يداً مشكورةً أو مكفورةً ، ثم انصرف فسألتُ عنه فقيل : هذا خالد بن الحصين الكِلابي ، وقُتل خالد يوم المرج قتله بشر بن مروان وعمرو بن سعيد .

وهرب زُفَر بن الحارث الكِلابي إلى قَرْقيسيَا وبها عِياض فمنعه من دخولها ، فقال له زفر بن الحارث : • أوثق لك بالطلاق والعِتاق إذا أنا دخلت الحمّام بها أن أخرج منها ، فأذن له فدخلها فلم يدخل الحمّام وأقام بها ، وأخرج عِياضاً عنها وتحصّن بها وثابَتْ إليه قيس ؛ وهذا قولُ من زعم أنّ زفر لم يحضر وقعة المرج .

وهرب ناتل بن قيس الجُذامي من فلسطين ، فلحق بعبدالله بن الزبير بالحجاز .

قال الواقـدي : لما رأى قوم ناتل قوّة أمر مروان قالوا : إنّه لا طاقة لنا بمروان ، فالحق بابن الزبير لتأمن ، ونأمن فشخص إلى ابن الزبير .

قال الهَيْثَم عن عَوانة : قال عبدالله بن صفوان الجُمَحي لأبي العبّاس الأعمى : أخبرني عن مروان ، ويوم المرج ؟ فقال : لم أسمع بمثله . وإنّه لَكَما قال حُصين بن الحُمام المُريّ[1] :

تَرَى المَوْتَ لا يُنْحاشُ عنه تَكَرُّماً ... وصَبْراً وإنْ كانَ القِيامُ على الجَمْرِ
حفاظاً على ما أَوْرَثَتْنا جُدودُنا ... وصَبْراً وما في الناس خَيْرٌ مِنَ الصَبْرِ
بذلك أَوْصانا ابْنُ عَوفٍ فلم نَزَلْ ... على مُلْكٍ نَمْضي لا نَضِجُّ مِنَ الدَهْرِ

---

١ ـ شاعر جاهلي مقل ، يعد من أوفياء العرب . الشعر والشعراء ص ٤١٠ . الأغاني ج ١٤ ص ١ ـ ١٦ .

فقال : ما أَبْصَرَكَ بأبي عبد الملك وإن قدر الله لابن الزبير شيئاً فهو كائن ، وإن أكبر ظنّي أنّه وبنيه سيملكون لأنّ عثمان ضمّ عبد الملك إلى صدره وقال : رأيتني وقد أخذتُ بُرْنُسي فوضعته على رأسه ، وقد وَلده أبو العاص مرتين .

قالوا : وقاتل عبدالله بن معاوية بن أبي سفيان ، وآمه فاخِتة بنت قَرَظَة بن عبد عمرو بن نَوْفَل بن عبد مَناف ، مع الضحّاك يوم المرج ، وكان يحمق ، فأُخذ أسيراً وأُتي به عمرو بن سعيد الأشدق فقال له عمرو : يا أبا سليمان نحن نقاتل لنشدّد ملككم ، وأنت تقاتل لتضعفه ؟ فقال له : اسكت يا لطيم الشيطان .

ومن رواية أبي مخنف أيضاً : أنّه لما قدم عُبيدالله بن زياد من البصرة فنزل الشام وجد بني أميّة بتَدمُر قد نفاهم ابن الزبير من مكة والمدينة والحجاز كلّه ، وألفىٰ الضحّاكَ بن قيس أميراً على الشام من قِبَل عبدالله بن الزبير ، ووافى مروان وهو يريد الركوب إلى ابن الزبير ليبايعه بالخلافة ، ويأخذ منه الأمان لبني أميّة فقال له ابن زياد : أنشدك الله أن تفعل أتنطلق وأنت شيخ قريش إلى أبي خبيب فتبايعه وهو منافق مضطرب الرأي ،ولكن ادعُ اهل تَدْمُر فبايِعهم وسِرْ بهم وبمن معك من بني أميّة ومواليهم وأتباعهم إلى الضحّاك حتى تُخْرِجَه من الشام ، فقال عمرو بن سعيد : صدق والله عبيدُ الله ، ثم قال عمرو : أنت سيّد قريش وفَرْعها وأنت أحقّ الناس بهذا الأمر ، وإنّما ينظر الناس إلى هذا الغلام يعني خالد بن يزيد بن معاوية فتزوّج أمّه فيكون في حجرك ، قال : ففعل مروان ذلك ، ووعدها أن يولّي ابنها عَهْدَه ، فتزوّج أم خالد ، وهي فاخِتة بنت أبي هاشم بن عُتْبة بن ربيعة ولقبُها حَبَّة ،

وجمع بني أميّة فبايعوه بالإمرة عليهم ، وبايعه مواليهم وأتباعهم ، وبايعه أهل تَدْمُر ، ثم سار في جمع عظيم إلى الضحّاك ، وهو يومئذ بدمشق ، فلما بلغه خروج مروان إليه خرج بمن معه من أهل دمشق وغيرهم ، وفيهم زُفَر بن الحارث ، فاقتتلوا بمرج راهط أشدّ قتال ، فقُتل الضحّاك وعامّة أصحابه ، وانهزم بقيّتهم وتفرّقوا ، ولحق زفر بقَرْقيسيَا فاجتمعت إليه قيس ورأّسوه عليهم فذلك حين يقول زُفَر بن الحارث :

أريني سلاحي لا أبا لَكِ إنَّني أَرَى الحَرْبَ لا تَزْدادُ إلّا تَمادِيا
أتاني عن مَرْوانَ بـالغَيْبِ أَنَّهُ مُقيدٌ دَمي أو قاطعٌ من لِسانيا
ففي العِيسِ لي مَنْجىً وفي الأَرْضِ مهرب إذا نَحْنُ رَفَّعْنا لَهُنَّ المَثانيـا
فلا تَحْسِبوني إنْ تَغَيَّبْتُ غافِلاً ولا تَفْرَحوا إنْ جِئتكمْ بِلِقائيا
فقدْ يَنْبُتُ المَرْعى على دِمنِ الثَّرَى وتَبْقَى حَزازاتُ النُفوسِ كَما هِيا
أَتَذْهَبُ كَلبٌ لَمْ تَنْلها رِماحُنا ونَتْرُكُ قَتْلَى راهِطٍ وَهْيَ ما هيا

وكان معه رجلان من سُليم فلما حاص يومَ المرج تركهما ونجا فلذلك يقول :

فَلَمْ تُرَ مِنّي نَبْوَةٌ قَبْلَ هٰذِهِ فِراري وتَرْكي صاحِبَيَّ وَرائيا

فأجابه جَوّاس بن القَعْطَل ، واسم القعطل ثابت ، وهو أحد بني حِصن بن ضَمْضَم بن جَناب الكلبي فقال :

لَعَمْري لَقَدْ أَبقَتْ وَقيعَةُ راهِطٍ على زُفَرٍ داءً مِنَ الداءِ باقيا
يُبَكّي على قَتْلَى سُلَيْمٍ وعامِرٍ وذُبْيان مَعْذوراً ويُبْكِي البَواكيا
دَعا بِسلاحٍ ثم أَحْجَمَ إذْ رَأَى سُيوفَ جَنابٍ والطِوالَ المذاكيا
عليها كأَسْدِ الغابِ فِتْيانُ نَجْدَةٍ إذا أَشْرَعوا يَوْمَ الطِعانِ العَواليا

قال الكلبي : وكان هشام بن عبد الملك في أيّامه عزل حَنْظَلة بن صَفْوان الكلبي عن إفريقية ، ولّاها عبيدة بن عبد الرحمن السُلمي ، فأضرّ بمن هناك من كلب وتعصّب عليهم ، فقال أبو الخَطّار الحُسام بن ضِرار :

أَقادَتْ بنو مروانَ قَيْساً دِماءَنا وفي الله إنْ لَمْ تَعْدِلوا حَكَمٌ عَدْلُ
كأنَّكُمُ لَمْ تَشْهَدوا مَرْجَ راهِطٍ ولَمْ تَعْلَموا مَنْ كانَ ثَمَّ لَهُ الفَضْلُ
وَقَيْناكُمُ وِرْدَ القَنا بِنُحورِنا ولَيْسَ لَكُمْ خَيْلٌ سِوانا ولا رَجْلُ

قال الكلبي : وكاد مروان يُقْتَل يوم المرج فاستنقذه مُحْرِز بن حُزيب بن مسعود أحد بني هُزيم بن عَديّ بن جَناب الكلبي ، هو والحراق بن حصين بن غرار أحد بني نوفل بن عَديّ بن جَناب ، فرأى جوّاس بن القَعْطَل من عبد العزيز بن مروان جفوة له وتقديماً للحراق فقال له :

ألا بِئسَ آمْرُىءٍ مِنْ ضَرْبِ حِصْنٍ أَضاعَ قَرابَتي وحَبا الحراقا

يقال في بني فلان ضرب نساء من فلان ؛ وأمّ عبد العزيز كلبيّة من بني حصن .

ومُحْتَرِمٍ على رَأْيٍ أَصيلٍ إذا ما شَدَّ حازِمُهُ النِطاقا
أبى لي أَنْ أُقِرَّ الضَيْمَ قَوْمٌ هُمُ راخَوْا لِمَرْوانَ الخِناقا
وإني فَٱعْلَمنَّ لَذو انْصِرافٍ إذا ما صاحِبي رامَ الفِراقا
فإلا تَقْبَلِ الأُمَراءُ عَذْلي ونُصْحي الغَيْبَ لا أهب[1] الشِقاقا

قال : وقُتل هَمّام بن قَبيصة فرثَته عُميرة بنت عامر الجَعْونيّة فقالت :

لقد فَجَعَتْني الحادِثاتُ بِسَيِّدٍ كَريمٍ نَشاهُ من نُمَيْرِ[2] بنِ عامِرِ

---

١ ـ بهامش الأصل : أهب من الهيبة .
٢ ـ بهامش الأصل : تميم .

أعزّ إذا ماشَى الرِجالَ عَلاهُمُ ... بآباء صِدْقٍ جَدُّهُمْ غَيْرُ عاثِرِ
هم يردونَ المَوْتَ إذْ طابَ وِرْدُهُ ... ببيضٍ خِفافٍ في الأَكُفِ بَواتِرِ
فإن كان هَمّامٌ أَتَتْهُ مَنِيَّةٌ ... فما كان وَقّافاً غَداةَ التَغاوِرِ
ولا حائِداً عن قِرْنِهِ إذْ تَبادَرَتْ ... فَوارِس قَيْسٍ بالرماحِ الشَواجِرِ
لقد كر حتى نالَهُ المَوْتُ مُقْدِماً ... وحامَى بِمَسْنونِ الغِرارَيْنِ باتِرِ
فإن تَكُ كَلْبٌ أَقْصَدَتْهُ فَرُبَّما ... رَمَى حَيَّ كَلْبٍ بالدَواهِي الفَواقِرِ
وغادرهمْ شَتَّى عِزِينَ فُلولُهُمْ ... عَلَى كُلِ عِدٍ مِنْ مِياهِ قُراقِرِ

حدثنا خَلَف بن سالم المخزومي ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن أشياخهم قالوا : لما مات معاوية بن يزيد بن معاوية ولم يستخلف اجتمع أهل الأردنّ فبايعوا خالد بن يزيد ، وهو يومئذ غلام شابّ ، وأمّه أمّ هاشم بنت هاشم بن عُتْبة ، وبايع أهل العراق والحجاز ابن الزبير ، وأخرج أهل البصرة عبيدالله بن زياد فألحقوه بالشام ، وذاك حيث أخرجه مسعود بن عمرو فيمن أخرجه من الأَزْد حتى أبلغوه الشام ، فقدم ابن زياد الأردن على بني أميّة وقد بايعوا خالداً فقال : إنّكم قد أخطأتم الرأي في بيعة خالد ، وقد بايع الناس ابن الزبير وهو ابن حواريّ رسول الله ﷺ ورجل له سنٌّ وصلاح في دينه وفضل وتبايعون أنتم غلاماً حديث السنّ ليست له حُنكة وتريدون أن تقارعوا به ابن الزبير؟ قالوا : فما ترى ؟ قال : أرى أن تبايعوا مروان بن الحكم فإنّ له سناً وفقهاً وفضلاً ، وتشترطون عليه أن يبايع خالد بن يزيد من بعده ففعلوا ، وبعث ابن الزبير الضحّاك بن قيس الفِهْري فغلب على دمشق وناحية الشام والجزيرة ، فحاربه مروان بمرج راهط فقتله .

حدثني هشام بن عمّار قال : ذكروا أنّ مروان قال عجبتُ للضحّاك يقاتلني ، وإنّما قتل أباه تيس حَبَلَّقِيٌّ[١] ، فأدركوه وما به حَيص ولا بَيص فقتل هذا عبدُ الرحمن ابنه فنال سَوءة .

وقال مروان لابن زياد : إيّاك والفِرار يا بن زياد فقال ابن زياد :

سَيَعْلَمُ مَرْوانُ ابنِ فَسْوَةُ أَنَّني إذا التَقَتِ الخَيْلانِ غَيْرُ حيود

فقال مروان : وأيّ أُمهّاتي فسوة إنّه لشديد العضيهة[٢] ، رَمَتْني بِدائِها وانسلت ، وأقبل رجل يريد مروان ، فقال : يا بنَ زياد الرجل فشدّ عليه ابن زياد فقتله .

وقال حبيب بن كُرز : كانت معي راية مروان يوم المرج فدفع بِنَعْل سيفه في ظهري ، وقال : ادْنُ بها لا أبا لك فإنّ هؤلاء لو قد وجدوا أَلَم الجراح انفرجوا .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحارِب عن أبيه : أنّ مروان غزا أهل مصر فامتنعوا منه ، وتحّصنوا فقاتلهم حتى ظهر عليهم ، ثم رجع إلى الأُردن فخطب أمّ خالد فدعت ابنها فذكرت له ذلك فنهاها ، وقال : والله ما له فيك حاجة وما يريد إلّا فضيحتي والتقصير بي وإسقاط منزلتي في الناس ، فأبت إلّا أن تُزَوَّجَهُ فلما كانت ليلة البناء وأُدخلت عليه جلست معه على فراشه ، فأقبل ينظر إلى سقف البيت ويحدث نفسه ولم يكلمها حتى أصبح ، فخرج إلى الصلاة وأرسلت إلى صاحب شرطه ألا ترى إلى ما صنع بي صاحبك من الإستخفاف ، وقد عصيتُ الناس فيه فدخل على مروان فذكر له ذلك ،

١ ـ الحبلق : غنم صغار لا تكبر ، أو قصار المعز ودمامها . القاموس .

٢ ـ العضيهة : الكذب ، والسحر ، والافك ، والبهتان . القاموس .

فقال : صدقَتْ قد فعلتُ ، إنّي كنت وأنا شابٌ مُقْبلاً على أمرِ آخِرَتي ، ولا أُوثر عليها شيئاً ، فلما كبرتْ سنّي واقترب أجلي آثرت دنيايَ على آخرتي ، فليس يعرض لي أمران أحدهما للدنيا إلاّ آثرته ، فأُتيت بها وأنا في ذلك فشغلني عنها ، ثم إنّ مروان استخف بابنها خالد وأقصاه فدخل عليه يوماً فكلمه في شيء فأغلظ له وتَجَهَّمَهُ ، فردّ عليه خالد ، فقال له مروان : أراك تجيبني يا بن الرطبة . فقال له : أمين مختبر ، وخرج الفتى إلى أُمّه فأخبرها فقالت : أَفَعل ؟ قال : نعم ، قال : فزعم بعض الناس أنّها سقته شربة لبن مسموم فقتلته ؛ وزعم بعضهم أنّها ألقت على وجهه مِرْفَقة حين أخذ مضجعَه بعد العشاء الآخرة، ووثَبَتْ عليه وهي وجواريها فَغَممته حتى أتينَ على نفسه ثم صرخن وقالت : مـات فُجاءةً ؛ وكان بين بيعته وموته سنة وبايع لابنه عبد الملك ، ولعبد العزيز من بعده ، ونقض بيعة خالد ، ولما ولي عبد الملك ولّى أخاه عبد العزيز مصر ، فلم يزل عبد العزيز عليها حتى مات بها .

المدائني عن خليد بن عَجْلان ، قال : كان من بني طابِخة كلبٍ سبعة إخوة جاء كلّ واحد منهم برأس يضعه فيقول : أنا ابن زُرارة ، فقال مروان : إنّ زرارة كان مُخْبِثاً مكثراً فقيل له : أمسك عن هذا وإلاّ لم يقاتل معك أحد .

قال الواقدي في بعض روايته : كان ابن زياد قال لمروان حين بويع : إنّي ذاهب إلى الضحّاك بن قيس فمبايعه لابن الزبير ومُخْبِرهُ إنيّ قد كرهتكم ، فقدم ابن زياد على الضحّاك فبايعه فسر بذلك ، وجعل ابن زياد يدبّ في الناس فيفسدهم ويدعوهم إلى مروان ، وكان ابن زياد أعطى مروان مالاً

عظيماً فأنفقه على جيشه ، ولم يزل ابن زياد حتى لطفت الحال بينه وبين الضحاك ووثق به ، فقال له : والله العجب لرأيك في بيعتك ابنَ الزبير وأنت أُولى بهذا الأمر منه ، أنت شيخ قـريش اليومَ وسيّدها فَادْعُ الناس إلى بيعتك ، فلم يزل به حتى خلع ابن الزبير ، ودعا إلى نفسه فاختلف عليه جنده ، ثم عاد إلى أمره فكتب ابن زياد إلى مروان : إنّي قد صدعت على الرجل أمره وأفسدته ، فأقبل مروان حتى نزل مرج راهط ، فأراد الضحّاك أن يُغْلِق أبواب مدينة دمشق ويتحّصن فيها ، فقال له ابن زياد : ألا تستحي ممّا تريد أن تصنع والناس كلّهم معك ، أخرجْ إليه فقاتلْه ، وأنا معك فأخرجه ، فلما التقوا انصرف ابن زياد إلى مروان بمن كان تابعه فقُتل الضحّاك وقُتلت قيس معه يومئذ قتلاً ذريعاً ، وكانت قيس زبيريّة إلّا قليلاً منهم كانوا مع مروان ، فذلك حيث يقول القائل :

إنْ تَكُ قَتْلَى راهِطٍ قد تُنوسِيَتْ فَسُقْيا لأَصْداءٍ هُناكَ وهامِ

ودخل مروان دمشق فبايعه أهلها ، واستوسقت له الشام والجزيرة وبايعه أهلها .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : قتل الوازع بن ذُؤالة الكلبي همّام بن قَبيصة ، فقال وعتب على بعض الأمراء :

أَتَنْسَى الذي أَسْدَيْتُهُ يَوْمَ راهِطٍ وقَدْ ضاقَ عَنْكَ المَرْجُ والمَرْجُ واسِعُ
وأَقْبَلَ حادي المَوْتِ يَحْدو مُشَمّراً بِفُرسْانِ حَرْبٍ لم تَرُعْها الرَوائِعُ
عَلَيْها قُرومٌ مِنْ قُضاعَةَ سادَةٌ لَهُمْ شِيَمٌ مَحْمـودَةٌ ودَسـائِـعُ
إذا لَقِحَتْ حَرْبٌ مَرَتْها سُيوفُهُمْ وأَيْدٍ طِوالٌ لم تَخُنْها الأَشاجِعُ

يَرَوْنَ وُرُودَ المَوْتِ حَقاً عَلَيْهِمُ إذا حادَ عن وِرْدِ المَنايا المُخادِعُ
فكَم مِنْ كَريمٍ قد تَرَكْنا مُلَحَّباً وآخَرَ قد سُدَّتْ عَلَيْهِ المَطالِعُ

قال : ورَثَتْ هَمّاماً عُمَيْرَةُ الجَعْوَنِيَّة فقالت :

لَعَمْري لَقَدْ قَرَّتْ عُيونٌ كَثيرَةٌ بِمَصْرَعِ هَمّامٍ وما كان مُدْبِرا
لَقَدْ صادَفَتْ مِنْهُ المَنايا مُجَرَّباً صَبوراً على دَفْعِ الصَوارِمِ قَسْوَرَا
أَبَيْتَ فَلَمْ تَلْحَقْ بِعِرْضِكَ سُبَّةٌ وغامَرْتَ في وِرْدٍ مِنَ المَوْتِ أَحْمَرا

مقتل النعمان بن بشير

ابن سعد بن ثعلبة من بني الحارث بن الخزرج

قالوا : لما بلغ النعمان بن بَشير الأنصاري رضي الله تعالى عنه الهزيمة يومَ مرج راهط، ومقتلُ الضحّاك بن قيس الفِهْري، وهو على حمص من قِبَل ابن الزبير خرج ليلاً هارباً منها يريد المدينة ، ومعه امرأته نائِلة بنت عُمارة الكلبي ، ومعه ثقله وولده فتحيّر ليلته كلّها ، وأصبح أهل حمص فطلبوه وكان الذي جدّ في طلبه رجل من الكَلاعيّين يُقال له عمرة بن الخَلِيّ قد كان النعمان حَدَّهُ في الخمر ومعه غوغاء أهل حمص ، فلحقه فقتله ، فأقبل برأسه وبنائلة امرأته وولدها فألقى الرأس في حجر أمّ أَبان بنت النعمان بن بشير ، وهي التي كانت عند الحجّاج بن يوسف بعدُ فقالت نائلة امرأة النعمان : أَلْقوا الرأس إليَّ فإنّي أحقّ به فألقي الرأس في حجرها ، ثم أقبلوا بهم إلى حمص فجاء مَن بحمص من كلب فأخذوا نائلة وولدها وبعثوا بثقله إلى المدينة ، ويقال : انّهم بعثوا بولده وامرأته نائلة إلى المدينة .

وكان النعمان رضي الله تعالى عنه أوّل مولود في الإسلام من الأنصار بالمدينة .

وقال الضحّاك بن فيروز بن الدَيْلَمي من أبناء اليمن :

أَصَحوْتَ أَمْ سَلَبَتْ فُؤادَكَ دَوْسَرُ ... أَمْ أَنْتَ عَنْ أَبْياتِ دَوْسَرَ أَزْوَرُ
زعموا بِأَنّ أَخا التَفَضُّلِ والنَدَى ... قَتَلَتْهُ غَدْراً إِذْ تعاوَتْ حِمْيَرُ
غدروا بِنُعْمانَ بْنِ سَعْدٍ غَدْرَةً ... ولَرَأْسُ حِمْيَرَ مِثْلُها أو أَكْثَرُ

في أبيات .

وقال عبد الرحمن بن الحَكَم :

إن يُمكِنِ الله مِنْ خاءٍ ومِنْ حَكَمٍ ... ومِنْ جُذامٍ نُقَتِّلْ صاحِبَ الحَرَمِ
نفري جماجِمَ أَقْوامٍ على حَنَقٍ ... فَرْياً يُنَكِّلُ عَنّا سائِرَ الأُمَمِ

وقال عمرو بن مُخلّى الكلبي :

رَدَدْنا لِمَرْوانَ الخِلافَةَ بَعْدَما ... جَرَى لِلزُّبَيْرِيّـينَ كُلُّ بَـرِيدِ

وقال أيضاً :

أصابَت رِماحُ القَوْمِ بِشْراً وثابِتاً ... وثَوْراً وكُلٌّ لِلْعَشيرَةِ فاجِـعُ
وأَدْرَكَ هَمّاماً بِأَبْيَضَ صارِمٍ ... فَتىً مِن بَني عَمْرٍو صَبورٌ مُدافِعُ

فأجابه زُفر :

فَخَرْتَ ابنَ مُخْلاةِ الحِمارِ بِمَشْهَدٍ ... عَلاكَ بِهِ بِالمَرْجِ مَنْ قد تُدافِعُ
عَلاكَ بِهِ قَوْمٌ كَأَنَّكَ بَيْنَهُمْ ... إِذا الحَرْبُ شَبَتْ ثَعْلَبٌ مُتَضالِعُ

وقال ابن طُرامة الكلبي :

وبـادِيَـةُ الجَـواعِـرِ مِن نُمَـيْرٍ ... تُنادي وَهْيَ حاسِرَةُ النِقابِ
قَتَلْنـا مِنْكُمُ أَلْفَـيْنِ صَبْـراً ... وأَلْفاً بِـالتِـلاعِ وبِـالـرَوابي

فتح مروان مصر

قالوا : وخرج مروان بعدما اجتمع له أمر الناس بالشام إلى مصر وذلك في جمادى سنة خمس وستّين ، واستخلف ابنه عبد الملك على دمشق ، وكان والي مصر من قِبَل ابن الزبير عبد الرحمن بن عُتبة بن أبي إياس بن الحارث بن عبد أَسَد بن جَحْدَم بن عمرو بن عابِس بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر ، فوجّه ابن جَحْدَم إلى مروان ثلاثة آلاف فارس عليهم السائب بن هشام بن عمرو بن ربيعة العامري ، وكان مروان لما مرّ بفلسطين أشار عليه رَوْحُ بن زِنْباع بأخذ ابنَيْن له كانا هناك ، ويقال : إنّهما كانا برَفَح فكانا رهينةً عنده ، وقال قوم : إنّ الغلامين كانا ابني ابن جحدم ، فلما لقي السائب مروان بجمعه دون الفسطاط أمر أن يوقَف الغلامان بين الخيلين ويقال له : يقول لك أمير المؤمنين : قد ترى هذين الغلامين ، والذي نفسي بيده لتَصرِفنّ خيلك إلى الفسطاط أو لأضربنّ أعناقهما ولأرمينّ إليك برؤوسهما فانصرف السائب راجعاً إلى الفسطاط ، فغضب ابن جَحْدَم فقال كُريب بن أَبْرَهة الحِمْيَري : إنّه لم يبتل بمثل ما ابتُلي به السائب أحدٌ إلاّ فعل مثل فعله

فَرَضي ، ووجّه مروان عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق إلى ابن جَحْدَم في أربعة آلاف ، فأخرج إليه ابن جحدم خيلاً فاقتتلوا فهُزم المصريّون وصالحَ ابن جحدم مروانَ على أن يخلّي مصر ويلحق بمأمنه ، فلحق بابن الزبير وصارت مصر في يد مروان ، وكان الذي سفر بين ابن جَحْدَم وعمرو بن سعيد كُريب بن أَبْرَهة بن الصَبّاح الحميري .

وقال الكلبي : قُتل عبد الرحمن بن عُتبة بن أبي إياس بن جَحْدَم .

قال جَرير :

هلا سَأَلْتَ بِهِمْ مِصْرَ التي نَكَثَتْ وراهطاً يَوْمَ يَحْمي الرايَةَ البُهَم[1]

ودخل مروان الفسطاط حتى فُتحت مصر ، وولّى عُقْبة بن نافع الفِهْري حربها وصلاتها وجباياتها ، فلم يزل واليها حتى مات مروان ، فولّاها عبد الملك أخاه عبد العزيز ، وكان مروان أوصاه بتوليته إيّاها عند مصير الأمر إليه فيما يقال ، وولّى مروان عبد الملك فلسطين حين صار إلى دمشق .

قالوا : ولما أقبل راجعاً يريد دمشق بلغه أنّ عبدالله بن الزبير قد بعث أخاه مصعباً نحو فلسطين حين بلغه خبر ناتل واقباله إليه هارباً ، فوجّه إليه عمرو بن سعيد في جيش لُهامٍ ، فلقيه عمرو قبل أن يدخل إلى الشام ، فقاتله عمرو فهَزمَ أصحابه ، فرجع ورجعوا إلى الحجاز ورجع عمرو بن سعيد إلى مروان .

المدائني عن مَسْلمة وغيره : أنّ مروان ولّى عبد الملك فلسطين ، وجعل رَوْح بن زنباع خليفة لعبد الملك عليها ، وشخص مروان يريد

---

١ ـ ديوان جرير ص ٤١٥ .

دمشق ، فلما كان بالصِنَّبْرة[1] من عمل الأُردنّ بلغه أنّ مالك بن هُبيرة السكوني يقول : شرط لي مروان بالمرج أن يجعل لي ولقومي كورة البَلْقاء ، وكان عمرو يقول : الأمر لي بعد مروان ، وذلك أنّ مروان كان يَعِده ذلك ليستنزل به طاعته ونصيحته، وكان خالد بن يزيد بن معاوية يقول: الأمر لي بعد مروان ، فقال مروان لحسّان بن مالك بن بَحْدَل : إنّ قوماً يزعمون أنّي اشترطت لهم شروطاً ووعدتهم عِداتٍ منهم : عطّارة مكحّلة مخضَّبة ، يعني مالك بن هُبيرة ، فقال مالك : هذا ولم تَفتح تهامة ولم يبلغ الحِزامُ الطُّبْيَيْنْ[2] ، فقال مروان : يا أبا سليمان إنّما داعَبْناك ، ومنهم عمرو بن سعيد يزعم أنّي جعلت له الخلافة ويُطمع نفسَه فيها ، ومنهم خالد بن يزيد ، وقال : إنّي أريد البيعة لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده بالعهد فقال حسّان : أنا أُكفيك هذا الأمر ، فلما اجتمع الناس عند مروان قام ابن بحدل فقال:إنّه يبلغنا أنّ رجالاً يتمنّون أمانيّ ويدّعون أباطيلَ ، فقوموا فبايعوا لعبد الملك ابن أمير المؤمنين بالعهد ، ولعبد العزيز من بعده ، فقام الناس فبايعوا مسارعين من عند آخرهم . وكان مروان قال لحسّان بن مالك بن بحدل : بلغني أنّك تقول : إنّي اشترطت على مروان أن يولّي خالد بن يزيد الخلافة بعده ، فحداه ذلك على الجدّ في بيعة ابنيه ليُكذب ما أُبلغ مروان عنه ، ولقي عمرو بن سعيد حسّانَ بن مالك فقال : ما أَسْرَع ما خُرْتَ! فقال : اسكتْ يا لطيم الشيطان ، ثم إنّ مروان عقد لعبيدالله بن زياد بدمشق وَوَجَّهَهُ

---

١ ـ قرب بحيرة طبرية .
٢ ـ جاوز الحزام الطبيين : اشتد الأمر وتفاقم . القاموس .

إلى الجزيرة والعراق فقُتل بالموصل ، قَتَلَه ابراهيم بن الأشتر ، وسنذكر خبره فيما يستقبل إن شاء الله .

وقال الهيثم بن عَديّ : خرج مروان إلى مصر فقتل حمام بن أُكْدَرَ اللَخْمي ، وهلال بن عمرو ، وفتحها ثم انصرف ، فلما كان بالأردنّ بايع لعبد الملك وعبد العزيز ، وخلع خالد بن يزيد ، وعمرو بن سعيد[1] .

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

خبر يوم الربذة

قالوا : ووجّه مروان جيشاً من فلسطين أو غيرها مع حُبيش بن دُلْجة القَيْني أحد بني وائل بن جُشَم إلى ابن الزبير، في ستّة آلاف وأربعمائة فيهم يوسف بن الحَكَم الثَقَفي ومعه ابنه الحجّاج بن يوسف ، وكانوا يتنزّلون على الناس ولا يعطون أحداً لِشيء ثمناً ، فلما صاروا إلى وادي القُرَى هرب عامل عبدالله بن الزبير منها فوضعوا على أهلها ضريبة أَدّوها إليهم ، ونزلوا بذي المَرْوة فلقي أهلها منهم عنتاً .

وبلغ أهل المدينة خبر جيش حُبيش بن دُلْجة، فتغيّب بَشَر من الصالحين، وقيل لسعيد بن المسيَّب : لو تغيّبت أو أتيت البادية، فقال : فأين فضل الجماعة ، والله لا رآني الله والناسُ أَخْوَفُ عندي منه ، وهرب عامل ابن الزبير وهو المنذر ، ويقال : عبيدة بن الزبير ، ويقال : جابر بن الأسود بن عوف ، وكان عبدالله بن الزبير لما بلغته حركة هذا الجيش حين أُنفذ ، كتب إلى الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة ، والحارث هو القُباع ، وكان عامله على البصرة ، يأمره أن يوجّه إليه جيشاً كثيفاً ، وكتب إلى ابن مُطِيع وهو عامله

على الكوفة بمثل ذلك ، فوجّه الحارث الحَنْتَف بن السِجْف التميمي ، ثم أحد بني العُجيف بن ربيعة بن مالك بن حنظلة في ثلاثة آلاف ، ويقال في أَلْفَين ، ووجّه ابن مُطِيع محمد بن الأشعث بن قيس في أَلْفَين من أهل الكوفة ، ووجّه ابن الزبير من مكة مسروقاً النَصْري ، وقدم حُبيش بن دُلْجة فعسكَرَ بالجُرْف ، وكان مروان امره أن لا يعرض لأهل المدينة ، وأن لا يكون صَمْدُه وقَصده إلاّ لمن يوجّهه ابن الزبير للمحاربة ، فالتقى النَصْري وحُبيش بالمُنْبَجِس[1] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان أول الوقعة لابن الزبير ثم صارت الدولة لحُبيش وأهل الشام ، فقَتلوا من أصحاب النَصْري خلقاً ، وهزموهم ، فأمر ابن دُلجة بدفن من قُتل من أصحابه وبقي أصحاب النصري بالعراء تأكلهم السباع والطير ، وقدم محمد بن الأشعث بن قيس ، فلما بلغه خبر الوقعة تداخله وأصحابه رُعبٌ وهيبة ، فانكفأ منصرفاً إلى الكوفة ، وكتب ابن الزبير إلى ابن مطيع بتولية محمد بن الأشعث الموصل إذا وافاه ، وقد رُوي : أنّ محمداً كان بالموصل والِيهَا وأنّ القادم بالجيش والمنصرفَ عن حُبيش عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث ، والله أعلم .

قالوا : ودخل حُبيش المدينة ، فنزل دارِ مروان وخطب على منبر رسول الله ﷺ ، فقال : يا أهل المدينة نِفاقكم قديم بقول الله : ﴿لَئِنْ لَمْ ينتَهِ المُنَافِقُون والذِينَ في قُلوبِهم مَرَضٌ والمُرْجِفُونَ في المَدينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلاَّ قليلاً﴾[2] كيف رأيتم صُنْعَ الله بكم ، والله لا يتكلّم

---

١ ـ المنبجس : وادي العرج ، أو أدناه ، فيه عين . المغانم المطابة، والعرج هنا بين مكة والمدينة . معجم البلدان .

٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٦٠ .

أحد منكم بكلمة إلا ضربته بسيفي هذا .

قال الهيثم بن عَديّ : كان حُبيش بن دُلْجَة يأكل التمر على منبر رسول الله ﷺ ، ويحذف أهل المدينة بالنَوىَ ، ويقول إنّي لأعلم أنّه ليس بأكل تمر ، ولكنّي أحببت أن أُعلمكم هوانكم عليَّ ، وقيل له : إنّ بها الأنصار ولهم بك قرابة فقال : إنّهم خذلوا أمير المؤمنين عثمان .

وبلغ حُبيشاً قربُ الحَنْتَف بن السِجْف ، فأُشير عليه أن يتلقّاه ولا يُمْهِله حتى يصير إلى المدينة فيُعينَه أهلُها ومَن حولها ، ويأتيه مدد عبدالله بن الزبير ، فجمع حبيش أصحابه وقوّاهم بالسلاح والعدّة ، وسار ليلقي الحَنْتَف فيحاربه دون يثرب ، فسار في أربعة آلاف من أصحابه ، وخلّف بالمدينة سائر من معه وولّى أمرهم رجلاً من أهل الشام يقال له ثعلبة ، وخرج معه من أهل المدينة يزيد بن يزيد أخو السائب بن يزيد الذي يُعرف بابن أُخت النِمْر ، وهو كِنْدي حليف في قريش ، وذَكْوان مولى مروان ، وكعب مولى سعيد بن العاص ، وعبيدالله بن إياس بن أبي فاطمة في آخرين ، فلما انتهى إلى الرَبَذة وجد الحَنْتَف قد وردها قبله بيوم ، فجعل حُبيش يدعو إلى طاعِة مروان ، والحنتف يدعو إلى طاعة عبدالله بن الزبير ، ثم إنّهما التقيا في وقت الظهر ، وكان للحنتف أَلْف فارس قد أكمنهم في غيابة من الأرض ، أي هبطة ، وعليهم رجل من قومه يقال له رباح ، فاقتتل البصريّون والشاميّون ساعة والشاميّون ظاهرون ، ثم إنّ كمين الحَنْتَف خرج عليهم ، فلم يشعروا إلاّ وهم من ورائهم فانهزم أصحاب حُبيش في كلّ وجه وقُتل حبيش بن دُلْجَة عند حوافر الخيل وتقطّع أصحابه ، ويقال : إنّ أصحاب حُبيش كرّوا بعد الهزيمة ، وثابوا فنادى رجل من أصحاب

الحَنْتَف: هل من مبارز فبارزه رجل من الشاميّين، فلم يلبث أن قتله البصري وأخذ هميانًا معه وجرّده فأغضب ذلك حُبيشاً فقال: هل من مبارز، فبارزه الرجل الذي قتل الشامي وأخذ همیانه، فضرب حبيشاً ضربة أثخنَتْه، ثم ثنى بأخرى فقتله، وانهزم الشاميّون فقُتلوا قتلاً ذريعاً، وأُسر منهم خمسمائة، ويقال أكثر، وهرب منهم ثلاثمائة فأتوا المدينة فاستَخْفَوا بها، ثم قُدِر عليهم فخُلطوا بالأسْرى، وهرب يوسف بن الحَكَم وقد أردف الحجّاجَ ابنَه خلفه، فلم يعرّج دون نَخْل، فكان الحجّاج يقول: ما أَقبحَ الهزيمة، لقد كنتُ ورجل آخر - يعني أباه - في جيش حُبيش بن دُلْجة فانهزمنا فركضنا ثلاثين ميلاً حتى قام الفرس، وإنّه ليُخيَّل إلينا أنّ رماح القوم في أكتافنا.

قالوا: ولم يُقتَل رجل من أصحاب ابن دُلْجة إلاّ كان أقلّ ما وُجد معه مائة دينار.

وقال تَوْسِعَة من بني تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة:

ونَجّى يوسُفَ الثَقَفِي رَكْضٌ دِراكٌ بَعْدَ ما سَقَطَ اللِواءُ
ولَوْ أَدْرَكْنَهُ لَقَضَيْنَ نَحباً بِهِ ولِكُلِّ مُخْطَأةٍ وِقَاءُ

يريد لكلّ نفس مخطأة، وكان مع يوسف لواء، ويقال: أراد أنّه حين قُتل حبيش سقط لواءُ القوم عند الهزيمة.

قالوا: وقدم الحَنْتَف بن السِجْف بالأسارى إلى المدينة، فتطلّع أهل المدينة إلى قدومه وتلقّوه واستبشروا به وجعل قوم يقولون: ليس هو الحَنْتَف إنما هو الحتف، وهرب ثعلبة حليفة حبيش، ويقال طرده أهل المدينة، ويقال إنّ قوماً من أهل المدينة وثبوا به فقُتل والله أعلم، وبعث عبدالله بن الزبير أخاه مصعباً لقتل الأسارى لا غير، وقوم يقولون: ولّاه المدينة، فلما قدم

المدينة قتل أولئك الأسارى، ثم انصرف إلى مكة، وكان جميع من قتل ثمانمائة أسير ، وكان قتْلُه إيّاهم بالحَرّة في مصارع ابن الغَسيل وأصحابه ، وجعل مصعب لمن جاء بيوسف بن الحَكَم وابنه أو أحدهما جُعْلاً فلم يُقْدَر عليهما ، وكان يزيد بن يزيد أخو السائب بن يزيد في الأسارى ، فدعا به مصعب أوّل الأسارى فقال : أي عدوّ الله ألستَ الذي صنعت بالحَرّة ما صنعت ، فلم ترض بذلك حتى عُدت الثانيةَ مع ابن دُلْجة ، ألِدينٍ طلبت ذلك أم لدنيا ، إنّك لَصفرٌ منهما ، وأمر به فقُتل في الموضع الذي قَتل فيه مُسْلِم بن عُقْبة أسراء الحرّة ، فكان السائب أخوه يقول:لقد مرّ بنا مِن صياحِ من صاحَ بنا من النساء والصبيان بالشماتة والفرح بمقتل يزيد ما كان أشد علينا مِن قتله ، وقيل لسعيد بن المسيَّب ألا تعزي السائب عن أخيه ؟ فقال : لا رحمه الله ، والله إنّي لأحسب السائب قد سُرّ بقتله ، وأُخذ في المعركة يوم الرَبَذة ذَكْوان مولى مروان ، وكعب مولى سعيد بن العاص وابن أبي فاطمة ، فقال مصعب : السيف أرْوَح لهم ، فضربهم بالسياط ضرباً شديداً .

وقال الواقدي : جعلت المرأة من أهل المدينة تأتي الحَنْتَف فتقبّل رأسه وتقول شفيتَ النفوس وثأَرْتَ لنا بقتلَى أهل الحَرّة ، وكان انصراف الحنتف إلى البصرة مع مصعب حين ولّاه إيّاها أخوه عبدالله بعد أيّام الرَبَذة ، ويقال : إنّ ابن الزبير أمره أن يُنفذ إلى الشام فيغير على أطرافه ، فمات بوادي القرى وأهل المدينة يقولون : أمر ابن الزبير حَنْتَفاً أن يقيم بالمدينة ليعاضد عامله فلم يزل مقيماً حتى وجّه عبدالملك طارقاً مولى عثمان إلى وادي القرى فلقيه

الحَنْتَف بموضع يقال له شَبَكَة الدَوْم فقتله طارق ، وقال بعضهم : واقعه بوادي القرى والله أعلم .

قالوا : وخطب المصعب بالمدينة فقال : يا أهل المدينة احمدوا الله على ما ابلاكم وأولاكم من نفي عدوّكم عن ساحة بلادكم واتقوا الله واسمعوا وأطيعوا فقد غضبنا لما انتُهك من حرمتكم حتى أقادكم الله من عدوّكم ، فأعينوا رحمكم الله ولاتكم ، وليبلغ أميرَ المؤمنين أصلحه الله ما يحبّ عنكم ، وأقام بالمدينة خمسة أيام ثم رجع إلى مكة ، وشخص معه الحَنْتَف ثم ولّاه أخوه العراق ، فشخص إلى البصرة ، وولّى عبدالله بن الزبير المدينة عبدَالله بن عبيدالله بن أبي ثور حليف بني عبد مناف ، وهو الذي خطب ذات يوم فقال:اتّقوا الله وخافوه فإنّ عقابه شديد ، وقد علمتم ما صنع بالقوم الذين عقروا ناقته ، وإنما قيمتها خمسمائة درهم فسميّ مُقَوِّم الناقة .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ وغيره : وجّه مروان عبيدالله بن الحَكَم أخاه مع حُبيش ، وقال:إنّ حدث بحبيش حدثٌ فأنت على الجيش ، فقتله الحَنْتَف يوم الرَبَذة في المعركة .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي ، وأبو خَيْثَمة زهير بن حرب قالا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن ابن جُعْدُبة عن صالح بن كيسان قال : بعث ابن الزبير جيشاً فلقي ابن دُلْجة بوادي القرى فهزمه ابن دلجة ، وقدم الحَنْتَف بن السجف في ثمانمائة ، وابن دُلْجة في أربعة آلاف ، فاقتتلوا بالرَبَذة فقُتل حُبيش وعامة أصحابه ، ولحق باقوهم بالشام .

وقال أبو مخنف في بعض رواياته : انتهى ابن دُلْجة إلى المدينة ، وعليها جابر بن الأسود بن عوف الزُهري ، فهرب جابر ، ولما سمع ابن دلجة بمسير

الحَنْتَف إليه سار من المدينة نحوه ووجّه عبدالله بنِ الزبير عبّاس بن سَهْل بن سعد الساعدي إلى المدينة وأمره أن يسير في طلب ابن دلجة ويحاربه إلى قدوم الحنتف وأهل البصرة ، فأسرع في إثره وهو متوجّه نحو الربذة ، لأنّه أُشير على ابن دُلْجة بأن يتلقّى الحَنْتَف ولا يواقعه بالمدينة ، فلحقه بالربذة وقد وافى الحنتف وأهل البصرة ، وكان بعض أصحاب ابن دُلْجة قال له : لا تعجل إلى قتال أهل البصرة ، فقال : لا والله لا أنزل حتى أشرب من مقندهم يعني سويقهم ، فاقتتلوا فجاء ابن دُلْجة سهمٌ غَرْبٍ فقتله ، وقُتل المنذر بن قيس الجُذامي ، وتحرّز من الشاميّين في عمود الرَبَذة نحوٌ من خمسمائة ، فحصرهم عبّاس بن سهل والحَنْتَف ، فعرض عليهم الحنتف أن ينزلوا على حكمه فلم يفعلوا ، فقال لهم عبّاس : انزلوا على حكمي ، وكانوا له أَرْجَى منهم للحنتف للأَنْصاريّة وأنّه يماني الأصل ، فنزلوا فضُربت أعناقهم ورجع الفلّ إلى الشام .

وحدثني زهير بن حرب ، وخَلفَ بن سالم ، وأحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي قالوا : حدثنا وهب بن جرير حدثنا جُويَرْية بن أَسماء قال : سمعت المدنيّين تحدّثوا قالوا : لما رجع حُصين بن نمير واستوسقت البلاد كلّها لابن الزبير والشام أيضاً غير طبريّة مدينة الأُردن ، بلغ عمرو بن سعيد أنّ الضحّاك بن قيس وهو عامل ابن الزبير ليس بمناصح له ، فقال لمروان : ما يمنعك من طلب الخلافة وأنت شيخ قريش وكبيرها وسيّدها ، وأحقّ بهذا الأمر من غيرك فقال مروان : ليست لي بالضحّاك طاقة ، قال : بلى إن شئت نكحتَ أمّ خالد بن يزيد فيصير موالي معاوية وأتباعهم معك ، قال : فدونك فأتاها عمرو بن سعيد ، فقال لها : أَما تريدين أن يرجع مُلك أهل بيتك ؟

فقالت : بلى ، قال : فما الذي يمنعك من شيخ قريش وسيّدها فلم يزل بها حتى فعلت ؛ فقوي أمر مروان ، واشتدّ عليه الضحّاك في البيعة لابن الزبير فقال اخرج إلى المرج حتى أشترط عليك على رؤوسُ الناس أشياءَ ثم أبايعك ، وقد كان مروان أراد أن يبايع لابن الزبير قبل ذلك ، فاتّعدوا المرجَ على أن يَغْدوا إليه فقال مروان لعمرو : اركب فرسك الفلاني ـ وكان ذلك الفرس خبيث الخُلْق لا يمشي إلاّ معترضاً ويكدم كلّ دابّة تكون إلى جانبه ـ ثم سِرْ بيني وبين الضحّاك فإنّي سأتأذى بك وبفرسك فآمرك أن ترجع فتركب غيره ، فإذا رجعت فأغلقْ أبواب المدينة عليك ، وخلّ بيني وبين العبد حتى يحكم الله ثمّ بيني وبينه ، وخرج مروان وعمرو والضحّاك فلما جاوز المدينة جعل فرس عمرو يكدم ويعترض ولا يستقيم فقال له مروان : ما هذا الشيطان تَحْتَكَ ؟ ارجعْ فاركب غيره ، فرجع ، وكان محبَّباً في أهل الشام ، فأغلق عليه أبواب دمشق ، ومضى مروان وصاحبه وجعل الضحّاك يقول ساعةً بعد ساعة: يا مروان أين عمرو؟ فيقول: يلحقنا. حتى نزل المرج ، فقال : هلمّ حتى يلتئم الناس ، وينزلوا ، فأمر الضحّاك بمنبره فنُصب وانخزل مروان فانضمّت إليه كلب وسائر السُفْيانيّة وقد واطأهم ، وبعث إلى الضحّاك : مالك ولهذا الأمر لا أُمّ لك ، وأنت رجل من مُحارِب بن فِهْر ، وانّما هذا الأمر في بني عبد مَناف ، وأنت وإن أظهرت الدعاء لابن الزبير ، فإنّه رجل من بني أسد بن عبد العُزّى ، فتزاحفوا بالمرج ، ومع مروان أهل اليمن ، ومع الضحّاك قيس ، فاقتتلوا فقُتل الضحّاك وهُزمت قيس ؛ وفي ذلك يقول زُفَر بن الحارث :

لَعَمْري لَقَدْ أَبْقَتْ وَقيعَةُ راهِطٍ لَدَى المَرْجِ صَدْعاً بَيْنَنا مُتَبايِنا

ووجّه مروان حُبَيش بن دُلْجة في جيش إلى ابن الزبير ، وبلغ ابن الزبير أنّه قد يُسّر له جيش ، فكتب إلى عامله على البصرة في توجيه جيش إليه ، فوجّه الحَنْتَف التميمي ، فقيل لحبيشَ : قَاتِلْهُ قبل دخوله المدينة ، فلقيه بالرَبَذة فقتله الحنتف وقتل الشاميينّ .

وحدثني أبو خَيْثَمة وأحمد بن إبراهيم عن وهب بن جرير عن جُوَيْرِيَة قال : بلغني أن زُفر بن الحارث قال ذات يوم : أيّ المصائب أشدُّ ؟ فقال بعض القوم : المصيبة بالولد ، وقال بعضهم : المصيبة بالوالد ، وقال بعضهم : المصيبة بالأخ ، فقال زفر : ما مصيبة أشدّ من مصيبة في مال ، لقد رأيتني عشيّةُ راهط وانهزمنا ومعي بنون لي أربعة، ولي مع الأكبر مائتا دينار وعطفَتْ علينا الخيل ، فقلت للأكبر حين غشيتنا الخيل : ادفع النفقة التي معك إلى أخيك فلان ورُدّ عنّا الخيل ، فدفع الدنانير إلى أخيه وقاتل حتى أصيب ، ثم لحقتنا الخيل ، فقلت : يا فلان ادفع النفقة إلى أخيك فلان وردّ عنا الخيل ، فما زلت أقول هذا القول حتى أصيب الثلاثة ، ثم قلت للرابع : ادفع النفقة إلى فلان مولانا ورد عنا الخيل ، ففعل وقاتل حتى قتل ، وقتل مولانا ، فما وجدت على أحد من ولدي كما وجدت على مولاي في ذلك لمكان نفقتي .

واجتمع أهل الشام لمروان فعاش ثمانية أشهر ثم هلك ؛ فبلغني أنه كان بينه وبين خالد كلام فقال له مروان : يا بن الرَطِبة فقال خالد : والله لئن كان أُوْتمِنَ فما أَدّى الأمانة ولا أحسنَ ، ودخل على أمّه فقال لها ما صنعتِ بي، قال لي مروان على رؤوس الناس كذا ، فقالت : أَما والله لا تسمع منه

شيئاً تكرهه أبداً فسقته شراباً فيما يزعمون مسموماً فلم يزل يضطرب حتى مات .

قال جُويَرْية : وبلغني أنّ مروان قد كان بايع لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده ، واشترط على عبد الملك أنّ مصر لعبد العزيز حياتَه ليس لعبد الملك أن يعزله .

وحدثني هشام بن عمّار الدمشقي قال : أقصى مروان خالد بن يزيد بر معاوية وجفاه فدخل عليه يوماً وهو يتمثّل :

وما الناسُ بِالناسِ الذين عَهِدْتَهُمْ   وما الدارُ بِالدارِ التي كُنْتَ تَعْرِفُ

فشتمه مروان وقال : ما الذي تنكر وتعرف يا بن الرطبة ؟ وأخبر أمّه بذلك . فقتلته غماً .

المدائني عن مسلمة بن محارب ، وعامر بن حفص عن عبد الحميد ، أنّ ناتل بن قيس الجُذامي كان من شيعة ابن الزبير فلما مات الحَنْتَف بوادي القرى، أو قُتل، وقد وجّهه ابن الزبير إليها وأمره أن يصير منها إلى نواحي الشام ، ويقال : بل أمره أن يكون مسلحةً بها ، بعث ناتلاً لِما بعث الحنتف له فدخل الشام فلقيه عبد الملك بأَجْنادَين[1] فحاربه فقتل ناتلاً ، وكان مع ناتل قوم من الرُماة وكانت سهامهم تكاد تصل إلى عبد الملك بن مروان ، ثم إنّ عبد الملك مضى إلى بُطنان حبيب[2] وهو يريد الجزيرة والعراق ، فلم يَنفُذ

١ ـ بهامش الأصل : «ويقال بكسر الدال» . وتقع أجنادين في أراضي خربتي «جنابة» الفوقا «وجنابة» التحتا في ظاهر قرية عجور الشرقي في منطقة الخليل . معجم بلدان فلسطين لمحمد شراب .

٢ ـ على مقربة من حلب ، وتوجه عبد الملك إلى بطنان حبيب بعد نيله الخلافة وعزمه على قصد مصعب بن الزبير بالعراق ، وهكذا يبدو أن أصل الرواية مبتور .

في مرّته ورجع إلى دمشق لمحاربة عمرو بن سعيد حين أغلقها على نفسه ؛ فقال الشاعر وهو من كلب :

قَتَلْنا بِأَجنادَيْنِ يا قوْمُ ناتِلًا قِصاصاً بِما لاقى حُبَيْشُ بني القَيْنِ

وقال أيضاً :

بَشِّرْ بني القَيْنِ وخُصِ وَائلا أَنّا أَبَانا بِحُبَيْشٍ ناتلا

غداةَ نَقْرِيهِ القَنا الذَوابِلا حتى أَذَقْناهُ حِماماً عاجِلا

ويقال : إنّ مروان لما مات أَمَرَ ابنُ الزبير ناتلاً أن يأتي فلسطين فيغلب عليها وقد خرج منها ، فغلب ناتل على فلسطين ، وبلغ ذلك عبد الملك فسار كلّ امرىء إلى صاحبه فالتقوا بأجنادين ومع عبد الملك عمرو الأشدق ، فقُتل ناتل وصار عبد الملك إلى بُطْنان حَبيب ومضى فانسلّ عمرو من عسكره ، وصار إلى دمشق فأغلق أبوابها ، فرجع عبد الملك إليه فقتله .

وقال هشام بن محمد الكلبي : كانت ولاية مروان بن الحكم سنة وشهرين ، وقال غيره : سنة إلاّ شهرين ، وقال بعضهم : سنة ؛ وقال الكلبي : كان سبب وفاته أنّه تزوّج أمّ هاشم بنت [أبي] هاشم بن عُتْبة بن ربيعة ، واسمها فاختة ولقبها لقصرها حَبّة ، وغدر بآبنها خالد بن يزيد بن معاوية فيها وعده من ولاية العهد ودخل عليه خالد على مرحلة من دمشق ، فقال له : ما أَدْخلك عليَّ في هذا الوقت يابن الرطبة ؟ فقال خالد : أمين مختبرٌ أَبْعدَها الله وأَسحقَها ، وأتى أمّه فأخبرها بما قال له مروان ، فقالت له : لن تسمع منه مثلها أبداً ، ودخل مروان على أمّ خالد فتركته حتى نام ثم عمدت إلى مِرْفَقة محشوّة ريشاً فجعلتها على وجهه وجلست وجواريها عليها

حتى مات غماً ، ثم صرخت وجواريها وولْوَلْنَ وقُلْن مات أمير المؤمنين فجاءة .

وقال عَوانة : كان اللبن يُعجبه فجاءته بلبن مسموم فقال : ائتوني به إذا أفطرت ، فلما أفطر أتوه به فشربه فاعتُقِل لسانه فصرخت وجواريها وأقبل يشير إلى من اجتمع إليه من ولده وغيرهم إنّها قتلتني ، وجعلت تقول : أَما ترونه يوصيكم بي ويشير إليكم بحفظي .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ : أخبرني عبدالله بن عياش الهمداني وغيره قالوا : مات مروان في سنة خمس وستّين في شهر رمضان وله ثلاث وستّون سنة ، وصلّى عليه ابنه عبد الملك .

وقال المدائني : صلى عليه عبد الرحمن بن أمّ الحكم ، وكان خليفته بدمشق .

وقال الواقدي : قُبض النبي ﷺ ومروان ابن ثماني سنين ، ومات بدمشق سنة خمس وستّين ، وهو ابن ثلاث وستّين سنة ، ودُفن بمقبرة الباب الصغير وصلّى عليه عبد الملك ابنه وكان حاضره .

وقد رَوَى مروان عن عمر ، وعن عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنهما ، وفي مروان يقول الراجز :

مَرْوانُ نَبْعٌ[1] وسَعيدٌ خِرْوَعُ مَرْوانُ يُعْطي وسَعيـدٌ يَمْنَعُ

يعني سعيد بن العاص بن سعيد .

١ ـ النبع شجر جبلي أصفر العود ثقيله في اليد ، إذا تقادم احمرّ ، يتخذ للقسي . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للدمياطي .

وولد الحكم بن أبي العاص

سوى مروان عثمان الأزرق وهو أكبر ولده ، وعبد الرحمن ، والحارث ، وصالح بن الحَكَم ، وأمّ البنين ، وزَيْنَب ، أمّهم آمنة بنت علقمة الكِنانيّة ، وهي أمّ مروان ، وأمّها صفّية بنت أبي طلحة من بني عبد الدار ، وأمّها مارية بنت موهب الكندي وهي الزرقاء التي يعيّرون بها ؛ وعثمانَ الأصغر ، ويحيى ولّاه عبد الملك المدينة ، وأَبان ، وعمر ، وحبيباً ، وأمّ يحيى ، وأمّ سلمة ، وأمّ عثمان ، أمّهم مُلَيكة بنت أَوْفَى بن الحارث بن عوف المُريّة ، وأمّها من بني عوف بن أبي حارثة المُري وأمّها مُلَيكة بنت قيس بن زحل بن ظالمِ المُرّي ؛ ويوسف ، وأمّه أمّ يوسف بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، والنعمان ، وأوساً ، وعمراً ، وأمّ الحَكَم ، وأمّ أَبان ، وأُمامة ، وسُهيلا ، أمّهم أمّ النعمان بنت حذيفة ثَقَفيّةٌ ؛ وعبيدالله ، وعبدالله ، والحَكَم ، أمّهم أمّ ولد ؛ وخالداً ، وعبد الرحمن الأصغر ، لأمّ ولد ؛ ومسلماً ، لأمّ ولد .

فتزوّج أم البنين سعيد بن العاص ، وتزوّج زينبَ أسيد بن الأخنس الثَقَفي ، وتزوّج أمّ يحيى عروة بن الزبير بن العوّام ، وهي أصغر ولد

الحَكَم ، وتزوّج أمّ أبان عبدالله بن المطلب بن حُنْطُب المخزومي ، ثم خلف على أختها أمّ الحَكَم ، وتزوج أُمامةَ عبدُ الرحمن بن الحارث بن أبي ذئب من بني عامر بن لُؤَيّ .

وأمّا خالد بن الحَكَم فكان حضر عبدَ الملك يومَ قتل عمرو بن سعيد الأشدق ، فانتدب قومٌ يقاتلون عن عمرو ، فبعث عبد الملك إليهم من يقاتلهم فكان خالد عليهم .

وأمّا أَبان بن الحَكَم فتزوّج أمّ عثمان بنت خالد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط ، فولدت له ، فتزوّج سليمانُ بن عبد الملك مِن ولده أمَّ أبان بنت أبان .

وأمّا عبيدالله بن الحَكَم فقتله الحَنْتَف بن السِجْف يوم الرَبَذة .

وأمّا الحارث بن الحكم فتزوج مُفَدّاة بنت الزِبْرِقان بن بَدْر ، فولدت له ، وولّى هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة فكان مذموم السيرة ولُقِّب فَرْقَداً .

وأمّا عبد العزيز بن الحارث بن الحكم فولد سعيدَ بن عبد العزيز خُذَيْنَة ، ولّاه مَسْلَمة بن عبد الملك في أيّام يزيد بن عبد الملك خراسان ، حين ولي مسلمة العراق ، ولُقِّب خذينة لأنّ بعض دهاقين ما وراء نهر بلخ دخل عليه وعليه مُعَصْفَرة وقد رجّل شعره فقال : هذا خذينة ، وهي الدهقانة والقيّمة بمنزل زوجها بكلامهم ، وكان سعيد صهر مسلمة على ابنته ، وقدّم خُذَيْنة سَوْرَةَ بن أَبْجَر الحَنْظَلي من ولد أبان بن دارِم بن مالك بن حنظلة ، ثم اتبعه فتوجّه إلى ما وراء نهر بلخ فنزل إشتيخن[1] وقد صارت

١ ـ إشتيخن : من قرى صغد سمرقند ، بينها وبين سمرقند سبعة فراسخ . معجم البلدان .

التُّرْك إليها ، فحاربهم وهزمهم ومنع الناس من طلبهم جبناً وخوفاً من أن تكون لهم كرّة ، ثم لقي الترك بعدُ فهزموه وأكثروا القتل في أصحابه وولّى خدينة نَصْر بن سَيّار طُخارستان ؛ وكان يقول سُميتُ خدينة لأنّي لم أطاوع على قتل اليمانيّة فضعّفوني ؛ وقال الشاعر في سعيد بن عبد العزيز خدينة :

وسرت إلى الأعداءِ تَلْهو بِلَعْبَةٍ وأَيْرُكَ مشهورُ وسَيْفُكَ مُغْمَدُ

ويروى : تِسْعينَ لَيْلَةً وأَيْرُكَ .

وأنت امرؤٌ عادَيْتَ عِرْسَ حِفيَّةٍ وأَنْتَ عَلَيْنا كالحُسام تُجَرَّدُ

وكلّم خُدَيْنَةُ بعض الأسديّين في شيء فقال له : يا مِلْط ، فقال :

زَعَمَتْ خُدَيْنَةُ أَنَّني مِلْطُ ولِخَدْنَةَ المِقْراضُ والمُشّطُ

ومَكاحِلُ ومَجامِرٌ ولَها مِنْ دَلِّها في خَدِّها خَطُّ

وشخص قوم من أهل خراسان إلى مَسْلَمة ، فشكوا سعيدَ بن عبد العزيز ، خدينة ، فعزله وولّى سعيد بن عمرو الحَرشيَ خراسان .

وفي أيّام خُديَنة قُتل جَهْم بن زَحْر بن قيس الجُعْفي ، سعى به إليه ترْفل ، وهو عبيدالله بن عبد الحميد بن عبد الكريم بن عامر بن كُريز ، الذي قتله أبو مسلم بخراسان ، وسعى بِعدّة معه من اليمانيّة ، وقال إنّهم قد ولُوا ليزيد بن المهلَّب وعندهم أموال قد احتجنوها واختانوها وسمّاهم له ، فأرسل إليهم فحبسهم في قَهَنْدَز مَروْ فقيل له : إنّهم لا يؤدّون بالحبس دون البسط عليهم ، فأمر بإحضار جَهْم فجيء به على حمار فقام إليه الفَيْض بن عمران فوجأ انفه فقال له جهم : يا فاسق هلاّ فعلتَ هذا حين ضربتك في الخمر ، فغضب سعيد على جهم وقال أتجترىء علي أن تكلّمه بهذا الكلام بحضرتي ، وحمل عليه فضربه مائتي سوط ، فكبّر أهلُ السوق ثم دفع جَهْماً

وأولئك اليمانية إلى الزبير بن نشيط مولى باهِلة ليستأديهم فعذّبهم ، فمات جهم في الحبس فقال ثابت قُطْنةِ الأَزدي ، وكان أعور يضع على عينه قطنةً :

أَتَذْهَبُ أَيّامي وَلَمْ أَسْقِ ترْفلاً وأَشْياعَهُ الكَأْسَ التي صَبَّحوا جَهْما
وَلَمْ تُقْرَها السَعْديُّ عَمْرُو بنُ مالِكٍ فَيُشَعَبَ مِنْ حَوْضِ المَنايا لها قِسْما

وكان خدينة يقول قبح الله الزبير قَتَلَ جهماً .

وولّى عبد الملك عبد الواحد بن الحارث بن الحكم المدينة وفيه يقول القُطامي :

أَهل المدينة لا يَحْزُنْك شَأْنُهم إذا تَخَطَّأَ عَبْدَ الواحِدِ الأَجَلُ

وأمّا يحيى بن الحكم فكان والياً على المدينة لعبد الملك ، وكان يُكنى أبا مروان ، وله يقول أَيْمَن بن خُرَيْم بن فاتك الأسدي :

تَرَكْتُ بَني مَرْوانَ تَنْدَى أَكُفُّهُمْ وصاحَبْتُ يَحْيى ضَلةً مِنْ ضَلاليا
لقد كان في ظِلّ الخَليفَةِ وآبنِهِ وظِلِ ابنِ لَيلَى ما يَسُدُّ آخْتِلاليا

يعني عبد العزيز بن مروان :

أَميرٌ إذا ما جِئْتُ طالِبَ حاجَةٍ تَهَيَّا لِشَتْمي أو أَرادَ قِتاليا
فإنك لَوْ أَشْبَهْتَ مَرْوانَ لَمْ تَقُلْ لِقَومِيَ هُجْراً إذْ أَتَوْكَ ولا لِيا

وقال فيه عمرو بن أحمر بن العَمَرَّد الباهلي :

يَحْيِي أيا بْنَ مُلوكِ الناسِ أَحرَقَنا ظُلْمُ السُعاةِ وبادَ الْمَاءُ والشَجَرُ
إنْ تَنْبُ يا بْنَ أَبي العاصي بِحاجَتِنا فما لِحاجَتِنا وِرْدٌ ولا صَدَرُ

وتزوّج زَيْنَبَ بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال عبد الملك ادركوا بيت المال . وولّاه أيضاً فلسطين .

وكان الحُرّ بن يوسف بن يحيى بن الحَكَم على الموصل فمات وهو عليها فقال أبو ماوية حين دُفن : لا رحم الله مُتوفّاكم ولا أكرم مَمْشاكم .

وكانت أمّ يحيى بن الحكم مُرّية .

وأمّا عبد الرحمن بن الحكم ويُكنى أبا مُطَرِّف ، ويقال أبا حرب ، فكان شاعراً ، وهاجى عبدَ الرحمن بن حسّان ، وهو الذي يقول لمروان بن الحكم :

تَجَبَّرْتَ وَٱسْتَكْبَرْتَ حتى كَأَنَّما نَرَى بِكَ فينا قَيْصَراً وٱبْنَ قَيْصَرا
فَذا العَرْشِ لا يغفِرِ لِمَرْوانَ إنني أَراهُ بِأَخْلاقِ المَكارِمِ أَعْسَرا[1] .

وقال في ابنته واسمها زينب :

لعَمْرُكَ ما زُنَيْبَةُ أُمُّ عَمْرو بِحَمْدِ الله مِن قَزَمِ الجَواري
ألم تَرَ أَنَّها كَرُمَتْ وطـابتْ وكانَتْ مِنْ قُرَيْشٍ في النُّضارِ

وتزوجها يحيى بن سعيد بن العاص ، وكنية زينب هذه أمّ عمرو .

---

١ ـ بهامش الأصل : من العسرة .

ولد مروان بن الحكم

ولد مروان بن الحكم : عبد الملك ، ومعاوية ، وأمّ عمرو تزوّجها سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وأمّهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة وأمّها جُمَحيّةٌ ، ومعاوية بن المغيرة وهو الذي جدع أنف حمزة بن عبد المطّلب يوم أُحُد فقتل على أُحد بعد إنصراف قريش بثلاثة أيّام قتله عليٌّ بن أبي طالب بأمر رسول الله ﷺ ، وذلك أنّه تخلّف بعد مضيّ قريش فظُفر به .

وعبيدالله ، وأبانٌ ، وداود أمّهم أمّ أبان بنت عثمان بن عفّان .

وعبد العزيز ، وعبد الرحمن مات صغيراً ، وأم عثمان تزوّجها الوليد بن عثمان بن عفّان ، أمّهم ليلى بنت زبّان بن الأَصْبَغ الكلبي ، وفيها يقول عبد الرحمن بن الحَكَم وكان يشبّب بنساء أخيه :

لَيْلَى وَهَلْ في الناسِ أُنْثَى كَمِثْلِها إذا ما آسْبَكَرَّتْ[1] بَيْنَ دِرْعٍ ومِجْسَدِ

---

١ ـ اسبكرت : اعتدلت واستقامت . القاموس .

وعمرو بن مروان ، أمّه زَيْنَب بنت عمر بن أبي سَلَمة بن عبد الأسد المخزومي .

وبشر بن مروان ، وأمّه قُطَيّة بنت بشر بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، ولقُطَيّة يقول عبد الرحمن بن الحَكَم :

قُطَيَّةُ كَالتِمْثالِ أَحسِنَ نَقْشُهُ وأُمُّ أَبـانَ كَـالشَرابِ المُـبَرَّد

ومحمد بن مروان ، لأمّ ولد .

فأمّا عبد الملك فولي الخلافة وسنذكر أخباره إن شاء الله .

وأما معاوية بن مروان :

ويُكنى أبا المغيرة ، فكان من أحمق الناس ، طار له بازيّ فأمر بغلق أبواب دمشق ، ومرّ بحقل له وقد سمع أهل الشام يقولون : لا يُفلح حقل لا يَرَى آست صاحبه ، فنزل وأحدث فيه .

ثم ركب ومرّ ذات يوم بدَيْرانيّ وهو في غرفة له فصعد إليه فوجده يقرأ كتاباً ، فقال له : ما تقرأ ؟ قال له : إنجيل وجعل الديرانيّ يقول مرّة بعد مرّة : حَرّ ، فقال له : أفي الإنجيل حَرّ ؟ قال : لا ، ولكنّ حماراً لي يطحن أسفلَ هذه العُلِيّة وفي عنقه جُلْجُل ، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه قد وقف فأَزجرهُ فقال له وما يُدريك لعلّه يقف ثم يحرّك رأسه فقال الديرانيّ لو كان له مثل عقل الأمير لفعل هذا .

وقال يوما لعبد الملك : يا أمير المؤمنين متى يكون الأضحى في شهر رمضان ؟ فغمز عبد الملك أبا الزعيزية فأقامه .

وقال هشام بن عمّار : بلغني أنّ معاوية بن مروان زُوّج امرأة من كلب ، فلما رأى أباها قال له : أخذتُ ابنتك فخجأتُها بأَيْر كأنّه عمود المنبر ، فملأَتْني دماً ، فقال : إنّها من نسوة يحفظن ذاك لأزواجهنّ ، ولو كنتَ عِنّيناً لما زوّجتُك .

المدائني : قال له رجل : يا أبا المغيرة أنت ابن مروان ، وأمّك عائشة فأنت مقابَل مدابر في بني أبي العاص ، قال : فأنا كما قال القائل : مردّد في بني اللَخْناءِ ترديداً .

فولد لمعاوية بن مروان : عبد الملك ، والمغيرة ، وبشر ؛ وقوم يقولون : كان الوليد بن معاوية بن مروان على دمشق من قِبَل مروان بن محمد الجَعْدي فحصره عبدالله بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس ثم فتح دمشق وقتل الوليد وهدم عبدُالله سور مدينة دمشق .

وقال ابن الكلبي وأبو اليقظان : ولد معاوية هذا : عبد الملك ، والمغيرة ، وبشراً فقط ، والثبت أنّ صاحب دمشق كان الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان ، والأوّل قول قومٍ لا علم لهم .

وقال أبو اليقظان : قال خالد بن يزيد بن معاوية لمعاوية بن مروان : يا أبا المغيرة لا أرى أخاك يولّيك ، ولا يعتدّ بك فقال : لو أردتُ ذلك لولّاني قال فَسَلْهُ أن يولّيك بيت لَهْيا[1]، فغدا على عبد الملك فقال : يا أمير ألست أخاك ؟ قال : بلى وشقيقي ، قال : فولني ، قال : وما تريد ؟ قال بيت لَهْيا ، قال : متى لقيتَ خالد بن يزيد ؟ قال : عشيّة أمس ، قال :

---

١ ـ بيت لهيا : قرية معروفة بغوطة دمشق . معجم البلدان .

لا تكلّمْه ، ودخل خالد فقال : كيف أصبحت أبا المغيرة ؟ قال : قد نهانا هذا عن كلامك .

وقال له خالد بن يزيد يوماً : لو كان لك قلب كنت أمير المؤمنين ، قال : كيف ؟ قال : إذا دخل أمير المؤمنين المقصورة فآسبِقْه إلى المنبر فآصعده فإنّه إذا رآك على المنبر كنتَ أمير المؤمنين ، ففعل ذلك ، فالتفت عبد الملك إلى خالد فقال له : أنت أمرتَه ؟ قال : نعم ، قال : قد علمتُ فلا تَعُدْ إلى مثلها .

قالوا : وسُرق لمعاوية بن مروان برذون فقال لغلام له : انظر من سرقه ؟ قال الغلام : لو علمت من سرقه لأتيتك به .

وأمّا أبان بن مروان فوَلِيَ فلسطين لأخيه عبد الملك ، وكان الحجاج بن يوسف على شُرَطه ، وهو الذي يقول فيه ابن أقْرَم النُمَيْري ، وكان أبان أخذه فأفلت منه :

طَليقُ اللّهِ لم يَمْنُنْ عَلَيْـهِ أبـو داودَ وابنُ أبي كبـيرِ
ولا جَزءٌ ولا ابنُ أبي شَرَيفٍ ولا أَهْلُ الأمير مَعَ الأميرِ
ولا الحَجّاجُ عَيْنا بِنْتِ ماءٍ تُقَلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصُقورِ

أبو داود يزيد بن هُبيرة المحاربي ، وابن أبي كبير رجل من ولد أبي كبير المُنْهِب بن عبد [1] بن قُصَيَ بن كِلاب ، وكان الحجّاج أخفش فشبّه عينه بعين طائر ماء .

---

١ - بهامش الأصل : عدي .

وأما داود بن مروان فولد سليمان وكان أعور فتزوج فاطمة بنت عبد الملك بن عبد العزيز بعد زوجٍ كان لها فقيل : نذل أُعْوَرُ .

وأما بشر بن مروان

فكان يُكنى أبا مروان وشهد المرج فقتل خالد بن حصين الكلابي ومعه عمرو بن سعيد ، فقال الشاعر يرثيه :

ثَوَى خالِدٌ بِالْمَرْجِ غَيْرَ مُلَوَّمٍ ... ولا بَرِمٍ عامَ الرِياحِ الصَوارِدِ
لَعَمْري لَقَدْ أَرْداهُ بِشْرٌ لِحَيْنِهِ ... وعَمْرٌو فَقَدْ نالا كريمَ المَشاهِدِ
هَلاّ بني العاصي ذكرْتُمْ بَلاءَهُ ... وما شاكِرُ المَعْروفِ يَوْماً كجاحِدِ
بَراهِطَ إِذْ عَبْدُ العَزيزِ مُعَفَّرٌ ... لَدَى مُسْنَدٍ مِنْكُمْ وآخَرَ ساجِدِ
فلا صُلْحَ أَوْ تَزْقو لِمَروانَ هامَةٌ ... عَلَيْـهِ بِأَيْـدينا بَـواءً لِخـالِـدِ

وكان خالد صَرَعَ عبد العزيز يوم المرج ثم استبقاه ، وهو من بني [أبي] بكر بن كِلاب .

وكان بِشْر منقطعاً إلى عبد العزيز قبل ولاية عبد الملك الخلافة ، فلما ولي الخلافة استجفاه بِشر فقال :

أَتَجْعَلُ صالح الغنوي دوني ... ورَحلي مِنْكَ في أقْصى الرِحالِ
سَيُغْنيني الـذي أغناكَ عَنّي ... وَيَفْرِجُ كُرْبَتي ويَـرُبُّ مالي
إذا أَبْلَغْتَني وحَمَـلْتَ رَحْـلي ... إلى عَبْدِ العَزيـزِ فما أُبـالي

فولاه عبد الملك الكوفة ، ثم أضاف إليه البصرة ، فكتب إلى عبد العزيز :

غَنينا فأَغنـانا غنـانا وعـاقَنا ... مَآكِلُ عَمّا عِنْدَكُمْ ومَشارِبُ

فكتب إليه عبد العزيز : هلاّ كتبتَ بأحسن من هذا ، وهو قول عبد العزيز بن زرارة الكلابي :

فَأَصبَحْتُ قد وَدَّعْتُ نَجْداً وأَهْلَهُ   وما عَهْدُ نَجْدٍ عِنْدَنا بِذَميمِ

فقال بشر : صدق أبو الأصبغ رعاه الله فما عَهْده بذميم .

وكان بِشْر ليّن الولاية ، سهل الحجاب ، طلق الوجه كريماً ، وكان صاحب شراب ينادَم عليه . وقال كُثَيِّر يمدح بشراً :

أبا مَرْوانَ أَنْتَ فَتَى قُرَيْشٍ   وكَهْلُهُمُ إذا عَدُّوا الكُهولا[1]

وقال الأخطل :

إذا أَتَيْتَ أَبا مَرْوانَ تَسْأَلُهُ   وَجَدْتَهُ حاضنيه المَجْدُ والحَسَبُ
ترى إلَيْهِ رِفاقَ الناسِ سَائِلَةً   مِنْ كُلِّ أَوْبٍ عَلَى أَبْوابِهِ عُصَبُ
لا يبلغُ الناسُ أَقْصَى وادِيَيْهِ ولا   يُعْطِي جَواد كما يُعْطي ولا يَهَبُ[2]

وقال أيضاً :

إنّي دَعاني إلَى بِشْرٍ فَواضِلُهُ   والخَيْرُ قد عَلِمَ الأَقوامُ مُتَّبَعُ
يا بِشْرُ لَوْ لَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةٍ   أَلْقَى عَلَيَّ يَدَيْهِ الأَزْلَمُ الجَذَعُ
أَنْتُمْ خِيارُ قُرَيْشٍ عِنْدَ نِسْبَتِها   وأَهْلُ بَطْحائِها الأَثْرَوْنَ والفَرَعُ[3]

١ ـ ديوان كثير عزة ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ص ١٦٧ وفيه : «وكهلهم إذا عدّ الكهول» .
٢ ـ ديوان الأخطل ـ ط . بيروت ١٩٨٦ ص ٤٢ .
٣ ـ ديوان الأخطل ص ٢٠٤ . والأزلم الجذع : الدهر الكثير البلايا .

وقال أيضاً :

إذا وُزِنَ الأَقْوامُ لَمْ تَلْقَ فيهِمُ كَبِشْرٍ ولا ميزانُ بِشْرٍ يُعادِلُهْ
أَغَرُّ عَلَيْهِ التـاجُ لا مُتَعَبِّسٌ ولا زِبْرِجُ الدُنْيا عَنِ الحَقِّ شاغِلُهْ
إذا انْفَرَجَ الأَبْوابُ عَنْهُ رَأَيْتَهُ كَصَدْرِ اليَماني أَخْلَصَتْهُ صَياقِلُهْ[1]

قال الهَيْثَم بن عَديّ : وكان الفرزدق هجا خالد بن عبد الله بن خالد بن أُسيد وأميّة أخاه ، فطلبه خالد وهو يتقلّد البصرة قبل بشر فآلى أن يقتله إن ظفر به ، ووضع عليه الأرصاد فكان منطمراً لا يظهر ، فلما قدم بشر البصرة استبطأه فبلغه أنه وجد عليه ثم إن بني تميم وجهوا معه من أبلغه البصرة فقال :

لَوْ أَنَّي كُنْتُ ذا نَفْسَيْنِ إنْ هَلَكَتْ إِحداهُما بَقِيَتْ أُخْرَى لِمَنْ غَبَرا
إذاً لجِئْتُ عَلَى ما كانَ مِنْ حَذَرٍ وما رَأَيْتُ حِذاراً يَغْلِبُ القَدَرا
كُلُّ امْرِىءٍ آمِنٌ لِلْمَوْتِ آمَنَهُ بِشْرُ بْنُ مَرْوانَ والمَذْعورُ مَنْ ذَعَرا
تَغْدو الرِياحُ وتُمْسي وَهْيَ فاتِرَةٌ وأَنْتَ ذو نائِلٍ يُمْسي وما فَتَرا[2]

في قصيدة ، فَحَباهُ بشر وأكرمه وحمله على فرس رائع وكساه ، وكان الفرزدق إذا حُمل حَمالة أدّاها بشرٌ عنه ، وإذا سأل حاجة قُضيت له في نفسه ومن شفع له ، ويدخل دار بشر فيدعو بشهوته من الطعام فيؤتى بها ، حتى قيل إنّه نادَمَ بشراً .

١ - ديوان الأخطل ص ٢٤٤ .
٢ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٣٣ مع فوارق .

وقال جرير أو غيره يذكر لين حجابه :

بَعيدُ مَرادِ الطَّرْفِ لم يَثْنِ طَرْفَهُ حِذَارَ الغَواشي بابُ دارٍ ولا سِتْرُ
ولَوْ شاءَ بِشْرٌ حَلَّ مِنْ دون بابِهِ طَماطِمُ سُودٌ أَوْ صَقالِبَةٌ حُمْرُ
ولكِنَّ بِشراً سَهَّلَ البابَ لِلَّتي يَكونُ له في غِبِّها الحَمْدُ والأَجْرُ[1]

أبو الحسن المدائني ، قال : اقحط الناس في أيّام بشر فاستسقوا وهو معهم فمُطروا فقال سُراقة بن مِرْداس البارقي بالكوفة :

دعا الرَّحْمنَ بِشْرٌ فاسْتَجابا لِدَعْوَتِهِ فأَسْقانا السَحابا
وكان دُعاءُ بِشْرٍ صَوْبَ غَيْثٍ يُعاشُ به ويُحْيِي مَنْ أَصابا

ومرّ بشر بعد استسقائه بسُراقة وقد دخل الماء داره فقال : ما هذا يا سُراقة ؟ قال : قد نرى أيّها الأمير هذا ولم ترفع يديك بالدعاء ، فلو رفعتهما لجاءنا الطوفان فضحك بشر .

وقال أَعْشَى بني شَيْبان :

رَأَيْنا ما خَلا أَخَوَيْهِ بِشْراً مِنَ الفِتْيانِ سَيِّدَ عَبْدِ شَمْسِ
وسَيِّدَ مَنْ سِواهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ فيُصْبِحُ خَيْرَهُمْ أَبداً ويُمْسي
إذا خَلَّى أَخوكَ إلى أَخيهِ خِلافَتَهُ لِسَعْدٍ غَيْرِ نَحْسِ
فأَنْتَ الثالِثُ المُوصَى إِلَيْهِ وَصِيَّةَ حازِمٍ في غَيْرِ لَبْسِ

وله يقول أَيْمَن بن خُرَيم بن فاتك الأسدي :

ركِبْتُ مِنَ المُقَطَّمِ في جُمادَى إلى بِشْرِ بْنِ مَرْوانَ البَريدا
فلو أعطاك بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ رَأَى حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَزيدا

---

١ ـ ليست في ديوان جرير المطبوع .

وقال أعشى بني أبي ربيعة بن ذُهْلِ بن شيبان :

لَعْمري لقد أَمْسَتْ مَعَدّاً وأَصْبَحَتْ ... تُحِبُّك يا بِشْرُ بْنَ مَرْوانَ كُلُّها
تمنى وتَرْجو أَنْ تكونَ خليفَةً ... وتَرْجوكَ لِلدُّنْيا ولِلدينِ جُلُّها

في أبيات .

وقال هشام بن محمد الكلبي : قام بشر بن مروان على المنبر فقام عبد الرحمن بن أرطاة بن شراحيل الجُعْفي ، فقال له وقد تكلّم بشيء : اتق الله فانك ميت ومحاسَب ، فأمر به فضُرب أسواطاً مات منها .

قالوا : وأمر بشر بن مروان سُراقة البارقي بهجاء جرير فهجاه سراقة ، ويقال : بل هجاه مبتدئاً فقال جرير :

يا بِشْرُ حَقٌّ لِوَجْهِكَ التَبْشيرُ ... هَلاَّ غَضِبْتَ لَنا وَأَنْتَ أميرُ
قد كانَ حقاً أَنْ تَقولَ لِبارِقٍ ... يا آلَ بارِقٍ فيمَ سُبَّ جَريرُ
أَسُراقُ إنَّكَ قد كَسَبْتَ لِبارِقٍ ... أَمْراً مَطالِعُهُ عَلَيْكَ وعُورُ
لا يَدْخُلُون عَلَيْكَ إنَّ دُخولَهُمْ ... رِجْسٌ وإنَّ خُروجَهُمْ تَطْهيرُ
تُعْطَى النِساءُ مُهورَهُنَّ سِياقَةً ... ونساءُ بارِقٍ ما لَهُنَّ مُهورُ[1]

فلما سمع قوله

قد كانَ حَقّاً أن تَقولَ لِبارِقٍ ... يا آلَ بارِقٍ فيمَ سُبَّ جَريرُ

قال : أخزاه الله أما وجد وكيلاً غيري .

وحدثني محمد بن الأعرابيّ قال : لقي سُراقة جريراً فقال له جرير : من أنت ؟ قال : بعض من أخزاه الله على يدك ، قال : ايُّهم أنت ؟ قال :

١ - ديوان جرير ص ٢٣٢ - ٢٣٤ .

سُراقة ، قال : البارقي ؟ قال : نعم، فقال : والله لو ظننت بك ما رأيت منك لعفوت عن زلّتك .

قال : وولّى بشر شرطته بالكوفة عكرمة بن رِبْعِيّ من بني تيم الله بن ثعلبة .

وقال هشام ابن الكلبي : بعث بشر بن مروان إلى موسى بن طلحة بمال وأمره أن يقسمه بين قرّاء أهل الكوفة ، فأمّا مُرّة الهَمْداني فلم يقبل من المال شيئاً وما في بيته ما يساوي عشرة دراهم ، وردّ أبو رَزين العُقَيْلي ما بعث به إليه ، وامتنع منه ، وقبل عمرو بن ميمون الأَوْدي ما بعث به إليه ، وقبل أبو جُحَيْفة السُوائي واسمه وهب بن عبد الله .

حدثنا خَلَف بن هشام حدثنا هشيم بن حضين قال : أوّل من أحدث الأذان في العيدين بالكوفة بشر بن مروان ، فلما سمع الناس ذلك أنكروه واستشرفوا له ، وجعلوا يرفعون رؤوسهم تعجّباً .

عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن حصين بن عبد الرحمن عن عُمارة بن رُوَيْبة الثقفي : أنّه رأى بشر بن مروان في يوم جمعة يرفع يده للدعاء ، وهو على المنبر ، فقال : انظروا إلى هذا الفاسق لقد رأيت رسول الله ﷺ ، وما يزيد على هذا ، وأشار بإصبعه السبّابة .

المدائني ، قال : عزل عبدالملك خالد بن عبدالله عن البصرة ، وضمّها الى بشر بن مروان ، وبعث إليه بعهده عليها ، فجمع له العراق

كلّه ، وقد كان شرب التياذريطوس[١] ، فلم يزل بالبصرة عليلاً ، ولما قدم ولّي المهلّب قتال الأزارقة .

قال : وقدم الأخطل البصرة عليه وقد حمل ديات عن قومه ، فأتى بني سَدوس وفيهم سُويد بن منجوف ، ورجل من بني أسعد بن همّام فسألهم ، فقال له الأسعدي : ألست القائل :

إذا ما قُلْتَ قد صالَحْتُ بَكْراً ... أَبى الأَضْغانُ والنَسَبُ البَعيدُ
وأيّـامٌ لَنـا ولَهُمْ طِـوالٌ ... يَعَضُّ آلهامَ فيهِنَّ الحَديدُ[٢]

لا لعمر الله لا نرفدك ولا نعينك وإنّك منّا لِلْهَوان لأَهلٌ فقال :

مَتَى آتِ الأَراقِمَ لا يَضِرْني ... نَتيتُ الأسعديِّ وما يَقولُ
فـإنْ تَمْنَعْ سَدوسُ دِرْهَمَيْها ... فـإنَّ الـريحَ طَيِّبَةٌ قَبـولُ
وإنَّ بَني أُمَيَّـةَ أَلْبَسَتْني ... ظِـلالَ كَرامةٍ لَيْسَتْ تَزولُ
سيَحْمِلُها أبو مَـرْوانَ بِشْرٌ ... فَـذاكَ لِكُلِّ مُثْقِلَةٍ حَمـولُ
ويَكْفيني التي اسْتَكْفَيْتُ مِنْها ... بِفِعْلٍ لا يُمَنُّ ولا يَحـولُ[٣]

فقال له بشر : يا أبا مالك وكم حمالتك ؟ قال : خمسون ألفاً ، فأمر له بها ، وقال أنا أحقّ برفدك من بني سدوس وبني أسعد .

ولبشر يقولِ أَعْشَى بني أبي ربيعة

ياسَيِّدَ الناسِ مِنْ عُجْمٍ ومِنْ عَرَبِ ... وأَفْضَلَ الناسِ في دينٍ وفي حَسَبِ

---

١ ـ أصيب بشر بالاستسقاء ، ولعل هذا اسم الدواء الذي تناوله . انظر الفتوح لابن الأعثم ـ ط . بيروت ١٩٩٢ ج ٢ ص ٤٤٢ .
٢ ـ ديوان الأخطل ص ٩٥ .
٣ ـ ديوان الأخطل ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥ .

قالوا : وكان بشر صاحب شراب ، فدخل البصرة بين الحَكَم بن المنذر بن الجارود ورجل آخر كان مُدْمناً للشراب ، فعلم الناس أنّه لا يدع الشراب فلم يزالا نديميه حتى مات .

وكان بشر يقول الشعر فلما اشتدّت علّته قال لعبد الملك :

إذا مِتُّ يا خَيْرَ البَرِيّةِ لَمْ تَجِدْ أخاً لك يُغْني عَنْكَ مِثْلَ غَنائِيا
يُواسيكَ في الضَرّاءَ واليُسْرِ جَهْدَهُ إذا لَمْ تَجِدْ عند الحِفاظِ مُواسِيا
شِريجانِ لَوْني مِنْ سَوادٍ وحُمْرَةٍ تَبَدَّلْتُهُ مِن واضِحٍ كان صافِيا
وكَمْ مِن رَسولٍ قد أَتاني بَعَثْتَهُ إِلَيَّ وَرُسْلٌ يَكْتُمونَكَ ما بِيا

وحدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال : كان بشر إذا سكر يقول خضِبّوا يدَيّ ، ويقول ائتوني برأس عبيدالله بن أبي بَكْرة ، فلما بلغت أبيات بشر هذه ابن أبي بكرة قال : مالك بن الرَيْب كان أشعر منه حين يقول :

لَعَمْري لَئِنْ غالَتْ خُراسانُ هامَتي لقد كُنْتُ عن بابَيْ خُراسانَ نائِيا

ولم يكترث لموته بل كان هيِّناً عليه ، ويقال : إنّ عبد الملك قال ذلك

حدثنا رَوْح بن عبد المؤمن حدثنا أبو عَوانة عن مغيرة عن إبراهيم عن شُريح : أنّه حبس رجلاً في السجن ، فأرسل إليه بشر أن أَخْرِجه فقال : السجن سجنك والبّواب عاملك ، وأمّا أنا فإنّي رأيت في الحقّ أن أحبسه .

وحدثنا عن سعيد عن الحَكَم عن خَيْثَمة عن عبدالله بن شهاب قال : شهدت بشر بن مروان وأتاه رجل وامرأة في خُلْع فأبى أن يجيزه ، فقال عبدالله بن شهاب : شهدت عمر بن الخطّاب وأتاه رجل وامرأة في خلع فأجازه ، وقال : إنّما طِلْقُكِ بمالكِ .

المدائني ، قال : بينا بشر ، وخالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، وخالد بن عتّاب بن وَرْقاء ، وعِكْرمة بن رِبْعيّ في شربهم . أَمَرت امرأة بشر وصيفةً لها أن تخبرهم أنّ الشراب قد نفد ، فجعل بشر يقول :

إسْقِي ابْنَ رِبْعِيٍ قُعَيْباً واحِدا وخالِداً مِن بَعْدِهِ وخالِدا
أما تَرَيْنَ اللَّيْلَ لَيْلاً بارِدا ولا تَقولِنَّ لِشَيْءٍ نافِذا

حدثنا العُمَري عن الهَيْثَم بن عَديّ ، عن مجالد ، عن الشَعْبي قال : كانت اليَّ مظالم بشر بن مروان ، فأتيتُه يوماً لأمر فإذا أَعْيَنَ مولاه جالس ، وكان حاجبه وصاحب حرسه فقلت : أبا عمر استأذن لي عليه ، فقال : إنّ الأمير لا يؤتَى بالعشي ، فقلت : أنّه امرٌ لابدّ من ذكره له.فأعلَمه مكاني في رُقعة رفعها إليه ، فأذن لي فدخلت فإذا هو جالس على فُرُش صُفْر وعن يمينه وشماله وخلفه مرافق ، وعلى رأسه إكليل رَيْحان ، وعنده عكرمة بن ربْعِيّ ، وخالد بن عتّاب بن ورقاء فقال : يا شعبي لو غيرك من الناس ما أذنت له ، فقلت : إنّ عندي لك خلالاً ثلاثاً : الستر لما يجب أن يُستَر ، والشكر لما تُولي ، والدخول معك فيما يَحِلّ ويجمل ، ثم التفتُّ فإذا حُنين بن بَلْوَع العِبادي[1] المغنّي جالس على كرسيّ ، وعليه قباءُ حُشك شَوِي[2] وقد لاث رأسه بمنديل مصريّ فتغنى ، فقلت : يا حُنين أَرْخِ من البم[3] ، واشدد من الزِير[4] ، فقال بشر : وما يُدْريك ما هذا ؟ قلت : ظننت أنّ الأمر هناك

١ ـ ترجم له صاحب الأغاني في ج ٢ ص ٣٤١ ـ ٣٥٨ .
٢ ـ أي قباء ضيق من جلود الغنم .
٣ ـ البم : من أوتار العود ، وهو الوتر الذي يلي المثلث ويدعى الأبح لغلظ صوته . معجم الموسيقى العربية لحسين محفوظ ـ ط . بغداد ١٩٦٤ .
٤ ـ الزير : من أوتار العود ، وهو الدقيق من الأوتار . معجم الموسيقى العربية .

ووجدته في نفسي ، قال : فهو والله هناك ، ثم قال : من يلومني على الشعبي ، قم يا نافع فأعطِهِ عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً ؛ قال الشعبي : فلا أظنّ أحداً انصرف إلى أهله بمثل ما انصرفت به أُعطيت ما أُعطيتُ ، ولم أدخل معهم في شيء مّما هم فيه .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن كُناسة قال : لما قدم بشر بن مروان الكوفة قال لأبي بُرْدة بن أبي موسى : إنّي أكره أن أبيت ليلة عَزَباً فهل من امرأة أتزوجُها ؟ قال : نعم هند بنت أَسْماء بن خارجة ، قال : فاخطبْها عليّ ؛ قال : فقال لأبيها: إني أتيتك خاطباً لهند ، قال : على نفسك ، فإنّك كفوء كريم ؟ قال : لا بل على من هو خير لها منّي ، الأمير بشر بن مروان ، فقالت هند : زوّجه فأرسل إلى رجلين فأشهدهما أنّه قد زوّجها بشرا ؛ قال : ودخل بها فأقام عندها ثلاثاً وأرسل إليها بمائة ألف درهم منها خمسون ألفاً صداقها وخمسون ألفاً صِلة ، ثم قعد عنها أيّاماً فقالت : ما له ؟ قالوا : إنّه يصيب الشراب ، وأنتِ لا تشربين ، فأرسلت إلى مولى لها بالسليحون[1] فحمل إليها شراباً جيّداً ، وأمرت فعُمل له سمك وجُعل في محسي ، ثم ارسلت إليه ليكن غداؤك عندي فأتاها فتغدّى فاستطاب غداءَه ثم قال: لهذا ما يُصلحه ، فدعت بالشراب فوجده أجود من شرابه ، فقال بقَيتْ واحدة ، فقالت : ما هي ؟ قال : من يحادثنا ، فأرسلت إلى أخويها : مالك بن أسماء ، وعُيَيْنَة فنادماه ، فحَظَيتْ عنده وولدت له عبد الملك بن بشر .

---

١ ـ بلدة قرب الحيرة . معجم البلدان .

قالوا : وكانت لحجّار بن أبجر العِجْلي منزلة من بشر ، فبينا هو جالس على سريره إذ دخل المتوكّل اللَيثي عليه فأنشده أبياتاً فيها :

تَجَـرَّمَ لي بِشْرٌ غَداةَ أَتَيْتُـهُ فَقُلْتُ له يا بِشّرُ ماذا التَجَرُّمُ

فقال بشر : ويلك لو صرتَ إلى ذلك لضَربت عنقك ، فقال : أصلح الله الأمير هذا كلام تُسقط منه الحَبالَى ، فقال حجّار : أَوَ حُبْلَى أنت يا متوكّل ، فقال : ما إيّاك اخاطب ، ولا عليك أُدلّ ، فقال حجّار : والله لو سألتني بمثل هذا الشعر درهماً ما أعطيتك إيّاه ، ولا رأيتك له أهلاً ، فقال : صدقت والله لو أتاك عيسى بن مريم فطلب مثل ذلك لمنعته إيّاه ، فلما خرج حجّار قال له بشر : ويلك يا متوكّل كيف جئت بعيسى بن مريم من بين الأنبياء ؟ قال : لأنّ أباه كان نصرانيّاً ، وهو يرقّ للنصرانيّة ، فضحك بشر وقال : أتراه فَطِنَ لما أردتَ ؟ قال : نعم والله وما أقامه إلّا ذلك .

حدثني عليّ بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة مَعْمَر بن المثَّنى قال : قال بشر بن مروان لسُراقة : أجرير أشعر أم الفرزدق ؟ قال : الفرزدق ، قال : فقل في ذلك أبياتاً فقال :

أَبْلِغْ تَميمـاً غَثَّهـا وسَمينَهـا والحُكْمُ يَقْصِـدُ مَرَّةً ويَجُـورُ
أنّ الفَـرَزْدَقَ بَـرَّزَتْ آبـاؤُهُ عَفْواً وغودِرَ في الغُبارِ جَريرُ
ما كُنْتَ أَوَّلَ مُقْرِفٍ عَثَرتْ بِهِ أعْـراقُـهُ إنّ اللَئيمَ عَثـورُ
ذَهبَ الفَرَزْدَقُ بالفَضائِلِ والعُلى وابنُ المَراغَةِ مُفْحَمٌ مَحْسـورُ

فكتبها بشر ، وبعث بها إلى جرير مع رسول ، وقال : لا تبرح حتى ينقضها فذلك حين يقول جرير :

يا بِشْرُ حَقَّ لِوَجْهِكَ التَّبْشيرُ   هَلاّ غَضِبْتَ لَنا وأَنْتَ أميرُ
قد كان حَقاً أَنْ تَقولَ لِبارِقٍ   يا آلَ بارِقٍ فيمَ سُبَّ جَريرُ
أَسُراقُ إنَّكَ قد كَسَبْتَ لِبارِقٍ   أَمْراً مَطالِعُهُ عَلَيْكَ وعُورُ
تُعْطَى النِساءُ مُهورَهُنَّ سِياقَةً   ونساءُ بارِقٍ ما لَهُنَّ مُهورُ
لا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ أَنَّ دُخولَهُمْ   رِجسٌ وإنَّ خُروجَهُمْ تَطْهيرُ
إنَّ الكَريمَةَ تَنْصُرُ الكَرَمَ ابْنُها   وابْنُ اللَئيمَةِ لِلّئامِ نَصورُ

فلما قُرئت القصيدة على بشر قال : أما وجد ابن المراغة رسولاً غيري

وقال جرير :

يا رُبَّ قائِلَةٍ تَقولُ وقائِلٍ   أَسُراقُ إنَّكَ قَدْ غَوَيْتَ سُراقا
إنَّ الذين عَوَوْا عُواءَك قد لَقُوا   مِنّي صَواعِقَ تَقْطَعُ الأَعْناقا
ولقَدْ هَمَمْتُ بِأَنْ أُدَمِّرَ بارِقاً   فَحَفِظْتُ فيهِمْ عَمَّنا إسْحاقا(١)

قالوا : وجعل جرير يوماً ينشد ، وسُراقة يقول : أحسنت والله ، فقال له : يا فتى من أنت ؟ قال بعض من أَخْزَى الله على يدك ، قال ؛ وأيّهم أنت ؟ قال : سُراقة البارقي ، قال : لو علمتُ أنك على ما شاهدتُ لعفوتُ عنك .

وقال ابن قيس الرُقيّات في بشر بن مروان :

يا بِشْرُ يا بنَ الجَعْفَرِيَّةِ ما   خَلَقَ الإلٰهُ يَدَيْكَ للْبُخْلِ
جاءَتْ بِهِ عُجُزٌ مُقابَلَةٌ   ما هُنَّ مِنْ جَرْمٍ ولا عُكْلِ

فقال له بشر : آحتَكِمْ ، قال : أَعطِني عشرين ألف درهم ، قال : قبحك الله لك عشرون وعشرون ، وعشرون وعشرون ، فأعطاه مائة ألف

١ - ديوان جرير ص٣١٣ - ٣١٤ مع فوارق وتقدم هذا في ص٢٥٨٣ .

درهم ؛ وقد قال قوم : إن هذا الشعر لابن الزبير الأسدي ، وقيل : لأعشى بني أبي ربيعة ، وفيها

أنت ابْنُ آلاشْياخِ الذين لَهُمْ   في بَطْنِ مَكَّةَ عِزَّةُ الأَصْلِ[1]

وقال ابن الزبَير :

كَأَنَّ بَني أُمَيَّةَ حَوْلَ بِشْرٍ   نُجومٌ وَسْطَها قَمَرٌ مُنيرُ
هُوَ الفَرْعُ المُقَدَّمُ في قُرَيْشٍ   إذا أُخَذَتْ مَآخِذَها الأُمورُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

وكان بشر يغري بين الشعراء ، قالوا : أنشد أَعْشَى بني أبي ربيعة بشرا :

أَمْسَتْ أُمَيَّةُ بَعْدَ اثْنَيْنِ قَدْ عَلِموا   لَوْ يوزَنونَ بِبِشْرٍ كُلُّهُمْ غُلِبوا

فقال ما صنعت شيئاً فقال :

وَجدْنا ما خَلا أُخَوَيْهِ بِشْراً   مِنَ الأَحْياءِ سادَةَ عَبْدِ شَمْس
وَجدْتُكَ أَمْسِ خَيْرَ بَني مَعَدٍّ   وأَنْتَ اليَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْس
وأَنْتَ غداً تَزيدُ الخَيْرَ ضِعْفاً   كَذاكَ تَزيدُ سادَةُ عَبْدِ شَمْسِ

فقال ما صنعت شيئاً فقال :

مَكَثْتَ زَماناً ثالِثاً ثُمَّ لَمْ يَزَلْ   بِكَ الجَرْيُ حَتَّى كُنْتَ أَنْتَ المُصَلِّيا[2]

قال : نعم ، قال:إن شئت جعلتك سابقاً ؟ قال : أمّا هذا فلا ، وأعطاه عشره آلاف درهم وكساه .

---

١ ـ ديوان ابن قيس الرقيات ـ ط . دار صادر بيروت ص ١٩١

٢ ـ المصلي : الثاني بحلبة السباق .

حدثني عمر بن شَبّة قال : أعوَز بشر بن غالب حتى لزم بيته فأتت امرأته عِكْرمة بن رِبْعِيّ فقالت: هل أنت مُسْلِفي خمسمائة درهم، فدفعها إليها وبعث رسولاً ليعلم اين صارت ، فلما عرف الذي له استسلفت الخمس المائة الدرهم أخذ ألف دينار وقرع على بشر بن غالب الأسدي بابه ليلاً وقال : هذه ألف دينار فاقبضْها ، وقال إن تَيسَّر رددتَ وإن تَعذَّر فهو لك ، قال ومن أنت ؟ قال : إذا قبضت المال أخبرتك فلما قبضه قال : أنا عكرمة بن رِبْعِيّ جابر عَثَرات الكرام ، فدخل بشر بيته مهموماً فقالت له امرأته : مالك ؟ فأخبرها خبر عكرمة وما صنع وقال : لا أَزالُ متضائلاً حتى أردّ ماله أو أُكافيه ، قالت : فمنه والله أخذت الخمس المائة ، فلما قدم بشر بن مروان الكوفة أرسل إلى بشر بن غالب الأسدي يسأله أن يلي شرطته ، وكان إذا ولّى رجلاً شرطته أمر له بمائة ألف درهم ، فقال : لست أَضبطُ أمر الشرطة ولا أقوم به ولكنّي أُشير عليك برجل ؟ قال : ومن هو؟ قال : عكرمة بن ربعي فولاه شرطته وأمر له بمائة ألف درهم .

قال المدائني : كان أَيْمَن بن خُريم بن فاتك عند عبد العزيز بن مروان بمصر، فدخل عليه نُصيب فأنشده مديحاً امتدحه به فقال لأَيْمَن: نصيب أَشعرُ منك ، قال : لا والله ولكنّك ظَرِفٌ مَلول ، فقال : أتقول إنني ملول وأنا أؤاكلك مذ كذا وكذا ، وكان بأيمن بياض في يده فغضب ، ولحق ببشر بن مروان وقال :

رَكْبتُ مِنَ المُقَطَّمِ في جُمادَى ... إلى بِشرِ بْنِ مَرْوانَ البَريـدا
فلو أَعطاكَ بشر أَلْفَ أَلْفَ ... رَأَى حقاً عَلَيْهِ أَنْ يَـزيدا

فأمر له بمائة ألف درهم .

قال : ومرّ به نُصيب بالكوفة فقال له : إنّي تركت غديراً ناضباً وأتيت بحراً زاخراً .

وكان بشر لا يؤاكل أيمن واشتهى يوماً لبناً وقال للحاجب اخرج فانظر لي من يأكل معي ، فخرج فأدخل أيمن بن خريم فلما رآه بشر ساءه ، فقال : إنّي اشتهيت البارحة لبناً فهُيّىء لي ، وأصبحت أنوي الصوم فأُتيت باللبن فلما وُضع بين يديّ ذكرت أني صائم وليس أحد بأحقّ بأكله منك ، فدونَكَهُ فلم يلبث أن صفّره وكان يغّير بياض يده بالزعفران .

حدثني الحسن الورّاق عن هشام ابن الكلبي قال : كانوا يقولون إنّ دية الضرطة أربعون درهماً وقطيفة ، فأُتي بشر بن مروان بتراس فأمر جلساءه بغمزها ، فغمز رجل من بني هلال ترساً منها فضرط ، فضحكوا منه فغضب بشر وقال : وكم دية الضرطة ؟ قالوا : أربعون درهّماً وقطيفة ، فأمر للهلاليّ بأربعين ألفاً وأربعين قطيفة خز ، فقال الشاعر :

أَيَضْرِطُ ضارِطٌ مِنْ غَمْزِ تُرْسٍ فَيُعطيهِ الأَميرُ لها بُدورا
فَيا لكِ ضَرْطَةً عادَتْ بِخَيْرٍ ويا لَكِ ضَرْطَةً أَغْنَتْ فَقيرا
فَوَدَّ القَومُ أَنْ ضَرَطوا جَميعاً فَنالوا مِنْ عَطِيَّتِهِ عَشيرا
أَيُقْبِلُ ضارِطاً أَلْفاً بِأَلفٍ لِيُرْخِصُ أَصْلَحَ اللهُ الأَميرا

فلما أُنشد الشعرَ قال : لا حاجة لنا في ضُراطه ، وأمر له بأربعة آلاف درهم وهذا الثبت ؛ وقوم يزعمون : أنّ الضارط كان عند خالد القَسْري .

المدائني ، قال : دخل الأخطل على بشر وعنده الراعي عُبيد بن حُصين فقال بشر : أأنت أَشعرُ أم هذا ؟ قال : أنا أشعر منه وأكرم ، فقال للراعي : ما تقول ؟ قال : أمّا شعره فلا أدري ، وأمّا قوله أكرم فإن كان في

أمّهاته مَن ولدت مثل الأمير فقد صدق ، فلما خرج الأخطل من عند بشر قال له رجل : ويلك أتقول لخال الأمير أنا اكرم منه ؟ قال : إنّ أبانسطوس الخمّار وضع في جمجمتي ، أكؤساً لا والله ما أعقِل معها ما أقول ؛ وللأخطل في بشر شعر .

وقال الكلبي : كان ممّن ينادم بشراً بالبصرة الهُذيل بن عِمْران بن الفَضيل التميمي ثم الحنظلي .

قال : ولم يزل بشر على الكوفة حتى ضُمّت إليه البصرة سنةَ أربع وسبعين ، فانحدر إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حُريث المخزومي ، فكان عليها حتى مات بشر بالبصرة ، وولي الحجاج العراق .

وقال مالك بن دينار : لما مات بشر ودُفن مات أسود فدفن إلى جانبه فتبعنا جنازته ودفن عند قبر بشر بن مروان ، فلما أتت عليه أيام مررتُ فلم أعرف قبر هذا من قبر هذا ، فذكرت قول الشاعر :

وسَواءٌ قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلُّ

وقال المدائني : كان مُقام بشر بالبصرة شهرين ، ويقال : أربعة اشهر ، وكان شرب التياذريطوس فأمرضه حتى هلك ، وكان أوّل أمير بالبصرة مات بها ؛ ودُفن بشر إلى جانب قبر سَلْم بن زياد ومشى الفرزدق في جنازته ومعه فرس كان حمله عليه ، وهو يقوده حتى إذا فرغ من دفنه عقر الفرس على القبر وأنشأ يقول :

أَقولُ لِمَحْبوكِ السَراةِ مُعاوِدٍ ... سِباقَ الجيادِ قد أَمَرَّ علَى شَزْرِ
أَلَسْتَ شَحيحاً إنْ رَكِبْتُك بَعْدَهُ ... لِيَوْمِ رِهانٍ أَوْ غدَوْتَ مَعي تَجْري
حَلَفْتُ له لا أَرْكَبُ الدَهْرَ بَعْدَهُ ... صَحيحَ النَسا حتى يكوسَ على القَبْرِ

وقال الفرزدق يرثيه :

أَعَيْنَيَّ إلّا تُسْعِداني أَلُمْكُما فما بَعْدَ بِشْرٍ مِنْ عَزاءٍ ولا صَبْرِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْماً دافعوا المَوْتَ بَعْدَهُ بشَيْءٍ لَدافعْتُ المَنِيَّةَ عَن بِشْرِ
ولكِنْ فُجِعْنا والرَزيئَةُ مِثْلُهُ بِأَبْيَض مَيْمونِ النَقيبَةِ والأَمْرِ
فإلّا تَكُنْ هِنْدٌ بَكَتْهُ فَقَدْ بَكَتْ عَلَيْهِ الثُرَيّا في كَواكِبِها الزُهْرِ
أَغَرُّ أَبو العاصي أبوهُ كأَنَّما تَفَرَّجَتِ الأَبْوابُ عن قَمَرٍ بَدْرِ
على مَلِكٍ كادَ النُجومُ لِفَقْدِهِ تُدَهْدَى وتلكَ الراسِياتُ مِنَ الصَخْرِ
سيأتي أَميرَ المُؤْمِنينَ مُصابُهُ وعَبْدَ العَزيزِ لِلإمارَةِ في مِصْرِ
بأَنَّ أَبا مَرْوانَ بِشْراً أَخاهُما ثَوَى غَيْرَ مَتْبوعٍ بِعَجْزٍ ولا غَدْرِ[1]

في قصيدة .

ولما احتُضر بشر استُخلف خالد بن عبدالله بن خالد بن أُسيد بن أبي العيص على البصرة فكان عليها بعد وفاة بشر حتى ولي الحجّاج العراق ، فولّى الحَكَم بن أيوب ، ويقال : وجّه ابن أبي بكرة ، حتى قبض العمل من خالد ثم ولّى الحكم بعده .

وقال أبو اليقظان : قدم بشر البصرة فأقام بها ستة أشهر ويقال أربعة أشهر ، فشرب التياذريطوس فاشتد وجعُه ، ويقال : شربه بالكوفة ثم شخص إلى البصرة فأمرضه السعب[2] فمات بالبصرة بعد أشهر .

---

١ ـ ديوان الفرزدق : ج ١ ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .
٢ ـ يقال سال فمه سعابيب : امتد لعابه كالخيوط ، والسعب كل ما تسعب من شراب وغيره . القاموس .

قال : ولما قدم بشر جعل يسأل عن الأشعار والشعراء وكان جواداً .

وقال ابن الكلبي وغيره : كتب ابن الزبير بعد مقتل مصعب بن الزبير إلى أهل العراق يدعوهم إلى طاعته مع رجل من الأنصار ، فنزل الرجل على نُعيم بن القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبدالله بن دارِم ، وكان نُعيم يذمّ بِشْراً وينسبه إلى الفسق والأفَن ، ويقرّظ ابن الزبير ، ويدعو إلى طاعته سِرّاً ، ويقال : إنّه كان مع الأنصاريّ كتابٌ إلى نعيم ، فعلم حَوشَب بن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيْم الشَيباني بخبر الأنصاري ونعيم ، فسَعَى بنعيم إلى بشر فقتل الأنصاري وقتل نُعيماً ؛ وقال بعضهم : سعى بنعيم يزيد بن الحارث ، وذلك وَهْم لأنّ يزيد قُتل بالريّ حين لقِيَتْه الخوارج ؛ وقال بعضهم : إنّ الأنصاريّ لما قُتل جعل نُعيم يذكر ابن الزبير بخير ويذكر بشرا بشرّ ، فسعى به يزيد فدعا به بشر فقتله صَبْراً ، وأنّه لم ينزل على نعيم ولا كان معه كتاب ، والله أعلم .

قالوا : وكان بشر بن مروان يُطعم خاصّتَه وحَرَسَه ، ولا يطعم العامّة ، وكذلك كان مصعب بن الزبير قبله .

فولد بشر بن مروان :

الحَكَم . وأمّه أمّ كلثوم بنت أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ؛ وعبد العزيز بن بشر بن مروان ، وأمّه ابنة خالد بن عُقّبة بن أبي مُعَيط ؛ وعبد الملك بن بشر ، أمّه هند بنت أسماء بن خارجة الفَزاري ، وكان عبد الملك سخيّاً مِطعاماً للطعام .

فحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : كان بالكوفة فتيان يُطعمون الطعام منهم : عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان أكثرهم طعاماً وأسخاهم به ، وعبد الله بن عُمارة بن عُقْبة بن أبي مُعَيط ، وخالد بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط ، وعمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، فقدم المغيرة الأعور بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي الكوفة فغمرهم ، وكان يتخذ فيها يقال حَيْسة يأكل منها الراكب ، وتُجْعَل على الأنطاع ، وكان ينفق في كلّ يوم على مائدته دنانير كثيرة ؛ فقال الأُقَيشر :

أتاكَ البَحْرُ طَمَّ على قُرَيْشٍ   مُغيرِيٌّ فقد راغَ ابنُ بِشْرِ
وراغَ الجَدْيُ جَدْيُ التَّيْمِ لَمَّا   رَأى المعْروف مِنْهُ غَيْرَ نَزْرِ
ومِنْ أوْلادِ عُقْبَةَ قد شَفاني   ورَهْطِ الحاطِبِيِّ ورَهْطِ صَخْرِ[1]

وكان مسلمة بن عبد الملك ولّى عبد الملك بن بشر البصرة ، ثم عزله فقال الفرزدق .

عُزِلَ ابْنُ بِشْرٍ وَآبْنُ عَمْرٍو عَنْهُمُ   وأُخو هَراةَ لِمِثْلِها يَتَوَقَّعُ[2]

ورأى عبد الملك بن بشر ابنَ عَبْدَلَ الشاعر فقال له : ما أغضبك عليّ ؟ قال : جفاؤك لي ، وقد رأيت رؤيا قال : وما هي ؟ قال فأنشده :

ما بالُ عَيْنِكَ لايَجِفُّ سِجامُها   أَقَذًى بِها أَمْ عادَها تِهْمامُها

حتى بلغ قوله :

---

١ ـ ليست في ديوان الأقيشر المطبوع .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٠٨ مع فوارق .

أغْفَيْتُ عِنْدَ الصُبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ   في ساعةٍ ما كُنْتُ قَبْلُ أنامُها
فَرَأيتُ أنَّكَ جُدْتَ لي بِوَصيفَةٍ   مَغْنوجَةٍ حَسَنٍ عَلَيَّ قِيامُها
وبِبَـدْرَةٍ حُمِلَتْ إليَّ وبَـغْلَةٍ   شَقْراءَ ناجيَةٍ يَصِلُ لجامُها
فَدَعَوْتُ رَبِّي أنْ يُثيبَك جَنَّةً   عَنِّي يَنالُكَ بَرْدُها وسَـلامُها

فبعث إليه بذلك كلّه ، وزاده وقال : هذا كان في رؤياك فنسيتَ أن تذكره ؛ ويقال : إنّه قال : كلّ هذا عندي إلّا البغلة فما عندي شقراء ، ولكن دهماء فقال الطلاق لازم له إن كان رآها إلّا دهماء ولكن غلط .

وولد عبد الملك بن بشر أبان والحكم كانا مع ابن هبيرة وقتلا معه بواسط يوم قتل .

وقال خلف بن خليفة الأقطع من بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة ، وذكر في شعره من كان يدخل على ابن هُبيرة :

وقامَتْ قُرَيْشُ قُرَيْشُ البِطاحِ   هِيَ العُصَبُ الأُوَلُ الداخِلَةْ
يَقُودُهُمُ الفيلُ والـزَنْـدَبيـلُ   وذو الضَرْسِ والشَفَةِ المائلَةْ

الفيل والزندبيل أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر ، وذو الضرس خالد بن سلمة المخزومي ، وهو ذو الشفة المائلة أيضاً .

قالوا : وتزوّج عبد الملك بن بشر أم سعيد بنت سعيد بن خالد بن عقبة بن أبي مُعَيط ، فقال عبد الله بن عمرو بن الوليد بن عقبة :

أَسَعْدَةُ هَلْ إلَيْكِ لنا سَبيلُ   وهَلْ حَتَّى القِيامَةِ مِنْ تَلاقِ
بَلَى ولَعَلَّ ذلـك أنْ يُوافَى   بمَوْتٍ مِنْ حَليلِكِ أَوْ طَلاقِ
فـطَلِّقْها فلَسْتَ لـها بِكَفْءٍ   ولَوْ أَعْطَيْتَ هِنْداً في الصَداقِ

قالوا : ولّى مسلمة بن عبد الملك البصرة عبدَ الملك بن بشر ، فولّى شرطته شريك بن معاوية الباهلي ، وولّى القضاء موسى بن أُنس بن مالك ، وأقام مسلمة بالعراق ثمانية أشهر ، ويقال ستة أشهر ، فلما ولي عمر بن هبيرة وعزله عبد الملك قال :

جِئْتُ بِشْراً زائِراً فوَجَدْتُهُ و اللّهِ سَحّا

في أبيات .

وقال ابن عَبْدَل الأسدي :

إنّي امْرُؤٌ نَزِهٌ يَعْصي الهَوَى كَرَمي فَمَرْبِضي مَرْبِضُ الوَحْشيِ ذي الزَمَعِ
وقد تَرَكْتُ ابْنَ بِشْرٍ أنْ أَلُمَّ بِهِ وما تَرَكْتُ أبا مَرْوانَ مِنْ شَبَعِ

في أبيات .

وقال ذو الرمّة :

إذا ما عَدَدْنا يا بْنَ بِشْرٍ ثِقاتِنا عَدَدْتُكَ في نَفْسي بِأُوَلى الأَصابعِ [1]

١ ـ ديوان ذي الرمة ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ص ٨١٨ .

وأما عبد العزيز بن مروان

ويُكنى أبا الأصبغ ، فإنّه كان جواداً كريماً ، ولِيَ العهد بعد عبد الملك بن مروان فمات قبله بمصر ، وكان عبد الملك أراد خلعه وتولية الوليد ابنه فمات قبل ذلك ، وفيه يقول كُثَيِّر :

شَهِدْتُ ابْنَ لَيْلَى في مَواطِنَ جَمَّةٍ   يَزيدُ بِها ذا الحِلْمِ حِلْماً حُضورُها
فلا هَجَراتُ القَوْلِ تُؤْثَرُ عِنْدَهُ   ولا كَلِماتُ النُصْحِ مُقْصىً مُشيرُها(١)

وقال كثير :

قليـلِ الأَلايا حـافِظٌ لِيَمينِهِ   إذا سَبَقَتْ مِنْهُ الأَلِيَّةُ بَرَّتِ(٢)

وقال أَيْمَن بن خُرَيْم بن فاتك في عبد العزيز حين ولّاه أخوه مصر :

فبشر أَهْلَ مِصْرَ فقد أَتاهُمْ   مَعَ النيلِ الذي في مِصْرَ نيلُ
فـتى لا يَـرْزَأُ الخُـلّانَ إلّا   مَوَدَّتَـهُـمْ ويَـرْزَؤُهُ الخَليـلُ

---

١ ـ ديوان كثير ـ ط . بيروت ص ١٠٨ مع فوارق .
٢ ـ ديوان كثير ص ٥٩ . والألايا جمع ألوه وهي اليمين وما يقسم به .

وقال أيضاً :

أما يَسْتَحي الناسُ أنْ يَعْدِلوا بِعَبْدِ العَزيـزِ ابنِ لَيْلَى أمـيرا
وقد جَرَّبَ الناسُ عَبْدَ العَزيزِ صَغيـراً وقد جَـرَّبوهُ كَبـيرا
تـرى قِـدْرَهُ مُعْلَماً بـالفِنـاء تُلَقِّمُ بَعْـدَ جَزورٍ جَـزوراً

وقال رجل من كلب :

إلى عَبْدِ العَزيزِ فَتَى قُرَيْشٍ رَحَلْنا العِيسَ عَشْراً بَعْدَ عَشْرِ

وقال رجل من خَثْعَم زار عبد العزيز فجفاه :

أرى عَبْدَ العَزيزِ يَصُدُّ عَنِّي بِأنفٍ مِثْلِ فَيْشَـلَةِ الحِمـارِ
فما عَبْدُ العَـزيزِ لنـا بِربٍّ وما دارُ الهَوانِ لنـا بِـدارِ

وقال عبيد الله بن قيس الرُقَيّات :

أَعْني ابْنِ لَيلَى عَبْدَ العَزيزِ بِبا بِ اليُونِ[1] تَأْتي جِفانُهُ رَذُمَا
الواهِبُ البُخْتَ والوَصائِفَ كالـــغِزْلانِ والخَيْلَ تَأْلُكُ اللُجُما[2]

فوهب له من كلّ ما ذكره وأعطاه مالاً .

وقال كُثَيِّر يرثيه :

أَبَعْدَ ابْنِ لَيلَى يَأْمُلُ الخُلْدَ واحِدٌ مِنَ الناسِ أَوْ يَرْجو الثَراءَ مُثْمِرُ[3]

---

١ ـ باب اليون حيث أقيمت الفسطاط .
٢ ـ ديوان ابن قيس الرقيات ص ١٥٢ ـ ١٥٥ مع فوارق .
٣ ـ ديوان كثير ص ١٠٠ .

وقال أبو بكر بن أبي جهم بن حُذَيْفة العَدَوي :

أَبَعْدَكَ يا عَبْدَ العَزيزِ لَحاجَـةٌ وبَعْدَ أَبي الزَبّانِ يُسْتَعْتَبُ الدَهْرُ
فلا صَلَحَتْ مِصْرٌ لِحَيٍ سِواكُما ولا سُقِيَتْ بِالنيلِ بَعْدَكُما مِصْرُ
ولا زالَ مَجْرَى النيلِ بَعْدَكَ يابِساً يَموتُ به العُصفورُ واستُبْطِىءَ القَطْرُ

أبو الزبّان الأصبغ بن عبد العزيز ، مات قبل أبيه بخمس عشرة ليلة .

وقال المدائني وغيره : كان عمرو بن سعيد الأشدق ، ويقال : مصعب بن عبد الرحمن بن عوف حدّ عبد العزيز بن مروان في الشراب فقال الشاعر :

وَدِدْتُ وبَيتِ اللّهِ أَنّي فَدَيْتُهُ وعَبْدَ العَزيزِ حينَ يُجْلَدُ في الخَمْرِ

قالوا : فوجد عمر بن عبد العزيز اسحاق بن عليّ بن عبد الله بن جعفر في بيت خُلَيدة العَرْجاء فجلده عمر الحدّ ، فقال له اسحاق : يا عمر على ودّك الناس كلهم مجلودون يعرّض بأبيه عبد العزيز .

وقال الواقدي : خطب عبد العزيز بن مروان أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب فزوّجها ، وحُملت إليه وهو بمصر والِيَها فتوُفّيت عنده ، فتزوّج حفصة بنت عاصم وكان زوجها قبله إبراهيم بن نُعيم النحّام العَدَوي ، فقُتل عنها بالحرّة وحُملت إليه إلى مصر أيضاً وكانت أم عاصم حين مرّت بأَيْلةَ أهدى لها معتوهٌ كان هناك ، يقال له شَرْشِير هديّةً فأثابته وأحسنت إليه ، فلما مرّت به حفصة أهدى لها كما أهدى لأمّ عاصم أُختها فدنت فيما وهبت له ، أو أغفلته فقال : هيهات ليست حفصة من رجال أم عاصم .

وولد عبد العزيز

عمر بن عبد العزيز ولِيَ الخلافة وسنذكر خبره إن شاء الله ؛ وأبا بكر بن عبد العزيز ، وعاصما ، أمهما أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر الخطاب ، وأمّها عُمارة ثقفيّةٌ ؛ والأصبغ لأمّ ولد ؛ وسَهْلاً ، وسُهيلا ، وأم الحكم ، أمّهم أمّ عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ وزبّان ، وأم البنين كانت عند الوليد بن عبد الملك ، أمهما ليلى بنت سهيل جعفريّةٌ .

وكان أبو بكر من خيار المسلمين ، وكان عمر بن عبد العزيز على توليته عهده وكان مُعْجَباً به .

وأمّا عاصم بن عبد العزيز فكان مخنَّثاً .

وأمّا سهيل فولد عمرو بن سهيل ، وكان يلقّب كَيلَجَة لقصره ، وكان عمرو من رجال قريش ولاه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز البصرة ، فعزل المِسْوَر عن شرطته وولّاها رجلاً من بني سَدوس ، وكان المسور يتولّى الشرطة لمن قبله فجانبه المسور ودب في بني تميم فكان في فتنة حتى عُزل ابن سهيل ، وسنذكر خبره في موضعه إن شاء الله .

وكان الأصبغ بن عبد العزيز ، وهو أبو الزّبّان ، عالماً ، وكان له قدر في بني أمية يتعاطى الزجر والنجوم ، هلك بمصر قبل أبيه بخمس عشرة ليلة . ومن ولده دحية بن مصعب بن الأصبغ ، خرج على أمير المؤمنين موسى الهادي بن المهدي ، فقتله الفضل بن صالح بن عليّ بمصر بعد قتالٍ ، وبعث برأسه إلى الهادي ، ويقال : بل حاربه وقتله عليّ بن سليمان بن عليّ .

وأما محمد بن مروان

ويُكنى - فيما أخبرني به هشام بن عمار - أبا عبد الرحمن ، وأمه أم ولد ، وكان من أشد ولد مروان وأشجعهم في حسن خلق ، وكان عبد الملك يحسده على شجاعته ، ويحب أن يضع منه ، وكان وجهه لمحاربة مصعب فقتله وقتل إبراهيم بن الأشتر ، فازداد عبد الملك حسداً له ، وفيه يقول الشاعر :

جَمَعَ آبْنُ مَرْوانَ الأَغَرُّ مُحَمَّدٌ ... بَيْنَ ابْنِ أَشْتَرِهِمْ وبَيْنَ المُصْعَبِ

وكان عبدالله بن يزيد بن معاوية متقدِّماً محمَّداً عند عبد الملك ، وذلك لأنَّ أُخته عاتكة بنت يزيد كانت عنده ، وكان يحبّها ؛ فقال ابن وابصة :

لا تَجْعَلَنَّ مُشَدَّياً ذا سُــرَّةٍ ... ضَخْماً سُرادِقُهُ عَظيمَ المَوْكِبِ
كَأَغَرَّ يَتَّخِذُ السُيوفَ مَعاقِلاً ... يَمْشي بِسِكَّتِهِ كَمَشْيِ الأنْكَبِ

وقد كتبنا الشعر في خبر مصعب .

المدائني ، قال : كان عبد الملك يحسد محمداً لما يرى من جَلَده وبأسه وعارضته ، ولاسيّما بعد قتله مصعب بن الزبير ، فعزم محمد على إتيان أرمينية لغزو العدوّ بها فأمر بإبله فرحلت وعزم على الشخوص إليها ، فدخل على عبد الملك مودعاً فقال : إنّي أريد أرمينية والغزو بها وتمثّل :

فإنَّك لَنْ تَرَى طَرْداً لِحُرٍ كَـإلْزاقٍ بِـهِ طَـرْفَ الهَـوانِ
ولَـوْ كُنّـا بِمَنْـزِلَـةٍ جميعـاً جَرَيْتُ وأَنْتَ مُضْطَرِبُ العِنانِ

فقال عبد الملك : أقسمتُ عليك يا أخي لَمّا أَقمْتَ فوالله لا أقذيتُ عينك أبداً ، ولا رأيتَ منّي مكروهاً أبداً ، وولّاه الموصل والجزيرة وأرمينية .

وغزا محمد بن مروان في سنة خمس وسبعين فهربت الروم منه . وفي هذه السنة غزا يحيى بن الحَكَم كلباً فنال منهم .

فولد محمد بن مروان :

يزيد ، وأمّه أمّ يزيد بنت يزيد بن عبيدالله بن شَيبة بن ربيعة ؛ وعبد الرحمن ، وأمّه أمّ جميل من ولد عمر بن الخطّاب ؛ وعبد العزيز بن محمد ، لأمّ ولد ؛ ومروان بن محمد ، ويُكنى أبا عبد الملك وأمّه كرديّة أخذها أبوه من عسكر ابن الأشتر ، فيقال : إنّه أخذها وبها حَبَلٌ ، فولدت على فراشه ، ومروان هو الجَعْديّ ، وقد ولي الخلافة وسنذكر خبره إن شاء الله .

وكان مروان قد ولي الجزيرة وأرمينية لهشام بن عبد الملك ، وللوليد بن يزيد بن عبد الملك من بعده ، فلما بلغه مقتل الوليد انصرف إلى الجزيرة ، ثم طَلَبَ بدم الوليد وسمّاه الخليفة المظلوم ، وقال : أمري شبيه بأمر معاوية

في طلبه بدم عثمان ، وكان مروان رجلًا من الرجال ، إلّا أنّه كان بخيلًا ، فولي الأمر بعد خلع إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك خمس سنين ، وقتل بمصر في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وهو ابن تسع وستّين سنة ، وسنذكر أخباره إن شاء الله تعالى .

أمر عبدالله بن الزبير في أيام مروان وعبد الملك بن مروان والأحداث في فتنته

حدثني جماعة من العلماء سُقْتُ حديثهم قالوا : لما دعا ابن الزبير الناس إلى بيعته بعد موت يزيد بن معاوية بايعوه على كتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الخلفاء الصالحين ، وكان ممّن بايعه عبيدالله بن عليّ بن أبي طالب ، وقبض ابن مُطيع يده ، فقام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف فبايع ، فقال الناس : أبَى ابن مطيع أن يبايع ، وبايع مصعبٌ أمْرٌ فيه صعوبة ، وبايعه عبدالله بن جعفر ، وأراد ابنَ الحنفيّة على البيعة فأبى ، وأبى ابن عمر أن يبايع ، وقال : أنا لا أُعطي صفقة يميني في فرقة ، ولا أُمنعها في جماعة ، وقال له آلزم المدينة حيث بويع الخلفاء فلم يفعل .

وقال أبو حُرّة مولى خُزاعة لما دعا لنفسه : أَلِهذا نصرناك إنّما كنت تدعو إلى الرضي والشورى ، أفلا صبرتَ وشاورت فنختارَك ونبايعك وقال :

أَبْلِغْ أُمَيَّةَ عَنّي إنْ عَرَضْتَ لَها ... وابنَ الزُبَيْرِ وأَبْلِغْ ذلك العَرَبا
أَنَّ المَوالِيَ أَضْحَتْ وَهْيَ عاتِبَةٌ ... عَلَى الخَليفَةِ تَشْكو الجوعَ والحَربا
إخْوانُكُمْ إنْ بَلاءٌ حَلَّ ساحَتَكُمْ ... ولا تَرَوْنَ لَنا في غَيْرِهِ نَسَبا
نُعاهِدُ الله عَهْداً لا نَخيسُ به ... أَنْ نَقْبَلَ اليَوْمَ شورَى بَعْدَ مَنْ ذَهَبا

وأتت ابنَ الزبير بيعةُ الآفاق إلّا الأردنّ ، وأُخرج ابن زياد من البصرة وتراضى أهلها بِبَبَّة ، ثم كثر الخوارج وتحازب أهل البصرة في العصبيّة بين مُضَر ، وربيعة ، والأَزد ، فاعتزل أمرهم فكتبوا إلى ابن الزبير يسألونه أن يستعمل عليهم رجلا ، فكتب إلى أَنس بن مالك فصلّى بالناس أربعينَ يوماً ، ثم بعث ابن الزبير إلى عمر بن عبيدالله بن مَعْمر القرشي ثم التَيْمي بعهده على البصرة فوافقه وهو يريد العمرة ، فكتب إلى أخيه عبيدالله بن معمر فصلى بالناس ، وقام بأمرهم حتى قدم .

وبايع لابن الزبير باليمن بجير بن ريسان ، وكان قبله عاملاً ليزيد بن معاوية .

ودعا له بخراسان عبدالله بن خازم السُّلمي .

وولى جابر بن الأسود بن عوف المدينة .

وأصابت الناس بالمدينة مجاعة ، وكان عليها ابن أبي ثور حليف بني عبد مناف ، من قِبَل ابن الزبير ، فكان الناس في جهد ينالون من ليل إلى ليل حسى من حنطة مطبوخة وعدس فوعظهم وأمرهم بالتناهي عن المعاصي ، وقال : إن الله أهلك قوم صالح في ناقة قيمتُها خمسمائة درهم فسمّي مقَوِمّ الناقة .

المدائني ، قال : ولى ابن الزبير المدينة جابر بن الأسود ثم عبيدة بن الزبير ، وبعث بمصعب بن الزبير لقتل الأسرى من أصحاب حُبيش بن دُلْجة ، وولّى بعد عبيدة ابنَ أبي ثور ثم عزله ، وولى الحارث بن حاطب الجُمَحي ثم عزله ، وولّى جابر بن الأسود ، ويقال جعفر بن الزبير ، ثم وَهْب بن مُعَتِب مولى الزبير ، ثم رجلًا يكنى أبا قيس ، فقال الناس : كان

لِيزيدَ أبو قيس لا يضرّ ولا ينفع ، يعنون قرد يزيد الذي كان يكنيه أبا قيس ، ولابن الزبير أبو قيس يضرّ ولا ينفع .

المدائني عن عامر بن أبي محمد ، قال : قاتل مع ابن الزبير أربعون امرأة فقتلت امرأةٌ يقال لها شَعْثَاء، فقال رجل من أهل الشام :

وكانَتْ لِشَعْثا في القِتالِ بَصيرَةٌ ... بَلْ كانَ بُغْيَةُ أَهْلِها بِالأُرْدُنْ

وأخذت مريم بنت طلحة سيفاً وقالت : لئن دخل علينا أهل الشام لنقاتلّنهم .

وأعطي ابن الزبير الأمان في بعض أيّامه ، إما في أيّام يزيد أو في أيّام عبد الملك فقال : والله لا أخلعها حتى يخلعها الموت ، ولو فعلتُ ما بقيت إلاّ قليلاً حتى أموت وتمثّل :

الموتُ أكْرَمُ من إعْطاء منقصةٍ ... إلاّ تَمُتْ عَبْطةً فالغايَةُ الهَرَمُ

قال : وبلغ ابن الزبير أن الحجّاج كان يقول : احذروا أن يفرّ كما فرّ أبوه فقال : هو عدوّ الله الفرّار بن الفرّار يومَ الرَبَذة .

المدائني ، قال : كان عبدالله بن الزبير يشمّر إزاره ، ويحمل الدِرّة يتشبه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال أبو حُرّة :

لَمْ نَرَ مِنْ سيرَةِ الفاروقِ عِنْدكُمُ ... غَيْرَ الإزارِ وغَيْرَ الدِرَّةِ الخَلَقِ[1]

قال : وكانت عند عبدالله بن الزبير قهطم بنت منظور بن زَبّان ، ويقال تُماضِر ، فولدت له حمزة وماتت ، فتزوّج أختها أمّ هاشم ، فقال الحجّاج عجباً لرجل تزوّج امرأة لم تنجب ثم تزوّج أختها ؛ وخرج حمزة بن

١ ـ بهامش الأصل : يعني الإزار الخلق .

عبدالله بن [الزبير] يريد الحجّاج فقال ابن الزبير لأمّ هاشم: مَن الخارج؟ قالت: حمزة، قال أيُّ الحمزتَيْن، يعني حمزة هذا وحمزة بن الزبير، وأمّه كلبيّة، وهو أخو مصعب لأمّه الربّاب بنت أُنَيْف، قالت: ابن الكلبيّة فقال كذبتِ ولو ولدت الكلبية الناس جميعاً ما كانوا إلاّ صُبُراً، ولكنّه ابن اختك.

قالوا: واصطلح أهل الكوفة على عامر بن مسعود بعد موت يزيد وهرب ابن زياد إلى الشام، فأقرّه ابن الزبير أشهراً ثم عزله وولّى عبدالله بن يزيد الخَطْمي من الأنصار الصلاةَ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة الخراج، وكان يقال لعامر بن مسعود دُحْروجة الجُعَلِ لِقَصره، وهو عامر بن مسعود بن أُمية بن خَلَف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب.

فخطب أهل الكوفة فقال إن لكلّ قوم أشربةً ولذّاتٍ فاطلبوها في مظانّها وعليكم بما يجمُلُ ويحلّ منها، وآكسروا شرابكم بالماء، وتواروا عني بهذه الجدران، فقال عبدالله بن همّام السَلولي:

إشْرَبْ شَرابَكَ وآنْعَمْ غيْرَ محْسودِ ... وآكْسِرْهُ بالماءِ لا تَعْصِ ابْنَ مَسْعُودِ
إنَّ الأميرَ له في الخَمْرِ مأرُبَةٌ ... فآشرَبْ هَنيئاً مريئاً غيْرَ تَصريدِ[1]

وقال آخر:

مَنْ ذا يُحَرِّمُ ماءَ المُزْنِ خالَطَهُ ... في قَعْرِ خابِئَةٍ ماءُ العَناقيد
إنّي لأَكرَهُ تَشْديدَ الرُواةِ لنا ... فيها ويُعْجِبُني قَوْلُ ابْنِ مَسْعودِ

فلما بلغ ابن مسعود قول ابن همّام قال: قطع الله لسان عِدْل الحمار، فقد أساء القول، وذهب إلى قول الأخطل:

١ ـ الصرد: الخالص من كل شيء. القاموس.

بئسَ الفَوارِسُ عَنْدَ مُخْتَلَفِ القَنا　　عِدْلاَ الحِمارِ مُحارِبُ وسَلولُ[1]

وحدثني العُمَري عن الهيثم بن عديّ قال : خطب عامر بن مسعود فقال : يا أهل الكوفة لأُنسينَّكم سيرة عمر بن الخطّاب ؛ قال : وقال يوماً : يا أهل الكوفة إنّي قد تزوّجت امرأة من بني نصر بن معاوية فأعينوني بأرزاقكم شهراً فقال قائل : نعم ، فأخذ أرزاقهم كلّها لشهر ؛ قال : وحُصِب ذات يوم على المنبر فغطى وجهه بكمّه وقال : لِمَ ذا حَسْبُكم الآنَ .

وقال ابن همّام السلولي :

مازِلْتُ أَرْجو أبا حَفْصٍ وسيرَتَهُ　　حَتّى نَكَحْتَ بِأَرْزاقِ المَساكينِ
أَنْكَحْتُمُ يا بَني نَصْرٍ فَتاتَكُمُ　　وَجْهاً يَشينُ وجُوهَ الرَبْرَبِ[2] العِينِ
أنكَحْتُمُ لا فَتَى دُنْيا يُعاشُ به　　ولا شُجاعاً إذا شُقَّتْ عَصا الدينِ
يا بْنِ الزُبَيْرِ لَقَدْ وَلَيْتَهُ شَبِقاً　　كَزَّ اليَدَيْنِ بَخيلاً غَيْرَ عِنّينِ
لا يَسْتَطِفُّ لَهُ مالٌ فيَتْركَهُ　　ولا يقولُ لِما يُعطاهُ يَكْفيني

قالوا : وولّى عامر عُمّالاً فأساءوا السيرة ومالوا إلى الخيانة ، فقال ابن همّام في ذلك :

يا بْنَ الزُبَيْرِ أميرَ المُؤْمِنينَ أَلَمْ　　يَبْلُغْكَ ما فَعَلَ العُمّالُ بِالعَمَلِ
باعو التِجارَ طَعامَ الأَرْضِ واقْتَسَموا　　صُلْبَ الخَراجِ شِحاحاً قِسْمَةَ النَفَلِ
وقَدَّموا لَك شَيْخاً كاذِباً خَذِلاً　　مَهْما يَقُلْ لَكَ شَيْخٌ كاذِبٌ يَقُلِ

الشيخ هو مَرْثَد بن شراحيل كان أميناً على التِجار في بيع الطعام .

---

١ ـ ديوان الأخطل ص ٣٠٢ .
٢ ـ الربرب : القطيع من بقر الوحش . القاموس .

وفيكَ طالِبُ حَقٍّ ذو مَزابنة[1] جَلْدُ القُوى لَيْسَ بِالواني ولا الوَكَلِ
أُشدُدْ يَدَيْكَ بِزَيْدٍ إنْ ظَفِرْتَ بِهِ وآشْفِ الأَرامِلَ من دُحْروجَةِ الجُعَلِ

زيد خازنه وهو مولى عتّاب بن وَرْقاء .

إنا مُنِينا بضَبٍّ مِن بَني خَلَفٍ يَرَى الخِيانَةَ شَرْبَ الماءِ بالعَسَلِ

يعني عامرا .

خُذِ العُصَيْفير فَانْتِفْ ريشَ ناهِضِهِ حَتَّى يَنوءَ بِشَرٍ بَعْدَ مُقْتَبَلِ

يعني عبدالله بن أبي عصيفير الثقفي ، وكان على المدائن ، وهو الذي مات الأحنف في داره بالكوفة .

وما أمانَةُ عَتّابٍ بِسالِمَةٍ لا غَمْزَ فيها ولَكِنْ جَمَّةُ السَبَلِ

يعني عَتّاب بن ورقاء كان على أصبهان .

وقَيْسُ كِنْدَةَ قد طالَتْ إمارَتُهُ بِسُرَّةِ الأَرْضِ بَيْنَ السَهْلِ والجَبَلِ

قال هشام ابن الكلبي : هو قيس بن يزيد بن عمرو بن شراحيل بن النعمان بن المنذر بن مالك بن الحارث الكندي ، وبعض من لا عِلْمَ له يقول : هو قيس بن الأشعث .

وخُذْ حُجَيْراً فَأَتْبِعْهُ مُحاسَبَةً ومَنْ عَذَرْتَ فلا تَعْذِرْ بني قَفَلِ

يعني حجير بن حجّار بن الحُرّ ، ويقال : حجير بن جُعيل الجُمَحي ، كان على الزوابي أو الزاذانات[2] ، وبنو قَفَل من تيم الله بن ثعلبة كان منهم قوم على صدقات بكر بن وائل .

١ ـ المزابنة : بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر .
٢ ـ زاذان : موضع الرقة . معجم البلدان .

ما رابَني مِنْهُمُ إلاّ ٱرْتِفاعُهُمُ إلى الخَبيصِ عَنِ الصَحْناةِ والبَصَلِ
وما غُلامٌ على أَرْضٍ مُسالِمَةٍ كَمَنْ غَزا دَسْتَبى غَيْرَ مُحْتَمِلِ
يُجْبَى إلَيْهِ خَراجُ الأَرْضِ مُتَّكِئاً مُسْتَهْزِئاً بِغِناء القَيْنَةِ الفُضُلِ
والوالِبِيُّ الذي مِهْرانُ أَمَّرَهُ فَزالَ مِهْرانُ مَذْموماً ولَمْ يَزَلِ

مهران مولى زياد، كان شفع في هذا الرجل، فصار في عِداد العُمّال، والرجل سعيد بن حَرْمَلة بن الكاهل الوالبي، ويقال: هو أبو هيّاج عمرو بن مالك الوالبي:

ودونَكَ ابْنَ أَبي عُشٍّ وصاحِبَهُ قبل السبيع فقَدْ أَجْرَى على مَهَلِ

ابن أبي عُشّ همذانيٌّ قدم الكوفة، فقال مَنْ سيّد قومي؟ فقالوا: الحجّاج بن عمرو الزبيدي فقال: أنا لا أُقيم ببلدة يسود فيها زُبَيْديٌّ، وكان على الدِينَوَر، وصاحبه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني

لا تَجْعَلَن بيت مال الله مَأْكَلَةً لِكُلِّ أَزْرَقَ مِنْ هَمْدانَ مُكْتَحِلِ
والدارِمِيُّ يُطيفُ البَهْرَمانُ[1] بِهِ في شارِبٍ بُدِّلَتْ مِن رِعْيَةِ الإِبِلِ

الدارمي لبيد بن عُطارد، ويقال مسعود بن قيس بن عطارد.

ومُنْقِذُ بْنُ طَرِيفٍ مِنْ بني أَسَدٍ أُنْبِئْتُ عامِلُهُمْ قد راحَ ذا ثَقَلِ

يعني منقذ بن طريف بن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد، وأخبر أنّ عاملهم، وهو رجل منهم، قد حسنت حاله للخيانة، وقال ابن الكلبي: وكان عاملهم نُعيم بن دَجّاجة وكان على أسفل الفرات.

---

١ - بهامش الأصل: والدارمي القهرمان.

وما أُخَيْنِسُ جُعْفِيٍ يُمانِعُهُ مِنَ المَتاعِ قِيامُ اللَّيْلِ بِالطُوَلِ

يعني زحر بن قيس ، ويقال محمد بن أبي سَبْرة كان على جوخى

وآخَرانِ مِنَ العُمّالِ عِنْدَهُما بَعْضُ المَنالَةِ إنْ تَرْفُقْ بها تَنَلِ

مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ والذي كَذَبَتْ بَكْرٌ عَلَيْهِ غَداةَ الرَوْعِ والوَهَلِ

محمد بن عمير بن عُطارد ويزيد بن رُوَيم حين أمر به عمرو بن حُريث .

وما فُراتٌ وإنْ قيلَ امرؤٌ وَرِعٌ إنْ نالَ شَيْئاً بِذاكَ الخائفِ الوَجِلِ

فرات بن زَحْر قتله المختار يوم جَبّانة السَبيع .

والحارثيُّ سَيَرْضَى أَنْ تُقاسِمَهُ إذا تَجاوَزْتَ عَنْ أَعْمالِهِ الأُوَلِ

الحارثي السَرِيّ بن وقّاص وكان على نِهاوَنْد

وادع الأقارِعَ فَاقْرَعْهُمْ بِداهِيَةٍ واحمِلْ خِيانَةَ مَسْعودٍ على جَمَلِ

مسعود من بني أَسَد

كانوا أتونا رِجالاً لا رِكابَ لَهُمْ فَأَصبَحوا اليَوْمَ أَهْلَ الخَيْلِ والإِبِلِ

لن يُعْتِبوكَ ولَمّا يَعْلُ هامَهُمُ ضَرْبُ السِياطِ وشَدٌّ بَعْدُ في الحُجُلِ

جَمْعُ حجل .

إنَّ السِياطَ إذا عَضَّتْ غَوارِبَهُمْ أَبْدَوْا ذَخائِرَ مِن مالٍ ومِنْ حُلَلِ

وحدثني المدائني عن سُحيم بن حفص عن أشياخه قالوا : كان ابن الزبير يُكنى أبا بكر وأبا خُبيب ، وكان شديد القلب واللسان ، وهو أوّل مولود بالمدينة في الإسلام ، وكان بخيلاً فقال فيه الشاعر :

رَأَيْتُ أَبا بَكْرٍ ورَبُّكَ غالِبٌ على أَمْرِهِ يَبْغِي الخِلافَةَ بالتَمْرِ

وقُتل وهو ابن ثلاث وسبعين ، ويقال : اثنتين وسبعين وأشهرٍ .

وقال لعامله على وادي القُرَى : أكلتَ تمري وعصيت أمري ، وجعل يضربه .

وقال لأعراب أتوه : إنّ سلاحكم لَرَثٌّ ، وإن حديثكم لغثّ ، وإنّكم لعيال في الجَدْب ، وأعداء في الخِصب .

وأتاه أعرابيّ يستفرضه فقال : افرضوا له ، فقال : أَعْطِني ، قال : قاتِلْ أَوّلاً ، فقال الأعرابيّ : دمي نَقدٌ ودراهمك نسيئة .

قالوا : ولما طال الحصار على ابن الزبير حَبسَ الطعامَ وقال إنْ أخرجتُه فَنِيَ ولكنّكم تنظرون اليه فتقوى قلوبكم وتطيب أنفسكم ، ومتى أكلتموه نفد ، ولا يأتيكم ميرةٌ فتُلْقُون بأيديكم .

قالوا : وشكت امرأة من أهل مكة إلى ابن الزبير فقالت : غَررتَ سفهاءَنا وأخذت رِباعنا ، فأَقِلْ سفهاءَنا واردد رباعنا ، فقال : ما تقول هذه الهرة الثَرْماء[1] .

قالوا: وقال صخير بن أبي الجَهْم : دخلت على ابن مُطِيع وهو عاتب على ابن الزبير ، وعليَّ سيفي ، فقال ضَعْ سيفك وأَرِحْ نفسك فما عند ابن الزبير خير لِدين ولا دنيا ، قال : فأتيت الحجّاج فأعطاني الأمان .

المدائني عن عوانة ، قال : نادى أهل الشام يا بن الزبير يا بن الحواريّ فقال لمولىً له : أَجبْهم فقال : هل تعيبون من حواريّ رسول الله ﷺ شيئاً ؟ قالوا : يا بن ذات النطاقَيْن فقال أتعيبونها بالنطاق التي كانت تحمل به الطعام إلى رسول الله ﷺ وإلى الصِدّيق أَمْ بالنطاق الذي تَنَطَّقُ به المرأة الحرّة

---

١ ـ الثرماء : التي انكسر لها سن من الثنايا أو الرباعيات . القاموس .

في بيتها وقد قال لها رسول الله ﷺ : «لك نطاقان في الجنة» فقالوا : يا بن الزبير يا مشؤوم فسكت ، فقال له ابن الزبير ، أَجِبْهم ، قال : كيف أجيبهم وقد صدقوا .

المدائني عن المثنًى بن عبدالله عن عوف ، قال : قال ابن عمر : كنت أتمنى ألّا اموت حتى أعلم إلى ما يصير أمر ابن الزبير ، فيرحم الله أبا بكر طَلَبَ دراهم العراق ، ورحم الله مروان طلب دراهم الشام .

المدائني عن عبدالله بن فائد ، قال : نظر ثابت بن عبدالله بن الزبير إلى أهل الشام فقال : إنّي لأبغضهم فقال سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان : تبغضهم لأنّهم قتلوا أباك ؟ قال : صدقت قتل أبي علوجُ الشام وجُفاتُه ، وقتل جدَّك المهاجرون والأنصار .

المدائني عن عليّ بن حمّاد ، قال : قال مصعب بن الزبير لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن أنسيتَ حقّ الله عليك في هذا الأمر ؟ قال : نعم كتبت إلى عبد الملك آمره بتقوى الله وأن يكفّ نفسه ، فكتب اليّ:أنا أُخْرِجُ نفسي إنْ أخرجَ ابنُ الزبير نفسه ويجعل الأمر شورى ، وكتبت إلى أخيك فكتب إليّ : إنّك لست من هذا الأمر في شيء .

المدائني ، قال : قال ابن أبي مُلَيْكة : ما رأيت أحداً أحسن مناجاةً لربّه في عَقِبِ الصدر من عبدالله بن الزبير .

المدائني قال : كان مصعب بن الزبير جواداً ، فكتب إلى أخيه عبدالله : من سألك شيئاً فاكتبْ إليّ له فإنْ أعطيتَه كان حمدُه لك ، وإن منعتَه كان ذَمُّهُ عليّ ، فلم يكتب لأحد إليه إلّا أعطاه ، فأمسك عن الكتاب لأحد إليه .

قال : وقال عليّ بن زيد : كان عبدالله طويل الصلاة ، كثير الصيام ، شديد البأس ، كريم الجدّات والأمهّات والخالات ، وكانت فيه خلال مباينة لما حاول مِن الخلافة : بُخلٌ وضيق وسُوءُ خلق ، ولجاجٌ .

المدائني عن أبي زكريّاء العَجْلاني عن ابن نَجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : إن هذا الأمر بدأ بنبوّة ورحمة ، وخلافة ، وإنّه اليومَ مُلْك عَقيم ، فمن سمع مقالتي فليهرب من بني أميّة وآل الزبير فإنّهم يدعون إلى النار .

المدائني عن سفيان عن عمرو بن دينار : انّ ابن الزبير أقاد من لَطْمة .

المدائني عن أبي هلال الراسبي : إنّ الحسن[1] كتب إلى ابن الزبير : إنّ لأهل الخير عَلامات يُعْرَفون بها ويعرفونها من أنفسهم ، فمنها الصبر على البلاء ، والرضى بالقضاء ، وإنّما الإمام سُوق فما نفق فيها حُمل إليها فأنظر أيّ سوقٍ سوقُك .

المدائني عن ابن المبارك قال : قال أبو بَرْزة الأَسْلَمي : إنّكم معشرَ العرب كنتم على الحال التي علمتم من القلّة والذلّة والضلالة ، وإن الله رفعكم بالإسلام وبمحمد عليه السلام حتى بلغتم ما ترون ، وإنّ هذه الدنيا قد أفسدت ما بينكم ، أمّا الذي بالشام ـ يعني مروان ـ فإنّما يقاتل عن الدنيا ، وكذلك الذي بمكّة ـ يعني ابن الزبير ـ وما يقاتل الذين تدعونهم قُرّاءَكم إلاّ على الدنيا ، وما نرى خير الناس إلاّ عصابة لابدةً خِماص البطون من أموال الناس ، خِفاف الظهور من دمائهم .

---

١ ـ الحسن البصري .

حدثني هُدبة حدثنا حمّاد بن سَلَمة عن أبي حمزة قال : قلت لابن عبّاس : إنّي بايعت ابن الزبير فأعطاني وحملني على فرس ، أفأُقاتل معه ؟ قال : لا تقاتل معه ، وَرُدَّ عليه ما أعطاك واشتر بغلاً أو بغلين ، وغلاماً واغزُ المشركين ، فإن قُتلتَ على ذلك كنت شهيداً إن شاء الله تعالى ، قال : فرددت على ابن الزبير ما أخذت منه .

المدائني عن قيس بن الربيع عن ابن أبي ليلى عن عطاء ، قال : أُتي ابن الزبير برجل فأمر بضرب عنقه فقال امرأته طالق ثلاثاً فورَّثها منه .

المدائني ، قال : بعث يزيد بن معاوية الضحاك بن قيس ليأخذ بيعة ابن الزبير فأبى أن يبايع فقال الضحّاك إنّك إن لم تبايع طائعاً بايعتَ كارها ، فقال ابن الزبير : إنّك يا ثعلبة بن ثعلبة تَيسُ بَحِيْرَةٍ تبيع الصَرَبَة[1] بالقبضة ، أردت الحَقْحَقَة فأخطأت آستُك الحفرة .

المدائني ، قال : جاء رجل إلى ابن عمر فقال : هذه خيلنا ، قال : أيّة خيل ؟ قال : خيل ابن الزبير ، قال : ما هي لنا بخيل ، وجاءه آخر فقال : بايعت ابن الزبير على كتاب الله وسنّة نبيّه ، فأبى ذلك ، فقال : صدق ولو أعطاك ذلك لم يَفِ لك به ؛ قال : وجاءه آخر فقال : بما ذا تأمر يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : بطاعة الله ، والجماعة وأنهاك عن الفرقة ، قال : ثم بما ذا ؟ قال : إن كانت لك ضيعة فألحق بضيعتك .

المدائني عن عبد الله بن فائد ، قال : كان ابن الزبير لا يتكلم يوم الجمعة إلاّ بالمواعظ ، إلاّ أنّه كان يشتم ثقيفاً فيقول قصار الخدود . لِئام الجدود . سود الجلود . بقيّة ثمود .

١ ـ الصربى : البحيرة لأنهم كانوا لا يحلبونها إلاّ للضيف . القاموس .

المدائني عن يزيد بن زُرَيع عن حبيب بن الشهيد : أنّ عبد الله بن جعفر لقي ابن الزبير فقال له ابن الزبير : أتذكر يوم لقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وأحد ابني فاطمة ؟ فقال : نعم ، فحملنا وتركك ، فسكت ولو علم ابن الزبير أنه يقول حملنا وتركك ما سأله

المدائني عن ابن فائد ، قال : سمع معاوية رجلاً من كلب يقول :

وِمِنْ رَقاشٍ ماجِدٌ سَمَيْدَعُ يَأْبَى فَيُعْطِي عَنْ يَدٍ ويَمْنَعُ

فقال ذاك مِنّا ، ذاك عبد الله بن الزبير .

المدائني عن مَسلمة وغيره : انّ فضالة بن شريك الأسدي أتى عبد الله بن الزبير فقال له : إنّي جشمت إليك سفراً بعيداً ، أتعبت فيه نفسي وأنفدت نفقتي ، وأنقبت فيه راحلتي ، فقال ارقعها بسِبْت ، واخصِفْها بهُلْب ، وأنْجِد بها العصرين يَبْرُدْ خُفُّها ، فقال : لعن الله ناقةً حملتني إليك ، فقال : إنَّ وراكبها ، وانصرف ولم يَصِلْه فقال :

أقـولُ لِغِلْمَتِي أَدْنوا رِكـابي أُفارِقُ بَطْنَ مَكَّةَ في سَوادِ
فما لي حينَ أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ إلى ابْنِ الكاهِلِيَّةِ مِن مَعادِ
سُيبعـدُ بَيْنَنـا حَثُّ المَطايـا وتَـعْـليـقُ الأَداوَى والمَـزادِ
أَرَى الحاجات عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ نَـكِـدْنَ ولا أُميَّـةَ بِـالبِـلادِ
وكَيْفَ بِأَنْ يَسوسَ الأَمْرَ مِنْهُمْ أَغَـرُّ مُقـابَـلٌ واري الزنـادِ
مِنَ الأَعْياصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغَـرُّ كَغُرَّةِ الفَرَسِ الجَـوادِ

فلما بلغ ابنَ الزبير الشعر فمرّ به قوله إلى ابن الكاهليّة قال : لو علم أنّ لي جدّة أَلأمَ من عمّته لَسَبّني بها ، وكانت أمّ خويلد بن أسد بن عبد العُزّى ،

جدّة العوام بن خويلد ، زهرة بنت عمرو بن حَنْثَر[1] ، من بني كاهل بن أسد بن خُزَيْمَة .

وقال بعض قُضاعةَ :

عَدِمْتَ قُرَيْشاً أَنْ رَضُوا بِكَ سَيِّداً ... وأَنْتَ بَخيلُ الكَفِّ غَيْرُ جَوادِ

فقال عبد الله بن الحجّاج :

أَتَطْلُبُ شأْوَ آبْنِ الزُّبَيْرِ ولَمْ تَكُنْ ... لِتُدْرِكَهُ ما حَجَّ لِلَّهِ راكِبُ
تَكَلَّفْتَ أَمْراً لَمْ تَكُنْ لِتَنالَهُ ... طَوالَ اللَّيالي أَوْ تُنالَ الكَواكِبُ
فَمَهْلاً بَني مَرْوانِ لَسْتُمْ بِذادَةٍ ... إذا ما آلْتَقَتْ يَوْمَ اللِقاءِ الكَتائِبُ
إذا آلْتَقَتِ الأَبْطالُ كُنْتُمْ ثَعالِباً ... وَأُسْدَ الشَرَى في السِلْمِ عِنْدَ الكَواعِبِ

المدائني ، قال : قال وهب بن مُنَبِّه : استعمل ابن الزبير على اليمن رجلا دميا ، وكان يلقَّب عجوز اليمن ، فكتب إليه ابن الزبير يأمره بالجباية ، فقال : لي أرضيكم مجرودةٌ فانطلقوا إلى أمير المؤمنين ، فآدفعوا عن أنفسكم ، فقدمتُ في وفد ، ودخلت عليه وعنده عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال لي : كيف عجوز اليمن ؟ فقلت : ﴿أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ آلْعَالَمِينَ﴾[2] ولكن ما فعلت عجوز قريش أُمّ حَبْلٍ حَمالة الحَطَب ؟ فضحك ابن الزبير وقال لَابن خالد : أَسأْتَ المسألة وأَحْسَنَ الجواب .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه قال : أُهدى أبو حَمَل ـ أحد بني حصين بن سَعْدانة بن حارثة الكلبي ـ إلى عبد الله بن الزبير

١ ـ بهامش الأصل : كان عمرو بن حنثر يلقي الحجر ويقول : لا أفر حتى يفر. من الاكمال لابن ماكولا . انظر الاكمال ج ٢ ص ٢٤ .
٢ ـ سورة النمل ـ الآية : ٤٤ .

فُطْراً فأتاه به وعنده زُفَر بن الحارث الكِلابي ، فقال زفر يحرّض ابن الزبير على صِلَته :

أَلا أَبْلِغْ أَبا حَمَلٍ رَسولاً فقد أَهْدَيْتَ فُطْرَكَ مِنْ بَعيدِ
فأَنْتَ المَرْءُ يُعْطَى كُلَّ خَيْرٍ ويُحْبَى بِالوَلائِدِ والعَبيدِ

فقال ابن الكلبي : قال خالد بن سعيد : فوالله ما أثابه عليه شيئاً ، وقد أتاه به من السماوة ، فلقيه زُفَر بن الحارث بعد ذلك فقال له : يا أبا الكَوثَر ، أو : يا أبا الهذيل ، والله ما أعطاني قيمة الفطر ، فكيف يَحْبوني بالولائد والعبيد .

وقال هشام ابن الكلبي:أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه قال : حَمَل بن سَعْدانة الذي يقول :

لَبِّثْ قَليلاً يَلْحَقِ الهَيجاَ حَمَلْ

وكان حمل بن سعدانة بن حارثة العُلَيمي وفد إلى النبيّ ﷺ وعقد له لواءً .

وقال أبو دَهْبَلٍ واسمه وهب بن وهب بن زَمْعة الجُمَحي :

أتاركةٌ عُلْيَا قُرَيْشٍ سَراتَها وساداتِها عند المَقامِ تُذَبَّحُ
هم عُوَّذٌ بِاللَّهِ جيرانُ بَيْتِهِ بِهِ يُعْصِمون أَنْ يُباحوا ويُفْضَحوا

وقال ابن الزبير : لا تزال قريش تعرف العزّ وإنكار الضيم ما رَأَتْني حيّاً .

المدائني قال : بعث الزبير ابنه عبد الله إلى خاله العبّاس بن عبد المطّلب فوافقه يتغدّى فقال : ادْنُ يا بن أختي فأكل أكلاً ضعيفاً ثم أُتي

بقَعْب من لبن فقال اشرب فشرب شرباً ضعيفاً فقال يا بن اختي أُضْوَاك[1] آل أبي بكر .

حدثني أبو مسلم الأحمري عن هشام ابن الكلبي عن أبيه وعَوانة قالا : خطب النَوارَ بنت أَعْيَنَ بن ضُبَيعة بن ناجية بن عِقال رجلٌ من بني مُجاشِع بن دارم بن مالك فقالت للفرزدق بن غالب بن صعصعة بن ناجية : أنت وليّي واشهدت له برضاها بما صنع في تزويجها ، فلما خرج الشهود قال لهم : حفظتم الشهادة ؟ قالوا : نعم ، قال : واشهدوا أنّي قد تزوّجتُها على خمسة آلاف وبلغها الخبر فلم ترض ، وأتت ناجية بن عقال ، فأعانوها على الفرزدق ، وحوّلوها إلى بني عاصم من بني مِنْقَر بن عُبيد واكتروا لها كريّاً من بني عَديّ بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة أحد بني مِلْكان بن عَديّ ، ومعه أُجيرٌ له خراسانيّ يقال له زهير ، وخرجت إلى ابن الزبير مستغيثةً به ، ويقال : إنّهم حوّلوها إلى بني عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع فقال الفرزدق :

ولَوْلا أنْ يَقولَ بَنو عَدِيٍّ ... أَلَيْسَتْ أُمَّ حَنظَلَةَ النَوارُ

أمّ حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، النوار بنت جَلّ بن عَديّ بن عبد مناة ، فيقول لولا أن يقولوا أليست جدتّكم منّا

إذاً لأَتَى بَني مِلْكانَ مِنّي ... بَضائِعُ لا يُقَسِّمُها التِجارُ[2]

ملكان بن عديّ بن عبد مناة أخو جَلّ بن عديّ ، وقال :

١ ـ الضوى : دقة العظم وقلة الجسم خلقه ، أو الهزال ، وأضوى : دق وأضعف . القاموس .

٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٧٣ مع فوارق .

لَقَـدْ أَهْدَتْ وَليـدَتُنا إِلَيْكُمْ عَـزائِـزَ لا يُقَسِّمُهـا التِجـارُ
لَبِئسَ العِبْءُ يَحْمِلُهُ زُهَـيْرٌ على أَعْجازِ صِرْمَتِهِ نَـوارُ

وقال أيضاً :

ولَـوْلا أَنَّ أُمّي مِنْ عَدِيّ وأنّـي كارِهٌ سُـخْطَ الرباب
لصُلْتُ عَلَى بني مِلْكانَ مِنّي بِجَيْشٍ غَيْرِ مُنْتَظِرِ الإِيابِ(١)

وقال يهجو بني قيس بن عاصم :

بَني عاصِمٍ إنْ تُلجِئوها فإِنَّكُمْ مَلاجِىءُ لِلنِسْوانِ دُسْمُ العَمائِمِ
بَني عاصِمٍ لَوْ كانَ حَيّاً لَدَيْكُمُ لَلامَ بَنيهِ الشَيْخُ قَيْسُ بْنُ عاصِمِ(٢)

فقالوا للفرزدق : والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنّك ؛ وخرج الفرزدق إلى ابن الزبير ، فنزلت النوار بنت أَعْيَنَ على أمّ هاشم بنت منظور بن زبّان ، ونزل الفرزدق على بني عبد الله بن الزبير وسألهم أن يشفعوا له ، وشفعت أمّ هاشم للنوار فشفّعها ، فقال الفرزدق :

أَمّا بَنوهُ فَلَمْ يُقْبَلْ شَفاعَتُهُمْ وشُفِّعَتْ بِنْتُ مَنْظورِ بْنِ زَبّانا
ليس النَجيُّ الذي يأتيكَ مُؤْتَزِراً مِثْلَ النَجيِّ الذي يَأْتيك عُرْيانا(٣)

فقال ابن الزبير للنَوار : إن شئتِ فرقتُ بينكما وقتلته فلا يهجونا ، وإن شئتِ سيّرتُه إلى بلاد العدوّ ؟ فقالت : ما أريد واحدة منهما ، قال : فإنّه ابن عمّك ، وهو راغب فيك فأزوجك إيّاه ؟ فقالت : نعم فزوّجها إيّاه ،

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٩٥ مع فوارق .
٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٣ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

فكان الفرزدق يقول : خرجنا متباغضَيْن ورجعنا متحابّين والله يفعل ما يشاء .

وقال قوم : نزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله بن الزبير وقال :

اليَوْمَ قد نَزلَتْ بِحَمْزَةَ حاجَتي ... إنَّ المُنَوَّهَ بِآسْمِهِ المَوْثوقُ
بأَبي عُمارَةَ خَيْرِ مَنْ وَطِىءَ الحَصَا ... وَنَمَتْ بِهِ في الصالحِينَ عُروقُ
بَيْنَ الحَوارِيِّ الأَغَرِّ وهاشِمٍ ... ثُمَّ الخَليفَةُ بَعْدَهُ الصِدّيقُ(١)

وقال أيضاً :

يا حَمْزُ هَلْ لَكَ في ذي حاجَةٍ عَرَضَتْ ... أَنْضاؤُهُ بِمَكانٍ غَيْرِ مَعْمورِ
وأَنْتَ أَحْرَى قُرَيْشٍ أَنْ تَقوم بِها ... وأَنْتَ بَيْنَ أَبي بَكْرٍ ومَنْظورِ(٢)

وكانت أمّة قهطم بنت منظور ، وقال بعضهم : تُماضِر بنت منظور .

حدثني بعض النَوْفَليّين من ولد عبد الله بن الحارث بَبَّة قال : وقع بين ببّة وبين عبد الله بن الزبير كلام فعيّره بلقبه ، وقال : ألست ببّة وما ببّة ، فقال له عبد الله بن الحارث : ألست الضِبابيّ وكان ابن الزبير في صغره جلس على حُجْرِ ضبٍّ فَفَسا حتى خرج الضبّ ، فكان يعيَّر بذلك ويقال له الضبابيّ ، فترضّى ابن الزبير ببة عندها وصالحه .

حدثني أبو محمد التَوزيّ النحوي عن أبي زيد الأنصاري عن أبي عمرو بن العلاء قال : خطب ابن الزبير يوماً ، فتكلّم رجل من ناحية المسجد ، فقال ابن الزبير : من المتكلّم ؟ فسكت ، فقال ابن الزبير : ما له قاتله الله ضبح ضُباح الثعلب ، وقبع قباع القُنْفُذ .

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٤ مع فوارق .
٢ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٥٢ مع فوارق .

قالوا : وكان ابن الزبير يقول عالجتُ لحيتي لتكثر فلما بلغتُ سنين يئست منها وكان معصوباً خفيف اللحم ، فكان الزبير يقول : عبد الله يشبه أبا بكر ، فهو ابنه ومَنَعَني ابني . وقال الحارث بن ضبّ العَتَكي في ابن الزبير ، ويقال إنّها قيلت في مصعب ، وذلك الثبت :

فـردَّ الخِلافَـةَ يا بنَ الـزُبَيْر إلى أَهْلِهـا قَبْـلَ أَنْ تُخْلَع
أَخَاف عَلَيْكَ زِيـادَ العِراقِ وأَخْشى عَلَيْـكَ بني مِسْمَع
ولا تأْمَنِ المَكْرَ مِنْ حـارِثٍ فثَمَّ امروٌ سَمُّـهُ يَنْقَـع
ذَكَرْتُ لك المَعْشَرَ الأَكْرَمينَ ذَوي المَجْدِ والحَسَبِ الأَرْفَع

الحارث بن قيس الجَهْضَمي ، وزياد بن عمرو العَتَكي ، ومالك بن مِسْمَع وإخوته .

المدائني عن عبد الله بن فائد : أنّ عبد الله بن الزبير أتى الطائف واستخلف ابنه عبّاد بن عبد الله ، فأُتي عبّاد بخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد وقد شرب وشهد عليه بأنّه يعانق النساءَ في الطواف ، فأمر بضربه الحدّ ، فجُلد فأتى بنو مخزوم أباه فكلموه فقال : ما أصنع به ؛ وكان يتحدّث عند امرأة من قريش ، فقيل لابن الزبير فحبسه وقيّده فقال :

تَـذْكـارُ لَـيْـلي لَـيْسَ يَـقْـصِرُ مَـدَّهُ طـولُ الـنَهـارِ
فـلَئِنْ خُـطـايَ تَقـارَبَـتْ رَسْـفَ المُقَيَّـدِ فـي الحِصارِ
لَـبِـما أُمَـشّـي بِـالأَبـا طِـحِ يَقْتَفـي أَثـري إِزاري

في أبيات ؛ ثم أخرجه وسيّره إلى الشأم ، فتزوّج ابنة النعمان بن بشير فنازعها يوماً فقال :

لَظِباءٌ بَيْنَ الحَطيمِ إلى الخَثْمَةِ في مُظْلِماتِ لَيْلٍ وشَرق
قاطِناتُ الحَجونِ أَشْهى إلى القَلْبِ مِنَ الساكِناتِ دورَ دِمَشْقِ

فقالت :

كُهولُ دِمَشْقَ وشُبّانُها أَحَبُّ إلَيْنا مِنَ الجَالِيَهْ
إذا ما أَتى وافِدٌ مِنْهُمُ كَنَسْنَا له دارَهُ الخالِيَهْ
لَقَمْلٌ يَدِبُّ دَبيبَ الدَّبى أَكاريسُ أَعْيَتْ عَلَى الغالِيَهْ
وريحُهُمُ مِثْلُ ريحِ التُيوسِ عَفَّتْ عَلَى آلبانِ والغالِيَهْ

فبلغ عبد الملك الشعر فقال : يا خالد جعلْتك من الجالية ؟ قال : وأنت يا أمير المؤمنين أيضاً من الجالية ، فأقام بالشأم فانكسرت فخذه ، فقيل لعبد الملك : فقال : لا جبرها الله ، ومات من وجعه فقيل لعبد الملك فقال : لا رحمه الله .

وقال ابن الكلبي : كان خالد بن المهاجر مع ابن الحنفيّة بالشِعْب ، فَعَلَّقَ عليه ابن الزبير زكرة[1] خمر ، ثم ضربه الحدّ .

ورَثَتْه هند ابنة النعمان فقالت :

ألا يا بْنَ المُهاجِرِ قَدْ دَهاني طارِقٌ طَرَقا
دَعاكَ فَما أَبَيْتَ ولا سَدَدْنا دونَكَ الغَلَقا
أَلا عَيْنَيَّ جودا بِالدُّموعِ عَلَيْهِ واسْتَبِقا
أَعِيناني بِفَيْضِكُما ومُجّا الدَمْعَ والعَلَقا

١ ـ الزكرة : زق للخمر والخل . القاموس .

وقال عُقْبة الأسدي حين ضُرب خالد بن المهاجر :

ما زِلْتَ مُذْ حِجَجٍ بِمَكَّةَ مُلْحِداً   في حَيْثُ يَأْمَنُ قاطِنٌ وحَمامُ
أبنو المُغيرَةِ مِثْلُ آلِ خُوَيْلِدٍ   يالَ الرجالِ لِخِفَّـةِ الأَحْـلامِ
فلَيَنْهَضَنَّ لِخالِدٍ مِنْ قَـوْمِهِ   مِثْلُ الأَغَرِّ الحارِثِ بْنِ هِشامِ
المُشْتَرينَ الحَمْدَ مِنْ أَمْوالِهِمْ   في كُلِّ صامِتَةٍ وكُلِّ سَوامِ
وَلْتُنْهَرَنَّ العِيسُ تَنْفَحُ في البُرَى   تَجْتابُ عَرْضَ مَكارِمِ الأَعْلامِ
بِـالدارِعِـينَ عَلَيْهِمُ أَبْـدانُهُمْ   لِتُجابَ دَعْوَةُ واصِلٍ صَرّامِ

المدائني ، قال : قال عبد الله بن الزبير : لقد أعظم الناسُ ولادةَ صفيّة بنت عبد المطّلب لنا حتى لقد هممت أن اطلّق بنت الحسين ، فبلغ ذلك عبد الملك فقال : الكلب أَضَنُّ بالشحمة .

قالوا : وذكر مروان طلحة فأثنى عليه وذكر الزبير فلم يقل فيه شيئاً وكان عبد الله بن الزبير حاضراً فقال إنّ ابا محمد أهلٌ لما ذكرته لكنّي أعرف من لم يُذْكَر بخير قطّ ، قال :ومن هو ؟قال:أبوك ، فوثب اليه مروان فاضطربا حتى حجز موسى بن طلحة بينهما فقال له : دعني أَصُكّ عين ابن لعين رسول الله ﷺ .

أمر التوابين وخبرهم بعين الوردة

وهي رأس العين من الجزيرة .

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه ، وأبي مخنف قالوا : لما فرغ مروان من مرج راهط قَصَدَ قَصْدَ مصر ومرّ بفلسطين وقد هرب منها ناتل ، فولّاها مروان رَوْح بن زِنْباع ، ثم سار نحو مصر فغلب عليها ، ثم قدم الشأم فإذا زُفر بن الحارث الكِلابي قد غلب على قَرْقيسيا وتحصّن بها ، وبلغه خبر مُصْعَب بن الزبير ، وأنّه يريد الشام فوجّه مروان : عبيدالله بن زياد إلى الجزيرة والعراق ، فسار في ستين ألفاً فيهم الحُصين بن نُمير ، وابن ذي الكَلاع الحِمْيَري ، وعُمير بن الحُباب السُلَمي ، وكان عمير قد بايع مروان وصار في حَيّزه ، فسار ابن زياد حتى أوقع بالتّوابين بعين الوَرْدة ، ثم أتى قرقيسيا فرام زُفرَ فلم يقدر عليه ، فسار يريد العراق فقُتل على الخازِر وهو نهر بأرض الموصل ، وكانت وفاة مروان من قَبْل نفوذ ابن زياد إلى الجزيرة ، فكتب إليه عبدالملك بوفاته ، وأُخذ البيعة له، ولعبد العزيز بن مروان من بعده ، وأن يتولّى من أمر الجيش ما كان ولِيَه .

حدثني عبّاس عن أبيه عن أبي مخنف وغيره قالوا : لما قُتل الحسين بن علي عليهما السلام ودخل عبيدالله بن زياد من معسكره بالنُخَيلة إلى الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندّم ، ففزِعوا إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة وهم : سليمان بن صُرَد الخُزاعي ، وكانت له صحبة ، والمسيَّب بن نَجَبة الفَزاري ، وكان من خيار أصحاب عليّ ، وعبدالله بن سعد بن نُفيل الأزدي ، وعبدالله بن والٍ التَيْمي ، ورفاعة بن شدّاد البَجَلي ثم القتباني، فاجتمع هؤلاء الخمسة النفر في منزل سليمان بن صُرَد ، ومعهم ناس من وجوه الشيعة ، فابتدأ المسيب بن نَجَبة الكلام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد فإنّا قد ابتُلينا بطول العمر فنرغب إلى ربّنا في أن لا يجعلنا ممّن يقول له غداً : ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتذكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [1] وقد بلا الله أخبارنا فوجدنا كاذبين في أمر ابن ابنة نبيّنا ، وقد بلغتنا كُتُبُه ، وقد أَتَتْنا رُسُلُه ، وسأَلَنا نصره عَوْداً وبَدءاً ، وعلانية وسرّا ، فبخلنا عليه بأنفسنا حتى قُتل إلى جانبنا ، فلا نحن نصرناه بأيدينا ولا خذّلنا عنه أَلسنتنا ، ولا قوّيناه بأموالنا ، ولاطلبنا له النُصرة من عشائرنا ، فما عُذْرُنا عند ربّنا لا عُذرَ والله أو نَقْتُلَ قاتليه والموالين عليه ، وإنّه لا بدّ لكم من أمير تفزعون إليه ، وترجعون إلى أمره ، ورايةٍ تحفون بها معه .

ثم تكلّم رفاعة بن شدّاد البَجَلي ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : دعوتَ إلى جهاد الفاسقين ، والتوبةِ من الذنب العظيم ، فمسموعٌ ذلك عنك، ومقبول منك ، وقلتَ:ولّوا أمركم رجلا تفزعون اليه وتطيفون برايته

١ ـ سورة فاطر ـ الآية : ٣٧ .

وتطيعون له ، فإن تكن ذلك الرجلَ تكن عندنا مرضياً متنّصحاً ، وإن رأيتَ ورأى أصحابُنا ولّينا هذا الأمر شيخ الشيعة ، وصاحب رسول الله ﷺ ، وذا السابقة والقَدَمِ سليمان بن صُرَد ، المحمود في دينه وبأسه ، الموثوق برأيه وتدبيره .

ثم تكلّم عبدالله بن والٍ وعبدالله بن سعد بن نفيل بنحو من كلام رفاعة بن شدّاد ، وذكرا المسيَّب بن نَجَبة وفضله ، وذكرا سليمان بن صُرَد لسابقته ورضاهما به ، فقال المسيَّبِ : أُصبتم ووفقتم ، وأنا أرى مثل الذي رأيتم ، فولُّوا سليمان أمركم .

فولَّوه عليهم ، وقلّدوه رئاستهم ، فخطب سليمان بن صُرَد فقال : إنّي أخاف ألّا نكون أخرّنا إلى هذا الدهر الذي نكِدت فيه المعيشة ، وعظمت فيه الرزيّة لِما هو خير لنا ، نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبيّنا ، ونَعِدهم نصرنا ، ونحثّهم على المصير إلينا فلما قدموا علينا وَنيْنا وعجزنا وداهنّا وتربّصنا ، حتى قُتل ولد نبيّنا وسلالته وبضعة من لحمه ، فاتّخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودَريّة للرماح ، فلا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله عنكم بأن تناجزوا مَنْ قتله وتُبيروه ، ألا ولا تهابوا الموت ، فوالله ما هابه أحد قطّ إلّا ذل ، وكونوا كتوّابي بني اسرائيل إذ قال لهم نبيّهم ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ فَتُوبوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ (١) ، فما فعل القوم جثوا والله للرُكب ، ومدّوا الأعناق ، ورضوا بالقضاء حين

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٥٤ .

علموا أنّه لا ينجيهم مِن عظم الذنب إلاّ الصبر على القتل ، فكيف بكم لو قد دُعيتم إلى مِثل ما دُعي القوم إليه ، اشحَذوا السيوف ، وركّبوا الأسنّة وأعدّوا لعدوّكم ما استطعتم من قوة .

وقال عبدالله بن سعد بن نفيل ، أو أخوه خالد : أشهد الله ومن حضر من المسلمين أنّي قد جعلت مالي الذي أصبحت أملكه ، سوى سلاحي الذي أُقاتل به عدوّي ، صدقة على المسلمين أقويّهم به على قتال القاسطين ، وقام أبو المُعْتَمِر حَنَش بن ربيعة الكِناني فقال : وأنا أُشهدكم على مثل ذلك ، وتصدّق حجر بن عُوضة الكندي بماله عليهم أيضاً ، وتصدّق الأسود بن ربيعة بن مالك بن ذي العَيْنين الكندي بماله عليهم أيضاً .

وكتب سليمان بن صُرَد إلى سعد بن حُذَيْفة يدعوه ومن قِبَله إلى التوبة ، والطلب بدم الحسين ، فأجابوه إلى ذلك ، وهم شيعة بالمدائن ، وكانوا انتقلوا إليها من الكوفة ، وقال لهم سعد بن حذيفة : إنّكم كنتم على نصرة الحسين لولا أنّ خَبَرَ قتلِه ومعاجلةِ القوم إيّاه أتاكم ، فانهضوا لقتال قَتَلَتِه .

وكتب سليمان بن صُرَد إلى المثنّى بن مُخَرّبة العبدي ، ومن قِبَله من شيعة البصرة ، بمثل ذلك ، فأجابوه إلى النهوض معه .

وكان ابتداء أمر التوّابين في آخر سنة إحدى وستّين ، فكانوا يتداعون ويستعدون ويرتأون، وكان مهلك يزيد بن معاوية في شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين وكان أَجَل الشيعة الذي ضربوه لمن كتبوا إليه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستّين ، على أن يتوافوا ويجتمعوا بالنُخَيْلة .

وكان عبيد الله حين أتاه موت يزيد بالبصرة وثب به أهلها حتى استخفى ، ثم لحق بالشام ، فلم يزل مع مروان بن الحكم إلى أن عقد له مروان على ما غلب عليه وفتحه من أرض الجزيرة والعراق ، ووثب أهل الكوفة بعامله عمرو بن حُريث أيضاً فأخرجوه واصطلحوا على عامر بن مسعود الجُمَحي دُحْروجة الجُعَلِ ، فكان يصلّي بهم ويدعو لابن الزبير حتى عزله ابن الزبير ، وولّى عبدالله بن يزيد الخَطْمي ، فقدمها ابن يزيد لثماني بقين من شهر رمضان سنة أربع وستّين ، ويقال : بعد ذلك بأشهر .

وقدم المختار بن أبي عُبيد الكوفة بعد عبدالله بن يزيد بثمانية أيّام ، فكان المختار إذا دعا الشيعة إلى نفسه ، وإلى الطلب بدم الحسين قالوا : هذا سليمان بن صُرَد شيخ الشيعة وقد أطاعته الشيعة وانقادت له وولّته أمرها ، فيقول : إنّ سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال ، وقد جئتُكم من قِبَل المهديّ محمد - يعني ابن الحنفية - مؤتمناً منتجَباً ووزيراً مناصحاً ، فلم يزل حتى انشعبت إليه طائفة منهم ، وعظمهم مع ابن صُرَد ، فكان سليمان أثقل الناس على المختار .

واتى يزيدُ بن الحارث بن يزيد بن رُوَيْم الشيباني عبدَ الله بن يزيد الخَطْمي فأخبره بخبر سليمان بن صُرَد والمختار بن أبي عُبيد وما يدعُوَان إليه من الطلب بدم الحسين بن عليّ، وأنّه لا يأمن أن تولّيه الشيعةُ، فخطب الناسَ فقال: إنّ قوماً اجتمعوا للطلب بدم الحسين ، فرحم الله الحسين ، ورحم هؤلاء القوم ، والله لقد دُلِلتُ على أماكنهم وعليهم ، فأبَيْت أن أُهيجهم ، والله ما قتلت الحسين ، ولا مالأت على قتله وما أحببته ، فلعن الله قَتَلته ، فليَظْهَرْ هؤلاء القوم آمنين ، ثم ليسيروا إلى قاتل الحسين وقاتل خياركم وأماثلكم ،

فقد أَقْبَل إليكم فإنّ عَهْدَ العاهد به على مسيرة ليلة من مَنْبج فقتالُه والاستعداد له أحزم وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم ، وكان عامل ابن الزبير على الخراج دون عبدالله بن يزيد : إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله ، فقام حين فرغ ابن يزيد من كلامه فقال : لا يغرّنّكم مقالة هذا المداهن ، فوالله لئن خرج علينا خارج لنقتلنّه ، أو كما قال ، فقطع عليه المسيَّب بن نجبة كلامه فقال : أأنت تتهدّدنا بالقتل إنّك لأذلّ من ذلك ، وأمّا أنت أيّها الأمير فجزاك الله خيراً ، فقد قلت قولاً سديداً ، وكلّم القومُ إبراهيم بكلام شديد غليظ ، وقالوا لابن يزيد خيراً ، ثم إنّ أصحاب سليمان بن صُرَد انتشروا يشترون السلاح ، ويتجهّزون ظاهرين لا يخافون أحداً[1] .

فلما أهلّ هلال شهر ربيع الآخر سنة خمس وستّين ، خرج سليمان إلى النُخَيلة في أصحابه فعسكر بها ، وبعث حكيمَ بن مُنْقِذ والوليد بن غُضَيْن بن مسلم الكناني ثم الغِفاري في خيل فناديا بالكوفة : يا لَثأرات الحسين فتلاحق به بعد النداء قوم ، وكان مبلغ من أُثبت في ديوانه ستّة عشر ألفاً ، ويقال : اثنا عشر ألفاً ، فعرض أصحابه ومن اجتمع إليه من أهل الكوفة فوجدهم أربعة آلاف ، فقال : يا سبحان الله أما وافاني من ستة عشر ألفاً إلاّ أربعةُ آلاف ؟ ويقال إنه قال أما وافاني من اثني عشر ألفاً إلاّ أربعة آلاف ؟! فقيل له إنّ المختار ثبط الناس عنك ، وقد صار معه ألفان فقال : سبحان الله أما تُذَكّر هؤلاء الله وما أُعطَونا من الميثاق .

١ - بهامش الأصل : قيام سليمان بن صرد في أخذ ثأر الحسين بن علي عليه السلام .

وكان مقامه بالنُخَيلة ثلاثا ، ثم بعث إلى من تخلّف عنه يُذكرهم الله وما أعطوه من العهود ، فخرج إليه منهم ألف أو نحو ألف ، فقام إليه المسيّب بن نَجَبة ، فقال : يرحمك الله إنّه لا ينفعك المُكْرَهُ ، ولا يقاتل معك إلّا من أخرجته النيّة والحِسْبة ، ومن فرّ إلى ربّه من ذنبه ، فقال سليمان : أيّها الناس إنّا والله ما نطلب من الغنيمة إلّا رضوان الله ، وما معنا من ذهب ولا فضّة ولا خز ولا حرير ، وما هي إلّا سيوفنا على عواتقنا ، ورماحنا بأيدينا وزادٌ قَدْر البُلْغَة إلى لقاء عدونا ، فمن لم يرض بهذا فلا يصحبنا ، فنادى الناس من كلّ جانب: إنّا لا نطلب الدنيا ، وليس لها خرجنا .

وأجمع سليمان المسير فأشار عليه عبدالله بن سعد بن نُفيل بأن يطلب بدم الحسين عمرَ بن سعد بن أبي وقّاص ، ومن بالمِصْر فإنّهم الذين شركوا في دمه وتولّوا أمره ، فقال سليمان : إنّ هذا لكما قلت ، ولكنّ ابن زياد هو الذي سرّب إليه عمرَ بن سعد والجنود ، وعبّأهم عليه ، وقال : لا أمان له عندي ، فسيروا إليه فإنّكم إن رزقتم الظفر به فأَمْرُ من دونه أهل مصركم أيسر من أمره .

وعرض عليه عبدالله بن يزيد الخَطْمي أن ينظر إلى قدوم ابن زياد ليكون أمرهم وأمره في محاربته واحداً ، فكره ذلك ، فعرض عليه أن يوجّه معه جيشاً ، وقال : إنّكم أعلام أهل مصركم فإن أُصِبتم اختلّ مصركم فحاجَزه ، وأجمع على الشخوص واستقبال ابن زياد .

ووعظ سليمان الناس ، ثم سار من النُخَيلة ، فلما صار إلى دير الأَعْوَر عرض أصحابه فإذا قد تخلّف منهم نحوٌ من ألف ، فقال لأصحابه : ما أُحبّ من تخلّف عنكم معكم ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلّا خَبالاً ، ولما

انتهى سليمان وأصحابه إلى قبر الحسين صرخوا صرخة واحدة ، وبكوا وقال سليمان : اللهُمَّ ارحم الشهيد بن الشهيد ونادوا : يا لثأرات الحسين ، وأظهروا التوبة من خذلانه ، ثم إنَّ سليمان سار فأخذ على الحَصَّاصة ، ثم على الأنبار ، ثم صَنْدَوْداء قرية الأنصار ثم على القيارة وبعث سليمان على مقدّمته كُريب بن مَرْثَد الحِمْيري .

فلما انتهى إلى قَرْقيسيا أخرج إليهم زُفَر بن الحارث الكلابي أنزالاً وسوقاً وأهدى إلى وجوههم الجزر ، ونحر لسائر أهل العسكر ، وأمر ابنه الهذيل بن زفر فأقام لهم كل ما احتاجوا إليه ، وزوّدهم ، وقال لهم : إنّ عبيدالله بن زياد قد أقبل ومعه حصين بن نُمير السَكوني ، وشرحبيل بن ذي الكَلاع الحِمْيري ، وأُدْهَم بن مُحْرِز الباهلي وربيعة بن المخارق الغَنَوي ، وحَمَلَة بن عبدالله الخَثْعمي ، وهم في الشوك والشجر ، وقد وردوا الرَقّة فسيروا إلى عين الوَرْدة فاجعلوها في ظهوركم فيكون الماء والمادّة في أيديكم ، وما بيني وبينكم فأنتم له آمنون ، وعرض عليهم أن يقيموا عنده فيقاتل معهم ، وقال : إنّه يريدني فلا تبرحوا حتى يكون أمرنا واحداً ، فلم يفعلوا ، فقال : أما والله لو أنّ خيلي كرجالي لأمددتكم .

فأغذّوا)السير وانتهوا إلى قول زُفَر بن الحارث ورأيه وساروا إلى الشمسانية وإلى السُكَيْر ، ثم إلى التُنَيْنيرَيْن وساعا ، ثم إنّ سليمان عبّأ الكتائب ووجّه إلى أوّل عسكر أهل الشام ، وقد فصلوا من الرَقّة ، وعسكرِ ابن ذي الكَلاع أربعمائة عليهم المسيَّب بن نَجَبة ، فقاتلوهم قتالاً شديداً فنالوا منهم وهزموهم وغنموا غنيمة حسنة ، فبلغ الخبر ابن زياد فسرّح إليهم الحُصين بن نُمير في اثني عشر ألفاً ، فخرج إليهم سليمان في التعبئة ، فلما

تواقفوا دعاهم الحصين إلى طاعة عبدالملك ، وكان مروان قد هلك ، ودعاهم سليمان إلى أن يسلموا إليهم عبيدالله بن زياد ويخلعوا عبد الملك ، ويُخرَج عمّال عبدالله بن الزبير ، ويُسلَم الأمرُ إلى أهل بيت رسول الله ﷺ ، فاقتتلوا أشدّ قتال سُمع به ، فهُزم أهل الشام يومَهم ، وحجز الليل بينهم ، ثم قاتلوهم من الغد وقد أمدّ ابن زياد الحُصين بابن ذي الكَلاع في ثمانية آلاف فاقتتلوا قتالاً لم يُرَ مثله ، ثم تحاجزوا وقد فشت في الفريقين الجراح ، ووافاهم أدهم بن مُحْرِز الباهلي في عشرة آلاف فالتقوا فقُتل سليمان بن صُرَد الخُزاعي ، رماه يزيد بن الحصين بسهم ، ثم أخذ الراية بعده المسيّب بن نَجَبة الفزاري فقتل ، ثم أخذها عبدالله بن سعد بن نُفيل وهو يقول : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَنْ يَنْتَظِرُ[1]﴾ رحمكما الله فقد صدقتما ووفيتما وقاتل فحمل وحمل عليه ربيعة بن المخارق ابن جَأوان الغَنَوي فاختلف هو وعبدالله بن سعد بن نفيل ضربتين فلم يصنع سيفاهما شيئاً ، وطعن ابن أخي ربيعة بن المخارق عبدالله بن سعد بن نفيل في ثغره نحره فقتله ، وأخذ الراية عبدالله بن والٍ التيمي فقُتل ، ويقال : بل دعي ابن وال حين قُتل عبدالله بن سعد لتُدفع الراية إليه فوجدوه قد استُلحم فحمل رفاعة بن شدّاد ، فكشف الناس عنه ثم إنّه أقبل إلى الراية وقد أمسكها عبدالله بن حازم الكبيري من بني كبير من الأزد ، فقال لابن والٍ : خذ رايتك فأخذها وقاتل ابن وال حتى قُتل ، وقُتل ابن حازم إلى جنب ابن وال .

وجاء الليل فنظر رفاعة إلى كلّ جريح ، فدفعه إلى قومه ، وسار بالناس حتى أصبح بالتُنَيْنيرَيْن فعبر الخابور ، ثم مضى لا يمرّ بمعبر إلاّ قطعه ،

١ ـ سورة الأحزاب الآية : ٢٣ .

ودلف أهل الشام لمحاربتهم حين أصبحوا فوجدوهم قد مضوا فلم يتبعوهم ، وسار رفاعة بالناس فأسرع وخلف وراءهم أبا الجُوَيْرية العَبْدي في سبعين فارساً لِحَمْلِ مَن سقط من الرجال ، وقَبْضِ ما وُجد من المتاع وحفْظِه على أهله وتعريفه ، فلما مرّوا بزُفَر بن الحارث بقَرْقيسيا بعث إليهم من الطعام والعلف بمثل الذي كان بعث به في بدأتهم ، وأرسل إليهم الأطبّاء والأدوية ، وقال : أقيموا عندنا إن أحببتم فإن لكم الكرامة والمواساة ، فأقاموا ثلاثاً، ثم زوّدهم وساروا فأقبل ابن زياد يريد زفر بن الحارث .

وجاء سعد بن حُذيفة بن اليمان من المدائن حتى انتهى إلى هِيت ، فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس فانصرف ، ولقي سعد المثنّى بن مخرِبة بصَنْدَوْداء فأخبره الخبر ، فأقاما فيمن معهما حتى قيل لهما إنّ رفاعة قد أظلّكما فاستقبلوه فبكى بعضهم إلى بعض ، وانصرف سعد بن حذيفة بمن معه إلى المدائن ، وانصرف أهل الكوفة إلى الكوفة ، وانصرف ابن مخرِبّة إلى البصرة .

وقوم يزعمون : إنّ سعد بن حذيفة كان وّجه إلى أهل عين الوَرْدة ابن الحصل يبشّرهم بإقبالهم إليهم ليقووا مُنَّتهم وتطيب أنفسهم ، وأنّ ابن مخرِبّة وافاهم بقبر الحسين عليه السلام في بدأتهم وشهد حربهم والله أعلم .

وقال هشام ابن الكلبي عن أبيه : قُتل بعين الوَرْدة حُجْر بن عِوَضة بن حُجْر بن مالك بن ذي العَيْنين ، واسم ذي العَيْنين معاوية بن مالك بن الحارث بن بدّاء الكندي ، وبعض الرواة يقول عَوْضة وذلك خطأ .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ : بعث حصين بن نُمير إلى سليمان بن صُرَد حين التقوا إنّي أعرف لك حقّك وسنّك وقرابتك ، وأنا اكره قتالك ، فبعث إليه

والله ما خرجت وأنا أحبُ الحياة ، فوجّه إليه سليمانَ بن عبد الرحمن الكَلاعي في خمسة آلاف فقُتل ابن صرد ، ثم أخذ الراية ابن نَجَبة فقُتل ، ثم ابن سعد بن نُفيل فقُتل .

قالوا : وأتى أدهم بن مُحْرِز عبد الملك ببشارة الفتح ، فصعد عبد الملك المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد فإنّ الله قد أهلك من أهل العراق مُلْقح الفتنة ، ورأس الضلالة سليمان بن صُرَد ، ألا وإنّ السيوف تركت رأس ابن نَجَبة خذاريف.ألا وقد قتل الله منهم رجلَيْن ضالين مُضِلّين : عبدالله بن سعد أخا الأزد ، وابن والٍ أخا بكر بن وائل ، فلم يبق بعد هؤلاء أحدٌ عنده دفاع ولا امتناع ثم نزل .

ولما قدم رفاعة بن شدّاد وأصحابة الكوفة ، كانوا يقولون إذا ذُكر لهم أصحابهم : صبروا والله ، وفررنا ، وخفنا أن نُلْقِيَ بأيدينا إلى التهلكة ، وأن نُؤكل أهل الشام لحومنا ، وقلنا لعلّ الأيّام تُبقي لهم منّا شرّا .

وكان عمر بن سعد بن أبي وقّاص ، وشَبَث بن رِبْعِيّ الرِياحي ، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم يقولون لعبدالله بن يزيد الخَطْمي ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله عامليَ ابن الزبير على الكوفة، بعد خروج ابن صُرَد : إنّ المختار بن أبي عُبيد أشدّ عليكم من ابن صُرد ، وهو يقول إذا ذكر ابن صرد : إنّه عَشَمة من العَشَم وحِفْش من الأحفاش بالٍ ، ليس بذي تجربة للأمور ، ولا علمٍ بالحروب وأنا رجل أُعملُ على مِثالٍ مُثّلَ لي ، وأمرٍ تُقُدّمَ فيه إليّ ، ويُدِلّ بنفسه غير إدْلال ابن صُرَد ، وليس البلد والمختار فيه لكم ببلد ، فأودعوه الحبس حتى يجتمع الناس على رجل ، فأخذاه فحبساه مقيّدا .

وقدم رفاعة وأصحابه الكوفة من عين الوَرْدة ، وهو محبوس ، فكتب إليهم : أمّا بعد فمرحباً بالعُصْبة الذين حكم الله لهم بالأجر حين رحلوا ، ورضي انصرافهم حين أقبلوا ، إنّ سليمان بن صُرَد رحمه الله تعالى قضى ما عليه وتوفّاه الله إليه ، فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين ، ولم يكن بصاحبكم الذي تنتظرون ، ولكنّي الآمر والمأمور وقاتل الجبّارين فأعدّوا واستعدّوا فإنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه والطَلَب بدماء أهل البيت ، والدفع عن الضَعَفة وجهاد المحلّين فأجابوه إلى ما دعاهم إليه ؛ وقالوا : إن شئت أخرجناك من محبسك ، فقال : أنا أخرج في أيّامي هذه ، وكانت صفية بنت أبي عُبيد أُخته امرأة عبدالله بن عمر بن الخطّاب، فكتب إلى عبدالله بن عمر يُعلمه أنّ ابن يزيد وابن محمد بن طلحة حبساه لغير جناية ، فكتب إليهما يسألهما إخراجه ، فأخرجاه ، فكان من أمره ما كان[1] .

---

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض الثالث ولله كل حمد وفضل .

أمر المختار بن أبي عبيد الثقفي وقصصه

قالوا: وُلد المختار بن أبي عُبَيد بن مسعود بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقْدة بن غِيَرة بن عوف بن قَسي - وهو ثقيف - بن مُنَبّه بن بكر بن هَوازن في السنة التي هاجر فيها رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، وتزوّج أبوه دَوْمة بنت عمرو بن وهب بن معتِّب؛ وكان قبل تزوّجه إيّاها يختار نساء قومه فرأى في منامه قائلاً يقول له : تَزَوَّجْ دَوْمَهْ . فإنّها عظيمة الحَوْمَهْ . لا يُسمع فيها مِن لائم لومَهْ ، فتزوّجها فلما اشتملت على المختار رأت في منامها قائلاً، يقول لها : أبْشِري بوَلَدْ . أشدّ من الأسد . إذا الرجال في كَبَدْ . يتغالبون على بَلَدْ . له فيه الحظّ الأَسَدّ ، فلما وُلد قيل لها إنّ ابنك قبل أن يتسَعْسَع[1] . وبعد أن يترَعْرَعْ . كثير التَبَعْ . قليل الهَلَعْ . خنشليلٌ[2] غير وَرَعْ . يُدان بما صنَعْ .

---

١ - السعسعة : اضطراب الجسم كبراً والهرم والفناء . القاموس .

٢ - الخنشليل : السريع ، الماضي ، والضخم الشديد . القاموس .

وكان مع أبيه أبي عُبيد بن مسعود حين وجّهه عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه إلى العراق في الثقل ، وكان له يوم قُتل أبوه ثلاث عشرة سنة ، وكان يقول : والله لأعْلُوَنّ منبراً بعد مِنْبَر . ولأفُلَّنّ عسكراً بعد عسكر ولأخِيفَنَّ أهل الحَرَمَيْن . ولأذْعَرَنّ أهل المشرقين والمغربَيْن . وإنّ خبري لفي زُبُر الأوّلين .

وكان المختار مع عمّه بالمدائن حين جُرح الحسن بن عليّ في مُظْلِم ساباط أشار على عمّه بدفعه إلى معاوية ، والتقرّب إليه به ، طلبه قوم من الشيعة منهم الحارث الأعور ، وظُبْيان بن عُمارة التميمي ليقتلوه ، فكلّم عمَّه الحسنَ فسألهم الإمساك عنه فأمسكوا وكان المختار عند الشيعة عثمانيّا .

فلما بعث الحسين بن عليّ مسلم بن عَقيل نزل دار المختار ، فبايعه المختار فيمن بايعه سراً ، وخرج ابن عقيل يومَ خرج والمختار في ضيعة له بخُطَرْنيه[1] ، ولم يكن خروج مسلم عن مواعدة لأصحابه ، إنّما خرج بَداهةً حين كان من أمر هانىء ما كان وقدم المختار الكوفة مسرعاً ، فوقف على باب المسجد الذي يعرف بباب الفيل في جماعة ، فمرّ به هانىء بن أبي حيّة الوادعي فقال له يا بن أبي عبيد لا أنت في منزلك ولا مع القوم - يعني أهل الكوفة من أصحاب ابن زياد - فقال : أمسَى رأيي مرتجنا عليّ لعظيم خَطْبكم، فأتى هانىء عمروَ بن حُريث، وهو خليفة ابن زياد فأخبره بقول المختار فأرسل إليه عمرو بن حُريث رسولاً وقال له : استَنْهِهِ عن نفسه ، وحذّره أن يجعل عليها سبيلاً ، فقام زائدة بن قُدامة الثقفي فقال : آتيك به على أنّه

---

١ - خطرنيه : ناحية من نواحي بابل العراق . معجم البلدان .

آمِنٌ وإن رقي إلى الأمير عبيدالله فيه شيء قمتَ بشأنه عنده ؟ فقال عمرو بن حريث : أمّا مني فهو آمنٌ ، وأمّا الأمير فإن بلغه عنه شيء أقمتُ له بمحضره الشهادة وشفعت عنده أحسن الشفاعة ، فأبلغ المختارَ رسالة عمرو بن حريث فأتى حتى جلس تحت رايته وبات ليلته ، ثم إنّ ابن زياد جلس للناس وفتح بابه فدخل المختار عليه فلما رآه قال له : أنت المُقْبِل في الجموع لنصر ابن عَقيل ؟ فقال : والله ما بتُّ إلّا تحت راية عمرو ، فرفع ابن زياد قضيباً كان في يده فاعترض به وجهَ المختار فشتر عينه ، وشهد له عمرو على ما قال ، فقال ابن زياد لولا شهادة عمرو لك لضربتُ عنقك ، وأمر به فحبس فلم يزل محبوساً حتى قُتل الحسين .

ثم إنّ المختار سأل زائدة بن قُدامة الثقفي أن يسير إلى عبدالله بن عمر فيسأله الكتاب إلى يزيد بن معاوية في استيهابه منه ، وكانت صفيّة بنت أبي عبيد أُخت المختار عند عبدالله بن عمر ، فسار ابن قُدامة إلى ابن عمر فكتب إلى يزيد بما سأل المختار ، فكتب يزيد إلى ابن زياد بتخلية سبيل المختار فخلّاه وأجّله في المُقام بالكوفة ثلاثاً ؛ فخرج في اليوم الثالث إلى الحجاز ، فلقيه ابن الغَرِق من وراء واقصة ، فلما رأى شتر عينه استرجع فقال المختار : شتر عيني ابنُ الزانية بالقضيب ، قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأباجله وأعضاءه إرْباً إرْباً ، فاحفظْ هذا الكلام عنّي ، ثم ذكر ابنَ الزبير فقال : إن سمع منّي وقبل عنّي كفيتُه أمر الناس ، وإلّا فلست بدون رجل من العرب ، إنّ الفتنة قد برقت ورعدت ، وكأنْ قد انبعثتْ فوطئت في خطامها ؛ فرُوي عن ابن الغَرِق أنّه قال : حدّثتُ بهذا الحديث الحجّاجَ بن يوسف ، وضحك وذكر سجع المختار فقال : كان يقول : ورافعةٍ ذَيْلَها . وصائحة وَيْلَها .

بدْجِلَة أو حَوْلَها . فوالله ما أدري ما كان يقول ، إلاّ أنّه كان رجلاً ديّناً ، ومقارع أعداء ، ومُسْعِر حرب .

قال : وقدم المختار على عبدالله بن الزبير ، فرّحب به وأوسع له ثم قال له : ما حال العراق يا أبا إسحاق ؟ قال : هم لسلطانهم في العلانية أولياء ، وفي السرّ أعداء ، فقال ابن الزبير : هذه صفة عَبيد السَوءِ إذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم ، وإذا غابوا عنهم شتموهم وعابوهم ، وعرض على ابن الزبير أن يقلّده أمره ويستكفيه إيّاه فلم يفعل؛ فقام عنه ولحق بالطائف فتصرّف في أموره وغاب عن ابن الزبير سنة ، وجعل يقول : أنا مُبير الجبّارين ، فبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن يُهلك الله الجبّارين يكن المختار أحدَهم ، قاتله الله كذّاباً متهكّماً .

وأقبل المختار بعد سنة حتى دخل المسجد وابن الزبير في ذكره فقال ابن الزبير : إذكرْ غائباً تَرَه ، وأقبل المختار فطاف بالبيت وصلّى عند الحجر ركعتين ، ثم جلس واجتمع إليه قوم يسلّمون عليه ، واستبطأه ابن الزبير فقال له بعضهم : قم إليه فقد استبطأك ؟ فقال أتيتُه عاماً أوّلَ فعرضت عليه نفسي فرأيته منحرفاً عنّي ، والله إنّه إليّ لأحوج منّي إليه ، فقال له عبّاس بن سهل بن سعد الساعدي : إنّك أتيته نهاراً ، وهذا أمر تُضرَب عليه الستور ، فأْتِه ليلاً ، فقال : أنا فاعل ، فلما كان الليل أتاه عبّاس ، فمضيا جميعاً حتى دخلا على ابن الزبير فسلّم عليه ابن الزبير وصافحه ، فابتدأ المختار القول فقال: إنّه لا خير في الإكثار من المنطق، ولاحظّ في التقصير عن الحاجة ، وقد جئتك لأُبايعك على أن لا تقضي أمراً دوني ، وعلى أن أكون أوّل من تأذن له ، وإذا ظهرتَ استعنت بي على أفضل عملك ؟ فقال ابن

الزبير : أُبايعك على كتاب الله وسنّة نبّيه ؟ فقال المختار : لو أتاك شرّ غلماني لبايعتَه هذه المبايعة العامة ، والله لا أُبايعك إلاّ على هذه الخصال ، فبسط ابن الزبير يده فبايعه .

ومكث المختار معه حتى شهد حصار ابن الزبير الأوّل ، وهو حصار حُصين بن نُمير السَكوني، وقاتل في جماعة معه أشدّ القتال وأغنى أعظم الغَناء ، ولما كان آخر يومٍ قاتل فيه الحصين بن نمير ابنَ الزبير نادى : يا أهل الشام أنا المختار بن أبي عبيد ، أنا الكرّار غير الفرّار ، أنا المُقْدِم غير المُحْجِم إليّ يا أهل الحِفاظ وحُماة الأدبار ، وكان آخرَ أيّامهم في القتال اليومُ الذي علم أهل الشام فيه بموت يزيد ؛ وكان عبد الرحمن بن بُحْدُج بن ربيعة أحد بني عامر بن حنيفة في عصابة من الخوارج من أهل اليمامة يقاتل مدافعةً عن البيت ، لا غضباً لابن الزبير .

وأقام المختار مع ابن الزبير حتى انصرف عنه الحُصين بن نُمير وأهل الشام إلى الشام ، فلما رأى أنّ ابن الزبير لا يولّيه شيئاً أقبل يسأل الناس عن خبر الكوفة وأهلها، فيقال له إنّهم أخرجوا عمرو بن حُريث عامل ابن زياد واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أُمية بن خَلَف ، فيقول : أنا أبو إسحاق ، أنا لها إذ ليسَ لها أحد غيري ، أنا راعيها إذا أظلّ راعيها ، ثم ركب رواحله وأتى الكوفة ، فلما صار بنهر الحيرة اغتسل وادّهن ، ولبس ثيابه ، واعتمّ وتقلّد بسيفه وركب راحلته فمرّ بمسجد السَكون ، وجَبّانة كندة ، وجعل لا يمرّ بمسجد إلاّ سلّم على أهله حتى مرّ ببني بداء من كندة ، فسلّم على عبيدة بن عمرو البَدّي ، وقال : يا أبا عمرو أبشر بالنصر واليسر والفرج إنّك على رأيٍ تُستر معه العيوب ، وتغفر الذنوب ، وكان عبيدة من

أشدّ الناس تشيُّعاً وحُباً لعليّ ، وكان شجاعاً ، فقال للمختار : بشّرك الله بخير ، قال : ٱلقَنِي رحمك الله وأهلُ مسجدك ؛ ودارَ على الشيعة من همدان وغيرها يبَشرهم ويبلّغهم السلام عن ابن الحنفيّة .

فيقال : إنه لما أراد الشخوص إلى الكوفة أتى ابن الحنفيّة فقال له إنّي على الشخوص للطلب بدمائكم ، والإنتصار لكم ، فسكت ابن الحنفيّة فلم يأمره ولم ينهَهُ فقال إنّ سكوته عنّي إذنٌ لي وودّعه ، فقال له ابن الحنفيّة : عليك بتقوى الله ما استطعت ؛ ويقال : إنّه لما قال له: إنّي على الشخوص للطلب بدمائكم والإنتصار لكم قال : إنّي لأُحبّ أن ينصرنا ربُّنا ويُهلك من سفك دماءنا ولست آمرُ بحرب ولا إراقة دم ، فإنّه كفى بالله لنا ناصراً ، ولحقّنا آخذاً وبدمائنا طالباً .

وحدثني عبيدالله بن صالح بن مسلم العِجْلي ، حدثنا اسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي أنّه قال ـ وسئل هل كان أمر المختار عن رأي محمد ابن الحنفيّة ـ فقال : كان لذلك سبب ، إلاّ أنّه أمره بما لم يعمل به .

وقال أبو مخنف في روايته : لما اجتمعت الشيعة إلى المختار حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد فإنّ المهديّ ابن الوصيّ محمد بن عليّ بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتجباً وأميراً ، وأمرني بقتال المحلّين والطلب بدماء أهل بيته الطيّبين ؛ فكان أوّل من بايعه عبيدة بن عمرو ، وقد كانت الشيعة مجتمعة لسليمان بن صُرَد الخُزاعي ، فجعل يثبطها عنه ويقول هذا رجل عشَمة هامةُ اليومِ أو غدٍ ، وإنما يريد أن يقتلكم ونفسَه ، فإنّه لا علم له بالحروب وسياسة الأمور حتى مال إليه كثير منهم ، وكان ابن الزبير قد جعل مكان عامر بن مسعود على صلاة الكوفة وحربها عبدالله بن يزيد الأنصاري ،

ثم أحد بني خَطْمه، وعلى الخراج إبراهيم الأعرج بن محمد بن طلحة بن عبيدالله فأتاهما عمر بن سعد بن أبي وقّاص ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم الشيباني ، وشَبَث بن رِبْعِيّ الرِياحي فقالوا لهما: إن سليمان بن صُرَد يريد قتال أعدائكما ، وإنّ المختار يريد الوثوب بكما في مصركما والإفساد عليكما ، فأخذاه فحبساه وقيّداه .

فكان يقول في السجن : أما وربّ البِحارْ . والنخل والأشجار . والمهامه والقفار . والملائكة الأبرار . والمُصطَفَيْنَ الأخيار . لأقتلنّ كلّ جبّار . بكلّ لدن خطّار . ومهَنَّدٍ بتّار . في جموع من الأنصار . ليسوا بِميل أُغمار . ولا عُزْلٍ أشرار . حتى إذا أقمتُ عَمودَ الدين . ورَأَبْتُ صَدْع المسلمين . وشفيت غليل صدور المؤمنين . وأَدْرَكْتُ ثأر أبناء النبيّين . لم يكبُر عليّ فراق الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أَتى .

وكان يسجّع بعد خروج ابن صُرَد إلى الجزيرة فيقول : عدوا لغُزيكم أكثر من عَشْر . وأقلّ من شهر . فليأتينّكم نبأ هِتْر .وطعن نتر.وضرب هَبْر . وقتل جَمّ . وأمر قد حَمّ . فمن لها يومئذ ، أنا لها .

وكتب من الحبس إلى عبدالله بن عمر : «أمّا بعد فقد حُبستُ مظلوماً ، وظنّ بي ولاة المصر ظنوناً ، وحُمِلَتْ عني أكاذيب ، فاكتب رحمك الله إلى هذين الواليين الظالمين في أمري لعلّ الله يتخلّصني ببركتك» ، فكتب ابن عمر إليهما :«أمّا بعد فقد علمتما الذي بيني وبين المختار بن أبي عبيد من الصهْر ، وما أنا عليه لكما مِن الودّ فأقسمت عليكما بما بيني وبينكما لَمّا خلّيتما سبيله» ، فلما أتى الكتاب عبدالله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد دعوا المختار وقالوا : هات بكفلاء يضمنونك فضمنه زائدة بن قدامة الثقفي ، وعبد

الرحمن بن أبي عُمير الثقفي ، والسائب بن مالك الأشعري وقيس بن طَهْفة النَهْدي ، وعبدالله بن كامل الشاكري من همدان ، ويزيد بن أنس الأسدي ، وأحمر بن شُمَيْط البَجَلي ثم الأَحْمَسي ، وعبدالله بن شدّاد الجُشَمي ورفاعة بن شدّاد البَجَلي ، وسُليم بن يزيد الكندي ثم الجوني ، وسعيد بن مُنْقِذ الهمداني ثم الثَوْري أخو حبيب بن منقذ ، ومسافر بن سعيد بن عمران الناعِطي وسعر بن أبي سعر الحَنَفي ، فلما ضمنوه دعا به عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد فأحلفاه ألا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ، فلما خرج من عندهما قال : أما حلفي لهما بـ ٪ فإنّه ينبغي لي أن اكفّر يميني فإنّ خروجي عليهما خير، ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها أتى الذي هو خير وكفّر عن يمينه ، وأمّا حلفي بعتق مماليكي فوددت أنّي نلت الذي أريد وأنّي لا أملك مملوكاً أبداً وأمّا هدْي ألف بَدنَة فذلك أهْوَن عليّ من بصقة .

ثم إنّه صار إلى داره فتداكّت عليه الشِيَعُ يبايعونه ، فلم يزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى حتى عزل ابنُ الزبير عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد وولّى عبدالله بن مُطِيع بن الأسود الكوفةَ ، فقدمها في شهر رمضان سنة خمس وستّين وبعث ابن الزبير الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، وهو القُباع ، على البصرة ، وخرج إبراهيم بن محمد إلى المدينة وكسر الخراج على ابن الزبير ، وقال : إنّها كانت فتنة ؛ وقبل خروجه حبسه ابن مطيع ، فكتب إليه اسماعيل بن طلحة : «والله لتُطلقنّه أو لتعلمنّ أنّي لك بئسَ الشِعارُ وأنّها لك بئسَ الدارُ» ، فأطلقه .

ودعا ابن مُطيع الناس إلى البيعة لإبن الزبير ، ولم يسمِّهِ ، وقال : بايعوا لأمير المؤمنين فكان ممّن بايعه فَضالة بن شَريك الأسدي ، ويقال : ابن همّام السَلولي وقال :

دَعا ابْنُ مُطيعٍ لِلْبياعِ فجِئْتُهُ إلى بَيْعَةٍ قَلْبي لها غَيْرُ عارف
فأَخْرَجَ لي خَشناءَ حَيْثُ لَمَسْتُها مِنَ الخُشْنِ لَيْسَتْ مِنْ أَكُفِّ الخَلائف
مِنَ الشَثِناتِ الكُزْمِ أَنكَرْتُ مَسَّها ولَيْسَتْ مِنَ البيضِ السِباطِ اللَطائف
مُعاوِدَةٍ ضَرْبَ الهَراوَى لِقَوْمِها فَروراً إذا ما كانَ يَوْمُ التَسايُف
ولم يُسْمِ إذْ بايَعْتُهُ مَنْ خَليفَتي ولَمْ يَشْتَرِطْ إلاّ اشْتِراطَ المُجازف

قالوا: وخطب ابن مطيع فقال إنّ امير المؤمنين بعثني على مصركم وثغوركم وأمرني بجباية فَيئكم ولا أحمل شيئاً ممّا يفضل عنكم إلاّ أن ترضوا بحمل ذلك، فآتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا، وخذوا فوق أيدي سفهائكم فوالله لأوقعنّ بالسقيم العاصي ، ولأقيمنّ درء[1] الأصعر المرتاب ، ولأبالغنّ للمحسن في الإحسان ، ولأَتَّبِعَنَّ سيرة عمر وعثمان ، فقال له السائب بن مالك : أمّا سيرة عثمان فكانت هوى وأَثَره فلا حاجة لنا فيها ، وأمّا سيرة عمر فأقلّ السيرتين ضرراً علينا لكن عليك بسيرة عليّ بن أبي طالب ، فإنّا لا نرضى بما دونها ، فقال ابن مُطيع : نسير فيكم بكلّ ما تهوَن وتريدون ؛ وكان على شُرَط ابن مطيع إياس بن مضارب العِجْلي ، وقال له حين ولاّه : عليك بحسن السيرة والشدّة على أهل الريبة .

---

١ ـ الدرء : الميل والعوج في القناة ونحوها .

قالوا : وبعث ابن مطيع إياساً إلى المختار ليأتيه به فتمارض المختار ودعا بقطيفة وقال : إنّي لأجد قفقفةً ، وجعل المختار يبعث إلى اصحابه فيجمعهم في الدور حوله ، وأراد الوثوب بالكوفة في المحّرم ؛ فجاء رجل من شِبام يقال له عبد الرحمن بن شريح إلى وجوه الشيعة فقال لهم : إنّ المختار يريد الخروج بنا ولا ندري لعلّ محمد بن عليّ لم يوجّهه إلينا ، فآنهضوا بنا إليه لنُخبره خبره فإن رخّص لنا في اتّباعه اتبعناه ، وإن نهانا عنه اجتنبناه فما ينبغي أن يكون شيء آثَرَ عندنا من أدياننا ، فخرج عبد الرحمن بن شريح الشِبامي ، والأسود بن جراد الكندي ، وسِعْر بن أبي سعر الحنفي في عدّة معهم إلى ابن الحنفيّة ، فلما لقوه قال عبد الرحمن : إنّكم أهل بيت قد خصّكم الله بالفضيلة ، وشرّفكم بالنبّوة ، وعظم حقّكم على الأمّة فلا يجهله إلا غبين الرأي مخسوس الحظّ ، وقد أُصبتم بحسين رحمه الله ، وأتانا المختارُ بن أبي عُبيد يزعم أنه جاء من تِلْقائك يطلب بدمه ، فمُرْنا بأمرك ، فقال ابن الحنفيّة : إنّ الفضل بيد الله يُؤتيه من يشاء ، فالحمد لله على ما آتانا وأعطانا ، وأمّا المصيبة بحسين فقد خصت أهله ، وعمّت المسلمين ، وما دعاكم المختار إليه ، فوالله لوددت أنّ الله انتصر لنا بمن شاء من خلقه ، فقالوا : هذا إذن منه ، ورخصة ، ولو شاء لقال : لا تفعلوا حتى يبلغ الله أمره ، فلم تكن إلاّ زيادة أيّام على الشهر حتى وافوا الكوفة فبدأوا بالمختار ، وكان ظنّه ساء ، وخاف أن يأتي القوم بأمر يخذّلون به الشيعة عنه ، فقال لهم حين قدموا : ارتبتم وتحيّرتم ، فما وراءكم ؟ قالوا : أُذِنَ لنا في نصرتك ، فقال : الله أكبر أنا أبو إسحاق ، اجمعوا إليّ الشيعة ، فاجتمعوا فقال : إنّ نفراً منكم أحبّوا أن يعلموا مِصداق ما جئتُ به ، فرحلوا إلى إمام الهدى .

والنجيب المرتضى . وابن خير من جلس ومشى . بعد النبيّ المصطفى . فسألوه عمّا قدمتُ له . فأنبأهم أني وزيره وظهيره ورسوله ، فقام عبد الرحمن بن شريح فقال : إنّا قدمنا على المهدي بن عليّ فأمرنا بمظاهرة المختار ومؤازرته ، وإجابة دعوته ، فأقبلنا طيّبةً أنفسُنا منشرحة صدورُنا ، قد أذهب الله عنّا الشكّ والغِلّ والريب ، واستقامت لنا بَصيرتنا في قتال عدوّنا ، فليُبلغ ذلك شاهدُكم غائبَكم ، وقام الوفد رجلاً رجلاً فتكلّموا بنحو ما تكلّم به عبد الرحمن ، فاستجمعت له الشيعة ، وقالوا : إنّ أشراف أهل الكوفة مُجمعون على قتالك مع ابن مُطِيع فإن جاء معنا إبراهيم بن الأشتر على أمرنا رجونا القوّة بإذن الله على عدوّنا ، فإنّه فتى بئيس ، وابن رجل شريف وله عشيرة ذات عزّ وعدد .

فرُوي عن الشعبي أنّه قال : فخرج إليه وجوه الشيعة ، وأنا فيهم فكلموه ودعوه إلى الطلب بدم الحسين ، وأهل البيت ، وقالوا : إنّ هذا أمر جسيم إن أَجَبْتَنا إليه ، عادت لك منزلة أبيك في الناس ، وأحييت شرفه وما كان مشهوراً به من الفضل ، ونُصرة الحقّ ، والغضب لرسول الله ﷺ ، وأهل بيته فقال : قد أجبتكم إلى ما دعوتموني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على أن تولّوني الأمر .

فقالوا : أنت لذلك أهلٌ ، ولكنّ المهديّ محمد بن عليّ وّجه المختار إلينا فهو الآمر والمأمور بالقتال ، وقد شخص إليه نفر منّا اختباراً لِما جاء به فأمَرَنا بطاعته ؛ ثم إنّ المختار أتاه في جماعة من الشيعة بعد أيّام كثيرة ، فأقرأه كتاباً من محمد بن علي إليه نسختُه :

«من محمد المهديّ بن عليّ إلى إبراهيم بن مالك .

أمّا بعد : فإنّي بعثت إليكم المختار بن أبي عُبيد ، نصيحي ووزيري ، وثِقَتي وأميني المرضيّ عندي ، للطلب بدماء أهل بيتي ، فآنهض معه بنفسك وعشيرتك وأتباعك ومن أطاعك ، فإنك إن نصرتني ، وساعدت وزيري ، كانت لك عندي بذلك فضيلة ، ولك الأعنّة والمنابر ، وكل بلد ظهرتَ عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام» .

فقال ابن الأشتر : قد كاتبتُ محمد بن عليّ ، وكاتبني فما رأيته كتب إليّ قط إلا باسمه اسم أبيه ، لا يزيد على ذلك ، وقد استربتُ بهذا الكتاب ، فقام يزيد بن أنس ، وأحمر بن شُمَيْط ، وعبدالله بن كامل بن عمرو الهمداني ثم الشاكري ، وورقاء بن عازب الأسدي ، فشهدوا أنّه كتاب ابن الحنفيّة ، فتنحى إبراهيم عن صدر المجلس وأجلس المختار فيه وبايعه .

فمكثوا يدبّرون أمرهم حتى أجمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة النصف من شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وستّين ، ووطّنوا على ذلك شيعتهم ومن معهم ، فلما كان عند غروب الشمس ليلة النصف وهي ليلة الميعاد ، قام إبراهيم بن الأشتر فصلّى المغرب حين قال القائل : أخوك أم الذئب ؟ ثم أتى المختار ؛ قال الشعبي : فأقبلنا معه وعلينا السلاح فلم يمكن في تلك الليلة الخروج ، فآتعدوا لليلة الخميس .

المدائني في إسناده ، قال : كان للمختار مجلس يجلس فيه بالطائف ليلاً فـرفع رأسه إلى السماء ثم قال متمثّلاً :

ذو منـاديـحَ[1] وذو مُلْتَبَطٍ[2] وركابٍ حَيْثُ وَجَّهْتُ ذَلَلْ
لا تَذُمَّنْ بلداً تـكــرهــه وإذا زَلَّتْ بِكَ النَعْلُ فَزَلْ

قد والله مات يزيد ، فما لبثوا أن جاء موتُه .

المدائني في إسناده ، قال : ركب المختار يوماً مع المغيرة بن شُعْبة ، فمّر بالسوق فقال المغيرة : أما والله إنّي لأعرف كلمة لو دعا بها أريبٌ لاستمال بها أقواماً فصاروا له أنصارا ، ثم لاسيّما العجم الذين يقبلون ما يُلْقَى إليهم ، قال المختار : وما هي يا عمّ ؟ قال : يدعوهم إلى نصرة آل محمد والطلب بدمائهم ، فكانت في نفس المختار حتى دعا .

١ ـ الندح : الكثرة والسعة ، وما اتسع من الأرض . القاموس .
٢ ـ التبط البعير: خبط بيديه وهو يعدو ، وفلان سعى وتحير واضطرب ، والقوم أطافوا به ولزموه . القاموس .

مقتل إياس بن مضارب وابنه راشد بن إياس

قالوا : وبلغ ابن مُطِيع إجماع المختار بالخروج فأخبر إياساً بذلك وهو على شُرَطه ، فخرج إياس في الشرط ، وبعث ابنه راشد إلى الكُناسة وأقبل يسير حول السوق في الشرط ، وأشار على ابن مطيع أن يبعث إلى كلّ جَبّانة عظيمة رجلاً من ثِقاته في جماعة من أهل الطاعة له ، فوجّه ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني إلى جبّانة السَبيع فقال : آكفني قومك ، وبعث كعب بن أبي كعب الخَثْعَمي إلى جبّانة بشر بن ربيعة الخثعمي ، وبعث زَحْر بن قيس الجُعْفي إلى جبانة كِنْدة ، وبعث شَمِر بن ذي الجَوْشَن الكِلابي إلى جبّانة سالم ، وبعث عبد الرحمن بن مِخْنَف إلى جبّانة مُراد ، وأمر كلّ امرىء منهم أن يتحفّظ ويحكم أمره وما يليه ، وبعث شَبَث بن رِبْعِيّ إلى السَبَخة ؛ فخرج إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلة الأربعاء في جماعة عظيمة عليهم الدروع وهم متقلّدو السيوف وقد كفّروا الدروع بالأقبية ، وستروا السيوف ، وفيهم شراحيل وابنه عامر بن شراحيل الشعبي ، وقال الشعبي : كان ابراهيم فتى حدثا شجاعاً لا يكره أن يلقى أحداً من أصحاب ابن

مطيع ، فمرّ بدار عمرو بن حُريث المخزومي فلقيه إياس بن مضارب في الشرط ، فقال : من أنتم ؟ قال إبراهيم : أنا إبراهيم بن مالك الأشتر ، فقال : ما هذا الجمع لقد رابني أمرك ، ولست بتاركك حتى آتي بك الأمير وكان مع إياس رجل همداني يُكنى أبا قَطَن ، وفي يده رمح له طويل ، وكان صديقاً لإبراهيم فاستدناه إبراهيم فدنا منه وهو يظنّ أنّه يكلّمه في مسألة ابنِ مضارب الإمساك عنه ، فكلّمه إبراهيم بشيء ، ثم استلب الرمح منه وحمل على إياس فطعنه في ثُغْرَة نحره ، فصرعه وأمر رجلاً ممّن معه فاحتزّ رأسه ، وتفرّق أصحاب ابن مضارب ؛ فبعث ابن مطيع راشد بن إياس بن مضارب مكان أبيه على الشرطة ، وصَيّر مكان راشد بالكُناسة سُويد بن عبد الرحمن بن بُجير المِنْقَري أبا القعقاع بن سويد ، وبعضهم يقول : هو سويد بن عمرو ، والأوّل أصحّ ، وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار فقال إنّا اتّعدنا للخروج القابلةَ ، وهي ليلة الخميس وقد حدث أمر لابدّ لنا معه من الخروج الليلة ، وأخبره خبر ابن مضارب وألقى رأسه بين يديه ، فقال المختار : بشّرك الله بخير فهذا أوّل الفتح ، ثم لبس المختار سلاحه وأمر فنُودي : «يا منصور أُمِت» وأمر أيضاً فنودي : «يا لَثَارات الحسين» وجعل يقول :

قَدْ عَلِمَتْ بَيْضاءُ حَسْناءُ الطَّلَلْ   واضِحَةُ الخَدَّيْنِ عَجْزاءُ الكَفَلْ
أَنّي غَداةَ الرَّوْعِ مِقْدامٌ بَطَلْ

وقال ابن الأشتر : إنّ هؤلاء الذين رتّبهم ابن مُطِيع في المواضع يمنعون إخواننا من المصير إلينا وإتياننا ، فالرأي أن آتى قومي في كتيبتي هذه التي جئتك فيها ليجتمعوا ، ثم أدور في نواحي الكوفة ، وأنادي بشعارنا فيخرج

إليّ من أراد الخروج ، فقال المختار : استَخِر الله ، ففعل ابراهيم ، وجعَل كلّما تسرّعتْ إليه خيل كشفها ، ثم عاد يخترق السكك ويجتنب منها سكك الأُمراء .

وخرج المختار في جماعة أصحابه حتى نزل عند السبَخَة ، ونادى أبو عثمان النهدي في شاكر : ألا إنّ وزير آل محمد قد خرج وبعثني إليكم ، فخرجوا من الدور ينادون : «يا لثأرات الحسين» وضاربوا كعب بن أبي كعب الخَثْعَمي وهو بجبانة بِشْر حتى خلّى لهم الطريق ، فأتوا عسكر المختار ، وجاء حجّار بن أَبْجَر العِجْلي فعبأ له المختار أحمر بن شُميط الأَحْمسي ، فقاتله وأقبل إليهم ابن الأشتر فلما أحسّ به حجّار هرب وأصحابه ؛ وتوافى إلى المختار من كلّ قبيل المائة والمائتان ، وكانوا يحملون على من عرض لهم حتى تتامّ إليه ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل ، فعبّأهم المختار وكتّبهم ، وتوجّه ابن الأشتر إلى راشد بن إياس بن مُضارب فلقيه في جَبّانة مراد وهو في أربعة آلاف ، فاقتتلوا ، فَقَتَل خُزيمةُ بن نصر العَبْسي ، وأبو نصر بن خزيمة المقتول مع زيد بن عليّ بن الحسين ، راشدَ بن إياس ونادى : قتلتُ راشداً ورَبِّ الكعبة ، وانهزم أصحاب راشد ؛ فقالت أخته ترثيه :

لَحَى الله قَوْماً أَسْلَموا أَمْسِ راشِداً بِجَبّانَةِ الدارينَ عِنْدَ مُراد
فَلا وَلَدَتْ عِجْلِيَّةٌ بَعْدَ راشِدٍ غُلاماً ولا حَلّت بِصَوْبِ رعاد

وجعل إبراهيم يحرّض أصحابه فيقول إنّه ليس مع الحقّ قلّة ، ولا مع الباطل كثرة فـ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله والله مَعَ الصَّابِرين﴾[1] .

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٤٩ .

أمر حسان بن فائد وحصار ابن مطيع وهربه

قالوا : وأقبل إبراهيم بن الأشتر بعد قتل راشد بن إياس نحو المختار وقدم البُشَراء بين يديه بقتل راشد ، فقويت أنفس أصحابه ودخل ابنَ مطيع وأصحابه الفشلُ والوهن ، فسرّح ابن مطيع حسّان بن فائد بن بكير بن إساف العَبْسي في نحو من ألفين فاعترض له إبراهيم ليردّه عمّن بالسَبَخَة من أصحابه ، فزحف إبراهيم إليه في أصحابه ، فما تطاعنوا برمح ولا تضاربوا بسيف حتى انهزم أصحاب حسّان وظفروا به فكلّم فيه خُزيمة بن نصر العَبْسي إبراهيم وقال : ابن عمّي فحمله إبراهيم على فرس وقال : الحَقْ بأهلك .

وقصد إبراهيم بن الأشتر لشَبَث بن رِبْعِي فاعترضه يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم ليصدّه عنه ، فأمر إبراهيم خزيمة بن نصر أن يصمد له ، فهزم خزيمةُ يزيدَ وكشف إبراهيم شَبَثاً وأصحابه ، فانهزموا إلى ابن مطيع وولى ابن مطيع شرطته بعد إياس وابنه سُويدَ بن عبد الرحمن المِنْقَري أبا القَعْقاع واستخلف على المصر شَبَث بن رِبْعيّ ، وضمّ إلى مُساحِق بن عبدالله بن مَخْرَمة القرشي ثم العامري ، ويقال إلى ابنه نَوْفل بن مساحق ، خمسة آلاف فاجتمعت مقاتلة ابن مطيع إليه ، وقد صار إلى الكُناسة ، فدلف إليهم ابن الأشتر وقال لأصحابه : انزلوا ولا يهولنّكم آل فلان ، وآل فلان ، فإنّ هؤلاء الذين ترون لو قد وجدوا وقع السيوف انفرجوا عن ابن مطيع انفراج المِعْزَى ، ثم أخذ أسفل قبائه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود ، ثم قال لأصحابه : شدّوا عليهم فدَاكم عمّي وخالي ، فما لبثوا أن انهزموا ، وركب بعضُهم بعضاً على أفواه السكك ،

وازدحموا وانتهى ابن الأشتر إلى مساحق ، أو ابن مساحق ، فرفع عليه بالسيف فقال له : يا بن الأشتر، هل بيني وبينك إحْنة أو عداوة ، أو لك قِبَلي ثأر تطلبني به ؟ فخلّى سبيله ، فكان بعد ذلك يشكره .

وأتى ابن مُطِيع القصر ، واتّبعه ابن الأشتر وجاء المختار حتى دخل المسجد وولى حصار ابن مطيع في القصر إبراهيم بن الأشتر ، وأحْمر بن شُميط ، ويزيد بن أنس الأسدي ، فصار كلّ امرىء منهم في ناحية من القصر ، ومكث ابن مطيع ثلاثا يرزق أصحابه الدقيق ، ومعه أشراف الناس إلاّ عمرو بن حُريث ، فإنّه دخل القصر معه ، ثم كره الحصار فخرج من الكوفة ، وأشار شَبَث بن رِبْعِيّ على ابن مطيع أن يأخذ لنفسه أماناً ، ويخرج فأبى ذلك ، قال: الأمر مستقيم بالحجاز لأمير المؤمنين عبدالله بن الزبير وبالبصرة، فكيف أرضى بهذه المنزلة؟ فقال: فإذ كرهت هذه فَسِرْ إلى بعض من تثق به سِراً فاستخفِ عنده ، ثم الحَقْ بأمير المؤمنين ، فقال لأسماء بن خارجة بن حِصْن الفَزاري ، وعبد الرحمن بن مِخْنَف ، وأشراف أهل الكوفة : ما ترون فيما أشار به شَبَث ؟ قالوا : هو الرأي ، قال : ننتظر المساءَ ، واطّلع من القصر رجل فشتم المختار ، فرماه عمرو بن مالك النَهْدي أبو نمر بسهم فعقره ولم يقتله فقال :

خذها مِنِ ابنِ مالِكْ مِنْ فاعِلٍ كذلِكْ

ولما أمسى ابن مطيع جمع الأشراف الذين معه فقال: جزاكم الله عن الطاعة خيراً ، أما إني سأعلم أمير المؤمنين بما كان مُحاماتكم وجدّكم واجتهادكم ، فقال شَبَث : جزاك الله من أمير خيراً ، فقد عففتَ عن أموالنا وأكرمت أشرافنا ، ونصحت لإمامك وقضيت الذي عليك وما

كنّا لنفارقَك إلاّ بإذن منك ، فقال : ليذهب كل امرىء منكم إلى حيث أحبَ ، ثم احتال للخروج فخرج من ناحية دار الروميّين ، حتى أتى آل أبي موسى وخَلّى القصر ، واستأمن أصحابُه فآمنهم ابن الأشتر ، وخرجوا فبايعوا المختار .

قالوا : ودخل المختار القصر في اليوم الرابع من حصار ابن مطيع فقال : «الحمدلله الذي وعد وليَّه النصر . وعدوَّه الخَسر . وجعله فيه إلى آخر الدهر . وَعْداً مفعولاً . وقضاءُ مَقْضيّا . وقد خاب من افترى . إنّه رُفعت لنا راية . ومُدَّت لنا غاية . فقيل لنا في الراية . ارفعوها ولا تضعوها . وفي الغاية اجروا اليها ولا تعتدوها . فسمعنا دعوة الداعي . وإهابة الراعي . فكم من ناعٍ وناعية . لَقتيلٌ في الواغية . وبُعْداً لمن طغى . وكذّب وتولّى . ألا ادخلوا أيّها الناس فبايعوا بيعة هدى . فوالذي جعل السماء سقفاً ملفوفاً . والأرض فِجَاجاً سُبُلاً . ما بايعتم بعد بيعة أمير المؤمنين عليّ وآل عليّ بيعة أهدى منها» ؛ فبايعه الناس على كتاب الله وسنّة نبيّه ، والطلب بدماء أهل البيت ، وجهاد المحلّين ، والدفع عن الضعفاء ، وقتالِ مَن قاتله ، وسلم من سالَمه ، والوفاء بعهده وبيعته لا يُقيل ولا يستقيلون، فكان الرجل اذا عرض عليه ذلك فقال: نعم، ماسَحهُ، فجاء المنذر بن حسّان بن ضِرار الضَبّي ليبايع ومعه ابنه فرآهما جماعة من الشيعة، كانوا وقوفاً مع سعيد بن منقذ الهمداني ، فقالوا:هذا والله من رؤساء الجبّارين فشَدّوا عليه وعلى ابنه فقتلوهما ، فصاح بهم سعيد : لا تعجلوا ، وبلغ ذلك المختار فكرهه حتى استُبينت في وجهه كراهته ، وبعث المختار إلى ابن مطيع : إنّي قد عرفت مكانك وقد ظننت أنّ بك عجزاً عن النهوض ، وقد

بعثت إليك بمائة ألف درهم ، فقبلها ابن مطيع وشخص عن الكوفة ، وكان المختار قد وجد في بيت مال الكوفة تسعة آلاف ألف درهم ، فأعطى أصحابه ومن بايعه ، وأحسن المختار مجاورة أهل الكوفة والسيرة فيهم ، وأكرم الأشراف ، وولّى شرطته عبدالله بن كامل الشاكري ، وولّى حرسه كَيْسان مولى عُرَيْنة ، ويُكنى أبا عَمْرَة ، وهو صاحب الكيسانيّة وولّى المختار عُمّاله ، وولّى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الموصل .

وكان عبدالله بن الزبير كتب إلى ابن مطيع في تولية محمد بن الأشعث الموصل فولّاه إيّاه فلما وردها عبد الرحمن بن سعيد انحاز ابن الأشعث إلى تكريت ، وكتب بخبره إلى ابن الزبير ، فكتب إليه ابن الزبير قد فهمت كتابك ولا عذرَ لك عندي فيما فعلت ، أتُخلّي أرض الموصل وخراجها وحصونها من غير جهاد ولا إعذار وقد خرطتك عليها فأنت تأكل منها الكثير وتبعث إليّ بالقليل ، فوالله لو لم تقاتل مناصحةً لإمامك ولا طلباً لثواب ربّك لكنتَ حَرِيّاً بأن تقاتل عن بلد أنت أميره لك خيره وعليك عيبه فلم تفعل ذلك غضباً ولا محاماةً على سلطانك ، فلستَ في أمر دنياك بالحازم القويّ ولا أمر آخرتك بالخائف التقيّ ، فقد عجزت عن عدوّك وضيّعت ما ولّيتُك والسلام .

وأتاه عبد الرحمن بن محمد ابنه فقال له : على ماذا نقيم في غير عزّ ولا منعة ولا انتظار قوّة ، ولم يزل به حتى قدم الكوفة ودخل على المختار فسلّم عليه ودعا له وهنّأه وعرض عليه أن يجلس للقضاء فأبى ذلك ، فأجلس المختار شُريحاً للقضاء ، ثم إنّه تمارض فقيل للمختار : إنّه عثماني فصَيَّرَ على

القضاء عبيدالله بن عبدالله بن عُتْبة بن مسعود ، ثم مرض فصيّر مكانه عبدالله بن مالك الطائيّ .

وكان ابن همّام السَلولي الشاعر عثمانيّاً ، وكان سمع رجلاً من الشيعة نال من عثمان فعنَفه فاستخفى حين ظهروا ، وقوي أمرهم ، ثم قال في المختار شعراً وأتاه وأنشده إيّاه فحمله المختار على فرس وقال لأصحابه إنّه قد أثنى عليكم فأعطاه قيس بن طهفة النَهْدي فرسا ومِطْرَفاً ، ووثب به قوم من الشيعة فأجاره ابن الأشعث فامتنعوا منه ، وسمع المختار الضَوْضَاء فخرج إليهم فقال : إذا قيل لكم خير فأقْبَلوا وإذا قدرتم على مكافاة فافعلوا ، وإلاّ فتنصّلوا واتّقوا لسان الشاعر فإنّ شرّه حاضر وقوله جارح ، ومضى به إبراهيم بن الأشتر إلى منزله فأعطاه ألف درهم وفرساً ، وكان ابن همّام حين حُصر ابن مطيع في القصر فتدلّى منه مع ناس تدلّوا أيضاً فقال :

لَمّا رَأَيْتُ القَصْرَ أُغْلِقَ بابُهُ وتَعَلَّقَتْ هَمْدانُ بِالأَسْبابِ
ورَأَيْتُ أَفْواهَ الأَزِقَّةِ حَوْلَنَا مُلِئَتْ بِكُلِ هِرَاوَةٍ وذِيابِ
ورَأَيْتُ أَصْحابَ الدَقيقِ كَأَنَّهُمْ حَوْلَ البُيوتِ ثَعالِبُ الأَسْرابِ
أَيْقَنْتُ أَنَّ إمارَةَ ابنِ مُضَارِبٍ لَمْ تبقَ منها قيس أثر ذُبابِ

وكان عبيدالله بن زياد حين أوقع بالتوّابين بعَيْن الوَرْدة ، وحاول الظَفَر بزُفَر بن الحارث فلمْ يمكنه فيه شيءٌ ، أقبل نحو الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني إلى المختار يُعلمه أنّ خيل عبيد الله بن زياد قد أشرفت على الموصل ، وأنّه ليس معه خيل ولا رجال ، وأنّه خائف أن يعجز عنه وانحاز إلى تكْريت ، فولّى المختار يزيد بن أنس بن كلاب الأسدي الموصل ، وأمره أن لا يناظر عدوّه وأن ينتهز الفرصة منه إذا

أمكنته ، وقال له: إني ممدّك بمدد بعد مدد ، وإنّ ذلك أشدّ لعضدك ، وأعزّ لجندك ، وأهدّ لعدوّك ، ثم ضمّ إليه ورقاء بن عازب الأسدي وسِعْر بن أبي سِعر الحَنَفي ، وبعث ابنُ زياد بين يديه ربيعة بن المخارق الغَنَوى ، وعبدالله بن حَمَلة بن عبد الرحمن الخَثْعَمي في ستّة آلاف ، هذا في ثلاثة آلاف ، وهذا في ثلاثة آلاف ، وسبق ربيعة إلى يزيد ، فخرج إليه يزيد بالناس وهو مريض ِلمَابِهِ وذلك في ذي الحجّة سنة ستّ وستّين ، فجعل يحرّض الناس ويأمرهم بالصبر والجدّ والعزم ، ثم التقوا من لدن طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحاء فهزم المختاريّة ربيعةَ وأصحابه ، وحَووا عسكرهم ، وقُتل ربيعة بن المخارق ، قتله عبدالله بن صَبِرة ، ولم يُمسِ يزيد حتى مات فانصرف أصحابه كراهة أن يقيموا بعد أميرهم .

فولّى المختار إبراهيم بن الأشتر الموصل وأمره أن يردّ جيش يزيد بن أنس معه إلى الموصل ، فلما خرج من الكوفة أرجف أهلها بالمختار وطمعوا فيه ، فكتب إلى ابراهيم في الرجوع .

وكان أصحاب المختار يُسَمُّون الخَشَبِيّة ، لأنّ أكثرهم كانوا يقاتلون بالخشب ، ويقال إنّهم سُمّوا الخشبيّة لأنّ الذين وجّههم المختار إلى مكة لنصرة ابن الحنفيّة أخذوا بأيديهم الخشب الذي كان ابن الزبير جمعه ليحرق به ابن الحنفيّة وأصحابه فيما زُعم ، ويقال بل كرهوا دخول الحرم بسيوف مشهورة فدخلوه ومعهم الخشب ولم يسلّوا سيوفهم من أغمادها .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه قال : أُتي يزيد بن أنس الأسدي بأسْرَى وهو ِلمَابِهِ ، فجعل يقول : آقتل اقتل حتى ثقل لسانه فجعل يومىء بيده حتى ثقلت يده ، فجعل يومىء بحاجبيه حتى مات على تلك الحال .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ : لما وجّه المختار يزيد بن أنس الأسدي توجّه إليه حُصين بن نُمير ، فقدّم أمامه حَمَلة بن عبد الرحمن الخَثْعَمي فالتقوا بباتلّي[1] فقُتل حَمَلة وأُتي يزيد بستّة آلاف أسير فضرب أعناقهم ، وهو يكيد بنفسه ثم مات .

وقدم مصعب على البصرة والكوفة في أوّل سنة سبع وستّين فتوقّف عن قتال المختار حينا .

يوم جبانة السبيع

قالوا : لما سار ابن الأشتر يريد الموصل تواطأ أهل الكوفة على حرب المختار وقالوا : إنما هذا كاهن ، فخرج عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني بجبانة السَبيع ، وخرج زَحْر بن قيس الجُعْفي ، وإسحاق بن الأشعث في جبّانة كندة ، وخرج كعب بن أبي كعب الخَثْعَمي في جبّانة بشر ، وخرج عبد الرحمن بن مِخْنَف في الأزد ، وخرج شَمِر بن ذي الجَوْشَن في جبّانة بني سَلول وخرج شَبَث بن رِبْعَيّ بالكُناسة في مُضر ، وخرج حجّار بن أَبْجَر العِجْلي ، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم في ربيعة بناحية السَبَخة ، وخرج عمرو بن الحجّاج الزُبيدي في جبّانة مُراد ؛ وبلغ مَن في جبّانة السَبيع أنّ المختار قد عزم على معاجلتهم ، فأقسموا على من في النواحي من الأشراف اليمانّية أن يصيروا بأصحابهم إليهم ، فتواقف اليمانّية جميعاً في جبّانة السبيع ، ويقال أنّ عمرو بن الحجّاج الزبيدي وحده أقام فيمن معه بجبّانة مُراد ولم يأتهم .

١ ـ في تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٢ «بنات تلى» ولم يذكر ياقوت ما يساعد على الضبط .

وأقبل إبراهيم بن الأشتر من المدائن مجداً في السير مُجْذماً له حتى قدم الكوفة ، ووافى المختارَ فرأى المختار أنّه إن وجّه إبراهيم لقتال قومه بجبانة السَبيع لم يبالغ فيه ، فقال له : ازحف أنت إلى شَبَث بن رِبْعِيّ ، فقاتل المُضَريّة بالكُناسة وأَمضي أنا إلى جبّانة السَبيع ، فنفذ إبراهيم لأمره ومضى هو حتى صار في طرف الجبّانة ، ووجّه أحمر بن شُميط[1] ، وعَبدالله بن كامل إلى من بها ، وأمرهما بقتالهم ، وانتهى ابن الأشتر إلى مُضَر اليمن فقاتلهم قتالاً شديداً فهزمهم ، ولقي ابن شُميط وابن كامل أهل اليمن بجبّانة السَبيع ، وقد صار إليهم شَمِر بن ذي الجَوْشَن ، ويقال إنه لم يصر إليهم ولكنّه صار إلى مضر فهُزم ابن شُميط حتى لحق وأصحابه بالمختار ، وصبر ابن كامل في جماعة من أصحابه فأمدّه المختار بثلاثمائة رجل مع عبدالله بن قُراد الخَثْعَمي ثم ثابَتْ إلى ابن شُميط ثائبة من أصحابه ، فقاتل وقاتلوا ، وبعث المختار بأبي القَلوص ومعه جماعة من شِبام ، فدخلوا الجبّانة ، وهم ينادون : يا لَثارات الحسين ونادى أيضاً أصحاب ابن شُميط و ابن كامل يا لثأرات الحسين وحملوا فلم يلبثوا أن هزموا مَن بجبّانة السَبيع فلما هُزمت مضر واليمن تفرّقت ربيعة ، وكلّ من اعتزى إلى اليمن ومضر ، ويقال بل أتى أولئك أصحابَ المختار فقاتلوهم أيضاً قتالاً خفيفاً حتى تفرّقوا ، وقال قوم: بل قاتل يومئذ بجبّانة السَبيع رِفاعة بن شَدّاد البَجَلي مع المختار ، وهو يقول :

أنا آبْنُ شَدَّادٍ عَلَى دينِ عَلي   لَسْتُ لِعُثْمانَ بْنِ أَرْوَى بِوَلي
لأصلَيَنَّ اليَوْمَ فِيمَن يَصْطَلي   بِحَرّ نارِ الحَرْبِ غَيْرَ مُلْتَوي

---

[1] ـ بهامش الأصل : بالشين المعجمة .

وقال آخرون : أنّه قاتل يومئذ مع أهل الكوفة فقُتل ، ويقال : إنّه بقي بعد المختار وذلك الثبت[١] .

حدثنا عفّان حدثنا حمّاد بن سَلَمة أنبأنا عبد الملك بن عُمَيْر حدثني رِفاعة بن شداد قال : كنت أقوم على رأس المختار ، فلما عرفت كذابته هممت وأَيْمُ الله أن أضرب عنقه ، فذكرت حديثا حدّثنيه عمرو بن الحَمِق عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من أَمِن رجلا على نفسه فقتله أُعْطِيَ لواءَ غَدْرٍ يومَ القيامة»[٢] .

حدثني أبو أيّوب الرقّي المعلّم عن عيسى بن يونس عن نُصير بن أبي نصير عن اسماعيل السُدّي عن رفاعة قال : دخلت على المختار وإذا وسادتان ملقاتان فقال : يا فلان أئتِ فلانا ، لرِجلٍ دخل ، بوسادة ، قلت : وما هاتان الوسادتان ؟ فقال : قام عن إحداهما جبريل وعن الأخرى ميكائيل[٣] ، فوالله إنْ منعني مِن أن أضربه بالسيف إلاّ حديثُ حدّثني به عمرو بن الحَمِق قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من آئتمنه رجل على دمه فقتله فأنا منه بريءٌ ولو كان المقتول كافرا»[٤] .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ : كان المختار يقول : العجب كلّ العَجَب . بين جمادى ورَجَب ؛ وكان يقول : أُحياء وأموات . وجميع وأشتات . والموجبة الواجبة . جبا كذاجبه ؛ فقاتله النعمان بن صُهْبان يوم جبّانة السَبيع فقُتل ؛ قال : وقاتل رِفاعة بن شدّاد مع أهل الكوفة .

١ ـ بهامش الأصل : أخبار المختار .
٢ ـ كنز العمال الحديث ١٠٩٤٣ .
٣ ـ بهامش الأصل : زعم المختار أنه كان يأتيه جبريل وميكائيل .
٤ ـ كنز العمال ـ الحديث ١٠٩٣٠ .

قالوا : وقتل المختارّية يوم جبّانة السبيع النعمانَ بن صُهبان الراسبي ، وكان ناسكاً شيعيًا قدم من البصرة ليقاتل مع الشيعة ويطلب بدم الحسين ، فسمع من المختار كلاماً أنكره فقاتله مع أهل جبّانة السبيع حتى قُتل ، والفُراتَ بن زَحْر وعمرو بن مخنف ومالك بن حِزام بن ربيعة ، وهو ابن أخي لبيد بن ربيعة الشاعر ، ويقال بل قُتل مع المُضَريّة ؛ وقالوا : ولما هُزم أهل جبّانة السَبيع استُخرج من دُور الوادعيينّ من همدان خمسمائة أسير ، فأُتي بهم المختار فقتل منهم من كان شهد مقتل الحسين فكانوا مائتين وثمانية وأربعين ، ويقال كانوا مائتين وخمسين .

وكان سُراقة بن مِرْداس البارقي صَنَع أشعاراً فجعل يقول :

أُمْنُنْ عَلَيَّ اليَوْمَ يا خَيْرَ مَعَدّ ... وخَيْرَ مَنْ لَبَّى وَحيّا وسَجَدْ

فأمر به فحُبس ليلة ثم خلّاه فقال شعراً ذكر فيه أنّه رأى الملائكة تقاتل مع المختار على خيل بُلْق ، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيُعلم الناس ما رأى ففعل ، ثم هرب إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة وقال :

أَلا أَبْلِغْ أَبـا إِسْحـاقَ أَنّي ... رَأَيْتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمَتاتِ
كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْراً ... عَـلَيَّ قِتـالَكُمْ حتى الممـاتِ
أُرِي عَيْنَيَّ مـا لَمْ تُبْصِراهُ ... كِـلانـا عـالِمٌ بِـالـتُّرَّهـاتِ

وأخذ المختار سُحَيْما مولى عتبة بن فَرْقَد السُلّمي ، وكان يكثر الكلام فيه فقال له : أنت القائل قاتلوا الكذّاب ، وما علّمك أنّي كذّاب ، فضرب عنقه .

وقال عبيد الله بن همّام السَلولي رحمه الله تعالى :

وفي لَيْلَةِ المُخْتارِ ما يُذْهِلُ الفتَى ويلهيه عن رؤد[1] الشباب شَموعِ
دَعا يا لَثَاراتِ الحُسَيْنْ فأقْبَلتْ كَتائِبُ مِن هَمْدانَ بَعْدَ هَزيعِ
ومِن مَذْحِجٍ جاءَ الرَئِيسُ ابْنُ مالِكٍ يَقودُ جُموعاً عُبِئَتْ لِجُموعِ
ومِن أسَدٍ وَافى يَزيدُ لنَصْرِهِ بِكُلِّ فتىً ماضي الجَنانِ مَنيعِ

وزعم بعضهم أنّ شَبَث بن رِبْعِيّ قُتل يومئذ واحتجّ بشعر أعْشى همدان حين يقول :

جَزىٰ الله إبراهيمَ عَن أهْلِ مِصْرِهِ جَزاءَ آمرىءٍ عَنْ وَجْهِهِ الحَقُّ ناكِبُ
سَما بِالقَنا من أرْضِ ساباطَ مُرْقِلاً إلى المَوْتِ إرْقالَ الجمالِ المَصاعبِ
فصَبَّ على الأحْياءِ مِنْ صَوْبِ وَدْقِهِ شَآبيبَ مَوْتٍ عُقِّبَتْ بالحَرائِبِ
فأضحَى ابْنُ رِبْعي قَتيلاً مُجَدّلاً كَأنْ لَمْ يُقاتِلْ مَرَّةً ويُحارِبِ
فأمّا أبو إسْحاق فَانْصاعَ سائِراً إلى عَسْكَرٍ جَمّ القَنا والكَتائِبِ
فلّما التَقَيْنا بِالسَبيعِ وأنْسَلوا إلَيْنا ضَرَبْنا هامَهُمْ بِالقَواضِبِ
فما راعَنا إلّا شِبامٌ تَحُسُّنا بأسيافِها لا أُسْقَيت صَوْبَ هاضِبِ
أيقتلنا المخْتارُ ظُلْماً بِكُفْرِه فيا لَكَ دَهْراً مُرْصداً بِالعَجائِبِ

ومن نفى قتْلَ شَبَث يومئذ روى هذا البيت .

فأضْحَى ابْنُ صُهْبانٍ قتيلاً مُجَدَّلاً

وذلك الثبت والأوّل غلط وإنّما مات شبَث حَتْفَ أنفه ، وكانت وقعة الجبّانة في ذي الحجّة سنة ستّ وستّين ، فلما فرغ المختار منها أمر إبراهيم بن الأشتر بالمسير للقاء عبيدالله بن زياد وطلب قَتَلة الحسين وأهلِه .

---

١ - ترأد : اهتز نعمة .

وجعل يقول في سجعه : أَمَا ومُنْشِىء السحاب . شديد العقاب . سريع الحساب . منزّل الكتاب . العزيز الوّهاب . القدير الغلّاب . لَنَنْبُشَنُّ قبر كثير بن شهاب . المفترِي الكذّاب . المَعيب المُعتاب . المجرم المرتاب . ثم لأبعثنَّ الأحزاب . إلى بلاد الأعراب . ثم لأُورِثَنّ دورَهم وقصورهم وأموالهم الصابرين الصادقين السامعين المنيبين .

وكان يقول :

وربّ البلد الأمين . وحُرْمة طور سينين . لأُقتلنّ الشاعر الهجين . أعشى الناعطيين . وسُوءَ برق البارقين . ابن الأَمَة من جَلولاءِ خانقين . الذي مننت عليه فكفر . وتابعني فغدر . وغداً يُلْقَى فيُنحَر . ثم يصير إلى سقر . فيذوق فيها العذاب الأكبر . وويل لابن همّام اللعين . وأخي الأَسدّيين . أولئكَ أولياء الشياطين . وإخوان الكافرين . الذين قَرَّفوا عليَّ الأباطيل . وتقوّلوا عليَّ الأقاويل . فسمَّوني كذّاباً وأنا الصادق المصدوق . وكاهنا وأنا المجيب الفاروق . وطُوبىَ لعبدالله وعبيدة[1] . وأخي ليلى الطريدة . ذوي الأخلاق الحميدة . والمقالة السديدة . والأنفس السعيدة .

وقال أيضاً : أَما والذي خلقني بصيراً . ونوّر قلبي تنويراً . لأحرقنّ بالمِصْرِ دورا . ولأنبُشنّ قبورا . ولأقتلن جبّاراً كفورا .

وقال أيضاً : في صَفَر الأصفار . يُقْتَل كلّ جبّار . على يد المختار .

١ ـ بهامش الأصل : يعني ابن كامل وعبيدة بن عمرو الكندي .

وكان يقول : أَمَا وربِّ الجبالِ الشُمّ . الشوامخ الصُمّ . لأقتلن أَزْدَ عُمان . بكلّ شيعِي يمان . مِن مَذْحِجٍ وهَمْدان . ولأبيرَنّ عَبْساً وذُبْيان . وتميماً أولياء الشيطان . حاشا النجيبَ ظَبْيان[1] .

وقال : أَمَا وربِّ القَلَم . واللَوْح ذي الكَرَم . لَتَدينَنَّ لي العرب والعجم . ولأتخذنَّ من تميم خَدَم .

وقال : أَمَا والسميع العليم . العزيز الكريم . لأعركنّ عُمان عرك الأديم . ثم لأتّخذنّ خَدَماً من تميم .

وكان يمسح رأس ابنته ثم يقول : صلى الله على عيسى بن مريم ، لأنّه فيما يزعمون كان يقول سيتزَوجُها المسيحُ بن مريم عليه السلام .

---

١ ـ بهامش الأصل : ظبيان بن عبادة .

مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص
ومن شرك في دم الحسين عليه السلام

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عَوانة قال : كان لعمر بن سعد بن أبي وقّاص جَعْبة فيها سياط قد كتب على سوط منها عشرة وعلى آخر عشرين إلى خمسمائة ، فغضب على غلام له فضرب بيده إلى الجعبة فخرج سوط المائة فجلده مائة ، فأتى الغلام سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه وهو يبكي وقد سال دمه على عقبيه ، فقال سعد : اللهم اقتل عمرَ وأَسِلْ دمه على عقبيه ، فمات الغلام وقتل المختار عمر بن سعد وكان سعد مستجاب الدعوة .

قالوا : ولما هُزم الناس يوم جبّانة السَبِيع خرج أشراف أهل الكوفة فلحقوا بمصعب بن الزبير ، وقد قدم البصرة والياً على العراقَيْن ، فقال المختار : ليس من ديننا أن ندع قوماً قتلوا الحسين يمشون على الأرض . ويقال إنّه بلغه أنّ ابن الحنفية قال : عجباً للمختار يزعم أنّه يطلب بدمائنا وقَتَلَةُ الحسين جُلساؤه وحداثه يحترفون في المصر . فحرّكه ذلك تحريكاً

شديداً ، فقال ذات يوم : والله لأقتلنَ رجلاً عظيم القَدَمين . غائر العينين . مُشرف الحاجبين . أُسِرٌّ بقتله المؤمنين والملائكة المقرَّبين . وكانت هذه صفة عمر بن سعد ، فسمعها الهَيْثَم بن الأسود وهو عند المختار فدسَ ابنَه العُريان بن الهيثم إلى عمر فأخبره بقول المختار ، وقد كان المختار سأل عن ابن سعد فأُخبِر بأنّه مستَخْفٍ فكتب له أَماناً على نفسه وأهله ولا يُؤخذ بحدث كان منه ما لزم مصره ومنزله ، فلما أبلغ العُريان عمرَ بن سعد رسالة أبيه همّ عمر بالخروج عن المصر ، ثم قيل له إنّ هذا قول باغٍ فأقام في منزله ، فبعث المختار أبا عَمْرة كَيْسان مولى عُرَينة وهو على حَرَسه إليه سرّاً وأمره أن يأتيه برأسه ، فدخل أبو عَمْرة عليه دارَه ، وعنده أهله فضرب عنقه وأتى المختار برأسه ، وعند المختار حَفْص بن عمر بن سعد وهو لا يعرف القصّة ، فقال له المختار : يا حفص أتعرف هذا الرأس ؟ قال : نعم هذا رأس أبي حفصٍ فقبّح الله العيش بعده ، قال : فإنّك لا تعيش بعده ، وأمر به فضُربت عنقه ، ثم بعث برأسيهما إلى ابن الحنفيّة ، وقال هذا بالحسين ، وهذا بعليّ بن الحسين ولا سواء ؛ فقيل له آمَنْتَه على أن لا يحدث حدثاً ولم يحدث ؟ فقال : سبحان الله ألم يدخل الخلاء مذ آمنتُه .

ثم بعث مُعاذ بنَ هانىء الكندي ، وأبا عَمْرة ، ومعبد بن سلَمَة الحضرمي فأحاطوا بدار خَوَلِيّ بن يزيد الأصْبَحي صاحب رأس الحسين فاختبأ في مخرجه فطلبوه فخرجت إليهم امرأته فقالوا لها أين زوجك ؟ قالت : لا أدري ، وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا عليه فوجدوا على رأسه قَوْصَرَّة[1] فأخرجوه وأقبل المختار حين بلغه أَخْذُه فقتله إلى جانب

١ ـ القوصرة : وعاء التمر . القاموس .

منزله ، ثم أمر به فأُحرق فلم يبرح حتى صار رماداً ، وكانت امرأته تُسمَّى العَيُوف ، وكانت حين أتاها برأس الحسين قد نفرت منه فكانت لا تكتحل ولا تَطَيَّب وقالت : والله لا يَرَى منّي سروراً أبدا .

ولما هُزمت مُضَر يوم الجبّانة خرج شَمِر بن ذي الجَوْشَن يركض فرسه خارجاً من الكوفة ، واتبعه غلام للمختار يقال له زِرْبِيّ فعطف عليه شَمِر فقتله ولحق ببعض القرى فنزلها، وكتب إلى المصعب كتاباً ، ووجّه فَيْجاً فأخذَت الفَيْجَ مسلحةٌ للمختار ، فسألوه عن صاحب الكتاب ، فدلّ على القرية التي هو فيها فأُنهي الأمرُ إلى المختار فوجّه إلى شَمِر خيلاً فلم يشعر إلّا وقد أحاطوا بالقرية فخرج إليهم فقاتلهم وهو يرتجز ويقول :

نَبَّهْتُمُ لَيْثَ عَرينٍ باسِلا لَمْ يُرَ يَوْماً عَنْ عَدُوٍّ ناكِلا
إلّا كَذا مُقاتلاً أَوْ قاتِلا

فقيل : قتله عبد الرحمن بن عبدالله الهمداني طعنه في ثُغْرة نَحْره ، ونادى يا لثأرات الحسين ثم أوطأه الخيل وبه رَمَق حتى مات ، ثم احتز رأسه وأتى به المختار ونُبذت جيفته للكلاب .

وكان حَكيم بن طُفيل الطائي سلب العبّاس بن علي ثيابه ورمى الحسينَ بسهم ، فكان يقول : تعلّق سهمي بسرباله وما ضرّه ، فبعث إليه عبدَالله بن كامل فأخذه ، فاستغاث أهلُه بعديّ بن حاتم فكلّم فيه ابن كامل فقال : أمرُه إلى الأمير المختار ، وبادر به إلى المختار قبل شفاعة ابن حاتم له إلى المختار فأمر به المختار فعُرّي ورُمي بالسهام حتى مات .

وكان زيد بن رُقاد الجَنْبي يقول رميت فتىً من آل الحسين ويده على جبهته فأثبَتُّها في جبهته ، وكان ذلك الفتى عبدالله بن مسلم بن عَقيل بن أبي

طالب ، وكان رماه بسهم فَلَقَ قلبه فكان يقول نزعتُ سهمي من قلبه وهو ميّت ولم أزل أنضنض سهمي الذي رميت به جبهته فيها حتى انتزعته وبقي النصل ، فبعث إليه المختار ابن كامل في جماعة فأحاط بداره فخرج مصلِتاً سيفه فقاتل ، فقال ابن كامل : لا تضربوه ولا تطعنوه ، ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك حتى سقط ، ودعا له ابن كامل بنار فحرقه بها وبه حياة حتى صار رمادا ، ويقال : انّه سلخه وهو حيّ حتى مات .

وكان عمر بن صُبيح يقول : طعنت فيهم وجرحت وما قتلت أحداً ، ويقال : إنه رمى عبدالله بن مسلم بالسهم في جبهته ، وأنّ زيد بن رُقاد فلق قلبه ، فبعث المختار إلى عمرو فأتي به ليلاً ، فلما أصبح أُدخل إليه مقيّداً وحضر الناس فأمر به فعُري ، ثم طُعن بالرماح حتى مات ثم أُحرق ، ولما نُزعت ثيابه جعل يقول : أما والله لو أنّ سيفي معي لعلمتم أنّي بنصل السيف غير رعيش ولا رِعْديد ، وما يسرّني أني إذ كانت منيّتي القتل أنّه قتلني غيركم السَحَرَةَ الكَفَرَةَ .

وكان مالك بن النُسَير البَدّي الذي ضرب الحسين بن عليّ على رأسه وعليه برنس ، فامتلأ دماً فألقاه فجاء فأخذه ، فبعث المختار إليه مالك بن عمرو النَهْدي وقد دل عليه ، فجاء به فأمر بنار فأُجّجت في الرحبة عظيمة ثم أمر فقُطعت يده وألقيت في تلك النار ، ثم قُطعت رجله فأُلقيت فيها وهو ينظر فلم يزل يفعل ذلك بعضو منه بعد عضو حتى مات .

ودُلّ المختار أيضاً على عبدالله بن أسيد الجُهَني ، وحَمَل بن مالك المُحاربي فجاءه بهما مالك بن عمرو النَهْدي ، فأمر بهما فضُربت أعناقهما ، ودُلّ المختار أيضاً على عِمْران بن خالد العَنَزي ، وعبد الرحمن بن أبي

خشكارة البَجَلي ، وعبدالله بن قيس الخَولاني ، وهم أصحاب الحُلَل والوَرْس وعُدّة كانوا أخذوها معهم ، فبعث إليهم ابن كامل فأتاه بهم ، فلما أُدخلوا إليه قال : يا قَتَلَةَ الصالحين وأبناءِ النبيّين لقد اقاد الله منكم ، ثم قال : اضربوا أعناقهم لقد جاءكم الوَرْس بيوم نَحْس ، فضُربت أعناقهم في السوق ، وبعث المختار السائب بن مالك الأشعري في خيل فأخذ عبدالله وعبد الرحمن ابني وهب الهَمْداني وهما ابنا عمّ أعشى هَمْدان فأمر بهما المختار فقُتلا في السوق ، وطلب حُميد بن مُسْلِم فَنَجا وقال :

أَلَمْ تَـرَني عَـلَى دَهَشٍ نَـجَـوْتُ ولَمْ أَكَـدْأَنْـجُـو
رَجـاءُ الله أَنْـقَـذَني ولَمْ أَكُ غَـيْـرَهُ أَرْجُـو

ووجّه المختار في طلب عثمان بن خالد الجُهَني ونسر بن شوط القابضي من همدان ، وهما قاتلا عبد الرحمن بن عَقيل بن أبي طالب فظفر بهما فضُربت أعناقهما ثم أُحرقا ، فقال أعشى همدان ، وهو عبد الرحمن بن الحارث بن نِظام الهمداني :

يا عَيْنِ بَكّي فَتَى الفِتْيَانِ عُثْمانا لا يَبْعَدَنَّ الفَتَى مِن آلِ دُهمانا
واذْكُرْ فَتىً ماجِداً عَفّاً شَمائِلَهُ ما مِثْلُهُ فارِسٌ في آلِ هَمْدانا

وبعث المختار إلى مُرّة بن مُنْقذ قاتِل عليّ بن الحسين عليهما السلام ابن كامل ، فأحاط بداره ، وكان منقذ شجاعاً ، فخرج عليهم وبيده الرمح وهو على فرس جواد ، فطعن عبيد الله بن ناجية الشِبامي فصرعه ولم يضرّه ، وضربه ابن كامل فشُلّت يده ونجا فلحق بمصعب .

وهرب عمرو بن الحجّاج الزُبيدي فمات بواقصَة عَطَشاً .

وحدثني أبو عثمان عمرو بن محمد قال : سمعت أبا نُعيم الفضل بن دُكين يقول : هرب عمرو بن الحجّاج فسقط من العطش ، فلحقه أصحاب المختار وبه رَمَق فذبحوه واحتزّوا رأسه .

وهرب سِنان بن أَنَس النَخَعي الذي كان يُدْعَى قاتل الحسين فلحق بالبصرة فهدم المختار داره .

قالوا : فبينا الحجّاج يخطب ذات يوم إذ قال : لِيَقُمْ كل ذي بلاءٍ وغَناءٍ فيتكلّم ، فقام سِنان فقال : أنا قاتل الحسين بن عليّ فقال الحجاج : بلاء لعمرَ الله حسينٌ ، واعتُقل لسان سِنان ، ومات بعد خمس عشرة ليلة .

وهرب حَرْمَلة الأَسدي وعبدالله بن عُقبة الغَنَوي الذي ذكره ابن [أبي] عقب فقال :

وعِنْدَ غَنِيٍ قَطْرَةٌ مِن دِمائِنا وفي أَسَدٍ أُخْرَى تُعَدُّ وتُذْكَرُ

فيقال إنّهما أُدركا فقُتلا ، ويقال بل ماتا عطشاً .

وبعث المختار حَوْشباً اليُرْسَمي إلى محمد بن الأشعث الكندي وقال : ستجده قائماً متلدّدا . أو كامناً معتمداً ، أو لاهياً متصيّدا ، وكان في قرية له عند القادسيّة فهرب ولحق بالبصرة .

وكان أَسْماء بن خارجة مستخفياً فقال المختار ذات يوم وعنده أصحابه : أَما وربِ الأرض والسماء . والضياء والظَلْماء . لينزلنّ من السماء . نار دهماء . أو حَمْراء أو سَحْماء . فلَتحرقنّ دار أسماء ؛ فأتى الخبر أسماء فقال : سَجَعَ أبو اسحاق بنا ، ليس على هذا مُقامٌ ، فخرج هارباً حتى أتى البادية فلم يزل بها ينزل مرّة في بني عَبْس ، ومرّة في غيرهم حتى قُتل

المختار وهدم المختار له ثلاثة آدُر ؛ فقال عبدالله بن الزَبير الأسدي في قصيدة له :

تَرَكْتُمُ أَبا حَسّانَ تُهْدَمُ دارُهُ   مُنَبَّذَةً أَبْوابُها وحَديدُها
فلَوْ كان مِن قَحْطانَ أَسْماءُ شَمَّرَتْ   كَتائِبُ مِن قَحْطانَ صُعْرٌ خُدودُها

فأجابه أيّوب بن سَعِنة النَخَعي وقال :

رمى الله عين ابنِ الزَبير بِلَقْوَةٍ   فخَلْخَلَها حتى يَطولَ شهودُها
بكَيْتَ على دارٍ لأسْماءَ هُدّمَتْ   مَساكِنُها كانَت غُلولاً وشِيدُها
ولَمْ تَبْكِ بَيْتَ الله إذْ دَلَفَتْ لَهُ   أُمَيَّةُ حتى هَدَّمَتْهُ جُنودُها

أمــر الكـــرسي

قالوا : وقال المختار لآل جَعْدة بن هُبيرة ، وأمُّ جَعْدة أمّ هانىء بنت أبي طالب : ائتوني بكرسيّ عليّ بن أبي طالب فقالوا : لا والله ما له عندنا كرسيّ ، قال : لا تكونوا حَمْقَى وائْتوني به ، فظنّ القوم عند ذلك أنّهم لا يأتونه بكرسيّ فيقولون هذا كرسيّ عليّ إلاّ قبِلَه منهم ، فجاؤوه بكرسيّ فقالوا : هذا هو ، فخرجت شِبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عصّبوه بخِرَق الحرير والديباج ، فكان أوّل من سدن الكرسيّ حين جيءَ به موسى بن أبي موسى الأشعري ، وأمّه ابنة الفضل بن العبّاس بن عبد المطّلب ، ثم إنّه دُفع إلى حَوْشب اليُرْسَمي ، يُرْسَم بن حِمْيَر وهم في هَمْدان ، فكان خازنه وصاحبه حتى هلك المختار ، وكان أصحاب المختار يعكفون عليه ويقولون : هو بمنزلة تابوت موسى فيه السَكينة ، ويستسقون به ويستنصرون ، ويقدّمونه أمامهم إذا أرادوا أمراً فقال الشاعر :

أَبْلِغْ شِبـامـاً وأبـا هـانِئٍ أَنّي بِكُـرْسِيِّـهِمُ كـافِـرُ

وقال أَعْشَى هَمْدان :

شَهدتُ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ خَشَبِيَّةٌ ... وأَنّي بِكُمْ يا شُرْطَةَ الكُفْرِ عارِفُ
وأُقْسِمُ ما كُرْسِيُّكُمْ بِسَكينَةٍ ... وإنْ ظَلَّ قد لُفَّتْ عَلَيْهِ اللَفائِفُ
وأَنْ ليس كَالتابوتِ فينا وإنْ سَعَتْ ... شِبامٌ[1] حَوالَيْهِ ونَهْدٌ وخارِفُ
وإنْ شاكِرٌ طافَتْ به وتَمَسَّحَتْ ... بِأَعْوادِهِ أو أَدْبَرَتْ لا يُساعِفُ
وإنّي امْرؤٌ أَحْبَبْتُ آلَ مُحَمَّدٍ ... وآثَرْتُ وَحْياً ضُمِنَتْهُ الصَحائِفُ

وكان له عمّ يُكنى أبا أُمامة ، وكان من أصحاب المختار ، فكان يأتي مجلس قومه فيقول : أتانا اليوم بوحي ما سمع الناس بمثله .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه قال : قيل لابن عمر إنّ المختار يعمد إلى كرسيّ عليّ ، فيحمله على بغل أشهب ويحفّ به الديباج ويُطيف به أصحابه يستسقون به ويستنصرون فقال : فأَين جنادبةُ الأزْد عنه لا يعَقِّرُبه بعضهم ؟ قال : وهم جُنْدب بن زهير ، وجندب بن كعب من بني ظَبْيان ، وجندب بن عبدالله وهو جندب الخير .

١ ـ بهامش الأصل : شبام من همدان .

أمر المثنى بن مخربة العبدي
وأمر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي بالبصرة

قالوا : وكان المُثَنَّى لقي المختار عند انصراف مَن انصرَفَ من التوّابين من عَيْنِ الوَرْدة بالكوفة ، فبايعه فقال له المثنّى : إنّ لنا بالبصرة شيعةً فأْذَن لنا في القدوم عليهم والدعاء لهم ، فأذن له في ذلك ، فخرج إلى البصرة فلم يزل بها حتى بلغه ظهور المختار ؛ وكان ابن مُطِيع لما أخذ المائة الألف من المختار ليشخص إلى المدينة استحيا من الرجوع إلى ابن الزبير ، فعدل إلى البصرة فأقام بها ، وكان المختار خائفاً من أن يوجّه إليه ابنُ الزبير جيشاً لِما فعل بابن مطيع ولإخراجه إيّاه ، فكتب إليه : «أمّا بعد فقد عرفتَ مناصحتي كانت لك واجتهادي في طاعتك ونصرتك ، وما كنتَ أعطيتني من نفسك ، فلما وفيتُ لك خِسْتَ لي ولم تعترف لي بما عاهدتني فكان منّي ما كان ، فإن تراجعْني أراجعك ، وإن تُرِدْ مناصحتي أَنصحْ لك» .

فلما قرأ ابن الزبير كتابه دعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال له : قد ولّيتك الكوفة فسِرْ إليها ، فقال : وكيف وبها المختار ؟ قال : قد كتب لي أنه سامعٌ مطيع لي ، فسار عمر إليها وبلغ المختار خبره ، فوجّه

زائدة بن قُدامة الثقفي ومعه مُسافر بن سعيد بن نِمران الناعِطي في خمسمائة دارع ورامح، ومعه سبعون ألف درهم وقال: إذا لقيته فقل له عني: بلغني أنّك قد تكلّفت لسفرك خمسة وثلاثين ألف درهم، وهذه سبعون ألف درهم فخذها وانصرِفْ، فإنْ أَبى ذلك فأره أصحابَ مُسافر وحذّره إيّاهم، فلما لقيه زائدة أدّى إليه رسالة المختار فقال: ما أنا بقابل مالاً ولابُدَّ لي من النفوذ لأمر أمير المؤمنين، فدعا زائدة بالخيل وقد كان أكمنها فقال: إنّي محاربك بمن ترى ووراءهم مثلهم ومثلهم، فقال عمر: أمّا الآن فقد وَجَب العذرُ، وهذا أجمل بي، فأخذ السبعين الألف فاستحيا من الرجوع إلى مكة فصار إلى البصرة فأقام بها وذلك في إمارة القُباع الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة وقَبْلَ قدوم مصعب بن الزبير البصرة.

قالوا: واتّخذ المُثَنَّى بن مُخَرِّبَة مسجداً يصلّي فيه بأصحابه، واجتمعت الشيعة فبعث إليهم القُباع عبّاد بن الحُصين الحَبَطي في الخيل فبعث المثنّى رجلاً من أصحابه فلقيه فهُزم عبّاد، فبعث القُباع الأحنف على خيل مُضَر ورجالها، فصاروا إلى عبد القيس، فخرج مالك بن مِسْمَع في بكر بن وائل مانعاً لعبد القيس منهم بالرَبَعيّة لأنّه كان يرى رأي المثنّى، وبعثت ربيعة إلى الأَزْد فأجابوهم، ورئيس الأزد يومئذ زياد بن عمرو العَتَكي فكانوا يقتتلون قتالاً ضعيفاً، وكلّهم يَهْوَى الصلح فكان عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وعبدالله بن مُطِيع يختلفان بين الفريقين فقال لهم عمر: يا معشر بكر والأَزْد ألستم على طاعة ابن الزبير؟ قالوا: بلى غير أنّا نكره أن نُسلم إخواننا من عبد القيس، فقال ابن مطيع: قولوا لإخوانكم فليذهبوا حيث شاؤوا فهم آمنون، ولا يدخلنّ بينكم وبين أهل مصركم فرقة، فأتى

مالك بن مِسْمَع ، وزياد بن عمرو : عبدَ القيس فقالا : إنّ هؤلاء القوم قد دعوا إلى الصلح، وأعطوا النِصف، ولم نأتِكم حين أتيناكم ونحن نرى رأيكم، ولكنّا حمينا لكم أن تُضَاموا وتُوطَأوا، ثم أخذا بيد المثنّى فقالا له: إنَّ الذين يرون رأيك قِبَلَنا قليلٌ ، فخذ أماناً لنفسك والحَقْ بأصحابك ، فقبِلَ ذلك ، وجاء ابنَ مطيع وعمر بن عبد الرحمن فعرضا الصلح فقبله القوم وأجابوا إليه؛ وأمّا الأحنف فقالا له : إنّ القوم قد أحبّوا الصلح ودعوا إليه ، فكأنّ الأحنف كره ذلك وتأرّب[1] فلم يُجب إليه ، فقال له عمر بن عبد الرحمن : إنّي لأعجب ممّن يزعم أنّكم حليم ، قَبِلَ القومُ الصلح وأجابوا إلى النصف وتأبى إلّا الفرقة وما تسفك فيه الدماء وتنتهك الحُرْمة ؟ فقال الأحنف : هلُمَّ يا بن أخي إلى خالك ، يعني نفسه ، وذلك أنّ أُمّ الحارث جَدِّهِ من ولد نَهْشَل بن دارِم فتَميم أخواله، فقال له: إنّ ربيعة والأزد كثيرٌ عَدَدُهم بالمصر وقد تحالفوا وصاروا يداً علينا ، فإن أريناهم الهيبة لهم ركبونا ، والله ما هم بأحرص على السلم والصلح منّي ، اذهب يا بن أخي فاْصنع ما أحببت ، فاصطلح القوم ورجع المثنّى وخرج من البصرة .

وكتب المختار إلى الأحنف وهو على مُضَر : «أمّا بعد فويل أم ربيعة ومُضَر . من أمر سَوْءٍ فد حَضَر . وإنّ الأحنف قد أورد قومه سقر . وإنّي لا أملك القَدَر . وما خُطَّ في الزُبرُ . ولعمري لئن قاتلتموني وكذبتموني لقد كُذّب من كان قبلي وما أنا بخيرهم» .

وكتب المختار أيضاً إلى مالك بن مِسْمَع وزياد بن عمرو : «أمّا بعد فاْسمعا وأطيعا وداوِما. على أحسن ما اتيتما أوتيكما من الدنيا ما شئتما.

---

١ ـ تأرب : تأبى وتشدد . القاموس .

وأضمَنُ لكما الجَنة إذا تُوُفِيْتما» ؛ فلما قرأ مالك الكتاب ضحك وقال لزياد : لقد أكثر لنا أخو ثقيف ، وأوسع ، أَعْطانا الدنيا والآخرة ، فضحك زياد وقال : نحن لا نقاتل بالنسيئة مَن عجّل لنا النقد قاتلنا معه .

وحدثنا عليّ بن محمد المدائني عن أبي إسماعيل الهمداني عن الشعبي قال : جلستُ يوماً إلى الأحنف ، فقال رجل من جلسائه يا كوفيّ استنقذناكم من عبيدكم ، يعني يومَ قُتل المختار ، قلتُ قد عفونا عنكم يوم الجمل فلم تشكروا ، وأنشدتُه شعر أَعْشَى همدان :

أَفَخَرْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أَعْبُداً ... وكَفَرْتُمْ نِعْمَةَ اللهِ الأَجَلّْ
نَحْنُ سُقْناكُمْ إِلَيْهِمْ عَنْوَةً ... وجَمَعْنا أُمْرَكُمْ بَعد الفَشَلْ
فإذا فاخَرْتُمونَا فَاْذْكُروا ... ما فَعَلنا بِكُمُ يَوْم الجَمَلْ

فقال: يا كوفيّ أنتم أصحاب أنبياء، يعني المختار، قال: فأجبته بجواب كرهه الأحنف وقلت : تكذبون علينا في أشياء ، فقام فجاء بصحيفة صفراء فقال اقرأ آنفاً فإذا فيها : «من المختار بن أبي عُبيد إلى الأحنف ومَن قِبَله سِلْمٌ أنتم ، أما بعد فويل لربيعة ومضر . وإنّ الأحنف مُورد قومه سقر . حين لا يستطيع لهم الصدر . وإنّي لا أملك لكم إلاّ ما خُطّ في الزُبُر ، وبلغني أنكم تكذّبوني وقد كُذّبت الأنبياء مثلي ولست بخير من كثير» فقال الأحنف : يا شعبي أكوفيّ هذا أم بصريّ ؟ ثم ضحك ، وقال لأصحابه : أَحسِنوا مجالسة أخيكم .

خبر شرحبيل بن ورس
المُدَّعِي من حِميَر وهم في همدان

قالوا : لما بلغ المختار إقبال أهل الشام نحو العراق ، وعلم أنّه يُبْدَأ به خاف أن يأتيَه أهل الشام من شامهم ، وأهل البصرة من بُصرتهم ، فأظهر الميل إلى عبد الله بن الزبير ومُداراته وكتب إليه : «بلغني أنّ ابن مروان قد بعث إلى الحجاز جنداً فإنْ أَحبَبْتَ أن أُمِدّك أمددتُك» فكتب إليه ابن الزبير : «إن كنت على طاعتي فبايع لي ، وخذ بيعَةَ مَن قِبَلَك ، فإنّه إن جاءتني بيعتك صَدّقْتُ مقالتك ، وكففتُ الجنود عن بلادك ، وسرّح الجيش الذي أنت باعث به إلى وادي القُرَى ليلقوا من بها من جند ابن مروان إن شاء الله» .

فدعا المختار شُرَحبيل بن وَرْس المُدَّعِي فسرّحه في ثلاثة آلاف أكثرهم موالٍ ليس فيهم من العرب إلاّ سبعمائة ، وقال له : سرْ حتى تدخل المدينة فإذا دخلتها فاكتب إليّ بذلك ، ودَبَّرَ أن يدخل شرحبيل المدينة ، ثم يبعث إليها عاملاً من قبله ، ثم يأمره أن يسير إلى مكة فيحاصر ابن الزبير ؛ ووقع في نفس ابن الزبير ما دبّر المختار وظنّ به مكيدته ، فبعث عبّاس بن سَهْل بن سعد الساعدي من مكة في أَلفين ، وقال له : القَ جيش ابن وَرْس فإن كان

في طاعتي وإلّا فحاربهم حتى تهلكهم ، وأمره أن يستنفر الأعراب ففعل ، وأقبل حتى لقي ابن وَرْس بالرَقَم[1] ، وقد عبّأ ابن وَرْس أصحابَه وأصحابُ عبّاس منقطعون على غير تعبئة ، فقال له عبّاس : ألستَ على طاعة عبد الله بن الزبير؟ قال : نعم ، قال فسِرْ بنا إلى عدوّه بوادي القُرى ، قال : نعم ولكن أريد المدينة أوّلاً ثم أرى رأيي ، فتركهم ابن سهل حتى نزعوا سلاحهم وشغلوا بأثقالهم ، ثم قصد قَصْد ابن وَرْس في ألف من كماة أصحابه وشجعانهم ، وجعل ابن وَرْس يقول : يا شرطة الله إليّ قاتلوا الملحدين . أولياء الشياطين . فإنّكم على الحقّ المبين . وقد غدر القوم وفجروا ، فانتهى إليه عبّاس بن سَهْل وهو يقول :

أَنا ٱبْنُ سَهْلٍ فارِسٌ غَيْرُ وَكَلْ   أَرْوَعُ مِقْدامٌ إِذا النِّكْسُ نَكَلْ

فلم يَطل القتال بينهم حتى قُتل ابن وَرْس في سبعين ، ورفع عبّاس راية أمان لأصحابه فأتوها إلاّ نحواً من ثلاثمائة انصرفوا مع سليمان بن حِمْيَر الثَوْري ، فظفر ابن سهل منهم بنحو من مائتين فقتلهم ، وأفلت الباقون .

فلما بلغ المختار خبر شرحبيل بن وَرْس وأصحابه قال : إنّ الفُجّار الأشرار . قتلوا الأخيار الأبرار . ألا وإنّ الفاسق النجس . القَذِر الرجس . قتل ابن وَرْس . وكان أمراً مأتياً. وقضاءً مقضيّاً .

وكتب المختار إلى ابن الحنفيّة : «إنّي كنت بعثت جندا ليحووُا لك البلاد ، ويدوّخوا الأعداء ، فلما صاروا بطَيْبَةَ لقيهم جند الملحد فخدعوهم وغرّوهم فإن رأيت أن ابعث إلى المدينة خيلاً وجنداً كثيفا وتبعث من قبلك

---

١ ـ موضع شرق الحناكية ، ويعتقد أن الحناكية هي بطن نخل ، قرية من قرى المدينة على طريق البصرة . المغانم المطابة ـ مادتا : بطن نخل ، ورقم .

رسلاً يعلمونهم أنّي في طاعتك وأنّي بعثت من بعثت عن أمرك فافعل فإنّك ستجدهم بحقّك أعرف ، وبكُم أهلَ البيت أرأف منهم بآل الزبير الظلمة الملحدين والسلام» ، فكتب إليه ابن الحنفيّة : «إنّ أَحبَّ الأمر إليّ ما أُطيعُ الله فيه فأطعه ما استطعت فيما أعلنت وأسررت ، واعلم أني لو أردت القتال وجدت الناس إليّ فيه سراعا ، وعليه أعوانا ، ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله ، وهو خير الحاكمين» .

مسير إبراهيم بن مالك الأشتر إلى الموصل ومقتل عبيدالله بن زياد وحُصين بن نمير السَكوني

قالوا : لما فرغ المختار من أمر مَن خرج من أهل الكوفة وانقضت حربهم بجبَانة السَبيع والكُناسة لم يكن له همّة إلّا إمضاء جيش إبراهيم بن الأشتر للوجه الذي وجّهه له ، فشخص إبراهيم من الكوفة لستّ ليال خلون من ذي الحجّة سنة ستّ وستّين ، ويقال : لثمان خلون من ذي الحجّة ، وكان معه قيس بن طَهْفة على ربع أهل المدينة ، وعبد الله بن جندب على مَذْحِج وأَسَد ، والأَسْوَد بن جَراد الكندي على كندة وربيعة وحبيب بن مُنْقِذ على تميم وهمدان ، فقال شاعرهم :

أما ورَبِّ المُرْسَـلاتِ عُرْفـا لَنَقْتُلَنَّ بَعْـدَ صَفٍّ صَفّـا
وبَعْدَ أَلْفِ قَاسِطِينَ أَلْفا

فخرج في زُهاء تسعة آلاف ، وشَيَّعَه المختارُ ،فلما صار إلى القنطرة إذا أصحاب الكُرْسيّ قد وقفوا يستنصرون ويدعون فقال ابن الاشتر ربَّنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا ، سُنّةَ بني اسرائيل والذي أنا له .

وانتهى ابن الاشتر إلى المدائن فلقي من كان انصرف من أصحاب يزيد بن أنس ، فردّهم معه ، فلما تجاوز الكُحَيل من أرض الموصل جعل لا يسير الاّ بتعبئة .

وسبق ابن زياد إلى الموصل ، وبادر دخوله العراق واجتمعا على الخازِر إلى جنب قرية تُدعى باريتا ، بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ ، فنزل ونزل عبيد الله بن زياد قريباً منه على شاطىء الخازِر ، وهو نهر قريب من الزابي ، فأرسل إليه عُميرُ بن الحُباب السُلَمي : إنّي أريد لقاءك الليلة ، وكانت قيس الجزيرة مضطغنة على بني مروان لِما كان من مروان إليهم في وقعة مرج راهط ، فأتاه ابن الحُباب فجرى بينهما كلام كثير وقال : ما أحد أبغض إليّ ظَفَراً من آل مروان ، فأعلمْ أني منهزمٌ بالناس إذا قامت الحرب ، فأراد ابن الأشتر أن يبلوَ صدق ذلك فقال له أترى أن أُخندق على نفسي وأتلوّم يومين أو ثلاثة ؟ فقال عُمير : لا تفعل فإنّ القوم أُضعافُكم فإن طاولوك وماطلوك خَبِروا أمركم واجترأوا عليكم لكثرتهم وقلتكم ، وخرج ما في قلوبهم من الهيبة لكم فإنّ في أنفسهم منكم روعة ، وهم من لقائكم على وجل ، فعاجِلْهم وناجِزْهم ، فإنّ القليل لا يطيق الكثير على المطاولة ، ولا آمَنُ إن شامّوكم يوماً بعد يوم ، ومرّة بعد مرة أن يقهروكم ، فقال ابن الأشتر : الآن علمت أنّك ناصح ، كان عُمير بن الحُباب على ميسرة عبيد الله بن زياد ، فأذكى ابن الاشتر تلك الليلة حَرَسه ، ولم يدخل الغُمضُ عينه .

فلما كان في السحر عبّأ أصحابه ، فجعل سُفيان بن يزيد بن المغفَّل على ميمنته ، وعليّ بن مالك الجُشَمي على ميسرته ، وصلى الغداة بِغبش ،

ثم صفّ أصحابه وألحق كلّ صاحب راية برايته ، وجلس على تلّ عظيم ووجّه من عرف خبر القوم فقيل له إنّهم على دهش ، فأخبره بعض رسله وعيونه أنّه لقي منهم رجلا ما له هجيراً إلّا : يا شيعة أبي تُرَاب . يا شيعة المختار الكذّاب ، وجعل ابن الأشتر يحرض الناس فيقول : يا أنصار الدين ، يا شيعة الحقّ ، يا شرطة الله هذا قاتِل الحسين فما الذي تُبقون له جدّكم واجتهادكم بعده ، هذا الذي حال بين الحسين وبين ماء الفرات ، ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وأهلَ بيته ، فوالله ما كان عمل فرعون ببني اسرائيل إلّا دون عمل هذا الفاجر ، وزحف الشاميّون وعلى ميمنة ابن زياد الحُصين بن نُمير ، وعلى ميسرته عُمير بن الحُباب السُلَمي ، وعلى خيله شرحبيل بن ذي الكَلاع الحِمْيَري ، ومشى ابن زياد في رجاله ، فلما تدانى الصفان حمل حُصين بن نُمير على ميسرة أهل الكوفة فقُتل علي بن مالك الجُشَمي فأخذ الراية ابنُه فقُتل في رجال من أهل الحِفاظ ، وانهزمت ميسرة ابن الاشتر فصيّر عليها عبدَ الله بن وَرْقاء السَلولي فثابَت الميسرة إليه ، وجعل ابن الاشتر يقول : يا شرطة الله إليّ أنا ابراهيم بن الأشتر ، إنّ خَيْرَ فراركم كرارُكم وحملت ميمنة ابن الاشتر على عُمير بن الحُباب وأصحابه فثبتوا ، وكان عمير أَنِفَ من الفرار فقاتل قتالاً شديداً ، فلما رأى ابن الاشتر ذلك قال لأصحابه أُمُّوا السَواد الأعظم فإن فضضتموه لم يكن للقوم ثبات بعده ، ففعلوا ذلك ، وتضاربوا بالسيوف وتطاعنوا بالرماح ، فإبراهيم يشدّ بسيفه فلا يضرب أحداً الّا صرعه والقوم يهربون من بين يديه كأنّهم الغنم ، وجعل اذا حمل برايته حمل اصحابُه حملة رجل واحد لا يَثْنيهم شيء ، فكانوا

على ذلك ، ثم إنّ أهل الشام انهزموا بعد قتال شديد وقتلى بين الفريقين كثيرةٍ ؛ ويقال إنّ عُميرا أوّل من انهزم بالقوم بعد تعذير منه .

ووصل إبراهيم إلى عبيد الله بن زياد فقتله وهو لا يُثبته فقال : يا قوم لقد قتلت رجلاً وجدت منه رائحة المسك شرّقَتْ يداه وغرّبت رجلاه ، فطُلب فإذا هو ابن زياد ، فأمر برأسه فأُخذ وأُحرقت جثّته بالنار ؛ وحمل شريك بن جرير التغلبي على الحُصين بن نُمير السَكوني وهو يظّنه ابن زياد فقتله ؛ وقُتل شرحبيل بن ذي الكَلاع ، فادّعى قتله سفيان بن يزيد بن المُغَفَّل الأزدي ووَرْقاء بن عازب الأَسَدي وعبد الله بن زهير السَلولي ، ولما هزموهم اتبعوهم فكان من غرق منهم أكثر ممن قُتل ، واحتووا على عسكرهم .

وأرجف الناس بالكوفة بمقتل ابن الاشتر فخرج المختار إلى المدائن فلما صار بها تلقّته البشارات بقتل عبيد الله بن زياد وفضّ عسكره ؛ وقال عامر الشعبي : كنت في عسكر المختار بالمدائن ، فكان يحرّضنا ويحضّنا ويقول إنّ شيعة الله يقتلونهم بنَصِيبِين أو قُرْبِ نصيبين ، فقال لي بعض الهمدانيّين حين جاء قتل ابن زياد : يا شعبي أَلَا تَبُوءُ وتقرّ للمختار ؟ قلتُ : بما أبوء له أقول إنّه يعلم الغيب والله ما يعلم الغيب إلاّ الله ، قال : ألم يقل إنهم يهزمون ؟قلت : إنّه قال : بنَصِيبِين أو قرب نصيبين ، وإنّما كانت الوقعة بالخازر ، فقال لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم .

حدثنا خَلفَ بن سالم وأبو خَيْثمة قالا : حدثنا وهب بن جرير عن أبيه حدثني إبراهيم بن الأشتر قال : مرّ بي ابن زياد يوم الخازر فسطع منه المسك وأنا لا أعرفه فظننت أنه رجل له منزلة في القوم وحالٌ ، فقصدت له فضربته

على رأسه بالسيف فخرّ بين قوائم برذونه يخور كخُوار الثور ، فنظرت فإذا هو ابن زياد .

وانصرف المختار إلى الكوفة ، ومضى إبراهيم بن الأشتر إلى الموصل ، وبعث عمّاله عليها وعلى نَصِيبِين ، وسِنْجار ودارا ، وما والاها من أرض الجزيرة .

وقال الهيثم بنَ عديّ : ولّى ابن الأشتر زُفر بن الحارث قَرْقِيسِيَا ، وحاتم بين النعمان الباهلي حران والرُها ، وسُمَيساط وناحيتها ، وعُمير بن الحُباب كَفَرتُوثا وطور عَبْدِين ؛ وليس ذلك بثبت عند الكلبي .

وقال عُمير بن الحُباب حين قُتل ابن زياد :

ما كانَ جَيْشٌ يَجْمَعُ الخَمْرَ والزِنا مُحَلًّا إذا لاقَى العَدُوَّ لِيُنْصَرا

وقال ابن المُفَرّغ حين قُتل ابن زياد :

إنَّ المَنايا إذا ما زُرْنَ طاغِيَةً هَتَكْنَ أَسْتارَ حُجّابٍ وأَبْوابِ
أقول بُعْداً وسُحْقاً عِنْدَ مَصْرَعِهِ لِابنِ الخَبيثَةِ وابنِ الكَوْدَنِ الكابي
لا أَنْتَ زاحَمتَ عن مُلْكٍ فتَمْنَعَهُ ولا مَتَتَّ إلى قَوْمٍ بِأَسْبابِ
لا مِن نِزارٍ ولا مِن جِذْمِ ذي يَمَنٍ جُلْمودَةٌ أُلْقِيَتْ مِن بَيْنِ أَلْهابِ
لا تَقْبَلُ الأَرْضُ مَوْتاهُمْ إذا قُبِروا وكَيْفَ تَقْبَلُ رِجْساً بَيْنَ أَثْوابِ[1]

قالوا : ولحق جميع من كان هرب من المختار من أهل الكوفة أو أكثرهم بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وقد قدمها والياً على المصرَين ، فقدم شَبَث بن ربعي التميمي على بغلة قد قطع ذنبها وطرفي أُذُنَيْها وشقّ قَباءه ،

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ٨٢ ـ ٨٤ .

ووقف ينادي واغوثاه ، واغَوْثاهْ ، فدخل على المصعب فأخبره بما لقي الناس من المختار ، وهذا أصحّ من قول مَن قال إنّ شَبَثاً قُتل بالكوفة ، وأخبره أيضاً وجوهُ أهل الكوفة بما نالهم وسألوه نصرتهم والمسير معهم ؛ وقدم عليه محمد بن الأشعث ولم يكن شهد وقعة الكوفة ، فاستحثّ المصعب بالشخوص إلى الكوفة ، فقال : لست فاعلاً حتى يقدم المهلّب علي ، وكان بفارس ، فكتب إليه يأمره بالقدوم ، فاعتلّ بالخراج ، فقال محمد بن الأشعث : وَجِهْني إليه آتِكَ به ، فسار محمد حتى قدم فارس فلما رآه المهلَّب قال : يا محمد أما وجد المصعب بريداً غيرك ؟ فقال : يا أبا سعيد والله ما أنا إلّا بريد نسائنا وأبنائنا ؛ فأقبل المهلّب معه في جموع وهَيْئة وعِلاج ليس لأحد مثلها حتى قدم البصرة ، وكان المهلّب أتى عبدالله بن الزبير فكتب له عهده على خراسان فلما صار إلى البصرة طلب إليه أهلها أن يقاتل الخوارج وكانوا قد ظهروا وأبزوا[1] عليهم ، فأقام لقتالهم فاتبعهم إلى فارس ، فكان يحاربهم ، وقدم المصعب فولّاه فارسَ خراجَها وحربها .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن صعب بن زيد، وصعب عمّ جرير بن حازم قال: قدم المهلّب بعهده على خراسان من قِبَل عبدالله بن الزبير ، وقد نزلت الحَروريّة بين الجسرَيْن بالبصرة فقتلوا وحرقوا ، وغلبوا على كورَ الأهواز ، وشاطىء دجلة فأتى الأحنف وأشراف أهل البصرة المهلَّبَ فسألوه أن يتولّى قتال الأزارقة ، فقال : لست أقدر على ذلك هذا عَهْدُ أمير المؤمنين إليَّ على خراسان ،

---

١ - ابزى : وثب ، بغى . القاموس .

قالوا : فإنّا نخرج إلى أمير المؤمنين فنسأله أن يعفيك من خراسان ويولّيك قتال الأزارقة، قال : فرأيكم. فخرج من خرج منهم فجاؤوا بكتاب ابن الزبير بتوليته قتال الأزارقة ، وقُال بعض الناس : افتعلوه على لسان ابن الزبير ، وقال آخرون : بل خرج ناس فجاؤوا بكتابه، فنفى الخوارج إلى الأهواز .

قال جرير بن حازم : ثم صاروا إلى فارس فاتبعهم ، وكتب عبدالله إلى مصعب بن الزبير بتوليته فارس ، وكان قدوم المصعب البصرة والياً عليها بعد القُباع في سنة سبع وستّين .

خبر يوم المذار ومقتل أحمر بن شميط وابن كامل

قالوا : قدم المهلَّب بن أبي صُفرة من فارس ، واستخلف المغيرة ابنَه ، ويقال غيره ، وقال بعضهم : قسم فارس بين أصحابه وأمرهم أن يجتمعوا على قتال الخوارج مع صاحب الناحية التي تكون فيها ، فلما دخل على مصعب أمره بالعسكرة عند الجسر الأكبر ، ولم يُرِ المصعب أحداً إعظامَه له ، ودعا عبد الرحمن بن مِخْنَف فقال له: ائْتِ الكوفة مستخفياً حتى تُخرِج إليَّ من استطعت إخراجَه وخذلِ الناس عن المختار ، فمضى حتى نزل منزله سرّاً فلم يظهر ، وخرج مصعب بن الزبير ، وقد جعل المهلّبَ على ميسرته ، وعمر بن عبيدالله بن مَعْمَر على ميمنته وقدم عبّاد بن الحُصين التميمي أمامه على مقدّمته ، وكان مالك بن مِسْمَع على جيش بكر بن وائل ، ومالك بن المُنْذِر بن الجارود على جيش عبد القيس ، والأحنف بن قيس على جيش العالية ، وبلغ المختار ذلك ، فقال لأصحابه : يا أهل الدين وأعوان الحقّ ،

وأنصار الضعيف ، وشيعة الرسول وآلِ الرسول وشرطة الله إنّ هؤلاء الذين هربوا من أسيافكم أتوا اشباهاً لهم من أهل البصرة من الفاسقين فاستنفَروهم لِيُميتوا الحقّ ويُنْعَشَ الباطل ، ويُدَالَ أولياء الله في الأرض فانتدِبوا يرحمكم الله مع أحْمَر بن شُميط الأحْمسي .

فعسكر ابن شميط بحمّام أعْيَن ، وضمّ إليه المختار الناس ، وبعث على مقدّمته عبدالله بن كامل الشاكري من همدان فسار أحمر بن شُميط حتى ورد المَذار ، وأقبل مصعب فنزل قريباً منه وعبّأ كل واحد منهما جنده ، فجعل ابن شُميط ابنَ كامل على ميمنته وعبدالله بن أَنَس بن وهب بن نَضْلة الجُشَمي على ميسرته ، وجعل على الخيل رَزين بن عبد السَلولي وعلى الرجال كثير بن اسماعيل بن كثير الكندي ، وجعل أبا عَمْرة على الموالي ، وأَقَرَّ المصعب المهلّب على ميسرته ، وعمر بن عبيد الله على ميمنته ، وجعل على الرجال مُقاتل بن مِسمَع ، وعلى الخيل عبّاد بن الحُصين ، فالتقوا وحمل عبّاد على ابن شميط وأصحابه ، فلم يزُلْ منهم رجل عن موقفه ، وحمل ابن كامل على المهلّب فلم يزالوا كذلك يحمل بعضهم على بعض ، ثم حمل أهل البصرة جميعاً على ابن شُميط حملة واحدة فقاتل حتى قُتل ، وتنادى أهل الكوفة: يا معشر بَجيلة وخَثْعَم الصَبْرَ الصَبْرَ، فنادى بهم المهلّب: الفرارَ الفرارَ على ما تقاتلون أضلّ الله سَعْيَكم ، ثم مالت الخيل على رجالة ابن شُميط فاصطُلموا ، وقُتل عبدالله بن كامل .

وسرّح المصعب محمد بن الأشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة ممّن هرب من المختار ومن بَعِثَ به عبد الرحمن بن مِخْنَف ، وقال دونكم الطلب

بثأركم ، فكانوا أشدّ عليهم من أهل البصرة لا يتركون رجلاً إلّا قتلوه فلم ينجُ من ذلك الجند إلّا شِرْذِمة قليلة من أصحاب الخيل .

ورُوي عن معاوية بن قُرة المُزني أبي إياس بن معاوية أنّه قال : انتهيتُ إلى رجل منهم فأدخلتُ سنان الرمح في عينه وجعلتُ أُخَضخضه ، فقيل له : أَوَفعلتَ ذلك ؟ قال : نعم والله إنّهم كانوا أحلّ عندنا من التُرْك والدَيْلَم ، وكان معاوية قاضياً بين أهل البصرة ، وقال أَعْشى هَمْدان :

أما نُبِّئتَ والأنباءُ تَنْمي ... بما لاقَتْ بَجيلَةُ بِالمَذارِ
أُتِيحَ لَهُمْ بها ضَرْبٌ طَلَخْفٌ[1] ... وطَعْنٌ صائِبٌ وَجْهَ النَهارِ
فَبَشِّرْ شيعَةَ المُخْتارِ إمَّا ... مَرَرْتَ عَلَى الكُوَيْفَةِ بِالصَغارِ
وما إنْ سَرَّني إهْلاكُ قَوْمي ... وإنْ كانوا وجَدِّكَ في خَسارِ
ولكِنِّي أُسَرُّ بما يُلاقي ... أبو إسْحاقَ مِن خِزْيٍ وعارِ

وكان على البصرة حين شخص المصعب إلى المَذار عُبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر التَيْمي ولّاه إيّاها المصعب، وهو كان عليها أيضاً [حين] خرج لقتال المختار ، والثبت أنّه كان خليفة أخيه عمر بن عبيدالله لأنّ أُمْرَها كان إلى عمر ، وكان عمر خليفة المصعب عليها في ظعنه ومقامه .

وبلغ المختار ومن معه خبر ابن شُميط وابن كامل ووجوه رجاله وحُماته ، فقال من كان بالكوفة من الأعاجم كلاماً بالفارسيّة تفسيره : لم يصدق أبو اسحاق المرة .

---

١ ـ أي ضرباً شديداً . القاموس .

وقال بعض الشعراء فيما ذكر المدائني :

ونحنُ قَتَلْنـا أَحْمَراً وجُمـوعَهُ ... وقَدْ كانَ قَتَّالَ الكُماةِ مُظَفَّرا
غداةَ عَلا الإسكافُ بِالسَيْفِ رَأْسَهُ ... فخَرَّ صَريعاً لِلْيَـدَيْنِ مُعَفَّرا

قال : والإسكاف محمد بن عبد الرحمن الإسكاف .

حدثنا خَلَف بن سالم وأحمد بن إبراهيم قالا : حدثنا وهب بن جرير حدثنا جُوَيْرِية حدثني الصَقْعَب بن ثابت عن أبيه قال : سمعت المختار بالمدائن وهو يقول : والذي كرّم وجه أبي القاسم ليدخلنّ ابن شُميط البصرة في عافية صافية . قضاءً مقضيّا . وقد خاب من افترى ، وقد بعثتُ معه براية ما غزلَتْها يدٌ ولا نسجها نسّاج ، وكان أُدْرَجَها ولف عليها خرقة ثم ختمها ، وقال : لا تفتحها حتى تبلغ ساعة كذا من النهار ، ثم انشرها فانّ القوم اذا نظروا إليها انهزموا .

وحدثاني قالا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن الأزرق قال : بعث المختار ابنَ شُميط فدفع إليه سفطاً مختوماً ، وقال إنّ فيه راية لم ينسجها إنْس ولا جِنّ فأَخْرِجْها فإنّك تظفَّر عليهم ، وإيّاك أن تُخرجها من أوّل النهار فقُتل ، ومضى مصعب إلى الكوفة فانحاز المختار إلى داره فحصره فيها ، فخرج ليلاً فعرفه الناس فقتلوه وقَتَل أصحابَه وقد نزلوا على حكمه ، وهم سبعة آلاف .

خبر قدوم المصعب بن الزبير الكوفة ويوم حروراء ومقتل المختار بن أبي عبيد

حدثني محمد بن يزيد أبو هشام الرِفاعي ، حدثني عمّي كثير بن محمد عن عبدالله بن عياش المنتوف عن مجالد عن الشعبي قال: ولّي عبيدالله بن مَعْمَر المسمى القباع ، وإنّما سُمّي القُباع لأنّه رأى مكيالا لأهل البصرة فقال ما هذا القُباع ؟ يعني الأَجْوَف ، فلقّبوه قباعاً ، وهو الذي يقول فيه أبو الأسود الديلي [1] لعبدالله بن الزبير .

أبـا بَكْرٍ جَـزاكَ الله خَيْراً أَرِحْنا مِنْ قُباعِ بَني المُغيرَهْ

فعزله ابن الزبير ، وولّى البصرة والكوفة جميعاً مصعب بن الزبير أخاه ، فقدم البصرة وكان المختار بالكوفة وقد أُخرج عنها ابنَ مُطيع عامل ابن الزبير .

فلما قدم أصحاب المختار المَذار ليغلبوا على البصرة فيما دبّروا زحف إليهم المصعب بوجوه أهل البصرة ، واستخلف عمرُ بن عبيدالله عليها عبيدَالله بن عبيدالله بن مَعْمَر أخاه ويُكنى أبا معاذ بكنية أبيه ، فقتل المصعبُ ابنَ شُميط وأصحاب المختار وفضّ عسكره ، ثم إنّ عمر بن عبيدالله استخلف أيضاً على البصرة أخاه بأمر المصعب ، وسار المصعب إلى الكوفة فقتل المختار .

---

١ ـ ديوان بي الأسودالدولي ص ٢٢٠ .

وولّى عبدالله بن الزبير حمزة ابنه البصرة بعد أشهر ، وذلك بمشورة رجل شخص إليه من أهل العراق مولىً لبني عِجْل ، يقال له إبراهيم بن حيّان فأخبره أن أهل البصرة يحبّون ولايته ، وكتب إلى مصعب في ضمّ من قِبَله من رجال البصرة إلى حمزة ، فغضب مصعب وشخص إلى مكّة وحمل معه مالا من مال الكوفة واستخلف عليها القُباع .

وقدم حمزة البصرة في سننه فكان جواداً إلّا أنّه كان أحمق، شخص إلى الأهواز فدعا بدهقانها واسمه مردانشاه فأمره أن يحمل الخراج فاستأجله ، فشدّ عليه فضرب عنقه وعنده الأحنف فقال له إنّ سيف الأمير لحادّ ، ونظر حمزة إلى جبل الأهواز فقال كأنّه قُعَيْقِعان يعني جبلا بمكّة ، فسمُّوه قعيقعان ، وسمّوا الجبل أيضاً قعيقعان .

ولما ورد مصعب على عبدالله أخيه قال له : من استخلفت على الكوفة ؟ قال الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة ، وقال له : ما رأيتَ في حمزة ابنك حتى عزلتني وولّيته ؟ قال : ما رأى عثمان في ابن عامر حين عزل أبا موسى وولّاه ولم أعزلك تفضيلاً له عليك ، وردّه على المصرين جميعاً ، فأقرّ القُباع بالكوفة على خلافته ، وأقرّ عمر بن عبيدالله على أمر البصرة ، ثم ولاه فارس .

وقال ابن عيّاش : كان حمزة يُعطي الكثير مَن لا يستحقّه ، ويمنع القليل مَن يَستحقّ الكثير ، وكان يُعطي مائة ألف ويَمنع شِسْعا ، ورأى فَيْض البصرة فقال : إنّ هذا غدير إنْ رفق به أهله كفاهم ضيعتهم ، وركب إلى فيض البصرة في الجَزْر ، فقال : لو اقتصدوا فيه لم ينقص هذا النقصان .

ومدحه موسى شَهَوَات فقال :

حَمْـزَةُ المُبْتاعُ حَمْـداً بـاللُّهَى ويَرَى في بَيْعِهِ أَنْ قَدْ غَبَنْ
وإذا أَعْـطَى عَطاءً فـاضِلاً ذا إخـاءٍ لَمْ يُكَـدِّرْهُ بِمَنّ
وإذا مـا سَنَـةٌ مُجْـدِبَـةٌ بَرَتِ المالَ كَبَـرْيٍ بِالسَفَنْ
إنْجَلَتْ عَنْـهُ نَقِيّاً ثَـوْبُـهُ وتَـوَلَّـتْ ومُحَيَّـاهُ حَسَـنْ
نـورُ صِدْقٍ نَيِّـرٌ في وَجْهِهِ لَمْ يُصِبْ أَثْوابَهُ لَوْنُ الدَرَنْ

ولجأ الفرزدق إليه وهو بالحجاز في امرأته ، وقد كتبنا قصّته في خبر ابن الزبير .

قالوا : ولما صنع حمزة ما صنع بدهقان الأهواز كتب الأحنف ووجوه أهل البصرة في عزله وإعادة مصعب ، فعزله واحتمل حمزة مالاً من مال البصرة فعرض له مالك بن مِسْمَع وقال : لا نَدَعك تخرج بأعطياتنا فضمن له عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر العطاء كاملاً فكفّ وقد كان عسكر في ربيعة ، وتخلّص حمزة بالمال فترك أباه وأتى المدينة فأودع المال رجالاً فذهبوا به إلّا يهوديّا وَفَى له ، وقال أبوه : أبعده الله أردتُ أن أُباهي به بني مروان فنكص .

قالوا : وكان حمزة محباً لابن سُريج المغنّي ، وهو غنّى في قول موسى شَهَوات .

حَمْزَةُ المُبْتاعُ حَمْداً بِاللُّهَى

وكان حمزة لا يخالفه ، فسأله رجل أن يكلّمه في إسلافه ألف دينار ، ففعل وأسلف الرجل ألفا وأعطى ابن سُريج ألفا .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي عن وهب بن جرير عن أبيه عن صَعْب بن زيد قال : بعث ابن الزبير ابنه حمزة وكان فيه ضعف وحمق ، فخرج إلى الأهواز فلما رأى جبلها قال إنّ هذا الجبل لَشبيه بقُعَيْقَان فسمّي لذلك قعيقعان ؛ قال صَعْب : وفرغنا يوما من الخوارج ونحن بالأهواز فخرج على فرسه مطلقا برحات قَبَائه فكأنّي انظر إلى تِكة سراويله قد بدت على قَرَبوس سرجه وهو يركض فكان وجهه إلى البصرة ولم يلق قتالاً ؛ وكان خليفته بالبصرة عبيدالله بن عبيدالله بن مَعْمَر وأقام بالبصرة سنة ، وكان عمر بن عبيدالله على فارس .

قالوا : ولما انقضى أمر يوم المَذَار أقبل المصعب نحو واسط القَصَب ، ولم تكن يومئذ إنّما كان أحدثها الحجّاج بعدُ ، فأخذ في كَسْكَرَ وحمل الضعفاء في السُفُن فخرجوا في نهر يقال له قُوسان منه إلى الفرات ، فكان أهل البصرة يخرجون فيجرّون سفينهم ويقولون :

عَوَّدَنا المُصْعَبُ جَرَّ القَلْسِ بِالزَنْبَرِيّاتِ[1] الطِوالِ المُلْسِ

ويقال : إنّهم قالوا ذلك حين شخص إلى الكوفة ثم إلى مَسْكِن .

قالوا : وبلغ المختار مسيرهم فخرج حتى نزل السَيْلَحُون بالكوفة وسكر الفرات على نهر السَيْلَحُون ، ونهر يوسف ، وجعل يذكر ابن شُميط وأصحابه فيقول : حَبّذا مصارعُ الكِرام ، وبقيت سفن البصريّين تُجَرّ على الطين ، فلما رأوا ذلك وجّهوا خيلاً إلى السكر فكسروه وصمدوا صمد الكوفة ، فلما رأى المختار ذلك أقبل حتى نزل حَروراء وحال بينهم وبين

١ ـ الزنبري : الضخم من السفن . القاموس .

الكوفة ، وقد كان حصّن القصر والمسجد واستخلف بالكوفة عبدالله بن شدّاد الجُشَمي ، وجعل المختار يومئذ على ميمنته سليمان بن يزيد الكندي وعلى ميسرته سعيد بن مُنْقِذ الهَمْداني ، وكان على شرطته يومئذ عبدالله بن قُراد الخَثْعَمي ، وكان على ميمنة المصعب المهلَّب بن أبي صُفرة ، وعلى ميسرته عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر ، وعلى الخيل عبّاد بن الحُصين ، وعلى الرجال مقاتل بن مِسْمَع ، وعلى أهل الكوفة محمد بن الأشعث بن قيس ، وعلى بكر بن وائل مالك بن مِسْمَع .

فلما رأى المختار ذلك وجّه إلى كل خُمس من أخماس أهل البصرة رجلاً ، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن مُنْقِذ صاحب ميسرته وإلى عبد القيس وعليهم مالك بن المنذر بن الجارود عبد الرحمن بن شُريح الشِبامي من هَمْدان ، وكان على بيت ماله ، وبعث إلى أهل العالية وعليهم قيس بن الهَيْثَم السُلَمي عبدالله بن جعدة بن هُبيرة المخزومي ، وبعث إلى الأزد وعليهم زياد بن عمرو العَتَكي سليمان بن يزيد الكندي ، وكان على ميمنته ، وبعث إلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك الأشعري ، ووقف في بقيّة أصحابه ، وكان المهلّب في خُمْسَيْن كثيرَيِ العدد والفرسان ، وهم الأزد ، وتميم ، وكان الأحنف حاضراً ، ولم يحبّ أن يُشهر نفسه فحمل بعض القوم على بعض ، والمهلّب واقف فقيل له : ألا تحمل ؟ فقال : ما كنت لأُجزِرَ الأزد وتميما خَشَبِيَّةَ أهل الكوفة حتى أرى فُرْصتي ، وحمل ابن جَعْدة على أهل العالية فكشفهم حتى ألحقهم بمصعب ، فجثا المصعب عندها على ركبتيه ورمى سهمه فرمى الناس سهامهم ، وبعث إلى المهلّب : ما تنتظر لا أبا

لغيرك احملْ على من يليك ، فحمل بخمسمائة على أصحاب المختار فحطموهم ، وحمل الناس بأجمعهم فانهزم أصحاب المختار .

وقال عمرو بن عبدالله النَهْدي : اللّهم إنّي أبرأ إليك من فعل هؤلاء ، يعني أصحابه حين انهزموا ، وأبرأ إليك من هؤلاء ، يعني أصحاب مصعب ، اللّهم إنّي على ما كنت عليه بصِفّين ، ثم قاتل حتى قُتل ، وقال مالك بن عمرو النَهْدي وكان على الرجالة وأُتي بفرسه ليركبه : والله لا فَعَلْتُ ولأن أُقْتَل في أهل الصبر أحبّ إليّ من أن أُقتل في بيتي ، أينَ أهل الصبر اليوم ؟ فثاب إليه خمسون رجلاً ، فشدّ وشدوا على محمد بن الأشعث بن قيس وأصحابه ، وكان بالقرب منه ، فقُتل محمد بن الأشعث ، فبنو نَهْد يدّعون قتله يقولون قَتَله مالك ، وكندة تقول قتله عبد الملك بن أشاعة الكندي ، وخَثْعَم تقول قتله ابن قُراد الخثعمي ، ويقال إن المختار مرّ في أصحابه على ابن الأشعث فقال لهم : يا شرطة الله كُرّوا على الثعالب الروّاغة ، فحملوا فقُتل محمد بن الأشعث فقال أعشى همدان :

وما عُذْرُ عَيْنٍ عَلَى آبْنِ الأَشَـ ـجِ في أَنْ يُفَتَّرَ تَقْطارُها
فـلا تَبْعَـدَنَّ أَبـا قـاسِمٍ فقـد تَبْلُغُ النَّفْسَ مِقْدارُها
بِشَطِّ حَـرُورَا إذَا استجمعت عَلَيْـكَ ثَقِيفٌ وسُحّـارُهـا

وقُتل سعيد بن مُنْقِذ في سبعين راكبا من قومه ، وقُتل سليمان بن يزيد الكندي في تسعين ، ونزل المختار على فم سكّة شَبَث بن رِبْعِيّ فقاتل عامّة ليلته وقُتل معه بَشَر من همدان وغيرها ، وانصرف البصريّون عن المختار فعمد إلى قصر فنزله ، وكان وقعتهم يوم الأربعاء ، وكان عبدالله بن ثوب لما خرج يريد حروراء جعل يقول : اليوم يوم الأربعاء . ترّبّعت السماء . ونزل

القضاء . بهزيمة الأعداء ، فلما كانت الوقعة ضُرب على وجهه فقيل له أين ما كنت تقول ؟ قال : ﴿يَمْحُو الله مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ آلكِتَابِ﴾(١) ويقال : إنّ المختار قال ذلك ، وكان عبيدالله بن عليّ بن أبي طالب مع المصعب فقُتل يومئذ ، ويقال : انّه قُتل يوم المَذار فقال المصعب للمهلّب : يا أبا سعيد أَعَلمت انّهم قتلوا عبيدالله بن عليّ وهم يعرفونه ويزعمون أنّهم شيعة أبيه ؟ فقال المهلّب للمصعب : أصلح الله الأمير أي فَتْحٍ لو لم يكن محمد بن الأشعث قُتل ؟ فقال : نعم ، فرحم الله محمدا .

قالوا : وسار مصعب يوم الخميس بمن معه فأتى السَبَخة فقطع عن المختار المادّة ، وبعث عبدَ الرحمن بن الأشعث وزَحْر بن قيس إلى جبّانة مُراد ، وبعث عبيدالله بن الحُرّ الجُعفي إلى جبّانة الصائديينّ من همدان ، وبعث عبّاد بن الحُصين إلى جبّانة كندة ، فكانوا كُلّهم يقطعون عنه المادّة ؛ وأمر المصعب المهلّب أن يتخّذ على الكوفة دروباً ففعل فلم يقدر المختار على الماء ، فجعل يشرب وأصحابه من ماء البئر ويعطيهم من عَسل عنده فيُديفونه به ليطيب الماء ، واقترب مصعب وأصحابه من القصر ورتّبهم في مواضع وقفهم بها ، وأقبل أحداث يصيحون يا بن دَوْمَةَ ، فأشرف عليهم فقال:إنّ الذي تعيّرونه ابنُ رجلٍ مِنَ آلقَرْيَتَيْنِ(٢) عَظِيمٍ ، وكانت أمّ المختار دَوْمَة بنت وهب بن مُعَتِّب بن وهب بن كعب الثَقَفي ، ثم خرج المختار في مائتين فحمل على أصحاب مصعب فقاتلهم وضرب يحيى بن ضَمْضَم وكان

---

١ ـ سورة الرعد ـ الآية : ٣٩ .

٢ ـ بهامش الأصل : عظيم احدى القريتين مسعود بن عمرو وجده .

فارساً شجاعاً إذا ركب خطّت الأرضَ رجلُه ، فأطار قِحْف رأسه فَخَرَّ ميّتاً ؛ ثم تتابع الناس عليه وكثروه ، فلم يكن له بهم طاقة ، فدخل القصر واشتدّ عليه الحصار ، فقال لأصحابه : انزلوا بنا نقاتلْ حتى نُقْتَل كِراماً ، والله ما أنا بآيِس إن صدقتم أن تُنْصَروا ، فضعُف أصحابه وعجزوا ، فقال : أما والله لا أُعطي بِيَدي ولا أحكم في نفسي ، فلما رأى عبدالله بن جَعْدة ما يريد المختار تدلّى من القصر فلحق بناس من إخوانه فاستخفى عندهم .

ثم إنّ المختار ارسل إلى امرأته أمّ ثابت بنت سَمُرَة بن جُنْدُب فبعثت إليه بطيب فاغتسل ، وتحنّط ، ووضع الطيب في رأسه ولحيته ، ثم خرج في تسعة وعشرين رجلاً من أصحابه فيهم السائب بن مالك الأشعري ، فقال للسائب : ما ترى ؟ قال السائب : أنا أُرى أم أنت ؟ قال المختار : بل الله يرى ، أنت ويحك أحمق ، إنّما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز ، ومروان على الشام ، ونَجْدَة على اليمامة ، فلم أكن دون أحدهم فقاتِلْ على حسبك ، فقال السائب : وما كنت أصنع بالقتال على حسبي ؛ وتمثّل المختار بقول ابن الزِبَعْرَى :

كلُّ بُؤسٍ ونَعيمٍ زائلٌ وسَواءٌ قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلّ[1]

ثم قال لأصحابه لما رأى ما بهم من الروع والفشل ، والامتناع من أن يتابعوه على الخروج والقتال معه : إنّي والله إن قُتلتُ لم تزدادوا إلاّ ضعفاً وذلاّ . ثم إن أُخذتم ذُبحتم كما يُذبح الغنم يقولون : هذا قاتِلُ أبي ، وهذا قاتل أخي ، وإنْ قاتلتم صابرين فقُتلتم مُتُّمْ كِراماً .

---

١ ـ شعر عبدالله بن الزبعرى ص ٤١ مع فوارق واضحة .

ثم خرج فقاتل وهو يقول :

إنْ يَقْتُلوني يَجِدوا لي جَزَرا مُحَمَّداً قَتَلْتُهُ وعُمَرَا
والأَبْرَصَ الجَاهِلَ لَمَّا أَدْبَرا

فقُتل السائب بن مالك ، ثم قُتل المختار عند الزيّاتين قتله أَخَوان من عَنَزَة يقال لهما طَرَفة وطُرَيْفة ، وبنو تميم يدّعون أنّ مولىً لبني عُطارد يقال له محمد بن عبد الرحمن قتل المختار .

وقال أبو اليقظان : قتله فيما تقول ربيعة : طرّاف بن يزيد الحَنَفي .

ونزل الباقون من أصحابه على الحكم ، فجعل عبّاد بن الحُصين يُنزلهم مكتفين وكان فيهم عبدالله بن قُراد فمّروا به على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وهو يقول :

ما كُنْتُ أَخْشَى أن أُرَى أسيرا إنَّ الذين خالَفوا الأَميرا
قَدْ خَسِروا وتُبِّروا تَتْبيرا

فقال عبد الرحمن : ائتوني به فقدّموه إليه ، فقال له ابن قُراد : أَمَا إنّي على دين جدّك الذي آمَن به ثم كفر ، يعني الأشعث إن لم أكن الذي ضربتُ أباك بسيفي حتى فاضت نفسه ، فدنا منه فقتله ، فغضب عبّاد بن الحصين من قتله إيّاه دون أمر مصعب .

وأُتي مصعب برجل من بني مُسْلِيَة فقال : الحمد لله الذي ابتلانا بالأمير وابتلاه بنا ، إنّ مَن عفا عفا الله عنه ، ومن عاقب لم يأمَن القِصاص ، يا بن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملّتكم ونحن قومكم لسنا بِرُوم ولا دَيْلَم ، لم نَعْد أَنْ خالَفْنا اخواننا من أهل مصرنا ، فإمّا أن نكون أصبنا وأخطأوا ، أو أصابوا وأخطأنا فاقتتلنا بيننا كما اقتتل أهل الشام بينهم وكما

اقتتل أهل البصرة بينهم ، فقد افترقوا ثم اجتمعوا ، وقد ملكتم فأسجحوا ، وقدرتم فآعفوا ، فرقّ له مصعب وللأسرى ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : أيّها الأمير اخترنا عليهم أو اخترهم علينا ، وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني فقال : قد قُتل أبي وأشرافنا وخمسمائة أو أكثر منّا وتُخلّي سبيلهم ودماؤنا تَرَقْرَقُ في أثوابهم ، اختَرْنا أو اخترهم فأمر بهم أن يُقتلوا ، فقال بعضهم : قد أَمَرنا المختار أن لا نموت هذه الميتة الدنّية فأبينا ، وكان من أُخرج من القصر نحواً من ستّة آلاف .

حدثني أبو مسعود عن عليّ بن مجاهد قال : لما ظفر مصعب بأصحاب المختار ، بعثت إليه عائشة بنت طلحة في أمرهم الحارث بن خالد المخزومي فوجدهم قد قُتلوا .

وقال مسافر بن سعيد بن نِمْران الناعطي : ما تقول يا بن الزبير غداً وقد قتلتَ أُمةً من المسلمين حكّموك في أنفسهم ودمائهم صَبْراً وإنّ فينا لرجالاً ما شهدوا حربنا وحربكم إلاّ اليوم ؟! فقُتل وقُتل القوم .

حدثني عبدالله بن صالح المقرىء عن الهَيْثم عن عَوانة قال : لما أراد المصعب قتل أصحاب المختار ونزلوا على حكمه شاور الأحنف بن قيس فيهم، فقال: أرى أن تعفو عنهم فإنّ العفو أقرب للتقوى[1]، فقال أشراف أهل الكوفة : اقتلهم وضجّوا فلما قتلوا ، قال الأحنف : ما أدركتم بقتلهم ثأرا فلَيْته لا يكون في الآخرة وبَالا .

---

١ ـ انظر سورة البقرة ـ الآية : ٢٣٧ .

وكان المصعب قال : اقتلوا الموالي واعفوا عمّن كان صليبةً مع المختار ، فقام ابن الأصبهاني وابن الإسكاف ، صاحب الدار بالبصرة فقالا : ما هذا بحُكم الإسلام ، فقتل الجميع .

قالوا : وبعث المصعب إلى أمّ ثابت بنت سَمُرة بن جُنْدُب الفزاري ، وعَمْرة بنت النُعمان بن بَشير الأنصاري ، امرأتي المختار ، فأُحضرتا فقال لهما ما تقولان في المختار ؟ فأمّا أمّ ثابت فقالت : ما عسينا أن نقول فيه إلاّ مثل ماتقولون من الكذب وادّعاء الباطل فخلّى سبيلها ، وقالت عَمْرة : ما علمتُه رحمه الله إلاّ مسلماً من عباد الله الصالحين ، فحبسها المصعب في السجن ، وكتب إلى عبدالله بن الزبير : «إنّها تزعم أنّه نبي» فكتب إليه أن أَخْرِجْها فاقتلها ، فأخرجها إلى ما بين الحيرة والكوفة بعد العشاء الآخرة ، فأمر بها رجلاً من الشرَط يقال له مَطَر ، فضربها بالسيف ثلاث ضربات ، وهي تقول : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرتاه ، فرفع رجل يده فلطم مَطَراً وقال : يابن الزانية عذّبتها فقطعتَ نفسها ثم تشحّطت وماتت ، وتَعَلّق مَطر بالرَجُل فأتي به مصعباً فقال : خلّوه رأى أمراً عظيماً فظيعاً ، وكان لقب مطر هذا تابعه .

فقال عبدالله بن الزبَير الأسدي ، ويقال عمر بن أبي ربيعة :

إنَّ مِنَ أَعْجَبِ العَجائِبِ عِنْدي   قَتْلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عُطْبول
قَتلوها ظُلْماً على غَيْرِ ذَنْبٍ   إنَّ لله دَرَّهَا مِنْ قَتيل
كُتِبَ القَتْلُ والقِتالُ عَلَيْنا   وعلى المُحْصَناتِ جَرُّ الذُيول[1]

---

١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٩٨ مع فوارق .

وقال الأَحْوَص ، ويقال غيره :

أَلَمْ تَعْجَبِ الأَقْوامُ مِنْ قَتْلِ حُرَّةٍ مِنَ الجامِعاتِ العَقْلَ والدينَ والحَسَب
مِنَ العاقِلات المُؤْمِناتِ بَرِيَّةٍ مِنَ الشَكِّ والبُهْتانِ والإِثْمِ والرِيَب
كَأَنَّهُمُ إِذْ أَبرَزوها فقَطَّعَتْ بِأَسْيافِهِمْ فازوا بِمَمْلَكَةِ العَرَبْ[1]

وكان مقتل المختار في شهر رمضان سنة تسع وستّين .

وبعث المصعب برأسه ورؤوس وجوه أصحابه إلى عبدالله بن الزبير بمكة ، وسمر المصعب يد المختار على حائط المسجد الجامع ، فلم تزل مسمورة حتى قدم الحجّاج الكوفة فأمر بها فانتُزعت ثم دُفنت .

ولما قتل المصعب المختار أنفذ عمرَ بن عبيدالله بن مَعْمَر إلى البصرة وأقام بالكوفة لإصلاح أمرها ، فكان يومُ الجُفْرة بالبصرة في أيام عمر بن عبيدالله هذه ، ثم لحق به مصعب وقد ذكرنا ذلك فيما تقدّم من نسب بني أبي العيص .

حدثني العُمَري عن الهَيْثَم بن عَديّ عن عَوانة وغيره قالوا : وفد مصعب على أخيه عبدالله ثلاث مرّات أولاهنّ من الكوفة حين قُتل المختار ومعه إبراهيم بن الأشتر ، والثانية من البصرة بمال العراق حين عزله وولّى حمزة بن عبدالله البصرة فقدمها غلام مُعْجَب حريص ، فقصّر بالأشراف وبسط يده ففزعوا إلى مالك بن مِسْمَع فأمر بحمل سُرادِقة فضُرب على الجسر ، ثم أرسل إلى حمزة يا بن أخي الحقْ بأبيك فأَخْرَجه عن البصرة ، فقال العُدَيل بن فَرْخ العجلي :

---

١ ـ شعر الأحوص ص ٢٦٣ .

إذا ما خَشينا مِنْ أَميرٍ ظُلاَمَةً دَعَوْنا أَبا غَسّانَ يَوْماً فَعَسْكَرا
فما في مَعَدٍ كُلِّها مِثْلُ مالِكٍ أَغَرُّ إذا سامَى وأَهْيَبُ مَنْظَرا
بَني مِسْمَعٍ لَوْلا الإِلهُ وأَنْتُمُ بَني مِسْمَعٍ لَمْ يُنْكِرِ الناسُ مُنْكَرا
بَني مِسْمَعٍ أَنْتُمْ ذُؤابَةُ وائِلٍ وأَكْرَمُها في أَوَّلِ الدَهْرِ جَوْهَرا

فرد عبدالله مصعباً على الكوفة والبصرة ، ثم إنّه احتاج إلى مشافهة أخيه عبدالله بشيء في أمر عبدالملك حين بلغه عزمه على إتيان العراق فشخص إليه فلم يُقم قِبَله إلّا يوماً ، ثم ركب رواحله إلى البصرة .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعن عَوانة قالا : لما قدم مصعب على أخيه بعد قتل المختار ، قال له ابن عمر : أأنت الذي قتلت ستّة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة على دمٍ ؟ فقال : إنّهم كانوا سَحَرَة كَفَرَة ، فقال له : والله لو كانوا غَنَماً من تراث الزبير لقد كان ما أتيت عظيماً .

قالوا : وقال عبدالله بن الزبير لابن عبّاس ـ وأخبره بأمر المختار ـ فرأى منه توجّعاً وإكباراً لقتله أتتوجع لابن [أبي] عُبيد وتكره أن تسميّه كذّاباً ؟ فقال له : ما جزاؤه ذلك منا ، قتل قَتَلَتَنَا ، وطلب بدمائنا وشفى غليل صدورنا .

قالوا : ومرّ عروة بن الزبير على ابن عبّاس فقال يا أبا عبّاس إنّ ربّك قتل المختار الكذّاب وهذا رأسه قد جيء به ، فقال ابن عبّاس قد بقِيَتْ لكم عَقَبَةٌ إنْ صعدتموها فأنتم أنتم يعني ، عبدالملك وأهل الشام .

حدثني عمر بن شَبّة عن موسى بن اسماعيل عن أبي هلال عن أبي يزيد المدني قال : ذكر ابن عمر الدّجالين والكذّابين فقال ومنهم ذو صِهْري هذا ، قال : قلت : ومن ذو صهرك ؟ قال : المختار .

وحدثني عمر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا قيس عن أبي اسحاق ، عن سعيد بن وهب قال : قيل لابن الزبير إنّ المختار يزعم انه يُوحى إليه قال صدق ثم قرأ : ﴿هَلْ أُنبِئُكُمْ عَلَى من تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاك أَثِيمٍ﴾[١] .

حدثني مصعب بن عبدالله الزُبيري عن أبيه قال:قال هشام بن عُرْوة : قيل لابن عبّاس إنّ المختار يزعم أنّه يُوحَى إليه . فقال : صدق إنّهما وَحْيَانِ وَحْي الله إلى محمد ﷺ ، ووَحْي الشياطين ، وقرأ : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُون إلى أَوْلِيَائِهِمْ﴾[٢] .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه عن أبي صالح قال : كان ابن عبّاس يقول في المختار : طَلَبَ بثأرنا ، وقتل قَتَلَتَنَا ، فنهاه محمد بن الحنفية وقال : نحن أعلم به فلا تقُلْ فيه من الخير شيئاً .

وقد رُوي عن ابن عبّاس إنّه ذُكر عنده المختار ، فقال : صلّى عليه الكِرام الكاتبون .

حدثنا بسّام الحمّال وغيره قالوا : حدثنا حمّاد بن سَلَمة عن يحيى بن سعيد عن أبيه : إنّ المختار لما دعا الناس لبيعته ، رأيت الحارث بن سُويد يذهب مُرْقلا ، فقلت : إلى أين تذهب ، أَمَا تدري ما هذه البيعة ؟ قال : بلى ولكنّي سمعت ابن مسعود يقول ما كلام أتكلم به يُردّ عنّي ضربتين بسوط إلاّ كنت متكلّما .

---

١ ـ سورة الشعراء ـ الآيتان : ٢٢١ ـ ٢٢٢ .
٢ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ١٢١ .

المدائني قال : وجد المختار في بيت مال الكوفة تسعة آلاف ألف درهم ، ويقال : ألف ألف وتسعمائة ألف .

المدائني ، قال : كتب المختار إلى ابن الزبير ، إنّ ابن مُطيع خالفك ، وكاتَبَ عبدالملك ، وأنت أحبّ الينا من عبدالملك ، فوجَّه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث فماكَرَهُ المختار وقد كتبنا خبره .

قال : وكتب المختار إلى ابن الزبير إنّي اتخذت الكوفة دارا ، فإنْ سوَّغْتَني ذلك وأمرتَ بألف ألف درهم سرتُ إلى الشام وكفيتك أمره ، فقال ابن الزبير : إلى متى أُماكر كذّاب ثقيف ويماكرني ثم تمثّل :

عاري الجَواعِرِ مِن ثَمودٍ أَصْلُهُ عَبْدٌ ويَزْعُمُ أَنَّهُ مِن يَقْدُمِ

وكتب إليه : لا والله ولا درهماً ، وقال :

ولا أَمْتَري بالهُونِ حتى يَدُرَّني وإنّي لآبي الخَسْفَ مادُمْتُ أَسْمَعُ

فجاهره المختار عندها ونصب له .

وقال المدائني : أُعظمت ربيعة قتل إياس وابنه ، وقالوا : نقتل بهما إبراهيم بن الأشتر ، فقال سُراقة البارقي :

أَتُـوعِدُنـا رَبيعَةُ في إيـاسٍ وما تَدْري رَبيعَةُ ما تَقولُ
ولَـوْلا رَفْعُنا عَنْهُمْ لَكـانـوا كَمَن غالَتْهُ في الأَيّامِ غولُ
لإِبْراهيمُ أَمْنَعُ مِن سُهَيْـلٍ إذا طارَتْ مِنَ الفَزَعِ العُقولُ
وأَمْنَعُ جانِباً مِن لَيْثِ غابٍ جَـرِيءٍ دونَـهُ أَجَمٌ وغِيـلُ
وأَصْدَقُ عَدْوَةً مِنْـهُ إذا ما تَـدَمَّى مِن فَريسَتِـهِ التَليـلُ

حدثني روح بن عبد المؤمن عن غُنْدَرٍ عن شُعْبة عن الحَكَم قال : صلّيت خلف أبي عبدالله الجَدَلي ، زمن الكذّاب ، وكان الكذّاب استخلفه

فقرأ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فلما قرأ ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ قال : كَفَى بالله هاديا ونصيرا ، ثم قال بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

المدائني ، قال : قال المختار : من جاءنا من عبد فهو حُرّ ، فبلغ ذلك ابن الزبير فقال : قد كان يقول إنّي لأعرف كلمة لو قُلْتها كثر تَبَعي ، وهي هذه ، لَيكثرنّ تَبَعُه .

قال أبو الحسن المدائني : أتى عبّاد بن زياد دُومة الجندل بعد مرج راهط طالباً للعُزْلة وهارباً من الفتنة ، فوجّه المختار إليه شُرحَبْيل بن وَرْس الهمداني في أربعة آلاف ، فأرسل إليه عبّاد إنّي إنّما هربت إلى دومة الجندل بديني واعتزلت الفتنة ، فقال له أصحابه : هو رأس الفتنة وأوّلها وآخرها فلا يبرح حتى يُسفَك دمه ، فعزم ابن وَرْس على قتاله ، فقال عبّاد لأصحابه ، وهم سبعمائة من عبيده ومواليه وأتباعه: اخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم فإنّه لم يُحصَر قوم قطّ إلاّ وَهنوا وذلّوا فقاتلهم ، فقُتل من أصحاب ابن وَرْس أكثر من ألف ولم يُقتل من أصحاب عبّاد إلاّ الوليد بن قيس مولى عبيدالله بن زياد ، وانهزم ابن وَرْس فوثب الأعاريب عليه فانتهبوه وقتلوا جماعة من أصحابه ، فصار فيمن بقي معه إلى بلاد طيّء ، فجمع له مَعْدان الطائي ، وهو معدان بن سلمة بن حنظلة ، فقاتله ابن وَرْس وهو يقول :

أنا آبْنُ وَرْسٍ فارِسٌ غَيْرُ وَكَلْ ... أَرْوَعُ مِقْدامٌ إذا النِكْسُ نَكَلْ
وأعْتَلِي رَأْسَ الطِرِمّاحِ البَطَلْ ... بِالسَيْفِ يَوْمَ الرَوْعِ حتى يَنْجَدِلْ

وجعل مَعْدان يقول :

إيهٍ بَني مَعْنٍ ذَوي العَديدِ ... فجَرّدوا البِيضَ مِنَ الحَديدِ
ولاتُعيدوهُنَّ في الغُمودِ ... وآنْتَزِعوا سُرادِقَ العَبيدِ

فقتلوا منهم سبعمائة ودخل ابن وَرْس الكوفة .

فقال الأخطل :

وأنْتَ يا بنَ زيادٍ عنْدَنا حَسَنٌ   مِنْكَ البَلاءُ وأنْتَ الناصِحُ الشَفِقُ
المُسْتَقِلُّ أموراً لَيْسَ يَحْمِلُها   غَمْرٌ مِنَ القَوْمِ رِعديدٌ ولا خَرِقُ[1]

وقال المدائني : مال عُمَير بن الحُباب يوم الخازِر وقال : يا لثأرات المَرْج فقُتل: ابن زياد، وحُصين بن نُمير، وشرحبيل بن ذي الكَلاع .

وقال أبو الحسن المدائني : أقام عبيدالله بن زياد حين وجّهه مروان على قَرْقِيسَاء سنةً فلم يقدر على شيء ، فتوجّه يريد العراق فلقي التوّابين ، ثم سار يريد العراق فقُتل بالخازر وقال عُمير بن الحُباب :

جَزَيْناهُمْ بِيَومِ المَرْجِ يَوْماً   كَسوفَ الشَمْسِ أَسْوَدَ ذا ظِلالِ
فلَمْ يَنْفَكَّ أَعْظُمُ سَكْسَكيٍ   أمامَ الجِسْرِ ما آخْتَلَفَ اللَيالي

وقال الفرزدق :

ألا رُبَّ من يُدْعى الفَتَى لَيْسَ بالفتَى   ولٰكِنَّما كانَ الفَتَى ابنُ زِيادِ[2]

وقال المدائني : بعث المختار برأس ابن زياد إلى عبدالله بن الزبير ، فبعث به عبدالله إلى ابن الحنفيّة فقال : ﴿الشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾[3] قال : ويقال إنّه بعث برأس ابن زياد إلى ابن الحنفيّة ، ويقال : إنّ مصعبا بعث برأس المختار الى ابن الزبير فبعث به ابن الزبير إلى ابن الحنفيّة فتلا ابن الحنفيّة الآية، وذلك أشبه بالحقّ .

١ ـ ديوان الأخطل ص ٢١٤ مع فوارق .
٢ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .
٣ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٩٤ .

وقال المدائني : قتل المختارُ عبدالله بن شدّاد الجهني ، وأبا عثمان بن خالد بن أسيد ، وزيد بن رُقاد الحيني ، وعمرو بن الحجّاج الزبيدي فقد فمات عطشاً ، وهرب مِسكين بن عامر الدارِمي ، وكان ممّن قاتل قَبْلُ المختار بالكوفة ، ولحق بمحمد بن عُمير بن عُطارد بآذَرْبيجان وقال في أبيات له :

لَهْفَ نَفْسي عَلَى قَريعِ قُرَيْشٍ   يَـوْمَ يُؤْتَى بِـرَأْسِهِ المُخْتـارُ
لَيْتَنْا قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ مُتْناً   أَوْ فَعَلنا ما يَفْعَلُ الأَحْرارُ

وقال المدائني : هرب أسماء بن خارجة إلى البادية ، فنزل على رجل من بني عبْس وكان للعبسي كلب يقال له وقّاع فقال العبسي : إنّي أخاف على كلبي ، فقال أسماء : أنا له ضامن ، فكان يأمر بإطعامه حتى تناهى سِمَنَه ، ثم رحل أسماء فنزل بلاد كلب ونزل بالعَبْسي رجل من بني ثعلبة بن سعد يُكنى أبا حَيّان ، فجاء الكلب والطعام موضوع فرماه أبو حيّان بسهم فقتله ، وأمِن أسماء فرجع ونزل بالعبسي فقال : ما فعل وقّاع ؟ فأخبره فقال : قد كنتَ ضمنتَه ، قال : فآحتكم فقال : ألف درهم ، فأعطاه أربعة آلاف درهم .

حدثني عمر بن شَبّة حدثني حَيّان بن بِشر عن يحيى بن آدم عن عليّ بن هشام عن أبي الجحاف قال : قال لي معاوية بن ثعلبة : لما خرج المختار كرهتُ الخروج معه ، فأتيت محمد ابن الحنفيّة فسألته فقال إنّي آمرك بما آمر به نفسي لا تخرج معه ، فإنّا أهلَ البيت لا نبتزّ هذه الأمّةَ أمرَها ، وإنّ عليّاً لم يقاتل حتى كانت له بيعة .

---

١ - ديوان مسكين الدارمي ص ٤٣ .

وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العَلاء قال : أراد ابن الحنفيّة أن يقدم الكوفة، فقال المختار إنّ في المهديّ علامةً وهي أن يضربه رجل بالسيف ضربة فلا تضرّ فبلغ ابن الحنفيّة ذلك فأقام .

وقال نَصْر بن عاصم اللَيْثي :

فارَقْتُ نَجْدَةَ والذين تَزَرَّقوا وابنَ الزُبَيْرِ وشيعَةَ الكَذّابِ
والصُفَّرَ آلاذانِ حين تَخَيَّروا دِيناً بِلا فِقْهٍ ولا بِكِتابِ

حدثنا سعيد بن سليمان سعدَوْيه وعمرو بن محمد الناقد قالا : حدثنا هُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : ما كانوا يقرأون خَلْفَ الإمام حتى كان المختار فاتّهموه ، فقرأوا خلفه ، وكان يصلّي بهم صلاة النهار ، ولا يصلّي بهم صلاة الليل .

حدثني عبدالله بن صالح حدثنا أشياخنا : أن الشعبي كان يقول للخَشَبيّة : يا شرطة الله قَعِي وطِيري .

حدثني عمرو بن محمد الناقد عن حفص بن غِياث عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت قال : كانت هدايا المختار تأتي ابن عمر وابن عبّاس ، وابن الحنفيّة فيقبلونها .

حدثني هُدْبة بن خالد عن وُهيب عن ابن عَوْن عن نافع عن ابن عمر : أنّه ما ردّ على أحد من الوُلاة هدًيته ـ أو قال : صِلَته ـ إلاّ المختارِ ، فإنّه بعث إليه بمائة ألف درهم فرَدّها .

حدثني عمر بن شَبّة حدثنا الوليد بن هشام عن وُهيب بن خالد عن ابن عَوْن عن نافع قال : ما ردّ ابن عمر على أحد من الوُلاة صِلته إلاّ المختار فإنّه بعث إليه بمائة ألف درهم فردّها .

حدثني المدائني قال : قدم محمد بن الأشعث البصرة وهو ينادي : واغَوثاه تركنا السيوف تنطف وقُلف العبيدِ في الأحراح ، وكان على البصرة القُباع ، فقدم المصعب على بقيّة ذاك .

وقال ابن قيس الرُقيَّات يمدح مصعباً :

والذي نَغَّصَ ابنَ دَوْمَةَ ما يو حي الشَياطِينُ والسُيوفُ ظِماءُ
فأباحَ العِراقَ يَضْرِبُهُمْ بِالسَيْـ ـفِ صَلْتاً وفي الضِرابِ جِلاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فيه جَـبَروتٌ مِنْهُ ولا كِـبْرِياء[1]

وقال ابن الكلبي : بعث مصعب إلى عبد الرحمن بن حُجْر بن عَدي وعبد رب بن حُجْر ، وعمران بن حُذيفة بن اليمان ، فقتلهم صبراً. وكانوا خرجوا مع المختار .

حدثني يوسف بن موسى القطّان عن جرير بن عبد الحميد عن المغيرة قال : قُتل عبيدالله بن عليّ مع مصعب يوم المختار .

وحدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عَوانة عن أبيه قال : لما وفد مصعب على أخيه بعد قتل المختار قال لابن عمر : ما تقول في قوم خلعوا ربقة الطاعة ، وسفكوا الدماء وقاتلوا فقوتلوا ، حتى إذا غُلبوا دخلوا حصناً فسألوا الأمان على الحكم ، فأُعطوا ذلك ثم أخرجوا فقُتلوا ؟ قال : وكم العدّة ؟ قال : خمسة آلاف ، قال فسبّح ابن عمر ، ثم قال : عمّرك الله يا بن الزبير ، لو أنّ رجلاً أتى ماشيةً لآل الزبير فذبح منها خمسة آلاف ألم تكن تراه مسرفاً ؟ قال : فسكت فلم يجبه ، فقال : ألم يكن فيهم من تُرْجَى له التوبة ، ألم يكن فيهم مستكرَه .

١ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ـ ط . دار صادر بيروت ، ص ٩٠ ـ ٩١ مع فوارق

حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه حدثني أبو بكر بن عياش حدثني أبو إسحاق السَبيعي قال : مازال شرابَ أهل الكوفة الزبيبُ حتى كان زياد فشربوا التمر .

قال وحدثنا أبو بكر قال : أوّل ما قُرىء خلف الإمام في زمن المختار ، لأنّهم اتّهموه .

حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن صعب بن زيد قال: كان عبدالله بن الزبير استعمل مصعباً على البصرة ثم عزله، واستعمل ابنه حمزة وذلك بعد قتل المختار ، فلما رأى أهل البصرة ضعف حمزة طلبوا إلى ابن الزبير أن يردّ إليهم المصعب، وكان المصعب رجلاً له نجدة وشجاعة وسخاء وبصر بما يَأتي ويَذَرُ ، فلما قدم البصرة جبى خراج الأهواز ، وشاطىء دجلة ، وجعل يعطي الناس العطاء في كل سنة مرّتين في أولها وآخرها ، فلم يزل المصعب بالبصرة إلى أن خرج إلى مَسْكِن .

حدثنا أبو خيثمة [و] أحمد بن إسرائيل [قالا]: حدثنا وهب بن جرير عن أبيه قال : استعمل عبدالله بن الزبير عبدالله بن مُطيع العَدَوي على الكوفة ، فقال المختار لابن الزبير وهو يومئذ عنده إنّي لأعلم قوماً لو أنّ لهم رجلاً له رفقٌ وعلم بما يَأتي ويَذَر ، لاستخرج لك منهم جنداً تقاتل بهم أهل الشام ، قال : مَن هم ؟ قال : شيعة علي وبني هاشم بالكوفة ، قال : فكُن أنت ذلك الرجل ؛ فبعثه إلى الكوفة فنزل ناحية منها ، وجعل يبكي على الحسين ، ويذكر مصابه حتى ألفوه وأحبّوه فنقلوه إلى وسط الكوفة ، وأتاه منهم بشر كثير ، فلما غلظ أمره وقوي شأنه سار إلى ابن مُطيع فأخرجه من الدار .

وحدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب عن أبيه عن عدّة حدّثوه : أنّ المختار لما غلب على الكوفة ابتنى لنفسه من بيت المال داراًأنفق عليها مالاً عظيماً ، واتّخذ بستاناً من بيت المال ، وأعطى عطايا كثيرة وأنفق نفقات وكتب إلى ابن الزبير : إنْ سوّغتني ما أنفقت من بيت المال فإنّي في طاعتك وإنما حملني على إخراج ابن مُطيع ما رأيتُ من وهنه وضعفه وأنّه لم يكن صاحبَ ما هو فيه ، فأبى ابن الزبير أن يفعل فخلعه المختار ؛ وكتب إلى عليّ بن الحسين بن عليّ يريده على أن يبايع له ، وبعث إليه بمال فأبى أن يقبله وأن يجيبه ، وخرج إلى المسجد فشتمه وعابه وذكر كذبه ؛ فكتب المختار الى ابن الحنفيّة يريده على ذلك ، فأتاه عليّ بن الحسين فأشار عليه أن لا يقبل ، وأن يخرج إلى الناس فيتبرأ منه ويعيبه ويذكر كذبه ، فأتاه ابن عبّاس فقال : لا تفعل فإنّك لا تدري على ما أنت من ابن الزبير ، فأطاع ابنَ عبّاس ، وسكت عن عيب المختار ؛ وغلظ أمر المختار بالكوفة ، وكثرت خَشَبيّته ، فجعل يخبرهم أنّ جبريل يأتيه وتتبع قتلة الحسين فقتلهم ، وكان ممّن قتل عمر بن سعد بن أبي وقّاص، وهو الذي كان لقيِ الحسين فقتله، فازداد أهل الكوفة إعظاماً له وحبّاً وطاعة ؛ فخرج النعمان بن صُهبان الراسِبي من البصرة ، وكان يرى رأي الشيعة ، حتى قدم الكوفة فدخل على المختار ذات يوم ، فقال له المختار : هنا مجلس جبريل قام عنه آنفاً ، فخرج النعمان وأصحابه فقاتلوه فقُتلوا اجمعين .

حدثنا أبو خَيْثَمة حدثنا وَهْب بن جرير حدثني أبي ومحمد بن أبي عُيَيْنة : أن المختار وّجه أحمر بن شُميط ليأخذ البصرة فخرج في أربعين ألفاً فنزل المَذار واستنفر المصعب الناس ، وخرج إليه بالبصرة ، وقد كان

مصعب لما قدم العراق كتب إلى المهلّب حين قتل ابن الماحوز الخارجي أن يصير إليه ، فأتاه فسار المصعب بالناس حتى نزل بإزاء ابن أبي صُفْرة بالمَذار ، واستعمل على ميمنة الناس المهلّب بن أبي صفرة ، وعلى ميسرتهم عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر وكانت في الميمنة تميم والأزد ، وفي الميسرة ربيعة ، وكان المصعب في القلب ومعه أهل العالية من أخلاط الناس ، فلما زحف بعض الناس إلى بعض حمل عمر بن عبيدالله على ميمنتهم فهزمهم ، وقتل ابن شُميط وأصحابه .

المحتوى

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م

الجزء السابع

بنو أمية بن عبد شمس (٢)

حققه وقدم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكار   الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الطبعة الأولى

بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٠٠١ - ٢١٢ - ٤٧٨٢٣٠٨

عمـــال ابــــن الزبيـــر

قال عليّ بن محمد أبو الحسن المدائني وغيره : اصطلح أهل الكوفة بعد موت يزيد ، وهَرَبِ ابن زياد على عامر بن مسعود ، فأقرّه عبدالله بن الزبير أشهراً ثم عزله وولّى الحرب والصلاة عبدالله بن يزيد الخَطْمي ، وولّى الخراج إبراهيم بن محمد بن طلحة .

فحدثني عمر بن شَبّة حدثنا أبو داوود حدثنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق قال : خرج عبدالله بن يزيد[1] يستسقي ، وخرج معه البَراء بن عازب وزيد بن أَرْقم ، وخرجتُ معهم يومئذ فخطب على رِجْلَيه على غير منبر ، فاستغفر الله واستسقى وصلّى بنا ركعتين جَهَرَ فيهما بالقراءة ونحن خلفه ، ولم يُؤذِن يومئذ ولم يقم .

وحدثني الحسين بن عليّ بن الأسود حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن عبدالله بن يزيد : أنّه دَفَن ميّتاً فسلّه من قِبَل رِجْلَيه .

---

١ ـ بهامش الأصل : عبدالله بن يزيد صاحب رسول الله ﷺ .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا أبو أحمد الزُبيري عن مِسْعَر عن ثابت بن عبيد قال : رأيت على عبدالله بن يزيد خاتَما من ذهب وطيلسانا مُدَبَّجا .

وحدثني الحسين بن علي عن يحيى بن آدم عن إسرائيل عن الأشعث بن سليم عن عبدالله بن يزيد الأنصاري : أنّه كان على الناس ، فقام من العِشيّ قبل العيد فقال : إنّا خارجون وإنّا مصلّون قبل الخطبة .

حدثنا عفّان حدثنا حمّاد بن سَلَمة حدثنا أبو جعفر الخَطْمي أنبأنا محمد بن كعب قال : دُعِيَ عبدالله بن يزيد إلى طعام فلما جاء وجد البيت منجّدا فقعد خارجاً يبكي ، فقالوا : ما يُبكيك ؟ قال : كان النبيّ ﷺ إذا شيّع جيشا فبلغ عَقَبة الوادي قال : «أَستودعُ الله دينَكم وخواتم أعمالكم» فرأى ذات يوم رجلاً قد رقع بردة له بقطعة فَرْوٍ فقال : «أأنتم اليومَ خيرٌ أم إذا غدت عليكم قَصْعة وراحت قصعة ، وغدا أحدكم في حُلّة وراح في حُلّة ، وسترتم بيوتكم كما تُستَر الكعبة» .

وقال المدائني وغيره : وعزل ابن الزبير عبدالله وصاحبه ، وولّى الكوفة عبدالله بن مطيع ، فأخرجه المختار منها ، ثم ولّى أخاه مصعباً البصرة والكوفة ، وقال له : إذا فتحتَ الكوفة فأنت أميرها وأمير ثغورها ، فقتل المختارَ بالكوفة سنة تسع وستّين ، ثم استخلف على الكوفة القُباع وهو الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، وولّى المهلّب بن أبي صُفرة الموصل والجزيرة وأرمينية ، وقال له : إنما ولّيتك لتكون بيني وبين عبد الملك وجيوشه لثقتي بحَزْمك ، ووجّه إلى البصرة عمر بن عبيدالله بن معمر ، ولم يزل خليفتَه عليها ، ثم ولّاه فارس بعد مصير والي الكوفة إليها .

وقال بعضهم : إنّ مصعباً استخلف القُباع ، وأمره أن يجعل عمرو بن حُريث خليفته وعزل عبدالله بن الزبير أخاه بعد سنة من مقتل المختار ، أو أقلّ ، عن البصرة ، وولّى البصرة ابنه حمزة ، وأمر مصعبا أن يلحق بمن معه من رجال البصرة ، فعزل المهلّب عن الموصل ونواحيها فلحق بحمزة بالبصرة ، وخرج المصعب إلى أخيه فردّه على البصرة والكوفة ، فكانت ولاية حمزة نحواً من سنة ، وأقرّ حمزة عمر بن عبيدالله على فارس ، وكُلّم في توجيه المهلّب لقتال الأزارقة ففعل .

قالوا : وولّى القُباع شُرطة بالكوفة شَبَث بن رِبْعي الرِياحي .

فذكر عبدالله بن المبارك عن مِسْعَر عن عبيدالله بن القِبْطي : أنّ الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعَة القُباع فَاتَتْه الركعتان قبل الفجر فأعتق رقبة .

وحدثني عمر بن شَبّة عن أبي داود عن شُعْبة عن مُغيرة عن الشَعْبي عن ابن أبي ربيعة : أنّه أَجّل العِنين سنةً .

ورُوي أنّ الشعبي قال يؤَجل تسعة أشهر .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد حدثنا أبو أحمد الزُبيري عن سفيان عن حمّاد عن الشعبي قال : ماتت أمّ الحارث بن أبي ربيعة ، وهي نصرانيّة فشهدها معه قومٌ من أصحاب محمد ﷺ .

وقال المدائني : كانت أمّه نصرانيّة سوداء ، وكانت أكلت حمامة من حمام مكة ، فكان يُعَيَّر بذلك .

المدائني قال : تقدّم شَبَث بن رِبْعِيّ ليصلّي على جنازة رجل من بني حِمْيَريّ بن رِياح ، وهو على شُرَط القباع بالكوفة فمنعوه ، فوثب ابنه عبد

السلام على رجل فقطع أذنه فدفعه شَبَث إليهم ليقطعوا أذنه فقالوا : هو ابن أمة وصاحبنا ابن مهيرة ، فدفع إليهم ابنَه عبد المؤمن فأبَوه ، فدفع إليهم عبد القُدّوس فقطعوا اذنه ، فعزله القباع وقال هذا أعرابيّ ، وولّى شرطته سُويد بن عبد الرحمن المِنْقَري ، فقال شبث :

أَبَعْدَ القُباعِ آمَنُ الدَهْرَ صاحِباً عَلَى سُوءِهِ إنّي إذاً لَغَبِينُ
وأُمْكَ سَوْداءُ الجَواعِرِ جَعْدَةٌ لها شَبَهٌ في مِنْخَرَيْكَ مُبينُ

وقال الهَيْثَم بن عَديّ والمدائني: أتى بني تميم محمد بن عُمير بن عُطارد في حَمالة فقال : يُقْسَم على بني عمرو كذا ، وعلى حنظلة كذا ، وعلى بني سعيد كذا ، فقال شَبَث : بل كلّها عليَّ ، فقال ابن عمير : نِعْمَ العَوْنُ على المروءة المالُ .

قال : وكان شَبَث علوياً والهَيْثَم بن الأسود أبو العُريان عثمانيّاً ، وكانا متصافِيَيْن ، فقال الهيثم لشبث : إني أخاف عليك من يوم صِفّين ؛ قال العُريان بن الهيثم بن الأسود : فمرض شبث فأتيتُه فقلت له : يقول لك أبي كيف تجدك ؟ قال : أنا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة فأخبرْ أباك أنّي لم أندم على قتال معاوية يوم صِفّين ، وتمثّل قول لبيد :

تَمَنَّى ابْنَتايَ أَنْ يَعيشَ أَبوهُما وهَلْ أَنا إلّا مِن رَبيعَةَ أَوْ مُضَرْ[1]

ولم يلبث شَبَث أن مات ، فلم أُبلغ إلى أبي حتى سمعتُ الصياح ؛ فقال أبي يرثي شَبثاً :

---

١ ـ ديوان لبيد ـ ط . الكويت ١٩٨٤ ص ٢١٣ .

إنّني اليَوْمَ وإنْ أَمَّلْتَني لَقَليلُ المَكْثِ مِن بَعْدِ شَبَثْ
عاشَ تِسْعينَ خَريفاً هَمُّهُ جَمْعُ ما يَمْلِكُ مِن غَيْرِ خَبَثْ
لَمْ يُخَلِفْ في تَميمٍ سُبَّةً يَنْكُسُ الرَّأسَ ولا عَهْداً نَكَثْ

في أبيات .

وجاءت الخوارج تريد الكوفة فخطب [القُباع] فقال : إنّ أوّل القتال السِباب ، ثم الرِميّا ، ثم الطِعان ، ثم السلّة ، فقالوا : ما أحسن صفة الأمير ، وسار من الكوفة إلى بَاجَوًّا[1] شهراً فقال الشاعر :

سارَ بِنا القُباعُ سَيْراً نُكْرا يَسيرُ يَوْماً ويُقيمُ شَهْرا

وزعم قوم أنّ حمزة بن عبدالله ولي البصرة والكوفة فعزل المهلّب عن البصرة ونواحيها ، وأنّه ولّى القُباع الكوفة وليس ذلك بثبت ، والثبت أنّه ولي البصرة فقط ، وأنّ مصعبا عزل المهلّب عن عمله ذلك ، وألحقه بحمزة كما أمره أخوه ، وولّى عمل الموصل ونواحيها إبراهيم بن الأشتر ، فكان عليها حتى قدم المصعب والياً على البصرة ، وبعد ذلك إلى أن أحضره قتالَ عبد الملك .

وقال قوم : استخلف مكان المهلّب عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان إبراهيم بن الأشتر بالكوفة مُشْرِفاً على القباع .

وقال المدائني : ولّى عبدالله بن الزبير البصرة بعد ابنه عمرَ بن عبيدالله ، فكان سخيّا شجاعاً ممدَّحا ، وقال المهلّب ما رأيت مثل أحمر قريش في شجاعته ، ما لقينا خيلا قطّ إلاّ وكان في سرَعان خيلنا ، ولما ولاّه مصعب فارس ، بلغه ذلك ، فقال : رماها بحجرها ، لقد ولاّها شريفاً شجاعاً .

---

١ - موضع ببابل من أرض العراق في ناحية القفف . معجم البلدان .

وقد مدحه الفرزدق ، ومدحه نُصيب وغيرهما ، وفيه يقول يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي :

فما كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَآبْنُ سُعْدَى بِأَجْوَدَ مِنْكَ يا عُمَرَ الجَوادا

وقال المدائني : كانت لمغيرة بن حَبْنَاء التميمي جارية نفيسة ، فاضطُرّ إلى بيعها فجعل يُمْسِك حتى قالت له : لو بِعْتَني فآنتفعتَ بثمني كان أمثل ممّا أراك تلقى ، قال : أفعلُ على كرْه ، فعرضها على عمر بن عبيدالله وقد بلغته خَلّته وخبره فاشتراها منه بمائة ألف ، وذلك أضعاف ما تساوي ، وقبض الثمن وقال :

لَوْلا قُعودُ الدَهْرِ بي عَنْكِ لَمْ يَكُنْ يُفَرِقُنا شيءٌ سِوَى المَوْتِ فَآعذِري
أروحُ بِهَمٍّ في الفُؤادِ مُبَرِح أُناجِي بِهِ قَلْباً قَليلَ التَصَبُّرِ
عَلَيْكِ سَلامٌ لا زِيارَةَ بَيْنَنا ولا وَصْل إلاّ أَنْ يَشاءَ آبْنُ مَعْمرِ

فلما بلغ الشعر عمر بن عبيدالله قال : فقد شاء ابن مَعْمَر ، فخُذْ بيدها والمال لك .

قالوا : وعزل عبدالله بن الزبير عمر بن عبيد الله بن معمر عن البصرة وولّاها القباع ، فحبس عمرَ بن عبيدالله بن معمر وطالبه بمال ، فجزع من الحبس فقال له القباع : يا أبا حفص لا تجزع فإنّك أوّل من سَنّ هذا ، حبست عبدالله بن الحارث يعني بَبّة ، وكان حبسه وطالبه بمال .

وقال عبد الملك بن مروان من ولّى ابن الزبير البصرة ؟ فقالوا : الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة ، فقال : لا حُرَّ بوادي عوف . ووقع بين الحارث وبين يحيى بن الحَكَم بن أبي العاص كلام ، فقال له يحيى : يا بن السوداء يا بن آكلة حَمام مكّة ، وكانت حبشيّة .

وزعموا أنه لما مات قال الوليد بن عبد الملك : مات سيد بني مخزوم ، فقال عبد الملك بل سيد قريش .

وقال أبو الأسود الديلي ، وسأل القُباع حاجةً فلم يَقْضِها :

أبـا بَكْرٍ جَـزاكَ الله خَيْراً أَرِحْنا مِن قُباعِ بَني المُغيرَه
بـلوْنـاهُ فـلُمْـنـاهُ وأَعْيـا عَلَيْنا ما يُمِـرُّ لنا مَـريـرَهْ
على أَنَّ الفَتَى نُكَحٌ أَكولٌ ومِسْهـابٌ مَـذاهِبُـهُ كَثيـرَهْ[1]

وكان عبّاد بن الحُصين على شُرَطه بالبصرة ، وفيه يقول زياد الأعجم :

فإنْ تَكُ يا عَبَّادُ وُلِّيت شُرْطَةً فبِاسْتِ زَمانٍ صِرْتَ فيه تُكَلَّمُ[2]

قال المدائني : تواقف جرير والفرزدق بالمِرْبَد في ولاية القُباع فأرسل اليهما عبّادا فهربا فهدم دُورَهما وطلبهما ، فقال الفرزدق :

أَفي قَمَلِي مِن كُلَيْبٍ هَجَوْتُهُ أَبو جَهْضَمٍ تَغْلي عَلَيَّ مَراجِلُهْ
فما كان شَيْءٌ كُنْتَ فينا تُحِبُّهُ مِنَ الشَرِّ إلّا قد أَبانَتْ شَواكِلُهْ
وقَبْلَكَ ما أَعْيَيْتُ كاسِرَ عَيْنِهِ زِياداً فلَمْ يَقْدِرْ عَلَيَّ حَبائِلُهْ
وقد عاشَ لَمْ يَعْقِدْ لِسَيْفٍ حِمالَةً ولكِنْ عِصامُ القِرْبَتَيْنِ حَمائِلُهْ
أحارِثُ داري مَرَّتَيْنِ هَدَمْتَها وكُنْتَ آبْنَ أُخْتٍ ما تُخافُ غَوائِلُهْ[3]

في أبيات ، وكانت أَسْماء بنت مُخَرِّبَة النَهْشَليّة عند أبي ربيعة خَلَفَ عليها بعد هشام بن المغيرة .

١ - ديوان أبي الأسود ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، ومسهاب لأن كان خطيباً .
٢ - شعر زياد الأعجم ص ١٧٢ .
٣ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٢ .

وقال جرير :

فما في كِتاب الله هَدْمُ بُيوتِنا كتَهْديم ماخورٍ خَبيثٍ مَداخِله
ففي مُخْدَعٍ مِنْهُ نَوارُ وسِرْبُها وفي مُخْدَعٍ أَكْيارُهُ ومَراجلُهْ
أحارِثُ خُذْ ما شِئْتَ مِنّا ومِنْهُمُ فأَنْتَ كريمٌ ما تُغِبُّ فَواضِله (١)

وقال يزيد بن نَهْشَل الدارِمي :

لَوْلا حواجِزُ قُرْبَى لَسْتَ راعِيها وخَشْيَةَ الله فيمَنْ قد يُعاديني
لَقَدْ بَرَيْتُكَ بَرْياً لا آجتِبارَ لَهُ إنّي رَأَيْتُكَ لا تَنْفَكُّ تَبْريني

في أبيات .

وقال الأَشْهَب بن رُمَيْلة :

أحارُ بْنُ عَبْدِ الله يا خَيْرَ مُطْلِبٍ لِذي خَلَّةٍ أَوْ أنْ أتاهُ نَسيبُ
إذا مُتَّ ماتَ الجود وانْقَطَعَ النَدَى وعادَتْ أَكفُّ السائِلينَ تَخيبُ

في أبيات .

وقال المدائني وغيره : كان بَبّة أوّل من وجّه لقتال الأزارقة ، وكان القُباع أوّل الناس عقد للمهلَّب على قتال الأزارقة ، وكانوا قد غلبوا على الأهواز ، ولم يزل القباع على البصرة من قِبَل عبدالله بن الزبير حتى قدم المصعب والياً على البصرة والكوفة .

قالوا : قدم المصعب البصرة فدخل المسجد فصلّى ركعتين ثم أرسل إلى عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر ، وكان محبوساً عند القُباع فأطلقه وجعله خليفته بينه وبين الناس .

---

١ ـ ديوان جرير ص ٣٨٩ .

وقال المدائني : وولّى شُرْطته مطرّف بن سِيدان الباهِلي ثم عزله ، وولّاه الأهواز وولّى شُرَطه بِشْر بن غالب الأَسَدي .

وقال المدائني : كان عمر بن سَرْج مولى ابن الزبير يحدّث قال : كنت في الذين قدموا مع مصعب من مكة إلى البصرة ، فقدم متلثّما حتى أناخ على باب المسجد ودخل فصعد المنبر ، وقال الناس : أميرٌ ، أُميرٌ ، وجاء الحارث بن عبدُالله بن أبي ربيعة فسفر المصعب فعرفوه وقالوا : مصعب بن الزبير ، فقال للحارث : اظْهَرْ فصعد حتى جلس على المنبر دونه بدرجة ، ثم قام المصعب فحمد الله وأثنى عليه وقرأ : ﴿طسم * تِلْكَ آيَات الكتابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَوم يؤمنون * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي آلأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَة منهم يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ من آلْمُفسِدِينَ﴾ وأشار نحو الشام ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى آلَّذِينَ آسْتُضْعِفُوا فِي آلأَرْضِ وَنَجْعلَهمْ أَئِمَّة ونجعلهم آلْوَارِثِينَ﴾ وأشار بيده نحو الحجاز ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي آلأَرْضِ وَنرِي فرعونَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَا كانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [1] وأشار إلى الشام .

حدثني أبو هشام الرِفاعي عن عمّه عن ابن عيّاش الهمداني عن الشَعْبي أنّه قال :

ما رأيت أميراً قطُّ على منبر أَحسن من مصعب بن الزبير .

المدائني قال : وجد مصعب على رجال أهل البصرة فيهم أَنَس بن مالك ، وصَعْصَعة بن معاوية فضرب صعصعة محمولاً على استه ، ثم أمر بأَنَس فقال له أنس : أنشدك الله وخدمتي رسول الله ووصيّته بالأنصار ،

١ ـ سورة القصص ـ الآيات : ١ ـ ٦ .

فخرّ مصعب من المنبر حتى أُلصق خديه بالأرض وقال : سمعاً وطاعةً لله ولرسوله ، وحمله وكساه وأمر له بعشرين ألف درهم .

المدائني ، قال : وجد مصعب على الفُرات بن معاوية البكّائي فحلق رأسه ولحيته في غداة يوم فراحِ إليه الفُرات من يومه وقد أَعْتَمَ فسلّم عليه فتذمّم مصعب وقال:رجل فعلتُ به ما فعلت وأتاني في عشيّة يومه فأحسن إليه وأكرمه ووصله وولّاه .

وقيل لعبد الملك إنّ مصعباً ينال الشراب فقال : والله لو علم مصعب منذ حارب أنّ شُرْب الماء يفسد مروّته ما شربه فكيف يشرب الشراب ، ما عرفت له زَلّة مذ حارب .

محمد بن سعد عن الواقدي ، قال : كان مصعب وعبدالملك ، وعبدالله بن أبي فَرْوة أَخِلّاء لا يكادون يفترقون ، فكان عبد الملك وابن أبي فروة يتبارَيان في الكسوة ، ولم يكن مصعب يقدر على ما يقدران عليه ، فاكتسى ابن أبي فَـروة حُلّة واكتسى عبدالملك مثلها وبقي مصعب لا شي له فذكر عبدالله ، فلما ولي مصعب العراق استكتب عبدالله بن أبي فَرْوة ، فإنّه لَعند المصعب إذ أُتي المصعب بعقد جوهر قد أُصيب في بعض بلاد العجم لبعض ملوكهم ، فقال : يا عبدالله أيسرّك أن أهبه لك ؟ قال : نعم فدفعه إليه ، وقال : والله لَسروري بالحُلّة لو كسوتمونيها أشدّ من سرورك بهذا العقد فبارَكَ الله لك فيه ؛ قال : فلم يزل العقد عنده حتى أُخذ أخوه عمران في إمرة عمر بن عبد العزيز على المدينة شارباً ، فأمر عمر باستنكاهه فوجُدت منه رائحة الشراب فأمر بحبسه فجاء عبدالله بالعِقْد فدسّه تحت مصلى عمر ، ثم قام ، فرفع عمر المصلى فرأى العقد فقال :

رُدّوه ما هذا قال: هذا أهديتهُ إليك، فقال له لو كنتُ تقدَّمتُ إليك لأحسنتُ أدبَك ، ثم أمر بعِمْران فضُرب الحدَّ ، وكان عمران صديقاً لعبد الله بن عمرو بن عثمان مع الولاء ، فجاء عبد الله راكبا ومعه بغل يجُنب فلما ضُرب عِمْران حمله على البغل المجنوب ، ويقال : على البغل الذي كان راكباً عليه وركب هو المجنوب ، وانطلق به إلى منزله .

قالوا : وكان مصعب يعطي أهل العراق في كلّ سنة عطاءَيْن في الشتاء عطاءً ، وفي الصيف عطاءً، فأحبّه الناس حبّا شديداً ، فقال عمرو بن يزيد النَهْدي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الجودَ إِذْ ماتَ مُصْعَبٌ دَفَنّاهُ وَآسْتُرعِي الأَمانَةَ ذِئْبُ
فَهِبْنا أُناساً أَوْبَقَتْنا ذُنوبُنا أَما لِثَقيفٍ حَوْبَةٌ وذُنوبُ

فأتي به الحجّاج ، فقال له : أنت القائل ما قلت ؟ فقال : فقدنا والله مصعباً ففقدنا به عدلاً شاملاً ، وعطاءً جزيلاً وخِسْنا به ، فجُعلنا أحاديث ، ومُزّقنا كلَّ مُمَزَّقٍ ، فأمر به فضُربت عنقه .

المدائني ، قال : قدم مصعب البصرة وماء البطيحة يفيض على السباخ حتى كاد يصير في نهر مَعْقِل ، فاتّخذ المُسَنَّاة التي نُسبت إليه وحاز تلك الأرضين لنفسه ، فأقطعها عبد الملك الناس فحفروا الأنهار فهي اليوم قطائع عبد الملك .

المدائني وأبو مسعود عن عَوانهُ ، قال : كتب عبد الله بن الزبير إلى مصعب لرجل من قريش بألف درهم فاستقل ذلك واستحيا من الرجل فقال له : إنّ بيني وبين أمير المؤمنين علامة أنّه إذا كتب إليّ بألف فهي مائة ألف ، فأعطاه مائة ألف ، فبلغ ذلك عبد الله بن الزبير فغضب منه ؛ وكتب عبد الله

إلى مصعب في قوم ، فوصلهم بخلفة ذلك ، فلم يكتب إليه في أحد .

المدائني والحِرْمازي قالا : خطب مصعب أهلَ البصرة ، فقال : يا أهل البصرة بلغني أنكم تلقَبون أُمراءكم ، وقد لقّبت نفسي الجزّار .

واستخلف مصعب على البصرة عبيد الله بن عبيد الله بن مَعْمَر على أنّ الولاية لعمر بن عبيد الله ، وإيّاه كان يكاتِب ، وسار إلى المختار فقتله وأنفذ عمر بن عبيد الله إلى البصرة حين قتل المختار فصار إلى البصرة فحدث بها ما حدث من أمر الجفرة ، فقدم مصعب البصرة فتلافى ذلك الأمر ، ثم إنّ ابن الزبير ولّى حمزة ابنه البصرة سنة أو نحوها ، وكان خليفة مصعب على الكوفة القُباع فأقّره ، ومضى إلى أخيه ، ثم قدم بولاية المصرَيْن في سنة تسع وستّين ، فأقرّ مصعب القُباع على الكوفة حتى شخص إلى مَسْكِن ، فانصرف القُباع إلى ابن الزبير بمكة .

المدائني ، قال : لما قدم المصعب بعد عزل ابن الزبير حمزة ابنه ، وقد أعاده على المِصْرَيْن ،بدأ بالبصرة فقدمها فتزوّج وهو بالبصرة سُكَيْنة بنت الحسين عليه السلام ، فولدت له جارية سمّاها فاطمة ، وصير على شُرَطه عبّاد بن الحُصين ، فلما بلغ عبد الله أخاه تزويجه قال : إنّ مصعباً غَمَدَ سيفه وسلّ أيْره .

قال : ولما سار مصعب إلى الكوفة أخذ معه مالكَ بن مِسْمَع ، وزياد بن عمرو ، فاستأذناه في الرجوع فأذن لهما وقال : إنّهما لا يريدان خيراً ، فقال الشاعر :

أَلْحِقْ أُمَيَّةَ بِالحِجازِ وخالـداً وَٱضْرِبْ عِلاوَةَ مالِكٍ يا مُصْعَبُ
فلَئِنْ فَعَلْتَ لَتَحْـرَمَنَّ بِقَتْلِهِ ولَيَصْفُوَنْ لَكَ بِالعِراقِ المَشْرَبُ

وقال آخر :

أخافُ عَلَيْكَ زِيادَ العِراقِ وأَخْشَى عَلَيْكَ بَني مِسْمَعْ

وقال المدائني عن جَهْم بن حسّان السَليطي قال : كلّم الأَحْنَف مصعباً في قوم حبسهم فقال : أصلح الله الأمير إنْ كنتَ حبستَهم بحقّ فالعفو يَسَعُهم ، وإنْ كنت حبستهم بباطل فالحقّ يُخرجهم ، فقال : صدقتَ وأخرجهم .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : دخل أُسْقُف نجران على مصعب فكلّمه بشيء فأغضبه فرماه بقضيب كان معه فأدماه ، فقال الأسقف : إنْ أذن لي الأمير في الكلام تكلّمتُ . قال : تكلّم بما شئت ، قال إنّ المسيح قال لا ينبغي للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يُلْتَمَسُ الحِلْم ، ولا جائراً ومنه يُلْتَمس العدل ، فقضى حاجته .

حدثني حَفْص بن عمر عن الهَيْثَم بن عَديّ ، فذكره المدائني عن ابن جُعْدُبة : ان المصعب بن الزبير قال لحُبَّى المدينيّة :ابغيني امرأة أتزوّجها ، فقالت : بأبي أنت وأُمي عائشة بنت طلحة على عُظْمٍ في أُذنَيْها وقَدَميها ، فقال المصعب : أمّا الأذنان فيغطّيهما الخمار ، وأمّا القدمان فيغطّيهما الخفّ فتزوّجها ، وأصدقها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها خمسمائة ألف درهم .

فقال أُنَس بن أبي أُناس ، وبعضهم يقول : ابن همّام ، والأوّل أثبت :

أَبْلِغْ أَميرَ المُؤْمِنينَ رِسالَةً مِن ناصِحٍ ما إنْ يُريدُ مَتاعا
بُضْعُ الفَتاةَ بِأَلْفِ أَلْفٍ كامِلٍ وتَبيتُ قاداتُ الجُيوشِ جِياعا
فلَوَ آنّني الفاروقَ أُخبِرُ بِالذي شاهَدْتُهُ ورَأَيْتُهُ لارْتاعا

وقال المدائني : قيل هذا الشعر حين تزوّج مصعب سُكينة بنت الحسين بن عليّ عليهما السلام .

وقال محمد بن سلّام الجُمَحي : كانت عائشة بنت طلحة عند عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم عند مصعب ، ثم عند عمر بن عبيدالله بن معمر التَيْمي ، وأمّ عائشة أمّ كلثوم بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وأمّها ابنة خارجة الأنصاري .

حدثني الحِرْمازي عن الشَعْبي : انّه ركب مع المصعب يوماً فلما نزل أَمَره بالنزول وأخذ بيده ، قال : فلم أزل أُدخل معه حتى صرت إلى بيت قد سُدلت ستوره ، فترك يدي ودخل فبقيتُ لا أقدر على تقدّم ولا تأخر ، ثم نادى من وراء الستر آدخلْ يا شعبي فدخلت فإذا هو وعائشة بنت طلحة على سرير ، فوالله ما شبّهتُ بوجهها إلّا القمر طالعاً فكلّمني ، ثم قال انصرفْ فقالت : والله لا ينصرف إلّا بجائزة ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وأمرت لي بمثلها ، فلما كان الغد دخلت عليه والناس عنده ، وهو على سريره ، فاستدناني فدنوت حتى ألصقت صدري بالسرير ، فقال : آدنُ ، فمددت إليه عنقي ، فقال كيف رأيت ذاك الانسان ؟ قال : قلت: والله ما رأيت مثله قطّ ، فبارك الله للأمير ، ثم رجعت إلى مقعدي .

وقال الهَيْثم بن عَديّ عن مُجالد قال : لما دخل الشعبي على مصعب ومعه عائشة قال : أنا وهذه كما قال الشاعر :

وما زلت في لَيْلَى لَدُنْ طَرَّ شارِبي إلى اليَوْمِ أُبْدي إحْنَةً وأُواحِنُ

قال المدائني : قيل هذا الشعر :

أَبْلِغْ أميرَ المُؤْمِنينَ رِسَالَةً

حين تزوّج مصعبُ سُكينة بنت الحسين عليه السلام .

حدثني عمر بن شبّة عن مَخْلَد بن يحيى : أنّ مصعب بن الزبير ولّى مُطَرِف بن سِيدان الباهلي أحد بني جِئاوة شرطته في بعض الأيام التي ولِيَ فيها العراقَ لأخيه عبدالله ، فأُتِي مُطَرّف بالنابىء بن زياد بن ظَبْيان أحد بني عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، وبرجل من بني نُمير وقد قطعا الطريق ، فقَتل النابىء بأمر مصعب وضرب النُميري بالسياط وتركه ، فلما عزل مطرّفا عن الشرطة ولّاه الأهواز فجمع عبيدالله بن زياد بن ظبيان جمعاً وخرج يريده فالتقيا فتواقفا وبينهما نهر ، فعبر مطرّف بن سِيدان إليه فعاجله ابن ظَبْيان فطعنه فقتله ، فبعث مصعب ابن مطرّف في طلبه فلم يلحقه ، ولحق ابن ظبيان بعبد الملك ، وقاتل مصعباً معه ، قال البَعيث اليَشْكُري :

لَمّا رَأَيْنا الأَمْرَ نَكْساً صُدورُهُ وهَمَّ الهَوادي أَنْ تَكونَ تَوالِيا
صَبَرْنا لأَمْرِ اللهِ حَتَّى يُقيمَهُ ولَمْ نَرْضَ إلّا مِن أُمَيَّةَ والِيا
ونَحْنُ قَتَلْنا مُصْعَباً وَآبْنَ مُصْعَبٍ أَخا أَسَدٍ والأَشْتَرِيَّ اليَمانيا
سَقَيْنا آبْنَ سِيدانٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ كَفَتْنا وخَيْرُ الأَمْرِ ما كانَ كافِياً

المدائني قال : قدم مصعب بآمرأته عائشة البصرة ، وكانت أجمل الناس ، فكانت تسأل عن أجمل نساء البصرة ، فأخبرت عن أمّ الفضل بنت غَيْلَان بن خَرَشة الضَبّي ، وكانت تحت داود بن قَحْذَمَ أحد بني قيس بن ثعلبة ، وكان مصعب يطالبه بمائة ألف درهم من خراج غلّته ، فكانت عائشة تحبّ أن تراها ، فقيل لابن قحذم لو بعثتَ بها إلى عائشة فكلّمتَها في أن تكلّم مصعباً في إسقاط ما يطالبك به عنك ، فقال : إنّه من فتيان قريش مُتْرَف قد أسكره السلطان فأخاف منه ما يُخَاف من مثله ، فلم يُتْرَك حتى

أرسلها إلى عائشة فوجدتها في بِرْكة لها في دارها ، فقالت لها عائشة انزلي فنزلت ، فظلّتا في البركة مَلياً ، ثم خرجتا فدخلتا بيتا وتحدّثتا ، وكلّمتها في زوجها فلم تلبثا أن جاء مصعب فأدخلتها الحَجَلة ودخلت معها ونزع مصعب ثيابه فقالت عائشة : إنّ معي في الحجلة فلانة ، وقد جاءت في أمر زوجها وضمِنتُ لها عنك قضاء حاجتها ، فأَسْقَطَ ما على ابن قَحذَم ووهبه له وانصرفت أمّ الفضل ، فدخلت على زوجها فقالت له : والله ما جئتك حتى دخلت الحَجلة ، وأُرخِيت عليّ الستور ، واغتسلتُ ثم قضيت حاجتي ، فقال : وا سوءتاهْ لمصعب إنْ كان فعل ، قالت : لا ترُعْ وحدّثته الحديث .

المدائني عن ابن جُعْدُبة ، قال : جلس ابن عمر ومصعب وعروة وعبد الملك بالمدينة يتحدثون فتمنّى ابن عمر الجنّة ، وتمنّى مصعب ولاية العراق وأن يتزوّج سُكينة بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة ، وتمنّى عروة أن يفقه في الدين ويُحمَل عنه العلم ، وتمنّى عبد الملك الخلافة .

المدائني عن ابن جُعْدبة عن صالح بن كيْسان ، قال : كان يقال ليس في الدنيا زوج أحسن من مصعب وعائشة .

قال المدائني : وكان مصعب يحسد الناس على الجمال فبينا هو ذات يوم يخطب إذ رأى رجلاً جميلاً من بني حِمّان مستقبلاً له فأعرض عنه ، ثم أقبل ابن جَوْدَان الأزدي ، وكان جميلاً فأعرض عنه ، ثم دخل الحسن بن أبي الحسن البصري فلما رآه نزل مبادراً .

قال : وكانت عائشة سيّئة الخُلق ، فغاضبها مصعب في بعض الأمر فتهاجرا ، فبلغ ذلك من كلّ واحد منهما مبلغاً شديداً ، فأقبل مصعب من حرب وعليه سلاحه فقالت لها حاضنتُها وقد شكت إليها وَجْدَها : قومي إليه

فأمسحي وجهه من الغبار ، وانزعي سلاحه ، فقامت إليه فقال:بأبي أنت إنّي مشفق عليك من ريح الحديد والصدأ ، فقالت : والله لهو أطيب ريحاً من المسك الأذفر فقبّلها وصالحها .

وقال المدائني : خرج مصعب من البصرة إلى الكوفة للقاء عبد الملك ، وخلف على البصرة سِنان بن سَلَمة بن المحبَّق الهُذَلي ، وكانت لأبيه صحبة ووُلد سنان ايّام حُنين ، فحنكه النبيّ ﷺ ، فلم يزل على البصرة حتى قدم المصعب .

وخلّف عبّاد بن الحُصين معه على شرطته وقُتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى ـ أو الآخرة ـ سنة اثنتين وسبعين ، ولما قُتل مصعب وثب حُمْران على البصرة .

المدائني وغيره ، قالوا : لما قدم مصعب الكوفة دخل إليه عبدالله بن الزَبير الأسدي فقال أنت القائل :

إلى رَجَبٍ أَوْ ذٰلِكَ الشَهْرِ قَبْلَهُ   تُوافيكُمُ بيضُ المَنايا وسودُها
ثمانونَ أَلْفاً دينُ عُثْمانَ دينُهُمْ   مُسَوَّمَةً جِبْريلُ فيها يَقودُها

فخافه ، ثم قال : نعم أنا قلته ، قال : فإنّا قد عفونا عنك وأمرنا لك بمائة ألف ، فخرج من عنده وهو يقول :

جَزَى اللهُ عَنّي مُصْعَباً إنَّ سَيْبَهُ   يُنالُ به الجاني ومَن لَيْسَ جانِيا
ويَعْفو عنِ الذَنْبِ العَظيمِ تَكَرُّماً   ويُعطي مِنَ المَعْروفِ ما لَسْتُ ناسِيا

المدائني ، قال : أتى رسول مصعب عمرو بن النعمان بن مُقَرِّن بمال فقال له : الأمير يُقرئك السلام ، ويقول : إنّا لم نَدَعْ بالكوفة قارئاً إلّا وقد ناله معرُوفنا فاْستعِنْ على نفقة شهر رمضان بهذا ، فقال : وعلى الأمير

السلام ، قل له : إنّا والله ما قرأنا القرآن لنطلب به الدنيا وردّه عليه ؛ وكان يؤمّ الناس في شهر رمضان .

حدثني بكر بن الهَيْثم حدثنا أبو نُعيم عن يحيى بن زكريّاء عن اسماعيل بن [أبي] خالد عن الشَعْبي قال : ما رأينا أميراً قطّ على منبر أحسن من مصعب .

حدثني محمد بن حَيّان الحَرّاني حدثنا زهير بن معاوية حدثنا عطاء بن السائب عن أبي البَخْتَري قال : كان مصعب إذا سلّم في الصلاة كلّها قال : لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير ، لا إله إلّا الله والله أكبر ، لا حول ولا قوّة إلّا بالله ، ويرفع بذلك صوته ، فقال عُبيدة: ماله قاتله الله نعّار[1] بالبِدَع .

قال المدائني : وكان عبيدالله بن الحُرّ الجُعْفي يغشى مصعباً بالكوفة فيراه يقدّم أهلَ البصرة فقال :

لقد ساءَني مِن مُصْعَبٍ أَنَّ مُصْعبَا ... أَرَى كُلَّ ذي غِشّ لَهُ هُوَ صاحِبُهْ
إذا ما أَتَيتُ البابَ يُدْخَلُ مُسْلِمٌ[2] ... ويَمْنَعُني أَنْ أَدْخُلَ البابَ حاجِبُهْ

وقال أيضاً :

بأي بَلاءٍ أَوْ بِأَيَّةِ نِعْمَةٍ ... يُقَدَّمُ دوني مُسْلِمٌ والمُهلَّبُ
ويدُعى آبْنُ مَنْجوفٍ سُوَيْدٌ كأَنَّهُ ... خَصيٌّ أَتَى لِلْماءِ مِن غَيْرِ مَشْرَبِ

وقال أيضاً :

أَلم تَرَ قَيْساً قَيْسَ عَيْلانَ بَرْقعَتْ ... لِحاها وباعَتْ نَبْلَها بِالمَغازِلِ

---

١ ـ نعر : صاح وصوت بخيشومه . القاموس .
٢ ـ بهامش الأصل : هو مسلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو .

وكتب زُفَر بن الحارث إلى مصعب : أنا قد كفيتك قتال ابن الزرقاء ، يعني عبد الملك ؛ ثم أنّ نفراً من بني سُليم أخذوا ابن الحُرّ فخافهم فقال : إنّما قلت :

أَلم تَرَ قَيْساً قَيْسَ عَيْلانَ أَقْبَلَتْ ... إِلَيْنا وسارَتْ بِالقَنا والقَبائِلِ

فقتله رجل منهم يقال له عبّاس ؛ فقال زُفَر :

لما رَأَيْتُ الناسَ أَوْلادَ عِلةٍ ... وأَغْرَقَ فينا نَزْعَهُ كُلُّ نَائِلِ
فلو يَسْئَلُ آبْنُ الحُرِ أُخْبِرَ أَنَّها ... يمانِيَةٌ لا تُشْتَرَى بِالْمَغـازِلِ

وقال ابن همّام السَلولي :

ترنّمت يا بنَ الحُرِ وَحْدَكَ خالِياً ... بِقَوْلِ آمْرِىءٍ نَشْوانَ أَوْ قَوْلِ ساقِطِ
أتذكُرُ قَوْماً أَوْجَعَتْـكَ رِماحُهُمْ ... وذَبّوا عَنِ الأَحْسابِ يَوْمَ المَآقِطِ
وتبكي لِمـا لاقَتْ رَبيعَةُ مِنْهُمُ ... وما أَنْتَ في أَحْسابِ بَكْرٍ بِواسِطِ
فهـلا لجُعْفّيٍ طَلَبْتَ ذُحـولَهـا ... ورَهْطُكَ دُنْيا في السِنينَ الفَوارِطِ

في أبيات .

وقد أنكر أنّ ابن الحُرّ قُتِل هذه القَتْلة وقد ذكرت خبره بعد هذا .

المدائني ، قال : كان ابن [أبي] عُصَيْفير الثقفي محبوساً بمائة ألف ، ويقال بخمسمائة ألف ، وقد كان وجّه مَن يقيم الأَنْزال للأحنف منذ فصل من البصرة إلى أن دخل الكوفة مع مصعب ثم أنزله داره، فسأل عنه فقيل محبوس ، فكلّم مصعباً فيه ، وكان أكرم الناس عليه ، فقال : إنّ عليه كذا وكذا فقال : مِثْلُ الأمير سُئِلَها ، ومثلي تُرِكَ له مثلُها ، فقال له : هي لك ومثلُها فلما أتي الأحنف بماله بعث به إلى ابن أبي عُصيفير أيضاً .

وكان عبيدالله بن الحر محبوساً ، فكلّم الأحنف مصعباً فيه ، فلما أخرجه قال له : يا أبا بَحْر جعلني الله فداك ما أدري ما أكافئك به إلاّ أن أقتلك فتدخل الجّنة وأدخل النار فضحك الأحنف ، وقال : لا حاجة لي في مكافأتك يا بن اخي .

قال المدائني: وجلس الأحنف في مسجد الكوفة ، وقد أطافت به بنو تميم ، فكلّمهم في شيء فقالوا : لا ، فقال : إنّ بني تميم خيلٌ صِعابٌ تُضطرب على سائسها ساعة ثم تتبعه .

المدائني ، قال : دخل الأحنف على مصعب في بعض الأيّام فأَنكر تكّبره ، ويقال : إنه مدّ رجليه بين يديه وهو جالس معه على السرير ، فقال عجباً لمن يتكّبر ويتجبّر ، وقد جَرَى في مَجْرَى البَوْل مرّتَيْنِ ؛ وبلغ قوله عبد الملك فقال: لله هو وتمّثل .

وأُضْمِرُ في لَيْلَى لِقَومٍ ضَغينَةً وتُضْمَرُ في لَيْلَى عَلَيَّ الضَغائِنُ

قال : وكلم الأحنف مصعباً في رجل فقال : أُبلغني عنه الثقةَ أنّه قال كذا وكذا ، فقال : اللهم غَفْراً إنّ الثقةَ لا يُبلغ .

قال : وحضر الأحنف مصعباً وقد أُتي برجل فجعل الشرط يقولون له آصدق الأمير.فقال الأحنف : إن بعض الصدق معجزة .

قالوا : ولما بلغ عبد الملك قول الأحنف عجباً لمن يتكبر وقد جَرَى في مَجْرَى البَوْل مرّتَين بعث إليه : إنّه بلغني تنكُّر صاحبك لك فهلُمّ إلينا فَلكَ عندنا ولاية الشام ، فقال الأحنف : يا عَجَباً لابن الزرقاء يدعوني إلى نفسه وأهل الشام والله لوددت أن بيننا وبينهم بحراً من نار لا يعبره إلينا منهم أحد

إلّا احترق ، ثم قال : اللهم أَمِت الأحنف قبل أن يرى لأهل العراق غدراً فمات بالكوفة بعد يسير .

حدثني عبدالله بن صالح حدثني ابن كُناسة عن الأشياخ قالوا : لما حضرت الأحنف الوفاة بالكوفة قال : لا تندبنّي نادبةٌ ولا تبكيني باكيةٌ ، ولا يُعْلَمنّ بموتي أحد ، وأسرِعوا إخراجي ، فأرسل مصعب : إذا حَضَرَ اخراجه فأعلِموني ففعلوا ، فأرسل مَن أخذ بأفواه السكك لئَلَّا تخرج امرأة فانتفجت عليهم امرأة من بني مِنْقَر في رِحالةٍ وهي تقول :

قـلْ لأمـيري مُصْعَبٍ إنَّني سَـأَنْدُبُ المَـدْفـونَ بِـالقـاعِ
أنــدُبُـهُ بِــالخَـيْرِ لا أَبْكي بِخَيْرِ ما يَنْعَى بِـهِ النـاعي

فقال مصعب : دعوها ، فلما دُفن قامت على قبره فقالت : أيّها الناس أنتم خَوَل الله في بلاده ، وشهداؤه على عباده . وإنّا قائلون ومُثَنُّون صِدْقاً ، رحمك الله مِن مُجَنٍّ في جَنَن ومُدْرَج في كفن . فقد كنت من أعظم الناس حِلماً وأكرمهم فعلاً ، فلن يُرْثى بعدك مثلك إنّا لله وإنا إليه راجعون ، فقال مصعب : صدقتْ والله كذلك كان أبو بحر وبكى وبكى الناس ؛ وقال مصعب : مات سيّد العرب ؛ قال : ومشى مصعب أمام جنازته متسلّباً إعظاماً لموته .

قال : وقدم بموت الأحنف البصرة رجل من بني يَشْكُر ، فكذّبه رجل من بني تميم ، ثم عَلِمَ الخبر فقال :

أمات فلَمْ تَبْكِ السَماءُ لِفَقْدِهِ ولا الأَرْضُ أَوْ تَبْدو الكَواكِبُ بِالظُّهرِ
كذبت إذاً ما قَرَّ في بَطْنِ حامِلٍ جَنينٌ ولا أَمْسَى عَلَى الأَرْضِ مِن شُفْرِ
ولمـا أتيتُ اليَشْكرِيَّ وَجـدتُـهُ بِأَمْرِ أَبي بَحْرِ بْنِ قَيْسٍ أَخا خُبْرِ

وكان موته بالكوفة ، وقد شخص مصعب إليها يريد عبد الملك ، فشخص منها إلى مسكن وقد دخلها معه في أيّام المختار أيضاً وشهد مقتله .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه قال: كان عُقيبة بن هُبيرة الأسدي فاتكاً ، وكانت له ابنة صغيرة فلاعبت ابن عمّ له يقال له تميم ، فكسرت الصبيّة ثنيّة ابنة عُقيبة فجاءت أباها تبكي ، فدخل على تميم داره فقتله ، فرُفع إلى مصعب فأقرّ بالقتل فحبسه فأعطى ابنَ تميم جماعةٌ من الأشراف الدية كاملةً لئلاّ يُقتل عُقيبة ، وأعطى محمد بن عُمير بن عُطارد دية فأبى ابن تميم إلاّ قَتْلَ عقيبة ، فلما جيء به لِيُقتل قال : يا أهل الكوفة اسمعوا والله ما قتلته لِما جَنَت ابنته على ابنتي ، ولكن سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب يقول ، وعَنَّ له تميم هذا في جانب المسجد : مَنْ سَره أن ينظر إلى جِذلْ من أجذال جهنّم فلينظر إلى هذا ، رحم الله قاتِلَه ، فمازالت في نفسي حتى قتلتُه ، فقال الناس : رحمك الله ، ثم قال لابنة تميم لقد ضربتُ أباكِ ضربة حتى رأيتُ ضوء الثُريّا في سَلْحِه ، قالت : وأنت يا فاسق ستُضرب ضربة حتى أرَى ضوء بنات نَعْش في سلحك ، ثم قُدّم فضُربت عنقه .

أمر عبيدالله بن الحر

ابن عمرو بن خالد بن المُجَمَّع بن مالك بن عَوف بن حَرِيم بن جُعْفِي بن سعد العشيرة .

حدثني عبد الرحمن الأحمري ـ أبو مسلم ـ أنبأنا هشام بن محمد الكلبي حدثنا جرير بن عمرو الجُعْفي ـ وكانت أمّه العالية بنت الأسعر بن عبيدالله بن الحُرّ ـ قال : ،وحدثني لوط بن يحيى ـ أبو مخنف ـ ببعضه عن أشياخه قال : شهد عبيدالله بن الحُرّ القادسيّة مع خالَيْه زهير ومَرْثد ابني قيس بن مَشْجَعَة بن المُجَمع، وكان شجاعاً فاتِكاً لا يعطي الأُمراء طاعةً، ثم أنّه صار مع معاوية بن أبي سفيان ، فكان يكرمه ، فبلغ معاوية أنه يجتمع إليه جموع من أصحابه فسأله عنهم فقال : بطانتي وأصحابي وإخواني أتّقي بهم إن نابني أمر أو خفتُ ظلامة من أمير جائرٍ ، فقال له معاوية : لعلّ نفسك قد تطّلعت إلى عليّ بن أبي طالب ، فقال: إنّ علياً لعلى الحق وأنت بذلك عالِمٌ ، فقال عمرو بن العاص : كذبت يا بن الحُرّ فقال: انت وأبوك أكذب منّي ، ثم خرج من عند معاوية مُغْضباً يريد الكوفة في خمسين فارساً

ممّن كان يَنْتابُه ، وسأل معاوية عنه فقيل قد خرج ، وسار ابن الحُرّ يومه حتى إذا أمسى منعه بعضُ مسالح معاوية من المسير ، فشدّ وأصحابه عليهم فقتلوا منهم نفراً ، وهرب الباقون وأخذوا من دارهم ما احتاجوا إليه ، وأخذوا سلاحاً من سلاحهم ، ومضى عبيدالله لا يمرّ على قرية من قرى الشام إلاّ أغار عليها حتى قدم الكوفة ، وبلغ معاوية خبرُه فقال لعمرو : هذا ما هِجْتَ علينا من ابن الحُرّ .

وكانت لابن الحرّ بالكوفة امرأة يقال لها الدَرْداء ، وهي كبشة بنت مالك ، فلما فقده أهلها زوّجوها من عكرمة بن الخِنْبِص ، فقاضاهم إلى عليّ فقضى له بأمرأته ، وأقام عبيدالله منقبضا عن كلّ أمر من أمور عليّ وغيره حتى توفّي عليّ عليه السلام ، وولي معاوية ويزيد ابنه ، وكان من أمر الحسين ما كان .

وقال أبو مخنف: لما أقبل الحسين من المدينة، وقُتل مُسلم بن عَقيل . خرج ابن الحُرّ فنزل قصر بني مُقاتل الذي صار لعيسى بن عليّ متحرّجاً من أن يتلّطخ بشيء من أمر الحسين أو يشرك في دمه ، فلما صار الحسين إلى قصر بني مُقاتل رأى فسطاطاً فسأل عنه فقيل هو لعبيدالله بن الحُرّ ، فبعث إليه الحجّاج بن مسروق الجُعْفي يدعوه إلى نصر ته فقال للحجّاج : قل له : إنّي إنّما خرجت إلى هاهنا فراراً من دمك ودماء أهل بيتك لأنّي إن قاتلتك كان ذلك عظيماً وإن قاتلت معك ولم أُقتَل بين يديك فقد قصرت ، وأنا أحْمى أنْفاً من ذلك ، وليس لك بالكوفة شيعة ، ولا أنصار يقاتلون معك ، فلما ابلغه الحجّاج الرسالة تمشّى إليه الحسين ، فلما رآه قام من مجلسه فسأله الخروج معه فاستعفاه من ذلك، واعتلّ عليه، وعرض فرسا له يقال لها

المُلْحِقة ، وبعضهم يقول : المحلقة ، وقال له انجُ عليها حتى تلحق بمأمنك ، وأنا وأصحابي لك بالعيالات فانصرف عنه ، ويقال : إنه دفع الفرس إليه ، وقال له ابن الحُرّ : أأنت تخضب أم هو سوادُ لحيتك ؟ فقال : عجل عليَّ الشَيْب فاختضبت ، وخرج ابن الحُرّ من منزله بشاطىء الفرات فنزله حتى أُصيب الحسين بكربلاء ، وكان ابن الحرّ رجلا لا يقاتل لديانة ، وإنّما كان همّه الفتك والتصعلُك والغارات .

ثم إنّ ابن الحر أتى الكوفة فقال له عبيدالله بن زياد ، وكان قد تفقّد أهل الكوفة: أكنت معنا أم مع عدوّنا؟ قال: لا والله ما كنت مع عدوّك، ولو كنت معه لبلغك ذلك ولكنّي كنت مريضاً ، قال : مريض القلب ، قال : ما مرض قلبي قط ، وقد وهب الله لي في بدني العافية .

وكان ابن الحُرّ يُغير على مال الخراج فيقتطعه ويعطي منه أصحابه وكان سخياً مِتلافا ، وقد كان مِن أهل الديوان والعَطاء .

قالوا : فخرج من عند ابن زياد مغضبا ، فبات عند أحمر بن يزيد بن الكَبْشَم الطائي ، ثم خرج من عنده فأتى المدائن ، وقال يرثي الحسين عليه السلام :

يَقولُ أَميرٌ جائِرٌ حَقُّ جائِرٍ ... أَلا كُنْتَ قاتَلْتَ الشَهيدَ ابنَ فاطِمَهْ
ونَفْسي عَلَى خِذْلانِهِ وَآعْتزالِهِ ... وبَيْعَةِ هذا الناكِثِ العَهْدَ سادِمَهْ
فيا نَدَمي أَلّا أَكونَ نَصَرْتُهُ ... أَلَا كُلُّ نَفْسٍ لا تُسَدِدُ نادِمَهْ
سَقَى الله أَرواحَ الذين تَأَزَّروا ... عَلَى نَصْرِهِ سَقْياً مِنَ الله دائِمهْ

في أبيات .

وقال أيضاً :

يا لَكِ حَسْرةٍ ما دُمْتُ حَيّاً تَـرَدَّدُ بَيْنَ حَلْقي والـتَراقي

وله فيه شعر غير هذا .

قالوا : فلما خرج المختار بالكوفة أَبى ابن الحُرّ أن يبايعه ، وبعث المختار في طلبه ، أتاه بعدُ فبايعه تعذيراً ، فكان المختار يهمّ أن يسطوَ به ثم تمسّك عن ذلك لمكان إبراهيم بن الأشتر معه ، وجعل ابن الحر يتعبّث بالنواحي ، كما كان يصنع به إبراهيم ، ففارقه وأقبل في أصحابه وهم نحو من ثلاثمائة فأغار على الأنبار ، فأخذ ما كان في بيت مالها فقسمه بين أصحابه بلقنسوة دَلْهَم المُرَادي ، وكانت ضخمة ، وكان دلهم جسيما عظيم الرأس ، شديد البأس وفي ذلك يقول ابن الحّر :

أنا الحُرُّ وابنُ الحُرِ يَحْمِلُ شِكَّتي طِوالُ الهَوداي مُشرِفاتُ الحَوانِكِ
فمَن يَكُ أَمْسَى الزَعْفَرانُ خَلوقَهُ فَإِنَّ خَلوقي مُسْتَشارُ السَنابِكِ
اذا ما غَنِمْنا مَغْنَماً كانَ قِسْمَةً ولَمْ نَتَّبِعْ رَأْيَ الشَحيحِ المُتارِكِ
أَقولُ لَهُمْ كيلوا بِكُمَّةِ بَعْضِكُمْ ولا تَجْعَلوني في النَدَى كَآبنِ مالِكِ

يعني إبراهيم بن الأشتر .

ثم اغار على كَسْكَر فأخذ ما كان في بيت مال عاملها وقتله وقسم بين أصحابه قبل أن يستبيحوه ، ولما بلغ المختار غارته على الأنبار بعث عبدالله بن كامل الشاكري فهدم داره ، وأخذ امرأته أمّ سَلَمة بنت عبدة بن الحُليق الجُعفيّة فحبسها في السجن ؛ فبلغ ابنَ الحُرّ فقال :

أَشُدُّ حَيازِيمي لِكُلِ كَرِيهَـةٍ وإِنّي عـلى ما نـابَني لَجَليدُ
هُمُ هَدَموا داري وساقوا حَليلَتي إلى سِجْنِهِمْ والمُسْلِمونَ شُهودُ
فلَسْتُ إذاً لِلْحُرِ إنْ لَم أَرُعْكُمُ بِخَيْلٍ عَلَيها الدارِعونَ قُعودُ

في أبيات .

وسار حتى أتى ساباط المدائن فتلّقى بها أصحاب الزُبير بن عليّ ، وهو من الأزارقة ، فظّنوا أصحابَه جيشاً سرح إليهم ، وظن أنهم جيش سُرّح إليه فحكّموا ، فلما سمع تحكيمهم قاتلهم قتالاً شديداً فقُتل يومئذ بشر مولى الزبير وكاتِبه وناس من أصحابه ، ثم أُديل ابن الحرّ عليهم فقتل منهم وغنم ، وقال في ذلك شعراً منه قوله :

أُقدّمُ مُهْري في الوَغى ثُمَّ أَنْتَحي عَلَى قَرَبوسِ السَرْجِ غَيْرَ صَدودِ
دَعَوْني إلَى مَكْروهِها فأَجَبْتُهمْ وما أَنا إِذْ يَدْعونَني بِبَعيـدِ
اذا ما التَقَوْني بالسُيوفِ غَشِيتُهمْ بِنَفْسٍ لِما يَخْشَى النُفوسُ وَرودِ
فأَقْلَعَتِ الغَمّاءِ عَنّا وفُرِّجَتْ ونَحْنُ بها مِن غانِمٍ وشَهيدِ

وقال أيضاً :

أقولُ لِفِتيانِ الصَعالِكِ أَسْرِجوا عَناجيجَ[1] أَدْنَى سَيْرِهِنَّ وَجيفُ
دَعـانِيَ بِشْرٌ دَعْـوَةً فـأَجَبْتُـهُ بِساباطَ إِذْ سِيقَتْ إِلَيْهِ حُتوفُ
فلم أُخلِفِ الظَنَّ الذي كانَ يُرْتَجَى وفي بَعْضِ أَخْلاقِ الرِجالِ خُلوفُ

---

١ ـ العناجيج : جياد الخيل والإبل . القاموس .

ثم أتى ابن الحُرّ وهو في مِائة وثلاثين فارساً الكوفة ، ومعهم الفُؤُوس والكلاليب لِمُكاثرة أصحاب السجن فأتى السجن فدخله فأخرج امرأته وكل من كان في السجن.فقاتله ابن كامل صاحب شرطة المختار فهزمه ابن الحرّ وانطلق ابن الحرّ بامرأته حتى أدخلها بيوت جُعْفِّي ، فتوارت عند كريب بن سَلَمة الجعفي ، ولم يزل ابن الحرّ يقاتل قومه بالكوفة ويقول :

أَلَمْ تَعْلَمي يا أُمَّ تَوْبَةَ أَنَّني أنا الفارِسُ الحامي حَقائِقَ مَذْحِجِ
وأَنّي أَتَيْتُ السِجْنَ في رَوْنَقِ الضُحَى بِكُلِّ فتىً يَحْمي الذِمارَ مُدَجِجِ

ثم أغار ابن الحُرّ على شِبام من همدان فقاتله عبد الله بن اريم وجعل يقول :

لقـد مُنيتُمْ بِـأخي جِـلادِ لَـيْسَ بِـفَـرّارٍ ولا حَـيّـادِ
ثَبْتِ المَقامِ مُقْعِصِ الأعادي

فشد عليه ابن الحُرّ فصرعه وظنّ أنّه قد قتله ثم عولج فبرىء.وهزم من لقيه من شِبام وشاكِر وقال :

سائِلْ بِيَ المُخْتارَ كَمْ قد ذَعَرْتُهُ وشَرَّدتُ أَطْرافاً له وجُموعـاً
وقاتَلْتُهُ والناسُ قد أَذْعَنوا له وقد أَقْشَعَ الأَحْياءُ عنه جَميعاً

فلم يزل مخالفاً للمختار حتى قتله المصعب .

وتكلّم أهلُ الكوفة في قتل أصحاب المختار فقال ابن الحرّ : أمّا أنا فأرى أن يردّ الأمير كلَّ قوم ممّن كان مع هذا الكذّاب إلى قومهم ، فإنّه لا غناءَ بنا عنهم في ثغورنا ، ويردّ عبيدنا علينا فإنّهم لأراملنا وضعفائنا وأن نضرب أعناق الموالي فقد بدا كفرهم وعظم كِبْرهم وقلّ شكرهم ولا آمنهم

على الدين ، فضحك المصعب ودفعهم إلى ابن الحر فضرب أعناقهم وكانوا سبعمائة .

وقاتل ابن الحُرّ المختار مع مصعب ، وبعث المصعب إلى ابن الحُرّ : إنّ لك ولأصحابك خراج بادُورَيَا[1] على أن تقاتل معي عبدَ الملك وأهل الشام فقال : أَوَليس لي خراج بادوريا وغيرها ، لست فاعلاً وأنشأ يقول :

أَترجْو آبْنُ الزُّبَيْرِ اليَوْمَ نَصْري   لِعــاقِبَـةٍ ولَمْ أَنْصُرْ حُسَيْنـا

في أبيات .

وقيل لمصعب : إنّ ابن الحُرّ غير مأمون على أن يصنع في سلطانك ما كان يصنع في سلطان من كان قبلك ، ويفسد عليك ، فلم يزل مصعب يتلطّف له وَيَعِدُهُ حتى أتاه ، فأمر بحبسه فقال في السجن :

مَنِ يُبْلِغُ الفِتْيانَ أَنَّ أَخاهُمُ   أَتَى دونَهُ بابٌ منيعٌ وحاجِبُهْ

بمَنْزِلَةٍ ما كان يَرْضَى بِمِثْلِها   إذا قامَ غَنَّتْهُ كُبولٌ تُجاذِبُهْ

في أبيات .

وقال أيضاً :

بـأَيِّ بَلاءٍ أَمْ بِـأَيَّةِ نِعْمَـةٍ   تَقَـدَّمَ قَبْـلي مُسْلِمٌ والمُهَلَّبُ

وكتب ابن الحُرّ إلى الأحنف وغيره يسألهم الكلام لمصعب فيه ، فكلّمه فيه الأحنف فأخرجه من الحبس ، وأطعمه خراج كَسْكَر ، فصار اليه فقسمه في أصحابه ، ثم أتى ابن الحرّ نِفَّرَ[2] فأخذ خراجها فقسمه ولحق بِبُرْسَ[3] ؛

---

١ ـ طسوج بالجانب الغربي من بغداد . معجم البلدان .
١ ـ بلد من نواحي بابل ـ بأرض الكوفة . معجم البلدان .
٢ ـ موضع بأرض بابل . معجم البلدان .

فبعث اليه المصعب الأَبْرَد بن قُرّة التميمي ، فقاتله وقد صارمع ابن الحرّ خلق ، فهزم الأبردَ وضربه ضربة على جبينه ، فبعث إليهُ حريثَ بن زيد الخيل الطائي فقتله عبيد الله بن الحُرّ بمبارزة وهزم أصحابه ، فبعث إليه المصعب الحجّاج بن حارثة الخَثْعَمي فقاتله حتى حجز الليل بينهم ، وقاتله بِسْطام بن مَصْقلة بن هُبيرة الشَّيْباني وهو والٍ على عين التَمْر ، فدعا رجل من أصحاب بِسطام يقال له يونس بن عاهان ابنَ الحُرّ للمبارزة فقال عبيد الله : شَرُّ دَهْرِكَ آخِرُه فذهَبتْ مَثَلاً ما كنت أظنّ أنّي أعيش حتى يدعوني مثل هذا إلى البراز ، وهزم أصحابَ بسطام فافتدى نفسه بماله وقال :

لو أَنَّ لي مِثْلَ جَريرٍ أَرْبَعَهْ صَبَحْتُ بَيْتَ المالِ حتى أَجْمَعَهْ
وَلَمْ يَهُلْني مُصْعَبٌ ومَن مَعَهْ

يعني جرير بن كُريب ، وكان صاحب ميسرته ؛ وأتى ابن الحُرّ شَهْرَزُور وأخذ ما كان في بيت مالها وقاتله عاملها فهزمه وظفر به فضرب عنقه ، وكان من قِبَل المهلّب ، لأنّه كان على الموصل وأعمالها والجزيرة وما يليها من قِبَل المصعب ، وقال ابن الحُرّ :

يُخَوِّفُني بِالقَتْلِ قَوْمي وإنَّما أموتُ إذا جاءَ الكِتابُ المُؤَجَّلُ
لَعَلَّ القَنا تدمي بِأَطْرافِها الغِنَى فنَحْيَا كِراماً نُجْتَدَى ونُؤَمَّلُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفَقْرَ يُزْري بِأَهْلِهِ وأَنَّ الغِنَى فيه العُلَى والتَجَمُّلُ
وإِنَّكَ إِنْ لا تَرْكَبِ الهَوْلَ لا تَنَلْ مِنَ المالِ ما يُرْضي الصَديقَ ويُفْضِلُ

وبايع ابن الحُرّ عبدَ الملك مراغمةً للمصعب،واجتمع إليه بَشَر من أهل الموصل بتكريت ، فبعث إليه المهلّب عبد الله بن يزيد بن المُغَفَّل الأَزدي ، وبعث إليه مصعب الأَبْرَد بن قُرّة التميمي والجَوْن الهمداني فقاتلهم فلم يزل

يُنْتَصَف منه ، ثم إنه بَيَّتهم فقتل منهم بشراً ، وأصاب منهم خيلاً وسلاحاً وقاتلوه من الغد ، فجُرِح ابن الحُرّ وانهزم أصحابه ، فلم يبق إلاّ في خمسين من أهل الحِفاظ وحجز بينهم الليل ، فخرج من تكريت ، وأتى ناحية من الكوفة ، فبعث إليه المصعب جماعة فيهم حجّار بن أَبْجَر فأُصِيب صاحب راية ابن الحُرّ ، فدفعها إلى أَحْمَر طَيّىءٍ ، ومضى إلى نِفَّر فأخذ ما كان بها من مال ؛ ويقال : إنّ المصعب بعث إليه عُمَر بن عبيد الله بن مَعْمَر فقاتله فضربه في وجهه ضربة لم يزل أثرها باقياً حتى مات ، وليس ذلك بثبت ؛ وقال بعضهم وأحسبه الهَيْثَم بن عَديّ : بعث به حين دخل البصرة بعد الجُفْرة ، وقبل توليته فارس .

ومضى ابن الحُرّ إلى عبد الملك ، ومعه جماعة من أصحابه ، فلما قدم عليه أُذِن له وأجلسه معه على السرير ، وأمر له بمائة ألف درهم ، ولكلّ رجل من أصحابه الذين دخلوا معه بمال ، فقال له ابن الحرّ : إنّي أتيتك لتُوَجِه معي جنداً إلى مصعب لأُحاربه ، فأمر له بمائة ألف درهم أُخرى ، ولأصحابه بمال فرّقه عليهم ، وقال:سِرْ وأجْمع من قدرت عليهم وأنا مُمدّك بالخيل والرجال ، فسار ابن الحرّ فنزل بقرية يقال لها بيت فارط إلى جانب الأَنبار ، وهي على شاطىء الفرات ، فاستأذنه أصحابه في دخول الكوفة ، فأذن لهم وأمرهم أن يؤذِنوا مَن كان بالكوفة من أصحابهم ليسيروا إليه ، وبلغ خبره عبيد الله بن عبّاس السُلَمي ، فاغتنم الفرصة فسأل الحارث بن عبيد الله بن أبي ربيعة القُباع ، وكان خليفة مصعب على الكوفة يومئذ ، والمصعب بالبصرة ، أن يبعثه إلى ابن الحرّ ، وأخبره بمكانه وتفرُّقِ أصحابه ، فسار إليه في خيل كثيفة من قيس ، فنزل على حاتم بن النعمان الباهلي وهو

نازل في قصر عند كُوَيْفَة ابنِ عُمَر بين كُوثا وبَزِيقيا[١] ، واستمدّه فأمدّه بخمسمائة من قيس ، فسار حتى لقي ابن الحُرّ ، وهو في عدّة يسيرة من أصحابه ، فقالوا : هذا جيش لا طاقة لنا به ، فقال : ما كنت لأَدَعَهم ، وحَمل عليهم حملات وهو يقول :

يا لَكَ يَوْمٌ فاتَ فيه نَهْبي وغـابَ عَنّي ثِقَتي وصَحْبِي

ثم عطفوا عليه وكشفوا أصحابَه ، وحاولوا أن يأسروه ، فقال لأصحابه : انصرفوا سالمين ، ودعوني أُقْتَل ، فقالوا : والله لا نُسلمك ، فقاتلوا طويلاً حتى أُثخنوا بالجراح ، ثم أَذِن لهم بالذهاب فذهبوا ولم يُعْرَض لهم ، وجعل يقاتل وحده ، فحمل عليه رجل من باهلة يُكنى أبا كُدَيْنَةَ فطعنه وجعلوا يرمونه ولا يدنون منه ، وجعل يقول : هذه نبل أم مغازل ، فلما اثخنته الجراح خَلَصَ إلى مِعْبَر فدخله ولم يدخل فرسُه فنسف عرقوبة ومضى به الملاح حتى توسط به الفرات ، فأشرفت عليه الخيل وفي المعبر نبيط ، فقالوا لهم : إنّ الذي في السفينة بُغْيَة أمير المؤمنين والأمير ، فإنْ فاتكم قتلنا كم ، فوثب ابن الحُرّ ليقع في الماء فوثب إليه رجل عظيم طُوالٌ فقبض على عضدَيه وجراحاتُه تَشخُب دماً وضربه الآخرون بالمجاذيف ، فلما رأى ابن الحُرّ أنه يُمال به نحو القَيْسيّة قبض على الذي كان يمنعه ، وأخذ بعَضُده فعالجه حتى سقطا جميعاً إلى الفرات فغرقا ؛ فقال أبو كُدَينة الباهلي : إنّي لأنظر إلى شيخ على شاطىء الفرات يصيح ويبكي وينتف لحيته ويقول : يا بختيار ، يا بختيار ، فقلنا : ما لك يا شيخ ، ما لك يا شيخ ؟ فقال : ابني بختيار ،

١ ـ قرية قرب حلة بني مزيد من أعمال الكوفة . معجم البلدان .

كان يقتل الأسد ، ويُخرج هذا المعبر من الماء وحده ثم يردّه ، حتى وقع عليه هذا الشيطان الذي دخل المعبر فغرّقه ؛ ولما بلغ عبد الملك خبره جزع عليه وندم على بعثته في أصحابه من غير أن يضمّ إليه جنداً ، وقال : أيَّ مِدْره[1] حربٍ وسدّاد ثغرٍ كان عبيدُ الله لا يُبعدنّك الله يا بن الحُرّ ، والله ما وجدوك خوّاراً ولا فرّاراً .

قال ابن الكلبي : وكان ابن الحرّ لما صار إلى الأنبار بلغه أنّ حبشياً يقال له الغداف ، يقطع الطريق للعِدّة من الشُجَعاء فيهزمهم ويسلبهم ، ويدخل القرية نهاراً فلا يعجبه امرأة إلاّ افترشها وقضى حاجته منها ، لا يقدر أحد على منعه ولا دفعه ، فمضى إليه وحدَه ، فلما رآه عرفه بالنعت فسايره ابن الحُرّ ، فقال له : من أين اقبلت يا صاحب الفرس ؟ قال : من الأنبار ، قال : فإنّه بلغني أنّ ابن الحُرّ نزلها فما تراه يريدُ ؟ قال : ايّاك يريد ، أنا ابن الحرّ فخُذْ حِذْرك أيّها الكلب ، ثم حمل عليه فطعنه فصرعه ، ثم نزل فضرب رجله فأبانها ، فأخذ الأسودُ رجله فرمى بها ابنَ الحُرّ ، فمشى اليه ابن الحرّ فقتله ، وأخذ فرسه وجعل ابن الحرّ يقول :

أُمَّ الغُدافِ فَشُقّي الجَيْبَ وٱنْتَحِبي إنَّ الغِدافُ ورَبّي وافَقَ الأَجَلا
دَهْـدَهْتُهُ بَـيْنَ أَنْهارٍ وأَوْدِيَةٍ لا يَعْلَمُ الناسُ غَيْري ما الذي فَعَلا

١ ـ المدره : السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال . القاموس .

أمر زفر بن الحارث الكلابي

وهو الحارث بن عبد عمرو بن مُعاز بن يزيد بن عمرو بن خُوَيلد بن نُفيل بن عمرو بن كلاب .

حدثني هشام بن عمّار الدمشقي عن الوليد بن مسلم عن مروان بن جَناح عن يونس بن مَيْسَرة: أنّ مروان بن الحَكَم أنفذ مع عبيدالله بن زياد بن أبي سفيان جيشاً إلى الجزيرة والعراق ، وقال له : كلّ بلد افتتحته فأنت أميره ، فسار في زُهاء ستّين ألفا فلم يبلغ الجزيرة حتى مات مروان ، فقلده عبد الملك ما قلّده أبوه وأعطاه مثل الذي أعطاه من الولاية ، فلما صار إلى الرَقّة وهو يريد زُفَر بن الحارث بقَرْقِيسَاء وقد تحصّن بها ، بلغه خبر قوم خرجوا من الكوفة يطلبونه بدم الحسين بن عليّ ، وعليهم سليمان بن صُرَد ، فعرّج إليهم وسرّب للقائهم جيشاً بعد جيش حتى قتلهم فقلَّ من أفلت منهم، وأتى قرقيسياء. فحاصر زفر بن الحارث ، فلم يُمكنه فيه شيء، فمضى يريد العراق ليواقع المختار بن أبي عُبيد الكذّاب ومصعب بن الزبير ، فلما صار بالموصل لقيه إبراهيم بن مالك الأشتر النَخَعي، فقاتله فقُتل ابن زياد،

وحُصين بن نُمير ، وابن ذي الكَلاع ، فاستخلف عبد الملك على دمشق عبدالله بن يزيد بن أَسَد بن كُرْز أبا خالد القَسْري وشخص ، فلما شارف الفرات انخزل عمرو بن سعيد الأشدق من عسكره وصار إلى دمشق ، فبايعه عبدالله بن يزيد ، وأغلق أبواب دمشق ، فانكفأ عبد الملك راجعاً إليه حتى قتله بعد أن آمنه ، واستخلف على دمشق عبد الرحمن بن عبدالله الثَقَفي ، وأُمّه أمّ الحَكَم أُخت معاوية وبها يُعرف ، وصار إلى زفر فحصره حتى صالحه ؛ وكان بالجزيرة رجل من بني تغلب يقال له جِدار بن عبّاد قد تحصّن في بعض مدنها ، وكان ابن زياد على محاربته وحصاره بعد الفراغ من أمر زُفَر ، فلما حدث من أمره ما حدث قال زُفَر :

تَمَسَّكْ وَيْحَ أُمِكَ يا جِدارُ أَتاكَ الغَوْثُ وَٱنْقَطَعَ الحِصارُ

فوجّه عبد الملك أخاه محمد بن مروان إلى جدار بن عبّاد فحصره ، ثم صالحه وبايع جدار لعبد الملك وقد مدحه الأخطل .

قال : وأقبل طاغية الروم يريد الشام ، وخرج أيضاً قائد من قُوّاد الضواحي في جبل اللُّكّام ، فاتّبعه خلق من الجَراجِمة والأنباط وأبَاق عبيد المسلمين وغيرهم ، ثم صار إلى لُبْنان ، فأقبل عبد الملك مُغِذاً للسير حين أتاه كتاب ابن أُمّ الحَكَم بذلك ، فلما ورد دمشق وجّه حُميد بن حُريث بن بَحْدَل الكلبي بهدايا وألطاف إلى طاغية الروم ، وكتب إليه معه يسأله الموادعة على إتاوة وأعطاه ايّاها كما فعل معاوية حين أراد إتيانَ العراق فقبل الطاغية الهدايا وما بذل له عبد الملك من الإتاوة وأعطاه رُهناء من أبناء الروم صيّرهم ببَعْلَبكّ ، وكان مع حميد أيضاً [كُريب] بن أَبْرَهة بن الصَبّاح الحِمْيَري ووادع عبد الملك [الذين خرجوا] بلُبْنان وجعل لهم في كل جمعة

ألف دينار ، فركنوا إلى ذلك ولم يَعْيَثوا بفساد ؛ ثم دسّ إليهم سُحيم بن المهاجر فتلطّف حتى وصل إلى رئيسهم متنكّرا فأظهر مُمالأته وتقرَّب إليه بذمّ عبد الملك وشتمِه ووعده أن يدلّه على عوراته وما هو خير له من الصلح الذي بذل له ، ثم عطف عليه وهو وأصحابه غارّون غافلون بجيشٍ مِن موالي عبد الملك وبني أميّة وجُنْدٍ مِن ثقات جنده وكُماتهم كان أعدّهم لمحاربته وأكمنهم في مكان بالقُرْب منه خَفِيٍ ، فقتل أولئك الروم وبشراً من الجراجمة وغيرهم ، ثم نادى بالأمان فيمن بقي من الجراجمة ومن سواهم فتفرّقوا في قُراهم ومواضعهم ، فلما أصلح عبد الملك أموره استخلف ابنه الوليد على دمشق ، ومعه سعيد بن مالك بن بحدل ، ويقال : إنّه خلّف ابن أُمّ الحَكَم أيضاً ، وأنفذ عبد العزيز إلى مصر ، وسار إلى مَسْكِن ، فقتل مصعب بن الزبير .

وقال هشام : قال الوليد : وقد سمعت أنّ خروج هؤلاء الذين خرجوا بلبنان كان مع مخالفة عمرو الأشدق ، وإغلاقه أبواب دمشق ، وحديث ابن جناح أصحّ .

وقال الوليد : وبلغني أنّ عبد الملك أمر فنودي : من أتانا من العَبيد يعني الذين كانوا مع أولئك القوم فهو حُرّ وله أن نُثْبته في الديوان ، فانفضّ إليه خلق منهم ، فكانوا ممّن قاتل مع سُحيم ، وأنّه وَفَى لهم وجعل لهم رَبْعاً على حِدَةٍ ، فهم يُسمَّون الفتيان إلى الآن .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن لوط بن يحيى في اسناده قال : التقى مروان والضحّاك يوم مَرْج راهِط ، وكان مع الضحّاك خلق من

أهل اليمن إلا أنّ قيساً كانوا رؤوس الناس معه عَدَدهم ، فلما قُتل الضحّاك مضى زُفَر فأتى قنسرين فاحتمل ما كان له بها إلى قَرْقِيسياء .

قال الكلبي : ويقال بل كان عاملاً عليها من قِبَل الضحّاك ، فأمدّه وسرّب الخيول إليه ، فلما قُتل هرب إلى قرقيسياء.ولما أتى قرقيسياء ضوى إليه خلق من قيس فرسان ورجال ، وكان عِياض بن عمرو الحميري بقرقيساء وقد غلب عليها ، فقال له زُفَر : إنّي إنّما جئت لدخول الحمّام لِعلّة عرضَتْ لي ، ثمّ أنا منصرف عنك فخاف عِياض أن لا يفعل فأحلفه فحلف له زُفَر ليخرجن منها بعد دخول الحمّام بقرقيسياء ، فلما صار بالمدينة أخرج عِياضاً منها ولم يدخل الحمّام بها أيّام مُقامه كلّها ، وكان دخوله إياها في المحرم سنة خمس وستّين ، وذلك قبل مرور التوابين به بأشهر .

قال : وتشاغل مروان بمصر حتى غلب عليها ، ثم وجّه عبيدالله بن زياد وقال له : أنت أمير كلّ بلد أَهْلُهُ على غير طاعتي تفتتحه ، فسار في ستّين ألفاً فقتل من قتل من التوابين بعَيْن الوَرْدة ، وقُتل بالخازر ، وأقبل عبد الملك يريد زُفَر بن الحارث ، ثم العراق ، فخلعه عمرو بن سعيد ، فعاد إلى دمشق؛ ثم أتى قرقيسياء بعد قتله عمرو بن سعيد، فوضع المجانيق على قرقيسياء ، فأمر زفر أن ينادَى أهل عسكر عبد الملك ، فيقال لهم : لِمَ وَضعْتُم المجانيق علينا ؟ ففعلوا فقالوا : لِنَثْلِم ثلمة نقاتلكم عليها ، فقال زُفَر : قولوا لهم إنّا لا نقاتلكم من وراء الحيطان والأبواب ، ولكنّا نخرج إليكم، قالوا: وثلمت المجانيق من المدينة بُرْجا ممّايلي حسّان بن مالك بن بَحْدَل ، وحُميد بن حُريث بن بحدل ، فقال زُفَر أو غيره :

لَقَدْ تَرَكَتْني مَنْجَنيقُ آبْنِ بَحْدَل أُحيدُ عَنِ العُصفورِ حينَ يَطيرُ

وكان خالد بن [يزيد بن] معاوية يقاتل أهل قرقيسياء مع كلب ، وهم أخواله لأنّ أُمّ يزيد ميسون بنت بَحْدَل ، ويقال : إنّه كان يقاتلهم من ناحية أخرى في موالي معاوية وغيرهم فألَحَّ عليهم بالقتال والرمي حتى كاد يظفر فقال رجل من بني كِلاب: لأُسْمِعَن خالداً قولا لا يعود بعده إلى ما يصنع، ولأكْسرنّه به ، فلما غدا خالد للمحاربة أشرف الكلابي عليه وهو يقول :

مـاذا آبْتِغـاءُ خـالِدٍ وهَمُّـهُ إذْ سُلِبَ المُلْكَ ونِيكَتْ أُمُهْ

فانكسر واستحيا ولم يعد إلى الحرب حتى انقضى أمر زُفَر .

وقال زُفَر لخالد وكان يُكنى أبا هاشم :

أبو هاشِمٍ عَـطّارَةٌ فارِسِيَّـةٌ مُكَحَّلَةُ العَيْنَين بَرّاقَةُ الفَمِ
أبو هاشمٍ يَرْمي فوارِسَ قَوْمِهِ وأَمَّا العَدَوَّ الأَبْعَدينَ فما يَرْمي

وقال الصَقْعَب المُرّي :

نَحْنُ بَنو مُرَّةَ نَـرمي زُفَرا يَهْدِي إلينا حَجَـراً فحَجَرا
لَمّـا رَأَيْنـا دِينَـهُ تَـغَـيَّرا وأَصْبَحَ المَعْروفُ مِنْهُ مُنْكَرا

وقال أيضاً :

كَيْفَ تَرَى قَيْساً تُرامي قَيْسا حُمْقاً تَرَى ذاكَ بِها أَمْ كَيْسا
تَدوسُهُمْ بِالْمَنْجَنيقِ دَوْسا

وقيل لعبد الملك : إنّ قيساً تنهزم بالناس فآجعلْها ترْمي بالمجانيق ، فقال الصقعب :

فبِآسْتِ مَن قالَ أَلا لا يَنْصَحُ وقد فَتَحْنَا حَوْلَهَا ما يُفْتَحُ
في كُلِ وَجْهٍ وخصي ترجح

وقالت كلب لعبد الملك : إنّا اذا لقينا زُفر انهزمت القيسيّة فلا تَشُبْ جَمْعَنا بأحد من قيس ففعل ، فكتبت القيسية على نبلها ليس يقاتلكم غداً مُضَريّ ، ورموا بنبلهم إلى المدينة ، فلما أصبح زُفر دعا الهذيل ابنه ـ وبه كان يُكنى ، ويقال انّه كان يُكنى أبا الكَوثَر والأوّل أثبت ـ فقال : اخرجْ إليهم فشُدّ عليهم شدّةً لا تنثني عنها حتى تضرب فسطاط عبد الملك ، أَسمِعْتَ يا بن اللَخْنَاء ، والله لئن رجعت دون أن تطأ طُنُبَ فسطاطه لأضربنّ الذي فيه عيناك .

فخرج عبد الملك وتقدّمت اليمانية ، فجمع الهُذيل بن زُفَر خيله ، ثم رماهم فصبروا قليلا ، ثم انكشفوا وتبعهم الهذيل بخيله حتى وطئوا أطناب الفسطاط ، وقطعوا بعضها ، ثم كرّوا راجعين فقَبَّلَ زفر رأس ابنه الهذيل ، وقال : يا بُنَيَّ لايزال عبد الملك يحبّك بعدها أبداً. فقال الهذيل: والله لَو شئت أن ادخل فسطاطه لفعلتُ فقال زفر :

ألا لا أُبالي مَن أَتاهُ حِمامُهُ إذا ما المَنايا عن هُذَيْلٍ تَجَلَّتِ
تَراهُ أَمامَ الخَيْلِ أَوَّلَ فارِسٍ ويَضْرِبُ في أَعجازِها إنْ تَوَلَّتِ

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي ، وأبو خَيثَمة قالا : حدثنا وهب بن جرير حدثنا محمد بن أبي عُيينة قال : جعل بِشْر بن مروان يرسل إلى قيس أتقتلون أنفسكم مع رجل ليس منكم ، وإنّما هو من كندة ، فبلغ ذلك زُفَر بن الحارث فقال :

لَعَلكَ يا بِشْرَ بْنَ مَرْوانَ لائِمي على حين أَبْدَتْ عَن نَواجِذِها الحَرْبُ
فتخبِرُ قَومْي أَنَّني لَسْتُ مِنْهُمُ وتَزْعُمُ أَنَّا مَعْشَرٌ مِن بني وَهْبِ
أَتجْعَـلُ أَجْلافـاً عَلَيْها عَبـاؤُها كَكِنْدَةَ تَمْشي في المَطارِفِ والعَصْبِ

وقال زفر أيضاً :

أبا الله أمَّا بَحْدَلٌ وآبْنُ بَحْدَلٍ فيَحْيَا وأَمَّا آبْنُ الزُبَيْرِ فيُقْتَلُ
كذَبْتُمْ وبَيْتِ الله لا تَقْتُلونَهُ ولَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ
ولَمّـا يَكُنْ لِلْمَشْرَفيَّـةِ فِيكُمُ شُعاعٌ كَقَرْنِ الشَمْسِ حينَ تَرَجَّلُ

المدائني عن أبي زياد بن يزيد بن قُحيف الكِلابي قال : قاتل عبد الملك زفر بن الحارث أربعين يوماً ، ورمى المدينة بالمجانيق حتى ثلم عامّة بروجها ، فقال أبناء الكلبيّات من قريش واليمانيّةُ : إنّك قد هدمت مدينتهم فناهِضْهم غداً ساعةً ، فخرج الهُذيل بن زُفَر ، ويزيد بن حُمران ، ومسلم العُقيلي ، وهو أبو اسحاق بن مسلم ، وعبدالله بن يزيد الهِلالي فصاروا على برج المدينة ، وأقبلت قُضاعة مع شروق الشمس فاقتتلوا إلى الظهر ، ثم جالت قضاعة وانكشفت ، ووقفت القيسيّة على البروج ، وأقبل رَوْح بن زِنْباع الجُذامي عند المساء إلى برج منها فقال : من صاحب هذا البرج ؟ قيلَ : عبدالله بن يزيد الهلالي ، فقال رَوْح : نشدتك الله كم قتلنا منكم اليوم ؟ قال : إذ نشدتني الله ، فلم يُقْتَل منّا أحد ، ولم يُجْرَح إلاّ الرجل الواقف صاحب الكُرْدُوس الأيْمَن فإنّه طُعن طعنةً في صدره ، وأرجو أن لا يكون عليه بأس ، فنشدتُك الله كم قتلنا منكم ؟ قال : عدّة فرسان ، وجرحتم ما لا يُحْصَى ، فلعن الله ابن بَحدَل ، ورجع رَوْح إلى عبد الملك فقال له : إنّ ابن بحدل يُمَنِّيكَ الباطل فأَعْرِض عن هذا الرجل .

عليّ بن محمد المدائني وغيره : أنّ رجلا من كلب يقال له الذّيال كان يخرج في حصار زُفَر بقرقيسياء فيشتم ، فقال زفر للهُذيل أو لبعض من معه من قيس ، أَمَا تكفيني هذا ؟ فقال : أنا اجيئك به ، فدخل عسكر عبد

الملك ليلا فجعل ينادي من يعرف بغلاً من صفته كذا وكذا حتّى انتهى إلى خباء الرجل وقد عرفه [فقال] الرجل : ردّ الله علينا ضالتك ، فقال : يا عبد الله إنّي قد أَعْيَيتُ فلو أَذِنت لي فاسترحتُ قليلا ، قال : ادخل فدخل والرجل وحده في خِبائه فرمى بنفسه ونام صاحب الخباء ، فقام إليه فأيقظه فقال والله لئن تكلّمت لأقْتُلَنَّك ، ولن سكت وجئتَ معي إلى زُفَر فَلَك عهد الله وميثاقه أن أردّك إلى عسكرك بعد أن يَصِلكَ زفر ويُحسن إليك ، فخرجا وهو ينادي من دلّ على بغل ويَصِفُ حتّى أتى زفر بن الحارث والرجل معه ، فأعلمه أنّه قد آمنه ، فوهب له زفر دنانير وحمله على راحلة ، وألبسه ثياب النساء ، وبعث معه رجالا حتى دنوا من عسكر عبد الملك فنادوا هذه جارية بعث بها زفر إلى عبد الملك .

وانصرفوا ، فلما نظر إليه أهل العسكر عرفوه ، وأخبروا عبد الملك خَبَرَهُ فضحك وقال : لا أبعد الله رجال مضر ، والله إن قتلهم لذل ، وإن تركهم لحسرة ، وكف الرجل فلم يعد لشتم زفر وأصحابه ، ويقال إنه هرب من العسكر .

قالوا : وقال عبد الملك وهو محاصر لزفر بن الحارث :

إنا وجدنا زفر بن الحارث في هذه الهنات والهيائث(١)
خبيثة من أخبث الخبائث

قالوا : وكتب عبد الملك إلى زُفَر بن الحارث كتاباً يدعوه فيه إلى الطاعة ولزوم الجماعة ويُرغبه ويُرهبه ، وبعث بالكتاب مع رَجاء بن حَيْوَة

١ ـ المهايثة : المكاثرة ، والهيثان : إصابة الحاجة من المال والإفساد فيه . القاموس .

الكندي والحجّاج بن يوسف الثّقفي ، فأتيا زفر بالكتاب وكلّماه فأبى الصلح ، وحضرت الصلاةُ فصلّى رجاء مع زفر ، وصلّى الحجّاج وَحْدَه ، وقال : لا أُصلّي مع مُشاقَ منافق ، فلما انصرفا قال عبد الملك لرَجاء : كيف لم تفعل ما فعل الحجّاج ؟ قال : ما كنتُ لأَدَعَ الصلاة مع قوم يقيمونها وأصلّي وحدي .

وقال الهُذيل بن زُفَر لأبيه: لو صالحتَ هذا الرجل فقد أكَلَتْك وقومَك الحربُ وأنت مذ سنون في هذه المدينة وقد أعطى الناسُ الرجلَ طاعتهم ، واجتمعوا عليه ، وهو خير لك من ابن الزبير ، وأمر عبد الملك محمد بن مروان أن يعرض على زفر وابنه الهذيل الأمان على أنفسهما ومن معهما ، وأن يُعْطَيَا ما أَحبّا ، ففعل محمد ذلك فأجاب الهذيل ، وكلّم أباه فأجاب على أن له الخيار عليه ، فبينا الرُسُل تختلف في ذلك ، إذ جاء رجل من كلب إلى عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين قد هُدمت أربعة أَبْرِجَة ، فقال عبد الملك : لا أصالحهم وناهَضَهم فهزَموا أصحابَه حتى دخلوا عسكره ، وأزالوه عن موقعه ، فقال: أعطوهم ما أرادوا ، فقال زفر : كان هذا قبل هذه الحال أَمْثَل ؛ قال : واستقر صلح زُفَر على أن آمنه عبد الملك وابنَه وكلّ من كان مع زفر وعلى وضع الدماء والأموال ، وأن لا يقاتل زفر مع عبد الملك ، ولا يقاتل له حتى يموت عبدالله بن الزبير لبيعته له ، وأن يُعطَى مالاً يقسمه في أصحابه ، وخاف زفر أن يغدر به عبد الملك كما غدر بعمرو بن سعيد الأشدق ، فتوقّف عن إتيانه حتّى بعث إليه بقضيب النبي ﷺ أماناً له .

وحدثني حفص بن عمر العُمَري عن الهَيْثم بن عَديّ عن يعقوب بن داود قال : لما تمّ الصلح بين عبد الملك [وزُفَر] خرج إليه فرأى قلّة أصحابه

فقال عبد الملك : لو علمت أنّه في هذه القلّة لحاصرتُه أبداً حتى ينزل على حكمي فبلغ زُفَر قولُه فقال : إن شئتَ رجعتَ ورجعنا إلى أمرنا فقال : بل نَفِي لك يا أبا الهُذيل .

قال : ودخل زُفَر على عبد الملك فأجلسه معه على سريره فقال ابن عضاة الأَشْعَرى : أنا كنت يا أمير المؤمنين أحقّ بهذا المجلس ، فقال زفر : كذبت لستَ هناك إنّي عاديتُ فضَررت ، وواليتُ فنفعتُ .

ودخل الأخطل غِياثُ بن غوث على عبد الملك ، فرأى زُفَر بن الحارث معه على سريره ، فقال : يا أمير المؤمنين أيقعد زفر هذا المقعد وقد قاتلك وحاول زَوالَ نعمتك وسَلْبَها ؟ فقال زفر : إنّا كنّا قاتلناك بالأمس ثم أرانا الله خَيْراً ممّا كنّا فيه فواليناك ودخلنا في أمرك فنحن اليوم في طاعتك على أشدّ ممّا كنّا فيه من معصيتك ، فلا تسمعنّ ما يقول هذا الفَدَوْكَسي النصراني ولا قولَ قومه ، فإنّا أَمَسُّ بك قرابةً ، وأَوْجبُ عليك حقاً .

قالوا : ودخل زُفَر على عبد الملك وقد مدّ رجله ، ولم يُقْبِل عليه كما كان يُقْبِل لكَلام الناس في إجلاسه إيّاه على سريره ، فلما دنا زفر من السرير قال : يا أمير المؤمنين اقبض رجلك عن مجلس خالك ، وفِهْ لي بما أخذتُ عليه صفقتي ونلتَ به طاعتي . فقبض رجله وجلس زفر .

وقال ابن الكلبي : قوله خالك يعني أنّ أُمّ عبد شمس من بني سُليم ، وأُمّ أبيه آمنة بنت أَبان بن كُليب بن ربيعة بن عامر .

قالوا : وكان ممّن يتكلّم في أمر زفر عند عبد الملك خالد بن يزيد بن معاوية فقال زفر :

أبا هاشِمٍ لَسْتَ الحَليمَ فتُرْتَجى ولَسْتَ أَبِياً صابِراً حين تُجْهل
سَتَمْنَعُني قَيْسٌ مِنَ الضَيْمِ والقَنا وتَمْنَعُني بِيضٌ تُحَـدُّ وتُصقَل
أَبَعْدَ سَعيدٍ يَوْمَ قامَ بِخُطْبَةٍ أزَالُ بها عَنْكَ الخِلافَةُ تُجْذل

سعيد بن مالك بن بحدل .

قالوا : وقال عبد الملك لزُفَر: بلغني أنّك من كندة ؟ فقال : وما خيرُ مَن لا يُنْفى حَسَداً ولا يُدَّعى رَغْبَةً .

قالوا : وسايَرَ زفر عبد الملك يوماً ، فلما كان بالمرج طعن في جنبه بِمخْصَرته ثم قال :

أبكاها الله ولا ذهبَتْ ، فغضب زفر وخنس من موكبه ، فافتقده وقال : أين أبو الهذيل ؟ فقالوا : تخلّف فوقف فدُعي ، فقال : يا ابا الهذيل إنما مزحتُ معك قال : فهلاّ بغير هذا .

وقال الجحاف بن حُكيم السُلَمي :

وكنْتَ زُبَيْرِيّاً فأَصْبَحْتَ شِيعَةً لِمَرْوانَ وأرتَدَّ الهَوَى لابْنِ بَحْدَلِ

وقال ابن الكلبي : كانت الرَباب بنت زُفر بن الحارث عند مَسْلمة بن عبد الملك ، فكان يُؤْذَن عليه لأخَوَيْها الهُذيل وكَوْثر في أوّل الناس ؛ فقال عاصم بن عبدالله الهِلالي لَمسلمة :

أَمَسْلَمَ قــد مَنَّيْتَني ووَعَــدتَني مَواعيدَ خَيْرٍ إنْ رَجَعْتَ مُؤَمَّرا
أَيُدعَى الهُذَيْلُ ثم أُدْعَى وَراءَهُ فَيَا لك مَدْعًى ما أَذَلَّ وأَحْقَرا
فلَسْتُ بِراضٍ عنك حتى تُحِبَّني كَحُبّكَ صِهْرَيْكَ الهُذَيْلَ وكَوثرا
وكيْفَ ولَمْ يَشْفَعْ لِيَ اللَيْلَ كُلَّهُ شَفيعٌ إذا أَلْقَى قِناعاً ومِئزَرا

فقال الهُذيل وفخر على عاصم :

ما فَخْرُ ذي فَخْرٍ عَلَيَّ وإنَّما نَشَأْنا وأُمَّانا مَعاً أَمَتانِ
أبي كان خَيْراً مِن أَبيكَ وأَفْضَلَتْ عليك قَديماً جُرْأَتي وبَياني

وقال الهَيْثم بن عَديّ : لما اتى زُفَر قَرْقِيسَاء ومات مروان ، كتب عبد الملك إلى أبان بن عُقبة بن أبي معيط وهو على حِمص يأمره أن يسير إلى زفر ، فسار وعلى مقدمته عبدالله بن زميت الطائي ، فواقع زفرَ بن الحارث فقتل من أصحاب ابن زميت ثلاثمائة فلامه أبان على عجلته ، وأقبل أبان فوقع زفرَ بن الحارث فقتل ابنه وكيع بن زفر ، وأدركت طيءُ ثقلَ زفر ونساءً له فاستوهب محمد بن حُصين بَن نمير النساء ، فألحقهنّ بقَرْقِيسَاء ، وقال زفر :

عَلِقْنا بِحَبْلٍ مِن حُصَينٍ لَوَ انَّهُ تَغَيَّبَ حالَتْ دونَهُنَّ المَصايرُ
أَبوكُمْ أَبونا في القَديمِ وإنَّني لَغابِرُكُمْ في آخِرِ الدَهْرِ شاكِرُ

وكان يقال إنّ زفر بن الحارث من كندة[1] .

١ - بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

خبر عصبية قيس وكلب ويوم بنات قين

قال هشام بن الكلبي وغيره : صار زُفَر بن الحارث إلى قَرْقِيسياء فتحصّن بها ، وجعل يُغِير منها على بلاد كلب لأنّ كلباً كانوا مروانيّة ، وكانت قيس زُبيريّة ، فكان يقتل ويسوق الأموال ، وكانت كلب تفعل مثل ذلك بقيس ، وكان عُمير بن الحُباب السُلَمي يغير مع زفر أيضاً ببني تغلب وذلك بعد انصراف عُمير من جيش عبيدالله بن زياد حين قُتل وقبل وقوع الحرب بين قيس وتغلب ؛ وغزا زفر تَدْمُرَ وعليها عامر بن الأسود الكلبي من بني عامر الأَجْدار بن عوف بن كِنانة بن عوف بن عُذْرة بن زيد اللاّت ، ومعه ابنه الهُذيل بن زفر فقتلهم جميعاً ففي ذلك يقول زفر :

يا كَلْبُ قد كَلِبَ الزَمانُ عَلَيْكُمُ وأَصابَكُمْ مِنّي عَذابُ تَنَزُّلِ
إنَّ السَماوَةَ لا سَماوَةَ فَالْحَقوا بِمَنابِتِ الأشنان[1] وَآبْنِيْ بَحْدَلِ

فأجابه جواس بن القَعْطَل الكلبي :

١ ـ بهامش الأصل : الزيتون .

دُسْنا ولم نَفْشَلْ هَوازِنَ دَوْسَةً تَرَكَتْ هَوازِنَ كَالفَريدِ الأَعْزَلِ
مِن بَعْدِ ما دُسْنا تَرائِقَ هامِها بِالْمَشْرفِيَّةِ والوَشيجِ الذُّبَّلِ
وأَذَلَّ مَعْطَسَكُمْ وأَضْرَعَ خَدَّكُمْ قَتْلَى فَزارَةَ إِذْ سَمَا آبْنا بَحْدَلِ

قالوا : فلما رأت كلب المَدَر ما لقيته كلب البوادي من زُفَر بن الحارث ، وعُمير بن الحُباب أمرْوا عليهم حُميد بن حُريث بن بَحْدَل الكلبي ، فخرج حتى نزل بتَدْمُر ، وعبد الملك يومئذ يريد أن يزحف إلى زفر بن الحارث ، ثم يأتي العراق لمحاربة مصعب بن الزبير ، وكان مَن شهد المرج من بني نُمير بن عامر بناحية الشام بقرب تَدْمُر ، وبينهم وبين أهل تدمر عهد وعقد ، فأرسل إليهم حُميد بن حُريث عن نفسه ، وعن أهل تدمر : إنّا قد نقضنا عهدكم فالحقوا بمأمَنكم من الأرض ، ثم سار إليهم فقتلهم ، ويقال : إنّه وجّه إليهم جماعة من كلب فأتت عليهم ، وإنّ حُميداً لم يكن معهم ؛ وسار حُميد يريد بني تغلب لمظاهرتهم عُمير بن الحُباب وقيساً على كلب ، فوجد عميرا قد أغار على قوم من كلب فمضى في طلبه ودليلاه العكبش بن حليطة الكلبي والمأموم بن زيد الكلبي ، فلم يلحقه ولحق قوماً من قيس ممّن كان مع عُمير فقتلهم ، ولم يَنْجُ منهم إلاّ رجل عريان ركب فرسه وأتى عميراً فقال عمير : ما زلتُ أسمع بالنذير العريان حتى رأيت ، ولحق عُمير بقَرْقِيسِيَاء وانطلق حميد إلى من قتل من أولئك القيسيّة الذين كانوا مع عمير ، فقطع آذانهم ونظمها في خيط ومضى بها إلى الشام .

وانتهى الخبر إلى عبد الملك ، وعبدُالله بن الزبير يومئذ بمكة ، وكان عند عبد الملك حسّان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي ، وعبدالله بن مَسْعَدَة بن حِكْمة بن مالك بن حذيفة بن بَدْر الفَزاري ، فأتي عبد الملك بالغَداء فقال

عبد الملك لعبدالله بن مسعدة : ادنُ فكُلْ ، فقال ابن مَسْعَدَة : والله لقد أوقع حُميد بسُليم وعامر وأخلاط قيس وقعةً لا ينفعني معها غداءٌ ، ولا يسوءني بعدها شراب حتى يكون لها غَيْرٌ ، فقال حسّان بن مالك: يا بن مَسْعَدَة غضبت لقيس إنْ قُتلتْ ، وأُنْسِيتَ دخولهم قرقيسياء يُغيرون على أهل البادية مِنّا قومٍ ضُعفاء لا ذَنْب لهم ، فلما رأى حُميد ما نزل بقومه وما نالهم طلب بثأره فأدركه ، وبلغ حميداً قول ابن مَسْعَدة فقال : والله لأوقعنّ بفزارة وقعةً تُشغل ابن مَسْعَدة عن الغضب لعامر وسُليم ، فتجهّز وخرج حتى أتى فزارة ومعه دليل من كلب يقال له العكبش بن حَلِيطة وآخر يقال له المأموم بن زيد بن مضرِس الكلبي ، ومعه كتاب قد افتعله على لسان عبد الملك بتوليته صدقاتهم، فلما اجتمعت إليه وجوههم قال: يا بني فزارة هذا كتاب أمير المؤمنين وعهده ، وقد كان ضرب فسطاطاً وخِباءً فجعل يدعو الرجل منهم فيدخل الفسطاط ، ثم يخرج من مؤخَّرة فيُقْتَل ، وعلم قوم من خارج الفسطاط بما يفعل بأصحابهم فامتنعوا من الدخول ، فكَثَرَهم بمن معه فقتلهم فكان جميع من قتل منهم : من بني بَدْر خمسين رجلاً ، سِوَى من قتل من غيرهم ، وأخذ أموالهم ثم رجع حُميد إلى الشام .

فلما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير بالعراق وقدم النُخيلة بالكوفة ، كلّمه أَسماء بن خارجة بن حِصن ، وبنو فزارة ، وذكروا ما صنع حُميد بن حُريث بن بَحْدَل ، وحدّثوه بأنّه ادّعى أنّه مصدِقّه وقالوا : يا أمير المؤمنين أَقِدْنا منه فأبى عبد الملك ذلك وقال : كنتم في فتنة ، والفتنة كالجاهلية ولا قَوَدَ فيها ، ولكنّي صانع بكم ما لا أصنعه بغيرهم أُدِي كل قتيل منكم بدِيَةٍ من أعطيه قُضاعة وحمير ممّن بأجناد الشام ، فقبل القوم الديات ؛ فقال

عمرو بن المخلى ، وبعضهم يقول : ابن المِخْلاة ، وقال ابن الكلبي : هو المخلى .

خُذُوها يـا بَني ذُبْيانَ عَقْـلاً عَلَى الأَحْياءِ واعْتَقِدوا الخِزاما
مَواعدَ مِن بَني مَرْوان دَيْناً نـدافِعُكُمْ بها عـاماً فعـامـا

فلما قبضوا الديات ، مضى قوم منهم إلى اليمن ، فاشتروا الخيل والسلاح ، فلما قدموا أغارت بنو فزارة على بني عبد وُدّ وبني عُليم من كلب وهم على ماء يقال له بنات قَيْن ، وقال غير أبي مخنف : هو ماء عند جبل يقال له بنات قين ، فقتلوا منهم مائة وثمانين ، ويقال : نَيِّفاً وخمسين ، وكان قائداً القوم : سعيدَ بن عُيَينة بن حِصن ، وحَلْحَلَةَ بن قيس بن الأَشْيَم بن سيّار من بني العُشَرَاء من فزارة .

فقال عُويف القوافي ابن معاوية :

فسائِلْ جَحْجَبَى وبني عَدِيٍّ وتَيْمَ اللاّتِ مَنْ عَقَدَ الخِزاما
فـإنّا قـد جَمْعْنا جَمْـعَ صِـدْقٍ يُفَرِّجُ عَنْ مَناكِبِـهِ الزِحـاما

في أبيات .

وبلغ عبد الملك أنّ كلباً جمعت لِتُغير على قيس وفزارة خاصّةً ، فكتب إليهم يُقسم لهم بالله لئن قتلوا من بني فزارة رجلاً ليقيدنّهم به ، فكفّوا وكتب عبد الملك إلى الحجّاج بن يوسف ، وهو عامله على الحجاز يأمره بأن يحمل إليه سعيد بن عُيينة ، وحَلْحَلَة بن قيس الفزاريَّين ، فبعث بهما إليه فحبسهما ، وقدم على عبد الملك وفدُ كلب فعرض عليهم الديات فأبَوها ، فقال : إنما قُتل منكم الشيخ الكبير والصبيّ الصغير ، فقال له النعمان بن فُرَيَّة : قُتل منّا مَن لو كان أخاك لاختِيرَ عليك ، فغضب عبد الملك ، وأراد

ضرب عنقه فقيل له : إنّه شيخ كبير خَرِفَ فأمسك ؛ وقال أبناء القيسيّات ، وهم: الوليد وسليمان ابنا عبد الملك، وأبان بن مروان لعبد الملك: لا تُجِبْهم إلّا إلى الدِيات ، وقال خالد بن يزيد بن معاوية وأبناء الكلبيّات : لا إلا القَتْلَ واختصموا ، وتكلّم الناس في ذلك في المقصورة حتى عَلَتْ أصواتهم ، وكاد يكون بينهم شرّ ، فلما رأى عبد الملك ذلك أخرج سعيد بن عُيينة وحلحلة بن قيس ، فدفع حَلْحَلة إلى بني عبد وُدّ من كلب ، وحلحلة يقول :

إنْ أكُ مَقْتولاً أُقادُ بِـرُمَّتي ... فمِنْ قَبْلِ قَتْلي ما شَفَى نَفْسيَ القَتْلُ
وقد تَركتْ حَرْبي رُفَيْدَةَ كُلَّها ... مُجاوِرُها في داهرها الخَوْفُ والذِلُّ
ومِن عَبْدِ وُدٍّ قد أَبَرْتُ قَبائِلاً ... فغادَرْتُهُمْ كَلًّا يُطيفُ به كَلُّ

وقال أيضاً :

إنْ يَقْتُلوني يَقْتُلوني وقد شَفَى ... غَليلَ فُؤادي ما أَتَيْتُ إلى كَلْبِ
فقرَّتْ به عَيْني وأَفْنَيْتُ جَمْعَهُمْ ... وأَثْلَجَ لمّا أنْ قَتَلْتُهُمُ قَلْبي
شفَى النَفْسَ ما لاقَتْ رُفَيْدَةُ كُلُّها ... وأَشياخُ وُدٍّ مِن طِعانٍ ومِن ضَربِ

ووقف حلحلة بين يدي عبد الملك فقال لعبد الملك : ما تنتظر بنا يا بن الزَرْقاء فوالله لو ملكناها منك ما أنظرناك طرفة عين ، فلما قُدّم ليقتل قيل له : اصبر يا حلحلة فقال :

أَصْبَرُ مِن عَوْدٍ بِجَنْبيهِ جُلَبْ ... قد أَثَّرتْ فيه الغُروضُ والحَقَبْ
أَصْبَرُ مِنْ [ذي] ضاغِطٍ عَرَكْرَكِ[1] ... أَلْقَى بَـوَابي زَوْرِهِ لِلْمَبْـرَكِ

١ ـ العركرك : الركب الضخم ، والجمل الغليظ . القاموس .

ومدّ عنقه وهو يقول : اجعلها خير الميتَتَينْ فقُتل ، وكان الذي تولّى قتله شُعيب بن سُويد ، ودُفع سعيد بن عُيينة بن حِصن إلى بني عُليم من كلب فقتلوه ، ويقال إنّ سعيداً هو الذي قال لعبد الملك:يابن الزرقاء ما تنتظر بنا ؟ .

وقال حين حُبس :

فَإنْ أُقْتَلْ فقد أَقْرَرْتُ عَيْني وقد أَدْرَكْتُ قَبْلَ المَوْتِ ثَأْري
وما قَتْلٌ على حُرٍّ كَريمٍ أَبادَ عَدُوَّهُ يَوْماً بِعارِ
فإنْ أُقْتَلْ فَقَد أَهْلَكْتُ كَلْباً ولَسْتُ عَلَى بَني بَدْرٍ بِزارِ

وقال حلحلة وهو في الحبس :

لَعَمْري لَئِنْ شَيْخاً فَزارَةَ أُسْلِما لقد حَزِنَتْ قَيْسٌ وقَدْ ظَفِرَتْ كَلْبُ
فلا تأْخُذوا عَقْلاً وخُصُّوا بِغارَةٍ بَني عَبْدِ وُدٍ بَيْنَ دُومَةَ والهَضْبِ
سَلامٌ عَلَى حَيَّيْ هِلالٍ ومالِكٍ جَميعاً وخُصُّوا بِالسَلامِ أَبا وَهْبِ

أبو وهب زَبّان بن سيّار بن عمرو ، أحد بني العُشَراء من فزارة ، ومالك بن سعد بن عديّ بن فزارة ؛ وقال زبّان حين بلغه شعر حلحلة : رحم الله أبا ثَوابةَ قد كفانا النار والعار ، وأدرك بالثأر ، ولنا في القوم فضل فلم يحرّضنا عليهم ؛ وقال بعض الفزاريّين : لقد وفى أبو الذبّان[1] لكلب وآثرهم على بني عمّه .

وقال عَليّ بن الغَدير الغَنَوي في قتل سعيد وحلحلة :

---

١ ـ أي عبد الملك بن مروان .

وحَلْحَلَةُ القَتيلُ مَعَ ابْنِ بَدْرٍ وأَهْلُ دِمَشْقَ أَنْجِيَةٌ عـزين
فبَعْـدَ اليَـوْمِ أَيّـامٌ طِـوالٌ وبَعْـدَ خُمـودِ فِتْنَتِكُمْ فُتـونُ
خَليفَـةُ أُمَّـةٍ قُسِـرَتْ عَلَيـهِ تَخَمَّطَ[1] فاسْتَخَفَّ بِمَنْ يَدِينُ

وقال أرطاة بن سُهَيَّة :

ألا أَبْلِغْ بَني مَـرْوانَ عَنّـا فقـد أُعْطِيتُمُ كَـرَماً وخِـيرا
أيُقْتَـلُ شَيْخُنا ويُـرَى حُمَيْدٌ رَخِيَّ البالِ يَسْتَبِىءُ الخُمورا
فنـاكَتْ أُمَّهـا قَيْسٌ جِهـاراً وعَضَّتْ بَعْدَها مُضَرُ الأُيورا
ولا واللهِ ما كَرُمَتْ ثَقيفٌ ولا كانوا عَلَى كَلْبٍ نَصيرا

يقول حين حمل الحجّاج سعيداً وحلحلة .

وقال رجل من كلب :

ونَحْنُ قَتَلْنا سَيِّدَيْهِمْ بِشَيْخِنا سُوَيْدٍ فما كانا وَفاءً به ذمَّا

سويد بن زمان بن ماطل .

حرب قيس وتغلب

قالوا : لما انقضى أمر مرج راهط ، وصار زُفَر بن الحارث إلى قَرقِيسِيَاء صار معه عُميربن الحُباب بن جَعْـدَة السُلَمي ، وهو ابن الصَمْعاء ، والصمعاء أُمّه أوجدته، وكانت سوداء، فجعلا يطلبان كلباً واليمانيّة بقتلى مرج راهط وكان معهما قوم من بني تغلب يدلونهما ويقاتلون معهما إذا أغارا ، فطلبت كلب قوماً أغاروا عليهم من بني تغلب مع زُفَر ، ففي ذلك يقول غِياث الأخطل بن غَوْث :

١ ـ تخمط : تكبر وغضب . القاموس .

نُبِّئْتُ كَلْباً تَمَنَّى أَنْ تُحارِبَنا ... وطالَ ما حارَبونا ثم ما ظَفِروا(١)

وحدثني داوود بن عبد الحميد قاضي الـرَّقَّة عن مشايخ القيسيّين قالوا :

لما انقضى أمر المرج بايع عُمير مروان بن الحَكَم وفي نفسه ما فيها من أمر قتلى قيس يوم المرج، فلما عقد مروان لعبيدالله بن زياد وجّهه إلى الجزيرة والعراق ، وشخص عُمير في جيشه ، فجعله على إحدى مُجَنِّبَتَيه وهي الميسرة ، وكان معه يوم لقي ابن صُرَد بعين الوَرْدة ، وأتى معه قرقيسياء فكان عمير يثبُطه عن المُقام عليها ويشير عليه بتلِقّي جيش المختار بن أبي عُبيد الثقفي قبل أن يدخل الجزيرة ، فأغذّ ابن زياد السير حتى لقي ابراهيم بن الأشتر ، فمال عُمير مع ابن الأشتر حتى فُضّ عسكر عبيدالله بن زياد وقُتل عند نهر يقال له الخازِر بقرب الزابي ، وكره عمير أن يصير إلى المختار ، فأتى قرقيسياء ، فأقام بها مع زُفَر بن الحارث ، فكانا يغيران على كلب واليمانيّة ، وشُغل عبد الملك عن زفر فلم يَسِرْ إليه ، ولم يوجّه جيشاً ، وملّ عمير المُقام بقرقيسياء فطلب الأمان من عبد الملك فآمنه وكان عليه في نفسه ما كان ، ووشى به إليه مع ذلك واشٍ فحبسه فاحتال حتى هرب من الحبس ، فيقال : انّه اتّخذ سُلَّماً من خيوط قِنَّب وتسلّق به حتى تخلّص من حبسه على سلّم من خيوط من كوّة البيت وأنشأ يقول :

عَجِبْتُ لِما تَـظَنَّتْهُ المَـوالي ... بِخَرّاجٍ مِنَ الغَمَراتِ ناجِ
ونَـوَّمَ شُرْطَـةَ الـرَّيَـانِ عَنِّي ... كُمَيْتُ اللَّوْنِ صافِيَةُ المِزاجِ

١ ـ ديوان الأخطل ص ١٨٨ مع فوارق .

والرّيان مولى عبد الملك وصاحب حرسه ، وكان عمير محبوساً عنده ، فسقى أعوانه نبيذاً حتى أسكرهم ونجا ، ويقال : بل كُلّم فيه فَخَلّاه ، والأوّل أثبت ؛ فعاد إلى الجزيرة وكان منزله على النهر المعروف بالبَليخ ، فاجتمعت إليه قيس فكان يُغير بهم على كلب واليمانيّة ، وكان مَن معه من القيسيّة يُسيئون جِوارَ بني تغلب ويسخّرون مشايخهم من النصارى ، فهاج ذلك بينهم شرّاً لم يبلغ الحربَ وذلك قبل شخوص عبد الملك إلى زُفَر والمصعب بن الزبير ، وكانت قيس زبيريّة وتغلب مروانيّة .

وقال أبو عمرو الشيباني الراوية فيما أخبرني عنه ابنه عمرو بن أبي عمرو : أغار عُمير بن الحُباب على كلب ، ثم انكفأ راجعاً فنزل ومَن معه من قيس بِثَنْيٍ من أَثناء الفُرات ، ويقال : على الخابور ، والخابور نهر يخرج من رأس العين ويصبّ في الفرات ، وكانت منازل بني تغلب فيما بين الخابور والفرات ودجلة ، وكانت بحيث نزل عمير وأصحابه امرأة من بني تميم ناكح في بني تغلب يقال لها أمّ دَوْبَل ولها غُنيمة ، فأخذ غلام من بني الحَريش بن كعب بن ربيعة بن عامر عنزا منها فذبحها ، فشكت ذلك إلى عُمير فلم يُشكِها ، وقال : هذا من مَغْمَرة الجيش فلما رأى الحَرَشيّون أنّ عميرا لم يغيّر على صاحبهم شدّوا على باقي الغُنيمة فذبحوها وأكلوها ، ومانعهم قوم من بني تغلب حضروهم فقُتل رجل منهم يقال له مجاشع التغلبي ، وجاء دَوْبَل وهو من بني مالك بم جُشَم بن بكر بن حُبيب ، وكان من فرسان بني تغلب ، فأخبرته أمه بما أصيبت به ، فسار في قومه ، فشكا إليهم ما صنع بغنم أمه ، وجعل يذكرهم تعالي قيس عليهم ، وسوء جوابهم لهم ، فاجتمعت منهم جماعة ، وأمروا عليهم شعيث بن مليل التغلبي ، ثم أغاروا

على بني الحَريش ، ومع بني الحريش حينئذ قوم من إخوتهم بني قُشير بن كعب ، فقتلوا منهم واستاقوا ذَوْداً لامرأة من بني الحَريش يقال لها أمّ الهَيْثم ، فلم يقدر القيسيّون على تخلّصه من أيديهم ؛ فقال الأخطل وبلغه الخبر وهو براذان[1] :

أتاني ودوني الزابيانِ كِلاهُما ودِجْلَةُ أَنْباءٌ أَمَرُّ مِنَ الصَبْرْ
أتاني بِأَنَّ ٱبْنَيْ نِزارٍ تَضاغَنا وتَغْلبُ أَوْلَى بالوَفاء وبِالغَدْرِ[2]

وقال الأخطل أيضاً :

فإنْ تَسْأَلونا بالحَريشِ فإنّنا بُلينا بِنُوكٍ مِنْهُمُ وفُجورِ
غداةَ تَحامَتْنا الحَريشُ كَأَنَّها كِلابٌ بَدَتْ أَنْيابُها لِهَريرِ
وجاؤوا بِجَمْعٍ ناصِري أمّ هَيْثَمٍ فما رَجَعوا مِن ذَوْدِها بِبَعيرِ[3]

وقال عمرو بن الأهْتَم التغلبي :

وإنّا يَوْمَ سارَ بِنا شُعَيْثٌ قَرَيْناهُمْ وأَيَّ قِرىً قَرَيْنا
نَصَصْنا الخَيْلَ والراياتِ حتى قَضَيْنا مِن هَوازِنَ ما قَضَيْنا
وما أَبْقَيْنَ مِن قَيْسٍ شريداً وما غادَرْنَ لِلْجُشَمِي دَيْنا

فرد عليه نُفيع بن صَفّار المُحاربي بعد مقتل شُعيث بن مُليل فقال :

وإنا يَوْمَ لاقَيْنا شُعَيْثاً قَرَيْناهُ فأَيَّ قِرىً قَرَيْنا

في أبيات .

---

١ ـ راذان الأسفل وراذان الأعلى : كورتان بسواد بغداد . معجم البلدان .
٢ ـ ديوان الأخطل ص ١٧٥ .
٣ ـ ديوان الأخطل ص ١٥٢ .

وقال القُطامي وهو عُمير بن شِيَيْم .

وإنّـا يَـوْمَ نـازَلَهُمْ شُعَيْثٌ   كَلَيْثِ الغِيلِ أَصْحَرَ ثُمَّ ثارا
وتَغْلِبُ جَدَّعوا أَشْرافَ قَيْسٍ   وذاقـوا من تَخَمُّطهـا البَوارا
بِضَرْبٍ يَقْعَصُ الأَبْطالَ مِنْهُمْ   ويَمْتَكِرُ اللِحَى منه آمْتِكارا[1]

المَكْرُ المَغْرة .

ومن رواية أبي عُبيدة فيما أخبرني عنه عليّ بن المغيرة الأثرَم : أن غنم أم دَوْبَل ، وهي فيما ذكر تغلبيّة ، نفشت في زرع لرجل من قيس في بعض الليالي ، فشكا القيسي ذلك إليها فلم تُشكِه وضحكت به ، ثم نفشت في زرعه ليلة أخرى ، فأخذ عنزا منها فذبحها ، فلما جاء ابنها دوبل اعلمته ذلك فأتى وأخٌ له وعدّة معهما من بني تغلب الرجلَ القيسي فذبحوه على دم العنز ، فأغار قومه على بني تغلب فقتلوا منهم اثني عشر رجلاً فيهم مجاشع التغلبي ، وأغارت بنو تغلب وعليها شُعيث بن مُليل على قوم من بني قُشير فقتلوا منهم خمسة وعشرين رجلاً ، ولم يذكر أبو عبيدة بني الحَريش البَتّةَ .

وقوم يزعمون : أنّ شُعيثاً كان بآذربيجان وكان يرى رأي الخوارج ، فأرسلت إليه تغلب تستنجده ، فأقبل في أَلْفَيْ فارس ومعه ثعلبة بن نياط فعبر دجلة إلى لِبَّى وهي بين تكريت والموصل ، وأتى الثَرْثار فوجد قيساً مجتمعين عليه وتغلب بإزائهم وعليهم ابن هَوْبَر التغلبي ، فكره أن يسير تحت لواء ابن هوبر ، فقصد قصد قيس ، وأتت عُمير بن الحُباب طلائعهُ فأخبرته بخبر شُعيث ، فانفرد له في جمع كبير من قيس ، وخلّف مَن يكيفه أمر ابن هوبر

---

١ ـ امتكر : اختضب . القاموس .

والتغلبيّين ، فلقي شُعيثاً ، فأقتتلا فظهر عمير على شعيث ، فقُتل وأصحابه فلم ينجُ منهم إلاّ عدة يسيرة لحقوا ببني تغلب ، وكان ثعلبة بن نياط فارق شعيثا ولحق ببني تغلب فقاتل معهم ؛ والخبر الأوّل أثبت ، والشعر على صحّته أَدَلُّ .

يوم ماكسين

قالوا : استحكم الشر بين قيس وتغلب ، وعلى قيس عُمير بن الحباب وعلى تغلب شُعيث بن مُليل ، فغزا عمير بني تغلب وجماعتَهم بماكِسين وهي قرية من قرى الخابور ، بينها وبين رأس العَيْن يوم أو يومان ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وهي أوّل وقعة لهم تزاحفوا فيها ، فقُتل من بني تغلب خمسمائة ، وقُتل شعيث بن مُليل ، وكانت الوقعة عند قنطرة هناك ، فقال نُفيعِ بن صَفّار المُحاربي :

وأَيّامَ القَناطِرِ قـد تَـرَكْتُمْ رَئيسَكُمُ لنـا غَلِقـاً رَهينـا
تركْنا الباكِياتِ على شُعَيْثٍ سَـواجِمَ عَبْرَةً مـا يَنْقَضينـا

وكان زُفَر بن الحارث قال حين أغارت تغلب على بني الحَريش ومن معهم من قشير : شغلت قيس بغَزَل نسائها عن هؤلاء النصارى ، فقال عُمير بن الحُباب :

ما هَمُّنا يَوْمَ شُعَيْثٍ بِالغَزَلْ يَوْمَ آنْتَضَيْناهُنّ أَمْثَالَ الشُعَلْ
وهُنَّ يَرْدِينَ كَعُقْبانِ الخَيَـلْ مِن بَيْنِ دَهْماءَ وطِرْفٍ ذي خُصَلْ

وزعموا أنّ رِجْل شُعيث قُطعت يومئذ ، فجعل يقاتل حتى قُتل وهو يقول :

قد عَلِمَتْ قَيْسٌ ونَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الفتَى يَقْتُلُ وَهْوَ أَجْذَمُ

وقال نُفيع بن صَفّار :

وبشاطىء الخابورِ صَبَّحْنَاكُمُ بِالْمُرْهَفاتِ البيضِ يَفْرِينَ الذَرَى

وقال جرير بن عَطِيّة :

تركوا شُعَيْثَ بَنِي مُلَيْلٍ مُسْنَداً والآسِيَيْنِ وأَقْعَصُوا شُعْرُورَا[1]

وقال نُفيع بن صفّار المُحاربي :

ما بَعْدَ قَتْلِ شُعَيْثٍ في سَراتِكُمُ وبَعْدَ قَتْلِ أَبي أَفْعَى وشُعْرورِ

وقال تميم بن أبي [بن] مُقْبِل العَجْلاني :

قل لابنة الأَخْطَلِ المَسْلوبِ مِئْزَرُها يَوْمَ الفَوارِسِ لمّا رَاثَ فاديها
ولست سائِلَها إلّا بـواحِدَةٍ ما رَدَّ تَغْلِبُ عَنْها إذْ تُناديها[2]

وقال عبيد بن حُصين النُميري الراعي :

أَبا مالِكٍ لا تَنْطُقِ الشِعْرَ بَعْدَها وأَعْطِ القِيادَ القائدينَ على كَثْر
ونَحنُ تَرَكْنا تَغْلِبَ ابْنَةَ وائِلٍ كَمُنْكَسِرِ الأَنْيابِ مُنْقَطِعِ الظَهْر[3]

يعني بما كان بينهم يوم الخابور ويوم ماكِسين .

---

١ ـ ديوان جرير ص ٢٢٥ مع فوارق .
٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع ،
٣ ـ ديوان الراعي النميري ـ ط . بيروت ١٩٨٠ ص ١١٦ ـ ١١٧ .

يوم الثرثار الأول

والثَّرْثار نهر ينزع من هِرْماسِ نَصيبين ويفرَغ في دجلة بين الكُحيل ورأس الإيل[١] .

قالوا : استمدّت تغلب بعد يوم ماكِسين وحشدت واجتمعت إليها النَمِر بن قاسِط ، وأتاها المُجَشِّر بن الحارث من ولد أبي ربيعة بن ذُهْل بن شَيبان ، وكان من سادات بني شيبان بالجزيرة ، وأتاها زمام بن مالك الشَيباني في جمع ، وأتت جماعة منهم مالكَ بن مِسْمَع قبل يوم الجُفرة وقبل مصيره إلى ناحية اليمامة والبحرين ، فشكوا إليه قيساً وما كان منهم يوم ماكِسين وقبله ، فقال : ما أحسبكم إلاّ من نبيط تكريت ، ولو كنتم من بني تغلب لدافعتم عن أنفسكم وحُرَمكم ، فقالوا: إنّا حيٌّ فينا ما قد علمتَ من النصرانيّة ، ومُضَر مُضَر وأيّ السلطانَيْن غلب فهو مع قيس ، فقال مالك : اذهبوا فإن أُمدّهم السلطان بفارس فلكم عليَّ فارسان ، وإنْ أُمدّهم برجل فلكم رجلان ، إنّ السلطان اليوم لفي شغل عنكم وعنهم ، فانطلَقوا وقد غضبوا وجعلوا عليهم بعد شُعيث بن مُليل زياد بن هَوْبَر ، ويقال يزيد بن هوبر التغلبي ، وقال ابن الكلبي : هو حنظلة بن قيس بن هوبر أحد بني كنانة بن تيم بن أُسامة بن مالك بن بكر بن حُبيب ، وكان على قيس عُمير بن الحُباب السُلَمي ، فلما رأى من مع بني تغلب ، استنجد تميماً وبني أسد فلم يأته منهم أحد فقال عمير :

---

١ ـ بهامش الأصل : رأس الأيل ، اسم جبل .

أيا أَخَوَيْنا مِن تَميمٍ هُديتُما ومِن أَسَدٍ هَلْ تَسمعَانِ المُنادِيا
أَلَمْ تَعْلَما إذْ جاءَ بَكْرُ بن وائِلٍ وتَغْلِبُ أُلْفافاً تَهُزُّ العَوالِيـا
إلى قَوْمِكُمْ قد تَعْلَمونَ مَكانَهُمْ وكانوا جَميعاً حاضِرين وباديا

وزعموا أنّ عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان البَكْري مِّمن أنجدهم من ربيعة ، فلذلك حقد عليهم المصعب بن الزبير حتى قتل أخاه النابيء ولم يقتل صاحبه ، وكانت القَيسيّة زُبيريّة ، وأنجد بني تغلب أيضاً ركضةُ بن النعمان الشَيباني .

قالوا : ثم إنّ الرَبَعيّين والقيسيّين التقوا على الثَرْثار فاقتتلوا قتالاً شديداً وجعل بنو تغلب يقولون :

نَنْعَى بِأَطْرافِ القَنا المُجاشِعا فـإنّه كـانَ كَـريمـاً فـاجِعـا
وآبْنَ مُلَيْلٍ شَيْخَنا المُدافِعا

ثم إنّ قيساً انهزمت وقتلت بنو تغلب وأُلفافُهم منهم مقتلةً عظيمة ، وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بني سُليم .

وقالت ليلى بنت الحُمارِس التغلبيّة ، ويقال قالها الأخطل :

لَمّـا رَأَوْنا والصَليبَ طـالِعـا ومَارَ سَرْجيسَ وسَمّاً نـاقِعا
والخَيْلَ لا تَحْمِلُ إلّا دارِعا والبِيضَ في أَيْمـانِنا قَـواطِعا
خَلَّوْا لنـا الثَرْثـارَ والمَزارِعـا وحِنْطَةً طَيْساً وكَرْماً يانِعا[1]
كَأَنَّما كانوا غُراباً واقِعا

ويُروى : زاذان والمزارعا

---

١ ـ ديوان الأخطل ص ١٩٨ ـ ١٩٩ مع فوارق .

وقال الأخطل .

عَتَبْتُمْ عَلَينا آلَ عَيْلان كُلُّكُمْ وأَيُّ عَدُوٍ لم نُبِتْهُ على عَتْبِ[١]

في قصيدة له .

فأجابه جرير بن عَطِيّة في قصيدة له :

سَتَعْلَمُ ما يُغْني الصَلِيبُ إذا غَدَتْ كَتائِبُ قَيْسٍ كالْمُهَنَّأَةِ الجُرْبِ

لعَلَّكَ يا خِنْزيرَ تَغلِبَ فاخِرٌ إذا مُضَرٌ يَوْماً تَسَامَتْ بها الحَرْبُ[٢]

وقال الأخطل في شعر طويل :

لَعَمْري لقد لاقَتْ سُلَيْمٌ وعامِرٌ إلى جانِبِ الثَرْثارِ راغِيَةَ البَكْرِ

وقال نُفيع بن صفّار المُحاربي :

أَبا مالِكٍ لا تَدَّعِ الفَخْرَ بالمُنَى فما بِسِفاهِ القَوْلِ يُغْضَبُ لِلْوِتْرِ

ولٰكِنْ بِحَدِّ المَشْرِفيَّةِ يُنْتَمى بها لِلْمَعالي والمُثَقَّفَـةِ السُمْرِ

فيقال : انّه بَهَتَهُ بهذا الشعر ، بل قاله له وقد ادّعى الأخطل باطلاً في بعض أيامهم .

يوم الثرثار الثاني

قالوا : ثم إنّ قيساً تجمعت واستمدّت واستعدّت ، وعليها عُمير بن الحُباب وهم في عسكر ، فأتاهم زُفَر بن الحارث من قَرْقِيسِيَاء وعبد الملك مشغول عنه ، فكان في عسكر آخر ، وكان رئيس بني تغلب والنِمَر ومن معهما ابنُ هَوْبَر ، فالتقوا بالثَرْثار فاقتتلوا أشد قتال اقتتله الناسُ ، فانحازت

١ ـ ديوان الأخطل : ص ٢٧ .
٢ ـ ديوان جرير ص ٥٥ مع فوارق .

بنو عامر وكانت في إحدى المُجَنِّبَتَيْنْ ، وصبرت بنو سُلَيم وأَعْصَرت حتى انهزمت بنو تغلب ، وقُتل ابنا عبد يسوع بن حرب ومحكان ، وعبد الحارث من بني الأوس بن تغلب ؛ فقال عُمير بن الحُباب :

فِدىً لِفَوارِسِ الثَّرْثار نَفْسي وما جَمَّعْتُ مِن أَهْلٍ ومالِ
وولَّتْ عـامِرٌ عَنَّـا فـأَجْلَتْ وحَوْلي مِن رَبيعَةَ كـالجبالِ
أكاوِحُهُمْ[1] بِدَهمٍ مِن سُلَيْمٍ وأَعْصِرُ كـالَمصاعيبِ النِهـالِ

وقال زُفَر بن الحارث :

ألا مَن مُبْلِغٌ عَنّي عُمَـيْراً رِسـالةَ نـاصِحٍ وعليـه زارِ
أَتَتْرُكُ حَيَّ ذي يَمَنٍ وكَلْباً وتَجْعَلُ حَدَّ نابِكَ في نِـزارِ
كمُعْتَمد عَلَى إحـدَى يَدَيـهِ فخـانَتْـهُ بِـوَهْـنٍ وَآنْكِـسـار

يوم الفدين

قالوا : وأغار عُمير بن الحُباب على الفُدَيْن ، وهي قرية على شاطىء الخابور ولها حصن ، فاكتسح ما فيها وقتل عامّة اهلها ، ويقال : بل قاتل فيها جميع بني تغلب ، وكانوا بها مزاحَفةً مهزمهم ؛ فقال ابن صفّار :

لو تُسألِ الأَرْضُ الفَضاءُ بِأَمْرِكُمْ شَهِدَ الفُدَيْنُ بِهُلْكِكُمْ والصُوَّرُ
كَذَبَتْكَ شَيْبانُ الأُخُوَّةَ وَآنَّفتْ أَسْيافَكُمْ بِكُمُ سَدُوسُ ويَشْكُرُ

والعامّة تُسَمّي هذه القرية الصُوّر ، وهي قريبة من الفُدَيْن بينهما نحو من أربعة فراسخ .

---

١ ـ كوحه : قاتله فغلبه ، وأذله ورده وشاتمه . القاموس .

يوم السُّكير

وهو يسمَّى اليومَ سُكير العبّاس ؛ قال : ولقي عُمير بن الحُباب تغلب والنَمِر وعليهم ابن هَوبْرَ بالسُّكير، وهي قرية تَشْرَع على الخابور ، ومنها ناحية تشرع على الفُرات فاقتتلوا فانهزمت تغلب والنَمِر ، وهرب عُمير بن جَنْدَل وكان من فرسان تغلب ؛ وقال عُمير بن الحُباب :

وأَفْلَتَنَا يَوْمَ السُكَيْر ابنُ جَنْدَلٍ على سابحٍ غَوْجِ اللَبانِ[1] مُثابِرِ
ونحن كَرَرْنا الخَيْلَ قُبّاً شَوازِبا دِقاقَ الهَوادي دامِياتِ الدَوائِرِ

وقال ابن صفّار :

صَبَحْناكُمْ بِهِنَّ على سُكَيْرٍ فَلاقَيْتُمْ هُناكَ الأَقْوَرِينَا

يوم المعارك

والمعارك بين الحَضْر والعقيق من أَرض الموصل ، قال : اجتمعت تغلب يوم السُكير بهذا المكان ، فالتقوا وقيس به ، واشتدّ قتالهم فانهزمت تغلب ؛ فقال ابن صفّار :

ولقد تَرَكْنا بِالَمعارِكِ مِنْكُمُ والحَضْرِ والثَرْثارِ أجساداً جُثّا

فيقال : إنّ يوم المعارك والحَضْر واحد ، هزموهم إلى الحضر فقتلوا منهم بشَراً ، وقال بعضهم : هما يومان مختلفان كانا لقيس والله اعلم .

---

١ ـ فرس غوجَ اللبان : واسع جلد الصدر . القاموس .

يوم لِبَّى

قالوا : والتقوا أيضاً بلِبَّى عند ديرها ، ولِبَّى فوق تكريت من أرض الموصل ، فتناصفوا فقيس تقول كان الفضل لنا وتغلب تقول كان الفضل لنا .

يوم بلد

وقال أبو الوليد الكلابي : كانت بين قيس وتغلب وقعة ببلَد تكافأوا فيها ، وقال أبو عيسى القيسي : كانت لِقيس .

يوم الشرعبية

قالوا : التقوا بالشَرْعَبِيّة وعلى قيس عُميرِ بن الحُباب ، وعلى تغلب وألفافها ابن هَوْبَر ، فكان بينهم قتل شديد وقُتل يومئذ عمّار بن المُهَزَّم وعاصم السلميان،وكان يوم الشرعبيّة لتغلب على قيس ، فقال الأخطل :

ولقد بَكَى الجَحّافُ لَمّا أَوْقَعَتْ بِالشَرْعَبِيَّةِ إِذْ رَأَى الأَهْوالا[1]

والشرعبيّة من بلاد بني تغلب ، وبناحية مَنْبج أيضاً شرعبيّة . فبعضهم يقول إنّ هذه الواقعة كانت بناحية منبج وذلك غلط .

يوم البليخ

قالوا : اجتمعت تغلب وسارت إلى البليخ وهناك عُمير والقيسيّة ، والبَليخ نهر بين الرَقَّتَيْنْ ، فالتقوا ، وعلى قيس عُمير ، وعلى تغلب ابن

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

هَوْبَر ، فهُزمت تغلب وقُتلت وبُقرت بطون نساء من نسائهم كما فعلوا يوم الثَّرْثار ، وفي ذلك يقول ابن صفّار :

زُرْقُ الرِماحِ ووَقْعَ كُلّ مُهَنَّدٍ   زَلْزَلْنَ قَلْبَكَ بِالبَليخِ فزالا

وأنشدني أبو الوليد الكلابي لبعضهم :

تَسـامَتْ جُمـوعُ بَني تَغْلِبٍ   إلَيْنـا فكُنّـا عَلَيْهِمْ وبَـالا
بَقَّرْنا النِسـاءَ غَداةَ البَليـخِ   إذا جِئْنَنـا وقَتَلْنـا الـرِجـالا

يوم الحشاك ومقتل عمير بن الحباب السلمي

قالوا : لما رأت تغلب إلحاحَ عُمير بن الحُباب عليها ، جمعت حاضرتها وباديتها وصاروا إلى الحَشّاك ، وهو نهر يأخذ من الهِرْماس ، وعلى الحَشّاك تِلالَ وقُور[1] وبقربه الشَرْعَبيّة وإلى جنبه برَاق ويقال بِراق ، ودلف إليهم عُمير في قيس ومعه زُفَر بن الحارث والهُذيل ابنه ، وعلى تغلب ابن هَوْبر ، فاقتتلوا عند تلّ الحشّاك أشدَّ قتالٍ وأبْرَحَهُ حتى جنّ عليهم الليل ثم تفرّقوا ، فاقتتلوا من الغد إلى الليل ، ثم تحاجزوا ، وأصبحت تغلب في اليوم الثالث فتعاقدوا ألا يفرّوا ، فلما رأى عُمير جدّهم وأنّ نساءهم معهم قال لقيس : يا قوم أرى لكم أن تنصرفوا عن هؤلاء فإنّهم مستقتلون ، فإذا اطمأنّوا وصاروا إلى سَرْحهم وَجَّهْنا إلى كلّ قوم منهم مَن يغير عليهم ، فقال له عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي : يا بن الصَمْعاء قُتِلَتْ فرسان قيس أمس وأول من أمس ثم مَلِئَ سَحْرُك وجَبُنْتَ ، ويقال : إنّ عُيَيْنة بن أسماء بن

---

١ ـ بهامش الأصل : قور جمع قارة .

خارجة الفزاري ، وكان أتاه مُنجداً له ، قال ذلك ، فغضب عمير من قوله وقال كأنّي بك لو حَمِسَ الوَغى أوّل فارٍ ، فنزل عُمير وجعل يقاتل راجلا وهو يقول :

أنـا عُمَـيْرٌ وأبـو المُغلِّسْ قد أَحْبِسُ القَوْمَ بِضَنْكِ المَحْبِس

وانهزم زُفَر يومئذ وهو اليوم الثالث فلحق بقَرْقِيسيَاء ، وذلك أنّه بلغه أنّ عبد الملك قد عزم على الحركة إليه بقرقيسياء ، فبادر لإحكام أمره والتأهُب بما يحتاج إليه ، ويقال : أنّه ادّعى ذاك حين فرّ تحسُّناً به ؛ وركبت تغلب ومن معها أكساء[1] القيسيّة وجعلوا يقولون :

أما تَعْلَمونَ أَنَّ تَغْلِبَ تَغْلِبُ

وشدّ على عمير جميلُ بن قيس من بني كعب بن زُهير فقتله ؛ فقال الأخطل لزفر :

لَعَمْرُ أَبيكَ يا زُفَرَ ابْنَ لَيْلَى لقد أَنْجاكَ جَـدُّ بَني مُعاز
ورَكْضُكَ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ إلَيْنـا كَأَنَّكَ مُمْسِكٌ بِجَناحِ بازي[2]

ويقال : بل تَعاوَى على عُمير غلمان من بني تغلب فرموه بالحجارة وقد أعيا حتى أثخنوه ، وكرّ عليه ابن هَوْبَر فقتله ، وأصابت ابن هوبر يومئذ جراحة فلما انقضت الحرب أوصى بني تغلب وهو لِمَآبِهِ من جراحته بأن يولّوا أمرهم مرّار بن علقمة الزُهيري .

ورُوي أيضاً : أنّ ابن هَوْبَر جُرح في اليوم الثاني من أيامهم هذه الثلاثة ، فأوصى بني تغلب بأن يؤمّروا عليهم مرَّاراً ، ومات من ليلته فكان

١ ـ ركب اكساءه : سقط على قفاه . القاموس .
٢ ـ ديوان الأخطل ص ١٩٤ .

مرّار رئيسهم في اليوم الثالث ، فعَبأهم على راياتهم ، وأمر كلّ بني أب أن يجعلوا نساءهم خلفهم ، فلما أبصرهم عُمير قال لأصحابه : يا معشر قيس إنّ تغلب حيّ كثير العدد ، وقد اجتمعوا لقتالكم ونساؤهم معهم فأطيعوني وانصرِفوا فإذا تفرّقوا شدَدْنا عليهم حَيّاً حَيّاً ، فقيل له القول الذي قيل له وفعل ما فعل حتى قتله جميل الزُهيري ، قال الشاعر :

أَرِقْتُ بِأَثْناءِ الفُراتِ وشَفَّني نَوائِحُ أَبْكاها قَتيلُ ابْنِ هَوْبَر
ولم تَظْلِمي إنْ نُحْتِ أُمَّ مُغَلّسٍ قَتيلَ النَصارَى في نَوائِحَ حُسَّرِ

وقال بعض الشعراء ينكر قَتْل ابن هَوْبَر عُميراً :

وإنَّ عُمَيْراً يَوْمَ لاقَتْهُ تَغْلِبُ قَتيلُ جَميلٍ لا قَتيلُ ابْنِ هَوْبَر

قالوا : وكانت ابنة الحُمارِس تنشر شعرها وتحرّض الناس وهي تقول :

إيهـاً بَني تَغْلِبَ إيهـاً إيهَـا نَحْنُ بنو الحَرْبِ نَشَأْنا فيها

واستحرّ القتل يومئذ ببني سُليم وغَنِيّ خاصّةً ، وقد قُتل من غيرهم من قيس بشر كثير .

وقال عُمير في أوّل يوم لاقى بني تغلب فيه فصابروه فيما ذكر بعضهم :

وكُنّا حَسِبْنا كُلَّ بَيْضاءَ تَمْرَةً لَياليَ لاقَيْنا جُـذاماً وحِمْـيَرا
فلما قَرَعْنَا النَبْعَ بِالنَبْعِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ أَبَتْ عيدانُنا أَنْ تَكَسَّرا
وإنّا لَقينا مِن رَبيعَةَ مَعْشَراً يَقودونَ خَيْلاً لِلْمَنِيَّةِ ضُمَّرا
سَقَيْناهُمُ كَأْساً سَقَوْنا بِمِثْلِها عَلَى أَنَّهُمْ كانوا عَلَى المَوْتِ أَصْبَرا

ويقال : أنّه لغيره والله أعلم .

---

١ - بهامش الأصل : سوداء .

وقال زُفر :

أَلا يا كَلْبُ غَيْرُكِ أَوْجَعوني ... وقد أَلْصَقْتُ خَدَّكِ بالتُرابِ
أَلا يا كَلْبُ فانْتَشِري ونامي ... فقد أَوْدَى عُمَيْرُ بَني الحُبابِ

وبعثت بنو تغلب برأس عُمير بن الحُباب إلى عبد الملك وهو بغُوطة دمشق مع وفد منهم ، فأعطى الوفدَ وكساهم ، فلما صالح عبد الملك زُفَرَ بعد ذلك واجتمع الناس عليه ، قال الأخطل شعراً يقول فيه :

بني أُمَيَّةَ قد نـاضَلْتُ دونَكُمُ ... أَبْناءَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وهُمْ نَصَروا
وقَيْسَ عَيْلانَ حَتَّى أَقْبَلوا رَقَصاً ... فبايَعوا لكَ قَسْراً بَعْدَ ما قُهِروا
ضَجُّوا مِنَ الحَرْبِ إذْ عَضَّتْ غَوارِبَهُمْ ... وقَيْسُ عَيْلانَ مِن أَخْلاقِها الضَجَرُ
فلا هَدَى اللهُ قَيْساً مِن ضَلالَتِها ... ولا لَعاً لِبَني ذَكْوانَ إنْ عَثَروا
ولم يَزَلْ لِسُلَيْمٍ أَمْرُ جاهِلِها ... حَتَّى تَعايا بها الإيرادُ والصَدَرُ
فقد نُصِرْتَ أَميرَ المُؤْمنينَ بِنـا ... لمّا أَتاكَ بِمَـرْجِ الغُوطَـةِ البُقَرُ
يُعَرِّفُونَكَ رَأْسَ ابْنِ الحُبابِ فقد ... أَضْحَى ولِلسَيْفِ في خَيْشُومِهِ أَثَرُ[1]

وقال الأخطل في قصيدة له :

أَلا مَن مُبْلِغٌ قَيْساً رَسولاً ... فكَيْفَ وَجَدْتُمُ طَعْمَ الشِقَاقِ
فَإن يَكُ كَوْكَبُ الصَمّاءِ نَحْساً ... به وَلَدَتْ وبِـالقَمَرِ المُحـاقِ
ولاقَى ابْنُ الحُبابِ له حُمَيّاً ... كَفَتْـه كُـلَّ حــازِيَـةٍ وراقِ
فَـأَضْحَى رَأْسُهُ بِبِـلادِ عَكٍّ ... وسـائِرُ خَلْقِـهِ بِجَبَـا بِـراقِ

١ ـ ديوان الأخطل ص ١٠٠ ـ ١١٠ مع فوارق .

وإلَّا تَـذْهَبِ الأَيّامُ نَـرْفِـدْ جَميلَةَ مِثْلَهـا قَبْـلَ الفِـراقِ
مَـلأْنا جـانِبَ الثَّرْثـارِ مِنْهُمْ وجَهَّـزْنـا أُمَيْمَـةَ لانْـطِلاقِ

أُميمة امرأة عُمَير بن الحُباب .

يوم الكحيل

من أرض الموصل في عبر دجلة المغربي

قالوا : لما قُتل عُمير بن الحُباب تجمّعت قيس بناحية حَدَث الرِقاق وهي بناحية قيس ؛ فقال الأخطل :

ضَرَبْناهُمْ على المَكْروهِ حَتَّى حَدَوْناهُم إلى حَدَثِ الرِقاقِ[1]

قالوا : ثمّ إنّ تميم بن الحُباب أتى زُفَرَ بن الحارث ، فسأله أن يطلب له بثأره فامتنع من ذلك ، فقال له الهُذيل ابنه : والله لَئِن ظُفِرَ بهم إنّ ذلك لعار عليك ، وإن ظَفروا وقد خذلَتهم إنّ ذلك لأشدّ ، فاستخلف زُفر على قَرْقِيسيَاء أخاه أَوْس بن الحارث ، وعزم على أن يُغير على بني تغلب ويغزوهم ، فوجّه يزيد بن حُمران في خيل إلى بني فَدَوْكَس ، فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، حتى لم يبق غير امرأة واحدة يُقال لها حميدة أَعاذها ابن حُمران وقد استعاذت به ؛ وبعث الهُذيلَ بن زُفَر إلى بني كعب بن زهير ، فقتل فيهم قتلا ذريعاً ، وبعث مُسْلمَ بن ربيعة أخا بني عُقيل إلى قوم من بني تغلب مجتمعين فأكثر فيهم القتل ، ثم قصد لِبني تغلب وقد اجتمعوا بالعَقيق من أرض الموصل ، فلما أحسّت به بنو تغلب ارتحلت تريد عبور دجلة ، فلما

---

١ ـ ديوان الأخطل ص ٢٠٧ ـ ٢١٠ .

صارت بالكُحيل ، لحقهم زُفَر بن الحارث في القيسيّة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وترّجل أصحاب زُفر اجمعون وبقي زفر على بغل له فقتلوهم ليلتهم وبقروا بطون نساءٍ منهم ، وغرق في دجلة أكثر ممّن قُتل بالسيف ، وأتى فَلُّهم لِبَّى ، فوجّه زفر إليهم الهُذيل بن زفر فأوقع بهم إلاّ مَن عبر فنَجَا ، وأسر زفر منهم مائتين فقتلهم صَبْراً ؛ فقال زفر :

ألا يا عَيْنُ جودي بِانْسِكابِ	وبَكّي عاصِماً وابْنَ الحُبابِ
فان تَكُ تَغلِبُ قَتَلَتْ عُمَيْراً	ورَهطاً مِن غَنِيٍ في الحِرابِ
فقد أَفْنَى بَنِي جُشَمٍ بْنِ بَكْرٍ	وَنَمْرُهُمُ فَوارِسُ مِن كِلابِ
قتلنا مِنْهُمُ مِائَتَيْنِ صَبْراً	وما عَدَلوا عُمَيْرَ بْنَ الحُبابِ
فقتلانا نَعُدُّهُمُ كِراماً	وقَتْلاهُمْ تُعَدُّ مَعَ الكِلابِ

وقال أيضاً :

قتلنا مِن بَني جُشَمٍ جُموعاً	فما عَدَلَتْ جُموعُهُمُ عُمَيْرا

وقال ابن صفّار المُحاربي :

ألم تَرَ حَرْبَنا تَرَكَتْ حُبَيْباً	مُحالِفُها المَذَلَّةَ والصَّغارُ
وقد كانوا أُولي عِزٍّ فأَضْحَوْا	وَلَيْسَ بِهِمْ مِنَ الذِلِّ انْتِصارُ

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه حدثنا ابن الجصّاص قال : وقف عكرمة بن رِبْعِي التَيْمي من ربيعة على أسماء بن خارِجة الفزاري بالكوفة فقال :

قتلت بنو تغلب عُميرَ بن الحُباب ، فقال أسماء : لا بأس إنّما قُتل في ديار القوم مقبلا غير مدبر ، ثم قال :

يدي لَكَ رَهْنٌ عَنْ سُلَيْمٍ بِغارَةٍ تَشيبُ لها أَصْداغُ بَكْرِ بْنِ وائِلِ
وتترك أَوْلادَ الفَدَوْكَسِ عالَةً يَتامَى أَيَامَى نُهْزَةً لِلْقَبـائِلِ

وحدثني الأَثْرَم عن خالد بن كلثوم عن المفضَّل الضَبّي وغيره قالوا : أسر القطامى في يوم من أيّامهم ، وأُخذ ماله ، فقام زُفَر بأمره حتى ردّ عليه ماله وجميع ما أُخذ منه ووصله فقال فيه :

إنّي وإنْ كانَ قَوْمي لَيْسَ بَيْنَهُمُ وبَيْنَ قَوْمِكَ إلاّ ضَرْبَةُ الهادي
مُثْنٍ عَلَيْكَ بما أَوْلَيْتَ مِن حَسَنٍ وقد تَعَرَّضَ مِنّي مَقْتَلٌ بادي

في شعر طويل .

وقال أيضاً :

فَمَن يَكُنِ اسْتَلامَ إلَى ثَوِيٍّ فقد أَحْسَنْتَ يا زُفَرُ المَتاعـا
أأكفُرُ بَعْدَ دَفْعِ المَوْتِ عَنّي وبَعْدَ عَطائِكَ المِائَةَ الرِتـاعا

وقال عَوانة بن الحَكَم وغيره : لما ولّى مصعب المهلَّب بن أبي صُفْرة الموصل والجزيرة بعث إلى بني تغلب وكانوا مَرْوانيّة : إن تُبايعوا أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير وإلاّ أتاكم جيش يُنسيكم قيساً ويُلحقكم بمن قتلتم منهم وقتلوا منكم فعُزل قبل أن يُحدث فيهم حَدَثا ، فلذلك قال القُطامي :

أَتاني مِنَ الأَزْدِ النَذيرَةُ بَعْدَ ما تَناشَدَ قَوْلي بالحِجازِ المَجالِس
فقالوا عَلَيْكَ ابْنَ الزُبَيْرِ فعُذْ بِهِ أَبَى الله أَنْ أَخْزَى وعِزٌّ خُنَابِس[1]
وما جَعَلَ الله المُهَلَّبَ فارِساً ولكِنَّ أَمْثالَ الهُذَيْلِ الفَوارِس

١ ـ الخنابس : الكريمة المنظر ، والأسد ، والقديم الشديد الثابت ، ومن الليالي الشديد الظلمة . القاموس .

يوم البشر
والبِشر جبل في عبر الفرات الغَرْبي

قالوا : وفد الأخطل على عبد الملك بن مروان فدخل عليه الجحّاف بن حُكيم بن عاصم بن قيس السُلَمي ، والأخطل عنده فقال له عبد الملك : أتعرف هذا يا أخطل ؟ قال : نعم هذا الذي أقول فيه :

أَلا سائِلِ الجَحّافَ هَلْ هُوَ ثائِرٌ　　بِقَتْلَى أُصيبَتْ مِن سُلَيْمٍ وعامرِ[1]

وأنشد القصيدة حتى فرغ منها فتغالظا في الكلام ، فنهض الجحّاف يجرّ مِطْرَفاً كان عليه حتى أتى الديوان فنظر إلى مقادير القراطيس التي تُكتب فيها العهود ، ثم لطف لبعض الكُتّاب حتى كتب له عهداً مفتعَلاً على صدقات بكر وتغلب بالجزيرة وقال لأصحابه : إنّ أمير المؤمنين قد ولّاني هذه الصدقات فمن أراد اللحاق بي فليفعل وسار حتى أتى الموضع الذي يُدعى اليوم برُصافةِ هشامٍ ، وهو بقرب الرّقة فاجتمع إليه أصحابه بها ، فقال لهم : إنّ الأخطل أتعبني وأسْمَعَني ، ولستُ بوالٍ فمن كان يحبّ أن يرَحضَ عنّي العارَ وعن نفسه فيَّ فليصحبْني فإنّي آليت أن لا أغسل رأسي أو أُوقِعَ ببني تغلب ، فرجعوا غَيْر ثلاثمائة قالوا له : نموت معك ونحيا ، فسار ليلته حتى أصبح الرَحُوبَ وهو ماءٌ لبني جُشَم بن بكر قوم الأخطل فصادف عليه جماعة عظيمة من بني تغلب فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأُخذ الأخطل وعليه عباءة وسخة فظنّ آخِذُه أنّه عبد وسُئل فقال : أنا عبد فخلّى سبيله فرمى بنفسه في جُبّ من جبابهم مخافةَ أن يراه من يعرفه من قيس فيُقتل ، وقُتل أبوه يومئذ ؛

---

١ ـ ديوان الأخطل ص ١٣٠ .

فلما انصرفت القيسيّة خرج من البئر وجعلت عَبْلَة امرأته تسله أن يعود إلى البئر خوفاً عليه من كرّتهم وعودتهم فقال :

يا عَبْلَ أَكْرَمَ حُرَّةٍ في قَوْمِها ... حَسَباً وأَرْعَاهَا لِكَهْلٍ سَيِّدِ
قـامتْ تُتَبِّعُنا دُمـوعـاً قـرّة ... منها بِطِرْفِ غَضِيضَةٍ لَمْ تَبْرُدِ

ثم إن الجحّاف استخفى فطلبه عبد الملك بن مروان فمضى حتى دخل بلاد الروم مما يلي أرمينية .

وأرادت بنو تغلب دفن موتاهم فقال لهم الشَمَرْذَى : إنّكم إن دفنتموهم ، فرأى الناس كثرتهم غَزَوْكم استقلالاً لكم واجترأوا عليكم فأحرقوهم .

وقال الجحّاف للأخطل :

أبا مالكٍ هَلْ لُمْتَني إذ حَضَضْتَني ... على القَتْل أَمْ هَلْ لامَني لَكَ لائِمُ
ألم أُفْنِكُم قَتْلاً وأُجْدَعْ أُنوفَكُمْ ... بِفِتْيانِ قَيْسٍ والسُيوفِ الصَوارِمِ
بِكُلِّ فَتىً يَنْعَى عُمَيْراً بِسَيْفِهِ ... إذا آعْتَصَمَتْ أَيمانُهُمْ بِالقَوائِمِ
فإنْ يَطْرُودني يَطْرُدوني وقد جَرَى ... بِيَ الوِرْدُ يَوْماً في دِماءِ الأَراقِمِ
نَكَحْتُ بِسَيْفي مِن زُهَيْرٍ ومالِكٍ ... نِكاحَ آغْتِصَابٍ لا نِكاحَ الدَراهِمِ
لقد أُوقِدَتْ نارُ الشَمَرْذَى بِأَرْؤسٍ ... عِظامِ اللِحَى مُعْرَنْزِماتِ[1] اللَهازِمِ
تُحَشُّ بِأَوْصَالٍ مِنَ القَوْمِ بَيْنَها ... وبَيْنَ الرِجالِ المُوقِدِيها مَحارِمُ
فلا تَحْمَدوا إلاّ الإمامَ لِتَرْكِكُمْ ... تُمَشّون بِالخابورِ دَسْمَ العَمائِمِ

في أبيات .

١ ـ لم أقف لها على معنى في معاجم اللغة .

وقال نُفيع بن صَفّار المُحاربي :

لقد رَفَعَتْ نارُ الشَمَرْذَى لِقَومِهِ شَناراً وخِزياً طارَ كُلَّ مَطار

ولم يزل الجحاف ببلاد الروم حتى طُلب له الأمان من عبد الملك فآمنه ؛ وسمعتُ مشايخ من أهل أرمينية يذكرون : انّ الجحاف أقام بطرابِزُنْدة ثم اتى كَمْخَ ثم أَتى قالِيقَلا وبعث إلى بطانة عبد الملك من القَيسيّين حتى أخذوا له أمانا .

قالوا : فلما صار إليه حَمَّلَهُ ديات مَن قتل ، وأخذ منه الكفلاء ، وأمره بالسعي والاضطراب فقال : أسأل قومي ، فأتى الحجّاج بن يوسف فحجبه فلقي أسماء بن خارجة فقال له : إنّي لا أعْصِب لومَها إلاّ بك ، فدخل على الحجّاج بن يوسف فكلّمه فأذِن له ، فلما دخل عليه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنّي أَعْمَلْتُ المَطِيَّ إليك من الشام لأنّه ليس أمامك مذهب ولا وراءك مطلب وليست يد دون الله تحجزك ، وأنت أمير العراق ، وسيّد قيس ففُكَ رهني وتَلافَ أمري ؛ فيقال أنّ الحجاج قال له : يا جحّاف أعملتَ المطيّ من الشام فقلت آتي الحجّاج فإنْ أعطاني شكرتُ وإنْ منعني بخّلتُ وذممتُ ، والله ما أُعطيك مال الله فقال : تعطيني عمالتك ، فقال : هذا نَعَمْ فتركها له ؛ ويقال إنّ الحجّاج قال له : أَعَهدتَني خائناً ؟ فقال : لا ولكّنك سيّد قومك ، ولك عمالة واسعة ، فقال : لقد أُلْهِمْتَ الصدق ، ونظرتَ بنور الله ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وكانت عمالة الحجّاج خمسمائة ألف درهم ؛ ثم أقبل الحجّاج عليه يضاحكه ويسأله عن خبره وخبر بني تغلب والأخطل ، فلما وَلّى قال: لله رجال قيس !

وقال الجّحاف :

رَحَلْتُ إلى الحَجّاجِ أَطْلُبُ رِفْدَهُ على ثِقَةٍ بِاللهِ والرَهْنُ قد غَلِقْ
فأَحْفَى سُؤالي ثم أَقْبَلَ ضاحِكاً إليَّ وأَعْطاني الوَفاءَ مِنَ الوَرِقْ

فلما أدّى الجحّاف ما ألزمه عبد الملك أظهر التوبةَ وأصحابُه ومضى حاجّاً ؛ فذكروا أنّ محمد بن سُوقة قال : مرّ بي الجحّاف وأنا في دكّاني في السوق فاشترى منّي خزاً قسمه في أصحابه ، وإذا هو وأصحابه قد زمّوا[1] انفسهم. قلت: ما هذا الذي أراك وأصحابكَ صنعتموه فقال: جعلنا ما ترى لنذكر خطيئتنا في قتل القوم الذين قتلناهم ، ونحن نريد الحجّ فلعلّ الله يرحمنا ويتوب علينا ؛ وقدم الجحّاف مكة وأصحابه معه فتعلق بأستار الكعبة فجعل ينادي اللهم آغفر لي وما أظنّ أن تفعل ، فسمعه محمد بن الحنفيّة فقال : يا شيخ القنوطُ شرّ من الذنْب ، ثم سأل عنه فقيل : هذا الجحّاف .

وقال الأخطل :

لَقَدْ أَوْقَعَ الجَحّافُ بالبِشْرِ وَقْعَةً إلى الله مِنْها المُشْتَكى والمُعَوَّلُ
فإلّا تُغَيِّرْهـا قُرَيْشٌ بِمُلْكِها يَكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَمازٌ ومَرْحَلُ
فإنْ تَحْمِلوا عَنْهُمْ فما مِن حَمالَةٍ وإنْ ثَقُلَتْ إلّا دَمُ القَوْمِ أَثْقَلُ[2]

وزعموا أنّ عبد الملك قال له لما انشده :

يَكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَمازٌ ومَرْحَلُ

قال : إلى أين ويلك ؟ قال: إلى النار .

١ ـ أي شدوا أنوفهم . القاموس .
٢ ـ ديوان الأخطل ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

خبر مصعب بن الزبير بن العوام ومقتله

حدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا وَهْب بن جرير بن حازم حدثنا أبي عن صعب بن زيد : أن المصعب بن الزبير لما فرغ من قتال المختار ، كان إبراهيم بن الأشتر على الموصل والجزيرة وآذربيجان وأرمينية فعزله ووّجهه لقتال الأزراقة ، ووجه المهلب بن أبي صُفْرة على عمله ، ثم عزل المهلَّب وردّ إبراهيم بن الأشتر على العمل ، ووجّه المهلّب لقتال الأزراقة .

قال : وبلغ المصعب إقبال عبد الملك نحوه وهو يومئذ بالبصرة قد قدم من عند أخيه بعد أن وفد عليه ، فسأل أهلَ البصرة النهوضَ معه وكانت الحَروريّة قد نزلت سوق الأهواز وعليهم قَطَرِيّ بن الفُجاءة ، فقالوا : أصلح الله الأمير كيف نسير معك فهذه الحَروريّة مُطِلّة علينا وعلى ديارنا وأموالنا ؛ وقال المهلّب للمصعب : اعلَمْ أنّ أهل البصرة والكوفة قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم وأنّه انّما اجترأ على المسير إلى العراق بكُتُبهم ، فقال له المهلّب : لا تُنَحِني عنك واجعلني منك قريباً ، فقال له المصعب : إنّ أهل

البصرة قد أبَوا أن يسيروا حتى ابعثك لقتال الحَروريّة ، وأنا أكره إذا أقبل عبد الملك إليّ ألا أسير إليه فاكفني هذا الثغر ، فقال المهلّب : إني لست آمَنُ غَدْرَ القوم بك ، وإن فعلوا فأبعدهم الله .

وحدثنا أبو خَيْثَمة زهير بن حَرْب وأحمد بن إبراهيم قالا : حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن الزُبير الحَنظلي عن معاوية بن صَعْصَعة بن معاوية وهو ابن اخي الأحنف بن قيس ـ قال : والله إني لواقف مع عمّي بالحيرة في ظل قصر بني بُقَيلة ، إذ أقبل زياد بن عمرو العَتَكي حتى وقف إلى جنب الأحنف فذكر المصعبَ وسوء رأيه فيها بينه وبينه وعابه ، فقال له الأحنف : أظنّك والله يا زياد وأصحابَك سُتدْخِلون علينا ذِلاً و بلاءً عظيماً ، أحسبكم والله ستُدخلون علينا أهل الشام فيقتلونا وينزلون دُورَنا ، فمهلاً يا زياد ! فقال زياد : إنّ حالي قد اشتدّت وإنّ عليّ دَيْنا ، فقال الأحنف : وهل تكفيك عشرة آلاف أُكلّم المصعب فيأمر لك بها ، وأيْمُ الله إنّي لأعلم أنّها لا تنفعه عندك ، فكلّمه الأحنف فأمر بها له فكان زياد عند ذلك أسوَأ ما كان رأياً وأشدَّه على المصعب .

قال أحمد بن إبراهيم : قال وهب : قال أبي : هذا حين دخل مصعب الكوفة لقتال عبد الملك ، وفي تلك الأيام مات الأحنف بالكوفة ، ألا ترى أنّ الأحنف قد كان رجع إلى البصرة بعد مقتل المختار ، وكتب في حمزة بن عبدالله مع من كتب فيه من أهل البصرة .

حدثنا أبو خَيْثَمة وأحمد بن ابراهيم قالا : حدثنا وهب بن جرير عن أبيه ، قال وهب:ولا أعلمه ألاّ عن صعب بن زيد : إنّ اشراف أهل العراق

كتبوا إلى عبد الملك يدعونه إلى أنفسهم ، ويَخبرونه أنّهم مبايعوه ، فلم يبق بالبصرة شريف إلّا كاتبه غير المهلَّب .

وحدثنا أبو خَيْثَمة وخَلَف بن سالم المخزومي وأحمد بن إبراهيم قالوا : حدثنا وهب بن جرير حدثنا محمد بن أبي عُيَينة قال : سار المصعب يريد عبد الملك حتى انتهى الى بَاجُمَيْرَا ، ثم التقى هو وعبد الملك فغدر أهل البصرة بالمصعب فقتل ، واجتمع الناس على عبد الملك .

وحدثنا خَلَف وأحمد بن إبراهيم قالا : حدثنا وهب حدثني أَبي قال : كتبوا إلى عبد الملك يسألونه المسير إليهم ويُخبرونه أنهم لو قد رأَوه مالوا إليه بمن تبعهم ، فأقبل عبد الملك وخرج إليه مصعب فلما صُفّوا للقتال مال أهل العراق إلى عبد الملك ، وبقي المصعب في خِفٍّ من الناس ، فقال لابنه عيسى : أي بُنَيَّ انصرف ، فأبى وقال : والله لا آتي قريشا فأُخبرهم عن مصرعك أبداً ، قال : فتقدّمْ إذاً فتقدم فقُتل .

وأقبل عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان فقال للمصعب كيف ترى الله صَنَع بك وأخزاك ، قال : بل أخزاك ، والمصعب راجلٌ وابن ظَبيان راكب ؛ قال : فقتل ابن زياد المصعب ، واحتزّ رأسه فأتى به عبد الملك فألقاه بين يديه وهو يقول :

نعاطي المُلوكَ الحَقَّ ما قَسَطوا لَنا وليس عَلَيْنـا قَتْلهُمْ بِمُحَّرمِ

فخر عبد الملك ساجدا ، فكان ابن ظبيان يقول : ما ندمت على شيء قطّ ندامتي على ألا اكون ضربت رأس عبد الملك حين أتيتُه برأس المصعب ، فأَرَحْتُ الناسَ ، وأكون قد قتلت مَلِكَي العرب في يوم واحد .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدَوْرَقي حدثنا وهب بن جرير حدثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سُمير بحديث طويل فاختصرتُه قال : لم يكن لأحد من الناس مثل منزلة عبدالله بن أبي فَرْوة عند المصعب ، فلما قُتل المصعب رحل إلى عبدالله بن الزبير ، فجعل عبد الملك لمن ردّه عليه مائة ألف درهم ، فلم يقدر عليه حتى قدم مكة فقال له عبدالله بن الزبير : يا بن أبي فَرْوة أخبِرْني عن الناس قال: يا أمير المؤمنين خرجنا حتى إذا واقفنا عبد الملك مال داود بن قَحْذَم براية بكر بن وائل ، ومال فلان براية بني فلان ، فلما رأيتُ المصعب قد بقي في رِقة من الناس أتيته بأفراس قد أضمرتُها فهي مثل القداح فقلت له : اركبْ فآلحق بأمير المؤمنين فدثّ في صدري دثة وقال : ليس أخوك بالعبد ، وأحببتُ الحياة فانصرفتُ ، فقال ابن الزبير : حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ثلاث مرار .

حدثني العُمَري عن الهَيْثم بن عَديّ عن مجالد عن الشعبي قال : قدم مصعب حين ولي العراقيْن فبدأ بالبصرة ، وولّى القُباع الكوفة ، وكان خليفة القباع بها عمرو بن حُريث ، ثم شخص إلى الكوفة فقتل المختار ومعه الأحنف بن قيس ، ثم عزله أخوه عن البصرة ، وولّاها حمزة ابنه فغضب وأقرّ على خلافته القُباعَ ومضى إلى أخيه فردّه على المصرْيَن ، وأقام بالبصرة حتى شخص منها إلى الكوفة واستخلف عبّاد بن الحُصين ، ويقال : انّه استخلف سِنان بن سَلَمة ، وجعل عبّادا على شُرَطه وكان الأحنف مع مصعب ، فمات الأحنف بالكوفة ، ثم إن مصعبا شخص إلى مَسْكِن فقُتل بها .

وقال الهَيْثَم : ثم خرج عبد الملك يريد العراق لمحاربة مصعب في خمسين الفا فقصد لزُفَر بن الحارث حتى آمنه وخرج معه إلى مصعب فشهد حربه ولم يقاتل ، وقال غيره ، لما صالح عبد الملك زُفَر بن الحارث رجع إلى دمشق ثم شخص قَصْداً فواقع مصعباً .

وحدثني هشام بن عمّار عن الوليد بن مسلم وغيره أن عبد الملك صالح زُفَر بن الحارث ، ثم قدم دمشق فأصلح أمر مَلِك الروم والجَراجِمة الذين خرجوا عليه ، ثم استشار في المسير إلى مصعب بن الزبير فقال له بعض من معه : إنّك قد واليت بين سَنَتْين ، شخصت فيهما فخسرتَ خيلك ورجالك ، وعامُك هذا عام جَدْب فأَرْجِ الأمر سنةً أو سنتين ، وآسترح ثم آشخص فقال : الشام بلد قليل المال ، ولا آمَنُ نَفاده ، وقد كتب إليّ أشراف أهل العراق يدعوني إليهم .

قال : وكان يشاور يحيى بن الحَكَم بن أبي العاص ، ثم يخالفه ويقول : من أراد صواب الرأي فليخالف يحيى بن الحكم فيما يشير به عليه ، فدعاه فاستشاره فقال : أرى أن ترضى بالشام وتقيم به ، وتدع مصعباً والعراق ، فلعن الله العراق ، فضحك عبد الملك ، ودعا بخالد بن عبدالله بن خالد بن أَسيد فشاوره فقال : يا أمير المؤمنين غزوتَ مرّة فنصرك الله ، ثم ثانية فزادك الله عزا ، فأَقم عامك هذا ، ثم قال لمحمد بن مروان أخيه : ما ترى ؟ قال : أرجو أن ينصرك الله أَقَمْتَ أو غزوت فاغزُ عدّوك وشمِّر في طلب حقّك ، فأَمَرَ الناس بالاستعداد للمسير ، وقدّم محمد بن مروان ومعه خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسيد ، وبِشّر بن مروان وقال : قد استعملتُ عليكم سيّد الناس محمد بن مروان أخي ونصيحي .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال : بعثت عاتكة بنت يزيد ، امرأة عبد الملك ، وهي أمّ يزيد ابنه : ما رأيتُ خليفة قط غزا بنفسه فوجِه الناس وأقِمْ ، فقال : والله لو بعثتُ إلى مصعب جميع أهل الشام لفضّهم وفلّهم ما لم أكن معهم ، وتمثّل :

ومُستْخَبِرٍ عَنّا يُريدُ بِنا الرَدَى ومُسْتَخْبِراتٍ والعُيونُ سَواكِبُ

وقال ابن الكلبي والهَيْثم قال عَوانة : لما بلغ مصعباً إقبال عبد الملك إليه وأن قد قدَّمَ مقدمته وهو بالبصرة ، أراد المسير إليه بأهل البصرة ، فأبوا أن يسيروا معه وقالوا : عدوّنا من الخوارج مطِلّ علينا ، فأرسل إلى المهلَّب وهو عامله على الموصل والجزيرة فولاه قتال الخوارج وخرج فقال بعض الشعراء :

أكلَّ عامٍ لَكَ بَاجُمَيْرَا تَغْزو بِنا ولا تُفيدُ خَيْراً

وباجُمَيْرَا موضع كان إذا بلغ مصعباً إقبالُ الملك نحوه خرج إليه من الكوفة ، فيبلغه انصراف عبد الملك فينصرف .

وقال أبو مخنف: ولّى عبدالله مصعباً أخاه العراقَيْن، ثم إنّ مولى لبني عِجْل أتى عبدالله بن الزبير بعد مقتل المختار فأشار عليه باستعمال حمزة ابنه على البصرة وقال له : إنّ ذلك يعجب أهلها ويحبّونه فولّاه إيّاها ، فأراد المصعب الامتناع من تسليمها ، فقال الأحنف : إن رأيتَ أن لا يكون بينك وبين أخيك ما تتضارّان فيه فافعل فإنّ ضَرَرَ ذلك يَنالنا ، فقدم حمزة البصرة فأقام سنة أو نحوها ، فكان إذا عُرض عليه ما يُرتفع من الخراج قال : فأين خراج الزاوية ؟ فكان الأحنف بن قيس ومالك بن مِسْمَع يقولان : أمّا الفتى فيُخبرنا أنّه لا يستوفي عندنا سنة حتى يُعزَل ، وخرج مصعب مغضَباً إلى أخيه

فردّه على المصرَيْن ، فأشخص حمزة إلى أبيه ، ويقال بل قدم حمزة إلى أبيه فردّ مصعباً ، فكتب مصعب من الكوفة إلى المهلَّب وهو عامله بالموصل والجزيرة أن يقدم ، فقدم عليه فضمّه إلى حمزة فولاّه قتال الخوارج وسار إلى الكوفة وكان خليفته بها القُباع ، وكان سبب خروجه إلى الكوفة أنّه بلغته حركة عبد الملك فأقام بها والأحنف معه ، فمات بالكوفة قبل مصير مصعب إلى مَسْكِـنْ ، ومشى في جنازته ، وظفر مصعب بإبراهيم بن حَيّان فقطع يده ونفاه ، فصار إلى الروم فجنى هناك جناية فقطعوا رجله .

قال عوانة : وكان إبراهيم بن الأشتر عاملاً للمختار حين قُتل على الموصل ونواحيها ، فكتب إليه المصعب يدعوه إلى طاعته والبيعة لعبدالله بن الزبير فسارع إلى ذلك ، وقدم عليه فولّى المهلَّب ما كان يليه من الموصل والجزيرة ثم عزله وأعاد إبراهيم بن الأشتر إلى عمله .

فلما صحّ عنده وصول عبد الملك يريده بعث إلى ابن الأشتر فأقدمه عليه ، فجعله على مقدّمته وسار حتى أتى دِمًا ، وهي من عمل الأَنْبار ، ثم قطع منها حتى نزل بقرب أَوَانَا وهناك دُجَيْل ودَيْر الجاثليق وبَاجُمَيْرا فعسكرهُ وموضع وقعته بين هذه المواضع ، وكاتب عبدُ الملك وجوهَ أهل الكوفة والبصرة ورغّبهم في الأموال والأعمال ، وكتب إليه جماعة منهم يستجعلونه على نصرتهم إيّاه وانحرافهم عن المصعب ولايةَ أصبهان ، فكان يسأل عنها ويقول : ما أصبهان هذه أَتَنْبُتُ الذهب والفضّة ، لقد كُتب إليَّ فيها أربعون كتاباً ، وكتب عبد الملك إلى إبراهيم بن الأشتر فجعل له ولاية العراقَيْن ، فأخذ كتابه فدفعه إلى المصعب وقال له : أُصلح الله الأمير إنّ عبد الملك لم يكتب إليّ بهذا الكتاب إلاّ وقد كتب إلى هؤلاء الوجوه بمثله وقد أفسدهم

عليك ، فأنا أرى أن تأخذ وجوه أهل المصرَيْن فتشدّهم بالحديد ، فقال له : يا أبا النعمان أتأخذ الناس بالظنّة ؟ قال : فاجمعْهم في أبْيَض المدائن لِئَلا يشهدوا الحرب معك ، قال : إذاً أُفْسِدُ قلوب عشائرهم ، قال : فابعث بهم إلى أخيك بمكّة ، فقال : ليس هذا برأي ، قال : فإن لقيتُ العدوّ فلا تُمدّني بأحد منهم وأتّهمهم .

قالوا : وبكت عاتكة بنت يزيد بن معاوية حين أراد عبد الملك المسير نحو العراق ، وبكى جواريها فقال ؛ كأنّ كُثَيّر عَزّة كان يرى ما نحن فيه حين يقول :

إذا ما أَرادَ الغَزْوَ لم تَثْنِ رَأْيَهُ حَصَانٌ عَلَيْها نَظْمُ دُرٍّ يَزِيْنُها
نَهَتْهُ فلَمّا لم تَرَ النَّهْيَ عاقَهُ بَكَتْ فبَكَى مِمّا شَجاها قَطِينُها(١)

فسار عبد الملك حتى نزل الأحيونِيَّة وهي بين مَسْكِن وتكريت ، ونزل مصعب دير الجاثليق وهو بمَسْكِن ، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ، ويقال: فرسخان ، وخَنْدَقَ مصعب خندقاً على عسكره وعسكرهُ اليومَ يُعرف بخربة مصعب ، وقال مصعب : رحم الله أبا بَحْر - يعني الأحنف بن قيس - لقد كان يقول لي: لا تلقَ بأهل العراق عدوّاً فإنّهم كالمُومِسة تريد كلّ يوم بَعْلاً ، وهم يريدون كلّ يوم أميراً .

وكان عِكْرِمة بن رِبْعِي أحد بني تيم الله بن ثعلبة ، وحَوْشَب بن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُويم الشيباني يتباريان في إطعام الطعام فقال مصعب : دَعوهما فليُنفِقا من خيانتهما وفجورهما .

---

١ - ديوان كثير- ط . بيروت ص ٢٣١ .

وأرسل عبد الملك إلى مصعب رجلاً من كلب فقال له : أقْرِىء ابن أُختك السلامَ وقُلْ له : يَدَع دُعاءَه إلى أخيه ، وأَدَعُ دعائي إلى نفسي ونصيّر الأمر شُورَى ، فقال مصعب : قل له: السيف بيننا .

فقدّم عبد الملك محمد بن مروان ومعه بِشْر بن مروان وقال : اللهم انصر محمدا ، اللهم انصر خَيْرنَا لهذه الأمّة ، وقدّم مصعب إبراهيم بن الأشتر للقائه فالتقيا وبين عسكر مصعب وبين عسكر ابن الأشتر فرسخ ، فتناوش الفريقان فقُتل صاحب لواء محمد ، وجعل عبد الملك يمدّ محمدا ، وجعل المصعب يمدّ إبراهيم ، وجعل محمد يكفّ أصحابه عن مناجزة القوم فوجّه إليه عبد الملك يشتمه ، فوقّف محمد رجلاً في جماعة وأمره أن يمنع من يأتيه من جهة عبد الملك من دخول عسكره ، فوجّه عبد الملك خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسيد فردّه أشدّ الردّ حتى إذا كان قرب المساء قال محمد للناس حَرّكوهم فتهايج القوم .

ووجّه المصعب إلى إبراهيم بن الأشتر عتّاب بن وَرْقاء الرِياحي ، وكان قد بايع عبد الملك ووعده أن يكيد له المصعب ، فلما رآه إبراهيم غمّه أمره وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون قد سألتُه أن لا يمدّني بهذا ونُظَرائه ، وانهزم عتّاب على مُواطَأَةٍ منه لأهل الشام ، فوقعت الهزيمة وقُتل ابن الأشتر وهو يقول : قد قلت : أَعْفِني من عتّاب وذوي عتّاب ، وكان الذي قتل ابن الأشتر مولى لبني عُذْرة له عُبيد بن مَيْسَرة ، واحتزّ رأسه وأتى به عبد الملك ، وأحرق جُثّتَه موالي حُصين بن نُمير ، وقال عَوانة : لما واقع محمد بن مروان ابنَ الأشتر قال ابن الأشتر لأصحابه : لا تنصرفوا حتى ينصرف أهل الشام عنكم ، فقال عتّاب بن وَرْقَاء : ولِمَ لا ننصرف ، فانصَـرَف وانهزم الناس

حتى أتوا مصعباً ، وصبر إبراهيم بن الأشتر حتى قُتل ، فلما أصبح محمد بن مروان وجّه إلى عسكر مصعب رجلاً وقال : انظر كيف تراهم فلم يعرف الطريق ، فدلّه عليه إبراهيم بن عَرَبيّ الكناني فأتى العسكر ثم انصرف ، فقال : رأيتهم منكسرين ، وقاتل مع مصعب شعيث بن ربيع بن حُشيش العنبري فصبر .

قالوا : وأصبح مصعب فدنا من محمد ، ودنا منه حتى التقوا فنزل قوم من أصحاب مصعب ، وأتوا محمدا ، فدنا محمد من المصعب ، وناداه : أنا ابن عمّك محمد بن مروان فاقبلْ أمان أمير المؤمنين فقد بذله لك ، فقال : أمير المؤمنين بمكّة ، يعني عبدالله أخاه ، فقال : يا بن عمّ إنّ القوم خاذلوك ، فأبى ما عرض وجعل يقول :

إنّ الأُلَى بالطَفّ مِن آل هاشِمٍ تَأَسَّوْا فسَنّوا لِلْكِرام التَأَسِيا

والشعر لابن قَتَّة .

ودعا محمد عيسى بن مصعب ، فقال له مصعب : انظر ما يريد عمك فدنا منه فقال:إنّي لكم ناصح ، ولك ولأبيك الأمانُ وناشده ، فرجع إلى أبيه فأخبره بما قال له ، فقال : إنّي أظنّ القوم سَيَفُون فإنْ أحببتَ أن تأتيهم فافعلْ ، فقال : لا تتحدَث نساء قريش بأنّي خذلتك ورغِبتُ بنفسي عنك ، قال : فتقدَّم حتى احتسبك ، فتقدّم وناس معه فقُتل وقُتلوا ، ونظر مصعب إلى عتّاب بن وَرْقَاء فقال : لا يُبْعِد الله ابن الأشتر فقد كان حَذَّرَنيك ، وترك الناس مصعباً وخذلوه حتى بقي في سبعة نفر ، وجاء رجل من أهل الشام ليحتزَّ رأس عيسى بن مصعب فشدّ عليه مصعب فقتله ، وشدّ على الناس

فانفرجوا عنه ، ثم جاء إلى مرفقة ديباج فجلس عليها ، ثم قام فشدّ على الناس فانفرجوا عنه .

وبذل له عبد الملك الأمانَ ، وقال له : إنه يَعِزُّ عليَّ أن تُقْتَلَ فاقبلْ أماني ولك حكمك في المال والولاية ، فأبى وجعل يضارب ، فقال عبد الملك : هذا والله كما قال القائل :

ومُدَججٍ كَرِهَ الكُماةُ نِـزالَهُ ... لا مُمْعِنٍ هَرَباً ولا مُسْتَلِئمِ

هذا والله الذي لا يجيبنا إلى أماننا ، ولا يصدف عنّا ،ودخل مصعب سُرادِقه ، فيقال : إنّه تحنّط ، فرمى السرادق حتى سقط ، وخرج فقاتل .

وأتاه عبيدالله بن زياد بن ظَبْيان فدعاه إلى المبارزة ، فقال له : يا كلبُ اغْرُبْ مثلي يبارز مثلَك ، لعمري لقد أَلْجَأني الدهرُ إلى مبارزتك ، وشدّ عليه مصعب فضربه على البَيْضة فهشمها وجرحه ، فرجع عبيدالله فعصب رأسه ، وأتى عبدالله بن أبي فَرْوة مصعباً ، وكان كاتبه فقال له : جُعلت فداك تَركك الناس وهذا الرجل ، يعني عبد الملك ، مستديم لك لعلّك تقبل أمانه وعندي خيل مقدَّحة فاركب أيَّها شئت وانْجُ بنفسك فدَثَّ في صدره ، ورجع ابن ظَبْيان إلى مصعب فحمل عليه ، فضربه مصعب وهو مُثْخَنٌ لِما أصابته من الجراحة ، فلم تعمل ضربتُه فيه ، وضربه عبيدالله بن ظَبْيان حتى مات ، ويقال : انّ ابن ظَبْيان ضربه وزرقه زائدة بن قُدامة الثَقَفي أو رماه ، ونادى يا لثارات المختار فسقط ميّتاً واحتزّ ابن ظَبْيان رأسه ، ويقال : بل أمر غلاماً له دَيْلَميّا فاحتزّ رأسه وحمله إلى عبد الملك ، فوضعه بين يديه وهو ينشد .

نُعاطي المُلوكَ الحقَّ ما قَسَطوا لَنا ... ولَيْسَ عَلَيْنـا قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمِ

فسجد عبد الملك ، فكان ابن ظَبيان يقول : لقد هممت أن أضرب رأس عبد الملك وهو ساجد ، فأكون قد قتلت مَلِكَي العرب وأرَحْتُ الناس منهما ، وقال عبد الملك لقد هممت أن أقتل ابن ظبيان فأكون قد قتلت أفْتَكَ الناس بأشجع الناس .

وقال الهَيْثَم بن عَديّ : كتب عبد الملك إلى إبراهيم بن الأشتر ، وهو مع مصعب ، كتابا فأتى به المصعب قبل أن يقرأه ، فلما قرأه قال له : يا أبا النعمان أتدري ما فيه ؟ قال : لا ، قال يعرض عليك ما سقَتْ دِجْلة أو ما سقى الفُرات، فإنْ أَبَيْت جَمعهما لك، وإنّ هذا لَمَا يُرغَب فيه، فقال إبراهيم : ما كنت لأتقلَّدَ الغدر والخيانة ، وما عبد الملك من أحد بأَيْأَسَ منه منّي ، وما ترك أحداً ممّن معك إلاّ وقد كتب إليه ، فابعثْ إليهم فاضرب أعناقهم ، وإلاّ فأَوْقِرهم حديداً ، ثم أَلْقِهِم في أَبْيَض كِسْرَى ووِكّل بهم حَفَظَةً ، فإن ظفِرتَ عفوتَ عنهم أو عاقبت ، فقال : يا أبا النعمان إني أخاف في هذا القالة ، ووالله لو لم أجدْ إلاّ النَمْلَ لقاتلت به أهل الشام .

قال : فلما اصطفّ الناس مال عَتّاب بن وَرْقاءَ فذهب ، وكان على خيل أهل الكوفة ، وجعل ابراهيم يقول لرجلٍ رجلٍ: تقدَّمْ فيأبون عليه ، فيتقدّم هو فيقاتل فلم يزل يفعل ذلك حتى قُتل ، ثم تقدم مصعب فخذله الناس ، فقال لحَجّار بن أَبْجَر : تقدَّم يا أبا أسيد إلى هؤلاء الأَنْتَان ، قال : ما تتأخّر إليه أَنْتَنُ ، ثم قال للغضبان بن القَبَعْثَرَى : تقدّم يا أبا السِمْط ، فقال ما أرى ذاك ، فالتفت إلى قَطَن بن عبدالله الحارثي ، وهو على مَذْحِج ، وأَسَد فقال : تقدّم فقال : أُسفكُ دماء مذحج في غير شيء ، فقال : أُفٍّ لكم ، ثم أقبل في عدّة ، فلما برز قال زياد بن عمرو العَتَكي

لعبد الملك : يا أمير المؤمنين إنّ أبا البَخْتريّ إسماعيل بن طلحة بن عبيدالله كان لي صديقا ، وقد خفتُ أن يُقتَل فآمِنْه ، قال : هو آمن .

ودنا محمد بن مروان فأعطى مصعباً الأمان ، فأباه ورُمِيَ مصعب من كلّ جانب فأُثخن ، وقاتل ابنُه عيسى حتى قتل ، وقتل ابن ظَبْيان مصعباً ، ويقال : ضربه غلام له على جبينه واعتوره الناس فقُتل ووقف ابن ظَبْيان فاحتزّ رأسه وأتى به عبد الملك .

قالوا : وقتل يحيى بن جَعْدة فأُتي عبد الملك برأسه فقال : ما لآل جعدة وآل الزبير ، وقتل عبدالله بن شدّاد بن الهادِ الكِناني ، ويقال : لم يقتل ولكنّه مات في تلك السنة ، وقُتل يحيى بن مبشّر اليربوعي ، وشدّ رجل على مسلم بن عمرو الباهلي فطعنه فأذراه عن فرسه ، فمرّ به رجل وهو مُرْتَثّ فقال : هذا صنيعة من صنائع بني أمية يُقْتَل تحت رايات آل الزبير ، وقال عَوانة : أُتي به عبد الملك وقد طُلب له منه الأمان وهو مُثْقَل فقال : يا مسلم ويحك نسيتَ بلاء يزيد بن معاوية عندك .

قالوا : وكان قتل مصعب في سنة اثنتين وسبعين .

قال ابن الزبير الأسدي في إبراهيم بن الأشتر :

سَأَبْكي وإنْ لم تَبْكِ فِتْيانُ مَذْحِجٍ فَتاها إذا اللَيْلُ التِمامُ تَأَوَّبا
فَتىً لم يَكُنْ في مُرَّةِ الحَرْبِ جاهِلاً ولا بمُطيعٍ في الوَغى مَن تَهَيَّبا
أبانَ أُنوفَ الحيِّ قَحْطانَ قَتْلُهُ وأَنْفَ نِزارٍ قد أَبانَ فأَوْعَبا
فَمن يَكُ أَمْسَى خائِناً لأَميرِهِ فما خانَ إِبْراهيمُ في المَوْتِ مُصْعَبا

ولما قُتل مصعب قال عبد الملك : متى تغذو النساء مثل مصعب لقد حَرصنا على استبقائه ولكنّ الله أبى ذلك .

وقال عَديّ بن الرِقاع العامِلي ، ويقال البَعِيثُ اليَشْكُري :

وَنَحْنُ قَتَلْنا آبْنَ الحَوارِيِّ مُصْعَباً أَخا أَسَدٍ والمَذْحِجِيَّ اليَمانيا
ومَرَّتْ عُقابُ المَوْتِ قَصْداً بِمُسْلِمٍ فأَهْوَتْ له ظُفْراً فأَصْبَحَ ثاوِيا[١]

يعني مسلم بن عمرو الباهلي .

ولعَديّ بن الرِقاع قصيدته التي يقول .

لَعَمري لقد أَصْحَرَتْ خَيْلُنا بِــأَكْنـافِ دِجْلَـةَ لِلْمُصعـب
إذا شِئْتُ نازَلْتُ مُسْتَقْدِمـاً إلى المَوتْ كَالجَمَلِ الأَجْرب
فمَن يَـكُ مِنّـا يَكُنْ آمِنـاً ومَن يَكُ مِن غَيْرِنا يَهْرب[٢]

وقال عبيد الله بن قيس الرُقَيّات :

لقد أَوْرَثَ المِصْرَيْنِ خِزْياً وذِلَّةً قَتيـلٌ بِدَيْـرِ الجـاثِلِيقَ مُقيم
فما قاتَلَتْ في الله بَكْرُ بْنُ وائِلٍ ولا صَبَرَت عِنْدَ اللِقاءِ تميم[٣]

في أبيات .

وقال ابن قيس أيضاً :

إنّ الــرَزِيَّــةَ يَــوْمَ مَــسْــكِـنَ والمـصيبَـةَ والـفَـجيـعَـهْ
بِــآبْــنِ الحَـوارِيِّ الـذي لـم يَعْــدُهُ يَـوْمُ الــوقَيعَه
يــا لَهْــفَــتي لَــوْ أنَّ لــي بالـدَيْرِ يَوْمَ الدَيْرِ شيعَـهْ[٤]

---

١ ـ ليسا في ديوان عدي المطبوع .
٢ ـ ديوان عدي بن الرقاع العاملي ـ ط . بيروت ١٩٩٠ ص ٥٨ ـ ٦٠ مع فوارق .
٣ ـ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .
٤ ـ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص ١٨٤ .

وقال الأُقَيْشِر الأسَدي :

حمى أنْفَهُ أنْ يَقْبَلَ الضَيْمَ مُصْعَبٌ فماتَ كَرِيماً لم تُذَمَّ خَلائِفُهْ
ولو شاءَ أعْطَى الضَيْمَ مَن رامَ هَضْمَهُ فعاشَ ملُوماً في الرِجالِ طَرائِقُهْ
ولكِنْ مَضَى والمَوْتُ يَبْرُقُ خالُهُ يُساوِرُهُ مَرّاً ومَرّاً يُعانِقُهْ
تولَّى كريماً لم تَنَلْهُ مَذَلَّةٌ ولم يَكُ رَغْداً تَطَّبيهِ نَمارِقُهْ[1]

وقال عَرْفَجَة بن شَرِيك أحد بني قيس بن ثعلبة

ما لِابْنِ مَرْوانَ أعْمَى اللهُ ناظِرَهُ ولا أُصابَ رَغيباتٍ ولا نَفَلا
يرجو الفَلاحَ آبْنُ مَرْوانٍ وقد قَتَلَتْ خَيْلُ آبْنِ مَرْوانَ خِرْقاً ماجِداً بَطَلاً
يا بْنَ الحَوارِيِّ كَم مِن نِعْمةٍ لَكُمُ لَوْ رامَ غَيْرُكُمُ أمْثالَها شُغِلا
حملتمُ فحَمَلْتُمْ كلَّ مُعْضِلَةٍ إنّ الكَريمَ إذا حَمَّلْتَهُ آحْتَمَلا

وقال الحارث بن خالد المخزومي :

هَلاَ صَبَرْتُمْ بَني السَوْداءِ أنْفُسَكُمْ حتّى تَموتوا كما ماتَتْ بنو أسدِ

وقال سُويد بن مَنْجوف السَدُوسي من أهل البصرة يحذّر مصعباً غدرَ أهل الكوفة :

ألا آبْلِغْ مُصْعَباً عَنّي رسَولاً ولَنْ تَلْقَى النَصيحَ بِكُلّ وادِ
تَعلَّمْ أنَّ أكْثَرَ مَن تُناجِي وإنْ أدْنَيْتَهُمْ فهُمُ آلأعادِي

وقال الأُقَيْشِر في أبيات له ، ويقال : ابن الزَبير :

من كان أمْسَى خائِناً لأميرِهِ فما خانَ إبْراهيمُ في الحَرْبِ مُصْعَباً[2]

---

١ ـ ليست في ديوان الأقيشر المطبوع .
٢ ـ ليس في ديوان الأقيشر المطبوع .

وقال موسى شَهَواتٍ :

قد مَضَى مُصْعَبٌ فوَلَّى حَميداً وابنُ مَروانَ آمِنٌ حَيْثُ سارا
مصعبٌ كانَ مِنْكَ أَوْرَى زِناداً حينَ تَغْشَى القَبائِلُ الأَقتارا

وقال سالم بن وابصة الأَسَدي :

أَبْلِغْ أَمـيرَ المُؤْمِنينَ رِسـالـةً ليس المُبَلَّدُ كَالجَوادِ المُسْهِبِ
لا تَجْعَلَنَّ مُؤَنَّثـاً ذا سُـرَّةٍ ضَخْماً سُرادِقُهُ وَطِيءَ المَرْكبِ
يَغْدو إذا ما الحَرْبُ أُطْفِيءَ نارُها ويَروحُ مَزْهُوّاً عَظيمَ المَوْكِبِ
كَأَغَرَّ يَتَّخِذُ السُيوفَ سُرادِقاً يَمْشي بِرايَتِهِ كَمَشْيِ الأَنْكَبِ
ومُشَهَّرٍ في الحَرْبِ فَرَّجَ سَيْفُهُ غَمَراتِ تَخْشي الرَدَى مُتَهَيَّبِ
فَاْذكُرْ ولاتَجْعَلْ بَلاءَ مُحَمَّـدٍ والخاذِلِيهِ لَدَى الحُروبِ كَجُنْدَبِ
يُدْعَى إذا ما الخَيْسُ أُحْسِنَ أُدْمُهُ وإذا تَكونُ عَظيمَةٌ لم يُنْدَبِ
وَإِلى آبْنُ مَرْوانَ الأَغَرُّ مُحَمَّدٌ بَيْنَ آبْنِ أَشْتَرِهِمْ وبَيْنَ المُصْعَبِ
نَفْسي فِداءُكَ يوم ذٰلِكَ مِن فَتًى يَكْفي بِمَشْهَدِهِ حُضورَ الغُيَّبِ

وهي في ديوانه طويلة .

المدائني ، قال : سار مصعب وحوله نفر يسير وقد خذله أهل العراق ، لِعِدَة عبد الملك إيّاهم ، وَعَدَ حجّارَ بن أَبْجر ولاية أصبهان ، ووعدها غَضْبان بن القَبَعْثَرَى ، وعتّاب بن ورقاء ، وقَطَن بن عبد الله الحارثي ، ومحمد بن عُمير بن عُطارد .

قال:وقال عُرْوة بن المغيرة : خرج مصعب يسير فوقعت عينه عليَّ فقال : يا عروة كيف صنع الحسين فأخبرته بإبائه النزولَ على حُكْم ابن زياد وعزمه على الحرب فقال :

إنّ الأُلَى بالطَفِّ مِن آلِ هاشِمٍ   تَأَسَّوْا فسَنُّوا لِلْكِرامِ آلتَّأَسِّيا

والبيت لسليمان بن قَتَّه .

قال : وقال قيس بن الهيثم لأهل البصرة وَيْحكم لا تُدخلوا أهل الشام عليكم فوالله لئن تَطعَّموا بعيشكم لَيُضَيِّقُنَّ عليكم منازلكم ادفعوهم عن داركم ، فوالله لقد رأيتُ سيّد أهل الشام على باب الخليفة يفرح بِأَن أرسله في حاجة ، ولقد رَأيتُنا في الصوائف وإنّ زاد أَحدنا على عدّة أَجمال وإنْ أحدهم ليغزو على فرسه وزادُه خَلْفَهُ .

قال : والتقى القوم فقُتل مُسْلم بن عمرو الباهلي ، وقُتل يَحْيى بن مبشِّر أحد بني ثعلبة بن يربوع فقال جرير :

صَلَّى الإلَه عَلَيْكَ يا بْن مُبَشِّرٍ   إِمَّـا ثَـوَيْتَ بِمُلْتَقى الأَجْنـادِ

مَأوَى الضَريكِ إذا السِنونَ تَتابَعَتْ   وفَتَى الطِعانِ عَشِيَّةَ العِصْوادِ

والخَيْلُ ساطِعَةُ الغُبارِ كَأَنَّها   قَصَبٌ تُحَرَّقُ أَوْ رَعيلُ جَرادِ[1]

قالوا : ولما أُخبر ابن خازم بمسير مصعب يريد عبد الملك قال : أَمَعَهُ عمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر ؟ قالوا : لا استعمله على فارس ، قال : أَفمَعَهُ المهلّب ؟ قيل : لا استعمله على الموصل ، قال : أفمعه عبّاد بن الحُصين ؟ قيل : لا استخلفه على البصرة ، قال : وأنا بخراسان .

خذيني فجُرّيني ضِباعُ وأَبْشِـري   بِلَحْمِ آمْرِيءٍ لَمْ يَشْهَدِ اليَوْمَ ناصِرُهْ

وقال ابن الكلبي : لما أُخبر بأنّ ابن مَعْمَر والمهلَّب غائبان عن مصعب ، قال :

---

١ ـ ديوان جرير ص ٩٨ مع فوارق .

فلَوْ بِهِما حَكَّتْ رَحا الحَرْبِ بَرْكَها لَقاما ولَوْ كانَ القِيامُ عَلَى رِجْلِ

وحدثني العمَري عن الهَيْثَم بن عَديّ عن عَوانة قال : قال عبد الملك يوما لجلسائه : من أشدّ الناس ؟ قالوا : أمير المؤمنين ، قال : اسلكوا غير هذه الطريق ، قالوا : عمير بن الحُباب ، قال : قبّح الله عميرا لصٌّ ثوبٌ ينازع عليه أعزُّ عنده من نفسه ودينه قالوا : فشَبيب ، قال : إنّ للحَروريّة طريقاً ، قالوا : فمن ؟ قال : مصعب كانت عنده عقيلتا قريش : سُكينة بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة ، ثم هو أكثر الناس مالاً ، جعلت له الأمان ، وضمِنتُ أن أوّليه العراق ، وعَلِمَ أنّي سأفي له لِصَداقةٍ كانت بيني وبينه فأبى وَحمِيَ أَنْفاً وقاتل حتى قُتل ؛ فقال رجل : كان يشرب الشراب ، قال : ذاك قبل أن يطلب المروءة ، فأمّا مذ طلبها فلو ظنّ أنّ الماء ينقص من مروءته ما ذاقه .

وقال المدائني : أُتي عبد الملك بجيفة مصعب فجعل ينظر إلى جسده ويقول : متى تغذو النساءُ مثلَك على نِفاقك ، وكانت على رأسه جارية تذبّ عنه فبدا لها ذَكَرُه ، وأوّلُ ما يعظُمُ من الميّت ويستمدّ جُردانُه[1] فقالت يا سيّدي : ما أُغْلَظَ أيور المنافقين فقال : آغربي قبّحكِ الله .

حدثنا أبو بكر الأعْيَنَ حدثنا أبو نُعيم الفَضْل بن دُكين حدثني عبد الله بن الزبير[2] عن عبد الله بن شَريك العامري قال : إنّي لواقف إلى جنب مصعب فأخرجتُ اليه كتاباً من قَبائي فقلت : هذا كتاب عبد الملك ، فقال : اصنَعْ ما شئتَ .

١ الجردان : قضيب ذوات الحافر . القاموس .
٢ ـ بهامش الأصل : هذا أبو أبي أحمد الزبيري .

وأخذ رجل من أهل الشام جارية له فصاحت : واذُلّاهْ ، فنظر إليها فأعرض عنها .

قال أبو نعيم : وقُتل مصعب وهو ابن ستّ وثلاثين سنة .

وقال الهَيْثَم عن ابن عيّاش : استأمن زياد بن عمرو العَتَكي لإسماعيل بن طلحة ، وقال : إنّه كان يدفع شرّ المصعب عنّي فآمَنَه ، فدنا فصاح به وكان زياد ضَخْما فأتاه وكان اسماعيل نحيفا فضرب بيده إلى مِنطقته ، وكانت مناطقُهم حواشيَ محشوَّة فاقتلعه من سرجه فقال : انشدك الله أبا المغيرة فإنّ هذا ليس بوفاءٍ لمصعب ، فقال زياد : هذا والله أحبّ اليَّ من أن أراك غدا مقتولا .

قال : خرج عبيد الله بن زياد بن ظَبْيان ، وداود بن قَحْذَم القيسي ، وبسطام بن مَصْقلة بن هُبيرة الشَيْباني ، وعمر بن ضُبيعة إلى عبد الملك برأس إبراهيم بن الأشتر .

وقال الهَيْثَم : لما قتل عبد الملك مصعباً نزل النُخيلة أربعين ليلة ، فوجّه الحجّاج إلى عبد الله بن الزبير ، وولّى بِشْراً الكوفة ، وولّى خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسيد البصرة ، ووجّه أُمَيَّة إلى أبي فُديك فهزمه ، فقدم البصرة في ثلاث ، فوجّه عبد الملك عمر بن عبيد الله بن مَعْمر إلى أبي فُديك ، ووجّه معه ابن عِضاه الأشعري وأفرشه ديوانَ المِصْرَيْن فانتخب منه ، فقتل أبا فديك ، وكتب بالفتح إلى بشر بن مروان ؛ فقال العَجّاج :

لَقَدْ شَفاكَ عُمَرُ بْنُ مَعْمَرِ   مِنَ الحَروريّينَ يَوْمَ العَسْكَرِ
وَقْعَ آمْرِىءٍ لَيْسَ كَوَقْعِ الأَعْوَرِ[1]

١ـ ليست في ديوان العجاج المطبوع .

يعني عبد الله بن عُمير اللَيْثي ، وكان وَجّه إلى نَجْدة فلم يصنع شيئاً .

وقال غير الهيثم : وجّه خالدُ أخاه أميّة ، ووجّه عبد الملك إبراهيم بن عَرَبيّ إلى اليمامة أميراً عليها ؛ فخرج عليه نوح بن هُبيرة ، وكان معه من أهل الشام ألفٌ فقتلهم .

المدائني ، قال عبد الملك : لله مصعب لو كان لأخيه سخاؤه ، وله شجاعة أخيه ، وشدّة شكيمته ما طُمع فيهما ، على أنّ مصعباً كان شُجاعاً أبِيّاً لقد أعطيناه أمانا لو قبله لَوَفينا له به ، ولكنّه آثر الموت صابراً عن الحياة .

وحدثني الحِرْمازي عن أبي زيد عن أبي عمرو بن العَلاء قال : ذكر رجل مصعباً عند عبد الملك ، فوقع فيه وصغّر شأنه فقال عبد الملك : اسكُتْ فإنّ من صغّر مقتولاً صغّر قاتله .

حدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة عن رجل من أهل مكة قال : لما أتى عبدَ الله بن الزبير مقتلُ مصعب أضرب عن ذكره أيّاماً ، ثم تحدث به الإماء بمكة في الطريق ، ثم صعد المنبر فجلس عليه مَليّاً لا يتكلم ، وإذا الكآبة بادية في وجهه وجبينُه يرشَح عَرَقاً ، قال : فقلت لصاحب لي : ألا تراه ، أتراه يَهاب المَنْطقَ والله إنّه لخطيب جريءٌ فما تظنّه تَهَيَّب ، قال : أراه يريد ذكر مصعب سيد العرب ، فهو يَفْظَع ذكره ، ثم قام فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، وملك الدنيا والآخرة ، يُؤْتي المُلْكَ مَنْ يَشَاء وَيَنْزِعُ المُلكَ مِمَّن يَشَاءُ ويُعِزُّ مَنْ يشاء ويُذلُّ مَنْ يَشَاءُ بِيَدِه الْخَيْرُ وهو عَلَى كُلّ شيْءٍ قَديرٌ [١] ، ألا وإنّه لم يذل امرؤٌ كان معه الحَقّ وإنْ كان

---

١ ـ انظر سورة آل عمران ـ الآية : ٢٦ .

فَرداً ولم يُعزّ أحد من أولياء الباطل ولو كان الناس معه طُرّاً ، إنّه أتانا خبر من العراق حَزَنَنا وأفرحنا ، وساءنا وسَرَّنا ، أتانا قتل مصعب بن الزبير رحمه الله ، فأمّا الذي حزننا من ذلك فأنّ لِفراقِ الحَميم لوعة يجدُها حميمُهُ عند المُصيبة ، ثم يَرْعَوِي ذا الرَّأْيِ والدين والحِجَى والنُهَى إلى جميل الصبر، وكريم العَزاء ، وأمّا الذي سرّنا من ذلك فإنّا قد علمنا أنّ قَتْله شَهادة وأنّ الله جاعل ذلك لنا وله خِيرَة ، إنّ أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل ثمن وأخسّه فقُتل . وإنْ قُتَلَ فمَهْ ، قد قُتِل أبوه وعمّه[1] وهما من الخيار الصالحين ، إنّا والله ما نموت حَبَجاً ، ما نموت إلاّ قَتْلاً قَعْصاً بأطراف الأَسِنّة وظُباة السيوف ، ليس كما يموت بنو مروان في حِجالهم ، فوالله ما قُتل منهم رجل قطّ في جاهليّة ولا إسلام ، ولئن ابتُليتُ بالمصيبة بمصعب ، لقد ابتُليتُ قبله بالمصيبة بإمامي عثمان بن عفّان ، ألا وإنّما الدنيا عارِّية من المَلِك الجبّار الذي لا يزولُ مُلكه ، ولا يبيد سلطانه فإنْ تُقْبِلْ عَلَيَّ لا آخُذْ الأَشِرِ البَطِرِ ، وإنْ تُدْبِرْ عَنّي لا أبْكِ عليها بكاء الخَرِفِ الهتِر[2] ؛ ثم نزل وهو يقول :

خُذيني فجُرّيني ضِباعُ وأَبْشِري   بِلَحْمِ آمْرِىءٍلم يَشْهَدِ اليَوْمَ ناصِرُهْ

قالوا : وتمثّل عبدالله حين قُتل مصعب :

لقد عَجِبْتُ وما بالدَهْرِ مِن عَجَبٍ   أَنَّى قُتِلْتَ وأَنْتَ الحازِمُ البَطَلُ

١ ـ بهامش الأصل : يعني السائب بن العوام قتل يوم اليمامة .
٢ ـ الهتر : ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن . القاموس .

وقال عبدالملك : إنّ عبدالله بن الزبير لو كان خليفة كما يقول لخرج فآسى بنفسه ، ولم يغرز ذَنَبَهُ في الحَرَم ، ثم قال : لله درُّك يا مصعب ما كان أسْخى نَفْسَك بنَفْسِك .

وقال أعْشى هَمْدان ، وهو عبدالرحمن بن الحارث بن نِظام قصيدة طويلة أوّلُها :

أَلا مَن لِهَمٍّ آخِرَ اللَّيْلِ مُنْصِبِ وأمْرٍ جَليلٍ فادِحٍ لِي مُشَيِّب

وفيها :

أَلا بَهْلَةُ (١) الله الذي عَزَّ جارُهُ على الغادِرينَ الناكثِينَ بمُصْعَبِ
جَزَى الله حَجّاراً هُناكَ مَلامَةً وفَرْخَ عُمَيْرٍ مِن مُناجٍ مُؤَلِّبِ
وما كانَ عَتّابٌ له بمُناصِحٍ ولا كانَ عَنْ سَعْيٍ عليه بمغرب
ولا قَطَنٌ ولا آبْنُهُ لم يُناصِحَا فَتَباً لِسَعْيِ الحارِثيِّ المُخَبب
وضارَبَهُمْ يَحْيى وعيسَى ذَمامَةً وضارَبَ تَحْتَ الساطِعِ المُتَنَصِّبِ
وأَدْبَرَ عَنْهُ المارِقُ آبْنُ القَبَعْثَرَى فما كان بِالحامي ولا بِالمُذَبِّبِ
ولا العَتَكِيُّ إِذْ أَمالَ لِواءَهُ فوَلَّى بِهِ عَنْهُ إلى شَرِّ مَوْكِبِ
ولا آبْنُ رُوَيْمٍ لا سَقَى الغَيْثُ قَبْرَهُ فَباءَ بِجَدْعٍ آخِرَ الدَهْرِ مُوعِبِ
وما سَرَّني مِن هَيْثَمٍ فَعْلُ هَيْثَمٍ وإِنْ كانَ فينا ذا غَناءٍ ومَنْصِبِ
ولا فِعْلُ داودَ القَليلِ وَفاؤُهُ فقد ظَلَّ مَحْمولاً على شَرِّ مَرْكَبِ
ولٰكِنْ على فَيّاضِ بَكْرِ بْنِ وائلٍ سَأُثْني وخَيْرُ القَوْلِ ما لم يُكَذَّبِ

يعني بفَرْخ عُمير محمد بن عُمير بن عُطارِد ، ويعني بالهيثم الهيثم بن الأسْوَد بن الهيثم النخَعي ، ويعني بفيّاضِ بَكْرٍ عِكْرِمة بن رِبْعيّ من بني تيم

١ ـ البهل : اللعن . القاموس .

الله بن ثعلبة بن عُكابة وكان جوادا ، ويعني بعيسى عيسى بن مصعب وبيحيى يحيى بن مُبَشِّر اليربوعي من بني تميم ، ويعني بحَوْشَب حوشب بن يزيد بن رُوَيم ، ويعني بداود داود بن قَحْذَم .

وقال أبو السفّاح من ولد عميرة بن طارق اليربوعي :

صَلّى على يَحْيَى وأَشْياعِهِ رَبٌّ غَفورٌ وشَفيعٌ مُطاعْ
يا سَيّدا ما أَنْتَ مِن سَيّدٍ مُوَطَّإِ الرَحْلِ رَحيبِ الذِراعْ
قَوّالِ مَعْروفٍ وفَعّالِهِ عَقّارِ مَثْنَى أُمَّهاتِ الرِباعْ

وقال المدائني : كان أبو العبّاس الأعمى يهجو آل الزبير ويمدح مصعباً من بينهم ، ويمدح بني أميّة ، وكان عثمانياً فقال له عبدالملك : أنشدني شعرك في مصعب فإنّا لا نتّهمك فأنشده :

رَحِمَ الله مُصْعَباً إنَّهُ عا شَ جَواداً وكانَ فينا كَريما
طَلَبَ المُلْكَ ثُمَّ ماتَ فَقيداً لَمْ يَعِشْ باخِلاً ولا مَذْموما

فقال عبدالملك : صدقت والله كذا كان .

وقال هشام ابن الكلبي : تزوّج مصعب فاطمة بنت عبدالله بن السائب ، أحد بني أسد بن عبد العُزّى ، فولدت له عيسى بن مصعب وعُكّاشة فقُتل عيسى يوم دُجيل ، ونجا عكّاشة بنفسه فقال الشاعر :

ولَوْ كانَ صُلْبَ العُودِ أَوْ ذا حَفيظَةٍ رَأَى ما رَأى في المَوْتِ عِيسَى بْنُ مُصْعَبِ

والثبت أنّ البيت قيل في حوشب بن يزيد بعد هذه الأيّام وهو:

ولَوْ كانَ حُرًّا حَوْشَبٌ ذا حَفيظَةٍ رَأَى ما رَأى في المَوْتِ عِيسى بْنُ مُصْعَبِ

وقالوا:قال عَوانة : اشترط زُفَر في صلحه ألّا يقاتل مع عبدالملك وابنُ الزبير حيٌّ ، ولم يدخل الهُذيل في الشرط ، فلما سار عبدالملك إلى مصعب

سار الهذيل بن زُفَر معه ، ثم تحوّل إلى مصعب وقاتل مع ابراهيم بن الأشتر يوم دُجيل ، فلما قُتل استخفى بالكوفة في قومه ، ثم إنّ زُفَر طلب له الأمان فآمنه عبدالملك وبايعه .

ويقال : إنّه قدر عليه بغير أمان فقال له عبدالملك : ما ظَنّك بي ؟ قال : ظنّي أنّك قاتلي ، قال : فقد أكذبَ الله ظنّك بل قد عفوتُ عنك ، وكان يحبّه لشجاعته .

قالوا : وبويع عبدالملك بدير الجاثليق ، ودُفنت جُثّة مصعب هناك فقبرُه معروف بمَسْكِن بقرب أُوَانَا ، ويُعرف موضع عسكره ووقعته بخَرِبة مصعب ، وبصحراء مصعب ، وزعموا انّها لا تُنْبِت شيئاً .

وبعث عبدالملك برأس مصعب إلى الكوفة ، أو حمله معه ، ثم بعث به الى عبدالعزيز بمصر ، فلما رآه وقد حذى السيف أنفه قال : رحمك الله أَما والله لقد كنت من أحسنهم خَلْقا ، وأشدّهم بأسا ، وأسخاهم نفسا ، ثم ردّ رأسه إلى الشام فنُصب بدمشق ، وأرادوا أن يطوفوا به في نواحي الشام ، فأخذته عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهي أمّ يزيد بن عبدالملك فغسلته وطيّبته ودفنته ، وقالت : أَما رضيتم بأن صنعتم ما صنعتم حتى تطوفوا وتنصبوه في المدن هذا بَغي .

قالوا : وكان محمد بن مروان أخذ جارية لإبراهيم بن الأشتر كُرديّة فواقعها فولدت على فراشه مروان بن محمد الجعدي ، فلذلك قيل لمروان ابن أمة النخع .

وحدثني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه ، وأبي مخنف ، أنّ مصعب بن الزبير قُتل في سنة اثنتين وسبعين ، فشخص عبدالملك إلى الكوفة

وجعل على شُرطه قطن بن عبدالله بن الحصين الحارثي ، فكان قائماً بأمرها ، ثم ولّاها عبدالملك بِشْر بن مروان ، وولّى خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد البصرة ، وكان قطن عثمانيّا لم يملْ إلى عبدالملك أحدٌ مَيْلَه ؛ ومضى عبدالملك إلى الشام ، ثم إنّه جمع العراقَيْن لبشر ، فأتى البصرة فأقام بها أربعة أشهر ، ويقال : ستّة أشهر ، وهو عليل ومات ؛ فولّى عبدالملك الحجّاج العراق ومات عبدالملك في سنة ست وثمانين ؛ فكانت ولايته بعد قتل مصعب أربع عشرة سنة .

وقال أبو اليقظان : عاش عبدالملك بعد قتل المصعب أربع عشرة سنة .

المدائني عن مسلمة بن محارب وعَوانة : أنّ عبدالملك قدم الكوفة حين قتل المصعب فقال للهيثم بن الأسود : كيف رأيت صَنَعَ الله ؟ قال : صنع يا أمير المؤمنين خيراً ، فخفِّف الوطء وأقل التّثْريب ، فوالله ما نِيلَ فضلٌ قط إلّا بعفو وصبر واحتمال .

وتقدّم رجل من الأنصار فأنشده :

الله أَعْطاكَ التي ما فَوْقَها   وقد أَرادَ المُلْحِدونَ عَـوْقَها
عَنْكَ ويَأبَى الله إلّا سَوْقَها   إلَيْـكَ حتى قَلَّدوكَ طَوْقَهـا
وحَمَّلوكَ ثِقْلَها وأَوْقَها (١)

قالوا : وهيَّأ عمرو بن حُريث ـ وكان خليفة المصعب على الكوفة حين شخص إلى مَسْكِن ، وكان مائلا الى عبدالملك وقد كاتبه فيمن كاتبه ـ

---

١ ـ الأوق : الثقل : القاموس .

لعبدالملك طعاماً فدخل عبدالملك قصر الكوفة من النُخيلة فقال له عمرو تأذن لخاصّتك أم تجعله إذنا عامّا ؟ فقال : بل اجعله إذناً عامًّا ، فأذن للناس ووُضعت الموائد فأكل عبدالملك وأكلوا ؛ ويقال : انّ عبدالملك اجلس عمرا معه على المائدة فقال له : أي الطعام أحبّ إليك وأطيب عندك ؟ فقالَ : عناقٌ حمراء قد أُجيد تمليحها وأحكم نضجُها فقال عبدالملك : ما صنعتَ يا أبا سعيد رحمك الله شيئاً ، فأين أنت عن عُمْرُوس [١] راضع قد أُجيد سَمْطه ، واحكم شَيُّه إذا اختلجتَ منه عضواً تبعك العضو الذي يليه ؛ فلما فرغوا من طعامهم أقبل عبدالملك يدور في القصر ومعه عمرو بن حُريث ، وجعل يسأله عمّا أحدث فيه رجلٌ رجل ، ويسأله أيضاً عمّا أشرف عليه من قصور الكوفة فيقول : هذا لفلان ، وهذا لفلان ، وأحدث هذا فلان ، وجعل عبدالملك ينشد :

فكُلُّ جَديدٍ يا أُمَيْمَ إلى بِلًى ... وكُلُّ آمْرِىءٍ يَوْمَاً يَصيرُ إلى كانْ

ثم استلقى على فراشه وأنشد

إعْمَلْ على مَهْلٍ فإنَّكَ مَيّتُ ... وآكْدَحْ لِنَفْسِكَ أَيُّها الإِنْسانُ
فكَأَنَّ ما قد كانَ لَمْ يَكُ إِذْ مَضى ... وكَأَن ما هُوَ كائِنٌ قَدْ كانْ

وقال بعضهم : إنّ عبدالملك أمر فاتُّخذ له الطعام ووُضعت الموائد فجاء عمرو بن حُريث يترَيبْل [٢] في مِشْيته فاستدناه وأكل معه وسأله عن أطيب الطعام فأجابه بما ذكرنا ، وأنَّ الطعام كان بالخَوَرْنَق ، قال : فلما أكل

١ ـ بهامش الأصل : حمل .
٢ ـ يقال لص ريبال وذئب ريبال وهو من الجرأة وارتصاد الشر ، والريبال الأسد ، والمقصود أنه جاء يمشي على حذر . انظر اللسان .

عبدالملك وأكل الناس أقبل يطوف ويسأل عمراً عن الخورنق ، وعمّا أشرف عليه من الأبنية فيخبره بذلك ثم أنشد الشعر .

وولّى عبدالملك الحجّاج بن يوسف محاربة عبدالله بن الزبير ، وأنفذه من الكوفة .

وقال ابن الكلبي والهَيْثَم بنْ عديٍ وغيرهما : لما دخل عبدالملك الكوفة قصد الى المسجد فخطب خطبة ذكر فيها صُنْع الله له ، ووعَدَ المُحْسِنَ ، وتوعّد المُسيءَ وقال : إنَّ الجامعة التي وضعتْ في عنق عمرو بن سعيد عندي ، والله لا أَضَعُها في عنق رجل فأنزعها إلا صُعْدًا لا أفكها عنه فكًّا ، فلا يَتَّقِينّ آمرؤ الاّ على نفسه ولا يُولِغَنّي دمه .

المدائني ، قال : دعا عبدالملك بالنُخيلة إلى البيعة ، فجاءت قُضاعة فرأى قلّتها فقال : يا معشر قضاعة كيف سلِمتم من مُضَر مع قلّتكم ؟ فقال عبدالله بن يَعْلَى النهدي: نحن أعزّ منهم وأمنع، قال: بمن؟ قال: بمن معك يا أمير المؤمنين ، ثم جاءت مذحج وهمدان فقال : ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً ، ثم جاءت جُعْفِيّ ، فلما رآهم قال : يا معشر جعفيّ اشتملتم على ابن اختكم وواريتموه ، يعني يحيى بن سعيد بن العاص ؟ قالوا : نعم قال : فأتوني به ، قالوا : وهو آمن ؟ قال : وتشترطون أيضاً ؟! فقالوا : إنا والله ما نشترط جهلاً بحقّك ، ولكنّا نتسحَّب عليك تسحُّبَ الولد على والده ، قال : أما والله لنِعْمَ الحيُّ أنتم إنْ كنتم لَفرساناً في الجاهليّة والإسلام ، نَعَم هو آمن ، فجاءوا به ، فقال له ـ وكان يكنى أبا أيّوب ـ: بأيّ وجه تلقى ربك وقد خلعتني ؟ قال : بالوجه الَّذي خَلَقَ فَسَوَّى ، فقال عبد الملك : لله درّه أي ابن زوملة هو ، يعني عَرَبِيّة .

وتقدّم رجل من عَدْوان فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من عدوان ، فقال عبد الملك :

غَـديرَ الحَيِّ مِن عَـدْوا نَ كـانـوا حَيَّـةَ الأَرْضِ
بغى بَعْـضُـهُـمُ بَعْـضـاً فلَمْ يَـرْعَـوْا عَـلَى بَعْضِ
ومِـنْهُـمْ كـانَـتِ الـسـادا تُ والمـوفـونَ بِـالقَـرْضِ

ثم قال للرجل : إيهٍ ؟ فقال : لا أدري ، فقال مَعْبَد بن خالد الجُدَلي

ومِـنْهُـمْ حَـكَـمٌ يَـقْضي فـلا يُنْقَضُ مـا يَـقْضي
ومِنْهُمْ مَـن يُجيـزُ الحَـــ ـــجَّ بِـالسُّنَّةِ والفَـرْضِ

فقال للرجل : لمن هذا ؟ قال : لا أدري ، قال معبد : هو لذي الإِصْبَع العَدْواني واسمه حرثان بن محرّث بن الحارث بن شَباب ، فقال للرجل : كم عطاؤك ؟ قال : سبعمائة ، وقال لمعبد : في كم أنت ؟ قال في ثلاثمائة ، فأمر فحُطّ الرجلُ أربعَمائة ، وزِيدَها معبدٌ ، فصار في سبعمائة ، والآخر في ثلاثمائة وقال : هذا لجَهْلك ؛ ثم أوصى به عبد الله بن اسحاق بن الأشعث ، وقال لبِشْر : اجعله في صحابتك .

وولّى عبد الملك قَطَن بن عبدالله الكوفة أربعين يوماً ، ثم عزله وولّى بشْراً وقال : قد ولّيت عليكم بشراً وأمرته بالإحسان إلى مُحْسِنكم ، واللين لأهل الطاعة والشدّة على أهل المعصية والريبة منكم ، فاسمعوا له وأطيعوا وأحسنوا مكانفته ومعاونته ، وولّى محمد بن عُمير همدانَ وحَوْشب بن يزيد بن رُوَيم الرَيّ ، وبعضهم يقول : ولّى يزيد بن رويم الريّ ، وذلك وَهْم ، لأنّ يزيد قُتل قبل مقتل الزُبير بن عليّ الخارجي ، وخروج قَطَريّ ، وذلك

قبل قتل مصعب ، وقال بعضهم : ولّى الريّ وهمدان محمد بن عمير ، وهو أشبه ، وفرّق العُمّال ولم يَفِ لأحد وعده بولاية أُصبهان .

وقال المدائني : لجأ عبدالله بن يزيد بن أسد إلى عليّ بن عبدالله بن العبّاس ، ولجأ إليه أيضاً يحيى بن مَعْيُوف الهمداني ، ولجأ الهذيل بن زُفَر بن الحارث وعمرو بن يزيد الحَكَمي إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، فآمنهم عبد الملك بن مروان .

حدثني محمد بن سعد عن أبي نُعيم حدثنا يونس بن أبي اسحاق عن أبي اسحاق قال : كنت أنا والأسود بن يزيد في الشُرَط أيّام مصعب ، قالوا : ولما أراد عبد الملك الشخوص إلى الشام خطب الناس فعظّم عليهم حَقّ السلطان ، وقال لهم هو ظِلّ الله في الأرض ، وحثّهم على الطاعة والجماعة ، وذكر ابن الزبير وخلافه وخروجه ممّا دخل الناس فيه من بيعة يزيد وغيره وحُكمَ الله له عليه ، وقال : إنّه لو كان خليفة كما يزعم لأبدى صَفْحته وآسى أنصارَه بنفسه ولم يَغْرِز ذَنبه في الحَرَم ، ثم أعلمهم أنّه قد ولّى مصرهم أخاه بشراً وآثرهم به وأمره بالإحسان إلى مُحْسنهم ومُطيعهم ، والشدّة على أهل المعصية والريبة منهم وأمرهم بالسمع والطاعة له ، وأن يُحسنوا مُوازرته ومكانَفته ويَخفّوا لِما أَهاب بهم إليه ، وولّى خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسيد البصرة .

وأنشدني محمد بن الأعرابيّ الراوية في بيعة عبد الملك لرجل من بَلْقَين :

بِدَيْرِ الجاثِليقِ على دُجَيْلٍ عَقَدْنا بَيْعَةَ المَلِكِ الهُمامِ
عَقَدْنا بَيْعَةً لا إِثْمَ فيها سَيَحْوي فَخْرَها أَهْلُ الشّآمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر عبد الله بن الزبير في أيام عبد الملك ومقتله

قال الواقدي وغيره : لما بويع عبد الملك وهو بالشام بعث إلى المدينة عروة بن أُنيف في ستّة آلاف من أهل الشام وأمره أن لا ينزل على أحد وأن لا يدخل المدينة ، وأن يعسكر بالعَرْصة[1] ففعل ، وكان عامل عبدالله بن الزبير على المدينة الحارث بن حاطب بن الحارث بن مَعْمَر الجُمَحي ، ولاّه إيّاها بعد عزله مقوم الناقة لتشاؤم الناس بمُقَوِّم الناقة ، وغلاء السِعْر في ولايته ، حتى بلغ مُدّ النبي ﷺ درهمَيْن ، فهرب الحارث وكان ابن أُنيف يدخل فيصلّي الجُمعة بالناس ثم يعود إلى مُعَسْكرَه ، فأقام وأصحابُه شهراً لا يبعث إليهم ابن الزبير أحدا ، ولم يلقوا كيْدا ، فكتب عبد الملك إلى ابن أُنيف ومن معه في القفول إلى الشام فلم يتخلّف منهم أَحد ، وكان يصلّي بالناس بعده عبد الرحمن بن سَعْدِ القَرَظِ ثم عاد الحارث بن حاطب إلى المدينة ، ووجّه ابن الزبير سليمان بن خالد الزُرَقي من الأنصار ، وكان رجلاً

١ ـ عرصة عقيق المدينة ، من أفضل بقاعها وأكرم نواحيها وأنزه أصقاعها . المغانم المطابة .

صالحاً ، وجدُّه ممّن شهد العَقَبَة ، إلى الحارث ، وأمره بتوليته خيبر وفَدَك ، فخرج سليمان فنزل في عمله .

وبعث عبد الملك عبد الواحد بن الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص ، ويقال عبد الملك بن الحارث بن الحكم وهو الثبث ، في أربعة آلاف إلى المدينة فلما نزل أول عمل ابن الزبير ممّا يلي الشام ، هرب عُمّاله ، وسار عبد الملك حتى نزل وادي القُرَى ووجّه منها خيلاً عليها أبو القمقام إلى سليمان بن خالد فوجدوه قد هرب ، فطلبوه حتى لحقوه فقتلوه ومن معه ، فلما بلغ ذلك عبد الملك اغتم وقال : قتلوا رجلاً مسلماً مُحْرِماً صالحاً بغير ذَنْب ، ودخل عليه قَبيصة بن ذؤيب بن حَلْحَلة بن عمرو الخُزاعي ، وكان يتولّى خاتم عبد الملك ، ورَوْح بن زِنْباع الجُذامي فنعاه إليهما فارتاعا لذلك ، وترحّما عليه .

وعزل ابن الزبير ابنَ حاطب الجُمَحي ، وولّى مكانه جابر بن الأسود بن عوف الزُهْري ، فوجّه جابرٌ أبا بكر بن أبي قيس في ستّمائة وأربعين فارساً إلى خيبر ، فوجدوا أبا القمقام ومن معه وهُم الخمسمائة الذين قتلوا سليمان الزُرَقي مقيمين بفَدَك يعسفون الناس ويأخذون أموالهم ، فقاتلوهم وانهزم أصحاب أبي القمقام ، وأُخذ منهم ثلاثون رجلاً أُسرى فقتلهم أبو بكر صَبْراً ، ويقال : بل قتل الخمس المائة أو أكثر هم ، وكان عبد الملك قد وجّه طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفّان ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

وَلَوْ تَكَلَّمْنَ ذَمَمْنَ طارِقا والدَهْرُ قد أَمَّرَ عَبْداً آبِقا

وأمره أن ينزل بين أَيْلة ووادي القُرَى ،فيمنع عُمّال ابن الزبير من الانتشار ، ويحفظ ما بينه وبين الشام ، ويسدّ خَلَلاً إن ظهر له ، فوجّه طارق إلى أبي بكر خيلاً فاقتتلوا ، فأُصيب أبو بكر في المعركة ، وأصيب من أصحابه

أكثر من مائتي رجل ، وكان ابن الزبير قد كتب إلى القُباع أيّامَ كان عامله على البصرة في البعث إليه بألْفَي رجل ليعينوا عامله على المدينة ، ويقيموا معه بها فوجّه رجلاً في ألفين فكان مع جابر .

فلما قُتل أبو بكر بن أبي قيس ، كتب ابن الزبير إلى القادم من البصرة يأمره أن يخرج في أصحابه فيلقى طارقا ، وبلغ طارقا الخبر ، فصار نحو المدينة فالتقيا بموضع يُعرف بشَبَكَة الدَوْم ، فقُتل البصريُّ وقُتل أصحابُه قتلاً ذريعاً ، فطلب مُدْبرهم وأجهز على جريحهم ولم يَسْتَبْقِ أسيرهم ولم يَنْجُ منهم إلّا الشريد ، فلما بلغ ابن الزبير مقتله كتب إلى عامله على المدينة يأمره أن يفرِض لألْفَيْ رجل من أهل المدينة وما والاها ليكونوا رِدْءاً لها ، ففرض الفرض ولم يَأْتِه مال فبطل فسُمِّيُ ذلك الفَرْض فرض الريح .

قال الواقدي : ويقال إنّ هذا الفرض كان في ولاية ابن حاطب .

ورجع طارق إلى وادي القُرَى فكان سيّارةً فيما بين المدينة ووادي القرى وأيله ، وكان عامل ابن الزبير مقيماً بالمدينة ؛ قال : وعزل ابن الزبير جابر بن الأسود وولّى في صفر سنة سبعين طلحة بن عبدالله بن عوف ، الذي يعرف بطلحة النَدَى ، فلم يزل على المدينة حتى أخرجه طارق بن عمرو ، وقد قدمها يريد الحجّاج والحجّاج بمكة ، وكان طارق حسن العفو والتقيّة له رِفْق .

وقال الواقدي : لما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير وأتى الكوفة ، وجّه منها الحجّاج بن يوسف إلى عبدالله بن الزبير في ألفَين ، ويقال : في ثلاثة آلاف ، ويقال في خمسة آلاف من أهل الشام ، وذلك في سنة اثنتين وسبعين ، فلم يعرض للمدينة ولا طريقها ، وسار على الرَبَذة حتى أتى

الطائف ، فكان يبعث البعوث إلى عَرفة ، ويبعث ابن الزبير إليه أصحابه فيقتتلون هناك وكُلَّ ذلك تُهْزَم خيل ابن الزبير ، وترجع خيل الحجّاج إلى الطائف .

وقال عَوانة بن الحَكَم : دخل عبد الملك بن مروان الكوفة حين قتل مصعباً فأقام بها أيّاماً ، ثم وجّه جيشاً إلى ابن الزبير ، وهو بمكة واستعمل عليه الحجاج بن يوسف الثقفي ، فأقبل عليه الهَيْثَم بن الأسود النَخَعي فقال له : يا أمير المؤمنين أوصِ هذا الغلام الثقفي بالكعبة ، ومُرْه أن لا ينفّر أطيارها ، ولا يَهْتِك استارها ، ولا يرمي أحجارها ، وأن يَأخُذ على ابن الزبير بشعابها وفجاجها وأنفاقها ، حتى يموت فيها جوعاً أو يخرج عنها مخلوعا ، فقال عبد الملك للحجاج : افعَلْ ذلك واجتَنِب الحَرَم وانزل الطائف .

فسار الحجاج حتى نزل الطائف ، ثم إنّه كتب إلى عبد الملك إنّك متى تَدَع ابن الزبير وتكفّ عنه ولا تأمر بزَحْمه ومصادمته يكثر عَدَدُه وعُدَدُه وسلاحه فَأْذَنْ لي في قتاله ومناجزته فكتب إليه : افعَلْ ما ترى ، فأمر أصحابه أن يتجهّزوا للحجّ ، ثم أقبل من الطائف ، وقدّم مقدّمته ، فنصبوا المنجنيق على أبي قُبيس ، فلما هبطوا إلى مِنىً رأى مَن في عسكر الحجاج المنجنيق منصوبة فقال الأُقَيْبِل بن شِهاب الكلبي ، وهو يُنسَب في القَيْن بن جَسْر ، فيقال القَيْني :

لَعَمْرُ أَبي الحَجّاجِ لو خِفْتُ ما أَرَى ... مِنَ الأَمْرِ ما أُلْفِيتُ تَعْذُلُني نَفْسي
فلَمْ أَرَ جَيْشاً غُرَّ بِالحَجِّ قَبْلَنا ... ولم أَرَ جَيْشاً مِثْلَنا غَيْرَ ما خُرْسِ

يقول لا يتكلم ولا يُنْكِر :

خَرَجْنا لِبَيْتِ الله نَرْمي سُتورَهُ وأَحْجارَهُ زَفْنَ الوَلائِد في العُرْسِ
دَلَفْنَا له يَوْمَ الثَلاثاء مِن مِنىً بجَيْش كَصَدْرِ الفيلِ لَيْسَ بِذي رَأْس
فإلّا تُرِحْنا مِن ثَقيفٍ ومُلْكِها نُصَلّ لِأَيّامِ السَباسِبِ والنحْسِ

فبلغ الحجاج الشعر ، فطلبه ليقتله ، فهرب حتى لحق بدمشق ، فضرب على قبر مروان بن الحكم خيمة مستجيراً به ، فدعا به عبد الملك ، فلما صار بين يديه أنشده :

إنّي أعوذُ بِقَبْرٍ لَسْتَ مُخْفِرَهُ ولا أَعوذُ بِقَبْرٍ بَعْدِ مَرْوانا

فقال عبد الملك : وأنا لا أُعَوِّذُ به أحداً بعدك ، وأمر كاتبه أن يكتب له إلى الحجاج بأن يُمسك عنه ، ويُعلمه أنّه قد آمنه ، فقال له الكاتب : عُدْ إليَّ ، فلما خرج أمره عبد الملك أن يكتب إليه إني قد صرفت إليك الأُقَيْبِل فاعمَلْ فيه بما ترى فإنك محمود الرأْي مُوَفَّق للصواب فكتبه وختمه ، فلما أخذه وانطلق به متوجّهاً يريد مكة فكر في أمره ، فقال لعلّ الكتاب مثل صحيفة المُتَلَمّسِ ففتحه ودفعه إلى من قرأه له فأنشأ يقول :

لَأَطْلُبَنَّ حُمولاً قد عَلَتْ شَرَفاً كَأَنَّها في الضُحَى نَخْلُ مَواقيرُ
فقد عَلِمْتُ وعِلْمُ المَرْءِ يَنْفَعُهُ أَنّ انطِلاقي إلى الحَجّاجِ تَغْريرُ
مُسْتَحْقِباً صُحُفا تَدْمَى طَوابِعُها وفي الصَحائِفِ حَيّاتٌ مناكيرُ
لَئِنْ أَتَيْتُكَ يا حَجّاج مُعْتَذِراً إذاً فلا قُبِلَتْ تِلْك المَعاذيرُ
وإنْ ظَهَرْتُ لِحَجّاجٍ لِيَقْتُلَني إنّي لَأَحْمَقُ مَن تُحْدَى به عِيرُ

ثم لحق بقومه في باديتهم ، فلم يزل معهم حتى هلك .

وحصر الحجاج ابن الزبير في المسجد ، وألحّ عليه بالمنجنيق ، وصيّر على رماتُها رجلاً من خَثْعَم فجعل يرمي البيت وهو يقول :

خَطَّارَةٌ مِثْلُ الفَنِيقِ المُزْبِدِ نَرْمِي بها عُوَّاذَ هذا المَسْجِدِ

وقد كان رُماة المنجنيق يقولون مثل هذا في حصار حُصين بن نُمير أيّام يزيد بن معاوية .

وقال الواقدي : كتب الحجاج من الطائف إلى عبد الملك يسأله المَدَد ويستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحرم ويُعلمه أنّه قد رُوخِيَ له في خِناقه ، وأنّه في فُسْحة من أمره ، فأذن له في ذلك ، وكتب إلى طارق بن عمرو يأمره باللحاق به ، فقدم المدينةَ في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ، فخرج عامل ابن الزبير عنها ، وصيّر عليها طارق بن عمرو رجلاً من أهل الشام يقال له ثعلبة ، فكان ثعلبة يَنْكُت المُخّ على منبر رسول الله ﷺ ويأكله ، ويأكل التمر على المنبر ليغيظ بذلك أهل المدينة ، وكان مع ذلك شديداً على أهل الريبة ، فأمِنَت الطُرقُ وكان أصحابه يتعبّثون فيضربهم بالسياط ، وأخذ قوماً تناولوا من شعير لرجل قد دقّ شعيره فضرب كل امرىء منهم خمسمائة سوط ، وأُتي برجل اغتصب امرأةً نَفْسَها فضربه بالسياط حتى مات ، ثم صلبه على باب المرأة ، وقال جابر بن عبدالله لما رأى صنيعه على منبر رسول الله ﷺ : رحم الله عثمان أنكروا من أمره ما قد رأوا أَعْظَمَ منه أَضْعافاً ، وإنْ كانت سيرة طارق صالحة .

قال : وكانت العِيرُ تحمل إلى أهل الشام من عند عبد الملك السَويق والكعك والدقيق ، لا تَفْتُرُ حتى أَخْصَبوا .

قال : ونحر ابن الزبير ونفرٌ معه البُدُنَ عند المَرْوة إذ لم يقدروا على إتيان مِنىً وعَرَفَة ، وسأل الحجاج ابنَ الزبير أن يطوف بالبيت فلم يَأْذَنْ له في ذلك إذ لم يأذن له الحجاج في حضور عرفة .

وكان عبد الملك يُنكر رَمْيَ البيت في أيّام يزيد بن معاوية ، ثم أمر بذلك ، فكان الناس يتعجّبون منه ويقولون خُذل في دينه ، وحجّ عبدالله بن عمر في تلك السنة ، فأرسل إلى الحَجّاج أن اتَّقِ الله واكفُفْ هذه الحجارة عن الناس ، فإنّك في شهر حرام ، وبلد حرام ، وقد قدمت وفود الله من أقطار الأرض يضربون آباط الإبِل ويمشون على أقدامهم ليُؤَدُّوا فريضة أَوْ يزْدادوا مُزداد خَيْرٍ ، فإنّ المنجنيق قد منعَتْهم من الطواف ، فكَفَّ عن الرَمْي حتى قَضَوْا ما يجب عليهم بمكة .

وخرجوا إلى مِني وعَرَفة فوقف بالناس بها وشهد معهم المشاهد ولم يعرض ابن الزبير للحُجّاج في الزِيارة وغيرها ، ونادى منادي الحَجّاج في الناس أن انصرفوا إلى بلادكم ، فإنّا نعود بالمنجنيق على المُلْحِد ابن الزبير ، وتحلّب الناس إلى ابن الزبير ليقاتلوا معه إعظاماً للبيت وحُرمته ، وقدم عليه قوم من الأعراب تُقعقع وِفاضُهم ، وقالوا : قدمنا لنقاتل معك فأَعِنّا على قتال أعدائك ، فإذا مع كلّ امرىءٍ منهم سيف كأنّه شَفْرة قد خرج من غِمْدِهِ فقال : يا معشر الأعراب لا قرّبكم الله ، فوالله إنّ سِلاحكم لرَثّ ، وإنّ حديثكم لغث ، وإنّكم لعيال في الجَدْب ، وأعداء في الخِصْب فتفرّقوا عنه .

وقال الواقدي في روايته : قدم على ابن الزبير حُبْشان من الحَبَشة فقاتلوا معه ، فكانوا يرمون بمزاريقهم فلا يقع لهم مِزراق إلاّ في رجل ، فقتلوا من الشاميين جماعة ونَهَكوا ، فحمل عليهم أهل الشام فانكشفوا

وجعلوا يعتذرون إلى ابن الزبير ويقولون : لسنا بأصحاب مواجهة ، ولكنّا أصحاب اتّباع بالمزاريق إذا ولوا ، فلم يزل بعد ذلك يواجه الشاميينّ بأصحاب السيوف ويتقدّم ، وإذا وَلَّى القومُ أمر أصحاب المزاريق فرموهم ، ثم إنّهم فارقوه لضيق الأمر عليهم .

قال : وكان مع ابن الزبير قوم قدموا مع ابن عُديس من مصر ، ثم صاروا خوارج ذَوو شجاعة وبأس فقاتلوا معه دافعين عن البيت مُعظمين لِحُرْمته وكانت لهم نكاية في أهل الشام ، فبلغه عنهم ما يقولون في عثمان رضي الله تعالى عنه فقال : والله ماأُحِبُّ أن أستظهر على عدويّ بمن يُبْغِض عثمان ، ولا بأَنْ أَلْقي الله إلا ناصراً له ، وجعل يماكرهم ، فقالوا : والله ما نرى أن نقاتل مع رجل يكفّر أسلافنا ، وما قاتلنا إلاّ لحرمة هذا البيت ، وأَنْ نَرُدَّها شُورَى فتفرّقوا عنه فاختلّ عسكره وعَرِيَتْ مصافّه ودنا منه عدوّه حتى قاتلوه في جوف المسجد ، فقال عبيد بن عُمير : عَجَباً لك ولِمَا صنعت لهؤلاء القوم ، وهم أهل البلاء الحسن والأثر الجميل هَلاّ سكتَّ عنهم واحتملتَهم إلى أن يصنع الله وتَضَعَ الحبُ أوزارها ، وقد قلتَ: لو أنّ الشياطين أعانتني على هؤلاء القوم لقَبِلْتهم وقد كان رسول الله ﷺ يستعين في حربه بالمنافقين واليهود .

قال : وأصابت الناس مجاعة شديدة حتى ذبح ابن الزبير فرساً له وقسم لحمه في أصحابه .

وقال الواقدي : حدثني ابن جُريج عن عَطاء قال : رأيت العُبّاد من أصحاب ابن الزبير يأكلون لحوم البراذين في حصر ابن الزبير .

وقال الواقدي في روايته : وبِيعَت الدجاجة بعشرة دراهم ، ومُدّ الذُرَة بعشرين درهماً ، وإنّ بيوت ابن الزبير لمملوءة قَمْحاً وشعيراً وذُرة وتمراً .

وقال ابن الكلبي وغيره : كان أهل الشام ينتظرون فَناءَ ما كان عند ابن الزبير من الطعام ، فكان يحوط ذلك ولا ينفق منه إلّا ما يُمسك الرَمَق ويقول : أنفسُهم قويّة ما لم يَفْنَ ، يعني أنفُس أصحابه .

قالوا : ولما صدر الناس عن الحجّ أعاد الحجاج الرمي بالمنجنيق ، فلقد كان الحجر يقع بين يدي عبدالله بن الزبير وهو يصلّي فلا يبرح .

وحدثني أحمد بن ابراهيم الدَوْرَقي حدثنا محمد بن كثير حدثنا حمّاد بن سَلْمة عن قتادة قال : كان حجر المنجنيق يجيء عبدالله بن الزبير فيقال له تَنَحَّ فيقول :

سَهِّلْ عَلَيْكَ فإنّ الأُمورَ بِكَفِّ الإلهِ مَقاديرها
فلَيْسَ بِآتيكَ مَنْهيُّها ولا قاصِرٌ عَنْكَ مَأمورها

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزِناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال : رأيت حجارة المنجنيق يُرْمَى بها الكعبة حتى كأنها جيوب النساء ، ولقد رُمِيَت بكَلْب فكَفَأ قِدْراً لنا فيها جشيشة[1] فأخذناه فوجدناه كثير الشحم ، فكان أشدّ إشباعاً لنا من الجشيشة .

وقال عوانة : رُمِيَت الكعبة حتى ارْتَجّتْ ووَهَتْ فارتفعت سحابة ذاتُ بَرْقٍ ورَعْدٍ فسقطت صاعقةٌ على المنجنيق فأَحْرَقَتْها وقَتَلَت من أصحابها اثني عشر رجلاً ، فذُعر أهل الشام من ذلك ، وكفّوا عن القتال ، فقال الحجاج

١ ـ الجشيش : السويق وحنطة تطحن جليلاً فتجعل في قدر ويلقى فيها لحم أو تمر فيطبخ . القاموس .

إنها تِهامة ، وهي بلاد كثيرة الصواعق فلا يَروعنّكم ما تَرَوْنَ فإنْ من قبلكم كانوا إذا قرّبوا قُرباناً بُعثت نارٌ فأكلتْه ، فيكون ذلك علامةَ تقبُل ذلك القربان ، فأتي بمنجنيق أخرى وعاود الرَمْيَ .

المدائني عن مسلمة عن أشياخ له قال : رمى الحجاج البيت ، فسقطت على المنجنيق صاعقةٌ في يوم مَطير فقال : لا يروعنكم فإنّها صواعق تهامة .

قال : وجعل أهل الشام يقولون وهم يرمون :

يَا بن الزُبَيْر طالَ ماعَصَيْكا وطـالَ مـا عنيتنـا اليكـا
لَتُجْـزَيَنَّ بَـالـذي أَتَيْكـا لَنَضْـرِبَنْ بسيفنـا قفيكـا

وجعلوا يقولون كقولهم في أيّام حصار حُصين بن نمير :

كيف ترى صَنيعَ أُمِّ فَرْوَهْ تَقْتُلُهمْ بَـيْنَ الصَفَا والمَـرْوَهْ

وكان مع الحجاج ممّن مع الحُصين .

حدثني محمد بن سعد و الوليد بن صالح قالا : حدثنا الواقدي حدثني اسحاق بن يحيى بن يوسف قال : رُمي بالمنجنيق فرعدت السماء وبرقت فتهيّب ذلك أهل الشام فرفع الحجاج بيده حجراً ووضعه في كِفّة المنجنيق ورمى بعضُهم ، فلما أصبحوا جاءت صاعقة فقتلت من أصحاب المنجنيق اثني عشر رجلا فانكسر أهل الشام ، فقال الحجاج : يا أهل الشام لا تُنكروا ما تَرَوْن فإنّما هي صواعق تهامة ، وعَظَّم عندهم أمر الخلافة ، وطاعة الخلفاء .

وقال ابن الكلبي : اصابت الناس مجاعة في ايّام ابن الزبير وكان عامله على وادي القرى الجّراح بن الحُصين بن الحارث الجُعْفي ، وكان لابن الزبير

بها تمر كثير من تمر الصدقة ، فأنهبه فلما قدم عليه جعل يضربه بدِرّته ويقول : أكلت تمري وعصيت أمرى ، فلما كان حصار الحجاج إيّاه ، دعا الحجاج الجّراح بن الحُصين فقال له حدثني حديث المُلِحْد وحديثك فدعا وجوهَ من معه فقال : اسمعوا أهذا ممن يرجى لخير؟!

قال:وقدم عبدالله بن دَرّاج ، مولى معاوية مكة ، فاتّهمه ابن الزبير فقتله ، فقال ابن الزبير الأسدي :

أيها العائذ في مكّةَ كَمْ   مِن دَم أجْرَيْتَهُ في غَيْرِ دَمْ
أيدُ عائذة مُعْصِمَةٌ   ويَدٌ تَقْتُلُ مَن جاءَ الحَرَمْ

قالوا : ولما كان قبل مقتل عبدالله بن الزبير بيومٍ ، خطب الحجاج أصحابَه وحضهم وقال : هذا الفتح قد حضر ، وقد ترون خفّة مَن مع الملحد ابن الزبير مِن الرجال وقلتهم وما فيه أصحابه من الضيق والجهد ، ففرحوا واستبشروا وملأوا ما بين الحجون إلى الأبواب .

وقالت أسماء بنت أبي بكر، أُمّ عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم : والله ما أنتظر إلّا أن تُقْتَلَ فأحتسبك ، أو تَظْفَرَ فأُسرُّ بظَفَرك فإنْ كُنْتَ على حق وبَصيرة في أمرك فما أَوْلاك بالجدّ ومُنازَلَةِ هؤلاء القوم ، وإلّا فالسِلْم منهم أولى بك ، فقال : يا أُمَّهْ إنّي أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثّلوا بي ويصلبوني، فقالت: يابُنَيَّ إنّ الشاة إذا ذُبحت لم تَأْلَم السَلخ ، فَامْضِ على بصيرتك فاستِعن بالله ربك فخرج ابن الزبير ، فدفع أهلَ الشام دفعة مُنْكَرة ، وقتل منهم ثم انكشف وأصحابه فرجع ، وبلغ أمّه الخبر فقالت: خذلوه وأحبّوا الحياة ولم ينظُروا لدنياهم ولا آخرتهم ، ثم قامت تصلّي وتدعو فتقول : اللهم إنّ عبدالله بن الزبير كان معظماً لحُرمتك ، وقد جاهد فيك

أعداءك وبذل مُهْجة نفسه لِرَجاء ثوابك فلا تخيّبه ، اللهم أَظْهِره وآنصُرْه ، اللهم ارحَمْ طُولَ ذلك السجود والنَحيبِ ، وذلك الظمأ في الهواجر ، وما أقول هذا القول تزكيةً له ، ولكنّه الذي أعلَمُه منه وأنت أعلم بسريرته وعلانيته ، اللهم إنّه كان بَرّاً بوالدَيْه فآشْكُر ذلك له ، فلما كان يوم الثلاثاء ، وهو اليوم الذي قُتل فيه ، جاء إلى امّه وعليه دِرْعه ومِغْفَره فوَدَّعَها وقبّل يدها فقالت : لا تبعَدْ إلاّ من النار ، وقال يا أُمَّهْ خذلني الناس إلاّ ولدي وأهل بيتي ، وكان الحجاج قد بسط الأمان للناس ، فاستأمن إليه خلق واعتزلوا ابن الزبير .

قالوا : وخرج ابن الزبير من عند أُمّه فقاتل أشدّ قتال وضرب رجلاً من أهل الشام فقال : خذها وأنا ابن الحَواريّ ، فقتله ، وضرب آخر وكان حبشياً فقطع يده وقال : اصبِرْ أبا حُمَمَهْ ، اصبر ابن حَام .

وقال أبو مخنف : جعل يقاتل يومئذ قتالاً لم يُرَ مثله وهو يقول :

صَبْـراً عِفـاقُ إنَّـهُ شَرٌ بـاقْ
قَبْلَكَ سَنَّ الناسُ ضَرْبَ الأَعْناقْ
قد قامَتِ الحَرْبُ بِنا عَلَى ساقْ

المدائني عن يزيد بن عياض عن صالح بن كيسان قال : برز عبدالله بن الزبير في اليوم الذي قُتل فيه فدُمِيَ وهو يقول :

لَسْنا على الأَعْقابِ تَدْمَى كُلومُنا ولكِنْ على أَقْدامِنا يَقْطُرُ الدَما

وهذا البيت لخالد بن الأَعْلَم . حليف بني مخزوم ، وهو عُقيليّ ، وكان أُسِر يوم بَدْر ، فقدم في فدائه عِكْرِمة بن أبي جَهْل ، وقال بعضهم : هو لأبي عَزّة الجمحي .

قالوا : ورأى الحجاج الناس يَخيمون عن ابن الزبير ، فغضب وترّجل ، وأقبل يسوق الناس ويصمُد بهم صَمْدَ صاحب عَلَم ابن الزبير ، وهو بين يديه فتقدّم ابن الزبير صاحب عَلَمه ، وضاربهم فانكشفوا ، وعرّج فصلّى ركعتين عند المقام فحملوا على صاحب عَلَمه فقتلوه عند باب بني شيبة ، وصار العَلَم في أيدي أصحاب الحجاج فلما فرغ من صلاته تقدّم فقاتل بغير عَلَم ، والحجاج يَذمر الناس ، وقد شُحنت الأبواب ولم يتخلّف من أهل عسكر الحجاج أحد من أصحابه وأصحاب طارق ، فأصابت ابن الزبير رمية فسقط ، وصاحت امرأةٌ : واأمير المؤمنيناه ، وتعاووا عليه فقتلوه .

وقال أبو مخنف وغيره : أتى عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب ابنَ الزبير ليلة الثلاثاء فعرض عليه أن يخرج إلى الحجاج على أن يأخذ له أمانا ، وقال : خرجتُ منكراً للظُلم ، متّبعا لِهَدْيِ الصالحين ، وقد قُتل على ذلك قوم معي مستبصرين ، فإن قتلت فإنّي سأجتمع وقاتلي بين يدي الحَكَم العَدْل ، فلما أصبح سمع الحجاجَ يقول : خذوا الأبواب لا يَهْرُبْ ، فقال : لقد ظَنّ ابن الخبيثة بي ظنه بأبيه ونفسه يوم فرّ من الحَنْتَف بن السِجْف .

وقال أبو مخنف في روايته : دخل ابن الزبير على أُمّه فقبّل يدها وعانقها ، وكانت عمياء ، فلما مسّت الدِرْع قالت : هذه تثقلك فنزعها وشمّر ثيابه وأَدْرج كُمّه ، فقالت : والله ما أُحبّ أن أموت يومي هذا حتى أعلم إلى ما يصير أمرك إليه من الظَفَر الذي أَرجوه ، أو الأُخرى ، فأحتَسِبُك وتَمَضِّ لسبيلك على بصيرتك ونِيّتك .

وجعل أهل الشام ينادونه : يا بن العَمْياء يا بن ذات النِطاقَيْن فأنشد :

وعَيَّرَها الواشُونَ أنّي أُحبُّها وتلك شَكاةٌ ظاهِرٌ عَنْكَ عارُها

وقاتل وهو يقول :

شَـيْـخٌ كَـبـيرٌ عَـلّ قـد عـاشَ حَـتّى مَـلّ

وقال ابن الزبير ـ وأُخبر أنّ بني سَهْم قد مالوا برايتهم إلى الحجاج فدخلوا في أمانه ، وأنّه قال:من دخل دار الحارث بن خالد ودار شَيْبة الحَجَبي فهو آمن ـ فقال :

فَرَّتْ سَلامانُ وفَرَّتِ النَمِرْ وقد تَلاقَى مَعَهُمْ فلا تَفِرْ

وفي رواية الواقدي : أنّ أسماء كانت تقول : وابنُ الزبير يقاتل الحجاج : لمن كانت الدولةُ اليوم ، فيقال : للحجاج ، فتقول : ربما أُمِرَ بالباطلُ ، فإذا قيل هي لعبدالله قالت : اللهم انصر أهل طاعتك ، ومن غضب لك .

وفي روايته أيضاً : أنّ إسحاق بن عبيدالله الأَسْلَمي قال : شهدت حصار ابن الزبير الآخِرَ ، فكان يباشر القتال بنفسه ، ولقد رأيته يقتل بيده مثل جميع من يقتله أصحابه ، ورأيته اليوم الذي قُتل فيه وهو يوم الثلاثاء ، وإنّه لبَيْنَ الرُكن والمَقام يقاتلهم أشدّ القتال حتى إنّهم لَيغشونه من كلّ ناحية حتى قُتل ، وكان يُدْعَى إلى تَبْييت الحجّاج ، فيقول : البَياتُ لا يصلح ولا نستحلّه .

قالوا : وعُرض على ابن الزبير أن يدخل الكعبة ، فقال : والله إنّي لأكره أن أدخلها فأوخذ كما تُؤخذ الضَبُعُ من وَجارها ، ولكنّي أقاتل بسيفي هذا حتى أقتل ، والله ما باطن الكعبة عند الحجاج إلاّ كظاهرها ، وكان

يَحْمِلُ على رِجْلَيْه حتى يبلغ الأبطح كأنّه أَسَد في أَجَمَة ، ثم يرجع إلى المسجد ، وقد جعل الحجاج يومئذ على كل باب أهل جند من أجناد الشام ، وجعل ابن الزبير يقول :

إنّي إذا أَعْرِفُ يَوْم أَصْبِرُ   والصَبْرُ أَوْلَى بالفَتَى وأَعْذَرُ
وبَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثم يُنْكِرُ

وقال أبو مخنف وعَوانة في روايتهما : قال حمزة بن الزبير لعبدالله : لو رقيتَ فوق الكعبة يا أمير المؤمنين قاتلنا حولك حتى نُقتل جميعاً قبلك ، فقال ابن الزبير :

أبَى لابْنِ سَلْمَى أَنَّهُ غَيْرُ خالِدٍ   حِذارُ المَنايا أَيَّ وَجْهٍ تَيَمَّما
فلستُ بِمُبْتَاعِ الحَيَاةِ بِسُبَّةٍ   ولا مُرْتَقٍ مِن خيفَة المَوْتِ سُلَّما

ثم قال لأصحابه : أيُّكم طلبني ، فإنّي في الرعيل الأوّل .

وقيل له لو لحقت بموضع كذا ؟ فقال : لبئس الشيخ أنا في الإسلام لئن أُوقعت قوماً فقتلوا ، ثم فررت عن مثل مصارعهم ، وقال لمن بقي معه: غضواً أبصاركم عن البارقة ، وعَضُّوا على النواجذ ، ولينظر رجل كيف يضرب ، ولا تخطئوا مضاربها فتكسروها ، فإنّ الرجل إذا كان أعضَب لا سيف معه أُخِذَ أَخْذاً كما تؤخذ المرأة وكان يقول :

لا عَهْدَ لي بِغارةٍ مِثْلِ السَيْلْ   لا يَنْقَضي غُبارُها حَتَّى اللَيْلْ

قالوا : وقاتل ابن مطيع حتى قُتل وهو يقول :

أنا الذي فَرَرْتُ يَوْمَ الحَرَّةْ   والحُرُّ لا يَفِرُّ إلاّ مَرَّةْ
فاليَوْمَ أَجْزِي فَرَّةً بِكَرَّة

ويقال : إنه أُصابته جراح فمات منها بعد أيّام ، وذلك أثبت .

قالوا : وشرب ابن الزبير الصَبِر أياماً ، ثم المسك مخافة أن يصلب فيُشَمَّ نتنه وقال طارق ، ورأى ابن الزبير : ما ولدت النساء أُذكر من هذا ، فقال الحجاج اتقرظ مخالفا لأمير المؤمنين وطاعته ؟ قال : ذلك أُعذر لنا في محاصرته سبعة أشهر ونصفا ، أو قال : ستة أشهر ونصفا ، وهو في غير حصن ولا منعة ، فبلغ ذلك عبد الملك ذلك فصوب طارقا .

وقال الواقدي : حُصر ابن الزبير في غُرّة ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ، وقُتل يوم الثلاثاء في جمادى الآخِرة سنة ثلاث وسبعين ، وكان الحصار ستّة أشهر وسبع عشرة ليلة ، وحجّ الحَجّاج بالناس في سنة ثلاث وسبعين حجّاً تامّاً ، وقُتل ابن الزبير وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عُروة قال : رَمَى عبدَالله بن الزبير رجلٌ من السَكون بآجُرّة فأثبته فوقع ، وتولّى قتله رجل من مُراد وحمل رأسه إلى الحجاج ، فسجد الحجاج وأوفد السَكوني والمُراديَّ إلى عبد الملك فأعطى كلّ واحد منهما خمسمائة دينار ، وفرض لكلّ واحد منهما في مائتي دينار ، ونصب عبد الملك رأس ابن الزبير ، وأمر فبُعث به إلى النواحي .

وحدثني محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي عن خالد بن إلياس عن أبي سَلَمة الحضرمي قال : دخلتُ على أسماء بنت أبي بكر يوم الثلاثاء ، وبين يديها كَفَنٌ قد أعدّتْه ونشرته ودخّنته ، وأمرت جوارِيَ لها أن يَقُمْنَ على أبواب المسجد فإذا قُتل عبدالله صِحْنَ ، فلما قُتل سمعَت صياحهنّ فأرسلت لِتَحمله ، فوجدت الحجاج قد حزّ رأسه فبعث به إلى عبد الملك وصلبه مُنَكَّساً ، وإذا هي تقول : قاتل الله المُبير يحول بيني وبين جُثّته أن أُوارِيَها .

وحدثني رَوْح بن عبد المؤمن حدثنا عارم بن الفضل حدثنا حمّاد بن زيد عن أيّوب عن نافع : انّ ابن عمر مرّ بجِذْع ابن الزبير ، فقال : أهو هو ، قلت : نعم ، قال : لقد كان عن هذا غنيًّا .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عَوْن عن أبيه قال : لما أحسّ ابن الزبير بالقتل تمسّك ، وكانت له سجّادة كَرُكْبَةِ العَنْز ، فلما قتله الحجاج صلبه على الثَنِيّة اليُمْنى بالحَجون ، فأرسلت أسماء إليه : قاتلك الله على ماذا صلبته ؟ فقال : إنّي استبقت أنا وهو إلى هذه الخشبة ، فكانت اللَبْجَةُ به ، فسبقني إليها ، فاستأذنَتْه في تكفينه ، ودَفْنِه فأبى ووكّل بجثّته مَن يحرسها ، وكتب إلى عبد الملك بصلبه إيّاه ، فكتب إليه عبد الملك يلومه على صلبه ، ويقول : ألا خَلَّيت بينه وبين أمه فأذن لها الحجّاج فوارَتْه بمقبرة الحَجون ، وصلّى عليه عروة بن الزبير ، ويقال غيره .

وقال عَوانة بن الحكم : مرّ عبدالله بن عمر حين أُخبر بصلب ابن الزبير فجعلت ناقته تَحْتَكُّ بخشبته ، أو قال : بجذعه ، ورائحة المسك تسطَع منه فقال : رحمك الله أبا خبيب ، رحمك الله أبا خُبيب ، والله لقد كنتَ صوّاماً قوّاماً ، ولكنّك رفعت الدنيا فوق قدرها وأعظمتَها ، ولم تكن لذلك بأهل ، وإنَّ قوماً أَنْتَ من شِرارِهم لقومُ صِدْقٍ أَخْيارٌ .

وقال عوانة : بلغني أنّ الحجاج ربط إلى ابن الزبير هرّة ميّته ، ويقال : كلبة ميتة ، فكانت رائحة المسك تغلب على ريحها ، قال : وتُوفيّت أمّه بعده بقليل .

---

١ ـ لبج : صرع وبالعصا ضرب . القاموس .

قال : ولما قُتل ابن الزبير كبّر أهل الشام ، فقال ابن عمر : لَمَن كبّر من الأخيار لِمَوْلِده أكثر ممّن كبّر من الأشرار لقتله ، وكان أوّل مولود وُلد بالمدينة من أبناء المهاجرين .

وقال عوانة وغيره : لما قتل الحجاج ابنَ الزبير وصلبه بعث إلى أمّه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقَيْن لتأتَيه ، فأبت أن تفعل ، فبعث إليها لتُقبلنّ أو لأبعثنّ إليك مَن يجُرّك بقرونك فقالت لرسوله : قل لابن أبي رِغال : لستُ أفعل أو تبعثَ إليّ مَن يُجرّني بقروني ، فلبس سِبْته وجعل يتوذّف[1] في مشيته حتى دخل عليها فقال: كيف رأيت ما صنعتُ بطاغيتك؟ قالت: من عَنَيْتَ ؟ قال : عبدالله ، قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه ، وأفسد عليك آخرتك ، وإنّ أعجب ممّا فعلت تعييرك إيّاي بالنطاقين ، فليت شعري بأيّ نطاقَيَّ عيّرتني ، أبِالذي كنت أحمل به الطعام إلى رسول الله ﷺ ، وهو في الغار ، أم بنطاقي الذي تنتطق الحُرّة بمثله في بيتها ، أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يكون في ثقيف مُبير وكذّاب» ، فأمّا الكذّاب فقد رأيناه ، وأمّا المبير فأنت هو ، فانصرف وهو يقول : مبير المنافقين ، مبير المنافقين ، قالت : بل عمودهم .

قالوا : وكتب الحجاج إلى عبد الملك يسأله أن يبعث إليه بعُروة بن الزبير ، وكان عروة بن الزبير قد شخص إلى عبد الملك حين قُتل أخوه وذَكَرَ أنّ أموال عبدالله عنده ، فلما وصل الكتاب إليه قال للحَرَسيّ : خذ بيده ، وكان عروة في مجلسه، وقد آمنه فقال عروة: ما على هذا أتيتك؟! فقال: لابدّ

١ - يتوذف : يقارب الخطو ، ويحرك منكبيه متبخترا ، أو يسرع . القاموس .

من الحجاج فنهض عروة وهو يقول : ليس الذليل من قتلتموه ، ولكنّ الذليل من مَلكتموه ، فاستحيا عبد الملك وقال للحرسيّ : خَلِّ عنه ، وكتب إلى الحجاج ينهاه عن الكتاب فيه فكفّ عنه ، وكانت أمّ عروة أيضاً أسماء .

المدائني عن عبدالله بن فائد، قال: ركب عروة ناقة لم يُدْرَك مثلها، فقدم الشام قبل قدوم رسل الحجاج بقتل عبدالله بن الزبير على عبد الملك ، فأتى باب عبد الملك فاستُؤذن له ، فلما دخل سلّم عليه بالخلافة فردّ عليه عبد الملك ورحّب به وعانقه وأجلسه على السرير ، ثم قال عروة :

نَمُتُّ بِأَرْحامٍ إلَيْكَ قَريبَةٍ ... ولا قُرْبَ لِلأَرْحامِ ما لم تُقَرَّبِ

ثم تحدّث حتى جرى ذكر عبدالله ، فقال عروة : إنّ أبا بكر بانَ ، فقال عبد الملك : وما فعل ؟ قال : قُتل رحمه الله ، فخرّ عبد الملك ساجداً ، فقال عُروة : فإنّ الحجاج صلبه فهَبْ جثّته لأُمّه ، قال : نعم ، وكتب إلى الحجاج يُعظم ما بلغه من صلبه ، وكتب إليه إيّاك وعروةَ فقد آمنتُه فكان مسيره من الشام راجعاً إلى مكة ثلاثين يوماً ، فأنزل الحجاج جثّة عبدالله عن خشبته ، وبعث بها إلى أمّه فغسلته فلما أصابه الماء تقطّع ، فقال : قيل لي في المنام يا أُمّ المقَطَّع ، فكنت أظنّه المُنْذِرَ لأنّه جُدّع بالسيوف ، ولم أظنّه ابني فغسلْته عضواً عضواً فاستمسك ودفنته ، وصلّى عليه عروة .

المدائني عن عامر بن حفص ، قال : صلب الحجاج ابن الزبير وقرن به كلباً ميتاً .

قال : وكتب الحجاج في عُروة إنّ عروة كان مع أخيه ، فلما قُتل عدوّ الله أخذ مالاً من مال الله ، وهرب فكتب إليه عبدالملك : إنّه لم يهرب ولكنّه

أتاني مبايعاً ، وقد آمنتُه وحَلَلْتُه ممّا كان ، وهو قادم عليك فإيّاك وعروةَ فعاوِدَه ، فكتب إليه أُعرِضْ عنه ولا ترادِّني فيه .

المدائني ، قال،قال عوانة : أكثر الحجاج الكتبَ في عروة حتى همّ عبد الملك أن يُشخصه إليه ، فقال عروة : ليس الذليل من قتلتموه ، ولكنّه من ملكتموه .

قال أبو الحسن المدائني : ويقال إنّ عروة قال : ليس بِمَلوم من صبر حتّى مات كريماً ، ولكنّ الملوم من خاف من الموت ، وسمع مثل هذا الكلام فقال : لن تَسمع أبا عبدالله منّا شيئاً تكرهه .

قال عامر بن حفص : ووفد عروة مع الحجاج فقال يوماً : قال أبو بكر ، فقال الحجاج : لا أُمّ لك أتكني منافقاً عند أمير المؤمنين ، فقال له : أَلِي تقول لا أُمَّ لك ، وأنا ابن عجائز الجَنّة ، أُمّي أسماء بنت أبي بكر الصدّيق ، وجدّتي صفيّة بنت عبد المطّلب ، وخالتي عائشة وعمّتي خديجة بنت خُوَيْلد ؟!

وقال الواقدي في بعض روايته : ركبت أسماء دابّتها ووقفت على ابنها مصلوباً ، فقالت : لأُثْنِيَنَّ عليك بعلمي لقد قتلوك مسلماً مُحْرِماً ظَمآنَ الهواجرِ ، مصلّياً في ليلك ونهارك ، ودعت له طويلاً وما تقطر من عينها قطرة ، ثم انصرفت وهي تقول : من قُتل على باطل ، فلقد قُتِلْتَ على حقّ ، وأنت مَنيع بسيفك فلا تبعَدْ .

وفي بعض رواية الواقدي : أنّ الحجاج وقف على أسماء فقال : كيف رأيتِ نصر الله الحقَّ ؟ قالت : إنّه ربّما أُديل الباطل على الحقّ ليجعل الله ذلك فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، قال : إنّ ابنك ألحد في البيت ، وقال الله :

﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بالحاد بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] وقد أذاقه الله ذلك العذاب ، قالت : كذبت لقد كان أوّل مولود في الإسلام بالمدينة ، فسُرّ به المسلمون ، وكبّروا يومَ وُلد ، ولقد سُررتَ أنت وأصحابك بقتله ، فلَمن فرح به يومئذ خير منك ومن أصحابك ، ولقد كان صوّاماً قوّاماً تعوّذ بالبيت فما أعذتموه وانتهكتم حرمته ، يا بن أُمّ الحجاج إنّ الله للظالمين بمرصاد ، وبلغ عبد الملك ما جرى بينه وبين أسماء فكتب إليه : ما لك ولابنة الرجل الصالح .

وقال الواقدي : شخص عروة مستأمناً إلى عبد الملك ، وكان له صديقاً ومجالساً في مسجد المدينة أيّام تنسّك عبد الملك ، فآمنه عبد الملك وطلبه الحجاج منه ، فأراد أن يبعث به إليه ، ثم تذمم فتركه وأرسل معه رسولاً إلى الحجاج في ترك التعرّض له ، وأن لا يراجعه فيه بكتاب وأن يُنزل عبدالله من خشبته ، ويخلّي بين أهله وبين دفنه ، فأُنزل وصلّى عليه عروة .

قال الواقدي : وقد سمعت أنّه أُنزل وعُروة غائبٌ ، فصلّى عليه غيره ، والأوّلِ أثبت .

قال الواقدي : وأمّا أبو الزناد فكان يقول : حال الحجاج بينهم وبين الصلاة عليه وقال : إنّما أمر أمير المؤمنين بإنزاله ودفنه .

وحدثني هشام بن عمّار قال : حُدّثت عن الزُبيري عن الزهري أنّه قال : كان من أعظم ما أُنكر على عبدالله بن الزبير تَرْكُهُ ذكر رسول الله ﷺ في خطبته ، وقوله حين كُلِم في ذلك: إنّ له أُهَيْلَ سُوءٍ إذا ذُكر استطالوا ومدّوا أعناقهم لذكره .

---

١ ـ سورة الحج ـ الآية : ٢٥ .

وقال الواقدي : قُتل مع عبدالله بن الزبير عروة بن عبدالله بن الزبير ، ومعاوية بن المنذر بن الزبير ، وحمزة بن الزبير ، مات من جِراح أصابته ، وعبدالله بن صفوان بن أُميّة الجُمَحي ، وعبدالله بن مُطيع العَدَوي ، مات من جراح بعد المعركة ، وصلّى الحجاج عليه ، فقيل أتصلّي عليه وأنت قتلته ؟ فقال : أتدرون ما قلت ، إنّما قلت : اللهم إنّه كان يعادي أُولياءَك ويوالي أعداءك فأَصْلِهِ النارَ ، وعُمارة بن عمرو بن حزم الأنصاري ، وبعث الحجاج برؤوس : عبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن صفوان ، وعُمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة ، فنُصبت بها ، ثم أُنفذت إلى عبد الملك ، فلما رأى رأس ابن صفوان قال : ألم يكن أعرج حائنا[1] ؟.

وقال جابر بن عبدالله الأنصاري لعبد الله بن عُمير بعد مقتل ابن الزبير : كيف أنت يا أبا عاصم ؟ فقال : بِخَيْرٍ مِن رجل قُتل إمامُه وظهر عليه عدوّه ، فقال جابر : اللهم ﴿لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾[2] .

المدائني في اسناده ، قال : نظر ثابت بن عبدالله بن الزبير إلى أهل الشام فشتمهم، فقال له سعيد بن خالد بن [عمرو بن] عثمان بن عفّان : إنّما تُبغضهم لأنّهم قتلوا أباك ، قال : صدقت لقد قتلوا أبي ، ولكنّ المهاجرين والأنصار قتلوا أباك .

وقال الواقدي : لما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير ، كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم ، وأتته ولاية مكة والمدينة ، وكان عبدالملك حين

---

١ ـ الحائن : الأحمق ، والحائنة : النازلة المهلكة . القاموس .
٢ ـ سورة يونس ـ الآية : ٨٥ .

بعثه لقتال عبدالله بن الزبير عقد له على مكة ، ولكنه أحبّ تجديد ولايته إيّاها ، فشخص الحجاج إلى المدينة واستخلف على مكة عبدالرحمن بن نافع بن عبدالحارث الخُزاعي ، فلما قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين فأساء إلى أهلها واستخفّ بهم ، وقال : أنتم قَتَلَةُ أميرِ المؤمنين عثمان ، وختم يدَ جابر بن عبدالله برصاص وأيدي قوم آخرين كما يُفعل بالذِمّة ، ثم عاد فبنى الكعبة على ما هي عليه اليوم وذلك لوِرود كتاب من عبدالملك عليه في ذلك ، وغيّر بناءها الذي بناها عليه عبدالله بن الزبير بعد حصاره الأوّل ، فكان عبدالملك يقول بعد ذلك : لوددت أنّي قلدت ابنَ الزبير من أمر الكعبة ما تقلّد ، وكان المتولّي لبنائها والنفقة عليها عبدالرحمن بن نافع ، ويقال : إنّه كتب إلى عبدالرحمن من المدينة أن يأخذ في بنائها ، فابتدأه ثم قدم الحجاج مكة فاستُتِمّ بحضرته .

وقال الواقدي : استخلف نافعَ بن علقمة الكناني، خال مروان ، ولما رجع إلى مكة استخلف على المدينة عبدالله بن قيس بن مَخْرَمَة بن المطّلب بن عبدمناف ، وكان إليه القضاء .

ورُوي : أنّ الحجاج لما فرغ من أمر ابن الزبير وبناء الكعبة شخص إلى عبدالملك واستخلف على مكة عبدالرحمن بن نافع ، وعلى المدينة عبدالله بن قيس ، وأشخص معه محمد ابن الحنفيّة بأمر عبدالملك ، فأمره أن لا يكون له عليه أَمْرٌ وردّه مُكْرَماً ، وسأله عمّن استخلف بالمدينة فقال : عبدالله بن قيس ، فقال عبدالملك : استخلفَته مِن أحمق أهل بيت مِن قريش ، ثم رجع الحجاج بعد ذلك فلم يزل واليّاً على الحجاز حتى أتته ولايته على العراق حين مات بِشْر بن مروان بالبصرة .

وقال قوم : كان الحجاج قد وفد إلى عبدالملك ، فأتاه نعيّ أخيه وهو عنده ، فولّاه العراق ، فشخص من الشام إلى الكوفة ، وذلك في سنة خمس وسبعين ، وولّى عبدالملك مكة عبدالرحمن بن نافع أقرّه عليها ، وولّى المدينة يحيى بن الحَكَم بن أبي العاص ، ثم بعده أبان بن عثمان بن عفان .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في اسناده قال : لما خرج الحجاج من المدينة قال:الحمد لله الذي أخرجني من أم نَتْن ، أهلها أخبث أهلٍ ، أَغَشُّه لأمير المؤمنين وأحسده له على نعمته ، والله لولا ما كان يأتيني مِن كُتُب أمير المؤمنين فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار أَعْوادٌ يعوذون بها ، ورِمَّة قد بلِيَت ، يقولون منبر رسول الله وقبر رسول الله ، فبلغ جابر بن عبدالله قوله فقال : إنّ أمامه ما يسوءه ، قد قال فرعون ما قال ، ثم أخذه الله بعد أن أنْظَره .

وقال المدائني : لما قتل الحجاج ابنَ الزبير دخل المسجد فصلّى ركعتين ، ثم وقف على ابن الزبير فرآه صريعاً فأمر به فصُلب منكّساً ، قال : وكان الحجاج رأى كأنّه أخذ ابنَ الزبير فسلخه ، ويقال : بل رأى أنّه نكحه ، فذلك كان سبب تولية عبدالملك الحجاج حَرْبَه .

قال : وقال ابن الزَبير يوم قُتل انا ابن اثنتين وسبعين سنة وأشهُرٍ ، ثم قاتل وهو يقول :

أنا آبْنُ أَنْصارِ النَبِيِّ أَحْمَدِ عَبْدِ الإلٰهِ والرَسولِ المُهْتَدِي
أَضْرِبُ مِنْهُمْ كُلَّ وَغْدٍ قُعْدُدِ

قال : وقاتل عروة يوماً فقال :

أَبَى الحَـوارِيّـون إلّا مَجْـدا مَنْ يُقْتَلِ اليَوْمَ يُلاقِ رُشْدا

وقال ابن الزبير :

فما مِيتَةٌ إنْ مِتُّها غَيْرَ عاجِزٍ بِعارٍ إذا ما غالَتِ النَّفْسَ غُولُها
أَرَى المَوْتَ يَغْشاني عِيانا وإنَّما رَأَيْتُ مَنايا الناسِ يَشْقَى ذَليلُها

قالوا : وأخّر الحجاج الصلاة يوماً فقال ابن عمر : إنّ الشمس لا تنتظرك . ووطىء ابنُ عمر زُجّ رمح ، فكان ذلك سبب موته فقال الحجاج : مَن بك ؟ قال : أنت قتلتني وأصحابُك .

وقال النَهْشَلي

نَحْنُ وَفَيْنا مَقْتَلَ الإمامِ بِآبْنِ الزُبَيْر وبَني هِشام
حتى جَعَلْناهُمْ مَعَ الحَمامِ بَيْنَ مُصَلًّى النَاسِ والمَقام

المدائني عن عامر بن حفص وغيره ، قالوا : قاتل عَطاء بن أبي رَباح مع ابن الزبير .

قالوا : وقال عروة لعبدالله : قد دعاك هؤلاء القوم إلى الأمان وخيروك نزول أيّ بلد شئت من البلدان ، وخيّروك من الولاية ما أحببت ، وقد صالح الحسنُ فكُنْ مثله ، قال : أفلا أكون مثل الحسين مات كريما .

قالوا : وكتب ابن الزبير بعد مقتل مصعب إلى أهل العراق يدعوهم إلى طاعته وبعث بكتابه إليهم مع رجل من الأنصار ، فرُفع ذلك إلى بِشْر بن مروان فأخذ الأنصاريَّ فقتله ، وكان هذا الأنصاري نازلاً على نُعيم بن القَعْقاع بن معبد بن زُرارة بن عُدُس وكان نُعيم يذمّ بشرا وينسبه الى الفسق والأفَن ، ويقرّظ ابن الزبير ، ويدعو إلى طاعته سرّاً ؛ ويقال : إنّه كان مع الأنصاري كتاب من ابن الزبير إليه في معاونته على أمره ، فَسَعى بالأنصاري

وبنُعيم إلى بشر بن مروان حَوْشب بن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُويم الشيباني فقتله وقتل الأنصاريَّ .

وقال بعض الرواة : سعى بهما يزيد بن الحارث نفسه ، وذلك غلط ، لأنّ يزيد قُتل بالرَيّ في أيّام مصعب ، قتله الزُبير بن عليّ الحارثي .

وبعث بشر بالكتاب الذي كتبه ابن الزبير إلى عبدالملك ، فكتب إلى الحجاج ، والحجاج بالطائف أنْ سِرْ إلى ابن الزبير فآنزل معه وأشْغِله ، فقدم مكة وحصره ورماه بالمنجنيق .

وقال جوّاس بن القعطل الكلبي :

إنَّ الخِلافَةَ يا أُمَيَّةُ لم تَكُنْ　　أبَـداً تَدُرُّ لِغَيْـرِكُمْ ثَدْيـاهـا
فخُذوا خِلافَتَكُمْ بِأَمْرٍ حازِمٍ　　لا يَحْلُبَنَّ المُلْحِـدونَ صَراها
سيروا الى البَلَدِ الحَرامِ وشَمِّروا　　لا تُصْلِحوا وسِواكُمُ مَوْلاها
لا تَتْـرُكُنَّ مُنـافِقِـينَ بِبَلْدَةٍ　　إلّا أَمَلْتُمْ بِالسُيوف طُـلاها

قالوا : ووجد الحجاج في بيت مال ابن الزبير عشرة آلاف ألفِ درهم فأخذها .

وقال عبدالله بن زُهير بن أبي أميّة لابن الزبير : إنّ الناس قد خذلوك فإن أحببت أن نأخذ لك أماناً أخذناه ؟ فقال : خذ لنفسك أمانا إن أردت ، فأمّا أنا فلا حاجة لي في أمانهم ، وقال له الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة ، وهو القُباع : أما والله لو قبلت أمان القوم كان خيراً لك ممّا أنت فيه ، فقال : يا آبن آكِلَة حمام مَكّة أَلِي تقول هذا ، ويحك إنّ مَوْتاً في عِزّ خير من حياة في ذلّ ، وطلب عبدالله بن عمرو بن عثمان الأمان من الحجاج فأُومِن ، وأتى حمزة بن عبدالله وخُبيب بن عبدالله الحجاجَ ، فقال عبدالله لابنه الزبير :

إن أَردت أن تذهب فاذهب فَلأَنْ تَحيْوا أحبُّ إلي من أن تُقتلوا ، فقال : لَبِئْسَ الولدُ أنا لك إنْ لم أُواسِكَ بنفسي حتى يصيبني ما أصابك ، فقُتل مع أبيه .

المدائني ، قال : قاتل غلام لابن الزبير ، أُو مولى له ، وهو يقول :

العَبْدُ يَحْمي رَبَّهُ ويَحْتَمي

وقُتل ابن صفوان ، وحمزة بن الزبير ، وابناه عروة ، والزبير ، وأمّ عطاء بن أبي ربَاح من ضربة ضُرِبَتْها .

المدائني ، قال : لما بلغ عبدالملك مقتل ابن الزبير سجد ودعا بمَقَصّ فأخذ من ناصيته ، وأخذ من نواصي صغار أولاده ، وأخذ من ناصية رَوْح بن زِنباع ، وقال أنت منّا .

المدائني عن أبي طالب بن ميمون عن ابن أبي عَتيق ، قال : كان ابن الزبير مضطجعاً في المسجد وولدُه وأهل مكة يخرجون إلى الحجاج ، وأنا عند رِجْله فقال : ما هذه الأصوات ، أين يذهبون ؟ قلت : إلى الحجاج ، قال : فما يمنعهم أن يكفّوا أصواتهم فقد منعونا النومَ ، فقلت في نفسي : أتُراه جَادًّاً ، ثم سمعت غَطيطه ؛ قال : ووقف الحجاج على جُثّة ابن الزبير ومعه نافع بن جُبير بن مُطعم ، فقيل لنافع : ما قال لك ؟ قال : أُريد صلبه ، فنَهَيْتُه .

وقال أبو دَهْبَل

أَتَارِكةٌ عُلْيَا قُرَيْشٍ سَرَاتَهَا ... وساداتِها عند المَقامِ تُـذَبَّحُ
وهُمْ عُوَّذٌ بِالله جيرانُ بَيْتِهِ ... به مُعْصِمونَ أَنْ يُباحوا ويُفْضَحوا

المدائني ، قال : كتب عبدالملك إلى ابن عمر أَنْ بايعِ الحجاج فإنّ فيك خصالاً لا تصلح لك معها الخلافة ، منها : البخل ، والعِيّ ، فقال ابن عمر :﴿سَمِعْنَا وأَطَعْنَا غفرانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرِ﴾ [١] يُعيّرني ابن مروان بالبخل والعي ، فوالله لو ولِيتُ فأَعطيت الناس حقوقَهم ما كان ذلك من مالي ، وما من قرأ كتاب الله وترك القول فيما لا يعنيه بعيي .

وقال جرير بن عَطِّية في ابن الزبير

دَعَوْتَ المُلْحِدينَ أبا خُبَيْبٍ ... جِماحاً هل شُفيتَ مِنَ الجِماحِ [٢]

وقال الراعي :

ما إِنْ أَتَيْتُ أَبا خُبَيْبٍ راغباً ... أَبَداً أُريدُ لِبَيْعَتي تَحْويلا
ولا أَتَيْتُ نُجَيْدَةَ بْنَ عُوَيْمِرٍ ... أَبْغي الهُدَى فَيزيدُني تَضْليلاً [٣]

وقال سليمان بن سلّام الحَنَفِي :

إنّا دَعَوْنا سَميعاً فَٱسْتَجابَ لنا ... وما به حينَ يَدْعو العبدُ من صَمَم
أَراحَنا مِن بَني العَوّامِ إذْ قَسَطوا ... وآسْتَخْلَفَ الله عَدْلاً مِن بَني الحَكَمِ
مُجَرَّبَ الوَقْعِ لا تَنْبُو مَضارِبُهُ ... يُمْسي العدُوُّ له لَحْماً على وَضَمٍ
بِٱبْنِ الزُبَيْرِ جُنونٌ لا شِفاءَ له ... إلّا سُرَيْجيَّةٌ تَشْفي مِنَ اللَمَمِ
رامَ الأُمورَ فأَعْيَتْهُ مَطالِعُها ... حتّى أَحَلَّ بِرُكْنِ البَيْتِ والحَرَمِ
وغَرَّنا بِكِتابِ الله يَدْرُسُهُ ... ولَمْ يَدَعْ بَطْنُهُ تَمْراً لِمُجْتَرِمٍ
وغالَ أَعْطِيَةَ المِصْرَيْنِ يَأْكُلُها ... ولم يَخَفْ نَقْمَةَ الرَحْمنِ ذي النِقَمِ

في أبيات .

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٨٥ .
٢ ـ ديوان جرير ص ٧٨ .
٣ ـ ديوان الراعي ص ٢٣٣ مع فوارق .

المدائني ، قال : قال ابن عمر : أهل الحجاز أسرع الناس إلى فتنة ، وأهل الشام أطْوع الناس لمخلوق في معصية الخالق ، وأهل العراق أسأل الناس عن صغيرة ، وأرْكَبُهم للكبيرة ، يسألون عن قتل جرادة وقد قتلوا ابن بنت نبيهم .

وتزوج عبد الله بن الزبير أم الحسن بنت الحسن بن عليّ وعائشة بنت عثمان بن عفّان ، فولدت بكرا ؛ وتزوج قَهْطَم بنت منظور فولدت حمزة ، وخُبيبا ، والزبير ، ومنذرا ، وثابتا ، وعبّادا ؛ ثم خلف على أُختها أمّ هاشم ؛ وتزوّج رَيْطَة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فولدت له عبد الرحمن ؛ وتزوّج حَنْتَمة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فولدت له موسى ، وعامرا . وسوّدت أم الحسن وجواريها على عبد الله حين قُتل .

أمر الخوارج
فيما بين موت يزيد بن معاوية
وولاية عبد الملك بن مروان

الأزارقة ومقتل نافع

قالوا: كان نافع بن الأزرق من بني حنيفة، ويقال: إنه كان مقيما معهم فنسب إليهم، وكان يكنى أبا راشد، وكان مع نجدة بن عامر ففارقه.

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي قال: كان نافع مع نجدة بن عامر، فأحدث المحنة، وقتل في السر، فعابت ذلك الخوارج وقالوا: أحدثت مالم يكن عليه السلف من أهل النهروان وأهل القبلة، فقال: هذه حجة قامت علي لم تقم عليهم، ففارقه الخوارج، فسموا أهل الوقوف، لأنهم وقفوا عند الشبهة. وكان ابن الأزرق ممن حبس من الخوارج، فَدُلّ ابن زياد علي رجل اتهم برأي الخوارج فحبسه، فقال له نافع: لم حبسك ابن زياد؟ قال حبسني في ظنة الحرورية لعنهم الله ولعن من كان على دينهم، فقال له نافع أنت والله ظالم مظلوم ولم يزل نافع محبوسا حتى مات يزيد بن معاوية وهرب ابن زياد.

وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني: بايع أهل البصرة ابن زياد بعد موت يزيد، وفي السجن أربعمائة من الخوارج، فكلم فيهم ابن زياد

فأخرجهم فأفسدوا الناس حتى نكثوا بيعته، فتحول عبيد الله بن زيادإلى الأزد، وأقبل الخوارج يأتون المربد كل يوم فيقفون به فيعيبون الظلم ويدعون إلي قتال السلطان والجبابرة وليس لهم رأس منهم، حتى قتل مسعود الأزدي، وحاربت الأزد وبكر تميما، ثم أمروا عليهم نافع بن الأزرق، وأمر الناس يومئذ بالبصرة إلي عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، الذي يعرف بِبَبَّة ، وخرجوا إلى الأهواز في آخر شوال سنة أربع وستين، فتوافوا بالأهواز وهم ثلاثمائة وخمسون فيهم نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيار بن المطرح بن ربيعة من بني حنيفة وبنو الماحوز التميميون ثم السليطيون فأخرجوا عمال الأهواز، وأقاموا شهرا لايهيجون أحدا، وليس بينهم اختلاف، ثم إن مولى لبني هاشم كلمهم فقال: إن الإستعراض وقتل الأطفال لنا حلال، فمال نافع بن الأزرق إلى مقالته فقال: ﴿اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾[1] ورأى قتل الأطفال [وقال بالاستعراض] وتأول قول الله تعالى: ﴿إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا إلا فاجرا كفارا﴾[2] وضيق التقية لقول الله عز وجل ﴿فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس﴾[3] وقوله ﴿يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم﴾[4] وبريء من القعد واستحل قتلهم تأولا لقول الله جل وعز: ﴿وجاء المعذرون من

١ ـ سورة التوبة ـ الآية: ٥ .
٢ ـ سورة نوح ـ الآية: ٢٧ .
٣ ـ سورة النساء ـ الآية: ٧٧ .
٤ ـ بالأصل: يقاتلون في سبيل الله، وهو خطأ. سورة المائدة ـ الآية: ٥٤ .

الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾[١]. وامتحن المهاجر وقال لايحل لنا مناكحة قومنا ولا موارثتهم ولا أكل ذبائحهم، والدار دار كفر.

فخالف نجدة نافعا، فقال نجدة: البقية واسعة، والمقام في دار الكفر حلال، وليس لنا أن نمتحن من جاء مقرا بالإيمان، فبايع نجدة قوم فصار نجدة إلي اليمامة، وبريء وأصحابه من نافع بن الأزرق ونزل بإباض[٢]، وكان أبو طالوت سالم بن مطر بالخضارم[٣] وقد بايعه قوم فخلعوه وبايعوا نجدة.

وأبـو طالوت في قول ابن الكلبي مطر بن عقبة بن زيد بن جهينة بن الفِنْد، وهو سهل بن شيبان. قال: ويقال سالم بن مطر، وقد قال غيره: هو سالم بن مطر مولى بني زمان.

وقال الهيثم: هو حنفي.

وكتب نجدة إلي نافع كتابا يدعوه فيه إلي معاودة ماكان من قوله الأول وترك ما أحدث وقال: إنه قد قعد على عهد رسول الله ﷺ قوم فلم يكفروا، وأنزل الله جل وعز: ﴿لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله﴾ إلى قوله ﴿وكُلاً وعد الله الحسنى﴾[٤] فكتب نافع

---

١ ـ سورة التوبة ـ الآية: ٩٠.

٢ ـ إباض: اسم قرية بالعرض، عرض اليمامة، لها نخل لم ير نخل أطول منها. معجم البلدان.

٣ ـ الخضارم: واد بأرض اليمامة، أكثر أهله بنو عجل، وهم أخلاط من حنيفة وتميم، ويقال له جو اليمامة. معجم البلدان.

٤ ـ سورة النساء ـ الآية: ٩٥

إلى نجدة كتابا يقول فيه إن المؤمنين من أهل مكة كانوا يومئذ مقهورين لايستطيعون أن يعلنوا دينهم، وقد أظهر الله الدين، وقمع النفاق، وقد قعد قوم على عهد رسول الله ﷺ فسماهم كفارا فقال جل وعز: ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ وقال حين شكوا الضعف فقالوا: كنا مستضعفين في الأرض: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[1].

وكتب نافع إلى عبد الله بن الزبير يدعوه إلى أمره ويقول له: إنك تتولى عثمان، وكان أبوك وعلي وطلحة أشد الناس عليه حتى قتل، وأنت تتولى أباك وطلحة فكيف تجتمع ولاية قاتل ومقتول في دين الله، وقد بايع أبوك وطلحة عليا، ثم نكثا بيعته وحارباه فاتق الله الذي إليه المصير ولاتتول الظالمين.

وكتب نافع إلي من بالبصرة من الحرورية يدعوهم إلي الجهاد، ويرغبهم فيه، ويحذرهم الدنيا وغرورها، وينهاهم عن القعود، فلما أتاهم الكتاب قال أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعي بقوله: في أن الدار دار كفر والإستعراض مباح وإن أصيب الأطفال فلا حرج على من أصابهم.

وقالت الصفرية وهم أصحاب عبيد الله بن قَبِيص، ويقال إنهم أصحاب عبيد الله بن صفار التميمي، وإنما سموا صفرية لصفرة وجوههم: لايحل قتل الأطفال تعمدا، ولا الإستعراض، وقال نصر بن عاصم الليثي:

فارقت نجدة والذين تزرقوا وابن الزبير وشيعة الكذاب
والصفر الآذان حين تخيروا دينا بلا علم ولا بكتاب

١ ـ سورة النساء ـ الآية: ٩٧ .

وقال عبد الله بن إباض: القوم كفار بالنعم، وليسوا بمشركين، فقال له ابن بيهس أما نافع فغلا في الدين فكفر بغلوه، وأما أنت فقصرت فكفرت بتقصيرك، إن آخر هذا الأمر كأوله وعدونا كعدو رسول الله ﷺ، وقد تحل لنا التقيّة ومناكحة قومنا وموارثتهم لما تمسكوا به من الدعوة وكفروا بما أنزل من الأعمال.

قال:فأقام نافع بالأهواز، ونجدة باليمامة، وكتب ابن إباض والصفرية إلى نافع ينكرون عليه شهادته على القعد بالكفر، واستحلاله المال قبل المحاربة، وقتل الأطفال، وما كان عنده من أمانة، وقالوا: إنما أحل لرسول الله ﷺ دماء عدوه وأموالهم إذا ناصبوا القتال، فأما على وجه الأمانة وقبل الحرب فلا، قد قتل رسول ﷺ كعب بن الأشرف في داره فلم يغنم ماله والأمانة مؤداة إلى البر والفاجر.

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي قال:حدثنا وهب بن جرير عن أبيه ان أصحاب نافع بن الأزرق ونافعا خرجوا بعد مقتل مسعود بن عمرو الأزدي إلى الأهواز فغلبوا عليها، فبعث إليهم عبيد الله بن عبيد الله بن معمر، وكان خليفة أخيه عمر بن عبيد الله بن معمر، أخاه عثمان بن عبيد الله في جيش، فلقيهم بدولاب، وهي قرية دون سوق الأهواز، فقتل عثمان، وهزم جيشه وقتل منهم ناس كثير.

وحدثني أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم قالا: حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن أبي عيينة عن سبرة بن نَخْف ان ابن الأزرق خرج في أربعين وصار إلى دولاب، فبعث إليهم عبيد الله أخاه عثمان في سبعة آلاف من أهل البصرة فهزموا جنده وقتلوه فقال ابن سهم التميمي.

فلو شهدتنا يوم دولاب أبصرت طعان امريء في الحرب غير سؤوم
غداة طفت في الماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم

وحدثني أبو خيثمة وأحمد قالا: حدثنا وهب عن أبيه إن أهل البصرة بعثوا إليهم جيشا بعده عليهم حارثة بن بدر الغداني فلما نظر إليهم عرف أنه لاطاقة له بهم فقال لأصحابه:

كرنبوا ودولبوا وحيث شئتم فأذهبوا

وانتدب في الجيش القراء، والفقهاء والأغنياء، والفقراء، وأنفقوا أموالهم، واستعملوا عليهم مسلم بن عبيس الكريزي.

وقال المدائني: لما بلغ أهل البصرة قول نافع بن الأزرق، وما دان به من القتل والإستعراض فزعوا إلى الأحنف بن قيس فقالوا: ليس بيننا وبين هذا العدو إلا ثلاث ليال، وقد جرد السيف، وعاث في الأرض، فقال الأحنف: حكمهم في مصركم كحكمهم في سوادكم، فاستعدوا لجهادهم وحض الأحنف الناس فتسارعوا إليه، واجتمع عشرة آلاف فكلم وجوه أهل البصرة عبد الله بن الحارث ببة، فأمر عليهم مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فخرجوا في جمادي الآخرة سنة خمس وستين، فلما كانوا بجسر البصرة قال لهم مسلم: أيها الناس إنا لسنا نخرج بالذهب ولا بالفضة، إنما نسير إلى قوم إن ظهرنا عليهم كانت غنائمهم أطراف الأسنة، وإنما يقدمون على الموت ويلقون المنايا، فمن أحب المضي فليمض ومن كرهه فلينصرف من قريب، فتفرقت عنه جماعة، وخرج فيمن بقي معه، فلقي نافعاً بالأهواز، ونافع في ستمائة، فاقتتلوا فقتل مسلم بن عبيس، وقد كان قال لأصحابه: إن قتلت فأميركم ربيع بن عمرو الغداني، وهو

الأجذم جذمت يده بكابل مع عبد الرحمن بن سمرة، فقاتل نافعا وأصحابه بدولاب فكانت بينهم قتلى، وقتل رجال من بني تميم قدموا على الخوارج، وقتل رجال من بني سدوس فَزَمَّرَهُم رجل من بني سدوسٍ وقال: يابني سدوس مابال هؤلاء أَجَدُّ في باطلهم منكم في حقكم، أراهم سراعاً إلى النار وأنتم بطاء عن الجنة، وحمل وكسر الناس، فقتل نافع بن الأزرق وقام بأمر الخوارج حين قتل ابن الأزرق عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطي، فقاتلهم ربيع بن عمرو عشرين يوما، ثم قتل وأخذ الراية الحجاج بن ناب بعد أن طلب إليه في أخذها فلم يفعل، وقال: إنها مشؤومة، فقاتل الحجاج بن ناب حتى قتل، وأخذ الراية بعده حارثة بن بدر الغداني.

وقال هشام بن محمد الكلبي: قول من قال حارثة بن بدر غلط، إنما هو حارثة بن بدر بن ربيعة بن بدر بن سيف بن جارية بن سليط بن الحارث بن يربوع، وهو الذي قال:

كـرنـبـوا ودولـبـوا وحيث شئتم فـأذهـبـوا

وجاءت خيل المحكمة من ناحية اليمامة، تكون أربعين، ويقال مائتين، فمشي ابن بدرٍ برايته القهقرى، وعدل نحو دجيلٍ فغرق يومئذٍ دغفل بن حنظلة أحد بني شيبانْ، وصار ابن بدر بناحية نهر تيري، ولم يتبعه الخوارج لما بهم من الجراح، وأقام عبيد الله بن بشير بن الماحوز بالأهواز ثلاثة أشهر، فقال صالح بن عبد الله العبشمي:

لعمرك إني في الحياة لزاهد وفي العيش ما لم ألق أم حكيم
لعمرك إني يوم ألطم وجهها لمستسرع في الغي غير حليم
رأت فتية باعوا من الله عهدهم بجنات عدن عنده ونعيم

فلو شهدتني يوم دولاب أبصرت طعان امرىءٍ في الحرب غير مليم
غداة طفت في الماء بكر بن وائل وألفافها من يَحْمَدٍ وسليم
ومال الحجازيون نحو بلادهم وعُجْنا صدور الخيل نحو تميم
وكان بعبد القيس أول حدها وولَّتْ شيوخ الأزد ثم تعوم
فلم أر يوما كان أكثر مقعصا يمج دما من كاظم وكليم

قالوا: وكان على الأزد يوم ابن عبيس قبيصة بن أبي صفرة، جد هزار مرد، وقال بعض الشعراء:

يرى من جاء ينظر في دجيل شيوخ الأزد طافية لحاها

وقال الشاعر يرثي مسلم بن عبيس والحجاج بن ناب الحميري:

ألا يا عين ويحك أسعديني بدمعك ليس ذا حين الجمود
على النفر الألى قتلوا جميعا بدولاب علي دين المجيد
هم صبروا على حر المنايا ولما يرهبوا جمع الجنود
ثوى ابن عبيس الماضي حميداً إله الناس صَلِّ على الشهيدِ
إذا نسبت قريش كان فرعا قديم العز في البيت المشيد
وما ألْفَوا ربيعا ثَمَّ نكسا ولا رعديدة عند الورود
غلام من غدانة في ذراها بحيث الناس في الحسب التليد
وحجاج بن ناب غادرته رماح القوم ملقى بالصعيد
غلام حميري لم يخنه قراف الأمهات ولا الجدود

وقال بعض الخوارج في مقتل نافع بن الأزرق:

شِمْتَ ابن بدر والحوادث جمة والجائرون[1] بنافع بن الأزرق

١ ـ بهامش الأصل: ويروى «والحائرون».

قد مات غير مداهن في دينه ومتى يُمَرُّ بذكر نار يصعق
والموت حتم لامحالة واقع من لايصبحه نهارا يطرق
فلئن أمير المؤمنين أصابه ريب المنون فمن يصبه يعلق

وقالت عمرة أم عمران بن الحارث الراسبي وكان عمران بن الحارث الراسبي مع ابن الأزرق فقتل:

الله أيد عمراناً وأسعده وكان عمران يدعو الله في السحر
يدعوه جهرا وإسرارا ليرزقه شهادة بيدي ملحادة غُدُر
ولى صحابته التسعون إذ دهموا وشد عمران كالضرغامة الهَصِرِ
أعني ابن عمرة إذ لاقى منيته يوم ابن ناب يحامي عورة الدبر

في أبيات

قالوا: وقتل مع ابن الأزرق عوف بن أحمر الضُّبَعي فبكاه الحارث بن كعب الشني فقال:

أجيهان[1] قد أبلى عظامي وشفها وأسهر ليلي ذكر عون بن أحمر
فتى كان لايخشى سوى الله وحده ويطمع في معروفه كل مُعْتَر
يجاهد في الله ابن أحمر صادقا إذا ماارتضى بالجور كل مُقَصِّر

في أبيات:

وكان عوف ممن شهد النهر فاعتزل، ثم شهد النخيلة فنجا، فقتل مع نافع، وكان الحارث بن كعب الشَنِّي مع نافع فنجا، ثم أخذه الحجاج بن

١ - جيهان بالفارسية الدنيا.

يوسف بعد فقطع يديه ورجليه وصلبه، فطرق حرسه الخوارج ليلا فاستنزلوه، ولم يعرضوا للحرس حتى مضوا به فدفنوه.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي قال:حدثنا وهب بن جرير عن محمد ابن أبي عيينة قال: حدثني معاوية بن قرة قال: خرجنا مع ابن عبيس ونحن نحو من عشرين ألفاً، فقام ابن عبيس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنا إنما خرجنا حسبة، فمن كان منكم على مثل رأينا فلينهض معنا، ومن لايك على مثل رأينا فليرجع عنا، فحصلنا في ألفين فسرنا حتى لقيناهم بدستوا فاقتتلنا، فقتل منا خمسة أمراء، وكانت الحرورية خمسمائة، فلما أمسينا بقيت شرذمة نحو من ستين، وقتل ابن الأزرق وابن عبيس، قال: فقمنا وقاموا ينظرون إلينا وننظر إليهم ما منا رجل يبسط يده للقتال من اللغوب، فقال الناس: أمسكوا عنهم حتى يسود عليهم الليل، وقال بعضهم: لانقتلهم على غرةٍ، فاستقام رأيهم على تركهم حتى يصبحوا.

قال: وطرقهم مدد من اليمامة، وكان نافع يبقر النساء،ويقتل الصبيان.

وقال الهيثم بن عدي عن ابن عياش والمجالد ويونس بن أبي إسحق قالوا: قال الشعبي: خاف أهل البصرة نافع بن الأزرق وأصحابه حين جاؤوهم، فقربوا الإبل ليرتحلوا عنها، والمتولي لأمر البصرة إذ ذاك عبد الله بن الحارث ببة، وذلك عند هرب ابن زياد، وكان أهل البصرة كتبوا إلى عبد الله بن الزبير بارتضائهم إياه، فأقره سنةَ ثم عزله، وكان يكنى أبا محمد، فعقد ببة لمسلم بن عبيس، ووجه معه القراء والمستبصرين في قتال الحرورية، فأتوا دولاب، فاقتتلوا فقتل مسلم وقتل نافع أيضاً، فرأس أهل البصرة

عليهم ربيعا الأجذم، أحد بني سليط ورأست الأزارقة عليهم عبيد الله بن الماحوز التميمي، فقتل الأجذم، فرأسوا عليهم الحجاج بن ناب الحميري حليف قريش فقتلا جميعا، فرأس أهل البصرة عليهم حارثة بن بدر، ورأست الحرورية الزبير بن الماحوز فقال حارثة بن بدر:

كرنبوا ودولبوا ياأهل البصرة وحيث شئتم فاذهبوا.

فلست لكم بصاحب، وقتل من أهل البصرة بشرٌ كثيراً فقال عبيد بن هلال:

لعمرك إني في الحياة لزاهد[1]

الشعر الذي قد كتبناه

وقال المدائني: الأزارقة لايكفرون من أهل الكبائر في دار هجرتهم إلا القاتل، فيقولون: القاتل قصد قطع الحجة لأن المسلم حجة.

وقال المدائني: حدث أبو عمران الجوني واسمه عبد الملك بن حبيب عن أبي الجلد جيلان بن فروة الجوني قال: أتاني نافع بن الأزرق قبل أن يخرج، فقال: أريد الخروج، فقلت: لاتفعل فقال: قد طال مقامنا بين هؤلاء الذين أماتوا السنة، وأحيوا البدعة، قال: فقلت له: أما إذ أبيت إلا الخروج، فإني رُوِيْت أن لجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية فاخرج إن شئت أو دع، فخرج إلى الأهواز.

المدائني عن عامر بن عبد الملك قال: جاء نافع بن الأزرق إلى مالك بن مسمع وعليه سيف عريض قصير، فقام إليه ابن مسمع فأخذ

١ - نسبه من قبل لصالح بن عبد الله العبشمي.

بحمائل سيفه فقال له: يامالك خل عن سيف ابن عمك، فقال مالك: يانافع ألا تعيننا على أمرنا هذا؟ فقال: إني لاأرى القتال معكم.

وروي عن الجارود بن أبي سبرة قال: خرج نافع إلى الأهواز فأقام وأصحابه سبعة أشهر لايستعرضون الناس وسيرتهم حسنة، ثم استعرضوا وبسطوا، فقتل نافع في جمادي الآخرة سنة خمس وستين، فقام بأمر الخوارج عبيد الله بن بشيربن الماحوز، وعلى أهل البصرة ربيع الأجذم.

المدائني عن هشام بن قحذم قال: خرج قوم من الأزارقة بموقوع[1]، فقيل لببة: إن بموقوع خوارج، فقال: دعونا نمسي ونرى رأينا، فأرسل إليهم خيلا ليلا فالتقطوا.

قال: ومات الأزرق أبو نافع، وكان رجلا سُنِّياً صالحاً، فقدم نافع من سفرٍ له وقد مات أبوه فلم يصل عليه وقال: دونكم صاحبكم، فلما بلغ ابن زيادٍ ذلك أخذه فحبسه، فقال لرجلٍ محبوسٍ معه: لأي شيءٍ حبسك ابن زياد؟ فقال أخذني بظنة الخوارج لعنهم الله، فقال نافع: هذا الظالم المظلوم يحبسه ابن زيادٍ ويشتم الخوارج.

قال: ولقي نافع اِمرأة على حمارٍ لها، وذلك في أيام الطاعون فقال لها: أين تريدين؟ قالت: أفر من الطاعون قال:ويلك أتفرين من الله على حمار؟!.

وقال سلامة الباهلي: قتلت نافعا فطالبتني بثأره امرأة كانت تدعوني إلى البراز ونحن نقاتل عبيد الله بن الماحوز.

---

١ ـ موقوع: ماء بناحية البصرة. معجم البلدان.

أمر عثمان بن عبيدالله ابن معمر في قتال ابن بشير ابن الماحوز

قالوا: أقام عبيد الله بن بُشَيْر بن الماحوز بالأهواز بعد مقتل مسلم وأصحابه ثلاثة أشهر، وهاب الناس بالخوارج وكره ببة القتال، فلزم منزله فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير في ذلك، فكتب إلى أنس بن مالك في تولي الصلاة، فصلي أربعين يوما، ثم ولى ابن الزبير البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر، وكتب إليه بعهده عليها وكان يريد العمرة، فقلد خلافته عبيد الله بن عبيد الله أخاه، وندب عمر بن عبيد الله لقتال الأزارقة وهم بالأهواز، أخاه عثمان، ويقال إن عبيد الله ندبه وبلغ الخوارج ذلك فأقبلوا من الأهواز يريدون البصرة، فقال حارثة بن بدر: ماعذرنا عند أهل مصرنا إن وصل إليهم الخوارج ونحن دونهم إليهم، فأقبل من نهر تيرى، وكان بها، فعبر دجيلا، وأقبل الخوارج فقاتلهم حتى رجعوا إلى دولاب، وقدم عثمان بن عبيد الله بن معمر في عشرة آلاف من أهل البصرة، فسار ومعه ابن بدرٍ إلى ابن بشير بن الماحوز. فلما التقى العسكران قال عثمان لحارثة بن بدر: أما الخوارج إلا من أتاني؟ فقال حارثة: حسبك هؤلاء، فقال: لاجرم لاأطعم

طعاما حتى أناجزهم، فقال حارثة: أذكرك الله إن هؤلاء لايقاتلون بالتعسف، فاستبق نفسك وجندك فقال: أبيتم يا أهل العراق إلا جبنا وماهؤلاء الأكلب، فقال حارثة: أنا أعلم بهؤلاء منك، فقال عثمان: أنت بغير الحرب أعلم، فغضب حارثة واعتزل، وناهضهم عثمان بعد الظهر فاقتتلوا حتى غابت الشمس، وقد قتل عثمان قتله ابن برز مولى عبد القيس، ويقال إنهم: تحاجزوا عند المساء، ثم بيتهم الخوارج فقتل عثمان، وقال حارثة: أيها الناس أنا حارثة بن بدر، فقاتل الخوارج ومنعهم من اتباع الناس، وبلغ قتل عثمان أهل البصرة وذلك في ذي القعدة سنة خمس وستين، ورجع الخوارج إلى الأهواز، ورجع حارثة إلى نهر تيرى فقال رجل يرثي عثمان بن عبيد الله، وكان مقتله بدولاب أيضاً:

ونـال الشهـادة منهم فتى بـدولاب كـالقمـر الأزهـر
طويل النجـاد رفيع العـماد كَهَمِّـكَ من فارس مسعـر
أطاع الكتاب رجاء الثواب وقـاتـل عن دبـر المـدبـر
لـيعـذره الله والمسـلمـون ومـعـذرة الله لـلمـعـذر

في أبيات:

وقال رجل من بني تميم:

مضى ابن عبيس صابراً غير عاجز وأعقبنا هذا الحجازي عثمان
فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر وأبرق والبرق اليمانيُّ خوَّان
فلم يُنْكَ عثمان جناح بعوضة فأضحى عداة الدين حربا كما كانوا
فلولا ابن بدر للعراقين لم يقم بما قام فيه للعراقين إنسان
إذا قيل من حامي الحقيقة أومأت إليه معد بـالأكف وقحطان

قالوا: ثم عزل عبد الله بن الزبير عمر بن عبيد الله بن معمر، وولى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وهو القباع، سنة ستٍ وستين وحارثة بن بدر بنهر تيرى، فكتب إلى القباع يسأله توليته قتال الخوارج، وأن يمده بجيش فهم أن يفعل ثم أنشد فيه:

ألم تر أن حارثة بن بدر يصلي وهو أكفر من حمار
وإن المال يعرف من وعاه ويعرفك البغايا والغفار[1]

فكتب إليه القباع: أن اشخص إلى مصرك فإني مُوَلٍّ هذا الأمر غيرك، فقال: لاأبرح حتى يقدم من يقوم مقامي، فرفضه أصحابه، وقفلوا حتى بقي في عصيبة من قومه فقال: لاصحبكم الله:

كرنبوا ودولبوا وحيث شئتم فاذهبوا

وقال حارثة:

أير الحمار فريضة لنسائكم والخصيتان فريضة الأعراب
ولدى الموالي جلد أير أبيهم والأنثيان قلادة وسخاب[2]

ولما علم الخوارج خفة من مع حارثة قطعوا إليه دجيلا فبيتوه، وأتى دجيلا فركب سفينة ولحق به قوم من بني تميم فرسبت السفينة فغرقوا جميعا.

وقال المدائني: قال أبو أمية بن يعلى: ركب حارثة سفينة فجاء شكيم التميمي وقد دفع الملاح فناداه ياحارثة إن مثلي لا يُضَيَّع، فقال للملاح: أدن سفينتك فقربها إلى جرف فرمى بنفسه من الجرف وعليه سلاحه، فمالت السفينة ودخلها الماء فرسبت وغرقت، وغرق حارثة ومن معه.

١ ـ الغفار: القفا. القاموس.
٢ ـ السخاب: قلادة. بلا جوهر. القاموس.

قالوا: وأقام عبيد الله بن بشير بن الماحوز بعد غرق حارثة بنهر تيرى يجبي ماحوله، وبعث الزبير بن علي، وهو ابن عمه، إلى الفرات فجباه، وكان في جماعة، ثم إنه أتي الجسر الأكبر بالبصرة، فقطع الناس الجسر الأكبر فعقده، وعبر فصار بين الجسرين، وخرج الناس إليه في السفن وعلى الدواب، فلما انتهوا إليه خرج الناس من السفن فاسودت الأرض، فلما رأى كثرة الناس قال: أبى قومكم إلا كفرا، ورجع حتى عبر الجسر.

وفزع الناس إلى الأحنف بن قيس فأتى الأحنف القباع، فشكا إليه ما الناس فيه، فقال: أشيروا علي بمن أولي؟ فأشار قوم بمالك بن مسمع الجحدري، وأشار قوم بزياد بن عمرو العتكي، فقال الأحنف: لاأرى لهم غير المهلب، فكلم القباع المهلب وقال له: إن أهل مصرك قد ارتضوك ورجوك وأملوا أن يقمع الله هذا العدو بك، فقال المهلب: لاحول ولاقوة إلا بالله إني عند نفسي لدون ماقالوا، وقد ولاني أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير خراسان، وأمرني بأمر فأنا أكره ترك أمره، فقال الأحنف: ياأبا سعيد لو أتيت عملك لم تنتفع به مع هؤلاء لاطلاهم على مصرك ومن تخلف من أهلك، ونحن نكتب إلى أمير المؤمنين فيعفيك مما ولاك، وتكتب إليه فتستعفيه وتعلمه مارغبنا فيه إليك، فكتبوا وكتب فأجابهم ابن الزبير إلى ماسألوا، ويقال إنهم زوروا كتابا، واشترط المهلب أن ينتخب من أحب من المقاتلة فقالوا له: ذاك لك، وأن يكون والي كل بلد تغلب عليه، فقال له القباع: ذاك لك، ويقال: إنه سأل أيضاً خراج ماغلب عليه فقال له القباع: ذاك للمسلمين، فإن أخذته كنت وعدوهم سواء، ولكن لك مافضل من أعطيات أصحابك، فكتب له بما سأل كتاب وضع على يد الصلت بن حريث

الثقفي، فانتخب المهلب اثني عشر ألفا من جميع الأخماس، وعسكر بالجسر، وأعان المهلب الناس، واتخذ ألوية ورايات، وقاتل الخوارج فهزمهم، وعقد الجسر، وأمر أن لايتبعوا، فصاروا إلى نهر تيرى وانضموا إلى عبيد الله بن بشير بن الماحوز فقال رجل من الأزد:

أبا سعيد جزاك الله صالحة عن العراق ليالي الحرب تلتهب
والناس في فتنة عمياء مظلمة والدين مهتضم والمال منتهب
لولا دفاعك إذ حل البلاء بهم لأصبحوا عن جديد الأرض قد ذهبوا

وجبى المهلب خراج الفرات وغيره، وأعطى الناس وانضم إليه محمد بن واسع الأزدي الناسك، وأبو عمران الجوني، وعبد الله بن رياح الأنصاري، وكان معه معاوية بن قرة المري، ووعظ المهلب الناس فقال: هذا عدوكم الذي لاريبة في أمره، ولاتوقف عنه، وقد لقيهم قبلكم مسلم بن عبيس الصابر المحتسب، وعثمان بن عبيد الله بن معمر العجلي المفرط، وحارثة بن بدر العاصي المخالف فالقوهم رحمكم الله بصبر وعزم، وجعل المهلب علي تميم الحريش بن هلال، وسار حتى نزل بنهر تيرى، وقد صار الخوارج إلى الأهواز، فجبى خراج السوس ومناذر، واستخلف أخاه المعارك، فبعث عبيد الله بن بشير إلى المعارك مولى لأبي صفرة يقال له فايد من سبي الجاهلية في خمسين من الخوارج، فيهم صالح بن مخراق، فقتلوا المعارك وصلبوه، فبعث المهلب ابنه المغيرة فأنزل عمه ودفنه، وسار المهلب فأتى سولاف من مناذر، وقد صار الخوارج إليها، فقاتلهم فكشف المهلب، وقتل عبد الرحمن الإسكاف مولى الأزد، ويقال من أنفسها، وكان فارسا رامياً، رمى طائرين فشكهما، فقيل خرزهما فسمي إسكافا فقال الشاعر:

بسولاف أضعت دماء قوم وطرت على مواشلة[١] درور

ثم إن بعض المنهزمة رجعوا، وأتى المهلب سِلَّى وسِلَّبْرَى وهما من مناذر الصغرى وقد ثاب الناس إليه، فأقام المهلب ثلاثا بسلى وسلبرى فقال عبيد الله بن بشير للخوارج: ماتنتظرون بعدوكم، فحاربهم المهلب ثلاثة أيام، وقاتل بيديه أشد قتال، وقدم ابنه المغيرة فقاتل ومر على القبائل يحضهم على القتال ويحرضهم، وأمر أصحابه أن يكثروا الرمي بالحجارة، فجعلت تصرع الراجل، وترد الفارس، فقتل عبيد الله بن بشير بن الماحوز، وكان أمره ستة عشر شهرا، وكان مقتله في شوال سنة ست وستين، وقتل من أصحاب المهلب أكثر ممن قتل من الخوارج وقام بأمر الخوارج الزبير بن علي بن الماحوز، وكان المهلب ربما افتعل الحديث ينشط به الناس إلى القتال فقال الشاعر:

أنت الفتى كل الفتى لو كنت تصدق ماتقول

وسماه بعضهم الكذاب وقال بعض الخوارج:

كم من قتيل تنقر الطير عينه بسولاف غرته المنى والجعائل

وقال مجاهد المنقري:

تبعنا الأعور الكذاب نمشي نزجي كل أربعة حمارا
فيا لهفي علي تركي عطائي معاينة وأخذيه ضمارا
كأن دموع عينك يابن عصم خرير المنجنوق[٢] سقي الديارا

١ ـ وشل يشل وشلاً ـ سال أو قطر. القاموس.
٢ ـ المنجنوق: هو المنجنيق، القاموس.

وقال ابن قيس الرقيات:

ألمت وعرض السوس بيني وبينها ورستاق سولاف حمته الأزارقه
إذا نحن شئنا قارعتنا كتيبة حرورية فيها من الموت بارقة[١]

وقال بيهس بن صهيب:

بِسَلَّى وسِلَّبْرَى مصارع فتية كرام وعقرى من كميت ومن ورد

وقال آخر:

قل للأزارقة الذين تمزقوا بسلى وسلبرى لقيت نحوسا
قتل المهلب جمعكم وأخذتم من رسله بعد المساء رؤوسا

وكان المهلب بعث برأس عبيد الله بن بشير بن الماحوز ورؤوس قومٍ من أصحابه إلى القباع مع رسول له من الأزد، فلقيه بنو بشير فقالوا: هل من خبر؟ فقال: نعم قتل هذا المارق، وهذا رأسه معي، فأخذوا راس أبيهم فدفنوه، وحفروا حفيرة فدفنوا الرؤوس الباقية فيها، وأخذوا الأزدي فقتلوه ومن معه وهربوا، فلما كان الحجاج أخذ ابناً لعبيد الله بن بشير فقتله، وقد أتاه مسلما عليه، ودفع ابنين له آخرين إلى ورثة الأزدي.

وكتب المهلب إلى القباع مع الرُّقَاد بن عبد الله والصعب بن زيد عم جرير بن حازم: «إنا لقينا الأزارقة بسلى وسلبرى فكانت في الناس جولة، ثم ثاب أهل الدين والعزم والحفاظ، فرزقنا الله النصر عليهم، ونزل القضاء بأمر الله فجازت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا، وضرائب سيوفنا، وقتل الله صاحبهم عبيد الله بن بشير بن الماحوز في رجال من فرسانهم

١ ـ ديوان ابن قيس الرقيات ـ ط. دار صادر بيروت ص١٦٢ مع فوارق.

وحماتهم، وبقيت منهم بقية شذوا عن عسكرهم ليلاً، وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها. فكتب إليه القباع: «هنيئا لك ياأخا الأزد، شرف الدنيا وعزها، وثواب الآخرة وفضلها. قال المهلب: ماأجفا أهل الحجاز أما تراه عرف اسمي.

وقال بعض الخوارج في المهلب:

أتانا بأحجار ليقتلنا بها وهل تقتل الأقران ويحك بالحَجَرْ

وكان المهلب قال: ارموهم بالحجارة فإنها تنفر الخيل، وتصرف وجوهها، وتحير الرجالة وتعقرهم، وكان الخوارج أكثر سلاحا من البصريين وطعن رجل من الخوارج رجلا من أهل البصرة فذكر أمه فقال الخارجي:

أمك خير لك مني صاحبا تسقيك محضا وتعل رائبا

وقال بعضهم في قتل عبيد الله بن بشير بن الماحوز:

ويوم سلى وسلبرى أحاط بهم منا صواعق لاتبقي ولاتذر

حتى تركنا عبيد الله منجدلا كما تجدل جذعٌ مال منعقر

قال أبو الحسن المدائني: عبيدالله بن بشير بن يزيد - وهو الماحوز طعن رجلا فقيل: محزه محزاً كما يمحز الحمار - ابن مساحق بن زبيد بن ضباب بن سليط، والزبير بن علي بن يزيد بن مساحق ويزيد أخو الحارث بن مساحقٍ.

أمر الزبير بن علي
من آل الماحوز

قالوا: لما قتل عبيد الله بن بشير، استخلف من الخوارج الزبير بن علي، فرأى جزع أصحابه على ابن بشير ومن قتل منهم فقال: لاتجزعوا على من صار إلى الجنة وأذكروا أيامكم: قتلتم ابن عبيس. وربيع الأجذم. والحجاج بن ناب. وحارثة بن بدر. والمُعَارك والحرب سجال ﴿والعاقبة للمتقين﴾[1] وخرج فنزل في تخوم أصبهان فأقام شهرا ثم أتى السوس فقاتله المهلب، ثم أتى تستر فقاتله المهلب وصار إلى أُرَّجان من فارس، وقدم مصعب بن الزبير على البصرة والكوفة من قبل عبد الله أخيه في أول سنة سبع وستين، والزبير بن علي بأرجان، فكتب مصعب إلى المهلب في القدوم عليه، ووجه بكتابه مع محمد بن الأشعث فقدم واستخلف ابنه المغيرة بن المهلب، وقال لأصحابه: إنكم لاتفقدوني ماكان المغيرة عليكم، فإنه أبو صغيركم في الشفقة، وابن كبيركم في البر والطاعة، فلتحسن طاعتكم له، فما أردت صواباً

١ ـ سورة القصص ـ الآية : ٨٣ .

قط إلا سبقني إليه. وقدم المهلب البصرة وكتب مصعب إلى المغيرة: «إنك إلا تكن كأبيك، فإنك بحمد الله كاف لما وليت، وعليك بالجد في أمرك والحذر لعدوك»، وسار مصعب ومعه المهلب وعمر بن عبيد الله بن معمر إلى المذار، فقتل أحمر بن شميط، ثم أتى الكوفة وهما معه، فقتل المختار بن أبي عبيد، ثم وجه عمر بن عبيد الله إلى البصرة فشهد الحيرة.وولى المهلب بن أبي صفرة الموصل والجزيرة وأرمينية،وأتى البصرة فتلافى أمر أصحاب الجفرة، وولى البصرة عباد بن زيادٍ. ويقال ولاها سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي، وجعل عباداً على شرطه، وولى عمر بن عبيد الله فارس، فالفى الزبير بن علي بإصطخر فعسكر على أربعة فراسخ من معسكره، فبيته الزبير والخوارج فقاتلهم فرجعوا ولم يظفروا، وأصاب منهم طرفا، ثم إنه قدم إليهم عبيد الله ابنه، وأمه من ولد قيس بن عدي السهمي من قريش في خيل فقتلوه، وأبوه لايعلم، لأنه كان مشغولا بإصلاح قنطرةٍ هناك تهدمت، ثم سال عن ابنه فقيل قتل والله كريما صابراً، فاحتسبه فاسترجع، وترحم عليه وقال: عند الله أحتسبه.

وقال قطري بن الفجاءة للزبير بن علي: لاتقاتل عمر اليوم فإنه موتور، فأبى وقاتله فقتل من فرسان الخوارج تسعون وطعن عمر بن عبيد الله صالح بن مخراق فشتر عينه، وضرب قطريا على جبينه ففلقه، وانهزم الخوارج، واستشهد يومئذ رجل من ولد معبد بن العباس بن عبد المطلب، يقال له عباس بن عبد الله، وستة من ولد الحارث بن عبد المطلب، وكتب عمر إلى مصعب «إني لقيت هذه العصابة المارقة، فاستشهد عبيد الله بن

عمر، ورجال صالحون، ثم إن الله منحنا أكتافهم فقتلنا من كان يومه حان وكل إلى حَيْنٍ وخسران».

وصار الزبير بن علي إلى سابور، فلقيه عمر بكازرون، وكان معه مجاعة بن سعر، فقتل مجاعة بعمودٍ كان بيده من الخوارج أربعة عشر رجلاً، ودافع عن عمر يومئذٍ، فوهب له تسعمائة ألف درهم، وكان مجاعة أجتباها من خراج إصطخر، ويقال أكثر من ذلك فقال يزيد بن الحكم:

ودعاك دعوة مرهق فأجبته عمر وقد نسي الحياة وضاعا
فرجعت حين دعاك غير معتم تحمي وكنت لمثلها رجاعا
فرددت عادية الكتيبة عن فتى قد كاد يترك لحمه أقطاعا

وولى عبد الله بن الزبير ابنه حمزة البصرة، وكتب إلى المصعب أن يلحق به من معه من رجال أهل البصرة، فألحق به المهلب، وولى مكانه إبراهيم بن الأشتر، فوجه حمزة المهلب لقتال الخوارج لمسألة أهل البصرة إياه ذلك.

وقال قوم: عزل حمزة المهلب عن الموصل ووجهه لقتال الخوارج وهذا قول من زعم أن حمزة ولي البصرة والكوفة، وذلك غلط.

وأتى الخوارج رامهرمز في أيام حمزة، فقاتلهم المهلب، فأتوا أرجان ومضوا إلى أصبهان، وغضب مصعب، فمضى إلى أخيه وعامله على الكوفة القباع، وعلى الموصل ابن الأشتر، فرده أخوه على البصرة والكوفة وعزل حمزة ابنه فقدم مصعب البصرة ولم يعزل حمزة عمر بن عبيد الله عن فارس، وأقبل الزبير بن علي من أصبهان إلى الأهواز، فقال مصعب: «العجب لعمر بن عبيد الله، قطع هذا العدو أرض فارس فلم يقاتلهم، ولو قاتلهم لكان أعذر

له» وكتب إليه: «يابن معمر ماأنصفتني، تجبي الفيء وتحيد عن العدو، فاكفني أمرهم»، فأقبل عمر من فارس، وخرج مصعب من البصرة ومعه المهلب يريدان جميعا الزبير وأصحابه، فبلغهم ذلك، وانحازوا إلى السوس ثم أتوا الكلتانية وخرجوا إلى كُسْكُر، وأتوا المدائن وعليها كَرْدَم بن مزيدٍ الفزاري، فتحصن في القصر فأتوا ساباط فقتلوا أحمر طيء، وكان من فرسان عبيد الله بن الحر فقال الشاعر:

تركتم فتي الفتيان أحمر طيءٍ بساباط لم يعطف عليه خليل

فلو كنت من خلانه لحميته ولكن خلان الصفاء قليل

وقتل يومئذ كاتب الزبير بن عليٍ ومولاه، وبسط الخوارج في القتل، فقتلوا النساء، والصبيان، والأطفال، وقتلوا أم ولد ربيعة بن ناجذ الأزدي وغيرها، وقالت لهم أم ولد ربيعة: أتقتلون ﴿أو من يُنَشَّؤوا في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾[1] فقال لهم رجل منهم: استحيوها، فقالوا: لقد أعجبتك وفتنتك، فأمسك. وسرحوا صالح بن مخراق إلى بكر بن مخنف، وكان عامل مصعب على إستان العال وهو بادوريا والأنبار، وقطربل ومسكنٍ، فلقوه بكرخ بغداد فقتلوه، فقال سراقة يرثيه:

ألا يالقوم للهموم الطوارق وللحدث الجاري بإحدى البوائق

لحى الله قوما عردوا عنك بكرة ولم يصبروا للّامعات البوارق

تولوا فأجلوا بالضحى عن عميدهم وسيدهم بالمأزق المتضايق

١ ـ سورة الزخرف ـ الآية: ١٨ .

وكان مع الأزارقة رجل من بني العم يقال له راشد، شديد البأس، فقاتلهم راشد، وانحاز الخوارج فحماهم فقال الشاعر:

وعبأ راشد العمي خيلا إلي خيل فقاتلهم جهارا
وحامى راشد العمي عنا وقد جازت فوارسنا المذارا

في أبيات.

وأقبل الزبير وأصحابه يريدون الكوفة، وعليها من قبل مصعب القباع، فخرج إلى النخيلة متثاقلاً، فكلمه شبث بن ربعي، وإبراهيم بن الأشتر وغيرهما ـ ويقال إن ابن الأشتر كان بالموصل ـ في أمر العدو، وقالوا: قد أظلنا، فخرج تَجَرْجُراً، فصار إلى دير عبد الرحمن بن محمدٍ، وكان عبد الرحمن يومئذٍ على الموصل وقال الشاعر:

إن القباع سار سيراً نكرا يسير يوما ويقيم شهرا

وجعل يتردد بين دَبَاها ودَبِيْرا.

فقال الشاعرُ:

إن القباع سار سيرا ملسا يسير يوماً ويقيم خمسا

ثم سار إلى الصراة وقال: إذا لقيتم عدوكم فاحسنوا القتال، فإن أول الحرب المشاتمة، ثم الرمي بالنبل، ثم إشراع الرماح والطعان، ثم السلة[1]، فقالوا: لقد أحسن الأمير الصفة.

وأتى الخوارج الصراة فقتلوا سِمَاك بن يزيد السبيعي وابنيه، والقباع معسكر في ستة آلافٍ، فقطع الجسر، ورجع الخوارج، وانصرف القباع إلى

---

١ ـ يقال: أتيناهم عند السلة: أي استلال السيوف. القاموس.

الكوفة، وأتى الخوارج المدائن، ومضوا إلى جوخى فأغاروا ببراز الروز[١] فقتلوا وأصابوا أموالاً، وأتوا البَنْدَنِيجَيْنْ، ثم حلوان، ومضوا إلى أصبهان، فنزل الزبير بن علي بعقوة عَتّاب بن ورقاء الرياحي، وكان مصعب ولاه إياها، ويقال كان الذي ولاه إياها أبو يزيد الخطمي وابن مطيعٍ، فأقره مصعب، ثم عزله ليحضر معه حرب عبد الملك، فحقد عليه ذلك، وكاتب عبد الملك، فبعث إليه عتاب ماأغراك بي وأنا ابن عمك؟ فقال: إن البعيد والقريب من المشركين عندنا سواء.

فحصره الخوارج أشهراً، ثم إن الخوارج أتوا الري وعليها يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني، وكان المصعب ولاه إياها، وأقرّه عليها، فحصره شهراً، ثم قاتله، فقتله الزبير بن علي، ونادي يزيد ابنه حوشب بن يزيد، فهرب ولم يلو على أحد، وقتل الخوارج لطيفة أم حوشبٍ، وكان علي بن أبي طالبٍ صلوات الله عليه دخل على يزيد يعوده، فقال له علي: إن عندي جارية لطيفة الخدمة فبعث بها إليه فسماها لطيفة، وقال بعض الشعراء بعد قتل مصعبٍ:

مواطننا في كل يوم كريهةٍ ... أسر وأسنى من مواطن حوشب
دعاه يزيد والأسنة شرع ... فلم يستجب إن الفتى غير مجْرَب
ولو كان حراً حوشب ذا حفيظةٍ ... رأى ما رأى في الموت عيسى بن مصعب

وقال بشر بن مروان ذات يومٍ، ومعه حوشب بن يزيد، وعكرمة بن ربعي: من يدلني على فرسٍ جوادٍ؟ فقال عكرمة: فرس حوشب فإنه نجا

---

١ ـ من طساسيج السواد ببغداد من الجانب الشرقي. معجم البلدان.

عليه يوم الري فضحك بشرٌ، وقال: بشر يوما: من يدلني على بغلةٍ قويةٍ ظهيرةٍ؟ فقال حوشب: بغلة واصل بن مساور بن رياب حملت مساورا وواصلاً، وكان عكرمة يتهم بامرأة واصلٍ، وإنما عناها بقوله: «بغلة واصل» فضحك بشرٌ، وقال: لقد انتصف.

وقيل في حوشب بن يزيد:

نجى حليلته وأسلم شيخه تحت الأسنة حوشب بن يزيد

وقيل أيضاً:

نجى حليلته وأسلم شيخه لمّا رأى وقع الأسنة حوشب

وأتي الزبير أصبهان منحطاً من الري، فحارب عتاب بن ورقاء أشهراً.

وقال رجل من أصحاب عتاب يكني أبا هريرة:

قل لابن ماحوز وللأشرار كيف ترون ياكلاب النار

شد أبي هريرة الهرار

فكمن له عبيدة بن هلال فضربه فصرعه، ثم حامى عليه أصحابه، فسلم فكان الخوارج ينادونهم: ما فعل الهرار؟ فيقولون: ماعليه بأس وخرج إليهم فقال:

أنا أبو هريرة الهرار

ثم إن عتاب بن ورقاء عقد لواءً لياسمين جاريته، وقال: من أراد الهوينا فليأت لواء ياسمين، ومن أراد الصبر فإلي، وخرج إلى الخوارج فقاتلهم وهو في ألفين، ويقال ألفين وسبعمائة، فاقتتلوا أشد قتال وقتل الزبير بن عليٍ وبشرٌ معه وفشت فيهم الجراح، ومضى فله، فلم يتبعوا، وقال

الأعشى في قتل الزبير ـ وذكر أن الحارث بن عميرة الهمداني قتله ـ في قصيدة أولها:

إن المكارم أكملت أسبابها ... لابن القُيُول الزُّهْرِ من قحطان
حتى تداركهم أغر سميدع ... فحماهم إن الكريم يمان
الحارث بن عميرة الليث الذي ... يحمي العراق إلى قرى نجران[1]

وقال رجل من ضبة:

خرجت من الكتيبة[2] مستميتاً ... ولم أك في كتيبة ياسمينا
وآثرت الحياء على حياتي ... ولم أترك لها حسباً ودينا
ولم أك في المدينة ديدباناً ... أُرَجِّم في نواحيها الظنونا
أعاذ الله قومي أن يكونوا ... مع السمك الذي بالفارقينا

وقال ابن حسان[3] يزيد:

صبحنا بَزَار[4] الروز منا بغارةٍ ... كورد القطا فيها الوشيج المقوم
وملنا على جابي المدينة كردم ... فأفلتنا فوت الأسنة كردم
ونجى ابن ورقاء الرياحي سابح ... شديد مناط القصرتين[5] عثمثم
ونحن شفينا من يزيد صدورنا ... ومن خيله وصاحب الحرب مغشم

وقال رجل من أصحاب عتاب:

---

١ ـ ليست في ديوان الأعشى المطبوع.
٢ ـ بهامش الأصل: المدينة.
٣ ـ ديوان شعر الخوارج ص٩٨ ـ ٩٩ .
٤ ـ بزار: قرية على فرسخين من نيسابور. معجم البلدان.
٥ ـ القصرة: العنق وأصل الرقبة، والعثمثم: القوي الشديد. النهاية لابن الأثير.

نحن قتلنا الزبير مارقكم فأصبح الفل منكم مزقا
وذلك الفعل فعلنا أبداً إذا جهول من قومنا مرقا

وولى الخوارج بعد قتل الزبير بن علي قطري بن الفجاءة، واسم الفجاءة مازن بن زياد بن يزيد بن حنثر بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن بن تميم، ويقال مازن بن زياد بن يزيد بن حنثر بن حارثة بن صعير بن خزاعي بن مازن.

وقال الشرقي بن القطامي: اسم الفجاءة جعونة.

وكانوا قد أرادوا تولية أمرهم عبيدة بن هلال، فقال لهم: أنا أدلكم على من هو خير مني، قطري، فبايعوه سنة إحدى وسبعين. فسار قطري، ويكنى أبا نعامة من أصبهان حتى أتى الأهواز، ثم رفع إلى كرمان فقال بعض أصحابه:

هربنا نريد الخفض من غير كلةٍ وللحرب ناب لايفل ومخلب

فلما بلغه البيت انحط إلي إيذج من كور الأهواز.

وبلغ مصعباً أن عبد الملك مجد في الحركة إليه، فكتب إلى عماله في النواحي من الوجوه فجمعهم إليه غير المهلب، وعمر بن عبيد الله، ويقال إن المهلب كتب إليه يسأله أن يكون بقربه، وقال له: قد بلغني أن وجوه المصرين قد كاتبوا عبد الملك، فقال له: إن أهل المصر سألوني أن لاأصرفك عن وجهك، وأبوا أن يخرجوا معي إن أخليت هذا الوجه منك.

وواقع المهلب قطرياً فنحاه عن إيذج وعن الأهواز كلها وقال الأحنف وهو بالبصرة، قبل أن يدخل مصعب الكوفة للتوجه إلى مسكنٍ وقد ذكر

قطري أنه أبو نعامة: إن ركب بنات سجاح وقاد بنات صَهّال[1] وأمسي بأرض وأصبح بأخرى، وجبى المال، طال أمره فأبلغ قطرياً ذلك رسول كان له بالبصرة، فنادى في عسكره: ألا لايصحبنا إلا رجل معه بغل، فكان ذلك مما ينكر على الأحنف، وقاتل قطري عمر بن عبيد الله بن معمرٍ بفارس، ثم أتى أصبهان، ثم الأهواز، وقتل مصعب في سنة اثنتين وسبعين والخوارج برامهرمز، والمهلب بإزائهم.

وقال الهيثم بن عديٍ والمدائني: برز المصعب لحرب عبد الملك، والمهلب في وجوه الخوارج وهو يحمي البصرة والأهواز منهم، وعمر بن عبيد الله بفارس، وعباد بن الحصين بالبصرة، فبلغ ذلك عبد الله بن خازمٍ فاسترجع، وقال: أنا بخراسان، وفي إبراهيم ابن الأشتر ماسِدٌ بعض المَسْد وأنشد:

خذيني فجريني ضباع وأبشري   بلحم امرىء لم يشهد العام ناصره

وكان مقتل قطري في أيام الحجاج، وسأذكر ذلك في موضعه إن شاء الله.

قال: وكان الخوارج يَسألون أصحاب المهلب عن ابن الزبير فيقولون إمام هدىً، فلما قام عبد الملك سألوهم عنه فقالوا: إمام هدىً، فقالوا لهم: ياكفرة قلتم بالأمس قولاً تقولون اليوم خلافه، لعنكم الله ياعبيد الدنيا.

---

١ ـ لم أقف لسجاح على اسم في كتب أنساب الخيل، وذكر الغندجاني في كتابه أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ـ ط. بيروت ١٤٠٢هـ ص١٤٩ «الصهال ـ لرجل من غطفان يقال له أنيف الذئب».

أمر نجدة
ابن عامر الحنفي

قال ابن الكلبي: هو نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيار بن المُطَرَّح بن ربيعة بن الحارث بن عبد الحارث بن عدي بن حذيفة، وسمي المطرح لأن بني كلابٍ أصابوه وهو غلام فأخذوه، وكان شهاب بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث يغير على القبائل فقال له ربيعة بن الحارث: أنت تغير، وابني في بني كلاب مطرح.

وكان نجدة مع نافع بن الأزرق ففارقه مع قومٍ فارقوه لتبرئه من القعد، وامتحانه المهاجر إليه، وتحريمه التقية في دار قومه، وصار نجدة إلى اليمامة فنزل بإباض، ودعا أبا طالوت، وهو في قول الكلبي مطر بن عقبة بن زيد بن جهينة بن الفِنْد، وهو شهل بن شيبان بن ربيعةِ بن زِمَّان بن مالك بن صعبٍ ودعا سالم بن مطرٍ مولى بني مازن بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن بن وائلٍ إلى نفسه، فبايعه خمسون على أنهم إن وجدوا من هو خير لهم منه بايعوه وبايعه معهم.

ثمّ إنّ أبا طالوت صار إلى الخضارم وكانت لبني حنيفة، فأخذها معاوية بن أبي سفيان، فصير فيها رقيقاً مبلغهم ومبلغ أولادهم ونسائهم أربعة آلافٍ، ويقال كانوا أربعة آلاف بيتٍ، فأخذ سالم ذلك الرقيق فقسمه في أصحابه وأقام اشهراً، وذلك في سنة خمسٍ وستين، وأتاه الناس، وكثر أصحابه، وخرجت عيرٌ من البحرين أربعين راحلةً تحمل مالاً وغير ذلك يراد بها ابن الزبير، فخرج نجدة في عشرة آلافٍ فلحقهم بجبلة من أرض بني تميم، وهي على خمس ليالٍ من هجرٍ فأخذ العير بما فيها؛ وقال بعضهم: خرجت العير من البصرة يراد بها عبد الله بن الزبير، وفيها ثلاثون رجلاً من شيعته وأكرياؤهم من بني تميمٍ، فخرج إليهم نجدة في ستين راكباً، ومعهم ثور بن حليلة بن ثورٍ الحنفي، فساق العير حتى أتى بها أبا طالوت بالخضارم، فقال نجدة: اقتسموا هذا المال واجعلوا غلة هذه الشيوخ لكم ولمن لحق بكم، وردوا هذا الرقيق فدعوهم كما كانوا يعتملون الأرض ويعمرونها، فإن ذلك أرد وأنفع، فاقتسموا المال، وقالوا لأبي طالوت: إنا كنا بايعناك على أنا إن وجدنا خيراً منك بايعناه وبايعته، ونجدة خير لنا منك، فبايعوه على مايبايع عليه الخلفاء أن لايخلع إلا عن جورٍ ظاهرٍ، ولم يبايعوه على مابايعوا عليه أبا طالوت، وبايعه أبو طالوت أيضاً وذلك في سنة ستٍ وستين ونجدة يومئذٍ ابن ثلاثين سنةً.

وخرج سراج بن مجاعة الحنفي إلى عبد الله بن الزبير ليأخذ لقومه أماناً، فقال له ابن الزبير: ياسراج ألم تر ماصنع قومك والله لأوجهن إليهم جيشاً، فقال: والله ماصنع هذا إلا حرورية.

قالوا وأقام نجدة أشهراً، وكثر أصحابه فقالوا: لو غزونا، فسرح نصر بن مباركٍ الحنفي في ثلاثمائة إلى البحرين، وقال: إن قتل فأميركم أبو سعدة العجلي، وعلى البحرين يومئذٍ سعيد بن الحارث الأنصاري، وكان من قبل يزيد بن معاوية فبقي بها، فمنعهم سعيد بن الحارث من دخولها، فوجه نجدة قدامة بن المنذر بن النعمان في ثلاثمائة وقال: إن قتل فأميركم أبو سعدة، فإن قتل فأميركم إساف اليشكري، فإن قتل فأميركم المطرح بن نجدة، فإن قتل فأميركم أبو سنانٍ حُيَيّ بن وائل اليشكري.

وقال بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، لكلاب بن قرة بن هبيرة القشيري: إنها فتنة فلو أتينا سوق المجاز فأغرنا، فإن بها بزا منشورا، وتمرا منثوراً، فأجابهم كلاب ومعه أخوه غطيف، فكتب نجدة إلى ابن المنذر، وأبي سعدة والذين وجههم إلى البحرين فردهم، ووجه حر بن وائل إلى ابن كعبٍ وهم بالمجاز، وقدامة بن النعمان في ثلاثمائة، واتبعهم نجدة في أربعمائة، ويقال خمسمائة، فالتقوا بذي المجاز، فهزمهم نجدة، وقتلهم قتلاً ذريعاً، وصبر كلاب وغطيف ابنا قرة، وجعل كلاب يقول لأخيه:

صبراً غطيف إنها الشهادة ... كل امرىءٍ مفارق أولاده

وصبرا حتى قتلا وانهزم قيس بن الرقاد الجعدي، فلحقه أخوه لأمه معاوية بن قرة، فسأله أن يحمله ردفا فلم يفعل، وقدم جفينة بن قرة على أهله خفيةً، فأتته امرأته بزبدٍ وتمرٍ فجعل يأكل وهي تسأله عن إخوةٍ لها وإخوته فلم يجبها فقالت: اجْتَحِفْ وأُخْبِر فقال:

لايستوي الجحفان جحف بزبدةٍ ... وجحف حروري بأبيض صارم

فلما فرغ قال: سلي، فلم تسأله عن أحد من إخوته وإخوتها إلا نعاه، فشقت جيبها وقالت: ويحك ألا صبرت حتى تقتل معهم، وقال معاوية:

ياقاتل الله قيس الجعد كيف دعا ... كعباً لأسباب أمر غير ميمون
حتى إذا التقت الأبطال واطعنوا ... فعل الديافية المطلية الجون
طَـرَّحَ رايتنا قيس وبَــرَّزَهُ[1] ... عن الطعان طويل الشخص ملبون[2]

في أبيات

وقال قيس:

أسأل معاوية بن قرة إذ دنت ... منه الأسنة أي فعلٍ يفعل
فإذا أتيت أباك فَاَشْتُرْ مثله ... إن الرداف عن الأحبة يشغل

يريد مثل فرسه.

وقال جفينة - وهو جفنة - يحرض ابن الزبير:

على أي شيء أنت بالركن واقفٌ ... مقيم وقد سارت بهن الركائب
ولا شيء إلا الموت إذ برزت لنا ... حنيفة أرباب السيوف القواضب

في أبيات

قالوا: ورجع نجدة إلى اليمامة وكثر أصحابه، فصاروا ثلاثة آلافٍ، فخاف أن يطأ الجنود اليمامة، وأن يغزى أهلها، فاستخلف باليمامة عمارة بن سلمى من ولد الدُّول بن حنيفة، وهو عمارة الطويل وأتى البحرين في سنة سبعٍ وستين، فقالت الأزد: نجدة أحب إلينا من ولاتنا، لأنه منكر للجور،

---

١ - برزه تبريزا: أظهره وبينه. القاموس.
٢ - الملبون: من به كالسكر من شرب اللبن. القاموس.

ولاتنا يجورون، فعزموا على مسالمته،واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين غير الأزد على محاربته، فقال بعضهم: نجدة أقرب إليكم منه إلى الأزد فلا تحاربوه، وقال بعضهم: أندع نجدة وهو حروري مارق تجري أحكامه علينا، فالتقوا بالقطيف، وأقبل وكيع أحد بني جذيمة من عبد القيس يرتجز ويقول:

يا أم يعقوب تجنبيني لاتحذري علي واحذريني
إن عليّ واقياً يقيني أنا وكيع لست بالهجين
اليوم أحمي حسبي وديني ما ملكت قائمه يميني

فقتل وكيع وجماعة من العبديين، وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف.

قال الشاعر:

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها وما نفع نصحٍ قيل لايتقبل

وأقام نجدة بالقطيف، ووجه ابنه المُطَرَّح إلى فلّ أهل القطيف من عبد القيس، فقاتلوه بالثوير[1] فقتل المطرح وجماعة من النجدية،فقال جمال بن سلمة الشاعر:

إن تقتلونا بالقطيف فإننا قتلناكم يوم الثوير وصحصحا
وإن تقتلوا منا وكيعا وعاصما فإنا قتلنا طارقا والمطرحا

١ ـ موقع وعر من جبال حمى ضرية، وضرية: قرية في طريق مكة من البصرة من نجد. معجم البلدان.

ووجه نجدة رجلا من عكلٍ يقال له ذَوّاد إلى الخُطّ[١] فظفر بهم، فقال سويد بن كراعٍ العكلي:

صبحت الخط بنا صباحا تحمل من عكلٍ فتى وضاحا
مهرية ترى بها مراحا

وأقام نجدة بالبحرين، فلما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة تسعٍ وستين، بعث إليه عبد الله بن عميرٍ الليثي الأعور في أربعة عشر ألفا، ويقال في عشرين ألفاً، ويقال إنّ حمزة بن عبد الله بن الزبير الموجه له حين ولي البصرة، فجعل ابن عميرٍ يقول: اثبت يأبا المطرح فإنا لانفر، فقدم ونجدة بالقطيف فنزل على ميلٍ من عسكره، وصير البحر خلفه، والأثقال أمامه، وأناخ الإبل أمام الأثقال، وقال لآخذنَّ نجدة أخذاً، وحضّ نجدة أصحابه، فرغبهم في الشهادة والجنة، وزهدهم في الدنيا، واعتزل قومٌ من أصحابه منهم ذَوَّاد العكلي فلم ينهض معه، فقال نجدة: إن إخوانكم هؤلاء أحبوا البقاء وثبت نجدة فيمن بقي معه وأتى ابن عميرٍ في عسكره وهو غار فقاتلهم طويلاً، وأصبح ابن عميرٍ فهاله أمر من رأى في عسكره من القتلى والقطعى والجرحى، وتشاغل ومن في عسكره بموتاهم وجرحاهم، فأتاهم نجدة فحمل عليهم فلم يلبثوا أن انهزموا فلم يلو أحد منهم على أحدٍ، وحوى نجدة العسكر، وأصاب جواري لابن عميرٍ وفيهن أمٌّ ولدٍ له، فعرض نجدة عليها أن يردها عليه، فقالت: لاحاجة لي فيمن فَرَّ عني، وورد ابن عميرٍ البصرة فاراً، فقال الفرزدق:

---

١ ـ الخط ـ كما يبدو ـ خط عبد القيس بالبحرين، وهو كثير النخل. معجم البلدان.

ما فر من جيش أمير برايةٍ فيدعى طوال الدهر إلا منافقا
تمنيتهم حتى إذا مــالقيتهم تركت لهم دون النساء السرادقا
وأعطيت ماتعطي الحليلة بعلها وكنت حُبارَى إذ رأيت البوارقا[1]

وقال العجاج حين قتل عمر بن عبيد الله بن معمر، أبا فديك:

لقـد شفـاك عمـر بن معمـر من الحـروريين يـوم العسكـر
وقـع امـرئٍ ليـس كـوقـع الأعـور[2]

يعني عبد الله بن عميرٍ في حرب نجدة.

وبعث نجدة بعد هزيمة ابن عميرٍ عطية بن الأسود الحنفي إلى عمان وقد غلب عليها عياذ بن عبد الله وهو شيخ كبير، وابناه سعيد وسليمان يعشران السفن ويجبيان البلاد، فمانعوه وقاتلوه فقتل عياذ وغلب عطية على عمان فأقام بها أشهراً، ثم خرج منها واستخلف رجلا يكنى أبا القاسم فقتله سعيدٌ وسليمان ابنا عياذ وأهل عمان، وخالف عطية نجدة فعاد إلى عمان فلم يقدر عليها فركب البحر وأتى كرمان، وضرب دراهم كان يقال لها العطويّة، وأقام بكرمان، فيقال إن المهلب بعث إليه جيشاً فلحق بسجستان، ثم صار إلى السند فقتلته خيل المهلب بقندابيل، ويقال إن الخوارج قالوا له: هاجر فقال أنا مهاجر على ديني فقتلوه.

وسمع أبو حزابة امرأةً كانت مع عطية تقول وهو بكرمان: هل من سيفٍ، هل من رمحٍ، فقال: أتريدين نيزكاً فرفعته إلى عطية فضربه أسواطاً، وقال الفرزدق لبني حنيفة:

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص٤٧ مع فوارق كبيرة. والحباري: طائر. القاموس.
٢ ـ ليس في ديوان العجاج المطبوع.

وهم من بعيدٍ في الحروب تناولوا عياذ بن عبد الله والخيل شحب[١]

قالوا ووجه نجدة بعد هزيمة ابن عميرٍ إلى البوادي من يأخذ من أهلها الصدقة، فكانوا يدعون القوم فإذا أجابوهم أخذوا الصدقة منهم، فقاتل أصحابه بنو تميم بكاظمة وأعانهم أهل طويلع[٢]، وقتلوا رجلاً من الخوارج، فوجّه نجدة إلى أهل طويلع من أغار عليهم وقتل منهم نيفاً وثلاثين رجلاً وسبى، ثم إنه دعاهم بعد ذلك فأجابوه وأخذ منهم الصدقة، وقال الفرزدق:

لسنا بأقوامٍ يبيعون دينهم إذا علموا أن لاسبيل إلى التمر
وما كنت مذ شدت على السيف قبضتي لانقض بيعاً بين زمزم والحجر[٣]

يعني بيعة ابن الزبير.

قال علي بن محمدٍ المدائني: وخرج نجدة إلى صنعاء في خفٍ فبايعه أهلها، وخافوا أن يكون وراءه جمع كثير، فلما أقام أياماً ولم يروا مدداً يأتيه ندموا على بيعته، وبلغه ذلك فقال: إن شئتم أقلتكم بيعتكم وجعلتكم في حلٍ منها وقاتلتكم، فقالوا: ماكنا لنستقيل بيعتنا، فبعث إلى مخاليفها، فأخذ منهم الصدقة، ووجّه نجدة أبا فديكٍ إلى حضرموت فجبى صدقات أهلها، وحج نجدة في سنة ثمانٍ وستين، ويقال في سنة سبعين، وهو الثبت، وقد كان في أيام يزيد بن معاوية قاتل مع ابن الزبير غضباً للبيت، وماانتهك من حرمته، فلمّا حج مرته هذه كان في ثمانمائة وستين رجلاً، ويقال في ألفين

---

١ - ديوان الفرزدق ج١ ص٧٤ مع فوارق.
٢ - طويلع: ماء لبني تميم. معجم البلدان.
٣ - ليسا في ديوانه المطبوع.

وستمائة، فصالح ابن الزبير على أن يصلي كل واحدٍ بأصحابه ويقف بهم ويكف بعضهم عن بعض على مثال ماكانت الأزارقة عليه أيام مقاتلتها معه.

فلما صدر نجدة عن الحج توجه إلى المدينة، فتأهب أهلها لقتاله، وتقلد عبد الله بن عمر السيف، فلما كان نجدة بنخل، وأخبر بلبس ابن عمر السلاح رجع نجدة إلى الطائف وأصاب ابن بحذج ابنة لعبد الله بن عمرو بن عثمان كانت عند ظئرٍ لها، فضمها نجدة إليه، فقال بعضهم: إن نجدة ليتعصب لهذه الجارية، فامتحنوه بأن سأله بعضهم بيعها منه، فقال: قد أعتقت نصيبي منها فهي حرة، قال: فزوجني إياها، قال: هي بالغ، وهي أملك بنفسها، فأنا أستأمرها، فقام من مجلسه ثم قال قد استأذنتها فكرهت الزوج، وقيل إن عبد الله بن الزبير كتب إليه: «والله لئن أحدثت فيها حدثاً لأطأن بلادك وطأة لايبقي بها معها بكري»، وكتب نجدة إلى ابن عمر يسأله هل ساروا بين يدي رسول الله ﷺ بالحربة واللواء، وعن الرجل يغشى المرأة في الحيض، فقال: سلوا ابن عباس، فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن أين كان يوم حنين قد سير بذلك بين يدي رسول الله ﷺ مرجعه من حنين، وأما الذي يغشى المرأة في الحيض في أوله فدينار والذي يغشي في الكدرة[1] فنصف دينار، فبعث إليه نجدة: فإن لم يجد؟ قال: يقوم الذي يلزمه طعاما، ويصوم لكل مُدٍّ يوماً، وقال ابن عباس: قاتله الله يقتل المسلمين، ويسأل عن المحقرات.

---

١ ـ الكدرة في اللون نقيض الصفاء. القاموس.

ولما رجع نجدة من نخل وقرب من الطائف أتاه عاصم بن عروة بن مسعودٍ فبايعه عن قومه، فلم يدخل نجدة الطائف، فلما قدم الحجاج الطائف لمحاربة ابن الزبير قال لعاصم: ياذا الوجهين بايعت نجدة؟! فقال: اي والله وذو عشرة أوجهٍ أعطيت نجدة الرضا، ودفعته عن قومي وبلدي.

قالوا: وأتى نجدة تبالة ثم شخص عنها واستعمل الحازوق الحنفي وهو ـ حزاق ـ على الطائف وتبالة والسراة، واستعمل سعد الطلائع على مايلي نجران، ووجه إلى بعض أصحابه يقال إنه عمرو بن همامٍ العقيلي، ووجه حاجب بن خميصة لقبض صدقات بني هلالٍ ونمير، فمنعوه إياها، فقاتلهم فقتل منهم رجلان، وتولى قتلهما رجلان من بني كلاب، فطالبوا بدمهما فهرب الكلابيان، ورجع نجدة إلى البحرين فقطع الميرة عن أهل الحرمين من اليمامة والبحرين، فكتب إليه ابن عباس: إن ثمامة بن أثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون حتى أكلوا العلهز[1]، فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامة: «إنّ أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فخلهم وإياها» وإنك قطعتها عنا ونحن مسلمون، فخلى لهم نجدة الميرة، وأقام عمال نجدة في النواحي حتى وقع الأختلاف بينه وبين أصحابه، فاجترأ الناس عليهم، فأما الحازوق فطلبوه بالطائف فهرب، فلما كان في عقبةٍ في طريقه إذا قوم يطلبونه فرموه حتى قتلوه وهو يقول: أتقتلوني قتلة الزناة، ليبارزني منكم من شاء، وأخذوا فرسه فقالت أخته، أو ابنته تبكيه:

---

١ ـ العلهز: القراد الضخم، وطعام من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة. القاموس.

أعيني جودا بالدموع على الصدر على الفارس المقتول بالجبل الوعر
فإن تقتلوا الحازوق وابن مطرفٍ فإنا قتلنا حوشبا وأبا جسر
أقلب عيني في الركاب فلا أرى حزاقا فعيني كالحِجَاة من القطر
ومن يغنم العام الوشيك ولاحقاً وقتل حزاقٍ لايزل عالي الذكر

في أبيات

وقال هشام ابن الكلبي: كان عبد الله بن النعمان الدوسي سيد الأزد بالسراة، وهو قتل الحازوق الحنفي أيام نجدة، وكان أوغل في بلاد الأزد، وقال عبد الله بن الزبير حين بلغه قتل الحازوق: إن الازد هم الأسد قتلوا الحازوق وإن من خثعمٍ سلمى، أوتدرون من هي؟ هي امرأة في الجاهلية كانت.

وقالوا: قتل سعد الطلائع ناجية الجرمي، وأراده على الصدقة، فمنعه إياها وقاتله فقتله ناجية.

وقال الكلبي: لقيت رسل نجدة لطلب الصدقة بهدل بن مالك بن الطفيل بن حبيب بن منيفٍ الطائي، ومعه رجال من طيءٍ فاقتتلوا، فقتل نويرة بن بحير الطائي منهم بالأجفر سبعة خوارج، وكانت راية طيءٍ يومئذٍ مع زيد بن حبال بن بشر الطائي، فقتل يومئذٍ عبس بن سمي بن الأغر الطائي، ونافذ بن زهير بن ثعلبة الطائي، وله يقول المعنى الطائي:

ياعين بكي نافذاً وعبسا
يوما إذا كان البراء نحسا

قال: وكان أميرهم في الحرب زياد بن جد بن وبرة قتل من الخوارج اثني عشر، وكانوا يقاتلون أياما.

قالوا: وخالف نجدة أبو سنانٍ حي بن وائلٍ ، وذلك لأنه اشار عليه بالبسط على من كان أجابه وتابعه تقيّة فنهره وشتمه نجدة، فهم بالفتك به وحي هو القائل:

أما أقاتل عن ديني على فرس ... ولا كذا رجلاً إلا بأصحاب
لقد لقيت إذاً شراً وأدركني ... ما كنت أزعم في قومي من العاب

ويروي في خصمي من العاب.

فبعث إليه نجدة من ناظره فقال: أكلف الله أحداً علم الغيب؟ قال: لا ، قال: فإنما عليه أن يحكم بما ظهر، فقبل منهم ورجع إلى نجدة. وحدثني الكردي وغيره قالوا: كان سبب خلاف عطية بن الأسود على نجدة لأن نجدة وجه سرية برا وسرية بحراً، فأعطى سرية البر أكثرمما أعطى سرية البحر، فنازعه حتى أغضبه فشتمه نجدة فغضب وألب الناس عليه، وقد كان كلم نجدة في رجلٍ فأعطاه فرساً فقال: ألا ترونه يعطي على الشفاعة؟!.

وأعطى نجدة مالك بن مسمعٍ حين هرب إلى ثأج[1] مالاً. وكلم في رجلٍ شرب الخمر في عسكره، فقال هو شديد النكاية، وقد استنصر رسول الله ﷺ بالمشركين.

قالوا: وكتب عبد الملك إلى نجدة يدعوه إلى طاعته وبيعته، على ان يهدر له ماأصاب من الدماء والأموال، وأن يوليه اليمامة وماحولها، فطعن عليه عطية وقال: ماكاتبه عبد الملك حتى علم منه إدهاناً في الدين، فخرج عطية إلى عمان مفارقا له، وخالف نجدة أيضاً قوم استتابوه فحلف أن لايعود ثم

---

١ ـ ثأج: عين من البحرين على ليال. معجم البلدان.

ندموا على استتابته وتفرقوا، وخالف عليه عامة من كان معه وانحازوا عنه وولوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثورٍ، أحد بني قيس بن ثعلبة، وكانوا حين فارقوا نجدة بايعوا ثابتاً التمار، ثم قالوا: لايقوم بأمرنا إلا رجل من العرب، وجعلوا الاختيار إليه، فاختار لهم أبا فديك عبد الله بن ثور، واستخفى نجدة، وأرسل أبو فديك في طلبه جماعة من أصحابه وقال: إن ظفرتم به فجيئوني به، وأتى أبو فديك إباض وبرىء وأصحابه من نجدة وقيل لأبي فديك أنك إن لم تقتل نجدة تفرق الناس عنك، فألح في طلبه، وكان نجدة مستخفيا في قريةٍ من قرى حَجْرٍ، ويقال بين حجرٍ وجوٍ، وكان للقوم الذين أخفوه جاريةٌ يخالف إليها راع لهم، فأتاها ليلاً وقد غسل نجدة رأسه ودعا بطيب فأخذت الجارية من الطيب شيئا فمسته، فسألها الراعي عن أمر الطيب فأخبرته خبر نجدة، وغدا الراعي إلى أصحاب أبي فديك فدلهم على مكانه فطرقوه، فنذر بهم، فأتى أخواله من بني تميمٍ فاستخفى عندهم، وقال أتي عبد الملك فأضع يدي في يده، فقالوا: لك عندنا زاد وحملان قال: فأعهد إلى أم المطرح عهداً فأتاها فنذروا به، فأذنوا أصحاب أبي فديك بموضعه، فسبق إليه رجل من بني عقيل من الفديكية فخرج نجدة مصلتا بالسيف فضن به العقيلي عن القتل، فنزل عن فرسه ومشى معه، وقال: إن فرسي هذا فرس لايدركه شيء، فلعلك تنجو عليه، فإن الخيل طالعة عليك، فقال: ماأحب البقاء وقد تعرضت للشهادة في مواطن ماهذا الموطن بأخسِّها، وغشيه الوازع أخو أبي فديك لأمه، وأبو طالوت وأبو هاشم مولى بني مازن، واسمه راشد في ثمانية عشر رجلاً فيهم ثابت التمار وجههم أبو فديك لقتل نجدة، فطعنه أبو هاشم، ويقال طعنه رجل من بني عدي بن

حنيفة، وضربه القوم فقتلوه، وبقي الحنفي الذي يقال إنه طعن نجدة، فلقيه حصين بن نجدة بدمشق فقتله، فوجدوه مقتولا فأتهموا حصينا بقتله فحبسوه، ثم أخرج، وقال رجل من جرم يرثي نجدة:

أَبَعْدَ أبي المُطَرَّح يوم حَجْرٍ يقوم بِسُوْقِها أبدا مجير
فليت سيوفكم ياأهل حجر أتاها يوم نجدة مستعير
فأصبحت اليمامة بعد عز أذل رقابها الأسد العقير
فلم يستبدلوا منه ابن ثور فقد ضاعت بكاظمة الثغور

في أبيات.

وكان الجَرْمي وقوم معه من بني جرم، نزلوا قريباً من ذي المجاز، فأغار عليهم بنو قشير فأصابوا لهم أموالاً، فلما ظفر نجدة ببني كعب، ردّ على الجرميين ماأخذ منهم، فلذلك رثاه الجرمي، وكان نجدة ذا شجاعةٍ وسخاءٍ، فقال نصر بن سيار يوماً لرجلٍ من بني حنيفة: من كان سيدكم؟ قال: مَجَّاعة، قال:ماأدري مامجاعتكم من عصيدكم، والله ما كان فيكم قط أكرم كرماً ولاأعظم سؤدداً من نجدة وهو الذي يقول:

وإن جرَّ مولانا علينا جريرةً صبرنا لها إن الكرام الدعائم

وقال أبو الحسن: كان نجدة استخلف على البحرين هميان بن عدي السدوسي، فلما وافى مالك بن مسمعٍ ثأجٍ بعد الجفرة، كتب هميان إلى نجدة إنه قد ورد علينا قومٌ لهم شرف وقديم، لو قدموا على أبي بكرٍ وعمر لعرفا مكانهم، فإن رأيت أن أعطيهم من سهم المؤلفة فعلت، فكتب نجدة: ليس في عطية المؤلفة وقت معلوم، فأعطهم ماترى أنه يحل ان يعطى مثلهم،

فأعطاهم هميان كل ما كان في بيت المال ثم لحق بهم، وحمل نجدة مالكاً على ناقةٍ وحمل ابنه على فرسٍ، فكان ذلك مما أنكروه عليه.

قالوا: وفارق أبا فديكٍ قوم حين قتل نجدة، فقُتل به مسلم بن جبير، وهو من أهل الحجاز فوجأه اثنتي عشرة وجأة، وقال:

وخــالفت قــومي في دينهم خلاف صبا حين جاءت جنوبا
أرجــي الإلــه وغفــرانــه ويـرجون درهمهم والجـريبـا

قالوا: فقتل مسلم، وحمل أبو فديك جريحا فبرأ. وسنكتب خبر أبي فديك ومقتله في موضعه إن شاء الله. وكان أبو فديك من الجرميين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة.

خبر عبد الرحمن
ابن بحدج بن ربيعة بن سمير بن عاتك
ابن قيس من بني عامر بن حنيفة

قالوا: فارق عبد الرحمن بن بحدج نجدة ناقماً عليه، فأتى فارس فقال الأعلم - وهو نعمان بن عبادة بن فياض بن شراحيل النكري من عبد القيس - لعمر بن عبيد الله بن معمر، وهو على فارس: إن دخول هؤلاء بلداً أنت فيه وهنٌ، فندب ابن معمرٍ قوماً مع النعمان ووجهه إلى ابن بحدج، فصير النعمان على مقدمته أبا المنازل، وسار الأعلم، وكتب إلى عمر بن عبيد الله:

فلا أَعْرِفَنْكم بعدما تقرع العصا ... ترومون أمراً منكم متفاقما

فلما قرأ عمر البيت قال: أما النعمان فلا يرجع حتى يظفر أو يموت.

قالوا: وأصاب النعمان كسر في فخذه فأبطأ في السير، وتقدم أبو المنازل فلقي الخوارج فقاتلهم وصبروا جميعاً، ثمَّ تحاجزوا وانحاز الخوارج، ولزموا الطريق، فلقوا النعمان بذي القاف، فقاتلهم النعمان، فانكشف أصحابه وصبر فحمل عليه حسان بن بحدج فضربه فلم يصنع شيئا، وعانقه النعمان فصارا إلى الأرض، فضغطه النعمان إلى الأرض بصلبه حتى قتله النعمان، وحمل عبد الرحمن بن بن بحدج على النعمان فقتل كل واحد منهما صاحبه

ويقال بل حمل عبد الرحمن على النعمان فقتل النعمان وأتاهم أبو المنازل فقاتلهم وهو يقول:

إصبر على حظك فيما مضي ... فـإنمـا النصر مـع الصـابـر

فقتل عبد الرحمن بن بحدج، وانهزم الخوارج وتفرقوا.

قال المدائني: ذو القاف بين فارس والبحرين، وبعمان أيضاً موضع يقال له ذو القاف، وقومٌ يقولون: إن أبا فديك وجّه ابن بحدج، والخبر الأول أثبت.

وقال المدائني: ولم يزل النعمان النَّكْري مقيما بفارس، ولم يكن هاجر إلى البصرةِ، فلما قدم عمر بن عبيد الله بن معمرٍ فارس واليا للمصعب تلقاه النعمان، وكان جسيماً طويلاً، فقال عمر: إن هذا لخليق للبأس والنجدة، فقال: من أنت؟ قال: النعمان بن عبادة النكري، قال: أصحبني، فأكرمه وولاه شرطته، فلما وجهه إلى ابن بحدجٍ ولى مجاعة شرطته، وتزوجت امرأة النعمان بعده رجلاً من قريش، فقال لها رجل من عبد القيس:

إنك لـن تستبـدلي أم أيمـن ... طوال الليالي فانكحي أو تأيمي

فكان يمر زوجها في الطريق فينشدون هذا البيت.

وقال الهيثم: ولى عبد الملك حين قتل مصعباً يزيد بن هبيرة المحاربي اليمامة، فخرج عليه خارجي يقال له سوار بن عبيدٍ، فخرج إليه بأهل اليمامة فقتله، وتزوج يزيد امرأةً من آل قيس بن عاصم، فأدخلت عليه وقد ألبست العصب والثياب الرقاق فقال:

للبس عبـاءة وتقـر عيـني أحب إلى من لبس الشفوف
وبكر يتبع الأظعان صعب أحب إلى من بغلٍ زفوف
وبيت تخفق الأرواح فيـه أحب إلى من قصرٍ منيف

وولى بعده أدهم بن عربي.

أمر عبد الملك بن مروان[١]

وأمّا عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وهو الذي جدع أنف حمزة بن عبد المطلب يوم أحدٍ، فقتل على أحدٍ بعد انصراف قريش بثلاثٍ، قتله علي بن أبي طالبٍ بأمر النبي ﷺ . وأمها فاطمة بنت عامر بن حزيم من بني جمحٍ، وأمها سكينة بنت أبي معيط.

بويع له في شهر ربيع من سنة خمس وستين بدمشق، ولعبد العزيز أخيه، واستخلف في شهر رمضان سنة خمس وستين وكانت ولايته بعد مقتل عبد الله بن الزبير ثلاث عشرة سنةً سنةً وثمانية أشهر، وقتل ابن الزبير في سنة ثلاثٍ وسبعين، وكانت فتنته تسع سنين، ومات عبد الملك وله اثنتان وستون سنةً، وصلى عليه الوليد بن عبد الملك، ودفن بمقبرة الباب الصغير وذلك في سنة ستٍ وثمانين، وكنيته عبد الملك أبو الوليد.

---

١ ـ بهامش الأصل: «خلافة عبد الملك بن مروان».

وقال الواقدي: مات وله ثلاثٌ وخمسون سنةً، وكان عبد الملك يلقب «رشح الحجر» لبخله، و«أبا الذبّان» لنتن فمه وفساد عمور أسنانِهِ، واجتماع الذبّان عليها وعلى شفتيه، ولم يزل يتنسك قبل الخلافة، وقد روى الحديث عن عثمان وأبي هريرة وأبي سعيدٍ الخدري، وكان معاوية ولاه ديوان المدينة بعد زيد بن ثابتٍ الأنصاري، ولما ولى عثمان مروان البحرين، ولاه هجر فقال فيه الشاعر:

وبدارين[1] من قريشٍ أميرٌ عبشمي نَفُاعُه ضَرَّارُ

ويقال إنه ولد لسبعة أشهر، وقال فيه ابن قيس الرقيات:

أنت ابن عائشة التي فضلت أروم[2] نسائها
لم تلتفت للداتها ومضت على غلوائها[3]

وقال أبو اليقظان: العرب تسمي الأبخر أبا الذبان، فلذلك قيل لعبد الملك أبو الذبّان.

وقال المدائني: كان عبد الملك آدم جميلاً أقنى كأنه من رجال يهوذ في تمامه.

وقال فيه ابن قيسٍ الرقيات:

يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه ذهب[4]

---

١ ـ دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند. معجم البلدان.
٢ ـ الأرومة: الأصل.
٣ ـ البيت الأول فقط في ديوان ابن قيس الرقيات ص١١٨ .
٤ ـ ديوان ابن قيس الرقيات ص٥ .

فسمعه رجلٌ فقال: يعلم والله أنه قد رآه.

فولد عبد الملك: الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر، وداود، درجا. وعائشة تزوجها خالد بن يزيد بن معاوية، وأمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس، ولها يقول العجاج:

من بين مروان قريع الإنس وابنة عباس قـريع عبس[1]

وقال بعض الشعراء:

لقد أنجبت له إمامي بلاده فـإنهما مستـخلف ومـؤمـل

ويزيد ومروان الأصغر ومعاوية أمهم عاتكة بنتُ يزيد بن معاوية.

وهشاماً أمه أم هشامٍ واسمها عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

وأبا بكرٍ أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله.

والحكم وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان.

وعبد الله، ومسلمة، والمنذر، وعنبسة، ومحمداً، وسعيد الخير، وكان حين استنزل بنهر سعيدٍ [حفر النهر وعمر غيضته فلقب به] وكان يزيد يقول: إن سعيد الخير لأهل لأن أستخلفه.

والحجاج وقبيصة لأمهات أولادٍ شتى.

وفاطمة أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة تزوجها عمر بن عبد العزيز.

---

١ ـ ديوان العجاج ـ ط. بيروت ١٩٧١ ص٤٨١ .

وقال أبو اليقظان: سمى عبد الملك المنذر باسم رجلٍ من أهل الشام كان ناسكاً، وقد شهد المنذر هذا قتال حبيش بن دلجة الحنتف بالربذة، ولاأعلم له عقباً، قال وسمى قبيصة باسم قبيصة بن ذؤيبٍ الخزاعي، وكان قبيصةُ على خاتم عبد الملك وبيت ماله، وولد له الوليد بن قبيصة، فدرج ولاعقب له، قال: وسمى الحجاج باسم الحجاج بن يوسف، وقال عبد الملك:

سميته الحجّاجَ بالحجّاجِ
بالناصح المعاون الدماج
نصحا لعمري غير ذي مزاج

فوهب الحجّاج بن يوسف للحجاج بن عبد الملك داراً بدمشق تعرف بدار الحجاج، وكان أبو بكرٍ ضعيفاً، فكان يسمي بكارا، حج من المدينة حين وردها ماشيا على اللبود، وقتله بعد عبد الله بن علي، وولد لعنبسه بن عبد الملك الفيض بن عنبسة لا عقب له. ووجه عبد الملك عبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج أيام ابن الأشعث، وإلى أهل العراق، فعرض عليهم عزل الحجاج فلم يقبلوا، فأمر الحجاج بقتالهم، وولاه أخوه الوليد بن عبد الملك حمص، وغزا الصائفة وولاه مصر فمرض، فكتب إليه الوليد أن أكتب لي أموالك فقال: اكتبوها له فليتني لم أعرف الوليد ولاأباه، ومات فقال الوليد: رحم الله عبد الله خاف التبعة في الآخرة وتحرج مما أصاب وقد جعلته من ذلك في حلٍ، فبكاه الشاعر وقال:

فهلا على قبر الوليد أخي الندى وقبر سليمان الذي عند دابق
وقبر أبي عمرو أخي وأخيهم بكيت لحزنٍ في الجوانح لاحق

وفيه يقول الشاعر:

فإن بمصر عبد الله يأسو ويجبر عظم ذي الكسر المهيض

وأوفد مسلمة بن عبد الملك مروان بن عبد الملك إلى يزيد بن عبد الملك بقتل يزيد بن المهلب، وأوصى عبد الملك الوليد وسليمان أن يستخلفا أحد ابني عاتكة يزيد أو مروان وهو الأصغر فمات مروان وكان ضعيفا وله يقول كثير:

أبا خالدٍ فارقت مروان عن رضا وكان يزين الأرض أن تنزلا معا[1]

وولد لمروان هذا: معاوية بن مروان، فولد معاوية الوليد بن معاوية، وكان من رجالهم ولي دمشق وله عقب.

وللحكم بن عبد الملك بن مروان يقول رؤبة[2] :

ياحكم الوارث عن عبد الملك
ميراث أحساب وجود منسلك
إليك أشكو عض دهرٍ منتهك
بالمنكبين والجران مبترك
وقد علمنا ذاك علماً غير شك
أنك بعد الله إن لم تَدَّرِك
مفتاح حاجاتٍ أنخناهن بك
فالذكر فيها عندنا والأجر لك
مابعدها من طلبٍ ولا دَرَكْ

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع.
٢ ـ ديوان رؤبة بن العجاج ـ ط. لايبزغ ١٩٠٣ ص١١٨ مع فوارق.

وقال عبد الملك في بنيه:

يـزيـد زيـادة الـرحمن فينـا وصاحب عزوة الأمر الشديد
ومروان الصفي صفي نفسي شبيـه النفس مني والجـدود
وعبد الله صاحب كل حربٍ وغـزو تحت أبدان الحـديد
فقـد علقت حُبّهم جميعـاً عـلى أنَّ الخـلافـة للوليـدِ
سليمان الشعار شعـار قلبي أحبُّ إلى من ذَوْب الشهودِ
ورأيي في هشـام أنَّ فيـه حيـاةً للجنـود وللوفـود

وقالوا: تزوج عبد الملك شقراء بنت مسلمة بن حنظلة الطائي، وصفت له، وكان الواصف لها ابن معرض الطائيّ، فقال: والله لوددت أن الله جعل حظ طيءٍ كلها من نار جهنَّم في حر شقراء ليلتها هذه وكانت عظيمة الركب، ويقال بل خرج عبد الملك متنزهاً، فرأى خباءً حريداً فوقف عليه، فخرج إليه أبو شقراء فقال له عبد الملك: ماأنزلك مُتَنَحِّياً؟ فقال إن لي ابنةً لها بهاء قرشيةٍ، وحسن غطفانية، وفم طائيةٍ، وجسم عامريةٍ، فتزوجها فماتت عنده فصالحهم من ميراثها على ألف ألف درهم.

وكتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل وهو بالمدينة اخطب عليَّ امرأةً من قريش من كمالها ومن طولها ومن بياضها فكتب إليه: إني لاأعلم هذه الصفة إلا في بنات المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكان المغيرة جميلاً، وكنَّ بناته ذوات جمالٍ وكمال، وللمغيرة يقول الشاعر:

ألا يـاأيها الأعـراب سيروا فـما بعد المغـيرة من مقام

المدائني عن إبراهيم بن سعدٍ أنَّ عبد الملك رأى في منامه كأن امرأته المخزوميّة قلعت رأسه، ثم لطعت منه عشرين لطعةً[١]، فبعث إلى سعيد بن المسيب من سأله عن الرؤيا، فقال: تلد منه ولداً يملك عشرين سنةً، فولدت هشاماً فملك عشرين سنةً، ويقال إنه رأى أيضاً كأنه وتدت في ظهره أوتادٌ، فقصت رؤياه على سعيدٍ، فقال: يخرج من صلبه أولاد يلون الخلافة.

وتزوج عبد الملك ابنةً لعليّ بن أبي طالب، وتزوّج أمَّ أبيها بنت عبد الله بن جعفرٍ فطلقها، وقد ذكرنا قصتها فيما تقدَّم من أخبار آل أبي طالب.

وتزوج أم الحكم بنت ذؤيب بن حلحلة بن عمروٍ الخزاعي، وهي أخت قبيصة بن ذؤيب صاحبه.

وأما مسلمةُ بن عبد الملك فسنذكره بعد هذا الموضع إن شاء الله، وكان صاحب رأيهم، وفتح الطوانة وغزا الصوائف غير مرةٍ ومات بالحانوتة من مضر[٢] سنة إحدى وعشرين ومائة وكان مولده عام أخرج ابن الزبير بني أمية من المدينة.

١ ـ اللطع: اللحس، وأن تضرب الانسان برجلك، ولطعه بالعصا: ضربه. القاموس.

٢ ـ الحانوته أو الناعورة على الفرات قرب الرقة كان فيه قصر لمسلمة بن عبد الملك من حجارة صلدة. بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ـ ط. دمشق ١٩٨٨ ج١ ص٦٤ .

ما قيل في عبد الملك
وأخباره بعد مقتل ابن الزبير

المدائني عن مسلمة قال: رأى معاوية عبد الملك فقال: هذا أبو الملوك.

المدائني عن عبد الله بن بكر السهمي قال: قال عمرو بن العاص: كنت عند معاوية وعنده عبد الملك، فلمّا قام أتبعه بصره، ثمّ قال لله درُّ هذا الفتى ماأعظم مروءته.

المدائني عن المنهال بن عبد الملك قال نظر رجلٌ إلى عبد الملك، وكانت في رأسه شامة مدورةٌ، فقال: أما ليملكنَّ فقال: ليت لنا من عرفجٍ خوصةً[1].

المدائني وغيره قالوا دخل عبد الملك على يزيد بن معاوية فقال ياأمير المؤمنين إنَّ لك أرضاً بوادي القرى ليست لها غلةٌ فإن رأيت أن تأمر لي بها

---

١ ـ العرفج شجر وقيل هو ضرب من النبات، له ثمرة خشناء كالحسك. معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس لمحمود مصطفى الدمياطي ـ ط. القاهرة ١٩٦٥. وانظر المثل في معجم الأمثال العربية لرياض مراد. ط. الرياض ١٩٨٦. ج ٣ ص ١٥٣.

فقال يزيد: إنا لانخدع عن صغيرٍ ولا نُبَخَّل بكبيرٍ، قال: فإن فيها كذا وكذا، قال: هي لك، قال: فلمَّا ولى قال يزيد: هذا الذي يقال إنه يلي بعدنا، فإن كان ذلك باطلاً فقد وصلناه، وإن كان حقاً فقد صانعناه.

المدائني قال: قال عبد الله بن صفوان رأى عثمان عبد الملك فضمه إليه وقال: رأيتني أخذت برنسي فوضعته على رأسه، وقد ولده أبو العاص مرتين، ولئن خرجتْ مني إليه ماذاك بكبير.

المدائني والحرمازيُّ عن العتبي قالا: قال سعيد بن العاص، وبعضهم يقول عمرو بن العاص: لله درُّ عبدِ الملك مازلت أعرفه آخذاً بأربعٍ تاركاً لثلاثٍ، آخذاً بقلوب الرجال إذا حدث، وبحسن الإستماع إذا حدث، وبترك الجدال إذا خولف، وبإظهار البشر إذا لقي، تاركاً لخلة الظنين في دينه، وملاحاة الغلق خوفاً لشِذَّاته، وللدخول فيما لايعنيه هذا مع حلمٍ وعلمٍ.

المدائني قال: وصف رجلٌ عبد الملك، فقال: إنه ليترك مخالفة الجليس توقّياً لسوء المجالسة، ويدع مماراة اللجوج كراهةً لعداوته.

المدائني عن أبي هاشم الحراني، كاتب بشر بن مروان قال: قال عبد الملك للشعبي، حين وفد عليه وحدثه: لقد حدثتني بأحاديث قد مرت بمسامعي، ولكني أنصت حتى تظن أني لم أسمعها، وإنَّ ذلك لطرفا من الأدب.

حدثني الحسين بن الأسود عنَ يحيى بن آدم، عن وكيعٍ قال: حدثنا الأعمش عن ذكوان قال: كان فقهاء المدينة يعدون أربعةً، منهم عبد الملك بن مروان.

حدثني روح بن عبد المؤمن قال: حدثنا وهب بن جريرٍ عن أبيه عن نافع قال: لقد رأيت المدينة ومابها شاب أشدُّ تشميراً، ولاأملك لنفسه، ولاأظهر مروءة من عبد الملك بن مروان.

قال: وكان يقال لعبد الملك بالمدينة حمامة المسجد لعبادته.

قال: وشُكيَ بعض العمّال إلى ابن عمر، وعبد الملك يصلي إلى ساريةٍ، فقال ابن عمر: لو وليهم عبد الملك هذا مارضوا به، يضرب به المثل في الفضل والصلاح.

المدائني وغيره إن عبد الملك قال حين وجّه يزيد بن معاوية الجيش إلى ابن الزبير: ليت السماء وقعت على الأرض، إعظاماً لذلك، ثم إنه ابتلي بعد ذلك بأن وجّه الحجاج فقتله بمكة ورمى البيت.

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالدٍ عن الشعبي قال: دخلت على عبد الملك فقلت: أنا الشعبي ياأمير المؤمنين. فقال: لو لم نعرفك لم نأذن لك، فلم أدر ماأقول، فقال: علم بَنيَّ الشعر، فإنه يُنَجِّدهم ويمجدهم.

وحدثني هشام بن عمار عن أبيه قال: مرَّ ابن زملٍ العذريُّ بسعيد بن المسيب فدعاه فجاءه، وهو في المسجد، فقال: بلغني إنك مدحت عبد الملك فأنشدني ماقلت فيه فأنشده:

فما عابتك في خلقٍ قريش بيثرب حين أنت بها غلامُ

فقال: صدقت كذا كان وهو عندنا.

وقال المدائنيُّ عن الأشياخ: بايع مروان بن الحكم لأبنيه: عبد الملك، وعبد العزيز حين رجع من مصر بالصِّنَّبْرَة[١]، أو بدمشق وولى عبد الملك فلسطين، فلما مات مروان أتاه عبد الرحمن بن أم الحكم، فسلم عليه بالخلافة. وقال المدائني: لما قتل عبد الملك عمرو بن سعيدٍ قال ابن الزبير: إن أبا الذبَّان قتل لطيم الشيطان ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾[٢] وبلغ ذلك ابن الحنفيَّة فقال: ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾[٣] يرفع له يوم القيامة لواء بغدرته، ويلعنه الله والملائكة.

وقال الواقدي: كان عبد الملك يكنى أبا الوليد عابداً ناسكاً قبل الخلافة، وسمع من عثمان، وأبي سعيدٍ الخدري، وأبي هريرة، ومات بالشام سنة ستٍ وثمانين، وقبض وله ثمانٍ وخمسون سنةً.

وروى مروان عن عمر وعثمان وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة وله ثمان سنين، ومات سنة خمسٍ وستين وله ثلاث وسبعون سنةً.

وقالوا: كتب عبد الله بن عمر حين قتل ابن الزبير إلى عبد الملك بن مروان: «من عبد الله بن عمر، سلامٌ عليك، فإني مقرٌّ لك بالسمع والطاعة على سنة الله عزّ وجلّ وسنَّة رسولهِ ما استطعت».

المدائني عن محمد بن صالح عن إسماعيل بن أبي خالدٍ عن الشعبي قال: كتب ابن عمر إلى عبد الملك بالبيعة، فقيل لعبد الملك: أترضى بأن يكتب إليك بمثل هذا؟ فقال: هذا من أبي عبد الرحمن كثير.

---

١ ـ قرب طبرية.

٣ ـ سورة الأنعام ـ الآية: ١٢٩.

٤ ـ سورة الفتح ـ الآية: ١٠.

وكتب ابن الحنفية ببيعته، وقد كتبنا خبره وخبر عبد الملك والحجَّاج فيما تقدَّم من خبر ابن الحنفية.

قالوا: ووفد الحجَّاج إلى عبد الملك بعد قتل ابن الزبير، وأوفد معه ابن الحنفية، وعبد الله بن عمرو بن عثمان، وعمر بن عبد الرحمن بن عوفٍ، وعيسى بن طلحة، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص في رجالٍ آخرين، قالوا: فدخل عيسى بن طلحة على عبد الملك في هذه الوفادة، ويقال في غيرها، فسأله أن يخليه، فقال: إنه ليس دون الحجَّاج سرٌّ، فقال: والله لئن لم تخلني لاقبلتَ صلتك ولأرجعنَّ ساخطاً، قد قطعت رحمي فأخلاه، فقال: ياأمير المؤمنين سلطت علينا هذا الغلام من ثقيف، لايعرف لقومك حقاً، فقال: إنكم ماتعرفون منه شيئاً إلا وأنا عارفٌ به، وأنا عازله عنكم عزلا جميلاً، فلا يسمعن هذا منك أحدٌ فإني أخبره أنك أثنيت عليه، وخرج فأخبر عبدُ الملك الحجَّاج أنَّ عيسى أثنى عليه، فأتى الحجاجَ عيسى فوقف عيسى على بابه ووصله. وقال بعضهم: انَّ المتكلم بهذا الكلام والذي أخلاه عبد الملك عمر بن عبد الرحمن بن عوفٍ.

حدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري قال: سمع عبد الملك بعض أهل الشام ممن توجَّه إلى ابن الزبير أيام يزيد بن معاوية يقول: والله لنرمينَّ البيت بالحجارة والنار إن أقام الملحد ابن الزبير على ماهو عليه، على رغم أنف من رغم، فقال عبد الملك: فإني أشهد الله أنَّ أنفي إن كان ذلك، وأعوذ بالله، أول راغم، قال: فلم يلبث أن رماه الحجَّاج وهو عامله وصاحبه بأمره.

وحدثني أبو مسعودٍ الكوفي عن عوانة عن أبيه قال: كان عبد الملك أول خليفةٍ بُخِّلَ، وكان يقول: إعطاء الشعراء من السرف، ولكنهم قوم يتأتى لهم من الذم الباقي السائر ما لايتأتى لغيرهم فأنا أتقيهم ببعض النوال ولاأتجاوز القصد.

وحدثني المدائني عن مسلمة بن محاربٍ قال: لما مات مروان صلى عليه عبد الملك ودفنه، ثمَّ صعد المنبر فقال: إني والله ماأنا بالخليفة المصانع، ولا الخليفة المستضعف، ولاالخليفة المطعون عليه[1]، إنكم تأمرونا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم، والله لايأمرني أحد بعد يومي هذا بتقوى الله عزّ وجلّ إلا ضربت عنقه ثمَّ نزل.

المدائني عن عوانة قال: قال عبد الملك: زينة الكهل العلم، وَجُنَّته الحلم.

المدائنيُّ قال: تزوج عبد الملك ولادة بنت العباس العبسي فولدت له الوليد وسليمان، فقال عثمان بن مسعود العبسي يوماً للحضين بن المنذر: ياحضين أنت عجوز بكر بن وائل، فقال: لاولكني كبيرها وسيدها، وأنت من قومٍ سادهم في الجاهلية عبد يعني عنترة وتقدمهم في الإسلام بحرٌ إن ندى نديتم، وإن جفَّ جففتم.

حدثني الحسين بن علي بن الأسود عن أبي بكر بن عياش عن حصين قال: قال الشعبي: وفدت على عبد الملك، فما أخذت في حديثٍ أرى انه لم يسمعه إلا سبقني إليه، وربما غلطت في الشيءِ وقد علمه فيتغافل عنّي تكرّما.

---

١ - بهامش الأصل: عنى بالمصانع معاوية، وبالمستضعف عثمان، وبالمطعون عليه يزيد.

المدائني قال: أتى رجلٌ عبد الملك فقال له: إنَّ لك عندي يا أمير المؤمنين نصيحة في فلانٍ، فقال له: نسمعها منك على أنك إن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنتَ كاذباً عاقبناك، وإن أحببت أن نقيلك أقلناك؟ قال: فأقلني، قال: قد فعلت.

الحرمازيُّ عن جهمٍ السليطي قال: دخل أعرابي على عبد الملك فسأله فقال: إنَّ علينا في مالنا حقوقاً هي أوجب من حقك، فقال: والله لو كنت مثلك مامنعت راغباً، فقال: أعطوه، فأبى قبول عطيته وخرج، فقيل له: لم امتنعت من قبول صلته؟ فقال: إن يد البخيل ثقيلة.

وحدثني عباس بن هشامٍ عن أبيه عن عوانة قال: دعا عبد الملك بمؤدب ولده فقال: إني قد اخترتك لتأديب ولدي وجعلتك عيني عليهم وأميني، فاجتهد في تأديبهم ونصيحتي فيما استنصحتك فيه من أمرهم، علمهم كتاب الله عزّ وجلّ حتى يحفظوه وقفهم على مابيّنَ الله فيه من حلالٍ وحرامٍ حتى يعقلوه، وخذهم من الأخلاق بأحسنها، ومن الآداب بأجمعها، ورِوهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أصدقه، وجنبهم محادثة النساء، ومجالسة الأظناء، ومخالطة السفهاء، وخوفهم بي، وأدبهم دوني، ولاتخرجهم من علم إلى علم حتى يفهموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلةٌ للفهم، وأنا أسأل الله توفيقك وتسديدك، ثم أسمى له الرزق، وبدأه بصلةٍ حسنةٍ.

حدثني أبو أيوب الرقيُّ المؤدب عن أبيه قال: دعا عبد الملك مؤدب ولده فقال له: رو ولدي ما في هذا القرطاس، وإذا فيه وصيةُ معاوية فكانت:

«بسم الله الرحمن الرحيم يابني أمية إنّه لّما قرب مني ماكان بعيداً، وخفت أن يسبق الموت إليَّ، ويسبقكم بي سبقته إليكم بالموعظة، لأبلغ عذراً، وإن لم أردَّ قدراً، إن الذي أخلفه لكم من دنياي أمرٌ تشاركون فيه، أو تقبلون عليه، وإن الذي أخلف لكم من رأيي مقصور عليكم نفعه إن فعلتموه،مخوفٌ عليكم ضرره إن ضيعتموه فاجعلوا مكافأتي قبول نصيحتي،وإن قريشاً شاركتكم في أنسابكم وتفردتم دونها بأفعالكم، فقدمكم ما تقدمتم فيه إذ أخر غيركم ماتأخروا له، ولقد جُهر لي فعلمت، ونُعم لي ففهمت حتى كأني أنظر إلى أولادكم بعدكم كنظري إلى آبائهم قبلهم،إنَّ دولتكم ستطول وكلُّ طويلٍ مملول، وكل مملولٍ مخذول، فإذا انقضت مدتكم كان أول ذلك اختلافكم بينكم، واتفاق المختلفين عليكم، فيدبر الأمر بضد ماأقبل به، فلست أذكر عظيماً يُنال منكم ولاحرمةً تنتهك لكم إلا وماأكف عن ذكره أعظم منه، فلا معول عليه عند ذلك أفضل من الصبر واحتساب الأجر، فيا لها دولةٍ أنست أهلها الدول في الدنيا، والعقوبة في الآخرة، فيمادكم القوم دولتكم تماد العنانين في عنق الجواد، فإذا بلغ الله بالأمر مداه، وجاء الوقت الذي حده رسول الله ﷺ، ضعفت الحيلة، وعزب الرأي وصارت الأمور إلى مصائرها فأوصيكم عندها بتقوى الله عزّ وجلّ الذي يجعل لكم العاقبة إن كنتم متقين».

حدثني هشام بن عمار عن الوليد عن روح بن جناح عن الزهري أن عبد الملك رأى عند بعض ولده حديث المغازي، فأمر به فأحرق، وقال: عليك بكتاب الله فاقرأه، والسنة فاعرفها واعمل بها.

وكان المنصور أمير المؤمنين يقول الخلفاء ثلاثة: معاوية وكفاه زياد، وعبد الملك وكفاه الحجَّاج، وأنا ولا كافي لي.

وقال المنصور أيضاً وذكر ملوك بني أمية: كان عبد الملك أشدهم شكيمة، وأمضاهم عزيمة، وكان هشام رجلهم.

حدثني الحرمازي عن أبي عبيدة قال: كانت عبس تستطيل بتزويج عبد الملك ولادة بنت العباس العبسي، فقال الوليد بن القعقاع العبسي ليزيد بن عمر بن هبيرة: يابن الفرار، فقال يابن الضراط، قال الوليد: يابن اللخناء، قال:

بل أنت نزوة خَوَّارٍ على أَمَةٍ لا يُدرِك الحلباتِ اللؤم والخَوَرُ

قال ابن هبيرة: يابن الفجواء[1] لقد قدمتك أعجاز النساء وقدمني صدور الخيل والقنا.

وحدثني هشام بن عمّار قال: حدثني الوليد بن مسلمٍ قال: سمعت شيخا من أهل دمشق مسنّا يحدّث عن أبي الزعيزعة قال: قال عبد الملك للهذيل بن زفر، وحاتم بن النعمان الباهلي: إني أريد اختصاصكما ومجالستكما، فلا تمدحاني في وجهي، فإني اعلم بنفسي منكما، ولاتطريا عندي ظنيناً فأستغشكما، ولا تكذباني فليس لمكذوب رأي، ولاتغتابا عندي أحداً، وقولا ماشئتما.

وحدثني عمر بن بكيرٍ عن الهيثم بن عديٍ عن ابن عيّاش الهمذاني قال: دعا عبد الملك الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي، وحاتم بن النعمان

---

١ ـ التفجية: الكشف والتنحية، والفجا: تباعد ما بين الفخذين أو الركبتين، أو الساقين. القاموس.

الباهلي، فقال: إني قد عزمت على ان تجالساني وتسامراني، فلا تمدحاني في وجهي فإني أعلم بنفسي منكما، ولاتطريا عندي فاسقاً فأمقتكما، ولاظنيناً فأستغشكما، ولاتكذباني فإنه لارأي لمكذوب، ولاتغتابا عندي أحداً، وقولا بعد ذلك ماشئتما.

قال: فكان الهذيل يتبع هواه فيما له وعليه مما يشينه ويزينه، وكان حاتم بن النعمان يخالفه فيما خاف عليه عاقبته وضرره، فقال له الهذيل: ياأمير المؤمنين إنما يخالفك حاتم ليري الناس جرأته عليك، فوقع ذلك في نفس عبد الملك فجفاه وحجبه، فبينا عبد الملك يسير في مسيرٍ له: إذ بصر بحاتمٍ في الموكب فدعا به، وقال له: مالي لاأراك في مسيري إذا سرت، ونزولي إذا نزلت؟ فقال: ماأبرح من عسكر أمير المؤمنين أصلحه الله، ولاأخرج عنه، وقال:

إن مسيري في المسير ومنزلي لبالمنزل الأقصى إذا لم أُقَرَّبِ
ولست وإن أدنيت يوماً بقائل مقالة ذي غش لكم لتحبب
وقد عدها قوم كثير تجارةً ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي
وإني أرى حق الإمام ونصحه وطاعته فرضاً كما هي للأب

فدعاه وأدناه وسمع منه.

حدثني محمد بن مصفى الحمصي عن الوليد عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز قال: قدم عبد العزيز بن مروان علي أخيه عبد الملك من مصر في بعض الأمور، فلما أراد الشخوص إليها قال له: انظر ماأوصيك به فاجعله لك إماماً: ابسط بشرك، وألن كنفك، وآثر الرفق في الأمور فهو ابلغ بك، وانظر حاجبك فليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك، ولايقفنَّ أحد

ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده، وإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك، وتثبت في قلوبهم محبتك، وإذا انتهى إليك أمر مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فإنها تفتح مغاليق الأمور المبهمة، واعلم أن لك نصف الرأي، ولأخيك نصفه، ولن يهلك أمرؤ عن مشورة، وإذا سخطت على أحدٍ فأخر عقوبته فإنك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردها بعد إمضائها.

حدثني عبّاس بن هشامٍ عن أبيه عن عوانة قال: كان عبد الملك جالساً وعنده قوم من الأشراف، فقال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري: ياعبيد الله بلغني أنك لاتشبه أباك؟ فقال: بلى والله إني لأشبه به من الماء بالماء، والقتة بالقتة، والتمرة، بالتمرة، والغراب بالغراب، ولكن إن شئت أخبرتك بمن لم تنضجه الأرحام، ولم يولد لتمامٍ، ولم يشبه الأخوال والأعمام. قال: ومن هو؟ قال: سويد بن منجوفٍ فلمّا خرج عبيد الله وسويد، قال سويد: والله مايسرني بمقالتك له حمر النعم، قال عبيد الله: ومايسرني والله باحتمالك إياي وسكوتك عني سودها، وإنما عرض بعبد الملك، وكان ولد لسبعة أشهر.

قالوا: ودخل أبو العبَّاس الكناني الأعمى على عبد الملك فقال له: أخبرني عن مصعبٍ فأنشده قوله فيه:

يرحم الله مصعباً إنه ما ت كريماً ورام أمراً عظيما
طلب الملك ثمَّ مات حفاظاً لم يعش باخلاً ولا مذموما
ليت من عاش بعده من قريش[1] موتوا قبله وعاش سليما

١ ـ بهامش الأصل: من بني العوام.

فقال عبد الملك: صدقت كان مصعبٌ نابا من أنياب قريشٍ، وصنديداً من صناديدها.

حدثني أبو هشام الرفاعي عن عمّه كثير بن محمدٍ عن ابن عياشٍ المنتوف قال: قال عبد الملك: شممت الطيب حتى ماأبالي رائحة ما وجدت، وأتيت النساء حتى ماأبالي رأيت امرأةً أم حائطاً، وأكلت الطعام حتى ماأبالي ماأكلت، ومابقيت لي لذة إلا في محادثة رجلٍ ألقي التحفظ بيني وبينه.

وحدثني أبو أيوب الرقي عن الحجاج بن أبي منيعٍ الرصافي قال: أوصى عبد الملك ولده، وأهل بيته، فقال: يابني مروان ابذلوا معروفكم، وكفوا أذاكم، واعفوا إذا قدرتم ولاتبخلوا إذا سئلتم، ولاتلحفوا إذا سألتم، فإنه من ضَيَّقَ ضُيِّقَ عليه، ومن وسع وسع عليه.

المدائني قال: قيل لعبد الملك: قد شبت ياأمير المؤمنين؟ فقال: وكيف لا أشيب وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة - يعني الخطبة -.

حدثني أبو صالحٍ الأنطاكي عن الحجَّاج بن محمدٍ عن ابن جريجٍ عن إسماعيل بن محمدٍ قال: قدم علينا عبد الملك حاجاً في سنة خمس وسبعين، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ذلكم أيها النَّاس فلست بالخليفة المستضعف - يعني عثمان - ولا بالخليفة المداهن - يعني معاوية - ولا بالخليفة المأفون - يعني يزيد - ألا وإن من قبلي من الولاة كانوا يأكلون ويؤكلون، وإني والله لاأداويكم إلا بالسيف، فمن أحبَّ أن يبدي صفحته فليفعل، فلا تكلفونا أعمال المهاجرين، ولستم تعملون أعمالهم، فوالله مازلتم تزدادون استجراحاً ونزداد لكم عقوبةً، حتى التقينا نحن وأنتم عند السيوف، هذا عمرو بن سعيد قال براسه كذا، فقلنا بسيفنا كذا، ألا فليبلغ

الشاهد الغائب إنه ليست من لعبةٍ إلا ونحن نحتملها، مالم تبلغ أن تكون صعود منبرٍ أو نصب رايةٍ، ألا وإن جامعة عمرو بن سعيدٍ التي جعلناها في عنقه عندنا، وإني أعطي الله عهداً أن لاأجعلها في عنق أحدٍ فأخرجها منه إلا صعداً، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

المدائني عن مسلمة قال: قال عبد الملك: إن الخلفاء قبلي كانوا يداوونكم بأدوائكم، فيأكلون ويؤكلون، وإني والله لاأداويكم، إلا بالسيف، إن الله عزَّ وجلَّ فرض فرائض وحدَّ حدوداً، فما زلتم تزدادون في الذنوب ونزداد في العقوبة حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف، فليبق امرؤ على نفسه.

المدائني عن ابن جعدبة قال: هدم ابن الزبير الدور التي كانت حول الكعبة، وقال: أنتم حللتم على الكعبة ولم تحلَّ عليكم، ولم يعطهم أثمان دورهم، فلما قتل تظلموا إلى عبد الملك فقال: إن كان أخذ حقاً فليس لكم عليه سبيل، وإن كان ظلمكم، فإني لاأحب إخراجه من الظلم.

قالوا: دخل حميد بن ثور الهلالي على عبد الملك فقال له: ماالذي أقدمك ياحميد؟ فقال:

أتاك بنا الله الذي فوق من ترى

قال عبد الملك: وماذا؟ قال:

وفضل ومعروف عليك دليل

قال: وماذا؟ قال:

ومطوية الأقراب أما نهارها فسير وأمَّا ليلها فذميل

فوصله وأعطاه.

المدائني قال: خطب عبد الملك أهل المدينة. وقد قدمها يريد الحجَّ فقال: إني لأعلم أني لاأحبكم ماذكرت قتل عثمان، وأنَّكم لاتحبوني ماذكرتم الحرَّة وحبيش بن دلجة، فأنا وأنتم كما قال الشاعر:

أبى لي قبرٌ لايزال مواجهي وضربة فأسٍ فوق رأسي فاقره

قال: وكان عبد الملك يتهدد أهل بيته بمثل ماصنع بعمرو بن سعيدٍ، فكتب إليه عبد الله بن عمرو بن عثمان: «إنك قد عرفت بلاء عثمان عندك، وعند أهل بيتك، ورفعه أقداركم، وماأوصاك به مروان من قضاء دين عمرو بن عثمان، وتأخيرك ذلك، فإن تؤثر ماأوصاك به أبوك فأهله نحن، وإلا تفعل فسيغني الله عنك والسلام».

وكان مروان أوصى عبد الملك بقضاءِ دين عمروٍ. فكتب إليه عبد الملك: قد أتاني كتابك، وعمرو بن سعيدٍ كان أقرب منك رحماً، وأوجب عليَّ حقاً، فأخطأ موضع قدمه، ففرَّقت بين رأسه وجسده، وقد هممت بأن الحقك به.

فكتب إليه عبد الله بن عمرو: أتاني كتابك بما ذكرت ممَّا هممت، فإن تفعل فإني رجلٌ معرقٌ لي في الشهادة، أنا ابن أمير المؤمنين عثمان، وابن أمير المؤمنين عمر، وكانت أمُّه حفصة بنت عبد الله بن عمر.

المدائني عن علي بن حمَّاد قال: قال عبد الملك السياسة هيبة الخاصة، مع صدق مودتها، وإفساد قلوب العامَّة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع، فإن شكرها لأقرب الأيادي إليها.

حدثني عبَّاس بن هشامٍ الكلبي عن أبيه عن أبي مخنفٍ وغيره أنَّ عبد الملك كان فاسد الفم، فوقعت فيه الإكلة، فكان ينادي ياأهل العافية

لاتستقلوها، فيسمع صوته بذلك من عدَّة منازل، فلمَّا اشتدت به العلَّة دعا بنيه فقال لهم حين حضروا: يابني أوصيكم بتقوى الله فإنها عصمةٌ باقيةٌ وجنةٌ واقية، وقروا كبيركم وأرحموا صغيركم، وابذلوا للنَّاس معروفكم، وجنبوهم أذاكم، وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فإنه سنكم الذي به تتزينون، ونابكم الذي عنه تفترون، وسيفكم الذي به تصولون، فاقبلوا قوله، واصدروا عن رأيه، وأسندوا جسيم أمركم إليه، وأكرموا الحجَّاج بن يوسف، فإنه وطأ لكم المنابر ودوخ لكم البلاد، قد عرفتم بلاءه في الملحد ابن الزبير، وفي طغاة أهل العراق، واجتهاده في طاعتنا، ومحاماته علينا ولم يلبث أن مات، فصلى عليه الوليد.

المدائني عن عامر بن حفصٍ قال: مرض صديق لعبد الملك بن مروان من جرحٍ كان به، فقال لروح بن زنباعٍ الجذامي: أتيت فلاناً؟ قال: نعم، قال: فأين جرحه؟ قال في عجانه، قال: مه، ثمَّ قال لشبة بن عقالٍ: اذهب فانظر أين جرحه، فمضي ثمَّ أتاه فقال: جرحه بين الثنة والصفنة، وهي جلدة الخصيتين، فقال عبد الملك لروحٍ: قل كذا.

المدائني عن خالد بن يزيد بن بشرٍ عن أبيه: إنَّ عبد الملك أتي برجلٍ من قيس فقال له: زبيري عميري يعني عمير بن الحباب، فقال له: والله لايحبك قلبي أبداً، قال: ياأمير المؤمنين إنما يبكي على الحب المرأة، ولكنَّ عدلاً وإنصافاً.

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن عوانة وابن عيَّاش قالا: دخل الهيثم بن الأسود النخعي على عبد الملك، وقد أتي بخارجي من النخع، وعبد الملك يحلف ليقتلنه فقال للهيثم: هـذا رجلٌ من

قومك، قال: ياأمير المؤمنين فهب جاني قومٍ لوافدهم، قال: هو لك، فخرج الهيثم والخارجي معه وهو يقول: تألَّى على الله فَكَذَّبَهُ، وغالب الله عزَّ وجلَّ فغلبه. وقومٌ يزعمون أن الهيثم قال هذا لمعاوية، وقوله إياه لعبد الملك أثبت.

المدائني عن شبيب بن شبَّة قال: قال أمير المؤمنين المنصور ـ وذكر بني أمية ـ أمَّا عبد الملك فكان جباراً لايبالي ماأقدم عليه، وأمَّا الوليد فكان مجنوناً، وأمَّا سليمان فكان همَّه بطّنه، وأمَّا عمر بن عبد العزيز فكان أعور بين عميان، وأمَّا يزيد بن عبد الملك فكان ركيكا ماجناً، ورجل القوم هشام.

المدائني عن مسلمة قال: وفد الحجَّاج بن يوسف على عبد الملك، فدخل عليه وعنده خالد بن يزيد بن معاوية فقال له خالد: إلى كم هذا البسط، إلى كم هذا القتل؟ فقال الحجَّاج: مادام بالعراق رجلٌ يزعم أنَّ أباك كان يشرب الخمر، فأسكته.

حدثني أبو مسعودٍ الكوفي عن ابن الكلبي عن عوانة قال: دخل ولد مسلم بن عقبة المري على عبد الملك، فقال لهم: إنَّ أباكم كان جلداً لئيماً، فمضى بجلده وخلف فِيكم لؤمه فلا حاجة لنا بكم.

المدائني عن عوانة إن حسان بن مالك بن بحدل الكلبي، ومنظور بن زبَّان بن سيَّار مرضا، فعادهما عبد الملك، وهو خليفة فبدأ بحسَّان، ثم بمنظور، ثم خرج وهو يقول:

فما لي في دمشق ولا قراها مبيت إن عرضت ولا مقيل
وما لي بعد حسَّانٍ سميرٌ وما لي بعد منظورٍ خليل

وحدَّثني عبَّاس بن هشامٍ الكلبي عن أبيه عن عوانة قال: مرض حسَّان بن مالك بن بحدلٍ، ومنظور بن زيد بن أفعى الكلبي أحد بني حارثة بن عبد ودٍ، فعادهما عبد الملك وقال:

فما لي في دمشق ولا قراها مبيت إن عرضت ولامقيل
وما لي بعد حسَّان سميرٌ وما لي بعد منظورٍ خليل

وهذا أثبت وأصحُّ.

المدائني عن زيد بن عياض بن جعدبة قال: حجَّ عبد الملك، فلقيه عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الشاعر، فلما سلم عليه قال: ويحك أما ترعوي من فتونك، لقد علمت قريشٌ أنك من أطولها صبوَّةً، وأبطأها توبةً، وجفاه فقال عمر: ياأمير المؤمنين بئست التحية من ابن العم لابن عمه على طول النوى. وقيل له: يا أمير المؤمنين سلم عليك ابن أبي ربيعة، وهو فتى قريشٍ وشاعرها فلقيته بالغلظة والجفوة، فلو دعوته فآنَسْتَ وحشته، وبسطته، فدعاه، فدخل عليه، وجارية تغمز رجله، وأخرى تغمز رأسه، فقال له: إني كنت ضجراً فأسمعتك مالم أكن أحبُّ أن اقول مثله لك فسلني حوائجك، فقال: ياأمير المؤمنين قد علمت قريشٌ أني من أكثرها مالاًوأحسنها حالاً، وأنضها عيناً، وأقلها دَيْناً، وأعظم حوائجي بقاؤك. ثمَّ انصرف، فقيل له: ياأبا الخطاب دعاك أمير المؤمنين، فعرض عليك الحوائج فلم تسأله شيئاً؟ فقال: إنه أجلس القمر عند رجله، والشمس عند رأسه، ثم قال: تَصدُق، وما كان ذاك ليكون أبداً.

قال القاسم بن سلام: يقال أن معاوية أو عبد الملك قال: ماغضبي على من أملك فأنا أقدر عليه وماغضبي على من لاأملك ويدي لاتناله.

وحدثني عمر بن بكير عن هشام ابن الكلبي عن ابن مسكينٍ المديني عن أبيه قال: حج عبد الملك فمرَّ بمنزل حُبَّى المدينيَّة بالمدينة، وكان فتيان قريشٍ يجلسون إليها فيتحدَّثون عندها، فأشرفت عليه ونظر إليها وهي تدعو له، فوقف وقال: ياحبَّى أنا عبد الملك، فقالت: قد علمت فبأبي أنت وأمي، الحمد لله الذي أراني وجهك قبل موتي، كيف أنت ياسيدي؟قال: بخيرٍ ياحبى كيف ماؤك المبرد، ومن كان يغشاك من فتيان قريشٍ؟ قالت: بخيرٍ ياأمير المؤمنين، أقتلت أخاك عمرو بن سعيدٍ؟ قال: نعم والله ويعز عليَّ، ولكنَّه أراد قتلي، قالت: فلا أحاله، فأمر لها بخمسمائة دينارٍ وأهدت له أشياء فقبلها.

حدثني العمري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيَّاشٍ عن الشعبي قال: دخل محمد بن أسامة بن زيدٍ على عبد الملك فقال له: ابن كم كان أبوك حين عقد له النبي ﷺ على الجيش؟ قال ابن سبع عشرة سنةً، قال: فهؤلاء يعيبوننا حين عقدنا للوليد وهو ابن بضعٍ وعشرين سنةً.

المدائني قال: قال عبد الملك: ظلم الناس عروة بن الورد حين قدَّموا عليه حاتم طيءٍ في السخاء، لقد كان سخيّاً حازماً.

حدثني أبو محمدٍ النحوي المعروف بالتَّوَّزي عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاءِ قال: نازع رجلٌ من قريشٍ رجلاً من بني تميم، فقال التميمي: أما قريشٌ فلها فضلها ولكن منَّا الأحنف بن قيسٍ أحلم الناس، وإياس بن قتادة أحمل الناس، حمل دماء الأزد، وفارس العرب الحريش بن

هلال، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فقال: قد كان الأحنف حليماً، وكان إياس حمولاً، وأمَّا الحريش فإن عبَّاد بن الحصين أولى بما وصفه به منه.

المدائني إن عبد الملك حجَّ فنزل بالمدينة دار مروان، فمرَّ الحجَّاج بخالد بن يزيد بن معاوية وهو قاعدٌ في المسجد وعلى الحجَّاج سيف مجلجل وهو يخطر، فقال رجلٌ لخالدٍ: من هذا الخطَّار؟ قال خالد: بخ بخ هذا عمرو بن العاص، فقال الحجَّاج: أقلت هذا عمرو بن العاص؟ مايسرني أنَّ العاص ولدني ولكنّي إلى الأشياخ من ثقيفٍ والعقائل من قريش، وأنا الذي جمعت مائة ألف سيفٍ بسيفي هذا وكلَّهم يشهد أنَّ أباك كان يشرب الخمر، ويضمر الكفر. ثمَّ ولَّى وهو يقول: بخ بخ هذا عمرو بن العاص.

حدثني محمد بن حبيبٍ مولى بني هاشمٍ عن أبي فراسٍ السلمي عن هشام ابن الكلبي عن عوانة قال: ولَّى عبد الملك الحجاج مكَّة سنتين ثمَّ ضمَّ إليه المدينة وكان يتولاها قبله طارقٌ ثمَّ ولاه العراق، فاستخلف على مكة عبد الرحمن بن نافع بن الحارث بن جبالة بن عميرٍ الخزاعي، وكان نافعٌ قد ولي مكة لعمر بن الخطاب، وولى المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة بن عبد المطَّلب بن عبد مناف، فأمَّا عبد الله بن قيسٍ فعزله عبد الملك، وقال للحجَّاج: وليته وهو من أحمق أهل بيتٍ من قريشٍ؟ وولى المدينة يحيى بن الحكم بن أبي العاص وأقر عبد الرحمن بن نافعٍ على مكة ماشاء الله عزَّ وجلَّ.

وقال أبو الحسن المدائني: كان الحجَّاج على مكَّة سنتين، وكان طارقٌ على المدينة ثم ضمَّها عبد الملك إلى الحجَّاج فاستخلف عليها عبد الله بن قيس بن مخرمة، ثم ولَّى الحجَّاج العراق فاستخلف على مكة والمدينة عبد

الله بن قيس بن مخرمة، فبعث عبد الملك على مكَّة نافع بن علقمة بن صفوان الكنانيَّ، وولى المدينة يحيى بن الحكم، ثمَّ ولَّى عبد الملك المدينة أبان بن عثمان، وولَّى عبد الملك اليمامة يزيد بن هبيرة المحاربي، ثمَّ إبراهيم بن عربي، وولَّى الموصل يوسف بن الحكم بن أبي العاص، ولمَّا مات عبد العزيز بمصر ولاها عبد الملك ابنه عبد الله بن عبد الملك.

وقال المدائني: بلغ عبد الملك أنَّ بعض عماله يقبل الهدايا فأشخصه إليه، فقال له: أقبلت هديةً مذ وليت؟ قال: ياأمير المؤمنين بلادك عامرةٌ، وخراجك زاجٍ وافر، ورعيتك على أفضل حالٍ، قال: أجب عمَّا سألتك عنه؟ قال: نعم قد قبلتُ، فقال لئن كنت قبلت هديَّةً ولم تعوض عليها إنَّك للئيم ولئن كنت أنلتَ مهديها ما كافأته به من مال المسلمين، أو قلدته من عملك ما لم تكن لتقلده إيَّاه قبل هديته إنك لخائنٌ جائرٌ، ولئن كنت عوضت المهدي إليك من مالك ماأَتْهَمَكَ عند من ائتمنك، وأطمع فيك أهل عملك إنك لأحمق، وإنَّ من أتى أمراً لم يخل فيه من لؤمٍ أو حمقٍ لحقيقٌ أن لايصطنع ثمَّ عزله.

المدائني قال: وفد إلى عبد الملك رجلٌ من أهل المدينة كان يألفه أيَّام تنسكه فأذن له وأدخل إليه أسراء فأمر بضرب أعناقهم قبل أن يناظرهم فقال له الرَّجل: ياأمير المؤمنين لقد أقست الخلافة قلبك بعد أن كنت رؤوفاً، قال: كلا إن الخلافة لم تقس قلبي، ولكنّه أقساه احتمال الضغن بعد الضغن.

المدائني قال: خاض جلساء عبد الملك في قتل عثمان فقال رجلٌ منهم: ياأمير المؤمنين في أي سنِّك كنت يوم قتل عثمان؟ قال: دون المحتلم، قال: فما

بلغ من حزنك عليه؟ قال: شغلني الغضب له عن الحزن عليه.

وقال: قدم على عبد الملك عقيل بن عُلَّفَةَ المريُّ فقال له عبد الملك: ماأحسن اموالكم عندكم؟ قال: ماناله أحدنا عن صاحبه تفضلاً، قال: ثمَّ أيها؟ قال: مواريثنا، قال: فما أسرُّها لكم؟ قال ماستفدناه فأكسبنا نعماً، وأفادنا عزّاً، قال: فما مبلغ عزكم؟قال: لم يُطمع فينا ولم تؤمن بوادرنا، قال: فما مبلغ جودكم؟ قال: أحبُّ أموالنا إلينا ماعتقدنا به مِنّةً وأبقي لنا ذكراً، قال: فما بلغ من حفاظكم؟ قال: يدافع الرَّجل منا عن جارهِ كدفاعه عن نفسه، قال: عبد الملك مثلك فليصف قومه.

المدائنيُّ قال: قدم المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي على الوليد بن عبد الملك، وأمُّه ولادة بنت العبَّاس بن جزي بن الحارث بن زهير بن جذيمة، فنزل على رجلٍ من قومه يدعى برزاً فأقام أشهراً فلم يصنع الوليد به خيراً، فارتحل وقال:

ثلاثة أشهرٍ في دار برزٍ ... أرجي نائلاً عند الوليد
فلا تشكي الكلال بدار برزٍ ... ولكن إن نجوت فلا تعودي
وإن ضنَّ الوليد كما زعمتم ... فما نال الضنانة من بعيد

فبلغت أبياته عبد الملك، فبعث في أثره فرده وقال له: أمن قبلنا جاءته الضنانة، أم من قبلكم؟ قال: لا بل من قبلنا، فقال له عبد الملك: هات حاجتك، قال: عليَّ ثلاثة عشر ألف درهم للتجار فقضاها عنه وقال للوليد: أكانت هذه تفقرك لو دفعتها إليه قبل أن تسمع ماسمعت؟!.

حدثني العمريُّ عن الهيثم بن عديٍ عن ابن عيَّاشٍ قال: كان على شرط عبد الملك ابن أبي كبشة السكسكيُّ، ثمَّ أبو نائلٍ رياحُ الغسانيُّ، ثمَّ عبد الله بن زيدٍ الحكميُّ، ثمَّ كعب بن حامدٍ العبسيُّ، فمات وهو على شرطه، وكان على حرسه الريَّان فمات، فصيَّر مكانه خالد بن الريَّان، وكان كاتبه على الخراج والجند سرجون الرومي، وعلى رسائله أبو الزعيزعة مولاه، وعلى الخاتم قبيصة بن ذؤيبٍ فمات قبيصة سنة ستٍّ وثمانين، ويكنى أبا إسحق فصيَّر مكانه عمرو بن الحارث مولى بني عامر بن لؤي.

قالوا: وكتب عبد الملك إلى الحجَّاج بعد يوم دير الجماجم أن يعطي النَّاس عطاءهم، فكتب إليه: «إنَّهم نكثوا العهد، ونقضوا البيعة، وفارقوا الجماعة، وطعنوا على الأئمة»، فكتب إليه: «إنما تجب طاعتنا عليهم، بأن نعطيهم حقوقهم».

المدائني قال: أتي عبد الملك بأسارى، فهمَّ بقتلهم فقال له رجاء بن حيوة: ياأمير المؤمنين أذكرك آلاء الله عندك بالعفو، فعفا عنهم، وأمر بتخليتهم.

المدائنيُّ قال: أراد الحجَّاج قتل من بقي في ديوان ابن الأشعث من أصحابه حين ظفر بهم، فقال له قتيبة بن مسلمٍ: أصلح الله الأمير إنَّ الله قد أعطاك ماتحبُّ من الظفر، فأعطه مايحبُّ من العفو، فبلغ ذلك عبد الملك، فقال: لله درُّ قتيبة لقد أبلغ في الموعظة، ولقد أحسن الحجَّاج في القبول.

المدائني عن مسلمة قال: كتب الحجَّاج إلى عبد الملك إنَّه بلغني أنَّ أمير المؤمنين عطس فشمته من حضر، فأجابهم أن يهديكم الله ويصلح بالكم، فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

المدائني عن أبي اليقظان عن جويرية بن أسماء قال: قام رجلٌ من أهل اليمن إلى عبد الملك وهو يخطب، فقال: إنَّ محمد بن يوسف ـ يعني أخا الحجّاج، وكان على اليمن ـ يسفك الدَّم الحرام، ويأخذ المال الحرام، فقال: اجلس فجلس، ثمَّ قام فقال مثل مقالته، فقال له: ويحك اجلس فجلس، ثمَّ قام فقال مثل مقالته فقال له عبد الملك: لقد هممت أن أقتلك، قال: ماقمت هذا المقام إلا وبطن الأرض أحبُّ إليَّ من ظهرها إني سمعتُ أنَّه تكون نبوَّة، ثم خلافةٌ ورحمةٌ، ثمَّ ملكٌ وجبرية، فقد ذهبت النبوة والخلافة، وهذه الجبرية.

المدائني قال: قال عبد الملك بن مروان لأميَّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد: مالك ولابن حرثان؟ قال: إنَّه أتى حدّاً فأقمته عليه، قال: أفلا درأت عنه بالشبهة؟ قال: كان الأمر أظهر من ذلك، قال: أما والله لقد أوجعك ولوددت أنّك كنت سلمت منه، وماسرَّني أنّي هجيت، وأنَّ لي مثل كل شيءٍ أصبحت أملكه، وكان الذي قال فيه ابن حرثان:

أضاع أمير المؤمنين ثغورنا ... وأطمع فينا المشركين ابن خالد
وبات على حور الحشايا[1] ممهداً ... يعانق أمثال المها في المجاسد
وبتنا قياماً في الحديد وتارةً ... سجوداً نناجي ربَّنا في المساجد
إذا هتف العصفور ريع فؤاده ... وليث حديد الضرس عند الثرائد

وقال أبو اليقظان: حدثنا جويرية بن أسماء قال: كان لعبد الملك بيت مالٍ لايدخله إلا مالٌ طيبٌ لم يظلم فيه مسلمٌ ولامعاهدٌ وقد عرف وجوهه،

١ ـ أي بيض الحشايا. القاموس.

فكان يشتري منه الإماء اللاتي يتخذهنَّ أمهات أولادٍ ويتزوج منه، ويقول لاأستحل إلا طيباً فإنَّ ذلك في الأولاد.

المدائني قال: كان عبد الملك يلبس جبَّةً ورداء، ويجلس للنَّاس، وينظر في أمورهم، ويقف على بنيه في الكتاب فيقول للمعلم: أحسن تأديبهم ويكلمهم، قال: وقال عبد الملك لإسماعيل بن مهاجرٍ، مؤدب مسلمة، ويزيد، وعنبسة: علم بنيَّ القرآن، وخذهم بمكارم الأخلاق، وحثهم على صلة الأرحام، ووقّرهم في الملأ، وأخفهم في السر، فإن الأدب أملك بالغلام من الحسب، وتهددهم بي، وأدبهم دوني ولاتخرجهم من علمٍ إلى علمٍ حتى يفهموه فإنَّ ازدحام الكلام في السمع مضلةٌ للفهم.

المدائني عن بكر بن عبد العزيز قال: قال عبد الملك لإسماعيل[1] مؤدب بنيه: علم بنيَّ الصدق حتى إن قتل أحدهم قتيلاً اعترف به على نفسه، والصق بابن عاتكة - يعني - يزيد فإنَّ مَهْرَ أمه من عرق جبيني. قال: وكان مع سعيد بن عبد الملك معبدٌ الجهني.

المدائني عن علي بن حمادٍ قال: قام رجلٌ إلى عبد الملك فقال له: ياأمير المؤمنين قطعت إليك القفر لأمر ضاق به الصدر، قال: وماهو؟ قال: ابني بثغر كذا، وقد اشتد إليه شوقي، وطال توقي، قال: فكتب في رده فأقفل.

المدائني عن عبد الحليم الأشج عن أبي قرة أن عبد الملك خطب زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشامٍ فقالت: والله لايتزوجني أبو الذِّبَّان،

---

١ - كتب تحتها بالهامش: هو مولى بني مخزوم.

فتزوجها يحيى بن الحكم، فقال عبد الملك: لقد تزوجته أسود أفوه، فقال يحيى أما إنَّها أحبت مني ماكرهت منه.

حدثني عمر بن بكيرٍ عن الهيثم بن عديٍ عن عبد الله بن عياشٍ وأبي جناب قال: رأى الغضبان بن القبعثرى صبيّاً يلعب عند عبد الملك بن مروان، فقال: من هذا الصبيُّ ياأمير المؤمنين؟ قال: ابني من عائشة بنت موسى بن طلحة، قال: سيناله السَّخاء بولادة طلحة له، فقال له: ويحك أو بخيل أنا؟ قال: أي والله الذي لا إله إلا هو لاأستثني، فضحك. وقال ابن عياشٍ: كان عبد الملك أول خليفةٍ بخل.

المدائني عن محمد بن عيسى قال: سأل رجلٌ عبد الملك فألح عليه، وألحف في المسألة، فقال عبد الملك: قد ألحفت في المسألة؟ فقال إنك والله ياأمير المؤمنين لتردُّ السائل الملح بالمنع المصرح.

أراد عبد الملك أن يتزوج زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشامٍ فتزوجها يحيى بن الحكم فغضب، واصطفى كلَّ شيءٍ له فقال يحيى: كَعكة وزينب، فلما رأى عمر بن عبد الرحمن بن عوفٍ أسف عبد الملك عليها، قال له: أدلك على أجمل منها بنت إسماعيل بن هشامٍ، وهو عندك، فخطبها فتزوجها.

الكلبي عن عوانة قال: دخل مسلمة بن زيد بن وهبٍ الفهمي على عبد الملك فقال له: أي الزمان أدركت أفضل وأيُّ من أدركت من الملوك أكمل؟ قال: أما الملوك فلم أر منهم أحداً إلا وله ذامٌ ومادحٌ، وأمَّا الزمان فرأيته يرفع أقواماً ويضع آخرين، وكلُّ الناس إذا صدق نفسه ذمَّ الزمان، لأنَّه يبلي الجديد ويهرم الصغير، وكل مافيه منقطعٌ إلا الأمل، فإنَّه أبداً

جديد، قال: فأخبرني عن فهمٍ، قال: هم كما قال القائل:

درج الليل والنهار على فهـ ـم بن عمروٍ فاصبحوا كالرَّميم
وخلت دارهم فصارت يباباً بعـد عـزٍ وثـروةٍ ونعـيم
وكذاك الزمان يذهب بـالنَّا س وتبقي ديارهم كالرسوم

قال فمن الذي يقول:

رأيت النَّاس قد خلقوا جميعاً يحبـون الغني من الـرجـال
وإن كان الغني قليل خيرٍ بخيـلاً بالقليـل من النَّوال
فما أدري علام وفيم هذا ومـاذا يرتجـون من البخال

قال الكلبي: فَهْمُ بن عمرو بن قيس بن عيلان، وكان الحارث أخو فهم عدا عليه فقتله فسمي عَدْوان.

المدائني عن سفيان الثوري قال: قدم الحجَّاج على عبد الملك وافداً، ومعه معاوية بن قرة أبو إياسٍ، فسأله عبد الملك عن الحجَّاج فقال: إن صدقناكم قتلتمونا، وإن كذبناكم خشينا الله عزَّ وجلَّ، فنظر إليه الحجَّاج فقال له عبد الملك: لاتعرض له ياحجَّاج فغربه إلى السنّد.

المدائني عن سحيم بن حفص قال: كان الحجَّاج يقول سألت قبل أن أقدم العراق عن وجوه رجاله، فذكروا زياد بن عمروٍ العتكيَّ، فما كان أحدٌ أثقل عليَّ منه، فقدمت على عبد الملك وهو معي في ناسٍ من الأشراف، فأثنوا عليَّ فما كان أحدٌ منهم أحسن صفة لي منه، ولاقام أحدٌ منهم مثل مقامه. قال: ياأمير المؤمنين إنَّ الحجَّاج سيفك الذي لاينبو، وسهمك الذي لايطيش، وخادمك الذي لاتأخذه في أمرك لومة لائم، فلقد رأيتني ومأأحدٌ من الخلق بعد ذلك اليوم يعدله عندي.

هشام بن عمّارٍ والمدائني عن أشياخهم قالوا: كان عبد الملك يشتو بالصَّنَّبْرَةِ من الأردن، فإذا انسلخ الشتاء نزل الجابية، وأمر لأصحابه بأنزال ويفرق أغناماً على قدر منازلهم، فإذا مضت أيَّام من آذار دخل دمشق فنزل دير مرَّان[١]، حتى إذا جاءت حمَّارة القيظ أتى بعلبكَّ فأقام بها حتى تهيج رياح الشتاءِ، فيرجع إلى دمشق فإذا اشتدَّ البرد خرج إلى الصنبرة.

قال المدائني: وبها مات يوم مات.

المدائني قال تغدي شَبَّةُ بن عقالٍ يوماً عند عبد الملك فأتي بِخَزيرةٍ[٢]، فضحك شبَّةُ، فغضب عبد الملك وقال: ماأضحكك؟ قال: تعيير جريرٍ مجاشعاً بالخزيرة، وهي مائدة أمير المؤمنين، وإنما ضحك من السخينة التي تعيَّر بها قريشٌ.

المدائني قال: دعا عبد الملك عبيدالله بن زياد بن ظبيان أو غيره إلى الغداء فأكل معه، فجعل يتناول مما بين يديه فقال له عبد الملك ـ ويقال بعض من كان على رأسه: كل مما بين يديك، فقال: أَوَ في مائدة أمير المؤمنين حمىً؟ فقال عبد الملك: لا كل من أيها شئت.

حدثني بعض الشاميين قال: خطب عبد الملك بن مروان وأعرابي يسمع خطبته، فقال له رجلٌ من قريشٍ: كيف ماتسمع؟ فقال لو كان كلامٌ يؤتدم به لكان هذا.

---

١ ـ خارج دمشق عند خانق الربوة حيث قصر الشعب الجديد.
٢ ـ الخزيرة: شبه عصيدة بلحم وبلا لحم، عصيدة أو مرقة من بلالة النخالة، والسخينة: طعام رقيق يتخذ من دقيق ولقب لقريش لاتخاذها إياه، وكانت تعير به. القاموس.

وقال الهيثم بن عدي: تكلم عبد الملك بن عمير عند عبد الملك وأعرابي حاضرٌ فقال: لو أنَّ كلاماً يؤتدم به لكان هذا الكلام.

المدائني وغيره قالوا: كتب عبيد الله بن زياد بن ظبيان إلى عبد الملك: إنه قد كان من بلائي ماقد رأيت ولم يكن من جزائك لي إلا ماعلمت فأنا كما قال الجعدي:

كفينا بني كعبٍ فلم نر عندهم   لما كان إلا ماجزى الله جازيا(١)

قالوا: وبلغ عبد الملك قول عبيد الله بن زياد بن ظبيان، حين قال لمّا خرَّ عبد الملك ساجداً، حين أتاه برأس مصعبٍ: هممت بضرب راسه، فأكون قد قتلت ملكي العرب، فحجبه، ثمَّ أذن له، فقال: ياأمير المؤمنين إنّا والله مانكره سخط من رضاه الجور، فإن يكن لك علينا طاعة فيما أحببت، فإنَّ لنا عليك العدل فيا وليت، فلست مستكملاً طاعتنا إلا بعدلك، فآثر طاعة الله عزَّ وجلَّ فينا تسلم لك نصائحنا، وتخلص نياتنا، ولاتبغ الفساد في الأرض، إنَّ الله بصيرٌ بعملك وإليه مصيرك، فغضب عبد الملك غضباً شديداً وقال: لولا أنَّ خير الأمور مغبّةً، وأكرمها عاقبةً، كريم العفو بعد القدرة لأعلمت هذا الجلف أي موردٍ توررده الجهالة والاستطالة، فقال الوليد بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، ولم تستبقي مثله، ولم ير لك هيبة الخلافة، وجلالة السلطان، وواجب الطاعة وإن كان ذا غناءٍ ودالةٍ ولم يوقرك توقير المسلمين إياك، فقال عبد الملك: ماكلُّ شيءٍ تعلمه، وأنشد عبد الملك:

---

١ ـ ديوان النابغة الجعدي ـ ط. دمشق ١٩٦٤ ص١٧٥ .

ترى الناس أخلاطاً جميعاً وإنهم ... على ذاك شتى والهوى يتفرق
ترى المرء إن جالسته ذا صناعةٍ ... وسائر ما فيه سوى ذاك أخرق
وتلقى أصيل اللب ليس لسانه ... بمخرج ما في قلبه حين ينطق

أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن سلمٍ الفهري: أنَّ عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرزٍ القشيري من بجيلة، دخل على عبد الملك ومعه ابنه خالد بن عبد الله، فقال له عبد الملك: هذا ابنك؟ قال: نعم، قال ماأشبهه بك. قال: ذاك أحبُّ إليَّ، وأبرأ لساحة أمه.

المدائني قال: قدم الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ الشاعر على عبد الملك فلم يصله ويقال إنَّه أقام ببابه شهراً لايأذن له فانصرف وهو يقول:

تبعتك إذ عيني عليها غشاوةٌ ... فلما انجلت قطعت نفسي ألومها
فما بي إن أقصيتني من ضراعةٍ ... ولا افتقرت نفسي إلى من يسومها
عطفت عليك النفس حتى كأنما ... بكفيك بؤسي أو لديك نعيمها

فبلغه ذلك، فأرسل إليه فردَّه، فقال: ياحارث أترى على نفسك غضاضةً في وقوفك ببابي؟ فقال: لا والله، ولكن طالت غيبتي، وانكسرت ضيعتي، ووجدت فضلاً من قولٍ فقلت، وعليَّ دينٌ فقال: وكم دينك؟ قال: ثلاثون ألفاً، قال: أقضاء دينك أحبُّ إليك، أم ولاية مكة؟ قال: ولاية مكة، فولاه إياها فبعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن الحارث، وهي بمكة، وقد أقيمت ذات يومٍ الصلاة، وهي تطوف: إني لم أقض طوافي، فتوقف بالناس حتى فرغت من طوافها، ثم صلى، فبلغ ذلك عبد الملك فعزله، وقال: إني لم استعملك لتنتظر بالناس في صلاتهم طواف عائشة.

قالوا: وكان الحارث يحب عائشة، وكانت تحبه، فخطبها فلم تتزوجه، فقيل لها أحبك رجلٌ وأحببتيه عشرين سنةً، ثمَّ خطبك فلم تتزوجيه؟ فقالت: كان في عيبٌ ما يسرني أنَّ لي طلاع الأرض، وأنَّه اطلع عليه، فكان يُظَنُّ أنه سوء الخلق.

حدثني الحرمازي عن الحسن بن علي العتبي عن أبيه عن أبي المقدام عن رجلٍ من أهل مكة قال: قدمت المدينة فإذا غلمان بيضٌ، عليهم ثيابٌ بياضٌ يدعون الناس إلى الغداء، وكانت بي إليه حاجةٌ فدخلت، فإذا عائشة بنت طلحة على السرير، وإذا الناس يطعمون، قال: فلما أكلت، قالت لي: كأنك غريبٌ؟ قلت: نعم، قالت: فمن أين بك؟ قلتُ: من مكة، قالت: كيف تركت الأعرابي قلت بخيرٍ، فلما خرجتُ قلت: عن من سألْتني؟ قالوا: عن الحارث بن خالدٍ، فلما قدمت مكة أخبرته فأنشأ يقول:

من كان يسأل عنا أين منزلنا فالأقحوانة منا منزل قمن
إذ نجعل العيش صفواً ما يكدره طول الحياة ولا ينبو بنا الزمن

قال الحرمازي : وبناحية من الشام موضع يعرف بالأقحوانة[1] أيضاً .

المدائني عن عبدالله بن سلم وغيره قالوا : قدم عمر بن علي بن أبي طالب على عبد الملك ، فسأله أن يصير إليه صدقة علي بن أبي طالب ، فتمثل عبد الملك قول ابن الحقيق اليهودي :

إنا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل
واعتلج القوم بآرائهم نقضي بحكم عادل فاصل

١ ـ بلدة كانت قرب عقبة أفيق في وادي الأردن ليس بعيدا عن طبرية ، أما الأقحوانة الأولى فموضع قرب مكة . معجم البلدان .

ولانجعل الباطل حقاً ولا نلظ[1] دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا فنخمل الدهر مع الخامل

لا لعمري لا أخرجها من ولد الحسين إليك ، ووصله عبد الملك ورجع من عنده .

المدائني قال : قال عبد الملك للهيثم بن الأسود : ما مالك ؟ قال : قوام من عيش وغنى عن الناس ، فقيل له : لو أخبرته ، فقال لو أعلمته مالي لحسدني إن كان كثيراً ، أو حقرني إن كان قليلاً ، وقوم يقولون أن الهيثم قال هذا لمعاوية ، والثبت أنه قاله لعبد الملك .

وقال الهيثم : كان يقال لا تخبروا قريشاً بمالكم ، فإن كان كثيراً حسدوكم ، وإن كان قليلاً حقروكم .

المدائني عن أبي محمد المقرىء قال : قال عبد الملك لرجل من ثقيف : ما المروءة فيكم ؟ قال: إصلاح المال والمعاش والفقه في الدين ، وسخاء النفس ، وصلة الرحم ، فقال : كذلك هي فينا .

قالوا : وتزوج بكر بن حصين من بني عامر بن لؤي رقية بنت سعيد بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فتقدمت إلى عبد الملك بن مروان حين حج وهو بالمدينة ، فتكلمت في أمر زوجها ، فقال ومن زوجك ؟ قالت:بكر بن حصين ، قال : انسبي لي أباً آخر فإن عهدي بالقوم بعيد ، قالت : ابن أُويس ، قال : ويحك أو تنكح المرأة عبدها ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين :

---

١ ـ اللظ : اللزوم والإلحاح .

إن القبور تنكح الأيامى
النسوة آلأرامل اليتامى
المرء لا تبقى له السلامى

المدائني قال : قال عبد الملك : رأيت الفجور في بني الروميات ، ورأيت الفارسيات أذلق[١] النساء ، وأمنع جانباً ؛ ورأيت بني الهنديات أصبر لصدور العوالي .

ودخل جرير علي عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع العاملي[٢] ، ولم يكن جرير رآه قبلها ، فقال له عبد الملك : يا جرير أتعرف هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، فمن هو؟ قال : رجل من عامله ، قال : يا أمير المؤمنين هذا من الذين قال الله عزوجل : ﴿عاملة ناصبة﴾[٣] ؟ قال : لا ويلك ، فأنشأ جرير يقول :

ويقصر باع العاملي عن العلى ولكن أير العاملي طويل[٤]

فقال ابن الرقاع :

أأمك يا ذا أخبرتك بطوله أم أنت امرؤ لم تدر كيف تقول[٥]

فقال: بل لم أدر كيف أقول .

---

١ ـ أذلق : أحدّ ، وأقلق ، وأضعف . القاموس .
٢ ـ شاعر كبير من أهل دمشق ، كان مقدما عند بني أمية ، مداحا لهم ، خاصا بالوليد بن عبد الملك . الأعلام للزركلي .
٣ ـ سورة الغاشية : الآية : ٨٨ .
٤ ـ ليس في ديوان جرير المطبوع .
٥ ـ ديوان عدي بن الرقاع العاملي ـ ط . بيروت ١٩٩٠ ص ٩٤ .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن آبن جعدبة عن صالح بن كيسان أن عبد الملك كتب إلى الحجاج جنبني دماء آل أبي طالب فإن بني حرب لما قتلوا حسيناً نزع الملك منهم .

المدائني عن يزيد بن عياض[1] قال : أراد عبدالله بن جعفر أن يفد إلى عبد الملك بن مروان ، وعلى المدينة أبان بن عثمان بن عفان ، فأرسل إليه بديحاً يستأذنه ، فقال أبان : قل له:فليبعث إلي جاريته فلانة ، فرجع فأخبره بقوله فقال ابن جعفر : لا ، ولا كرامة ، وقال له : ارجع إلى بُقَيْع - وكان أبان أبرص أبقع - فقل له : أما الجارية فلا ، قال : فليبعث إلي بغلامه الزامر ، فبعث به إليه ، وقال : هو شبيهه ، ثم أذن له ، فوفد على عبد الملك .

المدائني عن محمد بن إبراهيم قال:دخل عبدالله بن جعفر على عبد الملك فحثه علي صلة ابن أبي عتيق ، وهو محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وذكر له خلته ، فدخل ابن أبي عتيق على عبد الملك فقال له : يا بن أبي عتيق ، أخبرني عنك عبدالله بضيق من الحال ؟ قال : كذب يا أمير المؤمنين ، ما بي من حاجة وما أنا في ضيقة ، فدخل ابن جعفر على عبد الملك فأخبره بقول ابن أبي عتيق ، فلقيه آبن أبي عتيق ، فقال له ابن جعفر : ويحك اتركت حظك من أمير المؤمنين وقد عطفته عليك ، وحثثته علي برك ؟ فقال : إني دخلت عليه وعنده جارية له ، ما رأيت شيئاً

١ - هو ابن جعدبه المتقدم ذكره .

قط أحسن منها ، فأخبرني بقولك وهي تسمع وتنظر إلي ، أفكنت ترى لي يا بن أم أن أُقر بالفقر بين يديها ؟!

المدائني وغيره قالوا : نذر عبد الملك دم آبن قيس الرقيات لقوله :

إنمـا مصعب شهاب من اللـ ـه تجلت عن وجهه الظلماء[1]

قال ابن قيس : فسألت عن من أُستعين به عليه ، فقيل لي روح بن زنباع ، فأتيت روحاً فقال : ما ذاك عندي ؛ فأتيت عبدالله بن جعفر ، فآستجرت به ، فقال : لي أقم ؛ فإن لي في كل ليلة رجلاً أُدخله معي إلى أمير المؤمنين فكن ذلك الرجل ، فلما كان الليل أُدخلني ، وأمرني أن أُجيد الأكل وآخذ ما بين يديه ، وبين يدي عبد الملك ، فنظر إلي ، فقال : من هذا ؟ قال ابن جعفر هذا القائل

ما نقموا من بني أُمية إلا أنهم يحلمـون إن غضبـوا
وإنهم سـادة المـلوك فـما تصلح إلا عليهم العـرب[1]

فقال عبد الملك : ابن قيس ؟ قال : نعم : فقال أما دمه فقد حقنه الله عزوجل ، وأما العطاء فلا عطاء له عندي ؛ فقال آبن جعفر لابن قيس: اللهم غفراً ، إذا خرج العطاء فلك عندي عطاؤك .

وقال كثير يمدح عبد الملك :

يُحَيّون بسامين طوراً ، وتـارة يحيون عباسين شوس الحواجب
من النفر البيض الذين إذا انتجوا أُقرت لنجواهم لؤي بن غالب

---

١ ـ ديوان ابن قيس الرقيات ص ٩١ .

كريم يؤول الراغبون ببابه ... إلى واسع المعروف جزل المواهب
إمام هدىً قد سدد الله رأيه ... وقد أحكمته ماضيات التجارب[١]

وقال فيه أيضاً :

قضى نحبه مروان ثم وليتنا ... فكن يا بن مروان تجود وتدفع[٢]

وقال كعب بن جعيل :

أمير المؤمنين هدى ونور ... كما جلى دجى الظلم النهار
قريع بني أمية من قريش ... هم السر المهذب والنضار

وقال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط :

نبئت أن ابن القلمس عابني ... ومن ذا من الناس الصحيح المسلم
فأبصر سُبْلَ الرشد سيد قومه ... وقد يبصر الرشد الرئيس المعمم
فمن أنتم ها خبرِّونا من أنتم ... فقد جعلت أشياء تبدو وتكتم

فقال له عبد الملك : ما كنت أرى أن مثلنا يقال لهم من أنتم ؟ أما والله لولا ما تعلم ، لقلت قولاً يلحقكم بأصلكم الجلائب ، ولضربتك حتى تموت .

وقال أعشى بني شيبان :

عرفت أمية كلها ... لبني أبي العاص الإمارة
لَأَبَرِّهَا وأحقها ... عند المشورة بالإشارة
المانعين لما ولوا ... والنافعين ذوي الضرارة
وهم أحقهم بها ... عند الحلاوة والمرارة

١ ـ ديوان كثير ص ٤٤ ـ ٤٦ . وفيه الممدوح : يزيد بن عبد الملك .
٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

وقال المدائني : قال قبيصة بن ذؤيب ووشى به قوم إلى عبد الملك ، فجفاه وكانت له منزلة عنده :

إن مسيري في المسير ومنزلي لبالمنزل الأقصى إذا لم أُقرب
وما أنا إن قربت يوماً ببائع خلاقي وديني لابتغاء التحبب
ولكن أرى حق الإمام ونصحه وطاعته حقاً كما هي للأب

وهذا باطل وقد نسبنا الشعر إلى صاحبه الذي قاله ، وذكرنا حديثه فيما مضى من أحاديث عبد الملك .

المدائني قال : أمر عبد الملك مسلم بن ربيعة أبا إسحق بن مسلم أن يقتل رجلاً من قيس فأبى فحبسه فقال :

ألا أبلغ سراة الحي قيساً شآميهم ومن هو بالعراق
بأني بالرهاء بها مقيم قصير الخطو مشدود الوثاق
وما كانت عقوبتهم بسجني لمعصية وما خافوا شقاقي
ولكني كرهت دماء قومي وما لي بعد قومي من تلاق

ويقال أن محمد بن مروان أمره بذلك .

المدائني عن علي بن حمّاد قال : قال الأخطل لعبد الملك بن مروان : يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحك في ثلاثة أيام وقد أفنيت في مدحك حولاً بقصيدة قلتها فما بلغت كل الذي أردته ، فقال عبد الملك : فأنشدني قصيدتك فأنشده :

خف القطين فراحوا عنك أو بكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غير[1]

---

١ ـ ديوان الأخطل ـ ط . بيروت ١٩٨٦ ص ١٠٠ .

فجعل عبد الملك يتطاول ، ثم قال : ويحك يا أخطل أتريد أن أكتب إلى الآفاق بأنك أشعر العرب ؟ قال : أنا أكتفي بقولك يا أمير المؤمنين ، فأمر له بقصعة مملوءة دنانير ودراهم ، وألقى عليه خلعته وخرج به مولى لعبد الملك وهو يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : قال سعيد بن المسيب لعبد الملك : بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء؟ قال : والدماء يا أبا محمد فنستغفر الله .

المدائني عن عبدالله بن مسلم الفهري قال:دخل الأخطل على عبد الملك وهو سكران فقال له : يا أبا مالك مالك ؟ قال : إن أبا نسطور وضع في جمجمتي ثلاثاً وأنشد :

إذا شرب الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يطولا
مشي قرشية لا عيب فيها وأرخى من مآزره ذيولا[1]

المدائني قال:دخل على عبدالملك رجل فتكلم فأحسن حتى سكت ، فأراد أن يسبر عقله ليعرف ما عنده ، فإذا هو مضعوف فقال : زيادة منطق على عقل خدعة ، وزياد عقل على منطق هجنة ، وأحسن ذلك ما زين بعضه بعضاً ، وبعضهم يروي هذا عن سليمان بن عبد الملك ، وهو عن عبد الملك أثبت .

وقال : وذكر تشقيق الخطب والإسهاب عند عبد الملك فقال : من أكثر فأحسن قدر على أن يقل فيحسن .

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج: أما بعد فإنه بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق في اليوم ما ينفق أمير المؤمنين في الجمعة، وتنفق في الجمعة ما ينفق أمير المؤمنين في الشهر، وتنفق في الشهر ما ينفق أمير المؤمنين في السنة، وهذا ما لا قوام معه يا حجاج.

عليك بتقوى الله في كل حالة ... وكن لوعيد الله ربك تخشع
ووفر خراج المسلمين وفيئهم ... وكن لهم حصناً يذود ويمنع

فكتب إليه الحجاج:

أتتني كُتْبُ للخليفة ضمنت ... قراطيس تطوى كي تصان وتطبع
ومنها كتاب فيه لين وشدة ... وذكر وفي الذكرى لذي اللب منفع
وكانت بلاداً جئتها ذات فتنة ... بها كل نيران الحوادث تلمع
فما زلت فيها أعمل الحزم جاهداً ... فاعطي على حين العطاء وأمنع
فلا تتهمني إنني لك ناصح ... ولست مع النصح المبين أضيع

فرد عبد الملك عليه كتابه، وكتب في حاشيته: «صدقت يا أبا محمد وبررت.

المدائني قال: قال عبد الملك: أي الشعراء أشجع شعراً؟ قالوا: عمرو بن معد يكرب، قال وكيف وهو يقول:

وجاشت إلي النفس أوّل مرةٍ ... فردت على مكروهها فاستقرت[1]

فقيل ابن الإطنابة؟ فقال وكيف وهو القائل:

أقول لها وقد جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

---

١ - شعر عمرو بن معدي كرب - ط. دمشق ١٩٧٤ ص ٥٤.

فقالوا عنترة ؟ فقال : وكيف وهو يقول :

إذ يتقون بي الأسنة لم أخم عنها ولكني تضايق مقدمي[1]

قيل : فعامر بن الطفيل ؟ فقال : وكيف وقد قال :

أقول لنفسٍ لا يجاد بمثلها أقلي مراحاً إنني غير مدبر[2]

ولكن أشجع الناس شعراً المزني الذي يقول :

وإني لدى الحرب العوان موكل بتقديم نفس لا أحب بقاءها

وعبّاس بن مرداس حين يقول :

أقاتل في الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها

المدائني عن عوانة قال : كتب عبد الملك إلى الحجاج في أمر استشاره فيه واستكتمه إياه فانتشر وبلغ عبد الملك ذلك ، فكتب إليه كتاباً عاتبه فيه ، وتمثل بهذين البيتين في كتابه :

ألم تَرَ أن وشاة الرجا ل لا يتركون أديماً صحيحا

فلا تفش سرك إلا إليك فإن لكل نصيحٍ نصيحا

العمري عن الهيثم عن ابن عياش قال : قال عبد الملك للشعبي : لله در ابن قميئة حيث يقول :

كأني وقد خلفت تسعين حجة خلعت بها عني عذار لجام

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى وليس برام

فلو أنها نبلٌ إذاً لا تقيتها ولكنني أرمي بغير سهام

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

٢ ـ ديوان عامر بن الطفيل ـ ط . دمشق ١٩٩٤ ص ٩٢ .

فقال الشعبي : وقد أحسن لبيد أيضاً حين يقول :

كأني وقد خلفت تسعين حجة خلعت بها عن منكبي ردائياً[1]

قال : ففكر عبد الملك ثم أنشد :

إذا ما سلخت الشهر أهللت مثله كفى قاتلا سلخي للشهور واهلالي

قال : ولما قتل مصعب واستقام الأمر لعبد الملك دخل عليه عمر بن عبيدالله بن معمر ، وسويد بن منجوفٍ ، ونعيم بن مسعودٍ التميمي ، وقيس بن الهيثم السلمي بعد أن حبسهم على بابه حيناً ، فقال عبد الملك : إنكم سعيتم مع الشيطان فكنتم حزبه ، فلما نكص نكصتم ، ولم يبق أحد ممن شب نار الفتنة وسعى في الفرقة ، وشتت الألفة إلا أحدث من جرمه توبةً ، وظهرت منه إنابة غير قتادة فكففنا عنه العقوبة أفما ترضون أن تكونوا إسوة من أبصر بعد العمى ، وعرف بعد الجهل واستحق بالإنابة العفو ؟

فتكلم سويد بن منجوفٍ فقال : إنا كنا وزراء فأصبحنا أعجازاً ، فخذ بالتي هي أحسن ذكراً ، وأبقى جمالاً .

ثم قال عمر بن عبيدالله : والله ما نعتذر إليك من معصية ، ولا نتوسل إليك بطاعةٍ ، ولقد ولينا لعدوك الأعمال ، وكسبنا الأموال ، وقتلنا الرجال ولأن نكون كنا على ضلال ، فأصبحنا على هدى ، خير من أن نكون على هدى ثم نصبح على ضلال فإن تصطنعنا نكن لك كما كنا لمن كان قبلك .

---

١ - ليس في ديوان لبيد المطبوع .

ثم تكلم نعيم بن مسعودٍ فقال يا أمير المؤمنين إنا كنا أمس زبيريين فقد أصبحنا مروانيين ، فأقلل العتاب ، وأكرم الغلبة ، وأقل بعفوك العثرة .

ثم تكلم قيس بن الهيثم فقال : إنا لسنا بالحلو المأكول ، ولا بالمر الملفوظ ، ولا عفوك بمنكر ، ولا عقابك بحتم ، قد والله يا أمير المؤمنين قارعناك عن الدين والدنيا جميعاً ، فليسعنا ما لم يضق عن غيرنا من عفوك ، فمثلنا أسديت إليه العارفة فشكرها ، واتخذت عنده الصنيعة فعرفها قال : فرضي عنهم وأسني جوائزهم .

المدائني قال : أنشد عبدالله بن الزبير قول أنس بن زنيم في مصعب حين تزوج عائشة :

بضع الفتاة بألف ألف كاملٍ ... ويبيت أرباب الجيوش جياعا
لو أنني عمراً أقول مقالتي ... وأبثه ما قد أرى لارتاعا

فقال عبدالله: صدق إن مصعب قدم أيره وأخر خيره ، فبلغ عبد الملك قوله فقال : لكنه أخر أيره وخيره .

المدائني عن علي بن حماد قال : أجرى عبد الملك الخيل فحمل مسلمة على فرس ، وكانت أمه أم ولدٍ فجاء سابقاً ، فقال لمصقلة بن رقبة العبدي : إن صاحبكم لقليل المعرفة بأولاد أمهات الأولاد حين يقول :

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم ... على خيلكم يوم الرهان فتدركوا
وما يستوي المرآن هذا ابن حرة ... وهذا ابن أخرى بطنها متشرك
ترعد كفاه ويسقط سوطه ... وتفتر فخذاه فلا يتحرك
وتدركه أعراق سوءٍ ذميمة ... ألا إن عرق السوء لابد مدرك

قال يا أمير المؤمنين : إن من الإماء ذوات شرف فيمن هنَّ منه ، وليس أولئك عَنَى ، وقد يشتري الرجل الجارية فيعتقها ويحصنها فتكون كالحرة ، وإنما عنى جمهور الإماء اللواتي لا مواضع لهن ولا هيئآت .

أخبرني عبّاس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : سقى عبد الملك رجلاً من كلب شراباً يزيد في الباه ، ثم انصرف من عنده فأصابه شبق شديد ، فلم يصل إلى منزله حتى أتبعه بجارية وقال لرسوله : قل له : إنا سقيناك شراباً تحتاج معه إلى ما بعثنا به إليك ، وقد كفيت أشتراءها[1] فدونكها .

المدائني عن بكر بن حبيب السهمي قال : ولد لعبد الملك ابن فقال له روح بن زنباع : ياأمير المؤمنين اسقه لبن الإبل، فاشترى عبدالملك لظئر الصبي لقحةً ، فكانت تُحْلَبُ وتشرب الظئر لبنها وقال الحالب : كيف أحلبها أخنفاً ، أم مصراً ، أم فطراً ، والخنف ضم اليد على الضرع ، والفطر أن يحلب كما يعقد ثلاثين والمصر بأطراف الأصابع؟ فقال بل أحلبها مصراً ، ويقال الخنف باليد كلها والفطر أن يحلب يعقد ثلاثين ، والمصر أن لا يقبض على الضرع .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن عوانة قال:توفي أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بالصنبرة من الأردن ، ومات خالد بن يزيد بن معاوية ، وروح بن زنباع في عام واحد ، فكان يسمى عام الملوك ، فأرسل عبد الملك فأحصى أضياف أمية ، فوجدهم خمسمائة فوصلهم عبد الملك .

---

١ ـ بهامش الأصل : استبراءها .

وكان أمية لما قدم الشام قال الناس: قدم أمية أخو خالد فقال عبد الملك : أراك ببلدٍ لا تعرف فيه إلا بخالدٍ ، وأنت أعز من بها ، فجعل له حاجتين في كل يوم ، فأصبح الناس على بابه يسألونه الحوائج إلى عبد الملك ولما مات هؤلاء الثلاثة رثاهم عبد الملك :

لعمرك لا أنسى أمية أظلمت   عليَّ به أرضي معاً وسمائيا
ومن يوم روح قد علتني كآبة   وبل دموعي بالرشاش ردائيا
وقد كاد ينسينيهما يوم خالد   أبي هاشم إذ كدت أنسى حيائيا
أُلاكَ الأخلاء المصافون ما بقوا   وكنت لهم ما صاحبوني مصافيا
فقد أوحشت أوطانهم وبلادهم   وأوحش منهم مجلسي وفنائيا
أشد بهم ركني سريري وموكبي   فكيف بصبري بعدهم وعزائيا

المدائني قال : مرَّ عبدالملك على قبر معاوية ، ومعه عمر بن عبيد الله بن معمر ، وابن بحدل الكلبي فقال : هذا قبر رجل كان يسكته الحلم ، وينطقه العلم ، هذا قبر أمير المؤمنين معاوية ثم أنشد :

وما الدهر والأيام إلا كما أُرى   رزية مال أو فراق حبيب

المدائني عن مسلمة بن محارب قال:دخل علي بن عبد الله بن عباس على عبدالملك في يوم شديد البرد وقد حال بينه وبينه دخان العود فقال : يا أمير المؤمنين أحمد الله على ما أنت فيه من الدفء ، مع ما الناس فيه من البرد ، ودعا له بالبقاء ، فقال له : يا أبا محمد أبعد ابن هند ـ وكان أميراً عشرين سنة وخليفة مثلها ـ أصبحت تهز على قبره يَنْبُوتَهُ ما هو إلا كما قال الشاعر :

وما الدهر والأيام إلا كما أرى رزية مال أو فراق حبيب
وإن امرءاً قد جرب الدهر لم يخف تقلب عصريه لغير أريب

المدائني عن أبي بكر الهذلي قال : ركب عبدالملك فتلقاه محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف ، فمرا يتسايران حتى إذا بلغا المقابر ، عدل عبدالملك فوقف ، ومحمد بن جبير معه على قبر معاوية ، وإذا عليه ثمامة أو عوسجة تهتز ، فقال عبدالملك يرحمك الله أبا عبدالرحمن والتفت الى محمد بن جبير فقال : يا أبا سعيد ما كان علمك به قال : كان علمي به والله أنه كان ممن ينطقه العلم ، ويسكته الحلم ، قال عبدالملك : كذلك والله كان ثم ولى وهو يقول :

وما الدهر والأيام إلا كما أرى رزية مال أو فراق حبيب

ابن الكلبي عن عوانة قال : لمَّا أنشد عبدالملك قول خُرَيْم بن فاتك الأسدي :

لقيت من الغانيات العجابا ليالي أدركن مني شبابا
علام يكحلن حور العيون ويحدثن بعد خضاب خضابا
ويبرقن إلا لما تعلمون فلا تحرموا الغانيات الضرابا

فقال عبدالملك : نعم الشفيع لهن خريم .

المدائني عن سحيم بن حفص ، وعلي بن مجاهد قالا : مات عمر بن عبيدالله بن معمر بضمير[1] وهي قرية من قرى دمشق ، فخرج عبدالملك فصلى عليه وقعد على قبره ، فقالت امرأة : يا سيد العرب ، تعني عمر ،

١ ـ ما تزال تحمل الاسم نفسه خارج دمشق على الطريق الموصل إلى تدمر .

فقال لها رجل من أهل الشام : اسكتي تقولين هذا وأمير المؤمنين حاضر ؟ فقال عبدالملك : مه دعها فقد صدقت وقال :

ألا ذهب العرف والنائل ومن كان يعتمد السائل
ومن كان يطعم[1] في سيبه غني العشيرة والعائل

ثم قام عبدالملك على قبر عمر فقال : رحمك الله أبا حفص ، فقد كنت لا تحسد غنينا ولا تحقر فقيرنا .

المدائني عن سحيم بن حفص قال:أخذ ابراهيم بن عربي إبلا للبعيث المجاشعي ، فخرج إلى عبدالملك فقال:من تحب أن نأمره بجمع إبلك وردها عليك ؟ فقال : حصين بن خليد العبسي ، وكان على بادية قيس ، فأمره بجمعها ، وردها فقال البعيث :

إني لأبواب الملوك قروع

وقال أبو الحسن المدائني : ويقال ان البعيث أتى شبة بن عقال ، فأدخله على عبدالملك ، فدخل رجل أحمر أزرق فسلم سلاماً جافياً ، فقال عبدالملك : أهو هُوَ ؟ فقال : إي والله لأنا هو ، قد قلت وقيل لي وأنا الذي أقول :

إذا شئت عاطتني الزلال خريدة من البيض شنباء اللثاث شموع
سمت بجدود في العرانين وانتمت بحيث تنمى حاجب ووكيع

قال : فما فرغ من كلامه حتى سرني ، وإني لأستحيي من رثاثة هيئته ومحمد بن عمير جالس ، فقال عبدالملك : يا أبا عمرو زوجتموه ؟ قال : نعم امرأة شبيهة به وهي ابنة خاله .

---

١ ـ بهامش الأصل : يطعم .

المدائني عن محمد بن عدي بن النهاس بن قَهْم قال أصابت الناس قحمة ، أو قال حطمة ، فخرجوا الى الشام يطلبون الريف ، فصارت جارية من العرب إلى بيت من يهود تخدمهم ، فوقع عليها رجل منهم غصبها نفسها ، فضرب عبدالملك عنق اليهودي ، وأخذ ماله فأعطاه أهل الجارية ، ويقال إنه صلب اليهودي حين قتله .

المدائني عن عبدالرحمن بن معاوية الزيادي قال: حج عبدالملك فجعل يطوف بالبيت ومعه الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، فلما كان في الطواف السابع دنا من البيت ليلتزمه فجذبه الحارث فقال : مالك يا حار ؟ قال : أتدري أول من فعل هذا ؟ قال : لا ، قال : عجوز من قومك على غير سنّة ، فمضى ولم يلتزمه .

المدائني عن محمد بن صالح عن موسى بن عقبة أن عبدالملك حج فلقيه رجل من ولد عمر ، قد نالته ولادة من أبي بكر ، فسأله فحرمه ، وقال متمثلاً :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم

فقال الرجل : إذا ذدتَ عن حوضك ابن الفاروق ، وابن الصديق فمن تورده ؟ قال : بَني عبد مناف .

المدائني عن حباب بن موسى عن الشعبي قال : سمعت عبدالملك يدعو : اللهم إن ذنوبي قد عظمت وجلت ، وهي صغيرة يسيرة في جنب عفوك فاغفرها لي برحمتك ، فحسدته .

المدائني عن أبي اسحق بن ربيعة قال : قال عبدالملك لموسى بن طلحة : يا أبا عيسى ما بقي من ظنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين مازالت قريش

تَزَنِّي وإياك بذلك ونحن غلمان ، فضحك عبدالملك .

المدائني عن بشر بن أبي عيسى قال : قال عبدالملك للأبرش الكلبي - واسمه سعيد بن الوليد بن عبدعمرو - وهو يتغدى معه : يا أبرش إن أكلك لأكل مَعَدِّي . قال : تأبى ذلك قضاعة .

حدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : أصحب عبدالملك بن مروان ذبيان بن نعيم بن حصين بن سعدانة الكلبي ، أخاه عبدالعزيز ، حين شخص إلى مصر ، فرأى منه جفوة فكتب إلى عبدالملك :

أبلغ أمـير المؤمـنين ودونـه فراسخ تطوي الطرف وهو حديد
بـأني أرى عبدالعـزيـز مؤخـرا يقـدم قبـلي راسب وسعيـد
وقد كنت أدنى في القرابة منهما وأشرف إن كنتَ الشريفَ تريد

فكتب إليه عبدالملك في أمره ، فبره وسهل أذنه وأدنى مجلسه .

الهيثم عن ابن عياش عن أبيه قال : سمعت عبدالملك يقول لعبدالله بن مسعدة الفزاري : إن أفضل النساء السواحر اللاتي يقول أهل الرجل : قد سحرنه ، وغلبن على عقله .

المدائني قال : بينا بنو عبدالملك عنده إذ مد الوليد رجله في حجر أخيه عبدالله بن عبدالملك ، فنبذها وقال: اقبض رجلك ، فقال الوليد : يا أمير المؤمنين ألا ترى إلى ابن البربرية ؟ فقال عبدالله : أجل والله ، إني لابن البربرية ، وإنها لابنة أملاك كرام ، وليست كأمك ابنة الأعرابي الجلف البائل على عقبيه ، فقال الوليد : يا أمير المؤمنين ألا تسمع ؟ فقال عبدالملك : إيها الآن اعرضا عن هذا ، فكفا .

وعبدالله القائل حين احتضر وجاءه مال من مصر : ما لي وله ، ليته والله كان بعراً حائلاً بنجد .

المدائني قال : رأى عبدالملك كأنه بال في الكعبة ، فبعث إلى سعيد بن المسيب من سأله عن ذلك ، وقال له : لا تخبره من صاحب الرؤيا ، فقال له الرجل : رأيت كذا ، فقال له سعيد مثلك لا يرى هذه الرؤيا ، فرجع إلى عبدالملك فأخبره فقال:ارجع إليه فأخبره أنّي رأيتها فرجع إليه فأخبره فقال : يخرج من صلبه من يلي الخلافة .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن حبيب بن قنيع قال : جلست إلى سعيد بن المسيب يوماً والمسجد خال ، فجاءه رجل فقال : يا أبا محمد رأيت في النوم كأني أخذت عبدالملك بن مروان فوتدت في ظهره أربعة أوتاد ، وتدا بعد وتد ، فقال : ما أنت رأيت هذه الرؤيا فأخبرني من رآها ؟ قال : أرسلني إليك ابن الزبير بهذه الرؤيا لتعبرها ، فقال : إن صدقت الرؤيا قتل عبدالملك عبدالله بن الزبير ، وخرج من صلب عبدالملك أربعة كلهم يكون خليفة ، قال : فرحلت إلى عبدالملك فدخلت عليه وهو في الخضراء بدمشق فأخبرته الخبر ، فسره وسألني عن سعيد وحاله ، وسألني عن ديني فقلت : أربعمائة دينار ، فأمر لي بها من ساعته ومائة دينار أخرى ، وحملني طعاماً وزيتاً وكسيا ، فانصرفت راجعاً إلى المدينة .

المدائني عن أبي عبدالرحمن الطائي قال : قال عبدالملك لعمرو بن حريث : إني أراك ظاهر الدم لين البشرة ، فليت شعري مم ذاك ؟ فقال طعامي لباب البر ، وصغار المعز ، ولباسي الكتان ، ودهني البنفسج .

المدائني عن عبدالله بن سلم عن أبيه قال : قال عبدالملك للعجاج : أتحسن الهجاء ؟ فقال يا أمير المؤمنين هل رأيت صانعاً إلا وهو على الإفساد أقدر منه على الإصلاح ، قال فما يمنعك من الهجاء ؟ قال إن الله عز وجل أعطانا عزا منعنا من الظلم وحلما منعنا من أن نَظلِم ، فقال عبدالملك : الهجاء أشد من المديح وحرك رأسه .

هشام ابن الكلبي عن عوانة قال : قال عبدالملك : أي النساء يا بن مسعدة أفضل ؟ قال : الساحرة ، يعني قول الرجل : قد سحرتني فقال صدقت .

المدائني عن سحيم بن حفص قال : قال عبدالملك بن مروان : إن من وثائق الحزم أن تحمل الناس بالمال فإنهم أتباعه .

قال : وقال عبدالملك : الحلم يحيا بحياة السؤدد .

حدثني أبو مسعود الكوفي قال : دخل كثير بن الرحمن على عبدالملك ، فقال : أنشدك يا أمير المؤمنين ؟ قال بكم ؟ قال كثير :

بطرف ومذعان وألف وحلة   وسيف عتيق من جياد الصفائح [١]

فقال : يا غلام عجل بجميع ما قال الساعة ، فأتي بفرس رائع ، وناقة مذعان ، وحلة وسيف ، ثم أنشده شعره الذي مدحه به فأمر له بمال .

المدائني عن سحيم بن حفص قال : قال عبدالملك لأسيلم بن الأخيْف[٢]، أبي اليقظان ، وكان مضموماً إلى الوليد : أخبرني عن الوليد ؟

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٢ ـ في هامش الأصل : ما جاء في اللحن .

قال : أعفني يا أمير المؤمنين ، قال : لتقولن قال يلحن لحنا فاحشاً يعرفه من لا يبصر العربية ، ويظن ظناً سيئاً أخاف أن يوبقه [١] ويوثقه ويستحيي أن يسأل فَيُعَلَّم ، فقال عبدالملك للوليد : بلغني أنك تلحن لحنا فاحشاً وتسيء الظن وتستحيي أن تسأل فتعلم ، فقال : أما السؤال فما أدعه للحياء منه ، ولكني لا أرى أحداً أهلاً لأن أسأله عن شيء ، وأما سوء الظن فمن ذا ينبغي له أن يحسن الظن بالناس بعد قتل مروان ، وأما اللحن فمر الفصحاء بتقويم لساني .

المدائني قال : قال عبدالملك لربيعة بن الغاز : إني أحب الوليد ، وأريد توليته ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن وليته الجباية فاستقصى ذُمَّ ، وإن قصر عُجِّزَ ، ولكن وَلِّهِ الصوائف فيكون ذلك له شرفاً وذكراً .

قالوا : وقال عبدالملك لأسيلم بن الأخيف : كيف ترى الوليد : فقال : إنه ليلحن لحناً قبيحاً ، قال: إنه كان أحب ولدي إلي ، فلم تطب نفسي بمفارقته فأسترضع له بالبادية ، كما استرضعت لسليمان .

المدائني قال : قال عبدالملك لخالد بن يزيد بن معاوية : ألا تقيمون لسان عبدالله بن يزيد ؟ فقال: يا أمير المؤمنين صعب علينا من تقويم لسانه ما صعب عليكم من تقويم لسان الوليد ، قال : وكان الوليد رديء اللسان ، قال يوماً : يا غلام رد الفرسان الصادان عن الميدان .

١ - بهامش الأصل : يوقعه .

المدائني عن أبي معاوية بن عامر قال : تكلم عبدالله بن يزيد بن معاوية عند عبدالملك فلحن ، فقال عبدالملك : اللحن من الشريف أقبح من الجدري في الوجه الحسن .

المدائني قال : قال عبدالملك بن مروان : إن المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ليفخم اللحن كما يفخم نافع بن جبير الإعراب .

وكان المغيرة يلحن ويتشدق .

المدائني عن علي بن إبراهيم قال : قال عبدالملك : اللحن هُجْنَةٌ في الشريف والعجب آفة للرأي والخرس خير من البيان بالكذب ، لأن الكذب فساد كل شيء .

المدائني عن سحيم بن حفص قال: صحف عبدالملك بن مروان فقال لقوم من كندة : من كان الميل منكم ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين هو المثل بن معاوية الأكرمين .

وقال المدائني : لما أنشد الأخطل عبدالملك قوله :

فإلا تغيرها قريش بملكها ... يكن عن قريش مستمال ومرحل [1]

فقال له عبدالملك : إلى أين يا بن اللخناء ؟ قال:إلى النار.قال:لو قلت غيرها قطعت لسانك .

١ ـ ديوان الأخطل ص ٢٣١ .

المدائني عن الوليد بن مسلم قال : كان الحارث الأشعري قاضي عبدالملك ، فأخبر عبدالملك أن امرأته كلمته في رجل فقضى له بقضية وأن الرجل أهدى الى امرأة الأشعري هدية ، فقال عبدالملك :

إذا رشوة من باب بيت تقحمت   لتسكن فيـه والأمـانـة فيـه
سعت هربا منـه وولت كأنها   حليم تـولى عن جوار سفيـه

بيعة الوليد وسليمان

قالوا : كان مروان بايع لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده ، وولى عبد العزيز مصر ، فأراد عبد الملك أن يخلع عبد العزيز ويبايع لابنه الوليد ، فكتب إلى عبد العزيز : «إن رأيت أن تصير هذا الأمر لابن أخيك وولدك» ، فأبى فكتب إليه يسأله أن يجعلها للوليد من بعده ويقول له : لولا أن الوليد أعز الخلق علي أمير المؤمنين لم يسألك هذا له ، فكتب إليه : «إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ، مثل الذي ترى في الوليد» . فقال عبد الملك : اللهم إنه قد قطعني فاقطعه ، وكتب إليه : «احمل إلي خراج مصر» ، فكتب إليه عبد العزيز : «يا أمير المؤمنين إنا قد بلغنا سناً لم يبلغها أحد من أهل بيتك ، إلا كان بقاؤه بعدها قليلاً ، وإنا لا ندري أينا يأتيه الموت أولاً ، فإن رأيت أن لا تغثث علي بقية عمري فافعل»، فرق له عبد الملك وقال: لعمري لا فعلت ذاك ولا سُؤْتُ أخي ، وقال لبنيه إن يرد الله أن يعطيكم إياها لا يقدر أحد من العباد على ردها عنكم ، وقال لابنيه الوليد وسليمان : هل قارفتما حراماً قط ؟ قالا : لا والله ، قال : الله أكبر وليتماها ورب الكعبة .

قالوا : وشاور عبد الملك قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، فقال : لا تعجل ، فلعل الله سيكفيك ، ولم تظهر غدراً ولم يَسُؤْ عنك السماع ، وكان يلي السكة والخاتم ، فلم يشعر ذات يوم إلا وقد كتب بنعي عبد العزيز ، فأدخل الكتاب علي عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، قد جاءك ما كنت أردت ، ولم تقطع رحم عبد العزيز ولم تأت أمراً يعاب .

وقال أعشى بني أبي ربيعة شعراً يحث فيه عبد الملك على بيعة الوليد وخلع أخيه عبد العزيز :

ابنك أولى بملك والده وعمه إن عصاك مطرح
ورثت عثمان وابن حرب ومر وان وكل لله قد نصحوا
فعش حميداً واعمل بسنتهم تكن بخير وأكدح كما كدحوا

في قصيدة .

وأراد عبد الملك البيعة للوليد قبل أمر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكتب الحجاج إلى عبد الملك يزين له بيعة الوليد ، وأوفد وفداً فيهم عمران بن عصام العنزي من بني هميم بن عبد العزى بن ربيعة بن تيم بن يقدم بن عنزة بن أسد بن ربيعة الشاعر ، وقد قتله الحجاج بدير الجماجم بعد ، فقال عمران :

أمير المؤمنين إليك نهدي على النأي التحية والسلاما
أجبني في بنيك يكن جوابي لهم أكرومة ولنا قواما
فلو أن الوليد أطاع فيه جعلت له الخلافة والزماما
شبيهك حول قُبَّتِهِ قريش به يستمطر الناس الغماما
ومثلك في التقى لم يصب يوما لدن خلع القلائد والخداما

فإن تؤثر أخاك بها فإنا وجدك ما نطيق لها اتهاما
ولكنا نحاذر من بنيه بني العلات إن نسقى السِّماما
ونخشى إن جعلت الملك فيهم سحاباً أن يكون لها جهاما

في أبيات .

فقال عبد الملك : إنه عبد العزيز يا عمران ، فقال احتل له يا أمير المؤمنين .

قالوا : وكان الحجاج كتب إلى عبد الملك يشير عليه باستكتاب محمد بن يزيد الأنصاري ، وكتب إليه :

إن أردت رجلاً عاقلاً فاضلاً وديعاً مأموناً مسلماً كتوماً للسر ، تتخذه لنفسك، وتضع عنده سرك، وما لا تحب أن يظهر من أمرك، فاستكتب محمد بن يزيد ، فكتب عبد الملك : أن احمله إلي ، فحمله إليه فاستكتبه . قال محمد : فلم يكن يأتيه كتاب إلا دفعه إلي ، فإني لجالس يوما نصف النهار إذا أنا ببريد قد قدم من مصر ، فقال : الإذن ، قلت : ليست هذه ساعة إذن فأعلمني ما الذي قدمت له، فأبى فقلت: هل معك كتاب؟ فقال: لا ، فدخل بعض من حضرني على عبد الملك فأخبره ، فأذن للرجل ، وصرت إليه فقال حين دخل : آجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز ، فاسترجع وبكى ، ووجم ساعة وقال : رحم الله عبد العزيز ، فقد مضى لسبيله ، ولابد للناس من عَلَمٍ يسكنون إليه ، وقائم يقوم بالأمر من بعدي ، فما ترى ؟ قلت : يا أمير المؤمنين سيد الناس ، وأرضاهم عندهم ، وأفضلهم الوليد بن أمير المؤمنين ، قال : صدقت وفقك الله ، فمن ترى أن يكون بعده؟ قلت: ياأمير المؤمنين أين تعدل عن سليمان فتى العرب ؟! قال:

صدقت والله ووفقت ، أما إنا لو تركنا الوليد وإياها جعلها لبنيه ، اكتب عهداً للوليد ولسليمان من بعده ، قال : فغضب الوليد علي حين أشرت بسليمان بعده ، وكان أول من تجبر من الخلفاء ، قال وصير عبد الملك مع ابنيه حين بايع لهما عبيدة بن قيس العقيلي .

المدائني عن ابن جعدبة قال : كتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي ، وهو بالمدينة ، يأمره أن يدعو الناس إلى بيعة الوليد وسليمان ، فبايعوا غير سعيد بن المسيب ، فإنه قال : لا أبايع لأحد وعبد الملك حي ، فضربه هشام ضرباً مبرحاً ، وألبسه المسوح ، وحمله إلى ثنية بالمدينة كانوا يقتلون عندها ويصلبون ، فظن أنهم يريدون قتله ، فلما انتهوا إليها ردوه ، فقال : لو ظننت أنهم لا يصلبوني ما لبست سراويل مسوح ، ولكن قلت يسترني.وبلغ عبد الملك خبر سعيد فقال:قبح الله هشاماً ، إنما كان ينبغي له إذ أبى أن يضرب عنقه ، وكتب إلى هشام يلومه ويقول : إن سعيداً لم يكن ممن تخافه ، وقد كان ينبغي لك أن تدعه .

المدائني قال أبو المقدام : مروا بسعيد بن المسيب علينا ، وإنا في الكتاب ، وعليه تبان شعر .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال : ضرب هشام بن اسماعيل في سنة ست وثمانين سعيد بن المسيب ستين سوطاً ، وطاف به في ثياب من شعر حتى بلغ به رأس الثنية ، فلما كروا به قال:إلى أين تكرون بي ؟ قالوا : إلى السجن ، قال : والله لولا إني ظننته الصلب ما لبست هذا التبان أبداً ، فرده إلى السجن ، وحبسه ، وكتب إلى عبد الملك بخلافه وتركه البيعة للوليد وسليمان من بعده وذلك حين مات عبد العزيز بن مروان بمصر ، فكتب عبد

الملك إليه يلومه فيما صنع ويقول : كان سعيد والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضربه ، وإنا لنعلم أنه ما عند سعيد شقاق ولا خلاف .

قال الواقدي : وكان الذي دخل بالكتاب إلى عبد الملك في ضرب سعيد قبيصة بن ذؤيب ، وكان على السكة والخاتم ، فقال : يا أمير المؤمنين كيف يفتات عليك هشام بمثل هذا ، ويضرب ابن المسيب ، ويطوف به والله لا يكون أبداً أمحك ولا ألج منه حين فعل به ما فعل ، أو سعيد ممن يخاف فتقه وغوائله ؟ قال عبد الملك : قد كتبت إليه أعلمه بكراهتي لما صنع به ، وكتبت إلى سعيد أعتذر إليه ، فلما قرأ سعيد كتاب عبد الملك قال : حكم الله بيني وبين من ظلمني ، قال : وصنعت لسعيد ابنته طعاماً كثيراً حين حبس ، وبعثت به إليه ، فأرسل إليها لا تعودي لمثل هذا ، فإني لا أدري ما قدر حبسي ، وإنما غاية هشام بن إسماعيل أن يذهب بمالي فلا تزيديني على القوت الذي كنت آكله في بيتي ، وكان يصوم الدهر ، وكان الوليد سيء الرأي في هشام ، فلما ولي عزله عن المدينة ، وأمر أن يوقف للناس ، فدعا سعيد ولده ومواليه فقال : إن هذا الرجل قد كان أساء إلينا ، فلا يذكرنه أحد منكم بسوء ، ولا يَعرضَنّ له ولا يؤذينه بكلمة ، فقد تركنا مجازاته لله والرحم ، وإن كان ما علمته سيء النظر لنفسه ، فأما كلامه فلا أكلمه أبداً .

قال:وأرسل هشامٌ إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشامٍ : أكفني أمر ابن المسيَّب فإنه رجلٌ عند الناس كما علمت، فقال: لابأس عليك منه، فقال: إنَّه حقودٌ قال: أما ماصنعت به فلن يخرج من قلبه، ولكنك لن ترى منه سوءاً.

وقال محمد بن سعيدٍ لأبيه: خل بيننا وبينه، فقال سعيدٌ: لايعرض له، فإنك إن فعلت لم أكلمك بكلمةٍ أبداً، وحجَّ الوليد، فدخل مسجد المدينة، فأخرج النَّاس ولم يجترىء أحدٌ علىٰ إخراج سعيدٍ، وقيل له هذا أمير المؤمنين، فقال: لا والله لاقمت إلا في الوقت الذي كنت أقوم فيه، وجعل عمر بن عبد العزيز يعدل بالوليد عنه، وإنَّ عليه لريطتين[1] ماتساويان خمسة دراهم، وذلك لكراهة عمر أن يراه فينكر جلوسه، وحانت من الوليد التفاتةٌ، فقال: من الجالس؟ قيل: سعيد بن المسيب، ولو علم بمكان أمير المؤمنين لقام إليه، فقال الوليد: قد عرفت حاله، ونحن نأتيه، فنسلم عليه، فجاء الوليد حتى وقف على رأسه وقال: : كيف أنت أيها الشيخ وهو جالسٌ فقال:بخيرٍ والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين، وكيف حاله؟ فقال الوليد: خير حالٍ والحمد لله، فانصرف وهو يقول لعمر: هذا بقية الناس، فكان عمر إذا حلف يقول:لا والذي صرف عن سعيدٍ شرَّ الوليد ماكان كذا، ولأفعلن كذا،

وحدثني عبَّاس بن هشامٍ عن أبيه عن جده قال:لمَّا ضرب سعيد بن المسيب لامتناعه من بيعة الوليد، أقيم للنَّاس، فمرت به أمةٌ لبعض أهل المدينة فقالت له: ياشيخ لقد أقمت مقام خزيٍ فقال لها: من مقام الخزي فررت.

ولمَّا مات عبد العزيز قال الشاميُّون: رد علي أمير المؤمنين أمره، فدعا عليه فاستجيب له، لقول عبد الملك: إنَّه قطعني فاقطعه.

---

١ ـ الريطة: كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد، وقطعة واحدة، أو كل ثوب لين رقيق. القاموس.

المدائني وغيره أنَّ عبد الملك قال لأسماء بن خارجة الفزاري: بلغني عنك خصال كريمةٌ، فأخبرني بها، فقال وصفها من غيري أحسنُ، فقال: لتقولنَّ، قال: أما إذ أبيت ياأمير المؤمنين إلا أن أخبرك فإني لم أمدَّ رجلي بين يدي جليسٍ لي قط كراهة أن يظنَّ أني أرى أنَّ لي عليه طولاً، ولادعوت رجلاً قطُّ إلى طعامٍ فأجابني إلا لم أزل أعرف له الفضل عليَّ، ولاسألني رجلٌ حاجةً قطُّ فرأيت أنَّ شيئاً من الدنيا عوضٌ من بذل وجهه إليَّ فيها واختياره إيَّاي لها، فقال عبد الملك: يَحقُّ لك أن تكون سيداً.

وقال الوليد: ياأمير المؤمنين بلغني أنَّه أتاه الأخطل في ناسٍ من قومه يسألونه ديةً، فلقيهم ببشرٍ وطلاقةٍ، وأمر لهم بثلاث بدرٍ فقال: بدرةٌ لمشاكم، وبدرةٌ لإيثاركم إيَّاي علي غيري، وبدرةٌ لصاحبكم، ثم قال لابنيه: مرا للقوم من مالكما بما أحببتما فأمرا لهم بعشرين ألف درهم فقال الأخطل:

إذا مات ابن خارجة بن حصن فلا مطرت على الأرض السماء
ولا رجع البشير بغنم جيشٍ ولاحملت على الطهر النساء
فيوم منك خيرٌ من رجالٍ كثير حولهم نعم وشاء
فبورك في بنيك وفي أبيهم إذا ذكروا ونحن لك الفداء[1]

فأعجب عبد الملك حديثُ الوليد له، وروايته ماروى من شعر الأخطل وقال له: معرفتك بفضل أهل الفضل فضيلةٌ يابني.

---

١ ـ ليست في ديوان الأخطل المطبوع.

حدثني ابن أبي شيخٍ الكوفيُّ عن عبيد الله بن موسى قال: بلغني أن عبد الملك بن مروان قال للحجَّاج: إنه ليس أحدٌ إلا وهو يعرف عيبه، فعزمت عليك لما خبرتني بما فيك من العيوب، فقال: أنا حسودٌ حقودٌ لجوجٌ قال: حسبك فما في الشيطان إلا دون هذه الخلال.

المدائنيُّ عن علي بن مجاهدٍ قال: حبس عبد الملك يحيى بن سعيد بن أبي العاص بعد قتل أخيه أربعين يوماً، ثمَّ دعا به فاستشار من حضره في أمره، فقال بعضهم: أقتله، وقال بعضهم مُنَّ عليه، وقال له عبد الله بن مسعدة بن حكمة الفزاري: ياأمير المؤمنين إن له رحماً وقرابةً والعفو أقرب للتقوى، فمنَّ عليه وسيره إلى عدوّك فلعل الله يكفيك إيَّاه بخيلٍ من خيلك، فلحق بعبد الله بن الزبير، فقال له: إنَّ أخاك كان سيء البلاء عندي فالحق بمصعبٍ، فلحق بالعراق فولده بالكوفة وواسط.

حدَّثني عليُّ بن حمادٍ عن الحزامي عن عبد الله بن نافعٍ قال: وفد عبد الله بن جعفرٍ على عبد الملك بن مروان، وأهدى إليه من ألطاف المدينة فبعث إليه عبد الملك بألطافٍ وكسي وفرس عبد الله بن الزبير الذي يقال له اليعسوب، وكان قتل عنه، فقبل الهدايا، وردَّ الفرس، فبعث إليه عبد الملك يعزم عليه ليخبرنه لم ردَّ الفرس، فقال عبد الله: ماكنت لاقدم على قومي بأسلابهم.

قالوا: وقال عبد الملك لأسماء بن خارجة: زدني من صفة مذاهبك وأخلاقك، قال: ماشتمت رجلاً قط، ولاشتمني إلا حلمت عنه إن كان كريماً، فأنا أولى من غفر زلَّته، وإن كان لئيماً لم أجعل عرضي خطراً له، فقال: أحسنت والله ماشئت.

المدائني قال:دخل تميم بن الحباب السلمي أخو عمير بن الحباب على عبد الملك فقال: أنشدني بعض مارثيت به أخاك عميراً، فأنشده:

وذي ميعةٍ لايستطاع قياده   مع الخيل إلا ممسكاً بلجام
وزعت به الغارات حتى تركته   حزوز[1] الضحى من نهكةٍ وسآم
فكم من دمٍ يوماً هرقت ومن دمٍ   حقنت ومن وفدٍ حبوت كرام

فقال عبد الملك: ماكان كما وصفت يابن الحباب، فقال: بلى والله،وإن رغم الراغمون.

المدائني عن عوانة قال : قدم على عبد الملك قادمٌ من العراق، فقال له: كيف تركت بشراً ـ يعني أخاه ـ؟ قال : تركته ليناً في غير ضعفٍ، قويّاً في غير عنفٍ، يعرف موضع العقوبة فيعاقب على قدر الذنب، قال: ذاك ابن حنتمة ـ يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ .

وقال عبد الملك لأعرابي: إنك لحسن الكدنة، فقال: ذاك عنوان نعمة الله عليَّ، إني أدفيء رجلي في الشتاء، وآكل عند الشهوة وأذود غاشية الهم يعني بالشراب .

قالوا: وبعث عبد الملك روح بن زنباعٍ إلى أم البنين، وهي عاتكة بنت يزيد يسألها أن تجعل مالها لابنيها يزيد ومروان الأصغر، فقد أدركا، فقالت: عليَّ بشهودٍ عدولٍ فلمَّا دخلوا عليها قالت: اشهدوا أني قد تصدقت بمالي علي فقراء آل أبي سفيان صدقةً بتةً بتلةً، وقالت لروح: ياأبا زرعة أتراني أخاف على ولديَّ العيلة وهما ابنا أمير المؤمنين؟! فأتى عبد الملك فأخبره،

---

١ ـ أي حين أو وقت.

فغضب فقال له روحٌ: لاتغضب ياأمير المؤمنين فإنّها لم تخط فيما صنعت، ولا في الإتكال على من اتكلت عليه.

وقال الواقدي: كان الناس يصلون ركعات بعد الظهر، وكان عبد الملك أول من مد الصلاة من الظهر إلى العصر، وكان أول خليفة بخل.

المدائني عن عامر بن أبي محمدٍ قال: تنبأ رجلٌ يقال له خالد أيام عبد الملك، فأمر به فصلب حياً، فقال: ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾(١) فطعنه رجلٌ فانثنت الحربة، فسجد أصحابه، فنكت عبد الملك في الأرض، ثم تلا: ﴿ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾(٢) ياأبا زرعة اطعن في الجانب الأيسر فإن الشيطان يدفع عن الجانب الأيمن، فطعنه تحت الخاصرة فأخرج السنان من ظهره، فقال عبد الملك: ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾(٣).

المدائني قال: قال عبد الملك: السياسة هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة وانصافها، والاحسان إليها.

المدائني عن عمر بن الحباب قال دخل زفر بن الحارث على عبد الملك بعد الصلح، فقال له: ياأبا الهذيل مابقي من حبك الضحاك بن قيس؟ قال: ما لاينفعه، ولايضرك، قال: لشد ما أحببتموه معاشر قيسٍ، قال: أحببناه، ولم نواسه ولو كنا فعلنا لأدركنا مافاتنا منه، قال: ما منعك من مواساته يوم المرج؟ قال: مامنعك من مواساة عثمان يوم الدار.

---

١ ـ سورة غافر ـ الآية: ٢٨ .
٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآية: ٤٠ .
٣ ـ سورة الاسراء ـ الآية: ٨١ .

وقال عبد الملك لزفر: بلغني أنك من كندة قال: وماخير من لاينفى حسداً ولايُدَّعَى رغبةً.

المدائني قال: دخل علي بن عبدالله بن عباس على عبد الملك فتغديا جميعا ثمَّ دعا بشرابٍ فأتي به في عس، فبدا بعلي فسقاه ثم شرب، وقال عبد الملك اللحن هجنة الشريف والعجب آفة، والكذب فساد كل شيء والخرس خيرٌ من الكذب.

المدائني عن أبي خالدٍ التميمي عن أبي لؤلؤة المازني أنَّ عياش بن الزبرقان دخل على عبد الملك، وعنده روح بن زنباعٍ، وأبو الزعيزعة مولى بني مروان فقال عبد الملك: يا عياش أما ترى هذا اليماني - يعني روحاً - يفخر بملوك اليمن؟ فقال عياش: ياأمير المؤمنين نحن بنو إسماعيل بن ابراهيم فملك إخوتنا بني اسحق بن ابراهيم أعظم من ملكهم، ملك سليمان بن داود مع النبوة، ونحن بنو إسماعيل ففينا النبوة والملك، فملكنا وملك إخوتنا أعظم من ملكهم، والله ياأمير المؤمنين لو متُّ ولم أدع وارثاً، لكان أبو الزعيزعة أولى بي من روحٍ فقام أبو الزعيزعة فقبل رأس عياشٍ وألقى عليه مطرفه فأسكت روحٌ.

قالوا: وقاد عياش بن الزبرقان إلى عبد الملك خمسة وعشرين فرساً، فلما نظر إلى الخيل نسب كلَّ فرسٍ منها إلى أبيه، وحلف على كل فرسٍ منها بيمينٍ غير اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر، فقال عبد الملك: ما أعجب من نسبته للخيل ولكن أعجب من حلفه على كل فرسٍ بيمينٍ غير الاخرى.

المدائني قال: دخل أسيلم بن الأخيف الأسدي على عبد الملك فأدناه، ثمَّ قال له: أنشدني بعض ماقيل فيك، فامتنع فعزم عليه فأنشده شعراً:

ألا أيها الركب المجدون هل لكم ... بسيد أهل الشام تحبوا وترجعوا
أسيلم ذاكم ليس يخفى مكانه ... على مقلةٍ ترنو وأذن تسمع
جلا المسك والحمام والبيض كالدمى ... وفرق المذاري[1] رأسه فهو أنزع

فضحك عبد الملك ، ثم قال : ما قال قيس بن الأسلت خير مما قلته ، قال : وقد حصبت البيضة[2] رأسي فما أطعم نوماً غير تهجاع .

وزعموا أن رجلاً من الأعراب أهدى إلى عبد الملك شيئاً ، فقال : كيف أقبل هديتك وأنا أظنك لا تحسن أن تطاف[3]، فقال : مهلاً يا أمير المؤمنين ، فوالله لأطيل المشي حتى أتوارى كراهة أن أرى ، وأستقبل الريح ، واشتم النسيم ، وأقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، وأخوي تخوية الظليم ، وأمسح بالحجر ، وأجتنب المدر ، فضحك منه وقبل هديته ، ووهب له .

حدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن مالك بن أنس قال : قال عبد الملك بن مروان لسعيد بن المسيب : يا أبا محمد صرت أعمل الخير فلا أسر به ، وأفعل الشر فلا أسله ، قال : الآن تكامل فيك موت القلب .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مسلم بن حماد عن عمر بن حفص عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة قال : كنا في خلافة معاوية في آخرها نجتمع في حلقة في مسجد بالليل أنا ومصعب بن الزبير ،

١ ـ النَزَع من الرأس : هو انحسار الشعر من جانبي الجبهة وهو أنزع . ومذره تمذير فتمذر : فرقه فتفرق . القاموس .

٢ ـ الحصبة : بثور .

٣ ـ طاف : ذهب ليغوط . القاموس .

وعروة بن الزبير ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الملك بن مروان ، وعبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة ، وكنت أنا آتي زيد بن ثابت حتى مات ، وكان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة رضي الله عنها ، وكانت أعلم الناس .

المدائني قال : قال عبدالله بن الزبير وسمع رجلاً يشتم الحكم بن أبي العاص : لا تسب الحكم فإنه كان رجلاً وديعاً ، ولكن سب مروان وابن مروان ، ثم قال : أيخوفني عبد الملك بالحرب ، وأنا ابن الحرب وأخوها ، فيها ولدت ، وفيها غذيت .

حدثني عبدالله بن صالح بن مسلم العجلي أخبرني الثقة عن مجالد عن الشعبي قال : دخلت على عبد الملك فصعّد فيّ بصره وصوبه ثم قال : يا شعبي إنك لضئيل ، فقلت : زوحمت في الرحم يا أمير المؤمنين ، وكان توأما ، قال : ثم أنشأت أقول متمثلاً :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وكأين ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم

قال وكان الأخطل حاضراً فقال :

لا يعجبنك من جليس خطبة ... حتى يكون مع المقال أصيلا
إن الكلام من الفؤاد وإنما ... جعل الكلام على العقول دليلا[1]

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

قال الشعبي : فأنشدته في هذا المعنى غير شعر ، فقال الأخطل : أنا أفرغ من وعاء واحد وأنت تفرغ من أوعية كثيرة .

المدائني عن ثور بن يزيد قال : ذكرت خطباء أهل الشام الخلافة فعظموها ، ثم أطروا عبد الملك ، فالتفت إلى عبد الرحمن بن زرعة الحميري فقال : يا بن زرعة ما منزلتي عند الله عزوجل ؟ قال : أما ترضى أن تكون منزلتك منزلة داود النبي ﷺ قال الله عزوجل : ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾[1] الآية قال : فهذا قول الله عزوجل لنبيه ، فكيف بك ، فأطرق عبد الملك فلم يتكلم .

المدائني قال : دخل رجل من بني تميم على عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين إن لي بلاء ، أصيبت عيني يوم الدار فوصله .

وكان لرجل من جلساء عبد الملك وأحبائه ابن أعور فقال له : إني مدخلك على أمير المؤمنين فقل له كما قال فلان التميمي وأراد أن يضحك عبد الملك منه ، فأدخله عليه فقال كما قال الرجل الأول ، فقال : ومن يعلم صدقك؟ قال: هذا ـ يعني ابن عمه ـ. قال:كذب والله يا أمير المؤمنين ما أصيبت عينه إلا يوم المرج مع الضحاك بن قيس فطرده عبد الملك ، فقال الرجل الذي أدخله : يا أمير المؤمنين هذه ورطة قد وقعت فيها ، قال عبد الملك : وكيف ؟ قال : إن له أربع بنين كالأسود ما آمنهم أن يفتكوا بي فأمر له عبد الملك بمال ، وقال كفهم عن نفسك بهذا ، فلما خرج من عند عبد

١ ـ سورة ص ـ الآية : ٢٦ .

الملك تلقاه بنو الرجل فقالوا : غررت أبانا وغررت به ، قال : لا تعجلوا فالذي صنعت خيرٌ هذه صلة أمير المؤمنين ، فدفعها إلى أبيهم فكفوا عنه .

المدائني قال:قال عبد الملك لأبي الزعيزية مولاهم : هل اتخمت قط ؟ قال:لا ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنا إذا طبخنا أنضجنا ، وإذا مضغنا أدققنا ولا نكد المعد ولا نخليها .

المدائني قال : لما بلغ عبد الملك خروج ابن الأشعث ، قال لمحمد بن عمير بن عطارد ، وهو عنده : من بالعراق ممن إن دعا أُجيب ؟ قال : لا أعلمه إلا أن يكون عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

المدائني قال عبد الملك : اللحن في الرجل الشريف كالجدري في الوجه الحسن .

وقال عبد الملك لابن له لحن بين يديه : اخْزَ من اللحن كما تخزى من الفاحشة يعلمها الناس . قال : وقال عبد الملك لعبد العزيز أخيه حين أمره بقتل عمرو بن سعيد الأشدق، فلم يفعل: لقد أشبهت أُمك الأعرابية البائلة على عقبيها ، فحلف عبد العزيز أن لا يعطي شاعراً يمدحه حتى يذكر أُمه في مديحه ، فقال ابن قيس الرقيات :

أُمك بيضاء من قضاعة في الـ ... بيت الذي يستظل في طنبه
وأنت في الجوهر المهذب من ... عبد مناف يداك في سببه[1]

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : كان يقال:معاوية أحلم وعبد الملك أحزم .

---

١ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ص ١٤ .

المدائني عن جويرية بن أسماء قال : كتب مروان إلى معاوية يسأله أن يصير إلى عبد الملك ديوان المدينة فصيره ، فلم يزل عليه حتى كانت الفتنة .

المدائني قال عبد الملك : ما رأيت هذا البربط الأقنىٰ الذي يذكرونه قط ، فقال بعضهم : صدق لم يرتفع إلي البربط إنما رأى الطنبور وقال آخر: كذب والله إني لأراه يضرب به .

المدائني عن عبدالله بن سلم قال : فرش لعبد الملك على سطح وهو يشتكي فمه ، فلما استلقى على فراشه قال : يا دنيا ما أطيبك مع العافية ، وكان يصيح حتى يسمع صياحه من خارج القصر : يا أهل العافية لا تستقلوها .

المدائني قال : ركب عبد الملك في يوم شديد البرد ، وعليه جباب خز مظاهرة ، فلقيه علي بن عبدالله بن عباس فقال : يا أبا محمد تدق أم دفر[1] دقا ، يعني الدنيا ، فما أتت عليه جمعة حتى مات .

المدائني عن سحيم بن حفص قال : أوصى عبد الملك بنيه في مرضه الذي مات فيه فقال : أوصيكم بتقوى الله فإنها أزين حلية ، وأحصن كهف ، ليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حق الكبير ، وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فإنه نابكم الذي عنه تفترون ، ومجنكم الذي عنه ترمون ، وأكرموا الحجاج فإنه الذي وطأ لكم المنابر ، ودوخ لكم البلاد ، وأذل الأعداء ، وكونوا بني أم بررة لا تدب بينكم العقارب ، وكونوا في الحرب أحراراً ، فإن القتال لا يقرب منيه قبل وقتها ، وكونوا للمعروف

١ ـ أم دفر : الدنيا .

منازل فإن المعروف شيء يبقى آخره وذخره وذكره ، وضعوا معروفكم عند ذوي الأحساب ، فإنهم أصون له ، وأشكر لما يؤتى إليهم منه ، وتغمدوا ذنوب أهل الذنوب ، فإن استقالوا فأقيلوا ، وإن عادوا فانتقموا .

المدائني عن أبي إسحق الزيادي قال : قال بعض أطباء عبد الملك : إن شرب الماء مات ، فاشتد عطشه فقال : يا وليد اسقني قال: لا أعين عليك ، فقال : يا فاطمة اسقيني ، فقامت لتسقيه فمنعها الوليد فقال له عبد الملك لتدعنها أو لأخلعنك ، فقال : لم يبق بعد هذا شيء فسقته فخمد .

المدائني قال : جعل عبد الملك يقول حين احتضر[1]

إن بني صبية صيفيون
أفلح من كان له ربعيون
إن بني صبية صغار
أفلح من كان له كبار

فقال عمر بن عبد العزيز وهو عنده : ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾[2] قالوا: ودخل الوليد على عبد الملك وعند رأسه فاطمة ابنته وهي تبكي ، فقال : كيف أمير المؤمنين ؟ قالوا : هو صالح ، فلما خرج قال عبد الملك :

ومستخبر عنا يريد أخا الردى ومستخبرات والدموع سواجم

قالوا : وكان عبد الملك يقول : أخاف الموت في شهر رمضان ، فيه ولدت ، وفيه فطمت ، وفيه جمعت القرآن ، وفيه بايع لي الناس ، فمات

١ ـ تحكى هذه القصة عن سليمان بن عبد الملك وقت إحتضاره .
٢ ـ سورة الأعلى ـ الآيتان : ١٤ ـ ١٥ .

للنصف من شوال حين أمن الموت في نفسه ، وكان موته في سنة ست وثمانين ، وهو ابن ثلاث وستين ، بدمشق ، وكانت ولايته بعد مقتل ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وخمسة عشر يوما ، ودفن خارج باب الجابية بدمشق ، وصلى عليه الوليد فتمثل هشام أو سليمان :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال له الوليد : اسكت فإنك تتكلم بلسان شيطان ألا قلت كما قال أوس بن حجر :

إذا مقرم مِنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ تمخط منا ناب آخر مقرم [١]

وقيل إن سليمان المتمثل بالبيت الأول ، لأن هشاما كان يوم مات أبوه ابن أربع عشرة سنة ، وولد عام قتل مصعب .

قالوا : ولما أخرج عبد الملك احتزم الوليد ومشى بين يدي سريره ، وكان في طريقهم إلى المقابر دار إذا هدمت كان الطريق أقرب إلى المقابر ، فأمر الوليد بهدم الدار قبل أن تخرج الجنازة ، فهدمت[٢] .

وخطب الوليد حين رجع من الجنازة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : لم أر مثلها مصيبة ، ولم أر مثله ثوابا ، فإن لله وإنا إليه راجعون لعظم المصيبة ، والحمد لله على حسن العطية ، إني قد كفيت ما كانت الخلفاء قبلي تتكلم به ، فمن كان في قلبه شك فليمت بدائه ، من أمال أذنه أملنا أذنيه .

---

١ ـ ديوان أوس بن حجر : ط . بيروت ١٩٧٩ ص ١٢٢ .
٢ ـ بهامش الأصل : بلغ العراض بالأصل الثالث ولله الحمد . نصف الكتاب .

قال الشاعر يرثى عبد الملك :

سقاك ابن مروان من الغيث مسيل أَحَشَّ شـمالي يجـود ويهـطل
فما في حياة بعد موتك رغبة لِحُرٍّ وإن كنا الـوليـد نؤمـل

ورثاه كثير وغيره .

خبر رستقاباذ
في أيام عبد الملك وولاية الحجاج
ابن يوسف بن الحكم بن أبي
عقيل العراق

حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه، عن لوط بن يحيى ، وعن عوانة : أن بشر بن مروان هلك بالبصرة وهو على الكوفة والبصرة واستخلف خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص على البصرة ، فمكث نحواً من شهرين ، ثم ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق كله ، غير خراسان وسجستان ، فإنه كان عليهما أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فأقره عبد الملك سنتين بعد قدوم الحجاج من الحجاز ، وأبى عبد الملك أن يقر خالداً على عمله، وكلم في ذلك فلم يجب إليه، وقال: أساء التدبير، وعجز عن العراق ، وضعف عن أهل المصر ، فقدم الحجاج من الحجاز ، وكان واليا عليه ، فاقبل حتى دخل الكوفة متلثما فقصد إلى المنبر ، فصعده ، ثم جلس ساعة لا يتكلم ، فقال محمد بن عمير بن عطارد للهيثم بن الأسود : ما له ـ ترحه الله ـ لا يتكلم ؟ ما أعياه وأشنأهُ وأَدَمَّهُ ! والله إني لأظن خبره أسوأ من مرآته ، ثم أخذ كفا من حصى ليحصبه ، فلم يفعل حتى قام الحجاج ، فحسر نقابه ثم قال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها .
قد شمرت عن ساقها فشمري ليس هذا أوان عُشِّكِ فادرجي
هذا أوان الشد فاشتدي زيم
قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي إبل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم
قد لفها الليل بعصلبي
مهاجر ليس بأعرابي

إني والله يا أهل العراق لا أحلق إلا فريت ولا أعد إلا وفيت ، والله إني لأحمل الشر بثقله وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله . إن الله ضرب ﴿مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[1] . فأنتم أولئك ، أو أشباه أولئك ، فاستوسقوا وآستقيموا ولا تميلوا ، فقد بين الصبح لذي عينين ، والله لأمرينكم بالهوان حتى تدوروا ، ولأعصبنكم عصب السلمة حتي تذلوا ، ولأقرعنكم قرع المروة حتى تلينوا ، ولأضربنكم ، ضرب غريبات الإبل حتي تنقادوا ؛ إنه والله ما يقعقع لي بالشنان ، ولا أغمر تغماز التين ، ولا أجلس على الدَّبَر ؛ إني أمرؤ فررت عن ذكاء ، وجريت إلى الغاية وأنتضيت عن تجربة ، إن أمير المؤمنين عبد الملك نكت كنانته ، ونثلها

بين يديه ، وعجم عيدانها ، فوجدني أمرها معجماً ، وأشدها مكسراً ، فوجهني إليكم ، ورمى بي في نحوركم ، فأنتم أهل بغي وخلاف ، وشقاق ونفاق ، طالما أوضعتم في الضلال ، وسننتم سنن الغي تسائلون ماذا قال أميركم؟ وماذا يقول؟ وها، وها. وإياي وهذه الزرافات والجماعات، وكان ويكون ، وما أنتم وذاك ؟ إني أرى الدماء بين العمائم واللحى ، والذي نفس الحجاج بيده لتسلكُنّ طريق الحق ، ولتستقيمن عليه ، أو لأجعلن لكل امرىء منكم شغلاً في جسده ، فاقبلوا الإنصاف ، ودعوا الإرجاف ، وقول القائل منكم : أخبرني فلان عن فلان ، قبل أن أوقع بكم إيقاعاً يترك النساء أيامى ، والولدان يتامى ، فتقلعوا وقد جنيتم العافية ، وغنمتم حظوظكم من السلامة ، الا ولا يركبن رجل إلا وحده ، ولا يحفظن إلا نفسه . فقال محمد بن عمير : لله أبوه ! لقد كدنا نقع منه في شر ، وجعل الحصا يتناثر من بين أصابعه .

وقال المدائني في إسناده : قدم الحجاج في سنة خمس وسبعين في رجب ، فبدأ بالكوفة ، فخطب أهلها وتوعدهم ، وأرسل إلى وجوههم ، وإلى كثير من العامة ، فقال : أخبروني عن الولاة قبلي ، ما كانوا يعاقبون به العصاة ؟ قالوا : الضرب والحبس ، قال : لكني لا أعاقبهم إلا بالسيف ؛ إن المعصية لو ساغت لأهلها ما قتل عدو ، ولا جبي فيء ، ولا عز دين ، ولو لم يغز المسلمون المشركين ، لغزاهم المشركون . وقد أجلتكم ثلاثاً ، فمن وجدته بعد ثالثة من جيش ابن مخنف ، فبرئت منه الذمة .

وقال ليزيد بن علاقة السكسكي صاحب شرطه : آجعل سيفك سوطاً ، فمن وجدته بعد ثالثة عاصياً فاقتله .

وقيل إن الحجاج قال في خطبته :

جاءت به والقلص الأعلاط[1] تهوي هوي سائق الغطاط[2]

ليس هذا أوان عشك فادرجي .

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي عن ابن كناسة الأسدي ، قال : حدثنا أشياخنا قالوا : قدم الحجاج الكوفة ، فخطب خطبته التي توعد الناس فيها ، ثم قال : إياي وهذه الجماعات والزرافات والإخبار والاستخبار وسوء الأراجيف ، لا يركبن أحد منكم إلا وحده ولا يخافن إلا ذنبه ، إنه لو ساغت لأهل المعصية معصيتهم ، ما جبي فيء ، ولا قوتل عدو ، ولعطلت الثغور ، وأهملت الأمور ، ولو لا أنكم تُغَزُّونَ كرهاً ما غزوتم طوعاً ، وقد بلغني رفضكم المهلب ، وإقبالكم إلى مصركم ، عصاة مخالفين ، وأقسم بالله : لا أجد أحداً بعد ثالثة ممن أخل بمركزه ، إلا ضربت عنقه ، ثم دعا بالعرفاء فقال لهم : ألحقوا الناس بالمهلب ، وأتوني بكتبه بموافاتهم ولا أستبطئكم فأضرب أعناقكم .

فلما كان اليوم الثالث من مقدمه ، سمع في السوق تكبيراً عالياً ، فصعد المنبر ، فقال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوىء الأخلاق ، إني سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراد به الله في الترغيب ، ولكنه تكبير يراد به الترهيب ، وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قاصف ، أيا بني اللكيعة ، وعبيد العصا ، وأبناء الأيامى ، إلّا يربع أحدكم على ظلعه ، ويحسن حمل

---

١ ـ العلاط : الطوال من النوق . القاموس .

٢ ـ البعير يغط غطيطا : هدر . القاموس .

رأسه ويحقن دمه ، ويبصر موضع قدمه ، فأقسم بالله ليوشك أن أوقع بكم ، وقعة تكونون بها نكالاً لما قبلها ، وأدباً لمن بعدها . فقام عمير بن ضابىء التميمي ثم البرجمي ، فسأله أن يقبل منه بديلاً ، وكان وطىء على بطن عثمان وهو مقتول فضرب عنقه . قالوا : ولقي رجل أعرابياً من بني تميم ، فقال ما الخبر ؟ قال : قدم الكوفة رجل من شر أحياء العرب ، من هذا الحي من ثمود ، حمش الساقين[1] ، ممسوح الجاعرتين[2] ، أخفش العينين[3] ، فقدم سيد هذا الحي ، فضرب عنقه .

وقال ابن الزبير لإبراهيم بن عامر الأسدي :

أقـول لإبـراهيم لمـا لقيتـه   أرى الأمر أمسى منهباً متشعبا
تحرز فأسرع والحق الجيش لا أرى   سوى الجيش إلا في المهالك مذهبا
تخير فإما أن تزور ابن ضابىء   عميراً ، وإما أن تزور المهلبا
همـا خطتا سوء ، نجاؤك منهما   ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فأمسى ولو كانت خراسان دونه   رآها مكان السوق أو هي أقربا

قالوا : وأتي الحجاج بعاص من بني سعد ، فقال أما سمعت جريراً يقول :

إذا ظفرت يداه بحبل عاص   رأى العاصي من الأجل اقترابا[4]

١ ـ حمش الساقين : دقيق الساقين . القاموس .
٢ ـ الجاعرة : الاست ، أو حلقة الدبر . القاموس .
٣ ـ الخفش : صغر العين ، وضعف البصر خلقة ، أو فساد في الجفون بلا وجع ، أو أن يبصر بالليل دون النهار . القاموس .
٤ ـ ديوان جرير ص ٢١ مع فوارق .

ثم أمر به فضربت عنقه .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان الحجاج يفرض في ثلاثمائة ، ففرض للحرنفش ـ أحد بني ثعلبة بن سلامان ـ وكان يأخذ من فرض له بفرس جواد ، وسلاح شاك فقال الحرنفش :

يكلفني الحجاج درعا ومغفراً وطرفا كميتا رائعاً بثلاث
وستين سهماً صَنعةً يثربية وقوساً طروح النبل غير لباث
ففي أي هذا أجعلن دراهمي فربي من هذا الحديث غياثي

المدائني عن سحيم بن حفص قال : كان قدوم الحجاج الكوفة يوم جمعة فخطب ونزل فصلى ، وقرأ : ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾[1] . وقال في خطبته : أقسم بالله لتقبلن الإنصاف ولتتركن الإرجاف ، وكان وكان ، وأخبرني فلان عن فلان ، والهبر والهبر لأهبرنكم بالسيف هبراً يدع النساء أيامى ، والولدان يتامى ، وحتى تمشوا السمهى[2] ، وتقلعوا عن ها ، وها ، وأياي وهذه الزرافات والجماعات .

وقال أبو مخنف : لما خطب الحجاج خطبته ، أمر مناديه فنادى : أنْ برئت الذمة من عاص مخل بمركزه ، وجدناه بالكوفة بعد ثلاث ، فألحقوا ببعث المهلب ، وبمكاتبكم[3] من الثغور ، ومغازيكم للخوارج .

---

١ ـ سورة المعارج ـ الآية : ١ .

٢ ـ سمه سموها : جرى جريا لا يعرف الاعياء ، وذهبت إبله السمهى : تفرقت في كل وجه . القاموس .

٣ ـ أي حيث كتبت أسماؤهم في ديوان الجند .

وجاءه عمير بن ضابىء بن الحارث بن أرطاة البرجمي ، من بني تميم ، فقال : أصلح الله الأمير إني شيخ كبير عليل ، وهذا ابني حنظلة وليس في بني تميم رجل أشد منه ظهراً وبطشاً ، فإن رأيت أن تخرجه مكاني بديلاً فافعل . فقال الحجاج : والله لهذا خير لنا من أبيه ، فقال له عنبسة بن سعيد ، أخو عمرو بن سعيد الأشدق ، وكان أليف الحجاج وجليسه: إن هذا الذي فعل بعثمان كذا ، وقال كذا ، وحدثه حديث ضابىء ، وأنشده شعره ، وقد كتبناه في مقتل عثمان ، فقال الحجاج : أفهلا بعثت حين أردت غزو عثمان بديلاً . أضربوا عنقه . فضربوا عنقه ، فلما ضربت عنق عمير ، تطايرت عصاة الجيوش إلى مكاتبهم التي رفضوها . ولم يبق من أصحاب المهلب أحد إلا لحق به ، وكان بإزاء الخوارج برامهرمز من الأهواز ، فركب العُرَّاض حين عرفوا حضورهم وعرضوهم ، ولحق كل مخل بثغره ومركزه ، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي شعره المقدم ذكره وهو :

تخير فإما أن تزور ابن ضابىء عميراً وإما أن تزور المهلبا
هما خطتا سوء نجاؤك منهما ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فجاء ولو كانت خراسان دونه رآها مكان السوق أو هي أقربا

وكان الحجاج أول من ضرب أعناق العصاة .

ثم خرج إلى البصرة فولاها الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، وخطب فقال : إن العوان لاتعلم الخِمْرة ، فالزموا الطاعة ، تحسن لكم بها العائدة ، ومن كان بالبصرة من جيش المهلب ، فليلحق به فإني إن وجدت منهم أحداً بعد ثالثة ضربت عنقه ، فأتاه شريك بن عمرو اليشكري ، وكان

به فتق ، وكان أعور يضع علي عينه قطنة ، فسمي ذا الكرسف ، فقال له : أصلح الله الأمير إني عرضت على بشر بن مروان ، فأمر العراض أن يوقعوا على اسمي «زمنا» وأعطوني ، فهذا عطائي قد جئتك به ، لترده الي بيت المال ، فقال الحجاج :

إن لها لسائقاً عشنزرا[1]
على نواحيها مزخا[2] مزجرا
إذا ونـين ونيـة تغشمـرا

ثم أمربه فضربت عنقه لاستعفائه ، وكان عريفاً ، فلم يبق بالبصرة عاصٍ إلا لحق بالمهلب وبمكتبه ، وقيل أن الحجاج أنشد هذه الأبيات :

«إن لها لسائقاً»

بالكوفة في خطبته بها . وقال الفرزدق ويقال كعب الأشعري :

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة تقرقر منها بطن كل عريف[3]

وبلغ المهلب خبر الحجاج ، فقال : لقد أتى القوم والٍ ذكر .

المدائني قال :كان الحجاج يغدي الناس ، إذ أتى قوم من بني سليم برجل فقالوا : هذا عاصٍ فقال : والله ما شهدت عسكراً قط ، ولا أثبت لي اسم قط في ديوان ، وإنما نساج ، فضرب عنقه فأمسك الناس عن الطعام ، فقال الحجاج ما لي أراكم قد اصفرت وجوهكم ، وخلت أيديكم من قتل

---

١ ـ العشنزر : الشديد الخلق ، العظيم من كل شيء . القاموس .
٢ ـ أي الحادي : سار سيراً عنيفا . القاموس .
٣ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .

رجل واحدٍ ؟ كلا والله ، إن الذئب يكنى أبا جعدة ، وإنه من لا يذد عن حوضه يهدم[١] .

وخرج الحجاج إلى رستقاباذ ومعه أهل الكوفة وأهل البصرة وبين رستقاباذ والأهواز ثمانية فراسخ ، وبينها وبين المهلب يومئذ ثمانية عشر فرسخاً ، وإنما أراد أن يشد ظهره وظهور أصحابه بمكانه وأن لا يبرح حتى يهلك الله الخوارج . وبعث بالعراض إلى المهلب برامهرمز ، فقال الشاعر :

قل للمهلب قد أتتك معاشر　　حشروا إليك كحشر أهل البرزخ
طاروا إليك برأس كل طِمِرَّةٍ　　جرداء تحمل كل قرم أبلخ
إني أرى الحجاج يقطع أذرعاً　　بأكفها ورؤوس قومٍ تشدخ
أخذ البريء بما جناه غيره　　إن السعيد هناك من لم يلطخ
أودى عمير والقتال سبيله　　قل للعصاة تحرزي أو دربخي[٢]

وقال سوار بن المُضَرِّب أحد بني ربيعة بن كعب بن سعد ، وكان عاصياً :

أقاتلي الحجاج إن لم أزر له　　دراب وأترك عند هند فؤاديا
يريد درأبجرد[٣]
إذا جاوزتْ قصر المجيزين ناقتي　　فباسْتِ أبي الحجاج لما ثنائيا

---

١ ـ من قول زهير :
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه　　يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

٢ ـ دربخ : طأطأ الرجل رأسه وسط ظهره . القاموس

٣ ـ در أبجرد : كورة بفارس نفيسة معناه دراب كرد ، دراب اسم رجل ، وكرد معناه عمل، فعرب بنقل الكاف إلى الجيم . معجم البلدان .

فإن كنت لا يرضيك حتى تردني إلى قطري ما إن اخالك راضيا
أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي ودوني تميم والفلاة أماميا

قال : المجيزون كانوا يحفظون الطريق ويجيزون السابلة ، ولهم قصر بسفوان البصرة ، يعرف بهم ، كانوا ينزلونه .

قالوا : وقام الحجاج برستقاباذ حين نزلها خطيباً ، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل المصرين ، هذا المكان والله مكانكم ، جمعة بعد جمعة ، وشهراً بعد شهر ، وسنة بعد سنة ، حتى يهلك الله عز وجل هؤلاء الخوارج المطلين عليكم . فقال له الناس:ولم تحبسنا أصلح الله الأمير بهذا المكان ، سر بنا إلى هؤلاء الكلاب فما هم إذا اجتمع أهل المصرين عليهم بشيء . ودخل عليه الوجوه ذات يوم فرأى الهذيل بن عمران بن الفضيل البرجمي ، وكان من أشراف أهل البصرة ، وكان ينادم بشر بن مروان ، وكانت له منه منزلة ، وهو يجر ثوبه ، فقال : يا هذيل ارفع ثوبك ، فقال : إن مثلي أيها الأمير لا يقال له هذا القول فقال الحجاج : بلى والله ، وتضرب عنقه ، فخرج الهذيل وهو يقول : قاتله الله جذيّاً[1] ما أتيهه في نفسه وفي الهذيل يقول الشاعر :

يا أيها السائل في الرفاق
إن الهذيل سيد العراق

ثم إن الحجاج خطب يوماً فقال : إن الزيادة التي زادكم إياها ابن الزبير ، إنما هي زيادة ملحد منافق فاسق ، ولسنا نجيزها . وكان مصعب قد زاد الناس مائة مائة في العطاء ، فقال له عبد الله بن الجارود ، واسم

١ ـ جذياً : يقال رجل جاذٍ أي قصير الباع . العين .

الجارود بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدي : أيها الأمير ، ليست بزيادة ابن الزبير ، إنما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك ، إذ أنفذها وأجازها ، وجرت لنا على يد بشر بن مروان . فقال له الحجاج : ما أنت والكلام لتحسن حمل رأسك أو لأسلبنك إياه . فقال : ولم ؟ والله إني لك لناصح ، وإن قولي هذا لقول مَن ورائي فنزل الحجاج ، ومكث أشهراً لا يذكر الزيادة ، ثم أعاد القول فيها ، فرد عليه ابن الجارود مثل رده الأوّل ، فقام مصقله بن كرب بن رقبة بن خوتعة العبدي ، وهو أبو رقبة بن مصقلة ، الذي يتحدّث عنه[1] ، فقال : إنه ليس للرعية أن ترد على راعيها ، وقد سمعنا ما قال الأمير ، فسمعاً وطاعةً ، فيما أحببنا وكرهنا ، فقال له عبدالله بن الجارود : يا بن الجرمقانية ، وما أنت وما هاهنا ؟ ومتى كان مثلك يتكلم وينطق في مثل هذا ؟ وأتى الوجوه عبدالله بن الجارود ، فصوبوا قوله ورأيه ، في رده على الحجاج ، وإبائه ما أتى به ، وقال له الهذيل بن عمران البرجمي، وعبدالله بن حكيم بن زياد المجاشعي ، وغيرهم : نحن معك ويدك وأعوانك ، إن هذا الرجل غير كافٍ أو ينقصنا هذه الزيادة ، فهلم نبايعك على إخراجه من العراق ، ثم نكتب إلى عبد الملك نسأله أن يولي علينا غيره، فإن أبى خلعناه، فإنه هائب لنا ما دامت الخوارج ، فبايعه الناس سراً ، وأعطوه المواثيق على الوفاء ، وأخذ بعضهم على بعض العهود ، وبلغ الحجاج ما هم فيه ، ففرق بين أخماس أهل البصرة ، وأرباع أهل الكوفة ، وجعل بينهم طرقاً ، وصير فيها حرساً ،

---

١ ـ كتب فوقها بالأصل : الذي يروى عنه الحديث .

وأحرز بيت المال ، والناس في أمرهم . فلما أستتب لهم أمرهم أظهروه ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين ، وأتى عبدالله بن الجارود عبد القيس ، فأخرجهم على راياتهم ، وخرج الناس معه حتى بقي الحجاج وليس معه إلا خاصته وأهل بيته .

وقال المدائني : كان خروجهم قبل الظهر فقال رجل من بني عجل لعبدالله بن الجارود :

أخلق بعبد الله ان يسوسا
وأن يقود جحفلا خميسا
أهل العراقين الكرام الشوسا
ويخلعوا الخليفة المتعوسا
إذ قلدوا أمرهم الرئيسا
أكرم به من قائد قدموسا
نحن قتلنا مصعبا وعيسى
وكم قتلنا منهم بئيسا

وقطع ابن الجارود ومن معه الجسر ، وكانت خزائن الحجاج من ورائه ، وغلبوا على السلاح ، وأرسل الحجاج أعين صاحب حمام أعين وهو في قول الكلبي مولى بشر بن مروان ، وفي قول أبي اليقظان مولى سعد بن أبي وقاص.إلى عبدالله بن الجارود ، فأتى الصف ، فرد ، فقال : إنما أنا رسول ، فأذن له ، فقال : أجب الأمير ، فقال ابن الجارود : ومن الأمير ولا نعمة عين لابن أبي رغالٍ ؟ ولكن ليخرج عنا مذموماً مدحوراً ، وإلا قاتلناه . فقال أعين: أما إذ لم تجبه فأنه أمرني أن أقول لك : أتطيب نفساً بقتلك

وقتل أهل بيتك وعشيرتك ، والذي نفس الحجاج بيده لئن لم تأتني لأدعن قومك عامة ، وأهل بيتك خاصة كأمة قد بادت ، وحديثاً للغابرين . وكان الحجاج قد حمل أعين هذه الرسالة ، وقال له : إن لم يأتني فأوردها إليه ، فقال ابن الجارود لأعين : والله يا بن الخبيثة لولا أنك رسول لضربت عنقك ، وأمر فوجيء في عنقه ، وأخرجوه .

قالوا : واجتمع الناس لابن الجارود ، فأقبل بهم زحفاً نحو الحجاج ، وكان رأيهم أن يخرجوه عنهم ولا يقاتلوه ، فلما صاروا إليه انتهبوا ما في فسطاطه وأخذوا ما قدروا عليه من متاعه ودوابه ، وجاء أهل اليمن حتى احتملوا امرأته ، ابنة النعمان بن بشير الأنصاري ، وجاءت مضر فاحتملوا امرأته الأخرى أم سلمة بنت عبد الرحمن بن سهل بن عمرو القرشي أخي سهيل فحصنوها مخافة السفهاء .

وقال ابن الكلبي وأبو اليقظان : هي أم سلمة بنت عبد الرحمن بن سهل بن سهيل بن عمرو ، وكانت عند الحجاج ، ثم خلف عليها الوليد بن عبد الملك ، ثم سليمان بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك .

ثم إن القوم انصرفوا عن الحجاج وتركوه ، وأتاه قوم من أهل المصرين ، فصاروا معه ، مستوحشين من محاربة السلطان ومخالفته ، فجعل الغضبان بن القبعثرى الشيباني يقول لعبدالله بن الجارود : تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك أما ترى من قد أتاه منكم ؟ ولئن أصبح ليكثرن ناصره وليضعفن مدتكم . فقال : قد قرب المساء ، ولكنا نعاجله بالغداة . وكان مع الحجاج عثمان بن قطن بن عبدالله الحارثي ، وزياد بن عمرو العتكي ، وكان زياد على شرطه بالبصرة، فقال لهما: ما تريان ؟ فقال زياد: أرى أن

آخذ لك من القوم أماناً ، وتخرج حتى تلحق بأمير المؤمنين ، فقد أرفض جمهور الناس عنك ، ولا أرى لك أن تقاتل بمن معك ، ولا أحب لك أن تضيع نفسك وتهلكها، فقال عثمان بن قطن: لكني لا أرى ذلك، إن أمير المؤمنين قد أشركك في أمره ، وخلطك بنفسه ، واستنصحك وسلطك وملكك ، فسرت إلى ابن الزبير ، وهو أعظم الناس خطراً فقتلته ، فولاك الله عز وجل شرف ذلك ، وسناه وذخره وأجره ، وولاك أمير المؤمنين الحجاز ، ثم رفعك إلى ولاية العراقين . أفالآن حين جريت إلى المدى ، وأصبت الغرض الأقصى وهابتك العرب ، تخرج على قعود تدأدى[1] يوجف بك إلى الشام والله لئن فعلتها لا نلت من عبد الملك مثل الذي أنت فيه من السلطان أبداً ، وليتضعن شأنك ، ولتسقطن عنده ، ولتهونن على كل عدوٍ ، ولكني أرى أن نمشي بسيوفنا معك ، فنضارب هؤلاء القوم ، حتى نلقى ظفراً أو نموت كراماً . فقال له الحجاج : قرعتني بما في قلبي قرعاً ، الرأي ما رأيت . فحفظ هذه لعثمان بن قطن ، واحتمل تلك على زياد بن عمرو .

وقال المدائني عن أبي اليقظان : إن عثمان أشار عليه بالقتال ، وان عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي ، وكان على شرطه ، قال له : إنما نحن في عصبة وقد حيل بيننا وبين السلاح . فقال له : إن القليل الطيب خير من الكثير الخبيث وكثيراً ما ينصر الله عز وجل القليل على الكثير .

١ ـ دأدأ : عدا أشد العدو ، أو أسرع . القاموس .

قالوا : وأتى الحجاج مالك بن مسمع فقال إني قد أخذت لك من الناس أماناً فجعل الحجاج يرفع صوته ليسمع الناس فيقول : والله لا أومنهم أبداً حتى يأتوا بالهذيل وعبد الله بن حكيم فإنهما سعرا هذه الفتنة ، ودعا الحجاج ابن الغرق مولاه فقال له: ائت عبيد بن كعب النميري فقل له وكان على خمس أهل العالية : هلم إلي فامنعني فقال : قل له: إن أتيتني منعتك ، فقال: لا والله ولا كرامة. وبعثه إلى محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس فقال له مثل ذلك ، فقال ابن عمير : إن أتاني منعته ، فقال : إنه لا يأتيك ولكنك تأتيه في قومك ، فقال : لا ناقة لي في هذا الأمر ولا جمل ، ثم أرسل إلى عبدالله بن حكيم المجاشعي ، وهو رأس تميم ، يسأله النصر فقال مثل قول أصحابه : يأتيني . وقال له سحيم بن شعيب الحنفي : إن شئت أخذت لك أماناً ولحقت بصاحبك فلم يجبه الحجاج بشيء ، وقال : إن تكلم أو تحرك فاضربوا عنقه ، ثم تكلم الحجاج رافعاً صوته فقال : إن هؤلاء القوم أرسلوا إلي يطلبون مني الأمان ، ولا والله لا أؤمنهم فلم ينطق الحنفي وجلس .

قالوا : ومر عباد بن الحصين الحبطي بابن الجارود والهذيل بن عمران وعبدالله بن حكيم وهم يتناجون فقال : أشركونا في نجواكم ، فقالوا : هيهات أن يدخل في نجوانا أحد من بني الحبط ، فغضب وصار إلى الحجاج في مائة ، فقال له الحجاج : أعلي أم لي ؟ فقال : لك أيها الأمير ، فقال الحجاج : ما أبالي من تخلف بعدك ، وتخاذل الناس وسعى قتيبة بن مسلم في أعصر وقال : والله لا أدع قيسياً على الحجاج يقتل وينتهب ماله وأظاهر ابن الجارود عليه ، فأقبل في نحو من ثلاثين فسلم على الحجاج بالإمرة ، فقال :

أقتيبة بن مسلم ؟ فقال : نعم ، قال : تقدم ، وكان الحجاج قد يئس من الحياة فلما جاءه هؤلاء اطمأن وقد كان هم باللحاق بعبد الملك على كل حال ، ثم أتاه سبرة بن علي الكلابي فسلم وانتسب ، فقال له خيراً ، ثم جاء سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي فسلم عليه ، فقال:ها هنا ادن مني ، وأتاه جعفر بن عبد الرحمن الأزدي فسلم ثم انتسب ، فقال له : قف مكانك أما والله لنعم القوم قومك ، وأرسل إليه مسمع بن مالك بن مسمع إن شئت أتيتك ، وإن شئت أقمت فثبطت الناس عنك ، فبعث إليه : أن أقم فثبطهم .

فلما رأى الحجاج إنه قد اجتمع إليه عدد يمتنع بمثله خرج إليهم ، فكتبهم وعبأهم ، وجعل لهم حرساً ، وتحارس الآخرون أيضاً ، وتلاحق الناس بالحجاج فلما أصبح وطلعت الشمس نظر فإذا حوله نحو من ستة آلاف وذلك الثبت ، وقوم يقولون ألف وستمائة ، وقال عبدالله بن الجارود لعبيدالله بن زياد بن ظبيان : ما الرأي ؟ قال : تركت الرأي أمس حين قال لك الغضبان تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك وقد ذهب الرأي وبقي الصبر فدعا ابن الجارود بدرع فلبسها مقلوبة فتطير ، وحرض الحجاج أصحابه وقال : لا يهولنكم ما ترون من كثرة عدد عدوكم فإنه ليس بكم بحمد الله قلة ولا ذلة ، فشدوا عليهم يتطايروا تطاير الأُجَم [1] المنفر ، إنهم أخور من اليراع وإن صدقتموهم الضرب سألوكم الأمان ، فتزاحف القوم وعلى ميمنة ابن الجارود الهذيل بن عمران ، وعلى ميسرته عبيدالله بن زياد بن ظبيان

١ ـ الآجام : الضفادع . القاموس .

وعلى ميمنة الحجاج قتيبة بن مسلم ويقال عباد بن الحصين وعلى ميسرته سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي ، وحمل ابن الجارود وأقدم أصحابه حتى جاز أصحاب الحجاج ، وعطف عليه الحجاج بأصحابه فاقتتلوا ساعة ، ثم إن سَهْمَ غَرْبٍ جاء يهوي حتى أصاب عبدالله بن الجارود وإنه لكالظاهر على الحجاج فوقع ميتاً ، ويقال إنه لما خرج دخل ديراً قريباً منه ومعه قوم من الهجريين ، فأحرق الدير عليهم ، فخرجوا فقتل ابن الجارود والهجريون ، ونادى منادي الحجاج بإيمان الناس إلا الهذيل وعبدالله بن حكيم ، وأمر أن لا يتبعوا ، وقال الأتباع لهم من سوء الغلبة .

ولما هلك ابن الجارود قال عبدالله بن فضالة الأزدي لعكرمة بن ربعي من بني تيم الله بن ثعلبة ، ولابن ظبيان : قد هلك هذا الرجل ، وما أرى لي إلا اللحاق بخراسان ، فقال عكرمة : أما أنا فلاحق بالشام فقد كان لي عند عبد الملك بلاء هو راع له ، وقال ابن ظبيان : وأنا سأمضي إلى بعض النواحي ، فحملوا حتى إذا اختلط الناس وثار الغبار أخذ كل واحد منهم نحو الوجه الذي أراده ، فأتى عكرمة يزيد بن أبي النمس الغساني واستجار به فكلم فيه عبد الملك وذكر له بلاءه ، وقال:هفا وزل ، فآمنه عبد الملك ، وكان ابن أبي النمس أثيراً عند عبد الملك سمعه يوماً يقول هممت أن أقطع كل حَبَلَةٍ بالشام ، فقال : يا أمير المؤمنين من أحب أن يُعصى عصي فضحك عبد الملك .

وأتى ابن ظبيان سعيد بن عباد بن زيد بن عبد بن الجلندى الأزدي بعمان ، فقيل لسعيد : إنه رجل فاتك فأحذره ، فلما جاء البطيخ بعث إليه بنصف بطيخة قد سمها وقال لرسوله : قل له : هذا أول شيء رأيناه من

البطيخ العام ، فأكلت نصف بطيخة ، وبعثت إليك بنصفها فأكل عبيدالله بن زياد بن ظبيان نصف البطيخة فقتلته ، ولما أحس بالسم قال : أردت أن أقتله فقتلني .

وخرج عبدالله بن فضالة إلى أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد إلى خراسان ، فكان عنده ، ثم أخذه حبيب بن المهلب فبعث به إلى الحجاج فخرجت امرأته فكلمت امرأة عبد الملك فيه ، فكلمته فكتب إلى الحجاج في أمره فآمنه ، وكلم عكرمة بن ربعي روح بن زنباع في الغضبان بن القبعثرى ، فسأل عبد الملك أن يؤمنه فآمنه .

وأتي الحجاج برأس عبدالله بن الجارود فقال اغسلوه ثم عمموه ، ففعلوا ذلك به فقال : هو هو .

وقال عباد بن الحصين ، وسعيد بن أسلم بن زرعة ، وقتيبة بن مسلم للهذيل بن عمران ، وعبدالله بن حكيم : نحن نكلم الحجاج فيكما فعجلا إلى الحجاج فأتياه وهما يجران مطرفيهما فلما نظر إليهما قال : اضربوا عدوي الله ، اقتلوهما ، فمشى عبيدة مولى الحجاج إلى عبدالله بن حكيم ، فقال عبدالله بن حكيم :

علي عهد ذي القرنين كانت مجاشع حتوفاً على الأعداء لداً خصومها

فضربه بالسيف فعثر في مطرفه وقال : إن الراحة منكم لراحة ، ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾[1] ، وقتل سريع مولى الحجاج الهذيل بن عمران ، ثم أمر الحجاج بصلبهم فصلب ابن الجارود بين ابن حكيم

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٨ .

والهذيل ، وبعث برأس ابن الجارود ورؤوس هذين ورؤوس سواها إلى عسكر المهلب ، مع حاتم بن سويد بن منجوف ليبأس الخوارج مما بلغهم من فساد أمر الحجاج ، ويقوى متن المهلب وأصحابه .

ونادى الحجاج في الناس أن يلحقوا بأمصارهم ففرقهم ، وأقبل حتى دخل البصرة ، فقتل أُشَيْم بن شقيق بن ثور الهذلي ، ويقال إنه دخل في أمانه من آمن ، فرآه في مجلسه فقال له : يا أشيم أخرجت مع ابن الجارود ؟ قال : نعم وقد أتى عفوك على ذلك ، وكان مع الحجاج كراز بن كراز العبدي ، وهو صاحب لواء ابن الجارود ، وراشد بن عوف العبدي ، ومسلم مولى مالك بن مسمع ، وعبيدالله بن كعب النميري ، والغضبان بن القبعثرى الشيباني ، أخذهم برستقاباذ ، فحبسهم عنده ، ثم حبسهم بالبصرة أيضاً ، ثم قال لعبيد بن كعب : أنت القائل قل للحجاج يأتيني فإني لا آتيه ؟ ومن أنت يا بن اللخناء ، هل أنت إلا عبد من أهل هجر وحبسه وعذبه حتى مات ، وقال لمحمد بن عمير بن عطارد بن دهمان : أنت القائل لا ناقتي في هذا ولا جملي ؟ لا كانت لك في مثلها ناقة ولا جمل ولا رحل وأنشد :

ثعالب في السنين إذا أَحَصَّتْ وأُسد حين تمتلىء الوطاب

وكان يقال : أن عميراً أباه كان صدر عن عكاظ ، فمر ببني دهمان فعرضوا لامرأته فأخذوها ، ثم ردوها حاملاً .

وحدثني المدائني عن سحيم وغيره قالوا : رأى أبو جابر العبدي وكان جسيماً ابن الجارود مصلوباً بين الهذيل وبين حكيم وكان عبدالله بن الجارود

قصيراً يسمى لقصره بظير العناق فقال : ليتني كنت بينهما فقد فضحنا هذا بقصره .

قالوا : وكتب الحجاج إلى عبد الملك : «أما بعد فالحمد لله الذي حفظ أمير المؤمنين ، إني لما نزلت منزلي من رستقاباذ وثب علي أهل العراق فخالفوني ونابذوني ، ودخل فسطاطي ، وانتهبت أموالي ، وقالوا اخرج من بلادنا إلى من بعثك إلينا ، ففارقني البعيد ، وأسلمني القريب ، ويئس مني الشفيق ، فشددت عليهم بسيفي ، ولقيتهم بشيعتي ، وقلت الموت قبل البراح ، فوالله ما رمت العرصة حتى جعل الله لأمير المؤمنين منهم أنصاراً ، فضربت بمقبلهم مدبرهم وبمطيعهم عاصيهم ، فقتل الله عزوجل طاغية القوم عدو الله ابن الجارود ، وثمانية عشر من رؤوسهم ، وضرب الله عزوجل وجوههم ، فأخذوا شرقاً وغرباً ، ثم إني آمنت الناس غائبهم وشاهدهم ، فتراجعوا واجتمعوا وألحقت الناس بأمصارهم ، ولله الحمد كثيراً ، والسلام» .

فكتب إليه عبد الملك : «أما بعد فقد بلغني كتابك ، وأنت الناصح النجيب الأمين بالغيب القليل العيب ، فإذا رابك من أهل العراق ريب فاقتل أدناهم ، يرعب منك أقصاهم والسلام» .

وقال المدائني: أتي الحجاج بخليفة بن خالد بن الهرماس وقد ضرب على وجهه ، فقال له الحجاج : من أنت ؟ قال : أحد الكفرة الفجرة ، قال : خلوا سبيله ، فقال له سويد بن صامت العجلي هذا الذي يقول :

فلله حجاج بن يوسف حاكماً أراق دماء المسلمين بلا جرم

فأمر بخليفة فقتل .

قالوا : وبعث عبد الملك عبد الرحمن بن مسعود الفزاري إلى الحجاج ، وأهل العراق لينظر في مظالمهم ، وما يشكون من الحجاج ، وأمر بإطلاق كراز وقد كان قد كلم فيه ، فبلغ الحجاج ذلك فعجل على كراز وراشد بن عوف ، ومسلم مولى مالك بن مسمع فقطع أيديهم وأرجلهم ، فدخل ابن مسعود ودماؤهم تشخب ، ولما قدم ابن مسعود على الحجاج صعد الحجاج المنبر ، وصعد ابن مسعود درجتين أو ثلاثاً ، ثم قال : ألا من كان يطلب الحجاج بمظلمة فليقم ، فقال الحجاج : مه ، فقال : لا والله ما من مه ، ثم قال : يا أهل العراق جمع الله لكم خير الدنيا والآخرة فإياكم والشقاق والفتنة ، إني قد تركت ورائي خيلاً من حديد وقوماً لهم دين وليست لهم دنيا ، فإياكم أن تجمعوا دنياكم إلى دينهم ، ثم إنه انصرف إلى عبد الملك فأخبره بسوء سيرة الحجاج وظلمه وعذابه الناس، فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى عبد الملك : «إن ابن مسعود امرؤ ظنين علي ، قد بلغني أنه أساء علي الثناء ، وإن شيعة ابن الزبير لن تحبني أبداً ، وهو من شرارها وفجارها ، وليس مثله قُرِّبَ ولا صدق ، والسلام» ، فكتب إليه عبد الملك : «أما بعد فقد بلغني كتابك في ابن مسعود ، وليس مثله اتهم ، ولا ظن به ظن السوء ، والسلام» .

وكان ابن مسعود صديقاً لحضين بن المنذر ، فلقيه فسلم عليه فقال الحضين : ومن أنت عافاك الله ؟ فأعلم الحجاج ذلك ، فقال الحجاج : يا حضين أتعرف هذا ، قال:لا ، قال : كذبت ولكنك خفت أن يبلغني أنك سلمت عليه فأظن بك أنك تبلغه الأخبار قال : صدق الأمير وَبَرَّ ، قال : فلا تخف ، فسلم عليه حضين وكلمه .

وقال الحكم بن المنذر بن الجارود :

أبا مطر أقررت عين عدونا وكل إلى ما صرت سوف يصير
أبا مطر لو يدفع الموت بالفدا لكان رجال مشفقون كثير
أبا مطر لو يدفع الموت بالرشا لقد كان مال سارح وبدور

وقال الشاعر :

بكر النَّعيُّ بسيد الأمصار حامي الذمار وناقص الأوتار
بابن المعلى ذي السماحة والندى كهف الضعيف وطالب الآثار
عثرت به بعض الجدود وهَدَّنا يا للرجال لجدنا العثار

قالوا:وكان غضبان بن القبعثرى محبوسا عند الحجاج فكلم عكرمة بن ربعي روح بن زنباع في أمره فكلم عبدالملك في إيمانه فكتب بذلك إلى الحجاج فدعا به الحجاج فقال له:قد سمنت يا غضبان وصفا لونك ؟ قال : القيد والرتعة ، ومن يكن ضيف الأمير يسمن ، قال : أنت القائل لابن الجارود : تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك ؟ قال : ما نفعت من قالها ولا ضرت من قيلتْ له قال: أتحبني قال : أوفرق خير من حب، قال: ولم لا تحبني ؟ قال : لأنك أخذت مالي ووضعت شرفي قال : فإن رددت مالك ورفعت قدرك ؟ قال : الرضا مع الاحسان والسخط مع الغضب قال : لأحملنك على الأدهم قال : مثل الأمير حمل على الأدهم والكميت ، قال : إنه حديد ، قال : يكون حديداً خير من أن يكون تليداً فحمل من بين يديه ليطلق من حديده ، فلما استقل به من حمله قال : الحمد لله ﴿الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾[1] فضحك الحجاج .

١ ـ سورة الزخرف ـ الآية : ١٣ .

قالوا : [1] وقتل مع ابن الجارود عبدالله بن أنس بن مالك الأنصاري ، وكان شجاعاً شديد البطش ، حمل بخراسان بدرة بفمه فعبر بها نهراً ، فلما بلغ الحجاج خبر مقتله قال : لا أرى أنسا يعين علي ، فلما دخل البصرة استصفى مال أنس ، فأتاه فلما دخل عليه قال : لا مرحبا ولا أهلا إيها يا خبيث، شيخ ضلالة جوال في الفتن، مرة مع أبي تراب، ومرة مع ابن الزبير ، ومرة مع ابن الجارود أما والله لأجردنك جرد القضيب ، ولأعصبنك عصب السلمة ، ولأقلعنك قلع الصمغة ، فقال أنس : من يعني الأمير ؟ قال إياك أصم الله صداك فرجع أنس فأخبر ولده بما لقيه الحجاج به فأشاروا عليه بأن يكتب بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه كتاباً شكا فيه الحجاج وما صنع به وما قال له ، فأجابه جواباً لطيفاً ، وكتب إلى الحجاج : «أما بعد يا ابن أم الحجاج فإنك عبد طمت بك الأمور فعلوت فيها حتى عدوت طورك وتجاوزت قدرك ، وأيم الله يا ابن المستفرمة[2] بعجم الزبيب لأغمزنك غمزة كبعض غمزات الليوث الثعالب ، ولأخبطنك خبطة تود لها أنك رجعت في مخرجك من بطن أمك ، أما تذكر حال آبائك بالطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ، ويحتفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومناهلهم ، أم نسيت حَال آبائك في اللؤم والدناءة في المروءة والخلق ، وقد بلغ المؤمنين الذي كان منك إلى أنس بن مالك جرأة وإقداماً ، وأظن أنك أردت أن تسبر ما عند أمير المؤمنين في أمره ، فتعلم إنكاره ذلك أو إغضاءه

---

١ - بهامش الأصل : قصة أنس بن مالك مع الحجاج .
٢ - الفرم والفرمة : دواء تتضيق به المرأة . القاموس .

عنه ، فإن سوغك ما كان منك مضيت عليه قدما ، فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين أصك الرجلين ، ممسوح الجاعرتين ولو لا أن أمير المؤمنين يظن أن الكاتب كثر في الكتاب من الشيخ إلى أمير المؤمنين فيك لأتاك من يسحبك على ظهرك وبطنك حتى يأتي بك أنسا ، فيحكم فيك ، فأكرم أنسا وأهل بيته ، وأعرف له حقه وخدمته رسول الله ﷺ ، ولا تقصر في شيء من حوائجه ، ولا يبلغن أمير المؤمنين عنك خلاف ما تقدم فيه إليك من أمر أنس وبره وإكرامه ، فيبعث إليك من يضرب ظهرك ويهتك سترك ، ويشمت بك عدوك ، والقه في منزله متنصلاً إليه ، وليكتب إلى أمير المؤمنين برضاه عنك إن شاء الله ، والسلام» . وبعث بالكتابين مع إسماعيل بن عبد الله مولى بني مخزوم ، فأتى إسماعيل أنسا بكتاب عبد الملك إليه فقرأه ، ثم أتى الحجاج بالكتاب إليه ، فجعل يقرأه ووجهه يتغير ويتمعر وجبينه يرشح عرقاً وهو يقول : يغفر الله لأمير المؤمنين ، فما كنت أظنه يبلغ مني هذا كله ، ثم قال لإسماعيل : آنطلق بنا إلى أنس ، قال إسماعيل : فقلت : بل يأتيك ، قال : فنعم ، فأتى أنسا فاقبلا جميعاً حتى دخلا على الحجاج فرحب به الحجاج وأدناه وقال يا أبا حمزة عجلت يرحمك الله باللائمة والشكية إلى أمير المؤمنين قبل أن تعلم كل الذي لك عندي ، إن الذي فرط مني إليك عن غير نيَّة ولا رضا بما قلت ، ولكني أردت أن يعلم أهل العراق إذ كان من ابنك ما كان أني إذا بلغت منك ما بلغت ، كنت إليهم بالغلظة والعقوبة أسرع ، فقال أنس:ما شكوت حتى بلغ مني الجهد ، وحتى زعمت أننا الأشرار ، وقد سمانا الله جل وعز الأنصار ، وزعمت أننا أهل النفاق ونحن الذين تَبوَّأوا الدار والإيمان وسيحكم الله عز وجل بيننا وبينك ، فهو أقدر علي الغِيرِ

لا يشبه الحق عنده الباطل ، ولا الصدق الكذب ، وزعمت أنك اتخذتني ذريعة وسلما إلي مساءة أهل العراق باستحلال ما حرم الله عز وجل عليك مني ، ولم يكن بي عليك قوة ، فوكلتك إلى الله عز وجل ، وإلى أمير المؤمنين فحفظ من حقي ما لم تحفظه ، فوالله لو أن النصارى على كفرهم رأوا رجلاً خدم المسيح عيسى بن مريم يوماً واحداً لعرفوا من حقه ما لم تعرفه من حقي ، وقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، وبعد ، فإن رأينا خيراً حمدنا الله عز وجل وأثنينا به ، وإن رأينا غير ذلك صبرنا والله المستعان ، فرد الحجاج عليه ما كان قبض من أموالهم .

قالوا : وأتي الحجاج بدينار صاحب حفرة، وكان هدم قصر الحجاج فأخذه ببنائه ، فلما بناه ضرب عنقه بين شرفتين منه ، ويقال ذبحه بينهما ، وقتل زياد بن مقاتل بن مسمع في المعركة ، ويقال قتل مع ابن الأشعث فبكته أخته فقالت :

أعيني جـودي ولا تجمـدي   وبكي زعيم بـني جحـدر

وقتل الحريش بن هلال ، ويقال قتل يوم [دير] الجماجم ، وقتل عبد الله بن رزام فقالت فيه امرأة :

على ابن رزام تبكي العيون   ومثل الحريش الفتى الأزهر

وقال بعضهم : قتل أبو رهم بن شقيق بن ثور ، والثبت أنه خرج مع ابن الأشعث، فرآه الحجاج في مجلسه، فقال له: أخرجت علي؟ فقال: أتى عفوك علي ذنوبنا ، فقال لبعض من معه : ضع هذا المنديل في عنقه وأخرجه فاضرب عنقه .

قال ابن الكلبي دخل البراء بن قبيصة الثقفي علي عبد الملك ، وكان الحجاج يطلبه لخروجه مع ابن الأشعث فأنشده قوله :

أرى كل جار قد وفى بجواره وجار أمين الله في الأرض يخذل

ويروى : وجار أمير المؤمنين المؤمل .

وفى ابن أبي النمس اليماني بجاره وروح بن زنباع ، وجارك يؤكل

وراح الفتى البكري ينفض عطفه وذا ابن عمير آمنا ما يزلزل

فما هكذا كنتم إذا ما أجرتم وما هكذا كانت أمية تفعل

فقال له : صدقت وآمنه ، وأمر الحجاج أن يمسك عنه .

أمر شارَزَنْجي[١] والزنج
الذين خرجوا بفرات البصرة

حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء قال: سمعت علي بن نصير الجهضمي يحدث عن جرير بن حازم عن عمه الصعب قال: تجمع الزنج بفرات البصرة في آخر أيام مصعب بن الزبير، ولم يكونوا بالكثير فأفسدوا، وتناولوا الثمار، وولي خالد بن عبد الله بن أسيد البصرة وقد كثروا فشكا الناس ما نالهم منهم، فجمع لهم جيشاً كثيفاً، فلما بلغهم ذلك تفرقوا، وقدر على بعضهم فقتلوا وصلبوا، فلما كان من أمر عبد الله بن الجارود وخروجه على الحجاج مع وجوه أهل العراق ما كان، وهو برستقاباذ، خرج الزنج أيضاً، فاجتمع منهم خلق من الخلق بالفرات وصيروا عليهم رجلاً منهم يقال رياح شيرزنجي، ومعنى شارزنجي أسد الزنج فلما فرغ الحجاج من أمر من خرج عليه برستقاباذ وعاد إلى البصرة وجه إليهم فقتلوا؛

١ ـ شار بالفارسية: لقب ملك الحبشة، وتعني أيضاً: دولة، مملكة، مدينة وسياق الخبر قد يرجح هذا التفسير على الذي سيقدمه المصنف بعد قليل.

وحدثني روح بن عبد المؤمن عن عمه ـ يعني أبي هشام ـ قال حدثني سحيم بن حفص وغيره أن الزنج خرجوا أيام الحجاج بالفرات وعلى شرطة البصرة زياد بن عمرو العتكي ، فوجه إليهم زياد حفصا ابنه في جيش من مقاتلة البصرة ، وذلك بأمر الحجاج فواقعهم فقتلوه وهزموا أصحابه ، وكان على الأبلة كراز بن مالك السلمي ثم البهزي .

وحدثني روح بن الوليد بن هشام بن قحذم قال : خرج شيرزنجي بالفرات وآتبعه خلق من الزنج ومعهم لفيف من أهل الكَلّاء[1] وغيرهم بيضان ، فغلب على كورة الفرات ، وكان على الأبلة والفرات يومئذ كراز السلمي وذلك في أيام خروج الحجاج إلى رستقاباذ ، فكتب شيرزنجي إلى كراز السلمي : «من أمير المؤمنين رياح شيرزنجي إلى كراز السلمي ، أما بعد : فقد حضرت ولادة سِكَّةَ أم المؤمنين ، فآبعث إليها امرأتك لتقبلها ، والسلام» . فهرب كراز وأخلى عمله ودخل البصرة ، ثم إن زياد بن عمرو العتكي وجه إليه وهو على شرطة البصرة ، وخلافة الحجاج بها جيشا عليه ابنه حفص بن زياد ، فقاتله أشد قتال ، فقتل حفصا وهزم أصحابه ، وقوي أمر شيرزنجي ، فلما قدم الحجاج البصرة قال : يا أهل البصرة إن عبيدكم وكساحيكم رأوا معصيتكم فتأسوا بكم ، وأيم الله لئن لم تخرجوا إلى هؤلاء الكلاب فتكفوني أمرهم لأعقرن نخلكم ، ولأنزلن بكم ما أنتم له أهل باستخراجكم وفسادكم ، فانتدب الناس من كل خمس من أخماس البصرة ،

---

١ ـ الكلاء : هو مكان ترفأ فيه السفن ، وهو ساحل كل نهر ، والكلاء : اسم محلة مشهورة وسوق بالبصرة . معجم البلدان .

ووجه عليهم وعلى جماعة من المقاتلة كراز بن مالك السلمي فلم يزل يقاتل الزنج حتى صاروا إلى صحارى دورق[١] ، فواقعهم هناك فقتل شيرزنجي والزنج ، فقل من أفلت منهم ، قال فلما قال جرير للأخطل :

لا تـطلبن خؤولـة في تغلب   فـالزنـج أكرم منهم أخـوالا[٢]

إنبرى له سنيح بن رياح مولى بني سامة بن لؤي فقال :

إن الفـرزدق صخـرة عـاديـة   طالت فليس ينالهـا الأوعالا[٣]
ورميت تغلب وائل في دارهم   فـأصبت عنـد التغلبي نضـالا
والزنج لو لاقيتهم في حربهم   لاقيت ثم حجـاجـاً أبـطالا
قتلوا ابن عمرو حين رام رماحهم   ورأى رماح الزنـج ثم طوالا
هذا ابن عجل قد علمتم منهم   غلب الـرجال سماحة وفعـالا
وبنو الحباب مـطاعم ومطاعن   عنـد الشتـاء إذا تهب شمالا
وبنـو زبيبـة عنـتر وهـراسـة   وسليـك المتـحمـل الأثـقـالا
والزنج قد شهد النبي بجودهم   وببـأسهم إن حاربـوا الأقتـالا

يعني بابن عمرو زياد بن عمرو ، وبابن عجل عبدالله بن خازم السلمي كانت أمه سوداء يقال لها عجل ، وكانت أم عمير بن الحباب سوداء ، وكانت أم سليك سلكة سوداء ، وقوله : شهد النبي بجودهم ، ذهب إلى الحديث الذي روي أن النبي ﷺ قال في السودان : «إن فيهم

١ ـ دورق : بلد بخوزستان . معجم البلدان .
٢ ـ ديوان جرير ص ٣٦٣ .
٣ ـ بهامش الأصل : أي طالب الأوعال ، فليس ينالها ، يعني حفص بن زياد بن عمرو .

لخلتي صدق:السماحة والنجدة» ، وروى سفيان بن عيينة وعمرو بن عوسجة مولى ابن عباس قال : ذكر الحبش عند النبي ﷺ فقال : «لا خير في الحبش وإن فيهم لخلتين إطعام الطعام ، وبأس عند البأس»[1] .

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم ابن عدس وهشام بن الكلبي قالا : دخل الوليد بن يزيد بن عبد الملك على هشام وعنده ولده ، وفيهم مسلمة بن هشام المكني أبا شاكر ، فقال الوليد لمسلمة ، وكان ظريفاً : ما اسمك ؟ قال : شيرزنجي يعرض بأنه يكثر شرب النبيذ إكثار الزنج ، ويطرب طربهم ، وكان شيرزنجي خرج بفرات البصرة في خلق من الزنج فقتل ، فلما قام الوليد ليخرج قام معه أبو شاكر فوثب الوليد على فرسه ولم يمس السرج ولا المعرقة ، فأعجبه فعله ، فقال لأبي شاكر : أيصنع أبوك مثل هذا ؟ فقال أبو شاكر : لأبي مائة عبد يصنعون مثل هذا وأكثر منه ، فبلغ هشاماً ذلك ، فقال : ما له قاتله الله وما أظرفه ، على أنه قد غلبني مجوناً .

---

١ ـ انظره في كنز العمال ـ الحديث ٢٥٠٩٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث بن قيس الكندي

حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء ، مولى باهلة قال: حدثني عمي عن سحيم بن حفص عن شيخ من كندة قال: كان عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس معجباً عظيم الكبر وكان شخص إلى سجستان مع خال له في طلب ميراث ، فجعل يختلف إلى بغي يقال لها ماهنوس فأُخذ معها ، فشهد عليه كردم الفزاري الذي يقول الناس فيه : كل الناس بارك فيه ، وكردم لا يبارك فيه ، وكان أبو كردم مرثد بن نجبة مع خالد بن الوليد فقتل على سور دمشق ، وشهد عليه معه زفر بن عمرو الفزاري ، ومحمد بن قرظة ، ويزيد بن زهير ، فضرب حداً ، ولم تذهب الأيام حتى صار هؤلاء النفر في جنده ، وقد ولي سجستان فأساء بهم ودس إليهم قوماً شهدوا عليهم بالزنا ، فحدهم فقال قائلهم :

شهدنا بحق وانتقمت بباطل فأُبنا بأجر واشتملت على وزر

فلما كانوا بدير الجماجم خرج عيينة بن أسماء الفزاري إلى الحجاج وفارق ابن الأشعث ، ثم إنه رفع على هؤلاء النفر أنهم كانوا موافقين لابن

الأشعث ، وعلى رأيه ، فحبسهم الحجاج وقال : لا تقتلوهم فيقول عدونا أنا نقتل أصحابنا ، فأتاهم بعض أصحابه ليلاً فقتلهم .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي قال : حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن عمه ، أن المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من قتال الأزارقة قدم على الحجاج فأكرمه وأجلسه على سريره ووصله وأهل الغَنَاء ممن كان في جيشه، وقال: هؤلاء أهل الفعال والإستحقاق للأموال، هؤلاء غياظ الأعداء وحماة الثغور وولاه خراسان وسجستان ، فقال : ألا أدلك على من هو أعلم بسجستان مني ؟ قال : بلى قال : عبيدالله بن أبي بكرة ، فقد كان وطىءَ هذا الثغر وعرف أموره ، فولى ابن أبي بكرة سجستان .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، وحفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن المجالد بن سعيد قال : بعث الحجاج عبيدالله بن أبي بكرة إلى عبد الملك ، ليطلب له ولاية خراسان وسجستان ، وكان على الثغرين أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، فقال عبد الملك : لست بنازع أمية عن الثغرين للحجاج ، وكان له محباً ، ولكن إن شئت وليتك إياهما ، فقال : ما كنت لأخون الحجاج وقد أرسلني ووثق بي ، ثم إن عبد الملك استقصر أمية بن خالد وأَمْرَهُ ، واستبطأه في جباية الأموال وأتته جبايات الحجاج كثيرة موفرة ، فكتب إلى الحجاج بولاية الثغرين ، وبعث إليه بعهده عليهما في سنة ثمان وسبعين ، فولى الحجاج المهلب خراسان ، وعبيدالله بن أبي بكرة سجستان .

وقال المدائني وغيره لما قدم عبيدالله بن أبي بكرة سجستان منعه رتبيل الإتاوة التي كان يؤتيها ، فكتب عبيدالله بذلك إلى الحجاج فكتب الحجاج

إليه يأمره بغزوه وأن لا يبرح حتي يستبيح أرضه ، ويهدم قلاعه ، ويقتل مقاتلته ، ويسبي حريمه ، فغزاه بمن معه من أهل الكوفة والبصرة ، وكان على أهل الكوفة شريح بن هانىء الحارثي ، فسار ابن أبي بكرة متوغلاً في بلاد العدو ، فأصاب من الغنيمة ما شاء الله عزوجل ، فقال له شريح : إن الله عزوجل قد غَنَّمَنا وسلمنا وأذل عدونا ، فارجع بنا من مكاننا ونحن وافرون معافون ، فإني أتخوف إن كاثرت رتبيل وأهل بلده ، والتمست فتح مدائنهم وقلاعهم في غزوة واحدة أن لا تطيق ذلك فقال له : اصبر أيها الرجل ودع هذا ، فقال [ابن) هانىء : إنه ليس لقصير أمر ، والله إنك لتعمل في هلاك نفسك وجندك ، وسار حتى قرب من كابل ، وجعل لا يظهر له أحد ، وتفرق أصحابه يطلبون العلف وانتهى بهم إلى شعب فأخده عليهم الترك ولحقه رتبيل ، وليس بالقوم قتال ، فبعث ابن أبي بكرة إلى شريح إني مرسل إلى هؤلاء فمصالحهم ومعطيهم مالاً على أن يخلوا بيننا وبين الخروج ، فقال شريح : إنك لا تصالحهم على شيءٍ إلا حسبه الحجاج عليكم من أعطياتكم فقال ابن أبي بكرة : حرمان العطاء أيسر علينا من الهلاك ، وبعث إلي رتبيل يطلب منه الصلح على أن يعطيه خمسمائة ألف درهم ، ويقال سبعمائة ألف درهم ، وعدة من وجوه من معه وثلاثة من ولده يكونون عنده ، وأن لا يغزوهم ما كان والياً ، وكان الثلاثة من ولده : نهار ، والحجاج ، وأبو بكرة ، ومعهم العاقب بن سعيد فقال له شريح: اتق الله عزوجل وقاتل هؤلاء القوم ، ولا تشتر الكفر بالإيمان ، وزيادة خمسمائة ألف درهم ، ويقال سبعمائة ألف ، وتدفع قوماً من المسلمين إلى المشركين ، ثم تشترط لهم أن لا تقاتلهم ولا تجبيهم خراجاً هرباً من الموت الذي أنت إليه صائر ، هذا

وأنت لا تدري ما يكون من سخط الحجاج ، ثم قال شريح : والله لقد فني عمري وذهب ، ولقد تعرضت للشهادة في غير موطن ، فأبى الله عزوجل أن يبلغني إرادتي منها ثم قاتل وقاتلت معه جماعة مطوعة من مذحج وهمدان فقتل ، وقتل معه من أهل المصرين ومن أهل الشام جماعة ، وبعث ابن أبي بكرة إلى رتبيل حين استعد شريح لقتال العدو وزحف لذلك : إني على صلحك وما فارقتك عليه ، وهذا رجل واحد من أصحابي عصاني ولست أنصره عليك ، فخذله وجرأ رتبيل عليه ، وقال شريح وهو يمشي إلى الكفار :

أصبحت ذا بث أقاسي الكبرا
قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمت أدركت النبي المنذرا
وبعده صِدّيقهُ وعمرا
ويوم مهران ويوم تسترا
والجمع في صفينهم والنهرا
هيهات ما أطول هذا عمرا

وكان شريح من شيعة علي .

قالوا : واجتنب بنو عبيدالله بن أبي بكرة ما كان رتبيل يعرضه عليهم من النساء والخمر ، فعظموا في عينه وأعين أصحابه .

وخرج ابن أبي بكرة من بلاد العدو ، وجعل جنده يؤتون بالطعام فإذا أكلوه ماتوا ، ثم إنهم أطعموا السمن فلانت أمعاؤهم ، فلم يصلوا إلى بُسْت إلا وهم خمسة آلاف .

وكان ابن أبي بكرة حين رأى ما الناس فيه من القحط وهم يأكلون دوابهم في بلاد العدو يشتري الطعام ثم يبيعه جيشه حساب القفيز بدرهم ، حتى أصاب الناس ضر شديد ومرض ، وكان يبعث إلى الحصرم فيضعه في أسواقهم ويبيعهم إياه يقول: هذا صالح لمرضاكم، وباعهم التبن غربالاً بدرهم ، ففي ذلك يقول عبد الرحمن بن الحارث ، وهو أعشى همدان في قصيدة له أولها :

ما بال حزن في الفؤاد مولج ... ولدمعك المتحدر المتهيج
أسمعت بالجيش الذين تمزقوا ... وأصابهم ريب الزمان الأعوج
حبسوا بكابل يأكلون جيادهم ... بأضر منزلة وشر معرج
لم يلق جيش في البلاد كما لقوا ... فلمثلهم قل للنوائح تنشج
واسأل عبيدالله كيف رأيتهم ... عشرين ألف مجفف ومدجج
بعثا تخيره الأمير جلادة ... بعثاً من المصرين غير مزلج
وليت شأنهم وكنت أميرهم ... فأضعتهم والحرب ذات توهج
ما زلت نازلهم كما زعموا لنا ... وتفلهم وتسير سير الأهوج
وتبيعهم فيها القفيز بدرهم ... فيظل جيشك بالملامة ينتجي
ومنعتهم أتبانهم وشعيرهم ... وتجرت بالعنب الذي لم ينضج
ونهكت ضربا بالسياط جلودهم ... ظلماً وعدواناً ولم تتحرج
والأرض كافرة تضرم حولكم ... حرباً بها لقحت ولما تنتج
فتساقطوا جوعاً وأنت صفندد[1] ... شبعان تصبح كالايد الأفحج

---

١ ـ لم أجد لهذه الكلمة معنى .

رخـو النَّسَا والحـالبـين ملثـما في مثل جحفلة الحمار الديزج[١]
وظننت أنـك لم تعاقب فيهم والله يصبح من أمام المـدلج
حتى إذا هلكوا وباد كراعهم رمت الخروج وأي ساعة مخرج
وأبي شريـح أن يسـام دنيـةً حرجاً وصحف كتابهم لم تدرج
وبقيت في عدد يسير بعدهم لو سار وسط مراغةٍ لم يرهج
لا تخـبر الأقـوام شـأنـك كله وإذا سئلت عن الحديث فلجلج

في أبيات .

قالوا: فمات ابن أبي بكرة كمداً ، ويقال اشتكى أذنيه فمات ، وبلغ الحجاج خبر ابن أبي بكرة وأنه قد استخلف ابنه أبا برذعة ، فكتب إلى المهلب أن يوجه إلى سجستان من قبله رجلاً فوجه وكيع بن بكر ، فقال كعب الأشعري :

ما زال أمرك يـا مهلب صالحـاً حتى ضربت سرادقاً لـوكيـع
وجعلتـه ربّـاً عـلى أربـابـه ورفعت منه غير جَـدٍّ رفيـع

فلما قدم على أبي برذعة أهدى إليه أبو برذعة ثلاثمائة ألف درهم ، وهدايا سوى ذلك ، وأقام أبو برذعة بسجستان حتى قدم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من وجه الخوارج فولاه الحجاج كرمان .

وقال أبو مخنف وعوانه : لما هلك عبيدالله بن أبي بكرة بسجستان ، غم الحجاج مهلكه غماً شديداً ، وكتب إلى عبد الملك يعلمه ذلك ويستطلع

١ـ الجحفلة : بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير . والديزج ـ معرب ديزه : اللون الأسود ، الرمادي . القاموس .

رأيه في تولية هذا الفرج رجلاً فكتب إليه : «بلغني كتابك بما ذكرت من مصاب المسلمين بسجستان حتى لم ينج منهم إلا الشريد، وجرأة العدو لذلك وقوتهم على أهل الإسلام، فأولئك قوم كتب القتل عليهم فبرزوا إلى مضاجعهم وعلى الله عز وجل ثوابهم ، فأما ما استطلعت فيه الرأي ، فإن رأيي أن تمضي ولاية من رأيت توليته موفقاً رشيداً .

قالوا: وكان الحجاج مبغضاً لعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان عبد الرحمن رجلاً معجباً ، ذا نخوةٍ وأبهةٍ ، وكان الحجاج يقول : ما بالعراق رجلٌ أبغض إلي منه وما رأيته قط ماشياً أو راكباً إلا أحببت قتله ، وكان عبد الرحمن يقول : ما رأيت قط أميراً فوقي إلا ظننت أني أحق بإمرته منه ، وكان أيضاً يقول : لو قد رأيت البياض ، وقرأت القرآن ، وماتت أم عمران ـ يعني أمه ـ لطلبت الغاية التي لا مذهب بعدها .

حدّثني حفص بن عمر عن الهيثم عن مجالدٍ عن الشعبي قال : إني لعند الحجاج إذ دخل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث يتمشى فقال : انظروا إلى مشية المقيت والله لهممت أن أضرب عنقه ، فلما سلم عليه قال : إنك لمنظراني ، قال : ومخبراني أصلح الله الأمير ، ثم جعل يقول : أنا منظراني أنا منظراني .

قال الشعبي : فحدثت عبد الرحمن بما قال الحجاج حين رآه يتمشى ، فقال : اكتم علي والله لأحاولن إزالة سلطانه إن طال بي وبه عمر .

قالوا: ثم إن الحجاج انتخب اثني عشر ألفاً ويقال عشرة آلاف من أهل الجلد والقوة والهيئة ، فأعطاهم وجهزهم وقواهم واستعمل عليهم عطارد بن عمير بن عطارد بن حاجب ، ويقال بعض ولد ذي الجوشن الضبابي ، وسار

بهم إلى البصرة وانتخب من أهل البصرة مثلهم ، وجعل عليهم عطية بن عمرو العنبري الذي يقول فيه أعشى همدان :

فـابعث عـطيـة في الخيـول تَـكُـبُّـهُـنَّ عـليـه كـبـاً
فـإذا جـعـلت دروب فـا رس خلفنـا دربـاً فـدربـا

فلما تتاموا واجتمعوا سمي ذلك الجيش جيش الطواويس ، ويقال ان الناس سموهم بذلك لتكامل أهبتهم وعدتهم ونبلهم وشجاعتهم ، وأمر فأمضى ذلك الجيش إلى الأهواز وكتب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بولاية سجستان وضم إليه ذلك الجيش ، وكان الحجاج قد وجه عبد الرحمن لقتال الخوارج ، فشخص بهم عبد الرحمن حتى قدم سجستان ثم نزل بست ، فأتته رسل رتبيل ، وأتى اسماعيل بن الأشعث الحجاج فأشار عليه أن لا يولي عبد الرحمن وقال : إني والله أخاف خلافه ، والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى أن لأحدٍ عليه سلطاناً ، فقال : ليس هناك إني لست كأولئك هو لي أهيب ، وفيما لدي أرغب من أن يخالفني أو يخرج يداً من طاعتي فقدم سجستان في آخر سنة تسعٍ وسبعين .

وقال أبو عبيدة : كان الحجاج وجه هميان بن عدي السدوسي إلى كرمان ، وجعله مسلحةً بها ليمد عامل سجستان إن احتاج الى ذلك ، فعصى بمن معه ، فوجه عبد الرحمن بن الأشعث لمحاربته فحاربه فهزمه ، وأقام بموضعه ، فلما مات ابن أبي بكرة ضم إليه جيشاً أنفق عليه ألفي ألف درهم ، وكتب إليه في محاربة رتبيل بمن معه وبذلك الجيش .

وقال أبو مخنف : خطب ابن الأشعث الناس حين دخل سجستان فقال : إن الأمير الحجاج ولاني ثغركم ، وأمرني بجهاد عدوكم الذي استباح

بلادكم ، وأباد خياركم ، ثم عسكروا وأخرجت له الأسواق ، وبلغ ذلك رتبيل فكتب إليه : إنه ليست أمة من الأمم أعظم في أنفسنا ، ولا أحق بالإجلال والإكرام والتبجيل عندنا منكم ، وقد كان من مصاب إخوانكم ما علمتم وما كان ذلك عن هوى مني ، ولا إرادة وقد كنا صالحناكم على صلح فيما مضى ، ولولا أن ابن أبي بكرة نقض وبدل لجرينا في أمره مجرانا في أمر غيره ، ونحن نسألك أن تصالحنا وتقبل منا ما كان غيرك ممن قبلك يقبله ، وأهدى إليه خاله العاقب بن سعيد ، وكان ابن أبي بكرة رهنه مع ولده ، ثم اتبعه جميع الرهن الذين كانوا قبله ، فلم يجبه حتى أعد له القاسم بن محمد بن الأشعث أخاه ، وكان ورد عليه من طبرستان في خيل عظيمةٍ ، وأمره أن يغير عليه بمكانه الذي هو به ، وكان مع رتبيل رجلٌ من بني تميم يقال له عبيد بن سبع بن أبي سبع ، ويقال عبيدالله بن سبع ، وكان يرى رأي الخوارج فيما يقال ، وكان مقيماً بسجستان في ولاية زياد بن أبي سفيان وبعد ذلك ، فقال له : قد جاءك أغدر العرب وأشدهم أبهةً وكبراً ، فتحوّل من مكانك فإني لا آمن عليك أن يأتيك وأنت غار ، فخرج من مكانه مسرعاً ، وورد القاسم فلم يجد إلا عجائز وشيوخاً وقتلى من المسلمين فكفنهم وصلى عليهم ودفنهم ثم لم ينشب أن سار إليه في الجنود .

أبو الحسن المدائني عن أشياخه قالوا : قدم عبد الرحمن سجستان ، فأقام حتى استمر الناس وأراحوا ، وحضر الغزو فخرج من بابشير[1] ، فعرض الناس وخطبهم ، وحرضهم ، ثم لما كان في أول المفازة عرضهم فلم

---

١ ـ قرية على مقدار فرسخ من مرو . معجم البلدان .

يتخلف عنه أحد منهم ، وقطع المفازة ونزل بست[1] ، فتلقاه رتبيل واعتذر إليه من مصاب المسلمين وقال كان ذلك على كـرهٍ مني ، وعرض عليه الفدية وسأله أن يقبل منه ما كان يقبله من قبله ، وبعث بالرهن وفيهم خاله العاقب بن سعيد ، فأخذ الرهن ولم يجبه إلى شيءٍ مما يريد ، وقدم القاسم أخاه أمامه ثم سار ، وجعل رتبيل يدع البلاد حصناً حصناً طمعاً في أن ينال منه ما نال من غيره ، وحذر ابن الأشعث فكان لا يأتي حصناً ولا يجاوز عمراناً إلا خلف فيه قائداً في كثف من المسلمين ، ورتب الرجال فأنزل القاسم أخاه الرُّخَّجَ ونزل هو بست وكره التوغل في البلاد وكتب إلى الحجاج بذلك ، فكتب إليه : يا بن الحائك الغادر، كتابك إليَّ كتاب رجل يحب الهدنة والموادعة لعدو قليل ذليل ، ولعمري يا بن أم عبد الرحمن إنك حين تكف عن ذلك العدو ومعك جندي وحدي لسخي النفس عمن أصيب من المسلمين ، إني لم أعدد رأيك مكيدةً ، ولكني عددته ضعفاً وجبناً ، والتياث رأي ، فأمض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم ، فإنها داركم حتى يفتحها الله عز وجل عليكم» .

فأغضب عبد الرحمن بن محمد ذلك ، وقال : يكتب إليَّ ابن أبي رغالٍ بمثل هذا الكتاب ، وهو والله الجبان ، وأبوه من قبله ، وعزم على خلع الحجاج ، وكان معه سوى جند الكوفة والبصرة الذين جعله الحجاج عليهم بالأهواز ، جند قدموا مع الصباح بن محمد ، والقاسم بن محمد أخويه، كانوا بطبرستان ، فكتب الحجاج في إشخاصهم إليه معهما ، وبعث الحجاج

---

١ ـ بست : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة ، من أعمال كابل . معجم البلدان .

أيضاً إلى عبد الرحمن : اسحق بن محمد بن الأشعث ، في جند آخر ، وكتب إليه : «إن توقفت عن المسير في بلاد العدو ، وليت إسحق بن محمد بن الأشعث جندك ، وصيرتك من تحت يده كبعض أهل المصر .

فأظهر خلع الحجاج وقال أيها الناس إني والله لكم ناصح ، ولصلاحكم محب ، وفيما يعمكم نفعه ناظر ، وقد استشرت ذوي أحلامكم والتجربة منكم ، فأشاروا عليَّ بما علمتم من ترك التوغل في بلاد العدو ، وإن الحجاج كتب إليَّ بإنكار ذلك وكراهته إياه ، وأمرني أن أتوغل بكم تغريراً لجماعتكم، كما غرر بإخوانكم بالأمس، فقالوا: لا بل نأبى على عدو الله عز وجل أمره ولا نسمع له ولا نطيع ، فإن ابن أبي رغالٍ لا يريد بنا خيراً ، وعقد لمن وثق به ، وحل ألوية من أبى منهم ، وافتعل كتاباً من الحجاج في تولية قوم ، وعزل آخرين ، ليفسد قلوبهم ، وكانوا وجوهاً أشرافاً .

قالوا : وكان أول من تكلم عامر بن واثلة الكناني ، وكان خطيباً شاعراً : فقال بعد أن حمدالله وأثنى عليه : أما بعد ، فإن الحجاج والله ما يرى لكم إلا ما يرى القائل الأول : احمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك ، وإن نجا فهو لك ، والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهوب والعقارب والأشب ، فإن ظفرتم وغنمتم جبى وحاز الأموال ، وإن ظفر بكم كنتم الأعداء البغضاء ، فاخلعوه وبايعوا أميركم فأني والله أوّل خالع للحجاج عدو الله .

ثم قال عبد المؤمن بن شبث بن ربعي : إنكم إن أُطعتم الحجاج جعلها بلادكم ما بقيتم وجمركم تجمير فرعون لجنده ، والله ما يبالي أن تهلكوا

أو تقتلوا ، فنادى الناس من كل جانب : خلعنا الحجاج عدو الله ووثبوا إلى عبد الرحمن يبايعونه فيقول لهم : تبايعون على خلع عدو الله الحجاج ، وعلى نصرتي ، وعلى جهاد عدو الله وعدوي معي حتى ينفيه الله عزوجل من أرض العراق ، فبايعه الناس ، ولم يذكروا خلع عبد الملك .

وقال أبو مخنف :كانت بيعته على كتاب الله ، وخلع أئمة الضلال ، وجهاد المُحِلِّين .

قال : فلما بايعوا ابن الأشعث قالوا : ننصرف إلى العراق فنخرج الحجاج عدو الله من العراق فإن جهاده أولى .

وقال الهيثم بن عدي : أخبرني عمر بن ذر الهمداني أن أباه ذر بن عبدالله بن زرارة كان مع ابن الأشعث ، وأنه ضربه وحبسه لانقطاعه إلى أخويه القاسم وإسحق ابني محمد ، وضرب ، وحبس معه عدة منهم : عمران بن عبد الرحمن ، وقتادة بن قيس ، فلما خلع دعا بهم فحملهم وكساهم وأعطاهم ، وأقبلوا معه فيمن أقبل ، فأما ذر بن عبدالله فكان قاصاً خطيباً ، فثبت معه وناصحه وأما عمران بن عبد الرحمن فناصحه وثبت معه وأما قتادة ففارقه ولحق بالحجاج .

قالوا : ولما خلع الحجاج عبد الرحمن وأصحابه ، وادع رتبيل وكتب بينه وبينه كتاباً وعاهده أن لا يرزأ منه شيئاً ، فإن ظفر بالحجاج لم يسأله خراجاً أبداً ما بقي ، وإن قوي عليه الحجاج لجأ ومن معه إليه فمنعهم ، ثم انصرف ابن الأشعث إلى بست فاستعمل عليها عياض بن عمرو السدوسي ، وهو الثبت ، ويقال عياض بن همام ، وكان عياض قاتل عبد الرحمن حين قدم سجستان فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة . وبعث إلى

الحجاج برؤوس من قتل وهرب حتى لحق برتبيل فلما بلغه خلعه الحجاج أتاه فبايعه ، وولى عبدالله بن عامر التميمي ثم المجاشعي ولقبه البعَّارزرنج ، وقال ابن الكلبي البعار علقمة بن حوي بن سفيان بن مجاشع .

وأقبل عبد الرحمن بن محمد يريد العراق ، فهرب منه إسحق بن محمد ، والقاسم ، والصباح ، والمنذر إخوته ، فأما القاسم فانه رأى إسحق يناجي الصباح دونه ، فغضب فعاد إلى أخيه ، وأما الآخرون فلحقوا بالحجاج ، وجعل أعشى همدان يجري على فرس له ، وقد خرج عبد الرحمن عن سجستان مقبلاً إلى الحجاج وهو يقول :

شطت نوى من داره بالإيوان ... إيوان كسرى ذي القرى والريحان
فالبندنيجين إلى طرازاستان[1] ... فالجسر فالكوفة فالغريان
من عاشق أمسي بزابلستان ... إن ثقيفاً منهم الكذابان
كذابها الماضي وكذاب ثان ... إنا سمونا للكفور الخوان
حين طغى في الكفر بعد الإيمان ... بالسيد الغطريف عبد الرحمن
سار بجمع كالدبا من قحطان ... ومن معد قد أتى ابن عدنان
بجحفل جم كثيرِ الأركان ... فقل لحجاج ولي الشيطان
أثبت لجمع مذحج وهمدان ... والحي من بكر وقيس عيلان
فإنهم ساقوك كاس ذيفان[2] ... أو ملحقوك بقرى ابن مروان

---

١ ـ طراز : بلد من ثغور الترك . والبندنيجين : بلدة مشهورة في طرف النهروان . معجم البلدان .

٢ ـ الذيفان : السمّ .

وقال أبو جلدة اليشكري وكان مع ابن الأشعث :

نحن جلبنا الخيل من زرنجا ما لك يا حجاج منا منجى
لتبعجن بالرّماح بعجا أو لتفرن وذاك أنجى

حدثني خلف بن سالم وأحمد بن إبراهيم قالا : حدثنا وهب بن جرير عن ابن عيينة أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لما خلع كتب إلى المهلب يسأله الخلع معه ، فقال المهلب : ما كنت لأغدر بعد سبعين سنة ، ثم قال : ما أعجب هذا يدعوني إلى الغدر مَنْ بعض ولدي أكبر منه ، وقال لرسوله : قل له : اتق الله في دماء المسلمين ولم يجبه عن كتابه ، وبعث به إلى الحجاج .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده قال : لما عاهد عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث رتبيل وكتب بينه وبينه كتاب الوثيقة ، وثب رجل من همدان يقال له فندش بن حيان الهمداني على رجل من الكفار من أصحاب رتبيل جرى بينه وبينه خلاف في شيء فضربه فندش بعود معه فشجه شجة خفيفة فبعث رتبيل إلى عبد الرحمن بفندش ولم يقتله ، فأمر عبد الرحمن بقتله ، فقال أعشى همدان ، وكان فندش صديقاً ونديماً له :

تعوذ إذا ما بت من بعد هجعة من المرء في سلطانه المتفحش
ومن رجل لا تعطف الرحم قلبه جريء على أخواله متحمش
لجوج شديد بطشه وعقابه متى يأته ساع بعمياء يبطش
أفي خدشة بالعود لم يدم كلمها ضربت بمصقول علاوة فندش
وأزهقت في يوم العروبة[1] نفسه بغير قتيل صاحياً غير منتش

١ - أي يوم الجمعة . القاموس .

أبي رتبيل قتله فقتلته وأنت على خوارة وسط مفرش
وباكية تبكي على قبر فندش فقلت لها أذري دموعك واخمشي
وإنا لنجزي الذحل بالذحل مثله ونضرب خيشوم الأيَلِّ الغطمش
فتى كان مقداماً إذا الخيل أجحمت ضروباً بنصل السيف ليس بمرعش

ويقال أن فندشاً والأعشى ورجلاً آخر، كانوا على شراب لهم، وهم في عسكر ابن الأشعث فنودي يوماً بالسلاح، فمر بهم المنادي فأمرهم باللحاق بالناس، فقال فندش: لا نريم حتى نفرغ من شرابنا، فعلاه المنادي بالسوط، فوثب فندش عليه فضربه بعصاً على رأسه فانطلق إلى ابن الأشعث فأعلمه، فأمر بقتل فندش، فقتل، والأول أثبت.

قالوا: وكان مع ابن الأشعث أبو جوالق أحد بني غِسْل بن عمرو اليربوعي، وقوم يقولون عِسْل، والأول قول ابن الكلبي، وكان أبو جوالق شجاعاً وفيه يقول الشاعر:

سبعون ألفاً كلهم مفارق مثل الحريش وأبي جوالق

يعني الحريش بن هلال القريعي.

قالوا: وأقبل عبد الرحمن يسير بالناس، وسأل عن أبي إسحق السبيعي، فقيل له: ألا تأتيه فقد سأل عنك، فكره أن يأتيه ونزل أبو إسحق بفارس، ولم يدخل في الفتنة حتى انقضت، وأتى عبد الرحمن كرمان فولاها عمرو بن لقيط العبدي ثم أتى فارس فولاها خرشة بن عمرو التميمي.

وحدثني علي بن المغيرة عن أبي عبيدة قال: كتب المهلب إلى ابن الأشعث من خراسان: «يا بن أخي إنك قد وضعت رجليك في ركابين

طويل غَيُّهُما على أُمة محمد ﷺ ، تركت قتال المشركين ، وأَقبلت لقتال المسلمين ، أَما تذكر بلاء الحجاج عندك حين جمع لك الجندين جميعاً .

قالوا : وقال أَعشى همدان :

مــن مبــلغ الحجــاج أ ... ني قد نبذت[1] إليه حربا
حــربــا مــذكــرة عــوا ... نــا تترك الشبــان شهبــا
وصفقت في كف امــرىءٍ ... جــلد إذا الأَمــر عــبــا
لابــن الأشــج قــريــع كــنـ ... ـدة لا أبــين فيــه عتبــا
أَنت الــرئيس بن الــرئيس ... وأنت أَعــلى القــوم كعبــا

في قصيدة .

قال : وتمثل ابن الأشعث حين أقبل يريد الحجاج بشعر مغفر بن حماد البارقي :

سائل مجاور جرم هل جنيت لهم ... حرباً تُزيّل بين الجيرة الخلط
وهل تركت نساء الحي ضاحية ... في باحة الدار يستوقدن بالغبط[2]

وتمثل أيضاً :

خلع الملوك وسار تحت لوائه ... شجر العرى وعراعر الأقوام

قال : وأَخرج ابن الأشعث لأي بن شقيق بن ثور عامل الحجاج عن كرمان ، وأخذ ما في بيت مالها وقدم لأي بن شقيق بن ثور على الحجاج فأَخبره خبره ، فكتب معه إلى عبد الملك يستمده قال : وقالت ابنة سهم بن غالب الهجيمي :

١ ـ بهامش الأصل : ندبت .

٢ ـ الغبط : القبضات المحصورة المصرومة من الزرع . القاموس .

يا أيها السائل عما قد كان أبشر أتاك الغوث من سجستان
إبنا نزار وسراة قحطان وفيهم المنصور عبد الرحمن
يقود جيشاً جحفلاً ذا أركان سبعين ألفاً لابسين الأبدان
قد ذهب الملك عن آل مروان والثقفي زال عنه السلطان

قالوا : فلما صار ابن الأشعث ومن معه بفارس قال بعضهم لبعض : إذا خلعنا الحجاج ، فقد خلعنا عبد الملك ، فاجتمعوا إلى ابن الأشعث فكان أول الناس قال خلعت عبد الملك : تيحان بن أبجر أحد ولد ربيعة بن نزار ، ثم أحد بني بكر بن وائل ، قام فقال : يا أيها الناس إني قد خلعت أبا ذبان كخلعي قميصي هذا ، فخلعه الناس ، وكان أبو حزابة وهو الوليد بن حنيفة بن سفيان بن مجاشع بن ربيعة بن وهب بن عبدة بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بكرمان ، فلما وردها ابن الأشعث تعرض له فقال :

يا بن قريع كندة الأشج أما تراني فرسي في المرج
وما هنوش ذهبت بسرجي في فتنة الناس وهذا الهرج

فضحك وقال : افتكوا سرجه قبحه الله ، وكان قد رهنه على خمسين درهماً عند بغي يقال لها ماهنوش وبات ليلته عندها . والأشج قيس بن معد يكرب ، شج في بعض أيامهم .

وحدثني عبدالله بن صالح العجلي قال : حدثني القاسم بن سهل النوشجاني قال : حدثني عدة من آل المهلب أن المهلب كتب إلى ابن الأشعث حين بلغه خلعه : «إنك يا بن محمد قد وضعت رجلك في غرز طويل الغي ، فالله الله يا بن أخي انظر لنفسك ولا تهلكها ، واتق الله

عزوجل في دماء المسلمين أن تسفكها ، والبيعة فلا تنكثها ، والجماعة فلا تفارقها ، فإن قلت أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه والسلام» .

قال:وقالوا : كتب المهلب إلى الحجاج : «أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحط من عل ليس يرده شيء حتى ينتهي إلى قراره ، ولأهل العراق شِرَّةٌ في أول مخرجهم ، وبهم صبابه إلى أبنائهم ونسائهم فليس يبلى بردهم دون أهليهم فلا تستقبلهم وخل لهم الطريق حتى يأتوا البصرة فيواقعوا نساءهم ويتنسموا أولادهم ، فترق قلوبهم ، ويخلدوا إلى المقام في منازلهم ، فيتفرقوا عن ابن الأشعث ، ثم واقع من حاربك منهم فإن الله عز وجل ناصرك عليهم» ، فلما قرأ الحجاج كتابه قال : ويلي على المزوني والله ما لي نَظَرَ ولكن لابن عمه نصح ، ثم إنه نظر بعد ذلك في كتابه فقال : رحم الله المهلب ، فقد كان ناصحا للإسلام وأهله .

وحدثني عمر بن شبة عن هارون بن معروف عن ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال : كتب عمال الحجاج إليه : «إن الخراج قد آنكسر ، وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار» .

فكتب إلى أهل البصرة وغيرها : «إن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها فخرج الناس فعسكراو وجعلوا يبكون ويقولون : وامحمداه ، وجعلوا لا يدرون أين يذهبون ، فجعل قراء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنعين فيبكون معهم ، وقدم ابن الأشعث على بغتة ذلك فآستبصر أهل البصرة في قتال الحجاج مع ابن الأشعث :

وقال أبو مخنف وعوانة : ورد على الحجاج أمر ابن الأشعث وهو نازل بلعلع[1] فقال إنها لغليقة من الأمر ، وكتب إلي عبد الملك يخبره وسأله إمداده بالجنود ، وأتى الحجاج موضع واسط حين فصل من لعلع فآبتنى به مسجداً ، وقال : هذا مكانٌ واسط ، فسميت واسط القصب ، ثم بناها بعد ذلك .

قالوا:ولما ورد الكتاب على عبد الملك في أمر ابن الأشعث ، نزل عن سريره ، وبعث إلى أبي هاشم خالد بن يزيد بن معاوية فأقراه الكتاب ، فلما رأى خالد ما به من الجزع والإرتياع قال : إنما يخاف الحدث من خراسان ، وهذا الحدث من سجستان فلا تخفه ، ثم خرج عبد الملك على الناس فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : إن أهل العراق قد استطالوا عمري فآستعجلوا قدري فسلط اللهم عليهم سيوف أهل الشام حتى تبلغ رضاك .

وصار الحجاج إلى البصرة فأقام بها ، وعزم على لقاء ابن الأشعث ، وكان المهلب كتب إليه يشير عليه أن لا يقاتله حتى يرد الناس منازلهم ، فيركنوا إلي الدعة وتمنعهم الرقة على أولادهم وعيالاتهم من المحاربة ، وتحدث لهم آراء غير أرآئهم وينتقصوا عند التفرق عن أمرهم ، ويعظ الرجل أخوه ، والرجل قومه ، فينفسح عزمه ، فلم يلتفت إلى كتابه ومشورته ، وكان الحجاج أقدم سفيان بن الأبرد الكلبي من طبرستان ، وأخذه بالحساب ، فكان محبوساً عنده ، فلما حدث هذا الحدث دعا به خالياً فشاوره فيه ، فرأى له أن يستقبل ابن الأشعث ويجعله على خيله ، وأحب بذلك التخلص من الغرم ، فقبل قوله لموافقته هواه ، ورفض رأى المهلب ، وجعل

---

١ ـ لعلع : منزل بين البصرة والكوفة . معجم البلدان .

فرسان أهل الشام يأتونه من قبل عبد الملك أرسالاً ، يأتيه في اليوم المائة والعشرة ، وأكثر من ذلك وأقل ، فبعضهم يأتي على البريد ، وبعضهم على الخيل العتاق المقدحة ، وبعضهم على الإبل الناجية ، وكانت أخبار ابن الأشعث تأتيه بنزوله مكاناً مكاناً وسار الحجاج بأهل الشام حتى نزل تستر الأهواز ، وقدم بين يديه عبد الله بن زميت الطائي ومظهر بن حيي العكي وجعل ابن زميت من تحت يده .

يوم دجيل وهو يوم تستر

قالوا : وقدم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث محمد بن أبان بن عبد الله الحارثي في ثلاثمائة فوجه إليه مظهر بن حيي العكي عبد الله بن زميت ، فهزم ابن أبان وأصحابه حتي اضطرهم إلي دجيل الأهواز ، فوجه مظهر مولى له يقال له منقذ إلى الحجاج بالفتح وعظم الأمر ، وأخبر أنه لقي مقدمة ابن الأشعث فهزمهم وقتل أكثرهم ، ولما رأى ابن الأشعث ما فعل بأصحابه جمع الناس وعبأهم ، ثم قال : آعبروا إلى أصحاب الحجاج ، فأقحم الناس خيولهم في دجيل حتي صاروا إلي موضع الوقعة ومظهر في سبعة آلاف من أهل الشام ، وذلك في يوم ضباب لا يكاد الرجل يتبين فيه صاحبه ، فحمل عليهم عطية بن عمرو العنبري فضعضعهم ، ثم حمل عليهم جرير بن هاشم بن سعد بن قيس الهمداني ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم أتاهم الحريش بن هلال القريعي من خلفهم ، وحمل الناس عليهم من بين أيديهم ، فهزموا هزيمة قبيحة ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وركب أصحاب الخيول

في طلبهم فقتلوهم وأسروهم أنّى شاؤوا ، وكان في الأسرى رجل من همدان فقال لابن الأشعث : أصلح الله الأمير أنا أحد أخوالك ، فقال : ابدأوا بخالي فقدم وقتل وذلك يوم النحر سنة إحدى وثمانين يوم الجمعة ، ويقال عشية عرفة ، واستباحوا عسكرهم ، وكان الحجاج حين جاءه رسول مظهر صعد المنبر فخطب وقال : أحمدوا الله على هلاك عدوكم ، فلما نزل حتى جاءه بخبر هذه الوقعة عبيد بن سرجس مولاه، فقال: أيها الناس آرتحلوا بنا إلى البصرة ، فإن هذا مكان لا يحتمل الجند ، وانصرف حتى نزل الزاوية ، وبعث إلى طعام التجار بالكلاء فأخذه فحمله إليه ، فقال : من كان منهم وليا لنا رددنا عليه ، ومن كان عدواً فماله ودمه حلال لنا ، وخلى البصرة لأهل العراق وكان عامله عليهم الحكم بن أيوب الثقفي الذي يقول فيه الشاعر :

قد كان عندك صيد لو قنعت به فيه غنى لك عن دراجة الحكم
وفي عوارض ما تَنْفَكُّ تأكلها لو كان يشفيك أكل اللحم من قرم

وكان الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل هذا أبخل الخلق ، وكانت له دراجة يؤتى بها بعد الطعام ، وكان استعمل رجلاً من بني تميم يقال له العظرت علي بعض الفروض فقدم عليه والدراجة بين يديه ، فدعاه إلى الأكل فأكل معه من دراجته ، فعزله وقال له الحق بأهلك ، والعوارض ما أنكسر فنحر ، يقال : أهذا لحم عبيط ، أم لحم عارضة ؟

وقال الهيثم بن عدي : هزم ابن الأشعث صاحب الحجاج يوم دجيل وقتل من أصحابه ثمانية آلاف ، وقال غيره : قتل ألفين .

قال وجاء ابن الأشعث وأهل العراق حتى دخلوا البصرة فبايعه أهلها على حرب الحجاج وخلع عبد الملك ، وسارع إليه القراء والكهول ، وكان الحجاج أمر سفيان بن الأبرد الكلبي حين أقبل إلى البصرة أن يكون في أخريات الناس فيهدم القناطر ، ويقطع الجسور ، وضم إليه جماعة ففعل سفيان ذلك ، وكان نزول الحجاج الزاوية يوم الخميس لسبع ليال بقين من ذي الحجة سنة إحدى وثمانين ، وكان عياش بن الأسود بن عوف الزهري حين بلغه أمر ابن الأشعث جمع بسوق الأهواز رجالاً ثم أتاه ومحمد بن الأسود فكانا معه ، وكان أول من دخل البصرة هميان بن عدي السدوسي ، وكان شجاعاً ، وكان الحجاج قد حبس امرأته في قصر المجيزين ، وهي أم بكر من ولد شقيق بن ثور السدوسي ، وكان معه قوم نصروه فأخرجوها وقوماً كانوا محبوسين معها ، فقال الشاعر :

فمن للمرهقين إذا استجاروا ونادى المحصنات أبا جرير

وهي كنية هميان ، وعارض سفيان بن الأبرد هميان حين أخرج امرأته من محبسها فقاتله حتى دخل ابن الأشعث والناس .

وقال زادا نفروخ بن تيرى المجوسي كاتب الحجاج : إنك إن منعتهم من دخول البصرة حاربوك بجد واجتهاد لطول غيبتهم عن أوطانهم ، وإن أنت تنحيت وتركتهم فرجعوا إلى أهليهم قل من يحاربك منهم .

يوم الزاوية

قالوا : ودعا ابن الأشعث بعباد بن الحصين وقد كبر وفلج فقال : أشر علي بالرأي فقال :

يا ليتني فيها جذع
أخب فيها وأضع

أرى أن تخندق على المربد وما يليه ، ثم تدعهم حتى يخرجوا من معسكرهم بالزاوية فيأتوك معيين كالّين ، ويخرج الناس إليهم نشاطى جامين ، فقال عبد الله بن عامر بن مسمع ، وكان قد صار إليه وكان قبل قدومه على شرطة البصرة ، وبشر بن محمد بن الجارود وعبد الحميد بن منذر بن الجارود : أنخندق على تميم ونترك دورنا ودور الأزد ، فخندق ناس من الناس على ما يليهم ، وخندق ابن الأشعث ، ولم يبلغ في الحفر وخندق الحجاج على عسكره ، وخرج سورة بن أبجر إلى الحجاج فصار معه ، وخرج إلى ابن الأشعث رجل من أهل الشام يقال له نويرة الحميري ، وكان شجاعاً ، فصار معه ، وكان قوم من أصحاب الحجاج يخرجون فيناوشون قوماً من أصحاب ابن الأشعث ، ثم إن الحجاج ضم إليه خيله ، وجعلت الرجال تأتيه من عند عبد الملك على البريد والإبل والدواب ، وكتب كل واحد منها ترد على صاحبه في كل يوم ، وقال الحريش بن هلال السعدي لعبد الرحمن : علام تدع الحجاج يأتيه كل يوم مدد من أهل الشام ، عاجله قبل أن يكثر جمعه ، فقال ابن الأشعث : إن الله جل وعز قد جمع كلمتكم ، وأعز دعوتكم فآخرجوا إليهم فجاهدوهم على اسم الله عز وجل ، فخرج

وخرج الناس ، فجعل على الميمنة عبد الرحمن بن عوسجة الهمداني وعلى الميسرة الحريش بن هلال السعدي وعلى مجففته[1] طفيل بن عامر بن واثلة وتيحان البكري ثم التميمي ، وعلى الرجالة زياد بن مقاتل بن مسمع ، وخرج الحجاج إليهم وعلى ميمنته سفيان بن الأبرد الكلبي وعلى ميسرته أيوب بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي ، فقال الحجاج لأصحابه : يا أهل الشام إنكم على الحق ، فآصبروا صبر المحق ، فإن الله عز وجل مع الحق ، والناكث المبطل أولى بالفرار ، ثم إنهم اقتتلوا قتالاً شديداً ، فجعل الشاميون يقولون للحجاج : لو صبرت حتى يجيء مدد أمير المؤمنين ، فيقول : لو كنت مبطلاً انصرفت ، وجعل العراقيون يدخلون عسكر الحجاج حتى بلغوا بيت ماله وسجنه ، وانهزم عنه أهل بيته ثم رجعوا إليه ، وجاء مولى لقيس بن الهيثم السلمي يقال له توبة إلى الحجاج وهو يظنه ابن الأشعث لكثرة من رأى في عسكره من العراقيين . فقال : أقر الله عينك أيها الأمير ، الحمد لله الذي أخزى الحجاج ، فقال الحجاج : آقتلوه لعنه الله فقتل ، ثم إن الحجاج جثا على ركبتيه ، وثاب أصحابه إليه ، وحمل سفيان على الناس فهزمهم ، فقال : زباد بن عمرو العتكي للحجاج : قد هزموا والحمد لله على عونه ، وكان معه .

وقتل في المعركة يوم الزاوية على ما ذكر هشام ابن الكلبي : عياش بن الأسود بن عوف الزهري ، ويقال بل أسر بهراة من خراسان وأتي به الحجاج

١ ـ أي الذين لبسوا التجافيف جمع تجفاف ، والتجفاف الة للحرب ، يلبسه الفرس والانسان ليقيه في الحرب . القاموس .

فقتله وقتل محمد بن الأسود أخوه ، وقتل عقبة بن عبد الغافر الأزدي ، وقتل عبد الرحمن بن عوسجة أبو سفيان ، وقتل عبدالله بن عامر بن مسمع ، وقد كان على شرط الحجاج بعد زياد بن عمرو ، حين غضب على زياد ، فلما أتي الحجاج برأسه قال : والله ما كنت أرى هذا فارقني ، وقتل الطفيل بن عامر بن واثلة الكناني ، وكان قد قال :

ألا أبلغ الحجاج أن قد أظله عذاب بأيدي المؤمنين مصيب

فمر به الحجاج ، وهو في القتلى ، وقد كان بلغه شعره ، فقال : تمنيت لنا أمراً كان في العلم أنك أولى به ، فعجل الله عز وجل ذلك لك في الدنيا ، وهو معذبك في الآخرة وكان قتالهم يوم الأحد ، وكان البراء بن قبيصة بن أبي عقيل مع الحجاج فانهزم مع من انهزم من أهل بيته ، وفارقوه في صدر يوم الأحد فرجعوا إليه جميعاً ، إلا البراء فإنه مضى إلى عبد الملك فعاذ به ، فقال الحجاج : والله لا آمنته إلا أن أضربه ضربةً بالسيف أخذت ما أخذت ، وأبقت ما أبقت ، فقال البراء في أبياتٍ :

أخوف بالحجاج يوماً ومن يكن طـريدة ليث بـالعراقـين يفرق
كأن فؤادي بين أظفار طائـر من الخوف في جو السماء محلق
وكان أمرءاً قد كنت أعلم أنه متى ما يعد من نفسه الشر يصدق

وصبر آل سعيد بن العاص مع الحجاج ، فقال ابن موهب ، كاتب الحجاج ومولاه ، واسمه عبيد :

لعمري لقد فر البرا وابن عمه وفرَّت قريش غـير آل سعيد

يعني مصعب بن عبدالله بن أبي عقيل ، وكان عنبسة بن سعيدٍ أيضاً جال جولة ، ثم رجع إلى الحجاج من ساعته فلم يفقده ، وظفر الحجاج

بأهل الزاوية حين فاء الفيء يوم الأحد ، وأقبل إلى البصرة فقاتله الناس قتالاً شديداً على أفواه السكك ، فقال الحجاج : دعوهم فإنهم منهزمون والآن يتفرقون ، وانصرف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، واستخلف عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وقال له : قاتل بالناس فإن عندهم قتالاً شديداً ، ولهم نشاط ، فإني منصرف إلى الكوفة وممدك بالرجال ووثب أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن العباس فبايعوه على الصبر ، فقاتل بهم الحجاج ، ثم انصرف وكانت تلك الفعلة من ابن الأشعث هزيمةً ، وكان يقول : إنما انصرفت وفي الناس فضل ، وعندهم قتال لأنه بلغني أن مطر بن ناجية الرياحي وثب بالكوفة ، فغاظني أن أكون فتحت باباً دخل مطر منه ، وأن يكون إنما قدر على الوثوب بي فيكون له صوت معي ، فأريد أن ألحقه فأحول بينه وبين إرادته ، فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة في ألف من أهلها ، وقاتل ابن العباس آخر يوم الأحد ، ويوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، وليلة الخميس وهي ليلة الهرير ، وصبر أهل البصرة على قتال الحجاج على أفواه السكك ، وفقد ابن الأشعث فأمر الحجاج فرفعت راية أمانٍ وناداهم أصحاب الحجاج بأمره : ثكلتكم أمهاتكم علام تقاتلون وقد ترك صاحبكم القتال ومضى ، فدخلوا في الأمان وتفرقوا ، وخرج ابن العباس ومن معه من أهل الكوفة والأقوياء من أهل البصرة حتى لحق بابن الأشعث ، وجاء الحجاج حتى دخل البصرة ، فنادى مناديه : يا أهل الشام لا تنزلوا البصرة ، ونزل هو دار المهلب فرأى عندها جماعة نسوة ، فقال : إن هؤلاء النسوة لجأن اليَّ وخشين أن يدخل عليهن ، فليرجعن فنحن أغير عليهن من أزواجهن وقال حميد الأرقط في ابن عبد

الرحمن بن سمرة ، وكان أعور ، وذلك في أيام الزاوية .

يا أعور العين فديت العورا
لا تحسبن الخنــدق المحفـورا
يدفع عنـك القدر المقـدورا
ودائـرات الدهـر أن تدورا

وصعد الحجاج المنبر فذكر الله عز وجل بما هو أهله ، ثم قال : إن الله عز وجل لم ينصركم يا أهل الشام على عدوكم ، لأنكم أكثر منهم عدداً ، وأظهر قوةً، ولقد كانوا أثرى منكم وأقوى وهم في بلادهم، ومادتهم تأتيهم من مصرهم وبيوتهم ، فهم يستندون إلى ذلك ويعتصمون به ، ولكنكم كنتم أهل الطاعة ، وكانوا أهل المعصية ، فنصركم الله عز وجل بغير حولٍ منكم ولا قوةٍ فاحمدوا الله عز وجل على نعمه ولا تبغوا ولا تظلموا ، وإياكم أن يبلغني أن رجلاً منكم دخل بيت امـرأة فلا يكون له عندي عقوبة إلا السيف ، أنا الغيور ابن الغيور لا أداهن في الريبة ، ولا أصبر على الفاحشة .

قالوا : وأصابت الحريش يومئذٍ جراحة ، وكان يقاتل قتالاً شديداً ويقول :

أنـا الحـريش وأبـو قـدامـه
أضرب بالسيف مقيل الهامة
أشجع من ذي لبدٍ ضرغامه

وأتى سفوان[1] فمات من جراحته .

١ ـ سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة .

وقالت حميدة ابنة مقاتل ترثي أخاها زياد بن مقاتل بن مسمع :

يـا عـين جـودي ولا تفـتري وبـكي رئيس بـني جـحـدر
ولمـا تـولت جمـوع العـراق وأسلم من كـان في العسكـر
وحـامى زياد عـلى قـومـه وفـر محـامي بـني الـعـنـبر

فسمعها البلتع وكان يبيع سمناً له عند بعض بني العنبر فأتزر بكسائه ، وجاء حتى قام عندها وهو يقول :

عـلام تـلومـين من لم يـلم تـطاول لـيـلك مـن مـقصر
فقد تبطح الخيل تحت العجاج غـير الـشـهـيـد ولا المـعـذر
ونحن منعنـا لـواء الحـريش وطـاح لـواء بـني جـحـدر

ورجع إلى أصحابه فقال: قد شفيتكم منها .

وقال عامر بن واثلة ، أبو الطفيل يرثي ابنه :

خلى طفيل على الهم فانشعبا فهـد ذلك ركني هدَّةٍ عجبـا
وابني سهيمـة لا أنساهمـا أبداً فيمن نسيت وكل كان لي نصبا
وأخـطأتني المنايـا لا تـطالعني حتى كبرت فلم يتركن لي شذبا

في أبيات .

وولى الحجاج الحكم بن أيوب البصرة في صفر ، واتبع ابن الأشعث ، وسلك طرق البر وكان زادا نفروخ بن تيرى مستخفياً بالبصرة ، فخرج من دار إلى دار فقتله بعض من رآه من أصحاب ابن الأشعث ، فاستكتب الحجاج مكانه ابنه مردانشاه .

أمر مطر بن ناجية الرياحي

قالوا : وكان مطر عامل الحجاج على المدائن وناحيتها ، فأتى الكوفة فقال حين نزل من المنبر : ان ابن الأشعث قد هزم أهل الشام ، فهلموا نخرج من عندنا منهم ، فكثرت تابعته ، وجاء حتى أحاط بالقصر ، وفيه عبد الرحمن بن عبدالله بن عامر الحضرمي ، عامل الحجاج على الكوفة ، وهو في أربعة آلاف من أهل الشام ، ويقال في ألفين ، فأشرفوا عليه وصالحوه على أن يجلوا ويخلوا القصر والمصر ، وكان يونس بن أبي إسحق يحدث أن مطراً لما أراد دخول القصر زحمه بغل فضربه بسيفه فقطع جحفلته، ثم قال: اللهم أخزه زحمني وقد آمنت صاحبه، فأعطاه بغلاً مكانه، وأسلف الناس مائتي درهم ، وصحت عنده هزيمة ابن الأشعث، فخطب الناس فقال: إن ابن محمد قد هزم، وأنا لكم مكانه، أقوم مقامه ، فبايعه نفر من قومه قليل ، وأمسك الناس ، فلم يبايعوه ، فلما رأى ذلك دخل القصر ، ثم خرج بالعشي فقال : أيها الناس إن ابن محمد لقي الحجاج بالزاوية إلى جانب البصرة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم تحاجزوا فنظروا فإذا ابن محمد مفقود ، لا يدرى أفي الأحياء هو أم في الأموات ، فثار

الناس عند ذلك إلى عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فعهد العاهد به وقد حصر الحجاج وظهر عليه ، فقوموا فبايعوا له ، فإنه رجل من قريش ثم من بني هاشم من أهل بيت نبيكم ﷺ ، فقام إليه عبد الرحمن بن أبي ليلى فبايعه ، ثم بايعه حمزة بن المغيرة بن شعبة ، ثم إنه دخل وأمر مطر بن أبي ليلى أن يبايع الناس ففعل ، فقال صدقة وتوبة ابنا عبيدالله بن الحر الجعفي : ما هذه البيعة ؟ نحن على بيعتنا الأولى ، ويقال إنهما ضربا وجه ابن أبي ليلى بحصى كان معهما وقالا : نحن على بيعتنا التي بايعنا عليها صاحبنا حتى ننظر ما صنع ، وقام ناس كثير فقالوا مثل ذلك وصاحوا بابن أبي ليلى أنزل فنزل ، وسمع ابن ناجية الصوت فقال : ما هذا ؟ قالوا له : قد اختلف الناس ، فرجع إليهم فقال : أيها الناس أنا رجل منكم فمن استقمتم له ورضيتم به وبايعتموه بايعته ، فسكن الناس ، وأقبل ابن الأشعث وسمع الناس بمجيئه ، فخرجوا إليه يستقبلونه .

وقال الهيثم بن عدي : أقبل ابن الأشعث من سجستان وقد خلع فنزل الخريبة بالبصرة ، فخندق على عسكره ، واقتتل هو والحجاج بالزاوية ، وبلغ ابن الأشعث أن مطر بن ناجية قد أخذ الكوفة ، فدعا خاصته فأعلمهم أنه يريد الكوفة ، واستخلف عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة ، وسار في نحو من ألف ففقد وقاتل عبد الرحمن بن عباس بالبصرة خمسة أيام ، ثم انهزم وقدم ابن الأشعث الكوفة .

وقال ابن الكلبي عن أبي مخنف وغيره : لما خرج الناس لتلقي ابن الأشعث فرأى كثرة من استقبله عدل عن الطريق كراهة أن يروا من معه من

الجرحى ، وجعل أصحابه يقولون : إن الله عز وجل قد أخزى الحجاج وهزمه وفرق جمعه ، وأقبل حتى نزل عند دار فرات بن معاوية وقال : لا والله لا أبرح ولا أدخل منزلي حتى أستنزل مطراً ، ثم جلس في أصحاب الخلقان ، فرآه رجل من بني أسد يقال له عبدالله فقال : ما أخلق هذا الرجل لأن يخلق امره ، وجاء الناس إليه من كل مكان ، وسبقت إليه همدان بالناس، وكانوا أخواله وتفرق الناس عن ابن ناجية، وأراد قوم من بني تميم أن يقاتلوا عنه ، فلم يطيقوا ذلك ، فأمسكوا ، وقال ابن الأشعث : كفوا عنه ولا تقتلوه واتوني به سليماً ، فدعا الناس بالسلاليم ، فوضعت على القصر ، وصعدوا فأخذ فأتي به ابن الأشعث ، فقال له : استبقني فإني أفضل فرسانك وأعظمهم غناءً عنك ، فأمر به إلى الحبس ثم دعا به بعد ذلك فبايعه : فقال الأقيشر الأسدي :

ابني تميم ما لمنبر ملككم ... لا يستقر فعوده يتمرمر
يبكي إذا مطر علا أعواده ... شم الكرام وقال ما قد ينكر
إن المنابر أنكرت أشباهكم ... فادعوا خزيمة يستقر المنبر
قوم رأيت الله ينصر دينهم ... عند اللقاء ودينكم لا ينصر
خلعوا أمير المؤمنين وبايعوا ... أحواك كندة بيعةً لا تظفر
بايعتم مطراً وكانت هفوةً ... خلف لعمرك من أمية أعور[1]

قالوا : ودخل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث القصر ، وجاءه الناس من كل أوب، وأتاه أهل البصرة، وتقوضت إليه المسالح ، وجاءه

---

١ ـ ديوان الأقيشر الأسدي ـ ط . بيروت ١٩٩١ ص ٣٩ ، وورد في الديوان أربعة أبيات فقط مع فوارق .

قوم من الثغور ، ولحق به عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب في جماعة من فرسان أهل البصرة ووجوههم ممن لم يأمن الحجاج ، ولم يثق بأمانه ، وتلاحق به أصحابه ، وقام الحجاج بالبصرة خطيباً فقال : إنكم خالفتم وعصيتم وأحللتم بأنفسكم ، فعفوت عنكم ، وقد قدرت ، وأنا أقسم لكم بالله لئن عدتم لمثل فعلكم لأقتلن مقاتلتكم ولأحربنكم بأموالكم .

وأقام فيما يقال بالبصرة نحواً من شهر ، ثم خرج منها إلى الكوفة ومعه زياد بن عمرو العتكي ، فرفع إلى الحجاج أن عند زياد ثقل عبدالله بن يزيد بن المغفل ونجائبه وإبله ، فسأله الحجاج عن ذلك فأقر به ، وقال : أصلح الله الأمير كان رجلاً من قومي ، فوالله ما شعرت بشيءٍ حتى رأيته في داري وثقله ، فاستحييت منه ، وخرج هارباً ، وكانت مليكة بنت يزيد بن المغفل أخته امرأة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، قال : أفتؤوي ثقله ، وقد عرفت عداوته لي وللمسلمين ، فأين ثقله الآن ؟ قال : ألحقته به ، إلا ما لا بال به ، فشده في الحديد ، وخرج به معه ، فبعث زياد ابنه الحواري بن زياد إلى عبد الملك فأعلمه علمه ، فكتب إلى الحجاج : «أما بعد فإنه بلغني أنك حبست زياد بن عمرو العتكي ، وليس مثل زياد حبس ، ولا ظن به سوء ، فخل سبيله حين يأتيك كتابي ، فإنه من أهل السمع والطاعة والمناصحة قديماً ، والسلام» .

فخلى سبيله وهو بدير الجماجم .

خبر دير الجماجم

قالوا : سار الحجاج من البصرة في البر فمر بين القادسية والعذيب ، فبعث ابن الاشعث إليه عبد الرحمن بن العباس في خيل أهل الكوفة والبصرة . وكان ابن الأشعث جمع بالبصرة سلاحاً كثيراً وتجافيف ، فسار ابن العباس إليه في خلق من المجففة فمنعوه من نزول القادسية ، وبلغه كثرة من مع ابن الأشعث واجتماعهم على قتاله فارتفع عنهم ، وسايروه حتى نزل دير قرة[1] . وكان قد عزم على الارتفاع نحو الجزيرة ليقرب من عبد الملك ولا يكون بينه وبينه أحد يتخوفه ، فلما صار إلى دير قرة قال : والله ما بهذا المنزل بين أمير المؤمنين وأهل الشام بُعْد ، ولا أحد يحول بيني وبينهم ولا أتخوف أن يأتيني من ورائي أحد ، وإني لفي رساتيق من الفلوجة وبالقرب من عين التمر ، وأرجو أن تحملنا هذه الرساتيق ، ولنزولي معهم في بلادهم أشد عليهم من نزولي نائياً عنهم .

---

١ ـ قريب من دير الجماجم ، على طرف من البر ، ودير الجماجم مما يلي الكوفة . معجم البلدان .

فنزل بدير قرة ، ونزل عبد الرحمن بن العباس بدير الجماجم ، وخرج ابن الأشعث حتى صار إلى دير الجماجم فعسكر فقال الحجاج : نزلنا بدير قرة ونزل عدو الله بدير الجماجم أفما أتفاءل بهذا ، وخندق الحجاج على نفسه ، وخندق ابن الأشعث أيضاً على نفسه .

واجتمع قراء أهل الكوفة إلى جبلة بن زِحْر الجعفي فجعلوه رئيساً عليهم ، وكان الحجاج كتب إلى عبد الملك حين قدم من البصرة فخبره بكثرة أهل العراق وجدهم واجتماعهم على حربه ، فسرح إليه عبد الله بن عبد الملك ابنه في عشرين ألفاً من أهل الشام ، ومحمد بن مروان أخاه في عشرين ألفاً من أهل الجزيرة ، فوافوا الحجاج بدير قرة بعد تضييق أهل العراق عليه ، فلما قدموا عليه قوي أمره وروخي من خناقه .

ولم يكن بين الفريقين قتال قبل قدوم عبد الله ومحمد ، إلا أن أهل العراق كانوا يأتون عسكر الحجاج فيكون بينهم تناوش على خندقه عند أبوابه في غير تزاحف .

وكان مَنْ قِبَل عبد الملك من وجوه الناس من قريش وغيرها قالوا له : إذا كان رضا أهل العراق بعزل الحجاج فاعزله عنهم تخلص لك طاعتهم وتحقن دماءهم ودماء أهل الشام . فقال لابنه : إذا اجتمعت ومحمداً عمك فاعرض على أهل العراق أن تعزل الحجاج عنهم ، وتجري عليهم أعطياتهم كما تجري على أهل الشام ، وتجري على ذريتهم كما تجري على ذرية أهل الشام ، وأن ينزل ابن الأشعث أي بلد شاء ويكون عليه والياً ما دام حياً ، فإن قبلوا ذلك كان محمد بن مروان الأمير عليهم ، وإن أبوا فالحجاج أمير عليك وعلى محمد والناس .

وكان عبد الملك كتب إلى محمد بن مروان في المسير إلى العراق من الجزيرة لأنه كان عامله عليها ، وكتب إليه بمثل ما أوصى به ابنه عبد الله ، وقوم يزعمون أن محمداً كان حاضراً فأوصاه مشافهة ، والأول أثبت .

قالوا : فلما قدم عبد الله ومحمد على الحجاج ، وقد أوصيا بما أوصيا به ، اشتد ذلك على الحجاج فكتب إلى عبد الملك : والله لئن أعطيت أهل العراق ما يحبون من نزعي ، وعرفوا أنك تحب مداراتهم لم يلبثوا إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ألم تسمع بوثوب أهل الكوفة على عثمان ، فلما سألهم عما يريدون قالوا:نزع سعيد بن العاص ، فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ، وإن بعض الشدة أبلغ في السياسة وأحزم في الرأي فإن الحديد بالحديد يفلح ، خار الله لك فيما ارتأيت .

وأبى عبد الله إلا عرض هذه الخلال على أهل العراق طلباً للعافية ، فخرج عبد الله ومحمد حتى وقفا على عسكر أهل العراق فقال لهم : أنا عبد الله ابن أمير المؤمنين ، وهذا عمي محمد بن مروان ، وإن أمير المؤمنين يعطيكم كذا وكذا ، وأدى رسالة أبيه ، فقالوا : ترجع العشية لنعرفك رأينا .

ثم اجتمعوا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فقال لهم : إنكم قد أعطيتم ما سمعتم فاقبلوا ما عرض عليكم وأنتم أعزاء أقوياء ، إن كانوا قد نالوا منكم يوم الزاوية قبلا فقد نلتم منهم يوم تستر مثله ، وهذه فرصة لكم فانتهزوها .

فوثب الناس من كل جانب فقالوا : إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في الأزل والضنك والمجاعة والقلة والذلة ، ونحن ذوي العدد الكثير والمادة القريبة ، لا والله لا نقبل ، وأعادوا حلفاً ثانياً .

وكان إجماعهم على خلع عبد الملك بدير الجماجم أكثر من اجتماعهم على خلعه قبل ذلك ، فرجع عبد الله ومحمد إلى الحجاج فقالا : شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك فإنا قد أمرنا أن نسمع ونطيع لك ، فكانا يسلمان عليه بالإمرة ويسلم عليهما بالإمرة أيضاً ، وخلياه والحرب ، فعبأ جنده ، وعبأ ابن الأشعث جنده فجعل على خيله عبد الرحمن بن العباس الهاشمي ، وعلى القراء جبلة بن زحر الجعفي ، وكان في القراء عامر الشعبي وسعيد بن جبير مولى بني أسد وقوم يقولون أنه مولى سعيد بن العاص وذلك باطل .

وكان الحجاج وجهه على نفقات جيش الطواويس ، فصار مع ابن الأشعث بعد ، وأبو البَخْتَري الطائي واسمه سعيد بن فيروز مولى بني نبهان .

وقال الهيثم بن عدي : اسمه سعيد بن جبير ، وقال علي بن المديني : اسمه سعيد بن عمران . وعبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، ومسلم بن يسار مولى طلحة بن عبيد الله من بني تيم من قريش ، وعبد الله بن غالب الجهضمي من الأزد ، وعقبة بن وساج البرساني من الأزد ، وأبو صالح ماهان الحنفي ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، فجعلوا يتزاحفون فمرة ينتصفون ومرة يكون لهؤلاء ومرة لهؤلاء ، وكان أهل العراق في خصب وأهل الشام في غلاء من السعر وضر ، وكان ابن الأشعث قد بعث عبد الله بن

إسحاق بن الأشعث ، لحشر الناس من الكوفة ، فأخرج جعفر بن عمرو بن حريث ، وبعض آل أبي معيط إلى عسكر ابن الأشعث ، وأمر كميل بن زياد أن يحرض الناس فأخرج وهو شيخ كبير فحمل حتى أقعد على المنبر دون عبد الله بن إسحاق بدرجتين فخطب خطبة طويلة يقول فيها : إنكم قد غلبتم على فيئكم وبلادكم ، ولقد فتح الله عليكم الموصل وأداني الجزيرة وجميع آذربيجان وأرمينية ثم انتزعها منكم معاوية ، فجعل عليكم غزوها وجعل لأهل الشام خراجها ، إنه والله لا ينفي عنكم الظلم والعدوان إلا التناصح والتأسي ، واجتماع الكلمة ، وصلاح ذات البين ، والصبر على الطعان بالرماح والضرب بالسيوف ، إنكم يا أهل العراق منيتم بشر أهل بيتين في العرب : بآل الحكم بن أبي العاص بن أمية وآل أبي عقيل ، فتباذلوا وتناصحوا وتواسوا بالأنفس والأبدان .

قالوا : ولم تكن كتيبة أشد على أصحاب الحجاج من كتيبة القراء ، لأنهم كانوا يحملون فلا يكذبون ، ويحمل عليهم فلا يبرحون .

ثم إن الفريقين تَعَبُّوا فعبأ الحجاج لكتيبة القراء ثلاث كتائب وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي ، فحمل أهل الشام عليهم ثلاث حملات ، ثم قال ابن أبي ليلى : إن الفرار قبيح ، وليس هو بأحد من الناس أقبح به منكم فإني سمعت علياً رفع الله درجته في الصالحين وأثابه أحسن ثواب الشهداء الصديقين يقول : من أنكر منكراً بقلبه فقد برىء منه ، ومن أنكره بلسانه أجر ، ومن أنكره بالسيف فقد أصاب سبيل الهدى ، ونور قلبه باليقين ، قاتلوا هؤلاء المحلين المبتدعين الذين جهلوا الحق فليس يعرفونه ، وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه .

وقال أبو البختري الطائي : قاتلوهم فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدن دينكم وليغلبنكم على دنياكم .

وقال الشعبي : قاتلوهم فوالله ما أعلم أحداً على بسيط الأرض أَجْوَرُ منهم في حكم ، ولا إغلاء في ظلم لا تركاً ولا ديلماً .

وقال سعيد بن جبير : قاتلوهم بنيَّةٍ ويقين ولا تتأثموا في قتالهم ، فَعَليَّ كل إثم يدخل عليكم في ذلك ، قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلالهم الضعفاء ، وإماتتهم الصلاة .

قال : ثم تهيأوا للحملة ، فقال جبلة بن زحر : احملوا حملة صادقة . فحملوا فضربوا الكتائب الثلاث حتى أزالوهم ، فوجد جبلة بن زحر صريعاً لا يدرى من قتله فهدهم ذلك ، فقال أبو البختري : إنما كان ابن زحر رجلاً منكم فاعتصموا بالصبر وارجعوا إلى الله في الأمر . ويقال إن الحارث بن جَعْوَنَة العامري طعن جبلة فقتله .

وحمل الحجاج رأس جبلة على رمحين وقال : ما كانت فتنة قط فخبت حتى يقتل فيها رجل من أهل اليمن ، وقتلت جماعة من القراء .

وقال ابن الكلبي عن أبي مخنف وعوانة : كان قتالهم بالدير مائة يوم ، ثم اقتتلوا فهزموا ، وضعف أمر ابن الأشعث ، وقتل أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى ، ويقال إنه قتل يوم دجيل الأهواز ، وأبو البختري وابن شداد بن الهاد ، ويقال يوم دجيل أيضاً ، ويقال إن أبا البختري قتل يوم دجيل أيضاً .

قالوا : وكان بسطام بن مصقلة بن ميسرة الشيباني بالري فلما بلغه خلع الناس وابن الأشعث ، قام ابن مصقلة خطيباً فقال : إن عبد

الرحمن بن محمد بن الأشعث قد خلع الحجاج وعبد الملك وأخرج الحجاج من العراق فانصرفوا إلى نسائكم وأولادكم ، فتصدع الناس وتركوا قتيبة ، ووثبت ربيعة إلى بسطام ، وصار أهل اليمن إلى جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف فبقي قتيبة ليس معه أحد ، وخاف أن يحارب فلما انصرفوا عنه وتركوه ولم يقاتلوه سر بذلك .

وأقبل بسطام مسرعاً حتى أتى عبد الرحمن بن محمد بالجماجم ، فيقال إن قتيبة استخلف على عمله وسار يستقري الجبال ويسكن الناس والدهاقين حتى صار إلى عكبرا ، وكتب إلى الحجاج يعرفه خبره فكتب إليه ؛ قد وفيت وسمعت وأطعت ونصحت فأقبل إلي ، فصار إليه ، ثم ردَّه حين كثرت عنده الأمداد .

ويقال : إنه لم يبرح من الري ، وكان بسطام بدير الجماجم على ربيعة ، فاقتتلوا فحمل حتى دخل عسكر الحجاج فسبى نحواً من ثلاثين امرأة من بين أمة وسرية ، فلما دنا من عسكر ابن الأشعث خلاهن ، فقال الحجاج : أولى له ، أما والله لو لم يفعلها لسبيت غداً نساءهم إذا ظهرت عليهم .

وكان أبو البختري وسعيد بن جبير يقولان : ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجري الشاكرين﴾[1] ثم يحملان .

---

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٤٥ .

حدثني يوسف بن موسى ، ثنا جرير بن عبد الحميد عن معين عن البزيغ بن جبلة وخالد الضبي قال : سمعت الحجاج خطب على المنبر فقال : أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته ؟ فقال : قلت : عليَّ لله ألا أصلي خلفك أبداً ، وإن رأيت قوماً يجاهدونك أن أجاهدك . فخرج في الجماجم فقتل .

وقال أبو المخارق الراسبي : قاتلناهم مائة يوم أعدها ، نزلنا دير الجماجم مع ابن الأشعث غداة يوم الثلاثاء في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين ، وهزمنا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة عند ارتفاع الضحى ، وما كنا قط عليهم أجرأ منا في ذلك اليوم ، خرجوا إلينا فاقتتلنا قتالاً شديداً ونحن للهزيمة آمنون ، وعليهم ظاهرون ، ثم خرج علينا سفيان بن الأبرد الكلبي من قبل ميمنة أصحابه ، فانحط على ميسرتنا وفيها الأبرد بن قرة التميمي فانكشف ، فظن الناس أنه كوتب واستميل لأن الفرار لم يكن من عادته فتقوضت الصفوف لفعله ، وركب الناس رؤوسهم به وصعد عبد الرحمن بن محمد منبره وجعل ينادي : عباد الله ، أنا عبد الرحمن بن محمد . وجاءه قوم فأحاطوا به فيهم بسطام بن مصقلة وهو فارس الناس ، وأتاه عبد الله بن يزيد بن المغفل أخو امرأته فقال له : انزل فإن الناس قد ذهبوا ، وإن أهل الشام قد كثروا ، وأنا أخاف إن لم تنزل أن تؤسر ، ولعلك إن انصرفت عنهم أن تجمع لهم جمعاً يهلكهم الله به .

وقال الحجاج حين انهرموا : لا تتبعوهم ، فنزل ابن الأشعث فخلى أهل العراق والعسكر ومضى مع بني جعدة حتى جاؤوا به قرية بني جعدة بالفلوجة ، فعبروا وانتهى إليهم بسطام بن مصقلة فقال : أفيكم ابن محمد ؟

أفيكم الأمير؟ فلم يكلموه ، فأتى أهله فأوصاهم ثم خرج من الكوفة فأتى المدائن ثم أتى مأمنه .

واستقبل مطر بن ناجية الناس فحمل على أصحاب الحجاج في خيل لبني حنظلة فخرقهم حتى جازهم ، ثم حمل عليهم راجعاً فقال الحجاج : دعوهم لا تتبعوهم .

ثم إن الناس مضوا منهزمين ، وجال أصحاب الخيل في متونها ، واسودت الأرض من الرجالة ، وتنحى عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة في ناس، ناس كثير فقاتلوا معه قتالاً شديداً بعدما ذهب أكثر النهار، وشغل الحجاج وأهل الشام عن الناس حين انهزموا وكثرت عليهم الأسراء فقتل بعضهم وعفا عن بعض كراهة أن يفنيهم ، وقال من لثغورهم إذا ذهبوا ؟

وأمر الحجاج فنودي : إن من رجع فهو آمن ، ومضى حتى نزل دير النساء[1] ، وكان على الكوفة من قبل عبد الرحمن بن محمد : عبد الله بن اسحاق بن الأشعث فهرب حتى لحق بعبد الرحمن بن محمد ، ومضى عبد الرحمن إلى المدائن ، ثم أتى مسكن الأهواز وهي بقرب تستر ، واجتمعت إليه فلوله من أهل الكوفة وغيرهم وتلاوموا في الفرار .

وقال الهيثم بن عدي وغيره : أتى ابن الأشعث بعد الجماجم الكوفة فحمل ولده ونساءه وماله ، ثم أتى المدائن فزحف إليه الحجاج فمضى نحو البصرة فقاتله الحجاج بفج دجيل .

---

١ ـ لعل المعني هنا هو دير العذارى الذي ذكره الشابشتي في كتابه الديارات ـ ط . بغداد ١٩٦٦ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

مقتل بسطام

وقد كان بسطام بن مصقلة لحق به ، ثم إن بسطاماً حلق رأسه وقال : حتى متى تكون الحياة ، وقاتل وخلق معه تبايعوا على الموت حتى قتلوا جميعاً ، فَهَدَّ ذلك ابن الأشعث .

قالوا : وفصل ابن الأشعث من مسكن فأمر بقنطرة وشاذروان هناك فهدما فلم تصلح القنطرة إلى هذه الغاية .

قالوا : ورجع محمد بن مروان إلى الجزيرة وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام ، وخلوا الحجاج والعراق ، فجاء حتى نزل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل العراق ، إن الشيطان قد استبطنكم ، فخالط اللحم منكم والعصب والأعضاء والأطراف ، وجرى مجرى الدم ومضى إلى الأمخاخ والأصماخ فحشاها شقاقاً ونفاقاً وسوء رعة ، ثم عشش فيها وباض وفرخ ودب ودرج ، اتخذتموه دليلاً تتابعونه وقائداً تطاوعونه فلن ينفعكم معه تجربة ولا تعظكم وقعة ولا يحجزكم إسلام ولا يكفكم بيان ، ألستم أصحابي بالأهواز حين رمتم النكر وسعيتم بالغدر واجتمعتم على الكفر ، فأقسم بالله إني لأرميكم بطرفي وإنكم لتسللون متفرقين كل امرىء منكم ناكس رأسه على عنقه حذار السيف رعباً وجبناً وذلاً مكنه الله في قلوبكم ، ويوم الزاوية وما يوم الزاوية بما كان فشلكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم بعد أن غركم فوليتم أستاهكم السيوف هاربين لا يسأل الشيخ عن بنيه ، ولا يلوي امرؤ على أخيه حتى عضكم السلاح وأقعصتكم الرماح ، ويوم دير الجماجم وما دير الجماجم ، كانت الملاحم والمعارك العظام بضرب يزيل الهام

عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله ، فما الذي اذكر منكم يا أهل العراق وما الذي أتوقع وما الذي استبقيكم له ، إن بعثتكم إلى الثغور جبنتم ، وإن أمنتم رجعتم ، وإن خفتم نافقتم ، لا تجزون بحسنة ولا تشكرون نعمة ، هل استنبحكم نابح واستغواكم غاو واستخفكم ناكث واستفزكم عاص إلا بايعتموه وتابعتموه وكيفتموه وأجلبتم حوله ؟! وهل شغب شاغب ، ونعب ناعب ، وظهر كاذب إلا كنتم أشياعه وأنصاره ، يا أهل العراق لم تنفعكم التحارب وتُحْكِمْكُم المواعظ عن سوء ما أتيتم واجتنيتم ، ولا انتفعتم بالعبر في الوقائع ، ولا وزعتكم موارد الأمور ومصادرها ، ثم يا أهل الشام أنا لكم كالظليم المحافظ على فراخه ينفي عنهن القذر ، ويباعد المدر ، ويكنفهن عند المطر ، ويحرسهن من الذباب . أنتم العدة والجنة إن حارب محارب وجانب مجانب ، وما أنتم إلا كما قال نابغة بني جعدة :

تحين المنايا بأيديكم ومن يك ذا أمل يكذب[1]

قالوا : ولم يدخل في الأمان إلا نحو من ألف ، فأمر الحجاج مصقلة بن كرب بن رقبة العبدي بتوبيخهم وتصغير أنفسهم إليهم فجلس على كرسي يبايعهم ويوبخهم ويشتمهم ، حتى جاء زهير بن مسلم الأزدي ، وكان قد ولاه قبل ذلك ميسان ، فقال الحجاج : يا هؤلاء ألا أعجبكم هذا الذي عهدي في يده ولم يجف خاتمه ، ثم خرج علي .

وركب الناس وجوههم إلى المدائن حتى اجتمعوا إلى ابن الأشعث بمسكن وهو من الأهواز .

---

١ ـ في ديوان النابغة ص ٣٠ :

وحانت منايا بأيديكم ومن يك ذا أجل يجلب

وقال الهيثم : صار الحجاج إلى البصرة فوجه جيشاً لمحاربة ابن الأشعث وضمه إلى ابنه محمد بن الحجاج فواقعه بمسكن فقتل بسطام بن مصقلة وجماعة بايعوه على الموت ثم بعد مسكن بالسوس ساعة من نهار ، ثم إن ابن الأشعث انهزم وأصحابه حتى صاروا إلى سابور من فارس،فاجتمعت إليه مع أصحابه الأكراد فقاتلهم عمارةُ قتالاً شديداً ثم إنَّ ابنَ الأشعث انهزم ومن معه.وقاتلت الأكراد بعد مضي ابن الأشعث عمارة قتالاً شديداً على العقبة .

وأتى ابن الأشعث كرمان فتلقاه عمرو بن لقيط العبدي ، وكان خلفه عليها ، فهيأ له نزلاً ، وقال رجل من عبد القيس لابن الأشعث : والله لقد بلغنا أنك كنت جباناً ؟ فقال : والله ما جبنت ، ولقد دلفت بالرجال إلى الرجال ولففت الخيل بالخيل ، وقاتلت فارساً وراجلاً وما تركت العرصة للقوم حتى لم أجد مقاتلاً ، ولكن زاولت ملكاً مؤجلاً له مدة .

وأمد الحجاج عمارة بن تميم بخيل كثيفة ، وأمر محمداً ابنه بالانصراف إليه ، وولى عمارة بن تميم سجستان ، ثم إن ابن الأشعث فوز بمن معه في مفازة كرمان ، وأهل الشام يتبعونه ، فدخل بعض الشاميين فَضَلَّ في المفازة ، فإذا فيه شعر كتبه بعض أصحاب ابن الأشعث في صحيفة ، ويقال في حائط :

أيا لهفي ويا حزني جميعاً ويا حرَّ الفؤاد لما لقينا
تركنا الدين والدنيا جميعاً وأسلمنا الحلائل والبنينا
ألا كنا أناساً أهل دين فنصبر للبلاء إذا ابتلينا

ألا كنا أناساً أهل دنيا فنمنعها وإن لم نرج دينا
تركنا دورنا لطغام عك وأنباط القرى والأشعرينا

ثم إن ابن الأشعث سار إلى مدينة زرنج بسجستان وفيها رجل من بني تميم كان خلفه عليها يعرف بالبعار ، فلما علم أن ابن الأشعث منهزم ، أغلق باب المدينة دونه ومنعه من دخولها التماساً للتقرب بذلك إلى الحجاج وتلافي أمره عنده ، فأقام عنده ، فأقام ابن الأشعث عليها أياماً فلما لم يصل إليها أتى بست فاستقبله عياض بن عمرو السدوسي صاحبه بها وقال له : انزل ، فجاء حتى نزل ، فلما تفرق أصحابه في المنازل وأغفلوه وثب عليه فأوثقه ليأمن بها عند الحجاج ويتخذ لديه مكانة .

وعلم رتبيل بمقدم ابن الأشعث فاستقبله في جنوده ، فلما أُوثق ابن الأشعث ذهب رجال من أصحابه يركضون حتى استقبلوا رتبيل فأخبروه بما ركب عياض صاحبه منه ، فجاء رتبيل حتى أحاط ببسْت ، ثم نزل وبعث إلى عياض فقال : والله لئن أقذيتَ عينه أو ضَررته أدنىٰ مضرة أو رزأته حبلاً من شعر ، لا أبرحُ حتى أقتلك وجميع من معك ، ثم أسبي ذراريكم .

فأرسل إليه : أعطنا أماناً على أنفسنا وأموالنا ، ونحن ندفعه إليك سالماً موفوراً ، فأمنهم ففتحوا الباب لابن الأشعث وخلوا سبيله .

واستأذن ابن الأشعث رتبيل في قتل عياض فقال : قد أُمنته ، قال : فأذن لي في الإستخفاف به فأذن له في ذلك ، فأمر أن يوجأ عنقه ثم تركه ، ويقال إن رتبيل وجه من يخلص ابن الأشعث وقدم إليه بعياض ، ولم يتولّ أمره .

ولما صار ابن الأشعث إلى رتبيل أعظمه وأكرمه وقام له الأتراك ولمن معه ، ووفى بما كان بينه وبينه قبل شخوصه عن سجستان .

وقدم فلال ابن الأشعث عليه من كل وجه ، فاجتمع إليه منهم عشرون ألفاً فأمروا عليهم عبد الرحمن بن العباس الهاشمي ، وحاولوا فتح زرنج ، وكتبوا إلى ابن الأشعث فأتاهم فلما صار بزرنج وفتحها أخذ البعار فضربه وحبسه .

وقال أصحاب ابن الأشعث حين قرب منهم عمارة بن تميم بن فروة اللخمي : أخرج بنا من سجستان ودعها لأصحاب الحجاج وائت خراسان ، فقال : إن بخراسان يزيد بن المهلب وهو رجل شاب شجاع ولن يترك لكم سلطانه لو دخلتموها ، ولن يدع أهل الشام أيضاً اتِّبَاعَكُم فأكره أن يجتمع عليكم أهل الشام وجند خراسان .

فقالوا : إنما أهل خراسان منا ، نرجو إن دخلتها أن يكون من يتبعك منهم أكثر ممن يقاتلك . وهي أرض طويلة عريضة نَتَنَحَّىٰ منها إلى حيث شئنا إن أردنا التنحي ، ونقيم بها إلى أن يهلك الله عبد الملك والحجاج ونرىٰ من رأينا .

فقال : سيروا على اسم الله ، فسار ابن الأشعث بأصحابه حتى قرب من هراة فلم يشعر حتى فارقه عبيدالله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين ، وأخذ طريقاً غير طريقهم ، وجعل يفسد الناس على ابن الأشعث .

وقال بعضهم : أتى البصرة بعد ذلك فغلب عليها ثم هرب .

وقال ابن الأشعث لأصحابه إني قد شهدت بكم هذه المواطن فليس منها مشهد إلا وأنا أصبر لكم فيه نفسي حتى لا يبقىٰ معي منكم أحد ، فلما

رأيت أنكم لا تقاتلون ولا تصبرون أتيت ملجأ ومأمناً ، فكنت به فجاءتني كتبكم بأن أقبل إلينا فقد اجتمعنا بزرنج ، وأمرنا واحد ، وكلمتنا مجتمعة ، فأبيتم قتال عدوكم ورأيتم أن نمضي إلى خراسان ، وزعمتم أنكم مجتمعون لي وأنكم لن تتفرقوا عني ، وهذا عبيدالله بن عبد الرحمن بن سمرة قد صنع ما رأيتم فحسبي منكم فاصنعوا ما بدا لكم فإني منصرف إلى صاحبي الذي أتيتكم من عنده ، فمن أحب منكم أن يتبعني فليفعل ، ومن كره ذلك فليذهب إلى حيث أحبَّ في خيار من الله .

فتفرقت منهم طائفة ، وخرجت معه منهم طائفة حتى أتوا معه رتبيل ، وبقي عظم العسكر فوثبوا إلى عبد الرحمن بن العباس الهاشمي فبايعوه . وانتهوا إلى هراة فلقوا بها الرقاد الأزدي فقتلوه .

وسار إليهم يزيد بن المهلب فلقي عبد الرحمن بن العباس ومعه خلق كثير فقاتلهم بهراة فهزمهم يزيد وفلهم وقتل خلقاً منهم فما أحصوا إلا بالقصب ، وأخذ رؤوس من معهم أسرى فكان فيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص وعمر بن موسى بن عبدالله بن معمر التيمي ، وكان على شرطته بعد الحجاج ، وعتبة بن عبيدالله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس ، وعاصم بن قيس التميمي .

وأُسر يومئذ الهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة بن عُدْس ، وعياض بن الأسود بن عوف الزهري ، ويقال إنه قتل بالزاوية . وعبد الرحمن بن طلحة الطلحات الخزاعي ، ويقال يزيد بن طلحة الطلحات . وفيروز حصين المنسوب إلى حصين العنبري ، وكان مولاه فحبس ابن طلحة الطلحات عنده وأمنه ، وبعث بالباقين إلى الحجاج ،

ويقال إنه صفح عن جميع الأسراء اليمانية وبعث بمن سواهم فقال الحجاج لمحمد بن سعد حين رآه ، وكان أحول أسود : هذا ظل الشيطان ، وثَّابٌ في كل فتنة ، ألست صاحب يوم الحرة تقتل أصحابك كما تقتل عدوك ، قال : أَو ليس ذاك كان أَحب إليك ، قال : أما والله لا تقاتل بعدها في فتنة أبداً ثم ليصلينَّك الله ناراً كلما خبت زيدت سعيرا . فقال : إن الله قد أَعدها لك ولقومك أكباد الحمر ، وأما أنا فقد والله حشدت عليك فيمن حشد وجهدت مع من جهد ، وايم الله ما أعطيت بيدي طائعاً ، ولكني ضربت بسيفي حتى انقطع . فأمر به الحجاج فقتل .

ويقال إنه قال : يا ظل الشيطان أنت أعظم الناس كبراً وتيهاً ، تأبى بيعة يزيد بن معاوية تشبهاً بابن عمر والحسين ثم تتابع حواك كندة ؟ فقال له : ملكت فأسجح ، فضرب عنقه .

ثم دعا بعمر بن موسىٰ بن عبدالله فقال : أنت صاحب شرطة عبد الرحمن بن عباس ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، كانت فتنة شملت البر والفاجر ، فدخلنا فيها وقد أمكنك الله منا فإن عفوت فبحلمك وفضلك ، وإن عاقبتَ عاقبتَ ظلمة مذنبين .

فقال : أما قولك : شملت البر والفاجر فقد كذبت فيه ، ما شملت إلا الفجار ولقد عوفي منها الأبرار ، أما اعترافك بذنبك فعسىٰ أن ينفعك ، فعزل ناحية ورجا له الناس السلامة .

وقال للهلقام : ما رجوت من اتباع ابن الأشعث ؟ أظننت أنه يكون خليفة ؟ قال : نعم قد رجوت أن يكون خليفة وطمعت في ذلك ، وأن ينزلني منه بمنزلتك من عبد الملك ، فغضب وقال : اضربوا عنقه .

ونظر إلى عمر بن موسىٰ وقد نحي ، فقال : اضربوا عنقه فقتل ، ويقال إنه قال لعمر بن موسى :

أتقوم بالعمود على رأس ابن الأشعث الحائك ، وتشرب معه الشراب ، يا فرزدق أنشده ما قلت فيه فانشده .

أخضبت أيرك للزناء ولم تكن يوم الهياج لتخضب الأبطالا(١)

قال : فوالله لقد أكرمته عن عقائل نسائكم .

وقتل عتبة بن عبيدالله بن عبد الرحمن بن سمرة وجميع الأسراء .

وكان يزيد بن المهلب أمر حين انهزم عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ومن معه أن لا يتبعوا ، فهرب عبد الرحمن إلى السند فمات بها .

وكان ممن خرج مع ابن الأشعث : ببة ، وهو عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فلحق بعُمان وهو شيخ كبير فمات بها .

وقال المدائني في إسناده : لما خرج ابن الأشعث من هراة ، أشار عليه مودود بن بشر العنبري ألا يأتي رتبيل وأن يتحصن ويقاتل حتى يظفر أو يؤمن أو يموت كريماً فأبى ، وأتى رتبيل وأقام مودود متحصناً في مدينة زرنج ، فأتاه عمارة بن تميم اللخمي في أهل الشام فحصره حيناً ثم أمنه وأصحابه فوفىٰ لهم الحجاج وقال لمودود : أي الأرض أحب إليك ؟ قال : البصرة . قال : فأيها أبغض إليك قال : عُمان . فسيره إلى عمان . وفي مودود يقول بعض همدان ممن كان مع عمارة :

---

١ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .

لله عيناً من رأى من فوارس أكر على المكروه منهم وأصبرا
فما برحوا حتى أعضوا سيوفهم بذي الهام منا والحديد المسمرا
فلو أنهم لاقوا قواماً مقارباً ولكن لقوا موجاً من البحر أخضرا

مقتل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

قالوا : ولما صار عبد الرحمن إلى رتبيل منصرفه من خراسان وأقام عنده . كتب الحجاج إلى رتبيل : «أما بعد فإن الكذاب الشرود عدو الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب ، فأما معدي كرب فإنه عاهد مُهْرَة فغدر بهم فظفروا به فجدعوا أنفه وأُذنيه ، وشقوا بطنه وملأوه حصىً ، وأما قيس فإنه عاهد مذحج ثم غدر بهم فقتلوه ، وأما الأشعث فإنه كفر بعد إيمانه وغدر بقومه فأسلمهم لينجو ، وأما محمد فغدر بأهل طبرستان وهذا رجل غدار فاجر مائق معرق له في الغدر والفجور ، فلا تثق به ولا تمنعه ولا تُؤْوِهِ» .

وتتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في ابن الأشعث بالوعيد والترغيب والترهيب ، حتى كان خوفه أكثر من رجائه ، وقال في بعض كتبه : «لئن لم تسلمه وتبعث به إلي أو تخرجه من بلادك إلى غير حرز لأبعثن إليك مائة ألف ومائة ألف من أهل الشام والجزيرة وأرمينية وأهل خراسان ، ولئن أسلمته أو أخرجته لأضعن عنك الأتاوة سبع سنين .

وكان عند رتبيل رجل من بني يربوع يقال له عبيد بن سبع بن أبي سبع ، فقال لرتبيل : أنا آخذ لك من الحجاج أماناً وكتاباً بوضع الخراج عن أرضك سبع سنين ، ولا تغزىٰ ، على أن تدفع عبد الرحمن بن محمد إليه .

فسفر بينه وبينه عمارة بن تميم ، ويقال إنه أتى الحجاج فتوثق منه لرتبيل .

وبعث رتبيل إلى الحجاج برأس ابن الأشعث ، فوفى له الحجاج بالصلح ، فيقال أن ابن الأشعث مات حتف أنفه ، فلما أرادوا دفنه احتز رتبيل رأسه وبعث به إلى الحجاج ، ويقال بل دس له شربة أضنته وقتلته ، فأخذ رأسه حين مات وبعث به إلى الحجاج فكانت امرأته مليكة - كما زعموا - تقول : مات ورأسه على فخذي ،فلما أرادوا دفنه أمر رتبيل فاحتز رأسه ، وكان قد أصابه السل .

وقال الهيثم بن عدي عن أشياخه : كان عبيد بن سبع مولى بني تميم تاجراً يدخل بلدان رتبيل وكان عاقلاً ، وهو كان الداخل بين ابن الأشعث ورتبيل في الصلح ، فبلغ ابن الأشعث عنه شيء فأراد قتله ، فصار عليه ، فلم يزل يحذر رتبيل الحجاج ووفاءه بما كان يتوعده به ، ويخوفه أهل الشام ، وقال : ابعثني أتوثق لك وعمارة ففعل ، واشترط له عمارة ألا تؤخذ الجزية منه عشر سنين ولا يغزى .

فكتب عمارة بذلك إلى الحجاج فأنفذه الحجاج وأجازه ، فلما هم رتبيل بالغدر بابن الأشعث قال له : فرق أصحابك فإن البلاد لا تحملهم ، ففعل ، ثم صنع طعاماً فَحَضَرَهُ وجعل يعظمه ، وأمر أساورته فكفروا له ، وأقبل على طعامه ، ثم أشار إلى أساورته بأن يأخذوه ومن معه في البيت من آل الأشعث .

وتسامع أصحاب ابن الأشعث بذلك فهربوا على وجوههم ، وأخذ من أهل بيته جماعة يقال ثمانية عشر ، ويقال سبعة وعشرين فبعث بهم إلى

عمارة فقتلهم جميعاً ، وبعث بابن الأشعث إلى الحجاج فرمى بنفسه من قصر أُنزله في طريقه فمات فأخذ رأسه .

وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني في إسناده : أتى عبيد بن سبع عمارة وهو ببست فقال : ما تجعلون لي ولرتبيل إن دفع إليكم ابن الأشعث ؟ فجعل له ثلاثمائة ألف درهم وجعل لرتبيل ألا يُؤخذ منه الخراج سبع سنين ولا يغزى .

وكتب إلى الحجاج أن عبيد بن سبع أحد بني يربوع ذكر كذا وسأل كذا . فكتب إليه : أَعطه ما سأل لنفسه ، وأعط رتبيل ما سأل له .

ثم قدم على رتبيل فقال له : ما كنت صانعاً فاصنعه فقد توثقت لك وإلا أتاك ما لا قبل لك به من جنود أهل الشام والمصرين والجزيرة وخراسان ، وَهَيَّبَهُ الحجاج ، وأخبره بغدر ابن الأشعث ، فأجابه إلى إسلام ابن الأشعث .

وجاء ابن الأشعث فدخل على رتبيل فلما جلس قام رتبيل فقال : قد جاشت نفسي . وترك ابن الأشعث في المجلس فقام إليه النعار ، وقد كان أُخرج من محبسه فضرب رأسه بعمود حديد كان معه فشجه وأثخنه ، فقال : ويلك أخذت لها جعلاً .

ثم أخذوا ابن الأشعث فأوثقوه وناساً من آل ابن الأشعث ، وقيل لأصحابه إنكم آمنون فاذهبوا حيث شئتم ، وبعث بابن الأشعث ومن معه من حرمه إلى عمارة بن تميم اللخمي لينفذهم إلى الحجاج ووكل بهم جماعة من جند رتبيل فسلموهم إلى عمارة بن تميم .

وصير عليهم عمارة رجلاً من بني تميم وسير معه رجلاً من بني ربيعة بن حنظلة كان أتى عنزاً فلقب أبا العنز ، فجعل مع ابن الأشعث في سلسلة واحدة . فلما صار بالرخج رمى ابن الأشعث نفسه من جبل ، ويقال من فوق سطح عال كان إلى الطريق وأبو العنز فوقه فتدهدى وأبو العنز يقول له : أنشدك الله والصحبة ، فلما وافيا الأرض مات أبو العنز ، ثم لم يلبث ابن الأشعث أن مات .

واحتز رأسه وحمل إلى الحجاج ، وقدم بالقاسم بن محمد وأهل بيته ومليكة بنت يزيد الأزدي امرأة عبد الرحمن وأمه على عمارة فحملهم ، فقال الحجاج : يا مليكة : أسلطاننا خير أم سلطان رتبيل ؟ فظَنَّت أنه عرض بها فقالت : ما كنت فحاشاً . فقال : إني لم أذهب إلى حيث ذهبت . فقالت : سلطانك خير لنا .

وقال الحجاج لأم عبد الرحمن : ويقال لأمرأته : أخذت مال الله فوضعته تحت ذيلك ، فقال عنبسة بن سعيد بن العاص : لقد أعففت المنطق ، قال : أَفكنت تراني أقول الأُخرى ؟

ولما رأى الحجاج رأس ابن الأشعث قال : لقد كنت عالماً بتيهه وموقه وسخافة عقله ، ولكن الله أراد أن يهلك به جيلاً من خلقه كانت له فيهم نقم . وتمثل :

أبى حينه والموت إلا تهورا فلاقاه عبل الساعدين شتيم
كريه المحيا باسل ذو عرامة فروس لأعناق الكماة أزوم

فقال ناعصة بن يزيد القيني . ويقال إنه من غير القين : لا يبعد الله إلا من عصاك . قالوا : وبعث برأسه إلى عبد الملك ، فبعث به عبد الملك ، إلى عبد العزيز بمصر ، فقال الشاعر :

هيهات موقع جثة من رأسها ... رأس بمصر وجثة بالرُّخجِ
قتلوه قسراً ثم قالوا بايعوا ... وجرى البريد برأس قرم أبلج

وقدم بالقاسم بن محمد ومن معه من أهله على الحجاج فاستبقى القاسم ولم يقتله .

قال : ولم يقتل من آل ابن الأشعث أحداً يعرف غير عبد الرحمن وعبدالله بن اسحاق بن الأشعث . وكان عبد الرحمن بن محمد ولى عبدالله بن اسحاق الكوفة فلما هزم عبد الرحمن خرج وهو يريد عبد العزيز بمصر وكان ابن خالته ، فأخذ طريق السماوة فانتهى إلى ماء من مياه كلب . فنزله فوجد الأعراب منه ريح الطيب فقالوا: إن لهذا شأناً ، ولم يعلمهم من هو فأخذوه فأتوا به عبد الملك فضرب عنقه .

وكانت أم عبدالله بن إسحاق الشعثاء بنت زبّان بن الأصبغ الكلبي ، وأم عبد العزيز ليلي بنت زبان .

وقال هشام ابن الكلبي : خرج الحجاج في أيامه تلك ومعه حميد الأريقط وهو يقول :

مازال يبني خندقاً ويهدمه ... هيهات من مَصْعَدَهُ مُنْهَزَمُهْ
إن أخا الكظاظ[1] من لا يسأمه .

---

١ - الكظاظ : الشدة والتعب . وطول الملازمة والممارسة الشديدة في الحرب . القاموس .

فقال الحجاج : هذا أصدق من قول الفاسق أعشى همدان :
إن بني يوسف للزل انزلق ، وقد تَبيَّنَ مَنْ زَالَ وَتَبْ . ومَنْ دَحَضَ فَانْكَبّ .

ورفع صوته ففرغ الأريقط فقال له : مالك ؟ قال : إن سلطان الله عزيز ، ورأيتك قد غضبت فأرعدت خصائلي واسترخت مفاصلي وأظلم بصري . فقال : صدقت . إن سلطان الله عزيز فعد إلى ما كنت فيه .

وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني : كان صلح رتبيل سنة ثلاث وثمانين والمدة سبع سنين ويقال تسع ، ويقال عشر سنين .

قالوا : وكان مع ابن الأشعث عبد الرحمن اليحصبي ، وكان أطول الناس صلاة ، فهرب إلى خراسان ودخل حائطاً ليصلي وبعث غلامه إلى السوق ليبتاع له ما يصلحه فجاء ناس فجلسوا إلى جنبه وظنوا أن معه مالاً فوثبوا عليه وهو قائم يصلي فقتلوه ثم نظروا فإذا ليس معه شيء .

وقال المدائني : كان عباد بن الحصين الحبطي مع ابن الأشعث وأشار عليه بأشياء بلغت الحجاج ، فهرب إلى سجستان وصار إلى ناحية كابل ، واعتزل في قرية هناك ، وكان صاحب القرية شاباً فكان يراسل أُمة له ، فسقىٰ عباداً يوماً شيئاً فقتله فوثب ابنه جهضم ، وبه كان يكنىٰ . على العلج فقتله فاجتمع أهل تلك القرية على بنيه ومن معه فقاتلوهم فقتلوا بعضهم ، فيقال إن جهضماً قتل يومئذ ، ويقال أن الحجاج ظفر به فقتله لخروجه مع ابن الأشعث .

وقال عوانة وغيره : بدأت فتنة ابن الأشعث في سنة اثنتين وثمانين وانقضت سنة ثلاث وثمانين ، ومات عبد الملك سنة ست وثمانين .

قالوا : وكتب عبد الملك إلى الحجاج : «أَنْ جَمِّرْ أهل العراق وتابع عليهم البعوث واستعن عليهم بالفقر فإنه جند الله الأكبر» . ففعل ذلك بهم سنتين . ثم إنه كتب إلى عبد الملك كتاباً يقول فيه : «إن الله إنما نصرنا بطاعته والوفاء ببيعة خليفته ، وإنما هلك أهل العراق . بمعصيتهم وخلافهم ونكثهم . وإن لهم في هذا الفيء حقاً ونصيباً ، وإني أخاف إن حبسناه عليهم أن يُنصروا علينا ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهم بحقوقهم فليفعل . وإلا فلا يحرمن أمير المؤمنين الذرية الذين لا ذنوب لهم» .

فكتب إليه أن : «آمر للناس جميعاً من أهل المصرين مقاتلتهم وذريتهم بحقوقهم» ، فوضع للحجاج سريره في المسجد ، ثم دعا الناس بعد الجماجم بسنتين فأعطاهم عطاءين للسنة الأولى والثانية .

وعزل الحجاج عمارة بن تميم اللخمي وولى عبد الرحمن بن سليم الكلبي ثغر سجستان فظفر عبد الرحمن بعطية بن عمرو العنبري وخرشة ، وكانا متحصنين في القلعة وبعث بهما إلى الحجاج ، فقتلهما وصلبهما على بابي منزليهما .

قالوا : وكان منادي الحجاج حين هزم أهل دير الجماجم نادى : من لحق بقتيبة بن مسلم فهو آمن ، فلحقت به جماعة .

أمر الشعبي

وكان منهم عامر بن شراحيل الشعبي وكان قتيبة بالري، وسأل الحجاج عن الشعبي فأخبره يزيد بن أبي مسلم، مولى الحجاج، بمصيره إلى قتيبة، فكتب إلى قتيبة باشخاصه فلما قدم به استشار ابن أبي مسلم في أمره فقال: ماأدري ماأشير به، غير ان اعتذر مااستطعت، فلما دخل على الحجاج سلم بالإمرة ثم قال: أيها الأمير إن الناس أمروني أن اعتذر إليك بغير الحق، وايم الله لاقلت في مقامي هذا إلا حقاً، قد والله سعرنا عليك الحرب واجتهدنا كل الجهد فما ألونا، ولقد نصرك الله علينا وظفرك بنا، فإن سطوت علينا فبذنوبنا وما كسبت أيدينا، وإن عفوت فبحلمك عنا وبعد الحجة علينا.

فقال: أنت والله أحب إلي قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا فيقول والله مافعلت ولا شهدت، فقد أمنت عندنا ياشعبي فانصرف، قال الشعبي: ثم دعاني فارتعت حتى ذكرت قوله أنت آمن عندنا فاطمأننت، فلما دخلت عليه قال: هيه ياشعبي. فقلت: أصلح الله الأمير، أوحش الجناب وأحزن المنزل ونبا بنا، واستشعرنا الخوف، واكتحلنا السهر، واستحلسنا

البلاء، وفقدنا الصالحين من الإخوان ـ أو قال صالحي الإخوان ـ وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولافجرة أقوياء، ومأعتذر إلى الأمير ألا أكون شيعت عليه، وقد كنت أكتب إلى يزيد بن أبي مسلم بعذري وأعلمه حالي فصدقه يزيد. فقال الحجاج: قد قبلت عذرك ياشعبي، وأمر بعطائه فرد عليه وقال: انصرف مصاحباً.

حدثنا يوسف بن موسى القطان عن جرير عن مغيرة قال: دخل الشعبي على الحجاج فقال له: ماالذي نقمت؟. قال: لايسألني الأمير مانقمت ولكن ليسلني لم بطرت.

حدثني عمر بن شَبَّه، ثنا حفص بن اسماعيل عن عيسى الحناط قال: لما ظهر الحجاج على ابن الأشعث، جعل يؤتى بالناس فأتي بالشعبي فقال: هيه ياشعبي. قال: أصلح الله الأمير، أجدب الجناب واعترانا السهر، وامتلأنا رعباً، وأتينا فتنةً لم نكن فيها أبراراً أتقياء ولافجاراً أقوياء. قال: صدق الشعبي، خَلُّو سبيله.

وروي عن مخلد بن الحسن عن أسماء بن عبيد عن الشعبي قال: هربت من الحجاج فأتيت المدينة.

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي قال: لما انهزم ابن الأشعث ضاقت بي الأرض وكرهت ترك عيالي وولدي، فأتيت يزيد بن أبي مسلم، وكان لي صديقاً، وكانت الصداقة تنفع عنده، فقلت: قد صرت إلى ماترى؟ قال: إن الحجاج لايُكْذَبُ ولايخدع ولكن قم بين يديه وأقر بذنبك واستشهدني على ماشئت، قال: فوالله ماشعر الحجاج إلا وأنا قائم بين يديه فقال: أعامر؟ قلت: نعم أصلح الله الأمير. قال: ألم أقدم

العراق فأحسنت إليك ووفدتك إلى أمير المؤمنين واستشرتك؟ قلت: بلى. قال: فأنى كنت في هذه الفتنة؟ قال: استشعرنا الخوف، واكتحلنا السهر، وأحزن بنا المنزل وأوحش الجناب وفقدنا صالحي الإخوان وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولافجرةً أقوياء، وقد كنت أكتب إلى يزيد بن أبي مسلم بعذري. فصدقه يزيد، فقال الحجاج: هذا، لا مَنْ ضَرَبَنَا بسيفه ثم جاءنا بالأحاديث كان وكان.

حدثنا أبو أيوب سليمان بن المعلم الرقي عن عيسى بن يونس، عن عباد بن موسى عن الشعبي قال: أتي بي الحجاج، فلما انتهيت إلى الباب لقيني يزيد بن أبي مسلم، فقال: إنا لله ياشعبي لما بين كفيك من العلم، وليس بيوم شفاعة، بؤ الأمير بالشرك والنفاق على نفسك فبالحري أن تنجو، ثم لقيني محمد بن الحجاج فقال مثل مقالة يزيد. فقال لي الحجاج: وأنت ياشعبي فيمن خرج علينا؟. فقلت: أصلح الله الأمير، أحزن بنا المنزل، وأجدب الجناب، وضاق المسلك، واكتحلنا السهر واحتلسنا الخوف ووقعنا في خزية لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء.

فقال: صدق والله، مابروا بخروجهم ولاقووا بحمد الله علينا إذ فجروا، أطلق عنه.

ثم قال: ماتقول في أم وأخت وجدٍ؟. قلت: اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله ﷺ: عثمان بن عفان، وعلي وعبد الله بن عباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت. قال: ماقال فيها ابن عباس إن كان لمتقناً؟. قلت: جعل الجد أباً فأعطى الام الثلث ولم يعط الاخت شيئاً. قال: فابن مسعود؟ قلت: جعلها من ستة فأعطى الأخت النصف ثلاثة، والجد الثلث اثنين،

والأم سدساً. قال: فأمير المؤمنين عثمان؟ قلت: جعلها أثلاثاً. قال: فزيد بن ثابت؟ قلت: جعلها من تسعة، أعطى الأم الثلث ثلاثة والجد أربعة، والأخت اثنين. قال: فأبو تراب؟ قلت: جعلها من ستة، أعطى الأخت النصف ثلاثة، والأم الثلث، والجد السدس. فقال: مروا القاضي أن يمضيها على قول أمير المؤمنين عثمان.

وقال الهيثم بن عدي: فارق ابن الأشعث عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة فأتى زابلستان فأقام بها برهةً من دهره، ثم صار إلى خراسان فحبسه قتيبة بن مسلم، وخرج ابنه أبو بكر بن عبيد الله إلى عبد الملك فطلب له الأمان فأمنه وكتب بذلك إلى الحجاج، فرتب الحجاج أمره، وبعث إلى قتيبة رسولاً ودفع إليه زبيبة وقال: ضعها في يد قتيبة ثم اغمز عليها، ففعل، فبعث قتيبة إلى عبيد الله من غمه حتى قتله ـ وكتب الحجاج إلى عبد الملك أن رسوله وافاه وقد مات.

وقال المدائني: لما هزم ابن الأشعث من مسكن هرب عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة إلى خراسان فاستخفى بها فعلم به يزيد بن المهلب فأخذه وحبسه، وكان قد فارق ابن الأشعث. فلما عزل يزيد وولي المفضل بن المهلب كتب إليه الحجاج في قتله، فكتب إليه: «إنه لما به، وستكفاه بغير قتله»، فلما ولي قتيبة خراسان ومات عبد الملك خرج أبو بكر بن عبيد الله بن عبد الرحمن إلى الوليد فكلمه في أبيه فكتب إلى الحجاج بأمانه، وبلغ الحجاج الخبر فسبق بتوجيه رجلٍ إلى قتيبة فقتله ودفنه.

أمر سعيد بن جبير

حدثني عدة من المشاريخ قالوا: سمعنا أبا نعيم الفضل بن دكين يقول: خرج مع ابن الأشعث من أهل الكوفة: سعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن عوسجة، والشعبي، وذر، وطلحة بن مصرف، وعبد الله بن شداد، وأبو البختري الطائي، والحكم بن عتيبة، وعون بن عبد الله فيما يقال، ومن أهل البصرة: مسلم بن يسار، وجابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي، وعقبة بن عبد الغافر، وقتل معه، وأبو الجوزاء وقتل معه، وعبد الله بن غالب وقتل معه، وعقبة بن وساج، وطلق بن حبيب، وأبو شيخ الهنائي، من الأزد، واسمه خيوان بن خالد.

وقال أبو نعيم: كان مع ابن الأشعث ثمانون ألف فارس ومائة واثنان وعشرون ألف راجل. قالوا: وكان خالد بن عبد الله القسري عامل الوليد بن عبد الملك بمكة، وكان سعيد بن جبير هرب إلى مكة فاستخفى بها حتى مات عبد الملك ثم ظهر، فكتب الحجاج إلى خالد في إشخاصه وإشخاص طلق بن حبيب العنزي، فأشخصهما إليه فقتلهما.

وقال المدائني: أخذ سعيد بن جبير خالد بن عبد الله القسري بمكة فحمله إلى الحجاج مع اسماعيل بن أوسط البجلي، فقال له: ألم أقدم العراق فأكرمتك؟ وذكر له أشياء فعلها به، فقال: بلى، قال: فما أخرجك علي؟. قال: كانت لابن الأشعث بيعة في عنقي وعزم علي، فغضب وقال: رأيت لعدو الله الحائك عزمةً لم ترها لله ولخليفته ولي؟ والله لاأرفع قدمي حتى أقتلك وأعجل بك إلى النار،قال: إذاً أخاصمك بين يدي الله، قال: أنا أخصمك، قال: ان الحاكم يومئذٍ غيرك. فأمر بقتله، فقام إليه مسلم الأعور ومعه سيف عريض حنفي، فضرب به عنقه.

حدثني محمد بن أبان الواسطي عن جرير بن حازم، وحدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن الزبير الحنظلي أن الحجاج وجه سعيد بن جبير في جيش الطواويس وأعطاه ألفي ألف درهم،وولاه نفقات الجيش وقال له: إذا رأيت خللاً فَسُدَّهُ، ومن كان من ضعيف فاحمله، ومن جريح فانفق عليه، وولاه أمر الغنائم إذا غنم الجيش، فخرج عليه مع ابن الأشعث، وكان يقول: ماخرجنا عليه حتى كفر بالله.

المدائني عن جرير بن حازم قال: قال سعيد بن جبير: أليس كافر بالله من زعم أن عبد الملك أكرم على الله من محمد رسول الله ﷺ.

المدائني عن يحيى بن زكرياء عن سالم الأفطس قال: لما قتل الحجاج سعيد بن جبير عرفوا تغير عقله لأنه قتله، ثم قال: قيود، ثم دعا بها ليقيده.

حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء، حدثني علي بن نصر الجهضمي قال: كان خالد بن خليفة يحدث عن بواب الحجاج قال: ضربت عنق سعيد بن جبير فبدر رأسه وهو يقول: لا إله إلا الله.

المدائني عن عبد الله بن مروان قال: لما أمر الحجاج بقتل سعيد بن جبير جاءت خالة له فدفع إليها يده فقبلتها، وقال له الحجاج حين أدخل عليه: أنت شقي بن كسير. قال: لا بل سعيد بن جبير. قال: ألم أصنع بك؟ ألم أكرمك، ألم أُوَلِّكَ ألم أأتمنك؟. قال: بلى. قال: فواله لاقتلنك. قال: إذا أخاصمك غداً. قال: إذا أخصمك ياعدو الله. فضحك سعيد، فقال: مايضحكك؟. قال: التعجب من جرأتك على الله.

المدائني عن أبي مريم صاحب الدستوائي قال: رأيت سعيد بن جبير مقيداً بمكة، واستأذن خالد بن عبد الله في توديع البيت، فأذن له فطاف أسبوعاً وهو مقيد، وقد اتكأ علي، أو قال على رجلٍ، فقال: اللهم إن كنت قضيت للحجاج قتلي فاجعل ذلك كفارة لذنوبي.

المدائني عن محمد بن ذكوان قال: أخذ سعيدا عبدالله بن أسد ابن أخي خالد فقال له: قد كنت أكره أن يجري أمرك على يدي. قال: فهلا إذ كرهت ذلك قلت كما قال العبد الصالح: ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾[1].

وكان الكرى[2] الذي حمل سعيد بن جبير زيد بن مسروق اليربوعي، والذي أدخله إلى الحجاج اسماعيل بن أوسط البجلي.

المدائني عن رجل عن عمرو بن أبي وحشية قال: رأيت رأس سعيد بن جبير في فم كلب يعدو به بين الأطناب.

---

١ ـ سورـ القصص ـ الأية: ٢٠ .

٢ ـ الكرى مفرد الأكرياء. القاموس.

المدائني عن عمرو بن هشام قال: قيل لسعيد بن جبير : إنَّ الحجاج إذا أخذ رجلاً كان مع ابن الأشعث فأقر له بالكفر ، خلى سبيله ، وإن الحسن[١] قال يدفع عن نفسه ، فقال سعيد بن جبير : يرحم الله أبا سعيد ، لاتقية في الإسلام .

المدائني عن جرير بن حازم عن واصل عن عبدالله بن سعيد بن جبير قال : قتل أبي وله تسع وأربعون سنة .

وحدثنا عفان بن مسلم ، ثنا هشيم ، أنبأنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال : أنا ممن أنعم الله عليه ببني أسد .

المدائني عن محمد بن إسحاق عن عبد الملك بن أبي سليمان قال : رأى خالد بن عبدالله سعيد بن جبير وطلق بن حبيب العنزي ورجالاً يطوفون بقيودهم فقال : ما هؤلاء ؟ قال : الأسراء الذين أمرت بحملهم قال : امنعوهم من الطواف .

حدثني عمر بن شبه ، ثنا أبو عاصم النبيل عن رجل عن جرير عن مغيرة أن الحجاج كان يعرف سعيد بن جبير فسأله مالخبر ، فقال سعيد : تركت الخمر تباع بالكوفة ظاهرة، ويباع الحكم بالرشا، فقال الحجاج: والله لئن وليت لاغيرن، فلما قدم رد شريحاً على القضاء، ومنع أن تباع الخمر.

المدائني عن جرير بن حبيب بن أبي عمرة أن الحجاج أمر سعيد بن جبير أن يصلي بالناس في شهر رمضان، فصلى بهم فكساه الحجاج برنوس خزٍّ أسود فلبسه.

---

١ ـ الحسن البصري.

حدثني عمر بن شبه، ثنا أبو عاصم النبيل، أنبأنا عمرو بن قيس قال: كتب الحجاج إلى الوليد: «إن قوماً من أهل الشقاق والنفاق قد لجأوا إلى مكة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم»، فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري فيهم، فأخذ عطاء، وسعيد بن جبير، ومجاهدا، وطلق بن حبيب، وعمرو بن دينار. فأما عطاء وعمرو فخليا، وأما الآخرون فبعث بهم إلى الحجاج، فمات طلق في الطريق، وحبس مجاهد حتى مات الحجاج، وقتل الحجاج سعيد بن جبير.

حدثني عمرو بن محمد الناقد عن عبد الله بن نمير عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: أخذ خالد القسري سعيد بن جبير، وطلق بن حبيب، وحبيب بن أبي ثابت، وأصحابهم فقيدوا، فكانوا يطوفون بالبيت في قيودهم.

قالوا: وبعث إبراهيم إلى سعيد في السر: إنَّ القوم لن يستحيوك فاصلب لهم.

حدثني العباس بن الوليد النرسي، ثنا عبد الواحد بن زياد عن الربيع بن أبي صالح قال: دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به فبكيت فقال: مايبكيك؟ قلت: الذي أرى بك، قال: فلا تبك فإن هذا كان في علم الله، وقرأ: ﴿ماأصاب من مصيبة﴾ إلى قوله: ﴿نبرأها﴾[1].

المدائني عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن بهدلة قال: ماتكلم سعيد بشيء وذلك أنه كره المِثْلَة.

١ ـ سورة الحديد ـ الآية: ٢٢.

حدثني الحسين بن علي بن الأسود عن أبي بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد قال: لما جيء بسعيد جعل يحدثنا لاننكر منه شيئا، حتى جاءت ابنته فتحرك فانكشفت قيوده، فبكت الجارية فقال سعيد: اسكتي يابنية، لاتغمي أباك. فهذا أكثر مارأينا منه.

حدثني حفص عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: قال الحجاج لسعيد: أكفرت بخروجك؟ قال: ماكفرت مذ آمنت. قال: اختر أي قتلةٍ أقتلك. قال: اختر أنت لنفسك أي القصاص شئت فإن القصاص أمامك، فقتله، فما قتل أحداً بعده.

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي، ثنا وهب بن جرير عن أبيه عن المفضل بن سويد قال: جيء بسعيد بن جبير فقمت على رأس الحجاج، فقال له الحجاج: ألم أشركك في أمانتي، ألم استعملك، ألم أفعل ألم أفعل؟.
قال: بلى. قال: فما حملك على خروجك عليَّ؟ قال: عزم عليَّ الرجل. فقال: رأيت لعزمة عبد الرحمن حقاً ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين ولا لي عليك حقاً؟!! اضرب عنقه، فضربت عنقه فندر رأسه وعليه كُمَّةٌ بيضاء لاطية صغيرة.

المدائني قال: قال سلم بن قتيبة: كنت عند الحجاج فقال لسعيد: أخرجت عليَّ؟ قال: كانت للرجل في عنقي بيعة. قال: أتفي لعدو الله ولاتفي لأمير المؤمنين؟. اضرب عنقه، فضربت عنقه فسال منه دم كثير.

حدثني عمرو بن محمد الناقد، ثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبي حفص قال: لما أدخل سعيد بن جبير على الحجاج قال: أنت شقي بن كسير؟. قال: لا بل أنا سعيد بن جبير. قال: أما والله لأقتلنك، قال: إني

إذا لكما سمتني أمي سعيد، دعوني أصلي ركعتين. فقال: وجهوه إلى قبلة النصارى. قال: اينما ﴿تولوا فثم وجه الله﴾[1].

وحدثني علي بن الحسين بن عرفة عن أبيه عن الحارث بن أبي الزبير المدني عن عبد العزيز بن زمعة العامري حديثا طويلا اختصرته، أن الحجاج أرسل إلى سعيد بن جبير فأتي به فلما دخل عليه قال: أنت شقي بن كسير؟ قال: أنا سعيد بن جبير. قال: أنت شقي بن كسير. قال: أمي كانت أعلم باسمي منك، فقال لصاحب عذابه: اسمعني صوته فعذبه صاحب العذاب فلم يسمع له الحجاج صوتاً فقال له: أَلَمْ آمرك ان تصبّ عليه العذاب حتى تسمعني صوته؟ قال: قد عذبته بألوان العذاب فلم أر أصبر منه قط. فدعا به الحجاج فقال: أو تصبر على عذابي؟. قال: إن من ذكر عذاب الله هان عليه عذابك. فقال: لألحقنك بأمك الهاوية، فقال سعيد: لو علمت أنَّ ذلك إليك لاتخذتك إلهاً دون الله. ثم أمر به أن يقتل فتبسم، فقال له: ألم تقل لي أنك لم تضحك قط؟. قال: ضحكت للتعجب من جرأتك على الله واغترارك بحلمه. وانحرف إلى القبلة فعدل به عنها فقال: أينما ﴿تولوا فثم وجه الله﴾.

وقال سعيد: اللهم لاتمهله، فقدم فضربت عنقه، ويقال ذبح ذبحاً، فأخذ الحجاج الزمهرير، وَقرَّحَ جوفه حتى كانت القديدة تدلَّى في حلقه ثم تجبذ فيخرج فيها الدوْد وهو يصيح: مالي ولسعيد بن جبير، فلم يزل كذلك حتى مات.

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية: ١١٥ .

حدثني عبد الله بن صالح العجلي عن أبي بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد قال: لما دخل سعيد بن جبير على الحجاج أمر به أن يقتل فنهض رجل من أهل الشام فقال له: ألصق بالمنكبين.

حدثني أبو محمد النحوي المعروف بالتوزي عن أبي عبيدة عن يونس النحوي قال: لما أتي بسعيد بن جبير قال الحجاج: لعن الله ابن النصرانية - يعني خالد بن عبد الله - والله لقد كنت أعرف مكانه ولوددت أنه بعث بغيره ولم يبعث به، ثم قال له: ماأخرجك علي؟. فقال: أنا رجل من الناس أخطىء وأصيب. قال: ألم أكرمك؟. قال: بلى. قال: فما حملك على مافعلت؟ قال: كانت للرجل في عنقي بيعة. فاستشاط الحجاج غضباً وقال: أفلم تكن لأمير المؤمنين في عنقك بيعة ثم، أخذتها عليك بالكوفة؟. قال: بلى. قال: فنكثت بيعة أمير المؤمنين ووفيت ببيعة ابن الحائك. اضربا عنقه. فذلك قول جرير بن عطية:

يارُبَّ ناكث بيعتين تركته   وخضاب لحيته دم الأوداج[1]

وقال أبو عبيدة: أتي الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب، فقال: والله لاأركب حتى تِتبوأ مقعدك من النار، اضربوا عنقه. فضربت عنقه، فخولط والتبس عقله مكانه فجعل يقول: قيودنا قيودنا. فظنوا أنه يقول: القيود التي على سعيد، فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود.

حدثني شجاع بن مخلد الفلاس، ثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة قال: كان الحجاج يقول حين قتل سعيد بن جبير: ولع يالك من ولع[2].

١ - ديوان جرير ص٧٤.

٢ - ولع: استخف، وكذب، وبحقه ذهب. القاموس.

حدثني عمر بن شبه، ثنا عبيد بن جناد عن عطاء بن سالم قال: لما قتل سعيد بن جبير قال ميمون بن مهران: ماأدري بما أكافىء أخي إلا بأن أتزوج ابنته، فَأُقْدِمُ على سيف الحجاج. وانطلق فتزوج ابنة سعيد بالكوفة، وقدم بها الرقة. قال عطاء: فمضيت حتى رأيتها فإذا امرأة مسنةٌ جليلةٌ عابدةٌ قاعدةٌ في مسجدها، فالتمست عندها حديثا فلم أجده.

وقال عبيد بن جناد: وكان في الطريق أهل مسلحةٍ يمنعون النساء فجلس إليهم ميمون فألقى تحت مصلىً لهم ثلاثمائة درهم ثم قال: معي امرأة، فقالوا: وهل يمنع مثلك، امض راشداً.

حدثنا أبو أيوب المؤدب الرقّي، حدثني محمد بن مصفّى عن الوليد بن مسلم، ثنا عبد الملك بن محمد قال: سمعتُ ثابت بن محمد يقول: هرب سعيد بن جبير من الحجاج فكان عندي سنين أو قال سنتين.

حدثنا عمر بن شبه عن أبي عاصم النبيل، حدثني شيخ من أهل مكة قال: كان رجل من أهل مكة ضعيفا فمازحه سعيد وهو يطوف، أو قال: زَحَمَهُ. فقال: أنت تفر من الحجاج وتجيء إلى ههنا. فضربه عكرمة بن خالد وناس من قريش حتى كاد ينبسط.

حدثني الحسين بن علي عن أبي بكر بن عياش قال: قيل ليزيد بن زياد: هل كان سعيد يُحدِّث؟ قال: نعم ويضحك غير أني رأيت ابنته جاءت فجلست في حجره فسمعت حركة القيود فبكتْ فقال: مَهْ، قال: وأُخذ بكفلاء لئلا يلقي نفسه في الفرات إذا مرَّ به فكنت من كفل به في آخرين.

حدثني عمر بن شبَّه عن محمد بن حاتم : عن القاسم بن مالك ، ثنا أبو الجهم قال : دخل علينا سعيد بن جبير الديماس [1] ولم يكن لكل واحد منا فيه مقعد إلا قدر ما يمد رجله ، فأوسعت له إلى جنبي فلما كان يوم أخرج ليقتل قال لي : شد علي ثيابي ، قال : فشددت عليه بركتي [2] قباء كان عليه من خلفه وخرج به فقتل .

حدثني عمر بن شَبَّه عن عبدالملك بن عبدالله القطان عن هلال بن جناب قال : جىء بسعيد إلى الحجاج فقال له : والله لأقتلنك . قال : إني إذاً لسعيد كما سمتني أمي . قال : فقتله فلم يلبث بعده إلا نحواً من أربعين يوماً فكان إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه ويقول : يا عدو الله فيمَ قتلتني ؟ فيقول : ما لي ولسعيد بن جبير .

وحدثني عمر عن محمد بن حاتم عن القاسم بن مالك عن رجل من أهل هجر عن عبدالملك بن سعيد بن جبير قال : لما قدم سعيد بن جبير على الحجاج قال : أنت شَقِي بن كُسَيْر ؟ قال : أنا سعيد بن جبير . قال : والله لأقتلنك . قال : إذاً ألقى الله بعملي وتلقاه بدمي ، لقد أصابت أمي إذاً إذ سمَّتْني سعيداً ، فقال الحجاج : يا حرسي اضربه ضربة على حبل عاتقه تخالط رئته ، قال : فَأْذَنْ لي أصلّي ركعتين ، قال : صلِّ . فلما توجَّه الى القبلة فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ، قال الحجاج : لا ، إلَّا إلى قبلة النصارى ، فقال سعيد : أينما ﴿تُوَلّوا فَثَمَّ وجه الله﴾ فصلى ، ثم ضربه الحرسي ضربة خالطت رئته .

---

١ ـ الديماس سجن للحجاج لظلمته . القاموس .
٢ ـ البركة : برد يماني . القاموس .

وقال الفضل بن دكين أبو نعيم : قُتل سعيد في سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع وأربعين سنة .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : لما أخذ الأعراب عبدالله بن إسحاق بن الأشعث فأتوا به عبدالملك قال له عبدالملك وقد أُدخل عليه بحمص : ألم أقدم الكوفة حين قتلت مصعباً فوجدتك في ستمائة من العطاء فبلغت بك ألفين ، ووليّتُ بشراً أخي الكوفة فأمرتُه أن يجعلك في صحابته ، وحملتُك على دابة من دواب رَجْلِي وخلعتُ عليك ثياباً من ثياب بدني ؟. قال : بلى . قال : ثم بلغني أن بشراً غضب عليك في حمقة من حمقاتك ، فإنك من أهل بيت حمق ولؤم ، فأغزاك أصبهان فكتبت إليه أعزم عليه أن يقفلك ويعيدك إلى حالك ففعل ؟ قال : بلى ، قال : فلعنتني على منبر البصرة وشتمتني على منبر الكوفة وأخذت رسولي فقطعت يديه ورجليه وصلبته منكوساً ؟ قال : بلى . قال : فأنت ترجو الهوادة عندي لا أمَّ لك . وتمثل :

أبعد الذي بالنعف نعف كُوَيْكِبٍ(1) رهينة رمس من تراب وجندل
أُذَكَّرُ بالبقيا على من أصابه وبقياي أني جاهد غير مؤتل
أنختم علينا كلكل الحرب مرة فنحن منيخوها عليكم بكلكل

---

١ ـ النعف : ما انحدر من حزونة الجبل ، وارتفع من منحدر الوادي ، ومن الرملة : مقدمها وما استرق منها . وكويكب : مسجد بين تبوك والمدينة للنبي صلى الله عليه وسلم . القاموس .

قم يا عتاب بن مسروق فاضرب عنقه ، ودع عليه من ثيابه ما يُواري عورته . فقال : قد أمنني عبدالعزيز ، فقال عبدالملك : ما يقول ؟ فأخبر به ، فقال : كذب ولو أمنه لم أجز أمانه ، فضربت عنقه .

قال ابن شبَّه في روايته: وأُتي عبدالملك بالمِسْوَر بن مخرمة بن عوف الكلبي فقال : ألم يأتني بك الأصبغ يدعيك عبداً ، فقلت أرى جلدة عربية ولأن يكون لك ابن عم خير من أن يكون لك عبداً ، فأثبت نسبك وفرضت لك في أربعمائة ، ثم أصحبتك للوليد بن عبدالملك حين أغزيته وأمرته أن يجعلك من البُشَراء ؟ . قال : بلى . قال : قُم يا أبا العباس فاضرب عنقه . ففعل .

ثم أتي بابن عبداللهبن يزيد الخطمي ، من الأنصار ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا ابن عبدالله بن يزيد الخطمي . قال : من أهل بيت سبابة ؟ قال : اقبل فيّ وصية رسول الله ﷺ بالأنصار أن يُقبل من محسنهم ويُعفى عن مسيئهم . فقال : خلوا سبيله .

وأُتي بغطيس الجهني ومعه ابن له يتعلق به وهو يقول : يا أمير المؤمنين ، أبي يا أمير المؤمنين أبي ، فرحمه وقال : قد وهبتُك لابنك .

[من]
[اخبار عبدالملك]

المدائني عن سحيم قال : دخل عروة بن الزبير على عبدالملك وعنده الحجاج ، فكلم عروة عبدالملك بكلام فيه بعض الغلظة ، فقال له الحجاج : يا بن العمياء ، أتقول هذا لأمير المؤمنين ؟ فقال عروة : وما أنت وهذا يابن المتمنية ، يعني أن الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود ، وهي أم الحجاج تمنت أنها على سطح فياح وعندها نصر بن حجاج فقالت :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها   أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

المدائني عن علي بن سليم عن محمد بن علي الكناني قال : حج عبدالملك فأتى الطائف فسايره أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبدالرحمن بن أم الحكم أخت معاوية ، فذكر ابن أم الحكم الطائف ففضلها وفضل أهلها ، وقال : يا أمير المؤمنين ، جاء الإسلام وفينا من قريش عدة نساء فَكَثَّرَ ، فقال عبدالملك لأبي بكر : ما تقول ؟ فقال : إذا لا تجد فيهن مغيرية ، فقال ابن أم الحكم : نحن أعلم بقومنا ، إنا نعتام الكرام لمناكحنا ، ونأتي الأودية من ذروتها ولا نأتيها من أذنابها . فقال عبدالملك : قاتلك الله فما أَسَبَّكَ .

المدائني قال : جرت بين عبدالملك وبين عمرو بن سعيد منازعة في شيء ، فأغلظ له عمرو بن سعيد ، فقال خالد بن يزيد بن معاوية : إن أمير المؤمنين لا يكلم مثل هذا الكلام ، فقال : اسكت ، فوالله لقد سلبوك ملكك وغلبوك على أمرك فما كان عندك نكير فما هذه النصيحة له ، أنت والله كما قال الشاعر :

ومرضعة أولاد أخرى وضيعت بنيها فلم ترفع بذلك مرفعا

وقال الهيثم بن عدي : لما أمر عبدالملك بقتل عمرو بن سعيد شاور خالد بن يزيد فيه فقال له : اقتله ، فقال عمرو : اسكت فوالله لقد سلبت ملكك وَنِيْكَتْ أمك فما عندك نكير ، فما هذه النصيحة ؟ فقال : أما أنت فقد وقعت في الأنشوطة فانظر كيف تخلص ، وإنما أنت كما قال الأُوَل :

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

قال المدائني : وقال عبدالملك لثابت بن عبدالله بن الزبير : أبوك كان أعلم بكم حيث كان يشتمكم . فقال : يا أمير المؤمنين أتدري لم كان يشتمني ؟ ، إني نهيته أن يقاتل بأهل مكة وأهل المدينة ، لأن أهل مكة أخرجوا رسول الله ﷺ وأخلفوه ، ثم جاؤوا إلى المدينة فأخرجهم رسول الله ﷺ منها وسيرهم ، يعرض بالحكم بن أبي العاص . وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قُتل بينهم لم يروا أن يدفعوا عنه .

المدائني عن مسلمة بن محارب عن بشير بن عبيدالله أن عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر دخل على عبدالملك وعليه جبة حبرة مُصدَّأة ، عليها أثر الحمائل فقال له أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد : يا أبا حفص أيُّ رجل أنت لو كنت مِنْ غير مَنْ أنت منه من قريش ؟ قال : ما أحب أني من غير من

أنا منه ، إن منا لسيد الناس في الجاهلية عبدالله بن جدعان ، ومنا سيد الناس في الإسلام بعد رسول الله أبو بكر الصديق ، وما هذه يدي عندك ، إني استنقذت أمهات أولادك من عدوك وَهُنَّ حبالى فولدن في حجالك ، يعني استنقاذه إياهن من أبي فديك بالبحرين .

وقال أمية لعبدالملك : يا أمير المؤمنين إن هذا دهره الامتنان علي ، وهو كما قال الشاعر :

فوكنت كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوما أحال على الدم

وأنشد عمر :

ولو كنتَ صلب العود أو كابن معمر لخضت حياض الموت والليل مظلم

فتبسم عبدالملك وقال : قل له كما قال لك .

المدائني قال : أجرى عبدالملك الخيل فسبق عباد بن زياد فقال الشاعر :

سبق عباد وصلى[1] وَثَلَثْ بخيله تلك الخفيفات الجثث

فقال عبدالملك :

سبق عباد وصلت لحيته وكان خرازا يُجَوِّدُ قربته

قال : ويقال ! إن عباداً كان خرازاً ثم ادَّعاه زياد بعد ، وكان باع أمه وهي حامل به ثم أقر بعد أنه ولده ، فشكا عباد قول عبدالملك إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال خالد : والله لأضعنك منه بحيث يكره ، فزوجه أخته ، فكتب الحجاج إلى عبدالملك : إن مناكح آل أبي سفيان قد ضاعت ،

---

١ ـ أي جاء تالياً للسابق . القاموس .

فأخبر عبدالملك خالداً بكتاب الحجاج فقال خالد : يا أمير المؤمنين ما أعلم امرأة منا ضاعت ولا اغتربت إلا عاتكة بنت يزيد بن معاوية فإنها عندك ، وما عنى الحجاج غيرك ، فقال عبدالملك : بل عنى الدعي بن الدعي عباداً . فقال خالد : يا أمير المؤمنين أفأدعي رجلاً لا أزوجه ، إنما كنت ملوما لو زوجتُ دعي غيري .

قالوا : واستعمل عبدالملك نافع بن علقمة بن صفوان بن محرث على مكة فخطب ذات يوم وأبان بن عثمان تحت المنبر فشتم طلحة والزبير ، فلما نزل قال لأبان : أأرضيتك في المدهنين في أمير المؤمنين ؟ قال : لا ولكن سُؤْتَني فحسبي أن يكونا شركاء في أمره ، فبلغ ذلك عبدالملك فقال : صدق أبان ، وكتب إلى نافع ينهاه عن مثل ما كان منه .

المدائني عن عبدالحكيم الأشج عن أبي قُذّة أن عبدالملك خطب زينب بنت عبدالرحمن بن الحارث بن هشام فأبت أن تتزوجه وقالت : والله لا يتزوجني أبو الذبان ، فتزوجها يحيى بن الحكم بن أبي العاص ، فقال عبدالملك : والله لقد تزوجته أسود أَفْوَهَ ، فقال يحيى : أما إنها إذاً أحبت مني ما كرهت منه .

وكان عبدالملك رديء الفم ، كان يدمى فيقع عليه الذباب .

المدائني أن ليلى الأخيلية استأذنت على عبدالملك فأمر حاجبه أبا يوسف أن يدخلها ، ويقال بل كانت بثينة صاحبة جميل ، فدخلت امرأة طويلة يعلم أنها قد كانت جميلة ، فقال عبدالملك : يا أبا يوسف أَلْقِ لها كرسياً . ففعل ، فقال لها عبدالملك : ويحك ما رجا ثوبة ـ أو قال جميل ـ منك ؟ فقالت : رجا مني الذي رجته منك الأمة حين ولتك أمرها .

وروى الأصمعي عن نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم المقرىء قال : قال عبدالملك للحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة وهو القباع : ما كان الكذاب - يعني ابن الزبير - يقول في كذا ؟ قال : ما كان كذاباً . فقال له يحيى بن الحكم : من أمك يا حار ؟ فقال : هي من تعلم . فقال عبدالملك : اسكت فإنها أنجب من أمك .

وكانت أم الحارث نصرانية فلما ماتت أتاه قوم من المسلمين يحشدون له ويجلسون معه فقال : رحمكم الله انصرفوا فإن لها ولاة غيركم ، وكانت سبية سباها أبوه من اليمن .

المدائني عن مسلمة بن علقمة المازني أن عبدالملك قال : العجب لخالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، وليته البصرة وأمرته أن يجرد السيف ويمنع المال ، فبذل المال وأغمد السيف . فقال عبدالله بن فضالة الزهراني : يا أمير المؤمنين ، لو جرد السيف لوجد سيوفاً مجردة ، ولو منع المال لوجد أيدياً تنازعه .

المدائني عن الفضل بن سليمان أن عبدالله بن خالد بن أسيد تزوج امرأة من مراد فولدت له جارية تزوجها عبدالله بن مطيع العدوي ، فدخلت المرادية على عبدالملك فقال لها : خدعتم الشيخ حتى زوج ابن مطيع فما رجا ابن مطيع وما رجوتم منه ؟ فقالت : ما رجا أبوك من بني حنطب وقالت :

وما لي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد نكح البيضَ الأوانس حنطب
بنيٌّ لسوداء المغابن جعدة لها نسب في آل دومة مطنب

المدائني عن إسحاق بن ابراهيم ، عن عجلان مولى عباد قال : كنت عند عبدالملك فأتاه أبو يوسف حاجبه فقال : يا أمير المؤمنين هذه بثينة جميل

بالباب . فقال : أدخلها ، فدخلت امرأة أدماء طويلة يعلم أنها كانت جميلة ، فقال عبدالملك : يا أبا يوسف ألق لها كرسياً . فألقاه لها ، فقال لها عبدالملك : ويحك ما رجا جميل منك ؟ قالت : الذي رجت منك الأمة حين ولتك أمرها .

المدائني قال : اصطرع محمد وهشام ابنا عبدالملك بين يديه فصرع هشام محمداً وقعد على صدره فقال هشام : أنا ابن الوحيد . وكانت أمه مخزومية. فغاظ ذلك عبدالملك فقال: عودا، فصرع محمد هشاماً فقعد على صدر هشام وقال : سأرهقه صعوداً ، فضحك عبدالملك وضم محمداً إليه .

المدائني قال : ضرب يحيى سعيد بن العاص يوم قتل عبدالملك عمرو بن سعيد الوليد بن عبدالملك على إليته ، فحبسه عبدالملك أربعين يوماً ثم قال له: يا أبا قبيح، لو قتلت الوليد بأي وجه كنت تلقى ربك؟ قال: بالوجه الذي خلق ، وكان يكنى أبا قبيح لقبح وجهه . وقال عبدالملك : لله دره أي ابن زوملة هو ، يعني عربية ، وكانت كنيته أبا أيوب .

المدائني قال : حرم الحجاج أهل العراق أعطيتهم لمظاهرتهم ابن الأشعث ، وكتب إلى عبدالملك يعلمه ذلك فكتب إليه عبدالملك : «إنا إنما نستوجب طاعتهم بإدرار أرزاقهم ، فأعطهم إياها فإن في ذلك أعظم الحجة لنا عليهم ، وهبك حرمت المقاتلة لسوء الطاعة فما بال الذراري ؟!

قالوا : وأتي الحجاج بِحُطَيْطٍ الحرامي الزيات، وحرام بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فسأل الحجاج حطيطاً عن أبي بكر فقال خيراً ، ثم عن عمر فقال خيراً ، ثم سأله عن عثمان فقال : لم أولد إذ ذاك . قال الحجاج : يا بن اللخناء ، أولدت زمان أبي بكر وعمر ولم تولد زمان عثمان ؟

فقال : يا بن اللخناء لا تعجل علي ، إن الناس أجمعوا على أبي بكر وعمر ، واختلفوا في عثمان ، فوسعني أن أَكِلَهُ إلى الله .

قال : أما والله لألحقنك بالنار . قال : أما ترضى أن تكون مالكاً في الدنيا حتى تكون مالكاً في الآخرة ، فقال الحجاج : علي بصاحب العذاب ، فدفعه إليه وقال : أسمعني اليوم صوته . قال : نعم . فقال حطيط : كذب . فجعل يعذبه حتى وضع الدهق على ساقيه وكان ثقيلا فكسر إحدى ساقيه وقال : أنا فلان ، فقال حطيط : لعنك الله تتكنى علي لئن كسرت ساقي . فجعل يعذبه هو ساكت لا يتكلم فأخبر الحجاج بأمره ، فدعا به فحمل حتى وضع بين يديه فقال له الحجاج : أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ فقال حطيط : بل أنت تقرأ . فقرأ الحجاج : ﴿هل أتى على الإنسان﴾ حتى بلغ ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيماً وأسيرا﴾ [1] فقال حطيط : وأنت تقتلهم .

قال : فبينا هو يحاوره إذ وقع ذباب على بعض جراحاته فقال : حس ، فقال الحجاج : يا بن اللخناء أتجزع من ذباب ولا تجزع من العذاب ؟ قال : يا بن اللخناء إني عاهدت الله عليك ولم أعاهده على الذباب . عاهدت الله لأجاهدنك بيدي ولساني وقلبي ، فأما يدي فما أجد عليك أعوانا ، وأما لساني فقد تَسْمَعُ ، وأما قلبي فالله أعلم بما فيه .

فقال الحجاج : علي بمسال الحديد فجعلت تُدخل فيها بين الظفر واللحم وهو ساكت ، فقال بعض جلساء الحجاج : ما أصبره ، فقال

١ ـ سورة الانسان ـ الآيات : ١ ـ ٨ .

حُطيط : أو ما علمت أن الله عز وجل يفرغ الصبر إفراغاً ، فأمر به فأدرج في عباءٍ وضرب بالخشب حتى قتل .

حدثني عبدالله بن صالح العجلي عن محمد بن فضيل بن غزون عن ابراهيم المؤذن قال : لما صلب ماهان الحنفي طعن وهو يسبح وفي يده أربع وعشرون ، فرأيته على الخشبة والعقد في يده ، وكنا نرى السرج بالليل عند خشبته .

وروى أبو بكر بن عياش عن عمار الدهني قال : لما صلب ماهان أبو صالح ، اجتمع الناس فنظر اليّ فقال : يا عمار ، وأنت ههنا أيضاً .

قالوا : وكان الحجاج بعث إلى عبدالرحمن بن أبي ليلى فقال : بلغني أنك تشتم أمير المؤمنين عثمان ، فقال : إنه ليمنعني من ذلك ثلاث آيات في كتاب الله ، قوله : ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ الى قوله : ﴿الصادقون﴾ . وقوله : ﴿والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ إلى قوله : ﴿رؤوف رحيم﴾ (1) وأنا منهم . فأعجب الحجاج قوله .

ثم إن ابن أبي ليلى أُدخل على الحجاج بعد ذلك فقال : يا أهل الشام إن أردتم رجلا يشتم أمير المؤمنين عثمان فدونكم هذا . فقال عبدالرحمن مثل قوله الأول ، فقال الحجاج : صدق .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد عن هشيم ، ثنا الأعمش قال : رأيت عبدالرحمن بن أبي ليلى وقد ضربه الحجاج ووقفه على باب المسجد . فجعلوا

---

١ ـ سورة الحشر ـ الآيات : ٨ ـ ١٠ .

يقولون له : إلعن الكذابين ، فيقول : لعن الله الكذابين ويسكت ، ثم يبتدىء فيقول : علي بن أبي طالب وعبدالله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد . فجعلت أعرف حين سكت ثم ابتدأ أنه لا يريدهم .

وحدثت عن أبي بكر بن عياش ، وحفص بن غياث عن الأعمش قال : رأيت عبدالرحمن بن أبي ليلى على المصطبة . وكأن ظهره مسح أسود لضرب الحجاج إياه ، وهم يقولون له : العن الكذابين ، فيقول : لعن الله الكذابين ثم يسكت ، فيقول : علي بن أبي طالب وعبدالله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد ، وأهل الشام حوله كأنهم حمير ما يعقلون ما يقول .

وقوم يقولون : غرق ابن أبي ليلى بدجيل ، وآخرون يقولون : قتل يوم الجماجم ، وكان الحجاج أقامه قبل ذلك .

قالوا: وأتي الحجاج بالفضيل بن بزوان العَدْواني فقال له: فضيل؟ قال : فضيل ! قال : ألم أكرمك ؟ قال : بل أهنتني . وكان قد ولاه حين قدم العراق عملاً فهرب .

قال : ألم أقربك ؟ قال : بل باعدتني . قال : والله لأقتلنك . قال : بغير جرم ولا فساد في الأرض ؟ قال : كل ذلك قد أتيت بمعصيتي ، فقتله .

ويقال إنه قال له : إذاً أخاصمك في دمي . قال : إذاً أخصمك . قال : إن الحاكم يومئذ غيرك .

قالوا : ودخل الحسن بن أبي الحسن على الحجاج بعد قتل ابن الأشعث فقال : حملت عليّ السلاح ؟ قال : والله ما فعلت ، فأخرج

الحجاج إليه كفه فمسح عليها ثم لم يأمنه فتوارى ، فيقال انه توارى تسع سنين ، وكان يتنقل في منازل الناس ثم لزم منزله فتوارى فيه .

حدثني خلف بن هشام وعَفَّان قالا ، ثنا هشيم بن بشر : أنبأنا العوام بن حوشب أنه لما انطلق بابراهيم التيمي إلى السجن قال له أصحابه : هل توصي إلى إخوانك بشيء تحب أن نبلغهم إياه عنك ، ألكَ حاجة ؟. قال : نعم تذكروني عند غير الرب الذي عناه يوسف .

قال خلف: يقول تدعون الله لي ولاتشفعون لي إلى السلطان. وإن ابراهيم لم يسأل العافية مما هو فيه حتى مات في محبسه، وكان يقول: اللهم هذا بعينك، اللهم قد ترى.

وحدثنا عمرو الناقد عن سفيان بن عينية عن أبي سعد قال: دخل علينا ابراهيم التيمي السجن فتكلم، فقال أهل السجن: مايسرَّنا أنا خارجون منه.

حدثني عمر بن شبه عن الأصمعي قال: قال يزيد بن أبي مسلم: هاتوا ابراهيم. فقيل: إنهما ابراهيمان التيمي والنخعي. قال: هاتوهما جميعاً. فمات التيمي في الحبس واستخفى النخعي.

حدثنا خلف البزار، ثنا أبو شهاب عن الحسن بن عمرو قال: كان ابراهيم النخعي ليالي الحجاج متوارياً وكان المسجد على بابه، فكان لايخرج فيصلي فيه.

المدائني عن عامر بن حفص قال: حبس الحجاج ابراهيم التيمي فجاءت ابنته فلم تعرفه حتى كلمها، وكان الحجاج يطعم أهل السجن دقيق الشعير والرماد مخلوطين.

ومات ابراهيم التيمي في السجن فرأى الحجاج في الليلة التي مات فيها قائلاً يقول: مات في هذه الليلة رجل من أهل الجنة، فلما أصبح قال: من مات الليلة بواسط؟. قالوا: ابراهيم التيمي قال: نزغة من نزغات الشيطان، وأمر به فألقي.

وقال الأصمعي : مات الحجاج وأبو عمرو بن العلاء مستخفٍ فسمع أعرابياً يقول : مات الحجاج . وأنشد :

ربما تشفق النفوس من الأمـ ـر له فَرْجَةٌ كَحَلِّ العقال

فقال أبو عمرو: ماأدري أبموت الحجاج كنت أسر أم بقوله فَرْجَةَ، إنما كنا نرويها فُرْجَةٌ. وأتي الحجاج برجل من ثقيف كان في الأسرى فشهق فمات.

قالوا: وأتي الحجاج بأعشى همدان فقال له: يابن اللخناء ألست القائل:

أَمْكِنْ ربي من ثقيف همدان يوماً إلى الليل تخلي ماكان

فقد أَمْكَنَ الله ثقيفاً من همدان، أو لست القائل[1]:

وسألتني بالمجد أين محله فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأشج وبين قيسٍ في الذرا بَخْ بَخْ لوالده وللمولود

والله لاتبخبخ لاحد بعد اليوم أبداً، ثم أمر بضرب عنقه.

١ ـ الأغاني ج ٦ ص ٤٦ . مع فوارق .

قالوا: وأتي بابن القِريَّة فقال: أئذن لي في الكلام. فقال: لاتكلمني. قال: ائذن لي جعلت فداك في ثلاث كلمات كالدهم الواقفات، فأمر به فضربت عنقه.

وقال ابن الكلبي: قتل الحجاج أيوب بن السائب بن النمر بن قاسط وأمه القِريَّة.

وقال المدائني: أمره أن يكتب كتابا إلى ابن الأشعث فكتبه، وقال: انطلق به إليه، فأتاه بالكتاب، فقال: أنت كتبته؟ قال: لا. قال: بلى والله لاجرم لتكتبن جوابه فكتبه، وأتى الحجاج فلما قرأه قال: هذا كتابك. قال: أكرهني عليه. فقتله.

وقال علي بن محمد أبو الحسن المدائني عن أشياخه: قتل زياد بن مقاتل بن مسمع مع ابن الأشعث فقالت امرأته بنت شقيق بن ثور:

وماكنت أخشى أن أقوم سويةً لأبغي زياداً لا أموت وأكمد

وحبس الحجاج مسمع بن مالك، فكتب عبد الملك إلى الحجاج: قد كان من بلاء مالك بن مسمع عندنا مايعفي عن ذنب مسمع ابنه، فخل عنه ووله سجستان. فولاه إياها فظهر أبو جلدة اليشكري في ولايته، وكان مستخفياً من الحجاج، فكتب إليه الحجاج في حمله، فكتب إليه: إنه قد مات، فكتب إليه: لارحمه الله، ابعث إلي بشعره. فأراد أبو جلدة أن يشخص إليه، فقال له: أتكذبني ويلك، أقم ولاتظهر. وبعث إلى الحجاج بشعره، ثم عتب أبو جلدة على مسمع فقال:

إذا كان خيرٌ قلت قيسٌ عشيرتي تميل علينا جائراً في قضائكا
وإن كانت الأخرى فبكر بن وائلٍ تخاف عليها ردها من ورائكا
قضية سوءٍ ماقضيت ابن مالك أما إن ستجزى فاعلمنَّ بذلكا

فأعطاه عشرة آلاف درهم فقال:

يامسمع بن مالك بن مسمع أنت الجواد والخطيب المصقع
فاصنع كما كان أبوك يصنع

فقال: لعنه الله أمرني أن أفعل بأمي ماكان يفعل أبي، ويقال أن الفرزدق قال ذلك.

وقال المدائني: أتي الحجاج بطفيل بن حكيم بمسكن، فقال له: ألم أجعلك عريفاً، ألم أفعل، ألم أفعل؟ قال: بلى. قال: فما أخرجك علي؟ قال: ياأبا محمد، إن رأيت أن تأذن لي فألحق بأهلي؟ قال: نعم، الحق بهم. فلما ولى قال الحجاج: ماكنت أرى أن به البائس من الضعف كل هذا.

قال المدائني: قدم إلى الحجاج قيس بن مسعود فقال: ماكنت أظنك إلّا عند أبي حفص، يعني عمر بن محمد بن أبي عقيل، وكان بالبلقاء، فقال يزيد بن أبي كبشة: ﴿أكفاركم خير من أولئكم﴾[1] قال الحجاج: كأنك ترى أن ماقلت له ينجيه، وأمر به فقتل، وكانت ابنته عند عمر بن محمد بن أبي عقيل فلذلك قال له ماقال.

وقال المدائني: قتل مع ابن الأشعث عبد الله بن رزام، والحريش بن هلال، وعمر بن عتبة بن أبي سفيان، ويزيد بن كعب العدوي الشاعر، ونويرة الحميري وكان له هوىً في أهل العراق فأعلمهم بمكانهم فَقُتِلَ

١ ـ سورة القمر ـ الآية : ٤٣ .

وطفيل بن عامر بن واثلة، وغرق ابن أبي ليلى بدجيل الأهواز، ويقال قتل يوم الجماجم.

وقتل مرة بن شراحيل الهمداني الذي يقال له مرة الطيب. وقال له الحجاج: أما في الفتنة فأنت صحيحٌ تحضُّ وتأمر، وأما في الجماعة فأنت مريض سقيم ثم تسعى على أمير المؤمنين عثمان.

قال: وقتل بالكوفة رجالاً من أهل الشام رأوا رأي ابن الأشعث فأعانوه ويقال تعصبوا له باليمانية.

وغرق عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي يوم مسكن في دجيل الأهواز. ويقال قتل يوم دير الجماجم.

وأتي الحجاج بعمران بن عصام العنزي الشاعر أحد بني هُميم، فقال: ياعمران ألم أوفدك إلى أمير المؤمنين فوصلك، ثم قدمت فوصلتك؟ قال: بلى ولكن باذام مولى ابن الأشعث أخرجني. قال: أما كان في حجلة[1] امرأتك مقعد لك؟ قال: قد فعلت فأخرجني باذام بالسيف. فهم بالعفو عنه فنظر إلى رأسه فإذا هو محلوق فقتله.

ويقال إن الحجاج أتي بعمران بن عصام فقال له: أقررت بالكفر؟. قال: ماكفرت مذ آمنت، فقتله.

قال: وأخذ ماهان الحنفي بمكة فحمل إلى الحجاج فشدَّ عليه قصباً قد شق ثم أمر به فجذب فقطع جلده فكان يقول أُخذتُ في حرم الله، وأنا بعين الله، ونعم القادر الله، فألقي وقد ذهب ما على عظامه من اللحم، فرق له

١ ـ الحجلة: كالقبة، وموضع يزين بالثياب والستور للعروس. القاموس.

أصحابه وبكوا فقال: لاتجزعوا فإن كانت النار فما أيسر هذا فيما يراد بي، وإن كانت الجنة فهذا محتمل.

قال: وقتل الحجاج فيزوز حصين في العذاب وكان مع ابن الأشعث، وكان الحجاج جعل في رأسه عشرة آلاف درهم وجعل هو في رأس الحجاج مائة ألف. فلما قدموا به في الأسرى من خراسان قال: احبسوا أبا عثمان، فحبس واستأداه فقال: إن أمنني على دمي لم أكتمه شيئاً. فلم يؤمنه وعذبه فقال: أخرجوني فإن لي عند الناس ودائع فأخرج وكثر الناس فقال: أيها الناس. أنا فيروز حصين فليبلغ الحاضر الغائب، إنّ من كان لي عنده مال فهو له. فقال لصاحب العذاب: اقتله. فوضع الدهق على صدره حتى قتله. قال: ويقال إن فيروز كتب ماله ولم يسم من هو عنده وقال: لاأسميهم أو تؤمنني على دمي، فلم يؤمنه وقتله.

وقتل الحجاج عمر بن موسى بن عبيد الله بن مَعْمَر وقال له: ألست صاحب ليلة سابور مع ابن الأشعث وقد خضبت أيرك؟ فقال: لقد كنت أرغب به عن عقائل نساء قومك. فقتله.

وقتل الحجاج عتبة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة حين حمل إليه.

وقال ابن الكلبي: أتي بعمران بن عصام فقال له: ألم أقدم العراق وأنت خاملٌ فنوهت باسمك وزوجتك مولاتك ابنة مقاتل بن مسمع ولست لها بكفء، وأوفدتك إلى أمير المؤمنين؟

قال: بلى. قال: فخرجت علي تضربني بسيفك مع ابن الحائك؟. قال: قد فعلت. قال: أكفرت بخروجك عليَّ؟. قال: ماكفرت مذ

أسلمت. فأمر به فضربت عنقه، فقال عبد الملك: أَقَتَلَ عمران بن عصام بعد قوله:

وبعثتَ من ولد الأغر معتب صقراً يلوذ حمامه بالعوسج
مهما طبخت بناره أنضجته وإذا طبخت بغيرها لم ينضج

قال: وكان ممن خرج مع ابن الأشعث: يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي فهرب، ثم مثل بين يدي الحجاج فلما رآه قال: ثكلتك أمك. قال: وأبي مع أمي. قال: أين ألقتك الأرض بعدي؟ قال: ماقمتُ مقاماً أوسع من مقامي، إنَّ الله استعملك علينا فأبينا فأبى علينا. فأمَّنه.

وقتل الحجاج آدم بن عبد الرحمن أخا صالح بن عبد الرحمن. ويقال بل قتله لأنه كان يرى رأي الخوارج.

المدائني عن سعيد بن عبد الرحمن عن مالك بن دينار قال: حبس الحكم بن أيوب الثقفي علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة بن عبد الله بن جدعان التيمي، والحسن يومئذٍ مستخفٍ ونحن معه مستخفون فأتاه الحسن ليلاً وأتيناه فأجلسه معه على السرير، فما كنا عنده ليلتنا إلا مثل الفراريج. فذكر يوسف وإخوته فقال: باعوا أخاهم وحزنوا أباهم، ومكانه من أبيه مكانه، ثم لقي يوسف عليه السلام مالقي من الحبس وكيد النساء ثم أداله الله منهم وأعلى كعبه. فلما أكمل أمره وجمع أهله وأقرَّ عينه بأبويه ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين * قال لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله

لكم وهو أرحم الراحمين﴾[١] قال الحكم: وأنا أقول: لاتثريب عليكم، لو لم أجد إلا ثوبي هذا لسترتكم به، وأطلق علياً.

وقال المدائني: وأخذ الحجاج عبد الله بن شريك الأعور وكان خرج مع ابن الأشعث فقتله، ويقال: كان هرب إلى سجستان فبعث به إلى الحجاج.

وأتي بالمساور بن رئاب السليطي فقتله، وقال: ادفعوه إلى أهله فأهل القتيل يلون القتيلا. ويقال: قتل يوم الزاوية في المعركة.

قال المدائني: وكان الحجاج إذا قتل رجلاً فتزوجت امرأته كف عنها، وإذا لم تتزوج حبسها في قصر المسيرين، فحبس من قدر عليه من نساء أصحاب الأشعث.

وقال المدائني: لما أتي الحجاج برأس ابن الأشعث سجد وقال: كنت أحب أن أوتي به أسيرا فأقيمه فيخطب على حزبه خطبة إبليس على أهل النار: ﴿ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وماكان لي عليكم من سلطان﴾[٢] الآية.

المدائني عن عبد الله بن فائد، وسحيم بن حفص قالا: عرض الحجاج أهل البصرة بعد هزيمة ابن الأشعث على الإقرار بالكفر والنفاق فمن أقرَّ ختم في يده، ومن أبى قتله فما أبى ذلك إلا ثلاثة قتلهم، فكان ابن سيرين يلبس رداءً وإزاراً ولم يكن ختم فيمن ختم، فقيل له: لو لبست قميصاً ليكون أستر ليدك فمن رآك ظنَّ أنك قد ختمت فأبى ذلك.

---

١ ـ سورة يوسف ـ الآيتان: ٩١ ـ ٩٢.
٢ ـ سورة إبراهيم ـ الآية: ٢٢.

حدثني عمر بن شبه عن أبي داود عن شعبة عن عمرو بن مرة قال: لما كان يوم الجماجم أراد القراء أن يؤمروا عليهم أبا البختري الطائي فقال: إني مولى فأمروا رجلاً من العرب.

وروى سفيان بن عيينة عن العلاء بن عبد الكريم قال: رآني طلحة بن مصرف وأناأضحك، فقال: أما هذا فلم يشهد الجماجم.

حدثنا عمرو الناقد عن أبي أحمد عن عبد الجبار الهمداني عن عطاء بن السائب قال: قال لي أبو البختري الطائي يوم الجماجم: أين تفر؟. النار أشد حراً من السيف، فقاتل حتى قُتل.

أخبرنا عمرو عن أبي نعيم عن اسرائيل بن الحكم قال: سمعت ذراً بالجماجم يقول: هل هي إلا حديدة في يد كافر مفتون. قال: وقال زادان: وددت أن دماء أهل الجماجم في كسائي هذا وأنا خصمهم عند الله.

حدثني الحسين بن علي، حدثني يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش قال: قلت لابراهيم: مالك لاتخرج، قد خرج ابن أبي ليلى، وسعيد بن جبير، وأبو البختري. وعددت عليه، فقال: إني رجل جبان - يقول عما أقدموا عليه[1] -.

قالوا: وأتي الحجاج بكميل بن زياد، أتى به قومه، فقال له: ياعبد النخع كنت ممن سار إلى أمير المؤمنين عثمان فعفا عنك معاوية، ثم عفا عنك أمير المؤمنين عبد الملك، فأقمت في بيتك مقعداً لاتشهد للمسلمين جمعة ولاجماعة حتى إذا خلع حوَّاك كندة خرجت فقعدت على المنبر ثم قلت: إنَّ شرَّ

١ - بهامش الأصل: كميل بن زياد.

بيتين تحت أديم السماء الحكمين: الحكم بن أبي العاص، والحكم بن أبي عقيل، ثم أمر به فضربت عنقه، وهو شيخ كبير.

وقال الهيثم بن عدي: التقى الحجاج وابن الأشعث بمسكن من أبرقباذ فقتل عبد الله بن شداد بن الهاد في عسكر ابن الأشعث، وقتل معه بسطام بن مصقلة بن ميسرة الشيباني، وعمير بن ضبيعة الرقاشي، وبشر بن المنذر بن الجارود، والحكم بن مخربة العبدي، فجعَل الحجاج ينظر إلى رأس بسطام بن مصقلة ويقول:

إذا مـررت بوادى حيـةٍ ذكرٍ فاذهب ودعني أمارسْ حية الوادي

قال: وبكى مسمع بن مالك بن مسمع فقال الحجاج: أجزعاً عليهم؟ قال: لا ولكن جزعاً لهم من النار.

قال الهيثم: وكان قبل مولى زياد عاملاً لابن الأشعث على الأُبُلَّةِ، فأعد سفينة بحرية، فلما صار ابن الأشعث إلى الأبلة حمله في السفينة، وركب معه فمر بعبَّاد بن الحصين وهو في ضيعته بعبادان فناداه: ياأبا مالك احملني معك فإني أخاف الحجاج، فقال ابن الأشعث: إيَّاك أن تدنو منه فإنما يريد أن يتقرب بك إلى الحجاج، فلما لم يطمع فيه نادى: ويلك لايغلبنك ابن الأشعث، تقرَّب به إلى الحجاج تأمن على نفسك وولدك، فأتوا جناباً[1] ثم ركبوا الدواب إلى سابور، ثم مضى إلى سجستان.

قال الهيثم: وكان ممن تبع ابن الأشعث: سَوَّار بن مرواريذ.

---

١ ـ جنابة: بلدة صغيرة بساحل فارس ـ معجم البلدان.

وقال المدائني: قال ابن عون: رأيت ابن الأشعث يخطب على منبر البصرة متربعاً مارأيت متربعاً قط على منبر غيره، فجعل يوعد الذين ينهون عن اتباعه، فقيل: إنما يعني الحسن. قال: فأتيت الحسن فما دخل عليه أحد إلا نهاه عن اتباعه.

حدثنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه، ثنا أبو معدان عن مالك بن دينار قال: شهدت الحسن بن أبي الحسن، ومسلم بن يسار وسعيداً ومسلماً يأمرون بقتال الحجاج مع ابن الأشعث فقال الحسن: إن الحجاج عقوبة جاءت من السماء، أفتستقبل عقوبة الله بالسيف؟. ولكن استغفروا وادعوا وتضرعوا.

المدائني قال: قيل لابن الأشعث: إن أردت أن يقاتل معك أهل البصرة جميعاً فأخرج الحسن. فيقال إنه أخرجه كرهاً.

حدثنا أبو الربيع الزهراني عن حماد بن زيد قال: حدثني أيوب أنه أخرج كرها وكان ينهى عنه.

المدائني قال: حمل عياش بن الأسود بن عوف الزهري إلى الحجاج أسيراً، حمله يزيد بن المهلب، وكان شيخاً فقال الحجاج: هذا والله الأشمط الغمت[1] الغفل، أتى بالعراق مذ كذا لم أُوَلِّهِ وجهاً قط، ولم أسمع له بذكر، حتى إذا كانت الفتنة خرج فيها تابعاً لابن الحائك. ثم أمر به فقتل.

قال: وقتل محمد بن الأسود أخوه يوم الزاوية. قال: وحمل إليه أيضاً ابنٌ لعبد الله بن عبد الرحمن بن رستم فإذا غلام حدثٌ فقال: أصلح الله الأمير

١ ـ غمته: ثقل على قلبه فصيره كالسكران. القاموس.

مالي ذنبٌ. كنت غلاماً صغيراً مع أبي وأمي لا أمر لي ولانهي. قال: وكانت أمك مع أبيك في هذه الفتن كلها؟. قال: نعم. قال: على أبيك لعنة الله.

وروى عبد الله بن المبارك قال: كان مُطَرِّف بن المغيرة بن شعبة مع ابن الأشعث، ثم اعتزله فأتي به الحجاج بعد ذلك فقال: يامطرف: أكفرت؟ فقال: لم نبلغ ذلك، ولو نَصَرْنَا الحق وأهله كان خيراًلنا.

حدثنا الحرمازي، أخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنى أنّ الهلقام بن نعيم التميمي قال للحجاج حين أدخل عليه، وقد حمله إليه يزيد بن المهلب: لعنك الله ياحجاج إن فاتك هذا المزوني[1] وقد قدَّم قومك وأخر قومه، فوقر ذلك في قلب الحجاج وقال: أتخذني ابن المهلب جزاراً أجزر مضر وترك قومه اليمانية، وكان قد امسك عن حمل اليمانية، وحمل غيرهم من خراسان.

المدائني قال: لما قتل عبد الملك عبد الله بن إسحاق بن الأشعث أصابوا في ثَقَلِهِ جارية فقالت: أنا لنافع كاتب الحجاج استودعني قوماً بالبصرة، فلما خرج الحجاج عن البصرة دلوا ابن الأشعث عليَّ فأخذني فصرتُ إلى عبد الله بن إسحاق. فبعث بها إلى الحجاج فقال الحجاج لنافع: هذه جاريتك وقد وطئها ابن اسحاق المنافق فلا تقربها، فأعتقها ابن نافع وعوضه الحجاج منها خمسة آلاف درهم فتتبعتها نفسه فتزوجها وأحبلها، وغضب الحجاج عليه في سر أفشاه إلى صالح بن عبد الرحمن في كتاب أقرأه إياه وفي مائة ألف درهم ارتشاها. وبلغه أن الجارية حبلى فأرسل إليه فقطع يديه ورجليه، وسأله عن كتب كانت عنده، فقال: أين تلك الكتب؟ فقال:

---

١ ـ أي يزيد بن المهلب.

في حر أمك. فقطع لسانه وقال: قطعت لسانك لأفشائك سري، وقطعت يديك ورجليك للرشوة، وزعمت انك تزوجت هذه الجارية ولم تقم البينة على تزويجك فأنا ارجمك. فرجمه، وقيل: مات قبل ان يرجم.

وكان أيضاً تزوج أم ولد للحجاج بغير علمه، وكان نافع مولى لمصعب، فانضمّ إلى الحجاج حين ولي العراق فاستكتبه.

خبر مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي وخروجه على الحجاج

حدثني علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة قال : سمع مطرف الحجاج يقول : أرسول أحدكم أكرم أم خليفته ؟ فوجم وقال : كافر والله ، والله إن قتله لحلال .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش الهمداني قال : قدم الحجاج الكوفة فاستعان بولد المغيرة ، فولى عروة الكوفة وأُمُّهُ أَمَةٌ كانت لمصقلة بن هبيرة ، فلم يزل على الكوفة حتى رجع إليها الحجاج بعد رستقباذ .

وولى حمزة بن المغيرة المدائن ، وأرسل إلى مطرف بن المغيرة وكان يتألَّهُ فقال له يوماً : إن عبد الملك خليفة الله وهو أكرم على الله من رسله . فوقرت في نفس مطرف ، وكان يعتقد إنكار المنكر ولا يبلغ قول الخوارج ، فَمَرَّ شبيب بن يزيد الخارجي بالمدائن ومطرف بها فناظره فخالفه في رأيه ووافقه على الخروج .

وقال هشام ابن الكلبي عن أبي مخنف وغيره: كان بنو المغيرة صلحاء نبلاء ، فاستعمل الحجاج عروة بن المغيرة على الكوفة فكتب الى عبد الملك

كتاباً ذمَّ فيه الحجاج ونَسَبَه إلى العَجَلَةِ والتَسَرُّعِ إلى القتل . فبعث عبد الملك كتابه إلى الحجاج فضربه بالسياط حتى مات وذلك بالكوفة .

وقال أبو عبيدة : كتب عبد الملك إلى عروة وإلى محمد بن عمير بن عطارد يسألهما عن سيرة الحجاج . فأما محمد بن عمير فأتى الحجاج بكتابه فأقراه إياه وكتب جوابه برضاء الحجاج وإرادته . وأما عروة فكتب ينسب الحجاج إلى التجبر والعجلة في الأمور ، والتسرع إلى العذاب ، والإقدام على الدماء ، فضربه حتى قتله بالتجني عليه .

وقال هشام ابن الكلبي : استعمل الحجاج حمزة بن المغيرة على همذان واستعمل مطرفاً على المدائن ونواحيها .

وخرج شبيب بن يزيد الخارج على الحجاج ، فجاء حتى نزل مدينة بهرسير[1] ، فقال بشر بن الأجدع الهمداني لمطرف :

إني أعيـذك بالـرحمن من نفر حمر السبال كأسد الغابة السود
فرسان شيبان لم يسمع بمثلهم أبناء كل كريم النجر صنديد
شدوا على ابن حصين في كتيبته وغادروه صريعـاً ليلة العيـد
وابن المجالد إذ أودت رماحهم كـأنما زلّ عن خلفـاء مَنْجودِ

سعيد بن المجالد بن عمير بن ذي مرار الهمداني يعني أصحاب شبيب الخارجي . فقطع مطرف الجسر بينه وبين شبيب ، وبعث إلى شبيب أنْ ابعث إليَّ رجالاً من صلحاء أصحابك لأناظرهم فيما تدعو إليه ، فبعث إليه قعنباً وسويد بن سليمان في آخرين .

١ - بهرسير : إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن .

واحتبس شبيب رسل مطرف ليكونوا رهناء عنده بأصحابه ، فلما دخلوا على مطرف قال سويد : السلام على من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله . قال مطرف : أَجَلْ فَسَلَّمَ الله أولئك فقصوا علينا أمركم وخبرونا إلى ما تدعون .

فحمد الله سويد وأثنى عليه ثم قال : الذي ندعو إليه كتاب الله وسنة نبيه ، وقد نقمنا على قومنا الاستئثار بالفيء ، وتعطيل الحدود ، والتسلط بالجبرية . فقال مطرف : ما دعوتم إلا إلى حق ، ولا أنكرتم إلا منكراً ، ولا نقمتم إلاّ جوراً ظاهراً ، وأنا لكم على مثل هذا متابع فأجيبوني إلى ما أدعوكم إليه يجتمع أمري وأمركم ، وتكن يدي وأيديكم واحدة .

قالوا : هات اذكر ما تريد أن تذكر ، قال مطرف : أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظلمة الغاصبين على ما أحدثوا وندعوهم إلى الكتاب والسُّنة ، وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين يُوَلُّون مَنْ ارتضوه على مثل الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب ، فإن العرب إذا علمتْ أنه إنما يُراد الرضا من قريش رضوا وقنعوا ، فإنما الأئمة من قريش . فقالوا : هذا ما لا نُجيبك إليه يا بن المغيرة ، ولو كان القوم يريدون غدراً كنت قد أمكنتهم من نفسك ففزع لها وقال : صدقتَ وإله موسى .

ومضى القوم فأخبروا شبيباً بقول مطرف ، فطمع فيه ، وبعث إليه من الغد سويداً ، فانطلق ومعه رجل آخر ، فقال له مطرف : من هذا الذي ليس لك دونه سرّ؟ قال : هذا الشريف الحسيب ، هذا ابن مالك بن زهير بن جذيمة العبسي . قال مطرف : بخٍ بخٍ استكرمت ، فاربط ، إن كان دينه على قدر حسبه فهو الكامل .

ثم أقبل سويد على مطرف فقال له : قد ألقينا إلى أمير المؤمنين ما قلت ، وهو يقول لك : إنّا لا نرى قريشاً أحق بهذا الأمر منا ، فكما اختارت قريش أفضلها بعد وفاة رسول الله فكذلك لنا أن نختار أفضلنا .

وانصرف الرجلان ، ثم إن مطرفاً دعا رجالاً من ثقاته ونصحائه فيهم الربيع بن يزيد الأسدي فقال لهم : إنكم نصحائي وأهل مودتي ومن أثقُ بصلاحه وحسن رأيه ، ولم أزل لأعمال هؤلاء الظلمة كارهاً أنكرها بقلبي ، فلما عظمت خطيئتهم ، ورأيت هؤلاء يجاهدونهم لم أرهم أولى بمجاهدتهم مني ، ولم يسعني إلاّ مخالفتهم ومحاربتهم إنْ وجدتُ أعواناً عليهم ، ولو كان هؤلاء الخوارج أجابوني إلى الشورى ، ولم يركبوا أهواءهم لقاتلتُ معهم ، وخلعتُ عبد الملك بن مروان والحجاج .

فقال له يزيد بن أبي زياد مولاه : إني لا آمن أن يُؤدى ما كان منك إلى الحجاج ، ويُزاد على كل كلمة مما تتكلم بها عشرة أمثالها ، وأرى لك أن تطلب داراً غير المدائن فإن أصحاب شبيب سيتحدثون بما دار بينك وبينهم حتى يفشو خبرك وخبرهم ، ونحن مجيبون لك إلى دعوتك . فقال : إني أُشهدكم أني قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف ، فمن أحبَّ صحبتي فليصحبني ومن أباها فليذهب حيث شاء فإني لا أحب أن يتبعني من لا نية له في جهاد أهل الجور ، وأني أدعوكم إلى قتالهم ، فإذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الأمر شورى بين المسلمين يرتضون من قريش من أحبوا. فوثب إليه أصحابه فبايعوه ، وأتاه قوم من أهل المدائن فبايعوه أيضاً ، وارتحل حتى أتى الدسكرة ، ثم خرج منها متوجهاً نحو حلوان وقد صارت معه جماعة يرون رأيه .

وبلغ الحجاج بن حارثة خروج مطرف فاتّبعه وصار معه في ثلاثين ، ودخل مطرف حلوان فقاتله عامل حلوان قتالاً خفيفاً عذر فيه، ثم بعث إليه العامل أن اخرج من حلوان فإني أكره أن ينالك وأصحابك مني مكروه ، فمضى وعرض له الأكراد فأوقع بهم ، فلما دنا من همذان كره أن يدخلها فيتهم أخوه حمزة عند الحجاج ، فبعث إليه يسأله إعانته بمال وسلاح ، وكان رسوله يزيد بن أبي زياد ، فصرفه إليه بما سأله .

وبلغ الحجاج ذلك فعزل حمزة ، وكتب إلى قيس بن سعد العجلي ، وهو على شرطة حمزة بن المغيرة ، بولايته همذان ، وأمره أن يحبس حمزة فحبسه ، فيقال إنه مات في الحبس .

وسار مطرف حتى نزل بقرب أصبهان ، ثم صار إلى ناحية قُمْ وقاشان وعلى أصبهان البراء بن قبيصة بن أبي عقيل الثقفي ، وهو الذي يقول فيه الشاعر .

حوى الملك حجاج عليك كما حوى عليك الندى والمكرمات بـراء

فبعث الحجاج نحواً من ألف رجل من موالي الإمارة عليهم عُبيد مولاه إلى البراء ، وأمره أن ينهض إلى مطرف ، فأنهضهم وعدة معهم ممن قِبَلَهُ إليه ، فقاتلوه فهزمهم حتى لحقوا بالبراء وهو بجيّ[1] .

وكان مطرف قد كتب كتبه بالدعاء ، وبثّ دعاته في النواحي فأجابه خلق من الناس ، فكتب البراء إلى الحجاج : إن كانت لك في أصبهان وغير أصبهان حاجة فابعث إلى مطرف جيشاً كثيفاً يستأصله ، . فإنه لا تزال

١ـ جي : اسم مدينة ناحية أصفهان القديمة . معجم البلدان .

العصابة بعد العصابة تأتيه فقد كثرت تابعته ، واستفحل أمره ، واشتدت شوكته ، فكتب إليه الحجاج : إذا أتاك كتابي فاخرج بمن معك ، ومن بعثت به إليك من الموالي ، فعسكر حتى يصير إليك عدي بن وتاد الإيادي من الري فقد كتبت إليه أن يُنهض إليك ثلاثة أرباع أهل الري ، فإذا صار إلى ما قبلك كان أمير الجيش كله فسمعت له وأطعت .

فوافاه عدي فيمن نهض معه، واجتمعا على قتال مطرف، والأمير: عديّ بن وتاد ومعه عمرو بن هبيرة الفزاري على إحدى مجنبتيه ، وهو في حَدّ دستبى. فلما تدانوا وعظهم مطرف ودعاهم إلى مجاهدة الظلمة، ثم أمر بعض أصحابه فنادى : يا أهل قبلتنا أسألكم بالله الذي لا إله غيره لَمّا انصفتمونا وصدقتمونا فإن الله شهيد على نِيَّاتكم أخبرونا عن عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف ، ألا تعلمونهما جبارين يتبعان الهوى ويزيغان عن الحق ويأخذان بالظنّة ويقتلان على الغضب ؟. فقالوا من كل جانب : كذبتَ يا عدو الله ، فقال مطرف : قل لهم : ﴿وَيْلَكُم لا تَفْتَروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى﴾[1] قد استشهدتكم فكتمتم الشهادة ، وقال الله عز وجل : ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثِمٌ قلبهُ﴾[2] .

وكان الرجل بكير بن هارون البجلي ، فخرج إليه صارم مولى عدي بن وَتّاد فقتله بكير وجعل يقول :

صارمُ قد لاقيت سيفي صارما غـير كهامٍ يختـلي الجماجما

١ ـ سورة طه ـ الآية : ٦١ .
٢ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٨٣ .

ثم لقي القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانكشفت ميسرة مطرف حتى انتهت إليه، فجعل يقول: ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سَواءٌ بيننا وبينكم ألّا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[1] .

وقاتل أشد قتالٍ حتى قُتل واحتز رأسه عمرو بن هبيرة الفزاري ، وذكروا أنه هو قتله ، وقيل إن الذي قتله غير ابن هبيرة ، وإن ابن هبيرة احتزّ رأسه فأوفده به عدي بن وتاد إلى الحجاج وبذلك حظي وذكر .

وقتل يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة ، وكان صاحب راية مطرف .

ثم انصرف عدي وأصحابه إلى الري ، وطلبت بجيلة الأمان لبكير بن هارون فأمنه عدي ، وكان رجال من أصحاب مطرف لما أُحيط بهم في عسكره نادوا : يا براء خُذْ لَنا الأمان ، يا براء اشفع لنا . فشفع لهم ، فنزلوا .

وأسر عدي خلقاً فخلى سبيلهم وبسط للناس الأمان فسلموا .

وأتى الحجاج بن حارثة الري فطلب إلى عدي بن وتاد فيه وهو مستخفٍ ، فقال : هذا رجل مشهور مع صاحبه ، وهذا كتاب الحجاج فيه أن أحمله إليه إن كان حياً، ولابد من السمع والطاعة له، ولولا كتابه لم أعرض له ولم أطلبه ولأمنته . فلم يظهر الحجاج ولم يزل خائفاً حتى عزل عدي بن وتاد عن الري ، وقدم خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي والياً على الري ، فكلم فيه فأمنه وظهر .

---

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ٦٤ .

وقال بعضهم : كان مطرف يرى رأي الخوارج ، وذلك باطل ، إنما كان رأيه كرأي من خرج مع ابن الأشعث من القراء . قال الشاعر :

فيا فرحه ما يغْرمَنَّ عدونا إذا لم يكن في دستبى مُطَرِّفِ
فنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره ونعم الفتى عند القنا المتقصف

وقال بعضهم : وجه الحجاج إلى مطرف أولاً علقمة بن عبد الرحمن ، ويقال خريم بن عمرو المري . وكان عمر بن هبيرة في جنده ، ثم كتب إلى ابن وتاد أن يلقاه وولاه الجيش الذي بعثه إليه وقال قوم : تولى حرب مطرف خريم ، وهو أوفد ابن هبيرة إلى الحجاج ، وأمر ابن وتادٍ أثبت .

حدثني عبدالله بن صالح العجلي قال : كتب عبد الملك إلى أبي يعقوب عروة بن المغيرة ، وإلى محمد بن عمير بن عطارد : إنكما من سراة أهل العراق فاكتبا إليَّ بسيرة الحجاج وأمره وأصدقاني عنه . فأما محمد بن عمير فأتى الحجاج بالكتاب وقال : آمُرْني بأمرك فكتب إليه بما أملاه الحجاج . وأما عروة فكتب : إن في الحجاج عجلة ، وإن في لسانه ذرباً . فبعث عبد الملك بالكتاب إلى الحجاج ، فدعا بعروة فضربه بالسياط حتى مات وذلك بالكوفة .

وقال المدائني : كتب عروة : إنّ فيه غربا وتسرعاً وإقداماً على الدماء . فضربه الحجاج حتى قتله .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال : كانت الفارعة بنت همّام بن عروة بن مسعود بن مُعتِّب أم الحجاج بن يوسف عند المغيرة بن شعبة ، فولدت له ابنة فماتت فخاصم الحجاج في ميراثها عروة بن المغيرة إلى ابن زياد ، فأغلظ له عروة بن المغيرة وقال : مالأختك عندنا ميراث . فكان

يحقد ذلك على عروة . فلما كتب فيه إلى عبد الملك بما كتب به قدم رسول عبد الملك إلى الحجاج بكتابه وعروة عنده فقال له : ما هذا الكتاب ؟ فلم يجبه . فضربه الحجاج وهو شيخ فمات تحت السياط . وقال قوم : أُخرج من الكوفة فمات بظهر الكوفة من ذلك الضرب .

حدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عدي قال : ابتاع المغيرة بن شعبة من مصقلة بن هبيرة جارية له ، وكان بها حبل ، فولدت له مطرف بن المغيرة فتنازعا فيه ، واختصما إلى معاوية ، فقضي بالولد للمغيرة ، وقذف مصقلة المغيرة فقال له : يا زانٍ . فيقال إن معاوية أراد أن يحد مصقلة . وقال قوم إنه حده وولاه بعد ذلك طبرستان .

وقال ابن الكلبي : قدم مصقلة يريد طبرستان فرأى قبر المغيرة فقال :

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً وخصيماً ألد ذا مصداق
حية في الوجار أربد لا ينـ ـفع منه النفوس رَقْيَ الراقي

وقال أبو عبيدة : هلك مصقلة بطبرستان فقدم بثقله إلى الكوفة وفيه جارية له حاملٌ ، وكانت وضيئة ، فأخذها المغيرة بمال كان له عليه ، فولدت له مطرفاً فكان الحجاج يقول : لو كان مطرف من ولد المغيرة ما خرج على السلطان ولكان ذا سمع وطاعة واستقامة وسلامة كما سمع حمزة أخوه وأطاع ، ولكنه ابن مصقلة كما قيل وهذا الدين معروف لبني شيبان وليس فينا شيء منه بحمد الله ونعمته . وكان يقول أيضاً : ما لثقيف وهذا الرأي ، إنما هذا الرأي لبني شيبان .

أمر الخوارج في أيام عبد الملك بن مروان

أمر قطري بن الفُجَاءَة :

قالوا : لما قتل الزبير بن علي بأصبهان أراد الخوارج ان يولوا أمرهم عبيدة بن هلال ، فقال عبيدة : أنا أدلكم على من هو خير مني . قطري بن الفجاءة . فبايعوه ، وكان قطري يكنى أبا نعامة . فلما بلغ الأحنف خبره ومسيره من أصبهان قال : إيه أبا نعامة ، ان ركب بنات سجاح وقاد بنات صهال ، وأمسى بأرض وأصبح بأخرى وجبى المال ، وأعطى الرجال طال أمره ، فبلغ ذلك قطرياً فنادى في عسكره : ألا لا يصحبنا إلا رجل معه بغل فكان ذلك مما ينكر على الأحنف . واسم الفجاءة فيما ذكر الكلبي عن شرقي القطامي جَعْوَنة .

وقال غيره أن اسمه مازن بن زياد بن يزيد بن حَنْثر بن حارثة بن صُعَيْر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

وقال الكلبي : غاب مازن بن زياد باليمن دهراً ثم أتاه فجاءة فسمي الفجاءة ، وكان اعتقاد قطري وبيعته في سنة إحدى وسبعين .

وأتى قطري فارس وعليها عمر بن عبيد الله بن معمر فاقتتلا ، ثم صار قطري والخوارج إلى رام هرمز وكان المهلب بن أبي صفرة بالبصرة ، وقد أراد المصعب بن الزبير المصير إلى باجميرى[١] للقاء عبد الملك فسأله المهلب أن يكون معه أو بقربه فأبى وقال : ان أهل مصرك محتاجون أن تدفع عنهم هذا العدو المطل عليهم فأنا أؤثرهم بك لأني خائف أن تسبيهم الحرورية . فسار المهلب لقتال الخوارج فلما بلغ ذلك قطرياً صار إلى كرمان فقال بعض أصحاب قطري :

هربنا نريد الخفض من غير علةٍ وللحرب ناب لا يُفل ومخلب
فقولا لأصحاب القرآن نصيحة دعو الظن إن الظن بالناس يكذب
عسى أن تقولوا أن فينا منافقاً يعيب أمير المؤمنين ويقصب
فلا والذي أرسى ثبيراً مكانه ورضوى بأكناف الحجاز وكبكب
لقد قلت هذا غير طالب عيبه وفي عيبه لو عبت جذع موعب[٢]

فلما بلغ قطرياً الشعر رجع إلى رامهرمز ، فسار إليه المهلب فقاتله ثلاثة أشهر أو أكثر ، وقتل مصعب بن الزبير فبلغ خبر قتله قطرياً قبل أن يبلغ المهلب ، فناداهم الخوارج : ما تقولون في مصعب ؟ قالوا : إمام هدى . قالوا : فما تقولون في عبد الملك ؟ قالوا : ضالٌ مضلٌ . فمكثوا يومين أو ثلاثة ثم أتى المهلب قتل مصعب واجتماع الناس على عبد الملك ، وورد على المهلب كتاب عبد الملك بتوليته قتال الخوارج فضجوا في عسكره ، وأقبل

١ ـ باجميرى : موضع دون تكريت . معجم البلدان .
٢ ـ أوعب : جمع والجذع استأصله ، والشيء في الشيء أدخله فيه كله . القاموس .

الخوارج فوقفوا على الخندق فقالوا : ما تقولون في مصعب بن الزبير؟ قالوا : لا نخبركم ، قالوا : فعبد الملك ؟ قالوا : إمام هدى . قالوا : يا أعداء الله كان بالأمس عندكم ضالاً وهو اليوم إمام هدى . لعنكم الله يافساق يا عبيد الدنيا . وهذا أثبت الأخبار ولم يأت قطري فارس لمكان عمر بن عبيد الله ، فقُتل مصعب وقطري برامهرمز .

ولاية خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد

قالوا : قدم خالد البصرة والياً من قبل عبد الملك بن مروان ، وجهه من الكوفة وقال له : أكرم جُفْريتك ـ يعني من نصره يوم الجُفْرَة ـ فعزل خالد المهلب عن قتال الأزارقة : قطري وأصحابه ، وولاه الأهواز وكور دجلة ، وولى فارس ابنيه ، فجعل أحدهما في بعض كورها ، والآخر على باقيها ، وبعث أخاه عبد العزيز بن عبدالله على قتال قطري وأصحابه ، فسار إلى قطري ومعه فرسان أهل البصرة ، ومعه مقاتل بن مِسْمع ، وكان معه ابن قيس الرقيات .

وقال أبو الحسن المدائني : لما قدم خالد وذكر عزل المهلب عن قتال الأزارقة قال له ابن النعمان بن صبهان الراسبي : إن أهل البصرة قد كانوا أمنوا العدو والمهلب بالأهواز وابن معمر بفارس ، وقد عزلت معمراً عن فارس فإن عزلت المهلب لم تأمن العدو .

فقال خالد : ذهب المهلب بحظ هذا المصر فأعزله وأوجه عبد العزيز إلى هذه المارقة ، فقال له أمية أخوه : لا تعزل المهلب فإن ظفره لك وهزيمته عليه . فأبى إلا عزله . وكتب إلى المهلب فقدم عليه .

وتجهز خالد وشخص إلى الأهواز ، وأقبل قطري والخوارج إلى الأهواز فخرج إليهم خالد ومعه المهلب فالتقوا بكريج دينار ، فقاتلوا خالداً ومنعوه من حط أثقاله وصبر لهم يومه كلَّه فقُتل الربيع بن زياد اليشكري ، وهو يومئذٍ على شرطته .

وتحاجزوا عند المساء فقال له المهلب : إنك لا تدري أتطول حربك أم تقصر وما ههنا لا يحمل متعلقك وسرحك ، فاقطع دجيلاً فتصير بين مناذر والسوس وجنديسابور ونهرتيرى . ففعل وارتحل قطري فنزل مدينة نهرتيرى ، وكان الخوارج قد بنوها وخندقوا وعقدوا جسراً وجعلوا كرسيه في الخندق .

ونزل خالد رستاقاً من مناذر يقال له بِرَتا ، فقال المهلب : ان قطرياً قد تحصن وأنت أولى بهذا منه فخندق وفرغ سفنك وأدخلها الزايذان فإني لا آمن البيات ، قال : يا أبا سعيد الأمر أعجل من ذلك ، فقال المهلب لبعض أصحابه : أخرجوا ما كان لكم من متاع في هذه السفن فإني أرى أمراً ضائعاً ، وقال لزياد بن عمرو : خندق فخندق .

ودعا المهلب فيروز حصين إلى التحول إليه فقال : يا أبا سعيد الرأي رأيك ولكني أكره مفارقة أصحابي . قال : فكن يا أبا عثمان قريباً منا إذا رأيت مفارقة أصحابك ، فقال : أما هذا فنعم . وكان زياد يومئذ على شرطة خالد بن عبدالله ، وقاتلهم الخوارج أربعين يوماً لا ينفسونهم .

وكتب عبد الملك إلى بشر بن مروان أن يمد خالداً بجيش عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي ففعل ، وقال بشر لعبد الرحمن : إذا فرغتم من الحرب فسر إلى الري . فقدم عبد الرحمن على خالد ، وقال

المهلب لخالد : أصلح الله الأمير إنك قد أبيت أن تخندق وأن تدخل سفنك الزايـذان فحول ما في سفنك فأبى .

وأقبل الخوارج يريدون أن يبيتوا خالداً ، فأخذوا سفناً فيها قصب فألهبوا فيها النيران وحدروها على سفن خالدٍ ، وأقبلوا هم على خيولهم ، وأحرقت النيران سفن خالد ، وأقبل الخوارج حتى خالطوا عسكر خالد لا يلقون أحداً إلّا قتلوه ولا دابة إلّا عقروها ولا فسطاطاً إلّا هتكوه وألهبوا فيه النار ، فبعث المهلب يزيد ابنه في مائة فارس فخرج من الخندق ، وجاء الصلت بن الغضبان الجذعي في مائة ، وجاء فيروز حصين في مائة من مواليه ، وجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في مائة ، فحمل الخوارج عليهم فصُرع يزيد بن المهلب فقاتلوا عنه حتى ركب ، وأبلى عبد الرحمن بن الأشعث فصُرع ، وحامى عليه قوم من همدان ، وأبلى الصلت ، ورماهم فيروز بالنشاب حتى أخرجوهم من العسكر ، فانصرفوا على حاميتهم إلى عسكرهم ، ونادى ملاّحو قطري مَلاَّحي خالد : تعالوا إلى خير الناس وأوفاهم فقال أعشى همدان لعبد الرحمن بن الأشعث في قصيدة .

ويـوم أهـوازك لا تـنـسـه ليس الثنا والمدح بـالبـائـد

وأصبح عسكر خالد كأنه حرة سوداء من الرماد ، فنادى الخوارج خالداً : ذهبت سفنك لولا هذا الساحر المزوني لأهلكك الله وأخزاك .

وقال خالد للمهلب لما رأى ما بعسكره من القتلى والجرحى : كدنا نفتضح . فقال : إن لم تخندق عادوا إليك . فقال : اكفني أمر الخندق فقام المهلب بالخندق حتى أحكمه فقاتل قطري خالداً بعد أن خندق ثلاث

مرات ، ثم ارتحل إلى كرمان . ورجع خالد إلى البصرة وخلف أخاه على الأهواز عاملاً عليها .

وقال قطري لما بلغه انصراف خالد : إن أتاكم عتاب بن ورقاء أتاكم شجاع يلقاكم في سرعان الخيل ، وإن أتاكم حجازي فهو ما تريدون ، وإن أتاكم ابن معمر فليست ثم مناظرة ، هي دفعة إما له وإما عليه وفيها الموت . وإن جاءكم المهلب فإن ناجزتموه ناجزكم وإن طاولتموه طاولكم وهو البلاء .

قال أبو الحسن المدائني : أقام قطري وأصحابه بكرمان خمسة أشهر ثم أتوا فارس فقال له مقاتل بن مسمع : وَلِّ عبد العزيز قتال الأزارقة وانتخب له ، ففعل .

وشخص عبد العزيز في ثلاثين ألفاً ويقال في خمسة وعشرين ألفاً وعلى شرطه هَرَاسة بن الحكم ، أحد بني ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وعلى بكر بن وائل مقاتل بن مِسمع ، وعلىٰ بني تميم عبس بن طلق ، وحمل عبد العزيز معه امرأته ابنة المنذر بن الجارود ، واستعمل خالد المهلب على الأهواز ، فأقام بها في ثلاثمائة .

وقال عبد العزيز حين سار للقاء الخوارج : زعم البصريون أن هذا الأمر لا يقوم له إلاّ المهلب ، وسيعلمون .

وكان الخوارج بأَزْدَشِيرْخُره ، فلما قرب عبد العزيز منهم قيل له : إن الخوارج منك قريب فانزل الناس على غير تعبئة ، فما حطوا الأثقال حتى طلع عليهم سعد الطلائع في سبعمائة وهم على غير تعبئة فناوشوهم ثم ولى الخوارج منهزمين مكيدة منهم ، وقال سعد : استطردوا لهم ، واتبعهم عبد

العزيز والناس فقيل له : ارجع واتركهم حتى يحط الناس أثقالهم . فقال : لا حتى أخرجهم من هذا الرستاق .

فانتهوا إلى عقبة فصعدوا فيها ولهم بها كمين ، ثم انحدروا من العقبة واتبعهم عبد العزيز وأصحابه ، وخرج الكمين عليهم فحكّموا ، وعطف قطري والخوارج فقاتلوهم فقال عبد العزيز لعبس بن طلق : انزل . فنزل وهو أعرج فقتل ، وصبر الناس فقتل مقاتل بن مسمع وهراسة بن الحكم وسليم بن سلمة الليثي وجعفر بن داود بن قحذم أحد بني قيس بن ثعلبة ، وانحاز عبد العزيز والناس واتبعوهم فقتلوهم حتى فرسخين وأسروا منهم أسرىٰ فشدوهم وثاقاً وألقوهم في غار ، وسدوا عليهم بابه فماتوا فيه .

وحوىٰ قطري عسكر عبد العزيز وأخذوا امرأته أم حفص بن المنذر بن الجارود . وأخذوا امرأة سليم بن سلمة وغيرها . وساقوا النساء إلى عسكرهم ، وضربت امرأة منهن الرجل الذي أخذها بسوارها فشجته فقتلها وكان يقال لها ريمة ، ونادوا على أم حفص فتزايد عليها قوم أسلموا من المجوس وصاروا خوارج ففرض لهم الخوارج في خمسمائة خمسمائة فسموا البنجكية حتى بلغوا بها سبعين ألفاً ، فغم ذلك قطري بن الفجاءة وقال : ما ينبغي لرجل من المسلمين المهاجرين أن يكون له سبعون ألف درهم ، وإن هذه لفتنة ، فضربها أبو الحديد العبدي فقتلها فأخذوه فقال قطري : مَهْيَم يا أبا الحديد . قال : يا أمير المؤمنين خشيت الفتنة عليهم في هذه المشركة ، قال : أحسنت، وقال آل الجارود : ما ندري أنذم أبا الحديد أم نشكره ؟ فقال رجل من الخوارج :

كفانا فتنة عظمت وجلت بحمد الله سيف أبي حديد
تغالى المسلمون بها وقالوا على فرط الهوىٰ هل من مزيد
فزاد أبو الحديد بنصل سيف رقيق الحد فعل فتى رشيد

وجاء يومئذ العلاء بن مُطَرِّف بن شهاب التميمي من بني عبشمس ومعه امرأتان له إحداهما عبشمية من بني ملادس والأخرى ضبيّة يقال لها أم جميل وهي مطلقة ، وقال :

ألست كريماً إذ أقول لفتيتي قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل

بنت عقيل يعني العبشمية المطلقة

ولم لم يكن عودي نضارا لغودرت بخسف غداة الروع أم جميل
فقلت لبئس الفحل فحلك إن نجا وآل ولما يذعروا بقتيل
وما سر لي من والد ترك عرسه فكيف إذا غب الحديث أقول
وحمتها عند الفراق ببكرة حفاظاً وإخوان الحفاظ قليل

العلاء ابن عم عمرو القنا الخارجي ، وكان قطري يقدمه أمامه ، وكان العلاء يتمنىٰ أن يلقاه عمرو فلقيه فتمثل عمرو :

تمناني ليلقاني لقيط وذاك عليه لو يدري بلاء

ثم قال له : النجاء يا أبا الصدي .

وقال الهيثم بن عدي : كان على عبد العزيز سلاح مظاهر ، فضرب ثلاثين ضربة فلم تحكم فيه ، وفر فقال بعضهم : قبح الله ابن السوداء ، فر وإن الدُّوْلَةَ له .

قال : وقال ابن قيس الرقيات :

عـاهد الله إن عـدته المنـايـا   لـيعـودن بـعـدهـا حـرميـا
مـرة يسكن الصفـاح ونعـما[١]ن ومـراً ومـرة في حـديـا
حيث لا يشهد الصفوف ولا يسمـ   ـع يوماً لـركز خيـل دويا[٢]

حدثني خلف بن سالم عن وهب بن جرير عن أبيه عن عمه صعب بن زيد قال : لما توجه عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد إلى قطري أتاني كردوس حاجب المهلب وأنا بالأهواز فقال : أجب . فأتيته فقال : يا صعب كأني انظر إلى هزيمة عبد العزيز ولا أدري من يفجأنا وليس معي جند فأعلم أين مستقر عبد العزيز ، فخرجت حتى علمت مكانه وما بينه وبين الخوارج ، ثم خلفت عمران بن عزيز البرساني ليكتب بخبرهم ، وإذا كردوس قد دعاني بعد مقدمي بثلاث ، فأتيت المهلب وأقرأني كتاب عمران بن عزيز بهزيمة عبد العزيز ، فقال : اخرج حتى تلقى الفَلَّ وتعلم العلم ، فخرجت على فرسي فسمعت بالليل كلام عبدالله بن قيس الجهضمي فناديته فعرفني فقلت : ما وراءك ؟ قال : الشر . قلت : أين عبد العزيز ؟ قال : أمامك . فانتهيت إلى ماهزويان[٣] فإذا خمسون فارساً معهم لواء فجاءني رجل يركض فقلت : لمن هذا اللواء ؟ فقال : لعبد العزيز . فدنوت

١ ـ نعمان : قرب الكوفة من ناحية البادية والصفاح : موضع بين حنين وأنصاب الحرم ، ولم أقف على تحديد للموقعين الآخرين . معجم البلدان .
٢ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان ابن قيس الرقيات المطبوع .
٣ ـ ماه اسم القمر كانوا يقحمونه على اسم كل بلد ذي خصب ، لأن القمر هو المؤثر في الأنداء والمياه التي منها الخصب معجم البلدان ، هذا ولم يذكر ياقوت هذا الماه في معجمه .

منه فسلمت عليه ثم قلت : أيها الأمير لا يعظم عندك ما لقيت فإنك كنت في شر جند كلهم متأمّر مقاتل وهراسة والهذيل بن عمران وأشباههم ، ثم تركتهم وأقبلت إلى المهلب فقلت : الخبر ما يَسُرُّك ، هزم الرجل وافتضح . فقال : ويحك ، وما يسرني في فضيحة رجل من قريش وفل جيش المسلمين ، فوجهني إلى خالد فامتنعت وقلت أهديك إذاً إلى بيت الله ، فوجه عمران بن عزيز وقال : أنا بينه وبين أخيه فلا أجد بُداً من أن أبعث إليه بخبره قال : فلما أتى خالداً فأخبره قال : كذبت وكذب من بعث بك والله لهممت أن أضرب عنقك .

قال عمران : ورد علي رجل من قريش وقال : كذبت فقلت : أصلح الله الأمير إن كنت كاذباً فاقتلني وإن كنت صادقاً فأعطني مطرف هذا المتكلم . قال : لهان ما أخطرت به دمك .

قال صعب : وقدم عبد العزيز على المهلب فوصله وكساه وبره وشخص معه إلى البصرة ، واستخلف بالأهواز ابنه حبيب بن المهلب وقال : لا تبرح موضعك حتى ترى الخيل فإن رأيتها فصر إلى مناذر ثم اقطع الجسر وخذ على نهر تيرى حتى تقدم إلى البصرة ، ففعل حبيب ذلك حين رأى الخوارج وقدم البصرة فغضب خالد فتوارى حبيب حتى كلمه فيه المهلب فرضي . وتزوج حبيب في تواريه أم عباد بن حبيب وهي من بني هلال .

قال صعب : وكتب خالد إلى عبد الملك يعتذر لعبد العزيز وقال للمهلب : ما تراه صانعاً فيَّ ؟ قال : يعزلك . قال : تراه قاطعاً رحمي ؟ . قال : نعم قد علم أمر أُمية وانهزامه عن أبي فديك ، وعلم أمر عبد العزيز وأخذ خالد ما كان في بيت المال .

وقال الهيثم: لما أمد المهلب بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قال له: يابن أخي خندق على اصحابك. قال: ياأبا سعيد أنا أعلم بهم منك، والله لهم أهون عليّ من ضرطة جمل. فقتل من أصحابه ولقوا شراً ولقب ضرطة الجمل. فقال الشاعر:

تركت فرساننا تدمى نحورهم   وجئت منهزما ياضرطة الجمل

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أخذ خالد بن عبد الله ماكان في بيت المال بالبصرة وهو خمسة عشر ألف ألف درهم.

وقال أبو الحسن المدائني وغيره: كتب عبد الملك إلى خالد: إني عهدت إليك أن تولي المهلب قتال الخوارج، فلما ملكت أمرك آثرت هواك على طاعتي فعزلت المهلب وليته الجباية، ووليت أخاك عبد العزيز قتال الأزارقة فقبح الله هذا الرأي، أتبعث أخاك وهو رجل من أهل مكة وتدع المهلب وقد مارسهم وقد قال الأول: ياعجبا من ضأن يطأن الرَّحَضَ(1) ولعمري لو عاقبتك على قدر جرمك لأتاك مالا بقية بعده، ولكني ذكرت الرحم فحجزني ذلك فجعلت عقوبتك عزلك.

وانتشر الخوارج وقال بعض الشعراء:

بعثت غلاماً من قريشٍ فَرُوقَةً   وأخرت ذا الرأي الأصيل المهلبا
أبى الذم واختار الوفاء وجربت   مكيدته عند الأمور وجُـرِّبا

وقال أبو الحديد:

---

١ ـ الرحض: الشنة والمزادة الخلق. القاموس.

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم ... وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين ذي رمقٍ يجود بنفسه ... وملحبٍ[١] وسط الغبار قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلٌ ... إذ رحت منتكث القوى بأصيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم ... فارجع بعارٍ في الحياة طويل
ونسيت عرسك إذ تقاد سبيَّة ... تبكي العيون برقةٍ وعويـل

وقال أيضاً:

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم ... وتركتهم صرعى بكل مكان
لما رأيت أبا نعـامة مقبـلاً ... نجيت نفسك والرماح دوان
ورأيت سعداً في الطلائع معلماً ... ولصالح شغباً على الأقران
أسلمت عرسك والبلاء موكلٌ ... بالقول عند تشاجر المران[٢]

وقال آخر:

ألا ليت شعري مايقولن خالدٌ ... إذا الخيل جالت والقنا يتشاجر
أتصبر إنَّ الصبر ليس سجيةً ... لآل أسيدٍ يوم تسبى الحرائر

وقال الفرزدق:

فرَّ اللئيم عن اللقاء مبادراً ... وثوى بمنزله الكريم مقاتل[٣]

وقال عبد الملك: نكس خالد الرماح على عواليها، وترك المهلب المعروف بالنجدة والعلم بمكيدة الخوارج فجعله جابياً، وولى أخاه قتال الخوارج.

---

١ ـ الملحب: المضروب بالسيف. القاموس.
٢ ـ بهامش الأصل: المران: الرماح، واحدها مرانة.
٣ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع.

قالوا: ولما عزل عبد الملك خالداً جمع لبشر بن مروان الكوفة والبصرة وكتب إلى بشر: إنك أخو أمير المؤمنين يجمعك وإياه مروان، وإن خالداً يجمعني وإياه أمية فانظر لنفسك وانظر المهلب فإنه حازم صارم فوجهه إلى هذه المارقة، وأمِدَّهُ من أهل الكوفة بثمانية آلاف.

فغم بشراً كتابه في المهلب وقال: والله لأقتلنه فإنه زبيري. فقال له موسى بن نصير: أصلح الله الأمير. إن للمهلب بلاءً وطاعةً ووفاءً. فسار بشر من الكوفة إلى البصرة في آخر سنة أربع وسبعين وأول سنة خمس وسبعين، فكتب موسى بن نصير وعكرمة بن ربعي، وكان عكرمة واداً للمهلب، إلى المهلب: أن الق الأمير متذللاً. فلقيه على بغلٍ أو حمار وسلم مع العامة ثم انصرف.

ودخل بشر البصرة وعن يمينه الهذيل بن عمران البرجمي وعن يساره الحكم بن المنذر بن الجارود. فقال المهلب: أميركم يشرب. قد كنا نكتفي بشاهد واحد وهذان شاهدان، وكانا يشربان.

ولما نزل بشر دار الإمارة سأل عن المهلب وقال: لم أره. فقيل: بلى، قد أتاك وهو شاك. فأراد أن يوجه إلى قطري وأصحابه عمر بن عبيد الله بن معمر أو غيره فشاور، فقال له أسماء بن خارجة: ماولاك أمير المؤمنين إلا لتعمل بما ترى. فقال له عكرمة: لاتفعل ولكن راجع أمير المؤمنين وأعلمه شكاة المهلب. فأوفد بشر إلى عبد الملك وفداً يخبرونه بوجع المهلب وأن قوماً من أهل البصرة يُغْنُونَ أكثر من غنائه.

فخلا بعبد الله بن حكيم المجاشعي فقال له: إن لك عقلاً ورأياً فمن ترى لمحاربة هذه المارقة؟

قال: المهلب. قال: إنه وجعٌ. قال: ليس وجعه مما يمنعه النهوض. فقال عبد الملك: أرى بشراً يريد أن يعمل بما عمل به خالد.

فكتب إليه يعزم عليه أن يوجه المهلب، فأرسل بشر إلى المهلب أن انتخب من أحببت. فقال: أنا عليل لاأقدر على الاختلاف، فأمر فحمل إليه الديوان فانتخب فلم يجز له بشر عامة من انتخب ، وكلمه في قوم فخلفهم.

واستقرض المهلب مالاً من التجار وغيرهم وبلغت الجعالة بين الناس أربعة آلاف، وسار إليهم المهلب فلقوه فأبلى يزيد بن المهلب وهو ابن احدى وعشرين سنة فنفاهم عن الأهواز، فأتوا فارس، فوجه إليهم المهلب ابنه المغيرة فقيل له: طاول هؤلاء الكلاب وإلا فإنك ستلزم بيتك إن فرغت من أمرهم. فقال: ليس هذا من الوفاء.

ثم رجع الخوارج إلى رامهرمز فكتب بشر بن مروان إلى خليفته بالكوفة أن اعقد لعبد الرحمن بن مخنف على ثمانية آلاف، فلما قدم عليه قال له: قد علمت حالك عندي فكن عند ظني بك، انظر هذا المزوني فخالفه وأوعده، فخرج ابن مخنف وهو يقول: سبحان الله، ماطمع فيه هذا الغلام مني؟ يأمرني بتصغير شيخ من شيوخ قومي وساداتهم؟.

ونزل ابن مخنف رامهرمز، ومات بشر واستخلف خالد بن عبد الله بن أسيد فرفض أهل الكوفة وقدموا إلى بلدهم، وأراد أهل البصرة أن يفعلوا مثل ذلك فقال لهم المهلب: لستم تقاتلون لبشرٍ ولا لخالدٍ إنما تقاتلون عن بلادكم فلا تصنعوا كما صنع أهل الكوفة فتحربوا عدوكم عليكم. فأقام بعضهم ورجع بعض عصاة إلى البصرة، وأقام المهلب في البصريين وأقام عبد الرحمن في ناس من أهل بيته لم يكن بقي معه أحد غيرهم.

فلما قدم الحجاج العراق والياً في سنة خمس وسبعين بدأ بأهل الكوفة فخطبهم وتهددهم وتوعد العصاة بالقتل وقتل بعضهم، وخطب أيضاً بالبصرة وألحق الناس بالمهلب.

وكتب الحجاج إلى المهلب: «إنَّ بشراً رحمه الله بعثك مستكرهاًلنفسه عليك وأراك غناءه عنك، وإني أعرفك حاجتي إليك فناهض عدوك ودع العلل، فوالله لأحشرن الناس اليك حشراً، فإني آخذ السميَّ بالسَّمي، والوليَّ بالولي، حتى يكون قليل من يأتيك ككثير من فارقك، واقتل من خفته على المعصية فإني قاتلٌ من قبلي من أهل الطبقة، فإن العاصي يجمع خلتين: إنه أخل بمركزه ووعر المسلمين من نفسه، وهو أجيرٌ لهم ليس له أن يأخذ إلا بقدر ماعمل».

فكتب إليه المهلب: «ليس معي إلا مطيعٌ، وإن الناس إذا أمنوا العقوبة صغروا الذنوب، وإذا يئسوا من العفو كفرهم ذلك، فهب لي الذين سميتهم عصاة، وإنهم فرسان أرجو أن يقتل الله بهم هذا العدو، إن شاء الله».

وقال المهلب لجنده: «لقد جاءكم والٍ ذكرٌ، ولولا هو كنا بمضيعة، فعليكم بالجد والحزم فإني رأيت البقاء مع الحزم، واستشعروا الصبر واعلموا أنه ليس كلُّ غازٍ يؤوب إلى أهله، ولا كلُّ سلامةٍ تدوم لأهلها، وهؤلاء القوم يقاتلونكم عن دينكم ودنياكم، فأكرموا الخيل تنفعكم عند اللقاء، وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل، وعَيِّروا الجبان يأنف، فلقد رأيتني مع الحكم بن عمرو بخراسان وإنّا لنعدُّ في سرعان الناس رجالا مايعابون إلا بالجبن وإن

خلفهم لرجالاً مايحتملون إلا على الناس، فما رجع مستقدمٌ، ولا تقدم مستأخرٌ، والرجال يحمل غثها سمينها، والشجاعة ضراوةٌ».

فلما كثر الناس قال قطري وهو برامهرمز: من يأتي سردن[1] فإنها حصينة. قال عبيدة: بل نأتي سابور، ونخرج إلى كرمان، فنمضي منها إلى حيث نشاء.

فأتى قطري سابور، ونزل المهلب أرجان، وبعث خيلاً إلى سردن، وخاف أن يأتيها الخوارج فيتحصنون بها، وليست بمدينة، ولكنها جبال وعقابٌ منيعة.

وأتى المهلب كازرون فخندق، وأقبل عبد الرحمن بن مخنف في جند أهل الكوفة فنزل ناحيةً، وذلك أن الكوفيين أبوا أن يخالطوا البصريين، فأرسل إليه المهلب: إما أن تنزل معنا وإما أن تخندق على نفسك، فأرسل إليه: خنادقنا سيوفنا.

وكتب الحجاج إلى المهلب وهو بكازرون: إنك أقبلت على جباة الخراج وأبطأت عن قتال العدو، وقد هممت أن أولي عباد بن حصين أو عبيد الله بن حكيم المجاشعي ما وليتك قبل خروج الناس عليك.

وقال الهيثم بن عدي: استبطأ الحجاج المهلب فكتب إليه: «إنك مزوني وابن مزوني[2]، وللعجب منك حين تهاب قتال الأزارقة، كأنك ترى

١ ـ سردن: كورة بين فارس وخوزستان من أعمال فارس. معجم البلدان.

٢ ـ بهامش الأصل: في حاشية الأصل بغير الخط: قد صحف الناسخ وإنما هو: مزوي ـ ومزون قبيلة من الأزد سكنت أرض مزون.

أنك ترث الأرض ، وايم الله لئن لم تناجزهم لأبعثن إليك من يحملك على مكروه أمرك والسلام» .

فكتب إليه : «أما بعد فقد جاءني كتابك وإني لمزوني وابن مزوني ما أُنكر ذلك ، وإنما مَزْوَن عُمان سمتها العجم بذلك ولكن الأمير أصلحه الله من قبيلة قد ادعت إلى حِمْيَر وعدة قبائل وما استقر قرارها بعد ، كانوا بقية ثمود ثم انتموا إلى وحاظة من حِمْيَر ، ثم إلى أياد ، ثم إلى عدوان ، ثم إلى قسي بن منبه» .

فلما قرأ الحجاج الكتاب تبسم ثم قال : أُفحشنا للرجل فأُفحش .

وقال المدائني : كتب إليه الحجاج : «إنك تشاغلت بالجباية عن الحرب» . فكتب إليه : «إن من ضعف عن الجباية فهو عن القتال أضعف ، ولو وليت غيري ممن سميت لرجوت أن يكونا للولاية أهلاً في فضلهما وجرأتهما ، وذكرت أني رجل في الأزد من أهل عمان وإن شراً من الأزد قبيلة تنازعتها ثلاث قبائل ، ثم لم يستقر لها بيت في واحدة منهن» .

وناهض المهلب قطرياً وأصحابه بكازرون في شهر رمضان سنة خمس وسبعين ، وقاتل معه جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف في رجال من أهل الكوفة ، وجعل عبيدة يقاتل وهو يرتجز .

إني لمذك للشراة نارها ومانع مما أتاها دارها
وغاسل بالطعن عنها عارها

ثم تراجعوا ، وأبلىٰ يومئذٍ عياش الكندي ، وكان من الفرسان ، فلما هلك قال المهلب : لا وَأَلَتْ أنفس الجبناء بعد عياش ، وكان من رجال المهلب .

وقتل مُرَّةُ الكنان فبكىٰ قطري حين أُتي برأسه . فقيل له : أتبكي على رجل من أهل النار ؟ فقال : إنما يُبكىٰ علىٰ أهل النار . وكان من قومه .

وأبلىٰ أهل الكوفة يوم كازرون حتى عرف مكانهم ، وحذر المهلبَ الحريش ومن معه من بني تميم البيات فقال الحريش للمغيرة بن المهلب : يا أبا خُداش ، لا تخافنَّ البيات من قبلنا . وأراد الخوارج أن يُبيِّتوهم فلم يقدروا . وقال الحريش :

وجــدتمـونــا وُقَّـراً أَنجــادا لا كُشُفاً مِيْلاً ولا أوغـادا

وترَّجل أبو الأَحوص صاحب مسعود وخزيمة بن نصر العبسي وغيره ، وقاتلوا فقتل ابن مخنف وارْتَثَّ جعفر ابنه .

وكان عبد الرحمن بن مخنف يلقب في قول بعضهم ضرطة الجمل ، ويقولون إنه القائل ما حكي عن ابن الأشعث من قوله : هم علي أهون من ضرطة جمل .

وقال حميد بن مسلم يرثي ابن مخنف :

إن يقتلوك أبـا حكيم غـرة فيــها يشـد ويقتــل الأبــطالا
ولمثل قتلك هد قومك كلهم من كان يحمل عنهم الأثقالا

في أبيات .

وقال سراقة بن مرداس البارقي :

أعيني جودا بالدموع السواكب وكيفاً كراس شنة[1] مع راكب

١ ـ وكف : قطر . والشن : القربة الخلق الصغيرة . القاموس .

وكونا بخير قبل قتل ابن مخنف   وكل فتى يوماً لبعض المذاهب
أمات دموع الشيب من أهل مصره   وعجل في الشبان شيب الرواسب

وقال أيضاً :

ثوى سيد الأزدين أزد شنوءة   وأزد عمان وهو رمس بكازر
وصابر حتى مات أكرم ميتة   بأبيض من بيض الحديد البواتر

في أبيات .

وواقع المهلب الخوارج مرات صابرهم فيها وصابروه ، وكان الحجاج يوجه إليه من يأخذه بالقتال والمناجزة ، ووجه إليه أميناً فكتب بخبره ، فقال الشاعر في أبيات له :

فمن مبلغ الحجاج أن أمينه   زياداً أصابته رماح الأزارق

وكتب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء ، فصار إلى المهلب ، فكان على جيش عبد الرحمن بن مخنف .

وقال المدائني : بعث الحجاج الجراح بن عبدالله إلى المهلب مستحثاً بالمناجزة ، فقال المهلب : يا أبا عقبة ما تركت حيلة أُبلغ بها مكيدة إلا وقد أعملتها، وقد انتهيت في قتال هذا العدو إلى العذر ، ولكن البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يعمله .

وكتب الحجاج إلى المهلب : «إنك أقمتَ في خندق احتجاراً من قتال هؤلاء المارقة» ، فكتب إليه المهلب : «أتاني كتابك تعتب فيه علي على الخندقة ، والخندقة حرز وحصن ، وقد خندق رسول الله ﷺ بأمر الله ، وذكرت أنك لا تظن في جبناً وعاتبني معاتبة الجبناء ، وأوعدتني كما يوعد العاصي ، فسل الجراح عما رأى» . فلما سأل الجراح قال : لم أر كما رأيت ،

اقتتلوا ثلاثة أيام ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح وخبطاً بالعمد ، فقال : لشد ما مدحته أبا عقبة ، فقال : كلا ولكنه يحتمل المصيبة ويلقى كثيراً بقليل .

ولم يزل عتاب بن ورقاء مع المهلب حتى بعث إليه الحجاج في القدوم للقاء شبيب ، فأعطي المهلب أهل البصرة ولم يعط أهل الكوفة ، فسأله عتاب إعطاءهم فلم يفعل فقال له : حدثت إنك شجاع فرأيتك جباناً ، وحدثت أنك جواد فرأيتك بخيلاً . فقال المهلب : يا بن اللخناء . فقال : إنها لَمُعِمَّةٌ مُخْوِلَةٌ، فغضبت بكر بن وائل للمهلب فشتم بسطام بن نعيم بن هبيرة أخو مصقلة عتاباً للحلف ، وكان المهلب كارهاً لحلف بكر والأزد ، فلما رأى أن بكراً قد نصرته سره ذلك الحلف ، فلم يزل بعد ذلك يشدده ويقويه .

وغضبت تميم البصرة لعتاب ، وأزد الكوفة للمهلب . فمشى المغيرة فيما بين أبيه وعتاب حتى أصلحه وكلم أباه فأعطى الكوفيين ، فقال رجل من أهل هجر :

ألا أبلغ أبا ورقاء عنا فلولا أننا كنا غضاباً
علىٰ الشيخ المهلب إذ جفانا للاقتْ خيله منا ضرابا

وكان عتاب وبنو تميم يحمدون المغيرة ، وقال عتاب : إني لأعرف فضله على أبيه .

وكان مقام عتاب مع المهلب ثمانية أشهر يقاتل معه الخوارج بفارس وكرمان ، واتخذ المهلب ركب الحديد ، وكانت ركب الناس الخشب . فكان الفارس يضرب ركابه فيقطع الركاب وقدمه ، فقال عمران بن عصام العنزي من عنزة :

ضربوا الدراهم في إمارتهم | وضربت للحدثان والحرب
حلقاً ترى منه مراكلها | كمناكب الجمالة الجُرُبِ

وقالوا : كان قتال المهلب قطرياً وأصحابه بسابور وما حولها ثمانية عشر شهراً . ووجه المهلب بشر بن مالك إلى الحجاج وأمر له بجائزة فردها وقال : إنما الثواب بعد الإستحقاق ، فلما ورد على الحجاج قال له : كيف تركت المهلب ؟ قال : أدرك ما أُمل وأَمن ما خاف . فقال : كيف هو لجنده ؟ قال : والد رؤوف . قال : كيف جنده له : قال : وَلَدٌ بررة . قال : هذه السياسة .

وكان مع قطري رجل حداد يقال له أَبْزَي يتخذ نصالاً مسمومة . فذكر ذلك للمهلب فقال : أُكفيكموه . فكتب المهلب إلى أبزي : «إنه قد أتتنا نصالك ، وقد بعثت إليك بألف درهم فزدنا نصالاً» . وبعث بالكتاب فأُلقي في عسكر قطري فأُخذ الكتاب فدفع إلى قطري ، فسأل أبزي عن الخبر فقال : لا أدري ولا أعلم ما هذا الكتاب . فأمر به فقُتل . فقال له عبد ربه : قتلت رجلاً بغير ثقة ولا بيان يحل به دمه ؟ فقال : يمكن هذا أن يكون حقاً ، ويمكن أن يكون باطلاً . فرأيت في قتله صلاح الدين أُمثل ، وللإمام أن يحكم بما يرىٰ فيه الصلاح ، وليس للرعية أن ترد عليه . فتنكر له عبد ربه وجماعة وخالفوه في القول ولم يفارقوه .

وأرسل المهلب رجلاً نصرانياً وقال له : إذا رأيت قطرياً فاسجد له فإن نهاك فقل إنما سجدت لك ، ففعل النصراني ذلك فقال له قطري : مه . إنما السجود لله . قال : ما سجدت إلّا لك ، فقال رجل من أصحابه : قد عبدك من دون الله ، وقرأ : ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب

جهنم﴾(١) . فقال قطري : قد عبد النصارى المسيح ابن مريم ، وإنما عنىٰ الله الأصنام ، فقام رجل فقتل النصراني فقالوا : قتلت ذمياً ، فاختلفوا .

ودس المهلب أيضاً إلى عسكر قطري رجلاً فقال : أرأيتم إن خرج إليكم رجلان مهاجران فمات أحدهما قبل أن يصل إليكم ، وأتاكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة فما تقولون في الميت ؟

فقال بعضهم : الذي مات مؤمن وهذا كافر حتى يجيز المحنة . وقال آخر : هما كافران . واختلفوا فارتحل قطري إلى اصطخر في سنة سبع وسبعين في صفر .

وقال المهلب : الاختلاف أشد عليهم وأسرع في هلاكهم فلا تشغلوهم بالقتال عن الجدال، فتركهم شهرين، ثم أتاهم باصطخر، فتركهم شهراً وهم يخوضون في اختلافهم. فقال لهم صالح بن مخراق مولى قريش، ويقال مولى آل مصقلة الشيباني: إن المسلم يغضي عينه على مايقذيها، ويدع حسناً لقبيح ، وصغيراً لمخافة كبير، والله إن الأمر الذي أتيتموه لقبيح ، وفي الفتنة المحق، فاتقوا الله وراجعوا سلامة صدوركم فقد أطمع اختلافكم عدوكم فيكم .

وخرج عمرو القنا فنادى: يامعشر المُحِلِّين، هل لكم في الطراد فلا عهد لنا به منذ حين. وقال:

ألم تر أنا مذ ثلاثون ليلةً قريبٌ واعلاء الكتاب على خفض

١ ـ سورة الأنبياء ـ الآية : ٩٨ .

فتصايحوا، وأبلى المغيرة بن المهلب وصُرع فاستنقذه فرسان من الأزد، واستاق الخوارج سرح المهلب فقال الرجل الذي كان يسوق السرح:

نحن خدعناكم بسوق السرح وقد نكأنا القرح بعد القرح

فلحق ذلك الرجل بنو المهلب فردوا السرح.

وأراد الخوارج هدم فسا، فاشتراها أزادمرد بن الهربذ منه بمائة ألف درهم، وارتحل الخوارج يريدون كرمان فنزلوا صاهك[1] الصغرى وهي من اصطخر، فاتبعهم المهلب فقاتلهم، فقال غلامٌ لأكْتَل بن مُنْجِبِ السدوسي: اليوم آتيك بجارية من جواريهم. فقال أكتل:

أخلاج إنك لن تعانق طفلةً سرحاً بها الحادي كالتمثال
حتى تلاقي في الكتيبة مقدماً عمرو القنا وعبيدة بن هلال
وترى المقعطر في الكتيبة معلماً في عصبةٍ قسطوا مع الضلال

والمقعطر عبدي.

قالوا: ومضى قطري إلى السيرجان، ورجع المهلب إلى فارس، وبعث الحجاج كَرْدَماً على فارس فسأل المهلب الحجاج أن يجعل له كوراً سماها ففعل، فكان المغيرة والرقاد يجبيان ولايعطيان الجند فقال رجل من بني ضبة:

ولو علم ابن يوسف مانلاقي من البلوى بمنزلة الطراد
بكت عيناه من شفقٍ علينا وأصلح مااستطاع من الفساد
قرونا أرض فارس في جمادى إلى شعبان نقطع كل واد

١ ـ صاهك: مدينة بفارس لها عمل برأسها، دخلت في كورة اصطخر. معجم البلدان.

ترى الشيخ البجال على حمارٍ يسوق به فتىً رخو النجاد
ألا قل للامير جزيت خيراً أرحنا من مغيرة والرقاد

وفي كردم يقال:

لو رآها كردم لكردما كردمة العير أحسَّ الضيغما

قال ابن الكلبي: وهو كردم بن مرثد الفزاري.

وأتى المهلب السيرجان فقاتل قطريا بها فصعد قطري المنبر[1] فخطب فقال: «أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة نضرة، حفت بالشهوات ورامت بالقليل، وتحببت بالعاجلة، وتحلت بالآمال، وتزينت بالغرور، لايدوم خيرها، ولاتؤمن فجيعتها، غرارةٌ ضرارة، وحائلةٌ زائلة،ونافذة بائدة، أكالةٌ غوالة،لاتعدو إذا هي تناهت إلى أُمنية أهل الرغبة فيها، والرضى عنها أن تكون كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾[2]. مع أنَّ امرءاً لم يكن منها في حيرةٍ إلا أعقبته بعدها عَبْرَةً، ولم يلق من سرائها بطناً إلا منحته من ضرائها ظهراً، ولم يطله فيها رخاء إلا هطلت عليه مزنة بلاء، وحريٌّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له خاذلة متنكرة.وإن جانبٌ منها اعذوذب وحلا، أَمَرَّ منها جانبٌ وأوبأ،وإن أتت امرءاً من غضارتها ورقاً أردفته من نوائبها تعباً، ولم يمس امرؤٌ منها في جناح أمنٍ

١ ـ بهامش الأصل: خطبة قطري.
٢ ـ سورة الكهف ـ الآية: ٤٥ .

إلا أصبح منها في قوادم خوفٍ. غرارةٌ غرورها فيها، فانيةٌ فان من عليها، لاخير في شيء من زادها إلا التقوى. من أقل منها استكثر مما يؤمِّنه، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه ويبكي عينه، كم من واثق بها قد فجعته، وذي طمأنينة قد صرعته، وذي احتيالٍ قد خدعته، وكم ذي أبهةٍ فيها قد صيرته حقيراً، وذي نخوة قد ردته ذليلاً، ومن ذي تاجٍ قد أكبته لليدين والفم. سلطانها ذلٌّ وعيشها رَنْقٌ، وعذبها أجاج، وحلوها صبر، وغذاؤها سمام، وأسبابها رمام، حيها بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم، ومنيعها بعرض اهتضام، ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب، وسليمها منكوب وجارها محروب، مع أن وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع، والوقوف بين يدي الحكم العدل ﴿ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾(١) ألستم في مساكن من كان أطول منكم أعماراً وأوضح منكم آثاراً وأعد عديداً وأكثف جنوداً، وأشد عنودا، تعبدوا للدنيا أيَّ تعبد، وآثروها أي إيثار، فظعنوا عنها بالكره والصغار، فهل يعلم أن الدنيا سمحت لهم نفسا بفديةٍ، أو أغنت عنهم فيما أهلكتهم بخطب، بل قد أرهقتهم وضعضعتهم بالنوائب، وقد رأيتم شكرها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر المسند، هل زودتهم إلا الشغب أو احلتهم إلا الضنك أو توردت بهم إلا الظلمة أو أعقبتهم إلا الندامة؟. فهذه تؤثرون؟ أم على هذه تحرصون أم إليها تطمئنون؟

---

١ ـ سورة النجم ـ الآية: ٣١.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون﴾[١]. فبئست الدار لمن أقام فيها، فاعملوا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لابد، فإنما هي كما وصفها الله عزّ اسمه باللعب واللهو، وقد قال: ﴿أتبنون بكل ريعٍ آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾[٢]. وقد ﴿قالوا من أشد منا قوة﴾[٣] ثم حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا، وأنزلوا فلا يتركون ضيفاناً. وجعل لهم من الضريح أجنانا ومن التراب أكفاناً. ومن الرفات جيراناً. وهم جيرةٌ لايجيبون داعياً ولايمنعون ضيماً. إن أخصبوا لم يفرحوا وإن قحطوا لم يقنطوا جميع وهم آحاد، جيرةٍ وهم أبعادٌ متناؤون لا يتزاورون. حلماء قد ذهبت أضغانهم. وجهلاء قد ماتت أحقادهم. لايخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم. وكما قال الله عزّ اسمه: ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين﴾[٤] استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة، فجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة فرادى غير أن ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة وإلى خلود الأبد. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنا فاعلين﴾[٥]

---

١ - سورة هود - الآية: ١٥ .
٢ - سورة الشعراء - الآيات: ١٢٨ - ١٣٠ .
٣ - سورة فصلت - الآية: ١٥ .
٤ - سورة القصص - الآية: ٥٨ .
٥ - سورة الأنبياء - الآية: ١٠٤ .

فاحذروا ما حذركم الله، واشفعوا بمواعظه، واعتصموا بحبله، عصمنا الله وإياكم بطاعته، ورزقنا وإياكم أداء حقه» .

ثم ارتحل قطري إلى جيرفت واتبعه المهلب فنزل على ليلتين منه، واختلفوا فقال المهلب: الاختلاف خير لنا وشر لهم، وإنما اختلفوا لأنهم اتهموا عبيدة بن هلالٍ بامرأة رجلٍ قَصّارٍ رأوه يدخل إليها بغير إذنٍ متفضلاً فأخبروا قطريا فقال لهم: إنه عبيدة وموضعه من الدين والعسكر ماعلمتم، فقالوا: لانصالح على الفاحشة. فقال قطري لعبيدة: إني على أن أجمع بينك وبينهم فلا تكاشف مكاشفة البذيء ولاتخضع خضوع المريب.

ثم جمع قطري بينهم وبينه فقرأ عبيدة: ﴿إنّ الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾[1] الآية. فبكوا وقاموا إليه فعانقوه وقالوا: استغفر لنا. فقال عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة: والله لقد خدعكم، وإنه لكما ظننتم. فبايع عبد ربه منهم قوم وتنكروا لقطري وخالفوه في أمور فعلها نقموها عليه، فصار مع عبد ربه نصف عسكر قطري، فحارب عبد ربه قطرياً فقتل من أصحابه قوم، وقتل صالح بن مخراق مع عبد ربه، فكره قطري أن يقيم بين عسكرين يقاتلانه، فخرج يلتمس منزلاً، فجاء المهلب حتى نزل في معسكره، وقاتل عبد ربه وكتب إلى الحجاج بالخبر وأشار عليه أن يوجه إلى قطري من يتبعه ويحاربه.

---

١ ـ سورة النور ـ الآية: ١١ .

وألصق المهلب بعبد ربه، وقال عبد ربه: يامعشر المهاجرين إن قطرياًوعبيدة هربا رجاء البقاء ولاسبيل إليه فالقوا عدوكم غداً فإن غلبكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت.

فقاتلوا المهلب فقتل عبد ربه، وطلب بعض أصحابه الأمان، ومضى عمرو القنا إلى خراسان فمات بها، ومضى بعضهم إلى سجستان.

وحوى المهلب عسكر الخوارج وأصاب به جرحى فدفع كل جريح إلى قومه، ورجع المهلب إلى جيرفت فقال: الحمد لله الذي ردنا إلى الخفض والدعة فما كان عيشنا بعيشٍ.

قالوا: ونظر المهلب في مجلسه إلى قوم لايعرفهم فقال: ماأشدَّ عادة السلاح. قالوا: فقام في الحين فلبس سلاحه وقال: خذوا هؤلاء فأخذوا فقال: من أنتم؟ قالوا: أردنا غرتك لنقتلك. فقتلهم.

وقال الهيثم بن عدي: اعتزل عبد ربه الصغير في أربعة آلاف، والصغير مولى بني قيس، واعتزل عبد ربه الكبير في سبعة آلاف، والكبير مولى بني يشكر. فقاتل المهلب الصغير فقتله وأصحابه، ومضى قطري وبقي الكبير فقاتله المهلب فقتله أيضاً.

قالوا : وكتب المهلب إلى الحجاج : «أما بعد فالحمد لله الكافي بالإسلام فقد ما سواه ، الذي أوجب المزيد بالشكر ، وقد كان من أمرنا وأمر عدونا ما قد انتهى إليك خبره بعد مطاولة نلنا فيها منهم ما لم ينالوه منا ، وأُدنيت السواد من السواد حتى تعارفوا بالوجوه وقاتلت الأعمار ، وكان

ما يسوءهم منا دون ما يسرهم[١] ، وما يسرنا منهم فوق الذي يسوءنا حتى وقع بينهم الإختلاف ففرق الله أهواءهم وألقى بأسهم بينهم ، ولم يزل الله يمحصنا[٢] ويمحقهم ، وينصرنا ويخذلهم حتى بلغ بنا وبهم الكتاب أجله ، فقطع دابر الكافرين والحمد لله رب العالمين[٣]» .

فكتب إليه الحجاج : «إن الله صنع بالمسلمين خيراً ، وقد فرغتم من عدوكم وأراحكم من كثير مما كنتم فيه ، فاقسم ما أفاء الله عليك فيمن معك . فأما قطري وعبيدة فنحن كافوك إياهم بعون الله وتوفيقه ، فأقبل وليكن معك بنوك وفرسانك ولا تطمعن أحداً في اللحاق بأهله دون قدومك علي ، واستخلف على كرمان» .

فاستخلف ابنه يزيد وأوصاه بالقصد والمبالغة في الأمور ، وكان قد بعث بكتاب الفتح مع كعب الأشقري ، وَمُرَّةَ بن تليد الأزدي ، أزد شنوءة ، فأنشد كعب الحجاج قوله :

يا حفص إني عداني منكم السفر . .

فقال الحجاج : أخطيبٌ أنت أم شاعر ؟ فقال : خطيب شاعر .

قال : فأخبرني عن بني المهلب . قال : المغيرة سيدهم وأشجعهم وحسبك بيزيد فارساً وما يستحي شجاع أن يصد عن مدرك ، وما لقي الأبطال مثل حبيب ، وعبد الملك موت ناقع ، وكفاك ببأس مفضل ونجدته ، وأسخاهم قبيصة ، ومحمد ليث عاد . ثم قال لابن تليد : أخبرني

١ ـ بهامش الأصل : وكان ما يسرهم منادون ما يسوءهم .

٢ ـ التمحيص : الإبتلاء والاختبار . القاموس .

٣ ـ الآية في سورة الأنعام (٤٥) ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ .

كيف كانت حالكم . قال : كنا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم يئسنا منهم وإذا لقيناهم بجدّنا طمعنا فيهم ، قال : فكيف كان بنو المهلب ؟ قال : حُماة السرح نهاراً وفرسان البيات . قال : فأين السماع من العيان ؟ قال : السماع دون العيان . قال : فأيهم أفضل ؟ قال : هم الحلقة المفرغة لا يعرف طرفاها . فوصل بني المهلب وأهل البلاء والغناء ممن كان معه وزادهم في الأعطية .

وولى الحجاج المهلب خراسان ، وكان المهلب يقول : ما أُحب أن لي مكان بيهس بن صهيب ألف فارس . فقيل إنه ليس بشجاع ؟ قال : لكنه سديد الرأي عاقل حذر فهو لا يدع الإحتراس والسؤال ، ولو وجد مكانه ألف فارس شجاع لناموا حتى يحتاج إليهم .

قالوا : وعقد الحجاج لسفيان بن الأبرد الكلبي على خمسة آلاف ، وضرب على أهل الكوفة بعثاً فخرجوا في عشرة آلاف عليهم الصباح بن محمد بن الأشعث ، ويقال إسحاق بن عبدالله بن الأشعث . وجعل على جماعة الناس سفيان بن الأبرد وقال له الحجاج : أتدري إلى أين تسير ؟ قال : نعم إلى كلاب النار . قال : إعلم أنك تسير إلى أُسد الشرى وسباع العرب ، يرون الموت قربةً إلى الله ويعدون الفرار كفراً فعليك بالصبر والعزم ، والقوم أصحاب مناجزة فإياك والعجلة .

فصار سفيان وجعل على ساقته البختري بن عامر العاملي ، فمر بالأخضر بن ورقاء الكلبي ومصاد بن زياد القيني والوازع بن دُوالة الكلبي وهم سكارى فشتموا البختري ، فقال له سفيان : هلا ضربت أعناقهم . وبلغ الحجاج أمرهم فحلق على أسمائهم فكتب فيهم فردها .

قالوا : ومضى قطري وأصحابه نحو مكران وما وراءها ، فأوقع ببعض من كان بأطراف بلاد السند ، ومضى بعض أصحابه إلى سجستان ، وأتى عبيدة بن هلال قومس فصار بها ، ومضى قطري في طريق خراسان ثم عدل يريد الإصبهبذ بطبرستان .

وبلغ الإصبهبذ ذلك فبعث إلى قطري والخوارج يسألهم عن أمرهم فقال قطري : نحن قوم أُنكرنا جور سلطاننا فتنحينا عنه ، ونحن قوم لا نظلم أحداً ولا نغصبه ولا ننزل عليه إلا برضاه . فأَذنَ له الإصبهبذ في دخول بلاده ، فدخل قطري طبرستان في أصحابه ، فلما استقر بعث إلى الإصبهبذ يدعوه إلى الإسلام أو الجزية فقال الإصبهبذ لرسله : قولوا له أنت رجل دخلت بلادنا طريداً فآويناك وأَحسنا إليك فتبعثُ إليّ بمثل هذه الرسالة . فأرسل اليه : إنه لا يسعني في ديني غير هذا . فصار الإصبهبذ إليه ليخرجه عن بلده فأوقع به قطري وهزمه وقتل ابنه وأخوه ، فخرج حتى أتى الري .

وغلب قطري على طبرستان وأتى الطبري سفيان بن الأبرد وقد وافى الري فوضع يده في يده ، وحدثه بما صنع قطري وقال له : أنا أُدخلك عليه في طريق مختصرة حتى تُوافيه وهو لا يشعر بك ففعل ، فقاتل سفيان ومن معه قطرياً وأعانه الإصبهبذ وأَساورته ، وجعل قطري يقول :

أنا أبو نعامة الشيخ الهبل . أنا الذي ولدت في أُخرى الإبل .

فطعنه رجل من أهل الشام في صدغه وانهزم أصحابه ، فاتبعهم أهل الشام فقتلوا منهم خلقاً .

وعثر بقطري فرسه فاندقت فخذه ووقع بين صخرتين ، وانتهى إليه باذام مولى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال باذام : الساقط بين الصخرتين والله قطري . فقال قطري : يا فاسق أنا غزيلكم ، أو قال : أرينبكم الذي تطلبون ، فاختلف وباذام ضربتين فكانت ضربه قطري ضعيفة . وضربه باذام فأبان يده ثم احتز رأسه ، وادعى سورة بن الحر التيمي أنه قتله معه .

وقال المدائني : انهزم قطري فإذا هو قد دفع إلى غيضة ، فنزل عن فرسه فقاده حتى انتهى إلى موضع فيه ماء فأقام عنده وذلك في الصبح . وأقبل سورة بن الحر ، وباذام مولى الأشعث بن قيس وشنطيز الثعلبي أحد بني ثعلبة بن يربوع يطلبون قطرياً فأخبروا بأن رجلاً دخل الغيضة فطلبوه فيها فوجدوه قائماً يصلي وقد نزف دمه وضعف . فقال لهم : أنا غزيلكم الذي تطلبون ، فقال سورة لباذام إن شئت أتيته أنا من بين يديه وأتيته أنت من خلفه ، وإن شئت فأنا آتيه من خلفه وأنت من بين يديه . فتلقاه سورة من بين يديه وأتاه باذام من خلفه فقتلاه واحتزا رأسه فاختصما فيه ، ووافاهم أبو الجهم الكلبي فأخذ الرأس وأتى به سفيان فبعث به إلى الحجاج .

ويقال إن سورة كان يقول : رأيت قطرياً وهو على فرس وخلفه امرأة على بغل فاتبعته أنا وباذام ونحن لا نعرفه فحملتُ على المرأة فلما غشيتها نادت : يا أمير المؤمنين . فعطف علي وشددت عليه فعانقته فسقطنا إلى الأرض فصار تحتي ، وندر سيفه من يده فزحف يريد السيف وصارت إبهامه في يدي فرضضتها حتى فتر ، وجاء باذام فضرب بالسيف بطنه واقتتلت أنا وباذام على رأسه .

ويقال إن الذي قتل قطرياً عثمان بن أبي الصلت .

المدائني قال : قال معاوية بن محصن الكندي : رأيتُ قطرياً وقد صُرِع في الشعب وهو يهوي ولا أعرفه ، وحوله نسوة وفيهن عجوز ، فحملت عليهن فانتضت العجوز السيف فضربتني فجرحتني في عنقي فضربتها فقتلتها .

وأتى علج قطرياً وهو لا يعرفه فقال له : اسقني ولك سلاحي ، فمضى العلج فحدر عليه صخرة فأوهنت فخذه ، وأتاه سورة فقتله ، واختصم في رأسه سورة وباذام وشنظيز الثعلبي ، وعثمان بن أبي الصلت ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف ، والصباح بن محمد بن الأشعث .

وقال جعفر بن عبد الرحمن : إني لما عرفته لم تكن لي همة إلا قتله لأنه قتل أبي .

قالوا : ولما قتل قطري وبعث سفيان برأسه ، أتى قومس وبها عبيدة بن هلال فحصره ثلاثة أشهر ، ويقال خمسة أشهر ، ووضع عليه المنجنيق ، فضاقوا وضجروا وصاروا إلى ذبح دوابهم وأكل لحومها ، وأكلوا الجيف ، فذلك حين قال عبيدة :

إلى الله أشكو ما نرى بجيادنا بقومس هزل مخهن قليل
فإن يك أفناها الحصار فربما تشحط فيما بينهن قتيل

وأشرف عبيدة عليهم فقال : أقرأ عليكم أو أنشدكم ؟ فقالوا : أَنشد . فقال : يافسقة . قد علمت أنكم تؤثرون الشعر على القرآن .

ونادىٰ سفيان : من خرج فهو آمن . فَهَمَّ قوم بالخروج كثير .

وقال الهيثم : نادىٰ سفيان : يا معشر الأزارقة لا أمان عندي إلا لمن

جاء برأس صاحبه فكان الرجل منهم يخاف ابنه وأخاه على قتله لما هم فيه من الجهد .

وخرج عبيدة فاقتتلوا في يوم الجمعة إلى المساء ، ثم دخل عبيدة القصر ، وانهزم قوم من أصحابه فلم يدخلوا فاتبعهم سفيان ، فأخذ منهم أسرى فقتلهم . وقال عبيدة :

وما زالت الأقدار حتى قذفنني بقومس بين الفرخان وصول
إلى الله أشكو لا إلى الناس أشتكي بقومس إذ فيها الشراة حلول

ووعظ أصحابه فقال : إنما هي ساعة حتى تظفروا أو تستشهدوا ، فخرجوا وشدوا على سفيان وأصحابه وقالوا الحصن لمن غلب ، فكُشف أصحاب سفيان ، ثم بقي في جماعة من أهل الشام ليسوا بالكثير فقال سفيان : يا أهل الشام ، يا أهل الصبر والحفاظ ، يا حماة الأدبار أعن هؤلاء الأكلب تفرون ، فتراجع الناس فقال سفيان : الأرض ، فنزلوا جميعاً وصبروا فقال عبيدة : يا إخوتي روحوا إلى الجنة ، وقاتل فقتل عبيدة وعامة أصحابه واستأمن الباقون ، فأمنهم سفيان ، وكان من المستأمنة حطان الأعسر فقال شعراً :

بليت وأبلاني الجهاد وساقني إلى الموت، إخوان لنا وأقاربُ
شريت فلم أقتل وما زلت لم أصب كذاك صروف الدهر فينا عجائب

واستأمن قيس الأصم وهو قيس بن عَسْعَسْ ويلقب الخشبي ، ثم كفَّ بصره فمر بقومس فقال لقائده : أي موضع هذا ؟ فأخبره . فقال : قف بي أبكي إخواني . وقال :

ذكرت الشراة الصادقين بقومس وذكري لهم مما يهيج شجوني

وكان الحجاج كتب إلى سفيان يستبطئه في أمر عبيدة ويصغر ما عمل فقال : أن أبا محمد لا يرضي حتى جعل المحسن مسيئاً والمطيع عاصياً .

قالوا : وكانت عند قطري العيوف بنت يزيد بن حبناء التميمي فولدت ابنتين : مزنة والفجاءة فأخذ سفيان الفجاءة فبعث بها إلى عبد الملك ، فصارت إلى العباس بن الوليد فولدت له الحارث والمؤمل فلما ولي عمر بن عبد العزيز وأمر برد سبايا الأزارقة قال للعباس : خل سبيلها أو تزوجها إن رضيت ، فتزوجها برضى منها ، ويقال : إنه كانت عند العباس نعامة بنت قطري .

قال المدائني : وفد على عمر بن عبد العزيز قوم من بني مازن في أمر بنت قطري ، فقال شاعرهم :

أتيناك زواراً ووفداً إلى التي ... أضاءت فما يخفى على الناس نورها
أبوها عميد الحيّ عمرو وأمها ... من الحنفيات الكرام قبورها
فإن تك كانت حيث كانت فإنها ... لها أسرة منا كرام نفيرها

فقال عمر : قد تزوجها برضاها . وقال رجل للحارث بن العباس ؛ أنت ابن الخلائف الأربعة . قال : ويحك من الرابع ؟ قال : قطري .

وقال الهيثم : بعث سفيان برأس قطري ورؤوس أعلام من معه إلى الحجاج مع الوليد بن بخيت الكلبي .

أمر أبي فُدَيك عبد الله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة بن عكابة

قالوا : ولما خالف نجدة بن عامر من خالفه من أصحابه ، ولوا أمرهم أبا فديك عبدالله بن ثور[١] ، وكانوا بايعوا قبله ثابتاً التمار ، وكانت أخته عند أبي فديك ، ثم قالوا : لا يقوم بأمرنا إلا رجل من العرب ، وجعلوا الاختيار إليه فاختار لهم أبا فديك .

فلما ولي خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد البصرة ، وَجَّه أخاه أمية بن عبدالله إلى أبي فديك وهو بالبحرين فهزمه أبو فديك وفضحه فقال الفرزدق :

جاؤوا على الريح أوطاروا بأجنحة ساروا ثلاثاً إلى الجلحاء من هجرا[٢]

حدثنا أبو خلف بن سالم المخزومي ، ثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن عمه صعب بن زيد ومحمد بن أبي عيينة قالا : خرج أبو فديك بالبحرين فلقيه أمية بن عبدالله فهزمه ، فركب أمية فرساً له جواداً كان يقال

---

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣١٠ وفيه : «إلى البحار من هجرا» .

له المهرجان فدخل البصرة عليه في ليلتين أو ثلاث . فقال يوماً وهو بالبصرة : لقد سرتُ على المهرجان إلى البصرة فدخلتها في ليلتين أو قال ثلاث ، فقال له بعضهم : هذا المهرجان ، فلو ركبت النوروز لم تسر ليلة حتى تدخلها .

حدثنا خلف بن سالم وأحمد بن إبراهيم الدورقي قالا ، ثنا وهب بن جرير عن أبيه عن صعب بن زيد وغيره قالوا : خرج أبو فديك بالبحرين فبعث إليه خالد أخاه أمية فهزم ، فبعث إليه عمر بن عبدالله بن معمر فقتله ، وقالوا : هزم أبو فديك أمية ، وهزم قطري عبد العزيز بن عبدالله بالأهواز بعد ذلك وفضحه ، فقال الفرزدق :

كل بني السوداء قد فَرَّ فَرَّةً ... فلم تبق إلا فرة عند خالد
فضحتم قريشاً بالفرار وأنتم ... لدى الحرب أنكاسٌ قصار السواعد[1]

قال الهيثم : هزم أبو فديك أمية بن عبدالله ، فندب عبد الملك عمر بن عبيدالله بن معمر وضم إليه عبد الرحمن بن عضاه الأشعري ، ومعه وجوه أهل الشام ، وقدم الكوفة فأجلسه بشر على سريره وأكرمه ، فسار فواقع أبا فديك فانهزم أهل البصرة ، وقاتل في أهل الشام والكوفة فقُتل أبا فديك .

وكان لقاؤه إياه بالبحرين ، وكان أبو فديك في اثني عشر ألفاً . وكان على جند البصرة عباد بن الحصين ، ونصب رأس أبي فديك في رحبة البصرة .

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

قال ودعا عمر أعشى همدان فقال له : يا أبا المصفح[١] سر إلى بشر بالفتح ، وقل فيه شعراً .

وقال ابن الكلبي : كان محمد بن موسى بن طلحة بن عبدالله التيمي، وعمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر يتباريان في فعلهما وكانا في جيش عمر بن عبيدالله . فقال عبدالله بن شبل البجلي يفضل عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر ، وهو الذي خرج مع ابن الأشعث بعد ، فقتله الحجاج :

تباري ابن موسى يابن موسى ولم تكن يداك جميعاً تعدلان له يدا
تباري امرءاً احدى يديه مفيدة وإحداهما تبني بناء مشيدا

ووجه محمد بن موسى بعد إلى شبيب فقتله شبيب .

وقال أبو اليقظان: كان على جيش أهل البصرة مع عمر بن عبيدالله حين توجه إلى أبي فديك : عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر ، وكان أخا عبدالله بن عامر لأمه ، أمهما : دجاجة بنت الصلت ، وعلى جيش أهل الكوفة : محمد بن موسى بن طلحة بن عبيدالله .

وقال العجاج :

لقد شفاك عمرو بن معمر من الحروريين يوم العسكر
وقع امرىء ليس كوقع الأعور

يعني عبدالله بن عمير الليثي ، وكان قد وُجِّهَ إلى بعض الخوارج نجدةً أو غيره فهزم .

وقال العجاج في أرجوزته في عمرو أولها :

١ـ بهامش الأصل : أبا صبح .

قـد جبر الـدين الإلـه فجـبر هذا أوان الجد إذ جد عمر
وصرح ابن معمر لمن ذمر[1]

المدائني عن أشياخه قالوا : بويع عبدالله بن ثور أبو فديك أحد الحرقيين ، والحرقيان : تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة بن عكابة سنة إحدى وسبعين ، فأقام باليمامة ستة أشهر ، ثم فتك به مسلم بن جبير وهو من أهل الحجاز لمخالفته إياه في رأيه ، وقوله بقول نجدة فوجأه اثني عشرة وجأة ، وقال :

خـالـفت قـومـي في ديـنـهـم خلاف صبا الريح جاءت جنوبا
أرجـي الإلـه وغـفـرانـه ويـرجـون درهمهم والجـريبـا

فقُتل مسلم ، وحمل أبو فديك فبرىء من جراحاته ، وقيل لأبي فديك : لا خير لك في المقام باليمامة مع بني حنيفة لأنَّا لا نأمنهم عليك ، فخرج أبو فديك إلى البحرين فأقام بجواثا ، فوجه إليه مصعب بن الزبير محمد بن عبد الرحمن الإسكاف ، فقال أبو فديك : «يا معشر المسلمين ان الله قد أذهب عنكم نزغ الشيطان وأنقذكم من فتنة نجدة وصيركم إلى أنصاركم فأنتم تناضلون عن دين الله ، أو ما سمعتم ما أعد الله للمجاهدين في سبيله حين قال : ﴿والذين جَاهَدوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإنَّ الله لَمَعَ المُحْسِنِيْنْ﴾[2] فمن كان الله معه فهو المُفْلح المُنْجح . وقال : ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الذين قُتلوا في سَبيل الله أمواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون﴾[3] . فاشروا

---

١ ـ ديوان العجاج ص ٤ ـ ٩ .
٢ ـ سورة العنكبوت ـ الآية : ٦٩ .
٣ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٦٩ .

أنفسكم تنالوا الفوز كما وعدكم واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تُفلحون ، وإياكم والفرار من الزحف فَتَبُوؤا بسخط من الله ويحل عليكم غضبه ، ثم ناهضهم .

وكان البصريون يرون أن ابن الإسكاف إذا عاين أبا فديك قتله . فلم ينتصف النهار حتى انهزم البصريون ، ومضى ابن الإسكاف منهزماً .

وأقام أبو فديك بالبحرين ، وسار مصعب إلى الكوفة ، وتشاغل بأمر عبد الملك ولقائه ، فجمع زياد بن القرشي جمعاً من أهل البحرين ومن أهل البصرة ، ولقي أبا فديك محتسباً فقال له السائب بن الأخرس من ولد اللَّبُوء بن عبد القيس : ويحك يا بن القرشي لا تخرج إليهم ، فأبى وسار إليهم ، فلقيه عمارة الطويل ، وهو عمارة بن عقبة بن مليل ، وعمير بن سلمى من ولد زيد بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة ، فقُتل ابن القرشي ، وتفرق أصحابه فقال الشاعر :

تمتع قبل جيش أبي فديكٍ وقبل عمارة الرجل الطويل
أغر صميدع يمشي إذا ما تتابع مشية الجمل الصؤول
وقبل الطير ينهش لحم قوم بمعترك البياذق والخيول
وقبل معرس[1] لاشك فيه سينأى بالخليل عن الخليل
فما لك حين تقطع صرّتاج[2] إلى البيض العباهر من سبيل
لقاء الأُسد أهون من لقاء به التحكيم يشهر بالأصيل

١ ـ المِعْرس : السائق الحاذق السياق ، إذا نشطوا سار بهم ، وإذا كسلوا عرس بهم ، أي نزل بهم في آخر الليل ، والموضع مُعْرَس ومُعَرَّس . القاموس .

٢ ـ لعل صرتاج اسم مكان ، والعبهر : الممتلىء الجسم والعظيم ، والناعم الطويل من كل شيء . القاموس .

قالوا : وقُتل مصعب في سنة اثنتين وسبعين ، وقدم خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسيد بن أبي العيص والياً علىٰ البصرة من قبل عبد الملك ، فوجه أخاه أمية بن عبدالله في سنة ثلاث وسبعين إلى أبي فديك في اثني عشر ألفاً ، وأبو فديك في سبعمائة . فلما تواقف الجمعان وتراءيا قال أبو فديك : قد ترون عدوكم والقليل المنصور خير من الكثير المخذول فاستنصروا ربكم واصبروا لعدوكم .

فاقتتلوا ثم تحاجزوا على السواء ، ثم عاودوا القتال فقاتلوهم حتى زالت الشمس ، فكمن لهم ثابت التمار في مائة واستطرد الخوارج ، واتبعهم أمية فلما جاوز موضع الكمين خرجوا عليهم وهم يحامون من خلفهم ، وكر أبو فديك وأصحابه فصبر البصريون ساعة ثم انهزموا ، وصرع أُمية فحماه عون بن عبد الرحمن بن سلامة التيمي ، وحوىٰ أبو فديك عسكرهم .

ومضى أُمية والناس منهزمين إلى البصرة ، وأصاب أمية في طريقه ضر ، ولم يجد طعاماً ، فلقي أعرابياً فقال له عون : ما معنا دراهم ولكني أعطيك درعي هذه وتبيعني ناقتك ؟ قال : لا أب لك ، أتُراها تُساوي ناقتي ؟ قال : والله لهي خير منك ومن أبيك ومن ناقتك ، فأخذ الدرع ونحروا الناقة فأصابوا منها ، فأكثر أمية الأكل فقال عون : أَلم ينهك الطبيب عن لحم الجزور؟ قال : ويحك اسكت فليس هذا بموضع مزاح .

فلما قدموا البصرة لزم أمية بيته استحياء من الناس حين هزم وفر ، فأتاه خالد بن صفوان بن عبدالله بن الأهتم التميمي فقال : الحمد لله الذي خار لنا عليك ولم يخر لك علينا ، أما والله لقد كنت حريصاً على الشهادة

طالباً لها ، ولكن الله أبىٰ إلا أن يزين بك مصرنا ويؤنس بك وحشتنا ، ويجلو بك غمنا .

وقال الفرزدق يذم أمية :

أُمَيَّ هلا صبرت النفس إذ جزعت   فتبلي الله عذراً مثل من صبرا
طاروا سراعاً وما سلوا سيوفهم   وخلفوا في جواثا سيدي مضرا
ساروا على الريح أو طاروا بأجنحة   ساروا ثلاثاً إلىٰ الجلحاء من هجرا
لو كنت إذ جشأت ربَّطْتَ جُرْوَنها   ولم تُوَلِّهُمُ يوم الوغى الدبرا(1)

يعني بسيدي مضر : عبدالله بن الحشرج الجعدي ، والحارث بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، ارتث بجواثا فحُمل إلى البصرة فمات بها ودفن ، ويقال بل مات هناك فحمل في صندوق إلى البصرة .

وقال بعض الشعراء :

يوما بني خالد يومان قد فضحا   يوم بِفَسًّا ويوم كان في هجرا

وقال آخر لأمية :

أَمـا القتال فـلا أراك مقاتـلاً   ولئن فـررت ليعـرفن الأَبلق

وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني وغيره : بلغ عبد الملك أمر أمية بن عبدالله فقال لعمر بن عبيدالله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة ، وهو عنده : اكفني أبا فديك . فقال : لا يمكني . فقال عبد الملك : والله لتسيرن إليه . قال : والله لا أفعل . قال : فارفع

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣١٠ ، مع فوارق .

حسابك لفارس وصححه . قال : نعم . وقام فاتبعه روح بن زنباع الجذامي فقال : يا أبا حفص . ترد على أمير المؤمنين ويقسم فتقسم . قال : يا أبا زرعة إن أخاه بشراً بالكوفة وابن عمه خالد بن عبدالله بالبصرة وهما حائلان بيني وبين ما أريد من النخبة ، وأن يندبا معي إلا ضعفة الناس من لا يحامي على دين ولا حسب ، فإن صبرت قتلت ضيعة وإن أنحزتُ افتضحت .

فرجع روح إلى عبد الملك بقول عمر ، فأرسل إليه عبد الملك فرده وقال : يا أبا حفص ، لو رأيت بين عيني أمير المؤمنين وتداً أما كنت نازعه وواقياً أمير المؤمنين مكروهه ؟ قال : بلىٰ والله يا أمير المؤمنين بنفسي وأهلي ومالي . قال : فإن أبا فديك وتد بين عيني فاكفني أمره . قال : نعم إن أعفيتني من عنت بشر وخالد . قال : فليس لأحد عليك سلطان في بلد تنزله وليس لك أن تصلّي بالناس ولا تجبي الخراج وأنت مُسلَّط على الدواوين فانتخب من شئت وكم شئت ، وكتب له بذلك إلى بشر ، فسار حتى قدم الكوفة على بشر ، فأكرمه وأقعده معه على السرير وقال : والله لو لم يكتب إلي أمير المؤمنين بما كتب فيك ، لقويت ، فهذه الدواوين فانتخب من شئت ، وهذا المال فأعطهم ، فانتخب من كل ربع ألفين وأعطاهم أعطياتهم ، فلم يكلمه بشر في تخليف أحد ، وقال لهم : سيروا إلى البصرة ، واستعمل عليهم محمد بن موسىٰ بن طلحة بن عبيدالله .

وساروا وتزوج عمر بالكوفة عائشة بنت طلحة فأقام عندها أياماً ، ثم اتبع محمد بن موسىٰ وحمل معه عائشة فقدم البصرة وأوصل كتاب عبد الملك إلى خالد ، وانتخب من أهل البصرة ثلاثة عشر ألفاً ، فكلمه خالد في قوم ليخلفهم فأبىٰ ذلك فمنعه خالد الديوان ، فقال بيهس بن صهيب الجرمي :

إن بشر بن مروان لم يكلمه في تخليف أحد ، وهو أخو أمير المؤمنين ، ولم يطمع في ذلك . فقال : إنه لم يدع لي محدثاً ولا سميراً .

فكف خالد حتى استكمل ما أراد فقال العجاج :

لقد سما ابن معمر لما اعتمر مغزى بعيداً من بعيد وصبر
في نخبة الناس الذي كان افتخر
ثلاثة وستة واثني عشر أُلفاً يجرون من الخيل العكر[1]

فقال عمر بن عبيدالله : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وكان المهلب بالبصرة قد عزله خالد عن قتال الأزارقة وولى قتالهم عبد العزيز أخاه ، فأثبته عمر فيمن يخرج معه ، وأثبت عباد بن الحصين ، فقال له المهلب : إني رمد العين فاختر أي بني شئت ليخرج معك واعفني . قال : لا .

وعسكر عمر ، وأخذ الناس في الجهاز ، وأعطاهم أُعطياتهم ورأى المهلب فقال له : مر ابنك المغيرة بالتجهز والخروج مكانك فإن أهل مصرك محتاجون إليك يا أبا سعيد .

وبعث خالد إلى عمر بمال فقال : اقسمه في فرسانك ، فقسمه فيهم وفضل المغيرة بن المهلب ، وقال : أما والله لأربحن عليه ربحاً رغيباً .

فتجهز الناس بجهاز حسن وأداة كاملة ، وخرجوا إلى المعسكر بالنُّحَيْت[2] ، وخرج المغيرة في ثلاثين مجففاً فعرضهم عمر ، فجاءه الصلتان

١ ـ ديوان العجاج ص ٥٠ ـ ٥١ مع فوارق .
٢ ـ بهامش الأصل : النحيت : موضع على أربعة أميال من البصرة .

العبدي فقال : حاجتك ؟ . قال : أُنشدك . قال : إياك أن تكلمني في أن أعفي أحداً من وجهه هذا . قال : ما كنت لأرغب بأحد عنك . قال : هات . فأنشده :

لن يعدم الخابط المؤمل إن حل بدار ابن معمر ورقا
لا يخلف الوعد حين تسأله ولا يرى عابساً ولا غلقا

في أبيات .

فقال : حاجتك ؟ قال : ما تركت لي حاجة غير صحبتك . قال : ما أرغبني في أن تصحبني ولكني أكره أن أعرضك فقال الصلتان :

رأيت صروف الدهر ليس يفوتها صغير ولا ذو حنكة يتفكر
فكم من شجاع طاول الحرب قد نجا ومن حائد عن عمره لم يعمر

قال : صدقت ، وأمر له بأربعة آلاف درهم وحمله على فرس وأعطاه سلاحاً ، وصيَّر عمر بن عبيدالله على أهل الكوفة جميعاً وهم ثمانية آلاف محمد بن موسىٰ بن طلحة ، وعلى ربع أهل المدينة : بشر بن جرير بن عبدالله البجلي ، وعلى ربع كندة وربيعة : إسحاق بن الأشعث وعلى ربع تميم وهمدان : محمد بن عمير بن عطارد ويقال مطر بن ناجية ويقال عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، وعلىٰ ربع مذحج وأسد : زياد بن النَّضْر الحارثي وابنه ، ويقال زحر بن قيس الجعفي ، وكان على جماعة أهل البصرة : عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر ، وعلى خمس أهل العالية : سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي ، ويقال سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي . وعلىٰ بكر بن وائل : أبو رهم بن شقيق بن ثور السدوسي . وعلىٰ

تميم : عباد بن الحصين ، وإليه الخيل كلها . وعلى عبد القيس : الحكم بن مخربة . وعلىٰ الأزد : المغيرة بن المهلب .

وحمل عمر بن عبيدالله معه عائشة بنت طلحة ، وخلف رملة بنت عبدالله بن خلف فلم يحملها معه ، فقال الشاعر :

أنعم بعائش في عيش له أنق وانبذ برملة نبذ الجورب الخلق

ويروىٰ : عيش بعائش عيشاً غير ذي رنق .

وقال أيضاً :

من يجعل الديباج عدلاً للزيق بين الحواري وبين الصديق
كبكرة مما تباع في النوق

قالوا : وسار بالناس فلما نزل الوَفْراء[1] وجه خمسمائة فارس وبعث معهم الفعلة وقال : احفروا لي خندقاً فإذا فرغتم فأعلموني .

فتقدموا فحفروا له خندقاً وأعلموه فارتحل فنزل الخندق وقدمهم ليحفروا في المنزل الآخر خندقاً ، فلم يزل يصنع ذلك وتحفر له الخنادق وينزلها حتى أتى هجر ونزل جواثا في خندق وأبو فديك بالمشقر[2] في جمع كثير من الأعراب كانوا ضووا إليه بعد هزيمة أمية ، فقال أبو فديك لأصحابه : قد أتاكم هؤلاء القوم فمن أحب لقاء الله فليقم ومن أراد الدنيا فليذهب حيث شاء فهو في حل .

---

١ ـ اكتفى ياقوت بقوله : الوفراء : اسم موقع .
٢ ـ المشقر حصن بالبحرين عظيم قبل مدينة هجر . معجم البلدان .

فتفرقوا عنه ، وبقي فيما بين التسعمائة إلى الألف ، وعمر في أحد وعشرين ألفاً . وقال رجل لأبي فديك : إن عطية بن الأسود بريء من نجدة فإن كنا مخطئين فنجدة محق ، وإن كنا محِقين فعطية لنا وليٌّ فما تقول ؟ . قال : ليس هذا يوم نظر . عدونا قد نزل فنجتمع على حربه حتى يحكم الله بيننا ، ثم ننظر فيما سألت عنه ، قال : فعلام أسفك دمي ؟ ولحق باليمامة .

وجعل عمر على الحرس : عباد بن الحصين الحبطي فخرج ليلة فتلقاه المغيرة بن المهلب فقال عباد : من هذا ؟ وقال المغيرة : من هذا ؟ فضربه عباد فشجه . فقيل له : هذا المغيرة فكف عنه ، فغضبت الأزد للمغيرة ولبسوا السلاح فجاء رجل من هناءة من الأزد وكان متألها فقال له رجل من قومه : اتق الله . فقال : اغرب ، تقول لي اتق الله وقد ضرب ابن المهلب ؟ .

وبلغ عباداً فقال : أعلى هذه الحال ونحن بإزاء العدو ، ولئن كانت بيننا صيحة ليهلكن هذا الجيش . فمشى إلى المغيرة فاعتذر إليه ، ويقال إنه إنما كان هذا أيام ما يَرْنَا بنهر تيرى وهم يقاتلون الأزارقة ، وضرب عباد المهلب فغضبت الأزد ، والأول أثبت .

وأقام عمر بن عبيد الله ثلاثة أيام ثم أتاهم أبو فديك فنزل بإزائهم وخندق خندقاً دون خندق وخرج عمر من معسكره ينظر ومعه رجلان من بني حنيفة فلقوا رجلاً من أصحاب أبي فديك فحملوا عليه فقال : سبحان الله أما تستحيون ؟ ثلاثة على فارس واحد ؟ ليبرز إلى رجل رجل . فبرز إليه أحد الحنفيين فلم يصنع شيئاً ، وطعنه الخارجي فقتله .

وخرج إليه عمر بن عبيد الله بنفسه فوقف له الخارجي فلما دنا منه وَحَّشَ بالرمح ثم ضربه بالعمود على رأسه فصرعه ونزل إليه فأجهز عليه .

ورجع عمر إلي أصحابه فقال : ما يئست من الحياة قط إلا يومي هذا فدفع الله ، رأيت الحنفيين جميعاً قد أحسنا القتال وطعناه فلم يصنعا شيئاً فعلمت أن على جسده شيئاً يقيه الطعن فقلت لا يقتله إلا العمود ، فلما قتله نظرت فإذا عليه سنون[1] .

فلما كان اليوم الرابع من مقام عمر قال أبو ماعز الحارثي : لو خرج منا إلى هؤلاء القوم فوارس فذاقوهم ، فخرج أبو ماعز في ثلاثمائة فارس حتى أتى خندق أبي فديك فأشرفوا عليهم فخرج اليهم فوارس من الخوارج فاستطرد لهم أبو ماعز وأصحابه حتى إذا انقطعوا عطفوا عليهم فصرعوا من الخوارج أربعة أو خمسة .

وبلغ ذلك عمر فأقبل في الناس وقد تحاجزوا وانصرف الخوارج فلام عمر أبا ماعز وقال : كدتم تفضحونا ، لو قتل منكم رجل واحد لهد العسكر ، فقال مجّاعة بن عبد الرحمن العتكي : قد وقى الله ما حذرت .

ورجع عمر إلى عسكره فلما كان الغد نهض عمر للقتال وصف الناس وقدم الرجالة ، وخرج الخوارج من عسكرهم فركزوا رماحهم واستتروا بالبراذع فقال أهل البصرة للرجالة : حركوهم . فقال عباد : إن خلف هذه البراذع أذرعا شداداً وأسيافاً حداداً وأنفساً سخية بالموت ، وهم شادون عليكم شدة لا يقوم لها شيء ، فإن كانت فيكم جولة فليكن انصرافكم على

---

١ ـ لم أقف على معنى محدد لهذه الكلمة في المعاجم ، مع أن المقصود منها واضح هنا .

حامية يمنع بعضكم بعضاً فإنهم يتبعونكم وأكثرهم رجالة فإذا لغبوا فكروا عليهم .

قال:وقال رجل من الخوارج : شدوا عليهم واحذروا تخطئة الحمار[1] . يقول احذروا قول عباد حين قال ليكن انصرافكم على حامية فإذا لغبوا فكروا عليهم فَنَحُّوا البراذع وأصلحوا رماحهم وسيوفهم وشدوا على الميسرة وفيها أهل البصرة فكشفوهم فذهبوا في الأرض .

وصرع المغيرة فحماه الكوثر بن عبيد ، ويقال عبد بن معمر ، واعتزل المغيرة بن المهلب ومجاعة بن عبد الرحمن الأزدي في فوارس فقاتلوهم ، وتراجع الناس فردوا الخوارج وحازوهم إلى موقعهم ، ومر أصحاب عمر بن عبيد الله بعمر بن موسى جريحاً فاحتملوه وشدوا على الخوارج حتى أدخلوهم عسكرهم وأحرقوا فيه تبناً ، وهاجت الريح فأمالت الدخان في وجوههم فقتلوا منهم ثلاثة ويقال ثمانية وذلك الثبت ، وأسروا ثلاثة نفر فقتلهم عمر صبراً .

فلما كان اليوم الثالث من هذا اليوم باكرهم أبو فديك بالقتال ، فقال لأصحابه : إن قتلت فأميركم أبو طالوت . وزحفوا جميعاً مستميتين ، فشدوا على الناس شدة أزالت الميمنة والميسرة والقلب من أهل العراق ، فبقي عباد بن الحصين وسنان بن سلمة والمغيرة بن المهلب ، فأمر عباد غلمانه : مهيراً ووازعاً ، وميسرة فجثوا وأشرعوا رماحهم ، ونادى عباد : أيها الناس أنا عباد . فقال له غلامه الوازع : يا سيدي لا تنوه باسمك فيقصدوا إليك ،

١ ـ في هامش الأصل : سُمُّوا عُبّاداً .

قال : ويحك ، إني إن ثَبَتُّ ولم أنوه باسمي أقدموا علي فإذا عرفوني لم يقدم علي منهم أحد .

فرجع مجاهد بن بلعاء في الخيل ، وكان عباد صيره خليفته على الخيل ، فرجع في عدة من البصريين وجماعة من أهل الكوفة من بني تميم ، ومضى الباقون فلم يكن لهم ناهية دون البصرة ، فقال عباد لمجاهد : احمل عليهم ، فقال : إني عليك لهين حين تأمرني بالإقدام بالخيل وليس معي رجالة تقيها .

فقال عباد : فليترجل بعضهم ، فترجلوا ، وقال عمر لعباد : ما ترى ؟ فقد ذهب الناس . قال : الصبر . فقال : ما شاورتك إلا وأنا أريد أن أسألك أي موتة ترى أن أموت قال : انزل ، فنزل عن برذون له أشهب أبيض وأقدموا عليهم ، فكان عباد يحمل عليهم فيطاعنهم ثم يرجع فيقول : إنا لله .

وصبروا ملياً فسمعوا صارخاً يقول : صرع أمير المؤمنين ـ يعني أبا فديك ـ وأطافوا به فأقبل عمر كأنه جمل هائج قاصداً لمصرع أبي فديك وحماه أصحابه حوله ، فشدوا عليه بأسيافهم فما انثنى حتى أخذ برجل أبي فديك فسحبه والدم يسيل من كمه والسيوف تأخذه ، فذب عنه عباد بن الحصين والمغيرة بن المهلب وسنان بن سلمة ومحمد بن موسى ومجاهد بن بلعاء حتى أفرجوا عنه وانحازوا وإن رجل أبي فديك لفي يده ، فقال : احتزوا رأسه فاحتزوه وبعث به من ساعته إلى البصرة .

واتبع ابن بلعاء الخوارج ، ثم رجع ومضى الخوارج إلى المشقر ، فوجه عمر بن عبيد الله إليهم مجاهد بن بلعاء وبيهس بن صهيب الجرمي

وعرفطة بن رجاء اليشكري ، فحصروا الخوارج حتى نزلوا على حكم عمر فقتل الموالي واستحيى العرب .

وكان على خيل أبي فديك عبد الله بن صباح الزِّماني ، فلما طلب الأمان كلم قوم من بني حنيفة عمر وقالوا إنا قد آمناه . فقال : لا ولا نعمة عين ، وأرسل إليه فحبسه فهرب من السجن فلقي أعرابياً معه بعيران فقال : أتكريني إلى اليمامة ؟ فقال : نعم بكذا وكذا . فقال عبد الله : بل أضعفه لك على أن ترفق بي في السير . قال : ذاك إليك ، فحمله .

وطلبه عمر بن عبيد الله بن معمر ، وبلغ الأعرابي أن عمر يطلب ابن صباح الزماني ، فلما سار بقية يومه قال للأعرابي : أتدري من أنا ؟. قال : لا . قال : أنا عبد الله بن صباح الزماني هربت من السجن وعمر يطلبني وإن يأخذني هلكت وذهب بعيرك فأنت أعلم .

قال : غررتني . قال : أتراني أضعفت لك كراءك وأنا آمن . فطرد به شلا حتى قدم اليمامة ، ثم أتى البصرة فاستجار بعامر بن مسمع فأخذ له عامر بن مسمع الأمان من خالد ، فكان يغدو إلى خالد .

وتزوج ابن صباح ابنة عطية بن الأسود ، فأقام بالبصرة حتى قدم الحجاج بن يوسف فدخل عليه فقال له : من أنت ؟. فقال : رجل من ربيعة . قال : هات نسباً أقرب من هذا . قال : من بني بكر بن وائل . قال : من أيِّهم ؟. قال : من بني مازن . قال : فمن أنت ؟ قال : عبد الله بن صباح . قال : صاحب خيل أبي فديك ؟ . قال : نعم . قال : لئن تغيبت عني لأقطعن يدك ورجلك ، ولأضربن عنقك .

فخاف وهرب إلى اليمامة فكان في أصحاب ابراهيم بن عربي ، وأظهر التوبة من رأي الخوارج ، فرأى يوماً رؤوساً تشيط فغشي عليه، فعلم أنه على رأيهم .

قالوا : وقدم المنهزمة من أصحاب أبي فديك إلى البصرة ، فكان أول من دخلها منهم عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، ثم تتابعوا فسر ذلك خالد بن عبد الله ، ودعا بسرير له فجلس عليه وأعلم الناس أن عمر قد انهزم ، وأرسل إلى عبد الله بن عمير الليثي وكان قد انهزم عن بعض الخوارج فبشره بانهزام عمر ، فأعتق كل مملوك له .

وبعث خالد يوم جاء خبر هزيمتهم رسولاً إلى عبد الله بن عبيد الله بن معمر فأخبره بأن أخاه قد انهزم فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إني لأنتظر من الله إحدى الحسنيين الشهادة أو الظفر ، فأما الهزيمة فلا أخافها عليه لا سيما ومعه ابنة عمه .

ودخل المهلب على خالد فقال له : يا أبا سعيد ما عندك من خبر أبي حفص ؟. فقال : عندي أن أبا فديك قد قتل ورأسه يأتيك . قال : وما علمك ؟ قال : وجهت مع المغيرة ابني غلامين فقلت : إن ظفر عمر فوجه إلي فلاناً ، وإن ظفر أبو فديك فوجه فلاناً ، ولا ترسل واحداً منهما حتى يتبين لك الظفر . فبعث بالذي أمرته أن يرسله إذا ظفر عمر . قال : ما أتاك الغلام إلا منهزماً . قال : ما بذلك أخبرني .

قالوا : فإنه ليحدث إذ دخل رسول عمر بن عبيد الله برأس أبي فديك فألقاه بين يديه فقال : ويحك كيف كان الأمر ؟ قال : انهزم الناس وصبر عمر وعباد ونفير يسير معهما ساعة ثم كر أهل الحفاظ فقاتلوا الخوارج فقتل

أبو فديك ، وأخذ الرسول بأذنيه ثم هزه وقال : يا أبا فديك كيف رأيت ضرب بني عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ؟ وذلك أن عمر بن عبيد الله من ولده .

فتناول خالد نعليه فانتعل وقال : أف ، ودخل مغموماً . فكان عباد بن الحصين يقول : ما رأيت أحداً يقاتل يوم أبي فديك غير المغيرة بن المهلب وسنان بن سلمة بن المحبق .

وقالت عائشة بنت طلحة يومئذ : من الرجل الذي كان إذا صاح كادت الأرض تتصدع من صوته ؟ فقال لها عمر : ذاك عباد بن الحصين .

وقال خير بن حبيب بن عطية ، أحد بني مالك بن سعد : استأذنت على عمر بن عبيد الله بن معمر بالبحرين فقال آذنه : من أنت ؟ قلت : خير . فدخل ثم رجع إلي فقال : أي خير ؟ قلت : خير بن حبيب . وعلمت أنه قد عرفني وتفاءل باسمي ، فدخل ثم رجع فأذن لي فدخلت عليه وجاريته تشد عليه جيب الدرع وهي تبكي . فكلمته بحاجتي ثم خرجت وخرج ، فقتل يومئذ أبو فديك .

قال : ثم أرسل إلي بعد ذلك بأيام فدخلت عليه وعائشة إلى جنبه فلم أر زوجاً قط أحسن منهما . فقال : ما قلت في عائشة ؟ قلت : من يجعل الديباج عدلاً للزيق . وبين يديه لؤلؤ منثور ، فقال : تناول من هذا اللؤلؤ . وحفن لي حفنات منه . فبعتُ ذلك اللؤلؤ واشتريت بثمنه أرضاً وكانت عائشة بنت طلحة تقول لعمر : أي اليومين كان أشد عليك ؟ يوم أبي فديك أو يوم فارقت رملة ؟ فيضحك .

ويقال إنها قالت : أو يوم كنت تزور فيه رملة فترى خلقتها وعظم أنفها ؟ وكان مقتل أبي فديك في سنة أربع وسبعين .

وقال المدائني : كانت هزيمة عبد العزيز بن عبد الله بعد مقتل أبي فديك ، وأوفد عمر إلى عبد الملك ببشارة الفتح وفدا فيهم الصلتان وهو قثم بن خبية بن قثم العبدي ، ويقال هو تميم بن خبية بن قثم . فقال له عبد الملك : يا صلتان لعمر ثناؤك وعليه جزاؤك . فقال : يا أمير المؤمنين إني لأعيش من جدواه وأتقلب في نعماه ، وإن خيره علي لكثير وقد أدرك في عدوك ما أدرك وهو محمود . فقال : صدقت ، وأمر له بألفي درهم .

وقال بعض الشعراء :

ضجت جواثا ولم تفرح بمقدمنا ... لما قدمنا وماذا ينفع الضجر
كانت لنا هجر أرضاً نعيش بها ... فأرسل النار في حافاتها عمر

وقال أعشى همدان في قصيدة له طويلة يذكر فيها قتالهم بجواثا ويفخر بصبر الكوفيين ، ويذم البصريين في هزيمتهم ، فمنها قوله :

ألم يأت بشراً ما أفاءت رماحنا ... وبشر بن مروان بذلك أسعد
فإنك قد جهزت جيشاً مباركاً ... ومثل أبي مروان بالخير يحمد
أطعت أمير المؤمنين وإنما ... جعلت غياثاً كل خير تغمد
وأعطيتنا منك العطاء مضاعفاً ... وزودتنا حتى جعلنا نحسد
ولما رأينا القوم ليس لديهم ... لمن زار إلا المشرفي المهند
مشينا إليهم في الحديد كأننا ... سحاب يضيء البرق فيه ويخمد
ولما رأى أهل البصيرة حزمهم ... تَوَلُّوا سراعاً خيلهم ثُمَّ تُطْرَدُ
وما قاتلتْ فرسانهم عن رجالهم ... وما منعوا قتلاهم أن يجردوا

ولكنهم حاصوا من الموت حيصة فهم في أصول النخل شتى وموحد
وأهلك جمع المارقين فأصبحوا أحاديث إذ جاروا عن الحق واعتدوا

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي أن سعيد بن خالد من ولد عثمان بن عفان قال لبيهس بن صهيب الجرمي : يا أبا المقدام ، أمية أفضل أم عمر بن عبيد الله ؟. فقال : أو كلما نشأ ناشىء من بني أمية أردتم أن تجعلوه مثل عمر ؟ لا والله لعمر أجود منه جوداً ، وأكرم منه نفساً وأشد منه بأساً ، فغضب سعيد وقال : ما أنت وذاك يا أخا جرم . فقال : اسكت فما أنت بالأول ولا الثاني ولا الثالث ، ولقد كنت الرابع فربحت .

المحتوى

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م

الجزء الثامن

بنو عبد شمس (٤)

حققه وقدم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكار   الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م

الطبعة الاولى

بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي: ٩٦١١٨٦٠٩٦٢ .. - دولي وفاكس: ٤٧٨٣٠٨ - ٢١٢ - ٠٠١

الجزء الثامن

بنو عبد شمس (٤)

أمر صالح بن مُسَرَّح[1] أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم :

قال الهيثم بن عدي : خرج صالح بن مُسَرَّح أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة وكان من مخابيث الخوارج ، وكان لا يرفع رأسه خشوعاً ، وكان يكنى أبا مالك ، فخرج ومعه فرسان من فرسانهم منهم ثور بن البطين بن سويد ، ومرة ، وخطامة ، وشوذب ، وشبيب ، وهم من بني شيبان ، فخرج بجوخى ، ثم أتى النهروان فصلى في مصارع أصحابه وقال : اللهم ألحقنا بهم فإنهم مضوا على طاعتك ، ثم أتى قرية بين الموصل والعراق وفيها قصر فنزله ، فبعث إليه بشر بن مروان زفر بن عمرو الفزاري فنكص عنه ، وبعث إليه الحارث بن عميرة بن ذي المشعار الهمداني فواقعه فقتله ، وقتل للحارث ابنان ، وكان الذي طعن صالحاً فقتله : الأشعث بن الحارث بن عميرة .

---

١ ـ بهامش الأصل : مُسَرَّح بفتح الراء

وقال هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف : كان صالح بن مُسَرَّح أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ويكنى أبا مالك متخشعاً ، فأتاه شبيب بن يزيد الشيباني ، فقال له صالح : إن الحكيم السعيد إذا سمع الحق نَوَّر الله قلبه وجلا العمىٰ عن بصره .

ثم إن شبيباً أتى الموصل وهو يريد الشام في أمر من أ موره ، فَقَدِم صالح بن مسرح الموصل وهو بها ، وصالح يريد نصيبين للقاء قوم من أصحابه بها ، فصار صالح إلى نصيبين ، ومضىٰ شبيب إلى عبد الملك بن مروان بالشام ، ثم أتى دار صالح بن مسرح بها فقال لصالح : يا أبا مالك رحمك الله ، أخرج بنا فوالله ما تزداد السُّنَّةُ إلا دُرُوسَاً ولا يزداد المجرمون إلا طغياناً واستجراحاً .

فبعث صالح الرسل إلى أصحابه فتواعدوا للخروج في صفر سنة ستٍ وسبعين ليلة أربعاء ، فاجتمعوا جميعاً للميعاد ، فقال شبيب لصالح : أرى أن نستعرض الناس فإنَّ الكُفْر قَدْ عَلاَ وإنَّ الظلم قد فَشَا . فقال صالح : بل ندعوهم فإن الدعاء أقطع للحجة ، ولا نريد أَنْ نَعِيْبَ على قوم أعمالاً ندخل فيها ، وكان رأي صالح البسط بعد الدعاء ، فأقاموا بأرض دارا[1] بضع عشرة ليلة ، فتحصن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار .

وكان خروج صالح في مائة وعشرين فأخذوا دواب من دواب محمد بن مروان كانت بقربهم ، وقد كان أمرهم بلغ محمداً فاستخف به وهو على الجزيرة ونواحيها من قِبَل أخيه عبد الملك بن مروان ، فوجَّه محمد إليهم

---

١ ـ دارا : بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين . معجم البلدان .

عدي بن عدي بن عميرة الكندي في خمسمائة ، ثم أَمَدَّهُ بخمسمائة فصار في ألف ، فأتى الخوارج وهم بِدُوغان[1] من حَرَّان ، وقد جعل صالح على ميمنته شبيباً وعلى ميسرته سُوَيْد بن سليم .

وكان عدي مُتَنسِّكاً مُتَوقياً للدماء ، فأرسل إلى صالح : إني لَسْتُ على رأيك ولكني أكره سَفْك الدماء ، فواقعه ، فكبَّ عديّ رايتَه وهرب فَحَوىٰ صالح عسكره فغضب محمد بن مروان ، وبعث مكانه الحارث بن جَعْوَنَة العامري في ألف وخمسمائة ، وبعث أيضاً خالد بن جزي السُّلمي في ألف وخمسمائة وقال : أيكُمَا سَبقَ فهو الأمير ، فتوافيا جميعاً ، فوجه صالح شبيب إلى [الحارث بن] جَعَوَنة العامري في شطر أصحابه ، وتوجَّهَ هو إلى خالد بن جزي في النصف الثاني ، فاقتتلوا بآمد[2] حتى حجز المساء بينهم وقد قتل من الخوارج ثلاثون ومن أصحاب محمد بن مروان سبعون ، وسار صالح فيمن بقي معه حتى أتى الموصل ثم أتى إلى الدَّسْكَرة .

ووجَّهَ بِشْرُ بن مروان الحارث بن عُمَيْرةَ بن مالِك بن حَمْزَة بن أَنْفَع بن زبيب بن شُرَاحِيْل ، وكان يقال لحمزة : ذو المِسْعَار الهمداني في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة ، وصالح في تسعين ، ويقال بل وافاه في أربعة آلاف مِنَ مقاتلة أهل الكوفة وستة آلاف من الفُرض .

وكان على ميمنة الحارث بن عميرة أبو الرواع الشاكري من همدان ، وعلى ميسرته الزبير بن الأَرْوَج التميمي ، فثبت صالح فقُتل ، وضَارَبَ

١ ـ دوغان : قرية كبيرة بين رأس عين ونصيبين ، كانت سوقاً لأهل الجزيرة يجتمع إليها أهلها في كل شهر مرة . معجم البلدان .

٢ ـ آمد : بلد قديم حصين ركين ، مبني بالحجارة السود على نشز دجلة . معجم البلدان .

شبيب حتى صُرِعَ عن فَرَسِهِ فوقَع في الرَّجَالة ، فلما رأى صالحاً قتيلاً قال : إليَّ يا معاشر المسلمين . فلاَذُوا به واجتمعوا إليه وحامىٰ بعضهم على بعض حتى دخلوا حصناً بجواثا[1] فقال لهم شبيب : بايعوني أو من شئتم منكم ، ثم اخرجوا بنا حتى نبيتهم فإنَّ الليل أخفىٰ للوَيْل ، وهُم آمنون لكم .

فبايعوا شبيباً وأتوا باللُّبُود فبَلُّوها بالماء ثم ألقوها على الجمر وخرجوا فلم يشعر ابن عميرة وأصحابه إلا والخوارج يضربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم ، وضارب الحارث بن عميرة حتى صُرِع فاحتمله أصحابه وانهزموا وخَلُّوا لهم العسكر وما فيه ومضوا إلى المدائن .

ومات ابن عميرة ، ويقال إن صالحاً جرح جراحات مات منها في ليلته ، وأمر أن يُبَايَعَ شبيب بعده واستخلَفَهُ والأول أثبت .

وكان قَتْلُ صالح بن مسرح في أيام بشر بن مروان ، وقال قوم : كان قَتْلُهُ في سنة ستٍ وسبعين يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، ويقال يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادىٰ الآخرة .

وقال الجعد بن ضِمام :

أيا عَيْنُ فابكي صالحاً إنَّ صالحاً ... شَرَىٰ نَفْسَهُ لله يَبْغي بِهَا الخُلْدَا
وقد كان ذا رأيٍ ثخينٍ ورأفةٍ ... صَفُوحاً عنِ العَوْراءِ يَدْفَعُهَا عَمْدَا
وقد كان في الحرب العُوَانِ يُشِبُّهَا ... ويُسْعِرُهَا بالخيلِ مَحْبُوكَةً جُرْدَا

في أبيات .

---

١ ـ المعروف أن جواثا حصن في البحرين ، ولم أقف على ذكر جواثا أخرى في الجزيرة ، أو العراق .

وقال أعشىٰ همدان ، وهو عبد الرحمن بن بسطام ، أحد بني مالك بن حاشد بن جُعشم بن خَيران بن نُوف بن همدان :

إلىٰ ابن عُمَيْرَةَ تَحْدِي بِنَا عَلَىٰ أينها[1] القُلُصُ الضُمَّرُ
وَلابْنِ المُسَرَّحِ في جَحْفَلٍ دَلَفْتُ وَفِرْسَانُه حُضَّرُ
شَبيبٌ وقَعْنَبُهُم والبَطِينُ وعَمْروٌ وفَارِسُهُمْ أَبْجَرُ
لَيوثُ عَرِينٍ هُمُ مَا هُمُ إذا حَكَّمُوا وإذا كَبَّروا
فَلَمْ يُرَ تَحتَ ظِلالَ السيو فِ مِثْلُكَ محتسباً أَصْبَرُ
ولا مِثْلُ أشبالك الضاريا تِ وَلا مِثْلُ مَعْشَركم مَعْشَرُ

وقال رجلٌ من بني تميم يرثي صالحاً ، واسمه المنهال :

أَمِنْهَالُ إنَّ الموتَ غادٍ ورائحُ ولا خَيْرَ في الدنيا وقد ماتَ صالحَ
إذا قلتُ أَنْسَىٰ صالحاً عادَ ذِكْرُهُ جديداً لما انضَمَّتْ عليه الجَوَانحُ
لَئن كَانَ أَمْسَىٰ صَالحاً ثُلَّ عَرْشُهُ لقد كانَ لاَ تُخْشَىٰ عليه الفَضَائِحُ

في أبيات .

وقال الحويرث الراسبي :

أقولُ لنفسي في الخَلاَءِ أَلُومُهَا هُبِلْتِ دعيني قَدْ مَلَلْتُ مِنَ العُمْر
ومنْ عيْشَةٍ لاَ خيرَ فيها دَنيَّةٍ مُذَمَّمَةٍ عِنْدَ الكرامِ ذَوِي الصَّبْر
سأركبُ حَدْبَاءَ الأُمورِ لعلَني أُلاَقِي التي لاَقَى المُحرَّقُ في القَصر
وما كان غِمْراً صالحٌ غَيْرَ أَنَّهُ رَمَتْهُ صروفُ الدهرِ من حيث لا يدري

١ ـ الأين : الاعياء . القاموس .

أمر يزيد بن بَعْثَر

قال الهيثم : خرج يزيد بن بعثر السعدي من تميم بجوخى[١] ، فوجَّه إليه بشر بن مروان خيلاً فقُتل . فقال عِمران بن حِطَّان :

لقد كان في الدنيا يزيد بن بَعْثَرٍ   حريصاً على الخيرات حُلْواً شَمائِلُه

في أبيات .

وقال الهيثم بن عدي : خرج في أيام ابن عربي وولايته اليمامة خوارج من السجن ، وكانوا مُقَيَّدِين فَحَكَّمُوا ، فقال لهم رجل منهم : اطلقوا قيودكم. قالوا: ولم؟ لسنا نريد الفرار. فلم يخرج إليهم إبراهيم بن عربي وأخرج رجلاً يقال له عطية بن جناب من أصحابه ، ومعه رجل من موالي آل أبي مرْثَد الغَنَوي فقاتلاهم فَقُتِل الخوارج .

١ ـ جوخى : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد .

أمر هَدْبَة الطائي بن عمرو

من بني جَذْعَاء ، وأمه شيبانية وكان فيهم .

وقال : وخرج هدبة الطائي بجوخىٰ على بشر بن مروان في جماعة فقتله سيف بن هانئ ، وكان على مسالح جوخى والطريق ، وكان مُوكلاً بقتال الخوارج في نواحيه ، فقال أيوب بن سَعْفَة :

إنْ يَكُ خِلِّي هُدْبَةُ اليومَ قَدْ مضىَ فإني بآلاَءِ الفتىٰ أنَا نَادِبُـهْ
فيا هُدْبُ للهَيجَا وللسَّيْفِ والقَنَا ويا هُدْبُ يَوْماً للخَصِيْم يُجَاذِبُه

في أبيات .

ويقال : إنَّ هدبة شيباني وهو هدبة بن عبد عمرو من ولد قيس بن خالد الشيباني ، وقال المدائني : قَتَلَ هدبةَ سيفٌ في أيام الحجاج .

أمر شبيب بن يزيد الشيباني

قال ابن الكلبي عن لوط وغيره : غزا يزيد بن نُعَيْم بن قَيْس بن عَمْرو بن قَيْس بن شُرَاحيل بن همام بن مُرَّة بن ذُهَلْ بن شيبان بن ثَعْلَبَة بن عُكَابَة الروم فابتاع جارية من السبي ووقع عليها فولدت له شبيب بن يزيد في سنة خمسة وعشرين في يوم النحر ، فقال أبوه : ولد في اليوم الذي تُهْراق فيه الدماء ، وأحسَبه سيكون صاحب دماء ، وكان اسم أم شبيب جُمَيْرَة .

وقال الهيثم بن عدي : كان اسم أمه غَزَالة واسم امرأته جُهَيْزَة بنت عمرو .

قال الكلبي : وانتقل يزيد من الكوفة إلى الموصل وكان شبيب صاحب فَتْكٍ وغارات وكان يبيت الأكراد ، فقال الشاعر :

لَمْ أَرَ أيـاماً كـأيام مـالكٍ ولم أَرَ ليلاً مِثْلَ لَيْلِ شَبيْبِ

وكان مالك رجلًا يُغير بالنَهار فيأخذ ما اسْتطَفّ[1] له ، وكَان شبيب في الديوان فُرِضَ له حين أدركَ . ثم إنه تَنَسَّكَ وارتدع ، وذلك أنه سمع رجلاً

١ ـ خذ ما طف لك واستطف : ما ارتفع لك وأمكن ودنا منك . القاموس .

يقرأ : ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما * إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤتِ من لَدُنْهُ أجراً عظيما * فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ إلى قوله : ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾[1] ، فقال : ما أَغْفَلَ شبيب عما خُلِقَ له وعما يُراد به ، فأَعَجَب أباه ما رأى من حالِهِ .

ثم إن شبيباً حج فأتى الكوفة فنزل على القَعْقَاع بن شَوْر الذُّهْلي في بَدْأَتِهِ فَبَرَّه وأكرمَه ، ثم سار فلما قضى حجته وصار بالربذة أُيْدِعَ به[2] وانقَطِعَ بقوم معه أيضاً فمرت بهم هند بنت أَسماء بن خارجة الفَزَاري فقاموا إليها فسألوها فأمرت لهم بزادٍ وحملان . ثم إن شبيباً قَدِمَ الكوفة فجعل يسأل عن أهل العبادة والصيام فَدُلَّ على صالح بن مُسَرح ، فسمع منه وقَبِل قولَه .

ومضى شبيب بعد أن لقي صالحاً إلى الموصل ، وسار صالح يريد نصيبين للقاء أصحاب له هناك ، ثم أتى دارا ومضى شبيب إلى عبد الملك بن مروان وقد كان اسمه سقط من الديوان لكثرة غيبته وتخلفه عن الإعتراض من العُرَّاض فَحُلِّقَ على اسمه فكلم الناس عبد الملك في الفَكِّ عن اسمه وإدرار أرزاقه عليه فأبىٰ وقال إنّ بكر بن وائل وبني تميم حَيَّانَ كثيرٌ شرُّهما وما أُحبُّ أن يكثُروا بهذه البلاد . فأُخِبْرَ شبيب بقول عبد الملك فقال : والله لأَسُوْءَنَّهُ ، فأَبْلِغُوه عني فَلَه مني يوم أرونان[3] .

---

١ ـ سورة النساء ـ الآيات : ٣٩ ـ ٤٢ .
٢ ـ أيدع الحج على نفسه : أوجبه . القاموس .
٣ ـ الأرونان : الصعب من الأيام . القاموس .

ثم قَدِمَ على صالح بن مُسَرّح وهو بدارا فكان منه ما ذكرنا ، وقُتل صالح فبايعه أصحابه .

وقال الهيثم بن عدي : كان بنو مروان لا يَفْرِضون لبَكرٍ ولا تميم بالشام فخرج شبيب يطلب الفريضة وقد سبقه صالح بن مُسَرّحٍ بالخروج والخوارج يرون من خرج منهم ، ثم خرج بعده آخران الثاني تَبَعٌ للأول فكان شبيب معه حتى قُتِلَ فبويع بَعْدَهُ فوجَّهَ إليه بشر بن مروان خيولاً فهزمها شبيب .

وأقام على ذلك نحواً من سنة حتى مات بشر بن مروان ، وقدم الحجاج العراق ، فأقام سنة لا يَعْرِضُ لشبيب حتى كثف أمره واشتدت شوكته .

وبلغ قطري بن الفُجاءة خروج شبيب في أيام الحجاج فقال : إن الله قد قَيَّضَ للفاسق أخي ثمود رجلاً من الصُّفرية سيشجيه ويُخزيه ، والله ما نُبالي في أيِّ الفريقين كان الفتح .

وقال ابن الكلبي : لما اعتَقَد شبيب ارتفع إلى أرض الموصل ، فدعا سلامة بن سيَّار الشيباني إلى الخروج معه ، وكان فَضَالَةَ بن سيار أخوه يقول : الفضل بن سيار قد خرج قَبْلَ خروج صالح بن مُسَرّح فقتلته عَنْزَةَ ، ففرض لهم عبد الملك وأَنْزَلَهُم بانقايا من حَرَّةِ الموصل ـ فاختار سلامة من أصحابه ثلاثين فأغار بهم على عَنْزَةَ فقتل منهم بشراً ، وقال شعراً يقول فيه :

فَصَبَّحتُهُم قَبْلَ الشُّرُوقِ بِفِتْيَةٍ مَسَاعِيْرُ لَا كُشْفُ اللِّقَاءِ ولا عُزْلِ
وَلَيْسَتْ دِمـاءُ اليَقْدُمِيِّـينَ بالَّتي تُوازي دِماءَ الحَيِّ شَيْبَانَ في القَتْلِ
لعَلَّ جيادي أَنْ تَعُـودَ عَلَيْهُمُ فَتُنْزِلُهُمْ دار الصَّغار مع الذُّلِّ

فيقال : إن سلامة كان معه ، ويقال إنه اعتذر بِشُغلٍ له .

وأقبل شبيب في أصحابه نحو زاذان[1] ومعه أمه في مظلَةٍ من مظالّ الأعراب ، وكان حملها من الموصل معه ، وانضمَّ إليه قوم ، منهم أبو الصقر ابراهيم المحلّمي وكان نازلاً في بني تميم بن شيبان ، وكان الحجاج قد ولى سفيان بن أبي العالية الخثعمي طبرستان فكتب إليه أن ينكفىء راجعاً لِمُوَاقَعَةِ شبيب ، ونادىٰ في جيش الحارث بن عميرة الهمداني بالكوفة والمدائن فساروا عليهم سَوْرَةُ بن أَبْجَر بن نافع بن العِرْباض أحد بني أبان بن دارم فلم يتخلف منهم كثير أحد .

وعَجل سفيان بن أبي العالية إلى محاربة شبيب بخانقين قبل مصير سورة إليه ، وأكمن شبيب لابن أبي العالية مصاد بن يزيد أخاه ، واستطرد لهم حتى ظنوا أنهم قد هزموه ، ثم خرج عليهم الكمين فقاتلوهم من ورائهم ، وكَرَّ شبيب فواجههم فانهزموا ، وثبت سفيان بن أبي العالية في نحوٍ من مائتين فقاتلهم فأحاط به أصحاب شبيب فقاتل دونه غلام له يقال له غزون .

وأقبل سفيان إلى مهروذ[2] فنزل بها وكتب إلي الحجاج بخبره ومواقعته شبيباً بخانقين ، وكتب الحجاج إلى سَوْرَة يُعَنِّفُهُ ويأمره أن يأتي شبيباً ، فبعث سورة إلى المدائن فانتُخُبَ له منها خمسمائة رجل من جندها فتوافوا إليه مع من معه وخرج لطلب شبيب وهو يجول (بجوخىٰ) وأتى شبيب المدائن فقتل من ظهر له وأخذ دواب من دواب الجند ولم يدخل البيوت .

١ ـ موضع قرب الرقة في ديار مضر .

٢ ـ مهروذ : من طساسيج سواد بغداد . معجم البلدان .

ثم إن شبيباً أتى النهروان فوقف أصحابه على قبور من قتله علي بن أبي طالب فاستغْفَرَ لهم وكان في مائة ، فلقيه سَوْرَة في نُخْبَةِ مَنْ مَعَهُ فقاتله شبيب وهو يقول : «مَنْ يَنِكِ العِيْرَ يَنِكْ نِيًّاكَا» . فهزمه شبيب واتبعه حتى بلغ المدائن ودنا من بيوتها ، فرمي وأصحابه من فوق البيوت .

ثم أتى شبيب كلواذى[1] ، ثم أقبل يسيرُ إلى أرض جوخىٰ وصار إلى جبال تكريت ولحق الجند بالكوفة فغضب الحجاج على سورة بن أبجر وقال : والله لأَسُوْءَنَّه ، ووجَّه الجُزَل وهو سعيد بن شرحبيل بن عمرو بن الأرقم الكندي ، وبعضهم يقول سعيد بن عمرو . والأول أثبت .

وضم إليه أربعة آلاف مقاتل ، وأقبل الجُزَل يطلب شبيباً في أرض جوخىٰ وشبيب يُرِيْهِ الهيبة له فيخرج من طَسُّوجٍ إلى طَسُّوجٍ ، وكان يومئذٍ في ستين ومائة .

واستبطأ الحجاج الجزل فولَّى سعيد بن المُجَالد بن عمير بن ذي مَرَّان الهَمْدَاني ـ جَدّ المُجالد بن سعيد المُحَدِّث ـ جيشه وضَمَّهُ إليه فَصَار من تحت يَدِهِ وقال له : لا تفعل كما فعل الكندي يَطْلُبُ طَلَبَ السَّبُعِ ويَحِيْدُ حياد الضَّبع .

وأتىٰ شبيب براز الروز[2] فالتقوا وعلى ميمنة ابن المجالد عياض بن أبي لينة وعلى ميسرته عبد الرحمن بن عوف الرؤاسي أبو حميد بن عبد الرحمن ، فهزمهم شبيب وحمل علىٰ سعيد بن المُجَالد فضربه ضربةً خالطَتْ دماغه فقتله شبيب .

---

١ ـ كلواذى : طسوج قرب بغداد . معجم البلدان .

٢ ـ براز الروز : من طساسيج السواد ببغداد . معجم البلدان .

وقاتل الجُزَل قتالاً شديداً حتى صُرِعَ فسقط بين القتلىٰ ، فَحُمِلَ إلى المدائن ولحق الجيش بالكوفة ، وكتب الجزلُ إلى الحجاج بالخبر فأجابه بجواب لطيف ، وفيه يقول بعض الكنديين :

جاؤوا بِشَيْخِهُمُ وجئْنَا بِالجُزَلْ   شيخٌ إذا ما لقيَ القَوْمَ نَزَلْ

ولم يلبث الجزل أنْ مات ، وقال المُحِلُّ بن وائل :

كيفَ رأيتَ يا بن ذي مِرَّان   جِلاَدْنَا عِنْـدَ قُرَىٰ الهَـرْوَان
أذاقــك العَـلْقَــمَ والـذُّيْفَــانِ   والمـوتَ أَسْـيَافُ بنـي شَـيْبَانِ

وبعث الحجاج إلى الجُزَل ابن أبجر الطبيب ليعالجه وبألف درهم، وأقبل شبيب إلى كرخ بغداد ولم يعرض لأهل سوقها العتيق ، ثم سار شبيب جواداً حتى أتى الكوفة فنزل عند دار الرزْق وقد أمر الحجاج أهل الكوفة فعسكروا بالسَّبخة وعليهم عثمان بن قطن الحارثي .

ووجَّه الحجاج سويد بن عبد الرحمن السعدي للقائه فحمل عليه شبيب حملة منكرة ، ومضى حتى قطع بيوت الحيرة ، ثم مضى شبيب إلى الأنبار ثم أتى دقوقا ، ثم مضى إلى آذربيجان وناحية أرمينية ، فتركه الحجاج وخرج إلى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة .

ثم إن شبيباً أقبل يريد الكوفة وبلغ الحجاج ذلك فأقبل من البصرة جواداً إلى الكوفة وأتى شبيب حربى[1] وهي دجلة فعبر منها ، وقال لأصحابه : ليس الحجاج بالكوفة فما دون دخولها بإذن الله شيء .

---

١ ـ بليدة في أقصى دجيل بين بغداد وتكريت .

فخرج مُبادراً ونزل الحجاج الكوفة العصر ، ونزل شبيب السَّبْخة المغرب ، فلما صلى المغرب والعشاء الآخرة جاء حتى ضرب باب القصر بعمود وتَمثَّل

عاري الجواعرِ مِنْ ثَمُودٍ أَصْلُهُ عَبْدُ وَيَزْعَمُ أنَّهُ مِنْ يَقْدُمِ

ثم إنه اقتحم المسجد الأعظم وعلا المنبر وأقعد غزالة وهي امرأته وهي من سَبيِ أصبهان على المنبر لئلا يصيبها الرمي ، ويقال بل كانت نَذَرتْ أن تصعد المنبر فصعِدتهُ .

وقال بعضهم : لم تكن امرأته ولا أُمُّهُ ولكنها كانت من الخوارج ثم خرج .

ونادى الحجاج في الناس فكان أول من أتاه : عثمان بن قطن بن عبد الله ، ثم وجَّه الحجاج بِشْر بن غالب الأسدي في ألفين وزائدة بن قدامة الثقفي وأبا الضريس مولى بني ثعلبة بن يربوع تميم في ألف ، وأَعْين مولى بشر بن مروان ـ ويقال مولى سعد بن أبي وقاص ـ في ألف ، ووجَّه محمد بن موسى بن طلحة التيمي ، وزياد بن عمرو العتكي فنزل هؤلاء الأمراء أسفل الفرات فتجنبهم شبيب وأخذ نحو القادسية .

وبعث الحجاج زحر بن قيس الجعفي في ألف وثمانمائة جريدةً وقال : اتْبعهُ فإن لم يعطف اليك فلا تقاتله .

وبلغ شبيباً خبره فأقبل إليه والتقيا فُهزِمَ أصحاب زحر ونزل فقاتل حتى صُرعَ ، فلما أَمْسى تحامل حتى دخل الكوفة وبه بضع عشرة ضربةً ، فأكرمه الحجاج وبَرَّه وقال : من أراد أن يرى شهيداً يمشي على الأرض وهو من أهل الجنة فلينظر إلى هذا .

ويقال إن زائدة لقيهم وعلى ميمنته بِشْر بن غالب وعلى ميسرته زياد بن عمر العتكي ، فصيَّر شبيب سُويد بن سليم في كردوس حيال الميمنة ، وصيَّر أخاه حيال الميسرة ، ووقف بحيال القلب ، فشدَّ سويد على زياد فصابره ساعة ثم انهزم زياد وقد أحاط به ثلاثون سيفاً ، وقُتل زائدة ، وبلغ شبيباً مكان الأمراء بأسفل الفرات فسار إليهم ودافعهمُ وأُفرد بإزاء كل أمير منهم جماعة من أصحابه وعليهم رجل يسُوسهم ، فقتل زائدة بن قُدامة ، وقاتل زياد بن عمر العتكي من يليه فصابرهم ثم هزموه .

وقاتل محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله فقُتل ، ودخل أبو الضُريس جوسقاً هناك فقال شبيب لأصحابه : ارفعوا السيف ، فبايعه قوم منهم عبد الرحمن بن جندب وأبو بردة بن أبي موسى ، ثم خرج شبيب بأصحابه إلى نفر[1] ثم أتى خانيجار[2] فأقام بها ، فوجَّه إليه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في كثف ومعه من كندة خمسمائة فارس فدخل على الجُزَل وهو يعالج الموت فقال له : إنك تقاتل قوماً كأنهم قد خلقوا من أضلاع الخيل وبنوا على ظهورها أسود غاب يستطعمون الموت ، إن هجهجوا[3]أقدموا وإن كفَّ عنهم لم يكفُّوا .

فأقبل شبيب حتى نزل جولايا[4] ونزل ابن الأشعث بقربه وذلك في أيام

١ ـ نفر : بلد من نواحي بابل بأرض الكوفة . معجم البلدان .

٢ ـ خانيجار : بليدة بين بغداد وإربل قرب دقوقا . معجم البلدان .

٣ ـ هجهج بالسبع : صاح ، وبالجمل : زجره ، والهجهاج : النفور ، والشديد الهدير من الجمال ، والداهية . القاموس .

٤ ـ ليس في معجم البلدان .

العشر ، فبعث إليه شبيب : إن هذه أيام عيد فإن رأيت أن توادعنا حتى تمضي . وكان يُحِبُّ المطاولة فوادعَه فكتب عثمان بن قَطَن بذلك إلى الحجاج وبإقبال عبد الرحمن على الجباية واستيكاله الرعية ، فولَّاه جيش عبد الرحمن ، وولى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبه مكانه .

وكان ابن أبي عصيفير الثقفي على المدائن فعزله الحجاج وولى المدائن عبد الرحمن ، وخرج ابن أبي قطن فتسلم عسكر عبد الرحمن بن الأشعث ، وواقع شبيباً ، وهو في مائة وأحد وثمانين ، فترجَّل عثمان وكان على ميسرته عقيل بن شداد السَّلولي فجعل يقول :

لأضربنَّ بالحسام الباتِرِ ضَرْبَ شجاعٍ بطلٍ مُعَاوِرِ

فحمل عليه شبيب فقتله ، ووقع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في نهر جولايا ، فدفع إليه رمح فتعلق به ، وقال له محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الحنفي : اركب . فقال : أينا الرِّدفُ ؟ . فبلغ الحجاج فقال : أنخوةٌ وهو منهزم ؟

وظهر شبيب عليهم ، فأمر برفع السيف ، ودعا إلى البيعة فبايعة قوم من الرجَّالة ، وقُتل من كِنْدَةَ يومئذ مائة وعشرون ومن سائر الناس ألفٌ ، وقُتل عثمان بن قطن ، قتله مصاد أخو شبيب ثم أتى شبيب سفح ساتيدما[1] فقتل قوماً من بكر بن وائل لم يتبعوه ، ثم أتى المدائن فناظر حذيفة بن اليمان فقال الحجاج لمن قبله : والله لتقاتلنَّ عن فيئكم أو لأبعثنَّ إلى قومٍ هُمْ أَسْمَعُ وأَطْوعُ وأصبر على اللَّأواء منكم ، فليقاتلنَّ عدوَّكم وليأكلنَّ فيئكُم .

---

١ ـ جبل ساتيدما ميافارقين وسعرت قرب أرزن . معجم البلدان .

فقام زهرة بن حْويَّة التميمي فقال : إني كبير السنّ ضعيف ، ولكن أبْعثُ رجلاً ، وأكون معه وأشيرُ عليه ، فقال الحجاج : جزاك الله خيراً عن أوَّل أمرك وآخره .

وكان زهرة ممن شهد القادسية ، فكتب إلى عبد الملك يخبره أنَّ أهل الكوفة قد عجزوا وضعفوا عن شبيب ، ويسأله أن يبعث إليه رجلاً ذا شجاعة ونصيحة ، فوجَّه إليه سُفيان بن الأبرد الكلبي في أربعة آلاف ، وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ألفين ، ويزيد بن هبيرة المحاربي معهما ، وبعث الحجاج قبل قدومهم إلى عتاب بن ورقاء الرِّياحي وهو مع المهلب ، فقدم عليه فجعله على أهل الكوفة وضمَّ إليه زهرة بن حُويَّة .

وكان بشر بن مروان وجَّه عتَّاباً إلى المهلب وهو بالأهواز فحارب قطري بن الفجاءة ، وأتى شبيب بَهْرَسير[1] فنزل مدينتها ، وبعث إليه مطرف بن المغيرة أن ابعث إليَّ من أُناظره فكان من أمره ما كان مما قد ذكرناه في كِتابنا هذا .

ووجَّه الحجاج عَتَّاب بن ورقاء ، وشبيب يومئذٍ في ستمائة فواقعه عتّاب فقاتل وصبر فقُتل عتاب ، قتله رجل يقال له عمرو بن عبد عمرو من بني تغلب ويقال الفضل بن عامر الشيباني ويقال عامر بن عمرو ، ووطىء زُهرة بن حوية فجعل يذب بسيفه وهو شيخ ضعيف البصر لا يستطيع القيام ، فجاء الفضل بن عامر الشيباني فقتله وذلك بسوق حكمة على ستة فراسخ من المدائن ، فلما رأى شبيب زُهرة قال : لئن كنت قُتِلتَ ضالاً لَرُبَّ

١ - بهرسير : من نواحي سواد بغداد قرب المدائن . معجم البلدان .

يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك ، ولرب خيل للمشركين قد هزمتها ، وسريَّةٍ لهم قد ذعرتها .

واستمكن شبيب من أهل العسكر فقال : ارفعوا عنهم السيف ، ودعاهم إلى البيعة فبايعوه ثم هربوا من تحت ليلتهم ، ودخل سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الكوفة فيمن معهما .

وخطب الحجاج أهل الكوفة فقال : لا أَعز الله من أراد العزَّ بكم ، لا تشهدوا معنا قتال عدونا والحقوا بالنصارى واليهود .

وأقبل شبيب إلى الكوفة فقتل عامل سوراء[1] ، وأخذ ما كان عنده من المال ، وزحف إليه الحجاج نفسه ومعه سفيان بن الأبرد ، فجعل أهل الكوفة يقولون :

دبـــوا دبيبـــا واحـــذروا شـــبيبـاً

وسار شبيب إلى السبخة فوجَّه إليه الحجاج غلماناً له فقتلهم ، ووجه إليه عُمارة الطويل فاستعلى عليه ، فقال شبيب : قاتلني رجل ما أُحسبه ولا أراه إلا طويل بني المجنون .

وأخذ أهل الكوفة بأفواه السكك وأشرعوا الرماح في وجوههم ، وقاتل خالد بن عتّاب بن ورقاء الَخوارج فقتل مصاد أخا شبيب وجهيزة أم شبيب وكانت قد قاتلت قتالاً شديداً ، وقال الناس :

أُمُّ شبيب وَلَـدَتْ شبيبـاً هَـلْ تَلِدُ الذِّيْبَـةُ إلا ذِيْبَـاً

---

١ ـ سوراء : موضع إلى جانب بغداد . معجم البلدان .

وقُتلت غزالة واحتز رأسها فقال الحجاج : والله ما قوتل شبيب قبل يومه هذا وَمَرَّتِهِ هذه .

وهرب شبيب فبعث الحجاج في إثره حبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ثلاثة آلاف من أهل الشام فقاتله بالأنبار حتى كره بعضهم بعضاً .

وأتى شبيب واسطاً من ناحية أرض جوخى ، ثم أتى الأهواز وتجاوزها إلى فارس حتى إذا قوي واستراش عاد إلى الأهواز فلقيه سفيان بن الأبرد وحبيب والشاميون عند جسر دجيل بالأهواز ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى اضطر الخوارج إلى الجسر فلم يجدوا عنه مَحِيصاً ، فلما انتهى شبيب إلى الجسر نزل ونزل معه مائة فقاتل أشد قتال ، فلما رأى سفيان صعوبة أمرهم أمر الرماة فرشقوهم بالنبل ، وكرَّ شبيب على الرماة فصرع منهم أكثر من ثلاثين ، ثم قال لأصحابه : اعبروا رحمكم الله . وقدَّمهم وبقي في أخريات الناس .

ورأى فرسُهُ رمكة[١] بعض أصحابه فتحصَّن[٢] فزلَّت رجلُ فرسه فسقط في الماء وهو يقول : ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾[٣] .

ويقال إنه لما قاتلهم قال لأصحابه في المساء : قد انصرف عنكم عدوكم فاعبروا بنا فإذا أصبحنا قاتلناهم ، ومرَّ وهو يركض فلما سار في وسط الجسر قطعه قوم من بني شيبان كانوا حقدوا عليه قتل من قتل في ساتيدما ، فغرق .

١ ـ الرمكة : الفرس الأنثى والبرذونة تتخذ للنسل . القاموس .
٢ ـ أحصن : تزوج ، والمحصن : الفرس الذكر والمقصود أن حصانه أراد أن ينزو . القاموس .
٣ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٤٢ .

ويقال إنه لما حجز بينهم الليل عبر شبيب الجسر ، وبصر بهم قوم من أصحاب سفيان فقطعوا الجسر فماج بهم فغرق شبيب وجماعة معه ، قالوا : فأمر سفيان فاستخرج شبيب بالشِّباك وشُقَّ بطنه فوجِد قلبه كأنه صخرة يُضرب به الأرض فلا يثبتُ وينبو عنها نُبُوَّ الحجر ، وكان غرقه ليلاً . والشراة يقولون كان على قلبه شعر وذلك باطل .

وقال معمر بن المثنى : خرج شبيب في أيام بشر بن مروان حين قُتل صالح بن مُسرّح ، وكان معه فلم يزل يتنقّل في جوخى حتى ولي الحجاج فبعث إليه عبيد بن المخارق القيني من أهل الشام ، فهزمه شبيب ، ثم بعث إليه زحر بن قيس فهزم أصحابه وارتثَّ وبه ثلاثون طعنة ، وضربه حتى حُمل في القطن ، ثم بعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهزمه ، ثم عتَّاباً فقتله ، ثم الجُزَل الكندي فقتله ، ثم بعث إليه زياد بن عمرو العتكي فانهزم ، ثم بعث محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله فقتله ، فقال قطري حين بلغه أَمْرُ شبيب : إن الله قد قَيَّض للفاسق أخي ثمود رجلاً من الصُّفرية قد أشجاه ، والله ما نُبالي بأي الفريقين كان الفتح .

ووجه الحجاج إلى شبيب يزيد بن هبيرة المحاربي فهزمه .

وحدثني العُمري عن الهيثم بن عدي عن عوانة وابن عياش وغيرهما قالوا : لما قُتل صالح بن مُسرَّح وبويع شبيب بعده في ولاية بشر ، بعث إليه بشر خيلاً فَفَضَّها ، ومكث شبيب ينتقل بجوخى والسَّواد سنة ، ثم وجَّه الحجاج إليه عُبيد بن أبي المُخارق القيني فهزمه شبيب ، ثم وجَّه إليه يزيد بن هُبَيْرَة المُحاربي فهزمه ، ثم بعث إليه زحر بن قيس الجُعفي فهزمه وارتثَّ وبه ضربات وطعنات وكان يحمل في القُطن وكانت ضربة منها قد فلقت عينه ،

فقال الحجاج : من أَحبَّ أن ينظر إلى الشهيد الحيّ فلينظر إلى زحر بن قيس .

ثم بعث عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهزمه ، ثم بعث عتّاب بن ورقاء فلقيه بالفلوجة فقتله شبيب ، ثم بعث إليه الجُزل الكندي فوجّه إليه شبيب المهذّب السكوني والبُطين الشيباني فقال شاعر أهل العراق :

جاؤوا بشَيُخهِمُ وجئنا بالجُزَلْ شَيخاً إذا ما عَايَنَ الموتَ نَزَلْ

فقُتل الجزل ، ثم بعث إليه عثمان بن قَطَن الحارثي فقتله شبيب ، ثم بعث إليه طهمان مولى آل عُقْبَةُ بن أبي مُعيط بن أبي عَمْرو بن أُمية .

وقال غير الهيثم : هو مولى عثمان.وكان على فرس للحجاج فشَدّ عليه شبيب وهو يظنه الحجاج فقتله .

ثم بعث إليه أبا الورد مولاه فقتله ثم بعث إليه زياد بن عمرو العتكي فصابَرَهُ يوماً وليلة ثم انهزم زياد ، ومع زياد يومئذٍ النَّضْر بن القعقاع بن شَوْرِ الذُّهْلي . فلما رآه شبيب منهزماً كفَّ عن جري فرسه ليدٍ كانت لأبيه عنده ، ثم قال : أَيَا نَضْر ، لا حُكْمَ إلا الله ، قُلْهَا لتنجو ، فقال الخوارج : أَتعصباً في دين الله ؟ قال : لا ، ثم حمل على النضر فقتله .

ثم بعث إليه محمد بن موسىٰ بن طلحة بن عبيد الله فقتله شبيب ، ثم بعث إليه أبا الضُّرَيس مولى تميم فقتله .

ومكث شبيب أربع سنين ، ثم ضرب الحجاج البعث على أهل الكوفة ، وخرج حتى عسكر بالسُّبْخَة ، وجعل شبيب يتنقل فيما بين السَّواد والجبل ، وبعث إليه الحجاج عبدالله بن زُمَيْت فلما شعر الحجاج وهو في

عسكره بالسَّبْخَة إلا وقد أقبلَ شبيب ، وقد سَبَقَ أصحابَه في ثلاثين فارساً ، ففرقهم في نواحي عسكر الحجاج ثم حَكَّموا ، فانذعر الناس ودخل عامتهم الكوفة ، وقُتل من أصحاب الحجاج نحوٌ من مائة وثلاثين ، ولم يُقتل من أصحاب شبيب إلاّ رجلان .

ثم انصرف شبيب فلقي أصحابه على الطريق فردَّهُم ، ثم أقبل فأتى الفلوجة فأقام بها خمس عشرة ليلة ، ثم أتى كُوثىٰ ، فبعث إليه الحجاج علقمة بن عبد الرحمن الحكَمي فكَسَرَهُ ثم انحاز إلى الأنبار وكتب الحجاج إلى عبد الملك : «الغوثَ الغوثَ يا أميرَ المؤمنين ، وَجِّهْ إليَّ أهلَ الشام فإنه لا غَنَاء عند أهل الكوفة» . فبعث إليه أربعة آلاف رجل فقدموا عليه وشبيب بالأنبار ، فقال شبيب : لنَذْعَرَنَّ ابن أبي رغال . فأقبلَ وقد قَرَّطَ[1] فرسه عِنَانَه ، وقَرَّط الخوارج خيلهم أعِنَّتَهَا حتى دخلوا الكوفة ليلاً بعدما صُلِّيَتِ العِشَاء الأخيرة ومعه مائة وخمسون رجلاً ، ومعه جَهِيْزَة امرأته وغزالة أمه وكانت من سبي أصبهان ، وفي المسجد أصحاب الأساطين والبرانس يُصَلون والأحراس في السِّكَك ، فقال شبيب لأصحابه : لِيَقم علىٰ كلِّ باب رجلان فلا يَمُرُّ بهما أحدٌ إلاّ قتلاه ، وقال لأمِّهِ وامرأتِهِ : اقعدا على المنبر لا تُصِبْكُمَا مَعَرَّةٌ .

ثم اعترض من في المسجد فَقُتلوا ، وقَتَل أصحابُه من شَدَّ فأراد الخروج وقُتِلَ أبو سليم ، وهو أبو ليث بن أبي سليم المُحَدِّثِ في عدَّة من النُسَّاك .

---

١ ـ قرط الفرس : ألجمها ، أو جعل أعنتها وراء آذانها عند طرح اللجم . القاموس

وطلبَ حَوْشَب بن يزيد فاستخفىٰ ، وأُخذ ميمون العذاب مولىٰ حَوْشب بن يزيد بن رُوَيْم الشيباني ، وكان حوشب يومئذٍ على الشرطة والاستخراج ، وميمون خليفته على الاستخراج وطلب حوشباً فلزم منزله ولم يبرح ، وجعل أصحاب شبيب يضربون باب القصر ويقولون : يا عدو الله ، يا بنِ أبي رغال ، يا أخا ثمود ، أخرج . ففي ذلك يقول وُصَيلة بن عُتْبَان الشيباني :

لَعَمْري لقد نادىٰ شبيبٌ وصَحْبُهُ ... علىٰ الباب لَوْ أَنَّ الأميرَ يُجيبُ
فَأَبلَغْ أَمِيرَ المؤمنـينَ رسالـةً ... وذو النُّصْحِ لَوْ تُصْغِي إليه قَرِيْبُ
أَتَذْكُرُ إِذْ دارتْ عليكَ رِمَاحُنَا ... بِمَسْكَنَ والكلبيُّ ثَمَّ غَرِيْبُ
فلا صُلْحَ مَادامتْ منابِرُ أَرْضِنَا ... يقومُ عليها مِنْ ثَقيف خطَيبُ
فإنَّك إلاَّ تُرْضِ بَكْرَ بن وائلٍ ... يَكُنْ لكَ يومٌ بالعراق عَصِيْبُ
فَلا ضَيْرَ إنْ كانت قريشٌ عِدَىً لنا ... يُصِيْبُـونَ مِنَّا مَـرَّةً وَنُصْيبُ
فإن يَكُ منهم كان مروانُ وَابْنُهُ ... وعَمروٌ ، ومنهم هاشمٌ ، وحبيبُ
فمنَّا سويدٌ والبُطَيْنُ وقَعْنَبٌ ... ومنَّـا أمـيرُ المؤمنـينَ شبيبُ
غزالةُ ذاتُ النَّذْرِ مِنّا حَمِيْدَةٌ ... لها في سِهَامِ المسلمينَ نَصِيْبُ

يقال إنها نذرت أن تصعد منبر الكوفة .

ومِنّا سِنَانُ الموتِ وابن عُوَيْمِرٍ ... وَمُرَّةَ فانظر أَيَّ ذاكَ تُعِيْبُ

فقال عبد الملك : كلهم والله أعيب .

فلما طلع الفجر قال شبيب لبعض أصحابه : أَذِّنْ ، فَأَذَّنَ وأقامَ ، وتقدم شبيب فصلىٰ بهم الغداة وقرأ بهم بسورة البقرة وآل عمران حتى كادت الشمس تطلع ، ثم جلس وَسْطَ المسجد ساعة وأقبلتِ الخيول فقال

لأصحابه : اركبوا . ونادىٰ منادي الحجاج : يا خيل الله اركبي . وأقبل الناس فجالدَهم شبيب وأصحابُه في المسجد ثم خرج شبيب واصحابه واتبعه الناس واضطربوا في موضع السوق ساعة ثم زاحفهم الحجاج في أربعة آلاف من أهل الشام وقال : لا يخرجنَّ من أهل الكوفة أحد إلا خالد بن عتّاب بن وَرْقاء فإنه ثائر بأبيه ، وغير جَهْم بن زحر بن قيس .

وكان الحجاج أشد الناس انقطاعاً في الحرب إنما كان مولاه أبو كعب هو الذي يأمر وينهىٰ ، فصابرهم شبيب وأصحابه يومهم الأطول في السبخة ، وكان قتيبة يومئذٍ مع الحجاج ، وأحجم الناس عن شبيب ، وعلا شبيب مَزْبَلَةً كانت هناك يشرف منها على الكوفة فجالدوه حتى أزالوه عنها ، وصاروا جميعاً بالأرض فتقاتلوا حتى كثُرت الجراح في الفريقين ، وولىٰ شبيب وأصحابه منهزمين واتَّبَعَهُم علقمة بن عبد الرحمن الحكمي وأصحابه حتى انتهوا إلى القُرْبِ من دار الرزق ، وخرج شبيب من وجهه إلى الأنبار ، فقال عبد الواحد الأزدي من الخوراج :

يا ليتَني في الخيلِ وَهِي تَدُوْسُهُم ... في السوقِ يومَ الظَّفْرِ بالحجَّاجِ
بأخي ثَمودَ وقرب ما أَخطانه ... وَلَقَدْ بَلَغْنَ العُذْرَ في الإِدْلاجِ
أَصْبَحْنَ بالأنبارِ ثُمَّ أَتَيْنَهُ ... مِثْلَ السَّعَالي تَحْتَ لَيْلٍ دَاجِ
فَبَطَحْنَ مَيْمُونَ العَذَابَ لِوَجْهِهِ ... وَتَركْنَهُ مُتَقَطِّعَ الأَوْدَاجَ
وَلَقدْ تَخَطَأَتِ المَنَايا حَوْشَباً ... فَنَجا إلىٰ أَجَلٍ ولَيْسَ بِنَاجِ[1]

وقال أسامة بن زيد الأَحْمَسي : ـ وقال بعضهم الأبيات لعمران بن حطان . فطلبَه الحجاج فهرب إلى الشام :

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٠٢ .

صَدَعَتْ غزالةُ قَلْبَهُ بكتيبةٍ تركَتْ شَراسَتَه كَأَمْسِ الدَّابِرِ
أَسَدٌ عليَّ وفي الحروبِ نَعَامَةٌ خَرْجَاءَ تَنْفُرُ مِنْ صَفِيرْ الصَّافِرِ
هَلَّا خَرَجْتَ إلى غَزَالَةَ في الوغىٰ بَلْ كانَ قلبُكَ في جَوانحِ طَائرِ
أَلْقِ السِّلاَحَ وَخُذْ وِشَاحَيْ مُعْصِرٍ واعْمَدْ لِمَنْزِلَةِ الجَبَانِ الكافرِ

فقال الحجاج : لا أمان له عندي .

وكان شبيب أصاب بجوخىٰ رَمْكَةً فحمل عليها رجلاً من أصحابه وقال : اركَبْهَا حتى يُقْسَمُ ثمنها ، فبلغ ذلك خوارج الكوفة فركب إليه مسلم بن أبي الجعد ، أخو سالم بن أبي الجعد الأشجعي ، ودجاجة الحنفي ، وكانا من رؤوس الخوارج حتى أتياه وهو بالأنبار فقالا : أعطيتَ مُسْلماً الغُلُول ، ما كان هذا من سيرة مَنْ مضى من المسلمين . فقال : إنما أعطيتُه إياها ليركبها ثم نقسم قيمتها . قالا : فلو نَفَقَتْ ، فَتُبْ فَكَرِهِ أن يتوب فيخلع . فَبَرِىء منه مُسْلِمٌ ودَجاجَةِ .

وبعث الحجاج إلى شبيب عَلقمة بن عبد الرحمن الحكمي وأمره بطلبه ، فلحقه واقتتلا يوماً وليلةً ثم وَلَّىٰ شبيب منهزماً فكان وَجْهُهُ بَادرَايَا وبَاكُسَايَا ، ثم توجه منها إلىٰ الأهواز .

ووجه الحجاج في طلبه سُفْيَانُ بن الأَبْرَدِ الكَلْبِي فطلبه حتىٰ بلغ إلى دُجَيْل الأهواز ، فأقبل شبيب نحوه وسفيان في ألفي رجل ، فلما ذهب لِيَجُوزَ إلى سُفيان أمر سُفيان بقطع جسر دجيل فاستدارت به السفن فغرقَ ، فاستخرجه سفيان بالشباك فَاحْتَزَّ رأسه ، وقُتلتْ أمُّه وامرأته وعدَّةٌ من أصحابه ، وانصرفت فرقة منهم إلى الجزيرة وتفرقت فرقةٌ في السواد .

قال الهيثم : فأخبرني مُخْبِرٌ[١] عن ابن عياش أنه حارب سفيان حتى حجز المساء بينهما ، فلما عاد سفيان إلى معسكره قال شبيب لأصحابه : اعبروا بنا ، فعبر فتحصن فرسه فسقط في دجيل فقال أصحابُه : غَرِقَ أمير المؤمنين .

ويقال : بل قطع الجسر قوم من بني بكر بن وائل وكانوا قد تبرأوا منه لما فعل بالرَّمْكَةِ التي حمل عليها صاحبه .

ويقال إنه لم يكن لهم هزيمة إلا على الجسر ، فقطعه سفيان ، فغرق شبيب ومن كان على الجسر . وقال أَيمن بن خُرَيْم في قصيدة له :

رَأيتُ غَـزَالَـةَ إذْ طَـرَّحَتْ ... بِمكَّـةَ هَـوْدَجَهـا وَالغَبيـطَا
سَمَتْ للعراقين في سَوْمِهَا ... فَلاَقىٰ العراقان منها أُطِيْطَا
أَبىٰ الجُبَنَاءُ مِنَ آهْلِ العَرِاق ... عَلىٰ الله في الحربِ إلَّا قُسُوْطَا
أَيَهْـزِمُهُمْ مـائتـا فـارسٍ ... من السَّافِكينَ الدماءَ العَبِيطَا
وخمسونَ مِنْ مَارِقَاتِ النِّساء ... يُجَرِّرْنَ للمُبْدِيَـاتِ المُرُوْطـا[٢]

في قصيدة طويلة .

وقال أعشىٰ بني أبي ربيعة :

صُبَّ أبو يحيىٰ علىٰ كُل مَارِقٍ ... كَمَا صَبَّ بَزْيَارٌ[٣] علىٰ صَيْدِهِ صَقْرَا
أَلاَ انْظُرْ هَدَاكَ الله في شَأْنِ حَاجَتِي ... فَمِثْلُكَ أَعطىٰ الخيرِ واحْتَسَبَ الأَجْرَا

١ ـ بهامش الأصل : غير واحد .
٢ ـ لم يرد هذا البيت في نسخة الأصل .
٣ ـ البازيار : مدرب البزاة .

وقال المدائني : دخل شبيب الكوفة ثلاث مرات ، واجتمع له ستمائة رجل فأتىٰ منبج وَذَعَرَ أهل الشام ، وأتى أرمينية .

ورثىٰ الفرزدق محمد بن موسىٰ بن طلحة فقال :

وإذا ذكرتُكَ يَا بن موسىٰ أَسْبَلَتْ عَيْنِيْ بدِمْعٍ دائِمِ الهَمَـلَانِ
مَا كُنتُ أبكي الهالِكِيْنَ لِفَقْدِهِم ولقد بَكَيْتُ وَعَزَّ ما أبكاني[1]

وقال أعشىٰ همدان[2] :

أَعَيْنَيَّ مَا بَعْدَ ابنِ موسىٰ ذخيرةً فَجُوْدَا إِذَا أَبْعَدْتُما الدَّمْعَ بالدَّمِ

قال : وولىٰ الخوارج بعد شبيب : البُطَيْنَ ، فَغَلَبَ علىٰ سوقِ الأهواز فسار سفيان إلى البطين فقاتله أياماً فطلب أصحابه الأمان فَأَمَّنَهُمْ وتفرقوا ، وهرب البطين فظفَر به الحجاج بعد ذلك فقتله في دار قومه فقال جرير :

قَدْ نُصِرَ الحجاجُ والله نَصَرْ أَخْزَىٰ شَبيباً والبُطَيْنْ إِذْ كَفَرْ[3]

وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنىٰ : لما صعدتْ غزالة منبر الكوفة قال أيمن بن خُرَيْم بن فَاتِكٍ الأَسَدِي :

أبىٰ الجبناءِ مِنَ أَهْلِ العراقِ على الله والناسِ إلَّا قُسُوْطَا
أَيَهْـزِمُـهُـم مئتـا فـارسٍ مِنَ السَّافِكِينَ الدِّمَاءَ العَبِيْطَا
وخَمْسُونَ مِنْ مَارِقَاتِ النِّسَاء يُجَرِّرْنَ للمبديـات المُـرُوطـا
وَهُمْ مائتا أَلْفِ ذي قونسٍ[4] يَئطُّ العِـرَاقَانِ منهـا أَطِيْـطَا

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٢٥ .
٢ - كذا وهو للفرزدق كما سيمر بعد قليل .
٣ - ليس في ديوان جرير المطبوع .
٤ - القونس : أعلى الرأس . القاموس .

رأيتُ غَـزَالَـةَ إذْ طَـرَّحَتْ بمَكَّـةَ هَـوْدَجَهـا والغَبِيْـطَا
سَمَتْ للعِرَاقَيْنِ في سَوْمِهَا فَلاقَى العراقان منها البَطِيْطَا[1]
ألا يتَّقي اللهَ أهلُ العراق إذَا قَلَّدُوا الغانياتِ السُّمُوطا
وخَيْـلُ غـزالَـةَ تَعْتَـامُهُم فَتَقْتِل مَنْ كانَ مِنْهُم وَسِيْطَا
وخَيْلُ غزالة تَحْوي النِّهَاب وتَسْبي السَّبايا وتَجْبِي النَّبِيْطا
وتَحْجُرُهُم في حِجَالِ النساء كما تَحْجُرُ الحَيَّةُ العَضْرَ فُوْطَا[2]
وقد قال أهل الوفاء اهبطوا نُقَاتِلْ فَلَمْ يَسْتَطِيْعوا هُبُوطَا
من الغِشِّ إمَّا شقَاقُ الأمير وإما نِفَاقاً وإمَّا قُنُوطا
ولكنهم يَمْنَعُونَ الفِرَارَ إذا ما غزالةُ غَطَّتْ غَطِيْطَا
كَأَنَّهُمْ في الصُّعُودِ الكَؤُود نَعَامٌ نَوافِرُ لاقَتْ حَطُوطا
أقامَتْ غَزالةُ سُوْقَ الضِّراب لأهْلِ العِراقين حَوْلاً قَمِيطا
وَأَنْتُم دَبَا الأرضِ عِنْدَ العَطَاء وفي الحرب تَأبونَ إلا شُطوطا
أَهَابُوا غزالةَ أَمْ قَدْ رَضَوْا غزالةَ إذْ خالَطُوها خليطا

في أبيات .

وقال عبيدة : قال حبيبُ بن حَذْرَةَ في قَتْلِ عَتّاب بن ورقاء :

أَلْوَتْ لِعَتّابٍ شوازِبُ[3] خَيْلِنَا ثُمَّ انْثَنَتْ لكتائب الحجاج
لأخي ثَمودَ فَرُبَّما أَخْطَأْنَهُ ولقد بَلَغْنَ العُذْرَ في الإدلاج

---

١ ـ بهامش الأصل : أمربطيط ، أي عظيم .
٢ ـ من دواب الجن وركائبهم . القاموس .
٣ ـ الشوازب : الضمر . القاموس .

حتى تَرَكْنَ أخا الضَّلَالِ مُسَهَّداً مُـتَـمَـنَّـعـاً بـحـوائطٍ ورِتَـاج
وَلَعَمْـرِ أُمِّ العَبْدِ لـو أَدْرَكْنَـهُ لَسَقَيْنَـهُ صِرْفاً بِغَـيْرِ مِـزَاج
ولقـد تَخَطَّأَتِ المَنَايَا حَـوْشَبَـاً فَنَجَا إلى أَجَلٍ وليسَ بِنَاجِ [1]

قال أبو عبيدة : وجَّه عبدالملك بن مروان محمد بن موسى بن طلحة بن عبيدالله أميراً على سجستان ، فمر بالكوفة فقال له الحجاج : إن هذا المارق قد أفسد البلاد وأخافَ السُّبُلِ وهو بالأهواز ، فقاتِلْهُ لعل الله يُظْفِرُكَ به فيكونُ أَجْرُ ذلك وذُخْرُهُ لكَ ، ثم تَسِيْرُ إلى عملك .

فمضى محمد إلى الأهواز وسار إلى شبيب فقال له شبيب : لا يَغُرَّنَكَ هذا العبد من نفسك ، فامْضِ لشأنِكَ وما بُعِثْتَ له ، فأبى إلا مباكرته بالقتال فقال شبيب : لا يَدَعُهُ صَلَفُهُ وعَجَبُهُ حتى يحارب .

فأمر البُطَين بالخروج إليه فخرج ، فقال له : قل لشبيب فليبارزني ، فبرز له شبيب فتجاولا ساعة لا يقدر أحدهما على صاحبه ، ثم إنّ محمداً غَفَلَ غَفْلَةً فضربه شبيب بعمودٍ على بيضته فهشم رأسه في البيضة ، وانهزم عسكر محمدٍ ، وأمر شبيب بالكفِّ عنهم . فقال الفرزدق يرثي محمد بن موسى :

نامَ الخَلِيُّ وَمَا أُغَمِّضُ ساعَـةً أَرَقاً وهاجَ الشوقُ لي أَحزاني
فإذا ذَكَرْتُكَ يا بن موسىٰ أسبلتْ عَيني بـدمـعٍ دائم الهَمَـلَانِ
ما كنتُ أبكي الهالِكِيْنَ لفَقْدِهِم ولقـد بكيتُ وَعَزَّ مـا أَبْكَاني
لا حَيَّ بَعْدَكَ يا بن موسىٰ فِيْهُمُ يَـرْجُـونَـهُ لِنـوائِبِ الحَـدَثـانِ
أَوْدَى ابنُ موسى والمكارمُ والندىٰ والعِـزُّ عنـد تحفظ السـلطانِ

---

١ - ديوان شعر الخوارج ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

جُمِعَ ابنُ موسى، والمكارمُ والندىٰ   في القَبْرِ بَيْنَ سبائب الكُتَّانِ
ما كانَ فيهمْ بَعْدَ طلحةَ مِثْلُهُ   لِلسَّائلينَ ولا لِيَوْمِ طِعَانِ
ولئِنْ جيادَك يا بن موسى أصبحتْ   مِلْسُ الظُّهُورِ يُجلْنَ في الأشطانِ
لَبِها[١] تُقَادُ إلى العدوِّ ضوامراً   جُرْدَاً مُجَنَّبَةً مَعَ الرُّكْبَانِ[٢]

وقال الفرزدق :

أعَيْنَيَّ ما بعدَ ابنِ موسى ذخيرةً   فَجُودَا إذا أَنْفَدْتُما الدمع بالدم
وَهِيْجَا إذا نامَ الخَلِيُّ وأَسْعِدَا   عليهِ بِنَوْحٍ منكما كُلَّ مَأْتَمِ
كـريمٌ رأىٰ أن الحيـاةَ قليلةٌ   وأَنَّ المنايا تَرْتقِي كُلَّ سُلَّمِ[٣]

في أبيات .

وقال رجلٌ من بَجِيْلَة :

قَتَلْنا شبيباً واسْتَلَبْنا عُقَابَهُ   وأَقْلَتَنا فَوْتُ الرماح بُطَينُ

وقال بعض بني عُذْرَة :

لاقيْتَ مِنّا يا شبيبُ خَادِرَاً   وَفِتْيَةً يَهْدُونَ موتاً حاضرا
يُزْجَىٰ إليكَ رائِحاً وَبَاكِرَا   ضَرْبَاً هذاذيك وموتاً فاقرا[٤]

حدثني أبو مسعود القَتّات عن ابن كناسة عن أبيه ، أن قوماً من الخوارج تجمعوا والحجاج بواسط ، وعلى شرطة الكوفة حَوْشَب بنُ يزيد بنُ رويم الشيباني ، ودخلوا الكوفة فأخذوا على أهلها بأفواه السكك مما يلي

---

١ ـ بهامش الأصل : لهما .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص ٣٢٥ .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص ٢٥٣ مع فوارق .
٤ ـ الفاقرة : الداهية وهذاذيك : قطعاً بعد قطع . القاموس .

الحيرة ، فقال إياس بن حصين بن زياد بن عُقفان بن سويد بن خالد بن أسامة بن العَنْبَر بن يَربوع بن حَنْظَلَةَ ، لبنيه وقومه : ليخرج إلى هؤلاء الخوارج عُدَّتُهم منكم . فخرجوا فقتلوا الخوارج إلا مَنْ هربَ منهم ، وبلغ الخبر الحجاج فَفَرَضَ لهم في ثلاثمائة . فقال :

ما في ثلاثٍ ما يُجَهِّزْنَ غازياً وَلاَ فِي ثـلاثٍ مُتْعَـةٌ لفقـير

فقال الحجاج : افرضوا له في شرف العطاء ؛ ففرضوا له في ألفين .

أمر أبي زياد المرادي

قال الهيثم : لما قُتل شبيب خرج أبو زياد ، وهو رجل من مُراد ، وكان بِنَهْرِ الملكُ من السَّواد فخرج بجوخىٰ ، وكان الجَرَّاحُ بن عبدالله الحَكَمِي يومئذ ببابل والفَلُّوجَتَيْنِ ، فبعثه الحجاج على محاربته في ثمانمائة فلما تواقفا قال الجراح لأصحابه : الأرضَ . فقال أبو زياد : نحن والله أَوْلىٰ بالأرض والصبر منكم يا فَسَقَةُ ، فعَرقَبَتِ الخوارج دوابهم ، فلما رأى الجراح ذلك قال لأصحابه : موتوا يا بَنِي الحرائر ، ثم شَدُّوا عليهم فقتلوهم جميعاً . وتَمَثَّل الجراح :

قالوا الركوبُ فقلنا تلك عادتُنا أَوِ النـزولُ فـإنَّـا مَعْشَرٌ نُـزُلُ

أمر أبي معبد الشني من عبد القيس

قالوا : ثم خرج بعد أبي زياد المرادي رجل من عَبْدِ القَيْس يُقَالُ له أبو مَعْبَد ، قدم من ناحية البحرين ، وكان خروجه بموقوع[١] ، فبعث إليه الحكم بن أيوب خليفةُ الحجاج على البصرة الشُّرطَ فقُتِلَ هو وأصحابُه .

قال أبو الحسن المدائني : يقال كان خروج أبي معبد في أيام عبد الملك ، ويقال في أيام الوليد بن عبد الملك .

وقال أبو الحسن المدائني : قال بعض الشُّرَطِ : مَا لَنَا والخوارج ؟ فقال له بعضُهم : وما لنا لا نقاتلهم ؟ أَلَيْسَتْ أعطياتنا دَارَّةً علينا ؟ فقال عمران بن حِطَّان :

فلو بُعِثَتْ بَعْضُ اليهودِ عَلَيْهُم ... يؤمّهم أو بَعْضُ مَنْ تَنَصَّرا
لقالوا رَضْينَا إنْ أَقَمْتَ عَطاءَنا ... وأجريتَ ذاكَ الفَرْضَ مِنْ بُرٍّ كَسْكَرَا[٢]

١ ـ موقوع : ماء بناحية البصرة . معجم البلدان .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ١٧٥ ، وجاء بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث ، ولله كل حمد .

خبر المُصَلّ الطائي

قال الهيثم بن عدي : لما هرب الناس من الحجاج أيام الجماجم ، تَجَمَّع ناسٌ من الخوراج بالفلوجة ، فقال رجل من جَديلة طِيءْ يقال له المصل : لولا مكان ابنتي هذه لَسَرَيْتُ إلىٰ سيف بن هانىء وكان سيف على جوخَى وجولايا في رابطهِ أُعِدُّوا للخوارج تَدْفَعُهُم عن الناس ، فقال له رجل من الخوارج : هيَ مع بناتي لا يَسَعُني بيتي وَيَعْجَزُ عنها .

قال : فاشترى حماراً ، وأعطي نفقته ، فخرج إلى راذان فرآه سيف في الصف الأول وعليه أطمار فاستراب به فقال لأصحابه : خذوه حتى أصلي . وفُتِّشَ فَوُجِدَ معه خنجر فضرب سيف عنقه وصلبه . ولما قُدِّمَ للقتل قال : الحمد لله لا حُكْمَ إلاّ لله ثم أنشد :

يا لَهْفَ نَفسي على سيفٍ وشيعتِهِ   لو كنتُ أُلحقْتُ سَيفاً بالخَبِيْثينَا
أَبْرَا إلى الله من سيفٍ وشيعتِهِ   ومِنْ عليٍّ ومِنْ أصحابِ صِفِّيْنَا
ومن معاوية الغاوي وشيعتِهِ   أخزىٰ إلهُ الورىٰ تلكَ العَتَانينا

خبر خارجي من عبد القيس بالبحرين

قال علي بن محمد أبو الحسن المدائني : خرج رجل من بني مُحارِب بن عمرو بن وديعة بن لُكَيْز بن أَفْصَى بن عبدالقيس بالبحرين على محمد بن صعصعة ، في سنة ثمان وسبعين ، قَبْلَ أنْ يُقْتَلَ قَطري ، فكتب الحجاج إلى عبدالملك : «إنَّ قطرياً قد شَغَلَ مَنْ قِبَلِي من المقاتلة ، فإنْ رأى أمير المؤمنين أنْ يكتب إلى ابراهيم بن عربي في أمر هذا الخارجي» ، فكَتَب إلى إبراهيم وهو باليمامة : «أنْ سِرْ إلى البحرين ، فإنْ ظَفَرْتَ بالمحاربي فلا تَقْتِلْهُ وأَحسِنْ إليه ، واحْفَظْ له بَلاءَهُ ، عند أمير المؤمنين مروان ، فإنه لجأ إليهم يوم الجَمَلِ ، ثم تحولْ إلى بني هُميم» .

فخرج ابراهيم إلى البحرين في أَلْفَيْنِ فهزَمَ الخوارج وتفرقوا ، ورجع ابراهيم إلى اليمامة .

أمر الرَّيَانِ النُكْرِي

قال أبو الحسن : وخرج بعد هذا المحاربي على محمد بن صعصعة الكلابي : رَيَّان النكري ، نُكْرَةَ بني لُكَيْز بن أفصىٰ سنة سبع وسبعين على فراسخ من سوق الخط [١] . وقَدِمَ ميمون الخارجي من عُمَانِ في أصحابه فنزلوا دارين [٢] ، فكتب إليه الريّان أن أَقْبِلْ إليَّ . فصارَ ميمون إلى الزارة [٣] ، وأَتَاهُ الريان ، فَنَدَبَ محمد بن صعصعة الناس ، فأبطأ عنه العَبْدِيُّون ، وأتاه قوم من أهل الخط فَوَجَّهَ الى الخوارج رجلاً من الأَزْدِ . ويقال وجه إليهم عبدالله بن عبدالملك العُوذِي ، فهزمهم الخوارج وقتلوا أميرهم ، ورجع الفَلُّ إلى محمد بن صعصعة ، فخافَهُم محمد ولم يكُنْ معه جندٌ سِواهُم .

---

١ ـ الخط : خط عمان ، وهو سيف البحر ، خط عبدالقيس بالبحرين ، وهو كثير النخل ، وهو المراد هنا. معجم البلدان .

٢ ـ دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند . معجم البلدان .

٣ ـ الزارة : قرية كبيرة بالبحرين . معجم البلدان .

وخذله العبديون فخرج من البحرين ، وأقام ميمون بالبحرين أربعين يوماً ، ثم انصرف إلى عُمان ، وأقام الريان بالزارة .

وبلغ الحجاجَ الخبر فبعثَ يزيدَ بن أبي كبشة السَّكْسَكي وهو يزيد بن حيويل بن يَسَار بن حَيٍّ بن قَرْط بن شِبْل بن المقلد ، مَدَداً لمحمد بن صعصعة ، فسار يزيدِ وقَدِمَ محمد على الحجاج فَهَمَّ بقتله فقال : إنّ الناس خذلوني ولم يكن معي أحدٌ مِنْ أهل الشام ، وانهزمَ مَنْ وَجَّهْتُ إلى الخوارج وَفَرُّوا عن أميرهم حتى قُتِلَ ، فحبسه في السجن حتى مات .

وقدم يزيد بن أبي كبشة البحرين في اثني عشر ألفاً ، وكان الريان في ألفٍ وخمسمائة فالتقوا ، وقُتِلَ الريان وهُزِمَ أصحابهُ ، وأُسِرَ منهم أسرى فقتلهم يزيد وصلبهم ، وصلب الريان ، وكتب الى الحجاج بالفتح وبعث بالرؤوس ، فَوَلّى الحجاج زياد بن الربيع بن زياد على البحرين ، وقَدِمَ ابن أبي كبشة والشاميون على الحجاج .

أمر داود بن محرز العَبْقَسي

قال أبو الحسن : وخرج داود بن محرز أحد بني عبدالقيس ومعه جماعة ، فأنزلوا الريان وأصحابه ودفنوهم وأعانهم أهل البحرين على إنزالهم ودفنهم ، ثم أقام داود بالقطيف فلقيه أبو الفضل خليفةُ أبي البهاء صاحب الشرطة فَهَزَمَ داود أبا الفضل ، فخرج إليهم أبو الحر عبدالرحمن بن النعمان العوذي ، من الأزْد ثم من بني عوذ بن مَسْـود بن الحجر بن عمران ، أخوة زهران بن الحجر ، فقاتَلَهُمْ في سوق القطيف في موقف الإبل وهو يرعى المراغة [1] ، فعُقِرَ بعبدالرحمن فَحَمَاهُ ابنُ عمه عَنْبَسَة بن عبدالرحمن ، وتحاجزوا فلما أصبحوا اجتمع الناس وكُثروا فقُتل الخوارج .

وكان أهل بيت عبدالرحمن قوم لهم نيةٌ في قتل الخوارج فَقَدْ لَقوهم مراراً ، فقال أبو البهاء في فرار خليفته :

١ ـ المراغة : الروضة ، أو الكثيرة النبات . القاموس .

لـولا أبو الحُـرِّ ولولا عَنْبَسَـة أَوْدَى أبو الفضل وخَلَّ الطَّنْفُسَه
وَلَّى حثيثاً وهو يغزو الكَعْنَشَه [١] إذْ كَثُرَتْ تحتَ السيوف الوَسْوَسَه

وغضب الحجاج على أهل البحرين ، وأَخَذَ عَمّ عبدالله بن سَوَّار العبدي وكان يقال له عميرة بن حصين ، وقال : لعن الله عبدالقيس قبيلتك فإنما أنتم لصٌّ أو خارجي أو نصراني فمر به زاني فقطع يده ، وأخذ يزيد بن الفضل فحبسه في قصر المُسَيَّرين .

وذكر بشر بن عاصم الليثي الخوارج فشتمهم ، فسمعه رجل منهم ، فمكث أياماً ثم أتاه فقال له : أَصِبْ لي سيفاً قاطعاً .

وكان لبشر غلام صَيْقَلِي ، ويقال عدة غلمانٍ صياقِلة ، فاشترى له من بعضهم سيفاً فتناوله الخارجي وهزَّه ثم قال لبشر : كيف ترى هذا في هامَةِ الشيخ الكافر ؟ فوقَعَ في نفس بشر إنه أراده لِعَيْبِهِ الخوارج وشتْمِهِ إيَّاهُم . فقال : أرى فيه شيئاً يحتاج إلى إصلاحه فَنَاوِلْنِيْهِ . فلما أخذه أدخله في غمده ودخل البيت هارباً من الخارجي ، ثم ألقى إليه بسيفه فأخذه الخارجي وقال : أَوْلَى لك ، وحَكَّمَ على الناس وهو يقول :

وأَبْيَضُ من سر الحديدة صارمٌ يخـبره اللَّيْثِيُّ بشْرُ بن عـاصم
أَقُودُ جِيادَ الخَيْلِ قُبَّاً بُـطونُهَا أُرجِيِّ ثَوَابَ اللَّهِ يَوْمَ التَّخَاصُمِ
إلى ابنِ زيادٍ خَيَّبَ الله سَعْيَهُ إلى شَرِّ والٍ من مَعَدٍّ وحاكِمِ [٢]

---

١ ـ تكعنش الطائر : نشب في الشبكة ، وفي الشيء غرق . القاموس .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٠٤ .

خبر الخَطَّار النمري من النمر بن قاسط

قالوا : وخرج الخطار النمري ، وكان نصرانياً فأسلم ، ودعته الخوارج فأجابها ، وخرج على سفيان بن هانىء الهمداني ، فحاربه سفيان فقتله وأصحابه ، فقال سلامة بن عامر القشيري :

ألا خَبِّراني باركَ الله فيكما ... متىٰ العَهْدُ بالخَطَّارِ يا فَتَيَانِ
يُذَكِّرني الخطار كل مُنَطَّقٍ ... يجولُ به عند اللقاءِ حصان
فَيَا حَزَني ألا أكونَ شَهِدْتُهُ ... بزاذانَ والخَيْلَانِ تَصْطَفِقَانِ
فتىٰ لَا يرىٰ نوم العَشَاءِ غنيمة ... ولَا يَنْثَني مِنْ رَهْبَةِ الحَدَثَانِ
فما طَمِعَتْ عيناي نوماً لِلَذَّةٍ ... ومازالتا مِنْ ذِكْرِهِ تَكِفَانِ[1]

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٠٤ .

خبر داود بن النعمان العبدي

قالوا : كان داود بن النعمان أحد بني أنمار بن وديعة بن لكيْز بن أفْصَىٰ بن عبد القيس بن أفصىٰ بن دُعْمىٰ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، عابداً مجتهداً ، وكان يقول لأصحابه : إني مللتُ الدنيا والمقام في دار الكفر مع الظَلَمَةِ الكَفَرةِ ، وقد انقطع العذر . فقال له أصحابه : فما يمنعك من الخروج ؟ قال : مكان أبي بهذه البلاد .

ثم حَجَّ ورجع فقال لأصحابه : اخرجوا بنا إلى البصرة فإنَّ لنا بها إخواناً ، فأجابه أربعون رجلاً . وبلغ أباه أمره فقال : يا بنيَّ إني أخاف أن يشفي بك أمرك هذا على أمرٍ يُفْسِدُ دينَكَ ودنياك فاتَّقِ الله وانظُر لنفسِكَ فإن الناس قد اختلفوا ، فقال : يا أبت فإنَّ الله أكرمُ من أَنْ يُضِلَّ طالِبَهُ . فقال : يا بنيَّ إن لي مالاً كثيراً عَيْناً قد ذَخَرْتُهُ لك ، قال : لا حاجة لي فيه ، إن الله يقول : ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾[1] الآية .

١ ـ سورة التوبة ـ الآية : ٣٤ .

فقال : يا بني . إني أُصْرِمُ نخل أربعة آلاف جَرِيْبٍ . فقال : يا أبتِ إن في حائطك بَعُوضاً وأنا أريد حائطاً لا بعوض فيه .

ثم خرج ومعه أختُه ، وخرج معه أربعون رجلًا ، فودعه أبوه وهو يبكي ، فقدم البصرة فأقام بها حتى فرغ من جهازه ، ولقي من أراد ، ثم خرج إلى موقوع سنة ست وثمانين فوجه إليه الحكم بن أيوب عبد الملك بن المهلب .

وقال قوم : كان الحكم غائباً عن البصرة وخليفته عبد الملك بن المهلب ، فوجه إليهم عبد الملك : عبدالله بن كرمان الجهضمي ، فالتقوا فقال داود لأخته : تقدمي فإني أخاف أن تبقي بعدي فَتُسْبَيْنَ وتُسْتَرقِّيْنَ ، فتقدمتَ فقاتَلتْ فَقُتِلَتْ ، وقُتل أصحابُه وبقي وحده وأحاطوا به قُرْبَ البلد وألجأوه إلى حائط ثم رموه بالنَّبْلِ وطعنه رجل وقال : ذُقْ بما قَدَّمَتْ يداك فقال : وَيْحَكَ ، حَرُّ النار أشدُّ من هذا ، ومات فقال زياد الأعسم :

سقىٰ الله أجساداً تَلُوحُ عِظَامُها بفرضة موقوع سحاباً غواديا
فإنْ يَكُ داودٌ مضى لِسَبيْلِهِ فقد كان ذا شوقٍ إلى الله تاليا
وقد كانَ ذا أهلٍ ومالٍ وغَبْطَةٍ وكان لما يُغْني مِنَ العيش قاليا
كأن الفتى داود لم يَكُ فيكُمُ ولم نَرَهُ يوماً مِنَ الصوم باليا
أُقِيْمُ علىٰ الدنيا كأنيَ لا أرىٰ زوالاً لها أو أَحْسَبُ العيش باقيا[1]

وقال سعيد المرادي :

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٠٧ .

ألا يا في سبيل الله شالَتْ   بِـداودٍ وإخـوتِـهِ الجـذوع
مضوا قَتْلاً وتشريداً وصَلْباً   تَـظَلُّ عليهمُ طـيرٌ وُقُـوع
إذا ما الليلُ أظلمَ كابَدُوهُ   فـأسْفَـرَ عنهُمُ وهُمُ رُكُـوعُ
يُعَالُونَ النَّحِيْبَ إليهِ شوقـاً   وإنْ خَفَضُوا فَرَبُّهُمُ سميعُ[1]

قال أبو الحسن : يقال ان داود قُتل في أول سنة ست وثمانين قَبْلَ موت عبد الملك ، ويقال إنه قُتل في أيام الوليد بن عبد الملك في سنة سبع وثمانين .

وقال أبو الحسن : كان داود بالبصرة فكان يأتي سوق الإبل فينادي : لو تعلمون ما أَعلمْ لبكيتم كثيراً ، إنكم لَفِي أَمْرٍ مُريح . ثم يقول : مكذبين ورب الكعبة .

وطلب فرساً فقيل له : لا تشتره فإن بظهره شامة ولم يكن بظهر فرس شامة إلا قُتل فارسه فقال : وكيف لي بالقتل ؟ لقد رغبتموني فيه ، فاشتراه .

١ ـ نسب هذه الأبيات في ديوان شعر الخوارج ص ٧٠ ، إلى عيسى بن فاتك الخطي مع فوارق .

أمر مطر بن عمران بن شوْر

وهو ابن أخي القعقاع بن شوْر الذُهلي .

قال الهيثم بن عدي : خرج على محمد بن مروان ، وهو والي الجزيرة والموصل مطر بن عمران بالموصل ، فَقَتَلْتهُ خيل الموصل ، وعليها ثَوْبَان الحَضْرِمَي ، وقد انحاز إلىٰ بَاجَرْمَى ، فقُتل بباجرمىٰ وبعث ثوبان بأسراء من أصحابه إلى الحجاج فقتلهم ، وكانوا يكرهون أن يقتلوا خارجياً بالجزيرة والشام مخافة أن تتخذ الخوارج ما هناك دار هجرة .

وقال المدائني : خرج مطر قبلَ خروج صالح بن مُسَرّح ، فقتلته خيل محمد بن مروان بناحية باجرمىٰ أو بدقوقا من أرض الموصل ، فبلغ امرأته خبرُهُ وكان أهلها منعوها من الخروج فماتَتْ أسفاً ، فقال الجعْد بن أبي ضمام الدوسي :

أرىٰ مطراً قَدْ باعَ لله نَفْسَهُ ... بمَا ظَلَّ يُعطِىٰ للشراةِ ويُوعَدُ
فأَصبحَ قَدْ نَالَ الكرامةَ كُلَّها ... بما كانَ يَسعَىٰ في بَغَاها وَيَجْهَدُ
فإنْ يَكُ قَدْ لاقَىٰ مقاديرَ قومه ... فَقَدْ بان مِنَّا الخاشِعُ المتعبِّدُ[1]

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ١٩٧ .

في قصيدة .

وقال محمد بن دثار :

علىٰ حَميدٍ صَلَواتُ الأَبْـرَارْ ومطراً فاغْفِـرْ لَهُ يـا غَفَّارْ
قد كانَ صَوَّاماً طَويلَ الأَسحار

قال : وخرج علىٰ محمد في أيام عبد الملك خارجي يقال له : سُكَيْنُ المجملي ، فوجه إليه قائداً من أهل الجزيرة فحاربه فأسره وأَتىٰ به محمداً ، فبعث به إلىٰ الحجاج ليقتله . فقال له : أَجَمَعْتَ القرآن ؟ فقال : أَوَ كان متفرقاً فأَجْمَعُهُ ولكني أقرأه وأحفظُه . قال : ما تقول في أمير المؤمنين ؟

قال : ومن أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الملك ! قال : لعنة الله عليه وعليك معه . قال : إنك مقتول . قال : إذاً أَلقى الله بِعَمَلِي وتلقاهُ بدمي . فأمر الحجاج به فقُتل وصلبه .

قال الهيثم : وكان باليمامة رجل يكنىٰ أبا الحُرَيْرَةِ من بني حنيفة ، وكان متعبداً ، فرأىٰ قوماً يكلمون امرأة فقال : ما هذا ؟ قالوا : إنّا اكتريناها نهاراً وليلاً . فقال : هِبْكُمُ اكتريتموها نهاراً للخدمة فما بالُ الليلة ؟ قالوا : ننكحُها . ثم عمد إلى سيف له ثم هجم علىٰ القوم وهم سبعة عشر رجلاً وقال : ﴿وإمَّا تَخَافَنَّ من قوم خيانةً فَانْبِذْ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾[1] .

فأخذوا سلاحهم وقاتلهم فقتلهم ثم حكَّم بسوق حجر فقَتَل عدةً ، ثم قُتِلَ .

---

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٥٨ .

أمر جَوَّاز الضَّبِي

قال الهيثم : أتى جواز الضبي الشام ، وكان من رؤساء الخوارج ، مَعَ مَنْ شَهِدَ حصار ابن الزبير ، وكان هارباً من الحجاج ، فنزل بالشام على عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وكانوا يضيفون من يَعْرِفون ومن لا يَعْرِفون ، وكان عبدالله بن يزيد ، ورَوْحُ بن زِنْبَاع ، أكرمُ من بالشام إضافةً ، وكانا يتغديان مع عبد الملك ويتعشيان ، فإذا انصرفا دَعَوا بِطُرَفِ ما عندهما فأكلاه مع أضيافهما[1] .

وكتب الحجاج إلىٰ عبد الملك يُعَظِّم فيه أمر الخلافة ، ويذكر أن الخليفةَ أعظمُ منزلةً عند الله من الملائكة المقربين لأنه جعل آدم خليفته ، ثم أمر الملائكة بالسجود له ، وجعلهم رسلاً إليه .

فَحَسُنَ موقع ذلك من عبد الملك وأعجبه وازدهاه ، فقال : وددتُ أن عندي بعض الخوارج فأخاصمه بكتاب الحجاج ، فلما انصرف عبدالله بن

١ ـ بحاشية الملكية : قف.تعظيم الحجاج لعبد الملك على الملائكة والمرسلين ، وجواب جواز الضبي .

يزيد حَدَّثَ أضيافه بما كان ، فقال له جَوَّاز : تَوَثَّقْ لي منه ثم أَعْلِمْني . فراحَ إليه فتوثقَ له ثم أعلمه ذلك ، فلما أصبح جوَّاز اغتسل وتَحَنَّطَ ولبسَ ثوبين أبيضيين ، وأدخله إلى عبد الملك فدعا بكتاب الحجاج فقال : اقْرأْهُ . فقال جَوّاز : جعلك : مَرَّةً مَلَكاً ، ومرة نبياً ، ومرة خليفةً ، فإنْ كنتَ مَلَكاً فَخَبِّرْنا متى نَزلت ، وإن كنتَ نبياً فأَعلِمْنَا متى نُبِّئْت ، وإنْ كنتَ خليفةً فأعلمنا أَعَنْ مَلأ من المسلمين اسْتُخلفتُ أَمْ عن ابتزازٍ لأُمورهم ؟

وكان أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد حاضراً فقال : هو الله منهم . فقال جواز : يا أمية لو كنتُ منهم عَرَفْتَني يوم أبي فديك حين هَزَمَكَ .

فقال عبد الملك : قد أعطيناك عهداً ومَوْثِقاً فلا سبيل لنا إلى قَتْلِكَ ، ولكنك والله لا تُسَاكِنِي في بلدٍ ، إلْحَقْ بحيث شئت . قال : فإني أختار مصر ، فنزل مصر وأتى المغرب فأفسَدَ أهله ، وكان يَرىٰ رأي الصُّفْرِية .

فلما مات عبد الملك كتب الحجاج إلى الوليد : «إنَّ ذمةَ أميرِ المؤمنينَ عبد الملك قد وَفَتْ ولا أمانَ لعدوّ الله جوّاز الضبّي ، فإنْ رأىٰ أميرَ المؤمنين أن يبعث إليّ به» ، وكانت بنو أمية لا تقتل خارجياً بالشام والجزيرة لئلا يُتَّخَذ دار هجرة .

فكتب الوليد إلى قُرَّةَ بن شريك : أَنْ ابعثْ إليَّ بجواز الضبي فبعث به إليه ، فلما دخل عليه قال : انطلقا به إلى الحجاج ، فقال : إني في أمان أبيك وذمته . قال : لابُدَّ من الحجاج ، فقال : مِثْلُكَ والله أخفرَ أباهُ ، واستخفَّ بذمته وأخفرها .

فلما قُدِم به على الحجاج قال : بلغَ من أمرك يا جواز أنْ تردَّ على أمير المؤمنين ؟ قال : ﴿اقْضِ ما أنتَ قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾[١] .

وكان صالح بن عبد الرحمن الكاتب السجستاني عدواً ليزيد بن أبي مسلم [كاتب][٢] الحجاج ، وكان جَبَلَة أخو صالح خارجياً ، فدعا صالحاً فأدخله في رأيه ، فأشار علىٰ الحجاج أن يأمر صالحاً بقتل جواز ، فقال له : يا صالح قُمْ فاقتله ، قال صالح : فَأَرَدْتُ أن أَطرحَ السيف ثم خفْتُ الحجاج أن يَسْبِي بناتي فقتلته ، ثم لم يَزَلْ خائفاً من الخوارج .

فلما عذَّبه عمر بن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك وطُرح على مَزْبَلَةٍ على باب دار العذاب وبه رَمَقٌ ، كان وهو على المزبلة يقول : لا حُكْمَ إلا الله ، استغفرُ الله من قَتْل جَوَّاز ، اللهم اغفر لي ولا أراك فاعلاً .

وقال بعض الخوارج :

لا باركَ الله في قومٍ أَجازَ لَهُمْ حكامُهُم ان أَصَابُوا المَرْءَ جَوَّازا

إنْ يَقتُلوهُ فما فازوا بِمَقْتَلِهِ وَقَدْ أَصابَ الذي رَجَّى وَقَدْ فازا[٣]

وقال ابن الكلبي : خرج سُكَيْنٌ أحد بني محلم بن ذهل بن شيبان بدارا ، فأصابته خيل محمد بن مروان ، وهو يلي الجزيرة ، فبعث به إلى الحجاج ، فكلمه كلاماً شديداً ، فضرب الحجاج عنقه .

وقال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم الأعرج وهو بالمدينة يريد الحج :

١ ـ سورة طه ـ الآية : ٧٢ .

٢ ـ زيد ما بين الحاصرتين من تاريخ خليفة بن خياط ص ٤١١ حيث جاء عنده : «قالوا : وكاتب الخراج زاذان فروخ ، فمات فولى الحجاج يزيد بن أبي مسلم» .

٣ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

ما بالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أَخَّرْبتُم آخِرتَكُم ، وعمرتم دنياكم ، فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب .

وقال أبو حازم لسليمان ـ وقال له لم لا تأتينا ؟ ـ : إن الأمراء كانت تأتي العلماء رغبة فيما عندهم ، فقد صار العلماء يأتون الأمراء فسقطوا من أعين الناس . فقال الزهري : إيّايَ تعني يا أبا حازم ـ وذلك أنه كان عند سليمان ـ فقال : ما تَعَمَّدْتُكَ ولكنه ما تسمع .

وقال سليمان : يا أبا حازم ، أيُّ الناسِ أكرمُ علىٰ الله ؟ فقال : أهلُ المروءة والنّهىٰ ، قال : فأيُّهم أَكْيَسُ ؟ قال : رجلٌ عمل بطاعة الله ودلَّ الناس عليها . قال : فكيف نحن يا ليتَ شعري ؟ قال : اعْرِضْ عملكَ على كتاب الله تَعْلَم ذلك . فبعث سليمان إليه بصلة فلم يقبلها[1] .

---

١ ـ بهامش الأصل : . . . ينبغي أن يكون في أخبار سليمان لا ها هنا . وجاء بهامش الملكية : من هنا إلى الترجمة لا مناسبة له بهذا المحل ، إنما ينبغي أن يكون في أخبار سليمان .

أمر الوليد بن عبد الملك بن مروان

أم الوليد : وَلَّادَة بنت العباس بن جَزي بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس ، وأم ولادة سوداء .

قال القعقاع بن خُليد بن جزي للعباس : غششتَ أمير المؤمنين يا عدو الله حين زَوَّجْتَهُ ابنة السوداء . وكانت عند الوليد نفيسة بنت زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمها لُبابة بنت عبدالله بن العباس بن عبد المطلب ، فتوفيت وهي حامل فجعل ولدُهَا يركضُ في بطنها . فَهَمَّ الوليد بأن يبقر بطنها ، حرصاً على أن يكون له منها ولد يبقى بَعْدَهُ ، فلم يفعل .

وكانت عند الوليد : آمنة بنت سعيد بن العاص ، ثم تزوجها خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص . وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وأمها ليلى بنت سهيل بن عامر من بني جعفر بن كلاب . وأم عبدالله بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وهي أم عبد الرحمن . وامرأة من بني فزارة وهي أم أبي عبيدة . وعاتكة بنت عبدالله بن مطيع .

قال المدائني : كان الوليد تزوج في خلافته ثلاثاً وستين امرأة ، فكان يطلق الثلاث والاثنتين والواحدة، فقالت عاتكة بنت عبدالله بن مطيع لما تزوجها : إنَّا اشترطنا على الحمالين الرجعة فما رأيك ؟ قال : أقيمي . فصبر عليها أربعة أشهر ثم طلقها ، فولد الوليد بن عبد الملك : عبد العزيز ، ومروان ، وعنبسة ، ومحمد ، أمهم أم البنين بنت عبد العزيز ، وأمها ليلى بنت سهيل بن حنظلة بن طفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب . وعبد الرحمن أمه أم عبدالله بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

والعباس وكان أكبرهم وبه كان يكنى الوليد .

ويزيد ، وإبراهيم ، ورَوْحَاً ، وبِشْر ، ومُبَشّر ، وصَدقَة ، ومسروراً وعمر ، ومَسْلَمة ، وخالداً ، وتَمَّامَاً ، وجُزَي ، ويحيىٰ ، ومنصور لأمهات أولاد شتىٰ .

وأبا عبيدة أمه من ولد سَيَّار الفزاري . وأبا بكر .

قال المدائني : كان أبو عبيدة ضعيفاً ، وكان يقول الشعر ، فأرسل إليه هشام بن عبد الملك : لئن بلغني أنك قلت بيتاً لأزحمنَّك زحمة سوءٍ ، ويقال إنه قال لأحلقَنَّ جُمَّتَكَ جُمَّةَ السوء . وفيه يقول الشاعر :

أبو عبيدة سَرَّاقُ الفراريج

وكان أجمل ولد الوليد ، فلما كانت أيام أبي العباس لجأ إلى أخواله من فزارة فأُخذ فقُتل .

وأما إبراهيم بن الوليد فولي شهراً أو شهرين ثم خُلع وسنذكر خبره إن شاء الله .

وأما يزيد بن الوليد فإنه ولي أشهراً ثم مات وسنذكر خبره أيضاً .

قال المدائني : وأما يحيى بن الوليد فقتل حاجِب بن حُميضة الكلابي من ولد مُلاَعِبُ الأَسِنَّةِ ، وكان يشرب عنده فقال له : لم جلد الوليد أباك ؟ فسكتَ ، فأعاد عليه فقال له : في أُمِّكَ ، فأمر به فأُلقي من فوق البيت . فاستعدىٰ بنو كلاب هشاماً ، فكتب هشام إلى عامل دمشق : أَحْلِفْ خمسين رجلاً من بني الوليد بالله ما قتلوا ولا علموا قاتلاً ، فلم يحلفوا وحَملوا الدية .

قال أبو الحسين : ولم يُعقب تَمَّام ، وقال فيه الشاعر :

بنو الوليد كرامٌ في أَرومتهم نالوا المَكارم قِدْماً غَيْرَ تَمَّامِ

وكان مسرور ناسكاً ، كتب إلى قتادة بن دعامة ، فجعل قتادة يقول : كتبَ إليَّ ابن أمير المؤمنين . وكانت عنده ابنة الحجاج .

وكان بشر من فتيانهم ، وكان رَوْح من غلمانهم ، وكان عمر بن الوليد من رجالهم ، كتب إلى عمر بن عبد العزيز فأغلظَ له ، فكتب إليه عمر ، فوضعَ ذلك منه ، فقال الفرزدق يمدح عمر بن الوليد :

إليكَ سَمَتْ يا بنَ الوليدِ رِكابُنا ورُكْبَانُها كانُوا أَجَدَّ وأَجْهَدَا
إلى عُمَرٍ أقبلت مُعْتَمَدَاً به فَنِعْمَ مُناخِ الرَّكْبِ حين تَعَمَّدَا
فَلَمْ تَجْرِ إلا كنتَ في الخير سابقاً ولا عُدْتَ إلَا كنتَ في العَوْدِ أَحْمَداً(١)

وقال الفرزدق :

كَفَىٰ عمرٌ ما كان يُخشىٰ انعتاقَهُ إذا نَزَلَتْ بالدِّينِ إحدىٰ البَوَائِقِ
يَلِينُ لأهلِ الدين مِنْ لين قلبه لَهُمْ وغَلْيْظٌ قَلْبُهُ للمُنَافِقِ(٢)

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٤٨ مع فوارق واضحة .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٤١ ، وقال ذلك في مدح عمر بن هبيرة .

وكان لعمر بن الوليد ستون ابناً يركبون معه إذا ركب ، وكان يقال له : فَحْلُ بني مروان .

وقال المدائني : كان أبو بكر بن الوليد مائقاً ، قال يوماً لرجل من كلب : ما أحسَنَ الغرة التي في يد فرسك .

وكان العباس بن الوليد فارسهم ، وله يقول الفرزدق :

إن أبا الحارث العباسِ نَأمله مثلِ السماك الذي لا يُخْلفُ المطرا[1]

وله يقول جرير بن عطية :

إنَّ الندىٰ حالف العباس إنَّ لَهُ بَيْتَ المَكَارِمِ يَنْمِي جَدُّهُ صُعُدَا
يعطي الجزيلَ بلا مَنٍّ وَلاَ نَكَدٍ يكفي العيونَ إذا شُؤْبُوبُها وَقَدَا
إنَّ العـدوَّ إذا رَامُوا قَنَـاتَكُمُ لم يَلْقَ مَنْ رَامَهَا وَصْمَاً ولا أُوَدَا[2]

فولد العباس : المؤَمَّلُ ، والحارث ، وأمهما ابنة قطري بن الفُجَاءَة ، فلما وُليَ عمر بن عبد العزيز الخلافة قال : خَلِّ سبيلها وإلا رَجَمْتُكَ أو تَزَوْجها . فتزوجَها ، وقد ذكرنا أمرها في خبر قطري .

قال : وكان محمد بن الوليد سخياً يقول : إني لا أُحبُّ أنْ أُسْأَلَ . وله عقب .

وقال المدائني : كان لبني الوليد غاشية يأتونهم فيعطونهم .

قالوا : وكان عبد العزيز سَيِّدُ ولد الوليد بن عبد الملك ، وأراد الوليد أن يبايعَ لعبدالعزيز بعد سليمان، وزَوَّجَهُ أم أيوب بنت سليمان، وزوَّج بعضَ بني سليمان بعضُ بناته وقال له : اهْدِ ابنتك إلى عبد العزيز في داري لتكون

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٤١ ، وفيه «نائله» .
٢ ـ ديوان جرير ص ١٢٦ مع فوارق .

عندي ، وحَوِّلْ بيتكَ إليَّ لتضمَّ إليهم بناتي استعطافاً له ، فأبى سليمان عليه إرادتَهُ .

وقال الراجز : وهو من عُذْرَة للوليد :

يا ليتَها قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ إنَّ وليَّ عَهْدَهُ ابنَ أُمِّهِ
ثُمَّ ابنُه وَلِيُّ عَهْدِ عَمِّهِ قد رَضيَ الناسُ به فَسَمِّهِ
خليفةُ الله ولا تُعَمِّهِ أَبرِزْ لنا يَمِيْنَه مِنْ كُمِّهِ
أَصْبَحَ فَيْضاً يُسْتَقَى بِجَمِّهِ بِهِ استقامَ الأَمْرُ في أَسْطُمِّهِ

فردَّ عليه رجل من الأَزْدِ يقال له المثنى :

عُذْرِيُّهُمْ عَضَّ بِبَظْرِ أُمِّهِ إذْ جَعَلَ الدَّرْصَ إلىٰ خِضَمِّهِ

فلما وُلِّيَ سليمان تلقّاه عبد العزيز فقال : دَفَنْتَ أمَ أيوبَ بنت سليمان ثم جئتني ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنْ المصيبةَ بها عليَّ أعظَمُ . قال : ونازعتَ الحارث ابن أمير المؤمنين الصلاةَ عليها ؟ قال : لَمْ يَبْلُغْ من سفهي هذا كُلَّه .

وقال سليمان لعبد العزيز بن الوليد : والله لو كنتُ بايعتُ لك لقطعتُ يدك ، فلم يَزَلْ عبد العزيز طامعاً في الخلافة ، فلما مات سليمان وهو بالشام عَقَدَ ألويةً وشَخَصَ إلى طبرية ودعا إلى نفسه فقيل له : إنّ خالَكَ قد استخلف ، فَحَلَّ ألويتَهُ ورجع ، فقال له عمر حين بايَعَهُ : أيا عبد العزيز أردتَ أنْ تَشُقَّ عصا المسلمين . وتضرب بعضهم ببعض ، لقد كنتُ أَرْبأُ بك عن هذا الرأي .

فقال : يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي استنقذني بك ، لولا مكانَك ما مَلَكَهَا عليّ أحدٌ .

وكان يقال : لو وُضِعَ بنو الوليد في كفة ميزان وعبد العزيز في كفة لرجح بهم عبد العزيز ، وكان سخياً وكان يقول لخاصَّته : والله لا يرْمقُني رجل ببصره ولا يبسطُ إليَّ لسانَه إلا أعطيتُه فامْنَعُوني أَوْ دَعُوا . وله يقول الشاعر :

وأنتَ ابنُ ليلىٰ الخيرِ خير ظَعينةٍ وليلىٰ عَدِيٍّ لَمْ تَلِدْكَ الزعانفُ

وليلىٰ عدي ، أم عبد العزيز بن مروان : ليلىٰ بنت زبّان بن الأَصْبَغ ، وليلىٰ الأخرىٰ : أم أم البنين .

وقال المدائني : قال الجرمي عن أبيه : كنا مع عبد العزيز بن الوليد : وهو مريض ، فخرج إلى منزل كان ينزله ، ومعنا حِجْرُ بن عَقيل الرِّياحي ، فأنشده :

فما أَخْرَجَتْنَا رَغبةٌ عن بـلادنا ولكنَّ ما قَدْ قَـدَّرَ الله كائِنُ
لِحِينٍ نفوسٌ لم تَجِـد مُتَأَخَّـراً فلا تَبْعدنْ تِلكَ النفوسُ الحوائنُ

فقلت : قطع الله لسانك . فهلكَ عبد العزيز في وجهه ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك .

وكان الوليد بن عبد الملك ضم إلى عبد العزيز أَبا عبيدة محمد بن عمار بن ياسر ، وكان لعبد العزيز بن الوليد من الولد ، عتيق ، وعبد الملك ، أمهما من ولد أبي بكر الصديق ، وكان له قَدْرٌ . وكان لعبد الملك قَدْرٌ وكان يكنىٰ أبا مروان . وقال الشاعر :

إني رَأَيْتُ بني أُمِّ البنين لَهُم مَجْدٌ طَويلٌ وفي أَعمارِهِم قِصَرُ
ماتَ الهمام أبو مروان فَاخْتَشَعَتْ كلبٌ وأيُّ بـلاءٍ يُبْتَـلىٰ مُضَرُ

فقال الوليد ليزيد بن الحصين بن نمير السُكوني : بايعْ لعبد العزيز ، فقال: أما يميني فبايعتُ بها لسليمان وإن شئتَ بايعتُ لعبد العزيز بشمالي .

قالوا : وكان الوليد بن عبد الملك يقول : إذا احتلم الصبي من ولدي فضموا إليه مؤدباً له صلاح وفضل وشرف ، وضموا إليه عشرة يجالسونه ويكونون عيوناً عليه يحولون بينه وبين من يجالسه من أهل الدناءَة والسُّخْفِ .

وكان يقول : سيدنا عبد العزيز ، وَفَتانَا بِشْر ، وعَالِمُنَا رَوْح ، وفارسُنا العباس ، وفَحْلُنَا عمر .

وقال الوليد : من رأىٰ مِثْلَ ولدي : عبد العزيز على دمشق ، والعباس على حمص ، وبِشْر على قنسرين، وعمر على الأردن . فقال له عباد بن زياد : كان عبيدالله بن زياد على العراق ، وأُخوه عثمان خليفته على أحد المصرين ، وعبّاد على سجستان ، وعبد الرحمن على خراسان . فسكت .

قالوا : وكان بنو الوليد ثمانية عشر سراةً ، فكانوا يركبون ، فإذا رجعوا مضوا مع أكبرهم إلى منزله ، فإذا دخل انصرفوا مع الذي يليه إلى آخِرِهم .

قالوا : وكان على شرط الوليد كعب بن حامد ثم عَزَلَهُ وولى أَبا نَاتِلَ رياح بن عَبْدَةَ الغَسَّاني ، ثم عزله وأعاد كعباً .

واستقضىٰ سليمان بن حبيب المحاربي ، وولى عمر بن عبد العزيز المدينة وأمره أن يبني مسجدها ويجعله مائتي ذراع في مائتي ذراع ، وبعثَ من الفَعَلَة من الشام ، وكتب إلى ملك الروم يعلمه أنه قد أمر بهدم مسجد

رسول الله ﷺ ويسأله أن يعينه في بنائه ، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهباً وبمائة فاعل ، وبأربعين حملاً فَسَافِسَا ، فبنىٰ عمر المسجد وبنى الوليد مسجد دمشق فقال لأصحابه : أَقسمتُ عليكم لَمَّا أتاني كل واحد منكم بِلَبِنَةٍ . فجعل رجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق . فقال : يا أهل العراق تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة .

قالوا : وأعطىٰ الوليد المجذمين ، وقال : لا تسألوا الناس ، وأعطى كل مُقْعَدٍ خادماً ، وكل ضريرٍ قائداً .

وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ للمصانع ، وكان عند أهل الشام أفضل خلفائهم ، فلما ولي سليمان كان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يتلاقون في زمن الوليد فيسألون عن البناء والمصانع وما أشبه ، ويسألون في زمن سليمان عن التزويج والجواري والطعام .

وولي عمر بن العزيز فكان الناس يسألون عن الفقه والقرآن ، فيقول هذا : متى خَتَمْتَ ، ويقول هذا : كم تصوم من الشهر .

المدائني قال: كتب الوليد إلى بعض عمال أبيه: «أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر ما اختص الله به أمير المؤمنين من خلافته ، وأنك بايعت من قبلك فحسنت إجابتهم وسارعوا إلى الطاعة ، وأمير المؤمنين يحمد الله على ما أكرمه به واصطنع ، ويسأله العون على ذلك ، وذكرت أنك بعثتَ إلى أمير المؤمنين ببيعة من قبلك مع أبان بن سُويد وهو في صالحي أهل بلاده ، وقد قدم على أمير المؤمنين بكتابك ، فأَحسِن صلته ، والسلام .

وكتب جناح مولى أمير المؤمنين» . وكان جناح على رسائله وهو مولاه .

المدائني قال : خطب الوليد يوم جمعة فَأَتَتِ الصلاة فناداه رجل : الصلاة ، وجلس فلم يُعْرفُ ، فقال الوليد : أيها الناس والله ما نعاتبكم على العلانية وإنما نعاتبكم على أن تسروا لنا العداوة .

وقال الوليد : أنا أُنفقُ على الكعبة وأكسوها وأطيِّبُها فعلام يأخذ بنو شيبة هداياها ، لأَمْنَعَنَّهم إياها العام ، فبلغهم ذلك فَأَرْمَضَهُم ، وخرج الوليد حاجاً فخرجوا يتلقَّونَهُ فوجدوا الحجاج معه فقالوا له : أنتَ وإن كنت معزولاً عنا ، فأنت محمودٌ عندنا وَرَحِمُنَا وحُرْمَتُنَا ما لا تُنكِر ، وقد بلغَنَا كذا وفَزِعْنَا اليك ، قال : إذا دخلتم على أمير المؤمنين فَتَحَيَّنُوني عنده ، ثم سلموا عليه خالي الوجه ودعوني أَكْفِيكُمُوه ففعلوا ، فلما خرجوا قال الحجاج : علامَ تَدَعُ هؤلاء وهدايا الكعبة ؟ قال : قد أجمعتُ على أخذها ، قال ؛ إفْعَل فاني كنت أشرتُ بهذا على أمير المؤمنين عبد الملك فلم يفعل ، فقال : أنا أبرأ إلى الله مما برىء منه أمير المؤمنين عبد الملك . وتركها لهم .

المدائني قال : قام رجل من أهل حمص إلى الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إني أتيت ذنباً فاستغفر لي غفر الله لك . فقال بعضهم : مُقَادي[1] يقوم أمير المؤمنين بنفسه .

وقال المدائني : قدم ذبيان بن نعيم بن حُصين العليمي من كلب على الوليد فقال : يا أمير المؤمنين : إني قد فرضتُ لنفسي فَسَلِّم ذلك لي . قال : وفي كم ؟. قال : في ستين دينارا . قال : قد أَجَزْنَاها لكَ ، ثم بعثه إلى عبد

١ ـ أي حسب أمير المؤمنين أن يقوم بنفسه . وكلمة : /قد/ (مخففة) مرادفة لـ : يكفي . أو لـ : بحسب . القاموس .

العزيز بن الوليد ، وهو على قنسرين وأوصاه به ، فكان يأذَنُ لرجلين من قيس يقال لهما راسب وسعيد قبله فغضب وكتب إلى الوليد فقال :

أَبْلِغْ أميرَ المؤمنين ودونَه فراسخ تَطوي الطرفَ وهو حديد
بأني لدى عبد العزيز مُؤَخَّرٌ يُقَدِّم قبلي راسب وسعيد

فكتب إلى عبد العزيز إن يقدمه .

وقال هشام ابن الكلبي عن أبيه : إنما ضَمَّه عبد الملك إلى عبد العزيز بن مروان فجفاه ، فكتب إلى عبد الملك ، فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز ببره وصلته وتقديمه .

المدائني أن الوليد قال لعباد بن زياد : أين كان زياد من الحجاج ؟ . فقال : إنَّ الحجاج لمقدام . قال : أين تدبيُرهُ من تدبيره قال : قدم زياد العراق على راحلته فضبطه بمداراة ورفق وحسن سياسة ، وقدم الحجاج فكسر الخراج وأفسد قلوب الناس ولم يضبطهم بأهل الشام وأهل العراق ، ولورام منهم ما رام زياد لم يفجأك شيء دون قدومه عليك يوجف على قَعوده .

وقالوا : استعمل الوليد عبد العزيز على بعض الشام فأتاه رجل فقال : نصيحةً . قال : إن كانت لك رددناها عليك ، وأن كانت لنا فلا حاجة لنا فيها . قال : جارٌ لي أَخَلَّ بمركزه ، قال : بِئْسَ الجارُ أَنتَ نحن ناظرون فيما ذكرتَ فإن كنت صادقاً مَقَتناك وإن كنت كاذباً عاقبناك ؛ وإن أحببتَ أن نعفيك أعفيناك . قال : اعفني . قال : قد فَعلتُ .

وقال المدائني : كان عبد الملك استعمل أخاه محمداً على قنسرين والجزيرة وأرمينية وآذربيجان ، فلما ظهر محمد على أرمينية وأذربيجان عزله

عبد الملك عن قنسرين فلما مات عبد الملك استعمل الوليد على عمل محمد : مسلمة بن عبد الملك ، فَأَضَرَّ مسلمة بمحمد ، فدخل محمد على الوليد ومعه ابنه مروان يتوكأعليه ، فقال : إن أخي عبد الملك كان يصلني ويشركني في سلطانه حتى ذهب لسبيله ، وقد بلغتُ من السن ما ترى وأنا لك بمنزلة الوالد ، فطأطأ الوليد ثم تمثل :

إنْ تَصْبرا فالصَّبْر خَيْرُ مَغَبَّةٍ وإنْ تَجْزَعا فالأَمْرُ ما تَرَيَـانِ

فقام محمد وهو يتمثل :

فَإنْ جَزعْنَا فِمثْلُ الشَّرِ أَجْزَعَنا وإن صَبَرْنَا فإنَّا مَعْشَرٌ صُبُرُ

ثم انصرف إلى الرها[1] ، فأقام بها حتى مات .

المدائني عن أسامة بن زيد عن سعيد بن إبراهيم قال : قيل لسعيد بن المسيب: إن ابن شهاب حدث الوليد عن قبيصة بن ذؤيب عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ أنه قال : «لا ينبغي للخليفة أن يُنَاشَدَ» ، فقال ابن المسيب : لعنة الله على ابن شهاب ، إن كان حدث بهذا ، لقد أَعْظَمَ الدنيا . أيُحدّث الوليد بمثل هذا وهو يعرف الوليد ؟ . وَيْحَهُ أما سمع قول أخي بني كعب حين قال :

لَا هُمَّ إنّي نـاشـدٌ مُحَمَّـدا حِلْفَ أبِيْنَـا وأَبِيْـه الأتلدا

أَفَيُنَاشَدُ رسول الله ﷺ ولا يُنَاشَد الخليفة ؟ .

المدائني قال : قال أُسَيْلمُ بنُ الأَخْيَفِ للوليد قبل أن يلي : إذا ظننتَ ظناً فلا تُحقِّقْهُ ، وإذا سألت الرجال فاسأَلْهُم عما تَعْلم ، فإنهم إذا رأوا سرعة

---

١ ـ هي أورفا حالياً في تركيا .

فَهْمِكَ ظَنُّوا أنك فيما لا تَعْلَم على حَسْب ذِلك ، وأَقِلَّ الكلامَ يَقِلَّ لَحْنُكَ . وكان الوليد لَحَّاناً .

المدائني عن عامر بن عبد الأعلى قال : حدث الوليد أنه جمع بين هند بنت الحسنِ الإيادي ، ويقال العمليقي وبين جمعة بنت عابس الإيادي ، فقيل لجمعة : أيُّ الرجال أحب إليك ؟ . قالت : «الغليظ الكَبْد ، الظاهر الجَلْد ، الشديدُ الجَذْبِ بالمسد» .

ثم قيل لهند : أيُّ الرجال أَحَبُّ إليك ؟ قالت : «القريبُ الأَمَدْ ، الواسعُ البَلد ، الذي يُوْفَدُ إليه ولا يَفِدْ» ، فقال الوليد : من هذا الرجل ؟ فقال له هاشم بن عبد الأعلى الفزاري : أنت يا أمير المؤمنين .

قالوا : وكتب الوليد بن عبد الملك ـ ويقال سليمان ـ إلى عثمان بن حيَّان المُرِّي ، وهو عامله على المدينة يأمره أن يحصي المخنثين قِبَلَهُ ، فَصَحَّفَ الكاتب فقرأ : إخْصِ المخنثين فخصى عدة منهم فيهم الدلال ، فقال : الآن تَمَّ لي الخَنَثُ .

المدائني عن شراحيل بن علي قال : أمر الوليد وهو على المنبر بقراءة كتاب جاءه من الحجاج يذكر فيه طاعته ونصيحته ويقول : «إني أرجو بِصِدْقِ نيتي وخلوصها لأمير المؤمنين شفاعته لي» . فقال أبو معتمر الحمصي : مقادي أميرالمؤمنين ينجو بنفسه .

قالوا : خرج الحجاج من العراق حاجاً أو معتمراً ، فمر بالمدينة وعليها عمر بن عبد العزيز فقال : كيف أميركم ؟ فأثنوا عليه خيراً . فقال : كيف هيبتكم له مع ما تذكرون من حُسْنِ سيرته ؟ قالوا : ما نقدِرُ أن نملأ عيوننا منه إذا جالسناه . قال : فما عقوبته ؟ . قالوا : ما بين الخمس عشرة

ضربةٍ إلى الثلاثين ، فقال : أهذه الهيبة مع هذه العقوبة ؟ قالوا : نعم . قال : الأمر إلى الله ، لقد حذرتُ أمير المؤمنين إيَّاه ، وإن الوليد لأَهْلٌ للنصيحة .

فكتب الحجاج إلى الوليد : إنَّ أهل المدينة قد اتخذوا عمر بن عبد العزيز كهفاً ، وقد تحبب إلى أهل المدينة ، فما يتقدمه عندهم أحد . فعزل الوليد عمر عن المدينة ، وولى عليها عثمان بن حَيَّان المُرِّي .

وأُخبر عمر بن عبد العزيز بلحن الوليد فقال : إنه وإن لَحَنَ لأَجَدُّ الجَدَّيْنِ .

وقرأ الوليد في الحاقَّة : ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾[1] ، فقال سليمان : وأنا والله وددتها ، وكان سليمان يسمع الوليد يلحنُ في خطبته فيقول : الله المستعان .

المدائني قال : مرض الوليد بن عبد الملك فَرَهَقَتْهُ غشيةٌ ، فمكث عامة يومه عندهم ميتاً ، فَبُكِيَ عليه وخرجت البُرْدُ بموته ، فقدِم رسولٌ على الحجاج بمثل ذلك ، فاسترجع ثم أمر بحبلٍ فَشُدَّ في يده ثم أُوثِقَ إلى أسطوانةٍ وقال : اللهم لا تُسلِّط عليَّ مَنْ لا رحمة له . فطالما سألتك أن تميتني قبل أمير المؤمنين ، فبينا هو كذلك إذا قدم عليه بريد بإقامته فخر ساجداً وأعتق كل مملوك له .

ويقال إنه قال : اللهم إني لم أَدْعُكَ في موطن أصابني فيه سوء إلا استجبتَ لي ، وقد سألتُكَ أن تُقَدِّمَ يومي قبل يوم الوليد ، فلما جاءه البريد بعافيته خَرَّ ساجداً ، وأعتق كل مملوك له ، وتصدق بصدقة كثيرة .

---

١ ـ سورة الحاقة ـ الآية : ٢٧ .

قالوا : ولما أفاق الوليد قال : ما أحَدٌ أَسَرَّ بعافية أمير المؤمنين من الحجاج ، فورد كتابه بعد أيام بتهنية الوليد بالعافية ، وبعث إليه بأنبجات[1] من انبجات الهند .

ثم لم يَمُتْ الحجاجُ حتى ثقل على الوليد ، فقال خادم للوليد : إني لأُوَضِّئه يوماً لصلاة الغَداة إذ مدَّ يده فجعلت أُصُبّ عليها الماء وهو ساهٍ والماء يسيل ولا أَقْدِرُ أن أتكلم ، ثم نضح الماء في وجهي وقال : أنَاعِسٌ أنت ؟ ثم رفع رأسه إليَّ فقال : ويلك أتدري ما جاء الليلة ؟ قلت : لا . قال : ويلك مات الحجاج . فاسترجعتُ فقال : اسكت فما يَسُرُّ مولاك أنَّ في يده تفاحة يَشُمُّها وأنه لم يَمُتْ .

المدائني قال : قال الماجشون : لما مات الحجاج أتيتُ عمر بن عبد العزيز فأخبرته فقال : رغم أنفي لربٍ لم يقطع مُدَّتي حتى أراني موت الحجاج ، فأتى الوليد فأخبره فترحَّم عليه ، ثم قال لعمر : أما لقد كان حسنَ القول فيك يا أبا حفص ، وهل كان إلاَ مِنَّا أهل البيت .

وحدثني الحرمازي عن أبي عمرو المديني قال : لما مات الحجاج والوليد بن عبد الملك جعل الإماء والصبيان بالمدينة يقولون : يا مهلكَ الاثنين أَهْلِكْ ذاك الإنسان ـ يعنون عثمان بن حيّان ـ

---

١ ـ الانبج : ثمرة شجرة هندية ، وهو معرب أنبة وزان رغبة ، قال أبو حنيفة : شجر الأنبج كثير بأرض العرب من نواحي عمان ، يغرس غرساً ، ويعظم شجره حتى يكون كشجر الجوز ، وورقة كورقه . تاج العروس .

وكان الوليد عزل عمر بن عبد العزيز وولاه المدينة ، فلما عزل عثمان قالوا : يا مُهْلِكَ الإثنين أَهلكِ ذاك الإنسان ، ومن ذاك الانسان ، عثمان بن حيَّان .

المدائني قال : قال سليمان بن يسار للوليد : إن عمر بن الخطاب قال : وددتُ أني أَنْجُو من الخلافة كفافاً لا عليَّ ولا لي ، فقال : كَذَبْتَ أو قال : كُذِبْتَ .

المدائني عن علي بن إبراهيم قال : قال الوليد : لا تحدثونا عن عمر بن الخطاب فإنَّ حديثَهُ طَعْنٌ علينا .

قال : وحجَّ الوليد وحج محمد بن يوسف أخو الحجاج من اليمن ، وحمل هدايا للوليد ، فقالت أم البنين بنت عبد العزيز امرأة الوليد : اجعل لي هدية محمد بن يوسف ، فأمر بصرفها إليها ، فجاءت رُسُلُ أم البنين إلى محمد بن يوسف لقبض الهدايا فأبى وقال : لا أسلِّمها حتى يراها أمير المؤمنين ، فغضبتْ ودخلت على الوليد فقالت : لا حاجة لي في هدايا محمد فإنه بلغني أنه أخذها من الناس ظُلماً وغصباً وسخَّرهم لعملها .

فلما حملها إلى الوليد قال له : بَلغني أنك اغتصبتها الناس وكلَّفتهم عملها وظلمتهم . فقال : معاذ الله . فأَحلفه خمسين يميناً بين الركن والمقام أنه ما ظلم أحداً ولا أصابها إلا من طيِّب فَحَلفَ ، فقبلها الوليد ، وبعث بها إلى أم البنين . ومات محمد بن يوسف باليمن ، أصابه داء تقطَّع منه .

قالوا : وقدم على الوليد أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في رجال من الأنصار ، وكان له فضل ودين ورأي ، وكان عظيم اللحية طويلها ، فقال له الوليد : أما تعمل طول لحيتك فقد غمتني لك ، اقبض قبضةً ثم

أخرى ، وأمر أن يُجزَّ منها بعد قبضتين . ففعل وكأنه لم يجزّشيئاً ، فاغتمت الأنصار لذلك ، وبلغ الوليد اغتمامهم فاعتذر إليهم وقال : ما فعلت هذا استخفافاً ، وأجازه ووصله .

وكان قد أهدى إلى الوليد رطباً كثيراً ، يقال إنه بأربعين ألف درهم ، فقبله ثم رده عليه وقال : إن في لحيتك له موضعاً فاقسم منه ما شئت في أصحابك .

قالوا : وأتى الوليد رجل من بني مخزوم يسأله في دية ، فقال : نعم إن كنتَ مستحقاً لذلك . قال : يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي ؟. قال : أقرأت القرآن ؟. قال : لا . قال : ادنُ ، فدنا منه فنزع عمامته بقضيب كان في يده وقرعه بالقضيب قرعات ثم قال لرجل : ضُمَّ إليك هذا فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن .

ثم قام إليه بعض ولد خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد فقال : يا أمير المؤمنين إن عليّ ديناً، فقال: أقرأتَ القرآن؟ قال : نعم . فاستقرأه عشر آيات من الأنفال ، وعشراً من براءة ، فقال : نعم نقضي دينكم ، ونصل أرحامكم على هذا .

وحدثني هشام بن عمار عن الوليد قال : مر الوليد يوماً بكُتّاب فيه وصيفة فقال للمعلم : ما هذه ؟ قال : أعلّمها الكتاب والقرآن . قال : ويحك ، ليكن الذي يعلّمها من الغلمان أصغر سناً منها .

المدائني قال : كان الوليد يمر بالبقال فيقف عليه فيتناول حزمة من البقل فيقول : بكم هذه ؟ فيقال : بفلسين . فيقول : زد فيها فإنك تربح .

قال المدائني : أتىٰ رجل الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إنك تعيش أربعين سنة خليفة ، فقال الوليد : إن أمير المؤمنين لا يرضى بضعف ذلك .

المدائني عن عقبة بن رؤبة قال : قال رؤبة : أوفد ابراهيم بن عربي وفداً من اليمامة أنا وأبي وجرير فيهم إلى الوليد ، فلما كنابحوّارين قال أبي : يا بني إنّا قد أتينا هذا الرجل وقد ولدته كريمة من كرائم العرب ولم تذكُرها بشيء ، فقلت :

إلىٰ ابنِ مروانٍ قَرِيْعُ الإنْسِ   وبنتِ عباسٍ قَريعُ عَبْسِ[1]

وقلت أبياتاً . فضرب خيشوم راحلتي وقال : أنا أحق بها منك . قال فدُعِيَ بنا قبل جرير ، ثم خرجنا ومالنا عند جرير ذنب فقال : أما والله يا بني أم العجاج لئن وضعتُ كلكلي عليكما لأطحننكما طحناً لا يُغْني معه مقطعاتكما هذه شيئاً . ويقال إن هذه الوفادة كانت إلى عبد الملك .

المدائني قال : كان عند الوليد رجل من أخواله بني عبس فجعل يقع في بني أسد ، فثقل ذلك على الوليد ، فقال الوليد لحاجبه : ابغني رجلاً من بني أسد ظريفاً يكفيني هذا العبسي فأتاه برجل منهم شاعر ، وأخبره بأمر العبسي والذي يريده ، فقال العبسي : ممن الرجل ؟ قال : من بني أسد ، فانبرىٰ العبسي يقع في بني أسد ، ثم قال : من أيهم أنت ؟ قال : من بني الصيداء ، قال : أتعرفون قول الشاعر :

إذا ما اللُّؤْمُ حَلَّ بدارِ قومٍ   هَـدَاهُ إلى بني الصَّيْدَاءِ غَـادِ

---

١ ـ ديوان العجاج ـ ط . بيروت ، مكتبة دار الشرق ص ٤٨١ مع فوارق .

فقال الأسدي : ممن أنت ؟ قال : من بني رواحة من عبس ، فقال الأسدي : ما أدري ما قال الشاعر ولكني أقول :

فـإنَّ اللؤمَ لم يَضْلِلْ ولكـن أذاعَتْـهُ رواحـةُ في البـلادِ
إذا عبسيـةٌ ولـدتْ غـلامـاً فَبَشِّرْهـا بِـلُؤْمٍ مُـسْتَـعَـادِ

حدثنا أبو عدنان البصري عن الهيثم بن عدي أن الوليد قال لعبدالله بن جعفر بن أبي طالب : أزوجتَ الحجاج ابنتك ؟ قال : أبوك زَوَّجَها ، لم يَقْضِ ديني فزوجتها ، وتمثَّل :

مَنْ يَـكُ نـائبـاً وَيَكُنْ أخـوهُ أبـا الضَّحَاكِ يَنْتَشِـجُ الشَّمالاَ

فكتب الوليد إلى الحجاج يأمره بطلاقها ، فقال لها الحجاج : إن أمير المؤمنين قد كتب إليّ يأمرني بطلاقك ، فقالت : هو والله أَبَرُّ بي ممن زوَّجنيك ، فطلقها الحجاج فكان يُجري عليها في كل شهر ألفي درهم ، وبعث إليها بأحمال كُسىً وعطر .

وقال المدائني وغيره : إن الوليد خطب يوماً وتحت سريره أعرابي فسمعه يقول : «إن علي بن أبو طالب كان لصاً من لصوص صب عليه شؤبوب[1]» . فقال الأعرابي : ما يقول صاحبكم هذا ؟

وقال الحرمازي : قال الوليد : «إن الزبير كان لصٌّ من لصوص ، وكان علي بن أبو طالبَ حمار من حمر» فقال أعرابي : ما يقول ؟ فقال له صاحبه : يذكر أضغاناً كانت بينه وبينهم .

---

١ ـ الشؤبوب : الدفعة من المطر ، وحد كل شيء وشدة دفعه . القاموس .

أبو الحسن المدائني عن عبدالله بن عبد الملك ، مولى قريش ، قال : أجرى الوليد يوماً الخيل فقال : رُدَّ الفَرَسَان الصادان عن الميدان ، فقال عباد بن زياد : الفَرَسَيْن الصادّين .

قال : وقال رجل لعبد الملك : أفسدتَ لسان الوليد فقال : ما ذاك إلّا مِنْ حبي له ، اشفقتُ عليه فلم أسترضع له في البادية .

وقال الوليد لسالم بن عبدالله بن عمر : ما أُدَمُكَ ؟ قال : الخل والزيت . قال : أفما تأجمهما[1] ؟ قال : بلىٰ ولكني إذا أجمتهما تركتهما وأكلت خبزاً قفاراً حتى أشتهيهما .

وقال المدائني : أغزىٰ الوليد جيشاً في الشتاء فسلموا وغنموا فقال لعبَّاد بن زياد : كيف ترىٰ ؟ وكأنه عَرَّضَ بقول زياد : جَنِّبُوني عَدوَّين لا يُقاتَلان . الشتاء وبطون الأودية . فقال : يا أمير المؤمنين قد سلموا وأخطأتُ ، وما كل عورة تُصاب .

وقال المدائني : ركب الوليد فَحَدَا به الحادي وهو من عُذرة

يـا أيها البَكْـرُ لقد أُراكـا تَحُلُّ سَهْلَ الأرضِ في ممشاكا
وَيْحَكَ هَل تَعْلَمُ مَنْ عَلَاكا خَليفـةَ الله الذي امتـطاكا

فقدم الوليد مكة وطاف بالبيت ثم استند إلى حائط يلي زمزم ، والفَضْلُ بن العباس بنَ أبي لهب يستقي من زمزم ويقول :

أيُّهـا السائـلُ عن عَـليِّ تَسْأَلُ عن بَدْرٍ لَنَا بَدْرِيِّ
مُـرَدَّدٌ في المَجْدِ أَبْـطحيٍّ زَمْزمُ يا بُورِكْتِ مِنْ طَويِّ
بـوركتِ للسـاقي وللمَسْقِيِّ إسْقِي عـلىٰ مَـأْثَـرةِ النَّبِيِّ

---

١ ـ أجم الطعام وغيره : كرهه مله . القاموس .

ثم أُتي الوليد بماء فشربه ومسح منه على وجهه .

حدثنا محمد بن الأعرابي قال : قال الأخطل للوليد بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين أَصْلِح بين ابني نزار ، فقال بَيْهَس بن صُهَيْب الجُرْمِي : لا أَصْلَحَ الله بينهم . فقال الأخطل : والله ما ادري ما تكره من ذاك ؟ فقال : بهيس : وأنا والله ما أدري ما ينفعك من ذاك .

وقال كَعْبُ بن جُعَيْل يمدح الوليد :

أرجو الخليفةُ إذ رَحَلْتُ أُريدُهُ   والنفسُ تَبْلُغُ بالرحيلِ مُنَاها
وإذا علقْتُ عن الوليدِ بذمةٍ   سَكَنَتْ إليَّ جوانحي وحَشَاهَا
أنت الإمام ابنُ الإمَامِ لأُمَّةٍ   أَضحىٰ بِكَفِّكَ فَقْرُهَا وغِنَاهَا

وقال رجل من غطفان في الوليد يمدحه :

إني وإنْ قَالَ أقوام تُكَلِّفُني   نَفْسي لأَذْكُرَ منه فَوْقَ ما ذَكَرُوا
قالوا الفراتُ وما أَرضىٰ به شَبَهاً   ولن يُوَازِيَ جارِيْ سَيْبُهُ البَحْرُ

في أبيات ، فلم يعطه شيئاً فقال :

أَتَيْتُ الوليدَ فألْفَيْتُهُ   كما قد عَلِمْتُ غَبِيّاً بَخيلاً
بَطِيء العطاءِ عَسِيرُ القَضَـ   ـاءِ لا يَفْعَلُ الخيرَ إلا قليلا

وقال أيضاً :

أتيتُ الوليد فألفيتُه   كما يَعلمُ الناسُ وَخْماً وَبِيْلاَ
فَلَيْتَ لنا خالداً بالوليد   وعبدُ العزيز بيحيىٰ بَدِيْلاَ

يعني خالد بن يزيد بن معاوية ، وعبد العزيز بن مروان ، ويحيى بن الحكم .

وقال أبو قطيفة للوليد :

أَلَا ابْلِغْ أَمِيرَ المؤمنينَ رسالةً فَغَيْرَ التي تأتي من الأمر أَصْوَبُ
أَفي الله أنْ نُدْنى إذا ما فِزعْتُمُ ونُقْصىَ إذا ما تأمَنُونَ ونُحْجَبُ
وَيُجْعَلُ دُوني مَنْ تَوَدُّ لَوَ أَنَّكُمْ ضِرامٌ بِكَفَّيْ قابِسٍ يَتَضَرَّمُ
فها أَنْتُمُ داويتْمُ الكَلْمَ ظاهِراً فَمَنْ لِقُرُوحٍ في الصدور تُخَرَّبُ

ومدحه الأخطل بشعر يقول فيه :

لقد وُلِدَتْ جذيمة مِنْ قريشٍ فَتاها حين تَحْزُبُهَا الأُمُور
وأَسْرَعِهَا إلى الأعداءِ سَيْراً إذا ما اسْتُبْطِىءَ الفَرَسُ الجَرُوْرُ[1]

وقال خالد بن خيار :

وَعِنْدَ الوليدِ إنْ أَرَدْنَا عَطَاءَهُ نَوالٌ كثيرٌ دُوْنَهُ البابُ يُقْفَلُ
إذا ما رَجَوْنَا أنْ يَجُودَ سَحابُهُ بخيرٍ أَبَتْ كَفٌّ تَضِنُّ وتَبْخَلُ

المدائني أن أخا الأحوص شهر على أخيه السيف بالمدينة ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد ، فكتب إليه الوليد أنّ اقطع يده . فقطع عمر يده فتعلقَ على عمر بذلك .

قال وكتب الوليد إلى عمر أن اضرب خُبَيْباً لأنه كان يقول ملْك بني مروان زائل عن قريب ، وكانت عنده أحاديث ، فضربه عمر لذلك فمرض وبرىء ، ثم مرض فمات ، فظن أنه مات من ضربه ، فأعتق ثلاثين رقبة . ويقال إنه ضربه أربعين سوطاً ، وصبَّ عليه جرّة ماء ، فمات فأعتق ثلاثين رقبة .

قال : وقال بعضهم : لما قتل عبدالله بن الزبير بَايَعَ عبدالله بن خازم السُّلَمي صاحب خراسان لِخُبَيْبٍ بن عبدالله بن الزبير ، فكان ذلك في نفس

١ ـ ديوان الأخطل ص ١٨٣ .

عبد الملك والوليد ، فلما ولي الوليد أراد فضيحة خُبَيب ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بضرب خبيب فضربه .

قال المدائني : وهذا غلط لأن ابن خازم قُتل قبل مقتل ابن الزبير .

المدائني قال : أُدخل بعض الخوارج علىٰ الوليد بن عبد الملك فكلمه فشتمه الخارجي وشتم أباه ، فقال الوليد لعمر بن عبد العزيز : ما ترىٰ ؟ قال : أظنه مغلوباً على عقله فإن فعلتَ بما يشبهك ويشبه من أنتَ منه خلَّيتَه . فقال الوليد لعمر : حروري والله . قال عمر : مجنون والله .

فاخترط خالد بن الريان سيفه وهو يرىٰ أن الوليد يأمره بقتل عمر ، فقام الوليد مغضباً فدخل على أم البنين أخت عمر فقال : ألا ترين إلى ما قال لي أخوكِ الحروري الأحمق ، قالت : أنت أولىٰ بما قلت له ، ما أسقط عمر سقطة مذ كان غلاماً . وقال لعبد العزيز ابنها : اخرج إلى خالد بن الريان فاصرفه .

وقال عمر لخالد : أكنتَ قاتلي لو أمرك الوليد ؟ قال : أي والله . قال : إنك لجرىء على طاعة المخلوق فيٰ معصية الخالق .

وأرسلت أم البنين إلى خالد أن اخرج من العسكر ، فخرج فكان مع سليمان في عسكره .

المدائني قال : خطب الوليد يوم جمعة وكان لحاناً فقال أعرابي : لقد خلط بين وَبَرٍ وصوفٍ ـ أي أخطأ وأصاب ـ .

وقال الكلبي : كان الوليد وسليمان وَلِيَّيْ عهد عبد الملك ، فأراد الوليد حين ولي أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان ، فأبىٰ سليمان ،

فأراده على أن يجعله بعده ، فأبىٰ سليمان أيضاً ، فبذل له الوليد أموالاً عظيمة كثيرة على أن يفعل ذلك .

وكتب الوليد إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز ، ودعا الناس إلى ذلك فلم يجيبوا إلا الحجاج وقتيبة بن مُسْلم ، وخواصٌ من أصحابه ، فقال له عَبّاد بن زياد : إن الناس لا يجيبونك إلى هذا ولو أجابوك لم تأمنهم على الغدر بابنك ، فاكتب إلى سليمان فَمُرْهُ بالقدوم عليك فإنّ لك عليه طاعة فإذا قدم فأرِدْهُ على البيعة لعبد العزيز من بعده ، فإنه لن يقدم على الامتناع عليك وهو عندك ، فإن أبى كان الناس عليه .

فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه ، فأبطأ وتثاقل ، فعزم الوليد على المسير إليه وخلعه فأمر الناس بالتأهب ، وأمر بحجره فأخرجت ، ومرض الوليد فمات قبل أن يسير .

وقال الوليد ليزيد بن حصين بن نمير السكوني : بايع لعبد العزيز ، فقال : أما يميني فقد بايعت لسليمان ، فإن شئت بايعتُ لعبد العزيز بشمالي .

وقال جرير بن عطية للوليد :

إذا قِيلَ مَنْ أَهْلُ الخلافةِ بَعْدَهُ أشارتْ إلىٰ عبدِ العزيز الأَصَابعُ[١]

فَوَصَله عبد العزيز وأمه ، فلما قام سليمان خافه فأتاه ممتدحاً لأيوب فعفَا عنه سليمان وقال كثير :

جَمَعت هوانا يا بن بيضاء حرة رَجَا مُلْكَهُ لما استَهَلَّ القَوابِلُ[٢]

١ ليس في ديوانه المطبوع .
٢ـ ليس في ديوانه المطبوع .

المدائني عن أبي اليقظان عن هشام بن حسان قال : أرسل الوليد إلى رجل من أهل الشام كان ذا فضل وعقل فقال له : ما عطاؤك ؟ قال : كذا . فأضعفه له وأمر أن يلحق عياله بشرف العطاء ، وقضى دينه ثم قال له : إن أمير المؤمنين قد أحب أن يضمَّك إلى ولده ليأخذوا بِهَدْيِك وينتفعوا بأدبك ، فامتنع عليه وقال : لستُ أفرغُ لهم . قال : فيصيرون إليك في الجمعة يوماً . قال : لا يمكني . فأسقط رزقه فلقيه رجل من أصحاب الوليد فقال : يا عبدالله ما دعاك إلى الإمتناع مما سألك أمير المؤمنين ؟ فقال ونظر إلى دابة ميتة : والله لأَنْ آتي هذه الجيفة غدوة وعشية فأتمعك عليها أحبُّ إليّ من أن أجيبه إلى ما سأل . قال : وكم يكفيك في كل شهر ؟ قال : خمسون درهما . قال : فهي لك ما بقيت .

قال المدائني : وقال في الوليد أبو عدي عبدالله بن عدي بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس :

عبدُ شمسٍ أبوكَ وهو أبونا لا نُناديكَ مِن مكانٍ بَعيدِ
والقَرَاباتُ بيننا واشجاتٍ محكماتُ القُوىٰ بِعَقْدٍ شَدِيْدِ
فَأَنِبْنِي ثوابَ مِثْلِكَ مِثْلِي تَلْقَنِي للثواب غَيْرُ جَحُودِ

حدثني الحرمازي عن أبي زبالة وغيره قال : كانت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر بن عبد العزيز عند الوليد ، وكان معجباً بها محباً لها ، وكانت امرأةً بَرْزَة عفيفة تحب الشعر فبعثت إلى كثير أَنْ صِفْني وامدحني فكَرِهَ ذلك ، فقالت له : قل الشعر في غاضر جاريتي فذلك حين يقول :

أَغَاضِرُ لو تَرَيْنَ غَدَاةَ بِنْتُمْ جُنُودَ العائِداتِ علىٰ وِسَادِي

قصة وضاح اليمن مع أم البنين بنت عبد العزيز زوج الوليد بن عبد الملك .

أو أم البنين بنت المخترم ، والأول أصح .

وحجتْ مع الوليد فرأت وَضّاحَ اليَمَنِ الشاعر ، أحد الأبناء ، وهو ينشد ، فأعجبها فأرسلت إليه أن اصحبنا ، وأمرته فقال فيها شعراً ، فبعثت إليه بكسوة وجائزة ، فلما صارت إلى الشام وهو معهم جعلت ترسل إليه فيدخل عليها سراً وهي من وراء السِّتْر فينشدها ويحادثها .

وبلغ ذلك الوليد فَغَمَّه فأمر خادماً أن يدخل عليها فإنْ وجد وضاحاً عندها قتله ، فلما أحست أم البنين بالخادم أدخلت وضاحاً صندوقاً وأقفلته ، فأخذ الخادم الصندوق وحفر حفرة ثم دفن الصندوق فيها .

وحدثني الأثرم عن أبي عُبَيْدَةَ عن ابن جُعْدُبَةَ قال : كان وضاح من أبناء اليمن وكان جميلاً وهو الذي يقول :

مـالَـكَ وَضّـاحُ دَائِمَ الغـزَلِ ... أَلَسْتَ تَخْشَى تَقـارُبَ الأَجَـلِ

وكانت أم البنين بنت المخترم امرأة جميلة فعشقها وأحبته وكان زوجها من حِمْيَر فسمعها تقول :

يـا وَجْـهَ وَضَّـاحٍ لَقَـدْ ... أَوْرَثْـتَ قَـلْبِـي حَـزَنـا
وكـان وضـاحُ لِـنَـفْـسِـ ... ـي وَيْـحَ قَلْبِي شَـجَنَـا

فطلقها . ولها يقول وضاح :

وأَنْتِ التي كَلَّفْتِنِي البَرْدَ شَاتِياً ... وَأَوْرَدْتِنِيْـهِ فَانْـظُرِي أيَّ مَـوْرِدِ

وحجت أم البنين ، فبلغ الوليد أمرها وهو حاج ، فبعث فتزوجها وحملها فاتَّبعها وضاح .

قال أبو عبيدة : وحدثني جماعة من أهل العلم أن التي قُتِل وضاح بسببها أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان .

قال : وقال ابن ذئب : أم البنين بنت المخترم امرأة كانت للوليد بن عبد الملك ، تزوجها من أهل البادية ، وكان وضاح اليمن قدم على الوليد قدوم الشعراء فعلِقَتْه أم البنين ، وبلغ الوليدَ أمرُهُ ففعل به خادمه ما فعل بأمره . والأول أثبت .

ووضاح الذي يقول :

مـالَـكَ وضــاحُ دائِمُ الغـزَلِ أَلَسْتَ تخشىٰ تَقَـارُبَ الأَجَـلِ

وحدثني الحرمازي قال : أم البنين التي قُتل الوضاح بسببها ابنة عبد العزيز بن مروان وابنة المخترم غيرُها ، وهي التي قال فيها عمر بن أبي ربيعة :

فَلَوْ كُنْتِ إذْ عِبْتِنِي في الجَمَال كَـأُمِّ البَنـينِ ابْنَـةَ المُخْتَـرِمْ[1]

المدائني قال : حج الوليد فنظر إلى عمر بن أبي ربيعة فقال له : من أنت ؟ قال : عمر بن أبي ربيعة قال : الشاعر ؟ قال : مثلي يا أمير المؤمنين لا يُنْسَبُ إلى الشعر وإنما إلى بيته وآبائه . قال : فأنشدنا فأنشده ، فَبَرَّهُ .

المدائني قال : ناضل الوليد نوفل بن عبدالله فنضله نوفل ، فقال الوليد : رمية من غير رام ، قال : إنها من رامٍ أكْثَرُ .

قال : وقدم الوليد بن عبد الملك بيت المقدس فنزل على قوم من غسان فذبحوا له الغنم ، والبقر ، والدجاج ، والفراخ ، والأوز ، والحجل ،

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

ونحروا الجزور ، فجعلوا يلقون في قدور لهم عظام من كل ما ذبحوا ونحروا ويخلطون ذلك ـ فَسُمِّي ذلك الطبخ : الغسانية مذ ذاك .

وقوم يقولون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم الشام أُتي بطعام فجعل يخلط بعض الألوان ببعض فَسُمِّيَ ما خلط الغسانية . والأول أثبت .

المدائني عن علي بن سليم قال : كانت ابنة سعيد بن العاص عند الوليد ، فمات عبد الملك فلم تبك عليه ، فقال لها : ما منعك من البكاء على أمير المؤمنين ؟ فقالت : ما أقول له إلا أن أدعو الله أن يُحْيِيْه ويزيد في سلطانه حتى يقتل أخاً لي آخر ؟ فقال : أي والله لقد قتلناه وكسرنا ثناياه . قالت : قد عَلِمْتَ مَنْ شُقَّتِ استُهُ ، فقال : الحقي بأهلك . قالت : ألذ من الرفاء والبنين .

قالوا : وقال الوليد لِبُدَيْحٍ غلام عبدالله بن جعفر : يابديح خذ بنا في التمني فوالله لأغلبنَّك ، قال : ستعلم . فقال الوليد : ابدأ أنت فتمنىٰ فإني سأتمنى ضعف ما تتمنىٰ . فقال بديح : فإني أتمنىٰ سبعين كفلاً من العذاب ، وأن يلعنني الله لعناً كثيراً ، فقال : غلبتني قبحك الله .

قالوا : ودخل على الوليد رجل من العرب يشكو خِتْنَهُ فقال : إن خِتْني أخذ مالي وظلمني ، قال : ومن خَتَنَكَ فظنَّ أن يسأله عمن أعذره ، فلم يجبه . فقال عمر بن عبد العزيز : من خِتْنُكَ ؟ قال : فلان بن فلان .

وقال الوليد لرجل دنا منه : قبلَكَ قبلَكَ ، يريد : مكانك .

حدثني هشام بن عَمَّار الدمشقي عن مُدْرِك بن حَجْوَة أن قوماً دخلوا على الوليد وعنده أخوه مسلمة فشكوا أمراً من أمرهم ، فلم يُبَيِّنُوا

ولا أحسنوا العبارة عما في أنفسهم ، فتكلم رجل منهم فأفصح وأوضح وعبر عن نفسه وعن القوم ، فقال مسلمة : ما شَبَّهْتُ كلام هذا الرجل في إثر كلام القوم إلا بسحابة لَبَدَتْ عَجاجاً .

قالوا : ومرض الوليد فذكر له موسىٰ بن نصير طبيباً قدم به من المغرب رومياً فأدخله إليه ، وعنده ابن رأس البغل ، ويقال ابن رأس الحمار ، وكان يعالجه ، وكان طبيب عبد العزيز بن مروان ، وكان من أهل الاسكندرية ، فتراطنا بالرومية فقال أحدهما لصاحبه : ما داؤه ؟ قال : السُّل . قال : صدقتَ .

ودعا له صاحب موسىٰ بفرخٍ فطُبخ وأُلقي على مَرَقِهِ دواء وحَسّاه منه جرعاً فلم يلبث في جوفه وقاءه ، فقال : لا أرى هذا وافقك وعندي ما هو أسهل منه وأنا آتيك به في غدٍ ، فخرج من عنده وقال : والله لا يصبح حياً ، فماتَ في السَّحَر .

وتوفي الوليد ويكنىٰ أبا العباس في سنة ست وتسعين وهو ابن تسع وأربعين ، وملك تسع سنين ، ودفن خارج الباب الصغير بدمشق ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، فرثاه جرير فقال :

إنَّ الخليفَة قَدْ وارت شَمائِلَهُ غَبْراءُ مُلْحِدةٌ في حَالِهَا زَوَرُ
أضحىٰ بَنُوهُ وقد جَلَّتْ مصيبتُهم مِثْلَ النُّجُومِ هَوَىٰ مِنْ بَيْنِهَا القَمَرُ
كانوا جميعاً فلم يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عبدُ العزيزَ ولا رَوْحٌ ولا عُمَرُ[1]

---

١ ـ ديوان جرير ص ٢٢٩ مع فوارق .

وقال المدائني : لما قدم ابن حَيَّان المدينة والياً دخل دار مروان فقال : هذه المِحْلالُ المِظْعَانُ ، ثم قال :

مُجَرِّبٌ قد حَلَبْتُ الدهرَ أَشْطُرَهُ مُجَرِّسٌ[1] سَدَّ رأيٌ مِنْهُ تَعْلِيْمُ

فقيل له : إن الوليد ثقيل فقال : إن كان أمير المؤمنين ثقيلا ، فإن سليمان لأخوه لِأبيه وأمه ووليّ عهده ، ولقد هَدَّ ما ذكرتم ركني .

وقال هشام ابن الكلبي : ولي الوليد بن عبد الملك في شوال لعشر خلون منه سنة ست وثمانين ووليَ تسع سنين وتسعة أشهر ، وتوفي يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

المدائني قال : كان القعقاع بن خليد عند الوليد بن عبد الملك ، وعنده ابن رأس الجالوت ، فقال الوليد : إنكم تزعمون أن في ولد داود علامة يعرفون بها فما هي ؟ قال : تنال يد أحدنا رُكْبَتَه وهو قائم ، فقال القعقاع : فيدي تنال ركبتي . فقال الوليد : فافعل ، فذهب يفعل فضرط فَعُيِّر بذلك شيبة بن الوليد بن القعقاع فقال الشاعر :

يا شيْبُ هَلْ لكَ في أَلفٍ مُدَرْهَمَةٍ بِضرطةٍ ليس في إرسالِهَا حَرَجُ
كذاك شيخُكَ إذْ هوىٰ بِرُكْبَتِهِ فَحاز فَقْحَتَهُ من ضَعْفِهَا الشَّرَجُ

---

١ ـ التجريس : التحكيم والتجربة . القاموس .

الخوارج في أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان

أمر زياد الأعسم :

قال أبو الحسن المدائني عن أصحابه: كان زياد الأعسم من بني عصر بن عوف بن عمر بن عبد القيس من أنفسهم ، ويقال كان مولى لهم يرىٰ رأي الأزارقة ، وكان يبيع بسوق الزِيادي ، فلما قدم داود بن النعمان البصرة للتجهز قال لأصحابه : أريد أن أشتري غلالة تكون تحت درعي أجعلها كفناً ، فأتىٰ سوق الزيادي فقال : مَنْ عنده غلالة رقيقة ؟ فقال له زياد الأعسم وهو لا يعرفه ، وظن أنه بعض فتيان أهل البصرة ، وكان داود جميلاً : يا فتىٰ عندي غلالة فإن شئت أن أبيعك إياها أَرَقَّ من دِينك فَعَلْتُ . فلم يكلمه داود ومضى ، فقال رجل لزياد : أتعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا داود فاتبعه زياد فاعتذر إليه وواعده مكاناً يلقاه فيه ، فاتعدا قصر أوس[1] ، فالتقيا من غدٍ فكلمه داود فأجاب داود ورجع عن رأيه ، وأتىٰ

١ ـ قصر أوس بالبصرة ، ينسب إلى أوس بن ثعلبة ، وكان سيد قومه ، وكان قد ولي خراسان في الأيام الأموية . معجم البلدان .

المسجد الذي كان يصلي فيه بالأزارقة من أصحابه فأخَّذُوه ، ويقال إنه كان أباضياً .

وخرج الأعسم في جماعة ، فيقال إن ابن رباط خرج إليهم فقتلهم ، وقال زياد الأعسم حين خرج :

تعاتِبُني عُرْسي على أنْ أُطِيْعَها وقَبْلَ سُلَيمىٰ ما عَصَيْتُ الغَوَانِيَا
فكُفِّي سُلَيْمىٰ واتركي اللَّوْمَ إنني أرىٰ فتنةً صَمَّاء تُبْدِي المَخَازِيَا
وكيفَ قُعُودي والشُّراةُ كما أرىٰ عزينٌ[1] يلاقُونَ البَلايَا الدَّوَاهيا

في قصيدة .

١ ـ العزين : الحلقة المتجمعة من الناس ، وأصلها عزوة فحذفت الواو ، وجمعت جمع السلامة على غير قياس . النهاية لابن الأثير

خبر الهَيْصَمُ بن جَابِر

وهو أبو بَيْهَس أحد بني سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

وقال أبو الحسن علي بن محمد عن أصحابه : طلب الحجاج أبا بيهس الهيصم بن جابر فهرب إلى المدينة ، فَطَوَّل شعره ، ولعب بالحَمام واختضب ، فلم يعرفه بها أحد .

وطلبه الحجاج وسأل عنه فأعياه وجوده ، وبلغ الوليد بن عبد الملك أنه بالمدينة فكتب إلى عثمان بن حَيَّان المرّي فيه ووصف له صفته وحُلاَهُ ، فقرأ عثمان الكتاب على الناس والهيصم جالس فنظر إليه رجل إلى جنبه فقال : إنك لصاحب الصفة وما أنا بمخلّيك . قال : إنك إن فعلتَ أُثِمْتَ ، واقترفت ذنباً عظيماً ، فأخذه وأتى به عثمان فأقَرَّ أنه الهيصم فأعجبه ما رأى منه فحبسه ، وكتب إلى الوليد بأخذه إياه .

وكان عثمان بن حيان يرسل إليه في كل ليلة فيسامره ويحدثه ، وكان معجباً به ، فأتاه كتاب الوليد أن اقطعْ يديه ورجليه واقتله ، فقال له عثمان : اعهد عهدك فقد كتب أمير المؤمنين يأمر بقتلك . فقال : أجميعاً أم

متفرقاً ؟ . قال : متفرقاً . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال له عثمان : هل لك من حاجة ؟ فأوصى ببنية له بالمدينة أن ترد إلى أهله .

وأُنفذ فيه أمر الوليد ، فمر به رجل حين قطعوا يديه ورجليه فشتمه ، فقال له أبو بيهس : إن كنت عربياً فإنك من هُذَيل ، فإنهم أسوأ قوم أخلاقاً ، وإن كنت من العجم فإنك بربري .

ومر به عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان فقال : اصبر أبا بيهس ، فقال : أما إن أمرتَ بالصبر انك لجميل المزداة [1] عظيم ، حُسْن القدم في الاسلام .

وقتله عثمان بن حيان ، فقال عُوَيْفِ القَوَافي أو غيره :

إنَّ ابنَ حَيَّانٍ شَفَى الصدورا أَصْبَحَ في يَثْرِبَ مُسْتَنِيرا
قد أدركَ الله به الثؤورا [2] أَتْبَعَ رأسَ هَيْصَمٍ مَثْجُورا [3]
لصين كانا عَلَيا فُجُورْا

وقال الهيثم : هرب نبراس بن مالك العنزي من الحجاج ، وقد طلبه فبينا الحجاج يخطب إذ مَثَلَ بين يديه فأنشد شعراً له يُظهر فيه التوبة ، فقال له الحجاج : الْزَم بابي ودع الطعن على الولاة ، فكان يَضرب أعناق الخوارج بين يدي الحجاج .

---

١ ـ أزدى : صنع معروفاً . القاموس .
٢ ـ جمع ثأر . القاموس .
٣ ـ الثجرة : الوهدة من الأرض ، ومجتمع أعلى الحشا أو وسطه ، وما حول الثغرة ، وثجر الثمر : خلطه بثجير البسر : أي ثفله . القاموس .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر سليمان بن عبدالملك

وسليمان بن عبدالملك وأمه وأم الوليد وَلَّادَةُ بنت العباس بن جَزي ، ويكنى أبا أيوب ، وكان فصيحاً ، نشأ في أخواله بني عبس ، وكان أبيض جعداً ، ولي سنة ست وتسعين ، وكان جميل المذهب ، حسن السيرة ، أخرج المُحَبَّسِينْ ، وردَّ المسيَّرين ، وأنصف من المظالم .

وكان الوليد أخوه ولاه فلسطين ، فأحدث مدينة الرَّمْلَة وبنى مسجدها ، وأتاه نعي الوليد ، وكان ولي العهد بعده فخرج من فلسطين الى دمشق ، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر ، ومات بدابق [1] ، ودفن بها ، وصلى عليه عمر بن عبدالعزيز ، وذلك في سنة تسع وتسعين ، وكان يوم مات ابن خمس وأربعين سنة .

فولد سليمان بن عبدالملك : أيوب وأمه أم أبان بنت خالدبن الحكم بن أبي العاص ، وأمها أم عثمان بنت خالد بن عقبة بن أبي معيط .

---

١ ـ دابق قرية في هضبة حلب ، منطقة عزاز ، فيها تل أثري في شمال القرية ، أقيم عليه ضريح سليمان بن عبدالملك . المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري .

ويحيى ، وعبدالله ، أمهما عائشة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان .

ويزيد ، والقاسم ، وسعيداً ، أمهم أم يزيد بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية .

وعبد الواحد ، وعبدالعزيز ، أمهما أم عمرو بنت عبدالله بن خالد بن أسيد .

وداود ، ومحمداً ، وعُمَرُ ، وعَمْرَاً ، وعبدالرحمن ، لأمهات أولاد شتى ، والحارث لأم ولد .

وأم أيوب كانت عند عبدالعزيز بن الوليد فهلكت ، فجاء عبدالعزيز الى سليمان أبيها ، فقال له سليمان : أَدَفَنْتَ أم أيوب ثم تأتيني ؟ . فقال : يا أمير المؤمنين أنا بها أعظم مصيبة منك . قال : وبلغني أنك نازعتَ الحارث ابن أمير المؤمنين في الصلاة عليها ، فقال : ما بلغ بي الجهل أن أفعل ذلك .

فأما أيوب بن سليمان ، فكان من فتيان قريش عفافاً وأدباً ، وكان أبوه قد بايع له بالعهد ، وكان مؤدبه وحاضنه عبدالله بن عبدالأعلى الشاعر ، وقال فيه جرير :

إنَّ الإمامَ الذي تُرْجَىٰ فَواضِلُهُ بعدَ الإمامِ وَليُّ العهدِ أيوبُ [1]

وهلك في حياة أبيه .

وقال الفلتان أخو بني عبدالله بن دارم :

مَنْ يَكُ جاراً لِقَومٍ لا وَفَاء لهم فإنَّ جَاريْ وَليُّ العَهْدِ أَيُّوبُ

ورثاه عبدالله بن عبد الأعلى بقصيدة يقول فيها :

---

١ ـ ديوان جرير ص ٣٤ مع فوارق .

وَلقدْ عَجِبتُ لِذِي الشماتَةِ إنْ أُري جَزَعِي ومن يَذُقِ الفَجيعةِ يَجْزَعِ
فَاشْمَتْ فقد قَرَعَ الحوادثُ مَروَتي واجْذُلْ بِمَرْوتِكَ التي لم تُقْرَعِ
إنْ تَبْقَ تُفْجَعُ بالأحِبَّـةِ كُلُّهم أَوْ تُرْدِك الأحداثُ إن لم تُفْجَعِ
مَنْ لا تُخَرِّمُهُ المنيَّـةُ لا يُرَىٰ منها عَلَى خوفٍ لَها وتَـوَقُّـعِ
قَدْ بانَ أيـوبُ الذي لفـراقِهِ سَرَّ العـدوَّ غَضَاضَتِي وتَخَشُّعي
أيوبُ كنتَ تَجودُ عندَ سُؤالِهِمْ وتَظَلُّ مُنْخَدِعاً وإنْ لم تُخْدَعِ

ولا عقب لأيوب .

وحدثني هشام بن عمار الدمشقي ، أبو الوليد ، عن مسلم بن أبي سُليم الحمصي قال : خرج سليمان إلى دابق ليُغزي الناس ، فأغزاهم وعليهم ابنه أيوب بن سليمان ، ومعه مسلمة بن عبدالملك .

وكان أيوب ولي عهده ، فلما احتُضر سليمان قال : ان ابني أيوب بإزاء عدو ولا أدري ما يحدث به فإن أُهمل الأمر إلى قدومه ضاع وانتشر ولم تُؤمَنُ الفتنة على الناس في جميع الأقطار ، ولعل الحدثان أن يكون قد غاله ، على أني وليته العهد وأنا أظن أنَّ عمري يطول . وهو حَدَثٌ .

فولى عمر بن عبدالعزيز ، ويزيد بن عبدالملك من بعده ، وأيوب إن كانَ بَعْدَ يزيد ، وكَرِهَ أن يُخرجها من ولد عبدالملك فيختلفوا ويُحْدِثُوا أحداثاً تدعو إلى الفتنة .

وَصَوَّبَ رجاء بن حيوة رأيه في ذلك ، وقَوَّى عزمه . وتوفي أيوب في غزاته وقد أقبلَ ، وذلك حين شارف الثغر خارجاً أو داخلاً .

وقال هشام : وقد تَقَوَّلَ قوم أن نعيَ أيوب أتى سليمان يوم مرض ففعل ما فعل .

وقال المدائني ، وأبو اليقظان : مات بالشام .

وأما محمد بن سليمان فكان صاحب فتوّةٍ وباطل ، وقد أدرك الوليد بن يزيد .

وأما عبدالواحد فولاه مروان بن محمد بن مروان مكة والمدينة فصلى بالناس بالموسم ، ثم هرب من الإباضية حيث خرجوا عليه ، فقال الشاعر :

جاءَ الذين يُخالفونَ بِدِيْنِهم دِيْنَ النبيِّ ففرَّ عبدُ الواحِدِ
تَرَكَ القتالُ وما بِهِ مِنْ عِلّةٍ إلا الوهُونُ وعرقةٌ مِنْ خالد[1]

وقتله صالح بن علي بن عبدالله ، وأخذ ماله بالشام . وله عقب .
ومدحه ابن هرمة فقال :

إذا قيْلَ مَنْ خَيْرُ مَنْ يُرْتَجَىٰ لمعتر فِهْرٍ ومُحتاجِهَا
ومنْ يَعْجِلُ الخيلَ عند الوغىٰ بألْجَامِهَا قَبْلَ إسْرَاجِهَا
أشَارَتْ نِساءُ بني مالِكٍ إليهِ بِهِ قَبْلَ أزواجِهَا[2]

وأما عبدالرحمن بن سليمان فهلك وهو شاب .

وأما الحارث بن سليمان فكان من رجالاتهم جلداً وذكراً ، وأدرك قتل الوليد بن يزيد ، وقال فيه الشاعر :

كَأَنَّكَ بُرْدٌ ذُو حَوَاشٍ مُسَهَّمٍ بِهِ حَرَق قَدْ شَابَهُ وهو واسعُ
بَلَوْناكُمُ حتى عَرَفْنَا خِيارَكُمْ فَخَيْرُكُمُ رَثُّ المُروءةِ وَاضِعُ

١ ـ بهامش الأصل : يعني خالدبن أسيد .
٢ ـ ديوان ابراهيم بن هرمة ص ٨٥ ـ ٨٦ .

فقال هشام بن عبدالملك لهذا الشاعر : ويلك عَمَمْتَ بني مروان .

فقال : لا ولكني عنيت بني سليمان .

وأما يزيد بن سليمان فمات قبل المُسَوَّدَة ، وقَتَلَ ابنهُ عبدُالله بنَ علي .

وأما داود بن سليمان فهو الذي قال له رجل : هلك أبوك بَشْماً [١] ، وهلكت أمك بغراً [٢] ، وكانت أم داود عطشت في طريق مكة ، فشربت فأكثرتْ فماتت .

قالوا : وكان الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم أشارا على الوليد بتولية ابنه عبدالعزيز العهد مَكَانَ سليمان أو بَعْدَهُ ، فحقد على قتيبةَ سليمانُ ، فلما استُخلف سليمان قال قتيبة وهو بخراسان : أيها الناس قد وليكم هَبَنَّقَةَ القيسي ، وذلك أن سليمان كان يعطي أهل الشرف واليسار والنباهة ولا يرفع خسيسة ولا يصطنع خاملاً ، وذلك أن هبنَّقة كان يَخص سِمَانَ إبِلِهِ بالمرعى والعلف ويضرب المهازيل ، ويقول : أنا لا أُصلِحُ ما أَفْسَدَ الله ، ولا أُفسد ما أَصْلَحَ ، فنُسِبَ إلى الحمق ، وكان ذلك سبب مخالفة قتيبة حتى قتل بخراسان :

وفي سليمان يقول الفرزدق :

وإلى سليمان الذي سكَنَتْ أروى الهضاب له من الذعر
وتراجع الطرداء إذ وثقوا بالأمْنِ من رتبيل والشَّحَرَ [٣]

١ ـ انظر خبر وفاة سليمان بسبب اكثاره من الطعام في المعمرين والوصايا لأبي حاتم السجستاني ـ ط القاهرة ١٩٦١ ص ١٦٥ ـ ١٦٨ .

٢ ـ بغر : شرب ولم يرو فأخذه داء من الشرب . القاموس .

٣ ـ الشحر ساحل مهرة باليمن .

كُنّا نُنَاجِي اللّهَ نسأَلُهُ ... في الصبحِ والأسحارِ والعصْرِ
ألَّا يُمِيْتكَ أَوْ يكُونَ لَنَا ... أنتَ الإِمَامُ وَوَالِيُ الأمْرِ
فأجابَ دعوتَنَا وأَنْقَذَنَا ... بخلافةِ المهديِّ من ضُرِ
إنِّي لأرْجُو أن يُقيمَ لَنَا ... سُنَنَ الخَلائِفِ مِنْ بني فَهْرِ (١)

والقصيدة طويلة . وقال فيه أيضاً :

وكم أطلقت كَفَّاكَ من قيد بائسٍ ... ومن عقدةٍ ما كانَ يُرْجىٰ انحلالُها (٢)

المدائني عن عوانه قال : خرج سليمان بن عبدالملك يستسقي فسمع أعرابياً يقول :

يا ربنا ربَّ العباد مَالَكا ... قدْ كنتَ تَسقينا فما بدا لكا
أنزل عَلينا الغَيث لا أبا لكا

فقال سليمان : صدق والله فما لله أب ولا صاحبة ولا ولد .

المدائني عن أبي اليمان القرشي قال : خطب سليمان بن عبدالملك فقال : «اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حكما ، واجعلوه لكم قائدا ، فإنه ناسخ لما قبله ، ولن ينسخه كتاب بعده» . فما سمعتُ خطبة أَوْجَزَ منها .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال : قال سليمان بن عبدالملك يوماً : يا غلام ادعُ صالحاً ، فقال بعض الحرس :

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٥ .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص ٧٦ .

يا صالحاً . فقال سليمان : أنقص من صالحك ألف ، فقال عمر بن عبدالعزيز : وأنت يا أمير المؤمنين فَزِدْ في أَلْفِكَ ألفاً .

المدائني عن الفضل بن تميم قال : دخل رجل على سليمان فتكلم فأراد أن يَسْبِرَ عقله فإذا هو مضعوف ، فقال سليمان : زيادة منطقٍ على عقله خدْعةٌ ، وزيادة عقلٍ على منطقٍ هُجْنَةٌ ، وأحسن من ذلك ما زَانَ بعضه بعضاً .

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم عن ابن عياش قال : تقدم أبو السَّمَال إلى سليمان بن عبدالملك فقال : إنَّ أبينا هلك ، فوثب أخانا على مالنا فأخذه ، فانظُر في أمرنا . فقال سليمان : لا رحم الله أباك ولا عافى أخاك ، ولا ردَّ عليك مالك . نحوُّه عني .

وقال المدائني : دخل أبو السِربال الكلبي على سليمان قبل الخلافة ، وهو يتغدى ، فدعاه للغداء فقال سليمان : ادنُ يا أبا السربال . فقال : لا والله أو أعرف مَنْ أُكَلَائي ، قال : هذا . قال : ومن هذا ؟ قال : رَوْحُ بن زِنْبَاع . قال رجل : والله ما اعتركَتِ الأضيافُ على باب أبيه قط . قال : فَمَن هذا ؟ قال : فلان . قال : إنه لصغير القِمَّة ، ونظر إلى رجل من قريش أحمر أقشر ، فقال أبو السربال : أما هذا فلا أسأل عنه ، هذا قيصر . فضحك سليمان .

وجلس أبو السربال يأكل ، وجاؤوا بفالوذجة ، فجعل سليمان يأكل بأصابعه كلها فقال : يا أبا السربال دونك فإن هذا يزيد في الدماغ ، فقال : أصلح الله الأمير ، لو كان هذا كما قلت لكان رأسك مثل رأس البغل .

حدثني العمري عن الهيثم عن ابن عياش قال : تقدم رجل إلى سليمان وهو بدابق فقال : يا أمير المؤمنين ، هلك أبينا ، وظلمنا أخينا ، فانظر في أمرنا ، نظر الله إليك ، فقال سليمان : نَحوُّه لعنه الله . فَنُحِّيَ .

حدثني هشام بن عمار عن الوليد عن أشياخ لهم أن سليمان قال : الحسود لا يسود .

المدائني عن عامر بن حَفْصٍ وَمَسْلَمَةَ : أن سليمان بن عبدالملك قال ليزيد بن أبي مسلم : لعن الله رجلاً وَلَّاكَ فأجرى رسنك [1] واختارك لأمر من أمور المسلمين ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك رأيتني والأمر عَنِّي مُدْبِرٌ ولو رأيتني وهو علي مقبل عَظُم عندك ما استصغرت ، وحَسُنَ ما استقبحتَ من أمري . فقال : ما تقول في الحجاج ؟ . فقال : يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك فَضَعْهُ حيث شئت .

حدثنا عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن الجُرَيْري قال : شكا سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان موسى شهوات إلى سليمان بن عبدالملك ، وأمه آمنة بنت سعيد بن العاص بن سعيد بن أبي أُحَيْحَة ، وقال : هجاني ، فقال لا أم لك بِمَ هجوتَه ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنما فضلتُ عليه سعيد بن خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، وذلك أني عشقتُ جارية بدمشق فسألته أن يبتاعها لي بمائتي دينار فقال لي : بورك فيك ، فقال سليمان : ليس هذا موضع بورك فيك . قال : وأتيتُ سعيد بن خالد بن عبدالله فدعا بمطرف

---

١ ـ الرسن : الحبل ، وما كان من زمام على أنف . القاموس .

خزّ وأمر جاريته فصرَّت في كل زاوية منه مائتي دينار فمدحتُه . فقال : قل ما شئت بعد هذا واستنشده ما قال فأنشده :

عقيل الندىٰ ما عاش يَرضَىٰ به الندىٰ　　فإنْ ماتَ لَمْ يَرْضَ النَّدَى بِعَقِيْدِ
سعيد الندىٰ أعني سعيد بن خالدٍ　　أَخا العُرْفِ لا أَعني ابن بِنتِ سعيدِ
ولكنني أعني ابنَ عائشةَ الذي　　كِـلاَ أَبَوَيْـهِ خالـدُ بنُ أَسيـدِ

عائشة بنت عبدالله بن خَلَفْ أخت طلحة الطلحات ، فقال سعيد بن خالد :

إذا كان الأمير عليك خصماً　　فـلا تكـثر فقـد غلب الأمـير

وأنشد :

ونَسْتَعْـدِي الأمـيرَ إذا ظُلِمْنَـا　　فمن يُعـدى إذا ظَلَمَ الأمـيرُ

وحدثني عبدالله بن صالح العجلي عن ابن كناسة قال : بعث يزيد بن المهلّب سَريعاً مولى عمرو بن حُرَيْث إلى سليمان . قال سريع : فعلمتُ أنه سيسألني عن المطر ، ولم أكن ارتق بين كلمتين ، فأعطيت أعرابياً درهماً وقلت : كيف أقول إن سئلتُ عن المطر ؟ فقال : قل جاء مطر غزير درير ، فعمد الثرى واخضرّ العمير ، واستأصل العِرْقُ ، ولم أَرَ وادياً إلا دارياً .

فلما دخلتُ على سليمان سألني عن المطر فقلت هذا الكلام . فقال : هذا كلام لَسْتَ بأبي عُذْرِهِ فأصْدِقني . فحدثته فضحك ، وضرب برجليه ، وقال : لقد أصبتَ ابن بَجْدَتِها .

المدائني عن مَسْلَمة قال : زَحَلَ أيوب بن سليمان وهو عند أبيه فقال له : مالك يا بني ؟ قال : خدرت رجلي . فقال سليمان : يا بني ، اذكر أحبّ الناس إليك ، فقال : صلى الله على محمد . فقال سليمان : ابني سيد ، وإني عنه لفي غفلة ، وولاه عَهْدَه .

المدائني قال : كان محمد بن يزيد الأنصاري مع سليمان فوجهه إلى العراق حين ولي ، فأطلقَ أهل السجون ، وقَسمَ الأموال ، وضيق على يزيد بن أبي مسلم ، وحمله إلى سليمان فظفر به يزيد بإفريقية عند المغرب في شهر رمضان ، فجعل محمد يقول : اللهم احفظ لي اطلاقي الأسرى وإعطائي الفقراء ، فقال له يزيد : أمحمد طال والله ما سألتُ الله أن يمكنني منك بلا عهد ولا عقد ، قال : وأنا والله قد سألته أن يجيرني منك ، قال يزيد : فوالله ما أجارك ولا أعاذك ولا أَجَابَكَ . والله لا أُريم مكاني حتى أقتلك .

وأقيمت الصلاة فبادر إليها ، وكان أهل إفريقية قد أجمعوا على قتله ، فضربه رجل منهم بعمود على رأسه فقتله ، وقال لمحمد : اذهب حيث شئت .

قالوا : وكان سليمان نهماً بخيلاً على الطعام فمد رجل يده إلى دجاجة كانت بين يديه ، فقال له : كُلْ مما بين يديك . فقال : أو ههنا حِمَىً ؟! فرمى إليه بالدجاجة وقال : كُلْهَا لا بارك الله لك فيها .

المدائني قال : قال سليمان ليزيد بن المهلب : أكره منك ثلاثاً ، خُفُّك أبيض مثل ثوبك ، وطيبك يُرىٰ وطيب الرجل يوارىٰ ، وأنك تُكثر مسَّ لحيتكَ . فغيَّر الخفّ والطّيب ، ولم يَدَع مسَّ لحيته .

وكان يزيد يقول : ما رأيت عاقلاً قط إلا ومُعَوَّلُهُ إذا فكّر على لحيته .

المدائني قال : ضمَّ سليمان بن عبدالملك عَوْن بن عبدالله بن عتْبَة بن مَسْعُود إلى ابنه أيوب ، فأتاه فحجبه ، فجلس في بيته فتعتَّب أيوب عليه

فعاتبه عون فغضب فشكاه إلى أبيه فلامه فقال : ضممتني إلى رجل إن أتيتُهُ حجَبَ ، وإن جلستُ عنه عتبَ ، وإن عاتبتُه غضب .

حدثني أبو مسعود القَتَّات عن ابن الكلبي أن قوماً وفدوا إلى سليمان فقال متكلمهم : إنا والله ما أتيناك رغبةً ولا رهبةً ، أما الرغبة فدخلتْ علينا منازلنا ، وأما الرهبة فآمَنَنَاهَا فضلك وعدلك ، ولقد حَبَّبْتَ إلينا الحياة ، وهوَّنتَ علينا الموت ، لأنا نثق بإحسانك لأنفسنا ، ونرجوك لمن تخلف بعدنا من أعقابنا ، فَأَحْسَنَ صلتهم والنظر لهم .

قالوا : وكان سليمان أكولاً يؤتى في كل يوم من صلاة الغداة بعشر رقاقات وخروفين عظميين ، ودجاجتين سمينتين ، فيأكل ذلك كله بِخَلٍّ فيه الجذان ومرى[1] .

وقال الواقدي : غزا سليمان الصائفة مسلمة بن عبدالملك وعلى الصائفة أيوب ابنه فلما جاوزوا الدرب مات ، وماتَ سليمان ، وقد نفذ مسلمة ، فأقفله عمر بن عبدالعزيز .

المدائني قال : حج سليمان فقال لقيِّمه على طعامه : أطعمني من خرفان المدينة ، أو قال من جداء المدينة ، ودخل الحمام ثم خرج وقد شُوي له أربعة وثمانون خروفاً أو جدياً ، فجعل القَيِّم يأتيه بواحد واحد فيتناول

١ ـ كذا بالأصول ، ولعله أراد الجذاذ ومره ، والجذاذ : السويق الجذيذ ، والجذيذة : جشيشة تعمل من السويق الغليظ لأنها تجذ ، أي تقطع قطعا وتجش ، والمرة : بقلة تنفرش على الأرض لها ورق مثل ورق الهندبا أو أعرض ، ولها نورة صفراء ، وأرومة بيضاء ، وتقلع فتغسل ثم تؤكل بالخل والخبز ، وفيها عليقمة يسيرة ، ولكنها مصحة . اللسان .

جرمازجة [١] ويضرب بها شحم كليته، فأكل أربعة وثمانين جرمازجة بشحم أربعة وثمانين كلية ، ثم قال : ادعُ يا غلام عمر بن عبدالعزيز ، وأذن الناس . ووضع الغداء فأكل معهم كما أكلوا .

وقال المدائني : حج سليمان وأتى الطائف فلقيه ابن أبي زهير الثقفي رجل من أهلها فسأله أن ينزل عليه فقال : إني أخاف أن أبهظك . فقال : قد رزق الله خيراً كثيراً ، فنزل عليه فجعل يأتيه من حائطه ، وهو فيه ، بخمس رمانات خمس رمانات حتى أكل مائة وسبعين رمانة .

ثم أتى بخروف ، وست دجاجات فأكل ذلك ، ثم أُتي بمكوك زبيب فأكله ، ثم وضع الطعام فأكل وأكل الناس . وفتح ابن أبي زهير أبواب الحيطان فأكل الناس من الفاكهة ، فقال سليمان : قد أضررنا بالرجل .

وأقام بالطائف سبعاً ثم صار إلى مكة وقال لابن أبي زهير : الحقني . فلم يفعل فقيل له : لو لحقته ، قال : أقول ماذا ؟ أعطني ثمن طعامي ؟!

وقال المدائني : خرج سليمان من منزله يريد منزل يزيد بن المهلّب فقال يزيد : الغداء يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . فأكل أربعين دجاجة جردناج سوى ما أكل سوى ذلك من الطعام .

وقال المدائني : أكل سليمان اثنين وثمانين ناهضاً [٢] ، وفخّارة فيها هريسة .

---

١ ـ المرجح أن الجرزمانة من الطيور المذبوحة والمسموطة . انظر الأغاني ج ١٤ ص ١١٣ ، وانتبه للتصحيف وكما سيأتي في خبر غداء يزيد بن المهلب .

٢ ـ الناهض : فرخ الطائر الذي وفر جناحه وتهيأ للطيران . القاموس .

قال : وأتاه وهو بدابق رجل من النصارىٰ كان منقطعاً إليه من قبل الولاية فقال له : هل أهديت لي شيئاً ؟. قال : نعم أهديتُ تيناً وبيضاً ، فأتاه بزبيل مملوءٌ بيضاً مطبوخاً ، وبزبيل مملوء تيناً فجعل يقشر البيض ويأكل بيضةً بتينةٍ حتى أتى على الزبيلين ، ثم أتوه بقصعة مملوءة مخاً مخلوطاً بسكر فأكل ذلك فأتخم ومرض فمات .

المدائني قال : كان حنظلة بن عقال أكولاً فأكل عند سليمان وهو يرتجز :

أعـددتُ لِلْفَمِ عـظيم الفـلقِ تكـادُ أطراف الـرغيف تلتقي

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن الضَّحَّاكِ بن زَمْلٍ أن سليمان أُتي بطبق عليه ثلاثمائة عيون البقر[1] ، وهو الساهلوج ، فأكل جميع ما في الطبق ، ثم دعا بالغداء فأَمعَنَ كأنه لم يأكل شيئاً .

وقال الضحاك بن زمل : قال سليمان حين نزل من عقبة أفيق : هل عندكم شيء ؟ فأُتي بست دجاجات وفرخين وعشرة أرغفة ، في كل رغيف رطل فأكل وهو على بعير ، إذا رجل يصيح : يا أمير المؤمنين إن عاملك على كذا ظلمني،وهو يقول : كذبت لا أم لك ويأكل ، فلما فرغ فهم عنه ، فأمر فكتب بإنصافه .

قال : وقال الضحاك : قال سليمان وذكر عنده تشقيق الخطب والإسهاب في الكلام : مَن أَكْثَرَ القولِ فأَحْسَنَ ، قَدِرَ على أن يُقِلَّ فَيُحْسِنَ ، وليس من قصر فأحسَنَ بقادرٍ على أن يطيل فيُحْسِنَ .

---

١ ـ عيون البقر : ضرب من العنب أسود كبير غير صادق الحلاوة ، وعيون البقر بفلسطين يطلق على نوع من الاجاص ، وهو المرجح هنا . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن مولىٰ لسليمان قال : كان سليمان يأكل بخمس أصابع ، ويُجعل له منديل على صدره ومنديل على فخذيه ، وكان لا يرفع رأسه إذا أكل حتى يشرب عُسًّاً ضخماً فيه عسل ، تعترى[1] ربما استعان عليه بركبتيه أحياناً ، فإذا شربه تكلم .

فقام إليه رجل وهو يأكل فقال : يا أمير المؤمنين إني زوجت ابني وليس عندي ما أجمعُ به أهله إليه فأسلفني عطائي من بيت المال ، فقال : ما يزال عاضٌّ لبظر أمه يقوم إلينا فيفسد علينا طعامنا ، فتنحى الشيخ وجلس ، فلما فرغ من طعامه قال : قلتَ ماذا لله أبوك ؟ . فردَّ عليه مسألته فقال : وكم عطاؤك لله أبوك ؟ . قال : مائتا دينار . قال : يا قَسَّامَة أعطه مائتي دينار ومائتي دينار ومائتي دينار . وطَوَّل نَفَسَهُ حتى انقطع فنظر فإذا جميع ذلك قيمة اثنين وسبعين ألف درهم .

ثم قال : أبا زُجَيّ رضيت ؟ قال : نعم فرضي الله عنك يا أمير المؤمنين . قال : يا قَسَّامة فأضعفها له ، فأخذ مائة وأربعة وأربعين ألف درهم .

حدثني الحرمازي وأبو مسعود الكوفي قال : قال سليمان بن عبدالملك لسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب : يا أبا عمر اذكر لي حوائجك ، فقال : إني لا أسأل في بيت الله غيره .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال : انصرف سليمان من صلاة الجمعة فأكل شحم كُلَى أربعين جدياً وصحفة مملوءة مخاً وغير ذلك ، ثم

---

١ ـ لعله أراد أن العس له عروة أي مقبض .

جامع وقام عن الجارية موعوكاً فمات بدابق ، وكان جميل الوجه ، حسن الخلق ، يقول : أنا الملك الشاب .

قال الحزين :

فيا قومُ ما بالي وَبَالَ ابنِ نَوْفَلٍ وَبَالَ بُكَائِي نَوْفَلَ بنُ مُسَاحِقِ
ولكنَّها كَانتْ سَوَابِقُ عَبْرَةٍ على نَوْفَلٍ مِن كاذبٍ غيرِ صادقِ
فَهَلَّا على قبرِ الوليد سَفَحْتَهَا وقَبْرَ سليمانَ الذي عندَ دابِقِ

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده وعوانه قالا : لما مات الحجاج ، وكان قد استخلف على حرب العراق يزيد بن أبي كبشة ، وعلى خراجها يزيد بن أبي مسلم مولاه فأقرَّهما الوليد حتى مات ، وأقر عمال الحجاج ، وكان الوليد يقول : الحجاج جلدة ما بين عيني ، لا بل جلدة وجهي كله .

وكان موت الوليد للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، فلما ولي سليمان بن عبدالملك ، وهو بالرملة ، ولىٰ يزيد بن أبي كبشة صلاة العراق وحربها ، وصالح بن عبدالرحمن السجستاني مولى بني مرة بن عبيد خراج العراق ، وولى سليمان بعد أربعين يوماً من خلافته يزيد بن المهلب حرب العراق وخراجه فاستعفاه من الخراج ، فأراد تولية يزيد بن أبي مسلم الخراج ، وقد كان ابن المهلب وصفه له بالعفاف ، فقال عمر بن عبدالعزيز : أتولّي ابن أبي مسلم ؟ فقال : نعم إنه عفيف عن الدرهم ، فقال عمر : إن الشيطان أيضاً عفيف عن الدرهم لم يأخذ درهماً قط . فاستشار يزيد بن المهلب فيمن يوليه خراج العراق فأشار عليه بصالح بن

عبدالرحمن ، وكان صالح كاتباً للحجاج بعد زاذا نفروخ بن بيزي كاتبه المجوسي .

وشخص يزيد بن المهلب إلى العراق وخراسان مضمومة إليه ، فلما قدم واسطاً وجد الجراح بن عبدالله الحكمي على البصرة من قبل ابن أبي كبشة ، فكتب إليه في القدوم عليه ، وولى البصرة رجلاً من أصحابه ، وكتب سليمان إلى يزيد بن المهلب في الشخوص إلى خراسان لإصلاحها ، وتسكين الناس بها بعد أن كان من أمر قتيبة ما كان ، فاستخلف يزيد بواسط : الجراح بن عبدالله .

المدائني : أن يزيد بن المهلب كان عامل سليمان على العراق ، فولّى البصرة سفيان بن عمير الكندي فجاءته امرأة بزوجها تطالبه بصداقها فقال : ما لها عندي شيء ، قال : فأين صداقها ؟ قال : أكله الذئب . قال : فأنت والله ذلك الذئب ، أعطِها صداقها .

المدائني أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز : يا أبا حفص أيكون المؤمن في حال يعتدل فيها سروره ومكروهه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لا يستوي عند أحد السرَّاء والضرَّاء ولكن مُعَوَّلَ المؤمن الصبر .

المدائني قال : قال سليمان بن عبد الملك لمحمد بن مالك الهمداني : قد رأيتُ ولد المهلب فكلّهم جَزْلٌ ، فأَخْبِرْني عن المهلب ، فقال : كان لا يُستنهض عن عجز ولا يكفكف عن جهل ، ولم أر بالعراق مثله .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : قال سليمان بن عبد الملك : لله كلمة ما قالها إلا حكيم وهي : لا ينفعك رأي من لم ينفعك ظنّه .

حدثني أبو الحسن المدائني قال : قال أبو جعفر المنصور : أما الوليد

فكان مجنوناً ، وأما سليمان فكان نهماً هَمُّه بطنه وفرجُه ، ورجل القوم هشام .

المدائني عن خالد بن يزيد قال : جزع سليمان بن عبد الملك على ابنه أيوب فقال رجل : يا أمير المؤمنين إنَّ مَن حدَّث نفسه بطول البقاء لعازبُ الرأي ، فكأنّ ذلك عُرف في سليمان .

المدائني قال : وقع بين سليمان بن عبد الملك وبين أخيه مروان بن عبد الملك في حياة عبد الملك شرّ ، فقال سليمان لمروان : يا بن اللخناء . ففتح فمه ليجيبه وإلىٰ جانبه عمر بن عبد العزيز فأمسكَ علىٰ فمه وقال : أخوك يا أبا عبد الملك ، وله السنّ عليك ، فقال : يا أبا حفص رَدَدْتَ في جوفي أحرّ من الجمر ومال لجنبه فمات ، وكان أخا يزيد بن عبد الملك لأمّه عاتكة بنت يزيد ، وفيه يقول جرير :

أبا خالدٍ فارقتَ مروانَ عن رِضىً   وكانَ يَزينُ الأرضَ أنْ يَنْزِلا مَعَا
فسيروا فلا مروانُ للحيّ إذْ شَتَوا   ولا الركْبُ إنْ أَمْسَوا مُخِيْفِينَ جُوَّعَا[1]

ونظر إليه عبد الملك وهو يكفّن فقال : الحمد لله الذي رضانا بموت أبنائنا ودفنهم .

وكتب إلى عبد الملك بعض ولد الحَكَمْ يعزيه بمروان فكتب إليه عبد الملك :

كتبتَ تسألُ عن صبري لِتَعْلَمَهُ   علىٰ الرزيَّةِ بالمأمولِ مروان
فقد صبرتُ بعونِ الله مُحتسباً   لموعدِ الله من فَوْزٍ ورضوانِ

---

١ ـ ليسا في ديوان جرير المطبوع .

المدائني قال : الثبت أن أيوب بن سليمان توفي بالشام ولم يكن غازياً ، وإنما كان الغازي مسلمة بن عبد الملك ، وكان سليمان أراد أن يُغْزيه على الجيش فمرض . قال : فلما احتضر أيوب دخل عليه وهو يجود بنفسه ، ومعه عمر بن عبد العزيز ، ورجاء بن حيوة ، فجعل ينظر في وجهه فتخنقه العبرة فيردّها ، ثم نظر إلىٰ عمر فقال : إنه والله ما يملك أحد أن يستبق إلى قلبه الوجد عند المصيبة والناس في ذلك أصناف : فمنهم من يغلب صبْرُه جَزَعَه ، فذلك الجَلْد الحازم المحتسب ، ومنهم من يغلب جزعه صبره ، فذلك المغلوب الضعيف ، وإني أجد في قلبي لوعةً إنْ أنا لم أُبَرِّدْها بعبرة خفت تتصدع كبدي كمداً وأسفاً .

فأما عمر فنهاه عن البكاء وأمره بالصبر ، وأما رجاء فقال : افعل ولا تُفْرِط فإن رسول الله ﷺ لما هلك ابراهيم ابنه قال : «تدمع العين ويُفجع القلب ، ولا نقول ما يُسخط الربّ ، وإنّا عليك يا إبراهيم لمحزونون» . فلما دُفن أيوب وقف سليمان على قبره وقال :

وقفتُ على قبرٍ مُقيمٍ بِقَفْـرةٍ مَتَاعٌ قليلٌ مِنْ حَبيبٍ مُفَارِقِ

ثم قال : عليك السلام يا أيوب . كنت لنا أُنسْاً ففارقتنا ، فالعيش من بعدك مر المذاق . ثم ركب دابته وقال :

فإنْ صَبَرْتُ فَلَم أَلْفُظْكَ من جَزَعٍ وإنْ جزعتُ فعِلْقٌ مَنْفَسٌ ذَهَبَا

فقال عمر : الصبر يا أمير المؤمنين فإنه أقرب الوسائل إلى الله .

قال : وعزىٰ رجل سليمان عن أيوب فقال له : إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تجعل آخر أمرك أولَه فافعل . فقال سليمان : لقد أوجزتَ في التعزية وسكَّنت من اللوعة ، عند الله أحتسبُ أيوب .

حدثني الحرمازي الحسن بن علي عن العُتْبِي قال : دخل سليمان بن عبد الملك على طاووس يعوده فلم يُعظمه ولم يُجبه بما يُجاب به الخلفاء ، فعوتب طاووس على ذلك فقال : أحببتُ أن يعلم أن في الناس من يستصغر ما يستعظمه المُغِرّوْنَ مما هو فيه .

قالوا : بينا سليمان يمشي في بستان ومعه جماعة يمشون حوله من أهل بيته وغيرهم ، ومعهم يزيد بن المهلب فنظر فقال : يا يزيد ارتدف فأنا أكرم ردافة من النعمان . قال : يا أمير المؤمنين بل أمشي . فقيل ليزيد : ما منعك من الإرداف خلف أمير المؤمنين فتسيران والناس جميعاً يمشون ؟ فقال : ما غَبِيْتُ عن ذلك ولكني خشيت أن أَثِبَ فأقصر عن الركوب ، وكرهتُ أن أدعو من يرفعني ، وأن تنال أمير المؤمنين يدي .

قالوا : وكان عمير الهجري راويةً لخطب الحجاج ، فقدِمَ فلسطين ويزيد بها عند سليمان وذلك بعد موت الحَجّاج ، فجلس إليه عمير فذكر شيئاً منها فأمر به يزيد فأقيم ثم قال : احبسوه ، ثم قال : خَلُّوه . فقيل لعمير : ماذا دعاك إلى ما قلت ؟ ألم تعلم ما بين يزيد والحجاج ؟ قال : لم أعلم أن ههنا أميرين .

وحج سليمان فقدم الطائف فارتفعت سحابة فرعدتْ وبرقتْ وهو مشرف على عقبة ، ثم أمطرتْ وانْجَلَتْ فقال سليمان لعمر : يا أبا حفص كاد قلبي ينصدع . فقال : يا أمير المؤمنين كان ما رأيت من قدرة الله مع رحمته ، لو كانت مع عذاب ؟!

الخوارج في أيام سليمان بن عبد الملك

أمر داود بن عُقْبَةُ العَبْدِي :

قال أبو الحسن المدائني : كان داود بن عقبة العَبْدي من عُبَّاد الخوارج والمجتهدين ، فطلب بالبصرة ، وكان كبيراً فتوارىٰ عند رجل من بني تميم على رأيه ، فأمر امرأته أن تتعهده ، وخرج لبعض شأنه فغاب أربعين ليلة ، وكان داود منخفض الطرف لا ينظر إلى شيء ، فقَدِمَ التميمي بعد أربعين ليلة فقال لداود : كيف رأيتَ خدمة الزرقاء ؟ فقال داود : والله ما أدري أزرقاء هي أم كحلاء . ثم خرج داود بالبصرة في سنة تسعين ومروان بن المهلب على البصرة خليفة يزيد ، فوجه إليه خيلاً فقُتل وأصحابُه بموقوع .

وداود الذي يقول :

إلى الله أشكو فقْدَ فتيان غارةٍ   شَهِدْتُهُمُ يومَ النّخيْلَةِ والنَّهْرِ
شهدتُهُمُ أُسْداً إذا الحربُ شَمَّرَتْ   مَسَامِيْحُ منهم بالمُهَنَّدَةِ البُتْرِ
أولئكَ إخواني مُنِيتُ بِفَقْدِهِم   فَلَهْفِي عليهم أَنْ يُرَوا آخِرَ الدَّهْرِ
مَضَوْا سَلَفَاً قَبْلِي وأُخِّرْتُ بَعْدَهُمْ   وَحِيْداً لأقوامٍ تنابلةٍ خُزْرُ

ويقال إن الذي قتله وأصحابه : زاذوية الأسواري .

وقال أبو عبيدة : وجه إليهم وهم بموقوع : دبيق الأزدي ، ثم أتبعه زاذويه الأسواري في أساورة فرماهم بالبنجكان[1] ، وقال للأزدي بالفارسية : أظننتَ أن القتال أكْلُ الزبْد ؟

قال : وخرج أيام سليمان خمسة من الخوارج بعسفان التي بناحية البصرة، فوجه إليهم خمسمائة من الشرط فهزمهم الخوارج، فوجه إليهم مروان بن المهلب زاذُويه ، ويقال ازذويه الأسواري . فلما رآهم خمسة قال لأصحابه : قفوا ، وقال لغلامه : ناولني خمس نشابات ، ودنا منهم فحملوا عليه فاستطرد لهم ثم عطف فرمىٰ رجلاً فصرعه ، ثم استطرد، ورمىٰ آخر فصرعه فلم يزل يصنع مثل ذلك حتى قتلهم جميعاً ، وأمر فاحتُزت رؤوسهم .

وخرج خوارج فوجه إليهم مُسْلِم بن الشَّمَرْدَل الباهلي في خيل ، فلما التقوا كَسروا جفون سيوفهم ونثروا دقيقاً كان معهم فقال الباهلي ؛ قد نثرتم الدقيق خار الله لكم . وترك قتالهم وانصرف . فوجه إليهم غيره فقتلهم .

المدائني قال : دخل سليمان المدينة ، فرأى عبدالله بن عوف بن أبي عوف من آل أبي وَداعة السهمي ، فتوهَّم أنه من قريش فأشار إليه فتقدم ، فقال : ممن أنت ؟ فأخبره ، فجعل يسأله عن دارٍ دارٍ حتى صار إلى دار ابن بُدَيْل بن وَرْقاء الخُزاعي فقال : لمن هذه الدار ؟ قال : لابن بديل . قال : ما أَعْرَفَكَ بدور قَتَلَة عثمان ، ثم مضى وتركه ، فبعث إليه بعد ثالثة فقال :

١ ـ البجنكان في الفارسية المعاصرة : بندقية ذات خمس طلقات . ومن هذا يتضح أن البجنكان أداة رمي للبندق أو لسواه .

يا بن أبي عوف ، أبطأ عليك رسولنا حتى ساء ظنك . فقال : القلوب إلى حُسْنِ الظنّ بك أَمْيَلُ منها إلى سوء الظن فيك . وإذا رزمة وخريطةٌ فيها خمسمائة دينار ووصيف عليه ثياب بياض . فقال للوصيف : احمل هذه الخريطة والرزمة وانطلق مع سيدك فأنت له وما حملتَ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر عبد العزيز بن مروان بن الحكم وولده

ومن ولد مروان بن الحكم : عبد العزيز بن مروان ويكنىٰ أبا الأَصْبَغ وأمه ليلىٰ بنت زبّان بن الأصبغ بن عمرو بن ثَعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عَدي بن جناب الكلبي ، ولاه مروان أبوه العهد بعد عبد الملك .

وكان عبد الملك قد هَمَّ بخلعه وتولية الوليد ابنُه العهدَ ، فقال له قَبيصة بن ذُؤَيْب الخُزاعي : لا تفعل فلعل الله سيكفيكه . فلم يلبث إلّا يسيراً حتى أتاه خبر موت عبد العزيز ، فقال له قبيصة : سلِمْتَ من الغدر والنكْثِ وبلغتَ إرادتك وفي الصبر خير كثير . فولىٰ حينئذٍ عهده الوليد وسليمان . وكان قبيصة الخزاعي على خاتم عبد الملك وبريده وكان أنساً به قابلاً لقوله .

وكان عبد العزيز جواداً كريماً ، وفيه يقول أيمن بن خُرَيْم بن فاتِكٍ الأَسَدِي حين ولاه أخوه عبد الملك مصر :

بَشِّرْ أَهْلَ مصرَ فقد أتاهُمُ ... مع النيلِ الذي في مِصْرَ نِيْلُ
فتىً لاَ يَرْزَأ الخلَّانَ إلا ... مَوَدَّتَهم وَيَرْزَؤُهُ الخليلُ

وقال فيه كثير :

قليـلُ الأَلاَيَـا حـافظٌ ليَمِيْنِـهِ إذا سَبَقَتْ منه الأَلِيَّةُ برَّتِ[١]

وقال ابن قيس الرَّقيات :

أَعْني ابنَ ليلىٰ عبد العـزيـ ـز بِبَابِ اليُونَ تأتي جِفَانُه رُذما

الواهبَ البُخْتَ والوصائف كالغُـ ـزلانِ والخيلَ تألـك اللّجْما[٢]

وقال عبد العزيز : أنا أخبركم عن نفسي بغير تزكية لها . ما رجُلٌ رغب إلي فوضعت معروفي عنده إلا رأيتُ أنّ يده عندي مثل يدي عنده . وما رجل استجار بي من خوف فلم أبذل دمي دون دمه إلا رأيتني مقصراً بحبسي ولو لم يدخل على البخلاء من بخلهم إلاّ سوء ظنهم بربّهم في الخُلف لكان ذلك عظيماً .

وقال رجل من خثعم يهجوه :

أرىٰ عَبْـدَ العزيـزِ يَصُدُّ عني بـأنْفٍ مثـلَ فَيْشَلَةِ[٣] الحـمار

فَـما عبـدُ العِـزيْـزِ لَنَـا بِـرَبٍّ ولا دارُ الهَـوَانِ لنـا بِـدَارِ

وقال كثير يرثيه :

أَبَعْدَ ابن ليلىٰ يَأْمَلُ الخُلْدَ وَاحدٌ مِن الناسِ أَمْ يَرجو الثراءَ مُثَمّرُ

وقال أبو بكر بن أبي جهم بن حذيفة العدوي :

---

١ ـ الألايا : جمع ألوة وهي اليمين وما يقسم به ، والألية : القسم . ديوان كثير ص ٥٩ .

٢ ـ ديوان ابن قيس الرقيات ص ١٥٢ ، وبابليون حاضرة مصر قبل الفتح ، وقام في موقعها مدينة الفسطاط .

٣ ـ الفيشلة : الحشفة . القاموس .

أَبَعْدَكَ يا عبدَ العزيز لِحَاجَـةٍ   وبعدَ أبي الزَّبَان يُسْتَعْتَبُ الدهرُ
فلا صَلُحَتْ مصرُ لحيٍّ سِوَاكُما   ولا سُقِيَتْ بالنيل بَعْدَكُما مِصْرْ
ولازالَ مَجْرَىٰ النيل بَعْدَك يابساً   يَموتُ به العُصفورُ واسْتُبْطِيءَ القَطْرُ

أبو زّبان : الأصبغ بن عبد العزيز .

فمن ولد عبد العزيز بن مروان :

عمر بن عبد العزيز[1] :

ويكنى أبا حفص ، وأمه أم عاصم[2] بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، خطبها عبد العزيز من أبويها وحملت إليه ، فولدت له : أبا بكر ، وعمر ابني عبد العزيز . وتوفيْت عنده ، فتزوج حفصة بنت عاصم وكانت عند ابراهيم بن نعيم بن عبدالله النَّحَام من بني عدي بن كعب بن لؤي ، فقتل عنها يوم الحَرَّة ، وحُملت أيضاً إلى عبد العزيز .

وكانت أم عاصم حين حُملت مرت بِأَيْلة فأهدى إليها مجنون هناك يقال له شرشير هدية فأثابتهُ وكستهُ .

ومرت حفصة فأهدى لها فأغفلته فقال : ليس حفصة من رجال أم عاصم . وحكى بعض البصريين أن حفصة لم تحظ عنده كحظوة أم عاصم فقال : ليست حفصة من رجال أم عاصم ، والأول أثبت .

١ ـ بهامش الأصل : خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .
٢ ـ بهامش الأصل : قال ابن الأثير في كتابه جامع الأصول : اسم أم عاصم : ليلى .

وقال الكلبي : كان ولد عبد العزيز : عمر ، وأبا بكر ، وعاصماً ، ومحمداً أمهم أم عاصم بنت عاصم بن عمر . والأَصبغُ وهو أبو زبّان لأم ولد .

وسهلاً وسهيلاً وأم الحكم أمهم أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي .

وزبّان وأم البنين أمهما ليلى بنت سهلُ بن حنظلة بن الطفيل الجعفري .

وقالوا : ولى سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وكتب كتاباً سَمَّاه فيه ، ويزيد بن عبد الملك إن كان بعده . فلما مات سليمان بن عبد الملك أخرج رجاء بن حيوة الكتاب وأظهر اسمه وبايعه الناس ، فقال لرجاء : ذبحتموني بغير سكين .

وكان عمر بن عبد العزيز أَشَجّ ، ضربه حمار وهو بمصر ، فلما رآه أخوه الأصبغ قال : هذا والله أشج بني أمية ، يملأ الأرض عدلاً .

وكانت خلافته ثلاثين شهراً ، ووفاته وهو ابن تسع وثلاثين سنة . وتوفي في سنة إحدى ومائة ، ودُفن بدير سمعان[1] ، وكان نزوله بِخُنَاصِرَة من عمل جند قِنِّسرِيْن ، وصلى عليه رجاء بن حيوة . ويقال مسلمة بن عبد الملك .

حدثني الحسين بن علي بن الأَسود العجلي ، ثنا اسماعيل بن أَبان عن أبي الأَحوص عن ضرار بن مُرَّة الشيباني قال : لما ولي عمر بن عبد

---

١ ـ على مقربة من معرة النعمان ، أعيد ترميمه حديثاً .

العزيزصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس : يبلغنا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، ويدّلنا من العدل على ما لم نهتَدِ له ، ويؤدي الأمانة إذا حملها ، ويعيننا على الخير ، ويدع ما لا يعنيه . فمن كان كذلك فَحَيْ هَلاَبه ، ومن لم يكن كذلك فلا يقربنا» . قال أبو سنان : فحجبوا والله دونه ، قال : وهذا أول كلام تكلم به حين استُخلف .

حدثني هشام بن عمار عن أشياخه قالوا : لما ترعرع عمر بن عبد العزيز استأذن أباه في إتيان المدينة وقال : أحبُّ أن أكتبَ العلم ، وأحضر قبر رسول الله ﷺ ، ويقرب علي الحج ، فأذن له في ذلك ، فأتى المدينة .

حدثني عبد الله بن صالح عن عَبْثَر أبي زبيد قال : أراد عمر بن عبد العزيز توليه ابن شهاب الزهري الصدقة ، فبلغه عنه ما كان منه حين ولي السعاية على الصدقة من قبل رجل كان ضربه ، فكره توليته . وولى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب .

وقال الواقدي : أُذن له أبوه في إتيان المدينة وقال له : اجتنب آل عبد الرحمن بن عوف ، وآل سعيد بن العاص فإنّ ثَمَّ شرارة وشراسة وسوء أخلاق ، فكان يجالس أهل العفة والورع .

المدائني عن أبي اليقظان قال : أوصى عبد العزيز لعمر بأربعين ألف دينار ، ودفعها إلى رجل من أهل المدينة يقال له ابن رمّانة ، وكان مولى لبعضهم ، فلما توفي عبد العزيز أتاه بالمال فقبضه ثم ذهب ابن رمَّانة فحدث بذلك أبا بكر بن عبد العزيز ، فغضب وكتب إلى عمر : إنك أخذت هذا المال دوننا .

ثم شخص عمر من المدينة فقدم الشام ، فلما استخلف الوليد بن عبد الملك ـ وهو صهره ، كانت أم البنين بنت عبد العزيز عنده ، فولدت له عبد العزيز بن الوليد ، ومروان بن الوليد ، وعنبسة ، ومحمداً ـ ولاه الوليد المدينة فأحسن السيرة ، إلا أنه كان لَبَّاساً عَطِراً ، وإنما تقشّف بعد ذلك ، فكان يُعمل له ثوب الخَزّ بمائة دينار فيستخشنه ، ثم إنه كان يؤتى بالثوب الخشن بأقل من دينار أو بدينار فيقول : ما أصنعُ بهذا ائتوني بأخشن منه وأقل ثمناً .

وكان ابن رمانة لمغاضبته إياه يرفع على عماله ، ويقع فيهم حين عُزل عن المدينة ، فقال عمر : لو أشاء أن آخذ كتاب الوليد إلى عامل المدينة في ضَرْب ابن رمانة مائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته فعلتُ ، ولكني رأيت مُتَّقَىٰ الله مَنْجَىٰ .

وفي ولاية عمر بن عبد العزيز يقول الأحوص بن محمد الأنصاري :

وَأرى المدينة إذ وُليتَ أُمورها ... أَمِنَ البريءُ بها وخافَ المذنِبُ[1]

وقال أيضاً :

وأرى المدينة حين كنت أَميرها ... أَمن البريءُ بها ونام الأَعزلُ
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مَذِقُ اللسان يقولُ ما لا يفعلُ[2]

الكلبي عن عوانة قال : أنشد رجلٌ عُمر :

أعوذُ بربِّ الناس من كل نعمةٍ ... تَقَرُّ بهَا عَيناىَ فيها اذاهُما

فقال عمر : أعاذك الله ورحمك ، ما أحسنَ ما قلتَ .

---

١ ـ ليس في ديوان الأحوص المنشور .
٢ ـ شعر الأحوص الأنصاري ـ ط . القاهرة ١٩٩٠ ص ٢١٤ .

حدثني هشام بن عمار قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كان يساير سليمان بن عبد الملك ، فرعدت السماء وبرقت ، فقال عمر : يا أمير المؤمنين ، هذه قدرة الله عند الرحمة ، فكيف بها عند العذاب .

المدائني قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل : مَنْ سيد قومكَ ؟ قال : أنا . لو كنت كذلك ما قلته .

قال : وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : مَن أعزّ أهل البصرة ؟. فقال : نحن وحلفاؤنا من ربيعة ، فقال عمر بن عبد العزيز : من تحالفتم عليه أعزُّ .

المدائني وغيره قالوا : كان جُلُّ مِن هرب من الحجاج لجأ إلى عمر بن عبد العزيز ، فكتب الحجاج إلى الوليد إنّ عمر بن عبد العزيز قد صار كهفاً لمنافقي أهل العراق ، فما أحدٌ يهرب منهم إلا لجأ إليه . فكان ذلك سبب عزل عمر .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده قال : كان عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهُذلي من القراء ، وكان عمر بن عبد العزيز يكرمه ، فدخل عليه يوماً ، وجرير بن عطية الخَطْفَى بالباب فسأله أن يستأذن على عمر ، وكان عون معتماً فأذن له فسلم وخرج ولم يقبل عليه عمر ، ويقال إنه لم يُؤذن له فقال جرير :

يا أيها القارىء المُرخي عِمامتهُ   هذا زَمَانُك إني قد مضى زمني
أَبلغ خليفتنا إن كنت لاقِيَهُ   إني لدى الباب كالمصفود في قَرَنِ[1]

---

١ ـ ديوان جرير ص ٤٨٦ .

المدائني عن أبي اليقظان قال : جمع عمر بني مروان فقال لهم : يابني مروان إني أظن نصف جميع مال الأمة عندكم فأدّوا بعض ما عندكم إلى بيت مال المسلمين . فقال هشام : لا يكون والله ذاك حتى تذهب أرواحنا .

فغضب عمر وقال : أما والله يا بني مروان إن لله فيكم ذبحاً ولولا أن تستعينوا علي بمن أطلب هذا المال له لأضرعت[1] خدودكم .

حدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم ، وقال أبو اليقظان أيضاً : كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه : إن مدينتنا تحتاج إلى مرمة فكتب إليه : «أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه فحصِّن مدينتك بالعدل ونقِّها من الظلم ، والسلام» .

المدائني قال : كتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامله على الكوفة : «اجتنب الحاجات عند حضور الصلوات ، والسلام» .

وحدثني منصور بن أبي مزاحم عن شعيب بن صفوان : ولى عمر رجلاً من قريش من أخواله القضاء فأتاه خصمان فلم يتجه له الحكم بينهما ، فغرّم للمدعي ما ادعى ، فكتب إليه : «يا خال إنّا لم نُولِّكَ لتغرم» ، وعزله ، وولى غيره .

المدائني قال : ولى عمر رجلاً من أخواله عملاً فتحاكم إليه رجلان في دينار فلم يُحسِن القضاء بينهما ، وغرم ديناراً أصلح به بينهما ، فكتب إليه عمر : «إني لم أولك لتغرم» ، وولى غيره .

---

١ ـ ضرع : خضع وذل واستطان . القاموس .

حدثني هشام بن عمار . أنبأنا الوليد عن سعيد بن واقد قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : أي الجهاد أفضل ؟ قال : جهاد المرء هواه .

المدائني عن أبي بكر عن رجل عن رجاء بن حيوة قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فكاد المصباح يُطْفَأ فقمت لأصلحه فقال : مه ، إن جهلاً بالرجل أن يستخدم ضيفه ، ثم قام فوجد غلامه نائماً فلم يوقظه وتولى إصلاح المصباح ثم عاد فقال : قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز وقعدتُ وأنا عمر بن عبد العزيز .

قالوا : وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز زاهداً خيّراً فقال له : يا بني لأن تكون في ميزاني أحبّ إلي من أن أكون في ميزانك . فقال : ولأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب .

فلما مات عبد الملك خرج عمر إلى الناس وقد اكتحل فسئل عنه فقال : قد سكن عَلَزه[1] ورجاه أهله ، وما كان في حال أَحَبُّ إليّ من حاله ، ثم علم بموته فقيل له : قد فعلت ما فعلت وقد مات ، فقال : أحببت أن أُرغم الشيطان .

وانصرف من جنازته فرأى قوماً ينتضلون فقال لبعضهم أخطأت فافعل كذا . فقيل له في ذلك فقال : ليس في موت عبد الملك ما يشغل عن نصيحة المسلم .

وقال أبو اليقظان : كتب إلى عمر عامله على عُمان وهو عامر بن عبد الله بن أبي طلحة ، يعلمه أن من كان قَبله كانوا يستعينون بالجند ، وأن قد

---

١ ـ العلز : قلق وخفة وهلع يصيب المريض ، والأسير والحريص والمحتضر . القاموس .

اختار ثلاثين رجلاً من أهل عُمان فولّاهُم الصدقات . ويسأله أن يُقفل من قِبَلَهُ من الجند . فكتب إليه : «قد فهمت ما ذكرت فاقفل من قِبَلَكَ من الجند بعد أن تخيِّرهم بين ركوب البحر وسلوك البر ، فمن اختار البحر فأكثِر له وزوِّده من بيت مال المسلمين ، ومن اختار البر فأكثِر له ظهراً وزوِّدْه ما يُقيمه أيضاً والسلام» .

وقال سُحيم بن حفص أبو اليقظان : استعمل عدي بن سعيد بن مسعود المازني على عُمان فأخذ رجلاً من الأَزد يقال له خليد بن سَعْوَة ، فضربه مائة سوط في باقة أرادها ابن مسعود ، فأتى عمر فشكا ذلك إليه ، وأنشده قول كعب الأشعري :

إنْ كُنتَ تَحْفَظُ ما يليك فإنّما عُمّالُ أرضكَ بالعراقِ ذِئَابُ
لَمْ يَسْتَقِيموا للذي تَدعُو لَهُ حَتى تُضَرَّبَ بالسيوفِ رقابُ
بِأكُفِّ مُنْصلتين أَهْلُ بَصَائِرٍ في رفعهنَّ مَـوَاعظ وعقَابُ
لولا قريشٌ نَصرُهَا ودِفاعُها أَمْسَيْتُ مُنْقَطِعاً بي الأَسْبَابُ

فقال عمر : لمن هذا الشعر ؟ قال : لرجل من الأزد من أهل عُمان يقال له كعب . فقال له : ما كنتُ أرى أَهل عُمان يقولون مثل هذا الشعر ، وكتب عمر إلى عدي بن أرطاة : «إنّ استعمالك سعيد بن مسعود قَدَرٌ من الله قدره عليك ، وبليةٌ ابتلاك بها ، فإذا أتاك كتابي فابعث إليه من يعزله ، وابعث به إليّ مشدوداً موثقاً» . فعزله واستعمل عبد الرحمن بن قيس ، وحمل سعيداً إلى عمر فجعل سعيد يرتجز ويقول :

كيف ترى الشيخ أبا الزبير يُـدلّ بعـد خُـطبِ الأمـير
سوق الرَّوايا وحـدا البعيرِ

فلما دخل عليه كلمه عمر فقال : أصلحك الله أتكلمني وأنا موثق ؟ أُطلق عني حتى أتكلم بحجتي ، فأطلق عنه وقال للأزدي : اضربه ، فقال قمير بن سعيد : أنا الذي ضربته ولم يضربه أبي ، قال : فأُعطي الأزدي سوطاً ، وقال عمر : قم فاجلده كما جلدك . فَجَلَد قميراً مائه سوط ، فقال له أبوه : يا قمير اصْرُرْ أُذُنَيْكَ إصرار الفرس الجموح ، وعُضَّ على نواجذك ، واذكر أحاديث غدٍ ، وإياكَ وذكر الله فإنه معجزة .

وقال أبو اليقظان : قام رجل من بني كلاب إلى عمر وهو على المنبر فأنشد :

إنَّ الذين بعثت في أقطارها ... نَبَذُوا كِتابكَ واستُحِلَّ المُحْرَمُ
جَلَسَ الذئابُ على منابر أرضنا ... كُـلٌّ بِنَقْصٍ نصيبنا يتكلمُ
وأَرَدْتَ أن يَلِيَ الأمانة منهُمُ ... عَدْلٌ وهَيْهاتَ الأَمينُ المُسْلِمُ

فقال عمر : صدقني والله .

حدثني عبد الله بن صالح العجلي قال : سمعت حمزة الزيّات يحدّث أن عمر بن عبد العزيز غضب على رجل غضباً شديداً فأتي به وأمر بالسياط فأحضرت ، فقال : لولا شدة غضبي عليك لأَوجعتك .

المدائني أن عمر بن عبد العزيز قال : ما قُرِنَ شيء إلى شيء أحسنُ من حِلْم إلى علم ، وعفو إلى مقدرة . قال : وقال عمر بن عبد العزيز : تعلموا العلم فإنه زينٌ للغني ، وعونٌ للفقير ، لا أقول أنه يكسب به ولكنه يدعوه إلى القناعة .

حدثني بكر بن الهيثم عن سفيان بن عُيَيْنة قال : قَدِمَ وفدٌ على عمر بن عبد العزيز من العراق ، فنظر عمر إلى شاب منهم يتهيأ للكلام فقال عمر :

ليتكلم أكبركم سناً ، فقال الفتى : يا أمير المؤمنين ، ليس الأمر بالسنّ ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسَنُّ منك ، قال : صدقتَ . فتكلَم فقالَ : إنّا لم نَأْتِكَ رغبةً ولا رهبةً ، أما الرغبة فأتتنا في بلادنا ودخلتْ علينا منازلنا ، وأما الرهبة فإنا أَمِنّاهَا بِعَدْلِكَ .

قال : فما أنتم ؟ قال : نحن وفد الشكر . فنظر محمد بن كعب القَرْظِي إلى وجه عمر يتهلل ، فقال : يا أ مير المؤمنين لا يغلبنَّ جهالة القوم بك معرفتك بنفسك ، فإنّ من الناس ناساً غَرَّهُم الستر وخَدَعَهُم حُسْنُ الثناء وأنا أُعيذكَ بالله مِنْ أن تكونَ منهم . فبكى عمر .

حدثني عبد الرحمن بن حَزْرة أحد ولد جرير بن عطية الخطفى قال : وَفَدَ جرير على عمر بن عبد العزيز فَغَبَرَ حيناً لا يصل إليه ، ثم رأى ذات يوم عون بن عبدالله المسعودي يريد الدخول عليه وكان قارئاً فقام إليه جرير فقال له :

يا أيها القاريءُ المُرْخِي عِمَامَتَهُ هذا زَمانُكَ إني قد مَضَى زمني
أَبْلغْ خليفتَنَا إن كنتَ لا قِيَهُ إني لدى الباب كالمصفود في قَرَنِ

فقال له عون : إنْ أمكنني ذلك فعلتُ إن شاء الله .

فلما دخل عون على عمر سلم وجلس حتى فرغ من حوائج الناس ، ثم أقبل عليه فقال : يا أمير المؤمنين إنّ ببابك جرير بن عطية وهو يطلب الإذن ، فقال عمر : أو يُمْنَع أحد من الدخول ؟. قال : لا يا أمير المؤمنين لكنه يطلب إذناً خاصاً ينشدك فيه . قال : يا غلام أدخِل جريراً . فأُدخِل إليه وعون جالس فأنشد جريرٌ عمر :

أأَذْكُرُ الجهدَ والبلوى التي شَمَلَتْ أَمْ أَكتفي بالذي نُبِّئْتُ مِنْ خَبَرِ
كَم بالمواسم مِنْ شعثاءَ أرملةٍ ومِنْ يتيم ضعيف الصوت والنَّظَرِ
ممّن تُرَجّى لَهُ مِنْ بَعْدِ والدِهِ كالفَرْخِ في العُشِّ لَم يَنْهَضْ ولَم يَطِرَ[1]

فبكى عمر حتى بلّتْ دموعه لحيته ، وأمر بصدقات تُفرَّق على الفقراء في النواحي فقال جرير :

هذي الأراملُ قد قَضَّيْتَ حاجَتَها فَمَنْ لِحَاجَةِ هذا الأَرْمَل الذَّكَرِ

فقال له : يا جرير أنت من أبناء المهاجرين الأولين؟ قال : لا . قال : أفمن أَبناء الأنصار ؟ . قال : لا . قال : أفمن أبناء التابعين بإحسان ؟ . قال : لا . قال : أفمن فقراء المسلمين أنت فَنُجْرِيْكَ على ما نُجري عليه الفقراء ؟ قال : قُدْرتي فوق ذلك . قال : أفأنتَ ابن سبيل فنعينَكَ على سفرك ؟ قال : قدرتي فوق ذلك . فقال : يا جرير ما أرى لك بين الدفَّتيْنْ حقاً .

فولّى جرير فقال عون : يا أمير المؤمنين إن الخلفاء كانت تعوده الإحسان ، وإنَّ مِثْلَ لسانه يُتَّقى ، فقال عمر : ردُّوه فَرُدَّ فقال له عمر : يا جرير إن عندي من مالي عشرين ديناراً وأربعة أثواب فأقاسمك ذلك . فقال : بل تُوَفَّر يا أمير المؤمنين وتُحْمَدُ .

فلما خرج تلقاه الناس فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : خرجتُ من عند رجل يعطي الفقراء ويمنع الشعراء ، وإني له لحامد . ولم يَذْكُرْه بسوء . وقال فيه حين مات :

---

١ ـ ديوان جرير ص ٢١٠ ـ ٢١١ .

فالشمسَ كاسِفَةٌ لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ   تُبْكي عليكَ نجومَ الليل والقمرا[١]

المدائني عن عَوانة قال : كتب صالح بن عبد الرحمن وصاحبٌ له إلى عمر بن عبد العزيز وكان يلي الخراج بالعراق : «إنه لا يُصْلِح الناس إلّا السيف» فغضب عمر وقال : أما تعجبون لربذتين من الربذ[٢] ، خبيثين من الخبث يعرّضان لي بدماء المسلمين ، مامن الناس أحد إلّا ودماؤكما أهْوَن عليّ من دمه .

المدائني قال : كتب عمر إلى أهل البصرة كتاباً ذكر فيه يزيد بن المهلب فقال : «إنه لم يكن من أئمة الهدى ، ولا الأعوان على التقوى» .

المدائني قال : أتى رجل من آل قتيبة عمر بن عبد العزيز فَوَقَعَ في يزيد بن المهلّب عنده وتظلّم وهو ساكت ، ثم قَذَفَه فقال عمر : أخرج مما قلتَ فلم يخرج ؛ فأمر سليمان بن حبيب فَحَدَّهُ .

المدائني قال : حبس عمرُ يزيدَ بن المهلّب فقيل له : إنه شريف له موضع . فقال : إنه صاحب فَتْكٍ ، وليس له خير من السجن .

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة عن مروان بن مَعَاوية عن عيسى بن المُغِيْرة عن مُزَاحِم بن زُفَر قال : كنا بَسَمْرقَنْد وعليها محمد بن المهلب فخرج علينا شار يوم جمعة وضرب رجلاً من بني عجل بالسيف فأخِذ . ودعا محمد بن الضّحاكَ ابن مزاحم صاحب التفسير فسأله عن أمره فقال : أرى أن تحبسه حتى تنظر ما حال المضروب . فحبسه وكتب إلى

١ - ديوان جرير ص ٢٣٥ .

٢ - الربذة : رجل لا خير فيه . وخرقة الحائض وخرقة يجلو بها الصائغ الحلى . القاموس .

يزيد بن المهلب ، فكتب به إلى سليمان بن عبد الملك فوافاه الكتاب وقد مات سليمان ، وَوُلِّيَ عمر بن عبد العزيز ، فكتب عمر : «أما بعد فانظُر فان كان المضروب مات من ضربة الحروري فادفعه إلى أوليائه ليقتلوه ، وإن كان قد برىء فأقِصَّهُ منه ثم احبسه في محبس قريب من أهله حتى يتوب من هواه الخبيث الذي خرج عليه أو يموت» .

قالوا : وأشرف سليمان في حجته من عقبة قُدَيْدٍ ، فنظر إلى عسكره ، فأعجبه ما رأى من كثرة سواده ، فقال : كيف ترى يا أبا حفص ؟. فقال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً ، أنت المبتلى بها والمسؤول عنها .

ونَعَبَ غراب فقال : ما تراه يا أبا حفص يقول ؟. قال : لا أدري وإن شئتَ قلتُ لكَ .

المدائني قال : مرض عمر بن عبد العزيز فقال مَسْلَمَة : آتيك بمائة ألف درهم تتصدق بها ؟ قال : أفلا تصنع خيراً من ذلك ؟ قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : تردّها إلى حيث أخذتها منه فإنه خير لك .

المدائني قال : قال مسلمة لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين أَما تَمَلُّ الخلّ والزيت ؟ قال : إذا مللتها تركتها حتى اشتهيتها .

حدثنا هشام بن عمار عن الوليد قال : دخل بعضهم على عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة فقال : من تكن الخلافة زُيِّنَتْهُ فإنك زيَّنتهَا ، وإنك لكما قال الشاعر :

وتَزِيْدِيْنِ طَيِّبَ الطيِّبِ طيْباً إنْ تَمَسِّيْهِ أيْنَ مِثْلَكِ أَيْنَا
فإذا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُـوهٍ كان للدُّرِّ حُسْنَ وَجْهِكَ زَيْنَا

قال : دعني فأنا أعلم بنفسي وذنوني ، إني إلى عفو الله عني أَحْوَجُ مني إلى تقريظك أياي .

قال: وقال الوليد : أثنى قوم على عمر فقال لهم : يا هؤلاء دعونا من ثنائكم وأَمِدُّونا بدعائكم .

حدثني أبو بكر الأَعْيَنَ عن السهمي عن أبيه وغيره أن عَديّ بن أرطاة كتب إلى عمر بن عبد العزيز يستأذنه في عذاب قوم من عمال الخراج بلحوا[1] في يديه وامتنعوا من أداء ما عليهم ، فكتب إليه : «أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر ، كأني جُنَّةٌ لك من عذاب الله ، أو كأنّ رضائي ينجيك من سَخَطِ الله ، فَمَنْ أعطاك ما قِبَلَهُ عفواً فَاقْبَله ، ومَنْ قامت عليه البَيِّنة فَخُذْه بما ثبتَ بالبينة عليه ، ومَنْ أَنكَرَ فاستحلِفْه ، فوالله لأَنْ يَلقوا الله بجناياتهم أَحَبُّ إلي من أن ألقاه بعذابهم ، والسلام» .

وحدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا سعيد بن عامر عن عون بن المعَمِّر قال : كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز : «أما بعد فكأنك بآخر من كُتب عليه الموت قد مات» ، فكتب إليه عمر : «أما بعد فكأنك بالدنيا وكأنها لم تكُن ، وكأنك بالآخرة وكأنها لم تَزَلْ ، والسلام» .

حدثني أبو أيوب الرقّي المعلّم عن النُّفيلي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبد الله الحَكَمي : «أما بعد فكأنك بالدنيا وكأنها لم

---

١ ـ بلح : أعيا . القاموس .

تكُن ، وكأنك بالآخرة وكأنها لم تَزَل ، واعلم أنّ من علِمَ أنّ كلاَمه من عمله أقلَّ كلامَه إلا فيما يعنيه وينفعه .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن المبارك بن سعيد عن أبي حمزة الثّمالي قال : أطرى ابن الأهتم بني أمية ، وأفرط في مدحهم فقال عمر : من سرَّهُ أن ينظر إلى الأفاك الأثيم فلينظر إلى ابن الأهتم .

فلما استُخلف قال : لا يدخل علي ابن الأهتم ولا خالد بن عبدالله القسري فإنهما مقْولَان ، وإنّ مِنَ البيان ما فيه سحر .

حدثني عبدالله بن صالح عن زهير بن معاوية أن عمر بن عبد العزيز عزل بعض قضاته ، فلما قدم عليه قال : يا أمير المؤمني لم عزلتني ؟ قال : لأنَّ كلامك أكثر من كلام الخصمين إذا تحاكما إليك .

وقال هشام بن عمار : قال همّام بن مَصَاد : دخلتُ على عمر ، وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا بن مصاد إنّ في الجسد مُضْغَةً إليها يأوي خَيرُه وشرُّه فأصلحوا قلوبكم تصلحُ أعمالكم .

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض عماله : «أنزِل رعيتك بمنزلة ولدك ، فوقّر كبيرهم ، وارحم صغيرهم ، وقَوِّم ناشئهم» .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبدالله بن صالح عن الليث بن سعد قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبدالله الحكمي : «أما بعد : فَدَع من الحلال ما يكون حاجزاً بينك وبين الحرام ، فإنّ مَنْ استوعب الحلال كلّه تاقت إلى الحرام نفسُه ، وعليك بالقَصْد فإن الإسراف من عمل الشيطان ، والسلام» .

حدثني محمد بن الأعرابي عن الأباني قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن كَعْب القَرَظِي ، ورجاء بن حَيْوة الكِنْدي ، فقال : قد وُليت هذا الأمر وابتليت به فأشيروا علي ، فقال سالم : اجعل الناس ثلاثة أصناف أباً ، وأخاً ، وابناً . فَبُرَّ إباك ، وَصِلْ أخاك ، وارحَمْ ابنك . وقال محمد بن كعب : اجعل الدنيا يوماً صُمْتَهُ عن لَذَّاتِكَ ، فكأن فطرك عليه الموت . وقال رجاء بن حيوة : أحِبَّ للناس ما تحبه لنفسك ، وأكره ما تكرهه لنفسك ، واعلم أنك أول خليفة يموت .

وحدثني عبدالله بن صالح بن مسلم العجلي عن يحيى بن يَمَان عن سفيان قال : بلغنا أن محمد بن يوسف أخا الحجاج ضربَ على أهل اليمن خرجاً جعله وظيفة أَخصَبُوا أو أَجْدَبُوا ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إليه عامله يعلمه ذلك فكتب : «ألغْ تلك الوظيفة ، واقتصر بالناس على عُشْر ما سُقي سَيحاً أو سقته السماء ونصف عشر ما سُقي بالغرب والسواني[1] ، فوالله لأَنْ لا يأتيني من اليمن حَفْنَة كَتَمٍ أُحَبّ إلي من إقرار هذه الوظيفة» . فلما ولي يزيد بن عبد الملك أمر بِرَدِّها .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : لما ولي محمد بن يوسف اليمن أساءالسيرة ، وظلم الرعية وضرب على أهل اليمن خراجاً جعله وظيفة عليهم ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العُشْرِ والصدقة ، وقال : «والله لأَنْ لا يأتيني من

---

١ ـ الغَرَب : الراوية والدلو العظيمة والسانية : الغرب وأداته والناقة يسقي عليها .

اليمن حفنة كتم أحبّ إليّ من اقرار هذه الضريبة» . فلما ولي يزيد أَمَر بِرَدِّهَا وكتب إلى عروة بن محمد : إنّ ابن عبد العزيز كان مغروراً منك ومن أشباهك فَأَعدْ على أهل اليمن الضريبة التي كان عمر أمر بإسقاطها ، ولو صار أهلها حرضا[1] .

المدائني قال : دخل على عمر بن عبد العزيز سالم السندي ، وكان من خاصته ، فقال له : أَسَرَّك ما وُلّيتُ أم ساءكَ ؟ قال : سرني للناس وساءني لك . قال : إني أتخوف أن أكون قد أَوْبَقْتُ نفسي ، قال : ما أحسنَ حالك إنْ كنتَ تخاف ، إنما أخاف عليك ألا تخاف . قال : عِظني . قال : إنّ آدم أُخرج من الجنة بخطيئة ، فَتَدَبَّر أمركَ ، واحفظ نفسك .

قال : وقال عمر لمحمد بن كعب : عظني . فقال : لا أرضى نفسي لموعظتك لأني لأصلي بين الفقير والغني فَأَمِيْلُ إلى الغني ، ويدخل الفقير والغني عليّ فأُوْسِعُ للغني . فقال عمر : فاستغفر الله . وبكى .

المدائني عن سحيم بن سفيان قال : ولّى عمر بن عبد العزيز أيام توليته المدينة للوليد بن عبد الملك رجلاً يقال له راشد ، ويكنى أبا علي، الربذة فضرب رجلاً من بني أسد يقال له بَعْثَر ، فركب إلى عمر وأنشأ يقول :

أقولُ لراشدٍ أَمْسِكْ كِتابي ... وخَلِّ لناقَتي عَنْكَ السَّبِيلا
ستُجمعُ بالمدينة وابنَ ليلَى ... وحكمتُهُ التي تَشْفي الغَليلا

وأتى عمر فشكا إليه فبعث إلى راشد ثم قال لبعثر : اضربه كما ضربك ، فضربه ثم أتى راشد بإهاب فلبسه فقال بعثر :

---

١ ـ أي حتى لو أشرفوا على الهلاك وطال همهم وسقمهم . القاموس .

رأيتُ أخا الصَّفَاءِ أَبَا عليٍّ يُعاتِبُني وَيَدَّرِعُ الإهابا
يقولُ ظلمتِني وأقولُ كُلٌّ أصابَ إلىٰ أخيهِ ما أصَابا

وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عمن سمع عمر بن عبد العزيز يقول : ما كذبتُ مذ عرفتُ أنْ الكذب يضرّ بأهله .

وقال أبو اليقظان : ثنا جويرية بن أسماء عن اسماعيل بن أبي حكيم كاتب عمر بن عبد العزيز ، وهو مولىٰ لآل الزبير قال : ما كتبتُ له قطّ في أكثر من شبر حتى خرج من الدنيا .

وقال أبو اليقظان : لما قدم عمر المدينة والياً عليها ، دخلتْ عليه قريش ، فقال أبان بن عثمان بن عفان : قد أتاكم أمير مضطلع بأمره .

وقال أبو اليقظان ، ثنا جويرية بن أسماء عن اسماعيل قال : قال عمر : ما تركتُ من الدنيا شيئاً تتوق إليه نفسي إلاّ البراذين فإني كنتُ أجد لها تحت ذي وطاءً لا أجده لغيرها من المراكب .

حدثنا محمد بن مُصَفًّىٰ الحمصي عن أبيه قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إليه سابق البربري أو أنشده :

باسْمِ الذي أُنْزِلَتْ مِنْ عِنْدِهِ السُّوَرُ والحمدُ لله أَمَّا بَعْدُ يا عُمَرُ
إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ ما تأتي وما تَذَرُ فَكُنْ علىٰ حَذَرٍ قَدْ يَنْفَعُ الحَذَرُ
واصبِرْ على القَدَرِ المجلوبِ وَارْضَ بِهِ وإنْ أتاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِى القَدَرُ
فَمَا صَفَا لِامْرِىءٍ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ إلاَّ سَيَتْبَع يوماً صَفْوَه كَدَرُ

في أبيات .

قالوا : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عَدِي : إياك والمزاح ، فإنه يذهب بالمروءة ، وَيُنْبِتُ الضغائن . وقال عمر بن عبد العزيز : قال عمر بن الخطاب : الرأي كثير والحزم قليل .

وقال أبو اليقظان عن جويرية : غضب عمر بن عبد العزيز فقال ابنه عبد الملك : أتغضب في قَدْرِك وموضعك الذي وضعك الله به ؟ فقال : أو ما تغضب أنت يا عبد الملك ؟ فقال : فما ينفعني سعة جوفي إذا أنا لم أردد الغضب فيه حتى يسكن . فتبسم عمر .

فلما حضرت عبد الملك بن عمر الوفاة قال له عمر : كيف تجدُك يا بني ؟ قال : أجدني في الموت فَاتَّقِ الله يا أبه واصْبِرْ . فقال : يا بني ما خلق الله عيناً تطرف أَحبُّ إليّ ولا أعزّ عليّ منك ، ولأَنْ تكونَ في ميزاني أَحبُّ إليّ مِنْ أَنْ أكونَ في ميزانكَ .

فقال : يا أبه . ولأَنْ يكونَ ما تُحب أَحبّ إليّ مِن أنْ يكون ما أُحب .

فمات يوم خميس ، فخرج عمر في جنازته وقد اكتحل وسرّح لحيته وقال : أحببتُ أن أرغم الشيطان . وقال : الذي نزل بعبد الملك أمرٌ كنا نتوقعه ، فلما أتى لم ننكره .

وقال كثير :

وَحضّ الذي وَلّىٰ علىٰ البرِّ والتُّقىٰ ... وَلَمْ يَهْمُمُ البَاقِي بِأَنْ يَتَخَشَّعَا
ولو نزلتْ مِثلَ الذي نزلتْ به ... بِرُكْنٍ شَدِيْد مِنْ أَجَا لَتَصَدَّعَا
فأصبحتَ كالْمُبْقِي لَهُ بَعْضَ نَفْسِهِ ... عياضاً وبَعْضٌ قَدْ تَوَلَّىٰ فَوَدَّعَا[1]

١ ـ ديوان كثير ص١١٣ ، وفيه البيتين الأول والثاني فقط .

فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر فقال : الحمد لله على ما أعطىٰ والحمد لله على ما بَقَّىٰ ، والحمد لله على ما أخذ . ثم كتب إلى جميع عُمَّاله : عَدي بن أرطاة الفَزاري وغيره : «إن الله وهَبَ عبد الملك بن عمر فَمَتَّعَني به ما شاء أن يمتعني به ، ثم قبضه إليه ، فأعوذ بالله أن تكونَ لي مشيئة في غير ما أَحَبَّ الله ، فإذا جاءك كتابي هذا فلا أُعَلَمَن ما بُكي عليه قِبَلَكَ ، وأكثِرْ من الاستغفار له إن شاء الله ، والسلام» .

وقال سحيم بن حفص : قام عمر على قبر ابنه حين دفنه فقال : رحمك الله إن كنت لتسرني حياً فَأَنَا بِكَ اليوم أُسَرّ ، فرحم الله من قال : رحمك الله يا عبد الملك .

المدائني عن سحيم أن عبد الملك قال لعمر أبيه : يا أبه لعله يمنعك أن تقوم بالحق مخافة هؤلاء ـ يعني بني مروان ـ فوالله لَوَددتُ أن القدور تغلي بنا وبهم . فقال : يا بُنَيّ صبراً فإن الخمر كانت محّرمة عند الله ، فأنزل فيها آيتين قبل أن ينزل تحريمها .

وقال أبو اليقظان : بلغ عمر عن ابنه عبد الملك أَمْرٌ كَرِهَه فكتب إليه : «بلغني عنك بعض ما أكره ، ولو كنتُ تقدمت إليك فيه لأتاكَ مني ما تكرهه ، واذكر أنّ أباك كان عند أبيه مُطَّرحاً يفضّل عليه الكبير ويؤْثر عليه الصغير ، واذكر أن أمك كانت أَمَةً من الأعاجم وليستْ من خِيارهم ، فلئن عدتَ ليأتينّك مني ما لا تحب إن شاء الله» .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنه لا عمل لمن لا نِيّةَ له ، ولا أَجْرَ لمن لا خشية له ، وإنّ أَيْمَنَ أحدكم وأَشْأَمَهُ لسانُه ، فمن حفظ لسانه أراح نفسه وسلم المسلمون منه ، وإنّ قوماً صحبوا سلاطينهم بغير ما يحق عليهم فعاشوا

بخلافهم وأكلوا بألسنتهم وخلبوا الأمة بالمكر والخيانة والخديعة ، ألا إنّ كل ذلك في النار ، ألا فلا يقربنا من اولئك أحدٌ لاسيما خالد بن صِفوان وخالد بن عبدالله .

المدائني قال : قال عمر بن عبد العزيز لمعلمه : كيف كانت طاعتي لك وأنت تعلمني ؟ قال : أحسن طاعة . قال : فقد ينبغي أن تطيعني كما كنت أطيعك ، خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ، وخذ من قميصك حتى تبدو عقباك .

حدثني عبد الواحد بن غياث البصري عن جويرية بن أسماء قال : كتب أبو بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم إلى عمر ثلاثة كتب فأجابه عنها في كتاب واحد إليه : «إن من كان قبلي من أمراء المدينة كانت تجري عليهم أرزاق للشمع ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجريها لي فليفعل» .

وكتب إليه : «إن مسجد بني عدي بن النجار ، أخوال رسول الله ﷺ قد استهدم فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر ببنائه فليفعل» .

وكتب إليه إن قوماً من الأنصار قد بلغوا أسناناً ولم يبلغ عطاؤهم الشرف فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأمر بإثباتهم في شرف العطاء فليفعل» . فافتض عمر كتبه ثم كتب: «أمَّا مَا ذكرتَ من أمرَ الشمع فطالما مشيت في طرق المدينة في الليلة الظلماء ، وأنت لا يُمشىٰ بين يديك بشمع ، ولا يمشي خلفك رجال قريش والأنصار .

وأما مسجد بني عدي فقد كنت أحب أن أخرج من الدنيا ولم أضع لبنة على لبنة ولا آجرّة على آجرّه ، فابنه واقتصد في النفقة .

وأما ما ذكرت من أمر الرجال الذين بلغوا سناً ولم يبلغ عطاؤهم الشرف ، فإنما الشرف شرف الآخرة ، والسلام» .

المدائني عن مسلمة أن عدي بن أرطاة كتب إلى عمر : «إن قوماً من أهل الذمة تعوذوا بالإسلام مخافة الجزية ، فليكتب إليَّ أمير المؤمنين فيهم برأيه» ؟

فكتب إليه : «إنّ الله بعث نبيه ﷺ داعياً ولم يبعثه جابياً فمن دخل في المسلمين فله مالهم وعليه ما عليهم ، فانظر من كَان مِن أهل الذمّة فأظهر الإسلام واختتن وقرأ سُوَراً من القرآن ، فأسقط الجزية عنه إن شاء الله والسلام» .

المدائني وغيره قالوا : كتب عمر إلى عدي : «أما بعد فما بقاء الدين مع وسوسة الشيطان ، وجفوة السلطان ، فأعط كل ذي حقّ حقه والسلام» .

حدثني اسماعيل بن أبي زيد الأنطاكي ، أخو ثمامة الكاتب ، قال : حدثني شيخ لنا قال : أصابت الناس زلزلة ، فكتب عمر : أما بعد فإن الله ذو قدرة غالبة وعزّ قاهر ، يعفو عمَّن يشاء ، ويؤاخذ من أراد ، وإن هذه الرجفة عتاب من الله لخلقه ، فاعتبوه بطاعته ، وخافوا عقابه ، فإنه يقول : ﴿أَفأَمِنَ أهل القرىٰ أن يأتيهم بَأْسنَا بَياتاً وهم نائمون * أَو أَمِنَ أهل القرىٰ أن يأتيهم بأسنا ضحىٰ وهم يلعبون * أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[1] .

---

١ ـ سورة الأعراف ـ الآيات : ٩٧ ـ ٩٩ .

وحدثنا الحسين بن علي الأسود العِجْلِي عن يحيى بن آدم عن فضيل بن عياض قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : «أما بعد فإن الله سبحانه وبحمده إنما جعل الجزية على من رغب عن الإسلام غَيّاً وخسرانا ، فانظر من كان قِبلك من أهل الذمة ممن كبرت سنه ، وضعفت قوته ، وَوَلَّتْ محاسِنه فأَجْرِ عليه قُوْتَه من بيت مال المسلمين والسلام» .

حدثني الحسين عن يحيى بن آدم عن عبدالله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : كتب عمر بن عبد العزيز : «من غلب الماءَ على شيء فَهُوَ لَهُ»[1] .

حدثني الحسين بن علي الأسود ، ثنا محمد بن يزيد العَقْدي عن محمد بن طلحة عن داود بن سليمان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن : «أما بعد فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة ، وجور في الأحكام ، وسننٌ سنها عليهم عمال السوء ، وإن قوام الدين ، وصلاح الرعية العدل والإحسان ، فلا يكونَنْ شيء أهمّ إليك من نفسك حتى توطنها بطاعة الله ، وأنا آمرك أن توظف عليهم خراجهم ولا تحمل خراباً على عامر ، ولا عامر على خراب ، وخذ من الخراب ما أطاقَ وأصلحه حتى يعمر ، ولا تأخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسهيل من غير عنف وإرهاق لأهل الأرض ولا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ليس فيها آيين[2] ، ولا أُجُوْرُ الصرافين ، ولا هدايا النوروز والمهرجان ، ولا دراهم

١ - الخراج ليحيى بن آدم ص ٩٢ .

٢ - الآيين : الرسم أو العادة ، أو الدأب ، أو المتداول أو التشريفات . المعجم الذهبي ، فارسي عربي .

النكاح ، ولا ثمن الصحف ، ولا أجر البيوت ، ولا أجور الفيوج[١] ، ولا خراج من أسلم من أهل الذمة ، ولا تعجل دوني بقتلٍ ولا قطعٍ ، والسلام» .

قالوا : وكتب عمر إلى العمال : «أما بعد : فإنه كان في الناس من أهل هذا الشراب أمر ساءت فيه رعيتهم حتى بلغت بهم إصابة الدم الحرام ، والمال الحرام ، والفرج الحرام ، وهم يقولون : شربنا شراباً لا بأس به ، وإنّ شراباً حُمل على هذه المحارم لعظيم البلاء كثير الإثم ، وقد جعل الله المندوحة والسعة في أشربة ليس في الأنفس منها حاكة[٢] ، ولا ريب الماء الفرات واللبن العذب والعسل الماذي والسويق ، وفي أشربة كثيرة من نبيذ التمر والزبيب المنبوذ في أسقية الأدم التي لازفت فيها ، فإنه بلغني عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن نبيذ الظروف المزفتة وعن الدباء والحنتم ، وقيل كل مُسْكِرٍ حرام ، فاستغنوا بما أحلَّ الله عما حرَّم ، فإنه من شرب بعد تَقَدُّمِنا إليه من هذه الأشربة المكروهة أوجعناه عقوبةً ، ومن استخفى عنا فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وقد أردتُ بكتابي إليكم اتخاذ الحجة عليكم في اليوم وما بعده ، نسأل الله أن يزيد المهتدي منا ومنكم هدىً وأن يقبل بالمسيءِ منا ومنكم إلى التوبة في يسر منه وعافية ، والسلام» .

المدائني عن خالد بن يزيد عن أبيه قال : أغلظ رجل لعمر بن عبد العزيز فأمر بتجريده ثم قال : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾[٣] خلّوا سبيله .

---

١ ـ الفيوج : الرسل .
٢ ـ أي شك . القاموس .
٣ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٣٤ .

المدائني قال : أبلغ رجل عمر كلاماً عن رجل غاظه فَهَمَّ بعقوبته ثم قال : أردتُ أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منه اليوم ما ينال مني في مثله غداً ، خلوا سبيله .

المدائني عن المبارك بن فضالة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : «أما بعد فإني كنت كتبت إلى عمرو بن عبدالله أن يقسم ما وجد بعُمان من عشور الحب والتمر في فقراء أهلها ، ومن سقط إليها من أهل البادية وإضافته إليها أهل الحاجة والمَسْكَنَة وانقطاع السُّبُل ، فكتب إليّ أنه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام والتمر فذكر أنه قد باعه وحمل إليك ثمنه ، فَارْدُدْ إلى عمرو ما كان عاملك حمل إليك من ثمن التمر والحب ليضعه في المواضع التي أمرته بوضعه فيها ، ويصرفه إليها إن شاء الله ، والسلام» .

المدائني قال : قدّم يزيد بن المهلب أخاه إلى خراسان فحبس وكيع بن أبي سود ، فبكىٰ فقيل له : أتبكي يا أبا مطرف جزعاً من الحبس ؟ فقال : وددتُ أني ويزيد بن المهلّب ، وسليمان بن عبدالملك في النار فلعن الله أجزَعَنَا ، ولكني أبكي لأنـي قتلتُ قتيبة ثم يعزلني ابن العبسية ، ويولي يزيد .

فلما ولي عمر بن عبدالعزيز بلغه ذلك فقال : لَوَكيعٌ على جَفائه خيرٌ من يزيد بن المهلب ، على أنه لا خير في واحد منهما .

قال المدائني : لما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة وولى عدَي بن أرطاة الفزاري البصرة أراد أن يُنْشىء غرفاً فوق دار الإمارة ، فكتب إليه عمر :

«هَبلتْكَ أمك يا بن أم عدي ، أيعجز عنك منزل وسع زياداً وآل زياد» ؟ . فأمسكَ عدي .

حدثنا بسّام الجمّال عن حمّاد بن سَلَمَةَ عن أيوب أن قتيلاً وُجد بالبصرة في بني نمير فكتب فيه إلى سليمان بن عبدالملك ، فكتب إلى عامله «أنْ استحلفْ خمسين رجلاً على قاتله، فإن حلفوا فَأَقِدْهُ». فلم يَفْعَل حتى ولي عمر بن عبدالعزيز ، فكتب إلى عمر في أمره فكتب : «إنْ شهد على قاتله عَدلان فاقتله ، وإلا فلا تقتله» .

المدائني عن عُبَيْس بن بَيْهَس قال : جاء رجل من بني عُزير بن ثعلبة بن يربوع إلى عمر بن عبدالعزيز فقال : يا أمير المؤمنين اسقني سقاك الله . قال : أين ؟. قال : بالخِرْنق[1] فإنه طريق لا يطؤه الناس ولا يتطرقونه .

فكتب عمر إلى عَدي بن أرطاة : «أما بعد : فإن رجلاً من بني ثعلبة بن يربوع يقال له فلان استحفرني بالخرنق فاحفره ، ومن جاءك من أسْوَد الناس وأبْيَضهم يستحفرك فأحفره ، واشترط أن ابن السبيل أول ريّان ، وأنّ حريم البئر طول رشائها ، والسلام» .

قالوا : وكتب عمر إلى عدي : «أما بعد فاستوص بمن في سجون أرضك خيراً ، ولا تُصِيْبَنَّهم ضيعة ، وأقم لهم ما يصلحهم من الطعام والأدام من مال الصدقة إن شاء الله» .

١ ـ الخرنق : موضع بين مكة والبصرة . معجم البلدان .

وكتب إلى عدي : «أما بعد فما كان عندك من لقطة فحالَ عليها الحول فأخرِج ما يجب فيها من الصدقة فَضَعْهُ في أهل المسْكنة والحاجة ، ما كانت عندك ، حتى يجيء لها طالب ، وليكنْ ذلك شأنك وشأنها حتى يبقى منها ما لا تَجِبُ فيه الصدقة إنْ شاء الله ، والسلام» .

وكتب عمر إلى بعض عماله : «أما بعد فقد بلغني أن كثيراً ممن قِبَلَك من أهل الذمة قد لبسوا العمائم وتشبَّهوا بالمسلمين في زيِّهم ، فامنعهم من ذلك أشدّ المنع ، وخُذْهم بأنْ يحلقوا أوساط رؤوسهم ، إنْ شاء الله ، والسلام» .

المدائني قال : وعظ عمر بن عبدالعزيز قوماً من أهل بيته ، فقال مَسْلَمة : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، فلقد أَلَنْتَ مِنّا قلوباً قاسية ، وأبكيتَ عيوناً جامدة ، وأحييتَ لنا في الصالحين شرفاً وذكراً .

المدائني قال : خطب عمر فقال : أيها الناس أصلحوا من سرائركم تصلُح علانيتكم ، واعملوا لآخرتكم تكفوا أمر دنياكم ، فإنّ امرءاً ليس بينه وبين آدم أَبٌ حيّ لَمُعْرَقٌ له في الموت .

شريح عن اسماعيل بنِ علية أنّ صالح بن عبدالرحمن بعث تَوْبَةَ العَنْبَري إلى سليمان في أمرٍ فقال : اذا فرغت من أمر سليمان فائْتِ عمر بن عبدالعزيز فاعْرِض عليه الحوائج . فلما أتى قال : عليك بتقوى الله وما يبقى لك عند الله فإن الذي يبقى لك عنده باقٍ عند الناس والذي لا يبقى لك عند الله غير باق لك عند الناس . فأبلَغَ ذلك صالحاً فقال : أسمعتم قطّ بكلامٍ أحسن من هذا ؟

المدائني عن موسى بن يزيد عن عَمِّهِ قال : قال هشام لرجاء بن حيوة : ألستَ صاحب عُمر يوم ناجَيْتَه في الدار وقد توفي سليمان ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما دعاني ولا ناجاني إلاّ في صرف الخلافة عنه . فقال هشام : رحم الله أبا حَفْص كان في أمر وكنا في غيره .

المدائني عن مَسْلَمَة بن مُحارب قال : قال مَسْلَمَة بن عبدالملك لعمر : ألا تُوْصي ببنيك ؟ قال : أوصي بهم الذي نَزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

المدائني قال : قال عبدالملك بن مروان يوم احتضُر :

إنَّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صِغَارُ أَفْلَحَ مَنْ كانَ لَهُ كِبَارُ
إنَّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّونْ أَفْلَحَ مَنْ كانَ لهُ رَبْعِيُّونْ

فقال عمر بن عبدالعزيز وكان عنده : ﴿أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ * وذكر اسم ربِّه فصَلَّىٰ﴾[1] .

قال : وكتب عمر إلى الناس : «أما بعد فإن صدقة الفطر سنة مؤكدة ، فأدّوا صدقة الفطر عن أهليكم : حُرَّهم ومملوكهم ، صغيرهم ، وكبيرهم ، وليكن ما تؤدون عن كل رأس صاعاً من شعير أو تمر ، أو نصف صاع من بُرّ ليقسم عاملكم ذلك في أهل المسكنة والحاجة من الحاضرة دون أهل البادية إن شاء الله ، والسلام» .

قالوا : وكتب عبدالحميد بن عبدالرحمن إلى عمر بن عبدالعزيز : «إنَّ قوماً من أهل الخراج كانوا إذا أرادوا كسر خراجهم جَلَوا من أرض إلى

---

١ ـ سورة الأعلى ـ الآيتان ـ ١٤ ـ ١٥ .

أخرى ، وإني أُمرتُ أن تُجعَلَ أرضَ من جَلاَ صافيةً ، وأرجوا أن يتركوا بذلك عادتهم إن شاء الله» .

فكتب إليه عمر : «أما بعد فقد بلغني كتابك ، ولعمري لئن لم تَدَعْ رجلاً خرج من أرض إلى أرض ومن قرية إلى قرية إلا أخذتَ أرضه ثم عُزلتَ أم مُتَّ ليَنْقَطِعَنّ صاحبُ الأرض عنها وتبوء بإثمه ، وما يجلو رجل عن أرضه إلَّا بأنْ يُحَمَّلَ فوق طاقته ، فإياك أن تَعْمَلَ وعمالك بعمل ابن يوسف وعماله ، فإنهم كانوا مفسدين وقد قضى الله بأنه لا يصلح عمل المفسدين ، وَتَألَّفْ أهل الأرض فإن أرضيهم وبلادهم أَحبَّ إليهم من الجلاء إذا عُدِل عليهم ورُفِقَ بهم إن شاء الله والسلام» .

المدائني عن بَقِيَّة بن عبدالرحمن عن أبيه قال : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى بعض إخوانه : «أوصيك بتقوى الله الذي ابتدأك بإحسانه واحتج عليك بأنبيائه وبرهانه ، فإنك مُخْتَبَرٌ بما كلِّفت ، ومُرْتهنٌ بما عملت ، وكأنْ قد وافيتَ مضجعك ، وطالعتَ مرجعك ، واضمحلّت عنك الدنيا ، ثم بعثت يوم النشور ، ووقفت بين يدي الملك القدير ليجزيك بما كدحت ، ويسألك عما اجترحْتَ . فَاعمل بَدَنَكَ فيما ينجيك ، ودَعْ عنك ما لا يعنيك ، فإنّ الدنيا قد أدبرتْ ، وإنّ أمورها قد تكدرت ، وقد رأيتَ مِنْ تَقَلبِّ أحوالها وتَصَرّف أمورها ما فيه معتبر وموعظة لمن أبصر ، أعاننا الله وإياك على تقواه ، وألهمنا وإياك رضاه ، تَعَاهدْني يا أخي بكتابك فإنّ الكتب من الإخوان تديم الودّ والعهد ، وتدعو إلى التواصل والتناصح ، ولاقوة إلا بالله» . وقال بعضهم : إنَّ الرجل كتب إلى عمر بهذا الكتاب .

وقال محمد بن مصفى الحمصي : كتب عمر إلى الجَرَّاحِ الحَكَمِي أوْ غيره من عماله : «أما بعد ، فإذا قدرتَ على عقوبة العباد ، فاذكر قدرة الله عليك ، فاعْفُ له ما لم يكن في العفو مفسدة في الدين واستخراج من القوم المذنبين ، فإنك بالله تُعزّ ، وإليه ترجع» .

المدائني قال : كتب عمر إلى أبي أُمَامَةَ الحمصي يعزيه بابن له استشهد : «أما بعد : فالحمد لله على آلائِهِ وقضائِهِ ، وقد بلغني الذي ساق الله إلى عبدالله بن أبي أُمامَةَ من الشهادة ، فقد عاش في الدنيا مأموناً وأفضى إلى الآخرة شهيداً ، فقد فاز بما خصّ الله به الشهداء من الفضيلة والكرامة ، فليس شيء نعلمه وإن عظُم خطره وجَلَّ ثوابه أعظم عند الله تبارك وتعالى وعند عباده الذين أوتوا العلم والفهم من الشهادة ، فَمَن خصّه الله بها فقد أفلح وأنجح وربح ، ووسمه الله سِمة الأبرار ، فهو في جوار الله وتحت عرشه قد انقطعت عنه مرارة الدنيا وعلاجها ، وصار إلى عيش الآخرة وحبورها ، نسأل الله الذي بيده نَواصي العباد أن يرزقنا وإياكم الشهادة والسعادة بِقُدْرَتِهِ والسلام» .

حدثنا عمرو الناقد وأبو عبيدالقاسم بن سلام قالا : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، أنبأنا سفيان بن حسين أن عاملاً لعمر بن عبدالعزيز كتب إليه فترك نقط سين «بسم الله» وتَبْيِيْنَها ، فأشخصه إليه فقال الناس : فِيْمَ أُشخص فلان ؟ فقيل : أُشخص في سين ، فعلقها الناس .

المدائني عن مَسْلَمة قال : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عماله : «أما بعد فإن الصلاة أُحقّ ما تَعهدَّه المرء من نفسه ، ومَن ولاّه الله أمره . فأقيموا الصلاة في بيوتكم ومساجدكم لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها ، وترتيل

ما تقرأون من القرآن فيها ، فإن الله جعلها ﴿على المؤمنين كتاباً موقوتا [١]﴾ ، وتعهدوا الناس في الزكاة وحضّوهم عليها ، فإن من أدَّاها أُجِرَ ، ومن استخف بحقها وبَذَرَ كانت حجة عليه ، نسأل الله أن يجعلنا مطيعين له مجتهدين في مرضاته ، والسلام» .

وكتب عمر إلى عدي بن أرطاة : «أما بعد فقد أتاني كتابك تسأل عن القضاء بين الناس ، والقضاء بين الناس باتباع ما في كتاب الله ، ثم ما جاء عن رسول الله ﷺ ، ثم ما حكم به أئمة الهدى ، ثم استشارة ذوي الرأي والعلم ، فما أتاك من الحكم فلم تجده في الكتاب نصاً ، ولا في السُّنة رواية ، ولا أخبرك به مخبر عن الأئمة الأبرار ، فَسَلْ عنه أهل العفة والمعرفة ، ثم احكُمْ بالعدل ، ولا تُؤثر أحداً على أحد ، إن شاء الله .

وسألت عن ميراث رجل وهَبَ ولاءَه أو باعه غير مُسْتَكْرَهٍ فإنّ الولاء لمن أَعتَقَ ، لا يباع ولا يوهَب ، وقد أوصى رسول الله ﷺ أنّ الولاء لمن أعتَقَ .

وسألتَ عن الكافر يُعتقه المسلم فهو مولى للمسلم ، وميراثه راجع الى بيت المال ، لأنه لا يتوارث أهل ملَّتَيْن ، ويَعقِلُ عنه إذا جَنى من مال الله .

وسألتَ عن المرأة ترمي الرجلَ بنفسها أو يوجد معـها وليس معهما أحد سواهما ، والرجل جاحد وقد اتّهم وأُظِن ، وان الحدود لا تقام إلا بالبينات أو الاعتراف ، فاجلد من أخذته على ذلك جَلد النكال على غير حدّ ، ولا تُقِم الحدود بالتُّهم فإنها تُدرأ بالشبهات ، وما ستر الله عباده فاسترهم

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ١٠٣ .

به ، واعلم أنك متمسك بالعدل ما أزلتَ الشكَ بالبَيِّنَةِ ، والشهود والعدول ، والسلام» .

قالوا : وكتب عمر إلى عَدي بن أرطاة : «أما بعد : فَاحْصِ أهل المسكنة بالبصرة ، واكتب اليّ بِعُدَّتهم إن شاء الله» . فأحصاهم فبلغوا ثلاثين ألفاً وتسعمائة وخمسة عشر إنساناً ، فكتب إلى عَدي يأمره أنْ يعطي كل إنسان جريباً في كل شهر من طعام كَسْكَر والسَّوَاد إذا قُدم عليه بالطعام» .

قال : وجَّه عمر جيشاً إلى الروم فمشى معهم ثم ودعهم وقال : اتقوا الله وقاتلوا أعداءه ابتغاء ثواب الآخرة ، فإنّ الأجر للصابرين ﴿في البأساء والضرّاء وحين البأس﴾ [1] .

وحدثني أبو عبيدالقاسم بن سلام قال : بلغنا عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال : التُّقَى مُفْحِمٌ مُلجِمْ .

حدثنا سعيد بن سليمان عن المبارك بن فَضَالة قال : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامل له : «أَمِتْ كلَّ بدعة ، وَأَحْيِ كل سُنَّة من سنن الإسلام ، وشريعة من شرائعه ، ولا تأخذنك في الله لومة لائم» .

المدائني عن المبارك بن سلام عن مُجَالِد أنّ عاملاً لعمر بن عبدالعزيز كتب إليه يستأذنه في عذاب العمال ، والبَسْطَ عليهم ، ويذكر مقاسمة عمر بن الخطاب عماله ، فكتب إليه : «قد فهمتُ كتابك ولم تعلمني عن مقاسمة عمر عماله شيئاً إلا وقد علمته ، ولعمري لَغَيْر ما استأمَرْتَني فيه من أمر العمال أجمل في عاجل الأمر ، وأسرع في دَرْكِ البُغيَة مما كان ابن يوسف

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٧٧ .

وابن أبي مسلم ، وصالح بن عبدالرحمن يفعلونه من العذاب بالجوامع ، والمحبس الضَّنْك ، وسوء المطعم والمشرب ، وغلظ الملبس ، وَفُرَّ من ذلك أشد الفرار ، وانظر من كان في السجون في وثاقٍ أو في مطعم سوءٍ ومشرب سوءٍ ، فنَفِّس عنهم وأطلقهم ، وأحسِن أسارَ من أسرتَ ، وليس رأيي في العمال إلا محاسبتهم فيما وُلّوا فمن أدركنا عليه حقاً أخذناه به ، ومن لم ندركه عليه خلينا سبيله حتى يحكم الله فينا وفيهم بما شاء والسلام» .

وقالوا : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى بعض عماله : «كتبتَ تسأل عن الرجل من الموالي يكون له ذَوُو رحم لهم عَدَدٌ ، وله مالٌ يرثونه دون مواليه فيحدث حدثاً ، أيكون عقله عليهم دون مواليه ، وان الموالي لا يحملون العقل ، والموالي ثلاثة : مولىً رحم ، ومولى عتاقة يورِثُ ولا يَرِثُ و مولى عقل لا يرِث ولا يورِثُ وميراثه لعصبة رحمه» .

حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا جرير بن حازم قال : قرأت كتاب عمر إلى عَدي : «أما بعد فقد بلغني كتابك تسأل عن شهادة الأربع النسوة المرضيات أتجيزها أم لا ، وكتبت تسأل عن العبد يقذف الحر ، وذكرت أنه بلغك أني كنت أضربه في عملي على المدينة أربعين جلدة ، ثم جلدته في آخر عملي ثمانين ، وإنّ جلدي الأول كان رأياً رأيتُه ، وإنَّ جلدي الآخر وافق ما في كتاب الله لأنّ الله يقول : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلده﴾[1] لم يُسَمّ فيها حراً ولا مملوكاً ، فاجلده ثمانين .

---

١ ـ سورة النور ـ الآية : ٤ .

فأما شهادة النسوة الأربع فإني لم أسمع في الكتاب بشهادة خَلُصتْ فيها نساء إلا ومعهنّ رجل فَانْتَهِ من الأمر إلى ما تعرف ، ودعْ ما تنكر ، واعلم أنّ أحداً لا يستطيع إنفاذ حقوق الناس بينهم حتى لا يبقى منها شيء ، ولا بد من أن تستأخر قضايا كثيرة إلى يوم الحساب ، والسلام» .

حدثني عمر بن شبه ، ثنا عمرو بن عاصم عن حماد بن سلمة عن حميد أن رجلًا اختلس طوقاً من عنق جارية فارتفعوا إلى عدي بن أرطاة ، فسأل عدي الحسن[1] فقال: لا تقطعه. وقال إياس بن معاوية بن قُرَّة: اقطعه. فكتب عدي بذلك إلى عمر بن عبد العزيز ، فكتب عمر : «إن العرب كانت تُسمِّي هذا : العادي ، فاجلده ، واستودعه الحبس» .

حدثني خلف بن هشام البزَّار ، ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النُّجود أن عدي بن أرطاة كتب إلى عمر : «إني أخذت رجلًا يسبُّك فهممت بقتله، ورفع إليّ رجل قتل في السوق فاتّهم به فسّاق من فساق أهل البصرة ، ولم تَقُم عليهم البيّنة» ؟

فكتب إليه : «أنظر القتيل فدِهِ من بيت مال المسلمين ، وانظر الفساق فاحبسهم عن المسلمين ، وأنفق عليهم من بيت المال ، وانظر الذي سبَّني فَسُبَّه ، وإلا فخلِّ سبيله ، فوالله لو كنت قتلته لقتلتك به» .

حدثني منصور بن مزاحم عن شعيب بن صفوان قال : استبطأ عمر بن عبد العزيز عدياً في بعض الأمر ، فكتب إليه : «إنك غررتني يا بن ام عدي بعمامتك السوداء» .

المدائني عن عبد الله بن سَلْم أن عدي بن أرطاة خطب فشتم علياً

١ ـ الحسن البصري .

ولعنه ، فكتب الحسن[١] بذلك إلى عمر فكتب عمر إلى عدي : «بلغني عنك أنك شتمت علياً ولعنته ، ولبئس الرجل أنت ، إن فعلت ذلك ، وأقدمت عليه ، فقبَّحك الله وتَرحك ، وأنا أقسم لئن عدت لمثلها لأنهكنَّك عقوبة ، ثم لأُسيئَنَّ عزلك» . فأمسك عدي . فقال الشاعر :

وليْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَليًّاً ولَمْ تُخِفْ بريئاً ولم تقبل مقالة مُجْرِمِ

حدثني أبو بكر الأعين عن سعيد بن سليمان عن خَلَف بن خليفة عن أبي هاشم الرُمَّاني قال : كتب عدي بن أرطاة إلى عمر : «إن الناس أصابوا خصباً وخيراً كادوا يبطرون له» ، فكتب إليه عمر : «إن الله رضي من أهل الجنة حين دخلوها بأن قالوا : الحمد لله رب العالمين ، فَمُرْ من قبلكَ أن يحمدوا الله على ما آتاهم إن شاء الله والسلام» .

المدائني قال : كتب عمر إلى عدي : «أن سَلِ الحسن : ما بال نصارى العرب لا يؤخذ منهم الجزية» ؟ فسأله فقال : اكتب إليه : «إنك متَّبع ولستُ بمبتَدِع ، إن عمر رأى في ذلك صلاحاً» .

حدثني عمرو الناقد ، ثنا إسحاق الأزرق عن عوف قال : كتب عمر إلى عدي : «أنْ سَلِ الحسن : ما منَع مَن مضى من الأئمة أن يحولوا بين المجوس وبين ما يجمعون من النساء» ؟ فسأله فأخبره : «إن النبي ﷺ قبل الجزية من مجوس هَجر ، وأقرهم على مجوسيتهم ومناكحهم ، وأقرهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، رضي الله عنهم» .

حدثني محمد بن أبان الطحان ، ثنا أبو هلال الراسبي ، ثنا شهر بن حوشب أنه استأذن على عدي بن أرطاة فقال الآذن : إنّ الأمير يقول :

---

١ ـ الحسن البصري .

لا تأذن له فإنه سبَّني . فقال له قتادة : إنّ خادم البيت يخبرك بما في أنفس أهلها ، وإنّ عَدياً قد أخبرك بما في نفس صاحبه عمر ، فلا غفر الله لمن لا يستغفر لهما - يعني علياً وعثمان -.

المدائني عن الفَضْل بن سُويد الضَبيٍّ قال : كتب عمر إلى عَدي : «أما بعد فإنه بلغني أن قوماً قِبَلَكَ إذا توضأوا رفعوا الطساس من بين أيديهم واحداً واحداً ، وذلك من زي العجم ، فلا يُرفَعَنَّ طسٌّ قِبَلَكَ حتى يمتلىء أو يُفرغَ من آخر القوم» .

المدائني عن يزيد بن ابراهيم ، عن أيوب قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : «مُرُوا أهل الصلاح يتذاكروا السّنن في مجالسهم ، ومساجدهم ، وأسواقهم» .

المدائني قال : كتب عَدي إلى عمر : «إنه قد ذكِرتْ لي امرأة من أهل البصرة أعجبني دينها وموضعها وجمالها ، وقد أحببت يا أمير المؤمنين أن تزوجنيها » .

فكتب إليه: «إنْ كنتَ أصبتَ بعدي مالاً ، فأهلَكَ الذي صبروا على فقرك أحقّ بك . وإلَّا تكن أصبتَه فإن أجمل بك ألا يكون كما قال ابن دارة : إنّ الفزاري لا ينفعك . وأَستغفِرُ الله» .

المدائني عن اسحاق المالكي قال : كتب عدي إلى عمر يستأذنه في تزوج هند بنت أسماء فكتب إليه عمر : «إن الفزاري لا ينفعك ، والسلام» . - يريد قول ابن دارة -:

لاتـأمنَنَّ فَزاريـاً خَلَوْتَ بِهِ عَلى قَلُوصِكَ واكتبها[١] بأَسْيَارِ
إنَّ الفَزَارِيَّ لا يَنْفَعْكَ مُغْتَلِماً يُواصِلُ الدَّهْرَ تَهْدَاراً بِتَهْدَارِ

عباس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف قال : كانت الولاة من بني أمية قبل عمر يشتمون علياً ويلعنونه ـ فلما ولي عمر بن عبد العزيز أمسك عن ذلك . فقال كثير :

وُلِيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلياً ولَمْ تُخِفْ بَـريئاً ولم تَتْبَـع مَقالَـةَ مُجْـرِمِ
تَكَلَّمْتَ بـالحقِّ المُبِيْنِ وإنَّمـا تُبَـيَّنُ آيـاتُ الهـدى بـالتكلمِ
فَصَدَّقْتَ مَعْروفَ الذي قُلْتَ بالذي فَعَلْتَ فَأَضحَى راضِياً كلُّ مُسْلِمِ
ألَا إنَّما يَكْفِي القَنَا بَعْدَ زَيْغِهِ مِنَ الأَوَدِ البَادِيْ ثِقَافُ المُقَوِّمِ[٢]

فقال عمر حين أنشده هذا الشعر : أَفْلَحْنَا إذاً .

المدائني عن أبي هلال الراسبي عن قتادة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عَدي : «أما بعد فإذا أبردتَ إليّ بريداً فأبرِدْهُ حَسَن الاسم حسن المنطق ، خفيف اللحية يَفْهِمُ عني ويُفهمني مثل عِذام الضبي» .

حدثنا عمر بن شَبَّه ، ثنا أبو عاصم النبيل عن سفيان عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر إلى عدي : «أنظر كل قرية ليسوا بأهل عمود ، فَمُرْهُم أن يُجمعوا» .

حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن خُلَيْد بن دَعلج قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله «أنْ اجعلوا أثمان كُبُول من تسجنونه من بيت المال ، وإيَّاكُم أنْ تُغَرِّمُوهُم أثمانها» .

١ ـ الكن : وقاء كل شيء وستره . القاموس .
٢ ـ ديوان كثير ص ٢١٥ .

المدائني عن أبي هلال قال : كتب عمر إلى عَدي : إذا أشكل عليك أمر فَسَلْ عنه الحسَن بن أبي الحسَن» .

المدائني قال : كتب عمر إلى عماله : «إن الله يقول : ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين﴾[1] أي لا تقاتل من لا يقاتلك من النساء والصبيان والرهبان .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا أبو داود الطيالسي ، ثنا أبان بن جمعة ، ثنا بكر بن عبد الله قال : كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن أم الولد إذا زَنَت وقد ولدت من سيدها ، هل تُباع ؟ . قال : لا تباع وإن بَغَتْ .

حدثنا شيبان بن فروخ ، ثنا حماد بن سَلَمة ، ثنا قتادة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطاة : «إنّ امرأة المفقود تَعْتَدُّ أربع سنين» .

حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبانا حميد أنّ رجلاً كاتَبَ عبده واشترط عليه أنّ له سهماً في ميراثه . فسأل عدي إياس بن معاوية ، فقال : السهم في كلام العرب السُّدس ، فكتب عدي إلى عمر بن عبد العزيز بذلك ، فكتب إليه : «إنّ قضاء الله قَبْلَ شَرْطِهِ . ليس له شيء» .

حدثنا عمر بن شَبَّه عن عفان عن حَمَّاد بن سَلَمَة عن حميد أن رجلاً أسلم على يد عبيدة بن أبي عاصم السلمي وترك عشرين ألفاً فكتب عدي إلى عمر في ذلك ، فكتب : «إن عبيدة أحقّ بميراثه» .

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٩٠ .

حدثنا عبد الله بن صالح عن حماد بن سلمة عن حميد أنّ رجلاً من موالي بني جُشَم قتل رجلاً خطأً ، فسأل عدي الحسن عن ذلك ، فقال : لا تَعْقِلُ العرب عن الموالي ، فكتب إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر : «إنّ مولى القوم من أنفسهم ، وهم أحقّ بميراثه ، فليعطوا عنه» ، فجعل الدية عليهم .

حدثني هُدْبَةُ بن خالد ، ثنا حماد بن سلمة عن حميد أنّ قتيلاً وُجِدَ بين بني عَبْس وبني قُشَيْر بالبصرة ، فكتب فيه عديَ إلى عُمر ، فكتب فيه عمر : «إنّ من القضايا قضايا لا يُقضى فيها إلى يوم القيامة ، وإن هذا منها» .

حدثنا عفان عن حماد بن سلمة عن قتادة أن رجلاً باع امرأة حُرَّة من رجل بأربعمائة درهم، وهَرَبا فَوُجدا، وإذا ثمنها في هِميان[1] في حَقْوِهَا، فكتب فيها عدي إلى عمر ، فكتب عمر : «أن عَزّرهما ، واستودعهما السجن ، ولا تقطعهما» .

المدائني عن العباس بن محمد عن أبيه أنّ عمر كتب إلى بعض عماله : «أما بعد فإن الله أكرم بالاسلام أهله ، ورفع به عنهم الصَّغار والذلّة ، فانظر من ادّعى الإسلام فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله ، وأنه يؤمن بالله وملائكته ورسله ، وأن عيسى عبد الله وكلمته ورسوله ، إذا كان نصرانياً ، وأنّ عُزيراً عبد الله إن كان يهودياً ، وحفظ عَدَدَ الصلاة وأوقاتها ، وقرأ من القرآن فاتحة الكتاب فما زاد ، وأحْسَنَ الوضوء ، ووجدتَه مختتناًفَضَعْ عنه الجزية» .

---

١ ـ الهميان : شداد السراويل ، ووعاء للدراهم . القاموس .

المدائني عن مسلمة وغيره قالوا : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عاملٍ له : «أما بعد فإن الله أكرم بالإسلام أهله وشَرَّفَهم وأعزَّهُمَ ، وضرب الذلة والصغار على من خالفَهم ، وجعلهم خير أمة أُخرجت للناس ، فلا تُوَلِّيَنَّ أمور واحد من المسلمين أحداً من أهل ذمتهم وخراجهم فتنبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلُّهم بعد أن أعزَّهم الله ، وتهينهُم بعد أن أكرمهم الله ، وتُعَرِّضهم لكيدهم والاستطالة عليهم مع مالا يُؤمَنُ مِنْ غشهم إياهم ، فإن الله يقول : ﴿لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودُّوا ما عَنِتُّمْ﴾[1] .

ويقول : ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾[2] والسلام» .

المدائني عن مسلمة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي في عزل من كان من العمال من أهل الذمة وأنْ لا يستعين بهم . فعزل ابن رأس البغل ، وابن زاذا نفروخ بن بيزي ، وأقرّ زاد مرد بن الهربذ ، فكتب إليه في عزله فعزله .

قال : وكتب عمر في إباحة الأحماء ليرعى الناس فيها ، وكتب إلى بعض عماله : «كتبتَ تسأل عن الأسير أيكتب إلى أهله بوصيته وفيها عتقٌ ووصايا ، فَأَجِزْ وصيتَهُ وعتْقَهُ إذا عُلِمَ أنه على دينه لم يغيره ، وشهد العدول من المسلمين على وصيته» .

---

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١١٨ .
٢ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٥١ .

المدائني قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عَدي : «أما بعد فإنه ذُكر لي أن رجالاً من أهل الجفاء وقلة الفقه يشترون الطعام ثم يبيعونه قبل أن يقبضوه ، ولعمري إنّ ذلك من الرّبا الذي لا شك فيه ولا مَرّية ، فإذا جاءك كتابي هذا فامنع من قِبَلَكَ منه أشد المنع وحذِّرهم العقوبة عليه أبلغ التحذير ، ومن كان عنده من ذلك شيء اشتراه من مسلم فليردّه إلى صاحبه ، ومن كان منهم على بيع شيء منه فليرفضه ، وإنْ قدرتَ على أحد منهم فَعَلَ ذلك بعد نَهْيِكَ عنه فأوجِعه عقوبة واجعله نكالاً لمن رآه وسمع به ، إن شاء الله ، والسلام» .

حدثني عبد الله بن صالح عن سلام بن مسكين قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي وأهل البصرة فنهاهم عن القبالة[1] والصَّرف دراهم بدراهم إلا مثلاً بمثل ، ولبْس الحرير والتماثيل وعن الأوعية الأربعة : الدُّباء والنَّقِيْر والحنْتَم والمزفَّتْ[2] .

المدائني عن عمرو بن ميمون أنّ عمر كتب إلى عدي ـ وكان عدي كتب إليه في الرجل يفلس بالمال العظيم ، إنه قد كان بعض الفقهاء يرى بَيْعَهُ ـ : «قد فهمتُ كتابكَ في أمر المفلس فلا يُباعَنَّ حرّ ، وإنْ فَلَّس» .

المدائني قال : كتب عمر إلى عدي : «إنّ رجالاً يولون نساءهم الطلاق : فيجعلون أمر نسائهم في أيديهنّ ، وإن الله لم يجعل للنساء من

١ ـ القبالة : الكفالة والضمان . القاموس .

٢ ـ الدباء : القرع ، كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب . والحنتم جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة . والنقير : أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ، ويلقى عليه الماء ليصير نبيذاً مسكراً . والمزفت هو الاناء الذي طلي بالزفت ، ثم انتبذ فيه . النهاية لابن الأثير .

الطلاق شيئاً ، فأيّما رجل جعل أمر امرأته بيدها فاختارت نفسها فواحدة وهو أملك بها ، وإن ردّتْ الأمر إليه فليس بشيء» .

حدثني عمر بن شَبَّه عن هارون بن معروف عن ضَمْرَة بن ربيعة عن علي بن أبي حَمَلَة قال : رأيت يزيد بن المهلب يُطاف به في عسكر عمر بن عبد العزيز في محمل وإلى جنبه رجل من الحرس ، وهو يقول : ارفعْ رأسك يا فاسق .

وقال المدائني : حبس عمر يزيد بن المهلب بما كتب به إلى سليمان بن عبد الملك ، وحبس عدي إخوةَ يزيد بالبصرة .

المدائني عن أبي جَزي عن داود بن أبي هند قال : كتب بعض عمال عمر إليه في غلام ابن احدى عشرة سنة افتضّ جارية ابنة تِسْع ، فكتب عمر إليه : «إنّ الحدود والنّكال لا يكون إلا لمن بلغ الحلم وعلم ما ذا له في الإسلام ، وماذا عليه . والسلام» .

وكتب عمر في مسلم أُسِر فتنصّر : «أن تُزَوَّجَ امرأتُه ، وتكونُ في عدَّتِها من حين يبلغها تَنَصُّرُه ، ولا يتوارثان ، وإنْ مات هي في عدتها» .

وكتب عمر : «إنه لا قَطْعَ على المختلس ولكنه لا يُرثي له من طول حَبْس» .

وكتب عمر إلى بعض عماله : «اجلد القاذف حراً كان أو عبداً ثمانين إذا افتريا ، فانّ الله يقول : ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾[1] ولم يُسَمّ عبداً ولا حرّاً» .

---

١ ـ سورة النور ـ الآية : ٤ .

وكتب عمر إلى عدي بن أرطاة : «إنّه بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما نُكِحَتْ عليه امرأة من صَداق فهو لها أو عدَّة لأهلها قبل أن تُنكح فهو لها ، وما كان من حَباء لأهلها بَعد أن تُنكح فهو لهم» .

المدائني عن شيخ من أهل الجزيرة قال : كتب عمر إلى بعض عماله : «أما بعد فلا يَغلبنَّك جهل الجاهل بك على علمك بنفسك ، فإن من الناس ناساً غَرَّهم الستر وفَتَنَهم حُسْن الثناء ، فأعاذنا الله وإيّاك من أن نكون مغرورين بِسِتْر الله مفتونين بمدح الناس ، والسلام» .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن عبدالله بن المبارك عن الأوزاعي عن سليمان بن حَبيب قال : شتم رجل رجلاً فادعى شهادة قوم غَيَبٍ أنَّ ما قال كما قال ، فلم يشهدوا له ، فقال عمر لسليمان : يا سليمان اضرب وفَرّق فلا يقع سوط على سوط .

المدائني قال : كتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن : «إنه لا يُقتل رجل شتم رجلاً إلا أن يكون نبيًّاً» .

المدائني قال : دخل أبو مجلز لاحِقُ بن حميد على عمر بن عبد العزيز فلما أُخبر بمكانه قال : إني لم أعرفك . قال : فهلا يا أمير المؤمنين إذ لم تعرفني أنكرتني فسألتَ عني .

حدثني هشام بن عمار قال : قال عمر بن عبد العزيز : إنّ من الغُرَّةِ بالله أن يصرّ العبد على المعصية ، ويتمنى على الله المغفرة .

المدائني عن أبي عبد الرحمن التميمي عن عبدالله بن يزيد بن جابر قال : قال رجاء بن حَيْوَة : قال لي سليمان بن عبد الملك في مرضه : إلى من ترى أنْ أعهد ، وله بَنُونٌ رجالٌ قد بلغوا ، أمهاتهم أمهات أولاد ، فهم

لا يطمعون في الخلافة ، وأولاد من المهائر صغار ، قلتُ : يا أمير المؤمنين قد سمعتك تقول ما ورث خليفة ميراثاً أفضل من ولي عهد صالح يعمل في الرعية بالعدل بعده .

وخرجتُ فقام اليّ عبد الملك بن أرطاة فقال لي : إلى مَنْ عهِدَ أمير المؤمنين؟ قلت: لم يعهد بعدُ وقد شاورني . قال : هل لك في رجل إنْ وُلي الناس لم يُرَ منه خلل ولا زَيغ إن شاء الله ؟ قلت : من هو؟ قال : عمر بن عبد العزيز المرضيّ المأمون . قلتُ : كنتُ أريده وقد قَوَّى رأيي وعزمي قولك فيه ، فدخلت فأشرتُ به على سليمان فعهد إليه .

فلما مات واستُخلف عمر ، خطب الناس فقال : أيها الناس . والله ما سألت الله هذا الأمر في سرّ ولا علانية ، ولا دَسَسْتُ فيه بكلمة ، ولا خطوتُ فيه خطوة فإن شئتم فبيعتكم مردودة عليكم .

فقال هشام بعد ذلك : لقد ندمت يوم قال بيعتكم مردودة عليكم إذ لم أقل : نعم فأَقِلْناها . فبلغ قوله عمر فقال : لو أن الأحول فعل لفعلتُ ، فكان أولَ ما قضى به ردُّه فَدَكَ إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ .

حدثني العُمَري عن الهيثم بن عدي قال : حدثني عوانة قال : مات سليمان واستُخلف عمر بن عبد العزيز فخطب الناس فقال : والله ما أردتُها ولا تمنيتُها ، ولا سعيتُ لها فاتقوا الله وأعطوا الحق من أنفسكم وردّوا المظالم فإني والله ما أصبحتُ وبي موجدة على أحد من أهل القبلة ، إلاّ على ذي سَرَفٍ حتى يَرُدّه الله إلى قَصْد ، ثم نزل وقد فرشوا له ، فترك الفرش وجلس ناحيةً .

وكتب إلى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول ، وأذن للناس بالقفول .

المدائني : قالوا:كتب عمر إلى سالم بن عبدالله بن عمر أن يكتب إليه بسيرة عمر بن الخطاب ، فكتب إليه : إنّ عمر كان في غير زمانك ورجالك فإن قدرت أن تعمل في زمانك عمل عمر كنتَ أفضلَ منه .

المدائني عن غياث بن ابراهيم قال : قاد الناس الخيل إلى سليمان بن عبد الملك فمات قبل أن يُجريها فاستحيا عمر من الناس فأجرى الخيل التي جمعت ، ثم أعطى الناس ولم يُخيّب أحداً ، ثم لم يُجْر فرساً حتى مات .

المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال : ارتد ابن وابِصَة وأتى الروم ، فبعث عمر في فداء مَنْ بأيدي الروم من المسلمين رجلاً ، فمر في طريق من طرقهم فسمع رجلاً يغنّي بشعر ابن دارة :

وكائِن بالبلاط[1] إلى المصلّى إلى أُحُدٍ إلى ما حَازَ رِيْمُ[2]
إلى الجَمَّاءَ[3] مِنْ خَدٍّ أَسِيْل نَقِيٌّ اللون ليسَ بِهِ كُلُومُ
يَلُومُـكَ في تَذَكُّـرِها رجَـالٌ ولَو بِهِمُ كما بِكَ لَمْ يَلُومُوا

فدخل عليه ودعاه إلى الإسلام فأبى . ويقال بل أسلم ورجع إلى المدينة . فروى جويريةِ بن أسماء عن بعض أصحابه أنه رأى جنازة ابن وابصة بالمدينة[4] .

---

١ ـ البلاط موضع بالمدينة بين المسجد المقدس وسوق البلد . المغانم المطابة .
٢ ـ اسم واد قرب المدينة . المغانم المطابة .
٣ ـ الجماء جبل بالمدينة ، على ثلاثة أميال ، من ناحية العقيق ، إلى الجرف . المغانم المطابة .
٤ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث ، ولله الحمد .

المدائني قال : قال أبو عاصم : خُنَاصِرَة من قِنِّسْرِيْن ، وبها مرض عمر ومات بدير سَمعان من أرضِ حمص . وبين خناصرة ودير سمعان ثلاثون أو أربعون ميلاً وهو على تخوم قنسرين .

قالوا : واشترى عمر موضع قبره من نصراني بدير سمعان بأربعين درهماً وهو مريض ، فقال النصراني : وتعطيني قميصك ، فأعطاه إياه . وعند قبر عمر زيتون .

المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال: كان ليث بن أبي رقية، واسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير كاتبين لعمر بن عبد العزيز فدخلا عليه يوماً فقال : يا معشر العلوج أما يستطيع أحدكم إذا غدا أن يُسَرح لحيته ؟ .

المدائني عن خالد بن يزيد بن بشر عن أبيه قال : كان من خاصة عمر : ميمون بن مهران ، ورجاء بن حَيْوَة ، ورياح الباهلي . وكان دون هؤلاء عنده : عون بن عبدالله بن عُتْبَة ، ومحمد بن الزُّبَيْر الحَنْظَلي .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحَارب قال : خرج بلال بن أبي بُـرْدة ، وأخوه عبدالله إلى عمر ، يختصمان إليه في الأذان في مسجدهم فارتاب بهما فدسّ إليهما من عرض عليهما ولاية العراق على أن يجعلا له جعلاً فقال له بلال: أعطيك مائة ألف درهم ، وقال أخوه : أعطيك أكثر من مائة ألف درهم . فأخبر عمر بما بذلا ، فقال لهما : الحقا بمصركما .

وكتب إلى عبد الحميد : «لا تُوَلّ بلالاً الشَّر ، ولا أحداً من ولد أبي موسى شيئاً» . ويقال إنه كتب : «بُلَيْل الشر ـ صَغّره ـ» .

المدائني عن عبدالله بن أبي بكر قال : لما دُفن عمر بن عبد العزيز قام غُلَيْم أو جويرية من أهله وقد سوّد ذراعيه فقرأ : ﴿إذا الشمس كُوِّرت﴾[1] فما بقي أحد حضر إلا بكى .

المدائني عن علي بن مُجاهد قال : كتب عمر بن عبد العزيز : «اقطعوا رؤوس التصاوير ، ولا تدعون المعلمين يحملون الصبيان إذا حذقوا»[2] .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف قال : قال المنصور أمير المؤمنين : مَارَدَّ أحدٌ علينا حقنا إلاّ عمر بن عبد العزيز .

المدائني عن مَسْلـمة بن مُحارب قال : دخل عَنْبَسَةُ بن سعيد على عمر فقال : يا أمير المؤمنين كان من قَبْلك من الخلفاء يَصِلون أرحامنا ويعرفون حقنا ، وإنك قد أمسكتَ عنا فإما أنْ تصنع بنا ما كانوا يصنعون وإما أنْ تأذن لنا في اللحاق بأهلنا فنشاهدهم ونصلح من شأنهم . فقال عمر : أما من كان مِن قَبلنا فقد كانوا يفعلون ما ذكرتَ ، وما كان ذلك لهم ، وأما ما سألتَ من الانصراف فهو إليك .

فَولّى عنبسة فدعاه فظنّ أنه قد بدا لعمر فيما كلّمه به فقال : اذكر الموت فإنك لا تذكره في حال سعةٍ إلاّ ضاقتْ عليك ولا تذكره في حال ضيقٍ إلاّ اتسعتْ لك .

المدائني قال : قال عمر لابنه : لا تَحْقِرَنّ أحداً ، فلعل بعض من تزدريه عينك أقرب إلى الله وسيلة منك .

---

١ ـ سورة التكوير ـ الآية : ١ .

٢ ـ حذق الصبي القرآن : تعلمه كله ومهر فيه . القاموس .

أبو الحسن المدائني عن أبي بَحْر الاصبهاني عن أبي سَيّار قال : اشتريت لعمر بن عبد العزيز ثوبين من خَزّ السُّوْس ، ذكر أهل السوس أنهم لم يعملوا مثلها لأحد ، فقال لي : ما أخشنهما فلما استُخلف اشتريت له ثوب كتّان بستّة عشر درهماً فقال : ما أَلْيَنَه ، فقلت في ذلك فقال : قلتُ ما قلتُ يومئذ وأنا في نفسي صادق ، وقلت هذا وأنا في نفسي صادق .

ورُوي أن بلال بن أبي بُردة قدم وعليه عمامة سوداء وكان مِن أطول الناس صلاة فقيل لعمر : ما رأَيْنَا أطول من صلاة بلال فلو استعنتَ به فإنه من أهل بيت لهم قِدَمٌ في الإسلام ، فقال لكاتبه : اعلم لي عِلْمه ، فأتاه فقال : ان أمير المؤمنين ذكَرك للعراق فما تجعل لي ؟ قال : مثلي لا يُكلم بهذا . قال : والله لأصرفَنَّ عنك الولاية إن لم تُرضني . قال : فَلَكَ مائة ألف درهم ، قال : فاكتبْ لي رقعة بخطك فإني لا آمَنُ الغدر ، فكتب له رقعة وأشهد عليها خاصته . ثم أتى الكاتبُ عمر بالرقعة فنخس به عمر من الشام ، وكتب الي عبد الحميد بن عبد الرحمن : «لا تولّين أحداً من آل أبي موسى الاشعري شيئاً من العمل ، ولاسيما بُلَيْل» .

وحدثني عبدالله بن غياث عن أبي المقدام القرشي عن محمد بن كَعْب القَرظي قال : دخلتُ على عمر بن عبد العزيز فجعلْتُ أنظر إليه فقال : ما نظرك إليّ ؟ قلت : أَعْجَبُ لما حال من لونك وَنَحَلَ من جسمك . فقال : فكيف لو رأيتني يا محمد بعد ثالثة في قبري وقد سالتْ حدقتاي على وجنتيّ ـ أو قال خدّي ـ ورأيتَ جلدي قد امتلأ صديداً ودوداً وقد انشقّ بطني فبدا ما فيه كنتَ لي أشد إنكاراً ، حَدّثني حديثاً سمعتُك تحدثه عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ . قال : قلت قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : «إنّ

أشرف المجالس ما استقبل به القبلة . اقتلوا الحيّة والعقرب ، ولو كنتم في صلاتكم . ومن نظر في كتاب أخيه المسلم بغير إذنه فكأنما ينظر في النار ، وإنما تتجالسون بالأمانة ، ومن سرّه أنْ يكون أكرم الناس فليتّق الله ، ومن سره أنْ يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه ، ألا أنبئكم بشر الناس : من أكل وَحْدَه وجَلَدَ عَبْدَه ، ومنع رِفْدَه . ألا أنبئكم بِشَرّ من ذلكم : مَنْ لا يَقِيْلُ عَثْرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنباً . ألا أ نبئكم بشرٍّ من ذلك : من يبغض الناس ويبغضونه ، ألا أنبئكم بشر من ذلك : الذي يُخاف شرُّه ولا يُرجى خيره ، إنّ عيسى بن مريم عليه السلام قال لبني اسرائيل : يا بني اسرائيل لا تعلّموا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم» .

قالوا : وأتى رجل نصراني عمر بن عبد العزيز فتظلّم من هشام وادعى أنّ في يده ضيعة ، فقال : يا هشام قم مع خصمك . قال : بل أُوَكِّل وكيلاً بخصومته . قال : لا . فقام فجلس بين يديه ، فجعل هشام ينتهر خصمه فقال له عمر : يا أحول عندي تنتهره ؟ . إن عدتَ عاقبتك . فادَّعى النصراني فقال هشام : ضيعتي وقطيعةٌ أقطعنيها عبد الملك ومعي سجل من الوليد وسليمان . فقال عمر لابنه عبد الملك : يا بني انظر في سجلاته وأَمْـرِهِ . فنظر فقال : أرى أمر النصراني قوياً ، وحجته عالية ، وحقّ الله أَوْلَى ما أُوثِر . فقال عمر : أحرِق سجلاته . فأحرَقَها ، وردّ على الرجل ضيعته . فلما وُلي هشام استؤذِن في أخذ الضيعة من يد النصراني فقال : لا تردّوا حكماً حكم به عمر .

المدائني عن أبي يعقوب قال : أجاز عمر بن عبد العزيز عبد الحميد بن عبد الرحمن بعشرة آلاف درهم . قالوا : وكتب عمر إلى سليمان بن أبي كريمة : «إنّ أحقّ العباد بإجلال الله وخشيته منْ ابتلاه بمثل ما ابتلاني به ، ولا أحد أشد حساباً ولا أَهْوَن على الله مني إنْ عصيتُه ، فقد ضاق بما أنا فيه ذَرعي ، فَادْعُ الله لي في غزاتك ، فإنك بعرض خير وإجابة .

حدثني رَوْح بن عبد المؤْمِن ، ثنا وَهْبُ بن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن الزبير الحنظلي قال : نظر عمر إلى رجل يكتب على الأرض : بسم الله الرحمن الرحيم . فنهاه وقال : لا تَعُدْ .

المدائني عن ادريس بن قادِم عن ميمون بن مهران قال : قال لي عمر : إني وضعت الوليد بن عبد الملك في حفرته ثم نظرتُ فإذا وجهه أسود ، فإذا مِتّ فاكشفْ عن وجهي . ففعلتُ فرأيتُ وجهه أحسن مما كان في أيام تَنَعُّمِه رضي الله عنه .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم وغيره قال : دخل ناس من بني أمية على عَمَّةٍ لعمر فكلموها في أن تأتي عمر فَتَسْأَلَه أن يُجري عليهم ما كان جارياً لهم من الأرزاق ، ويقال بل أرادت كلامه في أرزاقها ، فلما صارت إليه ظَنّ ما جاءت له فقال لها : إني قد ظننتُ ظنّاً فاسمعي ما أَصِفُ لكِ من حالي . إن الله بعث محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً ، فبلّغ رسالات ربه ، ثم اختار له ما عنده ، فقبضه إليه والناس على منهاج واضح مستقيم ، فَوُلِيَ ولاة بعده سلكوا سبيله واهتدوا بهديه ، وكان الطريق واحداً ، ثم وُلي بعد ذلك أقوام اشتقّوا من تلك الطريق طرقاً مختلفة وانتهى الأمر إليّ وقد كادت أعلام تلك الطريق النهـجة تدرس فأردتُ إقامة تلك الأعلام ، فَضَجَّ من ذلك مَن

أخذ يميناً وشمالاً ، وثقل عليهم أن يرجعوا عن طريقهم التي سلكوها وسألوني اتباعهم ، وفي اتباعهم النار ، فما تَريْنَ ؟ قالت : أرىٰ أنهم أحقّ أن يتّبعوك . ثم قال : حاجتك ؟ قالت : ما أنا بذاكرة بعدما سمعت شيئاً .

المدائني عن مسلمة أن عمر بن عبد العزيز قال لعبد الملك ابنه : يا بنيّ إنّ الشباب عَوْنٌ على مساوىء الأخلاق ، فاذكر فضل الله علينا واغتنمْ فراغ نفسك ، وإيّاك والغفلة عن أمر مَعَادِكَ ، فإن الله قد أحسنَ إلينا في اللطيف والجليل من أمرنا .

المدائني عن عمر بن مُجَاشِع أنّ مَسْلَمة بن عبد الملك دخل على عمر فدعا عمر بالغداء فأتي بخلّ وزيت فأكلا ، ثم قال : يا أبا سعيد هل تشتهي شيئاً أو كنت تأكل شيئاً لو أتيتَ به ؟ قال : لا . قال : فأرىٰ ما في يديك من الدنيا لا تقدر علىٰ أن تُصيبَ منه من المطعم والمشرب إلا بقدر ما يطيق بدنك فعلام يُهْلِكُ من أَهْلَكَ نفسه ؟

أبو الحسن المدائني : أن عمر بن عبد العزيز قال : ما أحبّ أن يُهَوَّنَ عليّ الموت لأنه آخر ما أؤجر عليه .

قال: وقال عمر : لا يكون الرجل تقياً حتى يَسْلم الناس من لسانه ويده .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : قال عمر : ما كان الحجاج صاحب دين ولا دنيا ، لأن صاحب الدين مَن لم يسفك الدماء ولم ينتهك المحارم . ثم قدم العراق والخراج كثير دَارّ فما زال بالخرقِ والاعتداء حتى صار إلى خمسة وعشرين ألف ألف درهم .

حدثني هشام بن عمار عن سعيد المُرّيّ قال : وعظ عمرَ بن عبد العزيز رجلٌ فقال : «إنك أدركتَ منَ الحق رسماً قد عفا ، وأمراً قد أدبر ، فأنت لا ترىٰ شيئاً واضحاً فتتبعه ، فكأنك في بحر تضطرب أمواجه ، فاعتَصِمْ بحبل الله ، واستَعِنْ بالله ، وعليك بالعدل الذي به تدمغ الباطل وتُزْهِقُهُ» .

المدائني قال : أتي عمر بقوم على شراب وفُسْق ، ومعهم شيخ مسنّ ، فلما رآه عمر حسبه شاهداً فدعاه فقال له : هات بماذا تشهد ؟ فقال : إني أصلحك الله مُبْتلىٰ . فاسترجَع عمر وأجلسه مع القوم .

قال : وجاؤوا إلى عمر برجل شتم عثمان فقال له : لم شتمتَه ؟ قال : لأني أبغضه . قال : أو كلما أبغضتَ رجلاً شتمتَه ؟ قال : نعم . فضربه عشرين سوطاً .

المدائني قال : دخل محمد بن الزُّبير الحنظلي على عمر بن عبد العزيز فدعا له بغداء فلما وُضعتْ المائدة بين يديه قالَ عمر :

إذا مَـا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَميمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيْشَ فَجِىءْ بِزَادِ

المدائني عن خالد بن يزيد بن بشر عن أبيه قال : سئل عمر بن عبد العزيز عن عليّ ، وعثمان وأَمْرُ الجَمل وصفّين فقال : «تلك دماء كَفَّ الله عنها يدي ، فأنا أكره أَنْ أغمس بها لساني» .

حدثني هشام بن عمار عن ابن واقد قال : بلغ صاحب الروم موت عمر بن عبد العزيز فقال : ليس العجب من الرهبان والعُبَّاد الذين تَعَذَّرت الدنيا عليهم إنما العجب ممن رفض الدنيا وهو يملكها .

المدائني عن جويرية بن أسماء قال : قال عبد الملك بن عمر لعمر : ما يمنعك من إنفاذ رأيك في ردّ المظالم ؟ قال : إني أروض الناس رياضة

الصعب ، فإنْ أبقاني الله أنفذتُ رأيي ، وإنْ عُجّلت بي منيتي ، فقد علم الله أني أخاف إنّ بادهتُ الناس بما أريد أنْ يلجّوا ويُلجئوني إلى السيف ، ولا خير في أمر لا يأتي إلا بالسيف .

حدثني هشام بن عمار قال : عزم عمر بن عبد العزيز على أخذ ما في أيدي بني أمية من حقوق الناس ، وَرَدِّهِ على أهله ، فاجتمعوا إليه فكلموه ، فقال : إنكم أُعطيتم في هذه الدنيا حظاً فلا تنسوا حظكم من الله ، وإني لأَحسَبُ شطر أموال أمة محمد في أيديكم ظلماً ، والله ما تركتُ في يد واحد منكم حقاً لمسلم ولا معاهِد إلا رَدَدْته .

المدائني عن المقدمي أن عمر قال لابنه حين استحثه في رد المظالم : أي بني إنّ نفسي مَطّيتي ، فإنْ لم أُرْفِقْ بها لم تُبْلِغْني ؛ إنّ الحَقْحَقَةَ في السير قلَّما تُورِدُ إلى خير .

وقال هشام : بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لَمْسلَمَة بن عبد الملك - ورأىٰ عليه حُلَّةً يمنية : يا أبا سعيد إنّ أفْضَلَ الإقتصاد ما كان بعد الجِدَّة ، وأفضل اللينْ ما كان في الولاية ، وأفضل العَفْوُ ما كان بَعْدَ القُدرة .

المدائني أن رجلاً أتى عمر من مِصْرَ فقال له : يا أمير المؤمنين إن عبد العزيز أخذ أرضي ظلماً ، فقال : وأين أرضك يا عبدالله ؟ قال : حلوان . قال : أعرفها ولي شركاء ، وهذا الحاكم بيننا . فمشىٰ عمر إلى القاضي فقضىٰ عليه ، فقال عمر : قد انفقنا عليها . قال القاضي : ذلك بما نلتم من غلّتها ، فقد نلتم منها بمثل نفقتكم . فقال : لو حكمتَ بغير ذلك ما وُلِّيْتَ لي أمراً أبداً ، وأمر بردّها .

المدائني عن إدريس بن قادم قال : قال عمر لميمون بن مهران ـ ويكنى أبا أيوب ، وكان مهران مُكاتباً لبني نصر بن معاوية ، وكان ميمون مملوكاً لامرأة من الأزد من ثُمالة يقال لها أم أيمن فأعتقَتْه بالكوفة ، ثم تَحَوَّل إلى الجزيرة في أيام الجماجم ـ : يا أبا أيوب كيف لي بأعوان أثق بهم وآمنهم ؟! قال : يا أمير المؤمنين لا تُشغِل قلبَك بهذا فإنك سُوقٌ ، وإنما يُحْمَلُ إلى كل سوقٍ ما يَنْفق فيه ، فإذا عرف الناس أنه لا ينفق عندك إلا الصحيح لم يأتك إلّا الصحيح .

المدائني قال : قال عمر بن عبد العزيز : لا تعدم من الأحمق خلّتين : كثرة التَلَفُّت وسرعة الإجابة .

وكتب عمر إلى عَدي : «أما بعد فلا تَسِر سيرة الحجاج ، فإنه كان بلاءً وافق من قومٍ خطايا» .

قالوا : وكان عمر بن عبد العزيز يتحدث أول الليل ، ويَسَلُ عن أمور الناس ، ويصلي آخره ويقول : إن محادثة الرجال تلقيح لألبابها .

وحدثني أبو عبد الرحمن الجَعْفي مُشْدَانة عن عبدالله بن المبارك قال : قال زياد بن أبي زياد مولى ابن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبد العزيز فترجّل لي عن صدر المجلس ثم قال : إذا دخل عليك مَن لا ترىٰ لك عليه فضلاً ، فلا تأخذ عليه شرف المجلس .

حدثني محمد بن مُصَفًّىٰ قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز خَطَر بيده خطرة ثم بكىٰ فقيل له : ما أبكاك ؟ قال : ذكرت النار فأشفقتُ من أن تُغَلّ يدي في الآخرة .

المدائني قال : حُمل إلى عمر مِسْك فأمر ببيعه ، فلما أُخرج أخذ عمر بأَنْفِهِ وقال : هذا للمسلمين وإنما يُنتفع بريحه ، ولا حاجة لي في الانتفاع بشيء من حق المسلمين .

قالوا : وسابق عمرُ الخيلَ بالمدينة ، وكان فيها فرس لمحمد بن طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وفرس لرجل جَعْدِيّ فتقدم فرس الجعدي ، فجعل يرتجز ويقول :

غَايَةُ مَجْدٍ نُصِبَتْ يا مَنْ لَهَا نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَكُنَّا أَهْلَهَا
لَوْ تُرْسَلُ الطَّيْرُ لَجِئْنا قَبْلَهَا

فلم يَنْشَب أن سبقه فرس ابن طلحة فقال عمر : سبقك والله ابن السَّباق إلى الخيرات .

المدائني عن مَسلمة بن محارب وغيره قالوا : بعث عَدي بن أرطاة إلى عمر رسولاً من بني تميم بقتل الخوارج الذين خرجوا في مسجد الحرورية فقتلوا ، وبهم سُمِّيَ مسجد الحرورية ، فقال للتميمي : ممن أنت ؟ قال : من بني تميم . قال : جَفاء كثير . قال : وخير كثير . فقال عمر : وخير لعمري كثير . ثم قال عمر : من أين خرج هؤلاء ؟ قالوا : قُدِمُوا من البحرين . قال : إنّ لهم هناك لَسَنْخَاً[1] .

قال : ودخل عبد الملك بن أرطاة على عمر فقال : يا أبا خالد جزاك الله عني جزاءك ، فقد جعلتني غَرَضَاً للحتوف ، ودريئة للبلايا . فقال :

---

١ ـ السناخة : الريح المنتنة ، والوسخ ، وآثار الدباغ . القاموس .

يا أمير المؤمنين لا تجزع فإن الله إنْ علم منك الاجتهاد في النيّة ، والقَسم بالسَّويّة ، والعدل في الرعية ، شكر سعيك ، وولي أمرك .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عَدي عن عَوانة قال : دخل ميمون بن مهران على عمر وهو محزون فقال : ما بك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إني قُلّدت أمراً عظيماً ولم أُشاورَ فيه قبل وقوعه ، ولم أطلبه ، فقد تَفَرَّق عليّ أمري حتى وددتُ أنّ أمي لم تلدني .

المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال : قال عمر بن عبد العزيز لزياد ، وكان عبداً لآل عياش بن أبي ربيعة ، فطلبه عمر فأعتقوه ، فقدم عليه فقال له : يا زياد ﴿إني أخاف إنْ عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[1] قال : يا أمير المؤمنين إني لا أخاف عليك أن تخاف ، إنما أخاف عليك ألا تخاف . إنّ آدم أُخرج من الجنة بذنبٍ واحد فَصِيْحَ به في الأمم وذكر في الكتب ، فقال الله : ﴿وعصىٰ آدم ربه فَغَوىٰ﴾ فالنَّجاء النجاء يا عمر . وقد روي هذا عن غيره .

قالوا : وأتىٰ عمر رجل فقال : يا أمير المؤمنين جاءت بي الحاجة ، ونزعتْ بي إليك الفاقة ، فانتهيتُ منك إلى الغاية ، والله سائِلُكَ عن مقامي على عيالٍ قد أعييتُهم وأَعيوني .

فقال : كيف أعييتَهم ؟ قال : أعييتُهم أنْ أُكْسِبَهم غِنىً ، وأعيوني أن يموتوا . فأَلْحَقَ له عياله وأعطاه نفقته . ويقال أَلحَقَ له شطر عياله .

المدائني عن رجل عن الشرقي قال : قدم رجل من البصرة على عمر فشكا إليه عدي بن أرطاة فقال : غَرَّني بعمامته السوداء ، قد كتبتُ إليه : من

---

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ١٥ .

٢ ـ سورة طه ـ الآية : ١٢١ .

جاءك ببينة على حقٍّ هو له فَسَلِّمْه إليه وقد عنّاك إليّ . فكتب إليه بما سأله ، وأعطاه نفقة من بيت المال وأعطاه دريهمات من ماله فقال : اشتر بها لحماً .

المدائني عن فُرَاتُ بن السَّائِب عن ميمون قال : قال عمر لَمَسْلَمَة : كَفِّني إذا مِتُّ بدينار من عطائي فإن ربي إن كان راضياً عني فسيُبْدلُني خيراً منه .

قال : وسأل عمر بن عبد العزيز اسماعيل بن عبدالله بن أبي طلحة الأنصاري حوائج فقال : ألم آمركم أن تَلحقوا بأمصاركم ، لستُ قاضياً لك حاجة حتى تلحق بمصرك ، ودفع عنه ، فقال : والله ما كنا نُدفع هذا المدفع عن محمد ﷺ . فوجم عمر ساعة وتغرغرت عينه ، ثم قضى حوائجه .

المدائني عن أبي بكر الهُذلي قال : قال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك : يا بنيّ التمس الرفعة بالتواضع ، والشرف بالتقوى وإيّاك والخيلاء ، ولا تحقرنّ أحداً فإنك لا تدري لعل بعض من تزدريه عينك أكرم على الله منك ، ولا تنسَ نصيبك من الله ونصيب الناس منك .

قال : ومات عبد الملك وهو ابن تسع عشرة سنة .

حدثني هشام بن عمار قال : بكى عمر بن عبد العزيز فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : ذكرتُ انصراف أقوام كانوا يتقلّبون في النّعم السابغة ، والفضل العظيم في الدنيا إلى النار لا ينالهم الله برحمة منه أبداً .

المدائني عن أيوب عن خالد بن عجلان قال : كان عند فاطمة بنت عبد الملك جوهر فقال لها : مِن أين صار إليك ؟. قالت : أعطانيه أمير المؤمنين ـ تعني أباها ـ فقال : إما أن تردّيه إلى بيت المال ، وإما أن تأذني في فراقك ـ وكانت امرأته ـ فإني أكره أن أكون أنا وأنت في بيت وهو عندك .

قالت : لابل أختارك على أُضعافه ، قال : فضعيه في بيت المال .

فلما ولي يزيد بن عبد الملك قال لها : إنْ شئت رددتُه عليك ، وإن شئت أعطيتك قيمته .

قالت : أَطِيْبُ به نَفْسَاً في حياته ثم أرجع فيه بعد وفاته ، لا حاجة لي فيه ، فقسمه يزيد بين ولده ، وأهله .

قالوا : وكان عمر بن عبد العزيز يتلو كثيراً وهو جالس للناس : ﴿أَفَرَأَيْتَ إنْ مَتَّعْنَاهُم سِنِينَ * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أُغنى عنهم ما كانوا يُمَتَّعون﴾[1] يبكي .

المدائني عن يزيد بن قحيف قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كان يتمثل كثيراً بقول الشاعر :

تُسَرُّ بما يَبْلى وتُشْغَل بالهَوى   كما غُرَّ بِاللذَّاتِ في النوم حالِمُ
نَهارُكَ يا مَغرورُ سَهْوٌ وغَفَلَةٌ   ولَيْلُكَ نَوْمٌ والرَّدَى لك لازِمُ
ولَسْتَ إلى الأمر الرشيدِ بِمُرْعَوٍ   كذلكَ في الدنيا تَعيشُ البَهائِمُ

المدائني عن مسلمة بن عثمان القرشي قال : بلغني أن عمر لما ولي الخلافة نظر إلى ما كان له من عبيد وإماء ، ورقيق ، ومتاع ، ولباس ، وعطر ، وغير ذلك فأمر به فبيع فبلغ ثمنه ثلاثة وعشرين ألف دينار ، فجعل ذلك في السَّبيل .

المدائني عن أبي اسماعيل الهمداني عن أبيه قال : رأيت عمر بن عبد العزيز وقد ركب يوماً وقد بَدَتْ ساقه أو ركبته من ضيق أسفل قميصه .

المدائني عن بشر بن عبدالله قال : مشى رجال من بني مروان إلى عمر بن عبد العزيز حين أسرع في بيت المال بما ردّ من المظالم فقالوا : يا أمير

١ ـ سورة الشعراء ـ الآيات : ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .

المؤمنين إنك تردّ أمراً وَلِيَهُ غيرك فأمضاه فدعهم وما عملوا ، واستقبل أمرك . فقال : والله لوددت أنه لم يبق مظلمة إلّا رددتها ثم خرجت نفسي .

المدائني عن عمر بن مجاشع قال : دخل عنبسة بن سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحَةَ على عمر بن عبد العزيز فسأله حوائج ، وبين يديه سراج ، يكاد يُطفأ مرة ثم يضيء مرة ، وفي ناحية الدار كتّابٌ يكتبون وبين أيديهم شمع ، فقال : يا أمير المؤمنين لو أمرت بشمعة فوضعتْ بين يديك . قال : ذاك للمسلمين تُكتَبُ به حوائجهم ، وهذا لي وهو يجزيني . ثم قال لعنبسة : يا أبا خالد ألك حاجة ؟. فسأله معونة وزيادة في عطائه فقال : يا عنبسة إنْ كنت غارماً قضينا عنك ، وإن كنت محتاجاً أعطيناك ما يقيمك ويصلحك ، انظر من أين جمعتَ مالك فإن كان حراماً فارفضه وانظر لنفسك قبل يوم يتمنى فيه المفرط الرجعة .

المدائني عن شيخ من قريش قال : كان حُميد الأمجي يشرب الخمر وكان منزله أمج[1] فقيل فيه :

حُمَيْدُ الــذي أَمْــجُ داره ... أَخُو الخمر ذي الشَّيْبَةِ الأَصْلَعِ
أتـاه المَشِيْبُ عـلى شُـرْبِهَـا ... وَكـانَ كـريمـاً فَلَمْ يَنْـزَعِ

فقدم على عمر فلما رآه قال :

حميـد الـذي أَمْـجُ داره ... .

قال : يا أمير المؤمنين كذب علي . قال : فاستغفر الله .

---

١ ـ أمج من أعراض المدينة . المغانم المطابة ، وفيه الشعر بزيادة بيت واحد .

حدثنا القاسم بن سلام عن مروان بن معاوية عن توبة بن سالم قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن : «أما بعد : فارفع سوطك عن الناس ، وكفى بثلاثين سوطاً تضربها الرجل نكالاً ، إلاّ في حَدّ» .

حدثني داود بن عبد الحميد عن أبيه قال : اشتهى عمر بن عبد العزيز أو احتاج إلى عسل ، فقيل له ابعث رجلاً على البريد إلى قرية كذا ليأتيك به فقال : ما كان الله ليراني اشغل جناح المسلمين أو قال جناحاً من أجنحة المسلمين في شهوة أشتهيتها .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : كتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامله على الكوفة : «أما بعد فقد بلغني أنّ من قِبَلَك يُسبُّونَ الحجاج ، فَانْهَهُم عن ذلك ، فإنه بلغني أن المظلوم يدعو على الظالم ، فيكون المظلوم ظالماً والظالم مظلوماً» .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا أبو حذيفة ، ثنا سفيان عن طلحة بن يحيى قال : كان عمر بن عبد العزيز ولّى الكوفة الزهري ، فبلغه عنه شيء فنخس به وتَنَقَّلَهُ حتى ردَّه إلى المدينة ، ولم يستعمله وولى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفة» .

حدثني عمر بن شبة عن عفان ، ثنا عمر بن علي قال : سمعت أبا سعيد مولى ثقيف قال : أولُ كتابٍ قرأه عبد الحميد من عمر كتاب فيه سطران .

قالوا : وكتب عمر إلى عبد الحميد : «أما بعد : فلا أعلمنّ ما جعلتَ على أهل السجون قيوداً ثقالاً تمنعهم من الصلاة قياماً ، وذكرتَ أن قِبَلَك

قوماً فُسّاقا إنْ تركوا أفسدوا البلاد ، وإن حبسوا استراح الناس من مَعَرَّتهم وبوائقهم ، فإن كان أمر هؤلاء القوم ظاهراً فاحبسهم في السجون ، وأَجْرِ على كلِّ امرىءٍ منهم في كل شهر خمسة دراهم وكساءً وقميصاً في الشتاء وإزاراً ورداءً في الصيف» .

المدائني عن أبي المليح الرّقي عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر وهو متغيظ على عبد الحميد فقلت : ما له يا أمير المؤمنين ؟ . قال : بلغني أنه قال : لا أظفر بشاهد زور إلاّ قطعت لسانه ، قلت : يا أمير المؤمنين إنه لا يتم على ذلك إنما يهيب الناس ، فقال : انظروا إلى هذا الشيخ ، إن خصلتين خيرهما الكذب لخصلتا سوء .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عبدالله بن وهب عن ابن لهيعة عن عبد الأعلى بن عبد الحميد عن أبي الزناد قال : كتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر بن عبد العزيز إنه فضل عندنا من المال شيء كثير بعد العطاء . فكتب إليه عمر : «انظر من كان عليه دين في غير سَرَفٍ فاقض عنه ، ومن تزوج فلم يجد ما ينقد فانقد عنه» . ففعل ، ثم كتب إليه يخبره أن قد فضل بعد ذلك مال كثير أيضاً ، فكتب عمر إليه : «أَنْ قَوِّ به ضَعَفَةَ أهل الذمة ، فإنا لا نريدهم لسنة ولا لسنتين» .

المدائني قال : كتب عمر إلى بعض عماله إنّ البريد جناح المسلمين ، وبه نفاذ أمور السلطان ، وتَعَجُّل ما يحتاجون إلى معرفته من الأخبار ، فأَحْسِن تعهده والقيام عليه وإدرار أرزاق قُوَّامِه وأعوانه ولتجد[1] له علوفته وينظر في مصلحته إن شاء الله ، والسلام» .

١ ـ بهامش الأصل : لتتخذ .

حدثني العباس النَّرْسي ، ثنا يزيد بن زريع ، ثنا فضيل أبو معاذ أن أهل بيت من أهل الري من أهل العهد لحقوا بالديلم ، فأغارت خيل المسملين على الديلم فأصابت أهل ذلك البيت ، فكتب الحارث بن عَبَّاد إلى عبد الحميد في أمورهم إلى عمر فكتب إليه : إجمع من قِبَلَك من أهل الرأي فإذا اتفقوا على شي فامضِهِ .

فجاء عبدالله بن ذكوان أبو الزناد إلى حلقة في المسجد فيها الشعبي والحكم بن عتيبة فقال : إنكم ستدعون إلى كذا ، فاتفق رأيهم على أن الأبوين وما استفادا من ولد ومال بالديلم في سهام المسلمين ، وما أدخلا الديلم من ولد صغير فليس عليه شيء ، فأمضى عمر رأيهم على ما اتفقوا عليه .

حدثني أبو عبد الرحمن الجعفي عن عبدالله بن المبارك ، ثنا يوسف بن المهاجر أن الأَصْبَهْبَذ صاحب طبرستان أهدى إلى عبد الحميد حين قدم الكوفة هدية من زعفران وطيالسة وورق وأشباه ذلك فقبلها وعزلها وكتب فيها إلى عمر بن عبد العزيز فكتب إليه عمر : «إنْ كان الأصبهبذ عَوَّدَكَ الهدية بالجزيرة فاقبل هديته ، وإلا فانها هديته لولايتك عليه فارددها ، فإنْ أبى قبولها فَبِعْهَا وأدخل قيمتها بيت المال ، واحتسِبْها من خراجه ، إن شاء الله» .

حدثنا عفان ، أنبأنا شُعبة عن حَمَّاد قال : سألني عبد الحميد عن دية النصراني واليهودي والمجوسي فقلت : قال ابراهيم مثل دية المسلم ، فكتب إلى عمر فقال : النصف من دية المسلم . وقال حماد : قول عمر أحبّ إلي .

حدثني عمر بن شبه عن أبي نعيم ، ثنا سفيان عن حَمَّاد قال : سألني عبد الحميد عن بيع الاجام[1] فقلت : كان ابراهيم يكرهه . فكتب إلى عمر فقال عمر : لابأس به كنا نسميها الحبس . قال سفيان يعني السمك .

حدثني عبدالله بن مُعَاذ بن معاذ عن أبيه عن شُعْبَةُ عن حَمّاد قال : سألني عبد الحميد عن النصراني تُسْلِم امرأته فقلت : قال ابراهيم : هما على نكاحهما ، فكتب الى عمر ، فكتب عمر : يُفَرَّقُ بينهما . فقال حماد : وقول عمر أَحَبُّ إلي .

وروى عن خُصيف قال : كتب عبد الحيمد إلى عمر بن عبد العزيز في نصرانية أسلمت وزوجها نصراني كيف يصنع بالولد ؟ فكتب أَنْ فَرِّق بينها وبين زوجها وألحِق الولد بها .

حدثنا عبد الواحد بن غياث عن أبي عَوَانة عن بَيَان عن عامر قال : سألني عبد الحميد عن الخيار فقلت : قال عبدالله بن مسعود : إن اختارت نفسها فواحدة ، وإن اختارت زوجها فلا شيء . وقال علي عليه السلام : إن اختارت نفسها فواحدة بائنة ، وإن اختارت زوجها فواحدة وهو أحق بها ، وقال زيد بن ثابت : ان اختارت زوجها فواحدة وإن اختارت نفسها فثلاث لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، فكتب إلى عمر بذلك ، فاختار قول عبدالله بن مسعود .

قالوا : وسيَّر الوليد بن عبد الملك الأحوص الشاعر إلى دهْلك[2] فلما استُخلف عمر كتب إليه :

---

١ ـ بالقاموس : الآجام : الضفادع .

٢ ـ دهلك جزيرة في بحر اليمن ، بلدة ضيقة حرجة حارة . معجم البلدان .

كيف ترى للنوم طعماً ولذةً وخالُكَ أمسَى مُوْثَقاً بالحَبَائِلِ
فَمَنْ يَكُ أمسى سائلاً عن شماتةٍ لِيَشْمَتَ بي أو شامِتاً غيرَ سائلِ
فَقَدْ عَجَمَتْ مِنِّي الحوادثُ ماجداً صَبُوراً على عَضَّاتِ تلكَ البلابِلِ[1]

فبعث عمر إلى عراك الغفاري ، وكان الذي شهد عليه ، فقال : ما ترى في هذا البائس فقد كتب بما ترى ؟ فقال عراك : مكانه خيرٌ له ، فلما ولي يزيد أَقْدَمَ الأحوص وسيَّر عراكاً ، فقال الأحوص :

الآنَ استقَرَّ المُلْكُ في مُسْتَقَرِّهِ وعَـادَ لِعُرْفٍ أَمْـرُهُ المتنكِّـرُ
طريدٌ تـلافاه يـزيدٌ بِـرَحْمَةٍ فَلَمْ يُمْسِ من نَعْمَائِهِ يَتَعَذَّرُ[2]

أي يعتذر ـ يعني يزيد ـ.

قالوا : وكتب عبد الحميد إلى عمر : «إني وجدتُ الموالي يتزوجون إلى العرب ، والعرب إلى الموالي» . فكتب إليه : «إني نظرتُ فيما ذكرتَ فلم أجد أحداً من العرب يتزوج الى الموالي إلا الطَمِع الطبع ، ولم أجد أحداً من الموالي يتزوج الى العرب إلا الأَشِرُ البَطِرُ ، ولا أُحرِّم حلالاً ، ولا أُحل حراماً ، والسلام» . وروي إنه كتب ؛ أَمْضِ فإن الله قد أحلّه .

المدائني : ان محمد بن الوليد بن عُتْبَة بن أبي شعبان خطب إلى عمر فقال عمر رادّاً عليه : الحمدلله ذي العزّ والكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد : فقد أَحْسَنَ بِكَ ظناً من أودعَك كريمَتَهُ ، واختارَكَ ولم يختر عليك . قد زوجتُك على ما جاء في كتاب الله : ﴿إمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[3] .

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ مع وفارق .
٢ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ١٤٢ .
٣ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٢٩ .

عمر بن شبه عن يحيى بن سعيد عن ابن عجلان عن أبي الزناد قال : كنتُ مع عبد الحميد بالكوفة فقضى باليمين مع الشاهد ، فأنكر ذلك ناسٌ من أهل الكوفة ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز في ذلك فكتب إليه أنْ أقْض بها ، وقال : وقد شهد عندي رجل من كبرائهم أنَّهُ شهد شُريحاً قضى بها .

قالوا : وكتب عمر بن عبد العزيز : «لا يحملَنَّ الخمر من رستاقٍ إلى رستاق» .

قالوا : وكتب عبد الحميد إلى عمر بن عبد العزيز : «إنّ يزيد بن المهلب دعا موسىٰ بن الوجيه ، ودعا بالسياط ، وقال : إنْ طلقت امرأتكَ وإلّا قتلتك» ، فكتب : «إن يزيد ظلم نفسه ، وأما موسىٰ فقد جاز طلاقه» .

وروي عن أبي هلال الراسبي قال ، ثنا يونس : أن مُرْتَدّاً ارتَدَّ بالكوفة في أيام عمر بن عبد العزيز فشاور عامله عبد الحميد الناس فقالوا : «اقتله فكتب إلى عمر فيه ، فكتب إليه : «إن اضرب عليه الجزية ، ثم خَلِّ عنه» .

قالوا : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد : «لا تَقْضِ بالجِوَار ، ولا تَدَعْ صورة على باب إلّا كسرتَها» .

حدثني عمر بن شبه عن سُرَيْج بن النعمان عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : خرجت حرورية في العراق في خلافة عمر بن عبد العزيز وأنا مع عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد ، فكتب عمر إلى عبد الحميد : «أن ادْعُهُم مرتين أو ثلاثاً ، فإن رجعوا ، وإلا فقاتِلْهم ، فإن الله لم يجعل لهم سَلَفاً يحتجون بهم علينا» .

فبعث إليهم عبد الحميد جيشاً فهزمهم الخوارج ، فلما بلغ ذلك عمر بعث مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام ، وكتب إلى عبد الحميد : «قد بلغني فعل جيشك جيش السوء ـ قال ابن أبي الزناد فسموا جيش السوء إلى اليوم ـ وقد بعثت إليهم مسلمة بن عبد الملك فَخَلِّ بينه وبينهم» . فلم يَنْشَب أن أظفره الله بهم .

وحُدثت عن سُوَيْد بن سعيد عن بَقِيَّة بن الوليد عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران أنَّ حرورية دخلوا على عمر فقالوا : السلام عليك يا إنسان فقال : وعليكم السلام ، فقالوا : لا حُكْمَ إلّا الله . قال : نعم لا حكم إلّا لله .

حدثنا عمر بن شبة ، ثنا أبو عاصم النبيل ، ثنا إسحاق أبو النَّصر قال : أُخذ معي فَلْسٌ بَهْرَجٌ[1] زمن الحجاج فضربني ابن أبي مُسْلم وحبسني ، فتكلم فيَّ الحواري بن زياد فأخذوا مني ألفاً وتركوني ، فلما استُخلف عمر أتيتُه فأخبرتُه فبكى وقال : ألف درهم في فلس بهرج ، وكتب إلى عبد الحميد : إن كان الأمر كما ذكر فاعطه ألف درهم ، قال فأتيتُه فإذا سياط موضوعة فقلت في نفسي أتيت أمير المؤمنين فلم أر سياطاً . قال : فأعطاني ألفاً وكتب لي عملاً وأعطاني نفقة .

وروي عن الصَّلْت بن بهرام قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول حين شكونا إليه عبد الحميد عامله : لقد عجلتم عليّ ، لعلكم ترون أنكم ترون عدلاً . والله لا ترون عدلاً أبداً .

---

١ ـ البهرج : الباطل والرديء . القاموس .

قالوا : وقع بين امرأة من أهل المدائن وبين عريفها مشاجرة فأسقط اسمها من الديوان ، فأَتتْ عمر بن عبد العزيز فكتب بيده إلى عبد الحميد بأن يَفِكَّ عن اسمها ويعيده ، ويُخْدِمها خادماً ، وأمر لها بخمسمائة درهم وكراها ، فقدمت على عبد الحميد وقد مات عمر فأوصلتْ إليه الكتاب فعرف خطه ، فبكى ثم قال : والله لأُنْفِذَنَّ ما فيه .

ولما مات عمر رضي الله عنه أَحبَّ عبد الحميد أن يتقرب إلى يزيد بن عبد الملك فكتب إلى محمد بن جرير يأمره بمحاربة شَوْذَب الخارجي . فقال الخوارج : ما فعل هذا إلا وقد مات الرجل الصالح ، وأَقرَّ يزيد بن عبد الملك عبد الحميد على الكوفة ، حتى خلع يزيد بن المهلّب ووجه إليه يزيد مَسْلَمَة .

المدائني عن عيسى بن يزيد قال : كتب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلى سليمان بن عبد الملك : إن الشمع الذي كنتُ اخرج به إلىٰ الصلاة في وقت العشاء والصبح قد نَفَدَ ، وكذلك القراطيس التي كنت أكتب فيها ، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأمر لي بشمع وقراطيس ، وأن يُلحقني بشرف العطاء بالحجاز .

فوصل الكتاب إلى عمر وقد مات سليمان فكتب إليه : «أما بعد فقد قرأت كتابك إلى سليمان في الشمع وقد عهدتك تخرج في الليلة المطيرة الشديدة الظلمة إلى المسجد بلا شمع ، وأنتَ يومئذٍ خيرٌ منكَ اليوم ، وكتبتَ تسأل إلحاقك بشرف العطاء بالحجاز ، وقد عهدتك وأنت لا تحب الأَثَرَة ، وأنت يومئذ خير منك اليوم ، وقد كتبتُ إلى صاحب مصر آمُرُهُ أن يحمل إليك القراطيس علىٰ ما كان يحمل ، فأَلْطِفِ القلم ، واجمع الحوائج العِدَّة في

كتاب واحد ، ولا تُطْنب في الإملاء ، فلا حاجة لنا في كثرة الكلام والسلام» .

قالوا : تزوج رجل من بني فَرّاص ـ كانت أخته عند عدي ـ امرأةً من الحدان كان لها موضع من قومها ، فطلّقها وهو يشرب ، ثم جَحَدَ فأتت إياس بن معاوية بشاهد فَعَدَّلَهَ ، وجاءت بعبدٍ لها وقد أعتقته فَعُدِّل ، فانتزعها إياس من الفراصي ، فأمر عدي بها فَرُدَّتْ علىٰ الفراصي . وأراد عدي أن يُقْدِم على إياس بمشورة وكيع بن أبي سود ، فقال له داود بن أبي هند : ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾[1] . فهرب إياس إلى عمر بن عبد العزيز ، وولى عدي الحسن بن أبي الحسن القضاء ، وكتب عدي إلى عمر يعلمه ذلك فكتب إليه عمر : «الحسن أَهْلٌ لما وَلَّيْتَهُ ، ولكن ما أنتَ والقضاء ؟ فَرَّق بين الرجل والمرأة ، فَرَّقَ الله بين أعضائِكَ» .

المدائني قال : كتب عمر إلى عماله : إنه بلغني أنّ نساء ذوات سعة يخرجن عند موت الميت ناشرات شعورهم يَنُحْنَ ، وهذا فعل أهل الجاهلية ، وإنّ الله لم يرخص للنساء في وضع خُمُرِهِنَّ مُذْ أَمَرهُنّ بضربها على جيوبهنّ ، فتقدمْ في هذه النياحة تقدماً شديداً ، وقد كانت هذه الأعاجم تلهو بأشياء زيّنها الشيطان لهم ، فَازْجُر مَن قِبَلَك من المسلمين عن ذلك ، فلعمري لقد آن لهم أن يتركوه مع قراءة كتاب الله ، وَانْهَ عن ذلك الباطلِ واللهو من الغناء وما أشبهه ، فمن لم ينتهِ فَنَكِّلْ به غير معتدٍ ولا مسرف ، إن شاء الله ، والسلام» .

---

١ ـ سورة القصص ـ الآية : ٢٠ .

المدائني قال : كتب عمر إلى عدي في كتابه : «إن الله جعل لأهل الخير أعوانا عليه ، ولأهل الشر أصحاباً مزينين له ، وقد نهيتك عن كاتبك فلم أرك متحاشياً لذلك ولا زاجراً له عن ظلم الرعية وانتقاص حقوقهم ، وإنك حين تفعل ذلك يا عدي لَمُغْتَرٌّ بي تارك حظك من الله ، فَاطْرُد عنك هذا الشائن ، ولا تشركْه في أمانتك ، وأخرِجْه عن المصر ، فإني لو أشركت أحداً من حزب الشيطان في أمانتي لاستعنت بابن أبي مسلم[١] ، فَاكْفِني نفسك يا عدي ، ولا تحملني على مكروهك ، إن شاء الله ، والسلام» .

قالوا : وكتب عمر إلى عماله : «أن انظروا من كان في أسواقكم من باعة اللحم من أهل الذمة فليؤخذوا بأن لا يذبحوا ذبيحة إلّا ذكروا اسم الله عليها ، وأن لا تُكْسَر ولا تُنْخَع حتى تموت ، ولتترك متشحطة مذبوحة ومنحورة ، ولا ينفخوا في اللحم فإنه من الغش ، والسلام» .

المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال : كتب عمر إلى أبي بكر بن حَزْم : «أما بعد فإنّ الطالبين الذين نجحوا ، والتجار الذين ربحوا ، هم الذين اشتروا الباقي الذين يدوم بالفاني المذموم ، فاغتبطوا ببيعتهم ، وأَحْمَدُوا عاقبة أمرهم ، فاعمل لنفسك وبدنُكَ صحيح ، وأنتَ مريح ، قبل أن تنقضي أيامك وينزل بك حمامُك فإن العيش الذي أنت فيه ظِلٌّ يتقلص ويزول» .

وكتب إلى عبد الحميد : «أما بعد فإنه من ابتلىٰ بأمر الناس فقد عظُمت بليَّته ، نسأل الله عافيته وحسن معونته ، فكن لمن وليت أمره ناصحاً وعليهم شفيقاً حدباً ، واملك نفسك عند الهوىٰ والغضب واكفف يدك

---

١ ـ هو يزيد بن أبي مسلم وكان من كتاب الحجاج . انظر تاريخ خليفة ج ١ ص ٤١١ .

ولسانك عن الأموال والأعْراض والأَبْشَار ، واستر ما استطعت من عورات الناس إلا شيئاً أبداه الله لا يصلح ستره، فإنْ سبق منك هوى أو غضب فاستغفر ربك وراجع أمرك ، نسأل الله تعالى أن يصلح لنا أعمالنا ويكفينا أمورنا ، وما نرجع إليه بعد الموت ، والسلام» .

المدائني عن فرات بن السائب عن ميمون بن مهران قال : كتب عمر إلى الجّراح بن عبدالله : «إنّ ولاة السلطان بِعُرْض مكاره وبلاء إلاّ من وَقَىٰ الله وأعان ، فاتَّق الله حق تقاته ، واذكر موقفك بين يديه ، وإذا حضرك خصم جاهل فرأيت منه رَعَةً سيئة فارفق به وسدده وبصِّره ، وخُذْ لَهُ الحق غير متجانف على خصمه ، وإن أتى رجل ذنباً يستحق به العقوبة فلا تعاقبه بغضب تجده في نفسك ، ولكن لما أتىٰ وجنىٰ ، جعلنا الله وإياك ممن ﴿لا يريدون عُلوّاً في الأرض ولا فسادا﴾[1] ، أو من المتقين الذين لهم العاقبة ، والسلام» .

المدائني قال : كتب عمر إلى عدي بن أرطاة ، بلغني أن عمالك بفارس يَخْرُصُون[2] الثمار ثم يُقَوِّمونها على أهلها بسعر فوق سعر الناس الذي يتباعون به ، ثم يأخذون ذلك وَرِقاً ، وإن طوائف من الأكراد يأخذون العُشْر من السابلة والمارة في الطرق . ولو علمتُ أنك أمرتَ بذلك أو رضيتَه ما ناظرتك ولأَتاكَ مني ما تكره . وقد بعثتُ بِشْر بن صفوان وعبدالله بن عجلان للنظر في ذلك ، وَرَدّ الثمن الذي أُخذ من الناس إلى ما باع أهل الأرض في

---

١ ـ سورة القصص ـ الآية : ٨٣ .
٢ ـ الخرص : الحزر ، والكذب ، وكل قول بالظن ، وخارصه : بادله . القاموس .

غلاتهم ، فلا تَعرِض لهم فيما وجهتهمَ له من ذلك ، وأحْسِن معونتهم عليه ، إن شاء الله ، والسلام» .

حدثني هُدْبَة بن خالد ، ثنا حَمّاد بن سَلَمَة عن يونس بن عُبَيْد أن رجلاً من الأنصار أتى عمر بن عبد العزيز فقال : أنا فلان بن فلان ، قتل جدي فلان يوم أُحُد . وجعل يذكر مناقب سلفه ، فنظر عمر إلى عنبسة بن سعيد فقال : هذه والله المناقب لا يوم مَسْكَن ، ويوم الجماجم ، ويوم مرج راهط .

تِلكَ المكارِمُ لا قُعْبَانُ مِنْ لَبَنٍ شِيْبَا بماءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاَ

المدائني قال : كتب عمر إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم : «أما بعد فليكن سعيك في الدنيا للآخرة فليس لك إلا ما قَدّمْتَ ، واعلم أن مقطّعات الأمور أمامك ، وأن الله غير مُدخلٍ جنته إلاّ من رضي عنه ، وإنك لا تزداد من حَسَنةٍ ولا تستعتب من سيّئةٍ بعد الموت» .

قالوا : وكتب عمر إلى عمال الثغور : «أما بعد : فلا تشتروا للأمراء من حظ العامة من المغنم شيئاً ، وَأْمُرُوا القُسّام أن يجزئوا ما أفاء الله عليكم من السبي والغنيمة خمسة أخماس ثم ليُقرعوا عليها بخمسة أسهم ، لله الخُمس وأربعة للعامة الذي قاتلوا عليها ، فحيث وقع سهم الخمس فليُحَرر ثم يُخلىٰ بين الناس وأنصبائهم ، والسلام» .

المدائني عن حُباب بن موسىٰ قال : قال عمر بن عبد العزيز : نشأتُ على بُغض عليّ لا أعرف غيره ، وكان أبي يخطب فإذا ذكر علياً نال منه فلجلج ، فقلت : يا أبه إنك تمضي في خطبتك فإذا أتيتَ علىٰ ذكر عليّ عرفتُ منك تقصيراً ، قال : أفَطِنْتَ لذلك ؟ قلت : نعم . قال : يا بنيّ إن الذين مِنْ حولنا لو نُعلِمُهُمْ من حال عليّ ما نَعْلَم تفرقوا عنا .

حدثني منصور بن أبي مُزَاحم عن شُعَيْب بن صَفْوان قال : كتب عمر بن عبد العزيز : «أما بعد فإنه يجب على المسلمين أن يضعوا من أهل الشرك والكفر ما وضع الله منهم ، وأن يُنزلوهم بمنزلتهم التي أنزلهم الله بها من الذلّ والصَّغار ، ولا يُشركوهم في أمانتهم ولا يسلطوهم على أهل الإسلام فتجري عليهم أحكامهم ويستخدموهم بالطمع فيما عندهم ، وينزلوا بهم حاجاتهم فيغشونهم ويحرمونهم ، فلا يبقَ أحد ممن قِبَلَكَ على غير الإسلام على شيء إلا عزلتَه واستبدلتَ به رجلًا من المسلمين ترضىٰ دينه وأمانَته وعفافه ، وخذهُم بِشَدِّ المناطق ، وركوب الأُكُفِ ، وحَلْقِ أوساط رؤوسهم ، وأَطِعِ الله واتَّقِهِ ، فإنه لا حِرز لك ولا منعة إنْ عَصيتَه والسلام» .

وكتب عمر إلى عدي بن أرطاة : «أما بعد : فقد أتاني كتابك تذكر أنك لما قدِمْتَ البصرة جعلتَ سُفيان بن فَرْقَد حاجباً وتقدمتَ إليه ألا يرزأ أحداً شيئاً ، فبلغك عنه أمر تكرهه فأتاك بخمسين ديناراً ذكر أنه أعطاه إياها رجل ، فقبضتَها وعزلتَها في بيت المال إلى أن يأتيك أمري ، وليس بيت المال بموضع للرشاء فاردُد ذلك الذهب إلى صاحبه الذي أُخِذَ منه فإن ابن فرقد يعرفه ، إن شاء الله ، والسلام» .

وكتب عمر إلى عدي : «إنّ بعض من وَرَدَ علينا أخبرني عن ناحية من نواحي فارس خراباً ، فأسهرني ذلك وغمّني ، فتعَهّدْ أهل عملك بالكتب والرسل ، واجتهد في عمارة البلاد بالعدل والرفق وترك الاستقصاء ، واعلم إنما يلتمس إصلاح قوم آثروا سَيّئاً واجتهدوا في فساد ما تحت أيديهم حتى بلغ الأمر ما بلغ ، وليس بكثير على الله جل ثناؤه أن يجعل في عمارة سنة ما يعدل

خراب سنين مضت قبلها فيجبره بها ، فإن الله يبلغ من تضعيفه لمن يشاء أكثر من ذلك ، ﴿والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[1] ، والسلام» .

قال : وكتب عمر إلى أبي بكر بن محمد : «ذكرتَ أن ناساً من بني أسد وفزارة تلاحوا ، فَرُمِيَ فراس الأسدي بحجر فأصاب ركبته ، ثم تفرقوا ، ومكث سنةً وَجِعاً من رميته فاصطلحوا على مائتين من الإبل وإنه لا صلح إلا ما يجوز في الإسلام ، فَأَنْفِذ الصلح بينهم على مائة من الإبل فليس بدم صاحبهم عن ذلك مَذْهَب ، ولولا السُّنة لم أُبال ما أعطاهم بنو فزارة من أموالهم ، والسلام» .

المدائني عن مَسْلمة بن محارب قال : قال عمر بن عبد العزيز : لم أر رجلاً كان أعلم بأمر الدنيا من عبد الملك ، ولا رجلاً كان أغضب للدنيا ولا اشتدت غلبة الدنيا عليه مثل الوليد ، ولا رجلاً آكل للدنيا من سليمان ، وهذه الدنيا تريد أن آكلها وتأكلني ، والله لا أفعل .

المدائني عن خالد بن يزيد بن بشر عن أبيه قال : شتم رجل معاوية عند عمر بن عبد العزيز ، فأمر بضربه ثلاثة أسواط .

المدائني عن بشر بن عبدالله قال : دخل عبد الملك بن عمر على أبيه فقال : يا أبه ما يؤمنك أن يأتيك أمر الله بياتاً وأنت نائم ، فقال : يا بني إنّ نفسي مطيتي وإن لم أرحها لم تحملني ، وإني لأحتسب من الأجر في العدل ما أرجو أن لا يقصر بي عن الأجر في ترك النوم .

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٦١ .

وقال عمر لميمون : لأن أُبَقيَ لهذا المال حتى أُسلِكَه سبيله أحَبّ إليّ من أنْ أتركه لولدي ميراثاً ، لا أُحاسب بشيء منه .

المدائني عن المبارك بن فضالة قال : كتب عمر بن عبد العزيز : «إنّ من كان عليه دين له وفاء به فليقض من ماله ، ومَن لم يكن عنده فليُنْظِره غرماؤه، فإنما وضعوا أموالهم عنده على أن يصادفوا مالاً أو عُدْماً» .

وروى الهيثم بن عدي عن عدي قال : كتب عمر إلى عبد الحميد : «كتبتَ تذكر أنك وجدتَ في بيت المال سبعة آلاف درهم مما أخذ ممن كان يختلف بالخمور ، ولا حاجة لي في خبيث ، فإنْ وجدتَ له أهلاً فاردده عليهم ، والسلام» .

المدائني قال : كتب إلى عمر صديق له من النساك : «إلى العبد المُبْتَلىٰ بأمور المسلمين من أخيه فلان ، أما بعد : فإنك ممتحن بما وُلّيتَ ومُجزىٰ بما عملتَ ، فأَصْلِح نيّتك وتَوَقّ على دينك فإنك بعرض خير وشر ، فإن اتَّبعتَ الخير سعدت ، وإن ملْتَ إلى الشر غَوَيتَ ، وكان يقال من تقلّد شيئاً من أمور المسلمين فإنما فُتح له باب إلى الجنة ، وباب إلى النار ، فأيّهما اختار فهو وَالِجُهُ ، عصم الله دينك ووفّر من الأجر حظك ووفقك للخير ووفقه لك» .

فكتب إليه عمر : «فهمت كتابك يا أخي ، وقد عظمتْ عليّ البليّة ، فاسألُ الله العون والكفاية ، لا تُخْلِني رحمك الله من كتبك بالنصيحة ، فإنك تقضي بها حق المودة ، والسلام» .

المدائني عن المُسَيَّب بن شريك قال : قدم على عمر بَشيرٌ من الصائفة فقال له : إن شئت زدناك في عطائك ، وإن شئت ألحقنا لك عَيِّلاً . فقال : كلاهما وتمراً ، فقال عمر : إنك لبطّال وليس لبطال عندنا شيء .

المدائني : أن عمر كتب إلى محمد بن عروة السَّعدي عامله على اليمن : «أن أخِرج من بيت المال قِبَلَك مائة ألف درهم للغارمين ولا تُعط منها من كان دينه في سَرَف وتبذير ، واعط من تزوج أو ابتاع ذا رحم فَأَعتقه أو تاجراً أتى على ما في يديه ، وأَخْرِج مائة ألف درهم لأبناء السبيل ، وَمُرْ رَهْطاً من ذوي الدين والحسبة والنية الحسنة أن يقعدوا بها على طريق الحاج فلا يدعوا منقطعاً به منهم ولا محسوراً إلا أعانوه ، ولا مُرمِلاً إلا زودوه ، ولا راجلاً إلّا حملوه ، ولا عارياً إلّا كسوه إن شاء الله ، فإنّ سبيل الحاج خير السبل» .

وقال كثير يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

أَقولُ لما أَتاني ثَمَّ مَهْلَكُهُ ... لَا يَبْعُدَنَّ قَوامُ الأهلِ والدِّين
قد غادَرُوا في ضَريحِ اللَّحْدِ مُنْجَدِلاً ... بِدَيْرِ سَمْعَانَ[1] قِسْطَاسُ الموازينِ[2]

وقال الجُمَحي :

ثلاثةٌ ما رأتْ عينيْ لهم شَبَهاً ... يَضُمُّ أَعْظُمَهُمْ في المسجد الحَجَرُ
وأَنتَ تتبعُهم لَمْ تَأْلُ مُجْتَهِداً ... سَقْياً لها سُبُلاً بالعَدْلِ تُقْتَفَرُ
فإنْ قَصُرْتَ عن العليا التي بلغوا ... وأنتَ تطلبُها واغتالك القَدَرُ
فما بَلَغْتِ التي مِنْ دون ما بَلَغُوا ... فَفُتَّ في ذاكَ من تثنىٰ له السِّيَرُ
لو كنتُ أَمْلكُ للأقدار تَرْوِيَةً ... تَأْتي رَوَاحاً وتَبْيِتاً وَتَبْتَكِرُ
دَفَعْتُ عن عُمَرَ الخيرات مَصْرَعَهُ ... بِدير سمعانَ لكنْ تَغْلِبُ المِرَرُ[3]

١ ـ يعرف الموقع الآن باسم «قرية الدير الشرقي» قرب معرة النعمان .
٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٣ ـ بهامش الأصل : المرر جمع مرة وهي القوة ، هذا ولم أهتد إلى معرفة اسم هذا الجمحي .

قالوا : وكان عمر بن عبد العزيز أمر أن يُخرج الفرزدق من مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ، وذلك إنه كان ينشد فيه الهجاء ، ويتبذّى فقال فيه الشاعر :

نَفَاكَ الأَغرّ ابن عبد العزيز ومثْلكَ يُـنْفَـىٰ عن المَـسْجِـدِ

فلقي الفرزدق مخنثاً فقال له : ما فعلت عمتنا ؟ فقال : نفاها الأغرّ ابن عبد العزيز .

المدائني قال : تزوج عبد الرحمن بن عمرو بن سَهْل بن عمرو من بني عامر بن لؤي بنتاً لعبدالله بن عمر بن الخطاب ، فكانا أحسن زوج بالمدينة ، فكلَّمَتْهُ يوماً وقد مرض فأعرض عنها فقالت : يا حبيبي مالك أعرضت عني ؟ قال : أموتُ وتتزوجين بعدي . قالت : فإني لا أفعل إنْ ـ وأعوذ بالله ـ حدث بك حدثُ بَلْ أنا المتقدمة قبلك، فخطبها عمر بن عبد العزيز فتزوجته ، فدخل عليها ابن قارظ الكناني فقال لها : مِثْلَكِ ما قال القائل :

تَبَدَّلْتِ بعد الخيـزران جَرِيْـدَةً وبَعْدَ ثياب الخَزِّ أَحلامُ نائِمِ

فقالت : ما ذاك مثلي ، ولكنه ما قال أرطاة بن سُمَيَّة :

ما كنت إلا وَالِهَاً ذات عَوْلَةٍ على شَجْوِهَا بعد الحَنِيْنْ المُرَجَّعِ
متىٰ لَمْ تَجِدْهُ تنصرفْ لِطَيَاتِها مِن الأَرضِ أَوْ تَرجِع لأَنْفٍ وَمَرْجَعِ

فأفحمتْهُ . وكانت ابنتها من عبد الرحمن عند الحجاج بن يوسف فقال لها : مات أبوكِ فجزعتِ ، فقال : لم تجزعين وقد تزوجت أمك عمر بن عبد العزيز ؟

وحدثني الحسين بن علي الحرمازي ، ثنا العُتْبي قال : سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً يمدح فاطمة بنت الحسين ، ويقال فاطمة بنت عبد الملك

امرأته فقال : ما تعرف من الشرّ شيئاً . فقال عمر : معرفتها بالشر جَنَّبتها إياه .

وقال سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز وهما بطريق مكة ، وأراد أن يذكر له شيئاً ، فسأله : هل علينا من عَيْن ؟ قال : نعم عليك من الله عين بصيرة وأذنٌ سميعة .

قال العتبي : قرأ قارىء عند عمر بن عبد العزيز آية فَلَحَنَ ، فقال مَسْلَمَة : لحن والله يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : أَوَمَا شغلك معناها عن لحنه .

حدثني عمر بن شبة ، ثنا أبو عاصم ، أنبأ عثمان بن خالد بن دينار عن أبيه عن ميمون بن مهران قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : لا تأتِيَنَّ سلطاناً وإن أمرتَه بمعروف ، ولا تَخلُوَنَّ بامرأة وإن قرأت عليها القرآن ، ولا تَصحبنَّ عاقّاً فإنه لن يصلك ، وقد عقّ والديه .

المدائني عن عيسىٰ بن يزيد قال : لما احتضر عمر بن عبد العزيز قيل له : اكتب إلى يزيد وأوصه بالأمّة فقال : وبماذا أوصيه ، إني لأعلم أنه من بني مروان .

ثم كتب إليه : «أما بعد : فاتَّقِ الله يا يزيد الصَّرْعَة بعد الغفلة حين لا تُقَالَ العثرة ، ولا تقدر على الرجعة ، إنك تترك ما تترك لمن لا يَحْمُدُكَ ، وتصير إلى من لا يَعْذُركَ ، والسلام» .

حدثني عباس عن أبيه عن عَوانة قال : أنشد عمر بن عبد العزيز قول الأحوص بن محمد الأنصاري :

سيَبْقىٰ لها في مُضْمَر القلبِ والحَشا سَرِيْرَةُ حبٍّ يومَ تُبْلَىٰ السَّرائرُ[1]

فبكىٰ عمر وقال : وَيْحَهُ ما أَغْفَلَهُ عن قول الله ﴿يوم تُبْلَىٰ السرائر . فما له من قوةٍ ولا ناصر﴾[2] .

وقالوا : كان على شرطة عمر رَوْح بن يزيد بن يستر السكسكي .

حدثني عمرو بن محمد عن الحجاج الرصافي عن أشياخهم قال : عَزَّىٰ رجل عمر بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك فقال :

تَعَزَّ أميرَ المؤمنينَ فإنَّهُ لما قد ترىٰ يُغذى الصغير ويُولَدُ
هَلِ ابنكَ إلاّ مِن سُلالةِ آدمٍ وكلٌّ لَهُ حَوْضُ المنِيَّةِ مَوْرِدُ

قالوا : ومرض عمر بن عبد العزيز ، فقيل له : لو تداويت . فقال : لو كان دوائي في مسح أذني ما مَسَحْتُها ، نِعْمَ المذهوبُ إليه ربي .

وحدثني محمد بن خالد الطحان عن يزيد بن هارون عن يحيىٰ بن سعيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن عمرو بن حَزْم : «أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ ، وحديث عَمْرَة بنت عبد الرحمن فاكتبه ، فإني قد خِفتُ دُرُوسَ العلم ، وذهاب أهله» .

قال الواقدي : قال عمر بن عبد العزيز : ما بقي أحدٌ أعلمُ بحديث عائشة من عَمْرَة .

وحدثني عمرو بن محمد عن الحجاج قال : اشتهىٰ عمر بن عبد العزيز في صحته عَسَلاً يؤتى به من قرية على فراسخ ، فقيل له : تُوجِّهُ رسولاً على

---

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ١٤٥ .
٢ ـ سورة الطارق ـ الآيتان : ٩ ـ ١٠ .

دابّة من دواب البريد ليأتيك به ، فقال : معاذ الله ، لا يراني الله شاغلاً جناحاً من أجنحة المسلمين في شهوةٍ اشتهيتُها .

حدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن مولىً لعمر بن عبد العزيز عن عمر أنه قال لمحمد بن كَعْب : عِظْني . فقال : يا أمير المؤمنين إن فيك جِرأة ، وَجُبْناً ، وكَيْساً ، وعَجْزاً ، فَدَاوِ بعضَ ما فيك ببعض ، وعليك بأهل الدين والعقل فإنهم يكفونك أنفسهم ويُعينونك على غيرهم ، وإيّاك ومن مودته لك بقدر حاجته إليك فإذا انقطعت حاجته ذهبت مودته . وإذا اصطنعت صنيعة فأحسِن ربَّها وغذاءها . فقال عمر : أحسن الله جزاءك .

وحدثني هشام بن عمار قال : بلغني أن رجلاً تكلم عند عمر بن عبد العزيز فرفع صوته فقال عمر : بحسب الرجل أن يُسمع جليسه ، لو أُدْرَكَ شيء خيراً بشدَّةِ صوت لأدركته الحمير .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن حماد بن عمرو قال : سمع عمر بن عبد العزيز باكيةً في جنازة أبيها وهي تقول : يا أبتاه ، كان يقصر المجلس إذا أتاه . فقال : ما أحسنَ ما وصفَتْ أباها .

هشام عن بقية قال : تزوج رجل يقال له سليمان بن عَثمةَ امرأتين فقال بعض الشعراء :

لِيُهْنِ ابنَ عِثمانَ مَا عِنْدَهُ فَلَسْتُ وإنْ حَسَدُوا حاسِدا
مَهَاتَانِ لَوْنُهُما واحدٌ يُذِيْقَانِهِ ثَغَباً بَارِدَا
فَبُوْرِكَ فيه وفي أهْلِهِ وفي مالِهِ وَنَمَا صَاعِدَا

فشكاه إلى عمر فقال : ما أرى هجاءً ، ولكنه شَهَرَهُ ، فَأَدَّبَهُ .

وكتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن : «إعلم أن كل ذي عادة مقتضٍ ما سَننتَ له» .

حدثني محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي عن مالك بن أنس قال : كان عمر بن عبد العزيز إذا أراد أن يقوم قال : إذا شئتم . وكان مالك يفعل ذلك ، وكان قبيصة إذا أراد أن يقوم يتناول نعله .

حدثني داود بن عبد الحميد قال : كان مشايخنا يحدثون أن عمر بن عبد العزيز كان صديقاً لعَدي بن أرطاة قبل الخلافة ، وكان يقول : ما رأيت أشْبَه بمن مضىٰ في مذهبه وعفافه من عدي . فلما استُخلف ولاه البصرة .

حدثنا عفان ، ثنا أبو هلال قال : كان عدي يخطب فإذا خطب جلس في الخطبة الأولى ، ثم يقوم فيخطب الثانية حتى إذا فرغ مَدّ يده يدعو .

قالوا : وحفر عدي نهره ، وخرج الناس ينظرون إليه ، والحسن يمشي خلف حمار عدي ، فالتفت عَدي فرآه فنزل عن الحمار ، وحمل عليه الحسن ، وجعل يمشي بحيث كان الحسن يمشي من الحمار ، والحسن راكب .

قالوا : وكتب عمر إلى عدي : «أن يجري على من كبرتْ سنه ، وضعفتْ قوته ، وذهبتْ مكاسبه من أهل الذمة ، من بيت مال المسلمين ، وقال إن عمر بن الخطاب رأىٰ شيخاً من أهل الذمة يقوم على أبواب الناس يسألهم فقال : ما أنصفناك . أخذنا منك الخراج شاباً ، فلما كبرت سنك خذلناك . فأجرىٰ عليه قوتَه من بيت المال» .

المدائني قال : عاد عدي وكيع بن أبي سود فقال له عدي : كيف تجدك ؟ قال : وثّاباً على العتب ، أكالاً للعصب ، قال: فما بلغ عدي منزله حتى نُعي له .

قال أبو عبيدة : وبعث عدي إليه رجلاً يعوده فقال له : الأمير يقرئك السلام . فقال : أنا والله الأمير ولكني مظلوم ، ثم قال : يقول لك كيف تجدك ؟ قال : أجدني قفّازاً على العتب فلم يبلغ الرسول حتى سمع الواعية عليه .

وروي عن أبي شور القليبي قال : أشرف عدي على وكيع من دار الإمارة وهو مريض في داره فقال وكيع لبنيه : ارفعوا صدري . فقال له عدي : أبا مطرف كيف تجدك ؟ قال : صالحاً من رجل يجد أرواح طعامك ولا يأتيه منه شيء . قال : وكيف تراك لو رأيت منه شيئاً ؟. قال : أكون قفازاً على العتب غشوماً . فقال عدي : أطيلوا الحائط بيني وبينه فلا أراه ولا يراني .

وأتى وكيع الحسن فقام فناوله نعليه فقيل له : أتقوم إلى وكيع مع جفائه ؟ فقال : بلغني أن في جسده كذا وكذا طعنة وضربة في سبيل الله ، وأنا أكرمه لذلك .

وقالوا : أرسل عَدي إلى محمد بن سيرين رجلاً وقال له : قل له عن نفسك إني رأيت أني حلبت ناقة فامتككتُها حتى حلبتُها دماً . فقال ابن سيرين : لم تَرَ أنتَ هذه الرؤيا ، وإنما رآها عدي فارجع إليه فقل له : اتق الله فإنك قد جاوزتَ في حلبِكَ وجبايتكَ ما أحلّ الله لك إلى ما حَرّمَه عليك .

قالوا : ولما قدم عدي البصرة قال لإياس بن معاوية بن قُرَّة المُزْني : أنتَ من أهل البلد وأعلم به مني فدلني على قوم من القراء استعملهم . فقال : إن القراء ضربان : ضَرْبٌ يقرأون لله فلا حاجة لهم في عملك ، وضربٌ يقرأون للدنيا ، فإذا استعملتهم أمكَنّتَهم مما أرادوا .

قال : فأشِر عليّ بقومٍ من أهل البيوتات ، فإنهم عسى أن يستحيوا لأحسابهم ويرعوا على أنفسهم ويتصنعوا لطول الولاية .

ثم شاوَرَ مالك بن دينار فقال له : أما أهل الدين فقد استغنوا عَنْكَ بما عندهم ، وأما أهل الدنيا فمنهم تهرب . قال : فمن بقي ؟ قال : عليك بأهل الشرف فإنهم يحامون على قديمهم ، ويربون حديثهم .

قال أبو داود الطيالسي : حدثني من سمع عدياً يخطب على منبر البصرة وهو يقول : ما أنا وهذه الشهادات ، ما أنا وهذه الخصومات . فتحتُ لكم بابي وأجلستُ فيكم إياساً ولا أراكم تزدادون إلا كثرة ، لقد كنت أرى القاضي من قضاة المسلمين وما عنده أحد ، ولقد أتيتُ شريحاً فقلت : يا أبا أمية أين أنت ؟ . قال : بينك وبين الحائط . قلت : إني تزوجتُ امرأة ، قال : بالرفاء والبنين . قلت : ولدتْ غلاماً . قال : ليُهْنِكَ الفارس . قلت : وشرطتُ لها دارها ثم بدا لي أن أحولها إلى الشام . قال : أنتَ أحقّ بأهلك . قلت : فاقضِ . قال : قد فعلتُ .

حدثني محمد بن سعد الواقدي عن ابن أبي سبرة عن صالح بن حسان قال : سمعتُ عمر بن عبدالعزيز يقول في خلافته وذكر أبا بكر بن عبدالرحمن فقال : إن هناك شرفاً وفضلاً ونسكاً واحتمالاً .

الواقدي قال : كان من سُراة الموالي أبو كثير مولى أسلم ، وهو من سبي فارس ، وكان يقال له زاد الرَّكْب . فبعث معه عبدالعزيز بن مروان بألف دينار إلى عمر بن عبدالعزيز فنسيها في دار عبدالعزيز ومضى فأتى عبدالعزيز بالألف ، فلما قدم أبو كثير المدينة دفع إلى عمر ألف دينار من ماله ، واكتتب منه البراءة ، فلما قدم مصر أتى به عبدالعزيز وكان تاجراً يتجر إلى مصر فقال له : ما فعلت الألف دينار ؟ قال : دفعتها إلى عمر وأحضر البراءة، فقال : كيف دفعتها وهي عندنا؟ قال: نسيتها ولم أدر أين هي فكرهتُ أنْ أُسِرَّ عدواً فأشمِتَه ، أو أكبِتَ صديقاً فأغمَّه ، وخفتُ أن لا أُصَدَّقَ ، وعليّ فضلٌ من الله فاحتملتُها . فقال عبدالعزيز : ألكَ حاجة ؟ . قال : نعم ، تُوضَع عني العشور إذا دخلتُ مصر بتجارتي . فقال : نعم . ووضعها عنه . وكان عبدالعزيز يقول : من آمَنُ مِنْ ابن أبي كثير ؟! ودفع إليه الألف دينار .

حدثني ابن القتات عن شيخ من الشاميين قال : سمعت عمر بن عبدالعزيز يقول : قيدوا العلم بالكتاب وقيدوا النِّعمَ بالشكر .

حدثني داود بن عبدالحميد حدثني أبي عن جدي أن عمر بن عبدالعزيز أُتي بسكران فقال : ألقوا رداءه في أردية فأُلقي . وقال : انظروا فإنْ لم يعرفْهُ ولم يخلّصه من الأردية فَحدُّوهُ .

الخوارج في أيام عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه

خبر بسطام بن مُرَيّ اليَشْكُرِي ولَقَبُهُ شَوْذَب .[1]

قال أبو الحسن المدائني : خرج بسطام بن مُرَيّ أيام عمر بن عبدالعزيز بن مروان ، فقال لأصحابه : يا أخلائي إنكم قد باينتم قومكم في ولاية هذا الرجل ، وهو يأمر بالعدل ويُظهره ويعمل به فاعذروا فيما بينكم وبينه ، وادعوه إلى أمركم . فكتبوا إليه فعظّموا طاعة الله وأمرِه ، وعابوا الظلم وأهله ، وأكفروا أهل الكبائر ، وبرئوا منهم ، ودعوه إلى رأيهم وإلى البراءة من علي وعثمان وردّ أحكام عثمان ، وما حكم به عليّ بعد الحكمين ، واستأذنوه في أن يوجهوا من يناظره ويُحَاجُّه على أن يؤمِّنَه ، فكتب عمر إليهم : «إلى العصابة الذين خرجوا بزعمهم التماس الحق ، أما بعد ذلك : فان الله لم يُلْبِسَ على العباد أمورهم ، ولم يتركهم سُدَى ، ولم يجعلهم في عُمَيَّاءَ ، فبعث إليهم النُّذُر وأنزل عليهم الكتب ، فبعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين بشيرا ونذيراً ، وأنزل عليه كتاباً حفيظاً ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه

---

١ ـ بهامش الأصل : بلغت عراضها بالأصل الثالث ولله الحمد .

ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[١] فيه علم ما يأتون وما يتقون ، فأوصيكم بتقوى الله ، وشكر نعمته ، والاعتصام بحبله ، والتوكل عليه ، فإنه ﴿من يَتَّق الله يجعل له مخرجاً﴾[٢] ، وقد بلغني كتابكم ، وما دعوتم إليه ، ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعىٰ إلى الإسلام﴾[٣] وقد خاب من دعي إلى الحق ولم يجب .

وذكرتم ما اعتقد الله في عباده ؛ وأمرهم به من الطاعة ﴿فلله الحجة البالغة﴾[٤] . وسألتموني أن أحكمُ بالعدل ، وأقومَ بالقِسط ، وفي الحق مقنع وفوز ونجاة لمن عمل به ، ﴿ولكل نبأ مستقر﴾[٥] فلكم التي سألتم وبالله التوفيق .

وسألتموني ردَّ ما حكمَ به مَنْ كان في صدر هذه الأمة من الأئمة إلا ما كان من حكم أبي بكر وعمر وعلي قبل الحكمين ، وهم ومَن كان بعدهم من الأئمة كانوا أقرب عهداً برسول الله ﷺ وأصحابه ، والله يشهد على أحكامهم ويَعْلَمُها .

وسألتموني الإذن لكم في قدوم طائفة منكم عليّ ، فمن أحبّ ذلك منكم فليقْدِمْ آمناً لا أحجُبُه ولا أبسط إليه يداً ، وإني أدعوكم إلى الله ورسوله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والإنابة إلى أمر الله ، وأذكركم

---

١ ـ سورة فصلت ـ الآية : ٢٤ .
٢ ـ سورة الطلاق ـ الآية : ٢ .
٣ ـ سورة الصف ـ الآية : ٧ .
٤ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٤٩ .
٥ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٦٧ .

الله أن تخالفوا كتاب الله وسنة نبيه ، فقد بين لكم الهدى وأراكم البينات ، فاقبلوا أمر الله ، وإيَّاكم والبدع والغلوّ في الدين ، والسؤال عما قد كفيتموه ، فقد سبق فيه من الله ما قد سمعتم من قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إنْ تُبْدَ لكم تَسُؤْكُمْ﴾[1] فـ ﴿هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾[2] فإن تَقْبَلوا يقبل الله منكم ، وإن تُعْرِضوا فإن الله أمامكم ومن ورائكم ، فمن ذا يعجز الله و﴿شر الدواب عند الله الصُّمُّ البُكْمُ[3]﴾ .

وقلتم لا حكم إلا لله العلي القدير ، ﴿ومن أحس من الله حَكَماً لقوم يوقنون[4]﴾» .

وبعث بكتابه إليهم مع عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود ، ومحمد بن الزبير الحنظلي وقال لهما : إن هؤلاء القوم قد خرجوا علينا بأسيافهم ، فإذا قَدِمْتُم عليهم فادعوهم إلى الحقّ والجماعة فإن دعونا من كتاب الله إلى ما لم أعمل به فاضمنا عني العمل به ، وإن دعونا من كتاب الله إلى ما قد علمناه وجهلوه فحاجُّوهم به حتى يرجعوا إليه .

قال : فقدما عليهم ، فقال عون : أيتها العصابة إنا قد أقمنا من كتاب الله ما قد حفظنا وعملنا بما علمنا فهل عندكم من علمٍ فتخرجوه لنا ، أَمْ أمِنْتُم على أنفسكم ما خفتم على قومكم ، أم رجوتم شيئاً لأنفسكم يئستم منه لقومكم ، أم تقولون ذنوب قومكم شرك وذنوبكم ذنوب ؟

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ١٠١ .
٢ ـ سورة يوسف ـ الآية : ١٠٨ .
٣ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٢٢ .
٤ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٥٠ .

قالوا : نترك الذنوب كفراً لقول الله : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [١] قال : أخطأتُم التأويل ، من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له فهو كافر فأما حاكم وقع حداً قد رآه عن صاحبه وهو مُقِرٌّ بالآية فلا يكون كافراً لأن الله تبارك وتعالى قال : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ [٢] وقال الله : ﴿زعم الذين كفروا أنْ لَنْ يبعثوا﴾ [٣] وهؤلاء يؤمنون بالبعث ، وأمير المؤمنين مجتهد لنفسه في الحكم بالعدل ، وإحياء ما قد أُميتَ منه ، فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم .

قالوا : فإن عمال صاحبك يظلمون . قال : فتولوا أعماله . قالوا : لا نعمل له . قال : فكونوا أمناء على عماله ، فأي عامل منهم عمل بغير الحق فاعزلوه . قالوا : ولا هذا ، وقرأوا كتاب عمر فقالوا : نوجه رجلين يكلمانه فإن أجابنا فذاك ، وإن أبى كان الله من ورائه ، فأرسلوا مولىً لبني شيبان يقال له عاصم ، ورجلاً من بني يشكر من أنفسهم ، فقدموا جميعاً على عمر وهو بخناصرة ، فصعد إليه عون ، ومحمد بن الزبير ، وهو في غرفة ، وعنده ابنه عبدالملك بن عمر ، وكاتبه مزاحم فأخبراه بمكان الرجلين فقال : فتشوهما لعل معهما حديداً ، ثم أدخلوهما ففعلا ، فلما دخلا قالا : السلام عليكم . وجلسا فقال عمر : ما أخرجكم هذا المخرج ، وما الذي نقمتم ؟ فقال عاصم وكان حبشياً : ما نقمنا سيرتك لتحري العدل والإحسان فأخبرنا

---

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٤٤ .
٢ ـ سورة فصلت ـ الآية : ٢٦ .
٣ ـ سورة التغابن ـ الآية : ٧ .

عن قيامك بهذا الأمر أعن رضى من المسلمين ومشورة كان أم ابتززتم إمرتهم ؟ قال : ما سألتهم الولاية عليهم ولا غلبتهم على مشيئتهم ، وعهد إلي رجل عهداً لم أسأله الله قط لا في سر ولا علانية ، فقمت به ولم ينكره عليّ أحد ، ولم يكرهه غيركم ، وأنتم ترون الرضا بكل من عدل وأنصف من كان من الناس فانزلوني ذلك الرجل ، فإن خالفتُ الحق ، وزغتُ عنه فلا طاعة لي عليكم .

قالا : بيننا وبينك أمر واحد . قال : وما هو ؟ قالوا : رأيناك خالفتَ أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم وسلكت غير طريقهم فإن كنت على هدى وهم على ضلالة فَالْعَنْهُم وابرأ منهم ، فقال عمر : قد علمتُ أنكم لم تخرجوا طلباً للدنيا ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها ، إن الله لم يبعث رسوله ﷺ لَعَّاناً ، وقال إبراهيم : ﴿فمن اتَّبَعَني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [1] وقال الله: ﴿أولئك الذين هدىٰ الله فبهداهم اقتده﴾ [2] وقد سميتم أعمالهم ظلماً وكفى بذلك لهم ذَمّاً ونقصاً ، فابلوا الله حسناً فيما آتاكم ودعوا ما فاتكم ، فليس لعن أهل الذنوب فريضة لا بُدَّ منها ، فإن قلتم إنها فريضة فاخبرني أيها المتكلم متى لعنتَ فرعون ؟ قال : ما أذكر متى لعنتُه . قال : أَفَيَسَعُكَ ألا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق وشرهم ، ولا يسعني إلا لعن أهل بيتي وهم مصلّون ؟

قال : أو ما هم كفار بظلمهم ؟ قال : لا لأن رسول الله ﷺ دعا الناس فكان من أَقَرَّ بالإيمان وشرائعه قُبل منه ، فإن أحدَثَ حدثاً أُقيم عليه

١ ـ سورة ابراهيم ـ الآية : ٣٦ .
٢ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٩٠ .

الحد ، فقال الخارجي : إن رسول الله ﷺ دعا الناس الى التوحيد بالله والإقرار بما نزل من عنده والعمل بما سنّ من سُنَّته ، ولو قالوا نؤمن بما جاء من عند الله ونخالف سنَّتك ما قبل ذلك منهم .

فقال عمر : فليس أحد يقول لا أعمل بسنّة رسول الله ﷺ ، ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم على عِلمٍ منهم بأن الذي أتوا مُحَرّم عليهم ، ولكن غلبَ عليهم الشقاء .

قال : فابرأ مما خالفَ عمالك ورُدَّ أحكامهم . قال : أخبرني عن أبي بكر وعمر أليسا من أسلافكم ؟ قال : بلى . قال : فهل تعلمون أن أبا بكر حين قُبض النبي ﷺ وارتدّتِ العرب قاتلهم وسبى الذراري وأخذ الأموال ؟ قالا : نعم . قال : أفتعلمون أن عمر ردّ السبايا بَعدَهُ الى عشائرهم بفدية فَدوهم بها ؟ . قالا : نعم . قال : فهل برىء عمر من أبي بكر ؟ قالا : لا . قال : أَفَتَبْرَؤُنَ أنتم من واحد منهما ؟ قالا : لا . قال : فأخبروني عن أهل النهر وهم من أسلافكم ، هل تعلمون أنّ أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دماً ولم يأخذوا مالاً ، وأنّ من خرج إليهم من أهل البصرة اعترضوه ، وقتلوا عبدالله بنِ خَبَّاب وجاريته ؟ . قالا : نعم . قال : فهل بَرىء من لم يقتل ممن قتل واستعرض ؟ قالا : لا . قال أَفَتَبْرَؤُونَ أنتم من إحدى الطائفتين ؟ . قالا : لا . قال : أَفَوَسِعَكُم أن توليتم أبا بكر وعمر وأهل البصرة وأهل الكوفة وقد علمتم اختلاف أعمالهم في الفروج والأعمال، ولا يَسَعني إلا البراءة من أهل بيتِي والدين واحد ، فاتقوا الله فإنكم جهال تقبلون من الناس مَا رَدَّ عليهم رسول الله ﷺ ، وتردون عليهم ما قبل ، ويأمن عندكم من خاف عنده ، ويخاف عندكم من أَمِنَ عنده ، ويخاف

عندكم من شهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وكان من فعل ذلك عند رسول الله ﷺ آمناً ، وحُقِن دمه ، وأُحرِز ماله ووجبتْ حُرمته ، وأنتم تقتلونه ولا تقتلون سائر أهل الأديان فتحرمون دماءهم ويأمنون عندكم .

قال اليشكري : أرأيتَ رجلاً ولي قوماً وأموالهم فَعَدَل فيها ، ثم صيّرها بعده إلى رجل غير مأمون ، أتراه أدى الحق الذي يلزمه ، أو تراه قد سلم ؟ قال : لا . قال : أَفَتُسَلّم هذا ليزيد من بعدك وأنت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق ؟ قال : إنما ولّاه غيري والمسلمون أَوْلَىٰ بما يكون منهم فيه بعدي . قال : أَفترىٰ ما صنعَ من ولّاهُ حقاً ؟

فبكى عمر ، ثم خرجا فقال مولىٰ بني شيبان : لقد رأيتُ رجلاً يتحرىٰ الخير ، وما سمعت حجة أَبْيَنَ ولا مأخذ أقرب من قوله فارجِعْ بنا إليه ، فرجعا فقال عاصم الحبشي : أما أنا فأشهد أنك على الحق . فقال عمر لصاحبه اليشكري : ما تقول أنت ؟ قال : ما أحسنَ ما قلتَ وما وصفت ولكني لا أفتات على المسلمين بأمر حتى أعرض عليهم ما قلتَ وأعلمُ ما حجتهم .

فمضى الرجلان وسرح عمر معهما رجلاً يعلم خبر القوم فأخبرهم اليشكري بما جرى بينه وبين عمر ، فأقاموا وقالوا : كَفُّوا عنه ما ترككم . فقال لهم رسول عمر : فهو يكف عنكم ما لم تفسدوا ، فرجع إلى عمر ، ونزل بسطام وأصحابه حَزَّةَ[1] من الموصل ، وأقام عاصم الحبشي عند عمر فأمر

١ ـ حزة موضع بين نصيبين ورأس عين على الخابور ، وحزة أيضاً قرب إربل من أرض الموصل معجم البلدان .

له بعطاء ، فمات بعد خمسة عشر يوماً . وكان عمر يقول : أهلكني أمر يزيد وخصموني فيه فاستغفر الله .

وكتب عمر إلىٰ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بما كان بينه وبين الخوارج من القول والكتاب ، ويأمره أن يكفّ عنهم ما كفّوا وأن يجاهدهم إن قاتلوه ، فبعث عبد الحميد إليهم : محمد بن جرير بن عبدالله البَجلي في ألفين ، وبعث عمر : هلال بن أَحْوَز في ألف ، وكان بسطام في ثلاثمائة ويقال في ستمائة ، فكان ابن جرير وهلال بإزائهم لم يقاتلوهم حتى مات عمر ، فقال رجل من الخوارج لهلال :

خرجتَ إلى الشراةِ وأنتَ حرب لقد غررتَ يا بن أبيَ هِلال
وإنّـا مَـعْشَرٌ قَتَـلوا عَـليّـاً وعَبَّادَ بن أخضرَ في الضَّلال
وإنَّ بَـصِيْـرَتِي لَمّـا تُـبَـدَّل وإنّ الـدينَ دينُ أبي بِـلالِ

وانْصرَف هلال وأصحابه بعد موت عمر وولاية يزيد بن عبد الملك ، وتوجه بسطام إلى الموصل فقتل عاملها ، فقاتله محمد بن جرير ، فهزمه بسطام ، وهرب أصحابه ، وكان بمحمد طعنة ولم تكن له ولمن معه ناهية دون الكوفة .

وتشاغلوا بخروج يزيد بن المهلب علىٰ بسطام ، فأرسل يزيد بن المهلب حبيب بن خدرة أو غيره ممن هو على رأيه يدعو إلى نصره ، فضرب بسطام رسوله عشرين سوطاً ، وقال : لولا مكانك من الدين لقتلتك .

فلما قتل يزيد بن المهلب ، وجّه مَسْلَمة ، أو عامل الجزيرة ، إلى بسطام وهو بالموصل السَّحَاح بن ودَاع الأزدي فقتل وانهزم أصحابه ، ومضى بسطام يريد الجزيرة ، فانتدب له تميم بن الحُبَاب أخو عُمير بن الحباب

السُّلَمي وقال : إن قتلنا بسطاماً أغرنا على ربيعة ، فعقد له عامل الجزيرة على ثلاثة آلاف فواقع بسطاماً ، فقتل تميم ومالك بن عمير وهو ابن أخيه ، وكانت الحرب بينهما بتامَرَّا[1] وقتل من الخوارج عدة فقال الشاعر :

لَقَد أسلَمَتْ قَيْسٌ تَميماً ومالكاً كما أُسلم السَّحاحُ قَبْلَكَ تَائبه
تركنا تميم بن الحُبَابِ مُلحَّبَاً[2] تبكي عليه عُرْسَهُ وَقَرَائِبُه
وأقبلَ من حَرَّان يحملُ رايةً يُغالبُ أمر الله والله غَالِبُه

في قصيدة .

وقال آخر :

تركنا تميم بن الحباب مُجَدَّلاً بِغَيْضَةِ تَامَرَّا قليلاً عَوَائدِه
ينادي سُلَيْماً وهي صُمٌّ سُمُوْعُهَا وقد أَسْلَمَتْهُ إذ دعاها حَوَاشِدُه

وأتى بسطام جوخى[3] فوجه إليه مَسْلَمة بن عبد الملك من الكوفة سعيد بن عمرو الحَرَشي وقال بعضهم : وجه يزيد بن عبد الملك نفسُه في أربعة آلاف فلقيه بسطام بجوخى فانهزم سعيد ثم كَرَّ فقتل بسطام وأصحابه وانهزم من بقي وقُتل أكثر أصحاب سعيد ، وقتل مع بسطام الريّان بن عبدالله اليشكري ، فقال حسان وهو أحد الخوارج :

يا عينُ أذرِي دموعاً منكِ تَسْجَاما وابكي صَحَابَةَ بسطامٍ وبسطاما

في أبيات .

---

١ ـ تامرا : طسوج من سواد بغداد بالجانب الشرقي . معجم البلدان .
٢ ـ لحب : بالسيف ضرب ، الشيء أثر فيه ، واللحم قطعة طولا . القاموس .
٣ ـ جوخى : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد . معجم البلدان .

وقد قال قوم : إن عمر وجّه مسلمة إلى الحرورية فظفر بهم ، وكان عبد الحميد وجه إليهم مَن واقَعَهُم تقرباً إلى يزيد ، فهزمه الخوارج .

قالوا : ولما مات سليمان بدابق ، وبلغ عبد العزيز بن الوليد موته ، عقد ألوية وصار إلى طبرية وهو لا يعلم مَن ولي بعده ، ودعا إلى نفسه ، فلما بلغه أن عمر الوالي وَصَحَّ ذلك عنده حلّ ألويته ، وأتاه فبايعه ، فقال له عمر : أردتَ أن تشقَ عصا المسلمين وتفتنهم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي استنقذني بك ، والله لو يليها غيرك ما ملكها عليّ .

فولد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

عبدالله الأكبر ، وأم عمار ، أمهما لميس بنت علي من بني الحارث بن كعب. وإبراهيم، ومروان، أمهما أم شعيب بن زبّان الكلبيّة: وإسحاق ، ويعقوب ، وموسىٰ ، أمهم فاطمة بنت عبد الملك بن مروان . وعبد الملك الناسك ، وعبدالله الأصغر ، وعاصم ، والوليد ، وعبد العزيز ، وزبّان ، ومحمد الأصغر ، لأمهات أولاد شتى .

فأما عبدالله الأكبر ، فكان شجاعاً ، جواداً ولي العراقين ليزيد بن الوليد بن عبد الملك خلافته كلها ، وهي ستة أشهر ، فلما مات يزيد أقام والياً على العراقين فأراد أهل العراق أن يبايعوا له بالخلافة لمكان أبيه وقالوا : هذا ابن الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز ، فقال في ذلك يحيىٰ بن منصور الذهلي :

خلافتكم حلوةٌ عذبةٌ وتُدعىٰ على اسمك أُحلى لها
فَدُونْكَهَا يا بن عبد العزيـ ـز سَربلك الله سِربالها

وقال بعض الشعراء :

لعبـــدالله عبـــدالله تجـــري صحـــائِفُنَـــا أمـــير المؤمنينـــا
لمن زادتـــه إمـرتـــهَ اتِّضَـاعـــا فـــذلـك سُنَّـــةُ المُتَخَشِّعِيْنَـــا

وهو احتفر نهر ابن عمر ، ونُسب إليه ، وساوم عبدالله بن عمر رجلاً بشيء فقال له الرجل : ما أشدَّ مكابتك . فَوَجَم عبدالله ثم قال : ويحك إياك أن تُغضب قريشاً فإنّ القرشي إذا غضب لم يكن له بقية .

وخرج في أيام ولايته عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وقد كتبنا خبره .

حدثني جماعة من أهل العلم منهم عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، وقد ذكـر ذلك المدائني ، قالوا : لما ولي يزيد الناقص ، بعد قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وجَّه منصور بن جمهور إلى العراق والياً عليها وأمره أن يحمل يوسف بن عمر إليه ، فنفذ منصور إلى العراق في خمسة آلاف ويقال إنه لم يولّه العراق ، ولكنه أمره بحمل يوسف بن عمر ، فوافى منصور العراق ، وقد هرب يوسف منه إلى منزل له بالبلقاء من عمل دمشق ، وأقام منصور بالعراق أشهراً ثم ولىٰ يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وهو الناقص ، عبدالله بن عمر بن عبد العزيز وقال له : أن أهل العراق يحبونك فأحسن السيرة فيهم ، فلما قدمها قال لمنصور بن جمهور : أنت أحد أخوالي ، والخال والد فلا يتلعبنّ بك فتيان قريش وأقم معي .

وقال الهيثم بن علي : دخل منصور بن جمهور الكوفة ، لأيام خلت من رجب، فأخذ بيوت الأموال، وأخرج العطاء والأرزاق، وأطلق من في السجون التي ليوسف من العمال وأهل الخراج ، وأقام بالكوفة نحواً من

شهرين وخليفته عليها عبيدالله بن العباس بن يزيد الكندي. واستعمل على البصرة جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي .

فلما قوي أمر يزيد بن الوليد وجاءته البيعة من الآفاق ، ولى عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ، فقدم على منصور فسمع له منصور وأطاع ، وكذلك جميع قواد الشام ، وقد كان خاف ألّا يسلم له منصور .

قالوا : وأجرى عبدالله بن عمر على منصور في الشهر مع نزله ثمانية آلاف درهم ، وكان يقاتل معه ، وولى عبدالله : المسيح بن الحواري بن زياد بن عمرو العتكي أزدشير خُرّة من كور فارس ، وسليمان بن حبيب بن المهلّب الأهواز ، وأقر نَصْر بن سَيَّار الليثي على خراسان ، وأعطى الناس أعطياتهم وأرزاقهم ، فنازعه قواد الشام وقالوا : تقسم على هؤلاء فيئنا وهم عدونا ؟ فقال عبدالله لأهل العراق : إني قد أرد فيئكم فيكم ، وعلمت أنكم أحقّ فنازعني هؤلاء وأنكروا علي ، فخرج أهل الكوفة إلى الجبّانة وتجمعوا ، فأرسل إليهم قواد أهل الشام يعتذرون ويحلفون أنهم لم يقولوا شيئاً مما بلغهم .

وثار غوغاء الناس وسرعانهم من الفريقين فتناوشوا ، وأصيب منهم رهط لم يعرفوا ، وعبدالله بن عمر حينئذٍ بالحيرة ، وعبيدالله بن العباس الكندي بالكوفة ، وكان منصور استخلفه عليها فأراد أهل الكوفة إخراجه من القصر ، فأرسل عبيدالله بن العباس إلى عمر بن الغضبان بن القبعثري فأتاه فنحىٰ الناس عنه ، وزجر السفهاء ، حتى تحاجزوا من بعضهم بعضاً ، فبلغ ذلك ابن عمر فأرسل إلى ابن الغضبان وكساه وحمله وأعظم جائزته ، وولاه

شرطه وخراج السواد ، وأمر أن يُفرض لقومه من بني شيبان ، ففرض لهم في ستين وفي سبعين .

وولى عبدالله بن عمر صَلاة الكوفة : عاصم بن عمر أخاه ، وقدم عبدالله والحسن ويزيد بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب على عبدالله بن عمر ، فنزلوا في النَّخْع في دار مولاهم الوليد بن سعيد ، فأكرمهم ابن عمر وأجازهم وأجرىٰ عليهم في كل يوم ثلاثمائة درهم ، فكانوا كذلك حتى هلك يزيد بن الوليد، وبايع الناس أخاه إبراهيم بن الوليد، ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فَقَدِمَتْ بيعتهما على ابن عمر وهو بالكوفة ، فبايع الناس لهما وزادهم في العطاء مائة مائة ، وكتب ببيعتهما إلى الآفاق فجاءته البيعة ، فبينا هو كذلك إذ أتاه الخبر بأن مروان بن محمد بن مروان قد سار في أهل الجزيرة إلى إبراهيم ، وأنه امتنع من البيعة له ، فاحتبس عبدالله بن عمر عبدالله بن معاوية عنده ، وزاد في البِرّ ، وفي ما كان يُجري عليه ، وأعَدَّه ليبايع له إن ظفر مروان بابراهيم ، ويقاتل مروان معه .

فماج الناس في أمرهم وقَرُبَ مروان من الشام ، وخرج إليه إبراهيم فقاتله فهزمه مروان وظفر بعساكره ، ومضى إبراهيم هارباً ، وثبت عبد العزيز بن الحجاج ، فقاتل حتى قُتل .

وأقبل اسماعيل بن عبدالله القَسْري أخو خالد هارباً حتى قدم الكوفة ، وكان في عسكر ابراهيم فقاتل معه ، فافتعل اسماعيل كتاباً على لسان ابراهيم بولاية الكوفة ، وأرسل إلى اليمانية فأعلمهم أن ابراهيم ولاه العراق ،

ووعدهم الإحسان والتفضيل ، وقال : إني لا امن آن يعترض عليّ ابن عمر . فتقبّلوا ذلك منه .

وبلغ الخبر ابن عمر فباكَرَهُ مع صلاة الغداة فقاتله ومعه عمر بن الغضبان ، فلما رأى اسماعيل ذلك ، ولا عهد معه ، وأنَّ صاحبه الذي افتعل العهد على لسانه وقد هُزم وهرب ، وخاف أن يظهر أمره فيفتضح ويقتل ، قال لأصحابه : إني كارهٌ لسفك الدماء ، ولم أظن أنّ الأمر يبلغ هذا ، فكفُّوا أيديكم . فتفرقوا عنه ، ثم قال لأهل بيته : إنّ إبراهيم قد هزم وهرب ودخل مروان دمشق ، فتحدث بذلك أهل بيته ، واشتهر الخبر ، واشْرَأَبَّتِ الفتنة ، ووقعت العصبية بين الناس .

وكان سبب الفتنة أن عبدالله بن عمر أعطى مضر وربيعة عطايا عظاماً ، ولم يعط جعفر بن نافع بن القعقاع بن شور الذُّهْلي ، وعثمان بن الخَيْبَري أحد بني تَيْم اللاَّت بن ثعلبة شيئاً ، ولم يُسَوِّهما بنظرائهما ، فدخلا عليه فكلماه كلاماً غليظاً ، فغضب ابن عمر وأمر بهما أن يُنَحَّيَا فدفعهما عبد الملك الطائي ، وكان يقوم على رأسه فخرجا مغضبين .

وكان ثُمامَة بن حَوْشَب بن يزيد بن رُوَيْم الشيباني حاضراً ، فغضب لصاحبيه ، فخرجوا جميعاً إلى الكوفة وابن عمر حينئذٍ بالحيرة ، فلما دخلوا الكوفة نادوا : يا ربيعة ، فاجتمعت إليهم ربيعة واجتمعوا وائتمروا وبلغ الخبر ابن عمر ، فبعث إليهم أخاه عاصماً ، فأتاهم وهم بدير هند ، فاجتمعوا وحشدوا ، فألقى نفسه بينهم وقال : هذه يدي لكم فاحكموا ، فاستحيوا منه وتشكروا له ، وأقبلوا على صاحبيهم فسكنوهما فسكنا وكَفَّا .

فلما أمسىٰ ابن عمر بعث من تحت ليلته إلى عمر بن الغضبان بمائة ألف فقسمها في قومه ، وأرسل إلى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف درهم ، وإلى عثمان بن الخيبري بعشرين ألفاً ، فلما رأت الشيعة ضعف ابن عمر أغمزوا فيه واجترأوا عليه وطمعوا فيه ، ودعوا إلى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ، وكان الذي ولي ذلك هلال بن أبي الورد مولى بني عجل ، فثاروا في غوغاء الناس حتى أتوا المسجد فاجتمعوا فيه ، وهلال القائم بالأمر ، فبايعه ناس من الشيعة لعبدالله بن معاوية ، ثم مضوا من فورهم إلى عبدالله بن معاوية فأخرجوه من دار الوليد بن سعيد حتى أدخلوه القصر ، وحالوا بين عاصم بن عمر وبين القصر ، فلحق بأخيه عبدالله بالحيرة .

وجاء ابن معاوية الكوفيون فبايعوه وفيهم عمر بن الغضبان بن القَبَعْثِرَي ومنصور بن جمهور ، واسماعيل بن عبدالله القسري ، ومن كان من أهل الشام له بالكوفة أصل وأهل .

وأقام ابن معاوية بالكوفة أياماً ، فبايعه الناس ، وأتته الشيعة من المدائن ، وفم النيل ، واجتمع له الناس ، فخرج يريد عبدالله بن عمر بالحيرة .

وبرز له ابن عمر بمن كان معه من أهل الشام ، فخرج رجل من أهل الشام يسأل البراز فبرز له القاسم بن عبد الغفار العِجْلي ، فقال له الشامي : لقد دعوت حين دعوت وما أظن أنه يخرج إلي إلاّ رجل مُكْرَهٌ ، إني والله ما أريد قتالك ولكني أحببت أن أُلقي إليك ما انتهىٰ إليّ . أُخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن : منصور ، ولا اسماعيل ، ولا غيرهما إلاّ وقد

كاتبَ ابن عمر ، وقد كاتَبَتْهُ مُضَرَ وندموا على ما كان منهم ، ولم أَرَ لكم معشر ربيعة كتاباً ولا رسولاً ، وليسوا مواقعيكم يومكم حتى تصبحوا فيواقعوكم ، فإن استطعتم ألاَّ تكونَ بكم الحرّة[1] دون اليمن ومضر فافعلوا ، فإني رجل من قيس ، وسنكون غدا بإزائكم فإن أردتم الكتاب إلى صاحبنا أبلغتُه إياه ، وإن أردتم الوفاء لمن خرجتم معه فقد أعلمتكم حال الناس ، فدعا القاسم بن عبد الغفار رجالاً من قومه فأعلمهم ما قال له القيسي وأن من مع ابن عمر من مضر وربيعة سيقفوا بإزاء ميسرته وفيها ربيعة ، فقال ابن معاوية : إن هذه علامة ستظهر لنا إذا أصبحنا فإن أحب عمر بن الغضبان فليأتني الليلة، وإن منعه شغل بما فيه فهو في عُذر، وإني لأظن القيسي قد كذب . وأرسل إليه بذلك فأتى الرسول عمر بن الغضبان فرده إليه بكتاب يقول فيه : إن رسولي هذا بمنزلتي عنده فتأمره أن يتوثّق من منصور واسماعيل ، فأبىٰ ابن معاوية أن يفعل ، وأصبح الناس غادين على القتال وقد جعل ابن معاوية أهل اليمن في الميمنة ومضر وربيعة في الميسرة ، ونادىٰ مناديه : من جاء برأس فله كذا ، ومن جاء بأسير فله كذا ، والمال عند عمر بن الغضبان .

والتقىٰ فاقتتلوا ، وحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر فانكشفوا ، ومضى اسماعيل ومنصور من فورهما إلى الحيرة ، وزحمت غوغاء الناس أهل اليمن فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلاً ، وقتل الهاشمي وهو العباس بن عبيدالله بن عبدالله زوج بنت الملاءة ، أصابه سهم . وقتل

١ ـ كذا بالأصل وأرجح أنها تصحيف «الميسرة» .

مكبّر بن الحواري بن زياد في غيرهم ، ثم انكشفوا وفيهم عبدالله بن معاوية حتى دخلوا القصر بالكوفة ، وبقيت الميسرة من مضر وربيعة ومن بإزائهم من أهل الشام ، وحمل أهل القلب من أهل الشام على الزيدية فانكشفوا حتى دخلوا الكوفة وبقيت الميسرة وهم نحو من خمسمائة .

قالوا : كانت عاتكة بنت الملاءة تزوجت أزواجاً منهم : العباس بن عبيدالله بن عبدالله ـ بَبَّةَ ـ بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فقتل أيام عبدالله بن عمر بن عبد العزيز في العصبية بالعراق ، قالوا : وهو أخو عبدالله بن معاوية بن معاوية لأُمّه أمهما بنت عون بن العباس بن ربيعة بن الحارث .

وأقبل عامر بن ضبارة : ونباتة بن حنظلة ، وعطية بن عبد الرحمن التغلبي ، والنضر بن سعيد بن عمر الحرشي ، حتى وقفوا على ربيعة فقالوا لعمر بن الغضبان : أما نحن يا معشر ربيعة فما كنا نأمن عليكم ما صنع الناس بأهل اليمن ، ونتخوف عليكم مثلها فانصرفوا ، فقال عمر : ما كنت ببارحٍ أبداً حتى أموت . فقال : إن هذا غير مُغْنٍ عنك ولا عن أصحابك شيئاً . فأخذوا بعنان دابته حتى أدخلوه بيوت الكوفة .

قال أبو عبيدة : دخل ابن معاوية وأخاه القصر ، فلما أمسوا قال لعمر بن الغضبان وأصحابه : يا معشر ربيعة : قد رأيتم ما صنع الناس بنا ، فإن كنتم مقاتلين معنا قاتلنا معكم ، وإن كنتم ترون الناس خاذلينا وإياكم ، فخذوا لنا ولكم أماناً ، فقد رضينا لأنفسنا ما رضيتم به لأنفسكم ، فقال عمر : ما نحن بتاركيكم من إحدى الخلتين . إما أن نقاتل معكم ، أو نأخذ لكم أماناً . كما نأخذه لأنفسنا فطيبوا نفساً . فأقاموا في

القصر والزيدية على أفواه السكك يغدوا عليهم أهل الشام ويروحون يقاتلونهم أياماً ، ثم إن ربيعة أخذت لأنفسها وللزيدية ولعبدالله بن معاوية أماناً ألاَّ يتبعوهم ، وأن يذهبوا حيث شاؤوا .

وأرسل ابن عمر إلى عمر بن الغضبان يأمره بنزول القصر ، وإخراج عبدالله بن معاوية ، فأرسل إليه ابن الغضبان فَرَحَّلَه ومن معه من شيعته ومن تبعه من : أهل المدائن ، وأهل السواد ، وأهل الكوفة ، فسارت بهم رسل ابن عمر حتى أخرجوهم من الجسر ، ونزل ابن عمر القصر .

وكانت أم عبدالله بن معاوية ابنة عون بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب :

لَقَدْ أَنكَرْتَ أَنْ تَأتِي بخيرٍ وأُمُّكَ أختُ يعقوب بن عَوْن

قال أبو عبيدة : وكان وفاة يزيد بن الوليد بدمشق لإنسلاخ ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ست وأربعين سنة ، فكانت ولايته ستة أشهر وليلتين، وبويع إبراهيم، وأمه أم ولد، بدمشق فلم يلبث إلا شهراً أو نحوه حتى أقبل مروان من الجزيرة ، فدخل دمشق لثلاث خلون من صفر ، فهرب ابراهيم وخُلع ، وبايع الناس مروان بن محمد ، وأمه أم ولد ، ويكنىٰ أبا عبد الملك .

قال أبو عبيدة : فلما ظهر مروان ، واستقام أمره ، كتب إلى النَّضْر بن سعيد بن عمرو الحَرَشي بولاية العراق ، وإلى من معه من النزارية يأمرهم بالسمع والطاعة له ، والنضر يومئذٍ مع عبدالله بن عمر مقيم بالحبرة ، فقال مَنْ مع النضر من المضرية الشاميين : إنه لا طاقة لنا بمن مع ابن عمر من

اليمانية إلاّ أن يأتيك مَدَدٌ من قبل مروان يعلم به هؤلاء صحة أمرك وتولية مروان إيّاك ، وغلبة مروان على الشام ، واتساق الأمر له ، فكتب النضر بذلك إلى مروان ، وبلغ ذلك ابن عمر فبادر فأخرج النضر من الحيرة ، فأتى الكوفة ، فانطوت عليه ربيعة ، وأنزلوه دار مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وتَقَوَّضَت إليه مضر الشام فأتوه بالكوفة فأنزل عامر بن ضبارة دار المِسْوَر بن عطاء في بني شيبان ، وأنزل أبان النميري إخوته دار حوشب بن يزيد بن رُوَيْم ، وأنزل نباتة ومن معه دار عُتْبَة بن النَّهاس العِجْلي ، وفَرَّق بقية أصحابه في دور بكر بن وائل .

ولما بلغ كتاب النضر مروان وجه إليه خالد بن الغُزَيِّل الكلابي ، أحد بني خُوَيْلد بن نُفَيل ، في ثلاثمائة فارس ، وأبان بن معاوية النميري ثلاثمائة ، وبلغ ابن عمر مسيرهما فبادر إلى النضر ليقتله أو يخرجه من العراق قبل قدوم المدد ، ووجه رجلاً من بني تميم إلى الغُزيل وقد قرب من الكوفة فقال له : أنا رسول النضر بن سعيد إليك وهو يقول لك : إنّا قد توادعنا هذين اليومين لننظر في أمرنا ، فأقم في مكانك وَأجم خيلك ، فإذا مضى اليومان فأقْبِل فإن ابن عمر قد وعدنا أن يصير إلى طاعة أمير المؤمنين مروان .

وأراد ابن عمر أن يُرَبِّثَهُ ليخلو به فيقتله ، أو يخرجه من الكوفة ، فظن ابن الغُزيِّل أن الخبر حق ، فاستراح إلى المقام ، فأقام ،وأقبل ابن عمر إلى النضر فيمن معه من اليمانية والنزارية ، وأتاه النضر في النزارية من أهل العراق والشام ، وكانوا قليلاً ، فلم يقم لهم النضر ، وأقبل منهزماً حتى دخل الكوفة ، وبقي أخوه مسلمة بن سعيد ، وأبو أمية بن المغيرة الثقفي يحمون الناس على أفواه السكك .

وحلف ابن عمر ليحرقن دور بكر بن وائل ، وبلغ ابن الغزيِّل الخبر وهو بموضعه ، فعلم أنه مُكِرَ به فأقبل مُغِذّاً في سرعان خيله حتى دخل الكوفة ، فحمل ابن عمر وأصحابه ، وحمل مسلمة بن سعيد عليهم أيضاً فهزموهم حتى أدخلوهم الحيرة ، ثم إن حَنْظَلَة بن نُبَاتَة ، وعامر بن ضبارة ، والريّان بن سَلَمَة اجتمعوا فقالوا : إنما نطلب هذا الأمر لأهله من بني مروان ، وأي رجل منهم ظفر بالمُلْكِ فغير خارج منهم ، فعلامَ تقتلون أنفسكم ؟ فانصرفوا إلى عساكرهم ، وبعث ابن عمر في جوف الليل إلى ابن الغُزيّل مائة ألف ، ووعده إن غلب عِداتٍ أرغب له فيها ، فتثاقل عن نصرة الحرشي ، وخرج أيوب بن حوشب بن يزيد في رهط من أصحابه في طلب الحرشي، وكان قد صار إلى دير الأعور، فَرَدَّه من ليلته، وأصبح في منزله . ثم تغادوا للقتال وجعلوا يغدون ويروحون للقتال حتى بلغهم إقبال الضَّحَاك بن قيس الخارجي في ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من الحرورية إلى العراق .

وقال الهيثم بن عدي : كتب مروان إلى النَّضْر بن سعيد بولايته على العراق ، فامتنع عليه ابن عمر ، فصار الناس فرقتين : أهل اليمن ، وخصائص من قريش مع ابن عمر ، ومضر كلها من أهل العراق وأهل الشام مع النضر بن سعيد في طاعة مروان .

وتحول النضر : إلى دار مَصْقَلَة بن هبيرة الشيباني ، وتحولت إليه المضرية كلها ، وابن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان ، والحكم بن عبد الملك ، وآل بشر بن مروان ، فنهض إليهم ابن عمر يوم جمعة فهزمهم حتى دخلوا البيوت ، ثم انصرف ، فلما كانت ليلة السبت قدم ابن الغُزَيِّل من

قبل مروان في أربعة آلاف من أهل الجزيرة وقِنَّسْرِيْن ، فدخلوا الكوفة ليلة السبت ، ثم غدوا بغلس فأخذوا في أطراف الكوفة حتى انتهوا إلى الغريين .

وخرج ابن عمر في اليمانية إلى غربي الحيرة وكردس الكراديس ، وكان منصور بن جمهور معه ، وكان يومئذ على الميمنة ، وأقبل الحرشي في القيسيّة حتى حمل على ابن عمر في اليمانية ، فانكشفوا حتى بلغوا أدنى بيوت الحيرة ، وانحدر منصور إلى غربي بيوت الحيرة ، ثم أخذ على النجف حتى ظهر على الطريق الغربية من حيث تجري الخيل فصار من وراء القيسية ، ثم حمل عليهم وهو في نحو من أربعمائة وهيأ له الحرشي جلد أصحابه : ابن الغزيّل ومن معه .

قال الهيثم : فأزالهم منصور قَدْرَ غَلْوَةٍ ، ثم ثبتوا له في الخصاصات[1] ، ثم حمل عليهم منصور مرة أخرى فقتل منهم نحواً من سبعين فانكفأوا حتى لجأوا إلى مصلى خالد بن عبدالله ، ثم حمل عليهم فأدخلهم البيوت ، ثم غدوا يوم الأحد فسألهم الحرشي الموادعة إلى أجل سماه .

وأقبل الضّحاك بن قيس الحروري ، فلما بلغ ابن عمر والنّضْر بن عمرو الحرشي إقباله اجتمعت كلمة ابن عمر والنضر على قتاله ، ودخل ابن عمر قصر الكوفة ، وتحولت اليمانية ، فنزلت في عشائرها بالكوفة ، وذلك في رجب سنة سبع وعشرين ومائة ، وأقبل الضحاك حتى نزل النخيلة ، وخندق

١ ـ الخص : البيت من القصب ، أو البيت يسقف بخشبة كالأزج ، وحانوت الخمار ، والخصاصة : ما يبقى من الكرم . القاموس .

ابن عمر خندقاً في أطراف الكوفة ، وسنكتب أخبار الضحاك فيما بعد إن شاء الله .

وقال ابن الكلبي : لما ظهر مروان دعا عبدالله بن عمر إلى نفسه ، وقال: أنا عين بن عين بن عين، أقتل ميم بن ميم بن ميم ، فأظهر أهل العراق الرغبة فيه إذ كان ابن عمر بن عبد العزيز ، وقالوا : هذا ابن الرجل الصالح ، وهو أولىٰ بالأمر من الجعدي ، فقال فيه يحيىٰ بن منصور الذهلي :

عليكَ بِها يا بنَ عبد العزيـ ـز سَـربَلَكَ الله سِـرْبَـالَهَـا

وولى عبدالله بن عمر : عمرو بن سهيل بن عبد العزيز البصرة ، وهو كيلجة .

ثم إن الضحاك بن قيس الشيباني الحروري أقبل من ناحية الموصل ممايلي شهرزور فيمن معه من الخوارج ، فلما بلغ ابن عمر إقباله إليه وهو بالحيرة استعد له وتحول إلى قصر الكوفة ، فنزل الضحاك بإزائه فواقعه فهزمه الضحاك ، وقُتل ممن معه : عاصم بن عمر أخوه ، قتله البرذون بن مُوَرِّق الشيباني أو غيره وجعفر بن العباس الكندي أخو عبيدالله بن العباس ، قتله عبد الملك بن علقمة العبدي . وكان جعفر على شرطة ابن عمر ، وكانت المعركة بين الكوفة والحيرة ، ومضى عبدالله بن عمر نحو واسط ، وسار النضر بن سعيد الحرشي يريد مدينة واسط ، فلم يدخلها لمنع عامل ابن عمر إياه من دخولها ودفعه له عنها ، وهو شبيب بن مالك الغساني ، وكان شبيب لما بلغه قرب النضر من واسط أغلق أبواب المدينة وتحصّن ، وبَدَرَ ابن عمر فدخلها وتحصن بها ، واتبعه الضحاك فحصره بها أشهراً حتى أظهر الجنوح إليه وصالحه على أربعة آلاف ألف درهم ، وعلى أن يسير الضحاك إلى مروان

فيحاربه ، فإن هو ظفر بمروان سمع وأطاع له ، وإلا فلا بيعة له عليه إن غلبه مروان . وتعاقدا على محاربة مروان وأصحابه .

وغلب الضحاك على الكوفة وسوادها ، وتوجه الضحاك يريد مروان ، وسار مروان يريد العراق لقتال الضحاك ، فلما بلغه وهو بقرب قرقيساء أنّ سُليمان بن هشام بن عبد الملك قد خرج عليه انصرف إليه فلقيه بخساف[1] أو قربها ، فاستباح عسكره ، وكان سليمان خليفة ابراهيم على عسكره ، ثم أمَّنَه مروان ، ثم خرج أيضاً عليه ، وانصرف مروان إلى الرقة وأتى حران وكان سليمان في مَوَالٍ لهشام ، فلقي الضحاك فصار معه وصلى خلفه ، فقال بعض الخوارج :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أنزلَ نَصْرَهُ وَصَلَّتْ قريشٌ خَلْفَ بكرِ بن وائلِ

ويقال إن ذلك قيل في ابن عمر ، حين جنح إلى السلم .

وبلغ مروان انتقاض أهل حمص عليه ، فأتاها وأقام عليها حتى فتحها ، وهدم حائطها ، ثم إن الضحاك أتى الجزيرة فحاصر نصيبين فلم يظفر بها ، فأتى حَرَّان ومنزل مروان بها فواقعه مروان ثلاثة أيام ثم قتل .

وولى مروان يزيد بن عمر بن هبيرة العراق فسار إلى واسط وعبدالله بن عمر بها وقد تهيأ للحصار ، وانضم إليه قوم من الخوارج من قبل الضحاك ، وعزم على قتال ابن هبيرة ، ثم تفرقت الخوارج عنه ، فتجمعت مضر ممن كان بواسط فردموا باب القصر على ابن عمر ، وبعثوا العلاء بن مزروع إلى

---

١ ـ خساف برية بين بالس (مسكنة) وحلب ، مشهورة عند أهل حلب وبالس . معجم البلدان .

ابن هبيرة يخبرونه أنهم قد حصروه فأقبل لا يلوي على شيء وحصره ثم أعطاه الأمان على حكم مروان ، وكتب إلى مروان بذلك فكتب إليه مروان اقتله ولا تُناظره . فراجَعه في أمره فكتبَ إليه أنْ احْمِلْهُ إليّ فقال : أنا ابن عمر بن عبد العزيز وأرجو ألا يقدم عليّ مروان .

فحمله ابن هبيرة فحبسه مروان ، ثم بعث إليه من اغتاله بشربة سُقيها ، ويقال دِيْسَ بطنه ، ويقال غُمَّ حتى مات .

وقُتل ابن عمر وكان لابن عمر ابن يقال له بِشْر كان في صحابة المهدي أمير المؤمنين .

وأما منصور بن جمهور الذي قيل له ؛ منصور بن جمهور أمير غير مأمور ، فإنه خلع مروان وأقام بالجبل يجبي خراجه ، ومال إلى شيبان خليفة الضحاك وولي عهده .

ثم مضي إلى السند فغلب عليها حتى قدم عليه مُغلس العبدي والياً على السند من قبل أبي مسلم فحاربه حتى قتله وهزم جنده ، فلما بلغ أبا مسلم قَتْل عامله عقد لموسى بن كعب التميمي على السند فقدمها وواقع منصوراً فهزمه وجيشه وقتل أخاه منظور بن جمهور ، وخرج منصور مفلولاً هارباً حتى ورد الهل[1] فمات عطشاً .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده قال : قُتل مع ابن عمر : عاصم أخوه فدفنه إلى جانب الأشعث ، قال : وقتل جعفر بن العباس بن يزيد الكندي مع ابن عمر حين قاتل الضحاك والخوارج بين

---

١ ـ لم أقف على تعريف لهذا الموقع .

الكوفة والحيرة ، وكان عبيد الله بن العباس بن يزيد يقاتل مع أخيه ، ثم جنح إلى الخوارج . فقال أبو عطاء السندي .

فَقُلْ لعبيد الله لو كان جعفرٌ هو الحيّ لَمْ يَجْنَح وأنْتَ قتيلُ
جَنَحْتَ وقد ردُّوا أخاك وأكفَروا أباكَ فماذا بَعدَ ذاكَ تَقولُ

فقال : أقول أعضَّكَ الله ببظر أمك .

وولي عبيدالله لأبي العباس أمير المؤمنين قنسّرين ، وللمنصور أرمينية . وبها مات .

وقال امرأة من الصفرية :

نحن قتلنا عاصماً وجعفرا والفارس الضّبيَّ حين أُصْحرا
ونحن جُبْنَا الخندق المُقَعَّرَا

- **ومن ولد عبد العزيز بن مروان :**

أبو بكر ، وكان من خيار ولده وكان يقدّر فيه إذا أفضت الخلافة إليه أن يوليه عهده ، وله عقب . وعاصم بن عبد العزيز .

وكان من ولده : الأَصْبَغ بن سفيان بن عاصم ، وكان الأصبغ مخنثاً وأمه ابنة عمر بن عبد العزيز .

ومن ولد عبد العزيز : الأصبغ بن عبد العزيز ، وأمه أم ولد . وكان من ولده : دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز ، خرج أيام موسى أمير المؤمنين بمصر ، فقتله عامله عليها بعد قتال ، وهو الفضل بن صالح بن علي بن عبدالله بن العباس ، وبعث برأسه ، فنصب ببغداد على الجسر ، ويقال ان الذي حاربه وبعث برأسه علي بن سليمان بن علي .

فتنة ابن سهيل :

ومن ولد عبد العزيز بن مروان :

سهيل بن عبد العزيز، وكان ابنه عمرو بن سهيل بن عبد العزيز يدعى كيلجة لِقِصَرِهِ ، من رجال قريش ، ولاه عبدالله بن عمر بن عبد العزيز البصرة . وكان الذي يلي شرط البصرة قبله المِسْوَر بن عَبّاد بن عمرو بن الحصين الحبطي من بني تميم ، فاستعمل عمرو بن سهيل رجلاً من بني سدوس ، فحقد ذلك المِسْوَر عليه وجانَبَتْه تميم غضباً للمسور . وقتل عبدالله بن علي عمرو بن سهيل فيمن قتل وصلبه فيمن صلب من بني أمية .

المدائني وغيره قالوا : اجتمع الناس على يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فاستعمل على العراق عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ، فكتب عبدالله إلى عبدالله بن أبي عثمان بن عبدالله بن أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بولاية البصرة ، ولم يكن معه جند فضعف أمره ، وكان أهل البصرة قد تراضوا به حتى قُتل الوليد ، وهرب عامل يوسف بن عمر عنها .

وقدم سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومي داعية لمروان بن محمد ، فنزل عند أبي العسكر المَسْمَعِي مستخفياً ، ودسّ إلى وجوه أهل البصرة يدعوهم إلى الدخول في طاعة مروان ، وجعل يَعِدُهُم الأموال ويمنّيهم أن تأتيهم من قبل مروان . فلما تأخر ذلك ولمْ يروا لقوله مصداقاً جعل الصبيان يقولون في السككك : من يبايع بِنَسِيَّة ابن جعدة الشَّقِيَّة . ظنوا أن جعدة امرأة .

وبلغ ابن عمر بن عبد العزيز وَهَنَ أمر عبدالله بن أبي عثمان ، فولى البصرة عمرو بن سهيل ، ووجه معه جنداً من النجارية من أهل الشام فيهم

أبو بحر الجذامي ، فهرب ابن جعدة ، واستعمل عمرو على شرطه محمد بن وكيع بن أبي سود .

ومات يزيد بن الوليد الناقص في آخر ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، وكتب مروان الى المسور بن عمر بن عباد ، ووجوه بني تميم ، يدعوهم إلى طاعته والوثوب بابن سهيل . ويقال بل كتب المسور إلى مروان مبتدئاً ببيعته وطاعته واستأذنه في الوثوب بابن سهيل ، وجعل المسور يبايع الناس لمروان ويدعوهم إليه حتى فشا ذلك والمسور في داره بالحبطات .

و بلغ ابن سهيل خبره فناهضه ، ومعه الأزد ، وربيعة ، وقريش والنجارية ومن معه من أهل الشام ، وكان مع ابن سهيل سفيان بن معاوية ، وداود بن حاتم ، وكان المسور في : بني تميم ، وباهلة ، وبني عامر بن صَعْصَعَة ، فكان يتقاتلان ثم يتحاجزان ، ويصير المسور إلى داره . فلامه حَرب بن قَطَن الهلالي على مصيره إلى منزله وحذّره أن يطرقه ابن سهيل ليلاً ، وقال : أخاف ألا يأتيك غياثك حتى يقضي القوم أربهم منك . فتحوَّل إلى بني العَنْبر ، وتحول من كان منزله نائياً عن بني تميم مثل : الحَكَم بن يزيد الأسيدي ، والترجمان بن هُرَيْم بن أبي طُحْمَةَ المجاشعي ، والمغيرة بن الفُزْع ، فكان يقاتلهم .

واتهم ابن سهيل محمد بن وكيع فَعَزَلَهُ عن شرطته ، وولاها المِنْهَال بن حاتم بن سويد بن منجوف .

وخندق المسور على أبواب السكك لما رأى من احتفال الأزد ، وربيعة مع ابن سهيل واختذال نجاريته ومن معه من الشاميين . وكان مع المسور عمرو بن قتيبة ، فكانوا يقتتلون خلف الخنادق ويخرجون فيقتتلون .

ثم ان بني سعد بن زيد مناة بن تميم قالوا : قد كتب مروان إلى وجوهنا ، كما كتب إلى المِسْوَر فلا نرضى أن تكون رئيساً . ففارقوه ورأسوا عليهم القاسم بن محمد الثقفي ، وتابعهم على ذلك : ضَبَّة ، وعَدِي ، والرّباب .

وبلغ ذلك ابن سهيل فوجه إليهم أبا بحر الجُذامي في الخيول فلما ناوشهم استطرد لهم حتى باعدهم عن أفواه السكك، ثم كرّ عليهم فهزمهم وقتل منهم .

وكان رؤبة بن العَجّاج يركب فرسه ويجول في هذه الفتنة ويقول :

صبراً بني الكرامَ ياحماةَ الأدبار   إنّ الفرار يا بني تميم عَار[1]

ثم إنهم حكموا عبد الكريم بن سليط الحنفي في أن يجعل الرئاسة لمن يرى فحكم للمسور لبأسه ، وكثرة ولده ، ومواليه ، وفرسانه ، وكان الحَكَم مائلاً إلى المسور ، فاقتتلوا فهُزِمَ ابن سهيل وأصحابه وكُشفوا ووقعت العصبية ، فنزل أبو الفَيْض الشامي وأصحابه فصار مع قيس ، وكان أحد بني عبدالله بن غطفان ، وجعل يرمي أصحاب ابن سهيل وهو يقول : اللهم اخز عدوك . ولم يزالوا يقتتلون حيناً .

وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى : اقتتلوا سبعة أشهر .

قالوا : وألقى القاسم الحنفي ناراً في قصب وأتبانٍ كانت على نهر بني جشم بن سعد فقال حرب بن قطن الهلالي للمسور: وجّه إلى بني حنيفة من يحرقهم . فقال : فيهم قوم براء لا نؤاخذهم بفعلة فاسق سفيه .

---

١ ـ ليس في ديوان رؤبة المطبوع .

ثم مضى حرب مخالفاً له فحرّق على بني حنيفة ليلته حتى أصبح ، قالوا : فبينا هم على أمرهم هذا إذ أقبل مروان يريد العراق ، والضحاك الشاري قد حصر عبدالله بن عمر في مدينة واسط ، ومعه منصور بن جمهور فجنح منصور إلى الضحاك وهذا الثبت ، وكلب تقول : لم يجنح إليه ، وبايعه ابن عمر وسلم الأمر إليه على شريطة اشترطها .

قال أبو عبيدة : ولحق النضر بن عمرو بمروان ، ووجه الضحاك إلى البصرة عماراً الحروري في أربعين رجلاً فنزلوا ببلاباذ[1] ونادى مناديهم : أيما رجل علق على بابه صوفة حمراء فقد جنح للسلم ، وبايعته الأزد ، وربيعة ، وكانوا شيعة ابن سهيل ، وثبتت مضر في مواضعها ، فلما رأى ابن سهيل ان ابن عمر قد غلب ، وأن مروان قد أقبل هرب ليلاً فأصبحت دار الإمارة وليس فيها أحد ، وهرب عمار لهرب ابن سهيل ، وإنما كان مجيئه للعقد بين ابن عمر والضحاك .

وغدا المسور ، وكان قد اختضب ، فسرَّح الحنّاء ولم يغسله ، وكان شعره كأنه اللّيف طويلاً سبْطاً وهو على بغلة ، فمنعه بنو سعد أن يدخل دار الإمارة حسداً له ، فلما رأى ذلك عَدَل إلى بيضاء ابن زياد فنزلها .

وجاءت بنو سعد بعباد بن منصور الناجي فأنزلوه دار الإمارة ، فكان يصلي بالناس ، واصطلحوا عليه ، ثم إن بني قيس بن ثعلبة أحدثوا أحداثاً ، فسار إليهم المسور فقاتلهم ، ثم حرق دورهم وسوقهم التي بالمربد ، ولم يزل المسور على هذه الحال حتى قدم سَلْم بن قتيبة عاملاً

١ ـ قرية في شرقي الموصل من أعمال نينوى ، بينها وبين الموصل رحلة خفيفة . معجم البلدان .

ليزيد بن هبيرة على البصرة ، ومات المسور بعد ذلك بقليل ، وكان المسور قد خرَّب دور آل المهلب لما بلغه قدوم سَلْم ، فلما قدم سلم حال بينه وبين ما بقي من دورهم . وكان عمرو بن سهيل حياً حتى قتله عبدالله بن علي فيمن قتل من بني أمية بالشام .

حدثني الحرمازي عن أبي عبيدة قال : قال عمر لابنه عبدالله : ما على خاتمك ؟ قال : لكل عمل ثواب . قال عمر : فاسْتَثِبْ ربّ الأرباب .

قالوا : وكان عبدالله بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابن سهيل يأمره أن يوفد إليه وفداً فأرسل إليه جماعة يأمرهم بذلك ، وأرسل إلى عمرو بن عبيد فامتنع عليه ، فأعاد إليه شبيب بن شيبة فقال عمرو لشبيب : قل له أن أول ما يسألني عنه عن سيرتك فما تراني قائلاً فيك ؟ فكفّ عن عمرو ، فخرج في الوفد : شبيب بن شيبة ، واسماعيل المكي ، وواصل بن عطاء .

قال خالد بن صفوان : فدخلوا على عبدالله بن عمر وأنا عنده فتكلموا رجلاً رجلاً فما بقي فن من فنون الكلام إلا تكلموا فيه ، وبقي واصل آخرهم وقد سبق إلى أبواب الفنون ، فتكلم رجل ضئيل الصوت ، خفي المنطق فلم يزل يعلو صوته ويرتفع ، وكأنما جُمعت له محاسن الأقوال فهو يتخيرها على بصيرة ، فأمر لهم بألفين ألفين فقبلوا إلاّ واصلاً ، فقال لهم واصل : والله لئن كنتم شخصتم لله فَما فيما أُعطيتم عوض مما شخصتم له ، ولئن كنتم شخصتم للدنيا فما أُعطيتم ما تستحقون .

وجعل يعطي واصلاً ويزيده حتى بلغ مائة ألف درهم ، فقال واصل : إني لم آبَ ما أمرتَ به ، ولا استقلالاً له ، ولا استزادة لـك ، ولو

كنتُ إنما أتيتُ لذلك لقد بذلتَ ما مثله كَفَىٰ وأَقْنَعَ ، ولكني شخصتُ لغير ما أعطيتَ .

وقال الأصمعي : قدم ابن هبيرة فأقرّ المسور على الأحداث ، وعبّاد بن منصور على القضاء والصلاة ، قال غَيْلان بن حُرَيْث الرَّبْعي :

أما وَرَبِ الكعبةِ المُفَضَّله عَلىٰ البيوتِ كُلِّها المُؤَثَّله
إنّ بني الاعز أعني حنظله وآل عمروٍ أُحموا في المنزله
بمأزقٍ يُخافُ فيهِ المَقْتَلَه ضَنْكٍ ترىٰ أبطالَه مُجَدَّلَه
تميمونَ[1] حَوْلَ الترجمان قنبله حولَ أغرٍّ لم يكن يُزَمِّلهِ
مِن آلِ سفيان كريمِ المَعْدَلَه مُرْتَفِعِ الطَّرْفِ طويل المَحْمَلَه
يَضْرِبُ في الغَمَّا لُيُوثَ الغَيْطَلَه

في أبيات . وقال أيضاً :

يا مسور بنَ عُمَربنَ عَبَّاد يا سيِّدَ المِصْرَيْن وابنَ الأَسياد
وخيرَ مَن غَابَ وخير الشُّهَاد كم فيكمُ أبيضَ وَارِي الأزنَاد
مقابل العمّ كريم الأجداد إنكَ يومِ السبتِ غَيْرَ حَيَّاد
بالسيفِ ضرابٍ رؤوسَ الصُّدَاد

وقال رؤبة بن العجاج :

إنّ تميماً تبتلىٰ بأقوام ليسوا بأخوالٍ ولا بأعمام
لا يَتَّقُونَ[2] لحدودِ الإسلام من رِقَّةِ الدينِ وبُعْدِ الأرحام

---

١ ـ بهامش الأصل : يمشون .

٢ ـ بهامش الأصل : موقون .

منهم لَكِيْزٌ وهي شر الأَصرام والأزدُ والأزدُ صُغَار الأحلام
وقد رأوا في مستهلٍ زمزام في لجب بَحْرٍ كَأَرْكَانِ الرَّام
كتيبـة للترجمـانِ المقـدام والمسور السامي بغير إحجام
منـازل تمـلأ عـين المغتـام إذا الكُماة استمسكوا بالاعصام(١)

في أبيات .

وقال أبو عبيدة : لما قام مروان ، وقدم يزيد بن عمر العراق شذَّب قتادة الخوارج ومن لحق بهم من شيعة يزيد بن الوليد ، وطار آل المهلب تحت كل كوكب ، وولى يزيد : سلماً البصرة .

ومن ولد عبد العزيز بن مروان : أبو زَبَّان ، واسمه الأَصْبَغ بن عبد العزيز ، وكان عالماً ينظر في النجوم والطب ، وكان ذا قدر في بني أمية ، وهلك بمصر قبل أبيه بخمس عشرة ليلة(٢) .

---

١ ـ ديوان رؤبة ص ١٣٦ ـ ١٣٩ .
٢ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

أمر يزيد بن عبد الملك بن مروان[1]

يكنى يزيد أبا خالد ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وإليها ينسب ، بويع له بالخلافة سنة إحدى ومائة ، وكان سليمان بن عبد الملك ولى عمر بن عبد العزيز العهد في مرضه ويزيد بعده .

وقال سليمان : لولا أني أخاف اختلاف بني مروان بعدي ووقوع الفتنة ما وليت يزيد ولاقتصرت على عمر بن عبد العزيز .

وقال عمر بن عبد العزيز حين احتضر : لو اخترت للإمامة غير يزيد كان أولىٰ ، ولكني أخاف إن أخرجتها من بني عبد الملك أن تقع في ذلك فتنة وفرقة ، وأنا أُوَلِّي سليمان ما تولّىٰ ، والمسلمون أولىٰ بالنظر في أمرهم ، فكانت ولاية يزيد بن عبد الملك أربع سنين وشهراً ، ودفن بالجولان من سواد الأردن وذلك سنة خمس ومائة ، ويقال في أول سنة ست ومائة ، وله سبع وثلاثون سنة وأشهر ، ويقال ابن اثنتين وأربعين سنة ، ويقال مات بالبلقاء من عمل دمشق .

١ ـ بهامش الأصل : خلافة يزيد بن عبد الملك في سنة ١٠١ .

قالوا : وكان يزيد جميلاً ، حسن الشعر أهدل[١] ، وكان صاحب لهو وطرب وهزل ، وهو أول من غالىٰ بالقيان .

حدثني عبدالله بن صالح العجلي عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش الهمداني قال : كان يزيد صاحب طرب وفتوة ، وهو أول من اشترى حلة بخمسة آلاف دينار .

قالوا : وكان نديمه الأحوص بن عبدالله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، واسمه قيس بن عصمة بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وكان يرمىٰ بالأُبْنَةِ ، وكان منفياً ، نفاه الوليد بن عبد الملك بشهادة عَرَاك الغفاري إلى دَهْلَك ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك أقدمه ، ونفىٰ عراكاً فقال الأحوص :

الآن استقرَّ الملك في مُسْتَقَرِّهِ وعاد لِعُرْفٍ أَمْرُهُ المتنكِّرُ
طريدٌ تلافاهُ يزيدُ برحمةٍ فَلَمْ يُمْسِ مِنْ نَعْمَائِهِ يَتعَذَّرُ[٢]

حدثني أبو حسن المدائني عن أبي جَزي قال : عمد يزيد بن عبد الملك إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافقه فَرَدَّه ، ولم يرهب فيه شنعة عاجلة ، ولا إثماً آجلاً .

المدائني قال : وظف محمد بن يوسف أخو الحجاج على أهل اليمن وظيفة جعلها عليهم خراجاً ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العشر، وقال: لأن لا يأتيني من اليمن حفنة كَتَمَ أَحَبّ إلي من أن تُقَرّ هذه الوظيفة .

---

١ ـ أي مسترخي الشفة . القاموس .
٢ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ٤٥ .

فلما ولي يزيد بن عبد الملك بعد عمر أمر بردّها ، وكتب إلى عروة بن محمد عامله إنّ ابن عبد العزيز كان مغروراً منك ومن أشباهك ، فأَعِدْ على أهل اليمن الضريبة التي كان عمر أسقطها ولو صاروا حرضاً[1] .

حدثني أبو مسعود عن عَوَانة قال : أَقَرَّ يزيد عدي بن أرطاة الفزاري عامل عمر بن عبد العزيز على البصرة ، وولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري المدينة ، فشكته فاطمة بنت الحسين بن علي ، وهي أم عبدالله بن حسن بن حسن بن علي وإخوته وكتبت إليه كتاباً وأرسلت رسولاً وقالت إنه يدعوني إلى تزوجه وأنا أمرأة لا حاجة لي في التزوج لأني مُشْبِلَة على ولدي ولا آمن من أن يتكذب على ولدي حتى يوقعهم فيما أكره ليغيظني بذلك ، وأمير المؤمنين أحقّ من نظر فيَّ ودافع عني ، فإني ابنة عمه وإحدى نسائه . فكان ذلك سبب غضبه عليه وعزله ومطالبته بمال أخرج عليه ، فلما أراد الخروج من المدينة بكى ثم قال : والله ما أبكي جزعاً من العزل ولا أسفاً على الولاية ، ولكني أربأ بهذه الوجوه أن يهينها من لا يعرف لها مثل الذي أعرف ، ولا يوجب من حقها ما أوجب . ثم أنشد :

فما السجنُ أَضناني ولا القَيْدُ شَفَّنِي ... ولكنني مِن خِشْيَةِ النار أَجْزَعُ
علـى أنّ أقواماً أخاف عليهم ... إذا غِبْتُ أن يُعْطوا الذي كنتُ أَمْنَعُ

المدائني عن محمد بن خالد قال : كان لسعيد بن خالد بن أسيد قصر بحيال قصر يزيد بن عبد الملك ، فكان يزيد إذا ركب إلى الجمعة توافيا في

---

١ ـ أي حتى لو أشرفوا على الهلاك . القاموس .

موضع واحد ، فقال له يزيد في بعض الجمع : أما تُخِلّ بجمعة واحدة ؟ فقال سعيد : إن قصري بحيال قصرك فإذا ركبت ركبتُ فالتقينا في هذا الموضع ، فقال يزيد : فإن لي إليك حاجة . قال : إذاً لا تُرَدَّ عنها يا أمير المؤمنين . قال : قصرك . قال : هو لك . قال : فلك به خمس حوائج فاذكرها . قال : أولاهن أن ترد القصر علي . قال : قد فعلت فاذكر الأربع فذكرها فقضاها له .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : قال يزيد : لذة الدنيا في أربع : الغناء ، والطّلاء ، ومجالسة من تحب ، وإعطاء السائل .

حدثني محمد بن سعد كاتب الواقدي عن الواقدي عن يزيد بن عياض قال : لما ولىٰ يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة خطب فاطمة بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فأبت وقالت : ما النكاح من حاجتي أنا مشبلة مقيمة على ولدي ، فألح عليها الخطبة فقال : والله لئن لم تفعلي لأخذنّ أكبر ولدك ، يعني عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب في شراب ، ثم لأضربنه على رؤوس الناس ، ولأفعلنّ بعد هذا ، ولأفعلن حتى أفضحك ، فبعثت إلى يزيد بن عبد الملك رسولاً ، وكتبت معه كتاباً ، فذكرت قرابتها ورحمها ، وشكت عبد الرحمن وذكرت ما أرادها عليه ، وبعثت به إليه وسألته أن يجيرها منه ، وقالت : إنما أنا حرمتك واحدى نسائك ، والله لو كان التزويج من شأني ما كان لي بكفء ، وإن عمر بن الخطاب كان يقول على منبر رسول الله ﷺ : لأمنعنَّ ذوات الأحساب إلا من الأكفاء .

قال وكان ابن هرمز على الديوان بالمدينة ، وأراد الخروج ، فأرسلت إليه وأخبرته بما تَلْقَى من ابن الضحاك ، وسألته أن ينمي ذلك إلى يزيد ، فلما دخل على يزيد سأله عن المدينة وأهلها فبينا هو يخبره ، إذ أتى حاجب يزيد فأخبره بمكان رسول فاطمة ، فذكر ابن هرمز ما حملته وأعلمه أنها أرسلت إليه ، فألقت إليه أمرها وأمر ابن الضحاك ، فدعا يزيد برسولها وقرأ كتابها فغضب غضباً شديداً ، ونزل عن سريره إلى الأرض ، وضرب بقضيب كان معه الأرض حتى أثار الغبار ، وقال : ابن الضحاك يتزوج امرأة من بني عبد مناف ؟ ثم قال : من يسمعني صوت ابن الضحاك بعذابه إيّاه وأنا على فراشي ؟ قال ابن هرمز : أنا أدلك عليه . عبد الواحد بن عبدالله النصري ، وهو بالطائف ، فكتب إليه يزيد كتاباً يأمره فيه بالمسير إلى المدينة وولايتها ، وأن يغرم عبد الرحمن بن الضحاك أربعين ألف دينار ، ويقفه للناس ، وأمر لرسول فاطمة بجائزة وصرفه .

فمر الرسول الموجه إلى الطائف بابن الضحاك فوقع في نفسه خوف العزل ، فأعطاه ألف دينار فأخبره الخبر وأحلفه أن لا يبرح المدينة . وجلس ابن الضحاك على رواحله حتى لحق بمسلمة بن عبد الملك فقال له : يا أبا سعيد كن لي جاراً من أمير المؤمنين فإن لي رحماً وقرابة ، وان خليتني من يديك افتضحت .

فلقي مسلمة يزيد في غبش الليل فكلمه فيه فقال يزيد : لا أَرَيَنَّ وجهه ولا يخرج إلى عسكري حتى يرجع من حيث جاء فينفذ فيه أمري . فرجع من دمشق حتى وافى المدينة فوجد النصري بها فأغرمه أربعين ألف

دينار ، فلم يصل إليها حتى سأل الناس فيها ، وكان أخذ هذه الأربعين الألف الدينار من بيت المال ففرقها على نفر من قريش وغيرهم .

قال الواقدي:وحدثني عقبة بن سنان قال : لما رجع ابن الضحاك إلى المدينة اتبع الناس فأخذ ذلك المال منهم ، فمنهم من وجد عنده ما أعطاه ، ومنهم من لم يوجد عنده لأنه فرقه في غرمائه ، فكان يطاف به في جبة صوف يسأل فيها .

وقال الواقدي : حدثني زفر بن محمد الفهري عن أشياخه قال : لما أَحَسَّ عبد الرحمن بالعزل فَرَّقَ هذا المال في قومه فكتب يزيد أن يحتسب ذلك ويغرمه .

قالوا : فتنازع محمد بن علي بن الحسين ، وعبدالله بن حسن بن حسن ، وزيد بن علي فقال عبدالله بن حسن بن حسن لزيد : يا بن السندية الساحرة ، فيقال إنه قال له : يا بن الهندكانية ، فانصرف زيد إلى عمته فاطمة بنت علي بن الحسين ، وهي أم عبدالله بن حسن فقالت : إنْ سَبَّ أمك فَسُبَّني فعاد للخصومة فشتمه فقال له زيد : أتذكر ابن الضحاك حين كانت تبعث إليه أمك معك بالعلك الأخضر والأحمر والأصفر فتقول له : فمك فمك فتطرح ذلك في فمه . فأتاها بنوها فأخبروها فغضبت وقالت : كنتم فتياناً فكنت أداريه فيكم وإِمنّيه أن أتزوجه حتى كتبتُ فيه إلى يزيد فعزله .

حدثني محمد بن سعد ، والوليد بن صالح قالا : ثنا الواقدي قال : وفد خالد بن المطرّف ، والمطرف بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان على يزيد بن عبد الملك ، فخطب إليه اخته فقال له : إن عبدالله بن عمرو بن

عثمان أبي قد سنّ لنسائه عشرين ألف دينار فان أعطيتنيها وإلا لم أزوّجك . فقال له يزيد : أو ما ترانا أكفاء إلّا بالمال ؟ قال : بلى والله إنكم لبنو عمنا وأشراف قومنا ، فقال يزيد : إني لأظنك لو خطب إليك رجل من قريش لزوجته بأقل مما ذكرت من المال ؟ قال : أي لعمري لأنها تكون عنده مالكة مملّكة ، وهي عندك مملوكة مقهورة . وأبى أن يزوجه ، فأمر أن يحمل على بعير صعب وينخس به إلى المدينة ، وكتب إلى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري وهو عامله على المدينة أن وَكِّلْ بخالد بن عبدالله المطرف من يأخذه بيده كل يوم وينطلق به إلى شيبة بن نصاح المقرىء : ليقرأ عليه القرآن فإنه من الجاهلين .

فلما قرأ على شيبة قال حين قرأ : ما رأيت أحداً أقرأ للقرآن منه ، وإن الذي جَهَّلَهُ لأَجْهَلَ منه . ثم كتب يزيد إلى عامله : بلغني أن خالداً يذهب ويجيء في سكك المدينة ، فمر بعض من معك أن يبطش به ، فضربوه حتى مرض ومات وله عقب بالمدينة .

وحدثني أبو مسعود عن عوانة قال : قال يزيد بن عبد الملك ، وهو ابن عاتكة بنت يزيد بن معاوية : كان عمر بن عبد العزيز خيراً لنفسه ، وأنا خير للناس .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر الزهري عن عبد الواحد بن أبي عون قال : لما ولي الوليد بن عبد الملك ، استعمل عمر بن عبد العزيز على المدينة ، ثم عزله وولي عثمان بن حيان المري على المدينة ، فاستقضى أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكانت ولاة البلدان تستقضي القضاة من أهل الفضل والمروءة والهيئة والعلم ، وكان القاضي

لا يركب مركباً ولا يذهب لحاجة إلا استأذن أمير البلد لأن يطيب له الرزق ، فقال أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم لابن حيان بعد العصر مساء عشرين يوماً من رمضان ، وعند عثمان أيوب بن سلمة المخزومي ، فقال أبو بكر : إن رأى الأمير أن يأذن لي غداً فأنام بعد الصبح ولا أجلس للناس لأن أقوى على قيام ليلة احدى وعشرين ، فإنه يذكر أنها ليلة القدر . فقال له ابن حيان : نعم . فلما ولى قال أيوب : ألا ترى إلى هذا الذي استأذنك فيما استأذنك فيه ؟ فقال ابن حيان : والله ما هو إلاّ رياء ، ولست لحيان إن لم أسأل عنه غدوة فإن وجدته نائماً ضربته مائة ، وحلقت رأسه ولحيته .

قال أيوب : فقال أمراً سرني ، فلما انصرفنا رجعت إلى منزلي مسروراً ، فلما كان في السحر خرجت فإذا سراج في دار مروان فقلت : عجل والله المري فأدخل الدار فإذا أنا بأبي بكر بن حزم وقد جاءته ولايته من قبل سليمان بن عبد الملك وهو جالس على المنبر والشمع بين يديه ، وابن حيان جالس بين يديه وابن حزم يقول : صيروا هذه الكبول في رجل ابن حيان ، قال أيوب : فنظرت إلى ابن حيان ونظر إلي فقال :

جاؤوا على أدبارهم كُشُفَاً والأمر يَحْدُثُ بعده الأمر

فلما صلى وحضر الناس دعا بقوارير كانت في منزل ابن حيان ، فقال : ما هذا الشراب ؟ قال ؛ شراب أشربه من الطلا . فقال أبو بكر لمن حضره : أنشدكم الله ما تقولون في هذا الشراب ؟ قالوا : هو الخمر . قال : أكنت تشرب من هذا الشراب ؟ قال : نعم فأمر بتلك القوارير فكُسِرت وضربه الحد ، وجاء عبدالله بن عمرو بن عثمان بالبينة أنه قال له : يا مخنث أو يا منكوح فضربه له حداً آخر . فلما ولي يزيد بن عبد الملك ولى على

المدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، وخرج عثمان بن حيان مع مسلمة بن عبد الملك حين خرج يريد يزيد بن المهلب فحمل رأسه حين قتل يزيد[1] إلى يزيد بن عاتكة[2] فقال له يزيد : ما تحب أن أصنع بك يا بن حيان ؟ قال : تُقيْدُني من ابن حزم ، قال : كيف أقيدك من رجل اصطنعه أهل بيتي وله فضل ، ولكني أولِّيك المدينة تفعل ما رأيت . قال : إنْ ضربتَهُ في سلطاني قال الناس إنما ضربه في سلطانه. قال: فاكتب إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً ننتفع به ، فكتب إليه يزيد : «أما بعد فإذا جاءك كتابي فانظر فيما ضَرب ابن حزم ابن حيان فيه ، فان كان ضربه في أمر بَيِّنٍ فلا تلتفت إليه ، وأَمْضِ الحدّ ـ يعني على ابن حيان ـ وإن كان في أمر منكر مشكل يُختلف فيه فأمضِ الحدّ أيضاً ، وإن كان في أمر لا يُختلف فيه فَأَقِدْه منه» .

فلما قرأ ابن الضحاك الكتاب رمى به من يده وقال : ما ضَرَبَكَ إلاّ في أمر بَيِّنٍ وما لك في هذا الكتاب منفعة . فقال له عثمان : إنك إن أردتَ أن تُحسنَ أحسنتَ . قال : الآن أصبتَ المطلب . قالوا : فأرسل إلى أبي بكر فلم يسأله عن حرف حتى ضربه حدين في مقام واحد ، وانصرف أبو المغرى عثمان بن حيان وهو يقول : والله ما قربت النساء منذ ضربني ابن حزم فاليوم أقربهن .

وكان ابن حزم قال :

نَحنُ ضَرَبْناً الفَاسِقَ ابن حَيَّان ... حَـدَّيْن لَمَّا يُخْلَطَا بِبُهْتَـان

---

١ ـ المقتول المحمول رأسه : يزيد بن المهلب .

٢ ـ بالأصل : يزيد بن أبي عاتكة ، وأبي زائدة حذفتها .

فقال ابن حيان :

نحن ضربنا الفاسقَ ابنَ حَزْمِ حــدَّيْن لمــا يُخْلَطَا بِــإثْـم

قال الواقدي : ولما أُغرم عبد الرحمن بن الضحاك أربعين ألف دينار نهى ابن حزم حاشيته ومن معه أن يعرضوا له بشيء يكرهه ، وأمر له بجميع ما احتاج إليه ، فكان ابن الضحاك يذكر ما صنع به ، وما صنع ابن حزم فيعجب ويقول : كان والله خيراً مني .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن رجل من آل الأَهْتَم قال : كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمر بن هبيرة ، وهو عامله على العراق : «إنه ليست لأمير المؤمنين بأرض العرب خوصة تمر على القطائع ، فَحُزْ فضولها لأمير المؤمنين ، فجعل عمر يأتي القطيعة فيسأل عنها ثم يمسحها حتى وقف على أرض فقال : لمن هذه ؟ قال صاحبها : لي . قال : ومن أين صارت لك ؟ فقال :

وَرِثْنَـاهُنَّ عن آبـاء صِـدْقٍ ونُــورِثُهـا إذا متنــا بَنِيْنَــا

ثم إن الناس ضجوا من ذلك فأمسك عمر بن هبيرة .

قالوا : وبعث يزيد بن عبد الملك رسولاً في حمل ابن سريج [1] فلما انتهى إلى أداني مكة سمع رجلاً يغني :

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليالي الحج أَفْتَنَّ ذا هوى

---

١ ـ هو عبدالله بن سريج ، وكنيته أبو يحيى ، كان أحسن الناس صوتاً وغناءً ، وكان يغني مرتجلاً ، ويوقع بقضيب ، وهو أول من ضرب بالعود بمكة . مات في خلافة هشام بن عبد الملك وقد بلغ خمساً وثمانين سنة . جمهرة المغنين لخليل مردم بك . ط . دمشق ١٩٦٤ ص ٧١ ـ ٧٢ .

وإذا الرجل ابن سريج ، فقال الرسول : ما أجهل هؤلاء ، بعثوا إلى غير هذا وتركوه ، فأتى الوالي فبعث ابن سريج فإذا هو الذي رآه الرسول ، فقال : لقد أنكرت أن يكون ابن سريج غيرك .

وقال الهيثم بن عدي وغيره : كان المغنون يأتون يزيد فيصلهم ، وكان معبد[1] وابن سريج يزورانه فيقيمان عنده زماناً فيجيزهما ، وكان الأحوص يزوره من المدينة فيجزل عطيته ويحسن جائزته ، وكان ممن يتغنى بين يدي يزيد الغُزيّل الشامي ، وقد غنى يزيد لنفسه ومن غنائه :

أضْحى لسَلاَّمَةَ الزرقاء في كَبِدِي ... صَدْعٌ مقيمٌ طَوالَ الدَّهْرِ والأَبَدِ

وقال ابن الكلبي : هذا الغناء ليزيد والناس ينحلونه معبد والغزيل الشامي .

وحدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال : قدم عمر بن هبيرة على يزيد وهو عامله على العراق ، وأهدى له هدايا كثيرة ، وأتاه بغنائم وفيها مسك فأخذ ابن له من ذلك المسك وولى ، فقال يزيد : أي بني إنّ هذا غلول ، فقال ابن هبيرة : ان رجلاً من قراء أهل العراق كان بخراسان كان ينهى عن الغلول ، ويَغل المسك ، فقيل له في ذلك فقال : إن الله يقول : ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾[2] أما والله

---

١ ـ هو أبو عباد معبد بن وهب ، مولى ابن قطر ، وكان أبوه أسود ، وكان هو خلاسيا ، وكان مديد القامة أحول ، غنى في أول دولة بني أمية ومات أيام الوليد بن يزيد . جمهرة المغنين ص ٨٥ ـ ٨٦ .

٢ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٦١ .

لآتينّ طيب الريح خفيف المحمل . قال يزيد : يا بني أما إذ رَخَصَ القُرَّاءُ فيه فَخُذْهُ .

وكان يزيد صاحب سَلاّمَةَ وحَبَّابَةَ اللتين ذكرهما أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي الخارجي فقال ، وذكره : أقعد سلامة عن يمينه ، وحبابة عن يساره ، ثم قال : أطير ، ألا فَطِرْ إلى لعنة الله وحرقه .

ـ وكان من قصة سلامة أنها كانت لرجل من أهل مكة فاشتراها منه سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، ويقال إن سهيلاً هو رباها وعلمها ، ولم يشترها مغنية . والأول أثبت .

وكان عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي عمار ـ أحد بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وقد أصابته منّة من صفوان بن أمية الجمحي ـ ينزل مكة ، وكان فقيهاً عابداً يسمى القَسّ لعبادته واجتهاده ، فمر يوماً بمنزل مولى سلامة فسمع غناءها فتوقف يسمعه فرآه مولاها فقال له : هل لك أن تدخل فتسمع فأبى ذلك فقال له : هل لك في أن أخرجها إليك ؟ فأبى ذلك ، فلم يزل حتى أخرجها ، فلما رآها وسمع غناءها ظاهره شغف بها ، وهَوِيَتْهُ أيضاً ، وكان جميلاً فكان يأتي مولاها ويغشاه ليسمع غناءها ويراها ، فزعموا أنها قالت له يوماً على خلوة : أنا والله أحبك . قال : وأنا والله . قالت : وأحب أن أضع بطني على بطنك . قال : وأنا والله أحب ذلك. قالت: فما يمنعك ؟ ان موضعنا خالٍ . قال: اني سمعت الله يقول : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين﴾[1] . وأنا أكره أن تؤول

---

١ ـ سورة الزخرف ـ الآية : ٦٧ .

خلتنا إلى عداوة . ثم قام فانصرف وعاد إلى عبادته ، وقد كان قال فيها شعراً منه :

ألم تَرَهَا لا يُبْعِدُ الله دَارَهَا ... اذا طَرِبَتْ في صوتها كيف تَصْنَعُ
تَمُدُّ نظام القولِ ثم تَرُدُّهُ ... إلى صَلْصَلٍ مِن صَوْتِها يَتَرَجَّعُ

ومنه أيضاً

ما بالُ قلبكَ لايَزَال يُهيْجُهُ ... ذِكرٌ عَوَاقِبُ غَيُّهُنَّ سِقَامُ
باتَتْ تُعللنا وَتَحْسَبُ أننا ... في ذاك أيقاظٌ ونحن نيامُ
حتى اذا سطع الصباح لناظرٍ ... فاذا وذلك بيننا أحلامُ
قد كنت أعذل في السفاهة أهلها ... فاعجبْ لما تأتي به الأيامُ
فاليوم اعذرهم وأعلم انما ... سبل الضّلالةِ والهُدىٰ أقسام

ومنه :

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر ... وهل أنت عن سلامةَ اليومَ مُقْصِرُ
ألا ليتَ أني حيث صارت بها النوىٰ ... جليسٌ لِسَلْمىٰ كلّما عَجَّ مِزْهَرُ
إذا أخذتْ في الصوتِ كاد جليسها ... يطير إليها قلبه حين ينظر
كأنّ حماماً راعبيّاً مُعَلَّماً ... إذا نطقتْ من صدرها يَتَغَشْمَرُ[1]

ومنه :

علىٰ سلَّامةَ القلبِ السلامُ ... تحيةَ مَنْ زِيارتُهُ لِمَام
أحِبُّ لقاءها وأَلُوم نَفْسي ... كَأنَّ لِقَاءَهَا مِنّي حَرَام

---

١ ـ الغشمرة : اتيان الأمر من غير تثبيت ، وركوب الانسان رأسه في الحق والباطل لا يبالي ما صنع . القاموس .

إذا ما عج مِزْهَرَها وعجت أصاخ إلى مقالتها الكرام
وأصغوا نحوها الآذان حتىٰ كأنَّهُمُ ـ وما ناموا ـ نيام

ومنه قوله :

سلام وَيْحَكِ هل تُحْيِينَ مَنْ مَاتَا أَوْ تُرْجِعِينَ علىٰ المحزونِ ما فاتا
ادْعِيْ بِمِزْهَرِكِ المَحْنُوّ فَاحْتَفِلِي ثم امنحي السَّمْعَ مِني مِنْكِ أَصواتاً

ومنه :

سَلَّامُ هَلْ لِيَ منكُمُ ناصِرُ أَمْ هَلْ لقلبي عنكُمُ زاجِرُ
قد سمع الناسُ بِوَجْدِي بكم فَمِنْهُمُ اللَّائِمُ والعاذِرُ

قال فشهر أمر عبد الرحمن القس حتى نسبها الناس إليه فقالوا : سلامة القس ، وفي سلامة يقول عبدالله بن قيس الرُّقَيَّات :

لقد فَتَنَتْ رَيًّا وسلَّامَةَ القَسَّا فلم تَتْرُكَا لِلْقَسِّ عَقْلًا ولا نَفْسَا
فتاتانِ أَمَّا مِنْهُمَا فَشَبِيْهَةٌ هِلالاً وأخرى منهما تُشْبِهُ الشَّمْسَا
يُكِنَّانِ أَبْشَاراً رِقَاقاً وَأَوْجُهاً عِتَاقاً وأَطرافاً مُخَضَّبَةً مُلْسَا[١]

وغنىٰ في الشعر مالك بن أبي السَّمح . وفيها يقول ابن قيس أيضاً :

أُختان إحداهما كالشمس طالعةٌ في يوم دجْنٍ وأخرى تشبه القمرا[٢]

أبو الحسن علي بن محمد المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال : قدم يزيد بن عبد الملك المدينة في خلافة سليمان أخيه ، فتزوج سعدة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان على عشرين ألف دينار ورُبيحة بنت محمد بن

---

١ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ص ٣٣ ـ ٣٥ .
٢ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ص ١٣٨ .

عبدالله بن جعفر على مثل ذلك ، فلما ولي الخلافة اشترى سلامة القس من سهيل بن عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف دينار ، ويقال ان التي تزوج : رقية بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وتزوجه سعدة أثبت .

وقال المدائني : كانت حَبَّابَة تسمىٰ الغالية ، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة ، فلما قدم يزيد وتزوج ابنة عبدالله بن عمرو وربيحة بنت محمد ، اشترى الغالية من مولاها بأربعة آلاف دينار . وبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجزنّ على هذا المائق السفيه ، فلما بلغه قول سليمان استقال مولىٰ الغالية فأقاله وشخص بها مولاها إلى إفريقية فباع الغالية هناك .

فلما استخلف يزيد واشترى سلامة من مولاها ، قالت له ابنة عبدالله بن عمرو بن عثمان امرأته : هل بقي لك من الدنيا شيء مما تحبه لم تنله ؟ قال : نعم الغالية ، وقد بلغني أنها بيعت بإفريقية .

فبعثت بعض مواليها إلى إفريقية فاشتراها بأربعة آلاف دينار ، وقدم بها فهيأتها ابنة عبدالله بن عمرو وأجلستها في البيت ، وقالت ليزيد : إن رأيت الغالية تعرفها ؟ قال : نعم لقد رأيتها فما أنساها ، فرفعت الستر فرآها فقال : هي هذه . قالت : فهي لك ، وأخلَتْها فسماها حَبَّابَة ، وحظيت ابنة عبدالله بن عمرو عنده .

وخطب يزيد إلى خالد بن عبدالله بن عمرو أخي مسعدة ، ابنة أخ له فقال : أما يكفيه أن أختي عنده حتى يخطب إليّ بنات أخي ؟ فغضب يزيد من ذلك ، فقدم خالد يسترضيه فبينا هو في فسطاطه أتته جارية لحبابة في خدمها فقالت : مولاتي تقرأ عليك السلام وتقول : قد كلمت أمير المؤمنين فيك فرضي عنك فارفع إليّ حوائجك ، فرفع رأسه إلى من حضر فقال :

ومَن مولاتها ؟ فقالوا : حبَّابة وحدثوه حديثها فقال للجارية : ارجعي إلى مولاتك فقولي لها إن للرضىٰ عني سبباً لست به .

فشكت حبابه ذلك إلى يزيد فغضب ، وأرسل إلى خالد، أعواناً ، ومعهم خدم حبابة فاقتلعوا فسطاطه وقطعوا أطنابه حتى سقط عليه وعلى من معه ، فقال : ويلكم ما هذا ؟ قالوا : رسل حبابة . فقال : ما لها أخزاها الله ؟ ما أشبه رضاها بغضبها .

وذكروا أن يزيداً أقبل يوماً يريد البيت الذي فيه حبابة ، فقام من وراء الستر فسمعها ترنم وتقول :

كان لي يا يزيدُ حُبُّكَ حِيْناً كـادَ يَقضي عليّ يـوم التقينـا

فرفع الستر فوجدها مضطجعة محولة وجهها إلى الحائط ، فعلم أنها لم تعلم به ولم تُرِده بما قالت في ذلك الوقت ليسمعه فألقىٰ نفسه عليها يقبلها وحركت منه .

قالوا : وجلس يزيد يوماً وحبّابة عن يمينه ، وسلاّمة عن يساره ، فغنَّتا فطرب ، ثم قال لحبابة : غنّي صوتاً . فغنت :

وبـين التَّرَاقِي واللَّهـاةِ حَـرارةٌ مَكَانَ الشَّجَا[1] ما تَطْمِئنُّ فَتَبْرُدُ

فقال : أطير . ومدَّ يديه . فقالت : كما أنتَ . إن لنا فيك حاجةَ .

فقال : والله لأطيرنَّ . قالت : فعلىٰ مَنْ تخلف الخلافة والمُلْك ؟ قال : عليكِ والله .

١ ـ بهامش الأصل : الحشا .

المدائني قال : غنت حبابة يوماً ، فطرب يزيد طرباً شديداً ، فقال : يا حبيبتي هل رأيتِ أطربَ مني قطّ ، قالت : نعم معاوية بن عبدالله بن جعفر الطيار ، فكتب إلى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس عامله على المدينة في إشخاصه إليه ، فأشخصه مكرماً ، فلما بلغه ما أراده له قال : سَوْءَةً أعلى كبر السن يستدعى طربي .

فلما قدم على يزيد ، دعا يزيد لنفسه بطنفسة خَزّ ودعا له بمثلها ، وأمر فأُتي بجامين مملوئين مسكاً فوضعت بين يديه واحدة ، وبين يدي معاوية واحدةً ، ثم دعا بحبابة فغنت ، فأخذ معاوية وسادة فوضعها على رأسه وجعل يدور في البيت ويصيح : الدّجْرُ[1] بالنَّوىٰ ، الدجر بالنوى ، فأعجب به يزيد ، فضحك وأمر له بثمانية آلاف دينار .

وحدثني صاحب لي عن الزبير بن بكار الزبيري أن يزيد بن عبد الملك قال لحبّابة وسلاّمة : أيتكما غنتني ما في نفسي فلها حكمها ، فَغَنَّتْهُ سلاّمة ، فلم تُصب إرادته ، ثم غنته حبابة :

خلقٌ من بني كِنَانَةَ حَوْلي بفلسطينَ يُسرعونَ الرّكوبا

فأصابت ما في نفسه ، فقال : احتكمي . قالت : تَهَبُ لي سلاّمة ومالها . قال : اطلبي غيرها ، فأَبَتْ ، فقال : خذيها ومالها ففعلت ، فتداخل سلامة من ذلك أمر جليل ، فقالت له حبابة : لن ترىٰ مني خيراً ، فسألها يزيد أن تبيعها منه بحكمها فقالت : اشهد أنها حرة فاخطبها إليّ حتى أزوجك إياها فأكون قد زوجتك مولاتي ، فضحك .

---

١ ـ الدجر : اللوبياء . والحيرة والهرج والسكر . القاموس .

وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن ابن كناسة أخبره أنّ حبّابة وسلّامة اختلفتا في صوت لمعبد وهو :

أَلَا حَيِّ الدِّيارَ بِسَعْدَ إني أُحِبُّ لِحُبِّ فاطمةَ الدِّيَارا

فبعث يزيد إلي معبد ، فأُتي به فسأله عما بعث له إليه فأُخبر ، فقال : لأَيَّتُهما المنزلة ؟ فقيل : لحبابة . فلما عرضتا الصوت عليه قضىٰ لحبابة فقالت سلامه : والله ما قضى لها إلا لحظوتها ، وإنه ليعلم أني المصيبة ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته فإ ن له حقاً ، فأذِن لها . قال معبد ؛ فكانت أوصل لي من حبابة .

قالوا : ودخلت حبابة ذات يوم على يزيد ، وعلى يدها دف وهي تغني :

ما أَحسنَ الجيدَ من مَليكةٍ واللبّـ ـاتِ إذْ زانها تَـرائـبـهـا

يا ليتَني والإله إذ هجعَ الناسـ ـسُ ونامَ الكلابُ صاحبها

في ليلةٍ لا نـرى بها أحـ ـدٌ يُخْبِرُ عَنا إلا كواكبها

والغناء لابن سريج ، فقام إليها يزيد فقبل يدها ، فخرج بعض خدمه وهو يقول : سخنتْ عينك فما أسخفك .

وقال أبو الحسن المدائني : مرضت حبابة فقعد يزيد عند رأسها ، وقال : كيف أنت بأبي ؟ فلم تجبه ، فبكىٰ . ويقال كان يزيد وحبابة في بستان فضاحكها ومازحها فأخذ حبة من عنب فحذفها بها فدخلت في فمها فأصابها شَرَقٌ ، وكان ذلك سبب مرضها الذي ماتت منه .

وقال هشام ابن الكلبي عن عوانة قال : قال مسلمة بن عبد الملك : خرجتُ مع يزيد في جنازة حبابة فجعلت أعزيه وأسليه وهو ضارب بذقنه

على صدره ما يجيبني بكلمة ، فلما انصرفنا ودنا من باب القصر قال :

فإنْ تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تَدَعُ الصّبا فباليأسِ تَسْلُو عنك لا بالتَّجَلُّدِ[1]

ثم دخل قصره فوالله ما خرج منه إلا ميتاً لحزنه وكمده عليها .

وقال أبو الحسن المدائني : لما دفن يزيد حبابة مرض فمات بعد أربعين ليلة ، ويقال بعد خمس عشرة ليلة .

وقال رجل من أهل الشام : أتى يزيد من ناحية الأردن ، وحبابة معه ، فماتت فمكث ثلاثاً لا يدفنها حتى أنتنت ، وهو يشمها ويقبلها وينظر إليها ويبكي ، فكُلم في أمرها حتى أمر بدفنها ، فحُملتْ في نَطْع وخُرج بها وهو معهم حتى أُجَنَّها ، ثم أنشد قول كثير :

فإن تَسْلُ عنكِ النفس أو تَدَعُ الصِّبا فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

فما مكث إلا أياماً حتى دفن إلى جانبها .

وروى الهيثم بن عدي عن ابن عياش أن يزيد أراد الصلاة على حبابة ، فسأله مسلمة بن عبد الملك ألا يفعل وقال : أنا أكفيك الصلاة عليها ، فتخلف يزيد ، ومضى مسلمة فأمر بعض أصحابه فصلى عليها .

وقال بعضهم : نبئتُ أن يزيد ضعف حين ماتت حبابة ، فلم يستطع الركوب من الجزع ، وعجز عن المشي فأمر مسلمة فصلى عليها ، ثم قال يزيد : إني لم أصلّ عليها فانبشوا عنها وأخرجوها حتى أصلي عليها ، فقال له مسلمة : أنشدك الله أن تفعل فأمسك ، ولم يزل كئيباً ، ولم يأذن للناس عليه إلا مرة واحدة حتى مات ، وصلى عليه مسلمة .

---

١ ـ ديوان كثير ص ٨٨ .

وقال المدائني : جعل يزيد يطوف في داره فيقف علىٰ المواضع التي كانت تقعد فيها ، فبينا هو كذلك إذ سمع وصيفة كانت لها تنشد :

كفىٰ حَزَناً للهائمِ الصَّبِّ أنْ يَرَىٰ منازلَ مَنْ يَهوىٰ مُعَطَّلَةً قَفْرَا

فبكىٰ . وكان يُجلس تلك الوصيفة عنده فيحدثها ويذاكرها أمر حبابة ، ويأنس بها حتى مات .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : أراد يزيد أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز في بعض أيامه ، فبدا لحبابة هجران منه فأرسلتَ إلى الأحوص وكان مقيماً عنده : أنْشِد أمير المؤمنين شيئاً يدعوه إلى ترك ما أخذ فيه فأنشده :

أَلَا لا تَلُمْهُ اليومَ إن يَتَبَلَّدا فقد غُلِبَ المحزونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا
بكيتُ الصِّبا جهدي فمن شاء لامني ومن شاء آسَىَ في البكاء وأَسْعَدَا
إذا كنتَ مِعْزَافاً عن اللهو والهوىٰ فكُنْ حجراً من يابسِ الصخر جَلْمَدَا
هل العيش إلا ما تَلَذُّ وتشتهي وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَآنِ وفَنَّدَا(١)

فقام يزيد وهو يقول : «هل العيش إلا ما تلذ وتشتهي» حتى دخل على حبابة ، وعاد الى أمره الأول ، ثم ماتت فجزع عليها ، وخرج حاملاً جنازتها حتى كلمه مسلمة في ذلك ، فرجع الى قصره ، ومات بعدها بخمسة عشر يوماً .

وقال المدائني : لم يعلم بموت يزيد بن عبدالملك حتى سمعوا صوت سلامة من فوق القصر وهي تقول :

---

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ١١٧ ـ ١٢٢ .

قد لَعَمْرِي بِتُّ لَيْلِي كأخي الداءِ الوَجيعِ
وَيَبِيْتُ الحزنُ مِنّي دُونَ مَنْ لي مِن ضجيعِ
كلما أبصرتُ رَبعاً خالياً فاضتْ دموعي
موحشاً مِن سَيِّدٍ كان لنا غَيْرَ مُضِيْعِ

واأمير المؤمنيناه

قال : والشعر لبعض الأنصار إلا البيت الأخير .

وقال بعض الرواة : اشترى يزيد حبّابة وسلّامة بمائتي ألف دينار ، والأول أثبت .

أمر عمر بن هُبَيْرَة في أيام يزيد بن عبدالملك

حدثني جماعة من أهل العلم سقتُ حديثهم وردَدْتُ من بعضه على بعض قالوا : قدم عمر بن هُبَيْرَة بن مُعْيّة بن[1] سكين بن حُدَيْج بن بَغِيْض بن مَالِك بن سَعْد بن عَدِي بن فَزَارة بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان بن سعد بن قَيْس من البادية فافترض مع مَدَدٍ أُمِدَّ بِهِ بعض ولاة الحرب . وكان يقول : إني لأرجو أن لا تنقضي الأيام حتى ألي العراق .

وكان شخص مع عمرو بن معاوية العُقيلي في غزو الروم فأُتي عمرو بفرس رائع إلا أنه كان إذا دنا منه من خلفه دانٍ رمح ، وإن دنا من بين يديه كَدَمَ ، فكان لا يُستطاع ركوبه ، فقال عمرو بن معاوية : مَنْ ركبه فهو له ، فقام ابن هبيرة فشد عليه ثوبه ثم تنحى عن الفرس وأقبل يحضر حتى اذا كان بحيث تناله رِجْلاً ذلك الفرس إن رَمَحَه وثب فصار في سرجه ، وطعنه في

---

١ ـ بهامش الأصل : معية هو معاوية .

بعض حروبه طاعن فأذراه [١] عن فرسه فسقط إلى الأرض ، ثم إنه وثب فاستوى على ظهر فرسه .

ولما خلع مُطرِّف بن المُغِيْرَةُ بن شُعبةَ الحجاج ، وأَمَرَ الحجاج عَدي بن وتاد الإيَادي بالمصير إليه من الريّ لمحاربته ، كان عمر بن هُبيرة بالريّ معه وهو مغمور يومئذ ، فسار في جنده ، فلما التقى عَدي ومُطرف ، جنح ابن هبيرة إلى صف مطرف فَحَكَّمَ وتشبَّه بمن معه فآمنه مطرف وأَمِنَه ، فلما جال الناس ودخل بعضهم في بعض وثب ابن هبيرة على مطرف فضربه فقتله واحتزّ رأسه ، ويقال بل قتله غيره واحتز رأسه ودفنه في خيمته ، فلما أَجْلَتِ الحرب وانهزم من بقي من أصحاب مطرف أتى عدياً بالرأس فأعطاه مالاً وأوفده بالرأس إلى الحجاج ، فأوفده الحجاج إلى عبدالملك ، فأجاز عبدالملك ابن هبيرة وأقطعه قطيعة ببرزة [٢] .

ورجع الى الحجاج فحركه في أمور : وجهه إلى كَرْدم بن مَرْثَد الفزاري وهو على جازر [٣] والمدائن في حمل مال فحمله وكان مبلغه ثمانين ألف درهم ، ثم هرب فلحق بعبدالملك فقال : أنا عائذ بالله يا أمير المؤمنين من رجل يطلبني بِتِرَةً وإِحْنَةٍ ، قتلت ابن عمه مطرفاً وأتيت أمير المؤمنين برأسه ثم رجعت فأراد قتلي ، ولست آمنُ أنْ ينسبني إلى أمر يكون فيه هلاكي . فقال : أنت في جواري فأقام .

١ ـ ذرت الريح الشيء ذروا وأذرته ، وذرته : أطارته وأذهبته . القاموس .
٢ ـ بأحواز مدينة دمشق ، ما تزال تحمل الاسم نفسه .
٣ ـ جازر : قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد ، قرب المدائن ، وهي قصبة طسوج الجازر . معجم البلدان .

وكتب فيه الحجاج يحكي أمره وهربه بالمال ويسأل رده إليه ، فكتب عبدالملك : أَمْسِكْ عن ذِكره وَالْهُ عنه .

وزوّج عبدالملك ابناً له ابنة للحجاج ، فكان عمر بن هبيرة يلطفها بما يلطف به مثلها ، ويشير عليها بالرأي ، فكتبت إلى أبيها تثني عليه ، فكتب إليه الحجاج كتاباً لطيفاً وأمره أن ينْزِل به حاجاته .

وروي أيضاً ان ابن هبيرة قدم الشام في أيام ابن الأشعث يطلب الفريضة ، وهو أعرابي ، ففرض له مع خُرَيم بن عمرو المُرّي في ثلاثين درهماً ، ثم زيد عشرة مع من شهد الجماجم فكان في أربعين .

وكان يأتي كَردماً ، وصار إليه بفارس ، فلم يلق منه خيراً ، فمر بالمهلّب بن أبي صُفْرَة فلما سلم عليه وكلمه قال : أرآك الحجاج ؟ قال : لا . قال : أَمَا لو رآك لا ستغنيتَ عن كردم وأشباهه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . فكان يشكر المهلب على ذلك .

وقدم بأسراء آل المهلب على يزيد بن عبد الملك حين قدم بهم ، فشفع فيهم ، وقيل إن الحجاج وجّه إلى مُطَرِّف قبل عدي بن وتاد عَلقَمَة بن عبد الرحمن أو خُرَيْم بن عمرو ، وكان عمر بن هبيرة معه ، وقال بعضهم : قاتل خريم مطرفاً فقتله ، وبعث برأسه إلى الحجاج مع ابن هبيرةٍ والله أعلم .

حدثني علي بن المغيرة عن الأصمعي قال : بعث الحجاج خُريماً فقتل مُطَرِّفاً وبعث برأسه مع ابن هبيرة فزاده الحجاج على رزقه عشرة فصار رزقه خمسين درهماً ، ثم أوفده الحجاج بالرأس إلى عبد الملك ، فزاده في رزقه عشرة تتمة ستين ، وأقام بالعراق حتى وليه يزيد بن المهلب فوصله بثلاثة آلاف درهم ، دفعها إليه مروان بن المهلب .

ثم أتى كَردماً وهو على خراج فارس من قبل الحجاج ، والمهلب بإزاء الخوارج بشيراز ، فلم يصنع به كردم خيراً فأتى المهلب فلما كلمه قال : أنت والله أحق بالعمل من ابن عمك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وذلك قبل صلة يزيد إيّاه بالثلاثة الآلاف بِحِينْ .

قال : وَهَمَّ ابن عاتكة بسبي نساء آل المهلب ، فطلب إليه ابن هبيرة فِيْهِنّ ، فكتب كتباً كثيرة حتى كَفَّ ، فكان ذلك مما يُعَدّ من شكر ابن هبيرة للمهلب ويزيد ابنه .

المدائني قال : غلبت حبابة على يزيد بن عبد الملك ، وانقطع إليها عمر بن هبيرة ، وكان يهدي إليها ، فلطفت منزلته من يزيد حتى كان يدخل عليه في أي الأوقات شاء .

قال : وحسد قوم من بني أمية مسلمة بن عبد الملك وقدحوا فيه عند يزيد ، وقالوا : وليته العراق فإن اقتطع من خراجه شيئاً أجللته عن تكشيفه لِسِنّه وبلائه وحقه ، وقد علمت أن أمير المؤمنين عبد الملك لم يطمع أحداً من أهل بيته في ولاية الخراج ، فوقع ذلك في نفس يزيد وعزم على عزله .

وعمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل حبابة ، فكانت تعمل له في ذلك حتى ولاه إياها يزيد .

وقال المدائني والهيثم بن عدي : كان الذي بين عمر بن هبيرة وبين القعقاع بن خليد العبسي سيئاً وكانا يتحاسدان فقيل للقعقاع : إن ابن هبيرة قد أشرف على ولاية العراق . قال : ومن يطيق ابن هبيرة . حبابة بالليل وهداياه بالنهار ، فلم تزل حبابة تعمل لابن هبيرة حتى ولي العراق .

وماتت حبابة فقال القعقاع :

هَلُمَّ فقد ماتت حَبابةُ سَامِني ... بنفسك تَقْدُمْكَ الذُّرا والكواهِلَ
أَغَرَّكَ أنْ كانت حبابة مَرَّةً ... تُمَيْحُكَ فانظرُ كيف ما أنتَ فاعِلُ
فأُقْسِمُ لولا أنَّ فِيْكَ نَغَالةً ... وبُخْلاً وغَدْراً سَوَّدَتْكَ القبائل

المدائني قال : قاول ابن هبيرة القعقاع فقال لابن هبيرة : يا بن اللخناء . فقال عمر : يا بن الفحواء[1] قَدَّمَتْك أعجاز النساء وقدمتني صدور القَنا .

وأراد مسلمة أن يَفِدْ إلى يزيد فقال له الأَصَمّ عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي : إنك لذو عهد به قريب فأقم ، فأبى فقال له عبد العزيز : إن لم تُقِم فأول من يلقاك عامل على عملك ، فلقيه ابن هبيرة مقبلاً إلى العراق فأعظم مسلمة وترجل له ، فقال له : إلى أين يا بن هبيرة ؟ قال بعثني أمير المؤمنين لاصطفاء أموال بني المهلب . فقال : في حفظ الله ، فلما خرج قال له الأصم : والله ما هو إلا والٍ مكانك .

وولي العراق وخراسان فقال الفرزدق :

راحتْ بِمَسْلَمَةَ البِغَالُ مُوَدَّعاً ... فَارْعَى فزارةَ لا هُنَاكَ المَرْتَعُ
ولقد علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرَتْ ... أَنْ سوف تطمعُ في الإمارة أشجعُ
وأرى البلادَ تَنَكَّرَت أعلامُها ... حتى أُمَيَّةُ عَنْ فزارةِ تَنْزَعُ
نَزَعَ ابن بِشْرٍ وابنُ عَمْروٍ قَبْلَهُ ... وأخو هَرَاةَ لمثلها يُتَوقَّعُ[2]

---

١ ـ لعلة أراد : يا بن ذات الرائحة الفائحة ، والفحواء : التوابل . القاموس .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٠٨ مع فوارق ٨

عبد الملك بن بشرٍ ، ومحمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة ، وأخو هراة : سعيد بن عبد العزيز خُذَيْنَة ، فعارضه خليفة بن براز الأقطع مولى بني قيس بن ثعلبة فقال :

قُلْ للفرَزْدَقِ انْ فزارة أُرْتَعُوا   فَانْهَوا قيون مُجَاشِعٍ أَنْ يَجْزَعوا

في أبيات . فَعَرَضَ لخليفة حَكَمُ القرد مولى بني الهُجَيْم فقال :

إليّ هَلُمَّ دُوْنَ أبي فِراسٍ   فقد لاقيتَ أَشْوَسَ ذا مِرَاسِ

قالوا : ولما قدم ابن هبيرة شخص عبد الملك بن بشر ، واستخلف على البصرة شريك بن معاوية الباهلي أحد بني قتيبة بن معن ، فأقره ابن هبيرة يسيراً ثم عزله ، وولى سعيد بن عمرو الحرشي البصرة ، فولى شرطه شريك بن معاوية ، وكان شريك يلقب : مقابل الريح ، وكان أَدْلَمَ[1] طوالاً يقابل الريح فيقول : شمال جنوب ، صَبَا دَبور . فقيل مقابل الريح .

ثم عزل ابن هبيرة سعيد الحرشي ، وولاه خراسان ، واستعمل على البصرة حسان بن مسعود بن عبد الرحمن بن مسعود الفزاري ، وكان فراس بن مسعود زوج أم ابن هبيرة ، وكان ابن هبيرة زوج أم حسان بن مسعود ، ثم عزل حسان وولى البصرة فراس بن سُمَيّ الفزاري فولى شرطته محمد بن رباط الفُقيمي ، فهجا الفرزدق ابن رباط فقال :

بكى المنبرُ الشرقيُّ والناسُ إذ رَأَوا   عليه فقيمياً قَصِيْرَ القَوَائِمِ
أليس عجيباً أن يَسُوْدَ محمدٌ   ألا تِلْكَ من إحدى الدواهي العَظَائِمِ[2]

١ ـ الأدلم : الشديد السواد . القاموس .
٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

وأرسل فراس بن سُمَيّ يطلب الفرزدق فحذره فهرب ، فأرسل إلى النُّوار امرأته فحبسها ، ولحق الفرزدق بالبادية ، ثم لحق بيزيد بن عبد الملك ، وقال ليزيد :

سَبَقْتُ إليكَ الطالبينَ وإنّهم لَخَلْفِي وقُدَّامِي على كُلِّ مَرْصَدِ[1]

فأجاره ووصله وأحسن الأحوص محضره عنده .

قالوا : وعزل ابن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي عن خراسان ، وولاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي ، فلما قدم على سعيد قيده وحمله إلى ابن هبيرة ، وكان ابن هبيرة أمره بذلك ، فلما أدخل اليه قال له ابن هبيرة : يا بن نسعة فعلت وفعلت . قال : يا بن بسرة لم أفعل ، فغضب ابن هبيرة فأمر به فضرب مائة سوط وعُذب ثم نُفخ في دبره بكير وأمر به فحبس .

بسرة بنت الحارث بن عمرو بن حرجة الفزاري .

وقال لمعقل بن عروة القشيري : قدمت العراق فوجدت سعيداً صعلوكاً خاملاً فوليته خراسان ، فبعث إليّ ببرذونين أعرجين ودعوته لأعاتبه وقلت له : يا بن نسعة فقال لي : يا بن بسرة ، فقال معقل : أَوَ فعل ابن الزانية ؟. قال : نعم ، فأتاه معقل وهو في السجن فقال له : يا بن نسعة التي اشُتِرِيَتْ بثمن عنزة جرباء فكانت رافعة رجلها للصادر والوارد ، أجعلتها إلى ابنة الحارث بن عمرو بن حرجة !

فلما قدم خالد بن عبد الله والياً على العراق استعداه سعيد على معقل ، فضربه له الحَدّ ، فقال رجل من بني كلاب لمعقل : يا بن عروة

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

كيف رأيت عاقبة الظلم ، ظلمت ابن عمك فضربك حداً ، وتركك لا تُقْبَلُ لك شهادة أبداً . فقال معقل : فهل لك أن ألتحك[1] بمثلها وتحدّني ؟ . قال : لا والله وما حاجتي إلى ذلك ؟ .

وقال سعيد لمعقل : والله لولا ما أوهى مني ابن هبيرة لثقبت عن جوفك بخمسة أسواط . وكان يقول : أوهى ابن هبيرة فعل الله به وفعل مني بصراً حديداً ، وساعداً شديداً .

وقال عمر بن هبيرة لجلسائه : مَنْ رَجُلُ قيس الذي يقوم بأمرها إن اضطرب الحبل ؟ قالوا : الأمير ، قال : ما صنعتم شيئاً . أما الذي تُلقي إليه قيس مقاليدها فالأحمر الذي لو تورى ناره أتاه عشرون ألفاً لا يسألونه لم دعوتنا ، الهُذَيْل بن زُفَر بن الحارث .

وأما فارسها فهذا الحمار المحبوس - يعني سعيد بن عمرو الحرشي ، ولقد هممتُ بقتله ، وأما لسانها فالأصمّ عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ، وأما داهيتها فعثمان بن حيان المريّ ، وأما أعطف قيس عليها وأبرّها بها ، فَعَسِيْتُ أن أكونه .

فقال له أعرابي من بني فزارة : ما أنت أيها الأمير كما وصفتَ . قال : وكيف ويحك ؟ قال : لأنك لو كنت أَبَرَّهَا لم تحبس فارسها ، ثم تَهُمَّ بقتله .

قالوا : وولى ابن هبيرة مُسْلِم بن سعيد بن أَسْلَم بن زرعة ثم عزله فقال له : أعزلتني عن خيانة أو تقصير في جباية ؟ . فقال : لا ، فارجع إلى عملك . فقال : ما كنت لألِيَ إلاّ أجَلَّ منه . فولاه أصبهان ، ثم فعل به

١ - لتح : ضرب ، أو رمى . القاموس .

مثل ذلك فقال له هذا القول حتى ولاه خراسان وقال له : لا تتخذنَّ في عملك ضيعة فيصغر قدرك عند أهله ، ولا تُتْجِرَنَّ في عملك فتغشَّ رعيتك ، وإن اشتُكِيَ إليك عامل فاعزله .

قال المدائني : لقي رجل رجلاً من فزارة فقال له : من أين أقبلت ؟. فقال : من عند ابن عمنا عمر بن هبيرة ، فوالله لقد كلمته في سيد قيس سعيد بن عمرو ، وكلمته في سيد الموالي جبلة بن عبد الرحمن فوالله ما شفعني ، ولقد حملني ووصلني بعشرة آلاف درهم ، وإني لَذَامٌّ له .

المدائني قال : سأل رجل من عبس ابن هبيرة فمنعه ، فلما كان الغد أتاه فسأله وقال : أنا العبسي الذي سألك أمس . قال : وأنا الفزاري الذي منعك أمس ، فقال : والله ما ظننتك إلا ابن هبيرة المحاربي . قال : فقال : والله أهون لك عليّ يموت مثله من قومك فلا تعلم بموته ، وينشأ مثلي في قومك فلا تعرفه .

وولى عمر بن هبيرة أعرابياً من فزارة عملاً فلما رأى الناس يهدون في يوم النوروز أهدى إلى ابن هبيرة ضَبًّاً وقال :

حَبَا الجامَ عُمالُ الخراج وحَبْوَتي ... مُحَذَّفَةُ الأذْنَابِ صُفْرُ الشَّوَاكِلِ
رعيْنَ الرّبا والهَجْلَ[1] حتى كأنما ... كَسَاهُنَّ سُلْطَاني ثيابَ المَرَاجِل
سَيُحْلَ بِمُهْدِيْهِ لَعَمْرِي فضيلةٌ ... على كلّ حَافٍ من معدٍّ وَنَاعِلِ

١ ـ الهجل : المطمئن من الأرض . القاموس .

وولى ابن هبيرة رجلاً همذان فأتى ما سَبَذان ، فأخذ عاملها فقيده ، فقال له العامل ووجوه أهل البلد : انظر في عهدك فنظر فإذا هو همذان فقال : خذوا عاملكم لابارك الله لكم فيه .

وأتى همذان ، فعمد إلى رجل عليه خراج فنصبه ثم رماه بسهم فقتله ، فأعطوه خراجهم مبادرين ، ولم يلتووا عليه في درهم فما فوقه .

المدائني قال : ألقى ابن هبيرة إلى مثجور بن غيلان بن خرشة الضبّي فَصّاً أزرق ، فقال له : اجعله في خاتمك فإنه حسن - يريد قول الشاعر :

لقد زَرُقَتْ عَيناكَ يا بنَ مُكَعْبَرٍ كما كُلُّ ضَبِّيٍ مِن اللؤمِ أزرقُ

فشدَّ مثجور على الفص سيراً ثم ردَّه عليه - يريد قول سالم بن دارة :

لا تأمنَنَّ فزارياً خَلَوْتَ بِهِ على قَلُوصِكَ واكْتُبْهَا بأَسْيَارِ

فقال ابن هبيرة : خرجَ منها .

قالوا : وتنبّى في ولاية ابن هبيرة رجلان : ضبيّ يقال له الأخطل ، ورجل من الموالي يقال له سعيد ، فكتب إلى يزيد في أمرهما ، فكتب : اقتلهما ، فقتلهما .

العمري عن الهيثم بن عدي عن عطاء قال : دخلتْ امرأة جميلة على عمر بن هبيرة ، فَشَكَتْ زوجها وهو شيخ كبير فقال الشيخ : والله إنهم ليعلمون أني أقضي حقوقها وأقوم بنوائبها . فقال للمرأة : يا عدوة الله أحِينَ أَدْبَرَ غزيرُهُ وأقبل هزيرُهُ[1] ، إنْ دخل ذل وإنْ خرج ظن نَشَزْتِ عنه تريدين البدل منه ؟. خذ عدوة الله فأدخلها أضْيَقَ بيوتك ثم أوجعها ضرباً .

---

١ - هزر : أكثر من العطاء ، وضحك وأسرع في الحاجة ، وأغلى في البيع . القاموس .

المدائني عن المفضل بن فضالة قال : بعث ابن هبيرة إلى الحسن والشعبي ، فاجتمعا عنده ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك عبد من عباد الله أخذ عهده لهم وأعطوه عهودهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، وإنه يأتيني منه أمور لا أجد من إنفاذها بُدّاً ؛ والحسن ساكت ، فقال له : ما تقول يا أبا سعيد؟. قال : إنّ الله مانِعُكَ من يزيد ، وإن يزيداً غير مانِعِكَ من الله ، وإنه يوشك أن ينزل بك أمر من السماء فيخرجك من سعةِ قصرك إلى ضيق قبرك ، فلا يوسعه إلا عملك ، يا بن هبيرة إني أنهاك عن الله أنْ تَتَعَرّض له ، فإن الله إنما جعل السلطان ناصراً لدين الله وعباده ، فلا تركبوا عباد الله بسلطان الله فتذلوهم ، وإنه لا طاعة لمخلوق في معصية خالق .

المدائني قال ؛ أُتي ابن هبيرة بقوم فأراد ضربهم فقال له عامر الشعبي : أصلح الله الأمير إن أول من وضع الحبس كان حليماً فَمُرْ بحبسهم إلى أن تنظر في أمرهم ، فقال : صدقت ، وحبسهم .

المدائني : لما ولي عمر بن هبيرة العراق أراد الخيانة فخاف وكان صالح بن عبد الرحمن عند يزيد بن عبد الملك ، فقال لكاتبه ابن عبدة العنبري : هل إلى صالح سبيل ؟. قال : لا والله وكيف وهو أَعفّ الناس إلا أن تظلمه ، قال : فكيف لي بظلمه ؟. قال : إنه كان دفع إلى يزيد بن المهلب ستمائة ألف درهم ولم يأخذ بها منه براءة ، فكتب ابن هبيرة إلى يزيد بن عبد الملك ؛ إنّ لي إلى صالح حاجة فإن رأى أمير المؤمنين أن يوجهه إلي فَعَلَ ، قال : فدعا يزيد صالحاً فأخبره فقال : والله ما به إلي حاجة ولقد تركتُ العراق ولو أتاه أَكْمَه أبكم عرف ما فيه ، فكتب ابن هبيرة يذكر ما قِبَلَهُ

من المال ، فدعاه يزيد فأعلمه ذلك فانتفى منه وقال : والله ما بقي عليّ درهم ، قال : فانطلق إليه ليحاسبك ثم تعود .

فانحدر إلى العراق فأمر به ابن هبيرة فَعُذِّب ، فكان كلما عُذّب بنوع من العذاب قال : هذا القصاص قد كنتُ أعذب الناس بمثل هذا . حتى عذب بنوع من العذاب يدعى الفزاري فقال : هذا مما لم أُعَذِّب به .

وكان إياس بن معاوية المرّي دلّ ابن هبيرة على ذلك ، فلما ألح ابن هبيرة على صالح بالعذاب جاء جَبَلَة بن عبد الرحمن أخو صالح ، وجَيْهَان بن مُحْرِز ، والنعمان الكسكري فضمنوا صالحاً وما عليه فقال الكاتب : أحضروا المال ، قالوا : أقبل الليل ، فأعلم الكاتب ابن هبيرة ذلك فلم يخرج إليهم حتى أمسوا وانصرفوا ، وأصبح صالح ميتاً على مزبلة ألقي عليها ليلاً وبه رمق حتى مات .

وقال أبو عبيدة : كان محمد بن سعد ، كاتب يزيد بن عبد الملك ، هو الذي عمل في حَذْرِ صالح إلى ابن هبيرة ، وذلك أن يزيد بن عبد الملك كان ولى صالحاً خراج العراق ، وخاف مسلمة على إقطاعه ، فقال ابن سعد لصالح : احمل إلي مائتي ألف درهم . فقال : ومن أين أحملها فوالله ما في مالي سعة لها ، وما كنت لأخون أمير المؤمنين .

فلما أفضى ابن سعد إلى صالح بذلك وَجِلَ منه ، فعمل فيه حتى حَذَّرَهُ إلى ابن هبيرة ، وكان ابن سعد هذا مولى لبعض اليمانية وكان قد ولي قسمة أرزاق أهل اليمامة فأتاه جرير فحرمه ، فقال جرير :

تَظَلُّ عِيَالي لاَ فَوَاكِهَ عِنْدَهُم ... وعِنْدَ ابنَ سعدٍ سُكَّرٌ وزَبِيْبُ
وَقَدْ كَانْ ظَنِّيٍّ بابنِ سَعْدٍ سَعَادَةً ... وَمَا الظَنُّ إلاَّ مُخطِىءٌ وَمُصِيْبُ

فَإنْ تُرْجِعُوا رِزْقي إليَّ فإنَّهُ   مَتَاعُ لَيَالٍ والأَدَاءُ قَرِيْبُ[1]

قالوا : وكان ابن هبيرة أول عمال العراق اختان ، فقال يوماً لإياس بن معاوية : ما يقول الناس فيَّ ؟ قال : خيراً أيها الأمير ، قال : أسألك بالله لَمَا صَدَقْتَني . قال إياس : فقلت في نفسي : والله لأؤثرنّ الله عليك ، فقلت له : يزعم الناس أن ثم أمير يُصَانَعُ بالمال ، فإذا أُتي به جاءت فلانه جاريته فاحتملته . فقال ابن هبيرة : ما يخفى على الناس شيء . ولم يعزل يزيدُ ابنَ هبيرة حتى عزله هشام حين استخلف ، وولى العراق خالد بن عبد الله القسري .

المدائني قال : أتى ابن سيرين واسطاً فسأله ابن هبيرة عن البصرة فقال : تركتُ العلم بها فاشياً . فغضب ابن هبيرة ، وأبو الزناد عنده فجعل يقول إنه شيخ ، ثم عُرِضَ شيءَ تكلم فيه فضحك ابن هبيرة ، وأمر لابن سيرين بمال فلم يقبله ، فقال إياس بن معاوية : ألا تقبل صلة الأمير؟ فقال : إنْ كان صَدَقَةً فلا حاجة لي فيها وإن كان لما عَلَّمَني الله فلستُ آخذ عليه أجراً ، فأعجب به ابن هبيرة .

المدائني قال : التقى عمرو بن مسلم وجَبَلَة بن عبد الرحمن في طريق ضيقة مِنْ طرق واسط ، لا يجوز فيها فارسان ، فقال عمرو لجبلة : ارجع ، فقال : بل ارجع أنتَ فإنك أقرب إلى السعة مني ، فقال : ارجع وإلا وضعتُ السوط بين أذنيك ، ثم ضرب رأس بغلة عمرو حتى رجعتْ ، وتحدث أهل واسط بذلك وأرادوا الإيقاع به ، فاستجار بالقصابين فحموه ،

١ - ديوان جرير ص ٣٩ .

وقدم ابن هبيرة فحبسه ، ثم دعا به فلما كلمه أعجب به وقال : قبَّح الله من ضَيَّع مثلك ، وأنشد :

أكُمَّـثْرَى يَزِيْـدُ الحَلْقَ لِيْنـاً أَحَبُّ إليَّ أمْ تِـينٌ نَضِيْـجُ

يُعَرِّض له بولاية نَهَاوَنْد أو كُرْمَان . فقال : تين نضيج ، فأطلقه وعقد له على كَرْمَان ، وعقد يومئذٍ لمسلم بن سعيد بن أَسْلَم بن زُرعة الكلابي على خُراسان ، فقال جبلة : كان هذا يتبعني طمعاً في أن أولّي عملاً أوليّه بعضه قرية أو قريتين ، ثم هو اليوم يُعْقَدُ له على خراسان ، ويُعْقَدُ لي على كَرْمَان .

وقال أبو عبيدة : أُخرجَ جَبَلَة إلى ابن هُبيرة مقيداً فقال ابن هبيرة :

ولقد جَرَيْتَ لما تَرَى مِنْ غايةٍ فَاصْبِر لِما جَرمَتْ يمينُك حَارِ

فقال جبلة :

لَعَمْرِكَ ما جَنَيْتُ على سُلَيْمٍ بأشـعاري فَيَهْجُوني الشَّـرِيدُ

وأودع ابن هبيرة قوماً أموالاً ، فأخذ سَيْرَاً فَلَواه على عود ثم كتب عليه : عند فلان كذا وعند فلان كذا ، فلما نشره ورمى بالعود جاء الكِتَاب مُفَرَّق الحروف لا تجتمع لقارئها ، فكان يلوي ذلك السير على عود فتجتمع(١) .

١ - بهامش الأصل : بلغت المعارضة بالأصل الثالث ، ولله الحمد .

أمر يزيد بن المهلّب وقصته قبل ولاية يزيد بن عبد الملك وفي أيامه

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف ، وقال المدائني عن أشياخه وغيرهما قالوا : ولى الحجاج المهلب خراسان .

قال المدائني : وبعض ولد المهلب يقول : ولاه إياها عبد الملك بن مروان .

فمات المهلب بزاعول وهي قرية بِمَرْوِ الرّوْذ ، وأوصى حبيب بن المهلب أن يسير بجيشه حتى يسلمه إلى يزيد ابنه وكان بمرو . وقال : يزيد خليفتي على خراسان ، فتولى يزيد بن المهلب أمر خراسان بعد أبيه ، وكان متجبراً متكبراً فبلغ الحجاج عنه ما يكرهه .

ويكتب المفضل بن المهلب وهو أخوه لأمه بَهَلّة بخبره فيلقيه إليه ، فكتب الحجاج إلى حبيب بن المهلب بعد سنة من ولاية يزيد يأمره بالقدوم عليه ، فقدم فولاه كَرْمَان ، وكتب إلى يزيد أنْ ابعثْ إليّ أوثقَ مَن قِبَلَكَ في نفسك ، فبعث إليه الخيار بن سَبْرَة المجاشعي ، وكان من رجال المهلب وخاصته ، فقال له الحجاج : أخبرني عن يزيد ، فقال : أُخْبِرُ سِراً أَمْ أُخبر علانية ؟ قال : بل أخبر سراً ، واستدناه فقال : لقد رأيت رجلاً إنْ أَقْرَرْتَهُ

ولم تُهِجْه فبالحري أن يَفي لك ، وإن رُمتَ عزله فلا أحسَبه والله يعطيك طاعة أبداً . فقال الحجاج : صدقتَ ، فاحتبسه الحجاج عنده ولم يزعجه للرجوع وولاه عُمان وأوصاه بإذلال مَن بها من أهل بيت المهلب وقال : إن الخيار قدم عليّ فرأيتُ رجلاً جَزْلاً ذا عقل فاحتجتُ إليه لولاية عُمان فوليته إياها . ثم إنه كتب إلى يزيد بعد أشهر يعلمه حاجته إلى مشافهته بأمر لا يحتمله الكتاب ، ولا تحمله الرسل ، فكتب إليه يعتلّ بالعدوّ وبشدة شوكته وانتشاره ، فكتب إليه إنه لا بد لك من القدوم ، فاستخلِفْ المفضَّل أخاكَ على عملك واقدم عليّ منبسط الأمل ، واثقاً برأي أمير المؤمنين فيك .

فأشار عليه حضين بن المنذر الرقاشي بالمقام والمدافعة ، وأشار عليه المفضّل بالقدوم على الحجاج وقال له : إن شيخنا أوصانا بالطاعة التي هي عِزُّنا وبها كان نَباتُنَا ، وإليها تؤول أمورنا . فقال له : ويحك ، لئن طمعّك في ولاية خراسان فَوَلاَّك إياها لم يُقَرَّك بعدي إلا يسيراً .

وفكر يزيد فقال : إنّا قوم شَرِفْنا بالطاعة وبورك لنا فيها ، فإن خلعنا أيدينا منها غَيَّرْنا ما بنا ، والله يقول : ﴿إنّ الله لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[1] وأرجو أن لا يقدم الحجاج عليّ بسوء مع رأي أمير المؤمنين عبد الملك في المهلب وولده وحفظه ما كان من آثاره وبلائه ، فاستخلف يزيد المفضل ، وسار إلى الحجاج حتى إذا صار إلى اصطخر لقيه موت عبد الملك وقيام الوليد بن عبد الملك ، فقال : الآن هلكنا . فلما قَدِمَ على الحجاج أظهر إكرامه وإعظامه وجعل يسايره إذا ركب ولا يُحْجَبُ عنه .

---

١ ـ سورة الرعد ـ الآية : ١١ .

ثم كتب إلى حبيب بن المهلب ، وهو الحَرُون ، وكان قتيبة بن مسلم على الريّ ودَسْتَبَىٰ فكتب إليه بولاية خراسان ، وأن يحمل المفضل بن المهلب إلى ما قِبَلَهُ ، فَقَدَّمَ قتيبة عبد الرحمن بن مسلم أخاه خليفة له ، وأمره بأخذ المفضل وعماله وكتّابه والاستيثاق منهم إلى قدومه ، فلم يشعر المفضل به حتى ورد عليه ، فاستوثق منه ومن أصحابه ، وقدم قتيبة خراسان فحمله إلى الحجاج فلما توافىٰ عنده : يزيد ، وحبيب ، والمفضل ، وعبد الملك وكان على شرطة البصرة حبسهم أربعتهم ، وحبس أبا عُيَيْنة بن المهلب ، وكان اتهمه بأن لهم أموالاً عنده ، وكان أبو عيينة هو الذي زَوَّجَهُ هند بنت المهلب فلم يعبأ بذلك .

وذكروا أنّ يزيد بن المهلب كان يهوى امرأة رجلٍ كان معه من عبد القيس يقال له عُلَيْب ، فدعاه إلى الشخوص إلى الحجاج فاعتلّ عليه ، فدسّ إليه مَن سقاه شُربة فقتله ، وحَوّل أهله وولده إليه ، فكان يأتي المرأة ، وبلغ الحجاج ذلك ، فلما أراد حبسه بدأ بضربه حَدّاً وقال له : أتزني وأنت والي خراسان ؟ فقال الشاعر :

أُيورُ الناسِ من عَصَبٍ ولَحْمٍ وأَيْرُكَ يا بنَ دَحْمَةَ من عِظَام
وأَيْرُكَ يا يزيدُ علىٰ المَخَازي جَـرِيءٌ حِـيْنَ يختلطُ اللِّطَام

وقال أيضاً :

أَباحَ يَزيـدُ أيرهُ عُـرْسَ جاره وكان يَزيدُ لاَ يَخَافُ المَخَـازِيَا

قالوا : وتحركت الأكراد بجبال الأهواز ، فسار الحجاج حتى نزل رستقاباذ ، وبنو المهلب معه ، فعسكر بها وخندق على عسكره ، وحبس بني المهلب في حظيرة من قصب بالقرب منه ، وأمر فحفر حولها خندق وضربت

عليهم فساطيط ووكل بهم حرس من أهل الشام ، وأمر بعذابهم والبسط عليهم .

وكانت مع الحجاج امرأته هند بنت المهلب فسمعت أصواتهم فصرختْ وولولت ، فقال الحجاج : يا عدوة الله أتصيحين بحضرتي ؟ فقالت له : لا حاجة لي فيك ، فطلقها وبعث إليها بمائة ألف درهم فلم تقبلها .

ثم إن يزيد بن المهلب بعث إلى يزيد بن أبي مسلم ، وكان على خراجه واستخراجه بمالٍ فلم يقبله ، وكان صحيحاً ، وقال : لقد لجأتَ إلي فوالله لأعملنّ في أمرك عملاً ، لو كنت قبلت هذا المال منك ما زدتُ عليه ، فكلم الحجاج في أن يكفل ولد المهلب ويوظف عليهم وظيفة جرماً يؤدونها ، فأجابه إلى ذلك ، وسأل يزيد بأن يخرج عبد الملك بن المهلب ليسعىٰ في أمرهم وبيبع خيلهم وغيرها ، وأن يوجه حبيباً إلى البصرة ليلقى قوماً من صنائعهم وأهل ودائعهم في إعداد مالُهم عندهم وليبيع عقدهم ، وجعل يكتب إلى عرفاء الأزد ليأتوه ويجتمعوا عنده فكان كالمناظر لهم في أمر كفالته، وكان يهيىء لهم وللحراس الموكلين بهم طعاماً فيعشيّهم ، فتعشوا ذات ليلة وقد أظلموا ، وأمر فاتخذت له لحية بيضاء مثل لحية طباخه ، وللمفضّل لحية صفراء كبعض لحىٰ عرفاء الأزد . فلما تعشىٰ الناس وأزعج الحرس مَنْ عند يزيد للإنصراف لبس ثياباً مثل ثياب طباخه وربط اللحية ، ووضع على رأسه جونة من جون الطعام ، ووضع الخباز على رأسه قدراً أو طنجيراً فلم يؤبه لذلك ، وخرج المفضل وقد اعْتَمّ ولحيته صفراء فبادر مع الناس ، فخرجا ، واحتال عبد الملك بحيلة حتى تخلص من أيدي الموكلين به الذين كانوا

يدورون معه فاجتمعوا في موضع اتَّعدَوا للاجتماع فيه ، وواعدوا من يقوم بأمرهم وخدمتهم أن يعدوا لهم خيلاً من الخيل التي كانوا يظهرون أنهم يريدون بيعها واداء قيمتها فيما ألزمهم الحجاج إياه ، وكان الذي ألزمهم ستة آلاف ألف درهم فساروا ليلتهم حتى صاروا إلى زورق قد أُعدّ لهم بجوخى الأهواز ، وانتهوا إلى مفتح دجيل الأهواز فركبوا سفينة أعدت لهم أخرى ؛ ثم خرجوا إلى البطيحة ، وتوجهوا إلى موضع كان فيه مروان بن المهلب وقد أَعَدَّ لهم نجائب فركبوها وساروا إلى الشام ، ودليلهم رجل من كلب يقال له عمارة ، واستخفى حبيب بن المهلب بالبصرة في بني راسب ، وانغمس مروان وبقي أبو عبيدة في يد الحجاج وطُلب القوم فلم يقدر عليهم .

وكان المتوجهون إلى الشام : يزيد ، والمفضل ، وعبد الملك ، وقيل إن مروان كان معهم . وصار هؤلاء إلى فلسطين ، وبها سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وكان والياً عليها من قبل أخيه الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وكان ولي العهد بعده ، فكتبوا إلى رجاء بن حَيْوَة الكندي بخبرهم ، وشرحوا له أمرهم ، وكان أثيراً عند سليمان جريئاً عليه آنِسَاً به ، فقال له : إن يزيد بن المهلب قد أتاك مستجيراً بك ، فامتعض من ذلك ، فقال له رجاء بن حيوة : مَنْ ذا يرجوك وأنت ولي عهد وقد استجار بك مثله فلم تُجِرْهُ ، ولم يزل به حتى أجاره ، ودعا به وبأخويه فَأَمَّنَهم ، وكتب إلى الوليد يعلمه ذلك ، فكتب الوليد إليه فيه كتاباً غليظاً يعجِّزُه فيه في أمرهم ويقول : لهممتُ أن أُلْزِمَكَ ما يُطالب به يزيد ، وكان كتاب الحجاج قد سبق إليه بخبرهم .

وكتب الوليد إلى سليمان يعزم عليه أن يحملهم إليه مستوثقاً منهم فوجّه بيزيد ومعه ابنه أيوب ، وقال له : إذا دخلتَ على أمير المؤمنين فكن أنت وهو في سلسلة . فلما رآه الوليد قال : إنّا لله ، لقد شققنا على سليمان . فحطّ عن آل المهلب ثلاثة آلاف ألف درهم من الستة الآلاف الألف وألزمهم دمشق ، فيقال إن سليمان غرمها عنهم ، ثم كتب يسأل ردهم إليه ففعل الوليد ذلك .

ويقال إن الوليد نجّمها عليهم ، فجمع لهم زمل بن عمرو السَّكْسَكِي من أهل دمشق نجماً ، وجمع لهم يزيد بن حُصْين بن نُمَيْر السَّكُوني نجماً آخر ، وسار عبد الملك إلى الشام فجمع لهم مالاً عظيماً فأدّوا الأنجم .

ثم كتب سليمان إلى الوليد يسأله رد يزيد بن المهلب وأخويه إليه فردّهم ، فأقام يزيد عند سليمان مكرَّماً يؤنسه ويخصّه حتى مات الوليد ، وولي سليمان الخلافة .

وقال حُضَيْن بن المنذر في مخالفة يزيد إياه حين أمره بترك القدوم على الحجاج :

أَمَرْتُكَ أمـراً حازمـاً فَعَصَيْتَني فأصبحتَ مَسْلوبَ الإمارةِ نادما

وخاف أن يبلغ الحجاجَ بَيْتُهُ هذا فزاد فيه :

فما أنا بالباكي عليكَ صَبَابَـةً وما أنا بالداعي لِتَرْجِعَ سَالِمَا

وقال نهار بن تَوْسعة التيمي من ربيعة ، ويقال ابن سحبان الباهلي حين شخص يزيد من خراسان ثم حبس ومعه المفضّل :

أَبَـنِيَّ بَهَـلَةَ إِنَّمَـا أَخْـزَاكُـمَا رَبِّي غَدَاةَ غَدَا الهُمَامُ الأَزْهَرُ
أَغَـدَرْتُمَـا بـأَخيكُـما فَـوَقَعْتُـما في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أخوهـا المُغْوِرُ

عُـوْذَا بِتَـوْبَـةَ مخلصيـنَ فـإِنَّما يأبىٰ ويأنَفُ أنْ يَتُوبَ الأَخْسَرُ
لله دَرُّ الغـافِلِيْنَ لَقَـدْ عَـدَا فيهم نَـدَىٰ جَمٍّ وَمُلْكُ قَسْوَرُ
وتَبَـدَّلَتْ مَـرْوٌ بِـهِ لِخَرَابِهَـا والدَّهْرُ يَتْعَسُ بـالجُدُودِ ويَعْثُرُ
عُوْرَانُ باهِلَةَ الأُلىٰ في مُلكِهِم ماتَ الندىٰ فمضىٰ وعاشَ المُنْكَرُ
شَتَّانَ مَنْ بالصُّنْجِ أُدرِكَ والذي بالسيفِ أُدْرِكَ والحروبُ تُسَعَّرُ

كان مسلم بن عمرو يضرب عند يزيد بن معاوية بالصنج . وقال الفرزدق :

أبا خالِدٍ ضاعَتْ خُراسانُ بَعْدَكُم وقال ذَوُو الحاجاتِ أَيْنَ يَزيدُ
فلا أُمْطِرَ المروانُ بعدكَ قطرةً ولا اخْضَرَّ بِالمَرْوَيْنِ بَعْدَكَ عُوْدُ[1]

وقال الفرزدق حين هرب يزيد وإخوته من حبس الحجاج وأجارهم سليمان بن عبد الملك :

لم أَرَ كالقومِ الـذين تَتابعـوا علىٰ الجسر والحراسُ غير نيام
مضـوا وَهُمُ مُسْتَيْقِنُونَ بـأَنَّهُم إلىٰ أَجَـلٍ يلقـونـه وَحِمَـامِ
فساروا إلى أوفىٰ قريشٍ لجارِهِ وخَيْـرُهُمُ من أيمنٍ وَشَـآمِ[2]

وقال عمارة الكلبي دليلهم :

وَنَاسٌ مِنَ ابْنَاءِ الملوكِ هَدَيْتُهُم بِلَا عَلَمٍ بَادٍ ولا ضوءِ كوكبِ
ولا قمرٍ إلا ضئيلٌ كـأنّـهُ سِوَارٌ حَنَاهُ صانِعُ السُّورِ مُذْهَب
ألَا جعـلَ الله الخلائقَ كُلَّهُم فِداءً علىٰ ما كانَ لابنِ المهلّبِ

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٣٧ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٦٥ مع فوارق ولم يرد في الديوان البيت الثالث .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن لوط بن يحيىٰ وعوانة بن الحَكَم أنّ سليمان كتب إلى الوليد في أمر يزيد بن المهلب : «أما بعد يا أمير المؤمنين فقد كنت أظن أني لو أَجَرْتُ عدواً منابذاً لأَجَرْتَهُ ولم تَخْفِر ذمتي ، فكيف وإنما أجرتُ سامعاً مطيعاً له شرف وسلف ، ولأبيه بلاؤه وآثاره ، وله نصيحته ومكانفته ، وقد بعثت به إليك ، وأنا أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من اجترار قطيعتي ، وتَرْكِ بِرّي وَصِلَتي بإخفار ذمتي وحلّ عقدي ، فوالله ما تدري ما بقاؤنا ، ومتىٰ يُفَرّق الموت بيننا ، فإن رأى أمير المؤمنين أن لا يأتي علينا أجلُ الوفاة إلا وهو لي واصل ، ولحقي راعٍ ، وعن مَسَاءتي نازع ، فليفعل وليصفح لي عن يزيد ، وكل ما طالبه به الحجاج فإنه عليٌّ ، فعلَ إن شاء الله ، والسلام» .

وقام يزيد حين دخل على الوليد فقال: يا أمير المؤمنين إنّ بلاءكم عندنا أهل البيت أحسن البلاء ، فمن ينسَ ذلك فلسنا بناسيه ، ومن يكفر فلسنا بكافريه ، وقد كان من آثارنا في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم ما المَنَّةُ علينا فيه عظيمة . فقال له الوليد : إجلس يا يزيد إجلس ، وأَمَّنَهُ وكتب إلى الحجاج : «إني لم أصل إلى يزيد بن المهلب وإخوته مع أخي سليمان فاكفف عن آل المهلب جميعاً ، ولا أعلمنّ ما راجعتني فيهم» . فكف الحجاج عنهم وخلّىٰ سبيل أبي عيينة ، وظهر مستخفوهم فلحقوا بالشام .

وحج المفضل وعبد الملك ، فولى الوليد يزيد بن أبي كَبْشَة السكسكي ـ وكان صديق الحجاج ـ حرب العراق ، وأقر يزيد بن أبي مسلم على الخراج .

قالوا : ولما استخلف سليمان بن عبد الملك تتبع من كان بالشام وغير الشام من آل أبي عقيل[1] فدفعهم إلى يزيد ، وكان يزيد أول من عزاه بالوليد وسلم عليه بالخلافة ، وأمره أن يستأديهم ويبسط عليهم ، فولى أمرهم أخاه عبد الملك بن المهلب ، فعذب الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف حتى قتله بأمر سليمان .

وألح عبد الملك على يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود وغضب عليه يوماً فرماه بِسَفْرجَلَة فَشَتَرَ عينه ، وكان عبد الملك يوكل به من يحفظه وهو يطوف في غرمه ، فدفعه يوماً إلى الحارث بن الجهضمي ، فخرج يطوف به ، وكان الحارث مُغَفَّلاً فقال له يوسف : أريد دخول هذه الدار فإن فيها عمة لي أسألها في غرمي شيئاً ، فتركه فدخل الدار ولها بابان فخرج من الباب الآخر فهرب .

وبعث يزيد بن المهلب إلى البلقاء من عمل دمشق ، وبها خزائن الحجاج بن يوسف وعياله فنقلهم وما معهم إليه ، وكان فيمن أتى به أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل ، وهي بنت أخي الحجاج بن يوسف وكانت امرأة يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأم الوليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول ، فكان عبد الملك يعذبها بأمر أخيه يزيد بن المهلب في منزله ، فكلمه فيها فأبى أن يشفعه فيها ، فقال : الذي وظفتم عليها عليَّ ، فأبىٰ قبول ذلك فقال يزيد : أما والله لئن وليتُ من الأمر

---

١ ـ بهامش الأصل : اسم أبي عقيل ، عمرو .

شيئاً لأقطعنّ منك طابقاً ، فقال يزيد بن المهلب : وأنا والله ـ فلئن كان ذلك ـ لأرمينَّك بمائة ألف عنان .

وقال قوم : لم يفعل ذلك بـأم الحجاج بنت محمد ، وإنما فعله بأختها ، فجرىٰ هذا القول بينه وبين يزيد بسببها .

وقال أبو الحسن المدائني : زعم قوم أن يزيد بن عبد الملك حمل المال عنها ، وكان مائة ألف ، ويقال أكثر من ذلك .

قال : ولما مضت لسليمان بن عبد الملك أربعون ليلة من خلافته ، ولى يزيد بن المهلب حرب العراق وخراجه فاستقال من الخراج ، فأراد أن يولي الخراج يزيد بن أبي مسلم ، وكان يزيد بن المهلب وصفه له بالعفاف لتسهيله أمره ، فقال عمر بن عبد العزيز : أتولي يزيد بن أبي مسلم ؟ فقال يزيد : هو عفيف عن الدراهم ، فقال عمر : إن الشيطان أيضاً عفيف عن الدراهم لم يأخذ درهماً قط .

واستشار سليمان يزيد بن المهلب فيمن يوليه الخراج غير ابن أبي مسلم، فأشار عليه بصالح بن عبد الرحمن وكان صالح مع زاذانفروخ بن بيزي كاتب الحجاج ، فلما قتل في أيام ابن الأشعث استكتب ابن زاذانفَرُّوخ ، ثم استكتب صالحاً وهو من سبي سجستان ، مولى لبني تميم ، وقوم يزعمون أنه مولى لباهلة .

وأمر يزيد وهو على العراق باتخاذ ألف خوان ليطعم عليها ، فقال له صالح : بيت المال لا يقوم لهذا ، ومنعه إياه .

وشخص يزيد بن المهلب إلى العراق وخراسان مضمومة إليه ، وتخلف المفضّل وعبد الملك عند سليمان ، وكان بهما معجباً ، فلما قدم يزيد واسطاً

وجد الجراح بن عبدالله الحكمي على البصرة من قبل يزيد بن أبي كبشة ، فكتب إليه في المصير إليه ، وولى البصرة رجلاً يقال له مروان بن المهلب ، وولى سجستان مُدْرِك بن المهلب ، وولى عُمان زياد بن المهلب ، وأمره بقتل الخيار بن سبرة المجاشعي ، فقتله فقال الفرزدق :

فلو كنتَ مِثْلي يا خِيَارُ تَعَسَّفَتْ بِكَ البِيْدُ ضَرْبَ العَوْهَجِيِّ وَدَاعِرِ
تَرَى إِبِلاً ما لم تُحَرِّكْ رؤوسها وَهُنَّ إذا حُرِّكْنَ غَيْرَ الأباعِرِ(١)

في أبيات . وولى السند حبيب بن المهلب ، وكان قتيبة بن مسلم مبايناً لسليمان فخافه حين مات الوليد فخلعه ، وذكر عمال خراسان وقبائل من قبائل العرب فعابهم وذمَّهم ، فاجتمعوا عليه فقتلوه ، وقلدوا أمرهم وكيع بن أبي سود التميمي .

وحدثني علي الأثرم عن أبي عبيدة قال : أمر سليمان يزيد ان كان قتيبة لم يخلع أن يقتل وكيعاً ، وان كان خلع فلا . وبلغت قتيبة ولاية يزيد بن المهلب العراق وخراسان فقال :

رمـاني سليمانٌ بـأَمْرٍ أَظُنُّـهُ سيحملُه مني على شرٍّ مَركبِ
رماني بجَبّارِ العراقِ وَمَنْ لَهُ على كل حيٍّ حَدُّ نابٍ ومخلبِ
فأصبحتُ للعبد المزونيّ خائفاً وكانَ أبي قِدْماً على دين مصعبِ

فقال حضين بن المنذر يرد عليه :

أَقُتَيْبُ قد كَسِبَتْ يداكَ خطيئةً فَاهربْ قتيبةُ أينَ منه المَهْرَبُ
فَلأَنْتَ أَحْقَرُ والذي أنا عِنْدَهُ في عينهِ من بَقَّةٍ تتـذبذبُ

١ ـ العوجهي وداعر فحلان من الإبل . ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٣٧ .

وكتب سليمان إلى يزيد بن المهلب في الشخوص إلى خراسان لإصلاحها ، وتسكين الناس بها ، ولَمِّ ما انتشر من أمرها ، فاستخلف الجرّاح على العراق ، وأتى جُرْجَان ففتحها ، وفتح دهستان ، وكتب إلى سليمان بفتحهما ، وأنْ قد غنم غنائم عظيمة ، فأدّى إلى كل ذي حق حقه وبقي بعد ذلك عنده ستة آلاف ألف درهم ، ويقال أربعة آلاف ألف درهم ، فلم يصل الكتاب إلى سليمان حتى مات ، وكان وروده على عمر بن عبد العزيز ، وقد استخلف بعد سليمان ، فكتب إليه عمر : «أما بعد فإن سليمان كان عبداً من عبيدالله قبضه إليه بعد نفاد أكله وانقضاء أجله ، ثم وليتُ الأمر بتصييره إليّ ، ويزيد بن عبد الملك إن كانَ مِنَ بَعدي ، وليس الذي ولاني الله من ذلك بهيّن عليّ ، ولو كانت رغبتي في اتخاذ الأزواج واعتقاد الأموال كنتُ قد بلغتُ من ذلك أفضل ما يبلغه أحد ، وقد بايع مَنْ قِبَلَنا ، فبايع مَن قِبَلَكَ ، إن شاء الله» .

فلما قرأ يزيد الكتاب قال : الرجل عازلنا لا محالة ، وكان عمر رأى يزيد يوماً ، وقد دخل على سليمان مختالاً ، فقال : إني لأحسبُ في رأسه غدرةً . فقال سليمان : لا تقل هذا يا أبا حفص ، وإن يزيد رجل منا ، فأغلظ له يزيد ، فلما أتى منزله قال : ماذا لقينا من لطيم الحمار .

ثم أتاه يزيد فاعتذر إليه ، ولم يلبث يزيد أن كتب إليه عمر يأمره أن يستخلف رجلاً ويقدم إلى ما قبله ، فاستخلف ابنه مُخْلَدُ بن يزيد وخرج ومعه وجوه أهل خراسان ، وفيهم وكيع بن أبي سَوْد وكان محبوساً قِبَلَهُ فحمله ، وكان معه عبدالله بن هلال الهَجْري الذي يُعْرَف بصديق إبليس ،

فيزعمون أنه قال له : والله لا تدخل البصرة أميراً أبداً ، فانتهى إلى واسط وهو أمير .

وقال مَعْمَرُ بن المَثَنَّى أبو عبيدة : قدم يزيد واسطاً قبل موت سليمان ، وكان مسيره على طريق الرَّيّ وحُلْوان ، فكتب إلى سليمان يسأله أن يأذن له في دخول البصرة فأذن له فانحدر وهو لا يعلم بموت سليمان ، وقدم عدي بن أرطاة حين قدم واسطاً بعد موت سليمان وهو أمير ، ثم شخص إلى البصرة فلما دخل نهر مَعْقل وأشرفت له البصرة ورأى الجنيدة التي تسمى الشهارطاق قال : أين ابن هلال قبّحه الله وقبّح علمه الذي يدّعيه ، ثم نظر فإذا سفينة كثيرة الجذّافين ليس فيها وطاء ، وفيها عَدي بن أرطاة الفزاري ، وقد ولاه عمر بن بعد العزيز العراق ، فقدم واسطاً بعد خروج يزيد منها ببعض يوم فاستعجل ليلحقه ، فلما لحقه عدي خرج إليه فصار معه في السفينة ، ودفع إليه كتاب عمر فقال : سمعاً وطاعة ، ثم خرجا عند الجسر ، وقُدمت إلى يزيد الدواب فركب ، وأمر فقدمت لعَدي ومن معه دواب فركبها .

وحشدت الأزْد ليزيد وضربوا قباب الآس ، وهم يرون أنه الأمير ، وصار عدي إلى دار الإمارة ويزيد معه حتى دخلها ، ثم دعا بيزيد فدخل ، وكان صالح بن عبد الرحمن مع عدي فقال : قَيِّده أصلحَ الله الأمير ، فقيّده عدي ، فلم يزل محبوساً عنده حتى كتب عمر إليه بحمله .

وقال أبو عبيدة : بل كان في عهده أن يُقيّده ويحمله ، قالوا : فحمله عدي إلى عمر مع موسى بن الوَجِيْه الحِمْيَري ، وكان يزيد أخذ موسى بتطليق امرأته ، وهي أخت أم الفضل بنت غيلان بن خَرْشَةَ الضَّبي ، امرأة يزيد بن المهلب ، وقال : لا أرضى بِمُسَالَفَتِك ، وضربه حتى طلقها تحت السياط ،

وذلك في أيام سليمان بن عبد الملك ، فكان موسى يشتمه في طريقه ويزيد يقول له : يا دَعِيّ فقال له : يا بن المزونية ، وأيّ دعيّ أَبْيَنُ دعوة منك ، ألستَ مولى عثمان بن العاص الثقفي ، أو لم يقل الشاعر :

نحن قطعنا مِنْ أبي صُفْرَة قَلْفَةَ مَن قد خالفَ الفِطْرَة
لَمّا رأى عثمانُ غُرمُوْلَهُ[1] أَنْحَى لـه عُثمانُ بـالشَّفْـرَة
ألم يكن أبو صفرة مجوسياًاســـ ــمه بسَفروخ فقلتم أبو صُفْرَة

وحدثني عمر بن شبّه ، ثنا أبو عاصم النبيل قال : لما احتبس سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلّب عنده ، ثم ولاه العراق ، عزل خراسان عنه ، فلم يولّه إياها ، وولى خراسان قتيبة بن مسلم ، وكتب عهده عليها وبعث به إليه ، فلما خَلَع وقُتل ولاها يزيد بن المهلب .

قالوا : ولما وافى يزيد بن المهلب عمر بن عبد العزيز قال له : هذا كتابك وهذا خاتمك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، كتبته استعطافاً لسليمان عليّ ، وعلمت أنه لا يأخذني مع رأيه فيّ بالمال . قال : فنحن آخذوك بإقرارك .

وولى عمر الجَرَّاح بن عبدالله خراسان ، وحبس يزيد بن المهلب ، فزعموا أنه مرض في محبسه فأمر عمر بقيوده ففكت عنه ، وقدم بمُخْلَد بن يزيد فأُتي به عمر فلما دخل عليه وعليه كُمَّةٌ لاطِيَّة ، وقد شمر ثيابه ، قال عمر : ما هذا الزيّ ؟ قال : شمرّتم فَشمّرنا ، ثم قال : ياأمير المؤمنين لِيسَعُنَا ما وسع الناس من عدلك ، ولا نكن أشقى هذه الأمة بك ، فقال :

١ ـ الغرمول : الذكر ، أو الضخم الرخو قبل أن تقطع غرلته .

إن أباك قد أقر بهذا الكتاب . قال : فأنا أضمن المال الذي فيه ، قال : أنت وذاك . قال : فصالحني على بعضه قال : لا ،لا . أنا أرى أن آخذه به كله أو أعلم أنه لا شيء عنده فأُنْظِرُه إلى المَيْسَرة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، انما أراد استعطاف سليمان بما كتب إليه به ، وهو يحلف ، ثم أتى أباه فقال : أتحلف على ما قلت وادعيت ؟. فقال : لا والله لا تتحدث العرب بأني صيرت يميني على مال أبداً ، فلم يزل محبوساً حتى مرض عمر ، فخاف أن يلي يزيد بن عبد الملك فيناله بِمَعَرَّةٍ لَمَا في نفسه عليه .

وكان يزيد بن المهلب في غرفة أسفلها بيت فاحتيل له ـ وقد تشاغلت الأحراس عنه ـ ويقال رُشُوا وصُونِعُوا فملىء البيت تبناً ، ثم نقب السقف وألقى نفسه ونكّر لحيته ولباسه ، وأعد له إخوته إبلاً ناجية ، فركب وركبوا معه ، ومضى يَؤُمّ العراق ، وكان عمر كُلِّم في يزيد فقال : هو رجل سوء قتّال ، والحبس خير له .

وقال علي بن محمد المدائني : حمل الجَرّاح بن عبدالله الحَكَمِي مُخْلَدُ بن يزيد من خراسان على البريد في سلسلة ، فقدم به الكوفة ليُحمل منها على البريد إلى عمر ، فسأله قوم فوصلهم ، فقال الناس : ما رأينا أسيراً أكرم من هذا ، ما فعل كرام الأمراء إلا دون ما فعل .

وأتاه حمزة بن بيض الحَنَفي في حمالة فأمر له بها ، وله يقول :

أتينـاكَ في حاجـة فَاقْضِهَـا وقُـلْ مَرْحَبـاً تَجِبُ المَرْحَبُ
ولا تَـكِـلْنَـا إلى مَـعْشَرٍ متى يَعِـدُوا عِـدَةً يَكْـذِبُـوا

وهَمُّـكَ فِيْهَـا جِسَـامُ الأمُـ ـــورِ وَهَمُّ لِدَاتِكَ[١] أنْ يلعبوا
بلغتَ لِعَشْرٍ مَضَتْ مِنْ سِنِيِّـ ـــكَ ما يَبْلُغُ السَيِّدُ الأشْيَبُ

ثم حمل على البريد من الكوفة حتى ورد على عمر فدخل عليه فجرى بينهما ما ذكرناه ، وشخص حمزة بن بيض إلى يزيد بن المهلب فمدحه فقال :

أَصْبَحَ في قَيْدِكَ السَّماحةُ والجُـ ـــودُ وحَمْلُ الدياتِ والحَسَبُ
لا فَـرِحٌ إنْ تَظَاهَـرَتْ نِعَمٌ وصـابـرٌ في البـلاءِ مُحْتَسِبُ
برزتَ سَبْقَ الجوادِ في مَهَلٍ وقَصَّرَتْ دون شَأْوِكَ العَرَبُ

فكتب له بخمسمائة دينار ، وكتب له إلى وكيله بمال .

وقال الهيثم بن عدي : حبس عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب في حصن حلب ، فلما مرض عمر وهو بدير سمعان ، وبلغ ذلك يزيد بن المهلب ، دس إلى عامل حلب مالاً وإلى الأحراس ، وقال : قد ثقل عمر فليس يرجى فلا تشيطوا بدمي ، فإنّ يزيد إنْ وُلِيَ لم يَنْظِرْني فُواقاً[٢] ، فأخرجوه فهرب وهم معه قد أعَدُّوا له الدواب فركبها وأَمَّ البصرة ، وكتب إلى عمر كتاباً وقال : إنْ بَرِىء فَلْيُدْفَعَ إليه . وكان فيه : «إني والله لو وثقتُ بحياتك ولم أَخَفْ وفاتك لم أخرج من محبسك ، ولكني لم آمن أن تهلك ويلي يزيد فيقتلني شر قتلة» .

فورد الكتاب وبه رَمَقٌ فقال : اللهم إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فأَلحِقْهُ به وَهِضْهُ ، فقد هاضني .

---

١ ـ لداتك : تربك ، أبناء جيلك .
٢ ـ الفواق : الذي يأخذ المحتضر عند النزع ، والريح التي تشخص من الصدر ، أو بين فتح يدك وقبضها على الضرع . القاموس .

قالوا : وتوفي عمر بن عبد العزيز بدير سمعان يوم الجمعة لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وذلك قول الواقدي .

وقال ابو نُعيم الفَضْلُ بن دُكَيْن عن سفيان الثوري : كان عمر حين توفي ابن أربعين سنة ، ويقال ابن تسع وثلاثين .

وقال سفيان بن عيينة : قال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : مات عمر ابن تسع وثلاثين سنة ، قلت : ابن تسع وثلاثين ؟ قال : ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾[1] .

وولي يزيد بن عبد الملك ، فلم يكن له همة إلا يزيد بن المهلب ، فأُخبر بهربه ، وقد كان أُشير عليه أن يأتي مسلمة وكان بالناعورة وهي من عمل حلب فيستجير به فلفته عن ذلك معاوية ابنه ، وكان دليلهم يَعْدِلُ بهم حتى كادوا يموتون عطشاً .

ووجه يزيد في طلب يزيد بن المهلب الكوثر بن زُفَر بن الحارث ، ويقال الهُذَيْل بن زُفر ، ويقال الوثيق بن زُفَر ، ويقال تَميْم بن عُمَيْر بن الحُبَاب ، ويقال عبد الرحمن بن سليم الكلبي في جماعة ، ويقال إنه وجَّه كل واحد من هؤلاء في وجه ، فلم يُلْحَق ، ولم يُوَقَع له على أثر .

وكتب يزيد إلى عدي بن أرطاة وهو مقرّ على البصرة ، وإلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو مقرّ على الكوفة ، يخبرهما بموت عمر ، وبهرب يزيد ، ويُحذّرهما إياه ، ويأمرهما بطلبه ويأمر عدياً

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٥٤ .

بحبس من قِبَلِهِ من آل المهلب والاستيثاق منهم ، ففعل عدي ذلك ، وأشار عليه وكيع بن أبي سود بقتلهم جميعاً للذي كان في نفسه على يزيد بن المهلب ، فقال عدي : ما كنت لأفعل ذلك ولم يجلوا بأنفسهم ، قال : فأهدم دورهم فلا يجد يزيد ما يؤوي ، فأبى ، قال : فافتح بيت المال واعط الناس يقاتلوا عنك ، قال : لم يُؤذَن لي في ذلك ، قال : كأني بك وقد أخذتَ برقبتكَ . ومات وكيع في أيامه .

وقال بعضهم : كان الوثيق بن زُفَر قد كاد يظفر بيزيد فقيل له : إنك أُمسكتَ عنه ولم تُجَادُه ، فقال : أجل ، قلت إن أدركتُه فقتلتُه قتلت رجلاً واحداً ، وإن بلغَ أهله انقادوا له ، ورجوت أن يَخلع ، فيقتله الله وأهل بيته ، فإن في رأسه نزوة .

وقال أبو مخنف : أقبل يزيد بن المهلب حتى ارتفع فوق القُطقطانية ، فبعث عبدالحميد بن عبدالرحمن : هشام بن مُسَاحِق بن عبدالله بن مَخْرَمَة - أحد بني عامر بن لؤي - في شرطة الكوفة وأهل القوة منهم فقال هشام : أصلح الله الأمير أآتيك به أسيراً ، أم آتيك برأسه ؟ فضحك عبدالحميد ثم قال : ذاك إليك ، فسار ابن مخرمة حتى نزل العُذَيْب ، ومرّ يزيد قريباً منه فأُخبر هشام بذلك فركب فحاد عنه متعمداً ، ومضى نحو البصرة .

وقال أبو عبيدة : بعث عبدالحميد : سليمان بن سُلَيْم بن كَيْسَان الكلبي لتلقّي يزيد وأَخْذِهِ ، فلم يقدر عليه ، وقيل إنه غُيِّبَ عنه .

وقال الهيثم بن عدي : أدرك يزيد بن المهلب الطلب ، ورأسه في حجر جاريته فهابته أن توقظه ، فرمت غلاماً له بحصاة وأومأت إليه أن نواصي الخيل قد طلعت فأيقظه غلامه ، فقال : اطرد بغلتي في وجوههم فإذا

سألوك : لمن هذه ؟ فقل ليزيد ، فإن قالوا : فأين هو ؟ فقل هوذا فإنهم إذا علموا بموضعي أحجموا ، وإن هجموا عليّ استقلّوا مَن معي فلم يرجعوا .

ففعل الغلام ذلك وسألوه فأخبرهم : فأقاموا ولم يقدموا عليه ، وجاءه وصيف بالمصلّى ، والإبريق فتوضأ وما معه إلاّ برذون أدهم أبيض الأذنين ، وعَجْلان وأبو فُدَيْك ومولى له آخر ومن على ثَقَلِهِ .

وقال المدائني : مرّ يزيد بحدث الرفاق ، وهناك منزل الهُذَيْل بن زُفر ، وكان يزيد خائفاً من الهذيل ، فلم يشعر إلا وقد دخل يزيد عليه ، ثم دعا بلبن فشربه فاستحيا منه الهذيل وعرض عليه خيله وغيرها فلم يأخذ منه شيئاً ، ثم أتى الرصافة [1] وسار في البرّ حتى أتى القادسية ، فوجّه عبدالحميد في طلبه فأعجزه حتى دخل البصرة .

المدائني عن بِشْر بن عيسى أن يزيد بن المهلب دخل البصرة ليلة البدر من شهر رمضان سنة إحدى ومائة ، وعليه درع وهو مُعْتَمّ ، فمرّ بالحرس الذين في الأزد ليلاً وعليهم بَدَل بن نُعَيم من بني ثعلبة بن يربوع ، وكان عدي بن أرطاة صيّره هناك في جماعة من بني تميم ، فقالوا : مَنْ هذا ؟ قالوا : الأمير أبو خالد ، قالوا : قَدِمْتُم خير مقْدم ادخلوا بسلام .

فأتى يزيد دار المهلب فاستفتح ، فقالوا : حتى يأتي المنهال بن أبي عُيَيْنَة ، وكان عدي صيّر أمر الدار إليه ليعلمه قدوم يزيد ، فبسط له في الرحبة فجلس ، وجاء المنهال فقال : افتحوا للأمير ، ففتحوا له الباب فلم يدخل ، وبعثت اليه هند بنت المهلب بطعام فلم يأكله ولم يقبله ، ثم دخل

---

١ ـ على مقربة من الرقة تبعد عنها قرابة الخمسة عشر ميلاً .

الدار بَعْدُ ، وجاء بدل بن نعيم إلى عدي فقال له : قدم يزيد الساعة فَسَرِّحْ معي خيلاً حتى آخذه قبل أن يقوى أمره ، فأبى عدي ذلك وتفرقت المسالح التي في الأزد .

وكتب يزيد من ليلته إلى يزيد بن عبدالملك يسأله الأمان وبعث إليه بكتابه مع خالد ابنه ، وحميد بن عبد الملك بن المهلب ، والمثنى بن عبدالملك بن الرَّبْعَة . ويقال بعث به مع حميد ويزيد بن جديع والمثنى بن عبدالله ، ويقال : بعثه مع حُميد ، ويزيد بن جُديع ، والمثنى بن عبدالله .

وبعث إلى عدي بن أرطاة : القاسم بن عبدالرحمن الهلالي ، وأمه فاطمة بنت أبي صُفْرة ، يسأله أن يُخلي سبيل إخوته ، وقال : أقْرِهِ السلام وقل له : إني لم أخلع ولم أُرِدْ شقاقاً ، وقد كتبتُ إلى أمير المؤمنين أسأله أن يُؤَمِّنَا ، فَخَلْ سبيل إخوتي لنخرج عن المِصْر ، فإن أتى كتاب أمير المؤمنين بما نُحب فَذَاكَ وإلا كنتَ قد سلمتَ منا وسلمنا منك .

فأبلغ القاسم بن عبدالرحمن عدياً رسالته ، فقال عدي للقاسم : ما ترى؟ . قال : أرى أن تَشُدّ يَدَكَ بهم حتى يضع يزيد يده في يدك ، ثم ترى مِن رأيك .

ورجع القاسم إلى يزيد فقال : قد أبى إلا أن تضع يدك في يده ، فبعث يزيد إلى الأزد وربيعة فجاءت الأزد وأبطأتْ ربيعة ، ثم جاؤوا فقال يزيد : لو كنا ندعوكم إلى معصية إنْ كان ليجب عليكم أن تجيبونا وأنتم إخواننا ، فكيف وإنما ندعوكم إلى حق ، عَلاَمَ يَحبِسُ هذا الرجل إخوتي بغير جُرْم .

وأمر يزيد العرفاء أن يفرضوا للناس ففرضوا ، وجعل يعطيهم قطع الفضة يقطعها لهم غلمان رجل من الصيارفة يقال له حُرَيْث ، وأتى يزيد قوم من القُرّاء والقُصّاص ، وأرسل يزيد إلى الأسواق فَحَوَّلها أو أكثرها الى الأزد ، واشترى السلاح واعتزل فنزل مقبرة بني يَشْكُر . وكانت اليمانية والربعية تختلف إليه ، وكانت مُضَر تأتي عدياً ، وكان سَبْرَةُ بن نخَف بن أبي صُفْرة يختلف إلى عدي معتصماً بالطاعة ، فبعث إليه يزيد : يا أبا عمرو إنك تأتي هذا الرجل ولا آمنُ أنْ يغتالك بعض المضرية فيذهب دمك ، فترك عدياً ولزم بيته .

وكان البَخْتَرِيّ بن مَعْن بن المُغِيْرة بن أبي صُفْرة يرى الطاعة أيضا ويكره ما صنع يزيد فخرج الى الشام وأتى يزيد بن عبدالملك فقيل له : إنه عَيْنٌ ليزيد بن المهلب . فحبسه ، فقال قصيدته التي يقول فيها :

فإنْ أكُنْ مُفْرَدَاً بِالشام مُغْتَرِباً دُوْني رِتَاجٌ له قِفْلٌ وإقلِيْدُ
وأصْبَحَتْ بَعْدَ قُرْبِ الدارِ نَازحةً أُمّ الخليلِ بأرضٍ دُوْنَها البِيْدُ

وحدثني رَوْح بن عبد المؤمن عن وَهَب بن جرير بن حازم عن أبيه أن عدياً حبس من بني الملهب: حبيباً الحرون ، ومروان ، والمفضل ، وعبد الملك ، واستخفى محمد بن المهلب في الحدان ، وتغيب بقية ولد المهلب في قبائل الأزد ، فلم يقدر عدي عليهم ، وكانوا امتنعوا من المصير إليه ، فبعث إليهم من وجوه أهل المصر قوم ناشدهم وقالوا : لاتخافوا أميركم فقالوا : قد مات عمر بن عبد العزيز ولا ندري ما فِعْلُه بنا ، فلم يزالوا بهم حتى أتوا عدياً فلما أتوه حبسهم .

وحدثني روح بن عبدالمؤمن ، حدثني على بن نصر الجهضمي عن مشايخهم أن عدياً بعث الحسن بن أبي الحسن إلى ولد المهلب في عدةٍ منهم : عبدالله ، وخالد ابنا عثمان بن عبدالله بن خالد بن أسيد فناشدوهم أن يأتوا أميرهم ولا يُؤْثِروا على الطاعة شيئاً ، فقال عبدالملك بن المهلب : انكم واطأتم عدياً على هلاكنا وليست طاعته بواجبة علينا ، فقال له الحسن : كذبتَ . فغضب عبدالملك وقال للحسن : أتكذّبني يا بن اللخناء ، وأخذ بقائم سيفه وقال : والله لولا أن أُعيّر بقتلك وأنت في منزلي لضربتُ عنقك ، فأنك عبد تريد استذلال أهل المصر بتخاشعك ، وقد حَمَّقْتَ نفسك وعدوتَ طورك وقدرك ، فلم يزل المفضل أخوه يُقسم عليه ويسكّنه حتى سكن ، ولم يُجبه الحسن بشيء .

ثم قال له : يا حسن ألم تطمر نفسك من الحجاج حيناً ، وليس هذا سلطان بني أمية ، وذلك سلطانهم ، ولسنا نأتي عدياً على هذه الحالة لأنّا لا نأمنه على دمائنا كما لم تأمن الحجاج على دمك . قال الحسن : فإن عدياً أمنكم من كل ما تكرهون ، وأمرني أن أعقد لكم أماناً ، وأضمن لكم عنه الوفاء .

فوثق المفضّل بقوله ولم يزل بعبدالملك حتى مضى معه إلى عدي ، وتخلف الآخرون . فلما دخلا على عدي أُخْفَرَ الحسن وحبسهما مع حبيب ومروان ، ثم بعث فأُتي بأبي عيينة ومُدْرِك فحبسهما فصاروا ستة فقيدهم جميعاً .

فلما حبس بني المهلب صعد المنبر فنعى عمر وأخبر بقيام يزيد بن عاتكة ، وكان المغيرة بن عبدالله الباهلي في خمسمائة فارس بالطّف ، قد

جعلهم عدي هناك ليمنع يزيد من دخول البصرة ، فلما دنا منه انهزم وأصحابه من غير قتال ، فلما انتهى إلى محرس بني تميم قالوا : من هذا ؟ قيل الأمير يزيد ، فسلموا عليه بالإمرة ودعوا له ثم انصرفوا إلى عدي فأخبروه بمقدم يزيد ، فغضب عليهم وشتمهم وقال : تركتموه حتى دخل ، ثم جئتموني تخبروني عنه . قالوا : فعاجِلْهُ الساعة قبل أن يغلظ أمره وتشتد شوكته فإنه إن أصبح لم تصل إليه .

وسأل يزيد عن إخوته الذين حبسهم عدي مع حبيب ومدرك فقال : هَبْ هذين وُلِّيَا ، فما بال الآخرين ؟ وكان مدرك ولي ليزيد سجستان وولي حبيب السند ، فلما عزلهما عدي حبسهما .

ولم يُعْطِ عدي الناس من بيت المال شيئاً ، وجعل يعطيهم في اليوم درهمين درهمين سلفاً من مال يقترضه ويقول : خذوا هذا حتى يأتيني أمر أمير المؤمنين يزيد، فقد كتبت إليه أن يطلق لي إعطاءكم من بيت المال، وإن أقدمت على إعطائكم من بيت المال لم آمن لائمته وأن لا يحسب ما تأخذونه لي ، فقال الفرزدق :

أظنّ رجالُ الدِّرْهَمَـيْنِ تَقُودُهُم إلى الموتِ آجالٌ لَهُمْ وَمَصَارِعُ
وأَحْزَمُهُمْ مَنْ كانَ في قَعْرِ بَيْتِهِ وأيقن أنّ الغُرْمَ لا بُدَّ واقِعُ [1]

حدثني أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو عاصم النبيل عن أبي عامر الخزاز قال : فرضَ عدي لأصحابه درهمين درهمين ، فرأيت رجلاً من أصحاب

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٢١ .

الحرس وقد طعن فخرج تربه [1] وإنه ليقال له : قل لا إله إلا الله فيقول هاتوا الدرهمين . حتى خرجتْ نفسه .

حدثني عمر بن شبّه عن أبي عاصم عن أبي عامر الخزاز بمثله .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف قال : جمع عدي لقدوم يزيد ، أهل البصرة وخندق عليها ، فبعث على خُمْس الأزد المغيرة بن زياد بن عَمْرو العَتَكِي ، وعلى خمس تميم مُحْرِز بن حُمْران السعدي أو جَيْهان ابنه ، ويقال عبيدالله بن مضارب الدارمي ، وعلى بكر بن وائل عمران بن عامر بن مسْمَع ويقال نوح بن شيبان المسْمَعِي . والثبت أن رجلاً من بني قيس بن ثعلبة يقال له أبو مُنْقِذ قال : إن الراية لا تصلح إلا في بني مالك بن مسْمَع ؛ فدعا عدي بن شيبان بن مالك بن مسمع فعقد له على بكر بن وائل ، وعقد لمالك بن المنذر بن الجارود على عبدالقيس ، وعقد لعبد الأعلى بن عبدالله بن عبدالله بن عامر بن كريز على أهل العالية . وقال غير أبي مخنف : عقد لعبدالأعلى بن الفرات الأسدي على أهل العالية .

وأقبل يزيد لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيل من قبائلهم إلا تنحوا له عن الطريق حتى يمضي .

وحدثني روح بن عبدالمؤمن عن علي بن نصر الجهضمي عن محمد بن أبي عيينة قال : غضب عمران بن عامر بن مسمع فمال إلى يزيد .

وقال أبو الحسن المدائني وأبو عبيدة : كان بالأهواز رجل من أهل الشام من السكاسك يكنى أبا السكن ، واسمه عبدالله بن هارون ، فلما بلغه

١ ـ الترب والترائب : عظام الصدر ، أو ما ولي الترقوتين منه ، أو ما بين الثديين والترقوتين ، القاموس .

أمر يزيد أقبل لينصر عدي بن أرطاة ، فخاف عدي أن يعرض له يزيد ، فبعث المِسْوَر بن عمر بن عباد بن الحُصَيْن والزَّرْد بن عبدالله السعدي ليمنعاه ممن أراده ، فبعث يزيد إليه محمد بن المهلب - أخاه - والمهلب بن العلاء بن أبي صُفْرَة ، فالتقوا عند الجسر ، ففر الزَّرْد والتقى محمد والمسور فضرب محمد المسور فأصاب أنف البيضة ، فجرحه على أنفه ، وضرب المسور محمداً فتناول محمد السيف من المسور وجذبه فَحَزَّ في أصابع محمد ، والتقى ابن العلاء وأبو السَّكَن فطعنه ابن العلاء ففقأ عينه وتحاجز القوم ، فقال الشاعر :

وأفلتَ في يوم الخميس بنفسه　　وكادَ يُلَاقي الموتَ زَرْدُ بني سَعْدِ
حززنا بِحَدِّ السيف كفَّ محمدٍ　　ولم نَبْتَئِس إنْ فَرَّ زَرْدُ بني سَعْدِ

وقال قوم من الأزد : كانت ليزيد رَمْكَةٌ بالأهواز فوجه المهلب بن العلاء ليقدم بها ، وبلغ ذلك عدياً فسرح المسور لذلك ، وأرسل يزيد أخاه ليمنع منه فالتقوا بصهر تاج [1] ووافاهم أبو السكن على تلك الحال فقاتل مع مسور ففقئت عين أبي السكن وجرح مسور على أنفه ، وانهزموا .

وقال المدائني : ولى يزيد بكير الفراهيدي من الأزد الجسر ، فأقام هناك ، ونظم عدي ما بين دار الإمارة والمربد بالخيل والرجال .

قالوا : وسار يزيد لمحاربة عدي ، وعدي في دار الإمارة ، فأمر بظلال السوق فأُحرقت وهُدمت الدكاكين ، فقال هُرَيْم بن أبي طحمة ، واسمه

١ - صهرتاج : موضع بالأهواز . معجم البلدان .

عدي بن حارثة بن الشريد بن مرة بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، وهو أبو الترجمان بن هُريم ، والمسور بن عمر بن عباد بن الحصين الحبطي ، من بني تميم لعدي : ما تناظر من هذا المزوني وأنت أعز منه وأُعدّ ، فأمرهما أن يسيرا إلى المربد ، وبث خيله في النواحي واستعد للحرب ، وكتب إلى يزيد بن عبدالملك يعلمه خلع يزيد بن المهلب ، وخرج هريم بن أبي طحمة في جمع كثيف من بني تميم ومن قيس إلى المربد ، ووقف هو في القلب في حنظلة وسعد ، فوجه يزيد إليهم محمد بن المهلب والمشمَعلّ الشيباني ، ودارس مولى حبيب بن المهلب فقاتل دارس وأصحابه بني تميم من أصحاب عدي ، وكانوا في إحدى المجنبتين وهو يقول :

أَنا غلام الأزد واسمي دَارِس　　إنَّ تَمِيماً ساءَ مَا تُمَارِس
إذا دَعُوْنَا فارساً لِفَارِس

وقال الفرزدق

تَفَرَّقَتِ الجَعْرَاءُ أنْ صاحَ دارسٌ　　ولم يَصْبِروا عند السيوفِ الصوارم
جَزَى الله قيساً عَنْ عَدِيٍّ مَلامَةً　　ألاّ صَبَرُوا حتى تكون مَلاَحِم[1]

وقاتل محمد بن المهلب قيساً وهم في المجنبة الأخرى فهزمهم ، وانكشف أصحاب عدي جميعاً، وأعان بشر بن حاتم بن سويد بن منجوف أصحاب يزيد ، وقاتل فأبلى ، وأتاه محمد بن المهلب شاكراً له ، وبعث إليه يزيد بصلة سنية مع عثمان بن المفضل بن المهلب ، فزعموا أنه قيل لابن سيرين : أن بكراً أعانت الأزد فتمثل :

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٢٤ مع فوارق كبيرة .

إذا كانت الأنصار بكر بن وائلٍ فذلك دِيْنٌ ناقص غير زائدِ

وكان فيمن قاتل يومئذ سالم المنتوف فقال بعضهم :

إنّ تَميماً ساء ما تُمارسْ ويل لها من سالم وَدَارِسْ

وقال الفرزدق :

والأَزْدُ قَد نَظَمتْ بالمِرْبَدَيْنِ وقد حَلُّوا بأرْعَنَ مِثْل الطَّوْدِ جَرَّارِ(١)

وإنما كره محمد ودارس أن يصير أصحاب عدي إليه فيقوى بهم ، وكره أصحاب عدي أن يُولّوا فيكبّ محمد ودارس عليهم .

قالوا : ولما كان من الغد بعث عدي هريم بن أبي طحمة المجاشعي إلى المسجد المعروف بمسجد الأنصار في خيل ، فأرسل يزيد أخاه محمداً وهو ابن الطالقانية ، فشد على هريم فاحتضنه وأخذ بمنطقته فقال هريم : عمك يا بن أخي ، فتركه .

وقال أبو مخنف في بعض روايته : التقوا عند مسجد الأنصار ليلاً ، فأهوى محمد لمنطقة هريم ليحمله فيقتلعه من السرج ، فانقطعت منطقته فتركه ، وأقبل مسور بربذ(٢) فضربه محمد على أنفه وانهزم أصحاب عدي .

وقال أبو عبيدة : ضرب محمد بن المهلب مسوراً ، ضربة على أنفه ، فقال خلف بن خليفة الأقطع :

كَسَروا راية ابن أُمِّ هُرَيْمِ وَحَذُوا مِسْوَرَاً على الخُرْطُومِ

ووجه يزيد عثمان بن المفضل بن المهلب نحو عدي ، وقد برز عدي إلى رحبة القَصّابِيْن ، فلقى عثمان خيل عدي فهزمهم وأسر منهم رجلين

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

٢ ـ الربذ : خفة ، الخفيف القوائم في مشيه ، وربذ العنان : منفرد منهزم . القاموس .

أطلقهما يزيد ، وأبلى عثمان يومئذ بلاء مذكورا فزوجه يزيد ابنته الفاضلة بنت يزيد .

وهُزم أصحاب عدي في كل ناحية ، وقتل خالد بن واقد العقيلي وغيره ، وهرب عدي فدخل الدار .

وأخذ دينار السجستاني مولى آل المهلب في العطّارين ، ثم صار إلى الوزّانين ، فَرُمِيَ بصخرة من سطح فأصابت ظهره فمات واحتز رأسه رجل من بني تميم فأُتى به عدياً ، وقال : هذا رأس بعض بني المهلب ، فبعث به عدي إلى المُحَبَّسِينْ الذين عنده من ولد المهلب ، فقالوا هذا رأس دينار مولانا .

وكان محمد بن المهلب ودارس ومن معهما مواقفين لهريم ومسور وأصحابها لا يقدم بعضهم على بعض ، وذلك عند مسجد الأنصار حيث كانت وقعتهم ، فلم يزالوا على تلك الحال حتى ظهر يزيد على عدي .

قالوا : والتقى عثمان بن المفضل وأصحاب عدي في الرحبة التي عند دار الإمارة فاقتتلوا ، فصُرعِ جيهان بن مُحَرّز السعدي ، فحماه معاوية بن أبي سفيان بن زياد ، فقال الفرزدق :

دعا ابن أبي سفيان والخيلُ دُونَهُ تُثيرُ عجاجاً بالسنابك ساطعِ
فَكَرَّ عليه مثل ماكَرَّ مُخْدرٌ من الأَسْدِ يَحْمِي ورداتِ المشارعِ [1]

وأم معاوية هذا أم أبان بنت حَكِيْم بن قيس بن عاصم التَّميمي .

ودنا الناس إلى عدي وهو في دار الإمارة ، وألصقوا بالدار ، فجعلت نبالهم تقع في الدار ، فقال عدي لحبيب بن المهلب : أَجِرْني . قال : لا ،

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

ولا كرامة . فقال لأبي عينية وعبد الملك : أجيراني . فقالا : نعم . وكانت الأصوات إذا خفيت دنا بنو المهلب إلى عدي كأنهم يتعوذون به ، وإذا علت دنا عدي منهم متعوذاً بهم .

وجاء عبد الله بن دينار مولى بني عامر وكان على حرس عدي منهزماً ، فدق الباب ، وقال : افتحوا فقد أخزى الله ابن المهلب فلم يفتح له حتى أُسر ، ودعا عثمان بن المفضل بسلم فوضعه على بيت المال أو دار الديوان فصعد الناس ثم انحازوا وخرجوا إلى دار الإمارة فأخذوا عدياً ، وفتحوا الباب، وأرسل عثمان إلى يزيد رجلاً أعلمه الخبر، فأقبل يزيد حتى وقف على باب الدار وأخرج إليه إخوته ، فأمر باطلاق قيودهم فأطلقت ، ولم يدخل الدار ليكون الأمر - زعم - شورى ونادى مناديه : الناس آمنون إلا عدياً وموسى بن وجيه الحميري ، فقُتل موسى ، قتله رجل عطار ، وقام أخو جرير بن حازم واسمه مُخْلِد فاعتنق ابن وجيه وقال : اقتلوني وموسى فأصابه السيف ، فحمل وهو مثقل فمات بعد أيام .

ويقال إن شقران مولى العتيك شد على موسى فعانقه ، وقال : اقتلوني وموسى . وارتثّ شقران فحمل إلى العتيك فعاش إياماً ثم مات .

وأمر يزيد فَحُوِّل إليه عدي بن أرطاة وابنه ، وحاضر بن أبي حاضر الأسدي ويقال أبو حاضر نفسه ، وابن السَّمْط بن شُرَحْبِيْل بن السمط الكندي ، وزياد بن الربيع الحارثي وغيرهم ممن أخذ من أصحاب عدي فقيدوا جميعاً فقال له عدي : لا تغرنّك نفسك يا يزيد فقد رأيت جنود الله من أهل الشام وبلاءه عندهم فتدارك أمرك قبل أن يشخصوا إليك ، واعلم أن بقائي أبقى لك ، ولئن طلبتَ الإقالة فهو خير لك .

وقال الفرزدق :

أعطى عديٌّ بِاسُتِهِ وَاسْتِ أُمِّهِ أبا خالدٍ والخيلُ تَدْمَى نُحُورُهَا[1]

وأجمع قوم على الخروج من البصرة منهم : هُريم بن أبي طحمة ، والمسور ، وعمرو بن يزيد بن عمير الأسدي ، ومحمد بن رباط الفقيمي ، وهداب بن مسعود المازني ، ومالك بن المنذر بن الجارود ، والحواري بن زياد بن عمرو العتكي ، فمضوا إلى الكوفة ، فأكرمهم عبد الحميد بن عبد الرحمن الأعرج عامل الكوفة من قبل يزيد بن عبد الملك ، وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز ، فأقره يزيد على الكوفة وأدنى مالك بن المنذر ، فحسده عمر بن يزيد فسعى به وقال : هو عين ليزيد عليك . وقال السرادق الباهلي :

غاب العَرَانينُ مِن قيسٍ ولو شهدوا يومَ ابنَ أرطاة ما سُبَّتْ به مُضَرُ

قالوا : ولما ظهر يزيد على عدي أقام يومه ذاك في دار بحيال المسجد الجامع ، فلما أصبح أمر فنودي في الناس فحضروا المسجد وحشدوا ، فخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : «يا أيها الناس إنّا غضبنا لكم فانظروا لأنفسكم رجلاً يحكم فيكم بالعدل ، ويقسم فيكم بالسوِّية ، ويقيم فيكم الكتاب والسنّة ، ويسير بسيرة الخلفاء الراشدين» .

فقال الحسن بن أبي الحسن البصري : يا عجباً من يزيد إنه بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين اتبعوه تقرّباً إلى بني مروان ، حتى إذا منعوه شيئاً من دنياهم ، وأخذوه بحق الله عليه غضب فعقد خرقاً على قصب ثم نعق

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

بأعلاجٍ فاتبعوه ، وقال : إني قد خالفتُ هؤلاء فخالِفُوهم ، ثم يدعوهم إلى كتاب الله وسيره الخلفاء الراشدين ، ألا وإن من سيرة الخلفاء الراشدين أنْ يوضع في رجله قيد ويُرَدَّ إلى محبس عمر ، فقال رجل للحسن : كأنك راض عن أهل الشام ؟ فقال : قبّح الله أهل الشام وتَرَحَهُم . أليسوا الذين أُحلّوا حرم رسول الله ﷺ ثلاثة أيام . وأباحوه أنباطهم وأقباطهم ، لا يتناهون عن سيئة ولا انتهاك حرمة ، ثم نصبوا المجانيق يرمون بيت الله ، فلم يُهِجْ يزيدُ الحسن وكفّ عنه .

وحدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا أبو داود الطيالسي ، ثنا شعبة عن الحسن أنه قال في فتنة يزيد بن المهلب : كلما نَعَرَ لهم ناعِرٌ اتبعوه ، هذا عدو الله ابن المهلب .

وحدثني عبد الواحد بن غياث عن جويرية بن أسماء قال : ذُكر ابن المهلب عند الحسن فقال : فاسق قاتل الناس مع هؤلاء على غير هدى ، ثم غضب غضبةً ، فعقد خرقاً على قصب ، ثم نعق بأعلاج وطغام فاتبعوه ، فهو يزعم أنه يدعوهم إلى كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وسيرة الخلفاء الراشدين الا وإنّ من سيرة الخلفاء الراشدين أن يوضع في رجله قيد ويُرِدّ إلى حبس عمر .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا وهب بن جرير بن حازم ، ثنا عمر بن يزيد قال : سمعت الحسن أيام ابن المهلب يقول : والله لو أن الناس إذا ابتُلوا من قبل سلطانهم صبروا لم يلبثوا أن يُفرّج الله عنهم ، ولكنهم يفزعون إلى السيف فيكِلُهُم الله إليه ، فوالله ما جاء الجازع إلى السيف بيوم خير قط .

قالوا : وبايع الناس يزيد بن المهلب على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، وتحول إلى دار الإمارة ، ووجد في بيت المال عشرة آلاف ألف درهم ، وخندق على البصرة ، وولى شرطته عثمان بن أبي الحكَم الهنائي من الأزد ، واستعمل محمد بن المهلب على فارس ، وهلال بن عَيّاض الهنائي على الأهواز ، وزياد بن المهلب على عُمان ، والمهلب بن أبي عيينة على جزيرة ابن كاوان ، والأشعث بن عبد الله بن الجارود أو مُهْزِم بن القِرْن العَبْدي على البحرين ، وولى مُدْرك بن المهلب خراسان ، وولى وداع بن حميد اليحمدي من الأزد قندابيل ، فقال له حبيب بن المهلب : لا تُوَلِّه فإن في رأسه وعينيه غـدرة ، فكان من أمره أنه أغلقها دونهم ، فقال المفضل : رحم الله أبا بسطام ـ يعني حبيباً ـ لأنه كان يرى أمر وداع ، ويقال إن وداعاً كان قتل قبل هربهم إلى قندابيل .

قالوا : ولما كان يوم الفطر خرج يزيد بن المهلب إلى المصلّى فخلع يزيد بن عبد الملك ، وشتم بني مروان ، ودعا إلى الرضا من بني هاشم ، وذكر عبد الحميد بن عبد الرحمن فقال : وهذه الضَّبْعَةُ العرجاء مضطجعاً بالكوفة ، فأخذ الناس عليه قوله : الضبعة ، وإنما هي الضَّبُع والذكر ضِبْعَان .

وأصاب الناس يومئذ مطر شديد ، فانصرفوا وانصرف يزيد عن المصلى إلى الأزد وصحبه ناس قليل فغدَّاهم وكساهم وأعطاهم مالاً قُسم بينهم ، ثم رجع إلى دار الإمارة .

ووجه يزيد بن المهلب إلى بسطام بن مُرّي المعروف بشوذب الشاري السميدع ، ويقال حبيب بن خدرة يدعوه إلى نصرته ، فقال شوذب للذي

أرسله يزيد من هذين الرجلين : لولا مكانك من الدين لقتلتك . أتدعوني إلى نصر يزيد ؟، وضربَهُ عشرين سوطاً . وكان السميدع وحبيب صُفْرِيَّين .

قالوا : وقدم عبد الملك ومالك ابنا مسمع بن مالك بن مسمع من السند ، فكرها أن يقاتلا يزيد ، فدعوا بني بكر إلى نصرة عدي ، وكتبا إلى يزيد بن عبد الملك كتاباً في أمر يزيد بن المهلب ، فصار الكتاب إلى ابن المهلب فقال : أراهما يُعِينان عليّ ويبغياني الغوائل فحبسهما مع عدي وأصحابه .

قالوا : وكان قتادة بن دعامة السدوسي الفقيه ينتقص يزيد بن المهلب وينال منه، فبلغ ذلك يزيداً فأرسل يزيد إليه، وهو في الأزد، فلما دخل عليه شتمه ، فأغلظ له قتادة فقال السميدع : دعني أبعج بطن هذا الأعمى ، أعمى الله قلبه كما أنه أعمى البصر والقلب ، فقال يزيد : أنا أراقب قومه ، وأمر به فَوُجِىءَ في عنقه ووضع فيها حبل وبعث به إلى الأهواز فحبس فيها . وخرج قتادة وهو يبكي فقال له رجل : أتبكي يا أبا الخطاب ؟ قال : نعم مما أرى . فلم يزل محبوساً حتى قتل يزيد فأخرجه صاحب السجن وكان من بني عجل .

وكتب ابن المهلب إلى زياد بن المهلب ، وهو بعُمان ، أن يفرض ففرض لثلاثة آلاف رجل من أهل عُمَان ، واستعمل عليهم المِشْمَاس بن عمرو الأزدي ثم الجديدي ، فقدموا على يزيد ، قالوا : وكان بالبصرة قاض يقال له زَيْدَل[1] ، فشاور الحسن في صحبة يزيد فنهاه فصحبه ، فأخبر يزيد

١ ـ بهامش الأصل : زيدل : باللام .

بقول الحسن فقال : يا قوم مالي وللحسن يُخَذّل الناس عني ، إني لأخاف والله نفسي عليه ، فكان الحسن يقول : يأتينا أقوام فينتصحونا فننتصح لهم فيسيئون بنا . زيدل ، وما زيدل . لعن الله زيدلاً .

وقال يزيد وذكر الحسن : والله ما أدري ما استبقائي إياه فإنه شيخ جاهل ، لهممتُ أن أضربه حتى يموت ، فقال المفَضّل : أصلح الله الأمير . إن له قدماً وفضلاً وقدراً بالمصر ، فكفّه ذلك عنه .

وقال الشاعر :

لَبِئْسَ ما أَبْلَتْ تَمِيْمٌ أَمسِ عِنْدَ ابن أَرْطَاةَ وعند البَأْسِ
لَمْ يَصْلُحُوا إلا لِلَقْمٍ دحْسِ وفَلَقِ البَرْنِيِّ[1] والتَّحَسِّي
وَلَّتْ تميمٌ بظُهُورٍ قُعْسِ وأَسْلَمَتْ أدبَارَهَا للنَّخْسِ

وقال يحيى بن أبي حفصة :

لو نَالَ عَقْدَاً عَدِيٌّ من حِبَالِهِمُ ما حَلّ بالسِّجْنِ في قيد وأصفادِ
إنْ يَقتُلُوكَ فَإنَّ الله قاتِلُهُم ودُونَ قَتْلِكَ يومٌ شَرُّهُ بادِ
آلَ المهلّبِ قومٌ خَانَةٌ غُدُرٌ لن يَهديَ الله كيْدَ الخائِنَ العادي

وحَدثت عن مرحوم العطار عن أبيه قال : لما كانت فتنة يزيد اختلف الناس في أمره ، فانطلقتُ ورجل آخر إلى محمد بن سيرين فقلنا : ما ترى يا أبا بكر ؟ قال : انظروا حين قتل عثمان ما صنع ابن عمر فاقتدوا به ، فإن عبدالله بن عمر كفَّ يده .

---

١ ـ الدحاس : الامتلاء والزحام ، ودحس الصفوف لم يترك بينها فرجاً . القاموس النهاية ، والبرني من أنواع التمر الجيد .

حدثني أبو الربيع الزهراني ، ثنا حماد بن زيد عن كلثوم بن جبر قال : قلتُ للحسن : إنْ أكرهَني يزيد بن المهلب على الخروج معه فحمل عليّ رجل ؟ قال : تناشده . قلت : فإن أبىٰ ؟ قال : فكُنْ عبدالله المقتول . قال : فخرجتُ إلى مكة فسألتُ مجاهداً فقال لي مثل قول الحسن .

ودعا يزيد للفَضْلِ بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم وبايعه فتوارىٰ ، وهرب عبد الواحد من ولد ابن عامر بن كريز ، وخالد بن صفوان بن عبدالله بن الأهْتَم المَنْقَري الخطيب وجماعة من بني تميم وغيرهم . قالوا : ولما ورد حميد بن عبد الملك بن المهلب ، وخالد بن يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك بكتاب ابن المهلب إليه في طلب الأمان استشار الناس في أمانه ، فقالت المضرية : لا تؤمنه فإنه أحمق غدار ، وقالت اليمانية تؤمنه فتحقن الدماء ويستصلحه قومه . فأمر فكتب له أمان على أن يقيم ببلده ، وأنفذه مع خالد بن عبدالله القَسْري ، وعمر بن يزيد الحَكَمي ، وصرف حميداً وخالداً معه ، فتقدم خالد بن يزيد إلى أبيه بالبشارة .

وكان يزيد بن عبد الملك قد ولى عبد الرحمن بن سُليم الكلبي خراسان ، فلما كان ببعض الطريق مما يلي الكوفة بلغه ما صنع يزيد بن المهلب بعده ، فأقام بمكانه ، وورد خالد بن عبدالله القسري ، وعمر بن يزيد الحكمي ومعهما حميد بن عبد الملك بن المهلب فلقيهم الحَوَاري بن زياد بن عمرو العتكي ، وكان قد صار إلى عبد الحميد فحمله من الكوفة على البريد إلى يزيد بن عبد الملك فأخبرهم بما فعل يزيد بن المهلب وقال : تركتُ عدياً محبوساً مقيداً فقال حميد : إن هذا عدوٌ لنا فهو يشنّع علينا .

وساروا حتى بلغوا الموضع الذي به عبد الرحمن بن سُليم بقرب الكوفة فَشَدَّ عبد الرحمن على حميد بن عبد الملك فاستوثق منه ، وأخبر عبد الرحمن بن خالد بن عبدالله والحكمي بما فعل يزيد بن المهلب وقال : لا تَنْفُذا إليه .

وقال أبو مخنف : ولى يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن سُليم الكلبي خراسان ، فلما كان بقرب الكوفة ، بلغه ما كان من ابن المهلب ، فأقام وكتب إلى يزيد بن عبد الملك : إنّ جهاد من خالفك أحبُّ إليّ من ولاية خراسان فاجعلني ممن تُنْهِضُه لقتال ابن المهلب ، فقد عصا وخلع وحبس عدياً .

وورد عليه خالد بن عبدالله ، وعمر بن يزيد بالموضع الذي أقام به ، ومعهما حميد فقال لهما : لا تنفذا ، وشد عبد الرحمن على حميد فبعث به إلى يزيد بن عبد الملك فحبسه .

ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن على خالد بن يزيد بن المهلب حين قدم الكوفة يريد أباه ليبشره ـ زعم ـ بالأمان ، فبعث به إلى يزيد أيضاً فحبسه ، فلم يفارق حميد وخالد الحبس حتى هلكا فيه بالطاعون ويقال بل قُتلا فيه ، ويقال إن ابن جهم بن زحر كان معه فحبسه عبد الحميد .

وورد الحواري على يزيد بن عبد الملك فَصَدَقَه عن خبر ابن المهلب فعندها أمر بتوجيه الجنود إليه ، وبعث يزيد إلى أهل الكوفة رجالاً من أهل الشام يسكنونهم ويثنون عليهم بطاعتهم ، ويعدونهم الزيادة في أعطياتهم ، وفيهم القَطاميّ بن جَمّال الكلبي واسم القطامي حُصَيْنٌ .

وكان القطامي في حين بلغه أمر يزيد بن المهلب قال :

لَعَلَّ عَيْني أنْ تَرىٰ يزيدا يَقُودُ جيشاً جَحْفَلاً رَشِيْدَا
نَسْمَعُ لِلأَرْضِ بِهِ وَئِيْدَا لا بَرِمَاً جَبْسَاً ولا حَيُودَا
ولا جَبَاناً في الوَغَىٰ رِعْدِيْدَا

ثم إنه بعد ذلك سار مع مسلمة بن عبد الملك فحارب يزيد بن المهلب ، فقال يزيد : ما أَبْعَدَ شعر القَطَامي بن جَمّال من فعله .

وحدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عدي عن عوانة قال : مرَّ يزيد بن المهلب بِفَرْقَد السَّبْخِي ، ومع يزيد إخوته : عبد الملك ، والُمفَضَّل ، وأبو عيينة ، فوقف على فرقد وعليه جبة صوف وعلى عاتقه منجل ، فقال له : يا أبا يعقوب إن بني أمية ابتزوا الناس أمورهم فلو خرجتَ سارع الناس إليك ، فقال : هيه ، اذهب عنا . فقال إخوته : مَن هذا ؟ قال : فرقد السبخي . فقال المفضل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، بعد الأحنف بن قيس والمهلب ، ومالك بن مسمع صرنا إلى فرقد السبخي ؟ هلكنا ورب الكعبة .

قالوا : ووجه يزيد بن عبد الملك ـ وهو يزيد بن عاتكة ـ مَسْلَمَة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك في جمع عظيم من أهل الشام والجزيرة يقال إن مبلغه سبعون ألفاً ، ويقال ثمانون ألفاً .

وكان يزيد حين خلع قال : إني لأرجو أن أهدم مدينة دمشق حجراً حجراً . فقال الفرزدق :

تُخَبِّرُكَ الكُهَّانُ أنكَ نَاقِضٌ دمشقَ التي قد كانت الجنُّ جَزَّتِ
لَها من جبالِ الثلجِ صخراً كأَنهُ قَنَاعيسُ[1] حتى أشرفَتْ وَاشْمَخَرَّتِ

١ ـ القناعيس جمع قنعاس وهو من الإبل : العظيم ، والرجل الشديد المنيع ، العظيم الخلق . القاموس .

أَتَتْكَ خُيُولُ الشام تَخْطُرُ بالقَنَا ... لها خِرَقٌ كالطَّيْرِ لما اسْتَعَلَّتِ
يَقُودُ نَوَاصِيْها إليكَ مُبارَكٌ ... إذا ما تَصَدّىٰ للكتيبةِ وَلَّتِ
مِنَ آلَ أبي العَاصي حَوَالَيْ لِوائِهِ ... ثمانُون أَلفاً كُلُّها قد أَظَلَّتِ[1]

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن أشياخه قال : نزل مسلمة والعباس النُّخَيْلَةَ بالكوفة ، فقال مسلمة : ليت هذا المَزْوَنِي لا يكلفنا اتباعه في هذا البرد ، فقال حسان النَّبْطِي : أنا أضمن لك أن يزيد لا يَبْرَهُ الأَرَصَةَ ـ يريد : أنا أضمن لك أن يزيد لا يبرح العرصة ـ فقال العباس : لا أم لك أنت بالنبطية أبصر منك بهذا ، فقال حسان له : نَبَّطَ الله وجهك أشقر أحمر أزرق ليس اليه طابِيءُ الخلافة ـ يريد أشقر أحمر ليس عليه طابع الخلافة ، فقال مسلمة : يا أبا سفيان ، لا يهولنّك قول العباس . قال : إنه أهمق لا يأرف ـ يريد أحمق لا يعرف ـ .

قالوا : وقد كان جرىٰ بين العباس ومسلمة اختلاف ، فبلغ ذلك يزيد بن عاتكة ، فوجّه عثمان بن حَيَّان المُرّي ليصلح بينهما ، وضمن له يزيد بن عاتكة إنْ فَعَلَ أنْ يَفُكَّ عنه حدَّين كان حدّه إياهما أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري ، وهو يومئذٍ عامل سليمان بن عبد الملك علىٰ المدينة ، أحدهما لرجل من قريش قال له : يا مخنث ، أو يا منكوح ، والآخر في شراب .

فلما أصلح بينهما واستقام أَمْرُهُمَا عزل يزيدُ ابنَ حزم ، وكان عاملَهُ بعد سليمان وعمر أيضاً ، فاقتصّ عثمان منه الحدّين . وكان شاعر الأنصار قال :

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١١١ ـ ١١٢ مع فوارق كبيرة .

نحنُ ضَرَبْنَا الفاسقَ ابن حَيَّان حَـدَّيْنِ لَمْ نَخْلِطْهُـمَا بِبُهَتَـان

فقال شاعر قيس :

نحن ضربنا الفاسق ابن حزمْ حـديـن لم نخـلطهـما بـإثمْ

قالوا : ولما بلغ يزيد بن المهلب إقبال مسلمة والعباس في جند أهل الشام والجزيرة ، كتب إلى محمد بن المهلب في القدوم من فارس ، فقدم عليه وقيل له : ائت فارس فإن بها قلاعاً منيعة فإن أُعطيت ما تريد ، وإلا أتيتَ خراسان ، فقال : أَمَعَ الوعول بفارس ؟ فقال محمد : أقم فقاتل بأهل مصرك . فقال حبيب : لا تُخدعَنْ فإن أهل مصرك غير مقاتلين معك ، ولكن احمل هذا المال واخرج إلى الموصل فادْعُ عشيرتك بها ، فقال : يا أبا بَسْطَام أردتَ أن تقربني من عدوي فيقاتلني في بلاده ؟ لا ولكني آتِ واسطاً ثم أقرب من الكوفة وأرتاد مكاناً فيه مجال للخيل ، وأرجو أن ينضم إليّ من أهل الكوفة مثل من معي من أهل البصرة .

فعسكر بالبصرة عند الجسر ، وأمر مروان بن المهلب أن يستنفر الناس ، وكان الحسن البصري يثبط الناس عنه ويحذرهم الفتنة ، فأخذ مروان ناساً من أصحاب الحسن فحبسهم فكف عند ذلك فخلاهم مروان .

ثم وجه يزيد عبد الملك بن المهلب في أربعة آلاف إلى واسط فأتاها، وخرج يزيد من البصرة يَؤُمُّ واسطاً ، واستخلف على البصرة مروان بن المهلب ، فأُتي مروان بمُرْتَدٍّ فاستشار فيه الحسن فقال : قال رسول الله ﷺ : «من بَدَّل دينه فاقتلوه» ، فقتله .

وقدم يزيد واسطاً في ستة عشر ألفاً ، وشخص معه بِعَديٍّ بن أرطاة ومن حبسه معه ، وتكلم الناس فعظموا أمر أهل الشام ، فخطبهم فقال :

رأيت ارتجاس هذا العسكر بقولهم جاء مسلمة ، وجاء العباس ، وجاء أهل الشام . وما أهل الشام هل هم إلا تسعة أسياف سبعة منها لي وسيفان علي ؟ وما مسلمة ؟ جرادة صفراء . وما العباس ؟ نسطوس بن نسطوس أتاكم في برابرة وجرامقة وجراجمة وأنباط وأبناء فلاحين وأوباش أخلاط كاسلاَءِ اللحم وأقباط . أليس لكم جنن[١] كجننهم ، أوليسوا بشراً يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ، فأَعيروني سواعدكم ساعة تصفعون بها خراطيمهم .

وكان خالد بن صفوان هرب من البصرة فلقيه يزيد بواسط وكانت بوجهه بثرة عليها دواء فاستأذنه وقال إنه وصف لي شرب التيادر[٢] بطُوْس ، فأذن له ، فتنحى .

وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص أو غيره :

أبا خالدٍ قد هِجْتَ حرباً فلا تُقِمْ وقد شَمَّرَتْ حربٌ عُوَانٌ فَشَمِّرِ

فقال يزيد حين بلغه هذا البيت : قد كان ذاك .

وإنَّ بنِي مَروانَ قد زال مُلْكُهُمْ فإنْ كنتَ لَم تَشْعُر بذلكَ فَاشْعُرِ
فَعِشْ مِلِكاً أو مُتْ كريماً وإنْ تَمُتْ وسيفُك مشهورٌ بكفِّكَ تُعْذَرِ

فقال يزيد : أما هذا فنعم .

وقال عَطِيَةُ بن السَّائب الشَّنِّي

أبا خالدٍ إنَّ المنايا مُطِلَّةٌ فَمُتْ صابراً قِدْماً كما ماتَ مُصْعَبُ
ولا تَقْبَلَنْ خَسْفَاً فما مِن سعادةٍ لِمَنْ عاشَ مَذْمُوماً يُلامُ ويُقْضَبُ

١ ـ الجنن : القلب ، والروع ، والروح . القاموس .
٢ ـ لم اهتد إلى التعريف بهذا الشراب .

فلما سمع يزيد قوله : كما مات مصعب . قال : صدق فُوْكَ .

ووجه يزيد إخوته يرتادون له موضعاً للمعسكر فاختاروه بالعَقْر ، فخلف على واسط ابنه معاوية بن يزيد ، وخلف عدي بن أرطاة ومَن حُبس معه عنده ، وسار يزيد حتى نزل معسكره بالعقر بين المدائن والكوفة وهو من سوراء[1] ، وأتاه ناس من أهل الكوفة يُعْيِنُونه .

ونزل عبد الحميد بن عبد الرحمن النُّخَيْلَةَ وبثقَ الأنهار لئلا يصل أحد إلى الكوفة ، وبعث مع سَنَدْ بِنْ هانىء الهمداني جيشاً إلى مسلمة ليقاتلوا ابن المهلب معه ، وقال الفرزدق :

هَلاَّ زجَرْتَ الطير إنْ كنتَ زاجراً   غداةً نزلتَ العَقْرَ إنكَ تُعْقِرُ[2]

ولما قرب أهل الشام منه وجه أخاه محمداً ، وكان يسمى المشؤوم ، وابنه المُعَارِك ، في جمع كثيف فلقوا العباس بن الوليد بِسُورَاء وهو في أربعة آلاف سوى من صار إليه من أهل البصرة مخالفين ليزيد ، فالتقوا فانكشف أهل الشام ، وصبر هُرَيْم بن أبي طَحْمَة وأهل البصرة ، فناداهم هريم : يا أهل الشام لا تُسلمونا . فعطفوا ، وأقدم هريم وهو يقول :

لما رأوني في الكتيبة مُعْلَمَاً   أَغْشَىٰ الكريهةَ مثل ضُوءِ الكوكبِ
فاستيقنوا مني بِضربٍ صادقٍ   ليستْ عَدَاوَتُنا كَبَرْقٍ خُلَّبِ

فهزموا أصحاب يزيد حين بلغوا إليه ، فقال الفرزدق :

أَحَلّ هُرَيْمٌ يَوْمَ سُوْراءَ بالقَنَا   نُذُوْرَ نِسَاءٍ مِنْ تميمٍ فَحَلَّتِ[3]

---

١ ـ سوراء : موضع يقال هو إلى جنب بغداد ، وقيل هو بغداد نفسها . معجم البلدان .
٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١١١ .

وقال محمد بن المهلب ليزيد : لو وجهت إليهم خيلاً فحركتهم . فعقد يزيد لعبدالله بن حيّان العبدي على أربعة آلاف ، وضم إليه فضيل بن هناد الأزدي ثم الفراصي في خيل ، وضم إليه سالماً المنتوف في خيل ، وصيَّره على خيل بكر بن وائل فعبروا الصَّراة . ووجه إليهم مسلمة سعيد بن عمرو بن أسود بن مالك بن كعب بن وَقْدَان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة في أربعة آلاف ، وكان لأهل الشام كمين فاقتتلوا فقتل عبدالله بن حيان ، وفارس من أصحاب فضيل بن هناد ، وجال أهل العراق وخرج كمين أهل الشام عليهم عند جولتهم فكانت الهزيمة فلم يلووا على أحد حتى أتوا يزيد، وعثر بسالم المنتوف فرسه فصرع فأخذوه أسيراً فقال لمسلمة : استبقني لقتال الروم ، فقال : يا بن اللخناء طالما كفيناك قتال الروم وكفاناهم الله قبلك ، وأمر به فقتل . فقال موسىٰ بن حكيم السَّعْدِي :

وبالمَنْتُوفِ عَبْدُكُم فَخرتُم فَهَلاَّ بالصَّرَاةِ حَمَى الذِّمَارا

ثم عبر مسلمة الصراة ، وخلّف الأثقال ، وخندق خندقين ، فقال المهلب بن العلاء بن أبي صُفْرة : إن هؤلاء قد خندقوا خندقاً بعد خندق ولا آمن من يصلوا بخندقهم إلى خندقنا فعاجلهم ، فضحك يزيد وقال : إن وصلوا فَمَهْ . فما أظن العسكرين ضَمَّا رجلاً أضعف قلباً منك ، فقال حبيب بن المهلب : أما والله إنك لتعرفه بغير الجبن وقد أشار عليك بالرأي ورماك به فبَيِّتْهُم وعاجلهم .

فَهَمَّ يزيد بذلك فقال بعض من معه من القراء : لا يحل لنا أن نبيتهم حتى ندعوهم ، فأقاموا أياماً ثم التقوا .

قالوا : ولما كان اليوم الذي قتل فيه يزيد ، وهو يوم الجمعة ، لأربع عشرة ليلة خلت من صفر ، سنة اثنتين ومائة ، خرج منسَرٌ لأهل الشام ومنسر لأهل العراق فتهايجوا ، فسمع يزيد ضجة فقال : ما هذا ؟ فقيل : الناس يقتتلون . فدعا يزيد بدرعه وثيابه فلبسها وخرج ووضع له كرسي على باب خندقه ، ووضع لمحمد كرسي آخر وجعلا يتحدثان ، وقد كانت أصابت يزيد خلفة[1] قبل ذلك فضعف ، فأمر الناس فتقدموا وعلى ميمنته حبيب بن المهلب ، وعلى الميسرة المفضّل بن المهلب ، والراية مع المهلب بن العلاء ، وركب محمد فرسه فلحق بهم فصار ومن معه على حاميتهم .

وزحف أهل الشام ، وفي ميمنتهم الهُذَيْل بن زُفَر بن الحارث الكلابي ، وفي الميسرة القَعْقَاع بن خليل بن جزي العبسي ، ويقال الوليد بن تليد العبسي ، والوضاح البربري مولى عبد الملك في الوضاحية . ولوضاح هذا يقول جرير بن عطية :

لقد جَاهَدَ الوَضَّاحُ بالحقِّ مُعْلَمَاً فأَوْرَثَ مَجداً باقِياً أهْل بَرْبَرَا[2]

فاقتتلوا وصبر الناس ، فقال مسلمة للوضاح : انطلق إلى جسر الصَّراة فأحرقه وأحرق السفن التي في الصراة . فأحرق الجسر وبعض السفن فلما رأوا النار اضطرب عسكر يزيد فقال يزيد ما للناس ؟ قيل : انهزموا . قال : ولم ؟ قيل : أُحرق الجسر . فقال : لعنهم الله رعاج[3] نفخ فطار ، بئس حشو الكتيبة والعسكر ، كأنهم غنم شَدَّ في ناحيتها ذئب .

---

١ ـ يقال أخذته خلفه : كثر تردده إلى المتوضأ . القاموس .

٢ ـ ديوان جرير ص ١٨٧ .

٣ ـ الرعج : البرق تتابع لمعانه . القاموس .

وصبر أهل الحفاظ ، وفقئت عين المفضل ، وجاء محمد وقد ضُرب على جبهته بعمود فقال له يزيد : من ضربك ؟ قال : لا أدري إلا أنه قال حين ضربني : أنا الغلام الحرشي فظننته سعيد بن عمرو الحرشي .

وكان يزيد جالساً على كرسيه ينقل من مكان إلى مكان ، ووضع على نشز من الأرض فنظر فإذا فرس حبيب بن المهلب قد جاء غائراً . فقال : هذا والله فرس أبي بسطام ولا أحسبه إلاّ قد قتل ، وقال له بعض من معه : إني لأظنه كما قلتَ وأنت تشم التفاح ، وكان معه تفاحة يشمها لضعفه .

فدعا يزيد بفرسه الأشقر ثم ذكر قول القائل في الأشقر : إن تقدم نحر وإن تأخر عُقر ، فتطير وقال : ائتوني بفرسي الأشهب فأتي به فركبه وحمل فلما توسط المعركة لقيه القحل[1] بن عياش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عزين من ولد زهير بن جناب الكلبي ، فاختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وله يقول المسيّب بن رِفل بن حارثة بن جناب بن قيس بن أبي جابر بن زهير بن جناب الكلبي :

قتلنا يزيدَ بن المهلبِ بَعْدَمَا ... تَمَنَّيْتُمُ أنْ يغلِبَ الحقَّ باطِلُهْ
وما كان في أهل العراق مُنَافِقٌ ... عن الدين الا مِنْ قُضَاعَةَ قَاتِلهُ
تَخَلَّلَهُ فَحْلٌ بأبيض صارمٍ ... حُسَامٌ جَلاَ عن شَفْرَتَيْهِ صَيَاقِلُه

وقال أبو مخنف : جلس مسلمة على تل وحوله حماة أهل الشام ، وقصد أصحاب يزيد التل فلما رآهم مقبلين انحدر ، وركب يزيد فرساً له أشهب وقاتل فصدم أهل الشام أهل العراق صدمة منكرة واختلط الناس ،

١ - بهامش الأصل : اسم القحل عمرو .

وفقد يزيد فقال المهلب بن العلاء : ويحكم اطلبوا محمد بن المهلب فإن فيه خلفاً من يزيد إن كان يزيد قتل ، فطُلب يزيد فلم يوجد فألقى ابن العلاء اللواء وخنس في الناس .

ودخل أهل الشام عسكر يزيد فأسروا ثلاثمائة فسمي ذلك اليوم يوم التل ، ويوم العقر لأن مسلمة كان على تل ، فلما أقبل الناس نحوه نزل عنه .

وقتل في المعركة يزيد بن المهلب ، وحبيب ، ومحمد بنو المهلب ، وعبد ربه ، والحجاج بنو يزيد بن المهلب ، وحرب بن محمد .

وقال قوم من قيس : قَتَل يزيد الهُذَيل بن زُفَر بن الحارث الكلابي ، وقيل للهذيل : انزل فاحتز رأسه فأَنِف وقال : أنا أنزل فأحتز رأسه ؟ - استنكافاً - .

وقدم فَلّ يزيد بن المهلب واسطاً على معاوية بن يزيد بن المهلب ، فَقَدَّمَ عدي بن أرطاة ومن في الحبس معه فقتلهم ، وأراد قتل نساء آل المهلب لئلا يؤسرون فأغلقن الباب دونه ، فقال : أَوْلَى ، أما والله لو ظفرت بكنّ ما أبقيتُ منكنّ واحدة ، والله أولى بالعذر .

ومضى معاوية إلى البصرة ، وتحمل منها ففي ذلك يقول ثابت قُطْنَة .

وما سَرَّني قتل الفزاريّ وابنه عدي ولا أحببت قتل ابن مسمع
ولكنها كانت مُعَاوِي زَلّةٌ وضعت بها أمراً على غَيْرِ مَوْضِعِ

وكان الذين قتل معاوية بن يزيد بن المهلب : عدي بن أرطاة ، وعبدالله بن عروة النصري ، وابني مسمع .

وقال أبو الحسن المدائني : لما قتل يزيد جاء قوم يقولون : جاء الفتح ، ثم جاءت حقيقة الخبر ، فقتل معاوية بن يزيد وهو على واسط عديا ، وجميع من كان معه ، وكان عدي قال ليزيد : استبقني فهو خير لك ، فقال له : اني لخليق أن أشدك بالحديد وأضعك بيني وبين أهل الشام . فقال : إذاً لا يمنعهم ذلك من الإغراق في النزع .

قال : وأسر من أصحاب يزيد في المعركة ألفان وثمانمائة ، فبعث بهم مسلمة بن عبد الملك من العقر إلى ذي الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وكان عامله على الكوفة .

وحدثني حفص بن عمر المعروف بالعُمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش ، وأخبرني الأثرم عن أبي عبيدة وقرأت على المدائني قالوا : لما قتل يزيد وأُتي برأسه ورؤوس أصحابه إلى مسلمة أرسل بها مسلمة والعباس بن الوليد مع عذام بن شتير الضبي إلى يزيد بن عبد الملك وافداً وبشيراً ، وبعث برأس يزيد خاصة مع محمد بن عمر المخزومي ، فلما وردت الرؤوس على يزيد بن عبد الملك سَجَدَ ودعا بحجام فأخذ من ناصيته ونواصي من حضره ، وكان ابن شهاب الزهري فيمن حضره ، وكان أصلع شديد الصلع ، فأخذ الحجام شعرات من قفاه .

وأقطع يزيد بن عبد الملك محمد بن عمر المخزومي مهلبان[1] ، وأقطع عذام بن شتير أرض زياد بن المهلب . وقال الفرزدق .

---

١ - لم يرد ذكر مهلبان في المصادر الجغرافية .

لولا دفاعك يوم العقر ضاحية عن العراق ونار الحرب تلتهب
لولا دفاعك عنهم عارضاً لجباً لأصبحوا عن جديد الأرض قد ذهبوا
لما التقوا وجنود الشام فاجتلدوا بالمشرفِيَّـةِ فيها المـوتُ والحَرَبُ
خَلّوا يزيد فتى المصرين منجدلاً بالعقر منهم ومن ساداتهم عُصَبُ
حـامى سنانٌ عليـه في كتيبته وأسلمته هناك العُجْمُ والعربُ[1]

سنان مولى بني مسمع ، كان صبر في أربعمائة من القراء .

قالوا : وكان سعيد بن عمرو الحرشي قال قبل القتال لمسلمة بن عبد الملك : ان محمداً كان لي ودّاً ، فلو أذنت لي فلقيته فأعطيته أماناً ، لعله يصرف يزيد عن رأيه ، قال : فسر إليه فأعطهم جميعاً الأمان ، فدنا سعيد بن عمرو من عسكرهم ونَوَّه بمحمد فأتاه فقال : يا أبا حرب أعن رأي ملئكم كان هذا ؟ قال : إن يزيد خاف على نفسه ، ففعل ما ترى ، فأمنه ، فأبى يزيد قبول الأمان .

وقال أبو الحسن المدائني : نظر الحسن بن أبي الحسن إلى النضر بن أنس بن مالك ، أو موسى بن أنس ، وهو يقول : أيها الناس ما تنقمون من أن يقام لكم كتاب الله ، فقال الحسن : وهذا ابن أنس قد شمر ، قاتل الله ابن المهلب ، اطرقي ومَيِّشي ، خرقاء وجدتْ صوفاً[2] .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٩٢ .

٢ ـ اصل الطرق : ضرب الصوف ونحوه بالمطرقة وهي العصا التي يطرق بها الصوف أي ينفض لينتفش ويتداخل ويقال هذا المثل للذي يخلط في كلامه بين صواب وخطأ . انظر الامثال لأبي عبيد ص ٥٣ .

الطرق : الضرب ومنه قيل مطرقة الصانع ، ومطرقة النجار وهي عوده . والمَيْشُ : خلط الشعر بالصوف . مَيَّشْتُ ، أُمَيِّش ، مَيْشاً . وهذا مثل سائر .

ومن رواية أبي مخنف أن يزيد قام فحرض الناس على القتال فقال : ان هؤلاء قوم لن يردعهم عن غيّهم إلا الطعن في أعينهم ، والضرب على هامهم ، إنه ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء ـ يعني مسلمة ـ وعاقر الناقة نسطوس بن نسطوس ـ يعني العباس ـ الذي كان سليمان بن عبد الملك عزم على نفيه فكلمته فيه حتى أقره على نسبه ، ليس يهمهما إلّا تشريدي في الأرض ولو جاؤوا بأهل الأرض جميعاً ما برحت العَرَصَة حتى تَكون لي أو لهم. فقيل له : إنا نخاف أن تصنع كما صنع ابن الأشعث . قال: أن ابن الأشعث فضح الذمار وفضح حسبه ، هل كان يخاف أن يفوت أجله .

المدائني عن رجل عن ابن عياش عن جعفر بن سليمان الأزدي قال : لما انتهى يزيد إلى سُوْراء من أرض بابل نزل العقر فقال : ما اسم هذا المنزل ؟ قيل : العقر . قال : انا لله وانا إليه راجعون . وتطيّر ثم دعا بدرعه فصبّها عليه وتقلد بسيفه ، ثم دعا بقباء محشو فلبسه ، ثم دعا اسماعيل بن عطارد فقال : حدثني عن ابن الأشعث . قال : هزم من الزاوية ، فأتى دير الجماجم فهزم ، فأتى المدائن فهزم ، فأتى مَسْكَنَ وهي عند دُجَيْل الأهواز فهزم ، فأتى جنديسابور فهزم ، فأتى سابور . فقال يزيد : سَوْءَةٌ له ، أما استطاع أن ينغمس في الموت ثم يغمض إغماضه ، فوالله ما هي إلا رقدة إلى يوم القيامة ، فعلم أنه وطنَّ نفسه على أنه لا يبرح حتى يموت ـ وتمثل بقول الشاعر :

بِأَسْتِ امرىءٍ لَمْ يَطِبْ نَفْساً بِمِيْتَتِهِ   إنَّ الكرامَ على ما نابَهُم صُبُرُ

فلما التقوا أغمض كما قال حتى قتل .

قال : ولما لبس سلاحه ، دخلت عليه جاريته بَسَّامَة ، وكانت من أحبّ الناس إليه ، وقد تهيأت وتلبستْ فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فَكَرِهَ ذلك كراهة شديدة ، وتبسم وقال :

رويدكِ حتى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلي   غمامةَ هذا العارضِ المتألّقِ

ثم خرج فقال لدارس : كن قريباً ، ثم أطاف على رايات أهل الشام يسأل عن راية راية منها ، فقال : أُوَّه ، يقاتلني بقومي من لا قوم له .

وقال أبو مخنف : لما قتل يزيد وانهزم الناس كان المفضل يقاتل أهل الشام ، وهو لا يعرف خبر يزيد ، ولا أنه قد قتل وأن الناس انهزموا ، وإنه لعلى برذون له سَمَنْد[1] قريب من الأرض ، وأمامه مُجَفَّفَةٌ كلما حمل عليهم انكشفوا فيحمل ثم يرجع ، حتى يكون من وراء أصحابه ، وكان لا يلتفت من أصحابه أحد إلا قال له : لا تلتفت وأقبل بوجهك على عدوّك .

وجعل عامر بن العَميثل الأزدي يضرب بسيفه ويقول :

قد علمتْ أم الصبيّ المولود   أنيّ بِنَصْلِ السّيفِ غيرُ رِعديد

وانكشف جلّ ربيعة ، فناداهم المفضل : الكرَّة ، الكرَّة يا معشر ربيعة ، نفسي لكم الفداء ، اصبروا ساعة فما كنتم بكُشُفٍ ولا لئام وما الفرار لكم بعادة ولا يؤتَيَنَّ أهل العراق من قِبَلَكُم .

---

١ ـ السمند : الفرس . القاموس .

فبينا هو كذلك إذ قيل له : ما تصنع ههنا وقد قتل يزيد ، وحبيب ، ومحمد ، وانهزم الناس ؟ . فتفرق من مع المفضل ، وأخذ المفضل الطريق إلى واسط ، وجاء أهل الشام إلى عسكر يزيد بن المهلب .

وقال أبو الحسن المدائني : قال أبو اليقظان : لما قتل يزيد أقبل عبد الملك إلى المفضل فكره أن يخبره بقتل يزيد فيستقتل ، وقال : إن الأمير قد انحدر إلى واسط ، فانْحَدَرَ المفضل بمن بقي من ولد المهلب إلى واسط ، فلما علم بقتل يزيد حلف ألا يكلم عبد الملك أبداً ، فما كلمه حتى قتل بقندابيل .

قال : وكانت عين المفضل فقئت في الحرب فقال : فضحني عبد الملك آخر الزمن ، وما عذري عند الناس إذا نظروا إلى شيخ أعور مهزوم ، ألا صدقتني فَقُتِلْتُ كريماً ؟ .

وقال المفضل :

لاخيرَ في طعنِ الصناديدِ بالقَنا ولا في لقاء الحربِ بعد يزيدِ

وقال هشام بن محمد الكلبي عن أبيه محمد بن السائب : قَتَل يزيدَ بن المهلب يوم التل القحلُ بن عياش ، واسم القحل عمرو ، وقتله يزيد أيضاً ضرب كل واحد منهما صاحبه .

وقال المدائني : يقال إن الهُذَيل بن زُفَر قتل يزيد ، وأن القحل احتزّ رأسه ، وجاء به إلى مسلمة . والخبر الأول أثبت .

المدائني عن سُحَيْم بن حفص : أن يزيد بن عبد الملك لما قُدِم عليه برأس يزيد بن المهلب ، ورؤوس من قتل معه من أهل بيته أمر أن يطاف بها

في أجناد الشام ، وكان الذي عَرَّفَهُم الرؤوس : الحواري بن زياد بن عمرو العتكي .

وبادر العباس بن الوليد فوجَّه بالبشارة إلى يزيد بن عاتكة عِذام بن شُتَيْر ، قبل أن يوجه بها مسلمة أحداً .

وقال الهيثم بن عدي : قال ابن عياش وعوانة : نزل يزيد العقر من سوراء ومعه ثلاثة آلاف من الاباضية عليهم جعفر بن شيبان الأزدي فقال يزيد : يا دارس كن مني قريباً .

وتقدم محمد بن المهلب فأنشب الحرب ، وكان مشؤوماً فقتل أهل الشام من الاباضية نحواً من ألفين ، وعطفوا على يزيد فقاتل فقتل ، وطلبه أصحابه فلم يقدروا عليه ، وأصيب دارس مقتولاً ، ونظروا فإذا في وجه يزيد وصدره نحو من عشرين ضربه وطعنة ، واحتزوا رأسه .

وعمد معاوية بن يزيد بن المهلّب ، وهو على واسط ، فقتل عَدياً ، ومن حبس معه من الأسارى فقال ثابت بن قطنة الأزدي :

ما سَرَّني قتلُ الفزاري وابنه عدي ولا أحببتُ قتل ابن مسمعِ
ولكنها كانت معاويَ زلةٌ وضعتَ بها أمراً على غير مَوْضعِ

وأُسر من أصحاب يزيد في المعركة ، وممن كان في عسكره ، ألفان وثمانمائة رجل ، فبعث بهم مسلمة من العقر إلى ذي الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وكان عامله على الكوفة ، وعلى شرطه بالكوفة العُريان بن الهيثم . فقال ذو الشامة للعريان : لستَ من هؤلاء في شيء فشأنك بهم . فميَّزهم فقال : يا أهل اليمن أنتم الشعار دون الدثار ، وأنتم معشر ربيعة الإخوة والحلفاء ، وأما هؤلاء - يعني بني تميم -

فأعدى الأعداء . فكان يُخرج في كل يوم عشرين من بني تميم فيضرب أعناقهم حتى قتل منهم ثمانين ومائة ، ويقال قتل منهم خمسين ومائة ، ويقال قتل عشرين ومائة . فقال حاجب بن ذبيان المازني :

رأيتُ المعيطيينَ خاضوا دماءنا بغير دمٍ حتى انتهى بهُمُ الوَحْلُ
فما حَمَلَ الأقوامُ أثقلَ مِن دمٍ حرامٍ ولا ذَحْلٍ إذا اتُّبعَ الذَّحْلُ
حَقَنْتُمْ دماءَ المُصْلَتِيْنَ عليكمُ وحرًّ[1] على فرسان غيرهمُ القَتْلُ
وَقَى بِهُمُ العُرْيَانُ فتيان قَوْمِهِ فياعجباً أينَ الأمانةُ والعَدْلُ

في أبيات .

وكان قتل يزيدفي سنة اثنتين ومائة .

وقال أبو مخنف : أسر من عسكر يزيد بن المهلب ثلاثمائة رجل ، فسرّح بهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بالكوفة ، وجاء كتاب يزيد بن عاتكة إلى مسلمة بقتل الأسارى ، فأمر محمد بن عمرو بذلك، فقال للعُريان : أَخرِجْهم عشرين عشرين . فقام قوم من بني تميم فقالوا : نحن انهزمنا بالناس فابدأوا بنا قبل الناس ، فما هو إلا أن فرغ من قتلهم حتى جاء كتاب مسلمة بالكف عن قتلهم ، فكان العريان يقول : والله ما أردتهم حتى قالوا : ابدأوا بنا .

وقال المدائني : كانت هزيمة أصحاب يزيد من قبل الوضّاحية ، والوضّاح مولى عبد الملك بن مروان ، كانت معه خيل مفرّدة .

١ ـ يقال : بالحرا أن يكون ذلك ، وإنه لحري بكذا ، وحر . القاموس .

قالوا : ولما وصل رأس يزيد بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك بعث به إلى امرأته أم الحجاج بنت محمد بن يوسف التي عذبها ، وكلمه يزيد بن عبد الملك فيها فلم يجبه إلى ما سأله في أمرها ، فبصقت في وجهه وقالت : أراك شيخاً أحمق تطلب الباطل ، فقال يزيد بن عبد الملك ، والله ما أشبهتْ أم الحجاج أمي عاتكة بنت يزيد حين أُتيتْ برأس الحسين بن علي فأراد الرسول أن يضعه على الأرض فشتمتْهُ ودَعَتْ بوسادة فَوُضِعَ عليها ، ثم غَسَلَتْه وطيَّبته .

وقال المدائني وغيره : خرج مروان بن المهلب من البصرة هارباً وخلّاها فوثب عليها شبيب بن الحارث المازني فأخذها ، ودعا ليزيد بن عبد الملك ، وصلى بالناس حتى قدم عبد الرحمن بن سُليم الكلبي من قِبَل مسلمة .

وكان جَيْهَان بن محرز نازع شبيباً فيها فقهره شبيب ببني مازن ، وكان جيهان قاتل مع عدي بن أرطاة .

وقام عطاء مولى بني شقرة ـ واسم شقرة معاوية بن الحارث بن تميم ـ وكان عطاء أعور فجعل يقول : جاءكم الأمان . فقال الشاعر :

أَلَيْسَ عجيباً بحقّ الإلـــه ... قيام عطاء على المنبر
يُخَبِّرُ عَنْهُمْ بأخبارِهِمْ ... وما خَبَرُ الكاذبِ الأعورِ

المدائني عن الربيع بن صُبيح قال : جاءتنا هزيمة يزيد بن المهلب ومقتله فلما كان نصف النهار قال أبو نضرة : من يصلي بالناس ؟ وخرج شبيب بن الحارث إلى الأُبلة ، وأمر الحسن أن يصلي بالناس فقال أنس : إني عليل . فغضب أبو نضرة وقال : يا سبحان الله تأتي جمعة لا يصلى فيها بمصر

من أمصار المسلمين ، ودخل على الحسن فقال له : إن الناس لا يصلون حتى تخرج ، فإذا الحسن قد جاء معتمداً على رجل ، فقام على الأرض فخطب وقرأ في خطبته : ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾[1] ولم يقعد في الخطبة ثم أقامِ المؤذنون فقرأ : الجمعة ، وسبّح اسم ربك الأعلى .

قالوا : وصلب مسلمة بن عبد الملك جثة يزيد بن المهلب ، وعلق معه خنزيراً ومردياً[2] وزقّ خمر وسمكة .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا أبو داود الطيالسي ، ثنا الحكم بن عطية قال : سمعت الحسن سئل عن قول الله : ﴿زخرف القول غروراً﴾[3] فقال : ألم تروا إلى عدو الله ابن المهلب يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه وقد نبذهما وراء ظهره .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن أبي بكر الهذلي قال : كنا عند الحسن فذكر يزيد فقال : عجباً لهذا الحمار النّهاق يدعو ـ زعم ـ إلى كتاب الله وسنة نبيه وقد نبذهما وراء ظهره ، اللهم اصرع ابن المهلب صرعة تجعله بها نكالا لما بين يديه وما خلفه وموعظة للمتقين . واعجباً لهذا الحمار النهاق بينا هو يضرب أعناقنا بالأمس تقرباً إلى بني أمية ، إذ رأى منهم نبوة واصابته جفوة فنصب قصباً عليها خرق ، ثم قال : أدعوكم إلى السنّة ، ألا وإن من السنة أن تجعل رجلاه في قيد ، ويجعل حيث جعله عمر بالأمس .

١ ـ سورة الزمر ـ الآية : ٥٣ .
٢ ـ دفع الملاح السفينة بالمردي ، دفعها بخشبة للدفع . القاموس .
٣ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ١١٢ .

خبر آل المهلب بقندابيل[1]

قالوا : وهرب آل المهلب بعيالاتهم إلى قندابيل ، فحرقت منازلهم بالبصرة وهدمت ، وأراد مسلمة أن يوجه تميم بن زيد القيني ليتبع فَلّ يزيد وولد المهلب ثم قال له : لو جّهتَ رجلاً من بني تميم كان أبلغ فيما تريد ، فوجّه هلال بن أَحْوَز المازني ، وهو هلال بن أحوز بن أربد بن محرز بن لأي بن سمير بن صباري بن حجية بن كايبة بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن غَنْم من بني تميم ، فعقد له على اثني عشر إلفا من أهل الشام وأهل العراق ، فسار وعلى مقدمته الحارث بن سليمان التجيبي فأتى قندابيل ، فنصب هلال رايته ونادى مناديه : من هرب فهو آمن ، ومن أتى هذه الراية فهو آمن إلاّ أن يكون من ولد المهلب ، فتسارع الناس إليه .

المدائني عن جهم بن حسان السليطي قال : التقى هلال بن أحوز وبنو المهلب بقندابيل وقد عبأهلال ميمنة وميسرة ، فخرج مدرك بن المهلب يطلب المبارزة ، فخرج إليه سَلْم بن أحوز فقيل له : أنت أخو الأمير وليس

١ ـ قندابيل : مدينة بالسند ، كانت قصبة لولاية يقال لها البودهية . معجم البلدان .

ينبغي أن تبارزه فرجع ، فلامه أخوه هلال وشتمه فخرج فبارز مدركاً فقتله سلم .

وكان لمدرك سيف قاطع فجعل ينبو فقال : إن هذا لأمر يراد ، الله المستعان ، خذلتنا سيوفنا أيضاً .

ويقال إن هلالاً آمن الناس إلا معاوية بن يزيد لقتله عدياً وأبا حاضر الأسيدي ، أو حاضر بن أبي حاضر ، وإنما قتلهم وهم أسراء في يده ، فانتدب معاوية بن يزيد فقال : أنا قاتل أبي حاضر الأسيدي ، أو قال : قاتل حاضر بن أبي حاضر ، وعدي وابنه ، فحمل عليه رجل من أهل الشام فقتله ، ويقال قتله رجل من بني كعب بن عمرو بن تميم كأنه سَفُودٌ من شدة سواده .

وكان أمير آل المهلب بقندابيل المفضل بن المهلب وهو أعور ، أصيبت عينه يوم العقر ، وكان لواؤهم مع عمرو بن قبيصة بن المهلب .

ونادى هلال : من جاء برأس فله ألف درهم حتى أتي برأس المفضل فقيل له : هذا رأس المفضل رئيس القوم ، فقال : ما عهدي به أعور ، فقالوا : فقئت عينه يوم العقر ، فنزل حتى جلس على بساط ، وأسر عثمان بن المفضل وأتى به هلال فكان الذي يخبره عن رؤوس آل المهلب فحبسه وسَهَّل عليه فهرب من الحبس .

ولما قتل ولد المهلب وَكَّل هلال بالحرم من يحفظهم ، وفر عثمان بن المفضل ، وأبو عينية بن المهلب ، وعمر بن يزيد بن المهلب . ونادى منادي هلال : ألا برئت الذمة ممن اتبع مُوَلِّياً . وأمر أن لا يعرض أحد للنساء وما في أيديهن وقال : من رفع ستراً أو دخل على امرأة فلا ذمة له .

وشكت امرأة من آل المهلب أن رجلاً دخل منزلها فضرب عنقه ، وكان نساء آل المهلب يقلن : لو أن المهلب ولينا ما فعل بنا إلا دون ما فعل هلال بن أحوز . وأتته ميسون بنت المغيرة فسألته أن يأذن لها في دفن جثث رجالها فأذن لها .

وقال المدائني عن بشر بن عيسى عن أبي صفوان قال : أخذت امرأة من آل المهلب صحيفة فأعطتها مولى لها فكتب قُتل فلان ، ثم فلان ، ثم فلان . للميراث .

وحدثني خلف بن سالم المخزومي وأبو خيثمة عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه ، ومحمد بن أبي عينية قالا : وجه مسلمة : عبد الرحمن بن سليم الكلبي فهدم دور آل المهلب ، وولى على شرطته عمر بن يزيد الأسيدي .

قالوا : وفي عبد الرحمن بن سليم يقول الفرزدق :

أرى ابن سليمٍ يَعصِمُ الله دينَهُ　　به وأثافي الحرب تغلي قدورها
هو الحجر الرامي به الله من بَغى　　إذا الحربُ بالناسِ اقشعَرَّت ظهورها(١)

في قصيدة .

ثم عزل مسلمة : الكلبي عن البصرة ، وولاه عُمَان ، واستعمل على البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان ، ووجه مسلمة : مدرك بن ضب في اتِّباع فَلّ آل المهلب ، فلما انتهى إلى كرمان لقي بها مدرك بن المهلب مقبلاً

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٥٨ مع فوارق .

من خراسان وقد انضم إليه بعض فل يزيد من أهل الكوفة وغيرهم فاقتتلوا .

وقال أبو مخنف وغيره : لقي مدرك بن ضب : مدرك بن المهلب ، ومعه النعمان ، ومالك ابنا ابراهيم بن الاشتر ، ومحمد ، وعثمان ابنا اسحاق بن محمد بن الأشعث ، وصول مولى يزيد بن المهلب ، فاقتتلوا فقتل يومئذ النعمان بن ابراهيم ومحمد بن إسحاق ، وجرح عثمان بن إسحاق جراحة فمضى متحاملاً حتىٰ انتهى إلى حلوان ، فَدُلَّ عليه فقتل ، وبعث برأسه إلى مسلمة .

ومضى مالك بن ابراهيم بن الأشتر إلى الكوفة فطلب الأمان من مسلمة فأمنه ، وأسر صول فبعث به ابن ضب إلى مسلمة فقال : أنت الذي كتبت على سهمك : صول يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ؟ وأمر به فضربت عنقه ، وتخلص مدرك فقتل بقندابيل .

حدثني علي الأثرم عن أبي عبيدة عن يونس النحوي عن أم ولد معاوية بن يزيد بن المهلب قالت : كنا بقندابيل فما راعنا الا خيل هلال بن أحوز ، وإن معاوية لجالس يأكل شهدانج وسمسماً ، فقام متعجلاً فلبس سلاحه ، ثم خرج فقتل هو وأهل بيته ، وقتل المفضل وهو أميرهم ، وعبد الملك أخوه لأمه بَهلة ، وزياد وكان ـ قيْلَ ـ على عمان ، ومروان وكان على البصرة ، والمنهال بن أبي عيينة وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحُملتْ رؤوسهم وفي آذانهم الرقاع بأسمائهم .

وقال الهيثم بن عدي : أسر من آل المهلب ثلاثة عشر رجلاً ، فقدم بهم على مسلمة ، وهو بواسط فوجههم إلى يزيد بن عاتكة وعنده كثير بن عزة فأنشده :

حليمٌ إذا ما نال عاقبَ مُجْمِلاً ... أشدَّ عقابٍ أو عَفَا لم يُثَرِّبِ
فعفـو أمـير المؤمنـين وحسبـة ... فما تأته من صالح لك يكتبِ
اساؤوا فإنّ تعفو فإنـكَ قادرٌ ... وأفضلِ حلْم حِسْبَةً حِلْمُ مُغْضَبِ

فقال يزيد : يا أبا صخر هيهات ، أطَّتْ بك الرحم . لا سبيل إلى ذاك ، إن الله أقاد منهم بأعمالهم الخبيثة. ثم قال: من يطلب آل المهلب بدم فليقم ، فقام يزيد بن أرطاة فقال : يا أمير المؤمنين قتلوا أخي ، وابن أخي . فقال : خذ منهم رجلين فاقتلهما ففعل .

وقام ابن لعبدالله بن عروة البصري فقال : يا أمير المؤمنين قتلوا أبي ، فقال : اقتل منهم رجلاً . ثم أمر ببقيتهم فقتلوا حتى كان آخرهم غلام ، فقالوا : هذا غلام صغير . فقال : اقتلوني فما أنا بصغير ، فقيل : انظروا أنْبَتَ ؟ فقال : أنا أعلم بنفسي قد شوكتُ ووطئت النساء فقال يزيد : اضربوا عنقه ، فقتل .

وقال يزيد لرجل من اليمانية : كيف كانت غزاتكم بالعراق ؟ قال : قتلنا أشرافنا وجئناك فقال : أما يزيد فقد طلب عظيما ومات كريماً .

وكتب يزيد في قبض آل المهلب وهدم دورهم ولم يكن ليزيد دار ، إنما كان ينزل دار المهلب ، وكان يزيد يقول : داري السجن أو دار الإمارة .

١ ـ ديوان كثير ص ٤٧ ـ ٤٨ .

قالوا : وبعث هلال بن أحوز إلى أم الفضل بنت غيلان بن خرشة ، وهي أم مخلد بن يزيد أن اختاري من يخرج معكِ فاختارت قوماً من مواليهم يخرجون معها ومع نساء آل المهلب ، وبعث معهم بمشيخة من أهل الشام ، وبعث بالرؤوس إلى مسلمة بن عبد الملك فورد العراق وقد عزل مسلمة بن عبد الملك ، وولي عمر بن هبيرة ، فأخذ ما كان في أثقالهن وبسط عليهن حتى استنطف ما كان عندهن فأخذ الرقيق لنفسه ، وخاف أن يخرج النساء إلى الشام فيخبرن بما صار إليه فكتب إلى يزيد يستعفيه لهن من الشخوص فأعفاهن .

وقال أبو عبيدة : لما طيف برأس يزيد والرؤوس التي كانت مع رأسه بالشام ، ردت إلى البصرة فنصبت بها .

قالوا : وأقام مسلمة بعد يزيد على العراق ثمانية أشهر ، ويقال ستة أشهر ، فقُدح فيه عند يزيد بن عبد الملك ، وقيل إنه غير مأمون على الخراج ، وليس هو ممن يكشف عنه . فعزله وولى العراق عمر بن هبيرة .

قالوا : وجعلت طوائف من الأزد تقول بعد قتل يزيد إنه حي . فلما تزوج عمر بن يزيد امرأته عاتكة بنت الملاءة قال الفرزدق :

لقد بَيَّنَتْ بنتُ المِلاَءَةِ مَنْ نَعَىٰ لأُزْدِ عُمَانٍ جيفةَ ابنِ المهلّبِ[1]

قال المدائني : ولم يزل هلال على السند وقندابيل حتى قدم ابن هبيرة العراق ، وقدم نساء المهلب فقال لأم مالك بنت زياد بن المهلب : قد علمتِ أني الوالي وأني أقدر على مضرتكم ونفعكم ، وقد قتل هلال رجالكم فلم

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

يُبْقِ ، وأنا كاتبٌ في هلال أذكر خيانته فصدقيني . وكتب إلى يزيد بن عبد الملك بذلك ، وبعث بأم مالك وقرظها في كتابه إلى يزيد فكذبته ، وأثنت على هلال وقالت : أحسن ولايتنا بعد أن بالغ في أمرك ولم يُبْقَ غاية في طاعتك ، فكتب يزيد إلى ابن هبيرة يعنفه .

وقد قيل إن النساء أُشخصنَ إلى يزيد أشخصهُنَّ ابن هبيرة فخلى سبيلهن .

قالوا : وبقي عيينة بن المهلب ، وعثمان بن المفضل بن المهلب ، وعمر بن يزيد بن المهلب ، عند رتبيل بسجستان ، فبعثت هند بنت المهلب إلى يزيد في طلب الأمان لأبي عيينة فأمنه فقدم العراق وبقي عمر بن يزيد ، وعثمان بن المفضل عنده حتى قدم أسد بن عبدالله القسري أميراً على خراسان ، فكتب إليهما بأمانهما فقدما خراسان .

وقال بعض الرواة : كان الأسراء الذين قُدم بهم على يزيد بن عبد الملك فأمر بقتلهم : المعارك ، وعبدالله ، والمغيرة ، بني يزيد بن المهلب ، ودريد ، والحجاج ابني حبيب بن المهلب ، وغسان ، وشبيب والفضل بني المفضل بن المهلب ، والمفضل بن قبيصة بن المهلب ، والفضل ، والمنجاب ابني يزيد بن المهلب .

وقال الفرزدق حين قتل يزيد بن المهلب :

إذا ما المَزُوْنِيَّاتِ أَصْبَحْنَ حُسَّراً يُبَكِّيْنَ أَشلاءً علىٰ عقْرِ بـابل
فكُنْ طـالباً بنتَ المـلاءةِ إنها تُذَكِّرُ رَيْعَانَ الشبابِ المُزَايِلِ[1]

1- ليسا في ديوانه المطبوع .

المدائني قال : أتى الحسن يزيد بن المهلب في حاجة قبل محاربته عدياً ، فقام يزيد فأخذ بركابه فحدث بذلك سوار بن عبدالله ، فقال : إن هذا الخبر صدق . في يزيد إعظامه أهل الدين والعلم .

وقال أبو الحسن المدائني : وجه يزيد بن عبد الملك على البصرة رجلاً من أهل الشام يقال له سفيان بن عمير الكندي ، وهو الذي خطب فقال : إن المرأة لا تجوز ذبيحتها ، وقال : العارية تُردّ والمنحة تُردّ والعمْرى لمن أعمرها .

حدثني هدبة بن خالد عن أبي هلال الراسبي عن قتادة قال : قلت لسفيان بن عمير وقال لي : ما تقول في امرأة زعمت أن زوجها لا يأتيها . قلت : تستحلف بالله . فقال الحسن : ما تقول أنت . قال : يُجَرَّبُ بغيرها . فقال : أما إنّ قتادة قال بقول أهل الشام .

وقالوا : أتى سعيد بن عمرو الحرشي يزيد بن المهلب وهو محبوس ، فأمر له بخمسين ألفاً فقال عدي بن الرقاع العاملي :

لم أر محبوساً من الناس واحداً حبا زائراً في السجن غير يزيدِ
سعيد بن عمروٍ إذ أتاه أجازَه بخمسين ألفاً عُجِّلَتْ لسعيد[1]

وقال أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب : مات هلال بن أحوز عند هشام فصلى عليه فقال له جُميري أخوه : يا أمير المؤمنين لو دعوت له بالمغفرة . فقال رجل من أهل الشام : أو لم يغفر الله له وقد صلى عليه أمير المؤمنين ؟

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

وقال الفرزدق :

لَعَمْرُكَ ما أنسىٰ ابنَ أحوزَ ما جرىٰ الرياحُ وما ناحَ الحمامُ وغردا[١]

وقال معن بن عمرو :

وبـاكيـةٍ هبّت بليـلٍ فـراعني تَحَوُّبُها تبكي علىٰ ابن المهلبِ
فقلت لها لما سمعتُ نحيبهـا ألا فاندبي البهلولَ غير المجدِّبِ
أعفُّ وأَحْيَـا من فتـاة حَيِيَّـةٍ وأجرأ من ليثٍ بِخَفَّانَ أَغْلَبِ

الهيثم عن الضحاك بن زمل قال : لما قُدِمَ على يزيد بأسرى آل المهلب الذين بعث بهم مسلمة ، شاور مَنْ حضره فقال : ما تقولون في هؤلاء ؟ قال : بعض من حضر : قد قَدِرْتَ يا أمير المؤمنين فاعْفُ ، فقام عثمان بن حيّان المرّي فقال : والله ﴿لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين دَيّاراً * إنك إنْ تَذَرْهُم يُضِلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفّارا﴾[٢] فقال رجاء بن حيوة : بل نقول كما قال الله : ﴿ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أخرى﴾[٣] وكان يلعن يزيد بعد خلعه .

وقال رجاء لعثمان : ما دعاك إلى ما قلت ؟ قال : أبا المقدام . إن الله خلق للنار أهلاً فجعلني منهم ، وخلق للجنة أهلاً فجعلك منهم ، فقال رجاء : ما أنا عند نفسي من أهل الجنة . ثم دفعهم يزيد إلى زيد بن أرطاة وإلى ابن النصري وغيرهما فقتلوا .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٣١ .
٢ ـ سورة نوح ـ الآيتان : ٣٦ ـ ٣٧ .
٣ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ١٦٤ .

قالت الحوراء بنت عروة النصري :

أيزيد حاربت الملوك ولم تكن تلقىٰ المحارب للملوك رشيدا
لما وجدت عصابة أوْردْتَها حوضاً سيورث وِرْدهُ التفنيدا
فالبيتُ ذا الحُرُمَاتِ لستَ بنائلٍ والأكرمينَ شمائلاً وجدودا
رهط النبيّ بنىٰ الإله عليهم سقف الهدى ومن القرانِ عهودا
قوم هُمُ مَنّوا عليكَ وأفضلوا حتى لبستَ من الطراز بُرودا
فكفرتَ نعمتهم هناك وإنما تَلِدُ العبيد المقرفون عبيدا
طلب الخلافة في هَجانَ فلم يجد بِهَجَانَ من شجرِ الخلافةِ عُودا

حدثني هدبة بن المبارك بن فضالة قال : سمعت الحسن يقول : واعجباً من يزيد علج أهل هجان ، وطائر من أطيار الماء ، اتخذ سيفه برهة مخراقاً في طاعة بني أمية حتى إذا منع لماظة من عيش نصب خرقاً على قصب وقال : إني غضبت ، فاغضبوا فاتبعه فراش نار ، وذئبان طمع ، يدعو إلى سنّة العمرين ، يا فاسق إن من سنتهما أن تُرَدّ إلى محبس عمر بن عبد العزيز .

وقال أبو النجم :

إنّ الذي مَدَّ علينا نِقَمَه وقد ظَلَمْنَا أَنْفُساً مُظَلَّمَه
حين أحاطت بالعراق الدمدمة فالله نَجَّانا بكفَّيْ مَسْلَمَة
من بَعْدِمَا وبَعْدِمَا وبَعْدِمَه كانت نفوسُ القوم عند الغَلْصَمَة
وكادت الحرة أنْ تُدعىٰ أَمَه

وقال الأحوص بن محمد في شعر مدح به يزيد بن عاتكة وذكر ابن المهلب :

مازال ينوي الغدر والنكثَ راكباً لعمياءَ حتى اسْتُكَّ منه المَسَامِعُ
وحتى أُبِيْدَ الجمعُ منه فأصبحوا كبعض الأُلىٰ كانت تصيب القوارع
فَأَضحوا بنهري بابلٍ ورؤوسهم تَخِبُّ بها فيها هناك الخوامع(١)

وقال الفرزدق :

لقد عجبت من الأزديِّ جاء به يقوده للمنايا حِينُ مغرورِ
حتى رآه عباد الله في دَقَلٍ منكَّسَ الرأس مقرونا بخنزيرِ
القلس أهون بأساً أن تعود به في الماء مطلية الألواح بالقير(٢)

وقال الأسدي :

عجبتُ لهذي العلوج اللئام تَمَنَّىٰ الخلافة في كل عام
تَمنَّىٰ الخلافةَ غِلفانُها ولما تُنَاطحُ طول العِلام(٣)

وقال جرير :

آل المهلب جَذَّ الله دابرهم أضحوا رماداً فلا أصل ولا طَرَفُ
إنّ الخلافة لم تُجْعَل ليملكها عبدٌ لأزديةٍ في بطنها عَقَفُ
ما نالت الأزدُ من دعوىٰ مُضِلِّهُمُ إلا المعاصم والأعناق تُقْتَطف
والأزد قد جعلوا المنتوف قائدهم فَقَتَّلَتْهُم جنود الله وانتتفوا(٤)

---

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ١٩٠ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢١٥ مع فوارق .
٣ ـ العلام : الراية ، وما يعقد على الرمح ، وسيد القوم . القاموس .
٤ ـ ديوان جرير ص ٣٠٤ ـ ٣٠٨ .

وقال الفرزدق :

أَحَلَّ هُرَيْمٌ يوم سوراءَ بالقنا ... نُـذُورَ نساءٍ من تميمٍ فَحَلَّتِ
عشيـة لا يدري يـزيد اينتحي ... على السيف أَمْ يُعطي يداً حين شُلَّتِ
وَمَـاكَرَّ إلا كـان أول طـاعنٍ ... ولا أبصرته الخيل إلا اقشعـرتِ
كأنّ رؤوس الأزد خطبان حنظلٍ ... تُحَزَّزُ عن أكنافها حين ولَّتَ(1)

وقال أيضاً :

كيف ترى بَطْشَةَ الله التي بَطَشَتْ ... بابن المهلبِ إنَّ الله ذو نِقَمِ
قاد الجياد من البلقاء منصلتاً ... شهراً تقلقل بالأرسان واللجم
حتى أتتْ أرض هاروتٍ لعاشرةٍ ... فيها بنو دحمة الحمراءِ كالحمم
فـأصبحوا لا تـرى إلا مساكنهم ... كأنهم من ثمود الحمرِ أَوْ إرَم(2)

وقال الطِرِمَّاح ليزيد :

لحى الله قوماً أسلموكَ ببابلٍ ... أبا خالدٍ تحت السيوف البوارقِ
فتى كان عند الموت أكرم منهم ... حفاظاً وأعطى للجياد السوابق
وقـائلةٍ تنعى يـزيـدَ وقـائـلٍ ... سقى الله جزل السَّيْبِ عف الخلائق
ولما نعى الناعي يزيدَ تزلزلت ... بنا الأرض وارتجَّتْ بمثل الصواعق(3)

في أبيات . وقال ذو الرُّمَّة :

لَوَدَّتِ الأزد إذْ رَثَّتْ حبائلهم ... أنَّ المهلّبَ لم يُـولَدْ ولم يَلد

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١١١ ـ ١١٢ ، والخطبان نبت كالهليون .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٥٢ مع فوارق .
٣ ـ ديوان الطرماح ـ ط . دمشق ١٩٦٨ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٩ .

كانوا ذوي عـددٍ ثرٍّ وعـائرةٍ   من السلاح وأبطالاً ذوي نَجَدِ
فما ترى منهم مِنْ بَعْدِ كثرتهم   إلا الأرامل والأيتام من أَحَدِ[١]

وقال الفرزدق من قصيدة له :

ونحن أرينا الباهليـةَ ما شَفَتْ   به نفسها من كل رأس مُعَلَّقِ
ونحن أزحنا عن خويلة جحدرٍ   شَجَى كان منها في مكانِ المخَنَّقِ

الباهلية أم عباد بن عطية ، وكانت امرأة عدي بن أرطاة .

ونحن قتلنا بابن أرطاة منهم   ثـمانين تحت العـارض المتـألق
وكائن بقنابيل من جسد لهم   وبالعقر من رأسٍ تَدَهْدَى ومرفقَ
وذات حليلٍ أنكحتها رمـاحنا   حلالاً لمن يَبْني بها لم تُطَلَّقِ
جعلنا أثافي قدرنا رأس زوجها   وكفيه في أيدٍ سَقَطْنَ وأَسْوُقِ[٢]

وقال الفرزدق :

تبكي على المنتوف بكر بن وائلٍ   وينهى عن ابني مِسْمَعٍ مَنْ بكاهما
غلامان شابا في الحروب وأدركا   كريم المساعي قبل وَصْلِ لحاهما
فلو كان حياً مالك وابن مالكٍ   إذاً أوقدا نارين يعلو سناهما[٣]

وقال الفرزدق في هلال بن أحوز في أبيات :

جدعت عرانين المزون فلا أرى   أذلَ وأخزى منهُمُ حين صُرِّعُوا

---

١ ـ ديوان ذي الرمة ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ج ١ ص ١٨١ ـ ١٨٢ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٧ ـ ٣٨ مع فوارق .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٠٣ مع فوارق كبيرة .

وحَمَّلت أعجاز البغال رؤوسهم محذفةً في كل بيداء تَلْمَعُ
جماجم أشياخٍ كأنّ لِحَاهُمُ ثعالب موق أو ثعام مُتَرَّعُ[1]

وقال رؤبة :

والأزد سوء صنيعها موصوف قد أزحفتها الفتية الزحوف
لو زادها يزيد والمنتوف عقلاً وطير بابل العَكُوفِ[2]

يقول : لو كان يزيد قتيل هؤلاء عكوف الطير عليهم عقلاً .

وقال حاجب بن ذبيان المازني :

لقد قَرَّتْ بقندابيل عيني وساغ لي الشراب على الغليل
غداة بنو المهلب من أسيرٍ يقاد به ومصلوبٍ قتيل
خلا سيف ابن أحوز عن نزار وشَدَّاتِ ابن أحوز كل قَيلِ
بكل مقلصٍ[3] يمشي العَرَضْنَا ظماء[4] اللحم مشرفة التليل
أَبَزْنَ[5] بني المهلب في فُوَاقٍ وكل مهند عضبٍ صقيل
تقطعتِ الأمور بهم وكانت عليهم مثل راعيةِ الفصيل
أضلّهُمُ ابنُ دَحْمَةَ[6] وازْدَهَتْهُم مشبهةٌ تُضِلّ ذوي العقول
أليس من العظائم أن يروموا وراثات الخلائف والرسول

---

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٤٠٧ مع فوارق .
٢ - لم يرد هذا الرجز في ديوان رؤبة المطبوع .
٣ - القلوص من الإبل : الشابة ، أو الباقية على السير . القاموس .
٤ - ظماء اللحم : قليلة اللحم . القاموس .
٥ - البزز : الغلبة وأخذ الشي بجفاء وقهر . القاموس .
٦ - بهامش الأصل : ابن دحمة : يزيد بن المهلب .

وقال ثابت قطنة :

وليوم قنـدابيـل أورثَ ذِلَّـةً قَوْمي ويوم العقر شيَّبَ مَفْرِقي
يا هند إنّ أخاك صادف حتفه بحبائل الأجل الذي لم يسبق
وتغيبت عنـه الكماة وغـالـه زمنٌ كظل السَّرْجَةِ المتصفق
والدهر لا يبقي على حَدَثَـانِهِ عَصْمٌ موقنة برأسٍ مُحْلَقِ
كيف العزاء وقد أصيب ذوو الحجا منا وأهل النائلِ المتدفقِ

وقال أبو الحمراء المنقري :

أبا خالدٍ لو خَلَّدَ الجودُ واحداً أبا خالدٍ كنتَ الجواد المخلّدا
سقى الله أجساداً ببابل غودرت غداة رأينا الراعبيَّ مُقَصَّدا
حبيباً وعباداً وذا الباع والندى يزيداً وأسقى الله ربي محمدا
أقول لهم لما أتاني نَعِيُّهُم جزى الله خيراً ما أعفَّ وأمجدا

قالوا : وكان رجاء بن حيوة يلعن يزيد بن المهلب حين أتاه خبره ، وقد قيل في آل المهلب شعر كثير جداً .

حدثني علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة قال : لما كتب يزيد بن المهلب الى ابن عاتكة يطلب الأمان كتب له أمانا ووجه به خالد بن عبدالله ، وأتاه كتاب عدي بخلع يزيد فبعث فرد رسل يزيد بن المهلب وقال : كذبتم أمير المؤمنين وأوطأتموه العَشوة ، فقالوا : أما عهدنا به فإنه لم يخلع ولم يسفك دماً . فأمر بهم الى السجن فلم يخرجوا منه حتى قدم بآل المهلب من قندابيل .

ومن رواية أبي عبيدة معمر بن المثنى أن الأسرى لما حملوا الى يزيد بن عبد الملك قام خالد بن عبدالله القسري فذكر العفو والصفح ، وكان مُفَوَّهاً ، وقال : انهم أحداث لا جرائم لهم وَرَقَّقَهُ عليهم بجهده حتى هَمَّ

بالعفو عنهم ، فقام عثمان بن حيّان المرّي فقال : كلا يا أمير المؤمنين لا تعف عنهم واحصدهم بمعصيتك كما انبتّهم بطاعتك ، فلعمري ما ترضى عشيرة منا أذنبت ذنباً وقد صفحت عن هؤلاء الا أن تصفح عن ذنوبهم ، فمن هؤلاء الأعلاج الذين لا أصل لهم ولا فرع . نَكِّل بهم يرتدع غيرهم يا أمير المؤمنين .

وأشار عليه رجاء بن حيوة بالعفو عنهم وقال : ان الله يقول : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ فأبى يزيد بن عاتكة أن يعفو عنهم ، ودفع بكل رجل ممن قتل مع عدي بن أرطاة رجلاً الى وليه ، ثم خلى الباقين ويقال قتلهم .

وقال أبو عبيدة : وجه مسلمة في إِثْر معاوية بن يزيد بن المهلب عبد الرحمن بن سُليم الكندي ، وكان معاوية قد أعد له سفينة في الزردات ، فركبها حتى وافى الأهواز ، فلم يلحقه عبد الرحمن وأقام بالبصرة فولاه مسلمة إياها ، ثم عزله وولاه عُمان ، وولى البصرة ابن بشر بن مروان .

وقال أبو عبيدة : استأذنتْ باهله في صلب يزيد بن المهلب ، فأذن لها فصلبوه منكساً وشدوا على بطنه سمكة ، ثم نزعوها وشدوا مكانها زقاً من خمر ، ثم نزعوه وشدوا إليه خنزيرة بيضاء كانوا يرونها في قرية عند موضع الوقعة .

وقال أبو عبيدة : أراد مسلمة ألا يواقع يزيد حتى يعرض عليه الأمان ، فقال العباس بن الوليد : لا تؤمنه فلا يبقى أحد الا خلع وأفسد وسفك الدماء ثم ركن الى الأمان ، فأبى وأمنه فلم يقبل يزيد أمانه .

وقال أبو عبيدة في روايته : كان يزيد حين شهد الحرب في رجّالة قد أطافت به فأصاب برذونه سهم فَشَبَّ به وضرب بيده ورجله حتى عقر عدة ممن كان حوله ، ثم صرعه أو نزل يزيد عنه فغار البرذون فعرفه بعضهم فقال : هذه دابة يزيد ، فثاروا يطلبونه وجعلت العمانية تقول : التل التل ، لتلٍ كان هناك عظيم عال قد وقف مسلمة عليه حين قصدت الأزد وربيعة له فنزل عنه ، وكان يزيد بن المهلب أخرج قوماً مستكرهين فخذلوه ، ومالوا الى مسلمة .

وقال أبو عبيدة : بعث مسلمة برأس يزيد مع سالم بن وابصة الأسدي ، وكان سالم في الوفد الذي أوفدهم برأسه ورؤوس من حملت رؤوسهم معه ، فقال سالم وقد وضع الرأس بين يدي يزيد بن عاتكة :

أَتَيْنَا بِهِ ما نُسمع الصوتَ في السُّرَى ولا نشتكي شكوى أبينٍ ولا قبر
نُعَرِّفُ أهل الحقِّ بالشامِ رأسَهُ من الذلِ مخطومُ الخياشمِ والثغرِ

وقال أبو عبيدة : قال يزيد بن المهلب لدهقان بُرس[1] : أتدلني على أرض طيبة أغرس فيها النخل والشجر ، فقال : يبقيك الله ويسلمك ثم تنظر في هذا فما أكثر الأرضين . ثم قال : أرأيتم أعجب من هذا ، قد غشيه البلاء وهو يسأل عن الأرضين .

وكانت بيزيد خلفة من داءٍ أو هيضة ، فكان ضعيف البدن ، ومعه ريحان يشمه فقال له بعض أهلَه : قد قرب القوم منا وأنت تشم الريحان ؟ فعندها ركب فقاتل .

---

١ ـ برس : موضع بأرض باب . معجم البلدان .

وقال أبو عبيدة : بعث يزيد الى الخيار بن سبرة بن ذؤيب بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، وهو على عُمَان من قبل عدي بن أرطاة ، ولاه إياها بعد عامل كان له عليها ، فنهاه عمر بن عبد العزيز عن توليته ، والخيار لا يعلم بأمر يزيد حتى دخلت عليه رسله ، وعليهم زياد بن المهلب فضربوا عنقه ، وكان متحاملاً على الأزد بُعمان ، فقال الفرزدق :

لو كنتَ مثلي يا خيار حَزَمْتَهَا بكل علاقيٍّ من الميس فاتر
فقد كنت في أرض المهاري مُسَلَّطاً على كل بادٍ من عُمَان وحاضرِ
تَرى إبلاً ما لم تُحركْ رؤوسها فإنْ حَرَّكَتْ أبصرتَ عينَ الأباعرِ[1]

قال أبو عبيدة : وكان على السند من قبل عدي : عمرو بن مسلم ، فبعث إليه يزيد بن المهلب : وداع بن حميد وهو رجل من أهل اليمن في ستة نفر ويقال في أربعة نفر فقيل له : رسل الأمير على الباب . فظنّ أنهم رسل عدي فأذن لهم ، فلما قرأ الكتاب الذي مع وداع قال : أتحبون أن أعطيكم حياتي ؟. وراطَنَ غلاماً له طُخارياً بالطُخارية أنْ انطلق الى بَنِيَّ وأهل بيتي فمرهم أن يلبسوا السلاح ويسرعوا فإن هؤلاء القوم أعداء ، فدخلوا البيت مُصلِتيْنْ ، وثار وداع وأصحابه نحو عمرو فاقتتلوا ، فقتل وداع ومن معه ، وأمر عمرو فاحتزت رؤوسهم وألقيت في السوق .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٣٧ مع فوارق .

- **وكان ليزيد بن عبد الملك بن مروان من الولد** : الوليد بن يزيد المقتول ، ويحيى ، وعاتكة ، أمهم أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف الثقفي .

وعبدالله ، وعائشة ، أمهما سعدة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

والغَمْر لأم ولد .

وعبد الجبار وسليم لأم ولد .

وهاشم وأبو سفيان لأم ولد .

فأما الوليد فسنكتب خبره إن شاء الله ، وأما عبد الجبار فإن ابنة محمد بن عبد الملك كانت عند روح بن الوليد بن عبد الملك ، فأغضبها ففرق الوليد بن يزيد بينهما وزوجها عبد الجبار أخاه ، فحقد ذلك بنو الوليد بن عبد الملك على الوليد بن يزيد .

وأما سليمان بن يزيد فكان ممن أعان على قتل أخيه الوليد بن يزيد ، وأما الغمر فهو صاحب سيح الغمر باليمامة ، وكان جلداً عاقلاً عفيفاً ، وكان أعرج ولي الصائفة غير مرة فغنم ما لم يغنمه أحد قط ، وكانت احدى صوائفه في سنة ست وعشرين ومائة ، وولي اليمامة وكانت له ضياع بالسواد ، فقبضها بنو هاشم .

وقال اسماعيل بن يسار مولى بني تميم بن مرة :

إذا عَدَّد الناس المكارم والعلى ... فلا يفخرنْ منهم على الغَمْرِ فاخرُ
فما مرّ من يومٍ من الدهر واحدٌ ... على الغمر إلا وهو للناس غامِرُ
أغرَّ بطاحيّ كأنّ جبينه ... إذا مابدا بدرٌ على النجم باهرُ

تراهُم خشوعاً إن رأوه مهابةً كما خشعتْ يوماً لكسرى الأساورُ
نَمَاهُ إلى فرعَي لؤي بن غالبٍ أبوه أبو العاصي وحربٌ وعامرُ
فأضحى بإعطاء الجزيل كأنما رماه بوترٍ مالُه فهو ثائرُ

قوله : حرب يعني حرب بن أمية ، لأن أم أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن صخر بن حرب ، وأم عاتكة ابنة عبدالله بن عامر بن كريز .

وقتل الغمر عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس بالشام مع من قتل من بني أمية ، فقال حين قدم ليقتل : ليسعني في عدلكم ما وسعكم في جورنا . فقال عبدالله : اقتلوه . فقال : إني شيخ مسنّ وإن تركتني كفتك إياي منيتي . فقال له : قد كان الحسين بن علي شيخاً فقتلتموه .

وأما عبدالله بن يزيد فولدته سبعة خلفاء : أبوه يزيد ، وجده عبد الملك ، وجد أبيه مروان وأم أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وأم عبدالله بن يزيد التي قامت عنه سعدة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان وأم عبدالله بن عمرو بن عثمان بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب . وكان لعبدالله هذا ابن يقال له عبد المطلب عظيم القدر عند المهدي والرشيد .

الخوارج في أيام يزيد بن عبد الملك

ـ **خبر عقفان** : قال أبو الحسن المدائني : خرج رجل يقال له عقفان بناحية دمشق في ثلاثين ، فأراد يزيد بن عبد الملك أن يبعث إليه جنداً فقيل له : إن قتل بهذه البلاد اتخذوها دار هجرة . قال : فما الرأي ؟ قالوا : تبعث إلى كل رجل رجلاً من أهل بيته يكلمه ويرده . فكان يبعث إلى كل رجل أخاه وابنه وابن عمه وأباه ، فكلموهم وقالوا : إنا نخاف أن نؤخذ بكم وأومنوا فرجعوا ، وبقي عقفان وحده فبعث يزيد إليه أخاه وكان أعرج يقال له ربيعة ، فقال له : يا أخي إنا لا نأمن أن يجتاحنا الخليفة ويصطلمنا . فرجع وأمنه يزيد بن عبد الملك .

فلما ولي هشام بن عبد الملك ولاه أمر العصاة فقدم ابنه تُمّة بن عقفان من خراسان عاصياً فشده وثاقاً ، وبعث به إلى هشام ، فقال هشام : لو خاننا عقفان لكَتَمَ أمر ابنه ثم قال لتمه : قد وهبتك لأبيك فالحق بمُكْتِبك ، وولاه هشام الصدقة .

وكان لأخيه أربعون شاة فذبح شاة منها ، ثم سأل أخاه الصدقة فقال له : قد كانت لي أربعون شاة فذبحتم شاة منها ، وبقي لي تسع وثلاثون شاة

فلا صدقة عليها ، فلم يفارقه حتى أخذ منه الصدقة شاة . ومكث عقفان عشرين سنة والياً لهشام .

- **أمر مسعود بن أبي زينب العَبْدي** : قالوا : خرج مسعود بن أبي زينب أحد ولد محارب بن عبد القيس بالبحرين على الأشعث بن عبدالله بن الجارود ، فخرج الأشعث عن البحرين وأخذ مسعود عبد الرحمن بن النعمان العَوْذي[1] ، ومنصور بن أبي رجاء العوذي فقتلهما ، ثم خرج إلى اليمامة وعليها سفيان بن عمرو العُقيلي ، ولاه إياها عمر بن هبيرة الفزاري في أيام يزيد بن عبد الملك ، فخرج سفيان بن عمرو العُقيلي بأهل اليمامة فلقي مسعوداً بالخِضْرِمة فقاتله فانكشف أهل اليمامة عن سفيان ، ثم كروا والتقى عَضّاض بن تميم بن محلم العدوي - عدي الرباب - ومسعود فاختلفا ضربتين فقتل عضاض مسعوداً .

وقام بأمر الخوارج هلال بن مُدْلِج فقاتلهم يومه كله فقتل ناس من الخوارج ، وقتلت زينب أخت مسعود ، فلما أمسى هلال تفرق عنه أصحابه ، وبقي في عصبة ، فدخل قصراً فتحصن فيه ، فقال عبيدالله بن مالك عم تميم بن مُحَلِّم : علام تدع هذا وقد حبس لكم نفسه ، وقد تفرق أصحابه ولعل طائفة منهم تعود إليه . فطلبوا سلماً فلما وجدوه أحجم الناس عنه وهابوا الإقدام ، فرقى عبيدالله إلى حائط القصر وتلقاه هلال بن مدلج

---

١ - بهامش الأصل : عوذ من الأزد .

٢ - الخضرمة : بلد بأرض اليمامة لربيعة ، وقيل : جو اليمامة : قصبة اليمامة ، ويقال لبلدها خضرمة . معجم البلدان .

الخارجي على الحائط فاختلفا ضربتين فقتل عبيدالله هلالاً ، وجرحه هلال فبرىء من جراحاته ، واستأمن من بقي في القصر فأمنهم .

وقال الهيثم بن عدي : قتل مسعوداً رقيب بن عبد الرحمن ، مولى بني شيبان ، واحتز رأسه رجل من بني سعد . والأول أثبت .

وقال الفرزدق :

لقد عَضَّ عَضَّاضٌ على السيف عضَّةً بأنيابه قد أثكلت أُمَّ زينبا
كَفَتْ ضربة العضاض إذ سل سيفه رجالاً شهوداً من تميم وغُيَّبَا[1]

وقال أيضاً :

لعمري لقد سلتْ حنيفة سلَّةً سيوفاً أَبَتْ يوم الوغى أن تُعَيَّرَا
تَرَكْنَ لمسعودٍ وزينب أختـه رداءً وسربالاً من الموت أحمرا
أَرَيْنَ الحروريين يومَ لقائهم ببرقانَ يوماً يجعل الجَوَّ أشقرا[2]

وقال الهيثم بن عدي : غلب مسعود على البحرين وناحية اليمامة تسع عشرة سنة ، حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلي ، سار إليه ببني حنيفة .

ـ أمر سعيد بن أبي زينب أخي مسعود ، وعون بن بشر : قالوا : لما قتل مسعود قام سعيد أخوه بالبحرين ، فقال سعيد : قال الله : ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾[3] فلا تَحُلّ الصلاة للسكران ، وما حُرّم السكر ، ففارقه عون بن بشر أحد بني الحارث بن عامر بن حنيفة

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٢٦ مع فوارق .
٣ ـ سورة النساء ـ الآية : ٤٣ .

وأكفره ، فصار أصحاب سعيد فرقتين فرقة معه وفرقة مع عون ، فخرج عون عن هَجَر فأتى القطيف[1] فجاءه ناس كثير ، وبقي سعيد بهجر ، فدس سعيد رجلين ليفتكا بعون أحدهما حبشي يقال له بكير ، فقدما القطيف فوجأه بكير بخنجر في خاصرته ، وأُخذ بكير فدُفع إلى الوالي فقيل له : من أمرك بهذا ؟ قال : أنت . فدفعه إلى عون فقتله ، ومات عون بن بشر ، وأقام سعيد بن أبي زينب بهجر ولم يقتعد .

- **أمر مصعب بن محمد الوالبي** : قالوا : طلب عمر بن هبيرة مصعب بن محمد ، ومالك بن الصَّعب ، وجابر بن سعد ، وهم من رؤساء الخوارج ، فتراسلوا والتقوا بالخورنق ، فخرجوا وأمروا عليهم مصعباً ومعه أخته آمنة ، فلما هلك يزيد بن عبد الملك وولي هشام بن عبد الملك وَوَلّى خالدين عبدالله القسري ، وجه خالد إليهم سيف بن هانىء الهمداني فواقعهم فقُتلوا بَحزّة[2] .

وقال بعض الرواة : قُتلوا في آخر أيام يزيد ، بعث ابن هبيرة إليهم سيفاً فقال فيهم بعض الشراة :

---

١ - الهجر بلغة حمير والعرب العاربة : القرية ، وهجر مدينة ، وهي قاعدة البحرين ، والقطيف قصبة البحرين . معجم البلدان .

٢ - حزة : موضع بين نصيبين ورأس عين على الخابور ، وحزة أيضاً قرب إربل من أرض الموصل . معجم البلدان .

فتيةٌ تعرف التخشع فيهم　　كلهم حَكَّمَ القُرانَ غلاما
قد بَرَى لَحْمَهُ التَّهَجُّدُ حتى　　عاد جِلْداً مُصَفَّراً وعِظاما
غادَرُوهم بِقَاعِ حَزَّةَ صَرعى　　فَسَقَى الغيثُ أرضَهُمْ يا إماما

قال الهيثم : لما أجمعوا على الخروج قال مصعب : إن شئتم كنت أميراً ، وإن شئتم كنت وزيراً . قالوا : قد رضيناك أميراً .

قال : وقال أيوب بن خَوْلي البَجْلي يرثي جابراً بقصيدة أولها :

كفى حَزَناً أني تذكرت جابراً　　على جابرٍ صلّتْ خيار الملائك
قتيلٌ قضى إذ عاهد الله نَحْبَه　　ولم ينتظر إذ قيل إنك هالك

ـ أمر سعيد بن بهدل : قال الهيثم بن عدي : كان سعيد بن بهدل من أصحاب مروان الضعيف ، وكان رأس الخوارج ، وسمى الضعيف لأنه قيل له : ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فقال : والله مابي ضعف عن ذلك ، ولكني ضعيف البدن وإني لا أجد أعواناً ، ثم جلس سعيد بن بهدل في أصحابه فقال : لقد خفت أن يأتيني الموت بغتة قبل أن أقضي حق الله عليّ ، فكيف طيب أنفسكم بالموت ؟ قالوا : ما أطيبها به .

وكان عنده البهلول الشيباني ، والضحاك بن قيس ، فأقام خمساً ثم اعتقد وبايعوه فمات بعد أيام ، ولم يلق أحداً ، فقال فيه الضحاك بن قيس :

سقى الله يا خوصاء قبراً وحَشْوَهُ　　إذا رحلَ الشارونَ لم يترحَّلِ
فيا مُلْحِقَ الأرواح هل أنت مُلْحِقي　　بموتى مضى فيهم سعيد بن بَهْدَلِ

ثم بويع البهلول بن بشر .

وقال أبو الهيثم : هو أبو عمرو الشيباني ، ويكنى أبا بشر ، ويقال إن خروج ابن بهدل كان في أيام هشام بعد خروج البهلول .

قال : وزَوَّج عمر بن هبيرة في أيام يزيد خارجية أُتي بها من رجلٍ من أصحابه ، فقالت لزوجها : ممن أنت ؟ قال : من قيس . فقالت : أنا على دين قيس ، فلما أصبح قال له ابن هبيرة : كيف رأيت امرأتك فقال :

خَلَوْتُ بها ليلَ التمامِ فأَصْبَحَتْ   من الدين إلا دينِ قيس تَخَلَّتِ[1]

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث من أول الكتاب ، ولله كل حمد وفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر مسلمة بن عبد الملك

ومسلمة بن عبد الملك يكنى أبا سعيد ، وأمه أم ولد ، ولقبه الجرادة ، لصفرة كانت تعلوه ، وكان شجاعاً ، وقال عبد الملك في وصيته : أكرموا مسلمة فإنه نابكم الذي عنه تَفْتَرُّون . وله مغازٍ كثيرة بالروم وأرمينية ، وافتتح طوانة من بلاد الروم ، وولاه يزيد بن عبد الملك العراق فقتل يزيد بن المهلب ، وقال لهشام في إمرته : كيف ترجو الخلافة وأنت بخيل جبان ؟ قال : إني عفيف حليم .

وقال مسلمة : عجبت لمن قَدِرَ كيف لا يَغْفِر ، ولمن وُسِّعَ عليه كيف لا يجود .

المدائني قال : قدم أعرابي الشام فَلاَحَى رجلاً فقال له : ياذا الذي يبول ابنه بول الحمار ، فرفع إلى القاضي فلم يعرف ما قال الأعرابي فسأل مسلمة بن عبد الملك عنه فقال مسلمة : البول سفاد[1] الحمار ، فجلده القاضي حداً فقال : واعجباً أأضرب هكذا فلاطاً ، قال القاضي : والله

١ ـ سفد : نزا . القاموس .

ما أدري ما يقول وسأل عنها مسلمة فقال : الفلاط المفاجأة . فهجاه شاعر لهم فقال :

كيف وجدت ضربَهُ فلاطا يَنْحَطّ منه جلدُكَ انحطاطا
لما رأيتَ فوقَكَ السِّياطا خضعتَ خَضعاً أفزعَ الأشراطا

فقال الأعرابي : يارابع الشعراء ما أغراك بي أظننت أني مُفْحَمٌ لا أنطق ؟ : الشعراء أربعة : شاعر مُفْلِقَ ، وشاعر مُجيد ، وشاعر متكلف ، وشويعر ماص لبظر أمه .

فقال مسلمة : ويحك يا أعرابي ما أطْرَفَكَ ، ما سقط إلينا مثلك . وَوَصَلَهُ وَمَارَهُ[1] .

المدائني قال : كان لمسلمة صديق وأليف يقال له شُرَاحيْل فمات فجزع عليه مسلمة جزعاً شديداً ، وخرج فصلى عليه ، فأتاه عبدالله بن عبد الأعلى الشيباني فعزاه فبكى وقال :

وَهَوَّنَ وَجْدِي عن شراحيل أنني إذا شئتُ لا قيتُ امرأً مات صاحِبُه

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن هشام التنوخي قال : كنا مع مسلمة بأرمينية أيام هشام فعرض الناس فمر به رجل ضخم ، فأُبلغ عنه أمراً وجب عليه عقوبته فقال له : ما اسمك : قال عبدالله بن عبد الرحمن . قال : ممن أنت ؟ قال : من بنو تغلب . قال : ارجع ، وأمر بضربه . فلما ضرب سوطاً قال : بسمُ الله . قال مسلمة : خلوا عنه قبحه الله فلو ترك اللحن في حال لتركه تحت السياط .

---

١ ـ ماره : زوده بالميره . القاموس .

هشام ابن الكلبي عن عوانة قال : تكلم قوم فأكثروا الخطأ والخطل ، ثم أتاهم رجل بليغ فجعل لا يخرج من لفظ حسن إلا إلى أحسن منه ، فقال مسلمة : ما شبهت كلام هذا في اثر كلام القوم إلا بسحابة لَبَدَتْ عجاجاً .

وحدثني أبو مسعود الكوفي أن ابن كناسة الأسدي قال : قال مسلمة بن عبد الملك إنه لا عفة مع الشح ، ولا مروءة مع الكذب .

المدائني : أن مسلمة بن عبد الملك كان يتنقص العباس بن الوليد بن عبد الملك حين بعث يزيد بن عبد الملك بهما لمحاربة يزيد بن المهلب بالعراق ، ويحمقه فبلغ العباس ذلك فكتب إليه كتاباً فيه هذه الأبيات ، يقال إنها له ، يقال إنها لابن سيار ، وإنما تمثل بها :

ألا تَقْني الحياء أبا سعيد وتُقْصِرُ عن ملاحاتي وعذلي
فلولا أَنَّ أصلك حين تُنْمَىٰ وفَرْعُكَ منتهىٰ فرعي وأصلي
وإني إن رميتك هِضْتُ عَظمي ونالتني إذا نالتك نَبْلي
لقد أنكرتني إنكار خوفٍ يُقَصِّرُ منك عن شتمي وأكلي
لقول المرءِ عمروٌ في القوافي أريد حياته ويريد قتلي

قالوا : وشتم رجل من أهل الشام يزيد بن المهلب ، فقال له مسلمة : اسكت أتقول هذا لرجل سار إليه قريعا قريش ؟ إنّ يزيد حاول أمراً جسيماً ومات كريماً .

المدائني قال : قيل لمسلمة بن عبد الملك : ما يمنعك من العمل ولو أردته لتوليت أجسمه ؟ فقال : يمنعني منه ذل الطلب ، ومرارة العزل ، وهول الخُطب ، وقرع حَلَق البريد .

المدائني قال : قال مسلمة بن عبد الملك : ما فرحتُ قط بفتح كان على غير تقدير .

المدائني : أن مسلمة قال لعمر بن عبد العزيز : أَوْصِ . فقال : مالي مال أوصي به ، قال : فأنا آتيك بمائة ألف درهم توصي فيها بما أحببت . قال : أفلا تفعل خيراً من ذلك ، تردها إلى موضعها الذي أُخذت منه ، قال : رحمك الله يا أمير المؤمنين فقد لَيَّنْتَ منا قلوباً قاسية ، وزرعت لنا في قلوب الناس المحبة ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً .

المدائني عن خالد بن بِشْر قال : بلغ مسلمة بن عبد الملك أن رجلاً شتمه وعلم الرجل بذلك فانقبض عن إتيانه ، وسأل مسلمة عنه فأتاه وأجاد الإعتذار إليه ، فقال مسلمة : اللهم عفواً كف عن هذا رحمك الله ، ولم ير منه تغيراً له .

قال : وشتم مسلمة قوم من أهل الأردن ، وبلغه ذلك فبعث إليهم وأعطاهم وكساهم وكتب إلى الوالي عليهم يأمره بالإحسان إليهم .

المدائني عن عامر بن حفص قال : قال أبو نخيلة السعدي : دخلت على مسلمة بن عبد الملك فقلت :

أَمسلمُ يا منسوب كل خليفةٍ ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرض
تلافيتني لما أتيتك عارياً بخير لحافٍ سابغ الطول والعرضِ
وأنبهتَ لي ذكري وما كان خاملاً ولكنَّ بعض الذكر أَنْبَهُ من بعضِ

فقال : أين أنت من الرجز يا أخا بني سعد ؟ فقلت : أنا أرجز الناس ، قال : فأنشدني بعض رجزك ، فأذهبَ الله عني كل ما كنت أحفظه

مما قلت ، فأنشدته أرجوزة للعجاج ، فلما أمعنت فيها قال : حَسْبُكَ ، أنا أعلم بها منك ، وأعرضَ عني فظننت أنه مقتني على كذبي إياه .

وحدثني هشام بن عمار قال : سمعت الوليد يقول : أخبرني من سمع مسلمة بن عبد الملك وذكر رجل فقيل هو قنوع . فقال : إن القناعة أحد اليسارين ، أو قال أحد المالين .

وقال هشام بن محمد الكلبي : كانت عند مسلمة بن عبد الملك الرباب بنت زفر بن الحارث الكلابي ، فكان يأذن لأخويها الهذيل وكوثر أول الناس ، فقال عاصم بن عبد الملك ، وهو أبو زفر بن عاصم الهلالي :

أمسلم قد منيتني ووعدتني مواعيد صدق إنْ رجعتَ مُؤَمَّرَا
أَيُدعىٰ الهذيل ثم أُدعىٰ وراءه فيالكَ مَدْعَاً ما أذلَّ وأحقرا
وكيف ولم يشفع لي الليلَ كله شفيع إذا ألقىٰ قناعاً ومئزرا
فلستُ براضٍ عنك حتى تحبني كحبك صهريك الهذيل وكوثرا

فقال الهذيل :

ما فخر فَخَّار عليّ وإنما نَشَأْنا وأُمّانا مَعَاً أَمَتَانِ
أبي كان خيرٌ من أبيك وأَفْضَلَتْ عليكَ قديماً جرأتي ولساني

ورثىٰ عبدالله بن عبد الأعلىٰ مسلمة فقال :

أبا سعيد أراك الله عافيةً فيها لروحك عند العسر تيسير
فقد أقمتَ قناة الحق فاعتدلتْ إذْ أنت للدين مما نابه سور

فولد مسلمة بن عبد الملك : سعيد الأكبر وأمه أم ولد ، وسعيداً الأصغر أمه الزعوم بنت قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي .

قالوا : ولما قتل مسلمة يزيد بن المهلب ، جمع له يزيد بن عبد الملك العراقين ، فولىٰ ذا الشامة محمد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الكوفة .

وقال المدائني : أخذ مسلمة من عسكر بني المهلب ألفين وثمانمائة : فبعث بهم إلى ذي الشامة وكان على الكوفة ، وصاحب شرطه العريان بن الهيثم ، فقال ذو الشامة : يا أبا الحكم لست من هؤلاء في شيء فشأنك بهم ، فقتل منهم من كان من بني تميم ، ولم يقتل اليمانية والربعية . فقال حاجب بن ذبيان المازني :

لعمري لقد خاضت معيط دماءنا بأسيافهم حتى انتهى بهم الوحل
وما حمل الأقوام أثقل من دمٍ حرامٍ ولا ذحلٍ اذا اتبع الذحل

وقال أبو نعيم الفضل بن دُكين عن موسىٰ بن قيس : أقبل مسلمة حتى نزل الحيرة فأتاه مسلمة بن كهيل ، وزبيد اليامي فأعطاهما خمسمائة خمسمائة .

حدثني عمر بن محمد عن أبي نعيم عن زهير بن معاوية قال : رأيت مسلمة يأكل هكذا بأربع أصابع .

وحدثني عمرو عن أبي نُعيم قال : سمعت سفيان يقول : قال عمر بن عبد العزيز لمسلمة : إذا مت فارفع لبنة من قبري ، فانظر ما خرجت به من الدنيا . قال : ففعل فلَم يزل ذلك يُعرف فيه .

وقال المدائني عن رجل عن ابن عياش قال : لم يرفع مسلمة بن عبد الملك من الخراج كبير شيء فأراد يزيد بن عبد الملك عزله فاستحيا منه فكتب إليه : استخلف على عملك وأقدم ، ويقال : بل شاور مسلمة عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي في الشخوص إلى يزيد زائراً ، فقال : أمن

شوق بك إليه ، إنك لطروب ، وإن عهدك به لقريب . قال : لابد من ذلك . قال : فإنك لا تخرج من عملك حتى يلقاك والٍ مكانك .

فلما بلغ دُورين[1] لقيه عمر بن هبيرة على خمس من دواب البريد فقال : إلى أين يا بن هبيرة ؟ قال : وجهني أمير المؤمنين لحيازة أموال آل المهلب ، فلما فارقه أتاه عبد العزيز بن حاتم فقال له : قد أنبأتك أن سيلقاك وال مكانك ، قال : فإنه قال لي كذا . فقال : واعجباً يُصرف عن الجزيرة ويوجه لحيازة أموال آل المهلب وليس معه إليك كتاب بمعاونته على ما وجه له .

فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله وغلظته عليهم .

وقال ذو الشامة يرثي مسلمة :

ضاق صدري وعيل صبري فـ ـلا صبرٌ دون ما أراه أتاكا
كل ميت قد اعتفرتُ فلم أجـ ـزَعْ عليه إذا جاور الهلاكا
قبل ميتٍ وقبل قبرٍ على الخابـ ـور ولم استطع عليه اتّراكا

قالوا : ودخل أعرابي على مسلمة فقال : يا بن الخليفة زرتك وأنت غرة مضر وحسيبها حين تُذكر ، قد تَعَطَّفَتْ عليك الأملاك فليس يخاف ضيفك الهلاك ، وأنت في فرع نضار ، ورثته عن ذوي الأخطار ، ولك يد تمطر الندىٰ ، وأخرى تقتل العدىٰ ، وقد رزقت من الناس الحمد ، فَدَّلّ عليك فضلك ، فقال مسلمة : يا أعرابي إنك لفصيح ، قال : أجل وإني

---

١ ـ دوران : موضع خلف جسر الكوفة ، وهناك دوران أخرى من قرى فم الصلح من نواحي واسط . معجم البلدان .

لصريح ، فقال مسلمة : قلما تجد أعرابياً عاقلاً قال : وما يُذهب عقله إذا كان كاملاً ؟ قال : قلة مخالطته الناس . فقال : ذلك أكْيَدَ لَهُ عند الناس ، قال مسلمة : وأنَّى له بذلك وهو لا يرى القتال ؟ قال : يكون غَمْراً فيجترىء على الأبطال ، قال مسلمة : احتكم يا أعرابي . قال : عَشْرُ جلال تِمر ، وعشر أعنز ، وقطيعة للعيال ، وجملاً نحمل عليه متاعاً وثلاثين درهما ، فأمر له بضعف ما طلب .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر هشام بن عبد الملك بن مروان

هشام بن عبد الملك بن مروان ، ويكنىٰ أبا الوليد ، وكان أحول بخيلاً ، وأمه أم هشام واسمها فاطمة بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ، ويقال عائشة بنت هشام ، ويقال مريم بنت هشام ، وكانت أمه حمقاء أمرها أهلها ألا تكلم عبد الملك حتى تلد ، وكانت تثني الوسادة ثم تركبها وتزجرها ، وتشتري الكندر(٢) فتمضغه وتجعل منه تماثيل ، وتضع التماثيل على الوسائد ، وقد سمّت كل تمثال باسم وتنادي : يا فلانة يا فلانة ، فطلقها عبد الملك ، وسار إلى مصعب وهي حامل فلما قتله بلغه مولد هشام فسماه منصوراً تفاؤلاً بذلك ، وسمته أمه هشاماً باسم أبيها .

وولد هشام بن عبد الملك عام قتل مصعب سنة اثنتين وسبعين .

وولد هشام : مسلمة أبا شاكر ، وأمه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم ، ويقال هي أم حكيم بنت الحارث بن الحكم .

---

١ ـ الكندر : نوع من العلك . القاموس .

وسعيداً ، أمه أم ولد ، ويقال أمه أم عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان .

ومعاوية ، وأمه عَبْدَة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

وعبد الملك ، وأمه مخزومية .

ومحمداً ، أمه الطلحية ، ويقال أم ولد .

ومروان : درج صغيراً وأمه أم ولد .

وتزوج هشام من النساء : أم حكيم بنت يحيى بن الحكم . وحَفْصَة بنت عمران بن محمد بن طلحة بن عبيدالله ، وعَبْدَة بنت عبدالله الأسوار بن يزيد بن معاوية . ورُقَيّة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان وأمها أم عمر بنت مروان ، ولدت له عائشة بنت هشام ، تزوجها عبيدالله بن مروان بن محمد ، ويقال عبدالله ، وعبيدالله أصح .

وأم سلمة بنت عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو . وأم عبد الملك المخزومية .

وأتت هشاماً الخلافة وهو بالزيتونة[1] ، ومات هشام بالرصافة التي بقرب الرقة في شهر ربيع الآخر لستّ خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة ، وصلى عليه ابنه مسلمة ، ويقال بعض ولده غير مسلمة ، وكان خلافته عشرين سنة إلا خمسة أشهر . ويقال إنه مات ليلة الأربعاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .

---

١ ـ الزيتونة : موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام .

ويقال كانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحداً وعشرين يوماً ، ومات وله أربع وخمسون سنة .

قال المدائني : كان على شرطة هشام كَعْبُ بن حامد العَبْسي ثلاث عشرة سنة ثم عزله وولاه أرمينية بعد الجَرَّاح بن عبدالله الحَكَمي ، وولى الشرط يزيد بن يَعْلَىٰ بن الضخم العبسي .

وولىٰ الرسائل سالم بن عبد الرحمن مولى سعيد بن عبد الملك بن مروان ، أو المنذر بن عبد الملك .

وولى الحرس نصراً مولاه ثلاث سنين ، ثم ولى الحرس الربيع مولى بني الحُرَيْش وهو الربيعَ بن شابور ، وولاه أيضاً خاتم الخلافة .

وولى ديوان الخراج والجند أسامة بن زيد ، ثم عزله ، وولى ابن الحَبْحَاب ، ثم ولى ابن الحبحاب مصر وصيّر مكانه على ديوان الخراج والجند سعيد بن عقبة مولى بني الحارث بن كعب .

وكان قاضي هشام نمير بن أُوْس الأشعري ، ثم يزيد بن أبي مالك الهمداني .

قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني : لما خلع يزيد بن المهلب وجّه إليه يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، وقال : أمير الجيش مسلمة فإن حدث به حدث فالعباس بن الوليد ، فقال العباس بن الوليد ليزيد : يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق قوم غدر كثير إرجافهم وأنت توجهني محارباً والأحداث تحدث ولا آمن أن يُرجف أهل العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ، ولم يعهد فَيَفُتّ ذلك في

أعضاد أهل الشام ويدخلهم له الوهن والفشل ، فلو بايعت لعبد العزيز بن الوليد ، قال : غدا إن شاء الله .

وبلغ مسلمة بن عبد الملك ذلك فدخل على يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ، أولد عبد الملك أحبُّ اليك أم ولد الوليد ؟ . قال : ولد عبد الملك إخوتي وأحب إلي ، قال : فابن أخيك أحقّ بالخلافة من أخيك ؟ قال : لا . قال : أفتبايع لعبد العزيز ؟ قال : لا ، غداً أبايع لهشام أخي وبعده للوليد ابني .

وبلغ عبد العزيز قوله ، وأتاه مولى له وهو لا يعرف الخبر فقال له : يا أبا الأَصْبَغ غداً نبايع لك . قال عبد العزيز : هيهات ، أفسد ذلك علينا مسلمة ونقضه .

فلما كان الغد بايع يزيد لهشام ، ومن بعده لابنه الوليد بن يزيد ، فكان إذا نظر إلى الوليد قال : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك .

المدائني أن عبد الملك بن عياش قال لهشام قبل الخلافة ، وكان يسحب ثيابه : قد أطلت قميصك يا أبا الوليد ، قال : وما يضرك ؟ قال ؛ إنك تجره في الطين فارفعه . قال : وما ينفعك ؟ .

المدائني عن الحارث بن يزيد قال : حدثني مولى لهشام قال : بعث معي مولى لهشام كان على بعض ضياعه بطائرين ظريفين فدخلت عليه وهو جالس على سرير في عرصة الدار ، فجعل ينظر اليهما ، فقلت : يا أمير المؤمنين جائزتي . فقال : ويلك وما جائزة طيرين ؟ . فقلت : ما كان . فقال : خذ أحدهما ، فعدوت في الدار لآخذ أحدهما فقال : مالك ؟ .

قلت : أختار أحدهما . فقال : أو تختار أيضاً وتدع شرهما ؟ . قلت : نعم . قال : دعهما ونعطيك خمسين درهما .

قال : وكتب سليمان بن هشام إلى إبيه : «إن بغلتي قد عجزت فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابة فعل» ، فكتب إليه : «قد فهم أمير المؤمنين كتابك ، وقد ظن أمير المؤمنين أن عجز بغلتك عنك من قلة تعهدك لها ، فإن علفها يضيع ، فتعهَّد دابتك وقم عليها وسيرى أمير المؤمنين رأيه في حملانك إن شاء الله ، والسلام» .

قال : وكتب بعض عمال هشام إليه : «إني قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلة فيها دراقن فليكتب إليّ بوصولها» . فكتب إليه : «قد بلغ أمير المؤمنين كتابك ووصل الدراقن وأعجبه ، فزد أمير المؤمنين منه ، واستوثق من الوعاء الذي توعيه إياه ، والسلام» .

وكتب إلى بعضهم : «قد أتت أمير المؤمنين الكمأة التي بعثت بها وهي خمسون وقد تغير بعضها ولم يؤت ذلك إلا من قبل حشوها ، فإذا بعثت إلى أمير المؤمنين بشيء من الكمأة فأَجِدِ الحَشْو في طرفه بالرمل حتى لا يضطرب ولا يصيب بعضه بعضاً إن شاء الله ، والسلام» .

قال : وكان سالم بن عبد الرحمن كاتباً لهشام ، ثم إنه صيّر ابنه كاتباً له يخلفه عنده ، فقال له : إن ابنك يا سالم لبيب فقال ؛ يا أمير المؤمنين أخا يرك به أيَّ بنيك شئتَ .

المدائني قال : قال هشام لأبي أيوب : أخرج فانظر كيف ترى السحاب ، فخرج فنظر فقال : قد تفرق وإن اجتمع فعسى .

المدائني قال : قال هشام : إن لأهل العراق رائدين لا يكذبان دجلة والفرات .

المدائني قال ؛ قدم علباء بن منظور الليثي على هشام فأنشده :

إنّـا أنـاس ميّتٌ ديـواننـا ومتى يُصِبْهُ نَدَى الخليفة يُنْشَرُ

فقال : ما أحسن ما قلت وسألت ، وأمر له بخمسمائة درهم وأن يلحق له عَيّل ، فقدم البصرة فقال الفرزدق : الحُذَيّا[1] ، فأعطاه مائة درهم ، فقال : اجعلها يا أمير المؤمنين لابنتي ، قال : إنما حاولت الجريبين ، وكان لكل واحد من الذرية في كل عام مائة درهم ، وفي كل شهر جريبان ، وإنما ذلك لعيال أهل الديوان .

وقال هشام للأبرش - وهو سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة بن وائل بن قيس بن بكر بن عامر ، وهو الجُلَاح بن عوف بن بكر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ، وكان الأبرش جليسه وأنيسه -: كيف تكون أخص الناس بي وأنت أخص الناس بمسلمة أخي ؟ . فتمثل الأبرش :

أؤاخي رجالاً لستُ أُخبرُ بعضَهُم بأسرارِ بعضٍ إنّ قلبي واسع

قال : وقال الأبرش لهشام : يا أمير المؤمنين ، لو ينادى في عرض الناس يا مفلس فسمع رجل من جلسائك نداءه ما ظن أنه عنى غيره .

المدائني عن عمر بن يزيد عن الوليد بن خليد قال : رآني هشام على برذون طخاري فقال : ما هذا البرذون ؟ قلت : حملني عليه الجُنَيْد بن عبد

١ ـ الحذيا : هدية البشارة ، والقسمة من الغنيمة . القاموس .

الرحمن المُرّي . فحسدني وقال ؛ لقد كثرت الطخارية ، ولقد مات عبد الملك وما في دوابه إلا برذون طخاري ، فتنافسه ولده أيُّهم يأخذه وما منهم أحد إلا وهو يرى أنه إن لم يأخذه لم يرث من أبيه شيئاً ، فصار لي فما ورثتُ من عبد الملك شيئاً كان أحب إلي منه .

المدائني عن يزيد بن الحارث قال : كان هشام وبنو مروان كلهم لا يكسون الناس الخز الأحمر والأصفر ويكسونهم ما وراء ذلك من الألوان ، ويدخرون الأحمر والأصفر لكسوتهم .

قال : وقسم هشام تمراً وجبناً ، فقال ابراهيم بن يزيد بن هبيرة السكوني ، أخي مالك بن هبيرة السكوني لمولى له : انطلق فجئنا بشيء من تمر العراق وجبنه ، فأُعطي قوصرة وجبنة ، قال مولى ابراهيم : فألفيتُ القوصرة وما فيها إلّا تمر قد سوَّسَ وفَسَدَ ، وإذا الجبنة قد قشرها الفأروأكل جانبها وثقبها .

ودخل أبو النجم العِجْلي على هشام فقال له : كيف رأيك في النساء فقال : ما لي عندهن خير ولا لهنّ عندي مير . قال : ما ظنك بأمير المؤمنين ؟ قال : مثل ظني بنفسي ، فبعث هشام إلى جواريه فأخبرهنّ بما قال أبو النجم ، فقلن : كذب عدو الله ما منا جارية تصلي صلاة حتى تغتسل ، فوهب لأبي النجم جارية ، ثم سأله عما صنع فأنشده :

نظرتْ فأعجبها الذي في درعها ... من حسنه ونظرتُ في سرباليا
ورأتْ لها كفلاً ينوء بخصرها ... ثقلاً وأَجْثَم في المِجَسَّةِ[1] رابيا

١ ـ بهامش الأصل : في المحسة .

ورأيتُ منتشر العَجَانِ مقلَّصاً رخواً حمائله وجلداً باليا
أُدني له الركبَ الحليقَ كأنما أُدنى إليه عقارباً وأفاعيا

المدائني قال : كان سهيل بن أبيض أبو البيضاء من أهل المدينة ، وكان مضحكاً ، وكان هشام والوليد يستملحان حديثه وشعره ، فقال له هشام : كيف قلت لداود وامرأته ؟. قال : قلت :

إنما دَلَّ عليه مَرْكَنٌ كان استعاره
فله ما شاء عندي إن تخطى العُود فاره
أو رآه المرء غُضْيَاءَ فَلَمْ يُوْجِعْ فَقَاره

وقال غير المدائني : كان داود هذا استعار مركنا يزرع فيه شيئاً : أو يستعمله في بعض الأمر ، فرأته امرأته فأعجبها فضمها إليه بغير ولي ولا شهود ، فلذلك قال إنما دل عليه هذا المركن ، يقول : فله ما شاء إن لم يأخذه غُضْيَاء بن عياش بن الزبرقان بن بدر ، وكان على شرطة المدينة ، فيضربه . وقوله : تخطى العود ، يعني بالعود العصا . والفار العضل . وكان غضياء يكثر ضرب عَضَلَ الرّجْلَيْنَ . والعرب تقول : أَشْبع جارك ، وأَوْجِع فارك ، أي أوجع عضلك حتى يهزل . وقال لامرأة داود :

وجدوا جونة سوءٍ بين هَرْشَى والأَصَافِر
وجدوا فيها متاعاً ليس من زادِ المُسَافر
وجدوا كارَيْن فيها من أديمٍ غير ظاهر
وجدوا فيها خطايا عجزتْ عنها الأباعر

قال أبو اليقظان : ولد عياش بن الزبرقان ـ واسم الزبرقان حصين بن يزيد بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد :

غُضياء ، وكان على شرطة المدينة لخالد بن عبد الملك بن الحارث بن أبي الحكم بن أبي العاص في أول أيام هشام ، وكانت أم عبد الملك بن الحارث ابنة الزبرقان بن بدر ، وغضياء القائل :

غـريبٌ في ديـار بني تميم ولا يُخْـزي عــشـيرتي اغـتـرابي

وعياش الذي قال له جرير بن عطية :

أعياش قد ذاق القُيون مَياسمي وأوقدتُ ناري فَادْنُ عياش فاصطلي[1]

فقال : إني إذاً لمقرور .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : دخلت جارية لهشام عليه ، وعنده الأبرش فقال : يا أبرش أهبها لك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين وهو يضحك ويغمز هشاماً ، فقالت وفطنت : أنت والله يا أبرش أطمع من أشعب . فقال هشام : ومن أشعب ؟ فقيل : مضحك مليح يكون بالمدينة ، وحُدِّثَ حديثه . فقال : اكتبوا في إشخاصه ، فقال له الأبرش : أيتحدث الناس بأنك كتبت إلى عاملك على مدينة الرسول ﷺ فأشخصت منها مضحكاً لتلهو به ؟ فقال : أمسكوا ، أمسكوا فإنها وصمة عظيمة ، ثم قال شيئاً زعموا أنه لم يقل قط شيئاً غيره ، ويقال إنه إنما تمثل به :

إذا أنتَ لم تعصِ الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقالُ

المدائني عن ابراهيم بن سعيد القرشي قال : رأى عبد الملك بن مروان بن الحكم في منامه كأن ابنة هشام بن اسماعيل فلقت رأسه فلطعت

---

١ ـ ديوان جرير ص ٣٦٨ مع فوارق .

منه عشرين لطعة ، فغمه ذلك ، فأرسل إلى سعيد بن المسيّب من قصها عليه ، فقال سعيد : تلد غلاماً يملك عشرين سنة ، فولدت هشاماً .

قالوا : وأُقطع هشام الضيعة التي تدعى دورين فأرسل في قبضها فإذا هي خراب ، فقال لدويد وهو كاتب كان بالشام : ويحك كيف الحيلة ؟. قال : ما تجعل لي ؟ قال : أربعمائة دينار . قال : فكتب دُويد : وقراها . ثم أمضاها في الدواوين فاتسعت الضيعة وفشت ، فلما ولي هشام دخل عليه دويد كالمتقرب بما كان فعل ، فلما وقعت عين هشام عليه قال : وقراها ، لا يلي لي والله ولاية أبداً ، فأخرجه .

قال : وكان هشام يوماً على باب يزيد بن عبد الملك ، فنظر إلى بغال تعرض عليه وفيها بغل لم ير مثله حسناً وطهارة خلق ، ولين سير فقال : ما يصنع أمير المؤمنين بهذه الدواب كلها لو أن رجلاً اجتزأ بهذا البغل وحده كفاه ، فلما ولي هشام اتخذ البراذين الطخارية والبغال فقال له الرجل الذي حضره على باب يزيد : أتذكر يوم قلت في البغل كذا وكذا ؟. قال : نعم ، وأنا عليه ، ولكنا نرى شيئاً نحسد الناس عليه فنحب أن نحويه دونهم .

قالوا : ولما أخرج دُويد ثقله أُخبر هشام أنه على أربعين جملاً ، فأرسل فأخذه . وطلب هشام عسلاً من الخزانة التي هي بالهني والمري[1] والخزانة قرية ، فقيل له إن الفقراء والمرضى كانوا يلعقونه فمنع الناس من تلك الكواير ، وكتب بجمع العسل وطين الأبواب .

---

١ ـ نهران كانا بالرقة .

المدائني قال : كان هشام يتكلم بكلمات في العيدين في خطبته لا يقولهن في غير هذين اليومين ، ثم يخطب بعد ذلك : «الحمد لله ما شاء صنع ، وما شاء أعطى ، وما شاء منع ، ومن شاء خفض ، ومن شاء رفع ، ومن شاء ضرّ ، ومن شاء نفع» .

المدائني عن عبد الله بن سلم القرشي عن خليد بن عجلان قال : خرج هشام وليس بخليفة يريد بيت المقدس ، وأتى دمشق ، فدخل على محمد بن الضحاك بن قيس الفهري ودخلنا معه ، فقال له محمد وراءه يسحب ثيابه : يا أبا الوليد أدركت أمير المؤمنين عبد الملك ؟ فقال : نعم وكان والله مشمراً مُهَجرّاً . قال : فما يمنعك من ذلك ؟. قال : يمنعني قول الشاعر لأبيك :

قصير الثياب فاحِشٌ عند بابه وشر قريشٍ في قريش مُركّبا

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : كان هشام يلاعب الأبرش بالشطرنج ، وقد أشرف هشام على أن يغلب الأبرش ، فاستأذن الحاجب لرجل من بني مخزوم من أخواله فأمر بإدخاله ، وغطيت الشطرنج بمنديل ، فلما دخل المخزومي سلَّم وجلس ، فقال له هشام : يا خال أتقرأ كتاب الله ؟ قال : ما أقرأ منه إلا ما أقيم به صلاتي . قال : أفتروي من الآثار شيئاً ؟ قال : لا . قال : أفتعرف من أحاديث العرب وأشعارها وأيامها ما يعرفه مثلك ؟ قال : لا . قال : أفتنسب قريشاً وسائز نزار ؟ قال : لا أُحسن من النسب شيئاً . قال : يا غلام ! إرفع المنديل فليس من خالنا حشمة ، وأخذ في لعبه .

وقال الهيثم : عـرض هشام الجند يوماً فنفر برجل من أهل حمص فرسه وقد دنا من هشام ، فقال له : ويلك أتركب مثل هذه الفرس فإن نَفَر بك في حرب صرعك فهلكت ، قال : والرحمن ما هذه عادته ولكنه شبَّهَكَ بأبي جبرون البيطار ، فقال له هشام : اغرب لعنك الله ، وضحك .

المدائني وغيره قالوا : قال مسلمة بن عبد الملك لهشام ـ وتلاحيا في شيء : كيف ترجو الخلافة وأنت جبان بخيل ؟ قال : لأني عفيف حليم .

وقال هشام ابن الكلبي : قال هشام لمن حضره : من أنعم الناس عيشاً ؟ فقال بعضهم : أمير المؤمنين ، وقال بعضهم : ولد أمير المؤمنين. فقال رجل من الحرس : أنعم الناس عيشاً ابن كفيته أمر دنياه ، وليس يهتم بأمر آخرته .

المدائني قال : كان المنصور يذكر هشاماً فيقول : كان رجل القوم .

أبو الحسن المدائني عن محمد بن الفضل قال : بعث هشام إلى أبي حازم الأعرج فأبطأ عليه ، ثم أتاه فقال : ما منعك من إتياني ؟ فقال : والله لولا مخافة شرك ما أتيتك . قال : ما ترىٰ في إنفاق هذا المال ؟ قال : إن أخذته من حله ووضعته في حقه سلمت ، وإلا فهو ما تعلم .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : كان هشام إذا أحدث قال : القوا عني مؤونة التحفظ. قال: ودخل سليمان بن سعيد الخُشْني[1] ، أو ابنه على هشام ، ومعه كتب يريد عرضها ، فقال هشام : أخِّرها فإني محموم ، وناوله

---

١ ـ بهامش الأصل : خشن بن النمر بن وبره ، واسم خشن وائل .

يده فمسّ عِرْقَهُ ثم قال : ما أرىٰ بك حمىٰ ، ثم قال : يا بن اللخناء تكذبني . لا تقربني ، وأمر بعزله عن الديوان .

المدائني عن شبيب بن شيبة قال : كان المنصور إذا ذكر بني مروان يقول : أما عبد الملك فكان جباراً لا يبالي ما أقدم عليه ، وأما الوليد فكان مجنوناً ، وأما سليمان فكان همه بطنه وفرجه ، وأما عمر بن عبد العزيز فكان أعور بين عميان ، ورجل القوم هشام .

قالوا : وكان الجعد بن درهم مؤدب مروان ومعلمه ، وكان دهرياً ، ويقال كان معتزلياً شهد عليه ميمون بن مهران أنه قال له ووعظه : لشاة قيادٍ أحب إلي مما تدين به . فقال له : قتلك الله وهو قاتلك، ويقال إن ميمون بن مهران وعدة شهدوا عند هشام على الجعد بن درهم بالكفر ، فطلبه هشام فهرب إلى حران ، ثم إنه ظفر به فحمل إلى هشام فأخرجه من الشام إلى العراق ، وكتب إلى خالد بن عبدالله القسري وهو عامله على العراق بأن يحبسه فلم يزل محبوساً حيناً ، ثم إن امرأته رفعت إلى هشام في أمره تعلمه طول حبسه وسوء حاله وحال عياله ، فقال : أوحيٌّ هو ؟ وكتب إلى خالد في قتله ، فقال خالد في يوم أضحى : أيها الناس انصرفوا إلى أضاحيكم فإني مضحّ بعدو الله الجعد بن درهم ، وكان الجعد مولى سويد بن غفلة الجعفي .

قالوا : وكان غيلان يقول : كلمت الجعد فوجدته معطلاً .

المدائني عن رَيْسان الأعرجي عن عقال بن شبّة قال : دخلت على هشام ، وعليه قباء أخضر ، فجعلت أتأمله ، فقال : مالك تتأمل قبائي ؟ قلت : رأيت عليك قبل الخلافة قباء أخضر شبهته بهذا القباء ، قال : هُوَ

هُوَ ، والذي لا إله غيره ، ومالي قباء سواه ، وما ترون من جمعي المال وصونه إلا لكم .

وقال المدائني : كان عقال بن شبة مع هشام ، وكان شبه أبو عقال مع عبد الملك ، وكان عقال يقول : دخلت على هشام فدخلت على رجل محشو عقلاً .

قالوا : وقال هشام لنسطاس أبي الزبير : أترى الناس يرضون بعدي بالوليد بن يزيد ؟ قال : قلت : يطيل الله عمرك يا أمير يا أمير المؤمنين ويبقيك بعده ، قال : لابد من الموت . أفترى الناس يرضون به ؟ قلت : يا أمير المؤمنين البيعة له في أعناق الناس ، قال : لئن رضي الناس بالوليد إنّ الحديث الذي رُوي : «إنّ من ولي الخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار» ، باطل .

قال الهيثم بن عدي : بعث يوسف بن عمر إلى هشام ياقوتة حمراء يخرج طرفاها من الكف ، وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحبّ ، قال الرسول : فدخلت على هشام فدنوت منه فلم أرَ وجهه من طول السرير وكثرة الفرش . فلما تناول الحجر والحبة قال : أكتبَ معك بوزنهما ؟ قلت : يا أمير المؤمنين هما أجلّ من أن يكتب بوزنهما ، ومن أين يوجد مثلهما ؟ قال : صدقت .

وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبدالله القسري اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار .

المدائني وغيره أن هشاماً أنشد بيت حسان بن ثابت الأنصاري :

أتانا رسول الله لما تجهمت له الأرض إذ يرميه كل مُفَوِّقِ[1]

وهو يروي «حين تنكرت له الأرض إذ يرميه كل مفوق» .

وأنشد أيضاً شعر قيس :

ثوىٰ في قريش بضع عشرة حجة يذكِّر لو يلقىٰ صديقا مؤاتيا

فقال : ما رأيت أحد أشد امتناناً على الله ورسوله من هؤلاء اليهود ـ يعني الأنصار ـ .

ومات هشام بالذبحة فروي عن سالم أبي العلاء أنه قال : خرج علينا هشام يوماً وهو كئيب ، يُعرف ذلك فيه ، مسترخي الثياب ، وقد أرخىٰ عنان دابته فقال : ادعو الأبرش ، فدعي فسار بين الأبرش وبيني ، فقال الأبرش : يا أمير المؤمنين لقد رأيت منك ما غمني . قال : ويحك كيف لا أغتم وقد زعم أهل العلم إني ميت إلى ثلاثة وثلاثين يوماً ، قال الأبرش : فلما انصرفت إلى منزلي كتبت : زعم أمير المؤمنين أنه يسافر يوم كذا ، فلما كانت ليلة اليوم الذي كمل الثلاثة والثلاثين أتاني رسول هشام فقال : أجب واحمل معك دواء الذبحة ، وقد كانت الذبحة عرضت له مرة فتداوى بذلك الدواء فانتفع به فأتيته ومعي الدواء فتغرغر به ، فازداد الوجع شدة ، ثم سكن ، فقال : قد سكن بعض السكون فانصرف إلى أهلك وخلف الدواء عندي ، ففعلت ، فما استقررت في منزلي حتى سمعت الصراخ فقالوا : مات أمير المؤمنين ، فلما مات أغلق الخزان الأبواب ، فطلبوا قمقماً يسخن فيه الماء لغسله فما وجدوه ، حتى استعاروا قمقماً .

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١٨٥ .

وكان الوليد شخص عن الرصافة لكثرة عبث هشام به ، وخلف عياض بن مسلم مولى عبد الملك بن مروان ، وهو كاتبه ، بالرصافة ، وأمره أن يكتب إليه بالأخبار ، فعتب عليه هشام فضربه وحبسه وألبسه المَسُوح ، فلما صار هشام إلى الحدّ الذي لا تُرجىٰ له فيه الحياة ، أرسل عياض إلى الخّزان أن احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلنّ أحد منه إلى شيء .

وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً فَمُنِعَهُ ، فقال : أرانا كنا خزاناً للوليد .

ثم مات هشام من ساعته ، فخرج عياض من الحبس ، وختم أبواب الخزائن ، وأمر بهشام فأُنزل عن فرشه وحازها ، فما وُجِدَ له كفنٌ ، حتى كفنه غالب مولى هشام .

وقال مروان بن شجاع مولى مروان : كنت مع محمد بن هشام ، فأرسل يوماً إليّ فدخلتُ عليه وقد غضب وهو يتلهف ، فقلت : مالك ؟ قال : رجل نصراني شجّ غلامي ، وجعل يَسُبُّه ، فقلت : على رسلك . قال : ما أصنع ؟ قلت : نرفعه إلى القاضي ، قال : أما غير هذا ؟ قلت : لا . فقال خِصيٌّ له : أنا أكفيك . فذهب فضربه . وبلغ ذلك هشاماً فطلب الخصيّ فعاذ بمحمد ، فقال محمد بن هشام : لم آمرك ، وقال الخصي : قد والله أمرني ، فضرب هشام الخصي ، وشتم ابنه وهجره أياماً ثم رضي عنه .

قالوا : وكان في موكب هشام ثمانمائة فارس : أربعمائة من الشرط ، وأربعمائة من الحرس ، ولم يكن أحد يسير في موكب إلا مسلمة بن عبد الملك .

ورأى هشام ذات يوم سالماً كاتبه في موكب فزجره ، وقال : لا أعلمنّ ما سرتَ في موكب ، فكان يَقْدُمُ الرجل الغريب فيسير معه ، فيقف سالم ويقول : ما حاجتك ، ويمنعه أن يسير معه .

وكان سالم عظيم القدر عند هشام ، وكان يتمثل بشعر النعمان بن بشير في غلام له ، كان يقال له سالم وهو :

يَـذُودُونَنِي عن سـالِمٍ وأَذُودُهُم　　وجِلْدَةُ بين العين والأنف سالمُ

وكان حاجب هشام يسير وحده ، ولم يكن أحد من بني مروان يأخذ عطاء إلا وعليه الغزو ، فمنهم من يغزو بنفسه ، ومنهم من يُخْرِج بديلاً ، وكان لهشام مولى يقال له يعقوب فكان يأخذ عطاء هشام ، وهو مائتا دينار ودينار ، يُفَضّل بدينار ، فيأخذ يعقوب ذلك ويغزو عنه .

وكانوا يُصَيِّرون أنفسهم في أعوان الديوان ، وفي بعض مايجوز لهم معه المقام ، فيوضع عنهم الغزو . فكان داود بن علي بن عبدالله بن عباس ، وعيسى بن علي ، وهما لأُمّ في أعوان السَّوْق بالعراق لخالد بن عبدالله القسري ، فأقاما عنده ووصلهما ، ولولا ذلك لم يقدر على تصييرهما عنده ، ولأُخذا بالغزو فجعلهما في الأعوان ، وكانا يسامرانه ويحدثانه .

قالوا : وكان هشام أراد أن يُصَيِّر ابنه مسلمة ولي عهده بعد الوليد بن يزيد ، فقال الكميت بن يزيد الأسدي :

إنّ الخـلافـةَ كـائنٌ أوتـادُهـا　　بَعْدَ الوليدِ إلى ابن أُم حكيم

قالوا : فأضرّ هشام بالوليد بن يزيد ، فدخل عليه يوماً فقال له العباس بن الوليد بن عبد الملك : يا أبا العباس كيف حبك للروميات ؟ قال : إني لأُحبُّهن ، وكيف لا نحب من لايزال يأتي بمثلك . فترك الوليد

الرصافة وخرج ، فكان بالأزرق من أرض بلقين وفزارة ، فكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك يكتب إلى الوليد بما أجمعوا عليه من خلعه .

قالوا : وضم هشام إلى ولده : سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومي ، وقالوا : ولى هشام مولى له ضيعة فعمرها حتى جاءت بِغَلّةٍ كثيرة ، وعمرها أيضاً فأضعفت غلتها وحمل ما ارتفع من مالها مع ابنه ، فقدم به على هشام فجزىٰ أباه خيراً ، فلما سمع ذلك انبسط فقال : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : زيادة عشرة دنانير في عطائي . قال : ما يظن أحدكم أن زيادة عشرة دنانير في العطاء إلا نَقْدَ الجوز ، لا لعمري لا أفعل .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جعدبة قال : قال هشام : لو أشاء أن أقول الشعر لقلته ، وما يمنعني منه إلّا قول معاوية ، أو قال عبد الملك : إن الشعر أُسْرَىٰ خلال الدنيء ، وأدنىٰ خلال السريّ ، قال : فقلت له : قال رسول الله ﷺ : «إن من الشعر حكمة» فهل تكون حكمة من دنيء .

حدثني أبو محمد النحوي عن أبي عبيدة قال : حج هشام بن عبد الملك سنة ست ومائة ، فأتى الكوفة فحج منها ، فقال يزيد بن المرقال : كنت في اكرياته ، فلمَ يأمر لنا بشيء ، فقلت لأصحابه : أنا أكلمه . فوضعت غرائر وقمت عليها فقلت : يا أمير المؤمنين نحن أكرياؤك وخدامك . فأمر لنا بصلة .

قالوا : وقال إبراهيم بن هشام المخزومي : ما كان من هشام في حجه شيء أنكرناه ، إلا حادياً حدا بين يديه وهو يسير فقال :

إنَّ عليكَ أيها البَخْتِيُّ أكرمَ مَن تحمِلُهُ المِطِيُّ

فقال : صدق فوكَ لعمر الله ، وزوج ابناً له بالكوفة .

حدثني التوزي النحوي عن أبي عبيدة عن الزَعْبِل بن الكلب العنبري قال : خازمت - يقول : عارضت - إلى هشام حين قدم يريد الحج فأهديت له ناقة فلم يقبلها ، فلما قُوّضت سرادقاته ورفعت حُجَرُهُ واستوى في غرز[1] ناقته ناديتُ فقلت : يا أمير المؤمنين جعلت فداءك إنها مرباع هلواع مقراع حلباة ركباة . فضحك وأمر لي بصلة .

قال : المرباع : التي تربع إلى الصوت ، مرباع : سريعة الحمل . هلواع : حديدة القلب من الهلع . مقراع : تقر للفحل حتى يقرعها . ويقال : ناقة حلباة ركباة وحلبانة ركبانة وحلبوت ركبوت .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : قال هشام بن عبد الملك : اثنان يتعجلان النصب ولعلهما لا يظفرا بالبغية : الحريص في حرصه ومعلّم البليد ما لا يبلغه فهمه .

المدائني قال : قال هشام لرجل متصل به سرقتْ له عشرة آلاف درهم : هل حدثت نفسك أن تفعل بها شيئاً من أنواع البر؟ قال : لا . قال : فهل حدثت نفسك أن تنفقها في شيء تتمتع به في الدنيا ؟ قال : لا ، قال : فخذ حجراً يزن عشرة آلاف درهم فضعه موضعها ، فإن الحجر وتلك العشرة الآلاف سواء .

---

١ ـ الغرز : الركاب .

قالوا : وخطب هشام بنت القاسم بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وأم القاسم فاطمة بنت الحسين ، وكان القاسم جلداً من رجال قريش فقال لرسوله : لا أزوجه حتى يقضي ديني ويأمر لي بعشرة آلاف درهم ، ويعطي أخي عبد العزيز عشرة آلاف درهم ، وآمنة أختي عشرة آلاف درهم .

فأدى الرسول قوله إلى هشام ، فغضب هشام وشتمه ، ثم بعث القاسم رسوله الى هشام في حوائج له فقال : لا ولا نعمة عين لا تقضى له حاجة ، فوالذي أكرمني بخلافته ما هممت بظلم مسلم ولا معاهد مذ وليتها ولا ظلم القاسم ، ولم يقض حاجته .

فلما مات القاسم تزوج هشام امرأته ، وزوج ابنه ابنة القاسم ، وحملها إلى الشام ، فبكى أهل المدينة جزعاً على القاسم .

قالوا : وأهدى حسان النبطي لهشام بن عبد الملك هدايا كثيرة من ثياب وجوهر وغير ذلك فاستكثرها هشام ، وقال : بيت المال أحق بهذه الهدايا ، فأمر ببيعها فبلغ ثمنها خمسمائة ألف درهم فابتاعها حسان ممن اشتراها وحملها إلى هشام وقال : قد طابت لك فمر بقبضها . فأمر هشام فنودي : ألا إن حسان سيد موالي أمير المؤمنين .

قالوا : ودخل هشام الكوفة فنزل الحيرة فسمع أصوات المؤذنين بالكوفة للغداة فقال لخليفة خالد بن عبدالله القسري ـ وكان خالد عامل هشام على العراق ، وخليفته بالكوفة العُرْيَان بن الهيثم ـ : ما هذه الأصوات ؟ أتراهم فعلوها ؟ قال : يا أمير المؤمنين هذه أصوات المؤذنين ، فقال هشام :

إن بلداً تبلغ أصوات مؤذنيه ما أسمع لبلد يجب حفظه وحفظ أهله . وكان جباناً .

وحج هشام فدخل على سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب وهو مريض فقال له : يا أبا عمر ألك حاجة ؟ قال : اتق الله . قال : أوصني بأهلك . قال : هم في سعة من فضل الله . فمات في سنة ست ومائة وصلى عليه هشام .

حدثنا العمري عن الهيثم عن ابن عياش قال : لما حج هشام فدخل المدينة قال لرجل من أصحابه : انظر من ترى في المسجد ، قال : أرى رجلاً طوالاً أدلم . قال : هذا سالم بن عبدالله بن عمر ، ادعه . فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين . فأرسل من يأتيك بثيابك . قال : ويحك يزور بيت الله زائره في ثوبين ولا أدخل على هشام فيهما . فلما دخل على هشام وصله بعشرة آلاف درهم .

ثم قدم المدينة منصرفاً من الحج فقيل له إن سالماً شديد الوجع ، فدخل عليه فسأله عن حاله ، ومات سالم فصلى عليه هشام وقال : ما أدري أي الأمرين أنا أشد به سروراً ، إتمام حجي أم صلاتي على أبي عمر .

حدثني عمر بن بكير عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال : حج هشام فلما قدم المدينة دعا سالم بن عبدالله فآنسه ، ودعا له بصلة وقال : هذا بقية الناس وابن الفاروق وخير أهل زمانكم ، ثم انصرف وقد حُمَّ فقال : أترون الأحول لعقني بعينه ، فكان هشام يقول : سروري بالصلاة على أبي عمر كسروري بتمام حجي أو كما قال .

قالوا : وكان مما أُنكر على هشام قوله لأشكونّ سليمان أخي يوم القيامة لاختياره يزيد بن عبد الملك علي .

قالوا : وأراد هشام أن يبايع لمسلمة بن هشام ، ويخلع الوليد بن يزيد ، فكاتب أهل الشام في ذلك فأجابه إلى إرادته خلق كثير ، فكان ممن أجابه : سعيد بن عبد الملك ، ومحمد ، وابراهيم ابنا هشام المخزومي ، والوليد وعبد الملك ابنا القعقاع بن خليد العبسي ، وغيرهم من بني أمية ، فأضرّ بالوليد وأقصاه وكان يشتمه ويسفهه ويعيره بالشراب ، وولى مسلمة بن هشام الموسم وأعطاه مالاً عظيماً أمره أن يقسمه فقسمه فقال مولى من أهل المدينة :

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
الواهب الجُرْدِ بأرسانها ليس بزنديقٍ ولا فاجر

يعرض بالوليد ، وقال قوم أن هشاماً عاب الوليد ووبخه في الشراب فقال :

يا أيها الباحث عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشربها صِرْفاً وممزوجةً بالسخن أحياناً وبالفاتر[1]

فقال هشام لمسلمة : يعيرنا الوليد بشربك ، فالزم الأدب ، واحضر الصلوات ، والزم مجلسي غدوة وعشية .

ويقال إن الذي قال هذا الشعر عبد الصمد بن عبد الأعلى أخو عبدالله بن عبد الأعلى الشاعر .

---

١ - شعر الوليد بن يزيد - ط . عمان ١٩٧٩ ص ٦٦ .

قالوا : وكان الخلفاء وأبناء الخلفاء من بني أمية يتبدون ويهربون من الطاعون ، فينزلون البرية خارجاً عن الناس ، فلما أراد هشام أن يترك الرصافة قيل له : لا تخرجن فإن الخلفاء لا يطعنون ولم نر خليفة قط طعن ، فقال : أبي تريدون أن تجربوا ، الرصافة - وهي قرية - وابتنى قصرين وأقام بها ، والرصافة رومية بناها بعض ملوك الروم ، وهي تنسب إلى هشام . ويقال إنه أراد أن يخرج من الرصافة إلى البادية فراراً من الطاعون ، فقيل إنه لم يطعن بها أحد فقال : أبي تجربون .

قالوا : وأنشد أبو النجم هشاماً أرجوزته اللامية حتى بلغ :

والشمس قد هَمَّت ولما تفعل فهي على الأفق كعين الأحول

فغضب هشام وأمر به فأخرج ، وروي أيضاً أن خالداً بعث الى هشام بحادٍ فحدا بهذين البيتين فغضب هشام وطرده .

المدائني عن مسلمة أن الفرزدق حج عام حج هشام فوصله ابراهيم بن اسماعيل المخزومي بخمسمائة درهم فقال :

أميركُمُ شرّ الولاة علمتُه وشرّ ولاة المؤمنين هشام[1]

فأراد ابراهيم أن يضربه فقيل : تضربه ثم تُخْلِي عنه فيهجونا .

المدائني عن أبي عاصم عن رجل من بني ضبة قال : مرّ بي معاوية بن هشام وأنا في مزرعة لي قد اختبزت خبزة ، فوقف علي فقلت : الغداء . فنزل فأخرجتها ووضعتها في لبن فأكل ، ثم جاء الناس فركب وثار بين يديه

---

١ - ليس في ديوانه المطبوع .

ثعلب فركب في إثره ، وعثر فرسه فسقط فاحتملوه ميتاً . فقال هشام : أرشحه للخلافة ويتبع كلباً .

وكانت عند معاوية امرأتان : احداهما ابنة اسماعيل بن حربي فأخرج كل واحدة منهما من نصف الثُمن بأربعين ألف درهم .

ورثى الكميت معاوية بقصيدة قال فيها :

سأبكيك للدينا وللدين إنني رأيت يد المعروف بعدك شُلَّتِ

المدائني قال : قال هشام لغيلان أبي مروان : ويحك يا غيلان قد أكثر الناس فيك ، فتنازعنا في أمرك ، فإن كان حقاً اتبعناك ، وإن كان باطلاً نزعت عنه .

وكان غيلان كاتباً من كتّابهم ، وهو مولاهم ، فترك خدمتهم وبسط لسانه فيهم بسوء القول ، فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلمه فقال له : يا ميمون سل فأقوى ما تكونون إذا سألتم ، فقال ميمون : أشاء الله أن يعصى ؟ قال : لا . قال : فعصي كارهاً ؟ قال : هو كاره للعصيان الذي نهى عنه وليس هو بالمحمول على أمر يكرهه ، ويقال إنه لم يجب بشيء وقال : أقلني . فقال هشام : لا أقالني الله إن أقلتك ، وأمر بقطع يديه ورجليه وسل لسانه ، وألقي على مزبلة يراه الناس .

وكان من أصحاب الربيع[1]: خطبان، والوضين بن عطاء، وهما من أهل اليمن ، فأما الربيع فرآه المنصور أمير المؤمنين بالبصرة عند عمرو بن

---

١ ـ لعله الربيع بن صبيح السعدي المتوفي سنة ١٦٠ هـ . انظر : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار . طبعة الدار التونسية ص ٩٣ . وتهذيب التهذيب لابن حجر طبعة حيدر آباد ١٣٠٢ هـ ج ٣ ص ٢٤٧ .

عبيد قبل الخلافة ، فذكر محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن فقال الربيع : ما ندري ما محمد لم نره ، وأما أنت فرجل منا نقول بما تقول به من الحق والتنزيه لله ، قد عرفنا مذهبك وما أحد أحق بالخلافة منك .

فشكر له أبو جعفر ذاك فولاه دار الضرب بدمشق .

وكان عمر بن عبد العزيز ولاه[1] بيع خزائن بني مروان ، فباع متاع عبد الملك ، والوليد فنودي على جورب فبلغ مائة دينار ، فقال غيلان : ماهؤلاء لعنهم الله ، جورب بمائة دينار ؟ فحقد ذلك عليه هشام .

وقال جعفر بن سليمان بن علي : قال لي عبدالله بن علي : جمعت بين دواوين بني مروان فلم أر ديواناً أصح ولا أصلح من ديوان هشام في أمر الخاصة والعامة والسلطان .

المدائني عن غسان بن عبد الحميد قال : لم يكن أحد من بني مروان أسدّ نظراً في أمر أصحابه ودواوينه ، ولا أشد مبالغة في الفحص عن أموره من هشام .

قال : ودخل نسطاس على هشام ، وعلى نسطاس جبة يسحبها ، فقال له : من أين هذه الجبة لك ؟ قال : بعث بها إليّ فلان . قال : ولم بعث بها إليك ؟ فمازال يبحثه ويفتشه عنها حتى علم أنها مصانعة ، فحجبه أياماً ثم كُلم فيد فأذن له .

وقال الهيثم : خرج الفرزدق مع هشام حين حج في سنة ست ومائة ، فأمر له هشام بخمسمائة درهم فقال :

---

١ ـ الضمير عائد هنا إلى غيلان .

تحبَّسَني بـين المـدينـة والتي إليها قلوب الناس يَهوى مُنِيْبُها
فقلت كفاكم لم تكن كفُّ سيِّدٍ وعيناً له خَوْصَاء جمّاً عُيُوبُها[1]

قالوا : وكان مع هشام حجر جوهر فقال : من شاء فليسبَّني ويأخذه ، فقال له الأبرش الكلبي : هاته يا أحول . فقال : خذه لا بارك الله لك فيه .

وقال هشام : أنعم الناس عيشاً رجل له امرأة صالحة قد غضت بصره عمن سواها ، وسداد من عيش يقيمه ، فهو مقبل على أمر معاده ، ولا يعرفنا ولا نعرفه .

وقال هشام بن عمار : كان هشام بناحية من الشام ، فوقع الطاعون هناك فقيل : يا أمير المؤمنين إنه لم يمت ههنا خليفة قط ، قال : أفبي تجربون .

حدثنا محمد بن الأعرابي عن المفضّل الضبيّ قال : دخل قرواش بن حبيب على هشام في غمار الناس فقال : إنا أنضاء سفر ، وفَلّ سنة[2] ، وعندكم أموال فإن تكن لله فبثّوها في عباد الله ، وإن تكن لهم فعلام تمنعونهم إياها ، وإن تكن بينكم وبينهم فقد أسأتم الأثرة وتركتم النِّصْفَة . فقال هشام : نحن أقفال عند الله مفاتيحها ، فإذا أذن في شيء فتحنا له .

المدائني عن عبدالله بن محمد القرشي قال : أتى ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله هشام بن عبد الملك حين حج فمر بالمدينة فقال له :

١ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٧ مع فوارق .
٢ - أنضاه جرده وهزله ، والفل : ما ندر عن الشيء كبراده الحديد ، والأرض الجدبة ، والسنة : القحط القاموس .

اعدني يا أمير المؤمنين على نافع بن علقمة فإنه أخذ داري . قال : أفلا رفعت ذلك إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : قد فعلت فسلك غير طريق الحق . قال : أفلا رفعت إلى الوليد . قال : قد فعلت فسلك بي طريق أبيه . قال : فعمر بن عبد العزيز . قال : عوجل رحمه الله . فغضب هشام وقال : لا يزال أحدكم يتكلم بما يستحق به أن يُدَقَّ أنفه ويسحب برجله . فقال : إذاً يسنة خيرك شرك ، وتقطع رحمك ، وتكون يد الله فوق يدك ، أما والله إن اسصاء ليتعقّب . فقال هشام : لو كان فيك مضرب لضربتك ، قال : فيَّ والله مضرب . فقال هشام : اكتمها علي .

وحدثني أبو عدنان عن الأصمعي قال : دخل أعرابي على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ان يكن المال الذي في أيديكم لله فبثوه في عباد الله ، وإن كان بينكم وبينهم فلقد أسأتم الأثرة عليهم ، وأثمتم في حرمانكم إياهم ، وإن كان لكم دونهم فتصدقوا فإن الله يحب المتصدقين . فقال : والله ما ترك واحدة من ثلاث ، فأعطاه فخرج وهو يقول : ما أكَزَّ يده بالمعروف .

حدثني أبو عدنان عن هشام بن محمد ، والهيثم بن عدي عن عوانة قال : أتى خالد بن صفوان باب هشام ، فطلب له مسلمة الإذن فقيل : قد ركب أمير المؤمنين متنزهاً . قال خالد : وكان العام عاماً قد بَكَرَ وَسْمِيّهُ[1] وتتابع وَلِيُّه[2]، فكأن على الأرض زرابيّ مبثوثة من نورها ووشيها، فأشار إلي

١ ـ الوسمي : مطر الربيع . القاموس .
٢ ـ الولي : المطر بعد المطر . القاموس .

مسلمة أن تكلم ، فنظرتُ إلى الثمار والشجر فوالله ما دريت ما أقول ، فقلت : قاتل الله عدي بن زيد حيث يقول :

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وانَ أم أين قَبْلَهُ سابور

وبنو الأصفر الكرام ملو ك الروم لم يَبْقَ منهم مذكور

وأخو الحضر[1] إذْ بَنَاهُ وإذ دجلة تجبى إليه والخابور

لم يَهَبْهُ رَيْبُ المنُون فَبَـ ادَ المُلْكُ عنه فبابُه مهجور[2]

قال هشام : قبح الله رأيك يا مسلمة فليس هذا بأول يوم غممتني فيه وقام مغضباً وتفرقوا ، قال خالد : فأتاني بعض الشاميين فقال : أين هذا العراقي الذي أغضب أمير المؤمنين ؟. قلت : خرج . فخرجوا يسعون فأخذت في ناحية أخرى ، وكان هشام لا يكاد يذكر في مجلسه الموت تطيراً منه .

وحدثني أبو عدنان عن الهيثم بن عدي وهشام ابن الكلبي عن عوانة قال : وفد على هشام بن عبد الملك وفد كلهم من قريش ، وكلهم خطيب ، فتكلموا ثم قال اسماعيل بن محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي أو غيره من ولد أبي الجهم : يا أمير المؤمنين هذه خطباء قريش قد نطقت فأطنبت وتكلمت فأسهبت ، فوالله ما بلغ متكلمهم قدرك ، ولا جاوز أبلغهم فضلك أفأوجز أم أُطيل ؟. قال : بل أوجز . قال : تولاك الله يا أمير المؤمنين

---

١ ـ كانت العرب تسمي ملك الحضر باسم الضيزن ، ونشرت في بغداد دراسة جيدة عن الحضر وآثارها من اعداد : فؤاد سفر ، ومحمد علي مصطفى ـ بغداد ١٩٧٤ .

٢ ـ ديوان عدي بن زيد ـ ط . البصرة ١٩٦٤ ص ٨٧ ـ ٨٨ .

بالحسنى ، وزيَّنَكَ بالتقوى ، ويسرك لليسرى ، وجمع لك خير الآخرة والأولى ، إن لي يا أمير المؤمنين حوائج أفأذكرها ؟. قال : نعم . قال : كبرت سني ، وكثر عيالي فإن رأى أمير المؤمنين أن يصلني بصلة يجبر بها كسري ، وينفي بها فقري فعل . قال : وما صلتك التي تفعل بك هذا الذي ذكرت ؟. قال : ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار . قال : هيهات ، هيهات ، رمت مراماً صعباً ، هذا والله ما لا يحتمله بيت مال المسلمين .

ثم نكس هشام واسماعيل ماثل بين يديه ، فرفع رأسه ثم قال : هَيْه . قال : وما هَيْه يا أمير المؤمنين كأنك آليت إلا تقضي لي حاجة في مقدمي هذا ، أما والله إن الأمر لواحد ، إلا أن الله آثرك بهذا المجلس ، فإن تعطني فحقي أعطيت ، وإن تمنعني فإني أسل الله الذي بيده ما حويت ، فإن الله جعل العطية محبة والمنع مبغضة ، ووالله لأن أحبك أحبُّ إليّ من أن أبغضك . قال : فألف دينار لماذا ؟. قال : أقضي بها ديناً ، فَدَحَني حمله ، وأضرَّ بي أهله . قال : نِعْمَ المسلك أسلكتها تؤدي حقاً وتضع عنك ثقلاً ، أو قال تؤدي عن أمانتك ، وتحط حملاً ثقيلاً عن ظهرك . وألفٌ لماذا ؟ قال : أزوج بها من أدرك من ولدي . قال : تغضّ بصراً ، وتعفّ فَرْجاً ، وترجو نسلاً ، نعم المسلك أسلكتها . وألفٌ لماذا ؟ قال : أشتري بها أرضاً يكون فضلها لنفقتي في حياتي ويبقى عقده لعقبي . قال : فإنّا قد أمرنا لك بما سألت ، قال : المحمود على ذلك الله ، فلما ولى قال هشام : إذا كان القرشي فليكن مثل هذا ، ثم قال هشام : أما والله ما نعطي تبذيراً ، ولا نمنع تقتيراً ، وإنما نحن خُزّان الله على بلاده ، وأمناؤه على عباده ، فإذا شاء

أعطينا ، وإذا منع أبينا ، ولو كان كل قائل يَصْدُق ، وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلاً ، ولا رددنا سائلاً .

حدثني عبد الله بن صالح عن الهيثم ، أخبرني الضحاك بن زمْل قال : بلغ هشام قول الحسن البصري : لا يعدل أحد عن قصد ، ولا يبقى كثير على إسراف ، فقال هشام : صدق لله أبوه .

حدثني محمد بن أنس الأسدي عن ابن كناسة الأسدي قال : قدم رصافة هشام رجل من بني أسد ، ثم من بني فقعس على هشام ، فدخل عليه حين جلس للعامة ، فقال : يا أمير المؤمنين أتت علينا سنونٌ ثلاثٌ أجحفتْ بالأموال ونحبت قلوب الرجال ، فأما الأولى منهنّ فأذابت الشحم ، وأما الثانية فَنَحَضَتِ[1] اللحم ، وأما الثالثة فهاضت العظم ، وفي أيديكم فضول أموال ، فإن تكن لله فبثوها في عباد الله ، وإن تكن لهم فعلام تحظرونها عنهم وتمنعونها ذوي خلّتهم ، وإن تكن لكم فتصدقوا فـ ﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾[2] قال هشام : هذه حاجتك في خاصتك ، فما حاجتك في عامتك ؟ . قال : مالي حاجة في خاصة دون عامة ، فكتب هشام إلى خالد بن عبد الله أن أنفق على من أقحمته السنة حتى يأتي الله بالحيا والخصب . وكتب بمثل ذلك إلى ابراهيم بن هشام عامله بالمدينة فأنفقا ، فاحتسب بألفي ألف درهم ، واحتسب إبراهيم بسبعين ألف دينار فسميت السنة سنة خالد .

---

١ ـ نحض : قل لحمه . القاموس .

٢ ـ سورة يوسف ـ الآية : ٨٨ .

ويروى عن الأصمعي أن عراقياً قال لبعضهم ـ هشام أو غيره ـ: إن كان هذا المال لكم فقد بخلتم به ، وإن كان بينكم وبين رعيتكم فقد أسأتم الأَثَرة ومنعتم الحق ، وإن كان لكم أن تعطوا ولكم أن تمنعوا فأنتم كما قال الله : ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾[1] .

المدائني عن أبي محمد القرشي قال : كان يفطر عند هشام قوم في شهر رمضان فسأله رجل منهم حاجة فقال هشام : ألم أنهكُم عن أن يكلمني أحد في حاجة في هذا الشهر ؟. فقال له رجل يكنى أبا نوح من بني تميم ، ممن كان يفطر معه : والله لقد أمر لي أمير المؤمنين بخصي فما منعني من تنجز ذلك إلّا هذا الشهر . قال هشام : ما أعلمني أمرت لك بشيء ، قال : بلى يا أمير المؤمنين قد أمرت لي به ولكنك نسيت . قال : فمن يعلم ذلك ؟. قال : إبراهيم بن هشام خالك ، قال : أكذلك يا إبراهيم ؟. قال : نعم يا أمير المؤمنين وما كنت أرى نسيانك يبلغ هذا ، فأمر له هشام بالخصي . فلما خرج أبو نوح وقف لابراهيم ، فلما خرج ابراهيم قال : جزاك الله خيراً ، قال : لكن لا جزاك الله خيراً ، ويحك ألا أعلمتني أنك تريد هذا قبل أن تقوله ، ثم قال : إياك أن تعود لمثلها .

المدائني قال : استأذن المهاجر بن عبد الله هشاماً في الحج فأذن له ، وحج هشام فشكاه الناس ، فراح إلى رواق هشام ، فقال هشام لجارية له : انظري من في الرواق ، فخرجت ثم رجعت فقالت : فيه أجمل الناس وآدب الناس ، فقال : انطلقي إلى هذا الذي زعمت أنه أجمل الناس فادعيه

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٧ .

فخرجت إلى المهاجر فقالت : أجب أمير المؤمنين . قال : انطلقي فإن للأمير حاجباً غيرك ، فأرسل إليه خصياً فدعاه فقال : دونك هذه الجارية فاطلب ولدها فإنها نعمت أم الولد .

قالوا : وكان المهاجر بن عبد الله يمر في مسجد دمشق فيعدل عن القناديل لئلا يكسرها بطوله ، وقد مدحه جرير فقال :

إنّ المهاجرَ حين يبسط كَفَّه سَبْطُ البَنَانِ طويلُ عظم الساعدِ
ولقد حكمتَ وكان حكمكَ مقنعاً وجُعلتَ بين مَنَابرٍ ومساجدِ[1]

وقالوا : قدم عمرو بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص على هشام فجفاه فقال :

لَعَمْرُكَ للرَّبيعُ أَقَلُّ دَيْنَاً وأكثرُ صامِتاً مني مِرارا
وأكثر زائراً مني كثيراً وأَجدرُ بالرصافة أن يُزارا

قالوا : وكان هشام يقف على القصاب فيسأله عن سعر اللحم ، ورأى رجلاً من خاصته يبتاع لحماً فغمزه فأتاه فقال : بكم تشتري ؟ . قال : بدرهم ، قال : أحسنت ، وأكثر من هذا سرف ، وقال هشام : لا يلام المرء على إصلاح ماله والقصد فيه .

قال المدائني : دخل هشام بستاناً له فأقبل من معه يأكلون من ثمرته ويقولون : اللهم بارك لأمير المؤمنين ، فقال : كيف يبارك في شيء تأكلون منه هذا الأكل ، فقلع شجر ذلك البستان وجعل مكانه زيتونا .

---

١ ـ ديوان جرير ص ١٠٠ مع فوارق .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : قال هشام : ما ندمت على شيء ندامتي على ما أَهَبُ . إن الخلافة تحتاج إلى الأموال كما يحتاج المريض إلى الدواء .

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة ، حدثني أبي أن رجلاً من قريش دخل على هشام فقال له : ما أقدمك ؟. قال : حاجة جليلة ، وفضل أمير المؤمنين أجلّ منها . قال : وما هي ؟. قال : تصلني بألف دينار وألف دينار وألف دينار . قال : ألف لماذا ؟. قال : أصرفها في قضاء ديني . قال : حسن جميل ، تقضي حقاً ، وتحط ثقلاً ، وتؤدي أمانة . وألف دينار لماذا ؟ قال : أزوج بها ولدي . قال : حسن جميل . تعف فرجاً ، وتصل سبباً ، وترجو عقباً . وألف لماذا ؟ قال : استعين بها على نوائب الزمان وجفوة الإخوان ، قال : حسن جميل ، تستر بها نفسك ، وتصون وجهك ، وتصلح معاشك . ثم سكت فخرج من عنده .

ثم عاد في اليوم الثاني فقال له : قد أمرنا لك بثلاثة آلاف دينار ، وإنما نحن خزان الله ، فإن أذن لنا في عطاء شيء أمضيناه ، وإذا لم يأذن فيه منعناه .

قالوا : وكتب هشام بخطه : «من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى رياح مولى مسلمة ابن أمير المؤمنين ، أما بعد ؛ فقد قرىء على أمير المؤمنين كتابك بما ذكرت من تكلفك من المؤونة في القراطيس ، وسيرى أمير المؤمنين في أمر القراطيس لك ولغيرك رأيه ، إن شاء الله» .

وكتب هشام إلى يوسف بن عمر : أما بعد فقد وليتُ عبد الله بن نافع ما كان سعيد يليه من عمل بعلبك ، وأمرته بقبض العهد الذي كان

لسعيد ، والأخذ بما فيه ، فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين ، وأحسن جوار عبد الله ، وأعنه على ما استعانك عليه فيما وافق الحق ، وما هو له ، ولما تحت يده صلاح ، ولا تجعل له إلى شكيتك سبيلاً إن شاء الله» .

قالوا : بعث خالد بن عبد الله القسري إلى هشام بمال ، وأرسل قوماً يشهدون أنه طيب أُخذ من حِلّهِ ، فصانع رجل بألفي درهم حتى جعل مع الشهود ، وصُيِّر آخرهم ، فقدموا على هشام فقال : أين المزكّون ، فدعا رجلًا رجلًا فحلفوا بالله أنه ما أَخذ شيئاً من ذلك المال إلا من حلال ، ولا حمل إليه خالد إلا الفضل بعد أن أعطى كل ذي حق حقه ، حتى قام ذلك الرجل المصانع بالألفين فحلف بالله لقد شهدوا بزورٍ وفجور . فقال هشام : أراك مستأجراً ؟ فقال : والله لقد صانعتُ بألفي درهم حتى ألحقت بالشهود ، قال : أفأنت خارجي ؟ قال : لا والله ما أنا بخارجي ، ولكني نظرت لك فاتق الله . فقال هشام لمن حضره : ما ترون ؟ فقالوا : نرى أن تقتله فإن له مذهب سوء ، وإلا فلم صانع ليخبث بنفس أمير المؤمنين ، ويجرح شهادات مثل هؤلاء فقتله وصلبه ، ويقال بعث به إلى خالد فقتله وصلبه بواسط .

وقال بعضهم كان خالد بن عبد الله أبلغ عن الكُمَيْت بن زيد تنقصاً له ، وكان متهماً بالرفض عندهم ، وأنشد قصيدته الهاشمية التي يقول فيها .

إلى النفر الغُرّ الذين بِحبِّهم ... إلى الله فيما نابني أتقربُ
وقالوا تُرابيٌّ هواه ورأيه ... بذلك أُدعى فيهمُ وأُلقّبُ[1]

---

١ ـ الروضة المختارة ص ٢٦ ـ ٢٨ .

فحبسه خالد فلبس ثياب النساء وخرج فعاذ بمسلمة بن هشام وقال :

خرجت خروج القِدْحِ قدح ابن مُقبلٍ على الرغم من تلك النوابح والمشلي[١]
عليّ ثياب الغانيات وتحتها عزيمة رأي شبَّهت سلّة النصل
فأصبحتُ مغبوطاً ومحسودَ أمةٍ بأبيضَ محسودٌ على مثله مثلي
من النَّفر البيض الذين أكفُّهم سهام العدى والشافيات من النبل[٢]

وأخبرني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : بلغ هشام بن عبد الملك أمر عابه به ، وأنشد قصيدته الهاشمية البائية ، فكتب إلى خالد في حبسه ، فحبسه فكان أبان بن الوليد يعده ويمنيه ويضمن له عن خالد ما يحب ، وخالد يومئذ بواسط ، وكان المستهل بن الكميت يعمل في أمره من قبل عبد الرحمن بن عنبسة ، فجاء كتاب هشام بقطع يدي الكميت ورجليه ولسانه ، فأخبر خالد بن عنبسة بذلك ، فأخبر ابن عنبسة المستهل بذلك ليعلمه إياه فيوصي ويعهد ، فأخبر المستهل أمه فلبست درعين وخمارين ونطاقين ، ثم أتت الكميت فأخبرته فلبس أحد درعيها ، وأحد خماريها ، وأحد نطاقيتها ، ثم خرج على البوابين فلم ينكروه ومضى من فوره إلى مسلمة بن هشام فأجاره مسلمة وأخواه . وقال في أبان بن الوليد :

أَخْلِقْ وَابْلِ أبا الوليـ ـدِ فقد لبستَ ثيابَ غادِر

وكتب خالد إلى هشام بخبره ، فكتب إليه هشام : أما امرأته فخاطرت بنفسها لزوجها فلا سبيل عليها فأطلقها . وأما أنت فقد ضَيَّعْتَ .

وقال الكميت :

١ ـ المشل : الحلب القليل ، ومشل مشولا : قل ، وامتشل السيف : استله . القاموس .
٢ ـ شعر الكميت ج ٢ ص ٥٠ مع فوارق .

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل . . .

الأبيات .

وقال الكميت يُحَذِّر هشاماً غَدْرَ خالدٍ ـ ويذكر ما تدّعى اليمانية من مصير الأمر إليهم ، فإن ابن الأشعث كان ادعى ذلك لنفسه ، ثم يزيد بن المهلب بعده ، وأن خالداً أطمع نفسه في ذلك ـ قصيدةً ، وقال في ذلك .

أَنُـوَّامـاً يقـول بني لؤيٍّ   عن الأمر المرشح ذي البزولِ
أرى أمراً سيعُظَمُ أصغراهُ   لِتمِّ لَقَاحِ مُبْسِقَةٍ[1] حَفُولِ
دَفُـوعٌ للفصـال بمنكبيـهـا   خَبوطٍ عند دَرَّتِهَا رَكُـولِ
كما لقيتْ ثمودُ ولا يكـونوا   لكم مثلاً بِراغِيَـةِ الفصيلِ[2]

فيقال إن مسلمة بن هشام دخل على هشام فلم يفارقه حتى عزل خالداً ، وأمسك عن الكميت لأنه كذَّب ما قيل فيه :

وقال الكميت في مسلمة أبي شاكر بن هشام :

إن الخـلافـة كـائن أوتـادهـا   بعد الوليد إلى ابن أم حكيم[3]

فقال خالد : أنا اكفر بخليفة يكنى أبا شاكر ، فكأنّ مسلمة قد حقد ذلك عليه .

وقال الكميت في هشام قصيدة يقول فيها :

وكنا متىٰ ما نَدْعُ مروان للتي   نخافُ نَذُدْ عن حوضنا أن يُفَجَّرا
وأنتم أنـاسٌ يَجْمَع الله دِينَـهُ   بكم ويقيمُ الله مَنْ كان أَصْوَرَا[4]

١ ـ البسوق : الطويلة الضرع من الشاء ، وأبسقت الناقة : وقع في ضرعها اللبا قبل النتاج . القاموس .

٢ ـ ليست في شعر الكميت المنشور .   ٣ ـ ديوان الكميت ج ٢ ص ١٠٥ .

٤ ـ صَورَ : مال . القاموس .

وجدنا أبا العاصي أبا أبويكم ... ومجدكم المستقدم المتأخرا
كساه من المجد الهشامان حلةً ... مغيريةً منها ارتدى وتأزَّرا

وقال الكميت :

أبني أمية إنكم ... أهل الوسائل والأياصر
أنتم معادن للخلا ... فة كابراً عن كل كابر
وإلى القيامة لايزا ... ل لشافع منكم وواتر
الأطيبون الأكثرو ... ن من الأطايب والأكابر
الآن صرتُ إلى أميـ ... ـة والأمور إلى المصائر
يا مسلم ابن أبي الوليـ ... ـد لميّت إنْ شئتَ ناشر
علقتْ حبالي من حبا ... لِكَ ذمة الجار والمجاور
والناس قد علموا رجا ... ئي فيك من بادٍ وحاضر
أنت المقابل في أميـ ... ـة في قوادمها الفواقر
الضامنينَ الدهر للحَدَثـ ... ـان والجار المجاور

حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني الراوية ، قال : لم يزل مسلمة بهشام حتى أمن الكميت وأنشده شعره فيه ، وكان يحب أن يشرف ابنه مسلمة ، ويرفع ذكره ، فأظهر الرضا عنه ، وتشفيع ابنه فيه .

وقال الكيمت لعبد الملك بن هشام :

من عبد شمسٍ لك السَّنا ... م ومن عبد منافٍ لبيتك الطَّنَبُ
وأنتَ في البيت ذي الدعا ... ئم من مخزومٍ في بيتٍ عَلَا بِهِ النَّسَبُ
فما لحيٍّ مَجْدٌ ولا مَكْرُ ... مَةٌ إلا لكُمْ فَوْقَ مَجْدِهِ رُتَبُ

وقال في مسلمة بن هشام :

أمسلم إنّ الحلم والحزم والندىٰ ببابك ما يزداد إلا تَجَدُّدَا
وأنتم نجوم الناس والمهتدىٰ بهم وأكرمُ أهل الأرض كهلاً وأمردا

وقال يرثي معاوية بن هشام تقرباً بذلك إلى هشام وولده وقد كان ممن دفع عنه :

أتانا بموت ابن الخليفة حادث به نُهلت منا القلوب وعُلَّتِ
فإن تَكُ أرضٌ يا معاويَ غَيَّبَتْ جَدَاكَ وأرض منك أخرى تَجَلَّتِ
فَنِعْمَ فتىٰ الهيجا ونعم شهابها إذا البيض تحت المشرفيات صَلَّتِ
ربيع إذا ضنَّ الشتاء بقطرةٍ وليث إذا ما المشرفية سُلَّتِ
سأبكيك للدنيا وللدين إنني رأيت يد المعروف بَعدك شُلَّتِ
وغُلِّقَ أبوابَ الندىٰ وتنغَّصت إلى الناس أخرى عيشهم وتقلَّتِ[1]

المدائني عن زيد بن الحارث قال : كان سعيد بن هشام يركب متنزهاً فإذا برز عن الناس نزع ثيابه حتى يبقى في قميص فيضعه على عاتقه ويعدو فيقول : أرسلتُ كلبي يبتغي ما يأكله ، فلا يلقى امرأة إلا غصبها نفسها ، وكان ماجناً ، وكان يخالف إلى امرأة عمرو بن قيس ، وكان على حمص ، فقال فيه الشاعر وهو من طيء ثم من بني بُحتر :

بلّغ لديكَ أمير المؤمنين فقد خصصتنا بأمير غير عِنِّينْ
طوراً يُخالف عَمْراً في حليلتهِ وعِنْد تَاجَةَ يبغي البِرَّ في الدين

وقال الكلبي : عمرو بن قيس بن ثور بن حمران السكوني ، وهو أبو عيسىٰ عمرو بن قيس ، وعيسى هو أبو الجمل الحمصي وتاجة بنت عمرو الغنوي امرأة عمرو بن السليل من الرباب .

---

١ ـ ورد بيت واحد من هذه القصيدة في شعر الكميت ج ١ ص ١٤٧ ، وهو الخامس ، وبالنسبة للشواهد المتقدمة في هذه الصفحة والتي تقدمتها فلم يرد أي منها في شعره المنشور .

وقال يزيد بن الحارث : كنا نعرف شبهه في قوم بحمص نرى أنهم ولده ، قال فخرج مرة متنزهاً فلم أخرج معه ، وخرج معه صفوان بن عمرو الكلاعي ، فلما رجع خرجت أتلقاه . فقال : ما منعك من الخروج معنا ؟ فاعتذرت إليه ، فسايرته ثم نزلنا فقال : أترى هذا الخلق ما فيهم أشبق مني . قلت : إن مثلك لا يقول مثل هذا . قال : اسكت أنا أعلم بنفسي منك .

ورفع عليه عند هشام أنه يزني فعزله وقال : لا تلي لي عملاً أبداً لعنك الله ، أيزني القرشي ، إن مثلك لا يزني ، أتدري ما فسق القرشي وفجوره ، إنما هو أن يأخذ مال هذا فيعطيه هذا : ويقتل هذا ويظلم هذا .

قالوا : وخرج سعيد يوماً بحمص في غبّ مطر يسير ، وقد التحف بطليسانه ، وهو على فرسه : وقد كادت صنعة طليسانة تصيب الأرض ، فمر برجل وهو لا يعرفه ، فقال : يا عبدالله قد أفسدت ثوبك وما يضرك لو رفعته ؟ فقال : وددت أنك وثوبك في النار . فقال : وما ينفعك ؟

وقال أبو محمد السفياني : حُبس سعيد بن هشام معنا ، فكان في بيت على حده فكنت أسمع صوت أوتار عود ، فخرجت يوماً إلى البيت الذي هو فيه ، فإذا هو قد أخذ جفنة فثقبها ، وعلق عليها أوتاراً ، فقلت : ويحك ، على هذه الحال ؟ قال : لا أبا لك لولا هذه لمت غماً .

المدائني عن اسماعيل بن ابراهيم قال : سمعت شيخاً يقول : خطب هشام حين ولي فقال : «الحمد لله الذي أنقذني من النار بهذا المقام» . فأخبرت محمد بن عمرو بن حزم فقال : لكن عمر بن عبد العزيز كان إذا

خطب بكى ثم قال : ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجْزَ بِهِ﴾[1] .

حدثني العمري قال : ولى هشام ابنه سعيداً حمص ، فكان يرسل إلى تاجة بنت عمرو الغنوي ، وهي امرأة عمرو بن السليل من بني تيم الرباب ، فشهد بذلك عند أبيه ، فحدَّه أبوه وقال : يا بن الخبيثة أتزني وأنت ابن أمير المؤمنين ، لا جَرَمَ . لا ولّيتك عملاً أبداً ، إنما فجور قريش منع هذا ما يستحق ، وإعطاء ذاك ما لا يستحق ، فيقال إن سعيداً مات من ذلك الضرب ، والثبت أنه بقي بعد موت أبيه .

قالوا : وقدم محمد بن علي بن عبدالله بن العباس على هشام فكره ذلك وأمر بفسطاطه فقوض وقال : قولوا له إلحق بمنزلك ، وانتظر دولتكم التي تتوقعونها . فقال له الأبرش الكلبي : يا أمير المؤمنين إن كان الذي يقال حقاً فقد ينبغي أن تصانعهم ، وإن كان باطلاً فعلام تقطع رحم هذا وقد قصد إليك .

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم قال : كتب هشام لابنه محمد بن هشام ، وأراد أن يبعثه على الصائفة كتاباً نسخته : «إني رأيت أن أعهد إليك في أشياء من أمر خاصتك ، أحب أن أحملك فيها على أدبي ، ليكون حجة عليك وتأدية لحق الله عليّ لك ، وأنا أرجو أن يتولى الله حفظك بالتنزيه عن كل قبيح ، والعصمة من كل مكروه ، والتحصين من كل آفة أخشاها عليك في دينك وبدنك ورأيك وعرضك ، وأن يُبليني في جميع ذلك أجمل ما عوّدني

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ١٢٣ .

فيك ، فحميدٌ هو على ما يولي ، مشكورٌ على ما يُبلي ، وليس امرؤٌ وإن ظوهرت له العظة ونُخلت له النصيحة بمنتفع بشيء من ذلك حتى يكون له من توفيق الله داعٍ ، ومن نفسه عليه معين يبصره فضل ما يوعظ به على ما يوعظ عليه ، فإنه لا يوفق للخير ويعين عليه إلا الله وحده لا شريك له .

وقد كان مما أحدث الله لي فيك من النعمة ، ما أسأل الله تمامه ، وحسن المزيد فيه ، والعون على أداء شكره عليه ، فإنه قد أراني فيك من معالم الفضل وأمارات الخير ما قذف به في نفسي توجيهك لما وجهتك له من الأمر الذي أرجو أن يجعله الله لك إلى قصوىٰ غايات الفضل سبباً وسبيلاً ، فيما يعرفنا من بصرك بالأمور واستقلالك بالقيام لله بالنصيحة ، وحسن السياسة ، والرفق في مستقبل أمرك ، ومفتاح عملك ، فليكن أول ما تبدأ به إيثار تقوىٰ الله ربك بالاجتهاد في طاعته ، والحيطة لدينه وعباده ليجزيك بذلك جزاء كريم سلفك الماضين ، وصُلحاء أهلك الباقين ، فإنّ به تمام كل نعمة ، وإليه منتهىٰ كل رغبة» .

حدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال : دخل أعرابي على هشام في غمار الناس ، فقال هشام لحاجبه : أَكُلُّ من شاء أن يدخل دخل ؟ فقال الأعرابي : يا أمير المؤمنين إن دخولي عليك لا ينقص من قدرك ، وهو يزيد في قدري . فقال : لابأس إذاً ، أذكر حاجتك ، فتظلم من واليهم ، فكتب بإنصافه .

ويقال إن هشاماً ـ أو الوليد بن عبد الملك ـ كان يقف على البقال قبل الخلافة فيقول : ناولني تلك الحزمة ، فيناوله حزمة من البقل فيقول : بكم هذه ؟ فيقول : بفلسين ، فيقول : زد فيها .

وفي هشام يقول الشاعر :

باتصالٍ دَعَوْتَ يا عبد شمسٍ بعدما نابَهُنَّ أو يا مُغِيرَا
قَمَرَيْ مكةَ المضيء دُجَاهَا يَجْلُوَانِ الدُّجَنَّةَ الدَّيْجُورا

وقال الواقدي : خرج عشرون ألفاً من الروم في سنة ثلاث وعشرين ومائة فنزلوا على ملطية ، فأغلق أهلها أبوابها . وخرج رسولهم مستغيثاً فلحق بهشام وهو بالرصافة ، فندب هشام الناس إلى ملطية ، وتقلد سيفاً ثغرياً ، وركب يطوف على الناس بالرقة ، وأتاه الخبر بأن الروم قد قفلوا فأخبر الرسول بذلك ، وبعث معه بشراً ليرابطوا بملطية .

حدثني أبو الوليد هشام بن عمار قال : سمعت من يحدث أن هشاماً قال : لسان المرء من خدم عقله وأول واحد يخبر ما عنده .

قال : وبلغني أن هشام بن عبد الملك قال : إن اللسان في حكايته صادق عن عقل صاحبه .

قال المدائني : كان عبد الأعلى بن عبدالله بن عبدالله بن عامر بن كُرَيْز يفد إلى هشام فيتكلم عنده ، فيُعجب مسلمة بن عبد الملك كلامه ويقول : والله إني لأرفع كور العمامة عن أذنيّ لاستفرغ كلام ابن عامر ، وكان مسلمة يقول : إنّ الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فَيُلْحِن فكأنه يُقضِمني حب الرمان الحامض حتى يسكت فأَردّه عنها ، ويكلمني الرجل في الحاجة ما يستوجبها فيُعِرب فأجيبه إليها .

قالوا : وحضر الوليد بن يزيد مجلس هشام : ثم خرج فوثب على فرسه وقال لأبي شاكر بن هشام : أيُحْسِنُ أبوك أن يركب كذا ؟ فقال : لأبي

مائة عبد يفعلون أكثر من هذا . فقال هشام : لله مسلمة ابني ما أظرفه لولا مجونه .

المدائني قال : حج هشام : فأخذ الأبرش قوماً معهم بَرَابِط ، فقال : احبسوهم وبيعوا متاعهم هذا وصيّروا ثمنه في بيت المال ، فإذا صلحوا فردوا الثمن عليهم .

وقال بشر مولى هشام : أُتي هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط ، فقال : اكسروا الطنبور على رأسه ، وضربه فجعل الشيخ يبكي . قال بشر : فقلت له عليك بالصبر ، فقال : أتراني أبكي لضرب أمير المؤمنين إياي ، إنما أبكي لاحتقاره العود حين سماه طنبوراً .

وقال هشام بن محمد الكلبي : دخل الوليد بن يزيد المقتول على هشام بن عبد الملك وعنده ولده ، وفيهم مسلمة بن هشام ، المكنىٰ أبا شاكر ، فقال الوليد لمسلمة ، وكان ظريفاً : ما اسمك ؟ - كأنه لا يعرفه - فقال : شارزنجي . يُعَرّض بأنه يكثر شرب النبيذ إكثار الزنج ويطرب طربهم ، وقد كتبنا خبر شارزنجي مع أخبار عبد الملك بن مروان .

وقال المدائني : استأذن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وأخوه عبد العزيز معه على هشام ، فأذن لمحمد قبل عبد العزيز ، فقال عبد العزيز : يرحم الله حسيناً - من غير أن يجري للحسين ذكر - فأنكر هشام ذلك وقلب عينه وقال : ما ذاك ؟ قال : ذاك لأني ومحمداً ابناء عبدالله ، وأمي أموية بنت خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، وأم محمد فاطمة بنت حسين ، وقد قُدِّمَ عليٌّ وأنا أَسَنُّ منه لأن فاطمة ولدته . فقال هشام لآذنه : قَدِّمْهُ بعد مَرَّتِهِ هذه .

وحضر محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وعبدالله بن الحسن بن الحسن باب هشام فخرج الآذن فقال : محمد بن عبدالله . فلم يَقُم . فدنا الآذن فقال : ادخل ، فقال : عبدالله بن الحسن ههنا . فرجع إلى هشام فأخبره بقوله ، فقال : محمد بن عبدالله ، فلم يقم . ففعل ذلك مرات ، فقال هشام : ائذن لعبدالله ، فخرج الآذن فقال : عبدالله بن حسن . فقام وقام معه محمد بن عبدالله .

المدائني : أن هشاماً قال لمسلمة بن عبد الملك : يا أبا سعيد هل دخلك ذعر لحرب شهدتها ، أو لعدو كادك ؟ قال : ما سلمت من ذعر لايذهلني عن حيلة ولم يَغْشني ذعر يسلبني رأيي ، فقال هشام . هذه البسالة .

قال المدائني : قال ابراهيم بن هشام لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين أقبلَ عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص يوماً ، وعندي ابراهيم بن عبدالله بن مطيع ، وعلى عبد الرحمن بن عنبسة ثياب خضر : الجبة والمطرف والعمامة ، فقال ابراهيم : قد أقبل ابن عنبسة في زينة قارون . فضحكت ، فقال عبد الرحمن : ما أضحكك أيها الأمير؟ قلت : قال ابراهيم حين أقبلت كذا وكذا . فقال عبد الرحمن : لولا أني أخافه علي وعليك وعلى المسلمين إن هو غضب لأجبته . قلت : وما تخاف من غضبه ؟ قال : بلغني أن الدّجال يخرج لغضبةٍ يغضبها ، وابراهيم أعور وأنا أظنه الدجال ، فقال ابراهيم : لولا أن له عندي يداً عظيمة لأجبته ، قلت : وما يده ؟ قال : سعى عليه غلام بمدية فأصابه فأشواه ، فلما نظر إلى الدم جعل لا يدخل عليه مملوك إلاّ قال له : أنت حر ، ودخلتُ عليه عائداً له

فقلت له : كيف تجدك ؟ قال : أنت حر ، قلت : أنا ابراهيم بن عبدالله ، قال : أنت حر ، فأعتقني في ظنه فهذه يده .

قالوا : وهرب هشام من الطاعون ، فانتهى إلى دير فأدخله الراهب بستاناً على أربعة أجربة ، وجعل يأتيه بأطايب الفاكهة والبالغ منها ، فقال هشام : أتبيعني بستانك ؟ فسكت . فأعاد عليه القول وهو ساكت فقال : مالك لا تتكلم يا راهب ؟ قال : وددت أن الناس ماتوا غيرك . قال : ولم ؟ قال : حتى تشبع إذا بقي كل شيء في الدنيا لك . فضحك وقال : أما تسمع يا أبرش . قال : ما لقيك حُرٌّ غيره .

المدائني قال : دخل جُدَيْع الكَرماني على هشام فقال له : من أنت ؟ قال : جديع . قال : الكرمانيَ ؟ فكأنه كرهها ، فقال هشام : لا تفعل وإذا شهرت بلقب تكرهه فإنه نسب .

قالوا : ووقف هشام يوماً بحائط له فيه زيتون ومعه عثمان بن حيان ، فسمع هشام نفض الزيتون ، فقال لعثمان : انطلق إليهم فقل لهم : القطوه لقطاً ولا تنفضوه نفضاً فتتفقأ عيونه وتتكسر غصونه .

قالوا : وأدخلت على هشام جارية أعجبته ، فاشتط صاحبها في الثمن ، فأعطاه هشام عشرة آلاف فأبى فاشتراها الأبرش بحكم صاحبها وسومه ، وبعث بها إلى هشام .

وأُتي هشام بمال فقسمه على ولده وأهله ، وقال لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم ، وقد عزل مائة وعشرين ألف درهم : مَنْ أحقّ بهذا المال ؟ قالت : أنا . قال : قد أخذت قسمك .

وقال لعبدة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية : قولي فإنكم آل أبي سفيان تدّعون الرأي؟ قالت: أحق الناس بهذا المال من جادَ لَكَ بما بخلت به على نفسك ، قال : صدقت ، وأمر بحمل ذلك المال إلى الأبرش ، وقال : هذا الآن في هذا المـوضع أحسن منه في ذلك الموضع .

قالوا : وقدم على هشام وفد وفيهم ابن عمار بن ياسر ، فقال له هشام : من أنت ؟ فأخبره . فقال :

ترجو الصغير وقد أعياك والدُهُ   وفي أَرومته ما يُنْبِتُ العُـودُ

لا والله ما نال مني خيراً أبداً ما بقيت .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : قال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك في يوم شديد الحر وهو في بركة ماؤها يغمر الكعبين ، وقد وضع له كرسي فجلس عليه ، فلما رآني دعا لي بكرسي ، ثم جلس يسائلني فأقبلتُ أحدثه ، ثم قال : يا خالد لَرُبَّ خالدٍ جلس مجلسك كان أحب إلي منك ـ يعني خالد بن عبدالله القسري ـ قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو تفضَّلتَ عليه بصفحك وتَغَمّدْتَه بحلمك ؟ فقال : إنَّ خالداً أدلَّ فأمِلَّ ، وأَوْجَفَ فأَعْجَفَ ، فسكتُّ .

حدثني العمري عن الهيثم قال : أهدى خالد بن عبدالله وهو على العراق إلى ولد هشام وحشمه هدايا ، وأغفل خادماًله ، فأخذ الخادم ابناً له صغيراً فوقف به حيث يسمع هشام الكلام ، ثم قرصه قرصة أبكته فقال : والله لو كنتَ من ولد خالد بن عبدالله القسري ما عدا ، فسمع هشام قوله فكان ذلك أول ما وقر في قلبه .

قالوا : ولما غضب هشام على خالد أرسل إليه يذكّره حرمته ، فقال : إنّ الإفراط في الدالّة يُفسد الحرمة .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : قال هشام : أرخى الناس بالاً من تـخلّى عن الدنيا ومتاعها فدافع الأيام ، وأصبح أَجَلُه أَحَبّ قادم إليه .

وقال هشام للأحوص : مالنا وللفرزدق ، حَفَرَ لَنَا خالد نهراً . فقال :

أنفقت مال الله في غير حقه على نهرك المشؤوم غير المبارك[1]

فقال الأحوص : ما هذا من كلامه . قال هشام : قاتلهم الله ، اذا جاءت الحقائق نصر بعضهم بعضاً .

المدائني عن سحيم بن حفص قال : مرّ ابن هشام بن عبد الملك على اسماعيل بن يسار وقد اتخذ منزلاً وهو يصوّره[2] ، فقال : يا اسماعيل ما هذا من منازلك ، قال : بلى والله إنه لمن منازلي ومنازل آبائي ولكن منزلك خباء مضروب من شعر أو صوف على عمود من خشب .

قالوا : وتفقد هشام بعض ولده فلم يَره يحضر الجمعة فقال له : ما منعك من الصلاة في يوم الجمعة في مسجد الجماعة ؟ فقال : نفقت دابتي فعجزتُ عن المشي إلى الجمعة .

وقال هشام لخالد بن صفوان : عظني وأوجز ، فقال : أنت فوق الخلق وليس فوقك إلا الله ، وأنت صائر إلى الله ، فَاتّقِ الله .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥٩ .

٢ ـ صار وجهه يصوره ويصيره : أقبل به ، والشيء قطعة وفصله . القاموس .

المدائني عن حمزة بن ابراهيم قال : قال الحجاج لمعبد الجهني : يا معبد أتتكلم في القَدَر ؟ قال : نعم ، زعم فُسّاق أهل العراق أن الله قضى وقدر أن يُقتل عثمان ، فقلت : كذبتم . فقال : صدقت . فبلغ هشاماً قوله فقال : لقد قَدر الله قتل عثمان لما كتب على قاتليه من الشقاء ، وكذب معبد والحجاج .

قالوا : وقدم راوية الفرزدق وجرير والأخطل على هشام ، فدخل راوية جرير في فروٍ ، ودخل الآخر في خزّ ، فأنشد راوية الفرزدق شعراً :

كأنّ مَفالق الرّمان فيه وجمر غَضىً قَعَدْنَ عليه حامِ[1]

فغضب هشام ولم يصل راوية الفرزدق والأخطل ، ووصل راوية جرير .

المدائني عن عبد الرحمن بن خالد قال : رأيت هشاماً وهو يقول لغلمانه وهم يلقطون زيتوناً في أرض له : القطوا لقطاً ، ولا تخبطوا خبطاً ، فإن الخبط يفقأ عيونه ويكسر غصونه ، وكان معه عثمان بن حيان فوجّهه من وجهه إلى العراق للمسألة عن خالد فقدم عليه فأخبره ، فكان ذلك سبب عزل خالد .

حدثني هشام بن عمار قال : بلغنا أن هشاماً حُدِّث بأن خالداً يعطي من جاءه من قومه ، فازداد غيظاً عليه وغضباً وقال : إني أبخل بهذا المال عن نفسي وأهلي وولدي ، وخالد يفرقه في قومه ، فحدثه بعض حضره أن رجلاً من بجيلة دخل عليه فسأله فمنعه فقال :

---

١ ـ هذا البيت ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه أنا السيد المُفْضَى إليه المُعَمَّمُ
ولم يولِهِمْ خيراً أَبَوْا أن يَسُودَهُم وهانَ عليهم رغمه وهو أظلم

فَرَدَّهُ وأعطاه فقال هشام : والله لأنقضنّ كور عمامته ، ولأدعنّه وهو لا يُفْضَى إليه .

حدثني أبو مسعود عن ابن كناسة قال : اختلف هشام ومسلمة في إعراب حرف أو معنى حرف من الغريب ، فحكما رجلاً فقال : القول قولك يا أمير المؤمنين ، فقال مسلمة : هذا حكم الجهّال وقولهم .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : هدم ابراهيم بن هشام المخزومي دار عبدالله بن عامر بن الزبير بأمر هشام ، فمر به وهو يصلي فقال : اصبر ، فقال : إني أعرضكم على الله في كل يوم خمس مرات ـ يعني الدعاء ـ .

أبو الحسن المدائني عن عبدالله بن محمد عن أبيه عن عامر بن عبدالله قال : أراد هشام الحج فقال : من بقي من رجال قريش في المدينة ممن يتكلم ؟ فقالوا : لم يبق أحد يردّ على السلطان ، فحج فأتاه عبدالله بن عروة بن الزبير فقال : يا أمير المؤمنين أعْدِني على خالك ابراهيم بن هشام ، فإنك وليته ما بين المدينة واليمن فلم يمنعه كثير ما في يديه عن قليل ما في أيدينا ، فأنشدك الله أن تصل رحماً بقطيعة أخرى .

قال : لا أعديك عليه قال : ولِمَ فوالله ما منعنا أن نموت مع عبدالله إلّا هذه الأموال ، وقد أُخذتْ ولأَنْ يموت الرجل عزيزاً خير له من أن يموت ذليلاً ، فقال هشام : هذا واحد .

ثم آتاه ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله فقال : يا أمير المؤمنين أعْدِني على نافع بن علقمة ، فإنه أخذ داري . قال : أفلا رفعت ذلك إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : قد فعلت فسلك بي غير طريق الحق ، قال : أفلا أتيت الوليد ؟ قال : قد فعلت فسلك بي طريق أبيه . قال : أفلا رفعت إلى سليمان ؟ قال : قد فعلت فسلك بي طريق أبيه وأخيه . قال : فعمر بن عبد العزيز ؟ قال : عوجل رحمه الله ، فغضب هشام وقال : لا يزال الرجل يتكلم عند أمير المؤمنين بما يستحق من يتكلم بمثله أن يُدقَّ أنفه ويسحب على وجهه . قال : إذاً يسبق خيرَك شَرُّكَ ، وتقطع رحمك ، وتكون يد الله فوق يدك ، وأمر الله من ورائك ، أما والله ، ان القضاء ليتعقب وإن الفاسق ليصلح .

فقال هشام : قبح الله من زعم أن قومي قد ذهبوا ، هذا زعم إنَّ قضائي يُردّ ، وابن عروة يتهددني .

ثم قال لابراهيم : لو كان فيك مضرب لضربتك مائة ، قال ابراهيم : فيّ مضرب ألف ، قال هشام : سَوْءَةٌ اكتمها علي . قال : فما أخبرت بها أحداً حتى مات ، فلما مات حدثت بها لأنها مكرمة .

وقال الفرزدق وقد خاف خالداً .

ألم تعلموا يا آل مروان نعمةً ... لمروانَ عندي مثلها تحقن الدِّمَا
وما كان عني رُدّ مروان إذ طغى ... عليّ زيادٌ بعدما كان أَقْسَمَا
ليقتطعنْ حَرْفَي لساني الذي به ... لخندف أرمي عَنْهُمُ مَنْ تكلما

وكنتُ إلى مروانَ أسعى إذا جنى علىّ لساني بـالمقال وأُجـرما
وما تركتْ كفّا هشامٍ مدينةً بها عِوَجٌ في الدّينِ إلا تَقَوَّما[١]

وقال الكميت في خالد بن مسلمة :

الشمس أدتك الا أنها مَرَةٌ والبـدر أداك إلا أنه رجـل
الغالبُ النفس حِلْماً عند طَيْرَتَهَا والمستثيب حلوم القوم إن جهلوا
ما أنتَ في الجُود إذْ عَدَّتْ فواضِلُهُ ولا ابن مَامَةَ إلاّ البحر والوَشَلُ

قال : ولم يقدم جرير على هشام فيمن أتاه من الشعراء عشر سنين ، ثم تهيأ للخروج إليه وقال :

وكيف ولا أشدّ إليك رَحْلي أروم إلى زيـارتـك المـرامـا[٢]

فمات قبل أن يخرج إلى هشام .

قالوا : وقدم عروة بن أذينةالليثي على هشام ، فسأله : ألست القائل :

لقد علمتُ وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى لـه فيعنيني تَـطَلُّبُـه ولو صبرتُ أتـاني لا يُعَنِّيني

وإني لأحسبك ممن يَفْضُل قوله فِعْلُه ، فقال عروة : فإني استغفر الله وأستقيله ولا أرغب إلا إليه ، فخرج من عنده ولم يبت إلاَّ في الطريق منصرفاً إلى أهله .

وتذمم هشام مما استقبله به حين بلغه انصرافه ، فبعث إليه بألف دينار ، فلما أتاه بها رسوله قال : أقرىء أمير المؤمنين السلام وقل له إني

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٨٨ مع فوارق .
٢ ـ ديوان جرير ص ٤٠٩ .

رضيت بالله ورغبت إليه فأتاني برزقي على فراشي ، فقال هشام : صدق . إنما نحن خزان الله ، فإذا أذن في شيء أمضيناه على محبة منا وكرامة .

المدائني قال : قال هشام لسعيد الأبرش : أَوَضَعَتْ أَعْنُزُكَ ؟ قال : أي والله قال : لكن أعنزي تأخر ولادُها فاخرج بنا إلى أعنزك نُصِبْ من ألبانها ، قال : نعم . وقَدّمَ خباءً فضُرب وغدا هشام والأبرش وغدا الناس فقعد هشام والأبرش على كرسيين ، فقدموا الى كل واحد منهما شاة فحلب هشام الشاة بيده ثم قال : يا أبرش إني لم أنس الحلب .

ثم أُتي بخبزة أمر الأبرش بها فعُمِلَتْ بين يدي هشام ، فأوقد هشام النار بيده وفحصها ، وألقى الخبزة فيها وجعل يقلبها في النار بالمحراث ويقول : يا أبرش كيف ترى رفقي ، حتى نضجت، ثم أخرجها فجعل يضربها بالمحراث ويقول : جنبيك ، جنبيك والأبرش يقول : لبيك لبيك ، وهذا شيء كان يقوله الصبيان إذا خُبزت لهم الخبز ، ثم تغدى وتغدى الناس وانصرف هشام .

المدائني قال : قال رجل من أهل المدينة : انتُقِص الناس بعد هشام ، ما كان أحد يشد رحله إلى رجل إلاّ وجد عنده رأياً وعقلاً وسخاء ، فلما مات هشام انتقص ذلك .

وسئل هشام يوماً عن مكحول ، فذمه فقال مسلمة : مَهْ يا أمير المؤمنين فقد سمعته يقول : اللهم لا تبقني بعد هشام .

المدائني عن شيخ من جَرْم أنه قال : إني لبالقريتين ، وبينها وبين دمشق مرحلتان على الإبل ، إذ نزلت قافلة جاءت من أرمينية فيها خلق ، فجاء رجل من كلب من قبل هشام ، ورجل آخر معه فقالا : أيتها النازلة

أفيكم غيلان بن مسلم ؟ فقام رجل أحمر عليه قباء نصيبي مجلد الازرار فقال : أنا غيلان أبو مروان . فقالا : أين صالح ، فقام رجل ربعة حسن الوجه فقال : أنا صالح أبو عبدالسلام فشداهما في الحديد وحملاهما إلى هشام ، فقال هشام لغيلان : ويلك ما هذا الذي يبلغني عنك من القول ؟ فسبقه صالح فقال : ﴿لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها﴾ [1] ، فقال له هشام : أتركت أن تتلو كتاب الله مُحْكَمَهُ ، وتلوتَ مُتَشَابِهَهُ، إن هذا ليحقق ما قيل فيكما ، قال : أو هذا متشابه ؟ قال : أخرجوهما فاضربوهما سبعين سبعين ، فضربا ، وجاء قوم فشهدوا عليهما بأنهما قالا : ما ولّى الله هشاماً شيئاً قط ، وإن الناس يتغالبون على الأرزاق ، وتأتيهم بالإتفاقات . فقال : لعلكم شهدتم لأمر وجدتم عليهما فيه ، أو لعداوة واجبة ؟ فقالوا : لا ، ولكنك إمام وقد خرجنا إليك مما في أعناقنا ، فقطع أيديهما وأرجلهما ، فمر عليهما عثمان بن حيّان المرّي فقال : يا غيلان ، كان هذا بقضاء الله وقدره ؟ فقال : كان في علم الله .

ثم أمر هشام باخراج ألسنتهما من أقفيتهما أو قطعـها فلم يلبثا أن ماتا .

وقيل إن غيلان وصاحبه كانا بأرمينية يتكلمان في هشام ، فلما شخصا عنها ، وكان قد وضع عليهما عيوناً فأُخبر بنزولهما حيث نزلا ، فدس شهوداً شهدوا عليهما ، فصنع بهما ما صنع ثم صلبهما .

قالوا : وعمل هشام منجنوناً [2] وكتب إلى صاحب الرقة يأمره أن يبتاع

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٨٦ .
٢ ـ المنجنون : الدولاب يستقى عليه ، أو المحاله يسنى عليها . القاموس .

له ثور المنجنون فاشتراه بثلاثين درهماً ، وبعث به إليه مع بعض الشرط ، فلما رأى هشام الثور أعجبه وقال : بارك الله فيك وفيمن وَجَّهَ بك ، أعطوا الرسول عشرة دراهم . فقال : يا أمير المؤمنين زدني في عطائي خمسة دنانير فقال : جئت بثور اشتُري بثلاثين درهماً وإنما بيننا وبين الرقة ثلاثون ميلاً ، وأنت تنال خمسة دنانير في عطائك ، أنت أحمق . إذهب بارك الله فيك .

المدائني قال : قال عمرو بن عتبة المخزومي : أذن هشام يوماً إذناً عاماً ، فدخل أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين قد كبرت سني ، ورقّ عظمي فأعنيّ بالفرض لابنيّ فانهما كما يحب أمير المؤمنين في طاعتهما وجلدهما قال : ما ذاك لك عندنا ، قال : فأقطعني داراً إلى جانب داري كانت ليهودي هلك ، ولا وارث له أوسّع بها منزلي . قال : بيت المال أحقّ بها ، قال : فأزرعني مزرعة إلى جانبي تخفف من خراجها عني . قال : لا . فولّى الرجل وهو يقول : ما رأيت كاليوم قطّ رجلاً أفحش بخلاً ولا أسوأ ردّاً ، وسمع هشام كلامه فنكس ، ورفع الشرط عليه العمد ، قال عمرو : فضممت إلي ثوبي مخافة أن يُقتل فيصيبني دمه ، أو يشدخ فينتضح علي من دماغه ، فقال الأعرابي : ما ينبغي أن ألومك وإني لأعلم أنك عبد من عبيدالله لا تعطي ولا تمسك إلا بإذنه ، قال هشام : ردوه ، كيف قلت ؟ فأعاد قوله فقال : صدقت ، أعِدْ عليّ حوائجك ، فقضاها .

قالوا : وأهدى إلى هشام حسان النبطي هدايا كثيرة ، وركب هشام فعرضها عليه وأرضى حسان كل من يطيف بهشام غير خادمين له صغيرين احتقرهما ، فدخل هشام المتوضأ وجاء الوصيفان بالماء ، فقال أحدهما أما تُعْلِم أمير المؤمنين أن حسان لم يَهْدِ ما أهدى حتى أخذ لنفسه مثله ؟ قال

الآخر : بل لنفسه عشرة أمثاله ، أفمن بيت أمه أهدى هذا ؟ وسمعهما هشام ، فلما دخل عليه حسان قال : وهبتَ لهذين شيئاً ؟. قال : لا ولقد أغفلتهما . قال : فأحسِن إليهما . فبعث إلى كل واحد منهما بألفي درهم .

وخلا به هشام وهما على باب البيت ، فقال أحدهما : نحن نتكلم في أمر هذا الرجل بما لا نعلم ، وأمير المؤمنين أعلم بنصيحته وتوفيره ، وقال الآخر : ما صارت له عند أمير المؤمنين هذه المنزلة إلا بفضل نصيحته وما فعل أحد مثل فعله ، عماله يأكلون الدنيا ولا يهدون شيئاً . فقال هشام لحسان : أرضيتهما؟ قال : نعم . فضحك هشام وقال : ما أخبثهما قد رأينا أثر ذلك .

المدائني قال : لما اشتد وجع هشام بكى نساؤه وولده ، فقال جَادَ لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء ، فترك لكم ما جمع ، وتركتم عليه ما كسب ، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له ، ثم فاظت نفسه .

المدائني قال : أتى هشاماً محمد بن يزيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب فسأله فقال : لستُ معطيك شيئاً ، فإياك أن يغرك الناس فيقولون إن أمير المؤمنين لم يعرفك ، قد عرفتك ، أنت محمد بن يزيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فلا تقم فينفق ما معك ، والحق بأهلك .

حدثني على الأثرم عن الأصمعي قال : حج هشام فأراد سالم بن عبدالله الدخول عليه بالمدينة فقال له بنوه : لو اعتممت فاستعاروا له عمامة ، ولما دخل على هشام قال له : يا أبا عمر العمامة لا تشبه الثياب . قال : انا استعرناها . قال : ما طعامك ؟ قال : الخل والزيت . قال : أما تأجمهما ؟ قال : إذا أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما . ثم قام فخرج فقال

هشام : ما رأيت قط ابن سبعين أقوى كَدْنَة [1] منه . فما وصل إلى بيته إلا محموماً ، فقال : أترون الأحول لعقني بعينه . ولم يبرح هشام المدينة حتى صلى عليه ، وقد كتبنا خبره من جهة أخرى .

المدائني عن عبدالله بن سلم الفهري قال : دخل زيد بن علي بن الحسين على هشام ، فلما مثل بين يديه لم ير لنفسه موضعاً يجلس فيه ، فعلم أنه إنما فعل ذلك به على عمد ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه ليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله ، ولا أحد دون أن يأمر بها . قال : اسكت لا أم لك . قال : أمٌّ لم تلدني ؟ قال : أنت الذي تنازعك نفسك الخلافة وأنت ابن أمة ؟ . قال : يا أمير المؤمنين إن لك جواباً ، قال : هاته فما أنت وجوابك . قال : إن الأمهات لا يقعدن بالرجل دون بلوغ الغايات ، كانت أم اسماعيل أمة ، فلم يمنعه ذلك أن ابتعثه الله نبياً ، وجعله أبا العرب وأخرج من صلبه محمداً ﷺ ، أفتقول هذا لي وأنا ابن فاطمة وجدي علي ؟ . قال : صدقت ، ثم خرج فقال هشام لمن بقي عنده من أهل بيته : زعمتم أن أهل هذا البيت قد بادوا . لا لعمري ما انقرض قوم هذا خلفهم .

قالوا : وخرج زيد على هشام بالكوفة ، وقتل ودفن ليلاً ، فدل على قبره عامل الكوفة فنبش وصلب ، وكان فيمن نبشه خداش بن حَوْشَب أخو العوام بن حوشب المحدث .

---

١ ـ الكدن : الشحم ، واللحم ، والقوة . القاموس .

وكتب هشام إلى عامله بالعراق : إنّ زيداً قدم عليّ فرأيت حُوّلاً قُلَّبا خليقاً لصوغ الكلام وتنميقه ، وقد كتبت خبر زيد ومقتله في نسب آل أبي طالب وأخبارهم .

حدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم قال : قال هشام : إني لأرى الرجل فأعرف عقله من حسن سماعه ، وكان يقول : أنا أعرف الجاهل الأحمق بسرعة جوابه بالخطأ ، وكثرة تلفّته ، وتدويمه نظره إلى جليسه بغير علة يُصَوّب ويُصعَّد فيه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن اسماعيل بن عبد الملك بن نافع عن أبي عبيدة بن محمد قال : شرق ما بين ربيعة الرأي وأبي الزناد وكانا قديماً يجالسان القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فلما ولي خالد بن عبد الله بن الحارث بن الحكم المدينة من قبل هشام ، ولى أبا الزناد الخراج وما وراء بابه ، وكان خالد قد علم الذي بينهما ، فأرسل إلى ربيعة ، وخثيم بن عراك ، ومحمد بن عطاء الليثي ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، فوجد عبد الرحمن قد تغيب فضرب هؤلاء وحلقهم ، وقال : إنهم يطعنون على الأئمة ويرون رأي الخوارج .

وكتب خالد إلى هشام يعلمه ضرب هؤلاء النفر ، وأنه طلب عبد الرحمن فوجده قد تغيب ، وتوجه إلى ابن شُريح بخراسان يدعو إليه ، فجاء الكتاب إلى هشام وهو يومئذٍ بالرصافة فقال : أي رجل عبد الرحمن بن القاسم ؟. فقال ابراهيم بن هشام : يا أمير المؤمنين ، من أهل السنّة والجماعة ، فرمى بالكتاب فقرأه فقال : باطل والله يا أمير المؤمنين ، وما خرج ابن القاسم إلا إليك . فأفرخ روع هشام ، فقال : أرى ذلك ، ووكل

ابراهيم غلاماً له يتفقد عبد الرحمن عند مسلحة عليها طريق مَنْ قَدِمَ من المدينة إلى هشام ، فكان مقيماً عندها أياماً ، ثم طلع عليه عبد الرحمن على بغلة له وهو معتمّ فسلّم فقالوا : من الرجل ؟. قال : رجل من قريش . قالوا : من أي قريش أنت ؟ فأخبرهم ، فأتى عبد الرحمن ابراهيم بن هشام ، فأتى به إبراهيم هشاماً ، فأدخله إليه فقال : السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك السلام ، كيف أنت يا عبد الرحمن ، كيف أهل بيتك ؟. قال : بخير يا أمير المؤمنين . قال : أحب أن يكونوا بخير ، فما أقدمك يا عبد الرحمن ؟. قال : ظلامتي ، خاصمت إلى خالد : ابن أبي عتيق ، فمال علي ميلاً بيناً ، فرحلتُ إلى أمير المؤمنين مستغيثاً به لينصرني .

فكتب إلى خالد : «أما بعد : فإذا أتاك كتابي هذا فأحضر رجالاً من أهل الفضل والستر والصدق والعفاف ممن يخيرهم عبد الرحمن بن القاسم ، ثم اجمع بينه وبين خصمه ، ثم مرهم أن يجزموا القضاء على أحدهما ، ولا تعرض لعبد الرحمن في خصومة ولا غيرها ، فإن لعبد الرحمن فضلاً ، ومكان أبي بكر في الاسلام مكانه» .

ثم ختم الكتاب ودفعه إلى عبد الرحمن فقال عبد الرحمن : قد بررتَ وقضيت الحاجة وأعفيتني من الظلم وعليّ أربعمائة دينار . فقال : يا عبد الرحمن ، لو جمعنا لأحد أن نرد ظلامته ونقضي دينه لفعلنا ذلك بك ، ولكنا لا نفعله بأحد فامض لشأنك .

قال عبد الرحمن : فلحقني حسان النبطي فقال : قد سمعت كلامك في دينك ، وهذه أربعمائة دينار من مالي فخذها واقض بها دينك . فقال عبد

الرحمن : ما أستجيز أخذها منك وأنا استجيزه من الخليفة ، وأنا أقبلها على أن تكون قرضاً ، فأخذها على هذه الجهة فقضاه إياها ورثة عبد الرحمن بعد ذلك .

قال ابن شوذب يمدح أبا الزناد نصر بن ربيعة وأصحابه :

حتى إذا ما دخيلُ الهمّ أرَّقَني فوق الفراش وكاد النوم يمتنع
وقلتُ حين أناجي النفس مَنْ رجلٌ والرأي مشترك والهم مُلتفع[1]
فصرتُ نحوك من أرضي لتنفعني إذا بَلَغْتُكَ والمعروف متبع
أبا الزناد فلا تقعد بحاجتنا إن الكريم إذا ماهُزّ ينخدع
تحوي من العلم ما يشقي السقيم به ويجبر العظم منه حين ينصدع
ما زلت بالحق إذ ضلت عقولهم حتى ردعت أُلي الأهواء فارتدعوا

١ ـ اللفاع : الملحفة أو الكساء أو النطع ، أو الرداء ، ولفع الشيب رأسه : شمله . القاموس .

المحتوى

كتاب جمل
من
أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م

الجزء التاسع

بنو عبد شمس (٥) - بنو عبد العزى بن قصي

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار
الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الطبعة الاولى

بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٠٠١ - ٢١٢ - ٤٧٨٢٣٠٨

الجزء التاسع

بنو عبد شمس (٥) - بنو عبد العزى بن قصي

الخوارج في أيام هشام بن عبد الملك

ـ أمر صبيح الخارجي[١] :

قال أبو الحسن المدائني : اشترى سَوّار بن الأسعر المازني غلاماً من سبي الأزارقة غلاماً يقال له صبيح ، فكان عنده حيناً فلما صار رجلاً أعتقه ، وكان يرى رأي الخوارج ، فخرج في حاجة لسوار وصحبه رجل من طيء فحضرت الصلاة فَصَلّى صبيح ولم يصلّ الطائي فقال له : ألست مسلماً ؟ قال : بلىٰ ! قال : فما بالك لم تصلّ ؟ فقال : وما أنت وهذا ؟ أقبلْ على شأنك . فحكَّم صبيح وقتل الطائي .

واجتمع إليه رجال فخرج وسار إلى هَرَاة وأغار على إبل لبني سعد وقتل رجالاً ، فأتىٰ السعديون ضرار بن الهلقام بن نُعَيْم التميمي ، وهو عامل للجنيد بن عبد الرحمن المرّي على بعض خراسان ، فخرج ضرار إلى الخوارج فسار في المفازة ولقيه صبيح في أربعمائة ، وضرار في جمع كثير من بني

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث ولله الحمد .

تميم وغيرهم ، ومعهم البختي بن ضبيعة المرّي ، فاقتتلوا فقتل من أصحاب صبيح خمسون ، وقتل عامة من كان مع ضرار ، ورجع صبيح إلى سجستان فقال سوار

لعمري لئن أغفلتُ من خشية الردىٰ زرنجَ[1] ولم أخرج حذار صبيح
لِبِئْسَ إذاً حامي الحقيقة بعدها[2] ولابس ثـوبَيْ ذلـةٍ وفضـوح

فكتب خالد بن عبدالله إلى عبدالله بن أبي بُرْدَة بطلب صبيح رجاء أن يظفر به دون الجنيد ، ونزل صبيح قرية كانت صلحاً ، فأخذوه أسيراً وأتوا به ابن أبي بردة ، وقالوا : ما تجعل لنا إن أخذنا صبيحاً ؟ قال : ما شئتم . فاشترطوا عليه الحطيطة من الأتاوة وشيئاً غير ذلك ، فدفعوه إليه فبعث به إلى خالد ، وبعث به خالد إلى هشام ، فأراد قتله وصلبه فقيل له : إذاً تتخذ الخوارج الرصافة[3] دار هجرة ، فردّه إلى خالد فقتله وصلبه ، وأخذ الجنيد الخوارج ممن كان مع صبيح وعلى رأيه بخراسان فجعل يقتلهم حتى قتل مائة .

ويقال إن الجنيد أخذ رجلاً منهم أعمى فقال : أنا أدلك عليهم ، فجعل يدلّه على رجل رجل من أهل السنّة فيقتله حتى قتل مائة ثم قال : لعنك الله يا أحمق . تزعم أن دمي حلال لك ، وأنا أدلك على قوم فتقتلهم ، والله ما قتلت إلا أصحابك وما دللتك من أصحابي على أحد . فقدمه فقتله .

---

١ - زرنج : مدينة هي قصبة سجستان . معجم البلدان .
٢ - بهامش الأصل : يروى : لبئس إذاً حامى الذمار ابن سعر .
٣ - رصافة هشام على مقربة من الرقة ، بقاياها قائمة .

أمر خالد الخارجي

قال أبو الحسن المدائني : خرج خارجي من قبيل بُوشنج[١] وهراة في جمع عظيم فكان لا يأتي قرية إلا افتدوا منه بمال ، ومضىٰ إلى مرو الروذ وعليها ضرار بن الهلقام فأراد أن يعطيه شيئاً وينصرف عنه فجبَّنُوه وعجَّزُوه . وكان عامة الناس غزاة فقال : دعوني أردّ هذا الخارجي عنكم بشيء ولا نقاتله فإن عامة الناس غزاة ، قالوا : جبنتَ وضعفت . فقال : كأني بكم منهزمين تكسع[٢] الريح أدباركم ، وخرج إليهم وأخرج معه الوجوه والأشراف من العرب والموالي ، فَبَيَّتَ خالد عسكرهم فقتل من صبر وعامة من هرب ، فلم ينج منهم إلاّ القليل ، وأسروا ضراراً ثم قتلوه وأصحابه الذين بقوا معه ، فقال منصور بن هبيرة التميمي ثم المازني قصيدة طويلة يرثيهم ويقول فيها :

١ - بلدة نزهة خصيبة في واد مشجر من نواحي هراة بينهما عشرة فراسخ . معجم البلدان .
٢ - كسع : ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه . القاموس .

لقد تماصوا وقد آسوا أميرهم عند اللقاء حذار الذمّ والعار

وقال رجل من بني العنبر في قصيدة له :

أأمام قد ذهب التجلّد والأسىٰ فـانعىٰ فوارس مـازنٍ وضرارا

ثم إن خالداً مات من جراح كانت به ، ويقال مات حتف أنفه .

أمر عباد المعافري

قال أبو الحسن المدائني : خرج باليمن في أول سنة ست ومائة عباد المعافري فقابله مسعود بن عوف الكلبي ، فلم يظفر به ، فلم يزل باليمن حتى وليها يوسف بن عمر الثقفي فقتله .

وخرج علىٰ يوسف زحّاف بن عباد الحميري الأباضي فبعث إليه يوسف كثيراً أبا العاج السلمي فقتله فقال جرير بن عطية .

الله أهلكَ عبـاداً وشـيعتـه ... عـادات ربك في أمثـال عباد
لاقوا بعوث أمير المؤمنين لهم ... كالريح إذْ بُعثتْ نحساً على عاد
فيهم مـلائكـة الـرحمن مـالهم ... إلا التوكل والتسبيح من زاد[1]

---

١ ـ ديوان جرير ص ١٢١ .

خبر الأشهب العَنَزي

قالوا : خرج رجل من عنزة يقال له الأشهب بناحية الفرات في ستين فارساً، فوجه خالد بن عبدالله القسري: السمط بن مسلم البجلي في سبعمائة فلقيهم قريباً من الكوفة فقاتلهم فضرب السمط على يده فندر سيفه، وأسرع سيف الضارب في يده ، وانهزم العنزي هو وأصحابه ، فقتلوهم حتى دخلوا الكوفة، ورماهم الناس بالحجارة ، ثم برىء السمط من الضربة وشلت يده ، فكان يطلب سيفه عند قَعَدِ الخوارج بالكوفة .

خوارج بموقوع[1] في أيام هشام ويوسف بن عمر على العراق

قالوا : خرج خوارج بموقوع وكانوا تسعة عشر رجلاً وامرأة ، والقاسم بن محمد الثقفي على البصرة ، فقتلوا وأُسرت الامرأة فلما قُدم بها على القاسم قالت : يا حسن الوجه إني خُدعت . قال عمر بن سعيد : فأرسلني القاسم إلى يوسف بن عمر فقدمت عليه بالفتح وبالمرأة فقال : ما استبقاؤه هذه ؟ وقتلها . ثم أرسلني يوسف بالرؤوس إلى الشام .

وقال الهيثم : بعث بالرؤوس إلى الوليد ، وكان هشام قد مات ، فأقر الوليد يوسف على العراق ، فلما قدم رسوله على يوسف قال : كيف الوليد الفاسق ؟ ثم قال : إياك أن يسمع هذا منك أحد ، فحلف له رسوله بالطلاق ألا يسمعه منه أحد فضحك يوسف .

---

١ ـ موقوع ماء بناحية البصرة . معجم البلدان .

أمر خارجي بالموصل

قال المدائني : وخرج خارجي يذكر من عنزة بالموصل في ثلاثة عشر رجلاً ، في أيام هشام ، فوجه إليه الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم : المستنير بن عجلان العَنَزِي ، أحد بني يذكُر ، فقال المستنير : لا ألقاه إلّا في عدّة من معه ، فقاتلهم فظهر عليهم ، فأوفده الحرّ إلى هشام ، فقال له: ألك حاجة ؟ فقال : تخرجنا من ربيعة وتردّنا إلى بني أسد ، فقال : نعم . فقال بنو يقدُم بن عَنَزة : لا نتحوّل ، وقالت يَذْكُر بن عنزة : بلىٰ . فاصطلحوا على أن صُيِّروا سبعاً على حدة .

خبر البهلول بن بشر الشيباني

ويقال ابن عمرو ، ويلقب كثارة .

قال ابو الحسن المدائني : خرج البهلول بن بشر الشيباني أيام خالد بن عبدالله القسري في سبعين رجلاً كان من أهل الديوان معروفاً بالشجاعة ، وكان سبب خروجه أنه حج ، فلما كان ببعض قرى السواد أرسل غلامه ليأتيه بخلّ فأتاه بخمر فردّها فأبىٰ الخمار أن يقبلها ، فاستعدى عليه والي القرية وكان من أهل الشام فلم يُعده ، وقال : خارجي خبيث ، والله لهي خير منك وإني لأَنْفَسُ بها على مثلك ، فتركه ومضىٰ لحجه ، وجعل يخبر من لقي من إخوانه ويعجبّهم ، ويدعوهم إلى الخروج ، فلما قضوا حجهم رجع إلى القرية التي كان بها الشامي فقتله ، ثم أتى الموصل فاتبعه قوم من أهلها وأهل الجزيرة .

وأقبل خالد من الكوفة فلما كان في موضع يقال له قياض[1] ، وجه إليه

١ ـ قياض موضع بنواحي بغداد ، وقياض أيضاً موضع بين الكوفة والشام ، يرتحل منه إلى عين أباغ . معجم البلدان .

خالد : يزيد بن قيس بن ثمامة الأودي أبو عافية بن يزيد الأودي القاضي ، وكان على شرطة خالد ، وكان في خف فلم يقاتله ، فقال البهلول : إن صاحبكم هذا لأشجع الخلق وأحمق الخلق .

ومضى البهلول إلى عين التمر ثم أتى لَعْلَعَ[1] فأقام بها وهو في مائة وستين من الخوارج ، وأقبل إليه عشرة نفر من الكوفة من أهل راية[2] فعرض لهم قوم فقتلوهم قبل أن يصلوا إليه . وبلغه ذلك فسار إلى القرية التي قتلوا بها فقال لهم : من قتل هؤلاء الرهط فله عشرة آلاف درهم . فادعىٰ قتلهم جماعة فقتلهم ، فتنكّر له قوم من أصحابه وقالوا : غدرت بالقوم . فقال : أما كان لي أن أقتلهم وقد قتلوا إخوانكم ؟ قالوا : بلى ولكنك كذبتهم . قال : إنا في دار حرب والحرب خدعة . قالوا : تُبْ وإلا اعتزلناك . فتاب فقبلوا منه ، ورجع فأقام بلعلع . وكان معه رجل يقال له أثال فتذكر أهله وولده فبكى ، فقال بهلول :

بكىٰ جزعاً بعبرته أثال   وليس بحين مبكىً للرجال
فما أهل الديار لنا بأهلٍ   ولا المال المراح لنا بمال

وقال أيضاً :

من كان يكره أن يلقىٰ منيته   فالموت أشهى على قلبي من العسل
فلا التقدم في الهيجاء يعجبني   ولا الحذار ينجيني من الأجل

فوجه إليه خالد رجلاً من آل حوشب بن يزيد بن رويم الشيباني ، فارتحل بهلول عن مكانه فسار يصبح بأرض ويمسي بأخرى يجول بالسواد ،

١ ـ لعلع : منزل بين البصرة والكوفة . معجم البلدان .
٢ ـ راية موضع في بلاد هذيل . معجم البلدان .

حتى أحفىٰ دوابهم ، ثم لقيهم وقد ضجروا وكلّت خيولهم ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انكشفوا ، وصبر الرويمي في نُفَيْرٍ قتلوا ، وأهوى له بهلول ليطعنه فقال : أسألك بالرحم فاذكرك الله إني مستجير جانح ، فأمسك عنه وأتى فَلَّهُم الكوفة ، وقدم قائد من أهل الشام في تلك الأيام وهو من بلقين ليوجهه خالد إلى الهند، فقال له: سر إلى هذه المارقة فإن قتلتهم لم أُغزكم الهند ، فسار القيني في أصحابه وهم ألفان من أهل الشام ، وضم إليه خالد جنداً من أهل الكوفة ، فكان في خمسة آلاف ، منهم ثلاثة آلاف من أهل الكوفة . فجعل البهلول ينتقل في السواد حتى قطع خيولهم ، ثم أتى لعلع فالتقوا بها فقُتل القيني ، طعنه البهلول طعنة هتكت سلاحه وأوجره الرمح ، فقال : قتلتني . قال : أبعدك الله يا عدو الله ، وانهزم الشاميون ، فقال البهلول لأصحابه : عليكم بالشاميين فإن الكوفيين أُخرجوا كرهاً . فاتبعوهم فكانوا إذا لحقوا الشامي قتلوه وإذا لحقوا عراقياً لم يقتلوه . فقال رجل ممن نجا من الشاميين :

ما كنت أدري ما السيوف ووقعها حتى لقيت فـوارس البهـلول
يُضْحي بأرضٍ والمبيتُ بغيرها هيهات من ممساك حيث تقيل

وقال البهلول لأصحابه لما قتل القيني : علام نقيم على خالد وندع الذي أَمَّرَهُ ؟ فتوجه إلى الموصل وهو يريد الشام ، فوجه إليه والي الموصل قائداً يقال له سفيان ، فهزمه البهلول . فكتب صاحب الموصل إلى هشام يخبره خبر البهلول ويستمده ، فكتب هشام إلى عامل الجزيرة أن يمده فسرح إليه قائداً من أهل الجزيرة في خمسمائة ، ووجه هشام من الرصافة جنداً ، وكتب إليه أن ضم إليهم جند الموصل واستعمل عليهم كثارة ، وهو لا يعلم

أن كثارة هو الخارجي ، فتوافت الجنود بالموصل وبهلول نازل إلى جانب دير بالكحيل[١] . فجعل عامل الموصل عليهم رجلاً يقال له ابن أبي عطاء ، فساروا حتى لقوا البهلول ، فانهزم ابن أبي عطاء وأهل الشام ولجأ بعضهم إلى الدير فحصرهم البهلول أياماً . وقدم جند من أهل الشام ، أيضاً مدداً ، وانضم إليهم الفل فنزلوا بعقوة البهلول ، وخرج إليهم من كان في الدير محصوراً فتلا البهلول : ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾[٢] وحمل على أهل الشام فقتل منهم رجلاً ، ثم قال لأصحابه : يا أخلاء إنما خرجتم غضباً لله فلا تجزعوا ولا تكبروا القتل في الله ، وناهضهم وقال : إن أُصبتُ فأميركم دعامة بن عبدالله الشيباني . فعاجلوهم وكثر القتل والجراح في الفريقين ، ثم ترجل البهلول وأصحابه عند المساء فشدّوا عليهم ، فجال أهل الشام والبهلول يقاتل ويقول :

من كان يكره أن يلقىٰ منيته فالموت أشهى إلى قلبي من العسل

وكمن له أبو الموت الجدلي ـ جديلة قيس ـ فمر به فطعنه فأثبته ، ويقال : الذي قتل البهلول عمرو بن ثوبان الحضرمي صاحب خيل الموصل ، فقام بالأمر دعامة فانحازوا وتحاجزوا وقد أمسوا والجراح في الطائفتين فاشية ، فقالت الخوارج لدعامة : فررت من الزحف وكفرت . فقال : إنما انحزت ولم أفرّ ، فأبوا أن يرضوا به وبايعوا عمرو بن غالب اليشكري .

١ ـ الكحيل : موضع بالجزيرة ، وقيل مدينة على دجلة بين الزابين فوق تكريت من الجانب الغربي . معجم البلدان .

٢ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٦٤ .

وأصبحوا فعاودهم القتال فقتل وقتل الخوارج غير نفير يسير انحازوا إلى العراق ، وقال بعض الشعراء من الخوارج في دعامة :

لبئس أمير القوم معترفاً به　　دعامة في الهيجاء شر الدعائم

وكان الضحاك بن قيس - أحد بني مُحلم - جرح يومئذ فنزف وعطش ، فرفع له خباء ، فأتاه فوجد فيه امرأة ، فاستسقى فسقته ، وسقط فلم يقدر على النهوض، فلما أفاق مما كان به وبرىء أتى أصحابه من القعد فقالوا : فررت من الزحف . ولم يقرّ بالفرار واعتذر فلم يقبلوا عذره فكانوا لا يجالسونه ولا يكلمونه ، فقال الضحاك : اللهم إني قد صدقتهم فكذبوني وبذلت نفسي فردّوني ، اللهم أنت خير لي منهم . وقال :

لا تطردوني إذا ما جئت زائركم　　أرجو الفلاح وكونوا اليوم إخوانا

بُدّلت بعد أبي بشر وصحبته　　قوماً عليّ مع الأحزاب أعوانا

في أبيات .

ثم إنه أقرّ بالكفر واستتابوه فتاب .

قالوا : وكان بهلول لين السيرة لا يقاتل إلاّ من قاتله ولا يعرض لأحد ولا يأخذ شيئاً إلا بثمن .

أمر ابن شبيب بن يزيد : ويكنى أبا الصُّحارى

قال أبو الحسن : وأتى ابن لشبيب بن يزيد الخارجي خالدَ بن عبدالله فقال : افرض لي ، فقال : ابن شبيب ماله وللفريضة ؟ فخرج وأرسل خالد في طلبه فأبى أن يرجع فتعلقوا به ومنعوه من المضي ، فانتضى سيفه فهربوا ، ومضى على فرسه الى الفرات فعقر فرسه ، وركب سفينة وأتى ناساً من بني تيم اللات كانوا بجبل فدعاهم الى الخروج فخرجوا ، فوجه اليهم خالد خيلاً فقتلوا جميعاً .

أمر وزير الخارجي

قال أبو الحسن المدائني وغيره : خرج على خالد بن عبدالله القسري وزير الخارجي ، فحكّم بالكوفة في ثلاثة عشر رجلاً ، وخالد بالحيرة ، فقتل من لقي وحرق وغلب على بيت المال ، فتلقته الفرسان فقُتل بعض الخوارج وأُسر بعضهم وارتثّ وزير فأُتي به خالد ، فجعل يقرأ القرآن ويعظ خالداً حتى رقّ له واستبقاه ، وأمر به فحبس فكان يخرجه من الحبس فيسامره ، وبلغ ذلك هشاماً فكتب إلى خالد : أتستحيي فاسقاً مارقاً قد قتل وحرق وفرق بيت المال فأحرقْه ، فلما أتاه كتاب هشام أخرجه ومن كان بقي معه من أصحابه فصبّ عليهم النفط ثم حرقوا في طنان [1] القصب وقد أشعلت فيها النيران ، فلم يجزع وزير ولم يتحرك وجعل يقرأ : ﴿قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يعلمون [2]﴾ . وجزع أصحابه واضطربوا .

تمت أخبار الخوارج في أيام هشام .

١ ـ طنان القصب : حزم القصب . القاموس .
٢ ـ سورة التوبة ـ الآية : ٨١ .

ولد هشام

قال أبو اليقظان : ولد هشام :

مسلمة ، ويزيد ، ومحمداً ، وأم هاشم ، أمهم أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص ، وأمها زينب بنت عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي .

وعبدالرحمن ، ومروان ، أمهما أم عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وأمها أم عمرو بنت مروان بن الحكم .

وعائشة أمها عبدة بنت عبدالله بن الإسوار بن يزيد بن معاوية .

ومعاوية ، والوليد ، وسليمان ، وقريشاً ، لأمهات أولاد شتى .

وكانت عائشة تسير مع هشام في موكبه لإعجابه بها ، وكانت لها خيل تسبق ، وتزوجها عبدالله بن مروان بن محمد ، وأما معاوية فكان أكبر القوم .

أمر خالد بن عبدالله القسري وغيره من ولاة العراق في أيام هشام

قالوا : كان ابن هبيرة عاملاً ليزيد بن عبدالملك على العراق ، وولي هشام فأقره ، وكان خالد بن عبدالله بن أسيد بن كُرْز بن عامر بن عبدالله بن عبدشمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن سعد بن يشكر بن رهم بن أفرك بن نذير بن قَسْر ـ واسم قسر : مالك ـ بن عبقر . وأخته بَجيلة ابنة صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، ضرب وهو على مكة من قبل الوليد بن عبدالملك حبابة جارية ابن سهيل بن عبدالرحمن بن عوف ، وكانت قينة تسمى العالية فصارت ليزيد بن عبدالملك وسماها حبابة .

فلما ولي يزيد خافه خالد ، وخاف حبابة ، وتبناها عمر بن هبيرة فسأله خالد أن يترضاها له وأهدى اليها هدايا ففعل . فقالت : قد وهبته لك ، فلم يشكر له خالد ذلك وحبسه حين ولي العراق بعده .

قالوا : وعزل هشام : عمر بن هبيرة ، وولى : خالد بن عبدالله العراق في أول سنة من ولايته .

وقالوا : قال عمر بن يزيد الأُسيلمي ـ من بني تميم ـ : دخلت على هشام وخالد بن عبدالله القسري عنده يذكر طاعة أهل اليمن ووفاءهم ، وذلك قبل ولايته العراق ، وقال : فصفقت تصفيقة دوى منها البهو ، وقلت : ما رأيت كهذا القول خطأ وخطلاً ، والله ما قبحت فتنة في الاسلام إلّا باليمن فهم سعوا على عثمان أمير المؤمنين فقتلوه ، وهم خلعوا أمير المؤمنين عبدالملك ، وإن سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب .

فلما خرجت لحقني رجل من أهل الشام . فقال : يا أخا بني تميم وريت بك زنادي ، قد شهدت مقالتك ، وأمير المؤمنين مُوَلٍّ خالد العراق وليس هو لك بدار .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى عن عبدالله بن أسيد الكلابي : أن إياس بن معاوية قال : كنت عند ابن هبيرة في يوم جمعة وقد أذنوا فجاء غلام له يعدو فقال : إن قوماً دخلوا علي البريد ووكلوا بالباب من يحفظه ، قال إياس : فقمت فخرجت فمنعني الحرس ، فقال وهو فزع منبهر : هكذا تقوم القيامة .

وأقيمت الصلاة فصلى خالد بن عبدالله بالناس ، وقرأ عهده ، وكتبه ، ثم أرسل إلينا فأتيناه ، فقلت : أنا إياس بن معاوية ، فأطلقني ، وحبس ابن هبيرة .

وقال اسماعيل بن عمار يعارض الفرزدق :

عَجِبَ الفرزدق من فزارة أنْ رأى عنهـا أميةُ بـالمشـارق تنـزع
فلقد رأى عجباً وأُحدث بعده أمـرٌ تراع لـه القلوب وتفزع

بكت المنابر من فزارةَ شجوها   فاليوم من قسر تضج وتجزع
وملوك خندف أضرعتنا للعدى   لله دَرّ ملوكنا ما تصنع

فلما حبس خالد قال الفرزدق :

لعمري لئن نابت فزارة نوبة   لمن حدث الأيام تسجنها قَسْرُ
لقد حَبسَ القسري في سجن واسط   فتى شيظمياً لا ينهنه الزجر
فتىً لم تُوَرِّكْهُ الإماء ولم يكن   غذاءٌ له لحم الخنازير والخمر[1]

فقال ابن هبيرة : ما رأيت أكرم من الفرزدق : هجاني أميراً ومدحني أسيراً .

وكان الفرزدق هجا ابن هبيرة فقال في أيام يزيد :

أمير المؤمنين وأنت عفٌّ   كريم لست بالطبع الحريص
أأطعمتَ العراق ورافديه[2]   فزارياً أَحَدَّ يَدَ القميص
ولم يك قبلها راعي مخاضٍ   ليأمنه على وركي قلوص
تفهق بالعراق أبو المثنى   وعلّم قومه أكل الخبيص[3]

وقال فيه بعد هذا الشعر :

يلين لأهل الدين من لين قلبه   لهم وغليظٌ قلبه للمنافق[4]

فقال خالد : فأين أبو فراس ، وطمع في أن يقع في يده فيعاقبه فحذره الفرزدق .

---

١ ـ ليست في ديوان الفرزدق المطبوع .
٢ ـ بهامش الأصل : رافديه : دجلة والفرات .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص ٣٨٩ .
٤ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص ٤١ .

قالوا : وكتب هشام إلى خالد في عذاب ابن هبيرة والاستقصاء عليه .

وروي عن الصعق بن حَزَن أنه قال : رأيت خالداً لما قدم العراق يعذب عمر بن هبيرة فأُخرج يوماً من السجن وعليه عباءة فألقي فتكشف فنظرت إليه وقد رفع إصبعه إلى السماء يدعو فعلمت أنه سينجو .

وقال أبو عبيدة : حدثني خالد بن جَبَلَة بن عبدالرحمن عن أبيه قال : كنت مع ابن هبيرة في حبس خالد وكان ابن هبيرة قد ضربني قبل ذلك ، فقال : يا جبلة ، إن الحفْظَة تذهب الحقد وقد أمرت موالي أن يحفروا لي ، وهم منتهون إليّ الليلة ، فهل لك في الخروج ؟ قلت : لست فاعلاً . قال : فأشر علي . قلت : لا تخرجن في دار قوم ، قال : لا . وكان أمر مولى له فاستأجر داراً الى جانب السجن واتخذ فيها ألف نعجة فكانوا يحفرون الليل ويتخذون التراب في الدار فيصبح الشاء قد وطئته ولبدته بأبوالها فأفضوا بنقبهم إلى جبلة ، فقال لهم : لست بصاحبكم فأتوا عمر بن هبيرة فقام حتى دخل النقب فخرج منه .

وكان جبلة أشار عليه أن يقدم كتاباً إلى هشام ويبعث معه رسولاً ، فوجه بكتابه أبا الفوارس الباهلي الأعرج ، فقدم به إلى الرصافة غدوة ، وقدم ابن هبيرة عشية .

المدائني قال : سمع ابن هبيرة في طريقه امرأة من قيس تقول : لا والذي أسأله أن ينجي عمر بن هبيرة فقال : يا غلام اعطها ما معك وأعلمها أني قد نجوت .

ولما فقد الحرس ابن هبيرة من السجن أخبروا خالداً ، فوجه في أثره سعيد بن عمرو الحرشي ، لأن ابن هبيرة عزل سعيداً عن خراسان ، وضربه

حين قدم عليه مائة سوط ونفخ في دبره بكير ، وحبسه فكان سعيد بن عمرو اذا ذكره قال : قبح الله ابن هبيرة فإنه أوهى مني بصراً حديداً وساعداً شديداً ، فلم يزل محبوساً حتى قدم خالد فأكرمه فلم يقدر سعيد على ابن هبيرة ، فترك خالداً وتم على وجهه إلى الشام .

وقدم ابن هبيرة فأشارت عليه قيس بأن يستجير بأم حكيم بنت يحيى امرأة هشام ، فقال : امرأة ؟ قالوا : فاستجر بأبي شاكر مسلمة بن هشام . قال : صبي ، ولكني استجير بأبي سعيد مسلمة بن عبدالملك ، قالوا : أتستجير به وقد وليت ما كان يليه ولم تبق عليه ؟ فقال : هو كريم ولا يسلمني أبداً ، فتوجه إليه ومعه وجوه القيسية ، فلما رآه مسلمه كره مصيره إليه ، وانطلق إلى هشام فكلمه فيه وقال : هذا رجل خاف تحامل خالد عليه للمُضريّة ، فأمنه هشام على أن يؤدي ما طولب به فأداه .

وقال عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز : كنا في رصافة هشام ومعنا مسلمة بن عبدالملك وسليمان بن هشام وابن هبيرة ، فخرج علينا رسول هشام فقال : ان أمير المؤمنين يعزم عليكم أن تتلقوا أبا الهيثم خالد بن عبدالله ، وكان قدم على هشام للسلام عليه ، ولمناظرته في أمور ، لم تحتملها المكاتبة والرسل ، وحمل معه أموالاً وألطافاً ، فقال ابن هبيرة : وأنا أيضاً ؟ قال : ما أراد أمير المؤمنين غيرك ، فركب الناس لتلقيه ، وركب ابن هبيرة بغلته . قال عبدالعزيز : فسرنا حتى لقينا خالداً فسلم علينا وسلمنا عليه ، فلم يسلم خالد على ابن هبيرة فتقدم على بغلته ، فصاح خالد : اباقا كاباق العبيد ، قال ابن هبيرة : أنوماً كنوم الأمة ، ويقال إنه قال له : أبقْتَ اباق العبد ، فقال له : نعم حين نمت نوم الأمة .

وقال الفرزدق في هرب ابن هبيرة

لما رأيتَ الأرض قد سد ظهرها فلم تَرَ إلَّا تحتها لك مخرجا
دعوتَ الذي ناداه يونس بعد ما هوى في ثلاث مظلمات ففرّجا
خرجت ولم تمنن عليك شفاعة سوى ربذ [١] التعريب من آل أعوجا
وظلماء تحت الليل قد خُضتَ هولها ولوناً كَلَوْنِ الطيلساني أدعجا
هما ظلمتا ليل وأرض تلاقيا على جامح من همه ما تعوجا [٢]

وقال :

قد ضَيَّع السجن والتضييع عادته حتى نجا سالماً من سجنه عمر
وانقضت من قوى القسريّ مرَّتَهُ وأحكمت من حبالٍ غيرها مرر [٣]

وقال أيضاً :

أَلَا قَطَعَ الرحمن ظهر مطيَّة أتتنا تَخَطَّى من دمشق بخالد
وكيف يؤمّ الناس من كان أمه تدين بأن الله ليس بواحد [٤]

قال : وجلس هشام لينظر فيما بين ابن هبيرة وسعيد بن عمرو الحرشي، وتظلم سعيد منه فخرج الربيع بن شابور مولى بني الحريش وهو حاجبه ، فقال عمرو بن سعيد : لا يقم غيرهما . فقال سعيد : ولاني خراسان ففعلت ما يجب علي ، وحمدني أهل البلاد ، فكافأني بأن ضربني فأوهى بصري وأخذ مالي .

---

١ ـ ربذ : خفيف القوائم في مشيه . القاموس .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص١١٧ ـ ١١٨ .
٣ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٤ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

فقال هشام : ما تقول يا عمر ؟ قال : وليتُ العراق فوجدت هذا صعلوكاً ليس له إلاّ فرسه ورمحه ، لا يعرفه أحد إلا أن له حظاً من نجدة ، فوليته البصرة ثم عزلته ووليته خراسان ، فسرق الفيء واحتجنه ولم يبعث إلي الا ببرذونين حطمين ، فعزلته وضربته ، وأخذت ماله ، ووضعته في بيت المال .

فقال : ألك يا سعيد حجة غير ما ذكرت ؟ قال : لا . قال : فأنت يا عمر ؟ قال : لا . قال : فليمسك كل واحد منكما عن صاحبه حتى يرى أمير المؤمنين رأيه ، فأمسكا .

قالوا: ولما قدم ابن هبيرة على هشام وأمنه ، كاده الأبرش وأصحاب خالد بن عبدالله ، فأعدوا مائة من خيل المضمار سياسها وقوامها فقدموها وأضمروها ، وأمروا مجرّيها أن يعارضوا بها هشاماً إذا ركب يوماً ، فعورض بها ، فسأل عنها ، ورأى خيلاً لا يعرفها لنفسه ، فقالوا : هذه لابن هبيرة . فاستشاط غضباً ، وقال : واعجباً ، اختان ما اختان ثم قدم ؟ فوالله ما رضيت عنه بعد وهو يوائمني في الخيل ، عليّ بعمر ، فدعي به وهو يسير في عرض الموكب فجاء مسرعاً وقد بلغه الخبر ، فقال له هشام : ما هذه الخيل ؟ قال : خيل أمير المؤمنين اخترتها وطلبتها من مظانّها حتى جمعتها لك فمر بقبضها ، وكان ذلك سبب نقاء قلبه له ، وانشراح صدره بالرضا عنه .

ثم لم يزل عمر يتأتى لهشام حتى أنس به ، فقال له يوماً : هل لك في أمر لم يطمع فيه أحد ولم يعرضه عليك قبلي أحد ؟ قال : وما هو ؟ قال : اعمل لك من قبل الوليد بن يزيد في البيعة لمسلمة ابن أمير المؤمنين . قال : أو تفعل ؟ قال : نعم . قال : فإن فعلت وليتك العراق .

فأتى ابن هبيرة الوليد فقال له بعد حديث طويل جرى بينهما : أيها الأمير لم تزل تلقى مثل ما تلقى من هذا الأحول فيك ، قد علم خؤولتنا لك وميلنا إليك فهو يجرعنا الغيظ بسببك لتصغيره إياك مرة وتهدده مرة ، ولست آمنه عليك ، فإن أذنت لي عملت لك في أمر تتعجل نفعه وتأمن به ، ثم الأمر فيه إليك .

قال : وما هو ؟ قال : تدعو هشاماً إلى أن يعقد الأمر بعدك لابنه أبي شاكر وتتعجل لك منه مالاً رغيباً جليلاً فإن حدث بهشام حدث نظرت في أمرك فإن شئت خلعت مسلمة وعقدت الأمر لمن أحببت ، فقد علمت طاعتي في قيس وهم أخوالك ، فالأمر منته الى ما رأيت وأردت . قال : فافعل .

فأتى هشاماً فقال : قد حكمت الأمر فهات العهد على العراق فإذا بويع لمسلمة مضيت . فأعطاه عهدا ، وكان خالد يخاف ابن هبيرة خوفاً شديداً ، فيقال إنه دس رجلاً فضرب مضرباً في طريق ابن هبيرة إلى هشام ، فلما مر به قام إليه فقال : أنا مولاك وقد لغبتَ فهل لك في شربة عسل تخوض بماء بارد ، فشربها ثم نهض يريد منزله ، وقوض الرجل مضربه وانشمر ، ومات ابن هبيرة من يومه ويقال انه فلج فمات .

وقال المدائني : كان يقال : رجل أهل الشام عمر بن هبيرة ، ورجل أهل البصرة عمر بن يزيد الأسيدي ، ورجل أهل الكوفة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري . فذكر ذلك لعمر بن يزيد فقال : صدقوا ولكن بلالاً حية ، فقيل ذلك لبلال فقال : رمتني بدائها وانسلت .

وقال المدائني : لما ولي خالد بن عبدالله العراق ولى البصرة أبان بن ضبارة من أهل اليمن ، ثم عزله وولى عقبة بن عبدالأعلى الكلاعي ، من أهل الشام ، ثم عزله وولى عامر بن نُفَيْل الكلاعي أو الكلابي ، فكلهم كانوا على الصلاة بالبصرة . وعلى الشرط والأحداث مالك بن المنذر بن الجارود العبدي من قبل خالد [1] .

وقال المدائني : أخذ الفضل بن بُرْجَان اللص العُطاردي من بني تميم أخذه شعيب بن الحبحاب الفقيه في العتيك ، فرفعه الى مالك فضربه حتى مات ثم صلبه ، وأخذ مالك بن المنذر سهماً الصُّبَيْري أحد بني صُبير بن يربوع بن حنظلة فقتله ، وكان سهم لصاً ، وقتل جماعة من اللصوص فقال خليفة الأقطع :

إن كنتِ لم تسألي سهماً وصاحبه عن مالك فَسَلِي فضل بن بُرْجَان

في أبيات .

وذكروا أن ابن المنذر سأل الحسن عن امرأة عذبت جاريتها حتى ماتت ، فأمره أن يعزرها ولم ير عليها قوداً .

حدثني عمر بن شبه وغيره عن أبي عاصم النبيل قال : صلى مالك بن المنذر في ثوب رقيق ، فقال له البتي [2] : لا تصلّ في ثوب واحد رقيق ، فلما ولي أرسل إليه فضربه عشرين سوطاً فقال : علام تضربني ؟ قال : لأنك تأمر الناس ألا يصلوا إلاّ في الحجاب .

---

١ ـ بهامش الأصل : مالك بن المنذر .
٢ ـ البتي هو عثمان ، رأى أنس بن مالك وروى عن الحسن البصري . اللباب لابن الأثير .

قالوا : وبعث مالك إلى الحسن : ما هذه الجموع ؟ لئن جلست مجلسك لأضربنّك ثلاثمائة سوط ، فقال : يكفيني من ذلك سوطان ، فجلس في بيته وأمسك عن ذكر الأمراء .

حدثنا خلف عن عبدالوارث عن محمد بن ذكوان قال : كان مالك بن المنذر على الشرط ، فضرب ثابتاً البُناني ، وشتم الحسن وقال : اعتزل مجلسنا وإلا ضربتك مائة سوط على ظهرك وبطنك فإنك تعيب أمير المؤمنين ، والأمير ، وتحرم القبالات .

المدائني قال : كتب مالك بن المنذر إلى خالد يذكر له أمر الحسن وعيبه الأمراء ، فكتب اليه : انك لست من الشيخ في شيء ، فَالْهُ عن ذكره وإياك أن تعرض له ، فأتاه رسول مالك فقال له : إن أبا غسان يقرئك السلام ويقول إن رأيت أن تأتي المقصورة . فجعل يقول : إن أبا غسان يقرئك السلام ويقول : إن رأيت أن تأتي المقصورة فافعل ، يردد ذلك ثلاثاً : لا ، لا ، لا . ثم دخل على مالك فوعظه وقال : اتق الله ولا تترجح في هذه الأماني فإن أحداً لم يُعْطَ شيئاً بأمنية دون عمل .

وقال هشام ابن الكلبي : ضرب مالك عمر بن يزيد الأسيدي بالسياط حتى قتله .

قالوا : وكان عمر لمالك صديقاً فوشى به بالكوفة إلى عبدالحميد بن عبدالرحمن في أيامه فأزعجه من عنده ، ووشى به الى العباس بن الوليد بن عبدالملك حتى أزعجه ، ثم وشى به الى مسلمة بن عبدالملك فلم يقبل منه ، فلما رأى عمر أن مسلمة لا يقبل صالَحَ مالكاً ، فلما ولي مالك أحداث البصرة ذكر عبد الأعلى بن عبدالله بن عبدالله بن عامر ، فنفاه من أبيه وعنده

عمر بن يزيد ، وحفص بن عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر وغيره ، فأتى عمر بن يزيد عبدالأعلى فأبلغه قول مالك ، وقال : أنا أشهد لك عليه فشخص عبدالله إلى خالد وهو بواسط ، وأشخص معه عمر بن يزيد وحفص بن عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر فشهدا على مالك بما قال فكذبهما خالد وتهددهما وقال لعمر بن يزيد : أنا أعرف شرارتك ومحلك وحبسه عنده ودس شهوداً فشهدوا أنه يشرب الخمر فضربه خالد حداً وحدره إلى مالك فضربه بالسياط حتى وقذه ، ثم أمر به فحمل الى السجن فلويت عنقه فمات ، وادّعي انه مصّ خاتمه فمات ، وانما أشاع ذلك أصحاب خالد . فلما مات عمر جزعت بنو تميم ، وتنمرت لربيعة ، وحدبت ربيعة على مالك ومالت إليه ، واشرأب الناس للفتنة فقمعهم السلطان .

وحدثني عمر بن شبه ، حدثني أحمد بن معاوية عن المشجع قال : دخلت على عمر بن يزيد بن عمير السجن فقال : ما فعلت داري ؟ قلت : هدمت . قال : فنخلي ؟ قلت : قطع . قال : ما أهون ذلك عليّ إن سلمتْ نفسي .

المدائني عن سحيم بن حفص قال : قال الحسن : إن مالكاً قتل عمر بن يزيد ليعزّ ، فلم يزده الله إلا ذلاً ، وإن عمر بن يزيد قتل شهيداً ، وكان مالك شاور بشير بن عبدالله بن أبي بكر وعمرو بن مسلم الباهلي في أمر عمر بن يزيد ، فقال له بشير : إن قتلته قتلت عصفوراً ، وإن تركته تركت أسداً ، وقال عمرو : أقتله ، فقال الفرزدق :

لله قوماً شاركوا في دمائنا وكنا لهم عوناً على العثرات
فجاهرنا بالغش عمرو بن مسلم وأوقد ناراً صاحب البكرات [1]

وقال الفرزدق :

يا لتميمٍ ألا لله أمكم لقد رُميتم باحدى المصمئلات [2]
واستشعروا بثبات الذل واغتربوا إن لم تروعوا بني أفصى بغارات
أو تقتلوا بفتى الفتيان قاتله وتقتلوا بصعيد غير أشتات
لله درّ فتى راحوا به أُصُلاً مهشم الوجه مهشوم الثنيات [3]

فخرجت رجال تميم وخرجت عاتكة بنت الملاءة امرأة عمر فدخلت على امرأة هشام ، فجعلت لا ترى معها شيئاً حسناً من جارية أو غيرها إلّا قالت : ما أحسن هذا ، فتقول : هو لك ، فلما جهدت وجهد القوم نزلوا على عثمان بن حيان المري .

قالت ابنة الملاءة : فأتيناه وهو في مزرعة له فشكونا إليه أمرنا ، فقال : قد والله بلغنا أمركم فساءنا وأحفظنا ، ولبس ثيابه ثم أقبل معنا إلى هشام وكان لا يُحجب عنه ، وأَطَفْنَا به ، فصاح عثمان : قبح الله طاعة لا تُعرف لأهلها ، ونصيحة لا تُشكر لمن عُرف بها ، فأسمع هشاماً فخرج الخدم يقولون : من هذا ؟ فقيل عثمان بن حيان . فدخلوا فأعلموا هشاماً ثم خرجوا إليه فقالوا : ليدخل عثمان ، فدخل فأعلم هشاماً وكلمه فقال

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١١٦ .
٢ ـ المصمئلات : الدواهي .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ مع فوارق .

هشام : ويحك اتتهمني في آمر عمر ؟ والله لولا آن السماء والأرض قامتا بالعدل لقتلتُ قاتل عمر وعشيرة قاتله .

ثم أقبل على الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص فقال : ما رأيتَ الرجل الصبيح الفصيح عمر بن يزيد بن عمير الأُسيدي فإنه قتل ، والله ما كنت أحب أن أمي ولدت رجلاً من العرب غيره ، قال : يا أمير المؤمنين فمثل هذا يقتل دونك ، قال : قد كتبت في حمل قاتله .

قالت عاتكة بنت الملاءة : فقدمنا ومالك قاعد على ضفة النهر فأُخبر بمقدمنا ومقدم رسول هشام معنا فركب سفينة ثم أتى الكوفة فلم يفارقه الرسول حتى حمله إلى هشام .

حدثني عمر بن شبه عن أبي عاصم النبيل ، أخبرني العُذَافر بن يزيد قال : لما قدم مالك بن المنذر واسطاً ، أتيته أنا وأبي فجاءه رسول لأمير المؤمنين فكلمه على باب خالد ، فقال : يا دُكين اكسر أنفه ، فدخل الرسول على خالد فقال : كسر أنفي على بابك . فقال : مالَكَ له يا مالك ؟. قال : منعني الدخول . فلما أراد الخروج قال : ما يسرني أن الله عافاني من النقرس ورجعني من وجهي سليماً وإني لم أكن فعلت به الذي فعلت .

المدائني قال : لما قتل مالك عمر دَلَهَ أو كاد يَدْلَهُ [1] ، حتى كان يسلك الطريق من طرق البصرة فيقول : أين أنا ؟. وكان عمر يقول لما ضربه مالك : يا هشام يا هشام .

وقال الفرزدق :

---

١ ـ الدله : ذهاب الفؤاد من هم ونحوه . القاموس .

أَلَمْ يَكُ قَتْلُ عبد القيس ظلماً أبا حفصٍ من الكُبَرِ العظام
قتيل جماعة في غير جرمٍ ينادي وهو يُضرَبُ يا هشام[1]

المدائني وغيره قالوا : أُدخل مالك بن المنذر على هشام فقال : لا مرحباً ولا أهلاً ، لا قَرَّب الله دارك ولا سهّل محلّتك ، أقتلتَ عمر بن يزيد ، فوالله لهو كان خيراً منك حسباً ونسباً وريشاً وعقباً ، فقال مالك : ولم يا أمير المؤمنين ؟ ألست ابن المنذر بن الجارود ومالك بن مسمع ؟. فأمر به فوجئت عنقه ، ثم أمر بحبسه وإثبات البينة عليه ، فمات في السجن ، فيقال إن القيسية دسوا إليه من قتله في السجن ، ويقال ؛ مصَّ خاتمه ، ويقال : مرض ومات حتف أنفه .

وقال الفرزدق :

لئن مالك أمسى قد انشعبتْ به شَعُوب التي يودي بها كل ذاهب
وإن مـالكاً أمسى ذليـلاً لطالما سعى في التي مَنْ صادفَتْ غير آيب[2]

في أبيات . وقال أيضاً :

ألم تر أن الله ربي بحوله وقوَّته أخزى ابنَ عمرةَ مالكا
فمن يك عنه سائلاً بصنيعَةٍ فقد ظلَّ في أرض الرصافة هالكاً
تظل الضباع العاويات ينشنه إذا جُنَّ مُسْوَدٌّ من الليل حالكاً[3]

---

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٧٦ مع فوارق
٢ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣١ مع فوارق .
٣ - لم ترد هذه الأبيات في ديوان الفرزدق المطبوع .

وقال أبو اليقظان : كان مالك حبس الفرزدق ، وذلك أن خالداً حين كان على مكة من قبل الوليد بن عبد الملك ضرب محمد بن طلحة بن عبيد الله أو عبد الله بن شيبة مائة سوط ، فكتب سليمان بن عبد الملك إلى طلحة بن داود الحضرمي ، وكان على قضاء مكة يأمره أن يَقُصَّهُ منه ، فضربه مائة سوط فمر به الفرزدق وهو يضرب فقال له : اضمم إليك جناحيك يا بن النصرانية ، وقال :

لعَمْري لقد صُبَّت على ظهر خالدٍ   شآبيب ما استهللن من سَيَل القْطرِ
وعمري لقد صال ابن شيبة صولة   أرتْك نجومَ الليلُ مُظْهَرَةً تجري
أتضرب في العصيان تزعم من عصى   وتعصى أمير المؤمنين أخا قَسْرِ
فَنَفْسَكَ لُمْ فيها أتيتَ فإنها   جُزِيتَ جزاءً بالُمجَدْرَجَةِ السُّمْر
ولولا يزيد بنُ المهلبِ حَلَّقَتْ   بكفك فتخاءُ[1] الجناحِ إلى الوكر[2]

قالوا : وكان سليمان أمر بقطع يده ، فسأله يزيد أن يُضرب كما ضرب الرجل .

قال هشام ابن الكلبي : هو عبيد الله الأعجم بن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، ضربه القسري فضُرب له .

وقال الفرزدق :

سلوا خالداً لا أصلح الله خالداً   متى وَلِيَتْ قَسْرٌ قريشاً بدينها

---

١ ـ الفتخاء : العقاب .

٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٠١ .

أَبَعْدَ رسول الله أم قبل عهده أَمَ اضحتْ قريشٌ قد أغثَّتْ سمينَها
أَرَدْنا هُداه لا هَـدَى الله قلبه وما أُمُّهُ بالأمّ يُهْدَى جنينها[1]

كانت أم خالد سوداء نصرانية ، فكتب خالد إلى مالك : خذ الفرزدق فإنه هجا نهر أمير المؤمنين فأمر مالك أيوب بن عيسى الضبي فتلطف له حتى أخذه ، فلما قيل لمالك : قد أخذ الفرزدق ، انتفخ وريده غضباً ، فلما وقف بين يديه أنشده قوله :

أقول لنفسي حين غَصَّتْ بِرِيقها ألاليتَ شِعري مالها عند مالكِ
لها عنده أن يُرجِع الله روحها إليها وتنجو من عظام المهالكِ
وأنت ابن جَبَّارَيْ ربيعة أُدركا بك الشمس والخضراء ذات الحبائك[2]

قال : فسكن غضبه وأمر به إلى السجن فقال وهو في السجن :

رأيتُ أبا غسان عَلَّق سيفه على عاتقي شغْب على من يشاغبه
ترى الناس كالدَّ مْعَى له وقلوبهم تَنَزَّى وما فيهم عريب يخاطبه
أذلّ به الله الذي كان ظالماً وَعَزَّ بِهِ المظلوم واشتد جانبه
وقد علم المِصْرُ الذي ضاع أنه سيُحْمَى وتمشي بالسيوف كتائبه[3]

وقال في السجن :

يا مال هل لك في كبير قد أتت تسعون فوق يديه غير قليل
يا مال هل هو مهلكي ما لم أَقُلْ وليُعْرَفَنَّ من القصائـد قيلي

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٣٤ .
٢ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥٦ .
٣ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٧٠ - ٧١ مع فوارق كبيرة .

لا تأخذنْ عليّ قول مُحَرِّشٍ ضغن علـيّ وَتَـرْتُـه متبـول
إني بـذمـةِ مـالـك وبمنـذرٍ أبويكَ محترسٌ لكل محول(١)

وأم مالك عمرة بنت مسمع ، ولم يطلقه حتى حبس عمر بن يزيد معه ثم قتله وأشاع أنه مصّ خاتمة فمات ، فقال له الفرزدق :

لقد قيل قد مَصَّ الأسيديّ خاتماً وقد دُقَّ منه عظمه ومفاصله
وإني لأخشىٰ مثلهـا منـه إنـه إذا علقت أنيـابـه وحبـائله
بقرنٍ أصاب القلب منه بمخلبٍ تَـرَمَّـلَ منـه أنفـه وجحـافله(٢)

فلما حمل مالك قال الفرزدق :

ستعلم عبد القيس إن زال ملكها علىٰ أيِّ حالٍ يستمر مريرها
وكان يجير الناس من سوط خالدٍ فأصبح يبغي نفسه من يجيرها
وكنت كعنز السوء قامت لحينها إلى مديةٍ مدفونـة تستثيرها(٣)

وقال الفرزدق :

وزهَّدني في شرطة المِصْرِ أنني رأيت عليها مالكاً عقب الكلب
ومـا مالـك إلّا عجوز كبـيرة مضببة الأنياب توجف في الركْب(٤)

وقال أيضاً :

لعمرك ما أشبهت جدك مالكاً ولا جدك الجارود يا عقب الكلب(٥)

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ مع فوارق .
٢ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الفرزدق المطبوع .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٩٨ مع فوارق .
٤ ـ ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .
٥ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .

ولم يزل الفرزدق محبوساً حتى ولي النَّضْر بن عمرو فقال :

ألَا طالَ مَارسَّفتُ في قيد مالك فأصبح في رجليه قيدي محوَّلا
واطلقني النَّضْرُ بن عمروٍ وربما بكفّيه قد فكَّ الأسير المكبلا[1]

قالوا : ولما هلك مالك ولى خالد بن عبد الله شرط البصرة :

بلال بن أبي بردة بن أبي موسى[2]

وولى صلاتها النّضْر بن عمرو ، وذلك في سنة عشر ومائة .

المدائني عن الوضاح بن خيثمة قال : رأيت النضر بن عمرو ، وبلال بن أبي بردة ، يمشيان في جنازة الحسن بن أبي الحسن والنضر على الصلاة ، وبلال على الأحداث .

قال أبو بكر الهذلي : بعثني النضر إلى الحسن أسأله عن يوم عرفة ما كان الناس يَصْنَعُون فيه ، فقال : وما لهذا وليوم عرفة ؟ . قلت : إنه لمن خيرهم ، قال : صدقتَ إنه لمن خيرهم .

قالوا : ذكر الحسن من تقدم من هذه الأمة ثم أقبل على النضر بن عمرو فقال : قد أصبحت والله مخالفاً للقوم في هديهم وسيرتهم ، وأنت تتمنى على الله الأماني ، وتترجح فيها ، فإن أخاك من صدقك ونصح لك في دينك، وَلَمَنْ صدقك ونصح لك في دينك خير لك ممن غَشَّكَ وغَرَّك، وكان ثمامة بن أنس على القضاء من سنة ست ومائة إلى سنة عشر ومائة .

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٥١ .

٢ - بهامش الأصل : بلال بن أبي بردة .

قالوا : وكتب خالد إلى بلال بعهده على البصرة ، وولاه القضاء ، فولى بلال الأحداث عبد الأعلى من الأزد ، وكان بلال يقضي بين الناس وهو أمير ، فقال رؤبة بن العجاج :

بلال يا بن الشرف الأمحاض والثابت النعل على الإدحاضِ
انت ابن كل سند فياض وأنت يا بن القاضيين قاضِ
معتزم على الطريق ماضِ[1]

وكان ثمامة موضحاً[2] وكان مُخلِطاً استعدته امرأة على رجل ولم تقم البينة ، فأراد إحلافه فقالت المرأة : إنه رجل سوء يحلف ليذهب حقي ، ولكن استحلف اسحاق بن سويد فإنه جاره ، فأرسل إلى إسحاق بن سويد ليستحلفه فقال خلف بن خليفة الأقطع يذكر بلالاً :

وكنا قبل مقدمه علينا من الشيخ المولع في بلاء

يعني ثمامة بن أنس .

ومدح بلالاً رؤبة ، وذو الرمة ، وكان رؤبة بخيلاً ، فقال رؤبة لبلال : علام تعطني ؟ فقال ذا الرمة : والله ما يمدحك إلا بمقطعاتنا هذه ، يعمد إليها فيوصلها ثم يمدحك بها ، فقال : لو لم أعطه إلاّ على تأليفها لأعطيته .

المدائني قال : بثق بلال نهر معقل في الفيض ، واحتفر نهر بلال ، وبنى عليه الحوانيت ، ونقل اليه السوق وجعله ليزيد بن خالد القسري ، ومدحه الفرزدق ، فمن شعره :

---

١ ـ ديوان رؤبة بن العجاج ص ٨١ ، ٨٣ مع فوارق .
٢ ـ الوضح : البرص . والمخلط : الذي فيه حمق . القاموس .

ومظلمة علي من الليالي جلا ظلماءها عني بلال
بخير يمين مدعوٍّ لخيرٍ تعاونها إذا نهضتْ شمال
ترى الأبصار شاخصة إليه كما ينظرن حين يُرى الهلال[1]

حدثنا عمر بن شبه عن أبي عاصم النبيل قال : قال يزيد بن طلحة الطلحات لبلال ، واستبطأه في عيادته ، وعاد الزعل الجرمي :

أفي حُمّى ثلاثٍ زرت جرماً وتترك شيخ قومك يا بلال

وقال أبو عاصم : أوصى يزيد فجعل للإناث من ولده مِثْلَيْ ما للذكور ، ولعن في وصيته من غَيَّرها ، فأتي بها بلال فقال : أنا أول من غيرها فعلى يزيد لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

حدثنا عباس بن هشام الكلبي عن خراش بن اسماعيل قال : ولى خالد بلالاً البصرة فانحدر إليها ابن بيض[2] وكان له صديقاً وأقام على بابه أياماً لا يؤذن له فكتب إليه .

قل للأمير جزاه الله صالحةً أهل التقى والذي يحيا به الدِّين
ياهل ترى حرجاً في شرب خابيةٍ صهباء يُكَسَّرُ عن خرطومها الطين
وهل ترى حرجاً في نيك أرملة مسكينة ناكها قوم مساكين

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٣٥ .

٢ ـ حمزة بن بيض الحنفي ، شاعر اسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كوفي خليع ماجن ، من فحول طبقته ، وكان كالمنقطع إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبي بردة ، واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيماً ، ولم يدرك الدولة العباسية . الأغاني ج ١٦ ص ٢٠٢ .

فلما قرأها قال : هذا والله ابن بيض ، ادخلوه الفاسق ، فلما دخل عليه قال : والله يا فاسق ما كنت لأصل إليك إلّا بالشر .

وأرسل بلال علي بن يزيد إلى هند بنت المهلب يخطبها فقالت : ما لي عنه رغبة ، وهذا كتاب خالد بن عبد الله يخطبني ولو أردت التزويج ما عدوته .

المدائني قال : كتب خالد بن عبد الله إلى بلال أَنْ وَلِّ نَصْرَ بن حسان العنبري ولاية ، فأرسل إليه بلال يدعوه فقال للرسول : قل له أصلّي ثم آتيك . فقال للرسول : قل له : إن الذي كنت تصلي له قد جاءك فدع الصلاة وأقبل .

وقال رجل من بني ضُبَيْر : جيء بابن عون إلى بلال فتحدثنا بيننا أنه إنما جيء به بسبب قتادة فجاء قتادة فقام إليه ابن عون فقال : يا أبا الخطاب اتق الله فقد وجدتها بدار مَضْيَعَة .

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الحامي

ثم لم نلبث أن دخلنا على بلال فقال لنا : اخرجوا ، فبقي ابن عون وقتادة فقال له بلال : طلقها ، قال : هي طالق . قال : طلقها ثلاثاً . قال : واحدة تبينها مني . قال : أتعلمني وأنا ابن أبي موسى صاحب رسول الله ﷺ ؟. قال : فهي طالق ثلاثاً . قال : يا أبا الخطاب في هذا شيء أكبر من هذا . قال : قد كانت الولاة تؤدب في هذا ، أو قال : تعزر في هذا السوطين والثلاثة ، فأمر بضربه ونحن نراه ، فضربه أربعة وأربعين نعدّها ثم خرج والدم يسيل .

قال أبو عبيدة : أخبرني يونس بن حبيب قال : زعم بلال أنه لو كان مكان أبي موسى ما خدعه عمرو بن العاص ، وقد خدعه يوسف بن عمر مجنون من ثقيف ، كتب إليه : لا سبيل عليك إنما وليت الصلاة والقضاء فأقم بمكانك وخذ العمال قِبَلَك بالاستخراج ، فأقام واستخرج له ما أراد ثم عدا عليه فحبسه حتى مات في حبسه .

قالوا : وكان بلال إذا غربت الشمس ، أو كادت تغرب ، وضع طعامه ، فإذا مدّ الناس أيديهم نودي بالصلاة فقام وقاموا ، فنودي مرة بالصلاة وقتادة يأكل فلم يقم ولم يقم رجل آخر معه فلحظه ، قال الرجل فلم يؤذن لي بعد ذلك أشهراً ، ثم إن امرأتي استعدته علي وادعت أني أُضْرُبُها وأُضِرُّ بِها ، فقال : صدقتِ وضربني أربعين سوطاً ، وإنما ضربني لأكلي طعامه مع قتادة .

وكان الناس يتفرقون عن طعام بلال للصلاة ، فيأخذه العسس والخدم ، فكان من حوله يشترون ذلك ، فكان من قرب منه يقولون : ما رأينا جاراً خيراً من بلال .

وقال بكر بن حبيب الباهلي : حكمت بلالاً في حاجة فقلت : أنت في كرمك وعدلك أحق من فعل هذا . فقال : وأنت في بلاغاتك وفصاحاتك لا تنقلب اليوم بحاجاتك . فقلت : لو علمت أن اللحن ينفعني عندك لخضرمت خضرمة أبي شيخ الفقيمي وكان لحاناً ، فقال له أبو شيخ : كيف

ذكرتني وتركت ابن عمك الذي يقرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالون ، ويقال لحضجت بها حضجات[1] أبي شيخ .

وقال العريان بن الهيثم لبلال بن أبي بردة إنه ليريبني بياض راحتيك ، ورَوْح قدميك ، وانتشار منخريك ، وجعودة شعرك ـ يُعرض له بالزنجية ـ فقال بلال : إني لأكره أن أجعل أبا موسى ندّاً للأسود ، وأبا بردة نداً للهيثم ونفسي نداً لك ، ثم تمثّل :

أنـا مسكين لمن يعـرفني ولمن ينكـرني جِـدُّ نـطق
لا أبيع الناس عرضي إنني لو أبيع الناس عرضي لنفق

قالوا : ودخل مسلم بن الشمردل الباهلي على بلال فتربع ، فقال له بلال : جلست جلسة بغي ، فقال له مسلم : وإنك بجلوسهن لعالم . فقال : يا بن اللخناء .

وقال أبو نوفل لبلال :

أبلال إني رابني من أمركم قـولٌ تُـزَيِّنُـهُ وفعـل مُنكَـرُ
مالي أراك إذا أردت خيانة جَعَلَ السجودُ بِحُرٍّ وجهكَ يظهر
متخشعاً طبّاً بكـل عظيمـةٍ تتلو القرآن وأنت ذئب أغبر

وقال الجارود بن أبي سبرة لبلال : أتدري ما قال حارثة بن بدر لعبد الرحمن بن أم الحكم ؟ قال : ما قال له ؟. قال : قال :

نهاره في قضايا غير عادلة وليله في هوى سعد بن عباد

---

١ ـ التحضيج شبه التضجيع في الكلام المبتدأ ، والاضجاع في القوافي كالاكفاء أو الاقواء ، وفي الحركات : كالإمالة والخفض . القاموس .

فأمر صاحب الجالية فأغرمني ثلاثمائة درهم وما في أرضي ذمي واحد .

وقال ابن نوفل :

أقول لمن يسائل عن بلال وعبد الله عند ثنا الرجال
بلالٌ كان أَلأَمَ مَنْ عَلِمْنَا وعبد الله ألأمُ مِنْ بلال
هما أخوان أما ذا فَجَوْنٌ[1] وأما ذا فأحمر ذو سبال

وقال بلال وهو في حبس يوسف بن عمر : لو سئلت مائة ألفٍ ، أو مائتي ألفٍ ، أو ألف ألفٍ لأدّيتُها ، ولكني دُفِعْتُ إلى مجنون ، فقال لصاحب عذابه من آخر الليل : إن أدى عشرة آلاف ألف درهم قبل طلوع الشمس وإلا فأزهق نفسه ، فقلت : لو كان عندي بِدَرٌ مهيئة ما فرغت من استيفائها في هذه المدة .

وقال بعضهم : ما قتل بلالاً إلا دَهْيَه ، قال للسجان : خذ مني مائة ألف وأَعْلِمْ يوسف بن عمر أني قَدْ مِتُّ .

وكان يوسف بن عمر إذا سمع بموت محبوس قال: ادفعوه إلى أهله، فأتى السجان يوسف فقال: قد مات بلال، فقال: أرنيه ميتاً فإني أحب أن أراه وهو ميت، فجاءه السجان فألقى عليه شيئاً غمه به حتى مات، ثم أراه يوسف.

قالوا: وخاصم عيسى بن عمر النحوي إلى بلال وجعل يُعرب وخصمه ينظر إليه متعجباً، فقال بلال: أَقْبِل على حجتك وَدَعِ النظر إلى خصمك فلأن يذهب حقه أحب إليه من أن يلحن.

---

١ ـ الجون : النبات يضرب إلى السواد من خضرته ، والأحمر والأبيض والأسود . القاموس .

قالوا: وحبس بلال بن أبي بردة ثلاثة نفر اتهمهم بالزندقة، فبلغ خبرهم ابن برهمة، وكان من أخص الناس بخالد بن عبد الله، فاستأذنه في إتيان البصرة فقدمها فأتاه الناس ولم يأته بلال وجعل يوهم الناس أنه قدم ناظراً من قبل خالد فأتاه ابن أبي العوجاء وعنده عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب، فرفع ابن أبي العوجاء وعبد الرحمن جالس على البساط، فقال ابن صُدَيقة وكان ماجِناً: عبد الرحمن على البساط وابن أبي العوجاء على الفراش، ثم جاءه فكلمه في الذين حبسهم فخلاهم، فقال يحيى بن نوفل:

زعم الزاعمون أن حسين بن عبيـ ـــد بـن بـرهمـة زنـديـق
ولعمري لئـن هم زعمـــ ـــوه ما اشتطّوا وإنَّـه لخليـق
إن من يشـرب الخمـور ويزنـــ ـــي في خلاءٍ بما رُمِيْ لحقيـق

قال: وكان بلال سكيراً يعلن بشرب النبيذ.

قال أبو الحسن المدائني: أرسل بلال رسولاً إلى قصاب في جواره بالسحر، قال: فدخلت عليه وبين يديه كانون، وفي صحن الدار تيس، فقال للقصاب: اذبحه. قال: فذبحه وسلخه وشَرَّحَهُ وأنا بين يديه فأكله إلا عظامه، وبقيت مضغة على الكانون فقال لي: كلها، وجاءت جارية بقدر فيها دجاجتان وناهضان[1] وأرغفة فأكل مافيها، ثم دعا بشراب فشرب منه أقداحاً ثم أمر لي بقدح فشربته ثم قال: الحق بأهلك.

قالوا: واتخذ بلال حوانيت كانوا يبيعون فيها النبيذ فقال بعضهم:

لله در عصـابـة نـادمتـهـــم في كل بيـــت من بيـــوت بلال
باتـوا موتَّـرةٌ عليَّ قِسِيُّهُــم يرمونـني رشقـاً بغيــر قتــال

١ ـ الناهض: فرخ الطائر. القاموس.

الأصمعي عن أبي الزناد عن أبيه قال: عاتبت ابن هبيرة في بلال بن أبي بردة، وقلت: أراك تجفوه وتقصيه فقال: ويلك إن قربته أخذني فجعلني في كمه.

حدثني عمر بن شبه عن أبي عاصم، أخبرني أبي قال: كان كاتب يكتب خلف بلال فأقطر على ثوبه قطرة فقال: أتراني أحبك بعد هذا أبداً.

المدائني قال: كان بلال يخاف الجذام، فوصف له السمن، فكان يستنقع فيه، ثم يبيعه فترك أهل البصرة أكل السمن إلا أن يسلأه رجل في بيته.

وروي عن الجارود بن أبي سبرة قال: قال لي بلال بن أبي بردة: أتأتي صديقك اليوم عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر؟ قلت: نعم. قال: فما تصنعون؟ قلت: نأتيه وهو متصبّح[1] فنقعد حتى يستيقظ فإن حدثناه أحسن الاستماع، وإن سكتنا ساقطنا أحسن الحديث، ثم يأتي خبازه فيخبر بما عنده مما أعد، فإذا وُضعتْ المائدة أخوى تخوية الظليم وعَذَّر في الأكل، ويجيىء من عند بناته ونسائه ألطافٌ، حتى إذا أمعن القوم في الأكل حسر عن ذراعيه وجثا على ركبتيه واستأنف الأكل.

على بن محمد المدائني قال: استرضع أبو موسى لابنه أبي بردة في بني فُقَيم في العراق في آل الغَرِق، فلما قدم بلال البصرة قيل له: لو وليت أبا العجوز ابن أبي شيخ بن الغرق، فقال: رأيت منه ثلاثاً: رأيته يحتجم في بيوت أخوانه، ورأيت عليه مظلة وهو في الظل، ورأيته يبادر إلى بيض البُقيلة.

قال أبو الحسن المدائني: لما ولي بلال قال خالد بن صفوان: «سحابة

---

١ - الصبحة: نوم الغداة. القاموس.

صيف عن قليل تَقَشَّعُ» فدعا به فقال له: أنت القائل: سحابة صيف عن قليل تَقَشَّع؟ . أما والله لاتقشع حتى يصيبك منها شُؤبوب[١] بَرَدٍ، فضربه مائة سوط.

ويقال إن خالداً كان يغشاه في سلطانه ويغتابه إذا غاب عنه، ويقول: ما في قلب بلال من الإيمان مثل ما في بيت أبي الزرد من الجوهر، وكان أبو الزرد الحنفي مفلساً، فأخذه بلال، وخاف خالد أن يقتله، فقال بلال: والله لا أتركك إلا بكفالة عشرة فيهم نعيم أخوك، فكفلوا به على أنه إن غاب فعليهم مائة ألف، فهرب خالد وأحضرهم فأخذ منهم بلال المائة الألف، فقال خالد:

فلا تحسبنّي يابن واهصة[٢] الخُصى ضعيف القوى لايستطيع التحولا
أتيح لنا من أرضه وسمائه بلال أراح الله منه فَعَجَّلا

فلما أخذ يوسف بن عمر بلالاً وثب عليه خالد فقال: أصلح الله الأمير، هذا بلال بن أبي بردة بن أبي موسى، وكان جده حلاقاً فاكتنى بموساه، وكانت جدته طهفة بنت ذمون حالكة الجلدة، قردة الشعر[٣]، وكانت أمُّه أَمَةً لأبيه يضربها في الدرهم، وتطوف في الأسواق وكأنّ رجليها حوافر حمار، يغمز العبيد شواكلها[٤]. فقال بلال: أنت تكلمني والأمير عنك راض وعليّ ساخط، وأنا غريب، وأنت على باب منزلك.

وكان يوسف بالحيرة يومئذ فنسبه إلى أنه من أهل الحيرة. قال: ألست

١ - الشؤبوب من المطر: الدفعة من المطر. القاموس.
٢ - الوهص: الجب والخصاء. القاموس.
٣ - قرد الشعر: تجعد. القاموس.
٤ - شكلت المرأة شعرها: ضفرت خصلتين من مقدم رأسها عن يمين [illegible]. القاموس.

خالد بن صفوان بن الأهتم القائم على برثنه[1]، وإنما أنت بمنزلة الكلب يجترىء على باب أهله، علق أبوه وعمه محررتين من محررات أهل البصرة، حتى إذا خاف أهلوهما فضيحتهما زوجوهما بهما، فأنت ابن أمة بني زياد، فقال خالد ليوسف: أيها الأمير، هذا أحمق الناس والله مايدري أين دار اعرابيته من دار هجرته، فقال بلال: بلى والله إن دار أعرابيتي اليمن ودار هجرتي المدينة، وأخبرك عن دار اعرابيتك وهجرتك، أما دار أعرابيتك فالحيرة وأما دار هجرتك فالبصرة.

ولم يزل بلال على البصرة حتى عزل هشام:

خالداً[2] عن العراق في سنة عشرين ومائة، وولى يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي. وكان خالد جواداً.

حدثني عمرو بن محمد الناقد وعمر بن شبه قالا: حدثنا أبو نعيم، أنبأ فضيل بن الزبير قال: سمعت خالداً يقول: زمزم لاتُنزح ولاتُذَمّ، بلى والله انها لتُنزح وتُذَم، هذا أمير المؤمنين قد ساق لكم قناة بمكة من حالها وحالها.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده أن خالداً قال: إن نبيّ الله اسماعيل استسقى ربه فسقاه ملحاً أُجاجاً، وسقي أمير المؤمنين عذباً زلالاً، بئراً احتفرها له.

وقال أبو عاصم النبيل: ساق خالد الماء إلى مكة فنصب طستاً إلى جانب زمزم، ثم خطب فقال: قد جئتكم بماء الغادية لايشبه ماء أم الخنافس ـ يعني زمزم ـ.

---

١ ـ البرثن: الكف مع الأصابع. القاموس.

٢ ـ بهامش الأصل: خالد القسري.

وخطب خالد فأُرتج عليه، فقال: إن الكلام يجيء أحياناً ويَعْزُبُ أحياناً، وربما طُلِبَ فأبى، وكوبر فعصى، والتأني لمجيئه أيسر من التعاطي لأبِيّه، وقد يختلج من الجريء جنانه، ويعتاص على الذرب لسانه، ثم قال: لايُكابرَ القول إذا امتنع، ولايُرَدّ إذا اتَّسع، وسأعود فأقولَ إن شاء الله.

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي عن ابن كناسة قال: ارتج على خالد في خطبته فقال: أيها الناس إن الكلام يجيء أحياناً ويذهب أحياناً، فينطلق اللسان إذا أتى ويعجز إذا أبى، ولم يقصر بنا عن القول عَيٌّ، ولا عَرَضَ لنا دون بلوغ الإرادة إفحام، وللجواد كبوة، وللصارم نبوة، وسنعود فنقول إن شاء الله.

حدثني عمرو بن محمد الناقد وغيره قالوا: ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين عن رجل أخبره عن سفيان بن أبي عبد الله قال: سمعت خالداً يقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم زوج فاطمة، وأبا الحسن والحسين، هل كَنَّيْتُ[1].

المدائني قال: صعد خالد المنبر فأرتج عليه فقال: إن الكلام يعرض أحياناً فيتيسّر ويمتنع عند عزوبه، وأَولى من عذر على النبوة من عُرفت سهولته عليه. ثم نزل.

أبو عاصم النبيل عن عمر بن قيس انه سمع خالداً يقول حين أخذ سعيد بن جبير وطلق بن حبيب بمكة: كأنكم أنكرتم ماصنعتُ، والله لو كتب إليّ أمير المؤمنين أن أنقضها حجراً حجراً لفعلت - يعني الكعبة -.

---

١ - بهامش الأصل: عليك........رضي الله عن علي وسائر الصحابة أجمعين.

قالوا: وأمر خالد ببناء بيعة لأمه[١] فكلم في ذلك فقال: نعم يبنونها فلعنهم الله إن كان دينها شراً من دينكم.

قالوا: وكلم في عامل له ضرب رجلاً، وسئل أن يقتص منه، فقال: أقتص من عامل؟ فوالله لئن اقتصصت منه لأقص من نفسي، ولئن اقتصصت من نفسي ليقصنّ أمير المؤمنين من نفسه، ولئن أقص أمير المؤمنين من نفسه ليقصن رسول الله ﷺ من نفسه، ولئن أقص رسول الله من نفسه ليقصن هاه هاه - يريده تبارك وتعالى[٢] - .

ويقال إنه قال: أرسول أحدكم أكرم عليه أم خليفة؟. ويقال إن الحجاج قال ذلك[٣].

حدثني عمر بن شبه عن أبي نُعيم عن سفيان الثوري قال: كان أول سلطان خالد يقال له العُرْس.

المدائني قال: لحن خالد في خطبته فقال: إن تكونوا رجبيّون فإنا رمضانيّون، وكان يقول: اللهم أصلح عبدك وخليفتك هشام أمير المؤمنين.

وقال خالد للفرزدق وقد مدحه: ما بالك لم تَقُلْ فيَّ كما قلتَ في قوم سمّاهم من قريش وغيرهم؟ فقال: هات أنساباً كأنسابهم وشرفاً كشرفهم حتى أقول فيك كما قلت فيهم. فأراد السطوة به ثم كف عنه لكبر سنه.

قالوا: وكان عاصم ابن راعي الإبل أتى خالداً ومعه ابنان له فوصله، ومات أحد ابنيه فدخل على خالد فقال: أتيناك ثلاثة ونؤوب

---

١ - بهامش نسخة الملكية: لأنها كانت نصرانية سوداء، ولعنها الله ولعن ابنها.
٢ - بهامش الملكية: كفر خالد القسري غير مامرة، وهذه أقبحها وأشنعها.
٣ - بهامش الأصل: ذبح الله من قال ذلك.

اثنين. قال: وماذاك؟ قال: مات ابني. قال: ذاك مالا أقدر على منعه. قال: فَدِيَتُهُ تدفعها إلي. قال: نعم. فدفع إليه دية فقال:

سننتَ من الموت الوداء ولم يكن مقاديره يودى لحيٍّ مثيلها
فما سنّها من حميري مُتَّوجٌ ولا مِنْ مَعَدٍّ حيث يلقى فضولها

وقال الكميت ليوسف بن عمر:

حلفتُ بربِّ البيت ما أم خالدٍ بأمك إذ أصواتنا الهالُ والهبُ
وإذ خالد يستطعم الماء قائماً يرى الحرب والداعي إلى الموت يَنْعَبُ[1]

وهجاه زياد الأعجم فقال:

لعمرك ما أدري وإني لسائل أمختونة من بظرها أم خالد
فإن تكن الموسى جرت فوق بظرها فما خُتنت إلا ومَصّان قاعد[2]

المدائني قال: لما أتى رسول هشام خالد بن عبد الله لتوليه العراق قال: رويداً يجفّ قميصي، فقال الرسول: انطلق أيها الرجل فإنك تدعى إلى قمص كثيرة.

-حدثنا بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن حماد بن سعيد الصنعاني عن زياد بن عبيد الله قال: أتيت الشام فبينا أنا على باب هشام إذ خرج رجل من عند هشام فقال: من أنت يافتى؟ قلت: رجل من أهل اليمن، أنا زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثي. فتبسم وقال: قم معي، ثم قال لي: قل لأصحابي - وأشار إليهم -: إن أمير المؤمنين ولاني وأمرني بالمسير ووكل بي من يزعجني، قلت: من أنت رحمك الله؟. قال: خالد بن عبد الله القسري. ثم

---

١ - شعر الكميت ج١ ص٨٥ - ٨٦.
٢ - شعر زياد بن الأعجم ص١٦ - ١٧.

قال: يعطى منديل ثيابي وبرذوني الأصفر، فأُعطيتُ ذلك، وقال: إذا سمعت إني قد وليت العراق يوماً فالحق بي، فما أمسى بعسكر هشام أجود ثوباً ولا أكرم مركباً مني، ولم ألبث إلا يسيراً حتى قيل: قد ولى هشام خالد بن عبد الله العراق فخرجت ووكلت العريف بقبض أرزاقي على أنها له إلى قدومي، وشخصت إلى العراق، فلما قدمت على خالد الكوفة وسلمت عليه أمر لي بدنانير وكسوة بقيمة ستمائة دينار.

وقال لي يوماً هل تكتب يازياد؟ قلت: لا أنا أقرأ ولا أكتب. فضرب بيده على جبينه وقال: إنا لله، سقط تسعة أعشار ماكنت أريده بك وبقي لك واحد، واشترى غلاماً كاتباً حاسباً وبعث به إلي فعلمني الكتاب حتى قرأت قراءة جيدة وكتبتُ، فدفع إليّ كتاباً من عامله، عامل الري فقرأته فسرّ بذلك وقال: قد وليتك عمله، فخرجتُ حتى قدمتُ الريّ، فأخذت عامل الخراج فأرسل إليّ: إن أمير المؤمنين هشاماً لم يُوَلِّ قط عربياً الخراج، فتغطرست عليه، فقال: خذ مني ثلاثمائة ألف درهم وأمسك عني، وأقمتُ على عملي، ثم كتبت إلى خالد: إني قد اشتقت إلى الأمير فليرفعني إليه. فلما قدمت عليه ولاني شرطه.

قالوا: وكان خالد أقرّ الصقر بن عبد الله على شرطه أشهراً، وكان ابن هبيرة ولاه الشرط ثم عزله، واستعمل خالد على الكوفة عبد الملك الأزدي، من أهل فلسطين، ثم عزله، وولى رجلاً يقال له عبد الله بن عمرو مِنْ بجيلة، ثم عزله، واستعمل أخاه عاصم بن عمرو، وولى زياد بن عبيد الله بعد عدّة عزلهم، فلم يزل عليها إلى أن ولي يوسف بن عمر العراق.

وقال بعضهم: كتب خالد بن عبد الله إلى أمه حين ولي العراق يدعوها إلى الإسلام ويسألها أن تقرب منه ليكون ذلك أقوى له على برّها، فلما قرىء عليها كتابه دعت بداوة وقرطاس وقالت للرسول: اكتب: «قد قرأت كتابك، فأما دعاؤك إياي إلى دينك فقد نصحت لي فيه بجهدك لأنك ارتضيت لي ماارتضيت لنفسك، وديني لي ودينك لك.

وأما برّي فلعمري إنك قادر عليه حيثما كنت، واعلم بأني قرأت في بعض الكتب أن الرجل إذا أتى كبيرة اسودّ ثلث قلبه، وإذا أتى أخرى اسودّ ثلثا قلبه، فإذا أتى الثالثة اسودّ قلبه كله، فأتى ماأتاه من قبيح وهو يراه حسناً، وأكبر من ذلك كله الدماء».

فلما جاءه كتابها يئس منها، فأرسل إليها بمال اتخذت به بيعة بالشام تدعى بيعة أم خالد.

وحدثني عبد الله بن صالح عن قوم من أهل الكوفة قالوا: اتخذ خالد طستاً في مسجد الكوفة ميضأة، وحفر لها قناة من الفرات، ثم أخذ بيد أسقف النصارى يمشي به في المسجد حتى وقف على الطست ثم قال للأسف: ادع لنا بالبركة، فوالله لدعاؤك أرجى عندي من دعاء علي بن أبي طالب.

قال: واتخذ كنيسة لأمه في قصر الإمارة، وكانت امتنعت من القدوم عليه فلم يزل بها حتى قدمت الكوفة، وأمر المؤذنين ألا يؤذنوا حتى يضرب النصارى بنواقيسهم.

وقال هشام ابن الكلبي والهيثم بن عدي: لما بنى خالد البيعة بالكوفة لأمه، كتب نصارى البصرة إلى من كلم أمه، فكتبت إليه أن يبني لهم بالبصرة بيعة، فكتب إلى بلال يأمره ببنائها فكتب بلال: إن أهل البصرة لايقارّوني

على ذلك، فكتب إليه: ابنها لهم فلعنة الله عليهم إن كانوا شراً منهم ديناً، فبنى بيعة في اللبادين فقال الفرزدق.

بنى بيعة فيها الصليب لأمه وتهدم للبيعات فينا المساجد[١]

وحفر خالد النهر المعروف بالمبارك فقال الفرزدق، ويقال الموج التغلبي:

كأنك بالمبارك بعد شهر تخوض غموره بقع الكلاب
كذبت خليفة الرحمن عنه وسوف يرى الكذوب جزا الثواب[٢]

وقال الفرزدق في شعر له:

أعطى خليفته بقوة خالد نهراً يفيض له على الأنهار
إن المبارك كاسمه يسقى به حرث السواد وناعم الجبار
وكأن دجلة حين أقبل مَدّها ناب نمد له بحبل قطار
إن كان أجرى ماءَ دجلة خالدٌ فلطالما أَعْيَتْ على الإجرار
يا دجل كنت عزيزة فيما مضى حتى أصابك خالد بصغار[٣]

وكتب خالد إلى هشام يستأمره في عمل منظرة على دجلة، فكتب إليه هشام: لو كان هذا ممكناً لسبق الفرس إليه: فراجعه فكتب إليه هشام: إن تيقنتَ أنها تتم فاعملها. فعملها فلم يلبث أن قطعها الماء فأغرمه هشام ما أنفق عليها.

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص١٦٠ مع فوارق.
٢ ـ ليسا في ديوان الفرزدق.
٣ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص٢٦٩ مع فوارق.

وكان الفرزدق قال حين لم يُثِبْهُ خالد على الشعر الذي قاله في المبارك:

أهلكت مال الله في غير حقه   على نهرك المشؤوم غير المبارك
وتضرب أقواماً صحاحاً ظهورهم   وتترك حق الله في ظهر مالك
أإنفاق مال الله في غير حقه   وتركاً لحق المرملات الضرائك[1]

يعني مالك بن المنذر بن الجارود.

حدثني أبو مسعود الكوفي قال: بنِي خالد لأمه بيعة هي اليوم بسكة البريد بالكوفة، وكانت أمه نصرانية، فقال الفرزدق.

لعمري لئن كانت بجيلةُ زانها   جرير لقد أخزى بجيلةَ خالد
بنى بيعةً فيها الصليب لأمه   ولم تُبْنَ فينا إذ بناها المساجد

ويروى: وتُهدم للبيعات فينا المساجد.

قالوا: وبنى خالد حوانيت أنشأها، وجعل سقوفها أزاجاً معقوداً بالآجرّ والجصّ وحفر خالد النهر المعروف بالجامع، واتخذ في القرية قصراً يعرف به.

قال الأصمعي وغيره: خرج خالد يوماً يتصيد فإذا هو بأعرابي على أتان له ومعه عجوز، فقال له خالد: ممن الرجل؟. قال: من أهل المآثر والحسب. قال: فأنت إذاً من مضر، فمن أيها؟ قال: من الطاعنين على الخيول، المعانقين في النزول. قال: فأنت إذاً من بني عامر، فمن أيها؟ قال: من الطالبين الثار، والمانعين الجار، قال: فأنت إذاً من بني كلاب، فمن أيها؟ قال: من بدرها وشمسها وليوثها في خيسها. قال: فأنت إذاً من بني

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص٥٩ مع فوارق.

الأحوص. قال: نعم. قال: فما أقدمك هذه البلاد؟. قال تتابع السنين وقلة الرافدين، قال: فمن أردت بهذا البلد؟. قال: أميركم هذا الذي ترفعه إمرته، وتضعه أسرته. قال: وماأردت منه إذ كان كذلك؟. قال: كثرة دراهمه لا كَرَمَ آبائه. قال: أفتوصلتَ إليه بشعر؟ قال: نعم. قال: فأنشدناه. فقال: ياأم جحش أنشديه. قالت: هيه كم تسومنا اليوم مدح اللئيم. قال: إنه لابد منه. فأنشدت:

إليكَ ابنَ عبد الله للحمد جاوزتْ بنا البيد عيسٌ كالقِسيِّ عَياهم
عليهنّ بيضٌ من ذؤابة عامرٍ حَذَتْهُم سِنُونٌ مُجحفاتٌ مَشَائِمُ
يَزُرْنَ امرأً يعطي على الحمد ما له تهونُ عليه للثَّنَاءِ الدراهم
فإن يعطنا شيئاً فهذا ثناؤنا وإنْ تكن الأخرى فَمَا لَكَ لائم

فقال خالد: ماأعجب أمرك، تقول فيه ماقلت ثم تمدحه بهذا الشعر، أفتعرفني؟

قال: لا. قال: أنا خالد وسأعطيك ولا أكافئك. فقال: ياأم جحش اصرفي وجه الأتان راجعةً. قال: إني مُغْنيك. قال: ماكنت لأسمع رجلاً مكروها ثم أَرْزَؤُهُ شيئاً. فقال خالد: بمثل صبر الشيخ أدرك آباؤه من الشرف ما أدركوا.

ويقال إن خالداً خرج ومعه بعض ولد المغيرة، وبعض ولد جرير بن عبد الله، فرأى هذا الأعرابي وكان مسناً فقال له: ماتقول في المغيرة بن شعبة؟ قال: أعور زَنّاء. قال: فما تقول في الأشعث؟ قال: لايعتزى[1] قومه مابقي

١ ـ بهامش الأصل: يعزى.

أحد من ولده. قال: فما تقول في خالد بن عبد الله؟. قال: ترفعه إمرته وتضعه أسرته. قال: فهذا من ولد المغيرة وهذا من ولد جرير وأنا خالد. فقال: يأم جحش انصرفي عنهم. فقالوا له: صر معنا إلى الكوفة نرفدك ونصلك ولانؤاخذك بقولك. فقال: ماكنت لأستمنح قوماً أسمعتهم كلاماً. وانصرف[1].

حدثنا عبد الله بن صالح قال: بلغنا أنه دخل على خالد بالكوفة شيخ كبير فمثل بين يديه فقال: شيخ كبير ضرير، حدته إليك سنة أبدت العظام وألزمت الغني الإعدام، ذهب ماله، ودُعدتْ[2] آباله، وغُيرت أحواله، فإن رأى الأمير أن يجبره بفضله، وينعشه بِسَجْلِه، ويردَّه إلى أهله. فقال خالد: ممن الرجل؟ وإياك أن تكذب فإن الكذب عار لازم وذل دائم. قال: رجل من بني تميم. قال: لاقرب الله دارك، ولاسهل محلك، ولاحَيّا مزارك. فقال الأعرابي: مارأيت كاليوم منطقاً أقطع، ولاكلاماً أشنع، ولا ردّاً أوجع، لقد سمعت قولاً أمرّ من الحنظل، وأيبس من الجندل، وأحرّ من المرجل، ماأعطيتَ من قُدرة ولانَعَشْتَ من عثرة، ولا أقلتَ من صرعة.

قال خالد: هل لك في أن أقارعك وإن قرعتك لم أعطك شيئاً، وإن قرعتني أعطيتك؟. فقارعه خالد فقرعه فقال: أَقِلْني فأقاله. ثم قارعه فقرعه خالد فقال: أقلني فأقاله، ثم قارعه فقرع خالداً فقال: أقلني. قال: لا أقالني الله إذاً. قال: أعطوه بدرةً يدخلها في حِر أمه، فقال الأعرابي: وأخرى في استها، فضحك وأمر له ببدرتين.

---

١ ـ بهامش الأصل: قال ابن الأعرابي: هذا الخبران مصنوعان.
٢ ـ التدعدع: مشية الشيخ الكبير. القاموس.

وأتت امرأة من بني قشير خالداً فمثلتْ بين يديه فقالت:

إليك يابن السادة الأماجد يعمد في الحاجات كل عامد
أشبهت ياخالد خير والد أشبهت عبد الله في المحامد
فالناس بين صادر ووارد مثل حجيج البيت نحو خالد
ليس طريف المجد مثل التالد

فقال لها خالد: من أنت؟. قالت: امرأة أكبَّ عليها الزمان فلم يدع لها سبداً ولا لبداً ولا صافناً ولا ماهناً. فقيل لها: هل لك أن يتزوجك الأمير؟. قالت: والله لئن فقدتُ نشباً مافقدتُ حسباً وما كنتُ لأتزوج دعياً، وإن كان مثرياً غنياً.

الهيثم بن عدي قال: أُلقيتْ بين يدي خالد تراسٌ فقال لمن عنده: اغمزوها أيها أصلب. فغمز رجل منهم يقال له عامر ترساً فضرط، فقال خالد: ما على رجل أمر رجلاً بأمر فأضرطه؟. قالوا: أربعون درهماً. فأمر له خالد بأربعين ألف درهم فقال شاعر من بني تميم:

أيضرط عامر من غمز ترس فيحبوه الأمير بها بدورا
فيا لك ضِرطةً عادت بخير ويا لكِ ضرطةً أغنَتْ فقيرا
فَوَدَّ القوم لو ضرطوا جميعاً فنالوا من عطيته عَشيرا
أتقبل ضارطاً ألفاً بألفٍ فَتَرْخِصُ أصلح الله الأميرا

فقال: خالد: ماسررنا بواحدة لما جاءتنا فما حاجتنا إلى ألف. أعطوه ألفي درهم. وقد قيل إن هذا كان عند بشر بن مروان، وهو الثبت.

وقال بعضهم:

أيقبض أربعين معاً ألوفاً لقد أُعطي بضرطته كثيرا

وقال خالد حين أُنشد قول الكميت:

إن الخلافة كائنٌ أوتادها بعد الوليد إلى ابن أم حكيم[1]

يعني مسلمة بن هشام أبا شاكر ، فقال خالد : أنا كافر بكل خليفة يكنى أبا شاكر .

وبلغ أبا شاكر قوله فحقده عليه ، فلما مات أسد بن عبدالله أخو خالد كتب مسلمة إلى خالد كتاباً فيه شعر لابن نوفل ، وكان معه ، لحق به هارباً من خالد .

أراح من خالد وأهلكه رب أراح العباد من أسدِ
أما أبوه فكان مؤتشباً عبداً لئيماً لأَعْبُدٍ قُعُدِ
يَرَىٰ الزِّنَاءَ والصَّلْبَ والخمـ ـر والخنزير حِلاً والغَيَّ كالرَّشدِ
وأمه هَمُّها وبُغْيَتُها هَمُّ الإماءِ المَوَاهِنِ الشُرُدُ
كافرةٌ بالنبيِّ مؤمنةٌ بِقَسِّهَا والصليب والعُمُد[2]

فلما قرأ خالد الكتاب قال : يا عباد الله من رأى كهذه تعزية رجل عن أخيه .

المدائني قال : بصق خالد يوماً فقصر عن حيث أراد ، فقام عنبسة بن سعيد بن العاص فأخذ بصاقه بمطرفه حتى اقتلعه ، فقال خالد : لحسنٌ والله ما صنع ، ثلاثٌ لا تعاب على الشريف : خدمته أميره وقيامه بنفسه ، وخدمته ضيفه . ثم قال : ما مالك يا أبا خالد ؟ فقال : وهل تركتْ لي دار أبي بالكوفة وواسط مالاً . فقال خالد: والله لعلالتنا أمثلُ من علالتك،

١ ـ شعر الكميت ج ٢ ص ١٠٥ .
٢ ـ بهامش الأصل : يعني بالعمد ، المعمودية .

قد أمرنا لك في دارك بواسط بمائة ألف درهم وفي دارك بالكوفة بخمسين ألفاً .

المدائني وعبدالله بن صالح قالا : قال خالد بن عبدالله يعرض بعَنَبَة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وكان عَنَبَة يستدين : إن الرجل لايزال يستدين في ماله حتى إذا انفده استدان في دينه . فقال عَنَبَة : إن الرجل يكون ماله أكثر من مروءته فيبقى له ماله ، وتكون مروءته أكثر من ماله فيفنى ماله وتبقى له مروءته ، فقال خالد : صدقت وإنك لمنهم .

قال عبدالله بن صالح : أراد عبد الرحمن بن عَنْبَسَة بناء داره بظاهر الكوفة ، فركب معه خالد بن عبدالله القسري ومع خالد : العُرْيَان بن الهيثم ، وهو يومئذٍ على شرطة خالد فجعل خالد يطوف ويقول : قدّم الحبل أيها الغلام ، فيقول العريان : أنشدك الله أن تضيق على أحيائنا وأمواتنا . فقال عبد الرحمن بن عنبسة : اسكت فوالله ما أنطقك إلا السيف الذي قلدناك . فقال العريان : بل سيف عمي الذي أخرج به أباك حتى ألحقه بالمدينة قال : أما والله لأَبْشُرَنَّكَ بَشْرَ الأديم ، فقال : شفرتُك أَكَلُّ من ذاك .

فقام اسماعيل بن واسط البَجْلي فقال : يا عريان ، أترفع صوتك على صاحب الأمير؟ فقال : اسكت .

يا مالكُ بن مالكِ بنَ سيف ذميم يجهل حقَّ الضيف
سلح حباري سلحتْ في صيف

وتكلم عبدالله بن عياش فقال له العريان : إنما قيمة همدان كلها رغيف . فقال ابن عياش : اسكت فإنما تشبع النخع في كل أضحى ، وسار خالد وبنىٰ عبد الرحمن داره .

حدثني عمر بن شبة ، حدثنا ابو عاصم النبيل ، حدثني نصر بن أشرس الباهلي قال : دخل العريان على القسري فقال : مكرمة لم تُسْبَق إليها . قال : وما هي ؟ قال : تمنع الموالي من أن يشربوا في عساس الخلنج[1] ، وأن يتكلموا بالعربية ، وأن يشربوا لبن اللقّاح . فقال جبلة بن عبد الرحمن : أما الخلنج فإنا غرسناه في أرضنا رطباً ونجّرناه يابساً فنحن أولى به ، وأما ألبان العرب فإن لنا في البان البخاتي غنىً عنه ، وأما العربية فقد صدق هم أَوْلَىٰ بها ، ولكن لِيَدَعُوا الخزّ ، وركوب البراذين ، وأكل الشبارقات[2] ، وأما الكلام فلن نتكلم إلّا بالزنجية .

وَقال يحيى بن نوفل للعريان :

أعريان ما يدري امرؤ سِيْلَ عنكم ... أَمِنْ مِذحج تُدْعَوْن أَمْ لإياد
فإن قلتم من مذحجٍ إنّ مذحجاً ... لبيض الوجوه غير حر[3] جعاد
وأنتم صغار الهام سودٌ كأنما ... وجوهكم مطلية برماد

وقال أيضاً :

سَمَّتْكَ أمك عُرياناً وقد صَدَقَتْ ... عُرِّيْتَ من صالح الأخلاق والدين
زعمتَ أنك عدلٌ في إمارتكم ... وأنت أسرق من ذئب السراحين

١ ـ خلنج : شجر ، فارسي معرب ، يتخذ من خشبه الأواني . القاموس .
٢ ـ الشبارقات : ما اقتطع من اللحم صغاراً وطبخ . القاموس .
٣ ـ الحر من الوجه: ما بدا . القاموس .

وقال أيضاً :

هل أنتَ يا عُريان وَيْحَكَ مُخْبِري بأبيكَ دُونَ الهيثم بن الأسودِ

وله فيه شعر أيضاً . فحلف العريان ليضربنّه حتى يسلح من سوط أو أكثر ، فلم يزل يحتال له حتى أتي به ، وقد كان صار إلى مسلمة بن هشام ، وبلغ ابن نوفل يمينه فضربه فجعل يقول : قد فعلت ، فقال العريان : لا والله أو يفضح بها ، فافتضح فقال : قد خريت أو قال قد سلحتُ فقال العريان :

محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

وقال العريان :

تَيَمَّمْ حميراً واترك ثقيفا فَهُمْ جَلَدوك يوم الدار حَدًّا
فلما أنْ جُلدتَ وكنت فَسْلاً سلحتَ ولم تجد من ذاك بُدًّا

قالوا : وأرسل بلال عون بن عبيد وآخر من أصحابه إلى هنادة بنت عيينة بن أسماء بن خارجة يخطبانها فقالت : والله ما كنت لأتزوج رجلاً أنتما خِدناه وأليفاه من هذا المصر .

وهجا ابن نوفل خالداً بصحبته عون هذا فقال :

ولو كنت عونياً لأدنيت مجلسي إليك أخا قيسٍ ولكنني فَحْلُ
رأيتك تُدنى ناشئاً ذا عجيزةٍ يحجر عينيه وحاجبه الكحلُ
فوالله ما أدري إذا ما خلوتما وأُرْخِيَتَ الأستار أَيّكُما البَعْلُ
أأنت الذي يعلو عليك إذا خلا بكَ الأقمر المولىٰ أَمَ انتَ الذي تعلو

وقال ابن نوفل في خالد :

ألا أيهذا الذي نفسه | إلى كل مُنْكَرَةٍ تائِقه
رضيت من العيش والعاليـ | ـن بعون اليفا وبالرائقة
بضخم المآكم(١) في كمه | دنىء مَوَدَّتُهُ مائِقَه
وكفاك كف تحوز العطاء | وكفٌّ لأرزاقنا سارقه

وقال ابن نوفل :

ونُبِّئتُ عوناً وتبّاً له | ونبئت عن خِدْنِهِ خالدِ
بأنهما عند وقت العشاء | يبيتان في نمطٍ واحدِ
ويغتبقان الشراب الذي | يُحَلُّ به الجَلْدُ للجالدِ
شراباً يوافق شرب اليهود | ويُكرهُ للناسك العابدِ

قالوا : وبعث خالد محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة الأنصاري إلى اسماعيل بن جرير بن عبدالله يخطب إليه ابنته أم إسحاق بنت اسماعيل ، فقال : أبلغ الأمير السلام واعلمه أن عمه جريراً أوصىٰ ألا تخرج واحدة من بناته إلّا إلى رجل من قريش وهو أحق من لم يثرب وصية عمه ، ولم يحاول نقضها مع أنا أمَّلْنَاه لعيالنا وأعقابنا ، فوالله ما كان عنده ما ظننا به ما سهل في أذن ولا رفع من قدر ، فلما أتت خالداً رسالته أمسك . وبلغ الخبر ابن نوفل فقال :

لعمري لقد أصبحتَ حاولت خطةً | مُمَنَّعَةً والدهر يقذف بالعَجَبْ
أتخطب جهلاً إن وُلِيْتَ إمارةً | بنات جريرٍ في المكارم والحَسَبْ

---

١ ـ المأكمة : لحمة على رأس الورك ، وهما اثنتان ، أو لحمتان وصلتا بين العجز والمتنين ، جمعه مآكم . القاموس .

وأنتَ دَعِيٌّ ليس يُعرف أصله ... منوط بقسر كالعلاقة في الحَقَبْ
فَرَدَّك رَدَّ العبد إذ جئت خاطباً ... وهل يُنْكِحُ الأحرارُ عبداً إذا خَطب

في أبيات . وقال أيضاً :

أخالد لا جزاك الله خيراً ... وأيرٌ في حِرِ امِّكَ من أمير
تمنى الفخر في أولاد قسرٍ ... كأنك من سراة بني جرير
وكنت لدىٰ المغيرة عبد سوءٍ ... تبـول من المخـافـة للزبـير
وقد قلت اطعموني الماء جُبناً ... ولؤماً إذ خَرِيْتَ على السرير

وكان المغيرة بن سعيد[1]

هذا ظهر أيام خالد وكان يظهر التشيع لآل علي فروي عن جعفر بن محمد أن المغيرة بن سعيد كان يأتي محمد بن علي فيستفتيه ثم يمضي فيكذب عليه ، فقتل بالكوفة ، قتله خالد بن عبدالله القسري .

حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي عن أبي بكر بن عياش عن عيسىٰ بن المغيرة قال : كان الشعبي يقول للمغيرة بن سعيد مولى بَجيلة : ما فعل الإمام ؟ فيقول : لا تهزأ به . فيقول : لست أهزأ به ، إنما أهزأ بك .

ودخل المغيرة على عبدالله بن حسن بن حسن فقال : إنا نجد المهدي ابنك محمداً فَأَرِنِيْهِ ، فأراه إياه ، فقال : هُوَ هُوَ .

حدثنا محمد بن الصباح البزار عن يحيى بن المتوكل عن كثير النَّواء قال : قال أبو جعفر : فعل الله بالمغيرة وبيان فإنهما كذابان علينا أهل البيت .

١ ـ بهامش الأصل : المغيرة بن سعيد .

قالوا : وأتى المغيرة جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فقال له : أقِرَّ بعلم الغيب حتى أجبي لك العراق . فقال : أعوذ بالله . ثم أتى محمد بن علي بن الحسين فقال له مثل ذلك فزجره وشتمه .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود عن يحيى بن آدم عن عبدالله بن ادريس عن جار له قال : سمعت مغيرة بن سعيد يقول : مات عثمان بن عفان وهو يعبد سبعة آلهة ، فأخبر خالد بن عبدالله بذلك ، فأرسل إليه فأخذه فاعترضته فقلت : في أي شيء أخذت ؟ قال : لا أدري إلا أن يكون حميات لأنبي .

قالوا : وكثر تبع مغيرة وتنبأ ، وتنبأ بيان فخرج على خالد فقتله وصلبه فيقال إن خالداً أحرقهما . وقال خالد حين بلغه أمر المغيرة وبيان : اطعموني ماء . فقال ابن نوفل في ذلك ما قال . وقال مالك بن أسماء بن خارجة :

طال التجاوز من بيانٍ واقفاً ومن المغيرة فوق جسر العاشر
يا ليته قد سال جذعا نخلةٍ ببُنَيَّ درٍّ وابن قيس الماصر[1]

وقال الأصمعي وأبو عبيدة :

كان خالد على مكة .

ولاه الوليد بن عبد الملك سنة خمس وتسعين فكان عليها حتى مات الوليد ، وولي سليمان فأقرّه أشهراً ثمانية أو سبعة ثم تنازع الأعجم عبيدالله بن شيبة بن عثمان ومصعب بن شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان

---

١ ـ مصر الشاة أو الناقة : حلبها بأطراف الأصابع الثلاث ، أو الإبهام والسبابة فقط ، وهي ماصر : بطيئة خروج اللبن . القاموس .

العبدريان ، فكان هوىٰ خالد مع مصعب ، فكتب الأعجم إلى سليمان مع ابن ابنه محمد بن طلحة بن الأعجم يشكو تحامل خالد عليه ، وعلى ولده ، فكتب سليمان إلى خالد انه لا سبيل لك على الأعجم وولده ، فقدم طلحة بالكتاب على خالد وهو بفخ مستنقع في ماء ، فلما رآه قال : صيدك إن لم تحرمه[1]، ثم ضربه مائة سوط، وقال أبو عبيدة: ضرب الأعجم نفسه فخرج بنفسه وثيابه التي ضُرِب فيها فألقاها بين يدي سليمان ، وقال : إنه لما قرأ كتابك ضربني ، فكتب سليمان إلى داود بن طلحة بن هدم الحضرمي ، وكان عامله على قضاء مكة ، بولايته على مكة وبقطع يد خالد . فكلم يزيد بن المهلب سليمان ، وكان حاضراً ، فقال : إن كان ضربه قبل أن يقرأ كتابك ضُرب فكتب سليمان : إن كان ضربه بعد قراءته كتابي فاقطع يده ، وإن كان ضربه قبل قراءته فاضربه مائة سوط كما ضربه ، فقدم بالكتاب عشية عرفة وخالد واقف بالناس ، فدفع الكتاب إلى داود الحضرمي ، فقرأه وأمر بخالد فنحي عن مقامه ، ووقف بهم داود . فلما انقضى الموسم وخالد محبوس قعد له وللأعجم ، فادعىٰ أنه ضربه بعد قراءته الكتاب فخاف خالد على يده أن تقطع فجعل يصيح : نشدت الله رجلاً شهد ضربي إياه قبل أن اقرأ الكتاب إلّا قام بشهادته ، فقام داود بن عِلي بن عبدالله بن العباس ، وكان على السقاية يومئذ فشهد له بذلك ، وشهد له عبد الأعلى بن عبدالله بن عبدالله بن عامر بن كريز ، فأمر داود بن طلحة بجلد خالد فضرب مائة سوط ، فجزع جزعاً شديداً وجعل يمد يده والفرزدق حاضر فقال : اضمم

١ ـ ورد هذا المثل في : مجمع الأمثال للميداني تحت رقم (٢٠٨٨) بعنوان : صيدك لا تُحْرَمُه .

إليك جناحك يا بن النصرانية . فضم خالد يده فكان ذلك أهون للضرب عليه . فقال : والله ما أراد الفرزدق نصيحتي .

وقال الفرزدق :

سلوا خالداً لاقدس الله خالداً   متى وليتْ قسرٌ قريشاً بدينها

في أبيات قد ذكرناها .

ويقال إن خالداً أمر الأعجم بفتح البيت فأبى ذلك عليه فكان ذلك في نفسه على الأعجم حتى ضربه به ، وسمّي الأعجم لرتّةٍ كانت في لسانه .

وقالت أم الضحاك النضرية من بني نضر بن معاوية :

لعمري لقد باع الفرزدق عرضه   بخسفٍ وصلّى عرضه حاميَ الجمر

وكيف يسامي خالداً ويسبّه   خميصٌ من التقوى بطين من الخمرِ

فلم يزل خالد محبوساً بمكة حتى حج سليمان سنة سبع وتسعين فكلمه فيه المفضل بن المهلّب ، فقال له سليمان : يا أبا عثمان ، أطّتْ بك الرحم ولا رحم بينكما ، إنه قبحه الله قد جرَّعَني غيظاً ، قال : فلْيَهبَ ذلك أمير المؤمنين لي . قال : قد فعلت وأيم الله ، ليخرجنّ إلى الشام راجلاً ، فمشى خالد إلى الشام وشكر ليزيد والمفضل ما كان منهما ، فأجاز عبد الرحمن بن يزيد حين ولي العراق بمائة ألف .

وكتب هشام إليه يأمره أن يستنفر الناس إلى الغزو مع الجرّاح بن عبد الله ، فقدم عليه ناس من آل المهلب فردّهم ولم يُغْزِهم إلاّ عثمان بن المفضل فإنه وصله وأغزاه ، وقال : لولا مخافة ألاّ يحتملها لي أمير المؤمنين لعقدت له على البصرة .

وقالوا :

كان أسد بن عبد الله

على خراسان من قبل أخيه ، وكان شديد العصبية لا يملك نفسه ، فأخبر عن نصر بن سيار ، ومنصور بن أبي الخرقاء السُّلمي ، والبَخْتَري بن مجاهد مولى بكر بن وائل ، وعبد الرحمن بن نعيم وسَوْرة بن الحرّ أنهم يُصَغّرونه ويقولون أُمَيْر ، فدعا بهم وضربهم في جوانب مجلسه ، وحلق رؤوسهم ولحاهم ، وأرسل بهم إلى خالد ، فلما أُتي بهم خالد سَبَّ أسداً أخاه حين لم يبعث برؤوسهم وقال : أشبه أمه . وكانت من عُرَيْنَة ، ثم أمر بهم خالد فحبسوا ، ثم أمر ابنه يزيد أن يكلمه فيهم ليشرفه بذلك فكلمه فأخرجهم وأجازهم وخيّرهم أين ينزلون ، فاختاروا أن يردهم إلى خراسان ، إلّا نصر بن سيار ، فإنه قدم البصرة فابتنى مسجداً بحضرة بني يشكر ، وهو يعرف به ، ولم يأت خراسان حتى عزل عنها أسد ، وولي أشرس السلمي ، فقال الفرزدق :

أخالد لولا الله لم تعط طاعةً ولولا بني مروان لم توثقوا نَصْرَا
إذاً لوجدتم دون شد وثاقه بني الموت لا كُشْفَ اللقاء ولا ضُجْرا
مصاليت أبطالاً إذا الحرب شمرت أُمِرّوا بأطراف القنا مرراً شَزْرَا[1]

في أبيات .

قالوا : وبعث خالد إلى هشام بمال ، وبعث إلى علي بن عبدالله ، ومحمداً ابنه بمال ، وكان يتعهدهما بصلته .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٢٣

حدثني عبدالله بن صالح المقرىء عن ابن كُناسة وغيره قالوا : كتب خالد إلى مالك بن المنذر أن خذ الفرزدق فاحبسه ، وكان يحقد عليه أشياء ، وأظهر أنه إنما حبسه لأنه هجا نهر هشام ، فأمر مالك أيوب بن عيسىٰ الضَّبي ، فاحتال له حتى أخذه . وكانت ضبة أخوال الفرزدق فهجا أيوب بشعر فيه :

ستأتي ابن زبّ الخنفساء قصيدة ... يكون له مني عذابا يُباشره
مَتَتُّ له بالرحم بيني وبينه ... فألفيتُه مني بعيداً أُواصره
وقلتُ امرؤٌ من آل ضَبَّة فاعتزىٰ ... إلى غيرهم جلد استه ومناخره
فلو كنت ضبّياً عرفت قرابتي ... ولكنّ زنجياً غليظاً مَشَافِرُهُ[1]

فلما ورد بالفرزدق على مالك أمر أن يوقر حديداً ويجلس فقال ، وكان يصلي قاعداً :

خذا بيديَّ فارفعاني إليكما ... لعلّي أصلّي قائماً غير قاعد
لئن قارب القسريّ خَطوي لطالما ... تناولتُ أطراف الهموم الأباعد
بمأمومة الأعضاد خوص من السُّرىٰ ... خفاف الأداوي ناقصات المزاود[2]

وقال أبو عبيدة : أخبرني أعيَن بن لَبطة بن الفرزدق عن أبيه قال : كنت آتي مالك بن المنذر لأنشده شعر أبي فأُحجب ، ويرسل إليّ : إنّ أَمر أبيك إلى غيري ، فالتمسوا له وجهاً سواي . فكتب الفرزدق مع ابن أخ له ، ومعي إلى هشام بشعر يقول فيه :

---

١ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الفرزدق المطبوع .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ مع فوارق كبيرة .

بعثت إليك ابني يا خير من مشىٰ ويا خير مطلوب إليه لخائف
فلو كنت أخشىٰ خالداً أن يروعني لطرتُ بوافٍ ريشه غير جاذف
كما طرتُ من مِصْرَيْ زياد وإنه لتصرف لي أنيابه بالمتالف
ألم يك منكم آل مروان منعم عليّ بِنُعمىٰ بادىءٌ ثم عاطف
ألم يَكْفِني مروان لما أتيتُه زياداً وَرَدَّ النفس بين الخوالف
عجبتُ لقومي إن رأوني تضرعوا وإن غبتُ كانوا بين واشٍ وقاذف[١]

وقال لسعيد بن الوليد الأبرش الكلبي :

إلى الأبرش الكلبي أسندتُ حاجةً تَواكَلَها حيا تميم ووائل
على حين إن زَلَّتْ بي النعل زلّةً وأخلف ظني كل حافٍ وناعل
فدونكها يابن الوليد فقم بها قيام امرىء في قومه غير خامل
فإنك من قوم كرام أعزة إذا عضّ يوماً شره بالكواهل[٢]

فكلم فيه هشاماً ، فكتب إلى خالد بتخلية سبيل الفرزدق ، فقال الفرزدق :

لقد وثب الكلبي وثبة ماجد إلى خير خلق الله نفساً وعنصرا
أبى حلف كلب في تميم وعقدها لما سنَّتِ الآباء أنْ يتغيرا[٣]

ويقال إن هشام بن عبد الملك أنفذ كتابه إلى خالد مع جرير بن عطية ، فلما قدم عليه أنشده جرير :

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٧ ـ ١١ مع فوارق واضحة .
٢ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الفرزدق المطبوع .
٣ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

لقد كان داء بالعراق فما لقوا طبيباً شفى أدواءهم غير خالد
سقاهم برفقٍ خالط اليُمْنَ والتُّقَى وسيرة مهديٍّ إلى الحق قاصد
فهل لك في عانٍ وليس بشاكرٍ فتنقذه من طول عض الحدائد
يعود وكان الخبث منه سجية وإن قال إني معتب غير عائد
بني مالك إن الفرزدق لم يزل كسوباً لعار المخزيات الخوالد(١)

ويقال : كان الرسول غير جرير .

ويقال : وفد عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير في أمر الفرزدق إلى هشام حتى أخذ كتاباً بإطلاقه فقال الفرزدق : أنا أسير قسريٍّ ، في حبس عبديٍّ ، طليق كلبيٍّ . وقال :

لافضل إلا فضل أمٍّ على ابنها كفضل أبي الأشبال عند الفرزدقِ
تداركني من هوّة كان قعرها ثمانين باعاً للطويل العَشَنَّقِ(٢)

وكان أسد حين ورد كتاب هشام خليفة أخيه بواسط ، وذلك أن خالداً كان غائباً عن واسط ، يقال إنه حج في سنته . وقال في أسد :

وكم لأبي الأشبال من فضل نعمة تُعَدُّ وأَيْدٍ أطلقتني سعـودها
فأصبحت أمشي فوق رجليّ قائماً عليها وقد كانت طويلاً قعودها
وكم يا بن عبد الله من فضل نعمة بكفّيك عندي لم يغيّب شهودها(٣)

في أبيات .

١ ـ ديوان جرير ص ١٣٦ ـ ١٤٠ .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥٢ ، والعشنق : المفرط الطول .
٣ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الفرزدق المطبوع .

حدثنا الرفاعي عن عمه عن عبد الله بن عياش الهمداني، والمجالد بن سعيد عن الشعبي قال: حضرت خالداً وقد أُتي بقوم فأمر بضربهم فقلت: أصلح الله الأمير، إن أول من جعل السجن كان حليماً، فعليك بالتؤدة، وأياك والعجلة فإنك على فعل ما لم تفعل أقدر منك على رد ما فعلت، فَأُمُرْ بحبسهم حتى يثبت في أمرهم. قال: أصبت أبا عمرو، وحبسهم.

وقال المدائني: هذا لعمر بن هبيرة.

حدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم قال: كان خالد يزوج أقاربه ويسوق عنهم المهر، فأراد أن يزوج بعضهم فذهبت عنه الخطبة فقال: إني والله أروي في النّكاح كذا وكذا خطبة، وما يحضرني الآن منها شيء، فاشهدوا إني قد زوجت فلانا فلانة، وأصدقتها عنه كذا.

المدائني عن غير واحد قالوا: كان خالد سخياً بالمال شحيحاً على الطعام، ولم يكن له طعام إلاّ لنفسه خاصة، لا يحضره أحد يأكل معه، فأكل معه رجل يوماً فأجاد الأكل فقال لحاجبه: لا يدخلن هذا علي.

وقال الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: كان مصقلة العبدي طويل اللحية عريضها، فدخل على خالد بن عبد الله فقال له: يا مصقلة، لو أخذت من لحيتك. فقال: أَعَزْمَةٌ فأُطيع أم مشورة فأَقْبَلُ؟. قال: لا واحدة منهما. ثم قال: ما فعل ابنك الفضل؟ وكانت ـ أمه ابنة الغضبان بن القَبعثري ـ فقال: هلك رحمه الله فقد كان آخذاً لأربع تاركاً لثلاث، كان آخذاً لقلوب الرجال اذا حَدَّث، حسن الاستماع إذا حُدِّث،

حسن البشر إذا هو لقي ، جميل القول إذا خولف ، تاركاً لمداعبة الأحمق ومقارفة المآثم ، وإيتان ما يُعتذَرُ منه .

قال الهيثم : وقال خالد بن عبد الله : إني لأحبّ قتل الرجل ماله عندي ذنب الا استخفاف حاجبه بي وشدة حجابه لي .

وقال الأصمعي : قال خالد : كنت أطعم في الحَطْمَةِ ستة وثلاثين ألفا في كل يومٍ تمراً وسويقاً .

قال أبو الحسن المدائني : إنما أطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم ثلاثين ألف إنسان خبزاً وسويقاً وتمراً ، فقيل لأعرابي : لو أتيت خالداً فإنه يطعم الأعراب فأبى وقال :

يقول ابن حجاج تجهز ولا تمت هزالاً بِحَرَّان تَعاوي ذئابها
فأقسمُ لا أبتاع رغفان خالدٍ بأرواح نجدٍ ما أقام ترابها

وقال الهيثم بن عدي : قال ابن عياش : كانت حطمة خالد ، فجاءت قيس وتميم وأسد وكلب وبَلي ، فكان يطعمهم ثلاث أكلات : أكلة بلحم ، وأكلة بعدس ، وأكلة بلبن أو بخل وزيت ، وكان يُحَسِّيهم السمن ويقول : لا تبدأوهم بالطعام فيموتوا فإن الأمعاء تضيق ، ثم يُحَسُّون بعد السمن المرق ، فأنفق عليهم تسعين ألف ألف درهم ، وكتب إلى هشام : إني أنفقت على الأعراب من مالك ليكثر لك الدعاء وعليك الثناء ويجب لك الأجر .

فكتب إليه هشام : يا بن أم خالد إياي والخدع ، والله لا أحسبها لك أبداً . فقال جُوانانبه ابن رأس البغل : لك عندي خمسة آلاف ألف درهم ،

وقال بعض الدهاقين : لك عندي عشرة آلاف ألف ، وتبادر الدهاقين حتى حملوها عنه .

المدائني قال: دخل رجل على خالد بن عبد الله فقال: أصلح الله الأمير، أكلمك بهيبة الآمل أم بجرأة اليائس؟قال: بهيبة الآمل، وقضى حوائجه.

حدثني أحمد بن الحارث عن المدائني عن عوانه وأبي اسماعيل الهمداني قالا: كفل ابن بيض الحنفي بهشيم بن صفوان، وجميل بن حمران بألف ألف، فمات هشيم فجلس ابن بيض فكتب إلى أبان بن الوليد:

مستكين بألف ألفٍ أسير	هالك أو إخال إني مُوْدِ
لو بعشرين أو ثلاثين حبسي	كان حبسي بالهيِّنِ الموجود
فتذكرت من لروعات دهرٍ	ذي بنات بيضٍ وحُمْرٍ وسُودِ
من لها ياسعيد قال أبان	فاغتنمها أبان يابن الوليد

فأراد أبان أن يكلم خالداً فيه فوافاه، وقد جاءه كتاب منه فيه:

ألم تر أني على عَيْلَتي	تَحَمَّلْتُ للحين حملاً ثقيلا
هُشَيْمَاً تحملتُ من شقوتي	وَثنَّيْتُ بعد هُشيم جميلا
فأودى هُشيم بما عنده	فأورثني ذاك هَمَّاً دخيلا
وما بي تفرق أيتامه	وإن أصبحوا بعد عيش كلولا
ولكن بني الألى عن قليل	يرون أباهم وشيكا قبيلا
أطعني فإني امرؤ ناصح	وخذ من فزارة غيري كفيلا
عليك عيينة أو مالكاً	وقيساً تجده وقوراً حمولا
فخذهم جميعاً بما عندهم	فأهل القتيل يلون القتيلا

وإن عدت في مثلها بعده وجئتك من عثرة مستقيلا
فمر بي عطاءً وأشياعه ينوطون رجليّ حتى أبولا

يعني عطاء بن مقدّم، كان على عذاب خالد بن عبد الله، واستخراجه.

وكان ابن هبيرة ولى هشيم بن صفوان الفزاري فارس، فلما ولي هشام وشى هشيم بابن هبيرة وزعم أنه اقتطع اثنا عشر ألف ألف درهم.

وأبان بن الوليد[1] بن عبيدالله بن مالك البجلي.

قالوا: وكان أبان بن الوليد يجالس ابراهيم وابن شبرمه، فكان ابراهيم إذا نظر إليه قال: ويحه أي خارجي هو، فلما قدم خالد بن عبد الله الكوفة عرض على ابن شبرمه العمل فقال: لاحاجة لي فيه ولكن اجعلني من أعوانك وارفع عني النوبة والمكروه ففعل فكان في الديوان.

وقال المدائني: كان أبان كاتباً لإياس بن معاوية بن قرة المزني، وكان إياس يلي سوق واسط والحسبة، أجبره ابن هبيرة على أن ولاه ذلك وضربه أربعين سوطاً حتى تقلده، فكان أبان يحمل الدواة والقرطاس لإياس، فلما قدم خالد ولاه الشرطة فقال ابن نوفل:

وهذا أبان بنيّ الوليد خطيباً إذا قام لم يحصرِ
أبعد الدواة وحمل الطروس وبعد الكتاب على الدفترِ
ظللت أميراً بأرض العراق للهفي على البيدق الأعورِ

---

١ ـ بهامش الأصل: أبان بن الوليد.

وحمل أبان الحربة يوماً، فجعل ينتظر خروج خالد ليحملها بين يديه، فقال له رجل: لو وضعت الحربة حتى يخرج الأمير أو دفعتها إلى من يمسكها، فقال: لوددت أن رجلاً أعطاني حربة أخرى أسير بها بين يديه.

وكتب هشام إلى خالد: إنك وليت شرطتك رجلاً حدثاً فلو وليتها ذا حنكة، ونقلت صاحبك إلى ماهو أجدى عليه منه، فقال خالد لأبان: قد جعل أمير المؤمنين أصلحه الله السبيل لي إلى ما أحب فيك، فولاه فارس وقال: كلها هنيئاً مريئاً، وولى شرطته العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي، فأتى علي بن زيد بن عبدالله بن أبي مليكة، واسم أبي مليكة زهير بن عبدالله بن جدعان أبان بن الوليد بفارس فوصله بخمسة عشر ألف درهم، ويقال بثلاثة عشر ألفاً فقال له: إن منيت بها على شيخ من قريش كانت إليها حاجة، قال يا أبا الحسين منّتُكَ علينا في زيارتنا أعظم.

وقال ابن نوفل يهجو أبان بن الوليد:

أخالد وليت امرأً حدّ سارق حكومة أهل المصر ياضيعة الحكم
أليس أبان أمس بالري أُرسلتْ عليه سياط الجعفري بلا ظلم
فلا تضربنّ الدهر للخمر شارباً فمن قبلهم أغلى بعاتقة الكرم

وقال ابن نوفل أيضاً:

ما سمعنا لابن الوليد أبان باب دون عامر بن قداد

فكان أبان يقول: قولوا لابن نوفل ينتسب إلى أبوين من حمير، فأما أبواه من موالي ثقيف فمعروفان.

وكان ابن نوفل يزعم في أيام الحجاج أنه من ثقيف، فلما كانت أيام خالد قال: أنا من حمير، فقال أبو عطاء السندي:

يقول ابن نوفل فيما يقول أنا ابن الكلاعيّ من حمير
ودار الكلاعي عُلويّة ودار ابن نوفل في نفر

وللكميت في أبان شعر منه قوله:

لا واضعٌ عن مطيّ الحمد أرجله يوماً ولا هو للعوراء منتدب
أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب

وأتى أبان بن الوليد جندل بن الراعي عبيد بن حصين النميري فقال له:

نفس عصام سوَّدت عصاما

فأعرض عنه واستلقى فقال ابن نوفل:

رأيت أبا الوليد وفيه إحن إذا ما المرء واجهه الكلاما
أقر لجندلٍ والقوم فوضى علانية وشبَّهه عصاما
ووقره لها جهلاًوأَغْضَى عليه العين فاستلقى وناما

ولما حبس يوسف بن عمر عمال خالد حبس أبان بن الوليد وعذبه فقال:

طال في الحبس مجلسي وثوائي واصطباري للجهد واللأواء
كل يوم يُعْدَى علي ولا قـ ـوة لي أو يراح بالعذراء
فإلى الله لا إلى الناس أشكو ما أرى من شماتة الأعداء
ربّ إني كُلِّفْتُ ما ليس عندي فعويلي إليك رب السماء
فلئن مت أو قتلت فمحمـ ـود كريم الصنع في الأحياء
كم وكم منّة ستذكر إن مـ ـت لديهم ومن يدٍ بيضاء
فاندبيني إن مت أم حصين للندى والتقى وبذل العطاء

المدائني وغيره قالوا:

أُتي خالد بن عبد الله برجل تنبأ بالكوفة وقال إنه قد أُنزل علي قرآن فقال له خالد: ما قرآنك؟. قال: «إنا أعطيناك القاهر، فصل لربك وجاهر، ولاتطع كل فاجر، مغتر بالله كافر». فأمر به خالد فضرب حتى أثخن، ثم أمر به فصلب، فقال له حمزة بن بيض الحنفي وهو يشد على الخشبة: إنا أعطيناك العمود، فأطل عليه الركود، وصلّ لربك على عود، وأنا ضامن ألا تعود». ولم يلبث أن مات.

قالوا: وأتى محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان خالداً يستمنحه فلم ير منه مايحب فقال: أما المنافع فللهاشميين، وأما نحن فما حبوتنا منه إلا شتمه علياً على منبره. فبلغ ذلك خالداً فقال: إن أَحبَّ تَنَاوَلْنَا له عثمان بشيء.

المدائني قال: كان عامة عمال خالد الدهاقين فقتل دهقان منهم بفارس، فأمر خالد بنفي العرب وعيالاتهم من السواد، فقال ابن نوفل:

أيُقْتَلُ عامل بدرابجردٍ فتنفون العباد من السواد
لعلك أن ترى عما قليل عيالك يُسْلَبُون بكل واد

المدائني قال: خطب أخو خالد اسماعيل بن عبد الله عند أبي العباس، ويقال عند أبي الجهم بن عطية، أحد رجال الدولة، فذم عمال بني أمية والحجاج وابن هبيرة ويوسف بن عمر، ولم يذكر خالداً، فقام بعض من حضر فقال: جزاك الله من خطيب خيراً، ذكرت أهل بيت اللعنة وعمالهم وأحسنتَ في ذمهم، إلا أنك تركت خالداً، وهو ابن زُوَينية اجتمع في بطن أمه الخمر

ولحم الخنزير، وسلّط أهل الذمة على المسلمات فعلقوهنّ بثديهن، وبنى البيع غير متحرج ولامرتاب.

وقال ابن نوفل:

عليك أمير المؤمنين بخالدٍ وعماله إن كنت تطلب خالدا
بنى بيعة فيها الصليب لأمه وخرّب من بعد الصلاة المساجدا

وقال حمزة بن بيض بن يمن بن عبد الله بن شمر بن عمرو بن عبيد الله بن عمرو بن عبد العزيز بن سحيم بن مرة بن الدول بن حنيفة:

ليتني من بجيلة اللؤم حتى يعزل العامل الذي بالعراق
وإذا عامل العراق تولى عدتُ من أسرتي الكرام العتاق

وقال أبو نعيم الفضل بن دكين، ثنا الفضل بن الزبير قال: أمسى خالد بالصلاة يوماً فقام إليه شاب من كندة فقال: الصلاة أصلحك الله. فقال: لعنك الله، أو لسنا في الصلاة؟.

حدثني داود بن عبد الحميد عن مروان بن معاوية، حدثني عبيد الله بن الوليد قال: قلت لعطاء بن أبي رباح: ماتقول في صاحبٍ صاحبَ هؤلاء فلم يكتب معهم شيئاً مما يدخل ويخرج؟ قال: منَ الرأس؟ قلت: خالد بن عبد الله. قال: أما تقرأ ماقال العبد الصالح: ﴿رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾[1].

ومدح ابن بيض خالداً فقال:

وأبوك آدم كان عند وفاته أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الأبناء

١ ـ سورة القصص ـ الآية: ١٧ .

أخبرني عبد الله بن صالح عن ابن كُناسة أن خالد بن عبد الله كان يقول: أيها الناس عليكم بالمعروف فإن فاعل المعروف لايعدم جوازيه، فمهما ضعف الناس عن أدائه قدر الله على جزائه.

وقال أيضاً: أيها الناس تنافسوا في المكارم فإنها أعظم المغانم واشتروا الحمد بالجود، ولاتكسبوا بالمطل ذماً.

وقال خالد: أيها الناس عليكم بالمعروف فإن المعروف لو كان رجلاًلرأيتموه حَسَناً بسناً[1] ذا بشر ومروءة ولاتملوا النعم فتعود نقماً.

وقال: أيها الناس لو رأيتم البخل لرأيتموه مشوهاً قبيحاً تنفر عنه القلوب وتُغَضّ دونه الأبصار، ومن لم يطب حرثه لم يَزْكَ نبتهُ.

حدثني محمد بن أنس الأسدي عن ابن كناسة قال: دخل الطرّماح على خالد فقال: ياأبا نفر أنشدني، فقال: اجلس ثم أنشدك، فقال: لا إلا قائما وإلا فلا شيء لك عندنا فخرج وقال:

حراً أموت ولم يَشِنّي مطمعٌ ... إني نقيّ بطائن الأطهار[2]

وقال بعض قريش: إن أبا نفر لعظيم المروءة.

المدائني قال: لما أتى ابن الراعي خالداً فمات ابنه وأعطاه خالد ديته، قال أبو الجويرية العبدي:

وبَذْأَةُ مجدٍ لم تكن فاقترحتها ... إلى كل أفقٍ فاحتوتها القصائد
ضمنت ابن راعي الإبل أن حان يومه ... وشقّ له قبرٌ بأرضك لاَحِدُ

١ - بَسَنَ: اتّبَاعٌ لِحَسَنٍ وأبْسَنَ الرجل: حسنت سحنته. القاموس.
٢ - ديوان الطرماح - ط. دمشق ١٩٦٨ ص٢٤٠، وفيه «الإضمار».

خبـــاء لمثـوى زائــر فـوديتــه فدتك الأكفّ طلقها والجوامد
وقد كان مات الجود حتى نشرته وأذكيتَ نار الجود والجود خامد

فأعطاه ثمانية آلاف ، وقال : أنت أشعر من ابن الراعي .

وقال الفرزدق :

وما الشمس ضوء المشرقين إذا بدت ولكن ضوء المشرقين بخالد[1]

قالوا : وكان طارق مولىٰ خالد ابن اخت سعيد بن راشد ، وسعيد مولى النخع ، وكان طارق يأخذ من كل سفينة ذات شراع أربعة دراهم ، ومن كل مصعدة ثمانية دراهم ، وكان متحاملاً على عبدالله بن عبد الرحمن بن سعيد بن عتاب بن أسيد ، وابن لعنبسة بن سعيد . فشكواه إلى خالد وقالا : هو يضربنا في أرضين لنا . فقال خالد : أما سمعتما قول القائل :

أسجد لقرد السوء في زمانه وارفق به مادام في سلطانه
وإن تلقّاك بقيروانه

قالا : بلىٰ . قال : فأرضياه . فحملا عهدتي أرضيهما وأتيا طارقاً . فقال : ما حاجتكما ؟ فقالا : كنا ننازعك فيما تأخذه منا ، وقد أتيناك بعهدتي أرضينا فاقبضهما هنيئاً مريئاً . فقال : فعلتما ما أنتما أهله في شرفكما . ودعا بأشربة عنده على ضياع فقال : دونكما هذه العُهَد وعُهدتيكما فدخلا على خالد بَعْدُ ، فقال : أسجدتما للقرد ؟ قالا : نعم وقد أحسن وأجمل .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن كناسة قال : كان بين عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص وبين جعفر بن عمرو بن حريث

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٣٢ .

مُماظَّة[1] ومعاتبة ، فدخل جعفر بن عمرو على خالد ، وعنده عبد الرحمن بن عنبسة ، وعلى صدر خالد صبي يقبله ويلاعبه ، فقال لعبد الرحمن وكان جالساً إلى جنبه وخالد لا يسمع : من هذا الصبي ؟ قال : ابني . قال : أصلح الله الأمير ، نحّ هذا الصبي عن صدرك فما رأيت أقذر منه وأنت تقبله ، فقال خالد : أفي نفسك على أبي عبدالله موجدة أو شيء ؟ قال : ومن أبو عبدالله ؟ قال : أسد أخي . فقال : أصلح الله الأمير ، ما عرفته ولكن هذا الفاسق خدعني وغرني وزعم أنه ابنه ، فضحك خالد حتى فحص برجليه .

قالوا : وأتى خالداً رجل من ولد السليل الشيباني فقال : أصلح الله الأمير إني حملت عشر ديات وأتيتك معتمداً ، قال : فاحتكم . قال : نصفها . قال : قد فعلت . فخرج فلامه أصحابه وقالوا : حكّمك الأمير أفلا حكمت بها كلها ، وسمع خالد ذَرْوَاً[2] من قولهم فقال : ما يقولون ؟ فأخبربه فقال : ردوه ، فلما ردوه قال : قد أقلتك ، وأمر له بالعشر كلها . قال : فانصرف بألف بعير .

المدائني قال : دخل خالد بن عبدالله على عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته فقال له : ما زينتك الخلافة ، ولكنك زينتها ، ولا شرفتك ولكنك شرفتها وإنك لكما قال الشاعر :

---

١ ـ مظظته : لمته وماظظتُه مماظة ومظاظا : شاررته ونازعته ، والخصم لازمته . القاموس .
٢ ـ ذرت الريح شيئاً : أطارته ، والذرو من الحديث ما ارتفع إليك وترامي من حواشيه وأطرافه . النهاية لابن الأثير .

وتزيدين طَيِّبَ الطِّيْبِ طيبا إن تَمَسِّيه أين مثلك أينا
وإذا الدُّر زان حُسْنَ وجوهٍ كان للدر حسنُ وجهك زينا

فقال عمر : أعطي هذا الرجل مقولاً ولم يعط عقلاً .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : كان فروخ أبو المثنى على ضياع هشام متقبلاً بها ، وكان قد تقبل بنهر الرمان ، فقيل له فروخ الرماني فثقل على خالد فقال لحسان النبطي : ويحك اخرج إلى أمير المؤمنين فزد على فروخ ، فزاد عليه ألف ألف ، فثقل حسان على خالد فجعل يُضِرُّ به ، فقال له : لا تفسدني فإني صنيعتك ولا تضرنّ بي ، فأبى ، فشخص حسان فقال لخادم من خدم هشام : إن تكلمت بكلمة أقولها لك حتى يسمعها أمير المؤمنين فلك عندي ألف دينار . قال : فعجلها ، ففعل . فقال : بَكِّ صَبْياً من ولد هشام ، فإذا بكى فقل : تبكي كأنك من ولد خالد القسري ، غلته ثلاثة عشر ألف ألف لا يؤدي منها شيئاً وهو يأكل العراق ، فسمعها هشام ، ودعا بحسان فسأله عما سمع فقال : لعمري إن غلته هذا المال . فكانت في نفس هشام حتى عزله .

وكان خالد يقول لابنه يزيد : ما أنت بدون مسلمة بن هشام ، وإنك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر أحد بمثلها : سَكَرتُ دجلة ولم يتكلف ذلك أحد ، ولي سقاية بمكة ، وولاية العراق .

المدائني قال : كان خالد كثيراً مما يذكر هشاماً فيقول : ابن الحمقاء الورهاء[1] ، وكانت أم هشام كذلك فكتب مرة إلى هشام كتاباً غاظه فيه

١ ـ الورهاء : الحمقاء . القاموس .

فكتب إليه هشام : بلغني أنك تقول ما ولاية العراق بشرف لي ، فيا بن اللخناء كيف لا تكون إمرة العراق شرفاً لك ، وأنت من بجيلة ، القليلة الذليلة ، أما والله إني لأظن أول من يأتيك صقر من قريش يشد يدك إلى عنقك .

قالوا : وكتب هشام إلى خالد : بلغني أنك تقول أنا خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كُرْز ، ووالله ما أنا بأشرف الخمسة ، أما والله لأردنّك إلى بغلتك وطيلسانك القيروي .

وبلغ هشام أن خالدا يقول لابنه : كيف أنت إذا احتاج إليك ولد هشام ، فأغضب ذلك هشاماً .

وأتى رجل هشاماً فسأله عن خالد فقال : لقد سمعته يقول فيك قولاً عظيماً فبحثه عنه فقال : هو أفظع من أن يواجه به أمير المؤمنين فقال : أقال لك الأحول ؟ قال : أعظم من ذلك . ولم يزل يُبلغ هشاماً عنه ما يكره حتى تغير رأيه فيه، وكان أثيراً عنده ، والذي كان الرجل سمعه يقول ابن الورهاء .

وأتى دهقانٌ خالداً فقال له : إن غلة ابنك اليوم عشرة آلاف ألف ولا آمن من أن يبلغ ذلك أمير المؤمنين فيستكثره ، وإن الناس يحبون جسدك ، وأنا أحب روحك وجسدك ، فقال : ويحك دع ابني فلربما طلب ألف درهم فلم يقدر عليها .

قالوا : وأتت امرأة خالداً فقالت : أصلح الله الأمير ، إني امرأة مسلمة وإن عاملك فلان وثب علي وهو مجوسيّ فأكرهني على الفجور ،

وغضبني نفسي ، فقال : كيف وجدتِ قلفته ؟ فكتب حسان بذلك إلى هشام ، فكان ذلك مما دعاه إلى عزل خالد ، وولاية يوسف بن عمر .

وقال خالد : أن أكرم الناس عفواً من عفا عن ذنب أخيه بعد قدرة ، ومن لم يَطِبْ حَرْثُهُ لم يَزْكَ نَبْتُهُ ، والفروع على مغارسها تنمى ، وعلى أصولها تسمو

نشأ الصغير على أخلاق والده إن العروق عليها ينبت الشجر

قالوا : أخفى هشام عزل خالد بن عبدالله ، وكان :

يوسف بن عمر الثقفي[١]

عامله على اليمن ، فكتب هشام إليه بخطه يأمره أن يقبل في ثلاثين من أصحابه إلى الكوفة ، وبعث بالكتاب بعهده على العراق ، ووجه بذلك شَعْوَذياً[٢] . ويقال بل كان عنده رسول ليوسف بعثه في حوائج له فحمله العهد ، وكتب الولاية والتسليم ، فخرج يوسف حتى صار إلى الكوفة في سبعة عشر يوماً فعرس[٣] قريباً منها ، وقد ختن طارق خليفة خالد على الخراج ولده ، فأُهدي له ألف عتيق وألف وصيفة سوى المال والثياب وغير ذلك ، فجاء رجل إلى طارق فقال له : إني رأيت قوماً أنكرتهم وزعموا أنهم سفار .

١ ـ بهامش الأصل : يوسف بن عمر .
٢ ـ الشعوذي : رسول الأمراء على البريد . القاموس .
٣ ـ أي نزل بآخر الليل للإستراحة . القاموس .

وصار يوسف إلى دور ثقيف فأمر بعض الثقفيين أن يجمع له من قدر عليه من مضر ففعل ، فدخل يوسف المسجد مع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة ، فقال : حتى يأتي الإمام . فانتهره فأقام ، وتقدم يوسف فصلى وقرأ : ﴿إذا وقعت الواقعة﴾[١] و﴿سأل سائل﴾[٢] ، ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما فأخذوا ، وإن القدور لتغلي .

وقال أبو عبيدة : حبس يوسف خالداً فصالحه أبان بن الوليد عنه وعن أصحابه على تسعة آلاف ألف درهم ، ثم ندم يوسف وقيل له : لو لم تقبل هذا المال لأخذت منه مائة ألف ألف درهم ، فقال : ما كنت لأرجع عن شيء رهنت به لساني .

وأخبر أصحاب خالد خالداً فقال : أسأتم حين أعطيتموه هذا المال في أول وهلة . ما يؤمنني أن يأخذها ثم يرجع عليكم فارجعوا إليه . فأتوه فقالوا : إنا أخبرنا خالداً بما فارقناك عليه من المال ، فذكر أنه ليس عنده ، فقال : أنتم أعلم وصاحبكم فأما أنا فلا أرجع عليكم وإن رجعتم لم أمنعكم ، قالوا : فإنا قد رجعنا ، قال : فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف ومثلها ومثلها ، فذكر ثلاثين ألف ألف ويقال مائة ألف ألف .

وقال الكميت يمدح يوسف ويهجو خالداً بقصيدة طويلة منها :

لأجري من الآلاء آل أبي عمر … اللائي لها كنت أضرب[٣]
أناس يبارون الرياح فلا القرىٰ … بكيّ ولا الجاني لديهم مؤنّب

---

١ ـ سورة الواقعة ـ الآية : ١ .
٢ ـ سورة المعارج ـ الآية : ١ .
٣ ـ عجز هذا البيت مضطرب الوزن .

يظل اليتامىٰ الشعث حول جفانهم عيالاً عليهم والضريك المعصّب
فداهم من الأقوام أولاد خالد ومعشره أيام يرجّىٰ ويُرْهَبُ
فأنت لدين الله فينا وطيده وأنت على الأحساب فينا المذبِّبُ
خرجت لهم تمشي البراح ولم يكن ليحصنه منه الرتاج المضبَّبُ[١]

حدثنا العمري عن ابن عياش قال : أجمع هشام على عزل خالد لأنه اتخذ بالعراق أموالاً ، وحفر أنهاراً حتى بلغت غلته عشرين ألف ألف درهم ، منها نهر خالد كان يغل خمسة آلاف ألف درهم ، وباجوا ، وبارمانا والجامع ، والمبارك ، ولَوْبَة ، وسابور ، والصلح ، وأمواله بالبصرة والبحرين ، وكان يقول كثيراً : ابني هذا مظلوم ، ما تحت قدمي من شيء إلّا وهو له ، لأن عمر جعل لبجيلة ربع السواد ، ثم صالحهم عنه .

قال الهيثم : فحدثني الحسين بن عمارة عن العريان بن الهيثم قال : قلت لخالد يوماً : إن الناس قد رمقوك بأبصارهم وحدجوك[٢] ، وهي قريش وليس بينك وبينهم آل ، وهم يجدون منك بدآً ، وأنت لا تجد منهم بدآً ، فأنشدك الله لما كتبت إلى هشام تخبره خبر أموالك ، وتعرض عليه ما أحب منها ، فما أقدرك على اتخاذ مثلها ولا يستفسدك ، وإن كان حريصاً ، وأعطه طائعاً خير من أن تعطيه كارهاً ، وله عندك اليد الجليلة التي تحفظ ولا تنسىٰ ، وإنما نلت ما نلت في سلطانه ، فإنه إن رفع عليك رافع ، وسعىٰ بك ساع لم آمن عليك أن يحوزها .

---

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .
٢ ـ حدج : ضرب بالتهمة ، والتحديج : التحديق . القاموس .

قال : مارأنت بمتهم ، ولا يكون ذاك أبداً . فقال : أطعني واجعلني رسولك إليه فوالله لا يحل عقدة إلّا شددتها ، ولا يشد عقدة إلّا حللتها ، قال : إني والله ما أعطي على الذل ، فكان العريان يقول : كأنك بها قد أخذت منه على الذل والصغار .

حدثنا العمري عن الهيثم عن ابن عياش أن بلال بن أبي بردة كتب إلى خالد ، وهو عامله بالبصرة ، حين بلغه تعتب هشام على خالد ، يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له فسار إلى الكوفة في يوم وليلة على الجمّازات[1] فقال له خالد : يا أبا عمرو لقد أتعبت نفسك فقال : لأنه بلغني تعتب أمير المؤمنين عليك ، وما بغاك به ولده ، وأهل بيته ، فإن رأيت أن تعرض عليه بعض أموالنا ليأخذ من ذلك ما أحبّ فافعل ، فإن أنفسنا طيبة بما نعطيه ، فقال : يا بلال إني والله ما أعطي شيئاً قسراً ، فقال : أتكلم أيها الأمير؟ قال : نعم ، قال : يقول لك هشام وليتك ولا شيء لك فلم تر على نفسك من الحق أن تعرض علي بعض ما صار إليك ، وأخاف أن يزين له حسان النبطي ما لا تستطيع تلافيه ولا تداركه ، فاغتنم هذه الفترة . قال : أنظر في ذلك فانصرفْ راشداً ، فانصرف بلال وهو يقول : كأنكم بهذا الرجل وقد بُعث إليه رجل بعيد الرحم ، سخيف الدين ، بغيض النفس ، قليل الحياء ، فأخذه بالإحن والترات ، فكان كما قال .

وقال ابن عياش : كان بلال اتخذ داره بالكوفة ، وإنما استأذن لينظر إلى داره ، فما نزلها إلا مقيّداً ، ثم جعلت سجناً إلى اليوم .

---

١ ـ جمز الانسان والبعير ، وثب ، وهو عدو دون الحُضر ، وفوق العنق . القاموس .

قال ابن عياش : كان خالد يخطب فيقول : تزعمون أني أُغلي أسعاركم ، فعلى من يغليها لعنة الله ، وكان هشام بن عبد الملك كتب إلى خالد ألاَّ يُبَاعَنَّ من الغلات شيء حتى تباع غلة ولد أمير المؤمنين ، فبلغت الكيلجة[1] درهما .

قالوا : ولما غلب هشام ، وقَلّ صبره على ما يبلغه عن خالد ، أزمع عزله ، وكتم ذلك سالماً كاتبه ، لصداقة كانت بينه وبين خالد ، فكتب إلى يوسف بن عمر بخطِّهِ بولاية العراق ، وإلى خالد بالتسليم .

المدائني عن بشر بن عيسى عن أبيه عن الربيع بن شابور مولى بني الحريش قال : أتى هشاماً كتاب خالد ، وقدم عليه في ذلك اليوم رسول ليوسف بن عمر ، فقرأ هشام كتاب خالد ، فلما صلى المغرب نهض فصلى ركعتين ثم رفع يده يدعو ، فقلت في نفسي : إنه ليستخير الله في عزل خالد ، فكتب عهد يوسف من ليلته مع الرسول ، والرسول لا يدري ما معه .

قال الهيثم : فسمعت أشرس مولى بني أسد ، وكان تاجراً ليوسف يحدث الحسن بن عمارة قال : أتانا كتاب هشام فقرأه يوسف فكتمنا ما فيه ، وقال : أريد العمرة ، فخرج وأنا معه ودكين بن شجرة العاملي ، وأخوه قرواش ، وحجاج النصري ، وكانوا أصحاب محمد بن يوسف الذين يؤانسهم ، قال : فخرجنا واستخلف ابنه الصلت على اليمن ، فما كلم أحداً منا بكلمة حتى انتهى إلى العُذيب ، فأناخ وقال : يا أشرس ، أين

---

١ ـ الكيلجة : مكيال . القاموس .

دليلك ؟. قلت ؛ هوذا ، فسأله عن الطريق فقال : هذه طريق المدينة ، وهذه طريق العراق . فقلت : والله ما هي بأيام عمرة ، فلم يتكلم حتى أناخ بين الحيرة والكوفة في بعض الليل ، ثم استلقى على ظهره ، ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال :

فما لبثنا العيس أن قذفت بنا نوى غربة والعهد غير قديم

يا أشرس ابغني إنساناً أسائله ، فأتيته برجل فقال : سله عن ابن النصرانية ، فقلت : ما فعل خالد ؟. قال : في الحمة ، اشتكى فخرج إليها ، قال : سله عن طارق ، فقال : ختن بنيه وهو يطعم الناس بالحيرة وخليفته عطية بن مقلاص يطعم الناس بالكوفة ، قال : خلٍّ عن الرجل .

ثم ركب فأناخ بالرحبة ، ودخل المسجد ، فصلى يوسف ، ثم استلقى على ظهره فمكثنا ليلاً طويلاً ، ثم جاء المؤذنون ، وزياد بن عبيد الله الحارثي يومئذٍ على الكوفة خليفة لخالد ، فأذنوا ثم سلموا وخرج زياد وأقيمت الصلاة فذهب زياد ليتقدم فقال يوسف : يا أشرس نَحِّهِ . فذهب ليتقدم فقلت : يا زياد تأخر ، الأمير . فتأخر زياد ، وتقدم يوسف وكان حسن القراءة فصيحاً فقرأ : ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ و﴿إذا وقعت الواقعة﴾ فصلى الفجر وتقدم القاضي فحمد الله وأثنى عليه ، ودعا للخليفة وقال : ما اسم أميركم ؟ فأخبر فدعا له بالصلاح ، فما تفرق أهل الصلاة حتى جاء الناس ، ولم يبرح يوسف حتى بعث الحكم بن الصلت وعطاء بن مقدم إلى خالد ، وبعث محمد بن منظور الأسدي إلى أبان بن الوليد بفارس ، وبعث كثير بن عبد الله أبا العاج إلى بلال بن أبي بردة بالبصرة ، وبعث ابراهيم بن عاصم العُقَيلي إلى عبد الله بن أبي بردة بسجستان ، وأمر هشام أن يُعزل عمال خالد

جميعاً إلا الحكم بن عوانة ، وكان على السند فأقره حتى قتل هو وزيد بن علي في يوم واحد ، قتله ناكهر ، ولم يعرض يوسف لزياد بن عبيد الله ، وبعث إلى محمد بن القاسم بن عبد الرحمن بنِ عضاه الأشعري ، فقال له : من أنت ؟ . فانتسب له ، وقال : إنما كنتُ على أعواد كَرْمَان ، قال : نِعْمَ أهل البيت أنتم فَأَدِّ شيئاً . قال : قد أخبرتك أني لم أتولّ جباية ، فقال : خليّا سبيله .

فلما أتى خالد قيل له : الأمير الأمير . قال : دعوني مِن أميركم ، أَحيٌّ أمير المؤمنين ؟ قيل : نعم . قال : لابأس عليّ . فلما قُدم بخالد على يوسف حبسه وضرب يزيد بن خالد ثلاثين سوطاً ، فكتب هشام إلى يوسف : أُعطي الله عهداً لئن شاكتْ خالد شوكةً لأضربنّ عنقك فخلٍّ سبيله بثَقَله وعياله . فأتى الشام فلم يزل مقيماً بالشام يغزو الصوائف حتى مات هشام .

وقال غير الهيثم : كانت ولاية خالد العراق في شوال سنة خمس ومائة ، ثم عزل في جمادى الأولى سنة عشرين ، وقد قدم عليه يوسف واسطاً فحبسه بها ثم شخص إلى الحيرة ، فلم يزل خالد محبوساً بالحيرة ثمانية عشر شهراً ، وحبس معه أخوه اسماعيل بن عبد الله ، وابنه يزيد بن خالد ، وابن أخيه المنذر بن أسد بن عبد الله .

واستأذن يوسف في البسط على خالد ، فلم يأذن له هشام حتى ألحّ عليه بالرسل ، واعتلّ بانكسار الخراج لما صار إليه وعماله منه ، فأذن له فيه مرة واحدة ، وبعث حرسياً يشهد ذلك ، وحلف لئن أتى على خالد أجله وهو في يده ليقتلنه ، فدعا به يوسف وجلس على دكان بالحيرة ، وحضر الناس وبسط عليه فلم يكلمه خالد حتى شتمه يوسف وقال : يا بن الكاهن - يعني

شقّا أحد أجداد خالد وكان كاهناً ـ. فقال له : إنك لأحمق ، تعيّرني بشرفي لكنك ابن السبّاء ، إنما كان أبوك يسبي الخمر .

ثم رده إلى محبسه ، فأقام ثمانية عشر شهراً ، ثم كتب إليه هشام يأمره بتخليه سبيله في شوال سنة إحدى وعشرين ومائة . وأخذ يزيد بن خالد وحده على بلاد طيء حتى ورد دمشق ، وخرج خالد ومعه اسماعيل أخوه وغيره ، وقد جهزهم عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص ، فسار خالد حتى نزل القُرّية ، وهي من أرض الرصافة ، فأقام بها بقية شوال ، وذا القعدة ، وذا الحجة ، وصفر لا يأذن له هشام في القدوم عليه والأبرش يكاتب خالداً .

قال الهيثم : وخرج زيد بن علي على يوسف بن عمر ، فكتب يوسف ؛ إن أهل البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همة أحدهم قوت يومه ، فلما ولي خالد العراق قوّاهم بالأموال حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة ، وما خرج زيد إلا بإذن خالد ، وما مقامه بالقرّية إلاّ لأنها مدرجة الطريق، فهل تسأل عن أخباره؟ فقال هشام للرسول، وهو رجل من بلقين : كذبتَ وكذب صاحبك ومهما اتهمنا به خالداً فإنا لا نتهمه في طاعته وأمر بالرسول فوجئت عنقه .

وبلغ الخبر خالداً فصار إلى دمشق فأقام بها حتى حضرت الصائفة ، فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد ، وعبد الله بن يزيد بن خالد ، وكان على دمشق يومئذ كلثوم بن عياض بن جُوْح بن قيس القشيري ، وكان متحاملاً على خالد مطابقاً ليوسف على أمره ، فلما أدرب الناس ظهر في دور دمشق حريق في كل ليلة يلقيه رجل من أهل العراق يقال له أبو المُعَرِّس

وأصحاب له ، فإذا ارتفعت النار أغاروا يسرقون ، وكان اسماعيل بن عبد الله ، والمنذر بن أسد ، وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدث كان من الروم ، فكتب كلثوم إلى هشام يذكر الحريق ، ويذكر أنه لم يكن قط قبل قدوم خالد ، وأن موالي خالد يريدون الوثوب على بيت المال ونهب الناس . فكتب هشام إليه يأمره بحبس آل خالد الصغير منهم والكبير ، ومواليهم والنساء ، وأخذ اسماعيل والمنذر ومحمداً وسعيداً من الساحل ، فقدم بهم في الجوامع ومن كان معهم من مواليهم وغلمانهم ، وحبس أم جرير بنت خالد والرائقة وجميع النساء والصبيان .

ثم ظهر على أبي المعرّس ، فأُخذ ومن معه ، فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج بدمشق إلى هشام يخبره ببراءة من حُبس من أهل خالد ، وأخذ أبي المعرّس وأصحابه .

فكتب هشام إلى كلثوم يشتمه ويعنّفه ويأمره بتخليه من حبس من آل خالد ومواليه وغيرهم ممن هو منهم بسبب ، فخلاهم جميعاً .

ولما قدم خالد قال : غزوت في سبيل الله سامعاً مطيعاً ، فأُخذ حُرَمي ، وحُرَمُ أهل بيتي فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بأهل الشرك ، فما منع عصابة منهم أن تقوم فتقول علام حبس حُرَم هذا الرجل ، أخفتم أن تقتلوا جميعاً ؟. أخافكم الله .

ثم قال : مالي ولهشام يسوق بناتي وحُرمي كل يوم إلى السجون ، ليكُفَّنَّ عني أو لأَدْعُوَنَّ إلى عراقي الهوى شامي الدار حجازي الأهل لو نخر نخرة ، أو نعر نعرةً تداعت من أقطارها ـ يعني محمد بن علي بن عبد الله بن

عباس ـ. فبلغ قوله هشاماً فقال : خرف الرجل . وكتب إليه : إنك هُذَأَةٌ ، هُذَرَةٌ ، أبجيلةُ القليلةُ الذليلة تتهددنا ؟ .

وقال رجل من عبس في خالد :

ألا إنَّ بحرَ الجودِ أصبح ساحياً   أسيرَ ثقيفٍ موثقاً في السلاسل
فإن يسجنوا القسريَّ لا يسجنوا اسمه   ولا يسجنوا معروفه في القبائل

قال الهيثم : فأقام خالد بدمشق ، ويوسف مُلحٌّ على هشام في إشخاص يزيد بن خالد ، فكتب إلى كلثوم يأمره بحمل يزيد إلى يوسف ، فبعث إليه خيلاً وهو في بعض النواحي فقاتلهم ولم يقدروا عليه ، فحبس كلثوم خالداً في سجن دمشق ، وسار إسماعيل أخوه حتى أتى الرصافة ، فدخل على ابن الزبير حاجب هشام فأخبره بحبس كلثوم خالداً ، فأنهى ذلك إلى هشام ، فكتب إلى كلثوم يعنفه ويقول : عجزتَ عمنّ أمرتك بأخذه ، وحبست من لم آمرك بحبسه ، وكتب إليه في تخلية سبيل خالد فخلاه .

وقال الهيثم : أمر هشام الأبرش فكتب إلى خالد : بلغني أن عبد الرحمن الضبيّ قام إليك فقال : يا خالد إني أحبك لعشر خلال : إن الله كريم وأنت كريم ، والله جواد وأنت جواد ، والله حليم وأنت حليم ، والله رحيم وأنت رحيم ، وعدَّ عشر خلال ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن تحقق ذلك عنده ليسفكنّ دمك ، فاكتب بالأمر على وجهه لأخبر به أمير المؤمنين .

فكتب إليه خالد : إن ذلك المجلس كان أكثر أهلاً من أن يجوز لأحد من أهل البغي والفجور أن يحرّف ما كان فيه ، قام إليّ عبد الرحمن بن ثويب الضبي فقال : إني لأحبك لعشر خلال : إن الله يحب كل كريم ، وأنت كريم فالله يحبك ، وعَدَّد عشر خلال ، ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شفي

الحميري وقوله : أمير المؤمنين خليفة الله ، وهو أكرم على الله من رسوله فأنت خليفة ومحمد عليه السلام رسول ، ولعمري لضلالة بجيلة بأسرها أهونُ على الخاصة والعامة من ضلالة أمير المؤمنين .

فلما قرأ الأبرش الكتاب على هشام قال : خرف أبو الهيثم ، فأقام خالد بدمشق حتى مات هشام ، ثم قام الوليد فقدم عليه خالدفيمن قدم من أشراف الأجناد فلم يأذن لأحد منهم ، واشتكى خالد فاستأذن فأذن له فرجع إلى دمشق فأقام أشهراً ، ثم كتب إليه الوليد : إن أمير المؤمنين قد علم حال الخمسين الألف الألف التي تعلم فاقدم على أمير المؤمنين مع رسوله ، فقد أَمَرهُ يُعجلك عن جهازك ، فاستشار خالد ثقاته فأشير عليه بالامتناع حتى يعطى أماناً يثق به ، فقال : إني لأكره أن تكون الفرقة والاختلاف على يدي ، ولمسيري أصلح ، وأنا أستعين بالله .

وخرج حتى قدم على الوليد ، فلم يدع به ، ولم يكلمه ، وهو في بيته مع مواليه وخدمه حتى قدم برأس يحيى بن زيد بن علي من خراسان ، فجمع الناس في رواق وجلس الوليد ، وجاء الحاجب فأذن لثلاثة نفر ثم قال : قم يا خالد ، فقال : قد تراني لا أقدر على المشي ، إنما أحمل حملاً لعلّتي ، فحُمل على كرسيه وأدخل إلى الوليد والموائد موضوعة والناس سماطان ، وعقال بن شبة يخطب ، ثم انصرف الناس ، وحمل خالد إلى رحله ، ثم أتاه رسول الوليد فَرُدَّ فلما صار إلى باب السرادق وقف به ، وخرج إليه رسول الوليد فقال : يقول لك أمير المؤمنين أين يزيد بن خالد ؟. فقال : كان أصابه من هشام ظفر ثم طلبه فهرب منه ، وكنا نراه عند أمير المؤمنين ، ونحن نظن أنه في بلاد قومه بالشراة ، فقال : ولكنك خلفته طلباً للفتنة .

فقال : قد علم أمير المؤمنين أنا أهل طاعة أنا وأبي وجدي ، فقال : والله لتأتين به أو لأزهقن نفسك .

فرفع خالد صوته ، وكان الوليد بالقرب ، فقال : قل له : هذا أردت ، وإياه اعتمدت ، وعليه دُرتَ ، والله لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما لك عنه فاصنع ما بدا لك .

فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه وقال : أسمعني صوته . فأتى به غيلان رحله فعذبه بالسلاسل فلم يتكلم فأعلم الوليد بذلك وقال : لم أر أصبر منه ، ما ينطق بشيء . فقال : احبسه عندك فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر بمال العراق ، وجلس الوليد وأذن للناس ويوسف عنده فتكلم أبان بن عبد الله النميري في خالد فقال يوسف : إني أشتريه بخمسين ألف ألف درهم ، فأرسل الوليد إلى خالد : إن يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف درهم فإن ضمنتها وخرجت منها وإلا دفعتك إليه . فقال خالد : ما عهدتُ العرب تباع ، والله لو سألتموني أن أضمن هذا ـ وأخذ عوداً من الأرض ـ ماضمنته فلير أمير المؤمنين رأيه ، فدفعه إلى يوسف فنزع ثيابه وَدَرَّعَهُ عباءة ولحفه أخرى وحمله في محمل بغير وطاء ولا غطاء ، وجعل زميله أبا قحافة المرّي ابن أخي الوليد بن تليد ، وكان الوليد عامل هشام على الموصل ، فانطلق به حتى نزل على مرحلة من عسكر الوليد ثم دَعَا بِهِ فشتمه وذكر أمه فقال : ما ذكر الأمهات لعنك الله ، والله ما أكلمك كلمة أبداً .

فبسط عليه وعذبه عذاباً شديداً وهو لا يكلمه ، ثم ارتحل به حتى إذا كان في بعض الطريق بعث إليه تميم بن زيد القيني بشربة سويق حب الرمان مع مولى له يقال له سالم ، فبلغ ذلك يوسف فضرب تميماً خمسمائة سوط ،

وضرب سالماً ألف سوط ، وكان يوسف يُمْشي خالداً في طريقه كثيراً إضراراً به .

ثم قدم يوسف الحيرة ، فدعا بخالد وبابراهيم ومحمد ابني هشام بن اسماعيل المخزوميين ، وكانا ممن يشير بخلع الوليد ، فبسط يوسف على خالد ، فلم يكلمه بكلمة ، وصبر ابراهيم بن هشام ، وجزع محمد ، ومكث خالد يوماً في العذاب ، ثم وضع على صدره الدهق فقتل من الليل ودفن في ناحية الحيرة في عباءته التي كان فيها ، وذلك في المحرم سنة ست وعشرين ومائة ، فأقبل عامر بن سهلة الأشعري فعقر على قبره فرساً ، فضربه يوسف سبعمائة سوط .

حدثني أبو بكر الأَعْيَنَ عن أبي نعيم الفضل بن دُكين قال : حدثني رجل كان مع يوسف بن عمر قال : شهدت خالداً حين أتى به يوسف فدعا بعودفوضع على قدميه ثم قامت عليه الرجال حتى كسروا قدميه فوالله ما تكلم ولا عبس .

وقال الوليد بن يزيد لأبي الزناد: قد أمرت يوسف بعذاب ابني هشام بن اسماعيل ، قال : سرور والله ، فأخذ الوليد القرطاس وكتب إلى يوسف : إذا أتاك كتابي هذا فألحّ في العذاب على ابني هشام وخالد بن عبد الله حتى يموتوا ، فكان يقال : ما قتلهم إلا أبو الزناد .

وقال المدائني : قالها رجل من قيس ونُحِّلَها الوليد وهو الثبت :

وهـذا خالـد أمسى أسيراً ألا منعوه إن كانوا رجالاً
عـظيمهُمُ وسيِّـدهُمْ قـديمـاً جعلنا المخزيات له ظِـلالا

فلو كانت قبائل ذات عزٍّ   لما ذهبتْ صنائِعه ضـلالا[1]

وقال عمران بن هلباء الكلبي في قصيدة له :

متى تلْقَ السَّكُونَ وتلق كلباً   بقيس تَخْشَ من ملك زوالا
لئن عـيرتمـونـا مـا فعلنـا   لقـد قلتم وجَـدُّكُم مقـالا

وقال منصور بن جمهور :

يا قوم لا تُغلبوا عن رأيكُمْ فلقد   جَرَّبْتُمُ الغدر من أولاد مروانا
مازال من قتلوا عَمْرَاً بغدرهم   يدعون غدراً بعهد الله كَيْسَانا
حتى استباحوا سنام الأرض مملكة   قَسْراً فَوَلّوا أمور الناس ولدانا
وَوَحَّشُوا[2] بكتاب الله واتخذوا   أهواءهم في معاصي الله قربانا
ألا ترى مُضَراً أضحت تثير معاً   حرباً وضرباً شتات الأمر وحدانا
يقطعون بنـا أعناق سـادتنا   ويعلقون بنا أثـواب ذبيانـا

وقال المدائني : أخذ يوسف عمال خالد وهم ثلاثمائة وخمسون ، وقال : قد بقي منهم كبش كبير الصوف ولا بد من أن يُجَزّ ـ يعني الحكم بن عوانة الكلبي ، وكان على السند ، وكان هشام تقدم فيه إلى يوسف ـ. واستخرج منهم تسعين ألف ألف درهم ولولا عنفه لأخذ منهم أكثر من ذلك .

وأخذ يوسف مولى لخالد يقال له داود فسأله عن أموال خالد ، فلم يقرّ له بشيءفضربه حتى مات ، ودعا بسعيدانف وكان على طراز خالد فضربه

١ ـ لم ترد هذه الأبيات في شعر الوليد بن يزيد المطبوع .
٢ ـ وحش بثوبه : رمى به مخافة أن يلحق . القاموس .

حتى قتله ، وهو من بني تميم ، وكان المقفع ـ واسمه داذ به عذب في استيفاء مال ، فتقفّع ـ على خراج فارس ولاه إياها خالد ، فدعا به فدفعه إلى صاحب العذاب فكان يرفق به لأنه تعينً منه مائة ألف درهم ، فدعا به يوسف فعذب بين يديه حتى مات .

وعُرِض على يوسف عماله فقال عامل منهم : جَبَيْتُ فلم أدَعْ في البلاد درهماً . فقال : كذبتَ وضربه ثلاثمائة سوط .

وقال آخر : جبيتُ فَبَقَّيْتُ بقايا ليقوى أهل البلاد بها ، فقال : بل اجتبيتها ، فضربه أربعمائة سوط .

وقال آخر : جبيتُ الخراج فازددتُ مالاً ، فقال : أَخْرَبْتَ البلاد وضربه خمسمائة سوط .

المدائني قال : قيل لاسماعيل بن يسار : اطلب العمل ونحن نضمن عنك ، قال : دعوني أنظر كيف معاملة يوسف عند رأس السنة وفعله بالعمال ، فلما رآه يعذبهم قال :

رأيت صبيحة النوروز أمراً فظيعاً عن إمارتكم نهاني
برئتُ من الولاية بعد يحيى وبعد النهشليّ أبي أبانِ
أُحاذر أن أُقَصِّرَ في خراجٍ وفي النوروز أو في المهرجان

قالوا : وكان العريان بن الهيثم ضرب الجراح بن عبد الله بن عياش الهمداني بالسياط ، وهو على شرطة خالد ، فشكاه ابن عياش إلى خالد فلم يُشْكِهِ ، فلما عذب يوسف خالداً أتاه ابنا عياش فشتماه وقالا : أهكذا تضرب ابن النصرانية ؟ إنما كان ينبغي أن تَضرب أمه حتى تسلح على وجهه ، فقيل لهما : أتشتما رجلاً أسيراً يعذب ؟ فقالا : ضربنا أميراً ولا نشتمه أسيراً ،

فمنى ندرك بثأرنا ؟. فقال لهما خالد : يا بني لئيمي قومهما أفلا صبرتما للسياط .

وغضب لخالد قوم فضربوهما ومزقوا ثيابهما فبلغ خبر الضاربين يوسف فقال : لم ضربتم هذين ؟. قالوا : غَضِباً لخالد ، فضرب كل واحد ألف سوط .

وقال المدائني : أمر يوسف ببلال فَعُذِّبَ فَضمِنَ ثلاثمائة ألف وأُخذ منه كفلاء ، فأخفرهم وهرب إلى الشام ، فيقال إن غلامه أراد أن يشتري له دراجة فعُرِف ، ويقال : بل شرى له غلامه دراجة فأحرقها ، فضربه فسعى به ، فأُتي به هشام ، فأمر به فأقيم في الشمس فقال : ادنوني من أمير المؤمنين فله عليّ ما طلب فأبى ، وردّه إلى يوسف فعذبه حتى قتله .

وقال عبد الله بن أبي بُردة للسجان : ارفع اسمي في الموتى ، فرفعه ، فقال يوسف : أرنيه ميتاً ، فَغَمَّه السجان حتى مات ، ويقال بل كان بلال الذي سأل السجان رفع اسمه في الموتى ، والمقتول في العذاب عبد الله .

وقال يونس النحوي : ما قتل بلالاً إلا دهيُّهُ في نفسه ، سأل السجان أن يرفع اسمه في الموتى ويعطيه مالاً فرفع اسمه في الموتى ، فقال يوسف : اعرض الموتى عليّ فغمَّه حتى مات وعرضه عليه ميتاً .

قالوا : وتداعت قيس وتغلب إلى الصلح بعد الذي كان بينهم ، فحمل رجل من تغلب في ذلك حمالة ، وقدم على خالد ، فأمر خالد سليمان بن المهاجر مولى بجيلة أن يقول في ذلك أبياتاً فقالها ، وأذن خالد إذناً عاماً فدخل الناس والتغلبي معهم ، فأنشد سليمان بن المهاجر أبياته :

أتغلب أم قيس ترى في بلادها   من الحرب إذ عضَّتْهُم الحرب أجزعُ

وإن القبيلين اللذين تـداعيا إلى الصلح والداعي إلى الصلح أضرعُ
أَيْنسى بنو الغَلباء بالبِشْرِ وقعةً لجـحاف قيـس[1] والقبائل تسمع

فقال التغلبي :

ألا لا ولا تنسى سليم وعامر مقام عمير حين ظل يقطع
فَدَعْ ذا ولكن ما تقولون في الذي أتيناكم فيه لنا فيه مطمع

فلم يصله ولم يعطه خالد شيئاً فمضى وتركه .

حدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال : لما عذب يوسف خالداً ادعى أنه استودع زيد بن علي بن الحسين وداود بن علي بن عبد الله بن عباس مالاً عظيماً ، وكتب يوسف بذلك إلى هشام ، فكتب هشام إلى خاله ابراهيم بن هشام وهو عامله على المدينة يأمره بحملهما إليه ، فحلفا أنه ما أودعهما خالد شيئاً ، فقال : إنكما عندي صادقان ولكن أمير المؤمنين كتب إلي في حملكما إليه فحُملا ، فلما دخلا على هشام أحلفهما بأغلظ الأيمان ما أودعهما خالد شيئاً قط فحلفا ، وقال داود : كنت قدمت عليه العراق فأمر لي بمائة ألف ، وقال زيد : كيف يودعني رجل كان يلعن جدي على المنابر ؟. فقال هشام : أنتما أصدق من ابن النصرانية ، فاقدما على يوسف حتى يجمع بينكما وبينه فتكذباه في وجهه ، ففعلا .

وقال خالد : مسَّني العذاب ففزعتُ إلى هذه العلّة ، وقلت يُفرج الله قبل قدومكما .

---

١ ـ فيما يتعلق بالجحاف ومعركة البشر ، انظر بغية الطلب ج ١ ص ٤٣١ ـ ٤٣٦ .

المدائني وغيره قالوا : بدأ يوسف بالكوفة ، فدخلها ولم يُقم بها ، وخرج إلى واسط فأقام بها سنة وأقرّ زياد بن عبد الله الحارثي على الكوفة ، ثم ولى يوسف بن عمر : محمد بن القاسم .

وقال الكميت :

ولما رأيت الدهر يقلب ظهره على بطنه فعل الممعِّكِ في الرملِ
أخذت بحبل لا أخاف انجذامه من الحكَمِ بنِ الصَّلْتِ حَسْبِيَ من حبلِ

في قصيدة له .

قالوا ؛ ونظر يوسف يوماً إلى أسود مقيد قد جلس على مائدة من الموائد التي يطعمها الناس ، وكان يأكل على موائده من أراد ، فضرب رجل من الشاميين الأسود بنعل سيفه ليقيمه ، فرآه يوسف ، فدعا بالشامي فضربه مائة سوط ، وقال للأسود : ما أنت ؟. قال : عبد . فأمر بابتياعه وأعتقه وقال : احضر طعامنا في كل يوم .

وقال المدائني : كان يقال إنه كانت في يوسف خلال حسنة : طول صلاة ، وحسن هدى ، ووفاء ولزوم للمسجد ، وضبط لحشمه وأهل بيته عن الناس وجمال وانبساط لسان ، وتواضع في منزله ، وحُسْن ملكة ، وكثرة تضرع ودعاء ، وكان يصلي الغداة فلا يزال مستقبلاً للقبلة يُسبّح ويدعو ولا يكلم أحداً حتى يصلي الضحى ، ولزومٌ للسنة ، وحفظ للقرآن واقتصاد ، وبُعْد همَّةٍ ، وبصر بالشعر والأدب .

وقال سعيد بن سَلْم : ذكر قوم يوسف فاغتابوه فقال لهم يوسف بن سليم مولى أبي بكرة : أنصفوا يوسف فإن خالد بن عبدالله اصطنع من اليمن

ومن العجم قوماً نحو أبان بن الوليد فأخملهم يوسف وأفناهم ، وأفلت منهم واحد وهو ابن الكرماني ، فقد رأيتم ما صنع بكم فكيف لو بقي الآخرون ؟

حدثني عمر بن شبه عن حيان بن بشر عن جرير عن المغيرة قال : كان الإسلام ذليلاً حتى قدم يوسف ، وقال ابن نوفل يمدح يوسف في شعر يقول فيه :

أتانا وأهل الشرك أهل زكاتنا وحكامنا فيها نُسيرٌ ونجهر
فلما أتانا يوسف الخير أشرقت له الأرض حتى كل وادٍ مُنَوَّرُ
وحتى رأينا العدل في الناس ظاهراً وما كان من قبل العقيلي يظهر

في أبيات . ثم قال بعد ذلك فيه :

أرانا والخليفة إذ رمانا مع الإخلاص بالرجل الجديد
كأهل النار حين دُعَوا أغيثوا جميعاً بالحميم وبالصديد

قالوا : وقال يوسف لكلّوب الصريمي : دلني على رجل أوليه كرمان ، فدله على نُمَيْلَةَ بن مُرَّة . فولاه فكسر خمسمائة ألف ، فضرب كلّوب خمسمائة سوط وضرب نميلة .

وولىٰ يوسف عبدالله بن طارق العنبري أمر أكراد فَسَا ودَرأبجَرد فقتله بعض الأكراد ، فأخذ ابنه قدامة كتاب يوسف إلى عبد الكريم المازني وهو على فَسَا ودرأبجرد يأمره بدفعه إليه فقال له عبد الكريم : ثأرك ثأري وعلى الرجل من الخراج شيء كثير فدعني استأديه ثم أدفعه إليك ، فعجل قدامة فقتله ، فكتب عبد الكريم بذلك إلى يوسف فضرب قدامة ضرباً مبرحاً ، فلما عزل عبد الكريم رفع عليه قدامه وقال ليوسف : هذا الذي يقول له الشاعر :

إذا زَفَنَتْ[1] عليك سَمَا بُذَخْشٍ[2] فقد أُزْجَتْ خراج دَرَابجرد

فقال يوسف لعبد الكريم : يا عدو الله وإذا أنتَ صاحب مثل هذا ، فضربه ضرباً مبرحاً .

قالوا : وكان يوضع على موائد يوسف أنواع الطعام فيأكل كل امرىء ما يشتهي ، فوضعت على مائدة منها سمكة ، فقال رجل من أهل الكوفة يقال له حماد بن أبي الدرداء ، وهو من أهل بيت ينتمون إلى أبي الدرداء وليسوا منهم ، وأهل الكوفة يقولون : بنو أبي الضرطاء ، فقال حماد : أيها الأمير ، هذا النون . فقال يوسف : والله لتضربنّ أو لتتكلمنّ بلسان أبيك . فقال : هذا كوارا وهو السمك بالنبطية ، فتركه .

قال المدائني : وولى يوسف بن عمر صالح بن كدين ولاية فخرجت عليه ثلاثون ألفاً فحبس بها ، وبلال يومئذ محبوس ، فقال له بلال : إن على العذاب سالماً ويلقب رتبيل فإياك أن تقول له يا رتبيل ، وجعل يردد عليه ذلك فعذبه سالم فنسي اسمه وكنيته وجعل يقول له : يا رتبيل اتق الله ، فيقول : اقتل . فلما خلّيَ عنه قال له بلال : ألم أَنْهَكَ عن رتبيل ؟ فقال : وهل ألقاني في رتبيل غيرك ، وأنا لم أكن أعرف رتبيل لولا أنت وما تدع شرك في سراء ولا ضراء .

قال : وكان على شرط يوسف العباس بن سعد المريّ من مُرّة غطفان وكان كاتبه قحذم بن سليمان بن ذكوان ، وزياد بن عبد الرحمن مولىٰ ثقيف ، وكان على حرسه ، وحجابته جندب وفيه يقول الشاعر :

١ ـ الزفن : الرقص .

٢ ـ بذخش : بلدة في أعلى طخارستان بينها وبين بلخ ثلاث عشرة مرحلة . معجم البلدان .

أتـانا أمـير شديـد النكـال لحـاجب حـاجبـه حـاجب

وولىٰ يوسف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القضاء ، وكانت به حدَّة فقال له : إنما أنت أجير قوم فَوَفِّهِم عملك إذا وفُّوك أجرك ، وإذا أردت الخروج فكل لا أشبع الله بطنك ، وانكح لا أعفَّك الله ، وإذا غضبتَ فقم .

المدائني وغيره : أن يوسف بن عمر قال في خطبته : إن أول من فتح علىٰ الناس باب الفتنة وسفك الدماء علي وصاحبه الزنجي ـ يعني عمار بن ياسر ـ .

قال : وكان في خضراء واسط زوج من البوم فقال : انظروا إليّ رجلاً رامياً بالبندق ، فجيء برجل فرمىٰ وكرهما فخرج أحدهما فرماه فقتله ، ثم خرج الآخر فرماه فقتله فأمر بحبسه فحبس نحواً من سنة ، فلما تحول عن واسط ذُكر له فأمر بتخلية سبيله .

المدائني عن الحكم بن النعمان قال : أراد الوليد بن يزيد بن عبد الملك عزل يوسف ، واستعمال عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، فكتب إلى يوسف : إنك كتبت إلى أمير المؤمنين تذكر إخراب ابن النصرانية البلاد ، وكنت مع ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل ، وقد ينبغي أن تكون قد عمرت البلاد حتى رددتها إلى ما كانت عليه فأشخص إلى أمير المؤمنين مصدقاً ظنته بك : ليعرف أمير المؤمنين فضلك على غيرك لكفايتك ، ولما جعل الله بينك وبينه من القرابة ، فإنك خاله ، وأحق الناس بالتوفير عليه ، ولما قد علمت مما أمر به أمير المؤمنين لأهل الشام وغيرهم من الزيادة في أعطياتهم ، وما وصل به أهل بيته لطول جفوة هشام لهم حتى أضر ذلك ببيوت الأموال .

فخرج يوسف واستخلف ابن عمه يوسف بن محمد ، وحمل معه من الأموال والأمتعة والآنية ما لم يحمل مثله من العراق قط ، فقدم على الوليد ، وخالد بن عبدالله محبوس ، فلقيه حسان النبطي ليلاً فأخبره أن الوليد على تولية عبدالملك بن محمد بن الحجاج ، وقال له إنه لابدّ لك من إصلاح أمر وزرائه وأصحابه ، فقال : ليس عندي فضل درهم . قال : فعندي خمسمائة ألف فإن شئت فهي لك ، وإن شئت فارددها إذا تيسرت فقال : أنت أعرف بالقوم وأقدارهم ومنازلهم ففرقها عليهم ، ففعل فكان جميع من على باب الوليد يعظمه ويجله ، فقال له حسان : لا تَغْدُ على الوليد ولكن رح إليه ، واكتب على لسان خليفتك كتاباً إليك : «إني كتبت كتابي هذا ولست أملك إلّا القصر ، وأمر أبانَ بن عبدالله النميري أن يتضمن خالداً بأربعين ألف ألف ، ثم زد عليه عشرة آلاف ألف ، وتسأل أن يُدفع إليك» . ففعل يوسف ذلك فقال له الوليد : ارجع إلى عملك ، ودفع إليه خالداً فحمله في محمل بغير وطاء ، فقال محمد بن القاسم : فرحمته وقد جمعت ألطافاً من أخبصة يابسة وغيرها في منديل ، ثم دنوت منه فرميت بالمنديل إليه فقال لي : هذا من متاع عُمان لأن أخي الفيض كان عامل عُمان . فقلت في نفسي : هذا على هذه الحال وهو لا يدع شرارته . فقال يوسف وفَطِن : ما قلت لابن النصرانية ؟ قلت : عرضت عليه الحاجة . فقال : أحسنت وهو أسير ، ولو فطن بما صنعت به للقيت منه شراً .

وقالوا : أقر يوسف زياد بن عبيدالله الحارثي على الكوفة حتى أخذ له عمال خالد ، ثم عزله ، وولى العباس الهمداني ، ثم الحكم بن الصلت ، ثم عزله وولى عدة ثم أعاده ، ثم ولى يوسف بن محمد بن القاسم الثقفي ،

وعلى شرطته ابن أراكة الثقفي ، ثم ولى عبيدالله بن العباس الكندي ، وعلى شرطه خراش بن حوشب أخي العوام بن حوشب ، وهو تولىٰ نبش زيد بن علي من مدفنه .

ولم يزل يوسف على العراق حتى قتل الوليد وولي يزيد بن الوليد ، فهرب فظفر به فكان محبوساً في أيام يزيد وابراهيم أخيه ، ثم قتله ابن خالد القسري في محبسه ، وسنذكر خبره إن شاء الله .

وقال سلم بن قتيبة : أرسل إلي يوسف بن عمر ، فلما دخلت عليه قال : لم أرك . فقلت : كنت عليلاً . قال : كذبت ، ما عليك أثر العلة ، إمض إلى منزلك فإذا كان مثل هذا اليوم من قابل فائتني . فانصرفت وأقمت في منزلي إلى ذلك الوقت ثم وافيته فأذن لي فدخلت عليه فسلمتُ فردَّ وقال : اجلس ، فجلست فقال : إني قد هيأت لأمير المؤمنين ألطافاً وهدايا ، وكتبت إليه أصفك له ، وأخطب عليك ولاية خراسان ، وأمرت الوفد بإطرائك وصيرتك عليهم ، وفي الوفد قمير بن مسعود في نفر من بني تميم ، فلما قدمت على هشام وصفني الوفد ، فقال هشام : له في سائر أعمال العراق مندوحة عن خراسان .

حدثني عمر بن شبه عن عبيد بن جناد عن عطاء بن مسلم الخفاف قال : لما قدم زيد بن علي علىٰ يوسف قال : يزعم خالد القسري أنه أودعني أموالاً وكيف يودعني وهو يشتم آبائي على منبره ، فأحضر يوسف خالداً في عباءة فقال له : هذا زيد وهذا داود بن علي وقد حلفا أنك لم تودعهما مالاً ، فقال : كيف أودع زيداً وأنا أشتمه وأباه ، فشتمه يوسف وردّه .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ : قالا لخالد : ما دعاك إلى ما صنعت ؟ فقال : غلظ علي في العذاب فادعيت ما ادعيت مستريحاً ، ورجوت أن يفرج الله قبل قدومكما .

المدائني قال : قدم عبد الكريم بن سليط الحنفي على يوسف فأمضاه إلى هشام ، فقال له هشام : بلغني أن لك بخراسان علماً ، قال : أجل ، قال : فمن ترىٰ لها ؟ قال : رجل أهلها الكرماني ، قال : وممن هو ؟ قال : من الأزد . فتبينت الكراهة في وجه هشام . قال : ما اسمه ؟ قال : جديع بن علي ، فتطيَّر من اسمه وقال : لا حاجة لي فيه . قال : فأبو الميلاء يحيى بن نعيم بن هبيرة ، ابن أخي مصقلة بن هبيرة الشيباني ، فقال : إن ربيعة لا تسد بها الثغور . قال : فعقيل بن معقل الليثي . فأعجبه ، فقال : إن اغتفرت منه خصلة . قال : وما هي ؟ قال : ليس هو بعفيف البطن والفرج ، قال هشام : فلا حاجة لي فيه . قال : فالمجَّرب الأديب منصور بن عمر بن أبي الخرقاء السلمي ، فأعجبه . قال : إن اغتفرت منه واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أشأم العرب ، قال : لا حاجة لي فيه . قال : فالمسنّ العاقل مجشر بن مزاحم السلمي . إن اغتفرت منه واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أكذب العرب . فقال : أيّ عقل مع الكذب ، لا حاجة لي فيه . قال : فابن ذي الطاعة يحيى بن الحضين بن المنذر . قال : ألم أقل أن ربيعة لا تسد بها الثغور . فقال : قَطن بن قتيبة بن مسلم على أنه ثائر بأبيه . قال : لا حاجة لي فيه . فقال : نصر بن سيار ، فتفاءل باسمه . قال : فإنه لا عشيرة له بخراسان . قال : أنا عشيرته ، لا أبالك ، أتريد عشيرة أكرم

مني ، اكتب عهده يا غلام ، وأمره في عهده أن يعامل يوسف بن عمر . قال : فخرج بعهده ولم يمر على يوسف وأخذ طريق حلوان .

وقالوا : أقر يوسف بلال بن أبي بردة على البصرة ثمانية أشهر ، ثم كتب إليه أن احمل إليّ عمالك فحمل إليه سعيد بن راشد فقال له سعيد : والله ما مثلي ومثلك إلا مثل حلاقين قيل لأحدهما : احلق رأس صاحبك حتى يفرغ فيحلق رأسك . فأقر يوسف بلالاً أشهراً بعد صرف سعيد .

حدثني عبدالله بن صالح عن ابن كُناسة والمدائني وغيرهما قالوا : كان يوسف قصيراً عظيم اللحية ، يلبس ثياباً طوالاً يجرها ، وكان شديد العقوبة مسرفاً في ضرب الأبشار ، وكان يأخذ الثوب اليوسفي فيمر ظفره عليه فإن تعلق به خيط ضرب صاحبه وربما قطع يده .

قالوا : وضرب يوماً جماعة في درهم زائف اخرج من الدار ، وفي درهم نقص حبة خمسة آلاف سوط ، وأُتي يوسف يوماً بثوب فقال للحائك الذي تولىٰ عمله : ما يقال لهذا ؟ قال : سهر بسهر فقال : ما تقول ويلك ؟ قال قحذم كاتبه : يقول أحمر في أحمر . فقال : لا جرم لأحمرنّ ظهره ـ فضربه ثلاثمائة سوط .

وقال يوماً لكاتبه وقد أتى بثوب : ما تقول في هذا الثوب ؟ قال : كان ينبغي أن يكون أصغر أبياتاً من هذه . فقال للحائك : صدق ، يا بن اللخناء ، فقال الحائك : نحن أعلم بهذا ، فقال لكاتبه : صدق يا بن اللخناء هو أعلم بهذا منك . فقال قحذم : هذا يعمل في السنة ثوباً وأنا يمر على يدي في كل سنة مائة ثوب مثل هذا . فقال للحائك : صدق يا بن

اللخناء ، فلم يزل يكذب هذا مرة وهذا مرة حتى عَدَّ أبيات الثوب فوجدها تنقص بيتاً من أحد جوانب الثوب فضرب الحائك خمسمائة سوط .

قالوا : وكان له وصفاء صغار ، فكانوا يأتون بالزنابير فيفلتونها في البيت الذي هو فيه فتطنّ فيخرِج فيقول : يا خبثاء ما هذا ؟ ثم يرجع .

قالوا : وأراد الخروج إلى بعض النواحي فدعا جواريه فقال لإحداهن : أتخرجين معي ؟ قالت : نعم . قال : يا خبيثة هذا كله من حب النكاح ، يا خادم ، أو يا جديح إضرب رأسها . ثم قال لأخرى : ما تقولين ؟ قالت : أحب أن أقيم فأكون مع ولدك . فقال : يا خبيثة أكل هذا زهادة فيّ ؟ اضرب يا جديح رأسها . ثم قال لأخرى : ما تقولين ؟ قالت : ما أدري ما أقول ، إن قلت ما قالت هذه أو هذه لم آمن عقوبتك . قال : يا لخناء أو تناقضين وتحتجين عليّ فأمر بها فضربت .

قال الهيثم عن ابن عياش أن رجلاً دخل على يوسف فقال له : لم أرك مذ أيام . قال : كنت خبيث البطن . فقال يوسف : والفرج ـ وإنما أراد وجع البطن ـ .

قالوا : وكان جالساً في خضراء واسط فنظر إلى عش بومة فيها ، فقال لبعض من معه : ارمها فرماها بِجُلاَهق فصرعها فقال : انك لغاوٍ أوجعوا رأسه ولا يحضرني مثله .

وقال سعيد بن راشد مولى النخع يوماً : لو فعل الأمير كذا . فقال : يا بن اللخناء أتشير عليّ ، وكان سعيد ابن اخت طارق مولى خالد القسري وفيه يقول الشاعر :

بكىٰ الخزّ من إبطي سعيد بن راشد ومن دبره تبكي بغال المواكب
فواعجبا حتى سعيد بن راشد له حاجب بالباب من دون حاجب

المدائني قال : ولىٰ يوسف الوازع بن عبّاد بن قيس السُّلمي[1] البصرة فأخذ بلالاً فحمله إلى يوسف بالكوفة ولم يدعه يوسف عليها إلا قليلاً حتى عزله ، ويقال إنه لم يوله وإنما وجهه في عمل بلال .

وولى يوسف :

أبا العاج كثير بن عبدالله السلمي البصرة .

وكان سبب توليته إياه أن أبا العاج كان عند هشام يوماً وعنده خاله ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي ، فذكر يوسف فنال إبراهيم منه فقال له أبو العاج : يا بن السوداء أيوسف يذكر بهذا ؟ فلم يفهم هشام ، وأشير إلى أبي العاج فسكت ، ونَمَتْ الى يوسف فشكرها له فكتب اليه فزاره فولاه البصرة ، ويقال أخرجه معه .

قال المدائني : ولى أبو العاج شرطته محمد بن واسع العابد ، وكان أبو العاج أعرابياً .

المدائني عن يونس النحويِ أنه سمع أبا العاج يقرأ : «فأدبر يشتد ، يريد : يسعى»[2] .

---

١ - بهامش الأصل : أبو العاج السلمي .
٢ - ﴿ثم أدبر يسعى﴾ - سورة النازعات الآية : ٢٢ .

وولى أبو العاج رجلاً بعض كور دجلة فقدم عليه فوصف له سيرته ، وقال : لقد بلغ من رضا أهل عملي بي أن نثروا عليّ حتى كسروا قناديل المسجد الجامع فقال : لا جرم لَتُغْرَمَنَّ ثمنها ، أو تشتري مثلها .

المدائني عن عمرو بن فائد قال : حفر أبو العاج نهراً فكان يمر إليه متنكباً قوساً عربية .

حدثني عمر بن شبة عن أبي عاصم النبيل قال : عدا رجل من باهلة على رجل من بني ضبيعة فضربه ، فاستعدى الباهليون أبا العاج واستعانوا عليه بسلم بن قتيبة ، فقال أبو العاج : يأمرني ابن قتيبة أن أتعصب على بني ضُبيعة ، فوالله ما أحب أن الناس كلهم في الجنة إلا بني ضبيعة ، يا غلام ائتني بسياط عليها ثمارها . فقال الباهليون لسلم : أصلح أيها الرجل بيننا . فأصلح سلم بينهم وانصرفوا وضُبيعة بن ربيعة بن نزار ، فيقال إن بُهْثَة سُليم هو بهثة ضبيعة ، والله أعلم .

قالوا : وكان أبو العاج يغضب من «أبي العاج» فتقدم إليه رجل فقال : أصلحك الله يا أبا العاج فقال أبو محمد : يا بن البظراء ، فقال : لا تقل هذا فإنها كانت مسلمة قد حجّت ، فقال : إن ذاك لا يمنعها من الحج .

وقيل لأبي العاج وأتي برجل مأبون : إن هذا يمكّن من نفسه . قال : أفتريدون ماذا ؟ أوكّل به رجالاً يحفظون دبره ، لقد وقعت إذاً في عناء . أطلقوه فالاست أسته يصنع بها ما شاء .

تولى أبو العاج البصرة نحواً من سنة ، ثم عزله يوسف ، وولى :

القاسم بن محمد بن القاسم البصرة

فانحدر إليها من واسط وكان والياً عليها ، وأقام على البصرة خمس سنين وأشهراً فاتخذ في مصلىٰ البصرة بستاناً ، واتخذ حوضين وبنىٰ عليهما صومعة فكان يأمر بالحوضين في يومي العيدين فيملآن ماء يصب فيهما ألفا راوية ، فإذا صلىٰ وجلس في الجنيدة وضعت الآنية فيشرب الناس ، وأقام مكانه حتى يخف الزحام ، ثم يأتي دار الإمارة .

قالوا : وكتب يوسف إلى القاسم يأمره أن ينتخب له رجالاً يجعلهم أمناء على عماله ، فانتخب رجالاً كانوا يُدعون القُصّاص لأنهم يقصّون أثر العمال ، منهم : مطر بن فيل ، والحارث الأحول فوجههم في أعماله فأما مطر بن فيل فامتنع من العمل فقال له يوسف : ما بالك لا تعمل ؟ قال : لا أصلح للعمل . قال : ولم ؟ أما تعلمت من جباية أبيك ؟ قال : مات وأنا صغير . فقال : والله لأضربنّك ثم لأحبسنّك ثم لأولينّك . فضربه وحبسه فعُمل له بالشام حتى كُتب إلى يوسف فأطلقه . وقال القاسم بن محمد بعد ذلك بيتاً لم يقل قط غيره :

نقمتَ الجور مني في زماني فكيف تراه يا مطر بن فيل

وقال الشاعر :

عُذْ بالأمير إذا خشيت ظلامةً بالقاسمِ بنِ محمدِ بنِ القاسمِ

وقال حمزة بن بيض :

وأمتعنا بالقاسم بن محمد أميراً وزاد الله في عمره عمرا
فلا خير في الدنيا إذا لم يكن بها أميرٌ عقيليٌ يُشبّهه البدرا

المدائني عن أبي بكر الهذلي قال : خطبنا يوسف في مسجد الكوفة فتكلم إنسان مجنون فقال يوسف : يا أهل الكوفة ألم أنهكم أن يدخل مجانينكم المسجد ، اضربوا عنقه ، فضربت عنق المجنون فقلت : لا أصلي والله خلفك أبداً ، وكان مع هذا طويل الصلاة كثير القراءة للقرآن .

المدائني قال : خلع رجل ثيابه ليغتسل وألقى هميانه[1] فجاءت عقاب فحملت الهميان تحسبه لحماً فخرج الرجل يصرخ ويبكي فأُخبر يوسف فقال : كم أكثر ما تطير العقاب ؟ قيل : كذا . قال : انظروا أقرب القرىٰ من هذه الغاية فضمنوا أهلها هميان الرجل .

المدائني قال : لما قدم يوسف العراق قال لعامر بن يحيىٰ بن عامر بن مسمع : إيه يا فاسق ، أخربتَ مهرجا نقذق . قال : إني لم أكن عليها إنما كنت على ماه ، وقد عمرت البلاد ووفرت الخراج . فأعاد عليه : أخربت مهرجا نقذق ، فأعاد عليه مثل قوله . فقال عامر : أشهد أنك مجنون . فعذبه حتى قتله .

وقال يوسف يوماً لكاتب له : ما حَبَسَكَ ؟ قال : اشتكيتُ بضرسي . فدعا بحجام فقلعه وضرساً آخر معه .

وخطب يوسف فقال ـ ولم يذكر الله في أول خطبته ـ : يا أهل المدرة الخبيثة أترجفون فيّ فهلا أرجفتم با بن النصرانية الذي قال لأجعلنّ[2] ملئها قمحاً بدرهم ، هل نقمتم عليّ إلا أني لم أَدَعْ جُندي يزدرعون فيكم .

---

١ ـ حافظة النقود .

٢ ـ بهامش الأصل : يعني ملء يده .

وقال الواقدي : قدم المطلب بن عبدالله بن حنطب وأمه أم سلمة بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية على هشام بسبب هذه الخؤولة ، فقضى عنه سبعة عشرة ألف دينار ، والبئر التي على طريق العراق تنسب إلى بئر المطلب وهي بئره[1] .

١ - بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث ، ولله كل حمد وفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

يكنى أبا العباس ، ولي الخلافة بعد هشام وقد ذكرنا كيف كانت بيعته ، وكانت أيامه سنة وثلاثة أشهر ، وقتل لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة : وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم ، والحجاج عمها ، ولقّب الوليد البيطار وذلك انه كان يصيد حمير الوحش فيسمها بالوليد ثم يخليها .

حدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي عن أبيه وابن عياش أن الوليد نشأ في قصر أبيه على التَرَفّ فمجن وتهتك ، وكان العهد له بعد هشام ، فكان مسرفاً على نفسه معلناً للفسوق والشرب واللذات ، وكان هشام ينهاه عن ذلك فلا يَزَعَهُ نَهيه ولا يردعه حتى هم بخلعه ، وكان شاعراً وكانت عنده ابنة سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فزارتها أختها سلمى بنت سعيد ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ، فبصر بها الوليد فأعجبته وذلك قبل الخلافة فطلق أختها ثم خطبها إلى أبيها فامتنع عليه وقال : إنما تريد مني أن اتخذك فحلاً لبناتي ، فكان يهجوه ، وفيه يقول :

من يك مفتاحاً لخير يريده فإنك قفل يا سعيد بن خالد[١]

وكان يقول في سلمى الأشعار فيغني بها المغنون وينشدها جلساءه ويشكو إليهم حبها حتى افتضح وسقط عند الناس . وفيها يقول :

تذكَّر شجوة القلب القريح فدمع العين مُنْهَلٌّ سَفُوح
ألَا طرقتَكَ بالبلقاء سلمىٰ هُدُوًّا والمطيُّ بنا جُنُوح
فَبِتُّ بها قرير العين حتىٰ تكلم ناطق الصبح الفصيح[٢]

وكان مستهتراً بشرب الخمر لا يكاد يصلي ، وقال وبلغه أن هشاماً هَمَّ بخلعه :

خذوا ملككم لا ثَبَّتَ الله مُلْكَكُمْ ثباتاً يساوي ما حييتُ قبالا
ذروا لي سلمىٰ والطلاء وقينةً وكأساً ألَا حَسْبِي بذلك مالا
أبِالمُلْكِ أرجو أن أُعَمَّر فيكُمُ ألَا رُبَّ مُلْكٍ قد أُزيل فزالا
ألا رُبَّ دارٍ قد تَحَمَّل أهلها فأضحت قفاراً والبقاع تلالا
إذا ما صفا عيشي برملة عالج وعانقتُ سلمىٰ لا أريد بَدالا[٣]

المدائني والهيثم قالا : كان الوليد يلعب بالصوالجة في ملعب له ، وهو يرتجز ويقول :

يا رُبَّ أمرٍ ذي شؤونٍ جحفل قاسيت فيه جالبات الأحول[٤]

---

١ - شعر الوليد بن يزيد - ط . عمان ١٩٧٩ ص ٤٩ .
٢ - بهامش الأصل : يعني الديك . شعر الوليد بن يزيد ص ٣٧ .
٣ - شعر الوليد بن يزيد ص ٩٢ .
٤ - شعر الوليد ص ١٠٢ مع فوارق كبيرة .

قال : ولما ولي الخلافة بعث إلى سعيد بن خالد فقسره على أن يزوجه سلمىٰ ابنته ، فلما حملت إليه من المدينة اعتلّت في الطريق وماتت ليلة أدخلت عليه ، ولم يزل على مجونه حتى وثبت اليمانية فقتلوه وبايعوا ليزيد بن الوليد بن عبد الملك .

وقال أبو نخيلة السعدي في الوليد :

بين أبي العاص وبين الحجاج يا لهما يُورى سراج وهَّاج

عليه بعد عمه عقد التاج

قالوا : وكان وَلد الوليد : عثمان وأمه عاتكة من ولد محمد بن أبي سفيان بن حرب .

وسعيداً وأمه أم عبد الملك بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان .

والعباس ، ويزيد ، والحكم ، وفهر ، ولؤي ، وقصي ، والعاص ، ومؤمن ، وواسط ، ودوالة لأمهات أولاد شتىٰ . والوليد ، ومفتح لأم ولد . درجوا كلهم .

المدائني قال : كان الوليد حين بايع له أبوه بعد هشام ابن احدى عشرة سنة ، قالوا : لما بلغ الوليد الحنث[1] ، ندم أبوه على تولية هشام عهده وقال : لو انتظرت بلوغه ولكن مسلمة لم يدعني وكان إذا رآه قال : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك .

وتوفي يزيد سنة خمس ومائة ، وولي هشام فكان في بدء أمره مكرماً للوليد فمكث بذلك أعواماً ، وكان مؤدب الوليد عبد الصمد بن عبد الأعلى

١ ـ أي بلغ مبلغ الرجال . النهاية لابن الأثير .

الشاعر ، وكان فيما يزعمون زنديقاً فحمله على شرب الخمر والاستخفاف فاتخذ ندماء ، وولاه هشام الموسم سنة عشرة ومائة فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً ، فأمر مولى له يقال له عيسى بن مقسم فصلى بالناس ، وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلعه ، فأراده على أن يخلعها ويبايع لابنه أبي شاكر مسلمة بن هشام فأبى ، فتنكر له هشام وأضرّ به وجعل يشتمه ويتنقصه ، وتمادى الوليد في الشرب واللذات فأفرط فقال هشام : ويحك ما أظنك على الإسلام ، فكتب إليه الوليد :

يا أيها الباحث عن ديننا   نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفاً وممزوجة   بالسُّخْن أحياناً وبالفاتر[1]

ويقال إن هذين البيتين لعبد الصمد بن عبد الأعلى قالهما فكتب بهما الوليد إلى هشام .

وكان في أبي شاكر بن هشام أيضاً مجون ، وكان يكثر الشرب ويدمنه ، فغضب هشام على مسلمة وقال : يعيرني الوليد بك ، وأنا أرشحك للخلافة ؟ . فألزمه الأدب وحضور الصلوات والجمعات ، وولاه في سنة سبع عشرة ومائة الموسم فأظهر النسك ولين الجانب ، وقسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال مولى لبعض أهل المدينة يعرض بالوليد بن يزيد :

يا أيها السائل عن ديننا   نحن على دين أبي شاكر
الواهب الجرد بأرسانها   ليس بزنديق ولا فاجر

وقال الكميت بن زيد :

---

١ ـ شعر الوليد بن يزيد ص ٦٦ .

إن الخلافة كائن أسبابها بعد الوليد إلى ابن أم حكيم

فكان خالد بن عبد الله القسري يقول : أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر . فبلغ مسلمة قول خالد ، فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد كتب اليه مسلمة :

أراح من خالد وأهلكه ربٌّ أراح العباد من أسد
أما أبوه فكان مؤتشباً عبداً لئيماً لأعبد فقد

والبيتان لابن نوفل قالهما حين مات أسد ، فلما قرأ خالد البيتين قال : ما رأيت كاليوم تعزية أعجب .

المدائني عن أبي محمد القرشي قال : كان هشام يعيب الوليد ويتنقصه فدخل عليه يوماً وعنده جماعة من بني مروان ، وكانوا يعيبون الوليد قبل دخوله فيقولون : هو أحمق ، فقال له العباس بن الوليد بن عبد الملك : يا أبا العباس كيف حبك للروميات فإن أباك كان معجباً بهن ، قال : إني لأحبهن ، وكيف لا أحب من لا يزال يأتي بمثلك - وأم العباس رومية - فقال : لست بالفحل يجيء عسبه بمثلي . فقال له الوليد : يا بن البظراء . فقال العباس : يا وليد أتفخر عليّ بما قطع من بظر أمك ؟.

وقال هشام للوليد يوماً : ما شرابك ؟. قال : شرابك يا أمير المؤمنين ، وقام مغضباً فقال هشام : هذا الذي يزعمون أنه أحمق ، ما هو بأحمق ولكني أظنه على غير الملة .

المدائني عن أبي محمد القرشي قال : دخل الوليد يوماً مجلس هشام وفيه : سعيد بن هشام بن عبد الملك ، وإبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي ، خال هشام بن عبد الملك ، وأبو الزبير مولى بني مروان ، ولم

يكن هشام بن عبد الملك حاضراً في المجلس فأقبل على سعيد بن هشام فقال : من أنت ؟ ـ وهو يعرفه ـ، فقال : سعيد ابن أمير المؤمنين . فقال : مرحباً بك ، ثم قال لأبي الزبير : من أنت ؟. قال : أبو الزبير . قال : نسطاس ، مرحباً بك . ثم قال لابراهيم بن هشام : من أنت ؟. قال : ابراهيم بن هشام . قال : من ابراهيم بن هشام ؟ ـ وهو يعرفه ـ. قال : ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي . قال : ومن اسماعيل المخزومي ؟. قال : أنا الذي لم يكن أبوك يرى أنه في شيء حتى زوجّه أبي . قال: يا بن اللخناء. وإئتخذا[١] وأقبل هشام فقيل: أمير المؤمنين، فكفا وجلسا ودخل ، فما كاد الوليد يتزحزح عن صدر المجلس ، فزحل قليلاً وجلس هشام فقال : كيف أنت يا وليد ؟ قال : صالح . قال : ما فعلتْ بَرابِطُكَ ؟ قال : معلمة . قال : فكيف ندماؤك ؟ قال : لعنهم الله إن كانوا شراً من جلسائك . وقام فقال هشام ؛ يا بن اللخناء جؤوا في عنقه . فلم يفعلوا ودفعوه دفعاً رفيقاً ، فقال الوليد :

أنا ابن أبي العاصي وعثمان والدي ومروان جدي ذو الفَعال وعامر
أنا ابن عظيم القريتين وعزّها ثقيف وفهر والرجال الأكابر
نبيّ الهدى خالي ومن يك خاله نبي الهدى يعلو الورى في المفاخر[٢]

وقال أيضاً :

أنا الوليد أبو العباس قد علمتْ علياء مَعْدٍ مدى ذكري وأقدامي[٣]

١ ـ يقال : إئتخذوا : أخذ بعضهم بعضاً . القاموس .
٢ ـ شعر الوليد بن يزيد ص ٦٠ ـ ٦١ .
٣ ـ بالأصل : «وأقداري» وهو تصحيف قُوّم من شعر الوليد بن يزيد ص ١١٥ .

إني لدى الذروة العلياء إن نُسبوا مقابل بين أخوالي وأعمامي
بنى لي المجد بانٍ غير مُدَّرِكٍ على منار مضيئات وأعلام
خلقت من جوهر الأعياص قد علموا في باذخ مَشْمَخِرٍّ العزّ قَمقام
صعب المرام يناغي النجم مطلعه يسمو إلى فرع مجدٍ شامخٍ سامِ

قالوا : فلما كثر عيب هشام للوليد وتعبّثه به وبأصحابه وخاصته ، خرج في جماعة منهم فنزل بالأزرق بين أرض بلقين وفزارة ، وخلّف بالرصافة كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك ، وأمره أن يكتب إليه بما يحدث قبله .

قالوا : وكان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري وفد على هشام ، وكان غلاماً وضيء الوجه فجعل يختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني مؤدب الوليد بن يزيد[1] بسبب الأدب ، فراوده عبد الصمد بن علي عن نفسه فأتى باب هشام فأذن له فدخل مغضباً فقال :

إنه والله لولا أنت لم ينج مني سالماً عبد الصمد

قال هشام : ولم ذاك ؟ . قال :

إنه قد رام مني خطة لم يَرُمْهَا قبله مني أحد
فهو فيما كان منه كالذي يَتَبَغَّى الصيدَ في خيس الأسد

فأساء هشام القول في عبد الصمد وهَمَّ به ثم أمسك .

قالوا : وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى عند الوليد وهم يشربون ، فقال عبد الصمد :

---

١ ـ بالأصل : «عبد الملك» وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه مما تقدم .

أظنُّ الوليد دنا ملكه فأمسى إليه قد استجمعا
وإنا نؤمل في ملكه كتأميل ذي الجدب أن يمرعا
عقدنا له محكمات العهـ ـود طوعاً وكان لها موضعا

فبلغ الشعر هشاماً فأغضبه ، وكتب إلى الوليد : إنك اتخذت عبد الصمد خدناً وأليفاً ومحدثاً ونديماً ، وقد صح عندي أنه على غير الإسلام ، فحقق ذلك ما يقال فيك ، ولم أَرَ بكَ من سوء فاحمل إلي عبد الصمد مع رسولي مذموماً مدحوراً . فلم يجد بداً من إشخاصه إليه وأنشأ يقول :

لقد قرفوا أبا وهب بأمرٍ كبيرٍ أو يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليه شهادة عالم بهم خبير[1]

قال : فلما صار عبد الصمد إلى هشام أمر بإنفاذه إلى يوسف بن عمر ، ومعه أخ له يقال له عبد الرحمن ، فبنى لهما يوسف بيتاً وجعلهما فيه وطيّن بابه وصير فيه كوة يرمي منها إليهما بالطعام ، ووكل بهما محمد بن نباتة بن حنظلة ، ثم أعطشهما حتى برصا أو برص أحدهما ، وماتا عطشاً .

وقال هشام لعبد الله بن عبد الأعلى أخيهما وقد كلمه فيهما : أأنت على دينهما ؟ قال : أنا عليه ، والله ما يدينان إلا بالإسلام . فأمر به فأخرج عنه ، وقال : لا يساكنني ولا يكلمنه أحد ، فأتى الوليد بن يزيد فلم يأذن له عليه . وكان يجلس في المسجد وقد اجتنبه الناس .

المدائني عن مسلمة بن محارب عن رجل من قريش قال : قدمتُ الشام فرأيت عبد الله بن عبد الأعلى فتمنيت أن يكون حالي مثل حاله ، ثم غبت

---

١ ـ شعر الوليد بن يزيد ص ٦٥ .

أعواماً وقدمت الشام فإذا هو مفرد لا يجالسه أحد ولا يكلمه ، فقلت له : إني قدمت الشام مذ أعوام فرأيتك في حالٍ تمنيت أن أكون في مثلها ، وأنت اليوم على ما أرى ، فقال : إنه بلغ قومنا عنا شيء فأخذوا بظاهر البلاغ ، ولم يطلعوا على باطن الضمير ، ومن ورائنا وورائهم الحساب .

المدائني عن أبي اليقظان قال : كان بالشام رجل من أهل اليمن يقال له عبد الله بن سهيل ، وقد ولي دمشق أو شرطتها مراراً ، فكتب الوليد إلى هشام يعلمه أنه قد فارق عبد الصمد ويسأله أن يأذن لابن سهيل في القدوم عليه ، فضرب هشام ابن سهيل ونفاه ، وأخذ عياض بن مسلم وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليدفضربه وألبسه المسوح وقيده وحبسه ، فغم ذلك الوليد فقال : من يثق بالناس أو يصطنع المعروف هذا الأحول المشؤوم قدَّمه أبي وولاه الخلافة وهو يصنع ما ترون .

وقال الوليد :

أنا النذير لمسدي نعمة أبداً ... إلى المقاريف ما لم يخبر الدخلا
إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بطراً ... وإن أهنتهُمُ ألفيتَهُم ذُلُلَا
أتشمخون ومنّا أصل نعمتكم ... ستعلمون إذا صِرْتُمْ لنا خَوَلا
أنظر فإن أنت لم تقدر على مثلٍ ... لهم سوى الكلب فاضربه لهم مثلا
بينا يُسَمِّنُهُ للصيد صاحبُه ... عدا عليه فلو يَسْطِيْعُهُ أكَلَا[1]

قالوا : وبلغ الوليد أن العباس بن الوليد بن عبد الملك وعمر بن الوليد وغيرهما من بني مروان يعيبونه بشرب الشراب فقال :

---

١ ـ شعر الوليد ص ٩٢ ـ ٩٥ .

ولقد قضيتُ ـ وإن تَجَلَّلَ لِمَّتِي شيبٌ ـ على رغم العدى لذَّاتي
من كاعباتٍ كالدمى ومناصفٍ ومراكبٍ للصيد والنشواتِ
إن يَطلُبوا بتراتهم يعطونها أو يُطلَبوا لا يُدركوا بتراتِ[1]

قالوا: وقطع هشام عن الوليد ما كان يجري عليه، وأسقط أسماء أصحابه وحرسه، وقطع ما كان يجريه عليهم، فكتب إليه الوليد: «قد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين أصلحه الله في قطع ما قطع عني وعن أصحابي وحرسي وأهلي، ولم أكن خائفاً لأن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك، ولا يبتليني به منه، فإن يكن طلبي ابن سهيل علة ذلك فلم يبلغ أمر ابن سهيل وكتابي فيه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتي، وإن يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين عليّ فقد سبب الله لي من العهد، وكتب لي من العمر، وقسم لي من الرزق ما لا يقدر أحد على قطع شيء منه بدون مدته، ولا صرف شيء منه عن مواقعه، فأقدار الله تجري بما أحب الناس أو كرهوا، فلا تأخير لعاجلها ولا تعجيل لآجلها، والناس بين ذلك مقترفون للآثام على أنفسهم».

فكتب إليه هشام: «قد فهم أمير المؤمنين كتابك، وأمير المؤمنين يستغفر الله من اجرائه ما كان يجري عليك، فإنه للمأثم في ذلك أخوف منه على نفسه في قطعه ماقطع لأمرين: أما أحدهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجريه عليك وهو يعلم المواضع التي تضعه فيها، وإنفاقك إياه في سبل المعصية، وأما الآخر فلأن أمير المؤمنين أثبت صحابتك وإدرار أرزاقهم وليس ينالهم ما

١ ـ شعر الوليد ص ٣١ .

ينال المسلمين في كل عام من المكروه عند قطع البعوث وجهاد العدو، وإنماهم معك تجول بهم في سِفْهِكَ وبطلانك وفُسُوقك، ولأمير المؤمنين إلى التقصير في التغيير عليك أقرب منه إلى الاعتداء، ولقد بصر الله أمير المؤمنين من قطع ماقطع عنك وعن أصحابك المجّان مايرجو أن يكون كفارة لما سلف من إدرار ذلك عليكم وبالله الثقة. وأما ابن سهيل فهل زاد ـ لله أبوك ـ على أن كان زفّاناً مغنياً، قد بلغ في السفه غايته، وليس هو في ذلك بشر ممن تستصحبه مع الأمور التي يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها، مما أنت لعمر الله أهل للتوبيخ بها، فأما ماذكرت مما سبب الله لك فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك وأصفاه به، والله بالغ أمره، ولقد أصبح أمير المؤمنين على اليقين من ربه أنه لايملك لنفسه فيما أعطاه الله من كرامته ضراً ولانفعاً، وإن الله وَلَّى ذلك منه، وإنه أرأف بعباده وأرحم من أن يولي أمرهم غير الرضا منهم، وإن أمير المؤمنين لحسن ظنه بربه على أعظم الرجاء أن ييسر له تسبيب ذلك لمن هو أهله في الرضا به، فإن بلاء الله عنده أعظم من أن يبلغه ذكره، ويؤدي حقه فيه شكره إلا بعون منه له، ولئن كان قد قدر لأمير المؤمنين تعجيل وفاةٍ إن في الذي هو مُفْضٍ إليه من كرامة ربه إن شاء الله لخلفاً من الدنيا، ولعمر أمير المؤمنين إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك وسقوطك، فَارْبَع على نفسك وغلوائها، فإن لله سطوات وغيراً يصيب بها من يشاء، وأمير المؤمنين يسأل الله العصمةوالتوفيق لأحب الأمور إليه، وأرضاها له. والسلام» .

فكتب إليه الوليد:

رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي فلو كنت ذا عقلٍ لهدَّمْتَ ما تبني
ستترك للباقين مجنى ضغينة وَوَيلٌ لهم إن مِتُّ من شر ما تَجني[1]

وقال الوليد:

أليس عظيماً أن أرى كل واردٍ حياضك يوماً صادراً بالنوافل
وأرجع مجذوذْ الرجاء مُصَرَّدَاً بتخليةٍ عن وِرْدِ تلك المناهل
فأُويسْتُ مما كنت آمل فيكم وليس يلاقي ما رجا كل آمل
كذي قبضةٍ يوماً على عرض هبوةٍ يشد عليها كفه بالأنـامل[2]

وقال المدائني: ذكر الوليد عند المهدي أمير المؤمنين فقيل: كان زنديقاً، فقال: خلافة الله أَجَلُّ وأكرم عليه من أن يوليها زنديقاً.

قال المدائني: وكانت عند الوليد أم عبد الملك بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فمرض سعيد وهو مُتَبَدٍّ، فعاده الوليد بن يزيد، فدخل عليه ولم يعلموا به، فرأى أختها سلمى بنت سعيد لمحة، فوقعت في قلبه، فطلق أختها وخطبها فلم يزوجه إياها أبوها، وكانت أختها أم عثمان بنت سعيد عند هشام، فأرسل هشام إلى سعيد: إياك أن تزوجه، فقال: أيريد الوليد أن يكون فحلاً لبناتك، يطلّق واحدة ويتزوج واحدة، فلم يزوّجه، فكتب إلى أبيها:

أبا عثمان هل لك في صنيع تصيب الرشد في صلبي هديتا
فأشكر منك ذا المسدى وتُحيي أبـا عثمان مَيِّتـةً ومَيْتَا[3]

---

١ ـ شعر الوليد ص١٢٥ مع فوارق.
٢ ـ شعر الوليد ص١٠٤ .
٣ ـ شعر الوليد ص٢٧ .

فقال له عبد الصمد بن عبد الأعلى وهو بعد عنده، وليث وغيرهما من أصحابه: ماترجو بها وقد ردك أبوها عنها، وسيزوجك إذا مات هشام فقال:

يعـزيني أبو وهب وليث ويعذل مالك وأبو ركين
فقلت لهم كلامُكُم محالٌ دعوني من كلامكمُ دعوني[1]

وقال ابو اليقظان: خرج الوليد إلى فُدَين[2] ومنزل سعيد بن خالد بفدين، فرأى رجلاً يبيع الزيت قريباً من منزل سعيد فأخذ ثيابه ولبسها، وساق حمار الزيت حتى أدخله قصر سعيد، وهو ينادي: من يشتري الزيت. فخرج الجواري فنظرن فقالت جارية منهنّ لسلمى: ياسيدتي مارأيت إنساناً أشبه بالوليد من هذا الزيات ابن الخبيثة، انظري إليه، فاطلَعَتْ سلمى فقالت للجارية: ويحك هو والله الوليد، قد والله رآني فقولي له يازيات أخرج لانريد زيتك. فخرج وقد لمحها وقال:

إنـي أبصرت شخصـاً حَسَنَ الـوجـه مـليـح
لابـسـاً أثـواب سـوءٍ مِـن عَـبَـاءٍ ومُـسُـوح
وأبيـع الـزيت بيعـاً خـاسـراً غـير ربيـح[3]

وبلغه أنها خرجت في يوم عيد فقال:

---

١ ـ شعر الوليد ص١٢٢ .
٢ ـ الفدين قرية من أرض حوران. معجم البلدان، وفي جبل العرب مجموعة تلال اسمها الفدين في منطقة شهبا على بعد ٢٠ كم إلى الشمال الشرقي من بلدة الصورة الصغيرة. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري.
٣ ـ شعر الوليد ص٣٦ .

خَبَّرُوني أنّ سلمى خرجت يوم المُصَلَّى
وإذا ثمّ غرابٌ فوق غصن يتفلّى
قلت بالله ادْنُ مني قال: ها ثم تدلى
قلت هل أبصرت سلمى قال: لا ثم تولّى[١]

وقال الوليد أيضاً:

ألا ليت الإله يحين سلمى فإن الله يفعل مايشاء
فيخرجها فيطرحها بأرض ويرقدها وقد سقط الرداء
ويأتي بي فيطرحني عليها فأوقظها وقد قضي القضاء
ويرسل ديمةً سَحَّاً علينا فيغسلنا فلا يبقى العناء[٢]

وقال أيضاً:

يا من لقلب في الهوى متشعب أم من لقلب في الحبال عميد
سلمى هواه فليس يذكر غيرها دون الطريف ودون كل تليد
إن القرابة والمودة أَلَّفا بين الوليد وبين بنت سعيد[٣]

وقال أيضاً:

شاع شعري في سليمى وظهر ورواه كل بادٍ وحضر
وتهادته العذارى بينها وتغنين به حتى انتشر
قلت قولاً لسليمى معجباً مثل ما قال جميلٌ وعمر
لو رأينا لسليمى أثراً لسجدنا ألفَ ألفٍ للأثر

١ - شعر الوليد ص٨٩ .
٢ - شعر الوليد ص١٤٥ .
٣ - شعر الوليد ص٤٨ .

واتخذناها إماماً مرتضىً ... ولكانت حجنا والمعتمر
إنما بنت سعيد قمر ... هل حرجنا إن سجدنا للقمر[١]

وقال أيضاً:

رآني الله يا سلمى حياتي ... وفي يوم الحساب كما أراكِ
ألا تجزين من تَيَّمْتِ عُمراً ... ومن لو تطلبين لقد أتاكِ
ومن إن مُتِّ مات ولا تموتي ... وإن ينسأ له أَجَلٌ بكاكِ
ومن لو قلتِ مُتْ وأَطَاق موتاً ... إذاًذاق المات وما عصاك
ومن حقاً لو اعطي ماتمنى ... من الأرض العريضة ماعداك
أثيبي هائما كلفاً معنى ... إذا خدرت له رجل دعاك[٢]

وقال أيضاً:

أنا في يمنى يديها ... وهي في يسرى يديَّه
إن هذا لقضاء ... غير عدلٍ يا أُخَيَّه
ليت من لام محباً ... في الهوى لاقى المنيّة
فاستراح الناس منه ... ميتةً غير سويّه[٣]

وقال أيضاً:

ويح سلمى لوتراني ... لعناها ما عناني
متلفاً في اللهو مالي ... عاشقاً حور الغواني
ولقد كنت زماناً ... خالي الذرع لشاني[٤]

---

١ - شعر الوليد ص٥٣ .
٢ - شعر الوليد ص٨٧ .
٣ - شعر الوليد ص١٤٠ .
٤ - شعر الوليد ص١٢١ .

وقال أيضاً:

أنا ابن يزيد بن عبد الملك وجدي مروان لا أم لك
فكيف إذا ما ملكت البلا د وقمت خطيباً على منبرك
فَبَخٍّ بخٍ بخ ما أكرمك وبخٍّ بَخٍ بَخ ما أفخرك[1]

وقال أيضاً:

من لقلبٍ أمسى كئيباً حزينا مستهاماً بين اللهى والتراقي
أمّ سَلّام ما ذكرتك إلا شَرِقَتْ بالدموع مني المآقي
حذراً أن تبين لي دار سلمى وتجيء الدنيا لها بفراق[2]

وقال أيضاً :

نام من كان خلياً من ألم ولقد بتّ شجياً لم أنم
احكمي في الوصل إذ وليته ليس قتل النفس من عدل الحكم
أرقب النجم كأني مسند بأكفّ القوم تغشاني الظُّلَم[3]

قالوا: ولم يزل الوليد مقيماً بالأزرق في البرية حتى مات هشام، فلما كان غداة اليوم الذي جاءته فيه الخلافة أرسل إلى المنذر بن أبي عمرو فأتاه فقال له: ياأبا الزبير ماأتت على ليلة مذ عقلتُ أطول من ليلتي هذه، مازلت في هموم وحديث نفس واغتمام بأمر هذا الرجل الذي قد أولع بي - يعني هشاماً -

---

١ - شعر الوليد ص٨٥ .
٢ - شعر الوليد ص٨٣ . ورواية الأغاني للبيت الثالث ج٧ ص٨٤:
حذراً أن تبين دار سليمى أو يصيح الداعي لها بفراق[1]
أقوم وزناً.
٣ - شعر الوليد ص١٠٨ .

فاركب بنا نتنفس، فركبنا فبينا هو كذلك إذ نظر إلى رهج فقال: هؤلاء رسل هشام نسأل الله خيرهم.

وبدا له رجلان على البريد أحدهما مولى لأبي محمد السفياني، فلما بصرا بالوليد بن يزيد نزلا ثم دنوا منه فسلما عليه بالخلافة، فوجم ثم قال: أمات هشام؟. قالا: نعم. قال: فممن الكتاب؟قالا: من مولاك سالم بن عبد الله صاحب ديوان الرسائل، فقرأ الكتاب وانصرفا، ثم دعا مولى السفياني فسأله عن عياض فحدثه حديثه وإحرازه ماأحرز من الخزائن وغير ذلك من أمره.

وكتب الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك يأمره أن يأتي الرصافة فيحصي مافيها من أموال هشام، وأموال ولده ويأخذ عماله وحشمه إلا مسلمة بن هشام لأنه كان يكثر ان يكلم أباه فيه، ويكف عنه شرّه ويسأله الرفق به.

فقدم العباس الرصافة فأحكم للوليد ما كتب به إليه، وأتته أم سلمة بنت يعقوب المخزومية وهي امرأة مسلمة بن هشام فقالت: إن مسلمة لايفيق من الشراب ولايكترث لموت أبيه وأمر إخوته. فأخبر العباس مسلمة بما قالت ووبّخه، فطلقها مسلمة في ذلك المجلس، فشخصت تريد فلسطين، فتزوجها أبو العباس أمير المؤمنين.

وكتب العباس بن الوليد إلى الوليد بثبت ماأحصى من أموال هشام وما في خزائنه فقال الوليد:

ليتَ هشاماً عاش حتى يرى ... محلبه الأوفر قد أترعا
كِلْنَا له بالصاع إذا كالها ... وما ظلمناه بها أصوعا

وما أتينا ذاك عن بدعةٍ أَحَلَّهُ القرآن لي أجمعا[1]

المدائني قال: كان هشام بن عبد الملك خطب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة اخته أو ابنته على معاوية بن هشام، فأبى أن يزوجه إياها فجرى بعد ذلك بين يزيد بن عمر وبين الوليد بن القعقاع كلام بلغ هشاماً فبعث به هشام إلى الوليد بن القعقاع فضربه مائة سوط، وحبسه فقال ابن طَيْسلة:

ما فل خيس رجال لا عقول لهم من يعدلون إلى المحبوس في حلب
إلى امرىءٍ لم تصبه الدهر معضلة إلا استقل بها مُسترخيَ اللَّبَب[2]

فلما مات هشام كان البشير بموته إلى الوليد بن يزيد فقال له الوليد: احتكم، فقال: ولاية قنسرين والتخلية بيني وبين الوليد بن القعقاع وأخيه عبد الملك بن القعقاع، فأجابه إلى ذلك، ويقال إنه ولاه جند قنسرين، فهرب الوليد وعبد الملك ابنا القعقاع فاستجارا بقبر مروان، فلم يجرهما الوليد وبعث بهما إلى يزيد بن عمر، وكان على حبسه رجل من فزارة يقال له نوفل بن سُكَين، فدفعهما إليه فحبسهما، فمات أحدهما في الحبس في العذاب، ويقال ماتا جميعاً، فقال عبد العزيز بن القعقاع:

أنوفل من يضمن دماً من دمائنا وشيخاً يُشَقِّقْنَ الجيوب أقاربه

وقال أبو الشَّغب العبسي واسمه عِكْرِشَة بن أَربَد بن عُروة بن مسحل بن شيطان بن جُذَيْم بن جُذَيْمَة:

---

١ - شعر الوليد ص٧٤ .
٢ - لم يردا في شعره .

أَمْسَتْ قبور بني مروان مُخْفَرةً لا يُستجار ولا يُرعىٰ لها الراعي
قبر التميمي[1] أَوْفىٰ من قبورهُمُ يَسْعَىٰ بذمته في قومه الساعي
إنّ البريةَ قالت عند غدْرته أُفٍ لقبر به عاذ ابن قعقاع

وكان الكلام الذي وقع بينهما أن الوليد قال ليزيد : يا بن الفَرَّار - يعني أباه حين هرب من سجن خالد - فقال له يزيد : يا بن الضَرّاط ، فقال الوليد : يا بن اللخناء . فقال يزيد :

بل أنت نزوة خَوّارٍ على أَمَةٍ لا يَسبقُ الحلباتِ اللؤم والخَوَرُ

فقال : يا بن الفجواء[2] . قال يزيد : إنما قدمتكم أعجاز النساء وقَدَّمَتْنَا صدور العوالي - يعني أن ولَّادة أم الوليد وسليمان كانت منهم ، وكان القعقاع بن خليد ضَرط عند الوليد ، وذلك أن الوليد قال لابن رأس الجالوت : تزعمون أن في ولد داود علامة يُعرفون بها وهي أن يمد أحدهم يده فتنال ركبته ، فقال القعقاع : فيدي تنال ركبتي ، وقام لينال ركبته فضرط ، فقال الشاعر لشيبة بن الوليد بن القعقاع :

يا شيب هل لك في ألفٍ مدرهمةٍ بضرطةٍ ليس في إرسالها حَرَجُ
كَدَأبِ شيخك إذ أهوىٰ لركبته فخانَ فِقْحَتَهُ من ضَعفها الشَّرَجُ

المدائني عن الهيثم ومسلمة قالا : استعمل الوليد بن يزيد العمال ، وجاءته البيعة من الآفاق ، فأجرى على زمنىٰ أهل الشام وعميانهم وكساهم ، وأمر لكل إنسان منهم بجائزة وخادم يخدمه ، وأخرج لعيالات الناس الطيب

---

١ - بهامش الأصل : قبر أبي الفرزدق .
٢ - الفجا : تباعد ما بين الفخذين ، أو الركبتين ، أو الساقين . القاموس .

والكُسىٰ ، وزاد الناس في أعطياتهم عشرات نقصهم إياها يزيد بن الوليد بعد ذلك ، فسمي يزيد الناقص ، وكان الوليد يطعم الناس ، وقال الوليد :

طاب عيشي وطاب شرب المدامة　　إذ تَحَسَّيْتُها بغير ملامة(١)

وقال أيضاً :

طاب عيشي وطاب شرب السُّلافة　　إذ أتانا نعي من بالرّصافة
وأتانا البريد ينعىٰ هشاماً　　وأتانا بخاتم للخلافة(٢)

وقال أيضاً :

طال ليلي وبتُّ أُسقىٰ المداما　　إذ أتانا البريد ينعي هشاما
وأتاني بحلة وقضيبٍ　　وأتاني بخاتم ثم قاما
فجعلت الولي من بعد فقدي　　أفضل الناس ناشئا وغلاما
ذاكُمُ ابني وذاك قرم قريشٍ　　خير خَلْفٍ وخيرهم قُدّاماً(٣)

وقال أيضاً :

إني سمعت خليلي　　نحو الرصافة رنّه
خرجت أسحب ذيلي　　أقول ما شَأنهُنَّه
إذا بنات هشامٍ　　يندبن والدهن
يندبن شيخاً كبيراً　　قد كان يُكْرِمُهُنَّه

١ ـ شعر الوليد ص ١٧٧ .
٢ ـ شعر الوليد ص ٨٢ .
٣ ـ شعر الوليد ص ١١٠ .

فقلن ويلي وعولي والويل حَلَّ بهنّه
أنا المخنث حقاً إنْ لم أُنيكهُنّه[1]

قالوا : وكتب مروان بن محمد إلى الوليد بن يزيد : بارك الله لأمير المؤمنين فيما صار إليه من ولاية عباده ووراثة بلاده ، وقد كانت سكرة الولاية غشيت هشاماً فَصَغَّر ما عظم الله من حقّ أمير المؤمنين ورام من الأمر المستصعب عليه الذي أجابه إليه المدخلون في آرائهم وأديانهم ما حال الله بينه وبينه ، فزحمته الأقدار عنه بأشد مناكبها ، وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى ألبسه أكرم لباس الخلافة فنهض مستقلاً بما حمله فالحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته واختصه بوثائق عرىٰ كرامته وذبّ عنه ما كاده الظالمون فيه ، فرفعه ووضعهم ، وأعزه وأذلهم ، فمن أقام منهم على الخطيئة أوبق نفسه وأسخط ربه ، ومن عدلت به التوبة نازعاً عن الباطل إلى الحق وجد الله توّاباً رحيما ، وإني نهضتُ إلى منبري فأعلمت من قبلي من المسلمين ما امتنَّ الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين فاستبشروا ببيعتهم ، وقد بسطتُ يدي للبيعة فوكدتها عليهم بالوثائق والعهود وتغليظ الأيمان فكل الناس حسنت إجابته وطاعته ، فَأَثِبْهُم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذي أتاك فإنك أجود الناس جوداً وأبسطهم يداً ، فقد انتظروك راجين فَنَلْهُم بفضلك وأوسع عليهم برفدك وعَرِّفْهُم طَولك على من كان قبلك ، وإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأذن لي في القدوم عليه لأشافهه بأمور أكره الكتاب بها فَعَلَ إن شاء الله .

---

١ ـ شعر الوليد ص ١٢٨ .

وقال الوليد :

هـلك الأحـول المشـ ـؤوم فقـد أُرسل المطر
وملكنا مِن بعد ذا ك فقد أَوْرَقَ الشجر
فاشكروا الله إنه زائِدٌ كل من شكر(١)

ويقال إن هذا الشعر لغير الوليد .

قالوا : وكتب الوليد حين ولي إلى الأطراف :

ضَمِنْتُ لكم إن لم تَغُلْنِي منيَّتي بأنَّ سماء الضُرِّ عنكم سَتُقْلَعُ
سَتُؤْتَوْنَ إلحاقاً معا وزيادة وأعطيةً تأتيكُمُ تَتَسرَّعُ(٢)

فلما ظهر أمره وتهتكه قال حمزة بن بيض الحنفي(٣) :

وصلت سماء الضُرِّ بالضُرِّ بعدما زعمتَ سماء الضُرِّ عنكم ستُقلع
فليتَ هشاماً كان حياً يسوسنا فكنا كما كنا نخاف ونطمع

قالوا : وتهتك الوليد في الشراب وقال :

أحبُّ الغناء وشراب الطِّلاَ وأنس النساء وربِّ السُّوَر
ودِلُّ الغواني وعزف القيان بصَبح يمانٍ قُبيل السَّحَر
وأما الصباح فَهَمّي القداح وخيلٍ شواح جياد حُضر
ونصف النهار عراك الجوار وحَلُّ الإزار إذا تنبهر(٤)
وأما العشيُّ فأمر جليّ وقتل الكميّ بعَضْبٍ ذَكَر

---

١ - شعر الوليد ص ٥٥ .
٢ - شعر الوليد ص ٧٧ مع فوارق .
٣ - كتب بهامش الأصل : «ناقص كراستين» .
٤ - انبهر انقطع نفسه من الاعياء .

سبتني البَغُوم[١] بدلٍّ رخيم ووجهٍ نضيرٍ شبيه القمر
وردفٍ نبيلٍ وخدٍ أسيل كسيفٍ صقيلٍ يحير البصر[٢]

وقال أيضاً :

عللاني بعاتقات الكروم واسقياني بكأس أم حكيم
إنها تشرب المدامة صرفاً في إناءٍ من الزجاج عظيم[٣]

وأم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص وهي أم مسلمة بن هشام .

قال أبو الحسن المدائني : كسا الوليد الغُزَيِّل أبا كامل المغني قلنسوة برود كانت عليه فكان يصونها ولا يلبسها إلا في يوم عيد ويقول : كسانيها أمير المؤمنين فقد أوصيتُ أهلي أن يضعوها في أكفاني ، وقال فيه الوليد :

من مُبْلِغٌ عني أبا كاملٍ إني إذا ما غاب كالهامل
وزادني شوقاً إلى قُربه فيما مضىٰ من دهرنا الحابل
إني إذا عاطيته مرّة ظللت بيوم الفرح الجاذل[٤]

وقال أيضاً :

لا عيش إلا بمالك بن أبي السَّـ ـمْحِ فلا تَلْحَني ولا تَلُمْ
مثل ضياء المصباح أو قبس الـ ـقابس في حالكٍ من الظُّلَمْ[٥]

---

١ ـ البغوم : المرأة رخيمة الصوت .
٢ ـ شعر الوليد ص ٥٤ .
٣ ـ شعر الوليد ص ١١٣ مع فوارق واضحة .
٤ ـ شعر الوليد ص ١٠١ .
٥ ـ شعر الوليد ص ١٥٨ مع فوارق .

ويقال إن البيتين لحسين بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس .

المدائني وغيره قالوا : لما قام الوليد لم يكن له همة إلا تزوج سلمى ، فأرسل فخطبها فتزوجها فقيل له : قد كنت حلفت بطلاقها إذا تزوجتها ثلاثاً . فسأل عن يمينه فاختلفوا عليه ، فقال بعضهم : طالق . وقال آخرون : لا طلاق إلاّ بعد نكاح ، فَهَمَّ أن يدخل بها فقيل : أنت إمام وإن دخلت بها أخذ الناس ذلك سنّة فأمسك ، وزوجها أخوها من ابن أخي الوليد ودخل بها ثم طلقها ابن أخي الوليد ، وقيل أن أباهازوجها من ابن أخي الوليد فلما زفّت إليه وكل به الوليد من منعه من الدخول بها حتى طلقها ، ويقال إنه دخل بها ثم طلقها ، وانتظر الوليد أن تنقضي عدتها فلما انقضت خطبها إلى أبيها فتزوجها وقال :

خَفَّ من دار جيرتي … يا خليليَّ أُنسها
أفلا تخرج العرو … س فقد طال حبسها
قد دنا الصبح أو بدا … وهي لم يقض لبسها
خرجت كالمهاة في ليلـ … ـة غاب نحسها
بين خمس كواعبٍ … أكرم الجنس جنسها[1]

وقال أيضاً :

أَسُلمى تلك في العير … قفي إن شئت أو سيري
فلما أن دنا الصبح … وأصوات العصافير

---

١ ـ شعر الوليد ص ٧٠ .

خرجنا نَتَّقي الشمس مطايا القوم كالعور
إذا ما أَغْرِضُ حالَتْ سددناها بتصدير[١]

قال : وقالت ابنة سعيد : أبي يصلح للخلافة ، فقالت ابنة الوليد :

فإنك والخلافة يا سعيد لكالحادي وليس له بعير

فقالت سلمىٰ : ولم لا يطمع في الخلافة وهو ابن أمير المؤمنين عثمان ، وغضبتْ فقال الوليد :

غضبتُ سلمىٰ عليَّ سفاهاً أنْ شَتَمْتُ اليوم فيها أباها[٢]

قالوا : فماتت بعد دخوله عليها بأربعين يوماً ويقال ليلة دخلت عليه أو بعدها بثلاث ، ويقال بسَنَة ، فقال :

ألم تعلما سلمى أقامتْ بِمَهْمَهٍ مُضَمَّنَةٍ قبراً من الأرض أُلْحِدا[٣] .

في أشعار .

وقالوا : عقد الوليد لابنه الحكم واستعمله على دمشق ، وعقد لابنه عثمان بعده ، واستعمله على حمص وضم إليه ربيعة الرأي بن أبي عبد الرحمن الفقيه .

وقال الهيثم بن عدي : وقال الوليد :

ولقد صدنا غزالاً سانحاً فأردنا ذبحه لما سَنَحْ
فإذا شِبْهُكَ ما ننكره حين أشجىٰ طرفه ثم لَمَحْ

---

١ ـ شعر الوليد ص ١٥٠ .
٢ ـ شعر الوليد ص ١٢٩ .
٣ ـ شعر الوليد ص ٤٠ مع فوارق .

فتركناه ولولا حبكم فاعلمي ذاك لقد كان ذُبحْ
أنت يا ظبي طليق آمِنٌ فاغْدُ في الغزلان مسروراً ورُحْ[1]

وقال الهيثم بن عدي : سمي الوليد البيطار لأنه كان يصيد الحمر الوحشية فيسمها بالوليد ثم يخلّيها فوجدت في أيام أبي العباس السفاح والمنصور حمر موسومة باسمه .

وكان يحب دخول الحيرة والكوفة فخرج كالمتبدي ، ثم أتى الكوفة فنادم شراعة بن أبي الزندبوذ ، ومطيع بن إياس ، وحماد الراوية ، وحماد عجرد وبعض آل أبي معيط ، وقال يوماً لشراعة : أسألك عن الأشربة فقال : سل يا أمير المؤمنين . قال : ما تقول في الماء ؟ قال : الحياة ويشركن فيه البقر والحمير والكلاب . قال : فاللبن ؟ قال : ما رأيته قط إلّا ذكرت ثدي أمي . قال : فنبيذ التمر ؟ قال : نبيذ الباعة والمهّان ومن لا خلاق له ، قال : فنبيذ السكرّ ؟ قال : الخمرة المنتنة . قال : فنبيذ الزبيب والعسل ؟ قال : «مرعىً ولا كالسعدان[2]» . قال : فالخمر ؟ قال : واهاً لها ، تلك صديقة روحي وحياة نفسي . قال : فعلىٰ أي الوجوه تحب أن تشربها ؟ قال : على وجه السماء .

ويقال إنه لم يخرج إلىٰ الكوفة ولكن أشخص ظرفاؤها إليه ، وكان فيهم شراعة بن أبي الزندبوذ .

---

١ ـ شعر الوليد ص ٣٥ .

٢ ـ السعدان : نبت من أفضل مراعي الإبل ، ومنه «مرعى ولا كالسعدان» وله شوك تشبه به حلمة الثدي . القاموس .

وقال حماد : أنشدته أشعار العرب فلم يهشّ لها ، وأنشدته شعراً سخيفاً فطرب له واستعادنيه فقلت : هذا والله الإدبار ، ثم دخلت بعد على أبي مسلم فقال : أنشدني قصيدة الأَفْوَه(١) فأنشدته إياها ، وجعل يستعيدني قوله :

تُهدىٰ الأمور بأهل الرأي ما صلحت   فإن تولَّت فبالأشرار تنقاد

فقلت : هذا والله الإقبال .

وقالوا: وكان مما سمع الوليد بالكوفة ـ أو ممن أُشخص إليه من أهل الكوفة ـ فأعجبه ، غناء قينتين لعبدالله بن هلال الهجري المعروف بصديق إبليس ، وهو من حمير ، فقال :

يا أهل بابل ما نَفَسْتُ عليكم   من عيشكم إلا ثلاث خلال

خمر الفرات وليل قيظ باردٍ   وسماع مسمعتين لابن هلال(٢)

ويروىٰ : ماء الفرات وخمرة حيرية وسورية .

قالوا : وكتب الوليد إلى خاله يوسف بن محمد بن يوسف ـ وكان عامله على مكة والمدينة ـ أن يأخذ ابني هشام بن اسماعيل : ابراهيم ومحمداً ويحملهما إلى يوسف بن عمر ليحاسبهما ويأخذ للناس حقوقهم منهما ، وكتب في أخذ عمال هشام وحشمه بما عندهم إلا مسلمة ابنه .

وقال الوليد :

---

١ ـ الافوه لقب، واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف الأودي ، كان من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، والعرب تعده من حكمائها. الأغاني ج ٢ ص ١٦٩ .

٢ ـ شعر الوليد ص ١٥٧ .

عَلِّلِ القوم قليلاً يا بن بنت الفارسية
غَنِّهم أنت وبِشْرٌ وابن بنت الهُذَليه
انهم قد عاقروا اليو م عقاراً مَقَديَّه[١]
عندنا مسكٌ وريحـ ـان وعود المندليه[٢]

وقال أيضاً :

عللاني واسقياني من شراب الأصبهاني
من شراب الشيخ كسرىٰ وشراب القيرواني
وامزج الكأس ولا تكـ ـثر مزاج العسقلاني
إن بالكأس لمسكاً وبكفَّيْ من سقاني
إنما الكأس ربيع يتعاطى بالبنانِ[٣]

وقال أيضاً :

اسقنا يا زبير بالقرقاره قد طربنا وحنت الزمارة
اسقني اسقني فإنّ ذنوبي قد أحاطت فما لها كفارة[٤]

وقال أيضاً :

أصبح اليوم وليد هائماً بالغانياتِ
عنده طاس وابريـ ـق وراح بالفلاةِ

---

١ ـ مقديه نسبه إلى قرية بالشام قيل بناحية حمص وقيل بناحية دمشق من أعمال أذرعات . معجم البلدان .
٢ ـ شعر الوليد ص ١٣٩ .
٣ ـ شعر الوليد ص ١٢٣ .
٤ ـ شعر الوليد ص ٦٨ ، والقرقاره : كوب من زجاج طويل العنق .

ابعثوا خيلاً لخيلٍ ورماة لرماة[1]

وقال أيضاً :

اسقني يا زيد صرفاً اسقني بالطرجهاره[2]
اسقنيها مزة تأخـ ـذني منها استداره
اسقنيها كي تُسلّي ما بقلبي من حراره[3]

وقال أيضاً :

امدحِ الكأس ومن أعملَهَا واهجُ قوماً قتلونا بالعطشْ
إنما الكأس ربيع باكر فإذا ما غاب عنا لم نعشْ[4]

وقال أيضاً :

نزلتْ سلمىٰ بقلبي منزلاً ذا عَدَوَاءِ
فزجرتُ النفس عنها لو تناهتْ بانتهاءِ
نظرتْ سلمىٰ وقالت حين صَدَّت يا نسائي
نظر الظبية ريعت وهي وسنىٰ في ظباءِ[5]

وقال أيضاً :

وجدت العيش يا سلمىٰ مزاج الكاس بالكاسِ
إذا ما كأسنا دارت فهزَّتْ فروة الراسِ

---

١ ـ شعر الوليد ص ٣٠
٢ ـ وعاء كالفنجان .
٣ ـ شعر الوليد ص ٦٧
٤ ـ شعر الوليد ص ١٥١ .
٥ ـ شعر الوليد ص ١٣ .

وفـتـيـانـاً أنـادمـهـم كـرامـاً غـير أنـكـاسِ
فـلولا رقـبـة الله وإني رهـن أرمـاسِ
لقـد زرتـك يـا سلمى عـلى خـوف وإيجـاسِ
ولا والله يـا سـلمـ ـاي ما بالحب من باس[1]

وقال أيضاً :

أم سلامٍ لو لقيتِ من الوجـ ـد عُشَيْرَ الذي لقيتُ بَرَاكِ
فـأثيبي بالـودِّ صَبّاً عميـداً مُسْتَهاماً لم يشجِهِ ما شجاكِ
أنت تَفْدِينَ عَبْدَ[2] من كل خيرٍ ومن السّوء هي تكون فداك[3]

وقال يرثي مؤمناً ابنه وكان محباً له :

أتـاني سنان بـالوداع لمؤمنٍ فقلت له إني إلى الله راجع
وكيف بكائي مؤمناً ولقد أرىٰ بأني له يا نفس لابدّ تابع
ألا أيها الحاثي عليه ترابه تَعِسْتَ وشُلّت من يديك الأصابع[4]

قالوا : وبعث الوليد إلى المدينة فحمل اليه المغنون ، فلما قربوا منه أمر أن يدخلوا العسكر ليلاً كراهة أن يراهم الناس ، فأقاموا حتى أمسوا غير محمد بن عائشة مولىٰ كثير بن الصَلْت فإنه دخل نهاراً فغضب عليه الوليد وأمر بحبسه حتى شرب ذات يوم وطرب فكلمه فيه معبد فدعا به ، فغناه حين دخل :

---

١ ـ شعر الوليد ص ٦٩
٢ ـ بهامش الأصل : يعني عبدة .
٣ ـ شعر الوليد ص ٨٦ .
٤ ـ شعر الوليد ص ٧٦

أنت ابن مُسْلَنْطح[١] البطا ح ولم نطرق عليك الحبيّ[٢] والولج[٣]

فرضي عنه .

المدائني قال : قدم الأحوص بن محمد الشاعر ، ومعبد على الوليد فنزلا في بعض طريقهما على غدير وجارية تستقي منه فزلقت فانكسرت جرّتها فجلست تغني :

يا بيت عاتكة الذي أَتغزّلُ حذر العِدىٰ وبه الفؤاد موكّلُ
إني لأمنحك الصدود وإنني قسماً إليك مع الصدود لأَمْيَلُ[٤]

فقالا لها : لمن أنت يا جارية ؟ قالت : كنت بالمدينة لآل الوليد فاشتراني مولاي وهو من آل الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب ، قالا : فلمن الشعر ؟ قالت : سمعت أهل المدينة يقولون أن الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد . فقال معبد للأحوص : قل في هذا شيئاً أغني به فقال :

إن زين الغدير من كسر الجَـ ـرِّ وغنىٰ غناء فحل مجيد
قلت من أنت يا ظعين فقالت كنت فيها مضى لآل الوليد
ثم صرت بعد عزّ قريش في بني عامر لآل الـوحيد
وغنـائي لمعبـدٍ ونـشيـدي لفتىٰ الناس أحوصِ الصنديد
فتضاحكْتُ ثم قلتُ أنا الأحو ص والشيخ معبدٌ فأعيدي

١ ـ المسلنطح : الفضاء الواسع . القاموس .
٢ ـ الحبيّ : السحاب يشرف من الأفق على الأرض ، أو الذي بعضه فوق بعض .
٣ ـ الولج : النواحي والأزقة . القاموس .
٤ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

فأعادتْ فأحسنتْ ثم ولَّت تتهادىٰ فقلت أمَّ سعيد
يعجز المال عنك ولكن أنتِ في ذمة الإمام الوليد[1]

أم سعيد هَوَىً كانت للأحوص بالمدينة ، فلما قدما على الوليد غناه معبد بهذا الشعر وحدثاه الحديث .

وقال أشعب : قال لي الوليد : أما ترى خالي ، كأن المحاجم بين عينيه ، فإن أضحكْتَهُ فاحتِكم . فقلت : أخذني بطني مرة فخرجتُ فإذا الدنيا فسطاط واحد ، فذكرت قول نبطي مرةً ، قال : من حكمة فارس ، إذا أخذك بطنك فَشُدّ على لسانك ، فإن لم يسكن فشد على فخذيك ، فإن جاءك أكثر من ذاك فانتف من شعر أستك شعرتين أو ثلاثاً ففعلت ذلك فارتفع . فضحك وقال : أتفعل ذلك وأنت محرم ؟ قلت : نعم . فضحك وأخذت الجائزة .

قالوا : وأرسل الوليد إلى البصرة فحمل اليه الهيثم القاريء : وعبدالله بن عمر البكراوي فاستقرأ الهيثم فقرأ ، ثم قال : غنني . فقال : الغناء شيء قد نسيته .

المدائني عن العلاء بن المغيرة قال : قلت للوليد : إني أريد العراق أفلك حاجة يا أمير المؤمنين ؟ قال : بَرْبَط من صنعة زربي .

قال : وكان محمد بن سليمان بن عبد الملك من أضرب الناس وأحسنهم صوتاً وغناء ، فكان يدخل علىٰ الوليد فيغنيه .

١ ـ شعر الأحوص ص ٣٨٩ حيث أبدى المحقق شكوكه حول صحة الرواية .

وقال أبو الحسن المدائني : قال العلاء بن المغيرة : وقف الوليد على غدير فأمر بضرب فسطاط له عليه ، ثم قال : والله لا أبرحه أو يُشرب جميع مائه . فجعل الناس ينقلون ماءه بالروايا والقرب حتى نفد ماؤه ، فلما نظر إليه قال : أنا أبو العباس . وأمر الناس بالرحيل بعد ثالثة .

قالوا : وكتب الوليد في إشخاص أشعب الطمع إليه فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب ، وقال له : ارقص وغنني صوتاً يعجبني فرقص وأضحكه فأمر له بألف درهم ، ويقال بعشرة آلاف درهم .

وقال الكلبي : قال حماد الراوية : دعاني الوليد فقدمت عليه فقال : أنشدني ، فأنشدته جيد أشعار العرب فلم يرتح لشيء من ذلك ، حتى جرىٰ الحديث والمزاح فأنشدته قول ابن أبي كبار الهمداني وهو عمار بن عبيد بن يزيد بن عمرو بن ذي كبار السبيعي من همدان ، وهو :

أشتهي منك مكاناً مجنبذا حَبَّذا ثم حبذا حبذا
حبذا من شَذَا بَذَا

فضحك وطرب ووصلني ، ثم صرت بعد ذلك إلى أبي مسلم فقال : أنشدني شعر الأَفْوَه الذي يقول فيه :

تُهدىٰ الأمور بأهل الرأي ما صُلحَتْ فإن تَوَلَّتْ فبالأشرار تقتاد
لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّالهم سادوا

فقلت : هذا والله الإقبال لا إدبار الوليد .

وقال هشام ابن الكلبي : لم يشخص الوليد إلى الكوفة كما قال بعض الناس ولكن فتيانها شخصوا اليه مثل شراعة بن أبي الزندبوذ ، ومطيع بن إياس وحماد الراوية ، وفتيان آل أبي معيط ، وأُشخصت اليه قينتان

لعبدالله بن هلال الهجري الذي يقال له صديق إبليس ، وحمل إليه خمر كثير من طيزناباذ والفلاليج ، وسوار ، وفرات بادقلى فقال في ذلك :

يا أهل بابل ما نفست عليكم   من عيشكم إلا ثلاث خلال
خمـر الفرات بمـاء قيظ بـارد   وغناء مسمعتين لابن هلال[1]

وقال الحرمازي : سمعت من يحلف عن مشايخ الكوفيين أنه قدم متنكراً ، ثم انصرف ومعه ظرفاؤها . وسئل هشام بن عمار عن هذا وجرى حديث الوليد فقال : أما الشخوص إلى الكوفة فلا أدري ، ولكنه كان يسير في طريقها المرحلتين والثلاثة ويُحمل اليه ما يحبه منها .

وقال هشام بن عمار عن أبيه : كان الوليد منهمكا على لذاته مشغولاً عن أمور الناس ، يصطبح الأربعين يوماً وأقل وأكثر فلا يراه إلا ندماؤه وخواص خدمه .

وقال المدائني : قال الوليد :

لمن دِمْنَـةٌ أقفـرتْ بـالجليـ   ـل أنكرتُها بعـد إيناسهـا
كخط الصحيفة بعد الزمـ   ـان تبقى حُلُوكَةُ أنقاسها[2]

وأمر ابن عائشة فغنى بهذا الشعر .

المدائني عن جويرية بن أسماء عن إسحاق بن محمد قال : دخلت على منصور بن جمهور وعنده جاريتان من جواري الوليد ، فقال : اسمع ما يحدثانك به ، فقالتا : كنا آثر جواريه عنده فوطىء هذه ، وجاء المؤذن يؤذنه بالصلاة فأخرجها وهي جنب متلثمة فصلت بالناس .

---

١ ـ شعر الوليد ص ١٥٧ .
٢ ـ الأنقاس : المداد . شعر الوليد ص ٧١ .

ولاعب الوليد بن يزيد رياح بن عثمان المرّي فضربه بقضيب كان معه . فقال : أوجعتني يا أمير المؤمنين ، وأخذ رياح القضيب منه فضربه ضربة حمَّرت فخذه فقال : أوجعتني ويلك يا رياح .

حدثني عبدالله بن صالح عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : كنت عند هشام ، وعنده الزهري ، فذكر الوليد فتنقّصاه وعاباه عيباً شديداً ، ولم أعرض لشيء مما كانا فيه ، وجاء الوليد فدخل وأنا أعرف الغضب في وجهه ، فجلس قليلاً ثم قام ، فلما مات هشام أرسل إلي فحُملت إليه فرحب بي وقال : كيف كانت حالك ، وألطف في المسألة وقال : أتذكر يا عبدالله بن ذكوان يوم الأحول وعنده الفاسق الزهري وهما يعيباني ؟ قلت : أذكر ذاك ولم أعرض في شيء منه . قال : صدقت ، أرأيت الغلام القائم على رأس هشام ؟ قلت : نعم . قال : فإنه رفع إلي ما قالا ، وايم الله لو بقي الفاسق الزهري لقتلته . قلت : قد عرفت الغضب في وجهك حين دخلت يومئذ ، ثم قال : يابن ذكوان ذهب الأحول بعمري . قلت : يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين ويمتع الأمة ببقائك ، ودعا بالعشاء فتعشى ، وجاءت المغرب فصلينا وحدثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا وجلس ثم قال : اسقني ، فجاؤوا بإناء مغطى وجاء ثلاث جوار فصففن بيني وبينه حتى شرب ثم ذهبن فتحدثنا ثم استسقى فصنع الجواري الثلاث مثل ذلك ، فلم يزل يتحدث ويستسقي على ذلك ، حتى طلع الفجر ، فأحصيت له سبعين قدحاً .

أبو الزناد عبدالله بن ذكوان مولى رملة بنت شيبةبن ربيعة بن عبد شمس ، يكنى أبا عبد الرحمن ، ومات بالمدينة سنة ثلاثين ومائة .

قال : وأرسل الوليد إلى محمد الحداد وصارعه ، فاحتمله محمد فوضعه على منكبيه ، ثم أتى به السرير فوضعه عليه فلطمه الوليد وضحك .

المدائني عن أبي محمد القرشي قال : كان عمر الأزرقي مولى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان صريعاً للوليد فقال عمر : إني لجالس يوماً على باب البيت الذي فيه الوليد وهو مضطجع ما عنده أحد ، إذ قال : يا عمر ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ما بقي منك ؟ قلت : أغلبُ الأسدَ ولا تطيقني الرجال ، فضحك وسكت ، ثم وثب عن السرير فاحتملني على رأسه ثم ضرب بي الأرض فكاد يقتلني ، ثم رجع إلى السرير واستلقى فضحك ، قلت : يا أمير المؤمنين اغتررتني ، أما لو أعلمتني لعلمتَ ما أصنع .

قالوا : وكان الوليد شديد البطش طويل أصابع اليدين والرجلين ، توتد له سكة حديد وفيها خيط ، ويشد الخيط في رجله ، ويؤتى بالدابة فيثب عليها فينتزع السكة ، ويركب وما يمسّ الدابة بيده .

هشام ابن الكلبي والمدائني قالا : خرج الوليد يتصيد ومعه حسين بن عبيد بن برهمة بن أذينة بن حارثة بنت جندلة بن عبيدة بن امرىء القيس بن عبدالله بن جنابِ الكلبي ، فانفردا عن الناس حتى انقطعا عنهم ، وتعالى النهار ، وجاع الوليد فانتهى إلى قرية فرأى بها رجلاً جالساً فقال له : أعندك شيء نأكله ؟ قال : نعم ، وجاء بخبز شعير وربيثاء[1] وزيت وكراث فأكل الوليد وحسين بن برهمة الكلبي وكان ماجناً خليعاً فقال :

---

١ ـ لم أهتد إلى تعريف للربيثاء .

إنَّ مَن يُطْعَمُ الرُّبَيْثاء بالزيـ ـت بهذا المكان والكـراث
لخليق بـلطمـة أو بثنتيـ ـن لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال الوليد : ويحك إنما ينبغي أن تقول ببدرة أو بثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث ، وأقاما حتى لحقهما الناس ، فأمر الوليد للرجل بثلاث بدر .

ولحسين يقول الشاعر :

زعم الزاعمون أن حسين بـ ـن عبيد بن برهمـة زنديقْ
ولعمـري لئن هم زعمـوه مـا أشـطّوا وإنّـه لخـليـقْ
يشرب الخمر كل يوم ويزني ويـواري قمدّه[1] الصنـدوق

قالوا : وكان الوليد يطأ جواري أبيه اللاتي كان وطئهن ، فقالت جارية منهن : والله لقد نالنا بما تعافه البهائم .

قال المدائني : كان للوليد مضحك يقال له زبالة ، فكتب الوليد بين عينيه بخضرة «حر» ، فكره الناس ذلك وتحدثوا به وعابوه .

ومن شعر الوليد :

قد كنت أحسب أنني جَلْدُ القوى حتى رأيت كـواعباً أتـرابـا
يرفلن في وشي البرود عشية مثل الظباء وقد ملئن شبابا[2]

وأنشدت مغنية للوليد :

أطربتني للصبح يوم صَبُوحي قينـةٌ في يمينهـا إبـريـق

---

١ ـ ذكر قمد : شديد الانعاظ . القاموس .
٢ ـ شعر الوليد ص ١٥ .

فقال : هو كذا فأتمي الأبيات . فقالت : لا أعرف منه غير هذا . فقال : قد كان حماد الراوية أنشدنيه مرة ، فكتب في إشخاص حماد على البريد فلما دخل عليه قال : قينة في يمينها إبريق . وأنشد :

ثم نادوا ألا اصبحونا فقامت قينــة في يمـينهــا إبــريـق
قدَّمَتْه على عقار كعين الديـ ـك صفى سلافها الراووق
مَـزَّةٌ قبل مـزجها فـإذا ما مُزِجَت لَذّ طعمها من يذوق
وطَفَتْ فوقها طوافٍ من اليا قـوت حمر يثـيرها التصفيق

في أبيات فكساه وأجازه وأمر فأقفل من ساعته .

قالوا : وكان عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك أخو الوليد يُرمى بالتأنيث فتزوج ابنة محمد بن الوليد بن عبد الملك ، فلم يصل إليها ، فَفَرَّقَ هشام بينهما فخلف عليها بعده محمد بن روح بن الوليد ، فغضب الوليد بن يزيد ، وكان آل الوليد بن عبد الملك أعداء آل مروان فأساء بهم ، وتجنى على محمد بن روح فحبسه وحبس عدة منهم فيهم المؤمل بن العباس بن الوليد .

مقتل الوليد بن يزيد

قالوا : وكان الناس يتحدثون في أيام يزيد بن عبد الملك أن الوليد شهيد بني مروان .

وحدثني هشام بن عمار قال : سمعت مشايخنا يحدثون أنه كان في نفس الوليد بن يزيد بن عبد الملك على سليمان بن هشام شيء وذلك أنه كان يساعد أباه على ذمه ويشير عليه بخلعه وقتله ، فلما ولي دعا به فقال : ألستَ أعدى الناس لي ؟ ، ألستَ القائل كذا ، فأغلظ له سليمان ، فضربه الوليد مائة سوط ضرباً مبرحاً وحلقه وألبسه الصوف وثقله بالحديد ، فكلم فيه فأخرجه ، فكان أشد الناس تأليباً عليه .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : كان سليمان عدواً للوليد ، فكان يسعى في قتله لا يألو ، وكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك رجلاً حسن العقل ، يظهر عفافاً وتورعاً إلا أنه كان ينسب إلى قول غيلان بن مُسلم الذي قتله هشام في القدر ، وكان الوليد قد أقصاه وجميع

إخوته وأهل بيته ، واستخف بهم وحرمهم ، وأغلظ لهم ، وحبس بعضهم فرموا الوليد بالكفر وغشيان أمهات أولاد أبيه وباللواط ، وقالوا : قد اتخذ جوامع كتب على كل جامعة منها اسم رجل من بني أمية ليقتله .

قال المدائني عن رجاله : كان الوليد صاحب صيد وتهتك ولهو ولذات يتنقل فيها ، فلما ولي الأمر جعل يكره المواضع التي يراه الناس فيها فلم يدخل مدينة من مدن الشام حتى قتل ، وكان تحول فثقل على الناس وعلى جنده واشتد على بني هشام[1] حتى ضرب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغرَّبه إلى عَمّان من أرض الشام .

وأخذ الوليد جارية لآل الوليد بن عبد الملك ، فكلمه عمر بن الوليد فيها ، فقال : لا أردها ، فقال عمر : إذاً تكثر الصواهل حول عسكرك .

وقال أبو الحسن المدائني : حبس الوليد يزيد بن هشام ، وهو الأفقم ، وفرّق بين روح بن الوليد وبين امرأته ، وحبس عدة من ولد الوليد ، وعذب بعضهم وعزم على البيعة لابنيه الحكم وعثمان وقال :

نـأمـل عثـمان بعـد الـوليـ ـد أو حَكَماً ثم نرجو سعيدا
كما كان من كان من قبلنا يزيد يُرجّي لتلك الوليدا[2]

وشاور الوليد في ذلك فأشار عليه ابن بيهس بن صهيب الجرمي ألا يفعل وقال : انهما صغيران لم يحتلما ، ولكن بايع لعتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فغضب عليه وحبسه حتى مات في الحبس .

---

١ ـ بالأصل : هاشم ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه .
٢ ـ شعر الوليد ص ١٤٧ .

قال المدائني : ودعا الوليد خالد بن عبدالله القسري إلى البيعة لابنيه فأبى فقال له بعض أهله : دعاك أمير المؤمنين فخالفته ؟ فقال : ويحكم كيف أبايع من لا أصلي خلفه ولا أقبل شهادته ؟ قالوا : فتقبل شهادة الوليد مع مجونه وفسقه . قال : أمر الوليد أمرٌ غاب عني فلا أتتبعه ، وإنما هي أخبار الناس . فغضب الوليد على خالد وقال : كان الأحول أعرف به .

وأراد الوليد الحج ، فنهاه خالد عن ذلك لأنه خاف أن يفتك الناس به لإنكارهم أمره ، فقال له : لم كرهت حجي ؟ فقال : لا تحتاج إلى أن أخبرك . فازداد غضباً وأمر بحبسه واستيدائه ما عليه من أموال العراق ، ودفعه إلى يوسف بن عمر فعذبه حتى قتله ، وكان من أمره ما قد ذكرناه .

المدائني عن عمر بن سعيد الثقفي قال : أوفدني يوسف بن عمر على الوليد ، فلما قدمت عليه قال : كيف الفاسق ـ يعني الوليد ـ ثم قال : إياك وأن يسمع هذا منك أحد . فقلت : امرأتي طالق إن سمعه مني أحد ما دمت حياً ، فضحك .

قالوا : فلما فعل الوليد ما فعل من قتل خالد بن عبد الله ، وابراهيم ومحمد ابني هشام بن اسماعيل حين قال : آخذهما بحق الله عليهما وحقوق الناس ، وتجنّيّ عليهما ، وما فعل ببني هشام وبني الوليد ، وحبسه المؤمّل بن العباس بن الوليد ، وبني القعقاع ، وآل القعقاع واضْطَغَنَتْ عليه اليمانية لفعله بخالد بن عبد الله ، ورمي بالزندقة ، وكان أشدهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الناس مائلين إلى قوله لستره وإظهاره النسك ، وجعل يقول : ما يسعنا الرضا بالوليد . حتى حمل الناس على الفتك به .

المدائني أن يزيد بن مصاد الكلبي قال : أخبرني عمرو بن شراحيل قال : سيّرنا هشام إلى دهلك ، فلم نزل بها الى أن مات هشام وقام الوليد فكُلم فأبى ردّنا ، ثم قال : والله ما عمل هشام عملاً أرجى أن تناله به المغفرة من تسييره هؤلاء ، وقتله القدرية ـ يعني غيلان وصاحبه ـ وقد كانت جماعة من اليمانية اجتمعت إلى خالد بن عبدالله القسري من أهل دمشق قبل حبسه ، منهم : شبيب بن أبي مالك الغساني ، ومنصور بن جمهور الكلبي ، وحميد بن نصر اللخمي ، والأصبغ بن ذؤالة ، وابن زياد بن علاثة ، فدعوه الى أمرهم فأبى ذلك ، فسألوه أن يكتم عليهم ففعل ، فلما حبس قال بعض الكلبيين شعراً على لسان الوليد :

وهـذا خالـد أمسى أسيـراً ألَا منعوه إنْ كانوا رجالا
فلو كانت قبائل ذات عِزٍّ لما ذهبتْ صنائعـة ضلالا
ولا تـركـوه مسلوبـاً أسيراً يعالج من سلاسلنا الثقـالا
بها سمنا البريَّة كل خسفٍ وهـدَّمنـا السهـولـة والجبـالا
فلا زالوا لنـا أبداً عبيـداً نســومهم المـذلـة والنكـالا

فازداد الناس على الوليد حنقاً ، وقال حمزة بن بيض الحنفي

يا وليدَ الخنا تركت الطريقا واضحاً وارتكبت فجّاً عميقا
وتمـاديت واعتـديت واسرفـ ـتَ وأغويت وانبعثت فسوقا
أبداً هاتِ ثم هاتِ وهـ ـات حتى تخـرّ صعيقـا
أنت سكرانُ لا تفيق فما ترْ تِقُ فَتْقاً وقد فَتَقْتُ فُتُـوقا
جـاثليق أسقف كفر وفسقٍ ثَمَّ فُقْتَ الأسقف والجاثليقا

قالوا : وأتت اليمانية يزيد بن الوليد فأرادوه على أن يبايعوه ، فقال عمر بن يزيد الحَكَمي ليزيد : إن العباس بن الوليد أخاك سيد أهل بيتك ، فإن بايعك لم يخالفك الناس ، وإن أبى فالناس له أطوع ، وإن أبيتَ مشاورته فأظهر بيعته لك .

وكانت أرض الشام في تلك الأيام وبيئة فخرج الناس الى البوادي ، وكان الوليد بن يزيد متبدياً ، وكان العباس بن الوليد بالقسطل[1] فأتى يزيد أخاه فأخبره الخبر وشاوره وعاب الوليد فقال له العباس : مهلاً يا يزيد فإن في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا . فرجع يزيد الى منزله ودَبَّ في الناس فبايعوه سراً .

ودس يزيد بن عنبسة السكسكي رجلاً من كلب وقوماً من ثقاته من وجوه الناس وأشرافهم يدعو الناس سراً ، ثم عاود يزيد أخاه العباس ، ومعه قطن مولاهم فشاوره وأعلمه أن قوماً يأتونه يريدونه على البيعة ، فزبره العباس وقال : إن عدتَ لمثلها لأشدَّنك وثاقاً ولأحملنّك الى أمير المؤمنين .

فخرج يزيد وقطن ، وبعث العباس الى قطن فقال له : ويحك أترى يزيد جادّاً ، قال : جعلت فداءك ما أظن ذلك ولكنه قد دخله مما صنع الوليد بن يزيد ببني الوليد بن عبد الملك وبني هشام ، وما يسمع من الناس من ذكر استخفاف الوليد وتهاونه بالأمور ما ضاق به ذرعاً . قال : أما والله

١ ـ هناك أكثر من قسطل ، وقد يكون المراد هنا . قرية القسطل في جبل البلعاس ـ منطقة سلمية، لأن اعمارها قديم فيها آثار كثيرة وصاريج لخزن المياه ، أو بلدة القسطل على حواف جبل القلمون بين حمص ودمشق . انظر مادة قسطل في المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري .

إني لأظنه أشأم سخلة في بني مروان ، ولولا ما أخاف من عجلة الوليد مع تحامله علينا لشددته وثاقاً وحملته إليه . فازجره عن أمره فإنه يسمع منك .

وسأل يزيد بن الوليد قطناً عما جرى بينه وبين العباس فأخبره به فقال : والله لا أكف ، ثم لا أكف . وأتى معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان الوليد فقال له : انك تبسط لساني بالأُنس بك وأنا أكفّه بالهيبة لك وأنا أسمع من خوض الناس ما لا تسمع ، وأخاف عليك مالا أراك تأمن ، أفأتكلّم ناصحاً أم أسكت مطيعاً ؟ قال : كل مقبول منك ، ولله فينا علم غيب نحن إليه صائرون ، ولو علم بنو مروان أنهم إنما يوفدون على رضفٍ[1] يُلقونه في أجوافهم مافعلوا ما يفعلون . ونعود فأسمع منك .

وبلغ مروان بن محمد وهو بأرمينية أن يزيد يؤلب الناس على الوليد بن يزيد ويدعو الى خلعه ، فكتب الى سعيد بن عبد الملك بن مروان وكان متألهاً : «إن الله جعل لأهل كل بيت أركاناً يعتمدون عليها ، ويتوقّون المخاوف بها ، وأنت بحمد الله ركن من أركان أهل بيتك ، وقد بلغني أن قوماً من سفهاء أهل بيتك قد أسسوا أمراً إن تمّت لهم رؤيتهم فيه على ما أجمعوا عليه استفتحوا باباً لن يغلق عنهم حتى تسفك دماء كثيرة منهم ، ولولا انشغالي بهذا الفرج العظيم أمره ، الشديد شوكة أهله لرمت فساد أمرهم بيدي ولساني ، وأنت أقرب إليهم مني فاحتل لعلم أمرهم بإظهار المتابعة لهم ، ثم تهددهم بإظهار أسرارهم ، وخذهم بلسانك ، وخوّفهم العواقب لعل الله يردّ إليهم ما عزب عنهم من دينهم وعقولهم ، فإن فيما

١ ـ الرضف : الحجارة المحماة يوغر بها اللبن ، أو الداهية . القاموس .

شرعوا فيه تغيير النعم وذهاب الدولة ، فعاجل الأمر رحمك الله وحبل الأمة مشتد ، وفي الناس سكون والثغور محفوظة ، فإن للجماعة دولة من الفرقة ، وللسعة دافعاً من الفقر» .

وذكر كلاماً بعد ذلك ، فبعث سعيد بكتاب مروان إلى العباس ، فدعا العباس يزيد فعذله وتهدده ، فَحَذِرَهُ يزيد وقال : يا أخي لم أفعل وهذا من إرجاف أهل الحسد لنا والسرور بزوال نعمتنا ، وحلف له على ترك المعارضة فأمسك عنه .

وخرج يزيد بن الوليد يوماً على حمار وهو بناحية القريتين فرمى ذئباً فقتله ، فقال له مولى له متفائلاً : قتلتَ والله الوليد إن شاء الله .

وأتى بشر بن الوليد أخاه العباس بن الوليد فكلمه في خلع الوليد وبيعة يزيد ، فنهاه العباس ، وقال : يا بني مروان إني أظن الله قد أذن في هلاككم ، وقال :

إني أعيذكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفعُ
أرى البرية قد ملّت سياستكم فأمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تبقرنّ بأيديكم بطونكمُ فَثَمَّ لا حسرةٌ تُغْني ولا جَزَعُ

قالوا : فلما اجتمع ليزيد بن الوليد أمره وهو متبدٍّ ، أقبل إلى دمشق ليلاً ، وقد بايع ليزيد أكثر أهلها سراً ، وبايع له أهل المزة وأكثرهم يقولون بقول غيلان أبي مروان الذي قتله هشام .

ولم يبايع له ابن مصاد وهو سيد أهل المزة ، فمضى يزيد من ليلته إلى معاوية ماشياً في نفر من أصحابه وقد أصابهم مطر شديد فضربوا الباب وقالوا : يزيد بالباب ، ففُتح لهم فدخلوا فقال ليزيد : الفراش أصلحك

الله ، قال : إن في رجليّ طيناً وأكره أن أفسد بساطك وفراشك . قال : الذي تريدني عليه أضرُّ عليّ من فساد بساطي وفراشي ، وكلمه يزيد فبايعه ، ويقال إن هشام بن مصاد بايعه أيضاً .

ورجع يزيد إلى دمشق على حمار ، فنزل دار ثابت بن سليمان بن سعد الخشني ، وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فخاف الوباء ، فخرج عن دمشق واستخلف عليها ابنه ، وجعل على شرطته أبا العاج كثير بن عبدالله السلمي ، فقيل له إن يزيد خارج عليكم فلم يصدق ،

وعزم يزيد على الخروج والظهور فأرسل إلى أصحابه بين المغرب والعشاء الآخرة من ليلة جمعة في سنة سبع وعشرين ومائة فمكثوا عند باب الفراديس بدمشق ، ثم دخلوا المسجد فصلوا وفي المسجد حرس وقد وكلوا فيه بإخراج الناس منه بالليل ، فلما قضى الناس الصلاة صاح بهم الحرس فخرجوا وتباطأ أصحاب يزيد فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون في آخر حتى لم يبق في المسجد غيرهم وغير الحرس ، ثم أخذوا الحرس ، ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد بن الوليد فأخذه بيده وقال : قم يا أمير المؤمنين راشداً مهدياً ، وابشر بعون الله ونصره ، فقام وقال : اللهم إن كان هذا رضىً فأعنّي عليه وسدّدني له ، وإن لم يكن رضىً فاصرفه عني بموت عاجل .

وأقبل في اثني عشر رجلاً ، فلما كان عند سوق الحمر أتاه أربعون رجلاً من أصحابه فانضموا إليه ، ثم لما كان عند سوق القمح لقيهم زهاء مائتي رجل فصاروا معهم ، ثم مضى إلى المسجد وهو في مائتين ونيف وستين رجلاً فدخله ، وأتى أصحابه باب القصر فدقّوه وقالوا : رسل أمير المؤمنين الوليد

ففتح لهم فهجموا في القصر وأخذوا أبا العاج كثير بن عبدالله السلمي وهو سكران ، وأخذوا خزّان بيت المال وصاحب البريد .

وأرسل يزيد بن الوليد من ليلته إلى عامل بعلبك وهو مولى لسعيد بن العاص فأُخذ ، وأُرسل إلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فأخذ ، وأمر يزيد ألا تُفتح أبواب المدينة إلا لمن نادى بشعاره ، وأصاب أصحابُه سلاحاً كثيراً ، وجاء أهل المزة ، ولم ينتصف النهار حتى تتابع الناس إلى يزيد ، وتمثّل يزيد :

إذا استنزلوا عنهنَّ بالطعن أُرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المَصَاعب

المدائني عن عمر بن مروان الكلبي عن زرّ بن ماجد قال : غدونا مع عبد الرحمن بن مصاد ونحن زهاء ألف وخمسمائة فلما انتهينا إلىٰ باب الجابية وجدناه مغلقاً ووجدنا عليه رسولاً للوليد فقال : ما هذه الجماعة والأُهْبَة ، أما والله لأُعلمنّ أمير المؤمنين ـ يعني الوليد ـ فقتله رجل من أهل المزة ، فدخلنا من باب الجابية حتى وافينا المسجد الجامع ، ودخلنا على يزيد فسلمنا عليه بالخلافة .

وكانت السكاسك في نحو ثلاثمائة فدخلوا من الباب الشرقي حتى دخلوا المسجد من باب جيرون ، وأقبل يعقوب بن عمير بن هانىء في أهل داريا فدخلوا من الباب الصغير ، وأقبل حميد بن حبيب اللخمي في أهل دير مُرَّان والأرزة فدخلوا من باب الفراديس ، وأقبل ربعي وهشام الحارثي في جماعة من قومه ومن بني عُذرة وسلامان فدخلوا من باب توما ، وتوافت جموعهم وتتامّتْ فقال الشاعر :

وجاءتْهُم أنصارهُمْ حين أصبحوا سكاسكها أهل البيوت الصنادِدِ
وكلبٌ فجاءتْهُم بخيلٍ وعدَّةٍ من البيضِ والأبدانِ ثم السَّواعدِ
فأكْرِمْ بها قوماً وأنصار سنَّةٍ فَهُمْ منعوا حوماتها كلَّ جاحدِ
فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها قد استوثقوا من كل عاتٍ ومارِدِ

قالوا : وأرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان وأمره أن يقف بباب الجابية ، وقال لبني الوليد بن عبد الملك : تفرقوا في الناس وحضّوهم ، وقال : من كان له عطاء فليأت لقبض عطائه ، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة .

وحدثني هشام بن عمار عن صدقة بن خالد قال : دعا يزيد إلى نفسه ، فبايعه أهل المزة وأكثرهم غيلانية وقدرية ، وبايعه أهل دمشق وجميع من أنكر سيرة الوليد وشغله بلهوه ولعبه وبالشرب ، ففتح يزيد بيت المال وأعطىٰ الناس ، وجاءت أموال من الكور ففرقها وَوَجَّهَ عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان في كثفٍ من الناس إلى الوليد وهو بالبخراء[1] وكان نزلها للعلاج ، وشرب اللبن لوجعٍ وجده في كبده لإدمانه الشراب .

وقال أبو الحسن المدائني : أمر يزيد رجلاً فنادى : من ينتدب للفاسق الوليد وله ألف درهم ؟ فاجتمع أقل من ألف على أن يأخذوا ألفاً ألفاً ، ثم أمر فنودي : من ينتدب وله ألف وخمسمائة ؟ فانتدب يومئذ ألف وخمسمائة ،

١ ـ على مقربة من تدمر تعرف الآن باسم «البخرة» بسبب الروائح النتنة الناتجة عن الينابيع الكبريتية هناك .

ويقال إنه ندبهم إلى ألفين ألفين ، فأتاه ألفان فعقد لمنصور بن جمهور على طائفة ، وليعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبي على طائفة ، وعقد لحميد بن حبيب اللخمي على طائفة ، وعقد لغيرهم على جماعة وجعل عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فخرج عبد العزيز فعسكر بالمزة .

قالوا : ودعا الوليدُ بن يزيد السفياني وهو أبو محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية فأجازه ووجَّهَه إلى دمشق ، فلما انتهىٰ أبو محمد إلى قرب دمشق وجه إليه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد فسالمه أبو محمد وبايع ليزيد بن الوليد ، وأتى الخبر الوليد وهو بالأزرق فقال :

يا ويح جندي الألىٰ خاروا وما نظروا ... في غَبِّ أمر عمود الدين لو وقعا
ألقحتها ثم شالت عاقداً أنِفاً ... ما نَتَّجُوها فيلقوا تحتها ربعا[1]
ولا ارتقوا من صميم المحض آونة ... لكنهم يحتسون الصاب والعلقا
ما كنتُ أجزعهم من عرك كَلْكَلِها ... حتى تدرَّ نجيعاً أحمراً دفقا
من كل ليث شتيم الوجه ذي زيرٍ ... ضرغامةٍ تحذر الأساد ما صنعا
غضنفرٍ أهْرَتِ[2] الشّدقين قَسْوَرَةٍ ... كأنه طالع نقباً وما ظلَعا
يلقاك في الليلة الظلماء منفرداً ... كأن في رأسه نجمين قد طلعا[3]

١ ـ شالت الناقة : رفعت ذنبها للقاح ، والعاقد : الناقة تعقد بذنبها عند اللقاح فيعلم أنها حملت ، والأنف التي حملت لأول مرة ، والربع : الفصيل .
٢ ـ أهرت الشدقين : واسع الشدقين .
٣ ـ شعر الوليد ص ٧٣ .

وقال الوليد أيضاً :

ضمنتُ لكم إن سلَّم الله مهجتي عطاءً ورزقاً كاملاً في المحرَّم
فلا تعجلوني لا أباً لأبيكم فإني لكم كالوالد المترحّم(١)

قالوا : وقال بَيْهَس بن زميل الكلابي : يا أمير المؤمنين ، سر حتى تنزل حمص فإنها حصينة ، ثم وجّه الخيل إلى يزيد فيقتل أو يؤسر ، ويقال بل قال له ذلك يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال عبدالله بن عنبسة بن سعيد بن العاص : ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره وخزائنه وحرمه قبل أن يقاتل ويعذر ، والله مؤيدٌ أمير المؤمنين وناصره . فأخذ بقول عنبسة ، فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي : يا أمير المؤمنين تدمر حصينة وبها قوم يمنعوك . فقال : ما أرىٰ أن آتي تدمر وأهلها بنو عامر وهم الذين خرجوا عليّ ، واسمها أيضاً اسمها . قال : فهذه البخراء . قال : ويحك ما أقبح أسماء هذه الأماكن . فنزل البخراء في قصر النعمان بن بشير وهو حصن كان للأعاجم ، وقال :

إذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حيث تفزعُ
إذا ما هُمُ همُّوا بأحدى هَنَاتِهم حسرتُ لهم رأسي فلا أَتَقَنَّعُ(٢)

قال أبو الحسن : وكان بَيْهَس بن زُميل أشار عليه حين كره حمص بالبخراء فقال : أخاف بها الطاعون . فقال : الذي يراد بك أشد من الطاعون .

١ - شعر الوليد ص ١١٦ .
٢ - شعر الوليد ص ٧٩ .

وندب يزيد بن الوليد الناس إلى البخراء فتلقاهم ثَقَل الوليد فأخذوه ، ونزلوا بالقرب من الوليد ، وأتى الوليد بن يزيد رسول العباس بن الوليد بن عبد الملك : إنني آتيك فيمن أجابني إلى نصرتك والاعتصام ببيعتك ، فخرج في ناس من ولده ومواليه وخاصته ، وأمر الوليد بسرير فأُخرج فجلس عليه في وسط عسكره وقال : أعليّ يتوثب الرجال وأنا أثب على الأُسْدِ وأتخصَّر بالأفاعي ، وجعل ينتظر العباس بن الوليد بن عبد الملك . فقاتلهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وعلى ميمنته عمرو بن حُوَيٍّ السكسكي ، وعلى القلب منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن المتطرس أحد بني العبيد بن عامر الكلبي ، وعلى الميسرة عمارة بن كلثوم الأزدي أو غيره ، وركب عبد العزيز بغلاً له أدهم وبعث إلى الوليد وأصحابه زياد بن حصين ليدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فقتله مولى الوليد ، فانكشف أصحاب يزيد فترجّل عبد العزيز وكرَّ أصحابُه وقد قتل منهم عدة ، وحُملت رؤوسهم إلى الوليد ، وأمر الوليد فأُخرج لواء مروان بن الحكم الذي عقده بالجابية لمحاربة الضحاك بن قيس فجُعل بباب حصن البخراء وقتل من أصحاب الوليد عدة .

وبلغ عبد العزيز مسير العباس بن الوليد في خاصته وولده ومواليه ليكون مع الوليد ، فأرسل منصور بن جمهور في خيل وقال : إنك تلقى العباس بن الوليد في الشعب ومعه جُميعة فَخُذْهُم ، فنفذ منصور في الخيل ، فلما صار بالشِّعب إذا هو بالعباس في ثلاثين فارساً فقال له : اعدل إلى عبد العزيز بن الحجاج ، فأبى فقال له منصور بن جمهور : يا بن قسطنطين لئن أبيت لأضربنّ الذي فيه عيناك ، فعدل معه إلى عسكر عبد العزيز وقال :

بايع لأخيك يزيد بن الوليد فبايع ، ووقف ، ونصبوا راية وقالوا : هذه راية العباس وقد بايع لأخيه يزيد أمير المؤمنين ، فقال العباس : إنا لله خدعة من خدع الشيطان ، هلك بنو مروان . وكان عندهم كالأسير .

قالوا : وتفرق الناس عن الوليد بن يزيد وأتوا عبد العزيز والعباس ، فظاهر الوليد بين درعين ، وأتوا بفرسين يقال لهما السندي والزائد فقاتلهم ، فناداهم رجل: اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط ارموه بالحجارة، فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب . فقال : أما فيكم رجل شريف ذو حسب أكلمه ، فقال له يزيد بن عنبسة السكسكي : تكلم . فقال : ومن أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عنبسة . قال : يا أخا السكاسك ألم أزد في أعطياتكم ؟ ألم أرفع المؤن عنكم ؟ ألم أعط فقراءكم ؟ ألم أُخدم زمناكم ؟ فقال له : ما ننقم عليك في أنفسنا ولكنا ننقم عليك انتهاك ما حرّم الله من شرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله، وإتيانك الذكور، قال: حسبك يا أخا السكاسك فلعمري لقد أغرقتَ وأكبرت ، وإن في ما أحل الله لمندوحة عما ذكرت ، والله لا يرتق فتقكم ولا يلمّ شعثكم ولا تجتمع كلمتكم ، ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفاً وقال : يوم كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأه ، فعلوا الحائط ، وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة ، فنزل وسيف الوليد إلى جانبه فقال له يزيد : نحِّ سيفك ، فقال الوليد : لو أردت السيف كانت لي ولك حال . فأخذ بيد الوليد وهو يريد أن يحبسه ويؤامر يزيد بن الوليد فيه ، فنزل من الحائط عشرة فضربه واحد على وجهه وضربه آخر على رأسه ، وجرّه خمسة منهم ليخرجوه فصاحت امرأة كانت معهم في الدار فكفوا عنه فلم يخرجوه .

واحتزّ أبو علاقة القضاعي رأسه وأخذ عقباً فخاط الضربة التي في وجهه وحمل الرأس إلى يزيد بن الوليد روح بن مقبل ، وقال : ابشر يا أمير المؤمنين بقتل الوليد الفاسق ، وكان يزيد يتغدى فسجد ومن كان معه ، وأخذ يزيد بن عنبسة بيد يزيد بن الوليد وقال : قم يا أمير المؤمنين وابشر بنصر الله وصنعه ، فاختلج يزيد يده من كفه وقال : اللهم إن كان هذا الأمر لك رضىً فسددني ووفقني .

قالوا : وكان على ميسرة الوليد بن يزيد الوليد بن خالد أخي الأبرش الكلبي في بني عامر ، وكانت بنو عامر ميمنة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فلم تقاتل الميسرة والميمنة ، ومالوا جميعاً إلى عبد العزيز ، وقال بعضهم : رأيت خدم الوليد وحشمه يأخذون بأيدي الرجال فيدخلونهم عليه .

وقال الهيثم بن عدي : خرج الوليد وعليه قباء خز وقد تحزم بريطة ، فأتاه قوم من أهل حمص ينصرونه ، عليهم عبد الرحمن بن أبي الجنوب البهراني ، وأتاه بنو سليم بن كيسان صاحب باب كيسان بدمشق في ستة عشر فارساً ، وتلقاه بنو النعمان بن بشير الأنصاري في فوارس ، ثم صار إلى البخراء فضاق العلف على أصحابه ، فاشترى زرع القرية فقالوا له : لا حاجة لنا في البقل إنما تسترخي عليه دوابنا وتضعف ، أعطنا دراهم .

وأُخبر بإقبال عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك من قبل يزيد الناقص ، فلم يكترث لذلك ، وكان العباس بن الوليد قد أقبل يريد الوليد كراهة لنقض بيعته فوجه إليه عبد العزيز فحازه إليه .

وسمع الوليد تكبير أصحاب عبد العزيز بالبخراء ، فخرج خالد بن عثمان فعبأ الناس ، ولم يكن بينهم قتال حتى طلعت الشمس .

وكان مع أصحاب الناقص كتاب معلق في رمح فيه : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وأن يكون الأمر شورى ، فاقتتلوا فقتل عثمان الخشبي وكان من أولاد بعض الخشبية الذين كانوا مع المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وقتل من أصحاب الوليد زهاء ستين رجلاً . وكان الأبرش على فرس له فجعل يصيح بابن أخيه : يا بن اللخناء قدم رايتك ، قال : لا أجد مُتَقَدَّماً ، إنها بنو عامر .

وقال هشام بن عمار : حُدثتُ أن العباس بن الوليد قاتل مع الوليد بن يزيد وفاء ببيعته ، فطعنه رجل من أصحاب عبد العزيز فأرداه عن فرسه ، فعدل إلى عبد العزيز فسقط في يد أصحاب الوليد وانكسروا ، ومكث العباس عند عبد العزيز أسيراً ، ثم إن أخاه يزيد بن الوليد صفح عنه وكان به بَرّاً .

قالوا : وكان الوليد بن يزيد أرسل إلى عبد العزيز بن الحجاج يعرض عليه أن يعطيه خمسين ألف دينار ويجعل له ولاية حمص طعمة ما بقي ، ويؤمنه على كل أمر كان منه على أن ينصرف ويكفّ عنه ، فلم يجبه إلى ذلك ، وجعل أصحاب الوليد يستعجلون ويشترطون عليه الشروط فيجيبهم إلى ذلك فانتقض عسكر الوليد وانهزم أصحابه ، ودخل الوليد القصر ، وجاء رجل طوال كان علىٰ فرس له فدنا من حائط القصر ثم تسلقه ، وكان الوليد قد ألقى سلاحه وأخذ مصحفاً يقرأ فيه ، ويقول : يوم كيوم أمير المؤمنين عثمان ، فوجده الرجل وعليه قميص قصب وسراويل وشي ، ومعه

سيف في غمده وإذا الناس يشتمونه وهو يسمع ، فقام الوليد فضربه الرجل على رأسه ، ودخل عبد العزيز والناس حين تسلق الرجل فتعاوروه بأسيافهم ، وأكبّ الرجل الطويل فاحتزّ رأسه . وكان يزيد قد جعل على رأسه مائة ألف درهم .

وجاء أبو الأسود مولى خالد بن عبدالله القسري ، فسلخ من جلدة رأس الوليد قدر الكف فأتى بها يزيد بن خالد بن عبدالله ، وكان محبوساً في عسكر الوليد ، حبسه حين دفع أباه إلى يوسف بن عمر ، وانتهب الناس خزائن الوليد وما في عسكره .

وقال المدائني عن عمر بن مروان الكلبي : لما قتل الوليد قطعت كفه اليسرىٰ وفيها خاتمه ، وبُعث بها إلى يزيد بن الوليد فسبقتْ رأسه إليه بليلة ، وقُدم برأسِهِ من الغد فنصبه للناس بعد الصلاة .

وكان أهل دمشق قد أُرجفوا بعبد العزيز فلما نصب لهم رأس الوليد سكتوا .

قالوا : ولما أمر يزيد الناقص بنصب رأس الوليد قال له يزيد بن فروة مولى بني مروان : إنما ينصب رأس خارجي وهذا ابن عمك وخليفة من الخلفاء ولا آمن إن نصبته أن ترقّ له قلوب الناس ويغضب له أهل بيتك وتدركهم الحميّة . فقال : والله لا نصبه غيرك . فنصبه على رمح ثم قال : انطلق فطف به في مدينة دمشق وأدخله دار أبيه ، ففعل فصاح النساء وأهل الدار، ثم رُدَّ إلى يزيد فقال: انطلق به إلى منزلك. فمكث عنده قريباً من شهر ثم قال : ادفعه إلى أخيه سليمان بن يزيد ، وكان سليمان ممن سعىٰ على الوليد أخيه ، فغسل ابن فروة الرأس ووضعه في سفط وأتى به سليمان فقال

أخوه : أشهد أنه كان شروباً للحرام ، ماجناً فاسقاً ، ولقد أرادني على نفسي فأبيتُ ، فخرج ابن فروة من الدار وتلقته مولاة الوليد فقال لها : ويحك ، زعم أنه أراده على نفسه، فقالت: كذب والله لو أراده على نفسه لفعل ، وما كان يقدر على الامتناع منه .

وقال هشام ابن الكلبي : خرج الوليد إلى البخراء لشرب الدواء والعلاج ، وكان عليل الجوف من الصَبُوح والغبوق ، وكان صاحب شُرَطه خالد بن عثمان بن بحدل الكلبي ، وخليفته على الشرطة يزيد بن يعلىٰ بن الضخم بن قرة العبسي ، فلما أظهر يزيد بن الوليد أمره وبايعه أهل المزة والغيلانية وأهل دمشق والناس وفتح بيت المال فأعطىٰ الناس ، وَجَّهَ عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان في كثف من الناس نهضوا احتساباً وحنقاً ، حتى نزلوا بالوليد فقاتلوا أصحابه حتى قتل ، وكان الذي قتله مولى لهم يقال له وجه الفَلْس وكان طوالاً صغير الوجه .

المدائني عن عمرو بن مروان قال: حدثني يزيد بن مصاد عن عبد الرحمن بن مصاد قال : بعثني يزيد بن الوليد إلى أبي محمد السفياني ، وكان الوليد وجهه حين بلغه خبر يزيد بن الوليد والياً علىٰ دمشق ، فلقيته فسالمني ، وبايع ليزيد فلم أفارقه حتى رُفع لنا شخص مقبل من ناحية المزة ، فبعثت إليه فأتيت به فإذا هو أبو كامل الغُزيّل المغنّي وإذا هو على بغلة للوليد فأخبرنا أن الوليد قد قُتل ، فأتيت يزيد فوجدت الخبر قد بلغه .

وكان يزيد بن مروان بن محمد يغزو الصائفة مع الغمر بن يزيد ، فلما قتل الوليد غلب على الجزيرة حتى قدم مروان بن محمد أرمينية .

وقال بشر بن هلباء الكلبي يوم قتل الوليد ، وقد ضرب باب البخراء

بسيفه ، جواباً لما روي أن الوليد قاله في خالد بن عبدالله القسري :

سنبكي خـالـداً بمهنـداتٍ ولم تذهب صنائعه ضلالا

المدائني قال : قال الحكم بن النعمان مولى الوليد : قَدِمَ برأس الوليد على يزيد الناقص منصور بن جمهور العامري من كلب في عشرة ، منهم روح بن مقبل ، فقال روح : يا أمير المؤمنين ابشر بقتل الفاسق ، وأسر العباس ، وكان في العشرة القادمين بالرأس عبد الرحمن بن وجه الفلس ، وبشر مولى كنانة من كلب ، فأعطىٰ يزيد كل رجل منهم عشرة آلاف درهم .

قال : وكان يزيد قال : من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، فجاء قوم برؤوس فقال يزيد بن الوليد : اكتبوا أسماءهم ، فقال رجل من مواليه جاء برأس ليس هذا بيوم يعمل فيه بنسيئة .

قالوا : وكان العباس بن الوليد لما صار يزيد إليه يستشيره قال : أنا أكتب إلى الوليد أمير المؤمنين بحجتك ، فكتب إليه ، فقال لرسوله : أترك صاحبك الصدق أي حجةٍ لمن جاهر الله بعداوة خليفته وشق عصا المسلمين ؟

قالوا : وكان مع الوليد مالك بن أبي السمح الطائي المغنّي وعمر الوادي فلما تفرق أصحاب الوليد عنه وحصر قال مالك لعمر : إذهب بنا ، فقال عمر : ليس هذا من الوفاء وليس يُعرض لنا لأنّا ليس ممن يقاتل . فقال مالك : ويلك والله لئن ظفروا بنا لا يُقتل أحد قبلنا فيوضع رأس الوليد بين رأسينا ، ليقول الناس انظروا من كان معه الفاسق في هذه الحال ، ولا يُعاب بشيء أشد من هذا ، فالنجاءَ عافاك الله ، فهربا .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : قال أيوب السختياني حين بلغه خبر الوليد : ليتهم تركوا لنا خليفتنا ولم يقتلوه ـ وإنما قال ذلك خوفاً من الفتنة ـ .

المدائني عن أبي عاصم الزيادي قال : ادّعىٰ قتل الوليد عشرة فقال : إني رأيت جلدة رأس الوليد في يد وجه الفلس ، وقال : أنا قتلته وأخذت هذه الجلدة .

وقال أمير المؤمنين المهدي،وذكر الوليد : رحمه الله ولا رحم قاتله فإنه كان إماماً مجتمعاً عليه ، وقيل له : إن الوليد كان زنديقاً . فقال : إن خلافة الله أعزّ وأجلّ من أن يوليها منِ لا يؤمن به .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، وعلي بن محمد المديني ، ثنا سفيان بن عيينة قال : لما قتل الوليد اجتمع مشيخة من مشيخة أهل الكوفة ، إلىٰ الأعمش فقالوا : إنا نحب ألا نفترق إلا على أمر نعرفه ، فقال الأعمش : اتّقىٰ امرؤ ربّه ، وكفّ يده وحفظ لسانه ، ولزم بيته ، قوموا وأنا النذير لكم .

قالوا : وكان يزيد بن خالد بن عبدالله القسري محبوساً ، حبسه الوليد حين وجّه أباه إلى العراق مع يوسف بن عمر ، فلما تشاغل الناس وغفل عنه حفظته كسر قيده فخرج وأتى على الوليد ، وهو صريع فضربه تسع ضربات وقال :

قتلتم خالداً بالظلم قسراً وما يبغي سوىٰ الإسلام دينا
قتلتُ إمامكم بأبي فحسبي وقد قتلوا سواه آخرينا

وحدثني داود بن عبد الحميد قاضي أهل الرقة قال : سمعت أشياخنا يتحدثون أن الوليد خرج إلى البخراء للعلاج وشرب اللبن ، وكان في عسكر عظيم ، وصاحب شرطِهِ خالد بن عثمان بن بحدل الكلبي ، ويقال زيد بن يعلىٰ بن الضخم بن قرة العبسي . فدعا يزيد بن الوليد إلى نفسه وأظهره ، وكان يقول : والله ما أريد بهذا الأمر إلاّ إراحة الإسلام والمسلمين من هذا الرجل الذي لا يحلّ تركه . والله ما أريد أحفر فيكم نهراً ولا أبني قصراً ، ولا أجعل أموالكم وقفاً على اللذّات والنشوات ، وركوب ما لم يُحلّه الله ، وما غايتي إلاّ الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله . فبايعه الغيلانية ، وصارت معه اليمانية طالباً بثأر خالد القسري فغلب على دمشق .

وبعث يزيد إليه عبد العزيز بن الحجاج فقاتلوا الوليد وأصحابه بالبخراء ، ودخل الوليد حصن البخراء فحصروه ورموه بالحجارة وهم يقولون : يا فاسق هذه سنّة في اللّواطين أمثالك ، تهيىء الذكور بهيئة النساء وتفسق بهم ، وترتكب العظائم ، ثم تسوَّروا عليه وهو مصطبح بشرابه ، فعمد إلى مصحف ففتحه فلم ينفعه ذلك وقتل ، وكان ممن تولى قتله مولى لهم يقال لهم وجه الفلس وقد كان بعض ولده مع عبدالله بن طاهر .

قالوا : وكانت ولاية الوليد سنة وشهرين وأياماً ، ويقال سنة وثمانية أشهر والأول أثبت ، وقتل في جمادىٰ الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وله ست وثلاثون سنة ، ويقال تسع وثلاثون سنة ، ويقال اثنتان وأربعون سنة ، ويقال خمس وأربعون وأشهر ، وكان الشيب قد وخطه . ولم يُصلّ عليه أحد ، ودفن بالبخراء ، ثم إنه حمل إلى دمشق سراً فدفن في المقبرة التي عند باب الفراديس ليلاً ، وحمل رأسه إلى يزيد فنصب عند باب الفراديس .

قالوا : وتغيب عثمان والحكم ابنا الوليد بن يزيد في سَرَبٍ في القصر ، فطلبهما عبد العزيز فوجدهما في السرب فأتى بهما يزيد فدفعهما إلى عمهما سليمان بن يزيد بن عبد الملك فمكثا عشرة أيام ثم ردّهما وقال : قد كثر اختلاف الناس إليهما ، وقد كان أبوهما بايع لهما فأخاف أن أغلب عليهما فإن في الناس غواة ، ، فأمر يزيد بحبسهما فحبسا بالخضراء ، فدخل عليهما الأفقم وهو يزيد بن هشام السجن ، وكان الوليد قد ضربه وحلقه فشتم أباهما ولعنه ، فبكى الحكم فزجره أخوه عثمان ، وقال : اسكت ، وقال للأفقم : ويحك تشتم أبي ؟ قال : نعم فقال عثمان : لكني لا أشتم عمي هشاماً ، وايم الله لو كنت من بني مروان ما شتمت أبي ، ولكنك لست من بني الحَكَم فانظر إلى وجهك في المرآة ، فإن رأيت حكمياً يشبهك فأنت منهم ، ولا والله ما في الأرض حكميّ مثل وجهك .

قال أبو الحسن المدائني : قال محمد بن راشد الخزاعي : دخلت على الحكم وعثمان وهما محبوسان بالخضراء فحادثتهما ساعة فقال الحكم : ما أصابني في هذا الأمر شيء كان أغيظ لي من ذهاب بغلي المديزج[1] . قال : قلت : قبح الله رأيك . قتل أبوك ، وسُلبتَ ملكك فلم يعظم عليك ذلك ، وتتلهف على بغل ذهب منك ؟

قال أبو الحسن : قتل الوليد يوم الأربعاء ليومين بقيا من الشهر سنة ست وعشرين ومائة وكانت ولايته سنة ونصفاً ، فلما قتل الوليد اختلف بنو مروان بينهم ، وكان سليمان بن هشام محبوساً بعَمّان فخرج من السجن فأخذ

١ ـ لم أهتد إلى ما يُعرّف هذه السمة .

جميع ما كان بعَمّان من المال ، وأقبل إلى دمشق وجعل يلعن الوليد بن يزيد ومن يهوىٰ هواه ويعيبه ويكفره .

وقال ابن ميّادة المرّي ، وميادة أمه ، واسمه الرمّاح بن الأبرد بن شريان بن سراقة بن سامي بن ظالم بن جذيمة :

أيا لهفي على الملك المرجّىٰ غـداة أصابـه القدر المتـاحُ
ألا أبكي الوليد فتىٰ قريشٍ وأسمحها إذا فقد السماحُ
وأجبرها لذي عظمٍ مهيضٍ إذا ضَنَّت بـدَرَّتِهـا اللقـاحُ
لقد فعلتْ بنو مروان فعلاً ذميماً ما يسوغ به القراحُ
فـظلَّ كـأنــه أسـد عقـيرٌ تَكَسَّرُ في منـاكبه الـرماحُ[1]

وقال بعضهم :

أُمَّ الوليد فشقّي الجيب وانتحري إن الوليد وربُّ البيت قد قُتلا

وقال أبو محجن مولىٰ خالد بن عبدالله :

لو شاهدوا حدَّ سيفي حين أُدْخِلُهُ في است الوليد لماتوا عندها كمدا

وكان أدخل سيفه في استه .

١ ـ شعر ابن ميادة ـ ط . دمشق ١٩٨٢ ص ٩٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

قالوا : ولما قتل الوليد بويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك وكان أقْيَل[1] ، ويُكنى أبا خالد ، وأمه شاهفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرىٰ أبرويز بن هرمز بن أنوشروان كسرىٰ بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد بن سابور ذي الأكتاف بن أزدشير .

وجعل أخاه ابراهيم بن الوليد ولي عهده ، ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك لقيامه له بما قام به من محاربة الوليد ، فبويعا أيضاً في سنة ست وعشرين ومائة .

ونقص يزيد بن الوليد الناس العشرات التي كان الوليد زادهم إياها ، فسمي يزيد الناقص .

١ ـ لعل قوله أقيل محمول على لفظ أقيال ، أي ملك بحكم نسبه من جهة أمه وأبيه أو لأنه كان فصيحاً متمكناً من القول . انظر مادة «قيل» في النهاية لابن الأثير .

قال المدائني : يقال إنه سمي ناقصاً لأن مروان سماه ناقصاً حين ولي ، قال : وكان ناقص العقل ، والثبت أنه نقص الناس العشرات التي زادهم إياها الوليد فسمي ناقصاً والله أعلم .

وقال أبو الحسن المدائني : كان يزيد بن الوليد أسمر ، مديد القامة ، صغير الرأس ، وكان جميلاً وفي فمه بعض السعة ، وأمه أم ولد من ولد المخدج بن يزدجرد ، وكان المخدج ولد بخراسان ، فلما فتح قتيبة بن مسلم ما فتح من خراسان أصاب جارية من ولد المخدج بن يزدجرد فبعث بها إلى الحجاج بن يوسف ، فأهداها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك ، فولدت له يزيد بن الوليد .

وكان ليزيد بن الوليد من الولد :
أبو بكر وعبد المؤمن وعلي ، وأمهم من كلب من ولد زبان الكلبي .
وعبدالله ، أمه أم ولد .

وخالد والوليد ، قتلهما مروان حين أسرهما . ويزيد القائل :

أنا ابن كسرىٰ وأبي مروان وقيصر جدي وجدي خاقان

وليس ابراهيم بأخي يزيد لأمه ، ابراهيم لأم ولد أخرىٰ .
قالوا : وكان يزيد يُعرف بالتنسك والتألّه والتواضع ، وكان الوليد بن عبد الملك يذكر ولده فيقول : عبد العزيز سيدهم ، والعباس أفرسهم ، ويزيد ناسكهم ، وروح عالمهم ، وعمر فحلهم ، وبشر فتاهم .

قالوا : وكان الوليد بن يزيد قد حج في سنة ست عشرة أو سنة سبع عشرة ، وحج أيضاً يزيد بن الوليد في تلك السنة فلما رآه يزيد وهو يطوف

بالبيت قال : ورب هذه البَنِيَّةِ إن هذا الذي يطوف لكافر بهذه البَنِيَّةِ ولئن ولي أمر الأمة وأنا حيّ لأجاهدنّه .

قالوا : ولقي يزيد بن الوليد أيوب السختياني في السنة التي حج فيها فكتب عنه ، وكان يزيد كثير الصلاة طويل الليل .

قالوا : وعاتبته امرأته هند الكلبية فقالت : أوسِعْ علينا ، وكانت تدعىٰ ابنة الحَضرمية لأن أمها التي قامت عنها من حضرموت ، وذلك حين ولي ، فقال : قد فسدتِ علي فيمن فسد ، أما لو علمتُ أنكم تميلون إلى الدنيا هذا الميل لكان أن أَخِرّ من السماء إلى الأرض أحبّ إليّ من أن ألتبس بما التبستُ به ، ومالك في هذا المال إلا ما لسوداء أو حمراء من المسلمين ، ولكن ياقطن[١] ائتني بثيابي ، فجاءت بتختٍ ، فقال لها : هذه ثياب كنت أتزين بها فشأنك فخذيها فإنه لا حاجة لي اليوم فيها ، فأما مال المسلمين فلاحق لي ولا لك فيه إلاّ مثل ما للمسلمين .

قالوا : ولما قتل الوليد خطب يزيد فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ: «أيها الناس، إني والله ما خرجت بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك ، وما أقول هذا إطراء لنفسي ، إني لظلوم لها إن لم يرحمني ربي . ولكن خرجت غضباً لله ولدينه ، وداعياً إلى الله وكتابه وسنة نبيه ، لَمّا هُدمتْ معالم الدين ، وعُفي أثر الحقّ وأُطفيء نور الهدىٰ ، وظهر الجبار العنيد المستحلّ لكل حرمة ، والراكب لكل بدعة ، مع أنه والله ما كان يصدّق بالكتاب ، ولا يؤمن بيوم الحساب ، وإنه لابن عمي في

١ ـ القطن : الأمة ، والمملوك ، والحشم ، والخدم والأتباع . وهو هنا اسم علم . القاموس .

النسب ، وكفئي في الحسب ، فلما رأيتُ ذلك استخرتُ الله في أمره وسألته أن لا يكلني إلى غيره ، ودعوت إلى مجاهدته ، فأجابني من أجابني من أهل ولايتي ، وسعيتُ عليه حتى أراح الله منه العباد بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي .

أيها الناس إنّ لكم أن لا أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة ، ولا أكري فيكم نهراً ، ولا أبني قصراً ولا أكنز مالاً ، ولا أؤثر به زوجة ولا ولداً ، ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد حتى أسدّ ثغره وخصاصة أهله بما يعينهم ، فإن فَضَلَ فَضْلٌ نقلته إلى البلد الذي يليه مما هو إليه أحوج ، ولكم عليّ ألا أُجمّركم فأفتنكم ، ولا أفتن أهليكم ، ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم ، ولكم عندي إدرار أعطياتكم في كل سنة ، وأرزاقكم في كل شهر حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كأدناهم ، فإن أنا وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة ، وإن أنا لم أَفِ لكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبوني فإن تبتُ قبلتم مني ، وإن علمتم مكان رجل يُعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه ما أعطيتكم فبايعوه إن أردتم ذلك ، فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته .

أيها الناس إنه لا طاعة لمخلوق في معصية خالق ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم» .

ودعا الناس إلى البيعة فجدد بيعة أخرىٰ ، فكان أول من بايعه يزيد الأفقم ، وبعضهم يقول الأشدق بن هشام بن عبد الملك .

وقام قيس بن هانىء العبسي فقال : يا أمير المؤمنين دُمْ علىٰ ما أنت عليه ، فما قام مقامك أحد من أهلك ، ولئن قالوا عمر بن عبد العزيز فإنك أخذتها بسببٍ صالح ، وأخذها بسببِ سوء ، فلما بلغ مروان بن محمد قوله قال : قاتله الله عابنا جميعاً ، فلما ولي مروان أمر أن يُطلب في المسجد فوُجد يصلي فأُتي به فقتله .

قالوا : وأتى يزيد بن حجوة الغساني يزيداً ، فقال : يا أمير المؤمنين إني لا أرىٰ أحداً من قيس غشيك ولا وقف ببابك ، وما قلوبهم بالمنشرحة لك . فقال يزيد : لولا أني أكره البسط لعاجلتُ قيساً بالمكروه . والله ما عزّتْ قيس قط إلاّ ذَلّ الإسلام .

قالوا : ولى يزيد بن الوليد منصور بن جمهور الكلبي العراق ، ويقال بعثه خليفة للحارث بن العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وأمره أن يحمل يوسف بن عمر إلى ما قبله .

وقال بعضهم : لم يولّه العراق ولا بعثه خليفة لأحد ، ولكنه وجهه لحمل يوسف ولكنه وَرَّى بذكر خلافة الحارث عن أمره ، فهرب يوسف بن عمر الثقفي ، وكان عامل هشام والوليدِ مِن بعده على العراق وأتى دمشق فأُخذ وأُتي به يزيد فحبسه مع عثمان والحكم ابني الوليد .

وقال قوم إن منصور أتى العراق متغلباً ، فهرب منه يوسف ، وليس ذلك بثبت .

ويقال إن يوسف أتى يزيد حتى وضع يده في يده ، فقال له يزيد : لست أطالبك بحقد ولا إحنة ولكني أريد أخذك بمال المسلمين حتى أستخرج لهم حقهم الواجب لهم ، وأمر بحبسه ومحاسبته .

وكانت اليمانية ويزيد بن خالد بن عبدالله حقدوا على يوسف عذابه خالداً حتى قتله فدعا اليمانية يزيد[1] إلى الطلب بدم أبيه فوثبوا بيوسف فقتلوه ونصبوا رأسه بدمشق ، وذلك في أيام يزيد بن الوليد .

وكانت ولاية يزيد الناقص ستة أشهر ، ويقال كانت خمسة أشهر وأياماً .

وقال الهيثم بن عدي : خرج سليمان بن هشام من مجلسه حين قتل الوليد ، ونفذ منصور بن جمهور على حاميته في خمسة آلاف إلى العراق ، فهرب يوسف بن عمر إلى منزله بالبلقاء ، فوجّه إليه يزيد بن خالد بن عبدالله القسري ، وهو على شرطة يزيد بن الوليد : محمد بن سعيد الكلبي من أهل المزّة فوجده في قرية له بأرض البلقاء ، ففتش داره فاستخفىٰ بين إمائه وبين الحائط ، فأخذ ابناً له فضربه فقال له : ذاك أبي ، فأخذه وقدم به على يزيد بن الوليد فلم يزل محبوساً في خلافته ، وفي أيام إبراهيم بن الوليد أخيه حتى بلغ يزيد بن خالد قدوم مروان بن محمد الجعدي للطلب بدم الوليد ، فأخرجه يزيد بن خالد فقتله .

قالوا : ولما قدم منصور بن جمهور العراق قال الناس : منصور بن جمهور أمير غير مأمور ، أتى بالعهد منشور ، وفيه الكذب والزور ، وكان

---

١ ـ أي يزيد بن خالد بن عبدالله القسري .

الصبيان والخدام يقولون هذا في الطرق ، ثم ولى يزيد بن [الوليد] عبدالله بن عمر بن عبد العزيز العراق وقد كتبنا خبره مع نسبه .

قالوا : وكتب يزيد بن الوليد إلى أهل العراق وكان كاتبه ثابت بن سليمان بن سعيد : «أما بعد فإن الله اختار الإسلام وارتضاه وأظهره وطَهَّره ، وافترض فيه حقوقاً أمر بها ، ونهىٰ فيه عن أمور حرّمها ابتلاءً لعباده فأكمل فيه كل عدلٍ ، ختم كل فصل ثم تولاه الله فكان له حافظاً ولأهله المقيمين حدوده وليّاً وناصراً ، فلم يكرم الله بالخلافة أحداً فيأخذ بأمر الله وحقه فيناوئه مشاقٌّ أو يحاول صرف ما حباه الله به باغ إلا كان كيده الأضعف ، ومكره الأهون ، حتي يتم الله له ما أعطاه ويتولّاه فيما ولّاه ، ويجعل عدوه الأضلّ سبيلاً ، والأخسر عملاً ، فتناسخت خلفاء الله وولاة دينه قاضين بحكمه متّبعين لكتابه حتى أفضىٰ الأمر إلى عدو الله الوليد المنتهك للمحارم ، والراكب للعظائم التي لا يأتي مثلها مسلم ، ولا يُقدم عليها كافر تكرّماً عن غشيان مثلها ، فلما استفاض ذلك وعَلَنَ ، واشتد فيه البلاء ، وسُفكت الدماء ، وأخذت الأموال بغير حقها مع أمور فاحشة لم يكن الله ليملي لمن عمل بها ، سرتُ إليه بعد انتظار مراجعته منكراً لعمله ، وما اجترأ عليه من معاصي الله ، راجياً من الله إتمام ما نويت في ذلك من اعتدال عمود الدين ، والأخذ في أهله بما هو لله رضىً حتىٰ وافقت جنداً قد وغرتْ صدورهم على عدو الله بما رأوا منه مما لا مَرِيَّة فيه ولا شك ، ولا عليه غطاء ، ولا به خفاء ، فدعوتهم إلى تغيير ما أحدث من الأحداث التي بدّل بها أمر الله وسنن نبيه ﷺ ، فأسرعوا إلى الإجابة وأحسنوا على الحق المعاونة ، فبعثتُ عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فلاقىٰ عدو الله ومن معه وهو بجانب

قرية من قرىٰ حمص تدعىٰ البخراء ، فدعاه إلى أن يجعل الأمر شورى ينظر فقهاء المسلمين وصلحاؤهم فيه لأنفسهم ، فأبىٰ ذلك متتابعاً في ضلالته ، فقتله الله على شر عمله وأسوأ أثره بين عصبة من بطانته الخبيثة، فأطفأ الله جمرته ، وأراح العباد منه فبعداً له ولمن كان على طريقته ، أحببتُ أن أعلمكم ذلك لتحمدوا الله عليه وتشكروه ، فبايعُوا منصور بن جمهور لأمير المؤمنين فقد ارتضيته لكم ووليته أمركم ، فإن العدل مبسوط لكم لا يُسار فيكم بخلافه إن شاء الله ، نسأل الله ربنا ولينا حُسْن توفيقه وتسديده ، وكُتب لليلتين خلتا ـ أو بقيتا ـ من رجب سنة ست وعشرين ومائة» .

المدائني قال : عامل الناقص على العراق : عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ، وعلى مكة والمدينة : عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وعلى مصر : إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز . ويقال إنه ولاه إياها فلم يقبل عهده على مصر .

قالوا : ولما مات يزيد الناقص بن الوليد وثب الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع الجذامي بأرض فلسطين ، فخلع واستمال لخماً وجذاماً ودعا لسليمان بن هشام بن عبد الملك .

وأقام منصور بن جمهور بالعراق ، وكان قد انضم إلى عبدالله بن عمر بن عبد العزيز حين ولاه يزيد العراق فأكرمه وقدمه وصفح عما صار إليه من المال .

وقال الهيثم بن عدي : لم يَصْفَ ليزيد بن الوليد إلّا دمشق ومات بعد أشهر .

وقال ابن الكلبي : أقام منصور مع ابن عمر ، ثم وجه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق فقدم واسطاً وبها ابن عمر ، فحصر ابن هبيرة ابن عمر ، ثم أخذه وبعث به إلى مروان فحبسه بحران .

وخالف منصور بن [جمهور] مروان وجعل يجبي مال الجبل ويحمله إلى شيبان الخارجي وهو بكرمان ، ومضى إلى السند فغلب عليها حتى كانت دولة بني العباس .

وبعث أبو مسلم عامله فركب منصور المفازة حتى مات عطشاً ، وقد كتبنا قصصهم على التمام فيما تقدم من الجزء الذي قبل هذا .

وكان موت يزيد بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة ، ويقال ابن نيف وثلاثين سنة ، ويقال ابن ثلاثين سنة ، وصلىٰ عليه إبراهيم أخوه ، وولي عهده ، وكان أخوه العباس قد مات من جراحة أصابته يوم حروب الوليد ، وقيل إنه بقي بعد ذلك معتزلاً منفرداً حتى توفي .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك

قالوا : بويع ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك ، ويكنى أبا إسحاق ، وأمه أم ولد ـ وهو المخلوع . . بالخلافة في أول سنة سبع وعشرين ومائة بعد موت أخيه يزيد الناقص ، وكان مروان بن محمد بن مروان بن الحكم حين قُتل الوليد قدم الجزيرة فدعا إلى نفسه سراً ، وسمّى الوليد الخليفة المظلوم ، وأظهر أنه يطلب بدمه وقال : إنما قتله قدرية غيلانية . فبايعه خلق من أهل الجزيرة ، ثم أظهروا أمره بعد بيعة ابراهيم بن الوليد بشهر أو بأكثر منه بأيام بحرّان ، وقال : أمري شبيه بأمر معاوية حين طلب بدم الخليفة المظلوم عثمان ، ثم إنه سار بأهل الجزيرة وقنّسرين وحمص يريد ابراهيم وبعث إلى الناس : «انهضوا لمحاربة هذا القدري أخَيَ القدري الغيلاني المبتزّ لأمور الناس ، الآمر بالبدعة والضلالة ، فإن جهاده واجب على كل مسلم ، فقد كنت على مجاهدة أخيه فسبقني به أجله ، وصار إلى نار الله وحرّ سعيره ، مبتدعاً ضالاً .

فوجّه إليه ابراهيم بن الوليد أخويه بشر بن الوليد ومسرور بن الوليد فأسرهما ، وفض عسكرهما ، فوجّه إليه ابراهيم : سليمان بن هشام بن عبد

الملك في خيول أهل دمشق فالتقيا بعين الجر من البقاع من عمل بعلبك ، وذلك في صفر سنة سبع وعشرين ومائة فتناوشوا يومهم ، ثم بكروا على الحرب فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ، فانهزم سليمان ومن معه ، وكان محدوداً[١] ، فلحقوا بابراهيم .

وكتب مروان إلى وجوه أهل دمشق كتباً يعلمهم فيها أن الذين بايعوا يزيد الناقص شرارهم ورعاعهم وغواتهم ويدعوهم إلى طاعته ويعدهم ويمنيهم ، ويحلف لهم على الوفاء والإحسان فانتقضوا على ابراهيم .

ونزل مروان بن محمد الغوطة ، فخرج إليه خلق من الناس فبايعوه ، فلما رأى ذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري أخذا عثمان والحكم ، ابني الوليد بن يزيد فقتلاهما في محبسهما ، وخافا أن يتخلصا ، فكان الناس يقولون : يا معشر الفتيان أين الحكم وعثمان .

وقال بعض الرواة إنهما قتلا يومئذ يوسف بن عمر ، وقال بعضهم قتل في أيام يزيد بن الوليد ، قتله يزيد بن خالد واليمانية .

قال أبو الوليد هشام بن عمار : قَتْلُهُ في ولاية يزيد أثبت ، لأنه بلغنا أن الناقص قال : عجلتم بقتله قبل أخذ ما عليه للمسلمين من الأموال .

قال هشام بن عمار : وسمعت من يقول أن الحكم وعثمان قتلا حين تحرك مروان من حران، وقبل نزوله الغوطة والله أعلم .

وقال الشاعر حين أقبل مروان :

---

١ ـ المحدود : المحروم والممنوع من الخير . القاموس .

أتـاك مروان شبيـه مـروان يجرّ جيشـاً غضبـاً للرحمن
بتغلب الغلباء وقيس عيلان

فقال بعض أصحاب ابراهيم :

قد جاء مروان شبيه مروان يقود جيشاً غضباً للشيطان
بتغلب اللؤمِ وقيسَ عيلان

قالوا : ولما بويع مروان بالغوطة ، وقوي أمره ، ووهن أمر ابراهيم استخفى ابراهيم بن الوليد حتى أُخذ له الأمان فكان مع مروان وفي طاعته ، ولم يزل حياً حتى قتله عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس سنة اثنتين وثلاثين ومائة مع من قتل من بني أمية .

ويقال إنه أتى مروان خالعاً لنفسه حتى وضع يده في يده فاعتذر إليه ، ويقال أيضاً إن مروان ظفر به فقتله وصلبه . والخبر الأول أثبت .

وكانت أيام ابراهيم أربعة أشهر ، ويقال ثلاثة أشهر ، وبعضهم يقول أربعون يوماً .

ولما دخل مروان دمشق طلب عبد العزيز بن الحجاج ، ويزيد بن خالد القسري فظفر بهما فقتلهما بعثمان والحكم ، وصلبهما على باب الجابية ، ويقال على باب الفراديس بدمشق ، وقال هشام بن عمار : كان الذي ظفر بهما زامل بن عمرو الجذامي عامل مروان ، وبايع مروان لابنيه عبد الله وعبيد الله .

أمر أبي محمد السفياني بعد مقتل الوليد

قالوا : ولما قتل الوليد غضب له مروان بن محمد بن مروان ، ومروان بن عبد الله بن عبد الملك ، وأبو محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وكان مروان بن عبد الله عاملاً للوليد على حمص ، وكان من سادة بني مروان نبلاً وفضلاً وكمالاً ، فأكبر قتل الوليد ودعا أهل حمص إلى الطلب بدمه فأجابوه ، وتأهب للمسير إلى يزيد بن الوليد الناقص فوقع بينه وبين أبي محمد السفياني اختلاف ، فقال أبو محمد زياد بن عبد الله السفياني : يا أهل حمص إن مروان بن عبد الله يريد أن يريّثكم عن الطلب بدم الخليفة ، ووقع فيه ، فوثب السَّمْط بن ثابت من ولد شُرَحْبيل بن السمط الكِنْدي ، والصَّقر بن صفوان الكندي ، وغالب بن ربعي الطائي في جماعة فقتلوا مروان بن عبد الله بن عبد الملك ، فلم يشعر أبو محمد السفياني إلّا برأس مروان بن عبد الله على رمح ، فاغتم وقال : لم أُرد هذا ، قالوا : فقد كان .

وبايعوا أبا محمد السفياني ، وأقبل حتى نزل جوسكية[1] وهو حصن من حصون حمص ، وبلغ يزيد بن الوليد الناقص أمره فوجه إلى أهل حمص سليمان بن هشام ، وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فنزلا ثنية العقاب ، وأقبل أبو محمد السفياني فنزل موضعاً يُعرف بقطيّفة[2] هشام ، وكان هشام بن عبد الملك اتخذها فقصد سليمان بن هشام إلى أبي محمد فالتقوا بالسليمانية ، وكان سليمان بن عبد الملك اتخذها فقاتلهم أبو محمد فخذله جنده فأُسر وقُدم به على يزيد الناقص فحبسه مع ابني الوليد الحكم وعثمان ، ثم أمر أيضاً بحبس يزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان فحبس معهم .

وحدثني داود بن عبد الحميد عن أشياخه قالوا : لم يزل الغيلانية بيزيد الناقص حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده ، ومات يزيد لعشر بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، ولم يتم لإبراهيم بن الوليد أمر . كان يُسلّم عليه جمعة بالخلافة ، وجمعه بالإمارة . وكان يقال له : الصلتان ، وكانت أمه بربرية ، ولم تكن أم يزيد الناقص .

وقال بعض الشعراء :

نبايع إبراهيم في كل جمعةٍ ألا إنّ أمراً أنتَ واليهِ ضائعُ
نبآيع إبراهيم في كل جمعةٍ فكم كم إلى كم كل يومٍ نبايعُ

فما زال على هذه الحال حتى قدم مروان فخلع نفسه ، وقتل مروان عبد العزيز بن الحجاج ، وابراهيم الخشبي من أولادالمختارية .

١ ـ تعرف الآن باسم «جوسية» .
٢ ـ ما تزال تحمل الاسم نفسه وتبعد عن دمشق قرابة الأربعين كم . ويلاحظ أن تفاصيل هذه الرواية تتعارض مع الرواية المتقدمة ص ١٧٥/ .

قالوا : ولما ولي مروان بن محمد نبش قبر يزيد بن الوليد بن عبد الملك واستخرجه وصلبه ، فيزعمون أنهم وجدوا كتاباً فيه : يا مبذّر الكنوز ، يا سجاد الأسحار كانت ولايتك لهم رحمة وعليهم حجة ، أخذوك فصلبوك .

وقد ذكر بعضهم أن الناقص سئل أن يولي أخاه إبراهيم عهده ، فلم يفعل فلا أغمي عليه أو مات كتب قطن كتاباً ، وختمه بخاتم الناقص عهداً لإبراهيم بالخلافة .

يوم القاع ويوم الفَلَج الأول[1] باليمامة

قالوا : لما قتل الوليد كان على اليمامة من قبل يوسف بن عمر الثقفي : علي بن المهاجر بن عبد الله الكلابي فقال له المُهَيْر بن سلمى بن هلال أحد بني الدئل بن حنيفة : أخل لنا بلادنا فأبى ذلك فجمع له المُهَيْر وسار إليه وهو في قصره بقاع حَجْر فالتقوا بالقاع بسوق حَجْر ، فهزمه المهير حتى أدخله قصره ، وخرج من ناحية القصر فهرب إلى المدينة ، وقتل المهير بن سلمى ناساً من أصحابه ، وكان يحيى بن أبي حفصة أشار على ابن المهاجر أن لا يقاتل فَعَصَاهُ فقال :

بذلت نصيحتي لبني كلاب فلم تقبل مشوراتي ونصحي
فدى لبني حنيفة مَنْ سواهم فإنهُمُ فوارس كل فتحِ

وقال شقيق بن عمرو السدوسي :

---

١ ـ هناك أكثر من قاع لأن القاع ما انبسط من الأرض الحرة السهلة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها ، وهي مستوية ليس فيها تطابق ولا ارتفاع . والفلج قيل هو اسم بلد ، ومنه قيل لطريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة طريق بطن فلج ، وقيل هو واد بين البصرة وحمى ضرية . معجم البلدان .

إذا أنتَ سالمتَ المهير ورهطهُ أُمِنْتَ من الأعداء والخوف والذعرِ
به دفع الله النفاق وأهله وأحيا به أهل المجاعة والفقرِ
فتى راح يوم القاع روحة ماجد أراد بها حسن السماع مع الأَجرِ

وتأمَّر المهير على اليمامة ، وكان على شرطه عبد الحكم بن حَكّام العُبيدي فركب المهير والناس معه فشدَّ قوم على عبد الحكم فقتلوه فقال القُحَيْف العُقيلي :

لقد جمع المهير لنا فقلنا أَلسنا نحن عرضتُنا الجموع

ثم مات المهير واستخلف عبد الله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدؤل .

قالوا : فاستعمل عبد الله بن النعمان المندلث بن إدريس الحنفي على الفَلَج - والفلج قرية من قرى بني عامر بن صعصعة ، وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى : هي لبني نمير - فجمع له بنو كعب بن ربيعة بن عامر ومعهم بنو عقيل ، وأتوا الفلج فقاتلهم المندلث بالفلج فقُتل المندلث ، قتله رَحّال بن فروة القشيري ، وقتل أكثر أصحابه وظَفرت بنو عامر ولم يُقتل منهم كبير أحد ، وقتل يومئذ يزيد بن المنتشر ، وأمه الطثرية من طثر بن عنز بن وائل ، وكان معهم فقال القحيف :

إن تقتلوا منا شهيداً صابرا فقد تركنا منكمُ مجازرا
خمس مئين[1] لم يدخلوا المقابرا

وقال ثور بن الطثرية يرثيه :

١ - بهامش الأصل : خمس متن .

أرى الأَثْلَ مَن نحو العقيق مجاوري مقيماً وقد غالت يزيداً غوائله
مضى فـورثناه دلاصـاً مفاضـةً وأبيض هنـديـاً طـوالاً حمـائله
وقد كان يحمى المحجرين بسيفه ويبلغ أقصى حجرة الحيّ نائله

في أبيات . وقال القحيف :

أتانا بالعقيق صريخ كعبٍ فحَلَّ النبع والأسـل النهال

يوم الفلج الثاني :

لما أتى عبد الله بن النعمان خليفة المهين قَتْلَ المُنْدَلث جمع جمعاً بلغ ألفاً من حنيفة وغيرها من ساكني اليمامة فغزا الفلج ، فلما تصافّ الناس انهزم أبو لطيفة بن مسلم العقيلي فقال الراجز :

فـرّ أبـو لـطيفـةُ المنـافق والجَعْـوَنِـيـان وفـرّ طـارق
لـما أحـاطت بهم البـوارق والموت حيث الخرَّق الخوافق

طارق بن عبد الله القشيري ، والجعونيان من بني قشير ، وتجللت بنو جُعدة البراذع وقاتلوا حتى قُتلوا إلّا نفراً منهم ، وقُطعت يد زياد بن حيّان الجعدي فجعل يقول :

أنشُـدُ كفاً ذهبتْ وسـاعدا أنشُدُها ولا أراني واجـدا

ثم قتل .

وقال الأسوار بن عمرو مولى بني هزان :

سلوا الفَلَج العاديّ عنا وعنكم وأُطمَةَ إذ سالت مدامعها دما
عشيّة لو شئنا سبينا نساءكم ولكنْ صفحنا عفّة وتكـرّما

وقال بعض الربعيّين :

سمَونا لكعبٍ بالصفائح والقَنا وبالخيل شُعثاً تنتحي في الشّكائم
فلما غاب قرن الشمس حتى رأيتَنا نسوق بني كعبٍ كسَوق البهائم
بضربٍ يزيل الهام عن سكناته وطعنٍ كأفواه المزاد الشّواجم
وفر أبوكِ يـالُطَيْفَـةُ هاربـاً ولم ينج من أسيافنا وهو سالم

ـ **يوم معدن الصحراء:**

وأغارت بنو عُقيل وقُشير، وجعدة بن كعب، ونُمير بن عامر بعد الفلج الثاني، وقد تجمعوا عليهم بنو سهلة النميري، على من كان من بني حنيفة بمعدن الصحراء، فقتلوا من وجدوا من بني حنيفة، وسلبوا نساءهم، وكفّت بنو نمير عن النساء، غير ان رباح بن جندل بن الراعي سبى امرأة واحدة مُخَصَّلَةً بخصل الفضّة، فقال القحيف:

ورثنـا أبانـا عامـراً مشرفيّةً صفائح فيها اليوم أنصاف ما بها
ضربنا بها أعناق بكر بن وائلٍ جهاراًوجاوزنا بها مِن ورائها

يوم النَشّاش[1]: قالوا: ولما أُوقع بالعامريينّ يوم الفلج الثاني قال عمر بن الوازع الحنفي: لست بدون عبد الله بن النعمان وغيره ممن يغير، وهذه فترة يُؤْمَن فيها السلطان، فمضى يريد أُضاخ[2]، فلما كان بأرض الشريف بثّ خيله فأغارت وأغار فملأ يده من الغنائم، وأقبل ومن معه حتى

١ ـ النشاش: واد كثير الحمض كانت فيه وقعة بين بني عامر وبين أهل اليمامة. معجم البلدان.
٢ ـ أضاخ: من قرى اليمامة: معجم البلدان.

نزلوا النشاش ،وأقبلت بنو عامر حاشدة حتى أغارت فلم يرعْ عمر بن الوازع إلاّ رغاء الإبل، فجمع ابن الوازع النساء في فسطاط وأقام عليهنّ حرساً من ثقاته، ولقي القوم فقاتلهم فهزمت حنيفة ومن معها، وهرب ابن الوازع فلحق باليمامة، وتساقط منهم خلق في قلب النشاش من العطش وشدة الحر، فطُلب ابن الوازع فلم يُقدر عليه، ورجعوا بالأسرى والنساء. فقال بعض بني نمير:

إذا عُدَّ الفعال وجدتُ قومي نُميـراً بَـذَّ فعلُهُمُ الفَعـالا
هم قتلوا البهيم بها وجَوْناً عـلانيةً ومـا قُتِـلا اغتيـالا

بهيم بن عَزَّة.

وقال حُدَيْج النميري:

كأنّ أبانـا عامـراً لم يلد لنا أخاً غير نصل السّيف عند الشدائد
فنحن نداوي بالقنا صفحاتهم وبالبيض نُخليها مناط القلائد

وقال دَلَمُ بن صامت النُّميري:

أنا النُّميري الذي يحمي مُضرْ يرفع من أبصارهم فوق البصرْ
مُبارك الراية مرزوق الظَّفرْ إنّ اليمانيينّ فـرسان الحُمُـرْ
لم يصبروا للمشرفيّات البُتُرْ والطعن بالمُرَّان أجواف البُهَرْ
لمـا ضربنـاهُمْ بِصَيَّـاحٍ ذَكَـرْ طايَرَ عنه القَيْنْ شذّان[1] الشَّرَرْ

---

١ ـ شذان: جمع شاذ، وهو المتفرق من الحصى وغيره. النهاية لابن الأثير.

وقال القحيف أيضاً:

وبالنشّاش يومٌ طارَ فيه لنا ذكرٌ وعَدَّ لنا فَعَالُ

وقال أيضاً:

فداءٌ خالتي لبني عقيلٍ وكعبٌ حين تزدحم الجدودُ
وهُم تُركوا على النشاش صرعى بضربٍ ثَمَّ أَهْوَنُه شديدُ

وقال حصين النميري:

يا دَارَ جُمْلٍ بِلَوَى مُتَالِعِ[1] كأنها بعد الجميع الرابعِ
سحْقُ يمانٍ بَعْدَ لَوْنٍ ناصعِ[2] الله لَقَّى عمر بن الوازعِ
دائرة السوء بِفَجْعٍ فاجعِ لما لقونا خلفه الطلائعِ
وَلَّوا شلالا كالنَّعام الفازعِ

وقال بعض بني نمير:

فليتَ ابن المهيرِ رأى نُميراً بِنَشّاشٍ تواجهنا النّخيلُ
وفي أيماننا بيضٌ رقاقٌ صوارم مايقوم لها قبيلُ
غزا يرجو الغنيمة من نمير فلم يَغنم وأعجزه القُفُولُ

---

١ ـ متالع جبل بناحية البحرين بين السوده والأحساء، وقيل متالع ماء شرقي الظهران. معجم البلدان.

٢ ـ الناصع: الخالص من كل شيء، وناصع: جبل أحمر بأسفل الحجاز مطل على الغور عن يسار ينبع. القاموس.

وقال القحيف العقيلي:

مَن مبلغٌ عنا قريشاً رسالةً ... وأفناءَ قيسٍ حيث سارتْ وحَلَّتِ
بأنا تركنا من حنيفة بعدما ... أغارت على أهل الحمى ثم وَلَّتِ
تَسُكُّ نميرٌ بالقَنَا صفحـاتهم ... فكم ثَمَّ من نَذْرٍ لها قد أَحَلَّتِ

في أبيات: وقال سعد بن عَيّاش الغَنَوي:

نحن صَبَحْنَا عمر بن الوازع ... ملمومةٌ ذات غبار ساطـعِ
بـاكَرَهُ الـوِرْدُ بموتٍ نـاقـعِ ... تحت ظلال الخرِّقِ اللوامعِ

وقال القحيف:

تركنا على النشّاش بكر بن وائل ... بطونُ السّباع العاويات قبورها
قتلنـاهُمُ حتى رفعنا أكفّنـا ... بمشهورةٍ بيضٍ حِدادٍ ذكورها
وشيبان قد كانت لِحَيْنٍ وشقوةٍ ... كبـاحثة عن شفـرةٍتستثيرهـا

قالوا: وكفّتْ قيس يوم النشّاش عن السلب، فجاءت عكل من الحلة فسلبتهم، ولم يكن لحنيفة بعد هذا اليوم جمع، غير ان عبيد الله بن مسلم الحنفي جمع جمعاً وأغار على ماءٍ لقشير يقال له حلبان[1] فقال الشاعر:

لقد لاقتْ قشير يوم لاقتْ ... عبيد الله إحدى المنكـراتِ
لقد لاقتْ على حلبان ليثاً ... هـزبراً لاينـام على الـتِّراتِ

وأغار على عكل فقتل منهم عشرين رجلًا، فقال نوح بن جرير بن عطية:

وضَيَّعْتُمُ ياعكل بالسّر نسوةً ... فباتت علوج القريتين تكُومُها[2]

---

١ ـ حلبان: قليل الماء خبيثه، وهو لبني معاوية بن قشير. معجم البلدان.
٢ ـ كام المرأة: نكحها. القاموس.

ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة والياً على اليمامة من قبل أبيه، حين ولي العراق من قبل مروان الجعدي، فوردها وهي سلْم فلم يحارب، وتشاهدت بنو عامر على بني حنيفة فتعصب لهم المثنى بالقيسية، فضرب عدّة من بني حنيفة فقال بعضهم:

إن تضربونا بالسياط فإننا ضربناكم بالمرهفات الصوارم
وإن تحلقوا منا الرؤوس فإننا قطعنا رؤوساً منكم بالغلاصم

ثم إن المثنى جعل يرفعهم إلى قاضيه طلحة بن إياس العدوي، فلم يقبل شهادة عامريّ فهدأت البلاد وسكنت، ولم يزل عبيد الله بن مسلم مستخفياً حتى قدم السّريّ بن عبد الله بن الحارث بن عباس بن عبد المطلب والياً على اليمامة، من قبل بني العباس فدُلّ عليه فقتله لما صنع، فقال نوح بن جرير:

فلولا السريّ الهاشمي وسيفه أعاد عبيد الله شراً على عُكْلِ

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر محمد بن مروان وولده

وأما محمد بن مروان بن الحكم، ويكنى أبا عبد الرحمن، وأمه أم ولد، وكان من أشد ولد مروان وأشجعهم في حسن خلق، وهو الذي حارب مصعب بن الزبير بن العوام فقتله بمسكن من أرض السواد، وقتل ابراهيم بن الأشتر النخعي وقد كتبنا خبره.

وكان عبد الله بن يزيد بن معاوية متقدماً محمد بن مروان عند عبد الملك، وذلك لأن أخته عاتكة بنت يزيد كانت عنده، وكان يحبها وكان يقال إن عبد الملك كان يحسد محمداً لأنه كان يرى جلد أخيه وبأسه وعارضته، ويحب أن يُصغّر منه لاسيما بعد قتله المصعب، فعزم محمد على إتيان أرمينية فأمر بإبله فرحّلتْ، فدخل على عبد الملك مودّعاً وقال: إني أريد الغزو بأرمينية، وتمثّل:

فإنك لن ترى طرداً لحرٍّ كالزاقٍ به بعض الهوان
ولو كنا بمنزلةٍ جميعاً جريتَ وأنت مضطرب العنانِ

فقال عبد الملك: أقسمت عليك يأخي لما أقمت في الرحب والسَّعه، فوالله لا أقذي في عينك ولاأُقدم عليك غيرك ولا ترى مني سوءاً مابقيتُ، وولاه الجزيرة وأرمينية.

أمر مروان بن محمد بن مروان

فولد محمد بن مروان:
يزيد، وأمه أم يزيد بنت يزيد بن عبيد الله بن شيبة بن ربيعة.
وعبد الرحمن، وأمه أم جميل من ولد عمر بن الخطاب.
وعبد العزيز لأم ولد.

ومروان بن محمد، وهو الجعدي، وأمه كردية أخذها أبوه من عسكر ابن الأشتر، وكان مروان يكنى أبا عبد الملك.

وقال أبو الحسن المدائني: وقوم يقولون إن أم مروان عربية من تنوخ، وذلك باطل. ويقال: كانت أمه جارية لمصعب أُخذت وبها حمل، ويقال: كانت جارية لزربي طباخ مصعب أو خبازه.

قالوا: وبويع مروان لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة، وكان أبيض أحمر أزرق أهدل الشفة لايخضب، ولم يكن بالذاهب طولاً، وكنت إذا استدبرته ظننت أن على منكبيه رجلين جالسين، واسع الصدر. وكان يقول: اللهم لاتبلني بطلبٍ ما لم تجعل لي فيه رزقاً:

وكان يقول في خطبته: اللهم إنك أعلم بولينّا وعدونا منا، فكن لنا ولياً وحافظاً، وكان يقول: ماكان أبو بكر ولا عمر بأعفّ من هذا مني.

قال: وكان غيوراً، وجد كتاباً إلى جارية له من أمها فقال: من أدخل هذا الكتاب؟ فقال خصي: أنا رحمتُ أمها لبكائها. فقطع يد الخصي.

قالوا: وعرض مروان الجند فشكوّا في حلية رجل فأسقطه، فقال:

هــلا بعــين الجر حليتني لما توافى القوم في الخندق

فقال: أجيزوه، فأجازوه.

وكان مروان أول من حلّى الجند. وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعيد، مولى بني عامر بن لؤي ويقال مولى بني مروان، ويقال كان من أهل الأنبار، وكان على شرطه الكوثر الغنوي، وكانت حرسه نوائب. قال الشاعر:

يا أيها السائل عن مروانا دونــك مـروان بعسقــلانـا
يجيد ضرب القوم والطعانا حتى تـرى قتـلاهم ألـوانـا

وكان مروان بخيلاً.

وولد مروان بن محمد: عبد الله وعبيد الله.

وقال أبو اليقظان: لايُعلم له ولد غيرهما، وغير عبد الملك بن مروان وعبد الغفار.

وولي مروان بعد خلع ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك خمس سنين، وقتل بمصر سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وهو ابن تسع وستين سنة.

قالوا: وكان الجعد ساير يوماً مروان في أول خلافة هشام، وقبل تولية هشام إياه أرمينية فأصابت ركبته ركبة مروان فقال: أعجلتْني دابتي. فقال: على نفسك فأبقِ.

قرأت على أبي الحسن المدائني ، وحدثني غيره من أهل العلم ، قالوا : كان هشام بن عبد الملك ولى مروان بن محمد أرمينية وآذربيجان ، فلما ولي الوليد بن يزيد أقره ، فقتل الوليد ومروان بكُسال من أرض أرمينية ، فأتاه خبره وهو بها ، فعزم على إتيان الجزيرة والشام فقيل له : إن عطّلت الثغر اصطلم الخزر ومن فيه من الأمم أهله من المسلمين ، فخطب مروان ودعا الناس إلى السمع والطاعة والبيعة لمن يجتمع الناس عليه ، وأعطاهم أرزاقهم ، وفرض لعشرة آلاف من الأبناء وغيرهم ، وبعث اسحاق بن مسلم العقيلي ، وثابت بن نعيم الجذامي إلى أهل الباب والأبواب وملوك الجبال وتفليس يدعوهم إلى بيعة من رضي المسلمون به ، وولى آذربيجان حميد بن عبد الرحمن اللخمي ، فلما رجع ثابت بن نعيم من حيث وجهه إليه مروان فارق مروان وخالفه ، ودعا أهل الشام إلى الخروج معه ، وقال : قد قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك فسيروا على راياتكم إلى الشام قافلين ، فأجابوه وقالوا : قد قتل الخليفة فليس لأحد علينا سلطان ، فالرأي أن نأتي الشام فنكون مع من يجتمع الناس عليه ويرضون به ، فعسكروا وبلغ مروان ذلك فقال : إنكم إنما أردتم الإغارة على أهل الذمة فيما بينكم وبين الشام . فاجتمع على قتالهم ودعا أهل الجزيرة إلى ذلك فأجابوه ، فترك أهل الشام ما أجمعوا عليه من أمر ثابت بن نعيم ورفضوه ، وأسلموا ثابتاً فأخذه مروان فحبسه وحبس بنيه وهم : نعيم ، وبكر ، ورفاعه ، وعمران ، وهَمَّ بقتلهم فطُلب إليه فيهم فخلّاهم .

واستخلف مروان على أرمينية عاصم بن عبدالله بن يزيد الهلالي ، وتوجّه يريد الشام ، وقَدمَ ابنه عبد الملك بن مروان بن محمد إلى الجزيرة ،

وبلغ يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أن مروان قد عزم على إتيان الشام ليبايع ليزيد بن الوليد ، فكتب إليه : العجب لك تبايع ليزيد وهو قتل الوليد فلم يبق أحد من بني مروان إلّا وهو طامع في الخلافة وأنت سنهم وشيخهم .

فلما قرأ كتابه أقام بالجزيرة ، فأرسل إليه يزيد بن الوليد الناقص يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وحميد بن نصر اللخمي ، وعمارة بن كلثوم بن أبي كلثوم الأزرق ليأتوه ببيعته ، وبيعه من قبله من أهل الجزيرة ، وضمن له إن سارع إلى بيعته ولم يُقدّم ويؤخر أن يوليه أرمينية وآذربيجان والجزيرة ، فيقال إنه أبىٰ ذلك ودسّ إلى من معه أن يأبوا بيعة يزيد . فقالوا : لا نبايع الناقص وقد قتل خليفتنا . فقال بعض رسل يزيد لمروان : إنّ هذا الأمر تحت كنفك وتدبيرك . فقال له : يا بن اللخناء هممتُ أن أضرب عنقك .

ويقال إنه كتب إلى يزيد ببيعته مع رسله ثم ردهم ، ثم جاءته وفاة يزيد ، وقيام إبراهيم بن الوليد ، فردّ الرسل الذين مضوا ببيعته من قنسرين ، ودعا الناس إلى الطلب بدم الوليد ، وأتى أهل حمص وأهل قنسرين بيعة ابراهيم وتحرزوا ، فوجّه إبراهيم بشراً ومسروراً ابني الوليد بن عبد الملك إلى قنسرين في خمسة آلاف ، ووجّه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك إلى حمص ، ونادى عبد العزيز : من وافىٰ فله كذا . فقال الحنتف الضبي من بني ضبة بن سعد بن ليث بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة :

لبيــك لبيـك ولي العهــد أتاك قومي ضبَّة بن سعدِ
قد لبسوا الدروع فوق الزَّرْدِ وجـرروا كل حصـان وَرْدِ

ونشروا للحرب كل نَهْدِ ونهدةٍ تزلّ تحت اللُّبدِ
إيْهَا فِداكم طارفي وتلدي فجالدوا عن دينكم بجدٍّ
وعن ذوات الحجل الممتد أتاك مروانُ بكل عبدِ
مخالف ينصر دين الجعْدِ مُكَذِّبُ يجحد يوم الوعدِ

فسار مروان بجند أهل الجزيرة ، فلقيه بشر ومسرور ، ومالت قيس كلها ، ويزيد بن عمر بن هبيرة إلىٰ مروان ، ومضىٰ إلى حمص ومعه أهل الجزيرة وقنسرين ، وكان عبد العزيز بن الحجاج محاصراً لأهل حمص ، فلما دنا منه مروان رجع عبد العزيز إلى دمشق ، فوجه ابراهيم إلى مروان سليمان بن هشام ، فأقبل في خلق من الخلق فنزل بعين الجرّ ، ورجع إليه مروان بأهل الجزيرة وقنسرين ، وهو في زهاء سبعين ألفاً ، فنزل بدير الأبرش وسليمان بعين الجر وبينهما ثلاثة أميال وذلك في صفر سنة سبع وعشرين ومائة .

وكتب مروان كتاباً منه إلى أهل فلسطين : إني نزلت بدير الأبرش ، وسليمان بعين الجر فطالعت عسكره بنفسي فرأيت جيشاً كثيفاً ، وأنا متوجه إليكم في طريق كذا ، ودفع الكتاب إلى رجل قال له : تعرّض لهم . ففعل فأخذ وأُتي به سليمان بن هشام ، فلما قرأ الكتاب قال : أنا أبو أيوب هرب مروان ، والله لأَحُوْلَنَّ بينه وبين ذلك .

وقال مروان لابنه عبدالله : إني مرتحل غدوة فإن ارتحل سليمان من هذا المنزل فانزله ، وخَلّفه في غيضة هناك كامناً في العين .

وأصبح مروان يوم الأربعاء فغدا متوجهاً في طريق المغرب ، وخرج سليمان زعم يبادره إلى الطريق التي ذكر مروان في كتابه أنه يسلكها ، وأقبل

ابن مروان فنزل عسكره ، وسرح إلى أبيه رسولاً يعلمه ذلك فلما أعلمه الرسول رجع وقد سار ستة أميال فصار في عسكر سليمان فقال سليمان : مكر بنا مروان ، وإنما فعل ذلك لأن عسكر سليمان أخصب وأحصن وأكثر مياهاً ، فقاتلهم مروان فظفر بهم وقتل منهم مقتله عظيمة يقال عشرة آلاف ، وأخذ يزيد بن العقار الكلبي ، والوليد بن مصاد فضربهما مروان بالسياط حتى ماتا .

ومضى سليمان منهزماً إلى دمشق فأخذ مالها فقسمه بين أصحابه ، وأتى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك الخضراء في جماعة منهم يزيد بن خالد القسري ، وفيها الحكم وعثمان ابنا الوليد بن يزيد ، وأبو محمد زياد بن عبدالله بن يزيد السفياني ، ويزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان وهو خال عثمان بن الوليد بن يزيد ، ويوسف بن عمر الثقفي ، فوثب أبو الأسود مولى خالد بن عبدالله فقتل الحكم وعثمان ويوسف بن عمر ، وكان الناس قد أحجموا عن قتل ابني الوليد وقالوا : هما صبّيان .

وقيل لرجل كان محبوساً من الأعاجم : اقتلهما . فقال : أنا أقتل الفرسان ولا أقتل الصبيان ، ويقال إنه قتل ابني الوليد أبو الأسود ، قتلهما بعمود ، ثم دخل يزيد بن خالد إلى يوسف فأخذ بلحيته وكانت طويلة ، فجذبه ونتره نتراً شديداً ، فقال له يوسف : ما هذا السّفه يرحمك الله ؟ قال : أنت والله أسفه مني يا بن الحمقاء حين ضربتني بالعراق ألوف أسياط . فقال : فعلتموها ، والله ما فعلتم هذا حتى أخزاكم الله ولقد انهزمتم ، فأخرجه فضربه ، وقال : لعلك يا بن الزانية ترىٰ أنني أقتلك بأبي ، وقال : ما أقتلك إلا بغلامنا غزوان أو طهمان ، ثم رجع فأخذ بيد

خال عثمان بن الوليد فقتله ، وبقي أبو محمد السفياني فقام فردّ الباب وكان حديداً وألقى محبسه وراءه واعتمد عليه ، فدفع الباب فلم يقدر على فتحه .

وماج الناس حين قُتل الصبيّان ابنا الوليد وانهزم سليمان ، وهرب عبد العزيز ، ويزيد بن خالد ومن كان معهما .

وجاء مولىٰ لأبي محمد السفياني يقال له مهران فنادىٰ من خوخة من ناحية المسجد : يا أبا محمد أبشر فقد أتاك الفرج ، فقال : ويحك أما ههنا أحد ؟ قال : بلىٰ . قال : فجئني بمن قدرت عليه ، فأتىٰ بجماعة ففتح أبو محمد الباب فاحتملوه في قيوده حتى وضعوه على المنبر ، فدعا لمروان وبايعه الناس فقال :

شَـدَدْنـا ملكنـا ببني نـزار وَقَوَّمْنَا بهم مـا كان مـالا
وطَحْطَحْنا بهم قحطان حتى أقـرّوا بـالصَّغـار لنـا ذلالا

وقال بعض شعراء بني عامر بن صَعْصَعَة :

ويوم بعين الجَرِّ يفخر جاثماً سليمان كاليَعفور جَمّ الهزائمِ
وطار عليها المخلصون لربّهم سراعاً نَبيعات الأكفّ السلائمِ
فلما تمطّت في الغبار وواجهتْ دمشق شجرنا رأسها بالشكائمِ

يقول : حبسنا شُجرته عن الأمر : حبستُه .

ومن زعم أن أبا محمد قتل في محبسه فقد غلط .

وأقبل مروان علىٰ اثني عشر ميلاً من دمشق ، وهرب سليمان بن هشام ، وقال أبو محمد السفياني : من جاء برأس عبد العزيز بن الحجاج فله عشرة آلاف درهم ، فطلبه الناس وأتوا داره فأحاطوا بها ليحرقوها فقال بعضهم : إنه ألقى إليهم بِدْرَةً نثرها فتشاغلوا بها ، وخرج من باب آخر

فرأته امرأة فعرفته ، ومرّ بها قوم يطلبونه فدلّتهم عليه فوطئوه حتى قتلوه . فقال الشاعر :

رَجَا أخذها عبد العزيز بسيفه فصار قتيلاً في الأزقـةَ يُسلبُ

ويقال إن مروان أقبل ، فتلقّاه أبو محمد السفياني ، وعبدالله بن سفيان بن عتبة بن يزيد بن معاوية ، فسلم عليه أبو محمد بالخلافة وعزّاه عن الوليد وابنيه وقال له : يا أمير المؤمنين إن الحكم وعثمان جعلا لك العهد بعدهما ، وكان مع مروان حوثرة بن سهيل الباهلي ، والكوثر الغنوي والوثيق بن الهذيل ، وأبو الورد الكلابي ، وعبد الرحمن بن الأشهب الجعدي ، ونُباتة العُقيلي ، وابن سعيد الحرشي فقال مروان : إن هذين الغلامين جعلا لي الأمر بعدهما ، والله يعلم أنني لم أطلبها في ليل ولا نهار .

ثم ارتحل فنزل مرج راهط فقال له ابن سُرَاقة الأزدي : هذا والله الموضع الذي ضرب فيه جدك مروان فسطاطه . فنظر إليه فسرّه ذلك .

وقيل لسراقة : كذبته وغررته فقال : اسكتوا ، من كان يقوم فيردّ علي ؟ فبويع مروان ثم دخل دمشق من باب الجابية فرأى عبد العزيز مقبلاً فقال : يا كوثر من هذا ؟ قال : السفيه عبد العزيز . فقال مروان : لايزال صبي من آل مروان يتعرّض للفتن ، وطلب إبراهيم وسليمان ونادى بأمانهما فأتياه ، فخلع ابراهيم نفسه فأمنّه ، وأمرّ سليمان بن هشام ، واستعمل مروان على حمص معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير السكوني ، ثم اتهمه فعزله ، واستعمل عبدالله بن شجرة فناصحه ابن شجرة ، واستعمل على فلسطين ثابت بن نعيم ـ وكان قد رضي عنه بعد حبسه إياه واستصلحه ـ ويقال ولاه فلسطين والأردن ، والأول أثبت .

وولى قنسرين عبد الملك بن الكوثر ، ووجه في طلب من شايع على قتل الوليد فأتي بنحو من مائتي رجل ، فقتل بعضهم ، وقطع أيدي بعض .

وأمرّ إسحاق بن إبراهيم بن الوليد وسليمان بن يزيد بن عبد الملك فبايعاه .

ثم حمل مروان ما كان بدمشق وترك بها زامل بن عمرو السكسكي ، وخلّف معه خالد بن يزيد بن هبّار في ألف فارس ، فأقام في حران ثلاثة أشهر أو أربعة ، ثم بلغه أن ثابت بن نعيم بن زرعة بن روح بن زنباع بن روح بن سلامة بن حُداد بن حديدة الجذامي قد خلع ، وكان عامله على فلسطين ، فسار يريده فكان من أمره دونه ما نحن ذاكروه إن شاء الله .

أمر حمص ودمشق وأمر يزيد بن خالد القسري

قالوا : سار مروان يريد ثابت بن نعيم فنزل حماه من حمص ليلة الفطر سنة سبع وعشرين ومائة ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك معه آثر مَن عنده من بني مروان ، وكان قدم عليه حران فأكرمه فصلّىٰ مروان العيد بالناس ، ومعه سليمان ، وعبد الملك ، وعبدالله ، وعبيدالله وعبد الغفار بنوه ، فلما صلى أتاه رجل من أهل حمص فأعلمه أن أهل حمص قد غدروا وأن كلباً دخلت المدينة وعليها الأصْبَغ بن ذؤالة ، ومعه بنوه حمزه ، وذؤالة ، وفرافصة ، ومعه عصمة بن المقشعر مولىٰ كلب ، وطفيل بن حارثة ومعاوية بن عبد الأعلىٰ السكسكي ، وقد بايع ابن ذؤالة من أهل حمص السمط بن ثابت بن يزيد بن شرحبيل بن السّمط بن الأَسْوَد بن جبلة الكندي وغالب بن ربعي الطائي ، فارتحل مروان من حماه فنزل على نهر الأرنط ، ثم سار على تعبئة إلى حمص فأتاها نصف النهار ، وعلىٰ الحائط جماعة من كلب ، فأرسل مروان إليهم : ما بالكم ؟ قالوا : نحن على طاعتك وهؤلاء سفهاء دخلوا مدينتنا ، فقال : افتحوا باباً ففتحوه ، فاقتحم عمرو بن الوضاح في الوضاحية فقاتلهم وأصيب من الفريقين ، وهرب

الأصبغ بن ذؤالة ، واتبعتهم خيل لمروان فقتلوا منهم جماعة ، ونجا الباقون وأُسر في المدينة رجال منهم ذؤالة بن الأصبغ بن ذؤالة ، وأخوه فرافصة بن الأصبغ بن ذؤالة .

وكان الأصبغ قد وجّه ابنه حمزة إلى ثابت بن نعيم يعلمه دخوله مدينة حمص فبلغته قبل وصوله إلى ثابت هزيمة أبيه وأسر أخويه فمضى إلى تدمر، وقتل مروان الأسرى ، وقتل ابني الأصبغ أيضاً ، وكان الأسرى أربعمائة فصلبوا حول مدينة حمص ، وهدم مروان من حائطها مائتي ذراع ، وأقام بها ثمانية أيام .

وروي أيضاً أن اليمانية عصتْ لتقديم القيسية عليها ، فَهَمّ بنو مصاد بن زهير الكلبي أن يفتكوا بمروان ، فشاع أمرهم ، وكان معهم معاوية بن عبد الأعلى السكسكي ، فأتى حمص فدعا أهلها إلى خلع مروان فأجابوه ، وأمّروا عليهم السَّمْط بن ثابت ، ويقال الأصبغ ، فخرج عبد الله بن شجرة عامل مروان على حمص إلى سلمية فقُتل بها ، قتله رجل من كلب يقال له المنهال بن عبد الملك .

وخرج رجل من حمص يقال له حُجر ، ومروان محاصرهم إلى القرى يستنجدهم ، فأُخذ وأُتي به مروان فقال مروان : هيه يا حجر ، خرجت تستنجد أهل القرى ثم تأتي حمص ، أما إنك ستأتيها ، وأمر به فوضع في المنجنيق ورمي به فصكوا به حائط المدينة فتفسّخ .

وأُخذ غلام من المدينة فأُتي به مروان فخرجت أمه فقالت : يا أمير المؤمنين أذكرّك الله فإنه مالي ولد غيره وقد نهيته عن السعي والقتال فعصاني . فقال مروان : ذلك أحرى أن أقتله إذ عصاك ، وأمر به فضُربت عنقه .

وكان أهل حمص ينادون ومروان محاصر لهم : يا بن مصعب فيقول : شريف كريم ، وينادون : يا بن الأشتر ، يا بن زربي الخباز ، يا بن الكرديّة . فيقول : خلطتم لعنكم الله . وكان الخوارج في أيامهم ينادونه : يا بن الطنفسة[1] .

قالوا : وأمن مروان أهل حمص إلا سعيد بن هشام ، والسمط بن ثابت ، وكان سعيد مع أهلها ، فنجا سعيد بن هشام حتى قتله عبد الله بن علي .

وثلم مروان حائط المدينة فقال بعض الحمصين :

يا حمص ويحك لا تجزعي قصّصك[2] الجعدي سُكنينه[3]

وكلم الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك ، وكان عامل مروان على الأردن ، مروان في السمط وعمل في أمره حتى أمنه مروان ، وكان يختلف إلى إسحق بن مسلم العقيلي ونزل عليه ، قال الحارث بن يزيد : فقال لي الوليد بن معاوية : ألا تعجب من السمط ينزل على إسحاق بن مسلم ويدعني وقد قمت بأمره ، قال الحارث : فلقيت السمط فقلت له في ذلك فقال : أنت عاجز ، أنا أدع إسحاق وهو رجل إن غضب غضب لغضبه عشرة آلاف ، قال : فأخبرته بذلك فأقعد للسمط رجلين فقتلاه وهو

---

١ ـ بهامش الأصل : يريدون ألوان الطنفسة .
٢ ـ القصص : تتبع الأثر ، وأحسن البيان ، والصدر أو رأسه أو وسطه ، ومن الشاة ما قص من صوفها . القاموس .
٣ ـ لم أقف بالمعاجم على ما يشرح هذه الكلمة .

يريد مروان ، ويقال بل دسهما مروان ، ويقال دسهما عبد الله بن شجرة .
وقال الهيثم بن عدي : قتله مروان .

قالوا : ولما فرغ مروان من أمر حمص بلغه أن أهل غوطة دمشق دعوا إلى ثابت بن نعيم ، وحصروا عامله على دمشق ، وهو زامل فوجه مروان إليهم أبا الورد الكلابي ، وعمرو بن الوضاح في عشرة آلاف ، فلما وردا دمشق أتاهم أبو علافة السكسكي ، ويزيد بن خالد القسري ، فانضما إليهم مخالفين لمروان فاقتتلوا فانهزم أبو علافة ويزيد وظفروا بعسكرهما ، ثم ظفر أبو الورد بيزيد وأبي علافة بالمزة فقتلهما ، وبعث برؤوسهما إلى مروان .

ويقال إن يزيد لما انهزموا خرج من باب الفراديس هارباً فانتهى إلى برزة ، فلقيه رجل من الأشعريين فقال له : ابغني منزلاً أكون فيه فأدخله منزله ، ثم فكرّ فخاف فدّل عليه فبعث به إلى مروان فدفعه إلى المضريّة فحملوه على بغل بإكاف وجعلوا وجهه مما يلي ذنبه ، وجعل رجل من محارب يقول : يا معشر الفرسان أين الحكم وعثمان ؟

ويقال إن مروان كتب إلى زامل : إنك لتعلم مكان يزيد بن خالد ، ووالله لتأخذنّه ، أو لأقتلنّك ، فطلبه فأصيب في بيت لهيا فقال رجل من موالي بني سلول : تأتون به زاملاً وهو يمان فيحبسه ثم يشفع فيه ويستوهبه ، فشدّ عليه فطعنه ، وذلك لقتله يوسف بن عمر ، وكان يزيد بن خالد لما قتل يوسف أمر بحبل فشُدّ في مذاكيره وَجُرَّ بِهِ ، فَفُعل بيزيد مثل ذلك .

ويقال إن رجلاً من لخم أتى زامل بن عمر فأخبره أن يزيد بن خالد يأتي زرّاعة لهم بقرب الغوطة مستخفياً ، فأرسل زامل خيلاً فأصابته في زرّاعة اللخمي ، وعليه قميص سُنْبلاني ، فأخذوه وأقبلوا به على بغل بإكاف ، وقد

عرض عليه ، فتلقاهم رجل من بني نمير فقتله واحتز رأسه وأتى به زامل بن عمر فقال : كُلْهُ بخلّ وخردل ، فقال : الأمير أحقّ برأس ابن عمه .

وبعث زامل برأسه إلى مروان وعلق الناس في رجله حبلاً فجرّه الصبيان في السكك . ويقال أيضاً إن النميري مر بقوم من بجيلة وقد قطع من لحم يزيد قطعاً فألقاها إليهم فقال : كلوا ، فجعلوا يأكلون قسراً والسيوف على رؤوسهم ، ثم مضى .

أمر ثابت بن نعيم بن زرعة بن روح بن زنباع الجذامي :

قالوا : خلع ثابت بن نعيم وقال : أنا الأصفر[١] القحطاني لستُ لنعيم إن لم أُخْلِ الشام من أولاد قيس ، وكان مروان قد ولاه فلسطين مستصلحاً له بعد حبسه إياه بأرمينية .

وذكر قوم أن سبب خلعه أن عطية بن الأسود مولى كلب قال :

يا ثابتَ بن نعيم دعوةً جزعا عقَّتْ أباها وعقَّتْ أمها اليمنُ
أتاركٌ أنت مال الله يأكُلُه عَيْر الجزيرةِ[٢] والأشراف تمتهنُ

وكان يقال لمروان حمار الجزيرة .

أُوْقِدْ على مُضَرٍ ناراً يَمانيةً تشفي الغليل وتحيي بعدها السُّنَنُ

ويقال إنه قال هذا الشعر بعد خلعه .

قالوا : فلما فرغ مروان من أهل حمص ، وثار ما ثار من أهل الغوطة ، ومعهم أبو علافة ، ويزيد بن خالد القسري فانقضى أمرهم ، أقبل ثابت من

---

١ ـ من أنواع المهدي المنتظر .
٢ ـ أي مروان بن محمد .

فلسطين في كنف من لخم وغيرهم يكونون زهاء خمسين ألفاً ، فحصر الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان عامل مروان بطبرية مدينة الأردن ، فسار إليه أبو الورد ، فلما التقوا خرج إليهم الوليد بن معاوية في أهل الأردن فهزموا ثابتاً وقتلوا أصحابه ، وتفرّق من بقي منهم عنه .

ومضى ثابت إلى فلسطين واتبعه أبو الورد فلحقه ، فأسر من بنيه ثلاثة : نعيماً ، وبكراً ، وعمران ، فبعث بهم إلى مروان فحبسهم . وغلب أبو الورد على فلسطين ، ولحق ثابت بن نعيم وابنه رفاعة بجبال الشراة فظفرت به خيل لمروان كان قد وجّهها مادّةً لأبي الورد فأخذوه وأتوا به مروان وهو بدير أيوب[1] فقتله مروان ، وقتل بنيه وقطع أيديهم وأرجلهم ، وأفلت ابنه رفاعة بن ثابت ، وأُخذ مع عثمان بن هلال الجهني وعمرو بن يزيد اللخمي فقتلهم مروان جميعاً .

وقال بعضهم : لحق ثابت بمصر ، فوجّه إليه مروان الكوثر فهزم أصحابه وأخذه أسيراً فبعث به إلى مروان فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق ، سمرّه بمسامير . وقال بعض الشعراء قصيدة له ويقال إنه الرمّاح بن ميّادة :

حذارك أن تلقاك يوماً بموطنٍ فوارس يهديها أبو الورد والصّقرُ
فوارس صِدْقٍ لا يبالون مَنْ ثَوى يجرّون أرماحاً حواملها حُمْرُ
وكوثرُ المهـدي لِمصْرَ جياده وأرماحه حتى استقامت له مِصْرُ

---

١ ـ قرية كانت بحوران على مقربة من بلدة نوى . معجم البلدان .

فمالك بالشام المقدس منزلٌ ولا لك في نجدٍ ذراع ولا شبرُ
بنجد ثبا[١] منا وبالشام مثلها متى تعْصَنَا يغضب لنا البرّ والبحر

وأقام مروان بدير أيوب إلى هلال المحرم ، وبايع به لابنيه : عبد الله وعبيد الله ، وزوّج عائشة بنت هشام من عبيد الله ابنه ، وزوج أم بنت هشام عبد الله بن مروان ابنه ، وأقبل فنزل الرصافة فأقام بها يوماً[٢] .

١ - بهامش الأصل : ثبا : أي جماعات .
٢ - بهامش الأصل : بلغ العراض ولله جزيل الحمد والمنة .

أمر سليمان بن هشام بن عبد الملك

قالوا : ولما توجه مروان إلى الرصافة استأذنه سليمان بن هشام في المقام ليتجهز ، فأذن له ، ومضى فنزل الرقة ، ثم أتى قرقيسياء ، وأقبل عبد الرحمن بن أيوب الضبّي إلى سليمان بن هشام وهو بالرصافة ومعه خيل لمروان كان ضمها إليه ، فقال لسليمان بن هشام : أنت والله أحقّ بالخلافة من الجعدي . وكان في نفسه على مروان أشياء في يوم عين الجرّ وغير يوم عين الجرّ ، فخلع مروان وصار إلى حمص فدخلها وبايع أهل حمص على الموت ، فأقبل مروان زاحفاً بعد أن قَرُب من قرقيسياء وعلى مقدمته ابنه فألصق بحمص ووضع عليها المجانيق حتى فتحها ، وهرب سليمان بن هشام إلى تدمر ، وأقام مروان حتى استقصى هدم حائط حمص .

قال أبو الحسن المدائني عن أشياخه وداود بن عبد الحميد قالوا : أظهر سليمان خلع مروان وقد فارقه بالرصافة ، وقدم مروان الرقة فتوفي ابنه عبد الملك ، فترك الإنحدار إلى العراق .

ومضى سليمان في خفّ من أصحابه إلى حمص ، وبنى ثلماً كان مروان ثلمه في حائطها . وكان في نهر الهني[1] قصران يقال لأحدهما الكامل والآخر العجب ، فخلّف فيهما سليمان قوماً من الذكوانية وغيرهم وأكثرهم موالي هشام ، وأمرهم أن يمنعوا من أراد مروان من أصحابه ومن يأتيه بالخبر ، فبعث اليهم مروان : لئن أقمتم على ما أنتم عليه ثم ظفرت بكم لم أستبق منكم أحداً . فلم يقبلوا ، فأما من كان في العجب فإنهم نزلوا على حكمه فأمنهم ، وأما أهل الكامل فأبوا أن يقبلوا أمانه فبعث إليهم خالد بن عمير بن الحباب فعرض عليهم الأمان فلم يقبلوه ، ورجع مروان ومرّ بهم فشتموه ، فأمر رجلاً من أصحابه بقتالهم ، فنصب عليهم المجانيق فلم ينتصف النهار حتى أفضى إلى القصر فطلبوا منه أماناً ، فأبى أن يؤمنهم إلاّ على حكمه ، فقطع مروان أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وهدم الحصن ، وجعل الرجل يقول للرجل منهم : أيما أحب إليك ، أقتلك شدخاً أم أفقأ عينك أم أقطع يديك ورجليك ، فأُتي برجل منهم فقيل له ذلك فضحك وقال : ما أدري ما أختار من الشرور . فقتلوا بالعمد وبقطع الأيدي والأرجل ، فقال بحر بن عمرو القشيري :

ظفرت بهم إذ عاندوك سفاهةً فَنَكِّلْ بهم حتى تدرُّهُمُ العَصبُ
فإنك إذ تفعل تَجِدْهُمْ أذلَّةً إذا نكبوا يوماً أذَلَّهُمُ النَّكْبُ

وقتل مروان يعقوب مولى هشام غدراً ، خرج إليه من الكامل بأمان فقال : لا أعطي أهل الكامل الأمان إلا على حكمي فليس بيني وبينهم إلا السيف ، وقتله .

---

١ ـ في الرقة .

وبايع أهل حمص سليمان ، وتبايعوا على الموت ، واستوثقوا من حائطهم وبنوا ثلمه ، فتوجه إليه مروان فلما دنا من حمص جدّد فرسان أهل الشام ممن مع سليمان البيعة على الموت ، وجدّدها أهل حمص أيضاً وقالوا : اخرجوا إلى الجعدي فإما قتلنا وإما ظفرنا به ، فانتدب منهم ستةآلاف مع معاوية بن عبد الأعلى السكسكي وثبيت البهراني فبلغ ذلك مروان فسار اليهم على تعبئة ، وتحرزوا وكمنوا لمروان في الزيتون فلم يشعر وهو يسير على تعبئته حتى ثاوروه فقاتلهم وصُرِع معاوية بن عبد الأعلى وانهزم الآخرون ، وقتل منهم أربعة آلاف ، فقال مروان لمعاوية : أنت مطاع في أهل حمص فادعهم إلى بيعتي وأؤمنك . قال : نعم . فأرسله إليهم في خيل وأمرهم أن يحفظوه ولا يفارقوه حتى يردّوه ، فأتاهم وهم مشرفون من المدينة فدعاهم إلى بيعته فقالوا : لا ولا كرامة ، ولا نبايع لابن زربي الخباز . فقال : إذا لم تفعلوا فابعثوا إلي غلامي ميسرة الأسود وليكن معه ثيابي كلها ، وانصرف إلى مروان ، فقال للذين كانوا معه : ماذا قال ؟، فأخبروه . فقال : أتدرون ما أراد ؟. قالوا : لا . قال : إذا أمسيتم فاحملوا السلاح وبَيِّتُوهم واحملوا على الميسرة ، فأمر بمعاوية فقطعت يداه ورجلاه وشدخ بالعمد .

وقال بعضهم : إن رجلاً من بني مجاشع كان مع مروان يقال له حُوَيّ أسر معاوية بن عبد الأعلى وأتى به مروان فقال : استبقني فإني أشد العرب . فقال : الذي أسرك أشد منك . وقال مروان :

يا ربَّ ابراهيم أَمْتِعْنَا بِهِ إنَّ حُوَيّا نِعْمَ ما أَبلَىٰ بِهِ
والسَّكْسَكيَّ صاغراً جانا به

فلما أمسىٰ مروان صيّر الفرسان وحماة قيس في الميسرة ، فلما مضىٰ ثلث الليل بيّتهُم أهل حمص وقد حذرهم مروان فاقتتلوا فلم يقدروا على ما أرادوا فرجعوا إلى سليمان ، فرأىٰ سليمان صلابة مروان وصعوبة الأمر في محاربته فخرج من حمص وخلّف أخاه سعيد بن هشام وأتىٰ تدمر فنزلها ، وأقام مروان على حمص يقاتلهم عشرة أشهر أو أقل ، وبسط لهم الأمان فقيل إنه أمَّنَهم ، وقيل إنهم نزلوا علىٰ حكمه فلم يقتل إلاّ عبداً أسود وشمّاساً نصرانياً كان شجاعاً وكان يقول : إن كان السكسكي ذهب فأنا السكسكي فقتله . وقال : ما كان خطر ببالي أن أؤمّن شماساً . ويقال إنه لم يؤمّن سعيد بن هشام ورجلاً من اليهود .

وأُتي بأمية بن معاوية بن هشام أسيراً فقطع يديه ورجليه ثم شدخه ، فغلظ الناس علىٰ مروان ولعنوه ، وهدم مروان حائط حمص ، وكُلّم في سعيد فأمَّنه وكان معه وبقي حتى قتله ابن علي .

وقال المدائني : أمَّر مروان سليمان علىٰ إحداثه ومقاتلته إيّاه عن الناقص وابراهيم ، فركب سليمان يوماً مع مروان بعين الجّر ، فقال له مروان : يا أبا أيوب ـ ورفع حاجبيه كالمتوعّد ـ فقال : يا أمير المؤمنين أعرض عن هذا . فلم يزل سليمان مضمراً له علىٰ شرّ .

قالوا : وجمع سليمان بن هشام جمعاً بتدمر وبايعه أهلها ، ولجأ إليها كل لصّ وخارِبٍ[1] ، وعامة أهلها كلب ، فصار إليهم مروان ، فقال زُمَيْل بن سُوَيد :

---

١ ـ الخارب : اللص . العين للخليل بن أحمد .

يا ويح تدمر ويحها وعويلها ماذا يراد بعامرية تدمرا
يا ويحها من كيد أبيض ماجدٍ أعطى بعذراء الجيوش وشمّرا

فلما أناخ بها مروان سألوه الأمان وأن يضع لهم كل دم أصابوه ، فأمّنهم على أن يهدم حائطها فلم يمكنه ، وهرب سليمان حين قرب مروان منها فانحطّ إلى خُساف فنزلها ، فوجّه إليه مروان عوف بن إسحاق بن مسلم فأسرته خيل لسليمان ، فوجّه إليه مروان الكوثر فقاتله سليمان ، وأتاهم مروان فتقاتلوا فاستعلاهم سليمان ثم إنه انهزم فاتبعه مروان فالتقوا أيضاً بمرج خلف صفّين، وقدّم مروان ابن الصحصح فاقتتلوا فهرب سليمان وأُسر من أصحابه خلقاً فقتلهم مروان بالعمد بقرب ملاّحَة هشام ، وصار سليمان مع الخوارج ، وقد كتبنا خبره بعد هذه القصص ، حتى قتله أمير المؤمنين أبو العباس .

ويقال إن مروان قتل سعيد بن هشام غيلة ، ويقال ضرب عنقه . ويقال إنه بقي حتى خرج في أيام بني هاشم فقتل ، والله أعلم .

وأسر خالد بن هشام بن اسماعيل المخزومي أخو ابراهيم ومحمد يوم خُساف ، أصابته خلفة[1] فنزل وستره مواليه وأخذ فأتي به مروان ، فأمر فشُدخ بالعمد .

---

١ ـ أخذته خلفة : كثر تردده إلى المتوضأ . القاموس .

خبر يوم المنتهَب في أيام مروان

قال هشام ابن الكلبي ، ثنا ابراهيم بن عبد الرحمن بن نعيم عن معْدان بن عُبيد بن عدي بن عبدالله بن خيبري بن أفلتَ الطائي قال : تزوجت امرأة من بني بدر من فزارة رجلًا منا على نبيذ لهم فأسرع فيهم النبيذ وجرت ملاحاة ، فوثب رجل منا يقال له يعقوب بن سلامة فضرب شاباً منهم فشجّه ، فمات من شجته ، قال معدان : فقلت للبدريين : لك دية صاحبكم ، فأبوا إلا أن ندفع إليهم قاتله ، فأبيتُ دفعه .

وكنا حين قُتل الوليد بن يزيد ووقعت الفتنة منعنا الصدقة ، فلم يؤدّها من بني طيء إلّا بنو جَرم وبنو نَبهان أو أكثرهم ، فأتى البدريون أمية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان عامل الأعشار والصدقات بالمدينة ، وإليه صدقات الجبلين[1] فأخبروه بخبر صاحبهم ، فكتب أمية إلى مروان يخبره بمنعنا الصدقة ، وبقتل البدري وامتناعي من دفع قاتله إليهم ،

١- جبلا طيء : أجأ وسلمى .

وأنا علىٰ خلاف ومعصية ، فكتب مروان إليّ أن أمكنّ البدريين من صاحبهم ، فأدُّوا الصدقة إلى أمية وسعاته ، وإلا وجَّهتُ إليك من حملك إلي ، فإن امتنعت عليه أتاني برأسك ، ثم والله لأُبيْلَنَّ الخيل في عَرَصَاتكم .

قالوا : فأمر معدان بضرب عنق الرسول ، فقال : إن الرسل لا تُقتل والأسير فيكم يا معاشر طيء يُسْتَحْيَىٰ ، فقال : صدقت ، وخلّى سبيله وقال له : أدّيت إلي فَأَدِّ عَنِّي ، قل لابن زربي : أنت تُبيْلُ الخيل في عرصاتنا وبيننا وبينك رمل عالج ، وخلف ظهرك الجبلان ، وحولي عديد طيء . اجْهَد جهدك واحشد حشدك ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت ، ولا أرعىٰ عليك إن أرعيت . وكتب إليه :

ألا مَن مُبْلِغٌ مروانُ عني على ما كانَ مِنْ بُعْدِ المَزَارِ
ألم تَرَ للخلافة كيف ضاعت لأنْ صارت لأبناء السَّراري

وقال غالب بن الحّر المعني :

لقد قلتُ للركبان من آل هاشم ومن عبد شمس والقبائل تسمعُ
قفوا أيها الركبان حتى يجيئنا وإيّاكم الأمر الذي ليس يُدفعُ
حتىٰ تروا أين الإمام وتَشْعَبُوا عصا الملك إن الخيل رثّ مدعدعُ[1]
أرىٰ ضيعةً للمال ألاّ يَضُمَّه إمامٌ وهل في غير أهليه يوضع

فأدى رسوله إليه الرسالة والشعر فاستشاط ودعا عبد الحميد بن يحيىٰ كاتبه فأمره أن يكتب منه إلى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك عامله على

١ ـ التدعدع : مشية الشيخ الكبير ، ودعدع : عدا في بطء والتواء . والرث : البالي . القاموس .

المدينة ، وإلى أمية بن عبدالله عامله على الأعراض[1] والأعشار والصدقات بها ، وعلى صدقات طيء بالجبلين أن يسيرا بأهل المدينة وأهل البوادي من قيس وغيرها إلى معدان بن عبيد حتى يأخذا صدقات قومه، ويدفعا إلى البدريين قاتل صاحبهم ، ويوطئا الخيل بلاده حتى يحملاه إليه ، أو يقاتل فيقتل في المعركة .

وقال بعضهم : كان الكتاب إلى عبد الواحد بن سليمان النصري ، فسارا بالناس حتى نزلا فَيْدَاً ، وبعث أمية إلىٰ معدان بن عبيد بن عدي في أداء الصدقة، فبعث إليه وإلى عبد الواحد: إني غير دافع إليكما شيئاً مما تطلبان ، أما الصدقة فإني أحبسها حتى يستقيم أمر الناس ، وأما وضع يدي في أيديكما فذلك ما لا يكون أو أؤسر أو أقتل ، وكتب :

إنّ الفرائض لا فرائض فاصطبر حتىٰ يقوم علىٰ البلاد أمير

فسار أمية وصاحبه في زهاء مائة ألف من أهل المدينة والبوادي من قيس وغيرها ، وفي ألف من أهل الشام بعثهم مروان إلى عبد الواحد إعانة بهم ، وبعث عبد الواحد على مقدمته رجلاً من الضّباب لحنق قيس على طيء واتبعه ، ويقال إنه لم يتبعه ، وعسكروا بالمنتهب وهو من أجأ .

قال معدان : وكنت في اثني عشر ألفاً من بني معن بن عتود بن عتير بن سلامان بن ثعل ، وبني جديلة وغيرهم من طيء فذهب يحيى بن الكروس بن زيد المعقلي منهم بستة آلاف ، لأنه كره القتال ، فبقيتُ في ستة آلاف ، فلما انتهيت إلى عسكر الضبابي واسمه حُزير بن يزيد بن كثيف ، إذا

١ ـ الاعراض . ج عرض وهو الناحية . النهاية لابن الأثير .

جبال حديد ، وإذا عسكر القوم لا يرىٰ طرفاه ، فرفعت النار على أجأ ، فاجتمعوا فنحروا الجزر ، وعملوا النبال والنشّاب ، وقالوا : قبح الله أجزع الفريقين من الموت .

قال : فتصافنا فلما رموا بالنبل حملنا عليهم حملة رجل واحد ، فما كان إلا كلاً ولا ، حتى قتل الضبابي وانهزم الناس اسوأ هزيمة ، فقتلنا وانتهبنا ، وكان عسكرهم أكبر عسكر رثة[1] ، وأُتيت بأمية أسيراً فخلّيتُ سبيله ، وأتيت بجارية له بعد ذلك فبعثتُ بها إلى المدينة وقلت : لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا علىٰ جريح . قال : ثم قُرىء علينا بعد ذلك كتاب مروان إليهم يأمرهم فيه إذا نشبت الحرب أن يقتلوا ويسبوا ، ولو علمتُ ما في الكتاب قبل ذلك ما نجا منهم مخبر .

وكتب صاحب المدينة إلى مروان بالخبر فعزم مروان على توجيه عبدة بن رياح الغساني في عشرة آلاف من أهل الشام وقال : أهل المدينة أضعف قوم وأفشله ، والأعراب كذلك ما لم يوتَروا ويَطلبُوا الطوائل ، فبينا هو على لك إذ كتب إليه ابن هبيرة عامله على العراق بقتل ابن ضبارة وإقبال قحطبة فقال : ما شغْلُنَا عشرة آلاف بأعراب طيء ، فصرف الجيش نحو العراق ، فلم نُعط الصدقة حتى استقام أمر الناس واستُخلف أبو العباس ، والتجأ إلىٰ معدان يومئذ عبد العزيز بن أبي دُهَيل بن يزيد بن الطفيل بن مالك بن جعفر هرباً من الحرب .

---

١ ـ حمل من المعركة رثيثاً : أي جريحاً وبه رمق . القاموس .

وقتل يوم المنتهب الحُزَيْر ، وسرحان مولىٰ قيس ، ومهلهل أحد بني بدر ، ورجال من فزارة ، وقتل من طيء المَزرّ السنبسي ، وسعيد بن الخليل المعني ، وحرثان بن خالد الفزيري .

وقال معدان في انصراف يحيىٰ بن الكَروَّس عنه فيمن صَرَف معه من طيء كراهة للقتال :

أَلَا ما لمولىٰ لايزال كأنه أَمِيْمٌ يداوي رأسه بالمجارفِ
لعمرك ما المولىٰ بمولىٰ حفيظة إذا لم يُؤَرِّق بالهموم الصوائفِ
فإنْ نحن أعطينا فزارة حقها بغير يمين أو قسامة حَالفِ
فنحن إذاً أولاد قينٍ مُجَنَّبِ الـ ـسيدين ضَروبٍ للمُدَىٰ والكثائفِ
وأنتم بنو حرٍّ كريم نِجَارُهُ من السادة الشُّمِّ الحُماةِ الغطارفِ

وقال أُنَيْف بن حكيم بن أنيف أرجوزة أولها :

هل تعرف الدار بصحراء رِيَبْ إذْ أَنْتَ غَيْداق الصِّبا جَمُّ الطَّرَب

يقول فيها :

لم أَرَ يوماً مثل يوم المنتهب أكبر دعوىٰ سالبٍ ومُستلبْ
لَمّا توافَتْ ثَمَّ أبناء العربْ حتى إذا الجونة[1] كانت في صَبَبْ
نادىٰ منادي طيءٍ يا لَلْحَسَبْ أين بنو البيض الكريماتِ النُّجُبْ
يا قوم عاداتكم عند الغضب تغمغم الأبطالِ مِن بَعدِ الصَّخَبْ
ضرباً وطعناً بعد رميٍ كاللَّهب تَحَرّقُ النار بأطراف القَصَبْ

وقال أنيف في قصيدة له طويلة يقول فيها :

١ ـ بهامش الأصل : الجونة : الشمس .

ألا هل أتى أهل المدينة عرضنا خلالاً من المعروف يعرف حالها
علىٰ عاملينا والسيوف مصونة بأغمادها مازايلتها نصالها
عَرَضْنا كتاب الله والحق سنَّةٌ هي النصف ما يخفى علينا اعتدالها
وجئنا إلى فِرتاج[1] سمعاً وطاعة نؤدي زكاة كان حان عقالها
وفي فَيْد صُدِّقْنا وجاءت وفودنا إلى فيد حتى ما تُعَدّ رجالها
فلم نَدْرِ حتىٰ راعنا بكتيبةٍ يَرُوعُ ذوي الألباب والدين خالها[2]
جمعنا لهم من عمرو عوف ومالكٍ كتائب يُردي الظالمين نكالها
ومِنْ دُونِ ما مَنَّىٰ أميةَ نَفْسَهُ غمار حتوفٍ ليس يُرجىٰ زوالها

وكانت امرأة أبي دُهيل وأمه من نبهان فقالت :

أصبحت من طيّيءٍ حتى يقوم لنا أمر الإمام وما أصبحتُ من مُضر
الجَاعِلِيَّ بحمد الله إذ شرعت فيّ الأسنة بين السمع والبصر
والمانعينَ فلا يُسْطاع مامنعوا والمحمدين إذا لم يُحمَد المطر
لقد نهيتُ جريراً وهو في مَهَلٍ وقد أتته ولم يوقن بها النُّذُر

وقال الرمّاح بن ميادة :

لا تحسبوا أنا نسينا بحائلٍ جرير الندى والعسكر المتبددا
ولا تستريثوا أمرنا فكأنكم بِصُمٍّ العوالي فيكم اليوم أو غدا

فرد عليه معدان بن عبيد :

١ ـ فرتاج : موضع في بلاد طيء . معجم البلدان .
٢ ـ بهامش الأصل : الخال : الراية ، ويقال ما يخيل منها .

أتوعدنا قيس وإن تَلْقَ جمعنا تَكن كُشُفا قيس عن الموت حُيَّدَا
فلا تحمد القيسيَّ بالنَّفْج كلما رأى السَّلم أو أضحى من الزاد أكبدا
اذا ما رأى الحرب اتقى الحرب بإسْتِهِ وإن أمن القيسيّ غنًّى وأنشدا
ونحن أسلنا مُصعداً بطن حائلٍ ولم يُرَ واد قبله سال مُصْعِدا
وظلت تُمَنِّيك است ميادة المنى لتجمع أمراً فاسداً قد تبددا

وقال أبو دُهَيْل :

وإن امرأً في الحرب معدان خالهُ إذا ما اختبا من دونه لمنيع

قال المدائني : كان الناس يقولون : ما خُيّرَ مروان بين أمرين إلا اختار أحزمهما ، فلما لقي المسَوَّدة جعل لا يختار شيئاً إلّا كان عليه فيه الضرر والنقص .

قالوا : وكان مروان بخيلاً شديد العقوبة مفرطاً فيها .

وقال بعض الشاميين : قال الحكم بن الوليد بن يزيد ، أو قيلت على لسانه أبيات ، فيها :

ألا فتيانُ من مُضَرٍ فيحموا أسارى في الحديد مكبلينا
أيذهب عامر بدمي ومُلْكي فلا غَثّاً أصبت ولا سمينا
فإن أهلك أنا وولّي عهدي فمروانٌ أميرُ المؤمنينا

وكان مروان يقول : أنا أطلب الخلافة عن بيعة .

المدائني عن سليمان بن المغيرة : حدثني يزيد بن أسيد قال : كنا في غدير مستنقعين أنا وإسحاق بن مسلم ؛ وعبد العزيز بن محمد بن مروان ، ورجل آخر فبرد الماء على عبد العزيز بن محمد بن مروان فخرج فلم أر خلقاً قطّ أحسن من خلقه ، فتعجبت فقال الرجل الذي معنا : أنا والله وضعته في

رحم أمه ، فقال إسحاق بن مسلم : والله لأخبرنَّ أمير المؤمنين ، فأتاه فأخبره فقال : اسَمِعَ هذا معك أحد ؟ قال : سمعه يزيد بن أسيد ، فدعا يزيد فسأله فأخبره فجعل يقرض لحيته غضباً ثم قال : اجعلا لي موثقاً ألا يسمع هذا منكما أحد ، فأعطيناه موثقاً فقال ؛ أراد أن يفسد أخي فكذب عليه وعضهه[1]. وقال: قوما فلا يسمعنّ هذا منكما أحد. وتفقدناه فلم يتغير للرجل في مجلس ولا لسان ولا عطية .

المدائني عن أبي سلمة الغفاري قال : أتيت مروان أطالب بدم فقال لي : إن الوالي وكيل الغائب فإن شئت نازعتك ، وإن شئت كتبت لك إلى عامل المدينة آمره بالنظر فيما تدّعي بحضرة الفقهاء ، فإن ثبت لك حق أخذ لك به ، فقلت : نازعني . فكان ينازعني ويناظرني ، فأمر يوماً بالرحيل فرحل الناس وأبطأ خروجه فقيل له : إن الناس قد ركبوا وقد أبطأت . قال : ويحك قبائي يُخاط فتقٌ فيه رأيته ولا والله ما عندي غيره .

قالوا : وقسم مروان قسماً في قيس ، فقال رجل من بني كلب : إذا كانت القسم ففي القيسية وإذا كان الطعان فللقحطانية ، فضرب مروان عنقه ، فما بقي قيسي ولا قحطاني إلاّ حمده وأثنى عليه ، لأن هذا تحريض منه واستدعاء للعصبية .

المدائني قال : أمر مروان مضمرّاً له أن يوافي بخيله للنصف من المحرّم فيُجريها ، وكان أسود يقال له دعيج وقال :

من كان في شكّ يخادع نفسه فموعده حرّان نصف المحرّم

---

١ ـ عضهه : كذب ، وسحر ، ونمّ . القاموس .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخوارج في ولاية عبد الله بن عمر العراق ليزيد بن الوليد الناقص إلى آخر أيام مروان بن محمد

أمر بسطام الشيباني في أيام مروان بن محمد :

قال علي بن محمد المدائني وغيره : خرج بسطام الشيباني ، وكان يرى رأي البيهسية ، ويقتل الأطفال ، وكان يقول : أقتلُ المخلوق فألحقه بالخالق .

وكان خروجه في شعبان سنة ست وعشرين ومائة بآذربيجان في ثلاثة عشر فارساً ، فقتل عاملاً لمروان ، ومضى إلى الموصل فقدم الموصل ومعه أربعون فارساً فقاتله يحيى - أو سلمة - بن الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ببلد فهزمهم بسطام وأقام ببلد أياماً ، ثم أتى باقردى فأقام بها ما شاء الله ، ثم سار إلى ألف فارس من أهل الشام كانوا بين نصيبين ورأس العين ، فبيّتهم فأصاب منهم طرفاً ، ثم أتى نصيبين وفيها المساور بن عقبة فأعطوه الرضا ، ثم أتى بازبدى[1] ثم أتى الموصل فأعطوه

١ - بازبدى وباقردى كورتان متقابلتان يفصل بينهما دجلة قرب جزيرة ابن عمر . معجم البلدان .

الرضا ، فنزل الربض الأعلى ، وأقام شهراً وأتته رسل مروان يدعونه إلى طاعته ونصرته فأبى عليهم ، وسار بسطام إل بلد فأقام بها شهراً ، فتركه ناس من أصحابه وأتوا مروان ، فأتى بسطام آذربيجان فلقي اليمان الحميري ، وهو من أصحاب الضحاك ، وقد اعتقد وأراد أن يأتي مروان فقتله بسطام فسرّح إليه عاصم بن يزيد الهلالي وهو على أرمينية وآذربيجان رجلاً يقال له عبد الملك في ستة آلاف، فقتل عبد الملك وهزم أصحابه وقتل منهم بشر، ثم سار بسطام فأتى الحناية من أرض الموصل في يوم سوق فقتل ثمانين رجلاً ، وأقام عشرين يوماً ، ثم أتى شهر زور فلقي عاملاً لمروان يقال له جدار بن قيس فلم يقاتله ، وسار فلقي أكراداً فقتلهم ، ثم سار إلى العراق وأتى المدائن فلقي بالمدائن عاملها غزير بن المتوكل وهو في ألفين فهزمه ، وسرح إليه شجرة بن زهير أحد بني تيم بن شيبان فهزمه بسطام ، فوجه إليه مروان الخيبري فبيّته فقتل بسطام وعامة أصحابه وتفرق بقيتهم . فقال الشاعر :

حَيّا الإله الخيبريّ الذي ... ألحق روح الفاسق المارق
بالنار يصلاها كما أنه ... قد يلحق المخلوق بالخالق

أمر الضحاك بن قيس بن حصين بن عبدالله بن ثعلبة الشيباني

من بني ذهل بن شيبان .

قالوا : بويع الضحاك بن قيس بعد سعيد بن بهدل ، فأراد حين بايعوه أن يأتي الشام فأبى عليه أصحابه ، فوجّه حَبناء بن عصمة الشيباني إلى تكريت فغلب عليها ، ووجّه أبا الدبس أحد بني تيم الله بن شيبان إلى حولايا وأرضها ، ورجلاً آخر إلى الدَّسْكرة فلقي أبو الدبس جُمَيْع بن مقرن وحُرَيث بن أبي الجهم الكلبيين ، فقُتل جميع بن مقرن ، وانهزم حريث حتى أتى المدائن ، ولقي الرجل الآخر الذي وجهه إلى الدسكرة سعيد التنوخي فقتل وانهزم أصحابه ، فوجه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الأصبغ بن ذؤاله ، ويقال ابنه حمزة بن الأصبغ إلى المدائن فقاتل أبا الدبس ، وارتجز الأصبغ فقال :

أَعْدَدْتُ للدبس ورهط الدبس طعناً يُنَسِّيهم سؤال الحمس

وتحاجزوا وجاء حبناء بن عصمة إلى المدائن فلما قدمها حبناء عبر الأصبغ دجلة وقطع الجسر وصار إلى الكوفة .

وأقبل الضحاك من شهر زور في ثلاثة آلاف ويقال في أربعة آلاف

وعلى مقدمته عبيدة بن سوار في أربعمائة فانتهى عبيدة إلى جسر النهروان ، وعليه قائد لأهل الشام في ألفين ، وقد قطع القائد الجسر فشتموا عبيدة وأصحابه ، فقال عبيدة : إنا لم ندع الأموال والأهلين ونحن نبالي ما قلتم فاختاروا واحدة من ثلاث : إما أن تجيبونا إلى أمرنا وتجنحون إلينا ، وإما أن تعقدوا الجسر وتعبروا إلينا ونعطيكم موثقاً ألّا يعرض لأحد منكم حتى تتاموا قبَلنَا فنحاكمكم إلى الله ، أو تعطونا عهداً ـ وما أنتم بثقة ـ ألا تهيجوا أحداً منا حتى يعبر اليكم عشرة فيقاتلونكم ، فإن قتلتموهم عبر إليكم مثلهم حتى تأتوا على آخرنا أو نظفر . فأبوا .

وعقد الضحاك بن قيس الجسر وعبر أصحابه إلى المدائن ، فكتب إليه القعدُ الذين بالكوفة مع أُصْعَر بن عبد الرحمن ، وكتب إليه عاصم بن الحدَثان فسرّه ذلك ، وقال : قد آن لهم أن يكتبوا إليّ، وكان كتاب عاصم مع جميل العجلي :

«أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله الذي ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾[1] فإنه قال : ﴿ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتّقوا الله﴾[2] . واعلم يا أمير المؤمنين أن لكل عمل عند الله جزاء : إنْ حسناً فحسنٌ ، وإن سيّئاً فعقوبة ، إلا ما عفا الله عنه ، واذكر نعمة الله عليك وعلى المسلمين إذ كثّر كم بعد القلّة وأعزكم بعد الذلّة ، كتبتُ إليك يا أمير المؤمنين وأنا ومن قِبَلي من المسلمين في نعم علينا من الله سابغة ، نسأل الله تمام ذلك بكمال الإسلام والعون والنصر ، وقد وجهت إليك مع حُميد

١ ـ سورة غافر ـ الآية : ١٩ .
٢ ـ سورة النساء ـ الآية : ١٣١ .

عصابة من المسلمين نفروا رغبة في الجهاد ، واعلم يا أمير المؤمنين أنك مسؤول عما استُرعيت ومحاسَب بما كتبت ﴿يوم تجد كل نفس ما عملتْ من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً[1]﴾» .

فكتب إليه الضحاك :

«قد قدم علي حُميد العجلي بكتابك وفهمت ما أمرت به من طاعة الله فنسأل الله أن يجعلنا وإياك ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويسارع إلى الخيرات . وقد قدمتْ العصابة وهم على ما وصفتَ في الرغبة في الخير إن شاء الله ، فجزاهم الله عن أنفسهم وإخوانهم خيراً ما جزى الغازين في سبيله ، ونحن ومن قبلنا من المسلمين على أحسن حال ، نسأل الله أداء شكره والسلام . وكتب بسطام بن المثنى» .

وأقام الضحاك بالمدائن أياماً فكان رجل من أصحابه ينادي في كل صباح : يا خيل الله اركبي وابشري بالجنة ، وكان في أصحابه رجل مريض فإذا سمع النداء قام إلى فرسه فأسرجه . فلما كثر ذلك قال :

ألا ليت شِعري هل أَبيتنَّ ليلة　　بعيداً من اسـم الله والبركاتِ

ثم سار الضحاك من المدائن وقدّم إلى الفرات مسكين بن الحسن المحلّمي ، فلقي على الفرات عبيد الله بن العباس بن يزيد بن الأسود بن سلمة بن حجر بن وهب بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور ، وهو كندي ، فلما رآه عبيد الله قطع الجسر ورجع إلى الكوفة ، فأراد عبد الله بن عمران أن يوجه إليه الأصبغ بن ذؤالة ليمنعه من العبور ، فقال له

---

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ٣٠ .

عبيد الله بن العباس : عبوره أيسر علينا من طلبنا له فدعه فليعبر . فأخذ برأيه .

وسرّح مسكين الخارجي خيلاً فصعدت بالسفن فعقدوا الجسر وعبروا ، وقد خندق أهل الكوفة على أفواه السكك ، فاقتحم مسكين الخندق ثم رجع ، فسار الخوارج إلى النخيلة فنزلوها في سنة تسع وعشرين ومائة ، وابن عمر بن عبد العزيز يومئذ يقاتل النضر بن سعيد الحرشي قبل ذلك أربعة أشهر في العصبية بين أهل اليمن والقيسية : أهل اليمن مع ابن عمر ، والقيسية مع النضر بن سعيد ، فلما نزل الضحاك النخيلة أرسل ابن عمر إلى النضر : إن هذا المارق يريدني ويريدك فهلمّ فلتكن اليدان عليه جميعاً ثم ننظر .

وسفر بينهما العباس بن عبيدالله بن عبدالله بَبَّةَ بن الحارث بن عبدالمطلب ، فأصابه سهم فقتل ، ويقال إنه قتل قبل ذلك ، وكان السفير غيره ، فصاروا جميعاً يداً على الضحاك بن قيس .

قالوا : وأصبحوا غداة أربعاء فساروا إلى الخوارج ، فالتقوا فقتل من الخوارج يومئذ أربعة عشر رجلاً ونِسْوَة ، ثم التقوا من الغد فاشتد الأمر بينهم وجعل رجل من الخوارج يرتجز ويقول :

يا نفسُ مِن طول الحياة ملّي وعيشك المقطّع المولّي
عَلِّيَ ألقى عاصماً لعلّي في جنة عالية وظلٍّ
وبيهسٍ وكهمسِ المصلّي

فحمل عليه عبيدالله بن العباس بن يزيد فحاد عنه الخارجي فقال له عبيدالله : تتمنى الجنة وتحيد ؟ فقال : أحيد لما هو شرٌّ لك يا عدو الله .

وأبلى يومئذ عاصم بن عمر بن عبدالعزيز فلم يعرض له فارس إلا قتله ، فحمل عليه البرذون بن مؤرّق الشيباني فضربه عاصم على رأسه ، وحمل رجل من الخوارج على عاصم فاختلفا ضربتين فقتل عاصم الخارجي ووقعت ضربة الخارجي في رأس عاصم فأثقلته ، وبقي ثابتاً على فرسه ، ونظر اليه البرذون بن مؤرق الشيباني فرماه بنفسه فطعنه فأرداه عن فرسه فسقط ميتاً ، وتناول البرذون عموداً كان على سرجه فإذا عليه مكتوب عاصم بن عمر .

واشتد عليهم الحرّ وهم يقاتلون ، فوضع جعفر أخو عبيدالله بن العباس بن يزيد بيضته عن رأسه يتنفس ويتروّح وهو على شرطة عبدالله بن عمر ، فقال عبدالملك بن علقمة العبدي : إني لأحسب هذا من فراعنتهم ، وحمل عليه فطعنه جعفر في فمه فكسر ثنيته وجرحه في طرف لسانه ، فوحش ابن علقمة برمحه وانتضى سيفه وحمل عليه فضربه على هامته فاعتنق فرسه ، ودعا ابن أخيه وابن عمه : يا هيثم . فأقبل نحوه فعرضه رجل من الخوارج فضربه فَفَلَقَ جبين هيثم ، ثم برأ بعدُ فكان يقال له ذا الوجهين .

واتبع عبدالملك جعفراً فلحقه فعانقه فسقطا الى الأرض فقتله ، وانهزم ابن عمر وأهل الشام ، فانتهى أهل الشام إلى خصّ قد أضجعته الريح فاقتحمه النضر بن سعيد في فوارس فلم يروا منفذاً فقالوا : هلكنا سيحرقونه علينا ، ثم وجدوا منفذاً فخرجوا منه .

ولحق الخوارج هبيرة بن عبدالرحمن بن حسان بن المنذر بن حسان الضبيّ ، وابناً لأبي سماك فقتلوهما ، وجاء الخوارج الخندق فوقفوا ملياً ثم رجعوا الى معسكرهم وحمل الناس قتلاهم ودفن آل الأشعث عاصم بن عمر بن عبدالعزيز في دورهم .

ثم التقوا يوم الجمعة ، ولقيهم الأصبغ بن ذؤالة في عشرة آلاف فهزمهم الخوارج حتى دخلوا حيطان الكوفة، فلما أمسوا خرج قواد من قواد ابن عمر من اليمانية : منصور بن جمهور ، والأصبغ بن ذوالة ، وخرجت القيسية مع النضر بن سعيد إلى واسط ، وهو يريد أن يغلب عليها ، فأصبح ابن عمر وقد تفرق الناس عنه فحمل الأموال وارتحل فسبقته القيسية إلى واسط ، فأرسل إلى النضر بن شبيب بن مالك الغساني ، وهو عامل ابن عمر على واسط فقال : افتح لنا باب المدينة لتكون أيدينا واحدة ، فأرسل اليه : يا بن السّقاء ، يا بن نسعة ، قد كنت أحسب أن لك عقلاً ، كيف أفتح لك باب المدينة وقد عرفت غدرك . الحق بطريق البريد مقعد أبيك فهو أشبه بك .

وقدم ابن عمر بأثقاله فدخل المدينة ، ومات عامله شبيب بن مالك يوم دخل ابن عمر المدينة فقالت القيسية : لا ندعكم تعبرون به ، فسفروا بينهم حتى أذنوا لهم أن يعبروا بالجنازة قوم لا سلاح عليهم

ودخل الضحاك الكوفة فوجد في دار المختار قوماً من أهل الشام فَمَنَّ عليهم ، ووجد قوماً في دار بلال بن أبي بردة فقاتلوه فقتلهم وأمن الناس .

وبعث أبا الرجال وحبناء بن عصمة وعكرمة فباعوا الغنيمة عند قصر الكوفة ، وذلك في أول يوم من شهر رمضان ، وكان من رأي أصحاب الضحاك أن يستعرضوا أهل الكوفة ، فمنعهم الضحاك ذلك ، فلما دخلوا الكوفة تلقّوهم بالأسوقة ، فقال الضحاك : ألم أخبركم بأن لكم بها إخواناً يكتمون إيمانهم في دار الكفر ، فمر رجل من الخوارج برجل على باب داره وكان عظيم البطن فقال له الخارجي : أصائم أنت ؟ قال : نعم . قال :

ما بطنك ببطن مؤمن ولولا أني أكره أن أفسد سناني بما في بطنك لأخرجته من ظهرك ، وجنح إلى الضحاك عبيدالله بن عباس الكندي .

وقال هشام ابن الكلبي : شهد عُبيدالله الخوارج بالكوفة وهم يقتتلون بين الحيرة والكوفة أيام الضحاك، مع جعفر بن العباس بن يزيد الكندي أخيه ، فقتل جعفر ، وجنح عبيدالله إلى الخوارج فقال أبو عطاء السندي :

ألا يا عبيد الله لو كان جعفر هو الحيّ لم يجنح وأنت قتيل
ولم يتبع المرّاق والثأر فيهم وفي كفّه عضب الذباب صقيل
جنحت وقد أردوا أخاك وأكفروا أباك فماذا بعد ذاك تقول
تركت أخا شيبان يسكب بزّه [1] ونجّاك خَوّار العنان رجيل
فلا وصلْتكَ الرحم من ذي قرابةٍ وطالبِ وتْرٍ والذليل ذليل

فلما أنشده قوله : فماذا بعد ذاك تقول ؟ قال : أقول أعضّك الله ببظر أمك .

وقال رجل من الخوارج :

نحن عبرنا الخندق المقعّرا يوم لقيناكم وجزنا العسكرا
حتى قتلنا عاصماً وجعفرا والفاسق الضبيّ لمّا أدبرا
واليمنيين ومن تنزّرا لا تحسبوا ضرب الشراة سكّرا

وقال عبدالله بن عمر يرثي أخاه عاصماً :

لعمري لقد نادى المنادي فأسمعا بصوت رفيع حين نادى فأوجعا
غداة نعى يوم النخيلة عاصماً فأبكى العيون الجامدات وأقطعا

في أبيات .

١ ـ يسكب بزه : يضع سلاحه . انظر القاموس .

وقال خلف بن خليفة يرثي عاصماً :

ألم يك عاصم ذخري فدلّتْ مَنِيَّتُهُ على ذخري المنونا
وكان من المودّة نُصب عيني فأمسىٰ غاب في المتغيّبينا
تقدمَ صَابراً وثوىٰ شهيداً فلستُ أعدُّه في الميّتينا

في أبيات .

وقال ابن الكلبي : كان ابن بيض الشاعر نديماً لعمر بن الغضبان بن القبعثرىٰ الشيباني ، وكان مع عبدالله بن عمر على شرطه ، ثم صار مع عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر حين خرج ، ثم أراد الجنوح إلى الضحاك فجاء حمزة بن بيض الحنفي يستشيره ، والخوارج يومئذٍ بالكوفة فأخبر ابن عمر أنه قد عزم على الخروج معهم ، فقال ابن بيض :

عمر الخير ما ترى يا بن غضبان في الشرا أترى لي نفسي فداؤك من نازل الردىٰ
ترك سردابك المبلّط في طيّب الثرىٰ وشراب مشعشع جيّد ليس يُشترىٰ
من فلان ولا فلان ولكن من القرىٰ وجَوَارٍ بيضُ الوجوه دجوجية الذرَا
أنت خير من أن ترىٰ ذاك يا بن القبعثرىٰ

قال عمر : فلم استشرتني يا فاسق إن كان رأيك هذا ؟

وقال ابن بيحان لابن بيض حين دخل الضحاك الكوفة : لو لقيتَه فأخبرته عن أهل بلدك وقومك فإن لك لساناً وبياناً ، فقال ابن بيض :

ألا لا تلمني يا بن بيحان إنني أخاف على فخّارتي أن تحطما
فلو أنني لو شئت ابتاع مثلها من السوق ما باليت أن أتقدما

قال أبو الكردي : لما غلب الضحاك على الكوفة ولاها ملحان بن معروف الشيباني ، فخرج ابن الحرشي يريد الشام ، فعارضه ملحان فقتله ابن الحرشي وهو النضر بن سعيد .

قالوا : وأقام الضحاك بالكوفة إلى شوال ، ثم استخلف عليها ملحان بن معروف التيمي وعداده في بني شيبان ، وسار إلى واسط ، فلما بلغ النضر بن سعيد الحرشي مسيره شخص يريد مروان بالشام في نحو من ألف من أهل الشام، ومعه أبو أمية الثقفي، وعطية البعلي، وأقام نباته وجماعة من القيسية في الجانب الشرقي ، ووادعوا ابن عمر ، وأعابوه فعرض ملحان بالقادسية للنضر والقيسية فناشدوه الله وقالوا : إنا لا نريد القتال .

وكان مع ملحان قادم الذكواني فقاتلهم فقتل ملحان ، ورجع قادم إلى الكوفة فقال بعض الحرورية :

سقى الله ملحاناً وبيّض وجهه كما جاهد الأحزاب يوم القوادس

ورثاه حبيب بن جدرة ، ورثى عبدالملك بن علقمة فقال :

كابن ملحان فينا من أخي ثقة أو كابن علقمة المستشهد الشاري
من صادق كنت أصفيه مخالصتي فباع داراً بأغلى صفقة الدار
إخوان صدق أرجّيهم وأخذلهم أشكو إلى الله خذلاني لأنصاري

فلما قدم الضحاك حصر ابن عمر ، فقال ابن عمر لكاتبه الربيع بن سليمان : اعرض الناس فعرضهم فكانوا ثمانية آلاف فقال : ما هؤلاء بشيء فما الرأي ؟ قال : إن بواسط خلقاً لا يلقاك الضحاك بمثلهم . قال : فاعرض فعرض لعشرة آلاف .

وقاتل الضحاك فكان نباتة يوجه ابنه محمد بن نباتة في القيسية فيقاتلون الضحاك ومعهم اسماعيل بن عبدالله البجلي في قوم من اليمانية ، ثم يرجعون إلى المدينة الشرقية بواسط ، ثم تركهم اسماعيل وشخص إلى البصرة .

وكتب نباتة إلى مروان بذلك فكتب إليه مروان كتاباً لطيفاً أمره فيه

بالاستقامة على منهاجه ، والمداومة على أمره ، وندم اسماعيل على ما كان منه فقاتلهم الضحاك ستة أشهر ويقال سنة على باب المضمار ، وباب الزاب ، وكان يلي قتال الخوارج منصور بن جمهور ، ولم تكن القيسية بمناصحة لابن عمر فقتل منصور يوماً رجلاً من عُبَّاد الخوارج في المعركة يقال له عكرمة ، وجُرح منصور جراحة خفيفة ، فأمر له ابن عمر بثلاثين ألفاً .

ثم قاتلهم منصور على باب الزاب ، فاستعلىٰ الخوارج ، وأكثروا القتل في اليمانية ، وقتل من الخوارج عبدالملك بن علقمة العبدي ، طعنه منصور فقتله ، وحملت عليه أم العشنزر فأخذت بلجام دابته وضربته ضربة خفيفة ، وضربها منصور ضربة شديدة ، وقتل أبي جحشنة أخي الضحاك .

ودنا الخوارج من المدينة فأمر ابن عمر بدوابّ [1] مقاريف فأُلبستْ المشاقة [2] ، ثم أشعل فيها النار وأُرسلت في عسكر الخوارج فذعرتهم وأحرقت فساطيطهم وأخبيتهم ، ولم تمر بشيء إلا أحرقته ، فتركوا خيولهم وتركوا عسكرهم ، ونزلوا على أربعة فراسخ منه ، ثم تدانوا فصاروا من ابن عمر على فرسخ أو فرسخين ، وخرج منصور بن جمهور فقاتله الخيبري وأصحابه على باب البصريين أشد قتال حتى تعانقوا ، وقتل عبدالحميد الكلبي وهو ابن عم منصور ، وقاتل ابن عمر الضحاك من ناحية باب الزاب ، ثم تحاجزوا ، فقال منصور لابن عمر : ما قاتلت مثل هؤلاء القوم عرباً ولا عجماً . فقال ابن عمر : الرأي أن نعطيهم الرضا ونضرب بهم

---

١ ـ المقرف من الفرس وغيره : ما يداني الهجنة ، أي أمه عربية لا أبوه ، لأن الاقراف من قبل الفحل والهجنة من قبل الأم . القاموس .

٢ ـ المشاقة : ما سقط من الشعر أو الكتان عند المشط . القاموس .

مروان . فأجمع ابن عمر على مصالحتهم ، وبعث رسلاً إلى الضحاك فدخلوا إليه وهو يتعشى فدعاهم إلى العشاء فأبوا فقال : إنه عدس طيب وخلّ وزيت ، فكلّموه وسفروا بينه وبين ابن عمر فاصطلحا على أن يسير الضحاك إلى مروان فإن قُتل الضحاك فليس لأحد في عنق ابن عمر بيعة، وإن قُتل مروان صار ابن عمر مع الضحاك . فقال الضحاك : لا بدّ من أن ألتقي وابن عمر . فالتقيا مع هذا فوارس ، ومع هذا مثلهم ، وكان سليمان بن هشام خرج على مروان فلقيه فأوقع به وحوى عسكره ، وكانت وقعته بخُساف أو قربها فصار إلى العراق ومعه قوم من أهل بيته ، وكان سليمان خليفة ابراهيم بن الوليد على عسكره ، ثم صار مع مروان فأكرمه ثم خرج عليه وحاربه فبايع سليمان بن هشام ، وأبان بن معاوية بن هشام ، وداود بن سليمان بن عبدالملك الضحاك ، وكان الذي تولى أخذ البيعة للضحاك عبيدة بن سوار .

قالت أم العشنزر لمنصور : قطع الله يدك إذ لم تدخل النار على يدي ، وأُرزق الشهادة على يدك .

وبايع ابن عمر اليمانية وأبت القيسية أن تبايع ، ومضوا إلى الشام : ابن نباته وأصحابه ، واستعمل الضحاك على الكوفة المثنى بن عمران العائذي ، من عائذة قريش .

وقال شبيل بن عزرة :

ألم تــر أن الله أنـزل نصره وصلّت قريش خلف بكر بن وائل

ولم يكن شُبيل يرى رأي الخوارج ، ولكنه قال هذا بالتقيّة ، بلغ الضحاك عنه شيء فخافه . وقال شبيل بن عزرة :

حمدنا الله ذا النعماء أنا نُحكّم ظاهرين ولا نبالي
برغم الحاسدين لنا وكنّا نُسِرّ الدين في الحجج الخوالي
مخافة كل جبار عنيدٍ غشوم من جبابرة الرجال
ندين بدين ضحاك بن قيسٍ ومسكين ودين أبي بلال
ومروان الضعيف وخيبريٍ أولئك منتهى النفر النبال

قالوا : فأقام الضحاك بواسط إلى شهر ربيع الآخر ، ثم سار إلى المدائن ، فقدم عليه عذار بن بيهس السدوسي في وفد من خراسان ، فجمع لهم من أصحابه شيئاً وصلهم به .

قالوا : وكان مروان متشاغلاً بأهل حمص ، وكان معه رجال من البيهسية من أصحاب بسطام ، منهم عثعث التغلبي وابن عم له ، فقالا لمروان : اندب معنا قوماً إلى الضحاك ، فندب خمسة آلاف فيهم الدبّ القيسي ومروان بن البختري القرشي .

وبلغ الضحاك مسيرهم فوجّه الخيبري والحسن بن منصور في خيل ، وكان القطران بن أكيمة على الموصل ، فنهى البيهسية من أصحاب مروان عن قتال أصحاب الضحاك ، فلم يقبلوا وأوقعوا بالبيهسية وأسر الدب فمنّ عليه الضحاك .

وأتى الحسن بن منصور قطران ، فقاتله قطران ، ويقال بل قتل الحسن القطران ، وكتب مروان إلى ابنه عبدالله ، وهو على معونة الجزيرة يأمره بنزول نصيبين ، وكتب مروان إلى الضحاك كتاباً يقول فيه : «قد كان لك في نفسك شغل بإصلاح فسادها عن سفك الدماء» ، فأجابه الضحاك بكتاب يقول فيه : «إن أعظم الشغل وأولاه بالإيثار أداء ما فرض الله من جهاد الكفار والمنافقين» .

وتكاتبا مرات ، وسار الضحاك وعلى مقدمته مسكين اليشكري وأتى نصيبين فحصر عبد الله بن مروان ، وبث خيوله في أرض الجزيرة فضج أهل الجزيرة إلى مروان ، فقال إسحاق بن مسلم العقيلي لمروان : إن الخوارج قد انتشروا بأرض الجزيرة وأحرقوا واستعرضوا وأنا خائف أن يرفض من معك مراكزهم ويلحقوا بحرمهم وأنت مقيم على هؤلاء .

فقال مروان : لو أحاطت الأعداء كلها بي ما برحتُ أو أفتح حمص أو أُقتل .

وكتب مروان إلى ابنه عبد الله أن اكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فليأتك ، وابن هبيرة يومئذ بنهرسعيد[1] قد وقفه مروان هناك ، فكتب إليه : لا حاجة بنا إلى ابن هبيرة لأنا لا نأمن أن يكرّ الناس إلى ما قبلنا فيغلو السعر ، وفيمن قبلنا كفاية ولْيَسِرْ ابن هبيرة إلى العراق فإنها شاغرة وقد خرج عنها الضحاك .

فأعجب مروان ذلك من رأي ابنه عبد الله وقال: بأبي أنت وأمي . فكتب إلى ابن هبيرة أن يسير إلى العراق ، ونصب مروان المجانيق على حمص حتى طلبوا الأمان ، فأمن الناس غير سعيد بن هشام والسّمط بن ثابت ، ورجل من بني سليم ، ورجل يهودي ، وهدم حائط المدينة فقال بعض الحمصيين .

يا حمص ويحك لا تجزعي قصّصك الجعديّ سكنينه

وارتحل مروان يريد الضحاك ، فنزل بحران بباب التبن ، وكتب إلى معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير السكوني بحمص ، وإلى زامل بن عمرو

١ ـ نهر سعيد نهر دون الرقة من ديار مضر . معجم البلدان .

بدمشق ، وإلى ثعلبة بن سلامة بالأردن ، وإلى الرّماحس بن عبد العزيز الكناني بفلسطين أن يوجهوا إليه فرسان أهل الشام .

ونزل مروان كفرتوثا وقال : ما صنع أحد ما صنع عبد الله بن عمر ، ضربني بعشرين ألف سيف واتكأ بواسط ، إنه لأدهى العرب .

وقال أصحاب الضحاك له : قد اجتمع لك ما لم يجتمع لرجل على رأيك منذ اختلف الناس ، فلا تباشر القتال بنفسك ، ووجّه الخيل وكن ردءاً للمسلمين تمدهم إن أرادوا المدد . فقال : مالي في الحياة أرب ، وقد أعطيت الله عهداً إن ضَمَّني وهذا الجبار معسكر لا أدع جهداً ، فقاتله ثلاثة أيام ، ومع الضحاك سليمان بن هشام في ذكوانيته ، ومن انضم إليه من أهل الشام ، ورفاعه بن ثابت ، وعصمة بن المقشعرّ الكلبي ، فالتقوا ووقف الخوارج على تل فأزالهم أهل الشام عنه ، ووقفوا عليه فقاتلهم الخيبري ، فأزال أهل الشام عن التل ووقف عليه سليمان بن هشام في الذكوانية ، فكره مروان موقفه وقال : يتعلم غلمان بني أمية على الطعان ، وانصرف إلى عسكره ، ورجع الخوارج مسرورين ، فلما أصبحوا قال الضحاك : أما منكم أحد يشتاق إلى الجنة ويحب لقاء ربه ؟ . وأنشدهم شعراً قيل فيمن مضى من الخوارج ، وبكى فاقتتلوا طويلاً والخيبري يقول :

أَيْهِنْ بني شيبان طعناً تَتْرَى طعناً يرى منه القنا مُحْمَرًا
يترك ذا الضَّغْن به مزْوَرّا يـركب ردعـا للردى مقـرّا

فلعنة الله على من فَرَّا[1]

وباشر مروان القتال وهو يقول :

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٢٢ .

أربعـة تحمل شيخـاً رائعـاً مجـرّباً قـد شاهـد الوقـائعا
قد صادفت شيبان مُلْكاً ضائعا

ويروى : سُمّاً ناقعا .

وأصابت الضحاك جراحة ، فقال : ليس كل من طلب الشهادة رُزقها .

وتحاجزوا وخرجوا في اليوم الثالث وخرج الضحاك وقال : لا أرجع اليوم إلا أن يأبى ربي ، ولستُ أملك إلّا فرسي وسلاحي ، وعليّ سبعة دراهم منها ثلاثة في كميّ فاقضوها عني وقال : ليس أمير القوم بالخَبِّ الخَدِعْ ، ثم ترجل وقال : إن قُتلت فليصلّ بكم شيبان بن سلمة ، ويقاتل عدوكم الخيبري ، ولم يعهد إلى أحد .

والتقوا نصف النهار وصبروا وصبر أهل الشام فكثرت بينهم القتلى ، وهزمت الميمنة التي لمروان ميسرةالضحاك ، واقتتلوا حتى أمسوا ، وقتل من الخوارج خلق ، وقتل الضحاك عند المساء ولم يعلم مروان بقتله فلما كان في الليل جاء مروان رجل من عسكر الضحاك فأخبره بقتله ، فأرسل مروان من طلبه في القتلى فوجده وبوجهه ضربات فاحتزّ رأسه وأتى به مروان .

قالوا : فقال الخيبري لشيبان : يا أبا الذلفاء ولّني قتال القوم ، فإذا قُتلت فالمسلمون على رأيهم . قال : نعم . فلم يقاتلهم ثلاثة أيام ، وخرج في اليوم الرابع فحضّ الناس ثم لقيهم وعلى ميمنة مروان ابنه عبد الله ، وعلى ميسرته إسحاق بن مسلم ، فانهزم يومئذ مروان وضربه رجل ضربة قطعت حمائل سيفه ، وضربه مروان فقطع يده .

ويقال إنه قاتله في صبيحة الليلة التي قتل فيها الضحاك وكان يرتجز :

إن تـكُ مروانُ فإني الخيبري أضرب بالسيف على حكْم النبيّ
سابغة درعي حصين مغفري[1]

وهاجت ضبابة شديدة فلم يبصر بعضهم بعضاً ، ودخل الخيبري عسكر مروان ، وانجلت الضبابة وليس مروان في العسكر ، وظن الخيبري أن مروان قد قتل ، واعترض العسكر جماعة من أصحابه فقاتل ومعه أبو كيلة وهو يقول :

قد فَرَّ مروان عن الرفـاقْ نجّاه منـا أعـوجـيّ بـاقْ
يظلّ يُمْرِيهِ بعظم الساقْ[2]

ونادى سليمان بن مسروح البربري مولى محمد بن مروان ـ وكان في حرس مروان ـ: كل عبد جاءنا فهو حرّ . فاجتمع إليه من العبيد والموالي وغيرهم خلق ، فقتل الخيبري ، دخلوا عليه وهو على فرش مروان فضربوه بالعمد .

وبُشّر مروان بمقتله ، وخرج مروان إلى الناس . وبايعت الخوارج يعقوب التغلبي فقتل ، فبايعوا مسكين اليشكري فقتل ، فبايعوا شيبان ، ويقال إنهم بايعوا شيبان حين قتل الضحاك فكان شيبان الذي ولّى الخيبري القتال .

وقال الشاعر في قتل الضحاك والخيبري ويعقوب :

هُـم ضربوا الجنود بِكَفْرِ تُوثا وهُمْ نزلوا وقد كُرِهَ الزُّحامُ
سقى بلداً تَضَمَّنَ خيـبريـاً ومسكينـاً ويعقـوب الغمـامُ

---

١ ديوان شعر الخوارج ص ٢٢٣ .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٢٣ .

هُمْ ضَربوا على فرع المنايا ولم يُفزِعْهُمُ الجيشُ اللهامُ(١)

وكان عبد الله بن عمر وجّه أبا الرمح بن عمر ، فأخبره الخبر . وقالت امرأة من الخوارج ترثي أخاها :

مَنْ لِعَينٍ رَيًّا مِن الدمع عَبْرَى ولنفسٍ من المصائب حَرَّى
أفسدتْ عيشنا صروف الليالي ووقاع من الكتائب تَتْرَى
كلما سُكِّنَتْ حـرارةُ وَجْدٍ مِن فقيدٍ منا شُجِينا بأُخرى

في أبيات . وقالت أيضاً :

يا عين جودي بالدموع وابكي بجهد المستطيع
يا موتُ ويحكَ ما تَـزَا لُ مفرقاً بين الجميع(٢)
أبكي وما يُغْني التلهّـ ـفُ والبكاءُ عن الجَزُوع

وقال حبيب بن خَذْرَة مولى بني هلال وقد صار بعد منهم .

إبكي الذين تبوأوا الغُرَفَ الـ ـعُلَى فَجَرَتْ لهم مِن تحتها الأنهارُ
أبكي لنفسي لالَهُمْ أبكيـ ـهُمَ لاْصَبْرَ حيث تَعارفُ الأبرارَ(٣)

في أبيات وقد قيل فيهم شعر كثير .

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٣٦ ، وكفرتوثا قرية كبيرة من أعمال الجزيرة بين دارا ورأس عين .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٢٥ .
٣ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٣٠ .

أمر شيبان بن سَلَمَةَ الأكبر الشيباني

قال أبو الحسن المدائني وغيره : لما قُتل الخيبري غادىٰ شيبان أهل الشام فقاتلهم حتى انتصف النهار ، ثم رجع بعضهم عن بعض فافترق الخوارج ، فأتتْ فرقة منهم الجزيرة ، وفرقة العراق ، وأقام الباقون مع شيبان فقاتلهم مروان فانتصفوا ، ثم تحاجزوا ، فارتحل شيبان إلى الزابين ، وسليمان بن هشام معه ، فخندق شيبان وأتاهم مروان فخندق فقاتلهم عشرة أشهر ، ويقال تسعة أشهر ، ومروان في ثلاثين ألفاً ، وشيبان في خمسة آلاف فأوسعهم شراً وهزموا مروان في تلك الأشهر نيفاً وسبعين مرة ، وظفر يزيد بن عمر بن هبيرة بالجون بن كلاب بواسط لما توجه من نهر سعيد والياً على العراق ، وكان الجون بن كلاب الشيباني ـ وهو الثبت ، بعضهم يقول ابن النعمان ـ نازلاً بالسن[1] رتبه الضحَّاك بها ليمده بالطعام والعلف ، فكتب مروان إلى ابن هبيرة يستمده وهو بواسط فأمده بعبيدالله بن العباس بن يزيد الكندي في أربعة آلاف ، ثم بعامر بن ضبارة في ستة آلاف ، فأخذ عبيدالله بن العباس في شرقي دجلة فوجه إليه شيبان ابن السحاج الأزدي

١ ـ السن مدينة على دجلة فوق تكريت . معجم البلدان .

فواقعه فانهزم عبيدالله ورجع إلى ابن هبيرة ، فضم أصحابه إلى عامر بن ضبارة فأتى ضبارة السن فقاتله الجون بن كلاب الشيباني ، وخندق ابن ضبارة وقاتل الجون شهراً وجعل الخوارج يرتجزون :

نحن الشراة لا شراة غزّة ولا شراة الكوفة المبتزّة

غزة بعين التمر . ويقولون :

نحن بنو شيبان أهل الجنّة نقتلكم على هدىً لا ظِنّه

وأمد مروان ابن ضبارة بمصعب بن الصحصح في ألفين ، فقتل الجون ، وقدم فَلّه على شيبان ، وقوي مروان ، وقطع ابن ضبارة عن شيبان المادة من العراق ، وقطع مروان عنهم مادة الشام فضاق الخوارج حتى صار الرغيف في عسكرهم بدرهم .

وخاف شيبان أن يأتيه ابن ضبارة من خلفه فحضّ مروان أصحابه وخرج إليهم في يوم أربعاء فواقعهم ، ثم أجمع على أن يغاديهم في يوم الخميس ، وكان مع مروان رجل يرى رأي الخوارج ، فكتب إلى شيبان إن القوم مصبحوك فاحذر واستعد ، ففعل .

وزحف إليهم مروان في كراديس فشدوا على الحسن بن منصور اليشكري ، وهو في ميمنة شيبان ، أو في ميسرته فأزالوه ، وقوّاه شيبان بمدد فرجع إلى موقعه ، وكشفت الخوارج خيل مروان وداست رجالته ، وأكثر الخوارج فيهم القتل وصاروا إلى قصر مروان الذي في خندقه ، فقال حبيب بن خدرة :

فلَمْ أَنْسَهُمْ يوم الخميس وكَرَّهُمْ عليه ويوم القصر إذ حُرِسَ القَصْرُ
ودفعُهُمُ الجعديّ إذ يطردونه وأدركه التحكيم والقضبُ السُّمْرُ

في أبيات .

وقال سليمان بن هشام ، ويقال بل نُحِلَهَا :

وسرتُ مع الضحاك لما تخاذلتْ معاشر أهل الشام شر المعاشر
جزىٰ الله عنا الحيّ بكر بن وائل وتغلب خيراً من محام وناصر
هم صبروا يوم الخميس وقد شفوا غليل النفوس من سليم وعامر
غداة غدا مروان في عارض له تحرد علينا حَرد أبلج قادر
سمونا له منا بجمع معاودٍ قراع الأعادي واقتصاص العساكر
وفـرَّ وفرَّتْ خيله مُبـذعـرَّةً وطار به قلب له غير صابر

وقال كهمس بن عثمان الرفاعي من بني يشكر لشيبان :

وليت المسلمـين بكَفْر تـوثا علىٰ حالٍ يزلّ به القيام[1]

في أبيات . وقال رجل من الخوارج :

قد علمتْ خيلُك يا بن الصحصحْ بـالـزابيـينِ والعيـون تلمَـحْ
إنا إذا صيح بنا لا نبرحْ إن الحديد بـالحديـد يُفلحْ
لن نبرح الموصل حتى تُفتحْ[2]

وقتل الحباب بن عمير بن الحباب ، وقتل شقيق الغنوي فقال بعض الخوارج :

قد علمتْ خيلك يا شقيق أنك من سُكرك لا تُفيق[3]

وقتل على لواء مروان سبعة عشر رجلاً ، وقال شيبان : قد ترون

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٤١ .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٤٣ .
٣ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٤٤ .

ما نحن فيه من الضيق وقد رأيت أن نأتي بلداً يتسع لكم به المعاش ، فمن أراد الجهاد فليمض معي ، فصبر معه قوم وتفرقت جماعة من الأعراب فلحقوا بأهاليهم ، فأتى آذربيجان في أهل البصائر ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك ، والمَعَمَّر بن شعبة ، وكان ذا بصيرة فيهم ، وانصرف مروان عن الموصل وولاها عثمان بن عبد الأعلىٰ بن سراقة الأزدي ، وهو الثبت ، ويقال زهير بن الأصم .

وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يعلمه خبر الخوارج ، وأن طريقهم عليه ، ويأمره بطلبهم وتوجيه الجنود إليهم .

قالوا : ووجّه مروان لطلب شيبان أبو سلمة مصعب بن الصحصح الأسدي في ألف ، وشقيقاً السلمي في ألف ، وصالح بن حبيب في ألف ، وعطيف بن بشر السلمي في ألف ، وعليهم جميعاً عبدالله بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ، ووجه ابن هبيرة إليهم خيلاً .

وأتى شيبان العراق منصرفاًمن آذربيجان فنزل المدائن ، فقال له المعمّر بن شعبة : حتى متى هذا الروغان ؟ فقال شيبان : إن في مطاولتهم غيظاً لهم ووهَناً عليهم ، وخالف المعمر في بعض الأحكام ففارقه وصار مع المعمر عامة أصحاب شيبان . وقال المعمر :

رأيتُ اليشكري بنا فَـروراً فرار العَوْدِ لَجَّ به النداد[1]

وأتى شيبان الأهواز ومعه سليمان بن هشام ومنصور بن جمهور ، ثم أتى فارس ومنصور معه فكانا مع عبدالله بن معاوية ، وندم المعمّر على فراق شيبان ، وقال لأصحابه : قد وليته فتولوه فقد صدق ما كان قال .

١ ـ العود : الجمل المسن ، والنداد : الهرب . ديوان شعر الخوارج ص ٢٤٢ .

ولقي المعمر عامر بن ضبارة فقاتله ، فأصابت معمراً جراحات مات منها ، وتفرق أصحاب ابن معاوية عنه ، فمضى إلى هراة ، ومضى سليمان إلى عُمان، ومنصور بن جمهور إلى السند، وتوجه شيبان إلى جزيرة ابن كاوان[1] فأقام بها حتى قدم عليه المسيح بن الحواري من قبل أبي العباس فقاتله فانهزم أصحاب المسيح والمسيح ، وأتى شيبان عُمان فكره الجُلَنْدَي بن مسعود قدومه وقال : تركت مُهَاجر الضحاك وجئت إلينا ؟ فقال : يا أهل عُمان ما تكرهون مني ؟ أما والله لئن ركبتُ المزنوق وشددتُ عليكم لأكثرنّ فيكم القتل ، فنافره الجلندي فقاتلهم حتى قتل .

وكان يزيد بن سالم الجحدري قال له : هذا الليل فلا تقاتل . فأبى وقاتل ورُمِيَ ، وأمسكوا عن القتال فوُجد ميتاً . وقيل طعنه رجل في عينه ، ثم جاءه سهم فمات في موضعه ، واحتزّ رأسه رجل فنظر إليه يزيد بن سالم فقال : ثكلتك أمك ، أتدري أيّ رأس تحتزّ ؟

وكان سليمان بن هشام قد تزوج ابنة شيبان فلما قتل شيبان رجع سليمان إلى البصرة ، ثم تزوج امرأة بالكوفة واستؤمن له أبو العباس فأمنه ، ثم أنه قتل بعد ذلك .

المدائني قال : قال بشر بن محدوج : قد متُ من عُمان وشيبان بجزيرة ابن كاوان ، فأُخذت فأُتي بي شيبان فإذا رجل أهتم طويل على رأسه رجل يُظِلّه ، ثم قال : ما فعل الشيخ الأزدي ؟ - يعني الجُلَنْدى بن مسعود - قلت : على ما تحبّ في سمعه وطاعته . فتبسّم ثم قال : لئن بقيت له لأُلْقِيَنَّهُ بفتيةٍ يقولون اللهم لا ترجعنا إلى أهلينا .

١ - ويقال لها جزيرة بني كان ، وجزيرة لافت ، بين عُمان والبحرين . معجم البلدان .

خبر يزيد بن عمر بن هبيرة والخوارج حين قدم العراق

قال أبو الحسن المدائني وغيره : كان الضحاك ولى الكوفة سَعْدَاً الخصي ، وإنما قيل له الخصي لأنه كان أَثَطّ[1] وهو من الأزد ثم عزله وولىٰ الكوفة المثنىٰ بن عمران العائذي من قريش وكان خارجياً .

ووجه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة في ستين ألفاً وأمره أن ينزل نهر سعيد ، ثم إنه أمره بإتيان العراق وولاه إياه .

وبلغ الضحاك ذلك فوجه الضحاك عبيدة بن سوار إلى الكوفة والياً عليها ومعه منصور بن جمهور وغيره ، وقال قوم : وجهه إلى العراق بعد قتل الضحاك ، فبلغ عبيدة مسيره إلى العراق فسرح إليه المثنى بن عمران ومنصور بن جمهور ومطاعن بن مطيع الأزدي وجحشنة العجلي ، فقاتلوه بالأنبار وعليهم منصور بن جمهور ، فهزمهم ابن هبيرة ، وقتل المثنىٰ بن عمران ، وقال قوم : لم يقاتلهم بالأنبار ولكنه نزل الأنبار ، ثم مضى إلى عين التمر فعارضه منصور ، فالتقوا فقتل المثنىٰ وانهزم منصور وأصحابه فدخلوا

١ـ الأثط : القليل شعر اللحية والحاجبين . القاموس .

الكوفة ، فجمع منصور جمعاً من اليمانية ، ثم خرج إلى ابن هبيرة فالتقوا بالروحاء فقتل البرذون من مورق وانهزم منصور فدخل الكوفة ، ثم خرج من ليلته فأتى عبيدة بن سوار وهو بالبصرة وأقام ابن هبيرة أياماً ثم أقبل يريد الكوفة ، فلقيه نصر بن فراس عامل عبيدة فقُتل نصر ، قتله أبو عثمان صاحب ابن هبيرة وانهزم أصحاب نصر ، وظهر ابن هبيرة على الكوفة وأقام بالنخيلة أياماً فبلغه أن عبيدة يريد أن يسير إليه ، فشخص من النخيلة وولى الكوفة رجلاً ومضى يريد عبيدة ، ووجه عبيدة مطاعن بن مطيع ، فوجه إليه يزيد بن عمر بن هبيرة عطية التغلبي فالتقوا على قناطر السيب ، فقتل مطاعن وابنه مجاهد ، وقام بأمر عسكر مطاعن رجل يقال له شيبان بن عبد العزيز الصغير ، فقاتل عطية شهراً وأتاهم عبيدة ، واحتفر ابن هبيرة خندقاً بين عسكر عبيدة وشيبان هذا ، وأظهر أنه يتحول إليه فغلبه عبيدة وشيبان على ذلك الخندق فنزلاه ، وعقدا جسراً على الصراة .

وعزم ابن هبيرة على تبييتهم فلما صار إليهم وجدهم نياماً ، فكبّر أهل الشام فثار الخوارج إليهم وهم يحكّمون ، وجعل أهل الشام يحكّمون أيضاً . وقتل بعض الناس بعضاً ثم اقتتلوا أياماً فقال عبيدة لأصحابه : حتى متى نحن كذا قبّح الله العيش بعد مطاعن ، فقال له منصور : أذكرك الله في نفسك . فلم ينته وخرج هو وأصحابه ، وعقر أصحاب عبيدة دوابهم ولم يعقر عبيدة فرسه ثم اقتتلوا وعلى ميمنة ابن هبيرة ابنه داود بن يزيد ، على الميسرة نباتة بن حنظلة ، فلقي أهل الشام منهم شراً حتى كادوا يستعلون ، وعبيدة على تل قد وقف على فرس له .

وقال داود بن يزيد لنباتة : يا أبا المقدام تأخر لي قليلاً أحمل عليهم .

فقال له : يا بن أخي أن الرجوع بعد التقدم قبيح بمثلي ، فتقدم داود فحملوا عليه فولّىٰ ، فأرسل ابن هبيرة إلى خالد بن الغزيل : إضرب داود ثلاثة أسواط فقنعه ، ودنا نباتة من التل فانحدر عبيدة عن التل ونزل عن فرسه فغار الفرس ، فلما رأوا الفرس غائراً اضطرب الناس فقاتلوا قليلاً ثم جالوا فقتل عبيدة وقتل جحشنة العجلي ، وانهزم فَلّ الخوارج نحو الكوفة ، وهرب أبو طالب الحنفي نحو البصرة ، وقدم ابن هبيرة وهرب منصور بن جمهور فأتى المدائن فنزل على عون بن عتاب الجرمي ، فأودعه جارية له ، وأودع حميداً الأزرق مالاً ، وأقام بالمدائن حتى قدم شيبان الأصغر المدائن ، ثم رجع معه إلى فارس ، ثم أتى منصور السند فغلب عليها ، ثم هلك بها .

وقال غيلان :

لقد جلبتَ الخيل من مغارها ... من غُوطة الشام وأقصىٰ دارها
في لجب أرعن من جرارها ... لا يعرف البلق من اعتكارها
كـأنها الرايـات في أقمارهـا ... عقبانُ دَجْن الظل في أقطارها
حتى بعثت الخيل من مغارها ... إلى الصراة وإلىٰ أنبـارهـا
لشيخ شيبان وأصـل دارها ... ولصّها الداعي إلى بـوارها

في أبيات . وقال أيضاً :

يـا صاحبي ابشر بمـا مُنِّيتا ... مـن ملك لخـيره دُعـيتـا
تريد يـابن الأربعين صيتـا ... في بيت مجد تجمع الشّتيتا
سُمّيْتَ بـالزائـد إذ سُمّيتـا ... رآك مـروان إذ انتضـيتـا
أهـلاً لمـا وُلّيت إذ وُلّيتـا ... نقـاوة كنت لمـا انتقيتـا
أبليت إحسـانـا فـما نسيتـا ... إذ جئت بـالصراة مستميتا

جند ابن جمهور بهم أُغريتا إذا خَبَتْ نارهم حُميتا
حتى ثُنوا قسراً وما ثُنيتا يقول من مَرَّ به خُزيتا
إن كنت عطشاناً فقد رُويْتَا

وكان منصور وقع في الماء ثم أخرج وقال غيلان :

لما رأيت الملحدين أسرفوا وقادهم للحين دين أحنف
رميتهم بذي دهاء تزحف قواعد الأرض له وترجف
عَمْراً أصابوا والمثنى أتلفوا وأم كردوس نساها ينطف[1]
ويوم روحاء العذيب ذفَّفوا[2] على ابن موروق فأضحى ينزف
وهرب المجدول ركضاً يزحف

يعني منصور بن جمهور . وأم كردوس امرأة عبيدة .

وقال مسلم حاجب ابن هبيرة .

ألا هل أتى قيساً وخندف وقعنا بأكناف عين التمر في حمير الحربِ
قتلنا بها عمرو النفاق بكفره وأُبْنَا بأسرى من تنوخ ومن كلبِ
وبالجسر أردينا المثنى وجمعه على حنقٍ والخيل تجري على لجبِ
أَذَقْنَا ابنَ سوّارٍ عبيدة حتفه وألحقنَ منصوراً بمنقطع التُّرْبِ

وقال رجل من غَطَفان :

إذا لواء أبي عثمان صَبَّحَهُمْ ظنوا بأنّ المنايا تسبق القَدَرَا
لاقوا لدى الحرب آجالاً مُعَجَّلَةً وبالنخيلة ضرباً يجتلي القَصَرا[3]

---

١ ـ النسا : عرق من الورك إلى الكعب . ونطف الماء : سال . القاموس .
٢ ـ أي أجهزوا .
٣ ـ أي يزيل الأعناق .

أمر شيبان الصغير بن عبد العزيز

ومضى شيبان إلى فارس فسار إليه عامر بن ضبارة لكتاب يزيد بن عمر بن هبيرة إليه في محاربته ومواقعته بأقاصي فارس ، ثم صار شيبان إلى جيرفت من كرمان ففضّ عسكره ، فهرب شيبان إلى سجستان ، ثم صار من سجستان إلى خراسان ، فكتب إليه جُديع بن علي ـ ويقال ابن سعيد ـ الأزدي وسعيد أثبت ، وهو المعروف بابن الكرماني ، وقد خالف على نصر بن سيار وخلع مروان · «إنك ونحن خالعون لمروان ، فسر إليّ لنجتمع على محاربة أوليائه أولياء الشياطين» . فصار إليه فكانا يحاربان نصر بن سيار ، وأظهر أبو مسلم الميل إلى ابن الكرماني ، وبعث إلى نصر بن سيار وإلى ابن الكرماني وشيبان : «إني رجل أدعو إلى الرضا من آل محمد ، ولست أعرض لكم ، ولا أعين منكم أحداً على صاحبه» .

وقوي أمر أبي مسلم ، فوجه إلى ابن الكرماني ـ وقد كان آنسه حتى اغترّ به ـ من أتاه به فحبسه . وكان أبو مسلم قد وادع شيبان إلى مدة ، فوجّه إليه جيشاً فواقعوه فكشفوه ، فصار إلى ناحية أبيورد وأهلها أول من سَوَّد ،

فكتب أبو مسلم إليه أن بايع للرضا من آل محمد حتى لا أعرض لك ، فبعث إليه : بل بايعني أنت . فكتب أبو مسلم إلى بسام بن ابراهيم مولى بني ليث من كنانة وهو بأبيورد يأمره بمناهضته فناهضه وقتله وأصحابه إلّا عدّة يسيرة تفرقوا في البلاد ، ويقال : بل صاروا إلى نصر قبل هربه ثم تقطعوا .

أمر عمر بن سالم الشيباني

قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني وغيره : اعتقد عمر بن سالم بمسكن السواد وخرج إلى العامل بقطربلّ ، وهو الحجاج بن عمارة ، فهرب فاتبعه فأخذه فقتله رجل من أصحاب عمر يقال له شنْطيز ، ورجع عمر إلى مسكن فأقام شهرين ، فأتاه أهل الأنبار يشكون عاملهم علي بن عمر الأسدي ، وكان ابن هبيرة استعمله عليها فسار إليه ، فلما عاينه العامل رمى بنفسه وفرسه في الفرات فهرب .

ثم أتى عمر بن سالم كَرْخَ با دُوريا ، وعليها رجل يقال له مروان ، فقاتله فانهزم وتفرق أصحابه وقد قتل عمر منهم عشرين ، وأصاب عمر بالكرخ متاعاً فقسمه ، وأقام بالكرخ في مائة ، فبعث إليه ابن هبيرة أبا بكر الكلاعي في ألف فقاتله عمر بن سالم فقُطعت يد عمر ، فلم يزل ينزف حتى مات ، وقتل من أصحابه ثلاثون وانهزم الآخرون ، واحتُز رأس عمر وحُمل إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فأنفذه إلى مروان .

خبر عبدالله بن يحيى بن عمرو بن شرحبيل بن عمرو بن الأسود الكندي وعبدالله بن يحيى هو طالب الحق

أبو الحسن المدائني وغيره عن رجالهم قالوا : كان عبدالله بن يحيى الكندي ، أحد بني عمرو بن معاوية بحضرموت ، وكان مجتهداً عابداً ، وكان أعور ورأيه رأي الإباضية يقول : قومنا كفار نعمة وليسوا بكفار بالله ، نقاتلهم على بغيهم ولا نغنم لهم مالاً ، فرأى باليمن جوراً وعسفاً شديداً وسيرة في الناس قبيحة ، فقال لأصحابه : لا يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا احتماله والصبر عليه ، فكتب إلى أبي عبيدة مسلم كورين مولى بني تميم وإلى غيره من إباضية البصرة يشاورهم في الخروج فكتبوا إليه : إن استطعتَ ألا تقيم يوماً واحداً فافعل ، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل فإنك لا تدري متى يبلغ أجلك ، ولله خيرة من عباده يبتعثهم إذا شاء لنصر دينه ، ويخصّهم بالشهادة إكراماً لهم بها .

وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف بن عبدالله بن مازن بن مجاشر أحد بني سَليمة ، وبلج بن عقبة ، وكان قبل ذلك في الشُّرط بالبصرة وهو حُذّاني في رجال من الإباضية وهم أصحاب عبدالله بن إباض التميمي ، فقدموا عليه حضرموت فحثّوه على الخروج ، وأتوه بكتب أصحابه فقال : إذا خرجتم فلا تَغُلّوا ولا تغدروا واقتدوا بسلفكم الصالحين ، وسيروا

سيرتهم ، فقد علمتم أنه إنما أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم .

فدعا أصحابه فبايعوه ، فأتى دار الإمارة بحضرموت ، وعلى حضرموت إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ، فأخذوه فحبسوه يوماً ، ثم أطلقوه فأتى صنعاء .

وأقام عبدالله بن يحيى بحضرموت ، وكثر جمعه ، وسمّوه طالب الحق ، ويقال بل هو سمّى نفسه . وكتب إلى من بصنعاء من أصحابه : إني قادم عليكم ، ثم استخلف على حضرموت عبدالله بن سعيد الحضرمي ، وتوجه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في ألفين .

وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر الثقفي ، وهو عامل مروان على صنعاء مسير عبد الله بن يحيى ، فاستخلف على صنعاء الضحاك بن زمل السَّكْسَكِي ، وخرج يريد ابن يحيى والإباضية ، فلقوه بلحج ، وهي قرية ، وكان القاسم في عدد كثير ، وعُدّة ظاهرة ، وسلاح شاك ، فقتل من أصحاب القاسم بشر كثير ، ومضى هو إلى صنعاء ، ثم خرج منها واستخلف عليها ابن زمل ، وأقبل عبدالله بن يحيى فنزل على ميلين من عسكر القاسم ، فوجه إليه القاسم يزيد بن الفيض الثقفي في ثلاثة آلاف من أهل الشام واليمن فكانت بينهم مشاولة ثم تحاجزوا ، ثم قاتلهم الصَّلْت بن يوسف فقتل في المعركة ، ثم قاتلهم يزيد بن الفيض ثم انهزم أهل صنعاء ، فأراد أبرهة بن شرحبيل بن الصباح اتباعهم فمنعه عبدالله بن يحيى ، ولحق يزيد بن الفيض بالقاسم فأخبره بقتل الصَّلْت فقال القاسم :

ألا ليت شعري هل أذودنَّ بالقنا — وبالهندوانيات قبل مماتي

وهل أُصْبِحَنّ الحارثين كلاهما — بطعن وضرب يقطع اللهواتِ

ودخل عبدالله بن يحيى صنعاء ، فأخذ الضحاك بن زمل ، وابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي فحبسهما ، ثم جمع الخزائن والأموال فأحرزها ، وأرسل إلى الضحاك وإبراهيم فأطلقهما ، وقال : إنما حبستكما مخافة عليكما من العامة ، وليس عليكما مكروه ، فأقيما أو اشخصا ، فخرجا .

ولما استولى عبدالله بن يحيى على بلاد اليمن خطب فقال : «الحمدلله المتحمّد بالآلاء ، المنّان بالنعماء ، ذي الأمر الغالب ، والدين الواصب ، أحمده في الضرّاء ، وأشكره في السرّاء ، واستعينه على احتجاجه علينا ، وأستهديه لما يرضيه ، وأؤمن به إسلاماً وإيماناً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى ونبيّه المرتضى ، أرسله بالحق على حين فترة من الرسل وكفر من الملل ، واختلاف من الدول ، والتباس من الحقّ ، وانسحاق من الصدق ، وظهور من الأعداء ، وبُعْدٍ من الألفة ، وأنزلَ عليه الكتاب ، وشرع له الشرائع ، وفرض له الفرائض ، فقام بأمر الله صادعاً بالحق ناطقاً به ، زاجراً عن الشبهات ، داعياً إلى النجاة ، مجاهداً للمعاندين ، رؤوفاً بالمؤمنين ، عزيزاً عليه عَنَتَهُم ، حبيباً إليه صلاحهم ، حتى كمل الإيمان ، وأُخسيء الشيطان ، وظهر النور ، وزهق الباطل ، وذل الكفر ، وانقطعت الأحقاد ، وسلمت الصدور ، فجمعهم بعد التفرق ، وأمنهم بعد الخوف ، فأصبحوا على نعمٍ مذكورة ، وكرامة مشهورة ، ودين مقبول ، وعلم محمول . ثم قبضه الله إليه فقيداً ، واختار له ما عنده حميداً ، صلى الله عليه وعلى ذكره السلام ، ورحمة الله وبركاته .

أيها الناس إنكم حُذِّرتم عظيماً ، وخُوِّفتم جسيماً ، لا تبلغه الصفات ، ولا تحيط به الأوهام ، العذاب الأليم جهنم ، وسعير ولظى والهاوية والحامية ، وسقر التي لا تبقي ولا تذر ، نسأل الله مولانا وليُّ الإحسان أن يجيرنا من عذابه الذي خوفنا، أيها الناس إنا نخيّركم بين ثلاث خصال أيّها شئتم فخذوا لأنفسكم ، رحم الله امرأً أخذ الخيار لنفسه : إما قال امرؤٌ بقولنا ، ودان بالدين الذي دِنًا فحملته نيّته على أن يجاهد معنا بنفسه ، فيكون له من الأجر ما لأفضلنا ، ومن قَسْم الفيء مالبعضنا ، أو قال هذا القول ثم أقام في داره ، فدعا الناس إليه بقلبه ولسانه فَعَلَهُ ، إلّا يكون ذلك أخسّ منازله ، أو كرهَنَا فليخرج بأمان إلى ماله وأهله ، ويكُفّ عنا يده ولسانه ، فإن ظفرنا لم يكن عَرَضَ لنا نفسه ، ولم يحملنا على سفك دمه ، وإن قُتِلْنا كان قد كُفِيَ مؤونتنا ، وعسى ألا يُعَمّر بعدنا إلا قليلاً .

ندعو : إلى الله ، وإلى كتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، ونجيب من دعا إليها ، الإسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا ، رضينا بالحلال حلالاً لا نبغي به بدلاً ، ولا نشتري به ثمناً ، ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى وعليه المعَوّل .

ندعو : إلى فرائض بيّنات محكمات ، وآثارٍ مقتدى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد ، عدلٌ فيما حكم .

ندعو : الى توحيد الرب ، واليقين بالوعيد ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله ، وإن من رحمة الله أنْ جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى ويصبرون على الألم في حب الله ، يُقتلون في سالف الدهر فما نسيهم ربّهم

﴿وما كان ربك نَسِيًّا[1]﴾ ، أوصيكم بتقوى الله وحُسْن القيام على ما وكلكم بالقيام به ، قابلوا الله حسناً في أمره وزجْره» .

وأقام عبدالله بن يحيىٰ بصنعاء أشهراً حسنَ السّيرة ، لينّ الجانب كافّاً عن الناس ، فكثر جمعه ، وأتوه من كل وجه ، فلما كان في وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف السّلَمي ، وبَلْج بن عقبة الأزدي ، وأبرهة بن الصباح الحميري إلى مكة في تسعمائة ، ويقال في ألف ومائة وأمره إذا صدر الناس أن يقيم بمكة ، ويوجه بلجاً إلىٰ الشام . فأقبل المختار إلى مكة فقدمها يوم التروية وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وأمه ابنة عبدالله بن خالد بن أسيد ، فكره قتالهم ، فقال لعبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب : إني لا آمن أن تفسد هذه العصابة علىٰ الناس أمرهم ، فلا يتم للناس في عامهم هذا حج فلو لقيتهم فسألتهم أن يكفّوا حتى ينقضي الموسم وأخرج لهم عن مكة ، فأتاهم عبدالله بن الحسن في رهط معه ، فقال لأبي حمزة : أيها الرجل إنك أتيت بلداً حراماً في يومٍ عظيمة حرمته فأُمَّ أصحابك ، ويَؤُمُّ الوالي أصحابه ، فإذا أفاض الناس وقضوا مناسكهم رأيت رأيك في الحرب وخرج عنك . فأجابه إلى ذلك ، فصلىٰ عبد الواحد ووقف بالجماعة ، وصلىٰ أبو حمزة بأصحابه ووقف بهم ، ولم يعرض لأحد حتى صدر الناس ، وخَرج عبد الواحد بن سليمان إلىٰ المدينة فقال مولى لعثمان بن عفان ـ ويقال قاله موسىٰ شهوات ـ يعيب عبد الواحد لتركه البلاد وخروجه عنها :

جاء الذين يخالفون بدينهم دين الإله ففر عبد الواحد

١ ـ سورة مريم ـ الآية : ٦٤ .

ترك القتال وما به من علة   إلّا الوهون وعرقه من خالد

وكان النبي ﷺ دعا على آل خالد بن أسيد أن يُلْزَمَهم العجز ويحرمهم النصر.

لـو أن والـده تخـيّر أمـه   لَصَفَتْ مضاربُه لعرقٍ صاعد

وقال بعضهم أن هذا الشعر لابنة عمر بن عبد العزيز .

وقال عبد الحميد بن يحيى بن فالح بن عباس بن مرداس السُّلَمي :

طوىٰ الخيل طي العصب حتى إذا انطوت   أياطل منها وهي وارٍ فصيدها

فشدَّ على أهل الحِصاب وكاثروا   ببطن منىً والبُدْنُ صرعى خدودها

في أبيات .

وأقام أبو حمزة بمكة ، ووجه رجلاً إلى الطائف ، فخرج أهل الطائف عن القرية والحصن ، فقال عامل الطائف : يا أهل الطائف أين رجالكم ؟ فقال له أبو وهية مولى بني علاج : أصلحك الله رجالنا غَيَب ونحن مغيبات فاحفظنا فيهم ، فأمنهم وقال : هم آمنون . فرجعوا إلى الطائف .

ونادىٰ منادي أبي حمزة أربعة أيام ، في كل يوم : الناس آمنون إلا من حاربنا . ولم يزل مقيماً حتى خرج إلى قُديد .

ولما أخذ أبو حمزة مكة صعد المنبر متوكئاً على قوس عربية فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان لا يُقْدم ولا يُحجم إلا بأمر الله ووحيه ، أنزل عليه كتابه وبيّن له ما يأتي وما يتّقي فيه ، فلم يكن في شيء من دينه شبهةً حتى قبضه الله إليه ، وقد علّم المسلمين معالم دينه ، وولىٰ أبا بكر صلاتهم وهي عماد دينهم ، فولاه المسلمون أمر دنياهم فقاتل أهل الردّة ، وعمل بالكتاب والسنة حاسراً عن ذراعيه حتى قبضه الله إليه رحمة الله عليه .

وولي عمر بعده ، فسار سيرة من كان قبله ، وجبىٰ الفيء ، وأعطىٰ الأعطية ، ومصّر الأمصار ، ودوّن الدواوين ، وجمع الناس على قيام شهر رمضان ، وجلد في الخمر ثمانين ، وغزا العدو في ديارهم ، ثم مضى لسبيله على منهاج صاحبه ، وقد جعلها شورى ، فرحمة الله عليه .

ثم ولي عثمان فسار دون سيرة صاحبيه ست سنين ، ثم أحبط فيما مضى له ومضى لسبيله .

ثم ولي علي بن أبي طالب ، فكان على سداد ، حتى حكّم في كتاب الله ، وشكّ في دينه فلم يبلغ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مناراً .

ثم ولي معاوية لعين رسول الله ﷺ وابن لعينه[1] ، فاتخذ عباد الله خَوَلًا ، ومال الله دُوَلًا ، ودينه دَغَلًا ، ثم مضى لسبيله ناكباً عن الحق ، مداهناً في الدين .

ثم ولي يزيد ابنه فصيص لعنة رسول الله ﷺ ، وفاسق في بطنه وفرجه ، فمضى على منهج أبيه ، لا يعرف معروفاً ولا يُنكر منكراً .

ثم ولي مروان وبنو مروان ، فسفكوا الدم الحرام ، وأكلوا المال الحرام ، فأما عبد الملك فجعل الحجاج له إماماً وإلى النار قائداً . وأما الوليد فسفيه أحمق منهوك في الضلال يخبطها عشواء مظلمة . وسليمان وما سليمان همه بطنه وفرجه فالعنوهم لعنهم الله ، إلا أنه قد كان منهم عمر بن عبد العزيز هَمّ فلم يفعل وقصرّ عما همّ به .

ثم ولي بعده يزيد بن عبد الملك فاسق لم يؤنس منه رشد ، وقال الله في

---

١ ـ بهامش الأصل : استغفر الله من سب الصحابة ، بل رضي الله عنهم .

اليتامىٰ : ﴿فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾[١] فأمر أمة محمد أعظم من مال اليتيم ، مأبون في بطنه وفرجه ، حيك له بردان فارتدىٰ بأحدهما واتزر بالآخر ، ثم أقعد حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ، وقال : يا حبابة غنيني ، ويا سلامة اسقيني حتى ثمل سكراً ، وأخذت الخمر مأخذها منه شق ثوبيه ، وقد اتخذا بألف دينار بعد أن ضُربت فيهما الأبشار ، وحُلقت الأشعار ، وهُتكت الأستار ، وأُخذ ما أنفق عليهما من غير حِلّه ، ووُضع في غير حقه ، ثم التفت إلى إحداهما فقال : ألا أطير . بلىٰ ، فَطِرْ إلى النار ، أفكهذا صفة خلفاء الله ؟!

وقد حضرت كتاباً كتبه إليكم هشام في حَطْمَةٍ[٢] كانت ، أرضاكم به وأسخط ربه ذكر فيه أنه قد ترك لكم صدقاتكم فزادت الغنيّ غنىً والفقير فقراً ، فقلتم جزاه الله خيراً ، بل لا جزاه الله إلا شراً ، فلقد كان بخيلاً بماله سخياً بدينه ، فهؤلاء بنو أمية ، فرق الضلالة ، بطشهم بطش جبرية يأخذون بالظنّ ، ويحكمون بالهوىٰ ، ويقتلون علىٰ الغضب ، ويقضون بالشفاعة ، ويأخذون الصدقة من غير موضعها . ويجعلونها في غير أهلها ، وقد بيّن الله أصنافها الثمانية[٣] ، فجاء صنف تاسع ليس له منها شيء ، فأخذها كلها ، فهي الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله ، وأما هذه الشيع فشيع جهلت كتاب الله ، وأعظمت الفريّة على الله ، لم يقاربوا الناس بعمل بالغ

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٦ .
٢ ـ الحطمة : السنة الشديدة . القاموس .
٣ ـ انظر قوله تعالى في سورة التوبة ـ الآية : ٦ : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ .

في الدين ، ولا ببصر نافذ في القرآن ، ينكرون المعصية على من عملها ، ويرتكبون أعظم منها ، يبصرون الفتنة ولا يعرفون المخرج منها ، يؤملون الدُول فيها بعد الموت ، ويؤمنون ببعث إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، جُفاة عن الدين أتباع كهان ، قلدوا دينهم من لم ينظر لهم ﴿قاتلهم الله أنّىٰ يؤفكون﴾[1] .

يا أهل مكة إنكم تعيّروني بأصحابي وتزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً ، أما إني عالم بتتابعكم فيما يضركم في معادكم ، ولولا اشتغالي بغيركم ما تركت الأخذ فوق أيديكم ، نعم شباب متكهلون في شبابهم ، غيبة عن الشر أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجلهم ، قد نظر الله إليهم في حنادس الليل منثنية أصلابهم بمثاني القرآن ، إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً ، وإذا مرّ بآية فيها ذكر النار شهق شهقة حتى كأن زفير جهنم في أذنيه ، قد وصلوا كلالهم بكلالهم كلال ليلهم بكلال نهارهم ، قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم ، مصفّرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم ، أنضاء عبادة مستقلّون لذلك في الله ، موفون بعهده ومتنجزون لوعده ، إذا رأوا سهام العدو وقد فُوِّقَتْ ورماحهم قد أُشرعت وسيوفهم وقد انتُضيتْ ، وبَرَقتْ الكتيبة ، ورعدت بصواعق الموت ، استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، فمضىٰ الشاب منهم قدماً حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه ، وقد زملت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر جبينه بالثرىٰ ، وأسرعت إليه سباع الأرض ، فكم من عينٍ في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من كف بائنة طالما اعتمد عليها

١ ـ سورة التوبة ـ الآية : ٣٠ .

صاحبها في سجوده في جوف الليل لله ، وكم من خدّ رقيق وجبين عتيق قد فُلق بعُمُد الحديد ، رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحها الجنان» .

ـ وقعة قديد :

قالوا : وكتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من خروجه عن مكة ويخبر أن الناس خذلوه ، ويقال بل خرج إلى مروان بن محمد فشافهه بهذا ، فكتب مروان إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة يأمره أن يوجه جيشاً إلى مكة ، فوجه ثمانية آلاف من قريش والأنصار وغيرهم من التجار ، واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وامه ابنة عبدالله بن خالد بن أسيد ، فخرجوا في المصبّغات ومعهم الملاهي لا يكترثون بالخوارج ، ولا يرون إلا أنهم في أكفهم .

وسقط لواء عبد العزيز حين خرج من المدينة فتطير الناس وغمَّهم ذلك فقال رجل من قريش : لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هذه المارقة ، أما والله لئن ظفرنا لنَسْبِيَنَّ أهل الطائف . من يشتري مني سَبْيَ أهل الطائف ؟

فلما التقوا بقديد ، حين التقوا ، وانهزم أهل المدينة قال لخادمته : غاق باق ـ يريد أغلقي الباب دهشاً وذلك بعد أربعة أيام يرى أنهم خلفه ـ فلما كان أهل المدينة بذي الحليفة عرضهم عبد العزيز ، فمر به أمية بن عنبسة بن سعيد بن العاص فرحّب به وضحك في وجهه ، ومَرَّ به حمزة بن مصعب بن الزبير فلم يكلمه ولم يلتفت إليه ، فقال له عمران بن عبدالله بن مطيع : سبحان الله ، مَرّ بك شيخ من شيوخ قريش فلم تلتفت إليه ، ومَرَّ بك غلام

من بني أمية فضحكت إليه وألطفته ؟ أما والله لئن التقى الجمعان لتعلمنّ أيهما أصبر .

فلما التقوا وانهزم الناس قال أمية بن عنبسة لغلامه : يا مُجنِب أُدْنِ مني فرسي فلعمري لئن أجررتُ نفسي بسبب هؤلاء الأكلب إني لعاجز ، وركب فرسه فمضىٰ ، وصبر حمزة حتى قتل .

قال الهيثم : وشد رجل من الخوارج فجعل يقاتل وهو يقول :

وخارج أخرجه حب الطمعْ فرّ من الموت وفي الموت وقعْ

من كان ينوي أهله فلا رجع

قالوا : وبلغ أبا حمزة المختار بن عوف إقبال أهل المدينة إليه ، فاستخلف على مكة أبرهة بن شرحبيل بن الصباح الحميري ، وسار إليهم وعلى مقدمته بلج بن عقبة ، وصار بإزائهم ، وهو بقديد ، فقال لأصحابه : إنكم لاقون قوماً أميرهم عثمان بن عفان أول من خالف سيرة الخلفاء ، وبدّل السنّة ، قد بين الصبح لذي عينين ، فأكثروا ذكر الله وتلاوة القرآن .

وصَبَّحَهم غداة الخميس لسبع ـ أو تسع ـ بقين من صفر سنة ثلاثين ومائة ، فقال عبد العزيز لغلامه : ابغنا علفاً . قال : هو غالٍ . قال : ويحكَ البواكي علينا غداً أغلى .

وأرسل المختار إليهم بلج بن عقبة ليدعوهم ، فأتاهم في ثلاثين راكباً ، فذكّرهم الله ، وسألهم أن يكفوا أيديهم عنهم حتى يسيروا إلى مروان وقال : خلّو سربنا لنلقىٰ مَنْ ظلمكم وجار في الحكم عليكم ولا تجعلوا حدَّنا بكم ، فإنا لا نريد قتالكم ، فشتمهم أهل المدينة وقالوا : نخليكم وندعكم تفسدون في الأرض ، فقالت الخوارج : يا أعداء الله ، ونحن نفسد في الأرض ؟ وإنما خرجنا لنكفّ الفساد ، ونقاتل من استأثر بالفيء عليكم

فانظروا لأنفسكم واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة ، فإنه لا طاعة لمن عصىٰ الله ، وادخلوا في السلم وعاونوا أهل الحق .

فقال عبد الرزاق[1] : ما تقول في عثمان ؟ قال : قد برىء المسلمون منه قبلي وأنا متّبع آثارهم ومقتدٍ بهم وبهديهم ، فقال عبد العزيز : فارجع إلى أصحابك فليس بيننا إلا السيف فرجع إلى أبي حمزة فأخبره فقال : كفّوا عنهم حتىٰ يبدأوكم بالقتال .

ورمى رجل بسهم في عسكر أبي حمزة فأصاب رجلاً ، فقال أبو حمزة : شأنكم فقد حلّ قتالهم ، فحملوا عليهم ولافّ بعضهم بعضاً ساعة ثم انكشف أهل المدينة فلم يتبعوهم ، فكرّوا ناقتتلوا قليلاً ثم هزمهم أبو حمزة .

وقال رجل من الأنصار من بني زريق : الحمدلله الذي أذلّ قريشاً . وإلىٰ جنبه عمارة بن حمزة بن مصعب ، فضربه عمارة فقتله .

وكانت راية قريش مع ابراهيم بن عبدالله بن مطيع ، وقتل من أهل المدينة من الأنصار ثمانون ، ومن قريش ثلاثمائة ويقال أربعمائة وخمسون ، ومن القبائل والموالي ألف وسبعمائة . ويقال كان القتلىٰ أربعة آلاف .

وعرض أبو حمزة من أُسر في المعركة فمن كان قرشياً قتله ، ومن كان أنصارياً خلّوا سبيله ، وأتوه بمحمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وهو أخو عبد العزيز ، فقال : أنا أنصاري ، وشهد له قوم من الأنصار ، فقال رجل من اليمانية : والله ما هذا بَدَنُ أنصاري ، وما هو إلّا بدن قرشي .

وقتل من آل الزبير جماعة ، وهرب أمية بن عبد الله بن عمرو بن

١ ـ كذا بالأصل وأرجح أنها تصحيف «عبد العزيز» .

عثمان ، وهرب عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أمير القوم ، ومضى بلج إلى المدينة ، فدخلوا جميعاً في طاعته وبايعوه ، فكف عنهم ورجع أبو حمزة إلى مكة .

وخاصم بنو زُريق آل الزبير في صاحبهم الذي قتله عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير فقال لهم آل الزبير : إن حمزة قد قتل في المعركة ففيم الكلام ، ولم يبق بيت في المدينة إلا وفيه مصيبة ، فكانوا يقولون : لعن الله السراقي ولعن بلجاً العراقي فإنهما أهل شقاق، وضلال ونفاق. والسراقي أبو بكر محمد بن عبد الله بن عمرو ، من آل سراقة بن المعتمر بن أنس بن أذاه بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب من بني عدي بن كعب ، كان مع بلج بن عقبة ، وكان السراقي على شرطة حمزة .

وقال ابن الكلبي : كان مع طالب الحق أبو بكر الأشل بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مؤمل بن حبيب بن تميم بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ، وإنما قيل السراقي لأن سراقة كان شريراً . قال النبي ﷺ فيه : «أشد الناس عذاباً كل جعّار نَعّار صخّاب في الأسواق مثل سراقة بن المعتمر»[1] ، ويقال إن اسم السراقي أيوب بن محمد ويكنى أبا بكر ، ويقال إنه أيوب بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن سراقة بن المعتمر .

وقالت نائحة تبكيهم :

ما للـزمـان ومـالِيَـهْ ... أفنى قـديـد رجـاليَـهْ
فـلأبـكيـنّ سـريـرةً ... ولأبـكيـنّ عـلانـيـهْ

١ ـ ترجم له ابن حجر بالاصابة وروي هذا الحديث عن البلاذري .

و لأبكيـــنّ إذا خـــلـــــو ت مـع الكـلاب العـاويـــهْ
و لأثنيــنّ عـلـى قـــد يـد بســـوء ما أبـلانيـــهْ

وقال بعضهم :

أصابوا على وادي قديدٍ مناسراً أتتها مناياها فَخَفَّتْ وفودها
جنائز صدْق لم تُصَبْ بجريرةٍ ولم تَنْتَقض بعد الرسول عهودها

وقال عمرو بن الحسن مولى من أهل الكوفة كان إباضياً :

وما بال همّك ليس عنك بعازب يمري سوابق دمعك المتساكبِ
وتبيت تكتلىء الهموم بمقلة عبرى تُسَرّ بكل نجم آيبِ
أخشى معاجلة المنون بداهةً لم أَقْض من دمع الشراة مآربي
فأقود فيهم للعدى شنج النَّسا مَحْضُ الشَّوى أَشرانَ ضَمّ الحالب[١]
متجدداً كالسّيد أخلص لونَه ماء الحشيك من الجلال اللاتب[٢]
أرمي به من جَمْع قومي معشراً بـوراً أُلي جـبريـة ومعـايب
فتجول نحن وهم وفيها بيننا كأس المنون تقول هل من شارب
فنظل نسقيهم ونشربُ من قَنَا سُمْرٍ ومرهفة الشفار قواضبِ
بينا كذلك نحن جالَتْ طعنةٌ نجلاء بين رهائبي وترائبي[٣]
جوفاء منهرة مَرَى تامورها[٤] ظُبَتا سنانٍ كالشهاب الثاقب

١ ـ شنج النسا: متقبض العرق ، يعني فرساً غير مترهل . عبل الشوى : ممتلىء الأطراف . أشران : شديد المراح .
٢ ـ السيد : الذئب . الحشيك : الحسيك . والجلال : الجل الذي يغطي به ظهر الفرس ، واللاتب : اللاصق .
٣ ـ الرهائب : عظام مشرفة على البطن ، والترائب : أعالي الصدر .
٤ ـ مري : استدر واستخرج . التامور : الدم .

يــا رب أوجبهـا ولا تتعلّقَنْ نفسي المنون لدى أكُفّ قرائبي
في فتيـة صـبر أَلَّفُهُمُ بهم لفّ القداح يد المفيض الضارب[1]

في أبيات :

وقعة وادى القُرى :

قالوا : وسار أبو حمزة إلى المدينة ، وولى مكة أبرهة بن شرحبيل بن الصباح ، وبلغ مروان خبر قديد فوجه عبد الملك بن محمد بن عطية ، أحد بني سعد بن بكر في أربعة آلاف وفيهم فرسان أهل الشام، منهم رومي بن ماعز القيسي ، ومنهم من أهل الجزيرة ألف اشترطوا على مروان فقالوا : إذا قتلنا الأعور قفلنا إلى الجزيرة ، فقال الشاعر :

فلما أتى مروان بالصدق عنهم رصينٌ من الأخبار لا يستزيدها
دعا أين من يحمي المساجد فاعترت مصاليت من قيس كرام جدودها
يداوون داءً أو يفيئون مغنـماً ومجداً عليها حين تَنْدَى لُبُودها

وسار عبد الملك وأصحابه مسرعين فَحَدَا حاديهم :

حَـرّمَ مروانُ عليهنّ النـوم إلا قليــلًا وعليـهنّ الـقــوم
حتى تَبين أو يقلن بالدَّوم[2]

وهاب الناس عبد الملك وأصحابه فتفرقوا في المياه، فلما أتى بلاد خثعم هربوا ومعهم غلام من كنانة ، فلما أمنوا قالوا : من يغنّينا ويسوق بنا ؟. قال الكناني : أنا . فنزل فساق وهو يقول :

---

١ ـ القداح : السهام والمفيض : الذي يدفع السهام ويرمي بها . ديوان شعر الخوارج ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ مع فوارق .

٢ ـ الدوم : الظل الدائم . معجم البلدان .

ألا إنني بالٍ على جمل بال   يقود بنا بال ويحدو بنا بال

فتغيروا وقالوا : قبحك الله ويحك ما تريد بنا ؟ .

وقال أبو صخر الهذلي حين بلغهم قدوم عبد الملك بن محمد وسرهم قدومه :

قل للذين استضعفوا لا تعجلوا   أتاكم النصر وجيش جحفلُ
عشرون ألفاً كلّهم مسربل   يقدمهم جلْد القوى مستبسلُ
دونكُمُ ذا أيمَنٌ فأقْبلوا   وواجهوا القوم ولا تستعجلوا
عبد المليك القُلَّبِيُّ الحُوَّلُ   أقسم لا يُفْلي ولا يُرَجَّلُ
حتى يبيدَ الأعور المضلل   ويقتل الصباح والمفضّل

الأعور : عبد الله بن يحيى طالب الحق .

وقال أبو وجزة :

قل لأبي وجزة هيْد هيْد[1]   أتاك بالغادية الصنديد
فارجع كما قد جئت من بعيد

فبعث أبو حمزة بلج بن عقبة في ستمائة ليقاتل عبد الملك ، فلقيه بوادي القرى في جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة ، وتواقفوا ودعاهم بلج إلى السنة والعمل بكتاب الله ، وذكروا ظلم عبد الملك وحكمه بالهوى فشتمهم أهل الشام ، وقالوا : أنتم أولى بما ذكرتم .

ثم حمل عليهم بلج وأصحابه فانكشف أهل الشام ، وصبر عبد الملك في عُصَيْبَةٍ ونادى: يا أهل الشام وأهل الحفاظ ناضلوا عن دينكم وأميركم ، فكرّوا وصبروا وقُتل بلج وأكثر أصحابه ، واعتصم رجل من همدان يقال له

١ ـ هيد هيد : زجر للابل . القاموس .

الصباح في مائة من الإباضية فجعل يقاتلهم عبد الملك ثلاثة أيام فقتل منهم سبعون ، ورجع إلى المدينة ثلاثون ، ونصب عبد الملك رأس بلج على رمح فقال أبو وجزة أحد بني ظفر :

ورأس بلج مجتلىً محزوز في عَمَدٍ من خشبٍ مرزوزُ

وقالوا : قدم الذين فروا من وادي القرى إلى أبي حمزة وقالوا : فررنا من الزحف ، فقال أبو حمزة : أنا لكم فيئة ، وخرج أبو حمزة عن المدينة إلى مكة واستخلف عليها رجلاً يقال له المفضل ، فقاتلهم العبيد وأهل السوق ، فقُتل المفضل وعامة أصحابه ، وهرب الباقون فلم يبق من الإباضية بالمدينة أحد ، فقال أبو البيضاءشميل مولى زينب ، من ولد الحكم بن أبي العاص :

ليت مروان دنا يوم الاثنين عشيَّهْ
إذ غسلنا العار عنا وانتضينا المشرفيّهْ

ثم إن عبد الملك بن محمد بن عطية قدم المدينة فأقام بها شهراً ، ثم خرج إلى مكة والمختار بن عوف بها فقال : يا أهل مكة ، هؤلاء الذين سألناكم عنهم فقلتم يجورون ويظلمون فلا تعينوهم علينا .

ولقي عبد الملك الخوارج من وجهين وقد جعل أصحابه فرقتين فصيّر طائفة بالأبطح ، وصار هو والطائفة الأخرى بأسفل مكة ، فاقتتلوا وهزم أهل الشام حتى انتهوا إلى عقبة منى ، ثم كرّوا فقاتلوهم وصبروا فقتل أبرهة ، كمن له ابن هَبَّار القرشي عند بئر ميمون فقتله ، ويقال قتله بالأبطح ، وتفرق الخوارج .

ولقي أبو حمزة عبد الملك بن محمد بأسفل مكة فاقتتلا فقتل المختار بن عوف أبا حمزة على فم الشعب ، وقتلت معه امرأته وهي تقول :

أنا ابنة الشيخ الكريم الأعلمِ من سال عن اسمي فاسمي مريمِ
بِعْتُ سواريَّ بسيف مخذمِ[١]

وتفرق الخوارج ، وأسر أهل الشام منهم أربعمائة فدعاهم عبد الملك فقال : مادعاكم إلى الخروج ؟ فقالوا : ضمن لنا أبو حمزة الكنّة ـ يريدون الجنة ـ. فقتلهم ، وصلب المختار ، وأبرهة بن شرحبيل بن الصباح الحميري على فم شعب الخيف .

ودخل علي بن الحصين داراً من دور قريش فأحاط أهل الشام بها فأحرقوها فلما رأى ذلك رمى بنفسه من الدار ، فقاتلهم فأُسر فقُتل وصُلب مع المختار ، فلم يزل مصلوباً حتى استخلف أبو العباس أمير المؤمنين فحج المهلهل الهُجيمي فاستنزله ليلاً فدفنه .

وقال أبو وجزة :

الله أخزى أبرهاً وبلجا ومن طغى في دينه واعوجَّا

وتوارى السراقي فلم يظهر حتى قام أمير المؤمنين أبو العباس ، وقال بعضهم : قتل مع أبي حمزة .

وكان بمكة مخنثان : يقال لأحدهما أُسَيْلِتٌ ، وللآخر صَعْتَرَة ، فكان أُسيلت يرجف بالأباضية فقتلوه ، وكان صعترة يرجف بأهل الشام فأُخبروا بخبره فقتلوه ، وقال قبل أن يُقتل : يا ويلي إنما كنا نعبث ونتكاذب .

وطار دم صعتره من الفزع فكان يقال : أصفىٰ دماً من صعتره ، لأن دمه كان صافياً من الفزع .

وقال المدائني : قاتل أبو حمزة ، وهو عليل وقد غسل رأسه ، واعتمّ

١ ـ المخذم : القاطع . ديوان شعر الخوارج ص ٢٤٥ .

وهو يقول :

أحمل رأساً قد مللت حملهْ　　وقد مللت دهنه وغسلهْ

ألا متى يطرح عني ثقلهْ

فأجابه أبو محمد بن عطية :

أصبتَ من يطرح عنك ثقلهُ　　يكفيك بالسيف الصقيل حَمْلَهُ

ويقال إن الذي قال هذا طالب الحق نفسه .

ومضى فَلُّ الإباضية إلى اليمن ، وبعث عبد الملك عروة بن عطية بالفتح إلى مروان ، وأقبل عبد الله بن يحيى الإباضي ، وهو طالب الحق من صنعاء ، وشخص إليه عبد الملك وقد استخلف بمكة والطائف خلفاء ، فالتقيا بكثبة[1] ، فأكثر أهل الشام في الخوارج القتل ، وتشاغل أهل الشام بالغنيمة والنهب ، وركبهم الإباضية ، فذمَّرهم عبد الملك فكرّوا وقاتلوا أشد قتال ، ثم تحاجزوا وباكروا للقتال فترجل عبد الله بن يحيى وترجل معه ألف رجل وقاتلوا ، وجعل عبد الله بن يحيى يقاتل وهو يقول :

أضرِبُ قوماً حَبِطتْ أعمالهم　　الله مولانا ولا مولى لهم

فقُتل عبد الله بن يحيى ، وكان أعور ، وانهزم أصحابه ، وقتلوا في كل وجه ، ولحق فَلُّهم بصنعاء فقال أبو صخر الهذلي :

قتلنا دغيشاً والذي يكتني الكُنىٰ　　أبا حمزة الغاوي المضل اليمانيا

وأبرهة الكندي أَرْدَتْ رماحنا　　وبَلْجاً صَبَحْنَاه الحتوف القواضيا

وما تركتْ أسيافنا يوم جُرِّدَتْ　　لمروان جباراً من الناس عاديا

---

١ ـ الكثبة : المطمئنة من الأرض بين الجبال . القاموس .

خبر صنعاء وأمر يحيىٰ بن عبدالله بن عمرو بن السَيّاق الحميري :

قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني : بعث عبد الملك ابنه يزيد بن عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي بقتل عبدالله بن يحيىٰ إلى مروان ، ورجع عبد الملك إلى مكة ، فكتب مروان إلى عبد الملك يأمره بالمصير إلى صنعاء ، فلما كان يزيد بن عبد الملك بن محمد بالبلقاء منصرفاً إلى أبيه هلك ، وقدم أصحابه بكتاب مروان إلى عبد الملك ، فاستخلف ابنه محمد بن عبد الملك بن عطية على مكة وعزل رومي بن ماعز الغطفاني أحد بني مرة ، وبعضهم يقول هو كلابي ، وأُقرّ على المدينة الوليد بن عروة بن عطية ، وأمر محمد بن عبد الملك ابنه أن يقيم للناس الحج سنة ثلاثين ومائة .

وأقفل أهل الجزيرة إلى الجزيرة ، ووفىٰ لهم بما اشترطوا إذا قُتل الأعور ، وهو عبدالله بن يحيىٰ طالب الحق ، فلما شارف عبد الملك بلاد صنعاء خرج عاملها الذي كان عبدالله بن يحيىٰ ولاه إياها يريد حضرموت ، واتبعه جمهور بن شهاب الخولاني في جماعة من أهل صنعاء فقاتلهم وأصاب حملين من مال وأثقالاً لهم ، فقدم بما أصاب إلى صنعاء .

وقدم عبد الملك بن محمد صنعاء ، فتبع الخوارج يقتلهم فقتل ثلاثمائة منهم بصنعاء ، وبعث عماله وفرّقهم في المخاليف ، ودَرَّ له الخراج أشهراً ، ثم خرج عليه يحيىٰ بن عبدالله بن عمرو بن السيّاق الحميري من آل ذي الكلاع بالجَنَد[1] في جمع كثير ، فبعث إليه عبد الملك عبد الرحمن بن يزيد بن عطية ، فلقيه بالجَنَد فهزمه وقتل عامة أصحابه ، ورجع عبد الرحمن إلى

١ ـ بهامش الأصل : «الجند بفتح الجيم والنون مدينة» . انظرها في معجم البلدان» .

صنعاء ، ولحق يحيى بن عبدالله بِعَدَنْ واجتمع اليه ألفان ، فسار إليه عبد الملك فواقعه فقتله وقتل عامة أصحابه ، وتفرق الباقون ، ورجع عبد الملك إلى صنعاء .

ـ أمر يحيى بن كَرب وعبدالله بن مَعْبَد :

وخرج يحيىٰ بن كرب الحميري ـ ويقال هو مذحجي ـ بساحل البحر ، وانضم إليه جمع من الإباضية ، فبعث إليه عبد الملك أبا أمية الكندي ، فالتقوا بالساحل ، فقتل من الإباضية ، وتحاجزوا عند المساء ، فمضت الإباضية إلى حضرموت وعليها عبدالله بن مَعْبَد الحضرمي ، عامل عبدالله بن يحيىٰ بن عمير الحميري ، فصار يحيىٰ بن كرب معه ، ورجع أبو أمية إلى عبد الملك بن محمد ، فاستخلف عبد الملك على صنعاء عبد الرحمن بن يزيد بن عطية وشخص إلى حضرموت .

وبلغ عبدالله بن معبد مسير عبد الملك إليهم ، فجمعوا الطعام وما يحتاجون إليه في مدينة شبام ، وفي حضرموت مخافة الحصار ، ثم رأوا أن يلقوا عبد الملك في الفلاة ، فخرجوا فنزلوا على أربع مراحل من حضرموت في عدد كثير في فلاة من الأرض ، ووافاهم عبد الملك فقاتلهم يومه كله ، فلما أمسىٰ بلغه ما تجمعوا من الطعام بشبام ، فحدّر عسكراً في بطن حضرموت إلى شبام ليلاً فلما أصبح قاتلهم حتى انتصف النهار، ثم تحاجزوا فلما أمسىٰ عبد الملك اتبع العسكر الذي وجهه إلى شبام ، وأصبح عبدالله بن معبد والإباضية فلم يروا من الشاميين أحداً فاتبعوهم وقد سبقوهم فأخذوا ما كانوا جمعوا من الميرة، وأخذ عليهم عبد الملك الطرق بالمسالح وقطع عنهم المادة فلم يقدروا على الميرة ، ثم جعل يقتل من قدر عليه ويسبي ، ويأخذ الأموال .

فلما كان في شوال سنة إحدى وثلاثين ومائة كتب مروان إلى عبد الملك يأمره أن يستخلف رجلاً ويحضر الموسم فيقيم للناس الحج ، فصالح عبد الملك أهل حضرموت على أن يستعمل عليهم رجلاً منهم ، فولىٰ على حضرموت رجلاً من أهلها تراضوا به ، وردّ عليهم ما عرفوا من متاعهم ، وكتب عليهم كتاباً ، وكتب إلى الوليد بن عروة يأمره أن يوافي مكة من المدينة، فإن أبطأ قدومه أن يقيم أمر الموسم ويصلي بالناس، ووجه بكتابه إليه رجلاً ، وأمر بإغذاذ السير وإجذامه وترك الفتور فيه ، فخرج الرجل يركض إلىٰ الوليد بالمدينة .

وخلف عبد الملك عبد الرحمن بن زيد بن عطية على صنعاء ، وخرج عبد الملك في اثني عشر فلما كان بأرض مراد ـ وكان قد أصاب منهم قوماً مع طالب الحق ـ عرض له قوم منهم فقال : هذا كتاب أمير المؤمنين إليّ في حضور الموسم ، فكذبوه وقاتلوه فقتلوه وفتشوا ما معه فوجدوا كتاب مروان إليه في توليته الموسم ، فجاء قوم من همدان فدفنوه .

ويقال إنه خرج في أربعين فاتبعه قوم من همدان ومراد وظنوه منهزماً فقتلوه، وكانوا خوارج وقالوا له : قتلت عبدالله بن يحيى ، والمختار وبلجاً ، وأبرهة بن الصباح . وقتلوا أصحابه أيضاً ، وبعثوا برأس عبد الملك إلى حضرموت .

وبلغ عبد الرحمن بن زيد بن عطية خبره وهو بصنعاء ، فأرسل شعيباً البارقي في الخيل فقتل الرجال والصبيان ، وبقر بطون النساء ، وأخذ الأموال ، وأخرب القرى ، وأقام الحج للناس أبو الوليد عروة ، واستعمل مروان على مكة والمدينة والطائف يوسف بن عروة بن عطية .

وبعث الوليد بن عروة بن عطية إلى اليمن فقتل البريّ والنطف[1]، ووجه إلى يحيى بن كرب وعبدالله بن معبد من حاربها فقتلهما ، ويقال إنه واقعها بنفسه فقتلهما ، ولم يزل الوليد باليمن حتى استخلف أمير المؤمنين أبو العباس .

قالوا : وكان مروان لما بعث رسوله إلى عبد الملك بن محمد ذكره بعد أيام فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أحسبني قد قتلت عبد الملك ، يأتيه كتابي فيخاف أن يفوته ما ندبته له فيخرج مخفّاً في قلّةٍ التماساً للسرعة ، وهو في بلاد قوم قد وترهم فيقتل ، ثم قال :

إن تنفري فقد وجدت نفراً   أمُّ عُـوَيْفٍ وشِيَـاهَـاً عُقْـرا

١ ـ النطف : الرجل المريب . القاموس .

أمر يزيد بن عمر بن هبيرة عامل مروان على العراق

قالوا : ولما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة العراق والياً من قبل مروان ، أشخص إليه وفداً من أهل البصرة منهم داود بن أبي هند، وسعيد بن أبي عروبة فقال : انظروا ما نقمتم علي فيه من أمرٍ فَعَرِّفُوْنِيْهِ أَدَعُهُ ، وأيّ عامل رأيتم عزله فأشيروا علي بذلك أعزله .

وكان عفيفاً متوقيّاً سخياً شجاعاً ، وكان يعشّي الناس في كل يوم : إذا صلى العصر توضع الكراسي ، فأذا أخذ الناس مجالسهم أُتي بعساس اللبن والأشربة ، ثم أُتي بالأطعمة فيأكلون إلى وقت المغرب . ثم يدعو بالمناديل فيتفرقون للصلاة .

وكان سُمّاره قوماً من الفقهاء منهم داود بن أبي هند ، وابن شبرمه ، وابن أبي ليلى . فقال ابن شبرمه :

إذا نحن أَعتَمْنَا ومادَ بنا الكَرى أتانا بإحدى الراحتين عياض

- يعني حاجبه - وكان يقضي في كل ليلة عشر حوائج ، فإذا أصبح أنفذها .

حدثني عمر بن شبه عن خلاد الأرقط عن سلم بن قتيبة قال : كان

يزيد بن عمر بن هبيرة ربما لَحَنَ في كلامه وذلك قليل ، فقلت له يوماً : إنك ربما لحنتَ فلو تعهدت أيها الأمير نفسك . قال فتحفَّظ من ذلك وقال : يا سلم ، أَكُلُّ العلم علمت ؟ قلت : ما منه شيء إلا وقد أخذت منه ما يكفيني . قال : فما تقول في ابنتين وأبوين ؟. قلت : للابنتين الثلثان وللأبوين السدسان ، قال : فإنْ إحدى الابنتين ماتت ؟. قلت : فللأم الثلث وما بقي فللأب . قال : يا سلم أهذا ما يكفيك من العلم ؟

قالوا : وأخذ يزيد بن هبيرة الأصغر عمر بن النجم بن بسطام بن ضرار بن القعقاع ورجلاً من بكر بن وائل بسبب رأي الخوارج ، فأطلق البكري وحبس التميمي . فلما كان يوم الفطر قام أبو نخيلة فأنشده :

أطلقتَ بالأمس أسير بكـرِ فهل إلى حلّ القيود السُّمْرِ
عن التميمي القليل العذر من سببٍ أو سُلَّمٍ أو جسرِ
من كان لا يدري فإني أدري ما زال مجنوناً على است الدَّهْرِ
في حَسَبٍ يَنْمى وعقلٍ يجري

وكان يزيد متعصباً على صاحب خراسان ، وهو نصر بن سيار ، كان يكتب إليه مستغيثاً به لما ظهر أمر أبي مسلم ودُعاة بني العباس فلا يغيثه ، حتى قال :

أبلغ يزيد وخير القول أَصْدَقُهُ وقد تبيّنتُ ألّا خير في الكذبِ
إنّ خراسان أرض قد رأيتُ بها بيضاً لَوْ افْرَخَ قد حُدْثت بالعجب

في أبيات قد ذكرناها .

وكتب إلى مروان بأبيات يقول فيها :

فقلتُ من التعجُّبِ ليت شعري أأيقـاظٌ أميـةُ أَمْ نيـامُ

قالوا : وقال أبو عطاء السندي مولى بني أسد في ابن هبيرة :

أقام على الفرات يزيد حولاً فقال الناس أيها الفرات
فيا عجباً لبحر بات يسقي جميع الناس لم يبلل لَهاتي
قصائد حكتُهنَّ لقرم قيسٍ رجعنَ إليَّ صِفْراً خائباتِ
رجعنَ إليّ لم يُوْرِيْنَ زنداً سوى أني وُعِدْتُ التُّرَّهَاتِ

فقال ابن هبيرة : يا أبا عطاء كم يَبُلُّ لهاتَك ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فَأَمَرَ له بها .

وقال أيضاً :

قصائد حكتهنّ لقرم قيسٍ رجوتُ بها المودّة والإخاءَ
رجعنَ على حواجبهنّ صوفٌ فعند الله ألتمس الرجاءَ

وقال بشار الأعمى في قصيدة طويلة :

إلى أمير الناس وجَّهْتُهَا تجري على عارٍ من الطّحلبِ
إلى فتىً تَسقي يداه الندى حيناً وأحياناً دمُ المذنبِ[1]

فوصله وكساه .

وقال يزيد بن عمر لأبي عطاء السندي وكان أبو عطاء ألثغ .

فما صفراء تكنى أمُّ عوفٍ كأن رُجَيلَتَيْها منجلانِ

فقال : أيها الأمير .

أردتَ زرادةً وأردتَ أيضاً بما عَايَبْتَ مِن هذا لِسَاني

ويروى : أجريتَ من هذا . وقد ذكرنا أخبار يزيد بن هبيرة في حروبه ومقتله فيما تقدم من كتابنا هذا ، وبعد هذا الموضع .

---

١ - ديوان بشار ص ٥٠ .

وقتل مروان ببوصير في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو ابن اثنتين وستين سنة ، وورد خبر مقتله على أبي العباس بالكوفة .

وكان أول ولاته(1) على البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب، ثم عُزل وولى حفص بن عمر بن عثمان بن قبيصة بن أبي صُفرة ، وقصد ابن هبيرة فقتل بواسط .

---

١ ـ أي ولاة أبي العباس السفاح ، فقد كان سفيان بن معاوية أول من سود بالبصرة . تاريخ خليفة بن خياط ص ٦١٥ .

مقتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

قالوا : قوي أمر أبي مسلم بخراسان وعلا شأنه وضعف أمر نصر بن سيار والي خراسان فيها ، فكتب إلى مروان بشعر وهو :

أرى خلل الرماد وميض جمر خليقاً أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب يَقْدُمُها الكلام
فقلتُ من التعجّب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام

فكتب إليه مروان : الشاهد يرى ما لايرى الغائب فاحسم الثؤلول قبلك . فلما قرأ نص الكتاب قال : أَمّا هو فقد أعلمنا أنه لا نصر عنده . وكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، عامل مروان على العراق : أنشدك الله أن تضيع خراسان وكان يزيد حسوداً فَكَرِه أن يذهب نصر بسمعتها ولم يُبَلْ كيف وقع الأمر .

وكتب إليه نصر : أمدني بألف عمامة شامية ، ووجه إلي في كل يوم رجلاً أو رجلين ليرى أهل خراسان أن لي مدداً ، فلم يفعل ، وكان يستخف بكتبه إذا كتب ، فقال نصر : والله إني لأَهُمُّ أن أكتب إليه : من نصر بن سيار الكناني إلى يزيد بن عمر الفزاري . وكتب إليه :

أبلغ يزيد وخير القول أَصْدَقُهُ   وقد تبينَّ ألاّ خير في الكذبِ
إن خراسان أرض قد رأيت بها   بيضاً لوافرخ قد حدثت بالعَجَبِ
فراخ عامين إلا أنها كبرت   ولم تَطِرْ ولقد سُرْبِلْنَ بالزّغَبِ
وإن يطرْنَ ولم يُحْتَلْ لهنّ بها   يُلهبن نيران حرب شأنها عجب

فكتب إليه ابن هبيرة : «لاَّ تكثرنّ ، فما عندي رجل واحد» .

وكتب مروان الى الوليد بن معاوية بن عبدالملك بن مروان عامله بدمشق يأمره بحمل ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس إلى ما قبله ، وكتب إلى نصر ألاّ يدع بخراسان متكلماً بالعربية إلا قتله ، فقال نصر : هذا أحمق . وفَسَدَتِ الأمور على نصر وهرب ، وقد كتبنا هذا الخبر فيما تقدم من كتابنا هذا عند ذكر أمر الدعوة .

وقالوا : استحكمت لأبي مسلم الأمور ، فوجه قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن أكلب بن سعد بن عمرو بن عمرو بن الصامت ، واسمه أيضاً عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء بن أدد إلى العراق ، ومعه أبو غانم عبدالحميد بن ربعي بن خالد بن معدان وغيره من وجوه أهل خراسان ، وحمل قحطبة معه مالاً عظيماً .

وكان مقدمة قحطبة ابنه الحسن ، فلقي قحطبة نباتة بن حنظلة بجرجان فقتل نباتة ، وانهزم أهل الشام .

ووجه ابن هبيرة أيضاً عامر بن ضبارة ومعه داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، فلقيهم قحطبة بأصبهان فقتل ابن ضبارة .

ووجه قحطبة أبا عون عبدالملك بن يزيد الأزدي من نهاوند إلى

شهرزور فقتل عثمان بن سفيان ، وكان مروان بعثه مقدمة له ، فلما بلغه خبر مقتله أقبل مروان فنزل رأس العين ، ثم أتى الموصل فنزل على الزابي وحفر خندقاً .

ووجه أبو سلمة الداعية إلى أبي عون عيينة بن موسى بن كعب مدداً لأبي عون ، وظهر أمير المؤمنين أبو العباس ، فولّى عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس حرب مروان ، فلما ورد على أبي عون تحوّل له عن سرادقه بما فيه وخلاه له .

وصيّر عبدالله بن علي على شرطه حبّاش بن حبيب الطائي صاحب الجوبة ببغداد ، في ظهر ربض حميد بن قحطبة ، فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة سأل ابن علي عن مخاضةً بالزابي فَدُلَّ عليها ، فوجه عيينة بن موسى بن كعب في خمسة آلاف فانتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم ، ورُفعت النيران ثم تحاجزوا ، ورجع عيينة إلى عسكر عبدالله بن علي ، وخاض أصحابه تلك المخاضة .

وأصبح مروان فعقد جسراً وسرح عليه ابنه عبيدالله بن مروان فحفر خندقاً أسفل من عسكر ابن علي ، فبعث عبدالله بن علي المخارق بن عفّان في أربعة آلاف ، فسرح اليه عبيدالله بن مروان الوليد بن معاوية فبيَّت المخارق وانهزم أصحابه وأُخذ أسيراً فبعث به إلى مروان مع رؤوس من قُتل فقال مروان : أنت المخارق ؟ قال : لا ولكني عبد من عبيد أهل العسكر ـ وكان المخارق نحيفاً دميماً ـ فقال له مروان : أفتعرف المخارق ؟ قال : نعم . قال : فانظر رأسه في هذه الرؤوس ، فأومأ الى رأس منها فقال : هو هذا . فخلى سبيله .

وقال رجل من أصحاب مروان ـ ورأى المخارق ـ : لعن الله العبد أبا مسلم جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم .

وقال العُماني وهو من بني فقيم :

صَبَّحَهُمْ مروان بالدّهارس قبل الصباح والصقيع الجامس[1]

دَوْسَ الجراجير الحصاد اليابس

وبلغ ابن علي خبر المخارق فدعا عبدالله بن علي بن محمد بن صولٍ فاستخلفه على العسكر ، وسار على ميمنته أبو عون ، وعلى ميسرته موسى بن كعب ، ويقال عيينة ابنه .

١ ـ الدهارس : الدواهي والجامس : الجامد . القاموس .

يوم الزابي من أرض الموصل

قالوا: لقي عبدالله بن علي مروان وعلى ميمنة مروان عبيدالله ابنه ، وعلى ميسرته الوليد بن معاوية بن مروان بن عبدالملك بن مروان ، وهو صهر مروان على ابنته . وقال مروان : إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم ، وإن قاتلونا قبل الزوال فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأرسل مروان إلى ابن علي يسأله الموادعة الى بعد صلاة الظهر ، فقال : كذبت يا بن زربي ، لا تزول الشمس حتى أوطئك الخيل إن شاء الله . فقال مروان : قفوا وادفعوهم ، فحمل الوليد بن معاوية بن مروان بن عبدالملك فغضب مروان وشتمه .

ونشبت الحرب ، ونزل الناس وأشرعوا الرماح ، وجثوا على الركب، وقاتلوهم ، وجعل أهل الشام يتأخرون كأنهم يُدفعون .

ومشى عبدالله بن علي قدماً وهو يقول : حتى متى نُقتل فيك يا رب . ونادى أهل خراسان : «يا لثارات إبراهيم الإمام ، يا محمد يا منصور ، يا لثارات الحسين وزيد ويحيى ، يا منصور أَمِتْ» . واشتد بينهم القتال .

وروى قومٌ أن عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز كان مع مروان ، وذلك باطل ، ولكنه كان معه غيره من ولد عمر وهو عبدالعزيز .

وقال مروان لليمانية : انزلوا فقالوا : قل لقيس فلينزلوا ـ وذلك أنهم حقدوا عليه تقديمه قيساً وقتله ثابت بن نعيم الجذامي والسمط الكندي ـ فقال لصاحب شُرطه الكوثر الغنوي : انزل . فقال : والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً . قال : أما والله لأقتلنّك ولأسوءنّك إن لم تنزل . فقال : وددت والله أنك تقدر على ذلك .

ثم انهزم مروان وقطع الجسر فغرق ممن معه أكثر ممن قتل .

وقال بعضهم : عرض لمروان وجع في بطنه فحركه للخلاء فرآه الناس مولّياً فقالوا : منهزم ، وانهزموا فلم يقدر على ردّهم . فلما رأى ذلك عبر الجسر الذي للزابي ، وأمر بقطعه لئلا يتبع ، فغرق ستة عشر رجلاً من ولد مروان بن الحكم وفيهم ابراهيم بن الوليد المخلوع ، ويقال ان ابراهيم بقي حتي قتله ابن علي مع من قتل ، ويقال انه قتل بعد موت أخيه يزيد الناقص حين ظفر به مروان . والله أعلم . وأثبت ذلك أن عبدالله بن علي قتله .

وكان عبدالله بن علي في اثني عشر ألفاً ، وأمر عبدالله بن علي بإخراج الغرقى فأخرجوا فقرأ : ﴿وإذ فَرّقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ [1] .

وأقام في معسكره سبعة أيام فقال رجل من ولد سعيد بن العاص يعيب مروان :

لَـجَّ الفرار بمـروان فقلت له ... عاد الظلوم ظليماً هَمُّهُ الهربُ

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٥٠ .

ولىٰ طريداً ولم تُحمد عزيمته   لدى القتال فلا دِيْنٌ ولا حَسَبُ

وكتب ابن علي الى أبي العباس بالفتح وبهرب مروان ، وأنه قد حوى عسكره فسجد أبو العباس ، ثم صلى ركعتين وقرأ : ﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر﴾ [1] الآية .

وكتب إلى ابن علي يأمره بأن يصوم سبعة أيام ، وصامها أبو العباس ، وأمر أبو العباس لمن شهد الوقعة بخمسمائة خمسمائة ، ووهب ابن علي لعيينة بن موسى بن كعب جارية كانت لمروان .

وقال اسماعيل بن عبدالله القسري : قال لي مروان بحرّان حين هرب بعد يوم الزابي : أبا هاشم إني قد أجمعتُ على حمل عيالي وقطع الدرب حتى آتي مدينة من مدائن الروم أنزلها وأكاتب صاحب الروم ، ولا يزال يأتيني الخائف والهارب ، ويتلاحق بي الناس حتى يكثر جمعنا ، وكان ذلك رأياً فكرهته لسوء صنيعه إلى أهل اليمن ، وقتله من قتل منهم وتقديمه قيساً ، فقلت : أعيذك بالله أن يحكم فيك أهل الشرك وتملكهم أمرك ، وأمر أهلك وحرمك ولكن استنفر الشام وكوره حتى تصير إلى مصر ، فإن رجالها كثير ، وتكون بين الشام وإفريقية . فقال : سبحان الله ، ومضى ومعه الكوثر الغنوي ومعه الحربة يسير بها بين يديه ، فمر بقنسرين فوثبت به تنوخ وطيء فاقتطعوا مؤخر عسكره ، ومر بحمص فصنعوا مثل ذلك ، ولم يدعوه يدخل مدينتهم ، ثم مر بدمشق فروى قوم أنهم منعوا عامله عليها من دخولها ، وهو الوليد بن معاوية بن مروان بن عبدالملك وكان معه . والثبت أن أهل دمشق لم يمنعوا عامله الوليد منها ، فدخلها وأقام بها حتى قتله عبدالله بن علي ،

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٤٩ .

ويقال بل أسره وبعث به إلى أبي العباس فقتله وصلبه .

ومر مروان بالأردن ، فوثب عليه هشام بن عمرو القيني ، ومر بفلسطين فوثب به الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع ، ثم مضى الى مصر واتبعه الحجاج بن زمل السكسكي فصار معه ، والرماحس بن عبدالعزيز الكناني وكان عامله على الأردن ، واتبعه ثعلبة بن سلامة وكان من عماله على ناحية قريبة من الأردن . فلما صار إلى فلسطين قال : يا رماحس انفرج الناس عنا انفراج الرأس ولا سيما قيس التي وضعنا معروفنا عندهم في غير موضعه ، وأخرجناه من قوم كانت دولتنا تقوم بهم ، فما رأينا لقيس وفاءً ولا شكراً .

وصار عبدالله بن علي إلى نهر أبي فطرس [1] بعد أن غلب على دمشق ، ووجه صالح بن علي بن عبدالله لمحاربة مروان ، وعلى مقدمته عامر بن اسماعيل بن عامر بن نافع أحد بني مسْلية بن عامر بن عمرو بن عُلة بن خلد ، فحارب عامر بن اسماعيل مروان ببوصير فقتله .

وقال الهيثم بن عدي : كان الذي قتل مروان مزاحم بن حسان الحارثي ، وكان الكوثر الغنوي قد كاتب عامر بن اسماعيل فبلغ مروان ذلك ، وهو في أول حد مصر فقتله .

ويقال إن قوماً من أصحاب مروان تيقنوا ذلك من فعل الكوثر فقتلوه وأتوا مروان برأسه ، فقال : أبعده الله . وحمد القوم وقال فيهم خيراً . وقال قوم : إن عبد الله بن علي أتى مصر وذلك غير ثبت .

وقال المدائني عن بعض أشياخه : نزل عبد الله بن علي بباب دمشق

---

١ ـ خارج الرملة في فلسطين .

وبها الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان وكان مع مروان بالزابي ، فلما صار مروان إلى دمشق خلّف بها الوليد ، وسار إلى مصر لأن أهل دمشق لم يخالفوه . فحصرهم عبد الله بن علي ، وقد أغلقوا أبوابها ، ثم وقعت بينهم العصبية فسوّدت اليمانية ، وفتحت الأبواب ، فدخلها ابن علي والخراسانية فقتلوا كل مبيض ، وأخذوا الوليد ، فبعث به عبد الله إلى أبي العباس ، فقتله وصلبه .

ويقال بل وثبت به اليمانية فقتلوه ، فبعث إلى أبي العباس برأسه ، ويقال بل قتله ابن علي وبعث برأسه ، والله أعلم .

وقدم عبد الصمد بن علي من قبل أبي العباس في أربعة آلاف مدداً لعبد الله بن علي ، فوافاه بدمشق ، وهدم عبد الله حائط دمشق ، وصار إلى نهر أبي فطرس فسار صالح بن علي على نهر أبي فطرس إلى مصر في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومعه عامر بن اسماعيل المسْلي ، وأبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي ، فيقال إن عبد الله وجّه صالحاً ، ويقال بل ولاه أبو العباس مصر وأمر ابن علي أن يقلده محاربة مروان ويتشاغل هو بأمور الشام حتى يحكمها ، فَعَدَلَ صالح من الرملة ، فنزل ساحل البحر وجمع السفن وتجهز للقاء مروان وهو بالفرما من مصر ، فجعل صالح يسير على الساحل والسفن بحياله حتى نزل العريش . وبلغ ذلك مروان فأحرق ما حوله من الأعلاف ، وأخذ صالح بعض أصحابه ممن يحرق تلك الأعلاف فقتلهم بالفسطاط .

ولما وافى صالح الفسطاط عبر مروان النيل وقطع الجسر ، وقدَّم صالح أبا عون وعامر بن اسماعيل فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا بعضهم

فسألوهم عن مروان فأخبروهم أنه في كنيسة ببوصير وقد جمع من بقي معه وضمّهم إليه فهم مطيفون به .

وقال عامر بن اسماعيل: لقينا مروان ببوصير في السَّحَر، ونحن في عدةيسيرة لم يكن أصحابنا تلاحقوا بنا ولا تتامّوا إلينا ، فشد أصحاب مروان إلينا فلجأنا إلى شجر ونخل هناك ولو يعلمون بقلّتنا لهلكنا ، وذكرت أن بكير بن ماهان قال لي : أنت والله تقتل مروان ، فكأني أسمعك تقول : دَهَادَ ياجونكان(١) دَهاد ياأهل خراسان. فاشتد قلبي فكررنا عليهم فانهزموا وحمل رجل على مروان فطعنه بسيفه وكان من أهل البصرة فقتله .

وقال أبو الحسن : قتله محمد بن شهاب المازني من بني كابية بن حرقوص ، واحتز رأسه فحمله إلى صالح بن علي ، وكتب إلى عبد الله بن علي ، ويقال إلى أمير المؤمنين أبي العباس بالفتح ، وكان في كتابه : «إنا اتبعنا عدو الله الجعدي حتى ألجأناه إلى أرض عدو الله فرعون شبيهه في كفره ، فقتله الله ببوصير» . ثم رجع صالح إلى الفسطاط .

وقال المدائني : يقال إنه طعن مروان رجل نحيف يكنى أبا العود ، وهو لا يعرفه فصرعه ، وصاح صائح : أمير المؤمنين . فابتدروه ، فسبق إليه رجل كوفي كان يبيع الرمان فاحتز رأسه .

ويقال أيضاً إنه قتله مزاحم بن حسان الحارثي ، ويقال بل قتله محمد بن شهاب بن عقبة بن شهاب المازني ، وأخذ رأسه ، فبعث به عامر إلى أبي عون ، وبعث به أبو عون إلى صالح بن علي ، وبعث به صالح إلى الخليفة ، وهذا قول من قال أن صالحاً كان من قبل أبي العباس .

١ ـ تقدموا يا شباب : تقدموا يا أهل خراسان .

قال الهيثم : وكان يقال : إذا حملت مسلية الألوية دَهَت بني أمية الدويهية .

قالوا : ولما نفض رأس مروان ونُقب ليخرج دماغه قطع لسانه فأخذه هر ، فقال صالح : لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلاّ لسان مروان في فم هر ، لكان في ذلك عبرة وموعظة ، ثم بعث برأسه وخاتمه مع يزيد بن هانىء الكندي إلى أبي العباس ، وهو بالحيرة ، فنصبه ، وبعث به إلى خراسان .

ولم يزل صالح على مصر حتى مات أبو العباس ، وعصى عبد الله بن علي، وكان الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع من قبل عبد الله بن علي على فلسطين ، فسرح إليه صالح : أبا عون ، ومحمد بن الأشعث الخزاعي فهرب الحكم إلى بعلبك ، فدل عليه بعد فأخذ وذلك في ولاية عبد الوهاب بن ابراهيم الإمام ، ولم يخالف صالح المنصور حين هرب عبد الله بن علي، وكان متمسكاً بطاعته غير متابع لعبد الله بن علي معصيته وخلافه، فلما انقضى أمره قدم فلسطين ومعه ليث بن سعد وابن لهيعة .

وروي أن بنات مروان كنّ في كنيسة عليهن خادم يقوم بأمرهن ، فخرج الخادم شاهراً سيفه وقال : إن مروان أمرني بقتل نسائه وبناته فمنع من ذلك ، وأرادوا قتل الخصي فقال : إن قتلتموني ذهب ميراث النبي ﷺ ، قيل : وماذاك ؟. فدلهم على القضيب والبرد والقعب المخضّب ، وكان مروان دفن ذلك أجمع في رمل في بعض المواضع لئلا يصير إلى بني العباس ، وهذا خلاف قول من ذكر أن البرد اشتُري من بعض النصارى . والله أعلم .

أمر بني مروان بن محمد

قالوا : لما التقى مروان وعامر بن اسماعيل ببوصير من أرض مصر ، فاقتتلوا ليلاً ، وقف عبد الله وعبيد الله ابنا مروان في ناحية ، في جمع من أهل الشام ، فحمل عليهم أهل خراسان فأزالوهم عن موقعهم ، ثم كروا عليهم فهزموهم حتى ردوهم إلى عسكرهم ، وتفرق الناس عن عبد الله وعبيد الله حين قيل قد قتل مروان ، وجعل أهل خراسان يقتلون من لحقوه من الفَلّ فلم يكن لهما همة إلا الخلاص ، فمضيا على وجوههما وذلك في السحر ، وتفرق الشاميون في الرمال ، فرجع أهل خراسان عنهم ، فصار ابنا مروان إلى بلاد النوبة في عدة من أحشام أبيهما ومواليه وغيرهم ، فأكرمهما صاحب النوبة وأجرى عليهما ما يصلحهما فأقاما بأرض النوبة شهرين ، ثم أجمعا على إتيان اليمن فيمن معهما فنهاهما صاحب النوبة عن ذلك وقال : إني لا آمن عليكما الهلكة ، فشكروه وساروا في بلاد العدو فدخلوا بلاد جاوة فلم يُهِجْهُم صاحبها وكان يبيعهم ملء القربة من الماء بخمسين درهماً حتى أخذ منهم مالاً كثيراً ، ثم شخصوا عن بلاده فلقيهم بعض العدو فقاتلوه ونجوا فساروا فعرض لهم جبل بين طريقين ، فسلك عبد الله ـ وقد باين أخاه لتنازع وقع

بينهما - إحدى الطريقين ، وسلك عبيد الله الطريق الأخرى فلم يلتقوا .

وعرض لعبيد الله بعض العدو فقاتلهم بمن معه فسلبوهم ثم قتلوهم إلا جُميعةً لا يبلغ عددها الثلاثين ، وقتل عبيد الله وأُخذت ابنته أم الحكم وهي صبيّة ، وبقي ممن معه قوم فكانوا يتنكبون العمران فهلكوا وهلكت دوابهم ، وبلغ منهم العطش حتى شربوا أبوال دوابهم وأبوال أنفسهم إلى أن وصلوا إلى البحر ، ووافاهم عبد الله بن مروان فكانوا خمسة وأربعين فيهم الحجاج بن قتيبة بن مسلم ، فركبوا البحر وصاروا إلى مكة ، فيقال إن العامل علم بهم فلم يعرض لهم ، ويقال إنه لم يعلم بهم .

وخرجوا مع الحُجاج وعليهم عمائم غلاظ وجباب الأكرياء حتى مروا بقوم فرقّوا لهم فحملوهم . وفارق الحجاج بن قتيبة عبد الله بجدة ، ثم أتى عبد الله بن مروان ومن معه تبالة بعد أن حج .

قالوا : وأتى عبد الله بن مروان اليمن مستتراً فأقام بها ما شاء الله ، فدلّ عليه نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي ، وكان والياً عليها من قبل أمير المؤمنين المنصور في آخر خلافته فأخذه وبعث به إلى المنصور فحبسه في القصر ، فلما استخلف أمير المؤمنين المهدي أراد إخراجه إلى الشام ليخلع نفسه على منابر الشام لأن أباه كان ولاه عهده ، وكان أبو العباس الطوسي على المدينة والمطبق والحبوس فبلغه ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين من أشار عليك بهذا الرأي ؟ أأبو عبيد الله أم ابن رغبان أم أبو سُمير ؟ . هذا رأي لا تؤمن عواقبه ، أيدخل ابن مروان مدن الشام وله في أعناق أهلها بيعة ؟ فيقال إن المهدي أراد تخلية عبد الله بن مروان ، فقال له عيسى بن علي : يا أمير المؤمنين إن له في أعناقنا بيعة . فأمر به المهدي فثقل بالحديد وحوّل إلى المطبق ، فلم يلبث أن مات .

وكان أبو عبيد الله من أهل الشام وكذلك أبو سمير ، وكان ابن رغبان مولى حبيب بن مسلمة الفهري شامياً ، وهو صاحب المسجد ببغداد .

حدثني حماد بن يَعْسَل الوراق عن سلمويه أبي صالح قال : لما أقيم عبد الله بن مروان بين يدي المهدي ـ وكان عامل اليمن وجهه إلى أبي جعفر ـ فوافى فقال أبو جعفر : أيكم يعرف هذا ؟ فتأمله عبد العزيز بن مسلم العقيلي فقال : آه أبا الحكم كيف كنت بعدي ؟ نعم يا أمير المؤمنين هذا عبد الله بن مروان ، فأمر به إلى المطبق فمات فيه .

قالوا : وكان على عبد الله فصّ ياقوت أحمر يساوي ألف دينار ، فكان يقول وهو يمشي : ليت لي به دابة أركبها .

وقال بعض من كان مع عبد الله بن مروان : ما رأينا مثله ، قاتل فكان أشد الناس ، ومشى فكان أقواهم على المشي ، وجاعوا فكان أصبرهم على الجوع .

قالوا : وبلغ مروان وهو بمصر قَتْلَ من قُتل بنهر أبي فطرس فبكى حتى كاد يموت .

وقال بعض آل مروان : ما كان شيء أنفع لنا في هربنا من الجوهر الخفيف الثمن ما يساوي خمسة دنانير فما دون ، كان يخرجه الصبي والخادم والامرأة فنبيعه ، وكنا لا نستطيع إظهار الجوهر الثمين .

وقال الحجاج بن قتيبة : كنت مع نصر بن سيار ، فلحقت بمروان ، فصرت معه فقال وهو هارب : لقد عزبتْ عنا عقولنا حين لم نزوج نساءنا الأكفاء من قريش فنكفى مؤونتهم في هذه الحال ، وأخذ لي سلم بن قتيبة أخي الأمان فقال لي أمير المؤمنين : أكنت مع مروان ؟. فقلت : كنت مع

قوم خلطوني بأنفسهم فلم تحسن لي مفارقتهم ، فقال : هذا الوفاء .

وقيل إن المنصور ـ أو المهدي ـ دعا بعبد الله بن مروان فقال له : حدثني حديثك . فَحَدَّثَهُ فَهَمَّ بتخليته ، حتى قال عيسى بن علي فيه ما قال .

ذكر من قتل من بني أمية وأتباعهم

المدائني وغيره قالوا : جلس عبد الله بن علي للناس في خضراء دمشق ، فدخلت عليه قريش وغيرها فتكلم يزيد بن هشام ، وهو الأفقم فأطرى بني هاشم وذكر فضلهم وقال : أهل السؤدد والأمانة ، وأطنب . ثم تكلم بنو أمية فأثنوا عليه ودعوا ومَتُّوا بالقرابة ، فقال ابن علي : صدقتم وبررتم ، إن قرابتكم لقريبة ، وإن حقكم لواجب ، أنتم أكفاؤنا وبنو عمنا ونحن أهل وراثتكم ، وأنتم أهل وراثتنا لو كان الثاني متلائماً .

ثم قال: مالي لا أرى عتيق بن عبد العزيز بن الوليد فقيل له : ليس عنده ما تكرهه . فقال : إن أتاني ما بينه وبين ثالثة وإلا فلا أمان له عندي . فأتاه ثم إنه قتله بعد .

ودعا عبد الله بالغداء ، فتقدم من حضر إلا محمد بن عبد الملك فقال له : اقترب يا محمد . فقال : لست أطعم اليوم شيئاً ، فجعل عبد الله ينظر إليه ، فلما فرغوا من الغداء وخرج الناس فقيل له : دعاك إلى الغداء فلم تفعل ، وتكلم أصحابك ولم تتكلم ، وقد نظر إليك نظراً شزراً ، وقتله بعد .

ودخل عليه حمزة بن الأصبغ بن ذؤالة الكلبي ، وكان حمزة ممن شهد قتل زيد بن علي . فلما رآه تمثّل عبد الله :

بسيف ابن عباس وسيف ابن زامل بَدَتْ مقلتاها والبنانُ المخضَّبُ

ثم قتل حمزة بعد أن خرج مع السفياني ، وأخذ ابن علي سليمان بن سليم بن كيسان فحبسه ، وقدم قوم من كلب برأس الفياض بن عنبسة بن عبد الملك من البادية ، قتل بها .

وقتل عبد الله بن علي سليمان بن سليم وأخوته : كلثوماً ، ومسلماً ، ونصراً ، وبشراً ، وحماداً ، وصدقة ، ويونس بني سليم ، وأخذ ابن علي بدمشق يزيد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك ، وعبد الله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك فبعث بهما إلى أبي العباس فقتلهما بالحيرة ، أو بعث برؤوسهما أو حمل ابن عبد الجبار فقط .

وقتل عبد الله بن علي صالح بن عجلان الأفطس ، مولى محمد بن مروان بن الحكم سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكان ينزل حران ، وسالم الأفطس الذي يحدث عن ابن حبيب .

وأمر عبد الله بن علي الضحاك بن زمل السكسكي بقتل بعض ولد نوح بن الوليد بن عبد الملك ، وكان حين دعاه بلغه أنه يريده لذلك فكسر يد نفسه فلم يزل الضحاك أثيراً عند أبي العباس حتى مات ببغداد ، فحضر المنصور دفنه وقام على قبره .

وولى أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله بن علي الصائفة سنة خمس وثلاثين ومائة ، فتجهز وشخص ، وأقبل أبان بن معاوية بن هشام يريده ليعترضه فوجه إليه حميد بن قحطبة فالتقوا ، فانهزم أبان وأصحابه وانكشفوا

وتحصنوا في حصن كيسوم[١] ، فحصرهم حميد فطلبوا الأمان فأمنهم ، وهرب أبان فدُلَّ عليه فأُخذ في غار فقطع عبد الله يديه ورجليه وقتله ، ومضى لوجهه .

ويقال إنه كان في الغار أمه واخته وامرأته ، فَدُلَّ عبدالله عليه ، فوجّه إليه أربعين رجلاً فلما نُذر بهم أراد قتالهم فمنعته أخته وأمه فاستسلم ، فقطع عبدالله يديه ورجليه وحشمه وأطافه بالشام ثم حبسه فحلّ يديه حتى نزف ومات .

وتحصن عبد الصمد بن محمد بن الحجاج بن يوسف في حصن ، فبعث عبدالله من أخذه وأربعة عشر رجلاً من آل أبي عقيل ، ومع عبد الصمد سيف الحجاج فضرب به عنقه وأعناقهم . ويقال إن صالح بن علي أخذهم .

وقتل ابن علي ذيخ[٢] قريش وهو أبو بكر بن عبد الملك ، وقتل أبا القاسم بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان .

المدائني عن أبي عاصم الزيادي قال : قال عبدالله بن علي بنهر أبي فطرس ومعه بنو أمية ، خرجوا معه من دمشق ، فأمر ألا يدخلوا عليه وعلى أحد منهم سيف ، فانتزعوا سيوفهم ، وأمر بالخيل فرتّبت حول الحُجَر ، فلما دخلوا من باب المضرب عزلوا ناحِيَة ونودي رجل رجل باسمه فدخل اثنان وسبعون رجلاً ، ويقال كانوا نيّفاً وثمانين .

وجاء حباش بن حبيب الطائي صاحب شرطة عبدالله بن علي ، فأمر

١ ـ من حصون الثغور بينه وبين الحدث سبعة فراسخ . بغية الطلب ج ١ ص ٢٦٥ .
٢ ـ الذيخ : الذئب الجرىء ، والفرس الحصان ، وكوكب أحمر ، وذكر الضباع . القاموس .

بهم فنزعت ثيابهم وكُتّفوا فجعل أهل خراسان يشقّون أطراف اقبيتهم ويكتفونهم ، فقال محمد بن عبد الملك : يا بني أمية اصبروا فهذا يومكم الذي كنتم توعدون ، ولم تأخذوا له أهبته . فضربوا بالخشب والعمد والأيدي والأرجل حتى رُضّوا جميعاً .

قالوا : ورأى خُفاف بن منصور فرساً لسليمان بن داود بن عبدالله بن مروان فأعجبه فقال : لمن هذا الفرس ؟ فأخبر مولىً لسليمان سليمان بذلك ، فبعث إليه بالفرس فقال : ما كنت لأقبله ولكن قل لصاحبك إحذر أصحابنا ، فحضر يومئذ فقُتل . وقُتل الغمر بن يزيد وقد ذكرنا خبره ، وقُتل ابراهيم بن مسلمة بن عبد الملك .

وبعث عبدالله بن علي إلى البلقاء من قتل سليمان بن يزيد بن عبد الملك أخا الوليد المقتول ، وبعث عبدالله بالرؤوس إلى أبي العباس مع سلمة بن محمد الطائي ، والوُثَيْق بن زُفَر .

وكتب إلى عثمان بن عبد الأعلى بن سُراقة وهو بدمشق : إذا ورد عليك الوثيق فاقتله واجعل رأسه مع الرؤوس ، وانفذ بها سلمة بن محمد وجماعة معه يحفظونها ، فإن بني أمية أرادوا نقض ما جعل الله لنا في أعناقهم فألحقتهم بأمهم الهاوية ، والنار الحامية .

وحدثني هشام بن عمار عن أبيه قال : لم يوجه عبدالله بن علي الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان حين أخذه بدمشق إلى أبي العباس ، ولكنه بعث بأخيه زيد بن معاوية ، فقتله أبو العباس وصلبه بالكوفة .

وقتل ابن علي الوليد وبعث برأسه إلى امرأته ، وهي ابنة مروان بن

محمد ، فقالت : والذي ابتلاني بقتله ما تبينت صورة وجهه قط ، وقال المدائني : كان يقال إنه من فتيان قريش .

وأما عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فقتله صالح بن علي ، دخل عليه وصالح يقرأ ، ورجل يأخذ عليه في مصحف ، فقال له : ما منعك من إتيان أمير المؤمنين ؟ قال : كتاب أمير المؤمنين . فقال للذي كان يأخذ عليه : أطبق المصحف . وأمر به فضربت عنقه .

وقتل أبو العباس سليمان بن هشام وقد كتبنا قصته وسبب قتله .

وقتل أبو العباس زيد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان وصلبه بالحيرة .

وقال هشام ابن الكلبي : قتل ابن علي بنهر أبي فطرس ثمانين أو نيفاً وثمانين من بني أمية ، فقال حفص بن أبي النعمان مولى عبيدالله بن زياد :

أَيْنَ رَوْقاً عبد شمسٍ أين هُمْ أينَ أهلُ الباعِ منهم والحسبْ
قُـل لمن يسأل عنهم إنهم جثثٌ تَلمع من فوق الخَشِبْ
احلبوا ما شئتم في صحنكم فَسَتَلْقَونِ صَرَىْ[1] ذاك الحَلَبْ

قال : ويقال لبني حرب بن أمية ، وبني أبي العاص بن أمية : الرَوْقَان . والرَوْق : القرن .

وقال ابن الكلبي : صلب عبدالله بن علي عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان الذي كتبنا خبره بالبصرة .

قال : ولما افتتح ابن علي دمشق أسر زيد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان ، وعبدالله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك ، فبعث بهما

١ ـ لبن صرى : متغير الطعم ، والصرى : البقية . القاموس .

إلى أبي العباس فصلبهما بالحيرة .

وقتل أبو العباس سليمان بن هشام وابنه وصلبهما .

قال : وقال أبو عدي العَبْلي من بني أمية :

تقول أُمامة لما رأت ... سهادي لدى هجعة النُّعَّسِ
أبي ما عَرَاكَ فقلت الهموم ... طَرَقْنَ أباكِ فلا تُبْلِسي
لفقد العشيرة إذ نالها ... سهامٌ من الحَدَثِ المُوئِسِ
رَمَتها المنونُ بلا نُصَّلٍ ... ولا طائشاتٍ ولا نُكَّسِ
أفاضَ المدامعَ قتلى كُرىٰ ... وقَتلىٰ بلوثة لم تُرْمَسِ
وقتلىٰ بوَجٍّ وباللّابَتَيْـ ... ـنِ مِنْ يثربَ خير ما أَنْفُسِ
وبالزابيين نفوسٌ ثَوَتْ ... وقتلىٰ بنهر أبي فُطرسِ
أولئك قومي أَذَاعَتْ بِهِم ... نوائب من زمنٍ مُتْعِسِ
أَذَلَّتْ جباليْ لمن رامها ... وأنزلتِ الرُّغْمَ بالمِعْطَسِ
فما أَنسَ لا أَنْسَ قتلاهُمُ ... ولا عاش بَعْدَهُمُ مَنْ نُسي

فقتله داود بن علي .

وقال بعض الشعراء :

تَعْساً أميةُ قد زَلَّتْ بكم قَدَمٌ ... فأصبح المُلْك من أيديكمُ نُزِعَا
ونالها من بني العباس مضطلع ... بالحِمْلِ لو حَمَّلُوها غيره ظَلَعَا
ميراث أحمد كانوا يلعبون به ... يا رُبَّ مُحتصدٍ غير الذي زَرعا

المدائني عن عبدالله بن المبارك عن الأوزاعي قال : قال لي عبدالله بن علي : ما ترىٰ فيمن قتلتُه من هؤلاء ؟ قلت : أمنتهم ولم يكن ينبغي أن تقتلهم ، قال : فما تقول فيمن قتلت ولم اؤمنه ؟ قلت : لو لم تقتلهم كان

أحبُّ إليّ لكَ . قال : والله لو كان معنا ثالث من الناس ما رأيتَ الأحبّة .

قالوا : وقتل داود بن علي بالمدينة عبد الرحمن بن عبد الجبار بن عبدالله بن عامر بن كريز .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي وغيره قالوا: كان اسماعيل بن عمرو بن العاص من عُبّاد الناس وخيارهم وهو صاحب الأعوص[1] فقال عمر بن عبد العزيز: لو أن الأمر إليّ لوليتها القاسم بن محمد أو إسماعيل صاحب الأعوص ، وعرض له داود بن علي فقيل ليست بك حاجة أن تُفِزع اسماعيل للدعاء عليك فتركه ولم يعرض له ، وعرض لاسماعيل بن أمية بن عمرو بن العاص ، ولأيوب بن موسىٰ بن عمرو بن سعيد فحبسهما بالمدينة .

وروىٰ ابن أبي سبرة وسليمان بن بلال عن اسماعيل صاحب الأعوص ، وقيل لصاحب الأعوص ليالي قدم داود : لو تغيَّبتَ . فقال : ولا طرفة عين . ولم يتغيب .

١ ـ بهامش الأصل : «الأعوص موضع» على أميال من المدينة . معجم البلدان .

أمر حَبيب بن مُرَّةَ المُريّ

قالوا : وخرج حبيب بن مرة المري بحوران ، فكتب ابن علي إلىٰ أبي غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي ، وعثمان بن سراقة البارقي ، وهما بدمشق يأمرهما بالمسير إلى حبيب ، فتوجها إليه فغدر أصحاب عبد الحميد به وتفرقوا عنه ، وذلك لأنهم كانوا يمانية فقالوا : لم نكن لنقاتل إخواننا ، فكسر ذلك سائر الجند فرجعوا إلى دمشق منهزمين ، فلما رأى ذلك أهل دمشق بَيَّضوا وخلعوا ، فأتاهم حبيب بن مرة فأحاط بالمدينة ، فبعث أبو غانم سلمة بن محمد إلى باب الشرقي ومعه عبدالله الطائي فقاتلا أصحاب حبيب ، وخرج أبو غانم من باب الفراديس فمضىٰ ، فقال سلمة : غدر أبو غانم ، وقاتل سلمة حتى قُتل وناس من أصحابه ، وطلب أصحاب حبيب أبا غانم ففاتهم بنفسه وما معه من الأموال والأثقال . وأتىٰ بيروت فنزلها ، وكتب إلى عبدالله بن علي يخبره ، فكتب ابن علي الى أشراف ربيعة واليمن يَعِدُهُم ويُمَنّيهم ويقول : إنكم أنصارنا مذ كانت هذه الدعوة . فاعْتَزَلُوا ورجعوا وخلّوا بينه وبين مضر .

وخرج أهل دمشق ، وهم زهاء ثمانين ألفاً ، فعسكروا يريدون قتال عبدالله بن علي ، فلما نَزَعَتِ اليمانية والربعية عن الحرب رجعوا وانكسروا .

وأتى عبدالله بن علي دمشق فكُلّم فيهم . وقيل إنه لم يكن لهم ذنب فأمنهم ، ثم ارتحل في المحرم سنة ثلاث وثلاثين إلى حبيب بن مرة بحوران ، فالتقوا فهرب حبيب إلى البادية ويقال بل هرب حين شارف ابن علي .

وفتح عبدالله حوران ، ودخلها لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وقدم علىٰ عبدالله بن علي محمد بن خالد القسري ، ومعن بن زائدة بفتح واسط ، وقتْل يزيد بن عمر بن هبيرة ، ورجع أبو غانم بما حمل إلى دمشق ، ودَسَّ لحبيب فقُتل .

وكان قتل مروان بن محمد في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وله تسع وستون سنة ، فكانت ولايته خمس سنين .

تَمَّ أمر آل أبي العاص

ولد أبي عمرو بن أمية

ولد أبو عمرو بن أمية :

أبا مُعيط ، واسمه أبان ، وأمه آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة .

ومسافر بن أبي عمرو .

وكُمَيْم بن أبي عمرو . ولا عقب لكميم .

وأبا وَجزة واسمه تميم .

وزينب ، وصَفِيّة ، أمهم ريطة بنت الحُويرث . ثَقَفِيّة .

وقال أبو اليقظان : يزعمون أنه عبد كان يسمىٰ ذكوان ، فاستخلفه أمية فكناه أبا عمرو فخلف على آمنة بعد أمية ، وقال : بمكة دار نُسبت إلى كميم ولا عقب له .

فأما أبو وجزة فله عقب ولهم أموال بالبصرة .

وأُسر الحارث بن أبي وجزة يوم بدر ، وسمعه عمر بن الخطاب بعد ذلك يمدح خالد بن الوليد فقال له : يا بن أبي وجزة لا يسمعنّ هذا خالد منك فإنه يحب الفخر ، وحُبّ الفخر مفسدة في الدين .

وأما مسافر بن أبي عمرو فكان من فتيان قريش جمالاً وسخاء وشعراً ، وكان نديماً لأبي طالب بن عبد المطلب ، وكان أتى الحيرة حين اتُّهم بامرأة

يقال لها هند هارباً فأصابته الدُّبَيْلة[1] من شربه الخمر صِرفاً ، ويقال لما ناله من الأسف إذ لم ينلها ، فكواه رجل فضرط الكاوي فقال مسافر : قد يضرط العير والمكواة في النار .

ثم خرج متوجهاً إلى مكة فمات بهبالة[2] ، فقال أبو طالب حين جاءهم نعيه :

لَيتَ شعري مُسَافِرُ بن أبـ ـي عمرٍو وليتَ يقولها المحزونُ
رجع الركب سالمين جميعاً وخليلي في مَرْمَسٍ مدفونُ
بورك الميت الغريب كما بو رك صنو الريحان والزيتونُ
مَيْتُ صِدْقٍ على هَبَالةَ قَدْحا لَتْ فَيَافٍ من دُونِهِ وَحُزُونْ
مدره[3] يدفع الخصوم بأيدٍ وبوجهٍ يَزينه العِرْنِينْ
رُبَّ خالٍ رُزِئْتُهُ وابنُ عمٍّ وخليل أَتَتْ عليه المنونْ
فتعزَّيت بالجَلادة والصَّبْـ ـرِ وإني بصاحبي لضَنِينْ

ويقال إن هذا الشعر لضرار بن عبد المطلب ، والثبت أنه لأبي طالب .

وزعم قوم أنه كان قد زُوِّج هذه المرأة فلم تُهْدَ إليه ، وكان بينهما شيء فهرب إلى الحيرة .

وقال مسافر حين زُوِّجَتْ :

---

١ ـ الدبيلة : داء في الجوف . القاموس .
٢ ـ هبالة : من مياه بني نمير . معجم البلدان .
٣ ـ دره : هجم وطلع ، ولهم وعنهم دفع ، والمدره : السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال . القاموس .

ألا إنّ هنداً أصبحتْ منك مَحْرماً وأصبحتَ شيخاً من حُمُوَّتِها حما
وأصبحتَ كالمسلوب جَفْنُ سلاحه يُقلّب بالكفّين قوساً وأَسْهُمَا

ولما مات مسافر نادم أبو طالب عمرو بن عبد ودّ ، فلما بارزه علي عليه السلام قال له : إن أباك كان لي صديقاً .

وقال مسافر :

غشيتَ الدار موحشةً فَلَمْ تُؤنس بها أحدا
عَفَتْ آياتها إلا أَوَاريًّا[1] ومُنْتَضدا
وأشعث ماثلاً خَلِقاً وسعفاً حوله ركدا
لهند إنّ ذكراها يهيج لقلبك الكمدا
مَلكْتِ فاسْجِجي وَعِدِي ومَنِّيْنَا غداً فَغَدَا
فإنّا معشر أُنُفٌ نُقيم الدَّرْءَ والصَّيَدَا
ورثنا المجد عن آبائنا فَسَمُوا بنا صُعدا

وقال مسافر لأبي أحيحة :

تَمُتُّ إلى الأقصىٰ بثديك كله وأنت علىٰ الأدنىٰ صروم مُجدّدُ
فإنك لو أصلحتَ من أنت مُفْسِدٌ تودّدك الأقصىٰ الذي تتودّدُ
أخوك الذي إن تَجْنِ يوماً عظيمةً يَبِتْ ساهراً إذ سائر الناس رُقدُ
وإنّ ابنُ عم المرء يحمي ذماره ويَمنعُهُ حين الفرائص تُرعِدُ

وقال عمارة بن عقبة :

خلق البيْضُ الحسان لنا وجياد الرِّيْطِ والأُزُرْ
كابراً كنا أحقُّ به حين صِيْغَ الشمس القَمَرْ

١ ـ الأوار : حر النار والشمس والعطش والدخان واللهب . القاموس .

فقال مسافر :

أعُمار بن الوليد وقد يـ ـذكر الشّعار مَن ذَكَرَهْ
هل أخو كاس مخفضها وَمُوَقٍّ صحبَه شُكْرَهْ
وَمُحَيّيهُمُ إذا شربوا ومُقِلٌّ فيهُمُ هَذَرَهْ
خُلِقَ البيض الحسانُ لنا وجياد الرَّيط والحَبَرَهْ
كابراً كنا أحقّ به كلّ حيٍّ تابع كبرهْ

وقال مسافر يهجو سعيد بن العاص أبا أحيحة :

فنحن البيض أشبهنا قصياً وأنتم شبه أستاه[1] المزاد

نَسَبَهُ إلى السواد .

وقال أبو اليقظان : مات مسافر بالحيرة ، وموته بهبالة أثبت ، وكان عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية مطعاماً للطعام . قال الشاعر :

مَن سَرَّهُ شحم ولحم داهن فليأت جفنة عقبة بن أبان

وقال ضرار بن الخطاب :

عينُ بَكّي لعقبة بن أبان قِرْمُ فَهْرٍ وفارس الفرسان

وكان عقبة من أشد الكفار على رسول الله ﷺ ، وأُسر عقبة يوم بدر فأمر علياً فقتله صبراً بعرق الظبية ، وقد كتبنا خبره في أول كتابنا .

وكانت لأبي معيط ابنتان : حكيمة وصفية وأمهما سالمة بنت أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي .

فولد عقبة بن أبي معيط :

الوليد بن عقبة . وخالد بن عقبة . وهشام بن عقبة . وعُمارة . وأم

١ ـ أي سافلة المزاد ، واستي الثوب : سداه . القاموس .

كلثوم ، وأم حكيم ، أمهم أَرْوَىٰ بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس .

وأبان بن الوليد . ويَعْلىٰ بن الوليد . وعثمان .

فأما أم كلثوم فكان رسول الله ﷺ يخرجها معه في المغازي فتداوي الجرحىٰ ويضرب لها سهماً ، وصافح رسول الله ﷺ يدها بيده وبين يدها ويده ثوب ، وخطبها إلى عثمان علىٰ زيد بن حارثة مولاه فَتَكَرَّهَ ذلك عثمان وأباها فأخبرها فقالت : لو أمرني رسول الله ﷺ أن أتزوج زنجياً عظيم المشافر محدَّد الأسنان لفعلتُ . فتزوجها زيد فقتل عنها ، فتزوجها عبد الرحمن بن عوف الزهري ، فهلك عنها ، فتزوجها الزبير بن العوام ، ثم طلقها الزبير فتزوجها عمرو بن العاص وكانت معه بمصر .

وحدثني مصعب بن عبدالله قال : هاجرت أم كلثوم بنت عقبة إلى المدينة في الهدنة بين رسول الله ﷺ وقريش ، فأراد أن يردها فقالت : أتردّني يا رسول الله إلى المشركين فيفتنوني عن ديني ؟ فأنزل الله عزوجلّ : ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾[1] الآية . فلم يدفعها وزوّجها زيد بن حارثة .

وولى عثمان الوليد الكوفة فشهد عليه بشرب الخمر فَحُدَّ ، وقد كتبنا خبره ، وكان يكنىٰ أبا وهب ، وكان النبي ﷺ بعثه إلى بني المصطلق مصدقاً فأتاه فقال : منعوني الصدقة كاذباً ، فأمر رسول الله ﷺ بغزوهم فنزلت : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[2] .

١ ـ سورة الممتحنة ـ الآية : ١٠ .
٢ ـ سورة الحجرات ـ الآية : ٦ .

ووقع بين الوليد وبين علي بن أبي طالب كلام في أمر هذه الدعوة التي ادّعاها على بني المصطلق أو غير ذلك فقال : لأنا بالكتيبة وأَضْرَبُ لهامة البطل المُشيح منك . فأنزل الله عزوجل : ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[١] .

وتوفي رسول الله ﷺ وهو والٍ علىٰ عمل كان ولّاه إياه ، ولما استخلف عمر بن الخطاب ولاه صدقة تغلب فقال وكان شاعراً :

إذا ما شددت الرأس مني بِمشْوَذٍ[٢] فويلكِ مني تغلب ابنة وائل

فعزله . وكان جواداً سخياً . وفيه يقول أبو زيد الطائي :

بحمد الله ثم فتىٰ قريشٍ أبي وهب غدتْ غُلباً غرارا

وقال الحطيئة :

أبىٰ لابن أَروىٰ خلّتان اصطفاهما قتال إذا يلقىٰ العدو ونائله
فتىً يملأ الشيزي ويروي بكفه سنان الردينيّ الأصمّ وعامله[٣]

وغزا الوليد أيام ولايته الكوفة آذربيجان فصارت إليه جارية خزرية ، فقالت له يوماً ورأت فرساً جواداً : احملني على هذا الفرس . ففعل ، فركضت ومضت فلم تُلحق ، وكانت حاملاً فجاء فتىٰ إلى ولد الوليد فادعىٰ أنه ابن الوليد من الخزرية ، وذكر أنه نشأ بالباب والأبواب من أرمينية ، فأنكروه ونفوه فكان يسمّىٰ الدعيّ ، واسمه الحارث ، ويقال عقبة . فقال لعمرو بن الوليد المعروف بأبي قطيفة :

---

١ ـ سورة السجدة ـ الآية : ١٨ .
٢ ـ المشوذ : العمامة . القاموس .
٣ ـ ديوان الحطيئة ص ٧٨ ـ ٧٩ ، والشيزي : الجفان .

يا عمرو يا بن أبي تلافوا أمركم حتى متى ترمي بي الرجوان
يا ليت حظي من تراث أبيكم أن ترفعوا لي نسبتي ومكاني

وقال الحارث الدعيّ ليعلىٰ بن الوليد بن عقبة :

كأنّ على مفارق رأس يحيىٰ خنافس مُوِّتَتْ زَمَن البطاح

وللوليد أشعار كتبناها في مواضع من هذا الكتاب ، ولما احتُضر قال وهو بالبليخ : «اللهم إن كان أهل الكوفة صَدَقوا عليّ فلا تُلَقِّ روحي رَوْحاً ولا ريحاناً ، وإن كانوا كذبوا علي فلا تُرضهم بأمير ، ولا ترضَ عنهم أميراً ، وانتقم لي منهم ، واجعل قولهم كفّارة لما لا يعلمون من ذنوبي» .

وزار الوليد معاوية بالشام فقال له : يا أبا وهب ألستَ أكثر قريش مالاً ؟ قال : بلىٰ . قال : فخرج وأنشأ يقول :

أعفّ وأستغني كما قد أمرتني فأَعْطِ سِوائي ما بدا لك وابخل
سأصرف عنك الرّكز إن سجيتي إذا رابني ريبٌ كَسَلَّةِ منصل
وإنّي امرؤٌ في الدار مني تَطَرّبٌ وليس شبا قفل عليّ بمقفل

ثم أتى الرقة فمات بها ، وقال بعضهم : نزل الوليد بالرقة فلم يأت صفين .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال : اعتزل الوليد علي بن أبي طالب ومعاوية ، وأقام بالرقة حتى مات بها أو بالبليخ .

وقال أبو اليقظان : أعجبته البليخ فقال : منك المحشر فمات بالبليخ .

وولد الوليد بن عقبة : عمرا ، كان يكنىٰ أبا قطيفة وكان شاعراً .

وقال مصعب : كني أبو قطيفة بهذه الكنية لأنه كان كثير شعر الرأس

والوجه والجسد[1] ، وسيّره ابن الزبير من المدينة إلى الشام مع بني أمية فقال :

ليت شعري وأينَ مني ليتٌ هل على العهد يلبن فبرام[2]
أم كعهدي البقيع أم بَدَّلَتْهُ بَعْدَنا المعصفاتُ والأيام
خشيةً أن يصيبهم حدث الدهـ ـر وحرب يشيب منه الغُلام
وبقومي بَدَّلْتُ كلباً ولخماً وجذاماً وأين مني جذام

وقال أبو قطيفة :

بكىٰ أحدٌ إن فارق اليوم أهله فكيف بذي وَجْدٍ من القوم آلفُ
من اجل أبي بكر جَلَتْ عن بلادها أمية والأعلام عُوْجٌ عواطفُ

وذكره ابن القَلَمَّس الكناني فعابه عند عبد الملك فقال :

أنبئتُ أنّ ابن القَلَمَّس عابني ومن ذا من الناس البرىء المُسَلَّمُ
تَبَيَّنْ سبيل الرشد سيد قومه فقد يُبصر الرشد الرئيس المعَمَّمُ
فَمَنْ أنتُمُ إنّا نسينا مَنْ انتُمُ وقد جعلتْ أشياء تُنْسىَ وتكْتَمُ

فولد عمرو بن الوليد وهو أبو قطيفة : ذا الشامة ، وهو محمد ، وأمه ابنة أسماء بن خارجة ، وكان صاحب قرآن ، ومن قرآنه (إن الباقر تشابه علينا)[3] وكان به شامة ، وولاه مسلمة بن عبد الملك الكوفة ، فرماه أهلها بالزندقة ، وقدم ذو الشامة على يوسف بن عمر ، فأمر له بألف دينار فردّها وقال :

قد قلت حين تَيَّمَمتْ وبدا لها قَصْدُ السبيل

---

١ ـ كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري ص ١٤٦ .
٢ ـ يلبن : جبل قرب المدينة وبرام جبل عند الحرة من ناحية النقيع . المغانم المطابة .
٣ ـ انظر سورة البقرة الآية : ٧٠ .

قَبَحَ الإلـه قـرابـةً تُـرجىٰ من آل أبي عقيل
قـومٌ إذا مـا جئـتـهـم بـالحقّ والنسب الأصيـل
لم يـرغـبـوا أو يـرهـبـوا يـوماً رجعـتُ بـلا فتيـل
وإذا أردت نَـــوالهــم منهـم فيعــدل ألـف ميــل

وأما خالد بن عقبة :

فاستقضاه مروان بن الحكم على المدينة في أيام معاوية ، فوثب غلمان لسعيد بن عثمان عليه فقتلوا سعيداً ، فقال عبد الرحمن بن سيحان حليف بني أمية :

يلومونني في الدار إن غبت عنهم وقد فرَّ عنهم خالدٌ وهو دارع

وقال خالد :

لعمري لقد أبصرتهم فتركتهم بعينيك إذ ممشاك في الدار واسع

فولد خالدٌ : خالداً ولقّب أُجَيْح ، ويكنى أبا العباس ، وفيه يقول عبد الله بن الحجاج الغطفاني :

كأني إذ دخلتُ على أُجيحٍ دخلتُ على مُقَوْقِيَـةٍ تَبيضُ
إوزّة غيـطة لقحتْ كشافـاً لقحقحها إذا ربضتْ نقيضُ(١)
فإنْ يَعْرِضْ أبو العباس عني ويرمي بي عروضاً عن عروض
ويجعل مالـه بخلاً لغيري ويبغضني فـإني من بغيض
فإن بمصر عبد الله يـأسو ويجبر عظم ذي الكسر المهيض

عبد الله هو ابن عبد الملك بن مروان .

---

١ ـ القحقح : العظم المطيف بالدبر ، والنقيض : الصوت . القاموس .

ومن ولد خالد بن عقبة :

هشام . ولي الصائفة زمن الوليد بن عبد الملك وفي الجيش عمر بن عبد العزيز .

قالوا : ولما خرج مروان بن الحكم من المدينة قال خالد بن عقبة :

فـوالله مـا أدري وإني لسـائـل ... تعاجزتَ يا مروان أم أنت عاجزُ
فررتَ ولمّا تُغْنِ شيئاً وقد تَرى ... بأنْ سوف ينثو[1] الفعل حادٍ وراجزُ

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص فقال :

أخالد أكـثرت الملامـة والأذى ... لقومك لمـا هَزْهَـزَتْكَ الهـزاهزُ
أخالد إنّ الحرب عوصاء مُرَّةٌ ... لها كَفَلٌ نابٍ عن الكفْلِ ناشزُ
يُعجزّ مولاك الذي لستَ مثله ... وأنت بتعجيز امرىء الصدق عاجزُ
هو المرء يوم الدار لا أنتَ إذْ دعَا ... إلى الموت يمشي حاسراً من يبارزُ

وقال ابن الكلبي : نزل خالد الجزيرة ، فولده بها اليوم .

قال : وأبو قطيفة الذي يقول :

ألا ليت شعري هل تغير بَعدنا ... بقيع المصلّى أو كعهدي القرائن
أم الدور أكناف البلاط عوامرٌ ... كما كُن أم هل بالمدينة ساكن
لعل قريشاً أن تُريع حلومها ... ويُزجر بعد الشّؤم طير الأيامن

وأما عمارة بن عقبة بن أبي معيط ، فإنه كان مقيماً بالكوفة ، وبها ولده ، وله يقول أخوه الوليد بن عقبة :

فإن يَكُ ظنّي يا بن أميَ صادقاً ... عُمارة لا تطلب بذحل ولا وتر

وقد ذكرنا هذا الشعر في موضع آخر .

---

١ ـ ينث الخبر : يفشيه . القاموس .

ومن ولده :

أم أيوب ، وأم نافع ، أمهما ابنة هانىء بن قبيصة . فأما أم أيوب فكانت عند عبيد الله بن زياد ، وكانت أم نافع عند زياد بن أبي سفيان .

وقال ابن الكلبي : ولى عبد الملك أبان بن الوليد بن عقبة حمص وقنسرين ، وولى عثمان بن الوليد بن عقبة أرمينية .

وقال ابن الكلبي : كان الذي ذهب برأس يزيد بن المهلب إلى الشام خالد بن خالد بن الوليد بن عقبة . وقال ابن الكلبي :

ولد هشام بن الوليد :

معاوية .

فولد معاوية : هشام بن معاوية بن هشام بن الوليد ، وهو أبو يعيش . ولي الصوائف في زمن الوليد بن عبد الملك .

قال ابن الكلبي : قدم عقفان بن قيس بن عاصم ، أو متمم بن نويرة المدينة ، فنزل على أروى بنت كريز فأكرمته فقال :

خَلِّفْ على أروى سلاماً فإنما جزاء الثواءِ أنْ تعِفّ وتُحمدا
سلاماً أتى من وامقٍ غير عاشقٍ أراد رحيلاً ما أعفّ وأمجدا

وكان جساس المعيطي من ولد عمارة ، ويكنى أبا الوليد ، واسمه عمارة ، شيخاً ماجناً تملأ لحيته صدره ، وكان يخضب ، فمرّ ومعه صديق له بين منازل أبي معيط فقال لصديقه : ما أشد الحرّ يا أبا الوليد . قال : أو ما تعلم أنك بين منازل الصبية الذي أوجب لهم رسول الله ﷺ النار ؟ .

ورأى امرأة قد ضُربت الحدّ ، وقد حُملت على حمار ، وهي تنادي على نفسها : من رآني فلا يزني . فدنا منها ثم قال : أَيْ زانية ، إنك إذاً لمطاعة .

ومرّ بخمر قد صُبَّتْ ، وطنبور قد كُسر ، فقال : اللهم غَيِّرْ ما ترى .

وبات مع قوم من أهل الكوفة ، فلما ناموا قام إلى غلام له ملتح ليفسق به ، فلم يُخَلِّ بينه وبين ذلك ، وقال له : أما تستحي من الناس ، ثم صار إلى غلام له آخر فطاوعه على ما أراد ، فلما أصبح اشترى أثواباً فجعل يقطع لنفسه منها ثوباً ولغلامه الذي طاوعه ثوباً ، فقال له الغلام الذي التوى عليه : فأنا مالي ؟ قال : أنت يا بني تتكلم في النوم .

قال ابن الكلبي : وكان يقال للوليد بن عقبة : الأشعر بـركا ، وكان كثير شعر الصدر والجسد ، والبرك : الصدر .

وقال الكلبي : كان سعيد بن عبد العزيز بن خُدينة على خراسان من قبل مسلمة ، وكان مقيماً بهراة فيما ذكر بعضهم ، وكان عبد الملك بن بشر بن مروان من قبله على البصرة . وكان ذو الشامة محمد بن عمرو أبي قطيفة بن الوليد بن عقبة من قبله على الكوفة . فقال الفرزدق حين عزل مسلمة :

عزل ابن عمرو وابن بشر قبله وأخو هراة لمثلها متوقـع[1]

قال الحرمازي : قال هراة ولم يقل خراسان لضرورة الشعر .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص٤٠٨ مع فوارق .

ومن بني سفيان بن أمية الأكبر بن عبد شمس

حكيم بن طليق بن سفيان بن أمية وكان من المؤلفة قلوبهم ، أعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين مائة من الإبل . وكان لسفيان ابن يقال له : المهاجر ، فهلك .

وكان سفيان أحد من تعلم الخط العربي من بشير أخي أُكيدر السكوني في الجاهلية ، وعلّمه غيلان بن سَلمة الثقفي ، وله ابنة تزوجها المغيرة بن زياد بن سُمَيَّة ، ويقال زياد نفسه ، فَدَرج عقب سفيان .

وقال الكلبي : كان لسفيان من الولد لصلبه :

طليق ، والحارث ، وحمنه ، وهي أم سعد بن أبي وقاص .

- ومن بني أبي سفيان بن أمية :

سفيان بن أمية بن أبي سفيان بن أمية الذي ذهب بموت علي بن أبي طالب إلى الحجاز . ولا عقب له .

وأما عمرو بن أمية فولد :

يزيد . وأمه أم قتال بنت عبدالله بن الحارث بن زهرة . درج ولا عقب لعمرو بن أمية .

وأما أبو حرب بن أمية فلا عقب له .

ولد حبيب بن عبد شمس

وأما حبيب بن عبد شمس فولد :

ربيعة . وأمه فاطمة بنت الحارث بن شجنة .

وقال أبو اليقظان : أمه فاطمة بنت عِدّ بن أبي الحارث من عدوان .

وسمرة بن حبيب لأم ولد سوداء يقال لها زبيبة . وأخوه لأمه أبو جمعة جَدّ كثّير بن عبدالرحمن بن أبي جمعة الشاعر .

وعَمْراً ، وأمه من بني سهم .

فأما **سمرة بن حبيب** فولد : عَمْراً . وأمه ريطة بنت عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .

وعبدالرحمن بن سمرة . وأمه كنانية .

فأما **عمرو بن سمرة** فقطعه النبي ﷺ في سرقة . وولده ينزلون البصرة ، منهم : معاوية بن معاوية السمري . أمه من ولد زياد بن سُمَيّة . وكان من وجوه قريش وذوي المروءة منهم ، وهلك بالبصرة وله عقب .

وأما **عبدالرحمن بن سمرة** فكان يسمى عبدكلال . فسماه رسول الله

ﷺ عبدالرحمن ، وقال له النبي ﷺ : «يا عبدالرحمن لا تطلب الإمارة فإنك إن أُتيتها من غير مسألة أُعنت عليها ، وإن أُتيتها عن مسألة وُكلت إلى نفسك فيها» .

وكانت له صحبة للنبي ﷺ ، وولاه عبدالله بن عامر سجستان فافتتحها . وكان متواضعاً فإذا كان اليوم المطير أخذ مسحاة وكسح الطريق .

وافتتح كابل ، ونزل البصرة ، وبنى بها منزلاً على بناء كابل ، وقد حُدِّث عنه ، ومات بالبصرة فحضر جنازته أبو بكرة ، فسمع قائلاً يقول : رويدكم بالجنازة فعلاه بسوطه وقال : لقد كنا نهرول بها على عهد رسول الله ﷺ هرولة .

- فولد عبدالرحمن :

عبيدالله بن عبدالله بن عبدالرحمن بن سمرة ، وكان أعور ، وكان من رجال قريش ، وكان مع عبدالملك بن مروان ، فلما خرج عبدالرحمن بن الأشعث خرج معه ابناه فقال لعبدالملك : ائذن لي حتى أخرج فأردّ ابنيّ ، فأذن له فلحق بابن الأشعث فولاه البصرة . وقال فيه الشاعر :

يا أعور العين فُديت العُورا لا تحسبَنَّ الخندق المحفورا

يدفع عنك القَدَرَ المقدورا

ثم هرب فأتى خراسان فقال المثنى بن عبيد الأزدي :

وتثعلب الرَوّاض بعد مزاحه وانسلَّ بين غرارتين الأعورُ

الرواض : عبدالرحمن بن العباس الهاشمي ، من بني الحارث بن عبدالمطلب ، وكان يركب البغال فيروّضها .

ولما بلغ الحجاج أنه بخراسان تخوّف أن يؤمنه عبدالملك ، فبعث إلى قتيبة بخرقة وقطنة وتراب وزبيبة فقال قتيبة : يأمرني أن أقتل ابن زبيبة وهذا كفنه ولباسه في تربته . فأخذه فقتله . وزبيبة أم سمرة .

وقتل الحجاج ابنه عتبة بن عبيدالله بن عبدالرحمن بن سمرة بواسط ، وهو صاحب درب ابن سمرة بالبصرة .

وكان ولد عبيدالله : أبا بكر وهو عتبة ، وعثمان ، وكانا خرجا مع ابن الأشعث . ولأبي بكر عقب بالبصرة .

وأما ربيعة بن حبيب بن عبدشمس فولد : كريزاً وأمه خزاعية .

فولد **كريز** : عامر بن كريز . وآمنة ، وأروى . وأم طلحة وهي أرنب . أمهم البيضاء بنت عبدالمطلب ، وهي أم حكيم .

والحارث لأم ولد سوداء ، وشهل بن كريز ، وعُبَيس بن كريز ، أمهما من عبدالقيس ، ويقال أم ولد .

وفاختة . أمها هند بنت جُدعان أخت عبدالله بن جُدعان .

فأما **أروى** فتزوجها عَفّان بن أبي العاص بن أُمية ، فهي أم عثمان بن عفان . ثم خلف عليها عقبة بن أبي معيط .

وأما **أم طلحة** وهي أرنب فتزوجها عامر بن الحضرمي .

وأما **آمنة** فتزوجها الحكم بن كيسان حليف بني المغيرة ، ثم عبدالله بن أبي سعيد ، أو سعيد حليف بني أمية بن المغيرة .

وأما **فاختة** فتزوجها أبو العاص بن نوفل بن عبد شمس .

وأما **عامر بن كريز** فكان مضعوفاً ، وأتى عبدالمطلب فَمَسَّهُ فقال : وأعظُم هاشم ، ما ولد في بني عبدمناف مولود أحمق منه . وفيه تقول أم

حكيم :

إذا ذُكِّرتُ أمركَ عامَ عندي أبيتُ بليلةٍ وُصِلَتْ بشهـرِ
فلم تُشْبـه أباك ولا أبـانا ولكنْ أنت هذرٌ غير صفرِ
فـلم آتيــه ســائـلةً لشيءٍ ولا أدعـو لـه أبـداً بغفـرِ

فولد عامر : عبدالله . وأم رافع . أمهما : دجاجة بنت أسماء بن الصَّلْت بن حبيب بن حارثة بن سماك السّلمي ، وأمها : أميمة بنت الأخنس سُلمية .

وأبا الصهباء . أمه رومية .

فأما **أم رافع** فتزوجها عبدالله بن الأسود بن عوف الزهري .

وأما **أبو الصهباء** فكانت عنده أم حبيب بنت زياد ، فولدت له ، وله عقب بالبصرة .

وأما عبدالله بن عامر [1] **بن كريز بن ربيعة** بن حبيب بن عبدشمس ، فإن أباه عامر أتى به النبي ﷺ فَحنّكَهُ ، وقال : هذا أشبه بنا منكم فتثاءب فتفل في فيه فازدرد ريقه ، فقال النبي ﷺ : إني لأرجو أن يكون مسقيّاً .

وكان يكنى أبا عبدالرحمن ، واستعمله عثمان بن عفان على البصرة وأعمالها ، فافتتح اصطخر ، وجور ، وكوراً من فارس ، وخراسان وسجستان ، وكابل ، واتخذ النباج [2] في طريق مكة ، وغرس بها نخلاً وحفر آباراً وعمر منازل واتخذ حياضاً ، واتخذ بعرفات حياضاً وسقايات ، واتخذ بالبصرة بالنجيب قصراً يعرف بقصر ابن عامر ، وحفر بالبصرة نهرين

---

١ ـ بهامش الأصل : عبد الله بن عامر .
٢ ـ النباج منزل لحجاج البصرة بين البصرة ومكة . معجم البلدان .

أحدهما في السوق والآخر الذي يعرف بأم عبدالله ، وغرس عليهما غراساً كثيراً .

وأمر ابن عامر زياداً ـ وقد استخلفه على البصرة ـ أن يحفر نهر الأُبُلَّةَ فحفره .

وكان ابن عامر مسقياً لَوْ مَسّ صخرة لأَماهها ـ أي أخرج منها الماء ـ وقال ابن عامر : لو كنت تركت لخرجت المرأة في حُداجها على دابتها ، ترد كل يوم على ماء ، وسوق حتى ترد مكة .

وكان ابن عامر أجود العرب وأسخاهم وأكرمهم . أعطى في ولاية البصرة أربعة وثمانين ألف ألف درهم أجاز بها .

وسأل الوليد بن عقبة مروان وهو على المدينة فأعطاه عشرة آلاف درهم فلم يقبلها ، ومر بالمغيرة بن شعبة فأعطاه عشرين ألفاً على يد ابنه عروة ، وأما ابن عامر فشكا إليه دينه فقضاه عنه ، وكان دينه مائة ألف ، ووهب له مائة ألف أخرى . فقال :

ألا جعل الله المغيرة وابنه ... ومروان نعلي بذلة لابن عامرِ
لكي يقياه الحرّ والقرّ والأذى ... ولدغ الأفاعي واحتدام الهواجرِ
يفيض الفرات للذين يَلُوْنَهُ ... وسَيْبك مالي كل بادٍ وحاضرِ

وكان يقال : أفلح سائل ابن عامر . وقال الراجز لابنه عبدالأعلى :

يابن الذي أفلح عفواً سائله ... وأنجحتْ لما أتى وسائله

المدائني عن مسلمة عن الجارود بن أبي سبرة قال : أَحْرَمَ عبدالله بن عامر من نيسابور شكراً لله ، فأحدث السقايات بعرفات وعَمَّر النباج ، قال : فالنباج يعرف بنباج ابن عامر .

وقال أبو السنابل بن عبدالله :

أنا ابن مُصَدِّر الحُجاج ريّاً بمائهم وألبان اللقاح
وكان إذا أصاب الناس جهد يباري الريح من فضل السماح

فلما قتل عثمان أتى مكة فقدم مع طلحة والزبير وحضر يوم الجمل فقتل ابنه عبدالرحمن ، ثم لحق بدمشق فقال الشاعر :

أتاني من الأنباء أن ابن عامر أناخ وألقى في دمشق الرواسيا

فلما ولي معاوية الخلافة ، ولى عبدالله بن عامر البصرة وأعمالها ، وكان عقده عليها بالنخيلة بالكوفة ، وزوج معاوية ابن عامر هند ابنة معاوية ، وكانت ولايته لمعاوية خمس سنين ، ثم عزله معاوية واستعمل الحارث بن عبدالله الأزدي ، ثم استعمل زياداً فتحامل على ابن عامر .

ثم ولي عبيدالله بن زياد فأضَرَّ به في مواليه وأمواله ودوره وأنهاره ، ثم أتى مكة فمات بها ودفن بعرفات ، وأوصى الى ابن الزبير .

وقال الواقدي : لما فتح رسول الله ﷺ مكة أُتي بعبدالله بن عامر وهو ابن خمس أو ست فقال : «إن شبهنا لَفِيْهِ . وتَفَلَ في فمه وقال : لو أنه قدح حجراً أَمَاهَهُ» .

قالوا : قدم الأحنف البصرة من خراسان على فرسه الذي أبدى عليه وبغله الذي عليه ثقله إلا أن معه شيئاً سوى ذلك أتى به ابن عامر فقال : هذا شيء ذكر لي انه هدية النوروز ، فقال عبدالله بن عامر : هو لك . قال : لا حاجة لي فيه . قال : فلابنك . قال : ما كنت أرضى له إلاّ بما أرضى لنفسي . قال الحسن : فَضَمَّ ذلك إليه رجل مضَمّ . قالوا : وأراد معاوية أن يصطفي أموال ابن عامر ، فقال ابن عامر : قال رسول الله ﷺ :

«المقتول دون ماله شهيد» ، والله لأقاتلنّه حتى أُقتل دون مالي . فأعرضَ عنه معاوية .

وقال أبو الأسود في ابن عامر وعيب عليه :

ألم تر ما بيني وبين ابن عامر من الودّ قد بالت عليه الثعالب
فأصبح باقي الود بيني وبينه كما لم يكن والدهر جَمّ العجائب
فما أنا بالباكي عليه صبابة ولا بالذي تأتيه عني المثالب
إذا المرء لم يحببك إلا تكرهاً بدا لك من أخلاقه ما تجانب[1]

وقال المدائني : كانت هند بنت معاوية أبرّ الناس بابن عامر ، فجاءته يوماً بالمرآة والمشط وكانت تولّي خدمته نفسها . فنظر في المرآة فالتقى وجهه ووجهها في المرآة ، فرأى شبابها وجمالها ورأى الشيب في لحيته قد ألحقه بالشيوخ فرفع رأسه إليها وقال : الحقي بأهلك وأبيك ، فانطلقت حتى دخلت على أبيها فأخبرته فقال : وهل يُطلّق الحرّةَ حرٌّ ؟! فأرسل إليه : أكرمتك بابنتي فرددتها عليّ . فقال : إنّ الله مَنَّ عليّ بفضله وجعلني كريماً لا أحبُّ أن يتفضل أحد عليَّ ، وإنّ ابنتك من أكرم صاحبة وقد أعجزتني مكافأتها لحسن صحبتها ، ونظرت فإذا أنا شيخ وهي شابة لا أزيدها مالاً إلى مالها ولا شرفاً إلى شرفها ، فرددتُها عليك لتُزوّجها ، وكان رجلاً سخياً كريماً .

وقال النابغة :

فياليت من يأتي ابن هند بحاجتي ومروان والأقباء تُهدى وتُجلبُ
يخبّر عني ما أقول ابنَ عامرٍ فنعمَ الذي يأوي إليه المصعَّبُ

---

١ ـ ديوان أبي الأسود ص ١٥٨ مع فوارق .

كريم ينال الصالحين نـواله ويروى بكفيه السِّنان المجرَّبُ[1]

وقال أبو الأسود :

يـا خليلي مـا الذي غَـيَّرَ لي ودَّهُ والنصـح حتى ودَّعَـهْ

لا تَهِنِي بعـد أن أكـرمتني فشـديـدٌ عـادَه مُنْتَزِعَـهْ[2]

وقال ابن عامر لعبد الله بن عمر : اتخذتُ مصنعة كذا ، وحفرت بئر كذا ، وسقيت الناس الماء بمكان كذا ، فقال له ابن عمر : إذا طابت المكسبة زَكَتِ النفقة ، وسترد فَتَعْلَم .

وقال ابن الأعرابي : حدثني سعيد بن سلم عن أبيه قال : تخاصم رجلان من قريش إلى مروان بن الحكم بالمدينة في مال ، فقال لبعض حرسه : انطلق بهما إلى عبد الله بن عامر وقل له : انظر في أمر ابن عَمَّيْكَ ، فقال : ما قيمة ما تتنازعان فيه ؟ قالا : عشرة آلاف دينار . قال : أيعجز مروان أن يغرم عشرة آلاف دينار في إصلاح بينكما . فغرمها ، فقال مروان : أردنا أن نفضحه ففضحنا .

فولد عبد الله بن عامر :

عبد الرحمن الأكبر . وعبد الله الأعمى . وعبد الملك . أمهم كُبيشة بنت الحارث بن كُريز .

وعبد الحكيم . وعبد الواحد الأكبر . وأمهم أم حبيب بنت سفيان ، كنانية .

---

١ ـ ديوان النابغة الجعدي ـ ط . دمشق ١٩٦٤ ص ٧ ـ البيتان الأول والثاني دون الثالث مع فوارق .

٢ ـ ليسا في ديوان أبي الأسود المطبوع .

وعبد الحميدالأصغر . وعبد العزيز . أمهما من بني المطّلب بن عبد مناف .

وعبد العزيز . وعبد المجيد لأم ولد .

وأبا النضر واسمه عبد الرحمن لأم ولد .

وعبد الجبار لأم ولد . وعبد ربه . وأم كلثوم وأمهما أمة الله من بني عدي بن كعب . وكانت أم كلثوم عند يزيد بن معاوية . وفيها يقول :

إذا ظللتُ على الأنماط متكئاً بدير مروان عندي أم كلثوم

وأم رافع . وزينب ـ وكان أبان بن عثمان بن عفان تزوجها ـ. وأمهما ثقفية . وأمة الحميد وأمها هند بنت سهيل بن عمرو . وأم عبد الملك ، أمها هند بنت أبي العاص بن نوفل بن عبد شمس ، تزوجها عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية .

وعبد الكريم . وعبد الرحمن أبا السنابل لأم ولد .

وعبد السلام أمه من بني عبد الدار .

فأما عبد الرحمن بن عبد الله فقتل يوم الجمل ولا عقب له .

وأما عبد الله الأعمى فولد : عبد الرحمن . وعبد الأعلى . وأَمة الرحمن لأم ولد . وعبد القدير . وعبد الحميد . وعبد الواحد . وعبد الجبار . وحميدة . وأمهم خزاعية ، وعبد العزيز أمه ابنة الحارث بن نوفل ، وأمها هند بنت أبي سفيان بن حرب . وعبد الملك ، وأم عبد الله ، أمهما من بني عقيل . وعبد الغفار ، وأم عبد الملك أمهما من ولد قدامة بن مظعون .

وعبد الله وعبد القدوس أمهما كلبية .

فأما حميدة فكانت عند محمد بن يوسف أخي الحجاج .

وأما عبد الرحمن فكان ينزل المدينة وعقبه بها .

وأما عبد العزيز فكان راوية للشعر ، وكان يرمى بالكذب . على أنه كان له قَدْرٌ .

وأما عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر فكان يكنى أبا عبد الرحمن ، وكان من أفصح الناس وأسخاهم ، وكان شجاعاً ، وشهد يوم الزاوية مع الحجاج ، ويوم رستقاباذ ، وقال فيه رؤبة بن العجاج :

لأهـدِيَنَّ مـدحـة لاتبـلى إلى ابن عبد الله عبد الأعلى

قـد سُـربـل المجـد فتـى وكهـلا[1]

ومات بالبصرة. وكان سخياً، وعقبه بالبصرة كثير.

وقال بلال بن أبي بردة لرجل: أتأتي صديقك اليوم ـ يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله ـ فقال: نعم نأتيه وهو متصبح، ثم ينتبه فيقعد فإن حدثناه أحسن الاستماع، وإن سكتنا ساقطنا أحسن الحديث، ثم يأتي طباخه فيخبره بما عنده مما أَعَدَّ له ثم يقدمه، ويؤتى من عند نسائه بألطافٍ فيأكل ويمعن ثم يأكل معنا .

قال: وقال الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب: لكَرَمُ عبد الأعلى وسخاؤه أنصع وأفضل من كرم عبد الله بن عامر، وسعيد بن العاص وسخائيهما، لأن ذينك كانا يعتمدان في إنفاقهما على بيت المال، وهذا يعتمد على صلب ماله.

وولى الرشيد أمير المؤمنين عمر بن عبد الرحمن بن عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله البصرة، وكور دجلة.

١ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان رؤبة المطبوع.

وأما عبد الملك بن عبد الله بن عامر، فكان يقال له قفيز، وولي بعض فارس للقباع وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أيام الزبير.

وقال ابن الكلبي: ولي البصرة أيام ابن الزبير وولده بالبصرة.

فولد عبد الملك: عبد الكبير. وأم عبد الغفار وأمهما حنفية، وكان البراء بن قبيصة الثقفي خطبها فقال:

أم عبد الغفار هاتي نَوَالا وصِلِي حبل عـاشق إرسالا

فتزوجها عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر، وولد عبد الملك بالبصرة.

وولد عبد الكريم بن عبد الله بن عامر: عبد الحميد، فولد عبد الحميد: عبيد الله بن عبد الحميد بن عبد الكريم بن عبد الله بن عامر ولقّب عبيد الله ترفل، قتله أبو مسلم، وقتل أخاه عبد العزيز بن عبد الحميد بن عبد الكريم، ولترفل يقول ثابت قطنة:

أيذهب هذا الدهر لم نَسْقِ ترفلاً وأشياعه الكأس التي صَبَّحوا جَهْمَا

وقد ذكرنا خبر ترفل الذي قيل هذا الشعر فيه مع خبر خدينة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، وعبد الحميد بن عبد الكريم بن عبد الله بن عامر هو الذي قتل ابن ناشرة الحنظلي بسجستان، ويقال بل قتله ابنه عبد العزيز بن عبد الحميد.

وقال المدائني عن أبي اليقظان: قتل ابن ناشرة عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كريز، وكان سبب ذلك أن طلحة الطلحات الخزاعي لما احتضر استخلف رجلاً من بني يشكر على سجستان فأخرجته المضرية، وغلب كل امرىء منهم على ناحية، فكانوا كذلك حتى قدم هذا الكريزي،

فاتفقت عليه مضر وصالحوه، فدخل مدينة زرنج وقاتل رتبيل،وعاد المضريون إلى أماكنهم التي كانوا يأكلونها،وأرسل إليه عبد الله بن ناشرة أن خذ ما في بيت المال وانصرف.

وغلب ابن ناشرة على زرنج،وبلغ ذلك وكيع بن أبي سود التميمي فلحقه فردّه، وأخرج ابن ناشرة إلى مكانه،ودلف إليه عبد الحميد أو عبد العزيز ابنه ومعه وكيع فتحاربا، وعثر بابن ناشرة فرسه، فاندقّت رجله وهزم أصحابه،وقتل فقال أبو حزابة أو حنظلة بن عرادة:

لعمري لقد هدَّت قريش عروشنا بأبيض نفّاح العشيات أزهرا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا بنا وبكم أو نُصدر الأمر مصدَرَا
ألا لافتىً بعد ابن ناشرة الفتى ولاشيء إلا قد تولّى وأَدبرا
فتى حنظليٌّ ماتزال يمينه تجود بمعروف وَتُنكِرُ مُنكرَا
أكانَ حصاداً للمنايا ازْدَرَعْنَهُ فهلا تركْنَ النَّبْتَ ما كان أخضرا

في أبيات:

ولم يزل هذا الكريزي على سجستان حتى قتل مصعب فولى عبد الملك مكانه رجلاً.

وقال الكلبي: هذا الكريزي عبد الحميد.

وقال المدائني: هو عبد العزيز ابنه أخو تُرفُل.

وقال ابن الكلبي: اسم ترفل عبد الله.

وقال غيره: اسمه عبد الحميد، وقول الكلبي أثبت.

وأما أبو السنابل وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر فولد: عبد المجيد، أمه سلمة من ولد أسيد بن عبد العزى. وعبد الله لأم

ولد. وأمة الواحد لأم ولد، ولأبي السنابل عقب، وحضر أبو السنابل ـ وكان شاعرا ـ سيل الجحاف.

وأما عبد الجبار بن عبد الله بن عامر فولد أولاداً. وكذلك عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر. وكذلك عبد الحميد بن عبد الله بن عامر.

وأما الحارث بن كريز، وأمه سوداء فولد:

عبد الله. وعثمان، أمهما من بني سامة بن لؤي. وكبشة، أمها عبدرية. فتزوج كبشة مسيلمة الكذاب، ثم تزوجها عبد الله بن عامر.

وأما عيسى بن كريز فولد:

مسلم بن عيسى، وكان له قدر بالبصرة، قتله الخوارج من الأزارقة وقد كتبنا خبره. وحدثني عباس بن هشام ابن الكلبي عن أبيه ـ وذكره المدائني ـ قالا: كان يقع بين ابن عامر وبين مروان الكلام فيظفر به ابن عامر، فقال معاوية لعبد الله بن عامر: إنه يكون بينك وبين مروان الشيء فتظفر به. فقال: إنه يجدني عضاً شديد الخصومة. فقال: لو لقيت رجلاً عَرَّفَك نفسك. فقال ابن عامر: فكن أنت ذلك الرجل ياأمير المؤمنين. قال: أنا ابن هند بنت عتبة. قال: وأنا ابن أم حكيم بنت عبد المطلب. قال: ارتفعت جداً. قال: وانخفضتَ ياأمير المؤمنين، فقال معاوية: اذكر دجاجة بنت الصَّلْت. قال: وأنت فاذكر حمامة ـ وحمامة امرأة من بني غفار نالت معاوية ولادتها وكان يقال فيها.

قالوا: وضعف أمر ابن عامر، فكتب إليه معاوية في القدوم عليه، وذلك في سنة أربع وأربعين فاستخلف على البصرة قيس بن الهيثم وقدم فردّه على عمله، فلما ودّعه قال له معاوية: إني سائلك ثلاثاً فقل هي لك. قال:

هي لك وأنا ابن أم حكيم. قال معاوية: تردّ علي عملي ولاتغضب. قال: قد فعلت. قال: وتَهَب لي مالك بعرفة. قال: قد فعلت. قال: وتَهَب لي دارك بمكة. قال: قد فعلت، قال: وصلتك رحم. فقال ابن عامر: ياأمير المؤمنين إني سائلك ثلاثاً. قال: هي لك وأنا ابن هند. قال: تردّ علي مالي بعرفة. قال: قد فعلت. قال: ولا تحاسب لي عاملاً، قال: قد فعلت. قال: وأنكحني هند ابنتك. قال: قد فعلت.

ويقال إن معاوية قال له: اختر بين أن أردك إلى عملك وأحاسبك فاتّبع عليك، وبين أن أسوّغك ماأصبتَ وأعزلك. فاختار أن يسوغه ذلك.

المدائني عن مسلمة وغيره قال: كان ابن عامر لينّ الولاية لايقطع في ولايته ولايعاقب، وكان أَتْوَه أحمق. وشكا ابن عامر إلى زياد فساد الناس، فقال: جَرِّدْ فيهم سيفك. فقال: أصلحهم بفساد نفسي.

بنو ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف

ولد لربيعة بن عبد شمس:
عُتَبَة. وشَيْبَة. ورَيْطَة. وعاتكة، أمهم خُنَاس من بني عامر بن لؤي.
وأبا عتبة. وصفية. وعاتكة الصغرى. وهالة، وأمهم من بني زهرة يقال لها ضيزنة. فأما هالة فكانت عند الأفقم بن أبي عمرو النصري.

وأما عتبة فكان سيد قريش في زمانه وكان من المطعمين يوم بدر، رُوي عن عبد الله بن عمر أنه قال: كان عتبة سيد قريش في الجاهلية، وقيل: ماساد قريشاً مملق غير عتبة، وأبي طالب.

وقتل عتبة عبيدة بن الحارث يوم بدر، ويقال إنه شرك في قتله علي بن أبي طالب، ويقال قتله حمزة. وقد كتبنا خبره فيما تقدم.

فولد عتبة: الوليد. قتل يوم بدر. وأبا هاشم بن عتبة وكان صالحاً فقيهاً ومات بالشام. وهاشماً. وآمنة. وأبا الحكم. والمغيرة. وعبد شمس. وهنداً. وفاطمة. وعاتكة. وفاختة، وأمهم من ولد الأوقص السُّلَمي.

وأبا حذيفة بن عتبة. وحفص بن عتبة، وأمهما أم حفص ويقال أم صفوان بنت صفوان كنانية.

ونعمان. وربيعة، أمهما بَرَّه دوسيَّة.

والفارعة.

وقد كتبنا خبر هند بنت عتبة ومن تزوجها، وهي أم معاوية.

وتزوج أم أبان بنت عتبة: يزيد بن أبي سفيان فهلك عنها، فخطبها عمر بن الخطاب فقالت: لاأتزوجه لأنه يدخل عابساً، ويخرج عابساً، يغلق أبوابه ويُقلّ خيره.

ثم خطبها الزبير بن العوام فقالت: يَدٌ لَهُ على قروني، ويَدٌ لَهُ في السوط.

ثم خطبها علي بن أبي طالب فقالت: ليس للمرأة منه حظ، إلا أن يقعد بين شعبها الأربع.

ثم خطبها طلحة بن عبيد الله فتزوجها فدخل عليها علي فقيل: رددت هذا وتزوجت ابن الحضرمية؟ فقالت: القضاء والقدر. فقال: أما لقد تزوجت أجملَنَا أمراً وأجودَنَا كفاً، وأكثَرَنا خيراً على أهله.

وأما عاتكة فتزوجها أبو أمية بن المغيرة المخزومي.

وأما فاطمة فتزوجها القاسم بن حبيب الثقفي.

وأما الفارعة فكانت عند جندب بن عمرو بن حممة الدوسي.

وأما صفية فكانت عند عبد شمس بن الشريد المخزومي.

وكان عتبة نديماً لمطعم بن عدي.

وأما أبو حذيفة[1] بن عتبة بن ربيعة فأسلم واسمه هُشيم، ويقال مهشم، وأم أبي حذيفة أم صفوان وهي فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرّث

١ - بهامش الأصل: أبو حذيفة.

الكناني، وبعضهم يقول أم حفص. والأول أثبت.

حدثني الوليد بن صالح، ومحمد بن سعد قالا: حدثنا محمد بن عمر الواقدي عن محمد بن صالح عن يزيد بن رومان قال: أسلم أبو حذيفة بن عتبة قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

وقال الواقدي: نزل أبو حذيفة وسالم مولى أبي حذيفة بالمدينة على عباد بن بشر، وآخى رسول الله ﷺ بين أبي حذيفة وعبّاد وقتلا جميعاً باليمامة.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: شهد أبو حذيفة بدراً، فدعا أباه عتبة بن ربيعة إلى البراز فقالت هند أخته:

الأحولُ الأثعلُ الملعون طائِرهُ   أبو حذيفة شر الناس في الدينِ
أما شكرتَ أباً ربّاك في صغرٍ   حتى شَببتَ شباباً غير محجونِ

وكان عتبة قد حمل على الخروج مع قريش، فقال رسول الله ﷺ: «إنْ يَكُنْ عند أحدٍ منهم خير فعند صاحب الجمل الأحمر». فذكر غير الواقدي أن عتبة دعا للبراز فتعرّض أبو حذيفة للنبي ﷺ ليأمره بمبارزته فأعرض عنه، فلما قتل بكى أبو حذيفة، فقال النبي ﷺ: «ألم أركَ تعرضتَ لمبارزته فما بالك تبكي»؟. أو كما قال. فقال: لو أمرتني لفعلت فعلاً يعجب الناس. ولكن سمعتك تقول ماقلت فيه، وكان رجلاً عاقلاً، فلما قتل جزعتُ له من النار. وكان له قول في أمر العباس قد ذكرناه في خبر العباس.

قال: وكان أبو حذيفة رجلاً طوالاً، حسن الوجه، مترادف الأسنان،

وهو الثُّعَل[1] وكان أحول، شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها، وقتل يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة. وكان أبو حذيفة من مهاجرة الحبشة في المرتين جميعاً، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو من بني عامر بن لؤي.

فولد له بالحبشة : محمد بن أبي حذيفة وأمه سهلة . وعاصم بن أبي حذيفة وأمه بنت عمرو بن حرب بن أمية ، ولا عقب له ولا لمحمد أيضاً ، فلما قتل أبو حذيفة كفله عثمان بن عفان وأحسن إليه ومانه[2] وأنفق عليه ، فلما خرج عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى مصر والياً عليها من قبل عثمان ، خرج محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة إلى مصر . فغزوا في البحر سنة أربع وثمانين ، فصلى عبد الله بن سعد فكبّر محمد بن أبي حذيفة خلفه تكبيراً أفزعه فنهاه وقال : لولا أنك حدث أحمق لقاربتُ بين خطاك .

وكان يعيبه ويعيب عثمان بتوليته إياه ، ويقول : ولي عثمان رجلاً أباح رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح ، ونزل القرآن بكفره . ثم أظهر الطعن على عثمان وذم سيرته ، فكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان : «إن محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة قد أنغلا عليك المغرب وأفسداه» . فقال عثمان : اللهم إني ربيته رحمة له وصلة لقرابته ، وكتب إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح : «أما محمد بن أبي بكر فإني أدعه لأبي بكر وعائشة ، وأما ابن أبي حذيفة فإنه ابني وابن أخي ، وأنا ربيته وهو فرخ قريش» .

فكتب عبدالله بن سعد: «إن هذا فرخ قد استوى ريشه، ولم يبق

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٨٤ ـ ٨٥ .

٢ ـ مانه : قام بكفايته . القاموس .

إلا أن يطير»، فبعث عثمان إلى محمد بن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبجمل عليه كسوة ، فأمر بذلك فوضع في المسجد ثم قال : يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه ، فازداد الناس طعناً على عثمان واجتمعوا على ابن أبي حذيفة فرأسوه عليهم .

وكتب إليه عثمان يذكّره برَّه به ويقول : «لقد كنت أنكث المخ على المائدة فأؤثرك به ، فقد عاد ذلك بالمكروه عليّ أحوَج ما كنتُ إلى شكرك» .

فلم يزل ابن أبي حذيفة يحرض أهل مصر على عثمان ، حتى سَرَّبَهُم إلى المدينة ، فاجتمعوا مع أهل الأمصار إليه ، فلما حوصر عثمان ، وثب هو على عبد الله بن أبي سرح فطرده عن مصر وصلى بالناس .

فلما قتل عثمان ، وبويع لعلي بن أبي طالب ولي قيس بن سعد بن عبادة مصر ، فقال ابن أبي سرح : أبعد الله ابن أبي حذيفة ، بغى على ابن عمه ، وسعى عليه فجهز الرجال عليه ووثب بعماله ، ثم ولي عليه من هو أبعد رحماً فلم يمتّعه بسلطان بلده حولاً ولا شهراً ، ولم يره لذلك أهلاً . وخرج ابن أبي سرح حتى صار إلى معاوية .

ثم إن علي بن أبي طالب اتهم قيس بن سعد بالميل إلى معاوية لكفه عن قتال مسلمة بن مخلد الأنصاري ثم الخزرجي ، وكان قد جمع وطلب بدم عثمان ، فولى محمد بن أبي بكر مصر ، فلما مضت صفين بلغ علياً التياث الأمر على ابن أبي بكر ، فولى مصر الأشتر فهلك بالقُلزم[1] ، وكان من أمر ابن أبي بكر ومقتله ما قد ذكرناه فيما مضى .

وأصيب محمد بن أبي حذيفة فبعثوا به إلى معاوية وكان ابن خالة

١ ـ السويس حالياً .

معاوية بفلسطين فَوَبَّخه وعنَّفه ثم حبسه في سجن له مُرَفَّهاً مُوَسَّعاً عليه فهرب ، وكان معاوية يهوى خلاصه ويكره إظهار ذلك لأهل الشام ، وكان عثمان حَدَّ محمد بن أبي حذيفة في الشراب ، ضربه ثمانين .

وقال أبو مخنف وغيره : فقال رجل من خثعم يقال له عبيد الله بن عمرو بن ظلام ـ وكان عثمانياً ـ : أنا أتبع محمداً ، فخرج في خيل فلحقه بحوران وقد دخل غاراً فكره أن يأتي به معاوية فيعفو عنه فضرب عنقه .

وقال هشام ابن الكلبي عن أبيه : هرب محمد بن أبي حذيفة من سجن معاوية بعد قتل معاوية حجر بن عدي الكندي ، فطلبه مالك بن هبيرة بن خالد الكندي ثم السلولي ، ووضع الأرصاد عليه فقتله غضباً لحجر ، وقد كان التمس خلاص حجر فألفاه وقد قتل .

وقال ابن الكلبي : قد انقرض ولد أبي حذيفة وانقرض ولد عتبة بن ربيعة إلّا ولد المغيرة بن عمار بن عاصم بن الوليد بن عتبة وهم بالشام .

وأسلم سالم مولى أبي حذيفة[١] :

وهو في رواية موسى بن عقبة : سالم بن نبتل ، ونبتل من أهل اصطخر ، وذكر أن سالماً مولى ثبيتة بنت يعار من الأنصار من الأوس ، فسالم يُذكر مع الأنصار لأن ثبيتة أعتقته ، ويذكر في المهاجرين لولاء أبي حذيفة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين قال : كان سالم لثبيتة بنت يعار الأنصارية ، وكانت تحت أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة فأعتقته سائبة ، فتولى أبا حذيفة وتبناه أبو حذيفة فقالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة : جئت إلى النبي

١ ـ بهامش الأصل : سالم مولى أبي حذيفة .

ﷺ بعد نزول هذه الآية : ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾[1] فقلت : يا رسول الله إنما كان سالم عندنا ولداً . قال : «فأرضعيه خمس رضعات ويدخل عليكم» . قالت : فأرضعته وهو كبير . وزوّجه أبو حذيفة ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة ، فلما قتل سالم يوم اليمامة أرسل أبو بكر بميراثه إلى مولاته فأبتْ أن تقبله ، وقالت : إني سيبته . فجعله أبو بكر في بيت المال .

قال الواقدي : فحدثتُ ابن أبي ذئب بهذا الحديث فقال : أخبرني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن المسيّب قال : كان سالم سائبة ، فأوصى بثلث ماله في سبيل الله ، وبثلثه في الرقاب وبثلثه لمواليه .

حدثني محمد بن سعد وروح بن عبد المؤمن قالا : حدثنا عارم بن الفضيل ، ثنا حماد بن زيد ، وحدثني أبو الربيع الزهراني ، ثنا حماد بن زيد ، أنبأ أيوب عن محمد بن سيرين أن سالماً مولى أبي حذيفة أعتقته امرأة انصارية سائبة وقالت : والِ من شئت ، فوالى أبا حذيفة ، فكان يدخل على امرأته فذكرت ذلك للنبي ﷺ وقالت : إني أرى ذلك في وجه أبي حذيفة ، فقال : «أرضعيه» . قالت : إنه ذو لحية . قال : «قد علمتُ أنه ذو لحية» . قال : فقتل يوم اليمامة فدُفع ميراثه إلى المرأة .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا الفضل بن دكين أبو نعيم ، ثنا معقل بن عبيدالله عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد أن سهلة بنت سهيل بن عمرو أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله سالم مولى أبي حذيفة معي وقد أدرك مدرك الرجال . فقال : «أرضعيه فإذا فعلت فقد حرم عليك» .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن معمر عن الزهري قال : قالت

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٥ .

أم سلمة : أبى سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخل عليهنّ أحد بعد الرضاع وقلن : إنما هذه رخصة من النبي ﷺ لسالم خاصة .

وقال الزهري : حدثني عروة عن عائشة أنها أخذت بذلك من بين أزواج النبي ﷺ .

حدثني محمد بن سعد والحسن بن الأسود قالا : ثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن منصور عن مالك بن الحارث قال : كان زيد بن حارثة معروف النسب ، وكان سالم مولى أبي حذيفة غير معروف النسب .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن سفيان عن مسروق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : «خذوا القرآن عن أربعة : عبدالله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة[1]» .

وحدثني عمرو الناقد ، والحسين بن الأسود عن أبي معاوية بهذا الاسناد مثله .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عبيد الله بن نمير عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن المهاجرين الأولين لما قدموا من مكة إلى المدينة نزلوا إلى جنب قباء ، فأَمَّهُم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآناً ، وفيهم عمر بن الخطاب ، وأبو سلمة بن عبد الأسد .

وقال الواقدي : كان سالم يَؤُمّ المهاجرين من مكة إلى المدينة ويؤمهم بقباء إلى قدوم النبي ﷺ المدينة لأنه كان أقرأهم لكتاب الله .

حدثني محمد بن حاتم المرزوي ، ثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن.

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٨٥ ـ ٨٧ .

ابن عمر قال : لما قدم المهاجرون الأولون من مكة مقدم رسول الله ﷺ المدينة نزلوا العُصَبة[١] فكان سالم مولى أبي حذيفة يؤمهم لأنه كان أكثرهم قرآناً فيهم عمر بن الخطاب وأبو سلمة بن عبد الأسد . قال : وآخى رسول الله ﷺ بين سالم وبين أبي حذيفة وبين أبي عبيدة بن الجراح وآخي بينه وبين معاذ بن ماعص من الأنصار وهو أحد من استشهد يوم بئر معونة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يونس بن محمد الظفري عن يعقوب بن عمر بن قتادة قال : أخبرني محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال : لما انكشف المسلمون يوم اليمامة قال سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة : ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ . فحفر لنفسه حفرة وقام فيها ومعه راية المهاجرين يومئذ ، ثم قاتل حتى قتل شهيداً ، وذلك في سنة اثنتي عشرة .

قال الواقدي : وقال غير يونس : فوجد رأس سالم عند رجلي أبي حذيفة أو رأس أبي حذيفة عند رجلي سالماً .

حدثني أبو موسى إسحاق الفروي ، ثنا أبو معاوية الضرير عن أبي إسحاق الشيباني عن ابن أبي الجعد عن عبد الله بن شداد أن سالماً مولى أبي حذيفة قتل يوم اليمامة فباع عمر ميراثه بعد فبلغ مائتي دينار ، فأعطاها أمه ، وقال : كُليها[٢] .

وقال ابن الكلبي : كان لأبي حذيفة من الولد :

عاصم بن أبي حذيفة ، وأمه آمنة بنت عمر بن حرب بن أمية وقد انقرض ولد أبي حذيفة ، وانقرض ولد عتبة بن ربيعة إلّا ولد المغيرة بن

---

١ ـ العصبة : موضع بقباء . المغانم المطابة .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٨٨ .

عمار بن عاصم بن الوليد بن عتبة وهم بالشام .

وقال أبو اليقظان : أسلم أبو هاشم بن عتبة وغزا بعض الشام .

وقال أبو اليقظان : ولد أبو هاشم عبد الله ، وأمه ابنة شيبة بن ربيعة ، وأم خالد أمها خثعمية . وسالماً لأم ولد ، فكانت أم خالد عند يزيد بن معاوية ، ثم خلف عليها مروان بن الحكم وهي التي قتلته غماً . ولا عقب لأبي هاشم بن عتبة .

وأما الوليد بن عتبة فقتل يوم بدر ، فادعت هند بنت عتبة رجلاً يقال له عاصم أنه ابنه ، فولّاه معاوية المدينة يسيراً فقال الشاعر :

كانت إمارة عاصم كسحابة بَرَقَتْ ولم تُمطر بنَوْءِ العقرب

ولا عقب للوليد .

وأما هاشم بن عتبة فولد :

درّة ، وأمها صفية من بني كنانة .

وأما شيبة بن ربيعة ، ويكنى أبا هاشم ، فكان يؤذي رسول الله ﷺ أذى كثيراً ، ولا يتولاه بنفسه ، وإنما كان يدسّ من يتولاه ، فقتله عبيدة بن الحارث بن المطّلب يوم بدر ، وذفف عليه حمزة وعلي ، ويقال قتله حمزة ، وقد كتبنا خبره فيما تقدم .

فولد شيبة :

عبد الله . وزينباً ، وأمهما الفارعة بنت حرب بن أمية .

ورملة ، أمها من بني عامر بن لؤي ، وكانت رملة عند عثمان بن عفان فقتل عنها .

وأما عبيد الله فولد :

يزيد ، وأمه ثقفية . وعبد الرحمن ، وأمه ابنة المطلب بن الحويرث من بني أسد بن عبد العزى .

وأما عبد الرحمن فولد :

أبا يسار ، وأمه مخزومية ، وكان أبو يسار يتيماً لعثمان بن عفان تبنّاه ، فدخل عليه الزبير بن العوّام يوماً فسبَّه أبو يسار ، فقال له الزبير : سُبَّهُ - يعني عثمان - فقال : هذا أبي . فأوجعه الزبير ضرباً .

ثم إنه تزوج ابنة الزبير ، واسمها خديجة ، فولدت من أبي يسار : عبد الرحمن . وأم عبد الله ، وعقب أبي يسار بالشام .

وأما يزيد بن عبيد الله بن شيبة فولد : فاطمة ، تزوجها علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . ورملة ، تزوجها محمد بن مروان بن الحكم .

وقال ابن الكلبي : منهم أبو يسار ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن شيبة وولده بالبلقاء .

بنو عبد العزى بن عبد شمس

ولد لعبد العزى بن عبد شمس :

ربيع . وربيعة ، أمهما أم المطاع بنت أسد بن عبد العزى بن قصي .

وقال الشاعر :

فأدّى الله خفرتها إليها   وأداها كنانة والربيع
هما لا أشعران إذا أكبّا   ولا هبران لحمهما يضيع

يعرض بعتبة وشيبة ، يعني خفرةَ زينب بنت النبي ﷺ حين سار معها هذان . فولد الربيع بن عبد العزى :

أبا العاص بن الربيع ، زوج زينب بنت رسول الله ﷺ ، وابن خالتها هالة بنت خويلد ، وكان أبو العاص يُلقب جرو البطحاء أي ابن البطحاء ، واسمه لقيط ، وذلك الثبت ، وبعضهم يقول اسمه القاسم ، وزعم بعض البصريين أنّ جَرْوَي البطحاء ربيعة بن عبد العزى وأبو العاص معاً . وقد كتبنا خبره فيما تقدم من ذكر أزواج رسول الله ﷺ وأولاده .

وكان إسلام أبي العاص قبل الحديبية بخمسة أشهر ، ثم رجع إلى مكة ولم يشهد مع النبي ﷺ شيئاً ، ومات في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة .

فولد أبو العاص :

علياً . قتل يوم اليرموك شهيداً . وأمامة ، تزوجها علي بن أبي طالب ، فقتل عنها ، ويقال إن علياً مات صغيراً . ولا عقب للربيع .

ومن ولد عبد العزى بن عبد شمس : كنانة بن عدي بن عبد العزى وهو الذي بُعث معه زينب بنت رسول الله ﷺ إلى أبيها ، فعرض لها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ونافع بن قيس . وقد ذكرتُ خبرهما فيما تقدم أيضاً .

وكان ولد ربيعة بن عبد العزى : عدياً . وحارثة . ويزيد ، وأمهم سلمى بنت عمرو بن سفيان الثقفي .

فأما عدي بن ربيعة فولد : العلاء . وكنانة الذي ذكرناه ، وسعيداً .

وربيعة بن ربيعة ، أمهم من ولد الغوث بن مرّ .

وعلياً ، أمه كريمة كنانية .

والوفيّ أمه هالة بنت خويلد وهو أخو أبي العاص بن الربيع لأمه .

وأما حارثة فولد : محرزاً وحريزاً وحرازاً ، وأمهم من بني الغوث بن مر وهي أم ولد عدي بن ربيعة الأربعة[1] ، وبقية ولد محرز بن حارثة بالكوفة .

واستخلف عتاب بن أسيد محرزاً على مكة في سفرة سافرها .

وكان من ولد محرز : العلاء بن عبد الرحمن بن محرز ، وكان على الربع أيام ابن الزبير . وموضع داره بالكوفة دار عيسى بن موسى اليوم .

---

١ ـ كذا بالأصول وهذا العرض فيه خلل تعذر تقويمه لأن جمهرة ابن الكلبي وجمهرة ابن حزم وكتب الانساب الأخرى لم تقدم هذه التفاصيل .

ومن ولد يزيد بن ربيعة :

عبد الله بن الوليد بن يزيد بن ربيعة ، قتل يوم الجمل مع عائشة .

وقال أبو اليقظان : كان ولد محرز بن حارثة :

عبد الله ، وعبد الرحمن ، وحرازاً ، وأم السائب ، أمهم هند بنت ربيعة بن عبد شمس ، وبقيتهم بالكوفة يقال لهم بنو محرز وسكّتهم سكة محرز .

واستعمل عثمان بن عفان علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى ، وهو ابن الكنانية على مكة ، وشهد الجمل مع عائشة فقالت امرأة منهم :

يا ربّنا اعقر بعليٍّ جَمَلَهْ ولا تُبارك في بعيرٍ حَمَلَهْ
إلاّ عليّ بن عديّ ليس لَهْ

فقُتل يوم الجمل .

وكان عبد الله بن علي بن عدي هذا عاملاً لعبد الملك على سجستان ، وكان كَزّاً بخيلاً سيء الخلق لم يُغْن ، ولم يأمر بخير ، فقال فيه أبو حزابة الحنظلي[1] :

يا بن عليّ بَرَحَ الخفاءُ قد علم الجيران والأكْفَاءُ
أنك أنت النذل اللقاءُ أنت لقبر طلحة الفداءُ
بنو عليٍّ كلهم سَواءُ كأنهم زونية جِراءُ[2]

---

١ ـ أبو حزابة الوليد بن حنيفة ، من شعراء الدولة الأموية ، بدوي حضر وسكن البصرة . الأغاني ج ٢٢ ص ٢٦٠ .

٢ ـ في الأغاني ج ٢٢ ص ٢٦١ والحيوان ج ١ ص ٢٥٥ «زينية جراء» والزينية كلاب قصيرة القوائم .

وقال أيضاً :

يا طلحُ يا ليتك عنا تُخْـبَرُ حين أتانا الجَعْطَرِيّ الجيدرُ
أقصرُ من شبرين حينَ يُشْبَرُ أنـكـرهُ سـريـرنـا والمنبـرُ
ودارنـا والمسـجـد المـطهَّـر مثل أبي القعواء لابل أقصر[1]

وولد العلاء بن عدي :

محمداً . ويعلى . وبناتٍ ، وأمهم أم الحكم بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر .

وولد كنانة بن عدي :

محمداً . وعبد الملك . وعلباء . وعثمان الأكبر . وعقبة . وعَمْرَاً . وعثمان الأصغر . وبنات .

وقال ابن الكلبي : ومن بني علي بن عدي : عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس الشاعر ، الذي يقول لهشام بن عبد الملك ، وحج فقسم في أخواله من بني مخزوم مالاً :

خَسَّ حظي إذ كنت من عبد شمس ليتني كنت من بني مخزوم
فـأفـوز الغـداة منـه بقسم وأبيـع السَّنَـاءَ مني بـلوم

---

١ ـ الأغاني ج ٢٢ ص ٢٦٢ .

بنو أمية الأصغر بن عبد شمس

وولد أمية الأصغر بن عبد شمس :

الحارث ، وأمه عاتكة بنت عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة ، وكان الحارث شاعراً وهو الذي يقال له : ابن عَبْلَة ، وقال في عبد الله بن جُدْعان :

عطاؤك زين لامرىءٍ إن حبوتَه بِنَيْل وما كل العطاء يزينُ
وليس بشينٍ لامرىءٍ بذل وجهه إليك كما بعض العطاء يشينُ

فولد الحارث : عبد الله ، أمه زينب بنت نوفل بن عبد شمس ، وأدرك عبد الله معاوية وهو شيخ كبير ، وكان ورث دار عبد شمس بمكة لأنه كان أقعدهم . فلما حج معاوية دخل الدار لينظر إليها فوثب عبد الله بن الحارث إليه بمحجن ليضربه فقال : لا أشبع الله بطنك أما تكفيك الخلافة حتى تطلب هذه الدار؟ فخرج وهو يضحك .

قالوا : ودخل على معاوية ـ وكان بديناً ـ فقال : والله لقد شججت أخاك حنظلة فما أعطيتُ عقلاً ولا أرشا ، فقال معاوية : إنك هربتَ إلى أخوالك بالطائف . قال : إنه إذا مال بي أحد شَقيَّ عدلْتُه بالآخر .

وولد أيضاً : عبد الرحمن بن الحارث ، وأمه بنت أسيد من ثقيف .

وعتبة . وعبد الله الأصغر . وحكيماً ، أمهم من بني مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة .

وعقبة ، أمه ثقفية .

فمن بني أمية الأصغر :

أبو جراب وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، قتله داود بن علي بمكة .

وقال بعضهم : كان أبو جراب ينزل الفتق على ثلاث ليال من مكة ، فبلغ العَرْجِيّ أن أبا جراب بمكة فأقبل إلى قصره ، فخرجت إليه جارية لأبي جراب بدوية ودفعته وجعلت ترميه ، واستسقاها ماء فلم تسقه فقال : ستعلمين . فقال أبياتاً ، منها :

أمشي كما حركت ريح يمانية ... غصناً من البان رطباً طلّه الرِّهَمُ[1]

قالت رضيتُ ولكن جئتَ في قمرٍ ... ألاَّ تَلَبَّثْت حتى يدخل الظُّلَمُ

فاتهمها عند أبي جراب حتى حلفت له بين الركن والمقام على براءتها .

وقال أبو اليقظان : كان أبو جراب من أفضل قرشي بمكة وقد وليها في أيام بني مروان ، وقتله داود بن علي وهو على مكة وقال الشاعر لابن أبي جراب :

ثلاث طوابح[2] ولهنّ جئنا ... فَيَسِّرْهُنَّ يابن أبي جراب

فإنك ماجد في بيت مجدٍ ... بقيّة معشر تحت التراب

---

١ ـ الرهم : المطر الضعيف الدائم . القاموس .

٢ ـ المطبح : السمين . القاموس .

وله يقول الشاعر :

إذا مُتُّ لم يُوصَل بعُرفٍ قرابةً ولم يبق في الدنيا رجاء لسائل

وكانت أم أبي جراب رملة بنت العلاء بن طارق بن المرفع الكناني وهو الذي كانت بناته يقلن : نحن بنات طارق . ويقال إنهنّ أردن : نحن بنات النجم .

ومنهم : الثريا بنت عبدالله بن الحارث بن أمية التي كان عمر بن أبي ربيعة المخزومي يشبب بها وفيها يقول :

أحسن النجم في السماء الثريا والثريا في الأرض زين النساء[1]

وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف فقال عمر :

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلّت وسهيل إذا استقل يماني[2]

والثريا مولاة الغريض المغني ، وكان يعرف بمولىٰ العبلات ، وكان يسمىٰ عبد الملك ، ويكنى أبا زيد .

وولد عبد أمية بن عبد شمس :

مَعقلاً . وعقيلاً . وكنود ولدت أبا محجن بن حبيب الثقفي الذي يقول :

لا تسألي القوم عن مالي وكثرته وسائلي القوم عن مجدي وما خُلُقي

هل أطعن الطعنة النجلاء عن عَرَضٍ وأكتم السرّ فيه ضربة العنق

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

٢ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٥٠٣ .

والأحوص بن عبد أمية ، كان عاملاً على البحرين في أيام معاوية بن أبي سفيان .

وقال ابن الكلبي : من ولد عبد أمية بن عبد شمس : منصور بن عبدالله بن الأحوص بن عبد أمية وهم بالشام .

وقال بعض العلماء : كان الأحوص بن عبد أمية على البحرين ، وسعى بمروان بن الحكم .

وولد نوفل بن عبد شمس ـ وهو من العبلات ـ : أبا العاص وأمه فطيمة مخزومية ، وقتل أبو العاص بن نوفل يوم بدر كافراً .

فولد أبو العاص بن نوفل :

حاجباً ، وعثماناً ، وهَبَّاراً ، وحْزَناً ، وحزاماً ، وعبيداً ، وعبداً ، وأمهم فاطمة بنت وهب مخزومية .

ومن ولد هبار :

خالد بن يزيد بن عثمان بن هبار بن أبي العاص بن نوفل ، قتله عبدالله بن علي بالشام وكانت أم أمية الأصغر . وعبد أمية . ونوفل بني عبد شمس عبلة بنت عبيد بن جادل من البراجم من بني تميم ، فلذلك سمي هؤلاء العبلات .

بنو المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب

قالوا: كان بنو المطلب بن عبد مناف مع بني هاشم يدا على جميع الناس، قسم رسول الله ﷺ قسماً بين بني هاشم وبني المطلب،وجعل سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب، فأتاه عثمان، وجبير بن مطعم، فقالا: قرَابتنا برسول الله، وقرابة بني عبد المطلب واحدة، فكيف أعطيتهم دوننا؟ فقال: «إنّا وبني المطلب كذا وشبك أصابع يديه وكنا في الشعب معاً».

ويقال أنه قال: «كنا وهم في الشعب كذا وشبك أصابع يديه».

حدثني عمرو بن محمد الناقد ووهب بن بقيّة الواسطي وغيرهما قالوا: ثنا يزيد بن هرون عن ابن اسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم أنه وعثمان بن عفان كلما رسول الله ﷺ في سهم ذي القربى، وقالا: قسمته بين بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف، ونحن وبنو المطلب إليكم في النسب سواء، فقال: «إنا وهم لم نزل في الجاهليّة كبيرنا وصغيرنا شيئاً واحداً، وكانوا معنا في الشعب، وشبكَ أصابعه».

وحدّثني بشر بن الوَليد عن أبي يوسف عن ابن اسحق عن الزهري عن سعيد بن جبير بن مطعم بمثله.

فولد المطلب بن عبد مناف: مخرمة، وأبا رهمٍ، أمهما هند بنت عمرو بن ثعلبة من الأنصار.

وهاشما، وأبا عمرو، وأمهما خديجة بنت سعيد بن سعيد بن سهم.

وأبا رهمٍ الأصغر، وعبّادا، وامهما عَنترة بنت عمرو بن طريف الطائي.

والحارث، وأبَا شمران، ومحصن، وأمهم حنظلية من بني تميم.

وعلقمة وعمر، أمهما من بني ضبّة بن ادٍّ.

فمن بني المطلب: عبيدة، والطفيل، والحصين، بنو الحارث بن المطلب بن عبد مناف.

وكان عبيدة يكنى أبا الحارث، ويقال أبا معاوية، وكان أكبرهم سنا، وشهد بدرا فبارز عتبَة بن ربيعَة يوم بدر فضربه عتبَة على ساقه، وضرب عبيدة عتبة، وأعانه علي بن أبي طالب فقتلاه، فقالَت هند بنت عتبَة:

أعينيّ جودا بدمع سربْ ... على خير خندف لم ينقلبْ
تداعى له قصرة[1] رهطه ... بنو هاشم وبنو المطلب

ومات عبيدة بالصّفراء[2] وبها دفن، ووجد من قبره ريح المسك فقيل للنبي ﷺ: إنا وجدنا من قبره ريح المسك، فقال: «وما ينكر ذلك لأبي معاوية»، وكانت عنده زينب بنت خزَيمة، من بني هلال، وهي أم المساكين، فخلف عليها النبي ﷺ.

قال أبو اليقظان: ولاعقب لعبيدة.

---

١ ـ القصرة: مايبقى من المنخل، وهو ابن عمي قصرة: أي داني النسب. القاموس.
٢ ـ الصفراء: واد قرب المدينة، بينه وبين بدر مرحلة. المغانم المطابة.

قال الوَاقدي: كانت زَينب عند الطفيل، ولم تكن عند عبيدة.

قال الوَاقدي والكلبي: وأم عبيدة بن الحارث وأخوته سُخيلة بنت خزاعي بن الحارث من ثقيف، وكان لعبيدة من الوَلد: معاوية، وعون، ومنقذ، والحارث، ومحمد، وإبراهيم، وريطة، وخديجة، وسخيلة، وصفية لأمهات أولاد شتى، وكان عبيدة أسن من النبي ﷺ بعشر سنين.

وقال الواقدي: كان يكنى أبا الحارث، والأول قول أبي اليقظان، وكان مربوعاً أسمر حسن الوجه.

حدثني محمد بن سعد، عن محمد بن عمر الواقدي، عن محمد بن صالح، عن يزيد بن رومان قال: أسلم عبيدة بن الحارث قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الارقم، وقبل أن يدعو فيها.

وقال الواقدي في إسناده خرج عبيدة، والطفيل، والحصين بنو الحارث بن المطلب، ومسطح بن أُثاثة بن عباد بن المطلب من مكة للهجرة، فاتعدوا بطن ناجح، فلدغ مسطح فتخلف بالحصاص فأتوه فحملوه، والحصاص واد في ذي طوى، فلما قدموا المَدينة نزلوا على عبد الله بن سلمة العجلاني، وأقطع رسول الله ﷺ عبيدة وأخوَته موقع خطتهم بالمدينة فيما بين بقيع الزبير و بني مازن، وآخى رسول الله ﷺ بين عبيدة وبلال، وآخى بين عبيدة وعمير بن الحمام الأنصَاري فقتلا ببدر، وكان أوّل لواءٍ عقده رسول الله ﷺ لحمزة، ثم لعبيدة.

حدّثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يونس بن محمد الظفري عن أبيه قالَ: قَتل عبيدة بن الحارث شيبة بن ربيعة يوم بدر، وجُرح فدَفنه النبي ﷺ بالصّفراءِ، وكان يوم استشهد ابن ثلاث وستين سَنة.

وأم **الطفيل بن الحارث** أيضاً سُخيلة بنت خزاعي الثقفية، وكان لطفيل من الوَلد: عامر بن الطفيل، وآخى رسول الله ﷺ بين الطفيل والمنذر بن محمّد بن عقبة بن أحيحة بن الحلاج، هذا في رواية الواقدي.

وقال محمد بن اسحق: آخى بينه وبين سفيان بن نسر بن زيد الانصَاري.

وقال الوَاقدي شهد الطفيل بدراً، وأحداً، والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وَتوفى سَنة اثنتين وثلاثينَ، وهو ابن سبعين سَنة.

وأم **الحصين بن الحارث** بن المطلب أيضاً سُخيلة، وهي أم عبيدة، والطفيل، وكان للحصين من الوَلد: عبد الله الشاعر، وأمّه أم عبد الله بنت عدي بن خُويلد بن أسد بن عبد العزى، وآخى رسول الله ﷺ بين الحصين ورافع بن عَنْجَدة.

وقالَ محمد بن اسحق: آخى بينه وبين عبد الله بن جبير أخي خوّات ابن جبير.

وقال الوَاقدي: شهد الحصين مع رسول الله ﷺ بدراً، وجميع المشاهد، وتوفي بعد الطفيل بأشهر في سَنة اثنتين وثلاثين[١].

ومنهم:

أبو حذافة بن الحارث بن المطلب، قتل يوم الفجار في الجاهلية.

ومن بني المطلب أيضاً **عبد الله بن قيس بن مخرمَة بن المطلب**، ولي مكة زمَن عمر بن عبد العَزيز، وولاه أيضاً الحجاج حين فارق الحجاز المدينة أو مكة فقال له عبد الملك لقد وليته من أحَمق بيت في قريش، وكان عبد الملك

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٥٠ ـ ٥٣.

يقول: أحمق بيت في قريش آل قيس بن مخرمة، وكان قيس بن مخرمة يمكو ويصفر فيسمع صوته من حراءٍ، وفيه نزلت:﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية﴾[١] والتصدية التصفيق أن يسمع لذلك صدىً.

ومنهم:

مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، وهو أحد من قال الأفك في عائشة فحد، وأم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها ريطة بنت صخر، خالة أبي بكر الصديق، وكان أبو بكر حَلف أن يقطع عن مسطح جراية كان يجريها عليه، ونيلا كان ينيْله إيّاه، فنزل فيه: ﴿ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة أن يولوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾[٢] فرد عليه جرايته وما كان ينيله،وكانت أم مسطح من المبايعات. وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين يزيد بن المزين، في رواية محمد بن إسحق.

وقال الوَاقدي: شهد مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب: بدراً، وأحداً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأطعمه خمسين وسقا بخيبر، وتوفي مسطح سنة أربع وثلاثين، وهو ابن ست وخمسين سنة، وكان قصيراً غائر العينين شثن الأصابع يكنى أبا أُثاثة[٣].

قالوا: ولما نزلت الآية قالَ له أبو بكر: مرحباً برجل عاتبني فيه ربي.

ومنهم:

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية: ٣٥. والمكاء: التصفير بالفم أو تشبيك الأصابع والنفخ فيها، القاموس.

٢ ـ سورة النور ـ الآية: ٢٢.

٣ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٥٣.

رُكانه بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب كان أشد العرب، صارعه رسول الله ﷺ فصرعه فقال: يامعشر قريش ساحروا بمحمد من شئتم.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن ابن خربوذ وغيره قالوا: قدم ركانه من سفر، فأخبر خبر النبي ﷺ، فلقيه في بعض جبال مكة، فقال: يابن أخي بلغني عنك أمر ولم تكن عندي كذاباً، فإن صرعتني علمت انكَ صادق، فصرعه رسول الله ﷺ.

وقال هشام ابن الكلبي: حدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قالَ: لقي رسول الله ﷺ ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، وكان أشد العَرب لم يصرعه أحد قط، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الاسلام، فقال: والله لاأسلم حتى تدعو هذه الشجَرة وكانت سمرة أو طلعة، فقال رسول الله ﷺ: «أقبلي باذن الله» فاقبلت تخد الأرض خداً، فقال ركانة: ما رأيت كاليوم سحراً أعظم فمرها فلترجع، قال: «ارجعي باذن الله» فرجعت، فقالَ له: «ويحك أسلم» فقال: إن صرعتني أسلمت وإلا فغنمي لك، وإن صرعتكَ كففت عَن هذا الأمر، فأخذه النبي ﷺ فصرعه ثلاثا، فقال: «أسلم»، قال: لا، قال: «فإني آخذ غنمكَ» قال: فما تقول لقريش؟ قال: «أقول صارعته فصرعته فأخذت غنمه» قالَ: فضحْتني وخزيتني، قال: «فما أقول لهم»؟ قال: قل قمرته قال: «إذاً أكذب» قال: أو لست في كذب من حين تصبح إلى أن تمسي، قال: «خذ غنمكَ»، قالَ: أنت والله خير مني وأكرم، قال النبي ﷺ: «وأحق بذلك منك».

وقال أبو اليقظان: قال ركانة للنبي ﷺ وسَلم حين جاءَ ليسلم في الفتح: والله لقد علمت إذ صَرعتني أنكَ أعنتَ عليّ من السماءِ، وقدم المدينة

وأقام بها، ومات بها في أول أيام معاوية، ومنازلهم في دار عقيل بن أبي طالب.

ومنهم:

العُجَير بن عبد يزيد بن هاشم، أخو ركانة، بعثه عمر بن الخطاب فيمن بعث لإقامة أنصاب الحرم، وجلد عمر بن الخطاب ابنا لعجير ثمانين في شراب.

ومن بني المطلب:

ضعيفة بنت هاشم بن المطلب ولدت الحجاج من قبل النسَاء.

قالوا: وكان **يزيد بن طلحة بن ركانة** ممن يحمل عنه الحديث، ومات أول أيام هشام بن عبد الملك.

وكان أخوه **محمد بن طلحة بن رُكانة** محدّثا، ومات في أول أيام هشام أيضاً.

وكان **علي بن يزيد بن ركانة بن عبد يزيد**، من أشد الناس بطشاً في زمَانه، فدخل على عمر بن عبد العزيز، وهو والي المدينة، فقال له: أرني من شدتِكَ شيئاً، فدخل تحت سريره فحمله من الأرض، ولهم بقية بالمدينة، وكان لركانة بن يزيد مجذىً يضرب به المثل فيقال: أثقل من مجذى ركانة وهو حجر له مقبض يرتج.

ومنهم:

السَّائب بن عبيْد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، وقد كان أسر يوم بدر، وهو أحد من كان يشبّه بالنبي ﷺ، ومن ولده: عباس، وعلي، وشافع جد الشافعي الفقيه، وهو محمد بن إدريس بن العباس بن

عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب.

وقال الكلبي : كان يقال لعبد يزيد بن هاشم المحض لاقذى فيه، لأن امه الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف.

وقالَ المدائني: ضرب خالد بن عجير بن عبد يزيد ثمانين في الشراب.

ومن بني المطلب:

جُهَيْم بن الصّلت بن مخرمة بن المطلب بن عبدمناف ، اسلم بعد الفتح وتعلم الخطَ بالعربيّة في الجاهلية فجاء الإسلام وهو يكتب بها ، وقد كتبَ لرسول الله ﷺ بعدما أسلم ، ورأى جهيم وهو بين النائم واليقظان أن رجلاً أقبَل على فرس ومعه بعير له فقالَ : قُتل عتبة بن ربيعَة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف وعدد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ، ثم ضرب في لبة بعيره وأرسله فلم يبق خَباء من أخبية عسكر المشركين إلاّ أصابه نضح من دمه ، فبلغت الرؤيا أبا جهل فقال : وهذا أيضاً نبيّ من بني المطلب ، سيعلم غداً من المقتول إذا التقينا .

ومن بني المطلب بن عبدمناف :

عمرو بن علقمة بن المطلب ، وكان خداش بن عبدالله بن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب خرج إلى الشام في تجارة ، وهو في ركب من قريش ، فاستأجر عمرو بن عَلقمة بن المطلب ، فلما كان ببعض الطريق إذا هم بركب يستمتعون بفضل حبل ، أي يستعيرونه ، وشردت أباعرهم ، فطرح إليهم عمرو بن عَلقمة حبلاً ، وكان خداش قد مَضى لبعض شأنه ، فلما جاء قال : ما حملك على ما صنعت وقد ترانا بأرض لا يوجد بها شيء يطلب فيشترى أو يستعار وضربه

بعصاً معه ، فضمن[١] من ضربته ، فلما أحس بالموت كتب إلى أبي سفيان بن حرب ، وكان أكبر بني قصي يومئذ ، فأخبره بخبره ، وأنه لما به[٢] حين كتبَ إليه ، فلما قدم خداش من وجهه ذلك طلب بنو عَبْدمناف العَقل عنده ، فأباه عليهم ، وقالَ قد مكث أياماً ليس به بأس ، ثم اشتكى بعد ومات فلم يصدقوه ، وأكبوا على العقل ، وكان أبو طالب بن عبدالمطلب أشد القوم في أمره ، فقال أبو طالب لخداش :

أفي فضل حبل لا أبا لك صدته بمنسأة[٣] قد جاء حبل بأحبل
هلمَّ إلى حكم ابن صخرة إنه سيحكم فيما بيننا ثم يعدل
كما كان في أشياءَ كانت تنوبنا فيعمد للأمر الجسيم فيفصل

ابن صخرة الوَليد بن المغيرة ، وكانت قريش تتحاكم إليه وكانوا على أن يتحاربوا ، فاستعدوا للحرب ، ثم إنهم اصطلحوا بعد على أن تبرىء صدورهم بنو عامر بخمسين يميناً عند الحطيم ، فحلف منهم خمسون رجلا وامتنع حويطب بن عبدالعزى بن قيس بن عبد وُد من اليمين ، فافتدى قومه يمينه بأربعين أوقية ، والأوقيَة أربعون درهماً .

قالوا : فمات جميع من حلف وجاء الاسلام ولم يبق منهم أحد ، وبقي حويطب وأسلم يوم الفتح وحسن إسلامه .

وقال قوم من العلماء ، منهم أبو عمرو الشيباني : إنهم كانوا تحاربوا ثم مشت السفراء بَيْنهم فاصطلحوا على خمسين يمينا عند الحَطيم .

---

١ ـ الضمنة : المرض والابتلاء في الجسد . القاموس .
٢ ـ أي في وضع صحي خطر .
٣ ـ المنسأة : العصا . القاموس .

وقال العباس بن عبدالمطلب :

أبا طالب لا تقبل النصف منهم وان انصفوا حتى تعقَ وتظلما
أبى قومنا أن ينصفونا فانصَفت قواطع في أيماننا تقطر الدمـا
إذا خالطت هام الرجال رأيتَها كبيض نعام في الوغى قد تحطما
تـركناهم لا يستحلون بعـدها لذي رحم يوما من الناس محرما
ضربنا أبا عمرو خداشا تخمّطا[1] وملنا على ركنيْـه حتى تهدمَـا

---

١ ـ تخمط : تكبر وغضب ، والمتخمط : القهار الغلاب ، والشديد الغضب له جلبة من شدة غضبه . القاموس .

بَنو نَوْفَل بن عَبْد مناف بن قصيّ

ولد نوفل بن عبدمناف :

عدي بن نوفل ، وأمه هند بنت نُسيب بن زيد من بني مازن بن منصور .

وعمرو بن نوفل . **وعبد عمرو** ، وأمهما قلابة بنت جابر بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي .

وعامر بن نوفل . وأمه كهيفة بنت جندل بن ابين بن نهشل بن دارم .

وزعموا أن بني نوفل كانوا يداً مع عبدشمس على سائر بني عبدمناف فقال أبو طالب :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا جزاء مسيء عاجلا غير آجل

فمن بني نوفل بن عبد مناف :

مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف ، ويكنى أبا وهب ، زعموا ان النبي ﷺ أتاه فقال : «يا عماه أجرني حتى أطوف حول البيت» ، فأجاره حتى طاف ، وأعان مطعم بني هاشم وبني المطلب على نقض الصحيفة التي كتبتها قريش عليهم ، وعلى اخراجهم من الشعب ، وقال النبي ﷺ يوم بدر لابنه

جبير بن مطعم : «لو كان أبوك حيًا فاستوهبَ مني هؤلاء الأسرى لوهبتهم له» . وفيه يقول أبو طالب :

أجرت رسول الله منهم فأصبحوا   عبيدك ما حل الحجيج وأحرما

وقال أبو طالب أيضاً :

أمطعم إن القوم سَاموك خطة   وإني متى أوكل فلست بآيـل
أمطعم لم اخذلك في يوم نجدة   ولا مشهدٍ عند الأمور الجلائل

ومات مطعم بن عدي في سنة اثنتين من الهجرة ، قبل بدر ، ودفن بالحجون ، وله بضع وتسعون سَنة ، وأقيم النوح عليه سَنة .

فولد مطعم ، جبيراً ، وكان سيداً عالماً نسابَة للعرب ، وكان اسلامه قبل الفتح ، وشهد دفن عثمان بن عفان ، وصلى عليه ، وسأل عمر بن الخطاب جبيراً ، وأتي بسيف النعمان بن المنذر : ممن كان النعمان ؟ فقال : من بني قنص بن معد ، وذلك أن ولد قنص انتموا إلى لخم بن عدي ، ومات جبير بن مطعم ـ ويكنى أبا محمد ـ بالمدينة في داره في أيام معاوية ، وكان أول من لبس طيلسَانا بالمدينة .

وكان نافع بن جبير بن مطعم بن عدي تائهاً ، عظيم النخوة والكبر ، وكان فصيحاً جهير الكلام يفخِم كلامه ، وكان المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام يلحن ويفخم كلامه ، فقال سليمان بن عبدالملك بن مروان : إن المغيرة بن عبدالرحمَن ليفخم اللحن كما يفخم نافع بن جبير الاعراب ، وكان جبير يتخذ سقاية من أدم يسقي فيها الناس ، وكان لنافع بن جبير ابن من امرأته ابنة عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، يقال له علي ، فقال له : يا بني أنت ابن السقايتين ، يعني سقاية الحاج التي كان

يقوم بها العباس ، وسقاية جبير بن مطعم ، فدخل عليّ على أمّه فقال لها : إن أبي قال لي : يا بن السقايتين ، فقالت يا بني ارجع إليه فأعلمه أن إحداهما ركوة .

المدائني قال : تكلم عَبْدالله بن السائب بن أبي حبيش فقال له نافع بن جبير: صه فقال له عبدالله : ألطه [1] قالَ نافع : أنا ابن عبدمناف، قالَ: أنا ابن بعثطها [2] ، قال عبدالله : عبد مناف بيتان : هَاشم وعبد شمس فانت بين دارها والجية[3] .

ومن بني جبير بن مطعم :

محمد بن جبير ، ويكنى أبا سعيد ، كان فقيهاً ، وكان **أبو سليمان بن جبير بن محمد** بن جبير أيضاً فقيهاً .

قال الكلبي : وقد كان نافع بن جبير أيضاً فقيهاً .

وقال المدائني : **جلد ابن لابراهيم بن محمد بن جبير بن مطعم في الخمر** .

وقال الواقدي : مات **محمد** بن جبير ، وهو أبو سعيد بالمدينة في أيام عمر بن عبد العزيز .

---

١ ـ لطى : لزق بالأرض . القاموس .

٢ ـ أنا ابن بعثطها : كابن بجدتها . وابن بجدتها : العالم بالشيء والدليل الهادي والذي لا يبرح عن قوله . القاموس .

٣ ـ الجية : مستنقع الماء . وورد هذا الخبر في كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٢١ : «فقال له نافع : صه ، صه ، أنا ابن عبد مناف ، فالطه ، فقال أبو الحارث : أنف في السماء ، وسرم في الماء ، ذهبت عليك بنو هاشم بالنبوة ، وبنو عبد شمس بالخلافة ، وبقيت بين فرثها والجية» .

قال : ومات نافع أخوه ويكنى أبا محمد بالمدينة في أيام سليمان بن عبد الملك ، وكانا ينزلان داراً واحدة بالمدينة بينهما .

ومنهم :

طعيمة بن عدي ، أخو مطعم بن عدي ، ويكنى **طعيمة** أبا الريان ، وكان مؤذيا لرسول الله ﷺ ، فأسر يوم بدر ، فأمر به رسول الله ﷺ ، فقتل بين يديه صبراً ، وتولى قتله حمزة بن عبد المطلب ، وقد ذكرنا خبره فيما تقدم .

ومن بني نوفل بن عبد مناف : الخيار بن عدي بن نوفل

وكان عبيدالله بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل من رجال قريش وصلحائهم ، وهو الذي عقد مجلس القلادة ، وكان يجلس فيه أشراف قريش والأنصار وعلماؤهم المتخيرون ، لا يجلس فيه غيرهم ، فلم يزل كذلك حتى وقع فيه شر ومشاتمة ، فافترق أهل ذلك المجلس وانتقض إلى اليوم .

ومنهم :

عمارة بن الوليد بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف الذي يقول :

تلكَ هند تصد للبين صدا أَدَلالاً أم صَرْمُ هند أَجَدّا
يعلم الله أن قد أورثت مني غير مَنٍّ بذاك نصحاً ووُدّا
ما تقربت بالصّفا لأدنو منـــ ـــك إلّا نأيت وازددت بعدا

ومن بني نوفل بن عبد مناف :

نافع بن ظُريف بن عمرو بن نوفل ، الذي كتب المصاحف لعثمان بن

عفان ، ويقال لعمر بن الخطاب .

ومنهم :

الحارث بن عامر بن نوفل ، كان شريفا عظيم القدر في الجاهلية ، وهو أحد المطعمين يوم بدر ، وله يقول ابن الزبعرى .

والحارث الوَهاب أشرق وجهه كالبدر أشرق ليلة الاظلام[1]

وقتل يوم بدر كافراً ، وهو أحد سرقة غزال الكعبة ، وكان النبي ﷺ قال : «من لقي الحارث بن عامر بن نوفل فليدعه لأيتام بني نوفل» ، وفيهم نزلت : ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معكَ نتخطف من أرضنا﴾[2] .

وأبو سروعة بن الحارث بن عامر بن نوفل، وكان صاحب شراب، حده عمرو بن العاص ، وحدّ معه ابنا لعمر بن الخطاب .

حدثنا عفان بن مسلم ثنا يزيد بن زُريع ثنا عبد الرحمن بن اسحاق أنّ ابن شهاب الزهري حدثه عن أبيه قال : خرجت أنا وأخي عبد الرحمن بن عمر غازيين إلىٰ مصر ، فشربَ أخي وأبو سروعة شراباً فأتي بهما عمرو بن العاص ، فجلد أبا سروعة ظاهرا وجلد أخي في الدار ، فأرسل إليه عمر أن اجمع يديه إلى عنقه وجب عليه مدرعة ، واحمله إليّ على قتب ، فلما قدم على عمر جلده علانية على رؤوس الناس ، وحلق رأسه وحبسه ستة أشهر فبرأ من جلده ثم أغزاه ، فرجع فمات ، ومات أبو سروعة بمكة .

ومن بني نوفل :

مُسْلم بن قرظة بن عبد عمرو بن نوفل قتل يوم الجمل ، وأخته فاختة

---

١ ـ شعر عبدالله بن الزبعرى ص ٤٧ .

٢ ـ سورة القصص ـ الآية : ٥٧ .

بنت قرظة امرأة معاوية بن أبي سفيان ، وفي قرظة يقول أبو طالب ، وكان قرظة يكنى أبا عمرو :

وإن أبا عمرو أبي غير بغضنا ليطعننا في أهل شاءٍ وحائل[1]

وكان قرظة أعمى ، وتزوج ابنة عتبة بن ربيعَة ، فولدت له فاختة بنت قرظة .

---

١ ـ الحائل : الإبل . القاموس .

بنو عبد الدار بن قصي

ولد عبد الدار بن قصي : عثمان بن عبد الدار ، ووهب بن عبد الدار درج ، وكلدة درج ، وعبد مناف ، وامهم هند بنت لُؤَيّ بن ملكان من خزاعة ، والسباق ، وكان ولده أوّل من بغى بمكة على قريش فأهلكوا ، وأمه من هوازن .

فمن بني عبد الدار : طلحة ، وعثمان الأوقص ، وأبو سعد بنو طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتلوا يوم أحد ومعهم لواء المشركين ، ومسافع . والجلاس . وكلاب . والحارث بنو طلحة بن أبي طلحة قتلوا يوم أحد كفارا ، ومعهم اللواء ، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أخذ رسول الله ﷺ منه المفتاح يوم فتح مكة ، فنزلت فيه : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[1] وقد كان دفع المفتاح إلى العباس فارتجعه منه ورده عليه .

وقال الواقدي قدم عثمان بن طلحة على النبي ﷺ قبل الفتح بأشهر هو وخالد بن الوَليد ، وعمرو بن العاص ، فأسلموا .

وقال رسول الله ﷺ حين دفع المفتاح إلى عثمان: «دونكموها يابني أبي

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٥٨ .

طلحة تالدة خالدة لايظلمكموها إلا ظالم»، وكانت الحجابة فيهم.

وقال الواقدي: أقام عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بالمدينة حين توفي النبي ﷺ، ثم رجع إلى مكة ونزلها، ومات في أيام معاوية، ولعثمان عقب، فمن ولده: إبراهيم بن عبيد الله بن عثمان بن عبد الله بن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، الذي يقال له الحجبي، ولاه أمير المؤمنين هرون الرشيد بن أمير المؤمنين المَهْدي اليَمن.

ومنهم:

يزيد بن مسافع بن أبي طلحة، قتل يوم الحرة.

وعبد الله بن مسافع قتل يوم الجمل مع عائشة.

ومنهم:

شيبة بن عثمان الأوقص بن أبي طلحة، وشيبة الحاجب بعد عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وكان شيبة هذا شديداً على المسلمين، وكان ممن دخلَ في الأمان يوم فتح مكة، فلما كان يوم حنين صار مع هوازن طمعاً في أن يصيب من النبي ﷺ غرة.

قال شيبة: فدنوت منه فإذا أهله محيطون به، ورآني فقالَ لي: «ياشيب إليّ» فدنوت منه فمسح صدري ودعا لي فأذهب الله كل ما كان فيه وملأه إيمانا، وصار أحبّ الناس إليّ، وكان شيبة يكنى أبا صفية، واصطلح الناس على شيبة بن عثمان بمكة، فأقامَ لهم الحج في أيام يزيد بن شجرة حين وجهه معاوية لإقامَة الحج، وعلى الموسم من قبل علي يومئذ: قثم بن العَباس. ومن وَلده: أم حجر بنت شيبة، كانت عند عبد الله بن خالد بن أسيد، ومسافع بن شيبة، ومات شيبة بمكة في أيام يزيد بن معاوية.

ومنهم:

عبيد الله بن الأعجم بن شيبة الذي ضربه خالد بن عبد الله القسري وهو عَلى مكة، فضُرب له خالد، فقالَ الفرزدَق:

لعمري لقد صبت على ظهر خالد شآبيب لَيست من سحاب ولاقطر[1]

هذا قول ابن الكلبي، وقال غيره ضرب محمد بن طلحة بن عبيْد الله، أو عبد الله بن شيبة، لأنه جرى بينهما كلام، وقد كتبنا خبره في خبر خالد القسري فيما تقدم من كتابنا هذا، والحجابة في بني شيبَة والمفتاح عندهم إلى اليوم.

وقاسط بن شريح بن عثمان بن عبد الدار، قتل يوم أحد ومعه اللواء.

وعامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، الذي عقد الحلف بين الأحْلاف على المطيبين، وقد ذكرنا قصة المطيبين والأحلاف في أوّل كتابنا هذا.

والاسود بن الحارث بن عامر، أسر يوم بدر.

ومنهم:

مصعب الخير بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

حدثني الوَليد بن صالح ومحمد بن سعد عن الوَاقدي عن إبراهيم بن محمد العبدري عن أبيه قالَ: كان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً وسيباً، وكان أبواه يحبّانه، وكانت أمه تكسوه أحسن الثياب وأرقها، وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال، وكان رسول الله ﷺ يذكره فيقول: «مارأيت بمكة أحداً أحسن لمة، ولا أرق حلة، ولا أنعم نعمة من

١ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص٣٠١ مع فوارق.

مصعب بن عمير» فبلغه أن رسول الله ﷺ يدعو في دار الأرقم بن أبي الأرقم إلى الإسلام، فدخل عليه فأسلم وصدقه وخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمه، فكان يختلف إلى النبي ﷺ سراً، فبصر به عثمان بن طلحة يصلي، فأخبر أمه وقومَه بذلك، فخرجت أمه ناشرة شعرها وقالت: لا ألبس خماراً، ولا أستظل، ولا أدهن ولا آكل طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى تدع ماأنت عليه، وجاء أخوه فأخذه فحبسه فلم يزل محبوساً حتى تخلص، وخرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى والثانية، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا، وهو متغير الحال متقشف، فكفت امه عنه من العذل.

قال الواقدي: وهو مصعب الخير بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وأمه خناس بنت مالك بن المضرب بن وهب بن عمرو بن حُجير بن عبد بن مُعيص بن عامر بن لؤي، ويكنى أبا محمد.

وحدّثني محمد بن سعد ومظفر بن مرجا قالا: ثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن أبي عبد العَزيز الربذي عن أخيه عن عروة قال: أقبل مصعب بن عمير ذات يوم بالمدينة، وعليه قطعة نمرة قد وصلها بإهاب قد ردنه، ثم وصله إليها، فلما رآه أصحاب النبي ﷺ نكسوا رؤوسهم رحمة له، وليس عندهم مايغيرون عنه، فسلم فرد عليه النبي ﷺ وأحسن عليه الثناء وقالَ: «الحمد لله لقد رأيت هَذا وما بمَكة فَتىً من قريش أنعم عند أبويه نعيما منه، ثم أخرجته عن ذلك الرغبة في الخير، وحبّ الله ورسوله».

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عَن عاصم بن عبيْد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة العَنزي - من بني عنز بن وائل -

قالَ: كان مصعب لي خِدنا وصاحباً مذ يوم أسْلم إلى أن اسْتشهد بأحد، خرج معنا إلى الهجرتين جميعاً بأرض الحبشة، وكان رفيقي من بين القوم، فلم أر رجلًا قط كان أحسن خلقاً، ولا أقل خلافا منه[١].

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا هشام بن عبد الملك أبو الوَليد ثنا شعبَة أنبانا أبو اسحق قال: سمعت البراءَ بن عازب يقول: أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، يعنى في الهجْرة إلى المدينة.

وروى الوَاقدي في إسناده عن مَشيخته: أن أهل العَقبَة الأولى الاثني عشر لما انصرفوا إلى المدينة، ففشا الاسلام في دور الأنصار، أرسل الأنصار إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يبعث إليهم رجلا يفقههم في الدين ويقرئهم القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير، فقدم على أسعد بن زرارة، وكان يأتي الانصَار في قبائلهم ودورهم فيدعوهم إلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن، فيسلم الرجل والرجلان حتّى ظهر الإسلام ، وكتبَ إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في التجميع بهم، فأذن له، وكتبَ إليه رسول الله ﷺ يأمره أن ينظر إذا زالت الشمس يوم الجمعَةْ فيصلي بهم ركعتين، ويخطب قبلهما، فجمع بهم في دار سعد بن خيْثمة، وهم اثنا عشر رجلًا، فهو أول من جمع في الإسلام يوم جمعَة.

قالَ: وقد روى قوم من الأنصار أن أول من جمع بهم أبو أُمامة أسعد بن زرارة. ثم خرج مصعب بن عمير من المدينة إلى مَكة مع السّبعين الذين وافوا العقبة من الأوس والخزرج، فقدم مكة فجاءَ مَنزل رسول الله ﷺ

٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١١٦ ـ ١١٧ .

ولم يأت مَنزله فجعَل يخبر رسول الله ﷺ عن الأنصار وسرعتهم إلى الإسلام واستبطائهم قدوم رسول الله ﷺ بما سره، وبلغ أم مصعب قدومه، فأرسَلت إليه: ياعاق تقدم بلداً أنا فيه فلا تبدأ بي؟! فقالَ: ماكنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ، ثم ذهبَ إلى أمّه فقالَت: انك على صبأتك بعد، قال: أنا على دين رسول الله ﷺ، وهو الدين الذي ارتضَاه الله لنفسه ورسله، فقالَت: ماشكرت تربيتي، مرة بأرض الحبشة ومرة بأرض يثرب فقالَ: أفر والله بديني، فبكت فدعاها إلى الإسلام، فقالت: والثواقب لادخلت في دينكَ، ولكني أدعك وما أنت عليه، فأقام مصعب مع النبي ﷺ بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وقدم المدينة مهاجراً قبل النبي ﷺ باثنتي عشرة ليلة.

حدثني أبو بكر الأعين ثنا روح بن عبَادة عن ابن جريج عن عطاء قالَ: أول من جمع بالمَدِيْنة رجل من بني عبد الدار، قلت: بأمر النبي ﷺ؟ قالَ: فبأمر مَنْ؟ وقالَ الوَاقدي: آخى رسول الله ﷺ بين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وآخى بينه وبين أبي أيوب الأنصَاري، ويقال آخى بينه وبين ذكوان بن عبد قيس.

وكان لواء رسول الله ﷺ الأعظم، وهو لواء المهَاجرين، مع مصعب ابن عمير، وكان لواء قريش في الجاهليّة في قومه من بني عبد الدار، فلذلك خصه رسول الله ﷺ من بينهم.

وقال الكلبي والواقدي: شهد مصعب بن عمير بدراً، وحمل اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت مصعب، فأقبل ابن قميئة، وهو فارس، فضرب يده اليمنى فقطعها، فأخذ اللواءَ بيده اليسرى وحنا عليه، فضرب يده اليسرى فقطعها فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره، ثم حمل عليه

الثالثة بالرمح فأنفذه فاندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء، فأخذه أبو الروم أخوه، وكان اسمه عبد مناف، فلم يزل في يده حتى دخل المدينة حين انصَرف المسلمون.

ويقال إنه لما قتل مصعب وسقط اللواء أخذ اللواءَ ملك في صورة مصعب، فجعل رسول الله ﷺ يقول لَه في آخر النهار: تقدم يامصعب، فالتفت إليه الملك فقال: لست بمصعب، فعرف رسول الله ﷺ انه مَلَك أيّدَ به.

حدثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي ثنا عبيْد الله بن موسى ثنا عمر بن صهبان عن معاذ بن عبد الله عن وهب بن فطن عن عبيد بن عمير أن النبي ﷺ وَقف على مصعب بن عمير، وهو منجعف[1] على وجهه، فقرأ هَذه الآية: ﴿من المؤمنين رجال صَدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾[2] ثم قال: «أنتم الشهداء عند الله يوم القيَامة»، ثم أقبل على الناس فقال: «زوروهم وسلموا عليهم فو الذي نفسي بيده لايسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامَة إلا ردوا علَيْه».

وحدّثني عمرو بن محمد الناقد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عَن خبّاب بن الأرت قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ، وجاهدَنا في سبيل الله نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله فمنا من مَضى لم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نَمرة[3]، فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعناها في رجليه

١ - جعفه: صرعه. القاموس.

٢ - سورة الأحزاب - الآية: ٢٣ .

٣ - النمرة: الحبرة، وشملة فيها خطوط بيض وسود، أو بردة من صوف تلبسها الأعراب،

خرج رأسه فقال لها رسول الله ﷺ: «اجعلوها مما يلي رأسَه، واجعلوا على رجليه من الإذخر»[١].

حدثني محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي عن ابراهيم بن شرحبيل العبدري عن أبيه قالَ: كان مصعب بن عَمير رقيق البشرة، حسن اللّمة ليس بالقصير ولا بالطويل، قتل يوم أحد وهو ابن أربعين سَنة أو يزيد شيئاً، فوقف علَيْه رسول الله ﷺ وهو في بردته مقتول فقال: «لقد رأيتك ومَا بها أرق حلة، ولا أحسن لمة منكَ، ثم أنت اليوم شعث الرأس في بردة»، ثم أمر أن يقبر، فنزل في قبره أبو الروم بن عمير أخوه، وكان أسلم بعد اسلامه حين أسلم وعامر بن ربيعَة العنزي من بني عَنز بن وائل وسويبط بن سعد بن حرملة العبدري[٢].

وكان لمصعب بن عمير ابنة يقال لها زينب تزوجها عبد الله بن عبد الله بن أميّة بن المغيرة، وأمهَا حمنة بنت جحش، فولدت له ابنة.

وقال أبو اليقظان: كان لمصعب بن عمير من حمنة بنت جحش ابنة تزوجها ابن أبي عزيز بن عمير.

ومنهم: **أبو الروم بن عمير**، كان اسمه عبد مَناف، فدعي بكنيته، وكان من مهاجرة الحبشة في رواية الكلبي، وقد اختلفَ في هجرته فقيل: إنه لم يهاجر إلى أرض الحبشة، ولكنه هاجر إلى المدينة، وقد ذكرناه في أول كتابنا هذا، وأبو عزيز بن عمير قتل يوم أحد كافراً، وكان اسم أبي عزيز زرارة.

---

١ ـ الاذخر: الحشيش الأخضر، وحشيش طيب الريح. القاموس.
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١١٩ ـ ١٢٢.

ومن ولده:

مصعب بن عمير بن أبي عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتل يوم الحرّة[1].

ومن بَني عَبْد الدار:

سويبط بن حرمَلة ـ وبعضهم يقول حريملة ـ بن مالك الشاعر بن عُميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي، وأمّه هنيدة بنت خباب خزاعية، وكان سويبط من مهاجرة الحَبشة، شهد بدراً وأحداً، ومات ورسول الله ﷺ متوجه إلى تبوك، وكان يكنى أبا حرملة.

حدثني أبو بكر الأعين ثنا روح بن عبادة عن زمعة بن صالح عن الزهري عن عبدالله بن وهب عن أم سلمة أن أبا بكر خرج في سفر له ومعه نُعيمان الأنصاري وسويبط بن حرملة وكلاهما بدري ، وكان سويبط على الزاد فجاءه نعيمان فقال : أطعمني قال : لا حَتى يأتي أبو بكر ، وكان نعيمان رجلاً مزاحاً مضحاكاً ، فقال : لأغيظنك ، فذهب إلى قوم جلبوا ظهرا ، فقال : ابتاعوا مني غلاما عربيّا فارهاً ذا بيان ولسان ، ولعله يقول بالمراغمة لي : أنا حُرّ فان كنتم تاركيه لذلك فأعلموني ولا تفسدوا عليّ غلامي وتكسروه ، قالوا : بل نبتاعه منكَ بعشر قلائص نسوقها ، وأقبل القوم معه ، وهو يسوق القلائص العَشر حتى عقلَها ، ثم قال : دونكم المَولد فقالوا لسويبط : قم فقد اشتريناك ، فقال سويبط : أنا رجل حر وقد كذبكم ، فقالوا عندنا خبركَ وألقوا الحبل في عنقه ومضوا به ، فلما جاءَ أبو بكر أخبر الخبر فذهبَ في اصحاب له فرد القلائص وأخذ سويبطاً .

١ ـ تاريخ خليفة ج١ ص٢٩٦ .

ومن بني عَبْد الدار :

عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وهو الذي بَاع دار الندوة من معاوية بن ابي سفيان .

ومنهم :

بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار الذي كتب الصحيفة بين قريش وبني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف فشلت يده .

وقال غير الكلبي : كتبَ الصحيفة عكرمة بن عامر .

وقال بعضهم : كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والأول أثبت .

ومنهم :

جهم بن قيس بن شرحبيل بن هاشم ، ويقال : ابن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان في مهاجرة الحبشة .

ومنهم :

الحارث بن علقَمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار رهينة قريش عند أبي يكسوم الحبشي حين دخل مكة قوم من تجارهم في حطمة[1] كانت ، فوثب أحداث قريش على بعض ما كان معهم فانتهبوه ، فوقعت بينهم منافرة ثم اصطلحوا بعد أن مضت عدة من وجوه قريش إلىٰ أبي يكسوم ، فأرضوه واعتذروا إليه وسألوه أن لا يقطع تجار أهل مملكته عنهم فدُفع الحارث وغيره رهينة عنده فكان يكرمهم ويصلهم ، وكانوا يبضعون البضائع إلى مكة لأنفسهم .

---

١ ـ الحطمة : السنة الشديدة . القاموس .

وابنه **النضر بن الحارث** بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ويكنى أبا فايد ، وقد ذكرنا خبره في أول كتابنا وقتل يوم بدر كافراً ، أسره المقداد فقتله علي بن أبي طالب صبراً بين يدي رسول الله ﷺ .

وأخوه **النضير بن الحارث بن علقمة** بن كلدة ، وكان -فيما قال الواقدي - من مسلمة الفتح ، ومات بمكة ، وكان ممن أقام بمكة فلم يهاجر إلى المدينة ، ولم يذكره محمد بن اسحاق في الهجرة إلى الحَبشة .

وقال الهيثم بن عدي:أسلم النضير ، وهاجر إلى الحبشة ، وقدم إلى مكة فارتد ، ثم صحح الاسلام يوم الفتح أو بعيده ، واستشهد يوم اليرموك بالشام .

ومنهم :

فراس بن النضر بن الحارث بن عَلقمة بن كلدة بن عبد مناف ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، وكان قدومه من أرض الحبشة بعد الهجرة إلى المدينة ، وقتل يوم اليرموك شهيداً ويكنى أبا الحارث ، ولم يذكر الكلبي فراساً .

ومن بني عَبْد الدّار :

محمد بن المرتفع بن النضِير بن الحارث بن علقمة صاحب البئر بمكة ، وهي تعرف ببئر ابن المرتفع ، ومات محمد بن المرتفع بمكة ، وزعم أبو اليقظان أنه من ولد عثمان بن عبد الدار ، والأول أثبت .

ومنهم :

عبدالله بن أبي مسرة بن عوف بن السباق بن عبد الدار ، قتل يوم دار عثمان .

ومنهم :

أبو السّنابل بن بعكك بن الحارث بن السّباق ، وكان بعكك شريرا شديد البغي ، وقد بقي أبو السّنابل حينا بعد وفاة النبي ﷺ ، وهو الذي قال لسبيعة بنت الحارث ، من ولد مالك بن أفصى أخى أسلم ، وهي تنسب إلى أسلم فيقال سبيعة الأسلمية ، وقد ولدت بعد وفاة زوجها سعد بن خولة حليف بني عامر بن لؤي ، ويقال مولاهم : لا يحل لكَ النكاح حَتى يمضي عليكَ أربعَة أشهر وعشر .

حدثني علي بن عبدالله وعباس بن يزيد البحراني قالا : ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبَة بن مسعود عن أبيه قال : وضَعْت سبيعة بعد وفاة زوجها بعشرين يوماً أو شهر أو نحو ذلك ، فمر بها أبو السنابل بن بعكك فقالَ قد تصنعت للأزواج لا أو يأتي عليك أربعة أشهر وعشر ، قالت سبيعة : فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له : فقال : «كذب أبو السنابل قد حللت للأزواج فانكحي» .

وروي قوم أن أبا السّنابل كان خطبها وقال الشاعر :

إن كنت تسأل عن عز ومكرمَة فتلك دار أبي السّباق بالبلد

قال أبو اليقظان : ومن بني عبد الدار بنو جبير ، ولهم بقية قليلة بالبصرة .

وقال : هو بعكك بن أصرم بن الحارث بن السباق .

وقال محمد بن سعد كان : نُبيْه بن وهب أحد بني عبد الدار فقيهاً ، مات في فتنة الوليد بن يزيد ، روى عنه نافع وليس نُبَيْه بأَسَنَّ منه .

بَنو عَبْد بن قصيٍّ

ولد عبد بن قصي : **وهب بن عَبْد** ، كان أول من ولي الرفادة ، **والمنهب بن عبد** ، وهو أبو كبير **وبُجير بن عبد** .

منهم :

طليب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصي ، وأمّه أروى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، وهاجر إلى المدينة مع أصحاب رسول الله ﷺ ، واستشهد يوم أجنادين بالشام وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، وكان يكنى أبا عَدي .

وقال الواقدي هو طليب بن عمير بن وهب بن كبير بن عبد ، والأول قول ابن الكلبي عندنا ، وهو أثبت .

وقال الواقدي : كان إسلام طُليب بن عمير في دار الأرقم ، فلما أسلم دخل على أمه أروى فقال : قد تبعت محمداً وأسلمت لله ، فقالت : إن أحق من آزرْتَ وعضدت ابن خالك ، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لمنعناه وذببنا عنه ، فقال : يا أمه ما يمنعك من أن تسلمي وتتبعيه فقد أسلم

أخوك حمزة ؟ فقالت : أنظر ما يصنعه أخواى[1] ثم أكون كأحدهم ، ثم إنها شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدّاً رسول الله ، وكانت بعد تعضد النبي ﷺ بلسانها ، وتحض ابنها على نصرته ، والقيام بأمره .

وقال الكلبي والواقدي : شهد طليب بدراً ولم يكن يذكر ذلك موسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق ، وأبو معشر ، وليس لطليب عقب وقالوا : لقي طليب بن عمير أبا اهاب بن عَزيز التميمي ، أحد بني عبدالله بن دارم ، وكان أبوه هرب فحالف بني نوفل بن عبد مناف ، وقد دُس للفتّك برسول الله ﷺ ، فضربه بلحي جمل فشجه ، فضرب وحمل إلى أمه فقالت : محمد ابن خاله ، وهو أولى من دافع عنه وغضب له ، وقالت أروى :

إن طليبا نصر ابن خاله آساه في دمه ومَاله

وكان المسلمون يصلون في شعب فهجم عليهم أبو جهل ، وعقبة بن أبي معيط ، وجماعة من سفهاءِ أهل مكة ، فعمد طليب إلى أبي جهل فشجه ، فأوثقوه فقام أبو لهب دونه فتخلصه ، وشُكي إلى أروى فقالت : خير أيامه أن ينصر محمداً ، وكانت قد أسْلَمت .

ومن بني عبد بن قصي :

الحويرث بن نقيد ـ بدال غير معجمة ـ ابن بجير بن عبد ، أمر رسول الله ﷺ أن يقتله من وجده يوم فتح مكة ، فقتل كافراً ، وكان الذي قتله عليّ عليه السلام .

ومن ولده :

---

١ ـ بهامش الأصل : تعني أبا طالب وأبا لهب .

جبير بن الحويرث بن نقيد بن عبد ، أدرك النبي ﷺ ورآه ولم يرو عنه شيئا ، وروى عن أبي بكر .

قال أبو اليقظان : لم يبق من بني عبد بن قصيّ أحد ، بادوا كلهم حتى ورث آخرهم عبد الصمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب ورجل آخر من بني المطلب بن عبد مناف .

بَنو عَبد العُزَّي بن قصَيٍّ

وولد عبد العزى بن قصيّ :

أسد بن عبد العزى ، وأمه ريطه ، وهي الحظياء[١] بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وهي التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا[٢] ، وكانت وَرْهَاء[٣] تنقض ما تغزل .

فولد أسد بن عبد العزى :

خويلداً : وامّه زهرة بنت عمرو بن حنثر من بني كاهل بن أسد بن خزيمه ، وإياها عنى فضالة بن شريك الأسدي في قوله :

أقـول لغلمتي أدنـو ركـابي   أفارق بطن مكة في سواد
ومالي حين أقطع ذات عرق   إلى ابن الكاهلية من معاد

ونوفل بن أسد . **وحبيب بن أسد** ، قتلا يوم الفجار الآخر ، **وصيفي بن أسد** ، درج ، وأمهم خالدة بنت هاشم بن عبد مناف بن قصي ، **والحويرث** وأمه ريطة بنت الحويرث الثقفي . **وعمرو بن أسد** ، **وهاشم بن**

---

١ ـ بهامش الأصل : الحظياء . بظأ معجمه .

٢ ـ انظر سورة النحل الآية ٩٢ .

٣ ـ الورهاء : الحمقاء التي ليس في عملها حذق . القاموس .

أسد ، **ومهاشم بن أسد** درجوا وأمهم ناهيَة بنت سعيد بن سهم ، **وطالب بن أسد** ، **وطويلب بن أسد** ، قتلا يوم الفجار ، ولا عقب لهما ، وأمهما من الأوس ، **وخالد بن أسد** لأم ولد ، **والمطلب بن أسد** ، **والحارث بن أسد** لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن الحارث بن كعب .

فولد خويلد : **العوَّام** ، وامه من بني مازن بن منصور **وحزاماً** ، **وخديجة بنت خويلد** ، زوج النبي ﷺ ، **ونوفل بن خويلد** ، قتل يوم بدر كافرا ، وقتل حِزام يوم الفجار الآخر .

فمن بني خويلد بن أسد بن عبد العّزى بن قصي :

أبو عبدالله الزبير بن العَوّام بن أسد بن عبد العزى ، حواريّ رسول الله ﷺ ، وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ .

والسائب بن العوام ، وأمه صفية ، **وبجير بن العوام** ، قتله سعد بن الدوسي بأبي أزيهر[1] ، لقيه باليمامَة . **وعبد الرحمن**.**وأسود** . **وأصرم** . **وبعكك** ، وأمه من بني السّباق .

فأمّا **الزبير** فحدثني محمد بن سعد والوليد بن صالح قالا : ثنا الواقدي عن مصعب بن ثابت عن أبي الأسود قال : كان إسلام الزبير بعد أبي بكر ، فكان رابعاً أو خامساً ، دخل على رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت إلى ماذا تدعو؟ فقال : «أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله» ، قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله يا رسولَ الله ، إن شئت لنبَادينهم بالاسلام ولا نستتسر به ، فإنا على حق وهم على

---

١ ـ حول قضية أبي أزيهر ، انظر نسب قريش للمصعب ص٣٢٣ .

باطل ، فقال رسول الله ﷺ : «إنا لم نؤمر بالقتال» ، فخرج الزبير ولقيه أبو البختري ، وهو العاص بن هاشم بن الحارث بن اسد بن عبد العزى قال : أفعلتها يا بن العوام ؟ قال : نعم ، قال : إنا لانقرك وما تريد من مفارقة دين آبائنا وعيب آلهتنا ، قال الزبير : اصنع ما بدا لك فإنما تعبدون حجراً لا يسمع ولا يبصر ، ولا ينفع ولا يضر ، قال أبو البختري : إنما نعبدهم ﴿ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون﴾[1] .

حدّثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مصعب بن ثابت عن عبدالله بن الزبير قال : شهد الزبير بدراً وهو ابن تسع وعشرين سنة ، وقتل وهو ابن أربع وستين .

وقال محمد بن سعد أخبرت عن أبي أسامة حماد بن أسامة عن هشام بن عروة قال : أسلم الزبير وله ست عشرة سنة ، ولم يتخلف عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ[2] .

حدثني مظفر بن مرجي عن عبدالله بن محمد بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه بنحوه .

وحدثني الوليد بن صالح ومحمد بن سعد عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن عروة قال : كنت ربما أخذت بالشعر الذي على منكبي الزبير ، وأنا غلام ، فاتعلق به إلى ظهره .

وقال الواقدي : أخبرني غير واحد من آل الزبير أنه كان رجلاً ليس بالقصير ولا الطويل ، إلى الخفة ما هو في اللحم خفيف اللحيَة أسمر

---

١ ـ سورة الزمر ـ الآية : ٣ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٠ ـ ١٠٢ .

اللون ، أشعر لا يغير شيبه[١] .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قاتل الزبير ، وهو غلام بمكة ، رجلاً فكسر يده ، وضربه ضرباً شديداً ، فمُرّ بالرجل إلى صفية وهو يحمل ، فقالت : ما شأنه ؟ قالوا : قاتل الزبير فقالت :

كيـف رأيـتَ زَبْـرا أأقـطـاً أَمْ تَمْـرا[٢]
أم مُشْمَعِلاً صَقرا

وكانت صفية تزفن الزبير ، وهو صغير ، وتقول :

إن ابني الأصغر جب حنكل[٣] أخـاف أن يعقني ويبخـل
يا رب أمتعني ببكري الأول بـالمـاجـد الفيـاض والمؤمـل

حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنبأ هشام بن عروة عن عروة أن صَفية كانت تضرب الزبير ضرباً شديداً ، وهو يتيم ، فقيل لها : قتلته ، خلعتِ فؤاده ، أهلكت هذا الغلام فقالت :

انمـا أضربـه كـيْ يـلَبْ ويجـر الجيـش ذا الجلَبْ

قال: فكسر يد غلام ذات يوم فجيء بالغلام إليها فقالَت:

كيـف رأيْتَ زبْـرَا أأقـطـا أم تـمـرا
أم مـشـمعـلا صقـرا

حدّثني محمّد بن سعد ثنا عمرو بن عاصم الكلابي عن همام عن

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٧ .

٢ ـ في طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠١ «أأقطا حسبته أم تمرا» والأقط : شيء يتخذ من المخيض الغنمي . القاموس .

٣ ـ الحنكل : اللئيم والقصير ، والجافي الغليظ ، وحنكل في المشي : تثاقل وتباطأ . القاموس .

هشام بن عروة عن أبيه قالَ: كانت على الزبير ريطة قد اعتجر بها يوم بدر وكانت صفراءَ، وكانت على الملائكة يومئذ عمائم صفر فقال رسول الله ﷺ: «نزلت الملائكة اليوم على سيماء الزبير»[1].

حدثنا اسحق بن اسرائيل ثنا يعقوب بن الحضرمي ثنا سُكين بن عبد العَزيز ثنا حفص بن خالد عَن شيخ صحب الزبير بن العَوام في بعض أسفاره، قال: أصابت الزبير جنابة في أرض قفر، فقالَ لي استرني فسَترته، قال: فحانت مني التفاتة فقلْت: والله لقد رأيت بك آثاراً ما رأيتها بأحد قط، فقالَ: والله مَا منها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله.

حدثنا أبو يعقوب اسحق بن أبي اسرائيل ثنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن سوار بن عبد الله عن الحسَن أن الزبير دخل على رسول الله ﷺ وهو يشتكي فقال: ما أكثر ما تعمدك جَعلني الله فداءَك، فقال ﷺ: «أما تركت أعرابيتك بعد» أو كما قال ﷺ، قالَ اسماعيل بن ابراهيم: يعني في قوله «جعلني الله فداءَك».

محمد بن سعد[2] عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قالَ: أخبرني أبي أن الزبير قال: رأيت طلحة سمّى ولده باسماءِ الأنبياء وأنا أسمّي بَنيَّ بأسماء الشهداء لعَلهم يستشهدون، فسمى عَبْد الله: بعبد الله بن جحش، والمنذر: بالمنذر بن عَمْرو بن خنيس، وعروة: بعروة بن مسعود الثقفي، وحمزة: بحمزة بن عبد المطلب، وجعفرا: بجعفر بن أبي طالب، ومصعب: بمصعب بن عمير، وعبيدة: بعبيدة بن الحارث، وخالداً:

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠٣.
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠١.

بخالد بن سعيد، وعمراً: بعمرو بن سعيد بن العاص قتل يوم اليرموك.

حدثني يحيى بن معين ثنا عبد الرزاق أنبأ معمر عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ رخص للزبير في قميص حرير.

حدثنا وهب بن بقية الواسطي ثنا يزيد بن هرون عن سعيد بن أبي عروبة عن نافع قالَ: سمع ابن عمر رجلاً يقول: أنا ابن حواري رسول الله ﷺ، فقال ابن عمر: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا"(١).

حدّثنا روح بن عبد المؤمن المقرىء ثنا المعلىّ بن أسد ـ أخو بهز بن أسد ـ ثنا محمد بن حمران ثنا عبد الله بن بشر عن أبي كبشة الأنماري قال: كان الزبير على المجنبة اليسرى، والمقداد على المجنبة اليمنى يوم فتح مكة فلما هَدأ الناس جاءَا بفرسيهما، فقام رسول الله ﷺ فمسح الغبار عن وجوههما بثوبه وقال: «إني جعلت للفرس سهمين، وللفارس سهماً فمن نقصهما نقصه الله».

حدثنا محمد بن سعد ثنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إن لكل نبي حواريّاً وحواريَّ الزبير ابن عمّتي».

حدثني عمرو بن محمد الناقد ومحمّد بن سعد قالا: ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ يوم الاحزاب: «منَ يأتيني بخبر القوم»؟ فقال الزبير: أنا، فقالَ رسول الله ﷺ: «إن لكل نبيّ حواريّاً وحواري الزبير».

حدثنا محمد بن سعد أنبا أنس بن عياض أنبا هشام بن عروة عن أبيه

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠٦ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠٤ .

أن الزبير محا نفسه من الديوان لما قتل عمر بن الخطاب.

حدثني محمد بن سعد ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا حفص أبو غياث عن هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير جعل داراً له حبيساً على كل مردودة من بَناته[1].

حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنبا هشام بن عروة أخبرني أبي قالَ: سمعت عبد الله بن الزبير يقول: فدى رسول الله ﷺ الزبير يوم الأحزاب بأبويه.

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ثنا أبو أسامة حماد بن أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قالَ: لما وَقف الزبير يوم الجمل دعاني فقالَ: يابني إنه لايقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لأراني إلا مما قتل مظلوماً، وإن أكبرَ همّي دَيني، أفترى ديننا يبقي من مَالنا شيئاً؟ ثم قالَ: يابنى بع مالي واقض ديني، قالَ: وأوصى بالثلث وقال: إن فضل من مالنا بعد قضاء الدين شيء فثلثه لولدك، وكان بعض ولد عبد الله قد إرى[2] بعض بني الزبير: خبيب، وعباد، وقالَ: إن عجزت عن شيء من دَيني فاستعن بمولاي ـ يعني الله تبارك وتعالى ـ قال: فوالله مادريت مَا عنى حتى أخبرني به، فما وقعت من دينه في كربة إلا قلت: يامولى الزبير أقض عنه فيقضيه، قال: وقتل الزبير ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين منها الغابة[3]، وأحد عشر داراً بالمدينة، وداراً بمصر، وداراً بالكوفة، وداراً بالبصرة، قال: وما ولي

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠٥ ـ ١٠٧ .
٢ ـ بهامش الأصل: «أرى أي وغر صدره». وفي القاموس: إرى: انضم وألف والتصق.
٣ ـ الغابة: بجوار أحد خارج المدينة المنورة.

الزبير إمارة قط ولا جباية ولا خراجاً ولا شيئاً إلا أن يكون في غزاة مع النبي ﷺ، أو مع أبي بكر، أو مع عمر، أو مع عثمان.

قالَ عبد الله: فحسبت ماعليه من الدين، وإنما كان الرجل يستودعه المال فيقول له الزبير: هو سلف علينا إني أخشى عليه الضيعة، قالَ: فلقيني حكيم بن حزام فقالَ: يابن أخي كم على أخي من الدين؟ قلت: مائة ألف، فقال: والله ماأرى أموالكم تتسع لهذا، قلت: أفرأيت إن كان ألفي ألف ومائتي ألف؟ قال: ماأراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم فاستعينوا بي، قال: وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف فبيعت بألف ألف وستمائة ألف. قال: من كان له على الزبير دين فليوافنا بالغابة، قال: فأتاه عَبْد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكان له على الزبير أربعمائة ألف، فقال لعبد الله: إن شئتم تركتها لكم؟ فقال عبد الله: لا، فقال قال: فإن شئتم جعلتموها فيما يؤخر إن أخرتم شيئاً؟ قالَ عبد الله: لا، قال: فاقطعوا لي قطعة، فقال عبد الله: لك من ها هنا إلى ها هنا، قالَ: فباع ذلك بدينه فاستوفاه، وبقي منها أربعة أسهم ونصف فباعها بأربعمائة ألف وخمسين ألفاً، وكان مابيع قبل ذلك بتمام ألف ألف وستمائة ألف، فلما قضى دين أبيه قال ولد الزبير: اقسم بيننا ميراثنا فقال: لا والله أو أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا نقضه، فنادى أربع سنين ثم قسم الميراث بينهم فرفع الثلث، وكان للزبير أربع نسوة فأصاب كل امرأة من ثمن عقاراته ألف ألف ومائة ألف، فكان الثمن: أربعة آلاف ألف وأربعمائة ألف درهم، وكان ثلثا المال الذي اقتسمه الورثة خَمسة وثلاثين ألف ألف ومائتي ألف.

وحدّثني عَبْد الله بن صالح المقرىء قالَ: سمعت سفيان بن عُيينة

يقول: اقتسم ميراث الزبير على أربعين ألف ألف درهم.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قيمَة ماترك الزبير أحد وخمسون أو إثنان وخمسون ألف ألف درهم.

حدّثني محمد بن سعد عن الواقدي حدثني أبو حمزة عبد الواحد بن ميمون عن هشام عن عروة قالَ: كانت للزبير خطط بمصر، والاسكندرية، وبالكوفة، والبصرة دور، وكانت له غلات تأتيه من أعراض المدينة[١].

حدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري عن عروة أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير في شراج[٢] الحرة، فقال رسول الله ﷺ: «اسق يازبير، ثم أرسل إلى جاركَ».

حدثنا خلف البزار عن أبي بكر بن عياش عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أقطع عمر خوّات بن جبير الأنصاري أرضاً مواتا، فاشتريناها منه.

حدثني الحسين بن علي بن الأسود عَن يحيى بن آدم عَن أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيْه قال: أقطع أبو بكر الزبير ما بين الجرف إلى قناة[٣].

وحدثنا الحسين ثنا يحيى بن آدم أنبا قيس بن الربيع عن هشام عن عروة قالَ: أقطع رسول الله ﷺ الزبير أرضاً من أرض بني النضير ذات نخل وشجر.

وروي ان عمر اقطع الزبير العقيق أجمع.

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠٩ ـ ١١٠.

٢ ـ الشرجة مسيل الماء من الحرة إلى السهل، والشراج جمعها. النهاية لابن الأثير. الخراج ليحيى بن آدم ص١٠٦ ـ ١٠٧.

٣ ـ الخراج ليحيى بن آدم ص٧٧.

المدائني عن أبي اليقظان عن جويرية قال: أقطع رسول الله ﷺ الزبير حُضْرَ[1] فرسه فركض حتى أعيى فرسه، ثم رمى بالسوط.

حدّثني أحمد بن إبراهيم الدّورقي ثنا أبو اسامة أنبا هشام بن عروة عن أبيه عن أسماءَ بنت أبي بكر قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، فكنت أعلفه وأكفيه مؤنته وأسوسه، وأدق النوى لناضحه، وأعلفه، واستقي الماء وأخرز غَرْبه[2]، وأعجن، ولم أكن أحسن الخبز فكن جاراتي من الأنصار يخبزن لي، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي اقطعه إياها رسول الله ﷺ على رأسي وهي على ثلاثة فراسخ، قالت: فجئت يوماً وعلى رأسي نوى فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعاني ثم قالَ: اخْ اخْ ليحملني خلفه، قالت: فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالَت: وكان الزبير أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت فمَضى، فأخبرت الزبير بما صنع رسول الله ﷺ وباستحيائي منه، وقلتْ: عرفت غيرتكَ، فقال: أعلى رسول الله ﷺ أغار، والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه، ثم أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني.

حدثني أحمد بن إبراهيم ثنا عبيد بن موسى أنبا الفضيل بن مرزوق حدثني شقيق بن عقبة عن قرة بن الحارث عن جون بن قتادة.

قال قرة بن الحارث: كنت مع الأحنف يوم الجمل وكان جون بن قتادة ابن عمي مع الزبير بن العوام فحدّثني جون قال: كنت مع الزبير فجاءَ

---

١ ـ الحضر: ارتفاع الفرس في عدوه. القاموس.

٢ ـ الغرب: الراوية، والدلو العظيمة. القاموس.

فارس، وكانوا لايسلمون على الزبير إلا بالإمرة فقال: السلام عليك أيها الأمير، فقال: وعليك السلام، قال: إن هؤلاء القوم قد أتوا إلى مكان كذا وكذا، فلم أر قوماً أَرَث سلاحاً، ولا أقل عدداً، ولا أرعب قلوباً منهم، ثم انصرف، وجاء فارس آخر فقال: السّلام عليك أيها الأمير، قال: وعليك السلام، قال: جاء القوم حتى أتوا مكان كذا فسمعوا بما جمع الله لكم من العَدد والعُدّة والحَدّ فقذف الله في قلوبهم الرعبَ فولوا مدبرين، فقال الزبير: إيهاً عنكَ الآن، فوالله لو لم يجد ابن أبي طالب إلا العرفج لدبّ إلينا فيه، ثم انصرف وجاء فارس وقد كادت الخيول تَرِخُّ من الرهج[1] فقال: السلام عليكَ أيها الأمير، قالَ: وعليك السّلام، قالَ: هؤلاء القوم قد أتوك، ولقيت عمارا فقلْت له وقالَ لي، قالَ الزبير: إنه ليس فيهم، قالَ: بلى والله إنه لفيهم، قالَ: والله ماجعله الله فيهم، قالَ: بلى والله لقد جعله الله فيهم، قالَ: فلما رأى الرجل يخالفه، قال لبعض أهله: اركب فانظر أحقاً مايقول؟ فركبَ معه وأنا أنظر إليهما حتى وقفا في ناحية الخيل طويلا ثم رجعا إلينا، فقالَ الزبير لصَاحبه: ماعندك؟ قال: صدقك الرجل، فقال الزبير: ياجدع أنفاه، أو يا قطع ظهراه، قال الفضيْل: لا أدري أيهما قالَ، قال: ثم أخذه أفكل[2] حتى جعل السّلاح ينتفض، قالَ جون: فقلت: ثكلتني أميّ، هذا الذي كنت أريد أن أموت معه، أو أعيش، والذي نفسي بيده ما أرى هذا إلا من شيء سمعه، أو رواه، وهو فارس رسول الله ﷺ.

قالَ: فلما تشاغل الناس انصرف فجلس على دابته ثم ذهبَ، قال:

---

١ ـ الرهج: الغبار. النهاية لابن الأثير، ترخ: تصاب بالإنهاك. العين، القاموس.
٢ ـ بهامش الأصل: أفكل: الرعدة.

فانصرف جون فجلس على دابته فلحق بالأحنف وجاء فارسان حتى أتيا الأحنف وأصحابه فنزلا فأكبا يناجيانه، فَرفع الأحنف رأسه فقالَ: ياعمرو بن جرموز، يافلان فأتيَاه، فأكبا عليه فناجاهما ساعة، ثم انصرفا ثم جاءَ عمرو بن جرموز إلى الأحنف، فقالَ: أدركته بوادي السباع فقتلته، فكان قره يقول: والذي نفسي بيَده إن صاحب الزبير الأحنف.

حدثنا اسحاق بن اسرائيل ثنا معاوية بن عَمْرو الأزدي أنبا ابن المبارك حدثني ابن لهيعة ثنا محمد بن عبد الرحمن بن نوفل قال: سمعت عروة يقول: سمعت الزبير يقول: أنا والله أقرعت لمائة من المهاجرين سُهمان بدر، فأسهمت لهم.

حدثنا اسحق بن ابي اسرائيل ثنا رفاعة بن إياس أبو العلاء الضبّي حدثني أبي عن أبيه أن عليّا دعا الزبير فقال : أنت آمن ابرز إليّ أكلمك ، فبرز له بين الصّفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما فقال : يا زبير أنشدك الله الذي لا إله إلاّ هو ، أخرج نبي الله يمشي وخرجنا معه أنا وأنت فقال لك : يا زبير لتقاتلنه ظالماً ، وضرب كتفك ؟ فقال : اللهم نعم ، قال : أفجئت تقاتلني ؟ فرجع عن قتاله وسار من البصرة ليلة فنزل بماءٍ لبني مُجاشع ، فلحقه رجل من بني تميم ثم من بني سعد، يقال له ابن جرموز فقتله، وجاء بسيفه إلى عليّ فقال : بشر قاتل ابن صفية بالنار .

حدثني أبو بكر الأعين ثنا الحسن بن موسى الأشيب حدثني ثابت بن يزيد عن هلال عن عكرمة عن ابن عباس : أنه أتى الزبير فقال : يا بن صفية بنت عبد المطلب جئت تقاتل علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ؟

قال : فرجع الزبير فلقيه ابن جرموز فقتله ، فقال ابن عباس لعلي : إني رأيت قاتل ابن صفية فقال : إلى النار، إلى النار .

حدثني بكر بن الهَيْثم حدثني عبيدالله بن موسى عن الحسَن بن صالح عن رجل عن الشعبي قال : لقي طلحَة والزبير الأحنف بن قيس فدعواه إلى بيعتهما على الطلب بدم عثمان ومخالفة عليّ ، فقال : أنتما أمرتماني ببيعته ؟ فقالا : أف لك إنما أنت فريسَة آكل وتابع غالب ، فتركهما ومضى .

وحدثني محمد بن أبان الواسطي ثنا جرير عن الحسن أنه ذكر الزبير فقال : عجباً للزبير أخذ بحقوي أعرابي من بني مجاشع : أجرني ، أجرني ، حتى قتل ، أمَا والله لقد كنت في ذمّة منيعة .

حدثني بكر بن الهيثم حدّثني أبو حكيم العَدني عن معمر عن قتادة قال : لما اقتتلوا يوم الجمل فكانت الدبرة على أصحاب طلحة والزبير ، أفضى علي إلى الناحية التي فيها أصحاب الزبير ، فلما رآه واجهه قال له علي : يا أبا عبدالله أتقاتلني ، وقد عرفت ما أعطيتني من بيعتك ، وما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ فانسلّ على فرسه منصرفاً إلى المدينة ، فلما صار بسفوان[1] لقيه رجل من بني مجاشع يقال له النَّعِر بن زَمّام فقال له : أجرني ، فقال النعر : أنت في جواري يا حواري رسول الله ، فقال الأحنف : واعجباً للزبير لف غارين[2] من المسلمين ، ثم قد نجا بنفسه ، فسمع ذلك ابن جرموز ، فاتبعه وأصحابه فقتله ، وأخذ رأسه فأتى به علياً ، فبعث عليّ من دفنه مع بدنه بوادي السباع .

١ ـ سفوان ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة . معجم البلدان .
٢ ـ الغار : الجمع الكثير من الناس . القاموس .

حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء حدثني أبو عامر العَقدي عن الأسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال : قتل الزبير عمرو بن جرموز ، فقبر بوادي السباع .

حدثني عمرو الناقد ثنا أبو نَعيم الفضل بن دكين ثنا عمران بن زائدة عن أبيه عن أبي خالد الوَالبي قال : دعا الأحنف بني تميم فلم يجيبوه ، ثم دعا بني سعد فلم يجيبوه ، فاعتزل في رهط فمر الزبير على فرس له يقال له ذو النعال ، فقال الأحنف : هذا الذي ألبَ بين الناس ، قال : فاتبعه رجلان ممن كان معه ، فحمل عليه أحدهما فطعنه ، وحمل عليه الآخر فقتله ، وجاء برأسه إلى باب عليّ ، فقال : بشر قاتل ابن صفية بالنار ، فألقاه من يده وذهب .

حدثني عمرو ثنا قبيصَة ثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال علي : إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله : ﴿أخواناً على سرر متقابلين﴾[1] .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا أبو عامر العقدي ثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال : قال الناس:بايعوا الزبير على الخلافة فلما سمعت ذلك عائشة قالت : لا تبايعوا الزبير على الخلافة ، ولكن بايعوه على القتال ، فإن أظفركم الله فَسترون رأيكم ، قال : فوثبَ عبدالله بن الزبير فقال : يا زبير أتدري ما تريد هذه ؟ تريد أن تجعل حار الناس بك وبارده لابن عمها طلحة ، أقعد على نجائبك ثم ارم بها مكة حتى تقلع سيوف

١ ـ سورة الحجر ـ الآية : ٤٧ .

العَرب وقد أفنيت سراتها ووجوها فتركب إليكَ سعاتها ، قال : فركب الزبير فأصابه أخو بني تميم بوادي السباع .

وقال أصحاب السيرة : لما كان يوم الجمل وهو يوم الخميس لعشر ليالي خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين بعد القتال ، انصرف الزبير يريد المدينة ، فلقيه النعر بن زمّام المجاشعي فقال : يا حواري رسول الله إليّ فأنت في ذمتّي ، وبلغ الأحنف ذلك فقال : ما أصنع إن كان الزبير لف بين غارين من المسلمين فقتل أحدهما الآخر ، ثم هو يريد اللحاق بأهله ، فاتبعه عمرو بن جرموز بن قيس ، أحد بني جشم بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وفضْيل بن عابس ، ونفيل بن حابس التميميون ، فلحقه ابن جرموز فطعنه ، فحمل عَليه الزبير ، فلما ظن أنه قاتله دعا صاحبيه وقال : الله الله يا زبير فأمسك الزبير ، فحملا عَليه وابن جرموز معهم فقتلوه ، واحتز ابن جرموز رأسه ، وأخذوا سيفه ، فلما أتي به علي قال : سيف طال ما جلّى به عن رسول الله ﷺ الكرب ، ولكنه الحين ومصارع السّوء ، فذلك قول جرير للفرزدَق :

قتـل الزبـير وأنتم جيرانـه غيّا لمن قتل الزبير طويلا[1]

قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل امرأة الزبير ، وهي التي كان أهل المدينة يقولون : من أراد الشهادة فليتزوجها ، وذلك أنها كانت عند عبدالله بن أبي بكر ، ثم عند عمر بن الخطاب ، ثم عند الزبير .

غدر ابن جرموز بفارس بُهْمَةٍ يوم اللقاء وكان غير معرّد
يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشاً رعش السّنان ولا اليد

١ ـ ديوان جرير ص ٣٦٥ مع فوارق .

شلت يمينك أن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد
ثكلتك امك هل اخرت بمثله فيمن مضى فيما تروح وتغتدي
كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادكَ يا بن فقع الفدفد

وغزا الزبير مصر فصعد سور النوبة وحدهِ ، فقاتل عليه ، فكان فتحها بصعوده .

وأمّا السَّائب بن العوام أخو الزبير

فإن أباه مات قبل المبعث ، وقال بَعْضهم : قتل في الجاهلية ، والسائب يرضع وكان السائب حين اسلم الزبير صغيراً ، استشهد يوم اليمامة في أيام أبي بكر .

حدثني عبد الواحد بن غياث ثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه في حديث طويل قال : التقى المسلمون والمشركون باليمامَة فَولى المسلمون مدبرين حتى بلغوا الرحال ، فقال السّائب بن العَوّام : أيها الناس إنكم قد بلغتم الرحال لا مفر لامرىء بعد رحله ، فهزم الله المشركين ، وقتل مسيلمة .

وقال أبو اليقظان البصري : كان للعوام ابن يقال له الأسود ، وكان أكبر ولد العوام ، وامه من بني عبد الدار ، فلما أسلم الزبير قيده واشتد عليه ، ولا عقب لَه . قال وكان له : أصرم وبعكك ، أمهما من بني السباق بن عبد الدار درجا .

قالوا جميعاً : كان الزبير والسّائب لصفية بنت عبد المطلب ، خلف عليها العوام بعد الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس .

وأما بجير بن العوام فقتل بأبي أزيهر باليمامة .

وأمّا عبد الرحمن بن العوام فاستشهد في أيام عمر في بعض المغازي ، وقتل ابنه مع عثمان يوم الدار .

وولد للزبير :

عَبْدالله بن الزبير وهو أول مولود في الإسلام بالمدينة من قريش ، فكبّر المسلمون حين بشروا به ، وكان المشركون يقولون قد انقطع نسلهم .

وعروة والمنذر . وعاصم . والمهاجر . وخديجة الكبرى . وام الحسن . وعائشة . وأمهم أسماء بنت أبي بكر الصديق .

وخالد وعمرو . وحبيبة . وسودة وهند ، أمهم أم خالد ، وهي أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية .

ومصعب . وحمزة . ورملة ، أمهم الرباب بنت أُنيف بن عبيْد من بَني عليم من كلب .

وعُبيدة بن الزبير ، وجعفر ، أمهما زينب ، وهي أم جعفر بنت مرثد بن عمرو من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة .

وزينب بنت الزبير ، أمها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط .

وخديجة الصّغرى أمها الحلال بنت قيس من بني النضير بن قعين بن الحارث بن ثعْلبة بن دودان بن أسد .

حدثني الحرمازي عن العتبي قال : قال بعض حشم زينب بنت الزبير لزينب : أهزل ما تكونين إذا قدم زوجك ؟ فقالت : إن الحرة لا تضاجع زوجها بملء بطنها ، وكانت عند عنبسة بن أبي سفيان .

قال : وخطب عبد الملك رمْلة بنت الزبير ، فقالت : إني لا آمن نفسي سوء ظن من قتل أخي ، وكانت أخت مصعب لأمه .

وحدّثني التوزي عَن أبي عبيدة قال : قدمت ابنة للزبير مكة حاجّة فخطبها رجل من بني أميّة قد كانت أمها وأمه قبل ذلك عند رجل من قريش فأبت وقالت : أأباه لخصال ثلاث : لأني أكره أن أرجع إلى أرض هاجر منها أبي ، ولأني قدمت حاجة على ظهر بعير ثم أتزوج ، وأن أكون كنّةً لمن كانت لأمي ضرّة .

قالوا : وأسلم مع الزبير حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، ثم أحد بني خالفة بن أذب بن جَزْبلة ، وكان رسول الله ﷺ سمىٰ «بني خالفة» حين وفدوا «بني راشدة» وكانت كنية حَاطب أبا محمد ، وهو حليف الزبير ، وقد شهد : يوم بدر ، وأحد ، والخندق والمشاهد كلها ، وكان رسول الله ﷺ أرسله إلى المقوقس بالاسكندرية .

حدثني محمد بن حاتم بن ميمون المروزي ثنا محمد بن فضيل أنبأ حصين عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال : بعثني رسول الله ﷺ ، والزبير ، وأبا مرثد الغنوي ، وكلنا فارس ، فقال لنا : «انطلقوا حتى تبلغوا روضة خاخ[1] فان بها امرأة معها صحيفة من حَاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأتوني بها ، قال : فأدركناهَا حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا : أين الكتاب ؟ قالت : ما معي كتاب ، فأَنخنا بعيرها ، وفتحنا رحلَها فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها[2] وعَليها إزار من صوف فأخرجت الكتاب ، فقال النبي ﷺ لحاطب : «ما حملك على ما صنعت» ؟ فقال : يا رسول الله ما بي ألا أكون مؤمنا بالله ورسوله ، ولكني أردت أن يكون لي يد

١ ـ موضع بين الحرمين ، بقرب حمراء الأسد ، من المدينة . المغانم المطابة .
٢ ـ الحجزة : معقد الإزار ، ومن السراويل موضع التكة . القاموس .

عند القوم يدفع الله بها عمن بين ظهريهم من أهلي ومَالي ، فإنه ليس من أصحابك أحد إلاّ وله بمكة من يذب عن ماله وأهله سواي ، فقال : «صدق ولا تقولوا له إلا خيراً» فقال عمر : يا رسول الله إنه قد خان الله ورسوله فاذن لي أضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ : «أو ليس هو من أهل بدر ، وما تدري لَعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنة» ، فدمَعتْ عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم ، فنزلَت : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياءَ تلقون إليهم بالمَودّة﴾(١) .

وحدّثني أحمد بن هشام بن بهرام ثنا عمرو بن عون ثنا خالد بن عبدالله الطحان عن حصين عن سعد بن عبيدة عن أبي عَبد الرحمن عن علي أنه سمَعه يقول : كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة : «إن محمداً سائر إليكم» ، ثم ذكر نحوا من حديث محمد بن فضيل .

حدثني بكر بن الهيثم أنبا هشام بن يوسف عن معمر عن الكلبي وقتادَة والزهري قال : كتب حاطب بن أبي بلتعَة إلى أهل مكة مع امرأة يقال لها سارة ـ قال الكلبي : مولاة عمرو بن هاشم ، وقال الزهري مولاة قريش ـ فوجه رسول الله ﷺ في طلبها فوجدت في بعض الطريق وقد جعلت كتاب حاطب في عقصتها ، فأخذ منها فنزلت : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياءُ تلقون إليهم بالمودة﴾ .

وحدثنا محمد بن حاتم بن ميمون ثنا شبابة أنبأ ليث عن أبي الزبير عن جابر أن عبداً لحاطب بن أبي بلتعَة جاءَ يشكوه فقال : ليدخلن حاطب النار

---

١ ـ سورة الممتحنة ـ الآية : ١ .

يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : «كذبتَ لا يدخلها لأنه قد شهد بدراً» .

قالوا : وانصَرفت سارة إلى مكة مرتدة فقتلها رسول الله ﷺ يوم فتح مكة .

قال الواقدي : كان حاطب من الرّمَاة المذكورين من أصحاب النبي ﷺ ، ومات بالمدينة سنة ثلاثين ، وهو ابن خمس وستين ، وصلى علَيْه عثمان .

قال الواقدي : وحدثني شيخ من ولد حاطب عن أبيه قالوا : كان حاطب رجلاً حسن الجسم ، خفيف اللحية أجلى[1] ، إلى القصر ما هو ، شثن الأصابع .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن يحيى بن عبدالله بن أبي فروة عن يعقوب بن عتبَة قال : ترك حاطب بن أبي بلتعَة يوم مات أربعة آلاف دينار ودراهم ودارا وغير ذلك ، وكان تاجراً يبيع الطعام وغيره . قالوا واسلم سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة ، وهو سعد بن خولي بن سبرة بن دريم بن القوسار بن الحارث بن مالك بن عميرة بن عامر بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن قضاعة ، وكان أصَله سَباء ، فصار إلى حاطب فأنعم عليه وشهد بدراً ، وقتل يوم أحد شهيداً ، وفرض عمر بن الخطاب لابنه عبدالله بن سعد في الانصار .

قال ابن الكلبي وفي امرأة من ولد القوسار يقول أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي :

---

١ ـ أي كان منحسر مقدم الشعر ، أو نصف الرأس . القاموس .

ان ابنة القوسار يا صاح دلني عليها قضاعي يحث جماليا
فأعطيت خوليّ بن فروة ما اشتهى من المشمخرات الذرا والروابيا[1]

والقضاعي خولي بن فروة.

قالَ: وخولي بن فروة بن القوسار دله عَليها فروة بن القوسار هذا رجل من بني عميرة أيضاً.

وقال قوم: هو سعد بن خولي بن فروة بن القوسار، وذلك وهم.

وقال أبو معشر: هو من مذحج وذلك وهم. قالوا: وليس لسعد عقب.

قال أبو اليقظان: كان الزبير، حواري رسول الله ﷺ، واحداً ممن سمي للجنة، وقتل وهو ابن ستين سنة.

قالَ: وتزوج رملة بنت الزبير عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، ثم خلف عَليها خالد بن يزيد بن معاوية وقد ذكرت قصتها وشعره فيها فيما مضى من كتابنا هَذا.

وكانت خديجة بنت الزبير عند أبي يسار بن شيبة بن ربيعة.

وكانت عائشة عند الوَليد بن عثمان بن عفان.

وكانت أم الحسن بنت الزبير عند عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكانت احدى بناته عند عنبسه بن أبي سفيان، وكانت أخرى من بناته عند عبد الرحمن بن الأسود بن أبي البختري من ولد أسد بن عبد العزى.

وأمّا جَعفر بن الزبير فكان من فتيان قريش وكان يتغزل وهو القائل:

ولمجلس القرشيَ حق واجب فارعى له حق الكريم الأروع

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١١٤ ـ ١١٥ .

ما تأمرين بجعفر وبحاجَة يستامها في خلوة وتضرع

وبجعفر عقب بالمدينة.

وأمّا: **عبيدة بن الزبير** وله عقب، ومن وَلده أبو بكر بن عبيدة، وكان له ابن معتوه يقال له عبد الرحمن بن أبي بكر، فكان خاله المغيرة بن عبد الرحمن بن هشام يقوم لشأنه، وكان لا يطعم شيئاً إلا رمى به، ولا يكسى ثوباً إلا خرقه، فكان المغيرة قد اتخذ في منزل المعتوه كوى يجعل فيها ألوَان ما يؤكل من خبز ولحم وفاكهة، وتجعل الثياب على معاليق فيأكل المعتوه ويلبس، وهو الذي قالَ لعمرو بن الزبير حيث توجه لقتال عبد الله أخيه امض معي إليه وأنت في جواري فإن آمنك وإلا رّددتك إلى مأمنك، فلم ينفذ عبد الله بن الزبير جواره، وقد كتبنا خبره فيما تقدم، فقال الشاعر في عبيدة بن الزبير:

أعبيد إنَك قد أجرت فجاركم تحت التراب تنوبه الاصداءُ

أعبيد لو كان المجير لَوَلْوَلَتْ بعد الهدو برنة اسماءُ

اضرب بسيفك ضربة مذكورة فيها أداءُ أمَانة ووفَاءُ

وأما **حمزة بن الزبير** فلا عقب له، وقتل مع عبد الله بن الزبير أخيه.

وأما **خالد بن الزبير** فاستعمله عبد الله على اليمن وله عقب، ومنهم: **خالد بن عثمان بن خالد بن الزبير**، وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بالمدينة، فقالَ أبو جعفر أمير المؤمنين المنصور: ما آل الزبير وآل علي ؟! وأخذه أبو جعفر فقتله وصَلبه.

وأمّا **عمرو بن الزبير** فكان ذا تيهٍ وكبر وعجب، انتدب لقتال أخيه فكان من أمره وقتله إياه بالاقتصاص منه ما قد ذكرناه، وكان يقال: من نخوته عمرو لا يكلّم، من يكلمه يندم.

المدائني عن مسلمة بن محارب قال: قالَ مالك بن أسماء المنَى - وهي أمه - : أنا أغضب معاوية واستجعل على ذلك جعلاً فأتى معاوية، وقد حضر الموسم، فقالَ: ياأمير المؤمنين ماأشبه عينيك بعيني أمكَ هند فقالَ: تانكَ عينان طالما أعجبتا أبا سفيان فانظر ما أعطيت فخذه ولا تجعَلنا متجراً لكَ، فقال له رجل من قريش: لك مِثلا جُعلِك إن قلت لعمرو بن الزبير كما قلت لمعاوية، وكان عمرو ذا نخوة وكبر فقالَ له: ماأشبهكَ بأمكَ ياعمرو، فأمر به فضرب حتى مات، فبعث معاوية إلى أمه بديته وقال:

ألا قل لأسماءَ المنى أم مالكٍ فإني لعمرو الله أقتلت مالكا

يقول: عرضته للقتل بحلمي عنه.

ولعمرو بن الزبير عقب، وفي ابنه عمرو بن [عمرو بن] الزبير يقول الشاعر:

لو ان اللؤم كان مع الثريا تناول رأسَها عمرو بن عمرو

وقتل من قتل من ولد الزبير، وقتل العوام، وقتل خويلد، وقال الشاعر في قتل العوام يوم الفجار:

وعَـوّامـاً تـركنـاه صريعـاً على إثر الفوارس بالغريف[1]

وأمّا عروة بن الزبير ويكنى أبا عبد الله، وكان فقيهاً فاضلا، وقال لعبد الملك حين كتبَ الحجاج إليه في حمله، فأمره عبد الملك بذلك: ليس الذليْل من قتلتموه، ولكنه من ملكتموه فلما قال هذا القول استحيى عبد الملك فلم يهجه، وكتبَ إلى الحجاج: «أمسك عن ذكر عروة، فما لكَ عليه سبيل».

---

١ - من أجل الغريف، انظر صفة جزيرة العرب للهمداني - ط ١٩٧٤ ص٢٩٠ .

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء قال: قالَ الحجاج لعروة وقد أغلظ لعبد الملك في كلام: يابن العمَياء ألا تسكت، فقال له عروة: يابن المتمنية، يعني جدته أم أبيه، وكانت كنانية، وهي القائلة:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

فسمعها عمر فأخذ نصراً فسيره إلى البصرة، وكان نصر جميلا.

وقالَ بعضهم: إن المتمنية أم الحجاج الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي. واستودع عروة طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر مالاً، وأودع غيره، وشخص إلى الشام، فكان يسأل عن طلحة، فيقال هو يبني الدور ويقسم الأموال، فخاف أن يذهب بماله، فلما قدم كابره قوم على ما أودعهم، وأعطاه طلحة ماله موفّرا، فقال متمثلاً:

وما استخبأت في رجل خبيئاً ... كدين الصدق أو حسب عتيق

ذوو الاحساب أكرم من رأينا ... وأصبر عند نائبة الحقوق

وقالَ هشام الكلبي: أصابت عروة الأكلة في رجله، وهو بالشام عند الوليد بن عبد الملك، فقطعت رجله بميشار وهو يقرأ فما تتعتع ولا تحرك، ولم يشعر الوليد بقطع رجله حتى كويت، وكان ذلك بحضرة الوليد وبقي بعد ذلك ثماني سنين ثم هلك في ضيَعة له بقرب المدينة، وكان يقول: لقد أحسن بي ربي أخذ مني واحدة، وترك لي ثلاثاً، وامتعني بسمعي وبصري ولساني، وكان له ابن يحبّه فضربته دابة فسقط ميتاً وذلك قبل وقوع الأكلة في رجله، فقالَ حين قطعت رجله صبراً واحتساباً: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾[1].

---

١ ـ سورة الكهف ـ الآية: ٦٢.

وقالَ عروة: أعظم من المصيبة سوء العوض وروى ذلك عن عبد الله بن الزبير أيضاً.

قال المدائني: عزّى عيسى بن طلحة بن عَبيّد الله عروة فقالَ: يا أبا عبد الله ذهب أقلك وبقي أكثركَ، فالحَمْد لله الذي بقي لنا سمعك وبصرك فقالَ: ما عزاني أحد بمثل مَا عَزيتني به.

قالَ: ووقعَت الأكلة في رجله، وضربَ برذون ابنه فقتله، وقطعَت رجله بميشار وحسمت[1] فلم يقبض وجهه، ولم يحرك عضواً منه إلا أنه غشي عليه عند الحسم.

وأتي الوليد بقوم أصيبوا بمصائب عظيمة فقالَ ائتوا عروة بهؤلاء ليعلم ان مصائب الدنيا كثيرة.

وحدثني مصعب الزبيري أن عروة صلى بالناس يوماً، وكانوا مقحطين، فقالَ لهم: أقنطتم؟ قالوا: نعم قالَ فتوقعوا الفرج فان الله يقول: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحْمته وهو الوليّ الحميد﴾[2].

وكان عروة احتفر بئراً بالمدينة فهي تعرف ببئر عروة، فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها، وفيها يقول الشاعر:

كفنوني ان مت في درع أروى ... واستقوا لي من بئر عروة مائي

وقالَ الواقدي: مات عروة في مال له بناحية الفرع[3] في سَنة أربع وتسعين ودفن هناك.

---

١ ـ حسمه: العرق قطعه ثم كواه لئلا يسيل دمه. القاموس.

٢ ـ سورة الشورى ـ الآية: ٢٨ .

٣ ـ الفرع قرية من نواحي الربذة، بينها وبين المدينة ثمانية برد. المغانم المطابة.

وقالَ عروة: إذا رأيتم من الرجل خلّة خير، وكان عندكم رجل سوء فلا تيأسوا منه فإن لها عنده أخَوات، وإذا رأيتم من رجل خلّة شر فاحذروه، وإن كان صالحاً.

فولد عروة بن الزبير: **عبد الله**، أمه ابنة الأسود بن أبي البختري.

ومحمداً، **ويحيى** بن عروة، ويكنى أبا عروة **وعثمان** أمهم ابنة الحكم بن أبي العاص أخت مروان.

وعَمْراً. **ومصعباً**، **وعبيد الله**. وأمهم ابنة سلمة بن عمر بن أبي سلمة المخزومي.

وهشام بن عروة لأم ولد.

فامّا **عبد الله** فكان خطيباً بليغا، وكان خالد بن صفوان يشبه به في بلاغته، وعمي قبل موته، وله عقب بالمدينة.

وقتل **صالح بن عبد الله** بن عروة بقديد[1] قتلته الخوارج.

وكان **عمر بن عبد الله** فقيها، حدث عنه ابن جريج، سمع من القاسم بن محمد وغيره، وحج عبد الملك بن مروان فأتى المدينة، فدخل على عبد الله بن عروة بن الزبير فقال: ياأمير المؤمنين أعدني على إبراهيم خالك فإنكّ وليته مابين المدينة واليمن فلم يمنعه كثير مَا في يده من قليْل ما في أيدينا، فنشدتكَ الله أن تصل رحمك بقطيعَة أخرى، فوالله مايمنعنا من أن نموت مع عَبْدالله إلا مكان هذه الأموال.

وأمّا **محمد** فلم يكن له عقب من الرجال، وكان من أجمل الناس وفيه يقول ابن يسار:

---

١ ـ قديد: قرية بين خليص وعسفان، بقرب مكة، المغانم المطابة.

وغنينا كابني نويرة حينا بعد عيش ونعمة واتفاق
ثم صرنا لفرقة ذات يوم كل قوم مصيرهم للفراق

يعني مالكا ومتمم بن نويرة.

وكانت لمحمد بن عروة ابنة جميلة، تزوجها الحكم بن يحيى بن عروة فطلقها، فتزوجها أميّة بن عبد الله بن عَمْرو بن عثمان، فطلقها فراجعها الحكم على أن كتبت عليه كتابا بأربعين ألفَ درهم وبغلّة أرضه وبعطائه ولايغيرها ولا يخالفها، فإن خالف شيئاً من شرطها فأمرها بيدها، فكان يقالُ: أثقل من شرط ابنة محمد بن عروة.

وأما عثمان بن عروة فكان فائق الجمال، وكان خطيباً جلداً ومات في أيام أبي جعفر المنصور، وله عقب بالمدينة.

وأما يحيى بن عروة، فكان له علم بالنسب والناس، فنازع ابراهيم بن هشام عامل هشام بن عبد الملك على المدينة فضربه بأمر هشام فمات بعد الضرب، وله عقب بالمدينة.

وأما عمرو بن عروة فقتل مع عبد الله بن الزبير، ولاعقب له.

وأما عبيد الله بن عروة فله عقب بالمدينة، وقد روى الزهري عن عبيد الله بن عروة، ويكنى أبا بكر، وعن يحيى بن عروة، ويكنى أبا عروة.

وأما هشام بن عروة، ويكنى أبا المنذر، فكان فقيها نبيلاً له عقب بالمدينة والكوفة والبصرة، وكان هشام في وسط من أيامه على تديّنه يسمع الغناءَ، فواعد قوماً من أهل المدينة أن يأتوا منزل جارية تتغنى فسبقوه ومضى ليلحقهم، وجعل يقول:

قائمتيّ ألحقاني بالقوم لاتعداني كسلاً بعد اليوم

فلما سمع غناءَ الجارية قال: أعيذك بالله إنه لينبغي أن يكتب على صدرك آية الكرسي، وبين كتفيك المعوذتين ثم خرج.

وقالَ هشام: مَا تم دين لأحد حتى يتم عقله.

وقالَ هشام: الغنى يجعل الغربة وطنا، والفقر يجعل الوطن غربَة.

وقالَ هشام، ورأى رجلًا يبْني داراً أسرف في النفقة عليها: عجباً لمن يبتني القصور وهو غداً في القبور.

وقالَ هشام بن عروة: وجدت خير الدنيَا والآخرة في التقى والغنى، وشرهما الفجور والفقر.

ومات هشام بن عروة ببغداد في سنة ست وأربعين ومائة قبل موت أبي حنيفة بأربع سنين.

وأما **المنذر بن الزبير** بن العوام، ويكنى أبا عثمان فكان سيداً حليماً وقتل مع عبد الله بن الزبير وله يقول ابن مُفرغ.

لابن الزبير غداة يذمر منذراً أولى بغاية كل يوم وقاع
ليس الكريم من يغادر أمه وبناته بالمنزل العجّاع[1]

فمن وَلده: **محمد بن المنذر**، أمّه ابنة سعيد بن عمرو بن نفيل العدوي، **وعاصم بن المنذر** لأم ولد، وكان ينزل البصرة، **وعبيد الله بن المنذر** أمّه ابنة نهشل بن حري التميمي، **وابراهيم بن المنذر** وغيره.

المدائني قالَ: سابّ محمد بن المنذر بن الزبير عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو المطرف، فقالَ له محمد: لقد عشت زماناً وأنا أظنكَ جارية أهمّ أن أخطبك إلى أبيك. قالَ: أنا عبد الله بن عمرو بن عثمان، قالَ: عهدتك

١ ـ بهامش الأصل: الجعجاع، وهو ماجاء في ديوان ابن مفرغ ص١٦٢ ـ ١٦٣.

ولك اسم أحب إليك من هَذا،وكان يدعى لجَماله المطرف.

وأمَّا: مُصْعَبْ بن الزّبيَرْ فَكَانَ يكنى أبا عبد الله،ويقال أبا عيسى، وولد له **عيسى وعكاشة**، أمهما ابنة السائب بن أبي حُبيش، **وعمر** لأم ولد. **وجعفر** لأم ولد. **وحمزه** لأم وَلد، **ومحمد وخُضَير** واسمه إبراهيم لأمهات أولاد شتى. وقالِ بعضهم اسم خضير مصعب بن مصعب، والأول قول ابن الكلبي،وكان مصعب جواداً عظيم المروءة وقد كتبنَا خبره ومقتله، وكان يقول: أفضل النساء الفخمة الاسيلة،وشرّهن القفرة،وقتل ابنه عيسى معه، فقال الشاعر:

لبيك أبا عيسى وعيسى كلاهما موالي قريش كلها وصميمها

وقال الأصمعي : قدم مصعب البصرة علىٰ راحلته مضطبعاً[1] بردائه ، فقال بعض من رآه من أشياخ العرب : لقد انتشط الملك انتشاطا .

وقال مصعب علىٰ منبر البصرة لبعض بني أبي بكرة : إنما كانت أمكم مثل الكلبة ينزو عليها الأعفر ، والأسود ، والأبقع ، فتودى إلىٰ كلّ كلب شبهه .

ولا عقب لعيسىٰ ، ولعكاشة بن مصعب عقب بالمدينة ، وتزوج عكاشة ابنة عامر بن عبدالله بن الزبير ، فولدت له ، فمن ولده مصعب بن عكاشة بن مصعب ، قتل يوم قديد في أيام مروان بن محمد ، قتلته الخوارج ، فقال الشاعر :

قــل لأنــواح قصيّ كلهــا ونسَاء موجعـات من أسَد

---

١ ـ اضطباع المحرم: أن يدخل الرداء من تحت إبطه الأيمن، ويرد طرفه على يساره،ويبدي منكبه الأيمن ويغطي الأيسر. القاموس.

قمن فاندبن رجالا قتلوا بقديد ولنقصان العدد
ثم لا تعدلن منهم مصعبا حين يبكى بقتيل من احد
إنه قد كان فينا باسلا صادقاً يقدم إقدام الأسد

وأما عمرو بن مصعب فولده بالبصرة .

وأما جعفر بن مصعب ، وكان سرياً فتزوج مُليكة بنت الحسين بن علي ، فولدت له حمزة ، فقتل وابن له يقال له عُمارة يوم قُديد ، وله بالمدينة عقب ، وكان بعض عمال أهل المدينة أخذ حمزة بن جعفر شارباً فحده وأقامه للناس .

وأما إبراهيم بن مصعب وهو خضير فكان على شرط محمد بن عبدالله بن حسن حين خرج ، ويقال : اسم خضير مصعب بن مصعب ، وله عقب ، وقتل خضير مع محمد بن عبدالله .

وقال الأصمعي : قال مصعب لعبد الرحمن بن عيّاش بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكانت عنده جويرية بنت زياد : أتثأّر الناس بسيوفهم واثأّرتَ بأيرك ؟!

وقال حين قدم البصرة : بلغني إنكم أهل البصرة تلقبون أمراءكم وإني أنا الجزار .

قالوا : وكتب كاتب مصعب : «من المصعب» فقال : ما هاتان الزائدتان ؟!

وأمّا عبْدالله بن الزبَيْر ، فكان يكنىٰ أبا بكر ، وأبا خبيب ، وكان من أشد الناس قلباً ولساناً ، وهو أول مولود ولد بالمدينة في الاسلام من أبناء المهاجرين ، فكبر المسلمون لمولده ، وكان بخيلاً قال الشاعر :

رأيت أبا بكر وربكَ غالبٌ   علىٰ أمرهِ يرجو الخلافة بالتمر

وقتل وهو ابن ثلاث وسبعين سَنة ، وقد كتبنا أخباره فيما تقدم من كتابنا هَذا . **فولد عَبْدالله بن الزبير** : **حمْزة** وكان مضعوفا ، **وخُبيباً** ، **وثابتاً** ، **وعبّاداً** ، أمهم تماضر بنت منظور بن زبان الفزاري ، **وعامر** أمّه ابنة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، **وعبدالله بن عبدالله** ، أمّه أم ولد ، **وقيسا** درج صغيراً ، **وموسى** .

فامّا حمزة فكان جوادا يعطي يوماً فيباري الريح ، ويمنع يوماً شسعا ، وكان ابن سريج المغني صديقاً له ، وكان حمْزة يكرمه ويعظمه ، وهو الذي غنى في هذا الشعر :

حمـزة المبتاع حمـداً بالنـدى   ويرى في بيعه أن قد غُبِنْ[1]

فكلم ابن سريج رجل من قريش في مسألة حمزة إسلافه ألف دينار ، فوهب له ألف دينار ، ووهب لابن سريج ألفا آخر ، وقد كتبنا خبر حمزة في ولايته العراق ، وتزوج حمزة بالبصرة أم عبدالله بنت عبدالله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وأمها ضُباعَة بنت الحارث بن نوفل أخت ببة ، وكانت عند حمزة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب ، فقال لها في مرضه ، كأني بك قد تزوجت طلحة بن عمر بن عبيدالله بن معمر ، فحلفت بصدقة مالها ، وعتق رقيقها لا تفعَل ، فلما مات حمزة خطبها طلحة وقال : أنا أخلف عليك مكان كل شيء شيئين ، فتزوجته فغرم عنها عشرين ألف دينار ، وولدت له : إبراهيم ، ورملة ، فزوج طلحة بن عمر ابنته رملة اسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس على مائة ألف دينار ، وكانت أجمل

١ ـ الشعر لموسى شهوات . مولى بني سهم . انظر نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٤٠ .

الناس فقال اسماعيل بن يسار لطلحة : أنت أتجر الناس ، تزوجت فاطمة على أربعين ألف دينار ، وزوجت ابنتها على مائة ألف ، فربحت إبراهيم وستين ألف دينار .

وأمّا خبيب فكان عقيماً ، وكان الوليد بن عبد الملك غضبَ عَليْه لأمر بلغه عَنه ، فكتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة ، فضربَه عمر فمات من ضربه إيّاه ، فكان ذلك مما عيب علىٰ عمر بن عبد العزيز .

وأما ثابت بن عبدالله فكان يكنىٰ أبا حكمة ، وكان بذيئاً ذا لسن ، وله عقب ، وقيل لثابت : اشتم عَليًّا ، فقال : ماذا أقول ؟ قالوا : قل : سم أبا بكر ، ودس لعمر من قتله ، وقتل عثمان ، فقال : والله ما علمت ذاك فأقوله .

قالوا : وأقامه هشام بن اسماعيل فقال : اشتم عليّاً ، فقال لعن الله الفاسق الأشقىٰ قاتل أمير المؤمنين عثمان ، قال : هيه اذكر عليّاً فقال : لعَن الله الأشدق لطيم الشيطان خالع أمير المؤمنين عبد الملك ، قال : هيْه اشتم علياً الآن قال : لم يبلغه الشتم حتى أشتم غيره ، ولم يزل يشاغله .

وقال له عبدالله بن عمرو بن عثمان يوماً ، وهو المطرف : يا ثابت لقد صرت خطيباً ، فقال : أما والله لولا أني أكره ذكر خويلك خويل السوء فأغّم بذلك رجالاً من ثقيف وقوماً من بني هاشم لذكرته ، يعْني المختار ، لأن ام المطرف ابنة عبدالله بن عمر ، وأمها صفيّة بنت أبي عبيّد ، أخت المحتار .

ومن ولده : **عبدالله بن مصعب** بن ثابت الذي كان عامل هرون الرشيد أمير المؤمنين على المدينة ، ثم علىٰ اليمن ، وكان ابنه أبو بكر بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت وَليَ بعد أبيه ، وكان سيّء الولاية ، فلما مات

جعل الناس يقولون : من يكتب إلى مالك ؟ يعنون مالكاً خازن جهنم .

وكان **مصعب بن ثابت** بن عبدالله فقيهاً ، ويكنى أبا عبدالله مات بالمدينة سنة سبع وخمسين ومائة ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

وأمّا **عامر بن عبدالله** فكان من أعبد أهل المدينة في زمانه ، وكان لا يزوج بناته ، وخطَب إليه يزيد بن عبد الملك ، وإبراهيم بن هشام المخزومي فلم يزوجهما، وقتل ابنه عتيق بن عامر بقديد، وهدم ابراهيم بن هشام دار عامر بن عبدالله ، فقال ابراهيم لعامر : اصبر قال : أما إني أعرضكَ علىٰ الله في كل يوم خمس مرات ، يقول أدعو عليك في أعقاب الصّلوات الخمس .

وكان عامر يكنىٰ أبا الحارث ، ومات قبل موت هشام بن عبد الملك بيسير ، ومات هشام في سنة أربع وعشرين ومائة .

المدائني عن ابن أبي الزناد عَن أبيه قال: نزل عامر بن عبدالله بَمّر[1]، فمر به عبدالله بن حسن بن حسن بن علي ، فقال : يا عامر نزلت بِمَرّ فمرر عليك عيشك ، قال : بل نزلت مراً فطابَ لي به مأكلي إذ بالَسَت بالس[2] بني مروان ، فقال عبدالله : أما والله لولا عمتي لكنت كبعض الحُميدات التُويتيات في شعاب مكة ، يعني صفية . قال عامر : ولولا عمتي كنت كبعض ولد عَقيل بن أبي طالب ملقىً بالأبطح ، يعني خديجة بنت خويلد أم فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

١ ـ يرجح أنه قصد مرّ الظهران ، وبينه وبين مكة خمسة أميال . معجم البلدان .

٢ ـ بالس هي مسكنة حاليا على الفرات في سورية ، وهي قريبة من رصافة هشام ، والبلس : من لا خير عنده ، أوعنده ابلاس وشره القاموس .

وأمّا **عبّاد بن عبدالله** ، فله ولد بالمدينة ، وكان يحيى بن عبّاد بن عبدالله فقيهاً روى عن عبدالله بن ابي بكر الحزمي ، ومحمد بن اسحاق ، ومات بالمدينة وهو ابن ست وثلاثين سنة .

وقال أبو الزنّاد رأيته معتماً ، فما رأيت شابّاً أحسن في العمّة منه وكانت له مروءة .

وأما **موسىٰ بن عبدالله** فله عقب بالمدينة ، ومن ولده صدّيق بن موسى بن عبدالله بن الزبير ، كان سرّياً .

وأما **عبدالله بن عبدالله** ، فكان فيما يقال أشبه القوم بأبيه ، وله عقب .

قالوا : وزوج عَبْدالله بن الزبير بناته من بني أخوته ، وتمثل قول الشاعر :

جعلت بناتي في مواليّ قُصْرةً وماراعني[1] ذو هيئةٍ وجمال
ولا رِزمَتا شكد[2] وبرد معضّدٍ[3] ولا درع نوبي أسك[4] طوال

وقال هشام ابن الكلبي : كان مصعب بن الزبير قتل أبا أشعبْ الطمع ، فكان أشعب يقول : أخذت من مال آل الزبير أضعاف دية أبي[5] .

فَولد **خوَيْلد بن أسَد بن عَبْد العزَّى** أيضاً ، سوى خديجة زوج النبي ﷺ ، **العَوّام بن خويلد** ، **وحزام بن خويلد** ، **ونوفل بن خويلد** ، وأمّه من

١ ـ بهامش الأصل : وروي : ما غرني .
٢ ـ الشكد : العطاء والشكر ، وأشكد ، أعطى ، واقتني رذال المال . القاموس .
٣ ـ ثوب له علم في موضع العضد . القاموس .
٤ ـ الأسك : الأصم . القاموس .
٥ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

عدي قريش ، قتله عليّ بن أبي طالب يوم بدر كافراً ، وكان يقال لنوفل بن خويلد أسد قريش .

وكان الأسود بن نوفل بن خويلد من مهاجرة المسلمين إلىٰ الحبشة ، في المرة الثانية ، وقدم المدينة بعد قدوم النبي ﷺ إياها .

وأمّا حزام فولد :

حكيم بن حزام ، وأمّه ابنة زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزىٰ ، واسمها فاختة ، وولدته في جوف الكعبة . وخالد بن حزام وله عقب بالمدينة ، وكان قد أسلم وهاجر إلىٰ الحبشة في المرة الثانية ، فمات في طريقهِ قبل أن يصل ، وكان حكيم بن حزام يكنىٰ أبا خالد وشهد بدراً مع المشركين يوم بدر فنجا ولم يقتل ولم يؤسر ، فقال حسان بن ثابت الأنصاري :

نجى حكيما يوم بدر بشده ونجا بمهر من بنات الأعوج[1]

ثم أسلم فحسن إسلامه ، وكان يقال هو وجبير بن مطعم من سادة مسلمة الفتح ، وكان حكيم بن حزام إذا بالغ في يمينه قال : والذي نجاني يوم بدر .

وذكر أبو اليقظان أن رسول الله ﷺ قال لحكيم : «إن الدنيا خضرة حلوة فمن سألها بإسراف لم يبارك له فيها» . فكان لا يقبل من أحد شيئاً ، وكان لا يأخذ عطاءه فقال عمر بن الخطاب : يا معشر المسلمين إني أشهدكم علىٰ حكيم بن حزام أدعوه إلىٰ عطائه فيأباه ، وباع حكيم داراً له بمكة بعشرة آلاف درهم ، فقيل له غبنتَ ، فقال اشتريتها في الجاهلية براوية من خمر ، وامّا والله لتعلمن أني لم أغبن ، اشهدوا أن ثمنها في سبيل الله فهل غبنت ؟

١ ـ ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ١٨٧ مع فوارق .

ويقال بل جعلها في سبيل الله ، وقال بعضهم : هي دار الندوَة ، وذلك أعظم الخطأ لأن دار الندوة كانت لبني عبد الدار فباعهَا عكرمة بن عامر بن هاشم العبدري من معاوية ، فقيْل له : بعتَ شرفكَ فقال : إنما الشرف اليوم الاسلام والكفاف .

وقال حكيم بن حزام : الجواد المبرز من لم يختر مواضع المعروف ولم يبال من أصابَ به ، وعمّر مائة وعشرين سَنة ، فكان يقول : طول العمر يذكر لك الناس .

وحضر حكيم أمر عثمان ودفنه والصلاة عليه ، فقال : إنكم سخطتم من أمر عثمان ما سترضون من غيره بأعظم منه .

وقال حكيم : من بخل بمعروفه على صاحبه فإنما بخل بالأجر علىٰ نفسه .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ثنا حماد بن سَلمة أنبأ هشام بن عروة عن عروة عن حكيم بن حزام أن رسول الله ﷺ قال : «خير الصّدقة ما كان عن ظهر غنىً، واليد العليا خير من اليد السفلىٰ، وليبدأ أحدكم بمن يعول، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله» . قال عبد الواحد : ثم قال أبو أُسامة حماد : قال هشام : وكان حكيم يحتاج إلىٰ الشيء فلا يسأله أحداً ، ويقول : لو انقطع شسع نعلي ما طلبت من أحدٍ شسعا .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن المنذر بن عبدالله عن موسىٰ بن عقبة عن أبي حبيبَة قال : سمعت حكيم بن حزام يقول : تزوج رسول الله ﷺ عمّتي خديجة وهي ابنة أربعين سنة ، وكانت أسن مني بسنتين ، وولدت أنا قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، وشهدت الفجار وأنا

ابن ثلاث وثلاثين سنة ، قال : ومات حكيم سنة أربع أو خمس وخمسين .

وقال حكيم : كانت عمّتي أسن من النبي ﷺ بخمس عشرة سنة .

قال الواقدي : مات حكيم بن حزام بالمدينة في داره عند بلاط الفاكهة عند زقاق الصوافين .

المدائني عن ابن جعدبة قال : اشترىٰ حكيم بن حزام حلّة من حلل ذي يزن بثلاثمائة دينار فقال : ما أرىٰ أحداً لها أهلاً إلّا محمداً ، فأهداها لرسول الله ﷺ في الهدنة التي كانت بينه وبين قريش قبل الفتح ، فقال ﷺ : «لو كنت قابلاً هدية مشرك قبلت هديتك» ، فأدخلها حكيم السوق ليبيعها ، فأمر رسول الله ﷺ فاشتريت له ورآها حكيم عليه وقد خرج للصّلاة فتمثل حكيم قول الحطيئة في علقمة بن عُلاثة :

فما ينظر الحكام بالفصل بعدما   بدا واضح ذو غرة وحجول[1]

فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم إنه كساها أسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، فقال حكيم بخ ، بخ يا أسامة عليك حلة ذي يزن ، فقال رسول الله ﷺ : «قل له : وما يمنعني وأنا خير منه ، وأبي خير من أبيه» .

وولد حكيم بن حزام :

عبدالله بن حكيم ، وأمه زينب بنت العوام بن خويلد .

وهشام بن حكيم . وأما عبدالله بن حكيم فقتل يوم الجمل مع عائشة ، وكانت عنده ابنة الضحاك بن سفيان الكلابي فولدت له عثمان بن عَبْدالله بن حكيم ، فولد عثمان بن عَبْدالله بن حكيم :

عبدالله بن عثمان بن حكيم ، أمه رملة بنت الزبير ، وكان عثمان بن

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

عَبْدالله بن حكيم ممن ضربه عمرو بن الزبير ، فاقتص منه ، فتزوج عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ، فولدت له قُرين واسمه عثمان ، وله عقب ، وفي عبدالله بن عثمان يقول الشاعر :

تزوجتها من عترة خير عترة   أبوها ابن بنت المصطفىٰ خاتم الرسل
بـه أنقـذ الله الـبرية كلهـا   وقد غمرتها الجاهلية بالجهل
فأكرم بها إلفا لديك وزوَجة   حويت بها غُنما وفضلا إلىٰ فضل

ويروى :

. . . .   حويت بها فضلاً من الله ذي الفضل

وأمَّا : هشام بن حكيم بن حزام فكانت له صحبة ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس» .

حدثني شيبان بن فروخ الآجري الأُبلي ثنا عبد العزيز بن مسلم القسملي ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن هشام بن حكيم بن حزام أنه رأىٰ ناساً محبوسين في الشمس ، فدخل على عمير بن سعد فقال له : ما هؤلاء ؟ قال : قوم حبسوا في الجزية ، فقال هشام أشهد علىٰ رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في دار الدنيا» .

وقالوا : كان عمير بن سعد الأنصاري يلي بعض الجزيرة .

وقالوا : كان هشام بن حكيم عظيم القدر قويّاً علىٰ أمر الاسلام ، وكان عمر بن الخطاب يقول ـ إذا ذكر أمر فيه وهن علىٰ الاسلام ومخالفة الحق أو سبله ـ : أما ما عشت وهشام بن حكيم فلا .

ولا عقب لهشام بن حكيم .

وأمّا **خالد بن حزام بن خويلد** فنهشته أفعىٰ وهو يريد الهجرة إلىٰ الحبشة ، ومن ولده :

الضحاك بن عثمان بن عبدالله بن خالد بن حزام ، ويكنىٰ أبا عثمان ، مَات سنة ثلاث وخمسين ومائة .

وَولد نَوْفَل بن أسد بن عَبْد العزى :

ورقة بن نوفل ، **وعدي بن نوفل** ، **وعبيدالله بن نوفل** درج صغيرا .

فأمّا : **ورقة** فترك عبادة الأوثان ومال إلى النصرانية ، ويقال طلب دين إبراهيم ، فمر يوماً ببلال بن رباح والمشركون يعذبونه ، وبلال يقول : أحد ، أحد فقال ورقة : أحد ، أحد ، نعم ما قلت فاسْتغث به ، وقد ذكرنا له فيما تقدم من كتابنا هذا أخبارا ، وكان ورقة شاعراً وهو الذي يقول :

أجزيك أو أثني عليكَ وإن من أثنىٰ عليك بما فعلت كمن جزى

وقال في زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان زيد قد ترك عبادة الأوثان :

رشدت فأنعمت ابن عمرو وإنما تجنبت تنوراً من النار حاميا

وأمّا **عدي بن نوفل** فمن ولده : **الزبير بن عدي** ، وله عقب بالحجاز ، **وعبيدالله بن نوفل بن عدي** بن نوفل بن أسد ، قتل يوم الحرة .

وَوَلَد **حَبيب بن أسَد** بن عبد العزى : تُويت بن حبيب ، فمن ولد تويت عثمان بن عطاء ، وكان سرياً ضربَه عمرو بن الزبير فيمَن ضربَ ، ولهم عقب بمكة ، وكانت أمّ تويت أمة للعباس اسمها مجد .

وولد **المطلب بن أسد** بن عبد العزى : **الأسود بن المطلب بن أسد** ، وأبا حبيش بن المطلب بن أسد .

فأمّا **الأسود** فكان يكنىٰ أبا زمعة ، وهو أحد المستهزئين ، وكان

منيعاً ، وقد كتبنا خبره في أول كتابنا هذا .

وعمي الأسود فلم يحضر يوم بدر ، وله شعر فيها وقد كتبناه ، أوّله :

تبكي أن يضـل لها بعـير ويمنعهـا من النوم الشهـود

فولد الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى: **زمعَة بن الأسود، وهبار بن الأسود، والحارث بن الأسود،** فأمّا زمَعة بن الأسود فكان يكنى أبا حكيمة، وفيه يقول أبو طالب بن عبد المطلب:

عظيم الرماد سيّد وابن سيد

وقتل يوم بدر كافراً.

وقالَ معاوية بن أبي سفيان: كان زمعة فينا كهرقل في الروم، وكان يقال له زاد الراكب، فولد زمعة: **عبد الله، وعقيلاً، ووهباً ويزيد،** قتل عقيل يوم بدر كافراً، ولاعقب له.

وكان **يزيد بن زمعة** من مهاجرة الحبشة، واستشهد يوم حنين، ويقال يوم الطائف.

وكان **عبد الله بن زمعة** ممن حضر دار عثمان بن عفان، وقاتل عنه، وقبض النبيّ ﷺ ولعبد الله خمس عشرة سَنة، وهو الذي خرج برسالة عمر إلى الناس يأمرهم بالصلاة حين قال النبي ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل».

فمن ولد عبد الله بن زمعة: **يزيد بن عبد الله بن زمعة** بن الأسود، وأمه زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وجدته أم سلمة زوج رسول الله ﷺ، شهد يوم الحرة فأخذ وأتي به مسلم بن عقبة، فدعاهَ إلى أن يبايع ليزيد على أنه عبد قن فأبى وقالَ: أبايعه على كتاب الله وسنة نبيّه، وعلى أني ابن عمه، فقدمه فضرب عنقه، فلما توجه أهل الشام نحو مكة فمات

مسلم ودفن بالمشلل[١]، أقبلت أمّ ولد ليزيد بجاريّة[٢] في غلمة لها فنبشت قبْر مسلم واستخرجته فصَلبته.

ومن ولد عبد الله بن زمعة: **أبو عبيدة بن عبد الله** بن زمعة بن الأسود، وله عقب وكانت هند بنت أبي عبيدة عند عبد الله بن حسن بن حسن فيها ذكر أبو اليقظان، فولدت له: **محمداً، وابراهيم**، وكان أبو عبيدة سرياً سخياً مطعاماً للطعام يعده للأضياف، ومن أتاه من إخوانه، وقد روي عنه الحديث، فلقي ابراهيم بن هشام المخزومي أبا عبيدة وإبراهيم وال على المدينة من قبل هشام، فسأله عن الطريق إلى موضع اعتمده، فقال: خذ على موضع كذا، ثم خذ على أنف مخزوم، فقال: بل على أنف زمعة، وضحك.

قالوا: ومرَّ إبراهيم بمنزل أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة مع طلوع الشمس، ويقال في وقت طلوع الفجر، فدخل إليه وقال له: أنا والله جائع فهل من شيء حاضر، فأمر برؤوس كانت في مطبخه فأتي بها من التنور، وقدمت إليه، فأكل، ثم قدمت إليه حلواء كانت معدة في منزله، فقال: تالله مارأيت أكرم من هذا الرجل، فقيل: إن الرؤوس اتخذت بالأمس وهي رؤوس غنم ذبحت لضيفان له فأما الحلواء فشيء لايفارق منزله، فقال: هذا والله أعجب.

ومنهم **كبير بن عبد الله**، وله عقب فمن ولده أبو البختري وهب بن وهب بن ركانه من بني عبد المطلب بن عبد مناف، وكان أبو البختري قاضياً لأمير المؤمنين هارون الرشيد، ثم ولاه المدينة وكان الحديث يحمل عنه حتى

١ ـ المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر. معجم البلدان.
٢ ـ أي أناس بالأجرة.

دخل إلى بعض الكبار، وعنده حمام يسابق بها، فقال: قال رسول الله ﷺ: «لاسبق إلا في حافر أو خف أو جناح»، فاسقط حديثه وشُنئت كتبه.

وقال الكلبي: قتل عبد الله بن وهب بن زمعة يوم الحرة، وكان ابنه يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة أبو محمد محدثاً، مات في آخر أيام أبي جعفر المنصور.

وأما هبار بن الأسود بن المطلب فهو الذي أهوى إلى زينب بنت النبي ﷺ بالرمح حين أخرجت من مكة إلى المدينة فألقت ما في بطنها، وقد ذكرنا خبره حين ذكرنا أولاد رسول الله ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ سرية وقال: «إن لقيتم هبار فاجعلوه بين حزمتين من حطب وأحرقوه، ثم قال: سبحان الله، أبعذاب الله، إن لقيتموه فاقطعوا يده ثم رجله»، فلم تلقه السرية وقدم هبار مسلماً وكان يُسابّ رجلاً، فقال له النبي ﷺ: «سُبّ من سبّك».

فمن ولد هبار: اسماعيل بن هبار وأمه أم ولد.

قالوا: فاتفق اسماعيل بن هبار ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري بالمدينة في حمام، وكان ابن هبار يرمى بالذكور، وكان مصعب ذا عجيزة ضخمة وخلق حسن فمسح يده على رانفتيه[1] وظهره متعجباً من عظم عجيزته وقال: مايحمل النساء إلا دون ماحملت، فحقد مصعب ذلك عليه ولم يظهر له شيئاً مما في نفسه، ولاطفه حتى أمنه، ثم إنه اتاه ومعه معاذ بن عبيد الله بن معمر التيمي، وعقبه بن جَعونة الليثي، ويقال خالد بن جعونة فدعاه إلى حش طلحة، وهو موضع نخل، فأجابه إلى الانطلاق معه في غد يومه ثم

١ ـ الرانفة: أسفل الألية إذا كنت واقفا. القاموس.

إنه بعث إليه عند طلوع الفجر غلاماً له يكنى أبا زيتونة ليسأله المصير إلى الحش للاجتماع به، فلما اجتمعوا حيث أراد، قام مصعب إلى نخلة قد دس فيها سيفاً قاطعاً فأخذه وعلاه به، وأعانه التيمي، والليثي وأبو زيتونة عليه فقتله وأخفى أمره، ويقال إن مصعباً دعاه إلى موضع يعرف بحش بني زهرة فقتله به، وجعل انصرافه إلى حميد بن عبد الرحمن أخيه فأخبره بما صنع به اسماعيل وبقتله إيّاه، فأخذ حميد ثياب أخيه فألقاها في تنور قد سجر وألبسه ثياباً غيرها، وغدا به معه لصلاة الصبح وقال: إنك ستسمع قائلاً يقول: كان من الأمر كيت وذيت حتى كأنه معكم فلا يروعنك ذلك ولايتغيرنّ له وجهك، وأصبح الناس يتحدثون بقتل ابن هبار ويرون مصعباً مع أخيه حميد فيكذبون عنه، وكان أخو اسماعيل بن هبار يقوم في دبر كل صلاة فيقول: نشدت الله رجلاً عنده من أخي علم إلا أخبرنيه، فقام عبد الله بن مطيع العدوي من قريش فقال: اللهم إنك تعلم أمره ونعلمه، فقال له: من هو؟ قال: مصعب بن عبد الرحمن، فأدخله إلى مروان فتوقف عنه، وأخذ أبو زيتونة فأدخل إلى مروان فأنكر فضربه فأقر ثم أنكر، فقيل هذا إقرار منه حين ضُرب ولايقطع الحكم به، وأرسلت أخت اسماعيل إلى عبد الله بن الزبير فأخبرته خبرهم، فركب عبد الله، والمنذر ابنا الزبير وغيرهما من وجوه بني أسد بن عبد العزى إلى معاوية بالشام، وزعم قوم أن معاوية قدم المدينة حاجاً فلقيه عبد الله والمنذر ومن معهما فحكم بأن يحلف عشرة من بني أسد بن عبد العزى خمسين يميناً بالله أن مصعباً قتله، فإن حلفوا ملكوا دمه، وإن نكلوا عن اليمين حلف من بني زهرة عشرة بالله ماقتل مصعب اسماعيل وما يدرون من قتله فقال بعض آل عبد الرحمن بن عوف: يختار للحلف على

دمه المسور بن مخرمة، وبني سعد بن أبي وقاص، والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعمرو بن عثمان بن عفان، فقال من حضر من هؤلاء: ما بالنا نحلف دون بني زهرة، فرد معاوية اليمين على بني زهرة. فقال مصعب: والله ما كنت لأحلف كاذباً، وحلف خمسين يميناً عند المقام، وحلف العشرة من بني زهرة أنهم لا يعرفون قاتله.

وقال ابن الكلبي: قالت أخت اسماعيل بن هبار: ماقتل أبا فايد أخي - تعني ابن هبار - إلا مصعب والثلاثة الذين كانوا معه، ولقد جاء أبو زيتونة غلام مصعب في الليل فدعاه فما رجع، فأخذ مروان أبا زيتونة فضربه فكان يقر تحت الضرب فإذا رفع عنه قال: والله ماقلت، ماقلت إلا للضرب، وبعثتْ إلى عبد الله بن الزبير والمنذر بن المنذر واعلمتهما الخبر وقالت:

قل لأبي بكر الساعي بذمته ومنذر فهو ليث الغابة الضاري
جدّا فدى لكما أمي وما ولدت ولاتميلا إلى المخزاة والعار

فصارا إلى معاوية بالشام، ويقال تلقياه بين المسجدين، وكان حاجاً فكلماه في هذا الأمر فحكم بأن يحلف مصعباً وعشرة معه من بني زهرة أنه لم يقتل اسماعيل بن هبار فحلف مصعب وحلفوا خمسين يميناً، وكان ممن حلف محمد، وأبو سلمة، وحميد بنو عبد الرحمن بن عوف، والمسور بن مخرمة، وبنو سعد بن أبي وقاص، وكانت يمين مصعب أنه لم يقتل ابن هبار، وحلف الباقون أنهم لايعلمون من قتله، وتشاجروا فتدافع الحكم، فقال ابن قيس الرقيات:

فلن أجيب بليل داعياً أبداً أخشى الغرور كما غُرَّ ابن هبار
باتوا يجرونه في الحش منعفراً بئس الهدية لابن العم والجار[1]

ويقال ان ابن الزبير قال: ليحلف مصعب والتيمي والكناني فحلفوا جميعاً، وقال الهيثم بن عدي: قيل للأسديين احلفوا أن مصعباً قتل صاحبكم فقالوا: اليمين على المنكرين، فحلف الزهريون.

وقال بعض أهل المدينة: لما اختلط الأمر وأشْكَل ضُرِبَ المتهمون مائة مائة وسجنوا سنة ثم أخرجوا والله أعلم.

ومن ولد هبار بن الأسود: سعد بن هبار وكان مع عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي، وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان، وكان يشاربه ويجامعه على هواه، فقال فيه حارثة بن بدر الغُداني:

نهاره في قضايا غير عادلة وليله في هوى سعد بن هبار
يعاب أصحابه فيما يسر به أخذاً بأخذ وتكراراً بتكرار
لا يسمع الناس أصواتاً لهم خفيت لها دوياً دوي النحل في الغار
فيصبح القوم أطلاحاً[2] أَضَرَّ بهم حث المطيّ وما كانوا بسفّار
لا يرقدون ولايغفي عيونهم ليل التمام وليل المدلج الساري

واما **الحارث بن الأسود** بن المطلب فقتل يوم بدر كافراً.

وأما **أبو حبيش بن المطلب** بن أسد بن عبد العزي فمن ولده:

السائب بن أبي حبيش، وكان ندياً ذا نخوة وقدر في نفسه وكان أبو حبيش ملازما الحجر، فكان يقال له خيمة أبي حبيش، وقال عمر بن

---

١ ـ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص١٨٣ .
٢ ـ طلح : أعيا. القاموس.

الخطاب: ماأحد إلا وفي نسبه وصمة غير السائب بن أبي حبيش. وتزوج مصعب بن الزبير ابنة له على مئة ألف درهم. وكان عالي السن روى عن عمر.

ومن ولد حويرث بن أسد بن عبد العزى:

عثمان بن الحويرث الشاعر، وكان مخالفاً لقريش، وأسر ابنه الحارث بن عثمان بن الحويرث يوم بدر كافراً.

وقال الواقدي وغيره: كان عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى قد رفض الأوثان ومات على النصرانية، فقدم على قيصر فكان ترجمانه يحرّف ما يقول له فلا يرى عند قيصر مايحب، فبينا هو ذات يوم يمر في بعض الطريق إذ سمع رجلاً في زي الروم يتكلم العربية وينشد بيت شعر فقال له: ياهذا إنك تتكلم بلساني فمن أنت؟ قال: رجل من بني أسد بن خزيمة فاكتم ماسمعت، فشكا إليه أمره وما يلقى من جفوة قيصر له، فقال: قد بلغني خبرك وإنما تؤتى من الترجمان، ثم إن عثمان دخل على قيصر ودعا له الترجمان فقال عثمان: قل للملك: إن الكذوب الفاجر الغادر، قال: هيه؟ فالتزم عثمان الترجمان يريد أنه الموصوف بهذه الصفة. فقال قيصر: ان لهذا العربي قصة فدعا له بترجمان آخر يكلم، وأدى عنه إلى قيصر فقال: إني ضارب للملك على قريش جزية يؤدونها كل عام إذا وردوا الشام بتجاراتهم، قال: فافعل، ثم أتى مكة فقال لقريش وغيرها: إن قيصر يأمركم أن تجعلوا له عليكم ضريبة وخرجاً وإلا منعكم التجارة إلى الشام فزبروا عثمان وقرصوه وعابوا دينه وأمره وقالوا: قبحك الله وماجئت به وكان أشدهم عليه أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية والوليد بن المغيرة، ثم إن سعيد بن العاص

قدم الشام ومعه أبو ذؤيب[1] هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عامر بن لؤي وكان أبو ذؤيب ابن أخته فسعى بهما عثمان إلى قيصر وقال: ان هذين اعترضا عليّ وحملا قريشاً على إباء ماكانوا سمحوا به من الجزية والضريبة فحبسهما قيصر وقدم الوليد بن المغيرة في آخرين فسعى بهم عثمان أيضاً فحبسهم مع سعيد بن العاص وأبي ذؤيب، فمات أبو ذؤيب في حبس قيصر ثم ان عثمان كلم قيصر في الباقين واطلقهم، وفي ذلك تقول أروى بنت الحارث بن عبد المطلب:

أبلغ لديك بني عمي مغلغلة ... حربا وعفان أهل الصيت والحسب
وانبي ربيعة والأعياص كلهم ... واعمم بني عبد شمس سادة العرب
مالِي أراكم قعوداً في بيوتكم ... وخيركم منكم للجار والجنب
أبو أحيحة محبوس لدى ملك ... بالشام في غير ما ذنب ولا ريب
لو كان بعضكم في مثل محبسه ... ألفيتموه شديد الهم والنصب
إن الذي صدكم عنه وثبطكم ... عبد لعبدٍ لئيم حق مجتلب
لو كان فيكم صميماً في أرومتكم ... لشقَّه ما عناكم غير ما كذب

أما **عمرو بن أسد** فهو زَوَّجَ خديجة بنت خويلد رسول الله ﷺ وكان ابن عمها.

وأما **الحارث بن أسد** فمن ولده عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد قتل يوم أحد كافراً، وبعضهم يقول قتل يوم بدر كافراً.

وعبد الله بن معبد بن حميد قتل يوم الجمل، ويقال لبني تويتة بن

١ - هو في نسب قريش ص٤٢٢ - ٤٢٣، والمنمق لابن حبيب ص١٥٦ «أبو ذئب» وهذا ما أورده الزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش ص٤٢٨.

حبيب بن اسد بن عبد العزّى ولبني حميد بن زهير التويتات والحميدات، وقال ذاك عبد الله بن عباس في كلام تكلم به.

وقال ابن الكلبي: كان عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد بن عبد العزى من مهاجرة الحبشة، وبها مات.

ومن بني **الحارث بن أسد بن عبد العزى: أبو البختري، وهو العاص ابن هاشم** بن الحارث بن أسد، قتل يوم بدر كافراً، وكان الذي قتله المجذر بن زياد، وقد كتبنا خبره فيما تقدم من كتابنا هذا، وأمه من بني عبد الدار بن قصي، وولد أبي البختري يقولون نحن بنو قتيل الملائكة، فقال بعضهم لابن لمصعب بن الزبير: أنا ابن عقير الملائكة فقال ابن مصعب، عمر بن مصعب: أنا ابن من نصرته الملائكة، يعني الزبير يعني حين قتله، وشر مقتول، فقال ابن أبي البختري: انا ابن من سد البطحاء، فقال ابن مصعب: سدها أبوك بِسَلْحِهِ، وفتحها أبي برمحه.

ومن ولد ابي البختري:

الأسود بن أبي البختري وكان من أشد قريش وشهد الجمل مع عائشة، وكان ابنه عبد الرحمن بن الأسود مع ابن الزبير، وكانت تحته ابنة الزبير، وهو ممن كان أعان على عمرو بن الزبير حتى قتل يوم اقامه أخوه للناس، ولولد أبي البختري عقب بالمدينة.

قال الكلبي: ومن ولد الأسود بن أبي البختري: **طلحة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأسود** الذي يقول:

جـدي عليّ وأبي البختري وطلحـة التيمـي والأسـود

أم طلحة ابنة سعيد بن الأسود بن أبي البختري، وأمها فاطمة بنت

علي بن أبي طالب، **وسعيد بن أبي البختري** وكان جميلاً وله تقول المرأة:

ألا ليتني أشري سواري ودملجي بنظرة يوم من سعيد بن الاسود

قالوا: وكان من المحدثين **أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل** من بني أسد بن عبد العزى بن قصي، يتيم عروة، مات في آخر سلطان بني أمية.

انقضى نسب بني قصي بن كلاب

المحتوى

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢م

الجزء العاشر

بنو زهرة بن كلاب - بنو عدي بن كعب

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار — الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

الجزء العاشر

بنو زهرة بن كلاب - بنو عدي بن كعب

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب بني زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب

ولد زُهرة بن كلاب : **عبد مناف بن زهرة** ، وأمه **جُمل بنت مالك** بن قُصية بن سعد من خزاعة . والحارث بن زهرة أمه عقيلة بنت عبد العزى بن غيرة من ثقيف ، وبعضهم يقول عفيلة ، وذلك تصحيف ، وسوداء. وكانت كاهنة تقول : إن في نساء زهرة نجابة ، فجعل الله ذلك لرسول الله ﷺ .

فولد عبد مناف بن زهرة : **وهب بن عبد مناف** ، وكان من أشراف قريش ، وهو جد رسول الله ﷺ أبو أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، **وأهيب بن عبد مناف** ، **وقيس بن عبد مناف** ، **وأبا قيس** ، وهو راكب البريد كان له اتصال بملوك العراق والشام ، فحمله بعضهم على البريد في أمر من الأمور ، فسمي راكب البريد ، وكانت الضيزنة ابنته عند عبدالله بن جُدعان ، ويزعمون أن روح بن زنباع الجذامي ابنه ، وأم أهيب ، وقيس ، وأبي قيس : هند بنت أبي قيلة وهو وجرة بن غالب بن خزاعة .

فمن بني عبد مَناف بن زهرة : **الأسود بن عبد يغوث بن وهب** ، وهو

خال رسول الله ﷺ ، فكان من المستهزئين ، وقد كتبنا خبره في أول هذا الكتاب .

حدثني أبو بكر الأعين ، ثنا علي بن عبدالله المدائني ، ثنا سفيان بن عُيينة عن عمرو عن عكرمة قال : أخذ جبريل بعنق الأسود بن عبد يغوث فحنا ظهره حتى احقوقف ، فقال رسول الله ﷺ : «خالي خالي» . فقال جبريل : يا محمد دعه .

وابنه **عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث** : وكان من خيار المسلمين وشهد يوم الحكمين[1] ، وقد روى عن أبي بكر الصديق وله بالمدينة دار عند أصحاب الغرابيل والقباب ، وكان المقداد بن عمر البهراني ربيب الأسود بن عبد يغوث ، فنسب إليه ، فقيل المقداد بن الأسود ، وكان خلف على أمه .

[ومنهم] : **عبدالله بن الأرقم** بن عبد **يغوث** وكان **على** بيت مال عمر بن الخطاب ، ثم على بيت مال عثمان ، وكان من الصالحين ، ولما أنكر على عثمان استسلافه ما استسلف من بيت المال ، ألقى مفاتيح بيت المال ، واعتزله فولىٰ عثمان بيت المال زيد بن ثابت الأنصاري ولا عقب لعبدالله بن الأرقم .

ومنهم : **مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وكان** من علماء قريش ، وأمه ابنة صيفي بن هشام بن عبد مناف بن قصي ، وكان أعمى أدرك الاسلام ، وكان يكنى أبا مسور ، ومات بالمدينة سنة أربع وخمسين وله مائة وخمس عشرة سنة ، وقال بعضهم : مات في أيام عثمان ، والأول أثبت .

---

١ ـ حكما صفين : أبو موسى وعمرو بن العاص .

وكان ابنه **المسور بن مخرمة بن نوفل** ، وأمه أخت عبد الرحمن بن عوف ، أخبر عن يزيد بن معاوية ، وقد قدم من عنده ، بشربه الخمر ، واعتكافه على اللذات فكتب إلى عامله على المدينة أن يضربه حداً ، فقال الشاعر :

أَيَشْـرَبُهَا صِـرْفاً يَفِضُّ خِتَـامَهَا أبو خالدٍ ويُضْرَبُ الحدّ مِسْوَرُ

وقال عقيل بن أبي طالب للمسيب بن حزن أبي سعيد بن المسيب الفقيه : يا بن الزانية ، فرفعه إلى عمر وكانت أم المسيب قد أسلمت، فقال عمر لعقيل: ما تقول؟ قال: عندي البيّنةُ على ما رميتُها من الزنا، فقال: هلم بيّنتُك فأتىٰ بمخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وبأبي جهم بن حذيفة العدوي من قريش ، فقال لهما عمر : ما تشهدان ؟ قالا : نشهد أنها زانية ، قال : وبأي شيء عرفتما ذلك ؟ قالا : نكناها في الجاهلية ، فجلدهم عمر الحد ثمانين ، ثمانين .

وكان المسور بن مخرمة مع ابن الزبير بمكة ، فأصابه حجر ، فمات منه .

وكان المسور يكنىٰ أبا عبد الرحمن ، وكان موته بمكة يوم نعي يزيد بن معاوية في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، وصلى عليه عبدالله بن الزبير ، ودفن بالحجون ، وكان حين مات ابن اثنتين وستين سنة .

وقال الهيثم بن عدي : مات ابن سبعين ، والأول أثبت .

وقال الواقدي : قُبض رسول الله ﷺ وللمسور ثماني سنين ، وقد حفظ عن النبي ﷺ .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن أم بكر

بنت المسور قالت : ولد المسور بمكة بعد الهجرة بسنتين ، وكان المسور عالماً بأمور قريش ، وله أحاديث قد مرت في هذا الكتاب ، وقال الشاعر :

ومسوراً وابن عوف مصعباً ضرعت هذا الشجاع وهذا الناسك الفهم

يعني مصعب بن عبد الرحمن بن عوف قتل مع ابن الزبير أيضاً .

ومن ولد المسْور بن مخرمة :

عبد الرحمن بن المسور ، أمه ابنة شُرحبيل بن حسنة ، وكان شُرحبيل حليف بني جمح ، ثم تحولوا في الإسلام إلى بني زهرة ، وكان عبد الرحمن بن المسور يكنى أبا المسور ، وكان فقيهاً ، ومات بالمدينة في سنة تسعين .

وهاشم بن المسور أمه ابنة الزبرقان بن بدر التميمي ، وكان أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور شاعراً وهو الذي يقول :

بينما نحن سائرون على القـ ـاع سراعاً والعيس تهوي هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكـ ـراك وهناً فما استطعت مضيّا
قلت لبيك إذ دعاني لك الشـ ـوق والحادين كرّا المطيّا

وقال الشاعر ، وهو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب في هاشم بن المسور :

أودى بعيبة[1] راكب مستعجل يوم الرويثة هاشم بن المسور
هلّا رددت الفضل حين أخذتها فتكون معذرة وإن لم تعذر
ولقد أتيت على المشيب بسوءة شنعاء إن ذكرت وإن لم تذكر

وكان أخذ عيبة بعض أصحابه .

وكان **عبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة محدثاً** يكنى

١ ـ العيبة : زبيل من أدم ، وما يجعل فيه الثياب . القاموس .

أبا جعفر ، ومات سنة سبعين ومائة وهو ابن بضع وسبعين سنة .

وكان **عمرو بن عتبة بن نوفل** بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة على الناس يوم جلولاء[١] الوقيعة ، وامه عاتكة بنت أبي وقاص أخت سعد .

ومن بني عبد مناف بن زهرة :

أبو اسحاق سعد بن أبي وقاص ، واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وهو أحد العشرة الذين وجبت لهم الجنة ، ولما أسلم أبو بكر دعا سعداً إلى الاسلام فلم يبعد ، وأتى النبي ﷺ فسأله عن أمره فأخبره به فأسلم ، وأم سعد حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس .

وروى الواقدي في إسناده عن عائشة بنت سعد عن سعد قال : بلغني أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام مستخفياً ، فلقيته بشعب أجياد[٢] وقد صلى العصر فسألته عما يدعو إليه فأخبرني ، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله .

قال سعد : فأنا أول من هراق دماً في سبيل الله ، وأول من رمى بسهم في الإسلام .

قال الواقدي : كان سعد من الرماة المذكورين .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أبي بكر بن اسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه عن عامر بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال : كنت ثالثاً في الاسلام .

وقال الواقدي في أسناده : كان سعد قصيراً دحداحاً غليظا ذا هامة

---

١ ـ من أشهر معارك فتوح العراق .
٢ ـ مايزال يحمل الاسم نفسه في مكة المكرمة .

شثن الأصابع، أشقر يخضب بالسواد، ومات في قصره بالعقيق وهو على عشرة أميال من المدينة فحمل على رقاب الرجال إلى المدينة .

وقالت عائشة بنت سعد : سمعت أبي يقول : أسلمت وأنا ابن تسع عشرة سنة ، وولدت عام الفجار .

وقال الواقدي في إسناده(١)عن عائشة بنت سعد : مات أبي سنة خمس وخمسين وصلى عليه مروان بن الحكم وهو والي المدينة وكان يوم مات ابن بضع وسبعين سنة وكان يخضب بالسواد(٢) .

وقال الهيثم بن عدي : توفي سعد بالمدينة ، ودفن بالبقيع ، وله نحو من ثمانين سنة .

وقال ابن الكلبي عن أبي مخنف : توفي سعد بالمدينة سنة خمس وخمسين ، وله نيف وثمانون سنة .

حدثنا علي بن المديني ، ثنا يحيى بن سعيد عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبدالله قال : أقبل سعد بن أبي وقاص فقال رسول الله ﷺ : «هذا خالي ، فليرني امرؤ خاله» .

وحدثنا عمرو الناقد عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم ، قال : قال عبدالله بن مسعود : لقد رأيت سعداً يقاتل يوم بدر وهو في الرجال قتال الفارس .

حدثني أبو بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبدالله بن شداد عن علي بن أبي طالب قال : ما سمعت رسول الله ﷺ

---

١ ـ بالأصل : «في اسلامه» وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٩ ـ ١٤٣ .

يفدى أحداً بأبويه إلا سعد بن أبي وقاص ، سمعته يقول يوم أحد : «إرم سعد ، فداك أبي وأمي» .

حدثني عبدالله بن صالح ثنا عبدالله بن ادريس عن عبد الرحمن بن اسحاق عن خليفة بن قيس أن سعد بن أبي وقاص استخلف خالد بن عرفطة على الكوفة فأسلمت امرأة ، فأتته فذكرت أن زوجها يضربها على أن تعود إلى النصرانية ، وأقامت على ذلك بينة ، فضربه خالد وحلقه وفرّق بينها وبينه ، فأتى النصراني عمر بن الخطاب فشكا خالداً فأشخص عمر خالداً إليه فأخبره أنه نصراني ، وقص عليه قصته فقال عمر : الحكم ما حكمت فيه ، وكتب إلى الأمصار أن تُجَزّ نواصيهم وأن لا يلبسوا ألبسة المسلمين حتى يعرفوا .

وقيل في سعد :

رأيت سعوداً من شعوب كثيرة　　فلم أر سعداً مثل سعد بن مالك

حدثني يحيى بن أيوب وشريح بن يونس قالا : ثنا اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن عائشة بنت سعد قالت : أبي والله الذي جمع له النبي ﷺ الأبوين يوم أحد .

حدثني محمد بن سعد ، أنبأ معن بن عيسى عن بعض آل سعد عن عائشة بنت سعد عن أبيها أنه قال :

ألا أبلغ رسول الله أني　　حميت صحابتي بصدور نبلي
أذود بها عدوهم ذياداً　　بكل حزونة وبكل سهل
فما يَعْتُدُّ رام من مَعَدٍّ　　بسهمٍ مع رسول الله مثلي[1]

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤٢

وحدثني وهب بن بقية ، ثنا يزيد بن هارون عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : نبئت أن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص : «اللهم استجب له إذا دعاك» .

وأخبرني الوليد بن صالح عن الواقدي عن مالك بن أنس عن الزهري أن رسول الله ﷺ دعا لسعد بن أبي وقاص فقال : «اللهم استجب دعوته وسدد رميته» . وكان من معدودي رماة المسلمين .

وحدثني شجاع بن مخلد الفلّاس ، ثنا جوير بن عبد الحميد عن مغيرة عن أمه قالت : كانت امرأة منا عند بعض آل سعد بن أبي وقاص فزرناها فرأينا امرأة قامتها قامة صبية فقلنا : ما هذه ؟ قالوا ابنة لسعد : وضع لسعد طهور فغمست يدها فيه فطرف لها سعد وقال : قصع[1] الله قرنك ، فلم يزل على ذلك .

وحدثني عبيدالله بن معاذ بن معاذ عن أبيه ، ثنا ابن عون ، حدثني محمد الزهري عن عامر بن سعد ، قال : رأى سعد الناس مجتمعين على رجل ، وإذا هو يسب علياً ، وطلحة ، والزبير فنهاه فكأنما أغراه ، فقال ويلك ما تريد إلى سبّ أقوام هم خير منك ، لتنتهينّ عن سبّهم أو لأدعونّ الله عليك ، فقال : تخوفني كأنك نبي من الأنبياء ، فصلى ودعا عليه فخرجت نجيبة نادّة[2] فلم تزل تطأ بطنه حتى طفىء ، فجعل الناس يتبعون سعداً ويقولون : هنيئا ، استجاب الله لك يا أبا اسحاق .

وحدثني محمد بن سعد ، أخبرني مشايخنا عن عبدالله بن عمر عن

١ ـ قصع : مضع ودلك ، ودفع ، وقصع عطشه : إذا كسره بالري . النهاية لابن الأثير
٢ ـ نادة : شاردة . القاموس .

وهب بن كيسان قال : رأيت سعد بن أبي وقاص يلبس الخز[١] .

حدثني عمرو الناقد ، ثنا أبو نعيم الفضل بن دُكين ، ثنا اسرائيل عن حصين عن مصعب بن سعد أنه كان يلبس خاتماً من ذهب .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : كان سعد بن أبي وقاص يتختم بالذهب ، ويخضب بالسواد ، ويلبس الخز .

وحدثني بكر بن الهيثم وابراهيم بن محمد بن عرعرة عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : كان سعد يسبح بالحصى وكان يقول : اكره أن أتحدث عن رسول الله ﷺ بواحدة فيزيدوا عليها مائة .

وحدثني محمد بن سعد ، أنبأنا محمد بن عبدالله الأسدي ، ثنا يونس بن أبي اسحاق عن أبي اسحاق عن مصعب عن سعد أنه كان إذا أراد أن يأكل الثوم بدأ به .

حدثنا محمد بن سعد ، أنبأ يزيد بن هارون ، أنبأ شعبة بن الحجاج عن يحيى بن الحضين قال : سمعت الحي يتحدثون أن أبي قال لسعد : ما يمنعك من القتال ؟ قال : لا ، حتى تجيئوني بسيف يعرف المؤمن من الكافر[٢] .

حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا يحيى بن سعيد عن السائب بن يزيد قال : صحبت سعد بن أبي وقاص من المدينة إلى مكة فما سمعته حدث عن النبي ﷺ حديثاً حتى رجع .

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤٣ .
٢ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤٣ .

حدثنا عفان ، ثنا سليمان بن المغيرة ، أنبأ حميد بن هلال قال : قال رجل لابن عمر : هل لك في متجر أدّلك عليه تصيب منه ؟ فقال : ما عندي مال ، قال ائت سعداً فاستقرض منه من مال المسلمين ، فاستقرض خمسة آلاف درهم فاشترىٰ بها ديباجاً منسوجاً بالذهب فأحرقه فأصاب فضلاً وردّ رأس المال ، فلما قدم المدينة قال له عمر : ما هذا الذي جئت به ؟ فأخبره كيف صنع ، فقال : أكلّ المسلمين أقرض كما أقرضك ؟ قال : لا . قال : فإني أعزم عليك لما رددت هذا الفضل إليهم .

حدثني أبو حسان الزيادي عن المبارك بن سعيد التوزي عن أبيه قال : كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص : أن اكتب لي ما أحدثت فحول الشعراء في الاسلام ، فسأل لبيداً فقال له : ما أحدثت شيئاً ، لقد شغلني القرآن عن الشعر ، فزاده عمر في عطائه .

حدثني عمرو بن محمد الناقد وعلي بن عبدالله قالا : ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عامر بن سعد عن سعد رضي الله تعالى عنه ، قال : «مرضت مرضاً أشفيت منه على الموت فأتاني رسول الله ﷺ يعودني فقلت : يا رسول الله ، إن لي مالاً كثيراً أفأوصي بثلثي مالي ؟ قال : لا . قلت فالشطر ؟ قال : لا . قلت : أفأوصي بالثلث ؟ قال : الثلث ، والثلث كثير ، لأنك إن تترك ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها ، حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك ، ولعلك ان تُخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضرّ آخرون . اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس سعد بن خولة مات بمكة» قالوا : يقول رجع إلى الأرض التي هاجر منها .

حدثني بسام الحمال ، ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي البختري أن عمر كتب إلى حذيفة بن اليمان أن أقبل إليّ ، فظن حذيفة أنه يسأله عن سعد ، فأتى سعداً وجلس عنده ناحية وقال لجلسائه : انتسبوا ، فانتسبوا ، ثم قال لسلمان الفارسي : انتسب فقال : انا سلمان ابن الاسلام ، فقدم حذيفة على عمر فسأله عن سعد فقال : لا أعلم إلا خيراً ، غير أني رأيت عنده أمراً كرهته ، وأخبره الخبر فكتب عمر إلى الأشعث أنْ أقْدِمْ ، وكان ممن انتسب عند سعد وفخر بآبائه ، فقال له عمر : انتسب . فقال استغفر الله وأتوب إليه يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : أنت مع من انتسبت إليه ، وأنا وسلمان ابنا الاسلام .

وحدثني أحمد بن ابراهيم ، ثنا عارم بن الفضل ، ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عبدالله بن حبيب أن سعداً كان يصلي العشاء ، ويصلي بعدها ما شاء الله ، ثم يصلي بعد ذلك ركعة يوتر بها .

حدثني إبراهيم العلاف البصري عن غُندر عن شعبة عن عمرو بن مرة أنه سمع عبدالله بن مسلمة يحدث أن سعداً أمهم في العشاء الآخرة فلما انصرف تنحى فركع ركعة واحدة ثم انصرف فاتبعته فقلت : ما هذه الركعة يا أبا اسحاق ؟ قال : وتر أنام عليه ، فذكرت ذلك لمصعب بن سعد فقال : كان سعد يوتر بركعة .

حدثنا محمد بن حاتم المروزي ، ثنا سريج بن النعمان عن ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة ، أخبرني صالح عن اسماعيل بن محمد بن سعد أن سعداً كان يقول : إني لأوتر بواحدة وأنا أعلم أن الثلاث خير من الواحدة ، وأن خمساً خير من ثلاث ، ولكني أريد التيسير على نفسي .

حدثني أبو خيثمة زهير بن حرب ، ثنا سفيان عن اسماعيل بن محمد عن عمه مصعب بن سعد قال : قيل لسعد إنك توتر بواحدة ، قال نعم إني أحب أن أخفف عن نفسي .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا أبو داود الطيالسي ، أنبأ شعبة عن حماد عن ابراهيم أن ابن مسعود عاب على سعد أنه كان يوتر بركعة .

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن أبي حصين عن يحيى بن وثاب قال : أنكر ابن مسعود على سعد ركعة الوتر ، وقال : ما أُخبرت عن أحد قط بركعة ، فقال : أنت الذي تورث حواء من بناتها ، وكان عبدالله يورث الجدات .

وحدثني العمري عن هشام ابن الكلبي ، عن أبيه قال : قال سعد لعمرو بن معدي كرب : إنك لم تنصف عباس بن مرداس السلمي قال : كذا ، وقلت : كذا ، فقال عمرو : وما أنت وذاك ؟ فغضب سعد فشتمه واحمرت حدقتا عمرو وانتفخت أوداجه وأنشأ يقول :

أيوعدني سعد وفي الكف صارم ... سيمنع مني أن أَذِلَّ وأخضعا
فوالله لولا الله لاشيء غيره ... لجللته إياه أو يتقطعا[1]

فبلغ شعره سعداً فأتاه فاعتذر إليه .

حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ، انبأ يزيد بن هارون ، أنبأ مالك بن أنس عن سالم أبي النضر قال : لما توفي سعد بن أبي وقاص أمرت عائشة أم المؤمنين أن يمر به عليها فتستغفر له .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا عفان بن مسلم ، ثنا حماد بن سلمة عن

١ ـ شعر عمرو بن معد يكرب ص ١٢٦ .

سماك بن حرب عن مصعب بن سعد قال : كان رأس أبي في حجري فدمعت عيناي فقال : ما يبكيك أي بني ؟ قلت : ما أرى بك . فقال : لا تبك فإن الله لا يعذبني ، إني من أهل الجنان ، إن الله يدين المؤمنين بحسناتهم فليطلب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له ، وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم[١] .

حدثنا عباس بن الوليد النرسي عن أبي عوانة عن مغيرة عن الشعبي أن سعداً أكرم شرحبيل بن السمط الكندي وفضله علىٰ الأشعث فغضبت كندة لذلك ، وَوَجَّهَهُ[٢] سعد على جيش فقال : من أتىٰ حدَّاً في الجاهلية فليأتني أطَهِّرْهُ ، فجعل الرجل يأتيه فيقول : عملت كذا وكذا فيجلده فبلغ ذلك عمر ، فقال : لا يتأمرّ علىٰ اثنين ما بقيتُ . هتك أستار المسلمين .

وقال أبو الحسن المدائني : كان بين الأشعث وشرحبيل بن السمط الكنديين تباعد ، فوفد جرير بن عبدالله البجلي إلى عمر فقال له الأشعث : إن قدرت أن تنال من شرحبيل عند عمر فافعل ، وكان شرحبيل قد شرف بالكوفة ، فلما قدم جرير على عمر سأله عن الناس ، فقال : هم كالقداح في حفيرها ، فمنها الأعصل الطائش والمقوّم الصائب ، وسعد ثقافها يقيم أَوَدَ ذي الأَوَدِ منها ، ويغمز عصل ذي العصل ، وقد قال القائل :

ألا ليتني والمرء سعدَ بن مالك وزبراء وابن السمط في لجّة البحر
فيغرق أصحابي وأخرج سالمـاً على ظهر قرقور أنادي أبا بكر

فقال : قد فعلها فكيف طاعة الناس له ؟ قال : يقيمون الصلاة

---

١ - طبقات ابن سعد : ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٨ .
٢ - بهامش الأصل : يعني شرحبيل .

ويؤتون الزكاة . فقال : إذا أُقيمت الصلاة وأُديت الزكاة كانت الطاعة والجماعة ، وكتب عمر إلى سعد في حمل شرحبيل بن السمط وزبراء جارية سعد إليه فحملهما ، فحبس زبراء بالمدينة ، وأخرج شرحبيل إلى الشام ، وكان أبوه كتب يطلبه وكان من غزاة الشام ، فشرف شرحبيل بالشام ، فلما قدم جرير بكتاب علي إلى معاوية في البيعة لعلي انتظر معاوية قدوم شرحبيل عليه فقدم ، فقال له معاوية : قدم جرير في كذا وكذا فما ترىٰ ؟ قال : كان عثمان خليفتنا فإن قويت على الطلب بدمه وإلّا فاعتزلنا . فانصرف جرير ، فقال النجاشي في ذلك :

شرحبيل ما للدين فارقت أمرنا ولكن لبغض المالكي جرير
وقولك ما قد قلت عن أمر أشعث فأصبحت كالحادي بغير بعير

جرير بن عبدالله بن جابر بن مالك ، فنسبه إلى مالك .

حدثنا خلف بن هشام البزار والعباس بن الوليد النرسي قالا : ثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة أن أهل الكوفة سعوا بسعد بن أبي وقاص إلى عمر وقالوا : إنه لا يحسن الصلاة ، فقال سعد : أما أنا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرم منها أركد[1] في الأولين ، وأحذف في الآخرتين . فقال عمر : ذاك الظن بك أبا اسحاق ، وأرسل عمر رجالاً يسألون عنه بالكوفة فجعلوا لا يأتون مسجداً من مساجد الكوفة إلا قالوا خيراً ، وأثنوا معروفاً ، حتى أتوا مسجداً من مساجد بني عبس فقال رجل منهم يقال له أبو سعدة : أما إذا سألتمونا عنه فإنه كان لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في القضية . قال : فقال سعد : اللهم إن كان كاذباً

١ ـ الركود : السكون . القاموس .

فأطل عمره ، وأَدِمْ فقره ، واعْمِ بصره ، وعَرِّضْه للفتن . قال عبد الملك : فأنا رأيته يتعرض للإماء في السكك ، فإذا قيل له كيف أنت يا أبا سعدة ؟ قال : كبير مفتون ، فقير ، أصابتني دعوة سعد .

حدثني الحسن بن عمر الزيادي عن اسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي أن عمرو بن معدي كرب الزبيدي وفد على عمر بن الخطاب بعد أن فتح سعد القادسية وما فتح من السواد ، فسأله عمر عنه وعن رضاء الناس به فقال : تركته يجمع لهم جمع الذّرة ويشفق عليهم شفقة الأم البّرة ، أعرابي في مرضه ، نبطي في جبايته ، يقسم بالسوية ، ويعدل في القضية وينفذ بالسرية . فقال عمر : كأنكما تقارضتما الثناء ، وكان سعد كتب يثني على عمرو .

حدثنا عفان ، ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أن سلمان الفارسي مرض فعاده سعد بن أبي وقاص فقال : كيف نجدك أبا عبدالله ؟ فبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ فقال : والله ما أبكي حرصاً على الدنيا ، ولا جزعاً من الموت ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول وعهد إلينا : «ليكن بلاغ أحدكم الدنيا كزاد الراكب» فأخشى أن نكون تجاوزنا أمره ، فبكيت ، فأما أنت أيها الأمير فاذكرك الله عند همك إذا هممت ، وعند لسانك إذا نطقت ، وعند يدك إذا بطشت .

المدائني عن الوقاصي عن الزهري أن سعداً أخذ خمس جوار من الخُمْس يوم جلولاء ، فسأله عمر عنهن فقال : خفت أن يفتتن المسلمون بهن فبعتهنّ وجعلت ثمنهنّ للمسلمين ، فسأل عمر عن ذلك فوجده كما قال سعد .

وحدثني داود بن عبد الحميد عن أبيه عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : رأى سلمان من سعد شيئاً أنكره ، فأقسم بالله ليبلغنّه عمر ، فأرسل سعد إلى سلمان من كلمه في الإمساك عن ذلك فسكت سلمان وكان له مملوك لا يملك غيره فقال : أنت حر لوجه الله ثم قال : لست بذاكر لعمر شيئا .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا عثمان ، ثنا وهيب ، أنبأ موسى بن عقبة عن عبد الواحد بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن عائشة بنت سعد قالت : لما توفي سعد بن أبي وقاص أرسلن أزواج النبي ﷺ أن مرّوا بجنازته في المسجد ففعلوا ، ووقف بها حُجَرهنّ فصلَّين عليه ، وخرج به من باب الجنائز الذي كان يلي المقاعد فبلغهنَّ أن الناس عابوا ذلك وقالوا ما كانت الجنائز تدخل المسجد ، فبلغ ذلك عائشة بنت أبي بكر فقالت : ما أسرع الناس إلى عيب ما لا علم لهم به ما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن البيضاء إلا في جوف المسجد[1] .

وقال الواقدي : لما عاب الناس إدخال جنازة سعد المسجد قالت عائشة : ما أسرع ما نسوا ، لقد صلىٰ رسول الله ﷺ على سهيل بن بيضاء في المسجد .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد، ثنا أبو نعيم الفضل بن دُكين، ثنا خالد بن الياس عن صالح بن يزيد قال : كنت عند ابن المسيب فمر عليه على بن الحسين فقال : أين صلي على سعد بن أبي وقاص ؟ فقال : شق به المسجد إلى أزواج النبي ﷺ ، وذلك أنهنّ أرسلنَ : إنا لا نستطيع الخروج

١ ـ طبقات بان سعد ج ٣ ص ١٤٨ .

إليه ، فدخلوا به ، وأقاموا بسريره على رؤوسهن فصلِّينَ عليه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، ثنا فروة عن عائشة بنت سعد قالت : أرسل سعد بزكاة عين ماله إلى مروان بن الحكم ، وهي خمسة آلاف درهم ، وترك سعد يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم .

وقال الواقدي ، ثنا اسماعيل بن ابراهيم عن أبيه عن سالم عن عبدالله أن عمر قاسَمَ سعد بن أبي وقاص ماله حين عزله عن العراق[1] .

حدثني عبدالله بن صالح عن مجالد عن أبيه أن سعد بن أبي وقاص دعا على أهل الكوفة حين شكوه فقال : اللهم لا تُرْضِ عنهم أميراً ولا ترضهم بعدي بأمير ، فهم كذلك .

قالوا وكان بسعد يوم القادسية قرح ، فلم يباشر القتال فقال بعض المسلمين :

وقاتلت حتى أنزل الله نصره وسعد بباب القادسية يعْصَم
فرحنا وقد أمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيِّم

وقال بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جبانة بشر بالكوفة :

تَحِنَّ بباب القادسية ناقتي وسعد بن وقاص عليَّ أمير
وسعدٌ أميرٌ شَرُّهُ دون خيره طويل الأذي كابي الزناد قصير
تذكرْ هداك الله وقع سيوفنا بباب قديس والمكرّ عسير
عشية ودَّ القوم لو أن بعضهم يُعار جناحي طائر فيطير

وسمع رجل من المسلمين رجلاً يجبّن سعداً ، فقال أتجبنه وقد رأيته يقاتل مع النبي ﷺ قتال ليث مجرِّب .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤٩ .

وحدثني روح بن عبد المؤمن عن أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة أن أهل الكوفة وشوا بسعد إلى عمر وقالوا : ذهب بحقوقنا واعتدى علينا فعزله وولى عمار بن ياسر ، فدعا سعد عليهم .

وكان ولد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : اسحاق الأكبر ، وبه كان يكنىٰ درج ، وأم الحكم الكبرى ، وزينب وأمهم ابنة شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة .

وعمر بن سعد ويكنىٰ أبا حفص وهو صاحب الحسين بن علي ، والمتولي لمحاربته ، قتله المختار بن أبي عبيد وقد كتبنا خبره .

ومحمد بن سعد قتل يوم دير الجماجم ، قتله الحجاج ، وفيه يقول الفرزدق :

ولو شهد الخيل ابن سعد لقنعوا عصابته الميلاء عَضْباً مُذكَّراً[1]

وحفصة ، وأم القاسم ، وأم كلثوم . وأمهم مارية بنت قيس بن معدي كرب الكندي ويقال ابنة أبي الكيسم الكندي ، وأخيذة ، وعامر ، واسحاق الأصغر ، واسماعيل ، وأم عمران ، وأمهم أم عامر بنت عمرو بن كعب من بهراء . وابراهيم ، وموسى ، وأم الحكم الصغرى ، وام عمرو ، وهند وأم الزبير ، وام موسى وأمهم أم زبراء ، وبنوها يزعمون أنها ابنة يعمر بن شراحيل بن عبد عوف من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة مسبية .

وعبدالله ، وأمه سلمى من بني تغلب ، ومصعب بن سعد ، وأمه خولة بنت عمرو بن أوس تغلبية ، وعبدالله وبجير واسمه عبد الرحمن ، وحميدة وأمهم أم هلال بنت ربيع بن مُرى من مذجح ، وعمير بن سعد

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٤٠ مع فوارق .

الأكبر هلك قبل أبيه ، وحَمنة وأمها أم حكيم بنت قارض من كنانة ، وهم حلفاء في بني زهرة . وعمير الأصغر وعمرو ، وعمران ، ويحيىٰ ، وأم عمرو ، وأم أيوب ، وام اسحاق ، وأمهم سلمى بنت حفصة من بني تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة .

وصالح بن سعد كان نزل الحيرة لشرٍ وقع بينه وبين أخيه عمر بن سعد ونزلها ولده ، ثم انتقلوا إلى رأس العين من الجزيرة ، وأمه ظبية بنت عامر بن النمر بن قاسط .

وعثمان ، ورملة أمهما أم حجير .

وعمرة وهي العمياء تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف .

وعائشة أمها من سبايا العرب .

وكان لمحمد بن سعد ابن يقال له اسماعيل بن محمد بالمدينة ، من فقهاء قريش ونبلهم ، وكان لموسى بن سعد ابن يقال له بجاد ولم يكن بذاك ، كان بخيلاً ضعيفاً وضيعاً ، وفيه يقول الشاعر :

بجاد بن موسى وابن سعد بن مالك   كليب قطار لا يسوق ولا يحمي

وقتل المختار حفص بن عمر بن سعد مع أبيه .

وقال هشام ابن الكلبي : كان عامر ومحمد وعائشة ، ومصعب ، وإبراهيم ، ويحيىٰ ، وعبد الرحمن ، وعمر ، بنو سعد محدثين جميعاً ، وكان إسماعيل بن محمد بن سعد فقيهاً أيضاً ، ومات عامر بن سعد بن أبي وقاص في سنة أربع ومائة ، ويقال في أيام الوليد بن عبد الملك ، والأول قول الواقدي ، والثاني قول الهيثم بن عدي ، ومات مصعب بن سعد في سنة ثلاث ومائة .

ومن بني عبد مناف بن زهرة أيضاً

عتبة بن أبي وقاص :

أخو سعد ، وهو الذي كسر رباعية النبي ﷺ يوم أحد ، فيقال إن النبي ﷺ دعا عليه ألا يأتي عليه الحول فمات بعد قليل . وقال قوم : أسلم في الفتح ومات بعد الفتح وموته قبل الفتح أثبت .

حدثني عمر بن عبد الرحمن ، ثنا مطرف بن عبدالله ، مولى أسلم ، عن مالك بن أنس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد أن ابن وليدة زمعة بن قيس أخي سودة بنت زمعة زوج رسول الله ﷺ منه ، وقال : اقبضه إليك ، فلما كان عام الفتح أخذه سعد ، وقال : ابن أخي ، قد كان أخي عهد إليّ فيه ، فقام عبدالله بن زمعة ، ويقال عبد بن زمعة ، فقال : أخي وابن وليدة أبي ، ولد على فراشه ، فتساوقا إلى النبي ﷺ فقال سعد : ابن اخي ، وقال عبدالله ، أو عبد بن زمعة : أخي ولد على فراش أبي ، فقال رسول الله ﷺ : «هو لك يا عبد ـ أو يا عبدالله ، الولد للفراش ، وللعاهر الحجر» ، ثم قال لسودة بنت زمعة احتجبي عنه» ، لما رأى من شبهه بعتبة ، فما رآها حتى لقي الله .

ومن ولد عتبة بن أبي وقاص

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص :

وكان هاشم يدعى المرقال لأنه قال : والله لأرقلنّ إلى هذا العدو إرقال الجمل المصاعب ، وفقئت عينه يوم اليرموك بالشام ، وقتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان يقاتل ويقول يوم صفين :

أعــور يــبغـي أهله محــلاً وقد عالج الحياة حتى ملّا

لابـد أن يَفـلّ أو يُفَـلّا قد أكثر القـول وما أقـلّا

وكان هاشم بن عتبة المرقال قد أفطر في آخر يومٍ من شهر رمضان ، فشهد عليه بذلك قوم عند سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص عامل عثمان بن عفان على الكوفة ، فقال له سعيد : ما دعاك إلى أن أفطرت قبل أميرك ؟ فقال : رأيت الهلال . قال سعيد : كيف رأيته بعين واحدة ، وعامة الخلق ينظرون بعينين ولم يروه ؟ فقال له سببتَ خير عيني ، فضربه سعيد عند ذلك حداً ، فلما قتل عثمان رضي الله تعالى عنه لحق هاشم بعلي عليه السلام ، فاستعمله على الكوفة ، فلما قدمها أخذ سعيداً فضربه بضربه إياه مائة جلدة فقال هاشم وسعيد يضرب بين يديه :

صبراً سعيد فإن الحر مصطبر ضرب بضرب وتسحاب بتسحاب

وقتل المرقال بصفين ، وقال بعضهم : كانت راية علي العظمى بصفين معه .

ونافع بن عتبة بن أبي وقاص :

ومنهم : **عمير بن أبي وقاص** أخو سعد بن أبي وقاص أسلم وهو غلام ، وأمه أم سعد حمنة بنت سفيان بن أمية ، وكان مع أخيه حين هاجر إلى المدينة ، فلما عرض رسول الله ﷺ الناس يوم بدر جعل يتطاول خوفاً من أن يرده رسول الله ﷺ ويستصغره ، فلما رآه رسول الله ﷺ ردّه ، فبكى فأجازه ، واستشهد يومئذ قتله عمروبن عبد وِدّ .

ومنهم : **عامر بن أبي وقاص** ، ولم يزل سعد بن أبي وقاص يدعوه إلىٰ الإسلام حتى أسلم ، وأتى رسول الله ﷺ فاظهر اسلامه .

حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون المروزي ثنا يحيى بن سعيد أنبأ شعبة

حدثني سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال : قالت لي أمي : ألست تزعم أن الله يأمرك بصلة الرحم ، وبر الوالدين ؟ قلت : نعم . فقالت : والله لا أكلت طعاماً ولا شربت شراباً حتى تكفر بما جاء به محمد فكانوا يفتحون فاها ثم يلقون فيه الطعام والشراب ، فأنزل الله : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون﴾[١] .

حدثنا محمد بن حاتم ، ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن محمد بن عباد في قول الله عزوجل : ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون﴾[٢] . قال : نزلت في سعد بن أبي وقاص وفي والدته نذرت أن لا تكلمه حتى يمس إسافاً ونائلة .

وقال الواقدي : حدثنا أبو بكر بن اسماعيل بن محمد بن سعد عن المهاجر بن سمار عن سعد قال : لقد أسلمت وما فرضت الصلاة ، كنا نصلي العصر فأخبرت أمي بذلك فأجدها على بابها فتصيح : ألا أعوان يعينوني عليه من عشيرتي ، أو عشيرته فأحبسه في بيت وأطيّن عليه بابه حتى يموت ، أو يدع هذا الدين المحدث ، فرجعت من حيث جئت وقلت : لا أعود إليك ولا أقرب منزلك ، فهجرتها حينا ثم أرسلت إليّ أنْ عدْ إلى منزلك ، ولا تتضيف الناس ، فتلزمنا عاراً ، فرجعت إلى منزلي فمرة تلقاني بالشر ،

١ ـ سورة العنكبوت ـ الآية : ٨ .
٢ ـ سورة لقمان ـ الآية ١٥ .

ومرة بالبشر ، وهي تقول في ذلك : لكن ابني البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعاً يعني عامراً ، ثم إن عامراً أسلم فلقي منها ما لم يلق أحد من الصياح والأذىٰ حتى هاجر إلى الحبشة .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن اسماعيل بن محمد بن سعد عن عامر بن سعد عن أبيه قال : جئت من الرمي وإذا الناس مجتمعون على أمي حَمنة بنت سفيان ، وعلى أخي عامر بن أبي وقاص ، وكان إسلامه بعد عشرة أو أحد عشر رجلاً ، فقلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : هذه أمك قد آخذت أخاك عامراً ، فهي تعطي الله عهداً ألا يظلها ظل ولا تأكل طعاماً ولا تشرب شراباً حتى يدع صبأته ، فأقبلت حتى صرت إليها ، فقلت : عليّ فاحلفي يا أمّه : لا تستظلّي ، فوالله لا تستظلين ولا تأكلين ولا تشربين حتى تتبوئين مقعدك من النار ، فقالت : إنما حلفت على ابني البر . فأنزل الله عزّوجلّ : ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك بِهِ علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ الآية .

وحدثني أبو مسعود بن القتات ، حدثني الوقاصي أن عامر بن أبي وقاص كان سَوْغ[1] أخيه سعد وأصغر منه بنحو من سنتين وكان يكنى أبا عمرو ، ووجهه عمر بنَ الخطاب إلى الشام بكتابه إلىٰ أبي عبيدة بن الجراح بالولاية مكان خالد بن الوليد ، وإلىٰ خالد بالعزل وأقام مع المسلمين ومات في طاعون عمواس .

قال أبو مسعود : سمعت من يقول : إنه شَخَصَ إلى مصر مع من شخص إليها من المسلمين فمات بها .

١ ـ وهذا سوغ هذا وسوغته ، كلاهما في الذكر والانثى : ولد بعده ، ولم يولد بينهما·القاموس .

وقال الكلبي : وكان نافع بن عتبة بن أبي وقاص مع أبيه يوم أحد وشهده كافراً .

وولد الحارث بن زهرة : عبد الحارث ، وعبدالله بن الحارث ، ووهب بن الحارث ،وهو ذو الفُرَيَّة ، وكان إذا قاتل أعلم بفُريّة ، أي قطعة فروة .

فمن ولد الحارث :

عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة

وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن ، ويكنى أبا محمد ، وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث وهي ابنة عم أبيه ، وكان عبد الرحمن يدعى الأمين ، وكان صديقاً لأبي بكر بن أبي قحافة ، فدعاه أبو بكر إلى الإسلام فلم يُبْعِد ، وعرض له شغل فلما قضاه أتى رسول الله ﷺ قبل أن يدخل دار الأرقم ويدعو فيها ، فشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن عبادة آبائه ضلال وجهل ، وكان عبد الرحمن صهر عثمان بن عفان لأنه تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وأمها أروى أم عثمان ، خلف عليها عقبة .

حدثنا الوليد بن صالح ومحمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن صالح عن يزيد بن رومان قال : أسلم عبد الرحمن بن عوف قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، وقبل أن يدعو فيها[1] .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا معن بن عيسىٰ ، ثنا محمد بن عبدالله بن عبيد بن عمير عن عمرو بن دينار قال : كان اسم عبد الرحمن بن

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٢٤ .

عوف عبد الكعبة ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن .

وحدثني أحمد بن ابراهيم عن أبي معاوية الضرير عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «كيف فعلت يا أبا محمد في استلام الحجر ؟ قال : استلمت وتركت . قال : أصبت» .

حدثني إبراهيم بن عرعرة بن محمد السامي عن العقدي عن عبدالله بن جعفر عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه قال : قال المسور بن مخرمة قال لي عثمان بن عفان : يا مسور ، من زعم أنه خير من خالك في الهجرة الأولى والآخرة فقد كذب .

حدثنا الوليد بن صالح عن الواقدي عن معمر بن راشد عن قتادة عن أنس بن مالك قال : لما هاجر عبد الرحمن بن عوف من مكة نزل على سعد بن الربيع في بني الحارث بن الخزرج فقال له سعد : هذا مالي أقاسمك إياه ، ولي زوجتان أنزل عن أحديهما ، فقال : بارك الله لك في مالك وزوجتك ولكن إذا أصبحت فدلني على سوقكم فدله فرجع بحميت[١] من سمن وأقط[٢] قد ربحه .

حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ حميد وثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ آخىٰ بين عبد الرحمن بن عوف حين قدم المدينة وبين سعد بن الربيع ، فقال له سعد : أي أخي ، أنا أكثر أهل المدينة مالاً ، فانظر شطر مالي فخذه ، وتحتي أمرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها لك ؟ فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلّوني على السوق ، فدلّوه

---

١ ـ الحميت : الزق الصغير ، أو الزق بلا شعر . القاموس .

٢ ـ الأقط شيء يتخذ من المخيض الغنمي . القاموس .

فاشترى وباع فربح ، وجاء بشيء من سمن وأقط ثم لبث ما شاء الله ، فأتى النبي ﷺ عليه ردع[١] من زعفران فقال رسول الله ﷺ : «مَهْيَم» ؟ فقال : يا رسول الله تزوجت امرأة قال : «فما أصدقتها» ؟ قال : وزن نواة من ذهب . قال : «أَوْلِمْ ولو بشاة» . قال عبد الرحمن : فرأيتني ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته فضة أو ذهباً .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، ثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأة من الأنصار على ثلاثين ألفاً .

قال الواقدي : خط رسول الله ﷺ لبني زهرة في ناحية مؤخر المسجد ، فكان لعبد الرحمن بن عوف الحش ، والحش نخل صغار لا يسقى .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف قال : أشهد أن رسول الله ﷺ أقطعني وعمر بن الخطاب أرض كذا ، فذهب الزبير إلى عمر فاشترى نصيبه ، فقال الزبير لعثمان : إن ابن عوف قال كذا ؟ فقال عثمان : هو جائز الشهادة له وعليه[٢] .

حدثني يحيى بن أيوب الزاهد ، حدثني اسماعيل بن عُليّة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن عمرو بن وهب قال : كنا عند المغيرة بن شعبة

---

١ ـ الردع : العنق ، والزعفران ، أو لطخ منه ، وأثر الطيب في الجسد . القاموس .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٢٧ مع فوارق حيث جاء «فذهب الزبير إلى آل عمر فاشترى منهم نصيبهم» .

فسئل هل أمَّ النبي ﷺ من المسلمين غير أبي بكر ؟ فقال : نعم . «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فلما كان السحر ضرب عنق راحلتي فظننت أن له حاجة فعدلت معه فانطلقنا حتى برزنا عن الناس فنزل عن راحلته ثم انطلق فتغيب عني حتى ما أراه فمكث طويلاً ثم جاء فقال : هل معك ماء ؟ قلت : نعم . فقمت إلى قربة أو قال سطيحة[1] معلقة في آخر الرحل ، فأتيته بها ، فصببت عليه فغسل يديه فأحسن غسلهما ـ قال : أشك ، قال : دلكهما بتراب ، أم لا ـ ثم غسل وجهه ثم ذهب يحسر عن يده ، وعليه جبة ضيقة الكم ، فأخرج يده من تحتها فغسل وجهه ويديه ، ثم مسح بناصيته ، ومسح على العمامة ، ومسح على الخفين ، ثم ركبنا فأدركنا الناس وقد أقيمت الصلاة فتقدمهم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم ركعة وهم في الثانية ، فذهبت أئذنه برسول الله ﷺ فنهاني رسول الله ﷺ فصلينا الركعة التي أدركنا وقضينا التي سبقنا بها» .

وقال الواقدي : كان المغيرة يحمل وضوء رسول الله ﷺ ، وحدث بنحو هذا الحديث قال : وقال النبي ﷺ حين صلى خلف عبد الرحمن وذلك في غزاة تبوك : «ما مات نبي قط حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته» .

حدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن سعيد بن المسيب عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر أن النبي ﷺ : «عمم عبد الرحمن بن عوف بيده بعمامة سوداء ، وأرخى بين كتفيه» .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس ، أن النبي ﷺ : «رخص لعبد الرحمن بن

---

١ ـ السطيحة : المزادة . القاموس .

عوف في قميص من حرير في سفر لحكّة كان يجدها بجلده» .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا اسحاق بن يوسف الأزرق ، أنبأ ابو جناب الكلبي عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : «شكا عبد الرحمن بن عوف إلى رسول الله ﷺ كثرة القمل واستأذنه في لبس قميص حرير ، فأذن له ، فلما توفي رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وقام عمر أتى بي أبي وعلي قميص من حرير ، فلما رآه عمر قال : ما هذا ؟ وشقه من جيبه إلى أسفله ، فقال عبد الرحمن : أما علمت أن النبي ﷺ أذن لي في لبس الحرير ، أو قال أحل لي لبس الحرير ، فقال إنما أحله لك لأنك شكوت إليه القمل ، فأما لغيرك فلا» .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان ، ثنا همام بن يحيى ، ثنا قتادة عن أنس قال : «شكا عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام إلى رسول الله ﷺ في غزاة لهما القمل فرخص لهما في قمص الحرير» .

وحدثني عبد الرحمن الجعفي مُشكدانة وأبو بكر الأعين قالا : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، ثنا مسعر عن سعد بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان عبد الرحمن بن عوف يلبس البُرُد والحلة تساوي خمسمائة وأربعمائة .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا يزيد بن هارون عن زكريا بن أبي زائدة عن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : كان عبد الرحمن إذا أتى مكة كره أن ينزل منزله الذي نزله في الجاهلية حتى يخرج منها ، قال محمد بن سعد : لأنه هاجر من منزله .

وحدثني محمد بن سعد وأبو أيوب سليمان الرقي قالا : ثنا ابن جعفر

الرقي عن أبي المليح عن حبيب بن أبي مرزوق قال : قدمَتْ عير لعبد الرحمن بن عوف فكان لأهل المدينة رجَّة فقالت عائشة : ما هذا ؟ قيل : عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت ، فقالت : أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كأني بعبد الرحمن على الصراط يميل مرة ، ويستقيم أخرى حتى يُفْلت ولم يكد» . فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال : هي وما عليها صدقة . قال : وما كان عليها أفضل منها ، وهي يومئذٍ خمسمائة راحلة[١] .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو العقدي مولى بني قيس بن ثعلبة ، ثنا عبدالله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور بن مخرمة أن عبد الرحمن بن عوف باع أرضاً من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار ، فقسمها في فقراء بني زهرة ، وفي ذوي الحاجة من الناس ، وفي أمهات المؤمنين . قال المسور : فأتيت عائشة بنصيبها من ذلك فقالت : من أرسل بهذا ؟ قلت : عبد الرحمن . فقالت : قال رسول الله ﷺ : «لا يحنو عليكن بعدي إلّا الصابرون» ، سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة .

وقال الواقدي ، ثنا عبدالله بن جعفر الزهري عن يعقوب بن عتبة قال : كان عبد الرحمن بن عوف رجلًا طوالًا ، حسن الوجه ، رقيق البشرة ، به جنأ[٢] أبيض مشرباً حمرة ، لا يغير لحيته ورأسه .

حدثني محمد بن سعد عن عبد العزيز بن عبدالله عن عبدالله جعفر عن أم بكر بنت المسور عن أبيها قالت : لما ولي عبد الرحمن بن عوف الشورى ، كان أحب الناس إلى أن يلي عليٌّ ، فإن فاته فسعد بن أبي

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .
٢ ـ جنأ : أشرف كاهله على صدره . القاموس .

وقاص ، فلحقني عمرو بن العاص فقال : ما ظنُّ خالك بالله إن ولي هذا الأمر أحداً يعلم أنه خير منه ؟ فقال لي : ما أحب . فذكرت ذلك لعبد الرحمن فقال لي : من قال لك ؟ قلت : لا أخبرك . قال : إذاً لا أكلمك أبداً ، فقلت : عمرو بن العاص ، فقال عبد الرحمن : والله لأن تؤخذ مدية فتوضع في حلقي ثم تنفذ إلى الجانب الآخر أَحَبُّ إليّ من ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ أبو المعالي الجزري عن ميمون بن مهران عن ابن عمر أن عبد الرحمن بن عوف قال لأصحاب الشورى : هل لكم أن أختارلكم وأتفصّى[1] منها ؟ فقال عليّ : نعم أنا أول من يرضىٰ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أنت أمين في أهل السماء وأمين في أهل الأرض»[2] .

وقال الواقدي : هاجر عبد الرحمن بن عوف إلى الحبشة في المرتين جميعاً ، ثم قدم مكة فهاجر منها إلى المدينة مع رسول الله ﷺ وهاجر معه عامر بن أبي وقاص ، أخو سعد إلى الحبشة في المرة الثانية ، وأقام حتى قدم مع جعفر بن أبي طالب ، ومات عامر بالشام في أيام عمر بن الخطاب ، وكان يكنى أبا عمرو .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة في اسناده عن نيار الأسلمي قال : كان عبد الرحمن بن عوف ممن كان يفتي على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر .

وقال الواقدي في روايته : لما استُخلف عمر بن الخطاب في سنة ثلاث

---

١ ـ فصى الشيء من الشيء يفصيه : فصله ، وأفصى : تخلص من خير أو شر . القاموس .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٤ .

عشرة بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمن بن عوف ، وحج بالناس أيضاً مع عمر آخر حجة حجها عمر سنة ثلاث وعشرين ، وأُذِنَ عمر في تلك السنة لأزواج النبي ﷺ في الحج ، فحملن في الهوادج ، ووكل بهنّ عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، فكان عثمان يسير على راحلته أمامهن فلا يدنو منهن أحد ، وكان عبد الرحمن يسير على راحلته من ورائهن ، فلا يدع أحداً يدنو منهنّ أيضاً ، وكنّ ينزلن مع عمر في كل منزل ، وكان عثمان وعبد الرحمن ينزلاهنّ في الشعاب وينزلان هما في أول كل شعب فلا يتركان أحداً يمر عليهن . ولما استخلف عثمان سنة أربع وعشرين بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمن فحج بالناس[1]..

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أمه أم كلثوم قالت : غُشيَ على عبد الرحمن غشية ظنوا أن نفسه فيها فخرجتُ أستعين بما أُمرت أن أستعين به من الصبر والصلاة .

قالوا : ومات عبد الرحمن بن عوف في سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وكان مولده بعد الفيل بعشر سنين ودفن بالبقيع .

حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ثنا وكيع ثنا شعبة بن الحجاج عن سعد بن ابراهيم عن أبيه قال : رأيت سعد بن أبي وقاص عند قائمة سرير عبد الرحمن بن عوف وهو يقول : واجبلاه .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا معن بن عيسى ، ثنا ابراهيم بن مهاجر بن مسمار عن سعد بن ابراهيم عن أبيه ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال :

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٤ .

رأيت سعد بن أبي وقاص بين عمودي سرير عبد الرحمن .

وحدثني محمد بن سعد ، أنبأ معن بن عيسى عن ابراهيم عن أبيه سعد بن ابراهيم عن جده ابراهيم بن عبد الرحمن أنه سمع علي بن أبي طالب يوم مات عبد الرحمن بن عوف يقول : اذهب يا بن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت رنقها(١) .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مخرمة بن بكير أنه سمع أبا الأسود محمد بن عبد الرحمن من بني أسد بن عبد العزى يتيم عروة بن الزبير يقول : أوصى عبد الرحمن بن عوف في السبيل بخمسين ألف دينار .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن محمد بن أبي حرملة قال : ترك عبد الرحمن بن عوف ألف بعير ، وثلاثة آلاف شاة بالبقيع ومائة فرس ، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضح ، فكان يدخل قوت أهله من ذلك لسنته(٢) .

حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء ومحمد بن سعد قالا: ثنا عارم بن الفضل ، ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين أن عبد الرحمن بن عوف توفي ، فكان فيما تركه ذهب قُطعَ بالفؤوس حتى مَجَلَتْ(٣) أيدي الرجال منه وترك أربع نسوة فخرجت كل امرأة من ثُمْنِها بثمانين ألفاً .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أسامة بن زيد الليثي عن صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : أصاب تماضر بنت الأصبغ

١ ـ أي سبقت كدرها . القاموس .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

٣ ـ المجل : أن يكون بين الجلد واللحم ماء ، أو المجلة قشرة رقيقة يجتمع فيها ماء من أثر العمل . القاموس .

الكلبي ربع الثُمُنْ فأخرجت بمائة ألف وهي إحدىٰ أربع نسوة .

وقال الواقدي : كان رسول الله ﷺ كتب إلى عبد الرحمن حين وجهه إلى دَوْمة الجندل ليدعو أهلها إلى الإسلام ، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي ، وكان نصرانياً ، فسأله عبد الرحمن أن يتزوج بابنته تماضر ، فتزوجها وبنىٰ بها ، ثم قدم بها معه إلى المدينة .

وحدثني محمد بن سعد عن أبي نعيم الفضل بن دكين حدثنا كامل أبو العلاء قال : سمعت أبا صالح قال : مات عبد الرحمن بن عوف وترك ثلاث نسوة وبنات فأصاب كل واحدة مما ترك ثمانون ألفاً[1] .

وقال الواقدي : كان اسم عبد الرحمن في الجاهلية عبد عمرو ، وكان صديقاً لأمية بن خلف الجمحي ، فكان أمية يقول حين أسلم عبد الرحمن : أنا لا أعرف عبد الرحمن ، فكان يدعوه عبد الإله .

وقال أبو اليقظان : كان عبد الرحمن بن عوف من العشرة الذين سُمّوا للجنة وكان به برش وكان اسمه في الجاهلية عبد الحارث فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن وأذن له رسول الله ﷺ في لبس الحرير ، وأعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً وأوصىٰ بسهم من ستة عشر من ماله لأبي بكرة مولى النبي ﷺ ، وأصاب كل امرأةٍ لِه من ميراثه ثمانون ألفاً . وقتل أبوه في الجاهلية بالغميصاء قتله بنو جذيمة .

ومن بني الحارث بن زهرة بن كلاب :

الأزهر بن عبد عوف :

عم عبد الرحمن بن عوف ، وقد أدرك الإسلام إلى زمن عمر فوجهه

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

عمر مع نفر لإقامة أنصاب الحرم ، وكان ذا سن ومعرفة بها وبقي إلى فتنة ابن الزبير وكان المطلب وطليب ابنا أزهر بن عبد عوف في قول بعضهم من مهاجرة الحبشة في المرتين .

وقال الواقدي : هاجر المطلب في المرة الثانية ، وولد له بالحبشة عبدالله بن المطلب .

وقال الكلبي : هاجرا جميعاً في المرة الثانية ، وماتا بالحبشة ، وكانت مع المطلب امرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة السهمي ، وكان جابر بن الأسود بن عبد عوف عامل ابن الزبير على المدينة ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطاً إذ لم يبايع لابن الزبير وتجنى عليه في امرأة تزوجها .

ومنهم :

الأسود بن عبد عوف أخو عبد الرحمن :

أسلم في الفتح وله صحبة ، ووجده عمر بن الخطاب في مكة شارباً فجلده الحد .

وقال غير الواقدي : أمر عبيدالله بن أبي مليكة بن عبدالله بن جُدعان فجلده الحدّ ، وكان الأسود مع عائشة يوم الجمل ، فقتله جندب بن زهير الأزدي ، وتزوج الأسود أم رافع بنت عامر بن كريز أخت عبدالله بن عامر ، وابنه عبدالله بن الأسود بن عوف ، رضي أهل البصرة بامرته حين نخسوا بعبيدالله بن زياد ، فقال دعوني أنظر فيما دعوتموني إليه ليلتي فأصبح ميتاً ، وله عقب بالبصرة .

وقتل محمد بن الأسود يوم الزاوية مع ابن الأشعث ، وعياش بن الأسود قتل مع ابن الأشعث أيضاً .

ومنهم : حمنن بن عوف أخو عبد الرحمن ، أسلم يوم الفتح ، وكانت له صحبة ، وأوصىٰ إلى الزبير بن العوام ، وله ولد بالبصرة ، منهم : أبو المعتمر الزهري ، ومات حمنن بالمدينة في داره .

ومنهم : عبدالله بن عوف أخو عبد الرحمن ، وكان من سروات قريش ، أسلم في الفتح وله دار بالمدينة وبها مات .

وابنه طلحة بن عبدالله بن عوف بن عبد عوف ، وعبد الرحمن عمه ، وتكنى طلحة أبا عبدالله ، وكان سخياً جواداً مطعاماً للطعام ، وكان يلي سقايات المدينة ، ومات بالمدينة سنة سبع وتسعين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنه وقد حدث عنه ، وفيه يقول الدكين :

من مبلغ طلحة عني قبلي   هدية مني كما تهدي لي
يا طلح يا خير فتى مسول   انك عين الماجد البذول

وقال فيه أيضاً :

يا طلحة الكامل وابن الكامل   أنت غياث خائف وسائل

وقال ابن الكلبي : كان يقال له طلحة الندى لجوده ، وفيه يقول حُريث بن عُناب الطائي .

إلى طلحة الفياض أعملتُ نَصَّها[1]   تخبّ برحلي تارة ثم ترقل
إلى ماجد الجدين رحب فناؤه   له في قديم الدهر مجد مؤثل

١ ـ أي استخرج أقصى ما عند ناقته من السير . القاموس .

إذا ما أتاه سائل عن جناية يكون شفيعيه هشام ونوفل[1]
حليفين ليسا يبر حانك ما بقي سنام وما أرسى حراء ويذبل[2]
فلا الجود يخليه ولا البخل حاضر سجيس الليالي أو يؤوب المنخل[3]

وكان لعبد الرحمن بن عوف من الولد

سالم الأكبر مات في الجاهلية ، وأمه أم كلثوم بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

وأم القاسم ولدت في الجاهلية ، وأمها بنت شيبة بن ربيعة .

ومحمد وبه كان يكنى ، وابراهيم ، وحُميد ، واسماعيل ، وحميدة ، وَأَمَةُ الرحمن ، أمهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط .

ومعن ، وعمر ، وزيد ، وَأَمَةُ الرحمن الصغرى ، وأمهم سهلة بنت عاصم من بلي .

وعروة الأكبر قتل بإفريقية ، وأمه بحرية بنت هانىء بن قبيصة الشيباني .

وسالم الأصغر ، قُتل يوم فتح إفريقية ، وأمه سهلة بنت سهيل بن عَمْرُو ، أحد بني عامر بن لؤي .

وأبو بكر ، وأمه أم حكيم بنت قارظ ، حليف بني زهرة .

---

١ ـ بهامش الأصل : هشام الجود ونوفل البحر .

٢ ـ سنام : جبل بالحجاز بين ماوان والربذة . ويذبل : جبل مشهور بنجد . معجم البلدان .

٣ ـ المنخل بن مسعود اليشكري : شاعر جاهلي ، قتله النعمان بن المنذر، ضربت به العرب المثل في الغائب الذي لا يرجى إيابه ، يقولون : لا أفعله حتى يؤوب المنخل . الأعلام للزركلي .

وعبد الله الأكبر ، قتل بإفريقية يوم فتحت ، وأمه أنصارية من الأوس .

وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، واسمه عبد الله الأصغر ، وأمه تماضر بنت الأصبغ الكلبي ، وهي أول كلبية نكحها قرشي .

وعبد الرحمن بن عبد الرحمن ، وأُمه أسماء بنت سلامة بن مخرّبة من بني تميم .

ومصعب بن عبد الرحمن . وآمنة . ومريم وأمهم أم حُريث من بهراء ، سبية .

وسهيل بن عبد الرحمن وهو أبو الأبيض وأمه مجد حميرية ، ويقال الأبيض .

وعثمان وأمه غزال من آل بيت كسرى من سبي سعد بن أبي وقاص يوم المدائن .

وعروة الأصغر درج ، ويحيى ، وبلال ، وسعد لأمهات أولاد درجوا .

وأم يحيى وأمها زينب بنت الصباح من سبي بهراء .

وجويرية أمها بادية بنت غيلان الثقفي .

فأما محمد بن عبد الرحمن بن عوف ، فولد : عبد الواحد ، وكان يضرب به المثل في الغيرة وله عقب بالمدينة .

وأما ابراهيم بن عبد الرحمن وأمه أم كلثوم بنت عقبة ، فكان سيداً وكان قصيراً ، وتزوج سكينة بنت الحسين فلم يرض بذلك بنو هاشم فخلعت منه ، ويقال إن بعض بني مروان خطبها فلم تتزوجه ، فلما أراد أن

يتزوجها إبراهيم منع من ذلك ، وتوفي ابراهيم في سنة ست وتسعين ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وكان يكنى أبا اسحاق ، وقال الكلبي : كان ابراهيم فقيهاً .

فولد ابراهيم : سعد بن ابراهيم ، وأمه ابنة سعد بن أبي وقاص ، وولي قضاء المدينة ليوسف بن عمر . هذا قول الكلبي ، وقال غيره : ولاه قضاء المدينة ابراهيم بن محمد بن هشام بن اسماعيل في أيام هشام بن عبد الملك ، وكان سعد يقول : أنا ابن ثلث الشورى : عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، وهجاه موسى شهوات فقال :

يَتَّقي الناس فَحْشُهُ وأذاه مثل ما يتّقُون بول الحمار
لا يَغُرَّنْكَ سَجْدَةٌ بين عينيـ ـه حذاري منها ومنه حذار

وقال أبو اليقظان : دخل عليه رجل ، وكان سمجاً ، ورأى أنه يجب عليه عقوبة لأمر تحققه عنه ، فضربه فقال : فيم ضربتني ؟ قال : في السماجة يا شيخ . فقال الشاعر :

جلَد الحاكم سعدٌ ابن سَلْمٍ في السَّمَاجَة
فقضى الله لسعدٍ من أمير كل حاجه

وقد روى شعبة عن سعد بن ابراهيم ، وروى غيره . وكان سعد يكنى أبا اسحاق بكنية أَبيه أيضاً ، ومات بالمدينة سنة سبع وعشرين ومائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . وكان صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ممن كتب الحديث عنه . وروى عنه : الزهري ، وعمرو بن دينار ، ومات بالمدينة في ولاية ابراهيم بن هشام في أيام هشام بن عبد الملك ، وكان ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن يكنى أبا إسحاق وكان محدثاً وهو

صاحب المغازي ، ومات ببغداد سنة ثلاث وثمانين ومائة وهو ابن أربع وسبعين ، وكان على بيت المال للرشيد هارون أمير المؤمنين .

وأما حميد بن عبد الرحمن بن عوف

فكان فقيهاً ، وأمه أم كلثوم بنت عقبة وخاله عثمان بن عفان ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن ، ومات بالمدينة سنة خمس ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وكان ذا مال ، ومن ولده عبد الرحمن ، وكان من سروات قريش ومات في أول خلافة أبي جعفر .

وأما زيد بن عبد الرحمن فلا عقب له .

وأما أبو سلمة بن عبد الرحمن ، واسمه عبد الله فكان فقيهاً ، وولي شرط سعيد بن العاص بالمدينة .

وقال الهيثم بن عدي : مات سنة أربع وتسعين .

وقال الواقدي : مات سنة أربع ومائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

وقد روى ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة ، وكان لأبي سلمة بن عبد الرحمن ابن يقال له عمر بن أبي سلمة ، قتله عبد الله بن علي بالشام مع من قتل من بني أمية ، فطالبه به ، ويقال بل قتله وابن اخته .

وحدثني بكر بن الهيثم وابراهيم بن عرعرة قالا : ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : أدركت من قريش أربعة بحور : ابن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة .

أما مصعب بن عبد الرحمن بن عوف فَوُلِّيَ شرط المدينة لمروان بن الحكم ، وكان يكنى أبا زرارة ، وفيه يقول ابن قيس الرقيات وكان شديداً

على من وجده إذا طاف ليلاً ، ولم يكن يدع أحداً يخرج من المدينة حتى يصبح .

حـال دون الهـوى ودو ن سُرَى الـليـل مصعـب
وسـياط عـلـى أكُـ ـفٌ رجـال تقلـب[1]

وقال عبد الملك بن مروان لرجل من أهل الشام : أي فارس لقيته أشد ؟ فقال : مصعب بن عبد الرحمن بن عوف . وقتل مع ابن الزبير .

وقال محمد بن سعد : مات في حصار ابن الزبير الأول بمكة سنة أربع وستين[2] .

وأما عمر بن عبد الرحمن فله عقب بالبصرة .

وقال أبو اليقظان : كان لعبد الرحمن بن عوف ابن يقال له المسور قتل يوم الحَرَّة .

وأما سهيل بن عبد الرحمن فله عقب بالمدينة ، ومن ولده عُتَير بن سهيل وكان صاحب شراب . وفيه يقول السري بن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة الأنصاري :

إذا أنت نادمت العتير وذا الندى جبيراً ونازعت الزجاجة خالدا
أمنت بإذن بالله أن تقرع العصا وأن يوقظوا من نومة السكر راقدا

وفي سهيل يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

١ ـ ديوان عبد الله بن قيس الرقيات ص ١٧٧ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٦٠ .

هي شآمية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمـاني[1]

وكان سهيل تزوج الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر .

ومن بني الحارث بن زهرة : عبد الجان بن شهاب

ابن عبد الله بن الحارث بن زهرة ، سماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، وأقام مع جعفر بن أبي طالب ، وقدم معه ، وتوفي في أيام عثمان .

ومن بني الحارث بن زهرة أيضاً :

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الفقيه الزهري ويكنى أبا بكر .

قالوا : وكان الزهري سخياً لا يليق شيئاً ، فاحتاج في بعض أيامه حاجة شديدة حتى لزم بيته ، فجمع مولى له دراهم وأتاه بها وأشار عليه أن يشخص إلى الشام ويصرفها في نفقته ففعل ، وأصاب مالاً عظيماً من الخليفة وولده ، فلما قدم المدينة جعل يقسم ذلك المال في أقربائه وإخوته وجيرانه فقال له مولاه : يا أبا بكر إذكر ما كنت فيه ، وإنه لم يكن أحد يلتفت إليك ، وقد جربت حال العدم ، فقال : يا هذا ، أمسك عني فإني لم أر كريماً تحكه التجارب في ماله ، ونحن بالله وله .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن معمر عن الزهري أنه قال : ذكر الزهد عند الزهري فقال : ليس الزهد تقشف الجلد ، ولا شعث الشعر ، ولكنه غلبة الهوى ، وظلف النفس عن الشهوات .

وقال ابن المبارك : حدثني يونس بن يزيد عن الزهري أنه قال :

---

١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ـ ط . بيروت ١٩٨٣ ص ٥٠٣ .

لا يدرك أحد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء في الحق ، والكذب والمزاح .

ومات الزهري في مالٍ له لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق .

وحدثني محمد بن سعد عن عبد العزيز الأويسي عن ابراهيم بن سعد عن أبيه قال : ما أرى أحداً بعد أصحاب رسول الله ﷺ جمع من العلم ما جمع ابن شهاب الزهري .

وحدثني محمد بن سعد عن وهب عن حماد بن أيوب قال : ما رأيت أحداً أعلم بسنّة ماضِيَةٍ من الزهري .

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق بن همام عن معمر عن الزهري قال : كنا نكره أن يكتب عنا العلم ، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين .

حدثنا ابراهيم بن محمد بن عرعرة عن عبد الرزاق عن معمر قال : كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا سفيان بن عينية قال : قال لي أبو بكر الهذلي ـ وكان قد جالس الحسن ، وابن سيرين ، فذكر بعض حديث الزهري ـ فقال : لم أر مثل هذا قط ـ يعني الزهري ـ .

حدثني يحيى بن معين ، ثنا عبد الرزاق ، انبأ معمر قال : قيل للزهري زعموا أنك لا تحدث عن الموالي ؟ فقال : إني لأحدث عنهم ، ولكني إذا وجدت أبناء المهاجرين والأنصار فما أصنع بغيرهم ؟

المدائني قال : قيل للزهري ما العصبية التي يأثم صاحبها ؟ فقال : أن يرى الرجل أن شرار قومه خير من خيار قوم آخرين .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي ذؤيب قال : سمعت الزهري يقول قال رسول الله ﷺ : «اطلبوا الخير من الحسان الوجوه [1]» . وقال الزهري : والله ما عنى الجمال ، ولكن من إذا سئل المعروف تهلل وجهه .

حدثني محمد بن سعد قال : حدثت عن مالك بن أنس ان قال : ما أدركت بالمدينة فقيهاً محدثاً غير واحد ، فقيل : من هو؟ قال : ابن شهاب الزهري .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثني عبدالرزاق قال : سمعت عبيدالله بن عمر قال : لما نشأت وأردت طلب العلم جعلت آتي الأشياخ فأسأل عن حديث سالم ، فكلما أتيت رجلاً منهم قال عليك بالزهري فانه كان يلزمه ، قال : وكان ابن شهاب بالشام ، فلزمت نافعاً فجعل الله في ذلك خيراً كثيراً .

وحدثني أبو زكريا يحيى بن معين ، ثنا عبدالرزاق ، حدثني معمر عن صالح بن كيسان قال: كنت أنا والزهري نطلب العلم فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ، ثم قال : نكتب ما جاء عن الصحابة فكتب ولم أكتب فأنجح وضيّعت .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن الضحاك بن عثمان عن أبي الزناد قال : اجتمعت والزهري عند هشام بن عبدالملك فقال هشام :

١ ـ انظر في كنز العمال ـ الحديث ١٦٧٩٣ ، ١٦٧٩٥ .

يا زهري . أي شهر كان شهر الزكاة ؟ فقال الزهري : حدثني السائب بن يزيد أن عثمان خطب فقال : هذا شهر زكاتكم ، ولا أدري أي شهر ، فقال لي هشام : يا بن ذكوان ما عندك ؟ فقلت يا أمير المؤمنين أوبهذا إخفاء ؟ إن عمر وعثمان كانا يجعلان شهر الزكاة المحرّم وما أحد يخالف في هذا ، فقال هشام : استفد يا زهري ، فقال الزهري : مجلس أمير المؤمنين المجلس الذي يستفاد فيه العلم .

قال أبو الزناد : وكان الزهري حين جلس لا يشك في أنه يسأل عن شيء إلّا وجد عنده منه علم ، فسئل عن أيسر الأشياء فلم يعلمه .

المدائني عن ابن جعدبة أن رجلاً استشار الزهري في بعض الأمر فقال : إن عبدالله بن جعفر كان يقول : من الخرق اثنتان : الدالة على السلطان ، والوثبة قبل الإمكان .

وقال المدائني عن الوقاصي : قارف الزهري ذنباً فجزع وكاد يهيم على وجهه ، فقال له علي بن الحسين : لقنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أشدُّ عليك من ذنبك الذي أتيته ، فقال الزهري : الله أعلم حيث يجعل رسالاته .

وكان أخو الزهري وهو عبد الله بن مسلم يكنى أبا محمد ، وهو أَسَنُّ من الزهري .

وكان محمد بن عبد الله بن مسلم يروي عن عمه الزهري ، وكان يكنى أبا عبد الله ، قتله غلمانه بأمر ابنه ، وكان ابنه سفيهاً شاطراً فأراد أن يحوي الميراث متعجلاً له ، ووثب الغلمان أيضاً عليه فقتلوه ، وذلك في خلافة أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين ، وقتل ابنه بعده بسنتين أو أكثر .

نسب بني تيم بن مرة بن كعب

ولد تيم بن مرة : سعد بن تيم والأحب ، درج .

وقال غير الكلبي أنهم خرجوا من بني تيم وانتسبوا في بني عامر بن لؤي ، وأمهما الطويلة بنت مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، فولد سعد : كعب بن سعد ، وأمه نُعْم بنت وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر ، وحارثة ، والأحب ، وأمهما بنت عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر[1] .

فمن بني كعب بن سعد

أبو بكر بن أبي قحافة[2] ، **واسمه عبد الله** ولقبه عتيق ، لقب بذلك لرقة حسنه . واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عبد الله بن وهب المصري ، أنبأ أبو اسحاق يحيى بن طلحة قال : قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : دخل

---

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث ، ولله الحمد .

٢ ـ بهامش الأصل : أبو بكر الصديق ، رحمت الله عليه ، وعلى جميع الصحابة .

أبو بكر على النبي ﷺ فقال : يا أبا بكر ، «أنت عتيق الله من النار» ، فسمي يومئذ عتيقاً .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبد الرزاق بن همام عن معمر عن ابن سيرين قال : اسم أبي بكر عتيق بن عثمان .

حدثني اسحاق الفروي ، أبو موسى ، ثنا المعافى بن عمران عن المغيرة بن زياد عن ابن أبي مليكة قال : اسم أبي بكر عبد الله بن عثمان ولقبه عتيق .

وقال بعض الرواة : اسم أبي بكر عبد الله ، وإنما لقب عتيقاً لكرم أمهاته ، وكرمه .

وقال أبو المنذر بن هشام ابن الكلبي : سمي عتيقاً لرقة حسنه وجماله ، وهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وأمه أم الخير، واسمها سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، فصخر عم أبي قحافة عثمان ، وسلمى ابنة عمه .

حدثنا الوليد بن صالح ومحمد بن سعد قالا : انبأ محمد بن عمر الواقدي ، حدثني موسى بن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن إبراهيم بن عبد الله بن أبي ربيعة عن أمه أسماء بنت أبي بكر قالت : أسلم أبي أول المسلمين ولا والله ما عقلت أبي إلا مسلماً يدين بالدين[1] .

وحدثني عباس بن هشام بن محمد السائب الكلبي عن أبيه عن جده عن أبي صالح وغيره قالوا : كان سبب إسلام أبي بكر رضي الله تعالى عنه ،

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٢ .

أنه كان صديقاً لرسول الله ﷺ يكثر غشيانه في منزله ومحادثته ، ويعرف أخباره ، فلما دُعي رسول الله ﷺ إلى النبوّة أتى معه ورقة بن نوفل ، وسمع قوله فيه ، فكان متوقعاً لما اختصه الله به من كرامته ، وقد كان شارك حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي في بضاعة ، وأراد السفر معه ، فإنه ذات يوم لمع حكيم إذ أتى حكيماً آتٍ فقال له : إن عمتك خديجة بنت خويلد تزعم أن زوجها نبي مثل موسى ، وقد هجرت الآلهة ، فأنْسَلّ أبو بكر انسلالاً حتى أتى رسول الله ﷺ فسأله عن خبره فقصّ عليه قصَّتَهُ فقال : صدقت بأبي أنت وأمي وأهل للصدق أنت : أنا أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنك رسول الله ، ثم أتى حكيماً فقال له : يا أبا خالد ، ردّ علي مالي فقد وجدت عند محمد بن عبد الله أربح من تجارتك ، فأخذ ماله ، ولازم رسول الله ﷺ .

قال هشام بن محمد : فيقال إن النبي ﷺ سماه يومئذ الصديق ، ويقال بل سماه الصديق حين أُسْرِيَ برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس ، فجعل يخبره بما رأى وهو يقول : صدقت ، صدقت يا رسول الله .

وحدثني وهب بن بقية الواسطي ، ثنا يزيد بن هارون ، انبأ أبو معشر عن أبي وهب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لجبريل ليلة أُسري به : «إن قومي لا يصدقوني ، فقال جبريل : يصدقك أبو بكر وهو الصديق» .

حدثني الحسين بن الأسود العجلي ، حدثني يحيى بن آدم ، ثنا عبد الله بن المبارك عن يونس بن يزيد الأيلي عن القاسم بن محمد بن أبي بكر أن

رسول الله ﷺ قال : «ما عرضت الإسلام على أحد إلّا كانت له عنده كبوة أو تردد ، غير أبي بكر ، فإنه لم يتلعثم» .

حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، ثنا الحسين بن محمد ثنا جرير بن أبي حازم عن مجاهد عن الشعبي قال : قال أبو بكر لعلي رضي الله تعالى عنهما : أكرهتَ إمارتي ؟ قال : لا ، قال أبو بكر : إني كنت في هذا الأمر قبلك .

حدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : كان أبو بكر عند أهل مكة من خيارهم ويستعينون به فيما نابهم وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها أحد .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الحميد بن عمران بن أبي أنس عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي سفينة قال : كان أبو بكر يحدث أن رسول الله ﷺ عرض عليه الإسلام فما زاد على أن قال : «أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وأني رسول الله ، قال فقلت : قد أجبتك إلى ما دعوت إليه ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله» ، قال : فما أمسى من ذلك اليوم حتى أسلم نفر من المسلمين دعاهم أبو بكر إلى الإسلام ، وقال قومٌ : أول من أسلم ِمن الرجال أبو بكر ، وقال قومٌ زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ .

أبو الحسن علي بن محمد المدائني عن عيسى بن يزيد عن شرحبيل بن سعد قال : قال أبو بكر بينا أنا في منزلي بمكة وأنا أريد الطائف ، وحكيم بن حزام إذ دخل علي الحارث بن صخر فتحدث ودخل حكيم بن حزام فقال له الحارث : يا أبا خالد زعم نساؤنا أن عمتك خديجة تزعم أن زوجها رسول

الله ، فأنكرِ ذلك حكيم ، ودعوت لهما بطعام من سفرة أمرت باتخاذها لسفرنا ، فأكلا وانصرف الحارث فقلت لحكيم : والله ما رأيت في وجهك انكار ما قال لك في عمتك ، فقال حكيم : والله لقد أنكرنا حالها وحال زوجها ، ولقد أخبرتني صاحبتي أنها تسب الأوثان ، وما ترى زوجها يقرب الأوثان ، قال أبو بكر : فلما أبردتْ خرجتُ أريد النبي ﷺ ، فابتدأت فذكرت موضعه من قومه وما نشأ عليه ، وقلت : هذا أمر عظيم لا يقارّك قومك عليه ، قال : «يا أبا بكر ألا أذكر شيئاً إن رضيتَه قلتُه وإن كرهتَه كتمتُه» ؟ قلت : هذا أدنى مالك عندي ، فقرأ علي قرآناً ، وحدثني ببداء أمره ، فقلت : أشهد أنك صادق ، وأن ما دعوت إليه حق ، وأن هذا كلام الله . وسمعتني خديجة فخرجت وعليها خمار أحمر فقالت : الحمد لله الذي هداك يا بن أبي قحافة . فما رمت مكاني حتى أمسيت ، فخرجت فإذا مجلس من بني أسد بن عبد العزى فيهم : الأسود بن المطلب ، وأبو البختري ، فقالوا : من أين أقبلت ؟ قلت : من عند ختنكم وابن عمكم محمد بن عبد الله ، ذكرت لي عنده سلعة يبيعها بنسيئة ، فجئت إليه لأسومه بها ، فإذا سلعة ما رأيت مثلها ، قالوا : إنك لتاجر بصير ، وماكنا نعلم محمداً يبيع السلع بنسيئة ، وأتاني حكيم يقود بعيره فقال : اركب بنا ، فقلت : قد بدا لي أن أقيم ، إني وقعت بعدك على بضاعة بنسيئة ما عالجت قط أَبْيَنَ ربحاً منها ، قال : وعند من هي فما أعلمها اليوم بمكة ؟ قلت : بلى ، وأنت دللتني عليها فإن سميتها لك فالله لي عليك أن تكتمها ولا تذكرها لأحد ؟ قال : نعم لك الله علي ألا أذكرها لأحد ، قلت : فإنها عند ختنك محمد بن عبد الله ، قال : وما هي ؟ قلت : لا إله إلا الله ، فوجم ساعة . فقلت : مالك

يا أبا خالد ، أتتهمني على عقلي وديني ؟. قال : لا ، وما أُحبُّ لك ما فعلت .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام عن شعيب بن حرب ، ثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال عمر : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا ، يعني بلالاً .

المدائني عن أبي جزي عن الجريري عن أبي نضرة أن على بن أبي طالب قعد عن بيعة أبي بكر ، فقال له أبو بكر : ما منعك من بيعتي وأنا كنت في هذا الأمر قبلك ؟.

وقال حسان بن ثابت :

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقةٍ فاذكر أُخاك أبا بكر بما فَعَلا
القائم الثانيُ المحمود مشهده وأوَّلُ الناس منهم صدَّق الرسلا
خير البرية أنقاها وأعدلها إلا النبي وأوفاها بما حَمَلا
بَـرّاً حميداً لأمـر الله مُتَّبعاً يَهْدِي بصاحبه الماضي وما انتقلا

قال : وقال الزهري ، انشد حسان النبي ﷺ :

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدوّ به إذ صَعَّدُوا الجبلا
وكان حِبُّ رسول الله قد علموا من البرية لَمْ يَعْدِل به بَدَلا[1]

فقال رسول الله ﷺ : «صدق» .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ، حدثني يحيى بن آدم عن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الزعراء عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر» .

١ ـ ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ١٢٥ مع فوارق .

وحدثني عبدالله بن صالح المقرىء ، حدثني ابراهيم بن سعد الزهري عن سفيان الثوري عن عبد الملك بن عمير عن هلال مولىٰ ربعي بن حراش عن ربعي عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» . وقد كتبنا قول رسول الله ﷺ في أبي بكر وأمره إياه بالصلاة ، وخبر بيعته فيما تقدم من كتابنا .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يحيى بن المغيرة عن عكرمة بن خالد المخزومي عن ابن عمر أنه سئل : من كان يفتي على عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال : أبو بكر وعمر ، وما أعلم غيرهما .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، ثنا أسامة بن زيد بن أسلم عن مسلم بن سمعان عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : كان : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، يفتون على عهد رسول الله ﷺ .

وقال الواقدي في إسناده : كان أبو بكر أبيض نحيفاً خفيف العارضين أجنأ لا يستمسك إزاره في حقويه معروق الوجه غائر العينين ناتىء الجبهة عاري الأشاجع .

وقال غير الواقدي : كان أبو بكر حسن الجسم معصوب اللحم مشرباً صفرة ، جعداً ، يضرب شعره شحمة أذنيه ، مسنون الوجه أكحل العينين سائل اللحية واضح الثنايا . حمش الساقين ، هيناً ليناً متواضعاً كريماً ، تَعْرِفُ فيه الخير حين تراه ، وكان يمر في الطريق فيتعلق الصبيان بثوبه يقولون : يا أبانا يا أبانا ، وهذه رواية عوانة بن الحكم الكلبي .

ويقال : كان أبيض تعلوه صفره ، حسن القامة ، نحيفاً أجنأ ، يسترخي إزاره عن عاتقه وحقويه ، أقنى معروق الوجه ، يخضب بالحنّاء والكتم .

ولما استخلف أبو بكر ارتدت العرب ومنعوا الصدقة باليمامة ، فقال : والله لو منعوني عقالاً لقاتلتهم ، فلم يزل بهم حتى أدوا الصدقة ، وقتل مسيلمة الكذاب باليمامة ، والأسود العنسي باليمن ، وفتح فتوحاً بالشام ، وقد ذكرنا ذلك في كتاب البلدان .

حدثني شجاع بن مخلد الفلاس ، ثنا بشر بن المفضل عن عبد العزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الواحد بن أبي عون ، عن القاسم بن محمد ، عن عمته عائشة أم المؤمنين ، رضي الله تعالى عنها ، قالت : توفي رسول الله ﷺ ، فنزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، اشرأب النفاق بالمدينة ، وارتدت العرب . فوالله ما اختلفوا في واحدة إلّا طار أبي بحظها وغنائها عن الإسلام .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا شعيب بن حرب ، ثنا مالك بن مغول ، عن الشعبي ، قال : أقبل أبو بكر وعمر فنظر إليهما النبي ﷺ فقال : «هذان سيّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلّا النبيين والصديقين»[1] .

حدثني أحمد بن هشام ، ثنا شعيب بن حرب ، ثنا سفيان الثوري ، عن جامع بن أبي راشد ، وعن منذر الثوري ، عن محمد بن الحنفية ، قال : قلت لأبي : يا أبه ، من خير هذه الأمة بعد نبيها ؟ فقال : أبو بكر ثم عمر ، فما منعني أن أسأله عن الثالث إلّا أن يجيبني بعثمان . قلت : فما أنت يا أبه ؟ قال : رجل من المسلمين .

حدثني أحمد بن هشام ، ثنا شعيب بن حرب ، أنبأ سفيان الثوري ،

١ - بهامش الأصل : صوابه «والمرسلين» .

عن خالد بن علقمة ، عن عبد خير ، عن علي ، قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ، ثم إن أقواماً طلبوا هذه الدنيا .

حدثني محمد بن سعد ، وروح بن عبد المؤمن قالا : ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا قرة بن خالد ، ثنا محمد بن سيرين ، عن عقبة بن أوس ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، قال : سميتموه الصديق وأصبتم ، يعني أبا بكر[١] .

حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحسن بن عبيدالله ، حدثنا إبراهيم النخعي ، قال : كان أبو بكر يسمى الأوّاه ، لرأفته ورحمته .

حدثني محمد بن سعد ، أنبأنا سعيد بن محمد الثقفي ، عن كثير النّواء ، عن أبي سريحة ، قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول على المنبر : ألا إن أبا بكر أوّاه منيب القلب ، إلا أن عمر ناصح الله فنصحه[٢] .

حدثنا عفان ، ثنا شعبه ، أنبأنا عمرو بن مرة ، عن إبراهيم ، قال : أول من صلى مع النبي ﷺ ، أبو بكر .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، ثنا وهيب بن عمرو ، عن هارون المقرىء، عن أبان بن تغلب، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : «إن الرجل من أهل عليين ليشرف على أهل الجنة ، فتضيء الجنة لوجهه كأنه كوكب دري ، وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعما» .

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٠ .
٢ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧١ .

حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، أنبأ مغيرة ، عن عامر الشعبي ، قال : قال رجل لبلال : من سبق ؟ قال محمد ، قال : فمن صلى ؟ قال : أبو بكر . قال الرجل : إنما أعني من الخيل . قال بلال : وأنا أعني في الخير .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا شبابة ، أنبأنا شعبة ، عن نعيم بن أبي هند ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : «صلّى رسول الله خلف أبي بكر في مرضه قاعداً» .

حدثني أبو نصر التمار ، ثنا شريك ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن عامر ، عن ابن أبي جحيفة :

أن علي بن أبي طالب فال : ألا أخبركم بخير الناس بعد نبيكم ؟ أبو بكر ، ألا أخبركم بخير الناس بعد أبي بكر ، عمر .

حدثنا أبو بكر ، عبدالله بن أبي شيبة ، حدثنا أبو أسامة ، أنبأنا هشام بن عروة ، عن أبيه : أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر : «قد أُمرت بالخروج - يعني للهجرة - فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ، قال : لك الصحبة» ، فخرجا حتى أتيا ثوراً فاختبآ فيه ، فكان عبدالله بن أبي بكر يأتيهما بخبر مكة بالليل ، ثم يصبح بين أظهرهم كأنه بات بها. وكان عامر بن فهيرة يرعى غنماً لأبي بكر ويريحها عليهما فيشربان من اللبن ، وكانت أسماء تصنع لهما طعاماً فتبعث به إليهما ، فجعلت الطعام في سفرة ، ولم تجد شيئاً تربطها به ، فقطعت نطاقها وربطتها به ، فسميت ذات النطاقين ، وكان لأبي بكر بعير ، واشترى رسول الله ﷺ بعيراً ، فركب النبي بعيره ، وركب أبو بكر بعيره ، وركب ابن فهيرة بعيراً . فكانوا يتنقلون على هذه الأباعر

الثلاثة ، فاستقبلتهم هدية من الشام من طلحة بن عبيدالله إلى أبي بكر ، فيها ثياب بيض من ثياب الشام ، فلبساها ودخلا المدينة في ثياب بيض[1] .

حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ، ثنا أسامة بن زيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عبدالله بن أبي بكر كان يختلف بالطعام إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما في الغار .

حدثنا عفان بن مسلم ، أبـو عثمان . ثنا همام بن يحيى ، أنبأ ثابت البناني ، عن أنس بن مالك : أن أبا بكر حدثه قال : قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار : «لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا . فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما» ؟

حدثني بكر بن الهيثم ، وأبو بكر الأعين قالا : ثنا شبابة بن سوار الفزاري ، عن أبي العطوف الجزري ، عن الزهري ، قال : قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت : «هل قلت في أبي بكر شيئاً» ؟ قال : نعم . فأنشده :

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعدوا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

قال : فضحك رسول الله ﷺ ، ثم قال : «صدقت يا حسان وهو كما قلت» .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا أبو معاوية الضرير ، ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عمر بن الخطاب ، قال : كان رسول الله ﷺ يسمر عند أبي بكر الليلة ، وكذاك في الأمر من أمور المسلمين وأنا معه .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : كان أبو بكر معروفاً بالتجارة ، لقد بُعث النبي ﷺ ، وعنده أربعون ألف درهم ، فكان يعتق منها ويقوي المسلمين ، حتى قدم المدينة بخمسة آلاف ، ثم فعل فيها مثلما كان يفعل بمكة[1] .

حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة ، عن صالح بن محمد ، عن زائدة ، عن أبي عبد الله الدوسي ، عن أبي أروى الدوسي ، قال : أول من أسلم من الرجال ، أبو بكر[2] .

حدثنا أحمد بن هشام بن بهرام، ثنا شعيب بن حرب ، ثنا شعبة، حدثنا الحر بن صباح ، قال : سمعت عبد الرحمن بن الأخنس ، قال : سمعت المغيرة بن شعبة يخطب ، فنال علياً ، فقال له سعيد بن زيد بن عمرو : أشهد على رسول الله ﷺ ، لسمعته يقول : «النبي في الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، ولو شئت أن أسمي العاشر لفعلت ، فلم يزالوا به حتى ذكر نفسه» .

وقال الواقدي : لما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، نزل أبو بكر على خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجي ، وتزوج ابنته حبيبة ، فولدت له أم كلثوم بعد وفاته . ويقال بل نزل على خُبيب بن أساف ، ولم

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٢ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧١ .

يزل في بني الحارث بن الخزرج ، حتى توفي رسول الله ﷺ[١] .

وحدثني محمد بن سعد ، ثنا محمد بن عبيد ، حدثني وائل بن داود ، عن رجل من أهل البصرة قال : آخى رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ، فرآهما يوماً مقبلين فقال : «إن هذين سيدا أهل الجنة من الأولين والآخرين ، كهولهم وشبانهم ، إلاّ النبيين والمرسلين»[٢] .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : ما عقلت أبوي ، إلاّ وهما يدينان هذا الدين ، وما مر علينا يوم قط إلاّ ورسول الله ﷺ يأتينا فيه بكرة وعشية[٣] .

حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : لما أقطع رسول الله ﷺ الدور بالمدينة ، جعل لأبي بكر موضع داره عند المسجد ، وهي التي صارت لآل مَعْمَر[٤] .

حدثنا هشام بن عمّار الدمشقي ، ثنا صدقة بن خالد القرشي ، ثنا زيد بن واقد ، عن بشر بن عبيد الله ، عن عائذ الله أبي إدريس الخولاني ، عن أبي الدرداء ، قال : «كنت جالساً عند النبي ﷺ ، إذ أقبل أبو بكر ، آخذاً بطرف ثوبه حتى بدا عن ركبتيه ، فسلم وقال : إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ، ثم ندمت ، فسألته أن يغفرها لي فأبى علي وتحرم مني بداره ، فأقبلت إليك يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : يغفر

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٤ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٤ .
٣ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٢ .
٤ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٥ .

الله لك يا أبا بكر ، يغفر الله لك يا أبا بكر ، يغفر الله لك يا أبا بكر ، ثلاثاً ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر فقال : أثم أبو بكر ؟ فقالوا : ليس هاهنا . فأتى النبي ﷺ ، فسلم ، قال : فجعل وجه رسول الله ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا ، أو قال فجثا على ركبتيه ، فقال : يا رسول الله ، أنا والله كنت أظلم ، أنا والله كنت أظلم ، مرتين . فقال رسول الله : أيها الناس ، إن الله بعثني إليكم ، فقلتم كذب ، وقال أبو بكر : صدق ، ثم آساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» . مرتين . قال : فما أوذي بعدها .

وحدثنا هشام بن عمّار ثنا سعد بن سعيد ، عن أخيه ، عن جده قال : حدثني علي بن أبي طالب ، قال : ما حدثني محدث حديثا لم أسمعه من رسول الله ﷺ ، إلا أمرته أن يقسم بالله أنه سمعه منه ، إلّا أبو بكر فإنه لا يكذب ، فحدثني أبو بكر أنه سمع النبي ﷺ يقول : «ما ذكر عبد ذنباً أذنبه فقام حين يذكره فتوضأ فأحسن وضوءه ، ثم تقدم فصلى ركعتين ، ثم استغفر الله لذنبه ، إلّا غفر له» .

حدثني أبو عمر الدوري ، حدثنا عباد بن عباد أبو معاوية ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «أرحم أُمتي بعد نبيها أبو بكر ، وأَقْوَلها بالحق بعد نبيها عمر ، وأَشدها حياء بعد نبيها عثمان ، وأعلم هذه الأمة بعد نبيها بالقضاء والسنة علي ، وأعلمها بالقرآن بعد نبيها أُبي بن كعب، وأَعلمها بالحلال والحرام بعد نبيها معاذ بن جبل ، وأعلم الأمة بعد نبيها بما يقول ، أبو الدرداء ، وإن أَصدق من تظله الخضراء وتقله الغبراء بعد نبيها لهجة أبو ذر ، وأعلم هذه الأمة بالفرائض

بعد نبيها زيد بن ثابت ، وإن أمين هذه الأمة بعد نبيها أبو عبيدة بن الجراح» .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن حمزة بن عبد الواحد ، عن عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : بعث رسول الله أبا بكر إلى نجد ، وأمّره علينا ، فأغار على ناس من هوازن ، فقتلت بيدي منهم ، وكان شعارنا : أمت ! أمت ![١] .

حدثني محمد بن سعد ، حدثنا الفضل بن دكين ، أبو نعيم ، حدثنا مسعر بن كدام ، عن أبي عون ، عن أبي صالح قال : قيل لأبي بكر وعلي يوم بدر ، مع أحدكما جبريل ، ومع الآخر ميكائيل أو إسرافيل ، مَلَك عظيم يشهد القتال ، أو قال يشهد الصف[٢] .

حدثني محمد بن سعد ، وعمرو الناقد ، قالا : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله[٣] بن مرة ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله[٤] ، قال : قال النبي ﷺ : «إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ، غير أن الله قد اتخذ صاحبكم خليلا ـ يعني نفسه ـ ولو كنت متخذا خليلاً ، لا تخذت أبا بكر خليلاً»[٥] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٥ وعنده «وقتلت بيدي سبعة أهل أبيات» .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٥ .
٣ ـ في طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٦ : «عمرو بن مرة بن عبد الله المرادي (تـ ١١٦ هـ) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٨ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .
٤ ـ أي الصحابي عبد الله بن مسعود .
٥ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٦ .

حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ ، قال : «لو كنت متخذاً خليلاً من أُمتي ، لاتخذت أبا بكر» .

حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن أَنس ، عن النبي ﷺ ، قال : «أَرحم أُمتي بأُمتي أبو بكر» .

حدثني عمرو الناقد ، ثنا عفان بن مسلم ، ثنا حماد بن سلمة ، عن الجُزيري ، عن عبد الله بن شقيق ، عن عمرو بن العاص ، قال : قلت يا رسول الله ، أي الناس أَحب إليك ؟ قال : «عائشة . قلت : إنما أعني من الرجال . قال : أَبوها» .

حدثنا أَبو الربيع ، سليمان بن داود الزهراني ، ثنا حماد بن زيد ، عن هشام ، عن محمد بن سيرين ، قال : أعبر هذه الأمة بعد نبيها ، أَبو بكر ، قال : يعني الرؤيا .

حدثني محمد بن سعد ، وعمرو بن محمد الناقد ، وأحمد بن ابراهيم الدورقي ، قالوا : حدثنا وكيع بن الجراح ، عن أبي بكر الهذلي ، عن الحسن قال : قال علي بن أَبي طالب : لما قبض رسول الله ﷺ : نظرنا في أَمرنا ، فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أَبا بكر في الصلاة ، فرضينا لدنيانا ، ما رضيه رسول الله ﷺ لديننا ، فقدمنا أبا بكر[1] .

حدثنا علي بن عبدالله المديني ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٣ .

سفيان(١) ، عن القاسم بن كثير ، عن قيس الخارفي من همدان ، قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : سبق رسول الله ﷺ ، وصلّى أبو بكر ، وثلّث عمر .

وقال الواقدي : شهد أبو بكر بدراً ، وأُحداً ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، ودفع إليه رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك ، وكانت سوداء ، وأطعمه بخيبر مائة وسق ، وكان فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحد ، حين ولىَّ الناس .

وحدثني روح بن عبد المؤمن ، عن علي بن نصر الجهضمي ، عن الربيع بن صبيح ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لو كنت متخذاً من أُمتي خليلاً ، لاتخذت أبا بكر ، ولكنه أخي وصاحبي في الغار» .

حدثني محمد بن سعد ، حدثنا خالد بن مَخْلَد ، حدثنا عبدالله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : استعمل النبي ﷺ أبا بكر على الحج في أول حجة كانت في الإسلام ، ثم حج رسول الله ﷺ السنة المقبلة ، فلما قبض النبي ﷺ ، واستُخلف أبو بكر ، استعمل على الحج عمر بن الخطاب ، ثم حج أبو بكر من قابل ، فلما قبض أبو بكر ، واستخلف عمر ، استعملَ على الحج عبد الرحمن بن عوف ، ثم لم يزل عمر يحج سنيه كلها حتى قبض ، فاستُخلف عثمان ، فاستعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج(٢) .

---

١ ـ بهامش الأصل : شقيق .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٧ .

حدثني محمد بن سعد ، حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن مبشر [السعدي عن][1]ابن شهاب ، قال : «رأى النبي ﷺ رؤيا ، فقصها على أبي بكر ، قال : رأيت كأني استبقت أنا وأنت في درجة ، فسبقتك بمرقاتين ونصف . قال : خير يا رسول الله ، يبقيك الله حتى ترى ما يسرك ويقر عينك . قال : فأعاد ذلك عليه ، وأعاد أبو بكر عليه القول ، ثم قال : يقبضك الله إلى رحمته ، وأعيش بعدك سنتين ونصفاً» .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا حماد بن زيد ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين ، قال : لم يكن أحد بعد النبي ﷺ أهيب لما لا يعلم من أبي بكر ، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر ، وأنه كانت إذا نزلت بأبي بكر قضية ، فلم يجد لها في كتاب الله أصلاً ولا في السنة أثراً ، قال : أجتهد رأيي ، فإن كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأً فمني ، وأستغفر الله .

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، حدثنا نافع ، عن أبي مليكة ، قال : قيل لأبي بكر : أنت خليفة الله ، فقال : أنا خليفة محمد ، وأنا بذلك راض .

حدثني شيبان بن فروخ الآجري ، حدثنا عثمان بن مِقْسَم ، عن الحسن قال : قال النبي ﷺ «اللهم إن أبا بكر كان صاحبي في الغار ، فاجعله صاحبي في الجنة» .

حدثنا محمد بن سعد ، أنبأنا عبدالله الحميدي المكي ، ثنا سفيان بن

---

١ ـ أضيف ما بين الحاصرتين من طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٧ .

عيينة ، عن الوليد بن كثير ، عن [ابن صياد][1] عن سعيد بن المسيب قال : لما قبض رسول الله ﷺ ارتجت مكة ، فقال أبو قحافة : ما هذا ؟! قالوا : قبض رسول الله ﷺ ، قال ؛ فمن ولي الناس بعده . قالوا : ابنك . قال : أرضي بذلك بنو عبد شمس وبنو المغيرة ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه لا مانع لما أعطى ، ولا مُعطي لما منع . ثم ارتجت مكة حين مات أبو بكر رجة هي دون الأولى . فقال أبو قحافة : ما هذا ؟ قالوا : مات ابنك . فقال : هذا خبر جليل .

حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، أنبأنا هشام الدستوائي ، أنبأنا عطاء بن السائب ، قال : لما استُخلف أبو بكر ، أصبح غادياً ، إلى السوق ، وعلى رقبته أثواب يتجر بها ، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، فقالا له : أين تريد يا خليفة رسول الله ؟ فقال : السوق . فقالا : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟! قال : فمن أين أُطعم عيالي ؟ قالا : انطلق حتى نفرض لك شيئاً ، فانطلق معهما ففرضوا له في كل يوم شطر شاة وما كسوه في الرأس والبطن . فقال عمر : إليَّ القضاء ، وقال أبو عبيدة : إليّ الفيء . قال عمر : فلقد كان يأتي عليَّ الشهر ما يختصم إليَّ فيه اثنان[2] .

حدثني علي بن شَوْر المقرىء ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا ابن عون ، عن عمير بن إسحاق : إن رجلاً رأى على عنق أبي بكر عباءة .

---

١ ـ أضيف ما بين الحاصرتين من طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٤ .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٤ .

فقال : ما هذه ؟ أنا أكفيك حملها . فقال : لتدعني ، لا تغرني أنت وابن الخطاب من عيالي .

حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، أنبأنا حميد بن هلال قال : لما وليَّ أبو بكر ، قال أصحاب رسول الله ﷺ : افرضوا لخليفة رسول الله ما يغنيه ، قالوا : نعم ، برداه إذا أخلقا ، وضعهما وأخذ مثلهما ، وظهره إذا سافر ، ونفقته على أهله ، كما كان ينفق قبل أن يُستخلف . قال أبو بكر : رضيت .

حدثنا عبدالله بن صالح المقرىء ، ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال : إن أبا بكر راح حين استُخلف إلى السوق ، وقدحمل أثواباً له ، وقال : لا تغروني من عيالي .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عمرو بن ميمون ، عن أبيه ، قال : لما استُخلف أبو بكر ، جُعل له ألف وخمسمائة ، فقال : زيدوني فإن لي عيالاً ، وقد شغلتموني عن التجارة ، فزادوه خمسمائة .

حدثني الوليد بن صالح ، عن أبي بكر بن أبي سبرة ، عن صالح عن عيسى بن طلحة ، قال : قيل لابن عباس : أخبرنا عن أبي بكر ، فقال : كان والله خيراً كله على حِدّة كانت فيه وشدة غضب . قيل فعمر ؟ قال : كان كأنه طائر قد نصبت له أحبولة ، فهو يعطي كل يوم بما فيه ، على عنف من السياق . قيل فعثمان ؟ قال : كان هيناً ليناً ، صوّاماً وقوّاماً ، يخدعه نومه على يقظته . قيل فصاحبكم ؟ قال : كان مزكوناً[1] حلماً وعلماً ، وغره

١ ـ زكنه : علمه وفهمه وتفرسه . القاموس .

من أمره اثنتان ، سابقته ودالته . قيل : أكان محدوداً ؟ قال : أَنتم تقولون ذلك .

حدثنا أحمد بن هشام بن بهرام ، حدثنا شعيب بن حرب ، حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أَبيه ، عن عمر بن الخطاب ، قال : اطلعت إلى أبي بكر وهو آخذ بلسانه ينضنضه[1] ، فقلت : سبحان الله ! فقال : إن هذا أوردني الموارد .

قال عبدالله بن صالح العجلي : يروىٰ عن أبي بكر أنه قال : لساني سبع في فيَّ ، إن أرسلته أَتى علي . وأنه قال : بحسب المرء شراً أَنْ يرىٰ أن له فضلاً على مَنْ دونه .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن أَبي بكر بن عبدالله بن أَبي سبرة ، وغيره ، قالوا : بويع أبو بكر يوم الاثنين ، لاثنتيْ عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة ، وكان منزله بالسُّنْح[2] عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أَبي زهير ، من بني الحارث بن الخزرج . وكان قد حجّر عليه حجرة من شعر ، فمازال على ذلك حتى تحول إلى منزله بالمدينة ، فأقام بالسنح بعد أَن بويع ستة أَشهر يغدو على رجليه إلى المدينة ، وربما ركب فرساً له ، وعليه أَزار ورداء ممشّق ـ والمشق : المغرة ـ فيوافي المدينة فيصلي الصلوات بالناس ، فإذا صلى العشاء رجع إلى أَهله بالسنح . وكان يصلي بالناس إذا حضر ، وإذا لم يحضر صلى بهم عمر بن

١ ـ أي يحركه .
٢ ـ كانت السنح في محال المدينة في طرفها ، تبعد عن المسجد النبوي مقدار ميل واحد . المغانم المطابة .

الخطاب. وكان يقيم يوم الجمعة صدر نهاره بالسنح ، فيصبغ رأسه ولحيته، ثم يروح فيجتمع بالناس ، وكان رجلاً تاجراً ، يغدو في كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع ، وكانت له قطعة من غنم تروح عليه ، وربما خرج هو بنفسه فيها ، وربما رُعيت له ، وكان يحلب للحي أغنامهم ، فلما استُخلف ، قالت جارية من الحي : الآن لا يحلب لنا منائح[1] دارنا . فقال : بلى ، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه ، فمكث كذلك بالسنح ستة أشهر ثم نزل إلى المدينة فأقام بها .

ونظر في أمره فقال : والله ما يصلح أمر الناس بالتجارة ، وما يصلحهم إلا التفرغ لهم ، والنظر في أمورهم ، وما بد لعيالي مما يصلحهم ، فترك التجارة ، واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوماً يوماً ، وما يحج به ويعتمر ، وكان الذي فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم ، فلما حضرته الوفاة قال : ردوا ما عندنا من مال المسلمين ، فإني لا أُخلف في منزلي من مالهم شيئاً . وأرضي التي بمكان كذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم . فدفع ذلك إلى عمر ، ولقوح ، وعبد صيقل ، وقطيفة كانت تساوي خمسة دراهم . فقال عمر : رحم الله أبا بكر ، لقد أُتعب من بعده[2] .

وقال الواقدي : خطب أبو بكر ، فقال في خطبته : إياكم والمحقرات ، فإن الصغير يدعو إلى الكبير .

قالوا : واستعمل أبو بكر على الحج سنة إحدىٰ عشرة عمر بن

١ - المنائح - جمع منيحة - والمنيحة هي الشاة أو الناقة التي فيها لبن .
٢ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٦ - ١٨٧ .

الخطاب ، ثم اعتمر أبو بكر في سنة اثنتي عشرة ، فدخل مكة ضحوة ، فأتى منزله وأبو قحافة جالس على باب داره ، ومعه فتيان أحداث يحدثهم ، إلى أن قيل : هذا ابنك ، فنهض قائماً ، وعجّل أبو بكر إليه قبل أن ينيخ راحلته ، فنزل عنها وهي قائمة ، وجعل يقول يا أبه لا تقم ، فلاقاه فالتزمه ، وقبّل أبو بكر رضي الله عنه بين عيني أبي قحافة ، وجعل الشيخ يبكي فرحاً بقدومه ، وجاءه والي مكة عَتّاب بن أسِيد بن أبي العيص ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام ، فسلموا عليه بالخلافة : سلام عليك يا خليفة رسول الله ، وصافحوه جميعاً ، فجعل أبو بكر رضي الله تعالى عنه يبكي إذا ذكر رسول الله ﷺ ، ثم سلموا على أبي قحافة . فقال أبو قحافة : يا عتيق أحسن صحبة هؤلاء الملأ ، فقال أبو بكر : لقد قُلِّدت أمراً عظيماً لا يد لي به ، ولا قوة إلّا بالله ، ثم دخل فاغتسل وخرج ، فاتبعه أصحابه فنحاهم وقال : امشوا على رسلكم . ولقيه الناس يبهشون[1] إليه ، ويعزونه عن نبي الله ﷺ ، وهو يبكي حتى انتهى إلى البيت ، فاضطبع بثوبه ـ أو قال بردائه ـ حتى استلم الركن ، ثم طاف سبعاً ، وركع ركعتين ، ثم انصرف إلى منزله . فلما كان الظهر ، خرج فطاف أيضاً بالبيت ، ثم جلس قريباً من دار الندوة ، فقال : هل من أحد يشكو ظلامة أو يطلب حقاً ؟ فما أتاه أحد ، وأثنى الناس على واليهم خيراً ، ثم صلى العصر وجلس ، فودعه الناس ، ثم خرج راجعاً إلى

١ ـ أي يسرعون إليه .

المدينة . فلما كان وقت الحج سنة اثنتي عشرة ، حج أبو بكر بالناس ، وأفرد الحج ، وكان خليفته على المدينة عثمان بن عفان[١] .

حدثني عبد الواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد أن أبا بكر أُتي بتمر وزبد فأكل ، فقيل له : إنه من تمر الصدقة . فقال : يا فلان ، أَما سمعت النبي ﷺ يقول : «إن الصدقة لا تحل لغني ، ولا لذي مِرَّة سوي»[٢] . فقام أبو بكر فاستقاء .

حدثني الوليد بن صالح ، عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة ، وغيره ، قالوا : أَخذ يعلى بن مُنْية رجلاً باليمن قد سرق فقطع يده ، فقدم إلى أبي بكر فشكا إليه ظلمه إيّاه ، وأقام ببابه يصلي نهاره وليله ويصوم ، فقال أبو بكر : أَمثل هذا يقطع بظنة ، وهم بابن مُنْية ، ثم إن الرجل اليماني دخل إلى منزل أبي بكر فسرق منه متاعاً ، فكان إذا سمع إنساناً يذكر ذلك أظهر التعجب ، وقال : اللهم من سرق أهل هذا البيت الصالحين فاستدركه وانتقم منه ، ثم أن بعض المتاع وجد ، فاستدل على بائعه ، فلما عرف دل على اليماني فأُخذ فقطع أيضاً .

وقال الرفاعي : حدثني عمي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قطع أبو بكر سارقاً في مجن قيمته خمسة دراهم .

حدثنا بسام الجمال ، عن حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن أبا بكر وعتاب بن أسيد ماتا في يوم واحد ، فكان يقال : إنهما سُمّا .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٧ .
٢ ـ كنز العمال ـ الحديث : ١٦٥٠١ ـ ١٦٥٤٦ .

حدثني عمرو بن محمد ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «من أنفق زوجاً من ماله في سبيل الله ، فكل خزنة الجنة يدعوه : يا مسلم تعال»[١] . فقال أبو بكر : إن هذا لعبد لا توى[٢] عليه يدع بابا ويلج في آخر ، فضرب النبي ﷺ منكبه وقال : «يا أبا بكر ، إني لأرجو أن تكون منهم» .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : دخلت مع أبي على أبي بكر ، وكان رجلاً ضعيف اللحم أبيض .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن شعيب بن طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله تعالى عنهما : انها نظرت إلى رجل مارٍّ وهي في هودجها ، فقالت : ما رأيت رجلاً أشبه بأبي بكر من هذا . فقلنا : صفي أبا بكر ، فقالت : كان رجلاً أبيض نحيفاً ، خفيف الوجه غائر العينين ، ناتىء الجبهة ، عاري الأشاجع[٣] ، هذه صفته .

حدثنا محمد بن سعد ، ووهب بن بقية ، قالا : ثنا يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة : أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه ، كان يخضب بالحناء والكتم[٤] .

حدثنا عبدالله بن صالح ، عن إسرائيل ، عن معاوية بن إسحاق ،

١ ـ كنز العمال ـ الحديث : ١٦٢٩١ .
٢ ـ أي لابأس عليه ، أو لا ضياع ولا خسارة .
٣ ـ الأشاجع : أصول الأصابع .
٤ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٨ .

عن القاسم بن محمد ، قال : كان أبو بكر يغير شيبه .

حدثني عبدالله بن صالح ، ثنا أبو معاوية الضرير ، عن الأعمش ، عن ثابت ، عن أبي جعفر الأنصاري ، قال : رأيت رأس أبي بكر ولحيته كأنهما جمر الغضا(١) .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا محمد بن عبدالله الأنصاري ، ثنا حميد الطويل ، قال : سئل أنس بن مالك : أَخضب رسول الله ﷺ ؟ فقال : لم يشنه الشيب ، ولكن خضب أبو بكر بالحناء ، وخضب عمر بالحناء .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا يزيد بن هارون ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، قال : خضب أبو بكر بالحناء والكتم(٢) .

حدثنا خلف بن هشام ، ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف ، حدثنا ابن جريج ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن نافع بن جبير بن مُطعم ، قال : قال رسول الله ﷺ : «غيروا ولا تشبهوا باليهود»(٣) . فصبغ أبو بكر بالحناء والكتم وصفّر عثمان ، وصلع عمر فاشتد صلعه .

قال ابن جريج ، قال عطاء الخراساني : إن النبي ﷺ قال : «أَجمل ما تُجمّلون به الحناء والكتم»(٤) .

حدثنا عمرو الناقد ، ثنا عبدالله بن نمير ، عن عبيدالله بن عمر ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة : إن أبا بكر حين حضرته الوفاة قال : إني لا أعلم عند أبي بكر من هذا المال شيئاً ، غير هذه اللقحة ،

١ ـ الغضا : من نبات الرمل واحدته غضاة . القاموس .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٩ .
٣ ـ كنز العمال ـ الحديث ١٧٣١٧ .
٤ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٩١ .

وهذا الغلام الصيقل ، كان يعمل سيوف المسلمين ويخدمنا ، فإذا مت فادفعيه إلى عمر ، فلما دفعته إلى عمر ، قال : رحم الله أبا بكر ، لقد أتعب من بعده .

المدائني ، عن عبد الأعلى [بن] أبي المساور ، عن عطية العوفي ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن في الجنة طيراً أمثال البُخْت ، يرعين في الجنة حيث شئن ، فقال أبو بكر : إن تلك لنا غمة ، قال : أجل ، وأنت لمن يأكل منها يا أبا بكر»[1] .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ومحمد بن حاتم المروزي ، قالا : ثنا عبدالله بن نمير ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال : انظروا ما زاد في مالي مذ دخلت في الإمارة ، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي ، قالت عائشة : فلما مات ، نظرنا ، فإذا هو عبد نوبي كان يحمل صبيانه ، وإذا ناضح[2] كان يُسقى عليه بستان له ، قالت : فبعثنا بهما إلى عمر ، فبكى وقال : رحمة الله على أبي بكر ، لقد أَتعب من بعده .

حدثنا سعيد بن سليمان ، سعدويه ، ثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : أطفنا بغرفة أبي بكر في مرضته التي قبض فيها ، فقلنا : كيف أَصبح خليفة رسول الله ، قال : فاطلع إلينا ـ وكانت عائشة عنده ، وهي التي مرَّضته ـ فقال : أما أني قد كنت حريصاً على أن أوفر

١ ـ كنز العمال ـ الحديث: ٣٩٢٧٣ ـ ٣٩٢٧٤، والبخت الجمال ذات السنامين، طوال الأعناق .

٢ ـ الناضح : الدابة التي يستقى عليها الماء .

للمسلمين فَيئهم ، مع أني قد أُصبت من اللحم واللبن ، فانظروا إذا رجعتم عني ، فابلغوا ما كان عندنا لعمر ؛ قال : وما كان عنده دينار ولا درهم ، وما كان إلّا خادم ولقحة ومحلب ، فلما جيء بذلك إلى عمر ، قال : يرحم الله أبا بكر ، لقد أَتعب من بعده[1] .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال : انظروا ما زاد في مالي مذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي فإني قد كنت استعمله وكنت أصبت من الودك[2] نحواً مما كنت أصيب من التجارة .

قالت عائشة : فلما مات نظرنا فإذا ذلك عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح كان يسقي عليه فبعثنا بهما إلى عمر، قالت: فأخبرتني جاريتي أن عمر بكى، وقال: رحم الله أبا بكر فقد أتعب من بعده تعباً شديداً.

حدثنا سريج بن يونس ووهب بن بقية قالا: ثنا يزيد بن هارون، أنبأ ابن عون عن محمد بن سيرين قال: توفي أبو بكر وعليه ستة آلاف درهم، كان أخذها من بيت مال المسلمين، فلما حضرته الوفاة قال: إن عمر لم يدعني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم، وإن حائطي بمكان كذا منها[3]، فلما توفي ذكر ذلك لعمر فقال: رحم الله أبا بكر فقد أحب ألا يدع لأحد بعده مقالاً وأنا والي الأمر بعده، وقد رددتها عليكم.

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٩٢ - ١٩٣ .
٢ - الودك : الدسم .
٣ - كذا بالأصل، ولعل الأفضل «فيها».

حدثني هدبة بن خالد، ثنا المبارك بن فضالة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم قال: «أيكم أصبح صائماً ؟. قال أبو بكر أنا. قال: أيكم عاد مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا عدت عبد الرحمن بن عوف. قال: أيكم تصدق اليوم بصدقة ؟ قال أبو بكر: أنا دخلت المسجد وسائل يسأل وابن لعبد الله ـ أو قال لعبد الرحمن ـ معه كسر من خبز شعير فأخذتها فناولته إياها فقال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة»[1] .

المدائني عن أبي زكريا العجلاني عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: حج أبو بكر ومعه أبو سفيان بن حرب فكلم أبو سفيان فرفع صوته فقال أبو قحافة: اخفض صوتك يأبا بكر عن ابن حرب، فقال أبو بكر: ياأبا قحافة. إن الله بنى بالإسلام بيوتاً كانت غير مبنية، وهدم به بيوتاً كانت في الجاهلية مبنية، وبيت أبي سفيان مما هدم.

المدائني عن سعيد بن خالد مولى خزاعة عن موسى بن عقبة قال: دخلت فاطمة على أبي بكر حين بويع فقالت: ان أم أيمن، ورباح يشهدان لي أن رسول الله ﷺ أعطاني فدك فقال: والله ماخلق الله أحبُّ إلي من أبيك، لوددت أن القيامة قامتِ يوم مات، ولئن تفتقر عائشة أحب إليّ من أن تفتقري، أفتريني أعطي الأسود والأحمر حقوقهم وأظلمك وأنت ابنة رسول الله ﷺ، إن هذا المال إنما كان للمسلمين فحمل منه أبوك الراجل وينفقه في السبيل، فأنا أَلِيَهُ بما وَلِيَهُ أبوك، قالت: والله لا أكلمك قال: والله لا أهجرك. قالت والله لأدْعُوَنَّ الله عليك، قال: لأدْعُوَنَّ الله لك.

١ ـ بهامش الأصل: فابشر بالجنة.

حدثت عن محمد بن الفضيل عن أبي حازم قال: شهد عبد الرحمن بن عوف عند أبي بكر أن النبي ﷺ قال: «لانورث، ماتركنا صدقه»[١]

المدائني عن عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال: كان أبو عبيدة بسن أبي بكر، وكان أبو بكر حليماً ركيناً، له وقار وحلم ورأي سديد، وكان رسول الله ﷺ يشاوره ويقدمه في المشورة، وكانت قريش تعظم أبا بكر لما يرون من تقديم رسول الله ﷺ له، وكان صاحبه في الغار، ومعه في العريش يوم بدر وأرسلت الأسارى يوم بدر فبدأوا بأبي بكر يطلبون إليه.

حدثني هدبة بن خالد، ثنا المبارك بن فضالة عن أبي عمران الجوني عن ربيعة الأسلمي قال: اختلفنا وأبو بكر في عذق[٢]، فقال أبو بكر للأنصاري كلمة ندم عليها فطلب إلينا أن نقول له مثلها ليكون ذلك قصاصاً، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ يسْتَعْدُون عليه، فقلت: هو أبو بكر الصديق ورسول الله ﷺ يغتمّ لغمّه، فلما انتهوا إلى رسول الله ﷺ شكوه، فرفع رأسه إلي وقال: «ياربيعة، مالك والصديق»؟ قلت: قال كلمة ندم عليها، فقال لي: تردّ عليّ مثلها ليكون قصاصاً، فأبيتُ، فقال رسول الله ﷺ : «أَجَلْ، فلا ترد عليه، وقل غفر الله لك ياأبا بكر»، فولّى أبو بكر يبكي.

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة وغيره قالوا: كان بلال يحمل العنزة[٣] بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد والمشاهد فلما قبض الله نبيه ﷺ سأل بلال أبا بكر أن يشخص إلى الشام، وكره المقام بالمدينة بعد رسول الله ﷺ ، فأذن له فحمل العنزة بين يدي أبي بكر سعد القرظ، وكان

١ - كنز العمال - الحديث: ١٤٠٩٧ ، ١٤١٠١ .
٢ - العذق: النخلة بحملها، وقيل هو: القنو - العنقود - من النخل.
٣ - رمح قصير له سنان وزج، أشبه بطوله بالحربة.

مؤذنه، وحملها بين يدي عمر، وكان ولده يحملونها بين يدي الولاة بالمدينة[١].

حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، أنبأ سفيان الثوري عن السُدي عن عبد خير عن علي بن أبي طالب قال: رحم الله أبا بكر فهو أول من جمع مابين اللوحين.

حدثنا محمد بن سعد، ثنا خالد بن مخلد، حدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن نيار الأسلمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قسم أبي الفيء عام أول، فأعطى الحر عشرة، والمملوك عشرة، والمرأة عشرة، وأمتها عشرة، ثم قسم العام الثاني فأعطاهم عشرين عشرين.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا الأنصاري عن صالح بن رستم عن أبي عمران الجوني عن يسير - أو بشير - عن سلمان قال: أوصاني أبو بكر فقال: ياسلمان إنه ستكون فتوح فلا يكونن حظك منها ماجعلته في بطنك وألقيته على ظهرك، واعلم أنه من صلى الخمس فانه يصبح في ذمة الله، فلا يقتلنَّ أحداً من أهل ذمة الله فيطلبك الله بذمته، فيكبك الله على وجهك في النار.

حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام، ثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن خالد بن أبي عزة أن أبا بكر أوصى بخمس ماله، وقال أخذ من مالي ماأخذ الله من فيء المسلمين وهو الخمس.

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة والكلبي في قوله: ﴿فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى﴾[٢].

---

١ - طبقات ابن سعد ج٣ ص٢٣٦ - ٢٣٧.

٢ - سورة الليل - الآيتان: ٥ - ٦.

قالا: أعطى زكاة ماله واتقى ربه، نزلتْ في أبي بكر، قال قتادة: والحسنى نبوة رسول الله ﷺ، وقال الكلبي: شهادة الحق.

المدائني عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن ابن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله لا ينظر إلى رجل جر إزاره من الخيلاء»[1] فقال أبو بكر: يارسول الله إن إزاري ليسترخي حتى يمس الأرض، قال: «إنك لست تريد ذاك».

المدائني عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن أبيه عن الشعبي قال: كان عمر يكتب إلى عماله: من فضّلني على أبي بكر فاضربوه حدّ المفتري، أو قال أربعين سوطاً.

المدائني عن محمد بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير قال: مرّ أبو بكر برجل معه ثوب فقال له: أتبيعه؟ قال: لا رحمك الله، فقال: قد قوّمت ألسنتكم لو تستقيم.

حدثني العمري عن الهيثم عن اسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة قال: عرض أبو بكر خيلاً فقال رجل من الأنصار: احملني على هذا الفرس: فقال: لأن أحمل غلاماً قد ركب الخيل على عزلته[2] أحب إلي فقال الأنصاري: والله لأنا خيرٌ منك ومن أبيك فارساً، قال المغيرة: فما ملكت نفسي أن رثمت[3] أنفه فابتدر منخراه دماً، فتهددني الأنصار وقالوا: يقاد منه، فقال أبو بكر: لا أقيد ظالماً متعدياً.

---

١ ـ انظر كنز العمال ـ الحديث: ٧٧٦٠ ـ ٤١١٥٧ ـ ٤١١٧٩.

٢ ـ بهامش الأصل: عرفته.

٣ ـ رثم: كسر.

المدائني عن الحسن بن دينار عن الحسن قال: قال أبو بكر لعائشة: إني كنت نحلتك حائطي، وإن في نفسي من ذلك شيئاً فردّيه إلى الميراث، وانظري ثوبيَّ هذين فاغسليهما وكفنيني فيهما فإن الحيّ أحقّ بالجديد، إني وليت أمر المسلمين فأكلت من جريش طعامهم، ولبست من خشن ثيابهم، فليس لهم قبلي دينار ولا درهم، وليس لهم عندي إلا هذا الناضح، والعبد الحبشي، وهذه القطيفة فإذا متّ فابعثي بذلك إلى عمر.

حدثنا شيبان بن فروخ، ثنا القاسم بن الفضل الحُدّاني، ثنا أبو كباش الكندي، حدثني محمد بن الأشعث بن قيس قال: حدثتني عائشة أن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال لها: ياعائشة إنه ليس أحد من أهل بيتي أحب إلي غنىً منك، وقد كنت أقطعتك أرضاً لا إخالك رزأت منها شيئاً، وأنا رادها ميراثاً يقسم بين ولدي على كتاب الله، وإذا متّ فابعثي بهاتين اللقحتين وأحلاسهما وحالبهما، وهذه الجارية إلى عمر. فلما توفي بعثت بذلك فقبضه ورد الجارية وقال: رحم الله أبا بكر فقد أتعب من بعده.

حدثنا عفان وهُدبة قالا ثنا همام بن يحيى، أنبأ هشام بن عروة عن عروة عن عائشة قالت إن أبا بكر قال لي حين حضرته الوفاة: إنه ليس أحد من أهلي أحب إليّ غنىً، ولا أعز علي فقراً منك، وقد كنت نحلتك من أرضي بالعالية جَداد عشرين وسقاً ولو كنت جددته تمراً عاماً واحداً لحاز ذلك، وهو مال الوارث، وإنما هم أخواك واختاك، فقلت: إنما هي أسماء، فقال: قد ألقي في روعي أن ذا بطن ابنة خارجة جارية، فاستوصي بها خيراً، فولدت أم كلثوم.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال: كان المال الذي نحله أبو بكر

عائشة رضي الله تعالى عنها من أموال بني النضير وكان رسول الله ﷺ اعطاه ذلك المال فأصلحه وغرس فيه وديّاً[1].

حدثنا شبابة بن سوار، ثنا المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن أن عائشة رأت كأن أقماراًثلاثة سقطت في حجرها. قمراً بعد قمر فلما قبض رسول الله ﷺ قال لها أبو بكر: هذا أحد أقمارك، ثم دفن أبو بكر ثم عمر، وفي هذا الباب أحاديث قد ذكرتها مع وفاة النبي ﷺ .

حدثنا عفان، ثنا وهيب بن خالد، ثنا داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: لما توفي رسول الله ﷺ قامت خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول: يامعشر المهاجرين، رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان واحد منكم والآخر منا، قال: فلما تتابعت خطباء الأنصار على ذلك، قام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وكان إمامنا وإمام المسلمين، وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ ، فقام أبو بكر فقال: جزاكم الله من حيّ خيراً يامعشر الأنصار، وثبّت قائلكم، ثم قال: أما والله لو فعلتم غير ذلك ماصالحناكم عليه.

حدثنا علي بن عبد الله المديني، ثنا سفيان بن عينيّة، أنبأ الزهري عن عروة عن عائشة قالت: لما حضرتْ أبا بكر الوفاة جلس فتشهد ثم قال: أما بعد يابنيّة فإنك أحب الناس إليّ غنى، وأعز الناس علي فقراً، وإني كنت نحلتك جَداد عشرين وسقاً من مالي، فوددت والله أنك حزته وقبضته، وإنما

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٩٥ ، والودي: فسيل النخل وصغاره. القاموس.

هو أخواك، واختاك. قلت: هذان أخواي فمن أختاي؟ فقال: إني أظن ذا بطن بنت خارجة جارية.

حدثنا شيبان بن أبي شيبة الأبلي، ثنا عبد العزيز بن مسلم القسملي عن هشام بن عروة عن أبيه بنحوه.

حدثنا ابراهيم بن مسلم الخوارزمي، ثنا وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهيّ مولى الزبير عن عائشة قالت: لما احتضر أبو بكر قلت كلمة من قول حاتم:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتىٰ إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر[1]

فقال: يا بنية، هلا قلت: ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه تحيد﴾[2] وكذا كان يقرأها، انظروا هاتين فإذا مت فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت.

حدثني أبو بكر الأعين، ثنا روح بن عبادة، ثنا هشام بن حسان عن بكر بن عبدالله قال: بلغني أن أبا بكر لما مرض وثقل قعدت عائشة عند رأسه فقالت:

كل ذي إبل مُوَرِّثُها وكل ذي سلب مسلوب[3]

فقال: ليس كما قلت يا عائشة ولكن كما قال الله: ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه تحيد﴾.

حدثنا عفان، أنبأ حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن القاسم بن محمد

---

١ ـ ديوان حاتم الطائي ـ ط. دار صادر بيروت ص ٥١ وفيه: «أماوي ما يغني...».
٢ ـ سورة ق ـ الآية: ١٩، ونصها: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾.
٣ ـ ديوان عبيد بن الأبرص ـ ط. دار صادر بيروت ص ٢٦.

أن عائشة تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضي :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل[1]

فقال أبو بكر : ذاك رسول الله ﷺ .

حدثنا عبدالله بن صالح العجلي ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ ثابت عن سمية أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت وأبوها مريض شديد المرض :

ومن لايزال الدمع منه مُغيَّضاً فلابدَّ يوماً أن يُرىٰ وهو دافق

فقال أبو بكر : ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه تحيد﴾ .

حدثنا عبدالله بن صالح عن حماد بن سلمة عن ثابت قال : كان أبو بكر يتمثل، ولم يقل في مرضه ولا غيره :

ما أن يزال المرء ينعىٰ ميتاً حتى يكونه

ولقد يُرجّي ما يحِبُّ بلوغَه فيموتُ دونه

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا شعيب بن حرب ، ثنا مالك بن مغول عن أبي السفر قال : لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قيل : يا خليفة رسول الله ويا أبا بكر لو بعثت إلى الطبيب فنظر إليك ، قال : قد نظر إلي الطبيب فقال لي إني أفعل ما أريد ، يعني الله تبارك وتعالى .

حدثنا عمرو الناقد عن روح بن عبادة ، انبأ هشام بن أبي عبدالله عن قتادة قال : بلغني أن أبا بكر حين حضره الموت : وددت أني خضرة تأكلني الدواب ، وقال بعضهم : كان آخر ما تكلم به أبو بكر رضي الله تعالى عنه :

١ ـ البيت لأبي طالب عم الرسول عليه السلام في مدحه ﷺ . انظره في سيرة ابن هشام . تحقيق سهيل زكار ص ١٨٥ .

﴿توفني مسلماً والحقني بالصالحين﴾[١] .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جُعْدُبة عن الزهري عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن عثمان قال : لما توفي رسول الله ﷺ كدت أوسوس جزعاً فمر بي عمر يوماً فسلم فسهوت عن أن أرد السلام ، فقال أبو بكر : سلم عليك عمر فلم ترد عليه السلام ، فقلت : كنت مفكراً في تركي مَسْأَلَة رسول الله ﷺ عن الأمر الذي فيه نجاة الأمة ، فقال أبو بكر : قد سألته فقال : «نجاة الأمة في الكلمة التي عرضتها على عمي فردها وهي لا إله إلاّ الله» .

حدثنا سعيد بن سليمان ، ثنا الليث ، أنبأ عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر والحارث بن كلدة أكلا خزيرة[٢] أهديت إلى أبي بكر فقال الحارث لأبي بكر : ارفع يدك يا خليفة رسول الله فوالله إن فيها لسماً وأنا وأنت نموت في يوم واحد عند انقضاء السنة .

حدثني محمد بن سعد عن محمد بن حميد بن يعمر عن هشام بن عَروة عن أبيه قال : قال أبو بكر: لأن أوصي بالخُمْس أحبُّ إليّ من أن أوصي بالربع، ولأن أوصي بالربع أُحبّ إليّ من أن أوصي بالثلث ، ومن أوصىٰ بالثلث فلم يدع شيئاً[٣] .

وقال الواقدي في إسناده : دعا أبو بكر عبد الرحمن بن عوف فقال : أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال : ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به

١ ـ سورة يوسف ـ الآية : ١٠١ .
٢ ـ الخزيرة : تؤخذ قطع اللحم الصغيرة فتطبخ بالماء الكثير والملح ، فإذا نضجت ذر عليها الدقيق . القاموس .
٣ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٩٩ .

مني ، ثم قال : هو والله أفضل من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان فسأله عن عمر فقال : اللهم إن علمي به أن سريرته خير من علانيته وإنه ليس فينا مثله ، فقال أبو بكر : ولو تركته ما عدوتك ، وشاور معهما سعيد بن زيد بن عمرو وأُسَيد بن حُضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار ، وقال أسيد : لن يلي هذا الأمر أحد أقوىٰ عليه منه ، وقال رجل : ما أنت قائل لربّك إن سألك عن استخلافك عمر وقد ترىٰ غلظته ؟ فقال أبو بكر : أبالله تخوفني ؟ خاب من تزود من أمركم ظلماً ، أقول : اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك ابلغ عني هذا القول مَنْ وراءك ، ثم اضطجع ودعا عثمان فقال : «اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، حيث يؤمن الكافر ، ويوقن المرتاب الفاجر ، ويصدق الشاك المكذّب .

إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عدل فذاك ظني به ، وعلمي فيه ، وإن بدّل فلكل امرىء ما اكتسب ، والخير أردت ، ولا يعلم الغيب إلا الله ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[1] والسلام عليكم ورحمة الله» .

ثم أمر بالكتاب فختم .

قال الواقدي ، وقال بعضهم : لما أَمَلّ صدر الكتاب غُمِرَ وذُهِبَ به قبل أن يُسَمِي أحداً ، فكتب عثمان : إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن

---

١ ـ سورة الشعراء ـ الآية : ٢٢٧ .

الخطاب ، ثم أفاق فقال : إقرأ ما كتبت به فقرأ عليه ذكر عمر ، فكبّر أبو بكر وقال : أراك خفت إن انثلت نفسي في غشيتي فيختلف الناس ، فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيراً ، إن كنت لها أهلاً ، ثم أمره فخرج بالكتاب مختوماً ومعه عمر بن الخطاب وابن سَعْيَةَ القرظي ، فقال عثمان : أتبايعون لمن في هذا الكتاب ؟ قالوا : نعم . فقال علي : قد علمناه ، هو عمر بن الخطاب ، فأقروا بذلك جميعاً ورضوا به وبايعوا ، ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه ، ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه مدّاً فقال : اللهم إني لم أُرد إلّا صلاحهم ، وخفت الفتنة عليهم فعملت فيهم بما أنت أعلم به وما رجوت أن يكون لك رضىً ، وقد اجتهدت رأيي بهم فولّيت عليهم خيرهم لهم ، وأقواهم عليهم ، وأحرصهم على ما يرشدهم ، وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم ، فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، أصلح لهم ولاتهم ، واجعل عمر من خلفائك الراشدين يتبع هدىٰ نبيّه ، نبيّ الرحمة ، واصلح له أموره ورعيته[1] .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا شعيب بن حرب ، أنبأ فطر بن خليفة ، ثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن سابط قال : لما احتضر أبو بكر ذكر أنه يستخلف عمر ، فأتاه ناس من الناس فقالوا : يا أبا بكر ما تقول لربك إن استخلفت ابن الخطاب وقد عرفت فظاظته وغلظته وشدته؟ فقال : اجلسوني ، أبالله تخوفوني . أقول استخلفت . عليهم خير أهلك .

حدثني شجاع بن الوليد الفلاس ، ثنا أبو معاوية الضرير ، أنبأ هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما ثقل أبو بكر في مرضه قال :

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٠٠ .

أي يوم هذا ؟ قلنا : يوم الإثنين . فقال : إني لأرجو أن أقبض ما بيني وبين الليل ، فإنه اليوم الذي قبض فيه رسول الله ﷺ وكان عليه ثوب فيه ردع[1] مَشْق . فقال إذا أنا متّ فاغسلوا ثوبي هذا ، وضموا إليه ثوبين جديدين وكفنوني في ثلاثة أثواب بيض ، فقلنا : ألا نجعلها جدداً كلها ؟ قال : لا ، الحي أحق بالجديد من الميت . قالت : فمات ليلة الثلاثاء .

حدثني عمرو الناقد ، حدثني عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال لها : في أي يوم مات النبي ﷺ ؟ قالت : في يوم الإثنين . فقال : ما شاء الله . إني لأرجو ذلك فيما بيني وبين الليل . قال : ففيم كفنتموه ؟ قالت : في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة ، قال : وقالت : قال أبو بكر : انظري ثوبي هذا فإن فيه رَدْع زعفران ، أو مشق ، فاغسليه واجعلي معه ثوبين آخرين . فقالت : هو خلق . فقال : الحيّ أحق بالجديد .

قال عروة : وكان عبدالله بن أبي بكر خلف حلة حبرة كان النبي ﷺ أدرج فيها ، ثم استخرجوه وكفنوه في ثلاث أثواب بيض ، فأخذ عبدالله الحلة وقال لأكفنن نفسي في شيء مس رسول الله ﷺ ، ثم قال بعد ذلك حين حضرته الوفاة : والله لا أكفنّ في شيء منعه الله نبيه أن يكفن فيه ، فكفنّ أبو بكر فيها ، ومات أبو بكر ليلة الثلاثاء ودفن ليلاً ، وماتت عائشة ليلاً ، ودفنها عبدالله بن الزبير ليلاً .

حدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن أبيه عن مالك بن أنس عن

---

١ ـ الردع : اللطخ .

يحيى بنّ سعيد عن سعيد بن المسيب قال : قال أبو بكر لعائشة وقد ثقل في مرضه : في كم كفن رسول الله ﷺ ؟ قالت في ثلاثة أثواب بيض سحولية . فقال أبو بكر : خذوا هذا الثوب ـ لثوب عليه قد اصابه مشق أو زعفران ، قال والمشق المغرة ـ فاغسلوه ثم كفنوني فيه مع ثوبين آخرين ، فقالت عائشة : ولم هذا ؟ فقال : إن الحي أحوج إلى الجديد من الميت .

وقال محمد بن عمر الواقدي في إسناده : كان أول ما بدىء أبو بكر به أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوماً بارداً فحُمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة ، وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس ، ويدخل الناس على أبي بكر يعودونه وهو يثقل كل يوم ، وذلك في داره التي أقطعه إياها رسول الله ﷺ وجاه دار عثمان اليوم ، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه ، وتوفي أبو بكر مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، فكانت أيامه سنتين وثلاثة أشهر ، وستة وعشرين يوماً ، وهذا قول أبي معشر . وقال غيره كانت أيامه سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وذلك المجتمع عليه في سنه ، وكان مولده بعد الفيل بثلاث سنين .

حدثنا علي بن عبدالله المديني ، ثنا سفيان بن عُيينة : سمعت على بن جدعان يحدث عن أنس بن مالك قال : أسنّ أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر وسهيل بن بيضاء .

حدثنا عمرو الناقد ، ثنا وكيع عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر قال : غسّلتْ أبا بكر امرأته أسماء بنت عميس ، وهو أوصى أن تغسله .

حدثنا عفان ، أنبأ معاذ بن معاذ ، ثنا أشعث عن عبد الواحد ،

أحسبه قال : ابن صبرة عن القاسم بن محمد أن أبا بكر أوصىٰ أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ، فإن عجزت أعانها ابنها محمد[1] .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جريج عن عطاء قال : أوصى أبو بكر أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ، فإن عجزت فلم تستطع استعانت بعبد الرحمن[2] ، فلم تحتج إلى غيرها .

قال الواقدي ، وهذا المثبت ، وكيف يعينها ابنها محمد ، وإنما ولد سنة عشر بذي الحليفة في حجة الوداع .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا عبد الله بن نمير عن اسماعيل بن أبي خالد عن رجل عن أبي بكر بن حفص أن أبا بكر أوصى أسماء بنت عميس أن تغسله إذا مات ، وعزم عليها لما أفطرت لأنه أقوى لها ، فذكرت يمينه من آخر النهار فدعت بماء فشربت وقالت : والله لا أُتبعه في يمينه حنثاً .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا معن بن عيسى ، أنبأ مالك بن أنس عن عبد الله بن أبي بكر أن أسماء بنت عميس غسلت أبا بكر ثم خرجت فسألت أصحاب النبي ﷺ فقالت : إني صائمة وهذا يوم شديد البرد فهل علي من غسل ؟ فقالوا : لا[3] .

حدثني عبد الرحمن بن صالح الأزدي ، ثنا وكيع ، أنبأ حنظلة عن القاسم بن محمد قال : كفن أبو بكر في ريطتين[4] ، ريطة بيضاء وأخرى

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٠٣ .
٢ - عبد الرحمن بن أبي بكر .
٣ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٠٤ .
٤ - الريطة : الملاءة قطعة واحدة . اللسان .

ممصرة[١] وقال : الحي أحوج إلى الكسوة من الميت ، إنما هو لما يخرج من أنفه وفمه .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا منذر بن علي العنزي عن ليث عن عطاء قال : كفن أبو بكر في ثوبين غسيلين .

حدثنا عمرو الناقد ، ثنا عبد الله بن نمير ، أنبأ عبد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال : كفن أبو بكر في ثلاثة أثواب أحدها ممصر .

حدثني وهب بن بقية ، ثنا يزيد ، أنبأ حميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزني أن أبا بكر كفن في ثوبين .

حدثنا عبد الله بن صالح ، أنبأ شريك عن عمران بن مسلم عن سويد بن عقلة قال : كفن أبو بكر في ثوبين مُعَقَّدين[٢] .

وحدثني بكر بن الهيثم ، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، أنبأ زهير بن عمران بن مسلم عن سويد بن غفلة أن أبا بكر كفن في ثوبين من هذه الثياب الموصولة .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا أبو نعيم عن سيف بن أبي سليم عن القاسم بن محمد سمعه قال : قال أبو بكر حين حضرته الوفاة : كفنوني في ثوبيّ هذين اللذين كنت أصلي فيهما ، واغسلوهما فإنما هما للمهل[٣] والبراز .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن سعيد بن

١ ـ ممصرة : فيها شيء من صفرة . اللسان .
٢ ـ المعقد : ضرب من برود هجر . تاج العروس .
٣ ـ المهل : صديد الموت . اللسان .

أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر كفن في ثوبين أحدهما غسيل[١] .

حدثني روح بن عبد المؤمن وابراهيم بن محمد السامي قالا : ثنا أبو عامر العقدي ، ثنا خالد بن الياس عن صالح بن أبي حسان أن علي بن الحسين سأل سعيد بن المسيب أين صلي على أبي بكر فقال : بين القبر والمنبر . قال : ومن صلى عليه ؟ قال : عمر . قال : كم كبّر ؟ قال : أربعاً .

حدثني عبد الرحمن بن صالح الأزدي ، ثنا وكيع بن الجراح عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب أن أبا بكر وعمر دفنا مع رسول الله ﷺ ، وصلي عليهما تجاه المنبر .

حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي ، حدثني الفضل بن دكين ، أنبأ خالد بن الياس عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار عن أبيه أن عمر كبّر على أبي بكر أربعاً .

حدثني عبد الرحمن بن صالح ، ثنا وكيع عن موسى بن علي عن أبيه عن عقبة بن عامر قال : قُبر أبو بكر بالليل .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا عفان عن همام عن هشام بن عروة حدثني أبي أن عائشة حدثته قالت : توفي أبو بكر ليلاً فدفناه قبل أن نصبح[٢] .

حدثنا عمرو الناقد ، ثنا حفص بن غياث عن ابن جريج عن بعض ولد سعد أن عمر حين صلى على أبي بكر في المسجد ربَّع .

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٠٦ .
٢ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٠٧ .

حدثنا عمرو الناقد ، ثنا أبو معاوية ، أنبأ ابن جريج عن اسماعيل بن محمد بن سعد عن ابن آبي السباق ـ أو ابن السباق ـ أن عمر دفن أبا بكر ليلاً ، ثم دخل المسجد فأوتر بثلاث .

حدثنا الوليد بن صالح ومحمد بن سعد قالا : ثنا الواقدي عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن خالد عن المطلب بن عبد الله بن حَنطب عن ابن عمر قال : حضرت دفن أبي بكر فنزل في حفرته عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، قال ابن عمر : فأردت أن أنزل ، فقال لي عمر : كُفيت(١) .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري . وقتادة عن سعيد بن المسيب قال : لما توفي أبو بكر أقمن عليه النوح ، فبلغ ذلك عمر ، فنهاهن عن النوح فأبين أن ينتهين ، فقال عمر لهشام بن الوليد : ادخل فأخرج إلي ابنة أبي قحافة فقالت عائشة حين سمعت ذلك من عمر . إني أُحَرّج عليك بيتي ، فقال عمر لهشام : ادخل فقد أذنت لك ، فدخل هشام فأخرج أم فروة أخت أبي بكر فعلاها بالدِّرة ، فتفرق النوح .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن مالك بن أبي الرجال عن أبيه عن عائشة قالت : توفي أبي بين المغرب والعشاء ، فأصبحنا فاجتمع نساء المهاجرين والأنصار فأقمن النوح ، وأبو بكر يُغسل ويكفن ، فأمر عمر بالنوائح فَفُرِّقْن ، فوالله أن كنّ ليفرقن ويجتمعن .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن عمر بن عبد الله بن عروة أنه سمع عروة والقاسم بن محمد يقولان : أوصى أبو بكر عائشة

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٠٨ .

أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ فلما توفى حُفر له وجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ ، وألصقوا اللحد بقبر رسول الله ﷺ فقُبر هناك .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي أخبرني ربيعة بن عثمان عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : رأس أبي بكر عند كتفي رسول الله ﷺ ورأس عمر عند حقوي أبي بكر ، فقال : قال الواقدي : وأخبرني ابن أبي سبرة عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : جعل قبر أبي بكر مثل قبر النبي ﷺ مسطحاً ورش عليه الماء .

وحدثني محمد بن سعد ، ثنا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن عمرو بن عثمان بن هانىء عن القاسم بن محمد قال : قلت لعائشة : يا أمه ، اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه ، فكشفت لي عن ثلاثة قبور لامُشرفة ولا لاطية ، فرأيت قبر النبي ﷺ متقدماً ، وقبر أبي بكر عند رأسه ، ورأس عمر عند رجلي النبي ﷺ .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا معن بن عيسى ، ثنا مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار قال : رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ ويدعو لأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما .

قال محمد بن سعد ، ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن ، ثنا الربيع الصائغ قال : كان نقش خاتم أبي بكر «نعم القادر الله» .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي ، حدثني شعيب بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال : ورث أبو بكر أبوه أبو قحافة السدس ، وورثه معه ولده : عبد الرحمن ، ومحمد ، وعائشة ، وأسماء ، وأم كلثوم وامرأتاه أسماء بنت عميس ، وحبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي

زهير من بني الحارث بن الخزرج[1] .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا محمد بن يوسف الفاريابي ، ثنا سفيان الثوري عن أبيه قال : بلغني أن علي بن أبي طالب قال ـ وذكر أبا بكر وعمر ـ : كانا والله إمامي هدى راشدين مفلحين منجحين خرجا من الدنيا خميصين[2] .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا الواقدي عن اسحاق بن يحيى بن طلحة قال : سمعت مجاهداً يقول : كلم أبو قحافة في ميراثه من أبي بكر فقال : رددت ذلك على ولد أبي بكر .

حدثنا محمد بن سعد عن معن بن عيسى عن سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه أن أبا بكر تختم في اليسار .

قالوا : وأُتي أبو بكر بمال فقال : من كانت له على رسول الله ﷺ عدة فليأتني : فأتاه جابر بن عبد الله فحفن له ثلاث حفنات[3] .

حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، ثنا اسماعيل بن علية عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبي قال : مات أبو بكر وعمر ولم يجمعا القرآن ، قال اسماعيل : يعني لم يحفظاه .

حدثنا أبو الربيع الزهراني ، حدثني حماد بن زيد وحدثني محمد بن سعد عن عارم بن الفضل عن حماد بن زيد ، أنبأ أيوب وهشام عن محمد بن سيرين قال : توفي أبو بكر ولم يجمع القرآن

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٠٨ ـ ٢١١ .

٢ ـ بهامش الأصل : هذا الأبر بعلي واللائق بجلالته رضي الله عنه ، خلاف ما يقوله الضلال .

٣ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢١١ .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، ثنا عون عن محمد أن أبا بكر قال لعمر : ابسط يدك نبايع لك فقال عمر : أنت أفضل مني ، فقال له أبو بكر : أنت أقوى مني ، فقال عمر : فإن لك مع فضلك قوة ، فبايع أبا بكر .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا أبو معاوية عن السري عن يحيى عن بسطام بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : «لا يتأمّر عليكما أحد بعدي» .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن الحسن قال : لما بويع أبو بكر قام خطيباً ، فوالله ما خطب خطبته أحد بعده فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «أما بعد : فقد وليت هذا الأمر وأناله كاره ، ووالله لوددت أن بعضكم كفانيه ، ألا وإنكم كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل ما عمل رسول الله ﷺ لم أقم به ، كان رسول الله ﷺ عبداً أكرمه الله بالوحي وعصمه به ، ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني ، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم» .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا الحسن بن موسى الأشيب ، ثنا زهير ، ثنا عروة بن عبد الله قال : لقيت أبا جعفر فذكر كلاماً في الخضاب فقال : هذا الصدّيق قد خضب ، يعني أبا بكر ، فقلت : الصديق ؟ . قال : نعم ورب الكعبة ، إنّه الصديق[1] .

المدائني قال ؛ أخذ المهاجر بن أبي أمية المخزومي قينة باليمن شتمت

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢١١ ـ ٢١٢ .

أبا بكر بعد صلح النجير[١] فقطع يدها : فكتب إليه أبو بكر : بلغني أنك أخذت امرأة شتمتني فقطعت يدها وقد أهدر الله من الشرك ما هو أعظم من ذلك ، وتركت المثلة في ظاهر الكفر ففعلت حقاً وعملت بحسن ، وإذا أتاك كتابي فاقبل الدعة ودع المثلة فإنها مأثمة ، وقد نزه الله الاسلام وأهله عن فرط الغضب ، وقد أخذ رسول الله ﷺ قوماً آذوه وشتموه وأخرجوه وحاربوه فلم يمثل بهم[٢] .

وولد لأبي بكر رضي الله تعالى عنه :

عبد الرحمن ، وعائشة ، وأمهما أم رومان بنت عامر بن عويمر ، كنانية ، وعبد الله ، وأسماء ، وأمهما قتيلة بنت عبد العزى من بني عامر بن لؤي ، ومحمد ، وأمه أسماء بنت عميس بن معد الخثعميّة ، وأم كلثوم ، وأمها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس من الخزرج ، وهذا البطن يُعرفون ببني الأغرّ .

وأما أبو قحافة : عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم ، فانه أسلم يوم فتح مكة وكان قد سَنَد في الجبل يومئذ ، وأسماء ابنته تقوده ، وهو مكفوف البصر فرماه بعض المسلمين فشجَّه ، وأخذت قلادة أسماء ، فأدركه أبو بكر وهو يستدمي فمسح الدم عن وجهه وقال : رحم الله من فعل بك هذا ، ثم إنه أتى به رسول الله ﷺ ، فقال : يا أبا بكر، هلا تركته حتى نأتيه، فقال أبو بكر: هو أولى بإتيانك يا رسول الله ، فأسلم وبايع رسول الله ﷺ ، وأمره بتغيير شيبه فخضب ، وقال أبو

١ ـ النجير حصن منيع قرب حضر موت لجأ إليه المرتدون مع الأشعث بن قيس الكندي .
٢ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث من أول الكتاب ولله الحمد .

بكر : يا معشر المسلمين . نشدت الله رجلاً أخذ قلادة الصبية إلاّ ردَّها ، فلم تُرَدّ . فقال أبو بكر : إن الأمانة لعليلة .

قالوا : ولما توفي أبو بكر سمع أبو قحافة رضي الله عنه الهائعة[١] فقال : ما هذا ؟ قيل : توفي ابنك أبو بكر فقال : رحمه الله ، رزء جليل ، فمن استخلف ؟ قيل : ابن الخطاب . قال : صاحبه ، فرضيت بنو عبد مناف به ؟ قالوا : نعم . قال : يفعل الله ما يشاء .

وتوفي أبو قحافة في المحرم سنة أربع عشرة ، وهو ابن سبع وتسعين سنة ، وهو كان المنذر لأهل مكة حين أقبل الحبشي بالفيل .

وأسلمت أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن معد ، أم أبي بكر رضي الله تعالى عنها ، وكان إسلامها مع إسلام أبي قحافة ، وقد كانت قبل ذلك مائلة إلى النبي ﷺ ، وتوفيت فيما ذكر الواقدي قبل وفاة أبي بكر .

وقال الهيثم بن عدي ، أخبرني هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر لما توفي ورثه أبواه ، وقالت أسماء بنت أبي بكر : دعاني أبي إلى الاسلام يوم أسلم فأسلمنا قبل أن يريم مجلسه ، ولقد جاءني يوماً وهو يبكي فقلنا : ما يبكيك ؟ فقال : ما لقي رسول الله ﷺ من أبي جهل وابن الغيطلة[٢] ، فجلسنا نبكي معه .

قالوا : ولما أسلم سعد بن أبي وقاص أتى أبا بكر فأخبره بما لقيه به رسول الله ﷺ ، فسمعته أم رومان امرأة أبي بكر وهو يفاوضه أمر الاسلام ،

١ ـ الهائعة : صوت الحزن المفزع والشديد . اللسان .
٢ ـ بالأصل : القبطية ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه .

فلما خرج سعد قالت لأبي بكر : ما الذي كنتما فيه ؟ فأخبرها ودعاها إلى شهادة الحق ورفض الأوثان ، فأسلمت وقالت : لقد كنت أعلم أن محمداً خليق بكل خير ، واسم أم رومان دعد[١] وأبوها عامر بن عويمر بن عبد شمس ، من بني كنانة بن خزيمة ، ويقال عمير بن عامر ، وكانت قبل أبي بكر عند عبد الله بن الحارث بن سَخْبَرة الأزدي فقدم بها مكة وحالف أبا بكر قبل الاسلام وتوفي عنها ، فخلف عليها أبو بكر ، فولدت عائشة أم المؤمنين ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وهاجرت أم رومان وماتت بالمدينة في ذي الحجة سنة ست ، فصلى عليها رسول الله ﷺ ، ونزل قبرها وقال : من سرَّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان .

وكان أبو بكر وأم رومان يدعوان عبد الرحمن بن أبي بكر إلى الاسلام فيأباه ويقول : أفٍ لكما ، أتعدانني أن أخرج من القبر بعد أن صرت رِمَّةً وبليتْ أعظمي ؟ فأين من خلا من الأمم قبلي ، أين أبو زهير عبد الله بن جُدعان ؟ أين فلان ، وفلان ؟. وكانا يستغيثان الله ـ أي يدعوانه له بالهدى ـ ويقولان : ويلك آمن فيقول : هذا أساطير الأولين . فنزلت فيه : ﴿والذي قال لوالديه أفٍ لكما﴾[٢] الآية ، ثم قال : ﴿أولئك الذين حقَّ عليهم القول﴾[٣] يعني مَنْ عَدَّدَ من ابن جدعان وغيره .

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : نزلت هذه الآية في غير عبد الرحمن ، وأسلم عبد الرحمن بن أبي بكر في هدنة الحديبية ، ومات في

١ ـ بهامش الأصل : أم واسمها في قول ابن هشام زينب ، رواه ابن الأثير في جامع الأصول .
٢ ـ سورة الأحقاف ـ الآية : ١٧ .
٣ ـ سورة الأحقاف ـ الآية : ١٨ .

سنة ثلاث وخمسين خارجاً من مكة فجاءة .

وذكر بعض الرواة أن عائشة أدخلته الحرم فدفن به ، وقال أبو اليقظان البصري : وهو أول من مات من أهل الإسلام فجاءة وكان له شعر ، وغزا الشام وشهد الجمل مع عائشة .

وحدثني هشام بن عمار ، ثنا عيسى بن يونس عن ابن جريج عن ابن أبي مُليكة قال : توفي عبد الرحمن بن أبي بكر بحبشي - وهو على اثنى عشر ميلاً من مكة - فحمل ودفن فلما قدمت عائشة مكة من المدينة أتت قبره فقالت[1] :

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً بطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال هشام ابن الكلبي : جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عُدثان ، وهو الوضاح ، ونديماه مالك وعَقيل ابنا فارج بن مالك بن كعب بن القين بن جسر بن شيع الله بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وبعض النساب يقول : فالج بن مالك .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا اسماعيل بن ابراهيم - يعني ابن عليّة - عن أيوب عن ابن أبي مليكة أن عبد الرحمن توفي في منزله ، قال : فحملناه على رقابنا ستة أميال إلى مكة ، فلما قدمت عائشة قالت : أروني قبر

١ - البيتان من قصيدة لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك الذي قتل في حروب الرده . انظر المفضليات - ط . بيروت ١٩٢٠ ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

أخي فأروها إياه ، فصلّت عليه وقالت : أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث متَّ ، ولو شهدتك لم أبك عليك .

وكان عبد الرحمن يكنى أبا محمد ، وشهد يوم بدر مع المشركين ، ودعا بالبراز ، فتقدم أبو بكر رضي الله تعالى عنه ليبارزه فقال : يا محمد . تبعث الينا آباءنا ، فكفَّه رسول الله ﷺ عنه ، فقال له أبو بكر : ويحك ما فعل المال ؟ فقال :

لم يبق إلاَّ شكةٌ ويعبوبُ[1] وفارسٌ يضربُ إذ خام الشِّيب

وكان عبد الرحمن بن أبي بكر يقدم الشام فعشق ابنه الجُودي الغساني ، واسمها ليلى ، وقال فيها :

تعلق ليلى والسماوة دونه فما لابنة الجوديّ ليلى وماليا
وكيف تعاطى قلبه حارثية تدمن بصرى أو تحل الجوابيا[2]
وكيف أُرجّي أن أراها وَعَلَّهَا إذا الناس وافوا قابلاً أن توافيا

وقال أيضاً :

يا بنة الجوديّ قلبي كئيب مستهام عندكم ما يثيب
جاوزت أخوالها حيّ عك فلعكٍّ من فؤادي نصيب

قال: وصحبه رجل يقال له حجال فقال :

ليتها صاحبي مكان حجالٍ وحجالٌ حيث أم الرئال[3]
انها قد سَبَتْ فؤادي وأصبحـ ـتُ رهيناً للهم والبلبال

---

١ ـ الشكة : السلاح ، واليعبوب : الفرس السريع . اللسان .
٢ ـ كانت الجابية قائمة قرب بلدة نوى في حوران سورية وهي ليست نائية عن بصرى .
٣ ـ أم الرئال هي النعامة . المرصع لابن الأثير .

ولما أسلم حسن إسلامه ، فلم يتعلق عليه بشيء ، ولما أغزى عمر الشام أعلمه عبد الرحمن كَلَفُه بابنة الجودي ، فأمر إن ظُفِر بها أن تُدفع إلى عبد الرحمن فدفعت إليه ، وقيل انها وقعت له في سهمه . ويقال بها كَلَّمَ المسلمين فوهبوا له سهامهم منها ، فحملها معه ، ويقال انها حُملت في السبي ودفعها عمر إليه فكانت عنده فلم يزل نساؤه يكيدونها حتى شنأها وملّها وشنف لها فطلقها ومتَّعَها ، فأتت الشام ، ويقال ماتت عنده ، وقال بعضهم كانت عنده حتى مات عنها ، فرجعت إلى الشام والله أعلم .

فمن ولد عبد الرحمن :

محمد بن عبد الرحمن ، جلد في الشراب هو ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، جلدهما مروان ، وأمه من ولد قيس بن عدي السهمي .

وعبد الله بن عبد الرحمن ، وحفصه ، أمهما قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، وأمها ابنة عتبة بن ربيعة .

وطلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن وأمه عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وكان طلحة سخياً وفيه يقول الحزين الأشجعي أو الكناني :

فـانـك يـا طـلـح أعـطيـتنـي جـمـالـية تـسـتـخـف الصغـارا
فـما كان يفعـل لـي مـرة ولا مـرتـيـن ولـكـن مـرارا
أبـوك الـذي بـايـع المصطفـى وسار مع المهتدي حيث سارا

فولد طلحة محمداً ، وكان عاملاً على مكة[1] وفيه يقول الشاعر :

قد قال لي صاحبي سراً فقلت له إنَّ ابن طلحة في الأركان محتاطا

١ ـ لعمر بن عبد العزيز . تهذيب التهذيب لابن حجر ـ ط . حيدر أباد ج ٩ ص ٢٣٧ .

وله ولدٌ ينزلون خارجاً من المدينة ، وكانت عائشة بنت محمد بن طلحة عند سليمان بن علي وقال فيه البكائي :

إن فتى تيم بن مرة الذي لعائشة الصغرى وبنت أبي بكر

وأودعه عروة مالاً وخاف أن يكون قد أتلفه ، فلما قدم وجده وافراً فتمثّل عروة :

وما استخبيت في رجل خبيئاً كدين الصدق أو حَسَب عتيق

وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الذي يقال له ابن أبي عتيق ، رمى بسهم في نضال فقال : أصبت وأنا ابن أبي عتيق ، يعني أبا قحافة ، ويقال أن محمد بن عبد الرحمن كان يكنى أبا عتيق .

وقال أبو اليقظان : تناضل عدّةٌ من ولد أبي بكر فقال أحدهم : أنا ابن الصديق ، وقال الآخر : أنا ابن صاحب الغار ، وقال محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر : أنا ابن أبي عتيق ، وكان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ، وهو ابن أبي عتيق ظريفاً كثير الملح .

حدثني الحرمازي وغيره قالوا : كان بعض الأعراب منقطعاً إلى ابن أبي عتيق ، ثم غاب عنه حيناً فإنه جالس على باب داره بالمدينة إذ مرّ به الأعرابي وهو مقيد بأزواج فقال له : ما هذا ويلك ؟ قال : لطت[١] حوضاً لي فثلمه بعض جيراني فخطرت يدي خطرة فأصابت صدره فأتى عليه أجله . فقال : ولم فعلت ذلك ويحك ؟ فأنشد :

وأي امرىء في الناس يهدم حوضه إذا كان ذارمح ولّما يُماصع[٢]

١ ـ لطته : كسوته بالطين . انظر اللسان .

٢ ـ يماصع : يجالد ويضارب . القاموس .

فقال ابن أبي عتيق : أنا والله كنت أصلحه بكف من طين ولا يكون في رجلي ما في رجلك .

وحدثني الحرمازي قال : بعثت عائشة إلى ابن أبي عتيق تسأله أن يعيرها بغلة له لترسل عليها رسولاً في حاجة لها ، فقال لرسولها : قل لها والله ما غسلنا رؤوسنا من عار يوم الجمل أفمن رأيك أن تأتينا بيوم البغلة ؟

المدائني عن ابن جُعدبة قال : سأل ابن أبي عتيق غلامه عن مرآة له فقال : جلوتها بدرهمين فقال : والله لو صَديت عين الشمس ماساوى جلاؤها درهمين .

وكانت عائشة بنت طلحة سيئة الخلق ، فاعتزلت عمر بن عبيد الله بن معمر غضبى عليه وجلست في غرفة لها ، ورفعت السلم ، فقال عمر : تَرَضِّهَا لي ولك عشرة آلاف درهم ، فوقف أسفل الغرفة ثم قال : يا بنت عم . إنّ هذا الرجل قد جعل لي عشرة آلاف درهم إذا أنت رضيت ، فأظهري الرضا عنه وضعي السلم ، ثم عودي إلى ما عوده الله من سوء خلقك .

قال : وسمع ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة ينشد :

من رسولي إلى الثريا بأني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب[1]

فقال : أنا الرسول ومضى إلى مكة ، ويقال إلى الطائف فأنشدها البيت ، ثم عدل راحلته منصرفاً ، فسئل أن يقيم فقال : إن مقامي بعد قضاء حاجتي جهل وفراغ . وانصرف .

١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٣٠ .

وذكر ابن أبي عتيق رجل من المغنين فقال : رحمه الله فقد كان يحسَن غناءَ :

لمـن ربـع بـذات الجيـ[١] ـش أضحى دارسـاً خـلقـا[٢]

وقام منصرفاً ، ثم رجع فقال : لخفيفه لا لثقيله ، ثم مضى ، ويقال إنه قال ذلك للدلال[٣] حين خصي قال : لئن خصيتموه لقد كان يحسن هذا الصوت .

وعاد ابن أبي عتيق عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها فقال : يا أم المؤمنين كيف تجدينك جعلني الله فداك ؟ قالت : وجعة ما أراني أمسي ، فقال : لا جعلني الله إذاً فداءك .

قالوا وأنشد نصيب[٤] وكان أسود :

وددت ولم أخلق من الطين أنني أُعـار جناحي طائـر فـأطير

فقال ابن أبي عتيق : يا بن أم قل : غاق فانك تطير ـ أي أنك أسود ـ .

حدثني عبد الله بن صالح المقرىء عن ابن كناسة الأسدي قال : كان ابن أبي عتيق وأصحاب له يجتمعون بالمدينة في مسجد رسول الله ﷺ فينشدون الشعر وكان بناحية من المسجد رجل يصلي فيطيل الصلاة في كل

---

١ ـ موضع قرب المدينة . معجم البلدان .

٢ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ٢٠٥ .

٣ ـ كان مخنثا من ظرفاء المدينة ، خصاه أبو بكر بن حزم بأمر من سليمان بن عبد الملك . الأغاني ج ٤ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٨ .

٤ ـ نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، كان شاعراً مجوداً في النسيب والمديح . انظر شعره . ط . بغداد ١٩٦٨ ص ٩١ مع فوارق .

يوم فإذا سلم قال لهم : يا فسقة أتنشدون الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ، فانصرف ابن أبي عتيق يوماً من المسجد فقالت له جاريته إن رجلاً يصلي قرب حلقتكم يتعرض بي ويدعوني إلى ما لا يحلّ له ، فقال : ويحك عديه فإذا دخل إليك فآذنيني به ، فلما عرض لها أدخلته منزل مولاها فآذنته فلم يلبث أن جاء ابن أبي عتيق وأصحابه فقالت الجارية للرجل : قد جاء مولاي فادخل هذه الحجلة[1] فدخلها وزرّتها عليه ، ودعا ابن أبي عتيق بالطعام فأتي به فأكل هو وأصحابه ، ثم قال : يا جارية افتحي الحجلة حتى أنام فلما فتحتها نظر الرجل إليهم فقال : يا فسقة ، ما تصنعون هاهنا ؟ فقال له ابن أبي عتيق : استر علينا ستر الله عليك ، فخرج الرجل ولم يعد إلى المسجد . ونزل ابن أبي عتيق عن بغلته فبال ، ثم حمله أصحابه على البغلة فقال : قد قضيتم ما عليكم من حملي وبقي ما عليَّ من الاستمساك .

ومن ولد عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم :

شعيب بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد ، مات سنة أربع ، ويقال خمس وسبعين ومائة .

وأما **عبد الله بن أبي بكر** فإنه شهد يوم الطائف مع النبي ﷺ فجرح جراحة انتقضت به بعد فمات منها .

وقال الهيثم بن عدي : تزوج عبد الله بن أبي بكر عاتكة بنت زيد فغلبته على رأيه وشغلته عن سوقه، فأمره أبو بكر بطلاقها فطلقها واحدة، ثم قعد لأبيه على الطريق فلما رأى أباه بكى وأنشده :

لم أر مثلي طلَّقَ العامَ مثلها   ولا مثلها في غير ذنب تطلق

١ ـ الحجلة كالقبة وموضع يزين بالثياب والستور للعروس . القاموس .

لها خلق جزل ورأي ومنصب وخلق سوي في الحياة ومنطق

فأمره بمراجعتها .

وقال أبو اليقظان : شهد عبد الله يوم الطائف مع النبي ﷺ فجرح بسهم ، ثم بقي إلى زمن أبيه ، وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو العدوي ، فكانت عاقراً لا تطمث ولا تلد ، فأمره أبو بكر بطلاقها فقال في ذلك :

يقولون طلقها وأمسك مكانها وذلك قول من رشيد وحازم

وان فراقي أهل بيتٍ جمعتهم على كبرٍ مني لَإحدى العظائم

وقال أيضاً :

لم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير شيء تطلق

فطلقها وجعل لها مالاً على أن لا تتزوج بعده ، ولما هلك ترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر رضي الله تعالى عنه .

وقالت عائشة بنت زيد ترثيه وخلف عليها عمر :

فأقسمتُ لا تنفكُّ عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فولد عبد الله اسماعيل ، فهلك ولا عقب لعبد الله .

وقال الواقدي : أخرج أبو بكر السهم الذي رمي به عبد الله . فقال أبو محجن الثقفي : أنا بريته ورشته ورميته به ، ثم رزق الله الاسلام .

وقد كتبنا خبر أم المؤمنين عائشة، وخبر اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم .

وقال أبو اليقظان: ولدت أسماء للزبير عدة، وأراد مرة أن يضربها، فمنعه عبد الله بن الزبير من ذلك فقال الزبير: إن لم تخل عني فهي طالق. فقال: لا والله لاتحلف بطلاقها بعد هذه ومنعه منها فطلقها، وكانت

مع عبد الله وهو بمكة فلما أُتيت بجيفته عزاها عبد الله بن عمر فقالت: وما يمنعني من الصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني اسرائيل، ثم بقيت اسماء حتى بلغت مائة سنة وماتت بمكة رضى الله تعالى عنها.

وأما محمد بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، وأُمُّه أسماء بنت عميس الخثعمية فكان من خبره رضي الله تعالى عنه بمصر وغيرها ما قد ذكرنا، وكان يكنى أبا القاسم، وكان من فتيان قريش، وكان ممن أعان على عثمان رضي الله تعالى عنه.

فولد محمد بن أبي بكر: القاسم بن محمد لأم ولد، وكان يكنى أبا عبد الرحمن، وكان فقيهاً.

وقال ابن سعد: ويكني أبا محمد ومات في سنة اثنتي عشرة ومائة وهو ابن سبعين سنة، ويقال اثنتين وسبعين سنة، ويقال مات في سنة ثمان ومائة. وكان قد كف بصره[١].

حدثني محمد بن الأعرابي الراوية عن سعيد بن سلم الباهلي عن أبيه عن ابن عوف عن القاسم بن محمد أنه كان يصلي ثم يسجد فيقول: اللهم أغفر لأبي ذنبه في عثمان.

وحدثني محمد بن هشام بن عمار الدمشقي قال: سمعت مالك بن أنس قال: أتى القاسم أميراً من أمراء المدينة فسأله عن شيء فقال القاسم: إن من إكرام المرء نفسه ألا يقول إلا ما أحاط به علمه.

وقال ابن الكلبي: كان القاسم بن محمد بن أبي بكر فقيهاً

١ - طبقات ابن سعد ج٥ ص١٩٤ .

صالحاً، وكان يقول: من خاف الله في الدنيا أَمِنَ عذابه في الآخرة، وقال: التُّقَى زاد المؤمن.

وسئل القاسم بن محمد عن الرجل يكلم امرأته بالرفث إذا خلا، فقال: إذا غُلِّقت الأبواب فليصنع ماشاء.

وقال أبو اليقظان: ولد القاسم بن محمد: عبد الرحمن، وأم فروة، تزوجها محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولعبد الرحمن عقب بالمدينة.

قال ابن سعد: مات عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر أبو محمد بالفدين من الشام سنة ست وعشرين ومائة، وكان الوليد[١] بعث إليه وإلى ابن أبي الزناد، ومحمد بن المنكدر، وربيعة الرأي فمات فشهدوه.

وأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تزوُّج أَم كلثوم بنت أبي بكر، وكان خطبها إلى عائشة فانعمت له وكرهته أم كلثوم، فاستحيت عائشة من عمر، فبعثت إلى عمرو بن العاص فأخبرته الخبر، فقال: أنا أحتال في هذا الأمر، فأتى عمر فقال: بلغني أنك ذكرت أم كلثوم ولست أرى لك أن تَزوَّجَها لأنها مرفهة عند عائشة، فإن حملتها على معيشتك وخلقك خفت ألا تصبر فتكون القطيعة بينك وبين آل أبي بكر، وإن تابعتها على خلقها أَضَرَّت بدينك. فقال عمر: لقد قلتُ قولاً فما الحيلة؟ قال: أنا أكفيك. قال: فافعل. فأتى عائشة فأخبرها الخبر ثم انصرف إلى عمر، فقال له عمر: نشدتك الله هل كنت لقيت عائشة؟ قال: اللهم نعم. فتزوجها طلحة بن عبيد الله

---

١ - الوليد بن يزيد بعث يستفتيهم عن الطلاق قبل النكاح، والفدين بلدة من أرض حوران. معجم البلدان.

فقتل عنها فتزوجها عبد الرحمن بن عمر بن أبي ربيعة المخزومي فولدت له.

ومن ولد أبي بكر عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم، ولي قضاء المدينة أيام حسن بن زيد.

وقال خفاف بن نَدْبة ـ وهي أمة أخيذة لبني الحارث بن كعب، وهي سوداء، وأبوه عمير بن الحارث بن الشريد ـ السُلمي:

ليس لحي فاعلمي من بقاء　　وكل دنيا قصرها للفناء
والمال في الأقوام مستودع　　عارية والشرط فيه الأداء
إن أبا بكر هو الغيث إذ لم　　ينبت الجوزاء بقلاً بماء

في أبيات:

وقال ابن الكلبي: وتوفي أبو بكر بالمدينة ليلة الثلاثاء لثماني ليالٍ بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وهو ابن ثلاث وستين وصلى عليه عمر، ودفن ليلاً.

حدثني محمد[1] بن سعد عن الواقدي قال: أوصى أبو بكر رضي الله تعالى عنه رجاله الذين وجههم إلى الشام، فقال ليزيد بن أبي سفيان: إني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك من فيء أهلك، فإن أحسنت زدتك، وإن أسأت عزلتك فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى من ظاهرك، وإن أَوْلى الناس بالناس أشدهم تولّياً له وأقرب الناس من الله أشدهم تقرُّباً إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد بن الوليد فإياك وعُبيّة[2] الجاهلية، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن

١ ـ بهامش الأصل: وصية أبي بكر رضي الله تعالى عنه ليزيد بن أبي سفيان، وفيها فوائد.
٢ ـ أي نخوة الجاهلية وكبرها. اللسان.

صحبتهم وابدأهم بالخير وعِدْهُم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام يُنْسي بعضه بعضاً، فأصلح نفسك يصلح الناس لك، وصلّ الصلوات الخمس لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فاكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولاتُرَيِّثْهم فيروا خَلَلَك، ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم، ولاتجعل سرك كعلانيتك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولاتخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عنك الأستار، وَاذْكُ حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه، وعاقبه في غير افراط، واعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الآخرة، فإنها أيسرهما لقرب النهار منها، ولاتجاف عن عقوبة المستحق فتستجرح الناس، ولا تَلِحَّنَّ في العقوبة، ولاتسرع إليها وأنت تجد لها مدفعاً، ولاتغفل عن أهل عسكرك فتفسده ولاتجسسه فتفضحهم، ولاتكشف الناس عن أسرارهم، واكتف بعلانيتهم ولاتجالس العيابين، وجالس أهل الصدق والوفاء، وأصدق اللقاء ولاتجبن فتجبّن الناس، واجتنب الغلول، فانه يقرّب الفقر، ويدفع النصر، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وماحبسوا أنفسهم.

وقال لعمرو بن العاص: أرفق بجندك في مسيرك، وتعهدهم بنفسك، وإذا انتهيت إلى فلسطين فعسكر هناك حتى تلحقك الجيوش، وإياك والوهن، ولاتقل رُمي بي في نحر العدو فقد رأيت نصر الله إيانا ونحن قليل،

وأكرمْ وجوه من معك تستنزل نصائحهم، وتستخرج ماعندهم.

وقال لخالد بن الوليد: قد وليتك ماوليتك، فإياك أن تقول إني شاهد وهو غائب، فإذا قدمت على القوم فوجدتهم قد كفوك أمراً فاقبله ولاتنازعهم فيه، وواس جندك في اللقاء إذا كان عاماً، وإن كان بينكم نُوَباً فلير مكان نوبتك وحسن أثرك، وإذا قاتلت العدو فاحرص على الشهادة، ولاتصبحنَّ إلا على ظهر آخذاً لأهبة للحرب، وولّ أمر جيشك أهل النجدة والتجربة ولا تبادر الفرصة بلا رويّة التماساً لأن يخلص الأمر لك دونهم فإني لاآمن أن تسلمك المبادرة إلى غرة أغفلتها، ومعصية غيِّبت عنها، ولا تبتذل أهل البأس واسْتَبْقِهِم فانهم حصنك وثقاتك في عسكرك وقوام أمرك، وانظر النساء والصبيان وأهل الضعف فارفعهم إلى أمنع المواضع، ووكّل بهم من يذبّ عنهم.

ومن بني مرة بن كعب بن لؤي بن غالب

طلحة بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، ويكنى أبا محمد، وأمه الصعبة بنت عبد الله بن عماد الحضرمي، وأمها عاتكة بنت وهب بن عبد بن قصي.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبي عن ابراهيم بن محمد بن طلحة قال: قال طلحة: حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا هؤلاء القوم أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة: قلت نعم. قال: ظهر أحمد بعد؟ قلت: من أحمد؟ قال: ابن عبد المطلب، هذا زمانه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل، قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال فخرجت مسرعاً حتى أتيت مكة فقلت: هل كان من حديث؟ قالوا: نعم. محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الأمين تنبأ وقد تبعه ابن أبي قحافة.

قال: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر فقلت أَتَبِعْتَ هذا الرجل؟ قال: نعم فانطلق إليه فإنه يدعو إلى الحق، فأخبره طلحة بما قال الراهب، فخرج وهو معه حتى دخلا على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة، وأخبر

النبي ﷺ بما قال الراهب، فسرّ رسول الله ﷺ بذلك، فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، - وأمّه من بني عدي بن كعب، وبها يعرف، وكان يقال له ابن العدوية، وكان يدعى أسد قريش وقتله علي عليه السلام يوم بدر - فقرنهما فسمي أبو بكر وطلحة القرينين(١).

وقال الشاعر وهو عبد الله بن مصعب الزبيري في صالح وهو من ولد عبد الرحمن بن أبي بكر: وأمّه من ولد طلحة:

يا صالح ابن القرينين اللذين هما مع النبيّ أذلا كُلَّ جَبَّار
هذا المُسَمّى بفعل الخير نافلةٌ دون الأنام وهذا صاحب الغار

وقال بعض الرواة: كان عبيد الله أبو طلحة قَرْنَ أبي بكر وطلحة في الجاهلية، فسميا القرينين.

وقال أبو اليقظان: لما أسلما قرنهما عثمان بن عبيد الله أخو طلحة بحبل، ولم يبلغنا له إسلام، وله عقب، وكان طلحة أحد العشرة الذين سمّوا للجنة.

قالوا وكان يقال لطلحة بن عبيد الله: طلحة الخير، وطلحة الفياض.

حدثني عبد الله بن صالح العجلي عن ابن أبي الزناد، ومحمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد قال: وفدتْ على رسول الله ﷺ وفود من سروات أهل اليمن فأعطاهم طلحة بن عبيد الله عن رسول الله ﷺ مالاً وكساهم وأحسن ضيافتهم، فقال له رسول الله ﷺ: «أنت الفياض» فسمي الفياض.

---

١ - طبقات ابن سعد ج٣ ص٢١٤ - ٢١٥.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن اسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله قال: حدثتني جدتي سعدى بنت عوف قالت: دخل عليّ طلحة، وهو كالحزين، فقلت: مالك يا أبا محمد هل أنكرت من ناحيتنا شيئاً؟. قال:لا، ولنعم زوجة المسلم أنت، ولكنه أتاني مال من العراق من ضيعتي الشاسبتج[١] يكون أربعمائة ألف درهم فما أدري ما أصنع به؟ فقلت: تبعث غلامك إلى الصراف فتأمره أن يفرقه في أهلك ثم في قرابتك وإخوانك، فقال: نعم مارأيت، فأمره بذلك ففرقها حتى بقيت عشرة آلاف درهم، فقلت: أمَا لنا في هذا المال نصيبٌ قال: بلى فخذيها إليك، وقام وما بقي عنده من المال درهم واحد فما فوقه[٢].

حدثني عبد الله بن صالح المقرىء، ثنا سفيان بن عيينة عن طلحة بن يحيى قال حدثتني جدتي سعدى بنت عوف المرّية قالت: دخلتُ على طلحة ذات يوم فقلت: مالي أراك كذا، أرابك من أهلك شيء فعتبت؟ فقال: نِعْمَ حليلة المرء أنت ولكن عندي مال قد أَهَمَّني ـ أوقال أَغَمَّني ـ فقلت: اقسمه، فدعا جاريته فقال: أدخلي عليَّ قومي فلاناً وبني فلان، وأخذ يقسمه، فسألتها. كم كان المال؟ قالت: قدر أربعمائة ألف درهم.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف قال: قال علي بن أبي طالب: مُنِيْت بأشجع الناس ـ يعني الزبير ـ وبأسخى الناس ـ يعني طلحة ـ وبأطوع الناس في الناس ـ يعني عائشة.

وحدثني محمد بن أبان الواسطي، ثنا أبو هلال عن ابن سيرين قال:

---

١ ـ لم يذكرها ياقوت في معجمه.
٢ ـ انظر طبقات ابن سعد ج٣ ص٢٢٠ ـ ٢٢١.

كان طلحة بن عبيدالله جميلاً ، رأته امرأة يوم دخل البصرة فقالت : من هذا الذي كأنه دينار هرقليّ ؟ وكان أشيب لا يغير شيبه .

وحدثني خلف البزار وعبدالله بن صالح قالا : ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين قال : أتىٰ رجل طلحة بن عبيدالله فسأله برحم بينهما فقال : هذا حائطي بمكان كذا وقد أُعطيت به ستمائة ألف درهم فإن شئت فالحائط . فاختار المال ، فأوجب الحائط للذي أعطاه به ستمائة ألف درهم ، وأحال عليه بثمنه فقبضه .

حدثني مصعب بن عبدالله قال : بلغنا أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه سمع رجلاً ينشد :

فتىً كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنىٰ ويبعده الفقر

فقال : ذاك أبو محمد طلحة رحمه الله .

وحدثني عمرو بن محمد ، ثنا سفيان بن عيينة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال : سمعت طلحة يقول ـ وكان من حلماء قريش ـ : إن أقل لعيب الرجل جلوسه في منزله .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال : ما رأيت أحداً أعطىٰ لجزيلٍ عن غير مسألة من طلحة بن عبيدالله[١] .

وقال المدائني عن محمد بن طلحة عن اسحاق بن يحيىٰ عن موسىٰ بن طلحة قال : اشترى طلحة بن عبيدالله في غزاة ذي قرد بئراً فتصدق بها ،

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٢١ .

ونحر جزوراً فأطعمها الناس ، فقال له رسول الله ﷺ : «يا طلحة أنت الفياض» .

وحدثني عبد الواحد بن غياث البصري ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ داود بن أبي هند عن محمد بن عباد المخزومي أن قريشاً قالت قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد وليه ليأخذه ، فقيضوا لأبي بكر طلحة بن عبيدالله ، فأتاه وهو في قومه أو قال في القوم فقال : يا أبا بكر قم . فقال أبو بكر : إلى أي شيء تدعوني ؟ قال : أدعوك إلى اللات والعزىٰ فقال أبو بكر : وما اللات والعزىٰ ؟ قال : بنات الله . قال : فمن أبوهما ؟ فسكت طلحة فلم يجبه وقال لأصحابه : أجيبوه فأسكت[١] القوم ، فقال طلحة : قم يا أبا بكر فإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله فأنزل الله : ﴿ومن يَعْشَ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطاناً فهو له قرين﴾[٢] .

وذكر الواقدي في إسناده : لما ارتحل رسول الله ﷺ من الخرار[٣] في هجرته إلى المدينة لقيه من غد ذلك اليوم طلحة بن عبيدالله جائياً من الشام في عير فكسا رسول الله ﷺ وأبا بكر من ثياب الشام ، فخبَّر رسول الله ﷺ باستبطاء أهل المدينة لقدومه وتوقعهم إيّاه ، فعجل رسول الله ﷺ بالسَّيْر وأَغَذَّه ، ومضىٰ طلحة إلى مكة فقضى حوائجه ، ثم خرج بعد ذلك مع آل أبي بكر ، وهو الذي قدم بهم إلى المدينة فنزل على سعد بن زرارة ، وآخى

١ ـ بهامش الأصل : يقال سكت الرجل وأسكت .
٢ ـ سورة الزخرف ـ الآية : ٣٦ .
٣ ـ الخرار : واد من أودية المدينة . المغانم المطابة .

رسول الله ﷺ بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وآخىٰ بينه وبين أبيّ بن كعب[١] .

وقال الواقدي : بعث رسول الله ﷺ طلحة وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتحسسان[٢] خبر عير قريش التي كان القتال بسببها يوم بدر ، فقدما المدينة في اليوم الذي كانت فيه الوقعة ، وخرجا يريدان رسول الله ﷺ ، ولقياه وهو منحدر من بدر يريد المدينة ، ولم يحضرا بدراً ، فأسهم لهما رسول الله ﷺ ، وأسهم لعثمان بن عفان ، وكان قد تخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ .

وقال الواقدي : شهد طلحة وقعة أحد مع رسول الله ﷺ ، فثبت مع من ثبت من الناس حين ولىٰ المسلمون ، وبايعه على الموت ، فرمىٰ مالك بن زهير الجشمي رسول الله ﷺ ، فاتقاه طلحة بيده ، فأصاب السهم خنصره فشلت ، فقال حين أصابته الرمية : حَسّ . فقال رسول الله ﷺ : «لو قال بسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون إليه» . قال : ويقال إن الذي رمىٰ النبي ﷺ حِبّان بن العَرِقَة ، وأصابت رأس طلحة يومئذ المصلبة[٣] ضَرَبُه رجل من المشركين ضربتين وهو مقبل ، وأخرى وهو معرض فنزف منهما ، وكان ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير ، من ولد محارب بن فهر يقول : أنا ضربته يومئذ ، وشهد طلحة الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وأسلم ضرار يوم الفتح ومات بالشام غازياً .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢١٥ ـ ٢١٦ .

٢ ـ التحسس : الاستماع لحديث القوم وطلب خبرهم في الخير ، والحاسوس ؛ الجاسوس ـ أو هو في الخير ، وبالجيم في الشر . القاموس .

٣ ـ أي صارت الضربة كالصليب . النهاية لابن الأثير .

حدثنا اسحاق بن أبي اسرائيل ثنا هشيم بن بشير ، أخبرني ابراهيم بن عبد الرحمن مولى آل طلحة قال : سمعت ابراهيم بن طلحة قال : لما أصيبت إصبع طلحة يوم أحد قال : حسّ ، فقال له النبي ﷺ : «لو كنت قلت بسم الله لرأيت بيتاً يُبنىٰ لك في الجنة وأنت في الدنيا» .

وقال الكلبي وغيره : أصاب طلحة بن عبيدالله يوم أحد سهم رمىٰ به حبّان بن العِرقة النبي ﷺ ، فتلقاه طلحة بيده فقطع اصبعه الخنصر فجفّ عصبه .

قال ابن الكلبي : وابن العرقة : حِبّان بن أبي قيس بن علقمة بن عبد بن عبد مناف من بني مَعيص بن عامر بن لؤي ، والعرقة : قلابة بنت سعيد بن سهم ، وهي أم عبد بن عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص ، نسبوا إليها ، وحِبّان هو الذي رمىٰ سعد بن معاذ الأنصاري يوم الخندق وقال : خذها وانا ابن العِرقة ، فقال النبي ﷺ : «عَرّق الله وجهك في النار» ، وسميت العِرقة لطيب ريح عرقها .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكَين عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال : أصيب أنف رسول الله ﷺ ورباعيته يوم أحد ، ووقاه طلحة بن عبيدالله بيده ، فضربت فشلّت اصبعه .

حدثنا عمرو ، ثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت أصبعي طلحة من اليد التي وقىٰ بها النبي ﷺ وقد شلتا .

وروي أن أبيّ بن خلف شَدَّ علىٰ رسول الله ﷺ يوم أحد بحربة ، فتلقاها طلحة بيده .

حدثني محمد بن سعد ، أنبأ سعيد بن منصور ، ثنا صالح بن موسىٰ عن معاوية بن أبي إسحاق عن عائشة ، وأم إسحاق ابنتي طلحة قالتا : جُرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين جراحة ، ووقعت منها في رأسه شجَّة مربعة ، وقطع نسأه وشلت إصبعه ، وكان سائر جراحه في جسده[1] .

وحدثني أبو موسىٰ اسحاق الفروي ، ثنا عبدالله بن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحة قال : جرح طلحة سبعاً وثلاثين جراحة ، وشلّت اصبعه التي تلي الإبهام .

حدثني الحسين بن علي الأسود العجلي ، ثنا يحيى بن آدم ، أنبأ عبدالله بن المبارك ، حدثني محمد بن إسحاق بن يحيى بن عباد عن أبيه عن جده عن الزبير قال : سمعت النبي ﷺ يقول يوم أحد : «أوجب طلحة» .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي وبكر بن الهيثم قالا : ثنا أبو الوليد الطيالسي ، ثنا أبو عوانة عن حصين عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال قال رسول الله ﷺ : «من أراد أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة .

قال الواقدي : كان طلحة رجلاً آدم كثير الشعر ، ليس بالجعد القطط ولا السبط ، حسن الوجه دقيق العرنين ، إذا مشىٰ أسرع وكان لا يغير شعره .

حدثني وهب بن بقية ومحمد بن خالد بن عبدالله الطحان قالا : ثنا يزيد بن هارون ، ثنا محمد بن اسحاق عن نافع عن صفية بنت أبي عبيد ـ امرأة عبدالله بن عمرو ، أو عن أسلم ـ أن عمر بن الخطاب رأى على طلحة

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

ثوبين ممشقين فقال : ما هذا يا طلحة ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنه مصبوغ بمدر[١] . فقال : إنكم أيها الرهط أئمة يقتدىٰ بكم ، ولو رآك جاهل لقال على طلحة ثياب مصبغة ، أو قال لو رآك جاهل لقال طلحة يلبس الثياب المصبغة وهو محرم ، إن أحسن ما يلبس المحرم البياض ، فلا تلبسوا على الناس .

حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ، ثنا عبيدالله بن موسى ، أنبأ عمرو بن عفان مولى آل طلحة عن أبي جعفر قال : كان طلحة يلبس المعصفرات ، أو قال المصبغات .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين عن إسرائيل عن عمران بن موسىٰ بن طلحة عن أبيه أن طلحة قتل يوم الجمل وعليه خاتم من ذهب .

وحدثنا أبو بكر ، ثنا نعيم ، ثنا قيس بن الربيع عن عمران عن أبيه قال : كان في يد طلحة خاتم من ذهب فيه ياقوتة حمراء فنزعها وجعل مكانها جزعة فأصيب يوم الجمل وهو عليه .

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة والكلبي قالا : قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ : لو قَدْ توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة فأنزل الله عزوجل : ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾[٢] .

وقال معمر ، قال الكلبي والزهري : هو طلحة بن عبيدالله .

١ ـ المدر : الطين المتماسك ، ومصبوغ بالمدر : مصبوغ بالطين . النهاية لابن الأثير .
٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٥٣ .

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، ثنا سلمة بن سليمان ، ثنا عبدالله بن المبارك ، ثنا محمد بن اسحاق ، حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عن جدّه عن الزبير قال : سمعت رسول الله ﷺ يوم أحد يقول : «أوجب طلحة» .

حدثني محمد بن سعد مولى بني هاشم ، ثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب ، أنبأ سفيان بن عيينة عن أشياخهم قالوا : كانت غلّة طلحة بن عبيدالله في كل يوم ألف وافٍ ، وفي رواية وزن كل درهم درهم وثلث وأقل وأكثر[١] .

حدثني أبو بكر الأعين، ثنا روح بن عبادة، ثنا هشام عن الحسن أن طلحة باع أرضاً له من عثمان بن عفان بسبعمائة ألف فحملها إليه، فلما أتي بها قال: إن رجلاً تبيت هذه عنده في بيته ولايدري مايطرقه من أمر لغرير بالله، فبات ورسله تختلف بها في سكك المدينة حتى أسحر وماعنده منها درهم.

حدثنا علي بن عبد الله المديني، ثنا سفيان بن عينية عن مجالد عن عامر عن قبيصة بن جابر قال: مارأيت أحداً أعطى لجزيل من المال عن غير مسألة من طلحة بن عبيد الله.

وعن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال: كان طلحة يغلّ بالعراق مابين أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف، ويغلّ بالشراة عشرة آلاف دينار وأقل وأكثر، وكانت له بالأعراض غلات، وكان لايدع سائلاً من بني تيم إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله، وكان يزوج أيَامَاهم، ويخدم من لا خادم له منهم، ويقضي دين غارمهم، ولقد كان يبعث إلى عائشة إذا جاءته غلته بعشرة آلاف.

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

وقال الواقدي: حدثني اسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة أن معاوية قال له: كم ترك أبو محمد رحمه الله من العين؟ قال: قلت: ترك ألفي ألف ومائتي ألف دينار وكان ماله قد اغتيل كان يدخل نصابه كل سنة من العراق أربعمائة ألف سوى غلاته من الشراة وغيرها على عشرين ناضحاً، وإنه لأول من زرع القمح بقناة[1] فقال معاوية: عاش حميداً سخياً شريفاً وقتل فقيداً.

حدثنا اسحاق بن أبي اسرائيل، أو هشام بن عمار، ثنا حاتم بن اسماعيل عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد قال: صحبت طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، والمقداد، وعبد الرحمن بن عوف، فما سمعت أحداً منهم حدث عن رسول الله ﷺ إلا أني سمعت طلحة يحدث بحديثه يوم أحد.

وقال الواقدي: حدثني ابن أبي سبرة عن محمد بن زيد بن مهاجر عن ابراهيم بن محمد بن طلحة قال: كانت قيمة ماترك طلحة من العقار والأموال، وماترك من الناض ألف ألف درهم، وترك من الناض ألفي ألف درهم ومائتي ألف دينار، والباقي عروض.

قال الواقدي: وحدثني اسحاق بن يحيى عن جدته سعدى أم يحيى قالت: قتل طلحة وفي يد خازنه ألف ألف درهم ومائتي ألف درهم، وقوّمت عقاراته بثلاثين ألف ألف درهم.

حدثنا الوليد بن صالح ومحمد بن سعد قالا: ثنا الواقدي عن ابن أبي سبرة عن الوالبي عن السائب بن يزيد قال: صحبت طلحة بن عبيد الله في

١ ـ بهامش الأصل: قناة اسم مكان بالمدينة.

السفر والحضر، فلم أجد أحداً أعمّ سخاء منه على الدرهم والدينار والثوب والطعام[1].

قالوا: وكان طلحة شديداً على عثمان فلما كان يوم الجمل قال: إنّا داهنّا في أمر عثمان فلا نجد اليوم شيئاً أفضل من ان نبذل له دماءنا اللهم خذ لعثمان مني حتى يرضى.

حدثني عبدالله بن صالح بن مسلم العجلي، حدثني أبو اسامة عن اسماعيل بن حكيم الأحمسي قال: قال طلحة يوم الجمل: إنّا داهنّا في أمر عثمان فلا نجد اليوم شيئاً أفضل من بذل دمائنا فيه، اللهم خذ لعثمان مني حتى يرضى.

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ومحمد بن سعد قالا: ثنا روح بن عبادة عن ابن عون عن نافع قال: رأى مروان فرجة في درع طلحة يوم الجمل فرماه بسهم فقتله[2].

حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة أبو بكر، ثنا وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال مروان بن الحكم يوم الجمل: لاأطلب أحداً بثاري في عثمان بعد اليوم، فرمى طلحة بسهم فأصاب ركبته فكان الدم يسيل، فإذا أمسكوا ركبته انتفخت، فقال: دعوه فإنما هو سهم أرسله الله، اللهم خذ لعثمان مني حتى يرضى.

حدثني عمرو بن محمد ومحمد بن سعد قالا: ثنا روح بن عبادة عن

---

١ - طبقات ابن سعد ج٣ ص٢٢٢ - ٢٢٣ .
٢ - طبقات ابن سعد ج٣ ص٢٢٣ .

سعيد بن قتادة قال: رمي طلحة فاعتنق فرسه، فركض حتى مات في بني تميم، فقال: تالله مارأيت مصرع شيخ أضيع[1].

حدثني أبو بكر الأعين، ثنا روح بن عبادة عن عوف الاعرابي أن مروان رمى طلحة يوم الجمل وهو واقف إلى جنب عائشة فأصاب ساقه وقال: والله لاأطلب قاتل عثمان بعدك أبداً، فقال طلحة لمولى له: القني مكاناً فقال: ماأدري أين ألقيك، فقال طلحة: هذا والله سهم أرسله الله، اللهم خذ مني لعثمان حتى يرضى ثم وُسِّدَ حجراً فمات.

المدائني عن الهذلي عن الحسن قال: أصاب ثغرة نحر طلحة يوم الجمل سهم فجعل يقول: مارأيت مصرع شيخ أضيع.

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة بن الحكم قال: قال عبد الملك بن مروان: لولا أن أمير المؤمنين مروان أخبرني أنه هو قتل طلحة ماتركت من ولد طلحة أحداً إلا قتلته بعثمان، فهو كان أشد الناس عليه حتى قتل.

حدثنا عفان بن مسلم، ثنا حماد بن زيد، ثنا قرة بن خالد، أنبأ محمد بن سيرين أن مروان رمى طلحة لما جال الناس يوم الجمل بسهم فأصابه فقتله.

قال أبو مخنف في روايته: أحيط بطلحة يوم الجمل فجعل يقول: اللهم اعط عثمان مني حتى يرضى، ومروان يقاتل معه فلما رأى مروان الناس قد انهزموا، قال: والله لاأطلب ثأري بعثمان بعد اليوم أبداً فما كنت إليه أقرب مني الساعة، فانتحى لطلحة بسهم فأصاب به ساقه فأثخنه، وأتى طلحة مولى له

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٢٢٣ .

ببغلة فركبها وجعل يقول لمولاه: أما من موضع أقدر على النزول فيه؟ فيقول: لا، قد لحقك القوم فيقول: مارأيت مصرع شيخ أضيع، ثم صار في دار من دور بني سعد فمات بها ودفن.

حدثني الحسين بن علي الأسود، أنبأ حماد بن أسامة عن اسماعيل بن قيس قال: رمى مروان طلحة بسهم فأصابه في ركبته فمات، فدفنوه على شاطىء الكَلَّاء[1] فرأى بعض أهله أنه قال: ألا تزيحوني من هذا الماء، فإني قد غرقت، فنبشوه من قبره، وهو أخضر كأنه السلق ونزفوا عنه الماء، ثم استخرجوه فإذا ما على الأرض من لحمه ووجهه قد أكلته الأرض، فاشتروا داراً من دور آل أبي بكرة فدفنوه فيها.

قالوا: وكان يوم الجمل يوم الخميس لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكان طلحة يوم قتل ابن اربع وستين سنة، ويقال ابن اثنتين وستين.

وقال أبو اليقظان وغيره من البصريين: دفن طلحة عند قنطرة قُرّة بالبصرة، فرأت عائشة بنت طلحة بعد ثلاثين سنة أنه يشكو النَزّ، فأمرت فاستخرج فوجد طرياً، وتولى استخراجه عبد الرحمن بن سلامة التميمي، فدفن بالهجريين، وقبره هناك معروف.

حدثني محمد بن سعد وأبو بكر الأعين، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، ثنا أبان بن عبد الله عن نعيم بن أبي هند عن ربعي بن حراش قال: إني لعند علي بن أبي طالب جالس إذ جاء ابن لطلحة فسلم فرحب به علي فقال:

١ ـ الكلاء: كل مكان ترفأ فيه السفن، وهو ساحل كل نهر، والكلاء: اسم محلة مشهورة وسوق بالبصرة. معجم البلدان.

أترحب بي ياأمير المؤمنين وقد قاتلت أبي ـ وقال محمد بن سعد: وقد قتلت والدي، وأخذت مالي؟ ـ فقال: أما مالك فهو معزول في بيت المال فاغد فخذه، وأما قولك قاتلت أبي فإني أرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ﴾[1] فقال رجل من همدان ـ قال أبو بكر الأعين: قال أبو نعيم: أحسبه الحارث الأعور ـ أعوذ بالله، الله أعدل من ذلك، قال: فصاح عليّ صيحة كاد يتداعى لها القصر، فقال: من أولئك، إذا لم نكن أولئك؟!.

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا أبو معاوية الضرير، أنبا أبو مالك الأشجعي عن أبي حبيبة مولى طلحة قال: دخل عمران بن طلحة على علي بعد يوم الجمل فرحَّب به وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قالوا قال: ﴿إخواناً على سرر متقابلين﴾[1]، ورجلان جالسان على ناحية البساط فقالا: الله أعدل من ذلك، تقتلهم بالأمس وتكونوا إخواناً في الجنة؟ فقال علي عليه السلام: قوما إلى أبعد أرض وأسحقها، فمن هم إذا لم أكن أنا وطلحة، ثم قال لعمران: كيف أهلك من بقي من أمهات ولد أبيك؟ أما إنا لم نقبض أرضيكم هذه السنين ـ أو قال هذه السنتين ـ ونحن نريد أن نأخذها إن قبضناها مخافة أن يختطفها ـ أو قال ينهبها ـ الناس. يافلان اذهب معه إلى ابن قرظة فمره فليدفع إليه أرضه وغلتها لهذه السنتين ـ أو قال: السنين شك أحمد بن ابراهيم ـ يابن أخي ائتنا في الحاجة إن كانت لك.

قال الواقدي: توفيت الصعبة أم طلحة على عهد رسول الله ﷺ، واخبرني بعض آل طلحة أنها أسلمت.

١ ـ سورة الحجر ـ الآية: ٤٧.

ومنهم عثمان بن عبيدالله أخو طلحة، كان له قدر في الجاهلية، وهو الذي أخذ أبا بكر وطلحة فقرنهما في حبل في بعض الرواية.

ومن ولده محمد بن عثمان، يقال له: ابن الطويل، ويكنى أبا عبد الله، مات سنة ثمانين لم تبعد سنه.

ومنهم مالك بن عبيد الله، أخو طلحة، قتل يوم بدر كافراً، وله عقب بالمدينة.

وولد لطلحة بن عبيد الله:

محمد السجّاد وبه كان يكنى، وعمران وأمهما حمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، زوج رسول الله ﷺ، وأمهما أميمة بنت عبد المطلب.

وموسى بن طلحة، وأمه خولة بنت القعقاع بن معبد بن زرارة بن عُدس التميمي.

ويعقوب بن طلحة، وزكريا، واسماعيل، وعائشة أمهم أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق.

وعيسى، ويحيى، أمهما سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المري.

وأم إسحاق بنت طلحة، تزوجها الحسن بن علي، فولدت له طلحة، وتوفي عنها فخلف عليها الحسين عليه السلام، فولدت له فاطمة، وأمها أم الحارث بنت قسامه من طيّ.

والصعبة بنت طلحة لأم ولد، ومريم لأم ولد.

واسحاق أمه أم أبان بنت عتبة بن ربيعة.

وصالح بن طلحة أمه تغلبية، ولاعقب له.

فأما محمد بن طلحة فكان كثير الصلاة، يعرف بالسّجاد، وقتل يوم الجمل مع أبيه، وقال الهيثم بن عدي: كان يكنى أبا القاسم، وقال الواقدي كان يكنى أبا سليمان.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي أنبأ محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد بن طلحة عن محمد بن زيد بن مهاجر عن ابراهيم بن محمد بن طلحة قال: لما ولدت حَمْنة بنت جحش محمد بن طلحة جاءت به إلى رسول الله ﷺ، فقالت: سَمِّه يا رسول الله، فقال: «اسميه محمد وكنيته أبو إسحاق، لا أجمع له اسمي وكنيتي»[1].

وقال الواقدي: روى محمد بن طلحة عن عمر، وأمره عمر بالنزول في قبر خالته زينب بنت جحش زوج رسول الله ﷺ.

ولما شهد محمد الجمل مع أبيه، نهى علي بن أبي طالب عنه وقال: إياكم وصاحب البرنس فقتله شريح بن أوفى العبسي الذي خرج بعد مع الحرورية وقال:

وأشعث قـوّامٍ بآيـات ربه	قليل الأذى فيما يرى العين مسلم
هتكت له بالرمح حضن قميصه	فخـرّ قتيـلاً لليـدين وللفم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً	عليا ومن لايتبع الحق يُظلم
يُناشدني حاميم والرمح شارع	فهلا تلا حاميم قبل التقدم

وقال حين غشيه بالرمح: أنشدك حاميم، ومر به عليّ عليه السلام وهو صريع فقال: هذا السجاد قتلهِ برُّه بأبيه.

فولد **محمد** بن **طلحة**: **إبراهيم** بن **محمد وأمه** خوله بنت منظور بنت

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٥ ص٥٣.

زبان الفزاري، وكان إبراهيم أصلع أعرج، ولاه عبد الله بن الزبير خراج الكوفة، وكان يقال له: أسد الحجاز، وقد ذكرنا خبره بالكوفة فيما تقدم.

وقال الواقدي: روى إبراهيم بن محمد بن طلحة عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومات بالمدينة سنة عشر ومائة، وقال بعض الرواة: بمكة محرماً، والأول أثبت، ولقي هشاماً فكلمه كلاماً شديداً وقد ذكرنا ذلك في خبر هشام بن عبد الملك، فقال هشام: من زعم أن قومي ذهبوا؟!.

وولد ابراهيم بن محمد: عمران بن ابراهيم، وأمه ابنة عمر بن أبي سلمة المخزومي، وموسى بن ابراهيم، ويعقوب بن ابراهيم، وامهما ابنة اسماعيل بن طلحة، وأمها لبابة بنت عبد الله بن العباس.

فمن ولد عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة: محمد بن عمران، وحفصة بنت عمران، تزوجها القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، فمات عنها، وتزوجها هشام بن عبد الملك، فطلقها فتزوجها محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، ثم طلقها فتزوجها عبد الله بن الحسن بن الحسن، ثم تزوجها عون بن محمد بن علي بن أبي طالب، ثم تزوجها عثمان بن طلحة بن عمر بن عبيدالله بن معمر، فكانت تسمى ذات الأزواج.

وكان محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد السجاد بن طلحة بن عبيد الله على قضاء المدينة من قبل أبي جعفر أمير المؤمنين، ومات وهو على القضاء بالمدينة، ويكنى أبا سليمان، قضى لبني أميه وبني هاشم، ومات سنة أربع وخمسين ومائة، فقال أبو جعفر المنصور: اليوم استوت قريش. وكان بخيلاً. قال الشاعر فيه:

وإني لأستحيي لتيم لما أرى   بقدرة عمران الطويل من البخل

وقال آخر:

بنو حسن كانوا مناخ ركابنا قديماً وماكنا ابن عمران نتبع

وولي بعد محمد بن عمران هذا قضاء المدينة ابنه عبدالله بن محمد وهو لأم ولد ، ولاه إياه المهدي أمير المؤمنين ، وكان سخياً ، وولاه الرشيد هارون ابن المهدي أمير المؤمنين مكة .

وأما موسى بن ابراهيم فمن ولده عبداللهبن موسى بن ابراهيم بن محمد بن طلحة ، ولي شرطة المدينة .

وأما عمران بن طلحة بن عبيدالله فلا عقب له وكانت عنده أم كلثوم بنت الفضل بن العباس .

وأما موسى بن طلحة بن عبيدالله ، فكان من خيار ولد طلحة وذوي القدر والنبل منهم ، وتوفي في سنة ثلاث ومائة ، ويقال في سنة أربع ومائة .

فولد موسى بن طلحة : **محمد بن موسى** وأمه ابنة عبدالرحمن بن أبي بكر ، وامرأة أمها أيضاً ابنة عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق ، تزوجها عبدالملك بن مروان .

وعمران بن موسى ، أمه أم ولد يقال لها جيداء .

وأما محمد بن موسى بن طلحة ، فكان على جيش أهل الكوفة أيام ساروا مع عمر بن عبيدالله بن معمر إلى أبي فديك الخارجي وهو باليمامة .

وكان عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر على أهل البصرة ، وكانا يتباريان في الفقه ، فقال عبدالله بن شبل البجلي : يفضل عمر بن موسى ـ ويقال فضل الطلحي ـ على العمري .

تباري ابن موسى يا بن موسى ولم تكن يداك جميعاً يعدلان له يدا

تباري امرأً إحدى يديه مفيدة وأخـراهمـا تبني بنـاء مشيـدا

ويروى : يسرى يديه مفيدة ويمناهما .

ثم وجه عبدالملك : محمد بن موسى إلى شبيب الخارجي فقتله شبيب .

وأما عمران بن موسى بن طلحة فكان سخياً ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

فإن يك يا جداح عليّ دين فعمـران بن مـوسى يستـدين

تُلِمُّ بِـهِ الخَصَاصَـة ثم يأوي إلى أبـيـاتـه كـرم وَدِيـن

فـما يعدمـك لا يعـدمـك منـه نبيـذ التمـر واللحم السمـين

وحدثني محمد بن سعد عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش الهمداني قال : تحول موسى بن طلحة الى الكوفة فنزلها ، قال الواقدي : وهلك بها سنة ثلاث ومائة وصلى عليه الصقر بن عبدالله عامل عمر بن هبيرة على الكوفة .

وقال الهيثم بن عدي : مات موسى ، وأبو بردة والشعبي في جمعة ، ماتوا سنه أربع ومائة [١]

وأما يعقوب بن طلحة فقتل يوم الحرة ، وله يقول ابن الزبير الأسدي :

لعمري لقد جاء الكَرَوَّسُ [٢] كاظما عـلى خـبر للمؤمنـين وجيـع

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢١١ .

٢ ـ الكروس : العظيم الرأس من الناس ، والأسود ، والجمل العظيم الفراسن ، الغليظ القوائم . القاموس .

شباب كيعقوب بن طلحة اقفرت منــازلهم من رومــة فبـقيــع

وله عقب .

ومن ولد يعقوب : الخَرْبَشْتَ ، وسمي الخربشت لأنه كان أحدب واسمه عبدالرحمن بن محمد بن يوسف بن يعقوب بن طلحة ، ولي شرطة الكوفة .

وأما زكريا بن طلحة فمن ولده : أبو نُعرة ، وهو القاسم بن محمد بن يحيى بن زكريا بن طلحة ، ولي شرطة الكوفة لعيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وفيه يقول الأقيشر :

نضر الله بـالســلام وحيــا زكــريـا بن طلحــة الفياض

حـين نـاديتـه عـلى نــازلات من جدوب وعثرة واعتراض[1]

في أبيات .

وأما عيسى بن طلحة فكان ناسكاً ، وهو الذي وفد مع الحجاج إلى عبدالملك ، فشكا الحجاج وقد ذكرنا خبره . ومن ولده : محمد بن عيسى بن طلحة ، وكانت فاطمة بنت محمد بن محمد بن عيسى بن طلحة عند أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين ، ولدت له سليمان ويعقوب وعيسى .

وقال الواقدي : مات عيسى بن طلحة في زمن عمر بن عبدالعزيز بن مروان .

ومن ولده : طلحة بن عيسى بن عيسى بن طلحة بن عبيدالله الذي يقال فيه :

تـتـبـاهــى عــرفـات بــابـن عيسى ومـنـاهــا

---

١ ـ ديوان الأقيشر الأسدي ـ ط . بيروت ١٩٩١ ص ٥٢ ، البيت الأول فقط مع فوارق .

فيقولُ الركن واهاً لك يا طلحة واها
وعلى قطبك يا طلحة تطاف رحاها

وأنشدت لمحمد بن عيسى بن طلحة صهر المنصور وكان شاعراً :

فلا تَعْجَلْ على أحد بظلم فإنَّ الظلم مرتعه وخيم

في أبيات قد كتبناها في خبر المنصور .

وأما يحيى بن طلحة فكان خيراً يروى عنه الفقه ، وكان طلحة بن يحيى فقيهاً . وكان اسحاق بن يحيى بن طلحة فقيهاً مات في أيام المهدي . وبلال بن يحيى بن طلحة الذي مدحه الحزين الشاعر فقال :

بلال بن يحيى غرة لا خفى بها لكل إناس غرة وهلال

وكان بلال يلقب وسخ الظفر .

وأما اسماعيل بن طلحة بن عبيدالله فكان سرياً ، وكان مصعب بن الزبير وجهه إلى بعض النواحي ، وعقد له على أربعمائة وكانت عنده ابنة لعبدالله بن عباس ، وكانت عند اسماعيل امرأة من بني حنيفة ، فأوصاها عند موته ألا تتزوج أخاه موسى، فلما هلك تزوجته .

وأما اسحاق بن طلحة فاستعمله معاوية على خراسان شريكاً لسعيد بن عثمان بن عفان في الخراج ، فقال ابن مفرّغ :

فيا لهفي على تركي سعيداً واسحاق بن طلحة واتّباعي
عبيدالله عبد بني علاج عبيداً فقع قرقرة بقاع [1]

ومات اسحاق بالري .

ولعبيدالله بن اسحاق بن طلحة ، يقول الأقيشر الأسدي :

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ١٥٢ ـ ١٥٣ مع فوارق .

إن الأغـرّ عبيـدالله ليس لـه في المشعرين عروق ذات انفاق
اردد علي سلامي غير مُتَّئب (١) وامنع سلامك مني يا بن اسحاق
ما يذكر الدهر إلا كنت أوله ولست ألقاك أو يلقاك بي لاق
أخطأت من طلحة الفياض نائله وما وقاك أدقّ الدقة الواقي (٢)

وله عقب . قال الكلبي : بنو طلحة : محمد السجاد ، وعمران بن طلحة ، وموسى بن طلحة ، ويعقوب بن طلحة ، واسماعيل بن طلحة ، واسحاق بن طلحة ، وزكريا ، ويوسف ، ويحيى ، وعيسى .

وكانت عائشة بنت طلحة من نُبّل نساء قريش ، تزوجها عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق ، ثم خلف عليها مصعب بن الزبير ، ثم عمر بن عبيدالله بن معمر التيمي من قريش .

قالوا : وشكت عائشة أم المؤمنين عائشة بنت طلحة وعددت ذنوباً لها ، وقالت : مات ابن خالها عبدالله بن عبدالرحمن فما فتحت فاها عليه ، وكانت عائشة بنت أم كلثوم بنت أبي بكر .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي أن المصعب بن الزبير قال لحُبَّى المدينية : ابغيني امرأة أتزوجها ، فقالت : بأبي أنت وأمي ، عائشة بنت طلحة على عظم في أذنيها وقدميها ، فقال المصعب : أما الأذنان فيغطيهما الخمار ، وأما القدمان فيغطيهما الخفان . فتزوجها ، وأصدقها خمسمائة ألف درهم ، وأهدى لها خمسمائة ألف درهم ، فقال يونس بن أبي أناس الديلي ، ويقال ابن همام السلولي :

---

١ ـ وأبه : فعل به فعلاً يستحيا منه ، أو أغضبه ، أو رده بخزي عن حاجته . القاموس .
٢ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الأقيشر المطبوع .

أبلغ أمـير المؤمنـين رسـالـة من ناصح ما إن يريد متاعا
بُضع الفتاة بألف ألفٍ كامل وتبيت سادات الجيوش جياعا
فلو أنني الفاروق أخبر بالذي شـاهـدتـه ورأيتـه لارتـاعـا

يعني بأمير المؤمنين عبدالله بن الزبير .

المدائني عن سفيان بن عيينه عن مجالد عن الشعبي قال : ركبت مع مصعب يوماً ، فلما نزل أمرني بالنزول فأخذ بيدي فلم أزل أدخل معه حتى صرت الى بيت قد سدلت ستوره فترك يدي ودخل فبقيت لا أقدر على تقدم ولا تأخر ، ثم ناداني من وراء الستر : ادخل يا شعبي ، فدخلت فإذا هو وعائشة بنت طلحة على سرير فوالله ما شبهت بوجهها إلا القمر طالعاً ، فكلمني ثم قال لي : انصرف . وقال : هذه وأنا كما قال القائل :

وما زلتُ في ليلى لَدُنْ طَرَّ شاربي إلى اليوم أُبدي أحنة وأواحن
وأضمر في ليلى لقومي ضغينة وتضمر في ليلى عليّ الضغائن

فقالت : والله لا تنصرف إلاَّ بجائزة ، قال : فأظنه قال : أمر لي بعشرة آلاف درهم ، وأمرت لي بمثلها . قال : فلما كان الغد دخلت عليه والناس عنده ، وهو على سريره فاستدناني فدنوت حتى ألصقت صدري بالسرير ، فقال : أدْنُ فمددت إليه عنقي فقال : كيف رأيت ذلك الإنسان ؟ قلت : والله ما رأيت مثله قط فبارك الله للأمير ، ثم رجعت إلى مقعدي .

حدثنا الحرمازي عن العتبي ، حدثني أبي عن المقدام قال : كانت عائشة بنت طلحة سيئة الخلق تشارّ أزواجها ، فغضبت يوماً على زوجها عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وكان أبا عُذرها فخرجت تجزع

المسجد ، مسجد رسول الله ﷺ ، فرآها أبو هريرة فقال : سبحان الله ، سبحان الله ما أحسن ما غذاك أهلك ، ما رأيت أحسن وجهاً منك .

حدثني العمري عن الهيثم عن صالح بن حسان قال : دخل مصعب على عائشة وهي تمتشط فأنشد :

ما أنْسَ لا أنْسَ منها نظرة عرضت بالحجر يوم جَلَتْهَا أم منظور[1]

فقيل له : إن أم منظور حية، وهي من بني عذرة ، فدعا بها وقال: حديثني عن قول جميل وأنشدها هذا البيت وسألها عن حديثها ، فقالت : مشطتُ رأس بثينة بنت حبا بن ثعلبة العُذرية ، وجعلت بين ذؤابتين من ذوائبها خلوقاً وألبستها وشاحاً من بلخ ، ثم أقبل جميل على بعيره فرآها بمؤخر عينه حتى مضى .

فقال مصعب : فاصنعي بعائشة مثل ذلك ففعلت ، وركب مصعب راحلته وأقبل ينظر إليها بمؤخر عينه حتى توارى عنها ، حكاية بجميل والحجر حجر ثمود .

المدائني قال : قيل لعمر بن عبيدالله : ألا ترى سوء خلق عائشة فلو طلقتها استرحت من تعذيبها إياك ؟ فقال :

يقـولون طلقهـا وتصبح ثـاوياً مقيماً عليك الهم أضغاث حالم

وإن فراقي أهل بيت أودّهم لهم زلفة عندي لإحدى العظائم

المدائني وغيره قالوا : قدم الحارث بن خالد المخزومي على عبد الملك بن مروان ، فأقام ببابه ستة أشهر لا يأذن له فانصرف وهو يقول :

تبعتكَ إذْ عيني عليها غشاوة فلما انْجَلَتْ قطَّعت نفسي ألومُها

١ ـ ديوان جميل بثينة ص ٧٠ ، مع فوارق .

فما بي إن أقصيتني من ضراعة ولا افتقرت نفسي إلى من يسومها
عطفت عليك النفس حتى كأنما بكفيك بُؤْسي أولَدَيْـكَ نعيمها

ورحل فأرسل إليه عبد الملك فرده وقال : يا حارث ترى على نفسك غضاضة في وقوفك ببابي ؟ قال: لا والله ولكن طالت غيبتي وانتشرت ضيعتي ، ووجدت فضلاً من قول فقلت . فقال : كم دينك ؟ قال : ثلاثون ألفاً . قال : فإنما تختار قضاءها عنك أو توليتك مكة ، فاختار توليه مكة ، فولاه إياها فقدمها وبها عائشة ، فأقيمت الصلاة وهي تطوف فأرسلت إليه إني لم أقض طوافي فقام بالناس ينتظر فراغها من الطواف فكتب بذلك إلى عبد الملك فعزله ، وقال : إني لم استعملك لتنتظر بالناس طواف عائشة بنت طلحة . قالوا وكان الحارث بن خالد يحب عائشة وكانت تحبه فخطبها الحارث قبل تزوج مصعب إياها فلم تجبه ، فقيل لها : أحبك رجل وأحببتيه حيناً ، ثم خطبك فلم تتزوجيه ؟ فقالت : كان فيَّ عيب ما يسرني أن لي طلاع الأرض ذهباً ، وأنه اطلع عليه ، فقيل هو سوء الخلق ، وقيل عِظَم الأذنين والقدمين .

حدثني الحرمازي عن العتبي عن أبيه عن أبي المقدام عن رجل من أهل مكة أنه قدم المدينة فإذا غلمان بيض عليهم ثياب بيض يدعون الناس إلى الغداء ، قال : فدخلت فإذا عائشة بنت طلحة على سرير ، وإذا الناس يُطعمون ، فقالت : يا هذا كأنك غريب ؟ قلت : نعم . قالت فمن أين أنت ؟ قلت : من أهل مكة ، قالت : كيف تركت الأعرابي ؟ قلت : من الأعرابي ؟ قالت : لا أحسبك تعرفه . اقعد فاطعم ، فلما خرجت قيل لي إنما سألتك عن الحارث بن خالد المخزومي ، فقال فقدمت مكة فأخبرته فقال :

من كان يسأل عنا أين منزلنا فالأقحوانة[1] منا منزل قَمنٌ[2]
إذ نلبس العيش صفواً لا يكدره طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمن

قالوا : وكانت عند عمر بن عبيدالله بن معمر رملة بنت عبدالله بن خلف الخزاعي ، وكانت مسنّة ، فلما تزوج عائشة بنت طلحة وأشخصها إلى البحرين ، وخلف رملة قال الشاعر :

عش بعايش عيشاً غير ذي دنق وانبذ برملة نبذ الجورب الخلق

ولم تلد عائشة إلا لعبدالله بن عبد الرحمن ، قال الشاعر لعمر بن عبيدالله بن معمر :

يومان بؤس يوم رملة منهما ويوم ابنة الفياض طلق وأسعد

وكان تزوج عمر بن عبيدالله عائشة بالكوفة ، وقدم بها البصرة ، وحملها معه حتى سار إلى أبي فُديك وخلف رملة وقال الشاعر :

من يجعل الديباج عدلاً للزيق بين الحَواري وبين الصديق
كبكرة مما تباع في السوق

وأم عائشة أم كلثوم بنت أبي بكر ، وجعل طلحة حوارياً ، وكانت عائشة تقول لعمر : أيّ اليومين كان أشد عليك ؟ أيوم أبي فديك أم يوم فارقت رملة ؟ فيضحك . ويقال إنها قالت له : أيوم أبي فديك كان أشد عليك ، أم يوم كنت تزور رملة فترى خلقتها وعظم أنفها ؟

ولما مات عمر بن عبيدالله جعلت عائشة بنت طلحة تنوح عليه قائمة ، فقيل لها : لم تفعلي هذا بغيره من أزواجك ؟ فقالت : فعلت هذا

١ ـ وقعت الأقحوانة في وادي الاردن قرب عقبة أفيق . معجم البلدان .
٢ ـ قمن : خليق . جدير . القاموس .

لثلاث خلالٍ كنَّ فيه ، ولم تكن في غيره من أزواجي : كان أقربهم رحماً ، وكان سيد بني تيم بن مرة ، وعزمت أن لا أتزوج أحداً بعده .

وأما مريم بنت طلحة فتزوجها عنبسة بن سعيد بن العاص ، وكان مَرّ ببابها فاستسقىٰ فسقته الجارية في إناء مطيب ، فتمنىٰ أن يتزوجها فتزوجها .

وأما الصعبة فتزوجها المغيرة بن عبيدالله بن معمر .

ومن بني تيم بن مرة بن كعب : عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن مرة، ويقال لعثمان: شارب الذهب، وذاك أنه دق لؤلؤات فشربهن، ويقال : بل كان يبذل الدنانير في الخمر فقيل إنما يشرب الخمر بالذهب ، وقيل كان سخياً فقيل هو يشرب الذهب شرباً لكثرة نفقته .

فولد عثمان : معمر بن عثمان ، وعمرو بن عثمان ، وعمير بن عثمان ، وزهرة بن عثمان ، وعبد الرحمن بن عثمان ، وكان يقال له : ابن شارب الذهب ، وهو الذي قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ في عمرة القضية فسلك فيما بين الصخرتين اللتين في المروة مصعداً فيها .

فولد معمر : معبد بن معمر ، وعبيدالله بن معمر ، وعثمان بن معمر بن عثمان وكان معبد فيما ذكر أبو اليقظان ممن تولى دفن عثمان بن عفان ، وليس يعرف لمعبد عقب .

وأما عمرو بن عثمان بن عمرو فهو من مهاجرة الحبشة ، واستشهد يوم القادسية .

وأما عبيدالله بن معمر فكان يكنى أبا معاذ ، وكان عبدالله بن عامر بن كريز حين غزا فارس على مقدمته ، فاستقبله أهل اصطخر بمكان يعرف بداٰجرد فقتلوه ، ودفن في بستان هناك ، وكان يدعى الشهيد .

فولد عبيدالله بن معمر بن عثمان : عمر بن عبيدالله ، وموسى بن عبيدالله ، وعثمان بن عبيدالله ، وأمهم فاطمة بنت الحارث بن أبي طلحة العبدري . وعبيدالله بن عبيدالله بن معمر لأم ولد ويكنىٰ عبيدالله أبا معاذ بكنية أبيه .

ومعاذ بن عبيدالله ، وهو ممن حضر دفن عثمان أيضاً ، وهو جد التيمي عمر بن محمد بن معاذ بن عبيدالله الذي يقول :

من يسامح ، من يقاذر من يقاصر بزياد
هو في الطول كشبر هو في الشر كعاد
من يبادلني قريبي ببعيد من إياد

وأما عبيدالله بن عبيدالله أبو معاذ فولاه ابن الزبير البصرة، ويقال ولى عمر أخاه ، فاستخلفه عمر عليها ، وحضر قتل مصعب ، فلما قتل هرب ثم أو من بعد واستعمله عبد الملك على السوس تقصيراً به فمات بها . فقال الفرزدق :

إن الرزيّةَ لا رزيّة مثلَها جبل الأباطح مات بالأهواز[1]

وله عقب بالبصرة منهم :

زياد بن عبيدالله بن عبيدالله بن معمر ويلقب الطويل ، وفيه يقول عمر بن محمد التيمي :

من يسامح من يقاذر من يقاصر بزياد
من يبادلني قريبي ببعيد من إياد

وأما موسى بن عبيدالله بن معمر فهلك بسجستان غازياً في ولاية عبد

١ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .

الرحمن بن سمرة . واستعمل عمر بن عبيدالله بن معمر ابنه عمر بن موسى بن عبيدالله ، وامه خزاعية ، وكان جميلاً ، على جيش بالبصرة ، حين غزا أبا فُديك الحروري ، وهو الذي ذكره عبدالله بن شبل بن معبد البجلي وهو يفضله حين قال: «تباري ابن موسى يا بن موسى»، وقد كتبنا الشعر فيما تقدم من نسب طلحة بن عبيدالله وخرج مع ابن الأشعث ثم انهزم ، فقال الفرزدق :

ولو شهد الخيل ابن موسى أمامه لهاب ولكن ابن موسىٰ تأخرا[1]

وظفر به الحجاج فلما دخل عليه قال له : يا عار قريش . ثم قتله صبراً ، وكان عزله بأخيه فطمع بالحياة ثم بدا له فضربت عنقه بين يديه .

وكان لعمر بن موسى ابن يقال له : عثمان بن عمر بن موسى بن عبيدالله ، ولاه أبو جعفر المنصور قضاء عسكره ، وولى الرشيد عمر بن عثمان هذا قضاء البصرة .

وكان حفص بن عمر بن موسىٰ بن عبيدالله بفارس فوثب عليه غلمانه فقتلوه .

وكان عبيدالله بن عمر بن موسىٰ بن عبيدالله بن معمر يلقب ، المفتي لأنه أمر يوماً لأكارين له بسبع تمرات سبع تمرات .

وأما عمر بن عبَيدالله بن مَعْمر ، فكان يكنى أبا حفص ، وكان من أجود العرب كفاً ، ولي البصرة لعبدالله بن الزبير ، وولي فارس لمصعب بن الزبير ، وولي البحرين لعبد الملك ، وقتل أبا فُديك الخارجي . قال العجاج :

١ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٤٠ مع فوارق .

هذا أوان الجَدِّ إذْ جَدّ عمر وصرح ابن مَعْمَـرٍ لمن ذمـر
وظهر الحق وأودىٰ من كفر[١]

ومات بالشام بضمير[٢] ، وصلى عليه عبد الملك بن مروان ، وقعد على قبره فقالت امرأة : يا سيد العرب ، تعني عمر بن عبيدالله ، فقال لها رجل من أهل الشام : اسكتي . أتقولين هذا وأمير المؤمنين حاضر ؟ فقال عبد الملك : دعها فقد صدقت . وقال عبد الملك متمثلاً :

ألا ذهب العرف والنائـل ومن كـان يعتمد السـائـل
ومن كان يطمـع في سيبه غـنيّ العشـيرة والعـائـل

ثم قام عبد الملك على قبره فقال : رحمك الله أبا حفص فقد كنت لا تحسد غنينا ، ولا تحقر فقيرنا . وقال الفرزدق يرثيه :

يا أيها الناس لا تبكوا على أحد بعد الذي بضمير وافق القدرا
من يقتل الجوع بعد ابن الشهيد ومن بالسيف يضرب كبش القوم إن عكرا
بَكّي هبلت أبا حفص وصاحبه أبا معاذ إذا المولىٰ به انتصرا[٣]

ومات عمر وهو ابن ستين سنة ، وكان سمّي عمر بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وقال الفرزدق :

ألم تريا أن الجواد ابنَ مَعْمَرٍ له راحتا غيث يفيض مُديمها
إذا جاءه السُّؤَال فاضت عليهم سماء يديه فاستقل عديمها
نمته بنو تيم بن مرة للعلى وحاطت حماة من قريش قرومها

١ ـ ديوان العجاج ص ١٤٢٩ . مع فوارق .
٢ ـ ما تزال تحمل الاسم نفسه إلى الشرق من دمشق في أحوازها .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

وهم سادة الإسلام والقادة الأُلـى يقوم على الحكام يوماً حلومها[1]

وقال بعض ولد عثمان لبيهس بن صُهيب الجرمي : يا أبا المقدام ، أمية بن عبدالله أفضل أم عمر بن عبيدالله ؟ فقال : عمر والله أجود منه جوداً ، وأكرم نفساً وأشد بأساً .

قالوا : وكانت للمغيرة بن حبناء التيمي جارية نفيسة كان محباً لها ، فاضطر إلى بيعها فجعل يمسك حتى قالت له : لو بعتني فانتفعت واتَّسعتَ بثمني كان أمثل مما أراك .

قال : أفعل والله على كره ، فعرضها للبيع فاشتراها عمر بن عبيدالله بن معمر بمائة ألف فقبضها وقال :

لولا قعود الدهر بي عنك لم يكن يُفَرِّقُنَا شيء سوىٰ الموت فاعذري
أروحُ بِهَمٍ في الفؤاد مُبَرِّحٍ أُناجي به قلباً قليلَ التَّصَبُّرِ
عليكِ سلاماً لا زيارة بيننا ولا وصلَ إلا أن يشاءَ ابن معمر

فلما بلغ عمر الشعر قال : قد شاء ابن معمر ، فرد الجاريه وسوَّغه المال .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة عن حميد بن سليمان بن قتَّة قال : بعث معي عمر بن عبيدالله بألف دينار إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وبألف دينار إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فقبل ابن عمر ما بعث به ، وأخذه بيده وهو في المغتسل وقال : وصلته رحم فقد جاءتنا على حاجة ، وأبى القاسم بن محمد أن يقبلها فقالت امرأته : إن لم تقبلها فهاتها .

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٦١ مع فوارق .

قال وكان عمر بن عبيدالله يبعث هذه الثياب المعمرية إلى المدينة فيقسمها بينهم ، فقال ابن عمر : جزىٰ الله من أفشىٰ هذه الثياب بالمدينة خيراً .

قال ابن قتّة : وقال لي ابن عمر : بلغني عن صاحبك أنه يعطي المهاجرين ألفاً ألفاً ويعطي الأنصار سبعمائة سبعمائة فأعلمت عمر قوله فسوّىٰ بينهم .

المدائني قال : ولىٰ عبدالله بن الزبير بعد بَبَّة عمر بن عبيدالله بن معمر البصرة ، وكان سخياً شجاعاً ممدحاً ، وقال المهلب بن أبي صفرة : ما رأيت مثل أحمر قريش في شجاعته ، ما لقينا خيلاً قط إلا كان في سرعان خيلنا ، يعني عمر بن عبيدالله ، وقال فيه نصيب :

والله ما يدري امرؤ ذو جناية ... ولا جار بيت أي يوميك أَجْوَدُ
أيــوم إذا ألفيتـه ذا يِسارة ... فأعطاك عفواً منه أو يوم يجهد
وإن حليفيك السماحة والندىٰ ... يقيمان بالمعروف ما كنت توجد[1]

وله يقول يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي :

فما كعبُ بن مَامَةَ وابن سُعْدَىٰ ... بأكرمَ منـك يا عمـر الجوادا

في شعر .

وقال هشام ابن الكلبي : وفد رجل إلى عمر بن عبيدالله ، فأقام ببابه شهراً فلم يحل منه بشيء ، فقال :

رأيت أبا حفص تجهم مَقْدَمي ... ولظ بقـولٍ عذرة أو مُـوارِبَا
فلا تحسبنّي إذ تجهمت مقدمي ... أرى ذاك عاراً أو أرى الخير ذاهبا
ومثـلي إذا ما بلدة لم تُـواتِهِ ... تنكب عنهـا واستدام المعـاتبـا

١ ـ شعر نصيب ص ٧٩ .

فبلغ عمر شعره فدعا به وقال : كم أقمت ؟ فقال : ثلاثين يوماً . فأمر له بثلاثين ألفاً ، وحمله وكساه فقال :

جزىٰ الله خيراً والجزاء بكفِّهِ عن الزُّور يأتيه الكريم ابن معمر
تـذمم إذ عـاتبتـه ثم نـالني بما شئت من مال وبـرّ محبر
وكـان العطاء كـالمقام عـديده ألوفاً كثيراً بعد عرض موفـر

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : قال عمر بن عبيدالله بن معمر : أنا بما أعطيت أسرُّ مني بما تركت .

فمن ولد عمر بن عبيدالله بن معمر : طلحة بن عمر وأمه رملة بنت عبيدالله بن خلف الخزاعي أخت طلحة الطلحات ، وكانت ابنته أم عثمان عند عبيدالله بن زياد ، وكان ابنه عبيدالله بفارس فقتلته الخوارج من الأزارقة .

قالوا : وكان عبيدالله بن أبي بكرة استخلف عمر بن عبيدالله بن معمر على سجستان ، وشخص إلى زياد ، فلما قدم وهب له كل شيء كان في بيت المال وكان عمر أتاه زائراً .

قال الأصمعي وأبو عبيدة : البستان الذي تدعوه العامة بستان ابن عامر بقرب مكة ، هو بستان ابن معمر .

قالوا : وكانت رملة بنت عبدالله عند عمر بن عبيدالله بن معمر ، فولدت له طلحة بن عمر ، وكبرت عنده وكانت تصغر سنها وتجحد كبرها وانقطاع طمثها ، فربما تغسلت لتظهر أنها تحيض ، فقال عون بن سلامة التيمي :

جعل الله كل قطرة حَوْزٍ[1] خرجت منك في حماليق عيني

ولما مات عمر بن عبيدالله تزوج رملة بعده خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، فمات عنها ، فلما ماتت رملة أرسل طلحة بن عمر بن عبيدالله ابنها إلى يزيد بن طلحة بن عبدالله بن خلف يطلب ميراثه فكتب إليه يزيد :

بعثت إلي عزرة في بلادي وقد أنفقت مالك في حرين[2]
فلا يذهب بك الرحمن حتى أرى رجليك في خفي حنين

فغضب له عبيدالله بن عبيدالله بن معمر فقال :

إذا ما النادبات ندبن يوماً بحمل غرامة وثقيل دين
فلا تندب لمكرمة ولكن لحلب معاقر ولكعثبين[3]
إذا الآباء زانهم بنوهم فلست لمن نسبت له بزين

وقال واثلة بن خليفة السدوسي يهجو عمر بن عبيدالله ، وكان نقله في ولايته فارس من مكان إلى شرٍّ منه ، وكان في جنده هناك :

نَبَتْ بِكَ أُمٌّ من ثمالَةَ جَانَبتْ بك القصد واجترَّت إليك المخازيا
كفيناكم جُلَّ الأمور وأنتم بني معمر لا تعملون العواليا
ولو كنت من خُلّان رملة ضمني جنابك أو أقررتني بمكانيا

وكانت رملة شفعت لقوم فأقرهم ، وكانت أم عمر بن عبيدالله من بني عبد الدار ، وأمها أزدية من ثمالة فلذلك قال أم من ثمالة .

١ ـ الحوز : النكاح وفرج المرأة والمحاوزة : المخالطة والوطء . القاموس .
٢ ـ حرين : بلد قرب آمد . معجم البلدان .
٣ ـ الكعثب : الركب الضخم . القاموس .

قالوا: وكانت عند طلحة بن عمر بن عبيدالله فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر ذي الجناحين بن أبي طالب ، **فولدت له ابراهيم بن طلحة** ، وكان خيّراً نبيلاً ، ذا جلالة ، وكانت فاطمة قبله عند حمزة بن عبدالله بن الزبير ، وكانت بارعة الجمال ، فلما احتضر أوصاها بألا تتزوج طلحة بن عمر بن عبيدالله ، وأحلفها على ذلك فحلفت ألا تتزوجه بصدقة مالها ، وعتق رقيقها ، فلما مات حمزة خطبها طلحة وكان جميلاً بهياً ، فأعلمته ما حلفت به ، فضمن لها أن يعطيها إذا تزوجته وحنثت بكل شيء شيئين ، فتزوجت به ، ووفىٰ لها فأعطاها ، عشرين ألف دينار ، ومهرها أربعين ألف دينار ، فولدت له ابراهيم بن طلحة ، ورملة بنت طلحة ، فزوج طلحة بن عمر ابنته رملة اسماعيل بن علي بن عبيدالله بن العباس بن عبد المطلب على مائة ألف دينار ، وكانت فائقة الجمال فقال اسماعيل بن يسار النساء لطلحة بن عمر : أنت أتجر الناس ، تزوجت فاطمة بنت القاسم على أربعين ألف دينار ، وأعطيتها ليمينها عشرين ألف دينار ، فولدت لك إبراهيم ، ورملة ، فزوجت رملة بمائة ألف دينار وربحت إبراهيم وأربعين ألف دينار ، وكان يقال : إذا رأيت ابراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيدالله ، وإعظام قريش له ظننت أنهم عبيد له ، وكان عظيم الشأن كثير الأتباع ، وسقط سوطه فابتدره ثلاثون من أهل بيته حتى أخذه من أخذه منهم ، وناوله إياه فوصلهم . وكان كثير الغاشية والأتباع يمر في طريقه إلى المسجد فلا يتجاوزه أحد من قريش وغيرها بل يتزاحمون خلفه ، ومات إبراهيم بن طلحة وله ستون سنة ، واقتسم ولده ميراثه ، فأصاب كل ذكر منهم مال جسيم .

وقال أبو اليقظان : كره الوليد بن عبد الملك تزوج طلحة بن عمر

فاطمة ، وكان هَمَّ بتزوجها ، فكتب إلى عامله على المدينة أن يخرجه إلى السوق ويجبره على طلاقها فلم يطلقها .

قالوا : ومات طلحة بن عمر بن عبيدالله ، فورث كل ولد له ذكر أربعين ألف دينار .

وأما جعفر بن طلحة فأنفق ماله في ضيعته التي سماها أم العيال بالفرع[1] ، وكان لها قدر عظيم ، فأقام بها وأصابه وهو فيها الوباء ، فقدم المدينة وقد تغير ، فرآه مالك بن أنس الفقيه ، فقال :

هذا الذي عمّر ماله وأخرب بدنه ، وقد تفرقت تلك الضيعة وصارت فيها شرك ، وركب عثمان بن طلحة بن عمر بن عبيدالله دين فأراد الشخوص إلى العراق في أمر دينه ، فبلغ ذلك أخاه جعفر فقال : لا بارك الله في مال بعد عثمان أخي فجمع له ألفي دينار فقضىٰ دينه ، وأقام بالمدينة .

وكان عبد الرحمن بن طلحة بن عمر من وجوههم ، وكان يلي صدقتهم ولاه إياها الرشيد هارون أمير المؤمنين .

وكان محمد بن طلحة بن عمر من خيار قريش ، وأمه أم ولد ، وهي أم أخيه عبد الرحمن بن طلحة .

وعثمان بن طلحة ، ولاه المهدي أمير المؤمنين قضاء المدينة فلم يأخذ عليه رزقاً ، وقال : أكره أن أرتزق فيضربني ذلك على ولاية القضاء ، ثم استعفى عثمان المهدي فأعفاه .

وقال الزبيري : تغدى عثمان بن طلحة مع العباس بن محمد بن

١ ـ الفرع : قرية من نواحي الربذة عن يسار السقيا ، بينها وبين المدينة ثمانية برد . المغانم المطابة .

علي بن عبدالله بن العباس ببغداد ، فقال له : دلني على براح بنخلة أشتريه واعتمله ، فقال : هو عندي . قال : بكم هو ، قال : بخمسة آلاف دينار فوثق بقوله وأعطاه الثمن على ما قال .

وقالوا : ودعا الحسن بن زيد - إذ كان يلي المدينة - اسحاق بن ابراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله إلى القضاء عليها فأبىٰ ذلك ، فحبسه وحلف ألا يخليه أو يلي القضاء ، فكلم فيه فدعا به وقال : إنك قد ألححت وقد حلفت فأبرّ يميني ففعل ، وأرسل معه حسن جنداً حتى جلس في المسجد فجاء رجل من مواليهم فوقف على رأسه فقال :

طلبوا الفقه والمروءة والفضـ ـــل وفيك اجتمعن يا إسحاق

فأمر بتنحيته وأعفاه حسن بن زيد عن القضاء ، فلما صار إلى منزله أعطى الذي أنشده البيت خمسين ديناراً وقال : استعن بها على أمرك ، ويقال انه مولى له يقال له : داود بن سلم .

وقال الزبيري : كان داود بن سلم نبطياً وأُمّه مولاتهم فادعى ولاءهم .

وقال أبو اليقظان : وكان عثمان بن عمر بن طلحة بن عبيدالله بن معمر على قضاء المدينة لجعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس .

وقال أبو اليقظان : كان عثمان بن عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر على قضاء المدينة في أيام مروان بن محمد ، ثم ولاه المنصور أمير المؤمنين قضاءه ، فكان مع المنصور حتى مات بالحيرة قبل تحول المنصور إلى بغداد .

وكان ابنه عمر بن عثمان بن عمر بن موسى من وجوه قريش وبلغائها ولاه الرشيد قضاء البصرة فحج ثم أقام بالمدينة واستعفى فأعفاه الرشيد من

القضاء ، وأقره بالمدينة فلم يزل بها حتى مات ، وقيل له : إنك متواضع وينبغي للقاضي أن يكون مهيباً فقال : إنكم إذا وليتم القضاء وضعتموه على رؤوسكم ، وأنا أضعه تحت قدمي ، وخاصمه بعض القرشيين فقال وقد حمل القرشي عليه : علىٰ رسلك فإنك سريع الانفاد ، وشيك الانقطاع ، ولست والله بمكافىء لي دون أن تبلغ غاية المدى ، وأبلغ غاية الإعذار .

قالوا : وكان مع عمر بن عبيدالله بالبصرة أخوه عثمان بن عبيدالله بن معمر فبعثه بفارس لقتال الأزارقة فقتله ابن برز مولى عبد القيس فقال الشاعر :

ونال الشهادة منهم فتى بدولاب كالقمر الأزهر
طويل النجاد رفيع العماد كهمّك من ماجد معسر[1]
أطاع الكتاب رجاء الثواب فقاتل عن دبر المدبر
ليعذره الله والمسلمون ومعذرة الله للمعذر
وفر الذين أرادوا الفرار كأنهم خشب العرعر

في أبيات .

ومن ولد عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة : عبد الرحمن بن عمير وأمه سلّامة[2] ، أم ولد ، وإليها ينسبون ، وزعم ولدها أن سلامة كانت تخدم النبي ﷺ ، وكان عبد الرحمن هذا المتولى لاستخراج طلحة بن عبيدالله من قبره ، وتحويله إلى موضعه اليوم .

---

١ ـ بهامش الأصل : مسعر .
٢ ـ بهامش الأصل : ولدها يقولون سلامة بالتخفيف .

ومنهم : **عون بن عبد الرحمن** بن عمير بن عثمان وكان له قدر ، وكان صديقاً لأمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، فمرض فلم يعده أمية فقال :

إن من غـرَّهُ أميـة بعـدي مثل من غرّه أجيج السراب
كنت أرجو أن يحفظ العهد مني فـإذا عهـده كعهـد الغـراب

وكان عون هذا خاف الحجاج فهرب منه ، وانشأ يقول :

وددت مخـافـة الحجـاج إني بكابل في است شيطان رجيم

فأخذ هذا مساور الوراق فقال :

مازال بي صوت دِنْدَان[1] يؤرقني والناس من بين مجلود ومحبوس
حتى تمنيت أني من مخـافتـه بكابل استار حولاً في است جاموس

فقيل : لو قلت فوق جاموس ، فقال : ذاك أخفى .

وقال الكلبي : كان عبيدالله بن خالد بن عون بن عبد الرحمن بن عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد قائداً من قواد خراسان بمرو فوقعت بين بكر بن وائل وتميم فتنة ، بسبب حوانيت ابتناها عبيدالله بن عون أخو خالد بن عون في بعض أفنية بكر بن وائل فهدموها .

وأما زهرة بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم فولد هشام ، ويقال هاشم بن زهرة. كان صريعاً، فأمره عمر بن الخطاب أن يصارع رجلاً قدم يتحدى الناس بالمصارعة فصرعه هشام ، وجلد مروان بن الحكم عبدالله بن هاشم بن زهرة بن عثمان بن عمرو في الخمر ثمانين ، ويقال ابن هشام .

ومن **بني تيم بن مرة** : **عبدالله وعمير ابنا جُدعان** بن عمرو بن

---

١ ـ الدندنة : صوت الذُّباب والزبابير ، وهينمة الكلام . القاموس .

كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وكَلَدة ابن جُدعان ، قتل يوم الفجار .

فأما عمير بن جُدْعان فولد : قنفذ بن عمير ، أدرك النبي ﷺ ، فكان مؤذياً له فقال أبو طالب فيه وفي عثمان بن عبيدالله :

وإني أرى عثمان أمسىٰ وقنفذاً ومن جمعا من شرّ تلك القبائل

وكان المهاجر بن قنفذ بن عمير بن جُدعْان على شُرط عثمان بن عفان ، وكان عمر جلده وامرأته ثمانين ثمانين في شراب .

وأما عبدالله بن جُدْعان ، وأمه سعدىٰ بنت عويج ، فكان شريفاً سيداً في الجاهلية ولما كبر حجر عليه قومه أن يتلف ماله فكان يقول للرجل : ادْنُ مني ألطمك وطالبني بالقود ، فيلطم الرجل فيرضيه قومه عنه من ماله ، فقال ابن قيس في ذلك :

والذي إن أشار نحوك لطماً تبع اللطم نائل وعطاء[1]

وكان له ذكر في العرب ، فسأل كسرىٰ يوماً عن دين العرب ، وأمر البيت وقال : إني لأحب أن ألقىٰ من أهل مكة رجلاً ذا عقل وفهم فأسائله عن أمورهم ، فذكر له قوم من العرب كانوا بحضرته أمر عبدالله بن جُدْعان ، فكتب إلى صاحب اليمامه يأمره بالمسير إلى مكة ليشخص إليه ابن جدعان مكرماً ، فأشخصه إليه فلما رآه كسرىٰ أعجبته هيئته وعقله ونبله ، وكان قد أهدى إليه عصباً يمانياً وأدماً فقبل هديته وآنسه فكان يدعو به يسائله وبينهما ترجمان ، فإذا قام منصرفاً قال : ما ظننت أن في العرب مثل هذا في حلمه وثخانته[2] وجودة رأيه . وكان يؤاكله ، ثم إنه وصله وزوده من ثياب

---

١ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ص ٩٣ .

٢ ـ الثخين : الحليم . القاموس .

العراق وطرائفه وقال له وهو يأكل : هل لك في حاجة تذكرها ؟ قال : نعم ، تَهَبُ لي هذا الطباخ الذي يتخذ لك هذه الحيسة يعني الفالوذ ، فوهب له طباخاً ، فلما انصرف فقدم مكة أمر باتخاذ الفالوذ فكان يتخذ ويطعمه أهل مكة ، فقال أمية بن أبي الصلت الثقفي :

وأبيض من بني عمرو بن كعب وهم كالمشرفيات الحداد
له داع بمكة مشمعلٌّ[1] وآخر فوق داريه ينادي
إلى ردح من الشيزى[2] ملاء لباب البُرِّ يلبك بالشهاد
لكل قبيلة ثبج وهادٍ وكنت الرأس يقدم كل هادي
فما لاقيت مثلك يا بن سعدىٰ لمعروف وخير مستفاد[3]

ـ وأم عبدالله جمحية واسمها سعدىٰ ، وقد سمعتُ في قدومه على كسرىٰ وجهاً آخر ، وهو أن الحارث بن ظالم لما خاف النعمان استجار بزرارة بن عُدس ثم التمس أحرز من مكانه عنده ، فأتى مكة واستجار بعبدالله بن جدعان ، فكره النعمان ومن جمع له أن يأتوا مكة وهي حرم ، فكتب النعمان إلى كسرى يعلمه فتك الحارث وشرارته وأنه يسعىٰ بالفساد في عمله ، ويسأله أن يكتب إلى صاحب اليمامة في أشخاص الحارث إليه وأخذ من هو عنده به ، فلما صار صاحب اليمامة بقرب مكة كره أن يطأها بجيش وانتظر يوماً من أيام أسواقهم بعكاظ وغيرها ، فلما اجتمعوا فيه لقي ابن جدعان فسأله أن يسلم إليه الحارث بن ظالم فقال : إنه فارقني ، فأشخص صاحب

---

١ ـ المشمعل : الرجل الخفيف الظريف ، أو الطويل . القاموس .
٢ ـ الردح : الجفنة العظيمة . والشيزي : خشب أسود للقصاع . القاموس .
٣ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت ـ ط . دمشق ١٩٧٧ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ مع فوارق .

اليمامة ابن جدعان إلى كسرى ، ويقال إن باذام صاحب كسرىٰ باليمن تعبَّث بأهل مكة في شيء التمسه منهم ، فشخص ابن جدعان في عدة من قريش إلى كسرىٰ يشكونه ، فكتب له إلىٰ باذام بما أراد ، والله أعلم .

وقال الواقدي في إسناده : كان بنو تيم في حياة ابن جدعان كأهل بيت واحد يقوتهم ابن جدعان ، وكان يطعم كل يوم في داره الدهر كله جزوراً ، فينادي مناديه : من أراد اللحم والشحم فعليه بدار ابن جدعان ، ووفد على ملك فارس فقال له : بلغني أنك أعظم العرب مروءة فسلني حوائجك ، فسأله طباخاً يعمل الفالوذ ، فكان يطعمها قريشاً .

وكان لرجل من بني جُشَم بن بكر على رجل من بني كنانة دين ، فأَعْدَمَ الكناني ، فأتىٰ إلى الجشمي بقرد فقال : من يشتري هذا القرد بدَيْن الجشمي عليّ ، فوثب الجشمي فقتل القرد ، فاقتتل بنو كنانة وبنو بكر فأصلح بينهم ابن جدعان ، وحمل ذلك الدين .

وكان ابن جدعان يكنىٰ أبا زهير ، وفي داره كان اجتماع أهل حلف الفضول حين عقدوه ، وقال رسول الله ﷺ يوم بدر : «لو كان أبو زهير أو مطعم بن عدي حياً فاستوهبهم لوهبتهم له» .

وسكر ابن جدعان ليلة من الخمر فجعل ليتناول القمر ، فأخبر بذلك فترك الشراب وقال :

شربت الخمر حتى قال صحبي أَلَستَ عن الشرابِ بِمُسْتَفيقِ
وحتى ما أُوَسَّدُ في منام أَبِيْتُ به سوىٰ التُرْبِ السَّحِيْقِ

وقال معاوية بن أبي سفيان : إنما تقسم الشرف بعد أبي زهير عبدالله بن جدعان ، وكان مقدماً عند قريش ، ومدح أمية بن جدعان

فقال :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالحقوق وأنت فرع لك الحسب المهذب والسناء
كريم لا يغيره صباح عن الخلقِ الجميل ولا مساء
يباري الريح مكرمة وجوداً إذا ما الكلب أحجره الشتاء
وأرضك أرض مكرمة بناها بنو تَيْمٍ وأنت لها سماء[1]

وقال أمية يرثيه في أبيات :

آباؤك الشُّم المراجيـ ـح المساميح الأخاير
علم ابن جدعان بن عمـ ـرو أنَّه يوماً مدابر
ومسافر سفراً بعيـ ـداً لا يؤوب له المسافر
فقدوره بفنائه للضيـ ـف مترعة زواخر
زبداً وغرغرة[2] كغرغرة الفحـ ـول إذا تُخاطر
وكأنهنَّ إذا حَمين بما شجـ ـين به ضرائر
وكأنما يدعى عرينة في طوائفها وضاطر[3]
وإذا تُشام بروقهم جادت أكفهم المواطر
لا يحتويهم جانب نأي المحل ولا مجاور
قوم حصونهم الأسـ ـنَّة والأعنَّة والبواتر

١ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥ .
٢ ـ الغرغرة : صوت القدر إذا غلت .
٣ ـ عرينة وضاطر من قبائل العرب . انظر جمهرة الأنساب العرب لابن حزم ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

نزلوا البطاح فَفُصِّلَت بهم البواطن والظواهر(١)

وله يقول أمية أيضاً :

نِعْمَ الفتى وأخو العشيرة إنه يُعطي الجزيل ولا يَكُدُّ السائلا(٢)

وقال خداش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يهجو ابن جدعان :

أَغَرَّك أن قالت قريش مُسَوَّدٌ وأنك مكفيٌّ بمكة طاعم

فبعث إليه فأرضاه .

قالوا : ولما مروا بنعش ابن جُدعان صرخت ضباعة بنت عامر بن قُرْط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ـ وكانت عند ابن جُدعان ، خلف عليها بعد أبي هوذة الحنفي فلم تلد منه ، وكان عقيماً فسألته الطلاق فطلقها فتزوجها هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له سلمة ـ فقال لها زوجها هشام : ما هذا ؟ قالت : إنه نعم زوج الغريبة . فقال : أي والله والقريبة ، ما ألومك أن تبكي سيد قريش .

قالوا : وكان ابن جُدعان عقيماً فادعىٰ بُنُوَّةَ رجل فسماه زهيراً ، وكناه أبا مُليكة فولده كلهم ينسبون إلى أبي مُليكة ، ويقال أبو مليكة بن عبدالله بن جدعان ، فمن ولد أبي مليكة عبيدالله وعبدالله ابني أبي مليكة .

وذكر أبو اليقظان أن أهل مكة يقولون في مثل لهم يضربونه : حتى

---

١ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٤١١ ـ ٤١٤ مع فوارق .

٢ ـ ليس في ديوان أمية المطبوع .

يرجع أبو مليكة إلى عصيدته ، وذلك أنه أمر أن تعمل له عصيدة ففقد فلم نعد إليها .

فأما **عبيدالله بن أبي مليكة** فأقامه عمر بن الخطاب مقيماً للحدود بمكة .

وأما **عبدالله** فمن ولده زيد بن عبدالله بن أبي مليكة ، وكان زيد مع بعض ولد زياد بن أبي سفيان بسجستان ، فقتله الترك ، وكان ابنه **علي بن زيد بن عبدالله** بن أبي مليكة الذي يقال له : علي بن زيد بن جدعان محدثاً ، روى عن سعيد بن المسيب وغيره ، ومات في أرض بني ضَبَّة بالطاعون ولا عقب له .

ولأخيه **محمد بن زيد بن أبي مليكة** عقب بالبصرة .

حدثني الحرمازي عن ابن عمر الحجري عن أبيه قال : سمعت ابن أبي مليكة يقول : إذا غلب على العالم الطمع ذهب بهاؤه .

قال : سَوّار بن زهدم الجرمي في بعض ولد أبي مليكة :

بني تَيْمِ بنِ مُـرَّةَ إنَّ فيكم مكارم لسْنَ في أحدٍ سـواكم
فمنهـن الـطِّعـان إذا لقيتـم واعـطاء المضاف إذا اعـتراكم
وسعيكم إلى المعـروف سهـل ولم تحلل إلى جهـل حبـاكم

وكان عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة يروي عن عبدالله بن عباس ، مات سنة سبع عشرة ومائة .

وقال محمد بن سعد : **كان من ولد جدعان : يعقوب بن زيد** بن طلحة ، ويكنى أبا عرفة ، وكان قاصاً ، روى عنه مالك بن أنس ، مات في خلافة أبي جعفر .

ومن بني تيم بن مرة : محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهُدَير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة ، وكان الهدير منقطعاً إلى عائشة ووصلته بعشرة آلاف درهم فاشترى أم ولد .

قال أحمد بن ابراهيم عن الحجاج بن محمد عن أبي معشر أن عائشة وهبت للمنكدر عشرة آلاف درهم فابتاع منها جارية بألفي درهم ، فولدت له : محمداً ، وأبا بكر ، وعمر بني المنكدر ، فأتى رجل بمال فقال : دلوني على رجل فاضل بالمدينة أدفع إليه هذا المال ، فدُلَّ على عمر بن المنكدر ، فلم يقبل المال فدل على أبي بكر فلم يقبله ، فدل على محمد فلم يقبله ، فقال الرجل : يا أهل المدينة ، إن استطعتم أن يلدكم كلكم المنكدر فافعلوا .

وقال ابن عيينة : كان محمد بن المنكدر من معادن الصدق ، وكان يجتمع إليه الصالحون .

أحمد بن ابراهيم عن علي بن الحسن عن سفيان بن عيينة قال : قلت لمحمد بن المنكدر أي الأعمال أَحَبُّ إليك ؟ قال : إدخال السرور على المسلم ، قيل فما بقي مما تستلذه ؟ قال : الإفضال على الإخوان .

قالوا : وكان محمد بن المنكدر يضع خدَّه بالأرض ثم يقول لأمه : قومي فضعي قدمك على خدي ، وكان ابن المنكدر يقوم الليل فيصلي فيسمع صياح جار له مُبْتَلَى ، فكان يرفع صوته بالحمد فقيل له في ذلك فقال : رفع هذا صوته بالبلاء وأرفع صوتي بالنعمة .

حماد بن زيد عن عمر بن جابر عن محمد بن المنكدر قال : إن المتكلم يخاف مقت الله وإن المستمع يرجو رحمة الله .

وقال عمر بن محمد بن المنكدر: كنت أمشي مع أبي في الطريق فإذا مرَّ

بهذه القراطيس الممزقة أمرني أن آخذها فأجعلها في كوة ، ويأخذها هو أيضاً .

وروى ابن المبارك عن أسامة بن زيد ، حدثني محمد بن المنكدر قال : كان يقال شر قتيل قتل في الاسلام قتيل يقتل بين ملكين يريدان الدنيا .

أحمد بن أبي معاوية ، ثنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر أنه كان يستقرض ويحج ، فقيل له : ألحَج بالدَّين ؟ فقال : الحج بالدين أقضى للدين .

حدثني روح بن أسلم عن زائدة بن قدامة ، أنبأ محمد بن سوقة ، سمعت محمد بن المنكدر يقول : ان الله يصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده ، وأهل دويرته ، وأهل الدويرات حوله ، فما يزالون في حفظ من الله مادام فيهم ، وكان الغاضري[1] ربما حضر مجلس ابن المنكدر .

وقال سفيان : لما حضرتْ ابن المنكدر الوفاة جزع فقالوا : ادع أبا حازم يعزيه ، فجاء ابو حازم فقال له ابن المنكدر : إن الله يقول : ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾[2] ، وأخاف أن يبدو لي من الله ، ما لم أكن أحتسب ، فجعلا يبكيان جميعاً . ويقال إن القائل هذا عمر بن المنكدر .

وقيل لابن المنكدر : أتصلّي على رجل يرتهن ؟ فقال : إني أكره أن يعلم الله من قلبي أن رحمته تعجز عن واحد .

حدثني غسان بن المفضل قال : أعطىٰ محمد بن المنكدر حتى بقي في إزار ، وقالت أم عمر بن المنكدر لعمر : يا بني أني لأشتهي أن تنام فقال :

١ ـ لعله أراد عمران بن الحصين أبو نجيد الخزاعي الغاضري ، له صحبة . اللباب لابن الأثير .

٢ ـ سورة الزمر ـ الآية : ٤٧ .

إني لأستقبل الليل فيهولني ، فيدركني الصبح وما قضيت حاجتي .

حدثني الحرمازي قال : حج محمد بن المنكدر ومعه فتيان من قريش ، وكانت الريح إذا رفعت ستارة عن وجه امرأة في قبتها وعمارتها قال : بَرْقَةٌ ، فرفعت الريح ستارة منها فاذا وجه امرأة سوداء فقال محمد بن المنكدر أما هذه فصاعقة .

وقال الحرمازي : قيل لمحمد بن المنكدر : إن ههنا رجلاً يغني غناء السفهاء . قال : وما يقول ؟ قالوا يقول :

أطوف بالبيت فيمن يطوف وأرفع من مئزري المسبل

قال : قد أحسن ونعم ما صنع ، ثم أنشد :

وأسجد بالليل حتى الصباح وأتلو من المحكم المنزل

فقال : هذا رجل صدق ، فأنشد :

عسىٰ فارج الهم عن يوسف يسخر لي ربَّةَ المحمل

قال : آه ، آه امسكوا ، هذا رجل سوء .

وأخبرني بعض أصحابنا عن الحرامي أنه ذكر أن سفيان بن عُيينة المنشد هذا الشعر ، الذي غنى به ابن جامع السهمي والله أعلم .

وأُنْشِد ابن المنكدر :

فلما تولت حتى تضرعت حولها وأعلمتها ما أنزل الله في اللمم

فقال : لمن هذا ؟ قال : لوضاح اليمن . فضحك وقال : إن وضاح لمقيتاً لنفسه .

ومات محمد بن المنكدر في سنة ثلاثين ومائة ، ويكنى أبا عبدالله .

وكلم ابن المنكدر عبد الملك في قضاء دينه فقال : أقضيه عنك على أن

لا تعود للدين . فقال : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، يقول : لا أسألك بها قضاء دين .

وكان أبو بكر بن المنكدر فقيهاً .

وقال أبو اليقظان : ولد الهُدير ربيعة ، وعبدالله والمنكدر ، فولد المنكدر محمداً ، وأبا بكر ، وعمر ، وكلهم كان ديّناً خيراً .

قال : وقال محمد بن المنكدر : بات أخي عمر يصلي بالليل ، وبت أغمز قدمي أمي ، فما تسرني ليلته بليلتي .

قال : ودخل أعرابي المدينة فرأىٰ إعظام الناس بني المنكدر وذكرهم لهم ، فسئل عن أهل المدينة لما خرج منها فقال : تركتهم بخير ، وإن استطعت أن تكون من بني المنكدر فكن .

وحج محمد بن المنكدر فأعطى ما معه وتصدق وفرق ، فلم يبق معه شيء ، فقال لأصحابه : ارفعوا أصواتكم بالتلبية ، ورفع صوته فمر ببعض المياه وعليه محمد بن هشام المخزومي فقال : بلغني أن ابن المنكدر أنفق نفقة كبيرة ، وما أظن معه شيئاً ، فبعث إليه بأربعة آلاف درهم ، فأخذها وحمد الله كثيراً وقال : إن من أفضل أعمال أهل الإيمان إطعام الشبعان .

قال وكان ربيعة الرأي ابن أبي عبد الرحمن ، مولى بني الهدير ، وكان ربيعة يكنىٰ أبا عبد الرحمن أيضاً بكنية أبيه ، وكان اسم أبيه فروخ ، وكان يسار النساء من سبي أذربيجان مولاهم أيضاً ، وكان يشتري متاع العرائس ويبيعه، وكانت تلك تجارته فقيل له : يسار النساء ، وكان اسماعيل بن يسار ، ومحمد بن يسار ، وسليمان بن يسار إخوة . قال محمد بن يسار لاسماعيل أخيه :

تلوم علىٰ القطيعة من أتاها وأنت سننتها في الناس قبلي

وقال اسماعيل :

لا تَحْسَبَنِّي كَمَعشْرٍ كَذِبٍ عَلَفْتُهْم ما أَنَيْتُ فاعتَلَفُوا
وقد فرَّق الله بين نيتينا في كل أمرٍ فكيف نأتلف

وكان اسماعيل يكنى أبا فايد ، وكان شاعراً سديد العقل ، ذا رأي ، وكان سليمان بن يسار منقطعاً إلىٰ ابن الزبير ، وليس هو سليمان بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية الفقيه .

وكان الماجشون مولىٰ بني الهدير أيضاً .

وقال محمد بن سعد : كان ربيعة بن عبدالله ، وهو أبو سلمة بن الهدير فقيهاً ، روى عن أبي بكر وعمر[1] .

وكان ربيعة بن عثمان بن عبدالله بن الهدير فقيهاً ومات في سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن سبع وسبعين سنة ، ويُكنى أبا عثمان .

قال أبو اليقظان : **ومن بني تيم بن مرة : عون بن عبدالله بن عياش بن** أبي هند ، ويُكنىٰ أبا عبدالله ، وكان له قدر بفارس ، وولي اصطخر لمنصور بن زياد ، وهلك منصرفاً من مكة .

وقال ابن سعد : كان عبد الرحمن بن صبيحة التيمي من قريش وقد حج مع أبي بكر ، وروى عنه ، وله بالمدينة دار عند أصحاب الأقفاص .

وقال أبو اليقظان : كان صبيحة بن الحارث بن جُبيلة بن عامر بن كعب بن سعد فيمن بعثه عمر بن الخطاب لإقامة أنصاب الحرم .

قال ابن الكلبي : **ومن بني تيم بن مرة : الحارث بن خالد** بن

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٧ .

صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، وكان من مهاجرة الحبشة في المرة الثانية ، وقد ذكرناه فيما تقدم من كتابنا هذا .

ومنهم : **خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم** وهو الشَرْقي وبعضهم يقول الشِرَفي ، وكان يأتي مشارف الشام ، وكان فيه وفي أهل بيته بغي وشرارة .

ومن ولده : **شييم بن قيس بن خالد بن عبد مناف** ، وله تقول أمه سبيعة بنت لاحب النصرية :

أبنيّ لا تظلم بمكـ ـة لا الصغير ولا الكبيرا
إني رأيت الظلم أورثـ ـهم لبغيهم ثبورا
والفيل أهلك جيشـ ـه يغشى عناتهم الصخورا
والله آمَنَ طيرها والوحش حين أَوَتْ ثبيرا

وأنشدنيه عمرو بن الأسود الشيباني :

لا تظلمن من جاء مكـ ـة من صغير أو كبير
أبنيَّ من يظلم بمكـ ـة يَلْقَ أطراف الشرور
واحفظ محارمها ولا يغرر ك بالله الغرور
فالله آمن طيرها والوحش تعقل في ثبير
والفيل أهلك جيشـ ـه يُرْمَوْن فيها بالصخور
فاسمع إذا حُدِّثْـ ـتَ وافهم كيف عاقبة الأمور

والرواية الأولى رواية الحرمازي .

وقالت له أيضاً :

أبنيَّ إني رابني حجر يغدو بكفك كلما تغدو

قال : ومنهم مسافع بن عياض بن صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وهو الذي هجاه حسان بن ثابت الأنصاري فقال :

يا آل تيم ألا تنهون جاهلكم قبل القذاف بأمثال الجلاميد(١)

ومنهم **محمد بن ابراهيم بن الحارث بن خالد بن صخر بن عمرو بن كعب** بن سعد بن تيم الفقيه أبو عبدالله **مات** سنة عشرين ومائة ، وابنه موسى بن محمد بن إبراهيم مات في خلافة المهدي .

قال : **ومن بني تيم بن مرة : أبو الغشم بن عبد** العزيز بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم . **والحويرث** بن دَبّاب بن عبدالله بن عامر بن الحارث بن حارثه بن سعد ، وكان من قصة دباب ، وذكر أبي طالب إياه ما قد شرحناه مع تسمية ولد أبي طالب لصلبه .

وحدثني أبو محمد التوزي النحوي عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان ابن جُدعان يوجه أبا مليكة وغيره بالهدايا إلى ملك الحيرة ، وإلى كسرىٰ ، ويفد إليهم في الأمور ، ويكاتبهم ، فبعث بهدايا إلى ملك الحيرة ، فقطع على رسله بنو يربوع ، فأغار ابن جُدعان بقريش ومن لافهم على بني يربوع ، ولم يعرض لغيرهم من بني تميم .

وقال ابن جدعان في ولد سُبيعة بنت الأحبّ ، وفي خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم وإخوته :

إذا ولد السبيعة فارقوني فأي مراد ذي حسب أرود
أأقعد بعدهم في الناس حياً وقد هلك المصاليت الأسود
يكبُّون العشار لمن أتاهم إذا ما لم يكن في الأرض عود

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٣٤٩ .

حدثني هشام بن عمار عن حاتم بن اسماعيل عن صالح بن محمد عن زائدة عن أبي سلمة عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله ، ابن جدعان كان يضيف الضيف ، ويطعم الطعام ، ويفعل ويفعل ، قال : «يا عائشة كيف ولم يقل قط ساعة من ليل أو نهار: رب اغفر ﴿لي خطيئتي يوم الدين﴾»[1] ؟

١ ـ سورة الشعراء ـ الآية : ٨٢ .

نسب ولد يقظة بن مرة بن كعب

ولد يقظة بن مرة : مخزوم بن يقظة ، وأمه كلبة بنت عامر بن لؤي .

فولد مخزوم : عمرو بن مخزوم ، وعامر بن مخزوم ، وحبيب بن مخزوم ، وأسد بن مخزوم ، فدرج حبيب وأسد وامهم عنبة ، ويقال : غنىٰ بنت سيار واسمها لُبْنَىٰ بنت سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي .

وعمران بن مخزوم ، وعميرة وأمهما سعدىٰ بنت وهب بن تيم بن الأدرم بن غالب .

فولد عمر بن مخزوم : **عبدالله** بن عمر ، وعبيد بن عمر ، وعبد العزى بن عمر وأمهم بَرّة بنت قصي بن كلاب .

فولد **عبدالله بن عمر بن مخزوم** : **المغيرة** بن عبدالله إليه البيت والعدد ، وعايد بن عبدالله ـ بدال غير معجمة ـ وأسد بن عبدالله ـ وهو ابن جندب ـ وخالد بن عبدالله ، وعثمان . وأمهم ريطة بنت عمرو بن كعب بن أسعد بن تيم بن مرة .

وهلال بن عبدالله وأمه بَرَّة بنت ساعدة بن مشنوء بن عبد حبتر من خزاعة .

فولد المغيرة بن عبدالله: هشام بن المغيرة، وهاشم بن المغيرة درج ولا عقب له ، وأبا حذيفة بن المغيرة واسمه مُهَشِّم ، وأبا ربيعة ، وهو ذو الرمحين ، واسمه عمرو ، وأبا أمية بن المغيرة ، واسمه حذيفة ، وأبا زهير بن المغيرة واسمه تميم ، والفاكة قتلته كنانة وأمه ريطة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص ، وبعضهم يقول : ريطة بنت سعيد بن سعد بن سهم ، والأول قول الكلبي .

والوليد بن المغيرة وكان يقال له : العدل ، وهو الوحيد ، وعبد شمس بن المغيرة وأمهما صخرة بنت الحارث بن عبدالله من قشير بجيلة ، وحفص بن المغيرة ، وأمه حبيبة بنت شيطان من بني كنانة ، ويقال حنتمة ، وكانت له : حفصة ، وصفية ، وهند . فأما حفصة فكانت عند حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم فقالت :

ومالي لا أبكي وأحلق جُمَّتي ... وقد نكح البيض الأوانس حَنْطَبُ

وكانت هند وصفية عند أبي أحيحة بن سعيد بن العاص بن أمية .

قالوا : وكان المغيرة بن عبدالله ذا قدر في قريش ، وكان يطعم الطعام ، وأطعم يوماً قوماً من خزاعة فقال : قبحّ الله هذه الوجوه أعناق ضباع كرم ، وأكل غثم أي شديد ، فقال الخزاعي ، وكان المغيرة يكنى أبا هشام ، وما قال المغيرة ذاك إلا ليعلم علم ما قد يستثير :

سيغني عن خزيز[1] أبي هشام ... صفايا كثة الأوبار خُوْز

وقال قوم ممن يلتمس الطعن على المغيرة أنه استرضع للمغيرة في بني شِجع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة ، فمات

---

١ ـ الخزيز : العوسج الجاف جداً . القاموس .

فجعلت الشجعية ابنها مكانه ، وسمته المغيرة ، وادعت أن الميت ابنها فوقع لما شب في بئر فقال : يا أخوتي يا شجع ، وكان عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم حاضراً فقال :

عال يديك وارتفع أنا أخوك لاشجع

وقال قوم : إن المسترضَع له الوليد بن المغيرة ، فمات الوليد فجعل الشجعي مكانه ، فلما وقع في البئر قال له هذا القول بعض اخوته من بني المغيرة ، والله أعلم .

وقال حسان بن ثابت للوليد :

فمالك في كعب قناة صليبة وإن قلت من شجع فأنت كذوب[1]

ونفاه حسان من شجع أيضاً لأنه يقال إن الشجعية جعلت مكان الميت المسترضع له ابن عبد لهم يقال له صَقْعَب وكان اسم الصبي دَيْسَم بن صقعب .

وقال حسان في بني المغيرة من بني مخزوم أو بني الوليد :

إذا ذكر الأطايب من قريش تلاقت دون نسبتكم كلاب
نفتك بنو هُصيص عن أبيها بشجع حيث تسترق العياب
وعمران بن مخزوم فدعها هناك العز والحسب اللباب[2]

وكان كل من حج من العرب ينزلون على بطون قريش فيعطونهم ثياباً يطوفون فيها ، ويلقون ثيابهم ويأخذ البطن الذي ينزلون عليهم ما ينحرون من الجزر حتى منع ما ينحره رجل من فزاره من بني شمخ ، وكان نازلاً على

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٤٠٩ .
٢ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٣٤٢ مع فوارق .

المغيرة ، فتهدده المغيرة فترك الحج وقال :

يا رب هل عندك من عقيرة أصبح مالي تاركاً محيره
إنّ منىً مانعها المغيرة

فأما هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، فكان يكنى أبا عثمان ، وكان سيداً من سادات قريش في زمانه إطعاماً للطعام وتوسعاً على الناس .

وقال أبو اليقظان : روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لو دخل مشرك من العرب الجنة لدخلها هشام بن المغيرة ، ان كان لأقراهم للضيف وأحملهم للكَلّ» ، وكانت قريش جعلت موته تاريخاً . تقول كان هذا ليالي مات هشام بن المغيرة ، وكان موت هشام بن المغيرة بمكة فقال الشاعر :

وأصبح بطن مكة مُقْشَعِرّ لأن الأرض ليس بها هشام
فبكيّه ضُبَاعُ ولا تملي البكاء فانه رجل إمام
إمام الحلم والتقوى وسيب على الأقوام إن فقد الغمام
يروح كأنه أثناء سوط وفوق خوانه حيس ركام

وقالت ضباعة القشيرية ترثيه :

إن أبا عثمان لم أَنْسَهُ وان صَمَتْنَا عن بكاءٍ لهوب
تفاقدوا من معشرٍ ما لهم أيُّ كريم دفنوا بالقليب

وقال هشام ابن الكلبي : مات هشام بن المغيرة بعد عبدالله بن جُدْعان بيسير ، وكان شريفاً سيداً في أخلاقه ، فلم تقم سوق عكاظ ثلاثاً ، وقال فيه ابن عَبلة الشاعر وهو الحارث بن أمية الأصغر :

الا ذهب الفياض والحامل الثقلا ومن لا يصون عن عشيرته فضلا

وعانٍ تريكٍ يستكين لعلةٍ　　فككت أبا عثمان عن يده الغلّا
وما أنت كالهلكى فتبكى بكاءهم　　ولكن ترى الهلّاك في جنبه وغلا

وحدثني علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : لما قال الحارث : «وما أنت كالهلكى» قال بنو حرب بن أمية إنما عَرَّضْتَ بأبينا حرب في قولك : «وما أنت كالهلكى» وضربوه ليموت ، فهرب إلى الطائف ، وأخربوا منزله الذي في بني عبد شمس ، فاشترى له بنو هاشم داره التي في أجياد ، فقدم من الطائف . وقال بَحير بن عبدالله القشيري :

دعيني أَصْطَبْح يا بكر إني　　رأيت الموت نَقَّبَ عن هشام
وود بنو المغيرة لو فدوه　　بألف مقاتل وبألف رام
وود بنو المغيرة لو فدوه　　بألف من رجال أو سوام[1]

قالوا : وأتى هشام بن المغيرة نجران في أمر من أموره ، وبها أسماء بنت مُخَرّبة بن جندل بن وَبَير ـ ويقال : أُبير ـ بن نهشل بن دارم ، وقد هلك عنها زوج لها ، وكانت جميلة لبيبة فقيل إن ههنا امرأة من قومك ، فلما رآها رغب فيها فقال : هل لك في أن أتزوجك وأنقلك إلى مكة ؟ فقالت : ما أَعرفك ولكني أنكحك على أن تحملني إلى مكة فتزوجها وحملها إلى مكة ، فولدت له عمرو بن هشام ويكنى أبا الحكم ، وهو أبو جهل ، والحارث بن هشام ، ثم هلك عنها فخلف عليها أبو ربيعة بن المغيرة فولدت له عياش بن أبي ربيعة .

وقال أبو اليقظان : سأل معاوية رجلاً عن بني مخزوم ، فقال : معزى مطيرة غير بني المغيرة .

فولد هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم أبا جهل بن

---

١ ـ السوام : الإبل الراعية . القاموس .

هشام ، واسمه عمرو ، وكان يكنى أبا الحكم فكناه رسول الله ﷺ أبا جهل ، قتل يوم بدر كافراً وقال فيه حسان بن ثابت :

النـاس كَنُّوهُ أبـا حكمٍ والله كَنَّـاهُ أبـا جهـل[1]

وقد ذكرنا أخباره ومقتله فيما تقدم من كتابنا .

وكانت جويرية ابنته عند عتاب بن أُسيد بن أبي العيص بن أمية .

قالوا : وكان هشام ، وابن جدعان ، وحرب بن أمية يتجالسون ، فلما مات حرب بن أمية جاء أبو سفيان ليجلس مكان أبيه فنحاه هشام ، فقال : والله ليجلسني مجلس أبي من هو أشرف منك ، عبدالله بن جُدعان . والحارث بن هشام أمه أسماء بنت مخرّبة النهشلية ، وسلمة بن هشام وأمه ضباعة القشيرية ، والعاص بن هشام قتل يوم بدر كافراً ، وجاء هشام بن العاص بن هشام بن المغيرة يوم الفتح إلى النبي ﷺ فنظر إلى خاتم النبوة ، ووضع يده عليه ، فأقعده رسول الله ﷺ بين يديه وضرب في صدره ثلاثاً ، ثم قال : «الهم أذهب عنه الغل والحسد» فكان ولده يقولون : نحن أقل قريش حسداً ، وخالد بن هشام أسر يوم بدر كافراً ، ولا عقب له وأمهما مخزومية ، وأم حرملة بنت هشام تزوجها العاص بن وائل السهمي ، فولدت له هشام بن العاص ، ومعبد بن هشام درج .

وأما أبو جهل هشام فولد : عكرمة ، وكان فارساً ، أسلم يوم فتح مكة ، وكانت له صحبة واستشهد بالشام يوم أجنادين سنة ثلاث عشرة وهو الثبت ، ويقال يوم اليرموك سنة خمس عشرة ولا عقب لعكرمة وكان يكنى أبا هشام .

---

١ - ديوان حسان ج ١ ص ٢٦١ مع فوارق .

وأما الحارث بن هشام ، أخو أبو جهل فكان يكنى أبا عبد الرحمن ، أسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، وقال : لا أدع وادياً سلكته في قتال رسول الله ﷺ إلاّ سلكته في سبيل الله ، ولا أدع درهماً انفقته في قتاله إلا انفقت مثله في طاعة الله وطاعة رسوله ، فغزا الشام فهلك في طاعون عَمْواس[1]، وقيل بل استشهد يوم أجنادين ، وخلف عمر بن الخطاب على امرأته ابنة الوليد بن المغيرة ، وهي أم عبد الرحمن الأصغر المكنى أبا شحمة ، ودفع رسول الله ﷺ من عرفة بين الحارث وبين أبي سفيان بن حرب .

فولد الحارث بن هشام : أبا سعيد ولا عقب له ، وعبد الرحمن بن الحارث ، وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ويقال خالدة بنت الوليد ، وكان يقال له ولامرأته - وهي فاختة بنت عِنْبَه بن سهيل من بني عامر بن لؤي - شريفا قريش ، وذلك لأن أبويهما غزوا فهلكا بالشام ، وجيء بهذين صغيرين فقال عمر بن الخطاب : زوحوا هذا بهذه لعل الله أن يخرج بينهما ذرية فزوجّا .

وكان عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من سادة قريش وخيارهم وله دار بالمدينة ، وزوجه عثمان بن عفان ابنته ، وكانت فيمن حضر جمع القرآن في المصحف وإقامته على لغة قريش ، ثم شهد يوم الجمل مع عائشة ، فكان أول منهزم حتى أتى المدينة فقال لهم : إني سمعت الله يقول : ﴿اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾[2] فالزموا مسجد رسول الله ﷺ ولا يخلونّ من بعضكم ، وكان يكنى أبا محمد . ووقف عثمان بن عفان على

١ - كان طاعون عمواس سنة ١٨ هـ ، وعمواس قرية قريبة من القدس .
٢ - سورة سبأ - الآية : ١٣ .

بني مخزوم في مجلسهم فقال: إنه ليعجبني ما أرى من جمال أمركم وهيبتكم ، فقال بعضهم : فلو زوجت بعضنا ياأمير المؤمنين ؟ فقال : إن خطب إليّ عبد الرحمن ، قال : فإني أخطب إليك ، فزوجه ابنته ، وأرسلته عائشة إلى معاوية في أمر حجر بن عدي فوجده قد قتله فعاتبه على ذلك ، فقال : غاب عني مثلك من حلماء قومي .

حدثني اسحاق بن أبي اسرائيل أبو يعقوب ، ثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن عثمان دعا بزيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فأمرهم ينسخوا الصحف التي كانت عند حفصة بنت عمر في المصاحف ، وعبد الرحمن القائل لمعاوية ، وذكر عمرو بن العاص فقال : هو لي ناصح ، فقال : يا أمير المؤمنين أطعمنا مصر كما أطعمته إياها ، ثم خذنا بمثل نصيحته ، إنا رأيناك يا معاوية تضرب عوام قريش بأيديك في خواصها كأنك ترى أن كرامها جازوك عن أيامها ، وكأنك بالحرب قد حُلَّ عقالها ، وأيم الله إنك لتفرغ من وعاء فعم[1] في إناء ضخم . فقال معاوية : يا بن أخي ما أحوج أهلك إليك .

وولد عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : محمداً وبه كان يكنى ، وأبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، والوليد ، أمهم فاختة بنت عِنَبه بن سهيل . والمغيرة ، وعوفاً ، أمهما سعدى بن عوف بن خارجة بن سنان المري ، وعياشاً أمه أم الحسن بنت الزبير بن العوام ، وعكرمة بن عبد الرحمن ، وعبيدالله لأم ولد . وأسماء ، وأم خالد ، وزينب الواصلة ، وصلت حسن

١ ـ فعم الإناء : امتلأ . القاموس .

خلقها وخلقها بحسن وجهها ، ويقال الموصلة ، وتزوجها يحيى بن أبي الحكم بن أبي العاص على مائة ألف درهم ، وكانت قبله عند أبان بن مروان بن الحكم ، وكان عبد الملك أرادها فعصت فأخذ مال يحيى فقال : كعكة وزينب ، وتزوج أم خالد عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وتزوج أسماء الوليد بن عتبة بن أبي سفيان .

فأما محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقد روى عنه الزهري وغيره وله عقب .

وأما أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فكان ذا قدر وفضل ومنزلة من عبد الملك ، وأوصى به وبعبدالله بن جعفر الوليد ، ولم يمت حتى عمي ، وله عقب بالمدينة .

وقال عبد الرحمن بن أم الحكم : جاء الإسلام وفينا معشر ثقيف من قريش عدة نساء ، فقال أبو بكر : إذاً لا تجد فيهن مغيرية ، فقال عبد الرحمن : إنا نعتام[1] لمناكحنا فنأتي الأودية من ذروتها ولا نأتيها من أذنابها ، فقال عبد الملك : ويحك ما أَسَبَّكَ .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن عبدالله بن عكرمة قال : سمعت أبي يقول : ما رأيت أحداً قط جمع الله فيه من خصال الخير ما جمع في أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عبادة وحلماً وشرفاً وأفضالاً ، وإغضاء عن الأذى ، واحتمالاً لكل ما ناب العشيرة[2] .

---

١ ـ اعتام : أخذ . والعيمة : شهوة اللبن ، والعطش . القاموس .

٢ ـ ترجم ابن سعد لأبي بكر بن عبد الرحمن : ج ٥ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩ ، لكنه لم يورد هذا الخبر .

قال الواقدي : وقال ابن أبي سبرة : وزوج أبو بكر في غداة واحدة عشرة من بني المغيرة وأصدقهم وأخدمهم وبعثر مالاً عظيماً فأداه في ديات تحملها .

قال : وقال ابن أبي بكيبرة : قال صالح بن حسان : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول في خلافته ، وذكر أبا بكر بن عبد الرحمن : إن هناك شرفاً وفضلاً ونسكاً واحتمالاً .

وقال الواقدي : قال ابن أبي الزنَاد : مُنِعَ الناس من أن يرووا عن أبي بكر بن عبد الرحمن فيكبروا جلالته وهيبته ونبله .

وقال الواقدي : قال أبو عون مولى المسور بن مخرمة : رأيت أبا بكر بن عبد الرحمن وقد ذهب بصره يُفرش له وسط الدار ، وهي دار فيها من أهل بيته خلق ، ما يفتح باب ولا يُغلق ، ولا يدخل داخل ، ولا يخرج ولا يمر به أحد حتى يقوم إعظاماً له .

وحدثني محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي عن ابراهيم بن موسى الربعي قال : قال لي عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن ، قال لي أبي : يا بني لا يفقدنّ مني جليسي إلاّ وجهي ، هذا عهدي إليك وهو عهد أبي كان إليّ .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال : كان عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يكنى أبا محمد ، وكان حين قبض النبي ﷺ ابن عشر سنين ، وأشفّ ، ومات في أيام معاوية ، وروى عن عمر بن الخطاب ، وكان في حجره لأن أمه كانت عنده ، خلف عليها بعد أبيه ، قال : وولد ابنه أبو بكر بن عبد الرحمن في أيام عمر واسمه وكنيته واحدة ، وكان يقال

لأبي بكر بن عبد الرحمن راهب قريش لكثرة صلاته وصومه وزهده ، وكان مكفوفاً .

قال الواقدي : صلى العصر ودخل مغتسله فسقط فحمل فجعل يقول : والله ما أحدثت في صدر نهاري شيئاً فلم تغرب الشمس حتى مات ، وذلك بالمدينة سنة أربع وستين[1] .

ومن ولد أبي بكر : عيسى بن عمر بن أبي بكر بن عبد الرحمن الذي يقول فيه سهيل أبو الأبيض :

كان مما زانني ربي به طيّب الأثواب عيسى بن عمر
حسن الوجه كريم ماجد سبط الكفين وهّاب الغرر

وأما عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة فان ابن الزبير استعمله على الكوفة ، فأعطاه المختار بن أبي عبيد مائة ألف درهم وانصرف عنه ، ثم صار مع الحجاج ، ومات بالعراق وقد ذكرنا خبره في أخبار المختار .

وكان محمد بن عمر بن عبد الرحمن ابنه من رجال قريش ، وهو الذي أتى يزيد بن عبد الملك بن مروان برأس يزيد بن المهلب فأقطعه داراً وبعض ضياع المهلب وعقبه بالكوفة .

وكان عتبه بن عمر بن عبد الرحمن ابنه أيضاً من دهاة قريش وعلمائهم ومياسيرهم ، وكان ذا سخاء فلم يزل مع الحجاج وكان الحجاج يقدمه ويأنس به ، وحفص وسهيل ابناه أيضاً ولهما عقب بالبصرة وواسط .

قال أبو الحسن المدائني : قال خالد بن عبدالله القسري يوماً : إن

---

١ ـ طبقات ان سعد ج ٥ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

أقواما ينفقون أموالهم فإذا أنفدوها ادّانوا في أديانهم ، فظن عتبه بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنه يعرض به فقال : إن أقواماً أموالهم أكبر من مروءاتهم فلا ينفقونها فتبقى لهم ، وان أقواماً مروءاتهم أكبر من أموالهم فهم ينفقون أموالهم فإذا أنفدوها ادّانوا على فضل الله وسعة رزقه ، قال : صدقت وإنَّك لمنهم .

وأما عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فكان يكنى أبا عبدالله ، ومات في أيام يزيد بن عبد الملك ، وكان ابنه عبدالله بن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث يكنى أبا محمد ، وكان محدثاً وولي صدقات حنظلة ، وعمرو بن تميم .

وأما أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث فمن ولده : عبد الملك بن أبي بكر ، وكان سخياً سرياً ، فمات في أول أيام هشام بن عبد الملك .

وأما عثمان بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فولد : عثمان بن عثمان ، وكان عثمان من خيار المسلمين من قريش وذوي الهيئة منهم ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن وله عقب بالبصرة ، وولد أيضاً عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الرحمن وكان له عقب فانقرضوا .

وأما الوليد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فله عقب .

وقال أبو اليقظان : كان لحفص بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عقب بالبصرة وواسط .

وأما المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فكان مطعاماً للطعام ، جواداً .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة بن الحكم قال :

كان عبد الملك بن بشر بن مروان ، وعمران بن موسى العمري من بني تيم قريش ، وبعض آل أبي سفيان بن حرب ، وخالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط يتوسعون في الطعام ولا يمنعونه من حضر ، فقدم الكوفة المغيرة الأعور بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، فكان يطعم طعاماً كثيراً خاصاً وعاماً ، وكانت مائدته أسرى من موائد الآخرين ، وكان يأمر فتتخذ له حيسة تجعل على الأنطاع فيأكل منها الراكب ، ويطعم الناس لحم الجزور في الجفان حتى غمر الباقين ، وعجزوا عن مجاراته فأمسكوا فقال الأقيشر :

أتاك البحر طمَّ على قريش   مغيريٌّ فقد راغ ابن بشر
وراغ الحدي حدي[1] التيم لما   رأى المعروف منه غير نزر
ومن أولاد عقبة قد شفاني   ورهط الحاطبي ورهط صخر[2]

وابتاع منزل أبي أيوب الأنصاري الذي كان النبي ﷺ نزله بألف دينار من أفلح مولى أبي أيوب ، ونزل أفلح داراً غيرها فكان المغيرة يمر به فيقول : فريق في الجنة وفريق في السعير ، فيقول : فتنتني الدنانير يا أبا هاشم .

ولما اشتراها تصدق بها ، وقد صارت دار أفلح لعمر بن بزيع ، ودخل داره أعرابي وهو يطعم الناس الثرد وعليها العراق ، فلما رآه أعور قال : الدجال والله ، وخرج من الدار مبادراً ، ولم يطعم شيئاً ، وكانت عينه ذهبت بأرض الروم وفيه يقول الشاعر :

لقد علموا أن المغيرة قائل   لمن بين سديها ادخلوا بسلام

---

١ ـ الحديا : المنازعة والمباراة . القاموس .
٢ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الأقيشر المطبوع .

قالوا : ولما شخص المغيرة الأعور بن عبد الرحمن بن الحارث عن الكوفة قال الشاعر :

الا يا معشر الأعراب سيروا فما بعد المغيرة من مقام

وخطب المغيرة امرأة من بني جعفر بن كلاب ، وخطبها ابن عم لها فزوجها المغيرة ، فقال ابن عمها :

إذا دخلت دار المغيرة ضمها مصاريع أبواب غلاظ وحاجب
إذا حال أبواب المغيرة دونها وعرض الفيافي لم يزرها الأقارب

فقالت حين بلغها الشعر:

فإذا شممت ريح طعام المغيرة لم يكن شيء إلا أرى قريبا.

ومر المغيرة في سفر له بغدير آجن الماء، فأمر بزقاق العسل فشقت فيه وخيض ماء الغدير به، ثم سقاه من معه.

فولدت الكلابية للمغيرة بن عبد الرحمن: هشام بن المغيرة، وكان يفرق شعره من خلف وقدّام، فسمي ذا القرنين، وكان للمغيرة بن عبد الرحمن ابن آخر يقال له صدقه وأمه الكلابية أيضاً، ويقال أمه كلبية ـ وكان صدقة سيداً مطعاماً، وله عقب بالمدينة، وقال رجل لغلام للمغيرة: على أي شي جعلتم ثريدكم هذا على العمد؟ فقال بل على أعضاد الإبل، فأعتق الغلام ووهب له دنانير.

وأمر المغيرة أن يدفن بأحد مع الشهداء وأوصى أن يطعم الناس بألف دينار عند قبره، فمنع ابراهيم بن هشام من ذلك، وصرف صدقته في عمارة ضيعة وقفها.

وقال أبو اليقظان: قدم محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على

زياد بن أبي سفيان فزوجه ابنته، وعقبه بالبصرة منهم محمد بن أبي بكر بن عبيد الله كان جميلاً نبيلاً.

وولد محمد بن أبي بكر هذا : عبد الرحمن بن محمد ، ويكنى أبا محمد وكان قاضياً لمحمد بن سليمان بن علي على البصرة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا يعلى بن عبيد عن اسماعيل بن أبي خالد عن علي بن عمرو الثقفي قال: قالت عائشة: لأن أكون حبست عن مسيري إلى البصرة أحب إليّ من أن يكون لي عشرة بنين من رسول الله ﷺ مثل ولد الحارث بن هشام أو قالت: مثل ولد عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

وأما سلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ويكنى أبا هاشم، وأمه ضباعة القشيرية فإنه أتى رسول الله ﷺ في فتية من قريش فعرض عليهم الاسلام وقرأ عليهم القرآن، وزهَّدهم في عبادة حجارة صم لاتسمع ولاتبصر، فأسلموا وهاجر سلمة إلى الحبشة في المرة الثانية، ثم قدم مكة فحبسه فيها أخوه أبو جهل، وقد ذكرناه في مهاجرة الحبشة، واستشهد بالشام يوم مرج الصفر سنة أربع عشرة.

وقال أبو اليقظان وغيره، قالت ضباعة:

لاهمّ رب الكعبة المحرمة   انصر على كل عدوٍّ سلمة
أجرأ من ضرغامة في أجمة   يحمي غداة الروع يوم الملحمة
بسيفه عورات سرب المسلمة

فقالت أيضاً:

لقد نَمَاهُ للذُرا هشام   قِدْمَاً وآباءٌ له كرام
جحاجح خضارم عظام

وأما العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فإن أبا لهب لاعبه على إمرة مطاعة، فقمره أبو لهب فأسلمه قيناً، ثم إنه لاعبه أيضاً فقمره فأرسله مكانه إلى بدر فقتله عمر بن الخطاب.

فحدثني أبو عدنان الأعور عن هشام ابن الكلبي عن أبيه قال: ساير علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي فأصاب ساقه ركاب علي فقال: ياسبحان الله مارأيت أحداً يساير الناس بمثل هذا الركاب، فقال علي: إنه من عمل قين كان بمكة يعرض بالعاص بن هشام حين أسلمه أبو لهب قيناً.

فولد العاص بن هشام: خالداً، والوليد. فأما الوليد فقتل يوم أحد، وأما خالد بن العاص فولد الحارث بن خالد بن العاص الشاعر، صاحب عائشة بنت طلحة، وقد كتبنا خبره، وخبرها، ويزعمون أن عمر بن الخطاب ولّى خالد بن العاص عملاً.

وقال محمد بن العاص: أسلم خالد بن العاص يوم الفتح، وأقام بمكة، وهو أبو عكرمة، والحارث الشاعر.

وقال الكلبي: ولد خالد بن العاص أيضاً: عكرمة بن خالد بن العاص أخا الحارث الشاعر، وعبد الرحمن فكان شاعراً.

وقال أبو اليقظان: ولى يزيد بن معاوية في أيام عبد الله بن الزبير الحارث بن خالد بن العاص مكة فتقدم ليصلي فمنعه ابن الزبير من الصلاة، وولاه أيضاً عبد الملك مكة ثم عزله.

وقالوا: قدم الحارث بن خالد الشام، ومعه مال وفير فدعا ابن سريج فظنّ أنه يريد صلته، قال: فدخلت عليه فرحب بي ثم قال: قم إلى الكوّة

فخذ ما فيها من الرقاع فاعمل من الشعر الذي فيها غناء تحسنه وتعجله. فأخذتها ومن رأيي أن أخرقها إذ لم أحل منه بشيء، فلما نظرت فيها أعجبني شعره فتغنيت فيه وسيَّرته.

وأما هشام بن العاص بن هشام بن المغيرة فيقال إن له هجرة، ومن ولده: خالد بن سلمة بن هشام بن العاص بن هشام، كان شريفاً بالكوفة، وكان فقيهاً، وكان يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط، وكان بطيئاً فكان يلقبه الحبلى.

ومن ولد العاص بن هشام أيضاً: محمد بن عبد الرحمن الأوقص، كان قاضياًلأمير المؤمنين أبي جعفر على مكة.

وأما خالد بن هشام بن المغيرة أخو أبي جهل أيضاً، فإنه أسر يوم بدر، ثم أسلم وبقي إلى أيام معاوية، ولاعقب له.

وقال أبو اليقظان: وكان من ولد العاص بن هشام بن المغيرة: خالد بن اسماعيل، وكان ذا قدر، وهو الذي اتخذ الغُمير منزلاً فيما بين ذات عرق[1] والبستان، ويدعى ذلك الموضع وادي كندة وقال غير أبي اليقظان: هو من ولد خالد بن هشام بن المغيرة، والأول أثبت. وقال الشاعر:

لعمرك إن المجد ما عاش خالد ... على الغمر من ذي كندة لمقيم

وأما هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ويكنى أبا عبد مناف فولد: حنتمة أم عمر بن الخطاب.

وأما أبو ربيعة بن المغيرة فهو ذو الرمحين، قاتل في يوم من أيامهم

١ ـ ذات عرق: مُهَل أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة، والغمير: موضع بين ذات عرق والبستان، وقبله بميلين قبر أبي رغال. معجم البلدان.

برمحين معاً، ويقال كسر واحداً، ثم أخلف آخر فقال ابن الزبعرى:

وذو الرمحين أشباك من القوة والحزم[1]

فولد أبو ربيعة عمرو بن المغيرة: عياش بن أبي ربيعة، وعبد الله بن أبي ربيعة، ولقبه بُجَيْر، وأمهما مخربة النهشلية. وفي عبد الله يقول الشاعر:

بجير بن ذي الرمحين قرَّب مجلسي يروح ويغدو فضله غير نائم

وبعضهم يرويه بحير.

ولما استخلف أبو بكر، واعتزل الزبير، وجهه أبو بكر مع محمد بن مسلمة الأنصاري إليه فعقله بجير وصرعه وكسر سن سيفه، فقال الزبير: أما والله لئن كسرته اليوم لَرُبَّ كُرْبَة فَرَّجْتُها عن رسول الله ﷺ.

واستعمله أبو بكر رضي الله تعالى عنه على بعض اليمن، ويقال على جميع اليمن، وهلك في أيام عثمان بن عفان فرثاه رجل من بني نهشل فقال:

نعيت ابن أسماء الذي هَدَّ يومه بيوت بني كعب وأسغب دارما

فلو كنت يابن النهشلية شاهداً لأبرمت ميموناً من الأمر حازما

فولد عبد الله وهو بُجير: الحارث، وأمه أم ولد نصرانية، وكان أبوه أصابها من ساحل البحر، وكانت سوداء وتسمى: سَيْخا، وكانت صادت طائراً من حمام مكة فأكلته.

وحدثني الأثرم عن الكلبي قال: سبى عبد الله بن أبي ربيعة أم ولده، وكانت نصرانية، وسبى معها ستمائة من الحبش، وهو عامل لعثمان فقالت: لي إليك ثلاث حوائج: تعتق هؤلاء الضعفاء، ولاتمسَّني حتى تصير إلى بلدك، وتقرني على ديني، فأجابها إلى ذلك.

---

١ ـ شعر عبد الله بن الزبعرى ص٤٨ .

وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة، أمه ليلى ابنة عُطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس، وعمر بن عبد الله، أمه أم ولد يقال لها مجد.

وأما **الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة**، فكان ذا قدر، وولاه عبد الله بن الزبير البصرة، فأتاه أهلها بمكيال لهم فقال: إن هذا القُباع وهو الأجود فلقب القباع.

وقال أبو الأسود لابن الزبير:

أبـا بكر جـزاك الله خيراً أَرِحْنَا من قُباع بني المغيرة[1]

وقال أبو اليقظان: اتخذ مكيالاً سمّاه القباع، والأول قول الكلبي.

قالوا: وهدم دار الفرزدق مرتين فقال:

أحارث داري مرتين هدمتها وكنت ابن اخت لاتُخاف غوائله
فأُقْسِمُ لا آتيك سبعين حجةً ولو وشرت[2] كفُّ القُباع وكاهِلَهُ[3]

وولاه مصعب أيضاً الكوفة، ثم أتى مكة فهلك بها فنعاه الوليد بن عبد الملك إلى أبيه عبد الملك فقال: هلك سيد بني مخزوم، فقال: أهكذا تقول؟ قل: مات سيد قريش، ولاعقب له، وقد ذكرنا أمر ولايته في أخبار عبد الله بن الزبير ومصعب، وقال له ابن الزبير ـ وقد قال له: اقبل أمان يزيد ـ: يابن آكلة حمام مكة، أتشير عليَّ بمثل هذا الرأي.

حدثني علي بن الأثرم عن الأصمعي عن نافع عن عبد الرحمن بن أبي نعيم قال: قال عبد الملك للحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وهو

١ ـ ديوان أبي الأسود الديلي ص٢٢٠ مع فوارق.
٢ ـ وشر الخشبة بالميشار: نشرها. القاموس.
٣ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص١٧٢ .

القباع، وكان حازماً: ماكان الكذاب يقول في هذا؟ فقال: ماكان كذاباً، فقال يحيى بن الحكم: من أمك ياحار؟ قال: هي من تعلم، فقال عبد الملك بن مروان، اسكت فانها أنجب من أمك، قال: وكانت أم الحارث نصرانية، فلما ماتت أتاه قوم من المسلمين يعضدونه ويحشدون له ويجلسون معه، فقال: رحمكم الله انصرفوا فإن لها ولاة سواكم، وكان أبوه سباها من اليمن.

حدثني عبد الله بن صالح عن ابن كناسة قال: كانت أم القباع سوداء، فوقع بينه وبين يحيى بن الحكم بن أبي العاص كلام، فقال له يحيى: يابن السوداء، يابن آكلة حمام مكة.

وضرب القباع مُرَّة بن محكان السعدي فقال:

عمدتُ فعاقبتُ امرأً كان ظالماً فألهبَ في ظهري القُباع وأوقدا
سياطاً كأذناب الكلاب مُعَدَّةً إذا أخلق السوط المدحرج جَدّدا

وأما **عبد الرحمن بن عبدالله** بن أبي ربيعة بن المغيرة فكان أحول، وقال الشاعر:

يا ليل يا أم الغلام الأحول أم غـلام الحسـين المكـحلَ
جودي بما منيتنا لا تبخلي

وكان ذا كبر، وتزوج أم كلثوم بنت أبي بكر بعد طلحة فولدت له، وله عقب بالمدينة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى منه يوماً شيئاً فعرك أذنه وقال: نخوة بني مخزوم، وتزوج أيضاً بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة التي كانت عند عثمان، وقال معاوية: غلبنا عبد الرحمن علىٰ أيامىٰ قريش، وقال عبد الرحمن لولده: إني كنت أنال من علي تقرباً إلى

الله فمن فعل ذلك اتباعاً لي فلا يفعلنّه ومن كان يفعله تديناً فليفعله .

وأما **عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة** ، فكان يكنى أبا الخطاب ، وهو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، وكان ذا فتوة وغزل وظرف ، فلما حج عبد الملك لقيه فقال له : لقد علمت قريش أنك من أطولها صبوة وأبطئها توبة ، فقال : يا أمير المؤمنين . بئست تحية ابن العم لابن عمه على طول العهد وشحط[1] النوى ، فقيل له : يا أمير المؤمنين سلم عليك فتى قريش فتجهمته بهذا القول : فقال : صدقتم ، ودعا به ، فلما دخل عليه رأى عند رأسه جارية وعند رجله جارية فقال له : يا أبا الخطاب سلني حوائجك ، فقال : قد علمت قريش أني أكثرها عيناً ، وأقلها ديناً ، وما حاجتي إلا بقاؤك يا أمير المؤمنين ، فلما خرج من عنده قيل له : يا أبا الخطاب ، دعا بك أمير المؤمنين في مجلس خاص ، وأمرك أن تسأله حوائجك فلم تفعل ، فقال : إنه جعل الشمس عند رأسه والقمر عند رجلـه ، ثم قال تصدّق ، والله ما كان هذا ليكون أبداً .

وقال عمر بن أبي ربيعة : ابتدأت أُنشد ابن عباس فقلت :

تَـشطُّ غـداً دار جـيرانـنـا ....

فقال :

.... والـدار بـعـد غـدٍ أبـعـد

فقلت : كذا والله قلت ، فقال : إن الآراء تتفق .

وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي : كان يقال : إذا اعياك أن يطرب القرشي فأسمِعْهُ غناء ابن سريج بشعر عمر بن أبي ربيعة فإنك ترقصه .

---

١ ـ شحط : بعد . القاموس .

وقالوا : كان عمر بن أبي ربيعة موزعاً[١] بالثريا بنت عبد الرحمن بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت تنزل الطائف ، وكان عمر يغدو فيتلقى الذين يقدمون بالفاكهة فيسألهم خبر الطائف وأهله ويتحسس من خبرها ، فلقي يوماً بعضهم وسأله عما حدث فقال : ما حدث إلّا خير غير أني سمعت صياحاً على امرأة من قريش تسمى باسم نجم من النجوم ، فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم . قال : ومالها ؟ قال : ماتت أو هي مشفية على ذلك ، وقد كان بلغه قبل ذلك أنها عليلة ، فركض فرسه قبل الطائف ، وأخذ في طريق كرا[٢] حتى انتهى إليها فوجدها سالمة فقالت : مَهْ ؟ فأخبرها الخبر ، فضحكت وقالت : أنا والله أمرتهم لأنظر حالي عندك . فقال عمر :

تشكَّى الكميت الجريَ لما جَهَدْتُهُ وبَيَّنَ لو يَسْطِيْعُ أن يتكلما[٣]

وفيها يقول :

مَن رسولي إلى الثريا بأني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب[٤]

يريد كتاب الله عزوجل حلف به ، فبلغ قوله ابن أبي عتيق فقال : أنا والله رسوله إليها ، وخرج حتى قدم مكة بغير عمرة ، وكانت الثريا تسكن الطائف ، فخرج إليها بالطائف حتى يصلح بينهما ، وانصرف إلى المدينة وقد قيل انه خرج من المدينة إلى مكة ثم انصرف وطُلب إليه في المقام فلم يقم .

وقال إسحاق بن ابراهيم الموصلي : حدثني كلثوم الفهري عن أبيه قال : رأيت عمر بن أبي ربيعة عظيماً طويلاً آدم يتهافت في مشيته تهافتاً .

١ ـ موزعاً : مغرى ـ القاموس .
٢ ـ كرا : ثنية بين مكة والطائف . معجم البلدان .
٣ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٦٢ .
٤ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٣٠ .

قالوا : وكانت رملة بنت عبدالله بن خلف ، أخت طلحة الطلحات الخزاعي ، وهي أم طلحة بن عمر بن عبيدالله بن معمر التيمي حجت ، فتعرض لها عمر بن أبي ربيعة حين لقيها ، ففيها يقول :

قلت من أنتم فصدت وقالت أَمُبِدٌّ سؤالك العالمينا
نحن من ساكني العراق وكنا قبلها قاطنين مكة حينا
قد صدقناك إذ سألت فمن أنـ ـت عسىٰ أن يجر شأن شؤونا[1]

وقال عمر في رملة :

تشط غداً دار جيراننا والدار بعد غد أبعد
تحملَّ للبين جيراننا وقد كان قربهم يحمد[2]

في قصيدة .

وكان عمر بن أبي ربيعة يغني بقوله :

يا أم طلحة إنَّ البَيْنَ قَدْ أَفَدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لئن كان الرحيل غدا[3]

والغناء له أو لغيره .

ولما تزوج عمر بن عبيدالله بن معمر عائشه بنت طلحة بن عبيدالله قال جبر بن حبيب وكان كَرِيّ عمر حين خرج من البصرة :

أَنْعِم بعائش في عيش وفي أَنَقٍ وانبذ بِرَمْلَةَ نَبْذَ الجَوْرَبِ الخَلِقِ

وكانت رملة حسنة البدن وفي وجهها ردة[4]، وفي أنفها عِظَم، فقالت له عائشة : أنت أشجع الناس حين قدمت على أنف رملة ، وقال عمر :

١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ وقولها : أمبدٍ : أي أمفرق سؤالك أنت بين العالمينا .
٢ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٠٨ ـ البيت الأول فقط .
٣ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣١٧ مع فوارق كبيرة .
٤ ـ الردة : القبح . القاموس .

أشارت بمدراها[١] وقالت لاختها أهذا المغيريّ الذي كان يذكر
لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والإنسان قد يتغير[٢]

يعني عائشة بنت طلحة .

وقال محمد بن سلام الجحمي : كان بين عائشة بنت طلحة وزوجها عمر بن عبيدالله بن معمر ليلة من الليالي كلام فسهرت ليلتها ، فقال : ويح عمر بن أبي ربيعة ما أجهله بليلي حين يقول :

ووالٍ كفاها كل شيء يهمها فليست لشيء آخر الليل تسهر[٣]

قالوا : وكان سبب تزوج عمر بن عبيدالله عائشة أنه أتاها يخطبها على بشر بن مروان بن الحكم فقالت له : أما وجد بشر رسولاً إلىٰ ابنة عمك غيرك ، وأين بك عن نفسك ؟ قال : وتفعلين ؟ قالت : نعم ، فتزوجها .

قال الجحمي : قال الأصمعي ، قالت رملة لعمر : أَسَائِلٌ أنت كل امرأة تلقاها ؟ أفمن رأيك أن تحدث الناس بأني من نسوتك اللاتي تزعم أنهن يعشقنك ويراسلنك فذلك قوله :

قلت من أنتم فصدَّتْ وقالت أمبــد سؤالــك العــالمينــا

أي أسائل أنت كل إنسان على حدته لا ترى أحداً إلّا سألته ، ويروى : أَمُبِثٌّ .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

وبالأمس أرسلنا بذلك خالداً إليك وبيّنا لَهُ الشَّأْنَ أَجْمَعَا

---

١ ـ المدرى : ما تصلح به الماشطة شعر النساء .
٢ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٩٣ ـ ٩٤ مع فوارق كبيرة .
٣ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٩٥ .

وفي قصيدة له يعني خالد بن عبدالله القسري ، وذلك أن عبد الملك حين تسيير ابن سعيد بن العاص سير عبدالله بن يزيد لأنه كان على شرطة عمرو بن سعيد الأشدق ، فصار إلى مكه ومعه ابنه خالد ، وهو غلام ، فنشأ بمكة ، وكان فيه لين. وقال الأصمعي : وأنشد سليمان بن عبد الملك ، أو أنشد قول عمر :

تَبَالَهْنَ بالعرفان لما عرفنني وقُلْنَ امرؤ باغٍ أَكَلّ وأوضعا
وقَرَّبْنَ أسباب الصبا لمقتّل يَقيْس ذراعاً كلما قِيْسَ أصبعا[1]

فقال : إن من هذا اشتُقَّ النَّسِيب .

قال : وكان عمر بن أبي ربيعة وجميل العذري يتعارضان في الشعر ، فقال عمر :

أمن آل نُعْمٍ أنتَ غاد فمبكرٍ غداة غدٍ أم رائح فمهجر[2]

فقال جميل :

أغادٍ أخي من آل ليلىٰ فمبكرٌ أَبِنْ لي أَغَادٍ أَنْتَ أَمْ مُتَهَجِّر[3]

فلم يصنع جميل مع عمر شيئاً وعارضه عمر في قوله :

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكىٰ من حُبِّ قاتله قبلي[4]

فقال :

جزىٰ ناصح بالود بيني وبينها فَقَرَّبَنِي يوم الحصاب إلى قتلي[5]

---

١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٧٩ مع فوارق .
٢ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٩٢ .
٣ ـ ديوان جميل بثينة ص ٦٢ وعنده «آل سلمى» بدلاً من «آل ليلى» .
٤ ـ ديوان جميل بثينة ص ٩٩ .
٥ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٤٤ ، ويوم الحصاب هو يوم رمي الجمار .

فلم يصنع مع جميل شيئاً .

وروي عن ابن أبي الزناد قال : خرج عمر بن أبي ربيعة يريد الشام إما غازياً وإما إلى بعض بني أمية ، فلما كان بالخبار[1] لقيه جميل فقال له عمر : أنشدني فأنشده :

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكىٰ من حُبِّ قاتله قبلي

في قصائد له ، ثم قال له جميل : أنشدني يا أبا الخطاب فأنشده :

ألم تعرف الأطلال والمتربعا ببطن خليات دوارس بلقعا[2]

حتى مر بقوله :

فلما تواقفنا وسلَّمْتُ أشرقتْ وجوهٌ زهاها الحُسْنُ أن تَتَقَنَّعا

تباهن بالعرفان لما رأينني وقلن امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعَا

فصاح جميل ألا إن النسيب أخذ من هذا ، ثم أنشده جميل طرفاً من غزله ، فقال عمر لجميل : امض بنا إلى بثينة نسلم عليها فقال : إن السلطان أحل لهم ضربي إن وجدوني بأرضهم ، وهاتيك أبياتها فأتاها عمر ، فوقف ببابها وتأنس حتى كُلِّم ، فقال : يا جارية أنا عمر بن أبي ربيعة فأعلمي بثينة مكاني ، فخرجت إليه في مباذلها ثم قالت : يا عمر ، والله لا أكون من نسائك اللاتي تزعم أن قد قتلهنَّ الوجد بك . قال عمر : فانكسرتُ ، وإذا امرأة أدماء طويلة .

وذكر بعض القرشيين أن امرأة شريفة أرسلت إلى عمر بن أبي ربيعة أن

١ ـ الخبار : موضع قريب من المدينة . معجم البلدان .

٢ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٧٧ ، وبطن حليات : موضع قرب المغمس الواقع في طريق الطائف .

يوافيها بالصورين(١) ليلاً وهو في طرف المدينة ، وسمَّت له ليلة فوافاها فتحدث عندها حتى أدركه السحر ، ثم ركب راجعاً إلى مكة ولم يدخل المدينة ، وقال : والله ما بي زهادة في زيارة قبر رسول الله ﷺ ، والصلاة في مسجده ، ولكني لا أخلط زيارتك بشيء ، ولا أدخل مكة إلاّ حلالا ، وقال يكني عنها بزينب :

أَلِمْ بزينبَ إنَّ البَيْنَ قَدْ أَفَدَا قَلَّ الثَوَاءُ لئن كان الرحيل غدا(٢)

وقيل إنه قال هذا الشعر في غير هذه المرأة .

وقال القحذمي : حجت امرأة من آل أبي بكرة من أهل البصرة ، فرآها عمر فشيعها حتى بلغت الخِرْنِق(٣) وقال :

وكيف طلابي عراقية وقد جاوزت عيرها الخرنقا
تؤمّ الحُداةُ بها منهلاً من الطَّفِّ ذا بهجة مؤنقا(٤)

فقالت له: لو بلغتَ أهلي فخطبتَني زوجوك، فقال: لاأخلط تشييعي بخطبة، ولكني أرجع ثم آتيك خاطباً. وقال بعضهم اسمها سُميعة وهي أم ولد عبد الرحمن بن أبي بكرة، وأنشد ابن قحذم فيها لعمر:

من البكرات عراقية تسمى سُميعة أطريتها
من آل أبي بكرة الأكرمين خصصت بودِّي فأصفيتها
ومن حبها زرت أهل العراق وأسخطتُ أهلي وأرضيتها

١ ـ الصوران : موضع بالنقيع . المغانم المطابة .
٢ ـ أفدا : دنا وقرب . ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣١٧ وفيه :
أبلغ سليمى بأن البين قد أفدا وأنبىء سليمى بأنا رائحون غدا
٣ ـ الخرنق : موضع بين مكة والبصرة . معجم البلدان .
٤ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعه ص٤٤٣ .

وأقسم لو أن ما بي بها وكنت الطبيب لداويتها(١)

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش الهمداني عن رجل من بني مخزوم قال: ترك عمر بن أبي ربيعة قول الشعر وغَزَا في البحر، فقال ابن عمر وغيره: لقد كان هزله هزلاً، وجده جداً.

وقال هشام ابن الكلبي: ولد عمر بن أبي ربيعة حين توفي عمر بن الخطاب، فكان يقال: أيُّ خيرٍ رُفع وأي شرٌّ وُضع، ثم إنه تاب وغزا فقال ابن عمر: لقد تلافى نفسه من سفهها بخير عملها.

قالوا: ولقي عمر بن أبي ربيعة عبد الملك بن مروان فقال له: كيف تهكمك اليوم بنساء قريش؟ فقال: ياأمير المؤمنين، ليس وراء ذلك مكروه ولا إثم واستغفرَ الله.

قالوا: وآلى عمر بن أبي ربيعة ألا يقول بيتاً إلا أعتق نسمة، فبينا هو ذات ليلة في الطواف إذ فتى يتبع جارية مثل المهاة فأخذ عمر بيده فقال له: يابن عم خلّ عني فإني أموت إن حبستني عنها. قال: وما خبرك؟ قال: أنا فلان بن فلان وهذه ابنة عمي وأَحبُّ الناس إليّ، خطبتها إلى عمي وأبتْ أمها أن تزوجني إياها فخلّى يده، ومضى إلى أبي الجارية فضرب بابه فسئل من هو؟ فقال: عمر بن أبي ربيعة، فخرج إليه أبو الجارية فقال له: ياأبا الخطاب لم تعنيت؟ ولو أرسلت إلي أتيتك فما حاجتك بأبي أنتَ؟ قال: جئتك خاطباً لابنتك. قال: أمرها في يدك، فقال: قد زوجتها ابن أخيك وأصدقتها عنه أربعة آلاف درهم، وأمر فحمل المال إليه وأهديت الجارية إلى الفتى يقال من ليلتها، واستلقى عمر على فراشه حين انصرف من عند الرجل فجعل يأتيه

١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٤٨٧ .

الشعر، ويذكر يمينه فيتململ فقالت له جاريته: لقد عراك في هذه الليلة شر، وأنشأ يقول:

تقــول وليــدتي لمــا رأتني طربت وكنت قد أقصرت حينا
بعيشك هل رأيت لها رسولاً فشاقك أم رأيت لها خدينا
فقلت شكـا إليَّ أخ محبٌّ لبعض زمـاننـا إذ تعلمينـا
وقصَّ علي مايلقى بسعدى فـوافق بعض ماكنـا لقينا(١)

ولم يزل يقول حتى استتم اثنا عشر بيتاً، ويقال ثمانية أبيات فأعتق بكل بيت مملوكاً،وكان له نحو من مائة مملوك في أعمال ومهن وللخدمة.

وغزا في بحر الشام فمات ويقال في غير البحر، فقالت جارية من جواري بني أمية كانت ربيت بالمدينة أو بمكة: مات عمر بن أبي ربيعة فمن للظرف بالحجاز بعده؟ فقيل: قد نشأ فتى من ولد عثمان له ظرف وغزل وتشبيب بالنساء، فقالت: الحمد لله الذي لم يخل حرمه من فتى يزينه، ويؤنس أهله ويذكر ملاحة نسائه أو كما قالت.

قالوا: ولقي عمر ابنة الحارث بن عوف المري وهو يسير على بغلة له فقال لها: قفي انشدك ماقلت فيك فأنشدها:

ألا ياليل إن شفـاء قلبي نـوالـك إذ بخلت فنـوّلينـا
وقد حضر الرحيل وحان منا فـراق فانـظري ماتـأمرينـا(٢)

فقالت: آمركَ بتقوى الله وترك ماأنت عليه.

وأما **عياش بن أبي ربيعة** فكان من المستضعفين،وأمه أسماء بنت

١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٤٠٣ .
٢ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٥٠٢ ، مع فوارق.

مخرّبة، وأخوه لأمه أبو جهل والحارث بن هشام، أسلم فاشتد عليه أخوه أبو جهل وضربه، فتخلص وهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ومعه امرأته ابنة سلمة بن مخرّبة، فولدت له بالحبشة عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ثم قدم مكة وكان من خبره في الهجرة إلى المدينة ماقد ذكرناه في أخبار مهاجرة الحبشة، وكان بعد أن قُبض رسول الله ﷺ أتى الشام فغزا وجاهد، ورجع إلى مكة فأقام بها إلى أن مات، ولم يبرح ابنه عبد الله المدينة وكان مولده بالحبشة.

حدثني عبد الواحد بن غياث، ثنا حماد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن الحارث بن زيد كان شديداً على رسول الله ﷺ، فجاء وهو يريد الإسلام، فلقيه عياش أبي ربيعة وعياش لايدري فحمل عليه فقتله، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ﴾[1] الآية.

وقال الواقدي: من ولد عياش بن أبي ربيعة: عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، مات في أول خلافة أبي جعفر، وكان زياد بن عبد الله استعمله على تبالة فأصاب بها مالاً فقدم فبنى بالمدينة داراً وسماها تبالة، فاشتراها موسى بن جعفر من ورثته، وكان أبو سلمة عبد الله بن عبد الرحمن هذا خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن فأخذ أسيراً فقتله المنصور أمير المؤمنين.

وأما مُهَشم بن المغيرة ويكنى أبا حذيفة فانه أشار على قريش أن يضع الركن أول من يدخل من باب بني شيبة، فدخل رسول الله ﷺ فقالت قريش: قد دخل الأمين، ونحن نرضى به، فوضع رسول الله ﷺ

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية: ٩٢.

الحجر، ولاعقب لمهشم، وكان ابنه هاشم ـ ويقال هشام ـ بن أبي حذيفة من مهاجرة الحبشة في المرة الثانية، وأقام مع جعفر بن أبي طالب، وقدم المدينة ومات في أيام تبوك رضى الله عنهم أجمعين.

وأما أبو أمية بن المغيرة واسمه حذيفة، وأمه رَيطة بنت سعيد بن سهم فكان يقال له: زاد الراكب، وكان يُطعم مَن صَحِبَهُ في سفره ويموّنهم، وكان ذا قدر، وهلك بموضع ناحية اليمامة يعرف بِسَرْو سَحيم، فرثاه أبو طالب فقال:

أرقتُ وبتُّ الليلَ في العين عائر وجادت بما فيها العيون الغزائر
كأني على رضراض قَضٍ[1] وجندل من الليل أو تحت الشعار المجامر
ألا إن زاد الركب غير مودعٍ بسرو سحيمٍ غيبته المقابـر
وكان إذا يأتي من الشام قافلاً تقدمه تسعى إلينا البشائـر
أخا ثِقةٍ لن يبرح الدهر عنده مجعجعـةٌ أُدْمٌ سمانٌ وبـاقر
إذا أكلت يوماًأتى الغد مثلها زواهق زهم أو مخاض بهازر

البهازر: العظام، واحدها بهزرة.

ضروبٌ بنصل السيف سوق سمانها إذا عدموا نادى فَإِنَّكَ عاقر
فإن لم يكن لحم غريض[2] فإنه يكبّ على أفواههن الغرائر
فمالك من ناعٍ حُبيت بألّة[3] مؤللة تصفـرّ منها الأظـافـر

وقال أبو أحيحة يرثيه:

---

١ ـ أي أرض ذات حصى. القاموس.
٢ ـ غريض: طري. القاموس.
٣ ـ الإل: الجزع عند المصيبة، والألة: الأنة. القاموس.

ألا هلك الماجد الرافد وكل قريش له حامد
ومن هو عصمة أيتامنا وغيثٌ إذا فُقِدَ الراعدُ

وقال أبو اليقظان: كان يقال إن أبا أمية كان ربما كسا أهل مكة حتى تبيض البطحاء من كسوته.

فولد أبو أمية: زهير بن أبي أمية، وعبد الله، أمهما عاتكة بنت عبد المطلب.

وأم سلمة زوج النبي ﷺ أمها من بني مالك بن كنانة.

وقريبة أمها بنت عتبة بن ربيعة.

وقريبة الصغرى أمها كنانية.

والمهاجر، ومسعود بن أبي أمية قتل يوم بدر، قتله عليّ عليه السلام، وهشام بن أبي أمية.

فأما أم سلمة فكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد، ثم خلف عليها رسول الله ﷺ، وقد كتبنا خبرها في قصة أزواج النبي صلى الله ﷺ، وفي الهجرة إلى المدينة.

وأما قريبة فتزوجها عمر بن الخطاب، ثم طلقها فخلف عليها معاوية بن أبي سفيان في أيام عمر رضي الله تعالى عنهم.

وأما قريبة الصغرى فكانت عند عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما.

وأما زهير بن أبي أمية، فكان ممن أعان على نقض الصحيفة، ومات ولم يسلم، وله عقب بمكة.

وأما عبدالله بن أبي أمية ففيه نزلت: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجِّر لنا

من الأرض ينبوعاً﴾ إلى قوله ﴿ملكا رسولاً﴾[١]. ثم إنه أسلم واستشهد يوم الطائف، وكان شاعراً.

فولد عبدالله بن أبي أمية: عبدالله وكان شريفاً، وفد على معاوية وقد خضب بالسواد، فقال معاوية: هذا شيء مادام في الوجه ماؤه وطراوته فإذا ذهب ماء الوجه فليس بشيء، وكان يقول الشعر.

وكان المهاجر بن أبي أمية مرّ بالزبرقان بن بدر، وهو على ركيّ له فاستسقاه لنفسه وركابه فلم يسقه، فشكا ذلك إلى عمر فدعا بالزبرقان فقال: ما بالك لم تسقه، وابن السبيل أولى بأن يكون أول ريّان؟ فقال الزبرقان: فإن لي أن أمنع ما استنبطته بمالي وعبيدي، فقال له عمر: لئن عدت لمنع فضل الماء لاتنزل من نجد قاعاً، يقول أنفيك عنه، فقال عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية وكان مع عمه:

وما الزبرقان يوم يمنع ماءه بمحتسب تقوى ولا متوكل
ولا ناظر في نفعه غير أنـه يرفّع أعضاد الحياض بمعول

وقال ابن الكلبي: قتل نوفل بن عبدالله بن أبي أمية يوم الخندق كافراً، وقتل أخوه عثمان بن عبدالله يوم أحد أو يوم بدر كافراً، وأما المهاجر بن أبي أمية فولاه رسول الله ﷺ بعض اليمن، وكتب إليه أبو بكر أن يصير إلى زياد بن لبيد البياضي من الأنصار، فيكون مدداً له، وولاه عمر بعض الصدقات.

وأما مسعود فدرج. وأما هشام فدرج أيضاً، وقد يقال إن لهما عقب، وأما الفاكه بن المغيرة فقتله بنو كنانة في الجاهلية، وقتل ابنه أبو

١ ـ سورة الاسراء ـ الآيات ٩٠ ـ ٩٥.

قيس بن الفاكه بن المغيرة يوم بدر كافرا ، قتله حمزة عليه السلام ، ويقال الحباب بن المنذر ولا عقب له ، وكانت هند أم معاوية عند الفاكه أيضاً .

وأما حفص بن المغيرة ، فكان سيداً في زمانه مطعاماً للطعام ، وفيه يقول الشاعر :

وناد الضعيف المستضيف وقل له إذا جئت حفص بن المغيرة فاجلس

وكانت عنده هند بنت عتبة أم معاوية قبل أبي سفيان ، وكان أبو عمرو بن حفص شريفاً ، وكان ابنه عبدالله بن أبي عمرو بن حفص أول من خلع يزيد بن معاوية ، وفد إلى يزيد فوصله وأسنى جائزته ، ثم قدم المدينة فقال في مسجد رسول الله ﷺ : إني وفدت على يزيد ، فأعطاني وأحسن جائزتي وإني أشهدكم أني قد خلعته كما خلعت عمامتي . فخلعوه بالمدينة ، وهو الذي أهاج يوم الحرة فقتل ، فقال الشاعر :

إذ يناديهم أَيْنَ حنظلة الخيـ ـــر وقد يَسمعُ البعيد النداء

وببطنِ الغرارة ابن أبي عمـ ـــرو قتيل جادت عليه السماء

ولأبي عمرو عقب بمكة ، وكانت عند أبي عمرو فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس فطلقها البتة ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : لا نفقة لها عليه ، ثم تزوجت أسامة بن زيد بن حارثة .

وأما عبد شمس بن المغيرة فولد : الوليد بن عبد شمس ، فولد الوليد : عمارة بن الوليد ، وابنة كانت عند عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، فولدت له : سعيد بن عثمان ، وكان عمارة في قول أبي اليقظان عاملاً لابن الزبير على اليمن ، وفيه يقول أبو دهبل الجمحي :

نَعَمْ منه خيرٌ من ثمانين حلقة من آخر أعطى أو تولى فعردا[١]
أخ لي عليه كل شيء أَهَمَّني إذا ما يُنِلْني اليوم لا يَعْتَلِلْ غدا

وقال ابن الكلبي : كان الأزرق ، وهو عبدالله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة ، عاملاً لابن الزبير على اليمن ، وكان أجود العرب ، وهو الذي كان أبو دهبل يمدحه ، وهذا أثبت الخبرين ، ومات الأزرق بتهامة .

وأما الوليد بن المغيرة فكان يكنى أبا عبد شمس ، ويقال كان يكنى أبا المغيرة ، وكان عظيم القدر في زمانه ، وكان من المستهزئين ، وقد كتبنا خبره فيما مضى من هذا الكتاب ، وكان يقال له العدل لأنه كان يكسو الكعبة سنة وتكسوها قريش سنة فكان يعدلها ، وقيل له الوحيد ، فقال الله عز وجل : ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالاً ممدوداً﴾[٢] .

وقال أبو اليقظان : يسمى ماله اليوم بالطائف الممدود ، وقال للنبي ﷺ : «ادعُ ربك أن يزيد في مالي مثله» ، فقال الله عز وجل : ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾[٣] ويقال ان ماله ههنا ولده . والله أعلم .

وقال أبو اليقظان : كان ديسم بن صقعب عبداً رومياً ، فرغب فيه المغيرة ، فادعاه وسماه الوليد ، وهذا الخبر الذي قبله مما يكذب في الجاهلية .

قال حسان :

---

١ ـ عرد تعريداً : هرب ، والسهم في الرمية نفذ منها ، وفلان : ترك الطريق ، والنجم إذا ارتفع ، وإذا مال للغروب . القاموس .
٢ ـ سورة المدثر ـ الايتان : ١١ ـ ١٢ .
٣ ـ سورة المدثر ـ الآية : ١٥ .

قل للوليد متى سميت باسمك ذا أم كان ديسم في الأسماء كالحلم[١]

وكان الوليد شريفاً يتحاكم إليه وأمه صخرة ، فقال أبو طالب :

هلم إلى حكم ابن صخرة إنه سيحكم فيما بيننا ثم يعدل

فولد الوليد بن المغيرة :

خالد بن الوليد وأمه لبابة الصغرى ، وهي العصماء بنت الحارث بن حزن بن بُجير ، أخت لبابة الكبرى ، أم عبدالله بن العباس ، وأخت ميمونة بنت الحارث ، زوج النبي ﷺ ، وكانت صفية بنت حزن عمة ولد الحارث ، أم أبي سفيان بن حرب .

وعمارة بن الوليد أمه كنانية .

وهشام بن الوليد أمه قشيرية .

والوليد بن الوليد .

وخالدة تزوجها الحارث بن هشام بن المغيرة .

وأبا قيس بن الوليد ، قتل يوم بدر كافراً ، قتله علي بن أبي طالب ، ولا عقب له .

وأما الوليد بن الوليد فكان من المستضعفين المؤمنين ، وهاجر إلى النبي ﷺ ماشياً ، وقد كتبنا خبره في أول هذا الكتاب ، وقال الوليد :

هَاجِرْ وليد وَبعِ الانباقة[٢] واشتر منه جملاً وناقة

وَرمْ بنفسٍ نحوهم مشتاقة

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٢٦٢ .

٢ ـ النبق : ثمر السدر ، وأشبه شيء به العناب أن تشتد حمرته . ودقيق يخرج من لب جذع النخلة حلو يقوى بالدبس ثم يجعل نبيذاً . النهاية لابن الأثير . القاموس .

ومات الوليد فرثته أم سلمة زوج النبي ﷺ ، فقالت رضي الله تعالى عنها :

أبكي الـوليـد بن الـوليـــد أبا الوليـد بن المغيرة
ان الـوليـد بن الـوليـــد أبا الوليد فتى العشيرة
قـد كـان غيثاً للصديـــق وجعفراً[1] هطعاً[2] وميرة

وضمت الوليد بن الوليد إليها ، فرآه النبي ﷺ فقال : من هذا ؟ قالت : الوليد بن الوليد . فقال : لقد اتخذتم الوليد حناناً[3] ، وسماه عبدالله . وزُوِّجَ عبدالله بن الوليد بن الوليد سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان المري فولدت له : سلمة ، فولد سلمة : يعقوب وأيوب . فمن ولد سلمة بن عبدالله بن الوليد بن الوليد : أم سلمة بنت يعقوب ، تزوجها أمير المؤمنين أبو العباس ، وأخوها محمد بن يعقوب بن سلمة .

وذكروا أن محمداً قتل رجالاً من ولد أبي هريرة في الفتنة .

وأما أيوب بن سلمة بن عبدالله فكان تائهاً ، وتزوج فاطمة بنت حسن بن حسن بن علي ، فخوصم في ذلك ، وكان سابّ عبدالله بن حسن بهذا السبب ، ورفع أمره إلى هشام بن عبد الملك فقال هشام : والله لا يدخل عليها نهاراً .

---

١ ـ الجعفر : النهر الصغير ، أو النهر الملآن ، أو فوق الجدول . القاموس .
٢ ـ هطع : أقبل مسرعاً ، أو أقبل ببصره على الشيء لا يقلع عنه . القاموس .
٣ ـ لم يكن اسم الوليد من الأسماء المرغوب بها عند المسلمين ، على أساس أنه اسم فرعون موسى عليه السلام أو غير ذلك ، والحنان : الصالح الذي يتمسح به . النهاية لابن الأثير .

وولى أبو العباس أمير المؤمنين اسماعيل بن أيوب بن سلمة مكة ، وكان ذا قدر في قريش ، وله عقب بالمدينة .

قالوا : ودخل نصيب على ابراهيم[١] بن هشام فأنشده مديحاً له فيه ، فقال : ما هذا بشيء . أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا الأزرق ؟ فغضب نصيب فخلع عمامته وبرك عليها وقال : ائتوني برجل مثل الأزرق نأتكم بأجود من شعر أبي دهبل :

لقد غال هذا القبر من بطن عُلْيَبٍ فتى كان من أهل الندى والتكرّم[٢]

وأما هشام بن الوليد بن المغيرة فهو قاتل أبي أزيهر الدوسي بعُقر أبيه عنده ، وكان الوليد تزوج ابنة لأبي أزيهر فأمسكها عنده ولم يهدها إليه ، وقد ذكرنا أمره في أول كتابنا ، فاوصى الوليد أن يطلب أبو أزيهر بعقره ، وأسلم هشام فحسن إسلامه ، وهو الذي بعثه عمر إلى الكوفة للمساءلة عن سعد بن أبي وقاص حين رفع عليه وشُكي ، فكثر على سعد ، فدعا عليه سعد أن يسلبه الله عقله ، فجن في آخر عمره ، فكان يكشف ذكره ويخرج حتى يراه الناس ، وأدرك أيام عثمان بن عفان .

فولد هشام بن الوليد بن المغيرة : اسماعيل ، أمه من بني أسد بن عبد العزى ، فولد اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة : هشاماً ومحمد بن اسماعيل ، أمهما من بني قيس بن ثعلبة ، وولى عبد الملك بن مروان هشام بن اسماعيل المدينة .

---

١ ـ نصيب بن رباح ـ أبو محجن ـ شاعر فحل ، مقدم في النسيب والمدائح ، توفي كما هو مرجح سنة ١٠٨ هـ/٧٢٦ م . الأعلام للزركلي .

٢ ـ بهامش الأصل : موضع هذه الحكاية بعد سبعة أسطر .

فولد هشام : ابراهيم ومحمداً ، وأمهما جيداء أم ولد ، وعائشة ويقال فاطمة وتكنى أم هشام ، تزوجها عبد الملك ، فولدت له هشام بن عبد الملك ، ولي الخلافة ، وأمها مُرِّية يقال لها مريم ، ويقال إن اسمها هو مريم .

وكان ابراهيم بن هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد عاملاً لهشام بن عبد الملك على المدينة سنة ، ثم عزله عنها ، فلما ولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعث به إلى يوسف بن عمر الثقفي فعذبه حتى قتله ، وكان يشير على هشام بخلعه .

وكان محمد بن هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد أخوه بخيلاً ، وولاه هشام بن عبد الملك مكة ، ثم ولاه المدينة فتحول إليها ، وقد كان هشام ولّى ابراهيم الموسم في بعض سنيّه فحج بالناس . وقال رجل من بني أسد بن خزيمة :

إذا كنتَ ترجو الخير أو تبتغي الندى ... فحطَّ قتود الرَّحْلِ عند محمد

فقتله يوسف بن عمر أيضاً ، وله عقب بالمدينة .

وأما عُمارة بن الوليد بن المغيرة ، فكان يكنى أبا فايد ، وكان فتى قريش جمالاً ، وقالت قريش لأبي طالب : أعطنا محمداً وخذ إليك عُمارة ، فقال : بئس ما سمتموني أدفع إليكم ابن أخي لتقتلوه وأخذ ابنكم فأغذوه . وقد كتبنا خبره وشخوصه إلى الحبشة مع عمرو بن العاص ، وما فعل به الحبشي في أول كتابنا مع ذكر من هاجر إلى الحبشة ولا عقب له .

وأما **خالد بن الوليد بن المغيرة** رضي الله عنه ، ويكنى أبا سليمان ، وقد كان قبل ذلك يكنى أبا الوليد ، فانه أسلم في صفر سنة ثمان قبل الفتح ،

وأمه لبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية ، أخت ميمونة زوج النبي ﷺ ، ولبابة أم عبدالله بن العباس ، وهو الذي حمى الناس يوم مؤتة وقدم بهم ، وقالوا : إنه انكسرت في يده يومئذ عدة أسياف ، وهو الذي قتل مسيلمة ، وكان له أجمل بلاء في أهل الردة في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وبالشام وبالحيرة ، وقد ذكرت خبره في كتاب البلدان ، وقال رسول الله ﷺ فيما ذكر لنا : «لا تسبوا خالداً إنه سيف الله» ، وكان يقال له : خالد سيف الله ، وتوفي خالد بحمص ودفن في قرية على ميل منها .

قال الواقدي : فسألت عن تلك القرية فقيل دثرت ، وأوصىٰ إلى عمر بن الخطاب وكان موته سنة إحدى وعشرين .

وقال أبو اليقظان : حدث شعبة بن الحجاج أن خالداً لما مات أتى عمر منزله فكف النساء عن البكاء ، ثم قال عمر : وما على نساء بني المغيرة لو بكين أبا سليمان في غير نقع ولا لقلقة[1] .

ولما حج عمر سمع حادياً من أهل الشام يقول :

إذا رأيت خالداً تجففا وهبت الريح شمالاً حَرجفا[2]
وود بعض القوم لو تخلفا رأيته في الحرب ليثاً أغضفا

فبكىٰ عمر حتى نشج ، وقال : لو كان حياً لرددته عليكم .

وكان خالد يقول : ما ليلة يهدىٰ إلي فيها عروس أحبها ، أو أبشر فيها

---

١ ـ النقع : رفع الصوت ، وشق الجيب . واللقلقة : كل صوت في اضطراب ، أو شدة الصوت . القاموس .

٢ ـ الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب . القاموس .

بمولود ذكر ، بأسرّ إلي من ليلة شديدة البرد ، كثيرة الجليد ، وأنا فيها في سرية أُصبّحُ العدو .

وقال بعض الرواة عن مالك بن أنس : كان خالد بن الوليد يشبه عمر ، فخرج عمر في السحر فلقيه رجل فقال : مرحباً بك يا أبا الوليد فرد عليه عمر فقال الرجل : عزلك ابن الخطاب ؟ قال عمر : نعم . قال : أما شبع لا أشبع الله بطنه ؟ قال عمر : فماذا عندك ؟ قال : ما عندي إلا سمع وطاعة . فلما أصبح عمر أخبرهم الخبر وضحك وقال عمر : ما عتبت على خالد إلا في المال .

وولد خالد بن الوليد : عبد الرحمن بن خالد . وكان يلي الصوائف .

فحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده قال : توفي خالد بن الوليد بحمص سنة عشرين ، أو إحدى وعشرين ، وكان عبد الرحمن بن خالد يلي الصوائف فيبلي ويحسن أثره ، فعظم شأنه بالشام ، ومال الناس إليه فحسده معاوية وخافه ، فدس إليه متطبباً يقال له : ابن أُثال ، وجعل له خراج حمص فسقاه شربة فمات ، فاعترض خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد ، ويقال خالد بن عبد الرحمن ، ابن أُثال وكان يعرف بالأركون ، والأركون كالرئيس في الناحية ، فقتله فرفع ذلك إلى معاوية فحبسه أياماً ثم أغرمه ديته ولم يقده .

وحدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي وابن الكلبي عن عوانة عن أبيه والمدائني عن غياث بن ابراهيم أن معاوية ولىٰ الصائفة ـ وقد جاشت الروم ـ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكتب له عهداً ثم قال له :

ما أنت صانع بعهدي ؟ قال : سأتخذه إماماً ومثالاً فلا أتجاوزه ، فقال : رُدّ عليَّ عهدي . فقال : أتعزلني ولم تخبرني ؟ أما والله لو كنا ببطن مكة على السواء ما فعلت بي هذا ، فقال معاوية : لو كنا ببطن مكة لكنت معاوية بن أبي سفيان بن حرب وكنت عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان منزلي بالأبطح وكان منزلك بأجياد أعلاه مَذْرَة وأسفله عُذْرة ، ثم بعث إلى سفيان بن عوف الغامدي من الأزد فقال له : ولّيتك الصائفة وهذا عهدي فما أنت صانع ؟ قال اتخذه إماماً ما أَمّ الحزم فإذا خالفه أعملتُ رأيي وسألت الله التوفيق ، فقال معاوية : أنت لها ، فلما ودعه قال معاوية : هذا والله الذي لا يُدفع من بطء ولا يكفكف من عجلة ، ولا يضرب على الأمور ضرب الجمل الثقال ، فغزا بالناس الصائفة ثم هلك واستخلف عبدالله بن مسعود الفزاري ، وقال له : إحرص على أن ترجع بالناس سالمين ، فغزا بهم ورجع منهزماً ، وقد كان الشاعر قال فيه :

أَقِمْ يا بن مسعودَ قناةً صليبةً كما كان سفيان بن عوف يُقيمها
وَسُمْ يا بن مسعود مدائن قيصرٍ كما كان سفيان بن عوف يسومها

فلما قدم على معاوية قال له : أقم يا بن مسعود . فقال له : يا أمير المؤمنين ، قرنتني إلى رجل قلّ أشباهه في حزمه وبأسه ، فقال معاوية : إن من فضلك عندي معرفتك بفضل من هو أفضل منك ، ولكنك قلت هذه أول ولاياتي ومحني فحرصت فغرّرت ، والله يغفر لك .

وكان عبد الرحمن يلي بعد ذلك الصوائف ـ وكان كعب بن جُعيل صديقاً لعبد الرحمن بن خالد فقال له معاوية : لم تَرْثِ صديقك ، ولو كان للشعراء عهد لرثيته ، فقال : قد قلت فيه :

ألا تبكي وما ظلمت قريش ... بإعلان البكاء على فتاها
لو سئلت دمشقُ وبعلبك ... وحمص من أباح لها حماها
لقالت أن سيف الله أوهى ... معاقل عزها وحوى قراها
وأنزلها معاوية بن حرب ... وكانت أرضه أرضاً سواها

فكان معاوية يكرم كعباً ويتّقيه .

وقال ابن الكلبي : قتل المهاجر بن خالد بن الوليد مع علي بن أبي طالب بصفين ، والمهاجر القائل :

إما تريني أشمط الحسنات ... فقد لهوت بالنساء الحرّات
في بُعْثُط[1] البطحاء مضرجات

وقال أيضاً :

رُبَّ ليلٍ ناعم أحييته ... في عفاف عند قَبَّاء الحشا
ونهار قد لهونا بالتي ... لا يُرِىٰ شبه لها فيمن مشىٰ

وكان خالد بن المهاجر مع ابن الحنفية في الشعب فعلق عليه عبدالله بن الزبير زُكْرَة[2] فيها الخمر ، ثم ضربه الحد ، وهو قاتل ابن أُثال طبيب كان بدمشق .

قال وكان عبد الرحمن بن خالد ناسكاً وشهد صفين مع معاوية ، وكان الحجاج بن علاط السُّلمي ادّعىٰ عبيدالله بن رياح ، وذكر أنه أتى أمه في الجاهلية ، وكان رياح عبد أسود لخالد بن الوليد بن المغيرة ، فخاصم فيه نصر بن الحجاج عبد الرحمن بن خالد بن الوليد إلى معاوية ، وقال نصر

١ ـ البعثط : سرة الوادي . القاموس .
٢ ـ الزكرة : زق للخمر والخل . القاموس .

لعبيدالله بن رياح :

أبا خالدٍ لا تَرهَبَنَّ ابن خالدٍ فلم يكن الحجاج يرهب خالدا
أبا خالدٍ لا تجعلن بناتنا موالي مخزوم وكنّ مواجدا
أبا خالدٍ أوصيك أُمك حيَّةً وأوصىٰ إلىٰ عُـوَّاده والعوائدا

فقضى معاوية به لبني مخزوم ، وناول نصراً حجراً ، فقال نصر : ما هذا ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : «الولد للفراش وللعاهر الحجر» . فقال نصر : فهلاَّ قضيتَ بهذه القضية في زياد ؟

وقال يزيد بن معاوية :

ما أنت من بهزٍ وما كان منهم أبوك ولكن أنت مولىٰ لخالد

وولد عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم : أبا السائب ، واسمه صيفي بن عابد ، وأبا رفاعة واسمه أمية ، وعتيق بن عابد ، وزهير بن عابد ، أمهم بَرَّة بنت أسد بن عبد العزى بن قصي[1] .

فمن بني عابد : عبدالله بن السائب بن أبي السائب ، وكان أبو السائب شريك النبي ﷺ في الجاهلية ، وأتى النبي ﷺ يوم الفتح مسلماً ، فقال : يا رسول الله هل تعرفني ؟ فقال : ألست شريكي ؟ قال : بلىٰ يا رسول الله ، فكنت خير شريك ، كنت لا تداري ولا تماري ولا تظلم ، وقتل السائب بن أبي السائب يوم بدر ، قتله الزبير .

ورفاعة ، وصيفي ويكنى أبا السائب ، وأبو المنذر ، وزهير بنو أبي رفاعة أمية بن عابد .

---

١ ـ بهامش الأصل : بلغت عرضا ولله الحمد كله .

فأما رفاعة فقتل يوم بدر ، قتله سعد بن الربيع .

وأما صيفي وهو السائب بن رفاعة فقتله عبد الرحمن بن عوف يوم بدر .

وأما زهير فقتله أبو أُسَيد الساعدي يوم بدر .

وأبو صيفي بن أبي رفاعة أُسر يوم بدر ، ولم يكن له فداء فأطلق .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي وغيره قال : روى عبدالله بن السائب بن أبي السائب ويكنى أبا عبد الرحمن عن النبي ﷺ أنه سمعه يقول فيما بين الركن اليماني والحجر الأسود: «﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾[1]» مع أحاديث غير ذلك[2] . وروىٰ عن عمر بن الخطاب .

كان قيس بن السائب مولىٰ مجاهد بن جبر صاحب التفسير . وقالت امرأة منهم ترثيهم :

إخوتي لا تبعدوا أبداً ... وبكي والله قد بعدوا

لو تملتهم عشيرتهم ... لثراء المال أو ولدوا

هان من بعض التذكر أو ... هان من بعض الذي أجد

كل من يمشي بعقوتها ... واردُ الماءَ الذي وردوا

وقالت هذا لأنهم لم يعقبوا .

ومنهم محمد بن صيفي بن أبي رفاعة ، وجدّته أم أمه خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها ، كانت في الجاهلية عند عتيق بن عابد ، فولدت له جارية يقال لها هند ، فتزوجها صيفي بن أبي رفاعة ، وهو أمية بن

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٠١ .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٤٥ ، بدون هذا الحديث .

عابد بن عبدالله ، فيقال لبني محمد بن صيفي بالمدينة : بنو الطاهرة ، لأنه كان يقال لخديجة الطاهرة .

وقتل عبد الرحمن بن السائب بن أبي السائب يوم الجمل ، وكان للسائب ابن يقال له عطاء ، ذكر ذلك الزبيري[1] ، ويقال إنه لم يكن في بني عابد هجرة . وقال الشاعر :

وإن تصلح فإنك عابديٌّ وصُلْحُ العابديِّ إلى فساد

قالوا : وعُمّر أبو السائب صيفي بن عابد ، شريك النبي ﷺ ، وطاف معاوية بالبيت ومعه جنده ، فزحم أبو السائب فسقط ، فقال : يا معاوية جئتنا بأوباش يصرعونا ، والله لقد أردت أن أتزوج أمك ، فقال : ليتك فعلت ، فجاءت بمثل أبي السائب ، يعني عبدالله بن السائب .

وولد **أسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم** : عبد مناف ، وهو أبو الأرقم ، وجُندب ، وعبد العزىٰ ، وعبد .

فمنهم : الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وشهد بدراً مع النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ مستخفياً في داره ، يدعو الناس إلىٰ الإسلام . وقالوا : أم الأرقم بن أبي الأرقم : أميمة بنت عبد الحارث من خزاعة ، وخاله : نافع بن عبد الحارث الخزاعي عامل عمر بن الخطاب على مكة ، وكان أرقم بن أبي الأرقم يكنى في الجاهلية أبا عبد مناف ، فلما أسلم كني أبا عبد الرحمن ، وكان رسول الله ﷺ يدعو في داره عند الصفا ، وفيها مات أرقم في زمن معاوية وولده يقولون أنه سابع سبعة في الإسلام ،

١ ـ كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٣٣٣ .

وكانت داره صدقة على ولده ، فلما كانت خلافة أبي جعفر أمير المؤمنين خرج بعض ولده مع محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن ، فصارت لأبي جعفر ابتياعاً ، ثم صارت للخيزران أم ولد أمير المؤمنين المهدي باقطاع من المهدي ، ثم صارت لجعفر بن موسىٰ وهي التي يسكنها أصحاب العدني والشطوي .

وشهد الأرقم المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وآخىٰ بينه وبين أبي طلحة ، وأوصىٰ أرقم أن يصلي عليه سعد بن أبي وقاص ، ومروان على المدينة من قبل معاوية ، ومات الأرقم فاحتبس سعد لأنه كان في قصره بالعقيق ، فقال مروان : أنحبس صاحب رسول الله لرجل غائب ، وأراد الصلاة عليه فأبىٰ ذلك عبيدالله بن الأرقم ، وقامت معه بنو مخزوم ، ووقع بينهم كلام وجاء سعد فصلىٰ عليه ، في سنة خمس وخمسين بالمدينة ، وهلك الأرقم وله بضع وثمانون سنة .

وكان للأرقم من الولد : عبيدالله لأم ولد ، وعثمان لأم ولد والعقب له ، وكان بعضهم بالشام .

وكان للأرقم بنات : مريم ، وصفية ، وأمية .

وولد عثمان بن عبدالله بن عمر بن مخزوم : عمرو بن عثمان ، وأمه قلابة بنت عمرو من خزاعة ،وعرفجة ،وعريفجة ، وعثمان ، وأبا برد .

وولد عمرو بن عثمان : الحارث ، والحويرث ، والوليد ، وأمهم فاطمة بنت المغيرة بن عبدالله ، منهم عمرو ، وسعيد ابنا حريث بن عمرو بن عثمان بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم .

فأما سعيد ، فصحب النبي ﷺ .

وقال الواقدي : سعيد أَسنّ من أخيه عمرو بن حريث ، ويقولون إنه شهد الفتح مع النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة وكان إسلامه قبل الفتح ، وهو الذي قتل ابن خطل الأدرمي ، وقسم النبي ﷺ شيئاً وجده في البيت فأعطاه منه . وتحوّل سعيد إلى الكوفة فنزل مع أخيه بها ، وغزا خراسان ، وزعموا أن غلمانه قتلوه بظهر الكوفة ، ولا عقب له .

وأما عمرو بن حريث فكان يكنى أبا سعيد .

قال أبو نعيم الفضل بن دكين : توفي سنة خمس وثمانين .

وقال الواقدي : توفي النبي ﷺ وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وكان عمال العراق زياد وغيره يستخلفونه على الكوفة إذا خرجوا منها ، ويتولى أمرهم وشرطهم إذا حضروها ، وكان عمرو ابتاع سفطاً كان للنخيرجان فربح فيه ، فكان أول من اعتقد مالاً عظيماً بالكوفة وله بها عقب .

قال عبدالله بن همام السلولي يمدح عمرو بن حريث :

أبوك المنقّىٰ من قريش زناده وخالك زاد المرملين هشام
وحيّ بني سهم إذا عُدّ مجدهم أصابك منه حارك[1] وسنام

حدثني هُدبة بن خالد ، ثنا أبو هلال ، ثنا حميد بن هلال قال : خطب عمرو بن حريث إلى عُدَيّ بن حاتم الطائي ابنته ، فقال عُدَي : ما أنا بمزوّجك إلا علىٰ حكمي . ثم رجع عمرو إلى أصحابه فقال : امرأة من قريش اتزوجها على أربعة آلاف درهم أحب إلى من امرأة من طيء

١ ـ الحارك : أعلى الكاهل ، وعظم مشرف من جانبيه ، ومنبت أدنى العرف إلى الظهر الذي يأخذ به من يركبه . القاموس .

أتزوجها على حكم أبيها، قالوا: إن ذاك كذاك، ثم عاد فخطبها فزوجه إياها على حكمه وقال له : ما حكمك ؟ قال : أربعمائة وثمانون ، سُنّةُ رسول الله ﷺ اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية أربعون . فبعث إليه عمرو بن حريث بأربعمائة وثمانين درهماً مهراً ، وبعشرة آلاف درهم سوى الصداق ، وقال : هي هدية .

قال أبو هلال : يقال ان ولد عمرو بن حريث من ابنه عُدَيّ خير ولده .

حدثني أبو صالح الفراء الأنطاكي ، حدثني أبو اسحاق الفزاري عن الشيباني عن سعيد بن جبير قال : اعتكفت في مسجد الحي ، فأرسل إلي عمرو بن حريث ، وهو أمير الكوفة يدعوني فلم آته ، ثم أتيته فقال : ما منعك من إتياننا ؟ قلت : كنت معتكفاً . فقال : وما على المعتكف يشهد الجمعة ، ويعود المريض ويمشي مع الجنازة ويأتي الإمام .

حدثني عمر بن شبّة قال : قال خلف بن خليفة : أراني أبي عمرو بن حريث وأنا ابن ست سنين فرأيت عليه عمامة سوداء قد أرخىٰ طرفها بين يديه وطرفها الآخر خلفه ، فقال الناس : هذا قد صلىٰ خلف رسول الله ﷺ .

وروى سفيان بن عيينة عن خالد بن خالد قال : قال عمرو بن حريث : ما ظلمت في داري هذه أجيراً ، وإن أصلها لمن عطية رسول الله ﷺ .

حدثني بكر بن الهيثم عن يحيى بن ضُرَيس قاضي الري عن سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال : رأيت عمرو بن حريث على المنبر يوم عرفة ، والناس مجتمعون إليه يعظهم ، ويقول : من تعزز بالمعصية أورثه الله الذلة .

حدثني عمر بن شَبّة ، ثنا أبو أحمد الزبيري ، ثنا سفيان عن الشيباني عن الشعبي أن عمرو بن حريث أجاز شهادة المختبىء .

وحدثني عمر بن شبَّة ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن عمرو بن حريث جعل السلعة رهناً بما بقي[1] .

وروي عن الشعبي أن رجلاً ابتاع جارية بستين ديناراً ، فنقد ثلاثين واحتبس الجارية حتى يأتيه بالثلاثين الباقية فأتاه بها، فدفعها إليه وقد ماتت الجارية ، فاختصما إلى عمرو بن حريث فقال : أما الثلاثون التي أخذتها والجارية حيّة فهي لك ، وأما الثلاثون التي أخذتها وقد ماتت الجارية فَرُدَّهَا ، وكان الشعبي يستحسن ذلك .

وحدثني عبدالله بن صالح عن خالد الطحان عن ابن أبي ليلى قال : قال عمرو بن حريث ، وهو صاحب زقاق عمرو بالكوفة : ما تناجىٰ اثنان دون ثالث إلا ظَنَّ بهما اغتياباً له أو طياً لأمرهما عنه فأحنقته تلك وأوحشته هذه .

وحدثني عبدالله بن صالح عن ابن كُناسة عن ابن شبرمه أن عمرو بن حريث قال لابنه : إصحب من إذا صحبتَه زانَك وإذا اختللت مانك[2] ، وإذا رأىٰ منك حسنة أظهرها ، وإذا رأى سيئة سترها ، من لا يخاف بوائقه ولا تختلف عليك طرائقه .

حدثني عبدالله بن صالح قال : حُدثت عن سفيان بن سعيد عن مولى

١ ـ بهامش الأصل : يعني من ثمنها .

٢ ـ مانه : قام بكفايته . القاموس .

لعمرو بن حريث عن عمرو أنه قال لرجلين تمازحا : إن آخر المزاح جَدّ فَكَفًّا .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، حدثني عمي أبو هاشم عن المعافىٰ بن عمران عن سفيان الثوري قال : كان عمرو بن حريث يقول في خطبته : إنه ليست بين الجنة والنار منزلة ثالثة ، فمن أخطأته الجنة دخل النار ، فلا تكذبوا .

حدثني عبدالله بن صالح عن شريك عن أبي إسحاق أن عمرو بن حريث كان يقول : إن أضرّ الكذب بك كذبك نفسك .

قال شريك : وكان عمرو يقول : من رضي الجهل استغنىٰ عند نفسه عن الحلم .

وقالوا : قدم سِدرة الهجيمي واسمه الهَمَلَّع بن أعفر الكوفة ، وكان حافياً ، فرأىٰ بالكناسة عَمْراً ، وعليه ثياب خَزّ مضاعفة ، فقال : هذا سيد القوم ، فأتاه فسأله فقال له عمرو : إن كنت تريد الخزّ ، فهو حاضر ، وإن كنت تريد النقد فعليك بصاحب البرذون الأشهب ، قال : الدالّ على الخير كفاعله . فقال : ومن هو؟ قال : أسماء بن خارجة ، وعن يمينه لبيد بن عُطارد ، وحجار بن أبجر ، وشمرذي الجوشن ، فأنشأ يقول :

إليك تخطت عن قريش ولم تُرِد تميماً ولم تعرض لبكر بن وائل
ولا عامراً لم يعتمد للتي بها ولا غيرهم من جمع تلك القبائل

فوصله وقال له : عد إليّ فأقم عندي ، فقال له : إني أَشْأَم العرب ، ما صحبتُ أحداً قَطّ إلاّ مات ، فقال له : ليس في العرب شؤم ، فمضى ثم قدم عليه فوافق جنازته محمولة ، فقال : شؤمي والله قتله .

فمن ولد عمرو بن حريث : جعفر بن عمرو بن حُريث ، وكان فقيهاً ذا هيئة .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن كناسة قال : كانت بين عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص وبين جعفر بن عمرو بن حريث مماظة[1] ومعاتبه ، فدخل جعفر بن عمرو على خالد بن عبدالله القسري يوماً وعنده عبد الرحمن بن عنبسة ، فلما استقر بجعفر مجلسه قال لعبد الرحمن ، ورأى صبياً على صدر خالد وهو يقبله : من هذا الصبي ؟ قال : ابني فقال : أصلح الله الأمير ، نَحِّ هذا الصبي عن صدرك فما رأيت أقذر منه وأنت تقبله ، فقال خالد : أفي نفسك على أبي عبدالله موجدة ؟ يعني أخاه أسد بن عبدالله . فقال : أصلح الله الأمير ، إن هذا الفاسق خدعني وزعم أنه ابنه ، فضحك خالد حتى فحص برجليه .

وحدثني هشام بن عمار الدمشقي ، ثنا سفيان عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال : «رأيت النبي ﷺ وهو يخطب على المنبر وعليه عمامة سوداء» .

وحدثني علي بن المغيرة الأثرم عن خالد بن كلثوم عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو بن حريث أنه قال : قلما يسعد برأيه مستبد .

وقال ابن الكلبي : من ولد عمرو بن حريث : عون بن عمرو وجعفر بن عون الفقيه .

وولد خالد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم : وابصة بن خالد ، فولد

١ ـ ماظظته مماظة ومظاظاً : شاررته ونازعته . القاموس .

وابصة : العاص بن وابصة . فمن ولد وابصة : العطاف بن خالد بن عبدالله بن عثمان بن العاص بن وابصة ، وكان العطاف محدثاً ، حدثنا عنه اسحاق بن أبي اسرائيل ، وهشام بن عمار .

وولد **هلال بن عبدالله** بن عمر بن مخزوم : عبد الأسد ، وأمه نعم بنت عبد العزى بن رِياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح ، فولد عبد الأسد : أبا سلمة ، واسمه عبدالله بن عبد الأسد ، وأمه بَرَّة بنت عبد المطلب ، هاجر إلى أرض الحبشة مرتين ومعه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية ، وكان أول من قدم المدينة مهاجراً ، وكان قدومه إياها لعشر خلون من المحرم ، وقدوم رسول الله ﷺ إياها لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده عن سلمة بن عبدالله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : رحل أبو سلمة بعيره ، وحملني عليه وفي حجري ابني سلمة وهو يريد بي الهجرة إلى المدينة ، فلما رآه رجال بني المغيرة قالوا له : هذه نفسك قد غلبتنا عليها فما بال صاحبتك ؟ لا ندعك وتسييرها في البلاد ، ثم انتزعوا خطام البعير من يده وأخذوني، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد وقالوا: والله لا نترك ابنها عندها إذ نزعتموها من صاحبها ، وتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده .

قالوا : فكانت مخلوعة حتى مات ، وانتزعه بنو عبد الأسد وانطلقوا بي ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، ومضى زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، فكنت أخرج كل غداة إلى الأبطح فأبكي حتى أُمسي ، فلبثت بذلك قريباً من سنة حتى مرّ بي رجل من بني عمي فرحمني لما رأىٰ بي ، فكلم بني المغيرة فيَّ

وقال : ألا ترون ما بهذه المسكينة من الجهد لتفريقكم بينها وبين زوجها وولدها ؟ فقالوا لي : الحقي بزوجك إن شئت ، وردّ عليّ بنو عبد الأسد ابني ، قالت فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجري ، وخرجت أريد زوجي وما معي أحد من خلق الله ، فلما كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العَبْدري فقال : أين تريدين يا بنة أبي أمية ؟ قلت : أريد زوجي بيثرب . فقال : أو معك أحد ؟ قلت : لا . فقال : مالك مَتْرَك ، وأخذ بخطام البعير وانطلق معي يقودني ، فوالله ما رأيت أكرم مصاحبة منه ، كنت أبلغ المنزل فينيخ جملي ، ثم يستأخر عني فإذا نزلت حطّ عن بعيري وقَيَّدَهُ ، ثم أتى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا أردنا الرواح قدّم البعير فرحله ، ثم استأخر وقال : اركبي ثم يقول :

يا رخم البيت ألا استقلّي ثم هلالاً وعليه قلّي

فإذا استويت قاد فلم يزل يفعل ذلك حتى أقدمني المدينة ، فلما رأى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال : زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة[١] .

وحدثني الوليد بن صالح عن ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق عن ابيه اسحاق بن يسار عن سلمة بن عبدالله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة مثله[٢] .

قالوا : وكان أبو سلمة وحمزة أخوي رسول الله ﷺ من الرضاع ، أرضعتهم ثُويبة مولاة أبي لهب بن عبد المطلب ، وشهد أبو سلمة بدراً

١ - لم يرد هذا الخبر في أي من ترجمتي أبي سلمة وأم سلمة في طبقات ابن سعد .
٢ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

وأُحداً ، فرماه أبو أسامة الجشمي بسهم أصاب عضده فانتقض عليه ، فمات منه لثماني ليالٍ خلون من جمادى الآخرة سنة أربع ، فلما انقضت عدة أم سلمة تزوجها رسول الله ﷺ ، وكانت أُحُد في شوال سنة ثلاث ، وبعث رسول الله ﷺ أبا سلمة في المحرم سنة أربع في سرية إلى قَطَن[1] ، وهو لبني أسد فكان انتقاض الجرح به بعد ذلك ، وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة .

وولد لأبي سلمة : سلمة ، وعمر ، وزينب التي كان النبي ﷺ يقول لها : «ما فعلت زُناب» ؟ وكان مولدها بالحبشة ، ونضح النبي ﷺ في وجهها ماء وهو يغتسل ، فلم يتبين عليها الكبر ، ولم يزل وجهها طرياً بمائه ، وتزوجها عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزىٰ ، ودُرّة ، وأمهم أم سلمة ، واسمها هند بنت أبي أمية .

ولما أقطع الرسول ﷺ الدور بالمدينة جعل **لأبي سلمة** موضع داره التي عند الزهريان اليوم ، ثم بيعت بعد .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ووهب بن بقية قالا : ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ ابن أبي ذئب عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب قال : لما حَضَرَتْ أبا سلمة الوفاة ، حضره النبي ﷺ وبينه وبين النساء ستر فبكَيْنَ ، فقال رسول الله ﷺ : «مَهْ . إنّ الميت يَحْضُرُ ويُؤَمِنَّ على ما يقول أهلُه ، وإن البصر ليشخَص للروح حتى يُعْرَج بها» . فلما فاظت نفسه بسط رسول الله ﷺ كفيه على عينيه فأغمضهما[2] .

---

١ ـ قطن : ماء ويقال جبل من أرض بني أسد بناحية فيد . معجم البلدان .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤١ .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ومحمد بن سعد ، ثنا ابو نعيم الفضل بن دكين ، ثنا سفيان عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن قبيصة بن ذؤيب أن النبي ﷺ أغمض أبا سلمة حين مات وقد ذكرنا خبر أم سلمة وولدها في خبر أزواج النبي ﷺ والهجرة .

والأسود بن عبد الأسد ، قتل يوم بدر كافراً ، وكان الأسود حلف يوم بدر ليكسرنَّ حوض النبي ﷺ ، فقاتل أشد قتال حتى وصل إلى الحوض ، فأدركه حمزة عليه السلام وهو يكسره فقتله ، واختلط دمه بالماء ، وكانت أمه كندية .

وسفيان بن عبد الأسد وله عقب ، ولد له لصلبه : الأسود بن سفيان ، وهبار بن سفيان هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، وأقام مع جعفر بن أبي طالب، ثم قدم المدينة قبله واستشهد يوم مؤته، ويقال يوم أجنادين ، والأول قول الكلبي ، وهاجر مع هبار أخوه عبيدالله بن سفيان بن عبد الأسد ، وقتل يوم اليرموك بالشام .

ومن ولد سفيان بن عبد الأسد : محمد بن عبد الرحمن بن أبي سلمة بن سفيان بن عبد الأسد ، استقضاه موسىٰ الهادي على مكة ، وكان الأوقص المخزومي استخلفه على القضاء حين توفي ، فأقره موسى على القضاء ، واستقضاه هارون الرشيد أيضاً .

وقال أبو اليقظان : سَرقت ابنة لسفيان بن عبد الأسد على عهد رسول الله ﷺ فقطعها وكلموه في ذلك فقال : «لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعتها» .

وقال معن بن أوس المزّي في نخل له :

لعمري ما نخلي بحالٍ مضيعة ولا ربها إن غاب عنها بخائف
فإن لها جارين لن يغدرا بها ربيب النبي وابن خير الخلائف

يعني بربيب النبي عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد ، وبابن خير الخلائف عاصم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق .

وقال مصعب الزبيري : كان عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال لعاصم بن عمر : امض بنا إلى مصعب نستحذيه من مال العراق ، فأعطى عبدالله بن جعفر أربعين ألف دينار ، وأعطى عاصماً عشرين ألف دينار ، وإنما حكم عاصماً فاحتكم فاشترى بها عاصم صدقته بالأكحل[1] ، وكانت قبله لعبد الرحمن بن أبي بكر ، وقال عبدالله لمصعب : ما بالك لم تحكّمني كما حكمت عاصماً ؟ فقال : خفت أن تحربني أو تنحلني . فقال : لو فعلتَ لفعلتُ .

ومن ولد الأسود بن سفيان بن عبد الأسد : رزق ، وأمه أم حبيب بنت العباس بن عبد المطلب .

وولد عبيد بن عمر بن مخزوم : الحارث بن عُبيد ، وأمه كنود بنت الحارث من بني تيم الأدرم بن غالب بن فهر .

فولد الحارث بن عبيد : حَنْطَب بن الحارث ، وأمه من بني أسد بن خزيمة .

فولد حَنْطَب بن الحارث : المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد ،

١ ـ الأكحل : من توابع المدينة ومخالفيها قريباً من النقيع خارج المدينة . المغانم المطابة .

أُسر يوم بدر ، وأمه مخزومية ، وكان آخر من بقي بالمدينة ، فكان يعمل في حائط لأبي أيوب الأنصاري حتى فُدي .

ومن ولد المطلب بن حنطب : الحكم الجواد بن المطلب بن عبدالله بن المطلب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم .

حدثني مشايخ من أهل منبج منهم مزاحم الكاتب قال : نزل الحكم الجواد بن المطلب منبج ، فكان أهلها يقولون : أغنى فقراءنا ولا مال له يومئذٍ ، كان متزهداً ، قيل وكيف ذلك ؟ قالوا : حضَّنا على التبارّ والتعاطف والتآسي ، فأفضل غنينا على فقيرنا حتى استغنى .

وسأله رجل حملاناً إلى الثغر فأعطاه فرساً من فرسين كانا له . وفي الحكم يقول ابن هرمة :

لاعيب فيك يعاب إلا أنني أُمسي عليك من المنون شفيقا
إن القرابة منك يأمل أهلها صلة وتأمل جفوة وعقوقا[1]

وقال أيضاً :

رأيت الإله كفاني الذي يهم وشيب بني المطلب
قضوا لي بلا خلف حاجتي ألا مثل سائلهم لم يخب[2]

ولزم رجلاً من وجوه قريش دين ، وكان له مال من نخل وزرع ، فخاف أن يباع عليه فشخص من المدينة يريد خالد بن عبدالله القسري في العراق ، وكان خالد يَبُرُّ من قدم عليه من قريش ، وأعدّ لخالد هدية من

١ ـ ديوان ابن هرمة ص ١٤٩ ـ البيت الأول فقط .
٢ ـ ليسا في ديوان ابن هرمة المطبوع .

طرف المدينة ، فلما صار بفيد وجد بها الحكم بن المطلب وهو على سعاية المدينة والحجاز وبعض نجد ، فأتاه فلما رآه قام إليه وأجلسه على فراشه وسأله عن مقدمه فشرح له قصته ثم قال له : إني لم أتلقاك ولكني أشيعك إلى منزلك ، فلما دخل منزل القرشي رأى تلك الهدايا فقال : لمن هذه ؟ فقُدمتْ إليه فأكل منها ، وقال القرشي لغلمانه : احملوا إلى منزله فحملت ، ثم قال : ههنا مال من مال الصدقات وأنت غارم فأنت أحقّ به فأعطاه ذلك المال وهو أربعة آلاف دينار ، وإنما كان دينه قريباً من ثلاثة آلاف دينار ، وقال له الحكم : قد قَرَّبَ الله عليك الخطوة فانكفأ القرشي راجعاً وشيعه الحكم ، فلما أراد مفارقته قال له : إن زوجتك تسألك عن طرائف العراق ، وهذه خمسمائة دينار ، وكانت معه في صرة ، فأعطاه إياها عوضاً عن هدية العراق .

ولما عزل عن السعاية أخذ بالحساب وقال له الذي ولاه : أين الإبل والغنم ؟ قال : أكلنا لحومها بالخبز واطعمناها . قال : فأين الدنانير والدراهم ؟ قال : اعتقدنا بها الأيادي ، وقضينا الحقوق ، فأمر به فحبس ، فقال بعض شعراء الأنصار :

خليليّ إن الجود في السجن فابكيا   علىٰ الجود إذ سُدَّتْ علينا طرائقه
ترىٰ عارض المعروف كل عشيةٍ   وكل ضحىً يستنّ في السجن بارقُه

فأعطاه ثلاثة آلاف درهم وهو محبوس .

وكان قد هوي جارية نفيسة فاشتراها بمال عظيم ، فلما أراد أن يدخل عليها لبس ثياباً سرية ، ودخل على أبيه ليدعو له بالبركة فقال : أقسمت عليك يا بنيّ لَمَّا وهبت الجارية لأخيك الحارث بن المطلب ، وكان أبوه يحب

الحارث بن المطلب حباً شديداً ، فوهبها له وخلع عليه الثياب التي كان لبسها ، فقال الحارث نشدتك الله لمّا رددت الجارية إلى منزلك ولبست ثيابك ، فقال : هي حرة إن أنت لم تقبلها فصارت له .

ومات الحارث بن المطلب قبل أبيه ، فنظر إلى مضجعه بعد حَوْل فقال : هذا مضجع ابني الحارث وشهق شهقة خرجت معها نفسه :

ولما تنسك الحكم كان يعلق اللحم بيده إلى منزله تواضعاً ، ومات الحكم بمنبج وبها دفن ، فقال الراتجي يرثيه :

ماذا بمنبج أمسىٰ في مقابرها من التهدم بالمعروف والكرم
سألوا عن الجود والمعروف ما فعلا فقلت إنهما ماتا مع الحكم
ماتا مع السيد الموفي بذمته قبل السؤال إذا لم يوف بالذمم

قالوا : وانقطع شسع نعل الحكم فطرحها فأخذها بعضهم فأصلحها وأتاه بها ، فوهب له ثلاثين ديناراً وقال : خذ النعل فهي لك .

وكان عبد العزيز بن المطلب أخو الحكم ، والحارث ابني المطلب ، ويكنى أبا المطلب ، قاضياً على المدينة لأمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ، وعبد العزيز الذي يقول :

ذهبتْ وجوه عشيرتي فتخرموا وبقيتُ بَعْدَهُمُ لشر زمان
أبغي الأنيس فما أرىٰ من مؤنس لم يبق لي سكناً من السكان

وكان عبد العزيز بن المطلب تزوج امرأة قد تزوجها قبله أربعة ، فلما مرض قالت : من لي بعدك يا سيدي ؟ قال : السادس الشقي .

وكان عبد العزيز ردىء العين ، فكان لا يكاد يرفع طرفه ، وكان يقول : كان أخي الحارث عليل العين وكان يكحل ، فيقال اكتحل مع أخيك ، فأفسدت عيني .

وقضىٰ عبد العزيز بقضية على محمد بن لوط بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال محمد : لعنك الله ولعن من ولاك ، فقال : لعنت أمير المؤمنين والله الحميد لأوجعنّك ضرباً ، بَرِّزُوْهُ ، فبُرِّزَ ليضرب فقال : والله لئن ضربتني سوطاً لتضربنّ مكانه سوطين ، فقال لجلسائه : إنما يريد أن يحردني لأضربه فتقول قريش : أنت جلاد أهلك ، لا وكرامة لا أضربك ، خلوا سبيله فشكره محمد بن لوط وقال : ما سمعت بكرامة في موضع قط أحسن منها في هذا الموضع ، وسكن عبد العزيز عنه .

وكان عبد العزيز حديداً قضى على حسين بن زيد بن علي، فقال حسين: هذا قضاء يُرد على استه فحكّ عبد العزيز لحيته حرداً ، وقال : والله العظيم لقد أغلظ لي وما أراد إلاّ أمير المؤمنين لأن قضائي قضاؤه ، والله لأضربنّه حتى يسيل دمه ولأحبسنّه حتى يكون أمير المؤمنين المخرج له ، فقال حسين : أو تعفو عني وتصل رحمي ؟ فقال : خلوا عنه .

وخاصم إليه بعض ولد أبي بكر الصديق ، فقضى عليه ، وأمر به إلى الحبس ، فبلغ ذلك أباه ، فاستأذن على عبد العزيز ، فبعث عبد العزيز إليه : أنا غضبان وأنت غضبان ولا أحب أن يلتقي غضبانين ، وقد عرفت ما جئت له وأمرت بإخراج ابنك من الحبس .

وفي عبد العزيز يقول الشاعر :

إذا قيل من للعدل والحلم والتقىٰ   أشارت إلى عبد العزيز الأصابع
أشارت إلى حرّ المحامد لم يكن   ليدفعه عن غاية المجد دافع

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال : كانت أم المطلب بن عبدالله بن المطلب بن حنطب أم سلمة بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية ،

فوفد إلى هشام بن عبدالملك بهذه الخؤولة فقضىٰ عنه سبعة عشر ألف دينار من مال الصدقات ، والبئر التي على طريق العراق تنسب إلى المطلب ، هي بئره .

وولد **عامر بن مخزوم** : هرمي وأمه خديجة بنت الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص ، وعنكثة بن عامر وأمه غنى بنت عمرو ، من تيم الأدرم .

فمن ولد عامر بن مخزوم : شماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمي ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، وأمه صفيّة بنت ربيعة بن عبد شمس ، واستشهد يوم أُحد ، وقال بعضهم يوم بدر ، يعرف بابن ساقي العسل ، وكان هرمي بن عامر يسقي الناس العسل بمكة ، وكان اسم شماس عثمان ، ويُكنىٰ أبا المقدام ، وقتل وله أربع وثلاثون سنة ولا عقب له .

ومنهم سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر ، كان من المؤلفة قلوبهم ، وعاش مائة وعشرين سنة ، وشهد يوم حنين فأعطاه النبي ﷺ مائة من الإبل ، وكان يكنى أبا هَوْذ ، باسم ابن له ، ومات في سنة أربع وخمسين ، وكان استأذن عمر في الغزو فلم يأذن له وقال : لم يبق من أهل بيتك غيرك ، ووهب له جارية فأولدها .

وقال الشاعر :

ويربوع بن عنكثة بن أرض وأعتقه هبيرة بعد حين

يعني هبيرة بن أبي وهب ، وكان محمد بن سعيد بن المسيب نسّابة خبيث اللسان ، فنفى آل يزيد بن يربوع بن عنكثة فجلد الحد .

ومنهم أم مكتوم ، وهي عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم ، وهي أم الأعمى الذي يعرف بابن ام مكتوم .

ومنهم عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع ، ويكنى أبا محمد ، وكان فقيهاً صالحاً وتوفي في سنة تسع ومائة .

ومنهم عبد الملك بن عبيد بن سعيد بن يربوع ، كان فقيهاً ، ويكنى أبا المسور .

وولد عمران بن مخزوم : عائذ بن عمران ، بذال معجمة ، وعبد بن عمران لا عقب له ، وأمهما تُخْمُر بنت قصي بن كلاب بن مرة .

فمن بني عائذ : فاطمة بنت عمرو بن عائذ أم أبي رسول الله ﷺ .

ومنهم حَزْنُ بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ وأم حزن مارية الهموم ، وكان يقال فيها وهي أيضاً أم هبار بن الأسود من بني عبد العزى بن قصي ، ورمىٰ عقيل بن أبي طالب أم المسيب بن حزن بما رماها به حين شهد له مخرمة ، وقد ذكرنا ذلك في نسب بني زهرة .

قالوا : وأتى حزن النبي ﷺ فقال له : «أنت سهل ؟ فقال : بل أنا حزن ، فقال : أنت سهل فقال : أنا حزن فقال رسول الله ﷺ : فأنت حزن» .

قال سعيد بن المسيب : فمازلت أعرف تلك الحزونة فينا ، وكان سعيد شرساً سيء الخلق .

فولد حزن بن المسيب أبا سعيد ، وكان يتجر بالزيت ، فكان سعيد لا يكلمه حتى مات ، وأم سعيد سُلَمِيَّة .

وقال الشاعر :

أَلَا يا حَزْنُ أَقْصِرْ عن فخارٍ فقد أَخْزَتْكَ مارية الهموم

وقيل لسعيد بن المسيب يوم الحرة : بايع ليزيد على أنك عبد قن فقال : أنا أبايع على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر ، وعلىٰ أني ابن عمه ، فأراد مسلم بن عقبة قتله ، فشهد له قوم أنه مجنون ، فخلىٰ سبيله .

وقال الواقدي : قال الزهري : كان سعيد بن المسيب عظيم القدر عند الناس لخلالٍ ، ورع يابس ، وكلام للسلطان بالحق ، وعلم بارع من روايةٍ ، ورأى صليب ، وكانت فيه عزة لا يكاد يراجع الا مَحَكَ .

وقال الزهري : ما كنت أقدر على مواجهته بمسألة حتى أقول : قال فلان : كذا ، وقال فلان : كذا فيجيب حينئذ ويقول ما عنده .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن يزيد الهذلي قال : سمعت سليمان بن يسار يقول : سعيد بن المسيب فقيه الناس ، وسمعت سعيد يقول للسائل إذا سأله عن شيء : اذهب إلى سليمان بن يسار مولى ميمونة ، فإنه أعلم من بقي اليوم[1] .

قالوا : وكان الحسن بن أبي الحسن البصري لا يدع شيئاً فَعَلَه وقال به حتى يأتيه عن سعيد خلافه فيأخذ بقول سعيد .

حدثنا اسحاق الفروي أبو موسىٰ عن سفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب أنه قال : سليمان بن يسار أفهم عندنا من ابن المسيب .

وقال الواقدي : نزع ابن الزبير عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عن

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١١٩ ـ ١٢٢ .

المدينة في سنة ثمان وستين وولى جابر بن الأسود بن عوف ، فضرب سعيداً ستين سوطاً في بيعة ابن الزبير ، فقال والسياط تأخذه : والله مارغت عن الكتاب ، يقول الله : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنىٰ وثلاث ورباع[1]﴾ فنكحت الخامسة في عدة الرابعة ، فكتب إليه ابن الزبير يلومه وقال : ما لنا ولابن المسيب ، تُثَوِّرُ علينا صوتاً نَعَّاراً[2] .

حدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عمَّن أخبره أن سعيداً أنشد بين القبر والمنبر ثلاثة أبيات للزبير بن عبد المطلب وهي :

وكأسٍ لو تُبين لها كلاماً ... إذاً قالت ألا لهم استبيت
أَهَنْتُ لشُربِهَا نَفْسي ومَالي ... فآبوا حامِدِينَ وما زُرِيْتُ
تُبْينُ لك القذىٰ إن كان فيها ... بعيد النوم شاربها هبيت[3]

وقال الواقدي : حدثني عبدالله بن جعفر عن حبيب بن نفيع قال : جلست إلى سعيد بن المسيب يوماً والمسجد خالٍ ، فجاءه رجل فقال : يا أبا محمد إني رأيت في النوم كأني أخذت عبد الملك بن مروان فوتدت في ظهره أربعة أوتاد ، قال : ما أنت رأيت ذلك ، فأخبرني من رآه ، قال أرسلني إليك ابن الزبير بهذه الرؤيا لتعبرها ، فقال : إن صدقت الرؤيا قتل عبد الملك عبدالله بن الزبير ، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة ، قال : فرحلت إلى عبد الملك فدخلت عليه وهو في الخضراء فأخبرته

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٣ .
٢ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٢٣ ، فالرواية أوضح ، لأن الذي تزوج هو جابر .
٣ ـ الهبيت : الجبان الذاهب العقل . القاموس . ولم يرد الخبر في كتاب نسب قريش للمصعب .

الخبر فسرّ به ، وسألني عن سعيد بن المسيب وحاله ، وسألني عن دَيْني فقلت أربعمائة دينار فأمر لي بأربعمائة دينار من ساعته وبمائة دينار أخرى وحملني طعاماً وزيتاً وكُسىً ثم رجعت إلى المدينة .

المدائني عن ابن جعدبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب أنه قال : الغيبة توأم الحسد وليسا من أخلاق الكرماء ولا الصلحاء .

قال الواقدي : حج الوليد بن عبد الملك سنة تسع وسبعين فأرسل إلى سعيد يسأله فأمره أن يُحْرِم من البيداء[1] فأحرم من البيداء .

وقال الواقدي : ضَرب هشام بن اسماعيل المخزومي في سنة ست وثمانين سعيد بن المسيب ستين سوطاً وطاف به في تبّانٍ من شعر حتى بلغ به رأس الثنية ، فلما كَرُّوا به قال : أين تكرّون بي ؟ قالوا : إلى السجن ، قال : والله لولا إني ظننته الصلب ما لبستُ هذا التبّان أبداً ، فرده إلى السجن وكتب إلىٰ عبد الملك بامتناعه من البيعة للوليد وخلافه عليه ، فكتب إليه يلومه فيما صنع ، ويقول : سعيد والله أحوج إلى أن نصل رحمه من أن نضربه ، وإنّا لنعلم أنه ليس عند سعيد شقاق ولا خلاف ، ولا هو ممن يخاف على مكروه ؛ وكان الذي دخل على عبد الملك بكتاب هشام بن اسماعيل عامله على المدينة في أمر سعيد قبيصة بن ذؤيب ، وكان على السكة والخاتم والأخبار .

وقال قبيصة : يا أمير المؤمنين كيف يفتات عليك هشام بمثل هذا ويضرب ابن المسيب ويطوف به ويقيمه ، والله لا يكون سعيد أبداً أَمْحَكُ

١ ـ البيداء : اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة ، وهي إلى مكة أقرب ، تعد من الشرف أمام ذي الحليفة . معجم البلدان .

ولا أَلَجّ منه حين فُعِلَ به هذا ، وسعيد ممن لا يخاف فتقه وغوائله على الإسلام وأهله ، وهو من أهل الجماعة ، فقال عبد الملك : اكتب كتاباً منك إلى سعيد تخبره برأيي فيه وكراهتي ما صُنع به ، وأن هشاماً قد خالف رأيي فيما كان منه إليه ، فكتب قبيصة بذلك ، فقال سعيد حين قرأ هذا الكتاب : الله بيني وبين من ظلمني ، وكتب عبد الملك إلى هشام يعنفه على ما كان منه ، ويأمره بإكرام سعيد والوصاة به وبحفظه .

قالوا : ولما ضرب هشام بن اسماعيل سعيداً أقامه في سوق الطعام ، فمرت به امرأة فقالت : لقد أُقِمْتَ يا شيخ مقام خزي . فقال : من مقام الخزي فررتُ .

قال الواقدي : وحدثني سلم مولى بني مخزوم قال : صنعت ابنة سعيد بن المسيب طعاماً كثيراً حين حُبِس وبعثتْ به إليه ، فلما جاءه الطعام دعاني فقال لي : اذهب إلى ابنتي فقل لها : لا تعودي لمثل هذا فإن هشاماً إنما يريد أن يذهب بمالي فأحتاج إلي ما في أيديهم ، ولست أدري ما مدة حبسي ، وانظري القوت الذي كنت آكله في بيتي فابعثي به إلي ، فكانت تبعث بذلك لا تتجاوزه ، وكان سعيد يصوم الدهر .

وقال الواقدي : حدثني عبدالله بن يزيد الهذلي قال : دخلت علىٰ سعيد بن المسيب ، وهو في السجن ، وقد ذبحت له شاة وجعل إهابها على ظهره ثم جعلوا له بعده قصباً رطباً يضطجع عليه ويقولون : يذهب بالأثر ، فكان كلما نظر إلى عَضُديه قال : اللهم انصرني على هشام ، فلما كانت سنة تسع وثمانين مات عبد الملك وولي الوليد وكان سيء الرأي في هشام بن اسماعيل فعزله عن المدينة وأمر أن يوقف للناس ، فدعا سعيد ولده ومواليه ،

فقال إن هذا الرجل قد وقف للناس فلا يتعرضَنَّ له أحد ولا يؤنبنّه بكلمة ، فقد تركنا مجازاته لله وللرحم ، وإن كان ما علمته لسيء النظر لنفسه ، فأما كلامه فلا أكلمه أبداً .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبدالله الزهري عن ابن شهاب الزهري قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول، وقيل له: هذا هشام بن اسماعيل موقوف للناس : الله بيني وبينه ، فقال له محمد ابنه : خلِّ بيننا وبينه ، فقال له سعيد : لا تعرض له فإنك إن فعلت لم أكلمك أبداً .

قال الواقدي : وأرسل هشام بن اسماعيل إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي : اكفني ابن المسيب فإنه رجل حاله عند الناس على ما علمت ، فقال أبو بكر : لن يأتيك منه شيء تكرهه أبداً ، قال : إنه حقود . قال أبو بكر : أما الحقد فهو فيه ، والذي صنعت به غير خارج من نفسه أبداً ولكنه لن يعرض لك ولا لأحد منك بسبيل فكان كذلك .

قال الواقدي : وكلم هشام بن عبد الملك الوليد في هشام بن اسماعيل وهو جده أبو أمه فانتهره وأغلظ له ، ثم أجابه بعد فصفح عنه ، وحج الوليد وهو خليفة سنة احدى وتسعين فأتاه أبو بكر بن عبد الرحمن بذي خُشب ، وقد كُفَّ بصره ، فقال له : قد غمني عناؤك على حالك هذه ، فقال : إن تبرّني يا أمير المؤمنين فقد كان أبوك يبرني ، فقال : إنما أقبل وصية أبي فيك ، ولقد سمعته يقول : لربما أردت بأهل المدينة سوءاً فما يمنعني منه إلاّ الحياء من أبي بكر .

ودخل المسجد ومعه عمر بن عبد العزيز فجعل ينظر إلى بنائه ، وقد أُخرج الناس من المسجد فما بقي أحد إلاّ سعيد بن المسيب ، وذلك أن

الحرس تهيبوا إخراجه إكراماً له ولم يجترؤوا عليه وما كان عليه إلا ريطتان[1] لا يساويان خمسة دراهم وهو في مصلاه ، فقيل له : لو قمت . فقال : والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه ، قيل : فلو سلمت على أمير المؤمنين ، فقال : والله لا أقوم إليه .

قال عمر بن عبد العزيز : فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد حتى لا يرى سعيداً حتى يقوم ، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال : ما ذاك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيب ؟ فجعل عمر يقول : يا أمير المؤمنين مِن حاله وأمره ، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك لأنه ضعيف البصر ، فقال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه ، فدار في المسجد ثم وقف على سعيد فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فوالله ما تحرك له ولا قام ، فقال : بخير يا أمير المؤمنين والحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ، فقال الوليد : بخير حال والحمد لله ، فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقية الناس ، فقال عمر : أَجَلْ يا أمير المؤمنين .

وقال الواقدي : قال عمر بن عبد العزيز في شيء : إن الذي سخر الوليد في تجبره وعتوه حتى جاء يمشي إلى ابن المسيب فسلم عليه قادر على أن يسهل هذا الأمر ؛ وقال عمر في شيء حلف عليه : لا والذي صرف عن ابن المسيب شر الوليد ، وسخره له ما كان كذا .

قال الواقدي : ومات سعيد بن المسيب في سنة أربع وتسعين وهو ابن خمس وسبعين ، ومات علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

١ ـ الريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد ، وقطعة واحدة ، أو كل ثوب لين رقيق . القاموس .

في أول السنة بالمدينة ، ثم مات سعيد بعده ، ثم مات عروة بن الزبير ، ومات في هذه السنة أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فسميت سنة أربع وتسعين سنة الفقهاء .

وقيل لسعيد بن المسيب حين مات علي بن الحسين : ألا تشهد هذا الرجل الصالح في البيت الصالح ؟ فقال سعيد : صلاة ركعتين أُحَبُّ إليّ من أن أُشهَدَ هذا الرجل الصالح في البيت الصالح .

قال الواقدي : فخرج سليمان بن يسار فصلى عليه ، وقال : شهادة جنازته أحبّ إلي من صلاة تطوع فغمز سعيداً في ذلك .

قالوا وكان سعيد يصلي خلف هشام بن اسماعيل بعد ضربه إياه لا يفوته بسجود ولا ركوع .

وقال ابن أبي الزناد : سئل سعيد عن حديث رسول الله ﷺ وهو مريض ، فقال : اجلسوني فإني اكره أن أحدث بحديث رسول الله ﷺ وأنا مضطجع .

وقال سعيد : ما لقيت المنصرفين من الجمعة مذ أربعون سنة ، يقول أمضي فأدرك الخطبة والصلاة .

قال : وتوفي سعيد وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وكانت ابنة أبي هريرة عنده .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي ذئب عن أبي الحويرث أنه شهد محمد بن جبير بن مطعم يستفتي سعيد بن المسيب .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام بن سعد عن الزهري أنه سئل عن سعيد بن المسيب فقال : أخذ علمه من زيد بن ثابت ، وجالسَ

ابن عباس ، وابن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ، وكان يدخل على أزواج النبي ﷺ عائشة وأم سلمة ، وسمع عثمان بن عفان ، وعلياً ، وصهيباً ، ومحمد بن مسلمة ، وجُلّ روايته المسندة عن أبي هريرة ، وكان زوج ابنته ، وسمع من أصحاب عمر وكان يقال : ليس أحد أعلم بما قضى عمر وعثمان منه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، ثنا قدامة بن موسىٰ الجمحي قال : كان سعيد بن المسيب يفتي وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا الأسود بن عامر ، ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : بلغت ثمانين سنة وإن أَخْوَف ما أخاف عليَّ النساء .

حدثنا ابن أبي شيبة عن يحيى بن أبي بكر عن شعبة قال : توفي سعيد بن المسيب سنة ثلاث وتسعين .

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : ولدت لسنتين مضتا من أيام عمر .

حدثنا وهب بن بقية ومحمد بن سعد قالا ثنا يزيد بن هارون عن همام عن قتادة قال ما حدثنا الحسن وسعيد بن المسيب عن بدري مشافهة إلا سعيد عن سعيد .

حدثنا وهب بن بقية ومحمد بن سعد قالا: ثنا يزيد بن هارون ، ثنا مسعر بن كدام عن سعد بن ابراهيم عن سعيد بن المسيب قال : فما بقي أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر مني ، قال يزيد : وأحسبه قال وعثمان ومعاوية .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن جارية بن أبي عمران عن محمد بن يحيى بن حبان أنه قال : رأس أهل المدينة في دهره والمقدم عليهم في الفتوى سعيد بن المسيب ، وكان يقال له فقيه الفقهاء .

حدثنا علي بن عبدالله المديني ، حدثنا سفيان بن عيينة عن اسماعيل بن أمية قال:قال مكحول : ما حدثتكم به فهو عن سعيد بن المسيب والشعبي .

حدثني أبو أيوب الرقي المعلم ، ثنا عبدالله بن جعفر عن أبي المليح عن ميمون بن مهران قال : قدمت المدينة فسألت عن أفقه أهلها فدفعت إلى سعيد بن المسيب .

حدثني محمد بن سعد عن أبي نعيم عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران بمثله .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي قال : سألت مكحولاً من أعلم من لقيت ؟ قال : سعيد بن المسيب[١] .

حدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن مالك بن أنس قال : سئل القاسم بن محمد عن مسألة فقيل له إن ابن المسيب يقول فيها كذا فقال القاسم : ذلك سيدنا وعالمنا وحبرنا .

وحدثني مصعب ، حدثني أبي عن ابن أبي ذئب عمن شهد محمد بن جبير بن مطعم يستفتي سعيد بن المسيب .

وقال الواقدي : حدثني أبو مروان عن أبي جعفر قال : سمعت أبي علي بن الحسين يقول : سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار وأفقهم في رأيه .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٢٠ ـ ١٢٢ .

سمعت هشام بن عمار يقول : حدثنا مالك قال : بلغنا أن سعيد بن المسيب قال : كنت أسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد .

وقال الواقدي : قال الزهري : سمعت سليمان بن يسار يقول : كنت وسعيد بن المسيب ، وقبيصة بن ذؤيب نجالس ابن عباس ، فأما أبو هريرة فكان سعيد أعلمنا بمستنداته لصهره ، كان على ابنته .

قال : وقال بكير بن عبدالله الأشج : كان جُلّ ما أخذه سعيد عن زيد بن ثابت ، وكان إذا حكي له عن بعضهم شيء ينكره قال : فأين زيد بن ثابت عن هذا ، وزيد أعلم الناس بما تقدمه من قضاء وأبصرهم بما يرد عليه مما لم يسمع فيه بشيء ، ثم يقول سعيد : لا أعلم لزيد قولاً لا يعمل به في شرق وغرب ، وان غيره لتروى عنه أشياء لا يعمل أحدٌ بها فيما علمنا .

المدائني ابن جعدبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب أنه قال : من الحزم انتهاز الفرص ولا فرصة إلّا فيما كان لله رضى .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن المجالد عن الشعبي قال : وهب رسول الله ﷺ ابنة أم قِرْفَة الفزارية لحزن بن أبي وهب ، واسم أبي وهب حذيفة وقال : ادفعوها إلى خالي .

وكان محمد بن سعيد بن المسيب خبيث اللسان ، عالماً بالنسب ، وكان ابنه عمران بن محمد بن سعيد على مثل ذلك ، فاستعدي عليه عبد العزيز بن المطلب بن عبدالله بن المطلب بن حنطب المخزومي قاضي المنصور في بعض الأمور ، فقضى عليه وأمر به إلى الحبس ، وكان جد عبد العزيز وهو المطلب بن حنطب أسر يوم بدر ، أسره أبو أيوب الأنصاري ، فكان يعمل

في حائط لأبي أيوب حتى فُدي ، فقال عمران حين أمر به إلى الحبس : أين أُحبس ؟ في حائط أبي أيوب ؟ فقال : ردوه وخلوه فقد علمت ما أراد .

وقال الكلبي : ومن بني عمران بن مخزوم : حاجز ، وعويمر ابنا السائب بن عويمر بن عائذ بن عمران قتلا يوم بدر كافرين ، وبعض الرواة يقول : جابر وعويمر ، وبجاد بن السائب أخوهما قتل بأبي أزيهر باليمامة ، وعائذ بن السائب أخوهما أسر يوم بدر ، وهبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ الشاعر وكان من الفرسان ، وكان أحد من يؤذي رسول الله ﷺ ، قتل في قول بعضهم يوم الخندق ، وقيل بل بقي إلى الفتح فهرب إلى اليمن فمات بها كافراً ، وهو الثبت ، وكان عنده أم هانىء بنت أبي طالب فخطبها رسول الله ﷺ بعد هبيرة فقالت : والله لقد كنت أحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام ؟ ولكني مُصْبية ، فأكره أن يؤذيك صبياني فقال رسول الله ﷺ : «خير نساء ركبن المطايا نساء قريش ، أحناه على ولد في صغر وأرعاه على زوج في ذات يده» .

وولدت أم هانىء لهبيرة بن أبي وهب : جَعْدة بن هبيرة ، ولاه علي بن أبي طالب خراسان فالتاث عليه أمرها ، وكان عبدالله بن جعدة بن هبيرة مع سعيد بن عثمان بن عفان فأثر أثراً جميلاً ، فقال الشاعر :

لولا ابن جعدة لم يفتح قُهُنْدُزُكم[1] ولا خراسان حتى نفخة الصُّور

وكان يحيى بن جعدة بن هبيرة من رجال قريش ، قتله بَهدل ومروان الطائيان اللصان ، والسَمهري العكلي فويق الثعلبية[2] ، وهو خارج من

١ ـ قهندز : اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة في خراسان . معجم البلدان .
٢ ـ الثعلبية : من منازل طريق مكة من الكوفة . معجم البلدان .

العراق ، فطلب عَقيل بن جَعْدة بدمه فحبس له بَهدل ومروان بالمدينة ، ثم قتلا ، ولم يقتدر على السمهري ثم إنه حبس بالمدينة في جناية أخرى ، وأفلت وجعل آل جعدة فيه جعلاً رغيباً فعرفته امرأة بصحراء مَنْعِج[1] فقالت لأخيها وغلام كان معهم من بني عمهم : هذا والله السَمهري فأُخذ وجُعِل للمرأة ، فلما قدم بالسمهري المدينة حبس فقال :

سَيرُضي التي قالت بصحراء منعج لي الشرك يابْنَيْ فايد بن حَبيب
ويُضرب في لحمي بسهم ولم يكن لها في دماء المسلمين نصيب

وكانت أم الحسن بنت علي عند جَعْدة بن هبيرة ثم خلف عليها جعفر بن عقيل ، فقتل عنها بالطائف ، ثم خلف عليها عبدالله بن الزبير .

ومن **ولد جعدة بن هبيرة** : سعيد بن عمرو بن جعدة : وكان قدم البصرة داعية لمروان بن محمد في الفتنة بعد قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وإظهار مروان الطلب بدمه ، فلم يتم له ذلك ، وجعل يعدهم الأموال ويمنيهم أن تأتيهم الأعطية من قبل مروان ، فلما تأخر ذلك ولم يروا لقوله مصداقاً جعل الصبيان والإماء يقولون في السكك بالبصرة .

من يبايع بنسيّة ابن جعدة الشقيّة
انها بئس القضية

ظنوا أن جعدة امرأة ، وقد كتبنا هذا الخبر فيما تقدم على تمامه .

وقال الزبيري : من ولد عائذ بن عمران بن مخزوم : السائب وعامر ابنا عويمر بن عائذ[2] .

١ ـ منعج : واد بين حفر أبي موسى والنباج . القاموس .
٢ ـ نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٣٤٣ .

فولد السائب بن عويمر : عبد نهم ، وقيساً ، وربيعة ، وحاجزاً قتل يوم بدر كافراً ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعُويمر بن السائب قتل يوم بدر كافراً .

فولد قيس بن السائب بن عويمر : عبد ربه الأكبر ، أمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت ، وأخوه لأمه عبدالله بن عامر بن كريز ، وعبدالله بن عمير الليثي من كنانة .

وقال أبو اليقظان : تزوج دجاجة بنت أسماء بن الصلت عامر بن كريز ، فولدت له عبدالله بن عامر ، وتزوجها عمير بن عمرو الليثي ، فولدت له عبدالله بن عمير ، ثم تزوجها عبد ربه بن قيس المخزومي ، فولدت له عبد الرحمن ، وماتت بالبصرة .

وقال الزبير بن بكار : أم عبد ، وعائذ ابني عمران : بَرّة بنت قصي والكلبي يقول : تخمر بنت قصي ، وقال الزبير لا عقب لعبد بن عمران إلّا نساء .

نسب ولد هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب

وولد هُصَيص بن كعب : عمرو بن هصيص ، وأمه قَسامة سوداء ، فولد عمرو : جمح بن عمرو ، وسهم بن عمرو وأمهما الأَلُوف بنت عدي بن كعب بن لؤي ، وكان اسم جمح تيماً ، واسم سهم زيداً فجلست الأَلُوف يوماً ومعها أترجة يقال إنها كانت من ذهب ويقال من فضة ، فَدَحَتْ بها وقالت لتيم وزيد : استبقا إليها فمن أخذها فهي له فسبق إليها سهم ، فأخذها فقالت : كأنك والله يا زيد سهم مرق من رميته ، وكأنّ شيئاً جمح بك عنها يا تيم ، فقيل لهذا : أنت جمح ، ولهذا : أنت سهم ، فسميا بذلك .

فولد جمح بن عمرو : حذافة ، وحذيفة ، وسعداً ، وأمهم أميمة بنت بُوَيّ بن مَلْكان خزاعية .

فولد حذافة : وهب ، ووهيب ، ووهبان ، وأمهم قتيلة بنت ذؤيب بن جذيمة بن عوف بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور .

فولد وهب : خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وكان شريفاً

مطعاماً للطعام ، وفيه يقول الشاعر :

خلف بن وَهْبٍ كان كثَّر أهله وعيالـه من جـوده بعيـال

وقال معاوية : آل وهب قوم ورثوا الشرف أباً عن أب ، ولم يرثوه عن عم ولاذي قرابة .

فمن بني وهب بن حذافة : أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان عظيماً من عظماء أهل الكفر ، وكان أحد المطعمين يوم بدر ، وقد ذكرنا خبره فيما تقدم من هذا الكتاب ، وقتل يوم بدر كافراً ، وقتل ابنه علي بن أبي طالب يوم بدر أيضاً .

وكان ولد أمية بن خلف صفوان بن أمية ، وربيعة بن أمية ، ومسعود بن أمية ، والجُعَيد بن أمية .

فأما صفوان بن أمية فكان يكنى أبا وهب ، وكان شريفاً .

وقال الواقدي : كان خلف بن وهب يُطعم في كل يوم بمكة حتى مات ، ثم كان أمية بن خلف يفعل ذلك ، ثم صفوان بن أمية ، ثم عبدالله بن صفوان ، وكان عمرو بن عبدالله بن صفوان يفعل ذلك وينادي مناديه أن احضروا غِداء عِمرو .

ولما كان يوم فتح مكة هرب صفوان بن أمية ، فتكلم فيه عمير بن وهب الجمحي وقال : سيد قومي هارب خوفاً ، فآمنه رسول الله ﷺ ، فلحقه عمير فأعلمه ذلك فلم يثق حتى بعث إليه رسول الله ﷺ ببردة كان معتجراً بها فاطمأن ورجع مع عمير ، وأقام كافراً ، وأعار رسول الله ﷺ مائة درع بأداتها ، وشهد حنيناً والطائف مع رسول الله ﷺ فرأى غنماً كثيرة من الغنيمة ، فنظر إليها فقال له رسول الله ﷺ : «أعجبتك ؟ قال : نعم .

قال : فهي لك ، فقال : والله ما طابت بها إلاّ نفس نبي» ، وأسلم وأقام بمكة فقيل له : لا إسلام لمن لم يهاجر ، فأتى المدينة فقال له رسول الله ﷺ : «عزمت عليك أبا وهب لمّا رجعت إلى أباطح مكة» ، فرجع ومات أيام خروج الناس إلى البصرة للجمل .

وقال الواقدي ؛ بعث صفوان بن أمية مع أخيه لأمه ، وهو كَلَدة بن الحنبل إلى النبي ﷺ بضفابيس[1] وجداية ، وام صفوان جمحية اسم أبيها عَمِير .

وحدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال : كانت قريش إذا ضربت بالقداح قالت : باسم الله وبجدّ أبي صفوان ، وصفوان ، يعنون أمية بن خلف ، وصفوان بن أمية ، وكانا ذوي ثروة ، قال : وأصيب عثمان بن عفان حين سُوّي على صفوان بن أمية ، وجاء نعي أبي بكر حين سُوّي على عتاب بن أُسِيد .

وقال أبو اليقظان وغيره : مَرَّ عمر بن الخطاب في أيامه بصفوان بن أمية وهو يقول بمكة : أنا ابن أبطحيها كِدائها وكُديّها ، فقال له عمر : إن كنت تقياً فانك كريم ، وان كنت حسن الخلق فلك مروءة ، وإن كنت عاقلاً فإن لك شرفاً ، وإلا فأنت شر من كلب .

وقال الواقدي : أقام صفوان بن أمية بمكة حين رده رسول الله ﷺ وقال له : «يا أبا وهب من لأباطح مكة» ؟ فلم يزل بها حتى مات في أيام خروج الناس ليوم الجمل إلى البصرة ، وكان يحرض الناس على الخروج والطلب بدم عثمان ، ويقال إنه مات في أول أيام معاوية .

١ ـ بهامش الأصل : هي صغار القثاء .

فولد صفوان بن أمية : عبدالله الطويل بن صفوان ، أمه ثقيفة ، وعبد الرحمن أمه بنت أبي سفيان بن حرب ، وكان عبدالله بن صفوان يكنى أبا صفوان ، وكان سيداً من سادات أهل مكة ، وقدم معاوية مكة فقال له : كيف أنت أبا صفوان ؟ فقال : خير لمن أراد الخير وشر لمن أراد الشر ، وأهدى إلى معاوية غنماً كثيرة فقال له : سل حاجتك فقال : قد قدمتَ على قومك فصل أرحامهم واقض حوائجهم فقال : افعل ذلك فسلني حاجتك في خاصة نفسك ، فقال : حاجتي أن تنظر من بمكة من العرب فتحسن جوائزهم وتنظر في أمورهم ، قال : أفعل ، فسل حاجتك ، قال : تحسن إلى من بمكة من الموالي . فقال : أفعل فما حاجتك ؟ قال : ما لي بعد الذي سألت حاجة .

وبايع عبدالله بن الزبير وكان معه فقتل وقد كتبنا خبره ، وقيل إنه قتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، وقال عبدالله بن صفوان لعبدالله بن جعفر : ما نعاتب أحداً من فتياننا على اللهو إلا قال:هذا ابن جعفر يلهو ، فقال ابن جعفر : وما نأخذ أحداً من فتياننا بتعلم القرآن إلا قال:هذا ابن صفوان لا يقرأ من كتاب الله شيئاً .

أبو الحسن المدائني عن علي بن سُليم قال : حضر قوم من قريش مجلس معاوية فيهم عمرو بن العاص ، وعبدالله بن صفوان بن أمية ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، فقال عمرو بن العاص : احمدوا الله يا معشر قريش إذ جعل والي أمركم من يغضي على القذى ويتصام عن العوراء ويجر ذيله على الخدائع ، فقال عبدالله بن صفوان : لو لم يكن كذلك

لمشينا إليه الضراء ، ودببنا إليه الخمر[1] ، وقلبنا له ظهر المجن ، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مال مصر . قال معاوية : يا معشر قريش ، حتى متى لا تنصفون من أنفسكم ، فقال عبد الرحمن بن الحارث : إن عَمْراً وذويه أفسدوك علينا وأفسدونا عليك ، ما ضارّك لو أغضيت على هذا ؟ فقال : إن عَمْراً لي ناصح ، فقال عبد الرحمن بن الحارث : أطعمنا مثل ما أطعمته ثم خذنا بمثل نصيحته ، إنا يا معاوية رأيناك تضرب عوام قريش بأياديك في خواصها ، كأنك ترى أن كرامها جازوك عن لئامها ، وايم الله انك لتفرغ في وعاء ضخم من إناء فَعمْ ولكأنك بالحرب قد أطلق عليك عقالها ثم لا تنظر إليك ، فقال معاوية : يا بن أخي ما أحوج أهلك إلى حياتك وأنشد :

أغرَّ رجالاً من قريش تتابعوا على سعة مني الحيا والتكرم

وقال أبو الحسن المدائني : قدم على معاوية وفد من قريش فيهم عبدالله بن جعفر ، وعبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف ، وابن الزبير فوصلهم ، وفَضَلَ عبدالله بن جعفر عليهم ، أعطاه ألف ألف درهم ، فقال عبدالله بن صفوان : يا معاوية إنما صَغّر حقوقنا عليك وهَوَّنَ أمرنا عندك أنا لم نقاتلك كما قاتلك غيرنا ، ولو كنا فعلنا كنا كابن جعفر ! فقال معاوية : إني اعطيكم فتكونون بين رجلين إما مُعِدٌّ بما أعطيه لحربي ، وإما مضم له مع بخل به ، وإن عبدالله بن جعفر يعطي أكثر مما يأخذ ، ثم لا يأتيني حتى يدان أكثر مما أعطي ، فخرج عبدالله بن صفوان وهو يقول : والله إن معاوية ليحرمنا حتى نيأس ، ويعطينا حتى نطمع .

فولد عبدالله الطويل بن صفوان بن أمية : عمرو بن عبدالله ، كان

١ ـ الخمر : جماعة من الناس ، وخمر توارى . القاموس .

سيداً كريماً وفيه يقول الشاعر لسليمان بن عبد الملك :

يا أيها الراكب المزجي مطيته لو كنت عمرو بن عبدالله لم تَزِدِ

وقال الواقدي : حدثنا ابن جريج عن عمرو بن عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف أنه كانت له أبال ، منها إبل عادية ، وهي ما عدا في السحر ، وإبل واضعة وهي ما أكل الحمض ، وإبل أوارك وهي ما أكل الأراك ، فكان يبعث إلى رجل من بني مخزوم يقال له خالدبن يزيد ، من ولد العاص بن هشام بن المغيرة بلبن في كل يوم ، فبلغه عن المخزومي شيء هجره له ، فلما أمسى ولم يأته اللبن أرسل إليه : لا تجمع علينا غضبك ومنع لبنك ، فبعث إليه بلبن ورضي عنه .

وقال ابن جريج : كان عمرو بن عبدالله بن صفوان يطعم في كل يوم سويقاً بتمر ، فأكل يوماً وقد ضاقت المجالس ، فقام قائماً يأكل ولم يزعج أحداً ، فرآه رجل وقد قام فقال : هذا أكرم الناس وأشرفهم .

وكان يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية ذا قدر ، ولاه عمرو بن سعيد مكة ، ورجع عمرو إلى المدينة .

وكان صفوان بن عبدالله بن صفوان محدثاً .

وأما ربيعة بن أمية بن خلف ، فكان صاحب شراب ، فقصد عمر بن الخطاب لمنزله وقد أخبر خبره فدخله ، فقال له : نهاك الله عن التجسس فقال : صدقت ، أفلم ينهك عن شرب الخمر ؟ .

حدثني ابراهيم بن محمد بن عرعرة الشامي ، وعباس بن يزيد البحراني قالا ! ثنا عبد الرزاق بن همام ، ثنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال : جلد عمر : ربيعة بن خلف في الخمر ، فلحق بهرقل فتنصرّ .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده ، وعوانه أن عمر دخل على ربيعة بن أمية بن خلف وهو يشرب ، فقال له : ألم ينهك الله عن التجسس ؟ قال : بلى ونهاك عن شرب الخمر ، وأخرجه فجلده حداً وغرّبه فلحق بأرض الروم فقال عمر : لا أغرب بعده أحداً .

وقال أبو اليقظان : حدّ عمر ربيعة بن أمية ، فغضب ولحق بهرقل فتنصر ومات غرقاً من الخمر .

وأما مسعود بن أمية فولد : عامر بن مسعود ، وكان يلقب دُحروجة الجُعَل لدمامته وقصره ، ولاه زياد بن أبي سفيان صدقات بكر بن وائل ، ولما نخس بعبيدالله بن زياد اصطلح أهل الكوفة عليه ، فقام بأمرهم ، وولاه عبدالله بن الزبير الكوفة ، وفيه يقول عبدالله بن همام السلولي :

واشْفِ الأرامل من دحروجة الجُعَلِ .

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يقول : العجب لأهل الكوفة حيث رضوا بقضاء القرد ، وقد كتبنا خبره فيما تقدم من هذا الكتاب ، وولده بالكوفة .

وأما الجُعَيْد بن أمية فولد : حُجير بن الجعيد ، وكان حجير شريفاً بالكوفة وله بها دار تنسب اليه .

وأما أُبي بن خلف ، أخو أمية ، فإنه كان أشد الناس على النبي ﷺ ، وقد كتبنا خبره في أول هذا الكتاب ، ودنا من رسول الله ﷺ يوم أحد فقال : واللات والعزى لأقتلنك يا محمد ، فقال رسول الله ﷺ : «بل أقتلك إن شاء الله» ، فأخذ رسول الله ﷺ حربته من يده ويقال حربة بعض الأنصار فقتله بها ، فجعل يخور خوار الثور وقال الشاعر :

لقد ورث الضلالة عن أبيه أُبَيٌّ حين بارزه الرسول

وأخذ أُبي عظماً نخراً فقال : يا محمد ، أتزعم أن ربك يحيي هذا العظم ؟ فقال : «نعم» . ففتّه ونفخه ثم قال : بأست هذا حديثاً فنزلت فيه : ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾[1] إلى آخر السورة .

فولد أُبَيّ : عبدالله . فولد عبدالله : عبيدالله . فولد عبيد الله : صفوان بن عبيدالله ، فولد صفوان : محمد بن صفوان بن عبيدالله بن عبدالله بن أبي بن خلف ، ولي القضاء أيام هشام بن عبد الملك ، وكان ابنه عبيدالله بن عبدالله على القضاء ببغداد لأبي جعفر أمير المؤمنين ، وولاه أيضاً المدينة .

وأما أُحيحة بن خلف فمن ولده : أبو دهبل الشاعر ، واسمه وهب بن وهب بن زمعة بن أَسِيد بن أحيحة بن خلف .

وأما وهب بن خلف بن حُذافة بن جُمح فمن ولده : عمير بن وهب بن خلف ، وهو المضرّب ، أسر يوم بدر ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وبعثت قريش عُميراً فحزر المسلمين يوم بدر ، ولما مضىٰ يوم بدر قال عمير بن وهب لصفوان بن أمية : لولا دين عليّ وعيال لأتيت محمداً فقتلته ، فضمن له صفوان قضاء دينه وأمر عياله ، فمضى حتى أتىٰ المدينة وقصد النبي ﷺ ، فرآه عمر بن الخطاب ، فشد عليه فأخذه ، وانطلق به إلى النبي ﷺ فقال له : «ما أقدمك» ؟ قال : أمر وهب بن عمير فإنه أسير ، فقال له النبي ﷺ : «ما شرطت لصفوان وما شرط لك» ؟ فقال : والله ما علم الذي كان

١ ـ سورة ياسين ـ الآية : ٧٨ .

بيني وبينه أحد ، فقال عمير : أشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسول الله ، فوالله ما أخبرك خبرنا إلا الله ، وقد كتبنا خبره بعد قصة يوم بدر .

وقال بعضهم : الذي ضمن لصفوان ما ضمن وهب بن عمير بن وهب ، والأول أثبت ، وشهد عمير يوم أحد مع النبي ﷺ وبقي إلى أيام عمر بن الخطاب ، وكان يكنى أبا أمية .

وأما أُسِيد بن خلف فمن ولده : كَلَدة بن أُسِيد بن خلف ، وهو أبو الأشدين ، وفيه نزلت : ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾[1] . وقال حين نزلت هذه الآية ﴿عليها تسعة عشر﴾[2] : زعم محمد أن أصحاب النار تسعة عشر ، فأنا أكفيكم خمسة منهم أحملهم على ظهري ، وأربعة بيديَ فاكفوني بَقِيَّتِهِم ، فنزلت : ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملائكة﴾[3] .

وعبد الرحمن بن أسيد بن خلف قتل يوم الجمل مع عائشة .

ومن بني **وهب بن حذافة بن جمح** : معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة ، وكان أحد الرؤوس يوم الفجار .

ومظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة ، ولد : عثمان بن مظعون ، هاجر إلى الحبشة مرتين ، وقدم فهاجر إلى المدينة وتوفي بها في ذي الحجة سنة اثنتين ، فصلى عليه رسول الله ﷺ وقبلّه وهو ميت ودفنه بالبقيع ، وقال حين توفي ابراهيم بن النبي ﷺ : «ادفنوه عند سلفنا الصالح عثمان بن مظعون» ، فدفن إلى جنبه وكان يكنى أبا السائب .

---

١ ـ سورة البلد ـ الآية : ٤ .
٢ ـ سورة المدثر ـ الآية : ٣٠ .
٣ ـ سورة المدثر ـ الآية : ٣١ .

وقال الواقدي : أقبل عثمان مع عبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة ، وقد تبين الحق فلما قرأ رسول الله ﷺ القرآن أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ودعائه فيها ، وأمه سُخيلة بنت العنبس بن وَهْبان الجحمي ، ويقال إن أمه من خزاعة ، وهو خال حفصة بنت عمر زوج النبي ﷺ ، لأن أمها زينب بنت مظعون ، شهد بدراً ومات بالمدينة سنة اثنتين ، وقبّله رسول الله ﷺ وهو ميت ، ودفن ابراهيم بن النبي ﷺ إلى جنبه بالبقيع ، وحرّم عثمان على نفسه شرب الخمر في الجاهلية ، وقال : لا أشرب شيئاً يُذهِبُ عقلي ، ويُضِحكُ بي من هو أدنىٰ مني ، ويحملني على أُنِكح كريمتي من لا أريد ، فنزلت الآية في الخمر ، فمرَّ به رجل فأخبره بذلك وتلاها عليه ، فقال : تباً لها قد كان رأيي فيها ثابتاً .

حدثني محمد بن سعد عن يعلىٰ بن عبيد عن الإفريقي عن عُمارة اليحصبي أن عثمان بن مظعون قال للنبي ﷺ : إني أكره أن ترىٰ امرأتي عورتي . فلما ولّىٰ قال رسول الله ﷺ : «إن ابن مظعون لحيي ستير» .

وحدثني محمد بن سعد عن محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن الزهري أن عثمان بن مظعون أراد أن يختصي ويسيح في الأرض ، فقال له رسول الله ﷺ : «أليس لك فيَّ أسوة حسنة ؟ فأنا آتي النساء ، وآكل اللحم وأفطر ، وخصاء أمتي الصوم ، وليس من أمتي من خصىٰ واختصىٰ» .

وحدثني محمد بن سعد عن عارم بن الفضل عن حماد بن زيد عن معاوية الجرمي عن أبي قلابه أن عثمان بن مظعون اتخذ بيتاً فقعد فيه يتعبد فجاءه النبي ﷺ فأخذ بعضادتي الباب الذي هو فيه فقال : «يا عثمان ، إن

الله بعثني بالحنيفية السمحة ولم يبعثني بالرهبانية» .

وروي ان أمرأته قالت : هنيئاً لك أبا السائب الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : «كيف بمنعه ما لا يُغنيه وكلامه فيما لا يَعنيه ، والله إني رسول الله ﷺ ما أدري ما يفعل بي» ، فلما قال : «ادفنوا ابراهيم عند سلفنا الصالح» سرى ذلك عن المسلمين بما تداخلهم من الغم لهذا القول .

حدثنا اسحاق بن أبي اسرائيل ومحمد بن حاتم السمين ، ثنا حجاج بن محمد ، ثنا ليث بن سعد حدثني عقيل عن ابن شهاب ، اخبرني سعيد بن المسيب أنه سمع سعد بن أبي وقاص قال : أراد عثمان بن مظعون أن يتبتل فنهاه النبي ﷺ وقال : «لو جاز ذلك لا ختصينا» .

وحدثني محمد بن سعد عن أبي داود الطيالسي عن ابراهيم بن سعد عن الزهري عن سعيد بنحوه[١] .

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة والكلبي قالا : أراد عثمان بن مظعون وعدة معه أن يَدَعوا أكل اللحم ويختصوا ، وكان عثمان دعاهم إلى ذلك ، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك ونزلت فيهم : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم﴾[٢] ونزلت فيهم : ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾[٣] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٨ .
٢ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٨٧ .
٣ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٩٣ .

حدثني محمد بن سعد عن اسماعيل الأويسي ، حدثني عبد الملك بن قدامة عن أبيه عن عائشة بنت قدامة عن أبيها عن أخيه عثمان بن مظعون أنه قال : «يا رسول الله إني رجل تشقّ علي العزبة في المغازي فاخصني . قال : لا ولكن عليك بالصيام فإنه مَجفرة»[١] .

حدثني عمر بن محمد عن أبي نعيم عن اسرائيل بن أبي اسحاق عن أبي بردة قال : دخلت امرأة عثمان بن مظعون خوله بنت حكيم السلمية على نساء النبي ﷺ فقلن لها : مالك سيئة الهيئة وما في قريش أيسر من زوجك ؟ فقالت : ما لنا فيه شيء ، أما نهاره فصائم ، وأما ليلة فقائم ، فدخل النبي ﷺ فقلن له ذلك فلقيه فقال : «يا عثمان أمالك أسوة فيّ إن لعينك منك حظاً ، وإن لجسدك منك حظاً ، وإن لأهلك عليك حقاً فصل ونم وافطر وصم»[٢] .

ولما مات عثمان صلى عليه النبي ، وكبّر عليه أربعاً ، وقام على قبره حتى دفن بالبقيع ، ونزل في قبره عبدالله بن مظعون ، وقدامة بن السائب بن عثمان ، ومعمر بن الحارث .

وروى قيس بن الربيع عن عاصم بن عبيدالله عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : لما مات عثمان بن مظعون قبلّه النبي ﷺ وقد سالت دموعه على وجهه .

---

١ ـ الجفور : انقطاع الفحل عن الضراب ، وأجفر : عن المرأة انقطع . القاموس .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٩٥ .

حدثني محمد بن سعد عن وكيع عن سفيان عن عاصم بن عبيدالله عن القاسم بن محمد عن عائشة بمثله[١].

قالوا : وكان عثمان لما قدم من أرض الحبشة استجار بالوليد بن المغيرة ، فرد عليه جواره وقال : لا أستجير بغير الله ، فحضر مجلساً لقريش وفيه لبيد بن ربيعة الجعفي الشاعر ، فأنشد قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكـل نعيم لا محالـة زائـل[٢]

فقال كذبت ، نعيم الجنة غير زائل ، فقال لبيد : يا معشر قريش ، والله ما عهدتكم يؤذى جليسكم فقال رجل منهم : هذا سفيه من سفهائنا ممن فارق ديننا ، فرد عليه عثمان حتى قام الرجل فلطم عينه فخضرها ، فقال عثمان رضي الله عنه :

إن تك عيني في رضا الله نالها يدا ملحد في الدين ليس بمهتد
فقد عوض الرحمن منها ثوابه ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد

وقال الوليد لعثمان حين رأى عينه : ما كان أغناك عن هذا يا بني ؟! فقال عثمان : ما أنا بغنى عنه لأنه ذخر لي عند الله ، وإن عيني الصحيحة محتاجة إلى مثل ما نال صاحبتها . فقال : لقد كنت في ذمة منيعة فعد إلى جواري ؟ فقال : والله لا أعود في جوار غير جوار الله أبداً ، وكان الذي لطم عين عثمان عبدالله بن أبي أمية ، فوثب عليه سعد بن أبي وقاص فكسر أنفه فكان ذلك أول دم هريق في الاسلام ، وقال قوم هو عبدالله بن عثمان جد

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧ .
٢ ـ ديوان لبيد بن ربيعة ـ ط . ١٩٨٤ ص ٢٥٦ .

عمرو بن حريث بن عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبدالله ، والأول أثبت .

وكان عثمان أول من قبر بالبقيع ، ووضعت على قبره علامة وقال النبي ﷺ : «ذهبت ولم تلبس من الدنيا بشيء» .

ومن ولد مظعون أيضاً : أيضاً : قدامة بن مظعون رضى الله عنه ، أسلم مع أخيه ، وكان يكنى أبا عمرو ، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه البحرين .

المدائني عن سحيم بن حفص وغيره قالوا : ولى عمر قدامة بن مظعون البحرين ، وهو خال عبدالله بن عمر وحفصة بنت عمر ، فخرج الجارود العبدي من البحرين بغير إذن قدامة ، فكتب فيه قدامة إلى عمر يعلمه أنه خرج مشاقاً عاصياً ، وأتى الجارود المدينة فنزل على عبد الرحمن بن عوف ، ويقال على عثمان بن عفان ، فأعلم الذي نزل عليه أن قدامة يشرب الخمر فراح إلى عمر فأخبره بخبر الجارود ، فقال عمر : لقد هممت بابن عبد القيس أن أقتله أو أحبسه بالمدينة أو أسيره إلى الشام ، فقال الرجل الذي عنده الجارود للجارود ما قال عمر ، فقال : أما قتلي فإنه لم يكن ليؤثرني على نفسه فأدخل الجنة ويدخل النار ، وأما حبسي بالمدينة فعند قبر رسول ﷺ ومهاجره ومنازل أزواجه ، وأما تسييري إلى الشام فأرض المحشر والأرض المقدسة . ثم أصبح غادياً على عمر فقال له : يا عدو الله جئت عاصياً بغير إذن أميرك فما عندك ؟ قال : أشهد أن قدامة بن مظعون شرب الخمر صُراحية . قال : ومن يشهد معك ؟ قال : أبو هريرة . قال : أُخَيْتِنِكَ لأوجعنّ ظهره، قال: أيشرب ختنك وتوجع ختني؟! قال: ومن أيضاً؟

قال : علقمة الصدوق ، قال فكره عمر أن يقول الخصي فقال : السليم ؟ قال :فكتب عمر إلى قدامة وأبي هريرة ، وعلقمة فقدموا فشهد الجارود أنه شرب الخمر، وشهد أبو هريرة أنه شرب الخمر مع ابن دُسر، وقال علقمة: أتقبل شهادة مثلي؟ قال: نعم أقبل شهادة مثلك، قال: اشهد أن قدامة مج الخمر ، فقال عمر : وأنا أشهد أنه إذ قاءها إنه قد شربها ، فقال الجارود: أقم على قدامة الحد. فقال عمر: أشاهد أم خصم؟ قال: شاهد . قال : فقد أديت ما عليك ، وكان قدامة مريضاً فشاور عمر الناس فيه ، فقالوا : لا تضربه حتى يبرأ فقال عمر : بل أقيم عليه الحد فإن مات لقي الله وقد أقيم عليه الحد ، فلما أُتي به ليضرب قال له عمر : أشربت الخمر ؟ قال: وما بأس بذلك ؟ أليس قد قال الله : ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا﴾(١) ؟ فقال عمر : تشرب الخمر وتخطىء في التأويل ، لو اتقيت الله لم تشربها . ثم قال ليرفأ حاجبه ومولاه : هات سوطاً فجاءه بسوط له شعب فقال : هات غير هذا فجاءه بسوط رضيه فضربه ثمانين سوطاً . وقال عمر : ما وليت أحداً كان علي فيه هوى غيره ، فما بورك لي فيه .

ومر الجارود بامرأة من ولد عمر فقالت : قبح الله هاتين العينين الخفشاوين اللتين شهدتا على خالي . فقال : قبح الله هاتين العينين اللتين شرب خالها الخمر ، وكان عبدالله بن عمر قال للجارود قبل أن يشهد على قدامة : غداً يفضحك الله ، فقال : غداً يفضح الله خالك أو يحيف أبوك .

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٩٣ .

قالوا : وعلقمة بن سهل من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وكان يكنى أبا الوضاح ، وكان له اسلام وفضل ويسار بعُمان ، وكان أسر باليمن في الجاهلية ، فهرب ثم ظفر به فهرب ثانية ، ثم أُخذ فخصي ، فهرب ثالثة وأخذ جملين يقال لهما عَوْهَج وداعِر ، فصارا بعُمان وإليهما تنسب العوهجية والداعرية .

وقال الكلبي : الداعرية نسبت إلى داعر بن الحماس بن ربيعة الحارثي فوقع إلى عُمان فحل من الداعرية .

وعلقمة الخصي الذي يقول وهو مختصى .

يقول رجال من صديق وحاسد نراك أبا الوضاح أصبحت ثاويا
فلا يعدم الباقون بيتاً يُكنّهُم ولا يعدم الميراث بعدي واعيا
وَجَفَّتْ عيون الباكيات وأقبلوا إلى ماهم إذ بنت منهم وماليا
حراصاً على ما كنت أجمعه لهم هنيئاً لهم جمعي فما كنت واليا

ومات علقمة بالبحرين ، وقوم يقولون إن الحارث بن كعب نفر به بعيره فسقط ، والأول أثبت .

وحدثني اسحاق بن أبي اسرائيل ، وبكر بن الهيثم ، ثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر عن الزهري ، أخبرني عبدالله بن عامر بن ربيعة ، وكان أبوه شهد بدراً ، أن عمر استعمل قدامة بن مظعون على البحرين ، وهو خال حفصة ، وعبدالله بن عمر ، فقدم الجارود سيد عبد القيس على عمر من البحرين، فقال: يا أمير المؤمنين إن قدامة شرب فسكر، وإنه حدٌّ من حدود الله رأيت حقاً علي أن أرفعه إليك ، فقال له عمر : من شهد معك ؟ قال : أبو هريرة . . فدعا أبا هريرة فقال : بماذا تشهد ؟ قال : لم أره يشرب

ولكني رأيته سكران يقيء ، فقال عمر : لقد تنطعت في الشهادة ، ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين، فقدم فقام الجاردو فقال: أقم على هذا كتاب الله ، فقال عمر : أخصم أنت أم شهيد ؟ قال : بل شهيد . قال : أدَّيتَ شهادتك ، فصمت عنه الجارود حتى غدا عليه فقال : أقم على هذا حدّ الله ، فقال عمر : ما أراك إلّا خصماً وما شهد معك إلا رجل واحد ، قال الجارود : إني انشدك الله ، فقال عمر : لتمسكن لسانك أوْلأ سُوْءَنَّكَ ، قال الجارود : والله ماذاك بالحق أن يشرب ابن عمك وتسوءني ؟ فقال أبو هريرة : إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فسلها ، وهي امرأة قدامة ، فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها الله ، فأقامت الشهادة على زوجها ، فقال عمر لقدامة : إني حادك ، فقال : لو شربت كما يقولون ما كان لكم أن تحدوني . قال عمر : ولم ؟ قال قدامة : لقول الله : ﴿ليس على الذين آمنوا جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا﴾ الآية . فقال عمر : اخطأت التأويل ، أما لو اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله عليك ، ثم أقبل عمر على الناس فقال : ما ترون في جلد قدامة ؟ فقال القوم : لا نرى أن تجلده ما كان وجعاً . فقال عمر . لأن يلقى الله تحت السياط أحب إلي من أن ألقاه وإثمه في عنقي ، ائتوني بسوط تام ، فأمر عمر بقدامة فجلد فغاضب عمر قدامة ، وهجره فحج قدامة معه وهو مغاضب له ، فلما قفلا من حجهما ـ وقال بكر في حديثه انصرفا من حجهما ـ وترك عمر بالسقيا استيقظ عمر من نومه فقال : عجلوا عليّ بقدامة فوالله لقد رأيت آتياً أتاني في النوم ، فقال : سالم قدامة فإنه أخوك ، فعجلوا عليّ به فلما أتوه أبى أن يأتي عمر ، فأمر عمر أن يجرّ إليه ، فأتاه فكلمه عمر ، واستغفر له فكان ذلك أول صلحهما .

وحدثني بكر بن الهيثم عن شيخ من بني جمح عن أبيه قال : هجر عمر قدامة بن مظعون حيناً ، ثم رأى في منامه أن يرضى عنه ويصالحه ، فرضي عنه وعانقه واستغفر له .

قالوا : وبقي قدامة إلى زمن معاوية ، ولم يدخل في شيء من أمرهم .

وقال الواقدي : كان قدامة يكنى أبا عمرو ، ومات في سنة ست وثلاثين وهو ابن ثمان وستين سنة ، وهو أثبت الخبرين في موته ، وكان قدامة من مهاجرة الحبشة في المرة الثانية ، وقدم مكة وهاجر إلى المدينة ، وفي قدامة يقول الهذلي ، وأتاه بصلة :

أآمل خيراً من قدامة بعدما علا السوط منه كل عضو ومفصل
شربت حراماً يا قدامُ فأُرسلت عليك سياط الشارب الخمر من عل
فلا تشربنْ خمراً قدام فإنها حرام على أهل الكتاب المنزَّل[1]

ومن ولد مظعون أيضاً : عبدالله بن مظعون ، ويكنى أبا محمد ، أسلم مع أخويه حين أسلما، وهو بدري وأمه سخيلة بنت أهبان من بني جمح ، مات في سنة ثلاثين ، وهو ابن ستين سنة ومنهم : السائب بن عثمان بن مظعون هاجر مع أبيه إلى الحبشة في المرة الثانية ، ثم قدم فهاجر منها إلى المدينة ، وأصابه سهم يوم اليمامة في أيام أبي بكر فمات وهو ابن بضع وثلاثين سنة ، وولد حين ولد ولأبيه ثلاثون سنة .

ومن بني وهب بن حذافة أيضاً ؛ حاطب ، وحطاب ، ومعمر بنو الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح .

فأما حاطب بن الحارث فهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية و بها مات ،

١ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الهذليين .

وولد له بها : محمد بن حاطب ، وأرضعته أسماء بنت عميس ، وهي أم عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وأرضعت أمه عبدالله بن جعفر ، فهما أخوان من الرضاع ، فكانا يتواصلان على ذلك ، وكان محمد بن حاطب يكنى أبا ابراهيم ، وشهد مع علي مشاهده ، ومات بالكوفة في ولاية بشر بن مروان أيام عبد الملك ، وحفظ عن النبي ﷺ أنه «رقاه حين احترقت يده» وكان مع حاطب بأرض الحبشة ابنه الحارث فقدم في إحدى السفينتين مع جعفر بن أبي طالب ومعه أخوه محمد .

وأما حطاب بن الحارث ، ويكنى أبا معمر ، فيقال إنه هاجر إلى أرض الحبشة فمات بها ، ويقال مات في البحر وهو منصرف منها ، ويقال إنه لم يهاجر إلى أرض الحبشة .

وأما معمر بن الحارث ، أخو حاطب، وحطاب، فإنه قديم الاسلام ، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم المخزومي ، وشهد بدراً وجميع المشاهد، وتوفي في أيام عمر ، ونزل في قبر عثمان بن مظعون .

ومن ولد حاطب بن الحارث : عيسى بن لقمان بن حاطب بن الحارث . ولاه أمير المؤمنين المهدي الكوفة وقد كان ولي للمنصور أمير المؤمنين أيضاً ، وقد روى عنه ابن ادريس الأودي .

ومن بني وهب بن حذافة أيضاً : جميل بن معمر بن حبيب بن وهب ، ويكنى أبا معمر ، وهو ابن أخي مظعون ، وكان شريفاً وكانت له رئاسة في قريش ينكر عليها المنكر فيطاع . وكانت قريش تدعوه ذا القلبين لفهمه وفيه نزل : ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾[1] . وكان جواداً وفيه يقول

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٤ .

الهذلي .

وفجّع أضيافي جميل بن معمر بذي كرم تأوي إليه الأرامل[١]

وقيل فيه أيضاً :

وكيف الثواء بالمدينة بعدما قضى وطراً منها جميل بن معمر

وسفيان بن معمر بن حبيب أخو جميل هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، ومات في أيام عمر ، ويقال في أول أيام عثمان ، وكان معه بالحبشة ابناه : جنادة ، وجابر ، وأمهما حسنة أم شرحبيل بن حسنة ، وكان قدومه المدينة بعد الهجرة ، وقبل قدوم جعفر بن أبي طالب .

ومن بني وهب بن حذافة أيضاً : هبار بن وهب ، ذكر محمد بن اسحاق أنه من مهاجرة الحبشة[٢] .

ومن بني أُهبان بن حذافة : نبيه بن عثمان بن ربيعة بن أُهبان ، وهو وهبان بن حُذافة بن جمح ، هاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية ، وأقام حتى ركب السفينة مع جعفر بن أبي طالب ومات في البحر .

ومن بني وهيب وهو أُهيب بن حذافة : أبو عزة عمرو بن عبدالله بن عمير بن أهيب بن حذافة ، وكان أصاب أبا عزة مرض وسقي بطنه ، فأخرجته قريش من مكة مخافة العدوى ، فلما طال عليه البلاء أخذ مدية فوجأ بها بطنه ليستريح مما كان فيه ، فسال الماء من بطنه وبرىء ، وذهب مرضه ، وعاد صحيحاً سليماً فانشأ يقول :

لا هُـمّ رب وائـل ونهد واليَعْمَلات والخيـول الجرد

١ ـ ديوان الهذليين ـ ط . القاهرة ١٩٩٥ ص ١٤٨ .

٢ ـ في ابن اسحق ـ السير والمغازي ص ٢٢٥ «هبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال» .

ورب من يسعى بأرض نجد أصبحت عبداً لك وابن عبد
أبـرأت مني برصاً بجلدي من بعدما شُرِّدْتُ في مَعَدِّ

فرجع إلى مكة وأسر يوم بدر ، فشكا الى النبي ﷺ فاقته وكثرة عياله ، وأعطاه عهداً ألا يخرج عليه أبداً ، ولا يعين قريشاً ، فلما كان يوم أحد خرج يقاتله مع المشركين ويحرضهم على قتال المسلمين ، فأسر فضرب رسول الله ﷺ عنقه بيده صبراً ، فيقال ان النبي ﷺ لم يقتل بيده غير أبي عزة ، وأُبي بن خلف .

ومنهم : مسافع بن عبد مناف ، وهو عبدالله بن عمير بن أُهيب الشاعر ، وأخوه عبد الرحمن بن سابط بن أبي حُميضة بن عمرو بن أهيب الفقيه ، وأخوه عبد الرحمن بن سابط ، وعبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن بن سابط بن أبي حميضة بن عمرو بن أهيب كان فقيهاً .

قال الهيثم بن عدي والواقدي : مات سنة ثماني عشرة .

ومنهم : أيوب بن حبيب بن أيوب بن علقمة بن ربيعة بن الأعور بن أُهيب ، قتل بقديد قتلته الخوارج .

وولد سعد بن جمح : عريج ، وهو دُعموص الرمل ، ولُوذان ، وأمهما ليلى بنت عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر .

ومنهم : سعيد بن عامر بن حذيم بن سلمان بن ربيعة بن عُريج بن سعد بن جُمح ، كان خيّراً فاضلاً ورعاً ، ولاه عمر بن الخطاب الرقة وكورها وحمص ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات في سنة عشرين ، فولّىٰ مكانه عمير بن سعد الأنصاري ففتح رأس العين .

حدثني داود بن عبد الحميد عن أبيه عن جده قال : لما احتضر

سعيد بن عامر بن حذيم أمر فكتب إلى عمر: «إن الغلظة مع النصيحة خير من اللين مع الغش ، وقد كنت منكراً لأمر من أمرك فلم أواجهك به إذ لم أجد لذلك موضعاً ، وقد خفت أن أموت ولم أُلْقِهِ إليك ، إني رأيت منك في أمر قدامة صهرك تحاملاً على الشهود الذين شهدوا عليه ، ومخاصمة عنه ، والحاكم لا يكون خصماً ، فاحذر مثلها ، واستغفر الله منها ، واذكر الله عند لسانك إذا نطقت ، وعند يدك إذا قسمت وبطشت ، وعند همك إذا هممت ، فإن الله لا يخادع ولا يقبل إلا نخيلة الأعمال بخالص النيات ، ولست تُعلّم يا أمير المؤمنين من جهل ، وأنا أقرأ عليك السلام» . فلما قرأ عمر الكتاب بكىٰ وقال : رحمك الله أبا عمرو ، فلقد مضيت طاهر الثوب ، ناصح الجيب ، لا يأخذك في الله لومة لائم .

وحدثنا محمد بن سماعة الفقيه عن أبي معشر أن عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجحمي ، فلما أراد أن يسير قال : يا أمير المؤمنين أوصيك بتقوىٰ الله ، وأن تخشىٰ الله في الناس ، ولا تخشى الناس في الله ، وأن تحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، وأن يعتدك نظرك وقضاؤك لقريب الناس وبعيدهم ، ولا تقضي في أمر بقضائين فتوبق نفسك ، وخض الغمرات إلى الحق حيث علمته ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فقال عمر : من يستطيع هذا ؟ قال سعيد : من جعل الله في عنقه ما جعل في عنقك ، إنما عليك أن تأمر فيتبّع أمرك فقال عمر : جزاك الله خيراً ، وأنا أوصيك بتقوىٰ الله ، وطاعته ما استطعت .

ومنهم أبو محذورة ، واسمه فيما ذكر الكلبي أوس بن مِعير بن لُوذان بن ربيعة بن عُريج بن سعد ، مؤذن النبي ﷺ .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي وغيره : هو سمرة بن مِعْيَر واسم أخيه أوس[١] .

وقال أبو اليقظان : اسم أبي محذورة سلمان ، وأوس أخوه قتل يوم بدر كافراً ، وأسلم أبو محذورة يوم الفتح ، وجاء النبي ﷺ فقال له : يا رسول الله ائذن لي في الأذان مع بلال فأذن له ، فكان يؤذن في الفجر فقط ، فلما انصرف رسول الله ﷺ عن مكة كان أبو محذورة يؤذن في الأوقات كلها ، وأقام بمكة فيمن تخلف بها ، ولم يهاجر ، وكان يقول : لولا الأذان لهاجرت ، وكان النبي ﷺ قال لسَمُرة وأبي محذورة : «آخركما موتاً في النار» ، فكان القادم يقدم مكة فيسأله أبو محذورة عن سمرة بن جندب ، وكان القادم يقدم من مكة فإذا لقيه سمرة سأله عن أبي محذورة ، فمات أبو محذورة ، ثم مات سَمُرة وكان موته بالكوفة في آخر أيام معاوية ، وكان يكنىٰ أبا سعيد ، وفي أبي محذورة يقول أبو دهبل الشاعر الجمحي :

أما ورب الكعبةِ المستورة ... وما تلا محمدٌ من سوره
والنَّغَرَاتِ من أبي محذورة ... لأفعلنَّ فعلةً مذكوره

وقال الكلبي : كان لأبي محذورة أخ يقال له أنيس بن مِعْيَر قتل يوم بدر كافراً .

ومنهم : سعيد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن جميل بن عامر بن حذيم بن سلمان بن ربيعة بن عريج بن سعد ، ولي قضاء بغداد في أيام الرشيد .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٥٠ .

وقال أبو اليقظان : من بني جمح : لوذان بن ربيعة بن عريج بن سعد بن جمح ، قتله علي بن أبي طالب يوم بدر .

ومنهم : ربيعة بن دراج أسر يوم بدر .

نسب بني سهم بن عمرو بن هصيص بن مرة بن كعب بن لؤي

فولد سهم بن عمرو : سعد بن سهم ، وسعيد بن سهم وأمهما نَعم بنت كلاب بن مرة ، ورئاب بن سهم ، وعمرو بن سهم ، وعبد العزىٰ . درجوا .

فولد سعد : عدي بن سعد ، وحذيم بن سعد أمهما تماضر بنت زهرة بن كلاب ، وحذيفة ، وحذافة ، وسعيد بن سعد ، أمهم عاتكة بنت عبده من بني غاضرة بن صعصعة ، منهم قيس بن عدي بن سعد بن سهم ، كان شريفاً تتحاكم إليه قريش ، وكانت عنده الغَيْطلة ، وهو اسمها ، من ولد شنوق بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ، فهم ينسبون إليها ويدعون الغياطل ، ويقال لبني قيس أيضاً المقايس ، ويقال ان الغيطلة من خزاعة ، وأنها كانت كاهنة ، وقال أبو طالب :

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا   بني خلف قيضاً بنا والغياطل

وفي قيس يقول الشاعر :

لا يبتدي في مثل داره الندي   كأنه في العز قيس بن عدي

ويروى :

في داره يؤتىٰ وداره الندي   كأنه في العز قيس بن عدي

فولدت الغيطلة : الحارث بن قيس ، وهو صاحب الأوثان كان كلما رأى حجراً أحسن من الذي عنده أخذه وألقىٰ ما عنده ، وفيه نزلت : ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾[1] ومِقْيَس بن قيس ، وعدي بن قيس .

وكان في ولد قيس عِرَام ، وفي بيت مقيس اقتسم الغزال الذي سرق من الكعبة ، وكانت له قينتان ، وقد ذكرنا خبره في حديث أبي لهب حين كتبنا نسبه .

وكان مقيس بن قيس بن عدي سكر من خمر فجعل يخط ببوله نعامة أو بعيراً ، فلما أفاق أخبر بذلك فحرّم الخمر وقال :

لا تشرب الخمر إن الخمر فاضحة تزري بمن كان ذا لبّ وذا كرم

حتى يُرىٰ ضحكة في الناس محتقراً كـأنما مسـه طيف من اللمم

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال : أقامت قريش بمكة لا يبغي بعضها على بعض ، فكان أول من بغىٰ من قريش بمكة المقايس ، وهم : بنو قيس بن عدي بن سهم : تباغوا بينهم ، فبعث الله فأرة على ذُبالة[2] فيها نار فجرتها إلى خيام لهم فاحترقوا ، ثم كان من بني السباق بن عبد الدار بن قصي بغي وظلم ، فألقى الله عليهم الفناء فقالت سبيعة بنت لاحب من بني نصر بن معاوية وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة لابنها ، وكان ذا شرارة وبغي وظلم :

---

١ ـ سورة الجاثية ـ الاية : ٣٣ .

٢ ـ الذبالة : الفتيلة . القاموس .

أبنيّ لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
واحفظ مكارمها ولا تعلقك أسباب الغرور
أبنيّ من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
الله أمَّنَ طيرها والوحش يعقل في ثبير
وكسا البَنِيَّةَ تُبَّعٌ إذ جاءها حلل الحبير

وقالت أيضاً :

ألا ليت شعري عن مقيس وأهله أأفلت منهم في المحلة واحـد
أم النار لم تخطىء من القوم واحداً فكلهم في هـوة القبر خـالـد

قالوا : وكان أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رجلاً جميلاً ، وكان طريقه على منزل وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وكانت لوهب قينتان فكره وهب ممره على رحله فنهاه عن ذلك فأبى فضربه وهب بالسيف على اليته فقال :

مهلاً أميّ فإن البغي منقصة لا يكسبنك يومـاً شره ذكـر

فنفرت لذلك بنو عبد مناف بن قصي ، والمطلب بن عبد مناف يومئذٍ حي ، فغضب لابن أخيه ، فأجمعوا على إخراج بني زهرة من مكة ، فعزم بنو زهرة على الرحلة ، فبينا هم على ذلك إذ صاح صائح من دار عدي بن قيس وكان سيداً عزيزاً : ألا إن الركب مقيم أصبح ليل . فقالت بنو عبد مناف : من الصارخ ؟ قيل : عدي بن قيس بن عدي ، وكان في سهم ثروة وعدد ومنعة فاجتمع بنو عبد مناف إلى المطلب بن عبد مناف بأسفل مكة وتجمعت بنو سهم وبنو زهرة ، فعرف بنو زهرة أنهم ممنوعون ، وكان أمية حليماً ، فلما رأى ذلك أتى عمه المطلب فقال : يا عماه قد وهبت الضربة لبني عمي

فاصطلحوا ، وهذا اليوم يسمى يوم عِزّ الركب ، ويوم الصلح فقال عبدالله بن الزبعرى :

نحن منعنا من الإجلاء إخوتنا لما انخت مطايا القوم حالينا
لما رأوا مكفهراً لا كفاء له من شر سهم وناداهم منادينا
بأن أقيموا واصبح ليل إن لنا أمراً سيكفيهم منا ويكفينا[1]

وقال أبو عبيدة : هذا الشعر فيما أحسب قيل في الإسلام ، وقاله بعض بني سهم ، وقال بعض بني زهرة الذي ضَرَبَ الية أمية ذو الفُرَيَّة .

وقال ابو اليقظان : أراد بنو عبد مناف أن يأخذوا المفتاح من بني عبد الدار ، فأعانهم قيس بن عدي فلم يؤخذ .

وقال أبو اليقظان : وثب أبو جهم بن حذيفة العدوي على أمية بن خلف الجحمي فلطمه لأمر جرى بينهما، فوثبت جمح على بني عدي فغلبوهم ، فأعانهم عدي بن قيس بن عدي على بني جمح فلم يقدروا على مضرتهم وقال :

سأحنو علىٰ حَيَّيْ عديٍّ مسّيراً خفارتهم ما بين أذني ومنكبي
تأشب عيصي[2] ما حييت وعيصهم تأشب عيص الغيضة المتأشب

ومن ولد قيس بن عدي بن سعد بن سهم :

أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي ، هاجر إلى الحبشة في المرة

---

١ ـ ليست في شعر عبدالله بن الزبعرى المطبوع .
٢ ـ العيص : الشجر الملتف . القاموس .

الثانية ، فيقال إنه قدم مع جعفر ، ويقال قبل ذلك ، واستشهد يوم اليمامة في أيام أبي بكر .

وسعيد بن الحارث هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، وقتل يوم اليرموك .

وتميم بن الحارث هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، واستشهد يوم أجنادين في الشام .

وعبدالله بن الحارث هاجر إلى أرض الحبشة مع إخوته في المرة الثانية ، ومات بالحبشة .

والحجاج بن الحارث يقال إنه هاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية ، وقدم المدينة بعد هجرة النبي ﷺ ، واستشهد بالشام ، ويقال إنه لم يكن له هجرة إلىٰ أرض الحبشة ، والواقدي يثبتها .

وقال الكلبي : لم يهاجر ، وأسر يوم بدر ، ثم أسلم بعد .

والحارث بن الحارث يقال هاجر إلى أرض الحبشة ، وليس ذلك بثبت ، ولكنه استشهد بالشام .

والسائب بن الحارث ، هاجر إلى الحبشة ، وقدم المدينة بعد الهجرة ، ومات من جراحة أصابته يوم الطائف ، ويقال بل استشهد بالشام ، والواقدي يثبت هجرته إلى الحبشة ، وبعضهم لا يثبتها .

ومن **ولد قيس بن عدي** : عبدالله بن الزبعرى بن قيس ، وكان يهجو النبي ﷺ ، وفيه يقول حسان بن ثابت الأنصاري :

ألا ترون بأني قد ظلمت إذا كان الزبعرىٰ لِنَعْلَيّ ثابت خطرا[1]

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٣٤٦ .

وأباح رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح ، فأسلم قبل أن يقدر عليه ، ومدح رسول الله ﷺ . فلم يعرض له ، ولما أسلم ابن الزبعرى قال لحسان : تعال حتى نتهاجىٰ فإنك كنت تهجوني وجبريل معك ، فقال حسان : إني لا أهجو من دخل في الإسلام .

ومنهم : خُنيس بن حُذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ، أسلم وهاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية ، ثم قدم إلى مكة ، وهاجر إلى المدينة مع المسلمين فمرض ورسول الله ﷺ ببدر وهو معه ، وتوفي مقدم رسول الله من بدر فصلى عليه رسول الله ﷺ ودفنه إلى جنب عثمان بن مظعون ولا عقب له ، وكانت عند خنيس حفصة بنت عمر ، فخلف عليها رسول الله ﷺ وأم خنيس بن حذافة : ضعيفة بنت حذيم من بني سهم ، وكان خنيس يكنى أبا حذافة ، ويقال أبا الأخنس .

وعبدالله بن حذافة بن قيس أخو خنيس ، أسلم وهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، وكان رسول الله ﷺ أرسله بكتابه إلى كسرى بن هرمز يدعوه إلىٰ الإسلام ، وأمره أيام منىٰ أن ينادي : إنها أيام أكل وشرب ، وكان عمرو بن العاص ولاه الاسكندرية ، فأسرته الروم ، فكتب عمر إلى قسطنطين يتوعده بأن يغزوه بنفسه إن لم يخل سبيل عبدالله بن حذافة فخلاه فمات عبدالله في أيام عثمان بن عفان .

وقيس بن حذافة هاجر مع إخوته إلى الحبشة ، وبعض الرواة يدفع هجرته والواقدي يثبتها ، ويقول قدم من الحبشة بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة .

ومن بني قيس بن عدي أيضاً : العاص بن قيس بن عبد قيس بن عدي قتل يوم بدر كافراً .

ومن بني سعد بن سهم أيضاً : عروة بن قيس بن حذافة بن سعد قتل يوم بدر .

ومُنبه ونُبيه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم ، كانا شريفين في الجاهلية ، وكانا ممن يؤذي رسول الله ﷺ ، وقد كتبنا خبرهما في أول كتابنا ، وقتلا يوم بدر كافرين ، وكانا من المطعمين .

وقتل العاص بن منبه يوم بدر أيضاً وكان له ذو الفقار سيف النبي ﷺ ، ويقال كان لمنبه ، ويقال كان لنبيه . والثبت أنه كان للعاص بن منبه .

وولد سعيد بن سعد : أسد بن سعيد ، وحذيم بن سعيد ، وصُبيرة ، وحذيفة وأمهم أم الخير بنت سعيد بن سهم ، فعاش صُبيرة دهراً ويقال مائة سنة ، ولم يَشِبْ ، وله يقول الشاعر :

حجاج بيت الله إنَّ صبيـــ ـــرة السَّهْمي ماتا
سبقتْ مَنّيتهُ المسـ ـــيب وكان ميتته افتلاتا[1]
فتزودوا لا تهلكوا من دون أهلكم خفاتا

ومن ولد صُبيرة : أبو وداعة بن صبيرة أسر يوم بدر ، وابنه : المطلب بن أبي وداعة كان شريفاً ، واسماعيل بن جامع بن اسماعيل بن عبدالله بن المطلب بن أبي وداعة المغنّي في أيام هارون الرشيد ، وعامر بن أبي عوف بن صبيرة قتل يوم بدر كافراً ، هو وأخوه عاصم بن أبي عوف ،

١ ـ افتلت : مات فجأة . القاموس .

وكثير بن كثير بن المطلب كان يحدث عنه ، وكان شاعراً شيعياً ، وهو الذي يقول لعمر بن عبد العزيز :

يا عمر بن عمر بن الخطاب إنّ وقوفي بفناء الأبواب
يدفعني الحاجب بعد البواب يعدل عند الحُرِّ دَقُّ الأنياب

وله شعر في التشيع منه قوله :

لعن الله من يسب علياً وحسيناً من سوقة وإمام

وكانت أم المطلب بن أبي وداعة ابنة الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، وكان ينزل المدينة ، وله بها دار ، وله عقب بمكة .

وقال أبو اليقظان : كان ولد المطلب بن أبي وداعة : حرب بن أبي شيخ بن المطلب ، كان من فتيان قريش ، وكان مع يزيد بن المهلب بخراسان ، فقال له أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة :

يا حرب إنك قد مضيت لطية[1] ظلت مفرقة وبين مُقطع

وكان المطلب بن السائب بن أبي وداعة علىٰ ابنة سعيد بن المسيب .

وولد سعيد بن سهم : مهشم بن سعيد ، وهاشم بن سعيد ، وهشام بن سعيد ، وهُشيم بن سعيد ، وأمهم عاتكة بنت عبد العزىٰ بن قصي .

فمن بني سعيد بن سهم : العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، وكان ممن يعادي النبي ﷺ ويؤذيه .

---

١ ـ الطية : الضمير والنية . القاموس .

ولما توفي القاسم بن رسول الله ﷺ بمكة قال العاص بن وائل : قد انقطع نسل محمد وهو أبتر . فأنزل الله : ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾[١] .

فولد العاص : عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وأمه النابغة بنت خزيمة ، وهي امرأة من عترة سبيئة ، يقال أنها ممن سقط إلى مكة .

وهشام بن العاص وأمه حرملة بنت هشام بن المغيرة .

وقال أبو اليقظان : يروىٰ في الحديث أن النبي ﷺ قال : «ابنا العاص مؤمنان» .

فأما عمرو بن العاص : ، ويكنى أبا عبدالله ، فإن المسلمين لما هاجروا إلى الحبشة ، بعثته قريش في عدة من المشركين إلى النجاشي ليكيدوهم عنده ويسألوه إخراجهم عن بلاده ، وجعلوا له جعلاً ، وشرطوا له شروطاً ، فأبىٰ إجابتهم إلى ما سألوا ، وجعل يحقق أمر رسول الله ﷺ ويخبرهم بصدقه ، فانصرفوا إلى مكة .

فحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن عبد الحميد بن سهيل عن عمرو بن شعيب عن مولى لعمرو بن العاص عن عمرو قال : أسلمت عند النجاشي ، وبايعته على الإسلام ، فقدمت على النبي ﷺ وهو بخيبر ، ونحن في هدنة الحديبية ، فلما رجع من خيبر دخلت عليه فأعلمته قدومي راغباً في الهجرة ، وفي إظهار الإسلام ، وأني أحب أن يرىٰ رسول الله أثري وغنائي في الإسلام ، فطالما كنت عوناً عليه ، فقال رسول الله ﷺ : «الإسلام يَجُبُّ ما قبله» .

---

١ ـ سورة الكوثر ـ الآية : ٣ .

فلما كان هلال جمادىٰ الآخرة بعثني رسول الله ﷺ إلى جيفر وعبد ابْنَي الجُلَنْدَى ، وكتب إليهما كتاباً فانتهىٰ إلى عُمان ، وكان الملك جيفر فأخبرته خبر النجاشي وإسلامه ، فقال : أَنْظُر ما تقول ، فقلت : ما خُلَّةٌ أفضح لرجلٍ من كذب ، وما يُسْتَحل الكذب في ديننا . فقال : تكلم بهذا الكلام عبداً ، ففعلت فأجابا إلى الإسلام ، وصدقا بالنبي ﷺ ، وخليا بيني وبين الصدقة ، والحكم فيما بينهم ، فلم أزل مقيماً معهما حتى بلغتني وفاة النبي ﷺ .

وقال محمد بن سعد : قال الواقدي : الثبت من خبر عمرو بن العاص أنه قدم على النبي مسلماً في صفر سنة ثمان قبل فتح مكة بأشهر ، وكان الفتح في شهر رمضان ، فوجهه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ثمان إلى ذات السلاسل في سرية ، ومعه أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة بن الجراح ، فلقي العدو من قضاعة ، وعاملة ، ولخم ، وجذام ، وكانوا مجتمعين ، فَفَضَّهم وقتل منهم بشراً كثيراً ، ثم بعث به إلى ابني الجلندى : عبد ، وجيفر ، بعمان فأسلما وكان أميراً عليهما ، ومعه أبو زيد الأنصاري على الصلاة ، وأخذ الإسلام على الناس ، وتعليمهم القرآن ، فلم يزل عمرو بعُمان حتى قُبض رسول الله ﷺ .

وعمرو بن العاص هو الذي فتح مصر ونواحيها في أيام عمر ، وعزله عثمان عنها فقال له : يا عمرو أعلمت أنّ اللقاح قد دَرَّت بعدك ألبانها ؟ فقال : لأنكم أعجفتم أولادها ، وله أخبار مع عثمان ومعاوية وقد ذكرناها في مواضعها في هذا الكتاب .

وتوفي عمرو بن العاص في أيام معاوية بمصر ، وهو عامله عليها يوم الفطر سنة اثنتين وخمسين ، وذلك قول الهيثم بن عدي[١] .

حدثني حفص بن عمر عن ابن الكلبي هشام بن محمد عن عوانة قال : لما اشتدت علة عمرو بن العاص بمصر وشارف الموت قال له ابنه عبدالله بن عمرو : يا أبه كنت تقول ليتني أرىٰ رجلاً عاقلاً عند نزول الموت يحدثني بما نجد وقد نزل بك ما ترىٰ وعقلك معك فصف الذي تجده ؟ فقال : يا بني كأن جنبيّ في طخت[٢] وكأني أتنفس من سم إبرة ، وكأن غصن شوك يُجَرُّ من قدمي إلى هامتي ، ثم قال متمثلاً بقول أمية بن أبي الصلت الثقفي اليهودي :

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال أرعىٰ الوعولا
إجعل الموت نصب عينك واحذر غولة الدهر إنّ للدهر غولا[٣]

ليتني كنت حيضاً عركته الإماء بدرين الإذخر[٤] ، ثم مد يديه فقال : اللهم لا أنا ذو براءة فاعتذر ولا ذو قوة فأنتصر . اللهم إني مذنب مستغفر .

وحدثني حفص بن عمر العمري عن ابن الكلبي والهيثم بن عدي ، عن عوانة عن أبيه قال : جعل عمرو بن العاص يقول حين نزل به الأمر :

---

١ ـ لحق ترجمة عمرو بن العاص في طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٥٤ سقط من أولها ، لذا لم ترد هذه الروايات في المطبوع .
٢ ـ أي طست .
٣ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٤٥١ .
٤ ـ الإذخر : الحشيش الأخضر ، وهو طيب الريح يسقف به البيوت فوق الخشب . والدرين : حطام المرعى إذا تناثر وسقط على الأرض . النهاية لابن الأثير . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس .

اللهم إنك أمرتنا فلم نأتمر ، وزجرتنا فلم ننزجر ، اللهم فإنا لا نعتذر ولكن نُقِرُّ ونستغفر .

قال ولما احتُضر قال لابنه : ائتني بجامعة فشُدَّ بها يديّ إلى عنقي ففعل ، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال : اللهم إنك أمرتني فعصيتُ أمرك ، ونهيتَ فجزتُ نهيك ، ولست عزيزاً فأنتصر ، ولا بريئاً فاعتذر ، ولكني أشهد أن لا إله إلاّ أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك . ثم قال لابنه : إذا متّ فعجّل أمري ، وإذا دفنتني فعجّل الانصراف فوالله ما أحسبكم تنصرفون حتى تسمعوا صوتاً .

وقال أبو اليقظان : لما احتضر عمرو قال : خُدُّوا لي الأرض خَدّاً ، وسنّوا علي التراب سنّاً ، ووضع إصبعه في فمه وضع المفكر المتندم حتى مات ، وكان يوم مات ابن ثلاث وتسعين سنة ، وصلى عليه عبدالله ابنه ، ثم صلى بالناس يوم الفطر .

وقال غير أبي اليقظان : مات وله ثمان وثمانون سنة ، والله أعلم[١] .

---

١ ـ بهامش الأصل : «في صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن شماسة المهدي قال : حضرنا= عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت يبكي طويلاً ، وحول وجهه إلى الجدار ، فجعل ابنه يقول له : ما يبكيك يا أبتاه ؟ أما بشّرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ أما بشرك رسول الله بكذا ؟ فأقبل بوجهه فقال : إن أفضل ما نُعِدّ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، إني كنت على أطباق ثلاث ، لقد رأيتُني وما أحدٌ أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني ، ولا أَحَبُّ إليّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته ، فلو متّ على تلك الحال لكنت من أهل النار ، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت رسول الله ﷺ فقلت : ابسط يدك فلأبايعك ، فبسط يمينه فقبضت يدي فقال : «مالك ياعمرو ؟ قلت : أردت أن اشترط ، قال : تشترط ماذا ؟ قلت : أن يغفر لي ، قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله» ؟ وما أحد أحبّ إليّ من رسول الله ﷺ

فولد عمرو بن العاص: عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، ويكنى أبا محمد، وأمه ريطة بنت منبّه بن الحجاج السهمي .

ومحمد بن عمرو وأمه ريطة أيضاً ، ويقال غيرها .

فأما عبدالله فأسلم قبل أبيه ، وكان صالحاً ومات سنة خمس وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، وقد حفظ عن النبي ﷺ ، وروى عن أبي بكر وعمر وقد ذكرنا خبره في يوم صفين .

وقال أبو اليقظان : كانت لعبدالله بن عمرو صحبة ، واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب ما يسمع ، فكتب وكان يقول : ما شيء في الأرض أعز علي من كتاب كتبته عن رسول الله ﷺ ، ومن ضيعتي الوهط[1] ، وقال : ما سرني أن لي أبا عير عمرو بن العاص ، وقاتل يوم صفين طاعة لأبيه ، ولم يقره معاوية على عمل أبيه .

فولد عبدالله بن عمرو بن العاص : محمد بن عبدالله بن عمرو ، فولد محمد : شعيب بن محمد . فولد شعيب عمرو بن شعيب . وكان عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم فقيهاً راوية للحديث ، وكان عمرو بن شعيب سرياً ، ربما

= ولا أحلىٰ في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن املأ عيني منه ولو متّ على تلك الحال لرجوت ان اكون من أهل الجنة ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها ، فإذا متّ فلا تصحبني نائحة ، ولا نار ، فإذا دفنتموني فسنّوا على التراب سنّاً ثم أقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربي» . كتبته لكثرة فوائده .

١ ـ الوهط : ما كان لعمرو بن العاص بالطائف ، وهو كرم كان على ألف ألف خشبة ، شرى كل خشبة بدرهم . معجم البلدان .

قسم في مجلس واحد صدقة جده خمسين ألفاً ، وفيه يقول الشاعر :

يا عمرو إني بأرض غيرها وطني   نائي المحلة في مطل وتمجيج
يا ليت لي بمكان الوهط منزلة   من دونها ردم يأجوج ومأجوج

وولد عمرو بن شعيب بالطائف ، والوهط بالطائف . وكان شعيب بن شعيب أخو عمرو بن شعيب سرياً ، وكانت أم عمرو وشعيب ابني شعيب بن محمد من ولد عبيدالله بن العباس بن عبد المطلب ، وكانت اختهما عائذه بنت شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص عند حسين بن عبدالله بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب وكانت فائقة الجمال والعقل .

وأما هشام بن العاص بن وائل أخو عمرو بن العاص ، وكان قديم الإسلام هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، ثم قدم إلى مكة للهجرة إلى المدينة فحبسه أبوه ، فلم يزل محبوساً بمكة حتى مات أبوه العاص بن وائل في آخر السنة الأولىٰ من الهجرة ، وله خمس وثمانون سنة ، ثم حبسه قومه بعد أبيه فلم يزل يحتال حتى تخلص وقدم على رسول الله ﷺ بعد الخندق ، وكانت غزاة الخندق في ذي القعدة سنة خمس ، وكان من خيار المسلمين ، وكان يكنّى أبا العاص ، فكناه رسول الله ﷺ أبا مطيع ، وأمه حرملة بنت هشام بن المغيرة، وأبو جهل خاله، وخرج مع من وجهه أبو بكر الصديق إلى الشام ، فقتل في قول الكلبي يوم أجنادين ، وفي قول الواقدي باليرموك ، وكان أصغر سناً من عمرو بن العاص أخيه ، ولا عقب لهشام بن العاص .

وقال أبو اليقظان : قيل لعمرو بن العاص أأنت أفضل أم أخوك هشام ؟ قال : أقول فاحكموا : أمه أم حرملة بنت هشام بن المغيرة ، وأمي عنزيّة ، وكان أحب إلى أبيه مني ، والوالد أعلم بولده ، وأسلم قبلي ، وتلك

الفضيلة العظمىٰ ، فاستبقنا إلى الله فسبقني ، فاستشهد يوم اليرموك رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

ومن بني سعيد بن سهم : عمير بن رئاب بن مهشم بن سعيد ، كان مع خالد بن الوليد بن المغيرة بعين التمر[1]، فقاتلهم النمر بن قاسط، وعليها عَقّة بن قيس بن البشر ، ويقال هلال بن عقة بن قيس النمري فجرح بشير بن سعد الأنصاري ، أبو النعمان بن بشير ، ومات فدفن بعين التمر ، وأصاب عمير بن رئاب سهم فاستشهد فدفن إلى جنب بشير بن سعد ، وكان من مهاجرة الحبشة في المرة الثانية ، وقدم مع جعفر أو قبله وهو القائل :

نحن بنو زيد الأغر ومثلنا يحامي علىٰ الأحساب عند الحقائق

وكان اسم زيد سهم . وقال ابن الكلبي : ولد رئاب بن سهم : سعداً ، وسعيداً ، وعدياً ، وأمهم بَرّة بنت تيم من خزاعة ، وبعضهم يقول مُرّة .

وقال غير الكلبي : عمير بن رئاب بن حذافة بن سعيد بن سهم ؛ وذلك خطأ . . .

وانشدت لكثير بن كثير بن المطلب السهمي .

لعن الله من يسب علياً وحسيناً من سوقة وإمام

أيسب المطيبين جدوداً والكرام الأخوال والأعمام

يأمن الوحش والحمـ ـام ولا يأمن الشفيع عند المقام

وقد كتبنا أول بيت من هذه الأبيات مع نسبه .

---

١ ـ عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة . معجم البلدان .

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب بني عدي بن كعب بن لؤي :

وولد عدي بن كعب : رَزَاح بن عدي ، وعُويج بن عدي ، وأمهما حبيبة بنت بَجالة بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان .

فولد رزاح : قرط بن رزاح ، وأمه حبيبة بنت واثلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر[1] .

فولد قرط : عبدالله وأمه ليلىٰ بنت سليمان بن بوي بن مَلْكان بن أفعىٰ من خزاعة . وبعضهم يقول مَلِكان .

فولد عبدالله بن قرط : رياح بن عبدالله ، وتميم بن عبدالله ، وهو عبدالله أيضاً ، وصَدّاد بن عبدالله ، وأمهم خُناس بنت الأختم بن عمرو بن خالد بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر .

وولد رياح بن عبدالله : عبد العزىٰ ، وأذاه ـ بذال معجمة ـ وأمهما عاتكة بنت عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة .

---

١ ـ بهامش الأصل : انتهى الربع الثالث .

منهم : **أبو حفص عمر بن الخطاب** بن نفيل بن عبد العزىٰ بن رياح بن عبدالله بن قُرط بن رَزَاح بن عدي بن كعب ، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ، وكان نفيل جد عمر شريفاً نبيلاً تتحاكم إليه قريش ، وزيد بن الخطاب أخو عمر ، وعمهما عبد نهم بن نفيل قتل يوم الفجار .

فأما عمر بن الخطاب ، فإنه كان شديداً على المسلمين ثم أسلم فأعز الله به دينه .

حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ، ثنا عبدالله بن إدريس الأودي ، ثنا حصين بن هلال بن إساف ، قال : أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أربعين رجلاً وإحدىٰ عشرة امرأة .

وحدثني محمد بن سعد والوليد بن صالح عن الواقدي عن معمر عن الزهري .

قال الواقدي : وحدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين وغيرهما ، يزيد بعضهم على بعض قالوا : أسلمت فاطمة بنت الخطاب أخت عمر وأسلم زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، فكانا يتكتمان باسلامهما عن عمر ، وكان عمر شديداً على من أسلم من قومه ، وأسلم نُعيم بن عبد النحام ، وإنما سمي النحام لأن النبي ﷺ قال : «دخلت الجنة فرأيت فيها أبا بكر ، وعمر ، وسمعت نحمة من نعيم» فسمي النحام .

قالوا : وكان شريفاً وكان خَبّاب بن الأرتّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب فيقرئها القرآن ، فخرج عمر بن الخطاب ذات يوم متوشحاً بالسيف ، يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه ذكروا له ، وأخبر أنهم

مجتمعون في بيت عند الصفا ، وهم أربعون ، أو نيفّ وأربعون بين رجال ونساء وكان مع رسول الله ﷺ يومئذ : عمه حمزة ، وعلي ، وأبو بكر ، فلقيه نعيم بن عبدالله فقال : أين تريد ؟ قال : أريد محمداً هذا الصابىء الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، وذم من مضى من آبائها ، فأقتله فيرجع الأمر إلىٰ ما كان عليه ، أيظن محمد أن قريشاً تنقاد له ؟ كلا واللات والعزىٰ ، فقال له نعيم : قد والله غرتك نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض إذا قتلت محمدا ، لا أعلم رجلاً جاء قومه بمثل ما جئت به ، فلئن تركناك لهي السوءة ، ولئن نصرناك لتصطلمنّ . فقال عمر : إن مع عدي غيرها من قريش ، وأراك تتكلم عنه وما أظنك إلا قد تبعته . فسكت نعيم وقال ارجع إلى بيتك فأقم أمره فقال : وأيّ أهل بيتي اتَّبع محمداً ؟ قال : فاطمة اختك ، وختنك سعيد بن زيد قد والله أسلما . فقال عمر : أراك والله صادقاً ، إن سعيداً قد نازع إلى ما كان أبوه يدين به من خلاف قومه ، وتركه أكل ذبائحهم ، وحضور أعيادهم .

فمضى عمر يريدهما ، قال نعيم : وندمتُ على إخباري إياه بما أخبرته به وإني لم أطو أمرهما عنه كما طويت أمر نفسي . وكان عمر قد رأى خباباً يختلف إليهما ، قال : فدخل عمر على اخته وزوجها ، وعندهما خباب ، ومعه صحيفة فيها سورة طه وهو يقرئها إياها ، فلما سمعوا حسه تغيب خباب في مخدع لهم في البيت ، وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، فلما دخل عمر قال : ما هذه الهينمة[1] التي سمعت ؟ قالا :

١ ـ الهينمة : الصوت الخفي . القاموس .

ما سمعت شيئاً ، قال : بلىٰ والله لقد بلغني أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد ، فقامت فاطمة لتكفه عنه فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت أخته وختنه : نعم والله لقد أسلمنا ، وآمنا بالله وبرسوله فاصنع ما بدا لك .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، ورق وارعوىٰ ، وقال لأخته : هاتي الصحيفة لأنظر ما هذا الذي جاء به محمد . وكان عمر كاتباً فقالت : لا أفعل حتى تغتسل فإنه كتاب لا يمسه الا طاهر ، فاغتسل عمر ، ثم اعطته الصحيفة وفيها : طه . فلما قرأ صدراً منها قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ، فلما سمع خباب قوله طمع فيه فخرج وقرأ عليه السورة ، وقال : يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس يقول : «اللهم أيدّ الإسلام بأحبّ الرجلين إليك بعمر أو عمرو بن هشام» .

قال عمر : فدلني على محمد حتى آتيه فأسلم ، فدله عليه ، فخرج حتى انتهى إلى دار الأرقم المخزومي ، فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قال الأرقم : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بسيفه ، فقال حمزة بن عبد المطلب : إن كان يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد سوى ذلك قتلناه بسيفه ، فأذن له ، فدخل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة فأخذ بحجزته ، أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذةً شديدة ، وقال : «والله ما أراك تنتهي أو ينزل الله بك قارعة . فقال : جئتك لأؤمن بالله ورسوله ، وما جئت به من عند الله ، فقد سمعت قولاً لم أسمع مثله قط ، فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت بها أنه قد أسلم ، وتفرق

أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم ذلك ، وعزوا باسلام حمزة ، وعمر ، وعلموا أنهما سيمنعنان رسول الله ﷺ وينتصفان له من عدوه .

ولما أسلم عمر نزل جبريل فقال : قد استبشرنا باسلام عمر .

قال الواقدي : فحدثني محمد بن عبدالله عن عمه ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب قال : أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة ، فما هو إلّا أن أسلم حتى ظهر الإسلام بمكة .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، حدثنا القاسم بن عثمان عن أنس بن مالك قال : خرج عمر متقلداً السيف فلقيه رجل من بني زهرة فقال : أين تعمد يا عمر ؟ قال : أريد أن أقتل محمداً ، قال : وكيف تأمن بني هاشم وبني زهرة إذا فعلت ذلك ؟ فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبوت . فقال له : أفلا أدلك على أختك وختنك فقد صبآ وتركا دينك الذي أنت عليه ، فمشىٰ عمر متذمراً حتى أتاهما وعندهما خباب بن الأرتّ ، فلما سمع خباب حس عمر توارىٰ في البيت ، فدخل عليهما فقال : ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم ؟ قال : وكانوا يقرأون : طه . فقالا : حديث تحدثناه بيننا . فقال : لعلكما قد صبأتما ؟ فقال ختنه : أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك ، قال : فوثب عليه عمر فوطئه وطئاً شديداً فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمىٰ وجهها ، فقالت وهي غضبىٰ : يا عمر إن الحق لفي غير دينك ، اشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله . فقال : أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم أقرؤه ، وكان عمر يقرأ الكتب ، فقالت أخته : إنك نجس ، وإنه ﴿لا يمسه

إلا المطهرون﴾[١] فقم فاغتسل ، أو توضأ ، فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ : «طه» حتى انتهى إلى قوله : ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾[٢] . فقال : دلوني على محمد ، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال : أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ ليلة الخميس لك ، فإنه قال : «اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب ، أو بعمرو بن هشام» ، قال:وكان رسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار ، وعلى بابها حمزة ، وطلحة وناس من أصحاب النبي ﷺ ، فلما رأوه وجلوا منه ، فقال حمزة : هذا عمر فإن يرد الله به خيراً يسلم ، وإن يكن غير ذلك يكن قتله علينا هيناً ، قال : والنبي ﷺ حينئذٍ داخل يوحىٰ إليه فخرج حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه ، وقال : ما أراك يا عمر منتهياً حتى ينزل بك من الخزي والنكال كما نزل بالوليد[٣] اللهم هذا عمر بن الخطاب فأعز به الدين . فقال عمر : أشهد أنك رسول الله . وأسلم ثم قال : أخرج يا رسول الله .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي عن محمد بن عبيد عن اسماعيل بن خالد عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت عبدالله بن مسعود يقول : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر ، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نطوف بالبيت ونصلي حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا وطفنا .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود . ثنا أسد بن موسى ، وأبو نعيم

١ ـ سورة الواقعة ـ الآية : ٧٩ .

٢ ـ سورة طه ـ الآية : ١٤ .

٣ ـ بهامش الأصل : «كان يقال لفرعون : الوليد بن مصعب» والمقصود هنا حسب التراث فرعون موسى عليه السلام .

قالا : ثنا سفيان عن القاسم بن عبد الرحمن قال : قال عبدالله بن مسعود : كان اسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمارته رحمة ، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي ونطوف بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتلناهم حتى تركونا نصلي .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عيسى بن حفص عن نافع عن ابن عمر قال : قال عمر : لما أسلمتُ قلت : أيُّ قريش أَنْقَلُ للحديث ؟ فقيل : جميل بن معمر ، فأتيته فقلت : يا جميل هل علمت أني أسلمت وبايعت محمداً ؟ فما راجعني جميل حتى قام يجر رداءه ، وقام على باب المسجد فصرخ بأعلى صوته ، وقريش في أنديتها حول الكعبة : أَلَا إن ابن الخطاب قد صبأ ، قال عمر : فقلت : كذب ولكني أسلمت ، ودخلت في دين محمد .

قال عبدالله بن عمر : فثاروا إليه فمازال يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم وطلح[1] ، فقعد وقاموا على رأسه ونالوا منه وهو يقول : اصنعوا ما شئتم فأقسم لو كنا ثلاثمائة لتركناها لكم أو تركتموها لنا ، فبيناهم على ذلك إذا أقبل شيخ من قريش عليه جبة حبرة من أعلى مكة ، فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : صبأ عمر ، قال : فمه ؟ رجل اختار لنفسه أمراً فما تريدون منه ؟ أترون بني عدي يسلمونه ؟ فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشف عنه .

قال عبدالله : فقلت لأبي بعد أن هاجر الى المدينة : يا أبه من الرجل

---

١ ـ أي أصيب بالاعياء .

الذي زجر الناس عنك بمكة يوم أسلمت ؟ فقال : ذاك العاص بن وائل السهمي .

حدثني محمد بن سعد والواقدي والوليد عن الواقدي عن محمد بن عبدالله عن الزهري عن حمزة بن عبدالله بن عمر عن أبيه عن عمر قال : لما أسلمت تذكرت أيّ أهل مكة أشد عداوة لله ولرسوله فقلت : أبو جهل ، فأقبلت حتى ضربت بابه فخرج إلي ورحب بي وقال : ما جاء بك يا بن أخي ؟ قلت : جئت لأخبرك إني قد أسلمت واتبعتُ محمداً ، قال فصفق الباب في وجهي ، وقال : قبحك الله وقبح ما جئت به .

وقال الواقدي : قالوا : كان عمر إذا لقي رجلاً يقول له : قد صبأت ؟ يقول : كذبت ولكني أسلمت لله رب العالمين وحده لا شريك له ، وبرئت من اللات والعزى والأصنام ، وشهدت أن محمداً رسول الله حتى لقيه الوليد بن المغيرة فقال : يا بن أخي أصبأت ؟ فقال عمر : ما صبأت يا أبا عبد شمس ، قال : قد علمت أنك أَضَنُّ بدين آبائك من أن تتبع أمر محمد ، فقلت : أسلمت لله وحده لا شريك له ، وشهدت أن محمداً عبده ورسوله . قال : إذهب فوالله لو كان أبوك حياً ما تبعت دين محمد ، وتركت دينه ، ثم انصرف .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، حدثني يعقوب بن عبدالله القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال : جاء جبريل عليه السلام النبي ﷺ فقال : «أقرىء عمر السلام ، وأخبره أن رضاه حكم ، وغضبه عز» .

وقال الواقدي : وحدثني علي بن محمد عن عبدالله بن سلمان الأغر عن

أبيه عن صهيب بن سنان قال : لما أسلم عمر بن الخطاب ظهر الإسلام ، ودعي إليه علانية ، وجلسنا حول البيت حلقاً وطفنا بالبيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه ، ولقد رأيتني ولقيني ابن الاصداء وابن الغيطلة[1] بأجياد فخنقاني حتى غشي علي ، فذكرت ذلك لابن الخطاب فخرج وأخذ بيد سعد بن أبي وقاص وطليب بن عمير ، وخرجت معهم حتى نلقى ابن الأصداء فبدرَنا عمر إليه وأخذ بجمع ثوبه فخنقه بردائه حتى غشي عليه ، وانصرفنا وكنا نطلب ابن الغيطلة بأعلى مكة وأسفلها فلم نقدر عليه في ذلك اليوم ، قال فكنت أراهما بعد ذلك اليوم مقصرين عني .

قال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال : سمعت عمر يقول : ولدت قبل الفجار الآخر بأربع سنين ، وولدت حفصة قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين ، قال : وأسلم عمر في السنة السادسة من المبعث وهو يومئذ ابن تسع وعشرين وأشهر ، وتوفي لهلال المحرم سنة أربع وعشرين وهو ابن ستين سنة .

قال الواقدي هذا أثبت ما سمعنا في عمره ، وكانت أيامه عشر سنين وأشهراً ، ويقال مات ابن ثلاث وستين ، وقال : كان عبدالله بن عمر يقول : أسلم أبي ولي ست سنين .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : توفي عمر وله ستون سنة[2] .

١ ـ تقدم ذكرهما في الجزء الأول .
٢ ـ ترجمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٦٥ ـ ٣٧٨ .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا هشيم عن علي بن زيد عن سالم بن عبدالله قال : توفي عمر وهو ابن ستين سنة .

قالوا: وولد لعمر: عبد الله رضي الله عنهما، وعبد الرحمن الأكبر، وحفصة، أمهم زينب بنت مظعون الجمحي. وزيد الأكبر لابقية له، ورقية أمهما أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وزيد الأصغر، وعبيد الله قتل مع معاوية يوم صفين وقد كتبنا خبره، وأمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك الخزاعي، وكان الإسلام فرق بينهما فراجعها أبو الجهم بن حذيفة العدوي، وكانت عنده قبل فطلقها ثم طلقها أبو الجهم فراجعها عمر. وعاصم بن عمر، وأمه جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح من الأنصار من الأوس. وعبد الرحمن الأوسط وأمه لُهَيّه أم ولد وهو أبو المجبر، ويقال هو المجبر لقب. وعبد الرحمن الأصغر الذي ضربه عمر، ولا عقب له، وهو أبو شحمة. وزينب وهي أصغر ولد عمر وأمها فُكَيْهة أم ولد، ويقال ان أم أبي شحمة ابنة المغيرة المخزومي، وعياض وأمه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل.

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام، ثنا شعيب بن حرب، ثنا فطر بن خليفة، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال: لما احتضر أبو بكر ذكر أن يستخلف عمر، فأتاه ناس من الناس فقالوا: ماتقول لربك إذا استخلفت علينا عمر وقد عرفت فظاظته وغلظته وشدته. فقال أجلسوني، أبِالله تخوفوني؟ أقول: أي رب استخلفت عليهم خير أهلك.

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام، ثنا يزيد بن هارون، حدثني عمرو الناقد عن اسماعيل بن علية، ثنا يزيد بن عون عن نافع عن ابن عمر أن عمر

أصاب أرضاً بخيبر، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ماأصبت مالاً أنفس عندي منه فما تأمر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن شئت تصدقت بها وحبست أصلها» فجعلها عمر صدقة لاتباع ولاتوهب ولاتورث، وتصدق بها على الفقراء والمساكين، وأبناء السبيل، والغزاة في سبيل الله، والضيف وفي الرقاب لاجناح على من وليها أن يأكل منها، ويطعم صديقاً غير متمول مالاً، قال: وأوصى بها إلى حفصة أم المؤمنين، ثم إلى الأكابر فالأكابر من ولده.

حدثني محمد بن سعد، ثنا اليساري عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن أول صدقة تصدق بها في الإسلام صدقة عمر.

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي، ثنا وكيع بن الجراح عن سالم أبي العلاء المرادي عن عمرو بن هرم عن ربعي بن حراش وأبي عبد الله، رجل من أصحاب حذيفة، عن حذيفة قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إني لست أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد [ابن][1] أم عبدٍ».

حدثني الحسين بن علي بن الأسود، ثنا يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أتيت في منامي بقدح من لبن فشربته حتى رأيت الري يجري في أظفاري، ثم أعطيته عمر بن الخطاب فشرب فضلته، قالوا: فما أوّلت ذلك يارسول الله؟ قال: العلم».

وحدثني محمد بن مصفى الحمصي، ثنا بقية بن الوليد عن الزُبيدي عن

---

١ ـ أضيف مابين الحاصرتين لاستقامة السياق، وابن أم عبد: عبد الله بن مسعود.

الزهري عن حمزة عن أبيه بنحوه. حدثنا يحيى بن أيوب الزاهد، ثنا اسماعيل ابن عُليّة ، ثنا محمد بن اسحاق عن مكحول عن غضيف بن الحارث عن أبي ذر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «إن الله وضع الحق على لسان عمر فهو يقول به» .

حدثنا روح بن عبد المؤمن المقرىء، ثنا أبو عامر العقدي، ثنا نافع بن أبي نعيم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «جعل الحق على لسان عمر ، وفي قلبه» .

حدثنا عفان، ثنا شعبة، أنبا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: كنا نتحدث أنه ينطق على لسان عمر ملك.

حدثني عمرو بن محمد الناقد، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق قال:قال عبد الله بن مسعود: لو وضع علم أحياء العرب في كفة ووضع علم عمر في كفة لرجح به علم عمر.

قال : وقال الأعمش : قال إبراهيم : قال عبدالله : ان كنا لنحسب أن عمر قد انفرد بتسعة أعشار العلم .

وحدثنا عمرو بن أبي معاوية عن الأعمش عن شمر عن حذيفة أنه قال : علم الناس مدسوس في جُحر مع علم عمر .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد، حدثني محمد بن عبيد الطنافسي في إسناد له لم أحفظه عن رجل من أهل المدينة قال: دُفِعت إلى مجلس عمر بن الخطاب فإذا الفقهاء عنده مثل الصبيان، قد استعلى عليهم في فقهه وعلمه.

حدثنا الحسين بن علي الأسود ثنا محمد بن الفضل عن الأشعث عن عامر الشعبي قال: إذا اختلف الناس في أمر فانظر كيف قضى فيه عمر، فإنه لم يكن يقضي في أمر لم يقض فيه مَن قبله حتى يشاور.

حدثني أبو عبيد القاسم بن سلام، ثنا حجاج بن محمد عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن مسعود، ولأبي الدرداء، ولأبي ذر: ماهذا الحديث عن رسول الله ﷺ؟ ولم يدعهم يخرجون من المدينة حتى مات إلا عبد الله بن مسعود.

حدثني محمد بن سعد ثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح بن كيسان قال: قال ابن شهاب: بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر «الفاروق»، ولم يبلغنا أن النبي ﷺ ذكر من ذلك شيئاً.

وقال محمد بن سعد: ثنا محمد الأزرقي المكي، ثنا عبد الرحمن بن حسن عن أيوب بن موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر، وقلبه، وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل».

حدثني الأعين عن موسى بن داود عن الحكم بن المنذر عن رجل عن ابن المنكدر قال: قال عمر: ماشيء أحسن من كلام ولاأنفع من كلام، أخذت مضجعي فسمعت قائلاً يقول: السلام على أهل المنزل، خذوا من دنيا فانية لآخرة باقية واستعدوا للمعاد إلى الله فانه لاقليل من الأجر، ولاغنى عن الله، ولاعمل بعد الموت، أصلح الله لكم أعمالكم.

المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم، قال: وكان عمر يقول: أطيب طيبكم الماء.

المدائني عن النضر بن اسحاق عن أبي المليح عن عمر بن الخطاب قال: رحم الله من قَدَّمَ فضل المال وأمسك فضل الكلام.

حدثنا أحمد بن هشام بن بهرام ثنا يعمر عن عبد الله بن المبارك، أنبأ

يحيى بن أيوب أن عبيد الله بن زَحر حدثه عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا بقميص له جديد فلبسه قال أحسبه بلغ تراقيه حتى قال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي، ثم قال: «سمعت رسول الله ﷺ دعا بثياب جدد فلبسها، فما أحسبها بلغت تراقيه حتى قال مثل ماقلت، وذكر كلاماً» .

حدثنا أحمد بن هشام، ثنا شعيب بن حرب، ثنا عبد العزيز بن أبي رَوّاد، ثنا نافع أن مؤذناً لعمر يقال له مَسْروح أذن بليل، فأمره عمر أن يعيد وينادي: إن مسروحاً وَهَمَ.

حدثنا محمد بن سعد، ثنا أبو بكر الأويسي، ثنا سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال: غَيرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم أم عاصم بن عمر، وهي ابنة عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وكان اسمها عاصية، فسماها جميلة.

المدائني عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال: قالت امرأة لعمر: ان اسمي عاصية فَسمِّني، قال: إسمك جميلة، ورآها رسول الله ﷺ فقالت له: اسمي عاصية، فسمني فقال: «أنت جميلة» فقالت: كذا سماني عمر، فقال: «أما علمت أن الله جعل الحق على لسان عمر ويده» ؟.

حدثنا محمد بن سعد، ثنا عفان بن مسلم، ثنا حماد بن زيد، ثنا يزيد بن حازم أنبأ سليمان بن يسار قال: مر عمر بَضَجْنَان[1] فقال: لقد رأيتني وإني لأرعى غنم الخطاب في هذا المكان، وكان والله ماعلمت فظاً غليظاً، ثم أصبحتُ اليوم وأمر أمة محمد إليّ وتَمَثَّل:

---

١ ـ ضجنان: جبل على بريد من مكة. معجم البلدان.

لاشيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويفنى المال والولد

أبو الحسن المدائني عن ابن جعدبة عن اسماعيل بن حكم عن سعيد بن المسيب قال: حج عمر فلما كان بضجنان قال: لا إله إلا الله، لقد كنت أرعى إبل الخطاب في هذا المكان في مَدْرَعَة صوف، وكان فظاً غليظاً يتعنتني إذا عملت، ويضربني إذا قصرت، وقد أمسيت وليس بيني وبين الله أحد. وتمثَّل:

لاشيء فيما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويفنى المال والولد
لم تُغْنِ عن هرمز يوماً خزائنه والخلد قد حاولتْ عادٌ فما خلدوا

وحدثنا محمد بن سعد، ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف وسعيد بن عامر قالا: ثنا محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال: أقبلنا مع عمر قافلين من مكة، حتى إذا كنا بشعاب ضجنان وقف ووقف الناس فقال: لقد رأيتني في هذا المكان وأنا في إبل الخطاب، وكان فظاً غليظاً، أخبط عليها مرة، وأحطب أخرى، ثم أصبحت اليوم يضرب الناس بجنباتي ليس فوقي منهم أحد، ثم تمثل هذا البيت:

لاشيء فيما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويفنى المال والولد

قال وزاد بعض أصحابنا بيتين آخرين هما قوله:

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
حوض هنالك مورود بلا كذب لابد من ورده يوما كما وردوا

وقال محمد بن سعد: سألت عن منزل عمر في الجاهلية، فقيل لي كان ينزل في أصل الجبل الذي يقال له اليوم جبل عمر، وكان يسمى العاقِر، فنسب إلى عمر، وبه كانت منازل بني عدي بن كعب.

حدثنا محمد بن سعد، ثنا أبو عامر العَقَدي، ثنا خارجة بن عبد الله عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم أَعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، عمر بن الخطاب، وأبي جهل بن هشام». فكان أحبهما إليه عمر.

قالوا: ولما هاجر عمر إلى المدينة نزل على رفاعة بن عبد المنذر بقباء، وآخى رسول الله ﷺ بين عمر وأبي بكر، وبينه وبين عُويم بن ساعدة، ويقال بينه وبين معاذ بن عفراء، وأقطعه رسول الله منزله وخطه له، وشهد عمر بدراً، وأحداً والخندق، وجميع المشاهد، وكان ممن انكشف يوم أحد ممن غفر له، وخرج في عدة سرايا كان أمير بعضها.

حدثني محمد بن سعد عن رَوح بن عبادة، ثنا عوف عن ميمون أبي عبدالله عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: أعطى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب اللواء بخيبر.

المدائني عن ابن أبي ذئب عن شيخ من بني هاشم عن ابن عباس قال: قال لي عمر: أنشدني لأشعر شعرائكم زهير، قلت: وكيف جعلته أشعر شعرائنا؟ قال: لأنه كان لا يعاظل[1] بين الكلام، ولا يطلب حُوشيّه، ولا يمدح الرجل إلاّ بما يكون في الرجال، وقال عمر: أشعر الشعراء من يقول:

فلستَ بمستبقٍ أخـاً لا تلمُّـهُ على شَعَثٍ أَيُّ الرجال المهذب

وهو النابغة[2].

---

١ ـ عاظل في الكلام: حمل بعضه على بعض.

٢ ـ ديوان النابغة الذبياني ـ ط. دار صادر، بيروت ص ١٨.

المدائني عن علي بن هاشم عن أبيه قال : سمعت زيد بن علي يقول ما البراءة من أبي بكر وعمر إلّا كالبراءة من علي بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين .

المدائني عن عيسى بن زيد بن دأب وابن جعدبة عن صالح بن كيسان وغيره قالوا : كان إسلام عمر متأخراً ، أسلم أخوه زيد بن الخطاب قبله ، وكان سبب تأخر إسلامه أنه خرج إلى الشام ومعه مال فلقيه قوم فخافهم فألقم المال ناقته فقالوا : إنا ننكر سقوط عيني هذه الناقة وإنا لنحسبه قد ألقمها مالاً كان معه فنحروها واستخرجوا الدنانير من بطنها ، وقال بعضهم بل قاتلوه وأخذوا المال منه وشقوا ما بين قصه إلى ثنته ، فوأل[1] إلى أهل بيت من العرب فعالجوه ، وأقام بالشام سنين وقالوا سنتين وقال :

متىٰ أَلْقَ زنباع بن روحٍ ببلدةٍ إلى النَّصْفِ منه يقرع السنَّ مِن نَدَمْ

ثم شخص إلى المدينة وقال :

يا ليت قد فَصَلْنَ من مُعان يَحْمِلْنَ من زيتٍ ومن دهـان
وزعفران كَدَمِ الغزلان

فقدم مكة فكانت فيه غلظة على المسلمين ، فمر بثقل عامر بن ربيعة ، وهو يريد الخروج إلى الحبشة مهاجراً فقال لامرأته : إلى أين يا أم عبدالله ؟ قالت : إلى أرض الله الواسعة إذ آذيتمونا حتى يجعل الله لنا فرجاً ومخرجاً ، قال : صحبكم الله . فرأت منه رقة فأخبرت زوجها بذلك فقال : أو طمعت في إسلامه ، لا يسلم حتي يسلم حمار الخطاب . ثم إنه أسلم .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا أبو أحمد الزبيري ، أنبأ الحسن بن

١ ـ القص : الصدر أو رأسه ، والثنة : العانة ، ووأل : التجأ . القاموس .

صالح عن أبي الجحاف عن الشعبي قال : كان أبو بكر شاعراً ، وكان عمر شاعراً ، وكان علي بن أبي طالب شاعراً .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود عن يحيى بن آدم عن الحسن عن أبي الجحاف عن عامر الشعبي بمثله ، وزاد فيه : وكان علي أشعر الثلاثة .

المدائني عن سحيم بن حفص عن أشياخ حدثوه قال : كان عمر يسير يوماً إذ ظلعت ناقته فعرض له رجل معه ناقة فركبها عمر فقال :

كأنّ راكبها غصنٌ بمزودة إذا تخطت به أو شارب ثمل

المدائني عن عامر بن الأسود قال : دخل ابن الظرب على عمر فقال : أخبرني حالك في جاهليتك وإسلامك . قال : أما جاهليتي فما نادمت إلا لمه ولا حمت عن بهمه[1] ، ولا صبوت إلى أمه ولا رآني رجل إلا في نادي عشيرة ، أو خيلٍ مغيرة ، أو حمل جريرة ، فأما مذ أسلمت فلستُ مزكياً نفسي ، فقال عمر : أحسنت .

حدثني ابراهيم بن محمد بن عرعرة وبكر بن الهيثم عن عبد الرزاق بن همام عن معمر عن قتادة قال : قال عمر : لو استطعت الأذان مع الخِلّيفا[2] لأذنت .

حدثني الوليد بن صالح ، ثنا محمد بن عمر الواقدي عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال : حج عمر ، فحدا بهم رياح المغترف ، وكان حسن الصوت ، فلما قطع قال له عمر : خذ في غنائك .

١ - اللمة : الجماعة والصحابة ما بين الثلاثة إلى العشرة ، أو أصحاب السن الواحدة ، والبهمة ، الخطة الشديدة أو الأمر المشكل ، وابن الظرب هو عامر بن الظرب العدواني ، سيد مضر وحكمها وفارسها .

٢ - بهامش الأصل : يعني الخلافة .

قال أبو الحسن المدائني عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال : قال عمر لرجل أعور أصيبت عينه في غزاة مع الرسول ﷺ شهد عنده على رؤية هلال شهر رمضان : بأي عينيك رأيته ؟ قال : بشرّهما يعني الصحيحة . فقال عمر وإن أفطرت فما أنت صانع ؟ قال : أفطر معكم ، فقبل قوله .

حدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن محمد بن عبدالله عن عمه الزهري قال : قال عمر رضي الله عنه : من أُعطي الدعاء لم يُحرم الإجابة ، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة ، ومن أعطي الاستغفار لم يمنع القبول ، قال الله تعالى : ﴿ادعوني أستجب لكم﴾[1] وقال : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[2] وقال : ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾[3] .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا محمد بن عبدالله الأسدي ثنا سفيان عن عاصم بن عبيدالله عن سالم بن عبدالله بن عمر قال : استأذن عمر النبي ﷺ في العمرة فأذن له ، وقال : «يا أخي أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا» .

حدثني محمد بن حاتم المروزي ، ثنا عبدالله بن نمير عن الأعمش عن أبي اسحاق قال : قال عبدالله : أفرس الناس ثلاثة أبو بكر وعمر وصاحبة موسىٰ حين قالت : ﴿استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾[4] وصاحبة يوسف[5] .

---

١ ـ سورة غافر ـ الآية : ٦٠ .
٢ ـ سورة ابراهيم ـ الآية : ٧ .
٣ ـ سورة نوح ـ الآية : ١٠ .
٤ ـ سورة القصص ـ الآية : ٢٦ .
٥ ـ انظر سورة يوسف ـ الآيات : ٥١ ـ ٥٣ .

حدثني عباس بن عبدالله الباكسائي ، ثنا الفيض بن اسحاق عن الفضيل بن عياض أنه قال : أتدرون منَ الذي يتكلم بفمه كله ، عمر بن الخطاب ، كان يكسوهم اللين ، ويلبس الخشن ، ويطعمهم الطيب ، ويأكل خبزاً مغلوثاً[١] ، وأعطى رجلاً عطاء وزاده ألفاً ، فقيل له : لو زدت عبدالله بن عمر فإنه ابنك وهو لذلك مستحق . فقال : هذا ثبت أبوه يوم أحد ، ولم يثبت أبو هذا .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا عبد السلام بن حرب قال : سمعت محمد بن اسحاق يقول : كتب عمر بن الخطاب إلى يزيد بن أبي سفيان ، أو إلى معاوية أن ابعث إلينا برومي يقيم لنا حساب فرائضنا .

حدثنا روح بن عبد المؤمن ، ثنا أبو عاصم النبيل ، أنبأ عبيدالله بن أبي زياد عن يوسف بن ماهك عن عائشة أم المؤمنين قالت : لما حضرت أبي الوفاة استخلف عمر ، فدخل عليٌّ وطلحة ، أو قالت : الزبير وطلحة ، فقالا : من استخلفت ؟ قال : عمر ، قالا : فماذا أنت قائل لربك ؟ قال : أبالله تفرقاني . أنا أعلم بالله وبعمر منكما ، أقول:استخلفت عليهم خير أهلك .

المدائني في إسناده أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال في مرضه الذي مات فيه : أنا ميت في مرضي هذا ، إني رأيت بعد وفاة النبي ﷺ أني قد فقت ثلاث فوقات فَدَسَعْتُ[٢] في الآخرة منهن طعاماً فمرضت بعده

١ ـ الخبز المغلوث : ما صنع من خليط القمح مع الشعير أو مع الذرة .
٢ ـ الدسع : التقيؤ .

مرضتين ، وهذه الثالثة فأنا ميتٌ .

ودخل عليه عدة من أصحاب النبي ﷺ فقال لعبد الرحمن بن عوف : فما تقول في عمر ؟ قال : قوي أمين وفيه غلظة . فقال : إني أرىٰ ما ترون ، ولو قد أفضىٰ إليه أمركم لترك كثيراً مما تنكرونه ، إني قد رمقته وتأملته فإذا غلظت في أمر أراني التسهيل ، وإذا لِنْتُ في أمرٍ تشدَّد . وسأل عثمان فقال : خبرني عن عمر ؟ قال : كفىٰ بعلمك به ، قال : لتقولن ، قال : علمي به أنه يخاف الله ، وأنا ما ههنا مثله ، [فقال أبو بكر : يرحمك الله](1) ولو عدوته ما تركتك ، ولخير له ألا يلي ، فإني رأيت أثقل الناس ظهراً من تولى أمرهم .

وقال عليٌّ : يا خليفة رسول الله أمض رأيك في عمر ، فما نعلم منه إلا خيراً . وقال طلحة والزبير : أتستخلفه مع ما ترى من فظاظته علينا وأنت فينا . ونازله فيه طلحة ، فقال أبو بكر : هو إن شاء الله خيركم لكم ، ولو وليتك لرفعت نفسك فوق قدرك حتى يكون الله هو يضعك ، أتريد أن تزيلني عن رأيي .

المدائني عن علي بن ابراهيم قال : كان آل عباس بن مرداس السلمي يُدْعَوْنَ قبل آل الشريد ، فدعاهم عمر قبلهم ، فقال هوذة بن أَشْيَم وهو ابن أخي عباس :

لقد دار هذا الأمر في غير أهله فأَبْصِرْ أمينَ الله أينَ تُريد
أَتدْعَىٰ رياح والشريد امامنا وتدعى خثيم قبلنا وطريد
فإن كان هذا في الكتاب فكلكم بنو ملك حر ونحن عبيد

رياح بن يقظة ، ومالك بن يقظة ، والشريد بن رياح بن يقظة بن

١ ـ الإضافة من طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٩٩ .

عُصَيَّة بن خفاف ، ويعني بطريد : مطرود بن مالك بن عوف بن رغل بن سليم .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن أسامة بن زيد الليثي عن محمد بن حمزة بن عمر عن أبيه قال : توفي أبو بكر ليلة الثلاثاء لثماني ليالٍ بقين من جمادى الآخرة ، فاستقبل عمر بولايته يوم الثلاثاء صبيحة موت أبي بكر .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا أسباط بن محمد عن أشعث عن الحسن قال : إن أول خطبة خطبها عمر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أما بعد فقد ابتليت بكم ، وابتليتم بي ، وخُلِّفْت فيكم بعد صاحبي ، فما كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ، وما غاب عنا وليناه أهل القوة والأمانة ، فمن أحسنَ جزيناه حسناً ومن أساء عاقبناه ، ويغفر الله لناولكم» .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا أبو معاوية الضرير ، ثنا الأعمش عن جامع بن شداد عن أبيه قال : كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر : «اللهم إني شديد فَلَيِّنِّي ، وإني ضعيف فَقَوِّني ، وإني بخيل فَسَخِّني» .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان بن مسلم ، ثنا جرير بن حازم قال : سمعت حميد بن هلال قال : حدثنا من شهد وفاة أبي بكر ، فلما فرغ عمر من دفنه نفض يده من تراب قبره ، ثم قام خطيباً مكانه فقال : «إن الله ابتلاكم بي، وابتلاني بكم ، وأبقاني فيكم بعد صاحبيّ ، فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني ، ولا يغيب عني فآلو عن اختيار أهل الجزاة والأمانة له ، فلئن أحسنوا لأحسننَّ إليهم ، ولئن أساؤوا لأنكلنّ بهم» ، قال

الرجل : فوالله ما زاد على ذلك حتى فارق الدنيا .

وحدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قال : قال عمر : ليعلم من ولي هذا الأمر من بعدي أن سيريده القريب والبعيد عليه ، وإني لأقاتل الناس عن نفسي قتالاً ، ولو علمت أن أحداً من الناس أقوىٰ عليه مني ، لكان أن أُقَدَّم فتضرب عنقي أَحَبُّ إليّ من أن أَلِيَهُ وأتقدمه .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد وأبو عبيدة قالا : ثنا اسماعيل بن ابراهيم الأسدي عن أيوب وابن عون عن محمد بن سيرين عن الأحنف بن قيس قال : كنا جلوساً بباب عمر فمرت جارية فقالوا : سُرِّية أمير المؤمنين ، فقالت : ما أنا لأمير المؤمنين بسرية ، وما أحلّ له إني لمن مال الله ، فما هو إلا قَدْرَ أن بَلَغَتْ حتى جاء الرسول فدعانا فقال : ماذا قلتم ؟ قلنا : لم نقل بأساً ، مرت بنا جارية فقلنا هذه سرية أمير المؤمنين ، فقالت ما أنا بسريته ولا أحلّ له فماذا يحل لأمير المؤمنين ؟ فقال : أنا أخبركم ، يحلّ لي حلتان : حلة الشتاء ، وحلة القيظ ، وما أحج عليه واعتمر من الظهر ، وقوتي وقوت أهلي كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد ذلك من المسلمين يصيبني ما أصابهم .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا أبو شهاب الحناط عن الحريري عن رجل قال : خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال:إنه قد انقطع الوحي بعد رسول الله ﷺ ، وإنما أعرفكم بما تظهرون ، فمن أظهر خيراً ظننا به خيراً ، ومن أظهر شراً ظننا به شراً ، فأحببنا ذلك وأبغضنا هذا ، وقد أتى علي زمان وأنا أرىٰ أنه لا يقرأ القرآن أحد إلا لله ، وقد خيلّ إلي أن

قوماً يقرأون القرآن ليس يريدون به ما عند الله ، إنما يريدون به ما عند الناس فَأَريدوا الله بعلمكم وقراءتكم ، واعلموا أني لست أبعث عمالي عليكم ليضربوا أجسادكم ، ولا يأخذوا أموالكم ، ولكن ليعلموكم دينكم فمن فعل غير ذلك فارفعوا إليّ أمره ، فوالله لأقصنَّ منه فقال له عمرو بن العاص : وإن كان الرجل يؤدب رعيته ؟ فقال : نعم إذا تعدّىٰ ، فقد رأيت رسول الله ﷺ يقصّ من نفسه ، لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم .

حدثني الحسين بن علي الأسود ، ثنا يحيىٰ بن آدم عن وكيع ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن حارثة بن مُضَرِّب العبدي قال : قال عمر بن الخطاب : إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف .

حدثني روح بن عبد المؤمن ومحمد بن سعد قالا : ثنا عارم بن الفضل ، ثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لا يحل لي من المال إلا ما كنت آكلاً من صلب مالي .

حدثني هدبة ثنا سلام بن مسكين عن الحسين أو غيره أن عمر بن الخطاب كان ربما استقرض من خازن بيت المال فيقرضه ، فربما لزمه حتى يحتال ما استقرض ، وربما أخره حتى يخرج عطاؤه ، أو يجيئه سهمه من فيء المسلمين فيقبضه .

حدثني ابراهيم بن محمد بن عرعرة ، ثنا أبو عامر العقدي ، ثنا عيسىٰ بن حفص حدثني رجل من بني سلمة عن ابن للبراء بن معرور أن

عمر بن الخطاب خرج يوماً حتى أتى المِنبر ، وقد كان اشتكىٰ ، فَنُعِتَ له العسل ، وفي بيت المال عكّة من عسل ، فقال : إن أذنتم لي فيها أخذتها وإلا فإنها عليّ حرام فأذنوا له فيها .

حدثني محمد بن سعد ، أنبأ أنس بن عياض أبو ضمرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عاصم بن عمر قال : أرسل لي عمر يرفأ فأتيته ، وهو في مصلاه عند الفجر ، أو قال عند الظهر ، فقال : والله ما كنت أرى أن هذا المال يحل لي من قبل أن أليه إلّا بحقه ، وما كان قط أحرم علي منه إذ وليته ، وقد أنفقت عليك من مال الله شهراً ولست بزائدك ، ولكني معينك بثمن[1] مالي بالغابة ، فاجْدُدْهُ وبِعْهُ ، ثم ائت رجلاً من قومك من تجارهم فقم إلى جنبه فاذا اشترى شيئاً فاستشركه ، وأنفق على أهلك .

حدثني أبو علي الحرمازي عن العتبي عن أبيه أن رجلاً مر به عمر بن الخطاب فاستسقاه فخاض له عسلاً بماء وأتاه به فلم يشربه ، وقال : قال الله : ﴿أَذْهَبْتُم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾[2] فقال : يا أمير المؤمنين ليست الآية لك قال الله : ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ فقال : صدقت وشرب .

المدائني عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال : كان عمر يقول من ظلمه أَميره واساء به فلا أمير عليه دوني .

حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن الصلت بن بهرام عن جُمَيع بن عُمير أن ابن عمر قال : شهدت

---

١ ـ في طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٧٧ «بثمر» والجداد : صرام النخل . القاموس .
٢ ـ سورة الأحقاف ـ الآية : ٢٠ .

جَلُولاء ، فابتعت من المغنم بأربعين ألفاً ، فلما قدمت علىٰ عمر قال لي : أرأيت عُرضتُ على النار فقيل لك افتده أكنت مفتديَّ ؟ قلت : والله ما من شيء يؤذيك إلا كنت مفديك منه ، فقال كأني شاهد الناس حين تبايعوا فقالوا : عبدالله بن عمر صاحب رسول الله وابن أمير المؤمنين ، وأحبّ الناس إليه ، وأنت كذاك ، فكان أن يُرخصوا عليك بمائة أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم ، وإني قاسم مسؤول ، وأنا معطيك أكثر من ربح تاجر من قريش ، لك أن تربح للدرهم درهماً ، قال : ثم دعا التجار فابتاعوا ذلك بأربعمائة ألف درهم فدفع إليَّ منها ثمانين ألفاً ، وبعث بثلاثمائة وعشرين ألفاً إلى سعد بن أبي وقاص فقال : اقسم هذا المال في الذين شهدوا الوقعة ، ومن مات منهم فادفعه إلى ورثته .

حدثنا اسحاق بن أبي اسرائيل ، ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت قال : كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين الأولين ، وكان به جُذام فكان إذا قعد مع عمر بن الخطاب على طعامه يقول له عمر : يا فلان كل مما يليك فايم الله ما أعلم أحداً سواك كان يكون به مثل الذي بك فيقعد مني على أدنى من قيس[1] رمح .

حدثني عبدالله بن صالح عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة قال : كان برجل من أصحاب رسول الله ﷺ جذام ، وساق الحديث على ما ساقه عليه اسحاق بن ابي اسرائَيل ، وقال عبدالله بن صالح : بلغني أنه مُعَيقيب بن أبي فاطمة الدوسي .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا سليمان بن داود الهاشمي ، أنبأ

١ - بهامش الأصل : قيد .

ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن واثلة أبي الطفيل أن عمر بن الخطاب لقي نافع بن عبد الحارث بُعسفان فقال له عمر : من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال : استخلفت عليهم مولى لنا ، قال : من هو ؟ قال : عبد الرحمن بن أبزَى . قال : استخلفت عليهم مولى ؟ قال : إنه قارىء لكتاب الله عالم بالفرائض فقال عمر : أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يرفع الله بهذا القرآن أقواماً ويضع آخرين» . قال عمرو قال سليمان : «يرفع به من قرأه ويضع به من لم يؤمن به أو من قرأه ولم يعمل بما فيه» .

حدثنا سلمة بن الصقر الضبي عن عباد بن صُهيب عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل إلى عمر يستحمله من إبل الصدقة فقال له : إنا ناقتي دبره نقبة فقال عمر : ليست كذلك فسمعه عمر يحدو بالليل وهو يقول :

أقسمَ بالله أبو حفص عمر ما مسها من نَقَبٍ ولا دَبَر
فاغفر له اللهم إن كان فَجَر

فقال عمر : يا فلان هل علمت أني معكم ؟ قال لا ، فحمله وقال اللهم اغفر لي .

أبو الحسن المدائني عن الأسود بن شيبان عمَّن حدثه قال : أقبل قوم غزاة من الشام يريدون اليمن ، وكانت لعمر جفنات يضعها إذا صلى الغداة ، فجاء رجل منهم فجلس يأكل فجعل يتناول بشماله ، فقال له عمر ، وكان يتعهد الناس عند طعامهم : كل بيمينك ، فلم يجبه ، فأعاد عليه فقال : هي مشغولة . فلما فرغ من طعامه دعا به فقال: ما شغل يدك

اليمين ؟ فأخرجها فإذا هي مقطوعة فقال : ما هذا ؟ فقال : أصيبت يدي يوم اليرموك . قال : فمن يوضئك ؟ قال : أتوضأ بشمالي ويعين الله ، قال : فأين تريد ؟ قال : اليمن إلىٰ أم لي لم أرها منذ كذا وكذا سنة . قال : وبرٌّ أيضاً ، فأمر له بخادم وخمسة أباعر من إبل الصدقة وأوقرها له .

حدثنا أبو عبيد ، ثنا عباد بن عباد عن مجالد الشعبي عن مسروق قال : كنا عند عمر بن الخطاب فتذاكروا الأحساب ، فقال عمر : حسب المرء دينه ، ومروءته خلقه ، وأصله عقله .

حدثني الحسين بن علي الأسود ثنا وكيع عن مسعر عن سعد بن ابراهيم قال : قال عمر : للخرق في المعيشة أخوف عندي عليكم من العون ، أنه لا يقل قليل مع الإصلاح ، ولا يبقىٰ كثير مع الفساد .

حدثني روح بن عبد المؤمن عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري عن أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد أن عمر بن الخطاب قال : من استحيا من الله ستره الله .

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش عن أبيه عن نافع قال: رأىٰ عمر رجلين يتفاخران فقال: إن كان لكما تقىٰ فلكما حزم ، وإن كان لكما دين فلكما حسب ، وإن كان لكما عقل فلكما مروءة وإن كان لكما مال تعودان بفضله فلكما شرف ، وإلا فأنتما شرّ من حمارين ، ولئن رأيتكما تعودان للتفاخر لأوجعنّ رؤوسكما .

وحدثني عبدالله بن صالح المقرىء عن أبي زبيد عَبْثَر قال : بلغني أن عمر بن الخطاب قال : الكفاف مع القصد أكفىٰ من السعة مع الإسراف .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده قال : وفد على

عمر بن الخطاب شهاب بن جمره ، أحد بني ضِرام بن مالك الجهني ، فقال له عمر : ما اسمك ؟ قال : شهاب . قال : ابن من ؟ قال : ابن جمرة قال : ممن ؟ قال : من الحُرَّقَةِ أحد بني ضرام . قال : من أين أقبلت ؟ قال : من حَرَّة النار ، قال : وأين منزلك ؟ قال : بلظىٰ . فقال عمر : أعوذ بالله من النار ، وما أظن أهلك إلا قد احترقوا ، فانصرف فوجد ناراً قد أحاطت بأهله .

قال هشام: والحرقة ولد حُميس بن عامر بن ثعلبة بن مودوعة بن جُهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ، وسمّوا الحُرَّقَة لأنهم أحرقوا بني سهم بن مرة بن قيس بالنبل .

حدثني روح بن عبد المؤمن عن بشر بن المفضّل ، ثنا عبد العزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الواحد بن أبي عون عن القاسم بن محمد قال : قالت عائشة وذكرت عمر رضي الله عنهما : كان والله أَحْوَزِيّاً نسيج وَحْدِه ، وقد أعد للأمور أقرانها .

المدائني عن سعيد بن عثمان قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ما أعلمني بطريق الدنيا لولا الموت وخوف الحساب .

المدائني عن محمد بن صالح عن مجالد عن الشعبي قال: قال رجل لعمر بن الخطاب : اتق الله يا أمير المؤمنين ، فقال له رجل : أتقول هذا لأمير المؤمنين ؟ فقال عمر : دعه فلا خير فيهم إذا لم يقولوها ، ولا خير فينا إذا لم تقل لنا .

المدائني عن عبد العزيز بن سالم عن الحسن قال : كان عمر يقول من اتقى الله وقاه ، ومن أقرض الله جزاه ، ومن توكل على الله كفاه ، ولا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسنة له .

قال أبو الحسن : ويروىٰ عن عمر أنه قال : لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لوجدا سواء ، ويروىٰ ذلك بعينه عن أبي بكر الصديق ، رضي الله تعالى عنهما .

المدائني عن علي بن هاشم عن ابن جعدبة قال : قال عمر : كفىٰ سرفاً ألا أشتهي شيئاً إلّا اشتريته .

المدائني عن الأعمش عن زيد بن وهب قال : رأيت عمر خرج إلى السوق وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة ، إحداهن أديم ، وفي يده الدرة .

المدائني عن مسلمة وغيره قال : قال الأحنف : ما كذبت قط إلا مرة واحدة ، رأى عمر رداء علي فقال : بكم ابتعته ؟ فألغيت ثلثي ثمنه فقال : إنه حسن لولا كثرة ثمنه .

حدثني هدبة بن خالد ، ثنا حماد بن سلمة ، عن حميد عن الحسن أن عمر رأىٰ جارية تطيش هزالاً فقال : من هذه الجارية ؟ فقال عبدالله بن عمر : هذه إحدىٰ بناتك ، قال : وأي بناتي هذه ؟ قال : ابنتي . قال : وما بلغ بها ما أرىٰ ؟ قال : إنك لا تنفق عليها فقال : إني والله ما أُغرِّكَ من ولدك ، اسع على ولدك أيها الرجل .

حدثنا سريج بن يونس ، ثنا يزيد بن هارون ، ثنا اسماعيل بن أبي خالد عن مصعب بن سعد قال : قالت حفصة لأبيها : يا أمير المؤمنين قد أوسع الله الرزق ، وفتح عليك الأرض ، وأكثر لك من الخير ، فلو أكلت أَلْيَنَ من طعامك ولبست ألين من لباسك فقال : سأخاصمك إلىٰ نفسك ، أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش ، أما تذكرين ، أما تذكرين ؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها ، ثم قال إني قد قلت لك : إني والله

إن استطعت لأشاركنّه وخليفته من بعده في عيشهما الشديد ، لعلّي ألقىٰ معهما عيشهما الرخيّ ، قال : يريد مع رسول الله ﷺ وأبي بكر .

حدثني محمد بن سعد وروح بن عبد المؤمن قالا : ثنا مسلم بن ابراهيم ، ثنا أبو عقيل ، أنبأ الحسن أن عمر بن الخطاب أبىٰ إلّا شدة وحصراً على نفسه ، فجاء الله بالسعة ، فأتىٰ المسلمون فدخلوا على حفصة فقالوا لها : أبى عمر إلّا شدة ، وحصراً على نفسه ، وقد بسط الله في الرزق ، فليبسط في هذا الفيء أو ما شاء منه ، فهو في حل من جماعة المسلمين ، فكأنما قاربتهم في هواهم ، فلما انصرفوا من عندها دخل عليها عمر فأخبرته بقول القوم فقال عمر : يا حفصة بنت عمر نصحت قومك وغششت أباك ، إنما حق أهلي عليّ في نفسي ومالي ، فأما في ديني وأمانتي فلا .

حدثنا خلف بن هشام وابراهيم بن العلاف البصري قالا : ثنا أبو عوانة عن الأعمش عن ابراهيم أن عمر بن الخطاب كان يتجر وهو خليفة فجهز عيراً إلى الشام ، وبعث إلى عبد الرحمن بن عوف يستقرضه أربعة آلاف درهم ، فقال للرسول : قل له أن يأخذها من بيت المال ثم يردها . فلما جاء الرسول فأخبره شقّ ذلك عليه فلقيه عمر فقال : أنت القائل خذها من بيت المال ؟ فإن مت قبل أن يجيء المال قلتم أخذها عمر من بيت المال دعوها لورثته ، وأؤخذ بها في يوم القيامة ، لا ولكني أردت أخذها من رجل حريص شحيح مثلك ، فإن مت أخذها من ميراثي ، أو قال من مالي .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا ابن نمير ، أنبأ اسماعيل بن أبي خالد عن أبي بردة عن يسار بن نمير قال : سألني عمر:كم أنفقنا في حجتنا هذه ؟ قلت : خمسة عشر ديناراً .

وحدثنا عمرو بن محمد ، ثنا وكيع بن الجراح عن سفيان عن يحيى بن سعيد أخبرني شيخ لنا قال : خرج عمر بن الخطاب إلى مكة فما ضرب فسطاطاً حتى رجع كان يستظل بالنطع .

حدثنا سليمان بن داود الزهراني أبو الربيع ، ثنا حماد بن زيد ، أنبأ يحيى بن سعيد عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال : صحبت عمر بن الخطاب من المدينة إلى مكة في الحج ثم رجعنا فما ضرب فسطاطاً ، ولا كان له بناء يستظل به ، إنما كان يلقي نطعاً أو كساء على شجرة فيستظل تحته .

حدثنا شيبان بن أبي شيبة الأُبُلي ، ثنا سليمان بن المغيرة قال : سمعت الحسن يقول : كان عمر بن الخطاب يقول : لأميرُ جيشٍ من جيوش المسلمين أَهَمُّ إلى من أمير مصر من الأمصار ، لأن صاحب المصر يريد الأمر فيراجعني ، وصاحب الجيش لا يستطيع أن يراجعني .

حدثنا شيبان بن أبي شيبة ، ثنا الصعق بن حزن ، أنبأ عاصم بن بهدلة قال : كان عمر إذا بعث عماله أوصاهم بتقوى الله ، وقال : لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تحرموهم فتكفروهم ، ولا تركبوا برذوناً ، ولا تأكلوا نقياً ، ولا تغلقوا باباً دون حاجة المسلمين ، وأقلوا الرواية ، وجردوا القرآن .

حدثنا شيبان ، ثنا عقبة بن عبدالله الأصم ، حدثنا عاصم الأحول عن الحسن أن عمر بن الخطاب عرض عليه أن يحمل جيشاً في السفن في البحر فقال : أحمل أمة على لوح فأغرقهم ، لا والله لا أفعل .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا سليمان بن حرب ، أنبأ جرير بن حازم عن يعلى عن نافع قال : قال عمر : لا يسألني الله عن ركوب المسلمين بحراً أبداً .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال: كتب عمر إلى عمرو بن العاص يسأله عن ركوب البحر، فقال عمرو في جواب كتابه: «دود على عود، فإن انكسر العود هلك الدود» فكره عمر أن يحملهم في البحر، وأمسك عن ذلك.

حدثني حسين بن علي الأسود عن وكيع عن منصور عن ابراهيم أن عمر كتب إلى عمار بن ياسر، وهو على الكوفة أن ارزقهم الطلاء ماذهب ثلثاه وبقي ثلثه.

حدثني محمد بن أبان الواسطي حدثني جرير بن حازم قال: سمعت الحسن يحدث قال: قدم أبو موسى في وفد أهل البصرة على عمر، قالوا: فكنا ندخل عليه كل يوم فنجد له خبزة تُلَتّ فربما وافقناها مأدومة بزيت، وربما وافقناها مأدومة بسمن، وربما وافقناها مأدومة بلبن، وربما وافقنا القدائد اليابسة قد دقت، ثم أغليت بها، وربما وافقنا اللحم الغريض[1] وذلك قليل، فقال لنا يوماً: أيها القوم إني والله أرى تعذيركم في الأكل وكراهتكم لطعامي، وإني والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً وأرفعكم عيشاً، أما والله ما أَغبَى عن كراكر وأسنمة وصلائق[2] ولكني سمعت الله عَيرَّ قوماً بأمر فعلوه فقال: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فاستمتعتم بها[3]﴾. وكان أبو موسى كلمنا فقال: لو كلمتم أمير المؤمنين ففرض لنا من بيت المال أرزاقاً، فوالله مازال بنا حتى كلمناه فقال: يامعشر الأمراء أما ترضون

---

١ ـ اللحم الغريض: اللحم الطري. النهاية لابن الأثير.
٢ ـ الكراكر: زور البعير، والصلائق: الخبز الرقيق وقيل هي الحملان المشوية، اللسان.
٣ ـ سورة الأحقاف ـ الآية : ٢٠ .

لأنفسكم بما أرضى به لنفسي؟قلنا: ياأمير المؤمنين إن المدينة أرض العيش بها شديد، ولانرى طعامك يُغشى ولايؤكل، وإنّا بأرض ذات ريف، وان أميرنا يُغشى ويؤكل طعامه، فنكث على الأرض ساعة، ثم رفع رأسه فقال لأبي موسى: نعم فإني قد فرضت لك كل يوم من بيت المال شاتين وجريبين، فإذا كان الغداة فضع إحدى الشاتين على أحد الجريبين فكل أنت وأصحابك، ثم ادع بشرابك فاشرب، ثم اسق الذي عن يمينك ،ثم الذي يليه، ثم الذي يليه ، ثم قم لحاجتك، فإذا كان العشيّ فضع الشاة الغابرة على الجريب الغابر فكل أنت وأصحابك، وادع بشرابك ألا واشبعوا الناس في بيوتهم واطعموا عيالهم، ومع ذلك والله ما أظن رستاقاً يؤخذ منه كل يوم شاتان، وجريبان إلا أسرع ذلك في خرابه.

حدثنا يحيى بن أيوب الزاهد، ثنا اسماعيل بن ابراهيم عن يونس عن حميد بن هلال أن حفص بن أبي العاص الثقفي كان يحضر طعام عمر فلا يأكل، فقال له عمر: مايمنعك من طعامنا؟ فقال: إن طعامك جشب[1] غليظ، وإني أرجع إلى طعام لينّ قد صنع لي فأُصيب منه، فقال عمر رضي الله عنه: أتُراني أعجز عن أن آمر بشاة يلقى عنها شعرها، وآمر بدقيق ينخل في خرقة ثم آمر به فيخبز خبزاً رقاقاً وآمر بصاع من زيت فيقذف في سَعُن[2]، ثم يصب عليه الماء فيصبح كأنه دم غزال؟فقال: إني لأراك عالماً بطيب الطعام ورخيّ العيش، فقال: أَجَل والذي نفسي بيده لولا أن تُنتقص حساتي لشاركتكم في لين عيشكم.

١ ـ جشب: غليظ خشن. اللسان.

٢ ـ السعن: شيء يتخذ من أدم شبه دلو، إلا أنه مستطيل مستدير. اللسان.

حدثنا محمد بن سعد، ثنا عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة، أنبأ سعيد الجُرَيري عن أبي نضرة عن الربيع بن زياد الحارثي أنه قال: وفد الربيع على عمر بن الخطاب فأعجبته هيئته ونحوه، فشكا عمر طعاماً غليظاً أكله، فقال الربيع: ياأمير المؤمنين، إن أحق الناس بطعام لين، ومركب وطيء، وملبس لين لأنت، فرفع عمر جريدة كانت معه فضرب بها رأسه، وقال: والله ماأردت بهذا إلا مُقاربتي، هل تدري ما مَثَلي ومَثَل هؤلاء؟ مَثَلي ومَثَلهم مَثَل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم فقالوا: أنفق علينا فهل يحق له أن يستأثر منها بشيء؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، ثم قال عمر: إني لم أستعمل عليكم عمالي ليضربوا أبشاركم ويشتموا أعراضكم، ويأكلوا أموالكم، ولكني استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم، وسنة نبيكم، فمن ظلمه عامله بمظلمة فليرفعها إلي حتى أقصّه منه، فقال عمرو بن العاص: أرأيت إن أدَّب أمير رجلاً من رعيته، أتقصه منه؟ فقال عمر: وما لي لا أقصه منه إذا تعدى، وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه.

وكتب عمر إلى أمراء الأجناد ألا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تحرموهم فتكفروهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم.

حدثني يحيى بن معين وبكر بن الهيثم قالا: ثنا عبد الرزاق بن همام، ثنا معمر عن قتادة قال: حضر طعام عمر قوم وفدوا إليه من أهل البصرة، فرآهم يكرهونه، فقال لهم: كلوا فوالله لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً وشراباً، أتروني أغبى عن طيب الطعام وصغار المعز بلباب البُرّ، ولكني وجدت الله ذم قوماً فقال: ﴿أَذْهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعم بها﴾.

حدثني العباس بن الوليد النرسي، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي قال: كنت مع عتبة بن فرقد حين افتتح اذربيجان فصنع سفطين فيهما خبيص وألبسهما الجلود واللبود ثم بعث بهما إلى عمر مع سُحيم مولاه فلما قدم عليه قال: ماالذي جئت به أذهبٌ أم وَرِق؟ وأمر به فكشف عنه فذاق الخبيص فقال: إن هذا لطّيب لينّ أفكلّ المهاجرين أكل منه شبعه؟ قال: لا إنما هو شيء خصك به. فكتب إليه عمر: أما بعد فليس من كَدِّكَ، ولا كَدُّ أمك، ولا كَدُّ أبيك، لا تأكل إلا ماشبع المسلمون منه في رحالهم.

حدثنا شيبان بن أبي شيبة الآجري، ثنا أبو هلال الراسبي، ثنا يحيى بن أبي كثير أن كاتباً لأبي موسى كتب إلى عمر بن الخطاب: «من أبو موسى» فكتب إليه عمر: إذا أتاك كتابي هذا فاضرب كاتبك سوطاً واعزله عن عملك.

وحدثني شيبان ومحمد بن أبان الواسطي، قالا: ثنا أبو هلال الراسبي عن الحسن أنه قال: تكلمت امرأة عمر في شيء من الأمر فانتهرها وقال: ماأنت وهذا، إنما انتنّ لعب، فأقبلي على مغزلك ولا تعرضي فيما ليس من شأنك.

حدثنا العباس بن الوليد، ثنا معتمر بن سليمان أنبأ عبد الملك بن خالد عن مطر الوراق أن أبا موسى كتب إلى عمر كتاباً فلحن فيه الكاتب حرفاً، فكتب إليه عمر أن اجلد كاتبك سوطاً، واتخذ كاتباً حنيفاً.

حدثنا عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا محمد بن عبد الله الأسدي، ثنا حسان عن مجالد عن الشعبي قال: كتب أبو موسى إلى عمر إنه

يأتينا منك كتب لانعرف عهدها وتاريخها، فأرّخ فاستشار عمر أصحاب رسول الله ﷺ فقال بعضهم: أرّخ لمبعث رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم: أرخ لموته، فقال عمر: أؤرخ لمهاجر رسول الله، فانه فرق بين الحق والباطل مهاجرهُ فأرخ به.

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر كان يقال له خليفة رسول الله، فلما توفي أبو بكر واستخلف عمر قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله، فقال المسلمون فمن جاء بعد عمر مايقال له؟ أيقال خليفة خليفة خليفة رسول الله، هذا يطول ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة، ويدعى به مَنْ بعده من الخلفاء فقال بعضهم نحن المؤمنون وعمر أميرنا، فدعي أمير المؤمنين، فهو أول من سميّ بذلك، وهو أول من كتب التاريخ.

قال الكلبي: وقد حُدثت أن عمر قال: أنتم المؤمنون، وأنا أميركم.

وقال الكلبي: بلغني أن الرجل المغيرة بن شعبة هو قال ذلك.

حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي أبو يحيى، ثنا حماد بن سلمة، أنبأ علي بن زيد قال: استعمل عمر بن الخطاب ابن مطيع على الكوفة، فدفع إليه عهده، وقال: لاتخبرن أحداً فذهب إلى امرأته فقال: إن أمير المؤمنين استعملني على الكوفة فاستعيري لي أداة الراكب، فبعثت إلى أختها وهي تحت المغيرة بن شعبة فقالت لها: إن زوجي قد استغمل على الكوفة فابعثي إليه بأداة الراكب، فلما جاء المغيرة أخبرته الخبر، فأتى باب عمر نصف النهار، وقد تبوأ للمقيل، فقال للبواب استأذن لي عليه ولك أربعمائة درهم فأذن له، فكانت تلك أول رشوة في الإسلام، فدخل عليه فقال: وفقك الله يا أمير

المؤمنين لقد استعملت قوياً أميناً. قال: من؟قال: ابن مطيع استعملته على الكوفة. قال: ويحك من أخبرك بهذا؟ قال: السقايات يتحدثن به في الطرق، قال: فهل عندك خير؟قال: نعم قال: اذهب فخذ العهد منه، ثم اذهب إلى الكوفة، وقد روي أن الذي كان ولاه قبل المغيرة جبير بن مطعم.

وقال محمد بن سعد:قال أبو عبد الله الواقدي: حدثني محمد بن عبد الله عن عمه الزهري وغيره قالوا: كان عمر أول من دعي أمير المؤمنين، وأول من أرخ للكتب أرخها في شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة، وأول من جمع القرآن في الصحف، وأول من سنّ قيام شهر رمضان، وجمع الناس على ذلك، وكتب به إلى البلدان، وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة، فلما توفي قال علي بن أبي طالب: نَوَّرَالله لعمر كما نور مساجدنا، وجعل عمر بالمدينة قارئين: قارئاً للرجال وقارئاً للنساء يصلي بهن، وهو أول من ضَربَ في الخَمْر ثمانين، وضرب في السكر ثمانين، وقال: من سكر شتم فأبلغ به إذا صحا حد القاذف، وكان أول من اشتد على أهل الريب، وأحرق عمر بيت رويشد الثقفي، وكان حانوتاً، وغرَّب ربيعة بن أمية الجمحي إلى خيبر، وكان صاحب شراب، فدخل أرض الروم فارتد، وكان عمر أول من عسَّ عليه في عمله بالمدينة، وحمل الدرة وأدب بها حتى قيل بعده: لدرة عمر أهيب من سيفكم هذا، وهو أول من فتح الفتوح بعد الذي فتح في أيام أبي بكر، فتح الجزيرة، وطائفة من الشام، وفتح مصر والسواد، ووضع الخراج على الأرض والجزية على الطبقات، وقال: لايعوز الرجل منهم درهم في الشهر، فبلغ خراج السواد على عهده مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف وافٍ، والوافي وزن مثقال، وهو أول من مصرّ الكوفة والبصرة، والجزيرة والشام والموصل، وأنزلها

العرب، وأول من استقضى القضاة في الأمصار،وأول من دون الدواوين، وكتب الناس على قبائلهم، وفرض الأعطية من الفيء، وأول من حمل الطعام في السفن من مصر في البحر حتى ورد الجار،ثم حمل من الجار إلى المدينة،وكان إذا بعث عاملاً كتب له ماله ثم قاسمه الفضل عليه، فقاسم غير واحد منهم: سعد بن أبي وقاص،وأبو هريرة، وعمرو بن العاص،ومعاذ،وكان يستعمل رجالاً ممن صحب رسول الله ﷺ مثل عمرو بن العاص،ومعاوية،والمغيرة بن شعبة،ويدع من هو أفضل منهم مثل: علي،وعثمان،وطلحة،والزبير،وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم، لقوة اولئك على العمل وبصرهم به،ولإشراف عمر عليهم وهيبتهم له. وقيل له: مالك لاتولي الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فقال: أكره أن أدنسهم بالأعمال.

واتخذ عمر داراً للرزق فيها الدقيق،وكان يجعل فيها السويق،والتمر،والزبيب،والزيت،ومايحتاج إليه ويعين بذلك المنقطع به،ويقري الضيف،ووضع بين المسجدين مايصلح للناس ممن ينقطع به،ووسع مسجد رسول الله ﷺ حين كثر الناس بالمدينة،وهو أول من أخرج اليهود من الحجاز،وأخرج أهل نجران إلى النجرانية بالكوفة، وخرج إلى الجابية بالشام في صفر سنة ست عشرة، وأقام بها عشرين ليلة يقصر الصلاة،وحضر فتح بيت المقدس،وقسم الغنائم بالجابية،وخرج بعد ذلك يريد الشام في جمادى الأول سنة سبع عشرة فلما بلغ سَرْغ[1] أُخبر بوقوع

---

١ ـ سرغ : قرية بالشام هي أوله وآخر الحجاز في وادي تبوك،بينها وبين المدينة المنورة ثلاث عشرة مرحلة: معجم البلدان.

الطاعون بالشام فرجع من سرغ، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أتفر من قدر الله؟ فقال: نعم أفر من قدر الله إلى قدر الله.

وفي أيامه كان طاعون عمواس[١] سنة ثماني عشرة، وفي هذه السنة كانت الرمادة، أصاب الناس محل وجدب ومجاعة تسعة أشهر، واستعمل عمر في أول سنيّه ـ وهي سنة ثلاث عشرة ـ على الحج عبد الرحمن بن عوف، ثم لم يزل يحج في كل سنة أيامه كلها، فحج بهم عشر سنين متوالية واعتمر في أيامه ثلاث عمر، وحج بأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها سنة ثلاث وعشرين، وكانت أول عمرة في رجب سنة سبع عشرة، والثانية في رجب سنة إحدى وعشرين، والثالثة في رجب سنة اثنتين وعشرين، وهو آخر المقام إلى موضعه اليوم، وكان ملصقاً بالبيت.

حدثنا محمد بن سعد، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن الأشعث عن الحسن أن عمر رضي الله عنه مصرًّ الأمصار: المدينة، والبصرة، والكوفة، والبحرين، ومصر، والشام، والجزيرة.

حدثني محمد بن سعد، ثنا عفان، أنبأ حماد بن سلمة عن يونس عن الحسن أن عمر قال: لهان علي في إصلاح قوم أن أبدلهم أميراً بأمير.

حدثني الحسين بن علي الأسود، ثنا محمد بن عبيد، ثنا أبو سعد البقال عن أبي حصين عن أبي وائل قال: سمعت حذيفة يقول: ماأحد يفتش إلا فتش عن جائفة أو منقلة[٢]، إلا عمر بن الخطاب وابنه.

---

١ ـ عمواس: بلدة على ستة أميال من الرملة، على طريق القدس. معجم البلدان.

٢ ـ المنقلة من الجراح: ماينقل العظم عن موضعه. والمنقلة: السفر، والطريق في الجبل. القاموس.

حدثني الحسين، ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس عن سفيان قال: إمامنا في الجماعة عمر، وإمامنا في الفتنة ابنه.

حدثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، أنبأ علي بن زيد عن عبيد الله بن ابراهيم قال: أول من ألقى الحصى في مسجد رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم، فأمر بالحصى فجيء به من العقيق فبسط في مسجد رسول الله ﷺ.

حدثنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه معاذ العنبري عن شعبة عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن ذؤيب عن عمر أنه قال: لايُرحم من لايَرحم ولايُغفر لمن لايَغفر، ولايُوقى من لايتوقى، ولايُتاب على من لم يتب.

قال: وقال شعبة: أتي عمر بصبي له فحمله في حجره، وأقبل يقبله فقال له بعض من حضره، وهو ابن المنتفق[1]: ما فعلتُ مثل هذا بصبي لي قط، فقال عمر: إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك فما ذنبي!

وحدثني أبو بكر الأعين، ثنا روح بن عبادة عن شعبة عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن ابن المنتفق أنه رأى عمر بن الخطاب يقبل ابنه فقال: أتقبل ابنك وأنت خليفة، والله لو كنت مثلك ما قبلت ابناً لي أبداً، فقال عمر: وما ذنبي إن كان الله قد نزع الرحمة منك! إنما يرحم الله من عبادهِ الرحماء.

المدائني عن عوانة عن أبيه قال: قال عمر: من عذيري من أهل الكوفة، إن استعملت عليهم الضعيف حقروه وإن استعملت عليهم القوي فجروه، فقال رجل: يا أمير المؤمنين. أين أنت عن معاوية فقال: ذاك

١ ـ عبدالله بن المنتفق، له ترجمة في أسد الغابة ج ٤ ص ٤١٦.

بالشام ، فقال المغيرة بن شعبة : أما المؤمن الضعيف فله إيمانه وعليك ضعفه ، وأما الفاجر القوي فلك قوته وعليه فجوره ، قال عمر : فلعلك يا أعور إن وليتك تعود لشيء مما رُميت به ، قد وليتك الكوفة وأجلتك ثلاثاً حتى تشخص .

المدائني عن عوانة ومسلمة قالا : كان عمر إذا ولى عملاً رجلاً قال له : إن العمل كيرٌ فانظر كيف تخرج منه ، وكان يقول : من اتقى وُقي ، ومن وُقي استحيا ، ومن استحيا سترة الله .

المدائني عن محمد بن صالح عن مجالد عن الشعبي قال : قال عمر رضى الله تعالى عنه : أفضل اللين ما كان مع سلطان ، وأفضل العفو ما كان عن قدرة .

المدائني قال: قال عمر لأبي الدرداء : إن من فقهك رفقك في معيشتك .

حدثني العباس بن الوليد النرسي ، حدثني أبو الليث اليماني ، عن معمر عن الزهري أن عمر بن الخطاب قال : السيد الجواد حين يُسأل ، الحليم حين يُستَجهل ، الكريم المجالسة لمن جالسه ، الحسن الخلق عند من جاوره ، أو قال حاوره .

المدائني عن عبد الرحمن بن طلحة قال : كتب عمر إلى أبي عبيدة : أما بعد فإنه لن يقيم أمر الله في الناس إلاّ عفيف الفعل ، بعيد القعر ، لا يطلع منه على عورة ولا يحنق على جِرّه[1] ، ولا يأخذه في الحق لومة لائم .

١ ـ الجرة : الجماعة يقيمون ويظعنون ، وربما أراد هنا «الجريرة» . النهاية لابن الأثير . القاموس .

قال وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية : أنْ جَنِّب الناس أحاديث الجاهلية فانها تذكر الأحقاد وتنشيء الضغائن ، وعِظْهُم بآيات الله ما نشطوا للاستماع .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : قال عمر : آخِ مَنْ آخَيْت على التقوى ولا تجعل حديثك بِذْلَةً لمن لا يريده ، وشاور الذين يخافون الله .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن كناسة والهيثم عن مجالد عن الشعبي وعن يونس بن يزيد الأيلي عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب قال لرجل من ثقيف: النخيلة خير أم الحُبْلة[1] ؟ فقال: الحبْلة، أتزببها وأتشتيها، وأقيل في ظلها ، وأصلح بها سقامي ، وآدم برمتي . فقال عمر لرجل من الأنصار : ما تقول أنت ؟ قال : كذبْ ، إن أكلَ الزبيب أضرس ، وإن أتركه أغرث[2] ، ليس كالصقر السائل من رؤوس الرقل[3] : الراسخات في الوحل المطعمات في المحل ، صمتة الصغير وتحفه الكبير ، وزاد المسافر ، وتحرسه مريم بنت عمران ، ينضج ولا يعيي طابخاً ، وتحترش بها الضباب بالصلعاء[4] ، فضحك عمر .

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي عن عمر أنه قال : أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم وكان يروي ذلك عن النبي ﷺ ، وقد روي ذلك عن أبي بكر أيضاً .

١ ـ الحبلة : الكرمة .
٢ ـ أغرث : جاع .
٣ ـ الرقلة : النخلة فاتت اليد . القاموس .
٤ ـ الصلعاء : الأرض لا نبت فيها ، وحرش الضب يحرشه حرشاً وتحرشا : صاده . القاموس .

حدثني أبو عبيد القاسم بن سلام عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم ، قال استأذنت امرأةٌ عمر بن الخطاب في الخروج إلى المسجد فمنعها ، ثم عاودته فمنعها ، ثم عاودته فمنعها .

المدائني عن عمر بن الخطاب أنه قال : تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة ، وتعلموا النسب فرب رحم مقطوعة قد وصلت بمعرفة نسبها .

حدثني عبدالله بن صالح عن يحيى بن يمان عن سفيان الثوري قال : بلغني أن عمر بن الخطاب لم يضحك إلا تبسماً ، وانه لم يبتسم مذ قبض النبي ﷺ ولم يمزح إلا ساهياً .

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال : من أحب العافية ، وعفا عمن تحت يده رزقه الله العفو والعافية[1] .

المدائني عن يحيى بن يمان عن سفيان قال : قال عمر رضي الله تعالى عنه : لا يلهك الناس عن نفسك ، فإن الأمر يصل إليك دونهم ولا تقطع النهار باللعب فإن ذلك محفوظ عليك وإذا أسأت فأحسن ، فإني لم أرقط أشد طلباً ولا أسرع دركاً من حسنة حديثة لذنب قديم .

حدثنا هدبة بن خالد عن أخيه أمية بن خالد عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : خطب عمر حين استخلف فقال : والله لأعزلن خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ، ليعلما أن الله هو الناصر لدينه وليس إياهما فعزلهما .

حدثني الحسين بن علي الأسود ، ثنا عبيدالله بن موسى ، ثنا سفيان عن عيسى عن الشعبي قال : قال عمر رضي الله تعالى عنه : لقد تركت تسعة أعشار الحلال مخافة الحرام .

١ ـ بهامش الأصل : بلغت المعارضة بالأصل الثالث من أول هذا الباب ، ولله الحمد .

حدثني الحسين عن أبي أسامة عن مالك بن مغول قال : قال أبو حيان : قال عمر لعبدالله بن الأرقم الزهري : انظر ما اجتمع عندك من مال فاقسمه في كل شهر ، وفي كل جمعة ، وفي كل يوم ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، لو أبقيت في بيت مال المسلمين مالاً تُعده لنائبةٍ تحدث أو شيء يكون ، فقال عمر : هذه كلمة ألقاها الشيطان على لسانك لقّاني الله حجتها ووقاني فتنتها أعصي العام مخافة قابل ، أُعدُّ لهم ما أَعَدَّ لهم رسول الله ﷺ ، أعد لهم طاعة الله .

حدثني الأثرم أبو الحسن ، ثنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن أبي وجزة قال: رأيت عمر بن الخطاب أمسك أرنبة أنفه ثم جال في متن فرسه وكان أَيْداً[1] .

قال أبو عمرو : وخرج عمر في الجاهلية مع عمارة بن الوليد بن المغيرة إلى الشام أجيراً ، فشذت ناقة له فلحقها عمر بعد طلب فاعتقلها وطرحها لجنبها كسيراً ، فحسده عمارة على ما رأى من قوته فقال : انحرها وهيء لنا طعاماً فاختبز عمر وأطبخ ، وقدم إلى عمارة طعاماً فقال له : الشحم الحار على الخبز الحار في اليوم الحار ؟ ما تريد إلا قتلي ، ثم وثب ليضربه فبادر إليه عمر بالسيف فهرب عمارة من بين يديه .

وعمر يقول :

والله لولا شعبة من الكرم وَسِبطَةٍ في الحيّ من خالٍ وعم
لضمَّني الشر إلى شرٍ مضمّ وما أساء مطعم ولا ظلم
إن خلط الخبز بلحم ودسم

١ ـ أي كان قوياً .

حدثني محمد بن يحيى صاحب الشافعي ، الملقب بعين الحدأة ، ثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن عبيدالله بن عمر العُمري عن عمر بن عبد الرحمن بن دلاف المزني عن بلال بن الحارث المزني قال : قال عمر بن الخطاب : ألا إن أسيفع جهينة رضي من دينه وأمانته بأن قيل سَبق الحاج ، فادّان معرضاً[1] فأصبح قد دين به ، ألا وإنّا قاسموا ماله غداً بين غرمائه فمن كان له عليه دين فليحضر .

حدثنا عفان والعباس بن الوليد النرسي قالا : ثنا حماد بن سلمة ، وحدثني عبد الواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير بن عبدالله البجلي أن رجلاً كان مع أبي موسى الأشعري ، وكان ذا بأس ونكاية في العدو ، فأعطاه أبو موسى بعض سهمه فأبى أن يقبله فجلده عشرين سوطاً وحلقه ، فجمع الرجل شعره ثم رحل إلى عمر بن الخطاب فأخبره خبره ، فكتب عمر إلى أبي موسى : «أما بعد فإن فلاناً أخبرني بكذا وكذا فإن كنت فعلت به ذاك في ملأ من الناس فعزمتُ لمّا قعدت له في ملأ من الناس حتى يقتص منك ، وإن كنت فعلت ذلك في خلاء لمّا قعدت له في خلاء حتى يقتص منك .

فلما قدم على أبي موسى قال له الناس : أعف عنه ، فقال : والله لا عفوت عنه لأحد من الناس حتى إذا قعد بين يديه ليقتص منه ، رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قال : اللهم إني قد عفوت عنه لك .

حدثنا أبو عمر الدوري المَنقري عن اسماعيل بن جعفر عن حميد عن

---

١ ـ أي استدان معرضا عن الوفاء ، وكان أسيفع يشتري الرواحل ، ويسبق الحجاج ، فيتغالى بثمن ما اشتراه ، فأفلس . الاصابة لابن حجر .

أنس أن رجلاً خطب عند عمر فأكثر ، فقال عمر : إن كثيراً من الخطب من شقائق الشيطان .

حدثني أبو أيوب الرقي المعلم عن الحجاج الرصافي عن جعفر بن بُرقان عن ميمون بن مهران أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : الرأي كثير ، والحزم قليل .

وكان عروة بن الورد من حزماء الرجال ، وقال كان عمر يقول : رحم الله من قدم فضل المال ، وأمسك فضل الكلام .

حدثني هشام بن عمار ومحمد بن مصفى عن بقية بن الوليد عن عبيدالله بن عُمر عن نافع أن عمر قال : لا يغرنك خُلق امرىء حتى يغضب ، ولا دينه حتى يطمع .

حدثني مصعب الزبيري قال : مر عمر بصفوان بن أمية بن خلف الجمحي وهو يقول : أنا ابن بطحائها كدَائها وكدُيّها[1] . فقال : إن كنت تقياً فأنت كريم ، وإن كنت حسن الخلق فإن لك مروءة ، وإن كنت عاقلاً فإن لك أصلاً ، وإلا فأنت شرٌ من كلب أو قال من حمار .

المدائني عن مسلمة بن محارب عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية قال : قال معاوية : خذوا من الحديث ما كان في عهد عمر ، فإن عمر أتقن ذلك في حياته ، وأخاف الناس في كثرة الحديث عن رسول الله ﷺ وقال : لا تكذبوا عليه .

المدائني عن العباس بن محمد عن علي بن أبي طلحة قال : قال

---

١ ـ كداء : موضع بأعلى مكة ، وكُدي : موضع بأسفل مكة ـ معجم البلدان .

عيينه بن حصن لعثمان : كان عمر خيراً لنا منك ، إن عمر أعطانا فأغنانا ، وأخشانا فأتقانا .

المدائني عن أبي الوليد المكي قال : أقبل رجل أعرج إلى عمر وهو يقود ناقة تظلع ، فوقف عليه وقال :

إنـك مسترعى وإنّـا رعيـة وإنك مدعو بسيماك يا عمر
لذي يوم شرٍ شره بشراره قد حمَّلتك اليوم أثقالها مضر

فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله . وشكا الرجل ظلع ناقته فقبضها عمر وحمله على جمل وزوده وقال : أين تريد ؟ قال : أريد أماً لي لم أرها منذ زمان ، فزاده .

المدائني عن محمد بن صالح عن عبدالملك بن نوفل بن مساحق ، قال استعمل عمر عتبة بن أبي سفيان على كنانة ، فقدم معه بمال فقال عمر : ما هذا يا عتبة ؟ قال : خرجت معي بمال فتجرت فيه . قال : ومالك تخرج المال معك ، انظر ما كان في هذا الوجه من ربح فاحمله إلى بيت المال ففعل ، فلما قام عثمان قال لأبي سفيان : إن طلبت ما أخذ عمر من عتبة رددته عليك . فقال أبو سفيان : إنك إن خالفت صاحبك الذي قبلك ساء رأي الناس فيك ، إياك ان ترد أمر من كان قبلك فيرد من بعدك أمرك .

المدائني عن عبدالله الفهري أن عمر بن الخطاب قال : لا يعاش بعقل رجل حتى يعاش بظنه ، قال : وقال عمر : إذا لم أعلم إلا بما رأيت فلا علمت .

المدائني قال : قال عمر لمتمم بن نويرة : ما بلغ من جزعك على أخيك مالك بن نويرة ؟ قال : لم أنم حولاً ، ولم أر ناراً إلا بكيت لأنه كان

يأمر أن توقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف فلا يعرف مكانه .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه أبي المنذر عن عوانة أن متمم بن نويرة دخل على عمر فقال له : ما بلغ من جزعك على أخيك ؟ قال : بكيت حولاً حتى أسعدتْ عيني الذاهبة عيني الصحيحة ، وما رأيت ناراً إلا كدت انقطع لها أسفاً ، لأنه كان يوقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف فلا يعرف مكانه ، فقال : صفه لي . قال : كان يركب الفرس الجرور في الليلة القرّة بين المزادتين النضوحين ، وعليه شملة فلوت معتقلاً رمحاً خطلاً فيسري ليله ويصبح كأن وجهه فلقة قمر ، قال : فأنشدْني من شعرك فيه ، فأنشده مرثيته التي يقول فيها :

وكنا كنِدْمَانَيْ جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فقال عمر : لو أحسنت قول الشعر لرثيت زيداً أخي ، فقال متمم : ولا سواء يا أمير المؤنين . قتل أخي كافراً ، وقتل أخوك مسلماً مجاهداً ، ولو صرع أخي مصرع أخيك ما رثيته ولا بَكيته . فقال عمر : ما عزاني أحد عن أخي بأحسن مما عزيتني به .

حدثني هدبة بن خالد عن أبي الأشهب عن الحسن أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بمزبلة فاحتبس عندها فكأن أصحابه تأذوا بريحها ، فقال عمر : هذه دنياكم التي تحرصون عليها .

حدثني أبو موسى إسحاق الفروي عن روح بن عبادة عن أيوب بن محمد بن سيرين أن عمر بن الخطاب قال : ما ترك الموت لذي لب قرة عين .

حدثني محمد بن حاتم المروزي ثنا شبابة بن سوار عن عاصم بن محمد العمري عن أبيه قال: كان عمر ذات يوم في إبل الصدقة يمرن[1] أخفافها،

١ ـ أي دهن ما حفي منها . القاموس .

فجاع فاشتد عليه الجوع والحر ، فدخل منزله فقال : هل عندكم من شيء نأكله ؟ قالوا : نعم ، قباع من تمر فأتوه به فأكل منه ثم شرب ماء ومسح بطنه وقال : ويل لمن أدخلته بطنه النار ، إنما يكفي الرجل ما يسد جوعته .

المدائني عن غسان بن عبد الحميد عن جعفر بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة قال : فقد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أُسَيْد بن حُضير ، ولم يشهد معهم الصلاة ، فقال : انطلقوا بنا إلى أسيد فقال : ما أقعدك عنا ؟ فأخبره بشغل فقال : لله الحمد ، خشيت أن تكون تركت الصلاة معنا لأمر كرهته منا . قال : معاذ الله أن أرى منك شيئاً منكراً ولا أنهاك عنه ، فإن لم تنزع عنه جاهدتك عليه .

المدائني عن مسلمة بن محارب عن بشير بن عبيدالله بن أبي بكرة أن أبا موسىٰ الأشعري كتب إلى عمر : «إن الناس ابتنوا بالقصب ، فكثر البناء ، ولا نأمن الحرق ، وقد استأذنوني في البناء بالمدر ، فكرهت أن آذن لهم فيه دون أمرك فيه ، فكتب إليه عمر : «إني قد كنت أكره لهم البناء فأما إذ فعلوه فليقلّوا السُّمْك ، ويعرّضوا الجدر ويقاربوا بين الخشب في السقوف» .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ كثير أبو محمد عن عبد الرحمن بن عجلان أن عمر بن الخطاب مر بقوم يرمون فقال أحدهم : أسيْت . فقال عمر : سوء اللحن أسوأ من سوء الرمي .

المدائني قال: قال عمر : من ظلمه أميره فلا أمير عليه دوني .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا عمرو بن عاصم ، ثنا داود بن أبي الفرات عن عبدالله بن بُريدة الأسلمي قال : بينما عمر يعس ذات ليلة إذ سمع امرأة تقول ·

هل من سبيلٍ إلىٰ خمرٍ فأشربها   أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجاج

فلما أصبح عمر سأل عنه فقيل هو نصر بن الحجاج بن علاط السلمي ، فأرسل إليه فأتاه فاذا هو أحسن الناس شَعراً ، وأصبحهم وجهاً ، فأمره عمر أن يَعْتَم ففعل فازداد حسناً ، فقال عمر : أما والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرضٍ أنابها وأمر له بما يصلحه وسيَّره إلى البصرة .

وقال المدائني : غَرَّبَ عمر نصر بن الحجاج إلى البصرة فقال : يا أمير المؤمنين أعلمهم أنك إنما أخرجتني لهذا الشعر لا لغيره .

وحدثني محمد بن سعد ، ثنا عمرو بن عاصم ، ثنا داود بن أبي الفرات عن عبدالله بن بُريدة الأسلمي قال : خرج عمر يعس ذات ليلة فإذا هو بنسوة يتحدثن ، وإذا هنّ يقلن : أيُّ أهل المدينة أصبح ؟ فقالت امرأة منهن : أبو ذؤيب ، فلما أصبح سأل عنه فقيل هو من بني سُليم ، فلما نظر إليه عمر رآه من أجمل الناس ، فقال له عمر : أنت والله ذئبهن ، أنت والله ذئبهن ، مرتين أو ثلاثاً ، والذي نفسي بيده لا تجامعني في بلد أنا فيه ، قال : فإن كنت لابد مُسَيِّري فسيِّرني إلي حيث سيرت ابن عمي نصر بن حجاج ، فسيره إلى البصرة ، وأمر له بما يصلحه .

المدائني عن علي بن مجاهد عن هشام بن عروة وابن عون عن ابن سيرين أنه أُلقى إلى عمر كتاب فيه :

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً   فِدَىً لكَ من أخي ثقة ازار
قلائصنا هداك الله إنّا   شغلنا عنكمُ زمن الحصار
فما قُلُصٌ وجِدْنَ مُعَقَّلاتٍ   قفا سلع بمختلف التجار
قلائص من بني جُشَم بن بكر   وأَسْلَمَ أو جُهينَةَ أو غَفَار

يعقّلهن جعــدة من سُليمٍ معيـداً يبتغي سقط العَذَار
يعقلهن أبيض شيــظمـيٌّ[١] وبئس معقل الذود الظؤار[٢]

فأرسل عمر إلى جعدة فضربه مائة معقولاً[٣] ، ونهاه أن يدخل على المغيبات ، ولم يضربه حتى أقر .

المدائني عن علي بن مجاهد عن ابن اسحاق عن عبدالله بن أبي فروة أن جعدة بن عبدالله السلمي كان يحدث النساء ، ويخرج الجواري إلى سلع ويلاعبهن ، ويعقل الجارية ثم يقول لها قومي في العقال فإنه لا يصبر في العقال إلا حصان ، فتقوم ساعة ثم تسقط فربما انكشفت ، فبلغ ذلك رجلاً من كنانة يقال له نُميلة ، فكتب إلى عمر : «ألا أبلغ أبا حفص رسولاً» الأبيات كلها ، فدعا بجعدة ، وسأله عن الأمر فأقرّ فقال : أنت كما وُصفت أبيض شيظمي فضربه مائة معقولاً ، ونهاه أن يدخل على المغيبات ، وأخرجه من المدينة إلى الشام ، فكُلم فيه فأذن له فرجع ولم يدخل المدينة ، فكلم فيه فأذن له بعدُ في أن يجمع ، ثم يخرج ، وكان عمر إذا رآه يوم الجمعة يتوعده إن عاد ويقول له : يا فاسق فقال جعدة :

أكُلُّ الدهـرِ جعدة مستحقٌ أبا حفص لشتمٍ أو وعيد
فما أنا بالبرىء بـراة عذرٍ ولا بالخالع الرسن الشريد

فأذِنَ له مرتين في الجمعة .

وحدثني محمد بن سعد ، أنبأ اسماعيل بن إبراهيم عن أبي عون عن

١ ـ الشيظمي : الطويل الجسم الفتي من الناس . القاموس .
٢ ـ الذود : القطيع من النوق ، والظئار هو أن تعطف الناقة على ولد غيرها بشد أنف الناقة وعينيها . اللسان .
٣ ـ بهامش الأصل : أي طويل .

محمد أن بريداً قدم على عمر فنثر كنانته فبدرت صحيفة فأخذها وقرأ فيها :

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً فِدَىً لكَ من أخي ثقة ازار
قلائصنا هداك الله انّا شغلنا عنكم زمن الحصار
فما قلصٌ وُجِدْنَ معقلات قفا سلعٍ بمختلف التجار
قلائص من بني سعد بن بكرٍ وأسلم أو جهينة أو غفار
يُعقلهنَّ جعدة من سُليم سفيهٌ يبتغي سقط العذار

فقال : ادعوا إليّ جعدة ، فدعي فجلده مائة معقولاً ، ونهاه أن يدخل على امرأة مغيبة .

المدائني عن يزيد بن عياض بن جعدبة عن عبدالله بن أبي بكر قال : سمع عمر رضي الله تعالى عنه رجلاً ينشد :

أعوذُ بربّ الناس من شر معقلٍ إذا معقل راح البقيع مُرَجَّلا[1]

فارسل إليه عمر : جُزَّ شعرك فجزه ، وكان جميلاً حسن الشعر .

المدائني عن ابن جعدبة عن عبدالله بن أبي بكر قال : سمع عمر امرأة ليلاً وهي تقول :

تطاول هذا الليل واخضلّ جانبه فأرّقني إلّا خليلٌ ألاعبه
فوالله لولا الله لا شيء غيره لَحُرِّكَ من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر : كم تصبر المرأة عن زوجها ؟ فقيل ستة أشهر ، فقال : إن ذلك من الحصان لصبر جميل ، وأقفل عمر زوج تلك المرأة ، وصيّر القفول في ستة أشهر .

حدثني هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن

١ ـ الترجيل : تسريح الشعر .

عاصم بن عمر قال : كان عمر إذ برد بريداً إلى موضعٍ ، نادى مناديه : من له حاجة إلىٰ بلد كذا .

حدثني بكر بن الهيثم ومحمد بن سعد ، قالا : ثنا عمرو بن عاصم ، ثنا عاصم بن العباس الأسدي قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : كان عمر بن الخطاب يحب الصلاة في كبد الليل ، يعني في وسط الليل .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا عمرو بن عاصم ، ثنا أبو هلال الراسبي عن محمد بن سيرين قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد اعتراه نسيان في الصلاة فجعل رجل خلفه يلقنه ، فإذا أومأ إليه أن يسجد أو يقوم فعل .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، ثنا المعلّىٰ بن أسد أخو بهز ، ثنا وهيب بن خالد عن يحيى بن سعيد عن سالم بن عبدالله أن عمر بن الخطاب كان يدخل يده في دَبْرَةَ البعير ويقول : إني لخائف أن أسأل عما بك .

حدثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا خالد بن مخلد ، ثنا عبدالله بن عمر عن الزهري قال : قال عمر في العام الذي طعن فيه : «أيها الناس ، إني أكلمكم بالكلام فمن حفظه فليحدث به حيث انتهت به راحلته ، ومن لم يحفظه فليمسك ، فإني أحرّج بالله على امرىء أن يقول عليّ ما لم أقل» .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا قبيصة بن عقبة ، ثنا سفيان عن معمر عن الزهري قال : أراد عمر أن يكتب السنن فاستخار الله شهراً ، ثم أصبح وقد عُزِم له فقال : ذكرت قوماً كتبوا كتاباً فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله .

حدثنا أبو بكر الأعين وابن سعد قالا : ثنا محمد بن مصعب القرقساني ، ثنا أبو بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد أن عمر أُتى بمال

فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه ، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه ، فعلاه عمر بالدرَّة وقال : إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، وسليمان الرقي قالا : ثنا عبدالله بن جعفر الرقي ، ثنا عبيدالله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة أن حجاماً كان يقص عمر بن الخطاب ، وكان عمر رجلاً مهيباً فتنحنح ، قال عمرو : فأحدث الحجام حدثاً ، وقال سليمان : فحبق الحجام ، فأمر له بأربعين درهماً .

حدثنا هدبة ، ثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن رجل من أصحاب عمر قال : كنا عند عمر بن الخطاب فخرجت من رجل ريح ، وحضرت الصلاة فقال عمر : عزمت على من كانت هذه الريح منه إلّا قام فتوضأ ، فقال جرير بن عبدالله : يا أمير المؤمنين ، إعزم علينا جميعاً أن نقوم فنتوضأ فهو أستر. ففعل .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا يحيى بن آدم عن وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد عن شبيل اليحصبي قال : كانت لي حاجة إلى عمر بن الخطاب ، فغدوت لأكلمه فيها ، فسبقني إليه رجل فكلمه فسمعت عمر يقول له : لئن أطعتك لتدخلني النار ، فنظرت فإذا هو معاوية .

أبو الحسن المدائني عن وكيع عن اسماعيل عن شبيل بمثله .

المدائني عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : حمل عمر الهرمزان ، وجفينة في البحر ، وقال اللهم اكسر بهما ، فكسر بهما ونجوا .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا مطرف بن عبدالله ، ثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن عمر بن محمد عن أبيه محمد بن زيد قال : اجتمع علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد ، وكان عبد الرحمن أجرأهم على عمر فقالوا : يا عبد الرحمن ، لو كلمت أمير المؤمنين للناس فإنه يأتي طالب الحاجة فتمنعه هيبته أن يكلمه حتى يرجع ولم يقض حاجته ، فدخل عليه فكلمه في ذلك فقال : يا عبد الرحمن أنشدك الله : أعليٌّ ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعداً ، وبعضهم أمروك بهذا ؟ قال : اللهم نعم . فقال : يا عبد الرحمن والله لقد لِنْتُ للناس حتى خشيت الله في اللين ، ثم اشتددت عليهم حتى خفت الله في الشدة ، فأين المخرج ؟! فقام عبد الرحمن يبكي ويجر إزاره ، ويقول بيده : أفٍ لهم بعدك ، أف لهم بعدك .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا سعيد بن منصور ، ثنا سفيان عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس قال : كان عمر كلما صلىٰ صلاة جلس للناس ، فمن كانت له حاجة نظر فيها ، فصلىٰ صلوات لم يجلس بعدها فأتيت الباب فقلت : يا يرفأ ، أبأمير المؤمنين علة من شكوٍ ؟ قال : لا ، فبينا أنا كذلك إذ جاء عثمان ، فدخل يرفأ ثم خرج علينا فقال : قم يا بن عباس فدخلنا على عمر وبين يديه صُبَر من مال فقال : إني نظرت فلم أجد بالمدينة أكثر عشيرة منكما ، فخذا هذا المال فاقسماه بين الناس ، وإن فَضَل فضلٌ فَرُدَّاه ، قال فجثوت لركبتي فقلت : وإن كان نقصان رددت علينا ؟ فقال : شنشنة أعرفها من أَخزم ، أين كان هذا ومحمد ﷺ وأصحابه يأكلون القَدّ ؟ قلت : لو فتح الله عليه لصنع غير الذي تصنع . قال : وما كان يصنع ؟ قلت : إذاً لأكلَ وأطعمنا . قال: فنشج حتى اختلفت

أضلاعه وقال : لوددت أني خرجت من الأمر كفافاً لا عليَّ ولا لي .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : أصيب بعير من الفيء فنحره عمر رضي الله تعالى عنه ، وأرسل منه إلى أزواج النبي ﷺ وصنع ما بقي ، فدعا عليه جماعة من المسلمين ، وفيهم العباس بن عبد المطلب ، فقال العباس : يا أمير المؤمنين لو صنعت لنا كل يوم مثل هذا فأكلنا عندك وتحدثنا ، فقال عمر : لا أعود لمثلها ، إنه مضىٰ صاحباي وقد عملا عملاً وسلكا طريقاً ، وإني إنْ عملت بغير عملهما سلكت في غير طريقهما .

حدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن أبيه عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب صعد المنبر ، واجتمع الناس إليه من نواحي مكة ، فعلمهم وأمرهم ، ونهاهم ، وتوعدهم ، ثم أتي أهله فقال : قد سمعتم وإن أتى أحد منكم شيئاً مما نهيت عنه أضعفت له العقوبة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي سبرة عن اسماعيل بن حكيم ـ أو ابن أبي حكيم ـ عن عروة قال : كان عمر رضي الله تعالى عنه إذا أتاه الخصمان جثا على ركبتيه ثم قال : اللهم أُعنّي عليهما ، فإن كل واحد يردني عن ديني .

حدثني محمد بن سعد عن هوذة بن خليفة عن ابن عون عن محمد قال : قال عمر : ما بقي فيّ شيء من أمر الجاهلية إلاّ أني لست أبالي أي الناس نكحت وأيهم أنكحت .

حدثنا عفان ، ثنا وهيب بن خالد ، ثنا خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «أشد أمتي في أمر الله عمر» .

حدثنا سليمان بن داود، أبو الربيع الزهراني، ثنا حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن سعيد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ماأبالي إذا اختصم إليّ رجلان لأيهما كان الحق.

حدثني روح بن عبد المؤمن، ثنا عارم بن الفضل، ثنا القاسم بن الفضل الحُدّاني قال: حدثت عن معاوية بن قرة عن الحكم بن أبي العاص قال: كنت عند عمر فأتاه رجل فسلم عليه فقال له عمر: أبينك وبين أهل نجران قرابة؟ قال الرجل: لا. قال عمر: بلى، قال الرجل: لا. قال عمر: بلى، ثم قال عمر: أنشد الله كل رجل من المسلمين يعلم أن بين هذا الرجل وبين أهل نجران قرابة لمّا تكلم. فقال رجل من القوم: بلى بينه وبين أهل نجران قرابة من قبل كذا. فقال عمر: مَهْ، إنّا لانقفوا الآثار.

حدثني محمد بن سعد، ثنا يعلى بن عبيد، أنبأ سفيان عن زياد بن حُدير قال: رأيت عمر رضي الله عنه أكثر الناس صياماً، وأكثر الناس سواكاً.

حدثني محمد بن سعد، ثنا أحمد بن عبد الجبار بن يونس، أنبأ زهير بن معاوية، ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال عمر: لو كنت أطيق الأذان مع الخليفاء لأذنت.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا مسعر بن كدام عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال: قال عمر: لولا أن أسير في سبيل الله أو أضع جبيني في التراب لله أو أجالس قوماً يلتقطون طيب القول كما تلتقط الثمرة، لأحببت أن أكون قد لحقت بالله.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عمر بن سليمان بن أبي حثمة عن أبيه قال: قالت الشَّفَّاء بنت عَبْد الله ـ ورأت فتياناً يقصدون في المشي

ويتكلمون رويداً ـ: ما هؤلاء؟ قالوا: نساك، فقالت: كان والله عمر بن الخطاب إذا تكلم أسمعَ، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله الناسك حقاً.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور عن أبيها المسور بن مخرمة قال: كنا نلزم عمر بن الخطاب نتعلم منه الورع.

حدثنا وهب بن بقية الواسطي، ثنا يزيد بن هارون، أنبأ عبد الله بن أبي أويس عن الزهري عن سالم قال: كان عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر لايعرف فيهما البر حتى يقولا أو يفعلا، قال: قلت: ياأبا بكر ماتعني بذلك؟ قال: لم يكونا متهاوتين.

حدثني محمد بن سعد، ثنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس حدثني أبي عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول: لايزال الناس مستقيمين مااستقامت أئمتهم وهداتهم.

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: قال عمر: ماآتي النساء للشهوة ولولا الولد ماباليت ألا أرى امرأة بعيني.

حدثني عمر بن شبه، ثنا أبو عاصم النبيل، أنبأ عبد الرحمن بن عبد المؤمن، ثنا غالب القطان عن بكر بن عبد الله المزني قال: قال عمر بن الخطاب: مَكْسَبَةٌ فيها بعض الدَّنِيَة خير من مسألةِ الناس. قال عمر بن شبه: مثل بيع المصاحف، وتعليم الصبيان بِكِرَاءٍ وعَسْبِ[1] الفحل، وما أشبه ذلك.

حدثنا محمد بن سعد، أنبأ عبد الله بن مسلمة بن قعنب، ثنا مالك بن

١ ـ الكراء الذي يؤخذ من ضرب الفحل. والمعروف أن ذلك مكروه. اللسان.

أنس عن قطن بن وهب بن عويمر بن الأجدع عن عمه أنه كان مع عمر بن الخطاب في سفر، فلما كان قريباً من الروحاء[1] سمع صوت راع في جبل فعدل إليه فلما دنا منه صاح. ياراعي الغنم، فأجاب فقال له عمر: إني مررت بمكان هو أخصب من مكانك، وإن كل راع مسؤول عن رعيته، ثم عدل صدور الركاب.

حدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي عن عوانة عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر من يولى الخلافة بعده فقال: إن أُوّل عثمان بن عفان أوّل رجلاً صالحاً في نفسه، أخافُ إيثاره قراباته، وأَن يغلبوه على رأيه، وإنْ أوّل علياً أوّل شجاعاً تقياً على دعابة[2] فيه، وخليق أنْ يحملهم على طريقة صالحة، وإنْ أُوَّل الزبير فوعقة لِقس[3] فيه شراسة وشعاسة، وإنْ أُوَلّ طلحة أُوَّلَ رجلاً ذا بَأْوٍ وكبر، وإن أوَّل ابن عوف أوّل رجلاً لينّ الجانب سلس القيادة، فليس يصلح هذا الأمر إلا شدة في غير عنف، ولين في غير ضعف، ولكني أدعها شورى بينهم فيختار المسلمون لأنفسهم من هؤلاء ما شاؤوا.

حدثنا عمرو بن محمد الناقد، ثنا إسحاق بن يوسف، ثنا محمد بن قيس الأسدي عن العلاء بن أبي عائشة أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه دعا بحلاق فحلقه بموسى يعني جسده، قال: فاستشرف له الناس فقال: أيها الناس إن هذا ليس من السُنّة، ولكن النورة[4] من النعيم فكرهتها.

١ ـ موضع قريب من المدينة من أعمال الفرع على نحو من أربعين ميلاً من المدينة. المغانم المطابة.

٢ ـ الدعابة: اللعب والمزاح.

٣ ـ رجل وعقه: سريع التبرم مع ضجر وصخب. واللقس: الشحيح. اللسان.

٤ ـ النورة: الكلس الذي يستخدم لإزالة شعر العانة. اللسان.

حدثني محمد بن سعد، ثنا عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني عن النعمان بن ثابت عن موسى بن طلحة عن أبي الحوتكية قال: سئل عمر عن شيء فقال: لولا أني اكره أن أزيد في الحديث أو أنقص لحدثتكم به.

حدثني محمد بن سعد، ثنا روح بن عبادة، ثنا مالك بن أنس عن إسحاق بن عبد الله عن أنس بن مالك قال: سمعت عمر بن الخطاب يوماً، ودخل حائطاً، يقول، وبيني وبينه جدار، وهو في جوف الحائط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بَخٍ، والله يابن الخطاب لتتقينَّ الله أو ليعذبنَّك الله.

حدثني محمد بن سعد، ثنا عبد الله بن إدريس عن هشام بن حسان عن الحسن قال: قال عمر: الرعية مؤدّية إلى الإمام حقه ماأدّى الإمام إلى الله، فإذا رتع الإمام رتعوا.

حدثني محمد بن سعد، ثنا اسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس حدثني أبي عن عاصم بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عبد الله بن عمر قال: ياأسلم أخبرني عن عمر فأخبرته ببعض شأنه فقال عبد الله: ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين قبض كان أجد حيث انتهى من عمر.

حدثنا خلف بن هشام البزار، ثنا مندل بن علي العنزي عن أبي عثمان النهدي قال: والله الذي لوشاء لأنطق قناتي هذه، لو كان عمر بن الخطاب ميزاناً لما كان فيه مَيْطَ شعيرة[1].

وحدثني عمرو بن محمد الناقد قال: سمعت سفيان بن عيينة قال: قال

---

١ ـ أي ميل شعره.

عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إن أحبَّ الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي.

حدثني محمد بن سعد، أنبأ أحمد بن محمد الأزرقي المكي عن الحارث بن عُمير عن رجل أن عمر بن الخطاب رقِي المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس لقد رأيتني ومالي من أكال إلا أن لي خالات من بني مخزوم كنت أستعذب لهن الماء، فيقبضن لي القبضات من الزبيب»، ثم نزل فقيل له: ماأردت بقولك هذا ياأمير المؤمنين؟ فقال: إني وجدت في نفسي شيئاً فأردت أن أطأطىء منها.

حدثني هدبة بن خالد، ثنا حماد بن سلمة، ثنا حميد عن أنس أن الهرمزان رأى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مضطجعاً في مسجد رسول الله ﷺ ليس حوله أحد فقال: هذا والله آخر الملك الهنيء.

حدثني حفص بن عمر، ثنا الهيثم بن عدي عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري أن عبد الرحمن بن عوف قال: دخلت على أبي بكر في مرضه فقال: قد اجتمع عليّ مع مرضي مرض آخر، يامعشر المهاجرين إني وَلَّيْتُ عليكم خيركم فكلكم ورم من ذلك أنفُه يَوَدُّ أنَّ الأمر يكون له، إن رسول الله ﷺ لم يرد الدنيا ولم ترده، وقد أشرفت لكم، ولمّا تأتكم، وكأن قد أتتكم حتى تتخذوا نضائد الديباج وستور الحرير، وحتى يألم أحدكم أن ينام على الصوف كما يألم أن ينام على شوك السعدان، إنكم أول من يضلّ من الناس بعد أن كنتم هداتهم، ثم قال: وددت أني لم أفتش منزل فاطمة ولو نصب علي لي الحرب. وددت أني لم أُحرّق الفجاءة السلمي وقتلته قتلاً مريحاً، أو أطلقته إطلاقاً سريحاً. وودت أني قتلت الأشعث حين أتيت به، فإنه يُلقّي في روعي أنه

لايرى غيّاً إلا اتبعه، ووددت أني يوم السقيفة أخذت بيد أحب الرجلين فبايعته فكنت وزيراً، ولم أكن أميراً.

المدائني عن أبي معشر عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: أوصى أبو بكر عمر حين استخلفه فقال: إن لله حقاً في الليل لايقبله في النهار وحقاً في النهار لايقبله في الليل، ولايقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة وإذا ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق، وَلَحُقَّ لميزان وضع فيه الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل، وَحُقَّ لميزان لايوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً، إنه نزلت آية الرخاء مع آية الشدة ليكون المؤمن راغباً راهباً، ولو وزن رجاء المؤمن وخوفه لوجدا سواء.

حدثني محمد بن سعد، ثنا خالد بن مخلد البجلي، ثنا عبد الله بن عمر عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: رأيت عمر يأخذ أذن الفرس بيد ثم يأخذ أذنه الأخرى بيد ثم ينزو على متنه.

حدثني عمر بن شبّه، ثنا أبو عاصم النبيل عن مرحوم العطار عن أبيه عن أبي الزبير مؤذن بيت المقدس قال: قال لي عمر بن الخطاب: إذا أذَّنت فترسّل، وإذا أقمت فاحذم، أي أسرع.

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ووهب بن بقية قالا: ثنا يزيد بن هارون، أنبأ عبد الملك بن سليمان عن عطاء قال: كان عمر بن الخطاب يأمر عماله أن يوافوه بالموسم فإذا اجتمعوا قال: أيها الناس إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم ويقسموا فيئكم فمن فُعل به غير ذلك فليقم، فما قام إلا رجل قال: ياأمير المؤمنين، إن عاملك

فلان ضربني مائة سوط. قال: فيم ضربته؟ فلم يأت بحجة فقال: قم فاقتص منه فافتدي منه بمائتي دينار كل سوط دينارين .

حدثني أبو عمر الدوري ، ثنا عباد بن عباد عن واصل مولى أبي عيينة عن يحيى بن يعمر قال : قال عمر بن الخطاب : تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه .

وحدثني عمرو الناقد عن الحسين الجعفي عن عباد بن كثير عن زكريا عن الشعبي قال : قال عمر : من قرأ القرآن فأعربه فمات كان له عند الله أجر شهيد .

حدثنا سريج بن يونس ومحمد بن سعد قالا : ثنا يزيد بن هارون ، أنبا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال : كان عمر يعس في المسجد بعد العشاء فلا يرى فيه أحداً إلا أخرجه إلا رجلاً قائماً يصلي ، فمر بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبي بن كعب فقال : من هؤلاء ؟ قال : نفر من أهلك يا أمير المؤمنين . قال : ما خلّفكم بعد الصلاة ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله . فجلس معهم ، ثم قال لأدناهم : خذ في الدعاء فدعا فاستقرأهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليّ وأنا بجنبه فقال : هات . فحُصرت وأخذني أُفْكُلٌ[1] فقال : قل ولو أن تقول: اللهم اغفر لنا ، اللهم ارحمنا . قال : ثم أخذ عمر في الدعاء فما كان أحد أكثر دمعة ولا أشد بكاء منه ، ثم قال : تفرقوا الآن .

---

١ ـ أفكل : رعدة . اللسان .

حدثني محمد بن سعد ووهب بن بقية ، قالا: ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري قال : كان عمر يجلس متربعاً ويستلقي على ظهره ، ويرفع إحدى رجليه على الأخرى ، قال : وكان عمر يقول : إذا أطال أحدكم الجلوس في المسجد فلا عليه أن يضع جنبه فهو أجدر ألا يقل جلوسه .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، ومحمد بن سعد ، قالا : ثنا عارم بن الفضل ، ثنا حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن ابن سيرين قال : قتل عمر ولم يجمع القرآن ، قال روح يعني انه لم يحفظه .

المدائني عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان . قال : كان عمر كثير النساء فقال له رجل : قد بَدنْتَ ، فقال : وما يمعني وأنا بين نساء لاهمة لهنَّ إلا ما وضعنه في بطني ، والله ما ذاك إلا لأنفسهنّ دوني استغفر الله .

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق بن معمر عن قتادة عن سعيد قال : شَخَصَ رجلٌ من الدهاقين إلى عمر بن الخطاب في مظلمة له ، فلما قدم المدينة سأل عن عمر فقيل : هو ذاك وإذا هو مستلقٍ قد جمع إزاره تحت رأسه ، ودرته إلى جنبه ، فقال : إني أريد أمير المؤمنين ، قيل : فذاك أمير المؤمنين عمر ، فقال في نفسه : لقد غررت بنفسي وذهبت بنفقتي ، ثم دنا من عمر فأخبره بقصته ، فأخذ قطعة جلد فكتب فيها بخطه : «لَيُنْصَفَنّ هذا الدهقان ، أو لأبعثنّ من ينصفه» . فقال الدهقان : لقد خبت وخسرت ، أنفقت مالي وأتعبت نفسي ، وتجشّمت هذا السفر البعيد الشديد ، ثم رجعت بقطعة جلد من صحيفة ، وَهَمَّ أن يلقيها ، فلما صار إلى العامل

ودفعها إليه قام على رجليه فلم يجلس حتى أنصفه ، فقال الدهقان : هذا والله الملك ، وهذه الطاعة لا ماكنا فيه .

حدثني عباس بن هشام ابن الكلبي عن أبيه عن عوانة أنه قال: كان سمرة بن جندب والياً فكان يجلس للرعية فوق جبل ، فبلغ ذلك عمر فكتب إليه : أما بعد فأسهل تُثْمر والسلام . فكان يجلس بعد ذلك أسفل الجبل .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أسامة بن زيد الليثي عن محمد بن المنكدر عن مالك بن أوس بن الحدثان قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : ما على الأرض مسلم لا تُملك رقبته إلا وله في هذا الفيء حق أُعطِيَهُ أو مُنِعَهُ ، ولئن عشت ليأتينّ الراعي باليمن حقه قبل أن يحمر وجهه في طلبه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر يبلغ به السائب بن يزيد قال : سمعت عمر يقول : والذي لا إله غيره ما من الناس أحد إلا وله في هذا المال حق أعطيه أو منعه وما أحد أحق به من أحد إلا أن يكون عبد مملوك ، وما أنا فيه إلا كأحدكم ، ولكنا على منازلنا مع رسول الله ﷺ ، فالرجل وبلاؤه في الاسلام، والرجل وحاجته ، ووالله لئن بقيت ليأتينّ الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو بمكانه .

حدثنا عمرو بن شبه ، ثنا أبو عاصم عن مرحوم العطار عن أبيه عن أبي الزبير مؤذن بيت المقدس قال : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : إذا أذنت فترسّل ، وإذا أقمت فاحذم[1] .

---

١ - الترسيل : التفريق ، والحذم الاسراع . القاموس .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ أبو عقيل بن يحيى بن المتوكل ، حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال:قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق ؟ فباتا يحرسانهم ويصليان . فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه : اتقي الله وأحسني إلى صبيّك ، ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ، فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فقال لأمه : ويحك إني أراك أم سوء ، أرى ابنك لا يقرّ منذ الليلة . قالت : يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة أني أريغه على الفطام غياباً ، قال : ولم ؟ قالت:لأن عمر لا يفرض إلاّ للفطيم قال : وكم له ؟ قالت : كذا وكذا فقال : ويحك لا تعجليه ، فصلى الفجر ومايستبين الناس قراءته من البكاء فلما سلّم قال : يا بؤسٍ لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر منادٍ فنادى : لا تعجلوا صبيانكم عن الرضاع بالفطام فإنا نفرض لكل مولود في الاسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا عبد الله بن نمير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : والله لئن بقيت إلى قابل لأُلحِقنّ آخر الناس بأولهم ولأجعلنّهم شيئاً واحداً .

حدثني مصعب بن عبد الله قال سمعت مالك بن أنس حدث عن زيد بن أسلم عن أبيه أنه سمع عمر يقول : لأُلحقن أسفل الناس بأعلاهم .

حدثنا محمد بن سعد والحسين بن علي بن الأسود قالا : ثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأ اسرائيل عن أبي اسحاق عن حارثة بن مُضَرّب عن عمر

قال : لئن عشت حتى يكثر المال لأجعلن عطاء الرجل المسلم ثلاثة آلاف ألفاً لكراعه وسلاحه وألفاً نفقة له وألفاً نفقه لأهله .

حدثنا شيبان الآجري وهُدبة قالا : ثنا أبو الأشهب ، ثنا الحسن قال : قال عمر : لو قد علمت نصيبي من هذا المال لآتي الراعي بسَروات حمير نصيبه منه لا يعرق فيه جبينه .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا عارم بن الفضل ، ثنا حماد بن زيد عن عمرو قال : قسم عمر بن الخطاب بين أهل مكة عشرة عشرة فأعطى رجلاً فقيل : يا أمير المؤمنين إنه مملوك فقال : ردوه ، ثم قال : دعوه .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا يعلى بن عبيد الله عن هارون البربري عن أبي عبيد بن عمير قال : قال عمر : إني لأرجو أن أكيل لكم المال بالصاع .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا معن بن عيسى عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يحمل في عام واحد على أربعين ألف بعير ، يحمل الرجل إلى الشام على بعير ، والرجلين إلى العراق على بعير ، فجاءه رجل من أهل العراق فقال : احملني وسُحيماً فقال : نشدتك الله أسحيم زِقّ ؟ قال نعم .

وحدثني هشام بن عمار عن بقية عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب أنه قال : لا يغرنك خلق امرىء حتى يغضب ، ولا دينه حتى يطمع .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : كان عمر قائفاً صليب الرأي كأنّ عزمه حسام ذكر .

حدثنا محمد بن سعد وعمرو الناقد قالا : ثنا عبدالله بن نمير ، أنبأ هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان عمر يرسل إلينا بأحاظينا حتى من الرؤوس والأكارع .

حدثنا محمد بن سعد وأبو بكر بن أبي شيبة قالا : ثنا يعلى بن عبيد ، ثنا هارون البربري عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : قال عمر بن الخطاب : لأزيدنَّهم مازاد المال ، لأَعُدَّنّه لهم عَدَّاً ، فإن أعياني كلته لهم كيلًا ، فإن أعياني حسوته بغير حساب .

حدثنا عفان ، ثنا أبو هلال الراسبي ، ثنا الحسن قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى : اجعل يوماً في السنة لا يبقى فيه في بيت المال درهم واحد حتى يكتسح اكتساحاً ليعلم الله أنْ قد أدَّيت إلى كل ذي حق حقه ، قال الحسن : فأخذ والله صفوها وترك كدرها ، حتى ألحقه الله بصاحبيه .

حدثنا سعيد بن سليمان سعدويه ، ثنا سليمان بن المغيره أنبأنا حميد بن هلال ، ثنا زهير بن حيان . قال : قال ابن عباس : دعاني عمر فأتيته فإذا بين يديه نطع عليه الذهب منثوراً ، وجثا فقال : هلم فاقسم هذا بين قومك فالله أعلم حيث زوى هذا عن نَبيّه ، وعن أبي بكر وأُعطيتُه ، ألخيرٍ أُعطيتُه أم لشرٍ ، قال فأكببتُ عليه أَقسم وأُفرّق ، قال : فسمعت البكاء فإذاً صوت عمر رضي الله تعالى عنه وإذا هو يقول في بكائه : كلا والذي نفسي بيده ، ما حبسه الله عن نبيه وأبي بكر إرادة الشر بهما ، وأعطاه عمر إرادة الخير به .

حدثني محمد بن سعد ووهب بن بقية قالا : ثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين أن صهراً لعمر بن الخطاب قدم على عمر فعرض لعمر بأن يعطيه من بيت المال فانتهره وقال : أردت أن ألقى الله ملكا خائناً ، فلما كان بعد ذلك الوقت أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم .

حدثني عفان، ثنا شعبة ، انبأنا عمرو بن مرة عن ابراهيم عن ابن مسعود قال؛ دخل على عمر شاب وقد طعِن فقال له ورآه يجر ثوبه: ارفع ثوبك فإنه أتقى لربك وأبقى لثوبك فقال ابن مسعود : عجبت لعمر أن رأى حقاً عليه فلم يشغله ما هو فيه من أن يتكلم به .

حدثني محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي عن عاصم بن عبد الله الجهني عن عمران بن سويد عن ابن المسيب عن عمر قال : أيما عامل لي ظلم أحداً ، فبلغتني مظلمته فلم أغيرّها ، فأنا ظلمته .

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري أن عمر قال : لا يُحرّج أن أستعمل الرجل وأنا [أجد][1] أقوى منه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عاصم بن عمر عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن عن حاطب عن أبيه عن عمر أنه قال : لو ماتت سخلة على شاطىء الفرات ضياعاً لخشيت أن يسألني الله عنها .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري

١ ـ أضيف ما بين الحاصرتين من طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٠٥ .

عن السائب بن يزيد قال : رأيت عند عمر خيلاً موسومة في أفخاذها : «حبس في سبيل الله» .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يزيد بن فراس عن يزيد بن شريك الفزاري قال : عَقَلْتُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فحمل على ثلاثين ألف بعير في سبيل الله في كل حول ، وعلى ثلاثمائة فرس ، وكانت الخيل ترعى بالنقيع ، وكان حمى النقيع[1] لخيل المسلمين .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عكرمة بن عبد الله بن فروخ عن السائب بن يزيد قال : رأيت عمر يصلح أدوات الإبل التي يحمل عليها في سبيل الله براذعها وأقتابها ، فإذا حمل رجلاً على بعير جعل معه أداته .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري أن رسول الله ﷺ قال : «من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني» .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا شعيب بن حرب ، أنبأ حماد بن سلمة ، ثنا سعيد بن إياس عن أبي عثمان أن عمر بن الخطاب رأى على عتبة بن فرقد قميصاً سنبلانياً[2] طويل الكمين ، فدعا بشفرة ليقطع كميه من أطراف أصابعه ، فقال : أنا أقطعه يا أمير المؤمنين فإني استحيي من الناس فقطعه عمر .

أبو الحسن المدائني عن أبي وجزة قال : قال عمر لأعرابي وهو يعلمه الصلاة :

١ ـ النقيع : من أودية الحجاز ، على عشرين ميلاً من المدينة المنورة . معجم البلدان .
٢ ـ السنبلاني : الثوب السابغ الطويل ، وقد يكون منسوبا إلى مكان . اللسان .

إن الصلاة أربع وأربع ثم ثلاثٌ بَعْدَهُنَّ أربع
ثم صلاة الصبح لا تُضَيَّعُ

قال: وهما ركعتان.

المدائني عن شعبة عن عمرو بن مرة قال: قيل لعمر: مَنْ شر الناس؟ قال: الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً.

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يسمر عند أبي بكر الليلة، وكذاك في الأمر من أمور المسلمين وأنا معه.

حدثني بكر عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال: كانت درة عمر أهيب في الصدور من سوطكم هذا.

المدائني قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: إنما أنا في مالكم هذا كوالي اليتيم إن استغنيت عففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف قضماً كقضم البهمة لاخضماً كخضم الكودن الهرم[1]. قال: وقال عمر في خطبة له: يا معشر المسلمين تعلّموا أنسابكم تصلوا أرحامكم، وتعلموا القرآن تُعرفوا به، واعملوا بما فيه تكونوا من أهله ولم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في بعض خطبه: أيها الناس، إن بعض الطمع فقر حاضر، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجلون في دار غرور.

وقال رضي الله تعالى عنه: أظهروا لنا أحسن أخلاقكم، والله أعلم

---

١ ـ الخضم: الأكل بجميع الفم. والكودن هو البرذون البطيء. اللسان.

بسرائركم ، فإنه من أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً ، ومن أظهر لنا سوءاً ، وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه .

وقال عمر رضي الله عنه : اتقوا الله وأصلحوا أموالكم ولا تلبسوا نساءكم القباطي(١) فإنها إلّا تشفّ تصِفْ ، والله لوددت أني أنجو من أمركم كفافاً لا عليّ ولا لي ، وإني لأرجو إن عمرّتُ يسيراً أو كثيراً أن أُعمَل فيكم بالحق ، وألا يبقى أحد من المسلمين إلّا أتاه نصيبه من مال الله ، فأصلحوا أموركم واعلموا أن قليل الرزق في رفق خير من كثيره مع عنف وخرق .

وقال رضي الله تعالى عنه في خطبة له : إن الدنيا خضرة حلوة فإياكم وإياها ، خافوها على أعمالكم حيثما كنتم ، وإن نزلتم بأرضِ عدوٍ لا يفهمون كلامكم فأشار أحدكم إلى السماء لبعضهم فقد أمن لأنه يظن أن ذلك عقده .

وقال عمر : إني فرضت الضيافة ثلاثة أيام ، فأتت رفقةٌ جنَّ عليها الليل فاضطرها إلى قرية مصالحة فلم ينزلوهم حتى باتوا بالعراء فقد برئت من أهل تلك القرية الذمة .

المدائني عن عبدالله بن داود الواسطي عن زيد بن أسلم قال قال عمر بن الخطاب : كنا نعد المُقْرِضُ بخيلاً ، إنما كانت المؤاساة .

حدثني عبدالله بن معاذ بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن عاصم بن بَهْدلة عن زر بن حبيش قال : قال عبدالله بن مسعود : إذا ذكر الصالحون فَحَيْ هَلاَ بعمر .

حدثنا محمد بن مصفى الحمصي ، ثنا بقية بن الوليد ، حدثني

١ ـ القباطي : ثياب كتان رقاق كانت تعمل في مصر . اللسان .

الزبيدي عن الزهري عن حمزة بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «بينا أنا نائم أُتيت بقدح من لبن فشربت منه حتى أني لأرىٰ الريَّ يجري في أظفاري ، ثم أَعطَيتُ فَضْلَهُ عمر . قالوا : فما أَوَّلْتَ ذلك يا رسول الله ؟ قال : العلم» .

المدائني عن الحسن بن دينار عن الحسن قال : لم يَفْضُل عمر أصحاب رسول الله ﷺ ، لأنه كان أطولهم وأكثرهم صياماً ، ولكنه فَضَلَهم بأنه كان أزهدهم في الدنيا ، وأشدهم في أمر الله .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا أبو شهاب الحناط عبدربه ، أنبأ اسماعيل بن أبي خالد عن عامر الشعبي قال : أشهد على أبي جحيفة أنه قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : يا وهب ، ألا أنبئك بأفضل هذه الأمة بعد نبيها ؟ قلت : بلىٰ . قال : أبو بكر ، وعمر ، ورجل آخر .

وحدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا أبو شهاب عن الأعمش عن زيد بن وهب قال: قال عبدالله بن مسعود : كان عمر حصناً حصيناً ، وكانوا يدخلون فيه ولا يخرجون ، فلما مات عمر انثلم الحصن فالناس يخرجون منه ولا يدخلون ، فإذا ذكر الصالحون فَحَيْ هَلاَ بعمر .

المدائني عن أبي اسماعيل الهمداني عن مجالد عن الشعبي قال : ذكر رجل عند عمر بن الخطاب فقيل : يا أمير المؤمنين ، لا يعرف من الشر شيئاً ، فقال ذلك أوقع له فيه .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا عبيدالله بن موسى ، ثنا سفيان عن عيسىٰ عن الشعبي قال : قال عمر رضي الله عنه : لقد تركت تسعة أعشار الحلال مخافة الحرام .

المدائني عن طعمة بن غيلان عن اسماعيل بن أبي خالد عن أسلم النخعي قال : دخل عمر على النبي ﷺ وعليه ثوبان غسيلان فقال النبي ﷺ : «إلبس جديداً وعش حميداً ، وانبعث شهيداً ، ويعطك الله خيراً في الدنيا والآخرة» .

وقال المدائني : روى ليث عن مجاهد أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله أَيَّدَني من الملائكة بجبريل وميكائيل ومن أهل الأرض بأبي بكر وعمر فمن خالفهما فقد خالفني» .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن مجالد عن أبيه عن الشعبي أن عمر كتب إلى أهل الأمصار ، أو قال إلىٰ أهل الشام : أَنْ علموا أولادكم الفروسية والعوم ، ورَوّوهم الشعر .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، ثنا قيس بن الربيع عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي أن عمر كان يغزي العزب عن ذي الحليلة ، والفارس عن القاعد .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن خارجة بن عبدالله بن كعب عن أبيه أن عمر كان يعاقب بين الغزاة وينهىٰ أن تحمل الذرية إلى الثغور .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، عن عبدالله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال : ما رأيت عمر غضب قط ، فذكر الله عنده أو خُوِّف أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن إلا وقف عما كان يريد .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، حدثني عبيدالله بن عون بن مالك الدارعي عن أبيه عن جده قال : صاح عمر عليّ يوماً وعلاني بالدرة فقلت : اذكر الله ، فطرحها وقال : لقد ذكرتني عظيماً .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن عمر عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : جاء بلال فاستأذن على عمر فقلت : إنه نائم ، فقال : يا أسلم كيف تجدون عمر ؟ قلت : هو خير الناس إلا أنه إذا غضب فهو أمر عظيم ، فقال بلال : لو كنت عنده إذاغضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن قيس بن الربيع عن عطاء بن السائب عن زاذان عن سلمان أن عمر قال له : أملك أنا أم خليفة ؟ فقال سلمان : إن أنت جبيت من الأرض درهماً أو أقل ثم وضعته في غير موضعه فأنت ملك غير خليفة ، فاستعبر عمر .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن الحارث عن أبيه عن سفيان بن أبي العوجاء قال : قال عمر رضي الله تعالى عنه : والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك ؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم ، فقال له قائل : إن بينهما فرقاً ، إن الخليفة لا يأخذ إلّا حقاً ولا يضعه إلّا في حق ، وأنت بحمد الله كذلك ، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا ، قال : فسكت عمر .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا أحمد بن عبدالله بن يونس عن سفيان قال : عمر إمامنا في الجماعة ، وابنه إمامنا في الفرقة .

حدثني محمد بن سعد عن سفيان بن عيينة عن مطرف عن الشعبي أن عمر كان إذا استعمل عاملاً كتب ماله .

حدثني محمد عن الواقدي عن اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة عن عمه محمد بن عقبة عن سالم عن ابن عمر أن عمر أمر عماله فكتبوا أموالهم منهم

سعد بن أبي وقاص فشاطرهم إياها ، فأخذ نصفاً وأعطاهم نصفاً وقالوا : قاسم عمر أبا هريرة حين ولاه البحرين ، وقاسم عمرو بن العاص ، وقاسم معاذ بن جبل .

حدثني محمد بن سعد عن عثمان بن عبدالله بن زياد مولىٰ مصعب بن الزبير عن أيوب بن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف عن أبيه قال : مكث عمر زماناً لا يأكل من المال شيئاً حتى دخلتْ عليه خصاصة ، فأرسل إلى أصحاب النبي ﷺ فاستشارهم فقال : قد شُغلت بهذا الأمر فما يصلح لي من المال ؟ فقال عثمان بن عفان : كل وأَطْعِم ، وقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل مثل ذلك ، وقال لعلي بن أبي طالب : ما تقول أنت ؟ قال : غداء وعشاء ، قال : فأخذ عمر بقول علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا محمد بن عبيد عن أبي سعيد البقال عن أبي حَصِين عن أبي وائل أنه سمع حذيفة يقول : ما أحد يفتش إلا فتش عن جائفة أو منقلة إلّا عمر بن الخطاب وابنه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال : كان عمر بن الخطاب يقوت نفسه وأهله ويكتسي الحلة في الصيف ، وربما خُرِّقَ الإزار في الصيف حتى يرقعه فما يبدل مكانه ، وما من عام يكثر فيه المال إلا وكسوته فيه أدنىٰ من العام الماضي ، فكلمته حفصة في ذلك فقال : إنما أكتسي من مال المسلمين وهذا يبلّغني .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن موسىٰ بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال : كان عمر يستنفق كل يوم درهمين له ولعياله ، وأنفق في حجته ثمانين ومائة درهم .

حدثني محمد بن سعد . حدثني عمر بن صالح مولىٰ التوأمة عن ابن الزبير قال : أنفق عمر في حجته مائة وثمانين درهماً ، وقال : قد أسرفنا في هذا المال .

قال الواقدي : فمائة وثمانون درهماً على صرف اثني عشر درهماً بدينار خمسة عشر ديناراً .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبدالله عن الزهري قال : لما ولي عمر أكل هو وأهله من المال واحترف في مال نفسه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، حدثني محمد بن عبدالله بن سليمان عن عبدالله بن واقد عن ابن عمر قال : أهدى أبو موسى الأشعري لامرأة عمر عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل طنفسة أراها تكون ذراعاً وشبراً ، فرآها عمر عندها فقال : أنَّى لك هذه ؟ فقالت : أهداها لي أبو موسى الأشعري ، فأخذها عمر رضي الله تعالى عنه فضرب بها رأسها حتى نفض رأسها ، ثم قال : عليَّ بأبي موسىٰ وأتعبوه فأُتي به وقد أُتعب وهو يقول : لا تعجل علي يا أمير المؤمنين فقال عمر : ما يحملك على أن تهدي لنسائي ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه وقال : خذها فلا حاجة لنا فيها .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، ثنا عبدالله بن عمر عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال لي عمر : يا أسلم امسك عليَّ الباب ولا تأخذنَّ من أحد شيئاً ، قال:فرأى عليَّ يوماً ثوباً جديداً فقال : من أين لك هذا ؟ قلت كسانيه عبيدالله بن عمر ، فقال : أما عبيدالله فخذ منه ، وأما غيره فلا تأخذ منه شيئاً .

قال أسلم : وجاء الزبير وأنا على الباب فسألني أن يدخل فقلت : أمير المؤمنين مشغول ، قف ساعة . قال : فدفع يده فضربني خلف أذني ضربة صَيَّحَتْني ، فدخلت على عمر فأخبرته فجعل عمر يقول : الزبير والله أرى ، قال : وأدخله ، فقال عمر : أضربتَ هذا الغلام ؟ فقال الزبير : زعم أنه يمنعنا من الدخول عليك ، فقال عمر : هل ردّك عن بابي قط ؟ قال : لا ، فقال عمر : أفقال لك اصبر ساعة فإن أمير المؤمنين مشغول فلم تعذرني ، إنه والله إنما يُدمىٰ السبع للسباع فتأكله[1] .

حدثني أبو الحسن علي بن محمد المدائني عن النضر بن اسحاق عن أبي المليح أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه كان يقول : رحم الله من قدّم فضل المال وأمسك فضل الكلام .

المدائني عن الوقاصي عن الزهري أن عمر بن الخطاب قال : لا شيء أنفع في دنيا وأبلغ في أمر دين من كلام .

المدائني في إسناده ، قال : خطب عمر بن الخطاب حين ولي فحمد الله وأثنىٰ عليه وصلى على نبيه ثم قال : «إني قد وليت عليكم ، ولولا رجائي أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم اضطلاعاً بما ينوب من مهم أمركم ، ما توليت ذلك منكم ، ولكفىٰ عمر مُهِمّاً مُحزناً انتظار الحساب على ما يصنع بكم ويسير به فيكم ، ولم يصبح عمر ينوء بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله برحمته وعونه وتأييده ، وإني معطي الحق من نفسي ، وإنما أنا رجل منكم ، فمن كانت له حاجة أو مظلمة أو عتب عليّ في خلق فليُؤْذِنّي ،

---

١ ـ المعروف أن الذئب إذا رأى دما على ذئب أقدم عليه ليأكله ، وأراد هنا : إن رفقي بكم جرأكم علي .

وعليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم وحرماتكم وأموالكم وأعراضكم ، واعطوا الحق من أنفسكم ، فليس بيني وبين أحد هوادة» .

قالوا:وقال عمر في خطبة له : «أيها الناس إنه قد اقترب منكم زمان قليل الأمناء والفقهاء ، كثير الأمراء والقراء ، يعمل فيه أقوام بعمل الآخرة طلباً للدنيا التي تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب ، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليصبر» .

وقال عمر رضي الله تعالى عنه : «أيها الناس إنا لا نبعثكم أمراء جبارين ، ولكنا نبعثكم أئمة هدىً يقتدى بكم ، فأدرّوا علىٰ المسلمين لقحتهم ، ولا تضربوهم فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم ، ولا تجهلوا عليهم فتحرجوهم ، وقاتلوا الكفار بهم طاقتهم ، فإذا رأيتم بهم كلالاً فكفوهم فإنه أبلغ في جهاد عدوهم» .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن أبي حصين عن زياد بن حُدَيْر قال : كنت أُعَشرّ بني تغلب إذا أقبلوا وإذا أدبروا ، فانطلق شيخ منهم إلى عمر فشكا إليه فقال : تكفىٰ ثم أتاه الشيخ بعد ذلك فقال : أنا الشيخ النصراني . قال عمر : وأنا الشيخ المسلم ، وكتب إليّ ألا تعشرهم في السنة إلّا مرة واحدة .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود عن أبي بكر بن عياش عن حصين عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، قال : «أوصي الخليفة من بعدي بأهل الأمصار فإنهم جباة المال وغيظ العدو ، وردء المسلمين ، أن يقسم فيهم بالعدل ولا يحمل من عندهم فضل إلا أن تطيب به أنفسهم ، وأوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم» .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن اسماعيل بن أبي خالد أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رأىٰ شيخاً من أهل الذمة يقوم على أبواب الناس يسألهم فقال : ما أنصفناك ، أخذنا منك الخراج شاباً فلما كبرت خذلناك . فأجرىٰ عليه قوته من بيت مال المسلمين .

حدثني عمرو الناقد ، ثنا حفص بن غياث عن عبدالله بن سعيد المقبري عن جده قال : سمعت عمر رضي الله تعالى عنه يصالح أهل السواد فاشترط عليهم الضيافة ، وأن يهدوا ابن السبيل . قال : وسمعته يقول : ونحن براء من معّرة الجيش ، قالوا : واشترط عليهم ضيافة ثلاثة أيام ، فإن حبست الرجل علة أو مطر أضافوه يوماً آخر أو يومين ، فان زاد استنفق من ماله ، وأن لا يتعدى ما عندهم من طعام وعلف .

حدثنا عفان ، ثنا الأسود بن شيبان ، أنبأ خالد بن سمير أن رجلاً يقال له معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة ، فأصاب خراجاً من خراج الكوفة فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فكتب إلى المغيرة بن شعبة : إنه بلغني أن رجلاً يقال له معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة فأصاب خراجاً من خراج الكوفة فإذا أتاك كتابي هذا فإذا رأيته فنفذ أمري فيه ، وأطع رسولي ، فلما صلى المغيرة العصر وأخذ الناس مجالسهم ، خرج المغيرة ومعه رسول عمر ، فاشرأب الناس ينظرون إليه حتى وقف على معن فقال للرسول إن أمير المؤمنين أمرني أن أطيع فيه أمرك فمرني بما شئت فقال : ادع بجامعة فاجعلها في عنقه ففعل وجبذها جبذاً شديداً ، ثم قال : احبسه إلى أن يأتيك فيه أمر أمير المؤمنين ففعل ، وكان السجن يومئذ من قصب ، فتحيل معن

للخروج ، وبعث إلى أهله أن ابعثوا إلي بناقتي وجاريتي وعباءتي القطوانية ففعلوا ، وخرج من الليل وأردف جاريته، وسار حتى إذا رهب أن يفضحه الصبح أناخ ناقته وعقلها ، ثم كمن حتى إذا سكن عنه الطلب ، أعاد على ناقته العباءة وأردف جاريته ثم سار كذلك حتى قدم على عمر وهو يوقظ المتهجدين النوّام لصلاة الصبح ، ومعه درته ، فجعل ناقته وجاريته ببعض المواضع ، ثم دنا من عمر فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك من أنت ؟ فقال : معن بن زائدة قد جئتك تائباً قبل أن تقدر عليّ فقال عمر : أنت معن فلا حياك الله ، فلما صلى الصبح قال للناس : مكانكم . فلما طلعت الشمس قال : هذا معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة فأصاب به خراجاً من خراج الكوفة ، فأشيروا عليّ . فقال قائل : اقطع يده وقال قائل : اصلبه ، وعليٌّ عليه السلام ساكت ، فقال له عمر : ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال : رجل كذب كذبة عقوبته في بشره ، فضربه عمر ضرباً شديداً ، أو قال مُبَرّحاً ، وحبسه فكان محبوساً ما شاء الله ، ثم أرسل إلى صديق له من قريش أن كلم أمير المؤمنين في تخليه سبيلي فقد بلغ من عقوبتي ما أراد، فكلمه القرشي فقال: ياأمير المؤمنين، معن بن زائدة قد أصبته من العقوبة بما كان له أهلاً فإن رأيت أن تخلي سبيله ، فقال عمر : «ذكرتني الطعن وقد كنت ناسياً» ، ثم دعا بمعن فضربه وأمر به إلى السجن ، فبعث معن إلى كل صديق له لا تذكروني لأمير المؤمنين ، فلبث في السجن ما شاء الله ، ثم إن عمر انتبه له فقال : معن فأُتي به فقاسمه ماله وخلى سبيله ، أو قال فقاسمه ما كان له .

حدثني الحسين بن عثمان الزيادي أبو حسان ، ثنا اسماعيل بن أبي

خالد عن أبيه عن الشعبي أن عمرو بن معدي كرب الزبيدي وفد على عمر بن الخطاب بعد فتح القادسية ، فسأله عن سعد وعن رضا الناس عنه ، فقال تركته يجمع لهم جمع الذرّة ، ويشفق عليهم شفقة الأم البرَّة ، أعرابي في نمرته[1] ، نبطي في جبايته يقسم بالسوية ويعدل في القضية ويبعد بالسرية ، فقال عمر : كأنكما تقارضتما الثناء ، وكان سعد كتب يثني على عمرو ، فقال عمرو : كلا يا أمير المؤمنين ولكني أثنيت بما أعلم .

قال : يا عمرو أخبرني عن الحرب . قال : مرة المذاق إذا قامت على ساق ، من صبر فيها عرف ، ومن ضعف عنها تلف . قال : فأخبرني عن السلاح ، قال : سل عمّ شئت منه . قال : الرمح ؟ قال : أخوك وربما خانك ، قال : فالسهام ؟ قال : رسل المنايا تخطىء وتصيب . قال : فالترس ؟ قال : ذلك المجنّ وعليه تدور الدوائر ، قال : فالدرع ؟ قال : مشغلة للفارس متعبة للراجل ، وإنها لحصن حصين . قال : فالسيف ؟ قال هناك ثكلتك أمك ، قال عمر : بل ثكلتك أمك ، فقال عمرو : الحمى أضرعتني إليك[2] .

حدثنا شيبان بن فروخ الآجري ، ثنا أبو هلال الراسبي ، ثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : استعملني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على البحرين ، فاجتمع لي اثنا عشر ألفاً فلما قدمت عليه قال : يا عدوّ الله وعدوّ المسلمين ، أو قال : وعدو كتابه ، سرقت مال الله ؟ قال : قلت :

---

١ ـ النمرة : شملة مخططة من مآزر العرب . اللسان .

٢ ـ مثل يضرب عندما يضطر القائل إلى قبول الذل ، والمراد هنا أن الاسلام وامرة المؤمنين أرغمت عمراً على السكوت والاغضاء .

لست بعدو لله ، ولا للمسلمين ، أو قال : ولا كتابه ، ولكني عدو من عاداهما ، ولكن خيل تناتجت وسهام اجتمعت ، قال:فأخذ مني اثنا عشر ألفاً فلما صليت الغداة قلت : اللهم اغفر لعمر .

قال : وكان يأخذ منهم ويعطيهم أفضل من ذلك ، حتى إذا كان بعد قال : ألا تعمل يا أبا هريرة ؟ قلت : لا ، قال : قد عمل من هو خير منك يوسف عليه السلام : ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض﴾[1] قلت : يوسف نبي ابن نبي ، وأنا أبو هريرة بن أميمة ، وأخاف منكم ثلاثاً ، واثنتين . قال : فهلا قلت خمساً . قلت:أخشى أن تضربوا ظهري ، وتشتموا عرضي ، وتأخذوا مالي ، وأكره أن أقول بغير حلم ، وأحكم بغير علم .

حدثنا القاسم بن سلام وروح بن عبد المؤمن قالا : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي عن يزيد بن ابراهيم التستري عن ابن سيرين عن أبي هريرة أنه لما قدم البحرين قال له عمر : يا عدو الله وعدو كتابه ، أسرقت مال الله ؟ فقال : لست عدو الله ، ولا عدو كتابه ، ولكني عدو من عاداهما ، لم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمع لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيل تناسلت ، وعطاء تلاحق ، وسهام اجتمعت فقبضتها منه ، وذكر باقي الحديث نحو الذي ذكر أبو هلال الراسبي .

المدائني عن ابن جعدبة عن الزهري قال : لما قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر : من أين لك عشرة آلاف درهم ؟ فقال : سهام اجتمعت وخيل تناتجت وعطاء تلاحق ، فضربه ضربات ، ثم قاسمه ماله ، فأخذ خمسة آلاف وترك له خمسة آلاف .

---

١ ـ سورة يوسف ـ الآية : ٥٥ .

وحدثني الحسين بن علي ، ثنا يحيى بن آدم عن عبدالله بن المبارك عن مجالد عن الشعبي قال : قال عمر بن الخطاب لمعاذ بن جبل : إن عندك مالاً أصبته من اليمن ؟ فقال : قد طيبه لي رسول الله ﷺ ، ولم يعرض لي فيه أبو بكر ، فتركه عمر ، فرأى معاذ في منامه كأن الناس يحشرون ، فأراد أن ينهض فلم يقدر ، فقصّ ذلك على عمر وقال : ما أظن هذا إلّا لمكان المال ؟ فقال عمر : اقسمه قسمين فاجعل شطره للمسلمين ، فقسمه فيهم .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود عن يحيى بن آدم عن عبدالله بن المبارك قال : كان عمر يكتب أموال عماله إذا ولّاهم ويقاسمهم ما زاد على ذلك وربما أخذه منهم ، فكتب إلى عمرو بن العاص وهو بمصر أنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن لك حين وليت مصر ؟ فكتب عمرو : إن أرضنا أرض متجر ومزدرع ، فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا ، فكتب إليه عمر : إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إليّ كتاب ضجر قد أقلقه الأخذ بالحق ، فقد سؤت بك ظناً ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك ، فاخرج مما يطالبك به ، واعفه من الغلظة عليك ، فانه برح الخفاء .

علي بن محمد أبو الحسن المدائني عن ابن المبارك بمثله .

المدائني عن عيسى بن يزيد قال : لما قاسم محمد بن مسلمة عمرو بن العاص قال عمرو : إن زماناً عاملنا فيه ابن حنتمة هذه المعاملة لزمان سوء ، لقد كان العاص يلبس الخز بكفاف الديباج ، فقال محمد : مه يا عمرو فلولا زمان ابن حنتمة هذا الذي تكرهه لأُلْفِيْتَ مُعتقلاً عنزاً بفناء بيتك يسرك

غزرها ويسوءك بكؤها[١]، فقال: انشدك الله أن تخبر عمر بقولي، فإن المجالس بالأمانة، فقال: لا أذكر شيئاً مما جرى بيننا وعمر حيّ.

المدائني قال: كان عمر يقول: لا يسمينّ أحدكم أخاه، أو ابنه الحكم، وأبا الحكم، ولا يركبنّ الدابة فوق اثنين ولا تركبوا على مُسوك[٢] السباع، وعليكم بالأزر والبغال وبالسواك وتقليم الأظافر، وقص الشوارب.

حدثني أبو حسان الزيادي عن موسى بن داود عن الحكم بن المنذر عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر التيمي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما شيء أحسن ولا أنفع من كلام، وحدّث فقال: حللتُ إزاري وأخذت مضجعي فسمعت قائلاً يقول: السلام على أهل المنزل خذوا من دنيا فانية لأخرة باقية، واخشوا المعاد إلى الله فإنه لا قليل من الأجر، ولا غنى عن الله تعالى، ولا عمل بعد الموت، أصلح الله أعمالكم[٣].

وقال المدائني: قال عمر: اركبوا الحق، وخوضوا الغمرات، وكونوا واعظي أنفسكم، والزموا أدب الله لكم.

المدائني أن عمر بن الخطاب قال: لا بأس بالأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته يستنزل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم، قال: وقال عمر: ليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع فيه، ولكنه الذي يحتال لئلا يقع.

---

١ ـ بكؤها: قلة لبنها. اللسان.

٢ ـ المسوك: الجلود. اللسان.

٣ ـ بهامش الأصل: بلغ العرض بالأصل الثالث من أول هذا الباب ولله كل حمد وجمال.

المدائني عن حماد بن سلمة عن أيوب وعبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: لما طعن عمر قال: من طعنني؟ قالوا: أبو لؤلؤة، فقال للعباس : هذا عملك وعمل أصحابك ، لقد كنت أنهى أن تجلبوا الينا منهم أحداً ، الحمدلله الذي لم أخاصم في دمي أحداً من المسلمين .

حدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي أبو يحيى ، ثنا وهب بن خالد ، أنبأ ابن عون عن ابراهيم النخعي انه بلغ عمر أن رجلاً كتب كتاب دانيال ، فكتب إليه ان يرتفع إليه ، فلما قدم عليه جعل عمر يضرب بطن كفه بيده ويقول : ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص﴾[1] قال عمر : أفقصصٌ أحسن من كتاب الله ؟ فقال الرجل : يا أمير المؤمنين اعفني فوالله لأمْحُوَنَّه .

حدثنا شيبان الآجري ، ثنا البراء بن عبدالله عن الحسن عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول : اقرأوا القرآن ، وسلوا الله به قبل أن يقرأه أقوام يسألون الله به .

حدثني عبد الواحد بن غياث البصري ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ أيوب بن أبي يزيد المدني أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نهى أن يُسافر بالمصحف إلى أرض العدو ، أو قال بالقرآن إلى أرض العدو .

المدائني عن صدقة بن عبيدالله المازني عن عمرو بن بسطام أن رجلاً قدم على عمر بن الخطاب فدُفع عنه فقال : إني جعلت على نفسي ألاّ أدَّخر على أمير المؤمنين شيئاً من مالي ، فقال عمر : من هذا الأخ البارّ ؟ فدنا منه فقال له : ما مالك ؟ قال : ناقتان أتيتك بهما . قال : ما عيالك ؟ فأخبره ،

---

١ ـ سورة يوسف : الآيات : ١ ـ ٣ .

فقال : ما أرى لك عن عيالك فضلاً خذهما ، ودعا له بناقتين فقال : خذهما فهما عندك منحة ، وإذا حلبت فاجعل في سقائك ماء واغبق عيالك ، وإن كانوا نياماً فلا توقظهم فإن النوم عون لك عليهم صالح ، ثم أتاه بهما بعد وضعهما ومعهما فصيلان فوهب ذلك له .

حدثني بسام الجمال ، ثنا حماد بن سلمة ، ثنا حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم أن عمر بن الخطاب جهز جيشاً فغنموا مغنماً ، فلما قدموا المدينة استقبلهم وقد لبسوا أقبية الديباج وثياب العجم فأعرض عنهم وقال : ألقوا عنكم ثياب أهل النار ، فألقوها ولبسوا ثيابهم وقالوا : إنا أردنا أن نريك الذي أفاء الله علينا ، قال : فلا تَشبَّهوا بهم في لباسهم ، فإنه لهم في الدنيا ولكم في الآخرة ، وأذن في العَلم[1] ما كان اصبعين وثلاثاً وأربعاً .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا شعيب بن حرب ، ثنا حماد بن سلمة عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي ، قال : كتب عمر إلى عتبة بن فرقد : «أما بعد فارْتَدُوا واتَّزِرُوا ، وألقوا السراويلات ، وانتعلوا ، وألقوا الخفاف ، وارموا بالأغراض[2] ، واقطعوا الركب ، وانزوا على الخيل نزواً ، وعليكم بالعربية، وتمعددوا واخشوشنوا، وكونوا إخواناً، وإياكم والتنعم فإن رسول الله ﷺ نهى عن الحرير ، إلا ما كان هكذا وهكذا : ثلاث أصابع ، وأربع أصابع .

١ـ العلم : رسم الثوب ، ورقمه في أطرافه ، والرقم : مخطط من الوشي . اللسان .
٢ـ الغرض : الحزام . اللسان .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده وعوانة عن أبيه عن الشعبي قال : دخل عمر على حفصة وعندها جارية تضرب بدف ، فلما رأته خبأت الدف ، فقال النبي ﷺ : «إن الشيطان ليفرّ إذا سمع حِسّ عمر» .

المدائني عن عيسى بن يزيد الكناني عن أبي معبد الأسلمي قال : قال عمر لناس من قريش : إنكم تتخذون مجالس فلا يجلسنَّ اثنان معاً حتى يقال مَنْ جلساء فلان مَنْ صحابة فلان ؟ فتحوميت المجالس .

قال : وقال عمر : إن من قَبْلكم كانوا يقولون هذا رأي فلان ، وقول فلان ، فلا يقولوا ذلك فيقسموا الإسلام أقساماً .

وقال عمر : اللهم إنهم قد ملّوني ومللتهم ، ولا أدري ما يكون من الكون ، فاقبضني اليك .

المدائني عن ابراهيم بن محمد عن أبيه قال : اتخذ عبد الله بن أبي ربيعة أفراساً بالمدينة ، فمنعه عمر بن الخطاب ، فكلموه في أن يأذن له فقال : لا آذن له إلا أن يجيء بعلفها من غير المدينة ، فكان يحمل علفها من أرض له باليمن .

المدائني عن المزني ابن عون[1] عن الحسن قال : أتى عمر رجل فقال : أنا مسلم فعلام تؤخذ مني الجزية ؟ فقال عمر : لعلك تتعوذ بالإسلام ، قال : أو ما في الاسلام ما يتعوذ به ؟ قال : بلى فكتب : لا تؤخذن منه الجزية فكفى بالإسلام مَعاذاً .

١ ـ بالأصل المبني ، وهي تصحيف صوابه ما أثبتناه ، فهو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني ، رأى أنس بن مالك وروى عن ثمامة بن عبد الله بن أنس ، وأنس بن سيرين ، ومحمد بن سيرين وابراهيم النخعي وزياد بن جبير بن حية والحسن البصري والشعبي . . . تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ .

حدثني القاسم بن سلام ، ثنا اسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس أن رجلاً خطب عند عمر فأكثر فقال عمر : إن كثيراً من الخطب من شقائق الشيطان .

المدائني عن حبيب بن علي عن محمد بن عجلان أن نفراً كلموا عبد الرحمن بن عوف فقالوا : كلم عمر فإنه قد أخشانا حتى ما نستطيع أن ندوّم فيه أبصارنا ، فذكر ذلك عبد الرحمن لعمر ، فقال : أُوَقَدْ قالوها فوالله لقد لِنتُ لهم حتى خفت الله واشتددت عليهم حتى خفت الله ، والله لأنا أَشَدُّ فرقاً منهم ، منهم مني .

حدثني عفان ، ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال عمر إذا كنت بمنزلة تسعني وتعجز عن الناس فليست تلك لي بمنزلة .

المدائني عن سليمان بن أرقم عن الزهري عن ابن عباس قال : نظر عمر إلى معاوية والحارث بن نوفل بن الحارث ، فقال ؛ يا بن عباس ، إن قومكم يكرهون إلفتكم ويخافون أن يصير الأمر لكم ويرون أنه اذا كان ذلك لم يكن لهم حظ معكم .

المدائني عن يعقوب بن عوف عن أفلح الثقفي عن أبيه قال : قال مالك بن عوف النصري لعمر : هلمّ أكلمك . قال : إني عنك لفي شغل ، قال : أما والله لقد كنا نهاب عصاك ويدك وأنت سُوقة ، فكيف اليوم ؟ فقال عمر : «اللهم حببني إليهم وحببهم إلي» ، قال مالك : فانصرفت وما في الأرض أحد أحب إلي منه .

المدائني عن مجاهد عن حميد عن الشعبي قال:أعطى عمر الناس يوماً فأعطى رجلاً لقحة ، فاتبعها فصيل لها ، فقال عمر متمثلاً :

ومطعمُ الغُنْمِ يوم الغُنْمِ مطعمه أنَّى توجه والمحروم محروم

حدثني مظفر بن مرجىّ ، ثنا عفان ، أنبأ شعبة قال : سمعت سعد بن ابراهيم يحدث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ قال : «كان فيمن مضى من الأمم قوم قبلكم يحدثون ويكلمون وليسوا بأنبياء ، فإن يكن في هذه الأمة أحد مثلهم فعمر» .

قال : وحدثنا عفان عن حماد بن سلمة عن سعد بن أبي سلمة بنحوه .

حدثني هدبة بن خالد أخي أمية ، حدثني حماد بن سلمة عن هشام بن عروة ، حدثني صاحب أذرعات[1] قال : قدم علينا عمر بن الخطاب فدفع إلي قميصاً فقال : اغسله وارقعه ، فغسلته ورقعته ، قال : فأتتيه بقميص قبطي فقلت : إلبس هذا فرمى به إليّ وقال : هذا أنشف للعرق ولم يقبله .

المدائني عن أبي محمد المكي عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : عمر أحب الخلق إلي ثم قال : استغفر الله ، الولد ألوط[2] بالقلب ، ولكن عمر أعز الخلق عليّ .

المدائني عن أبي محمد المكي عن هشام بن عروة قال : لما بويع عمر قال عليّ : حلبت حلباً لك شطره ، بايعته عام أول ؛ وبويع لك العام .

أخبرنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه معاذ عن شعبة عن عمرو بن مرة قال : سمعت أبا وائل يحدث عن حذيفة بن اليمان أنه قال : ما بينكم وبين الشر إلاّ رجل في عنقه الموت ، ولو قد مات لقد صُبَّ عليكم الشر .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن مجالد عن أبيه عن الشعبي أن

---

١ ـ يعتقد أنها درعا الحالية في سورية .
٢ ـ ألوط : ألصق . القاموس .

عمر بن الخطاب كتب إلى أهل الأمصار ، أو قال : إلى أهل الشام : أنْ علّموا أولادكم الفروسية والعوم ورووهمَ الشعر .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة عن الشعبي أن عمر بن الخطاب كان يطوف الأسواق ، ويقرأ القرآن ، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم ، وكتب إلى الحكام : لا تبتّوا القضاء إلا عن ملأ من المسلمين ، فإن رأيَ الواحد يقصر ، ومن لزمه القضاء فليصبر وليحتسب ، ولا تحملوا على حكامكم ما جرَّ عليكم شهودكم ، فإن الحاكم يحكم على ما يسمع أو يشهد به عنده والله حسيب للشاهد والآخذ لغير الحق .

المدائني عن رجل عن سفيان الثوري أن رجلاً قال لعمر : لو قدرت جعلت خديَّ نعلاً لك ، فقال عمر : إذاً يهينك الله .

المدائني عن علي بن مجاهد عن ابن اسحاق عن الزهري وغيره أن نفراً من أصحاب رسـول الله ﷺ قالوا : لو كلمنا عمر فزاد في أرزاقه ما يتهيأ به للوفود وملوك الأعاجم ، فقد كثرت الفتوح ، ثم خافوا أن يتلقوه بذلك ، فأتوا حفصة فذكروا لها ذلك . وقالوا : كلميه فإنه منك أسمع ، فكلمته فقال : لو عرفت الذين أشاروا بهذا لسوَّدت وجوههم ، أخبريني ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ في بيتك من اللباس ؟ قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفود . قال : فأي طعام ناله عندك أرفع ؟ قالت : خبزة صببنا عليها أسفل عكة فأكل منها وتلمظ استطابة لها . قال : فأي بساط بسطه عندك أوطأ ؟ قالت : كساء لنا ، وأتيناه يوماً بطعام على مائدة مرتفعة عن الأرض فقال : أنا عبد الله آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد . قال عمر : فأخبريني عن ثلاثة اصطحبوا فمشى سيدهم أمامهم ولحقه الثاني

متبعاً أثره ، هل يبلغهما الثالث إن خالف طريقهما ؟ فاعلميهم أن رسول الله ﷺ تبلّغ بالتجزئة وقدم الفصول فوضعها مواضعها ، والله لأتبعنّ أثره إن شاء الله .

حدثنا بسام الجمّال ، ثنا حماد بن سلمة عن أبي جهضم عن عبيد الله بن العباس أن العباس كان أخاً لعمر ، قال : فسألت الله حولاً أن يريني عمر بعد موته ، فرأيته بعد حول وهو يسلت العرق عن جبينه ، فقال : هذا أوان فرغت وإن كاد عرشي [ليهد][1] لولا أني لقيت رباً رحيماً .

المدائني عن أشياخه عن شريح قال : مرّ بعمر رجل ضخم طويل سبط ، ثم اتبعه رجل نحيف جعد أسود ، فقال عمر : هما أخوان فنُظر فإذا هما أخوان ، وكان عمر قائفاً .

وروى حماد بن سلمة عن ابن اسحاق عن مكحول أن أبا ذر قال لفتى من قريش : استغفر لي فإني سمعت عمر يقول ، ومررت به : نعم الفتى ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله جعل الحق في لسان عمر ويده وقلبه» .

حدثني شيبان بن فروخ عن عثمان المري[2] عن الحسن قال : يرحم الله عمر ولي المسلمين فأحسن ولايتهم ثم مات خائفاً ، هكذا المؤمنون .

حدثنا بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن عمر قال : لا يزال الاسلام صالحاً ما حوفظ على أربع : أن يجمع هذا المال من

---

١ ـ أضيف ما بين الحاصرتين من طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٧٥ .
٢ ـ بالأصل : البري ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه ، انظر تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١١٧ ففيه روى عثمان بن سعيد المري عن الحسن بن صالح .

حلّة ، ويوضع في حقه ، وأن توفر أقسام المهاجرين والمجاهدين في سبيل الله تحت ظلال السيوف ، وأن يقبل من محسني هذا الحيّ من الأنصار ، ويتجاوز عن مسيئهم .

المدائني قال : أمر عمر ملك الدار أن يكسو عبيد الله ابنه حلة فكساه حلة ، فلما رآها عمر قال : هلا كسوته دونها وأمره أن يأتي بها عبد الرحمن بن عوف فيكسوه إياها ففعل ، واشترى لعبيد الله بن عمر دونها ، وبعث عبد الرحمن بالحلة إلى عبيد الله . وقال : هذه كسوة مني، قالوا وملك الدار كان على نفقات من في دار عمر ، وهو الذي أعتق ذكوان ، الذي يقال له ذكوان مولى عمر ، وملك هو مالك بن عياض .

المدائني عن مسلمة بن محارب عن خالد الحذاء قال : أتى عبد الله بن عمير عُمر وهو يفرض للناس ، وكان أبوه استشهد يوم حنين فقال : يا أمير المؤمنين افرض لي فلم يلتفت إليه فنخسه ، فقال عُمر حَسّ وأقبل فقال : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن عمير . قال : يا يرفأ أعطه ستمائة فأعطاه خمسمائة فلم يقبلها عمير ورجع إلى عمر فأخبره ، فقال : أعطه ستمائة وحلّة ، فلما لبس الحلة ألقى الثياب التي كانت عليه فقال له عمر : يا بني خذ ثيابك هذه لتكون لمهنة أهلك وتكون هذه لزينتك .

المدائني عن أبي الوليد المكي قال : قال ابن عباس : خرجت مع عمر في بعض أسفاره فإنّا لنسري ليلة . وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رحله بسوطه وقال :

كذبتم وبيتُ الله يُقتل أحمد ولمّا نطاعنُ دونه ونناضل
ونُسْلِمُهُ حتى نُصَرَّعَ حولَه ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال : استغفر الله ، وسار فلم يتكلم إلّا قليلاً ثم قال :

وما حملتْ مِنْ ناقةٍ فوق رَحْلِهَا أبـرُّ وأوفى ذمة من محمـد
وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرد

ثم قال : استغفر الله يا بن عباس ، أبوك عم رسول الله ، وأنت ابن عمه ، فما منع قومكم منكم ؟ قال : قلت : لا أدري . قال : لكني أدري ، يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة .

المدائني عن يعقوب بن داود الثقفي عن ابراهيم بن حكيم عن عاصم بن عروة بن مسعود قال : كان عمرو بن العاص إذا ذكر عمر قال : لله دَرُّ ابن حنتمة ، قدمت عليه بمال من مصر فقال : ما جبيت إلا هذا ؟ قلت : أتستقل هذا ؟ قال : إن الأرض حفلت حفلاً لم تحفل مثله فحلبت وبقيت ، فما أخطأ ، فقلت : صدقت وأنا أعطيك عهداً ألا أخونك ، وأعطني مثله ألاّ تصدق عليّ ، فقال : أمسك عليك إني لا آمن إن فعلت أن تهمّ وإن هممت حنثت ، وأيم الله لأكممن أفواهكم عن هذا المال كما ظلفت نفسي عنه ، فلو قد مُتُّ لتكافحن عليه بالسيوف ، فكان كما قال .

قالوا : وَحَدَّ عمر قدامة بن مظعون الجمحي ، وقد كتبنا خبره مع نسبه ، وحَدّ ربيعة بن أمية بن خلف الجمحي أيضاً ، وقد كتبنا خبره أيضاً ، وحدَّ عبيد الله بن عمر .

حدثني عفان بن مسلم ، ثنا يزيد بن زريع ، أنبأ معمر ، أخبرني الزهري ، حدثني السائب بن يزيد أن عمر صلى على جنازة فقال : إني وجدت من عبيد الله بن عمر ريحاً فسألته عنها فزعم أنه الطلاء ، وأنا سائل عن الشراب الذي شربه فإن كان يسكر جلدته .

قال الزهري : فحدثني السائب أنه شهده بعد ذلك وقد جلده في ذلك الشراب الذي شربه ، وحدثنا القواريري عن يزيد بن زريع عن معمر عن الزهري عن السائب بمثله .

وحدثنا القواريري وعمرو الناقد قالا : ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن السائب بن يزيد قال : سمعت عمر رضي الله تعالى عنه يقول : ذُكر لي أن عبيد الله بن عمر وأصحاباً له شربوا شراباً ، وأنا سائل عنه ، فإن كان يُسْكر حددتهم .

قال سفيان: فحدثني معمرَ عن الزهري عن السائب أنه حَدَّهُم .

وحدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد حدثني الليث عن عقيل عن الزهري عن السائب ابن أخت النمر أن عمر خرج فصلى على جنازة ، ثم أقبل على القوم وأنا أسمع فقال : إني وجدت آنفاً من عبيد الله بن عمر ريح شراب ، فسألته عنه فزعم أنه طلاء ، وإني سائل عنه فإن كان يسكر جلدته ، ثم شهدت عمر بعد ذلك جلد عبيد الله ثمانين في ريح الشراب الذي وجده منه .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا الضحاك بن مخلد ، ثنا ابن أبي ذئب عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد أن عمر ضرب رجلاً وجد منه ريح الشراب الحدَّ تاماً .

حدثنا عفان بن مسلم والعباس بن الوليد قالا : ثنا يزيد بن زريع ، ثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، حدثني الزهري عن سالم عن أبيه قال : خرجت وأخي عبد الرحمن غازيين إلى مصر فشرب أخي وأبو سروعة شراباً ، فأُتي بهما عمرو بن العاص فجلد أخي في الدار ، فأرسل إليه عمر أنْ اجمع يديه

إلى عنقه وجُب عليه مدرعة واحمله إليّ على قتب ، فلما قدم على عمر جلده علانية على رؤوس الناس ، وحلق رأسه ، وحبسه في السجن ستة أشهر ، فبرىء من جلده ، ثم اعتراه وجع فمات ، قال الزهري : والحلق سُنّة .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة بن الحكم عن أبيه أن عمر رضي الله تعالى عنه ضرب أبا شحمة عبد الرحمن بن عمر ، وقُدم به من مصر ، في الشراب فقال : الموت ، فقال عمر : إذا لقيت ربك فاعلمه أن أباك يقيم الحدود ، ومات من ضرب عمر إياه .

وقال ابن الكلبي : عبد الرحمن الأكبر ابن عمر ، أمه زينب بنت مظعون ، وعبد الرحمن الأوسط ، وهو الذي يقال له أبو المجبر وأمه لُهيّة أم ولد ، وعبد الرحمن بن عمر الأصغر ، وهو أبو شحمة أمه فكيهة امرأة من اليمن ، ويقال أم ولد .

المدائني قال : قال عمر في خطبة خطبها : عليكم بتقوى الله في أنفسكم ، وأموالكم ، وأعراضكم ، وأعمالكم ، وما ملكت أيمانكم فإنكم محاسبون على ماكسبتم ، ومُجْزَون بما عملتم .

حدثني عمر بن شبه عن أبي عاصم النبيل عن محمد بن الخطاب عن بكر بن عبد الله قال : قال عمر لرجل رأى بيده جرحاً : بُطَّهُ[1] ولو بعظم .

وحدثني عمر بن شبه عن أبي عاصم النبيل عن ابن خريم عن الحسن عن عمر قال : التراب ربيع الصبيان .

وحدثنا ابراهيم بن نرسي الخياط ، ثنا عثمان بن مقسم عن الحسن عن عمر أنه مر بصبيان يلعبون بالتراب فقال : التراب ربيع الصبيان .

---

١ ـ بط الجرح : شقه . القاموس .

حدثني محمد بن سعد ، حدثني محمد بن عمر الواقدي ، حدثني حرام بن هشام عن أبيه قال : لما صدر الناس عن الحج سنة ثماني عشرة أصاب الناس جهد شديد وأجدبت البلاد ، وهلكت الماشية ، وجاع الناس ، وهلكوا حتى كانوا يسفّون الرّمة ، ويحفرون أنفاق اليرابيع والجرذان فيخرجون ما فيها .

حدثني محمد عن الواقدي عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عبد المجيد بن سهيل عن عوف بن الحارث عن أبيه قال : سُميّ ذلك العام عام الرمادة لأن الأرض كلها صارت سوداء فُشبّهت بالرماد ، وكان ذلك تسعة أشهر .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن عمر كتب إلى عمرو بن العاص عام الرمادة : «من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي سلام عليك ، أما بعد : أفتراني هالكاً ومن قبلي وتعيش أنت ومن قبلك ، فيا غوثاه ، يا غوثاه» . فكتب إليه عمرو بن العاص : «سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد أتاك الغوث فلأبعثنّ إليك بعيرٍ أولها عندك وآخرها عندي إن شاء الله» . فلما قدم أول الطعام كلم عمر الزّبير بن العوام فقال : تعترض العير فتمليها إلى أهل البادية ، فأبى الزبير واعتلّ ، وأقبل رجل من أصحاب النبي ﷺ فقال عمر رضي الله تعالى عنه : لكن هذا لا يأبى ، فكلمه عمر ففعل فقال له عمر : انظر ما لقيت من الطعام فمل به إلى أهل البادية ، واجعل الظروف لحفاً يلبسونها ، وانحر الإبل لهم يأكلون لحومها ، ويحتملون من ودكها ولا تنتظر أن تقول ننتظر بها الحَيَا حتى يأتي أمر الله بالفرج ، وكان

عمر يصنع الطعام وينادي مناديه : من أحبّ أن يحضر طعامنا فيأكل فليفعل ، ومن أحبّ أن يأخذ ما يكفيه وأهله فليأت فيأخذه .

وقال الواقدي في أسانيده : كتب عمر رضي الله تعالى عنه إلى عمرو بن العاص أن يحمل الطعام في البر والبحر على الإبل ، وفي السفن ففعل ، فبعث عمر مَنْ عَدَل بالإبل من أفواه الشام يميناً وشمالاً فنحرت الجزر ، وأطعم الدقيق وكسا العباد ، وبعث إلى الجار فحمل ما بعث به عمرو إلى تهامة ، فأطعمه الناس .

وقال الواقدي : قال حزام بن هشام قال أبي : رأيت رسل عمر فيما بين مكة والمدينة يطعمون الطعام الذي ورد الجار من قبل عمرو ، قال : وبعث يزيد بن أبي سفيان ، أو معاوية ، من الشام بطعام فبعث عمر من تلقاه بأفواه الشام ، فصنع به كما صنع بما بعث به عمرو على الإبل ، وبعث إلى سعد فبعث بالطعام من العراق ، وكان عمر يطعم الناس قبله الثريد من الخبز يأدمه بالزيت ، وينحر لهم في الأيام الجزور ، فيجعل لحمها على الثريد ، ويأكل مع الناس كما يأكلون .

وقال الواقدي : بعث عمرو بعشرين سفينة تحمل الدقيق والودك ، وبعث في البر بألف بعير تحمل الدقيق ، وبعث إليه معاوية بثلاثة آلاف بعير تحمل الدقيق ، وبثلاثة آلاف عباءة ، وبعث عمرو بخمسة آلاف كساء ، وبعث سعد بألفي بعير عليها دقيق ، ويقال بعث بذلك غير سعد .

محمد عن الواقدي عن عبدالله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال : كان عمر يصوم الدهر ، فكان في زمان الرمادة إذا أمسى أتي بخبز قد ثرد بالزيت ، إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً ، فلما طعمها الناس

وغرفوا له طيّبها فأُتي به ، فإذا فدر [١] من سنام ، وكبد فقال : بخ بخ بئس الوالي أنا إن أكلت طيّبها وأطعمتُ الناس كراديسها ، إرفع هذه وهات لنا غير هذا الطعام ، قال فأُتي بخبز وزيت فجعل يكسر بيده ، ويثرد ذلك الخبز ، ثم قال : ويحك يا يرفأ ، احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت ذكرهم له بثَمْغ [٢] فإني لم آتهم مذ ثلاثة أيام احسبهم مقفرين فضعها بين أيديهم .

وروى الواقدي عن ابن عمر قال : أحدثَ عمر في زمان الرمادة أمراً ما كان يفعله قبل ، كان يصلي بالناس العشاء ، ثم يدخل إلى بيته فلا يزال يصلي إلى آخر الليل ، ثم يخرج فيأتي الأنقاب [٣] فيطوف عليها ، وإني لأسمعه ليلة في السحر وهو يقول : اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدي ، وفي ولايتي .

وروى الواقدي عن السائب بن يزيد أنه قال : ركب عمر عام الرمادة دابة فراثت شعيراً ، فقال عمر : المسلمون يموتون هُزّلاً ، وهذه الدابة تعتلف الشعير ، والله لا أركبها حتى يُحيا الناس .

حدثنا سليمان بن داود الزهراني ، ثنا حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حَبّان قال : أُتي عمر عام الرمادة بخبز مفتوت بسمن ، فدعا رجلاً بدوياً فأكل معه ، فجعل البدوي يتتبع الودك في جانب القصعة فقال له عمر : كأنك مقفر من الودك ؟ فقال : أجل ، ما أكلت

---

١ ـ فدر : قطع .
٢ ـ ثمغ : موضع بخيبر ، وكان مالاً لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه . المغانم المطابة .
٣ ـ أنقاب المدينة : الطرق المؤدية إليها . اللسان .

سمناً ولا زيتاً ولا رأيت آكلاً له مذ كذا وكذا قبل اليوم ، فحلف عمر ألا يذوق لحماً ولا سمناً حتى يُحيا الناس .

حدثني بكر بن الهيثم عن عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : ما أكل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سمناً ولا سميناً في الرمادة حتى أحيا الناس .

المدائني عن علي بن حماد وسحيم بن حفص وغيرهما قالوا : قال أبو المختار يزيد بن قيس بن الصعق كلمة رفع فيها على عمال الأهواز وغيرهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهي :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... فأنت أمين الله في النهي والأمر
وأنت أمين الله فينا ومن يكن ... أميناً لرب العرش يَسْلَم له صدري
فلا تَدَعَنْ أهل الرساتيق والقرى ... يُسيغون مال الله في الأَدَمِ الوَفْرِ
فأرسل إلى الحجاج فاعرف حسابه ... وأرسل إلى جزءٍ وأرسل إلى بِشْرِ
ولا تنسينَّ النافعين كليهما ... ولا ابن غِلَاب من سراة بني نصرِ
وما عاصم منها بصفر عيابُه[1] ... وذاك الذي في السوق مولى بني بدر
وأرسلْ إلى النعمان فاعرفْ حسابهَ ... وصهر بني غزوان إنّي لذو خُبْرِ
وشبلاً فَسَلْهُ المال وابن مُحَرَّشٍ ... فقد كان في أهل الرساتيق ذا ذِكْرِ
فقاسمْهُمُ نفسي فداؤك إنهم ... سيرضون إنْ قاسمْتَهم منك بالشَّطر
ولا تَدْعُوَنِّي للشهادة إنني ... أَغِيبُ ولكنى أرىٰ عجب الدهر
نؤوب إذا آبوا ونغزو إذا غزوا ... فأنّىٰ لهم وفْرٌ ولسنا ذوي وفر

فقاسم عمر هؤلاء القوم ، فأخذ شطر أموالهم حتى أخذ نعلاً وترك

١ ـ العياب جمع عيبة وهي الوعاء يكون من أدم للمتاع . اللسان .

نعلاً، وكان فيهم أبو بكرة فقال له: إني لم أَلِ لك شيئاً، فقال: أخوك على بيت المال وعشور الأُبلَّة فهو يعطيك المال تتجر فيه ، فأخذ منه عشرة آلاف ، ويقال قاسمه فأخذ شطر ماله ، قال: والحجاج الذي ذكره : الحجاج بن عَتيك الثقفي ، وكان على الفرات ، وجزء بن معاوية عمّ الأحنف وكان على سُرَّق[1]، وبشر بن المحتفز، وكان على جند يسابور. والنافعان: نفيع أبو بكرة ، ونافع بن الحارث بن كَلَدة أخوه ، وابن غلاب : خالد بن الحارث من بني دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان على بيت المال بأصبهان ، وعاصم بن قيس بن الصلت كان على مناذر ، والذي في السوق سمرة بن جندب كان على سوق الأهواز ، والنعمان بن عدي بن نضلة ـ ويقال نضيلة ـ بن عبد العزيز بن حُرّثان أحد بني عديّ بن كعب ، كان على كور دجلة ، وهو الذي قال :

من مُبْلِغِ الحسناء أن حَليلها   بَميسَانَ يُسقىٰ من زُجاجٍ وحَنْتَم

وقد كتبنا هذا الخبر والشعر فيما تقدم من أخبار عمر بن الخطاب ، وصهر بني غزوان مجاشع بن مسعود السُّلَمي كانت عنده ابنة عتبة بن غزوان ، وكان على صدقات البصرة وشبل بن معبد البجلي ثم الأحمسي كان على قبض المغانم وابن محرش أبو مريم الحنفي كان على رامهرمز ، وكان جَزْءُ على الفرات .

وحدثني[2] عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة بن الحكم . ووهب بن بقية عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد

---

١ ـ سرق : من كور الأهواز . معجم البلدان .

٢ ـ بهامش الأصل : خبر المغيرة بن شعبة .

وغيرهم ، فسُقْتُ حديثهم ، قالوا : كان المغيرة بن شعبة عاملاً لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه علىٰ البصرة ، فجعل يختلف إلى امرأة من بني هلال بن عامر يقال لها أم جميل بنت محجن بن الأفقم بن شعيثة بن الهُزم بن رُويبة ، وكان لها زوج من ثقيف يقال له الحجاج بن عتيك ، فبلغ ذلك أبا بكرة بن مسروح ، مولى رسول الله ﷺ ، وهو من مولدي ثقيف ، وشبل بن معبد بن عبيد البجلي ، ونافع بن الحارث ، وزياد بن سمية ، فرصدوه حتى إذا دخل عليها هجموا عليه فإذا هما عريانان وهو متبطنها ، فخرجوا حتى أتوا عمر بن الخطاب فشهدوا عنده بما رأوا ، فقال عمر لأبي موسىٰ الأشعري : إني أريد أن أبعثك إلى بلد قد عشش فيه الشيطان ، قال : فأعنّي بعدة من الأنصار ، فبعث معه البراء بن مالك ، وعمران بن الحصين أبا نجيد الخزاعي ، وعوف بن وهب الخزاعي ، فولاه البصرة ، وأمره بإشخاص المغيرة فأشخصه بعد قدومه بثلاث ، فيقال أنه رأى امرأة في طريقه فخطبها وتزوجها ، وكان نكاحاً شبقاً ، فلما صار إلى عمر جمع بينه وبين الشهود ، فقال نافع بن الحارث : رأيته على بطن امرأة يحتفز عليها ، ورأيته يدخل ما معه ويخرجه كالململول[١] في المكحلة، ثم شهد شبل بن معبد مثل شهادته، ثم أبو بكرة ، ثم أقبل زياد رابعاً فلما نظر إليه عمر قال : أما إني أرىٰ وجه رجل أرجو ألا يُرْجَم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ محمد بشهادته ، وكان المغيرة قد شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ ، فقال زياد : رأيت منظراً قبيحاً ، وسمعت نفساً عالياً ، وما أدري أَخَالَطَها أم لا ، وقيل إنه لم يشهد بشيء ، فأمر عمر بالثلاثة فجلدوا ، فقال شبل : أَيُجْلَدُ شهودُ الحق ، ويُبطل

١ ـ الململول : الميل في الدارجة .

الحد ، فلما جُلد أبو بكرة قال : أشهد أن المغيرة زانٍ ، فقال عمر : حدوه . فقال علي بن أبي طالب : إن جعلتها شهادة فارجم صاحبك ، فحلف أبو بكرة ألا يكلم زياداً أبداً ، وكان أخاه لأمه سميّة ، ثم إن عمر ردهم إلى مصرهم ، وقال بعضهم لما شهد على المغيرة أول الشهود قال عمر : ويحك يا مغيرة قد ذهب ربعك ، ثم لما شهد الثاني قال : قد ذهب نصفك ، ثم لما شهد الثالث قال : قد ذهب ثلاثة أرباعك ، ثم قال لزياد : أرى وجه رجل لا يخزي الله رجلاً من أصحاب محمد ﷺ بشهادته فعذر في القول .

حدثني عمرو بن محمد الناقد، ثنا يزيد بن هارون، ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ أن زياداً، ونافعاً، وأبا بكرة، وشبل بن معبد، كانوا في غرفة في دار أبي عبد الله، فأشرفوا على المغيره، فإذا المغيرة بين فخذي المرأة وهم يتثبتون مايصنع، فتعاهدوا وتعاقدوا أن يقوموا بالشهادة عليه، فلما حضرت الصلاة أراد المغيرة أن يتقدم فيصلي بالناس فمنعه أبو بكرة وقال: لا والله لا تصلي، وقد رأينا منك مارأينا، وكتبوا بذلك إلى عمر فكتب إليهم أَنْ اقدموا عليّ فلما قدموا شهد أبو بكرة، ونافع، وشبل، وقال زياد: رأيت رِعة سيئة ولكني لاأدري أَتَبَطَّنَها أم لا، فجلد عمر الشهود الثلاثة، فقال أبو بكرة حين حُدَّ: أشهد بالله مرة أخرى أنه قد فعل، فأراد عمر أن يحده ثانية، فقال عليّ عليه السلام: إن عَدَدْتَ شهادة أبي بكرة مرتين فهي شهادة رجلين، فارجم صاحبك.

المدائني عن القافلاني عن قتادة أن هؤلاء الذين سمينا اتهموه فرصدوه، ثم شهدو بما رأوا إلا زياداً.

حدثني عمرو بن محمد، ثنا هشيم عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن

عن أبيه عن أبي بكرة أنه كان يرى المغيرة يخرج من دار الإمارة وسط النهار، وأنه كان يلقاه فيقول له: أين تريد؟ فيقول: حاجة لي. فقال له: إن الأمير يؤتى ولايأتي أحداً ويزار ولايزور.

حدثني إبراهيم بن مسلم الخوارزمي عن وكيع عن سفيان عن رجل عن الشعبي أن عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري: «أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة، وسُنّةٌ مُتبَّعة، فافهم إذا أدلي إليك، وانفذ الحق إذا وضح لك، وآسِ بين الخصوم في مجلسك ووجهك وعملك، حتى لايطمع شريف في حيفك، ولاييأس ضعيف من عدلك واعلم أن البيّنة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين الناس، إلا أن يكون صلحاً حرَّم حلالاً، أو أحلّ حراماً، ولايمنعنّك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم ولايبطله شيء، وإن مراجعة الحق خير من التردي في الباطل. الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس في قرآن ولاسنة، واعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور ثم أعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة غائبة أمداً ينتهي إليه فإن أحضر بيِّنة أخذت له بحقه وإن عجز عنها استحللت عليه القضية، فإنه أبلغ للعذر، وأجلى للمعمى، والمسلمون عدولٌ بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حدَ أو مجرّبة عليه شهادة زور، أو ظنين في ولاء أو قرابة، فإن الله تبارك وتعالى تولّى منكم السرائر، ودرأ عنكم البيّنات والأيمان، وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس عند تنافر الخصوم، والتنكر لهم

[1] ـ بهامش الأصل: مكتوب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. قد سبق من هذا في هذا الكتاب أيضاً.

فإن ترك الغضب في مواطن الحكم مما يوجب الله به الأجر، ويحسن فيه الذخر، فمن خلصت نيته لربه كفاه مابينه وبين الناس، ومن تزيّن للناس بما يعلم الله أنه ليس في قلبه شانه الله تبارك وتعالى به، فإن الله لايقبل من عبده إلا ما كان خالصاً، فما ظنك بثواب غير الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام».

وقال عمر بن شبة: حدثني هارون بن عمر عن محمد بن شعيب عن عيسى بن موسى أن عمر كتب: «أمّا بعد: فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، وفهم يقسمه الله، افهم إذا أُدلي إليك، واقض إذا فهمت، وأنفذ إذا قضيت، ثم اعرف أهل المحكّ والشغب واللظ في الخصومة، فإذا عرفت أولئك فانكر وغيرّ فانه من لم يزع الناس عن الباطل لم يحملهم على الحق، قاتل هواك كما تقاتل عدوك، وأوجب الحق غير مُضَارٍ فيه، وإذا حضرك الخصم فرأيت منه العيّ والفهاهة فسدده وارفق به في غير مَيْل ولا جور على صاحبه، وشاور ذوي الرأي من جلسائك وإخوانك فإنه مجلس لايُحابى فيه قريب، ولايجفى فيه بعيد، عاد ولدك وأهل بيتك فيما وليت من الحكم، فإن فيه مقحِمات جهنم، وليس لوالٍ ولاقاضٍ أن يأخذ بظَنِّهِ، ولابعلمه دون ماوضح له بالبينات العادلة، وأبلغ الناس ريقهم، وأفهمهم حججهم، وإياك والضجر والتبرم بالخصوم والتأذي بهم، والسلام».

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي، ثنا أبو عاصم عن سعيد بن أبي عمران قال: كتب عمر إلى أبي موسى: «أما بعد فإن للناس وجوهاً يرفعون حوائجهم، فأكرم وجوه الناس، وبحسب المسلم الضعيف أن يؤتى نصيبه من القسم والحكم، والسلام».

وروي عن موسى بن عقبة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى أو معاوية: «أمّا بعد فالزم خمس خلالٍ يسلم لك دينك، وتظفر بأفضل حظك: عليك بالبينة العادلة، والأيمان القاطعة وإدناء الضعيف حتى يبسط لسانه، ويقوى قلبه، وتعهد الغريب فإنه إذا طال احتباسه ترك حقه ولحق بأهله، وإنما أَبطَلَ حقه مَنْ أرجأ أمره، ولم يرفع به رأساً، واحرص على الصلح بين الناس ما لم يتبين لك وجه القضاء، والسلام».

حدثنا عفان، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا حمزة الزيات أن عمر كتب إلى أبي موسى: «أوصيك بما أوصاك به القرآن، وأنهاك عما نهاك عنه محمد ﷺ، وآمرك باتباع السنّة، والفقه والتفهم في العربية، وعبارة الرؤيا، وإذا قص أحدكم على أخيه رؤيا فليقل: خير لنا، وشر لعدونا».

حدثني محمد بن شبه، ثنا ابو عاصم عن سفيان عن حميد الأعرج عن يحيى بن عبد الله بن صيفي أن عمر كتب إلى أبي موسى: ألا تجلد في النكال إلا عشرين سوطاً.

حدثني شيبان بن فروخ الآجري، ثنا علي بن مسعدة الباهلي عن عبد الله الرومي عن أم طلق قالت: كانت امرأة من بني سُليم يقال لها الخُضيراء سترت بيتها كما تُسْتَر الكعبة، فبلغ ذلك عمر فكتب إلى عامله بالبصرة أبي موسى: «أما بعد فإنه بلغني أن امرأة من أهل البصرة سترت بيتها كما تستر الكعبة، وإني عزمت عليك لما أرسلت إليها حين تقرأكتابي من ينزع ستوره»، فلما قرأ أبو موسى الكتاب سار إليها ومعه أصحابه حتى دخلوا البيت فقال أبو موسى لأصحابه: ليكفني كل قوم ما يليهم، فنزعت الستور كلها، ووضعت وسط البيت، ودعا أبو موسى بنار ليحرقها فقال بعض القوم: لو

أمرت بها فبيعتْ وأمرتَ بقسمة ثمنها بين الفقراء والمساكين كان خيراً من أن تحرقها. ففعل ذلك قال:فقلت: ياأم طلق بأي شيء سترت بيتك؟ قالت: بالسبائب من الكرابيس[1].

حدثنا عمرو بن محمد الناقد، ثنا عبدالله بن نمير عن عبيدالله عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: تقرقر بطن عمر عام الرمادة، وكان يأكل الزيت لأنه حرم على نفسه السمن حينئذ، فنقر بطنه بإصبعه وقال: يَقرّ تَقَرْقُرُك، فإنه ليس عندنا غيره، حتى يُحيا الناس.

حدثني محمد بن سعد، ثنا سعيد بن منصور، ثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: سمعت عمر يقول: لتموتَنَّ أيها البطن على الزيت، مادام السمن يباع بالأواقي.

حدثنا عمرو الناقد، ثنا يزيد بن هارون عن محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: أصاب الناس عام سنة، فغلا السمن، فكان عمر يأكله، فلما قلّ قال: لا آكله حتى يأكله الناس، فكان يأكل الزيت، فقال: ياأسلم اكسر عنا حره بالنار، فكنت أطبخه له فيأكله فيقرقر عنه بطنه، فقال: تقرقر؟ لا والله لاتأكله - يعني السمن - حتى يأكله الناس.

حدثني محمد بن سعد، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، ثنا عمر بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: حرم عمر على نفسه اللحم عام الرمادة حتى يأكله الناس فكانت لعبيد الله بن عمر بَهْمَةٌ فجعلت في التنور فخرج ريحها على عمر وهو في نفر من أصحابه فقال: ماأظن أحداً من أهلي اجترأ على هذا، وقال: يا أسلم

١ - السبائب: الشقق، والكرابيس: القطن.

اذهب فانظر من أين هذه الريح، قال: فوجدت البهمة في التنور فخرج ريحها، فقال عبيد الله: استر عليّ سترك الله، فقلت: قد عرف حين أرسلني أني لا أكذبه، قال: فاستخرجَها ثم جاء فوضعها بين يديه واعتذر إليه من أن يكون علم بها وقال: إنما كنت اشتريتها لابني فقرم إلى اللحم[1] فذبحت له وشويت[2].

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أسامة بن زيد عن نافع مولى آل الزبير قال: سمعت أبا هريرة يقول: يرحم الله ابن حنتمة، لقد رأيته عام الرمادة وقد حمل على ظهره جرابين، وفي يده عكة زيت، وإنه ليعتقب هو وأسلم فلما رآني قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريباً، فقال: كن معنا، فحملنا ذلك حتى انتهينا إلى صرم نحو عشرين بيتاً من محارب، فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد، فأخرجوا لنا جلد ميتة مشوياً كانوا يأكلون منه، ورمَّة عظام مسحوقة كانوا يستفونها، فرأيت عمر طرح رداءه، ثم ائتزر فما زال يطبخ لهم ويطعمهم حتى شبعوا، ثم أرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبّانة ثم كساهم، وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك.

حدثني محمد بن سعد، ثنا الواقدي عن حزام بن هشام عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطاب عام الرمادة مرّ على امرأة وهي تعصد عصيدة[4] لها فقال: ليس هكذا، وأخذ المِسْوَط[5] فقال: هكذا وأراها.

١ ـ قرم إلى اللحم: اشتهاه. اللسان.
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٣١٣ ـ ٣١٤ .
٣ ـ صرم: عدة أبيات مجتمعة. اللسان.
٤ ـ العصيدة: دقيق يلت بالسمن ثم يطبخ. اللسان.
٥ ـ المسوط مايخلط به من عصا ونحوها. القاموس.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي، وحدثني موسى بن يعقوب عن عمه عن هشام بن خالد قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عام الرمادة يقول: لاتذرنّ أحداكن الدقيق حتى يسخن الماء ثم تذروه قليلاً قليلاً وتسوطه بمسوطها فإنه أريع له وأحرى أن لايتقرد[١].

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن يزيد عن عياض بن خليفة قال: رأيت عمر رضي الله تعالى عنه عام الرمادة وهو أسود اللون، وعهدته قبل ذلك أبيض فقلت: لم اسْوَدّ؟ فقيل: انه كان يأكل السمن واللبن، فلما أمحل الناس حرمهما حتى يحيوا فأكل الزيت فغيرّ لونه، وجاع فأكثر.

وقال الواقدي: كان عمر أبيض أمهق[٢] تعلوه حمرة، طوالاً أصلع.

وقال ابن عمر: جاءتنا الأدْمَة[٣] من قبل أخوالي والخال أنزع شيء، وجاءني البضع[٤] من قبل أخوالي فهاتان الخلّتان لم تكونا في أبي، كان أبي أبيض لايتزوج النساء لشهوة إلا لطلب الولد.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن سفيان الثوري عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في يوم عيد، فرأيته آدم شديد الأدمة.

وقال الواقدي: هذا لايعرف عندنا إلا أن يكون رآه في زمن الرمادة، فإنه كان تغير لونه لما أكل من الزيت.

١ ـ يتقرد: يركب بعضه بعضاً. اللسان.
٢ ـ أمهق: شديد البياض. اللسان.
٣ ـ الأدمة: السمرة. اللسان.
٤ ـ لعله أراد الميل إلى السمنة. أو الرغبة بالنكاح. القاموس. اللسان.

قال: وكان عمر يصفر لحيته ويرجّل رأسه بالحناء، ودفن في بيت رسول الله ﷺ.

وحدثني محمد بن سعد، ثنا الواقدي عن أسامة بن زيد عن أبيه عن جده قال: كنا نقول: لو لم يرفع الله المَحْلَ عام الرمادة لظننا أن عمر يموت همّاً بأمر المسلمين.

وحدثني محمد عن الواقدي عن عبد الله بن نافع عن أبيه عن صفية بنت أبي عبيد، أخت المختار، امرأة عبد الله بن عمر قالت: حدثني بعض نساء عمر قالت: ماقرب عمر امرأة زمن الرمادة حتى أحيا الناس، همّاً.

محمد عن الواقدي عن يزيد بن فراس الديلمي عن أبيه قال: كان عمر بن الخطاب ينحر كل يوم لموائده عشرين جزوراً من جزر بعث بها عمرو بن العاص من مصر، ويطعمها الناس.

محمد عن الواقدي عن الجحاف بن عبد الرحمن عن عيسى بن معمر قال: نظر عمر بن الخطاب عام الرمادة إلى بطيخة في يد بعض ولده فقال: بخ بخ، تأكل الفاكهة وأمة محمد هزلى؟ فخرج الصبي هارباً وبكى فسأل عمر عن أمر تلك البطيخة فقيل له اشتراها بكفٍ من نوى فأسكت عمر.

محمد عن الواقدي عن الجحاف أو غيره أن عمر رضي الله تعالى عنه قال عام الرمادة: نطعم الناس ماوجدنا مانطعمهم فإن أعوزنا جعلنا مع كل أهل بيت ممن يجد عدتهم ممن لايجد إلى أن يأذن الله بالحيا.

حدثني محمد بن سعد، ثنا محمد بن عبيد، ثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب قال: لو لم أجد للناس من المال مايسعهم لأدخلت على كل أهل بيت عدتهم فقاسموهم أنصاف

بطونهم،حتى يأتي الله بالحيا، فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم.

الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور عن أبيها قال: سمعت عمر يقول بعد أن رفع الله المحل في الرمادة: لو لم يرفعه الله لجعلت مع أهل كل بيت مثلهم.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما كان عام الرماة تحلبت العرب من كل ناحية فقدموا المدينة ، وكان عمر قد أمر رجالاً أن يقوموا عليهم ويقسموا أطعمتهم وأدامهم بينهم ، منهم ابن أخت[1] النمر ، والمسور بن مخرمة ، وعبد الرحمن بن عبد القاريّ ، وعبدالله بن عتبة بن مسعود فكانوا إذا أمسوا اجتمعوا عند عمر فأخبروه بكل ما كانوا فيه ، وكان كل رجل منهم على ناحية من المدينة ، وكان الأعراب حلولاً فيما بين رأس البنيّة إلى بني حارثة إلى بني عبد الأشهل إلى البقيع إلى بني قريظة ، ومنهم طائفة بناحية بني سلمة ، فسمعت عمر يقول ليلة وقد تعشّىٰ الناس : أحصوا من تعشىٰ عندنا فأحصوهم من القابلة فوجدوهم سبعة آلاف رجل ، وأحصوا العيالات الذين لا يأتون العشاء والمرضى والصبيان فوجدوا أربعين ألفاً ، ثم مكثنا ليالي فزاد الناس فأحصوهم فوجد من تعشىٰ عند عمر عشرة آلاف ووجد الآخرون خمسين ألفاً فما برحوا حتى أرسل الله السماء فلما أمطرت رأيت عمر ، وقد وكلّ بهؤلاء النفر من في نواحيهم يخرجونهم إلىٰ البادية ويعطونهم قوة وحملاناً إلى باديتهم، ولقد رأيت عمر يخرجهم بنفسه، قال أسلم: وكان الموت وقع فيهم فأظنه مات ثلثاهم ، وبقي الثلث وكانت قدور عمر يقوم

١ ـ في طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣١٦ «يزيد ابن أخت النمر» .

إليها العمال في السحر فيعملون الكركوز[١] حتى يصبحوا ثم يطعمون المرضىٰ منهم ويعملون العصائد ، وكان عمر يأمر بالزيت فيصير في القدور الكبار على النار حتى يذهب حرّه ، ثم يثرد الخبز ويُؤتَدَم بذلك الزيت ، كانت العرب تُحَمّ من ذلك الزيت ، وما أكل عمر في بيت أحد من ولده ونسائه ذواقاً زمان الرمادة ، ولا كان يأكل إلا مع الناس حتى أحيا الناس أول ما أحيوا .

محمد عن الواقدي عن عثمان بن عبدالله عن عمران بن بشير عن مالك بن أوس بن الحدثان عن رجل من بني نصر قال: لما كان عام الرمادة قدم عليّ من قومي مائة أهل بيت فنزلوا بالجبانة ، وكان عمر يطعم من جاءه من الناس ، ومن لم يأت أرسل إليه بالدقيق والتمر والأدم في منزله ، فكان يرسل إلىٰ قومي ما يصلهم شهراً شهراً ، وكان يتعهد مرضاهم ويقيم أكفان من مات منهم ، ولقد رأيت الموت وقع فيهم حين أكلوا الثفل ، فكان عمر يأتي بنفسه فيصلي عليهم ، ولقد رأيته صلى على عشرة جميعاً ، فلما أحيوا قال : أخرجوا من القرية إلى ما كنتم اعتدتم من البرية ، فجعل عمر يحمل الضعيف منهم حتى لحقوا ببلادهم[٢] .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا اسحاق بن يوسف الأزرق ، ثنا زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي أن عبدالله بن عمر قال : رأيت عمر يتحلب فوه ، فقلت : ما شأنك ؟ قال : أشتهي جراداً مقلواً .

حدثني محمد بن سعد ثنا محمد بن عبدالله الأسدي عن عبيدالله بن

---

١ ـ لم أقف لها على معنى في معاجم العربية والمعربات .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣١٤ ـ ٣١٧ .

عمر قال : ذكر لعمر جراد بالربذة فقال : لوددت لو أن عندنا منة فقعة أو فقعتين فنأكل منه .

حدثنا عفان ، ثنا همام بن يحيىٰ ، ثنا اسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة ، حدثني أنس بن مالك أنه رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكل صاعاً من تمر بحشفه[1] .

حدثني مصعب بن عبدالله الزبيري ، حدثني أبي عن مالك بن أنس ، أخبرني إسحاق بن عبدالله عن أنس بن مالك قال : رأيت عمر وهو أمير المؤمنين يُطرح له صاع من تمر فيأكله حتى الحشف .

المدائني عن جويرية بن أسماء أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمار بن ياسر : ارزق الناس من الطلاء الذي قد طبخ حتى بقي ثلثه ، قال : جويرية وكتب عمر إلى المغيرة بن شعبة أن استنشد الشعراء قبلك فأما الأغلب فقال :

أَرَجَزاً تُريد أَمْ قَصِيدا إذاً يكون عندنا عتيدا

وقال للبيد : أنشدنا فقال : شغلني القرآن عن الشعر فزاده عمر في عطائه خمسمائة . ونَقَصَ الأغلب فأتاه فكلمه فأقر زيادة لبيد ولم يُنقِص الأغلب ، فلما وُلي زياد نقص لبيد زيادة عمر فقال : هذه ألفاي ، فأين العلاوة ؟ أعطنيها فما أحسبُني أقبضها بعد عامي هذا ، فمات بعد ذلك بقليل ودفن بالكوفة .

حدثني أبو موسىٰ إسحاق الفهري ، ثنا سفيان بن عُيينة عن عاصم بن

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣١٨ .

عبيدالله أن عمر كان يمسح يديه ـ وقد أكل لحماً ـ برجليه ونعليه ويقول : إن مناديل آل عمر نعالهم .

حدثنا عفان بن مسلم ـ ثنا حماد بن سلمة ، ثنا حميد عن أنس قال : كان أحب الطعام إلىٰ عمر الثّفل وأحب الشراب إليه النبيذ .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عفان ، ثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، ثنا مالك بن دينار عن الحسن قال : ما أدهن عمر بن الخطاب حتى قتل إلّا بسمن أو أهالة أو زيت .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا الأغرّ المكي ، ثنا عبد الحميد بن سليمان عن أبي حازم قال : دخل عمر على حفصة ابنته فقدمت إليه مرقاً بارداً وخبزاً ، وصب على المرق زيتاً ، فقال : أأدَمَان في إناء واحد ؟ لا أذوقه حتى ألقى الله .

حدثني وهب بن بقية وشجاع بن مخلد قالا : ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ هشام عن الحسن أن عمر رضي الله تعالى عنه دخل على رجل فاستسقاه وهو عطشان فأتاه بعسل مضروب بماء فقال : ما هذا ؟ فقال : عسل . فقال : والله لا يكون هذا فيما أحاسب عليه يوم القيامة[١] .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي ومحمد بن سعد ، قالا : ثنا أبو معاوية الضرير ، ثنا الأعمش عن شقيق بن يسار بن نمير قال : والله ما نخلت لعمر دقيقاً قط إلا وأنا له عاصٍ .

حدثني ابن سعد عن الواقدي عن معمر بن راشد عن الزهري عن السائب بن يزيد عن أبيه قال : رأيت عمر رضي الله تعالى عنه يصلي في

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣١٩ .

جوف الليل في مسجد رسول الله ﷺ عام الرمادة وهو يقول : اللهم لا تهلكنا بالسنين ، وارفع عنا البلاء ، يُرِّدُدُ هذا الكلمة .

ابن سعد عن الواقدي ، حدثني يزيد بن فراس الديلي عن السائب بن يزيد قال : رأيت على عمر بن الخطاب في زمن الرمادة إزاراً فيه ست عشرة رقعة ، وهو يقول : اللهم لا تجعل هلكة أمة محمد علىٰ رجلي .

محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن يزيد قال : حدثني من حضر عمر بن الخطاب عام الرمادة وهو يقول : أيها الناس أدعوا الله أن يُذْهِبَ عنكم المحْل ، وهو يطوف ، وعلى عنقه درة ، قال : وقال عبدالله بن يزيد : قال عبدالله بن ساعدة : رأيت عمر إذا صلى المغرب نادىٰ أيها الناس ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾[1] وتوبوا إليه واستغفروه واستسقوه سقيا رحمة لا سقيا عذاب ، فلم يزل كذلك حتى فَرَّجَ الله .

محمد عن الواقدي عن الثوري عن مطرف عن الشعبي أن عمر رضي الله تعالى عنه خرج يستسقي فقام على المنبر فقرأ هؤلاء الآيات : ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا﴾[2] يقول استغفروا ربكم وتوبوا إليه ، ثم نزل فقيل له : ما يمنعك من أن تستسقي فقال : طلبت المطر بمجاديح[3] السماء التي ينزل بها المطر .

محمد عن الواقدي عن عبدالله بن عمر بن حفص عن أبي وجزة السعدي عن أبيه قال : رأيت عمر خرج بنا إلىٰ المصلّىٰ يستسقي فكان أكثر

---

١ ـ سورة نوح ـ الآية : ١٠ .

٢ ـ سورة نوح ـ الآيتان : ١٠ ـ ١١ .

٣ ـ مجاديح السماء : أنواء السماء . اللسان .

دعائه الاستغفار حتى قلت لا يزيد عليه ، ثم صلىٰ ، ودعا فقال : اللهم اسقنا .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، ثنا عبد الملك بن وهب عن سليمان بن عبدالله بن عويمر الأسلمي عن عبدالله بن دينار عن أبيه قال : لما أجمع عمر أن يستسقي ويخرج بالناس كتب إلىٰ عماله أن يخرجوا يوم كذا ، وأن يتضرعوا إلىٰ ربهم ويطلبوا إليه أن يرفع هذا المحل عنهم ، وخرج عمر لذلك اليوم وعليه بُرْد رسول الله ﷺ حتى انتهىٰ إلى المصلىٰ فخطب الناس فتضرع ، وجعل الناس يلحّون فما كان أكثر دعائه إلّا الإستغفار حتى إذا قرب أن ينصرف رفع يديه مَدّاً وحوّل رداءه فجعل اليمين على اليسار ثم اليسار على اليمين ، ثم مدّ يديه وجعل يلحّ في الدعاء ويبكي بكاءً طويلاً حتى اخضل لحيته .

حدثني محمد عن الواقدي عن خالد بن الياس عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه أن عمر بن الخطاب صلى بالناس عام الرمادة ركعتين وكبّر فيهما خمساً أو سبعاً .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن ابن أبي عون قال : قال عمر للعباس بن عبد المطلب : يا أبا الفضل كم بقي علينا من النجوم ؟ قال : العوّاء . قال : كم بقي منها ؟ قال : ثمانية أيام . فقال عمر : عسىٰ الله أن يجعل فيها خيراً ، ثم قال للعباس : أَغْدُ غَدَاً إن شاء الله قال : فلما ألح عمر بالدعاء أخذ بيد العباس ثم رفعها وقال : «أللهم إنا نستشفع إليك بعم نبيّك أن تُذهب عنا المحل وتسقينا الغيث» ، قال : فلم

١ ـ قزع السحاب : قطع السحاب رقاق . اللسان .

يبرحوا حتى سُقُوا ، فأطبقت السماء عليهم أياماً فلما مطروا وأحيوا ، أخرج عمر العرب من المدينة وقال : الحقوا ببلادكم .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أسامة بن زيد عن ميمون بن ميسرة عن السائب بن يزيد قال : نظرت إلى عمر يوماً في الرمادة وقد غدا متبتلاً متضرعاً عليه برد لا يبلغ ركبتيه يرفع صوته بالاستغفار ، وعيناه تهرقان على خديه ، وعن يمنيه العباس بن عبد المطلب ، فدعا يومئذ وهو مستقبل القبلة رافعاً يديه إلى السماء ، وعَجَّ إلى ربّه ودعا ، ودعا الناس معه ، ثم أخذ بيد العباس فقال : «اللهم إنا نستشفع إليك بعم رسولك» فمازال العباس إلى جانبه ملبياً يدعو وعيناه تهملان .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن نافع بن ثابت عن أبي الأسود سليمان بن يسار قال : خطب عمر الناس في زمن الرمادة فقال : أيها الناس اتقوا الله في أنفسكم ، وفيما غاب عن الناس من أمركم ، فقد ابتليت بكم ، وابتليتم بي ، فما أدري السخطة عليّ دونكم ، أم عليكم دوني ، أم علي وعليكم ، فهلموا فلندع الله أن يرحمنا ، ويصلح قلوبنا ، ويرفع عنا المحل ، فرئي عمر يومئذ رافعاً يديه يدعو ، ودعا الناس ، وبكىٰ وبكوا ملياً ثم نزل .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر يقول : أيها الناس إني أخشىٰ أن تكون سخطة عَمّتنا ، فاعتبوا ربكم ، وانزعوا وتوبوا إليه وأحدثوا خيراً .

حدثني محمد عن الواقدي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كنا في الرمادة لانرى سحاباً، فلما استسقى عمر بالناس مكثنا أياماً

ثم جعلنا نرى قَزَع السحاب وجعل عمر يظهر التكبير كلما دخل وخرج، وجعل الناس يكبّرون حتى نظر إلى سحابة سوداء جاءت من ناحية البحر ثم تشاءمت فكان الحيا.

حدثني محمد بن سعد، ثنا الواقدي، أنبأ محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد عن أبي وجزة السعدي عن أبيه قال: كانت العرب قد علمت اليوم الذي استسقى فيه عمر وقد بقيت غُبرات[1] منهم فخرجوا يستسقون كأنهم النسور العجاف تخرج من وكورها يعجّون إلى الله.

حدثني محمد بن سعد، ثنا الواقدي، حدثني خالد بن الياس عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أَخَّر الصدقة عام الرمادة فلم يبعث السعاة، فلما كان قابل ورفع الله ذلك الجدب أمرهم أن يخرجوا فأخذوا عقالين[2] فأمرهم أَن يقسموا عقالاً، ويَقْدموا عليه بعقال أي صدقة سنة.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن سفيان بن عيينة عن أبي نجيح عن كردم أن عمر بعث مصدقاً عام الرمادة فقال أعط من أبقتْ له السنة غنماً وراعياً، ولاتعط من أبقت له غنمين وراعيين.

حدثني عمرو الناقد ومحمد بن سعد قالا: ثنا قبيصة بن عقبة، ثنا سفيان.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل.

قال: وحدثنا عارم بن الفضل عن حماد بن زيد كلهم عن عاصم بن

---

١ ـ غبرات: بقايا. اللسان.

٢ ـ العقال: صدقة عام. اللسان.

أبي النجود عن زر بن حبيش قال: رأيت عمر رضي الله تعالى عنه خرج مخرجاً لأهل المدينة فكان آدم طويلاً أعسر يسَّر أصلع متلبباً برداء قطري يمشي حافياً مشرفاً على الناس كأنه راكب على دابة، وهو يقول: ياعباد الله هاجروا ولاتهجروا واتقوا الأرنب أن يحذفها أحدكم بالعصا، أو يرميها بالحجر ثم يأكلها، ولكن ليذل لكم الأسل[1] والنبل، قال: يقول كونوا مهاجرين خلصاء ولاتكونوا متشبهين بهم[2].

وقال الواقدي: لانعرف عندنا أن عمر كان آدم إلا أن يكون رآه عام الرمادة، فانه كان قد تغير لونه حين أكل الزيت واغتم وجاع.

وقال الواقدي: وحدثنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر رجلاً أبيض أمهق، تعلوه حمرة، طوالاً أصلع.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن حزام بن هشام عن أبيه قال: مارأيت عمر مع قوم قط إلا رأيت أنه فوقهم.

حدثني محمد بن سعد، ثنا سليمان بن حرب، ثنا أبو هلال قال: سمعت أبا التياح يحدث في مجلس الحسن قال: لقي رجل راعياً فقال له: أشعرت أن ذلك الرجل الأعسر اليسر ـ يعني عمر ـ قد أسلم؟ فقال: الذي يصارع في سوق عكاظ؟ قال: نعم، قال: والله ليوسعنّهم خيراً أو شراً.

حدثني عبيد الله بن معاذ حدثني أبي عن شعبة عن سماك بن

---

١ ـ الأسل: نبات له أغصان كثيرة بلا ورق، والأسل الرماح. اللسان.

٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٣٢٠ ـ ٣٢٣.

حرب قال: أخبرني هلال بن عبد الله قال: رأيت عمر رجلاً جسيماً كأنه من رجال بني سدوس.

قال: وحدثنا شعبة عن سماك عن هلال قال: كان عمر يسرع في مشيته، وكان آدم وكان في رجليه رَوَح[1].

حدثنا خلف بن هشام، ثنا عبد الوهاب بن عطاء، أنبأ ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان عن نافع بن جبير بن مطعم قال: صلع عمر فاشتد صلعه.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي، ثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أسلم قال: كان عمر إذا غضب أخذ بهذا وأشار إلى سبلته[2]، أو قال: شاربه فقال بها إلى فمه ونفخ فيه.

حدثني محمد بن سعد، ثنا معن بن عيسى، ثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه أتاه رجل فقال له: ياأمير المؤمنين هذه بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية، وأسلمنا عليها في الإسلام ثم تحمى علينا؟ قال: فجعل عمر ينفخ ويفتل شاربه.

حدثني محمد بن سعد، ثنا عبيد الله بن موسى، أنبأ إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة بن عبد الله عن عبد الله قال: ركب عمر فرساً فانكشف ثوبه عن فخذه فرأى أهل نجران بفخذه شامة سوداء فقالوا: هذا الذي نجد في كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا.

١ ـ الروح: اما سعة بين الرجلين أو انبساط في صدر القدم. اللسان.
٢ ـ السبلة: الدائر وسط الشفة العليا، وقيل طرف الشارب. اللسان.

حدثنا سريج بن يونس، ثنا يزيد بن هارون، ثنا حميد الطويل عن أنس ابن مالك قال: خضب عمر بالحناء.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن خالد بن أبي بكر قال: كان عمر يصفّر لحيته، ويرجل رأسه بالحناء.

حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: قال أنس: رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبَّد بعضهن على بعض.

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي، ثنا خالد بن مخلد، ثنا عبد الله بن عمر عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: رأيت عمر بن الخطاب يرمي جمرة العقبة وعليه إزار مرقوع بفرو، وهو يومئذ والٍ.

حدثنا عفان، ثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني قال: قال أنس: لقد رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميص له.

حدثني خلف بن هشام، ثنا حماد بن زيد عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: كنا عند عمر وعليه قميص في ظهره أربع رقاع فقرأ ﴿وفاكهة وأبا﴾[1] فقال ما الأبّ؟ثم قال إن هذا لهو التكلف وما عليك ألا تدري ما الأبّ، الأبّ الحشيش اليابس.

حدثني محمد بن سعد، ثنا محمد بن عبد الله الأسدي، ثنا سفيان عن سعيد الجريري عن أبي عثمان أخبرني من رأى عمر رضي الله تعالى عنه يرمي الجمرة، عليه إزار قطري مرقوع برقعة من أدم.

حدثنا عفان، ثنا مهدي بن ميمون، ثنا سعيد الجريري عن أبي عثمان

١ - سورة عبس - الآية: ٣١ .

النهدي قال: طاف عمر بالبيت وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة إحداهن من أدم أحمر.

حدثنا خلف البزار، ثنا أبو عوانة عن أبي أنس عن عطاء عن عبيد الله بن حمير قال: رأيت عمر يرمي الجمار وعليه إزار مرقوع على موضع القعود.

حدثنا محمد بن سعد عن وكيع عن الأعمش عن ابراهيم التيمي عن عمرو بن ميمون قال: رأيت على عمر بن الخطاب يوم أصيب إزار أصفر.

حدثنا محمد بن سعد، أنبأوكيع عن سعيد بن المرزبان أبي سعيد البقال عن عمرو بن ميمون قال. أمنّا عمر بن الخطاب في بَت[1].

حدثني محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عبيد، ثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن عمرو بن ميمون قال: رأيت على عمر لما طُعن ملحفة صفراء قد وضعها على جرحه وهو يقول: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدورا﴾[2].

حدثني محمد بن سعد، ثنا عارم بن الفضل، ثنا حماد بن زيد عن بديل ابن ميسرة قال: خرج عمر بن الخطاب يوماً إلى الجمعة وعليه قميص سنبلاني فجعل يعتذر إلى الناس فيقول حبسني قميصي هذا وجعل يَمدّ كُمّه فإذا تركه رجع إلى أطراف أصابعه.

حدثني محمد بن سعد، ثنا مالك بن اسماعيل النهدي، ثنا عمر بن زياد الهذلي عن الأسود بن قيس عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: حدثني دهقان قرية كذا قال: مرّ بي عمر فألقى إليّ قميصه فقال: اغسل هذا

---

١ - البت: كساء غليظ أخضر. اللسان.

٢ - سورة الأحزاب - الآية: ٣٨ .

بالأشنان، فعمدت إلى ثوبين فقطعت منهما قميصين وأتيته بهما فقلت: إلبس هذين فإنهما أجمل وألين، فقال: أَمِنْ مالك؟ قلت: نعم، قال: هل خالطه شيء من مال الذمة؟ قلت: لا إلا خياطته. فقال: أعْزُبْ عني[1]، هلمّ قميصي، قال: فلبسه وإنه لأخضر من الأشنان.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن حاتم بن اسماعيل عن عبيد الله بن الوليد عن أنس بن مالك قال: رأيت على عمر إزاراً فيه أربع عشرة رقعة بعضها أدم، وما عليه قميص ولا رداء وهو معتم معه الدرة يطوف في سوق المدينة[2].

قال الواقدي: ثنا حزام بن هشام عن أبيه قال: رأيت عمر يأتزر فوق السرة.

حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء، ثنا ابو داود الطيالسي، أنبأ شعبة، أخبرني عامر بن عبيدة الباهلي قال: سألت أنس بن مالك عن الخزّ فقال: وددت أن الله لم يخلقه وما أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا وقد لبسه إلا عمر وابن عمر.

حدثني محمد بن سعد، ثنا معن بن عيسى، ثنا سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر تختّم في اليسار.

حدثني محمد بن سعد، ثنا الفضل بن دكين أبو نعيم، ثنا عمرو بن عبد الله عن مُهاجر أبي الحسن عن عمرو بن ميمون عن عمر رضي الله تعالى

---

١ ـ أي: اذهب أو ابعد عني.
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٣٢٨ ـ ٣٣٠ .

عنه أنه كان يقول في دعائه: اللهم توفني مع الأبرار ولاتخلفني في الأشرار، وقني عذاب النار، وألحقني بالأخيار.

حدثني محمد بن سعد، ثنا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن حفصة أنها سمعت عمر أباها يقول: أللهم ارزقني قتلاً في سبيلك، ووفاة في بلد نبيك، قالت: فقلت: وأنّى ذلك؟ فقال: إن الله يأتي بأمره أنّى شاء.

حدثني محمد بن حاتم بن ميمون، ثنا عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك بن عمير عن أبي بردة عن أبيه قال: رأى عوف بن مالك أن الناس جُمعوا في صعيد واحد وإذا رجل أعلى منهم بقدر ثلاثة أذرع، فقال: : من هذا؟ قالوا: عمر بن الخطاب. قال: بماذا يعلوهم؟ قالوا: إن فيه ثلاث خصال: لا يخاف في الله لومة لائم، وإنه خليفة مستخلف، وشهيد مستشهد، فحدث عوف أبا بكر بذلك فدعا عمر فبشره به، فلما ولي عمر، وانطلق إلى الشام رأى عوف بن مالك فقال له: اقصص علي رؤياك فقصها، فقال: أما ألاّ أخاف في الله لومة لائم فأرجو أن يجعلني الله كذلك، وأما خليفة مستخلف فإني أسأل الله أن يعينني على ما ولاني، وأما شهيد مستشهد فأنّى لي بالشهادة وأنا بين ظهراني جزيرة العرب، ولست أغزو والناس حولي، ثم قال: بلى بلى يأتي الله بها إن شاء الله.

حدثني عبد الله بن أمية البصري، ثنا مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار عن سعد مولى عمر بن الخطاب أن كعب الأحبار قال لعمر بن الخطاب: إنّا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا مت لم يزالوا يقتحمونها إلى يوم القيامة.

حدثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، أنبأثابت البناني عن أنس عن أبي موسى الأشعري، قال: رأيت كأني انتهيت إلى جبل فإذا رسول الله ﷺ فوقه، وإلى جنبه أبو بكر، وإذا هو يومىء إلى عمر أنْ تعال، فقلت: إنّا لله. مات أمير المؤمنين. قال: فقلت ألا تكتب بهذا إلى عمر؟فقال: ماكنت لأنعى إليه نفسه.

حدثنا روح بن عبد المؤمن، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: كنت واقفاً مع عمر بن الخطاب بعرفات وإنّ ركبتي لتمسّ ركبته ونحن ننتظر غروب الشمس لنفيض، فلما رأى تكبير الناس ودعاءهم أعجبه ذلك فقال: ياحذيفة، كم ترى هذا يبقى للناس؟ فقلت: إنّ على الفتنة باباً، فإذا كسر الباب، أو فتح خرجتْ. ففزع فقال: وما ذلك الباب وما كسر باب أو فتحه؟ قلت: رجل يموت أو يُقتل. فقال: ياحذيفة من ترى قومك يؤمّرون بعدي؟قلت: رأيت الناس قد أسندوا أمرهم إلى عثمان بن عفان.

حدثنا بكر بن الهيثم، ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن محمد بن جبير عن جبير بن مطعم قال: بينا عمر واقف على جبال عرفة إذ سمع رجلاً يصرخ يقول: ياخليفة رسول الله، فسمعه رجل من الأزد يزجر ويعتاف فقال: مالك فك الله لهواتك؟ قال جبير: فإني من الغد واقف مع عمر على العقبة يرمي إذ جاءت حصاة غائرة فنقفت رأس عمر فأدمته، فسمعت رجلاً من الجبل يقول: أشْعر ورب الكعبة، لايقف عمر هذا الموقف بعد العام أبداً، قال جبير: فنظرت فإذا هو الأزدي بعينه فاشتد علي ماسمعت.

وقال الكلبي: الرجل الذي قال لعمر أشعر، من قوم من الأزد يقال لهم بنو لهب بن حجر بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، وهم أعيف العرب وأزجرهم.

محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة قال: قالت عائشة: من صاحب هذه الأبيات:

جزى الله خيراً من إمام وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يَسْعَ أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ماقدَّمْتَ بالأمس يسبق
قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها ... بوائق في أكمامها لم تفتَّق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته ... بكفّ سبنتي[1] أحمر العين مطرق

فقالوا: لمزرّد بن ضرار أخي الشماخ، قالت: فلقيت مزرداً فحلف بالله ماشهد هذا الموسم الذي سمعت فيه هذه الأبيات[2].

وقال الواقدي: كان عمر حج بأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها، فلما صدر عن عرفة أقبل راكب فأناخ راحلته، ثم رفع عقيرته وقال:

عليك السلام من إمام وباركت ... يد الله ....

الأبيات، وأولها: «جزى الله خيراً». فكان يقال انه جنّي.

حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، ثنا يحيى بن سعيد القطان عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: لما صدر عمر عن منى أناخ بالأبطح فجمع كوماً من البطحاء فألقى عليه رداءه ثم استلقى ورفع يديه فقال: اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت

---

١ ـ السبنتي: النمر الجريء، وقيل الأسد. اللسان.
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٣٣٣ ـ ٣٣٥.

رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيّع ولامفرط، قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل.

حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الأزدي ثم الزهراني، ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: رأيت كأن ديكاًنقرني نقرتين، فقلت: يسوق الله لي الشهادة ويقتلني رجل أعجمي.

حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري عن أبيه معاذ بن معاذ، ثنا شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة اليعمري أن عمر خطب الناس في يوم جمعة فذكر النبي ﷺ وأبا بكر فقال: رأيت كأن ديكاً نقرني ولا أراه إلا حضور أجلي، وإن قوماً يأمرونني أن أستخلف وإن الله لم يكن ليضيّع دينه وخلافته، والذي بعث به نبيه فإن عجّل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الرهط الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وقد علمت أنه سيطعن في هذا الأمر أقوام بعدي أنا ضربتهم بيدي هذه على الإسلام، فإن فعلوا فأولئك أعداء الله الضالون، ثم إني لم أدع شيئاً هو أهمّ إليّ من الكلالة[1]، وما راجعت رسول الله ﷺ في شيء مراجعتي إياه فيها، وما أغلظ لي مذ صحبته ماأغلظ لي في أمرها حتى طعن باصبعه في بطني فقال: يا عمر، يكفيك الآية التي آخر النساء وإن أَعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لايقرأ القرآن، ثم قال: اللهم إني أشهدك على

١ ـ الكلالة: من لا ولد له ولا والد، وما لم يكن من النسب لحّاً، أو من تكلل نسبه بنسبك كابن العم وشبهه، أو هي الأخوة للأم، أو بنو العم الأباعد، أو ما خلا الوالد والولد، أو هي من العصبة من ورث معه الأخوة للأم. القاموس.

أمراء الأمصار فإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم، ويعدلوا عليهم، ويقسموا فيئهم فيهم، ويرفعوا إلي ماأشكل من أمرهم، ثم إنكم أيها الناس تأكلون من هاتين الشجرتين الخبيثتين: البصل والثوم، وقد كنت أرى رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر فأخذ بيده فأخرج من المسجد إلى البقيع فمن كان لابدّ آكلهما فليمتهما طبخاً.

حدثني شيبان بن فروخ عن عثمان البرتي عن الحسن قال: كان عمر يقول اعتزل عدوك وتجانبه وتحرز من خليلك واحذره، ولاتفش سرك إلى فاجر فيضيّعه، وشاور أهل الدين والعقل.

حدثني محمد بن سعد وعمرو بن محمد الناقد ووهب بن بقية قالوا: ثنا يزيد بن هارون، ثنا شعبة عن أبي جمرة عن جارية بن قدامة التميمي قال: حججت عام توفي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فأتى المدينة فخطب فقال: رأيت كأن ديكاً نقرني. فما عاش إلا تلك الجمعة حتى طعن، فدخل عليه أصحاب النبي ﷺ، ثم أهل المدينة، ثم أهل الشام، ثم أهل العراق، قال: وكنا آخر من دخل إليه فكلما دخل قوم بكوا وأثنوا، قال فكنت فيمن دخل فإذا هو قد عصب جراحته قال: فسألناه الوصية وماسأله الوصية أحد غيرنا، فقال: أوصيكم بكتاب الله فإنكم لن تضلوا مااتبعتموه وأوصيكم بالمهاجرين فإن الناس يكثرون وهم يقلّون وأوصيكم بالأنصار فإنهم شعب الإسلام الذي لجأ إليه، وأوصيكم بالأعراب فإنهم أصلكم ومادتكم وإخوانكم وعدو عدوكم، وأوصيكم بأهل الذمة فإنهم ذمة نبيكم وأرزاق عيالكم. قوموا عني.

حدثني عمرو الناقد والحسين بن علي بن الأسود، ثنا محمد بن الفضيل بن

غزوان الضبّي، ثنا حسين بن عبد الرحمن عن عمرو بن ميمون، قال: رأيت عمر واقفاً على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حُنيف وهو يقول لهما: أتخافان أن تكونا قد حمّلتما على الأرض مالاتطيق؟ فقال حذيفة: لقد حمّلتها ماهي له مطيقة وما فيها كبير فضل. وقال عثمان: لو شئت لأضعفت ما على أرضي، فجعل يقول: انظروا مالديكما أن تكونا حملتما على الأرض فوق طاقتها، وقال: والله لئن سلمني الله لأدعنَّ أرامل أهل العراق لايحتجن إلى أحد بعدي أبداً. قال: فما أتت عليه أربع حتى أصيب، وكان إذا دخل المسجد قام بين الصفوف ثم قال: استووا وتقدم فكبّر، فلما كبّر طعن، قال: فسمعته يقول قطعني الكلب، أو قال أكلني الكلب، وطار العلج ومعه سكين ذات طرفين ما يمر برجل يميناً وشمالاً إلا طعنه فأصاب ثلاثة عشر رجلاً من المسلمين، مات منهم تسعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً له فأخذه فلما ظن أنه مأخوذ نحر نفسه، قال عمرو: وما كان بيني وبينه حين طُعن إلا ابن عباس فأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فصلوا الفجر يومئذ صلاة خفيفة، فأما أهل نواحي المسجد فلا يدرون ما الأمر لأنهم حين فقدوا صوت عمر جعلوا يقولون: سبحان الله ، سبحان الله، قال: فلما انصرفوا كان أول من دخل على عمر ابن عباس، فقال: انظر من قتلني، فخرج ابن عباس فجال ساعة حتى استثبت، ثم أتاه فقال: غلام المغيرة بن شعبة الصناع، قال: وكان نجاراً، فقال: ما له قاتله الله؟ والله لقد كنت أمرت به معروفاً. وقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل من المسلمين، ثم قال لابن عباس: أما أنك وأبوك كنتما تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة، فقال: إن شئت فعلنا؟ فقال: بعد أن تكلموا بكلامكم، وصلوا

صلواتكم، ونسكوا نسككم. فقال له الناس: ليس عليك بأس فدعا بنبيذ فشربه فخرج من جرحه، فلما ظن أنه الموت، قال: ياعبد الله بن عمر، انظر كم علي من الدين؟ قال: فحسبه فوجده ستة وثمانين ألف درهم، فقال: ياعبد الله، إن وفى بها مال آل عمر فأدِّهَا عني من أموالهم، وإن لم تف بها أموالهم فسل فيها بني عدي، فإن لم تف أموالهم فسل فيها قريشاً ولاتعدهم إلى غيرهم، ثم قال: ياعبد الله اذهب إلى عائشة أم المؤمنين فقل لها: يقرئك عمر السلام ولاتقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم لهم بأمير، ويقول: أتأذنين أن أدفن مع صاحبيّ، فأتاها ابن عمر فوجدها قاعدة تبكي، فسلم عليها ثم قال: عمر يستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأؤثرنّه اليوم على نفسي، فلما جاء قيل: هذا عبد الله بن عمر، فقال عمر: ارفعاني فأسنده رجل إليه فقال: مالديك؟ قال: أذنتْ لك، فقال عمر: ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع، ياعبد الله بن عمر انظر إذا أنا متّ فاحملني على سريري، ثم قف على الباب فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لك فادخلني، وإن لم تأذن لك فادفنيّ في مقابر المسلمين، فلما حمل كان المسلمون كأنهم لم تصبهم مصيبة إلا يومئذٍ، قال: فأذنت له عائشة، فدفن مع النبي ﷺ وأبي بكر، وقالوا له حين حضرته الوفاة: استخلف، فقال: لا أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، فسمى علياً، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وقال: إن أصابت سعداً فذاك، وإلا فأيُّهم استخلف فليَسْتَعِنْ به، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، قال: وجعل عبد الله بن عمر معهم يشاورونه، وليس له من الأمر شيء.

فلما اجتمعوا قال عبد الرحمن: اتركوا أمركم إلى ثلاثة نفر منكم فجعل الزبير أمره إلى علي، وجعل طلحة أمره إلى عثمان، وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف، فائتمروا أمر اولئك الثلاثة حين جعل الأمر إليهم، فقال عبد الرحمن: أيُكم يبرأ من الأمر ويجعل الأمر إليّ، ولكم عليّ ألا آلوكم نصحاً، فأسكتَ الشيخان علي وعثمان، فقال عبد الرحمن: أتجعلانه إلي وأنا أخرج منها فوالله لاآلوكم عن أفضلكم وخيركم للمسلمين؟قالوا: نعم فخلا بعليّ فقال: إن لك من القرابة برسول الله والقِدَم مالك، فالله عليك لئن استخلفت لتعدلن، ولئن استخلف عثمان لتسمعن وتطيعن؟ فقال: نعم. فخلا بعثمان فقال له مثل ذلك، فقال عثمان: نعم، فقال: ابسط يدك ياعثمان فبسط يده فبايعه عليّ والناس.

وقال عمر رضي الله تعالى عنه : أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله والمهاجرين الأولين أن يحفظ لهم حقهم ، ويعرف لهم حرمتهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام وغيظ العدو وجباة المال ، ولا يؤخذ منهم إلا بحقوقهم ، أو قال : فضلهم عن رضىً منهم ، وأوصيه بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان ، وأن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام ، أن تؤخذ صدقاتهم من حواشي أموالهم فترد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله ، وذمة رسوله أن يوفىٰ لهم بعهدهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، وأن يقاتل من وراءهم[1] .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا معاوية بن عمر الأزدي ، ثنا زهير بن

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .

معاوية ، ثنا أبو إسحاق عن عمر بن ميمون قال : شهدت عمر رضي عنه حين طعن فأتاه أبو لؤلؤة وهو يسوي الصفوف فطعنه وطعن اثني عشر معه ، وكان الثالث عشر قال : فأنا رأيت عمر باسطاً يديه وهو يقول : أدركوا الكلب فقد قتلني ، فماج الناس وأتاه رجل من ورائه فأخذه ، فمات ممن جرح ستة أو سبعة ، وحمل عمر إلى منزله وأتاه الطبيب فقال : أي الشراب أحب إليك؟ قال: النبيذ. فدعا بنبيذ فشرب منه فخرج من إحدىٰ طعناته فقالوا : إنما هذه صديد الدم . فدعا بلبن فشرب منه فخرج فقال : أوص بما كنت موصياً به ، فوالله ما أراك تمسي . وأتاه كعب فقال : ألم أقل لك أنك تموت شهيدا فتقول : من أين وأنا في جزيرة العرب ؟ قال : وقال رجل : الصلاة يا عباد الله فقد كادت الشمس تطلع فتدافعوا حتى قدموا عبد الرحمن بن عوف ، فقرأ أقصر سورتين من القرآن : والعصر ، وإنا اعطيناك الكوثر . فقال عمر : يا عبدالله ائتني بالكتف الذي كنت كتبت فيها بشأن الجَدّ بالأمس فلو أراد الله أن يتم هذا الأمر لأتمه ، فقال عبدالله بن عمر : نحن نكفيك محوها ، فقال : لا وأخذها فمحاها بيده ، ثم دعا بستة نفر : علي ، وعثمان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام ، فدعا عثمان أولهم فقال : يا عثمان ، إن عرف لك أصحابك سنَّك وصهرك من رسول الله ﷺ فاتَّقِ الله ولا تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ، ثم دعا علي بن أبي طالب فأوصاه ، ثم أمر صهيباً أن يصلي بالناس ثلاثاً[1] .

حدثني أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا عبيدالله بن موسىٰ ، أنبأ اسرائيل بن

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج٣ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ .

يونس عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال : شهدت عمر يوم طعن فما منعني من أن أكون من الصف المقدم إلا هيبته ، وكان رجلاً مهيباً فكنت في الصف الذي يليه ، وكان عمر لا يكبّر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه ، فإن رأى رجلاً متقدماً من الصف أو متأخراً عنه ضربه بالدرة ، فذلك الذي منعني منه فأقبل عمر فعرض له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فتأخر عمر غير بعيد ، ثم طعنه ثلاث طعنات ، قال : فسمعت عمر وهو يقول هكذا بيده وقد بسطها : دونكم الكلب قد قتلني ، وماج الناس فجرح ثلاثة عشر رجلاً ، وشدّ عليه رجل من خلفه فاحتضنه واحتمل عمر وماج الناس بعضهم في بعض حتى قال قائل : الصلاة عباد الله ، طلعت الشمس . فدفعوا عبد الرحمن بن عوف فصلىٰ بأقصر سورتين في القرآن : إذ جاء نصر الله والفتح ، وإنا أعطيناك الكوثر ، واحتمل عمر فدخل الناس عليه فقال : يا عبدالله بن عباس أخرج فناد في الناس : أيها الناس : إن أمير المؤمنين يقول أَعَنْ ملأ منكم هذا ؟ فقالوا : معاذ الله . ما علمنا ولا اطلعنا ، ثم قال : ادعوا لي الطبيب فدعي له فقال : أي الشراب أحب إليك ؟ فقال : النبيذ . فسقي نبيذاً فخرج من بعض طعناته فقال الناس : هذا صديد ، اسقوه لبناً فخرج فقال الطبيب . ما أرك تمسي فما كنت فاعلاً فافعله فقال : يا عبدالله بن عمر ناولني الكتف ، فلو أراد الله أن يمضي ما فيها أمضاه ، فقال له ابن عمر : أنا أكفيك محوها . فقال : لا والله لا يمحوها أحد غيري ، فمحاها عمر بيده وكان فيها فريضة الجد ، ثم قال : ادعوا لي علياً ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف وسعداً ، فلم يكلم أحداً منهم غير عثمان وعلي رضي الله عنهم ، فقال : يا علي ، لعل

هؤلاء القوم يعرفون لك قرابتك من النبي ﷺ وصهرك ، وما آتاك الله من الفقه والعلم ، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله فيه ، ثم دعا عثمان فقال : يا عثمان ، لعل هؤلاء القوم سيعرفون لك صهرك من رسول الله ﷺ وسنك وشرفك ، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله ولا تحملن بني أبي معيط على رقاب الناس ، ثم قال : ادعوا لي صهيباً فدُعي فقال : صلِّ بالناس ثلاثاً وليخل هؤلاء القوم في بيت فإذا أجمعوا على رجل فمن خالفهم فاضربوا رأسه ، فلما خرجوا من عند عمر قال : إن ولُّوها الأجلح سلك بهم الطريق ، يعني علي بن أبي طالب ، فقال ابن عمر : فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين ؟ قال : أكره أن أتحملها حياً وميتاً ، ثم دخل عليه كعب فقال : جاء ﴿الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾[1] قد أنبأناك أنك شهيد ، فقلت أنّىٰ لي بالشهادة وأنا في جزيرة العرب .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا وكيع عن أبي معشر ، ثنا أشياخنا قالوا : قال عمر رضي الله عنه : إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة التي لا جبرية معها ، واللين الذي لا وهن فيه .

المدائني قال : كان عمر يقول الرأي كثير ، والحزم قليل ، وكان عروة بن الورد العبسي من حزماء الرجال ، وأشار عيينة بن حصن على عمر أن ينحي عنه العجم وقال : إني لأخاف عليك هذه الحمراء ، فلما طعن قال: ما فعل عُيينة بن حصن؟ قالوا: مات قال: لله رأي بين الحاجر

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ٦٠ .

والرقم[١] ، ويقال انه قال : لله قبر بين الحاجر والرقم لقد ضمن رأياً وحزماً .

حدثني شيبان الآجري عن نافع أبي هرمز عن أنس عن عمر أنه قال : لكل شيء رأس ورأس المعروف أعجله .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا علي بن مسعدة ، ثنا عبدالله الرومي قال : دخلت على أم طلق بيتها فإذا سُمْكُهُ قصير يكاد يناله رأسي فقلت لها يا أم طلق ، ما أقصر سقف بيتك ! فقالت : أي بنيّ أو ما علمت ما كتب به عمر بن الخطاب إلى الأمصار والآفاق ، كتب لا تطيلوا بيوتكم فإنه من شر أعمالكم . قلت : هل رأيت أبا ذر ؟ قالت : نعم ، ودخلتُ عليه بيته ، قلت : كيف رأيت هيئته ؟ قالت : رأيته أشعث أغبر وبيده عودان قد خالف بينهما وإلى جانبه صوف منفوش فهو يأخذ منه ويغزل ، فأعطيته شيئاً من دقيق أو سويق كان معي فأخذه في طرف ثوبه ، ثم قال لي : ثوابك أو أجرك على الله .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا عبد الكريم بن بكر السهمي ، ثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سماك أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما احتضر قال : ان استخلف فسنَّة ، وإن لم استخلف فسنَّة ، توفي رسول الله ﷺ ولم يستخلف ، وتوفي أبو بكر فاستخلف . فقال علي بن أبي طالب : عرفت والله أنه لم يعدل بسنة رسول الله ﷺ ، فذاك حين جعلها شورى بين : علي ، وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمن ، وسعد ، وقال

---

١ ـ الحاجر موضع قبل معدن النقره على طريق مكة ، والرقم جبال دون مكة بديار غطفان . معجم البلدان .

للأنصار : أدخلوهم بيتاً ثلاثة أيام ، فإن استقاموا ، وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم[١] .

حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ علي بن زيد عن أبي رافع أن عمر بن الخطاب كان مسنداً إلى ابن عباس ، وكان عنده ابن عمر وسعيد بن زيد ، فقال : اعلموا أني لم أقل في الكلالة شيئاً ، ولم استخلف بعدي أحداً ، وأنه من أدرك وفاتي من سبي العرب فهو حر من مال الله ، فقال سعيد بن زيد : أما أنك لو أشرت برجل من المسلمين ائتمنك الناس .

فقال عمر : قد رأيت من أصحابي حرصاً سيئاً ، وإني جاعل هذا الأمر إلى هؤلاء النفر الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، ثم قال : لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبي حذيفة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين فأين أنت عن عبدالله بن عمر ؟ فقال له : قاتلك الله . والله ما أردت الله بها . أستخلف رجلاً لم يحسن يطلق امرأته ؟ قال عفان : يعني بالرجل المغيرة بن شعبة .

حدثنا أبو الربيع الزهراني ، ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب عن عبدالله بن أبي مليكة أن ابن عمر قال لعمر : لو استخلفت . قال : من ؟ قال : تجتهد . لو أنك بعثت إلى قيّم أرضك ألم تكن تحب أن تستخلف مكانه حتى يرجع إلى الأرض ؟ قال : بلىٰ ، قال : أرأيت لو بعثت راعي غنمك ألم تكن تحب أن تستخلف رجلاً حتى يرجع ؟

حدثني محمد بن سعد ، ثنا يعقوب بن ابراهيم الزهري عن أبيه عن

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٤٢ .

صالح بن كيسان قال : قال ابن شهاب : أخبرني سالم بن عبدالله أن عبدالله بن عمر قال : دخل الرهط على عمر قبل أن ينزل به فنظر إليهم فقال : إني نظرت لكم في أمر الناس فلم أجد عند الناس شقاقاً إلا أن يكون منكم ، وإنما الأمر إلى هؤلاء الستة ، وكان طلحة غائباً في ماله بالشراة ، وإنما يؤم قومكم أحدكم أيها الثلاثة : عبد الرحمن ، وعثمان ، وعلي ، فإن كنت على شيء من أمر الناس يا عبد الرحمن فلا تحملنّ ذوي قرابتك على رقاب الناس ، وإن كنت يا عثمان علىٰ شيء من أمر الناس فلا تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ، وإن كنت يا عليّ على شيء من أمر الناس فلا تحملن بني هاشم على رقاب الناس ، ثم قال : قوموا فتشاوروا وأمّروا أحدكم .

قال عبدالله بن عمر : فقاموا يتشاورون ، فدعاني عثمان ليدخلني في الأمر ، ولا والله ما أحب أني كنت دخلت فيه ، علماً أنه سيكون في أمرهم ما قال أبي ، فوالله لقلَّما رأيته يحرك شفتيه بشيء قط إلا كان حقاً ، فلما أكثر عليٌّ عثمان قلت له : ألا تعقلون ؟ أتؤمّرون وأمير المؤمنين حي ؟ فوالله لكأنما أيقظتْ عمر من رقدة فقال : أمهلوا فإن حدث بي حدث فليصلّ بكم صهيب ثلاث ليال ، ثم اجمعوا أمركم فمن تأمرّ على غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه .

قال ابن شهاب : قال سالم: قلت لعبدالله : ابدأ بعبد الرحمن قبل عليّ . قال : نعم والله .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهري عن أبيه عن صالح بن كيسان عن أبي شهاب قال : كان عمر بن الخطاب رضي

الله تعالى عنه لا يأذن لصبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة وهو على الكوفة يذكر غلاماً له صانعاً ، ويستأذنه في دخوله المدينة ، ويقول إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس ، إنه : حداد ، نقاش ، نجار ، فكتب إليه عمر فأذن له أن يرسل به إلى المدينة ، وضرب عليه المغيرة مائة درهم كل شهر ، فجاء إلى عمر يشتكي إليه شدة الخراج وثقله فقال له : ماذا تحسن ؟ فذكر له الأعمال التي يحسنها ، فقال عمر : ما خراجك بكثير في جنب ما تعمل ، فانصرف ساخطاً يتذمر فلبث عمر ليالي ، ثم إن العبد مرّ به فدعاه فقال له : ألم أُحَدَّث أنك تقول لو أشاء لصنعت رحىٰ تطحن بالريح ؟ فالتفت العبد إلى عمر ساخطاً عابساً ، وكان مع عمر رهط ، فقال : لأصنعنّ لك رحىً تتحدث الناس في المشرق والمغرب بها . فلما وَلَّى العبد أقبل عمر على الرهط الذين كانوا معه فقال لهم : أوعدني العبد آنفاً ، فلبث ليالي ثم اشتمل على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه ، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في غبش السحر ، فلم يزل هناك حتى خرج عمر رضي الله عنه يوقظ الناس لصلاة الصبح ، وكان عمر يفعل ذلك ، فلما دنا عمر منه وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت السرة فخنقت[1] الصفاق ، وهي التي قتلته ثم أغار على أهل المسجد فطعن من يليه حتى طعن سوى عمر أحد عشر رجلاً ، ثم انتحر بخنجره ، فقال عمر حين أدركه النزف وانقصف الناس عنه : قولوا لعبد الرحمن بن عوف ، فليصل بالناس ، ثم غلب عمر النزف حتى غشي عليه ، قال ابن عباس : فاحتملته في رهط حتى أدخلته ، ثم صلىٰ للناس عبد الرحمن فأنكر الناس صوت عبد الرحمن ، قال ابن

١ ـ في طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٤٥ «فخرقت» وهو أوضح وأقوم .

عباس : فلم أزل عند عمر ولم يزل في غشية واحدة حتى أسفر الصبح ، ثم أفاق فنظر إلى وجوهنا ثم قال : أصلىٰ الناس ؟ قلت : نعم . قال : لا إسلام لمن ترك الصلاة ، ثم دعا بوضوء فتوضأ ثم قال : اخرج يا عبدالله فسل من قتلني ، قال : فخرجت حتى فتحت باب الدار فإذا الناس مجتمعون جاهلون بخبر عمر ، فقلت من طعن أمير المؤمنين ؟ قالوا : طعنه عدو الله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ثم طعن معه رهطاً ، ثم قتل نفسه ، فأخبرت عمر فقال : الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يُحاجّني عند الله بسجدة سجدها له قط ، ما كانت العرب لتقتلني . قال سالم:فسمعت عبدالله بن عمر يقول:قال عمر : أرسلوا إلى الطبيب ينظر في جرحي هذا فأرسلوا إلىٰ طبيب من العرب فسقاه نبيذا فشبه النبيذ بالدم حين خرج من الطعنة التي تحت السرة ، قال فدعوت طبيباً آخر من الأنصار فسقاه لبناً فخرج من الطعنة أبيض ، فقال الطبيب : يا أمير المؤمنين إعهد ، فقال عمر : صدقني أخو بني معاوية ، ولو قلت غير ذلك كذبتك . قال:فبُكىٰ عليه القوم حين سمعوا قوله ، فقال : لا تبكوا علينا ألم تسمعوا قول رسول الله ﷺ : «يُعذَّب الميت ببكاء أهله عليه» ، فبلغ عائشة رضي الله تعالى عنها قوله فقالت : «إنما مر رسول الله ﷺ على نُوَّحٍ يبكين على هالك ، فقال إن هؤلاء يبكون وصاحبهم يعذب وكأن قد اجترم ذلك» .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام بن عمار عن أبي الحويرث قال : لما قدم المغيرة بن شعبة المدينة ضرب على غلامه أبي لؤلؤة مائة وعشرين درهماً ، في كل شهر ، أربعة دراهم في اليوم ، وكان خبيثاً إذا نظر إلى السبي الصغار مسح رؤوسهم وبكىٰ وقال : إن العرب أكلت كبدي ،

فلما قدم عمر من مكة جاء أبو لؤلؤة إلى عمر يريده فوجده غادياً إلى السوق وهو متكىء على يد عبدالله بن الزبير فقال : يا أمير المؤمنين إن سيدي المغيرة يكلفني من الضريبة ما لا أطيق، فقال عمر: وكم كلفك؟ قال: أربعة دراهم في كل يوم ، قال : وما تعمل ؟ قال : الأرحية ، وسكت عن سائر أعماله . قال : في كم تعمل الرحىٰ ؟ فأخبره ، قال : وبكم تبيعها ؟ فأخبره فقال عمر : لقد كلفك يسيراً ، انطلق فاعط مولاك ما سألك ، فلما ولىٰ قال عمر: ألا تعمل لنا رحىٰ؟ قال: بلى أعمل لك رحىٰ يتحدث بها أهل الأمصار ففزع عمر من كلمته وقال لعلي وكان معه : ما تراه أراد ؟ قال : أوعدك يا أمير المؤمنين . قال عمر : يكفيناه الله ، قد ظننت أنه يريد بكلمته غوراً . قالوا وكان أبو لؤلؤة من سبي نهاوند .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أبي بكر بن اسماعيل عن أبيه قال : لما طعن عمر هرب أبو لؤلؤة وجعل عمر ينادي : الكلب ، الكلب ، وطعن نفسه ، فأخذ أبو لؤلؤة رهط من قريش : عبدالله بن عوف الزهري ، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، ورجل ، فطرح عليه عبدالله بن عوف خميصة كانت عليه فانتحر بالخنجر حين أُخذ ، واحتز عبدالله بن عوف رأس أبي لؤلؤة، وقال هشام ابن الكلبي : وثب كليب بن قيس بن بُكير الكناني الجزار على أبي لؤلؤة فقتله .

حدثني روح بن عبد المؤمن عن أبي عوانة عن رقية بن مصقلة عن أبي صخرة عن عمرو بن ميمون قال : سمعت عمر حين طعن يقول : ﴿وكان أمر الله قدراً مقدورا﴾[1] .

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٨ . طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، ثنا العمري عن نافع عن ابن عمر أن عمر كان يكتب إلى أمراء الجيوش ألا تجلبوا علينا شيئاً من العلوج أحداً جرت عليه الموسىٰ ، فلما طعنه أبو لؤلؤة قال : من هذا ؟ قالوا : غلام المغيرة بن شعبة . قال : قد قلت لكم : لا تجلبوا علينا من العلوج أحداً فغلبتموني .

حدثني عمرو الناقد ، ثنا يعلىٰ بن عبيد عن يحيىٰ بن سعيد بن المسيب قال : طعن الذي طعن عمر اثني عشر رجلاً بعمر ، فمات منهم ستة بعمر ، وأفرق[1] ستة .

حدثنا سريج بن يونس وعمرو الناقد قالا : ثنا اسماعيل بن عُلية عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أن عمر لما طعن جعل يغمىٰ عليه ، فقيل إنكم لن تنبهوه أو لم تفزعوه بمثل الصلاة إن كانت به حياة . فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين الصلاة فقد صُلِّيَتْ ، فانتبه فقال : الصلاة ؟ ها الله إذاً ، ولا حظّ لمن ترك الصلاة . قال:فصلى وإن جرحه ليثغب دماً .

وقال الواقدي : حدثني عمر بن أبي عاتكة عن أبيه عن ابن عمر أن عمر صلىٰ الصبح حين طعن فقرأ في الأولى : والعصر . وفي الثانية : قل يا أيها الكافرون .

حدثنا عفان ، ثنا شعبة عن سماك قال : سمعت ابن عباس قال : دخلتُ على عمر حين طعن فجعلت أثني عليه ، فقال : بأي شيء تثني عليّ يا بن عباس ؟ بالإمرة أم بغيرها ؟ قال : قلت : بكلٍ ، قال : ليتني أخرج منها كفافاً بلا أجر ولا وزر .

١ ـ أفرق المطعون : برأ . اللسان .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا وهب بن جرير بن حازم ، ثنا جرير بن حازم قال : سمعت يعلىٰ بن حكيم يحدث عن نافع قال : رأى عبد الرحمن بن عوف السكين الذي قتل به عمر ، فقال : رأيت هذا السكين أمس مع الهرمزان وجُفينة فقلت : ما تصنعان بهذا السكين ؟ فقالا : نقطع به اللحم ، فإنا لا نمسّ اللحم فقال له عبيدالله بن عمر : أنت رأيتها معهما ؟ قال : نعم ، فأخذ عبيدالله سيفه ثم أتاهما فقتلهما ، فأرسل إليه عثمان : ما حملك على قتل هذين الرجلين وهما في ذمتنا ، فأخذ عبيدالله عثمان فصرعه حتى قام الناس فحجزوه عنه ، وكان حين أرسل إليه عثمان أخذ سيفه فتقلده فعزم عليه عبد الرحمن بن عوف أن يضعه فوضعه .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا معن بن عيسىٰ ، ثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما حضرت عمر الوفاة قال : أبالإمارة تغيظونني ، فوالله لوددت أني أنجو كفافاً لا علي ولا لي ، قال مالك : فحدث سليمان بن يسار الوليد بن عبد الملك بذلك ، فقال له : كذبت . قال سليمان : أو كُذِبت ؟

أبو الحسن علي بن محمد المدائني قال : سمع عمر بكاء من سقيفة النساء وفيهنّ خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون ، فأتاهن وخولة تبكي فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : رأيت ديكاً أحمر وثب عليك فنقرك ثلاث نقرات ، فأوَّلتُ ذاك أن رجلًا علجاً أحمر يطعنك ثلاث طعنات ، فقال : أنىّٰ لي بالشهادة ولست بأرضها وبيني وبين الروم مسيرة أشهر .

المدائني قال:قال عيينة بن حصن لعمر : إن الله قد جعلك فتنة على

أمة محمد ، فقال : كذبت . إنّ ربي ليعلم أني لم أُضمر لها غير العدل والإحسان ، فقال عيينة : لم أذهب هناك ، ولكن يفقدون سيرتك فيضرب بعضهم رقاب بعض ، فقال : ما أنا لذلك بآمن ، فقال : يا أمير المؤمنين احترس من الأعاجم ، وأخرجهم من المدينة ، فإني لا آمنهم عليك ، فلما طعن قال : ما فعل عيينة ؟ قالوا : مات بالحاجر ، فقال : إن هناك لرأياً .

قال : وقال عبدالله بن الزبير : دعا عمر أبا لؤلؤة عبد المغيرة فقال له : اعمل لي رحىً ، فقال : نعم أعمل لك رحىً يَسمَع بها مَنْ بين لأبتيها[1] ، قال : وكان أبو لؤلؤة من سبي نهاوند .

قال المدائني : ومن رواية بعضهم أن عمر افتتح سورة النحل فطعنه أبو لؤلؤة ، وجال في الصفوف ، فطعن من عرض له قريباً ، فرماه رجل ببرنس ، كان عليه فصرعه فنحر نفسه ، قال : ويقال إن الذي رمىٰ أبا لؤلؤة رجل من بني تميم ، ثم من بني رباح يقال له حطان بن مالك . قال : ويقال إنه مات من طعنه أربعة منهم : إياس بن البكير بن عبد ياليل الكناني ، وكليب بن قيس الجزار الكناني ، فأخبر عمر ، فقال : ما كنت أرىٰ كليباً يسبقني إلىٰ الجنة .

المدائني قال : قال الزهري : طعن عمر رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة ، وقال غيره لستٍّ بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وتوفي لهلال المحرم سنة أربع وعشرين ، وتوفي ابن ستين سنة وذلك أثبت الأقاويل ، قال : وكان مغشياً عليه حتى قيل له الصلاة ، فقال : نعم الصلاة ، ولاحظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة .

١ ـ لأبتيها: حَرّتيها، فاللأبة : الحرة ، والمدينة بين حرتين . معجم البلدان .

المدائني عن شعبة عن عاصم بن عبيدالله عن سالم بن عبدالله عن أبيه قال : بينا رأس عمر في حجري إذ قال : ضع رأسي بالأرض ، قلت : وما عليك أن يكون في حجري هو أوقى له ، قال : ضعه لا أُمَّ لك ، قال فوضعته . فقال : ويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله له .

المدائني عن هشام بن لاحق عن عاصم الأحول عن الشعبي أن عمر قال عند موته : ليتني أنجو من الأمر كفافاً لا عليّ ولا لي ، يا عبدالله بن عمر ضع خدي على الأرض ، ويل لعمر وأم عمر إن لم يُنْجِهِ الله من النار .

المدائني عن عاصم بن عمر عن عبيدالله بن عمر أن كعب الأحبار قال لعمر : يا أمير المؤمنين أنت ميت في ثلاث ، أجد ذلك في كتاب الله ، قال : أتجد اسمي ونسبي ؟ قال : لا ولكني أجد صفتك وسيرتك ، فقال عمر :

أيوعدني كعب ثلاثاً أعدها ولا شكَّ أنّ القول ما قال لي كعب

وما بي خوف الموت إني لميِّت ولكن خوفي الذنب يتبعه الذنب

وقال الشاعر :

لِيَبْكِ علىٰ الاسلام من كان باكياً فقد أوشكوا هلكاً وما قدم العهد

وأدبرت الدنيا وأدبر أهلها وقد ملها من كان يؤمن بالوعد

المدائني عن ابراهيم بن محمد عن قيس بن مسلم عن محمد بن الحنفية قال : دخل عليٌّ على عمر وهو مسجّىٰ فقال : ما أحد من الناس أحب إلي من أن ألقىٰ الله بصحيفته من هذا المسجّىٰ .

المدائني عن جويرية بن أسماء عن نافع قال : قال رجل لابن عمر : أيُغَسّل الشهيد ؟ قال : كان عمر شهيداً فغُسل ، وكُفن وصُلي عليه .

حدثنا شيبان بن فروخ الآجري ، ثنا عثمان بن مقسم البري عن نافع

قال : قال المغيرة بن شعبة لعمر : ألا أدلك على القوي الأمين تستخلفه ؟ قال : بلىٰ . قال : عبدالله بن عمر ، قال : ويحك ما أردت الله بقولك ، ولأن يموت فأكفنه بيديّ أحبّ إليّ من أن أوليه وأنا أعلم أن في الناس من هو خير منه .

المدائني عن عبدالله بن فائد وابن جعدبة قالا : لما مات عمر جاء رجل من أصحاب الشورىٰ ليصلي عليه فقال عبد الرحمن بن عوف : إن هذا لهو الحرص ، وقدم صهيباً فصلّى ، وقال : إن عمر ولىٰ صهيباً الصلاة حتى يجتمع الناس على إمام يختاره الستة ودفن عمر عند غروب الشمس .

وقال أبو عمر الجلحي :

ثلاثة لا ترىٰ عين لهم شبهاً   تَضُمُّ أعظُمُهمْ في المسجد الحُجَرُ

المدائني قال : لما مات عمر رضي الله تعالى عنه ندبته ابنة أبي حثمة فقالت :

واعمراه أقام الأود وأبرأ العمد وأمات الفتن وأحيا السنن ، واعمراه خرج من الدنيا نقي الثوب بريئاً من العيب .

وقالت عاتكة بنت زيد ترثيه :

فجعني فيروز لا دَرّ دَرُّهُ   بأبيضَ تالٍ للقران منيب
عطوف على الأدنىٰ غليظ على العدىٰ   أخي ثقة في النائبات نجيب
متى ما يَقُلْ لا يكذب القولَ فعلُه   سريع إلى الخيرات غير قطوب

حدثني علي بن الحسين بن الأسود، ثنا عبيد الله بن موسى، أنبأ اسرائيل عن كثير النواء عن أبي عبيد مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: كنت مع علي بن أبي طالب فسمعنا الصيحة على عمر فدخلنا عليه، فقالت

أم كلثوم: واعمراه، وكان معها نسوة يبكين، فارتجّ البيت بكاء، فقال عمر: والله لو أن لي ما على الأرض لافتديت به نفسي من هول المطلع، فقال ابن عباس: والله إني لأرجو ألا تراها إلا قدر ما قال الله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[1] لقد كنت ما علمناك تقضي بكتاب الله، وتقسم بالسوية. قال: فضرب على كتفي ابن عباس وقال: تشهد يابن عباس بهذا؟ قال: نعم أشهد به.

حدثني عفان بن مسلم الصّفار، ثنا أبو عوانة، ثنا داود بن عبد الرحمن عن حميد بن عبد الرحمن الحميري، ثنا ابن عباس بالبصرة قال: أنا أول من أتى عمر بن الخطاب حين طعن، فقال: احفظ مني ثلاثاً فإني أخاف أن لايدركني الناس: أما أنا فلم أقض في الكلالة، ولم أستخلف خليفة، وكل مملوك لي عتيق. قلت: أبشر بالجنة، صاحبت رسول الله ﷺ فأطلت صحبته ووليت أمر المؤمنين فقويت فيه، وأديت الأمانة. قال: أما تبشيرك إياي بالجنة فوالله الذي لا إله إلا هو لو أن لي الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما أمامي، وأما قولك في إمرة المؤمنين فوالله لوددت أني أنجو من ذلك كفافاً لا لي ولا عليَّ، وأما ماذكرت من صحبتي لرسول الله ﷺ فذاك.

حدثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي سعيد الخدري قال: دخلت على عمر حين طعن ونحن تسعة عشر فشكا إلينا ألم الوجع.

حدثني عمرو بن محمد الناقد، وبكر بن الهيثم قالا: ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، ثنا هارون بن أبي ابراهيم عن عبد الله بن عبيد الله بن

١ ـ سورة مريم ـ الآية: ٧١ .

عمير أن عمر لما طعن سقي لبناً فخرج من جرحه، فلما رأى بياضه بكى، وأبكى الناس حوله، ثم قال: لو أن لي ماطلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع، قالوا: فهذا أبكاك؟ قال: ماأبكاني غيره.

قال ابن عباس: ياأمير المؤمنين لقد كان إسلامك نصراً، وإمارتك فتحاً، ولقد ملأت الأرض عدلاً، فقال عمر: أجلسوني، فلما جلس قال: يابن عباس أعد علي كلامك، فأعاده فقال: أتشهد لي بهذا عند الله يوم تلقاه؟ قال ابن عباس: نعم، فأعجب ذلك عمر وفرح به.

حدثني محمد بن سعد، ثنا يزيد بن هارون عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: لما طعن عمر جعل جلساؤه يثنون عليه، فقال: إن من غره عُمره لمغرور، والله لوددت أني أخرج منها كما دخلت فيها، والله لو كان لي ماطلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع.

حدثني محمد بن سعد، أنبأ يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال حين قتل عمر: مررت على قاتل عمر أبي لؤلؤة فيروز، ومعه جفينة، والهرمزان وهم نجيٌّ، فلما بَغَتُّهُم ثاروا فسقط من بينهم خنجر له رأسان ونصابه وسطه، فانظروا ما الخنجر الذي قتل به عمر فنظروه فإذا هو الخنجر الذي نعته عبد الرحمن فانطلق عبيد الله بن عمر حين سمع ذلك من عبد الرحمن ومعه السيف حتى دعا الهرمزان فلما خرج إليه قال: انطلق معي ننظر إلى فرس لي، وتأخر عنه حتى إذا مضى بين يديه علاه بالسيف، قال عبيد الله: فلما وجد حر السيف قال: لا إله إلا الله، قال عبيد الله: ودعوت جفينة وكان نصرانياً من نصارى الحيرة وكان ظئراً لسعد بن أبي

وقاص أقدمه المدينة للملح[1] الذي كان بينه وبينه، فكان يعلم الكتاب بالمدينة، فلما علوته بالسيف صلّب بين عينيه، ثم انطلق عبيد الله فقتل ابنة لأبي لؤلؤة صغيرة تدَّعي الإسلام، وأراد عبيد الله أن لايترك يومئذ سبياً بالمدينة إلا قتله، فاجتمع المهاجرون الأولون عليه فنهوه وتوعدوه فقال: والله لأقتلنّهم وغيرهم، وعرض ببعض المهاجرين فلم يزل عمرو بن العاص به حتى دفع إليه السيف، فلما دفعه إليه أتاه سعد بن أبي وقاص فأخذ كل واحد منهما برأس صاحبه يتناصيان حتى حجز بينهما، وأقبل عثمان قبل أن يبايع له في تلك الليالي فكلمه حتى تناصيا، وأظلمت الأرض يوم قتل عبيد الله الهرمزان وجفينة وابنة أبي لؤلؤة على الناس، فلما استخلف عثمان دعا المهاجرين والأنصار فقال: أشيروا علي في قتل هذا الذي فتق في الدين مافتق فأجمع المهاجرون على كلمة واحدة يشايعون عثمان على قتله وجُلُّ الناس مع عبيد الله يقولون: لجفينة والهرمزان أبعدهما الله، لعلكم تريدون أن تتبعوا عمر ابنه، فكثر اللغط في ذلك والاختلاف، وقال عمرو بن العاص: هذا أمر كان قبل أن يكون لك على الناس سلطان، فأعرضَ عنه، وتفرق الناس عن خطبة عمرو بن العاص، وودى عثمان الرجلين والجارية.

وقال ابن شهاب: قال حمزة بن عبد الله: قال عبد الله بن عمر: يرحم الله حفصة فانها ممن شجع عبيد الله على مافعل من قتلهم.

محمد بن سعد عن الواقدي عن موسى بن يعقوب عن أبي وجزة السعدي عن أبيه قال: رأيت عبيد الله وإنه ليناصي عثمان وشعر عبيد الله في

١ ـ الظئر: العاطفة على ولد غيرها المرضعة له، في الناس وغيرهم، للذكر والأنثى، والملح: الرضاع القاموس.

يده وهو يقول له: قاتلك الله قتلت رجلاً يصلي، وصبية صغيرة، وآخر من ذمة رسول الله ﷺ ، ما في الحق تركك. فعجب الناس لعثمان حين ولي كيف تركه ولكن عمرو بن العاص لفته عن رأيه.

وقال الواقدي: حدثني عتبة بن جبيرة عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال: ما كان عبيد الله يومئذٍ إلا كالسبع الحَرِب، وجعل يعترض العجم بالسيف حتى جلس في السجن فكنت أحسب عثمان يقتله إن ولي لما كنت أراه يصنع به، وكان هو وسعد أشد أصحاب النبي ﷺ عليه، ولما استخلف عليّ هرب ولحق بمعاوية.

الواقدي قال: لما تناصى عثمان وعبيد الله جعل عثمان رضي الله تعالى عنه يقول:

لعمري لقد أصبحت تهدر دائباً وغالت أسود الأرض عنك الغوائل

وجعل عبيد الله يقول:

وما أنا باللحم الغريض تُسيغه فكُلْ من خشاش الأرض إن كنت آكلا

قال وحبسه عثمان ثم أطلقه.

قالوا: وكانت تلك أول مغالظة بين عمار بن ياسر وعثمان في أمر عبيد الله، قال له: اتق الله واقتله بالهرمزان فإنه مسلم قد حج.

وقال الواقدي: تطاول عمرو بن العاص للشورى فقال عمر: اطمئن كما وضعك الله، والله لا أجعل فيها أحداً حمل السلاح على رسول الله ﷺ .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: إن هذا الأمر لايصلح للطلقاء ولا

لأبناء الطلقاء. ولو استقبلت من أمري مااستدبرت ماطمع يزيد بن أبي سفيان ومعاوية أن استعملهما على الشام.

قال الواقدي: قال عمر لعبد الله: ألصق خدي بالتراب، وكان آخر ماتكلم به: ويل لعمر إن لم يغفر الله له، ويح عمر إن لم يُنْجه الله من النار، وجعل يلوي رجلاً على رجل.

المدائني عن جويرية بن أسماء عن جعفر بن محمد قال: دخل عليٌّ على عمر حين طعن وهو يبكي فقال: مايبكيك ياأمير المؤمنين؟ قال: لاأدري أيُذهب بي إلى الجنة أم إلى النار؟ فقال: ابشر بالجنة فقال: أو تشهد لي بها ياأبا الحسن؟ فقال: نعم سمعت رسول الله ﷺ ويقول: «إن أبا بكر وعمر لمن أهل الجنة».

المدائني قال: قال ابن عباس لعمر رضي الله تعالى عنهما: مايبكيك وفيك خصال لايعذبك الله بعدها: إنك إذا قلت صدقت، وإذا حكمت عدلت، وإذا استرحمت رحمت.

محمد بن سعد عن الواقدي عن موسى بن علي عن أبيه قال: قال عمر: من يدلني على القوي الأمين لهذا الأمر؟ فقال المغيرة: ابن عمر، فقال له عمر: بخ بخ أردت أن أحمدك ولم ترد الله.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن سفيان الثوري عن حسين بن عبد الرحمن عن عمرو بن ميمون أن عمر رضي الله تعالى عنه جعل الشورى إلى الستة، وقال: عبد الله بن عمر معكم وليس له من الأمر شيء.

حدثني محمد بن سعد، ثنا يزيد بن هارون، انبأابن عون، ثنا نافع عن ابن عمر أن عمر أوصى إلى حفصة، فإذا ماتت فإلى الأكبر من آل عمر.

حدثني هدبة بن خالد، ثنا همام عن قتادة قال: أوصى عمر بن الخطاب بالربع.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن الضحاك بن عثمان عن عثمان بن عروة قال: كان عمر بن الخطاب قد استسلف من بيت المال ثمانين ألفاً، فدعا عبد الله بن عمر فقال له: بع فيها أموال عمر فإن وفت، وإلا فسل بني عدي، وإلا فسل قريشاً ولا تَعْدُهُم. فقال عبد الرحمن بن عوف: ألا نستقرضها من بيت المال حتى نؤديها؟ فقال عمر: معاذ الله أن تقول أنت وأصحابك بعدي أما نحن فقد تركنا نصيبنا لعمر، فليزمني تبعته، ثم قال لعبد الله بن عمر: اضمنها، فضمنها، قال: فلم يدفن عمر حتى أشهد بها عبد الله على نفسه أهل الشورى وعدة من الأنصار فما مضت جمعة بعد دفن عمر حتى حمل ابن عمر المال إلى عثمان رضي الله تعالى عنهم، وأحضر الشهود على البراءة ودفع المال.

حدثني محمد بن سعد قال: قال أحمد بن عبد الله بن يونس: ثنا أبو الأحوص عن ليث عن رجل من أهل المدينة قال: أوصى عمر بن الخطاب عبد الله ابنه عند الموت فقال: عليك بخصال الإيمان. قال: وما هن يا أبه؟ قال: الصوم في شدة أيام الصيف، وقتال الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم، وترك ردعة الخبال، فقال: وما ردعة الخبال؟ قال: شرب الخمر.

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود، ثنا حماد بن أبي أسامة، ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني يحيى بن أبي راشد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لابنه: إذا قبضت فاغمضني، واقتصد في الكفن، ولا تخرجنّ

معي امرأة ولاتزكّوني بما ليس فيّ، فإن الله هو أعلم بي، وأسرعوا في المشي بي فإنه إن يكن لي عند الله خير قدمتموني إلى ماهو خير لي، وإن كنت على غير ذلك كنتم قد ألقيتم عن رقابكم شراً.

محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن اسماعيل بن محمد بن سعد عن عامر بن سعد قال: قال عمر: إن وليتم سعداً فسبيل ذاك، وإلا فليستشيره الوالي، فإني لم أعزله عن سخطة.

حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني، ثنا حماد بن زيد، أنبأ يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه عن عثمان قال: أنا آخركم عهداً بعمر، دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر فقال له: ضع خدي بالأرض. فقال: فخذي والأرض سواء، فقال: ضع خدي بالأرض لا أُمّ لك في الثانية أو الثالثة، ثم شبك بين رجليه وقال: ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي حتى فاضت نفسه.

حدثني وهب بن بقية، ثنا يزيد بن هارون، أنبأ شعبة عن عاصم بن عبيدالله بن عاصم عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر رضي الله عنه أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني كنت هذه التبنة، ليتني كنت هذه التبنة، ليتني لم أُخلق، ليت أمي لم تلدني، ليتني لم أكن شيئاً، ليتني كنت نَسْياً مَنْسياً.

حدثني وهب بن بقية، ثنا يزيد بن هارون، أنبأ جرير بن عثمان، ثنا حبيب بن عبيد الرحبي عن المقدام بن معدي كرب قال: لما أصيب عمر قالت حفصة رضي الله تعالى عنها: يا صاحب رسول الله، ويا أمير

المؤمنين ، فقال لها : أُحَرِّج عليك بما لي عليك من الحق أن تندبيني بعد مجلسك ، وأما عيناك فلن أملكهما .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا أبو الوليد الطيالسي ، ثنا ليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر أن عمر نهىٰ أهله أن يبكوا عليه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، ثنا أبو بكر بن عبدالله بن أبي سبرة عن خالد بن رباح عن المطلب بن عبدالله بن حنطب أن عمر بن الخطاب صلى في ثيابه التي جرح فيها ثلاثاً .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا معن بن عيسىٰ ، ثنا مالك بن أنس أن عمر استأذن عائشة في حياته ، فأذنت له في أن يدفن في بيتها ، فلما حضرته الوفاة قال : إذ مت فاستأذنوها فإن أذنت لكم وإلا فدعوها ، فإني أخشىٰ أن تكون أذنت لي لسلطاني ، فلما مات أذنت لهم .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا اسماعيل بن عبدالله الأويسي ، حدثني أبي عن يحيىٰ بن سعيد وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن الأنصاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : مازلت أضع خماري وأتفّضل[1] في ثيابي في بيتي حتى دفن عمر فيه ، فلم أزل متحفظة حتى بنيت بيني وبين القبور جداراً .

حدثنا عفان ، ثنا همام بن يحيى ، ثنا قتادة أن عمر طعن يوم الأربعاء ومات يوم الخميس .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن موسى عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس قال : أرسل عمر إلى أبي طلحة أنْ كُنْ في

١ ـ تفضلت المرأة : لبست ثوباً واحداً . اللسان .

خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر ، فإنهم سيجتمعون فيما أحسب في بيت أحدهم ، فقم على الباب بأصحابك ، فلا تترك أحداً يدخل عليهم ، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمّروا أحدهم ، اللهم أنت خليفتي عليهم .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مالك بن أبي الرجال عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة قال : وافى أبو طلحة في أصحابه ساعة قبر عمر رضي الله تعالى عنه فلزم الشورىٰ ، فلما جعلوا أمرهم إلى عبد الرحمن بن عوف يختار لهم ، لزم أبو طلحة باب ابن عوف بأصحابه حتى بايع عثمان بن عفان .

وقال الواقدي : طعن عمر بن الخطاب يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين ، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدىٰ وعشرين ليلة من متوفىٰ أبي بكر رضي الله تعالى عنهما .

قال الواقدي : وقال عثمان بن محمد الأخنسي : توفي عمر لأربع بقين من ذي الحجة ، وبويع لعثمان بن عفان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة فاستقبل عثمان بولايته المحرم من سنة أربع وعشرين .

قال الواقدي : وأثبت ما يقال في سنّه أنه توفي ابن ستين سنة ، وقد قيل انه توفي ابن ثلاث وستين سنة ، وليس ذلك بثبت .

قال : وحدثنا عبدالله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر أن عمر توفي وهو ابن بضع وخمسين سنة .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن عبدالله عن الزهري قال : توفي عمر وهو ابن خمس وخمسين سنة .

حدثني محمد بن صباح البزاز ، ثنا هشيم عن علي بن زيد عن سالم بن عبدالله قال : توفي عمر وهو ابن خمس وخمسين سنة .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا معن بن عيسىٰ ، ثنا مالك بن أنس عن عبدالله بن عمر أن عمر غُسِّل وكُفِّن وصُلِّي عليه ، وكان شهيداً .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ومحمد بن حاتم المروزي قالا : ثنا عبدالله بن نمير ، ثنا عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن عمر غُسل وكُفن ، وصُلي عليه ، وكان شهيداً .

حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء ، وأحمد بن ابراهيم الدورقي ، قالا : ثنا أبو الوليد الطيالسي ، ثنا شعبة عن الحجاج بن أرطاة عن فضيل بن عبدالله بن معقل : إن عمر أوصىٰ ألا يغسلوه بمسك ولا يقربوه مسكاً .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر أن عمر رضي الله تعالى عنه غسل ثلاثاً بالماء والسِّدْر .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا وكيع ومحمد بن عبدالله الأودي[1] ، ثنا سفيان عن عاصم بن عبيدالله عن سالم عن ابن عمر أن عمر كفن في ثلاثة أثواب ، قال وكيع : ثوبين سحوليين ، وقال محمد بن عبدالله : ثوبين صحاريين ، وقميص كان يلبسه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن سعد بن بشير عن قتادة عن الحسن أن عمر رضي الله تعالىٰ عنه كفن في قميص وحلة .

---

١ ـ بهامش الأصل : الأسدي .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ومحمد بن سعد ، وبكر بن الهيثم ، ومحمد بن حاتم المروزي ، قالوا : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، ثنا الحجاج بن أرطاة عن فضيل عن عبدالله بن معقل أن عمر رضي الله تعالىٰ عنه قال : لا تجعلوا في حنوطي مسكاً .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن قيس بن الربيع عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عن الفضيل بن عمر قال : أوصىٰ عمر أن لا يتبع بنار ، ولا تتبعه امرأة ، ولا يحنط بمسك .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام بن سعد قال : حدثني من سمع عكرمة بن خالد يقول : لما وُضع عمر ليُصلىٰ عليه أقبل علي وعثمان جميعاً واحدهما آخذ بيد الآخر ، فقال كل واحد منهما : قم يا أبا يحيى فصلّ عليه ، فصلىٰ عليه صهيب .

وقال الواقدي : حدثني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب عن أبيه عن سعيد قال : لما توفي عمر نظر المسلمون فإذا صهيب يصلي بهم المكتوبات بأمر عمر ، فقدموا صهيباً فصلىٰ علىٰ عمر .

وقال الواقدي : حدثني موسىٰ بن يعقوب عن أبي الحويرث قال : قال عمر فيما أوصى به : إن قُبِضْتُ فليصل بكم صهيب ثلاثاً ، ثم أجمعوا أمركم فبايعوا أحدكم ، فلما مات عمر ووضع ليصلىٰ عليه أقبل عليّ وعثمان أيهما يصلي عليه ، فقال عبد الرحمن بن عوف : إن هذا لهو الحرص على الإمارة ، لقد علمتما ما هذا إليكما ولقد أمر به غيركما ، تقدم يا صهيب فصلّ عليه ، فتقدم صهيب فصلىٰ عليه .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا أبو نعيم ، ثنا عبدالله العمري عن نافع عن ابن عمر قال : صلي على عمر في مسجد النبي ﷺ .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا الفضل بن دكين ، ثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر أن عمر صلي عليه في المسجد .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا أبو عامر العقدي ، ثنا خالد بن الياس عن صالح بن أبي حسان قال : سأل علي بن الحسين سعيد بن المسيب : من صلىٰ على عمر ؟ فقال : صهيب . قال : كم كبر عليه ؟ قال : أربعاً .

حدثني محمد بن سعد عن أبي نعيم عن خالد بن الياس عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار عن أبيه أن صهيباً كبر على عمر أربعاً .

حدثني أبو بكر الأعين ومحمد بن سعد قالا : ثنا الفضل بن دكين عن خالد بن الياس عن صالح بن يزيد مولى الأسود قال : كنت عند سعيد بن المسيب فمر عليه علي بن الحسين عليهما السلام فقال : أين صُلي علىٰ عمر ؟ فقال سعيد : بين القبر والمنبر .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، حدثني عبدالله بن الحارث بن أبي الحويرث عن جابر قال : نزل في قبر عمر : عثمان بن عفان ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبدالله بن عمر .

قال الواقدي : ثنا خالد بن أبي بكر قال : دفن عمر في بيت النبي ﷺ ، وجعل رأس عمر عند حقوي النبي ﷺ ، وجعل رأس أبي بكر عند كتفي النبي ﷺ .

حدثنا سويد بن سعيد الأنباري ، ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة قال : لما سقط الحائط على قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما

في زمن الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ فما وجدوا أحداً يعلم ذلك حتى قال لهم عروة : والله ما هي قدم النبي ﷺ ، وما هي إلاّ قدم عمر .

حدثني محمد بن سعد وابراهيم بن مسلم الوكيعي قالا : ثنا وكيع بن الجراح ، ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : قالت أم أيمن يوم أصيب عمر رضي الله تعالى عنه : اليوم وهىٰ الإسلام ، وقال طارق : كان ظن عمر كيقين رجل .

حدثني محمد بن حاتم ، ثنا إسحاق بن سليمان الرازي عن خلف بن خليفة سمعه يحدث عن أبيه عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غَنْم أنه قال يوم مات عمر رضي الله تعالىٰ عنه : اليوم أصبح الإسلام موليًّا ما رجلٌ بأرضٍ فلاةٍ يطلبه العدو فيحذَرَه ، بأشد فراراً من الإسلام اليوم .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن سالم المرادي ، ثنا بعض أصحابنا قال : جاء عبدالله بن سلام وقد صُلّي على عمر فقال : والله لئن سبقتموني بالصلاة عليه لا تسبقوني بالثناء ، فقام عند سريره ، فقال : نِعَم أخو الإسلام كنت يا عمر . جواداً بالحق ، بخيلاً بالباطل ، ترضىٰ حين الرضا ، وتغضب حين الغضب ، عفيف الطرف طيب الظرف لم تكن مداحاً ولا مغتاباً ، ثم جلس .

حدثنا إسحاق الفروي أبو موسىٰ ، وعمرو بن محمد قالا : ثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن علياً دخل على عمر رضي الله تعالىٰ عنهما وهو مسجىً فقال : ما علىٰ الأرض أحد ألقى الله بصحيفته أحبّ إلي من هذا المسجىٰ بينكم .

حدثني وهب بن بقية ومحمد بن خالد الطحان قالا : ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ فضيل بن مرزوق عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : نظر علي إلى عمر وهو مسجىً فقال : ما أحد أحب إليّ أن ألقى الله بمثل صحيفته من هذا المسجىٰ .

حدثنا أبو الربيع الزهراني وخلف البزار قالا: ثنا حماد بن زيد عن أيوب وعمر وبن دينار وأبي جهضم قالوا: لما مات عمر دخل عليه عليّ فقال: رحمك الله، ما على الأرض أحد أحب إليّ أن ألقى الله بما في صحيفته من هذا المسجى.

حدثني محمد بن سعد، ثنا الفضل بن عنبسة الخزاز الواسطي ثنا شعبة عن الحكم بن زيد بن وهب قال: بينا ابن مسعود قد ذكر عمر فبكى حتى ابتلّ الحصى من دموعه وقال: كان حصنا للإسلام حصيناً يدخلون فيه ولايخرجون منه، فلما مات عمر انثلم الحصن فالناس يخرجون من الإسلام ولايدخلون.

حدثنا خلف بن هشام، ثنا حماد بن زيد عن عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل قال: قدم علينا عبد الله بن مسعود فنعى إلينا عمر، فلم أر يوماً كان أكثر باكياً وحزيناً منه، ثم قال: والله لو أعلم أن عمر كان يحب كلباً لأحببته، والله إني لأحسَب العضاة[1] قد وجدت فقد عمر.

حدثني محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي عن عبد الملك بن زيد من ولد سعيد بن زيد عن أبيه قال: بكى سعيد بن زيد فقال له قائل: يا

١ ـ العضاة: اسم يقع على شجر من شجر الشوك. اللسان.

أبا الأعور مايبكيك؟فقال: أبكي على الإسلام، إن موت عمر ثلم الإسلام ثلمة لاتُسد إلى يوم القيامة.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن اسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن زياد بن أبي بشير عن الحسن قال: إن أهل بيت لم يجدوا فقد عمر لأهل سوء[1].

وقال الواقدي: قال أبو عبيدة بن الجراح يوماً وهو يذكر عمر: إن مات عمر رَقَّ الإسلام، ما أحب أن لي ماطلعت عليه الشمس وأني أبقى بعد عمر، فقال له قائل: ولم؟ قال: لأنه إن ولي والٍ بعد عمر فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يطعه الناس بذلك ولم يحتملوه، وإن صعب[2] عليهم قتلوه.

حدثنا محمد بن حاتم المروزي، ثنا إسحاق بن سليمان عن جعفر بن سليمان عن أبي التياح عن زهدم الجرمي عن حذيفة أنه قال يوم مات عمر: اليوم نزل المسلمون على حافة الإسلام.

حدثني عمرو الناقد، ثنا الفضل بن دكين، ثنا سفيان عن منصور عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: كان الإسلام في زمن عمر كالرجل المقبل لايزداد إلا قرباً، فلما قتل عمر كان كالرجل المدبر لايزداد إلا بعداً.

حدثني محمد بن سعد، ثنا عبد الله بن بكر السهمي عن حميد الطويل قال: قال أنس: لما أصيب عمر قال أبو طلحة: ما من أهل بيت من العرب حاضر ولاباد إلا وقد دخل عليهم بقتل عمر نقص.

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٣٧٢ .

٢ ـ في طبقات ابن سعد ج٣ ص٣٧٢ «ضعف عنهم».

حدثنا عمرو بن محمد، ووهب بن بقية قالا: ثنا يزيد بن هارون، أنبأ حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس أن أصحاب الشورى اجتمعوا: فلما رآهم أبو طلحة ومايصنعون قال: كنتُ لأن تتدافعوها أخْوَف مني لأن تتنافسوا فيها، فوالله ما أهل بيت من المسلمين إلا وقد دخل عليهم في موت عمر نقص في دينهم ودنياهم.

حدثني بكر بن الهيثم، ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال عليٌّ عليه السلام: ماأحدٌ أحبَّ إليّ أن ألقى الله بصحيفته إلا هذا المسجى بينكم.

حدثنا عفان، ثنا حماد بن زيد، أخبرني أبو جهضم، حدثني عبد الله بن عبيد الله بن عباس أن العباس قال: كان عمر لي خليلاً، فلما توفي لبثت حولاً أدعو الله أن يُرينيه في المنام، فرأيته على رأس الحول يمسح العرق عن جبهته، فقلت: ياأمير المؤمنين مافعل بك ربك؟ قال: هذا أوان فرغت، وإن كاد عرشي ليهدّ لولا أني لقيت رباً رؤوفاً رحيماً.

حدثنا خلف بن هشام البزار، ثنا ابن شهاب عن يحيى بن سديد عن محمد بن عمارة عن ابن عباس قال: دعوت الله سنة أن يريني عمر فرأيته في المنام فقال: كاد عرشي يهوي لولا أني وجدت رباً رحيماً.

واما عبد الله بن عمر الخطاب[1]

ويكنى أبا عبد الرحمن فكان رضي الله تعالى عنه بارع الفضل، مبرز الزهد، وأراد عليٌّ عليه السلام أن يوليه الشام فأبى وعرضت عليه الخلافة

١ - بهامش الأصل: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فأباها وقد ذكرنا له أخباراً فيما تقدم من كتابنا هذا في المغازي وغيرها، وكانت أمه وأم حفصة رضي الله تعالى عنها زينب بنت مظعون الجمحي.

وقال أبو اليقظان: كره عبد الله بيعة علي، وبايع عبد الملك بن مروان خوفاً على نفسه(١).

وقال أبو اليقظان: رأت حفصة لعبد الله رؤيا قصتها على النبي ﷺ فقال: نعم الرجل أخوك لو كان يكثر الصلاة من الليل، فكان بعد ذلك أكثر الناس صلاة.

قال: وسمع رجلاً من أهل العراق يستفتي في محرم قتل جرادة، وآخر يستفتي في قتل قملة، وآخر يستفتي في نملة، فقال: واعجباً لأهل العراق يقتلون ابن بنت نبيهم ويستفتون في قتل الجرادة، والقملة، والنملة.

المدائني عن ابن جعدبة قال: قيل لابن عمر: ألا تقاتل مع علي؟ فقال: أنا مثل البعير الرازح، فقال له رجل: لو كان الناس كلهم مثلك ما قام الدين. فقال: ويحك لو كان الناس كلهم مثلي ما بالت أمك ألا تُغلِقَ عليها بابَها.

قال: وقال بعض أصحاب النبي ﷺ: مافينا معشر أصحاب محمد أحدٌ إلا ولو قيل فيه لصُدّقَ عنه، غير عبد الله بن عمر، فإنه لم يدخل في شيء من الفتن.

قال: وبقي عبد الله بن عمر إلى زمن عبد الملك، فيزعمون أن الحجاج دسَّ له رجلاً فسمَّ زج رمحه وجعله في طريقه فطعنه في ظهر قدمه، فدخل عليه الحجاج يعوده، فقال: يا أبا عبد الرحمن من أصابك؟

١ ـ كذا بالأصل وهو وهم، صوابه أن يقول: «كره بيعة ابن الزبير».

قال: أنت أصبتني، قال: لاتقل هذا رحمك الله، قال: حملتَ السلاح في بلد لم يُحمل فيه قبلك، فمات فصُلي عليه عند الردم.

قال الواقدي: وطىء ابن عمر على زج بعض أصحاب الحجاج: فقال له: من أصابك بهذا؟ قال: أنت وأصحابك، يقول لأنكم أدخلتم مكة السلاح.

وقال الواقدي: شهد عبد الله بن عمر الخندق ومابعده، وكان إسلامه مع إسلام أبيه بمكة وهو صغير ومات في سنة أربع وسبعين بمكة، ودفن بفخ وهو ابن أربع وثمانين سنة.

وحدثني محمد بن سعد عن الفضل بن دكين أبي نعيم قال: توفي ابن عمر في سنة ثلاث وسبعين.

وقال الهيثم بن عدي: مات بعد ابن الزبير بشهرين أو ثلاثة أشهر.

وحدثني الحسين بن الأسود عن ابن نمير عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أنه كان يضرب ولده على اللحن، ولا يضربهم على الخطأ في القرآن.

حدثني مصعب عن ابن الدرّاوردي عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه كان يضرب بنيه على اللحن، قال: وكان رجل يصلي إلى جنب ابن عمر، فكان يلحن فأرسل إليه: إما أن تتنحى عنا وإما أن نتنحى عنك.

حدثني روح بن عبد المؤمن عن غندر عن شعبة عن عقيل بن طلحة عن أبي الخصيب قال: جاء ابن عمر إلى رجل فقام الرجل عن مجلسه فلم يقعد فيه ابن عمر وقعد في مكان آخر، وقال: «قام رجل لرجل عن مجلسه عند رسول الله ﷺ فنهاه أن يجلس فيه».

حدثني محمد بن سعد، ثنا يحيى بن عباد، ثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنه حدث عن النبي ﷺ : «بأن من شهد جنازة فله قيراط» فقال ابن عمر: انظر ماتحدث به يا أبا هريرة فإنك تكثر الحديث عن النبي ﷺ ،وأخذ بيده حتى أتى عائشة فصدقت أبا هريرة، فقال أبو هريرة: يا أبا عبد الرحمن إنه والله ماكان يشغلني عن النبي ﷺ غرس الوديّ[1]، ولا الصفق بالأسواق. فقال ابن عمر: أنت أعلمنا ياأبا هريرة برسول الله وأحفظنا لحديثه.

حدثني محمد بن سعد وأبو بكر الأعين قالا: ثنا زهير بن معاوية عن محمد بن سوقة عن أبي جعفر قال: لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أجدر ألا يزيد في حديث سمعه من رسول الله ﷺ ، ولا ينقص منه، ولا كذا ولاكذا من عبد الله بن عمر بن الخطاب[2].

حدثنا سريج بن يونس، ثنا اسماعيل بن إبراهيم عن يونس عن حميد بن هلال قال: قال عبد الله بن عمر: ذَر مالَسْتَ منه في شيء، ولاتنطق فيما لايعنيك، وأحرز لسانك كما تحرز دراهمك، قال: وقال يونس: أما والله إن أحدهما لأشد عليك إضاعة.

حدثني الأعين عن روح بن عبادة عن أيوب بن محمد اليمامي عن طيسلة أنه سأل عبد الله بن عمر. من المؤمن؟ فقال: من إذا نزل بعقويه عارف أو منكر أمنه على دمه وماله.

حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري عن أبيه عن شعبة عن عمرو بن دينار

١ ـ الودي: فسيل النخل وصغاره. اللسان.

٢ ـ طبقات ابن سعد ج٤ ص١٤٤ .

قال: قال ابن عمر: لاتموتنّ وأحدٌ يطلبك بدين فيؤخذ له من حسناتك.

حدثني الأعين عن روح بن عبادة عن شعبة عن توبة العنبري أن عبد الله بن عمر قال لرجل من العبلات من قريش: احفظ عني ثلاثاً: لاتموتنّ وعليك دين ولا له وفاء، ولاتَنْتَفِيَنَّ من ولدك فتفضحه في الدنيا، ويفضحك الله به يوم القيامة، وانظر إلى الركعتين قبل صلاة الصبح فلا تدعهما فإن فيهما الرغائب.

حدثني أبو حفص السامي عن حماد بن عمرو النصيبي عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أنه قال: من لم يقنع حسد، ومن حسد هلك.

حدثنا عبدالله بن أبي أمية البصري، ثنا حماد بن سلمة عن عبيدالله بن عمر عن نافع قال: كان عبدالله بن عمر يقول: يُعَدُّ الحلم والجود والسؤدد، ويعد العفاف وإصلاح المال من المروءة.

المدائني عن محمد بن عبد الملك قال: كتبت أم ولد لمروان بن الحكم إلى وكيل لها بالمدينة: ابتع لي غلاماً عالماً بالسنَّة، قارئاً لكتاب الله، فصيح اللسان، عفيفاً. فكتب إليها: قرأت كتابك وطلبت لك غلاماً على ما وصفت فلم أجده إلّا عبدالله بن عمر بن الخطاب، وقد رأىٰ أهله ألا يبيعوه.

حدثنا عفان، ثنا معمر، أنبأ منصور عن الحكم أن ابن عمر قال: لا يعيب الرجل حقيقة الإيمان حتى يترك المراء وهو صادق، والكذب وهو مازح.

حدثنا بسام الجمال عن حماد بن سلمة عن علي بن الحكم عن عطاء بن أبي رباح أن رجلاً مدح ابن عمر فحثا نحو وجهه التراب بأصابعه وقال: قال

رسول الله ﷺ : «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب» .

المدائني عن ابن أبي الزناد عن أبيه أن عبدالله بن عمر قال لابنه واقد : انسب نفسك وأمهات أبيك ، فلم يعرف ذلك ، فقال : يا بني إن من لم يعرف نسبه لم يصل رحماً ، ولم يقْض حقاً ، قال : وقال عبدالله بن عمر : تعلّموا أنسابكم تصلوا أرحامكم ، فربّ رحم قد قطعت لجهل صاحبها بها .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا روح بن عبادة عن ابن عون عن ابن سيرين قال : كنا عند ابن عمر فجاء رجل فقال له ابن عمر وهو يمازحه : إنك لتحبّ الفتنة . فاغتم الرجل لذلك ووجم ، فضحك ابن عمر وقال : ويحك ألست تحب المال والولد ؟ ثم تلا : ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾[1] .

حدثني محمد بن أبان الواسطي عن أبي هلال عن بكر المزني أن ابن عمر سئل عن شيء فقال : لا علم لي به ، ثم قال لنفسه : أحسن ابن عمر ، سئل عن شيء لا يعرفه فقال : لا علم لي به .

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن ابن عباس أن أشعب الطماع أبا العلاء كان يقول : حدثني ابن عمر ، وكان يبغضني في الله .

وقال أبو الحسن المدائني قالت أم أشعب لأشعب : ويلك إلزم عبدالله بن عمر ، فأتاه فلما قام من مجلسه قال له : أن أمي أمرتني أن ألزمك فلا تبرح ، فقيل لأمه فجاءت إليه فقالت : يا عدو الله إنما أمرتك أن تجلس إليه وتسمع منه .

١ ـ سورة التغابن ـ الآية : ١٥ .

حدثني الحسن بن عثمان الزيادي ، ثنا روح بن عبادة عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال : مرَّ ابن عمر على راع فقال له : يا راعي . أتبيع شاة من هذه الغنم ؟ فقال : إني لا أملكها ، وإنما استرعانيها رجل ، فقال : تقول لصاحبها : أكلها الذئب . قال : أما إنك سمح بدينك ، فماذا أقول لله غداً ؟ فقال ابن عمر : هل منكم أحد معه ثوب ؟ فَضَنّ القوم بثيابهم ، فأخذ عمر رداءه ، أو قال إزاره ، فلما رأى القوم ذلك قالوا : يا أبا عبد الرحمن هذه ثيابنا . قال : لا ، وألقىٰ الرداء أو الإزار إلى الراعي .

وحدثني عمرو بن بكير عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي أن ابن عمر مر يوماً براع مملوك فقال له : ألا تبيعنا شاة من غنمك ؟ فقال : إنها ليست لي ، إنما أنا عبد أسترعيها ، قال ابن عمر فأين العلل ؟ قال الغلام : فأين الله ، فاشتراه ابن عمر فأعتقه ، وابتاع الغنم فوهبها له .

وقال غير الهيثم : لما أعتقه قال : أسأل الذي رزقني العتق الأصغر أن يعتقك العتق الأكبر ، ويقال إنه قال : أسأل الذي اعتقني العتق الأصغر من الرق أن يعتقك العتق الأكبر من النار .

وحدثني أبو الوليد بن صالح عن الواقدي أن عبدالله بن عمر وطىء زجاً من أزجّة أصحاب الحجاج فمرض ، فعاده الحجاج فقال له : كيف كان هذا ؟ قال : سل أصحابك . فكانوا يرون أن الحجاج دس من ألقاه في طريقه إلى المسجد .

المدائني قال : صلىٰ أشعب فخفف صلاته فقال ابن عمر : ويحك لقد خففت صلاتك ، فقال : إنه لم يخالطها رياء .

حدثني عمر بن شبه ، ثنا أبو عاصم عن حُبَيب بن حجر القيسي عن

الأزرق بن قيس الحارثي قال : جلس ابن عمر إلى رجل مذكّر ، فجاء رجل يستفتيه فقال له ابن عمر : لا تحل بيننا وبين الذكر .

ولعبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أحاديث ، قد ذكرناها فيما تقدم من كتابنا .

قال أبو عبيد : وروي عن عبدالله بن عمر أنه قال : إني وأخي عاصماً لانشاتم أحداً ، قال ونازع عاصم بن عمر رجل في أرض ادعياها ، فقال الرجل : إن كنت رجلاً فضع رجلك فيها ، فقال له عاصم : وقد بلغ بك الغضب ما أرىٰ ، إن كانت لك فهي لك ، وإن كانت لي فهي لك ، فاستحيا منه الرجل وتركها وأبىٰ عاصم أن يقبلها[1] .

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض ولله كل حمد وفضل .

فولد عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنه

عبدالله ، أمه صفية ، بنت أبي عبيد الثقفي ، وخاله المختار بن أبي عبيد .

وعبيدالله كان أسنّ من أخيه عبدالله بن عبدالله .

وسالم بن عبدالله أمه أم ولد .

وعاصم بن عبدالله .

وحمزة بن عبدالله ويكنى أبا عمارة .

وبلال بن عبدالله .

وواقد بن عبدالله .

وزيد بن عبدالله .

والمجبر بن عبدالله وبنات كانت إحداهن عند عروة بن الزبير ، وكانت أخرى عند عمرو بن عثمان بن عفان .

وأخبرني بعض العمريين أن المجبر سقط فجبر في مواضع .

وأما عبدالله بن عبدالله بن عمر فأوصىٰ إليه أبوه ، وكان من رجال قريش ومات بالمدينة في أول خلافة هشام وله عقب بالمدينة . ومن ولده :

عمر بن عبد العزيز بن عبدالله بن عبيدالله بن عمر، ولي كرمان للمهدي أمير المؤمنين ، ثم ولاه موسىٰ الهادي بالمدينة .

وأخوه عبدالله بن عبد العزيز ، كان زاهداً عابداً ، وهلك في بادية بقرب المدينة .

ومن ولد عبدالله بن عمر :

خالد بن أبي بكر بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر ، ومات خالد هذا سنة اثنتين وستين ومائة ، وروي عنه الحديث .

وأما سالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهم ، فكان يكنى أبا عمر ، وكان من خيار المسلمين وعبّادهم وفقهائهم ، وهلك بالمدينة ، فصلى عليه هشام بن عبد الملك في سنة ست ومائة ، ودفن بالبقيع ، وكان هشام حج في تلك السنة فقال : ما أدري أيّ الأمرين أَسَرُّ إليّ : تمام حجي أم صلاتي على أبي عمر .

وقال الهيثم بن عدي : مات سالم في سنة ثمان ومائة .

المدائني عن ابن جعدبة عن عكرمة بن خالد قال : قال الوليد بن عبد الملك لسالم بن عبدالله بن عمر ـ وذكر له زهده : ما أدمك ؟ قال : الخل والزيت ، قال : فما تأجمها[1] ؟ قال : بلى ، قال : فما تصنع إذا أجمتها ؟ قال : أدعها حتى أشتهيها .

وكان جعفر بن سالم بن عبدالله بن عمر فقيهاً ، وروى عن أبيه ، والقاسم بن محمد .

١ ـ أجم الطعام : كرهه . اللسان .

وأما عاصم بن عبدالله بن عمر رحمه الله : فولد محمداً ، وعقبه بالكوفة .

وأما واقد بن عبدالله بن عمر : فسقط من بعيره وهو محرم فهلك . وفي عبدالله بن واقد بن عبدالله بن عمر يقول الشاعر ، وكان عبدالله بن واقد ذا هيئة وجسم :

أُحب من النسوان كل خريدة   لها حسن عباد وجسم ابن واقد

يعني عباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير .

وقد روى عبدالله بن واقد عن ابن عمر وحدث عنه يحيى بن سعيد ، وأسامة بن زيد ، ومات عبدالله بن واقد في سنة عشر ومائة .

وأما بلال بن عبدالله بن عمر ، فكان أَشَجّ ، وكان أبوه عبدالله يقول : يا بلال أرجو أن تكون أشجّ ولد عمر ، فهلك صغيراً ولا عقب له .

وكان أبو بكر محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب فقيهاً ، ومات بعد خروج محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بسنتين ، ومات أخوه عمر بن محمد بن زيد بعده بقليل .

وقال الواقدي : كان من المحدثين من ولد عبدالله بن عمر : عبد الرحمن بن المجبّر بن عبدالله بن عمر وقد رأيته ومات حديثاً .

وأما عبيدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، فقد ذكرنا له أخباراً ، وذكرنا مقتله بصفين مع معاوية ، وكان شديد البطش ، وأمه خزاعية .

وولد عبيدالله بن عمر : أبا بكر ، أمه أسماء بنت عطارد بن حاجب . وعثمان ، وأم عيسىٰ أمهما من بني البكاء ، وكانت أم عيسىٰ عند يحيى بن سعيد بن العاص ، وكانت أم سلمة بنت أبي بكر بن عبيدالله عند الحجاج بن يوسف .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : قدم الحرّ بن عبيدالله بن عمر بن الخطاب المدينة على عبدالله بن عمر فقال : أنا الحر بن عبيدالله ابن أخيك . فقال : أنت ابن أخي الشيطان ، لست أُدِخل في هذا النسب أحداً إلّا بثبت فإن كانت عندك بيّنة وإلّا فاذهب ، فانصرف مغضباً فمر بعاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان عاصم عالماً بالقيافة فقال : ردوا عليّ هذا الغلام فلئن كان لعبيدالله ابن إنه لهذا ، فقال : يا غلام من أنت ؟ قال : أنا الحرّ بن عبيدالله ، قال : مرحباً بك أنت ابن أخي لعمري ، فقبله آل عاصم وزوّجوا ولده نساءهم ، وأباهم عبدالله بن عمر وولده .

ووقد بين الحرّ وبين عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب مشاجرة ، وكانا بحّران فنفاه فاستعدىٰ عليه الوليد بن عبد الملك ـ وقال بعضهم هشاماً ـ فقال عبد الحميد : اكتب إلى قوم ـ سمَّاهُم ـ من أهل المدينة ليأتيك من أمره ما تحكم به بيننا . فلما جاءه جواب كتابه قال : إن شئتم فضضت الكتاب وحكمت بما فيه ، وإن شئتم أن تدعوه وأنتم على ما أنتم عليه فعلتم ، فقال عبد الحميد : فُضَّه . وقال الآخر : لا تفضه . فتركوا على ذلك فهم يعيرون بالكتاب . وزوّجهم بعد أبو بكر بن سالم بن عبدالله بن عمر فلحقوا بهم ، وثبت نسبهم فلا يعلم اليوم أحد يدفعهم .

ويقال إن عبيدالله كان اكتسب أَمَةً من الكوفة ، فنال منها ، ثم خرج

وتركها فولدت بعده الحرّ ، وولد الحر : البختري بن الحر ، ولولد البختري عدد بحران .

وقال مصعب الزبيري : كانت أم الحر أمة لعبيدالله فوقع عليها فاشتملت على ولد وهو لا يدري ثم إنه غضب عليها فضربها وطلبت إليه فيها امرأة من بني أسد فوهبها لها ، فولدت عندها ، فباعتها من جرير بن عبدالله البجلي ، فقالت لجرير : إن هذا ابن عبيدالله بن عمر ، فقال جرير : ما كنت لأستعبد ابناً لعمر(1) .

وأما عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فكان صالحاً عاقلاً .

حدثني أبو بكر الأعين عن روح بن عبادة عن السريّ بن يحيىٰ عن محمد بن سيرين قال : قال فلان : ما رأيت رجلاً إلاّ وقد يتكلم ببعض ما لا يريد غير عاصم ، وكان بين عاصم يوماً وبين رجل شيء فأنشأ عاصم يقول :

قضىٰ ما قضىٰ فيما مضىٰ ثم لاترىٰ   له هفوة فيما بقىٰ آخر الدهر

وكان عاصم طلّق أم عمارة بنت سفيان بن عبدالله الثقفي ، ثم ندم فقال :

ولما رأيت أنني غير صابر   وقد فاتني يا أم عمارة الركب

---

١ ـ انظر كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٣٦٣ حيث وردت اشارة عابرة إلى الحر بن عبيدالله .

ركبتُ علىٰ وَجْنَاءَ يوماً فأدركتْ بي القوم مرداةٌ عثانينها صُهْبُ[١]
على شرَف البيداء حتى تطخطخ الظـ[٢] ـلامَ ودون النجم من طخيه حلب

وقال الواقدي : سمع عاصم من أبيه ، ومات سنة سبعين ، وكان يكنى أيضاً أبا عمرو . وفي عاصم يقول معن بن أوس المزني :

تعرَّضَ للأبواب أبواب عاصم تعـرض مملال لهـا غـير لازم
فلما رأىٰ أنْ غاب عنه شفيعه وأخْلَفَهُ ما يُرتَجي عند عاصم
رمىٰ سَدَف الظلماء واحتفر السرىٰ بمـرجمـةٍ أُوْدٍ هنَـاتٍ مـراجم

فولد عاصم : حفص بن عاصم ، وحفصة ، وأم عاصم ، وأم مسكين ، وقد ذكرنا أخبارهن ولهاتين يقال : ليس حفصة من رجال أم عاصم[٣] .

ومن ولد عاصم بن عمر : عاصم بن عبيدالله بن عاصم بن عمر ، خرج على أبي العباس أمير المؤمنين ، وأما أبو شحمة بن عمر فلا عقب له .

وأما زيد بن عمر فقتل في حرب زجاجة وسنذكرها إن شاء الله .

وأما عبد الرحمن بن عمر ، وهو المجبّر ، لقبّ بذلك ، ويقال هو أبو المجبر ، فكان له ولد بادوا ولا عقب له .

وقال ابن الكلبي : ولي عاصم بن عمر بن الخطاب صدقات غطفان .

وقال : كان أبو بكر بن سالم بن عبدالله بن عمر شريفاً ناسكاً .

---

١ ـ العثانين : شعيرات عند مذبح البعير ، وصهب : شقر . اللسان .
٢ ـ تطخطخ الليل : أظلم .
٣ ـ تقدم هذا لدى الحديث عن عمر بن عبد العزيز .

وولي عبد الرحمن بن سلمة بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر شرطة المدينة .

وولي عمر بن عبد العزيز بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر شرط المدينة أيضاً .

وقال بعض من روىٰ عن ابن الكلبي : هو عمر بن عبد العزيز بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر ، ولي شرط المدينة ، والأول أثبت .

وأبو بكر بن عمر بن حفص بن عاصم : ولي القضاء لمحمد بن خالد القسري .

وابنه عمرو بن أبي بكر . ولي القضاء بالأردن .

وعبيدالله بن أبي سلمة بن عبيدالله بن عبدالله ولي القضاء .

وعبد الرحمن بن عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم ولي القضاء .

وعبدالله بن واقد بن عبدالله بن عامر ، روىٰ عن ابن عمر ، وحدث عنه يحيى بن سعيد ، وأسامة بن زيد . مات سنة سبع عشرة ومائة .

ومن **ولد عمر** : أبو بكر بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر ، وخالد بن أبي بكر . ومات أبو بكر قديماً .

وقد روي عن عبدالله عمر ، وأخوه القاسم بن عبيدالله ، ومات خالد سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ومات زمن مروان بن محمد .

وأما زيد بن الخطاب

أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ويكنى أبا عبدالرحمن وأمه أسماء بنت وهب بن حبيب بن الحارث ، من بني أسد بن خزيمة ، فكان أسنّ من عمر ، وأسلم قبله ، وكان له من الولد : عبدالرحمن ، وأسماء . وكان رجلاً طوالاً ، أسمر ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين معن بن عدي العجلاني ، واستشهدا جميعاً باليمامة ، وشهد زيد بن الخطاب : بدراً ، وأحداً ، والخندق ، والمشاهد كلها مع النبي ﷺ .

وروى عن النبي ﷺ حديثاً رواه سفيان الثوري عن عاصم بن عبيدالله بن عبد الرحمن بن زيد عن زيد قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : «أرقاءكم أرقاءكم أطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، وان جاؤوا بذنوب لا تغفرونها ، فبيعوا عباد الله ، ولا تعذبوهم» (١)

وكان زيد يحمل راية المسلمين يوم اليمامة ، وانكشف المسلمون يومئذٍ فجعل زيد يقول: أما الرجال فلا رجال. وجعل يصيح بأعلى صوته: أللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي ، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٨٥ ج ٣ ص ٣٧٧ .

الكذاب ، ومحكّم اليمامة ، وجعل يشد بالراية وتقدم بها على العدو ، ثم ضارب بسيفه حتى قتل ، ووقعت الراية فأخذها سالم مولى أبي حذيفة .

وقال الواقدي : كان الذي قتل زيداً أبو مريم الحنفي ، واسمه صبح بن محرش ، فقال له عمر رضي الله تعالى عنه : أقتلت زيداً ؟ قال : الله أكرمه بيدي ، ولم يهنِّي بيده . فقال عمر : كم قُتِل منكم يومئذٍ ؟ قال : ألف وأربعمائة . فقال عمر : بئس القتلى ، وقضى أبو مريم بعد ذلك على البصرة .

وقال هشام ابن الكلبي : قتل زيداً لبيد بن برغث العجلي ، فقدم بعد ذلك على عمر ، فقال له:أأنت الجوالق ؟ واللبيد ؛ الجوالق [1] ودخل متمم بن نويرة على عمر رضي الله تعالى عنه فقال له : ما بلغ من وجدك على أخيك مالك بن نويرة ؟ فقال : بكيته حولاً حتى أسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة ، وما رأيت ناراً إلَّا كدت انقطع لها أسفاً عليه . ألا أنه كان يوقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف ، ولا يعرف مكانه ، وكان مالك قتل في الردة مرتداً . فقال عمر : صفه لي : فقال : كان يركب الفرس الحزور[2] ، ويقود الخيل الثقال [3] ، وهو بين المزادتين [4] النضوحتين في الليلة القرة وعليه شملة فلوت ، معتقلاً رمحاً خطلاً [5] فيسري ليلته ، ثم يصبح وكأن وجهه فلقة قمر .

---

١ ـ اللبيد : الجوالق الضخم . اللسان .

٢ ـ الفرس الحزوز : الفرس القوي . اللسان .

٣ ـ الخيل الثقال : الخيل البطيئة . اللسان .

٤ ـ المزادة : الراوية المصنوعة من جلد . اللسان .

٥ ـ الرمح الخطل : الرمح الطويل المضطرب . اللسان .

قال : فأنشدني بعض ما قلت فيه ، فأنشده مرثيته التي يقول فيها :

وكنا كندماني جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فقال عمر : لو كنت أُحسن قول الشعر لرثيت أخي زيداً ، فقال متمم : ولا سواء يا أمير المؤمنين . لو كان أخي صُرِع مصرع أخيك ما بكيته ، فقال عمر : ما عزَّاني أحد بأحسن ما عزيتني به .

وقال أبو اليقظان : شهد زيد بدراً وبينه وبين عمر درع ، فجعل كل واحد منهما يقول لصاحبه : لا يلبسها غيرك .

وشهد يوم أحد فصبر في أربعة أنفس ، ولم يهرب فيمن هرب ، وأمره الرسول ﷺ أن يصعد الجبل فيتلقى أبا الجهم بن حذيفة فيردّه ، فقال له أبو الجهم : أنا والغ الدم . فقال له زيد : قد أتاك والغ مثلك . وكان يقال لبني عدي ولغة الدم ، لأنهم غمسوا أيديهم في الدم حين غمسها المطيبون في الطيب ، يوم حلف المطيبين ، وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول : ما هبَّت صَبَا قَطُّ إلاَّ ذكرت زيداً .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا خالد بن مخلد ، ثنا عبدالله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر قال : قال عمر لزيد أخيه يوم أُحد : أقسمت عليك إلاّ لبست درعي ، فلبسها لقسمه ، ثم نزعها فقال له : مالك ؟ فقال له إني أريد لنفسي ما تريد لنفسك ، قال العمري : يعني بها الشهادة .

فولد زيد بن الخطاب : عبدالرحمن أمه ابنة أبي لبانة بن عبدالمنذر الأنصاري ، وأسماء تزوجها عبيدالله بن عمر ، فقتل عنها بصفين .

فولد عبدالرحمن بن زيد : عبدالحميد بن عبدالرحمن وأمه بكائية .

وعبدالله ، وأمه فاطمة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فأمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام . وأسيد بن عبدالرحمن أمه ثقيفة فأما عبدالحميد بن عبدالرحمن ، فولاه عمر بن عبدالعزيز الكوفة ، وكان أعرج ، وقد كتبنا خبره في ولايته . فمن ولده : ابراهيم بن عبدالحميد . وأبو يعقوب إسحاق بن ابراهيم ، وأبو يعقوب هذا يعرف بالخطابي ، وله دار بالبصرة ، وولده بها .

ومنهم : عبدالملك بن عبدالحميد ، ولي البحرين لأبي جعفر أمير المؤمنين .

وعبدالكبير بن عبدالحميد ، وقد ولي الصوائف ، وكان له قدر وكان يقول الشعر .

وعمر بن عبدالحميد ، كان سرياً جميلاً ولي اليمن ومكة لأبي العباس أمير المؤمنين .

وسعيد بن عبدالكريم ، وهم بحران .

ومن بني عدي بن كعب

زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قريش تتحاكم إلى نفيل بن عبدالعزى هذا .

وقال رسول الله ﷺ : «إن زيد بن عمرو بن نفيل يُبعث أُمة وحده» . وكان قد ترك عبادة الأصنام ، وطلب دين ابراهيم عليه السلام ، وكان يسجد على يده ، ثم كان يسجد إلى الكعبة ، وكان يقول في صلاته : البر أرجو لا الخال ، هل مهجر كمن قال، عُذتُ بما عاذ به ابراهيم ، مستقبل الكعبة وهو قائم يقول : أنفي لك عانٍ راغم مهما تجشمني فإني جاشم ، ثم يكبر ويخرّ ساجداً .

وكان ينتظر مبعث النبي ﷺ ، فقال لعامر بن ربيعة : يا عام إني أنتظر هذا النبي ، فإن أدركته فلأومننّ به والا فاقره مني السلام . فلما بُعث النبي ﷺ أخبره عامر بذلك فقال : وعليه السلام .

وحدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان بن مسلم الصفار ، ثنا وهيب بن خالد ، ثنا موسى بن عقبة أخبرني سالم بن عبدالله أنه سمع عبدالله بن عمر

يحدث عن رسول الله ﷺ ، أنه لقي زيد بن عمرو بأسفل بلدح [1] وذلك قبل النبوة ، فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ، ثم قال : إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي ، ثنا حماد بن سلمة عن مجالد عن عامر الشعبي قال : سئل النبي ﷺ عن زيد بن عمرو فقال : «يبعث يوم القيامة أمة وحده» .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن موسى بن شبة عن خارجة عن عبدالله بن كعب بن مالك قال : سمعت سعيد بن المسيب يذكر زيد بن عمرو فيقول : توفي وقريش تبني الكعبة قبل نزول الوحي على النبي ﷺ بخمس سنين ، ولقد نزل به الموت وهو يقول : أنا على دين ابراهيم .

وسأل عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله ﷺ عن زيد ، فقال رسول الله ﷺ : «غفر الله لزيد بن عمرو ورحمه ، فإنه مات على دين إبراهيم عليه السلام» ، فكان المسلمون يترحمون عليه ويستغفرون له ، ثم قال سعيد بن المسيب : رحمه الله وغفر له .

وقال أبو اليقظان : قَتَلَتِ النصارى زيد بن عمرو ، وقال زيد :

تركتُ اللات والعزى جميعاً ... كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صَنَمَي بني غَنْم أزور

---

١ ـ انظر طقات ابن سعد ج ١ ص ١٦١ ـ ١٦٢ ، ج ٣ ص ٣٧٩ ـ ٣٨١ وبلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب . معجم البلدان .

وقال ورقة بن نوفل لزيد :

رَشَدْتَ فأنْعَمْتَ ابن عمروٍ وإنما تجنَّبْتَ تَنُّوراً من النار حاميا
دعاؤك رباً ليس رَبٌّ كمثله وتركك أصنام الطواغي كماهيا

وكان سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه وأمه فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد ، من ولد غَنْم بن مُليح من خزاعة من المهاجرين الأولين ، أسلم قديماً قبل عمر بن الخطاب ، وهو أحد العشرة الذين سموا للجنَّة ، وكان يكنى أبا الأعور ، وكان إسلامه مع أبي عبيدة في يوم واحد قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم .

قال الواقدي : وكان أبوه زيد بن عمرو قد أنكر أمر الأصنام في الجاهلية وكرهه ، وطلب دين ابراهيم ، وامتنع من أكل ما ذبح على النصب ، ولم يتهود ولم يتنصر ، وكان يستقبل الكعبة ويقول : لبيك حقاً حقاً ، تعبداً ورقّاً . وكان يقول : رب ، لو أعلم لأية جهة أسجد لك لسجدت إليها ، فكان يسجد على راحته ، وكان يفدي كل مولودة يريد أهلها أن يئدوها بمكة إذا أمكنه ذلك بعبدٍ أو أمةٍ أو فرسٍ أو إبلٍ أو غنمٍ ، فلما كثر عليه ذلك تضمن مؤونة التي يريدون أن يئدوها وطعام أمها ، وبنى خيمة بحراء يتحنث فيها ، واعتزل قريشاً فسموه الراهب ، ومات فدفن في أصل حراء ، وكانت وفاته وقريش تبني الكعبة قبل الوحي بخمس سنين .

وكان قد طوّف ببلاد الشام وناظر أهل الكتب ، فسمع علماءهم يخبرون بأنه قد أظلَّ نبي يخرج من بلاده يدعو إلى دين ابراهيم وملته ، ويقاتل العرب ويدعو العجم إلى التوحيد ، وخلع ما يعبدون من دون الله ، فكان يقول لابنه سعيد بن زيد : أي بني إني سمعت أهل الكتاب يخبرون

بأنه يبعث من بلدنا هذا نبي فلئن أدركته لأتبعنّه ، ولأقاتلنّ معه ، وإن متُّ أي بنيّ قبل مبعثه فلا تحد عن اتباعه ونصرته ، وكن أول الناس إيماناً به ، فإن قومك على ضلال . فلما ظهر رسول الله ﷺ ، وتحقق أنه يدعو الناس إلى الله وحده لا شريك له ، أتاه مستخفياً من قومه فأسلم ، وكان سعيد يقول : استخفيت بالإسلام سنة سنة .

وقد روي أن زيداً كان بالبلقاء فبلغه خروج النبي ﷺ فمات دونه ، والأول أثبت .

وقال الواقدي : ضمه والنبي ﷺ في الجاهلية سفر فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة ونزل زيد معه ، فدعا رسول الله ﷺ زيد بن حارثة لسفرته ، فأكلا جميعاً وزيد يعيب دين قريش ، ويذكر دين ابراهيم ويقول : إن نبياً يخرج بمكة من أوسط أهلها نسباً ، وأحسنهم خلقاً ، وأظهرهم إصابة ، ولئن أدركته لأومنّن به ، ولأقاتلنّ معه .

وكانت عند سعيد بن زيد فاطمة بنت الخطاب ، أخت عمر فأسلمت يوم أسلم ، وأتت رسول الله ﷺ معه .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا أبو صالح شعيب بن حرب ، ثنا شعبة ، ثنا الحر بن صيّاح قال : سمعت عبدالرحمن بن الأخنس قال : سمعت المغيرة بن شعبة يخطب فنال علياً ، فقال له سعيد بن زيد بن عمرو : أُشهد على رسول الله ﷺ لسمعته يقول : «النبي في الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة» . ولو شئت أن أسمي العاشر ، فلم يزالوا به حتى ذكر نفسه .

وبعث رسول الله ﷺ طلحة وسعيد بن زيد يتحسسان من خبر عير قريش فقدما فلقياه بين ملل والسيالة منصرفاً من بدر ، فلم يشهدها سعيد ، وأسهم له رسول الله ﷺ ، وشهد سعيد أحداً وجميع المشاهد .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا الحجاج بن المنهال الأنماطي ، ثنا حماد بن سلمة عن الكلبي عن أبي طلحة عن سعيد بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : «عشرة من قريش في الجنة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن مالك ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبو عبيدة بن الجراح» .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا عبدالله بن نمير عمّن سمع عائشة بنت سعد بن أبي وقاص تُحدِّث قالت : غَسَّل سعدٌ سعيد بن زيد بن عمرو بالعقيق ، ثم احتملوه يمشون به حتى إذا حاذى سعدٌ داره دخل ومعه الناس ، ثم دخل البيت فاغتسل وخرج فقال : إني لم أغتسل من غسل سعيد ، إنما اغتسلت من الحر .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا أنس بن عياض عن عبيدالله بن عمر عن نافع أن ابن عمر حنّط سعيد بن عمرو ، وحمله ، ثم دخل المسجد فصلى عليه ولم يتوضأ .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا أنس بن عياض عن يحيى بن سعيد أخبرني نافع عن عبدالله بن عمر بن الخطاب بأنه استصرخ على سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يوم الجمعة بعد ارتفاع الضحى ، فأتاه ابن عمر بالعقيق ، وترك الجمعة .

حدثني عمرو بن محمد الناقد وابراهيم بن مسلم الخوارزمي قالا : ثنا

وكيع بن الجراح ، أنبأنا العمري عن نافع عن ابن عمر أنه استصرخ على سعيد بن زيد بن عمرو يوم الجمعة وابن عمر يتجهز للجمعة فأتاه وترك الجمعة .

حدثني محمد بن حاتم بن ميمون ومحمد المروزي ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر بمثله .

حدثني محمد بن حاتم ومحمد بن سعد قالا : ثنا عبدالله بن نمير عن نافع عن ابن عمر أنه حنط سعيد بن زيد فقيل له : أنأتيك بمسك ؟ فقال : نعم وأي طيب أطيب من المسك .

حدثني عمرو بن محمد ومحمد بن سعد قالا : ثنا الفضل بن دكين ، ثنا ابن عينية عن ابن أبي نجيح عن اسماعيل بن عبدالرحمن قال : دعي ابن عمر إلى سعيد بن زيد وهو يموت وابن عمر يريد الجمعة فأتاه وترك الجمعة .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا معن بن عيسى ، ثنا عبيدالله بن عمر عن نافع أن سعيد بن زيد بن عمرو مات بالعقيق فحمل الى المدينة ودفن بها .

وقال الواقدي : حدثني عبدالملك بن زيد من ولد سعيد بن زيد بن عمرو عن أبيه قال : توفي سعيد بن زيد بالعقيق فحمل على رقاب الرجال ، فدفن بالمدينة ونزل في حفرته سعد بن أبي وقاص ، وعبدالله بن عمر ، وذلك في سنة خمسين أو احدى وخمسين وهو يومئذ ابن بضع وسبعين سنة ، وكان رجلاً آدم طوالاً أشعر .

وقال محمد بن سعد : قال الهيثم بن عدي مات سعيد بالكوفة في ولاية المغيرة بن شعبة لمعاوية ، وهو صلى عليه .

حدثني محمد بن سعد ، أنبأ حكيم بن محمد ـ من ولد المطلب بن عبد

مناف ـ عن أبيه أنه رأى في خاتم سعيد بن زيد آية من كتاب الله[1] .

قال الواقدي : وأهل الكوفة يرون أن سعيد بن زيد مات عندهم ، وصلى عليه المغيرة بن شعبة . قال : وقال مالك بن أنس : سمعت جماعة من أهل العلم لا يشكون في أنه دفن بالمدينة .

وقال الهيثم بن عدي : مات سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بالكوفة في زمن معاوية ، وصلى عليه المغيرة بن شعبة وهو يومئذ وال .

قالوا : وكان لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل من الولد :

عبد الرحمن الأكبر ، لا بقية له ، وأمه أم جميل بنت الخطاب ، واسمها رملة . وعبدالله الأكبر لا بقية له . وعبد الرحمن الأصغر لا بقية له ، وعمرو الأكبر لا بقية له ، وعمرو الأصغر . والأسود هلك قبل أبيه لا بقية له . وابراهيم الأكبر . وخالد ، وأم زيد ، وكانت عند المختار بن أبي عبيد . وابراهيم الأصغر . وبنات .

وقال أبو اليقظان : كان محمد بن عبدالله بن سعيد بن زيد شاعراً ، وهو القائل ليزيد بن معاوية :

أنت منّا وليس خالك منّا يا مضيع الصلاة للشهوات

وقال غيره : هذا البيت لموسى شهوات .

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي : ومن بني عدي : عبد نهم بن نفيل : قتل يوم الفجار في الجاهلية .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٨٢ ـ ٣٨٥ .

قال : وولد تميم بن عبدالله بن قرط بن رزاح : حبيب بن تميم ، وأمه من بني أسد .

فولد حبيب : المؤمل ، وأمه ابنة عامر بن بياضة من خزاعة ، ومن ولده :

أبو بكر - ويقال اسمه أيوب الأشلّ - بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عبدالله بن مؤمل - كان يرىٰ رأي الخوارج وكان مع عبدالله بن يحيى المعروف بطالب الحق ، وقد ذكرنا خبر طالب الحق في كتابنا .

وولد صَدّاد بن عبيد الله بن قرط: خلف بن صدّاد. وعبد شمس، أمهما ليلى بنت سعد بن رباب بن سهم.

وولد أذاه بن رياح بن عبد الله بن قرط: عبد الله بن أذاه. وأنس بن أذاه، منهم سراقة بن المعتمر بن أنس بن أذاه، مات كافراً. وقال النبي ﷺ: «أشد الناس عذاباً كل جعّار نعّار صخّاب في الأسواق مثل سراقة بن المعتمر»، وكان ابنه عمرو بن سراقة[1] من خيار المسلمين، شهد بدراً مع رسول الله ﷺ، في رواية موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق، وأبي معشر، والواقدي جميعاً.

وذكر محمد بن إسحاق أن عبد الله بن سراقة شهد مع ابنيه بدراً، ولم يذكر ذلك غيره، وليس هو بثبت، وشهد عمرو بن سراقة مع رسول الله ﷺ : أُحداً، والخندق والمشاهد، وتوفي في أيام عثمان.

وقال محمد بن اسحاق: توفي عبد الله بن سراقة بعد أخيه ولاعقب له.

---

١ - بهامش الأصل: عمرو بن سراقة رضي الله عنه.

وكان لسراقة أيضاً ابن يقال له: عِبيد الله.

وقال الكلبي: من ولد سراقة:

زائدة بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن سراقة، ولي شرطة المدينة، وكان أخوه أيوب مع الخوارج وقال أبو اليقظان: كان عثمان بن عبد الله بن سراقة مع الحجاج، فقطع الأعراب الطريق فبعثه إليهم، فكان يأخذهم فيعذبهم بالنار.

وقال الكلبي والواقدي: أم عثمان بن عبد الله بن سراقة: زينب بنت عمر بن الخطاب، كانت أصغر ولد عمر، ومات سنة ثماني عشرة ومائة، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة، وقد روى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما.

وولد عَوِيج بن عدي بن كعب

عَبيد ـ بفتح العين ـ وأمه مخشيّة بنت سلول بن عدي بن كعب من خزاعة.

فولد عَبيد: عوف بن عَبيد. وعبد الله، وأمهما ماوية بنت عدي بن حجر بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لؤي.

فولد عوف: عبد بن عوف. ونفيلة بن عوف. وحُرثان بن عوف، وأمهم قلابة بنت الحارث هذلية.

فمن بني عَوِيج:

نُعَيْم[1] ـ وهو النَحّام ـ بن عبد الله بن أسيد بن عبد عوف بن عَبيد بن عَوِيج بن عدي بن كعب، وسميّ النحّام لأن رسول الله ﷺ قال: «دخلت الجنة فرأيت أبا بكر وعمر، وسمعت نحمة من نعيم»، فسمي النحّام. وقالوا: أسلم نعيم بن عبد الله قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يعقوب بن عمرو عن أبي بكر بن أبي عبيد الله العدوي، قال: أسلم نعيم بن عبد الله بعد عشرة، وكان

١ ـ بهامش الأصل: نعيم النحام، رضي الله عنه.

يكتم إسلامه، وكان أبوه يقوت فقراء بني عدي، فلقيه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: يابن عبد الله. هدمت ماكان أبوك يبني وقطعت ماوصله حين تابعت محمداً. قال نعيم: قد بايعته فلا تقل هذا يا أبا عبد شمس، فإني إنما رفعت بنيان أبي وشرفته. قال: فلما أراد نعيم الهجرة إلى المدينة تعلق به قومه، وقالوا: دِنْ بأي دين شئت، فأقام بمكة لا يقربه أحد، ثم قدم المدينة مهاجراً في سنة ست ومعه أربعون من أهله، فلما نزل أتاه النبي ﷺ مسلماً فاعتنقه وقبله وقال: «يا نعيم، قومك كانوا خيراًلك من قومي»، قال: فأصابت من معه الحمى وسلسلت بطونهم، فتوضأ النبي ﷺ فشربوا من الماء الذي توضأ به، فأفاق المحموم واعتقل بطن المبطون(١).

وقال الكلبي: استشهد نعيم النحام يوم مؤتة، وقال أبو اليقظان: هاجر نعيم إلى أرض الحبشة، ولا عقب له، والثبت أنه لم يهاجر إلى الحبشة قط.

وقال الواقدي وغيره: كانت تحت أسامة بن زيد امرأة من طيء تزوجها حين بلغ وهو ابن اربع عشرة سنة يقال لها زينب بنت حنظلة، فطلقها أسامة، فزوجها رسول الله ﷺ نعيماً، فولدت له: ابراهيم بن نعيم بن عبد الله، فتزوج ابراهيم بن نعيم: أم عثمان بنت عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ثم توفيت، فتزوج رقية بنت عمر بن الخطاب فتوفيت عنده، فانصرف به عاصم بن عمر من البقيع إلى منزله، فأخرج إليه ابنتيه: أم عاصم، وحفصة وقال: إختر. وكانت حفصة أدناهما، فنظر إلى جمال أم عاصم فقال: سيصيب بها عاصم لهوة من مال فتركها، وقال: زوجني حفصة

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج٤ ص١٣٨ ـ ١٣٩ .

فزوّجه إياها، فأرسل إلى عاصم بن عمر بعشرة آلاف درهم، فردّ عليه ستة آلاف، وأخذ أربعة آلآف.

وخطب أم عاصم: عبد العزيز بن مروان بن الحكم، فتزوجها فولدت له: أبا بكر، وعمر ابني عبد العزيز، وحُملت إليه وهو والي مصر، فتوفيت عنه، فتزوج حفصة، وقد كان قتل ابراهيم بن نعيم عنها يوم الحرة، ولما مرت أم عاصم بأيلّة أهدى لها معتوه كان هناك يقال له شرشير هدية فأثابته وأحسنت إليه، ومرت به حفصة ففعل مثل ذلك فدنت فيها وهبت له واغفلته، فقال: هيهات ليست حفصة من رجال أم عاصم، فمرت مثلاً.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: رحم الله نعيماً، سبقني إلى الحسنيين، أسلم قبلي وسبقني إلى الجنة.

وقال الواقدي: استشهد نعيم يوم أجنادين، ويقال يوم اليرموك سنة خمس عشرة، وقال الكلبي: استشهد بمؤتة، وكان نعيم يكنى أبا عبد الله.

حدثني محمد بن سعد، والوليد بن صالح عن الواقدي عن فروة عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: ما كان رسول الله ﷺ لدارٍ أكثر زيارة منه لدار نعيم النحام.

وقال أبو اليقظان: لا عقب لنعيم رضي الله عنه.

ومن بني عويج:

عدي بن نضلة[1] بن عبد العزى بن حُرثان بن عوف بن عبيد بن عويج، هاجر في المرة الثانية إلى أرض الحبشة، ومات بأرض الحبشة، وهو أول من وُرث في الإسلام، ورثه ابنه النعمان بن عدي. والنعمان هذا هو الذي

---

١ ـ بهامش الأصل: عدي بن نضلة رضي الله عنه.

ولاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ميسان فقال:

ألا أبلغ الحسناء أن حليلها بميسان يُسقى من زجاج وحَنْتَم
إذا شئت غنتني دهاقين قرية وصناجةٍ تحذو على كل منسم
لعل أمير المؤمين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم
إذا كنت ندماني فبالأكبر اسقني ولاتَسْقِني بالأصغر المُتَثَلّمِ

فلما بلغ عمر رضي الله تعالى عنه الشعر قال: أي والله إنه ليسوءني تنادمهم فمن لقيه فليعلمه أني قد عزلته، وكتب في عزله، فلما قدم عليه قال: ياأمير المؤمنين والله ماصنعت شيئاً مما ذكرت، ولكني امرؤ شاعر أصبتُ فضلاً من قول فقلته. فقال عمر. والله لاتعمل لي عملاً أبداً.

وقال محمد بن اسحاق: قد كان النعمان بالحبشة مع أبيه وله عقب.

ومنهم:

مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج، كان اسمه العاص، فسماه النبي ﷺ مطيعاً[1].

وقال الواقدي: أسلم مطيع يوم الفتح وسماه رسول الله ﷺ مطيعاً، وكان اسمه العاص وأقام بمكة، ومات في أيام عثمان، وله بوَدَّان أموال ومنازل.

وقال الواقدي: وولد عبد الله بن مطيع بن الأسود على عهد النبي ﷺ، ومات بمكة في فتنة عبد الله بن الزبير.

قال: وكان لمطيع أيضاً ابن يقال له عبد الرحمن بن مطيع مع ابن الزبير، وولاه ابن الزبير الكوفة فأخرجه المختار عنها، ثم لحق بابن الزبير فلم

---

١ ـ بهامش الأصل: مطيع بن الأسود وابنه رضي الله عنهما.

يزل معه وأصابته جراحات فمات منها بمكة، فصلى عليه الحجاج، فقال: اللهم إنه عدوك، كان موالياً لأعدائك، معادياً لأوليائك، فاملأقبره ناراً، والعنه لعناًمخزياً.

وكان عبد الله بن مطيع أخذ البيعة لابن الزبير على أهل المدينة حين قدم عليهم أهل الشام ليواقعوهم إن خالفوا يزيد بن معاوية، ثم إنه فرّ حين ظفر مسلم بن عقبة، فلحق بابن الزبير، وفي ذلك يقول وهو يقاتل مع ابن الزبير في الحصار الثاني.

أنا الذي فررت يوم الحرة والحر لايفر إلا مرة
فاليوم أجزي فرة بكرة

قال: وولى عبد الله بن الزبير عبد الله بن مطيع الكوفة، فدعا الناس إلى بيعة ابن الزبير، ولم يسمِّه، وقال: بايعوا أمير المؤمنين، فكان فيمن بايعه فُضالة بن شريك الأسدي، ويقال عبد الله بن همام السلولي وقال:

دعا ابن مطيع للبياع فجئته إلى بيعةٍ قلبي لها غير آلف
فأخرج لي خشناء حين لمستها من الخشن ليست من أكف الخلائف
من الشَّزِنَاتِ[1] الكُرْم أَنْكَرْتُ مَسَّها فليست من البيض السِّباط اللطائف
معاودة ضرب الهراوي لقومها فَرُورٌ إذا ما كان حَيْنُ التسائف
ولم يُسْمِ إذ بايعتُه من خليفتي ولم يشترط إلا اشتراط المجازف

وخرج عليه المختار بن أبي عبيد فحصر وخرج من قصر الكوفة واستخفى، وعرف المختار خبره، فبعث إليه بمائة ألف درهم فخرج من الكوفة حين قبضها ولحق بابن الزبير، واعتذر إليه بغدر أهل الكوفة، وقاتل

١ ـ الشزن: شدة الاعياء من الحفا، والشدة، والغلظة. القاموس.

معه حتى قتل. ويقال بل أصابته جراح مات منها بعد الوقعة بأيام وذلك أثبت.

قال: وكان يزيد بن معاوية كتب إلى الوليد بن عتبة: أنْ خذ عبد الله بن مطيع فاحبسه، فأخذه الوليد فحبسه، فاجتمع بنو عدي وفيهم أبو جهم بن حذيفة، وعبد الله بن عمر فكلموا الوليد، وقالوا: لماذا حبست صاحبنا؟ قال: كتب أمير المؤمنين إليّ في حبسه، فأكتب وتكتبون، وأنظر وتنظرون فأتوا السجن فأخرجوه.

وقال أبو اليقظان: كان ابراهيم بن عبد الله بن مطيع رأس قريش يوم حرب الخوارج بقديد، ومات بالمدينة، وكان محمد بن ابراهيم مكيناً عند محمد بن سليمان بن علي.

قال ابن الكلبي: وقتل سليمان بن مطيع يوم الجمل مع عائشة.

قال: ومنهم:

مسعود بن حارثة بن نضلة قتل يوم مؤتة، **وقيس بن الحارث** بن نضلة قتل يوم الفجار في الجاهلية.

ومنهم:

معمر بن عبد الله[1] بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، وكان قدومه مع جعفر بن أبي طالب، وهو كان يُرحّل رحل النبي ﷺ في حجته، ومات في أيام عمر، وكان إسلامه بمكة.

ومنهم:

---

١ ـ بهامش الأصل: معمر بن عبد الله رضي الله عنه.

عروة بن أبي أثاثة[١] بن عبد العزى بن حرثان، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ومات بأرض الحبشة.

وولد عبد الله بن عبيد بن عويج:

عامر بن عبد الله، وأمه أم سفيان بنت رياح بن عبد الله بن قرط، فولد عامر بن عبد الله:

غانم بن عامر، فولد غانم بن عامر: حذافة بن غانم الشاعر. وحذيفة ابن غانم.

فولد حذافة: خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر، وكان خارجة قاضياً على مصر من قبل عمرو بن العاص. وكان في جيشه، قتله الخارجي وهو يظنّ أنه عمرو بن العاص، فلما أُخذ وأدخل على عمرو، قال له: أردت عمراً وأراد الله خارجة، فذهبت مثلاً:

ومن ولده: سليمان بن أبي حثمة بن حذافة، وأم سليمان: الشفّاء بنت عبد الله من بني عدي أيضاً وللشفاء دار بالمدينة في الحكاكين.

قال محمد بن سعد عن الواقدي أن عمر استعمله على بعض العمل[٢].

وحكيم بن مؤرق بن حذافة كان شريفاً. وحطيط بن شريق بن غانم، هلك في طاعون عمواس بالشام.

وولد حذيفة بن غانم: أبا الجهم بن حذيفة بن غانم[٣]، وكان من علماء

١ ـ بهامش الأصل: عروة رضي الله عنه.
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٥ ص٢٦ ـ ٢٧ .
٣ ـ بهامش الأصل: أبو جهم بن حذيفة رضي الله عنه.

قريش ونُسّابها، وكانت له صحبة، وقتل ابنه محمد بن أبي الجهم بن حذيفة يوم الحرة، وكان أبو بكر بن عبد الله، ويقال ابن عبد الرحمن بن أبي الجهم فقيهاً.

وقال الكلبي: ولد صُخَيْر بن أبي الجهم بالكوفة مقيمون بها، وكان صخير يطعم الطعام، وغير الكلبي يقول: سحيم.

وجلد عمر بن الخطاب أبا الجهم بن حذيفة ثمانين جلدة في شهادته مع عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل على زناء أم المسيب، وقد كتبنا هذه القصة في نسب بني مخزوم.

وسمعت من يذكر أن اسم أبي جهم عبيد. وهو قول الواقدي أيضاً.

وقال الواقدي: قدم المدينة فابتنى بها داراً في آخر زمن معاوية.

وقال أبو اليقظان: كان أبو جهم بن حذيفة بن غانم شرساً وكان قد بقي إلى بعد أيام يزيد بن معاوية، وكان أبو الجهم يقول: أَعَنْتُ على بناء الكعبة مرتين، مرة حين بُنيتْ في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ، وأخرى حين بناها ابن الزبير، وكان حين بعث النبي ﷺ يسعى عليه هو وعمر بن الخطاب، ثم رزق الله عمر الإسلام، وبقي أبو الجهم حتى أسلم في فتح مكة، فذكروا أن النبي ﷺ أتى بخميصتين إحداهما معلمة والأخرى غير معلمة، فبعث بالتي لا علم لها إلى أبي الجهم، ولبس رسول الله ﷺ المعلمة وصلى فيها، فلما رأى علمها بعث بها إلى أبي الجهم، وكان له بنون أشداء، وكان يجلس في مجلسه في أيام عمر هو وعقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل الزهري، فما يكاد يمر بهم رجل من قريش إلا ثلبوه، وقالوا: كانت جدته كذا وأمه كذا فبلغ عمر رضي الله تعالى عنه ففرق بينهم.

وكان بنو أبي الجهم يعيبون عبد الله بن مطيع ويسعون معه، وكان مروان بن الحكم على المدينة وعلى شرطه مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، فخرج مروان إلى مكة فتبعه مصعب وجعل يسير معه فبينا هو يسير في الموسم إذ أقبل عبد الله بن مطيع فدنا من مروان فألح عليه في الكلام حتى أغلظ له عبد الله، فضرب صُخير بن أبي الجهم وجه مصعب، ثم ركض، فبعث مروان في طلبه فلم يقدر عليه، وقال: لئن قدرت عليه لأقطعنّ يده، فقال له عبد الله بن مطيع: لقد أحببت أن يكثر الجدماء في قريش، يعني إنك إن قطعته قطعت أيدي رجال من قريش، فلما قدموا مكة فقضوا نسكهم، بعث عبد الله بن مطيع جارية له يقال لها خيرة فقال: تعرضي لمصعب، فتعرضت له فقال لمن أنت؟ قالت: لعبد الله بن مطيع، فقال أيبيعك؟ ثم جاءت فأخبرت مولاها فبعث بها إلى مصعب، ثم ركب عبد الله بن مطيع وعبد الله بن صفوان بن أمية إلى مصعب فطلبا إليه أن يعفو عن ضربة السوط، فوهبها لهم، فقال صخير بن أبي الجهم:

نحن ضربنا بالسياط مصعباً عمداً على خيشومه ليغضبا
لعل حرباً بيننا أن تنشبا قد رَكبتْ خيرة منه مركبا
ولعبت منه بلهوٍ ملعبا

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي أن معاوية قال لأبي الجهم بن حذيفة: أين سني من سنك؟ فقال: والله! إني لأذكر دخول أمك على زوجها، فقال: أي أزواجها فوالله أن كانت لكريمة المناكح فإياك يا أبا الجهم والإقدام بعدي على السلطان(١).

١ - لم يرد هذا الخبر في ترجمة أبي الجهم في طبقات ابن سعد ج٥ ص٤٥١ .

المدائني عن سعيد بن أبي سعيد قال: أغلظ أبو الجهم بن حذيفة لمعاوية وقال: أراحنا الله منك، فقال: ويحك إلى من؟ إلى بني زهرة؟ فما عندهم بصر ولا فضل، أم إلى بني مخزوم؟ فوالله لو وُلّوا من الأمر شيئاً ما كلموكم كبراً. أَم إلى بني هاشم؟فوالله لو وُلّوا لاستأثروا عليكم.

وقال أبو الجهم: أمر لي معاوية بمائة ألف درهم فذممته، فلما ورد يزيد أعطاني خمسين ألف درهم، ثم أتيت ابن الزبير فأعطاني ألفاً، فقلت: أبقاك الله، فإنّا لانزال بخير مابقيت. فقيل: أتدعو لابن الزبير بالبقاء ولم تدع لمعاوية ولاليزيد. فقلت: أخشى والله ألا يأتي بعده إلا خنزير.

وقالوا: كانت عند أبي الجهم بن حذيفة: خولة بنت القعقاع بن معبد بن زرارة بن عدس، وهي أم موسى بن طلحة بن عبيد الله، خلف عليها أبو الجهم، وكانت لأبي الجهم سرية تسمى زجاجة وكان محباً لها، فولدت له سليمان بن أبي الجهم وغيره، فمرضت خولة فدخلت عليها امرأة كانت تطبب فقالت لها: أنت مسحورة، وما سحرك إلا زجاحة، وليس لك دواء إلا أن تذبيحها وتطلي ساقيك بدمها، ومخ ساقيها، فذكرت ذلك لأبي الجهم فقال: افعلي، وبلغ ذلك ولدها فكلموا أباهم فقال: والله ما أمكم عندي مثل خولة، وما أنتم عندي كولدها فانطلقوا فأتوا محمد بن أبي الجهم فقالوا له: إن أمك قالت كذا، وقال أبوك كذا، فقال: ما أنا بالذي أخالف أبي وأمي، فلما سمعوا ذلك انطلقوا إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب فكلموه وأخبروه الخبر فقال: سبحان الله ماهذا بكائن ولا أقبله، فلقوا المسور بن مخرمة الزهري فأخبروه بما قال ابن عمر فقال: ليس عبد الله بن عمر بمغْنٍ عنكم شيئاً، ولكن إئتوا عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فأتوه فأخبروه الخبر

فعجب وقال: ماكنت أرى أن الجفاء بلغ بأبي الجهم وامرأته هذا كله، وبعث ابناً له إلى خولة وقال له: قل لها إن أبي يقرئك السلام، ويقول: ما الذي تجدين، وما الذي وُصف لك؟ فلما بلغها رسالة أبيه، قالت: إن زجاجة سحرتني وقد وصف لي دمها ومخ ساقيها، فكثر تعجب عبد الرحمن بن زيد من ذلك، وقال: انطلقوا فاحملوا أمكم وائتوني بها، فانطلقوا فحملوا أمهم فأنزلها منزل عبيد بن حنين مولاه، ثم أتى بنو عاصم بن عمر فأجابهم إلى نصرتهم، وكلموا زيد بن عمر بن الخطاب، وأمه أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأجابهم إلى نصرتهم، وكلموا بني المؤمل من بني عدي بن كعب فأجابوهم إلى مثل ذلك، وبقي آل أبي الجهم، وآل عبد الله بن مطيع، وآل النعمان بن عدي بن نضلة فصار هؤلاء حزباً وهؤلاء حزباً فجعلوا يخرجون فيقتتلون بالعصيّ وأحياناً بالسيوف، فقيل لأبي الجهم: أدرك ولدك فإنهم يقتتلون، فقال: دعوا النّبع يقرع بعضه بعضاً، فلذلك قال الشاعر في أبياته في ابن مطيع:

معاودة ضرب الهراوي لقومها فَرُورٌ لعمر الله عند التسايف

ومر عبد الله بن مطيع على بغلة له فاتبعه فتية من آل عمر منهم: زيد بن عمر، وخرج بنو أبي الجهم من حوله، وبنو عبد الله بن مطيع يريدون عبد الله بن مطيع، فتلاحق القوم وتراموا فأصابت زيد بن عمر رمية، فسقط صريعاً، فجعل سليمان بن أبي الجهم بن زجاجة يرتجز لعبد الله بن مطيع:

أنا سليمان أبو الربيع تفرجوا عن رجل صريع

أدركه شؤم بني مطيع

فلما رأى عبد الله بن مطيع زيد بن عمر قد صرع عن دابته، أقبل يفديه حتى كلمة، ثم حمله على دابته، وأتى به منزله، وزرّفت[1] عليه الرمية فمات، وماتت أمه أسفاً عليه في يوم، فصلي عليهما جميعاً.

وقال بعض العدويين فيما حدثني به مصعب الزبيري: شُجّ زيد بن عمر، فلم يزل من شجته مريضاً، وأصابه ذرب واختلاف، ومرضت أمه وماتا جميعاً، فلم يدر كيف يقسم ميراثهما.

وقال المدائني: سُئل زيد مَنْ ضَرَبَه، فلم يُسَمِّه، وإنما كان أتى ليصلح بين القوم، فضُرب فشُجّ.

قالوا: وسأل الحجاج محمد بن يوسف أخاه: من أشد أهل الحجاز مؤونة على السلطان وأغلظ أمراً؟ فقال: آل أبي الجهم بن حذيفة[2].

---

١ ـ زرف الجرح: انتقض بعد البرء. القاموس.

٢ ـ بهامش الأصل: بلغت عراضاً بالأصل الثالث من أول الكتاب، ولله كل حمد وفضل.

المحتوى

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م

الجزء الحادي عشر

بنو عامر بن لؤي - بنو مزينة

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار

الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الطبعة الاولى

دار الفكر

بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٠٠١ - ٢١٢ - ٤٧٨٢٣٠٨

نسب بني عامر بن لؤي بن غالب بن فهر[١]

ولد عامر بن لؤي :

حِسْل بن عامر ، وأمه خارجة بنت عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر . ومعيص بن عامر . وعويص بن عامر ، دَرَجَ . وأمهما ليلىٰ بنت الحارث بن عضل بن الدَّيش من القارة من ولد الهون بن خزيمة .

فولد حِسْل : مالك بن حسل ، وأمه قسامه سوداء ، وأخوه لأمه عمرو بن هُصَيص بن كعب .

فولد مالك : نصر بن مالك ، وأمه ليلىٰ بنت هلال بن أُهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر . وجَذيمة بن مالك ، وأمه شِحام بنت حرب بن سعد[٢] بن فهم بن عمرو بن قيس .

فولد نصر بن مالك : عبد وُدّ . وجابر بن نصر . والأُقيشر بن نصر . وعبد أسعد بن نصر ، وأمهم ماوية بنت سعد بن سهم .

---

١ ـ بهامش الأصل : بلغت عراضاً بالأصل الثالث من أول الكتاب ولله كل حمد وفضل .

٢ ـ بهامش الأصل : أسعد .

فولد عبد وُدّ بن نصر : عبد شمس . وأبا قيس وأمهما ناهية بنت عبده بن ذكوان بن غاضرة بن صعصعة .

فمن بني عبد شمس بن عبدود : سهيل بن عمرو[١] بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، وهو الأعلم[٢] ، ويُكنى أبا يزيد ، وإياه مدح أمية بن أبي الصلت فقال :

أبا يزيد رأيت سيبك واسعاً وسجال كفك يستهل فيمطر[٣]

وكان سهيل من سادة قريش ، وكان مكثراً ، فقوّىٰ المشركين لوقعة بدر بحملانٍ ومال ، ولما كان يوم بدر أسره مالك بن الدُخْشم الخزرجي ، وقال :

أسرتُ سهيلاً فلن أبتغي به غيره من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفتىٰ سهيلاً فتاها إذا يظّلم
ضربت بذي الشفر حتى انثنىٰ وأكرهتُ نفسي على ذي العلم

وكان أعلم الشفة السفلى .

ولما قدم بسهيل المدينة رآه أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله . هذا الذي كان يطعم السريد بمكة - يعني الثريد - فقال رسول الله ﷺ : «نعم هذا الذي كان يطعم الطعام بمكة ، ولكنه سعىٰ في إطفاء نور الله فأمكن الله منه» .

ورأته سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ زوج رسول

١ - بهامش الأصل : سهيل بن عمرو رضي الله عنه .
٢ - عرف بذلك لشق في شفته العليا ، وقيل السفلى .
٣ - ليس في ديوان أمية المطبوع .

الله ﷺ ، وهو في القدّ ، ويده إلى عنقه ، فلم تملك نفسها أن قالت : يا أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ، هَلاَّ مُتُّم كراماً ، فقال رسول الله ﷺ : «أعلىٰ الله ورسوله» ؟ فقالت : والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيته على هذه الحال ، فاستغفر لي يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : «يغفر الله لك» .

وقال عمر : يا رسول الله ، هذا سهيل خطيب قريش فانزع ثنيتيه فلا يقوم خطيباً بك أبداً ؟ فقال رسول الله ﷺ : «دعه فعسىٰ أن يقوم مقاماً يحمده وينفع الله به» . فلما كان يوم الفتح أسلم سهيل فحسن إسلامه، فلما قبض رسول الله ﷺ ، كان عَتّاب بن أسيد بن أبي العيص على مكة ، فقام سهيل فقال : قد تعلمون أني أكثر قريش قَتَباً في بَرٍّ وجاريةٍ في بحر ، فأقروا أميركم وأعطوه صدقاتكم ، وأنا ضامن إن لم يتم الأمر أن أردها عليكم ، وبكىٰ وسكن الناس ، ورجع عتّاب .

ولما كانت أيام عمر بن الخطاب أتاه سهيل بن عمرو، والحارث بن هشام بن المغيرة ليسلما عليه، فقدّم عليهما صهيباً وعماراً، فغضب الحارث لذلك فقال سهيل : دُعينا ودُعوا ، فأجابوا وأبطأنا ، ثم تغضبْ إن تقدموا علينا ، فأما إذا فاتنا الجهاد مع رسول الله ﷺ فإنا نطلبه بعده ، فخرجا إلى الشام مجاهدين فماتا هناكِ في طاعون عمواس . وكان سهيل لما أُسر يوم بدر هرب فخرجوا في طلبه فوجده النبي ﷺ بين سَمُراتٍ[1] ، فأمر فربطت يده إلى عنقه ، وجنب إلى راحلته .

وقال الواقدي : رمىٰ سعد بن أبي وقاص سهيلاً فأصاب نسأه ، فجاء

١ ـ شجر معروف صغار الورق ، قصار الشوك ، وله برمة صفراء ، يأكلها الناس . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس .

مالك بن الدخشم فأسره ، وأسلم أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، واسمه عمرو ، فحبسه أبوه ، فلما كان يوم قدوم النبي ﷺ الحديبية ، وتشاغل الناس ، أقبل أبو جندل يرسف في قيده ، حتى أتى النبي ﷺ وقد قاضى قريشاً ، فقام إليه أبوه فضرب وجهه ورده. وقد ذكرنا قصته في أول كتابنا .

وأسلم عبدالله بن[1] سهيل بن عمرو ، ويُكنىٰ أبا سهيل ، وأمه فاختة بنت عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وهاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية في رواية محمد بن اسحاق والواقدي ، ولم يذكر موسى بن عقبة وأبو معشر هجرته ، ثم رجع إلى مكة فأخذه أبوه فأوثقه وحبسه عنده وقيده ، فأظهر له الرجوع عن الإسلام حتى أخرجه محمّلاً إلى بدر بحملانه ونفقته، فانحاز إلى المسلمين حتى أتى النبي ﷺ وقاتل مع المسلمين وأبوه مغيظ عليه .

قال الواقدي : شهد بدراً مع النبي ﷺ وهو ابن سبع وعشرين سنة ، وشهد أيضاً أحداً ، والخندق والمشاهد كلها ، واستشهد بجواثا من البحرين في الردة ، ويقال استشهد باليمامة ، وهو ابن ثماني وثلاثين سنة ، فلما حج أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في أيامه أتاه سهيل بن عمرو، فعزّاه أبو بكر عن عبدالله ، فقال : لقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال : «يشفع الشهيد في سبعين من أهله» ، فأنا أرجو ألا يبدأ ابني في شفاعته بأحد قبلي ، وكان يقول حين أسلم في الفتح : لقد جعل الله لي في إسلام إبني خيراً كثيراً ، ومات أبو جندل ابنه أيضاً في طاعون عمواس[2] .

وقال الكلبي : كان سهيل بن عمرو أول من نعىٰ رسول الله ﷺ

١ ـ بهامش الأصل : عبدالله بن سهيل رضي الله عنه .
٢ ـ المغازي للواقدي ج ١ ص ١٥٧ . طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٥٣ .

بمكة ، وأخبرهم بوفاته وضمن لهم الدرك فيما يؤدون من صدقاتهم ، قال : ولما كان يوم الحديبية وقد جاء للصلح ، قال رسول الله ﷺ : «قد سهل لكم أمركم» ، وفيه يقول الشاعر :

حاط أخواله خزاعة لمّا كَثَّرتْهُم بمكة الأحياء

ولما كتبت القضية بالحديبية، كتب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : «بسم الله الرحمن الرحيم» . فقال سهيل : لا أعرف هذا . اكتب كما نكتب : باسمك اللهم . وكتب : «هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله وسهيل بن عمرو» .

وحدثني أبو عدنان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال : وقع إلي كتاب لمجاهد بن جبر فإذا فيه ، قال سهيل بن عمرو بن عبد شمس الأعلم : من عدم إخوانه ولذاته فهو غريب ولو كان في أهله ، وقال : كانت الجاهلية عمىً جلاه الله عنا بمحمد ﷺ ، فبأبي هو وأمي .

وحدثني هشام بن عمار قال : بلغنا أن سهيل بن عمرو العامري قال : كأن الله أبدلنا بعقولنا عقولاً وبقلوبنا قلوباً ، فاستقبحنا ما كنا نستحسنه ، وأبصرنا ما كنا عمياً عنه ، وإني لأذكر الأوثان فأستحيي من عبادتنا إياها ، فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد فهدانا من الحيرة ، وأيقظنا بعد الغفلة .

قالوا : وبلغنا أنه كان يقول : جهاد المرء نفسه أفضل من جهاد عدوه ، وقالوا : ولم يكن لسهيل عقب من الرجال .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده أن سهيل بن عمرو بعث ابنه إلى النبي ﷺ يوم الفتح فأَمَّنه ، فقال سهيل : بأبي وأمي هو ، فلم يزل

حليماً كريماً صغيراً وكبيراً ، وخرج إلى النبي ﷺ على شركه فأسلم بالجعرانة رحمه الله[١] .

ومنهم سهل بن عمرو[٢] أخو سهيل بن عمرو ، أسلم في الفتح ، وله عقب بالمدينة ، ودار وبقي بعد النبي ﷺ دهراً .

ومن ولده فيما ذكر الكلبي : عبد الرحمن بن عمرو بن سهل ، ولي المدينة .

وقال أبو اليقظان : كان عبد الرحمن بن عمرو بن سهل بن عمرو علىٰ بني عامر بن لؤي يوم الحرة ، وكانت ابنته أم سلمة بنت عبد الرحمن عند الحجاج بن يوسف ، ثم خلف عليها الوليد بن عبد الملك ، ثم سليمان بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك ، وله عقب بالمدينة .

قال : وكان بكار بن عبد الرحمن أخوها جميلاً ، وتزوج ابنة سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فأخذه الوليد بن معاوية عامل مروان على دمشق ، فضربه مائة سوط على أن يطلقها فأبىٰ ، فبعث مروان بن محمد إلى المرأة فحبسها عنده ، ثم زوّجها من محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ،فلم تزل عنده ، فلما قتل مروان وولي بنو العباس الخلافة استعدىٰ بنو عامر بن لؤي داود بن علي بن عبدالله بن العباس وهو على مكة على محمد بن عبدالله فلم ينالوا شيئاً .

والسكران[٣] بن عمرو ، أخو سهيل أيضاً رحمه الله ، هاجر إلى

١ ـ انظر طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٥٣ .

٢ ـ بهامش الأصل : سهل بن عمرو أخو سهيل رحمهما الله .

٣ ـ بهامش الأصل : السكران أخوه ، رحمه الله .

الحبشة في المرة الثانية ، ومعه امرأته سودة بنت زمعة ، ويقال إنه هاجر في المرتين جميعاً ، ثم إنه قدم مكة فمات قبل الهجرة فدفنه رسول الله ﷺ وخلف على سودة .

وقال بعض الرواة : مات بالحبشة مسلماً ، وقال بعضهم : إنه قدم مكة ، ثم رجع إلى أرض الحبشة مرتداً أو متنصراً فمات بها ، وهو قول أبي عبيدة البصري ، وليس بصحيح والخبر الأول أثبت وأصح ، وليس للسكران بن عمرو عقب .

وسليط بن عمرو[1] أخوه رحمه الله ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، **ومعه امرأته فاطمة بنت علقمة ، وقدم المدينة قبل قدوم جعفر بن أبي طالب إيّاها ، وكان إسلامه قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم المخزومي ، واستشهد باليمامة سنة اثنتي عشرة ، وكان له ابن يقال له سليط بن سليط .**

وحاطب بن عمرو[2] أخوهم أيضاً رحمه الله ، وأمه أسماء بنت الحارث من أشجع ، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم ، وهاجر إلى أرض الحبشة في المرتين جميعاً ، في رواية الواقدي ومحمد بن اسحاق ، ولم يذكره موسى بن عقبة وأبو معشر .

وقال الواقدي : والثبت أن حاطب بن عمرو كان أول من قدم من الحبشة في المرة الأولى ، وشهد بدراً ، وأحداً ، وهو زَوَّجَ النبي ﷺ سودة بنت زمعة .

---

١ ـ بهامش الأصل : سليط أخوه . رحمه الله .
٢ ـ بهامش الأصل : حاطب بن عمرو ، رحمه الله .

وقال محمد بن سعد : وذكر موسىٰ بن عقبة أن سليطاً أخاه شهد معه بدراً ، ولم يذكره غيره[1] .

وروى بعض الرواة أن حاطباً خرج مع جعفر عليه السلام من أرض الحبشة ، والقول الأول أثبت وأصح .

وقال أبو طالب في عمرو بن عبد شمس وكان شريفاً :

ألا أبلغا حسلاً وتيماً رسالة جميعاً وأبلغها لؤي بن غالب
بأن أخا المعروف والبأس والندىٰ مقيم فلا يرجى ولا هو آيب
وقد عاش محموداً وخلّف سادةً سهيلاً وسهلاً ذا الندى والمكاسب
وخلف أيضاً من بنيه ثلاثة سليطاً مع السكران والمرء حاطب

ومن بني أبي قيس بن عبد ودّ : عبدالله بن أبي قيس ، الذي قتل عمرو بن علقمة بن المطلب في سفر لهم فقال أبو طالب :

أفي فضل حبلٍ لا أبالك ضربة بمنسأة قد جاء حبل بأَحْبُل

وقد كتبنا خبره في نسب بني المطلب بن عبد مناف .

وأبو ذؤيب وهو هشام بن شعبة بن عبدالله بن أبي قيس ، وكان من أشراف قريش ، حبسه ملك الروم في عدة من أشراف قريش فمات في حبسه ، وقد كتبنا خبره وخبرهم حين ذكرنا عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزىٰ في نسب بني أسد بن عبد العزىٰ .

ومن ولده: محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب الفقيه ويُكنى أبا الحارث ، مات بالكوفة سنة تسع وخمسين ومائة وهو ابن

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٠٥ .

تسع وسبعين سنة ، وكان يفتي بالبلد . وروى عنه الواقدي ، وكان يقال له ابن أبي ذئب .

وعبد الرحمن وعبدالله ابنا حُمَيْر بن عمرو بن عبدالله بن أبي قيس قتلا يوم الجمل مع عائشة رضي الله تعالى عنها .

وعمرو ذو الثدي بن عبد ودّ بن أبي قيس ، وكان فارس قريش يوم الخندق ، وهو يومئذٍ ابن قريب من مائة وأربعين سنة ، قتله عليّ عليه السلام مبارزة .

وحويطب بن عبد العزىٰ[1] بن أبي قيس ، وكان من علماء قريش ، وكان امتنع من الحلف على دم عمرو بن علقمة الكندي ، قتله خداش في الحبل الذي أعاره ، وحلف غيره من قومه فهلكوا وبقي فورثهم ، وكان حويطب من أوسع الناس خطة ، وكان سلف رسول الله ﷺ ، كانت عنده أميمة بنت أبي سفيان ، فولدت له أبا سفيان بن حويطب ، وعند رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكان سلفه أيضاً من قبل سودة بنت زمعة ، كانت عنده أختها أم كلثوم بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ ، وهرب حويطب بن عبد العزىٰ يوم فتح مكة ، فرآه أبو ذر في حائط ، فأخبر رسول الله ﷺ بمكانه فقال : «أوليس قَدْ أَمَّنَّا الناس إلا من أمرنا بقتله» ؟ فأخبر حويطب بذلك فأمن ، وكان حويطب بن عبد العزىٰ ، دخل على مروان بن الحكم بعد وهو والي المدينة ، فقال له مروان : لقد تأخر إسلامك يا شيخ . فقال : والله لقد هممت به غير مرة فكان أبوك يصدني عنه .

وقال الواقدي : كان حويطب يكنى أبا محمد ، ومات بالمدينة سنة

١ ـ بهامش الأصل : حويطب بن عبد العزى ، رحمه الله .

أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وله دار بالمدينة بالبلاط عند أصحاب المصاحف .

وقال الواقدي : بايع حويطب للعباس بن مرداس السلمي حين سار النبي ﷺ إلى خيبر على ظفر النبي ﷺ بأهلها ، فظفر فقمر حويطب ، وأخذ الخطر منه وهو مائة بعير ، وكان مع ابن مرداس نوفل بن معاوية ، وكان مع حويطب صفوان .

وقال أبو اليقظان كان حويطب يكنى أبا صفوان ، ثم يُكنىٰ أبا محمد ، وله عقب بمكة ، وكان أقرض رسول الله ﷺ مالاً ، يقال أربعين ألفاً ، فردها عليه .

فولد أبو سفيان بن حويطب : إبراهيم بن أبي سفيان الذي يقول فيه حشرج الأشجعي :

لابأس بالبيت إلا ما فعلت به ... يبني وتهدمه هدّاً له غول
تقول إني في عزّ وفي شرفٍ ... أَجَلْ صدقتَ ولكن أنت مدخول
نعم شغلت ولا أعطيت من سعةٍ ... حتى يغيب لحينٍ رأسك الجول[1]

ومن ولده : محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب ، قتل يوم نهر أبي فطرس مع من قتله عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس ، في أول دولة بني العباس .

ومنهم : **عبدالله بن مخرمة**[2] بن عبد العزىٰ بن أبي قيس ويُكنى أبا محمد ، وأمه : بَهْنانة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرّث بن مُخَمّل بن شِق بن

١ ـ الجول : التراب . القاموس .
٢ ـ بهامش الأصل : عبدالله بن مخرمة رضي الله عنه .

رَقَبة بن مجدع من بني كنانة بن خزيمة ، شهد بدراً ، واستشهد باليمامة في أيام أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وله إحدى وأربعون سنه ، وكان حين شهد بدراً ابن ثلاثين سنة وأشهر ، وكان ممن هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، ثم قدم مكة ، وهاجر إلى المدينة .

ومن ولده : نوفل بن مساحق بن عبدالله بن مخرمة ، ولي صدقات بني عامر .

وقال الواقدي : كان نوفل بن مساحق يُكنى أبا مساحق ، ولي قضاء المدينة .

ومن ولد نوفل : عبد الملك بن نوفل بن مساحق المحدث ، وله يقول الحزين الأشجعي :

أقول وما شأني وشأن ابن نوفل ... وشأن بكائي نوفل بن مساحق
ولكنها كانت سوابق عَبْرةٍ ... على نوفلٍ من كاذب غير صادق
فهلا على قبر الوليد وبقعة ... وقبر سليمان الذي عند دابق
وقبر أبي عمروٍ أخي وأخيهما ... فحزني في كل الجوانح لاحقي

أبو عمرو هو عبدالله بن عبد الملك .

و[سعيداً][1] . وولي سعيد شرط المدينة لحسن بن زيد .

وقال أبو اليقظان : لا عقب لعبدالله بن مخرمة ، ولكن عقب أخيه ينسبون إليه .

ومنهم : **أبو سَبْرَة بن أبي رُهْم**[2] بن عبد العزىٰ بن أبي قيس بن عبد

١ ـ أضيف ما بين الحاصرتين اقتباساً من نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٤٢٧ .
٢ ـ بهامش الأصل : أبو سبرة بن أبي رهم ، رحمه الله .

ود بن نصر بن مالك بن حسل ، وأمه بَرّة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمة رسول الله ﷺ، وأخوه لأمه أيضاً أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، أسلم قديماً ، وهاجر إلى أرض الحبشة في المرتين جميعاً ، وهاجر من مكة إلى المدينة ، وتوفي بمكة في أيام عثمان رضي الله تعالىٰ عنه .

قال الواقدي : وولده ينكرون رجوعه إلى مكة وموته بها ، ويغضبون من ذلك .

وكانت مع أبي سبرة بالحبشة امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو .

وقال بعضهم : كان أبو سبرة يسمىٰ عبد مناف ، وقيل اسمه المطلب .

ومن ولده في رواية الكلبي : أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي سبرة ، ولي القضاء لداود بن علي .

وقال الواقدي : مات أبو بكر بن عبدالله سنة اثنتين وستين ومائة ببغداد وهو ابن ستين سنة ، وكان يفتي بالبلد ، وكان قد ولي قضاء موسىٰ الهادي بن المهدي وهو ولي عهد ، فلما مات بعث إلىٰ أبي يوسف القاضي فاستقضي ، وكان ولي قضاء مكة لزياد بن عبيدالله . وأخوه محمد بن عبدالله بن محمد ، مات زمن زياد بن عبيدالله وكان ولاه قضاء المدينة .

وولد جَذيمة بن مالك بن حِسل : حُبَيْب وهو ابن شِحام ، يُنسب إلىٰ جدته أم جَذيمة وهي شِحام ، وأمه التي قامت عنه ماوية بنت عبد بن معيص بن عامر . فولد حُبيب : الحارث وأمه آمنة بنت اذاه بن رياح .

فولد الحارث : ربيعة ، وأبا سرح ، وأمهما الصمّاء بنت سعيد بن سهم .

منهم هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب الذي كان يتعهد

بني هاشم وبني المطلب في الشعب ، وهو أول من قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش عليهم ، وزعموا أنه كان أخا نضلة بن هاشم لأمه أميمة بنت عدي من بني سلامان من قضاعة ، وله يقول حسان بن ثابت :

أخنىٰ أبو خلف وأخنىٰ قنفذ وابن الربيع وطاب ثوب هشام
من معشر لا يغدرون بذمة الحارث بن حُبَيِّبِ بنُ شحام[1]

وإنما شدد حُبيب لضرورة الشعر .

وأبو خرشة بن عمرو بن ربيعة أخوه ، وعمير بن حصين بن ربيعة بن الحارث ، وأخواه لأمه : عدي بن الخيار ، وأبو عزة الشاعر الجمحي .

قالوا : وأمسك هشام على من هاجر من قومه دورهم فلم تُبَعْ .

ومنهم **وهب بن سعد بن أبي سرح** بن حُبيب بن جَذيمة بن مالك ، شهد بدراً مع رسول الله ﷺ في رواية موسىٰ بن عقبة وأبي معشر والواقدي ، ولم يذكره محمد بن اسحاق ، وشهد أحداً والخندق وقتل يوم مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان وهو ابن أربعين سنة .

وعبدالله بن سعد بن أبي سرح أخوه ، وكان يكتب للنبي ﷺ فيجعل الكافرين مكان الظالمين والمتقين مكان المؤمنين ، وحكيم مكان حليم ، وأشباه ذلك ، ويقول لقريش : أنا آتي بمثل ما أتى به محمد . فأنزل الله فيه : ﴿ومن أظلم ممن افترىٰ على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأُنزل مثل ما أنزل الله﴾[2] ثم إنه لحق بقريش بمكة مرتداً ، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة ، فلما فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بقتله فطلب

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٥١٤ . نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٤٣٢ .
٢ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٩٣ .

فيه عثمان أشد طلب حتى كف عنه رسول الله ﷺ ، وقال : «أما كان فيكم من يقوم لهذا الكلب فيقتله قبل أن أؤمنه»، وكان يأتي النبي ﷺ فيسلم عليه ، وولاه عثمان حين استُخلف مصر والمغرب ، فابتنى بمصر داراً ، ثم تحول منها إلى فلسطين فمات بها ، وبعض الرواة يقول مات بإفريقية ، والأول أثبت .

وقال الواقدي : فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية ، واستخلف على الاسكندرية عبدالله بن حذافة السهمي ، وسار في جنده إلى المغرب ففتح به فتوحاً ، ثم ولى عثمان عبدالله بن سعد ما كان عمرو يليه ، ففتح إفريقية وغيرها من المغرب فلما التاث الأمر على عثمان تحول الى فلسطين ، وقد كتبتُ أخباره وفتوحه بالمغرب في كتاب البلدان الذي ألفته [١] .

وفي سعد بن أبي سرح يقول حسان :

لعمرك ما أدري وإني لسائلٌ مهانة ذات النوف أَلأَمُ أمْ سعد [٢]

يعني أمه .

وكان يحدث عن عياض بن عبدالله بن سعد بن أبي سرح .

وكان يزيد بن معاوية كتب مع عبد بن عمرو بن أويس بن سعد بن أبي سرح إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وهو عامله على المدينة ، بنعي معاوية ، وأخذ الحسين بن علي ، وعبدالله بن الزبير بالبيعة .

وكانت لأروى ابنة أويس أرض إلى جنب أرض سعيد بن زيد بن

١ ـ انظر كتاب البلدان وفتوحها وأحكامها ـ تحقيق سهيل زكار ـ ط . بيروت ١٩٩٢ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٤ .

٢ ـ ديوان حسان ج١ ص١٦٣ مع فوارق .

عمرو ، فحفرت في حق سعيد ركية فمنعها فشكته فكُلّم ، فقال : والله ما منعتها حقاً ، وما كنت لأمنعها ذلك وقد سمعت النبي ﷺ يقول : «من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طوّقه من سبع أرضين في نار جهنم» . ولم يعرض لها وقال : اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها واجعل ميتتها في ركيتها ، فحفرت حتى إذا نبطت الماء جاءت تنظر فعمي بصرها ووقعت في الركية فماتت .

وولد مَعِيص بن عامر بن لؤي : عبد بن مَعِيص ، وعمرو بن معيص . ونزار بن معيص ، وأمهم أنيسة بنت كعب بن عمرو من خزاعة .

فولد عبد : حُجير بن عبد . وحَجر بن عبد ، وأمهما ابنة تيم بن مُدْلج بن مرة بن عبدمناة بن كنانة .

فولد حجير : ضِباب بن حجير . وحَبيب بن حُجير . وعمرو بن حُجير . ووهب بن حُجير ، وأمهم فاطمة بنت عوف بن الحارث بن عبدمناة بن كنانة .

فولد ضِباب : وهب بن ضباب . وأهيب بن ضِباب . ووهبان بن ضباب .

فمنهم لُبَيْد بن عبدة بن جابر بن وهب ، من فرسان قريش وكان شاعراً . وعبيدالله بن مُسافع بن أنس بن عبدة بن جابر بن وهب بن ضِباب بن حُجير بن عبد بن معيص . قتل يوم الجمل .

وشديد بن شداد بن عامر بن لَقِيط بن جابر بن وهب بن ضِباب الشاعر الذي يقول لخالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان :

إذا ما نظرنا في مناكح خالد عرفنا الذي يهوى وأين يريد

وقد ذكرنا خالد في نسب بني حرب بن أمية .

وعبيدالله بن قيس بن شريح [١] بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضِباب بن حُجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي الشاعر ، والذي يقال له ابن قيس الرقيات ، وقد ذكرنا له أخباراً واشعاراً فيما تقدم من كتابنا هذا ، وإنما قيل ابن قيس الرقيات لأنه كان يشبب برقية بنت عبدالواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن وهبان بن ضباب بن حجير ، وبابنة عم لها أيضاً يقال لها رقية .

ومنهم أسامة بن عبدالله بن قيس بن شريح بن مالك ، قتل يوم الحرة وله يقول عبيدالله بن قيس الرقيات وكان ابن أخيه :

فنعى أسامة لي وأخوته فظللتُ مُسْتّكاً مسامعيه

وقرأ رجل على حماد الراوية الكوفي هذا الشعر :

إن الحوادث بالمدينة قد أَوْجَعْنَني وَقَرَعْنَ مَرْوَتِيَهْ
وَجَبَبْنَنِي جَبَّ السَّنام ولم يتركْنَ ريشاً في مناكبيه [٢]

فقال : لقد وضع ابن قيس في هذا الشعر وتخنث فقال له حماد : يا أحمق إن هذا من حر كلام العرب أما سمعت الله يقول : ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه﴾ [٣] ويقول : ﴿ما أغنى عنى ماليه * هلك عني سلطانيه﴾ [٤] .

ومنهم : **العلاء** بن وهب بن عبد بن وهبان بن ضباب بن حجير ،

١ ـ بهامش الأصل : عبيدالله بن قيس الرُقيّات الشاعر .
٢ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ص ٩٨ ـ ٩٩ .
٣ ـ سورة الحاقة ـ الآيتان : ٢٥ ـ ٢٦ .
٤ ـ سورة الحاقة ـ الآيتان : ٢٨ ـ ٢٩ .

وقد شهد القادسية ، وساد بالكوفة ، وولي في أيام عثمان الجزيرة ، وفتح الله عليه فيها ذكر الكلبي : ماه ، وهمذان . وتزوج هند بنت عقبة بن أبي معيط ، فولدت له : محمداً . وعثمان وهم بالجزيرة والرقة أشراف ، وعبدالواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن وهبان أبو رقية التي كان ابن قيس يشبب بها .

ومنهم : **شيبه بن مالك** بن المضرّب بن وهب بن حجير قتل يوم أحد كافراً .

وولد حجر بن عبدمعيص : رواحة بن حجر ، وعمرو بن حجر . وحجير بن حجر ووهب بن حجر ، وأمهم ابنة ضاطر بن حُبْشية بن سلول من خزاعة ، منهم :

حميد بن عمرو بن مساحق بن قيس بن هزم بن رواحة بن حجر بن عبدبن معيص ، وأمه درة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس . ويقال هي ابنة أخيه هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس ، وكان حميد شريفاً بالشام .

ومنهم عمرو بن قيس بن زيادة بن الأصم بن هزم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي ، وهو الأعمى ، وأمه أم مكتوم ، واسمها عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم ، وبعضهم يقول زائدة ، والأول أثبت ، وهو قديم الإسلام ، وكان أتى النبي ﷺ وهو مقبل على الوليد بن المغيرة يكلمه ، وقد طمع في إسلامه ، فكلمه الأعمى فلم يكلمه فأنزل الله عز وجل : ﴿**عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما**

عليك ألا يزكى﴾ يعني وليداً ﴿وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى﴾ [١] .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : قدم ابن أم مكتوم المدينة مهاجراً بعد بدر ، فنزل دار مخرمه بن نوفل ، وشهد القادسية في أيام عمر بن الخطاب ومعه الراية ، ثم رجع الى المدينة فمات بها ، ولم يسمع له ذكر بعد عمر .

وقال بعضهم أن اسم ابن أم مكتوم : عبدالله والأول أثبت .

وقد روي أن ابن أم مكتوم من أول المهاجرين هجرة إلى المدينة .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي وبكر بن الهيثم قالا : ثنا أبو الوليد الطيالسي قال : قال البراء بن عازب : أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم [٢] .

وقال الهيثم بن عدي : مات ابن أم مكتوم في آخر سني عمر ، وأول سني عثمان واستخلف رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم على المدينة في أكثر غزواته ، وقد ذكرنا ذلك في غزوات رسول الله ﷺ .

حدثنا سليمان بن داود الزهراني أبو الربيع ، ثنا أبو المعافى عن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد قال: كنت أكتب عند رسول الله ﷺ الوحي فلما نزلت : ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ والمجاهدون جاء ابن أم مكتوم فقال : يا رسول الله إني مكفوف البصر

---

١ ـ سورة عبس ـ الآيات : ١ ـ ١٠ .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج٤ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٨ .

لا أستطيع الجهاد ، فوقعت على رسول الله ﷺ غشية ووقعت فخذه على فخذي كأنها رصاص ، فلما سري عنه قال : اكتب ﴿غير أولي الضرر﴾ [١] .

حدثنا سريج بن يونس والحسين بن علي العجلي قالا : ثنا وكيع ، أنبأ سفيان عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء بن عازب يقول نزلت : ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ والمجاهدون فجاء ابن أم مكتوم فقال : يا رسول الله إني رجل ضرير ، فنزلت ﴿غير أولي الضرر﴾ .

وولد عمرو بن معيص : منقذ بن عمرو بن معيص . والحارث . وحُبيب بن عمرو ، وأمهم دعد بنت سعد بن كعب بن عمرو .

فولد منقذ : الحارث بن منقذ . وعبيد بن منقذ . ورواحة بن منقذ ، وأمهم ميمونة بنت رواحة بن عُصيّة بن خُفاف السلمي .

فولد الحارث : عبدمناف ، رَبَعَ الناس في الجاهلية ، أي أخذ المرباع ، ويربوع بن الحارث . وعبدالحارث بن الحارث ، وأمهم سلمى بنت زمعة بن أهيب بن ضباب . والأَحبّ بن الحارث . وأبا الحارث بن الحارث . وعوف بن الحارث . ومالك بن الحارث ، وأمهم ليلى بنت هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر .

ومنهم حبّان بن أبي قيس بن علقمة بن عبد بن عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص وهو ابن العرقة الذي رمى سعد بن معاذ الأنصاري يوم الخندق وقال خذها وأنا ابن العَرِقة [٢] ، فقال رسول الله

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٩٥ ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله . . .﴾ .

٢ ـ بهامش الأصل : ابن العرقة .

ﷺ : «عَرَّق الله وجهك في النار» . والعُرِقه أم عبد بن عبد مناف ، وهم ينسبون إليها ، وسميت فيما زعموا : العرقة لطيب عرقها .

ومنهم : عبدالأكبر بن عبدمناف بن الحارث الذي ربع المرباع .

ومنهم : مكرّز بن حفص بن الأخيف بن علقمة بن عبدالحارث ، وكان ابن لحفص بن الأخيف خرج يبغي ضالة له وهو غلام ذو ذؤابة وعليه حلة ، وكان غلاماً وضيئاً فمر بعامر بن يزيد بن الملوح بن يعمر الكناني وكان بضجنان [1] . فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا ابن حفص بن الأخيف . فقال : يا بني بكر ، لكم في قريش دم ؟ قالوا : نعم . فقال : ما كان رجل ليقتل هذا برجله إلا استوفى . فأتبعه رجل من بني بكر فقتله بدم كان له في قريش ، فبينا مكرّز بن حفص أخوه بمرّ الظهران إذ نظر إلى عامر بن يزيد بن الملوح ، وهو سيد بني بكر ، فقال : ما أطلب أثراً بعد عين ، وكان متوشحاً بسيفه فعلاه به حتى قتله ، ثم أتى مكة فعلّق سيف عامر بأستار الكعبة . وقد كتبنا خبره مع خبر بدر فيما تقدم ، وقال مكرز :

لما رأيت إنما هو عامر تذكرت أشلاء الحبيب الملحَّب
وقلت لنفسي إنما هو عامر فلا ترهبيه وانظري أي مركب
ربطتُ له جأشي وألقيت كلكلي على بطل شاكي السلاح مجرّب

وله عقب بالشام .

ومنهم غُزيّة بنت دُودان بن عوف بن عمرو بن عامر بن رواحة ، وهي

---

١ ـ ضجنان : جبيل على بريد من مكة ، أي بينه وبين مكة خمسة وعشرين ميلاً . معجم البلدان .

أم شريك التي وهبت نفسها للنبي ﷺ في قول ابن الكلبي ، وقال غيره : أم شريك التي وهبت نفسها للنبي ﷺ غيرها .

ومنهم خِداش بن بشير بن الأصم بن رَحَضة . وعبدالله بن يزيد بن الأصم بن رحضة بن عامر بن رواحة قاتل مسيلمة الكذاب ، فيما يقول بنو عامر بن لؤي ، وعبدالله بن يزيد بن الأصم بن رحضة بن عامر بن رواحة بن منقذ بن عمرو بن معيص قتل يوم الجمل مع عائشة . وأبو علي بن الحارث بن رحضة قتل يوم اليمامة .

وولد نزار بن معيص بن عامر بن لؤي : سيار بن نزار . وجَذِيمة بن نزار . وعوف بن نزار ، وأمهم خالدة بنت عوف بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور .

فولد سيار بن نزار : الحُلَيس بن سيار . وعامر بن سيار . وحبيب بن سيار . وعبد بن سيار . وجذيمة بن سيار . وصُخير بن سيار . وعوف بن سيار . وعمران بن سيار . وسيار بن سيار ، وأمهم دعد بنت عمرو بن مدلج .

منهم بسر بن أبي أرطاة بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن سيار بن نزار بن معيص ، وهو الذي وجهه معاوية لقتل من كان في طاعة علي بن أبي طالب ، فقتل ولد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وقد كتبنا خبره في الغارات بين علي ومعاوية رضي الله عنهما .

وقال الواقدي : قبض النبي ﷺ وبسر صغير ، وأنكر أن يكون روى عن النبي ﷺ شيئاً سماعاً .

وقال الواقدي : بقي بسر إلى أيام عبد الملك .

وقال الكلبي : لم يمت حتى جُنّ فكان يأخذ قضيباً ، ويضرب به الوسادة توضع له بين يديه ، وكان يسكن الشام وقد كان من غزاة أرض المغرب مع عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وله هناك ذكر ومواضع تنسب إليه ، وروي عنه أنه كان يقول إذا رأىٰ الموالي : قاتلكم الله غُلْب الرقاب ، أُلْسُنَ العرب وأحلام فارس

وقال محمد بن سعد : كان محمد بن عمرو بن عطاء ، من بني عامر بن لؤي ، ويُكنىٰ أبا عبدالله من ذوي السرو والهيئة والمروءة ، وكانوا يتحدثون بالمدينة أن الخلافة تفضي إليه ، ولقي ابن عباس .

قال : وقال الهيثم بن عدي : مات في أيام الوليد بن يزيد[1] .

١ ـ لا ترجمة له في المطبوع من طبقات ابن سعد ، وهو عند خليفة بن خياط في طبقاته ص ٤٥٧ (٢٣٢٧) : «مولى بني عامر بن لؤي» .

نسب بني سامة بن لؤي بن غالب

وولد سامة بن لؤي : الحارث ، وأمه هند بنت تيم بن غالب . وغالب بن سامة ، وأمه ناجية بنت جرم بن ريان . فهلك غالب بعد أبيه وهو ابن اثنتي عشرة سنة . وقد كتبنا قصته في أول كتابنا .

فولد الحارث بن سامة : لؤي بن الحارث . وعبيدة . وربيعة . وسعد بن الحارث ، وأمهم سلمىٰ بنت تيم بن شيبان بن محارب بن فهر . وعبد البيت ، وأمه ناجية بنت جرم بن ريان ، خَلَفَ عليها بعد أبيه نكاح مقت ، وهؤلاء هم الذين كانوا مع الخِرّيت بن راشد . وقد كتبنا خبر الخِريت بن راشد مع أخبار علي عليه السلام .

فولد لؤي بن الحارث : عُبَاد بن لؤي . ومالك بن لؤي . وعبدالله . وزائدة ، وهو رهط منصور بن منجاب صاحب الدرب ببغداد عند الصيارفة ، بقرب باب الكرخ .

فولد عُبَاد : عوف بن عباد . فولد عوف بن عباد : عَاداه بن عوف بن عباد . وكعب بن عوف . وعمرو بن عوف .

فولد عاداه : الحارث . فولد الحارث : حُمام بن الحارث . وذُهل بن الحارث .

فولد حُمام : العَاتِل . وولد ذُهل بن الحارث : هراب بن ذهل . وحُيَيّ . وولد كعب بن عوف : الحارث وجابر بن كعب . ولكاد . وولد عمرو بن عوف : بكر بن عمرو . فولد بكر : المِجْزَم بن بكر . وعوف بن بكر . فولد المِجْزم : الحارث بن المجزم . وعمرو بن المجزم . وعوف بن المجزم .

منهم العُقَيم بن زياد ، ويقال العَقيم بن ذهل بن عوف بن المجزم ، قتل يوم الجمل ، وكانت ابنة الحارث بن قُطيعة بن عوف بن ذهل بن عوف بن المجزم امرأة عمرو بن العاص .

وولد مالك بن لؤي : الشطن بن مالك . وعمرو بن مالك . وذهل بن مالك . وحُكالة بن مالك .

فولد الشطن : سعد بن الشطن . ومزر بن الشطن .

فولد سعد بن الشطن : وهب بن سعد . وصبرة بن سعد . وشأس بن سعد .

فولد وهب بن سعد : وثاق بن وهب . وجذع بن وهب .

فمن بني مالك بن لؤي : عبدالله بن نعام ، كان شريفاً .

وولد عبدالله بن لؤي : مُطَيرة بن عبدالله . وأصبح بن عبدالله . ووائل بن عبدالله .

فولد مُطيرة : ربيعة . وولد أصبح : غَضن[1] بن أصبح . وجابر بن أصبح .

وولد وائل : بكر بن وائل ويزيد بن وائل .

١ - بهامش الأصل : غضن بضاد معجمة .

وولد زائدة بن لؤي : كعب بن زائدة . وتيم بن زائدة ، وسالم بن زائدة . وظفر بن زائدة .

وولد عَبيدة بن الحارث بن سامة : سعد بن عبيدة . ومالك بن عَبيدة . وعمرو بن عَبيدة فولد سعد بن عَبيدة : مالك بن سعد . وسودة بن سعد .

فمن بني مالك بن سعد : سيف بن حَكّام ، وقد رأس .

وولد مالك بن عبيدة : داجية . ومالك بن مالك . وذهل بن مالك .

فولد داجية : أحزم بن داجية . وبكر بن داجية .

منهم سُمّان بن الرشيد قد رأس . وعباد بن منصور الناجي القاضي بالبصرة في خلافة أبي جعفر المنصور .

وولد عمرو بن عبيدة بن الحارث : عوف بن عمرو . وسعد بن عمرو .

فولد عوف بن عمرو : بكر بن عوف .

منهم : قبيصة بن عمرو بن حمزة بن عمرو بن سعد بن عمرو بن عبيدة . كان شريفاً . وجعفر بن يعمر وهو أبو زهير بن طلق بن مجاهد بن القَريح بن المنخّل بن ربيعة بن قبيصة بن عمرو بن حمزة صاحب سيف فارس .

ومنهم خالد بن ربيعة بن قطنة بن قريح الخارجي قتله شيخ بن عميرة أيام أبي جعفر أمير المؤمنين المنصور .

وولد عبد البيت : ساعدة . فولد ساعدة : الحارث . فولد الحارث : جابر بن الحارث . وقطبة .

وولد ربيعة بن الحارث بن سامة : جشم بن ربيعة . ومازن بن ربيعة . وحُمامي وهو حُمام .

منهم أسلم بن كرب بن سفيان بن سهم .

وولد سعد بن الحارث بن سامة : كَمْنُ بن سعد . وقُدَيّ بني سعد ، رهط نصر بن سعيد بن العلاء بن مالك الموصلي .

ومن بني سامة : كابس بن ربيعة بن مالك بن عدي بن الأسود بن جشم بن ربيعة بن الحارث بن سامة بن لؤي : كان يشبّه بالنبي ﷺ ، فبلغ معاوية ذلك فكتب في إشخاصه إليه مكرماً ، فلما رآه قام إليه فتلقاه وقبل ما بين عينيه ، وأقطعه المرغاب بالبصرة .

نسب خزيمة بن لؤي

وولد خزيمة بن لؤي : عبيد بن خزيمة . وحرب بن خزيمة .

فولد عبيد : مالك بن عبيد .

فولد مالك : الحارث بن مالك ، وأمه عائذة بنت الخمس بن قحافة من خثعم ، بها يعرفون يقال لهم عائذة قريش .

وولد الحارث بن مالك : قيس بن الحارث . وتيم بن الحارث .

فولد قيس : عمرو بن قيس .

فولد عمرو : قطن بن عمرو . وقَنان بن عمرو . وحصن بن عمرو .

منهم : مِحْفَز بن ثعلبة بن مرة بن خالد بن عامر بن قنان بن عمرو بن قيس بن الحارث بن مالك بن عبيد بن خزيمة ، الذي ذهب برأس الحسين بن علي إلى الشام ، وقال : أنا محفز بن ثعلبة جئت برؤوس اللئام الكفرة ، فقال يزيد بن معاوية : ما تحفَّزَتْ عنه أمُّ مَحْفَز ألأَمُ وأفْجَرُ .

وولد تيم بن الحارث: سُمَيٌّ بن تيم. وربيعة. منهم: مَقّاس الشاعر ، وهو مسهر بن النعمان بن عمرو بن ربيعة بن تيم بن الحارث ، وعداده في بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة من ربيعة بن

نزار ، وغير الكلبي يقول هو مَقّاس بن أصرم ، وإنما قال : قد مَقّسْتُ إبلي ، أي رويتها ، فسمي مقاساً .

وعليّ بن مسهر بن عمير بن حصبة أو عصم أو حصن - شك هشام ابن الكلبي - بن عبدالله بن مرة بن ربيعة بن حارثة بن سمّي بن تيم بن الحارث قاضي أهل الموصل .

ومنهم أبو طلق ، وهو عدي بن حنظلة بن نعيم بن زرارة بن عبد العزى بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن سمّي الشاعر الذي قال لامرأته ورآها تَحْتَفُّ بخيط من كتان :

استعيني بقطرة[1] من جَمَال هو خيرٌ من كل ما تصنعينا
هو أدنىٰ للحسن من أن تَحَفّي بخيوط الكتان منك الجبينا

وله شعر رثىٰ به عمر بن سعد بن أبي وقاص حين قتله المختار بن أبي عبيد ، فمنه :

لقد قتل المختار لا دَرّ دَرُّهُ أبا حفص المأمول والسيدَ الغمرا
فتى لم يكن كَزّا بخيلا ولم يكن اذا الحرب أبدت عن نواجذها غمرا

وولد حرب بن جذيمة : الديل ، درج . وعوف بن حرب . فبنو عوف مع بني محلم بن ذهل بن شيبان .

وولد عوف : جذيمة بن عوف . وعامر بن عوف . وسلامة بن عوف . ومالك بن عوف ومُغوِية وعدي بطون كلهم .

١ - بهامش الأصل : معا بمسحة .

نسب بني سعد بن لؤي وولده

ولد سعد بن لؤي : بُنانة . وعمار . وعَماريّ . ومخزوم .

فولد عمار : غانم . وأوفى . وعوذ . فولد غانم : عبد الله . وعمار بن غانم .

فولد عبد الله بن غانم : حبيب بن عبد الله . وهيثم بن عبد الله . وأبان بن عبد الله . وجني بن عبد الله .

وولد عوذ بن عمار : صعب بن عوذ . وبكر بن عوذ . وجِلّان بن عوذ . فولد جلان : عوف بن جلان .

وولد صعب بن عوذ : وُرَيّ .

وبعض من روى عن الكلبي يقول : عمار وعماري ، والأول قول عباس بن هشام في روايته عن أبيه . وقال الشاعر :

بنانة وبنو عوف بن حرب   كما لزّ الحمار إلى الحمار
وعائذة التي تدعى قريشاً   وما جعل النحيت إلى النضار

نسب بني الحارث بن لؤي

ولد الحارث بن لؤي : وهب بن الحارث . وعَدّاء بن الحارث .

ويقال لبني الحارث بنو جشم حضنهم عبد للؤي يقال له جشم فنسبوا إليه .

فولد وهب : عُقَيدة ، فولد عقيدة حصن بن عقيدة . وحمل بن عقيده . ومحصن بن عقيدة . ويزيد بن عقيدة .

فولد يزيد بن عقيدة : نبهان بن يزيد . ومسعود بن يزيد . ومرة بن يزيد .

وولد حصن بن عقيدة : وبرة بن حصن . وأقيش .

وولد حمل بن عقيدة : جابر بن حمل . وقدامة .

وولد محصن بن عقيدة : عبد العزى . فولد عبد العزى : حصن بن عبد العزى . وجذيمة . وعباد بن حصن ، وهو الخطيم الذي ضرب أنفه يوم الجمل. وأكمه .

وولد عداء بن الحارث : مالك بن عداء ، وعبد الله .

فولد مالك بن عداء كيشامة ، وأحمر ، فولد كيشامة بن مالك :

عون بن كيشامة . وولد عبد الله بن عداء : دُبيب بن عبد الله ، من ولده : سلمة بن سكن بن الجون بن دُبيب .

ومن ولده: حاجب بن عمرو بن مسلمة. والوازع. والحارث ابنا عمرو ، وكان عمر بن عبد العزيز بعث إلى حاجب هذا بعهده على هراة من خراسان ، وأقطعه قطيعة بخراسان ، فلم يقبل ذلك فمات والعهد عنده ، وولي بيت المال بخراسان ، وكان صاحب قرآن وقصص . وابنه نصر بن حاجب خلّف عنده نصر بن سيّار ولده حين هرب ، وكان حاجب خرج من البصرة إلى خراسان مع تَرْفُل .

وأما بنو جشم فكانوا في عنزة ، ويزعمون أن أبا جشم لم يكن الحارث ولكنه كان عبداً يقال له زُمَيْل ، وكان يقال لأمه شنّة ، فوقع إلى موضع باليمامة يقال له العلاة ، وكانوا مجاورين لبني هِزّان ، وقدموا معهم البصرة ، وكانوا كأنهم منهم ، ثم وقع بينهم شر ففارقوهم وقالوا نحن بنو جشم .

نسب بني تيم بن غالب وهو الأدرم

وولد تيم بن غالب وهو الأدرم ، سمي بذلك لأنه كان ناقص الذقن : الحارث بن تيم الأدرم . وثعلبة بن تيم . وكبير بن تيم . وأبا دهر بن تيم ، وأمهم فاطمة بنت معاوية بن بكر بن هوازن . ووهب بن تيم . ودهر بن تيم . وحراق بن تيم ، وأمهم دعد بنت فراس بن غَنْم بن مالك بن كنانة .

فولد الحارث : ثعلبة بن الحارث . وكعب بن الحارث . والأحب بن الحارث ، وأمهم برة بنت مالك بن كنانة .

فولد ثعلبة بن الحارث : خنيس بن ثعلبة . ووهبان بن ثعلبة . ونضلة بن ثعلبة ، وأمهم عاتكة بنت عبد بن معيص .

فولد وهب : شيطان بن وهب . وعبد العزى ، وأمهما هند بنت عمرو بن رواحة بن منقذ .

فولد شيطان : خالد بن شيطان . وجَعونة ، ويزيد ، أمهم فاطمة بنت صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد .

فولد خالد : سهيل بن خالد . وجرو بن خالد . وعبيد الله .

وحكيم بن خالد وأمهم أميمة بنت عوف بن وهب بن خنيس بن ثعلبة . وعباس بن خالد . ونهشل بن خالد . ونعمان بن خالد ، وأمهم ماويّة بنت أنس بن عمرو بن أبي الأخش أو الأجش . وعبد العزيز بن خالد . وأبا سعيد ، وأمهما أم سويد بنت مالك بن قيس بن سفيان بن كعب بن الحارث بن تيم .

وولد جَعونة بن شيطان : خالد بن جعونة . والحكم ، وأمهما فهميّة .

منهم أبو حُزَيق وهو عقبة بن جعونة ، وهم بفلسطين ، ولهم يقول قائد البلوي الشاعر :

فلا سلمت لقاح بني حزيق ولا درّت لحالبها درورا

وولد يزيد بن شيطان : عبد الله بن يزيد . وعمرو بن يزيد ، وأمهما فاطمة بنت عمرو بن خنيس بن ثعلبة .

وأبا الحكم بن يزيد . وخالد بن يزيد ، وأمهما خولة بنت الأسود بن حفص بن الأخيف .

وولدنضلة بن ثعلبة : زيد بن نضلة . وضُبيع بن نضلة .

وولد كعب بن الحارث : الحارث . والأعجم .

وولد كبير بن تيم : جابر بن كبير ، وأمه عاتكةبنت حسل بن عامر .

فولد جابر : أسعد . ويعمر بن جابر . ووهب بن جابر . وكرز بن جابر .

فولد أسعد : عبد مناف وجارية ، فولد عبد مناف : عبد العزى

وعبد الله[1] وهما الخَطَلاَن ، ويقال الخَطِلان منهم هلال بن عبد الله بن عبد مناف بن أسعد بن جابر بن كبير بن تيم بن الأدرم بن غالب قتل يوم فتح مكة وهو الذي قال رسول الله ﷺ : من لقي ابن خطل فليقتله وإن كان متعلقاً بأستار الكعبة ، وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ وكانتا تسميان أرنب وفرتنا ، وكان ابن خطل أبو هلال شريفاً ، مدحه عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فقال :

كانَّ أبا الأخطال في الروع تتقى ... به عصل الأنياب عَبْلَ مناكبه
هَوَتْ أُمُّهُ ما كان أحسن وجهه ... وأَمْنَعه للضَّيْم ممَّن يُحاربه
هو الأبيض الجعد الذي ليس مثله ... بسوق عكاظ يوم تأتي حلائبه

وكان عتبة نديماً لمطعم بن عدي ، وابن خَطَل أو خَطِل ، وبعضهم يقول هو عبد الله بن هلال والأول أثبت وهو قول الكلبي ، وقال بعضهم هو قيس بن خطل وذلك باطل .

قالوا: وكان هلال بن عبد الله أسلم بمكة وهاجر إلى المدينة فبعثه رسول الله ﷺ ساعياً على الصدقة ، وبعث معه رجلاً من خزاعة فوثب على الخزاعي فقتله ثم فكر فقال: إن محمداً سيقتلني به ، فارتدّ وهرب وساق ما كان معه من الصدقة وأتى مكة فقال لأهلها : إني لم أجد ديناً خيراً من دينكم . وكانت له قينتان تتغنيان بهجاء النبي ﷺ ، ويدخل عليهما المشركون فيشربون عنده فقال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : «اقتلوه ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة» فقتله أبو برزة نضلة بن عبدالله الأسلمي وذلك الثبت ، ويقال قتله شريك بن عبدة العجلاني من بلي ، ويقال ان اسم أبي برزة

١ ـ بهامش الأصل : عبد الله بن خطل .

خالد بن نضلة ، ويقال اسمه عبد الله بن نضلة والأول أثبت .

وروي عن أبي برزة أنه قال : ضربت عنقه بين الركن والمقام ، ويقال قتله عمار بن ياسر ، ويقال سعيد بن حريث المخزومي .

وأما أرنب قينة ابن خطل أو صاحبتها فقتلت ، وبقيت الأخرى فجاءت مُسْلِمة ، وقد تنكرت ولم تزل باقية إلى أيام عثمان ، وقد كتبنا قصة ابن خطل في فتح مكة ، وزعم بعضهم أن قينتيه أرنب واسمها قريبة وفُرتنا .

ومنهم قطبة ـ العاقر فرس[1] البلقاء البيضاء الناصية ـ بن عبد العزى بن عبد مناف ، كان من الفرسان. وعبد الله بن شتيم بن عبد العزى قتل يوم الجمل ، ويقال شتيم ، وولد عمرو بن جابر بن تيم الأدرم : غفيلة . وحويرثة ودهر ووهب وأمهما بنت عبد الله بن عمر بن مخزوم .

فولد غفيلة : عبد العزى . والجموح ، وأمهما مخزومية . وسلمة وأمه أم سفيان بنت الأعجم .

وولد حويرثة : الحارث وأمه ابنة المطلب بن عبد مناف بن قصي .

وولد وهب بن تيم : عباد بن وهب . وثعلبة بن وهب . والحارث . ولؤي بن وهب . وخزيمة بن وهب . وعوف بن وهب ، وأمهم بنت شيبان بن ثعلبة بن عكابة .

وولد دهر بن تيم : عوف بن دهر الشاعر ، عَمَّرَ حيناً . وخالد بن دهر . وحبيب بن دهر . وسليم بن دهر . وعينية بن دهر . ومالك بن

١ ـ بهامش الأصل : خ . فارس ، وجاء في جمهرة النسب لابن الكلبي ج ١ ص ١٧٤ : «ومنهم قطبة العاقر فارس البلقاء ، البيضاء الناصية» .

دهر . وأسدة . والأعجم . وسلمة . وخويلد . والأوفى ، وأمهم الصماء بنت يمّ بن الحارث بن فهر .

فولد خالد بن دهر : عبد الله بن خالد . وعاصم بن خالد . ونويرة بن خالد . وكلثوم بن خالد . وجوين وحِسْل وأبا الأجش ، وأمهم الأسدية .

فولد عبد الله : نافع بن عبد الله ، وأمه فاطمة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة .

وولد حُرَاق بن تيم : عامر بن حراق . ويزيد بن حراق . وزيد بن حراق . وحارثة بن حراق . وخالد بن حُرَاق . ومازن بن حراق . وعبد العزى ، والحارث . ومعاوية ، وأمهم ابنة الحارث بن بُهْثَة بن سليم بن منصور .

انقضى نسب بني غالب بن فهر

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب بني محارب بن فهر

وولد محارب بن فهر : شيبان بن محارب ، وأمه ليلى بنت عدي بن عمرو بن ربيعة بن خزاعة . وشمخ بن محارب .

فولد شيبان : عمرو بن شيبان ، وأمه دعد بنت الحارث بن فهر . وحبيب بن شيبان . ووائلة لا عقب له ، وأمهما دعد بنت منقذ بن غاضرة بن حبشية بن كعب .

فولد عمرو بن شيبان : وائلة بن عمرو . وحبيب بن عمرو . وحَجْوان بن عمرو . وجابر بن عمرو . وسعد بن عمرو ، وأمهم عُدَية بنت وائلة بن كعب من بني الحارث بن عبد مناة .

فولد وائلة : ثعلبة بن وائلة . وسواد بن وائلة ، وأمهما هند بنت مالك بن عوف بن الحارث بن عبد مناة .

فولد ثعلبة : وهب بن ثعلبة . وخراش بن ثعلبة ، وأمهما ابنة الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص . وحبيب بن ثعلبة ، وأمه من بني عامر بن لؤي .

فولد وهب بن ثعلبة : مالك بن وهب الأكبر . وخالد بن وهب الأكبر . وثعلبة بن وهب الأكبر . وخلف بن وهب ، وأمهم ابنة كعب بن وائلة بن كعب . وعبد العزى بن وهب . ومالك بن وهب الأصغر . وخالد بن وهب الأصغر . وناقش بن وهب ، وأمهم لُبنى بنت عمرو بن عُتوارة بن عائش بن ظَرِب . وزيد بن وهب . وقيس بن وهب ، وأمهما ابنة الأحب بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص .

منهم الضحاك بن قيس[1] بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر ، وكان على شرط معاوية ، وكان يثق به ، وولاه عبد الله بن الزبير الشام ، وقتل يوم مرج راهط في طاعة ابن الزبير ، وقد كتبنا خبره ، وكان يكنى أبا أنيس ، وقد كتبنا أيضاً قصته في الغارات بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما ، وولاه معاوية الكوفة بعد زياد .

وعبد الله بن خالد بن أسيد ، خليفة زياد على الكوفة .

وقال هشام ابن الكلبي والهيثم بن عدي : ولى معاوية الضحاك بن قيس الكوفة سنة أربع وخمسين ، فأقره عليها سنة ، وكان الضحاك يقول حين تهتك أمره بالمرج أو يقال له : أبا أنيس : أعجزاً بعد كيس ؟

حدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ عبد الله بن عثمان بن عبيد الله عن بلال بن سعد أن مؤذن الضحاك بن قيس قال له : إني لأحبك في الله ، قال له : لكني أبغضك في الله ، قال : ولم ؟ قال : لأنك تبغي في الأذان وترتشي في التعليم ، وكان معلم كتّاب .

١ ـ بهامش الأصل : الضحاك بن قيس .

وحدثني هدبة بن خالد عن حماد بهذا الإسناد وزاد فيه : وكان جهورياً .

حدثنا شيبان بن أبي شيبة الآجري ، ثنا أبو هلال الراسبي ، ثنا قتادة وحنظلة السدوسي قالا : لقي الضحاك بن قيس رجلاً فقال له : إني لأحبك في الله ، قال : لكني أبغضك في الله ، قال : ولم ؟ قال : لأنك تبغي في الأذان وتشارط على تعليم الغلمان .

حدثني يوسف بن موسى القطان ، ثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن منصور عن أبي الضحى عن الضحاك بن قيس أنه كان يقول : أيها الناس ، علموا أولادكم وأهاليكم القرآن ، فإنه من كتب الله له من مسلم بأن يدخله الجنة أتاه ملكان فاكتنفاه ثم قالا : إقرأ وارتق في درج الجنة حتى ينزلاه حيث انتهى به علمه بالقرآن .

حدثنا خلف بن هشام البزار عن جرير عن منصور في هذا الإسناد بمثله .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا الحسين الجعفي عن جعفر بن بُرقان عن ميمون بن مهران قال : خطب الضحاك بالكوفة فقال : اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة ، فإن يونس عليه السلام كان عبداً ذاكراً لله ، فلما وقع في بطن الحوت ذكر الله فنجاه . قال الله : ﴿فلولا أنه كان من المسبّحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾[1] .

حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، ثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن تميم بن طرفة قال : سمعت الضحاك بن قيس يقول : أيها الناس

١ ـ سورة الصافات ـ الآيتان : ١٤٣ ـ ١٤٤ .

أخلصوا أعمالكم ولا يقولنّ أحدكم إذا عفا عن مظلمة تركتها لله ولوجوهكم ، ولا يصل أحدكم رحمة الله ثم يقول هذا لله ولرحمي ، ولا تشركوا في أعمالكم مع الله أحداً فإن الله يقول يقوم القيامة : من أشرك معي شريكاً في عمل ٍ عمله فهو لشريكي وليس لي منه شيء ، فإني لا أقبل اليوم إلا عملاً صالحاً خالصاً .

حدثني عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي عن اسرائيل عن سماك بن حرب عن الضحاك بن قيس أنه قال : إذا صلى أحدكم فليجعل الصلاة من شأنه ، فإنما مثل الذي يقوم في الصلاة وليس مقبلاً عليها مثل برذون في رأسه مخلاة لا علف فيها ، فمن رآه حسب أنه يأكل علفاً ، وليس فيها شيء .

وروي عن الضحاك أنه أرسل إلى مؤذن له بشيء فلم يقبله فقال : ولم ، إذا لم يكن عندك شيء تجب فيه الزكاة فاقبل .

وقال الواقدي : كان مولد الضحاك بن قيس قبل وفاة النبي ﷺ .

المدائني قال : بعث يزيد بن معاوية الضحاك بن قيس إلى ابن الزبير ليأخذ بيعته فأبى عليه ، فقال الضحاك : إن لم تبايع طائعاً بايعت كارهاً . فقال ابن الزبير : يا ثعلبة بن ثعلبة تيس بحيرة يبيع الضربة بالقبضة ، أراد الحقحقة فأخطأت استه الحفرة . يقال ضرب اللبن في سقائه ، وهي الضربة ، والجماع ضراب . وقالت امرأة لزوجها وقدم من سفر له معجلاً للشبق : قبح الله ضربة أوقعت بك ، فقال : قبح الله شعباً دخنت أسفله . ثم إن الضحاك صار زبيريا بعد موت يزيد ، والحقحقة : غاية الاسراع في السير .

وقال أبو اليقظان : ظن ابن الزبير أن الضحاك قد خلعه ، فقال فيه هذا القول .

حدثني شجاع بن مخلد الفلاس ، ثنا جرير الضبي عن عبد العزيز بن رفيع عن معبد بن عبد الله الجهني قال : بعثني الضحاك بن قيس إلى الحارث بن عبد الله البجلي بعشرة آلاف درهم ، فدفعتها إليه وقلت : أمرني الضحاك أن أسألك عن الذي كان الحبر أخبرك به باليمن ، فقال : نعم بعثني رسول الله ﷺ ، ولو كنت أؤمن بأنه يموت ما فارقته ، فأتي حبر ، فقال لي : اليوم مات محمد ، فلو كان معي سلاح لضربته به . فلم ألبث إلا يسيراً حتى جاءني كتاب أبي بكر بوفاة النبي ﷺ ، وأن الناس قد بايعوا له ، وأمرني أن آخذ بيعة مَنْ قِبَلي ، فأرسلت إلى الحبر فقلت له : من أين علمت ما أعلمتني ؟ فقال : إنه نبيّ نجد في الكتاب أنه يموت في يوم كذا ، قلت فما يكون بعده ؟ قال : تستدير رحاكم إلى خمس وثلاثين سنة .

حدثني هدبة ثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن يزيد بن شريك أن الضحاك بعث معه بكسوة إلى مروان ثم حاربه .

المدائني عن غسان بن عبد الحميد أن الضحاك بن قيس قدم المدينة فصلى بين القبر والمنبر ، فرآه رجل من التجار يكنى أبا الحسين وعليه برد مرتفع من كسوة معاوية ، فقال له وهو لا يعرفه : يا أعرابي أتبيع بردك ؟ فواقفه من ثمنة على ثلاثمائة دينار ، وقال : انطلق حتى أدفعه إليك فأتى منزل حويطب بن عبد العزى فقال : يا جارية ، هلمي بعض أردية أخي ، فأخرجت إليه برداً فارتدى به ، ثم قال للرجل : أراك قد أُغريت ببردي وأعجبت به ، وقبيح بالرجل أن يبيع رداءه فخذه فهو لك فأخذه الرجل

فباعه فكان سبب يساره .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود عن عبيدالله بن موسى عن اسرائيل قال : رأيت الضحاك بن قيس يخطب يوم الجمعة فقرأ سورة «ص» فنزل فسجد ، وعلقمة وأصحاب عبدالله وراءه فسجدوا .

حدثني عمرو بن شبه ، ثنا أبو داود ، أنبأ شعبة عن أبي اسحاق أن الضحاك صلى بقوم فسها ، فلما فرغ سجد سجدتي السهو ثم سلم .

حدثني عبدالله بن صالح عن عبيدة بن حميد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، قال : خطب الضحاك بن قيس يوم الجمعة وهو قاعد ، فقال كعب بن عجرة : والله ما رأيت كاليوم قط إمام يخطب وهو قاعد .

حدثني عمرو بن محمد ، ثنا عمرو بن عاصم الكلابي ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار أن رجلاً أتى امرأة ليلاً فجعلت تصرخ فلم يصرخها أحد ، فلما رأت ذلك قالت : رويداً أستعد وأتهيأ لك فأخذت فهراً ـ أوقال : حجراً ـ وقامت خلف الباب فلما دخل فلقت رأسه فرفعت إلى الضحاك بن قيس فأخبرته بالأمر فأبطل الضحاك دمه . وروى ابراهيم قال : لما أراد الضحاك تولية مسروق السلسلة [1] قال له عمارة بن عقبة : أتولي رجلاً من بقايا قتلة عثمان ؟ فقال مسروق : حدثنا ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لما أراد قتل أبيك قال : من

١ ـ لم أجد السلسلة ، لكن في معجم البلدان : سلسل : نهر في سواد العراق يضاف إلى طسوج من طريق خراسان ، وسلسل أيضاً جبل بالدهناء ، من أرض تميم ، وفي المغازي النبوية ذات السلاسل نسبة إلى ماء بأرض جذام يقال له السلسل .

للصبية يا محمد؟ قال: «النار»، فقد رضيت لك بما رضي به رسول الله ﷺ.

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال: خطب الضحاك بن قيس على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن فيكم رجالاً يشتمون أسلافنا الصالحين، وأما والذي ليس له ند ولا شريك لئن لم تنتهوا عما يبلغني عنكم لأجردنّ فيكم سيف زياد بن أبي سفيان ثم لا تجدوني ضعيف السَّوْرَة، ولا كليل الشفرة، والله إني لصاحبكم الذي أغرتُ على بلادكم فسرتُ فيما بين الثعلبية وشاطىء الفرات أعاقب من شئت وأعفو عمن شئت، ولقد ذَعَّرْتُ المخبَّآت في خدورهن حتى أن المرأة لترهب صبيانها بي إذا بكوا فما تسكنهم إلا باسمي، واعلموا أني الضحاك بن قيس أبو أنيس قاتل ابن عُميس، فقام إليه عبدالرحمن بن عبيد فقال: صدق الأمير، أعرف والله ما تقول ولقد لقيناك بغربي تدمر فوجدناك صبوراً وقوراً أبياً، ثم جلس وقال: يفخر علينا بما صنع ببلادنا لقد ذكرته أبغض مواطنه إليه، ثم قال الضحاك: لقد رأيت منكم رجلاً بغربي تدمر وما كنت أرى في الناس مثله، حمل علينا فما كذب أن ضرب في الكتيبة بسيفه فصرع رجلاً وضربت رأسه ضربة شديدة وضربني فلم يصنع شيئاً فما راعني إلا مجيئه عاصباً رأسه مقبلاً فقلت له: أما نهتك الأولى عن الأخرى؟ فقال: ولم وأنا أحتسب ذلك في سبيل الله ثم حمل علي فطعنني وطعنته، وحمل أصحابه فاقتتلنا ثم تحاجزنا، فقال عبدالرحمن بن عبيد: ذلك يوم قد شهده هذا، يعني ربيعة بن ناجذ الأزدي ولا أحسب هذا الفارس الذي ذكره الأمير يخفى عليه، قال له أتعرفه؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: أنا، قال:

فأرني الضربة فأراه إياها فقال : أرأيك اليوم كرأيك يومئذ ؟ قال : لا ، رأيي اليوم الجماعة . قال الضحاك : ما عليكم مني بأس ، أنتم آمنون ما لم تظهروا خلافاً ولكن العجب كيف نجوت من زياد فلم يقتلك فيمن قتل أو يسيّرك . قال : أما التسيير فقد سيّرني وقد عافى الله من القتل .

ثم حدث الضحاك فقال:أصابني يومئذ عطش ، ضل الجمل الذي كان عليه ماؤنا ، وأصابني نعاس فملت عن الطريق فبعثت من يطلب الماء فلم يجده ، ووقفنا على جادة فلزمتها فسمعت قائلاً يقول :

دعاني الهوى فازددت شوقاً وربما دعاني الهوى من ساعة فأجيب
فَـأَرَّقَني بعـد المنـام وإنّمـا أَرِقْتُ لساري الهمّ حين يؤوب

فأشرفت فإذا الرجل فاستسقيته فقال : أما والله دون أن تعطيني ثمنه فلا ، قلت : وما ثمنه ؟ قال : دِيَتُك ـ ويقال إنه قال فرسك ـ قلت : أو ما يجب عليك أن تسقي الضيف وتطعمه وتكرمه ؟ قال : ربما فعلنا وربما بخلنا ، قلت : والله ما أراك فعلت خيراً قط فضمنت له مائة دينار وأعطيته قوسي رهناً ، فمضى إلى ماء وانطلق يعدو حتى أتاني بإناء فقلت لا حاجة لي فيه ، ودنوت من الناس وهم على الماء فاستسقيت فقال شيخ لابنته : اسقيه ، وقلما رأيت أجمل منها فأتتني بماء ولبن فشربته ، فقال الرجل الأول : أنجيتك من العطش وتذهب بحقي ؟ لا أفارقك حتى استوفي مائة ، واجتمع إلي أهل الماء فقلت:هذا ألأم الناس فعل كذا وكذا ، وهذا أكرم الناس فعل كذا فشتموه . وأقبل أصحابي فسلموا علي بالإمرة فذهب لينهض فقلت : لا والله حتى أوفيك مائة ، وأمرت به فجلد مائة جلدة ، وأمرت للشيخ وابنته بمائة دينار وكسوة ، وقد يروى هذا الحديث عن حبيب بن مسلمة الفهري

وهو عن الضحاك أثبت .

وقالوا : وكان مالك الدار مولىٰ عمر بن الخطاب قيّماً علىٰ داره ، وكان له مولى يقال له ذكوان مولى مالك ويكنى أبا خالد ، وهو الذي سار في ليلة من مكة إلى المدينة ، فولاه الضحاك بن قيس سوق الكوفة ، ويقال عملاً غير ذلك فوجد عليه ، فأمر به فقرب إليه ، والضحاك على سرير مرتفع ، وجعل يضربه بقضيب ، ويقال بسوط ، وكان ذكوان قصيراً ، فقال له : تطاول لا أمّ لك حتى استمكن من ضربك ويقال بل تطاول لئلا يقع الضرب على رأسه ، ويقال ضربه الجلاد بسوط فجعل يتطاول لئلا يصيب السوط خاصرته فقال ذكوان :

تطاولت للضحاك حتىٰ رددته إلىٰ نسب في قومه متقاصر

يقول حتى ضربني فلؤم في ذلك :

فلو شهدتني من قريش عصابة قريش البطاح لا قريش الظواهر
لَغَطُّوك حتى لا تَنَفَّسَ بينهم كما غط في الدوارة المتزاور
ولكنهم غابوا فأصبحت حاضراً فَقُبِّحْتَ من حامي ذمار وناصر
فريقان منهم ساكن بطن يثرب ومنهم فريق ساكن بالمشاعر

فبلغ معاوية شعره فقال له : قاتله الله ، والله مازلت أتوقع أن يفرق بعض شعراء العرب بين قريش الظواهر من قريش البطاح .

وقال ابن الكلبي : قريش الظواهر كانوا يغيرون على جيرانهم بمكة ، ويغزون غيرهم ، ويعيّرون قريش البطاح بترك الغزو ، فمن قريش الظواهر الذين كانوا ينزلون ظواهر مكة بنو عامر بن لؤي ، وتيم الأدرم بن غالب ، ومحارب ، والحارث ابنا فهر بن مالك إلا أن بني حسل بن عامر دخلوا بعد

إلى مكة فصاروا من قريش البطاح ، ودخل رهط أبي عبيدة بن الجراح مكة أيضاً فصاروا من قريش البطاح ، ومن المطيبين . والمطيبون : بنو عبد مناف ، وأسد بن عبد العزى ، وزهرة ، وتيم بن مرة ، والحارث بن فهر . والأحلاف : عبد الدار ، وسهم ، وجمح ، ومخزوم ، وعدي بن كعب ، ولم يدخل عامر بن لؤي في ذلك .

وقال الهيثم بن عدي وغيره : بعث الضحاك بن قيس بعثاً إلى خراسان فكان فيمن كان في البعث شقيق بن السليك بن حبيش الأسدي وهو ابن أخي زر بن حبيش ، فرفع في الجعالة ، وجعل عليها حطان بن خفاف الجرمي ، فبلغ ذلك الضحاك فطلبه فظفر به فأمر بتجريده ، فقال لا تعجل علي حتى أنشدك ، فأنشده :

أتـاني عن أبي أنس وَعِيْدٌ فَهَدَّ توعّدُ الضحاك جسمي
فلم أعْصَ الأمير ولم أُرِبْهُ ولم أسبق أبا أنس بوغْمِ[1]
ولكن البعوث جَرَتْ علينا فكنـا بـين تـطويـح وَغُـرْمْ
فجاشتْ من جبال السُّغْد نفسي وجاشت من جبال خوارَزْمْ
وقارعت الرجـال وقارعـوني فطار بضجعة في الحي سهمي
ووليت الجعــالـة مستميتــاً خفيف الحاذ من فتيان جرم

فأمر فخلي سبيله ، وقال شقيق :

وليس بتجريـد الأمير خـزايةٌ عليّ إذا ما كنت غير مريب

ويقال ان الشعر لغيره ، وقال عتبة بن الوغل :

أراح الله منـك أبا أنيس وشاكر قد خربْنَ من الفرات

---

١ ـ بهامش الأصل : الوغم : الوتر .

وقدم عليه كعب بن جعيل الكوفة فسأله حاجة فأبطأ بها فقال :

لعمرو أبيها لا أبي لكـأنما يرىٰ تغلب الغلباء عني غَيَّبا
قصير القميص فاحش عند بيته وشر قريش في قريش مركَّبا
بني لك قيسٌ في قرىٰ عربية[1] من اللؤم بيتاً آخر الدهر يرتبا
أرىٰ إبلي حنَّت طروقاً كأنما تجاوب طنبوراً أجش مثقبا
أتبكي على دين ابن عفان بعدما تضاحك ضحاك بنا وتَلَعَّبَا

وكان عبد الرحمن بن الضحاك عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة فنظر إلى بعض بني مروان يجر ثيابه فقال له : أَمَا والله لو رأيت أباك لرأيته مشمراً ، فما يمنعك من التشمير؟ فقال : منعني منه قول الشاعر لأبيك :

قصير الثياب فاحش عند بيته وشر قريش في قريش مركبا

وقد ذكرنا خبر عبد الرحمن وسبب عزل يزيد إياه فيما تقدم من كتابنا هذا .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال : قال الضحاك بن قيس بالكوفة في خطبة خطبها : بلغنا عن يعقوب النبي عليه السلام أنه قال لولده : إذا دخلتم على السلطان فأقلوا الكلام ، وإنكم لتكثرون الكلام حتى تملوني فاقصدوا لحوائجكم بايجاز اللفظ وحذف الفضول .

المدائني عن مسلمة أن الضحاك بن قيس خطب يوماً فنهىٰ عن الاحتكار وقال : إن رسول الله ﷺ لعن المحتكرين ، ووالله لا عرفت من

١ ـ على مقربة من المدينة المنورة ، ويفهم من كلام المتقدمين أن قرى عربية هي قرى وادي القرى . المغانم المطابة ص ٢٦١ .

رجل احتكاراً إلا قطعت يده ، وأبحتُ الناس ما احتكر من طعامه .

وقال الهيثم : كان الضحاك يقول : اتكلوا علىٰ الله ، ولا تتكلوا على حيلكم ، فَرُبَّ حيلةٍ جَرَّتْ لصاحبها هلكة .

المدائني قال : دخل عقيل بن أبي طالب على معاوية رضي الله عنهما وقد كُفَّ بصر عقيل يومئذ فلم يَسْمَع متكلماً ، فقال : يا أمير المؤمنين أما في مجلسك أحد ؟ فقال : بلىٰ قوم من قريش وفيهم الضحاك بن قيس ، وقوم من أهل الشام . قال : فما لهم لا يتكلمون ؟ فتكلم الضحاك . فقال : من هذا يا معاوية ؟ قال : الضحاك بن قيس . قال : ابن خاصي القرود ؟ وما كان بمكة أخصىٰ لكلب وقرد من أبي هذا .

قالوا : وعزل معاوية الضحاك عن الكوفة في سنة سبع وخمسين ، وقد ذكرنا له أخباراً فيما تقدم من كتابنا .

ومنهم الأسود بن كلثوم بن قيس ولي دمشق .

ومنهم حبيب بن مسلمة[1] بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر ، كان شريفاً ، وله يقول شريح القاضي حين بعثه معاوية في خيل من الشام ليصير إلى عثمان رضي الله عنه :

كل امرىءٍ يُدعىٰ حبيباً وإنْ بدت مروءته يفدي حبيب بني فهر
أمير يقود الخيل حتى كأنما يَطَأْنَ برضراض الحصى جاحم الجمر

وكان لحبيب أثر جميل في فتوح الشام ، وغزو الروم ، وَوُجِّه في ايام عثمان رضي الله تعالى عنهما إلى أرمينية ، ففتح مدائن من مدائنها ، وصالح

١ ـ بهامش الأصل : حبيب بن مسلمة رحمه الله .

أهل تفليس وفيه يقول الشاعر :

وإن تقتلوا سلمان نقتل حبيبكم وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل

وقد ذكرت خبره في كتابي الذي ألفته في أمور البلدان ، ومات حبيب بالشام .

وقال الواقدي : مات بشمشاط وهي أرمينية الرابعة في سنة اثنتين وأربعين .

وقال الواقدي : ونحن نقول أن حبيب بن مسلمة ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ، وغير الواقدي يقول : إنه أدرك النبي ﷺ ، وسمع منه ، كان حبيب بن مسلمة يكنى أبا سعيد ، ويقال إنه يكنى أبا عبد الرحمن ، وكان رغبان أبو صاحب المسجد ببغداد مولاه .

وولد خراش بن ثعلبة : عاصم بن خراش ، وأمه ابنة ضباب بن حجر بن عبد بن معيص ، وعدادهم في بني تميم ثم في بني حّدان بن قريع .

وولد حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب : عمرو بن حبيب . وكان عمرو أغار على بني بكر بن كنانة وهم يعبدون سقباً[1] فأكله فسمّي آكلَ السقب .

والأحب بن حبيب . وظهر بن حبيب ، ويقال ظهير ، وأمهما السوداء بنت زهرة بن كلاب . وتيم بن حبيب وأمه من بني تيم الأدرم .

منهم ضرار بن الخطاب[2] بن مرداس بن كبير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر ، وكان فارس قريش وشاعرها وهو ممن

١ ـ السقب : ولد الناقة . القاموس .

٢ ـ بهامش الأصل : ضرار بن الخطاب رضي الله عنه .

كان بمكة مقيماً بها في منزله ، ولم يفارقه ، وقال بعضهم : هو ضرار بن مرداس بن حبيب بن عمرو بن كبير بن عمرو بن شيبان ، والأول أثبت ، وقال ضرار في يوم عكاظ حين اقتتلت بنو كنانة وهوازن وسُليم

ألم تسأل الناس عن شأننا وما جاهل الأمر كالخابر
غداة عكاظ وقد أجفلت هوازن في لفها الحاضر
ولما التقينا أذقناهم طعاناً بصُمٍّ القنا العاتر
ففرت سليم ولم يصبروا وطارت شعاعاً بنو عامر
وفرت ثقيف وأشياعها بمنقلب الجانب الخاسر

وأسلم ضرار في الفتح ، وقال يمدح النبي ﷺ :

أحق بالمدح ممن كنت مادحه محمد ذو المعالي خاتم الرسل
به هدانا إله الخلق قاطبة من الضلال وأغنانا من العيل
خير البرية أتقاها وأعدلها وأفضل الناس من حاف ومنتعل

وكان ضرار أتى السراة وهي بلاد دوس والأزد ، وهي فوق الطائف فوثبت عليه دوس ليقتلوه حين قتل أبو أزيهر لأنه قرشي ، وكانت الأزد تقتل من لقيته من قريش بأبي أزيهر لقتل هشام بن الوليد بن المغيرة إياه ، فلجأ ضرار بن الخطاب إلى امرأة من الأزد يقال لها أم جميل فأجارته ، فلما استخلف عمر رضي الله تعالى عنه ظنت أن ضراراً أخوه فأتت المدينة فلما كلمت عمر عرف القصة فقال : لست بأخيه إلّا في الإسلام وهو غازٍ ، وقد عرفنا منّتك عليه فأعطاها على أنها ابنة سبيل .

وقال الواقدي : اسمها أم غيلان ، وقال غيره اسمها أم جميل ، وكان لها ابن يقال له غيلان ، وفي ذلك يقول ضرار بن الخطاب :

جزىٰ الله عنا أم غيلان صالحاً ونسوتها إذْ هُنَّ شعث عواطل
فهنَّ صرفن الموت بعد اقترابه وقد برزت للناثرين المقاتل
دَعَتْ دعوة دوساً فسالت شعابها بعز ولّما يَبْـدُ منهم تخاذل
وجردتُ سيفي ثم قمت بنصله وعن أي نفس بعد نفسي أقاتل

وقيل ان أم غيلان هذه كانت مولاة للأزد ماشطة ، وكان ضرار رئيس محارب بن فهر وقائدها في الفجار .

وقال أبو عبيدة : كنية ضرار أبو مرداس ، وغزت بنو فهر وبنو عبس ، وكان بينهم يومئذ بعض الحلف على اليمن فقال ضرار بن الخطاب رضي الله تعالى عنه :

قَـرّب بني فهر وقرب عبـساً قومـاً تراهم للقـاء تُعـسا
لا يسامون بالرماح الدعسا

وقتل ضرار يوم أحد أوس بن عبيد أحد بني عبد الأشهل ، وقتل أيضاً عمرو بن ثابت بن قيس الأنصاري .

وحفص بن مرداس كان شريفاً .

وولد جحوان : عمرو بن شيبان المغترف ، واسمه أهيب بن جحوان ، وعبدالله بن جحوان . ومالك بن جحوان ، وأمهم ابنة جابر بن نصر بن عبد بن عدي بن الديل .

منهم : **رباح بن المغترف**[1] ، كانت له صحبة ، وهو شريك عبد الرحمن بن عوف الزهري في التجارة ، وكان أحسن الناس صوتاً ، وهو الذي قال له عمر وقد حدا به : خذ في غنائك .

---

١ ـ بهامش الأصل : رباح بن المغترف رحمه الله .

وابنه عبدالله بن رباح بن المغترف كان حسن الصوت أيضاً .

وولد سعد بن عمرو بن شيبان : وهب بن سعد . ومالك بن سعد . وضبعان بن سعد ، وأمهم سلمى بنت الأحب بن منقذ .

منهم : نهشل بن عمرو بن عبدالله بن وهب كان من عظماء قريش ومطاعيمهم ، وفيه يقول الشاعر :

تقدم نهشل في الخير قدماً وجاد بما يصان على الفقير
وأطعم غيرما كزٍّ بخيل ولم يَطلع بأعباء الأمور

وبنوه : عبد الرحمن . وعبدالله . ونضلة . وقطن . وصالح ، قتلوا يوم الحرة .

وولد الأحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان : حسل بن الأحب . وعمرو بن الأحب ، وأمهما بنت عائش بن ظرب .

منهم : كرز بن جابر بن حسل بن الأحب بن حبيب . وكان كرز بن جابر على سرح المدينة ، وكان السرح يرعى بالجمّاء ونواحيها ، فخرج النبي ﷺ في طلبه حتى بلغ صفوان وشارف بدراً ثم رجع ولم يلق كيداً ، وفاته السرح ، ثم إنه أسلم وبعثه رسول الله ﷺ على سرية فطلب الذين ساقوا لقاح رسول الله ﷺ وقتلوا يساراً مولاه ، وبعد ذلك كانت غزاة الحديبية وقتل كرز بن جابر يوم فتح مكة مع النبي ﷺ . أخطأ الطريق فلقيته خيل المشركين فقتلوه ، وقد ذكرنا خبره .

وولد تيم بن حبيب : حُذَيْم بن تيم . والأخيف بن تيم . ومحلم بن تيم ، وأمهم ابنة جابر بن كبير .

وولد حذيم بن تيم : أسيد بن حذيم . ومالك بن حذيم ، وأمهما من خثعم .

فولد أسيد بن حذيم : عوف بن أُسَيْد . وقيس بن أسيد . وحجر بن أسيد . وعصمة ، وأمهم التحفة بنت عوف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص .

وولد شمخ بن محارب : عبيد بن شمخ . ووهب بن شمخ . وتيم بن شمخ . وعائذ بن شمخ . وربيعة بن شمخ . وعامر بن شمخ ، وأمهم بنت كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

فولد ربيعة : عبيد بن ربيعة .

فولد عبيد : سلامان بن عبيد . وعامر بن عبيد . وقيس بن عبيد ، وأمهم ابنة عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر .

ومن بني محارب بن فهر : عمرو بن أبي عمرو . وأبو شداد ، ذكره الواقدي وأبو معشر فيمن شهد بدراً ، ولم يذكره موسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق فيمن شهد بدراً .

وقال الواقدي : شهدها وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ، ومات سنة ست وثلاثين .

وولد الحارث بن فهر : وديعة بن الحارث وضبَّة بن الحارث . وظرب بن الحارث. وضباب بن الحارث، وأمهم الوارثة بنت الحارث بن مالك بن كنانة . وقيس بن الوارث وهو الخلج ، ويقال الخلج من بقية العماليق .

وقال أبو اليقظان : زعموا أنهم كانوا من عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان وهم بنو وهيب ، فشذوا عنهم فوقعوا في بني نصر بن معاوية فلم يزالوا كذلك حتى كانوا في أيام عمر بن الخطاب فأتوه فقالوا : نحن من قريش

فقال : إن لي بصراً بالقيافة فاخرجوا الى مربد النعم[1] ، وهو موضع بالمدينة ، فإن لقريش شمائل فإن أشبهتموهم ألحقتكم بهم ، فخرج معهم فقال : أقبلوا ، ثم قال : أدبروا . ففعلوا فقال : ما أرىٰ شمائل تشبه شمائل قريش فالحقوا بمن أنتم منه ، فلما كان أيام عثمان أتوه فقبلهم وألحقهم بالحارث بن فهر ، وأتاه بعض بني نصر فقال : يا أمير المؤمنين ، منعتهم رماحنا في الجاهلية وهم معنا . فلم يلتفت عثمان إلىٰ قولهم .

وقال بعضهم سموا الخلج لأنهم اختلجوا من عدوان .

وقال أبو اليقظان : فقال أبو عمرو المدني : نزلوا على ثلاثة خلج ، فسموا الخلج ، وهم بالمدينة كثير ، وكان منهم بالبصرة جعفر بن عيينة بن الحكم وكان سرياً ، وكان أبوه أو عمه حفص بن الحكم يقول الشعر وهو القائل :

خلت البصرة من اقنائها ... وخلونا بالرعابيب الخُرُدْ
تسلب العقل إذا أبصرتها ... صَعْدةٌ في سابريٍّ تَطَّرِدْ

فلما قدم الحجاج قال : قد تفرغتَ للرعابيب ، أما والله لأبعدنَّ دارك منهن ، وأخرجه إلى خراسان فسقط عن فرس له فمات بها .

ومن الخلج : يعقوب بن نافع وكان له سرو وأقطعه ابن عامر داراً ، وفيهم يقول جرير بن عطية الخطفى :

وغابر الخلج أعمى مات قائده ... والله أذهب منه السمع والبصرا
لو أن صاحب ديوان يَعُدُّهُمُ ... لم تُكْمِلِ الخلج في ديوانه سطرا
لا ينقلون إلى الجبّان ميّتَهُم ... حتى يؤاجر يعقوب لـه نفـرا

---

١ ـ موضع على ميلين من المدينة . المغانم المطابة .

لولا ابن زرعة قد طيَّرْتُ جمعكمُ كما يفرق كـيُّ الميسم الـوبرا[1]

يعني ضمرة بن زرعة الهلالي ، وإنما راقبه فيهم لجوارهم ، ويعقوب بن نافع جد عثمان بن الحكم بن صخر بن عثمان بن بشر ، أمه أسماء بنت يعقوب بن نافع ، وفيهم يقول جرير :

وأفضل من أتى الخلجي رهطاً أَغَصَّتْـهُ عـداوتنـا بِـريْقِ
متى يهجم عليك تَقُلْ دَعِيٌّ أَحلَّتْهُ السنابك في مَضيق[2]

وقال حارثة بن بدر العَدْواني :

لقد عجبتُ وكان الشيء يعجبني مما تناهك من أعراضنا الخلج
هُمُ خَسَا وَزَكَا[3] من دون أربعة لم يخلقوا إذ جدود الناس تعتلج
قد يَسْلُبُ الجُرَذُ الغادي فَطِيمَهُمُ ولا يُنَهْنِهُهُ الأصوات واللجج

وقال آخر :

وكانوا على عهد ابن بدر ثلاثة فمات من الرهط الثلاثة واحد
وأصبح باقي الخلج أعرج مُقعداً وأعمىٰ يهاديه إلى الحش قائد

وتيمّ بن الحارث بن فهر . وجذاعة بن الحارث . وعميرة بن الحارث . ونضر بن الحارث وأمه بنت الحارث بن مالك بن النضر . وبَتِيْرة ، درج فقيل أبتر من بتيرة .

فولد وديعة بن الحارث : عميرة بن وديعة . وعبد العزى بن وديعة . وعامر بن وديعة . ومالك بن وديعة ، وأمهم عميرة بنت الأحمر بن الحارث من كنانة .

---

١ ـ ديوان جرير ص ١٧٢ مع فوارق .
٢ ـ ديوان جرير ص ٣١٧ مع فوارق .
٣ ـ الخسا : الفرد ، وزكَا : مرّ يقارب خطوه ضعفا . القاموس .

فولد عميرة : عامرة بن عميرة . وخالد بن عميرة . وتيم بن عميرة . وحبيب بن عميرة . وطريف بن عميرة ، وأمهم عميرة بنت عوف بن الحارث بن تميم بن مرة بن أد .

فولد عامرة : عبد العزىٰ . وعبدالله بن عامرة . وسلمة . وقنيع بن عامرة ، وأمهم هند بنت عبدالله بن الحارث بن واثلة من عدوان .

فولد عبد العزىٰ بن عامرة : أبا همهمة وهو عمرو . وطريف بن عبد العزىٰ . وسلامان . وجابر بن عبد العزىٰ ، وأمهم قلابة بنت عبد مناف بن قصي ، وكان عبد العزىٰ ينزل بين مكة واليمن فقال له أبو همهمة ابنه : ما مقامنا بأرض ليس فيها من بني عبد مناف أحد ؟ فقال : ما رغبت في مكة وبلدنا أخصب منها . فلحق أبو همهمة بهم ومعه بنو الحارث .

وقال مصعب بن عبدالله الزبيري : صار بنو الحارث بن فهر أبطحيين بمكة لأن عبد العزىٰ بن عامرة تزوج قلابة بنت عبد مناف ، ولأن أم حرب بن أمية كانت أميمة بنت أبي همهمة أحد بني الحارث بن فهر[1] .

فمن ولد عبد العزى : شريف بن عمرو بن فقيم بن أبي همهمة بن عبد العزىٰ ، وكان شريفاً . وعمرو بن شقيق بن سلامان بن عبد العزى الذي يقول :

لا يبعدنَّ ربيعة بن مكدَّم وسقى الغوادي قبره بذَنُوب
نَفَرَتْ قَلُوصي من حجارة حَرَّةٍ بُنيت على طَلْق اليدين وَهُوْبِ
بنيت علىٰ بطل وفارس مشهر نِهْدٍ مراكِلُهُ[2] أغر ذنوب

١ ـ نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤ .
٢ ـ المراكل : الحوافر . والذنوب الفرس ذات الذنب العظيمة . القاموس .

نفرت قلوصي ساعة فزجرتها ... وبما أراها وهي غير هيوب
لا تنفري يا ناق منه فإنه ... سباء[١] خمر مسعر لحروب
نِعْمَ الفتى أدَّىٰ نبيشَة بَزَّهُ[٢] ... يوم الكديد نبيشة بن حبيب
لولا السفار وطول خرق مهمه ... لتركتها تحبو على العرقوب
لـله درٌّ بـني عـليٍّ إنهم ... لم يجشموا غزواً كولغ الذيب[٣]

وكان الذي قتل ربيعة نبيشة بن حبيب بن رئاب بن رواحة بن مليل السلمي .

وولد ظرب بن الحارث : عائش بن ظرب . وأمية بن ظرب . ومالك بن ظرب ، وأمهم سلمى بنت لؤى .

فولد عائش : عمرو بن عائش . وعامر بن عائش . وعبدالعزى بن عائش . وعبد شمس بن عائش . وأمية بن عائش . وعتوارة ، وأمهم ابنة وهب بن الأدرم .

---

١ ـ في حماسة أبي تمام ص ٤٥٧ ، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ ـ ط . القاهرة ١٩٨٧ ص ١٨٥ «شريب ، أو شراب» .
٢ ـ ادى بزه : دفع سلاحه إلى ورثته . والبز : السلاح والثياب وكذلك البزة . شرح حماسة أبي تمام ج ١ ص ٤٥٨ .
٣ ـ صاحب هذه الأبيات في حماسة أبي تمام ـ ط . دمشق ١٩٩٢ ج١ ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨ هو جعفر بن الأحنف ، ويقال حفص بن الأحنف الكناني ، وربيعة بن مكدم أحد فرسان العرب المشاهير وهو من كنانة ، ونبيشة بن حبيب هو قاتل ربيعة ، ويعرف بابن صرمة ، وكان قد أعطى سلاحه إلى أهله ، وأدى : أعطى ، والبز السلاح والثياب . والغوادي : السحاب ، والذنوب الدلو ، والقلوص : الناقة الفتية ، والحرة : أرض غليظة تركبها حجارة سود ، والطلق : المنطلق اليدين بالمعروف .

فولد عمرو بن عائش : أمية بن عمرو . وعبد شمس بن عمرو . وجحدم بن عمرو ، وأمهم ابنة أمية بن ظرب .

ومنهم جَنِيدة بن عوف بن عبدشمس بن عمرو ، كان شريفاً .

ومن ولده : أبو بكر بن عثمان ولي شرط المدينة . وعبدالله ويقال عبدالرحمن ـ وذلك الثبت ـ بن عتبة بن أبي اياس بن الحارث بن عبد بن أسد بن جحدم عامل ابن الزبير على مصر والمغرب ، فلما اجتمع لمروان بن الحكم أمره بالشام ، وذلك في سنة خمس وستين توجه نحو مصر فصالحه ابن جحدم على الخروج من مصر فخرج فلحق بابن الزبير ، وذلك بعد أن وجه إليه مروان من حاربه . ويقال بل قتل مروان ابن جحدم بمصر ، وفتح مصر عنوة ، وولاها عقبة بن نافع الفهري فلم يزل عليها حتى مات مروان ، وقد ذكرنا خبر ابن جحدم ومروان فيما تقدم من كتابنا هذا .

وولد أمية بن ظرب : خالد بن أمية . وعامر بن أمية . وأسد بن أمية . وذئب بن أمية ، وأمهم نُعْمُ بنت لؤي .

فولد خالد بن أمية : عمرو بن خالد . وسعيد بن خالد . وسفيان بن خالد . ومالك بن خالد . وعبد بن خالد ، وأمهم بنت مالك بن جذيمة المصطلق .

ومنهم سُبَيع بن عمرو بن خالد الذي يقول له أبو طالب في قصيدته الطويلة :

كما قد لقينا من سبيع ونوفل وكان تَوَلَّى معرضاً غير آيل

وكان ممن يعين على بني هاشم في أمر الصحيفة وغيرها .

وولد عامر بن أمية : عبدالله بن عامر . ولقيط بن عامر ، وأمهما

زينب بنت عثمان بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم .

منهم نافع بن عبد قيس بن لقيط الذي كان مع هبار بن الأسود يوم عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ ، وقد ذكرنا خبره فيما تقدم .

ومنهم عبدالرحمن بن عقبة بن نافع بن عبدقيس ، ولاه مروان مصر وإفريقية ، وله عَدَد بإفريقية ، وزعم الهيثم بن عدي أن عقبة بن نافع كان فيمن استعان به عثمان في نسخ الصحف التي جمع فيها المصحف مع ابن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبدالرحمن بن أبي معمر بن عبدالله بن إياس بن عبدالله بن عامر ، وهم بالمدينة .

وولد ضبّة بن الحارث بن فهر : أُهَيب بن ضبّة ، وأمه عاتكة بنت غالب بن فِهر . وهلال بن ضبة . ومالك بن ضبة . وعبدالله بن ضبة . وعمرو بن ضبة ، وأمهم سلمى بنت تيم الأدرم .

فولد أهيب : هلال بن أهيب ، وأمه هند بنت هلال بن عامر .

منهم : **أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح** بن هلال بن أهيب بن ضبَّة بن الحارث بن فهر ، وأمه أميمة بنت غَنْم بن جابر بن عبدالعزى بن عامرة بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر .

قالوا : وكان إسلام أبي عبيدة ، والطفيل ، وعبيدة ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وأصحابهم في وقت واحد قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وقال له رسول الله ﷺ : «أنت أمين هذه الأمة» ، وانتزع حلق المغفر من وجه رسول الله ﷺ يوم أحد ، فسقطت ثنيتاه ، فلم ير أثرم قط أحسن فماً منه ، وكان نحيفاً معروق الوجه ، خفيف اللحية طوالاً

أجنى ، أشعر ، آدم ، يصبغ لحيته ورأسه بالحناء والكتم ، وهاجر أبو عبيدة إلى أرض الحبشة في المرة الثانية ، في قول الواقدي ومحمد بن إسحاق ، ولم يذكره موسى بن عقبة وأبو معشر .

وقال الهيثم بن عدي : هاجر في المرتين جميعاً ، وهاجر أبو عبيدة مع النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ، وشهد بدراً والمشاهد كلها ، ونزل بالمدينة على كلثوم بن الهدم ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سالم مولى أبي حذيفة ، وبينه وبين محمد بن مسلمة الأوسي ، ومات في طاعون عمواس بالشام سنة ثماني عشرة ، وهو أمير ، وفتح بالشام فتوحاً قد ذكرتها في الكتاب الذي ألفته في أمور البلدان ، وكان حين توفي ابن ثمان وخمسين سنة .

وكان لأبي عبيدة من الولد : يزيد ، وعمير وأمهما هند بنت جابر بن أهيب ـ أو بنت وهب ـ بن ضباب بن حجير من بني عامر بن لؤي ، فدرج ولده ولا عقب له . وقال بعضهم أسلمت أم عبيدة وزوجها جميعاً .

حدثنا عفان ، ثنا شعبة ، أنبأ خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» .

وحدثني أبو بكر الأعين ، ثنا الأشيب عن زهير عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال : قال عبد الله بن مسعود : أخلّائي من هذه الأمة ثلاثة : أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح .

وحدثني أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان ، ثنا ثابت بن الحجاج قال : بلغني أن عمر بن الخطاب قال : لو أدرك أبو عبيدة هذا اليوم لاستخلفته وما شاورت فإن سئلت عنه قلت:استخلفت أمين الله وأمين رسوله .

حدثني عبدالواحد بن غياث ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ هشام بن أبي عبدالله عن بُديل بن ميسرة أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه استعمل أبا عبيدة بن الجراح على الصدقة فأبى فقال : لتذهبنّ أو لأذهبنّ أنا ، فذهب أبو عبيدة ، فلما قدم أتاه بالصدقة ثم أتاه بعد ذلك . بمقلّات [1] قد شد به من عرى الجواليق ، فقال لعمر : خذهنّ فقال عمر : انبذهنّ عنك ، قال : بل أنت فخذهنّ فانبذهنّ .

ووجه رسول الله ﷺ أبا عبيدة في سرية بعد سرية وقد ذكرناها فيما تقدم .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبدالرزاق ، أنبأ معمر عن قتادة عن سعيد والحسن أن رسول الله ﷺ أُتي بطعام فقال : «خذ يا أبا عبيدة فإن خير الطعام ما أكل منه الرجل الصالح» .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : «أمينا قريش أبا بكر وأبا عبيدة بن الجراح لا يكذبانك» .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن رجال من قوم أبي عبيدة أن أبا عبيدة شهد بدراً وهو ابن احدى وأربعين سنة .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا سعيد بن سليمان سَعْدويه ، ثنا إسحاق بن يحيى ، ثنا عيسى بن طلحة عن عائشة أم المؤمنين عن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما ، قال : كنت أول من فاء إلى رسول الله ﷺ يوم أحد ، فإذا أبو عبيدة بن الجراح وطلحة معه ، فوجدنا طلحة قد غلبه النزف ، وإذارسول الله ﷺ أمثل منه ، فقال رسول الله ﷺ : «عليكم بصاحبكم» فلم نقبل

---

١ ـ المقلى : عودان يلعب بهما الصبيان ج قلات . القاموس .

عليه وأقبلنا على رسول الله وعلى رأسه مغفرهِ وقد علقت بوجنتيه حلقتان منه فذهبت لأنزعه عن رأسه فقال أبو عبيدة : نشدتك الله لمّا تركتني أنزعه فتركته فجذب حلقة فانتزعت ثنيته ، وذهبت لأنزع الحلقة الأخرى فقال لي أبو عبيدة : نشدتك الله لما تركتني فتركته ، فانتزعها فعلقت ثنيته الأخرى فقال رسول الله ﷺ : «إن صاحبكم قد استوجب» ، أو أوجب ، يعني طلحة [١] .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا وكيع ، ثنا الأعمش عن ابراهيم قال : قال عمر رضي الله تعالى عنه : لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين فأين أنت عن عبدالله بن عمر ؟ فقال عمر : قاتلك الله ، والله ما الله أردت بهذا القول ، أستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلق امرأته ؟

حدثنا أبو عبيدالقاسم بن سلام ، ثنا كثيربن هشام ، ثنا هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر قال بعثنا رسول الله ﷺ مع أبي عبيدة بن الجراح ونحن ثلاثمائة ، وبضعة عشر رجلاً ، وزودنا جراباً من تمر ، فأعطانا منه قبضة قبضة ، فلما أنزحناه [٢] أعطانا تمرة تمرة ، فلما فقدناها وجدنا فقدها ثم كنا نخبط الخبط [٣] ونَسُفُّه ونشرب عليه الماء حتى سمينا جيش الخبط ، ثم أخذنا على الساحل فإذا دابة ميتة مثل الكثيب يقال لها العنبر . فقال أبو عبيدة : ميتة لا تأكلوا ، ثم قال : جيش رسول الله ﷺ وفي سبيل الله ونحن مضطرون فأكلنا منها عشرين يوماً أو خمس عشرة ليلة ، واصطبحنا وقد

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٠٩ ـ ٤١٠ .
٢ ـ بهامش الأصل : أنحزناه .
٣ ـ الخبط ورق ينفض بالمخابط ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق أوغيره . القاموس .

جلس ثلاثة عشر رجلاً منا في موضع عينها ، وأقام أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعها فوجد لها جسم بعير من أباعرنا ، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ قال : «ما حسبكم» ؟ قلنا : كنا ننتظر عير قريش وذكرنا له شأن الدابة فقال : «رزق رزقكموه الله أمعكم منه شيء» ؟ قلنا : نعم .

وقال الواقدي ابتاع أبو عبيدة في هذه الغزاة ، وهي غزاة الخبط جزائر من رجل من جهينة على أن يعطيه ثمنها بالمدينة ، فأطعمها الناس .

حدثنا شيبان بن أبي شيبة ، ثنا أبو هلال ، ثنا قتادة أن أبا عبيدة وخالد بن الوليد كتبا إلى عمر بن الخطاب فبدءا بأنفسهما ، فقال زياد وذكر له ذلك : ما كان هذان إلّا أعرابيين . فقال ابن سيرين : كانا والله خيراً منه وأكرم .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ ثابت البناني عن أنس أن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله ﷺ سألوه أن يبعث معهم رجلاً يعلمهم السنَّة والإسلام ، فأخذ بيد أبي عبيدة فقال : «هذا أمين هذه الأمة» .

حدثنا عفان ، ثنا شعبة ، أخبرني أبو اسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة أن ناساً من أهل نجران أتوا النبي ﷺ فقالوا : ابعث معنا رجلاً أميناً فقال : «لأبعثنّ معكم رجلاً أميناً حقُّ أمين ، حقُّ أمين ، حقُّ أمين» . قالها ثلاثاً . فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : فبعث أبا عبيدة بن الجراح .

وحدثني محمد بن سعد ، ثنا عبدالوهاب بن عطاء الخفاف ، أنبأ

سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : كان نقش خاتم أبي عبيدة بن الجراح : الخُمس لله .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا أبو بكر بن عبدالله المدني ، حدثني سليمان بن بلال عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : «نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح» .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا عمرو بن عاصم الكلابي ، ثنا سليمان بن المغيرة ، ثنا ثابت قال : قال أبو عبيدة بن الجراح ـ وهو أمير على الشام ـ : أيها الناس إني امرؤ من قريش وما منكم من أحمر ولا أسود فَضلني بتقوى الله إلا وددت أني في مسلاخه .

حدثني علي بن عبدالله وعمرو بن محمد قالا : ثنا سفيان بن عيينة عن أبي نجيح قال : قال عمر لجلسائه : تمنوا فتمنوا ، فقال : لكني أتمنى ملء بيت رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح ، فقال له رجل : ما أَلَوْتَ الإسلام ، قال : ذاك ما أردت .

حدثني محمد بن سعد ، ووهب بن بقية ، قالا : ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ سعيد بن أبي عروبة قال : سمعت شهر بن حوشب يقول : قال عمر بن الخطاب : لو أدركت أبا عبيدة فاستخلفته فسألني الله عنه لقلت : رب سمعت نبيك يقول : «هو أمين هذه الأمة» .

حدثني محمد بن سعد ثنا روح بن عبادة ، ثنا هشام بن أبي عبدالله عن قتادة أن أبا عبيدة بن الجراح قال : وددت أني كبش فذبحني أهلي فأكلوا لحمي وحَسَوا مرقي [1] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤١١ ـ ٤١٣ .

حدثني مصعب بن عبدالله بن الزبير قال : قال مالك بن أنس : أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح بأربعمائة دينار أو أربعة آلاف درهم وقال للرسول : انظر ما يصنع قال : فقسمها أبو عبيدة ، وأرسل إلى معاذ بن جبل فأتاه رسوله فأخبره أن معاذاً قسمها إلاّ شيئاً ، فقال : الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع مثل هذا .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : بلغني أن معاذ بن جبل سمع رجلاً يقول : لو كان خالد بن الوليد ما كان بالناس ذو كوز [1] . فقال معاذ : فإلى أبي عبيدة تضطر العجزة لا أبا لك ، والله إنه لمن خير من على الأرض .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا أبو بكر بن عبدالله بن أبي أويس المديني ، حدثني سليمان بن بلال عن أبي عبدالعزيز الربعي عن أيوب بن خالد الأنصاري عن عبدالله بن رافع مولى أم سلمة أن أبا عبيدة بن الجراح لما أصيب استخلف معاذ بن جبل وذلك عام عمواس .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن أبي يحيى الأسلمي عن محمد بن ابراهيم بن الحارث عن خالد بن معدان عن العرباض بن سارية قال : دخلت على أبي عبيدة في مرضه الذي مات فيه وهو محتضر فقال : غفر الله لعمر بن الخطاب رجوعه من سَرْغ [2] ، وكان خرج من المدينة يريد الشام ، فلما صار بسرغ بلغه وقوع الطاعون فانصرف ، فقال أبو

١ ـ في طبقات ابن سعدج ٣ ص ٤١٤ «ذي كون» وذلك في حصر أبي عبيدة بن الجراح» .
٢ ـ سرغ : أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاج الشام ، بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة . معجم البلدان .

عبيدة : أتفر من قدر الله ؟ فقال : إنما أفر إلى قدر الله ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «المطعون شهيد ، والمبطون شهيد ، والغريق شهيد ، والمرأة تموت بِجُمْعٍ أي ولدها في بطنها شهيدة ، والميت بذات الجنب شهيد»[١] .

ومنهم : **عياض بن عبد غَنْم**[٢] رضي الله عنه .

وهو عياض بن غنم ، سمي أبوه بذلك حين أسلم وهو عبد غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وأسلم قبل الفتح وكان عنده أم الحكم بنت أبي سفيان فأسلم ففرق بينهما الاسلام ، وشهد الحديبية مع النبي ﷺ وولاه عمر الجزيرة ، وكان أبو عبيدة استخلفه ، ومات عياض بالشام سنة عشرين ، وهو ابن اثنتين وستين سنة .

وقال الهيثم : مات بالجزيرة سنة عشرين .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود عن يحيى بن آدم عن عدة من الجزريين عن سليمان بن عطاء القرشي قال بعث أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة ، فمات أبو عبيدة وهو بها ، فولاه عمر بن الخطاب إياها .

قال الواقدي : مات أبو عبيدة في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة ، واستخلف عليها عياضاً ، فورد كتاب عمر على عياض بتوليته قِنَّسرين والجزيرة ، فسار إلى الجزيرة يوم الخميس للنصف من شعبان سنة ثماني عشرة في خمسة آلاف ، وعلى مقدمته ميسرة بن مسروق العبسي ، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حذيم ، وعلى ميسرته صفوان بن المعطّل السلمي .

---

١ - لحق نص طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤١٤ بعض التصحيف .

٢ - بهامش الأصل : عياض بن غنم رضي الله عنه .

وقال غير الواقدي : ولى عمر : سعيد بن عامر بن حذيم الجزيرة وحمص بعد وفاة عياض ، وكانت توليته إياه من المدينة ، ووعظه حين ولاه مشافهة وأنه كان على ميمنة عياض غيره ، وهذا أثبت الخبرين .

ومنهم : **عياض بن زهير**[١] **بن أبي شداد** بن ربيعة بن هلال بن مالك ، هاجر إلى الحبشة ويكنى أبا سعد وأمه سلمى بنت عامر بن ربيعة بن هلال بن مالك ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية وأقام هناك ثم قدم المدينة قبل بدر وشهد بدراً ومات في سنة ثلاثين ولا عقب له ، وهو عم عياض بن غنم بن زهير ، وكان عياض بن غنم يكنى أبا سعيد .

وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ومعه عثمان بن عبد غنم بن زهير أخو عياض صاحب الجزيرة ، ومعه أيضاً سعيد بن قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، فأقام عثمان وسعيد بأرض الحبشة ، ثم قدما المدينة مع جعفر بن أبي طالب وسبقهما عمرو بن الحارث إلى مكة ، فهاجر إلى المدينة .

ومن بني الحارث بن فهر :

سهيل بن البيضاء[٢] ويكنى أبا موسى ، والبيضاء أمه ، وهي دعد بنت جحدم بن عمرو بن عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر ، وأبوه وهب بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر ، هاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً في رواية محمد بن إسحاق والواقدي ، وشهد بدراً وهو ابن أربع وثلاثين سنة ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وناداه

---

١ ـ بهامش الأصل : عياض بن زهير رضي الله عنه .
٢ ـ بهامش الأصل : سهيل بن البيضاء ، رضي الله عنه .

رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك فقال : «يا سهيل» . فقال : لبيك . ووقف الناس فقال رسول الله ﷺ : «من شهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له حرّمه الله على النار» . ومات سهيل بعد رجوع رسول الله ﷺ من تبوك بالمدينة سنة تسع وهو ابن أربعين سنة ، وليس له عقب .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن فليح بن سليمان عن صالح بن عجلان عن عباد عن عائشة أن رسول الله ﷺ صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد .

وحدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان ، ثنا وهيب ، أنبأ موسى بن عقبة عن عبد الواحد بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : لما توفي سعد بن أبي وقاص أرسل أزواج النبي ﷺ أن يمروا به في المسجد ففعلوا ذلك ، فبلغهنّ أن الناس عابوا ذاك ، وقالوا : ما كانت الجنائز تدخل المسجد ، فبلغ ذلك عائشة فقالت : ما أسرع الناس إلى عيب ما لا علم لهم به ، ما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن بيضاء إلا في جوف المسجد[1] .

ومنهم : **سهل بن البيضاء** ، أخو سهيل رحمه الله ، أسلم بمكة قبل الهجرة وأقام بها فأكرهه المشركون على الخروج معهم ليوم بدر فأسر فيمن أسر من المشركين فشهد له عبد الله بن مسعود أنه كان يصلي بمكة فقال رسول الله ﷺ : «لا يخرجن أحد من الأسرى من أيديكم بغير فداء إلا سهل بن بيضاء لأنه مسلم» ، وخلّى سبيلهَ رضي الله تعالى عنه وفيه يقول الشاعر :

هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً وَسُرَّ أبـو بـكـر بهـا ومحمـد

حدثنا علي بن عبد الله المديني أو محمد بن سعد ، ثنا سفيان بن عينية

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤١٥ ـ ٤١٦ .

عن ابن جدعان عن أنس قال : كان أسنّ أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر وسهل بن بيضاء .

وزعم أبو اليقظان أن سهل بن بيضاء استشهد يوم بدر ، وذلك غلط[١] .

وصفوان بن بيضاء أخوهما لأبيهما وأمهما ، هاجر من مكة إلى المدينة ولم يهاجر إلى أرض الحبشة ، وشهد بدراً مع أخيه سهيل ، فقيل إنه استشهد يوم بدر قتله طعيمة بن عدي ، وقال بعضهم مات في سنة ثمان وثلاثين ، وكان صفوان يكنى أبا عمرو ، وبعض الرواة يقول شهد سهل بن بيضاء وصفوان بن بيضاء مع النبي ﷺ فيجعل سهيلاً سهلاً ، وسألتُ مصعب بن عبد الله الزبيري عن سهل بن بيضاء فقال : الذي عندنا أن سهلاً أتى مكة منصرفاً من بدر ، ثم هاجر إلى المدينة ، قال : وقد ذكر بعضهم أنه انصرف من بدر وأقام بمكة إلى الفتح ، قال : والأول أثبت عندي .

ومنهم : **عمرو بن أبي سرح بن**[٢] **ربيعة بن هلال بن مالك بن** ضبة بن الحارث بن فهر ، ويكنى أبا سعد ، وأمه زينب بنت أهيب بن ضباب بن حجير بن عامر بن لؤي ، وكان أبو معشر يجنح يقول : هو معمر بن أبي سرح ، والأول قول موسى بن عقبة ، ومحمد بن اسحاق ، والواقدي ، وشهد بدراً وجميع المشاهد مع النبي ﷺ ، ومات بالمدينة في أيام عثمان سنة ثلاثين .

ووهب بن أبي سرح أخو عمرو هذا شهد بدراً .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢١٣ .

٢ ـ بهامش الأصل : عمرو بن أبي سرح رضي الله عنه .

وقال الهيثم بن عدي : هو من مهاجرة الحبشة ، وليس ذلك بثبت .

وقال الواقدي : كان لهما أخ يقال له معمر بن أبي سرح[1] شهد بدراً ، ولم يهاجر إلى أرض الحبشة .

وولد قيس بن الحارث بن فهر ـ وقيس هو الخلج ـ: عدي بن قيس . وعَلَقَةَ بن قيس .

فولد عدي : صبح بن عدي . وسيار بن عدي .

فولد صبح : عامر بن صبح .

فولد عامر : ربيع بن عامر .

فولد ربيع : هذيل بن ربيع ، وأوس بن ربيع ، فولد هذيل : دُبيّة . ونجيّة . وهرمة .

فولد دُبيّة : سويد بن دُبية .

فولد سويد : زفر بن سويد . ومالك بن سويد .

وولد هرمة : عبد الرحمن بن هرمة الشاعر الذي يقال له ابن هرمة[2] .

وكان محمد بن الاعرابي الراوية ينشد أبياتاً من قصيدته اللامية التي مدح بها أمير المؤمنين المنصور فيقول : ختم به الشعر .

وكان صاحب شرب فحدَّه خُثيم بن عراك الكناني وهو على شرط المدينة في أيام أبي العباس ، ومر ابن هرمة بحيزته بالمدينة ، وهو سكران ، فعاتبوه حين صحا فقال : يا سبحان الله ما أعجبكم أنا في طلب مثل هذه السكرة مذ حين سمعتموني أقول :

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤١٧ .
٢ - بهامش الأصل : ابن هرمة الشاعر .

أسأل الله سكرة قبل موتي وصياح الصبيان يا سكران[١]

فخرجوا وهم يقولون : لا يفلح والله أبو إسحاق أبداً ، وكان السلطان أمر أن يضرب كل من شهد عليه بالسكر مائة ، فكان إذا سكر بالمدينة قال : من يشتري المائة بالثمانين .

وولد نجبة بن الهذيل : عدي بن نجبة .

فولد عدي : نافع بن عدي .

وولد أوس بن الربيع : الأرقم بن أوس .

وولد سيار بن عدي : حارثة .

فولد حارثة : ربيعة .

وولد علقة بن قيس : هلال بن علقة . والأعجم بن علقة . ونهيك بن علقة .

فولد هلال : مالك بن هلال .

فولد مالك : مودع بن مالك . ووهب بن مالك . منهم هارون بن محمد ، ولي شرط المدينة .

وولد الأعجم بن علقة : كعب بن الأعجم .

وولد نهيك بن علقة : كعب بن نهيك . وعبد نهم بن نهيك . ومن بني فهر ممن كتب عنه الحديث : المستورد بن شداد الفهري[٢] حفظ عن النبي ﷺ وهو صغير وقبض النبي ﷺ وهو غلام .

وولد يَخْلُد بن النضر بن كنانة : حارثة بن يخلد . والحارث بن يخلد .

---

١ ـ ديوان ابن هرمة ص ٢١٨ .

٢ ـ بهامش الأصل : المستورد بن شداد ، رحمه الله .

وحُطيط بن يخلد . وحِطّان بن يَخْلُد ، وأمهم الوارثة بنت ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

فولد الحارث بن يخلد : يخلد بن الحارث . وزيد مناة بن الحارث ، وأمهما الزاهرية بنت ذبيان بن بغيض .

فولد يخلد بن الحارث بن يخلد : الحارث . وعِدَاء . وزيد بن يخلد .

قال هشام ابن الكلبي : ومما وضعه ابن سيف بن عمر بن الوليد بن أبان المنسوب إلى ضبه قال :

ولد بدر بن يخلد : قريش بن بدر ، وبه سميت قريش ، كان دليلها في عيرها وليس يعرف أبي هذا وإنما ينتهي إلى بدر .

قال : وقال ابن سيف : إن الماء المعروف ببدر نسب إلى بدر بن يخلد هذا .

وقال أبي محمد بن السائب : بدر الذي نسب الماء إليه من جهينة ، والوادي يقال له بَلِيل . قال : وحكاه لي عن أبي صالح عن ابن عباس .

انقضىٰ نسب قريش

قالوا : سميت قريش قريشاً لأنهم أصحاب تجارات وكسب وجمع ، يقال فلان يقرش لعياله يكسب لهم ويجمع . وقال أبو خلدة اليشكري :

أخوة قرّشوا الذنوب علينا ... في حديثٍ من أمرهم وقديم

وقال بعضهم : تقرشت قريش من النضر أي تجمعت .

وقال رسول الله ﷺ : «نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا» .

ويقال إن النضر جاء في ثوب فقال قومه : قد تقرش في ثوبه أي تجمع .

وقال قوم : جاء إلىٰ قومه فقالوا : كأنه جمل قرش ، والقرش الشديد المجتمع .

ولقيت أعرابياً من كنانة بالربذة في سنة إحدى وثلاثين ومائتين فسألته عن حمار رأيته فقال : هو لي أقرش عليه قوت العيال ، أي أجمعه عليه[1] .

١ ـ بهامش الأصل : بلغت المعارضة ، ولله أفضل الحمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب بني كنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر

ولد كنانة بن خزيمة بن مدركة : عبد مناة بن كنانة . ومالك بن كنانة . وملكان بن كنانة . وعامر بن كنانة . والحارث بن كنانة . وعمرو بن كنانة . وسعد بن كنانة . وعوف بن كنانة . وغَنْم بن كنانة . ومخرمة بن كنانة . وجرول بن كنانة . وغزوان بن كنانة . وحُدَال بن كنانة ، وهم باليمن ليسوا في قومهم . والنضر بن كنانه وقد فرغنا من نسبهم .

فولد عبد مناة بن كنانة : بكر بن عبد مناة بَطن . وعامر بن عبد مناة بَطن . ومرة بن عبد مناة . وهلال بن عبد مناة درج ، وأمهم هند بنت أبي بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، أخوتهم لأبيهم : مخربة . وعوف . وساعدة بنو علي بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن عمرو بن مازن الغساني ، وكان علي حصر بني عبد مناة بن كنانة فغلب عليهم ، وكان علي بن مسعود أخا عبد مناة بن كنانة من أمه وهي فكهة الدَفراء بنت هَني بن بَلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ولهم يقول أمية بن أبي الصلت :

لله درُّ بني علي أيّمٍ منهم وناكح[1]

١ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٣٥٠ .

ووثب مالك بن كنانة على علي بن مسعود فقتله فوداه أسد بن خزيمة .

فولد بكر بن عبد مناة بن كنانة : ليث بن بكر بَطن . والديل بطن . والحارث درج ، وأمهم أم خارجة البجلية ، وهي عمرة بنت سعد بن عبدالله بن قذاذ بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وكانت بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة عند أنمار بن أراش فنسب ولده إليها .

وأم خارجة هي التي يقال في المثل : أسرع من نكاح أم خارجة[1] ، وذلك لأنه كان يقال لها خطب فتقول : نكح ، وقد ولدت في العرب . تزوجها رجل من إياد بن نزار ففرق بينهما ابن أخيها خلف بن دعج بن سعد .

ثم خلف عليها بكر بن يشكر بن عدوان فولدت له خارجة فكنيت به .

ثم تزوجها عمرو بن ربيعة بين حارثة بن عمرو مزيقياء فولدت له : سعداً أبا المصطلق . والحيا .

ثم خلف عليها بكر بن عبد مناة بن كنانة فولدت له : ليث بن بكر . والديل بن بكر .

ثم خلف عليها مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد فولدت له : غاضرة بن مالك . وعمرو بن مالك .

١ ـ انظره في أمثال أبي عبيد ص ٣٧٢ .

ثم خلف عليها جشم بن مالك بن كعب بن القين بن جسر فولدت له : عَرانية .

ثم خلف عليها عامر بن عامر بن لحيون بن تام مناة بن بهراء فولدت له : ستة أحدهم العنبر .

ثم تزوجها عمرو بن تميم بن مر فولدت : أسيد . والهُجَيم ، واحتبس العنبر عنده وتبناه إليه ، والله تعالى أعلم .

وولد بكر بن عبد مناة بن كنانة سوىٰ ليث . والديل . والحارث : ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وعُريج بن بكر بَطن ، وأمهما الصُحارّية من قضاعة ، وقد يقال إن أم عريج أم خارجة أيضاً ، فولد ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة : عامر بن ليث ، وأمه سلمىٰ بنت الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور . وجندع بن ليث بطن . وسعد بن ليث بطن . وعبدالله بن ليث دخل في بهراء من قضاعة فنسب فيها . وعدي بن ليث درج ، وأمهم تماضر بنت زيد بن حُميس بن عامر بن ثعلبة بن مَوْدوعة بن جهينة بن زيد .

فولد عامر بن ليث : كعب بن عامر . وشجع بن عامر بطن . وقيس بن عامر بطن ، وأمهم نُصَيّة بنت زمان بن عدي بن عمرو من خزاعة ويقال : نصيّة بنت عمرو من خزاعة . وعُتْوَرة بن عامر بطن ، وأمه البراح من غسان تدعىٰ فأرة الجبل .

فولد كعب بن عامر بن ليث : عَوف بن كعب . وزُبَين بن كعب بطن مع بني يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث ، وأمهما ابنة رئاب بن واثلة بن دُهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن .

فولد عوف بن كعب بن عامر بن ليث : الشُّدَّاخ واسمه يَعْمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث . وكانت بين خزاعة وولد كنانة من قريش وغير قريش حرب ، ثم اصطلحوا وحُملت الديات فعفا يعمر عن دماء من أصيب من بني كنانة سوىٰ النضر بن كنانة وقال : قد شدخت دماءهم تحت قدمي ، وغرمها لقومه دون خزاعة فسمي الشُدّاخ على فُعَّال بالضم . وقوم يقولون الشَدّاخ ، والأول قول الكلبي وهو أثبت .

وقال الكلبي : شدخ الدماء بين خزاعة وقريش فأهدرها عن خزاعة ، وغرم الديات وأصلح أمر القوم . وقيس بن عوف بن كعب بطن . ويقال قريش بن عوف . وعامرة بطن ، وأمهما السّؤوم بنت جَزّة بن الحارث بن كعب بن ضمرة بن بكر . وكلب بن عوف بطن . وسعد بن عوف بطن وأمهما رَقَبة بنت ركبة بن بليلة من فهم .

فولد يَعْمُر : الملّوح بطن . وعبدالله بطن ، وأمهما ابنة الأصقع بن عامر بن نمير بن عامر بن صعصعة . ووهب بن يعمر . وقيس بن يعمر بطن ، وأمهما بنانة بنت يسار بن مالك بن حطيط من ثقيف . وأحمر بن يعمر بطن . وزجل بن يعمر . وضيغم بن يعمر بطن ، وأمهم الشفاء ، وهي ريطة بنت مالك بن قيس بن عامر بن ليث . ولقيط بن يعمر بطن ، أمه من بني عريج ، ويقال هي عمرة بنت عبيدالله بن ملحة بن جُدَي بن ضمرة بن بكر .

فمن بني الملوّح بن يعمر : عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح ، قتله مكرز بن حفص بن الأخيف القرشي من بني عامر بن لؤي أيام بدر بأخيه ، وقد كتبنا حديثه فيما تقدم . وعامر الذي يقول :

لعمرك ما ليث وإن كنت منهم   بتاركةٍ ليث خلافي وعصياني
هُمُ أسلموني يوم ذي الرمث والغضا   وهُمْ تركوني بين هَرْشيْ وودّان[١]
وهُمْ أخرجوا من كل بيتين سيداً   كما أخرجت ساداتها قَبْلُ عدوان

ومنهم قباث بن أشيم بن عامر بن الملوح الذي كان على إحدى المجنبتين يوم اليرموك مع أبي عبيدة ، ووجَّه معاوية عبد الرحمن بن قَباث بن أشيم نحو الجزيرة للغارة ، فلقيه كميل بن زياد النخعي ففض عسكره ، وقد ذكرنا خبره فيما تقدم من أمر الغارات بين علي ومعاوية رضي الله عنهما .

ومنهم بكير بن شداد بن عامر بن الملوح بن يعمر ، وهو فارس أطلال الذي يقول فيه الشماخ بن ضرار :

وغيبت عن خيل بموقان أسلمت   بكير بني الشداخ فارس أطلال[٢]

وكان بكير مع سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية حين غزا آذربيجان في أيام عثمان ، فأصيب بكير بموقان من عمل آذربيجان ، وكان بكير سمع يهودياً ينشد في أيام عمر :

وأشعث غَرَّهُ الإسلام مني   خلوتُ بعرسه ليل التمام
أبيتُ على ترائبها ويضحي   على جرداء لاحقة الحزام
كأن مجامع الربلات منها   قيام ينهضون إلى قيام
لهوتُ بها مكان الخصر منها   وقد خلَّفْتُ منقطع الخذام

فقتل اليهودي ، فرفع أمره إلى عمر فعزم على المسلمين لما قام قاتله ، فقام بكير فأخبره خبره فقال : إن عادوا فعد .

١ ـ هرشي : ثنية في طريق مكة قريبة الجحفة يرى منها البحر وودان بين مكة والمدينة ، بينها وبين هرشى ستة أميال . معجم البلدان .

٢ ـ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ـ ط . القاهرة ١٩٧٧ ص ٤٥٦ .

ومن بني عبد الله بن يعمر : حُميضة ، وهو بَلْعَاء بن قيس بن عبد الله بن يعمر الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث ، وكان بلعاء فارساً شاعراً رئيساً ، وكان أبرص فقيل له : ما هذا البياض ؟ قال : سيف الله جلاه . وكان في يوم شَمْظَة على بني بكر ، ويوم شمظة يوم من أيام الفجار قاتلت فيه بنو كنانة من قريش وغيرها هوازن وَمَنْ لافهم ، وفيه يقول خداش بن زهير بن ربيعة بن عمرو فارس الضحياء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة :

فأبلغْ إنْ عَرَضْتَ لهم هشاماً وعبدَ الله أَبْلِغْ والوليدا
بأَنَّا يوم شمظة قد أقمنا عمودَ المجد إنَّ له عمودا

وكانت الدبرة في أول النهار على هوازن وألفافهم ، ثم صارت على ولد كنانة ، وكان على بني هاشم في هذا اليوم : الزُبير بن عبد المطلب ، وعلى بني عبد شمس ومن لافهم : حرب بن أمية وعلى بني المطلب : عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وعلى بني نوفل : مطعم بن عدي ، وعلى بني عبدالدار : عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار ، ويقال عامر أبوه ، وعلى بني أسد بن عبد العزى : خويلد بن أسد بن عبد العزى ، وعلى بني زهرة : مخرمة بن نوفل ، وعلى بني تيم : عبد الله بن جُدعان ، وعلى بني مخزوم : هشام بن المغيرة ومعه أخوه الوليد ، وعلى بني سهم : العاص بن وائل ، وعلى بني جُمح : أمية بن خلف ، وعلى بني عدي بن كعب : زيد بن عمرو بن نفيل ، وعلى بني عامر بن لؤي : عمرو بن عبد شمس أبو سهيل بن عمرو ، وعلى بني محارب بن فهر : ضرار بن الخطاب بن مرداس ، وعلى بني الحارث بن فهر : عبد الله بن الجراح أبو أبي

عبيدة ، وعلى بني بكر : بلعاء بن قيس ، وعلى الأحابيش : الحُليس بن يزيد الكناني .

وشهد بنو كنانة أيضاً يوم شرب من عكاظ على هذه التعبئة ، وجعل بلعاء يقول يومئذٍ : إنّ عكاظاً ماؤنا فخلّوه . وقال ضرار بن الخطاب في هذا اليوم .

ألم تسأل الناس عن شأننا وما جاهل الأمر كالخابر

وقد كتبنا أبياته فيما تقدم من نسب بني فهر .

وقال عمرو بن قيس ، وهو جذل الطعان ، أي أصله ، ويقال شُبِّه بأصل الشجرة لثباته للطعان .

لقد عَلِمَتْ مَعَدٌّ أن قومي كرام البأس إنْ عدُّوا الكراما
غداة يقود بلعاء بن قيس إليهم جحفلاً لجباً ركاما
ونحن الناسئون على مَعَدٍّ شهور الحِلِّ نجعلها حراما

ومات بلعاء بن قيس بعد هذا اليوم بيسير .

ومنهم جَثّامة بن قيس ، أخو بلعاء ، قام مقام بلعاء حين مات في أيام الفجار وهو يوم الحُريرة ، وهي حَرَّة إلى جانب عكاظ في مهب الجنوب منها ، فهزمت كنانة يومئذ ، وكانت على اجتماعها الذي كانت تجتمع عليه وعلى تساندها ، ولما مضت أيام الفجار أغارت أخلاط من هوازن على بني ليث بن بكر بصفراء الغَميم فقتلوا فيهم وأصابوا نَعَماً ، ثم أقبلوا وعرضت لهم خزاعة فلم يكن لها بهم يد فقال مالك بن عوف في كلمة له :

سمونا إليهم بالغميم فلم نَدَعْ لهم سارحاً يرعى ولا مُتَرَوِّحَا

وقال أيضاً :

ونحن تركنا بعد يوم ملوّح خزاعة أتياساً تمص أيورها

وولد جثامة بن قيس :

الصعب بن جَثّامة[1] روى عن النبي ﷺ «في ترك قتل الأطفال من أولاد المشركين ، وأنه لا حمى إلا الله ولرسوله ، وأنه أهدى إلى النبي ﷺ حمار وحش فرده وكان مُحْرماً وكان ينزل بودان» .

ومُحَلِّم بن جَثّامة توجه في سرية فقتل عامر بن الأضبط الأشجعي وهو مسلم ، فيقال إنه مات فلفظته الأرض على عهد النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : «الأرض تقبل من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم به» ، ويقال أنه بقي بعد النبي ﷺ ، ومن قال انه مات على عهد النبي ﷺ قال الذي مات بحمص : الصعب أخوه ، ونزل ناحزة موضع بحمص ، وبقي إلى فتنة عبد الله بن الزبير .

والليث بن جثامة .

وقال الواقدي : قتل محلّم بن جثامة : عامر بن الأضبط الأشجعي في سنة ثمان ، وقد كتبنا خبر محلم في أول كتابنا .

ومن بني أحمر بن يعمر بن عوف :

كرز بن الحارث بن عبد الله ذو السهمين .

ومن ولده عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب بن كرز بن الحارث بن عبد الله بن أحمر بن يعمر ، وهو الذي يقال له ابن دأب ، وكان له علم ورواية ، ويكنى أبا الوليد ، ومات في خلافة هارون الرشيد أمير المؤمنين .

---

١ - بهامش الأصل : الصعب بن جثامة .

وقال أبو اليقظان : كان يزيد أبوه عالماً بأمور العرب وأيامها ، وله عقب بالبصرة ، وهو القائل :

الله يعلم في عـلـيٍّ علمـهُ وكفاك علم الله في عثمان

ومنهم : حذيفة بن دأب . وسليمان بن دأب ، قتلا يوم الحرة في أيام يزيد بن معاوية .

ومنهم : قيس وبكر ابنا الصُّقَير بن الحارث بن عبد الله بن أحمر بن يعمر ، قتلا مع عليّ عليه السلام يوم صفين .

ومن بني رَجْل بن يعمر :

عروة بن أذينة ، واسم أذينة : يحيى بن مالك وهو أبو سعيد بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن رجل الذي يقول :

لقد علمتُ وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أَسْعَى لـه فَيُعَنِّيني تَـطَلُّبُــه ولو صبرتُ أتـاني لا يُعَنّيني

وله حديث مع هشام بن عبد الملك قد كتبناه ، وكنية عروة أبو سعيد أيضاً .

ومن بني قيس بن يعمر :

الحارث بن قيس ، وهو أبو طرفة الشاعر ، ولهم يقول بعض الشعراء :

تجهمني بـالقول حتى كـأنه أخو الطرفات وسط قيس بن يعمر

ومن بني لقيط بن يعمر بن عوف :

فزارة بن ثور بن حرام بن مُهان ـ وبعضهم يقول نبهان ، ومُهان أثبت ـ بن وهب بن لقيط بن يعمر بن عوف ، وهو كان رئيس كنانة يوم

العريش ، وقد أغار عليهم ثابت بن نعيم الجذامي في أهل اليمن بمصر ، وقد شهد شبيب جده الحديبية مع النبي ﷺ فيما ذكر الكلبي .

ومنهم الحكم بن عرفطة بن الحارث بن لقيط ، قتل يوم فتح مكة مشركاً .

وقتل الحجاج سعيد بن ثعلبة بن الحكم بن عرفطة بسبب ابن الأشعث ، ويقال بسبب غيره ، وكان ثعلبة بن الحكم ممن روي عنه الحديث ، وكان ينزل الكوفة .

ومطهر بن الحارث بن عمرو بن لقيط نازع بني الحارث بن كعب بن صخرة في السقي ، فرماه رجل منهم فقتله فوقع بينهم الشر حتى قتل الرجل الذي كان رماه واصطلحوا ، وقال بعض الرواة : مر ببني الحارث بن كعب من اليمانيين فقتلوه ، والأول أثبت .

ومنهم المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط ، وهو أشعر بني كنانة في الاسلام وأنشدني له بعضهم :

لحى الله أحرانا بأن يعتم القرى   وأضعفنا عن عرض والده ذَبًّا
وأخلقنا أن يدخل البيت باسته   إذا النقب أبدى من ثنيته ركبا

ومن بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث :

نميلة بن عبد الله[1] **بن** فُقَيم بن حَزْن بن سيّار بن عبد الله بن عبد بن كلب بن عوف ، صحب النبي ﷺ ، وكان قديم الاسلام ، واستخلفه

١ ـ بهامش الأصل : نميلة بن عبد الله رحمه الله .

رسول الله ﷺ في بعض غزواته ، و[هو الذي قتل][1] **مقيس بن صبابة بن** حزْن بن سيار .

وكان هشام بن صبابة[2] أسلم وشهد غزاة المريسيع مع النبي ﷺ فقتله رجل من الأنصار خطأ وهو يحسبه مشركا ، فقدم مقيس[3] على رسول الله ﷺ ، فقضى له بالدية على عاقلة الأنصاري فأخذها وأسلم ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله وهرب مرتداً فقال :

شفا النفس أن قد مات بالقاع مسندا يُضرّج ثوبيه دماء الأخادع
ثأرتُ به فهراً وحَمَّلْتُ عقله سراة بني النجار أرباب فارع[4]
حَلَلْتُ به وِتْرِي وأدركتُ ثورتي وكنتُ عن الإسلام أول راجع

فأمر رسول الله ﷺ أن يقتله من لقيه ، فلما كان يوم فتح مكة خرج مدججاً وهو يقول : دون دخول محمد إياها ضرب كأفواه المزاد ، وكان قد اصطبح ذلك اليوم في أصحاب له ، وكانت أمه سهمية ، وكان معهم ، فعاد حين انهزم إلى أصحابه فشرب ، وعرف نُميلة بن عبد الله بن فُقيم مكانه فدعاه فخرج إليه ثملاً وهو يقول :

دعيني أصطبح يا بكر إني رأيت الموت نقب عن هشام
ونقب عن أبيك وكان فرعاً أخا القينات والسرب الكرام

فلم يزل نميلة يضربه بالسيف حتى قتله فقال شاعرهم :

١ ـ أضيف ما بين الحاصرتين لاستقامة السياق انظر أسد الغابة لابن الأثير ج ٤ ص ٥٨٦ ، وبقية الخبر .
٢ ـ بهامش الأصل : هشام بن صبابة رحمه الله .
٣ ـ بهامش الأصل : مقيس بن صبابة .
٤ ـ فارع حصن ـ أطم ـ بالمدينة . المغانم المطابة .

لعمري لقد أخزىٰ نميلة قومه وفَجّع أضياف الشتاء بمُقْيسِ
فلله عيناً من رأى مثل مقيس إذا النفساء أضحت لم تخَرَّس

الخَرْس : طعام النفاس .

ومقيس الذي يقول :

رأيت الخمر طيبةً وفيها فعال كلها دنس ذميم
فلا والله أشربها حياتي طوال الدهر ما بدت النجوم
سأتركها وأترك ما سواها من اللذات ما أرسىٰ يَسُوم[1]

ومن بني عامر بن عوف :

قُسَيْط بن أسامة بن عمرو بن أبي ربيعة بن عامر بن عوف ، الذي بعثه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يعلم أهل البادية ، حين بعث عبدالله بن مسعود وأصحابه ليعلموا الناس القرآن .

ويزيد بن عبدالله بن قُسَيط مات سنة اثنتين وعشرين ومائة ، ويكنى أبا عبدالله .

ومن بني شجع بن عامر بن ليث :

مالك بن قيس بن عوذ بن جابر بن عبد مناف بن شجع ، وهو ابن البرصاء[2] ، والبرصاء أم أبيه ، واسمها ريطة بنت ربيعة بن رباح بن ذي البردين من بني هلال بن عامر ، وسميت البرصاء لبياضها .

وروى ابن البرصاء أن النبي ﷺ قال يوم الفتح : «لا تُغزىٰ مكة بعدها إلى يوم القيامة» .

---

١ ـ يسوم : جبل في بلاد هذيل . معجم البلدان ، وجاء بهامش الأصل : يسوم اسم جبل .
٢ ـ بهامش الأصل : ابن البرصاء رحمه الله .

ومنهم : **الأسود بن عبد شمس بن مالك** بن جعونة بن عَويرة بن شجع ، وأمه شعوب من خزاعة ، وهو قتل حنظلة الغسيل بن أبي عامر يوم أحد ، وكان حنظلة قد علا أبا سفيان بن حرب فأعانه ابن شعوب فقتله ابن شعوب ، فوقف أبو عامر على ابنه فقال : لقد كنت أنهاك عن هذا الرجل وأحذرك هذا المصرع :

وقال أبو سفيان :

ولو شئت نَجَّتْني كُمَيْتٌ طُمُرَّةٌ ولم أحمل النعماء لابن شعوب
وَسَلَّىٰ شجون النفس بالأمس أنني قتلت به ملْ أوْس[1] كُلَّ نجيب
ومازال مهري يزجر الكلب منهم لَدُنْ غدوةً حتى دنت لغروب[2]

وابنه شداد بن الأسود الذي رثىٰ قتلى يوم بدر ، ويكنى أبا بكر فقال :

دعيني اصطبح يا بكر إني رأيت الموت نقب عن هشام
ونقب عن أبيك أبي يزيد أخي القينات والسّرب الكرام
فكم لك بالطويّ طوي بدر من الخيرات والدسع العظام
وكم لك بالقليب قليب بدر من الإحسان والنعم الجسام
وكم لك بالطويّ طوي بدر من الشيزي[3] تكلل بالسنام
ألا من مبلغ الأقوام عني بأني تارك شهر الصيام
يخبرنا النبي بأن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام[4]

١ - أي من الأوس .
٢ - سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٩٥ - ٥٩٦ .
٣ - الشيزي : خشب أسود تتخذ منه القصاع .
٤ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٥٤ .

ومنهم : **أبو واقد الليثي**[١] رحمه الله ، وهو الحارث بن عوف بن أسيد بن جابر بن عبد مناف بن شجع ، ويقول غير الكلبي اسمه : الحارث بن مالك ، ويقول بعضهم : هو عوف بن الحارث ، وكان أبو واقد قد جاور بمكة سنة ، فمات بها ، ودفن في مقبرة المهاجرين ، وكان موته سنة ثمان وستين ، وهو ابن خمس وستين سنة ، وروىٰ عن أبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وسميت المقبرة مقبرة المهاجرين لأنه دفن فيها جماعة منهم .

ومن بني عُتْوارة بن عامر بن ليث :

عبدالله بن شداد[٢] بن أسامة بن عمرو ، وعمرو هو الهادُ بن عبدالله بن جابر بن عتوارة ، وأم عبدالله بن شداد سلمى بنت عميس الخثعمية ، وسمي الهاد لأنه كان يوقد ناره للأضياف ، ولمن سلك الطريق ليلاً ، وكان يقال عبدالله بن الهاد ، يُنسب إلى جده ، وقد سمع عمر بن الخطاب ، وكان يأتي الكوفة ، وقتل في قول الواقدي يوم دجيل مع مصعب ، ويقال قتل مع ابن الأشعث ، وكانت سلمى بنت عميس أولاً عند حمزة بن عبد المطلب ، ثم خلف عليها شداد بن الهاد ، فولدت له : عبدالله . وعبد الرحمن .

وحدثني ابن الأعرابي أن شداد بن الهاد مر بقوم يتسابّون فقال : ما هذا ؟ قالوا : مزاح . قال : إذا كان هذا مزاحاً فما الجد ؟

ويزيد بن عبدالله بن شداد بن الهاد وهو يكنى أبا عبدالله وكان يخمع[٣]

---

١ ـ بالهامش : أبو واقد الليثي رحمه الله .

٢ ـ بهامش الأصل : عبدالله بن شداد بن الهاد .

٣ ـ خمع : كأن به عرجاً . القاموس .

من رجله ، مات سنة تسع وثلاثين ومائة وقد روي عنه الحديث وله دار بالمدينة .

وقال ابو اليقظان : كان عبدالله بن شداد رسول الحجاج إلى عبدالله بن جعفر في الخطبة لابنته ، وقتل مع ابن الأشعث .

ومنهم محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص بن محصن بن كلدة بن عبد ياليل بن طريف بن عتوارة الفقيه أبو عبدالله مات سنة أربع وأربعين ومائة ، ومات جده علقمة بن وقاص في أيام عبد الملك بن مروان بالمدينة ، وله دار بالمدينة في بني ليث .

ومن بني قيس بن عامر بن ليث :

عبدالله بن عمير بن عمرو بن مالك بن خلف بن صباح بن مالك بن قيس وهو أخو عبدالله بن عامر لأمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت بن حَبيب بن حارثة السلمي ، وكان يكنى أبا حَبيب ، وقُطعتْ رجل عمير يوم خيبر ، فقال له النبي ﷺ : «سبقتك رجلك إلى الجنة» ، وكانت له صحبة .

ومن بني سعد بن ليث بن بكر :

أبو الطفيل عامر بن واثلة[1] بن عبدالله بن عمير بن جابر بن حُميش بن جُدي بن سعد بن ليث الذي يحدث عنه ، وكان من أصحاب ابن الحنفية ، ودخل على معاوية فقال له : يا أبا الطفيل ، أنت من قتلة عثمان . قال : لا ولكني ممن حضره فلم ينصره ، قال : وما منعك من نصره ؟ قال : لم أر المهاجرين والأنصار نصروه ، قال معاوية : أما لقد كان حقه واجباً ، وكان عليهم أن ينصروه . قال : فما منعك أنت من نصره ومعك أهل الشام ؟

١ ـ بهامش الأصل : أبو الطفيل عامر بن واثلة رحمه الله .

قال : أو ما طلبي بدمه نصرة له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال : أنت وعثمان كما قال الشاعر :

لا أعرفنَّك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زوَّدتني زادي

فقال معاوية : يا أبا الطفيل ما أبقىٰ الله من حزنك علىٰ عليّ ؟ قال : حزن الثاكل المقلات ، والشيخ الرقوب . قال فكيف حبك له ؟ قال : حب أم موسىٰ لموسىٰ ، وإلى الله أشكو التقصير .

وقال الهيثم بن عدي : قال أبو الطفيل : «رأيت النبي ﷺ يطوف على راحلته بالبيت» ، وقد ذكرنا خبره مع ابن الحنفية .

وابنه طفيل بن عامر بن واثلة قتل مع ابن الأشعث فقال فيه أبوه :

خَلَّىٰ طفيل عليّ الهم فانشعبا فَهَدَّ ذلك ركني هدَّةً عجبا

وقد كتبنا خبره ، وروى الواقدي أن أبا الطفيل قال : «رأيت النبي ﷺ يطوف بالبيت» ، وقال : الثبت أنه روىٰ هذا عن عمر عن النبي ﷺ ، ومات أبو الطفيل بعد ابنه بقليل .

ومنهم : إياس . وخالد . وعاقل . وعامر ، بنو البكير[1] بن عبد ياليل بن ناشب بن غِيره بن سعد بن ليث بن بكر ، وكان اسم عاقل غافلاً ، فسماه رسول الله ﷺ عاقلاً ، وهم حلفاء في بني عدي بن كعب .

وقال غير الكلبي : هم بنو البكير ، والأول أثبت ، وكان إسلامهم في دار الأرقم والنبي ﷺ مستخفٍ فيها ، وهم فيما يقال أول من أسلم فيها .

وقال الواقدي : توفي عاقل في سنة أربع وثلاثين ، وبعض الرواة يقول استشهد ببدر ، وكانت عفراء بنت عبيد بن ثعلبة من بني النجار من

١ ـ بهامش الأصل : إياس وخالد وعاقل وعامر بنو البكير ، رضي الله عنهم .

الخزرج عند الحارث بن رفاعة بن الحارث أحد بني غَنْم بن مالك بن النجار من الخزرج ، فولدت له : معاذاً . ومعوذاً ، ثم طلقها فقدمت مكة حاجة فتزوجها البكير بن عبد ياليل ، فولدت له : عاقلاً . وإياساً . وعامراً . وخالداً . ثم رجعت إلى المدينة وهي فارغة فراجعها الحارث بن رفاعة ، فولدت له : عوفاً فقتل معاذ ومعوذ ببدر شهيدين ، وقتل خالد بن البكير يوم الرجيع شهيداً ، وقتل عامر بن البكير يوم بئر معونة شهيداً ، ويقال إنه لم يقتل ، وشهد يوم الدار ، دار عثمان ، واستشهد إياس بن البكير يوم اليمامة ، وتوفي عاقل في سنة أربع وثمانين ، ولما هاجر بنو البكير إلى المدينة أغلقوا أبوابهم لأنهم لم يخلّفوا بمكة شيئاً .

وحدثني رجل من أصحابنا عن الجمحي محمد بن سلام قال : كانت كنية عاقل أبا البكير ، ويقال كانت كنيته أبا المغيرة ، وكنية خالد أبا يزيد ، وكنية عامر أبا عمرو ، وكنية إياس أبا سعيد ، ويقال إنه كان يكنى أبا الحارث .

وقتل حبيب بن عدي يوم الرجيع مع خالد بن البكير ، فقال حسان بن ثابت يذكرهما :

ألا ليتني فيها شهدت ابن طارق ... وزيدا وما يُغني الأماني ومرثدا
فدافعت عن حبّي خُبيب وعاصم ... وكان الشفاء لو تداركت خالدا[1]

ومنهم أم كليب بن قيس بن بكير بن عبد ياليل ، وهو الجزار الذي وثب على أبي لؤلؤة حين وجأ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقتله ، وذلك أنه وجأه بالخنجر الذي قتل به عمر رضي الله تعالى عنه .

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٤٦٠ .

ومنهم البياع ، واسمه عبد شمس بن عبد ياليل بن ناشب ، وهو جد أبي أحيحة سعيد بن العاص لأمه وله يقول أبو أحيحة :

غضبت قريش كلها لحليفها   وأنا امرؤٌ بكْرٌ هُمُ ولدوني
لا تسقني أمي شراباً بعده   إن كان حيّ قبيلها يشكوني

ومن ولده : عروة بن شييم بن البياع أحد الرؤوس المصريين الذين قدموا على عثمان بن عفان ، وقد ذكرنا خبره وخبرهم .

ومنهم واثلة بن الأصقع[١] رضي الله عنه ابن عبد ياليل ، بعثه خالد علىٰ خيل دمشق وكان يكنى أبا قِرْصافة ، مات بالشام سنة خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة .

وقال الواقدي : حدثني بعُمره وسِنّه معاوية بن صالح ، قالوا : وأسلم واثلة والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك ، وكان من أهل الصفة ، وخرج إلى الشام ، فمات هناك .

حدثني هشام بن عمار الدمشقي ، ثنا صدقة عن هشام بن الغاز عن أبي النضر عن واثلة بن الأصقع قال : سمعت النبي ﷺ يحدث عن الله تبارك وتعالى : «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» .

ومن بني جُنِدع بن ليث :

أمية الشاعر بن حرثان بن الأسكر بن عبدالله ، وهو سِرْبال الموت بن زهرة بن زبينة بن جندع بن ليث ، وأخوه لاعق الدم واسمه أبيّ .

وابنا أمية : كلاب ، وأُبيّ هاجرا الى البصرة ، وبالبصرة مربعة تعرف بمربعة كلاب ، نسبت إلى كلاب بن أمية ، وكان يكنى أبا هارون ، ولما

---

١ ـ بهامش الأصل : واثلة بن الأصقع رضي الله عنه .

هاجر إلى البصرة كتب إليه أبوه أمية :

تركت أباك مُرعشة يداه وأمك ما تسيغ لها شرابا
إذا غنت حمامة بطن وادٍ على بيضاتها تدعو كلابا
أتاه مهاجران تكنفاه بترك كبيرة خطياً وخابا

يقول : أتى زياد بن أبي سفيان مهاجران : كلاب وأبيّ ، وكان زياد ولّى كلاباً الأُبلّة فحدثه عثمان بن أبي العاص الثقفي أن داود النبي عليه السلام كان يجمع أهله في السَّحَر فيقول : ادعوا ربكم فإن في السحر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلاّ غفر له إلاّ أن يكون عشّاراً ، فلما سمع كلاب ذلك قدم على زياد فاستعفاه ، فأعفاه وبعث إلى عمله غيره ، وقال أمية :

يا بُنَيْ أميةَ إني عنكما غانٍ وما الغنىٰ غير أني مشعرٌ فان
يا بنيْ أمية ألا تشهد كبري فإن عيشكما والموت سيَّان
وذاك إذ خانني صبري لفقدكما وإذ فراقكما والموت مِثلان

فكتب عمر إلى أبي موسى أن احمل كلاباً وأخاه إلى أبيهما فحملهما ، وقال غير الكلبي هما : كلاب وعمرو ، ابنا أمية .

ومن بني جندع :

سيار بن رافع بن جُرَيّ بن ربيعة بن عامر بن عوف بن جندع ، وبعضهم يقول سيار بن رافع بن ربيعة بن جري والأول قول الكلبي وهو أثبت ، وكان سيار مع مصعب بن الزبير ، وقطعت يده ، فكان يقال له : الأقطع ، وكان الذي قطعه عبدالرحمن بن سَمُرة بن حَبيب بن عبدشمس في

عنبة سرقها ، ويقال إنها قطعت في القتال ، والأول قول أبي عبيدة وأبي اليقظان ، وروي عن أبي اليقظان أيضاً أنه قال : قطعت في القتال مع مصعب ، وأبو الحسن المدائني والقحذمي يقولان القول الأول أيضاً .

وكان يقال لنصر بن سيار : ابن الأقطع ، وولي نصر بن سيار خراسان ، وقد كتبنا أخباره فيما تقدم من أخبار بني العباس ، وأم نصر من تغلب ، فقال له رجل من تغلب :

أتاك من تغلبٍ جار تُسَرُّ به   أكرم بخالك يا نصر بن سَيَّار

وكان يكنى أبا الليث ، فولد نصر : ليث بن نصر . وتميم بن نصر . وجَريّ بن نصر . وقديد بن نصر . ومظفر بن نصر . وبشر بن نصر وغيرهم ، وأمهم متقربة وكانت له ابنة يقال لها خندف فقال فيها نصر :

وسميتها من حب خندف خندفاً   وأُسمي أخاها بعدها بتميم
أبىٰ القلب إلا أن يكون بطانة   له وصفاءً دون كل حميم

ولبشر عقب بالبصرة ، وأما قُديد فكان يكنى أبا مريم وولي بعض الولايات وله عقب بالبصرة .

ومن بني جندع :

عَبيد بن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع الفقيه ، ويكنى أبا عاصم ، وكان عبيد قاضي أهل البصرة ، وقد قاتل مع ابن الزبير وله عقب بالبصرة ، وكان ابنه عبدالله بن عبيد فقيهاً .

حدثني هشام بن عمار عن رجل عن الأوزاعي عن عبدالله بن عبيدالله بن عمير الليثي عن أبيه عن جده قال : «كان رسول الله ﷺ يرفع يديه مع كل تكبيرة في الصلاة المكتوبة» .

وولد عُريج بن بكر بن عبدمناة بن كنانة :

حماس بن عريج . ومن ولده : أبو نوفل بن أبي عقرب بن خُويلد بن خالد بن بجير بن عمرو بن حماش بن عريج ، واسم أبي نوفل معاوية .

وقال الواقدي : أدرك أبو عمرو بن أبي عقرب النبي ﷺ ، ورآه وروى عنه ، وهو أبو أبي نوفل ، وكان أبو نوفل صاحب قرآن وحروف يختارها من القراءة . وقال عمرو بن أبي عقرب : ما أصبت من العمل الذي بعثني إليه رسول الله ﷺ إلاّ بردين مُعقدّين كسوتهما مولاي .

وكان من بني الليث من المحدّثين :

طلحة بن عبدالله ، ويقال ابن عمر ، ويقال إنه من أهل الصفة . وعبدالله بن يعلى الليثي ، أو عبدالملك ، كان قاضياً بالبصرة قبل الحسن بن أبي الحسن ، ومات في أيام عمر بن عبدالعزيز . وأبو الردّاد الليثي كان يسكن المدينة في بني ليث ، واسمه عامر . وعمارة ابن أُكيمة الليثي ، وأبو الوليد مات سنة إحدى ومائة وهو ابن تسعين سنة . وعبدالرحمن بن قيس من ولد الشدّاخ ، ولاه عدي بن أرطاة عُمان في أيام عمر بن عبدالعزيز ، وله عقب بالبصرة .

ومن بني ليث :

عبادة بن قرص رضي الله عنه ، وله صحبة وقتله الخطيم الخارجي زمن ابن عامر .

ومن بني ليث :

مالك بن الحويرث رحمه الله ، وله صحبة وكان جار أبي الأسود وفيه يقول :

وإن امرأً نبئته عَنْ صـديقنا يسائل : هل يسقي من اللبن الجارا ؟
وإني لأسقي الجار في قعر بيته وبيتي ما لا إثم فيه ولا عارا
شراباً حلالاً يترك المرء صاحياً ولا يتولىٰ يقلس الخمر والقارا [1]

ومن بني الليث :

غالب بن عبدالله [2] رحمه الله بعثه النبي ﷺ في سرية بعد أخرى واستاق إبلاً للمشركين ، وقال :

أبى رسول الله أن يغرَّ بي
في خضر نباتُه مغلولب

١ ـ القلس : ما خرج من الحلق ملء الفم أو دونه وليس بقيء ، والرقص في غناء ، والشرب الكثير ، وغثيان النفس ، وقذف الكأس . القاموس . والقار : من أنواع الخمر انظر ديوان أبي الأسود ص ٢٢٣ مع فوارق .
٢ ـ بهامش الأصل : غالب بن عبدالله رحمه الله .

صُفْرَ أعاليه كلون المُذْهَبِ
وذاك قولٌ صادق لم يكذب

وقال أبو اليقظان : ومن بني ليث :

قيس بن ذريح : وكان شاعراً .

قال أبو اليقظان : ومن بني ليث :

عبدالله بن يسار بن أبي عقب ، كان رضيع الحسين عليه السلام .

ومن بني ليث :

علباء بن منظور الذي يقول :

ما للطلاق فقدتُه وفقدت عاقبة الطلاق
طلَّقتُ خير حليلة تحت السموات الطباق

وعطاء بن مرثد الليثي مات سنة سبع ومائة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

ومن بني ليث :

قارظ بن شيبة ، كانت ابنته أم حكيم ، وهي جويرية بنت قارظ ، مات قارظ في خلافة سليمان بن عبدالملك بالمدينة .

وشريك بن أبي نمر الليثي ، أبو عبدالله ، مات سنة أربعين ومائة .

وحماس الليثي ، وهو ابن أبي عمرو بن حماس ، روى عن عمر ، وله دار بالمدينة .

ومن بني ليث :

يزيد بن عياض بن جعدبة أبو الحكم انتقل الى البصرة ومات بها في خلافة المهدي أمير المؤمنين ، وأنس بن عياض أبو ضمرة مات حديثاً .

انقضى بنو ليث

وولد الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة :

عدي بن الديل . والحارث بن الديل . وصبيغ بن الديل وأمهم منيعة بنت خلاوة من مزينة ، ويقال إنها من جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة .

فولد عدي بن الديل : معاوية بن الديل . وعبد بن عدي . وجذيمة بن عدي . ونفاثة بن عدي . وسعد بن عدي .

وولد الحارث بن الديل : أسيد بن الحارث . وعزيّة بن الحارث . ويزيد بن الحارث . ونفيل بن الحارث . وهفان بن الحارث ، فدخل بنو هفان في الدؤل بن حنيفة .

فمن بني الديل بن بكر :

نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر وهو بيت بني الديل ، وكان معاوية أبو نوفل على بني الديل يوم الفجار ، وله يقول تأبط شراً :

فلا وأبيها ما نزلنا بعامر ولا عامر ولا النفاثيّ نوفل [1]

١ ـ انظر الأغاني ج ٢١ ص ١٣٩ حيث روايات هذا البيت .

وابنه سلمى بن نوفل كان من أجود العرب ، وله يقول الجعفري :

تَسَوَّدَ أقوام وليسوا بسادة بل السيد المذكور سلمى بن نوفل

وسلمى القائل :

وما المال إلا ما بذلت وإنما مال البخيل لوارثٍ أو للعدى

ومنهم ربيعة بن أمية بن صخر بن يعمر بن نفاثة الذي قتل كعب بن زيد النجاري ثم الذبياني من الأنصار يوم الخندق فقال :

ألا أبلغ أبا هَدْم رسولاً مغلغلة تخبّ بها المطيّ

وكان كعب بن زيد قتل ابن الحضرمي عمراً يوم بدر ، ويقال في سرية عبدالله بن جحش الأسدي ، فقتل ربيعة كعباً ، وأبو هدم هو عمرو بن الحضرمي ، وكان بنو الحضرمي أولاً حلفاء بني نفاثة ، ثم حالفوا بني عبدشمس بن عبدمناف .

ومنهم : علقمة بن مرحل ، كان فارساً شجاعاً ، وهو الذي يقول :

لكل الناس من دهر نصيب يصبّح أو يبيّتُ أو يقيل

وما يبقى على الحَدَثان إلا أصمّ الصخر والجبل الطويل

وسارية بن زنيم بن عمرو بن عبدالله بن جابر بن محميَّة بن عبد بن عدي بن الديل ، وكان خليعاً في الجاهلية وكان أشد الناس حصراً ، وبعثه عمر بن الخطاب في جيش فكان لشدة اهتمامه بذلك الجيش يفكر في أمره ويمثله قد لقي العدو ، فجعل يقول بينه وبين نفسه ، يا سارية الجبل ، كأني به قد صعد الجبل .

ومنهم : أبو أناس [1] رحمه الله تعالى ، وهو اسمه وكنيته في قول

١ ـ بهامش الأصل : أبو أناس ، وقيل أنس رحمه الله .

الكلبي . وقيل اسمه أنس وكنيته أبو أناس ، وكان شريفاً شاعراً ، وبلغ النبي ﷺ أنه هجاه ، فأتاه يوم فتح مكة معتذراً ومدحه فقال :

وما حملتْ من ناقةٍ فوق رحلها أعفّ وأوفى ذمـة من محمـد
أَحَثُّ على خير وأوسعُ نائـلاً إذا راح يهـتز اهـتزاز المهنـد
ونُبيِّ رسول الله أني هجوتـه فلا رفعتْ سوطي إليَّ إذاً يدي [١]

ومنهم أنس بن أبي أناس ، وبعضهم يقول أنه سميّ أنساً باسم أبيه .

قال أبو اليقظان : كان أنس بن أبي أناس شاعراً ، وكان أعور ، وقال لمصعب بن الزبير وهو يعاتبه :

تسهّل لي ولا تعرض لصرمي أبـا عيسى فإن أبـا أناس
بنى لي في العفاف وفي المعالي مـآثـره فلست لهـا بنـاسي

وأنس الذي يقول لما تزوج مصعب عائشة بنت طلحة فأصدقها خمسمائة ألف درهم وأهدى إليها خمسمائة ألف درهم :

بُضْعُ الفتاة بألف ألفٍ كاملٍ وتظلُّ سادات الجيوش جياعا
فلو انني الفاروق أُخبر بالذي شـاهـدتُـه ورأيـته لارتاعـا

وكان الحكم بن عمرو الغفاري لما حضرته الوفاة بخراسان ، استخلف أنس بن أبي أناس ، وكتب إلى زياد : إني قد استخلفت أنساً وإني أرضاه لله ولك وللمسلمين ، فعزله وولى خليداً الحنفي ، فقال أنس بن أبي أناس :

ألا مـن مبـلغ عني زيـاداً مُغلغلة تَخُبُّ بهـا الـبريـد
أتعـزلني وتـطعمهـا خليـداً لقد لاقت حنيفة مـا تريـد

---

١ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٧١ .

في أبيات قد كتبناها في خبر زياد .

وقال عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر الغُداني : اهج أنساً ، فقال : اعفني فلم يعفه فقال :

وحُـدِّثْتُ عن أنس أنـه قـليـل الأمـانـة خَـوَّانُـهـا
بَصيرٌ بما فيه ضرُّ الصديق وشـر الأخـلاَّء عُـوْرانـهـا

فقال أنس :

أتتني رسـالـة مُسْتَكْرِهٍ فكان جـوابـي غفـرانـهـا[1]

وكان لزنيم أيضاً ابن يقال له أنس ، وبقي أنس إلى زمن عبد الملك ، ومات في آخره ، وقد بلغ التسعين .

وقال الكلبي : قال أنس بن زنيم عم أنس بن أبي أناس :

في كل مجمع غاية أُخراهم جَذْعُ أَبَرُّ على المذالي[2] القُرَّع

يعني علي بن أبي طالب يحرض عليه .

ومنهم : **عويف بن الأضبط**[3] رحمه الله تعالى ، واسم الأضبط ربيعة بن أبير بن نهيك بن جذيمة بن عدي بن الديل ، الذي قالت له خزاعة حين اعتمر رسول الله ﷺ من الحديبية : هلم يا رسول الله إلى أعز بيت بتهامة ، فقال رسول الله ﷺ : «لا نُفزع نسوة عويف بن ربيعة الأضبط أنه كان يأمرهم بالإسلام» ، وكان رسول الله ﷺ استخلف عويف بن الأضبط على المدينة حين اعتمر عمرة القضاء أو غيرها .

---

١ ـ قارن هذه الرواية بما رواه صاحب الأغاني ج ٨ ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .
٢ ـ مذل : ضجر وقلق . القاموس .
٣ ـ بهامش الأصل : عويف بن الأضبط رحمه الله .

ومنهم : بنو عبد الله بن عمير بن عمرو بن عمير بن أوس ـ وهو الأدرع ـ بن عبد الله بن مالك بن جذيمة بن عدي وهو بالمدينة . وبنو يعمر ، ومنقذ ابنا عمير بن أوس بمكة ، منهم : آل سباع بن ربيعة بن يعمر ، وبنو زاجل بن ربيعة بن يعمر بالمدينة .

ومن بني حلس بن نفاثة : **أبو الأسود** وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الديل ، ويقال إن اسمه عثمان بن عمرو بن سفيان بن جندل والأول أثبت ، وأمه من بني عبد الدار بن قصي ، واسمها الطويلة ، وكان أبو الأسود شيعياً وولاه عبد الله بن عباس الصلاة بالبصرة حين خرج إلى صفّين مع عليّ عليه السلام ، وولى زياد بن أبي سفيان الخراج ، ويقال إن ذلك بأمر علي ، وكتب أبو الأسود إلى علي : «أما بعد فإن الله قد جعلك والياً مؤتمناً ، وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة ناصحاً للرعية توفر فيهم وتظلف نفسك عن دنياهم فلا تأكل أموالهم ولا ترتشي في أحكامهم وإن عاملك وابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ، ولا يسعني كتمانك ذلك ، فانظر رحمك الله فيما قِبَلَنا من أمرك واكتب إليّ برأيك إن شاء الله والسلام» .

فكتب علي إلى أبي الأسود في جواب كتابه : «أما بعد فقد فهمت كتابك ، ومثلك نصح الإمام والأمة ، ودلّ على الحق ، وفارق الجور ، وقد كتبت إلى صاحبك فيما كتبت إلي فيه ، ولم أعلمه كتابك إلي في أمره ، فلا تدع إعلامي ما يكون بحضرتك مما للأمة فيه صلاح ، فإنك بذلك محقوق ، وهو عليك واجب والسلام» .

وكتب إلى ابن عباس يأمره برفع حسابه إليه وجرت بينه وبينه كتب قد

كتبناها فيما تقدم من كتابنا هذا ، وكان عبد اللهَ بن عباس قال لأبي الأسود : لو كنتَ من البهائم لكنتَ جملاً ثِقالاً لاتنقاد ، فقال أبو الأسود : لو كنتَ راعي ذاك الجمل ما اتخذته كلاء ، ولا أرويته ماءً ، ولا بلغتَ به المرعى ولا أحسنت مهنته في المشتى .

وقال قوم منهم أبو اليقظان : إن أبا الأسود شهد صفين مع علي عليه السلام ، وأبو الأسود الذي وضع العربية وقال :

ولا أقول لقدر القوم قد غليت ولا أقول لباب الدار مغلوق[1]

وذلك أنه لما خالط العرب بالبصرة الخوز[2] ، ونبط كور دجلة وفرسها فسدت ألسنتهم ، وقال أبو الأسود في شعر له :

أتاني من خِلٍّ حديث كرهتُه وما هو إذ يغتابني متورع[3]

فقيل له : إن الله يقول : ﴿ما هذا بشراً﴾[4] فقال : هذا الذي قلته كلام العرب الفصيح ، ولكن الكاتب زاد هذه الألف ، حدثني بذلك روح بن عبد المؤمن عن أبي زيد الأنصاري عن أبي عمرو بن العلاء .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه قال : سأل أبو الأسود زياداً أن يوليه عملاً فقال : إنك قد كبرت وضعفت ، فقال : أصلح الله الأمير إنك لست تبعثني لأصارع أهل عملي ، وإنما تستحفظني فيهم وتأمنني على قسمة فيئهم وتجعل إلي النظر في أحكامهم .

---

١ ـ ليس في ديوان المطبوع .
٢ ـ نسبة إلى خوزستان ، وهي من الأهواز، وهي من بلاد ما بين فارس والبصرة . اللباب لابن الأثير .
٣ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٤ ـ سورة يوسف ـ الآية : ٣١ .

المدائني وغيره أن أبا الأسود كان يقول : لو أطعنا السُّؤَّال كنا أسوأ حالاً منهم .

قالوا : ومر به سائل ليلاً وهو يقول : من يعشيني لوجه الله ، وطلب ما عنده ، فأدخله منزله فعشاه وأخرجه ، فعاد لمثل قوله الأول فرده وحبسه في منزله ليلته ، قال : والله لأُكُفَنَّ عن أمة محمد شرَّكَ ليلتهم فلما أصبح خلّاه .

المدائني قال : كان أبو الأسود عظيم السُّرة ، فقال له رجل : يا أبا الأسود أشتهي أن أضع أيري في سرتك ، فقال له : يا أحمق فأين يكون أيري حينئذٍ .

المدائني قال : كسا المنذر بن الجارود ، ويقال عبيد الله بن زياد أبا الأسود فقال :

كساني ولم استكسه فحمدته ... أخ لي يعطيني الجزيل وناصر
وإن أحق الناس إن كنت حامداً ... بحمدك من أعطاك والعرض وافر[1]

وقال ابن زياد لأبي الأسود ، ورأى عليه جبة خلقاء قد أطال لبسها : أما تَمَلُّ لبس هذه الجبة يا أبا الأسود ؟ فقال : رُبَّ مملوك لا يستطاع فراقه .

وساوم أبو الأسود رجلاً بثوب فقال : أنا أقاربك فيه ، فقال أبو الأسود : إنك إن لم تقاربني باعدتك ، قال : فإني قد أُعطيت به كذا وكذا فذكر ثمناً مفرطاً ، فقال : اللهم اخز هؤلاء التجار فما يزالون يحدثون عن خبر قد فاتهم .

وحدثني عبد الله بن صالح وغيره أن أبا الأسود كان يقول : إذا دخلتَ

١ ـ ديوانه ص ١٩٣ .

مع رجل منزله فادخل بعده ، وإذا خرجت منه معه فاخرج قبله .

قالوا : وجرى بين أبي الأسود وجارٌ له كلام فرماه جاره فلما أصبح قال له : أَرَمَيْتَني لا أم لك ، فقال : ما رميتك إنما رماك الله . فقال : كذبت يا عدو الله لو رماني الله لم يخطئني .

قالوا : ومرض أبو الأسود فجزع فقيل له : اصبر فإنه أمر الله ، فقال : ذاك أشدّ له .

وقال المدائني : مر أبو الأسود في مربد البصرة فرآه رجل كان بطالاً يتعبث بالناس فقال له : كأنّ قفاك يا أبا الأسود خلق من فقاح[1] فولاه قفاه ثم قال : يا بن أخي تأمله ، فانظر هل ترى فقحة أمك فيه ؟.

وقال قيل لأبي الأسود : إنك تكثر الركوب على ضعف بدنك وكبر سنك فقال : إن في الركوب نشرة والقعود عُقلة ، وإذا خامر الرجل منزله ولزمه ذهبت هيبته واستخف به عياله حتى أن الشاة تبعِّر أو تبول فلا تتنحى عنه .

قالوا : وأرق أبو الأسود في بعض الليالي فسمع وقع أضراس بغلته وهي تعتلف فقال أراني أنام وأنت تسرين في مالي ؟ فباعها واشترى حماراً .

وقال أبو الحسن المدائني : دخل أبو الأسود على معاوية فبينا هو يكلمه إذ حبق أبو الأسود ، فقال : يا أمير المؤمنين إني عائذ بسترك ، فقال معاوية : ثق بذلك مني . فلما خرج أبو الأسود دخل عمرو بن العاص على معاوية فأخبره بما كان من أبي الأسود ، وبلغ أبا الأسود ذلك فأتاه فقال : يا معاوية إن الذي كان مني قد كان مثله منك ومن أبيك وإنّ من لم يؤتمن على ضرطة

---

١ ـ الفقحه : حلقة الدبر أو واسعها ، ج فقاح . القاموس .

لجدير ألا يؤتمن على أمر الأمة .

قالوا : وكان لأبي الأسود دكان على بابه صغير مرتفع ، وكان يجلس عليه وحده ويؤتى بطبق عليه رغيف وعَرْق فيأكله ، فسقطت من يده ذات يوم لقمة فقال لغلامه : ناولنيها فإني أكره أن أدعها للشيطان ، فقال له أعرابي كان بحضرته وقد سأله فلم يطعمه : لا والله ولا للملائكة المقربين .

وكان أبو الأسود يذكر التجار فيقول : لصوص فجار إلّا أن بعضهم أحسن سرقة من بعض .

وكان أبو الأسود يختم كيسه وهو فارغ ويقول : طينه خير من ظنه ، وهو أول من قال ذلك .

حدثني عبد الله بن صالح المقرىء عن ابن كناسة قال : قال أبو الأسودالديلي: البلاغة سلاطة اللسان، ورحب الذراع حتى ينطق بالحاجة ، ويصدع بالحجة وتضم الكلمة إلى أختها فلا يتبعها من ليس من شكلتها ، ولا تنقض بالمتقدمة ما يتلوها .

قالوا : وكان أبو الأسود يقول : ما الماء إذا وجد سبيله منحدراً بأشد تغلغلاً إلى مستقره من كلمة أصيب بها موضعها إلى قلب .

المدائني قال : دخل أبو الأسود على زياد فقال له : يا أبا الأسود كيف حبك لعليّ وولده ؟ فقال : يزداد شدة كما يزداد حبك ـ كان ـ لهم تغيراً وتنقصاً . فغضب زياد فقال أبو الأسود :

غضب الأمير لأنْ صدقت وربما   غضب الأمير على البرىء المسلم
الله يعلم أن حبي صادق   لبني النبي وللقتيل المحرم[١]
يا أبا المغيرة رب يومٍ لم يكن   أهلِ البراءة عندكم كالمجرم[٢]

وقال ابن الكلبي : كان أبو الأسود يَمُر على رجل فيؤذيه ويتعبث به فقال :

وأهوجَ ملحاح تصاممت قِيْلَهُ   ان اسمعه وما بسمعي من باس
ولو شئتُ ما أعرضتُ حتى أُصَبْتُهُ   بموضَحَةٍ شنعاء تغني علىٰ الآسي[٣]

قالوا وخاصمت امرأة أبي الأسود الديلي أبا الأسود إلى زياد في ولدها وكان أبو الأسود قد طلقها فقالت : أنا أحق بولدي ، قال أبو الأسود : بل أنا أحق به حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه ، قالت : صدق أصلح الله الأمير ، حمله خفاً وحملته ثقلاً . ووضعه شهوة ووضعته كرهاً . فقال زياد : قد خصمتك يا أبا الأسود وهي أحق به ما لم تتزوج .

قال أبو الحسن المدائني وغيره : خرج أبو الأسود مع أصحاب له يتصيدون فوقف أعرابي على أبي الأسود وهو جالس في خباء قد ضرب لهم فقال الأعرابي : السلام عليكم ، قال أبو الأسود : كلمة مقولة . فقال الأعرابي : أدخل الخباء ؟ فقال أبو الأسود : وراءك أوسع لك . قال الأعرابي : إن الرمضاء قد أحرقت رجلي قال : بُلْ عليها . قال : عندك شيء تطعمنيه ؟ قال : نأكل ونُطعم مَنْ مَعَنَا فإن فضل شيء كنت أحق به من

١ ـ بهامش الأصل : أراد بالمحرم الذي لم يحل دمه .
٢ ـ لم ترد هذه الأبيات بديوانه المطبوع .
٣ ـ ديوان أبي الأسود ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦ مع فوارق .

الكلب . قال الأعرابي : ما رأيت قط ألأم منك ، قال أبو الأسود : بلىٰ ولكنك نسيت .

قالوا : وقال رجل راكب لأبي الأسود : الطريق ، فقال أبو الأسود : أعن الطريق تعداني .

وقال أبو الأسود : البخل بما في يدك خير من مسألة الناس ما في أيديهم .

قالوا : وركب أبو الأسود مع فيل مولى زياد وحاجبه ، وركب معهما أنس بن أبي أناس بن زنيم الكناني ، وكان فيل على برذون هملاج ، وهما على فرسين قطوفين ، فقال أنس : أجزنا أبا الأسود فقال : هات ، فقال :

لعمرو أبيك ما حمام كسرىٰ على الثلثين من حمام فيل

فقال أبو الأسود :

وما ارقاصنا خلف الموالي بسنتنا على عهد الرسول[1]

وقال القحذمي : قال أنس هذا لأن فيلاً ركب إلى حمّام اتخذه ينظر إليه .

وقال أبو اليقظان : كتب أبو الأسود إلى رجل وَعَدَهُ عِدَةً فوفىٰ له بها :

وإذا وعدت الوعد كنت كغارم دَيناً أُقَرّ بـه وأحضر كاتبا

وإذا منعت منعت منعاً بيناً وأرحت من طول العناء الراغبا[2]

وقال : وكان أبو الأسود بخيلاً فقيل له : أنت أظرف الناس لولا بخلك ، فقال : أخزىٰ الله ظرفاً لا يمسك ما فيه على أهله . وقال أبو الأسود :

١ ـ انظر مادة «حمام فيل» في معجم البلدان .
٢ ـ ديوان أبي الأسود ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .

إذا المرء ذو القربىٰ وذو الذنب أجحفت   به نكبة سلّت مصيبته حقدي[١]

وبلغ أن أبا الأسود أن رجلاً اغتابه فقال :

وذو حسد يغتابني حيث لا يرىٰ   مكاني ويثني صالحاً حيث أسمع

تورعتُ أن اغتابه من ورائه   وما هو إذ يغتابني متورع[٢]

وقال المدائني عن أبي اليقظان : أصاب أبا الأسود بالبصرة فالج شديد ومات بها ، وقد أَسَنَّ .

وحدثني أبو محمد التوزي عن أبي عبيدة قال : مات أبو الأسود وله مائة سنة .

وقال المدائني عن عبدالله بن مسلم الفهري قال : قال أبو الأسود : فارقتُ الناس مذ فارقت علي بن أبي طالب وإني لأعجب اليوم من قوم يزعمون أن حسناً وحسيناً وولدهما ليسوا بارثة النبي ﷺ والله يقول : ﴿ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى والياس﴾[٣] ، وإنما عيسى ابن ابنته .

فولد أبو الأسود الديلي : عطاء بن أبي الأسود . وأبا حرب بن أبي الأسود .

فأما عطاء فكان على شرطة أبيه بالبصرة وهو واليها ، وهو فتق البحر مع يحيى بن يعمر العَدْواني بعد أبي الأسود ، ولا عقب لعطاء .

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٣ ـ سورة الأنعام ـ الآيتان : ٨٤ ـ ٨٥ .

وأما أبو حرب فكان عاقلاً شاعراً صاحب قرآن ، ولاه الحجاج بن يوسف جوخىٰ فقال له : العام عامك تخلخل فيه عظامك ، وقال له : أما والله لو أدركتُ أباك لقتلته فإنه كان ترابياً ، فقال : أصلح الله الأمير أو كان يأتي عليه عفوك كما أتى عليه عفو من كان قبلك ؟ قال : أَوَذاك ؟ ولم يزل أبو حرب علىٰ جوخىٰ حتى مات الحجاج وكان لأبي حرب من الولد : جعفر ، وغيره وله عقب بالبصرة .

ومن بني الديل : **حماس بن خالد الديلي** الذي قال لامرأته حين أظلهم النبي ﷺ : لآتينَّكِ بخادم من أصحاب محمد ، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة ، ودخلها جاء منهزماً فقالت له امرأته وهي هازئة : أين الخادم فإني لم أزل متوقعة لمجيئك به فقال :

إنكِ لو شهدتنا بالخندمة إذْ فَرَّ صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد كالعجوز المؤتمة لم تنطقي في اللوم أدنىٰ كلمة
إذ ضَرَّبتنا بالسيوف المسلمة لهم زئير خلفنا وغمغمة[1]

وكان هؤلاء الذين سمىٰ يقولون : لا ندع محمد يدخل مكة أبداً .

ومن بني الديل :

سنان بن أبي سنان ، وكان محدثاً ومات في سنة خمس ومائة ، وله اثنتان وثمانون سنة .

ومنهم : **نوفل بن معاوية**[2] رحمه الله تعالى الديلي ثم النفاثي ، وكان شديداً على المسلمين ، ثم وافىٰ النبي ﷺ يوم الفتح مسلماً ، وأتى المدينة

١ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٥٩ .
٢ ـ بهامش الأصل : نوفل بن معاوية رحمه الله .

فنزلها في بني الديل وحج مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه سنة تسع ، ومع النبي ﷺ سنة عشر ، ومات بالمدينة أيام يزيد بن معاوية وقد بلغ المائة .

ومنهم : **ربيعة بن عباد**[1] الديلي رحمه الله تعالىٰ ، نزل بالمدينة في بني الديل ، ومات في أيام الوليد بن عبد الملك ، وقال ربيعة : رأيت النبي ﷺ يرمي الجمار ويقول : «أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» ، ووراءه رجل أحول ذو غديرتين يقول : إنه كذاب . فسألت عنه فقيل هو عمه أبو لهب ، ويقال إنه مات وله مائة ونيف وعشرون سنة ، ويقال مائة وعشرون .

ومن بني الديل أيضاً : أبو بشر بن محجن ، كان يسكن المدينة وروي عنه .

ومن بني الديل : أبو الشعثاء وهو الحزين ، شرب حتى سكر فأُخذ وحُبس في دار الإمارة وحماره معه فقال :

أقول لهم وقد حبسوا حماري   بأي جريرة حُبس الحمار
فما للعير مَظْلَمَةٌ لديهم   وما بالعير إن ظُلم انتصار
إذا ركب الحزين على حمار   فقد ركب الخسار على الدِّبار

وولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة : كعب بن ضمرة . وجُدي بن ضمرة ، وأمهما سلمىٰ بنت الحارث بن كعب بن عمرو بن مدحج .

وعوف بن ضمرة . ومليل بن ضمرة ، وأمهم عفراء بنت العنبر بن عمرو بن تميم .

فولد كعب بن ضمرة : جابر بن كعب . والحارث بن كعب . وكليب بن كعب . وعوف بن كعب . وزيد بن كعب . وربيعة بن كعب .

---

١ - بهامش الأصل ربيعة بن عباد رحمه الله .

وعمرو بن كعب ، وأمهم مجد بنت عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر .

منهم مالك بن صخر بن حريم بن عبد العزىٰ بن كعيب بن خَرد بن جابر بن كعب كان رئيساً فيهم .

وولد جُدي بن ضمرة : عوف بن جدي . وقيس بن جدي . وعتوارة بن جدي . وكعب بن جدي . وملحة بن جدي ، وأمهم ابنة بهدلة بن عوف التميمي .

منهم مسافع بن عبد العزىٰ بن حارثة بن يعمر بن عوف بن جديّ الذي عَمَّر فطال عمره وجلس هو وثلاثة نفر معمرون فقال :

جلست غُـدَيَّة وأبـو عقيل وعروة ذو الندىٰ وأبو رباح
كأنَّا مُضْـرَحِيَّاتٍ[1] بِـرَضْوَىٰ تَنُـوءُ إذا تنـوء بـلا بـراح

ومن ولد مسافع بن عبد العزى : تميم بن نصر بن مسافع ، كان معه لواء بني كنانة يوم صفين مع معاوية .

ومنهم عمارة بن مخشيّ بن خويلد بن عبد نهم بن يعمر بن عوف بن جديّ ، الذي عاقد النبي ﷺ عن بني ضمرة في الصلح .

وعمرو بن أمية[2] بن خويلد بن عبدالله بن اياس بن عبد بن ناشرة بن كعب بن جدي بن ضمرة ، صحب رسول الله ﷺ ، وشهد يوم بئر معونة فلم يفلت من أصحاب النبي ﷺ غيره ، وخلّى عامر بن الطفيل سبيله حين قال : إني من مضر ، وكانت عنده سُخَيْلة بنت عبيدة بن الحارث بن

١ ـ مضرح : مرمي بناحية . القاموس .
٢ ـ بهامش الأصل : عمرو بن أمية الضمري رحمه الله .

المطلب بن عبد مناف ، فولدت له عدة منهم : جعفر بن عمرو بن أمية الضمري الفقيه .

وكان عمرو بن أمية قتل رجلين من بني كلاب موادعين للنبي ﷺ خطأ فبسبب ذلك كانت غزاة بني النضير .

ووجه رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري في سنة ثمان إلى مكة لقتل أبي سفيان فلم يمكنه ذلك .

وكتب رسول الله ﷺ مع عمرو إلى النجاشي في دعائه إلى الإسلام ، وفي أمر أم حبيبة بنت أبي سفيان وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم .

وبعث رسول الله ﷺ عمراً إلى مشركي قريش بصلة وقد أقحطوا وجهدوا حتى أكلوا الرِّمَّة والعلهز[1] .

وقال الواقدي : شهد عمرو بن أمية الضمري بدراً وأحداً مع المشركين ، ثم أسلم بعد ذلك ، وبقي إلى زمن معاوية ، وله دار بالمدينة عند الحكاكين وبها مات ، وكان يكنى أبا أمية ، وتزوج ابنة الزبرقان بن بدر فقال كُثَيِّر لولده :

وشان بنات الزبرقان نكاحهُم ولم يرْضكمْ للزبرقان كريم
ولو صدقوه عنكم لرجعتمُ وفي الأوجه الشُّوه القِبَاح وجوم[2]

وولد عمرو : مُعَيّه ، وأم مُعَيّه ابنة الزبرقان . فولد معية : الزبرقان . ولعمرو عقب .

ومنهم البراض بن قيس بن رافع بن قيس بن جدي ، وهو الذي قتل

---

١ ـ طعام من الدم والوبر ، كان يتخذ في المجاعة . القاموس .
٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

عروة الرحَّال الكلابي ، وبسببه كانت وقعة الفجار العظمى وقد ذكرنا خبره فيما تقدم .

ومن بني ضمرة : **عمرو بن يثربي**[١] رحمه الله تعالى ، فكان يسكن ناحية البحر ولم يسكن المدينة ولا مكة ، وأتى النبي ﷺ في الفتح مسلماً ، وروى عن النبي ﷺ في خطبته يوم التروية ويوم عرفة .

ومن بني ضمرة : **أبو الجعد الضمري**[٢] ، بعثه النبي ﷺ يحشر قومه لغزاة الفتح ، وروى أبو الجعد عن النبي ﷺ : «من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً طبع الله على قلبه» ، وله دار بالمدينة في بني ضمرة .

وولد مُلَيْل بن ضمرة : غفار بن مليل ، بطن . وثعلبة بن مليل وهم في بني غفار .

ومنهم : **الحكم بن عمرو بن مخدج بن جذيم بن الحارث بن نُعَيلة** ، وكان رجلاً صالحاً ، وأمر زياد بن أبي سفيان أن يدعى له الحكم ، وهو يريد الحكم بن العاص الثقفي ، فدعا رسوله الحكم بن عمرو الغفاري فلما رآه تبرك به ، وقال : رجل من أصحاب رسول الله فولاه خراسان .

وروى الحكم بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال : «لا طاعة لأحد في معصية الله» . وكان موت الحكم بخراسان .

وكان أسلم بن زرعة الكلابي ينبش قبور الدهاقين يطلب فيها الجوهر ، فأسرف في ذلك فقال بيهس بن صهيب الجرمي .

---

١ ـ بهامش الأصل : عمرو بن يثربي رحمه الله .
٢ ـ بهامش الأصل : أبو الجعد الضمري رحمه الله .
٣ ـ بهامش الأصل : الحكم بن عمرو الغفاري رحمه الله .

تجنَّبْ لنا قبر الغفاريِّ والتمس   سوى قبره لا يَغْلُ مفرقك الدم

وقال الكلبي : أم غفار ونعيلة مارية بنت الجُعَيْد العَبْدية .

وحدثني هدبة بن خالد عن أخته آمنة عن هشام بن حسان عن الحسن أن الحكم بن عمرو غزا فأصاب غنائم فكتب إليه زياد : أنْ اصْطَفِ لأمير المؤمنين معاوية كل صفراء وبيضاء وكل جارية بارعة الجمال ، فكتب إليه الحكم : إن كتاب الله قبل كتاب الأمير ، وقسم الغنائم بين الناس وعزل الخمس .

وكان للحكم بن عمرو الغفاري من الولد : غيلان ، أمه من بني قيس بن ثعلبة ، وأبو بردة ضَرَبَهُ مالك بن المنذر لغضبه عليه في أيام عمر بن يزيد . واليسع وله عقب بالبصرة ، ومات الحكم سنة خمسين .

وولد غفار بن مُلَيْل. حرام بن غفار. وحارثة بن غفار، وأمهما ابنة الحارث بن مالك بن كنانة . وحاجب بن غفار . ومبشر بن غفار . ولوذان بن غفار . وخفاجة بن غفار . وعبد الله بن غفار . وأحيمس بن غفار ، وأمهم النوار بنت كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث .

فمن بني حرام بن غفار : **حذيفة رحمة الله ، ويكنى أبا سريحة**[1] بن أمية بن أسيد بن الأغوس بن واقعة بن حرام بن غفار ، صحب النبي ﷺ ، وكان أول مشهد له معه الحديبية ، وروى عن أبي بكر الصديق ، وقد روى أيضاً عن النبي ﷺ .

والوليد بن غصين بن مسلم بن صعير بن كعب بن حرام ، قتل يوم

١ ـ بهامش الأصل : أبو سريحة الغفاري رحمه الله .

عين الوردة مع سليمان بن صُرد الخزاعي وقد ذكرنا خبر هذا اليوم فيما تقدم من كتابنا .

ومنهم : أبو ذر[١] جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وأمه رملة ، غفارية أيضاً ، وهي أيضاً أم عمرو بن عبسة السلمي صاحب النبي ﷺ .

وقال غير الكلبي والواقدي والهيثم بن عدي : اسم أبي ذر : برير بن جنادة .

وقال الواقدي في روايته : كان أبو ذر خامساً في الإسلام ، ولكنه رجع إلى بلاد قومه فأقام حتى قدم النبي ﷺ المدينة ، وتوفي لأربع سنين بقيت من أيام عثمان وصلى عليه ابن مسعود بالربذة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن موسى بن عقبة عن عطاء بن مروان عن أبيه عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: كنت خامساً في الإسلام ، قالوا : وكان أبو ذر رجلاً يصيب الطريق فارساً وراجلاً كأنه سبع ، ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام حين سمع بالنبي ﷺ وما يدعو إليه ، والنبي ﷺ يومئذٍ بمكة مستخْفٍ من المشركين ، فتوصَّل إليه حتى دخل عليه وعنده أبو بكر بعد ما أسلم بيومين أو ثلاثة، قال أبو ذر: فقلت: يا محمد إلى ماذا تدعو؟ فقال : «إلى الله وحده لا شريك له وخلع الأوثان ، وأني رسول الله» ، فقلت:أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، ثم قلت : إني منصرف إلى أهلي فأذا أُمِرْتَ بالقتال لحقت بك فإني أرى قومك جميعاً عليك ، فقال رسول الله ﷺ : «صدقت ، وأصبت فانصرفْ» . فكان

١ ـ بهامش الأصل : أبو ذر الغفاري رضي الله عنه .

أبو ذر يكون بأسفل ثنية[١] غزال ، وكان يعترض عَيْرات قريش فيأخذها ، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله رد عليه ماله وإلا فلا ، فكان كذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى يوم بدر ويوم أحد ثم قدم فأقام مع رسول الله ﷺ .

حدثني محمد بن سعد والوليد بن صالح عن الواقدي عن أبي معشر نجيح قال : كان أبو ذر يتأله في الجاهلية ولا يعبد الأصنام ، فمر عليه رجل بعد ما أوحي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا أبا ذر إن رجلاً بمكة يقول كما تقول ويزعم أنه نبي . قال : وممن هو؟ قال : من قريش . فأخذ شيئاً من بَهْش وهو المُقْل[٢] فتزوده حتى قدم مكة فرأى أبا بكر يضيف الناس ويطعمهم الزبيب فجلس معهم فأكل فلما كان الغد من ذلك اليوم سأل عن رسول الله ﷺ فوقف عليه وهو راقد وكان قد سدل ثوبه على وجهه فنبهه وقال : أنْعِمْ صباحاً ، فقال له ﷺ : «وعليك السلام» . فقال أبو ذر : أنشدني ما تقول . فقال رسول الله ﷺ : «ليس هو بشعر ، هو القرآن وما أنا قلته ولكن الله قاله» ، قال : اقرأه . فقرأ عليه سورة ، فقال أبو ذر : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال له النبي ﷺ : «ممن أنت» ؟ قال : من بني غفار . فعجب رسول الله ﷺ من أنهم قوم يقطعون الطريق وأنه منهم ، ثم قال : «إن الله يهدي من يشاء» ، وأخذه أبو بكر إلى منزله فكساه ثوبين ممشقين ثم انصرف ، فكان على ثنية غزال يعترض عير قريش فمن قال لا إله إلا الله لم يعرض لما معه .

---

١ ـ على الطريق من ثنيه هرش بينها وبين الجحفة ثلاثة أودية . معجم البلدان .

٢ ـ البهش: المقل ما دام رطباً، وبلاد البهش الحجاز، والمقل المكي: ثمر شجر الدوم. القاموس.

حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا سليمان بن المغيرة ، أنبأ حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله ، الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم . قال : «أنت يا أباذر مع من أحببت» .

حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثنا الحجاج بن محمد ، ثنا ابن جريج عن أبي حرب بن الأسود الديلي عن أمه عن علي أنه سئل عن أبي ذر فقال : وعى عِلْماً عجز فيه وكان شحيحاً على دينه حريصاً على العلم وكان يكثر السؤال فيُعطى ويُمنع ، أما لقد مُلِىء له وعاؤه حتى امتلأ ، قال : يقول : عجز عن كشف ما عنده .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا سليمان بن عبد الرحمن ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا ربعي أبو عمرو ، ثنا مرثد عن أبيه قال : جلستُ إلى أبي ذر فوقف عليه رجل فقال : ألم يَنْهَكَ أمير المؤمنين عن الفتيا ؟ فقال أبو ذر : لو وضعتم الصمصامة على هذا ، وأشار إلى حلقه على أن أترك كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ لأنفذتموه قبل أن يكون ذلك[١] .

حدثني إبراهيم بن مسلم ومحمد بن سعد قالا : ثنا وكيع ، أنبأ فِطر بن خليفة عن المنذر الثوري عن أبي ذر قال : لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلّب طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا فيه علماً .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا عمرو بن عون ، أنبأ عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غَنْم أنه زار أبا الدرداء بحمص ثم أمر بحماره فأوكف وأمر أبو الدرداء بحماره فأسرج فلقيهما

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٢٢ ـ ٢٣٢ .

رجل شهد الجمعة عند معاوية بالأمس وهو بالجابية ، فعرفهما الرجل ولم يعرفاه ، فأخبرهما بخبر الناس ثم قال : وخبر آخر أراكما تكرهانه ، فقال أبو الدرداء : ويحك لعل أباذر نفي ؟ قال : نعم ، فاسترجع أبو الدرداء وصاحبه قريباً من عشر مرات ، ثم قال أبو الدرداء أخيراً : ارتقبهم ، واصطبر كما قيل لأصحاب الناقة اللهم إن اتِّهموهُ فإني لا أتهمه وإن استغشوه فإني لا أستغشه ، فإن رسول الله كان يأمنه ويُسِرُّ إليه ، أما والذي نفس أبي الدرداء بيده لو أن أباذر قطع يميني ما أبغضته بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما أَقَلَّت الغبراء ، ولا أطبقت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر» .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن راشد عن مكحول قال:قال رسول الله ﷺ : «ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء أحداً أصدق لهجة من أبي ذر» .

قالوا:وكان ينكر سيرة عثمان ويذمها ، فأشخصه إلى الشام ، فأظهر الطعن عليه بالشام ، فكتب إليه معاوية بذلك فأمره أن يرده إلى المدينة ، فجرى بينه وبين عثمان كلام ، فأنزله الربذة .

ويقال إن أباذر اختار ألا يساكنه ، وأن ينزل الربذة ، فلما حضرتْ أباذر الوفاة أقبل ركب من الكوفة فيهم جرير بن عبد الله البجلي ، ومالك بن الحارث بن عبد يغوث الأشتر النَخعي ، والأسود بن يزيد بن قيس النخعي أخي علقمة بن قيس الفقيه في عدة آخرين ، فسألوا عنه ليسلموا عليه فوجدوه قد توفي ، فحنطه جرير وكفنه ، وصلى عليه ودفنه .

وقال بعضهم : صلى عليه الأشتر وحملوا امرأته حتى أتوا بها المدينة ،

وكانت وفاة أبي ذر لأربع سنين من أيام عثمان رضي الله تعالى عنهما .

وكان الواقدي يقول : صلى على أبي ذر عبد الله بن مسعود وكانت وفاته بالربذة في ذي القعدة سنة احدى وثلاثين .

وقالوا : كان أبو ذر نحيفاً آدم ، أبيض الرأس واللحية .

وحدثنا عفان بن مسلم ، ثنا معتمر بن سليمان ، عن أيوب . قال : وحدثنا سليمان بن المغيرة ، ثنا حميد بن هلال أن رفقة خرجوا من الكوفة لحجة أو عمرة فأتوا الربذة فبعثوا رجلاً يشتري لهم شاة ، فأتى على خباء فقال: هل عندكم جزرة؟ فقالت امرأة أبي ذر: أو خير من ذلك؟. قال: وما هو ؟ قالت : مات أبو ذر والناس خُلوف وليس عندي أحد يغسله ويُجنُّه ، وقد دعا أن يوفق الله له قوماً صالحين يغسلونه ويدفنونه ، فرجع الرجل فأعلمهم فأقبلوا مسارعين ، ومعهم الكفن والحنوط فقاموا بأمره حتى أَجَنُّوه .

حدثني النرسي عن معتمر عن أيوب بمثله .

ومن بني حارثة بن غفار : **إماء بن رَحَضة بن خُرْبة** بن خلاف بن حارثة بن غفار ، وبعضهم يقول إيماء بن رَحَضة ، والأول قول الكلبي ، وكانت لإماء بن رحضة صحبة ، وأسلم قريباً من قدوم النبي ﷺ الحديبية ، وكان المشركون مروا به وهو مشرك وهم يريدون بدراً فأهدى لهم وعرض عليهم التقوية .

وابنه خُفاف بن إماء كانت له صحبة ، وروى خفاف : «أن النبي ﷺ صلى بهم الفجر ، فلما رفع رأسه قال : لعن الله لحيان ورعلاً وذكوان ، وأما

---

١ ـ بهامش الأصل : إيماء بن رحضه وابنه خُفاف رحمها الله .

غفار فغفر الله لها» أو كما قال ، وهذا الحديث يروىٰ عن الحارث بن خُفاف عن أبيه خفاف. ومخلد بن خُفاف ، وبعضهم يقول محمد بن خُفاف .

وعبدالله . وعبد الرحمن ابنا أبي غَرزَة بن عمرو بن خُرْبة بن خلاف بن حارثة قتلا مع الحسين بن علي بالطَّفْ .

وقيس بن أبي غَرزة كانت له صحبة .

ومن بني حاجب بن غفار : عَزَّة بنت جميل[1] بن حفص بن إياس بن عبد العزىٰ بن حاجب بن غفار ، التي كان كثيّر بن عبد الرحمن يشبّب بها .

وحدثني عبدالله بن صالح عن ابن كناسة أن وكيلاً لعزة ابتاع لها ثياباً من غلام كان كثير قد أذن له في التجارة ، فبقيت عليه من ثمنها فضلة فمطله بها فانشد الغلام ذات يوم قول لكثير :

أرىٰ كل ذي دَيْن يوفّي غريمه وعزة ممطول مُعَنّىً غريمُها[2]

فقال له وكيل عزة : إن التي ابتعتُ لها الثياب منك عزة ، فقال الغلام : أما إذا كانت الثياب لها فلا والله لا قبضتُ من ثمنها شيئاً ، ورد عليه ما كان أخذ منه ، فبلغ ذلك كثيّراً فأعتق الغلام ووهب له ما كان في يده من المال .

ومن بني عبد الله بن غفار : آبيّ اللحم[3] ـ من الإباء ـ كان لا يأكل ما ذُبح للأصنام ، وهو خلف بن مالك بن عبدالله بن غفار ، ويقال إنه كان لا يأكل شيئاً من اللحمان كما يفعل الرهبان ، شهد مع النبي ﷺ خيبر ،

---

١ ـ بهامش الأصل : عزة صاحبة كثير .
٢ ـ ديوان كثير ص ٢٠٧ .
٣ ـ بهامش الأصل : آبي اللحم وابنه الحويرث رحمهما الله .

وكان يسكن الصَفراء(١) ، ولم يسكن مكة ولا المدينة .

ومن ولده : الحويرث بن عبدالله بن آبىٰ اللحم ، قتل مع النبي ﷺ يوم حنين ، وأبو نويرة بن شيطان بن عبدالله بن آبي اللحم قتل يوم اليرموك .

ومن بني أحيمس بن غفار : العَقام . والعُقيم ، وهما العَقامان ، وهما ابنا جنيدب بن أحيمس بن غفار ، كانا من الفرسان ، ولهما يقول الطفيل بن خالد بن الطفيل بن مدرك بن العقام .

إن العقامين هما ما هما ضاما أَبَيْتَ اللعن بَرَّاضا

ومنهم : معشر بن بدر بن أحيمس ، وكان بدر أبوه منيعاً مستطيلاً ذا كبر وفخر على من ورد عكاظ ، فقعد في مجلسه بعكاظ يوماً فبذخ علىٰ الناس وعلى رأسه راجز يقول :

نحن بنو مدركة بن خندف من يطعنوا في عينه لا يطرف
ومن يكونوا قومه يُغَطرف كأنهم لجة بحر مُسْدف

وبسط رجله وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف ، فضربها الأحمر بن مازن أحد بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن على الركبة فأندرها ، وقال : خذها إليك أيها المخندف ، وقام رجل من هوازن فقال :

نحن ضربنا ركبة المخندف إذ مدَّها في أشهر المُعَرَّف

وقال الأحمر بن مازن :

---

١ ـ الصفراء : واد من ناحية المدينة ، كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج ، بينه وبين بدر مرحلة . معجم البلدان .

لما رأيت غفاراً حافلين لدىٰ بدرٍ وأبرز عن رجلٍ يُعَرِّيها
ضربتُ ركبتها إذ مدها أشِراً وقلت دونكها خذها بما فيها

فتهايج الحيان ثم تحاجزوا عن صلح واقتصاص ، ولم تقع بينهم دماء ، وحمل ما بينهم ، وهذا كان أول الفجار . وقال بعضهم : إن معشر بن بدر هو الذي قُطعت رجله ، ومن قال هذا أنشد شعر أحمر بن مازن :

لما رأيت غفاراً حول معشرهم وأنـه مبرزاً رجـلاً يعـريهـا

ومنهم : **خالد بن سيار**[1] بن عبد عوف بن معشر بن بدر بن أحيمس سائق بُدُن النبي ﷺ .

ومنهم : **أبورُهْم**[2] وهو كلثوم بن الحصين بن خالد بن معشر ، استخلفه النبي ﷺ في بعض غزواته ، وأسلم أبو رهم بعد قدوم النبي ﷺ المدينة وشهد أحداً وكان ينزل الصفراء أكثر ذلك ، وله دار بالمدينة .

ومن بني غفار : **أبو بصرة الغفاري** ، روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إنا غادون إلى يهود فلا تبدأوهم بالسلام ، وإن سلموا عليكم فقولوا : وعليكم» .

وابنه بصرة حمل عنه الحديث ، وهو من أهل الشام .

ومن بني غفار : **عباد بن خالد الغفاري** ، من أهل الصفَّة شهد الحديبية ، ومات في أيام معاوية .

---

١ ـ بهامش الأصل : خالد بن سيار رحمه الله .
٢ ـ بهامش الأصل : أبو رهم رحمه الله .

ومن بني غفار : **كعب بن عمير**[١] بعثه النبي ﷺ إلى ذات اطلاح في سرية ، فأصيب من معه ، وتحامل حتى أتى المدينة .

ومن بني غفار : **وهب بن حذيفة**[٢] الذي روى عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به» .

ومن بني غفار : **يعيش بن طَخْفة** ، ويقال طَهْفة ، من أهل الصفة .

ومنهم **أبو طهفة**[٣] الغفاري الذي قال : «خرج النبي ﷺ يتعهد ضيفانه فوجدني مضطجعاً على بطني فركضني برجله ثم قال : إنها ضجعة يبغضها الله» .

ومن بني غفار : **سباع بن عُرْفُطة**[٤] استخلفه النبي ﷺ في بعض غزواته على المدينة .

ومنهم : **رافع بن عمرو** صحب النبي ﷺ وروى عنه .

ومنهم : **جهجاه الغفاري**[٥] كانت له صحبة ، وهو أحد من ألَّب على عثمان رضي الله تعالى عنه وقد ذكرنا خبره .

وعراك بن مالك الغفاري مات في زمن يزيد بن عبد الملك ، وروي عن عراك عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» .

---

١ - بهامش الأصل : عباد بن خالد وكعب بن عمير رحمهما الله .
٢ - بهامش الأصل : وهب بن حذيفة رحمه الله .
٣ - بهامش الأصل : طخفة وأبو طهفة رحمهما الله .
٤ - بهامش الأصل : سباع بن عرفطة رحمه الله .
٥ - بهامش الأصل : رافع بن عمرو ، وجهجاه رحمهما الله .

وكان ابنه خثيم بن عراك[1] على شرط المدينة في أيام أبي العباس ، وهو الذي حدّ ابن هرمة في السكر فقال ابن هرمة :

عققت أباك ذا نشب ويسر ... فلما أفنت الدنيا أباكا
علقت عداوتي هذا لعمري ... ثياب البر تلبسها عراكا
سأذكر من زغاوة فيك قوماً ... هم صبغوا بصبغهم شواكا[2]

زغاوة من السودان ، يقول عققته حين أيسرت ، وكان خثيم يصلي في المسجد ذات يوم تِطوعاً فمر بين يديه مخنث فسبّح ربه فقال المخنث وهو لا يعرفه : مالك يا مقيت سبَّحتَ في رأية قَرّاصة ، وغُلّ قمل ، فلما انفتل من صلاته أمر بالمخنث فضرب مائة سوط .

وحدثني الحرمازي قال : كان بالمدينة رجل يجمع بين الرجال والنساء على الفاحشة فرفع قوم أمره إلى خثيم بن عراك ، فقال : ما الدليل على ما رفعتم ؟ قالوا : الدليل أنه لا تحمل امرأة من مجمع المكارين على حمار إلاّ وافى بها الحمار منزله فقال خثيم : إن في هذا لدليلاً فامتحنه فوجده كما قالوا فأمر بالرجل فشبح ، فلما أرادوا ضربه قال : أصلح الله الأمير والله ما بي أن تضربني ، ولكن أكره أن يقول أهل العراق : إن أهل المدينة أجازوا شهادة حمار ، فضحك وخلاه .

وقال أبو اليقظان : كان منزل عراك بمصر وقدم على عمرو بن عبيدالله فارس ، فقال زياد الأعجم :

يخبرنا أن القيامة قد أتت ... مجيء عراك يطلب المال من مصر

١ ـ بهامش الأصل : عراك بن مالك وابنه خثيم .
٢ ـ ديوان ابن هرمه البيتان الأولان فقط ص ١٦١ .

وكم دون باب اليون إن كنت حاسباً ... إلى دار كسرىٰ من فلاة ومن جسر[١]

وولد مرة بن عبد مناة بن كنانة : مدلج بن مرة ، بطن . وشنوق بن مرة . وشنظير بن مرة .

فولد مدلج : عمرو بن مدلج . وتيم بن مدلج . والحارث بن مدلج .

منهم سراقة[٢] بن مالك بن جُعْشُم الذي زعموا أن إبليس كان يأتي في صورته ، وكانت قريش جعلت لمن اتبع النبي ﷺ وأبا بكر حين هاجرا ، فقتلهما أو أتى بهما مائة ناقة فاتبعهما سراقة بن مالك فلما قرب منهما ساخت قوائم فرسه في الأرض ، فطلب الأمان ، وأخبر رسول الله ﷺ خبره ، فكتب له رسول الله ﷺ كتاب أُمْنَةً وموادعة في قطعة من ادم ، فلم يزل الكتاب عنده حتى أتاه به وهو بين الطائف والجعرانة ، فقال النبي ﷺ : «هذا يوم برّ ووفاء» . وأسلم سراقة ، وفي بعض الروايات أن سراقة بن مالك شهد خيبر مع النبي ﷺ ، وكان يسكن قديد [وقيل إنه مات][٣] بعد قتل عثمان بيسير .

وحرملة بن جعشم[٤] أبو عبدالله ، روى عن النبي ﷺ ، ويقال إنه سافر معه أسفاراً .

ومعن بن حرملة ، كان سيد أهل مصر .

وأبو مالك بن كلثوم بن مالك بن جعشم كان شريفاً بالشام .

---

١ - شعر زياد الأعجم ص ١٢٢ .
٢ - بهامش الأصل : سراقة المدلجي رحمه الله .
٣ - أضيف ما بين الحاصرتين من أسد الغابة لاستقامة السياق .
٤ - بهامش الأصل : حرملة المدلجي رحمه الله .

ومنهم **علقمة بن مُجَزِّز**[١] بن الأعور بن جعدة بن معاذ بن عتواره بن عمرو بن مدلج ، بعثه رسول الله ﷺ علىٰ سرية في سنة تسع إلى مراكب للحبشة رأوها بالقرب من مكة في البحر فلم يلق كيداً ، وبعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الحبشة في جيش فهلكوا كلهم فقال جَوّاس العذري يرثيه :

إن السلامَ وحُسْنَ كل تحية تغدو على ابن مجزِّز وتروح

والقصيدة طويلة ، قالوا : وكان قائفاً .

ومن ولده : عبيدالله وعبدالله ابنا عبد الملك بن عبد الرحمن بن علقمة اللذين مدحهما جوَّاس فقال :

غـدا همّي عليّ فقلت لمّـا غدا همي علي من اللذان

عبيـدالله إذ أحْبَتْ[٢] ركابي وعبـدالله لا يتـواكـلاني

كـريمـا خنـدف نمياً وشبـاً علىٰ نمطي مقـابلة حصان

وولد عامر بن عبد مناة بن كنانة : مبذول بن عامر . وقعن بن عامر . وجذيمة ، وهما الزندان . وعوف بن عامر . فبنو جذيمة بن عامر أصحاب يوم الغميضاء[٣] الذين توجه إليهم خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، فأظهروا الإسلام فلم يلتفت إلى ذلك ووضع فيهم السيف وأمرهم أن يستأسروا ، فبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه بمال صرفه إليهم ،

١ ـ بهامش الأصل : علقمة بن مجزز رحمه الله .

٢ ـ أحب البعير : برك ولم يثر ، أو أصابه كسر أو مرض فلم يبرح مكانه حتى يبرأ أو يموت . القاموس .

٣ ـ بهامش الأصل : الغميضاء ماء لهم .

وأعرض النبي ﷺ عن خالد ثم رضي عنه فقال عبد الرحمن بن عوف الزهري لخالد : إنما ثأرتَ بعمّك الفاكه بن المغيرة ، ولم يكن أمر القوم على ما وصفتَ .

وكان نفر من قريش مروا ببني جذيمة في الجاهلية ، وفيهم الفاكه بن المغيرة وعوف بن عبد عوف . وعفان بن أبي العاص بن أمية ، وكان مع القرشيين رجل من ثقيف ، فسألهم رجل من بني جذيمة : من أنتم ؟ فقالوا : نفر من قريش ومعنا هذا الثقفي . فقال الرجل : فإن ثقيفاً قتلتْ أخي ، ووالله لأقتلنّه به ، فقال القرشيون : إذاً نَحولُ بينك وبينه فاستغاث بقومه فجاؤوا من كل ناحية فمانعهم القرشيون فقاتلوهم حتى قُتل القرشيون جميعاً ، وقتل الثقفي أيضاً معهم . وقيل فيمن قتل خالد فيها :

وكائن ترىٰ يوم الغميضاء من فتىٰ ... أُصيب ولم يُجرح وقد كان جارحا

وكان فيمن سبىٰ خالد من بني جذيمة امرأة اسمها حُبيش وكان رجل منهم يتعشقها فقال : ألا اسلمي حبيش على نكد العيش ، فقالت حين بلغها قوله : وأنت فاسلم عشرا ، وتسعاً وترا ، وثلاثة تترىٰ .

وقال الرجل :

أَرَيْتِ إذا ادركتكم فلحقتكم ... بحنوةَ أو أدركتكم بالخوانق
أما كان حقاً أن يُنوَّكَ عاشق ... تَكَلَّفَ أهوال السُّرىٰ والدقائق
فلا ذنب لي قد قلت إذْ أهلنا معاً ... أثيبي بودٍّ قبل إحدىٰ الصفائق[1]

ومن بني جذيمة : بنو مساحق بن أقرم بن جذيمة بن عامر وهم النفر الشباب الذين اتبعوا الظعن .

١ـ الخبر والشعر في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٧٩ ـ ٨٨٠ .

وولد الحارث بن عبد مناة بن كنانة : عمرو بن الحارث ، وهو الأحمر . ومبذول بن الحارث . والرشد بن الحارث ، وكان يقال لهم بنو غويّ ، فقال رسول الله ﷺ : «انتم بنو الرشد» وهو الراعي ، وعوف بن الحارث وهو ذو الحلة [١] وإليه أوصى الحارث .

منهم : عمرو وهو أبو مُعَيط وهو مَسْك الذئب وهو السّياح بن عامر بن عوف بن الحارث ، وأخوه تيم الذي عقد حلف بني المصطلق والحيا من خزاعة . ومَسك الذئب الذي عقد حلف الأحابيش [٢] إلى قريش .

والأحابيش الذين تحبشوا واجتمعوا وهم : بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وبنو نفاثة بن الديل ، وبنو الحيا من خزاعة ، والقارة من بني الهون بن خزيمة .

ومنهم الحُليس بن علقمة بن عمرو بن الأوقح بن جذيمة رئيس الأحابيش يوم أحد ، وعمرة بنت الحارث بن الأسود بن عبدالله بن عامر التي رفعت اللواء يوم أحد لقريش ، ولها يقول حسان بن ثابت :

لولا لواء الحارثية أصبحوا   يباعون في الأسواق بالثمن الكسر [٣]

وقال أيضاً :

عمرةٌ تحمل اللواء وصَدَّتْ   عن صدور القَنَا بنو مخزوم [٤]

ومنهم : المُغَفَّل بن عبد ياليل بن خزامة بن زهرة بن مالك بن عوف ـ وهو المرقع الأكبر ـ بن الحارث بن عبد مناة .

١ ـ بهامش الأصل : لبس حلة يمانية غنمها .
٢ ـ بهامش الأصل : الأحابيش .
٣ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٤٨٠ .
٤ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٤١ ـ ٤٣ .

ومن ولده : الحليس بن عمرو بن الحارث بن المُغْفَّل الذي ذكره تأبط شراً فقال :

ولا بابن وَهْبٍ مُنْهِبِ القومَ مَالَهُ ولا بالحُليس وَسْطَ آل المُغَفَّل

ومنهم طارق بن المرقع ، وهو علقمة بن عريج بن جذيمة بن مالك بن سعد بن عوف صاحب الدار بمكة .

وولد مالك بن كنانة بن خزيمة : ثعلبة بن مالك . والحارث بن مالك . وحُداد بن مالك . وشعل بن مالك . وساعِدة بن مالك . وحساحسة ، أو حساسة ، شك هشام ابن الكلبي .

فولد ثعلبة : غَنْم بن ثعلبة .

فولد غَنْم : فراس بن غنم بطن . والحارث بن غنم بطن . وعمرو بن غنم بطن . والنابغة بن غنم بطن . وبجيل بن غنم . وفلاق بن غنم بطن .

فولد فراس : علقمة وهو جَذل الطعان ، والحارث بن فراس . ومالك بن فراس درج .

فولد علقمة بن فراس : جذيمة بن علقمة . وفرع بن علقمة ، أمهم رهم بنت عبدالله بن هُبل من كلب بن وبرة .

ومنهم ربيعة بن مكدّم بن عامر بن جُذْبان بن جذيمة . وبنو المطلب بن جذبان بالكوفة ، وهم الاطباء آل الأبجر .

ومنهم : حملة ين حُوَّية بن عبدالله بن نضلة بن هلال بن عامر بن عمرو بن دهمان بن الحارث بن فراس كان على بيت مال علي عليه السلام بالكوفة ، وكان الذي قتل ربيعة بن مكدم نشيبة بن حبيب يوم الكديد ،

وكان يوماً لقيت فيه بنو كنانة قوماً من هوازن بن منصور وسليم بن منصور ، ونشيبة بن حبيب سُلَمِيٌّ فلما ضرب ربيعة قال ربيعة :

شدي على العُصْبَ أم سيّار فقد رزئت فارساً كالدينار

وأم سيار أمه . فقالت أمه :

إنّا بنو ثعلبة بن مالك مُرَزَّؤُوا أخيارنا كذلكِ
من بين مقتول وبين هالك وهل يكون الموت إلا ذلكِ

وقالت أم عمرو بن مكدم ترثيه :

ما بال عينك منها الدمع مهراق سَحّاً فلا غائضٌ منها ولا راقِ
أبكي على هالك أودىٰ وأورثني بعد التَّفرُّقِ حزناً حَرُّه باقِ
لو كان يرجع ميتاً وَجْدُ ذي رحم أبقىٰ أخي سالماً وجدي واشفاقي

فقتل أخوه أبو الفارعه بن مكدم رجلاً من بني سليم ، فقال أبو الفارعة :

تجاوزتُ هنداً رغبة عن قتاله إلىٰ مالكٍ أعشو إلى ضوء مالك
وأيقن أني ثائر بابن مكدم غداتئذٍ أو هالك في الهوالك
فدىً لكم أمي وأمكم لكم ببرزةً إذ تَخْبُطُهُمُ بالسنابك

وقال عمرو بن شقيق بن سلامان بن عبد العزىٰ أحد بني الحارث بن فهر :

لا يبعدنّ ربيعة بن مكدّمٍ وسقىٰ الغوادي قبره بذَنُوبِ

وقد تقدمت هذه الأبيات في كتابنا .

وروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : وقع بين بني سليم بن

منصور وبين بني فراس بن مالك بن كنانة تَدَارُؤ[1]، فقتلتْ بنو فراس رجلين من بني سليم ، ثم ودوهما ، فلما كان بعد حين خرج نشيبة بن حبيب السلمي في ركب من قومه ، فلما كانوا بالكديد بصر بهم نفر من بني فراس فيهم عبدالله بن جذل الطعان ، والحارث بن مكدم ، وأبو الفارعة ، وربيعة بن مكدم فتوجه ربيعة نحو القوم ليعرف خبرهم ، وجعل يقول وسمع امرأة من أهله يقال انها ام عمرو بنت مكدم :

لقد علمْنَ أنني غير فَـرِقْ لأطَـعنـنَّ طعنـــةً وأعتـنـقْ
وأصبحنَّهم حين تحمرُّ الحَدَقْ عَضْباً حساماً وسناناً يأْتَلِقْ

ثم انطلق يعدو به فرسه فحمل عليه بعض القوم فاستطرد له ثم قتله ربيعة ورمى نشيبة ربيعة أو طعنه فلحق بمن كان معهم من الظعن يستدمي فقال لأمه :

شدي علىٰ العصب أم سيار . . .

الأبيات ، واجابته أمه بالأبيات الكافية . ورثىٰ الفهري ربيعة .

وقال كعب بن زهير :

أبلغ كنـانة غثهـا وسمينهـا النـازلين ربـاعهـا بـالقـاطن
إن المذلة أن تظل دماؤكم ودماء عوف تُقْتَضَىٰ بضغائن[2]

وولد الحارث بن مالك بن كنانة : ثعلبة بن الحارث ، وعمرو بن الحارث .

فولد ثعلبة : عامر بن ثعلبة . وعوف بن ثعلبة . والريم بن ثعلبة .

---

١ ـ تدارأوا : تدافعوا في الخصومه . القاموس .

٢ ـ ليسا في ديوان كعب المطبوع انظر ص ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ط . بيروت ١٩٨٧ .

وسُرين بن ثعلبة . وصهيب بن ثعلبة . ولبوان بن ثعلبة .

فولد عامر بن ثعلبة : عدي بن عامر . ومخدج بن عامر وهو الحارث . وسعد بن عامر ، وهم حلفاء في بني مخدج . وعبدالله بن عامر .

فولد عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة : فقيم بن عدي ، بطن ، وحُشَيش بن عدي وهم قليل . وقيس بن عدي ، هلكوا في أول الإسلام .

فمن بني فقيم : جنادة وهو أبو ثمامة وهو القَلمَّس بن عوف بن قلع بن حذيفة بن عبد بن فقيم نسّأ[1] الشهور أربعين سنة ، وهو الذي أدرك الاسلام منهم ، وكان أول من نسأ : قلع ، نسأ سبع سنين ، ونسأ أمية إحدى عشرة سنة . وكان أحدهم يقوم فيقول : إني لا أُحاب ولا أُعاب ولا يُردُّ قولي ، ثم ينسأ الشهور وهذا قول هشام ابن الكلبي .

وحدثني عبدالله بن صالح عن ابن كناسة عن مشايخه قالوا : كانوا لا يحبون أن يكون يوم صدورهم عن الحج في وقت واحد من السنة فكانوا يُنْسِئونه ، والنسء التأخير، فيؤخرونه في كل سنة أحد عشر يوماً ، فإذا وقع في عدة من أيام ذي الحجة جعلوه في العام المقبل لزيادة أحد عشر يوماً من ذي الحجة ، ثم على تلك الأيام يفعلون كذلك في أيام السنة كلها ، وكانوا يحرّمون الشهرين اللذين يقع فيهما الحج والشهر الذي بعدهما ليواطئوا في النسء بذلك عدة ما حرم الله ، وكانوا يحرمون رجباً كيف وقع الأمر ، فيكون في السنة أربعة أشهر حرم .

وقال عمرو بن بكير : قال المفضل الضبّي : يقال لنسَّاءَة الشهور

١ ـ بهامش الأصل : النسء .

القلامس ، وأحدهم قَلَمّس وهو الرئيس المعظم ، وكان أولهم حذيفة بن عبد بن فُقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ، ثم ابنه قلع بن حذيفة ثم عباد بن قلع ، ثم قلع بن عباد بن قلع ، ثم أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ، ثم جنادة بن أمية بن عوف بن قلع .

قال وكانت خثعم وطيء لا يحرمون الأشهر الحرم فيغيرون فيها ويقاتلون ، فكان من نسأ الشهور من النَسَّائين يقوم فيقول : إني لا أحاب ولا أعاب ولا يرد ما قضيت به ، وإني قد أحللت دماء المحلين من طيء وخثعم فاقتلوهم حيث وجدتموهم إذا عرضوا لكم .

وحدثني ابراهيم بن محمد بن عرعرة ، ثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : حجوا في ذي الحجة عامين ، ثم حجوا المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين ، حتى وافت حجة أبي بكر الصديق في ذي القعدة وذي الحجة وذلك قبل حجة النبي ﷺ بعام لأن النبي ﷺ حج في قابل ، فذلك حين يقول النبي ﷺ : «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض» .

وحدثني عبد الله بن صالح عن ابن كناسة عن أشياخه : كانوا يكرهون أن يسمّوا المحرم إذا أحلّوا محرماً فيسمونه صفر الأول ، ويسمون صفراً الصفرين .

وحدثني إسحاق الفروي ، ثنا سفيان بن عبيد عن عمرو بن دينار عن طاووس : أن أهل الجاهلية كانوا يقولون للمحرم صفراً فيحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، فجعله الله محرماً .

وحدثني عبد الله بن صالح عن ابن كناسة قال : كانوا إذا حجوا في

شوال وذي القعدة حرموا ذا الحجة واحلوا المحرم ، فقال القلمس : إني لا أحاب ولا أعاب ولا يردّ ما حكمت به ، اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين ، وهو الأول منهما .

وانشدني عبد الله بن صالح لبعض القلامس :

لقد علمت عُليا كنانة أننا إذا الغصن أمسى مورق العود أخضرا
أَعَزُّهُم سرباً وأمنعهم حمى واكرمهم في أول الدهر عنصرا
وإنا أريناهم مناسك دينهم وحُزْنَا لهم حظاً من الخير وافراً
وإن بنا يستقبل الأمر مقبلاً وإن نحن أدبرنا عن الأمر أدبرا

وقال بعض بني أسد :

لهم ناسيء يمشون تحت لوائه يُحِلُّ إذا شاء الشهور ويُحْرِم

وكانت العرب إذا حَجَّت قلدت الإبل النعال ، وألبستها الجلال فلا يعرض لها أحد إلاّ خثعم ، فقال بعض الشعراء :

وخشيف[1] ما خشيف تلكم وهممنا بخشيف كل هم
تلك شهران وتلكم ناهس حلل الله أذاهم ثم عَم
غارة قد شنها فرسانهم حرم الشهر وفي غير الحرم

ولقي أنس بن مدرك الخثعمي عبد الله بن الحارث الهمداني فسلبه فقال :

وما رحلتْ من سَرْوِ حِمْيَرَ ناقتي ليحجبها عن دون بيتك حاجب
تَعَلَّمْ مليك الله أَنَّ ابنَ مدرك لأمثالها إن لم تنكله آيب
أرى أنساً قد صَدَّنا بسفاهة عن البيت إذ أَعْيَتْ عليه المكاسب

١ ـ خشيف : ذاهب في الأرض والماء جمد ، والبرد اشتد . والدليل الماضي . القاموس .

وقال التوزي النحوي : قال أبو زيد الأنصاري : كانوا يحرمون إذا حرَّموا أربعة أشهر من السنة ليواطئوا عدة ما حرم الله ويحلون غيرها مما حرم الله .

وقال عمير بن قيس بن جَذْل الطعان :

أَلَسْنَا الناسئين على مَعَدٍّ شهور الحل نجعلها حراما

وقال أبو اليقظان : كان من ولد القلمس رجل مع عبد الملك بن مروان ، فعاب عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فبلغ ذلك عمراً ، فقال عمرو :

وانبئت أن ابن القلمس عابني ومن ذا من الناس البرىء المُسَلَّم
تبين سبيل الرشد سيد قومه فقد يبصر الرشد الرئيس المعمم
فمن أنتمُ إنا علمنا من انتم وقد جعلت أشياء تبدو وتكتم

ومنهم : جَهْوَر بن جندب بن ظرب بن أمية بن عوف ، كان صاحب اللواء يوم صفين .

ومن بني مُخدج بن عامر : علقمة بن صفوان بن محرّث بن حمل بن شق بن رقبة بن مخدج ،وهو حليف لبني عبد شمس ، وهو جد مروان بن الحكم أبو أمه .

فولد علقمة : نافع بن علقمة ، أمه ابنة نافع بن الحارث . وكان نافع بن علقمة على مكة من قبل عبد الملك بن مروان والوليد ، وداره بين الصفا والمروة وله عقب .

وولد عمرو بن الحارث بن مالك : الفاكه بن عمرو النَّواح واسمه نصر . والشُرْخى بن عمرو ، وعبس بن عمرو .

منهم : عبد الرحمن بن الرُماحس بن الرُسارس بن السكران بن واقد بن وهيب بن هاجر بن عرينه بن واثلة بن الفاكه بن عمرو .

والرماحس بن عبد العزيز بن الرُماحس بن الرُسارس كان على شرطة مروان بن محمد ، فيقال إنه لما قتل مروان بن محمد استخفى فمات مستخفياً ، وقيل إنه مضى مع ولده إلى الحبشة فهلك هناك ، ويقال إنه قتل في المعركة ، ويقال إن بني العباس ظفروا به وهو مستخفٍ فقتل والله آعلم .

وقال الحرمازي : استخفى فأمن وظهر .

ومنهم أبو زهير بن ثواب بن سلمة بن ضبيس بن عبد عوف بن الحارث بن الضمري ، واسمه عمرو بن الفاكه ، وهو حليف المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فتزوج هند بنت عقبة بن أبي معيط ، فولدت له : عبد الله . وعبيد الله . وعبد الرحمن وهم بالجزيرة فقهاء ، وقد ولي القضاء بها قوم منهم .

ومن بني بَحْديد بن الفاكه : مسلم بن عامر بن ربيعة حليف بني جمح .

ومن بني مالك بن كنانة : بنو شبابة وهم ينزلون اليمن وإليهم ينسب العسل الشبابي .

وولد مَلْكان وغير الكلبي يقول مِلْكان بن كنانة : حرام بن ملكان . وثعلبة بن ملكان وسعد بن ملكان . وأسيد بن ملكان . وغنم بن ملكان .

منهم : آل ينفع بن حشمة بن عامر بن الحارث بن عبد مناة بن علي بن وَدَمَه بن عمرو بن سعد بن كدادة بن غَنْم ، وإليهم ينسب البيت من بني ملكان .

ومن ولده : عبد الله بن يَنْفَع ، سماه سليمان بن عبد الملك الأمين .

وقال أبو اليقظان : قال علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم بن ثعلبةمن بني مالك بن كنانة .

قال: ومن بني فراس : هشام بن خلف بن قَوَّاله ، كان شريفاً في الجاهلية وهو الذي بال على رأس النعمان بمكة وكان قد ترك عبادة الأصنام وتنصر .

فمن ولد هشام بن خلف بن قواله : آل القعقاع بن حكيم : وهم بالبصرة ، وأم القعقاع بن حكيم ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وأم حكيم رُميثة بنت الحارث من بني مالك بن كنانة ثم من بني فراس ، وقد روت عن عائشة ، وأم عبد الرحمن بن أبي بكر ، وعائشة : أم رومان بنت الحارث من بني فراس .

قال : وكان جذل الطعان فارس العرب وهو الذي يقول :

بني أسد أَغنوا سليماً لديكم ستُغني تميمٌ عندها غطفانا
ونحن سنُغْني الجَذْمَ جذم هوازن ونوسعهم يوم اللقاء طعانا
وكونوا كمن آسى أخاه حياته نعيش جميعاً أو يموت كلانا

المدائني قال : دَلَّسَتْ على أبي المتوكل الناجي عجوز من بني فراس فلما رفع الستر نظر إلى عجوز منقبضة الوجه كأن عارضها عارض خنزير ، وكأن فمها فم سنور ، فقالت له : لا تَعْجَل فإن لك عندنا خلالاً ثلاثاً : حسباً غير شائن ، وشكراً لما يكون منك ، وحفظاً لمالك عليك . فقال :

إن امرأً كانت عجوزاً ضجيعه   يعاني بها فوق الفراش السلاسل
خذي نصف مالي واتركي لي نصفه   وبِيْني ثلاثاً قبل ما أنا فاعل
له الويل منها حين يسمع جرسها   ولو كثرت في معصميها الجلاجل

تم نسب كنانه

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب بني الهَوْن بن خزيمة بن مدركة

وولد الهَوْن ـ مفتوح الهاء ـ بن خزيمة : مُلَيْح بن الهَون .

فولد مُليح : يَيْثَغ بن مليح بن الهون. والحكم وهو قليل دخلوا في مذحج قالوا : نحن بنو الحكم بن سعد العشيرة وهم رهط الجراح بن عبد الله الحكمي . والله أعلم . فولد يَيْثَغ : عائذة بن ييثغ . وسعد بن ييثغ .

فولد عائذة : غالب بن عائدة . وسعد بن عائذة . فولد غالب : جندلة بن غالب . ومحلّم بن غالب . وعامر بن غالب . وشجب بن غالب .

فولد محلّم بن غالب : عبد العزى . وحِلمة بن محلّم وهم الأبناء . والديش بن محلّم . والدُئل بن محلّم ـ مهموز على مثال الدُعل .

فولد الديش بن محلّم : عُضل بن الديش . والأيسر بن الديش . فبنو محلّم بن الديش كلهم يسمون القارة[1] غير ولد عضل . وقد يقال إن ولد عضل قارة أيضاً ، ويقال ان المسلمين جعلوا يقولون في يوم الخندق أو غيره :

١ ـ بهامش الأصل : القارة .

يا رب إلعَنْ عضلاً والقارة لولاهم لم نحمل الحجارة

وكان يعمر الشدّاخ الليثي أراد أن يفرّق أولئك في بطون كنانة فقال رجل منهم :

دعونا قارة لا تُنْفرونا فنجفل مثل إجفال الظليم

أي دعونا مجتمعين . والقارة : جُبيل صغير ، وكان بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة مضطغنين على قريش إخراج قصي بن كلاب إياهم عن مكة ، وقسمتها رباعاً بين قريش ، فلما كان زمن عبد المطلب وكثر بنو بكر همّوا باخراج قريش عن الحرم أو نزوله معهم ، فجمعت قريش واستعدت ، وعقد عبد المطلب الحلف بين قريش والأحابيش ، وهم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وبنو نفاثة بن عدي بن الديل بن كنانة ، وبنو الحيا من خزاعة ، والقارة من ولد الهَوْن بن خزيمة ، وبنو عضل بن الديش بن محلم من بني الهَوْن أيضاً ، فلقوا بني بكر ومن لافَّهم وضوى إليهم . وعلى قريش عبد المطلب بن عبد مناف ، وكان على الأحابيش الحليس فاقتتلوا بذات نكيف[1] فانهزمت بكر وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وبارز يومئذ عبد بن سَفّاح القاري قتادة بن قيس أخا بلعاء بن قيس ، فطعنه عبد فقتله ، فقال عبد وهو ابن السفاح :

ياطعنة ما قد طعنت مرشة قتادة حين الخيل بالقوم تخنف

وكان قتادة قال لقومه : ارموهم بالنبل ، فإذا فنيت فشدّوا عليهم بالرماح ، وكانت القارة رماة يقال لهم رماة الحدق ، فقال قائل منهم : قد أنصف القارة من راماها . فذهبت مثلاً .

١ ـ ذونكيف : موضع من نواحي مكة . معجم البلدان .

فمن القارة : مسعود بن عامر رضي الله تعالى عنه ابن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزىٰ بن محلّم بن غالب بن عائذة بن يثيغ بن مليح . والناس ينسبونه إلى جده فيقولون : مسعود بن ربيعة ، ومنهم من يقول مسعود بن الربيع ، وكنية مسعود أبو عمير ، ويعرف بالقاريّ .

قالوا : أسلَم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم للدعاء فيها ، وكان إسلامه مع أبي عبيدة بن الجراح وعدة من أصحاب النبي ﷺ أتوه جميعاً فأسلموا ، وآخىٰ رسول الله ﷺ بين مسعود وبين عُبيد بن التيهان . وشهد مسعود بدراً ، وأحداً ، وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وروى عنه ومات في سنة ثلاثين ، وقد زاد سنه على ستين سنة وله عقب ، وكان موته بالمدينة ، ويقال بالشام .

ومن القارة : عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن عبد أبو محمد ، روي عنه الحديث ، وبقي إلى خلافة أبي جعفر المنصور .

ومنهم : عبدالله بن عثمان بن خثيم القاري حليف بني زهرة ، توفي في خلافة أمير المؤمنين أبي العباس .

نسب بني أسد بن خُزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر

ولد أسد بن خزيمة : دُودان بن أسد . وكاهل بن أسد . وعمرو بن أسد . وصعب بن أسد . وحلمة بن أسد ، وهم بيت مع بني جذيمة بن مالك بن نضر بن قُعين ، وأمهم أودة بنت زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاعة .

فولد دُودان بن أسد : ثعلبة بن دودان . وغنم بن دودان ، وهم حلفاء في بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وأمهما الرباب بنت نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة .

فولد ثعلبة بن دودان : الحارث بن ثعلبة . وسعد بن ثعلبة ، وأمهما سلمى بنت مالك بن نهد من قضاعة ولهم يقول عمرو بن شأس :

إن بني سلمى رجال جلّة شم الأنوف لم يساموا الذله
مستحقبين حلق الأسلة[1]

ومالك بن ثعلبة . وغَنْم بن ثعلبة وأمهما بنت ذي الحوضين ، واسمه الحسحاس من غسان ، والثعلبية بطريق مكة من الكوفة نسبت إلى بني ثعلبة بن دودان .

١ ـ الأسل : الرماح والنبل . القاموس .

فولد الحارث بن ثعلبة : قعين بن الحارث بن ثعلبة . وسعد بن الحارث ، وأمهما الصدوق بنت سعد بن ضبة بن أدة . ووالبة بن الحارث بن ثعلبة ، وأمه ابنة والبة بن الديل بن سعد مناة بن غامد ، وهو عمرو بن عبدالله من بني نصر من الأزد .

فولد قعين بن الحارث بن ثعلبة : عمرو بن قعين . ونصر بن قعين . وكلفة بن قعين وهو عبس ، وكان قد حزبه أمر فقال : إنه لأمر ذو مؤونة وكلفة فسمي كلفة ، وأمهم سلمى بنت مالك بن غَنْم بن دودان .

فولد عمرو بن قعين . طريف بن عمرو . والصيد بن عمرو . وكعب بن عمرو وهو دُبَيْر ، وإنما سمي كعب دبير لأنه حمل شيئاً ثقيلاً فأدبر ظهره ، وبنو دبير يقولون أنه أدبره السلاح لكثرة حمله إياه . وعبدالله بن عمرو بن قعين ، وأمهم أميمة بنت شقرة بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد بن ضبة ، ويقال هند بنت زيد مناة بن تميم .

فولد طريف بن عمرو بن قعين : فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين . ومنقذ بن طريف وأمهما من بني كنانة بن خزيمة . وأعيا بن طريف واسمه الحارث . وقيس بن طريف ، وأمهما عويفة بنت نمير بن أسامة بن نصر بن قعين .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال أخبرني أبي قال : كانت حية بنت عامر بن مالك بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان عند فقعس بن طريف فطلقها وهي حبلىٰ ، فتزوجها رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض ، فولدت له جذيمة بن فقعس ، فتبناه رواحة فنسب إليه ، ومات فقعس فأتى

جذيمة عمه الحارث بن طريف بن عمرو بن قعين فقال له : أعطني ميراثي من أبي فقال : مالك عندي شيء . قال : فاعطني سيفه . قال : لا ، قال : فرمحه . قال : لا . قال : فقدره . قال : لا . قال جذيمة : لقد أعيا عليَّ عَمِّي كل الإعياء . فسمي الحارث أعيا .

وحدثت عن أبي اليقظان بنحو هذا ، وقال الشاعر :

تقاعس حتى فاته المجد فقعس   وأعيا بنو أعيـا وضلّ المضَلَّلُ

ويقال أن فقعساً مات عن حية ، فخلف عليها رواحة فولدت له جذيمة عنده ، فلما ترعرع طلب ميراثه ، والله أعلم .

وقال بعثر أحد بني فقعس لبني جذيمة :

وإنا نرى أقدامنا في نعالكم   وآنافنا بين اللحىٰ والحواجب
وأعناقنا لا نستطيع انتزاعها   تلوونها بين اللهىٰ والترائب
وما ولدتكم حية ابنة مالك   سفاحاً وما كنتم أحاديث كاذب
ولكن أبوكم فقعس قد علمتم   ومنصبكم إن صرتم للمناصب

فولد فقعس بن طريف : جحوان بن فقعس . ودثار بن فقعس . ونوفل بن فقعس . ومنقذ بن فقعس ، وحذلم بن فقعس ، سمي حذلما لكثرة كلامه ، وكان دثار راعي امرىء القيس بن حجر الكندي وإياه يعني في قوله :

كـأن دثاراً حلّقتْ بلبـونـه   عُقاب ينوف لا عقاب القواعل[1]

فولد جحوان بن فقعس : الأشتر بن جحوان وأمه غِني ـ خفيفة ـ وقد ثقلها بعضهم في الشعر فقال :

---

١ ـ ديوان امرىء القيس ص ١٤٦ .

بني غنيّ لا تبغـوا علينـا فـإن عواقب البغي الثبـور

ومنقذ بن جحوان وأمه ابنة عمير بن نصر بن قعين .

فمن بني الأشتر بن جحوان: عمرو بن نضلة الذي آلى أن يطعم رفقة كان فيها السويق والتمر ، فبعث من يأتيه بذلك ، فأبطأ رسوله ، فرحلت امرأة من بني محارب كانت في الرفقة فاتبعها حتى ردها وقال :

يا ربة العـير رديه لـمربعه لا تظعني فتُهِيْجي الناس للظُّعَن

وخالد بن نضلة بن الأشتر ، وهو خالد المهزول .

وقال ابن الكلبي : سُمي المهزول لأنه نظر إلى تيس يعتلف ولحيته تتحرك فقال : أأرضىٰ بأن تتحرك لحيتي كما تتحرك لحية هذا التيس فترك كثيراً من الأكل ، وجعل يقنع بالشيء يحسوه والشيء يمضغه مما يهون مضغه فهزل جداً فدعي المهزول ، وقتله بعد عمرو بن هند ملك الحيرة وقتل خالد بن المضلل الأسدي وكانا نديميه ففخرا عليه وهو سكران فقتلهما ، ثم ندم فبنى عليهما الغَرِيَّيْن[١] .

وقال غير الكلبي : رأى خالد التيس يعتلف أَنِفَ أن تتحرك لحيته كتحرك لحية التيس ، فترك الأكل فسقط وعرضت له الخلفة حتى خرج سُرْمَهُ ، فجاء غراب فجعل يمده وجعل يقول له : يا غراب جُرّ ، فلتجرنّ بسرم رجل كريم .

وقال أبو اليقظان : إنه ترك الأكل حتى مات وقال الأسود بن يعفر[٢] :

---

١ ـ بهامش الأصل : الغريين . والغري : نصب كان يذبح عليه العتائر ، والغريان بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة . معجم البلدان .

٢ ـ شاعر متقدم من شعراء الجاهلية . الأغاني ج ١٣ ص ١٥ ـ ٢٨ .

ومن قَبْلُ مات الخالدان كلاهما عميد بني جحوان وابن المضلل

يعني خالد بن نضلة بن الأشتر وهو المهزول وخالد بن المضلل الأسدي . وقال بعض ولده :

وجدّي خالد المهزول حسبي به في كل مكرمة زعيما

ومنهم : المّرار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة ، وأمه دِرّه بنت مروان بن قيس بن منقذ .

ومنهم : **طُلَيْحة بن خويلد** بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان ، وكان يعدل ـ فيما يقولون ـ بألف فارس ، وهو الذي ادعىٰ النبّوة ، فاتبعه بنو أسد ، وأتاه عيينة بن حصن في سبعمائة من فزارة فصار معه ، وكان طليحة يكنىٰ أبا حبال وكان بِبُزَاخة ، وبزاخة ماء لبني أسد ، فوجه إليه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي فسار خالد إليه ، وعلى مقدمته عُكاشة بن محصن الأسدي ، وثابت بن أقرم البلوي حليف الأنصار فلقيا حبال بن خويلد أخا طليحة فقتلاه ، وخرج طليحة وأخوه سلمة وهما الطليحتان إليهما فقتلاهما ، فقاتله خالد ومن معه من المرتدين أشد قتال ، وصبر المسلمون ، وأتاه عيينة بن حصن فقال : إنا كنا مع محمد ، فكان جبريل يأتيه بخبر السماء فهل أتاك جبريل ؟ فقال : نعم قد أتاني فقال لي : إن لك رحىٰ كرحاه ، ويوماً لا تنساه . فقال عيينة : أرىٰ والله أن لك يوماً لا تنساه ، فانهزم عيينة فأسر ، وانهزم أصحاب طليحة وتفرقوا عنه ودخل طليحة خباء له فاغتسل ثم أتىٰ مكة معتمراً وأتىٰ المدينة مسلماً ، ويقال بل أتى الشام فلما قدم المسلمون الشام وجهوا به إلى أبي بكر ، وهو مسلم فقال له عمر : ويحك قتلت الرجلين الصالحين :

عكاشة بن محصن وابن أقرم . فقال : ذانك رجلان سعدا بي ولم أُشْقَ على أيديهما وقد رزق الله الاسلام ، وكنت يومئذ فتى ضلال ، وأنا اليوم شيخ إسلام ، فقال له عمر : فعلتَ وفعلت وقلت وقلت فقال : إن ذلك من فتن الكفر الذي هدمه الإسلام كله فلا تعنيف عليّ ببعضه ، فأسكت عمر رضي الله عنه .

وكان من سجع طليحة : إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئاً ، فاذكروه أعِفَّةً قياماً فان الرَّغوة فوق الصريح . وكان منه قوله : الملك الجبار نصفه ثلج ونصفه نار . ومنه : والسائرات خببا ، والراكبين عُصَبَا على قلائص صهب وحُمُر لأجمعنّ شملاً ولأبددنّ شملاً . ووجهه عمر رضي الله تعالى عنه فيمن وجهه إلى العراق ، فأبلى في فتوح العراق . وأشخصه إلى نهاوند فكفى ناحية وُكِّلَ بها وشخص إلى آذربيجان فمات هناك ، ويقال بل قدم فمات في قومه . والله أعلم .

ومن ولد طليحة : مالك بن أبي حبال ، الذي يقول له الشاعر :

إذا كنت مختبطاً بليل فنبّه مالك بن أبي حبال
فتى يزجي المطيّ على وجاه ويصبر عند مختلف العوالي

ومنهم : أبو مهوش ، وهو ربيعة بن حوط بن رئاب بن الأشتر بن جحوان الذي يقول :

فلئن يسرك من تميم خصلة فلما يسوءك من تميم أكثر
قد كنت أحسبكم أسود خفية فإذا لِصَافُ يبيضُ فيه الحُمَّرُ

وقال أيضاً :

ألا أبلغ لديك بني تميم فانكم فشيشة أجمعونا

والفش : السرقة ولِصاف : ماء لبني نهشل فقال نهشل بن جري يرد على أبي مهوش :

قَبَحَ الإلهُ الفَقْعَسيّ ورهطَهُ ما نُصَّ في السُّهب المطايا الضُمَّرُ
ضمن القنان لفقعس سوءآتها إن القنــان لفقعس لَمُعَمِّـرُ
عَيَّرْتَنَا أَنْ بَاضَ حُمَّرُ أرْضِنَا وبأيِّ أَرضٍ لا يَبيضُ الحُمَّرُ

فحدثني المدائني أن الفرزدق مر بمضرِّس بن ربعي الأسدي وهو ينشد بالمربد فقال : يا أخا بني فقعس ما فعل المعمر ؟ فقال : بلصاف يبيض فيه الحمرّ . فأسكته .

ومنهم الكميت بن معروف[1] بن الكميت بن ثعلبة بن رئاب بن الأشتر بن جحوان الشاعر القائل :

لا تكثروا فيه الضجاج فإنه محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

فحدثني أحمد بن موسى الفزاري قال : كان سالم بن دارة القمر أحد بني عبد الله بن غطفان ـ ويقال إن دارة القمر أمه ، ويقال أبوه وأمه من بني أسد ـ هجا رجلاً يقال له ثابت بن واقع ، وكان ثابت فزارياً فقال له :

ويحـك يا بن واقـع ما أنتـا أنت الذي طلَّقت لَمَّا جعتا

فغضب له رجل من قومه من بني فزارة يقال له زُمَيْل فضرب ابن دارة بالسيف فقتله ، وكان الكلبي يقول : دارة القمر أبو سالم قيل له ذلك

١ ـ من يقال له الكميت ثلاثة من بني أسد بن خزيمة ، هم : الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس ، والكميت بن معروف هذا ابن الكميت الأكبر ، والكميت بن زيد . المؤتلف والمختلف للآمدي ـ ط . القاهرة ١٩٦١ ص ٢٥٧ ، ونسب الآمدي هذا البيت إلى الكميت الأكبر .

لجماله ، واسمه رويبة بن ضب ، وقال ابن دارة :

أنا ابن دارة معروف له نسبي وَهـلْ بدارة يا للناس من عار
من فرع قيس وأخوالي بنو أسد من أكرم الناس زندي فيهم واري

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : هجا سالم بن دارة بني فزارة ففتك به بعضهم فضربه فقتله فقيل :

.... محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

فذهب مثلاً .

ومنهم ربيعة بن ثعلبة بن رئاب بن الأشتر بن جحوان ، وهو أبو ثور وهو الثبت .

وقال غير الكلبي : ربيعة بن ثور الذي قتل صخر بن[1] عمرو بن الحارث بن الشريد أخا الخنساء وفيه يقول الشاعر :

وصخر بن عمرو بن الشريد كسونه بمنعرج العرفاء ثوباً معصفراً

حدثني علي الأثرم عن أبي عبيدة ، وعن أبي المنذر هشام بن محمد ، وحديث أبي عبيدة أتم الحديثين ، قالا : غزا صخر بن عمرو بني أسد بن خزيمة فأطرد إبلهم ، فركبوا في طلبه حين أتاهم الصريخ ، فلما لحقوه بذات الأثل اقتتلوا اقتتالاً شديداً ، فطعن أبو ثور صخراً في جنبه ، وفات القوم فكان أهله يمرضونه قريباً من حَوْل حتى ملّوه ، فسألت امرأةٌ سلمى امرأة صخر : كيف بعلك ؟ وهو يسمع فقالت : هو لقيّ لاحيّ يرجى ولا ميت ينعى ولقد لقينا منه الأمرّين . فقال صخر :

أرى أمَّ صخرٍ ما تَمَلُّ عوائدي وملّتْ سُليمى مضجعي ومكاني

١ ـ بهامش الأصل : صخر أخو الخنساء .

وما كنت أخشى أن أكون جنازة   عليك ومن يَغْتَرُّ بالحَدَثان
لعمري لقد نَبَّهتِ من كان نائماً   وأسمعت من كانت له أذنان
أَهُمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه   وقد حِيْلَ بين العير والنزوان
فأيّ امرىء ساوى بأُمٍّ حليلةً   فلا عاش إلا في مَقَرٍّ هوان

قال أبو عبيدة ، فلما طال به البلاء ، وتناءت في موضع الجراحة منه قطعة مثل اللبد في جنبه قالوا له لو قَطَعْتَهَا ، وعولج قَطْعُهَا رجونا أن تبرأ . فقال : شأنكم وأشفق عليه بعضهم من ذلك ، فأبى فأخذوا شفرة فقطعوا ذلك المكان فيئس من نفسه فقال :

كأني وقد أدنوا لحزٍّ شفارهم   من الصبر دامي الصفحتين نكيب
فقلت لهم لا تحرقوني فإنني   مقيمٌ مكاني ما أقام عَسِيْبُ

ومات فدفنوه ، ورثته أخته خنساء بالشعر الذي رثته به . ويقال إنه دخلت في لحمه حَلَقٌ من حلق الدرع فاندملت الجراحة ثم انتقضت بعد حين ، فكان ذلك سبب موته . ويقال أصابته دبيلة في بطنة من الطعنة ، ويقال : إن يهودياً رأى جَماله فقال : إني لأحسد العرب على أن يكون فيها مثل هذا فسقاه شربة هاجت عليه ألم الطعنة ونقضت جرحها ، والأول أثبت .

ومنهم : حبيب بن مُطهَّر قتل مع الحسين بن علي عليهما السلام .

والكميت بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر .

وولد نوفل بن فقعس : الحِنْدِمات بن نوفل . ورثاب بن نوفل . وجابر بن نوفل . وعمرو بن نوفل . وعبد مناف بن نوفل .

وولد دثار بن فقعس : وهبان بن دثار . ووهب بن دثار . والأشدّ بن

دثار . منهم جُرَيبة بن الأشيم بن عمرو بن وهب بن دثار الشاعر .

وولد حَذْلَم بن فقعس : عمرو بن حذلم . ووهب بن حذلم .

منهم النظار بن هاشم بن الحارث بن ثعلبة بن وهب الشاعر .

وولد قيس بن طريف : الطّمّاح ، وأمه من بني كاهل . وصحار بن قيس . ووهب بن قيس . وكان الطّمّاح ركب إلى قيصر فمحل عنده بامرىء القيس ولطف حتى أتاه بدهن كان قيصر يَدَّهِنُ به ، فقال : إن ابنتك فلانة بعثت بهذا الدهن إلى امرىء القيس ، وإنه كان يعشقها وكانت تعشقه ، فبعث قيصر إلى امرىء القيس بخلعه مسمومة ، فلما لبسها تقرَّح جلده ، فلذلك قيل له ذو القروح ثم مات من علته ودفن ببلاد الروم . وقال حين أقرحت الخلعة جسده :

لقد طمح الطَّمّاح من بُعْدِ أرضه ليُلْبِسَني مِنْ دائه ما تَلَبَّسَا[1]

وقال الشاعر :

وأَشرافاً من الطماح فاسأل فليسوا للشهادة كاتمينا

فولد الطماح : الحارث بن الطماح . ومنقذ بن الطماح . وعرفطة ، وأمهم فاطمة بنت حبيب بن أسامة بن مالك بن نصر .

وولد أعيا بن طريف : وهب بن أعيا . ومنقذ بن أعيا . ورئاب بن أعيا .

وفي بني أعيا يقول الشاعر :

تقاعس حتى فاته المجد فقعس وأعيا بنو أعيا وضَلَّ المُضَلَّل

وفيهم يقول عمارة بن عقيل بن بلال بن حرب :

---

١ ـ ديوان امرىء القيس ص ١١٨ .

أَعَيًّا بني أعيا إذا قيل أنصفوا   وجبناً إذا ما الحرب دَفَّتْ عُقَابُها[١]
وأنتم بنو أعيا فلم يخطىء اسمه   أبو كم إذا الأسماء صَحَّ انتسابها

وقال غير الكلبي : من بني أعيا بنو قرَّة الذين يقول فيهم الفرزدق :

لولا بنو قرة الأخيار قلت لكم   يا أهل خصْلة بيتاً باقي العار[٢]

قال ومنهم بنو برثن الذين يقول فيهم الشاعر :

لَخَطَّابُ ليلي منكُمُ آل برثنٍ   على الهول أمضى من سُليك المقانب

وولد منقذ بن طريف : مالك بن منقذ ، وهو المضَلَّل ، أرسله أبوه فضلّ وسمي المضلل . وقيس بن منقذ . وعبد الله بن منقذ . والأعرج بن منقذ .

فولد المضلل : خالد بن المضلل ، كان شريفاً وفيه يقول الأسود بن يَعْفر :

وقبلي مات الخالدان كلاهما   عميد بني جحوان وابن المضلل

وولد قيس بن منقذ : بجرة بن قيس . ونكرة بن قيس . وحذيفة بن قيس . ووهب بن قيس . منهم مطير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة الشاعر وابنه الحسين بن مطير . ومنهم :

عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة الشاعر وقد ذكرناه في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وذكرنا أشعاراً له . وقال بعض بني منقذ بن طريف :

أنا ابن أباة الضيم من آل منقذ   فوارسهم والرائسين الجحاجح

---

١ ـ العقاب راية الحرب ، والدفّ : المشي الخفيف . القاموس .
٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

وولد الصَيْداء بن عمرو ، واسمه عمرو : نكرة بن الصيداء . وجذيمة بن الصيداء . ونوفل بن الصيداء . ومعشر بن الصيداء ، وأمهم ابنة قرفة بن عمرو بن عوف بن مازن بن كاهل ، وفي بني الصيداء يقول مساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي[1] :

وإني تـارك الصيـداء حتى تريع حلومُهـا بعد انتشـار
وحتى لا يلوم بنـو قعـينٍ على شي حميت به ذماري
متىٰ أُنْسَـب فـإني فقـعسيٌّ وعمي منقـذ وبنـو دثـار
وعبسيٌّ إذا ما شئتُ يوماً فـإن أَخْـتَرْ فـإني بـالخيـار
وما للمرء مـا يختار يـوماً ولكنْ ما أَحَلَّ من الديار

فولد نُكْرة بن الصيداء : جَسْر بن نكرة . والمجر بن نكرة . وحجر بن نكرة وأمهم عاتكة بنت عامر بن عبد الله بن عمرو بن قعين .

فمن بني جَسْر : عباد بن ثعلبة بن منقذ بن جَسْر بن نُكْرة ، وهو أنف الكلب كان غزا يوماً فأتاهم وهم غارّون غافلون فقالوا : والله لكأنه استنشانا بأنف كلب ، وقد رأس . وزعموا أن ابن أنف الكلب نافَرَ بني فقعس إلى ضمرة بن ضمرة ورشاه فنفَّر بني الصيداء على بني فقعس فزعموا أن تلك أول رشوة كانت في الجاهلية ، وقال غير الكلبي : اسن ابن أنف الكلب خالد بن عباد .

ومنهم : قيس بن مُسْهِر بن خُلَيْد بن جُنْدَب بن منقذ بن جَسْر بن نُكرة بن الصيداء ، كان مع الحسين بن علي عليهما السلام ، وهو كان رسول

١ ـ هو حفيد قيس بن زهير صاحب الحرب بين عبس وفزارة . الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

الحسين إلى أهل الكوفة بكتابه فأخذه به ابن زياد فطرحه من فوق القصر بالكوفة فتقطع .

وولد جذيمة بن الصيداء : عُتْبة بن جذيمة . وصَحَار بن جذيمة . ونُكْرة بن جذيمة .

منهم : **شيخ بن عميرة بن حيّان** بن سراقة بن النتيف وهو مرثد بن حميري بن عُتبة بن جذيمة بن الصيداء ، ويُكنىٰ أبا علي ، وولاه أبو جعفر المنصور فارس ، وولاه جُرجان ، وولي فارس للمهدي أيضاً ومات وقد بلغ مائة سنة ، وله درب في مدينة أبي جعفر ببغداد يعرف بدرب شيخ بن عميرة .

وولد نوفل بن الصيداء : نُكْرَة بن نوفل . وجذيمة بن نوفل . وصحار بن نوفل .

منهم : الحارث بن ورقاء بن سويط بن الحارث بن نكرة بن نوفل بن الصيداء ، الذي مدحه زهير بن أبي سلمى .

ومنهم الصامت بن الأفقم بن الحارث بن نكرة .

وقال غير الكلبي : الأفقم بن منقذ بن كثير الذي قتل ربيعة بن مالك بن جعفر أبا لبيد بن ربيعة يوم ذي علق ، فقال لبيد :

ولا من ربيع المقترين رزئته   بذي علق فاقني حياءك واصبري[1]

وكان بنو عامر بن صعصعة لقوا بني أسد ، وبنو أسد سائرون يقودهم خالد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس ، فَتَشَارُّوا وخرج عليهم أبو براء من غببٍ من الأرض فقال له : يا أبا مَعقل لو شئت أجرتنا وأجرناك

١ ـ ديوان لبيد ص ٤٨ .

حتى ندفن قتلانا ونتحمل ما بيننا . قال : فإني قد فعلت . قال أبو براء مالك بن جعفر : هل أحسستم لي أخي ربيعة بن مالك ؟ فقال خالد بن نضلة : وما سيماه ؟ قال : عليه سراويل يمنية . قال : هو ذاك قتيلاً عند البيضاب . قال : ومن قتله ؟ قال : ضربته أنا وتَمَّمَ عليه صامت بن الأفقم بن منقذ بن جسر بن نكرة .

وقال الشاعر :

نِعْمَ القتيل غداة ذي علقٍ فلا ظفرت يداك قُتِلْتَ يا بن الأفقم
لله درك أي كبش كتيبــة تحت الغبار تركتَ يشرق بالدم

وولد كعب بن عمرو وهو دُبير : وهب بن كعب . وجحوان بن كعب . ونوفل بن كعب . وبنو دبير فصحاء .

منهم : ركاض بن أباق الشاعر الذي يقول :

يا عُرْوَ كَمْ من جرابٍ جئت تحمله ودهنة ريحها يُعْطِي علىٰ النَّقَلِ
قد ساقها الله حتى كنت صاحبها يا عُرْوَ ياليته أو كنت لم تُبَل

ويقول :

أمؤثرةُ الرجال عليك حُبَّىٰ ولم تؤثر على حُبَّىٰ النساءَ
فلو كانت بِسُوسِ البحر حُبَّىٰ صـدرنا عـن شرائعـه ظِمَاءَ

وأُدخل ركّاض على أمير المؤمنين هارون الرشيد وهو ابن سبع سنين فوضع بين يديه دنانير ودراهم وقال : أيهما أَحَبُّ إليك ؟ فقال : أمير المؤمنين أحبُّ إليّ منهما .

وأخته أم البهلول قريبة بنت أباق ، وقد كتب عنها الفراء النحوي ، ومحمد بن الأعرابي والناس ، فكانت فصيحة وهي التي تقول :

ما لقىٰ الناس من الفرّاء يحُور في النحو إلى وراء
قد ترك الناس على عوجاء

ولبني دبير رجز وشعر . وقال شاعر منهم :

أنَجْعَلُ فقعساً كبني دبير معاذ الله ذلك أن يكونا
حللنا فوقهم شرفاً بعيداً وَحَلُّوا تحتنا شرفاً شعينا[1]

وولد نصر بن قعين : مالك بن نصر . وعمير بن نصر . وعمرو بن نصر . ونمير بن نصر . وذؤيبة بن نصر . وأسامة بن نصر .

فولد مالك بن نصر : جذيمة بن مالك . وطريف بن مالك . وعبدالله بن مالك . وأسامة بن مالك . وضبيس بن مالك . وحرقوص بن مالك . والحارث بن مالك . وكعب بن مالك ، وأمهم العَدَان بنت رأس الحجر الجرمي ، بها يعرفون .

فمن بني طريف بن مالك : عامر بن عبدالله بن طريف الأبرص ، حامل لواء بني أسد في الجاهلية ، ونهيك بن نضلة بن الأبرص بن جابر وله يقول الشاعر :

نُهَيكٌ كان أنهك للأعادي ونَضْلَةَ كان أعطىٰ للمخاض

وولد أسامة بن مالك : حَبيب بن أسامة .

فولد حَبيب : شجْنَة بن حبيب . وسعد بن حبيب . وطثر بن حبيب . وجابر بن حبيب . ومِعْيَر بن حبيب .

فمن بني شجْنة : منظور بن قيس بن نوفل بن جابر بن شجنة ، وابنه محمد بن منظور ويكنىٰ أبا الصباح ، ولي شرطة الكوفة أيام عمر بن هبيرة

١ ـ الشعن : ما تناثر من ورق العشب بعد يبسه . القاموس .

للصقر المرّي . وابنه العلاء بن محمد بن منظور ولي شرطة الكوفة أيضاً .

ومنهم عبد الرحمن بن قيس بن نوفل ولي شرط مصعب بن الزبير . وقيس بن أهبان بن جابر بن شجنة بن نوفل بن جابر ولهم يقول زيد الخيل الطائي[1] :

ألا أبلغ الأقياسَ قيسَ بن نوفلٍ وقيسَ بن أُهبان وقيسَ بن جابر
فردّوا إلينا ما بقىٰ من نسائنا وابنائنا واستمتعوا بالأباعر

وكانت الحَلال بنت قيس بن نوفل عند الزبير بن العوّام ، فولدت له جارية .

ومنهم : الأبّار بن أُبيّ بن نَضْلة بن جابر كان شريفاً .

وقال أبو اليقظان : كان أُبيّ بن الأبّاء من أشراف أهل الكوفة أيام الحجاج .

وولد جَذيمة بن مالك بن نصر : سعد بن جذيمة . وأسعد بن جذيمة . وسعيد بن جذيمة . وعامر بن جذيمة . وطريف بن جذيمة . وعبد العزىٰ بن جذيمة . وكعب بن جذيمة . وعرعرة بن جذيمة . ومُرَيْط بن جذيمة . وحبيب بن جذيمة ، ولبني جذيمة يقول النابغة :

وبنو جذيمة حَيُّ صِدْقٍ سادةٌ غلبوا على خُبْثٍ إلى تَعْشَار[2]

ومنهم : عوف بن عبدالله بن عامر بن جذيمة ، عقد الحلف بين أسد وطيء وقد رأس .

١ ـ كان زيد الخيل فارساً مغواراً ، مظفر شجاعاً ، بعيد الصيت في الجاهلية ، وأدرك الاسلام ، ووفد إلى النبي ﷺ ولقيه وسرّ به وقرظه ، وسماه زيد الخير . الأغاني ج ١٧ ص ٢٤٥ .

٢ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ٦٠ .

ومنهم : ذُؤاب بن ربيعة بن عُبيد بن أسعد بن جذيمة بن مالك بن نصر قاتلُ عتيبة بن الحارث بن شهاب التميمي ثم اليربوعي ، وغير الكلبي يقول دؤاب ـ بالدال غير معجمة ـ بن ربيعة وقول الكلبي أصح .

قالوا : خرج بنو ثعلبة بن يربوع منتجعين في أرض بني أسد حتى إذا كانوا بخوّ[1] أغارت طوائف من بني أسد عليهم ، فاكتسحوا إبلهم ، فركب بنو ثعلبة في آثارهم ، ولم يركب عتيبة لرؤيا رآها في منامه هالته ، ثم لن تُقِرُّهُ نفسه حتى لحقهم وهم يقتتلون ، فحمل عليهم وهو على فرس له حصان ، وكان ذؤاب على فرس له أنثى ، فجعل فرس عتيبة يتبع فرس ذؤاب منتشياً لريحها في الليل حتى هجم به على ذؤاب ، فطعنه ذؤاب في ثغرة نحره ، ويقال في سرَّته فخر صريعاً ومات في وقته ، وليس يدرون من قتله ، وشد ربيع بن عتيبة على ذؤاب وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ومعه نفر ، فأسروا ذؤاباً واستنقذت الإبل ، وأتى أبو ذؤاب بني يربوع ففارقهم في فدائه على إبل معلومة يأتي بها سوق عكاظ ، ويأتون بذؤاب ، فأحضر أبو ذؤاب الإبل ولم يحضر بنو يربوع ذؤاباً لأن الربيع بن عتيبة شُغل عن ذلك ببعض أمره ، فساء ظن أبيه وخاف أن يكون قد قُتل ، وقد كان ذؤاب حين أتى أبوه لفدائه أول مرة أعلمه أنه قاتل عتيبة فقال يرثيه حين انصرف من عكاظ في كلمة يقول فيها :

ولقد علمتُ على التجلد والأسىٰ ... أن الرزيَّة مثل رُزء ذؤاب
أن يقتلوكَ فقد هتكتَ بيوتهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب
بـأحبهم فقداً إلى أعـدائـه ... وأعزهم فقداً على الأصحاب

١ـ خو : واد في ديار بني أسد يفرغ ماؤه في ذي العشيرة . معجم البلدان .

أهوىٰ له تحت الظلام بطعنة والخيل تردى في القتام الكابي
أذؤاب صابَ على صداك فجاده نَوْءُ الربيـع بوابـلٍ سَكَّابِ

فسمع قوم هذا الشعر، فنقلوه إلى بني يربوع فثاروا علىٰ ذؤاب وجعلوا يلهزونه بقباع سيوفهم، وقال الربيع: أنا مُعيل، وركن إلى أخذ الفداء فأعطوه إبلًا من إبلهم خاصة، وأسلم ذؤاباً فقتله الحليس بن عتيبة. ويقال بل سألهم الربيع فقال: دعوني اقتله فإنما تريدون قتله، فأذنوا له فيه ـ وهذا أثبت ـ فقتله بيده وأخذ الإبل، وكان الحليس قتل من بني أسد يوم خوٍّ سبعة نفر فقال الحصين بن القعقاع بن معبد بن زرارة:

بَكَرَ النَّعِيُّ بخير خَنْدَفَ كلها بعتيبةِ بن الحارثِ بنِ شهاب
قتلوا ذؤاباً بعد مقتل سبعةٍ فشفىٰ الغليلَ ورَيْبَةَ المرتاب
يوم الحليس بذي الفقار كأنه كلب بِضَرْبِ جماجم ورقاب
وذكرتُ نُدْمَاني عتيبة بعدما عصبت رؤوس نسائه بسلاب
المشتري حُسْنَ الثناء بمـاله والباذِل الجفنات للأصحاب

وقال مالك بن نويرة:

فإن يقتلوا منا كريماً فـإننا ذوو الخيل إذ نخبطكم بالحوافر
أقول وقد جَلَّت رزيّة قومه فدىً للحليس خالتَيْ أي ثائر
أزار ذؤاباً حتفه غير مُشْفقٍ عليه ولم ينظر سياق الأباعر
لعمرك ما تنسىٰ تميم عقيدها وفارسها أُخرىٰ الليالى الغوائر

ومنهم: ذو الخمار، وهو عوذ بن ربيع بن سماعة ـ وهو ذو الخمار، كان بجهته وضح، فكان يغطيه بخمار، وقومه يقولون أصاب خماراً من قوم غزوهم فكان يلبسه ـ ابن حارثة بن ساعدة بن جذيمة وهم أشراف بالجزيرة.

ومنهم عقبة بن هبيرة بن فروة بن عمرو بن عبيد بن أسعد بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين الشاعر الذي يقول :

فَهَبْهَا أمةً هلكت ضياعاً يزيد يسوسها وأبو يزيد

وله في كتابنا ذكر متقدم ، وكان عاصم بن أبي النَجود ، واسم أبي النجود بَهْدلة مولى جذيمة بن مالك .

وولد أسامة بن نصر : عمير بن أسامة . وعمرو بن أسامة . ونمير بن أسامة . وذؤيبة بن أسامة . وحارثة بن أسامة . وبجير بن أسامة .

منهم أبو سَمّال ، وهو سمعان بن هبيرة بن مساحق بن بجير ، وكان شريفاً شاعراً .

وقال غير الكلبي : اسم أبي سَمّال البراء بن سمعان .

وشهد أبو سمال القادسية وكان سيداً من ساداتهم يومئذٍ ، وكان يشرب الخمر في شهر رمضان مع النجاشي الحارثي ، فَحُدَّ وذلك حين يقول النجاشي :

ضربوني ثم قالوا قدر قدر الله لهم شر قَدَرْ

وقال أبو اليقظان : حضر أبو سمال طعام عبيدالله بن زياد وهو مُسنّ ، فقال له يوماً : ابعث إليّ بخبازك يهيىء لي طعاماً ففعل فلما أتاه الخباز أقعده عند التنور ولم يعطه دقيقاً ولا شيئاً يصنعه ، ودعا قومه ثم قال للخباز : غدِّنا . فقال : والله ما أعطيتني شيئاً أعمل منه غداء فقال : لو كان عندنا دقيق أو لحم أو تابل لكفتنا أم سمال، فبلغ الخبر ابن زياد فأعطاه مالاً وأمر له بدقيق وما يصلحه ، وقال : ادع قومك . فقال الناس : أَفْرَغُ من خباز أبي سمال ، وأَفْقَرُ من خباز أبي سمال .

قال : وكان أبو سمال عظيم الأنف ، فقال : لقد حضر القادسية من بني أسد سبعون رجلاً كلهم أعظم أنفاً مني .

وكانت أم واصل بن حيان الأحدب الأسدي أحد بني سعد بن الحارث بن ثعلبة الفقيه من ولد أبي سمال ، ومات واصل في سنة عشرين ومائة .

وقال أبو اليقظان : كان من ولد أبي سمال عبدالله النجاشي ، ولي الأهواز لأبي جعفر المنصور ، وكان رافضياً غالياً ، وولي ابنه محمد بن عبدالله اصطخر .

ومن بني أسامة : خالد بن الأَبَحّ بن عبدالله بن الحارث بن نمير بن أسامة ، وكان رئيس بني أسد يوم قتل بدر بن عمرو الفزاري ، وكانت بنو أسد أغارت على بني فزارة وقوم من غطفان ، فركب بدر بن عمرو بن جُوَيَّة في غطفان ، فغزا بني أسد في بلادهم فواقعهم بناحية منها فقُتل بدر بن عمرو بن جُوَيّة وفُضَّ جَمْعُه ، وكان الذي قتله أنس بن مساحق بن بجير بن أسامة .

وقال غير الكلبي : قتله ابن الأبح نفسه .

وقال أبو اليقظان : قُتل بالحِجْر فقال الشاعر منهم :

هَلاَّ سألتِ وأنتِ سائلةٌ فَتُخَبَّرِي بمواقع الحِجْرِ
عنا وعن غَطَفَان إذ حسروا في ملتقى الخيلين عن بَدْرِ

ومنهم ربيع بن هبيرة بن مساحق ، كان من رؤساء بني أسد يوم القادسية .

ومنهم قبيصة بن بُرْمة بن معاوية بن أبي سفيان بن منقذ بن وهب بن

عمير بن أسامة بن نصر كان سيداً .

وجرَّاح بن سنان الذي وجأ الحسن بن علي في مظلم ساباط ، وقد كتبنا خبره .

وولد نصر بن أسامة : الحارث . ومالكاً ، ويقال لمالك : عقدة ، وهم في بني تغلب .

ومن بني نصر : بنو ذؤيبة ، قتلوا مع طليحة بن خويلد في الردة ، وكانوا ثلاثين فقال الحطيئة :

فباست بني عبس وافناء طيِّءٍ وباست بني دودان حاشىٰ بني نصر[1]

ومن بني نصر : عوف بن عبدالله بن عامر رئيس بني أسد يوم النسار[2] حين قاتلت تميم وعامراً بني أسد ، والرباب ، وبني ذبيان بسبب غارات بني تميم على الرباب : ضَبَّة وغيرها وهم عمومتهم ، ويقال إن رئيسهم كان خالد المهزول الأسدي ، فاستحرّ القتل ببني عامر ، وانهزمت تميم ، ثم كان يوم الجفار بعده فصبرت تميم وغضبت فقال بشر :

غضبتْ تميم أن تُقَتَّلَ عامرٌ يوم النسار فأعتبوا بالصَّيْلَم[3]

وولد والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان : ذؤيبة . وأسامة . ونمير . وأُرَيْل .

فولد ذؤيبة : مالك بن ذؤيبة . وعامر بن ذؤيبة . وبروان بن ذؤيبة .

فولد مالك : أبا سود . وأريل بن مالك . وكعب بن مالك .

١ ـ ديوان الحطيئة ص ١٤٢ .

٢ ـ قيل النسار ماء لبني عامر بن صعصعة ، وقال بعضهم : النسار جبل في ناحية حمى ضرية . معجم البلدان .

٣ ـ ديوان بشر بن أبي حازم الأسدي ـ ط . دمشق ١٩٧٢ ص ١٨٠ .

منهم : حمل . والأخثم . وزياد بنو مالك بن جنادة بن سفيان بن وهب بن كعب شهدوا القادسية ، وقيل حمل بنهاوند مع النعمان بن مقرن المزني .

وأبو هَيّاج وهو عمرو بن مالك بن جنادة ، وجعله عمر بن الخطاب على خطط الكوفة .

وقال أبو اليقظان : ولي أبو هياج الري أيام ابن الزبير ، وإيّاه عنى ابن همام حين قال :

والوالبي الذي مِهران أَمَّرَهُ قد زال مهران مذموماً ولم يزل

ومهران مولى زياد ، وكان وسيلة أبي الهياج ، وكان عظيم المنزلة من عبيدالله بن زياد .

ومنهم : بشر بن غالب بن مالك بن ربيع بن كعب بن جنادة بن سفيان ، كان صبيحاً فصيحاً ، وكان على شرطة مصعب ، وجهه الحجاج إلى شبيب الخارجي فقله شبيب ، وكان شريفاً .

وقال الشاعر :

بكتْ دار بشرٍ شجوها أنْ تبدلتْ هلال بن مرزوق بتيس بن غالب
وهل هي إلا مثل عرس تنقَّلَتْ على رغمها من هاشم في محارب

وقدّ بن مالك بن حَبيب بن ربيع بن كعب بن أَرَيل بن ذؤيبة الذي ذكره النابغة فقال :

ولـرهط حَرَّابٍ وقـدٍّ سُورةٌ في البرّ ليس غرابها بمطار[1]

وقال الكميت :

١ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ٥٩ مع فوراق .

وعوفٌ وحرّابٌ وقدٌّ بن مالك   وحيّة والأقياس ألوية الحرب

وحرّاب بن زهير بن مالك بن هتيم بن عَتْيَر بن بروان بن ذؤيبة .

والموقد وهو عامر بن حَرْبَش وهو الثبت ، ويقال حَرِيش بن نمير بن والبة . وحرملة بن الكاهل بن الجزار بن سلمة بن المُوْقِد الذي قتل عباس بن علي بن أبي طالب مع الحسين عليهم السلام . وسمي المُوقد لأنه كان يوقد لأضيافٍ ناراً وهو الذي يقول :

وأوقد للضيوف النار حتى   أفوز بهم إذا قصدوا لناري

وما إن لامني أحد لبخلٍ   ولا دَنَّسْتُ أثوابي بعار

وقال بعضهم : كان يسعىٰ بالنميمة بين الناس فيوقد الشر بينهم .

وشُتير بن خالد بن رِزام بن عوف بن عامر بن ذؤيبة الذي يقول له الشاعر :

وتنسىٰ مصاداً أو شتير بن خالد   وتترك من أمسى مقيماً بضلفعا

وقال أبو عبيدة : قيل هذا في شتير بن خالد بن نفيل بن عمرو بن كلاب ، قال : والبيت :

أتنسىٰ مصاداً والشتير بن خالد   ....

قتله ضرار الضبي .

ومنهم : مخزوم بن ضَبّا بن مخزوم بن أسامة بن نمير الذي يقول له بشر بن أبي خازم :

فمن يَكُ من قتل ابن ضَبَّاءَ ساخراً   فقد كان في قتل ابن ضَبَّاء مُسْخَر[1]

قالوا : أغارت خيل لبني أسد بن خزيمة على بني أبي بكر بن كلاب ،

١ ـ ديوان بشر بن أبي خازم ص ٨٥ .

فقتل ابن ضَبَّاء الوالبي برثن بن أبي ربيعة بن عبد بن أبي بكر بن كلاب ، واطرد بنو أسد النَّعَم وبنو كلاب بتُرْبة[1] ، فركب كعب بن أبي ربيعة أخو برثن فاستغاث ببني كلاب واستنصرهم ، فركبت بنو كلاب معه وليس فيهم من بني أبي بكر بن كلاب غير بني عبد بن أبي بكر بن كلاب فلم يلبثوا أن أدركوهم فأخذوا ابن ضباء قاتل برثن فدفعوه إلى أبي ربيعة بن عبد ، ويقال دفعوه إلى ربيعة بن عمرو بن عبد فضربه حتى ظن أنه قد قتله ثم اقلع عنه وبه رمق ، وولت الخيل فأفاق ابن ضباء فلحق بقومه ، ثم أتى بني جعفر بن كلاب فأقام فيهم مجاوراً لهم فأجاروه وقالوا له : قد نال القوم ثأرهم منك ولكنك حييت وعجزوا ، فمكث سنة ، ثم إن الناس حضروا تُرْبة ، فنزل بنو جعفر وعبدالله ابني كلاب أسفل من تربة ، وكان في بني جعفر صهرهم مالك بن ربيعة بن عبدالله بن أبي بكر بن كلاب ، فأتاه كعب أخو برثن فسأله أن يدلّه على عورة ابن ضباء وغُرَّتَهُ ففعل ، ويقال ان الذي دله على ذلك جدار بن عامر بن كعب بن كلاب ، فانتظر كعب الفرصة من ابن ضباء حتى أمكنته وهو يلوط حوضاً فطعنه فشكّ جنبه فخر في الحوض ، ولحق كعب بقومه. فلما علم بنو جعفر بقتل ابن ضباء حزبوا وتجمعوا فأتاهم مالك بن ربيعة بن أبي عبدالله بن أبي بكر فقال : إنما قتل كعبٌ ثاره وأنا أديه أربعين من الإبل ، وهذا ابني قحافة رهينة بها . وبلغ عوف بن الأحوص بن جعفر خبر ابن ضباء ، وكان غازياً ، فرجع عَوْدُهُ على بِدْئِهِ ، فأخذ ربيعة بن كعب بن عبد بن أبي بكر ، فقال مالك بن ربيعة صهر بني جعفر : يا بني جعفر معكم أسيران ، أسير حرب . وأسير سلم فاختاروا أيهما شئتم فقالوا :

١ ـ تربة : واد بالقرب من مكة ، على مسافة يومين منها . معجم البلدان .

نختار أسير السلم فأخذوا قحافة ، وتركوا ربيعة بن كعب بن عبد حتى أدّىٰ أبوه إليهم أربعين بعيراً ، وبعث بنو جعفر الأربعين إلى بني ضباء ، فلما ساروا بها عرض لهم بنو عبد بن أبي بكر فانتزعوها فقال بشر بن أبي خازم :

لعمرك ما اضطرّ ابن ضَبَّاء في النوىٰ حساءٌ وروضٌ بالقنان منوَّر
وستةِ آلاف بِحُرّ بلاده تثير الحصىٰ ملبونة[1] وتُضَمَّر
دعا عتبةً جار الثبور وغرَّه أَجَمُّ خَدُورٌ يتبع الضأن جَيْدَر

كبش أَجَمْ : لا قرن له . والخدور : البطيء الثقيل المتخلف من الخدر .

سمين القفا شبعان تربض حجره حديث الخُصَىٰ وارم العَفْل مُعْبَر

المعبر الذي جاوز الهرم وكبر السن ، والعفل ما بين الخصىٰ والأست .

وفي صدره رمح كأن كُعُوبَهُ نوىٰ القَسْب عَراض المهزَّةِ أسمر
حباكَ به مولاكَ عن ظهر بغضةٍ وطوَّقَها طوق الحمامة جعفر
تظل النساء المفلتات عشية يَقُلْنَ أَلَا يُلقىٰ علىٰ المرء مئزر[2]

والعرب من الجاهلية كانوا يقولون : إن المرأة التي لا يعيش لها ولد والتي لا تلد إذا رأت قتيلاً مظلوماً أو شريفاً فوطئته ودارت حوله عاش ولدها وولدت ، قال : فكان هذا عُريان قد سلب .

ومنهم ثوب بن تُلْدة عمّر في الجاهلية دهراً ، ثم أدرك الإسلام ، فقال له معاوية : ما تَعْقِل ؟ قال أعقل بني والبة ثلاث مرات يعني قرناً بعد قرن .

ومنهم بشر بن أبي خازم الشاعر ، واسم أبي خازم عمرو بن عوف بن

---

١ ـ بهامش الأصل : ملبونة : تسقى اللبن .

٢ ـ ديوان بشر بن أبي خازم ص ٨٥ ـ ٨٩ مع فوارق .

حميري بن ناشرة بن اسامة بن والبة .

وولد سعد بن الحارث بن ثعلبة : نَهْد بن سعد . وسهم بن سعد . وعامر بن سعد . وكعب بن سعد . وربيعة بن سعد . وحنظلة بن سعد . والعوّام بن سعد .

فولد نهد بن سعد : كعب بن نهد . وعتبة بن نهد . وبِرْباط بن نهد . ومَذْحي بن نهد .

فمن بني كعب بن نهد : سالم بن وابصة بن عتبة بن قيس بن كَعب بن نهد الشاعر الذي يقول في محمد بن مروان يمدحه :

لا يجعلنّ مؤنثاً ذا سُرَّةٍ ضخماً سرادقه عظيم الموكب
كأغرَّ يتخذ السيوف سرادقاً يمشي برايته كمشي الأنكب

وقد ذكرناه في خبر مقتل مصعب بن الزبير .

وعقبة بن مرثد بن دُبير بن عبيدالله بن عبدالله بن كعب بن نهد الشاعر .

وولد سعد بن ثعلبة بن دودان : الحارث وهو الحلاف . ومالك بن سعد .

فولد الحارث بن سعد : مالك بن الحارث . وضنَّة بن الحارث . ومرّة بن الحارث . وجشم بن الحارث . وسَوْءَة بن الحارث . وغَنْم بن الحارث .

فمن بني جشم بن الحارث أبو حَصِين الفقيه ، وهو عثمان بن عاصم بن حصين ، وهم في بني مرة بن الحارث بن سعد من بني أسد ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة بالكوفة .

فولد مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة : هرّ بن مالك . وذؤيبة بن مالك . فولد هر بن مالك : عامر بن هر . ورئاب بن هر .

فولد عامر بن هر : جشم بن عامر . وخَدَّان .

فولد جشم ، الأبرص ، وهو أبو عَبيد بن الأبرص الشاعر الذي يقول لامرىء القيس بن حجر الكندي :

يـا ذا المخـوِّفَنـا بقتـ ـتـل أبيـه إذلالاً وجبنـا
هـلَّا سـألتَ جمـوع كنـ ـدة إذ تـولُّوا أَيْنَ أيْنـا[1]

قالوا : كان حجر بن الحارث أبو امرىء القيس علىٰ بني أسد ، فكان يأخذ من كل رجل منهم في كل سنة جَزَّتي شَعْر ، وجَزَّتي صُوف ، ونحيين من سمن وأَقَط وكبشاً ، يستعين بذلك في مروءته ، فمكث بذلك حيناً ، ثم إنه بعث إليهم جابيه فمنعوه ذلك وضربوا رسله وهو يومئذ بتهامة ، فسار إليهم حجر بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة فجعل يأخذ سرواتهم فيقتلهم بالعِصيّ ، فَسُمُّوا عبيد العصا ، وأباح أموالهم وسيرهم من تهامة ، وآلىٰ أن لا يساكنهم في بلد ، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كلدة بن مرارة الأسدي وكان سيداً ، وعَبيد بن الأبرص ، ثم ردَّهم فيقال أن ذلك لإنشاد عبيد إياه قصيدته التي يقول فيها :

حِـلّاً أَبَيْتَ الـلعنَ حِـلّا إنَّ فـيـما قـلتَ آمَـهْ[2]
أنـتَ المـليـكُ عـليـهـمُ وهم العبيـد إلى القيامـة[3]

---

١ ـ ديوان عبيد بن الأبرص ـ ط . دار صادر بيروت ص ١٤١ ـ ١٤٢ .
٢ ـ الحل ما يكفر عن اليمين ، والآمه : العيب .
٣ ـ ديوان عبيد ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

ثم انهم صبحوا عسكر حجر وهو غافل وعمدوا إلى قبتّه فطعنه علباء بن الحارث بن حارثة الكاهلي من بني أسد ، وكان حجر قتل أباه ، ضربه بعكاز فأصاب نسأه فمات ، فلما قتل قالت بنو أسد : يا بني كنانة قد عرفتم سوء سيرته فينا ، فانتهبوا ماله وشَدُّوا على هجائنه فمزقوها ولفوه في ريطة بيضاء ، ثم طرحوه علىٰ الطريق ، ووثب عمرو بن مسعود فضمَّ عياله إليه وقال : أنا جار لهم .

واستنصر امرؤ القيس بكر بن وائل فأجابوه ، وأتىٰ الخبر بني أسد فهربوا وجاؤوا إلى بني كنانة بليل ، ثم خرجوا عنهم فطرق امرؤ القيس بني كنانة وهو يظن أنهم من بني أسد فوضع فيهم السلاح وقال : يا لثارات حجر فقالوا : أبيْت اللعن لسنا بثأرك ، نحن بنو كنانة وقد خرج بنو أسد عنا فقال امرؤ القيس :

يا لَهْفَ نفسي إذ خطئن كاهلا القـاتلين الملك الحـلاحـلا[1]

تالله لا يذهب شيخي باطلا

وقال أيضاً :

ألا يالهف نفسي إثر قـوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقـاهُمْ جـدهم ببني أبيهـم وبالأشقَيْنَ ما كان العقـاب

وأدركهُنَّ علبـاء جـريضــاً ولو أُدْرَكْتَهُ صَفر الوطاب[2]

ثم إنه أتىٰ بني أسد ، فحاربهم فقتل فيهم مقتلة عظيمة . وعبيد الذي يقول في يوم الجفار :

١ ـ ديوان امرىء القيس ص ١٥٠ .
٢ ـ ديوان امرىء القيس ص ٧٨ .

ولقـد أتاني عن تميم أنهم ذئروا لقتلى عامر وتغضبـوا
رغم لَعَمْرو أبيك عندي هيّنٌ ولقد يهون عليَّ ألا يعتبوا[١]

وكان امرؤ القيس خرج إلى قيصر ليستنصره على بني أسد ليبيدهم فقتل هناك ودفن بأنقرة .

وزعموا أن ملك الحيرة آلىٰ ألا يلقىٰ رجلًا في مخرج خرجه لنزهته إلّا قتله ، فلقي عبيداً فقال له : أنشدني قصيدتك التي تقول فيها :

أقفــر من أهـله ملحــوب ....

وقال :

أقـفــر من أهـله عـبـيـد فليس يُبْـدي ولا يُعيـد[٢]

ومن ولد عبيد بن الأبرص : بدر بن دِثار بن ربيعة بن عبيد بن الأبرص كان فقيها .

وولد خَدّان بن عامر : معاوية بن خَدّان . وشبيب بن خدان . وتقيّة بن خدان ، وهم الذين أكبوا على حجر بن الحارث ليمنعوه من القتل .

وولد رئاب بن هر : ربيعة .

فولد ربيعة : سويد بن ربيعة وهو أبو جبيلة ، وقد رأس . وثعلبة بن ربيعة بن رئاب .

فولد ثعلبة : عوسجة أبا مسلم بن عوسجة الذي قتل مع الحسين بن علي بالطفّ .

---

١ ـ ديوان عبيد ص ٣٥ مع فوارق .
٢ ـ ديوان عبيد ص ٢١ .

وولد ذؤيبة بن مالك : ثعلبة .

فولد ثعلبة : عُبيد بن ثعلبة وهو أبوبلي جد عمرو بن شاس بن أبي بلي الشاعر ، وهو عبيد بن ثعلبة بن ذؤيبة بن مالك بن الحارث بن ثعلبة ، وكان عمرو بن شاس شاعراً .

وولد مرة بن الحارث بن سعد : حُذار بن مرة . وزيد بن مرة . وقنفذ بن مرة . وربيعة بن مرة . ورفاعة بن مرة .

فولد حذار بن مرة : ربيعة بن حذار ، وربيعة هو الكاهن وكان يُتنافر إليه فتنافر اليه خالد بن مالك بن ربعي النهشلي والقعقاع بن معبد بن زرارة ، ففضل القعقاع ، وهو الذي ذكره النابغة فقال :

رهط ابن كوز محقبوا أدراعهم فيها ورهط ربيعة بن حذار[1]

وعميرة بن حذار .

فولد عميرة : الحارث وشريح بن عميرة .

وولد ربيعة بن حذار : مالك بن ربيعة .

منهم : قيس بن الربيع بن الحارث بن قيس الكوفي الفقيه .

وأسلم الحارث بن قيس بن الربيع وعنده سبع نسوة فقيل له إنه لا يحل لمسلم إلا أربع نسوة فقال لنسوته : أقبِلنَ فأقبلنَ ، قال : أدبِرنَ فأدبَرنَ ليختار منهن من يمسكه فجعلت كل امرأة منهن تقول له : أنشدك الله والصحبة والحرمة لما لم تجعلني ممن تعتزل ، فأمسك أربعاً وترك ثلاثاً ، وكانت الأربع بنات عمومته ، وكان ممن أمسكَ جدة قيس بن الربيع ، وكان قيس بن الربيع يكنى أبا محمد ، ومات سنة ثمان وستين ومائة .

١ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ٥٩ .

وقبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة بن جُذار بن مرة بن الحارث بن سعد بن ثعلبة .

حدثني محمد بن سعد عن محمد بن قيس بن الربيع عن أبيه قال : مات قبيصة بن جابر قبل الجماجم ، قال وروى عن عمر[1] .

ومن ولد قبيصة بن جابر : المليس ، ووَردان . وفاطمة أم الربيع أبي قيس بن الربيع الفقيه .

وولد سُوَاءةَ بن الحارث بن سعد : غَنْم بن سُوَاءة . ومالك بن سواءة . فولد غنم : محلم بن غنم . وحُدّان بن غنم.وحميري بن غنم .

فولد محلم : عبد ثبير .

قال هشام بن محمد الكلبي: أخبرني أبي قال:لقيت ابن عبد ثبير فقال : وُلِدَ أبي في أصل ثبير[2] في الجاهلية فسمي عبد ثبير .

فمن ولده : **المرقع بن قُمامة** بن خويلد بن عصُم بن أوس بن عبد ثبير ، أصابته جراحة مع الحسين بن علي فمات منها بعد بالكوفة .

وولد مالك بن سعد بن ثعلبة : سبيع بن مالك . وعَمرو بن مالك . وشريح بن مالك . وحمحمة بن مالك . وعباد بن مالك .

فولد عمرو بن مالك : الحارث .

منهم : الكميت بن زيد بن الأخنس بن زيد بن مجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث بن عامر بن عمرو بن مالك بن سعد بن ثعلبة الشاعر الشيعي .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٤٥ .

٢ ـ ثبير : من أعظم جبال مكة . معجم البلدان .

ومنهم : مرداس بن خِذام الشاعر . والجُلَيح وهو ربيعة بن أسلم بن عمرو بن مالك بن سعد بن ثعلبة .

ومنهم سنان بن معشر بن هرّ بن ظالم بن مخزوم بن عمرو بن مالك .

وولد مالك بن ثعلبة بن دودان : غاضرة بن مالك . وعمرو بن مالك ، وأمهما أم خارجة عمرة البجلية .

وثعلبة بن مالك . وسعد بن مالك ، وأمهما البارقية .

ومالك بن مالك وهم بنو الزنيَّة ، وأمه سلمى بنت مالك بن غَنْم بن دودان ، وفدوا إلى النبي ﷺ ، وكانت سلمى تحت سعد بن زيد مناة بن تميم هي والناقمية رقاش بنت عامر وهو الناقم بن جَدّان بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، فلحقتا بقومهما وكل واحدة في شهرها توقع أن تلد ، فتزوج سلمىٰ مالك بن ثعلبة ،فولدت مالك بن مالك على فراشه ، وتزوج الناقمية معاوية بن بكر،فولدت صعصعة على فراشه،فجعلت سلمى ترقّصُ مالك بن مالك ابنها وتقول :

بأبي زنيتيٍّ ، فديت زنيتي .

فسمِّي الزنية . فوفد حضرمي بن عامر أحد بني الزنية في نفر منهم على رسول الله ﷺ فقال: «من أنتم؟ قالوا: من بني أسد من بني الزنية. فقال : أنتم بنو الرِشْدة ، وقال لحضرمي : أتقرأ شيئاً من القرآن ؟ فقرأ : ﴿سبحّ اسم ربك الأعلى ﴾ الذي خلق فسوَّىٰ ﴾ والذي قدَّر فهدىٰ ﴾ والذي﴾[1] امتنّ على الحبلىٰ فأخرج منها نسمة تسعىٰ من بين شَغَافٍ وحَشَىٰ . فقال النبي ﷺ : «لا تزد فيها فإنها شافية كافية» .

---

١ ـ سورة الأعلى ـ الآيات : ١ ـ ٤ .

فولد مالك بن مالك : القين بن مالك . وكعب بن مالك . وحُبى بن مالك . وسعد بن مالك . وربيعة بن مالك .

فولد القين : كعب بن القين . ومالك بن القين . وحبيب بن القين .

فولد كعب : زفر بن كعب . وعدي بن كعب . وضب بن كعب .

فولد ضب : همّام بن ضب ، وجشم بن ضب . فولد همّام : مَوَاءَلَة . فولد مَوَاءلَة : كوز بن مَوَاءِلَة . وعامر بن مَوَاءلَة . ومجمّع بن مَوَاءلة . وصخر بن مَوَاءلَة . وزيد بن مَوَاءلة . وغريب بن مَوَاءلَة . وجبيل بن مَوَاءلة . ومخاشن بن مَوَاءلة .

منهم يزيد بن حذيفة بن كوز بن مواءلة كان شريفاً ، وقال النابغة :

رهط ابن كوز مُحْقِبُوا أدراعهم فيها ورهط ربيعة بن حُذار

ومنهم حضرمي بن عامر بن مجمّع بن مَوَاءلَة الشاعر الوافد على النبي ﷺ .

قال أبو اليقظان : أسر بنو سليط بن يربوع حضرمي بن عاقر وَمَنُّوا عليه ، وفي ذلك يقول جرير :

وبالحكميّ ثم بحضرميّ وما بالخيل يومئذ صدود[1]

قال : وحضرمي القائل :

أهلكت جندك من صديقك فالتمس جنداً تُجَمِّعهم من الأوغاب

مازال معروفاً لعمِرك فيهم منع الحقوق وكثرة الألقاب

حتى تُركت كأنَّ صوتَك فيهم في كل حازنة طنينَ ذباب

فاعمد إلى سعد الهذيم فَسُدْهُمُ أَوْ سُدْ عليها عندك ابن جناب

١ ـ ليس بديوان جرير المطبوع .

وهلك إخوة له فورثهم ، فقال رجل من بني أسد يقال له جَزْء : قد فرح بموتهم إذْ ورثهم فقال حضرمي :

قد قال جَزْءٌ ولم يقل أَمَماً ... إني تزوجت ناعما جَدلاً
إن كنت أزننتني بها كذباً ... جَزْءٌ فلاقيت مثلها عجلا
أفرحُ ان أرْزأ الكرام وان ... أورث ذوداً بهارِزاً نَبْلا
كم كان في إخوتي إذا ... أعمل الأبطال تحت العجاجة الأسْلاَ
من فارس ماجدٍ أخي ثقة ... يعطي جزيلاً ويقتل البطلا
إنْ جئته خائفاً حَماك وإن ... قال سأعطيك نائلاً فَعَلا

ولحضرمي يقول زيد الخيل :

ولو كان جازىٰ بحضرميّ لأصبحتْ ... قنابل خيل تحمل البيض والأَسَلْ

وكان كدام بن حضرمي علىٰ بني أسد مع علي بن أبي طالب يوم صفين .

ومنهم سفيان بن سلمة أبو وائل الفقيه .

ومنهم ضرار بن الأَزْوَر رحمه الله تعالىٰ ، وهو مالك بن أوس بن جذيمة بن ربيعة بن مالك بن مالك الذي قال حين أسلم :

جعلت القداح وعزف القيان ... والخمر تصلية وابتهالا[1]
وكرِّي مُهْرِيَ في غَمْرَةٍ ... وجَهدي على المشركين القتالا
وقالت جميلة بَدَّدْتَنا ... وطَرَّدْتَ أَهلَكَ شَتَّى عيالا
فيا ربّ لا أُغْبَنَنْ بيعتي ... وقد بِعْتُ أهلي ومالي بدالا

١ ـ في أسد الغابة ج ٢ ص ٤٢٤ :
«خلعت القداح وعزف القيان ... والخمر أشربها والثمالا»

وضرار قاتل مالك بن نويرة التميمي ، وله يقول متمم بن نويرة :

نِعْمَ القتيلُ إذا الرياح تناوحتْ ملث الظلام قتيلك ابن الأزور

وكان النبي ﷺ ولّىٰ مالك بن نويرة صدقات بني حنظلة ، فلما قُبض ﷺ خلّىٰ ما كان في يده من فرائض الصدقة وقال : شأنكم بأموالكم يا بني حنظلة . فغزا خالد بن الوليد بني تميم بالبطاح ، فيقال إن مالكاً قتل في المعركة ، ويقال بل أُخذ فأمر خالد ضراراً بقتله فقتله صبراً .

ومنهم يزيد بن أنس بن كلاب بن طفيل بن رَوَّاد بن سعد بن مالك بن مالك ، وهو الذي وجهه المختار بن أبي عبيد ، فأُتي بأسرىٰ وهو بالموت ، فجعل يقول : أقتلُ أقتُل حتى ثقل لسانه ، فجعل يومىء بيده فثقلت يده فجعل يريهم بحاجبيه حتى مات على تلك الحال .

ومن بني كعب بن مالك : إسماعيل بن عمار بن عيينة أحد بني خلف بن كعب الذي يقول في أبيه معن :

فيا موتُ إنْ لم تُبْقِ مَعْنَاً فإنني أذكِّرِكَ الرحمن في مُهْجَتِي خُذْني

فلو قاتل الموت امرأً عن حَميمِهِ لقاتلتُ جهدي عسكر الموت عن مَعْنِ

قتالاً يقول الموت من وَقَعَاتِـه لك ابنُكَ خذه ليس من حاجتي دَعْني

وولد سعد بن مالك بن ثعلبة : سُوَاءة بن الحارث . وعمرو بن الحارث . وسلامة بن الحارث . فولد سلامة : لُغَن بن سلامة . وناشب بن سلامة . والحارث .

منهم : أشعر الرقبان ، وهو عمرو بن حارثة بن ناشب .

وولد سُواءة بن سعد : مرارة بن سُواءة . وصيفي بن سواءة . فولد مرارة : عبد بن مرارة . فولد عبد : كلدة . وثمامة . فولد كلدة :

مسعود بن كلدة أبا عمرو بن مسعود الذي يقال فيه :

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بني أَسَدْ بعمرو بن مسعودٍ وبالسيد الصَّمَدْ

وقد مدحه أوس[1] بن حجر وكان شريفاً .

وولد سُواءة بن الحارث بن سعد : عامر بن سُواءة . وسعد بن سُواءة . ونصر بن سُواءة . والحارث بن سُواءة .

فولد عامر بن سُواءة : ربيعة . فولد ربيعة : عوف بن ربيعة الكاهن وهو الذي يقول لعيينة بن حصن :

ألا أبلغا عني عيينة آيـةً وإخوته إني امرؤ كنت في الحرب

وكنت إذا أهلكتُ قوماً بأمةٍ تَسَمَّيْتُ وثَّاباً ونحن أُولوا الوثب

ومظهر بن ربيعة .

وولد الحارث بن سواءة بن الحارث بن سعد : جُنْبُوب بن الحارث . وعوف بن الحارث .

وولد نصر بن سواءة : ناشرة . فولد ناشرة : مالكاً . وعبدالله بن ناشرة . وحُميس بن ناشرة . والحارث بن ناشرة . وجشم بن ناشرة . وكسر بن ناشرة .

منهم : أبو مظفار ، وهو مالك بن عوف بن معاوية بن كسر بن ناشرة الذي يقول له النابغة :

جيش يقودهم أبو المظفار[2]

وقال أبو اليقظان : يقال إن بني ناشرة من بني مازن بن عمرو بن

١ ـ من شعراء الجاهلية وفحولها . الأغاني ج ١١ ص ٧٠ ـ ٧٤ .

٢ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ٦٠ ، والشطر الأول : وبنو سواءة زائروك بوفدهم .

تميم . وقال الشاعر :

أنتم بنو كابية بن حُرقوص كلكم هامته كأفحوص[1]

قال : ومنهم الأُقيصر الذي قال له الحجاج : صف لي الفرس الجواد الكريم فقال : الذي إذا استقبلتَه أقعىٰ ، وإذا استدبرتَه جَبَّىٰ ، وإذا استعرضتَه استوىٰ ، وإذا جرىٰ دَحَا يأخذ قريباً ، وإذا نظر نظر بعيداً .

وكان يقول : إن الجياد تشبه الجياد ، فشبّهوا عيناً بعين ، وعنقاً بعنق ، وأذناً بأذن .

وولد غاضرة بن مالك : نصر بن غاضرة .

فولد نصر : حبال بن نصر . وسالم بن نصر . والحارث بن نصر . ومروان بن نصر . وحزابة بن نصر . منهم جمل بن فضالة بن هند بن عوف بن ثعلبة بن حبال بن نصر كان شريفاً .

ومنهم شقيق بن سليك بن حُبَيش بن حُباشة بن أوس بن بلالي بن سعد بن حبال الشاعر الذي يقول :

وما استخبأتُ في رجل خبيئاً كَدَيْنِ الصدق أو حَسَب عتيق

ومنهم زر بن حُبيش[2] بن حُباشة بن أوس بن بلالي بن سعد بن حبال الفقيه . بلغ مائة وثلاثين سنة فقال وَلَحْيَاهُ ترجفان كبراً : إن أَخْوَفَ ما أَخَافُ على نفسي النساء . وكان زر يكنىٰ أبا مريم ، روىٰ عن عمر وعبدالله بن مسعود .

والحكم بن عبدك ـ الشاعر ـ بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن

---

١ ـ الأفحوص : مجثم القطا . القاموس .

٢ ـ بهامش الأصل : زر بن حبيش .

بلالي بن سعد بن حبال بن نصر .

وولد عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دودان : سعد بن عمرو . منهم : عبد بني الحسحاس بن هند بن سفيان بن غضّاب بن كعب بن سعد بن عمرو بن مالك الشاعر ، واسمه سحيم[1] . وكانت أم مالك بن ثعلبة ابنة الحسحاس من غسان .

وولد غَنْم بن دُودان : كبير بن غَنْم . وعامر بن غنم . ومالك بن غنم .

فولد كبير : مرة بن كبير . وقيس بن كبير . وصبح بن كبير . ومالك بن كبير .

منهم : **عبدالله بن جحش**[2] بن رئاب بن يَعْمُر بن صَبْرة بن مرّة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وأمه أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، عَمَّة النبي ﷺ ، وكان جحش حليفاً لحرب بن أمية ، وكان إسلام عبدالله قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، ثم رجع إلى المدينة وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين ثابت بن أبي الأقلح ، وعقد له ووجهه في سرية إلى نخلة ومعه جماعة من المهاجرين ولم يكن فيهم أنصاري ، وكان فيهم سعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان ، وكانت غنيمته أول غنيمة أفاءها الله على نبيه ، وقد ذكرنا خبرها فيما تقدم ، واسشتهد يوم أحد فدفن مع حمزة بن عبد المطلب في قبر ، وكان خاله ، وكان يكنى أبا محمد .

١ ـ أدرك الإسلام ، وقتل في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان قبل سنة ٣٥ هـ . نشر ديوانه في القاهرة سنة ١٩٥٠ .

٢ ـ بهامش الأصل : عبدالله بن جحش رضي الله عنه .

حدثنا محمد بن سعد ، ثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رجلاً سمع عبدالله بن جحش يقول قبل أحد بيوم : «اللهم إنا لاقوا هؤلاء غداً، فأقسم عليك أن يقتلوني ويبقروا بطني ، ويجدعوني فإذا قلت لي : لم فُعل ذلك ؟ قلت : فيك » . فلما التقوا فُعل ذلك به[١] .

وقال الواقدي : كان الذي قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي .

وكان عبدالله يوم قتل ابن بضع وأربعين سنة ، وكان رجلاً ليس بالطويل ولا القصير ، كثير الشعر ، وولي تركته رسول الله ﷺ فاشترى لابنه مالاً بخيبر .

وعبد بن جحش[٢] رحمه الله تعالى ، وأمه أميمة ، ويكنى أبا أحمد ، وقد اختلف في هجرته إلى الحبشة فقيل هاجر في المرة الثانية ، وقيل لم يهاجر إليها قط ولم يختلفوا في هجرته من مكة إلى المدينة ، وكان مكفوفاً يطوف مكة أعلاها وأسفلها بلا قائد ، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية فكان يقول كثيراً :

يا حبذا مكة من واد أرض بها أهلي وعوّادي
إني بها ترسخ أوتادي إني بها أمشي بلا هادي

وبقي أبو أحمد حتى توفيت أخته زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ في سنة عشرين ، ومات بعدها بقليل .

١ ـ لم يرد هذا الخبر في المطبوع من طبقات ابن سعد .
٢ ـ بهامش الأصل : عبد بن جحش رحمه الله .

وقال الجحشي : توفي بعدها بسنة .

وكان جحش شارَّ رجلاً فقال : والله لأحالفنّ أعز أهل مكة ولأتزوجنّ إلى أكرم أهلها وأشرفهم ، فحالف حرباً ، وتزوج أميمة بنت عبد المطلب .

وعبيدالله بن جحش ، وأمه أميمة ، كانت عنده أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأسلم وهاجر إلى أرض الحبشة ، ثم تنصر بها وهلك على النصرانية ، وقد ذكرنا خبره ، وخبر أم حبيبة .

وكانت حَمْنَة بنت جحش عند مصعب بن عمير العبدري ، فقتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيدالله ، وقال لها النبي ﷺ : «قُتل خالك حمزة فاسترجعتْ ، وقال : قُتل أخوك فاسترجعت ، فقال : قتل زوجك مصعب فشقت جيبها فقال النبي ﷺ : إن الزوج ليقع من المرأة موقعاً لا يقعه شيء» . وكانت فيمن تكلم في عائشة مع أهل الأفك فَحُدَّتْ .

ومنهم **شجاع بن وهب**[١] بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم ، كانت له صحبة ، وكان يكنىٰ أبا وهب ، وكان نحيفاً طوالاً أجنأ ، وهاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية ، وآخى النبي ﷺ بينه وبين أوس بن خولي ، وبعثه رسول الله ﷺ إلى جمع من هوازن بالسيّ[٢] ، فأغار عليهم ، وبعثه رسول الله ﷺ بكتابه إلى الحارث بن أبي شمر بغوطة دمشق ، وأبلغ رسول الله ﷺ رسالته فقال : «صدق شجاع» . وشهد بدراً وأحداً

١ ـ بهامش الأصل : شجاع بن وهب رحمه الله .

٢ ـ انظر مغازي الواقدي ص٧٥٣ ـ ٧٥٥ . والسيّ : علم لفلاة على جادة البصرة إلى مكة بين الشبيكة والوجرة ، وما بين ذات عرق إلى وجرة ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة . معجم البلدان .

والخندق وجميع المشاهد مع النبي ﷺ ، واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة وهو ابن بضع وأربعين سنة .

وزعم الهيثم بن عدي أن النبي ﷺ وجهه إلى كسرى وذلك غلط .

وأخوه **عقبة بن وهب**(١) رضي الله تعالى عنه بن ربيعة ، أسلم مع أخيه ، وشهد بدراً وأحداً ، وجميع المشاهد مع النبي ﷺ ، واستشهد فيما ذكر الهيثم بمؤتة .

وقيس بن عبدالله الأسدي ظئر عبيدالله بن جحش وكان معهم .

ويزيد بن رقيش(٢) بن رئاب بن يعمر بن صبرة ، ويكنى أبا خالد ، شهد بدراً وجميع المشاهد مع النبي ﷺ ، وقتل يوم اليمامة شهيداً .

عكاشة بن محصن(٣) بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان ، ويكنى أبا محصن ، أسلم قديماً ، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها ، وبعثه رسول الله ﷺ في سرية إلى الغمر ، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن أربع وأربعين سنة ، وقتل بعد ذلك بسنة ببزاخة ، قتله طليحة بن خويلد ، ولقيه وقد بعثه خالد بن الوليد طليعة ، وكان النبي ﷺ دعا له أن يدخله الله الجنة ، فلم يزل المسلمون يعلمون أنه سيدخلها .

وأبو سنان بن مُحْصَن(٤) أخو عكاشة أسلم مع أخيه وشهد بدراً وجميع المشاهد إلى غزاة بني قريظة ، وتوفي ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة ، واسمه فيما زعم أبو نعيم الفضل بن دكين : مرة .

---

١ ـ بهامش الأصل : عقبة بن وهب رحمه الله .

٢ ـ بهامش الأصل : يزيد بن رقيش رحمه الله .

٣ ـ بهامش الأصل : عكاشة بن محصن رضي الله عنه .

٤ ـ بهامش الأصل : أبو سنان بن محصن رضي الله عنه .

وقال الواقدي : وقد روي أن أبا سنان بايع بيعة الرضوان بالحديبية وهو وهمٌ ، لأن أبا سنان توفي سنة خمس ، ودفن في مقبرة بني قريظة ، قال : وكان أبو سنان يوم توفي ابن أربعين سنة ، وكان أسن من أخيه عكاشة بسنتين ، قال : والذي بايع بالحديبية : سنان بن أبي سنان بن محصن .

حدثنا محمد بن سعد عن وكيع بن الجراح عن اسماعيل بن أبي خالد عن عامر قال : أول من بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان ، قال وهذا غلط ، قال محمد بن سعد : وقال غير وكيع : هو سنان بن أبي سنان[١] .

ومنهم : **سنان بن أبي سنان**[٢] بن مُحْصَن رضي الله عنه بن حرثان ، وكان بينه وبين أبيه في السن عشرون سنة ، وشهد بدراً وأحداً والخندق ، وشهد الحديبية وهو أول من بايع بيعة الرضوان ، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين .

وذكر ابن أنس الأسدي أنه كان يكنى أبا سلمة .

ومنهم : **ربيعة بن أكثم**[٣] رضي الله تعالى عنه ، ويقال ابن أبي أكثم بن عمرو ، أحد بني غَنْم بن دودان ، وكان يكنى أبا يزيد ، وكان قصيراً دحداحاً ، شهد بدراً وهو ابن ثلاثين سنة ، وشهد مابعدها ، وقتل بخيبر شهيداً سنة سبع وثلاثين قتله الحارث اليهودي بالشظاة[٤] ، وكانت عنده الصقباء بنت الحارث بن حرب بن أمية ، وأمها صفية بنت عبد المطلب .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٩٣ ـ ٩٤ .
٢ ـ بهامش الأصل : سنان بن أبي سنان رضي الله عنه .
٣ ـ بهامش الأصل : ربيعة بن أكثم رضي الله عنه .
٤ ـ الشظاه : عظم الساق . وأرجح أن الشظاه تصحيف النطاة وهو أحد حصون خيبر .

ومنهم : **مُحْرز بن نَضْلة**[١] بن عبدالله بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دودان ، ويكنىٰ أبا نضلة ، وكان أبيض حسن الوجه يلقب فهيرة ، وكان بنو عبد الأشهل من الأنصار يدَّعون أنه حليفهم ، وقال ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة : ما خرج في غزاة ذي قرد إلّا من دار بني عبد الأشهل على فرس لمحمد بن مسلمة يقال له ذو اللمَّة .

وقال الواقدي : والذي عند الناس أنه حليف بني عبد شمس ، وشهد محرز بن نضلة بدراً وأُحداً والخندق ، ورأىٰ في منامه كأن السماء انفرجت له فدخلها حتى بلغ سدرة المنتهىٰ ، فقيل له هذا منزلك فقص رؤياه على أبي بكر ، وكان من أعبر الناس للرؤيا فقال : ابشر بالشهادة فقتل بعد ذلك بيوم ، خرج مع رسول الله ﷺ إلى غزاة ذي قرد ، فقتله مسعدة بن حكمة الفزاري ، وكان يوم استشهد ابن سبع وثلاثين سنة ، ويقال ثمان وثلاثين سنة ، وشهد بدراً ، وهو ابن إحدى وثلاثين سنة .

ومنهم : **أسلم بن الأحنف** وكان من أشراف أهل الشام وروي عنه أنه قال : المستشير في الأمور متحصن من السقط متخيّر للرأي ، وعادة المشورة أداة في المرء كاملة .

وذكر بعضهم أن عمرو بن محصن كان مهاجراً وهو أخو عكاشة بن محصن .

ومنهم : **أربد بن حُمَيْر الأسدي**[٢] رضي الله تعالى عنه ، شهد بدراً ، وكان يكنى أبا مخشي .

---

١ ـ بهامش الأصل : محرز بن نضلة رضي الله عنه .

٢ ـ بهامش الأصل : أربد بن حمير رضي الله عنه .

وولد عمرو بن أسد : المسيب بن عمرو . ورُهْم بن عمرو . وسعد بن عمرو وهو مُعْرِض . والقُلَيْب بن عمرو . والمليح بن عمرو . وهاشم بن عمرو . والهالك بن عمرو ، وهو أول من عمل الحديد ، وبه تُعَيِّر العرب بني أسد وبني عمرو خاصة وتسميهم القيُون . قال لبيد :

جَنوح الهالكيّ على يديه مُكِبّاً يجتلي زُرْق النِّصال[1]

فولد رهم بن عمرو : عوف بن رهم . وعامر بن رهم وربيعة بن رهم .

وكان من ولد القُلَيْب : أيمن بن خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن الفاتك بن القليب بن عمرو بن أسد ، وكان أيمن شاعراً ، ولقي طليحة بن خويلد فقال له : ما بقي من كهانتك ؟ قال : نفخة أو نفختان بالكير ، يعيره بأنه من القيون .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا محمد بن يزيد الواسطي عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن أيمن بن خُرَيْم بن فاتك قال : دعاني مروان بن الحكم إلى القتال معه فقال : ألا تخرج فتقاتل معنا ؟ قلت : لا لأن أبي وعمي شهدا بدراً مع رسول الله ﷺ ، وكانا عهدا إلي إلّا أقاتل إنساناً يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسوله ، فإن جئتني ببراءة من النار قاتلت معك ، قال : انطلق عنا لا حاجة لنا بك .

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن اسماعيل عن الشعبي بمثله ، قال: وقال أيمن بن خريم :

ولست بقاتل رجلاً يصلّي على سلطان آخر من قريش
لـه سلطانه وعليّ إثمي معاذ الله من سَفَهٍ وطيش

١ ـ ديوان لبيد ص ٧٨ . مع فوارق .

أأقتل مسلماً في غير شيء فلستَ بِنَافِعِي ما عِشْتُ عَيْشي

وكان أيمن أبرص يصفر يده بالزعفران. وأخوه سَبْرة بن خريم بن فاتك ، وروى مسلمة بن محارب الزيادي أن خُريم بن فاتك مر بمجذوم في الطريق فاحتمله وآواه ، فقال النبي ﷺ : «رحم الله من فعل هذا بالمجذوم» .

وقال أبو اليقظان : كان لأيمن فضل ودين ، وكتب إليه عبد الملك يسأله أن يقاتل مع عمرو بن سعيد فقال :

أأقتل في حجاج بين عمرو وبين خصيمه عبد العزيز
فأقتَلُ ضيعةً في غير جُرْمٍ ويبقىٰ بعدها أهل الكنوز
لعمرك ما هُديت إذاً لرشدي ولا وُفقْتُ للحِرْزِ الحَريز
فإني تاركٌ لهما جميعاً ومعتزل كما اعتزل ابن كوز

وقال أيضاً :

إن للفتنة شرّاً بَيِّناً فاصطبرْ للأمر حتى يَعْتَدِل
وإذا كان عطاءٌ فائتِهِم وإذا كان قتال فاعتزل
إنما يُسْعِرُهَا جُهَّالَها حطب النار فَذَرْهَا تشتعل

وقال أيضاً :

يقول لي الأمير إذا رآني تَقَدَّمْ حين خَدَّ به المِرَاسُ
فمالي إن أطعتك غيرَ نفسٍ ومالي غير هذا الرأس راس

ويقال ان الشعر لغيره .

ومن بني مُعْرِض : الأُقيشر الأسدي ، وهو المغيرة بن عبدالله بن الأسود بن وهب بن رباعج بن قيس بن معرض الشاعر .

ومن بني الهالك : **سَمّاك بن مخرمة** بن حُمَين بن بَلْث بن الهالك وهو صاحب مسجد سماك بالكوفة ، وخرج من الكوفة هارباً من عليٍّ عليه السلام . منابذاً له مع من خرج منها ، فلحق بالجزيرة وله يقول الأخطل :

إن سماكاً بنىٰ مجداً لأسرته حتى المات وفعل الخير يُبْتَدَرُ
نِعْمَ المجير سماك من بني أسدٍ بالبِشْرِ إذ قتلت جيرانها مضر
أبلىٰ بلاء كريماً لايزال له منه بعاقبة مجد ومفتخر
قد كنت أحسبه قيناً وأخبره فاليوم طيَّرَ عن أثوابه الشرر[1]

فقال له سمّاك : ويحك ما أعياك ، أردت أن تمدحني فهجوتني كان الناس يقولون قيناً قولاً فحققته .

وقال أبو اليقظان : كان سماك خال سماك بن حرب وبه سمي سمّاكا[2] .

وولد صعب بن أسد : عبدالله . فولد عبدالله : مرة .

فولد مرة : عبدالله . وعبد منبّه .

فولد عبدالله بن مرة : جُمَيْرة بن عبدالله . والبحير بن عبدالله ، وهم بنو النعامة ، والنعامة أمهم ولدتهم . فمن بني النعامة : ابن حياش الشاعر الذي مدح الحسن بن علي والحسين عليهم السلام فقال :

كأن جفانه أحواض نهي إذا وُضِعَتْ على ظهر الخوان
ويعلم ربُّها انْ كل شيءٍ من الأشياء إلا الأجر فان

وقال أيضاً :

١ ـ ديوان الأخطل ص ١٨٧ مع فوارق .
٢ ـ ترجم خليفة بن خياط لسماك بن حرب وقال إنه توفي في ولاية يوسف بن عمر . الطبقات ص ٢٧٣ .

لقد كلَّ طرف العين حتى كأنما أرى كل شخص شافعاً لقرين

وقال أبو اليقظان : يقال : إن أسد استلحق صعباً ، قال : وقال بعضهم :

نحن بنو صعبٍ وصعبٌ لأسد لا يُعْرَفُ المجد علينا لأحد

وقال شاعر من بني أسد :

وحيّاً من نعامة فاسألنهم بني صعب وكانوا مصعبينا

وولد كاهل بن أسد : مازن بن كاهل . منهم علباء بن الحارث بن حارثة بن هلال الذي يقول له امرؤ القيس :

وأَفْلَتَهُنَّ علباءٌ جريضاً ولو أدركْنَهُ صفر الوطاب[1]

يقول : أخذتُ إبِلَهُ فلم يَحْلِبْ ، وهو الذي كان طعن أبا امرىء القيس .

وقال غير هشام ابن الكلبي : ومن بني أسد : **شقيق بن سلمة أبو وائل** الفقيه أحد بني مالك ، وكان من أصحاب عبدالله بن مسعود ، شهد صفين فقال : شهدت صفين فأشرعوا الرماح في صدورنا وأشرعنا في صدورهم وبئست الصّفون كانت .

وقال : ما مررت بالصّفارين قط إلا ذكرت يوم صفين ، وبقي حتى أدرك الحجاج فقال له : مِتى نزلت هذه البلدة ؟ يعني الكوفة . فقال شقيق : نزلتها حين نزلها أهلها . فقال : إني أريد توليتك . فقال : أو تعفيني وإن تقحمني انقحم . فولاه عملاً . وكان جاهلياً إسلامياً ، وتوفي بعد الجماجم ، وروى عن عمر وعلي وابن مسعود .

١ ـ ديوان امرىء القيس ص ٧٨ .

وقال أبو اليقظان : ومن بني أسد : شداد بن عمرو بن فاتك قاتل ابن أخي خريم بن فاتك قتله زيد الفوارس الضبي وأنشأ يقول :

ليبك لشداد بن عمرو بن فاتك قيون وقينات بهنَّ مياسم
ليبكين قيناً فَلَّقَ السيف رأسه بما نال منا وهو في الحلف آثم

وقال أبو اليقظان : ولد علباء بن الحارث : جحش بن علباء ، وكان جحش قَتَل ثوب بن سَحْمَة العنبري ، وكان يقال لثوب مجير الطير ، وكان يضع سهمه في الأرض فلا يصطاد أحد طيرها . فقال باكيته :

ألم تر أنَّ ثوباً أسلمَتْهُ بنو البيضاء والخلان سيّْ
فإذْ أسلمْتُمُوه فأخلِفوه ولن ترضى خلافتكم عدي
أضعتمْ مجدكم فسلبتموه وفات به الغلام الكاهلي
فبات لآل جحشٍ ليل صدق وبات لأهله ليل قَسِي

وبنو البيضاء : بنو بيضاء بنت عبدة بن عدي بن جندب .

وثوب بن سحمة من ولد المنذر بن جُهمة .

قال : وعاصم بن بهدلة مولى بني كاهل ، وكان يحيى بن وثاب مولى بني كاهل أيضاً ، وكان قارئاً يؤمُّ بني كاهل ، فلما قدم الحجاج قال : لا يؤُمنَّكم إلّا عربي ، فوثبوا بابن وثاب وقالوا : نعزله عن الإمامة ، فبلغ الحجاج ذلك فقال : ويحكم إنما قلت عربي اللسان . فأبىٰ ابن وثاب أن يصلي بهم .

وكان من موالي بني كاهل : أبو بكر . والحسن ابنا عياش الفقيهان .

قال أبو اليقظان : كان في بني سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان عيافة وكان منهم : حَلْبَس الخطاط الذي يقول له الشاعر :

وإني لـراجيها وإني خـائف لما قال يوم الثعلبية حَلْبَسُ
جرتْ طيرة واستخبرت ثم نَبَّأَتْ وقد طال فيها شكه المتلبس

وقال أبو اليقظان : كان من بني والبة : شتير بن خالد الذي يقول فيه الشاعر :

أوالبُ إنْ تَنْهَ شتير بن خالدٍ عن البغي لا يَغْرُرْكُمُ بأَيَامِ

وفي بني كلاب : شتير بن خالد الذي قتلته ضبةّ ، وفيه يقول الشاعر :

أتنسى مصاداً والشتير بن خالد .

ولم يقل ذلك في شتير الأسدي .

قال : ومن بني أسد : قبيصة بن ذؤيب ، كانت له صحبة ، وهو القائل حين بايع طلحة علياً : أول يد بايعت هذا الرجل من أصحاب محمد شلّاء ، والله ما أرى هذا الأمر يتم .

وروى عوانة عن عبد الملك بن عمير قال: قال قبيصة بن ذؤيب الأسدي : ما رأيت أحداً قط أعلم بالله من عمر بن الخطاب ، ولا رأيت أحداً أطول بلاءً في الله من علي ، ولا رأيت قط أعطى لجزيل من طلحة ، ولا رأيت قط أَحْمَلُ لمعضلة من معاوية ، ولا رأيت أحداً قط أظهر جلداً وطرفاً من عمرو بن العاص ، ولا رأيت قط أسرّ لصديق في عداوة العامة من المغيرة ، ولا رأيت قط أخصب رفيقاً ولا أقل أذىً لجار من زياد .

ومن بني أسد من المحَدِّثين : **المعرور بن سويد**[1] أحد بني الحارث بن ثعلبة بن دودان ، روى عن عمر وعبدالله . وحبيب بن صهبان ، ويكنىٰ أبا

١ ـ بهامش الأصل : المعرور بن سويد .

مالك . روى عن عمر .

قال محمد بن سعد : ومن بني أسد : أبو سنان عبدالله بن سنان مات زمن الحجاج قبل الجماجم[١] .

ومنهم حصين بن قبيصة الفقيه .

وقال أبو اليقظان : ومن بني أسد : حاجب بن حبيب الأسدي الذي يقول :

دَلَفْتُ له تحت الغبار بطعنة لها عاند حينا وحينًا تصرّحُ
عَبَأْتُ سناناً كالقدامِيْ مُدَرّبَاً بكفي له والخيل بالقوم تكبح

قال محمد بن سعد : ومن بني أسد : زياد بن حُدير أحد بني مالك بن مالك ، روى عن عمر بن الخطاب ويكنى أبا المغيرة[٢] .

وقبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة بن جُدَار أحد بني مرة بن الحارث بن سعد بن ثعلبة مات قبل الجماجم وروى عن عمر[٣] .

وعباءة بن ربعي الأسدي روى عن عمر وعلي[٤] .

ونعيم بن دجاجة الأسدي[٥] .

والبراء بن ناجية الكاهلي روى عن علي[٦] .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٧٨ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٣٠ .
٣ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٤٥ .
٤ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٢٧ .
٥ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٢٨ .
٦ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٠٦ .

والمسيب بن رافع أسدي من بني كاهل مات سنة خمس ومائة[١] .

والربيع بن سحيم الكاهلي[٢] . قال : والأعمش سليمان بن مهران مولى بني كاهل يكنى أبا محمد[٣] .

قال الهيثم : مات سنة سبع واربعين ومائة .

وقال الواقدي : وأبو نعيم : مات سنة ثمان وأربعين ومائة .

ومن بني أسد من أنفسهم : محمد بن قيس أحد بني[٤] والبة ، يكنىٰ أبا نصر .

وقال أبو اليقظان : كان من بني أسد : الميدان بن صخر الذي كان يهاجي ابن دارة فقال الشاعر :

سأقضي بين ميدان بن صخر ... وعبدالله ثَمَّتَ لا لجور
جرى الميدان حتى ما يجارى ... وَبَـرَّزَ وابن دارة يستدير

وقال أبو اليقظان : كان بعثر الفقعسي شاعراً ، وكان بالربذة ، وكان عليها رجل يقال له راشد أبو علي ، مولى بني فقعس ، فوجد عليه فضربه فانطلق فاستعدىٰ إليه إلى عمر بن عبد العزيز وهو يقول :

أقول لراشدٍ أَمْسِكْ كتابي ... وخَلِّ لناقتي عنك السبيلا
أَغِثْها بالمدينة يا بن ليلىٰ ... وحكمتك التي تُشفي الغليلا

فَأَقَصَّهُ عمر بن عبد العزيز منه فلما ضُرب أُتي بإهاب شاة فأُلبِسَهُ ،

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٩٣ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٤١ .
٣ ـ . طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٤٢ .
٤ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٦١ .

وجعل راشد يعاتب بعثراً فقال :

رأيت أخا الصفاء أبا عليٍّ يعاتبُني ويَدَّرِعُ الإهابا
يقول ظلمتني وأقول كُلٌّ أصاب إلىٰ أخيه ما أصابا

وكان بعثر لقي الحسين بن على قبل أن يصل إلى الكوفة ، فسأله عنهم فقال : إن أهل العراق أهل غدر .

وقال جاء رجل من بني أعيا من بني أسد يقال له ابن حمامة إلى الحطيئة فقال له : القِرَى يا حطيئة . فقال : لا قِرى لك عندي فقال له : أنا ابن حمامة ، قال : كن ابن أي طير شئت فما لك عندي إلا مَذْقَة من لبن . فقال : هاتها فشربها فقال الحطيئة .

شددتُ حيازيم ابن أعيا بشربةٍ على ظمأ شَدَّتْ أصولَ الجوانح[1]

فقال ابن حمامة :

دعيتُ إلى زادٍ قليلٍ رَزَأْتُهُ كما كُلُّ عَبْسيٍّ على الزاد نائح
يَبِيْتُ حَذَار الضيف يخنق كلبه أَلاَ كُلُّ كَلبٍ لا أَبا لَكَ صائح

قال أبو اليقظان : كان قُصاقِص الأسدي من أهل الجزيرة ، وكان له بها قدر ، وكان في صحابة أبي العباس أمير المؤمنين ومولاه أبو دلامة الشاعر أعتقه قصاقص ، فقال أبو دلامة لأبي العباس إنّ قصاقص امْتَنَّ عليّ فأَعتَقني فإن رأى أمير المؤمنين أن يجعله في صحابته لامتَنَّ بذلك عليه فليفعل ، فقال : قد فعلنا يا أبا دلامة فلا تَعُدْ .

ومن موالي بني أسد : أبو عطاء السندي كان شاعراً ، وكان منهم مهران أبو الأعمش المحدّث ، واسمه سليمان ، شهد عين الوردة مع

١ ـ ديوان الحطيئة ص ١٢٩ .

سليمان بن صرد ، فقتل وكان الأعمش يكنى أبا محمد ، وولد الأعمش أيام قتل الحسين بن علي عليهما السلام ومات بالكوفة سنة ست وأربعين ومائة .

قال أحمد بن ابراهيم الدورقي : كان زياد بن حُدير الأزدي عابداً زاهداً .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا شعيب بن حرب ، ثنا مالك بن مغول عن جامع بن شداد قال : قال زياد بن حدير الأسدي : ليت أني في حير من حديد لا أكلم الناس ولا يكلموني ومعي ما يكفيني حتى ألقى الله .

حدثني أحمد ، حدثني عبد الرحمن بن مهدي ، حدثني يعقوب بن عبد الله بن سعد عن حفص بن حميد قال : كان الرجل يأتي زياد بن حدير فيقول : إني أريد مكان كذا فيقول له : اقطع طريقك بذكر الله . قال : وقال لي إقرأ عليّ : فقرأت ﴿ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك﴾[1] فقال: يا بن أم زياد أنقض ظهراً من ظهر رسول الله ﷺ وجعل يبكي كما يبكي الصبي ، قال: وكان يقول : سلوا الشهادة . فيقال : يا أبا المغيرة إنها مخزونة ، فيقول : سلوا الخازن فإنه يغضب على من لا يسأله .

حدثني أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي ، ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد عن حفص بن حميد قال : كان زياد بن حدير يقول : أتجهزتم ؟ فيسمعه الرجل فيقول : ما معنى ذا ؟ فيقول : تجهزوا للقاء الله .

حدثني أحمد بن ابراهيم ، ثنا علي بن الحسن بن شقيق ، أنبأ شريك عن أبي إسحاق الشيباني عن خناس بن سحيم قال : أقبلت مع زياد بن

١ - سورة الشرح - الآيات : ١ - ٣ .

حدير الأسدي من الكناسة فقلت في كلام له : لا والأمانة ، فجعل يبكي فظننت أني قد أتيت أمراً عظيماً فقلت : كأنك تكره ما قلت ؟ قال : نعم كان عمر ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهي .

حدثني أحمد بن الصبّاح ، ثنا هشيم عن العوام عن ربيع بن عتاب قال : كنت أمشي مع زياد بن حدير فسمع رجلاً يحلف بالأمانة فبكى فقلت : ما يبكيك ؟ فقال : أما سمعت هذا الحلف بالأمانة. لَحَكُّ خشاشي[1] حتى تَدْمى أَحبُّ إليَّ من أَنْ أحلف بالأمانة .

حدثني أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن زياد بن حدير الأسدي قال: قدمتُ على عمر وعليَّ طيلسان وشاربي عافٍ ، فرفع رأسه ، فنظر إلي ولم يردَّ السلام ، قال:فانصرفت عنه وأتيت ابنه عاصماً فشكوت ذلك إليه وقلت له : لقد رُميت من أمير المؤمنين في الرأس قال : سأكفيك ذاك . فلقي أباه فقال : يا أمير المؤمنين أخوك زياد بن حدير سلم عليك فلم ترد عليه السلام فقال : إني رأيت عليه طيلساناً ورأيت شاربه عافياً ، قال : فأخبرني فقصصت شاربي ، وكان معي بُرْدٌ فحللته وجعلته إزاراً ، ثم أقبلت إلى عمر فسلمت عليه فقال : وعليك السلام ، هذا خير مما كنت فيه يا زياد .

حدثني أحمد بن ابراهيم ، ثنا زكريا بن عدي عن أبي خالد الأحمر عن الأعمش عن شمر بن عطية عن زياد بن حدير قال : أفقه قوم ما لم يبلغوا التقى .

---

١ ـ الخشاش : عويد يجعل في أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع لانقياده . النهاية لابن الأثير .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا سفيان الثوري عن ابراهيم بن مهاجر قال : سمعت زياد بن حدير يقول : أنا أول من عَشّر في الإسلام .

حدثني أبو عبيد عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن عبد الله بن خالد عن عبد الرحمن بن معقل قال : سألت زياد بن حدير : من كنتم تعشّرون ؟ قال : ما كنا نعشر مسلماً ولا معاهداً ، كنا نعشر تجار أهل الحرب كما كانوا يعشروننا إذا أتيناهم .

حدثني أبو عبيد عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن زياد بن حدير قال : كنا نعشر نصارى بني تغلب[1] .

المدائني ان عبد الله بن فضالة بن شريك الأسدي قال لعبد الله بن الزبير : نَفَدَتْ نفقتي ونَقِبتْ راحلتي فقال : إما راحلتك فارقعها بِسَبْتٍ واخصِفْها بِهُلْبٍ وسر بها البَرْديّ يبرد خُفُّها[2] ويقال إنه قال : سر بها السيرات ، فقال لابن الزبير : لعن الله ناقة حملتني إليك . قال : إنْ وراكبها فانصرف وهو يقول :

أرى الحاجات عند أبي خبيب ... نكدنَ ولا أمية بالبلاد
ومالي حين أقطع ذات عرق ... إلى ابن الكاهلية من معاد

فقال : لو علم أن لي أماً أَلأَمَ من عمته لسبَّني بها .

---

١ ـ الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٧٠٩ .

٢ ـ السبت : سير للأبل وجلود البقر المدبوغة . والهلب شعر الذنب أو شعر الخنزير الذي يخرز به . والابردان : الغداة والعشي ، كالبردين ، والظل والفيء ، وأبرد : دخل في آخر النهار . النهاية . القاموس . وانظر ما تقدم ص ٢٦٢١ .

وقال محمد بن سعد : من بني أسد : اسماعيل بن عبد الله بن ذؤيب الأسدي ، روى عن ابن عمر وروى عنه ابن أبي نجيح .

ومنهم سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش من حلفاء بني أمية[1] .

١ ـ بهامش الأصل : بلغت عراضاً بالأصل الثالث من أول الكتاب ، ولله الحمد والكمال .

نسب هُذَيْل بن مدركة بن الياس بن مضر

وولد هذيل بن مدركة : سعد بن هذيل ولحيان بن هذيل ، بطن . وعميرة بن هذيل . وهُرمة بن هذيل ، وأمهم ليلى بنت مران بن بَلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

فولد سعد بن هذيل : تميم بن سعد . وخناعة ، بطن . وحريب بن سعد . ومنعة بن سعد . ورهم بن سعد . وغَنْم بن سعد . ورهام بن سعد . ووريث بن سعد وهو عوف ، وأمهم الفرعة بنت شقر بن الحارث بن تميم بن مرو . وجوية بن سعد . يقال إنهم دخلوا في عبس فالحطيئة الشاعر منهم .

فولد تميم بن سعد : الحارث بن تميم . ومعاوية بن تميم . وعوف بن تميم ، أمهم الكَنود بنتِ لحيان بن هذيل .

فولد الحارث بن تميم : عمرو بن الحارث . وكاهل بن الحارث ، وأمهما هند بنت مازن بن كاهل بن أسد بن خزيمة .

فولد كاهل بن الحارث : صاهلة بن كاهل ، بطن . وصبح بن كاهل ، بطن . وكعب بن كاهل . فولد صاهلة بن كاهل مخزوم بن

صاهلة . وخزيمة بن صاهلة ، بطن ، وقريم بن صاهلة . وملاص بن صاهلة .

فولد مخزوم بن صاهلة . فارّ بن مخزوم . وزبيد بن مخزوم . والحارث بن مخزوم . وحارثة بن مخزوم . فولد فارّ بن مخزوم : شمخ بن فارّ .

منهم : **عبد الله بن مسعود**[1] **بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فارّ بن** مخزوم بن صاهله بن كاهل بن حارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، وأمه أم عبد بنت عبد ودّ ، من ولد قريم بن صاهلة . وأمها هند بنت عبد الحارث بن زهرة بن كلاب . وكان **عبد** الله بن مسعود يكنى أبا عبد الرحمن .

وقال الواقدي : كان إسلام عبد الله قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم .

وقال الواقدي وأبو معشر : هاجر ابن مسعود إلى أرض الحبشة مرتين .

وقال محمد بن إسحاق : هاجر في المرة الثانية[2] .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا محمد بن ربيعة الكلابي عن أبي عميس عن القاسم بن عبد الرحمن أن عبد الله بن مسعود أخذ في أرض الحبشة في شيءفرشا دينارين .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن

---

١ - بهامش الأصل : عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
٢ - السير والمغازي لابن اسحق ص ٢٢٥ .

أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال : كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط فجاء النبي ﷺ وأبو بكر وقد فرا من المشركين فقالا : «يا غلام هل عندك من لبن» ؟ فقلت : إني مؤتَمن . فقال النبي ﷺ : «هل عندك من جذعة لم يَنْزُ عليها الفحل» ؟ قلت : نعم . فأتيته بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا فحفل الضرع ، ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فاحتلب فيها ثم شرب وأبو بكر ثم قال رسول الله ﷺ للضرع : «اقلص» ، فقلص ، قال : ثم أتيته بعد ذلك فقلت : علمني هذا القول . فقال : إنك غلام مُعَلّم . قال فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن سعد ، قالا : ثنا أبو نعيم ، ثنا المسعودي .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا محمد بن عبيد عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن قال : كان أول من أفشى القرآن بمكة من في رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود[1] .

حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا الأعمش ، أنبأ شقيق قال : خطبنا ابن مسعود فذكر كلاماً ثم قال : على قراءة من تأمرونني أن أقرأ ، على قراءة زيد ؟ فو الله الذي لا إله غيره لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة وزيدٌ غلام له ذؤابتان يلعب مع الغلمان . ثم قال : والذي لا إله إلا هو ، لو أعلم أحداً اعلم بكتاب الله مني تَبْلُغُه الإبل لأتيته .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

قال شقيق : فقعدت في حلق فيها أصحاب رسول الله ﷺ فما سمعت أحداً منهم رد عليه ما قال .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «من أحبّ أن يقرأ القرآن رطباً ـ أو قال غضاً ـ كما أُنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد ـ أو كما يقرأ ابن أم عبد ـ» .

حدثنا عمرو الناقد وعبيد الله القواريري قالا : ثنا أبو معاوية محمد بن خازم ، ثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمة قال : جاء رجل إلى عمر وهو لا يعرفه فقال : يا أمير المؤمنين جئتك من الكوفة وتركت بها رجلاً يُمَلي المصاحف عن ظهر قلبه ، فغضب عمر ، وقال : من هو ويحك ؟. قال : عبد الله بن مسعود. قال: فذهب الغضب عن عمر ثم قال: ويحك والله ما أعلمه بقي أحد من الناس أحق بذلك منه . قال رسول الله ﷺ : «من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» .

حدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة ، ثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن الأعمش عن أبي وائل عن مسروق عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ سمعه يقول : «استقرئوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد ـ فبدأبه ـ ومن أبيّ بن كعب ، ومن سالم مولى أبي حذيفة ، ومن معاذ بن جبل» .

حدثني أبو بكر الأعين ، ثنا أبو نعيم عن أبي الأحوص عن سعيد بن مسروق عن أبي الضحى عن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ : «إقرأ علي . فقلت : كيف أقرأ عليك القرآن وعليك أُنزل ؟ فقال : إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورةالنساء حتى بلغت : ﴿فكيف إذا جئنا

من كل أمة بشهيد﴾[١] قال : حَسْبُكَ . ونظرت إليه وقد اغرورقت عيناه . فقال : مَنْ سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليقرأه قراءة ابن أم عبد» .

حدثني محمد بن حاتم بن ميمون المروزي ، ثنا عبد الله بن نمير الهَمْداني ، أنبأ الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق قال : لقد جالست أصحاب محمد فوجدتهم كالأُخّاذ فمنها: ما يروي الرجل، ومنها ما يروي الرجلين ومنها ما يروي العشرة ، ومنها ما يروي المائة ، ومنها ما يروي لو نزل به أهل الأرض لصَدَرُوا رُواء فوجدت عبد الله بن مسعود أغزر تلك الأخاذ .

حدثنا سريج بن يونس ، ثنا أبو معاوية الضرير ، ثنا الأعمش عن ابراهيم قال : قال عبد الله : أخذت من فم رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة .

حدثنا عفان ، ثنا عبد الواحد بن زياد ثنا سليمان الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبي الأحوص قال : كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في دار أبي موسى يعرضون مصحفاً فقام عبد الله فخرج فقال أبو مسعود الأنصاري : هذا أعلم من بقي بما أنزل على محمد ﷺ. فقال أبو موسى : إن يكن كذاك فلقد كان يؤذن له إذا حُجبنا ويشهد إذا غبنا .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا يحيى بن عباد ، ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعودقال : أخذت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد .

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٤١ .

حدثني محمد بن سعد[١] ، ثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأ الحسن بن صالح عن مطرف ، حدثني عامر عن مسروق قال : كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ : علي ، وعمر ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وأبو موسى الأشعري[٢] .

حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا وهيب بن خالد ، أنبأ داود بن أبي هند عن عامر قال : كان مهاجر عبد الله بن مسعود إلى حمص فحدره عمر إلى الكوفة ، وكتب إليهم : والله الذي لا إله إلا هو لقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي فخذوا عنه .

قالوا وبعث عمر عبد الله بن مسعود على قضاء أهل الكوفة وبيت مالهم ، وفرض له ولعمار ولعثمان بن حنيف شاة : شطرها وسواقطها لعمار ولابن مسعود ، ولعثمان الشطر الآخر .

المدائني عن الوقاصي عن الزهري قال : كان ابن مسعود يوافي عمر في كل موسم فيعرض عليه ما كان فيه فما رضيه أقام عليه وما نهاه عنه تركه . وجاء قوم فشكوه فلم يحفل بشكيتهم .

حدثني شجاع بن مخلد الفلاس ، ثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال : كانت دار ابن مسعود شبيهة بالمدينة فأحدثَ وَلَد له حدثاً فأخربوها .

حدثني عمرو بن محمد الناقد، حدثني معاوية بن عمرو عن زائدة عن الأعمش عن شقيق عن عمرو بن ميسرة عن عبد الله بن مسعود قال : طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة[٣] من فقه الرجل .

---

١ ـ بهامش الأصل : مطلب أصحاب الفتوى .

٢ ـ لم ترد هذه الرواية في ترجمة ابن مسعود في طبقات ابن سعد .

٣ ـ المئنة في الحديث : العلامة ، ومخلقة ، ومجدرة . القاموس .

حدثنا خلف البزار ، ثنا سلام الخراساني الطويل عن زيد العميّ عن معاوية بن قرة عن ابن مسعود أنه كان يقرأ القرآن في كل جمعة مرة ، وفي شهر رمضان في كل ثلاث ليال ، وكان يكره النوم قبلها أو الحديث بعدها .

حدثني عمرو الناقد ، ثنا أبو نعيم عن سفيان عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كان ابن مسعود يعلّمنا التشهّد كما يعلمنا السورة من القرآن لا يخطىء بألِفٍ ولا واو .

حدثنا عبد الله بن صالح المقرىء عن المسعودي عن سليمان بن ميناء عن نفيع مولى عبد الله قال : كان عبد الله بن مسعود من أجود الناس ثوباً أبيض وأطيب الناس ريحاً .

وحدثني محمد بن سعد عن يزيد بن هارون عن المسعودي عن سليمان بن نفيع بمثله[1] .

حدثنا ابن الشاذكوني عن أبي عامر العقدي ، حدثني سفيان عن سليمان الأعمش عن ابراهيم ، أخبرني من رأى في يد عبد الله خاتماً من حديد .

حدثنا أبو نصر التمار ، ثنا شريك عن جابر عن الشعبي قال : كان على خاتم ابن مسعود ذيبان[2] بينهما الحمد لله .

حدثني أبو أيوب الرقي المعلم ، ثنا عيسى بن يونس عن الأعمش عن ابراهيم قال : قال عبد الله : إياكم والمعاذير فإنه يخالطها الكذب .

وحدثني الحسن بن عثمان الزيادي عن اسماعيل بن مجالد عن بيان عن قيس بن أبي حازم أن ابن مسعود قال لسعد : رد المال الذي استسلفته من

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٥٧ .
٢ ـ الذيب : العيب . القاموس .

بيت المال فغضب سعد وقال : هل أنت إلا عبد من هذيل . فقال : وأنت ابن حَمنه ، فقام سعد فاستقبل القبلة فسأله ابن مسعود ألّا يلعنه ولا يدعو عليه فلم يفعل .

حدثنا بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق بن معمر قال : كان ابن مسعود يقول : لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يدع المراء في الحق والكذب في المزاح والسفه عند الغضب ، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

وروي عنه أنه قال : إياكم والمزاح فإن فيه التذابح .

وقال الواقدي : لما هاجر ابن مسعود من مكة إلى المدينة نزل على معاذ بن جبل ، ويقال على سعد بن خيثمة ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاذ .

حدثني علي بن عبد الله المديني ، ثنا سفيان بن عينية عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال بنو عبد مناف بن زهرة : نكّب عنا ابن أم عبد ، فقال رسول الله ﷺ : فلم بعثتُ إذاً ، إن الله لا يقدس قوماً لا يعطون الضعيف منهم حقه .

وقال الواقدي : خَطَّ رسول الله ﷺ لابن مسعود عند المسجد .

قالوا : وشهد عبد الله بدراً وضرب عنق أبي جهل بعد أن أثبته ابنا عفراء ، وشهد أيضاً أحداً والخندق وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ .

وروي عن ابن مسعود في قول الله عز وجل : ﴿الذين استجابوا لله

والرسول﴾[١] قال : كنا ثمانية عشر رجلاً[٢] .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن رجل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : كان عبد الله بن مسعود صاحب سواد رسول الله ﷺ يعني سره ، وصاحب وساده وسواكه ونعليه وطهوره ، وهذا في السفر .

حدثني محمد بن سعد والحسين بن علي بن الأسود قالا : ثنا عبيد الله بن موسى عن المسعودي عن عبد الملك بن عمير عن أبي مليح قال : كان عبد الله يستر النبي ﷺ إذا اغتسل ويوقظه إذا نام ويمشي معه على الأرض وحشاً[٣] ، يعني وحده .

حدثني عمرو الناقد ، ثنا أبو نعيم عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن قال : كان عبدالله يلبس رسول الله نعليه ، ويمشي أمامه بالعصا ، فإذا جلس في مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعه ، وأعطاه العصا ، فإذا أراد رسول الله ﷺ أن يقوم ألبسه نعليه ، ثم مشىٰ بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله ﷺ .

وحدثني محمد بن سعد ، ثنا أبو نعيم عن المسعودي عن عياش العامري عن عبدالله بن شداد بن الهاد أن عبدالله بن مسعود كان صاحب السواد والوسادة .

حدثني محمد بن سعد، ثنا عبدالله بن ادريس قال: سمعت الحسن بن

---

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٧٢ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٣ .
٣ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٣ .

عبيدالله النخعي يذكر عن ابراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبدالله قال : قال لي رسول الله ﷺ : إِذْنُكَ عليَّ أن يرفع الحجاب وتسمع سوادي ، حتى أنهاك .

وحدثني محمد بن سعد ، ثنا عفان ، أنبأ شعبة ، ثنا أبو اسحاق قال : قال أبو موسى الأشعري : لقد أتيتُ النبي ﷺ وما أرى ابن مسعود إلا من أهله[١] .

حدثني عمرو بن محمد ، ثنا أبو معاوية ، أنبأ الأعمش عن ابراهيم عن علقمة قال : كان عبدالله يُشبّه بالنبي ﷺ في هديه وسمته . قال : وكان علقمة يشبه بعبدالله .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا محمد بن عبيد ، ثنا الأعمش عن شقيق قال : سمعت حذيفة يقول إن أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً بمحمد ﷺ عبدالله بن مسعود من حين يخرج إلى أن يرجع ما يدري ما يُصنع في بيته[٢] .

حدثنا وهب بن بقية ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ شعبة عن المغيرة عن ابراهيم عن علقمة عن أبي الدرداء سمعته يقول : ألم يكن فيكم صاحب السواد الوساد ، يعني ابن مسعود .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا حفص بن غياث ، أنبأ الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال : كان عبدالله إذا دخل الدار استأنس ورفع كلامه حتى يسمعوا .

حدثني محمد بن سعد ، انبأ مالك بن اسماعيل النهدي ، أنبأ اسرائيل

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٣ - ١٥٤ .
٢ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٤ .

عن ثوير عن أبيه قال:سمعت ابن مسعود يقول : ما نمت نومه الضحى منذ أسلمت[1] .

حدثني عمرو بن محمد ، ثنا أبو نعيم ، ثنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد قال : ما رأيت فقيهاً أقل صوماً من عبدالله فقيل له : لم لا تصوم ؟ قال : إني أختار الصلاة على الصوم واذا صمت ضعفت عن الصلاة .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا وهيب بن جرير عن مرة عن النزال بن عمار عن أبي عثمان النهدي قال : صليت مع ابن مسعود صلاة فقرأ فيها : ﴿قل هو الله أحد﴾ فوددت أنه قرأ بنا سورة البقرة من حسن صوته وترتيله .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا يحيى بن عيسى الرملي عن سفيان عن الأعمش عن أبي الضحىٰ عن مسروق قال:قال عبدالله بن مسعود : ما نزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما نزلت ولو أعلم أن أحداً أعلم بكتاب مني تبلغه الإبل ـ أو قال : المطيّ ـ لأتيته .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا أبو نعيم عن قيس بن الربيع عن قاسم عن زر عن عبدالله أنه كان يصوم الإثنين والخميس .

حدثني الحسين بن الأسود ، ثنا محمد بن الفضيل عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال : قال ابن مسعود : إقتصاد في سنّة ، خير من اجتهاد في بدعة .

حدثنا أحمد بن هشام بن بهرام عن شعيب بن حرب عن عبد

١ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٥ .

الرحمن بن عبدالله عن الحكم بن عتيبة قال : قال عبدالله : أنذركم فضول القول فبحسب الرجل من الكلام ما بلغ به حاجته .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا أبو داود ، ثنا زهير عن أبي إسحاق عن علقمة والأسود ومسروق أن عبدالله كان يكبر في الفطر والنحر سبع تكبيرات ، يكبر تكبيرة يفتتح بها الصلاة ، ثم يكبر ثلاثاً ، ثم يقرأ ثم يكبر ، فيركع بالخامسة ثم يقوم فيكبر أربعاً يركع بالرابعة .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ومحمد بن سعد قالا : ثنا محمد بن الفضيل ، ثنا المغيرة عن أم موسىٰ قالت : سمعت علي بن أبي طالب يقول : أمر النبي ﷺ ابن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى خموشة ساقيه فضحكوا فقال النبي ﷺ : «ما تضحكون لرجل هو عند الله يوم القيامة في الميزان أثقل من أُحد»[1] .

حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود قال : كنت أجتني لرسول الله ﷺ من الأراك فضحك القوم من دقة ساقيّ فقال النبي ﷺ : «مم تضحكون ؟ قالوا : من دقة ساقيه . فقال : لهي أثقل في الميزان من أحد» .

حدثني أبو نصر التمار ، ثنا شريك عن أبي حصين عن أبي عطية الهَمَذاني قال : سأل رجل أبا موسىٰ عن مسألة فأجابه فيها ، ثم أتى عبدالله بن مسعود فسأله عنها فخالف أبا موسىٰ ، فأتى الرجل أبا موسى فأخبره بقول ابن مسعود فقال أبو موسىٰ : لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٥ .

حدثني عمرو بن محمد ومحمد بن سعد ، قالا : ثنا وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي عمرو الشيباني قال:قال أبو موسى : لا تسألوني مادام هذا الحبر فيكم ، يعني ابن مسعود .

حدثني محمد بن حاتم المروزي وابراهيم بن مسلم الوكيعي قالا : ثنا وكيع بن الجراح ، أنبأ اسماعيل بن أبي خالد عن أبي عمرو الشيباني عن أبي موسىٰ بمثله .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ومحمد بن حاتم قالا : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن زيد بن وهب قال : أقبل عبدالله بن مسعود ذات يوم ، وعمر جالس فلما رآه عمر ، قال : كنيف ملىء فقهاً ، أو قال علماً .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا ابن نمير ، ثنا الأعمش عن حَبّة بن جُوَين قال: كنا عند علي بن أبي طالب فذكرنا بعض قول عبدالله فأثنى القوم عليه وقالوا : ما رأينا يا أمير المؤمنين رجلًا كان أحسن خلقاً ، ولا أرفق تعليماً ، ولا أحسن مجالسة ولا أشد ورعاً من عبدالله بن مسعود فقال علي : نشدتكم الله ، أهو الصدق من قلوبكم ؟ قالوا : نعم . فقال : اللهم إني أشهدك أني أقول فيه مثل ما قالوا وأفضل(١) .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا أبو خالد الأحمر عن المسعودي عن القاسم قال : كان عبدالله إذا حدث حديثاً جاء بمصداقه من كتاب الله .

حدثني أبو بكر الأعين ومحمد بن سعد قالا : ثنا الفضل بن دكين عن المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال : اختلفت إلى

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٦ .

عبدالله بن مسعود سنة فما سمعته يحدث فيها عن رسول الله ﷺ ولا يقول قال رسول الله ﷺ إلا أنه حدث ذات يوم فجرىٰ على لسانه قال رسول الله ، فَعَلَاهُ كَبْتٌ حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ، ثم قال : إن شاء الله إما فوق ذاك ، وإما دون ذاك ، وإما قريباً من ذاك[1] .

حدثنا عفان ، ثنا شعبة ، أنبأ جامع بن شداد ، ثنا عبدالله بن مرداس قال : كان عبدالله يخطبنا كل خميس فيتكلم بكلمات ونسكت نحن حين يسكت ، ونحن نشتهي أن يزيدنا .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا محمد بن عبدالله الأسدي عن مسعر بن كدام عن محمد بن جحادة عن طلحة بن مصرف قال : كان عبدالله يُعرف بالليل بريح الطيب[2] .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا خالد بن عبدالله ، ثنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال رأيت عبدالله بن مسعود رجلاً خفيف اللحم .

المدائني قال : يروى عن ابن مسعود أنه قال : إذا اكره القلب عَمِي .

وروي عنه أنه قال : ليس الواعظ من جهل أقدار السامعين وإرادة المريدين . وروي ذلك عن بكر بن عبدالله المزني أيضاً .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا أبو نعيم عن المسعودي عن القاسم بن عبد

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٧ .

الرحمن قال : كان عطاء ابن مسعود ستة آلاف درهم[1] .

وروي عن أبي الأحوص عن عبدالله أنه رأى عبدالله بن مسعود يخطب فرأى حية فنزل عن المنبر فقتلها .

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا عبيدالله بن موسى عن اسرائيل عن ابي اسحاق عن الحارث عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : لو كنت مؤثراً أحداً دون شورى المسلمين لأمَّرْتُ ابن ام عبد .

حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ، ثنا يحيى بن سعيد القطان ، انبأ سفيان عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن حارث بن ظهير قال : لما نعي ابن مسعود إلى أبي الدرداء قال : ما خلف بعده مثله .

حدثنا عمرو الناقد ، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي عليه السلام قلنا له : حدثنا ابن مسعود قال : علم القرآن والسنة ، ثم انتهى وكفى بذلك علماً .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا وكيع عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبي خالد رجل من أصحاب عمر رضي الله تعالى عنه قال : وفدنا على عمر فأجازنا ففضل أهل الشام علينا فقلنا: يا أمير المؤمنين أتفضل أهل الشام علينا ؟ فقال : يا أهل الكوفة ، أجزعتم أن فضلت أهل الشام عليكم لبعد سفرهم وقد آثرتكم بابن ام عبد .

حدثني داود بن عبد الحميد ، ثنا عيسى بن يونس عن الأعمش عن ابراهيم قال : قال عبدالله بن مسعود : إياكم وما يعتذر منه فإنه قلما اعتذر رجل إلا كذب .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٧ .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر عن عبد الرحمن بن محمد عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال : كان عبدالله بن مسعود رجلاً نحيفاً قصيراً شديد الأدمة وكان لا يغير شيبه .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن هبيرة بن يريم قال : كان لعبدالله شعر يرفعه على أذنيه كأنما جُعل بعسل ، قال وكيع : لا يغادر شعرة شعرة .

وحدثني محمد بن سعد ، ثنا الفضل بن دكين ، ثنا زهير عن أبي إسحاق عن هبيرة بن يريم قال : كان شعر عبدالله يبلغ ترقوته فإذا صلىٰ جعله وراء أذنه[1] .

حدثني علي بن شور المقرىء ، ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف ، ثنا سعيد بن أبي عروبة عن أبي معشر عن ابراهيم أنه كان خاتم ابن مسعود من حديد .

حدثنا شجاع بن مخلد ، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة أن عبدالله مرض مرضاً شديداً فجزع فقلنا له: ما رأيناك جزعت من مرض جزعك من مرضك هذا فقال : إنه أخذني واقرب بي من الغفلة .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن سفيان الثوري : قال : ذكر الموت عن عبدالله فقال : ما أنا له اليوم بمتيسر .

حدثني محمد بن سعد عن يعلى بن عبيد عن اسماعيل عن رجل من بجيلة أن عبدالله بن مسعود قال : وددت أني إذا مت لا أُبعث[2] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٨ .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٨ .

حدثنا القاسم بن سلام أبو عبيد ، ثنا اسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة أن زينب الثقفية امرأة عبدالله بن مسعود أخذت حلياً لها فقال لها ابن مسعود إلي أين تذهبين بهذا ؟ قالت : أتقرب به إلى الله ورسوله ، فقال : هلمي فتصدقي به عليّ وعلى ولدي فأنا له موضع . قالت : لا والله أو استأذن رسول الله ﷺ ، فاستأذنته فقال ﷺ : «تصدقي به عليه وعلى بنيه فإنهم له موضع» .

حدثنا ابراهيم بن مسلم الخوارزمي ، ثنا وكيع عن أبي العُميس عن عامر بن عبدالله بن الزبير أن عبدالله بن مسعود أوصى إلى الزبير وكانت وصيته :

بسم الله الرحمن الرحيم :

ذكر ما أوصىٰ به عبدالله بن مسعود إن حدث به حدث في مرضه .

هذا ما أوصىٰ إن مرجع وصيته إلى الله وإلى الزبير بن العوام وابنه عبدالله بن الزبير وأنهما في حل وبلّ مما وليا وقضيا من ذلك ، وأنه لا تزوج امرأة من بناته إلّا باذنهما ـ أو قال : بعلمهما ـ ولا تحجز عن ذلك زينب بنت عبدالله الثقفية .

حدثنا ابراهيم بن مسلم ، ثنا وكيع عن أبي العُميس عن حبيب بن أبي ثابت عن خثيم بن عمرو أن ابن مسعود أوصىٰ أن يكفن في حلة بمائتي درهم .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا مالك بن اسماعيل ، ثنا شريك عن محمد بن عبدالله المرادي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة بن عبدالله أن ابن

مسعود قال : ادفنوني عند قبر عثمان بن مظعون[١] .

حدثني هدبة بن خالد ، ثنا همام عن قتادة أن ابن مسعود دفن ليلاً .

حدثني بكر بن الهيثم ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وقتادة والكلبي أنهم قالوا في قول الله عزوجل : ﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً﴾[٢] كان منهم عبدالله بن مسعود .

وقال الواقدي ، أنبأ عبدالله بن جعفر عن عبد الرحمن بن محمد القاريّ عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال : مات عبدالله بن مسعود بالمدينة ودفن بالبقيع في سنة اثنتين وثلاثين وله دار بالكوفة ابتناها إلى جانب المسجد .

وقال الواقدي : توفي ابن مسعود وهو ابن بضع وستين سنة وصلى عليه عمار بن ياسر ، ويقال عثمان بن عفان ، واستغفر كل واحد منهما لصاحبه قبل موت عبدالله ، قال : وصلاة عثمان عليه أثبت عندنا . وقد روىٰ قوم أنه أوصىٰ ألا يصلي عليه عثمان .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، حدثني وهب بن جرير بن خازم ، أنبأ شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال : شهدت أبا موسى وأبا مسعود فقال أحدهما لصاحبه : أتُراه ترك بعده مثله ، قال : لئن قلت ذاك فقد كان يدخل إذا حُجبنا ويشهد إذا غِبْنَا .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن منصور بن أبي الأسود عن ادريس بن يزيد عن عاصم بن بَهْدَلة عن زُر بن حبيش قال : ترك ابن

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٩ .

٢ ـ سورة محمد ـ الآية : ١٦ .

مسعود لتسعين ألف درهم[1] .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ووهب بن بقية قالا : ثنا يزيد بن هارون عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : دخل الزبير على عثمان بعد وفاة ابن مسعود فقال : أعطني عطاء عبدالله فأهل عبدالله أحق به من بيت المال ، فأعطاه خمسة عشر ألف درهم .

حدثني عمرو الناقد ، ثنا حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبدالله بن مسعود أوصى إلى الزبير ، وكان عثمان قد حرمه عطاءه سنتين ، فأتاه الزبير فقال له : إن عيال عبدالله أحوج إلى عطائه من بيت المال فأعطاه عشرين ألف درهم أو خمسة وعشرين ألفاً .

حدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة ، حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحىٰ عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كنا يوماً عند أبي موسى في المسجد فنظر إلى الشمس حين زالت فقال : أين عبدالله ، هذا ميقات هذه الصلاة فما كان بأسرع أن جاء عبدالله مسرعاً ، قال : وكان عبدالله يصلي يومئذٍ بالناس .

حدثني بكر بن الهيثم ومحمد بن سعد ، قالا: ثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان عن الأعمش ، أنبأنا زيد بن وهب قال : كان عبدالله يؤمّنا في شهر رمضان وينصرف بليل .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه في إسناده قال : بعث عمر عبدالله بن مسعود إلى الكوفة يعلم الناس القرآن والسنة ، وولاه بيت المال ، وكان أول الناس جاء ببيعة عثمان إلى الكوفة وأخذها على الناس، ثم إنه بلغ

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٦٠ .

عثمان عنه بعض الأمر ، فأشخصه إلى ما قبله وأسمعه ، ولم يأذن له في الخروج من المدينة فأقام بها ثلاث سنين حتى مات ، وكان موته قبل مقتل عثمان . ولما مرض مرضه الذي مات فيه مَرَّضَهُ أزواج النبي ﷺ وأصحابه ، وأتاه عثمان يعوده فقال له : كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : بخير . قال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي . قال : فما تتمنىٰ ؟ قال : رحمة ربي . قال : ألا أدعو لك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : أفلا آمر لك بعطائك ، وكان قد قطعه عنه لموجدته عليه ، فقال : منعتنيه وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا مستغنٍ عنه . قال : يكون لولدك . قال : يرزقهم الله . فدفن بالبقيع وصلى عليه عمار بن ياسر ، وكلم الزبير عثمان في عطائه فدفعه إليه لولده وعياله .

قال : وكان ابن مسعود يخطب بالكوفة فيقول : الشقيّ من شقي في بطن أمه والسعيد من وُعِظَ بغيره ، وكان يعلم الرجال القرآن ثم يتحول فيعلم النساء وكان يطرد النساء يوم الجمعة من المسجد ويقول : عليكنّ ببيوتكنّ فإن هذا ليس لكنّ بمجلس .

وروي عن ابن مسعود أنه قال : إياكم وفضول القول فبحسب المرء من الكلام ما بلغ من حاجته .

وقال أبو اليقظان : قتل ابن مسعود أبا جهل . وكان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن وكان صاحب سواده أي أسراره ، وصاحب وساده ، وصاحب نعليه ورحلته ، وصلى عليه الزبير ، وإليه أوصى ، وكان النبي ﷺ آخى بينه وبينه .

ومن ولد عبدالله بن مسعود : **أبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود** .

والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود ولي قضاء الكوفة ، وكان عالماً بأمور العرب وأشعارهم فقهياً ، وذكروا أنه فُلج ، **والقاسم بن عبد الرحمن بن عبدالله** مات في ولاية خالد بن عبدالله القسري .

ومنهم : **عتبة بن مسعود**[1] أخو عبدالله بن مسعود لأبيه وأمه ، يكنى أبا عون ، أسلم وهاجر مع أخيه إلى أرض الحبشة في المرة الثانية ، ومات بالمدينة في أيام عمر بن الخطاب ، وكان ممن أقام مع جعفر بن أبي طالب بأرض الحبشة ، ثم قدم مع جعفر حين قدم .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا إسماعيل بن ابراهيم - يعني - ابن علية عن يونس عن الحسن قال : لما توفي عتبة بن مسعود وَجَدَ عليه عبدالله بن مسعود وجداً شديداً ، فقيل له في ذلك ، فقال : أما والله ! إذ قضىٰ الله فيه ما قضىٰ فما أُحبّ أني دعوته فأجابني .

حدثنا عبدالله بن صالح ، أنبأ روح بن مسافر عن حماد عن ابراهيم عن ابن مسعود أنه لما نُعي إليه أخوه عتبة قال : والله ما أحبّ أنه جالس فيكم الساعة وإن لم يكن أحدٌ كان أحبُّ إليّ منه ، قالوا : ولم تقول هذا يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : لأني كنت أُحبُّ أن أؤجر فيه ولا يؤجر فيّ .

وعبدالله بن عتبة بن مسعود ، وقد ولي لعمر بن الخطاب .

وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود صاحب عبدالله بن عباس .

وعون بن عبدالله[2] بن عتبة بن مسعود وهو الذي يقول فيه :

وقالوا مؤمن من أهل جورٍ … وليس المؤمنون بجائرينا

١ - بهامش الأصل : عتبة بن مسعود رحمه الله .

٢ - بهامش الأصل : عون بن عبدالله .

وقالوا مؤمن دمه حلالٌ وقد حَرُمَتْ دماء المؤمنينا

ثم إن عون بن عبدالله خرج مع ابن الأشعث فيما يقال ، فلما هزم أصحابه هرب فأتىٰ محمد بن مروان بن الحكم بنصيبين فأَمَّنَهُ ، ثم إنه لزم عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فكانت له منزلة منه حسنة ، وإياه عنى جرير بن عطية في قوله :

يا أيها القارىء المرخي عمامته هذا زمانك إني قد مضىٰ زمني
أبلغْ خليفتنا إنْ كنتَ لاقِيَهُ إني لدىٰ الباب كالمقرون في قَرَنِ[1]

وقد ذكرنا هذا الخبر فيما تقدم من كتابنا .

ووعظ عَوْن المفضل بن المهلب فقال : إياك والكبر فإنه أول ذنب، عُصي به الله ثم تلا : ﴿إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[2] .

وكان عبد الملك ألزمَه ابنه الوليد ، فسأله عنه فقال : ألزمتني رجلاً إن قعدتُ عنه عَتَبَ ، وإن أتيتُه حَجَبَ ، وإن عاتبتُه غَضِبَ . وقال بعضهم إن محمد بن مروان ألزمه ابنه فقال فيه هذاالقول ، ويقال إن سليمان بن عبد الملك ألزمه ابنه .

المدائني قال : قال عون بن عتبة : المؤمن أشد الناس لله خوفاً وعلى نفسه زَرْيَاً ولعمله احتقاراً وأكثرهم حزناً وأشدهم فيما عند الله رغبة ، وأحسنهم بالله ظناً .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدوقي ، ثنا يحيى بن معين ، ثنا حجاج بن محمد عن المسعودي عن عون بن عبدالله بن عتبة قال : الخير من الله كثير ،

---

١ ـ ديوان جرير ص ٤٨٦ .
٢ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٣٤ .

ولن يبصره من الناس إلّا اليسير ، وهو للناس معروض ، ولكن لا يعرفه من لا يراعيه ، ولا يجده من لا يبتغيه ، ولا يستوجبه من لا يعمل له ، ألا ترون إلى كثرة نجوم السماء التي لا يهتدي بها إلا العلماء .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو القيسي عن قرة عن عون بن عبدالله قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : «أربع من الإيمان : الحياء ، والعفاف ، وعيّ اللسان لا عيّ القلب ، والفقه ، وهن يَزِدْنَ في الآخرة ويَنْقُصْن من الدنيا ، وما يزدن في الآخرة أكثر مما ينقصن من من الدنيا . وثلاث من النفاق : الفحش والبذاء والشح ، وهن يزدن في الدنيا وينقصن من الآخرة وما ينقصن من الآخرة أكثر مما يزدن في الدنيا» قال : فحدثت بذلك عمر بن عبد العزيز فأعجبه .

المدائني عن يحيى بن اليمان عن سفيان قال : قال عون بن عبد الله : الدنيا غير مأمونة، من أكرمها أهانته، ومن رفضها أكرمته تخرج من يد من أطمأن إليها ووثق بدوامها وينالها من لم يكن يرجوها .

المدائني عن جويرية بن أسماء قال : حدث عون بن عبد الله عمر بن عبد العزيز عن ملك بنى مدينة له فأحسن بناءها ، وهيأ طعاماً للناس فجعل الرجل يأكل ويخرج فيسأله قوم قد وكّلهم بمسألة الناس عن المدينة : هل تعرفون فيها عيباً ؟ فجعلوا ينعتون ويصفون ، حتى خرج من المدينة رجل قد طعم فقالوا له : هل رأيت في المدينة عيباً ؟ فقال : نعم رأيت أنها تخرب بموت صاحبها ، فأخبر الملك بذلك فقال : صدق ، وترك ملكه وجعل يتعبد مع قوم كانوا يعرفونه وتركهم ، وقال : إن هؤلاء قد رأوني ملكاً فهم يجلّوني ، فاعتزلَهُم وأتى قوماً لا يعرفونه فساح معهم ، فهمَّ عمر بن عبد

العزيز أن يسيح ويخرج من الخلافة حتى ردَّهُ مسلمة عن ذلك ، وقال له : أَتُضَيِّعَ أَمْرَ أُمَّةِ محمدٍ فَسَكَنَ .

حدثنا محمد بن ابراهيم الدورقي عن حنظلة عن عون بن عبد الله قال : قلت لعمر بن عبد العزيز إن استطعت أن تكون عالماً فكن عالماً ، فإن لم تستطيع فكن متعلماً ، فإن لم تكن متعلماً فأحبَّ العلماء فإن لم تحبهم فلا تبغضهم .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو نعيم الأحول ، ثنا حنظلة قال : سمعت عون بن عبد الله بن عتبة يقول : كان عبد الله بن مسعود يعلّم الناس أربعاً : اللهم إني أعوذبك من غنىً يُطغي ، وفقر يُنسي . وهوىً يُردي ، وعمل يخزي . قال وزدت أنا عليها : ومن صاحب يُغوي ، وجار يُؤذي .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، ثنا أبو أسامة عن مسعر عن معن بن عبد الرحمن عن عون قال : بينا رجل في بستان بمصر ، وهو مهموم إذ وقف عليه رجل فقال له : مالي أراك مهموماً أللدنيا ، فإنّ الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر ، أم للآخرة ، فإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل . فكانوا يرون أنه الخضر .

حدثنا الحسين بن علي ، ثنا وكيع عن مسعر عن زيد العميّ عن عون بن عبد الله قال : كان أهل الخير يقولون ويكتبون : من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته .

حدثني عبد الله بن صالح عن ابن يمان عن سفيان قال : قال عون بن

عبد الله بن عتبة : الخير الذي لا شر فيه : الشكر مع العافية ، فَرُبَّ مُنْعَم عليه غير شاكر ، ومتبلى غير صابر .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا يزيد بن هارون عن المسعودي عن عون أنه كتب إلى رجل : أما بعد فإني أوصيك بوصية الله التي حفظها سعادة لمن حفظها ، وإضاعتها شقوة لمن ضيَّعها ، واعلم أن رأس تقوى الله البصر وحقيقتها العمل ، وكمالها الورع ، وأن يفي لله بشرطه الذي شرط ، وعهده الذي عهد ، وفرضه الذي افترض ، وأن ينقض كل عهد للوفاء بعهده ولا ينقض عهده للوفاء بعهد غيره ، هذا جماع من القول يبصره البصير ولا يعرفه إلا اليسير .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ثنا أبو النضر عن عبد الرحمن المسعودي عن عون قال : كان يقال : من كان في صورة حسنة ، وموضع لا يشينه ، ووسع عليه في رزقه ثم تواضع لله واتقاه كان من خلصان[1] الله .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو النضر عَن عبد الرحمن المسعودي عن عون قال : كان يقال أزهد الناس في عالم أهله وَمَثَلُ ذلك مَثَلُ السراج بين أظهر القوم ليستصبح الناس به ويقول أهل البيت هو معنا وفينا ، ويتكلون فلا يُفْجِئُهم إلا طَفْؤُه .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا حجاج بن محمد عن المسعودي عن عون بن عبد الله قال : قال رجل من الفقهاء : روَّأت في أمري فلم أجد خيراً لا شرّ معه إلا المعافاة والشكر .

---

١ ـ بهامش الأصل : خلصاء .

المدائني عن عون بن عبد الله قال : ما أحسن الحسنة في أثر الحسنة ، وأقبح منها السيئة في اثر السيئة .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو داود الطيالسي عن قرة عن عون بن عبد الله قال : كان يقال ان من البيان سحراً ، ومن ذلك أن يكون بين الرجلين خصومة فيقول أحدهما لصاحبه إختر أيّ الخصومتين شئت فإنك لا تختار واحدة إلا خصمتك بالأخرى .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا علي بن إسحاق المروزي عن ابن المبارك عن عبد الله بن الوليد عن عون بن عبد الله قال : أوصى رجل ابنه فقال يا بني عليك بتقوى الله وطاعته ، وإن استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس ، وغداً خيراً منك اليوم فافعل ، وإذا صليت فصلّ صلاة مودّع . وإياك وكثرة تطلب الحاجات فإنه فقر حاضر ، ودع ما يعتذر منه .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا حجاج بن نصر عن قرة عن عون قال : مَثَلُ الذي يطلب العلم في الأحاديث ويترك القرآن مثل رجل أخذ باب زَرْبه على غنمه فمرت به ظباء فاتبعها يطلبها فلم يدركها ، ورجع فوجد غنمه قد خرجت وتفرقت فلا هذه أدرك ولا تلك حفظ .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا يزيد بن هارون عن المسعودي قال : قال عون بن عبد الله : إن من قبلنا كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم وانكم اليوم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم .

المدائني قال : قال عون بن عبد الله : إن الله ليبتلي الرجل بما يكرهه عليه ليأجره ، كما يُكره أهل المريض مريضهم على الدواء لينفعه .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو داود صاحب الطيالسة ، ثنا مطرف

عن عون بن عبد الله أنه سمعه يقول : الدنيا والآخرة في قلب ابن آدم كَكِفَتي الميزان إذا رجحت إحداهما خفت الأخرى . قال : وسمعته يقول ما تحابّ رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو داود ، ثنا مطرف قال : سمعت عون بن عبد الله يقول إذا سرك أن تنظر إلى الرجل أحسن ما يكون حالاً فانظر إليه وهو قائم يصلي .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا يزيد بن هارون عن المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله عن عون قال : ما أحسب أحداً تفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه .

حدثنا أحمد بن ابراهيم عن يزيد بن هارون عن المسعودي عن عون أنه كان يقول : ما أنزل أحد الموت حق منزلته إلا وهو لا يعد عدة إلّا من أجله . فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله وراجٍ غداً لا يدركه ، إنك لو أُذكرت الأجل ومسيره أبغضت الأمل وغروره .

حدثنا أحمد ، ثنا أبو النصر عن عبد الرحمن المسعودي عن عون بن عبد الله قال : الصيام من أربع : من المطعم ، والمشرب ، والمأثم ، والمحرم .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا قتيبة أبو رجاء البلخي ، ثنا ليث بن سعد عن ابن عجلان عن عون أنه كان يقول : اليوم المضمار ، وغداً السباق ، والسبقة الجنة ، وبالعفو تنجون .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا قتيبة بن سعيد أبو رجاء عن ليث عن ابن عجلان عن عون أنه قال : من تمام التقوى أن تبتغي إلى ما علمت منها وما لم

تعلم فإن لم تعلم فإن النقص مما علمت ترك ابتغاء الزيادة فيه ، وإنما يحمل الرجل على ترك ابتغاء الزيادة منه قلة انتفاعه بما علم .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو السري سهل بن محمود عن الأشجعي عن موسى الجهني عن عون بن عبد الله أنه كان يقول : ويح نفسي كيف أغفُل ولا يُغفَل عني أم كيف يهنئني عيشي واليوم الثقيل ورائي ، أم كيف يشتد عجبي بدار في غيرها قراري وخلودي .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن قرة عن عون أنه قال في قول الله عز وجل : ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾[1] قال : نصيبه من الدينا العمل الصالح فيها وليس كما تظنون .

حدثنا المدائني عن المسعودي عن عون بن عبدالله أنه قال : بحسبك من الكبر أن ترى لنفسك فضلاً على غيرك .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا الحجاج بن نصر عن قرة عن عون قال : إن الله ليأخذ بحجزة العبد أن يقع في النار .

حدثنا أحمد بن ابراهيم عن ميسرة بن اسماعيل الحلبي عن نوفل بن فرات عن عون أنه كان يقول : إن لكل إنسان سيداً من عمله ، وأن سيد عملي الذكر .

حدثنا أحمد بن ابراهيم، ثنا أبو السري سهل بن محمود، ثنا سفيان عن أبي هارون قال : أتانا عون بن عبدالله في مجلس محمد بن كعب فجعل يبكي ، وكان من موعظته أن قال : يا إخوتي لا تنسوا الفضل بينكم وإن أتى أحدكم سائل فلم يكن عنده ما يعطيه فليدع له بخير .

---

١ ـ سورة القصص ـ الآية : ٧٧ .

حدثنا أحمد ، ثنا سهل بن محمود عن سفيان قال كان عون يقول : جالست الأغنياء فكنت كثير الهمّ أرى مركباً أَفْرَهُ من مركبي ، وثوباً أحسن من ثوبي ، ثم جالست الفقراء فاسترحت .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا سهيل بن محمود عن سفيان قال : كان عون يقول الحمدلله الذي إذا شئت وضعت سري عنده أية ساعة شئت من ليل أو نهار بلا شفيع ، فيقضي حاجتي ، والحمدلله الذي إذا دعوته أجابني ، وان كنت بطيئاً حين يدعوني .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا مبشر الحلبي عن تمام بن نجيح قال : رأيت على عون مطرف خز وجبة خز ، وهو جالس بين المساكين ، قال : وكنا نأتيه فيأمر جارية له فتقرأ القرآن بصوت حزين حتى تبكينا .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو النصر عن المسعودي عن عون بن عبدالله أنه مر برجل يسبّح فقال : نِعْمَ ما تَغْرس .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا عنبسة بن سعيد القرشي عن ابن المبارك عن المسعودي عن عون قال : الذاكر في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو معاوية الضرير ، ثنا عاصم الأحول عن عون بن عبدالله قال : اجعلوا مسألة ربكم مُهِمَّ حوائجكم في الصلاة المكتوبة ، فإن فضل الدعاء فيها كفضلها على النافلة .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا مبشر بن اسماعيل عن الأوزاعي عن عمر بن سعيد عن عون بن عبدالله قال : من قال هؤلاء الكلمات حين يصبح ويمسي لم يكتب يومئذ من الغافلين : اللهم أَسْلَمْتُ ديني إليك ، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، والجأت ظهري إليك، رهبة لك

ورغبة إليك ، لا ملجأ منك إلا إليك ، آمنت بالرسول الذي أرسلت ، والكتاب الذي أنزلت ، وأنت مَنَنْتَ علي بذلك ، وهديتني فلك الحمد كثيراً .

حدثني أحمد بن ابراهيم ، حدثني يحيى بن معين ، ثنا الحجاج بن محمد عن المسعودي عن عون أنه كان يقول في بكائه وذكر خطيئته : ويحي لأيّ شيء أعصى ربي إنما عصيته بنعمته عندي ، ويحي من خطيئة ذهبت شهوتها عني وبقيت تبعتها عليّ في كتاب كتبه كتّاب لم يغيبوا عني. وا سَوْءَتي إذا لم استحيهم ولم أراقب ربي ، ويحي نسيتُ ما لم يُنس مني ، ويحي طاوعتُ نفساً لا تطاوعني ، طاوعتها فيما يضُرها ويضرني ولم تطاوعني فيما ينفعها وينفعني . ربّ إني لم أرحم نفسي فارحمني ، رب لا تكلني إليها فتُهلكني ، ويحي كيف أنسىٰ ملَك الموت الذي قد وُكلَّ بي ، أنساه ولا ينساني ، يقصّ أثري فإن فررت أدركني ، وإن ثَبَتُّ وجدني ، ويحي كيف ينام على مثل هذا الأمر ليلي ، وكيف يقر على مثله مثلي ، ويحي كيف لا يُذْهِبُ ذكر خطيئتي كسلي في عبادة ربي ، ولا يبعثني لما يُذهبها عني ، ويحي إن لم يرحمني ربي ، ويحي أما تنهاني أُولىٰ خطيئتي عن الأخرى التي عمي عنها قلبي ، ويحي إن حُجِبْتُ يوم القيامة عن ربي فلم يُزكّني ولم ينظر إلي ، ويحي كيف لا يُشغلني ذكر خطيئتي عما يضرني ولا ينفعني . ويحكِ يا نفس تنسين ما لا يُنسىٰ ، وقد أتيت ما لا يُؤتىٰ ، وكل ذلك عليك مُحصىً في كتاب لا يَبيْد ولا يَبْلَىٰ ، أما تخافين أن تُجْزي به فيمن يجزىٰ يوم تجزىٰ نفس بما تسعىٰ وقد آثرت ما يفنىٰ على ما يبقىٰ ، يا نفس ويحك ألا تشفقين ، وعلى ما أنت فيه تندمين ، وبربك تأثمين ، مالك إذا افتقرت تحزنين ، وإذا استغنيت تبطرين ، وإذا

دُعيت للخير تكسلين ، ويحك لم تقولين في الدنيا قول الزاهدين ، ولا تعملين للآخرة عمل الراغبين ، يا نفس أترجين أن يرضى وانت لا ترضين ، مالك إن سألت تكثرين ، وإن أنفقت تقترين ، ترجين الآخرة بغير عمل وتؤخرين التوبة بطول الأمل ، وإن ابن آدم إذا سقم ندم ، وإذا صح أَمِنَ ، واذا افتقر حزن ، واذا استغنىٰ فُتن أيرغَب ولا ينصَب فيما يرغب ، ويرجو السلامة ، ولم يحذر البلاء ، ويح لنا ما أَغَرَّنا ، ويح لنا ما أغفلنا ، ويح لنا ما أجهلنا ، ويح لنا ماذا يراد بنا ، ويح لنا إن خُتم على أفواهنا وتكلمت أيدينا وشهدت أرجلنا ، ويح لنا حين تفشو أسرارنا وتستفتىٰ جوارحنا ، وتشهد علينا أجسادنا ، فيومئذٍ لا براءة عندنا ولا عذر لنا ، لنا الويل الطويل إن لم يرحمنا ربنا . ربّ ما أحكمك ، وأمجدك ، وأجودك ، وأرأفك ، وأرحمك ، وأعلاك ، وأقربك ، وأقدرك ، وأقهرك ، وأوسعك ، وأفضلك ، وأبينك ، وأنورك ، وأنآك وأحضرك ، وألطفك وأخبرك ، وأحكمك ، وأشكرك ، وأحلمك ، وأكرمك . ربّ ما أبلغ حجتك وأكثر مدحتك ، رب ما أَبْيَنَ كتابك ، وأشد عقابك ، وأحسن مآبك وأجزل ثوابك ، ربّ ما أسنىٰ عطاءك ، وأجلَّ ثناءك رب ما أحسن بلاءك ، وأسبغ نعماءك ، ربّ ما أعظم سلطانك وأوضح برهانك ، رب ما أمتن كيدك ، وأغلب أَيْدَكَ ، رب ما أعز ملكك وأنفذ أمرك ، رب ما أعظم عرشك ، وأشد بطشك ، رب ما أسرع فَرَجك وأحكم فعلك ، رب ما أوفى عهدك ، وأصدق وعدك ، رب ما أحضر نفعك ، وأتقن صنعك ، عجباً كيف تَعْظُمُ في الدنيا رغبتي ، وقليلٌ ما فيها يكفيني ، أم كيف يشتد فيها حرصي ولا ينفعني ما تركت منها بعدي ، وكيف أؤثرها وقد ضرَّت من آثرها قبلي ، أم كيف لا أبادر بعملي

قبل أن يَغلق رهني ، أم كيف تَقَرُّ عيني مع ذكر ما سلف مني ، فاغفر لي ، واجعل طاعتك همي ، وَقَوِّ عليها عزمي ، ولا تُعرض عني يوم تَعرِضني بما سلف من ظلمي وجرمي ، وآمنيّ يوم الفزع الأكبر حين لا يهمّني إلاّ نفسي .

وحدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا يحيى بن معين عن الحجاج بن محمد عن المسعودي عن عون بن عبدالله أنه قال : يا بني كن ممن نُئِيَ به عَمَّنْ نُئِيَ عنه بغنىً ونزاهة ودُنُوِّهِ ممن دنا منه بلين ورحمة ، ليس نَأْيُهُ بكبر وعظمة ، ولا دُنُوِّه بخدع وخلابةٍ ، يقتدي بمن قبله وهو إمام من بَعْدَه ، ولا يَعْجِل فيما رَابَهُ ، ويعفو إذا تَبَيَّنَ ، يُغْمِضُ في الذي له ويزيد في الحق الذي عليه ، ولا يَعْزُبُ حِلْمُهُ ولا يَحْضُرُ جهله ، الخير منه مأمول والشر مأمون ، إن زُكِّيَ خاف ما يقولون واستغفر لما لا يعلمون ، يقول : ربي أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي من غيري ، فهو لا يَغُرُّه ثناء من جَهِلَ أمره ولا ينسىٰ إحصاء شيء من عمله ، يستبطىء نفسه في العمل ويأتي ما أتىٰ من الصالحات على وجل ، إن عصته نفسه فيما كرهتْ لم يَتّبعها فيما أحبَّتْ ، يَبيتُ حَذِراً ويصبح فرحاً،حَذِراً من الغفلة ، وفرحا لما أصاب من الفضل ، لا يحيف للأصدقاء ولا يجنف على الأعداء ، ولا يعمل الخير رياء ، ولا يَدَعُ شيئاً منه حياءً ، يصمتُ لِيَسْلَم ، ويخلو ليغنم وينظر ليفهم ، ويخالط الناس ليعلم ، مجالس الذكر مع الفقراء أُحبُّ إليه من مجالس اللَّغوِ مع الأغنياء، ولا تكنْ يا بني كمن تغلبه نفسه على ما نظر ولا يغلبها على ما يستيقن ، يتمنىٰ المغفرة ، ويعمل بالمعصية ، طال به الأمل فَفَتَر وطال عليه الأمد فاغْتَرَّ ، وأعذر إليه فيما عَمرَّ ، وليس هو فيما عمّر بمُعْذَر ، إن أُعطي لم يشكر ما أعطي ويبتغي الزيادة فيما بقي ، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المسيئين وهو

أحدهم ، يعوذ بالله ممن فوقه ولا يريد أن يعيذ الله منه من تحته ، يبصر الغررة من غيره ويُغفلها من نفسه ، يتصنع لتُحْسَب عنده أمانة وهو مرصد للخيانة ، يخف عليه الشِّعْرْ ، ويقل عليه الذكر ، يعجل النوم ويؤخر الصوم يبيت نائماً ولا يصبح صائماً ، يتصبح بالنوم ولم يسهر ويمسي وهَمُّه العشاء وهو مفطر ، إن صلىٰ اعترض ، وإن ركع ربض ، وإن سجد نقر ، وإن جلس شَغَر ، إن سأل ألحف ، وإن سئل سَوَّف ، وإن وعد أخلف وإن حَلَف حَنَث ، وإن وُعِظَ كَلَح ، وإن مُدِحَ فَرِح ، ليس له في نفسه عن عيب الناس شغل ، أهل الخيانة له بطانة ، وأهل الأمانة عليه علاوة ، يعجب من أن يفشو سره ، ولا يشعر من أين جاء ضره . يُسِرُّ من الناس ما لا يخفى على الله ، فيستحييهم ولا يستحي ربه ، ينظر نظر الحسود ، ويُعرض إعراض الحقود ، ويُرضي الشاهد ويُسخط الغائب ، يضحك من غير عجب ، ويسعىٰ إلى غير أرب ، لا ينجو منه من جانَبَهُ ولا يَسْلَم منه من صاحَبَه ، إن حدَّثته ملَّك ، وإن حدثك غَمَّك ، وإن فارقك أكلك ، إن حاورته بَهَتَك لا ينصت فيسلم ، ولا يتكلم بما لا يتعلم ، يغلب لسانه قلبه ، ويضبط قلبه قوله ، يتعلم المِراء ويُنْفِقُهُ للرياء ويكثر الكبرياء ، يسعىٰ للدنيا ويواكل في التُّقىٰ .

المدائني قال : كان عون بن عبدالله بن عتبة يقول : لم يُعذب أحد في الدنيا بمثل الظن السيء ، والحسد الدائم ، والجار البذيء ، والزوجة السليطة .

قال: وكان يقول : عجبتُ لرجل يطلب ما لعله لا يدركه ، ويدع ما يتيقن أنه مدركه .

كان يقول : عجباً لمن آثر ظناً على يقين ، وغرراً على ثقة .

وقال عمر لعون بن عبدالله بن عتبة : أما آن لك أن تترك الشعر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لابدّ للمصدور من أن ينفث .

وكان عون يقول : ليس كلام أوجز من كلام العرب ، قال امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل .... [1]

فوقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر حبيبه ، ومنزله في نصف بيت .

تَمَّ خبر عون .

وقال أبو اليقظان : كان عبيدالله بن عبدالله بن عتبة صاحب ابن عباس فقيهاً من خيار أهل المدينة ، وهو القائل لعمر بن عبد العزيز ، وعبدالله بن عمرو بن عثمان ومرًّا فلم يسلما عليه :

لا تعجبا أن تُؤْتَيا وتُكلما فما حُشيَ الأقوام شراً من الكِبْر
وهذا تراب الأرض منه خلقتما وفيها المعاد والمصير إلى الحشر

وقال أيضاً :

أبا عمرو كُنْ مثلي أو ابتغ صاحباً كمثلك إني مبتغ صاحباً مثلي
فما يلبث الأقوام أن يتفرقوا إذا لم يؤلَّف شكل قوم إلى شكل
ولا تَرجُوَنْ وُدَّ امرىءٍ ذي ملالة ولا يحبب الإخوان إلا ذوي عقل

قال : وقيل لعبيدالله بن عبدالله : كيف تقول الشعر مع فقهك وورعك ؟ فقال : إن المصدور لا يملك نفسه أن ينفث .

---

١ ـ ديوان امرؤ القيس ص ٢٩ .

ومن ولد عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود القاريّ : **عون بن عبدالله بن عون** بن عبدالله بن عتبة بن مسعود ، ولي القضاء ببغداد والنظر في أمر الزنادقة .

ومن ولد عتبة : **عبدالله** بن عبيدالله بن عتبة ، وكان شاعراً .

وقال غير الكلبي : هو **عبد** الرحمن بن عبدالله بن عتبة ومن شعره قوله :

أيها الشاتمي ليوهَنَ عظمي   أنت بي جاهل وفيك اغترار
ومتىٰ أَدْعُ زهرة بن كلاب   يستجيبوا أو تـأتني أنصـار
فيهمُ غلظةٌ لمن خـاشنـوه   ويسـار إذا يـراد يسـار

وهو القائل :

تمكَّن حب عَثْمَةَ في فؤادي   فبـاديـه مـع الخـافي كبـير
صدعتِ القلب ثم ذَرأْتِ فيه   هواك فَلِيْمَ فالتـام القطور[1]
تغلغل حيث لم يبلغ شراب   ولا حزن ولم يدخل سرور

وقال أيضاً :

أبـادر بـالمـال سُهمـانُـه   وقـول المعـوّض والـرائث[2]
وأمنح نفسي الذي تشتهي   وأؤثـر نفسي عـلى الـوارث

ومنهم : **عمرو بن عميس بن مسعود** قتله الضحاك بن قيس الفهري بالقطقطانة ، وقد كتبنا خبره في الغارات بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما .

١ ـ قطر الماء والدمع قطراً وقطوراً . القاموس .
٢ ـ الرائث : المتريث . القاموس .

وولد عمرو بن الحارث بن تميم : جُشم بن عمرو . ومازن بن عمرو . وضبة بن عمرو . وخثيم بن عمرو . وعنزة بن عمرو .

وولد معاوية بن تميم : سهم بن معاوية ، بطن . وقرد بن معاوية ، بطن . ومازن بن معاوية ، بطن . وعوف بن معاوية ، بطن . وحيّ بن معاوية ـ ويقال : حيّ : بطن ـ وجعيل .

ومن هذيل ثم من خُناعة : مالك بن خالد الشاعر .

ومن بني قُريم : أبو أراكة الشاعر وأبو بثينة الشاعر أيضاً .

ومن بني كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

صخر الغيّ[١] الشاعر ، وكان صخر الغي عمد إلى جار لبني خُناعة فقتله ، وكان المقتول مزنياً ، فحرض أبو المثلم الهذلي الشاعر قومه عليه ، فقال صخر قصيدة ردّ عليه فيها وهي التي أولها :

إني بـدهماء عَـزَّ ما أَجِـدُ عاوَدَني من حبابهـا الزُّؤَدُ[٢]

وصخر الغيّ : صخر بن حبيب بن سويد بن رياح بن كليب بن كعب بن كاهل .

وأبو كبير بن ثابت بن عبد شمس[٣] بن خالد بن عمر بن عبد بن كعب بن مالك بن كاهل الشاعر ، وأبو كبير القائل :

---

١ ـ بهامش الأصل : صخر الغي الشاعر .

٢ ـ بهامش الأصل : قلب مزؤود : مذعور . ديوان الهذليين ـ ط . القاهرة ١٩٤٥ ج ٢ ص ٥٧ . والحباب والحب وأحد ، والزؤد : الزعر .

٣ ـ اسمه في ديوان الهذليين ص ٨٨ : عامر بن الحليس . وجاء بهامش الأصل : أبو كبير الشاعر .

عَجِلَتْ يداكَ لخيرهم بِمَرشَّةٍ كالعطِّ وسط مزادة المستخلِفِ [١]

وهو القائل :

يُهدي العمود[٢] له الطريق إذا هُمُ نهضوا وتعمد للطريق الأسهل

ولقد سريت على الظلام بمغشم[٣] جَلْدٍ من الفتيان غير مُهَبَّل[٤]

مما حملن به وهُنَّ عواقد حَبْكَ[٥] النطاقِ فَشَبّ غَيْرَ مُثَقَّل

حملت به في ليلة مزؤودة كُرهاً وعَقْدُ نطاقها لَمْ يُحْلَلِ

فأتَتْ به حوش[٦] الجنان مُسَهَّداً سُهُداً إذا ما نام ليل الهَوْجَلِ [٧]

ومن بني كعب بن كاهل : ساعدة بن جُؤيَّة[٨] بن عبد ويقال إنه من بني كعب بن صبيح بن كاهل وهو القائل :

هجرت غضوبُ وحبّ من يتجنب وعَدَتْ عَوَادٍ دون وَلْيِكِ تَشْعَبُ[٩]

يقول : ما أحبّ إلينا من يتجنّب يعني غضوب . وهو القائل :

---

١ - ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٠٩ - والمرشة: طعنة واسعة الفرغ، يتفرق دمها، والعط الشق . والمزادة : الراوية ، والمستخلف : الذي يستقي لأصحابه .

٢ - العمود : العصا التي يتوكأ عليها .

٣ - المغشم : الذي يغشم الناس ويظلمهم .

٤ - المهبل : الكثير اللحم .

٥ - الحبك : كل ما حزم به .

٦ - حوش الجنان : حوش الفؤاد ، حديده .

٧ - فلاة هوجل : إذا لم يكن يهتدي فيها . ديوان الهذليين ج ٢ ص ٩٠ - ٩٣ .

٨ - بهامش الأصل : ساعدة بن جؤية الشاعر .

٩ - ديوان الهذليين ج ١ ص ١٦٧ .

فالطعن شغْشَغَةٌ والضرب هَيْقَعَةٌ[١]   ضرب المُعَوّلِ تحت الدِّيْمَة العَضدَا

والعاله : أن تقطع الشجر يستظل بها من المطر ، والعضد ما عضدت من الشجر أي قطعت .

ومن هُذيل : **البُرَيْق** وهو غياض بن خُويلد الشاعر ، أحد بني سهم بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل .

وأسامة بن الحارث الشاعر ، وهو أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد ، وهو القائل لرجلٍ مهاجر من قيس في أيام عمر بن الخطاب .

عصاني أنيس في الذهاب كما أَبَتْ   عَسُوسٌ صوى في ضرعها الغُبْرُ مانع

عسوس : سيئة الخلق من الإبل . وصوى : يبس . مانعٌ : تمنع الحَلْب .

ومن هذيل : **أبو خويلد الشاعر** ، وهو معقل بن خويلد بن واثلة بن عمرو بن عبد يا ليل بن مطحل بن مرمض بن حرب بن جُداعة بن سهم بن معاوية بن تميم ، وكان حليف أبي سفيان بن حرب ، وكان وفد إلى النجاشي في أسراء قومه فوهبهم له ، فقال في قصيدة له :

وسود جعاد غلاظ الرقاب   مثلهم يرهب الراهب

أتيت لإنقاذهم منهم   وليس معي منكم صاحب

يرى الشاهد الحاضر المطمئن   من الأمر ما لا يرى الغائب

ومن بني قرد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل :

---

١ ـ الشغشغة : تحريك السنان في المطعون ، والهيقعة : حكاية وقع السيف ، أو ضربك الشيء اليابس على اليابس لتسمع صوته . القاموس .

أبو خراش[١] واسمه خويلد بن مرة .

وإخوته : الأسود بن مرة . وعروة بن مرة . وأبو جندب بن مرة . وأبو الأسود . وعمرو . وزهير . وجناد . وسفيان ، كانوا دهاة شعراء سراعاً ، وأمهم هذلية ، ويقال ان أم سفيان وحده هذلية .

فأما الأسود بن مرة فكان على مالهم وهو غلام ، فوردت عليه إبل لبعض القرديين يقال له رئاب ، فرمى الأسود ضرع ناقة لرئاب فغضب الشيخ فضربه بالسياط فقتله ، فغضب بنو مرة ، وكان أبو جندب أشدهم غضباً فكُلِّم حتى رضي بالعقل ، فلما أتوه به سكت وقال احبسوه حتى أعتمر وأرجع ، ومضى نحو الحرم وهو يقول :

فمن كان يرجو الصلح فيه فإنه كأحمر عادٍ أوكليب بن وائل

وهَمّ بقتل رجال من هذيل فكُفُوا مؤونته بذبحة أصابته بجانب الحرم . وقَتَلَ زهير بن مرة قومٌ من ثمالة من الأزد ، وهو متقلد لحاء من شجر الحرم ، فقال أبو خراش :

قتلتم فتى لا يفجر الله عامداً ولا يجتويه جاره عام محل

وقُتل عروة أخوه ، قتلته خزاعة فقال أبو خراش :

تقول أراه بعد عروة لاهياً وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبي أني تناسيت عهده ولكن صبري يا أميم جميل[٢]

وقتل أبا الأسود بن مرة بنو فهم بن عمرو بياتاً تحت الليل .

وكان أبو جندب بن مرة مرض وكان له جار من خزاعة ، فقتله بنو

---

١ ـ بهامش الأصل : أبو خراش الشاعر .

٢ ـ ديوان الهذليين ج ٢ ص ١١٦ .

لحيان في مرض أبي جندب وأخذوا ماله وقتلوا امرأته فخرج أبو جندب حين أفاق إلى مكة وقال :

إني امرؤ أبكي على جارَيّه   أبكي على الكعبيّ والكعبيَّه
ولــو هلكتُ بكيــا عَلَيَّــه   كانا مكان الثوب من حَقْويَّه

ثم استجاش على بني لحيان فقتل منهم وسبى وقال :

لقد أَمسى بنو لحيــان مني   بحمد الله في خِزْي مبين[1]

في أبيات .

وكان الأَبَحّ بن مرة عمد في أصحاب له يريد حيًّا من الديل ، وكان بين عدي بن الديل وبين بني يعمر من بني نفاثة بن عدي بن الديل شر وحرب ، وبلغ ذلك سارية بن زُنيم فطلبه ففاته وقال :

لعمرك ساري بن زنيم اعلم   لأنت بعـرعَـر الثـأر المنيم
عليك بني معاوية بن صخر   فـأنت بمـربـع وهم بضيم
تسـاويهم على وصفٍ وظنٍّ   كدابغة وقـد حلم الأديم[2]

وأما أبو خراش فأسلم وحسن إسلامه ، ورأى في خلافة عمر رضي الله عنه نفراً من حجاج اليمن فاستسقوا ماء ، فأخذ قربه وسعى إلى ماء هناك ، فلدغته حية فما برحوا حتى دفنوه .

وقال أبو خراش حين حضرته الوفاة :

لعمـرك والمنـايـا غـالبـات   على الإنسان تطلع كل نجد

---

١ ـ ديوان الهذليين ج ٣ ص ٩٠ .
٢ ـ حلم الأديم ، أصابته الحلمة وهي دودة تأكله . الأغاني ج ٢١ ص ٢٢٠ .

لقد أهلكت حية بطن أنف   على الإخوان ساقاً ذات فقد[١]

وقال أيضاً :

لقد اهلكت حية بطن أنف   على الإخوان ساقاً ذات فضل
فما تركت عدواً بين بصرى   إلى صنعاء يطلبه بذحل[٢]

وهاجر خراش ابنه فقال فيه :

ألا من مبلغ عني خراشاً   وقد يأتيك بالنبأ البعيد
ألا فاعْلَمْ خراشُ بأن خير الـ . .   ـمهاجر بعد هجرته زهيد
فإنك وابتغاء البر بعدي   كمخضوب اللَّبَان ولا يصيد[٣]

يعني كلباً يخضب صدره بالدم ولم يصد ، ليري صاحبُه الناس أنه قد صاد .

ومن هذيل :

المتنخل الشاعر[٤] واسمه مالك بن عُويمر ، أحد بني لحيان بن هذيل ، وهو الذي رثى أباه فقال :

لعمرك ما إن أبو مالك   بِوَانٍ ولا بضعيف قواه[٥]

ومنهم :

---

١ ـ ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٧١ ، وَبطن أنف : من منازل هذيل .
٢ ـ الأغاني ج ٢١ ص ٢٢٨ .
٣ ـ هذا مثل يعني أن الكلب يلطخ حلقه وصدره بالدم ، يرى بذلك الناس أنه قد صاد ، ولم يصد . ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٧٠ ـ ١٧١ .
٤ ـ بهامش الأصل : المتنخل الشاعر .
٥ ـ ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٩ .

الداخل واسمه زهير[١] ويقال الأدخل أحد بني سهم بن معاوية بن تميم .

ومنهم :

قيس بن عيزارة[٢] الشاعر أحد بني صاهلة .

ومنهم :

حذيفة بن أنس[٣] الشاعر الذي غزا بعض بني كنانة وفيهم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وهو صغير فقتل .

ومنهم :

ربيعة بن جحدر الشاعر الطابخي ، من ولد طابخة بن لحيان بن هذيل الذي يقول :

ألا إن خير الناس رَسْلاً ونجدة بعجلان قد خَفَّتْ إليه الأكادس[٤]

فوالله لا ألقى كيوم ابن مالك أُثيلة[٥] حتى يعلو الرأس رامس

وذي إبل فجَّعْتُه بخيارها فأصبح منها وهو أسوانَ بالس

ومن هذيل ثم من بني خناعة :

بدر بن عامر الشاعر ، وأخوه **أبو العيال**[٦] ، وكان أبو العيال حصر ببلاد الروم في زمن معاوية ، فيقال إنه كتب بشعر إلى معاوية يقول فيه :

---

١ ـ هو في ديوان الهذليين ج ٣ ص ٩٨ «عمرو الداخل» .

٢ ـ في ديوان الهذليين ج ٣ ص ٧٢ «أخو بني صاهلة» .

٣ ـ ديوان الهذليين ج ٣ ص ١٨ .

٤ ـ الكدس : اسراع المثقل في السير ، والكدسة : عطسة البهائم . القاموس .

٥ ـ تأثل : عظم ، والمال اكتسبه ، والأهل : كساهم أفضل كسوة . القاموس .

٦ ـ بهامش الأصل : أبو العيال الشاعر .

أبلغ معاوية بن صخر آية يهوي إليه بها البريد الأعجل
والمرء عَمْراً فالْقَهُ بصحيفة مني يلوح بها كتاب مجمل[١]

وهو القائل في ابن عم له استشهد يقال له عبد الله :

فتىً ما غادر الأجنا د لانَكْسٌ ولا جَنَبُ
ولا زُمَيْلَة[٢] رعديـ دة رَعْشٌ إذا ركبوا
ألا لله دَرَّكَ من فَتى قومٍ إذا رهبوا
وقالوا مَنْ فَتىً للحر ب يَرْقبها ويُرتقب
وَحَمج[٣] للجبان المو ت حتى قلبه يجب
فكنتَ فتاهُمُ فيها إذا تُدعىٰ لها تَثِبُ
ذكرتُ أخي فعاودني صداع الرأس والوصَبُ[٤]
كما يعتادُ أُمَّ البـ و[٥] بَعْدَ سُلُوِّها الطَّرَب[٦]

ومنهم : **أبو المثلّم الخناعي** الذي يقول :

أصخر بن عبدالله إن تَكُ شاعراً فانك لا تُهدي القريض لمفحم
أصخر بن عبدالله قد طال ما تَرَىٰ ومن لا يكرِّم نفسه لا يُكَرَّمِ[٧]

ومنهم : **خويلد بن واثلة** ، وهو أبو معقل بن خويلد الذي يقول

١ ـ ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٥٣ .
٢ ـ الزميلة : الضعيف من الرجال .
٣ ـ حمج : يقول : نظر الجبان إلى الموت فهابه ، والتحميج : رفع البصر إلى السماء وفتح العينين .
٤ ـ الوصب : الوجع ، وهو النصب والتعب أيضاً .
٥ ـ البوّ : جلد ولد الناقة يحشى تبناً ، ويلقى عليه ما كثر من وبر وريش ، فترأمه وتشمه .
٦ ـ ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٤١ ـ ٢٥٢ .
٧ ـ ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٢٦ .

إلىٰ معشرٍ لا يَخنثون نساءهم وأكلُ الجراد فيهمُ غَيْرُ أفْنَد

ومن هذيل : الربيع بن الكَوْدَن الذي يقول في وصف قوس :

وصفراءَ تَلْتَذُّ اليدانُ نشابها بَرَاهَا رجالٌ وهي لَمّا تُذَوَّقِ
نشرتُ لها ثوبي فباتَ يُكِنُّها تحلّب معجاجٍ من الماء مُلْتَق
وأبيض يهديني وإن لم أُنادِهِ كَفَرْق العروس طوله غير مخرق

ومن هذيل : المعطل أحد بني رُهم بن سعد بن هذيل ، وهو الذي يقول في قصيدة له :

سؤال الغنيّ عن أخيه كأنه بِذِكْرَتِهِ وسنان أو متواسن[1]

فحدثني أبو محمد التوزي عن أبي زيد الأنصاري قال : قال أبو عمرو بن العلاء : هذا من أشعر بيت قالته العرب .

قال : وقال المفضل الضبي شبيهاً بذلك ، وكان يتعجب منه .

ومن هذيل : أبو قِلابة أحد بني طابخة بن لحيان .

ومنهم : عمرو ذو الكلب ، كان له كلب نُسب إليه ويقال عمرو الكلب ، وهو من بني لحيان وكان شاعراً .

وكانت أخته جنوب شاعرة وهي التي تقول ترثي أخاها عمرو الكلب :

كل امرىء بطوال العيش مكذوب وكل من غالب الأيام مغلوب
وكل حيٍّ وإن طالت سلامتهم يوماً طريقهُمُ في الشر دعبوب[2]

---

١ ـ ديوان الهذليين ج ٣ ص ٤٥ .

٢ ـ الدعبوب : الطريق الموطوء ، أي سيركبون طريقا في الشر . ديوان الهذليين ص ١٢٤ . وبهامش الأصل : أي موطوء يقال : عتباء وطئة .

ومنهم : **الأعْلَم بن عبدالله واسمه حبيب**[١] وكان شاعراً .

ومن هذيل : **أمية بن أبي عائذ** الذي يقول :

تَمُـرّ كجنـدلـة المنجنيـق يُرمىٰ بها السور يوم القتال[٢]

ومن هذيل : **ساعدة بن العجلان الشاعر** .

ومنهم : **أبو صخر** واسمه عبدالله وهو عبدالله بن جشم بن عمرو بن الحارث بن تميم وهو الذي يقول :

إذا ذُكرت يرتاح قلبي لذكرها كما انتفض العصفور بلله القطر

ومن هذيل : **أبو ذؤيب الهذلي**[٣] الشاعر ، وهو خويلد بن خالد بن المحرّث بن زُبيد أحد بني مازن بن معاوية بن تميم ، وابن عمه خالد بن زهير بن المحّرث . وكان أبو ذؤيب غزا المغرب فمات هناك ودفن بإفريقية ، وقام بأمره عبدالله بن الزبير بن العوام .

ومن هذيل : **عمرو بن عائذ** الذي يقول له زياد الأعجم :

ولولا هذيلٌ أن أسوءَ سُراتها لأَلْجَمْتُ بالمقراض عمرو بن عائذ[٤]

ومن هذيل : **صخر وهو المحبَّق** بن عتبة بن صخر بن حُضَير بن الحارث بن عبد العزىٰ بن وائلة بن دابغة بن لحيان بن هذيل .

ومن ولد المحبَّق : **سلمة بن المحبّق**[٥] رحمه الله تعالى . وسنان بن سلمة بن المحبق. وكان لسلمة بن المحبق صحبة وشهد حنيناً مع النبي ﷺ ،

١ ـ بهامش الأصل : الأعلم الشاعر .

٢ ـ ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٨٨ .

٣ ـ بهامش الأصل : أبو ذؤيب الهذلي .

٤ ـ ليس في شعره المطبوع .

٥ ـ بهامش الأصل : سلمة بن المحبق ، رحمه الله .

وحضر فتح المدائن أيام عمر ، وولد له سنان بن سلمة أيام حنين ، فلما بُشِّر به قال : لَسِنانٌ أُطعنُ به في سبيل الله أحبُّ إلي منه ، وأتىٰ به النبي ﷺ فحنكه وسَمَّاهُ سنان لقول أبيه ، وكان سنان يكنى أبا حبيب .

وقالوا : لما كان زياد بن أبي سفيان وثب أهل مكران بأميرهم عبدالله بن سوّار العبدي فقتلوه ، كتب معاوية إلى زياد في تولية سنان فظفر وكان أول من أحلف الجند بالطلاق فقال شاعرهم :

رأيت هذيلاً أحدثت في يمينها طلاق نساء ما تسوق لها مهرا
لهانتْ عليَّ حِلْفَةُ ابن مُحبَّقٍ إذا رفعت أعناقها حلقاً صُفْرا

ثم عزله واستعمل راشد بن عمرو الجُذَيْدي ، فقال لسنان وكان صغير الرأس عظيم الكفل : والله ما أنتَ بعظيم الرأس فتكون سيداً ، ولا بأرسح[1] فتكون فارساً ، ولم يلبث راشد أن مات فولي سنان الثانية .

وقال أبو اليقظان : ولد سلمة سناناً وأمه أُمامة بنت التوأم ذات النّحيين[2] ، وموسى ، وحَبيباً ، وشبيباً .

قال : وذات النحيين من هذيل ، وكان خَوّات بن جبير الأنصاري في الجاهلية رآها وهي تبيع سمناً ، ففتح رأس نحي ونظر إلى السمن ثم دفعه إليها ، وفتح رأس نحي آخر ودفعه إليها فشغل يديها ، ووثب بها ، فقالت العرب : «أَشْغَلُ من ذات النحيين» .

وقال هشام ابن الكلبي : وولد لحيان بن هذيل : طابخة . ودابغة . ومعاوية .

١ ـ رجل أرسح : قليل لحم العجز والفخذين . اللسان .
٢ ـ بهامش الأصل : ذات النحيين .

فولد دابغة : واثلة .

فولد واثلة : عبد العزىٰ .

فولد عبد العزىٰ : الحارث . منهم صخر وهو المَحْبُوّ بن عتبة بن صخر وقد ذكرناه .

وولد طابخة بن لحيان : هند بن طابخة . وكعب بن طابخة . وثور بن طابخة .

فولد هند : كبير بن هند .

فولد كبير : الحارث .

فولد الحارث : عمرو بن الحارث . وكعب بن الحارث .

منهم : أبو مليح عامر بن أسامة بن عمير بن عامر الأقيشر ، وهو عمير بن عبدالله بن حبيب بن يسار بن ناجية بن عمرو بن الحارث بن كبير بن هند بن طابخة بن لحيان ، وكان شريفاً فقيهاً ، ومات في سنة اثنتي عشرة ومائة ، وكان الحجاج ولاه الأُبُلَّة وله عقب بالبصرة .

وولد كعب بن طابخة : صعصعة .

فولد صعصعة : عادية والحارث . فولد عادية : حبشي . وعنزة . وكَلَفة . وعامر .

منهم : زهير بن الأغرّ ، واسم الأغر حبيب بن عمرو بن عبدة بن عامر بن عادية بن صعصعة الذي ذكره حسان بن ثابت ، وكان أخذ خُبيب بن عدي الأنصاري يوم الرجيع ، ومعه رجل من بني لحيان يقال له مالك ، ويقال جامع ، فباعه من بني نوفل بن عبد مناف ليقتلوه بطعيمة بن عدي أبي الريان ، الذي قتله رسول الله ﷺ يوم بدر ، قال حسان :

فليت خُبيباً لم تخنْهُ أمـانة وليت خبيباً كان بالقوم عالما
أجرتُم فلما أنْ أجرتُمْ غدرتُمْ وكنتم بأكناف الرجيع لهازما
شراه زهير بن الأغر ومالكاً وكانا قديماً يركبان المحارما(١)

وقال أبو اليقظان : من بطون هذيل : بنو سعد بن هذيل ، وبنو خناعة ، وبنو قرد وبنو سهم . وبنو تميم . وبنو مؤمّل ، فاغار صخر الغيّ على بعض العرب فتبعوه ، فمر بهذه البطون فكلما مر ببطن منهم أغاثوه حتى جاوزهم فلُحق فقتل فقال :

لو أن اصحابي بنو خناعة أهل الندىٰ والمجد والبراعة
تحت جلود البقـر القَرّاعـة لنهنهـوا عني ذا الـيراعـة(٢)

وقال أيضاً :

لو أن عندي من قريم رَجْلاً بيض الوجوه يحملون النَّبْلا
سفح الوجوه لم يكونوا عُزْلا لمنعـوني نجـدةً أو رَسْـلا (٣)

وقال أبو اليقظان : ومن هذيل : أبو تقاصف جاوره رجل من العرب فآذاه فقال :

يـاربَّ كـلِ آمنٍ وخـائف وسـامعاً هتفـة كل هـاتف
أَخْزِ الخناعيّ أبا تقاصف

وقد جَاوَرَ بني المؤمّل من هذيل رجل فآذوه إلا رجل منهم فقال :

لا هُمّ زِلْهَا عن بني مؤمّل وَارْمِ عـلى أقفائِهِم بمنكـل
إلا رياحاً إنه لم يفعلِ

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٢٤٨ .
٢ ـ ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .
٣ ـ ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٣٧ مع فوارق . وأراد بـ«رَجْلاً» : رجالاً .

وقال أبو اليقظان : أتى أبو كبير النبي ﷺ فقال له : أحلّ لي الزنا . فقال له : «أترضىٰ أن يؤتى إليك مثل ذلك ؟ قال : لا . قال : فادع الله أن يُذهب عني الشبق ، فدعا له» ، وكان قد أسلم فقال حسان بن ثابت :

سألتْ هذيلٌ رسول الله فاحشة ضَلَّتْ هذيل بما سألت ولم تُصِبِ
سألوا نبيَّهُمُ ما ليس يعطيهم حتى المماة وكانوا غُرَّةَ العرب[1]

قالوا : ومن هذيل : مسلم بن جُندب وكان قاصّ مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة وإمامه وقارئه ، وكان يأخذ العطاء مع القراء والفقهاء والشعراء ومع المسجديين .

وقال عمر بن عبد العزيز : من سرَّه أن يسمع القرآن غضّاً فليسمع قراءة مسلم بن جندب .

وقال محمد بن سعد : كان مسلم بن جندب يكنى أبا عبدالله ، وسمع ابن عمر وأصحاب عمر ، ومات في أول أيام هشام بن عبد الملك .

قالوا : ومن هذيل : أبو بكر الهذلي[2] المحدث ، واسمه سلمىٰ بن عبد بن حبيب بن عويمر بن مالك بن كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل . ويقال عبد بن الحارث بن عويمر بن كعب ، وولاه المنصور أبو جعفر أمير المؤمنين القضاء ، وكان سميراً لأبي العباس أمير المؤمنين ، ومات بالبصرة في خلافة أبي جعفر أمير المؤمنين ، وصلىٰ عليه عيسى بن شبيب خليفة عبد الملك بن أيوب النميري .

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ٤٤٣ .
٢ ـ بهامش الأصل : أبو بكر الهذلي .

وقال هشام ابن الكلبي : ولد صبح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل : زُلَيفة وربيعة .

وقالوا : من بني سعد بن هذيل :

أبو سَبْرة سالم بن سلمة بن عمرو ، وكان أبو سبرة من رجال أهل البصرة ، وكان يروي عن ابن عباس أحاديث ، واستعمله زياد بن أبي سفيان على قطائع البصرة ، وكان يهاجي أبا الأسود الدولي وفيه يقول أبو الأسود :

أبلغ أبا الجارود عني رسالة ... يخب بها الواشي ليلقاك إذ تغدو
أإن نلتَ خيراً سرني أن تنالَه ... تنمَّرتَ لي ذالبدةٍ لونُه وَرْدُ
فعيناك عيناه ولونك لونه ... تبدَّلْتَه لي غير أنك لا تعدو[1]

فولد أبو سبرة :

الجارود بن أبي سبرة . **وعبد الله** ، وكان عبد الله من أفتى أهل البصرة وأسخاهم في زمانه وكان خيّراً ، وكان الجارود صاحب علم وقرآن ، وكان يكنى أبا نوفل ، وناطقه الحجاج فقال : ما كنت أرى أن بالعراق مثل هذا .

وكان الجارود يقول : ما أمكنني وال من إذنه إلّا غلبتُه على أمره ، خلا هذا اليهودي ، يعني بلال بن أبي بردة ، وكان متحاملاً عليه ، فلما عذب بلال بن أبي بردة بَلَغَهُ أنهم دقوا ساقه وجعلوا وتراً في إحدى خصيتيه فقال :

أَقَرّ بعينيّ أن ساقيه دُقَّتا ... وأن قوى الأوتار في الخصية اليُسرى

١ - ديوان أبي الأسود الدولي ص ١٢٤ - ١٢٥ .

بخلت وأظهرت الخيانة والخنا فيسَّرك الله المهيمن للعُسْرى
فما خَدْعُ سوءٍ خَرَّب السوس جوفه يقارعه النجَّار يُبرى كما تُبْرى

وكان يتمثل :

أقول إذا ما الرمح أخطأ لبتيًّ وأن كان في أصحابي الله أكبر

ومات الجارود بالبصرة ، وله عقب بها .

وقال محمد بن سعد : من هذيل : **نبيشة الخير**[1] .

وعبد الله بن عتبة[2] أبو عبد الرحمن مات في خلافة عبد المَلك في ولاية بشر بن مروان .

وعبد الله بن ساعدة أبو محمد[3] ، روى عن عمر ومات سنة مائة .

والحارث بن عمرو الهذلي ولد على عهد النبي ﷺ ومات سنة سبعين وروى عن عمر رضي الله تعالى عنه .

ومنهم : **عبد الله بن يزيد الهذلي** ، ويكنى أبا يزيد ، مات في سنة سبع وأربعين ومائة ، ويقال له ابن قُنْطس ، وكان مُسِنّاً ذكر أنه قال : حضرتُ موت أنس بن مالك .

وأبو العميس عتبة بن عبدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود .

والمسعودي أخو عبد الرحمن بن عبد الله .

والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، يكنى أبا عبد الله .

وقال أبو اليقظان : أعانت هذيل على قتل عثمان ، فقال عبد

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٥٠ - ٥١ .
٢ - طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٢٠ - ١٢١ .
٣ - طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٠ .

الرحمن بن أم الحكم الثقفي : أما هذيل أهل سلع فإنهم أعانوا علينا بالحجارة والنبل .

قال : وكانت امرأة من هذيل يقال لها صفراء عند رجل من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة يقال له عبد الرحمن ، ويلقب جان ، وكان رآها بالعقيق فأعجبته لجمالها فقال فيها :

دار لصفراء التي لا أنتهي عن ذكرها أبداً ولا أنساها
لو يستطيع ضجيعُها لأجنَّها في الجوف منه لحبها وهواها

وكانت قبله عند رجل فلم يُفْضِ إليها ، فسمعت امرأة تقول : أما والله لو كانت عند عبد الرحمن لثقبها ثقب اللؤلؤة ، فوقع في قلبها فلم ترد غيره .

تم نسب هُذيل ونسب بني مُدركة .

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب ولد طابخة بن الياس بن مضر بن نزار

ولد طابخة بن الياس بن مضر : أُدُّ بن طابخة . وعمرو بن طابخة دَرَج ، وأمهما تملك بنت النخع بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

فولد أدّ بن طابخة : مُرّ بن أدّ . وعبد مناة بن أدّ ، وهم الرِباب ، وأمهما ماوية بنت جُليّ بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار . وضبّة بن أدّ . وعمرو بن أدّ ، وهم مُزَيْنَة . وحُميس بن أدّ . فشهد ولد حميس يوم الفيل فهلكوا ، وأفلت منهم ستون رجلاً فهم إلى اليوم لا يزيدون على ستين ، إذا ولد مولود مات رجل ، وهم في بني عبد الله بن دارم ، وأمهم الخشناء بنت وبرة أخت كلب بن وبرة ، ويقال إن أم عبد مناة بن أدّ صفية بنت القين بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

فولد عبد مناة بن أدّ : تيم بن عبد مناة . وعدي بن عبد مناة . وعوف بن عبد مناة . وأُشْيبُ بن عبد مناة . وثور بن عبد مناة ، وهو ثور

أطحل[1] ، نسب إلى جبل يقال له أطحل ، كان يسكنه عدي ، وأمهم سلمى بنت نهد بن زيد من قضاعة ، ويقال ان أمهم المُفَدَّاة بنت ثعلبة بن دودان بن أسد ، وأمها سلمى بنت مالك بن نهد .

وسموا الرِباب لأن تيماً[2] ، وعدياً ، وعوفاً ، وثوراً ، وأُشْيَبُ ، وضبه عمهم غمسوا أيديهم في الرُبّ ، وتحالفوا على بني تميم بن مرّ ، فهم الرِباب جميعاً ، وقيل تيم الرباب ليفرق بينها وبين تيم ربيعة ، وقيل أيضاً إنهم اجتمعوا كرِباب القِداح ، والواحدة ربابة .

نسب عُكْل

فولد عوف بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة : قيس بن عوف .

فولد قيس : وائل بن قيس . وعوافة .

فولد وائل : عوف بن وائل . وثعلبة بن وائل ، ويقال لثعلبة رَكَبة القلوص .

قال هشام بن محمد: حدثني محمد بن السائب قال: أقبل نفر من النمر بن قاسط على قلوص حتى نزلوا بعكل فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رَكَبة القلوص ، وكانوا مترادفين على قلوصهم ، فانتسبوا في عكل ، وأقاموا معهم .

فولد عوف بن وائل : قيس بن عوف بن عبد مناة بن أدّ بن الحارث بن عوف . وجشم بن عوف . وسعد بن عوف ، وعلي بن عوف . وقيس بن عوف ، درج ، وأمهم ابنة ذي اللحية من حمير ، وحضنتهم أَمةٌ

١ - بهامش الأصل : ثور أطحل .

٢ - بهامش الأصل : تيم الرباب .

لهم يقال لها عُكْل فغلبت عليهم .

فولد سعد بن عوف بن وائل : عبد الله بن سعد . وجذيمة بن سعد . وعبادة بن سعد .

فولد عبادة : هلال بن عبادة . وضرار بن عبادة . وعبد الله بن عبادة ، ذكروا أن وائلاً هذا قتل الحارث بن تميم بن مُرّ ، فقتله به ابنه معاوية بن الحارث .

فمن بني سعد بن عوف : خزيمة بن عاصم بن قطن بن عبد الله بن عبادة بن سعد أتى النبي ﷺ باسلام عكل ، فمسح وجهه وكتب له كتاباً يوصي به فيه من ولي الأمر بعده ، وجعله ساعياً على صدقات قومه .

وولد جشم بن عوف بن وائل : عتبة بن جشم . وعمرو بن جشم . ومرة بن جشم .

فمن بني مرة : سلمى بنت الحارث بن مرة أم عمرو بن معدي كرب الزبيدي سبيئة . ويقال انها ابنة زهير بن أقيش العكلي .

ومنهم وصيلة بنت وائل بن عمرو بن عبد العزى بن معاوية بن عتبة بن جشم ، وهي أول امرأة أسلمت من عكل ، وأتت النبي ﷺ ، فأخذت منه أماناً لأخيها ذُباب بن وائل بن عمرو .

وولد الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة : كنانة بن الحارث . وعوف بن الحارث .

منهم زياد بن ذئب بن ثعلبة بن عوف بن كنانة بن الحارث ، وأخوه زيد بن ذئب ، قُـتل فَقَتَل به أخوه قاتله ، ثم إنه مر بقبره فقال :

بأهلي من مررت على بناه بـواقصة فلم أعقـر بعيري

ومنهم حزام بن عقبة بن حزام بن جناب بن مسعود بن زيد بن ذئب بن ثعلبة بن عوف بن كنانة ، كان على شرطة يوسف بن عمرو الثقفي .

ومن بني كنانة بن الحارث أيضاً : أكتل بن شَمَّاخ بن يزيد بن شداد بن صخر بن مالك بن لأي بن ثعلبة بن سعد بن كنانة ، كان علي بن أبي طالب إذا نظر إليه قد أقبل قال : من أحب أن ينظر إلى الفصيح الصبيح فلينظر إلى هذا .

ومنهم الخطيم اللص ، أحد بني محرز بن مالك بن سعد بن كنانة بن الحارث وهو القائل :

ظللنا بمخشي الردى آجن الصَّرَى [1] يُناذره الركبان جَذْبَ المعلَّلِ
قليلا كلا حتى روَيْنَ وعُلِّقَتْ أداوى سقوا منها ولما تُبلَّل
وأشعث راضٍ في الحياة بصحبتي وإن مِتُّ آسى فِعْلَ خرق شمردل [2]
وداعٍ دعا والليل من دون صوته بَهيم كلون السندس المتجلل
دعا دعوةً عبدالعزيز وعرقلا [3] وما خير هيجا لا تُحَشُّ بعرقل

وهو القائل أيضاً :

أبني كنانة إنني قد جئتكم وعرفت ما فيكم من الأحساب
وعرفت أني منكم إذ جئتكم وعرفت ما فيكم من الألباب

١ ـ الصري : البقية ، ونقيع ماء ، ولبن صرى : متغير الطعم . القاموس .
٢ ـ الشمردل : الفتى السريع ، والحسن الخلق . القاموس .
٣ ـ عرقل : جار عن القصد ، وكلامه عوّجه ، والعراقيل : الدواهي ومن الأمور صعابها . القاموس .

وكان يقال أن بني محرز من بني عبشمس بن سعد بن كنانة ، والأول قول الكلبي وهو أثبت .

وقال الخطيم :

بني ظالم إن تبغضوني فإنني إلى صالحي الأقوام غير بغيض
بني ظالم إن تمنعوا فضل ما لكم فإن بساطي في البلاد عريض

ومن بني محرز أيضاً : **عَرْقل اللص** القائل :

تمنى أن يلاقيني سفاهاً وما لَكَ في لقائي من رواح
وبي كان الصحاب يُرِضْنَ قِدْماً ويشفى ذو الجماح من الجماح
وأعدلُ ذو التمايل عن صغاه وأكوي الناظرين من الطماح
وبِيْضٌ كالأهِلّةِ حول كأس نداماها تُسارع في السماح
ندبتهمُ وقلت لهم سلمتم وحييتم وَلَذّ به اصطباحي

وقال عرقل ، ويقال ان اسم أبيه الخطيم أيضاً :

قل للّصوص أما علمتم أنني أحوي بسيفي مال كل بخيل
ما ان أهاب إذا قعدتم خيفة ما نالني واغتالني من غول
حتى أفرقه بغير ضنانة وأميله بالجود كل مميل

وولد عوف بن الحارث بن عوف : عمرو بن عوف . وكعب بن عوف . ومالك بن عوف . وأسيد بن عوف . وعامر بن عوف .

فولد كعب بن عوف بن الحارث : عبد بن كعب . وعامر بن كعب . وأيمن بن كعب .

فولد عبد بن كعب : أقيش بن عبد وهو بيت عكل ، وفيهم يقول النابغة :

كـأنـك من جمـال بني أقيش يُقعقـع خلف رجليـه بشَنِّ[1]

وقد كتب النبي ﷺ لبني أقيش كتابا في أمر ركيّة لهم بالبادية وهو في أيديهم .

وسالم بن عبد .

منهم النمر بن تولب[2] بن أقيش الشاعر ، وكان سخيا كريماً يقري الأضياف ، وكان جاهلياً ثم أدرك الإسلام ، فأسلم واسلم ابنه ربيعة ، وهاجر الى الكوفة وطمع في أن يهاجر أبوه فقال :

ألا إن أشقىٰ الناس إن كنت سائلاً أخو إبل يمسي ويصبح راعيا
يمارس قُعساً[3] ما يُيَسَّرْنَ للكرىٰ بليلٍ ولا يُصبحْنَ إلا غواديا
وليس بـآتيـه طعـام يُحِبّـه ولو بلغ المَحْضُ الحليب التراقيا

فقال النمر مجيباً

أعذني ربِّ من حَصَرٍ وعِـيٍّ ومـن شج أعـالجـه علاجـا
ومن حاجات نفسي فاعْصِمَنّي فان لمضمـرات النفـس حـاجا
وأنت نحلتنـا كـرمـاً تـلاداً نُـرَجِّي النَّسْلَ منهـا والنتـاجـا
فلست بحـازم الأضياف منهـا وجـاعـل دونهم بـابي رتـاجـا
أتـأمـرني ربيعـة كـل يـوم لأهلكهـا واقتني الـدجـاجـا[4]

وخرف النمر بن تولب فجعل يقول : أصبحوا الراكب ، أصبحوا

١ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ١٢٣ .
٢ ـ بهامش الأصل : النمر بن تولب الشاعر .
٣ ـ القعس من الابل : المائل الرأس والعنق والظهر ، ومن الليالي : الطويلة . القاموس .
٤ ـ أورد صاحب الأغاني ثلاثة أبيات هي الأولى مع فوارق . الأغاني ج ٢٢ ص ٢٨٤ .

الراكب لا يزيد على ذلك ، فقال بعض أحداث قومه : نيكوا الراكب ، نيكوا الراكب فعلقها ، فجعل يقولها ، وكان يشبب بامرأة يقال لها حمزة وهي التي يقول فيها :

لها ما تشتهي لبن مصفى وإن شاءت فحوّاري بسمن

فنعاها إليه رجل يقال له حزام ، ولم يكن الخرف اشتدّ به فأنشأ يقول :

نعاها بالبديع لنا حزام أحقٌّ ما يقول لنا حزام
فلا تبعد وقد بعدت فأجرى على قبر تضمنها الغمام [1]

والنمر القائل :

ألا يا ليتني حجراً بِوَادٍ أَقَامَ وليت أُمي لم تلدني

وأغارت طوائف من بني بكر بن وائل على عكل فظفرت بهم عكل وعليها النمر بن تولب فقال :

ولقد شهدتُ الخيل نحوي ما رأتْ وشهدتُها تَعْدُو على آثارها
راح المُشْمَرَخُ [2] للركابِ جَنِيْبَةً في القِدِّ ماسوراً على أدبارها

ومن بني أُقَيْش : **السَّمْهَرِيّ** - اللص - بن أُوَيس بن مالك بن الحارث بن أُقَيْش وهو القائل :

ما كنتُ هَيَّاباً ولا قَطْعُ السُّرى ولكنْ مَضَى حجرٌ بغير دليل
ولولا بنات الحين والشر لاحق لزرتُ على الوجناء أم جميل

والسَّمْهَري الذي لقي عون بن جعدة بن هبيرة المخزومي ومعه

---

١ ـ الأغاني ج ٢٢ ص ٢٧٩ مع فوارق . وهي في الأغاني «جمرة» .
٢ ـ الشمراخ : غرة الفرس إذا دقّت وسالت وجللت الخيشوم . القاموس .

الطائيّان : بهدل ، ومروان ، فقتله السمهري وبهدل ، فطلب عقيل بن جعدة بدمه ، وبذل في السمهري وفي صاحبيه مالاً رغيباً ، فأُخذ بهدل فحُبس في المدينة ثم قُتل ، وشدَّ رجلان من فقعس على السمهريّ ليأخذاه رغبة في الجعْل فمارسهما ، وجاءت امرأة من قومهما فأعانتهما عليه واستجعلت منهما الشركة فيما يعطيان ، فأنشأ السمهري العكلي يقول :

أشكو التي قالت بصحراء منعج لي الشرك يا بْنَيْ فائد بن حبيب [1]

فرفعاه إلى عامل المدينة فقتل وصلب ، وقال ابن دارة [2] يحُضُّ بني عكل :

يا راكباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ مغلغلةً عني القبائل من عكل
فكيف تنام الليل عكل ولم يكن لها قَوَدٌ في السمهريّ ولا عقل
إذا هتفتْ يوماً بوادٍ حمامة نَعَتْ سمهرياً للفوارس والرِّجْلِ
فبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل
وكنا حسبنا فقعساً قبل هذه أَذلَّ على وطء الهوان من النعل
جَلَتْ حُمَماً عنها القصاف وما جَلَتْ أُقيْشُ وفي الشدَّات والسيف ما يجلو [3]

القصاف من بني طُمَيَّة من تميم كان لهم ثأر قِبَلَ بكر بن وائل فأدركوه ، وقال بهدل الطائي :

ولما دعاني السمهريّ أجبتُه بأبيضَ من ماء الحديد صقيل
ولم آلُ ما اشتدت على السيف قبضتي لأسلم حَيّاً للحياة زميلي

١ ـ تفاصيل أخبار السمهري في الأغاني ج ٢١ ص ٢٣٣ ـ ٢٤٦ .
٢ ـ هو عبد الرحمن بن مسافع بن داره ، وقيل بل هو عبد الرحمن بن ربعي بن مسافع بن داره . انظر ترجمته وأخباره في الأغاني ج ٢١ ص ٢٣٠ ـ ٢٤٨ .
٣ ـ الأغاني ج ٢١ ص ٢٣١ ـ ٢٣٣ مع فوارق .

وقال المرار الفقعسي :

أظنُّ قريشاً لا تُضيِّعُ ذمامنا كما لم يُضِعْ ثأر ابن جعدة طالِبُه
فنحن رددنا السمهري إليكمُ يُعاطي القَرِين مَرّةً ويجاذبه
بِسَجْلِ دمٍ منكم حرام أصابه وقد كان خطافاً بعيداً مَنَاهِبُه

ومن بني أقيش : زهير بن أقيش ، وكان شريفاً . وربيعة بن جذار بن عامر بن عوف بن الحارث بن عوف الذي يقول فيه الأعشى :

وإذا طلبت بأرض عكل حاجة فاعمد لبيت ربيعة بن جذار
يَهَبُ النجيبة والجواد بسرجه والأدْم بين لواقحٍ وعشار (١)

وولد علي بن عوف بن وائل : الحارث بن علي . وتيم بن علي . وهرم بن علي . وعمرو بن علي . وكلب بن علي . وعامر بن علي .

ومن عكل : الأسود بن كراع ، وهو الذي قال : إن لكل شيء بذراً ، وبذر العداوة المزاح ، والمزاح حمقةٌ تُورث ضغينة .

وهو القائل : كل مستشار ينزع بك في مشورته إلى مساوئه .

ومن عكل : أبو الحسن (٢) زيد بن الحباب المحدث ، مات في ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين .

وقال الشاعر في بني كنانة من عكل :

لا يُبعد الله بني كنانة الضاربين العبد ذا المهانة
حتى يؤدي فيهمُ الأمانة

---

١ - ديوان الأعشى ص ٧٣ .
٢ - بهامش الأصل : خ - الحسين .

وقال أبو اليقظان : انتقل بنو مالك بن جعفر بن ثعلبة بن يربوع إلى عكل ، فهم فيهم إلى اليوم .

وزعم يونس النحوي أن عكلاً أفصح بني أدّ .

وقال جرير بن عطية :

فلا يصمعنَّ الليث عكلاً بنابه وعكلاً يسمون الفريس [١] المُنَيَّا

فهل لوم تيم لا أبا لك زاجر كنانة أو تنهى زهيراً وتولبا [٢]

زهير بن أقيش وهم بطن .

وقال بعض الأعراب : ما رأيت قوماً أحسن وجوهاً في غَبٍّ لقاءٍ من عكل .

ومن عكل : البَرْدَخت الشاعر ، هجا جريراً فقال جرير : أخْبِرُوني ما البردخت ؟ قالوا : الفارغ . قال : فوالله لأشغلنّه بشِعْري [٣] .

١ ـ الفريس : القتيل . القاموس .

٢ ـ ليسا في ديوان جرير المطبوع .

٣ ـ بهامش الأصل : بلغت عراضاً بالأصل الثالث من أول الكتاب ولله الحمد والكمال .

نسب بني تيم الرباب بن عبد مناة بن أدّ

وولد تيم بن عبدمناة بن أد : الحارث بن تيم . وذهل بن تيم ، وأمهما ريطة بنت دودان بن أسد بن خزيمة .

فولد الحارث بن تيم بن عبدمناة : عمرو بن الحارث ، وأمه زينة بنت ثعلبة بن أسد بن خزيمة .

فولد عمرو بن الحارث بن تيم : عبدالله بن لؤي وفيه العدد . ورفاعة بن لؤي . وخزيمة . وكاهل .

فولد عبدالله بن لؤي : وديعة بن عبدالله بن لؤي . وعامر بن عبدالله بن لؤي . وعمرو بن عبدالله بن لؤي وفيه العدد . فولد عمرو بن عبدالله بن لؤي : وائلة بن عمرو . وربيع بن عمرو . وفهوس بن عمرو ، وهم في بني مرة بن عوف من غطفان على نسب ينتسبون به فيهم .

فولد وائلة بن عمرو بن عبد الله : صُرَيْم بن وائلة . والحارث بن وائلة . وقامشة .

فمن بني صُريم بن وائلة : عصمة بن أبير بن يزيد بن عبد الله بن صريم الذي أجار عتبة بن أبي سفيان يوم الجمل ، وهو الذي شهد يوم

الكلاب الثاني فعمد إلى عبد يغوث بن وقاص الحارثي وقد قتل مُصَاد بن ربيعة التيمي فاتبعه وأودعه الأهْتم المنقري ، فطُلب منه فلم يُقرّ بأسره إياه وركن إلى الفداء الرغيب ، فقال قيس بن عاصم للأهْيَم : ادفعه إلى الرباب وإلا فسد ما بيننا وبينهم ، فأبى أن يدفعه إلاّ إلى عصمة بن أبير ، وقالت الرباب لعصمة : ثأرنا في يدك فقال : إني مُعيل محتاج إلى اللبن ، فاشتراه بنو النعمان بن مالك بن الحارث بن عامر بن جساس بن عصمة بثلاثين من الإبل ، وكان النعمان قتل يومئذ فدفعه إليهم من عند الأهتم ورضخ عصمة للأهتم من الإبل بشيء ، فلما صار عبد يغوث إلى التيم كعموه[1] بنسعه مخافة أن يهجوهم وكان شاعراً فقال : أطلقوا لساني أذمّ أصحابي وأنوح على نفسي وجعل لهم ألا يهجوهم فقال :

فياراكباً إما عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... ندامايَ من نجران ألاّ تلاقيا
أبا كرب والأيهمين كليهما ... وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة ... أمعشر تيمٍ أطلقوا عن لسانيا
وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأنْ لم ترى قبلي أسيراً يمانيا
جزى الله قومي بالكلاب ملامة ... صريحهم والآخرين المواليا
كأني لم أركب جواداً ولم أَقُلْ ... لخيلي كرِّي قاتلي عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الرويَّ ولم أَقُلْ ... لإنسان صدقٍ أعظموا ثم ناريا
وعاديةٍ سوم الجراد وَزَعْتُها ... بِكَرِّيْ وقد أَنْحَوا إليّ العواليا[2]

---

١ ـ كعم : شدَّ فاه . القاموس .

٢ ـ العقد الفريد ـ ط . القاهرة ١٩٥٣ ج ٦ ص ٦٨ ـ ٧٥ .

فقدمه بنو النعمان بن مالك فقتلوه ، فقالت صفية بنت الخِرْع التيمية :

أَحْيَا جِسَاساً فلما حان مصرعه   خَلَّى جِساساً لأقوامٍ سيبكونه

تقول : حَيّاهُ وتَوَدَّدَهُ فلما قُتِلَ قعد جِساس يبكي .

قد غاب عنهم فلم تشهد فوارسه   ولم يكونوا غداة الروع يحمونه

نـطاقـه هُنَـدُوَانِيٌّ وَجُنَّتـهُ   فضفاضة كأضاء النهي موضونَه

وقد قتلنا شِفَاء النفس لو شَفِيَتْ   وما قتلنا به إلا امرأً دونه

وقال أبو عمرو بن العلاء : كان يوم الكلاب الثاني والنبي ﷺ بمكة قد بُعث ولم يهاجر .

ومن بني قامِشة بن وائلة : جَحْذَب بن جَرْعَبْ بن أبي قرفة بن زاهر بن عامر بن وهب بن قامشة بن وائلة النساب ، وكان شاعراً وفيه يقول جرير :

قَبَحَ الإله ولا يُقبِّح غيره   نظراً تَعَلَّقَ عن مفارق جحذب[1]

ولقيه خالد بن سلمة المخزومي وكان جحذب ذا قدر بالكوفة وعلم فقال له : ما أنت من حنظلة الأكرمين ، ولا سعداً الأكثرين ، ولا عَمْراً الأعزّين ، ولا من ضبة الأكياس ، وما في أدّ خير بعد هؤلاء . فقال جحذب : ولستَ في قريش من أهل نبّوتها ، ولا من أهل خلافتها ، ولا من أهل سدانتها ، وما في قريش خير بعد هؤلاء . وكان جحذب أعان عمر بن لجأ التيمي على جرير حين هجاه جرير .

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

وولد ربيع بن عمرو بن عبدالله : مخزوم بن ربيع . ونشبة بن ربيع . وعلباء بن ربيع .

فمن بني نشبة : النعمان بن مالك بن الحارث بن عامر بن جِساس بن نشبة المقتول يوم الكلاب[1] الثاني ، وكان القتال فيه بين ولد أدّ وبين الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد ، وكان النعمان الجِساسي ثقيلاً فغمز به فرسه ، فنزل ليتحول على دابة أخرىٰ فطعنه رجل من اليمانية في عضده فَفَتَّها ، وقال : خذها مني . وفي هذا اليوم أُسر أبو رجاء العُطاردي ونجا ، فلم يزل إمام بني عطارد يصلي بهم ويصلي على جنائزهم حتى مات في أيام الحجاج بن يوسف بالبصرة . وزعموا أن النعمان كان يقاتل ويقول متمثلاً :

أكُلُّ عام نَعَمٌ تَحْوُوْنَهُ يَلْقَحُهُ قومٌ ويُنْتجُونَهُ
أصحابُه نَوْكَىٰ فما يحمونه ولا يُلاقون طعاناً دُونه
هيهاتَ هيهات الذي تَرْجُونَه

وكانت مع النعمان بن مالك راية الرباب يومئذٍ .

وقال هشام ابن الكلبي : لم أسمع في العرب بجِساس ، بكسر الجيم غير جِساس بن نُشْبَة .

ومن ولد جِساس : مزاحم بن زفر بن علاج بن مالك بن الحارث بن عامر بن جساس بن نشبه ، كان شريفاً بالكوفة ، وكان فقيهاً ، وولاه يوسف بن عمر بعض أعماله ، وقال له يوسف : أين بيتك من بيت حاجب بن زرارة ؟ فقال : هما متقاربان .

١ - ويعرف أيضاً بيوم الصفقة . انظر أخبار هذا اليوم في العقد الفريد ج ٦ ص ٦٨ - ٧٥ .

ومنهم دِجاجة ـ مكسور الدال ـ قال هشام : لم أسمعه إلا كذلك ابن عبد قيس بن امرىء القيس بن علباء بن ربيع الشاعر ، وهو جاهلي .

ومنهم : **محجم بن سلامة** بن دِجاجة ، قتل مع علي يوم صفين .

ومنهم : **وَردان بن مجالد** بن عُلفه بن الفريش بن ضباري بن نشبة بن ربيع ، وكان جلس لعلي عليه السلام مع ابن ملجم ليلة قتل علي .

وقال ابن الكلبي : ضَباري بن نشبة ، بفتح الضاد ، وفي بني يربوع : ضِباري بكسر الضاد .

ومنهم : **المستورد بن عُلّفة** بن الفريش الخارجي ، الذي قتله معقل بن قيس الرياحي صاحب علي في زمن المغيرة بن شعبة وولايته الكوفة وقد كتبنا خبره .

وأخوه **هلال بن عُلَّفة** ، وهو قتل رستم يوم القادسية .

ومن بني وديعة بن عبدالله بن لؤي : **عوف بن عطية** بن الخِرع ، واسم الخِرع عمرو بن عيش بن ربيعة الشاعر الذي يقول :

لها حافر مثل قعب الوليد يتخـذ الفـأر فيـه مغـارا

ويقول :

يَرُدُّ علينا العير من دون إلفه أو الثور كالدرّي يتبعه الدم

وولد كاهل بن لؤي بن عمر : سعـد بن كاهل . وعوف بن كاهل . ودهمان بن كاهل .

منهم : عبدالله بن نجبة بن عبيد بن عمرو بن عتبة بن ظريف بن عوف بن كاهل ، وهو الذي قتل وردان بن المجالد القاعد كان مع ابن ملجم ، فلما ضرب ابن ملجم علياً هرب وردان فتلقاه ابن نجبة فقال له :

مالي أرىٰ السيف في يدك وكان معصوباً بالحرير لكي لا يُفلت إذا تعلق به فلما سأله لَجْلَج وقال : قَتَلَ ابن ملجم وشبث بن عبرة الأشجعيّ علياً ، فأخذ منه سيفه فضرب عنقه فأصبح قتيلاً في الرِباب ، والمسيب بن خِداش قُتل مع وردان أيضاً .

وولد خزيمة بن لؤي بن عمرو : مالك بن خزيمة وهو وَلّاد ، فولد ولّاد : الحارث بن ولّاد . وعدي بن ولّاد . ومازن بن ولّاد . وربيعة بن ولّاد . وبغيض بن ولّاد . وغياث بن ولّاد ، منهم أصمّ بني ولّاد الشاعر .

وولد رفاعة بن لؤي بن عمرو : خالد بن رفاعة . وكاهل بن رفاعة . ونمير بن رفاعة .

وولد ذهل بن تيم بن عبد مناة بن أدّ : سعد بن ذهل . فولد سعد : ثعلبة بن سعد . وجشم بن سعد . وبكر بن سعد .

فولد ثعلبة : امرىء القيس بن ثعلبة . وعوف بن ثعلبة .

فولد امرؤ القيس : جَلْهَم .

منهم عمر بن لجأ[1] بن حدير بن مصاد بن ذهل بن تيم بن عبد مناة بن أدّ الشاعر الذي كان يهاجي جرير بن عطية بن الخطفى ، وكان سبب تهاجيهما أن ابن لجأ أنشد جريراً باليمانية

تجر بالأهون في أدنائها جَرَّ العجوز جانبي خبائها[2]

فقال له جرير : هلا قُلتَ جَرَّ العروس طرفي ردائها ، فقال له عمر بن

---

١ ـ بهامش الأصل : عمر بن لجأ الشاعر .

٢ ـ في النقائض ـ ط . ليدن ١٩٠٥ ص ٤٨٧ : قال عمر في وصف إبله :

كالظرب الأسود من ورائها جر العجوز الثني من خفائها

لجأ: فأنت الذي تقول :

لَقومي أَحْمَىٰ للحقيقة منكم وأَضْرَبُ للجبار والنقع ساطع
وأوثق عند المردفات عشيةً لحاقاً إذا ما جردّ السيف مانع [١]

أرأيتَ إذا أُخِذْنَ غُدْوَةً ولم يَلْحَقْهُنَّ إلا عشَّية وقد نُكِحْنَ فما غناؤُه ، فتحا كما إلى عبيد بن غاضرة العنبري وهو مسعود فقضىٰ على جرير ، فهجاه بشعر يقول فيه :

منعناكُمُ حتى ابتنيتمْ بيوتكم وأَصْدَرَ راعيكم بفلجٍ وأوردا
بمردٍ على جُرْدٍ مغاوير بالضحىٰ إذا ثُوِّبَ الداعي بصوتٍ ونَدَّدَا [٢]

فأجابه عنه عمر بن لجأ :

هجوت عُبيداً أن قضىٰ وهو صادق وقبلك ما غار القضاء وأنجدا
وقبلك ما أَحْمَتْ عديّ دبارها وأصدر راعيها بنجدٍ وأوردا
أَتَشْتُم بدراً في السماء وَدُوْنَهُ تَنَائِفُ تُثْنِي الطَّرْفِ أنْ يَتَصَعَّدَا
هُمُ أخذوا منكم أراب ظلامةً فلم يبسطوا كفَّاً إليهم ولا يدا

يعني عدي بن جندب من بني العنبر ، وأراب : رَكِيَّةٌ كانت لبني العنبر أولاً فتركوها فصارت إلى بني رياح ، ثم طلبها الأعور بن بشامة العنبري فظفر بها فقال جرير :

لَئِنْ عَمرتْ تَيْمٌ زماناً بعِرّه[٣] لقد لقِيَتْ تَيْمٌ حُذاءً عَصَبْصَبَا
فلا يَضْغَمَنَّ الليثُ تيماً تَقرّهُ وعكْلٌ[٤] يُسَمُّون الفريس المُنَيَّبَا

---

١ ـ ديوان جرير ص ٢٩٣ . النقائض ص ٤٨٨ .
٢ ـ ديوان جرير ص ١٤٦ .
٣ ـ بهامش الأصل : بغرة ، وهو الذي جاء في ديوان جرير ص ١٨ .
٤ ـ بهامش الأصل : عكلاً .

فهل لوم تَيْم لا أَبَا لكَ زاجرٌ كنانة أو يَنْهَى زهيراً وتَوْلَبَا[١]

ومات عمر بن لجأ بالأهواز ، وقال المدائني قُرِنَ جرير بابن لجا فجعلا يتفاخران وينشدان فقال عمر بن لجأ وقد أقيما على غرائر البر

رأوا قمـراً يقـارنـه حمـار وكيف يقارن القمر الحمارا

فقال جرير :

يا تيم تيم عديّ لا أبالكم لا يُوقِعَنَّكُمُ في سَوْءَةٍ عُمَرُ
أَحِيْنَ صرتُ سماء يا بنى لجأ وخاطرتْ بي عن أحسابها مُضَرُ[٢]

فقال ابن لجأ :

لقد كذبت وشر القول أكذبُهُ ما خاطرت بك عن أحسابها مضر
بل أنت نزوة خَوَّار على أَمَةٍ لا يدركُ الحَلَبَاتُ اللُّؤم والخَوَرُ[٣]

وولد عوف بن ثعلبة: عامر بن عوف ، منهم قطام بنت شجنة بن عدي بن عامر بن عوف ، قتل أبوها وأخوها الأخضر يوم النهروان مع الخوارج ، وهي التي خطبها ابن ملجم فاشترطت عليه عبداً وقينة وثلاثة آلاف درهم ، وقتل علي بن أبي طالب فقال الشاعر :

لا مهر أغلىٰ من عليٍّ وقتلَهُ ولا فَتْكَ إلا دونَ فتْكِ ابن ملجم

وقد كتبنا خبرها فيما تقدم ، وقال ابن ملجم :

ثـلاثـة آلاف وعبـد وقينـة وضربُ عليٍّ بالحسام المصمَّمِ

وقد يجعل البيتان للشاعر الأول

١ ـ ديوان جرير ص ١٨ ـ ٢٠ مع فوارق .
٢ ـ ديوان جرير ص ٢١٨ ـ ٢٢١ .
٣ ـ النقائض ص ٤٨٨ .

ومنهم : **ابراهيم بن يزيد التيمي**[١] الفقيه ابن شريك ، وكان يزيد بن شريك أبوه يحدث عن عمر بن الخطاب ، وكان ابراهيم يكنى أبا أسماء ، مات في حبس الحجاج بن يوسف في سنة أربع وتسعين .

حدثني علي بن محمد المدائني قال : لما انقضى أمر الجماجم بعث الحجاج إلى ابراهيم التيمي ، وهو ابراهيم بن يزيد بن شريك فحبسه في المخيَّس وكان ممن يذم سيرته .

حدثني عمر بن شبّة ، ثنا أبو أحمد بن الزبير عن سفيان عن الشيباني قال : بلغ ابراهيم النخعي أن ابراهيم التيمي يعيب الخوارج في زمن الحجاج ، فقال النخعي : إلى من يدعوهم إلى الحجاج ؟

حدثني علي بن محمد المدائني عن عامر بن حفص أن الحجاج كتب إلى عامله على الكوفة أن إحمل إليّ ابراهيم بن يزيد النخعي فحمل ابراهيم التيمي .

وحدثني عمر بن شبه عن الأصمعي قال : قال يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج : هاتوا ابراهيم بن يزيد ، فقيل له : إنهما ابراهيمان فقال : هاتوهما جميعاً فاستخفى النخعي[٢] وأُتي بالتيمي ، فحبس حتى مات في الحبس .

حدثنا خلف بن هشام البزار وعفان ، قالا : ثنا هشيم بن بشير ، أنبأ العوام بن حوشب أنه لما انطلق بابراهيم التيمي إلى السجن قال له أصحابه :

١ ـ بهامش الأصل : ابراهيم التيمي .
٢ ـ انظر كتاب المتوارين الذي اختفوا خوفاً من الحجاج بن يوسف للأزدي ـ ط . دمشق ١٩٨٩ ص ٤٩ ـ ٥١ .

هل توصي إلى إخوانك بشيء تحب أن نبلغهم إياه عنك ، ألك حاجة ؟ قال : نعم لا تذكروني عند غير الرب الذي عناه يوسف عليه السلام . قال خلف يقول تدعون الله لي ولا تشفعون لي الى السلطان وإن ابراهيم لم يسأل العافية مما هو فيه حتى مات من حبسه وكان يقول : اللهم هذا بعينك ، اللهم قد ترى .

حدثنا عمرو بن محمد، ثنا سفيان بن عيينة عن أبي سعد قال: دخل علينا ابراهيم التيمي السجن فتكلم ، فقال أهل السجن ما يسرنا إنا خارجون منه .

وحدثني بكر بن الهيثم ثم ثنا سفيان بن عيينة قال : بلغني أن ابراهيم التيمي حُبس في الديماس ، وكان ومن معه في جهد وضيق ، وكان التيمي يعّزيهم ويصبّرهم ويخبرهم ما لهم من الأجر حتى قال بعضهم : لوددت أني في هذا الديماس مع ابراهيم ما عشت .

المدائني عن عامر بن حفص أن ابراهيم التيمي كان يقول : إن قوماً يدخلون النار فيتمنون أن يُردوا إلى الدنيا ليعملوا فيكونوا مثلكم الآن فاغتنموا هذه المهلة .

المدائني عن عامر بن حفص قال : حبس الحجاج ابراهيم بن يزيد التيمي فجاءته ابنته فلم تعرفه حتى كلمها ، وكان الحجاج يطعم أهل السجن دقيق الشعير والرماد مخلوطين ، ويقال انه كان يخلط لهم في ذلك الملح أيضاً ، ومات التيمي في السجن ، فرأى الحجاج في الليلة التي مات فيها ابراهيم قائلاً يقول له : مات في هذه الليلة رجل من أهل الجنة ، فلما أصبح قال : من مات الليلة بواسط ؟ فقالوا : ابراهيم التيمي فقال : نزغة

من نزغات الشيطان ، وأمر به فألقي خارجاً .

وقال الحسن بن علي الحرمازي : سمعت الفضل بن دكين يقول: قال التيمي : إن الله أنعم على العباد . بحسب قدرته ، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم، فلا أدري أَعَنِيَ ابراهيم بن يزيد أم سليمان بن طرخان التيمي لنزوله بالتيم .

المدائني عن علي بن عبدالله النرسي قال : قال ابراهيم التيمي : ما عرضت عملي على قولي إلا ظننت أني مكذَّب . وكان موت ابراهيم في سنة أربع وتسعين .

وقال محمد بن سعد : ومن المحدثين الحارث بن سويد التيمي تيم الرباب ، مات في آخر ولاية عبدالله بن الزبير[1] .

وأبو حيان واسمه يحيى بن سعيد بن حيان .

وقال أبو اليقظان : فمن بطون تيم : بنو ولّاد ، وبنو أيسر وبنو ذهل وبنو وائلة . وبنو نُكْرَة . وبنو شعاعة .

فمن بني أيسر عمر بن لجأ وقد قال جرير لعمر :

أظن الخيل تذعر سرح تيم   وتعجل زبد أيسر أن يذابا[2]

يُعَيِّرهم بأنهم أصحاب شاء وزُبْد .

وقال : من بني نكرة هبَّان بن نكرة قاتل القدار سيد عنزة وهو القائل :

أهلكتُ مهري في الرهان لجاجة   ومن اللجاجة ما يضر وينفع

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٦٧ .

٢ ـ ديوان جرير ص ٢٨ .

قال : وانتقل بنو شعاعة فدخلوا في فقيم ، فقال الفرزدق لرجل منهم يقال له شماخ بن علقمة :

فلو كان من جُهَّالِ قومي عَذَرْتُه ولكنّ عبداً من شعاعة أحمرا

وقال كان عصمة بن أُبير سيداً ، فلما كان يوم الجمل حمل عتبة بن أبي سفيان ومروان بن الحكم حتى بلغا المدينة فقال جرير :

وَفَىٰ ابن أُبَيْرٍ والرماح شوارع بآلِ أبي العاصي وفاءً مُشَهَّراً
وبابن أبي سفيان عتبة بعدما رأىٰ حائط الموت الذي كان عَسْكَرَاً[1]

ومن ولده : منظور بن غالب بن عصمة ، وكان سيد التيم ، وقال جرير وهو يهجو التيمي :

يغلي الجعالة منظورٌ وثعلبةٌ في كُلِّ حَيِّ أَبَاهَا منهم نَفَرُ
والغائب القَهْوَسُ المنظور أَوْبَتُه وابنا شعاعة والسُّفار تنتظر
أعياك آباؤك الأَدْنَوْن فالْتَمِسَنْ هل في شعاعة والاهدام مُفْتَخَر[2]

القَهْوَس رجل من التيم وكان ابنه حضر يوم شعب جبلة ففر إلى غطفان ، فقالت دَخْتَنُوس بنت لقيط بن زرارة :

فـرّ ابـن قَـهْـوَسٍ الشـ ـجاع بكفه رمح متلّ[3]
يـعـدو بـه خـاطي البضـ[4] ـيع كأنه سَمْعٌ أَزَلُّ
إنـك من تـيـم فـدع غطفـان إنْ ساروا وَحَلُّوا
ولقـد رأيـتُ أبـاك وَسْـ ـطَ القـوم يَعْقِـد أو يَحُـلُّ

١ ـ ليسا في ديوان جرير المطبوع .
٢ ـ ليسوا في ديوان جرير المطبوع .
٣ ـ متله : زعزعه وحركه . القاموس .
٤ ـ البضيع : البحر ، والماء النمير ، والعرق ، والجنيبة تجنب مع الإبل ، والشريك . العين . القاموس .

متقلداً رَبَقَ الفرا ر كأنه في الجيد غِلُّ

والأهدام من التيم صاروا في منقر .

ومن التيم : بنو سبيع وقد دخلوا في بني طهية على نسب فيهم ، وفيهم يقول الشاعر :

بنو سُبيع زَمَعُ الكلاب
ليسوا إلى سعد ولا الرباب
ولا إلى القبائل الرِّغاب

قال : ومن شعراء التيم : السَّرَنْدِيّ ، وجخدب ، وعلفة ، وكانوا يجتمعون على جرير فيهجونه مع عمر بن لجأ فقال جرير :

عَضَّ السَّرَنْدي على تثليم ناجِذِهِ من أمّ عَلْقَةَ بظراً غَمَّهُ الشَّعَرُ
وَعضَّ علقَةَ لا يألو بِعَرْعَرَةٍ من بَظْر أُمِّ السَّرَنْديْ وهو منتصر(١)

ومن التيم : **عاصم بن عبدالله** من ولد واثلة ، وهو الذي نزل به رجلان من سدوس فأكرمهما ، ثم إنهما أتيا بني سدوس فدلاهم عليه وعلى نَعمه ونَعَم التيم ، فركبت بنو سدوس وبنو ذهل بن ثعلبة حتى أغاروا على التيم، فاقتتلوا فانهزمَتْ سدوس وألفافهم وقتلتهم التيم قتلاً ذريعاً وأسروا منهم ، وكان ممن أُسر خراش أحد الرجلين اللذين نزلا على عاصم ، وهذا اليوم الذي يُعرف بهُبَالة . قال عوف بن الخِرْع :

أَبَني سدوسٍ هل وجدتم سيْءَ من تبغونه بهُبَالة والأشعر
فَلَنِعْمَ فتيان الصباح لقيتُمْ حيث النساء حواسر في العسكر

وقال ابن لجأ :

لو تُخْبِرُ الأرضُ البيانَ لخبَّرتُ عما رأيتَ وما شهدتَ هُبَالا

١ ـ ليسا في ديوان جرير المطبوع .

نسب عدي بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة

وولد عدي بن عبد مناة بن أد : جَلّ بن عدي . ومَلكان بن عدي . وجذيمة بن عدي ، وهم أهل بيت يقال لهم بنو أسد بن لحيّ بن عدي بن عبد مناة .

وقال غير الكلبي : ولد عدي : ملكان . وجلّ ، أمه تملك بنت تيم بن غالب . ولحيّ . وجذيمة . فأما جذيمة فلا عقب له ، وأما بنو لحيّ فسقطوا إلى عُمان ، فهم في الأزد ، وهم يعرفون نسبهم إذا وقفوا عليه .

وقال المدائني : من بني عدي : الأسود بن كلثوم الناسك ، وجَّهَه ابن عامر إلى بيهق من نيسابور ، فأخذ عليه العدو ثلمة دخل منها إلى حائط لبعض أهل بيهق ، فقاتل فقُتل ، وقام بأمر الناس بعده أدهم بن كلثوم فظفر وفتح بيهق ، ولم يدفن أخاه لأنه كان يدعو أن يُحشر من بطون الطير والسباع .

قال ابن الكلبي : فولد ملكان بن عدي : ربيعة بن ملكان . وصعب بن ملكان . فولد ربيعة بن ملكان : ثعلبة ، فولد ثعلبة : حارثة بن ثعلبة . وعوف بن ثعلبة . فولد عوف : خلف بن عوف . وكعب بن

عوف . فولد كعب بن عوف بن ثعلبة : ساعدة بن كعب .

ومنهم ذو الرُّمة[١] واسمه غيلان بن عقبة بن بُهَيس بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب الشاعر ، وإنما سُمي ذو الرمة لقوله :

أشعث باقي رُمّة التقليد[٢] ....

وكان يكنى أبا الحارث ، وكانت له سدرة بالبادية كان يجلس عندها فهي تعرف بسدرة ذي الرمة .

حدثني التوزي عن الأصمعي قال : قال ذو الرمة : لأن يَرْوِي شعري صبي أَحَبُّ إلي من أن يرويه أعرابي بدوي ، لأنَّ الصبي إذا ذهب عنه حرف رجع فيه إلى معلمه فذكره إياه ، والأعرابي يذهب عنه منه الحرف لعليّ قد سهرتُ في طلبه ليلة ، فيجعل مكانه غيره اقتضاء فيفسده .

حدثني أبو عدنان الأعور ، ثنا الأصمعي ، أخبرني شيخ لنا قال : رأيت ذا الرمة بمربد البصرة وعليه جماعة من الناس وإذا عليه برد ثمنه مائتا دينار فأنشد قصيدته البائية ، فلما أنشد :

تصغي إذا شدها بالرحل جانحة حتى إذا ما استوى في غرزها تثب[٣]

فقيل له : يا أخا بني تميم ما هكذا قال الراعي ولكنه قال :

ولا تعجل المرء قبل الوراك وهي بِرُكْبَتِه أَبْصَرُ

---

١ ـ بهامش الأصل : ذو الرُمّة الشاعر .

٢ ـ الشطر الثاني للبيت هو : «نعم فأنت اليوم كالمعمود» . وأراد بالأشعث : الوتد ، قد شعث رأسه مما يضرب بالحجارة، والرمة قطعة حبل يكون الوتد معلقاً بها ، والمعمود : الذي أضعفه الوجع أو الأمر . ديوان ذي الرمة ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ج ١ ص ٣٣٠ .

٣ ـ جانحة لاصقة بالأرض ، والغرز : سير كالركاب . ديوان ذي الرمه ج ١ ص ٤٨ .

وهـو إذا قام في غـرزهـا كمثـل السفينـة أو أوقـر
وَمُصْغِيَـةٌ خَـدُّهَـا للزمـام والـرأس منهـا لـه أصغـر
حتى إذا ما استوىٰ طَبَّقَت كما أطبق المسحل الأغـبر[1]

قال فسكت ساعة كالمفكر ثم قال : إنه نعتَ ناقة ملك ، ونعت ناقة سوقة ، فخرج منها على رؤوس من حضر .

وقيل لذي الرمة : لقد خَصَصْتَ بلال بن أبي بردة بمدحك . فقال : إنه والله وَطَّأَ مضجعي وأكرم مجلسي وأحسن صَفَدي .

وحدثني علي الأثرم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر الثقفي قال : أتيت ذا الرمة فذكرت شيئاً ، فقال : وما عليك إنا والله نأخذ ولا نُعطي .

حدثني الأثرم ، حدثني الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : قال ذو الرمة : قاتل الله أَمَةَ بني فلان ما أعربها سألتها كيف كان المطر عندكم فقالت : غثنا ما شئنا ، وغيث من يلينا .

حدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال : أنشد ذو الرمة بلال بن أبي بردة :

رأيت الناس ينتجعون غيثاً فقلتُ لصيدحٍ انتجعي بلالا[2]

فقال : يا غلام قد انتجعنا[3] ناقته كما ينتجع الرَّعـيّ فاعلفها قَتّاً ونوىٰ ، فلما خرج من عنده قال : ما أَقلّ فطنته للمديح .

حدثني عافية بن شبيب عن إسحاق بن الموصلي عن الأصمعي ، ثنا

---

١ ـ ديوان الراعي النميري ـ ط . بيروت ١٩٨٠ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ . والمسحل : المبرد ، والحديدة التي تجعل في فم الفرس ليخضع ، وطعن في مسحله إذا أخذ في أمر فيه كلام ومضى فيه مجدا . النهاية لابن الأثير .
٢ ـ ديوان ذي الرمة ج ٣ ص ١٥٣٥ .
٣ ـ بهامش الأصل : خ ـ انتجعتنا .

عيسىٰ بن عمر قال : سألت ذا الرمة عن النضناض ، فأخرج لسانه فحركه .

وأخبرني الأثرم عن الأصمعي عن عيسىٰ بن عمر عن ذي الرمة بمثله .

وحدثني الأثرم عن الأصمعي عن عيسى قال : سألت ذا الرمة عن شيء من الكلام لا وجه له ، فقال : أتعرفُ اليَتْنَ ؟ قلت : نعم . قال : فهذا من الكلام يَتْنٌ ، واليتن أن يخرج رأس المولود بعد رجليه وتخرج رجلاه قبل رأسه .

وقال ابن كناسة : أخبرتني امرأة من أهل البادية أنها رأت مَيّ ذي الرمة تدخل بيتاً ، فأُخبرت أنها مَيّ فجلست على باب بيتها تنتظر أن تراها فَدُعِيَتْ لها فقالت : تَعْسَ غيلان فقد شهرني شَهَّرَهُ الله ، وهي من ولد طلبه بن قيس بن عاصم المنقري ، وقالت المرأة : رأيتها فوالله ما أكبرتُها حتى تكلمتْ ، فقلت: ما بلغ ذو الرمة نَعْتَهَا .

وزعموا أم مَياً كانت باقية الملاحة ، وهي طاعنة في السّن ، فقالت امرأة من ولد قيس بن عاصم ونحلته ذا الرمة :

على وجه ميٍّ مسحة من ملاحةٍ ... وتحت الثياب الخزي لو كان باديا
ألم تر أنّ الماء يَخُبثُ طعمه ... وإن كان لون الماء في العين صافيا

فامتعض ذو الرمة وحلف بالله ما قاله .

قالوا : وكان ذو الرمة يشبِّب بخرقاء وهي عامرية وقال :

ومن حاجتي لولا التنائي وربما ... منحت الهوى من ليس بالمتقارب
عطابيلُ بيضٌ من ربيعة عامر ... عِذابُ الثنايا مثقلاتُ الحقائب(١)

١ ـ العطابيل : الطوال الأعناق من النساء ، والحقائب : الأعجاز .

يَقَظْنَ الحِمىٰ والرمل منهنَّ مُحصَرٌ(١) ويشربن البان الهجان النجائب(٢)

وزعموا أن ذا الرمة شبب بخرقاء وهي مُسِنَّة قد بلغت الستين وأدركها القُحَيْف العقيلي ، فأرسلت إليه تسأله أن يشبب بها في شعره فقال :

لقد أرسلت خرقاء نحوي جريًّها لتجعلني خرقاءُ فيمن أَضَلَّتِ
وخرقاءُ لا تزداد إلا ملاحة ولو عَمَّرت تعمير نوحٍ وَجَلَّتِ(٣)

وزعموا أن ذا الرمة أنشد قوله :

وعينان قال الله كُونا فكانتا فَعُولَين بالألباب ما تَفْعَلُ الخمر(٤)

وهو يريد كونا فكانتا فعولين خبر كانتا ، فقال له عمرو بن عبيد : ويحك ، قلت عظيماً ، فقل فعولان بالألباب وظن أنه أراد كونا فعولين فكانتا، فقال ذو الرمة: ما أبالي أَقلتُ هذا أم سبَّحت، فلما علم ما ذهب إليه عمرو قال : يا سبحان الله لو عَنَيْتُ ما ظننت لكنتُ جاهلاً .

ورأى جرير ذا الرمة عند بعض الولاة فكلمه بكلمة في أمر السُّرىٰ والسَّير فغضب جرير فقال :

وَدَاوِيَةٌ لو ذا الرميمة رامها وصيدحُ أَوْدَىٰ ذو الرميم وصيدح(٥)

يعني ناقته فخضع له حتى رضي .

وكان لذي الرمة أخ يقال له مسعود بن عقبة وهو القائل :

---

١ ـ الحمى : موضع دون مكة ينزلنه في القيظ ، وفي الديوان : والرمل منهن مربع ، أي يرتبعن في الرمل .

٢ ـ ديوان ذي الرمة ج ١ ص ١٩٤ .

٣ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

٤ ـ ديوان ذي الرمه ج ١ ص ٥٧٨ .

٥ ـ ليس في ديوان جرير المطبوع .

إذا الأمر أغنىٰ عنك حِنويه فاجْتَنِبْ مَعَرَّةَ أمرٍ أنتَ عنه بِمَعْزِلِ

وأخ يقال له أوفىٰ بن عقبة هلك قبل ذي الرمة ، فلما مات ذو الرمة قال مسعود :

تعزيتُ عن أوفىٰ بغيلانَ بعدَه بصبرٍ وجفن العين ملآن مُتْرَعُ

ولم يُنْسِنِي غيلانَ من كان قَبْلَهُ ولكنَّ نَكْءَ القرح بالقرح أَوْجَعُ

وأخ له يقال له هشام ، وهو الذي قال له رجل : أوصني ، فإني أريد مكة ، فقال : أوصيك بتقوى الله وأن تصلّي الصلوات لوقتها فإنك مصلّيها لا محالة ، وهي لوقتها أفضل وأنفع ، وإيَّاك أن تكون كلب رفقتك فإن لكل رفقة كلب ينبح دونها ، فإن كان خير شركوه فيه وإن كان شر تقلده دونهم .

وحدثني أبو عدنان عن أبي عبيدة قال : قال ذو الرمة : بلغت نصف عمر الهرم ، بلغت أربعين سنة ، فما عاش بعد ذلك إلا قليلاً فلما احتُضر قال :

يا قابض الروح من نفسي لموقتها وفارج الكرب أنقذني من النار(١)

ويقال إنه قال حين احتضر :

يا ربّ قد أشرفَتْ نفسي وقد علمتْ علماً يقيناً لقد أحصيتَ آثاري

يا رب فاغفر ذنوبا قد نطقتُ بها ربَّ العباد وزحزحني عن النار(٢)

وكان ذو الرمة يقول : أنا أبو الحارث واسمي غيلان .

المدائني قال:قال رجل لذي الرمة وهو يهزأ به : أَيَدُلُّك الذي تراه على

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع . انظر الأغاني ج ١٨ ص ٤٤ .

الشيء الذي لم تره ؟ فقال : نعم ، نظري إليك يدلني على أن أباك قد ناك أمك .

وحدثني روح بن عبد المؤمن ، ثنا أبو زيد سعيد بن أوس النحوي قال : صلىٰ بنا ابن أخت ذي الرمة المغرب في مسجد بني عدي فقرأ : ﴿إن ربهم بهم﴾[1] فأنكرتُ ذلك في نفسي فلما قال خبير قالها بغير لام .

وحدثني حماد بن اسحاق عن أبيه قال : لما احتضر ذو الرمة قال : هذا والله اليوم لا يوم أقول :

كأني غداة الزّرق يا ميّ مدنف أكيدُ بنفسي قد أتاها حِمامُها[2]

وولد خلف بن عوف : هلال بن خلف .

فولد هلال : شهاب بن هلال .

وولد حارثة بن ثعلبة بن ربيعة : عمرو بن حارثة المُخَيْط ، وهو ثعلبة بن مالك بن معاوية بن عمرو بن حارثة ، وابنه خليفة الذي قتل حسان بن الحشرج العنزي يوم أغار قدار العنزي على التيم وعدي ، وأسر قدار وبه ضربة فمات في أيديهم ، وأسر اللذان العجلي ، وابنه مَسْعَدَة الذي أسر شيبان بن شهاب جد بني مسمع يوم الخوع[3] ، حين أغارت عدي على بني جحدر من بني قيس بن ثعلبة .

وولد صعب بن ملكان : الحارث . وأمية .

وولد جَلّ بن عدي بن عبد مناة : الدؤل .

---

١ ـ سورة العاديات ـ الآية : ١١ .

٢ ـ الأغاني ج ١٨ ص ٤٣ مع فوارق .

٣ ـ خوع : جبل أو موضع قرب خيبر . معجم البلدان .

فولد الدؤل بن جَلّ : تميم بن الدؤل . وعوف بن الدؤل .

فولد تميم : مالك بن تميم . وخزيمة بن تميم . وسعد بن تميم . منهم عياش بن عمرو بن مِقْرَد ، وله يقول الشاعر :

وما هلكت تيم فأرجو وراية ولا رهط عباس بن عمرو بن مِقْرَدِ

فولد مالك بن تميم : ذكوان . وعامر . وحجر . ونُشبه بن مالك بن تميم .

فولد حجر : مالك بن حجر . وسعد بن حجر . وعامر بن حجر ، منهم عمر بن حبيب بن عمر بن مجالد بن سليم بن عبد الحارث بن أسد بن كعب بن عدي بن جندل بن عامر بن مالك بن تميم بن الدؤل بن جل ، ولي قضاء البصرة لهارون أمير المؤمنين الرشيد ، ويكنى أبا حفص .

وولد عوف بن الدؤل بن جلّ : بكر بن عوف . وجذيمة بن عوف .

وولد خزيمة بن تميم بن الدؤل : عمرو بن خزيمة . وعَبيدة بن خزيمة . ومالك بن خزيمة وسعد بن خزيمة .

فولد عَبيدة بن خزيمة : الضَريب بن عبيدة . وسعد بن عبيدة .

فمن بني ذكوان بن مالك بن تميم بن الدؤل : عبيدة ، وهو أبو سهم - الشاعر - بن حبيب بن كعب بن عامر بن ذكوان . ومنهم حميد بن هلال الفقيه وهو من بني أعصر بن ذكوان ، مات أيام خالد بن عبدالله .

ومن بني نُشبة بن مالك بن تميم بن الدؤل : زهير بن ذؤيب بن زياد بن حُمران بن جَسْر بن الحارث بن نُشبة الذي يقول فيه حنظلة بن عرادة .

فوارس مثل شعبة أو زهيرٌ ومثــل العنبــريّ مُجَــرَّبِينــا

العنبري : رَقْبَةُ بن الحر . ومنهم : حُدير بن علقمة بن ظبيان بن عَباد بن ذكوان رئيس بني مالك يومَ قاتلوا بني العدوية في يوم الداهنة[1] .

ومن ولده : سويد . وعبدالله . وعُصْم . وقُرَّة ، كانوا في ألفين من العطاء .

ومن بني عدي : ضرار بن ثعلبة المخيط ، غزا طائفة من بني شيبان ، وبني عجل وبني عدي والرباب فنذروا بهم فاقتتلوا ، فانهزمت بكر بن وائل ، وأسر منهم عدة فطال أسارهم ، فسألوا أن يمضي معهم من كانوا في يده إلى بلادهم علىٰ ان أجاروهم من بكر بن وائل ، وضمنوا لهم أن يعيدوهم إلى منازلهم ، وكان خليف بن ثعلبة المخيط قتل رجلاً من بني تيم اللات ، فوثبوا به فقتلوه وأخاه ، فقال أدهم بن عصيم التيمي :

يُرَجِّي عديٌّ أن يؤوبَ ابن مُخَيْطٍ وقد غالَ جارُ الوائليِّ الغوائل

وقال أبو اليقظان : من بني عدي : عمير بن خالد ، شهد فتح الأُبُلّة .

ومنهم بنو شهاب كانوا أشرافاً في الجاهلية ، ويزعمون أنهم ردفوا الملوك في الجاهلية . قال الشاعر :

كأرداف الملوك بني شهاب

وفي منزل كعب بن حسان بن شهاب اختلفت الرباب حتى افترقوا ، وكان كعب رأس بني عدي في زمانه ، وهو جد عمر بن هبيرة من قبل النساء .

ومنهم : والان كانت له عبادة وفضل وفيه يقول الشاعر :

١ ـ انفرد البلاذري بذكر هذا اليوم .

ولستَ كوالان الذي ساد بالتُّقَىٰ   ولستَ كعمرانٍ ولا كالمهلَّب(١)

ومنهم مسلم بن بُديَل ، كان من وجوه قومه ، ومنهم أبو شَعْل حسان بن عبدالله ويقال أنه أسر شيبان بن شهاب على فرس له .

ومنهم مخيط واسمه ثعلبة بن مالك بن مسعدة ، كان مسعدة رئيساً للرباب في الجاهلية وفيه يقول ذو الرمة :

....   ومسعدة الذي ورد النسارا(٢)

وأغارت بنو عدي على بني جحدر من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بالخوع ، فأخذ مسعدة بن مخيط شيبان بن شهاب جد بني مسمع ، وقد ذكر ذلك ذو الرمة في شعره ، وكان خليفة بن مخيط شريفاً وهو قاتل حسان العنزي يوم قدار العنزي .

ومنهم : طلحة بن إياس كان قاضياً لأبي جعفر أمير المؤمنين .

ومنهم : إسحاق بن سويد العدوي ، كان فقيهاً ذا قدر وهو الذي يقول :

برئت من الخوارج لست منهم   من الغزال منهم وابن باب(٣)

وقال أبو اليقظان : حضر من بني عدي مع عائشة أم المؤمنين يوم الجمل عدة وقالوا :

نحن عديّ نبتغي علياً   نحمل ماذياً ومشرفياً
وبيضة والحلق الملويّا

١ ـ بهامش الأصل : أراد عمران بن الحصين والمهلب بن أبي صفرة .

٢ ـ الشطر الأول : «وجيء بفوارس كبني شهاب» ديوان ذي الرمة ج ٢ ص ١٣٨٤ ، والنسار جبل ناحية حمى ضرية . معجم البلدان .

٣ ـ بهامش الأصل : الغزال : واصل بن عطاء . وابن باب عمرو بن عبيد بن باب .

فقتل منهم بشر كثير.

ومن بني عدي : أبو نعامة عمرو بن عيسىٰ ، كان له قدر وصلاح ، وفيه يقول الفرزدق :

أظنُّ ابن عيسى لاقياً مثل وقعتي بعمرو بن عفرا وهي قاصمة الظهر
تقوفتَ[1] مال ابني حجين وما هما كذي حطم فان ولا ضرع غَمْر

وكان الفرزدق سأل ابني حجين من بني عدي جائزة ، فأشار عليهما عمرو بن عيسى أن يفتلا .

ومن بني عدي أبو قتادة كان له فضل وكان يقول: اللهم ارزقني شهادة تسبق بشراها أذاها وفرحها حزنها تختلني فيها عن نفسي. فغزا سجستان مع عبد الرحمن بن سمرة فأتاه العدو وهو نائم فذبحوه .

ومنهم العلاء بن زياد وكان من عباد الناس ولا عقب له .

ومنهم شويس العدوي الذي يقول : والله أحب إلىٰ قلبي من لحم جزور يهيّه في عشية بمريّة ، وما أحب الرطانة ، ولا انقاض العسرة وما ترقمني إلاّ الكرم .

ومنهم أبو فرعون الذي كان يسأل بالبصرة ، وكان شاعراً ، وهو القائل :

أبصرت في النوم بختي في سوء زيّ وسَمْت
أعمىٰ أصمُّ كئيباً أبا بنين وبنت
فقلت أخسست رزقي فقال رزقك في إستي

١ ـ تقوف المال : حجره على أصحابه .
٢ ـ ديوان الفرزدق : ج ١ ص ٣٠٠ .

فكيف لي بدواء يلين لي بطن بختي

وقال محمد بن سعد : شويس العدوي يكنى أبا الرقاد وكان ممن حضر فتح الأبلّة والفرات[١] .

وأبو قتادة العدوي ، واسمه تميم بن نذير .

وأبو السوّار العدوي واسمه حسان بن حريث .

والعلاء بن زياد بن مطر العدوي مات في ولاية الحجاج .

قال : وحميد بن هلال يكنى أبا نضرة مات في ولاية خالد بن عبدالله القسري في العراق .

اسحاق بن سويد العدوي مات في خلافة أبي العباس في الطاعون الذي كان بالبصرة .

وأبو نعامة العدوي عمرو بن عيسى .

قال أبو عبيدة : غزا مسعدة بن المخيط بكر بن وائل فطعنه أبو شعل شيبان بن شهاب العدوي فلما سقط أخذه ربعي بن شهاب العدوي فأسره[٢] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٢٧ .

٢ ـ بهامش الأصل : بلغت المعارضة بالأصل الثالث من أول الكتاب ، ولله كل حمد وفضل .

نسب ثور بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة

وولد ثور أطحل بن عبد مناة : مِلْكان .

وقال هشام : كل شيء في العرب فهو مِلْكان ، بكسر الميم إلا في جرم مَلَكان بفتح الميم واللام ابن زَبّان بالفتح .

فولد مِلكان : عامر بن ملكان . ومالك بن ملكان .

فولد عامر بن ملكان : ثعلبة . وأسلم .

فولد أسلم بن عامر بن ملكان : عامر بن أسلم . منهم الهيثم بن رزين الذي قدم مع مُزَرِّد الكوفة ليسألا قومهما ، فأجزلت عطية الهيثم ولم يعط مزرد ما أرضاه فقال مزرد :

أتيتُ بني عمي فضنُّوا بمالهم   عليَّ ومَنْ يجهل فانيِّ عارف
فهلّا جمعتم جمع ثورٍ لهيثم   وأنتم مع الغُرّ الكرام الغطارف[1]

فولد ثعلبة بن عامر بن ملكان : الحارث . وشُقرة بضم الشين .

ومنهم : قيار بن حسان بن فزارة بن ربيعة بن أوس بن عبدالله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة الذي ذكره البردخت العكلي . ونزل جرير بن عطية الخطفى بقيار فقال :

---

١ ـ ديوان المزرد بن ضرار ـ ط . بغداد ١٩٦٢ ص ٥٢ ـ ٥٤ .

أبلغْ جريراً وقياراً وقل لهما أَلَسْتُما تحت خلق الله في النار
مازلت تطلب أوضاراً وتلحسها حتى وقعت على الثوريِّ قيار
ما ثورُ أطحلَ إذ عدُّوا مساعيهم ولا كليبُ بن يربوعٍ بأخيار

فقال جرير من هذا ؟ قالوا : البردخت قال وما البردخت ؟ قالوا الفارغ . قال فوالله لأجعلنّ له بنفسي وشعري شغلاً .

ومنهم الربيع بن خُثَيْم[١] الثوري ، ولم ينفذ ابن الكلبي نسبه ، وكان عابداً .

فحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، ثنا عبد الواحد بن زياد عن عبدالله بن ربيع بن خُثَيْم عن أبي عبيدة بن عبدالله قال : كان الربيع بن خثيم إذا أتى عبدالله بن مسعود لم يكن عليه إذن حتى يفرغ كل واحد منهما من صاحبه ، وكان يقول له : لو رآك النبي ﷺ لأحبك ، ما رأيتك إلاّ ذكرتُ المخبتين .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل قال : خرجنا مع عبدالله بن مسعود ومعنا ربيع بن خثيم فمررنا بحداد ، فقام عبدالله ينظر إلى حديدة في النار فنظر ربيع إليها فتمايل ليسقط ، فمضى عبدالله حتى أتينا على أتون على شاطىء الفرات فلما رآه عبدالله والنار تلتهب فيه قرأ هذه الآية : ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا * وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا﴾[٢] قال فصعق الربيع فاحتملناه فجئنا به إلى أهله ، قال : فرابطه عبدالله إلى

١- بهامش الأصل : الربيع بن خثيم .
٢ ـ سورة الفرقان ـ الآيتان : ١٢ ـ ١٣ .

الظهر فلم يُفِقْ ، ثم رابطه الى العصر فلم يُفِقْ ، فرابطه الى المغرب فلم يفق ، ثم إنه أفاق فرجع عبدالله إلى أهله .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا أبو حيان ، حدثني أبي قال : كان الربيع بعدما سقط شقه يهادي بين الرجلين إلى مسجد قومه ، وكان أصحاب عبدالله بن مسعود يقولون له : يا أبا يزيد لقد رخص الله لك فلو صليت في بيتك ، فيقول إنه كما تقولون ولكني سمعته ينادي حيّ على الفلاح ، فمن سمعه منكم ينادي حيّ على الفلاح فليجبه إن استطاع ولو زحفاً ، ولو حبواً .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا عبدالرحمن بن مهدي عن محمد بن طلحة عن زبيد اليامي أن الربيع بن خُثَيْم كان كل غداة إذا انصرف أقبل عليهم بوجهه فقال : قولوا خيراً ، افعلوا خيراً ، داوموا على صالحة ، واستكثروا من الخير ، واستقلوا من الشر ، لا يتطاولنّ عليكم الأَمَدَ فتقسوا قلوبكم ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا بسمعون﴾ [1] .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا يحيى بن سعيد القطان ، ثنا أبو حيان ، حدثني أبي وسعيد بن مسروق عن ربيع بن خثيم قال : لا خير في الكلام بعد أن تسمع التكبير والتسبيح والتمجيد وشهادة أن لا إله إلا الله، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وسؤالك الخير ، وتعوذك من الشر .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا أبو حيان ، حدثتني أم الأسود بنت هلال قالت : كانت ابنة الربيع تقول لأبيها : يا أبتاه دعني ألعب ، فيقول : يا بنيّة قولي خيراً ، فإني لم أسمع الله عز وجل رضي اللعب

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٢١ .

لأحد ، فتلقنها أمها فتقول لا تقولي ألعب ، قولي أتحدث إلى آل فلان فيتركها .

حدثنا أحمد ، ثنا شبابة بن سَوَّار ، ثنا يونس ، ثنا بكر بن ماعز عن الربيع بن خثيم أن ابنته أتته فقالت : يا أبة أذهبُ ألعبُ ؟ فسكت عنها ، فقال من حوله : سبحان الله لو أمرتها أن تذهب فتلعب فقال : لا والله لا يُكتب عليَّ أني أمرتها باللعب .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان عن نسير بن ذُعْلوق عن هبيرة بن خزيمة قال : أنا أول من أتى الربيع بن خثيم بقتل الحسين بن علي ، فقال : أَقَتَلوه ؟ أقتلوه ؟ ثم قرأ : ﴿قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [1] .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو النضر عن زكريا بن سلام عن بلال بن المنذر قال : قال رجل : إنْ لم استخرج اليوم من ربيع سُبَّةً لأحد لا أستخرجها أبداً ، فقلت : يا أبا يزيد قد قتل ابن فاطمة قال : فاسترجع ثم تلا : ﴿قل اللهم فاطر السماوات والأرض﴾ الآية . قال: فقلت : ما تقول ؟ قال : ما أقول : ﴿إلى الله إيابهم وعلى الله حسابهم﴾[2] .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا وكيع بن الجراح عن سفيان عن أبيه قال: قال ربيع : اصطروا هذا القرآن إلى الله ورسوله ، قال أحمد بن ابراهيم : يعني ردوه إلى الله ورسوله .

١ ـ سورة الزمر ـ الآية : ٤٦ .
٢ ـ انظر سورة الغاشية ـ الآية : ٢٦ .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن نسير بن ذعلوق عن ابراهيم التيمي قال : حدثني من صحب الربيع بن خثيم عشرين سنة فما سمع منه كلمةً تُعابْ .

حدثنا أحمد ، ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال : قال فلان : إني لأرىٰ الربيع بن خثيم لم يتكلم منذ عشرين سنة إلا بكلمة تصعد .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا أبو بدر عن سفيان عن رجل من بني تيم الله قال: جالستُ الربيع بن خثيم عشر سنين فما سمعته يسأل عن شيء من أمر الدنيا إلا مرتين ، قال مرة : أحية والدتك ؟ وقال مرة أخرىٰ كم لك من مسجد ؟

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو السري سهل بن محمود ، ثنا عبيد الله الأشجعي عن سفيان الثوري عن الربيع أنه قال : أريدوا الخير ، وأكثروا ذكر هذا الموت الذي لم تذوقوا قبله مثله ، واعلموا أن الغائب إذا طالت غيبته وحُمَّت جيئته ، وانتظره أهله أوشك أن يقدم عليهم .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا وكيع بن الجراح ، ثنا فطر عن منذر الثوري عن الربيع قال : ليتق أحدكم تكذيب الله إياه بأن يقول : قال الله كذا وكذا فيقول : كذبت لم أقله ، ويقول لم يقل الله كذا فيقول : كذبت قد قلته .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا محمد بن عبيد ، حدثني أبي عن أم الأسود سريّة كانت للربيع بن خثيم قالت : كان يعجب الربيع السكر يأكله ، فجاء سائل فناوله منه شيئاً فقلت : ما يصنع هذا بالسكر ، الخبز

خير له . قال : إني سمعت الله عزوجل يقول : ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾[١] ويقول : ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا﴾[٢] .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا خلاد بن يحيى السلمي ، ثنا سفيان ، أخبرتني سرية الربيع قالت : كان عمل الربيع كله سراً ، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه .

حدثنا أحمد ، ثنا وكيع ، أنبأ الأعمش عن منذر عن الربيع بن خثيم أنه كان يكنس الحش بنفسه فقيل له:إنك تُكفىٰ ، فقال : إني آخذ بنصيبي من المهنة .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا وكيع عن سفيان عن سرية الربيع انه كان يأمر بالدار فتنظف .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا وكيع عن سفيان عن أبيه سعيد بن مسروق عن أبي يعلىٰ عن الربيع قال : ما من غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت .

وحدثنا أحمد بن ابراهيم ، حدثني يحيى بن معين ، ثنا محمد بن فضيل ، أنبأ أبي عن سعيد بن مسروق عن ربيع أنه لبس قميصاً له سنبلانياً ثمنه ثلاثة دراهم أو أربعة ، فكان إذا مدَّ كمه بلغ أظفاره وإذا أرسله بلغ ساعده ، قال : فكان يقول إذا رأى بياض القميص : أيْ عبيد تواضعْ لربك ، ثم يقول : أيْ لحيَّة أيْ دُمَيّه كيف تصنعان إذا ﴿حُملت الأرض

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ٩٢ .
٢ ـ سورة الانسان ـ الآية : ٨ .

والجبال فدكّتا دكّةً واحدة﴾[١] . كيف تصنعان ﴿إذا دُكّت الأرض دكاً دكا * وجاء ربك والملك صفاً صفا * وجيء يومئذٍ بجهنم﴾[٢] .

حدثني أحمد ، ثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن بكر بن ماعز قال : أصاب الربيع الفالج فكان يسيل لعابه ، فرآني أنظر إليه فقال : ما تنظر ما أُحبُّ أنَّ ما بي بأعتىٰ الديلم على الله .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا ابن مهدي عن سفيان عن نُسَير قال : قال رجل للربيع : أَوْصِ لي بمصحفك فنظر إلى ابن له صغير فقال : ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أَوْلَىٰ ببعضٍ في كتاب الله﴾[٣] .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن نُسَير أن الربيع كان يقول إذا أتوه : أعوذ بالله من شركم ، قال ابن مهدي : يعني من يجلس إليه .

حدثنا أحمد ، ثنا عبيدالله بن موسىٰ . أنبأ الأعمش عن منذر عن الثوري أن الربيع بن خثيم قال لأهله : اصنعوا لنا خبيصاً فصنعوه ، فدعا رجلاً كان به خَبلٌ فجعل يلقمه ولعابه يسيل ، فلما خرج قال أهله : تكلفنا وصنعنا ، ثم أطعمته هذا ما يدري هذا ما يأكل ، فقال : لكن الله يدري .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا عبدالله بن نمير ، أنبأ الأعمش عن إبراهيم قال : كان الربيع بن خثيم يزور علقمة وكان في الحي جماعة والطريق في المسجد ، فدخل المسجد نساء فلم ينظر إليهنّ الربيع حتى

---

١ ـ سورة الحاقة ـ الآية : ١٤ .
٢ ـ سورة الفجر ـ الآيات : ٢١ ـ ٢٣ .
٣ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٧٥ .

خرجن فقيل له : ألا تستأذن على علقمة فقال : إنّ بابه مغلق وأنا أكره أن أؤذيه .

حدثنا أحمد ، ثنا ابن مهدي عن محمد بن عيينة قال : كان ربيع بن خثيم يقول لعلقمة : ما بالكوفة أحد أزوره غيرك .

حدثنا أحمد ، ثنا ابن مهدي ، ثنا اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن منذر الثوري قال : كان الربيع إذا سجد في الرعد قال : بل طوعاً يا ربنا .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا ابن مهدي عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلىٰ منذر أو بكر بن ماعز عن ربيع قال : إنّ للحديث ضُوءاً كضوء النهار يُعرف ، وظلمة كظلمة الليل تُنكر .

حدثنا أحمد ، ثنا ابن مهدي عن عبدالله بن المبارك قال : كتب الربيع إلى أخ له : أَنْ رُمَّ جهازك وافرغ من زادك وكن وصيَّ نفسك ولا تجعل أوصياءك الرجال .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا ابن مهدي عن مفضل بن يونس قال : ذُكر عند الربيع رجل فقال : ما أنا عن نفسي براضٍ فاتفرغ من ذمها لذم الناس ، إن الناس خافوا الله على ذنوب العباد ، وأَمِنُوه على ذنوب أنفسهم .

وحدثني بكر بن الهيثم ، حدثني عبيد بن جَنّاد قال : بلغني أن الربيع بن خثيم قال أنا أسأل الله حاجة مذ عشرون سنة فما أجابني إليها ، وهي تركي ما لا يعنيني .

قال : وبلغني أنه قال: لولا أن أمدح نفسي لذممتها .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا ابن مهدي عن سفيان عن عمارة بن القعقاع قال : سمعت شبرمه يقول : ما رأيت بالكوفة حياً أكثر

فقيهاً متعبداً من بني ثور .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا ابن مهدي عن سفيان عن العلاء بن المسيب عن أبي يعلىٰ قال : لقد أدركتُ في بني ثور ثلاثين رجلاً ما منهم رجل دون الربيع بن خثيم .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلىٰ قال : كان الربيع بن خثيم يقول إذا قيل له : كيف أصبحتم ؟ : أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا .

حدثنا أحمد ، ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن سُرِيّة الربيع أن الربيع كان يحب السكَّر ويحب أن يطعم منه ، وكان يتصدق بالرغيف ويقول : إني لأكره أن تكون صدقتي كسراً .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا ابن مهدي عن سفيان عن أبيه قال : قيل لأبي وائل : أنت أكبر أم الربيع ؟ فقال : أنا أكبر منه سناً وهو أكبر مني عقلاً .

حدثنا أحمد ، ثنا هشيم عن مغيرة أن الربيع كان له على رجل حق ، فكان يأتيه فيقوم على بابه فيقول : أيّم فلان . إن كنت موسراً فأدِّ وإن كنت معسراً فإلى ميسرة .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا زيد بن الحباب العكلي عن سفيان عن بعض أصحاب الربيع أن الربيع كان يصلي بالليل في داره فإذا سمع حس أحد يمر في الطريق كفّ ، فإذا علم أنه مضى أخذ في صلاته .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا زيد بن الحباب ، أخبرني سعيد بن عبدالله بن الربيع ، أخبرتني جدتي أم أبي سرية الربيع أنها قالت له : ألا تنام

الليل ؟ فقال : وكيف ينام من يخاف البيات ؟ وكان لا ينام .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا مؤمل بن اسماعيل ، ثنا سفيان عن أبيه عن بكر بن ماعز قال : قال لي الربيع : يا بكر بن ماعز إخزن لسانك إلّا مِمَّالَكَ لا عليك ، إني اتهمت الناس على ديني فاتَّهِمْهُم على دينك ، أطع الله فيما علمت ، وما استؤثر به عليك فَكِلْهُ إلى عالِمه ، ما كل ما أُنزل على محمد أدركتم علمه ، وما كل ما تقرأون تدرون ما هو ، لأنا عليكم في العمد أَخْوَفُ مني عليكم في الخطأ ، ما ابتغيتم الخير وفررتم من الشر . ما خياركم بخيار الناس ولكنهم خير ممن هو شر منهم ، السرائر ، السرائر التي تخفى من الناس وهي عند الله بادية . التمسوا دواءكم ، وما دواؤكم ، أن تتوبوا إلى الله ثم لا تعودوا .

حدثنا أحمد ، ثنا يعلى بن عبيد عن أبيه قال : كان للربيع غلام فكان يميل بين أن يعتقه أو يبيعه ويتصدق بثمنه فباعه بألفي درهم ففرقها صرراً .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا علي بن الحسن عن عبدالله عن سفيان قال : كان الربيع إذا دخل بيته وخلا قال : مرحباً بكاتبيَّ وشاهديَّ وصاحبيَّ ، تعاليا فاكتبا من الكلام الطيب : سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا يحيى بن سعيد القرشي ، ثنا مالك بن مغول عن الشعبي قال : ما جلس ربيع بن خثيم في مجلس ولا على طريق مذ إئتزر وقال : أخاف أن يظلم رجل فلا أنصره ، ويفتري رجل على رجل فأكلف الشهادة ، أو لا أغض البصر ، ولا أهدي السبيل ، أو يقع عن حاملة حملها فلا أحمله عليها ، أو يسلم فلا أرد السلام .

حدثنا أحمد بن شعيب بن حرب عن مالك بن مغول عن الشعبي بمثله قال : فكنا ندخل عليه في بيته أو قال في منزله .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا زهير بن حرب ، ثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال : كان الربيع إذا اشتد عليه الحر في جوف الليل ركز رمحه في وسط داره ثم صلى إليه .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن منذر عن الربيع أنه أوصى عند موته : هذا ما أقرَّ به الربيع بن خثيم على نفسه ، وأشهد الله عليه ، وكفى بالله شهيداً ، وجازياً لعباده الصالحين ، ومثيباً ، بأني رضيت بالله رباً ، وبمحمد نبياً ، وبالإسلام ديناً ، ورضيت لنفسي ولمن أطاعني بأني أعبده في العابدين وأحمده في الحامدين ، وأنصح لجماعة المسلمين .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو أحمد الزبيري عن قيس بن سليم العنبري عن جَوَّاب التيمي قال : جاءت أخت الربيع عائدة لبُنَيٍّ له فقالت : كيف أنت يا بني ، فجلس ربيع فقال : أأرضعتِهِ ؟ قالت : لا . قال : فما عليكِ لو قلتِ يابن أخي فصدقت .

قال : وكان الربيع يأتي القبور فيقول : يا أهل القبور كنتم وكنا جميعاً ، وسنكون وأنتم جميعاً .

حدثنا أحمد ، ثنا عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي عن داود بن أبي هند عن عامر الشعبي قال : دخلنا على الربيع بن خثيم فقال : اللهم لك الحمد كله ، وبيدك الخير كله ، أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله .

حدثنا أحمد ، ثنا بعض أصحابنا عن سفيان أراه عن منذر قال : ما جلس الربيع مذ إئتزر خارجاً إلا مرة ، فجاءت بندقة فأصابت جبهته فأدمته ، فقال الربيع : اتَّعظ يا ربيع .

حدثنا أحمد ، ثنا وكيع عن سفيان عن منذر عن أبيه عن الربيع في قوله : ﴿ومن يتَّق الله يجعل له مخرجاً﴾[1] ، قال : من كل شيء ضاق على الناس .

حدثنا أحمد ، ثنا يحيى عن سفيان عن سالم عن منذر قال : كان الربيع إذا رآني تعجبني الكتب قال : ألا أدلُّك على صحيفة عليها خاتم من محمد ﷺ . ثم يتلو : ﴿قل تعالوا أَتْلُ ما حرم ربكم عليكم﴾[2] الآيات .

حدثنا أحمد ، ثنا عثمان بن زفر بن مزاحم بن زفر التيمي ، ثنا ربيع بن منذر الثوري عن أبيه عن ربيع قال : كل ما لا يُبتغى به وجه الله مُضْمَحِلّ .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا وكيع عن سفيان عن أبيه قال : كان رجل من الخوارج يجلس إلى الحيّ فَهَمُّوا به فقال الربيع : ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾[3] .

حدثنا أحمد ، ثنا وكيع عن سفيان أن فرساً للربيع سُرقت فحمل على مهرها في سبيل الله وقال : اللهم إنه سرقني ولم أكن لأسرقه فاصلحه .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا قبيصة عن سفيان عن أبيه عن بكر بن ماعز قال : بلغ الربيع أن عَزْرَة ـ أو عروة ـ يقول : أن جاءت الفتن فقد

١ ـ سورة الطلاق ـ الآية : ٢ ..

٢ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ١٥١ .

٣ ـ سورة المزمل ـ الآية : ١٠ .

رأينا وجَرَّبْنَا ، فقال : أرأيتم ان جاءت صُمّاً خُرْساً عُمْياً .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا علي بن الحسن عن عبدالله عن سفيان قال : كان يتبع الربيع يوم الجمعة شباب من الحي إذا راح فيقول بيده : أعوذ بالله من شركم .

حدثنا أحمد ، ثنا علي بن الحسن عن عبدالله عن عيسى بن عمر قال : ذكروا عند ربيع شيئاً من أمر الناس فقال : ذكر الله خير من ذكر الرجال .

حدثني عبدالله بن صالح العجلي عن يحيى بن يمان عن سفيان الثوري عن أبيه قال : أغزى عليّ عليه السلام الربيع الديلم وعقد له على أربعة آلاف من المسلمين .

حدثني بعض أهل قزوين قال : بقزوين مسجد للربيع بن خثيم معروف ، وكانت فيه شجرة يزعمون أنه غرس سواكة فأَوْرَقَ وصار شجرة تتمسح بها العامة فقطعها السلطان في أيام عبدالله بن طاهر لئلا يفتن الناس بها .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا سهل بن محمود ، ثنا مبارك بن سعيد عن ياسين الزيات قال: جاء ابن الكواء إلى ربيع فقال : دلني على من هو خير منك ، فقال : من كان منطقه ذكراً ، وصمته فكراً ، ومسيره تدبراً ، فهو خير مني .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا عبد العزيز بن أبان أبو محمد ، ثنا سفيان عن أبي حيان عن أبيه قال : حملت جنازة الربيع مرة[1] ، قال سفيان : من كثرة الزحام .

١ - بهامش الأصل : خ ، امرأة .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا جعفر بن عون عن أبي حيان التيمي عن أبيه قال:أوصى الربيع فقال : لا تشعروا بموتي أحداً ، وسُلُّوني إلى ربي سلًّا .

وكان عمرو بن ميمون الأَوْدي قال : لا تخفوا عليّ موت أخي ، فقالوا فإنَّ أخاك أوصى أن لا يشعر بموته أحد فتعهَّد ذلك ، قال عمرو : فبتُّ تلك الليلة على بعض دكاكين بني ثور مخافة أن أسبق به .

حدثني عبدالله بن صالح ، ثنا المحاربي عن عبد الملك بن عمير قال : قيل للربيع بن خثيم في مرضه ألا ندعو لك طبيباً ؟ فقال : أنظروني ، وتفكر ثم قال : ﴿وعاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً﴾[١] كان فيهم الداء والدواء فهلك المداوون والمتداوون ، لا والله لا تدعون لي طبيباً .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو داود عن شعبة عن عمرو بن مرة عن الربيع في قول الله تبارك وتعالى:﴿اتقوا الله حق تقاته﴾[٢] قال : أن يطاع فلا يعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويُذكر فلا يُنسى .

حدثنا أحمد ، ثنا أبو داود عن شعبة عن عمرو بن مرة عن الربيع في قوله عز اسمه : ﴿وآتى المال على حُبِّه﴾[٣] قال:تؤتَهُ وأنت شحيح تأْمل الغنى وتخشى الفقر .

حدثنا عفان ، ثنا سليم بن أخضر ، أنبأ ابن عون عن مسلم أبي عبدالله قال : كان ربيع بن خثيم في المسجد ورجل خلفه ، فلما ثاروا إلى الصلاة جعل الرجل يقول له : تقدم ، فلا يجد الربيع مساغاً بين يديه ،

---

١ ـ سورة الفرقان ـ الآية : ٣٨ .
٢ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٠٢ .
٣ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٧٧ .

فرفع الرجل يده فوجأ عنق الربيع ، وهو لا يعرفه فالتفت الربيع إليه فقال له : رحمك الله رحمك الله ، وجعل الرجل يبكي حين عرف ربيعاً .

حدثنا أحمد ، ثنا عبيدالله بن موسى عن سفيان عن نُسَيْر بن ذعلوق قال : كان الربيع يبكي حتى تبتلّ لحيته من دموعه ، ثم يقول : لقد أدركنا قوماً ما كنا في جنوبهم إلا لصوصاً .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا مالك بن اسماعيل النهدي ، حدثني سيف بن هارون عن عبد الملك عن عبد خير قال : كنت رفيقاً للربيع في غزاة فرجع ومعه رقيق ودواب قال : فمكث قليلاً ثم أتيته فلم أُحسّ من ذلك شيئاً ، فقلت : ما فعل رقيقك ودوابك ؟ فلم يجبني ، فأعدتُ عليه فقال : ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أحمد بن عبدالله بن يونس ، ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال : قيل للربيع : لو كنت تقول البيت من الشعر فقد كان أصحابك يقولون . فقال : إنه ليس شيء يتكلم به أحد إلا وجده في امامه وإني أكره أن أجد في إمامي شعراً .

حدثنا ابراهيم ، ثنا الحسن بن الربيع عن ابن ادريس عن حصين عن الربيع أنه كان يقول إذا أراد أن يفطر : الحمدلله الذي أعانني فصمت ، ورزقني فأفطرت .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا بكير بن محمد بن أسماء بن عبيد عن مسلم الخواص أنه سمعه يقول : كان الربيع قد حفر في داره قبراً ، فإذا وجد في قلبه قسوة أو جفوة جاء فاضطجع في القبر ، فيمكث فيه ماشاء الله ثم يقول : رب ارجعون ، رب ارجعون ، ﴿رب ارجعون * لعلي أعمل

صالحاً فيما تركت﴾[١] ثم يقول : ياربيع قد رجعت ، قد رجعت ، ثم يقوم فيمكث ما شاء الله وذلك يُرَى فيه .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا عبدالله بن جعفر الرقي ، ثنا أبو المليح عن يوسف بن الحجاج الأنماطي قال : سمعت الربيع بن خثيم يقول : لأن أقلّب بيديَّ شحم خنزير أحبّ إليَّ من أن أقلّب بهما كعبي النَّردشير .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا أبو معاوية محمد بن خازم الضرير عن الأعمش عن أبي رزين عن الربيع في قوله : ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾[٢] . قال : مات على المعصية .

وقال محمد بن سعد : كان الربيع يدعى أبا يزيد ، ومات في ولاية عبيدالله بن زياد[٣] .

ومن بني ثور : بكر بن ماعز وأبو يعلى منذر الثوري .

ومنهم : **سفيان بن سعيد**[٤] بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله بن موهِبَة بن أُبيّ بن عبدالله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أدّ ، وأخوه المبارك بن سعيد .

وكان سفيان بن سعيد ، وهو الثوري الفقيه يكنى أبا عبدالله ، ومات أبوه سعيد في ولاية عبدالله بن عمر بن عبد العزيز العراق ليزيد الناقص .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي عن بشر بن الحارث العابد قال : قال سفيان بن عيينة ، وكان شيخ الناس : الناس ثلاثة . ابن عباس في زمانه ،

---

١ ـ سورة المؤمنون ـ الآيتان : ٩٩ ـ ١٠٠ .
٢ ـ سورة البقرة ـ الاية : ٨١ .
٣ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٨٢ ، ١٩٣ .
٤ ـ بهامش الأصل : سفيان الثوري .

والشعبي في زمانه ، وسفيان الثوري في زمانه .

وقال عبدالله بن المبارك ليحيى بن سعيد القطان : إذا لقيت سفيان فلا تسأله إلا عن رأيه .

وحدثني أبو الحسن المدائني عن الفضيل بن عياض أنه قال لسفيان الثوري : دلني على رجل صدق أجلس إليه ، فقال : تلك ضالة لا توجد .

وقيل لسفيان : انك لتكثر ذكر شهوتك للموت وقد جاء في ذلك ما تعلم فقال : إن الله ليعلم لأي شيء أشتهيته ، أخاف أن أُحوَّل عما أنا عليه وانتقل إلى غيره .

وقال أحمد بن ابراهيم : ثنا وكيع قال : بعث سفيان إلى متطبب بمائِهِ فزعموا أنه قال : إن لم يكن هذا محموماً فهو محزون .

قالوا : وكان سفيان يقول : إني لأحزن فأبول دماً .

أحمد بن ابراهيم ، عن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك عن سفيان قال : ذكر الموت غنى وقال : ما أطاق أحد العبادة إلا بخوفٍ .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، حدثني خلف بن تميم قال : سمعت سفيان الثوري يقول : وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء في بتوت[1] وعباء ، وقال: كانوا يحبون الأسفار ويعجبهم أن يموتوا غرباء .

وقال عبدالله بن المبارك : قلت لسفيان إذا كانت الفتنة فأين ترى أنزل ؟ فقال : الكوفة أو البصرة .

حدثني أحمد بن ابراهيم ، حدثني حسن بن الربيع عن عبدالله بن المبارك ، حدثني عمار بن سيف الضبيّ قال : شرب سفيان الثوري عندي

١ ـ البتوت جمع بت وهو كساء غليظ مربع ، وقيل طيلسان من خز . النهاية لابن الأثير .

دواء فقلت له : أجيئك بعسل أو نبيذ ؟ فقال : بعسل .

حدثني أحمد بن ابراهيم ، عن حسن عن محمد بن اسماعيل قال : قلت لسفيان في شيء من الأشياء إذا كان قابل فقال : أتراني يا محمد أعيش إلى قابل إنا لله إذاً .

المدائني عن ابن المبارك قال : قال سفيان الثوري : نظام العبادة النصيحة للناس ، ونظام الصدقة الرحمة لذوي الخلَّة ، ونظام العلم صدق اللسان ، فأيّ هذه الخلال فقد نظامه بطل فضله .

قال : وقال سفيان : أنا للظالم أرحم مني للمظلوم .

حدثني أبو عمران المقرىء الضرير قال : سمعت ابن عيينه يقول : لله در الثوري ، بلغني أنه قال: عجباً لرجل يُعَرِّفُهُ صاحبه بمودته ونصيحته ولا يعلم منه إلا خيراً خمسين سنة ثم يأتيه رجل لا يعرفه فيخبره عنه بسوء فيقبله منه ويطرح معرفته .

حدثني بكر بن الهيثم عن محمد بن يوسف الفاريابي قال : قال سفيان الثوري : لقد صدق جعفر بن عمرو بن حريث حيث قال : لا ينبغي للعاقل أن يسمع من ذي غيبة ، فإن المغتاب عندك اليوم مغتاب لك غداً .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي وأبو بكر الأعين قالا : ثنا أبو نعيم الفضل بن دُكين قال : سمعت إنساناً سأل سفيان بمكة فقال : يا أبا عبدالله ما تقول في النبيذ ؟ فقال : عليك بماء زمزم .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، حدثني محمد بن ابراهيم ، ثنا وهب بن اسماعيل الأسدي قال : كنت عند سفيان الثوري فجاء شميط ، وكان من أفاضل أهل الكوفة ، فسكن السواحل فقال له سفيان : يا أبا

عبدالله ذهب الناس وبقينا في حُمُرٍ دَبِرَةٍ ، فقال شميط يا أبا عبدالله إن تكن هذه الدبرة على الطريق فَيُوشَكُ أن تبلغ يوماً ، ثم قام فمضى ، فقال سفيان : هذا والله خير مني ، هذا والله خير مني ، قالها ثلاثاً . ومات شميط في بعض السواحل .

حدثني أحمد بن ابراهيم ، عن عبيد بن جناد قال: سمعت عطاء بن مسلم يقول : كنت أنا وأبو إسحاق الفزاري عند سفيان الثوري ذات ليلة وهو مضطجع ، فرفع رأسه إلى أبي إسحاق فقال : إياك والشهرة .

وقال أحمد بن ابراهيم : قيل لسفيان متى يهلك الرجل ؟ قال : إذا عُرف وشُهر .

قال عبيد : وقال عطاء بن مسلم : خرج سفيان من ستر له ذات ليلة وهو مغضب وعليه بَتٌّ فبسطه ثم اضطجع عليه ، وقال : لا تَسُبُّوا الأمراء فإني قسمتُ الساعة شيئاً بين أهلي ففضلتُ بعضهم على بعض ، فوالله ما رضي على الذي فضلته ولا سَلِمْتُ ممن فضلت عليه .

حدثني أحمد بن هشام بن بهرام عن شعيب بن حرب عن سفيان الثوري قال : رضى الناس غاية لا تُدرك .

قال: وسمعته يقول : شرار الناس قراؤنا هؤلاء الذين تقارضوا الثناء بينهم .

وقال أبو إسحاق الفزاري : قال سفيان الثوري : إنما يتعلم العلم ليتقى الله به .

وقال سفيان : زينوا الحديث بأنفسكم وورعكم .

وقال سفيان : إن للكذب منازل فأسوأها أثراً وأعظمها ضرراً إخلاف المواعيد ، واتهام الأبرياء .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا أبو نعيم حدثني أبو أحمد الزبيري قال : رأيت الحسن بن صالح بن حي يصلي عند الطشت فجاء سفيان فخلع نعليه ، فلما رأى الحسن أخذ نعليه ومضى إلى موضع آخر . قال أحمد بن ابراهيم : وكان الحسن شيعياً .

وقال أبو نعيم : مات مسعر بن كدام في رجب سنة خمس وخمسين ومائة فما شهد جنازته سفيان ولا شريك ، وكان مرجئاً .

وقالوا : قال رجل لسفيان : إن بني عمي ربما كسوني ولكنهم يفعلون ويصنعون ، فقال سفيان : ما أقبح بالرجل أن يأخذ خرق قومه ثم يذمهم .

قالوا : وكان سفيان يمر بالأشياخ فيقول : ما ينتظرون بالزرع إذا استحصد ؟ .

حدثني أحمد بن هشام عن شعيب بن حرب قال : قال لي سفيان : اذهب إلى ذاك - يعني أبا حنيفة - فسَلْهُ عن عدة أم الولد إذا مات عنها سيدها ، فأتيته فسألته فقال : ليس عليها عدة . فأخبرت سفيان بقوله فقال : هذه فتوى يهودي .

وذكروا عن جرير الضبي عن ثعلبة عن سفيان أنه قال : ما ولد في الإسلام مولود أَشْأَمُ على هذه الأمة من أبي حنيفة .

وحدثني عبدالله بن صالح العجلي قال : دعي سفيان الثوري وشريك إلى ولاية القضاء فامتنعا فحبسا فأما سفيان فسأل الموكل بهما أن يأذن له في إتيان منزله لحاجة له وحلف له ليعود ، فخلَّفَ نعليه ومضى فلم يُبْعِد حتى عاد فأخذ نعليه ،ثم مضى فاستخفى ، وأجاب شريك إلى القضاء فوليه .

قال أبو اليقظان : كان سفيان الثوري ورعاً فقيهاً ، وأتى البصرة

فتوارى بها ، وبها مات متوارياً ، ودفن عشاء فقال الشاعر .

تَحَرَّزَ سفيانٌ وفر بِدِينِهِ   وأمسى شريكٌ مُرْصِداً للدراهم

ويروى : وباع شريك دينه بالدراهم .

حدثني أحمد بن ابراهيم ، ثنا سعدويه عن أبي شهاب قال : قدمت مكة فأتيت سفيان وهو مستلقٍ فسلمت عليه فلم يجبني فقلت : إنَّ أهلكَ بعثوا إليك معي بمزود فيه طعام ، فاستوى جالساً فقلت : يقدم عليك رجل من أهل مصرك فيسلم عليك فلا تكلمه حتى إذا ذكر الطعام جلستَ ؟ فقال : لا تلمني يا أبا شهاب فما ذقت ذواقاً مذ ثلاث .

حدثني أحمد بن ابراهيم ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال : سمعت سفيان ما لا أُحصي يقول : ما من شيء أَخْوَفُ عندي منه ، يعني الحديث .

وروي أنه قال : ليتني لم أكتب من الحديث ما كتبت وأنَّ يدي مقطوعة .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا وكيع عن سفيان قال : ما أعلم عملاً أفضل من طلب العلم وحفظه لمن أراد الله به .

حدثني أحمد ، ثنا قبيصة قال : سمعت سفيان يقول في قول الله : ﴿له ما بين أيدينا﴾ . قال : الآخرة ﴿وما خلفنا﴾ الدنيا ﴿وما بين ذلك﴾[1] النفختين .

قال:وسمعته يقول : خير الدنيا لكم ما لم تُبْتَلَوا به . وخير ما ابتليتم به منها ما خرج من أيديكم .

قال أحمد : وثنا وكيع قال : سمعت سفيان يقول : الزهد في الدنيا

١ ـ سورة مريم ـ الآية : ٦٤ .

قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ، ولبس العباء .

وقال ابن المبارك : قال سفيان : الحزن على قدر البصر ، وكان سفيان يقيم أصحابه فيقول : قوموا فصلوا ما دمتم شباناً ، وكان سفيان يقول : لا يعجبني قول الرجل : أمتع الله بك ، ولا : وصلك الله .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال : سجد سفيان على مرفقه ، فقلت : إن ابن عمر قال : يومىء فقال : ابن عباس أفقه من ابن عمر .

وقال ابن مهدي : كان سفيان يكره أن يحج الرجل عن الرجل بأجرة .

وقال أبو عاصم النبيل : كنا إذا جلسنا إلى سفيان قال : إن النهار يعمل عمله .

وقال أبو عاصم : أنبأ سفيان قال : كان الرجل لا يطلب الحديث حتى يتعبد قبل ذلك عشرين سنة .

حدثنا أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان في قول الله : ﴿إني أراكم بخير﴾[1] قال رُخص الأسعار .

حدثنا أحمد ، ثنا قبيصة عن سفيان قال : من أفضل الأعمال إدخال السرور علىٰ المسلم .

أحمد عن عبيدالله بن موسىٰ عن سفيان قال: البس من الثياب ما لا تستشهره[2] الفقهاء ، ولا يزدريك به السفهاء ، وكان يقول : خير الأمور أوساطها .

١ ـ سورة هود ـ الآية : ٨٤ .

٢ ـ بهامش الأصل : خ تشتهره .

وقال أبو نعيم : سمعت سفيان يقول : الإيمان يزيد وينقص .

وكان سفيان يقول : لا يشهد على رجل باسمه أنه في الجنة بعد النبي ﷺ .

وقال : قال ابن عباس : لا أذكر أحداً بعد النبي ﷺ .

قالوا : وكتب سفيان إلىٰ عبّاد الخواص : إنك إن اتقيت الله ، كفاك الناس ، وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئاً ، فعليك بتقوى الله ، ولزوم العزلة ، واشتغل بنفسك عن غيرك ، واستأنس بكتاب الله ، وتفقد دينك وورعك وأصلح قلبك ونيتك ، وأحبَّ المساكين ، وأمر بالخير في رفق ، فإن قُبِل منك حمدت الله وإنْ لا أقبلت علىٰ نفسك ، ولم تمتهنها لغيرك .

وقد كان ابن مسعود يقول : النجاة في اثنتين : في التقىٰ والنهىٰ ، والهلاك في اثنتين : في العجب والقنوط ، فَسَدِّدْ واسْتَعِنْ بالله ، والسلام .

المدائني عن الثوري قال : كان يقال إذا أراد الله بقوم سوءاً جعل هلكتهم في حيلتهم .

وقال سفيان لرجل : أدن مني فلو كنت غنياً ما أدنيتك .

وكان يقول : لأُحِبُّ الرجل وما يعلم بحبي له .

وقال له رجل : قم إلي . فقال : إن كنتَ عجلياً قمت إليك ، وكانت أمه عجليَّة .

وكان يقول : المال في هذا الزمان سلاح المسلم .

وقال محمد بن عبيد الطنافسي رأيت سفيان يطوف حول البيت وعليه

كساء كراً[١] وهطراً[٢] وعليه إزار قد تَقَطَّعَ وسطه ولفق طرفاه ، فكأني أرى الدرر بين رجليه وهو يطوف .

وروي عن سفيان قال : ما درهم ينفقه المؤمن هو فيه أعظم أجراً من درهم يعطيه صاحب حمّام ليخليه له .

وكتب سفيان إلى أخيه مبارك بن سعيد : أما بعد فَأَحْسِنْ القيام على عيالك وليكن الموت من بالك ، والسلام .

حدثني أحمد بن ابراهيم عن أحمد بن عبدالله بن يونس عن سفيان أنه صلىٰ على جنازة فكبر الإمام أربعاً ، ثم توقف ليكبر الخامسة فاعتزل سفيان وجلس .

وقال أحمد بن عبدالله بن يونس:أكلتُ مع سفيان ناطفاً معقداً بجوز ولوز وخشكنانج[٣] فقال : أما إنا لم نصنعه ، ولكن أهدي لنا .

حدثنا أحمد ، ثنا وكيع عن سفيان قال : بلغنا أن الداذي خمر السِّنْد ، ولا يشربه إلا الفُسَّاق ، وقال: إذا غلىٰ النقيع فلا تشربه .

حدثني أحمد بن ابراهيم عن أبي يعقوب الحلبي عن عطاء الحلبي قال : قال لي سفيان الثوري ونحن نطوف بالبيت : يا عطاء إحذر الناس ، وأنا أيضاً فاحذرني .

وقال سفيان : لا تعلّم العلم لتباهي به العلماء ، وتماري به السفهاء ، وتشاكل به الأغنياء أو تستخدم به الفقراء .

وقال عبدالله بن المبارك : سمعت سفيان يقول : ليس هذا بزمان

١ ـ أي كساء طويلاً . اللسان .
٢ ـ هطر : ضرب ، وتهطرت البئر : تهورت . القاموس .
٣ ـ ما يشبه الكعك أو «البسكويت» .

طلب فضل ولكنه زمان تمسك .

وحدثني عبد الحميد بن واسع عن يحيى بن آدم أن الثوري قال : ما رأيت كالكلام به شفاء النفوس ودواؤها ونفعها وضررها ، ثم قرأ : ﴿فقولا له قولاً ليّناً لعله يتذكر أو يخشى[1]﴾ .

المدائني قال : قال سفيان : من علمتَ منه الخير فرأيتَ منه شراً فأحسن به الظن ، ومن علمتُ منه الشر فرأيت منه خيراً فاتّهمه ، وقد يقلب الله القلوب .

وحدثني أحمد بن ابراهيم عن أبي نعيم الفضل بن دكين قال : خرج سفيان إلى اليمن في مضاربة لرجل ، فلقي معمراً ، وخرج إلى اليمن في سنة خمسين ومائة أو إحدىٰ وخمسين ومائة ، فلقي معن بن زائدة في الطريق فتوارى عنه .

وقال أبو نعيم : أمر المهدي أمير المؤمنين لشريك ولابـني حيّ ، ولمسعر ، وسفيان الثوري بألفين ألفين فقبلوها إلاّ سفيان فإنه لم يقبلها ، فكُلِّم وخُوِّف فجعلها لأخيه مبارك . وكان لا يقبل من أحد شيئاً . وإن دُفع إليه مال يقسمه لم يقبله .

حدثنا أحمد ، ثنا خلف بن تميم قال : قال سفيان : إنى لأعرف حرص الرجل على الدنيا بتسليمه على أهلها .

حدثني أحمد بن ابراهيم ، حدثني محمد بن محمد عن عبد الغفار صاحب سفيان قال : جاء رجل إلى سفيان بمكة ، فقال : يا أبا عبدالله ، أردت الشام فاكتب لي كتاباً إلى أبي عمرو الأوزاعي توصيه بي ، فقال : نعم

١ ـ سورة طه ـ الآية : ٤٤ .

وما أراك تدركه إني رأيت ملكاً من الملائكة نزل إلىٰ الشام فاقتلع منها ريحانه فرفعها ، وإني أظن أن الرجل قُبض ، قال : فخرج الرجل فلما شارف الشام بلغته وفاة الأوزاعي .

حدثني أحمد حدثني محمد بن محمد عن محمد بن يوسف قال : اجتمع على سفيان سُؤَّالٌ من الأعراب في طريق مكة فأطعمهم ما في سفرته ، وأكبوا عليه فقال : لا جزىٰ الله أبا جعفر عنكم خيراً .

أحمد بن إبراهيم عن خلف بن تميم قال : كان سفيان يتمثل :

أطريف إن العيش كدَّر صَفْوَهُ ذكر المنية والقبور الهُوَّل
دنيا تداوَلَها العباد ذميمةٌ شيبت بأكرهِ من نقيع الحنظل
وبنات دهرٍ ماتزال مُلمَّة فيها فجائع مثل وقع الجندل

وحدثني بعض أصحابنا أن علي بن الجعد أخبره أن سفيان كان يتمثل بهذا الشعر ، وهو فيما يقال لابن شبرمه أو لأبيه شبرمه :

هذا الزمان الذي كنا نُحَذِّرُهُ في قول سعدٍ وفي قول ابن مسعود
إن دام ذا العيش لم نحزن على أحد منا بموتٍ ولم نفرح بمولود

وقال الفضل بن دكين : دعا أمير المؤمنين المنصور أبو جعفر سفيان فدفع إليه خاتمه وقال : إنك تزعم أنا لا نعدل فاعمل بالعدل فيها وراء بابنا ، فلم يقبل ذلك .

وسأل سفيان وهو بالبصرة عن رجل من أصحابه ، فقيل هو علىٰ مسائل شريك ، وأتاه الرجل فلما رآه قال له:أبعد القرآن والعلم صرت على مسائل شريك ؟ فقال : كبرت سني وكثر ديني ، فقال : لأن تموت ودينك عليك أحبّ إلي من أن تقضيه مما تصيبه من مسائل شريك .

وقال محمد بن سعد مات سفيان الثوري ، ويكنىٰ أبا عبدالله بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة[1] .

وقال الواقدي ولد سفيان سنة سبع وتسعين .

وقال أبو اليقظان خرج بنو ثور من الرباب ، وليس بالبصرة منهم اليوم أحد .

وقال محمد بن سعد : ومن بني ثور نسير بن ذعلوق الذي روي عنه الحديث .

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٧١ .

نسب مُزَيْنَة وهم ولد عمرو بن أدّ

وولد عمرو بن أد بن طابخة : عثمان بن عمرو . وأوس بن عمرو ، وأمهما مزينة بنت كلب بن وبرة بها يُعرفون .

فولد عثمان بن عمرو بن أد : لاطم بن عثمان . وعَدّار ، وحياوه . وأفرك ، وأمهم ابنة قيس بن عيلان بن مضر .

فولد لاطم بن عثمان بن مزينة : هُذْمَة . وسعد . وجَرَس .

فولد هذمة : ثور بن هُذمة . وعمران بن هُذْمة .

فولد ثور بن هذمة بن لاطم : ثعلبة بن ثور . وعبد بن ثور . وعامر بن ثور .

فولد ثعلبة بن ثور : خلاوة . وعبدالله . وشيبان .

فولد خلاوة بن ثعلبة : مازن بن خلاوة . وقرة بن خلاوة . وخالفة بن خلاوة .

وولد مازن بن خلاوة : نَضْلة بن مازن . وصبح بن مازن . والحارث بن مازن . ونهيك بن مازن . وكلاب بن مازن . وقرة بن مازن ،

وهم رهط بلال بن الحارث المزني الذي أقطعه النبي ﷺ[1] .

حدثنا القاسم بن سلّام ، ثنا إسحاق بن عيسىٰ عن مالك بن أنس عن ربيعة عن قوم من علمائهم أن رسول الله ﷺ أقطع بلال بن الحارث المزني معادن بناحية الفُرُعْ .

وحدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثنا أبو نعيم بن حماد عن عبد العزيز بن محمد عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن الحارث بن بلال بن الحارث المزني عن أبيه بلال بن الحارث أن النبي ﷺ أقطعه العقيق أجمع[2] .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد وابن سهم الأنطاكي قالا : ثنا الهيثم بن جميل الأنطاكي ، ثنا حماد بن سلمة عن أبي مكين عن أبي عكرمة مولى بلال بن الحارث المزني قال : أقطع رسول الله ﷺ بلالاً أرضاً فيها جبل ومعدن ، فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز أرضاً منها فظهر فيها معدن أو قال معدنان ، فقالوا : إنما بعناك أرض حرث ولم نَبعكَ المعادن ، وجاؤوا بكتاب النبي ﷺ لهم في جريدة فقبَّلها عمر ومسح بها عينيه ، وقال لقيِّمه : انظر ما خرج منها وما أنفقت فقاصّهم بالنفقة ، ورد عليهم الفضل .

وحدثنا الحسين بن علي العجلي عن يحيى بن آدم عن يزيد بن عبد العزيز عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أقطع عمر بلالاً العقيق ما بين أعلاه إلىٰ أسفله[3] .

وكان بلال بن الحارث يكنىٰ أبا عبد الرحمن مات سنة ستين وهو ابن

---

١ ـ بهامش الأصل : بلال بن الحارث المزني رحمه الله .

٢ ـ الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٣٨٧ .

٣ ـ انظر الخراج ليحيى بن آدم ص ٩٣ .

ثمانين ، وكان يسكن جبليهم الأشعر والأجرد ، ويأتي المدينة كثيراً ، وكان ابنه حسان بن بلال بالبصرة .

وولد صبح بن مازن بن خلاوة : الحارث بن صبح . والحويرث بن صبح . وناشرة بن صبح ، وأمهم سُبَيْعَة بها يُعرفون .

فمن بني صبح : **مَعْقِل بن سنان** بن نُبيشة بن سلمى بن سلامان بن النعمان بن صبح ، أقطعه النبي ﷺ قطيعة .

ومن بني الحارث بن مازن بن خلاوة : **زهير بن أبي سُلْمى**[1] الشاعر ، واسم أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرط بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة . وابناه كعب بن زهير . وبجير بن زهير الشاعران ، وكان خال ربيعة أبي زهير من بني مرة بن غطفان ، وهو أسعد بن غدير بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . وكان أسعد خرج في بني مرة ليغير على طيّ ومعهم أبو سلمى فأصابوا نَعَماً وأموالاً ، فرجعوا إلى أرضهم فقال ربيعة أبو سلمى لأسْعَدَ خاله ولابنه كعب بن أسعد افردا لي سهمي وادفعاه إليّ فأبيا ذلك عليه ومنعاه حقه ، فلما جُنَّ عليه الليل قال لأمه : واللات لتقومِنَّ إلى بعير من هذه الإبل فتقعدنَّ عليه أو لأضِربَنَّ بسيفي ما تحت قِرْطِكِ ، يريد عنقها . فالتزمت سنام بعير منها وركبته وخرج بها وبالإبل حتى انتهى إلى قومه وجعل يقول :

ويلٌ لأجمال العجوز مني إذا دنوتُ ودنون مني
كأنني سَمَعْمَعٌ[2] مِن جنِّ

١ ـ بهامش الأصل : زهير بن أبي سلمى والدكعب .
٢ ـ السمعمع : الصغير الرأس أو اللحية . القاموس .

وقال أيضاً :

ولْتَخرجن إبل مُجَنَّبَة من عند أسعدٍ وابنه كعب
الآكلين صريح قومها أكل الحباري برعم الرطب

ثم إن أبا زهير مكث حيناً ، ثم أقبل بمزينة ليغير على بني ذبيان فلما نظرت مزينة إلى أرض غطفان هابوهم فتطايروا وتركوه فقال :

من يشتري فرساً كخير غزوها وَأَبَتْ عشيرة ربها أن تُسْهِلا

يقول أبيع فرسي إذا أشرفتْ عشيرتي علىٰ القوم فلم ينزلوا إلى السهل وتطايروا ، ثم أتىٰ بني عبدالله بن غطفان فكان فيهم .

وقال عبدالله بن عباس قال لي عمر بن الخطاب : أنشدني شعراً لأشعر شعرائكم . قلت : ومن هو؟ قال : زهير . قلت : وبم كان كذاك ؟ قال : كان لا يعاظل بين الكلام ولا يطلب حوشيَّهُ ولا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال .

وحدثني شيخ من مزينة أن أبا سلمى قال لزهير ابنه : يا بني إن المزاح سباب الرضا ويوشك أن يصير غضباً فلا تمزح فَيُسْتَخَف بك أو تكتسب عداوة صديقك ، وعليك بأوساط الأمور فإن أطرافها متفاوتة .

وكان كعب بن زهير[1] رحمه الله أتى النبي ﷺ فكساه برداً اشتراه معاوية رحمه الله منه بعشرين ألف درهم ، وهو برد الخلفاء ، ويقال إن أبا العباس أمير المؤمنين اشترى البرد من قوم من النصارى كان كساهم إياه ، وجعله أمنةً لهم .

وامتدح كعب رسول الله ﷺ وقد كان قبل ذلك بلغ كعباً أنه أبلغ

---

١ ـ بهامش الأصل : كعب بن زهير رحمه الله .

رسول الله ﷺ عنه شيء فخافه فقال :

نُبِّئْتُ أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول[1]

في قصيدته الطويلة .

وكان عقبة بن كعب شاعراً ، وكان يقال له المُضَرَّب لأنه شبَّبَ بامرأة من بني أسد فضربه أخوها عدة ضربات بالسيف فلم يمت منها ، وأُعْطي الدية :

وحيّ ودِيْ قد يعلم الناس أنه كريم وما ظني بحب الأباعر

فولد عقبة بن كعب بن زهير : العَوّام لأم ولد يقال لها عيناء ، وشبيباً أمه عربية .

فأما العَّوام فكان شاعراً ، وكان يتحدث إلى امرأة من بني عبس ، ثم من بني ملاص يقال لها سوداء فجاء أخ لها يقال له حَيَّان إليه فأوعده ، فوثب العوّام على حيّان فضربه حتى سقط ، وأخذه بنو ملاص فجاء أخوه شبيب فقال : أنا أكفل به لكم فقال : يا شبيب إنه الدم ، فقال : أنا أذكى دماً وأكرم نفساً ، فكفلوه وخـلّوا عن العوام ، ولم يكن حيان مات بعد ، فلما مات انطلقوا بشبيب إلى أكمة يقال لها نَضَاد ، وكان حيان لأم ولد فأنشأ شبيب يقول لابنته :

إني لأخشىٰ يـا عُـلَيَّ عليكمُ حوادث هذا الدهر من كل جانب
أَحَلَّكِ بالثغر المَخُـوفِ مكانُـه أبوكِ ولم يجمع أداة المحارب

وقال أيضاً :

دعيني فقد أبليتُ صبراً وعفة فأسمح للموت الغداةَ قريني

١ ـ ديوان كعب بن زهير ـ ط . بيروت ١٩٨٧ ص ٦٥ .

وجدتُّك لا تدرين ما حُمَّ في غدٍ ولا ماغدٌ جاءٍ به فَـذَرِيْني
وما كنت أُخشىٰ أن تكون منيتي اساراً ولا قتلي بقتل هجَينَ

وقال العوام :

سأُجزي الزُّرْق زُرْقَ بني ملاص بيـوم نضـاد أيـامـاً طـوالا
ستعلم يا شبيب بَلاَء سيفي وقلبٍ لم أُعَـوِّدْهُ النّكـالا
كأنَّ سيوف زرق بني ملاصٍ تُبَـادرُ مَشرفيـاً أو هـلالا
فليتَ الأرض فاءت بي إليهم وقـد غَلّوا يمينك والشـمالا

وانطلق رجل من آل أبي سلمى يقال له العطاف إلى عبد الملك بن مروان فاستعداه ، فجعل قتيلاً بقتيل . وعداد زهير بن أبي سلمى وولده في بني عبدالله بن غطفان ، فربما انتسب بعضهم إليهم .

وولد عبد بن ثور بن هُذمه : كعب بن عبد . وعُدَيَّة بن عبد ، وهم رهط علي بن وهب الشاعر .

وقال هشام ابن الكلبي : وسمعت أيضاً من يقول أنه عُدَيَّة بن كعب بن عبد بن ثور . ووَعِيش بن عبد بن ثور .

فولد كعب بن عبد بن ثور : حُبْشِيَّة بن كعب . وخلاوة بن كعب . وعُدَيَّة بن كعب . وكعيب بن كعب . وكلفة بن كعب . وفلفلة[١] .

منهم : **النعمان بن عمرو بن مقرن**[٢] بن عائذ بن ميجا بن هجير بن نصر بن حُبْشِيَّه بن كعب ، كانت له صحبة وولاه عمر كسكر ، وجوخىٰ ، ثم ولاه قتال الفرس بنهاوند ، وكان على المسلمين ممن غزاها ، وبها

---

١ ـ بهامش الأصل : خ ، وقلفة .
٢ ـ بهامش الأصل : النعمان بن مقرن رحمه الله .

استشهد ، فبكى عليه عمر رضيٰ الله تعالى عنه ، وإليه نسبت قناطر النعمان بالجبل ، وكان يكنى أبا عمرو .

وأخوه سويد قُتل معه ، ويكنى أبا عدي .

ومن ولد سويد : معاوية بن سويد يحدث عنه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إسحاق بن يحيى بن طلحة عن مجاهد قال : البكاؤون بنو مُقرّن وهم سبعة[١] .

قال الواقدي: سمعت من يقول أنهم شهدوا الخندق .

قال الواقدي : كان عمرو بن عامر[٢] المزني حليف بني عامر بن لؤي ، يكنى أبا عبدالله ، وقد شهد الخندق ، وهو قديم الإسلام أحد البكائين ، ومات في أيام معاوية .

ومنهم معبد بن خليد[٣] بن إِثَبَة بن سُليم بن بردويخ بن كلفة بن كعب ، صحب النبي ﷺ .

وعبد العزىٰ بن وديعة بن حُرَّاق بن لأي بن كعب بن عبد بن ثور بن هُذْمة الشاعر .

ومَعْقِل بن يسار[٤] بن عبدالله بن معبِّر بن حُرَّاق بن لأي بن كعب بن عبد ، ويكنىٰ أبا عبدالله ، صحب النبي ﷺ ، وكان زياد بن أبي سفيان حفر نهر معقل بالبصرة وأجراه على يد عبد الرحمن بن أبي بكرة أو غيره ، فلما فرغ

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٨ ـ ٢٠ .
٢ ـ بهامش الأصل : عمرو بن عامر رحمه الله .
٣ ـ بهامش الأصل : معبد بن خليد رحمه الله .
٤ ـ بهامش الأصل : معقل بن يسار رحمه الله .

منه وأراد فتحه بعث معقل بن يسار ففتحه ببركاته لأنه من أصحاب رسول الله ﷺ .

وذكر القحذمي أن زياداً أعطى رجلاً ألف درهم وقال له : ابلُغ دجلة وسل عن صاحب النهر من هو ، فإن قال رجل إنه نهر زياد فاعطه الألف ، فبلغ دجلة العوراء ثم رجع ، فقال: ما ألفيتُ أحداً إلاّ يقول نهر معقل ، فقال زياد : ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾[١] . وقوم يقولون أنه جرى حفره على يدي معقل ، والأول أثبت ، وإليه نسب هذا الرطب المعقلي لأنه ظهر أول ما ظهر في نخل على الأرضيين التي على ذلك النهر .

ومات معقل بن يسار في أيام معاوية ، وولاية عبيدالله بن زياد بعد أبيه ، وكان قد انتقل إلى البصرة ، وكان معقل عَضَل أُخته أن ترجع إلى زوجها الأول وقد نكحت زوجاً غيره ثم طلقها فنزلت فيه : ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغْنَ أَجَلَهُنَّ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾[٢] الآية .

وولد جَرَس بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أدّ : لَحْيَ بن جَرَس .

منهم شُرَيح[٣] بن ضَمُرة ، أول من جاء بصدقة مزينة إلى رسول الله ﷺ .

وولد عبدالله بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم : عدي بن عبدالله . وعمرو بن عبدالله . وبجالة بن عبدالله . وعيش بن عبدالله . ولأي بن عبدالله . منهم سنان بن مشنوء بن عُمير بن عبيد بن زيد بن رواحة بن زَبِيبة بن عامر بن عدي بن عبدالله بن ثعلبة ، الذي استخلفه

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٥٤ .

٢ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٣٢ .

٣ ـ بهامش الأصل : شريح بن ضمرة رحمه الله .

النعمان بن مقرن على عمله ، وسار إلى نهاوند ، وكان يومئذ على كسكر وجوخى .

وولد عامر بن ثور بن هذمة : عوف بن عامر . وعباية بن عامر . منهم عطية بن مُكَدَّم بن عقيل بن وهب بن عمرو بن مرة بن عوف بن عامر بن ثور ، كان شريفاً بالحجاز .

وولد عمران بن هُذْمة بن لاطم : عمرو بن عمران .

وولد عمرو : حجر بن عمرو . ومرة بن عمرو ومازن بن عمرو .

فولد حجر : قيس بن حجر .

وولد مرة بن عمرو بن عمران : غياث بن مرة .

فولد غياث : الكاهن بن غياث وولد بالجزيرة . وخفاف بن غياث . وعبد فهم بن غياث . وحنظلة بن غياث . ومالك بن غياث . وفجر بن غياث .

منهم : بشر بن عصمة بن مصاد بن جابر بن عبدنهم بن غياث بن مرة بن عمرو بن عمران بن هذمة ، شهد صفين مع علي عليه السلام وكان فارساً .

ومسافع بن عمرو بن زهرة بن واهب بن عبدنهم بن غياث الشاعر .

وولد عَدّاء بن عثمان بن مزينة : معاوية بن عداء . وسعد بن عداء .

فولد معاوية بن عداء : صعصعة بن معاوية .

فولد صعصعة : عمرو بن صعصعة . وعامر بن صعصعة . وناشرة بن صعصعة .

فولد عمرو بن صعصعة : بغيض بن عمرو .

وولد سعد بن عداء : عامر بن سعد . وذؤيب بن سعد .

فولد عامر بن سعد بن عداء . سعد بن عامر . فولد سعد : كراثة بن سعد .

وولد ذؤيب بن سعد بن عداء : ثعلبة بن ذؤيب . ورزاح بن ذؤيب .

منهم : **خزاعي بن عبدنهم**[1] بن عفيف بن سحيم بن ربيعة بن عداء بن ثعلبة بن ذؤيب ، وهو الذي كسر صنم مزينة ، ثم لحق بالنبي ﷺ مسلماً ، فكان على قبض مغانم النبي ﷺ . وأخوه المغفل وابنه **عبدالله بن المغفل**[2] ، زوجه النبي ﷺ امرأة من الأزد ، حين أسلم .

وقال أبو اليقظان : ولى عمر عبدالله بن المغفل عملاً ، ومات بالبصرة ، وأوصى أن يصلي عليه أبو برزة الأسلمي .

ومنهم : **معن بن أوس**[3] بن نصر بن زياد بن أسعد بن أسحم بن ربيعة بن عداء بن ثعلبة بن ذؤيب ، وهو الذي يقول في قصيدته اللامية التي أولها :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل ... على أيُّنا تعدو المنية أول

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني ... يمينك فانظر أي كف تبدل

إذا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تَكَدْ ... إليه بِودٍّ آخر الدهر تُقبل

---

١ ـ بهامش الأصل : خزاعي بن عبدنهم رحمه الله .

٢ ـ بهامش الأصل : عبدالله بن المغفل رحمه الله .

٣ ـ هو من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، وله مدائح في جماعة من أصحاب النبي ﷺ . الأغاني ج ١٢ ص ٥٤ .

وهو القائل أيضاً :

ترى حالب المعزى وإن سُرّ قاعداً   وحالبهنّ القائم المتطاول

يعني حالب الإبل

وقد مدح معن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية .

ودخل معن البصرة فتزوج ابنة عم له يقال لها ليلى ، فاستأذنها في إتيان بلاده فأذنت له فأبطأ عليها ، فركبت إليه فوجدته في بَتٍ وجبة صوف فقالت له : أهذا عيشك الرفيع الذي نزعت إليه ؟ فقال لها : لو قد جاء الربيع فرأيت الخزامى والزهرة لرأيت عيشاً طيباً ، فأمرت فنظف وكسي ، ثم إنها رجعت إلى البصرة وقد طلقها وندم .

ومنهم **بشر بن المحتفز**[1] بن عثمان بن بشر بن أوس بن نصر بن زياد بن أسعد بن أسحم بن ربيعة بن عداء بن ثعلبة بن ذؤيب وهم بخراسان ، وهو ممن رفع عليه أبو المختار يزيد بن قيس بن يزيد بن الصعو إلى عمر بن الخطاب في قصيدة له فقال :

فأرسلْ إلى الحجاج فاعْرِفْ حسابه   وأَرْسِلْ إلى جَزْءٍ وأرسلْ إلى بشر

فقاسمه عمر ماله ، وكان بشر بن المحتفز على جنديسابور من كور الأهواز ، وكانت لبشر صحبة ورفع عليه عند عمر رضي الله تعالى عنه أنه اتخذ لجنديسابور مسجداً يصعد إليه بدرجة عالية ، وأنه لبس البزيون[2] واتخذ الأخلة كما تتخذها العجم ، فقال : أما المسجد فاني بنيته فوق ظهر بيت ، لأني في بلدة كثيرة الخنازير فكرهتُ أن تدخل المسجد . وأما البزيون

١ ـ بهامش الأصل : بشر بن المحتفز رحمه الله .
٢ ـ من أنواع الحرير .

فإنه ثوب جميل باقٍ ، وأما الأخلة فاتخذتها لأني رجل أفلج الأسنان فالطعام يبقى في أسناني فأخرجه بالخلال ، فسكت عمر ولم يغيِّر ذلك عليه .

وكان له ابنان أحدهما : عثمان بن بشر بن المحتفز ، والآخر عبد الرحمن ، وكان ابن الزبير ولى عبدالله بن خازم خراسان ، وبعث بعهده عليها إليه وهو بها ، فقال سليمان بن مرثد أحد بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة : والله ما ابن الزبير بخليفة مجتمع عليه ، وانما هو رجل عائذ بالبيت ، فحاربه في جموعه فظفر ابن خازم ، وقتل سليمان ، قتله قيس بن عاصم السُلمي ، واحتز رأسه . واجتمع فلّ سليمان إلى عمرو بن مرثد أخيه بالطالقان ، فسار إليه ابن خازم فقاتله فقتله ، وولى ابن خازم ابنه محمد بن عبدالله بن خازم هراة ، فهاج بنو تميم بهراة وقتلوا محمداً ، فظفر أبوه بعثمان بن بشر بن المحتفز بالطالقان حين حارب عمرو بن مرثد فقتله صبراً ، ويقال إنه ظفر به وبأخيه أيضاً فقتلهما .

وكتب عبد الملك إلى ابن خازم بولاية خراسان كتاباً ، فأمر رسوله بأكله وقال : ما كنت لألقى الله وقد نكثت بيعة ابن حواري رسول الله ﷺ وبايعت ابن طريده ، فكتب عبد الملك إلى بكير بن وساج بولايته خراسان ، وكان بكير قد باينه ، وقاتله بقرب مرو فقتل ابن خازم ، قتله وكيع بن الدورقية ، وأتى بكير بن وساج برأس ابن خازم فبعث به إلى عبد الملك بن مروان ، وقطعت يد ابن خازم ، فبعث بها إلى عثمان بن بشر بن المحتفز .

وولد أوس بن مزينة : سليم بن أوس . وعامر بن أوس .

فولد سليم : محارب بن سليم . وثعلبة بن سليم .

فولد محارب : حُلمة .

فولد حلمة : خالد بن حلمة . وشيبان بن حلمة .

وولد ثعلبة بن سليم بن أوس : عبادة بن ثعلبة . وذبيان بن ثعلبة . وعبدالله بن ثعلبة .

منهم **إياس بن معاوية**[1] بن قرة بن اياس بن هلال بن رئاب بن عبيد بن سَوْءَة بن سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن سُليم بن أوس بن مزينة ، وكان لإياس بن هلال صحبة ، وكانت أم إياس بن معاوية أم ولد ، وكان إياس يكنى أبا واثلة . وكان أبوه معاوية بن قرة من خيار أهل البصرة ، وكان يكنى أبا إياس .

قال أبو الحسن المدائني : كان اياس بن معاوية قاضياً فقيهاً قائفاً يزكن فلا يخطىء ، استقضاه عمر بن عبد العزيز ، وأرسل رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس والقاسم بن ربيعة الحوشي من بني عبدالله بن غطفان فيُوَلّي القضاء أَنْفَذَهُما ، فقدم البصرة فجمع بينهما فقال إياس للشامي : أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين ، فمن أشار عليك بتوليته فولّه . وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ، ولم يكن إياس يأتيهما ، فقال القاسم :لا تسألهما عنا فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياساً لأفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء ، فإن كنتُ عندك ممن تُصدِّق فإنه ينبغي لك أن تقبل قولي ، وإن كنت كذاباً فما يحلّ لك أن توليني ، فقال إياس للشامي : إنك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فافتدىٰ نفسه من النار بيمين حلفها كذب فيها يستغفر الله منها وينجو مما

١ ـ بهامش الأصل : اياس بن معاوية القاضي .

يخاف . فقال الشامي : اما إذ فطنت لهذا فإني أوليك فاستقضاه فلم يزل على قضاءالبصرة سنة ثم هرب .

المدائني قال : قيل لإياس ـ وكان إذا تبين له وجه الحكم أمضاه ولم يؤخره ـ : إن فيك أربع خصال : دمامة ، وكثرة كلام ، وإعجاب بنفسك ، وانك تعجل بالقضاء ، فقال : أما الدمامة فالأمر فيها إلى غيري ، وأما كثرة الكلام أفبصواب أتكلم أم بخطأ ؟ قالوا : بصواب . قال : فالإكثار من الصواب أمثل من الإقلال . وأما إعجابي بنفسي أفيعجبكم ما ترون مني ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا أحق بأن أعجب بنفسي . وأما قولكم إني أعجل بالقضاء فكم هذا ؟ وعقد بيده خمسة ، فقالوا : خمسة . قال عجلتم . قالوا : هذا أوضح من أن نبطىء فيه . قال : فإني أتبين القضاء فلا ابطىء بإنفاذه ولا أؤخره .

وحدثني عبدالله بن صالح المقرىء عن ابن كناسة قال : لما ولي عمر بن هبيرة العراق أيام يزيد بن عبد الملك دعا إياساً إلى ولاية القضاء فأباه عليه ، فضربه أسواطاً وأجبره على ولاية الحسبة بواسط .

قالوا : والتقى رجلان على أحدهما مطرف خز ، وعلى الآخر كساء أنبجاني ، فادعى صاحب الأنبجاني أن المطرف له والانبجاني لصاحب المطرف . ودعا إياس بمشط وماء فَبَلَّ رأس كل واحد منهما وقال لأحدهما سرح رأسك فسرح رأسه ، فخرج في المشط غفر المطرف ، وسرح الآخر فخرج في المشط غفر الأنبجاني فقال له : يا خبيث ، الأنبجاني لك فأقر فدفع المطرف إلى صاحبه .

وقال إياس : ما يسرني أني كذبت كذبة لا يُطَّلَعُ عليها في الدنيا

ولا أؤخذ بها في الآخرة وأن لي مفروحاً به في الدنيا . وقال إياس : لو صحبني رجل فقال:اشترط علي خلة واحدة لا تزيد عليها لقلت:لا تكذبني .

المدائني قال : شهد وكيع بن أبي سود عند إياس شهادة ، فقال له : يا أبا مطرف إنما يشهد الموالي والتجار والسفلة وليس يشهد مثلك من الأشراف فقال : صدقت . فلما انصرف قيل له : إنه لم يجز شهادتك قد قعد عنها . فقال : لو علمت ان هذا هكذا لحبجته[1] بالعصا .

قال : ودخل الحسن على إياس فبكى ، فقال : ما يبكيك يا أبا واثلة ؟ قال : الحديث الذي جاء «أن القضاة ثلاثة : اثنان في النار ، وواحد في الجنة ، قاض تَعَمَّدَ الحق فأخطأ فهو في النار وقاض تَعَمَّد الجَوْر فهو في النار وقاض تَعَمَّد الحق فأصاب فهو في الجنة» .

قالوا:وردَّ اياس شهادة رجل من المسلمين فشكا ذلك إلى الحسن فقال الحسن : يا أبا واثلة لم رددتَ شهادة هذا وهو مسلم وقال رسول الله ﷺ : «من صلى قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم له مالنا وعليه ما علينا» ؟ فقال إياس : يا أبا سعيد إن الله يقول : ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾[2] وهذا ممن لا نرضاه فسكت الحسن .

قال : ورأى إياس رجلاً فقال له : قد حلقت نصف لحيتك قال : نعم ، ثم قال : فمن أين عرفت ذلك ؟ قال باختلاف الشعر .

واختصمت إلى إياس امرأتان في غزل ، وكل واحدة منهما تدعيه ، فأخذ الغزل منهما وقال لإحداهما: كيف غزلك ؟ قالت بالفارسية، وقال

١ ـ حبج : ضرب . القاموس .
٢ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٨٢ .

للأخرى : كيف غزلك ؟ قالت : منكوس ، فنظر إلى الغزل فقال : هو بالفارسية فقالت الأخرى : صَدَقَتْ هو غزلها ولكنها رهنته عندي .

واختصم إلى إياس امرأتان في كبة غزل فأخذها وقال لإحداهما : على أي شيء كَبَبْتِها ؟ فقالت : على جوزة . وسأل الأخرى فقالت : على خرقة ، فأمر بنقض الكبة فوجد الجوزة ، فدفعها إلى صاحبتها .

وكان يقول : صاحب المرأة الواحدة إذا حاضت حاض ، وإذا مرضت مرض وإذا زارت زار .

قالوا : واستودع رجل رجلاً مالاً ثم طلبه منه فجحده ، فخاصمه إلى إياس ، فقال للطالب : أين دفعت إليه المال ؟ قال : بموضع كذا ولم يحضرنا أحد . قال : فأي شيء كان في ذلك المكان ؟ قال : شجرة . قال : فانطلق إلى ذلك الموضع وانظر فلعل الله أن يوضح لك هناك ما يتبين لك به أمرك ، فمضى الرجل . وقال للمطالب : ارجع حتى يجلس خصمك فجلس وإياس يقضي ولا ينظر إليه ساعة، ثم قال: أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر ؟ قال : لا . قال : يا عدو الله إنك لخائن حائن . قال : أقلني أقالك الله . فأمر أن يحتفظ به حتى جاء خصمه ، فقال : قد أقر لك بحقك فخذه منه .

قال:واستودع رجل رجلاً من أمناء إياس مالاً وحج ، فلما قدم طلبه فجحده ، فأتى إياساً فأخبره فقال له إياس : أَعَلِمَ ان أتيتني ؟ قال : لا . قال : أفنازعته عند أحد ؟ قال : لا ، قال : فانصرف وعد إلي بعد يوم أو يومين ، ودعا إياس أمينه ذاك فقال له : قد اجتمع عندي مال كثير أريد أن أودعك إياه وأوليك أمر ايتام ، أَفَحَصْينٌ منزلك ؟ قال : نعم ، قال : فَعُدْ

إلي يوم كذا واعدد موضعاً للمال وقوماً يحملونه ، وعاد المودع إلى إياس فقال له : انطلق إلي صاحبك فاطلب منه مالك فإن أعطاك إياه وإلاّ فقل له إني أخبر القاضي خبرك ، فأتاه فدفع المال إليه ، فرجع إلى إياس فأخبره أنه قبض ماله ، وجاء الأمين فزجره إياس وزبره وقال : لا تقربني يا خائن .

واستودع رجل رجلاً كيساً فيه دنانير ، وغاب فطالت غيبته ففتق المستودَعُ الكيس من أسفله وأخذ الدنانير وصيَّر مكانها في الكيس دراهم وخاطه والخاتم بحاله ، فقدم صاحب المال بعد خمس عشرة سنة فطلب ماله فدفع إليه الكيس بخاتمه ففتحه فلم يقبله ، وقال : هذه دراهم ومالي دنانير ، قال : هكذا كيسك بخاتمك فرافعه إلى عمر بن هبيرة ، فقال لإياس : أنظر في أمر هذين . فقال للطالب : ما تقول ؟ فقال : أعطيته كيساً فيه دنانير فأعطاني كيساً فيه دراهم فقال إياس ، مذ كم سنة ؟ قال : مذ خمس عشرة سنة . فقال للآخر : ما تقول ؟ قال : قد دفعت إليه كيسه بخاتمه ، قال : فضوا الخاتم ، ففضوه ونظروا إلى الدراهم فوجدوا فيها دراهم ضربت بعد الوقت الذي أودع فيه كيسه بعشر سنين وخمس سنين وأقل وأكثر ، فقال له : قد أقررت ان الكيس عندك مذ خمس عشرة سنة فاتق الله ولا تظلم الرجل ، فأقرَّ بالدنانير فألزمه إياها .

قالوا : وشهد أبوه معاوية ورجل آخر عنده ونفر معهما على رجل بأربعة آلاف درهم لرجل ، فقال المشهود عليه : تثبَّتْ في أمري فوالله ما أشهدت الشهود إلا بألفين ، فقال إياس لأبيه وللشاهد الآخر : هل كان يوم شهدتما في الصحيفة فضل ؟ قالا : نعم كانت طينته في نصف الصحيفة ولم يمكنا أن نكتب شهادتنا فختمنا تلك الطينة ، قال : أفكان هذا الرجل يمر

بكم فيقول : احفظوا شهاداتكم على فلان بأربعة آلاف ؟ قالا : نعم . قال : اغتركم ودعاه خالياً فقال : يا عدو الله ، خدعت قوماً مغفلين فكتبت صكاً بألفين ووضعت طيناً في وسط الصك ثم كتبت في الجانب الآخر من الصحيفة بأربعة آلاف ، ثم جعلت تمر بهم فتقول : احفظوا شهاداتكم على فلان بأربعة آلاف ، أما والله لأنكلنّ بك . فقال : اذكرك الله ألا أقلتني ولم تفضحني ، وأقرَّ بما صنع فحكم إياس له بألفين .

قالوا : وأتى إياساً دهقان فنازع رجلاً عنده فقال له : كأني بك تقدر في نفسك كذا وتريد أن تقول كذا وتحتج بكذا . فقال الدهقان : أقاض أنت أصلحك الله أم عَرَّاف ؟.

قالوا : ونظر إياس إلى نسوة قد فزعن من بعير ، فأشار إليهن فقال : هذه حامل ، وهذه مرضع ، وهذه بكر . فسئلن فكان الأمر كما قال : فقيل له : كيف علمت هذا ؟ فقال : رأيتهن يمشين فلما فزعن وضعت كل واحدة يدها على أهم المواضع إليها ، فوضعت البكر يدها على أسفل بطنها ، ووضعت الحامل يدها على بطنها ووضعت المرضع يدها على ثديها .

وكان إياس يقول : شرقي كل بلد أكثر أهلاً من غربيّه ، ومن قرب منزله من النهر كان أقل آنية ممن بعد عن النهر .

وسمع إياس كلام رجل في سفينة فقال : أنت ابن فلان ؟ قال : نعم ، قال : سمعته ينازع رجلاً ، فشبهت كلامك بكلامه .

وقال لرجل : أنت ابن فلانة ؟ قال : نعم . قال : شبهتُ عينيك بعينيها .

ونازع رجل رجلاً عنده ، فسأله البينة فقال : يا أبا الرازقي . فقال

إياس للشاهد : أرضيت بهذه الكنية ؟ قال : نعم هي كنيتي . قال : لهذا لا نرضى بك .

ونازع أيضاً عنده رجل رجلاً فسأله البينة فنادى شاهداً له : يا أبا الكفور ، فقال إياس : مكانك يا أبا الكفور ، انصرف عنا ، هات غير هذا .

وخاصم رجل إلى إياس رجلاً في جارية وقال : هي حمقاء . فقال إياس : لا اعلمه يُرَدّ من حِمقَ . قال : ان حمقها كالجنون . فقال لها إياس : أتذكرين يوم ولدت ؟ قالت : نعم . قال : فأيّ رجليك أطول ؟ قالت لإحدى رجليها : هذه . قال : ردوها فإنها مجنونة .

قال : ونظر خالد الحذاء يوماً إلى امرأة فأعجبته ، فقال لها : يا أمة الله ، أفارغة أنت أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة فاتبعها ولقيه رجل فسلم عليه وكلمه وغابت المرأة فاغتم فلقيه إياس فأخبره خبر المرأة فقال : انطلق بنا إلى الموضع الذي رأيتها فيه وامش بين يدي فإذا انتهيت إلى الموضع الذي فقدتها فيه وخفيت عليك فقم بمقدار ما كلمك الرجل ، ففعل إياس ذلك المقدار بآيات قرأها ، ثم قال له : امض بنا وأعاد ما قرأ فلما انتهى إلى آخره قال له : دخلتْ هذا الزقاق لا محالة ، ولم يكن للزقاق منفذ ، فدخل إياس الزقاق على نسوة جلوس فيه فقال : امرأة دخلت قبيل هذا الوقت عليها قميص أحمر وملحفة بيضاء ؟ قلن : نعم امرأة لابأس بها . قال : فلها زوج ؟ قلن : لا . قال : فمن وليها ؟ فسموه فعرفه فأرسل إليه فدعاه فزوجها من خالد ودخل بها من يومه .

قال : وذكروا ذات يوم تواصل الناس وتقاطعهم ، فقال رجل : يا أبا

واثلة أخبرني عن رجلين بالمصر صالحين لا يتزاوران ولا يتواصلان ؟ فقال إياس : كأنك تسألني عن الحسن وابن سيرين ؟ قال : ما أردت غيرهما .

قال : وقال إياس لقوم كانوا يجالسونه من أهل مكة : قدمت بلدكم فعرفت قوماً من خياركم وشراركم ، قالوا : متى قدمت ومتى عرفتهم ؟ فقال : هنا قوم خيار أكفأ منكم قوماً ، وقوم شرار أكفأ قوماً ، فعلمت أن خياركم من أَلِفه خيارنا ، وشراركم من أَلِفه شرارنا .

وقال سلم بن قتيبة : رآني إياس ولا أعرفه ولم يكن رآني قبل ذلك فقال : أأنت ابن قتيبة ؟ قلت : نعم . قال : عرفتك بشبه عمك عمرو بن مسلم . قلت : رحمك الله عمي ضخم أمغر[1] ، وأنا رجل آدم نحيف ، فقال ليس يعسر هذا إنما يُعرف بالقلب .

وقدم إياس مكة فقال لأصحابه : هل لكم في سَلْم بن قتيبة ، وهو إذ ذاك ببئر ميمون ، هو الجالس في ظل راحلته فنظروا فإذا هو سلْم ، فقال سلم لإياس : كيف علمت أني سلم ؟ قال : حج إخوانك والآفك جميعاً وعرفت مذهبك ، فعرفت أنك ستتبعهم ، ورأيت بعيراً من إبل الملوك عليه رجل من رجال القرى فأوقعت ظني فلم أخطىء .

وكان إياس يقول عرفتُ الزَّكْنَ من قِبَلِ أمي ، وكانت خراسانية فكانت تخبرني أن إخوتها وأهل بيتها يزكنون ويتفرسون ، ولقيت قوماً بمكة فعرفتُهم بشبه أمي وعرفوني فإذا هُم من أهل بيتها .

قالوا : وسمع إياس نباح كلب فقال : كأنه مربوط إلى جانب بئر فوجدوا الأمر كما قال ، فقال : سمعت لصوته دوياً وصدى .

١ ـ المغرة : طين أحمر ، والأمغر الأحمر الشعر والجلد ، والذي في وجهه حمرة في بياض صاف . القاموس .

المدائني عن شيخ من باهلة قال : أتيت منزل ثابت البُناني فإذا أنا برجل طويل الثوب ، طويل الذراع أحمر يلوث عمامته لوثاً قد غلب على المجلس فقلت : من هذا فقال رجل: يا أبا واثلة ، فعرفت أنه إياس . قال: فسمعته يقول : تكون غلة الرجل ألفاً فينفق ألفاً فيصلح أمره وتصلح غلته ، وتكون غلته ألفين فينفق ألفين فيصلح أمره وتصلح غلته ، وتكون غلته ألفين فينفق ثلاثة آلاف فيوشك أن يبيع العقار في فضل النفقة .

المدائني عن جويرية بن أسماء ، حدثني عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر قال : كان إياس لي صديقاً ، فدخلنا على عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر وعنده جماعة من قريش فتذاكروا السلف ، ففضل قوم أبا بكر ، وآخرون عمر ، وآخرون علي بن أبي طالب ، فقال إياس ، إن عليا رحمه الله كان يرى أنه أحق الناس بالأمر ، فلما بايع الناس أبا بكر ورأى اجتماعهم عليه وأن قد صلح العامة اشترى صلاح العامة بتقصية[1] الخاصة ، يعني بني هاشم ، قال : ثم ولي عمر ففعل مثل ذلك ، فلما قتل عثمان اختلف الناس ، وفسدت العامة والخاصة ، ووجد أعواناً فقام بالحق ودعا إليه .

قالوا : وتدارأ[2] عنبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وخالد بن عرفطة اليشكري فقال عنبة : من قبلنا كان أفضل ، وقال خالد : الناس اليوم أفضل ، فتراضيا بإياس فقال اياس : أما أنا فقد أدركت أبي وجدي ، وكان جدي أفضل من أبي ، وأبي أفضل مني .

١ ـ بهامش الأصل : بتقصيه أمر .
٢ ـ تدارأوا : تدافعوا في الخصومة . القاموس .

المدائني عن أبي اسحاق بن حفص قال : رأى إياس في المنام أنه لا يدرك النحر فخرج إلى ضيعة له فمات بها سنة اثنتين وعشرين ومائة .

وكان اياس يقول : الحرير لا يخدعني ولا يخدع ابن سيرين ويخدع الحسن وأبي .

قالوا : وتبصر هلال شهر رمضان جماعة فيهم أنس بن مالك وقد قارب المائة فقال أنس : قد رأيته هو ذاك ، وجعل يشير فلا يرونه . ونظر اياس إلى أنس وإذا شعرة من حاجبه قد انثنت ، فمسحها اياس وسواها بحاجبه ثم قال : يا أبا حمزة : أرنا موضع الهلال فجعل ينظر ويقول : ما أراه .

قالوا : ومات معاوية بن قرة أبو إياس وهو ابن ست وسبعين سنة ، وقال إياس في العام الذي مات فيه : رأيت كأني وأبي على فرسين فجرينا جميعاً فلم أسبقه ولم يسبقني ، فعاش أبي ست وسبعين سنة ، وأنا فيها ، فلما كانت آخر لياليه قال : أتدرون أية ليلة هذه ؟ هذه ليلة استكملت فيها عمر أبي . ونام فأصبح ميتاً .

المدائني عن عبدالله بن مسلم قال : قال إياس : رأيت حية اتَّبعها ابن عرس في بستان فلما ألح عليها صعدت في نخلة ، فاتبعها فسلكت على سعفه واتبعها فتعلقت بخوصة وتدلت ، فقرض الخوصة فسقطت إلى الأرض ولم تقدر على الحركة ، فنزل فقتلها .

ودخل إياس منزل رجل فرأى موضعاً من الحائط أو الأرض فقال : في هذا الموضع حيّة فَوُجِد الأمر كما قال ، فسئل عن ذلك فقال : رأيت الحائط أو قال الأرض يابساً كله ورأيت هذا الموضع أقل يبساً ، فعلمت أن فيه شيئاً يتنفس .

وقال إياس لأبان بن الوليد : أنا أغنىٰ منك ، فقال أبان : وكيفَ ولي كذا وكذا ، فقال إياس : إن كسبك لا يفضل عن مؤونتك ، وكسبي يفضل عن مؤونتي .

ورأى اياس يوماً نسوة مقبلات فقال : هذه حامل ، وهذه مغيبة أوأيم ، وهذه حائض ، فنظر فوجد الأمر فيهن على ما ذكر ، فقال : أما الحامل فرأيتها أثقلهنَّ وطئاً ، ورأيت هيئة الأخرى رثة ، ورأيت الحائض أقربهن إلى المسجد فتأخرتْ عنه فصارت أبعدهن منه .

ورأى رجلاً يمشي متأبطاً شيئاً ، فقال : معه سكرّ ، وقد ولد له غلام ، فوجدوا ذلك كما قال ، فسئل فقال : رأيت الذباب قد أطاف به ، فقلت معه شيء حلو وهو يشبه أن يكون سكراً ، ورأيته نشيطاً فرحاً ، فظننت أنه قد ولد له غلام .

وقد رأىٰ جارية معها طبق مغطى بمنديل فقال : معها جراد ، فكان كما قال ، فقال : رأيته خفيفاً على يدها .

ورأى حماراً عليه حمل ظاهر خفيف ، والحمار يطأ وطء مُثْقِل فقال : قد حمل خمراً ، فوجد كما قال .

ونظر إلى جنازة فقال : صاحبها حي لم يمت ، فوضعت الجنازة فعض إبهام الرجل فإذا هو حي ، فردّوه فقيل له : كيف علمت ؟ فقال : رأيت أصابع قدميه منتصبة والميت لا تنتصب أصابع قدميه ، وكان ذلك الميت غريقاً .

وأتيَ يوماً بماء فقال : هذا قاطر فوجد كما قال ، فقال : رأيته صافياً جداً .

وشهد الفرزدق عند اياس بشهادة فقال : قد أجزنا شهادة أبي فراس ، ولكن زيدونا شاهداً ، فقام الفرزدق مسروراً ، فقيل له : إنه والله ما أجاز شهادتك ولو أجازها لم يستزد شاهداً ، فقال : ولم لا يرد شهادتي وقد قذفت ألف مُحْصَنَة وقال :

أتيتُ إياساً شاهداً فأجازني إجازة مقبول الشهادة صادق
وما اعتاض مني شاهداً ليردني إياس ولكنِ أخذه بالوثائق[1]

وكان اياس يقول : الشيبوط[2] من البني . والشيم[3] كالبغل بين الفرس والحمار ، وليس ثم نسل به .

وقال رجل لإياس : أنا أعرف مثل ما تعرف ، فنظر إياس إلى صدع في الأرض فقال : ما هذا الصدع ؟ قال : لا أدري . فقال إياس : فيه دابة ، فكان كما قال إياس فقال له إياس : يا بن أخي أن الارض لا تنصدع إلاّ عن دابة أو نبات .

وسمع إياس عواء كلب فقال : كان هذا الكلب مربوطاً ثم أطلق ، أما سمعتموه يأتي صوته من جهة واحدة ، ثم اختلف فَقَرُبَ وبَعُدَ حين أطلق .

ونظر إياس إلى رجل في المسجد فقال : هو : غريب ، أعور ، معلم ، قد ذهب له غلام سندي ، فوجد كما قال ، فقال : إني رأيته كالمتحيّر فعلمت أنه غريب لا يألف المكان ، ويلتفت بجُمعهِ إذا التفت ، فقلت

١ ـ ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .
٢ ـ سمك دقيق الذنب ، عريض الوسط .
٣ ـ الشيم : سمك . القاموس .

أعور ، ورأيته لا يكلم الصبيان فقلت معلم ، ورأيته إذا رأى غلاماً سندياً تأمله .

وقال إياس : ليس يولد من الحيوان شيء إلا ظاهر الأذنين .

وسُرقت لإياس شاة فسمع ثغاء ولدها بعد حين حين فعرفه .

ورأى إياس رجلاً فقال : لص سرق الساعةَ فخذوه ، فلم يلبث أن جاء من يطلبه فقال : رأيته دهشاً مدهاً يكثر الالتفات .

واختصم أهل قريتين في دجاج في قفص فقال لهم : خَلّوها ، ثم قال : هذه دجاجكم وهذه دجاج أهل القرية البعيدة منكم ، فقيل له : كيف علمت ؟ قال : رأيت دجاج هذه القرية مطمئنة مستأنسة ، ورأيت دجاج الأخرى قد رفعت رؤوسها ومدت أعناقها نافرة .

ورأىٰ ديكاً ينقر الحب ولا يقرقر فقال : هذا هرم ، لأن الهرم إذا ألقي له الحب لم يقرقر والشاب يقرقر ليجمع الدجاج إليه .

وقال إياس : أرسل إلي بلال بن أبي بردة فأتيته فلم يكلمني ، وقام وقمت فقال : ما رأيت عند اياس ما يذكرون ، فبلغني قوله فقلت : ما سألني عن شيء ، ثم بعث إلي فسألني عن شيء فقلت : لا أدري ، فقال : ظُنَّ ، قلت : لايجوز الظن ، فقال : أو يكون شيء لايجوز فيه الظن ؟ قلت : كم ولدي ؟ قال : لا أدري . قلت ؛ ظُنَّ . قال : لايجوز الظن .

وكان لإياس أخ له خزلة[1] ، فعير أبو اياس إياساً به فقال له إياس : مَثَلُ أخي مثل الفَرُّوج يخرج من البيضة فيأكل ويكفي نفسه ، ومَثَلي مَثَلُ

١ ـ أي تفكك في مشيه . النهاية لابن الأثير .

الفرخ يخرج ضعيفاً محتاجاً إلى غيره ، ثم يتحرك فيطير وينهض ، والدجاجة لا نهوض لها فذلك أنا وأخي .

قالوا : وتزوج المهلب بن القاسم بن عبد الرحمن الهلالي أم شعيب بنت محمد الطاحي ، وأمها عكناء بنت أبي صفرة ، وكان المهلب بن القاسم ماجناً فشرب يوماً وامرأته بين يديه ، فناولها القدح فأبت أن تشرب ، فقال : أنت طالق إن لم تشربيه ، وفي الدار ظبي داجن فعدا فكسر القدح فجحد المهلب طلاقها ، ولم يكن لها شهود إلا نساء ، فأرسلت إلى أهلها فحولوها فاستعدى ابن القاسم عدي بن أرطاة فردها عليه فخاصمته إلى اياس وهو قاض لعمر بن عبد العزيز ، وشهد لها نساء ، فقال إياس : لئن قربتها لأرجمنَّك ، فغضب عدي على إياس فقال له عمر بن يزيد الأُسيدي ، وكان عمر عدواً لإياس ، وذلك أنه قضى على ابنه بأرحاءٍ كانت في يده لقوم ، فقال عدي لعمر : انظر قوماً فيشهدون على إياس انه قذف المهلب بن القاسم ليحده ويفضحه ويعزله ، فأتى بيزيد الرشك ، وبابن أبي رباط مولى بني ضُبيعة ليلاً ، فأجمعوا على أن يرسل عدي إلى إياس إذا أصبح فيشهدوا عليه ، وكان ربيعة بن القاسم الحوشبي حاضراً فاستحلفه عدي ألا يخبر إياساً بما هم عليه فحلف ، وأتى إياساً فقال : جئتك من عند عدي فاحذر الناس ، ولم يذكر له شيئاً فاستراب إياس الأمر فتوارى ، ثم خرج إلى واسط واغتنم عدي فاستقضىٰ الحسن ، وكتب إلى عمر يعيب إياساً ويثني على الحسن ، وشنّع على إياس وقال أنه يقول : إذا كثرت امطار السنة فهي وبيئة وما علمه بذلك ، فكتب عمر إليه : ما رأيت أحداً من أهل زماننا

الثناء عليه أحسن منه على إياس ، وقد بلغني وصح عندي رضخ[١] من شأنكم ، وأقرّ الحسن .

ومنهم : **ذو البجادين**[٢] رحمه الله تعالى ، وهو عبدالله ، وكان اسمه قبل إسلامه عبد العزىٰ ، وكان أتى عمه وابنته عنده وقد أراد الهجرة ، فقال يا عم : إنه قذف في قلبي حب هذا الرجل ، يعني النبي ﷺ ، وأنا آتيه . فقال : لئن فعلت لأسلبنك ، فأبىٰ إلا أن يفعل فسلبه ، فأتى أمه فأعطته بجادها ، وهو كساء ، فقطعه نصفين فتدّرع إحداهما وارتدىٰ الأخرى فسمي ذا البجادين ، وأتى رسول الله ﷺ ، وهو القائل وهو يسوق ناقة النبي ﷺ :

تعرضي مدارجاً وسومي ... تعرض الجوزاء للنجوم
هذا أبو القاسم فاستقيمي

ومن مزينة : **بكر بن عبدالله المزني** مات بالبصرة سنة ثماني ومائة .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا اسماعيل بن محمد ، ثنا معاوية بن عمر ، وثنا نعيم العجلي عن أبي عقيل عن بكر بن عبدالله المزني قال : إن الدنيا دار فتن بعض أهلها ببعض ، وكل امرىء مزين له ما هو فيه ، وإن المؤمن من زُيِّنَتْ له الآخرة فهو ينظر إليها ما يفيق من حبها ، قد حالت شهوتها بينه وبين لذاذة عيشه ، يمسي كئيباً ويصبح حزيناً ، فطوبى له وماذا يعاين لو قد كشف الغطاء من السرور ، وما خير عمر وإن طال يذم آخره ، وما يضرك

١ ـ الرضخ : خبر تسمعه ولا تستيقنه . القاموس .
٢ ـ بهامش الأصل : ذو البجادين رحمه الله .
٣ ـ بهامش الأصل : بكر بن عبدالله المزني .

ما ذوىٰ عنك إذا حمدت مغبَّته ، وإن الناس وإن فازوا كلهم وهلكت لم ينفعك ذلك ، وإن فزت وهلكوا لم يضرك هلاكهم ، وقد هتف الكتاب إليك صارخاً بما أنت إليه صائر ، فكيف ترقد على هذا العيون ، أم كيف يجد قوم لذاذة العيش بعد هذا لولا التمادي في الباطل ، والتشايع في القسوة من دون هذا يجزع الصدّيقون .

حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ حميد قال : كان بكر بن عبدالله المزني يقول : ما أرى التجارب تنفعنا ، ولو أن عبداً أقيم في سوق ، فقيل لا عيب فيه إلا أن التجارب غير نافعة له ما اشتراه أحد .

أبو الحسن المدائني قال : قال بكر بن عبدالله المزني : التجسس من الخَبّ ، والخَبّ من الدناءة والفجور .

وقال : طول الصمت حُبْسَة ، وترك الحركة عُقْلَة ، وكلام الذي يدل على الخير أفضل من الصمت .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا وكيع عن يزيد بن ابراهيم التستري عن بكر بن عبدالله المزني قال : كانت امرأة متعبدة باليمن ، فكانت إذا أَمْسَتْ قالت : يا نفس ، الليلة ليلتك لا ليلة لك غيرها فتجتهد ، فإذا أصبحت قالت : يا نفس ، اليوم يومك لا يوم لك غيره فتجتهد .

وروىٰ أبو هلال الراسبي عن بكر بن عبدالله قال : كان في بني رقاش رجل قال: لا أضحك حتى أعلم أفي الجنة أنا أم في النار .

المدائني عن الضبعي أن بكر بن عبدالله المزني سمع رجلاً يقول : دع المراء لقلة خيره ، فقال: بل دعه لكثرة شره .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا سهل بن محمود أبو السري عن

معتمر بن سليمان عن أبيه قال : قال بكر المزني : لو كان الرجل يطوف على المجالس يقول استغفروا لي لكان أحق بذلك من المسكين الذي يطوف عليهم ليعطىٰ ويطعم .

وروى غالب عن بكر بن عبدالله أنه قال : متى شئت أن تلقىٰ عبداً النعمةُ عليك أسبغ منها عليه وهو أشد تبلغاً في شكر الله منك لقيته ، ومتى شئت أن تلقى عبداً هو أقل ذنوباً منك وأشد لربه خوفاً لقيته .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا غسان بن المفضل الغلابي عن رجل من قريش عن عبد الرحمن بن زياد ، وكان من آل زياد ، قال : كتب أبي إلى بكر بن عبدالله المزني ، وكان جاره : أن ادع الله لي ، فكتب إليه بكر : أتاني كتابك تسألني أن أدعو الله لك ، وحقّ لعبد عمل ذنباً لا عذر له فيه ، وخاف موتاً لابد له منه أن يكون مشفقاً وبدعاءٍ إليه مستغيثاً ، ولست أرجو أن يستجاب لي بقوة في عمل ولا براءة من ذنب .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي ، حدثني محمد بن الفضل السدوسي ، ثنا مُرَجّي بن وَداع الراسبي عن غالب القطان قال : كان بكر يقول : ضَعْ كبير المسلمين منك بمنزلة أبيك ، وضع تِرْبَكَ منهم بمنزلة أخيك ، وصغيرهم بمنزلة ولدك ، فأي هؤلاء تحب أن يهتك له ستر؟

وقال : إذا شئت أن تلقىٰ مَنِ النعمةُ عليك أفضل منها عليه، وهو أدأب في الشكر منك وجدته ، وإذا شئت أن تلقىٰ مَنْ أنت أعظم منه جرماً وهو أخوف لله منك لقيته ، فلا ترض لنفسك بهذا ، وإذا رأيت كبير المسلمين فقل : هذا خير مني ، آمنَ وعمل الصالحات قبلي ، وإذا رأيت من هو أصغر منك ، فقل : هذا خير مني ، كسبت السيئات وعملتها قبل أن

يولد هذا ، ودع من الكلام ما إن أصبتَ فيه لم تُؤْجَر ، وإن أخطأت أثمت ، وإياك وسوء الظن بأخيك .

حدثني أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو النضر عن عقبة بن أبي الصهباء قال : سمعت بكر بن عبدالله يقول : ما قال عبد قط:الحمد لله إلا وَجَبَ عليه نعمة بقوله ، فما جزاء تلك النعمة ؟ جزاؤها أن تقول الحمد لله فتلك نعمة أخرىٰ ، فلا تَنْفَدَ نعم الله .

حدثنا أحمد ، ثنا غسان الغلابي عن عبدالله بن عبد الرحمن عن أبي حُرَّة قال : أتينا بكر بن عبدالله نَعُودُه ، فأقبل إلينا وهو يهادي بين رجلين ، فسلم علينا ثم قال : رحم الله عبدا أُعطي قوة فعمل بها في طاعة الله ، أو قضي به في ضعف فكفّ عن محارم الله .

حدثنا محمد بن ابراهيم ، ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا سلام بن أبي مطيع عن غالب قال : كان بكر بن عبدالله يقول : إذا رأيت من أخيك أمراً تكرهه فلا تكفر به ، ولكن احمد الله الذي عافاك مما ابتلاه به .

المدائني عن كهمس قال : سمعت بكر بن عبدالله يقول : يكفيك من الدنيا ما قنعت به ولو كف من تمر وشربة ماء وظل خباء ، وكلما فتح عليك من الدنيا شيء ازدادت نفسك له انفتاحاً .

حدثنا أحمد ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن بكر قال : لايزال الرجل بخير ما أمسىٰ وأصبح زارياً على نفسه في ذات الله .

قالوا : وذكر بكر يوم عرفة فقال:قد شهدت مشهداً أو رأيت منظراً لولا أني كنت معهم لرجوت أن يغفر لهم .

أحمد بن ابراهيم عن أبي سلمة عن المرجّىٰ بن غالب بن بكر قال : إذا رأيت الناس يُفخِّمونك فقل : هذا فضل لست له بأهل ، وإذا بعدوا عنك وأنكرتَهم فقل : هذا ذنب أحدثته ليس منهم أُتيت .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا موسى بن اسماعيل عن أبان بن خالد السعدي قال : رأيت علىٰ بكر بن عبدالله طيلساناً قَوَّمْتُهُ في نفسي ثلاثمائة درهم وَمُقْطَعة من برود من هذه المنزلة قباء ثمنه عشرون ومائة درهم .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا هارون بن عيسى عن حُكّام الرازي عن سعيد بن سابق عن عاصم الأحول عن بكر بن عبدالله قال : البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية .

حدثنا أحمد ، ثنا حماد بن سلمة عن حميد قال : كنا نرجو ، أو نرىٰ أن بكر بن عبدالله مجاب الدعوة .

أحمد عن العلاء العطار عن عبدالله بن دينار قال : كان بكر بن عبدالله يمر بالمساكين فيجلس معهم ، وإن عليه لثياباً سرية .

قالوا : وكسا بكر رجلاً أحد ثوبيه ، فقالت له أم ابنه عبدالله بن بكر في ذلك ، وكأنها لامته ، فبينا هي تحاوره إذ جاءته مولاة له بثوب قد غزلته هدية إليه ، فقال : أعطينا خلقاً وجاء الله بجديد .

قال المدائني : قال بكر بن عبدالله ، ليس الواعظ من جهل أقدار السامعين ، وإرادة المريدين .

حدثنا روح بن عبد المؤمن عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال : كانت أم بكر بن عبدالله عند رجل غني ، وكان أميراً ، فكانت تكسوه الثياب الجياد ، وكان بكر يكره أن يرد عليها شيئاً ، فربما بلغت كسوته أربعة آلاف

درهم ، فكان يلبس تلك الثياب ويجلس مع المساكين بينهم وكان يقول : أرجو أن أعيش عيش الأغنياء وأموت موت الفقراء ، قال : وكذلك مات ما ترك شيئاً .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا سهل بن محمود عن زياد بن ربيع عن غالب بن بكر أنه قال : إني لأحب أن أرىٰ الرجل من إخواني حسن السحنة ، متوسطاً على نفسه وأهله يظن من رآه أن له مالاً فيموت فلا يدع مالاً ، وأكره أن أرى الرجل من إخواني متقشفاً مبتئساً سيّء السحنة مضيقاً على نفسه وأهله ، ويظن من رآه أنه مقتر ، فيموت فيدع مالاً كثيراً .

حدثنا أبو الربيع الزهراني ، ثنا حماد بن زيد عن هشام قال : ركب أبا حمزة التمّار دَيْنٌ ، فأتىٰ بكر بن عبدالله فقال له : مالي أراك مغموماً ؟ فذكر دينه ، فقال : وكم هو ؟ قال : أربعمائة درهم ، فأخرج إليه أربعمائة درهم وقال : والله ما أملك غيرها .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو سلمة عن أبان بن خالد قال : رأيت بكر بن عبدالله مخضوباً بسواد .

وروىٰ حماد بن سلمة عن حميد أن بكر بن عبدالله خضب بالسواد ، ثم تركه .

وقال بكر : عجباً إني أخطىء إذا شاورت ، وأصيب إذا شوورت .

وروى أبو هلال قال : كان بكر يخضب بالسواد حتى احترق وجهه ، فتركه وخضب بالحناء .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي عن محمد بن صعب عن رجل عن هشام عن بكر قال : خرجت من منزلي فإذا أنا بحمال يحمل كارة وهو

يقول : الحمد لله ، استغفر الله لا يزيد عليهما ، ثم انتهى إلى مكان ، فوضع الكارة ليستريح . قال : فقلت له : يا عبدالله سمعتك تقول كلمتين لا تزيد عليهما ؟ فقال : وما أعجبك من ذلك أن ابن آدم بين نعمة وذنب ، فأنا أحمده على النعمة ، واستغفره للذنب . قال بكر : فقلت في نفسي : لقيت والله يا بكر رجلاً أفقه منك .

حدثنا أحمد بن ابراهيم : ثنا اسماعيل بن عُلَيّة عن غالب القطان عن بكر بن عبدالله المزني قال : إذا خرجت لحاجة فعرضت لك عيادة مريض أو جنازة فقل : الحمد لله الذي يسرَّ لي هذا الخير والأجر .

وكان لجد بكر فيما ذكر أبو اليقظان صحبة ، ولا عقب لهم .

وقال غير الكلبي : من مزينة أبو ذَّرة ، ومولاه أرطبان ، وكان كثير المال ، فولد أرطبان : عوناً أبا عبدالله بن عون المحدث ، وكان عبدالله يكنى ابا عون ، وأم عون بن أرطبان ابنة قارن الطبري .

قال : ومنهم : جسر ، وسعر[١] ابنا سنان ، كانا من وجوه أهل البصرة ولهما صحبة .

وقال محمد بن سعد : عائذ بن عمرو المزني محدث .

وقال الحسن : كان من خيار أصحاب النبي ﷺ[٢] .

١ ـ لم أجدهما في كتب تراجم الصحابة .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣١ .

نسب حُمَيْس بن أُدّ بن طابخة

وولد حُمَيس بن أد : حرب ، كانوا مع أبرهة الأشرم فهلكوا يوم الفيل ونجا منهم ستون ، فهم إلى اليوم ستون لا يزيدون على ذلك ، إذا ولد مولود مات رجل ، وهم في بني عبدالله بن دارم وأمهم الخشناء بنت وبرة أخت كلب بن وبرة .

فولد حرب : عوف بن حرب . وبشير بن حرب . وعمرو بن حرب . والأعور بن حرب .

فولد عمرو : برمة بن عمرو . وكعب بن عمرو . وعكابة بن عمرو .

وولد الأعور بن حرب : كلدة . وسفيان . وعبدالله .

وولد كعب بن عمرو : دثار بن كعب ، وأمه ابنة تغلب بن وائل أو ابنة وائل .

وقال أبو اليقظان : بنو حُمَيس بالكوفة في بني مجاشع ، وبالبصرة في بني عبدالله بن دارم .

ومن بني حميس : المُفَوَّف الشاعر الذي يقول :

سَوَّارُ أنت فتى نزار كلها تعطي الجزيل ولا تُرَفِّقُهُ

وكان المفَوَّف أرسل امرأته من خراسان وأرسل أيضاً رجلٌ آخر امرأته ، فأخذهما الخوارج فمضى المفوف وصاحبه إلى الخوارج . فأما المفوف فأصاب المحنة فخُلِيَّ وامرأته ، وأما الآخر فأخطأ فقتل .

نسب بني ضَبَّة بن أُدّ بن طابخة

وولد ضبة بن أد بن طابخة : سعد بن ضبة . وسعيّد بن ضبة . وباسل بن ضبة ، وهو أبو الديلم فيما يقال .

قال هشام بن محمد الكلبي : حدثني أبي قال : خرج باسل مغاضباً لأبيه فتزوج امرأة من العجم ، فولدت له ، فيقال إن الديلم ولد باسل هذا ، وهم ينسبون إليه . وعمرو بن ضبة درج .

وقال غير الكلبي : وقع بين باسل وبين أخيه سعد شر فاقتتلا فغضب، ووقع بالديلم فعظّمه أهلها حتى عبدوا رحله إلى أن ذهب الرحل ، ثم جعلوا له مثالاً من طين فعبدوه ، فبعض من بالديلم من ولده .

وحدثني محمد بن الاعرابي عن المفضل بن محمد الضبي قال : خرج سعد وسُعَيِّد ابنا ضبة في طلب إبل لهم ، فرجع سعد ، ولم يرجع سعيد ، وكان ضبة كلما رأى شخصاً مقبلاً قال أسعد أم سعيّد ؟ فذهبت كلمته مثلاً . فبينا ضبَّة يسير ومعه الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جَلْد في الشهر الحرام إذ أتيا في طريقهما على مكان فقال الحارث لضبة : أترى هذا

المكان فإني لقيت به فتى من هيئته كذا وكذا فقتلته وأخذتُ هذا السيف منه ، وإذا صفته صفة سُعَيِّد . فقال ضبة : أرني السيف أنظرُ إليه فناوله إياه فعرفه ضبة ، فقال عندها : إن الحديث ذو شجون ، أي متشعب كشجون الجبل فذهبت مثلاً ، ثم ضرب الحارث بالسيف حتى قتله فلامه الناس في ذلك ، وقالوا : تقتل في الشهر الحرام ؟ فقال : سبق السيف العذل ، فذهبت مثلاً وقال الفرزدق :

فلا تأمَنَنَّ الحربَ إنَّ استعارَهَا كضبَّة إذ قال : الحديث شجون[1]

وليس لسعيّد عقب ، وأم ولد ضبة هؤلاء : ليلى بنت لحيان بن هذيل بن مدركة ، وقد روى بعض أهل الكذب في أمر سعد وسعيّد حديثاً مصنوعاً لا نعرفه ولا تعرفه العرب ، ولا يرويه أهل العلم .

وولد سعد بن ضبة : بكر بن سعد وأمه من اياد . وثعلبة بن سعد . وصريم بن سعد ، وهم أهل أبيات . وأمهم هند بنت ثعلبة بن رومان بن جُندب بن خارجة بن سعد بن فُطرة بن طيء .

فولد بكر بن سعد بن ضبة : مالك بن بكر . وعبدالله بن بكر ، وهو عبد مناة ، وأمهما الممنَّاة بنت الأوس بن تغلب بن وائل .

فولد مالك بن بكر بن سعد : ذهل بن مالك ، وأمه هند ، وهي الخشبة بنت عبدالله بن قداد من بجيلة ، وهي عمة أم خارجة السريعة النكاح . ويقال إنه ذهل بن ثعلبة بن عكابة والله أعلم . والسَّيْد بن مالك . وعائذ بن مالك . وتيم بن مالك وهما التوأم ـ وأمهم السؤوم بنت الحارث بن عبد مناة بن كنانة .

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٣٣ .

فولد ذهل بن مالك بن بكر : بجالة . وصبح . وتيم . وخزيمة درج .

فولد بجالة بن ذهل : كعب بن بجالة . وضبيعة بن بجالة . وحنبل بن بجالة . وربيعة درج ، وأمهم جرثم بنت ثعلبة بن ذؤيب بن السَّيْد بن مالك .

فولد كعب بن بجالة بن ذهل : زيد . وهاجر . وكوز . وعبدالله .

فولد زيد بن كعب بن بجالة : مالك بن زيد . وعمرو بن زيد ، وأمهما بنت عبد بن عبيد بن نصر بن عائذة بن مالك وهي النُّعام .

فولد مالك بن زيد بن كعب : قطن . وأُفْلَتْ .

فولد قطن بن مالك بن زيد : شبابة .

وولد أفلت بن مالك بن زيد : فلان بن أفلت ، اسمه فلان . وربيعة بن أفلت . وعمرو بن أفلت .

فمن بني مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهب بن مالك بن بكر : ضرار بن عمرو ، وعمرو هو الرديم بن مالك بن زيد ، رأَسَ فطالت رئاسته وقال لابنته وأنكحها معبد بن زرارة : يا بثينة أمسكي عليك الفضلين : فضل الكلام ، وفضل الغَلمة .

وشهد ضرار يوم القُرنتين[1] ، وكان خبره أن النعمان بن المنذر جهز أخاه لأمه وهو وبرة بن رُومانس بن مَعْقِل الكلبي - من بني عبد ودّ ، وأمهما سلمى بنت وائل بن عطية ، من أهل فدك وهو الصائغ - في جيش عظيم

١ - بهامش الأصل : يوم القرنتين . والقرنتان موضع على أحد عشر ميلاً من فيد للقاصد مكة . معجم البلدان .

جمعهم من معدّ وغيرهم ، وأرسل إلى ضرار بن عمرو الضبي وهو الرديم ـ سمي رديماً لأنه ردم ردماً بأرض قومه ، ويقال : إنه كان في حرب فسدّ موضعاً فيها عن جماعة من قومه فقيل الرديم والرادم ـ وكان يومئذٍ شيخاً كبيراً فأتاه في تسعة من ولده كلهم قد رأس ، وقاد جيشاً وبُلي قتاله ، وأتاه حبيش بن دلف أحد بني السِّيْد ، وكان أحد فرسان العرب المعروفين وكان آدم نحيفاً ، فبعث معهم عيراً له إلى مكة ، وقال لهم النعمان : إذا فرغتم من أمر العير فعليكم ببني عامر فإنهم قريب منكم . فلقوهم حين فرغ الناس من سوق عكاظ ، ورجعت قريش إلى مكة ، فزعموا أن عبدالله بن جُدعان بعث إلى بني عامر من آذنهم بالجيش ، فلقوهم بالقرنتين على حذر ، ورَئيس الناس أخو النعمان والضبيُّون معه وغيرهم ، وبنو عامر متساندون ، فلما رأى عامر بن مالك أبو براء ما يصنع ضرار حمل عليه فطعنه فصرعه ، وحامى عليه بنوه وأحاطوا به حتى ركب وكان عليه درعان فلم تعمل فيهما الطعنة ، ثم حمل على حبيش بن دلف الضبي فأخذه أخذاً عن فرسه فافتدى نفسه بأربعمائة بعير ، وأُسر وبرة أخو النعمان ورجعت عيون النعمان بما لَقِيَ ذلك الجيش وأخبر أن أخاه أسر في أول وهلة فلما انصرف ضرار قال له النعمان : بلغني أن وبرة أُسر وأنك قمت بأمر الناس وطُعنت فسلمْتَ فكيف هذا ؟ قال : نجاني الأجل واكراهي نفسي على الحق الطوال يعني أمهات أولاده الذين حموه ، وافتدى وبرة نفسه من يزيد بن الصّعق ، وهو كان أسره بألف ناقة صفراء وقينتين وحَكَّمَهُ في أمواله ، ومكث يزيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب ، وهو يزيد بن الصّعق . وكان يقال لخويلد: الصعق ، وقعت عليه صاعقة فأحرقته بعد يوم القرنتين ، ثم هلك فرثاه

طفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب فقال :

إذا أَنْتُمُ أُبْتُمْ قبلنا إلى الحي فانعوا أبا عابس
يزيد بن عمرو لإخوانه وللضيف يطرق والبائس
وللخيل تحسبها شُرياتها[1] ذي صدور قنا يابس

وقال يزيد بن عمرو بن خويلد وهو الصعق :

تركت أخا النعمان يرسف عانياً وجَدَّعْنَ مُرًّا[2] والملوك الصنائعا
تركنا حبيشاً حين لاقاه بأسنا يعالج مأسوراً لدينا الجوامعا

ويقال إن حبيش بن دلف قتل يوم القرنتين ، وهو قول الكلبي ، وكان وَلَد ضرار بن عمرو يوم القرنتين معه وهم ثمانية عشر : حصين بن ضرار . وعمرو بن ضرار . وعبد الحارث بن ضرار . وعامر بن ضرار . وأدهم بن ضرار . ودلجة بن ضرار . وجبار بن ضرار . ومنذر بن ضرار . وقبيصة بن ضرار . وحنظلة بن ضرار . وقيس بن ضرار . والحارث بن ضرار . وحسان بن ضرار . وسلمة بن ضرار . وهند بن ضرار . وكان المنذر بن حسان بن ضرار من وجوه أهل الكوفة فخطب إليه عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي ورجل من ضبة فزوج الثقفي ، ورد الضبي فقال :

ما كان في القوم الذين تتابعوا على اللوم إذ باعوا أمامة من فقر
لقد كنت أدنى لو رعى ذاك منذر وأقرب رحماً من حليف بني نصر

يريد الذي بين ثقيف وبين نصر بن معاوية .

قالوا : وكان شتير بن خالد بن نفيل بن عمرو بن كلاب ، ويقال

١ ـ الفرس في سيره بالغ فهو شريّ ، والشرية : الطريقة والطبيعة ومن النساء اللاتي يلدن الاناث . القاموس .

٢ ـ بهامش الأصل : يعني مرّ بن أد .

شتير بن عنبة بن خالد بن نفيل ، لقي رجلاً من ضبة يقال إنه حصين بن ضرار فأراد شتير أسره فعجل رجل ممن معه فرماه فقتله ، وبلغ الخبر ضرار بن عمرو فركب فيمن معه من قومه فسأل عن بني كلاب فأخبر أنهم بغول ، وهي من بلاد بني عامر ، فأغار عليهم فاقتتلوا فأسر شتير بن خالد ، وقتل ابن عم له ، وقدم ضرار شتير فضربت عنقه ، ويقال إنه قتله عبد الحارث بن ضرار ، فقال الفرزدق :

وَهُنَّ على خدَّي شتير بن خالد أثير عجاج من سنابكها كدر[1]

فولد حصين بن ضرار بن عمرو : زيد الفوارس بن حصين بن ضرار ، وأمه زهرة بنت سويد ، ضبيّة ، وهرثمة بن حصين وهو أخو زيد لأمه أسرته بنو قيس بن ثعلبة ففداه أخوه زيد ، وأدرك الاسلام وهاجر إلى البصرة ، وولده بالبصرة كثير .

فقال الذي أسر هرثمة :

أهـرثم لامَنّاً عليـك ولا فـدىً أودت ولكن كنت للود راعيا
حبوتَ بها زيداً على بُعْدِ داره وما أمَّلَتْ نفسي هناك الأمانيا

ويقال إنه بعث به إلى زيد أخيه بلا فداء .

وأما زيد الفوارس بن حصين بن ضرار صاحب محرّق ، وخبره أن محرقاً الغساني ، وهو الحارث بن عمرو بن عامر أخو جفنة بن عمرو ، وسمي محرقاً لأنه أول من أحرق وعذب بالنار ، وكان حرق نخلاً باليمامة ، جمع جيشاً عظيماً من أحياء العرب ، إياد وغيرها ، فمر ببني تميم فاستقبلوه وأعطوه الأتاوة ، وهي من كل رجل للسنة جراب من اقط ، ونحي من

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٥٣ .

سمن ، وَجَزَّةٌ من صوف ، وكبش ، ثم مر ببني ضبة فأرادهم على أن يؤدوا مثل ذلك فأبوا ونادوا فيمن غاب عنهم من قومهم فاجتمعوا ، وشهد ذلك اليوم زيد الفوارس بن حصين بن ضرار ، فاقتتلوا ملياً من النهار أشد قتال : فأسر زيد الفوارس محرّقاً وأسر هُنَيْء بن حبيش بن دلف أخا محرق ، ويقال أسره حبيش نفسه ، فلبثا فيهم أياماً ثم قَدَّمهما زيد الفوارس فقتلهما واستنقذ قوماً من طيء كانت لهم به حرمة ، وضرب يومئذ زيد على شماله وعلى رجله فلذلك عزم على قتل محرق وأخيه ، وفي ذلك يقول ربيعة بن مقروم الضبي الشاعر :

ويوم تخمط الملك ابن عمرو   كَسَوْنَا رأسه عَضْباً شنينا

وقال الفرزدق :

ومحرقاً جمعوا إليه يمينه   بصفاد مُغْتَصَبٍ أخوه مكبل
ملكين يوم بزاخة قتلوهما   وكلاهما تاج عليه مكلل(١)

ويقال لهذا اليوم يوم بزاخة ، ولم يجتمع سعد بن زيد مناة بن تميم والربّاب على أحد غير زيد الفوارس .

قالوا : وغزا بنو سعد ومعهم بنو ضبة والرّباب ورئيسهم زيد الفوارس ، بني بكر بن وائل بالخوع فنذرت بهم بكر فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فبينا هم يقتتلون اثبت المسلب أحد بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر زيد الفوارس فقصد له فرماه فقتله ، وهزموا بكر بن وائل بعد مقتل زيد وقتلوا المسلب قاتل زيد وقتلوا أخاه أبا عمرو ، وقتلوا عمرو بن همام ، فقال رجل من ضبة .

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٥٨ .

نحن قتلنا المسلبين كليهما وعمرو بن هَمَّام وبشر بن حابس
وعمرو بن هند قد تركنا مجندلاً تُعَفِّي عليه العاصفات الروامس
قتلنا عداء خمسة من سراتهم بواءً فما أوفوا بزيد الفوارس

وأغارت بنو ضبة على ابن سُبَيْع بن الخطيم التيمي ، فأتى زيداً فشكا ذلك إليه فلبس لامته وأخذ رمحه ونادى : يال ذهل ، وهم قومه ، فأجابوه فانتزع الإبل وردها على ابن سبيع .

ومن ولد زيد الفوارس : ضرار بن حصن بن زيد ، كان قتيبة ولاه أمر بني تميم بخراسان والبادية . ولحيّان بن ضرار أخي زيد الفوارس عقب بالبصرة والكوفة والبادية .

وأما قبيصة بن ضرار فقتله بنو ثعلبة بن سعيد بن ضبة لشرٍّ كان بينهم . وقتلت بنو ثعلبة أيضاً حكيم بن قبيصة قبل أبيه فقال قبيصة :

فهل أنا إن تركتُ لكم حكيماً مُضِلِّي الموتَ يوماً إنْ أتاني

وله عقب بالبصرة والبادية ، وفي قبيصة تقول جعدة بنت ضرار أخته .

ما بات من ليلة مُذْ شدَّ مئزره قبيصة بن ضرار وهو موتور
لاتقرب الكلم العوران مجلسه ولا يذوق طعاماً وهو مستور

ومن ولده بالبادية رجل يقال له عمرو بن الحارث كان له فضل وسؤدد .

وأدرك حنظلة بن ضرار الإسلام وطال عمره حتى أدرك يوم الجمل . وقيل له : ما بقي منك ؟ فقال : أذكر القديم وأنسى الحديث ، وآرقُ في الخلاء وأنام في الملأ .

ومنهم : المنذر بن حسان بن ضرار شرك في دم مهران الفارسي يوم النخيلة ، في أيام عمر بن الخطاب ، فأعطي بعض سلبه .

وسلمة بن عمرو بن ضرار ، شهد فتح الري .

ومنهم : **عبدالله بن شُبْرُمَه**[1] بن الطفيل بن هبيرة بن المنذر بن حسان بن ضرار ، ولي قضاء الكوفة وسوادها لأبي جعفر أمير المؤمنين ، وكان فقيهاً نبيلاً ، وكان صديقاً لابن المقفع فزعموا أنه قال : الرائد رائدان : رائد يكذب ، ورائد لا يكذب ، فأما الكاذب فَسَلْم بن قتيبة أطلعته مني على خلة فاغفلني ، ومر بي ابن المقفع وأنا ملزوم فصفحني ومضى ، فقيل لي : هذا صديقك مر بك وأنت على هذه الحال فلم يعرّج عليك . فقلت : أنا به واثق وإن وراء هذا من أمره لخير . فلم ألبث أن أتاني غلامه بحقة فيها حليّ ذهب وجوهر ثمين فقال : يقول لك سيدي إني رأيتك على تلك الحال فغمني أمرك ، ولم أكن على ثقة من أن هذا في منزلي حتى أخبرني أهلي أنه عندهم وجاؤوا به لي إذ شكوت إليهم اهتمامي بأمرك فبعه واقض دينك ، واستعن بباقي ثمنه على دهرك . وكان عبدالله بن شبرمه يكنى أبا شبرمه وهو القائل :

هذا الزمـان الذي كنا نحذره ... في قول سعد وفي قول ابن مسعود

إنْ دامَ ذا العيش لم نحزن على أحدٍ ... منا يموت ولم نفرح بمولود

فقال ابن شبرمه : مواضع الصمت المحمود قليلة ومواضع الكلام المحمود كثيرة .

وروي عنه أنه قال : عجباً لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار .

---

١ ـ بهامش الأصل : ابن شبرمه .

وقال : رأس المروءة صلة الرحم ، ومن آثر بصلةٍ غير ذوي رحمه ومنعهم فضله كان كمن لبس لباس الرأس في الرجلين ولباس الرجلين في الرأس .

وكان يقول : إياك وعزة الغضب فإنها تحوجك إلى ذلة الاعتذار .

وكان يقول : الرأي ضالة فاستدلل عليها بالمشاورة .

وقال ابن شبرمه : ليس حسدك صاحبك أن تتمنىٰ مثل نعمته ، ولكنه أن تتمنى زوالها عنه .

وكان يقول : مَن حَسُنَ خلقه لم تُمْلَلْ معاشرته .

وحدثني عبدالله بن صالح عن أبي زبيد قال: قال ابن شبرمه: ما عرفت من رجل كذباً إلاّ استوحشت من النظر إليه فضلاً عن استماع كلامه وحديثه .

ومات عبدالله بن شبرمه بالكوفة سنة أربع وأربعين ومائة .

وروي عنه أنه قال : ما طولب كريم بمثل التأني والرفق .

والقعقاع بن شبرمه ، ويزيد بن القعقاع بن شبرمه .

ومنهم : **مثجور بن غيلان** بن خرشة بن عمرو بن ضرار بن عمرو ، كان شريفاً عالماً بأنساب الناس وأيامهم ، وكان الحجاج ولاه ابن قباذ ، ثم قدم عليه وقد بنىٰ الديماس فقال:أدخلوه إياه حتى ينظر إليه ، فأدخلوه فلما خرج منه قال : كيف رأيته ؟ قال : مدخل سوء . قال : فلا تعرّض نفسك له . قال : والله لا أدخله أبداً . فقال : إرجع إلى عملك ، فانكسر عليه خراج من خراجه لاعتلال أهل الخراج فيه عليه وادعائهم مظالم امتنعوا لها من الأداء ، فلما انتشر أمره واستبطأه الحجاج هرب إلى جُنْدَ يْسَابور بالأهواز

فاستخفىٰ عند موسىٰ بن يزيد الأسواري وتزوج ابنة امرأته ، وبلغ الحجاج مكانه فبعث في حمله فهرب فأخذ الحجاج موسىٰ فقطع يديه ورجليه ، ونجا مثجور فأتىٰ المدينة ونزل قصر المطرف ، وهو عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فبعث الحجاج إلى عثمان بن حيان المري ، وهو والي المدينة في طلبه وإشخاصه إليه فبحث عنه ، وأخبر أنَّهُ في دار المطرف ، فهجم في أصحابه فوجد مثجوراً يقرأ في مصحف فأفلت من أيديهم فأخذوا امرأته ليقتلوها فصاحت : يا مثجوراه فخرج عليهم مثجور بالسيف وهو يقول :

لقد حَذرتُ لو نجا يوماً حَذَرْ والله ما ينفعني يوماً أفِرْ
والموتُ خيرٌ ليَ من والٍ أشِرْ

وقاتل حتى قتل ، فاحتز عثمان بن حيان رأسه فبعث به إلى الحجاج ، فأمر الحجاج بإدخال رأسه الديماس وقال : احتشوه وأمر به بعد ذلك فنصب وصلبت جثة مثجور بالمدينة فقال القُلَّاخ[1] :

أمثالُ مثجورٍ قليلٌ ومثلُهُ فتى الصدق إن صَفَّقْتَهُ كل مُصفقِ
وما كنت أشريه بدنيا كثيرةٍ ولا بابن خالٍ بين غربٍ ومشرقِ
فإن يأخذوا أوصاله يصلبونها فلن يدركوا الأرواح جسمٌ محلق

وادعىٰ المطرف على عثمان بن حيان وأصحابه أنهم حين هجموا أخذوا دروعاً له ، فقال عثمان : وما دروعك يا منكوح ، إنما هي دروع النساء ، فلما عزل عثمان اقتص له منه ، وقد كتبنا خبر المطرف في نسب ولد عثمان رضي الله تعالى عنه .

١ ـ هو القلاخ بن حزن المنقري . انظر حماسة أبي تمام ص ٥٥٦ . الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٤٤ .

وقال الحجاج لمثجور : أخبرني عن قومك فقال : بنو حنظلة أكرمنا وفوداً وأحسبنا جدوداً . وبنو عمرو بن تميم أعظمنا أحلاماً وأكثرنا حكاماً . قال : فما بقيت لكم معشر الرباب ؟ قال : نحن أحدُّها رماحاً وأحسنها صفاحاً .

وكانت لمثجور ابنة يقال لها منيعة تحت قتيبة بن مسلم ، فأمره الحجاج بطلاقها فطلقها ، فتزوجها مخلد بن يزيد بن المهلب فمات قبل أن يبني عليها ، ثم تزوجها محارب بن مسلم بن زياد ، وكان الحجاج يذكر مثجوراً فيقول : لعن الله ابن الحبَّاق ، وذلك أن غيلان بن خرشنة أباه كان أثيراً عند الولاة وعند زياد خاصة ، فإنه لعنده ذات يوم إذ حبق غيلان ، فتغافل القوم عنه ، وأقبل زياد عليهم في الحديث ، ثم إن غيلان قال ذات يوم لرجل من ثقيف : أَشُرْبُ الخمر أفسد عينيك ؟ قال : لا ولكنه أفسدها حبقك عند أميرك ، وكان الأحنف حاضراً فقال له : ذُقْ غيلان .

وكان غيلان بن خرشنة يكنى أبا معدي كرب وكان حلف ألا تتبكر له امرأة بجارية إلاّ طلقها ، فقال فيه بعض من خطب إليه :

أقبلتَ توضع بكراً لا خطام له ... حسبت ريطة عندي بيضة البلد
انك من خاطب أهل لمشتمةٍ ... إذ هبْ فلا تخطبنْ بعدي إلى أحد

وتزوج بعض بنات زياد فجاءته بابنتين في بطن وهما : أم الفضل ، وأم عاصم ، فدخل علىٰ عبيدالله بن زياد وهو كاسف البال فقال له : مالك يا أبا معدي كرب ؟ قال : صُبِّحت بابنتين وفارقتُ أعز أهلي علي فأمر له ولامرأته وابنتيه بمال .

فأما أم الفضل فتزوجها داود بن قحذم ، أحد بني قيس بن ثعلبة ، ثم

خلف عليها يزيد بن المهلب ، فولدت له مخلداً . وأما أم عاصم فتزوجها أبو حاصر الأُسَيْدي ، ثم تزوجها عيسى بن خُصَيْلة ثم تزوجها سليمان بن عباد ، فمضى بها إلى عُمان .

ومنهم الرقاد بن المنذر بن ضرار الذي يقول فيه الأخضر بن هبيرة بن المنذر :

إنيّ امرؤ عمي الرُّقاد بن منذر وحسان والشيخ الرئيس المخاصم

وكان الرقاد شاعراً .

وولد كوز بن كعب بن بجالة : منقذ بن كوز .

فولد منقذ : حنين بن منقذ . ومسعود بن منقذ . منهم المسيب[1] بن زهير بن عمرو بن جبيل بن الأعرج بن ربيعة بن مسعود بن منقذ بن كوز صاحب شرط أبي جعفر أمير المؤمنين المنصور، وإليه تنسب المنارة بقرب باب الكوفة ببغداد ، وابنه زهير بن المسيب قتل ببغداد ، وربط بحبل وجُرّ في الطرق ، وذلك في فتنة محمد بن هارون الرشيد المعروف بابن زبيدة ، ومحمد وهو المخلوع قتله طاهر بن الحسين حين وجهه إليه المأمون أمير المؤمنين أخوه من خراسان .

وولد هَاجِر بن كعب بن بجالة : زيد بن هاجر . وعُبيد بن هاجر . وأُسْيد بن هاجر .

منهم علقمة بن موهوب بن عُبَيْد بن هاجر كان فارساً من فرسان ضبة في الجاهلية . ووهب بن موهوب وكان مع زيد الفوارس طليعة يوم لقيت طيء ، وفيهم قيس بن أوس فقال زيد :

١ ـ بهامش الأصل : بلغت المعارضة ولله كل حمد وفضل .

دعاني ابن موهوب على شيء بيننا فقلت له إن الرماح مصائد
وقلت له كن عن يميني فإنني سأكفيك إن زاد المنية زائد

وولد ضبيعة بن بجالة بن ذهل : هلال بن ضبيعة . وعامر بن ضبيعة . ومرة بن ضبيعة . منهم هبيرة بن الأشعث بن عبد الرحمن بن عُصْم بن عامر بن هلال بن ضبيعة بن بجالة كان شريفاً .

ومنهم معبد بن سَعْنة من بني هلال بن ضبيعة بن بجالة ، وهو ابن رُميلة الشاعر ، وكان ممن حبس بالمشقر[1] زمن الصفقة[2] ، فهلك هناك وكان كسرىٰ بن هرمز أبرويز كتب الى باذام صاحبه باليمن في البعثة إليه بما أمكنه من برودها وطرائفها ففعل ووجه إليه بعيرٍ فيها طرف وهدايا وجوهر وعنبر ، فوثبت عليها بنو تميم فانتهبتها وقتلت من كان يبذرقها من الأساورة ، وذلك بِحَمَضٍ ، وهو ماء لبني كنانة بن سعد رهط العجاج ، وكانت بينهم فيها حرب شديدة . ويقال لليوم أيضاً يوم نطاع ، ويقال إن كسرى كان بعث أيضاً بعير تحمل أشياء من طرف العراق لتباع ويشترى له بثمنها الأدم وغيره مما بالحجاز وما يردها من الشام وغير الشام، فأنهبوها فكتب إلى صاحب البحرين أن إذا كان الزمان الذي يحضر فيه بنو تميم للقاط النخل والثمر أن يجمعهم ويطعمهم حتى إذا أدخلتهم حصن المشقّر لم تَدَعْ عيناً تطرف ، ففعل فكان الرجل اذا دخل المشقر أخذ سيفه فلما اجتمعوا صفق عليهم

١ ـ المشقر : حصن بين نجران والبحرين ، وقيل المشقر : حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس . معجم البلدان .
٢ ـ يعرف يوم الصفقة أيضاً باسم يوم الكلاب الثاني . انظر أخباره في العقد الفريد لابن عبدربه ج ٦ ص ٦٨ ـ ٧٥ .

الباب فقتلوا إلا من نجا ومن استبقي من الغلمان فحملوا إلى كسرى فاستخدمهم .

وولد صبح بن ذهل بن مالك : عُصْم بن صبح . وهاشة بن صبح . وعُرَيف بن صبح . وشفاء بن صبح . وتيم بن صبح . والحارث بن صبح .

وولد تيم بن ذهل بن مالك : منقذ بن تيم . والحارث بن تيم .

وولد عائذة بن مالك بن بكر : نصر بن عائذة . وقيس بن عائذة . منهم شِرْحَاف بن المثلَّم بن عِلباء بن قيس بن عائذة ، الذي قتل عمارة بن زياد العبسي أخا الربيع بن زياد العبسي ، قال الفرزدق :

وَهُنَّ بِشِرْحَافٍ تداركْنَ دالقاً عُمَارَةُ عَبْسٍ بعدما جنح العَصْرُ[1]

وكان يقال لعُمارة : دالق .

ومنهم الهَوْبجة بن بجير بن عامر بن سفيان بن أُسْيد بن زائدة بن حصين بن شبيب بن عبد قيس بن علباء بن عائذة ، قتل يوم مؤتة فيقال إن جسده فقد .

وولد السِّيْد بن مالك بن بكر : ذؤيب بن السيد ، فيه العدد . وغيظ بن السيد . وحييّ بن السيد .

فولد ذؤيب بن السيد : ثعلبة بن ذؤيب . وذكوان بن ذؤيب .

وولد ثعلبة بن ذؤيب بن السيد : شَيَمْ بن ثعلبة . وحُرثان بن ثعلبة . وعامر بن ثعلبة . وشيبان بن ثعلبة .

فولد شيبان : غضبان بن شيبان . وربيعة بن شيبان . وبلال بن

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٥٣ .

شيبان . منهم ظالم بن غضبان الذي يقول له الشاعر الضراري[1] :

إنْ تك يا ظالم الدَّيانِ في مَدَرٍ فاننا معشرٌ لا نَبْتَني الطينا

ومنهم زيد بن حصين بن زهير بن نَضْلَةَ بن خولي بن نضلة بن ظالم ، ولي أصبهان ، ويقال الري فأتاه ابن عـم له ضَبِّي فجفاه فقال :

أَتَذْكُرُ إذ لحافك جلد شاةٍ وإذ نَعْلاَكَ[2] مِنْ جلد البعير
فلستُ مُسَلِّماً مادمت حياً علىٰ زَيْدٍ بتسليم الأمـير
فسبحان الذي أعطاك ملكاً وعلَّمك القعود على السرير

ثم دعاه فوهب له بغلاً فقال :

قد قلت لما أتىٰ بالبغل قَيِّمَهُ لا بارك الله في زيدٍ وما وهبا
أعطاني البغل لما جئتُ زائِرَهُ وأمسك الفضة البيضاء والذهبا

وولد حُرثان بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد : وائل بن حرثان . وقَثْمَةَ بن حرثان . وعَنَمَة بن حرثان وهو أبو عبدالله بن عَنَمَة . وعبدالله الشاعر الذي يقول :

وخيلٍ كَرَيْغَانِ الجواد وَزَعْتُها لهـا سَبلٌ[3] أَعْـراضـهُ تتـألق

وولد عامر بن ثعلبة بن ذؤيب : زبّان . منهم يعلىٰ بن عامر بن سالم بن أبي سلمىٰ بن ربيعة بن زبان كان على خراج الري .

ومن ولده : المفضل بن محمد بن يعلى الراوية ، وهو كوفي ، ثم إنه شخص إلى البصرة منتظراً لخروج ابراهيم بن عبدالله بن الحسن ، فلما خرج وقتل هرب ، فلم يزل يتنقل في البوادي فكَثَّر كتابه عن العرب ، ثم استؤمن

١ ـ لم أقف على تعريف به بالمصادر المتوفرة .
٢ ـ بهامش الأصل : خفاك .
٣ ـ السبل : المطر ، والأنف . القاموس .

له فعاد إلى الكوفة ، وأتى بغداد ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن .

وولد ذكوان بن ذؤيب بن السيد : الهون بن ذكوان . وعُسَيْر . منهم : حُبيش بن دُلف بن الهُون الفارس المقتول يوم القرنتين ، وابنه هنىء بن حبيش ، وكان هنىء فيما يقال أسر الحارث بن عمرو الغساني فقال الفرزدق :

خالي الذي اغتصب الملوك نفوسهم   وإليه كان حباء جفنة ينقل[1]

ولحبيش عقب الشام ، ويقال إن حبيشاً نفسه قتل الغساني .

وولد حُبَيّ بن السيد بن مالك : كعب بن حُبَيّ . وربيعة بن حُبَيّ . والأحوزي بن حُبَيّ . وزيد بن حُبَيّ .

وولد غيظ بن السيد بن مالك : عمرو بن غيظ . وعامر بن غيظ . وبالية بن غيظ .

منهم : سهم بن المنجاب بن راشد بن أصرم بن عبدالله بن زياد ـ أو زياد شك هشام ابن الكلبي ـ ابن حزن بن بالية . وكان أحد الثلاثة الذين أوصى إليهم زياد بن أبي سفيان حين مات بالكوفة .

ومنهم : ربيعة بن مقروم الشاعر ، جاهلي ، وهو ممن أوقع به أصحاب كسرى يوم الصَّفْقَة ، ثم عاش في الإسلام زماناً طويلاً .

ومنهم : عياض بن كبير بن جابر الشاعر .

وولد عبد مناة ، وهو عبدالله بن بكر بن سعد بن ضبّة : عبدالله بن عبد مناة . ومازن بن عبد مناة . ونصر بن عبد مناة .

منهم : عميرة بن يثربي بن بشر بن وَحْف بن أمية بن عبد غَنْم بن

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٥٨ .

نصر ، قاضي عمر بن الخطاب بالبصرة ، وأخوه عمرو بن يثربي قتل يوم الجمل مع عائشة ، وهو القائل :

إن يقتلوني فأنا ابن يثربي قاتل علباء وهند الجملي
ثم ابن صوحان على دين علي

وكان بشر بن وحف بن أمية الذي قتل محلِّم بن سيار بن الحارث بن ذهل الشيباني .

ومنهم : قيس بن عبدالله بن عَسْعَس بن عَمْرو بن جساس بن عبد غَنْم بن نصر الذي يقول :

إني أُدينُ بما دان الشراة به يوم النخيلة عند الجوسق الخرب

ومنهم : لبد بن عبد بن عبيد بن نصر بن عامر بن مازن ، كان من فرسان ضبَّة .

ومنهم : جليلة بن ثابت بن عبد العزى بن جُلاس بن عامر بن مازن ، كان رديفاً للملك .

ومنهم : المِجذام بن عبد يغوث بن الجُلاس بن عامر بن مازن بن عبد مناة ، وهو عبدالله بن بكر بن سعد الذي يقول له الشاعر :

لقد لقي المجذام خيلاً كثيرة فما طعن المجذام فيها ولا قتل

ومنهم : أُنَيْفُ بن جبلة بن عمرو الشاعر ، وهو فارس الشميط ، وبعضهم يقول فارس السيط ، والأول قول الكلبي .

وولد ثعلبة بن سعد بن ضبة : ربيعة بن ثعلبة . وكعب بن ثعلبة . والدؤل بن ثعلبة .

فولد ربيعة بن ثعلبة : كعب بن ربيعة . وبكر بن ربيعة .

فولد كعب : ربيعة . ومازن . ومعاوية .

فولد ربيعة بن كعب بن ربيعة : عامر بن ربيعة . وشقرة بن ربيعة . وزيد مناة بن ربيعة وهو جروة .

فولد عامر بن ربيعة : عمرو بن عامر . ومبذول بن عامر . وهلال بن عامر . فولد عمرو بن عامر بن ربيعة : معاوية بن عمرو . وزيد بن عمرو .

منهم : عبد الحارث بن زيد بن صفوان بن صُباح بن طريف بن زيد بن عمرو بن عامر ، وفد على النبي ﷺ ، فسماه عبدالله .

ومنهم : حويص بن معقل بن صباح الذي يقول :

وجدتُ الباهلية أرضعتني بثَدْيٍ لا أَجَدُّ ولا وَخِيمُ

ومنهم : مالك بن المنتفق بن مَعْقِل بن صُباح ، كان بينه وبين رجلين من بني هلال بن ضبة يقال لهما : أبو الليل والجُلاخ شيء ، فقتلاه ، ثم هربا فاتبعوهما فأدرك أبو الليل في الحرم فقتل ، وادرك الجُلاخ بمصر فقتل فقال الفرزدق :

فلا يَصْرِم الله اليمينَ التي سَقت أبا الليل تحت الليل سَجْلاً من الدم
هُمُ فَرَّقُوا قبريهما بعد مالكٍ ومَنْ يحتمل ضَغْنَ العشيرة يَنْدَمِ(١)

وكان الذي قتل أبا الليل خالد بن ثوبان وهو ابن ابنة مالك .

ومنهم : عاصم بن خليفة بن معقل بن صُباح ، قاتل بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، وكان بسطام غزا بني ضبة ، ومعه دليل من بني أسد بن خزيمة ، فلما كان ببعض الطريق رأى رؤيا هالته : فقصها على الأسدي فتطيّر فهرب عنه ، ودفع بسطام إلى ألف بعير لمالك بن المنتفق بن

١ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص ٢٠٠ .

معقل ، وقد فقأ مالك عين فَحْلها فَسُرَّ بها واطردها ، فاستغاث مالك ببني ضبة فركبوا فلحقوا بسطاماً وقد حوى الإبل وكلما اعتاصت عليه ناقة عقرها ، فحاربوه ثم إن عاصم بن خليفة بن معقل رمى بنفسه على بسطام ، وأخذ الرمح بيديه جميعاً فطعنه طعنة لم يخطىء صماليخ[1] إحدى أذنيه، وأنفذ رمحه إلى الناحية الأخرى فخرَّ ميتاً . وكان عبدالله بن عَنَمة الضبي مجاوراً في شيبان ، ويقال إنه كان معهم في الوقعة فخاف أن يقتلوه فقال :

أحقّاً آل مُرَّةَ لن تَروْهُ تَخُبُّ به مواشكة ذَمُول[2]
فإنْ يجزع عليه بنو أبيه فقد رُزِئُوا ونَابَهُم جليل
بمِطْعَام إذا الأشوال راحت إلى الحجرات ليس لها فصيل
يُقَسِّمُ نَهْبَهُ فينا وندعو أبا الصهباء إذْ جَنَحَ الأصيل
لك المِرْباع فينا والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

الصفيّ : ما اصطفاه الرئيس، والنشيطة: ما انتشطه وأخذه سوى الصفيّ ، ويروى النشيطة وهو ما كان في الغنيمة وحده مما لا يقسم مثل الجارية والفرس .

وقد قتلتْ بنو زيد قتيلاً وما يوفى ببسطام قتيل

وأدرك عاصم الاسلام وله بالكوفة خطة وعقب .

ومنهم : الأضجم بن خنّاس بن عُبيد بن سيف بن عبد الحارث بن طريف بن زيد بن عامر ، كان سيداً .

---

١ ـ الصملاخ : داخل خرق الأذن . القاموس .
٢ ـ المواشكة : السريعة ، والذمول : التي تسير الذميل ، وهو سير سريع من سير الإبل . شرح حماسة أبي تمام ج ١ ص ٥٥٣ ـ ٥٥٥ .

وولد شَقِرة بن ربيعة بن كعب : معاوية بن شقرة . وعمرو بن شقرة . ومنبّه بن شقرة . منهم محلّم بن سويط بن عبد بن معاوية بن شقرة وهو الرئيس الأول الذي يقول له الفرزدق :

زيد الفوارس وابن زيد منهمُ وأبو قبيصة والرئيس الأول(١)

أبو قبيصة : ضرار بن عمرو ، وكناه الفرزدق أبا قبيصة وكنيته أبا عمرو .

ومنهم : معد بن عوف بن هلال بن شأس بن ربيعة بن محلّم بن سُوَيط صاحب عذاب الحجاج . ومنهم : الغَطَمَّش(٢) بن الأعور بن عمرو بن عطية بن سالم بن عبدالله بن وائلة بن معاوية بن شَقِرة الذي يقول :

على الجوسق(٣) الملعون بالريّ لا يَني على رأسه داعي المنيـة يلمع

وولد معاوية بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد بن ضبة : قعين بن معاوية . ويقال قَعْنَب بن معاوية ، شكٌّ ابن الكلبي . وسَلول بن معاوية .

وولد مازن بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد بن ضبة : لأي بن مازن .

فولد لأي : زفر بن لأي . وضبيعة بن لأي .

وقال أبو اليقظان : من ضبة ثم من بني حرثان بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد : المحترب بن أوس احتكم إليه بنو رياح بن يربوع وبنو العنبر في

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٥٧ .
٢ ـ انظر شرح حماسة أبي تمام ج ٢ ص ١١٩٠ حيث هو أبو الغطمش .
٣ ـ بهامش الأصل بشكل شبه مطموس : يعني جوسقاً هزم فيه العدو .

ماء ، يقال له أراب فقضى به لبني العنبر ، وحكم على بني العنبر بإبل يدفعونها الى بني رياح ، فقالت امرأة من بني رياح :

وكانت أراب لنا مرة فأضحتْ أراب بني العنبر

وقال بعض بني العنبر :

أنا ابن جلا ليست علي غضاضة إذا السَّيْد وافتني غدا وبنو ذهل

ومنهم : نواس بن عصمة كان ذا قدر .

قال : ومنهم يزيد بن سفيان الضبي الذي ضربه الحكم بن أيوب عامل الحجاج بسبب تأخيره الصلاة ، وانكار يزيد ذلك وسنذكر خبره مع اخبار الحجاج إن شاء الله . وصاح يزيد أيضاً ببلال بن أبي بردة ، وبلال يخطب كما فعل بالحكم بن أيوب ، فغضب بلال وهمّ بعقوبته فقال داود بن أبي هند : أصلح الله الأمير ، الناس أربع طبقات منهم من دينه أرجح من عقله ، ومنهم من عقله أرجح من دينه ، ومنهم كامل العقل والدين ، ومنهم ناقص العقل والدين ، فرأى بلال بالطبقات ما كان يريد ، فإنه لم يُرِدْ إلا الخير وكف بلال عنه .

ومن بني عامر بن ثعلبة بَحير بن دَلِجة بن عوف، الذي عَقَرَ بجمل عائشة يوم الجمل ، وذلك أنه كان كل من أخذ بخطام الجمل يومئذٍ قُتل ، فأراد أن يبرك لئلا يحتاج إلى الأخذ بخطامه . قال ويقال : إن الذي عقر بها رجل من الأنصار .

قال : وكان أخوال الفرزدق من بني شبيم وأمه لينة بنت فرطة ، قال جرير :

المحليةُ علي بنو شُبَيْم بأجدع لا يَذُبُّ عن الدمار

تَرى الضحاك يمشي مُزْمَهِلاً كأنَّ أباه زيد بني ضرار[١]

وقال أيضاً :

وما أُمُّ الفرزدق من هلال ولا أُمُّ الفـرزدق من صباح
ولكن أصْلُ أمك من شُيَيْم فَأَبْصِرْ وَشمَ قِدْحِكَ في القداح
ألاك الحي ثعلبة بن سعدٍ ذوو الأكّالِ والأُدَم الصحاح[٢]

ومنهم : العلاء بن قرظة خال الفرزدق ، وكان الفرزدق يقول : أتاني الشعر من قبل خالي ، وهو الذي يقول :

إذا ما الدهر جَرَّ على أناسٍ كـلاكله أنـاخ بـآخـرينا
فقـل للشامتـين بنا أفيقـوا سيلقى الشامتون كـما لقينا

ومنهم : حُصين بن أصرم الذي قتل أرقم بن الجون الكندي في يوم جبلة ، حين شدَّ عوف بن الأحوص الكلابي على معاوية بن الجون فأسره يوم شعب جبلة وهو من بني غيظ بن السيد ، وفيه يقول الفرزدق :

ويوماً على ابن الجون جالت جيادهم كما جال في الأيدي المحزمة السمر
غداة أَحَلَّتْ لابن أُصرم طعنةٌ حُصين عَبيطات السدائف والخمر
بها فارق ابن الجون ملْكاً وسلّبَتْ نساءٌ على ابن الجونَ جَدَّعَها الدهر[٣]

ومنهم : المنجاب بن راشد صاحب حَمَّام منجاب بالبصرة الذي يقول فيه القائل :

يا رُبَّ قائلةٍ يوماً وقـد لَغَبَتْ كيف الطريق إلى حمام منجاب

---

١ - ليسا في ديوان جرير المطبوع . والمزمهل : المنتصب . القاموس .
٢ - ديوان جرير ص ٨٢ مع فوارق .
٣ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ مع فوارق .

وفي مولاه معاذ الأعور بن سعيد يقول الفرزدق :

فتىً من بني غيظٍ كأنَّ جبينَهُ حُسامٌ جَلَى عنه فَأَبْلَغَ صَيْقَلُ[١]

ومن بني السَّيْدعمرو بن عفرى ، وكان عِنِّيناً ، وكان يتحدث إلى النساء ، فبلغ ذلك الحجاج فغضب فقال له مثجور بن غيلان بن خزيمة : إنه عَجيز أصلح الأمير ، فأمسك عنه .

وكان عمرو بن عِفرى عند بعض أخوة قتيبة، فدخل الفرزدق فلما خرج من عنده قال لعمرو بن عفرى : كم ترى أن نعطيه ؟ قال : وما تعطي مثله ؟ أعطه مائة درهم ، فقال الفرزدق :

نهيتُ ابن عَفْرى أن يُعَفِّرَ أُمَّهُ كعَفْرِ السَّلىَ إذْ جَرَّرَتْهُ ثعالبُه
ولو كان ضَبِّيّاً عَفَوْتُ ولو سَرَتْ على قَدَمَيْ حَيَّاتُهُ وعقاربُهُ
ولكن ديافي أبوه وأمه بحورانَ يَعْصِرْنَ السليط قرائبه
إذا ما أتى الدهنا نَعَتْهُ جبالها وقالوا ديافيٌّ من الشام جانبه
تَعَوَّدْتَ مال الباهليِّ كأنما تَحُوطُ به المال الذي أنت كاسبه[٢]

وقال كانت مُعَازة بنت ضرار بن عمرو الضبي عند معبد بن زرارة .

قال : ومن بني كوز : عامر بن شقيق وهو الذي طعن الهذيل التغلبي قبل أن يؤسر يوم ذي بهدى[٣] ، وفيه يقول الهذيل التغلبي[٤] :

ألا ليت شِعْري هل أَبيتنّ ليلة علىٰ ظفَرٍ من عامر بن شقيق

قال ومن بني ضبيعة بن بجالة : الحُرُّ بن منيع بن سَعْنَةَ كان له قدر

١ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .
٢ ـ ديوان الفرزدق : ج ١ ص ٤٦ مع فوارق .
٣ ـ قرية ذات نخل باليمامة . معجم البلدان .
٤ ـ انظر شعر تغلب في الجاهلية لأيمن محمد ميدان ـ ط . القاهرة ١٩٩٥ ص ٢٠٧ .

وفيه يقول ابن فسوة[١] :

ومختبط مال ابن سَعْنَةَ ماله بلا نسبٍ دانٍ ولا بشفيع

ومنهم الشغافي ، وهو أبو عمرو بن حميد بن عبدالله بن بشر بن شغاف بن المقطع بن عمرو بن هلال بن ضبيعة ، وقيل ان المقطع غلب على أَمَةٍ لضرار بن عمرو الضبي ، فجاءت بشغاف ، فجاء عبد الحارث بن ضرار فضربه ضربات فسمي المقطع .

قال : وكان بدر بن حمراء الضبي وَلَد : صبح ذا قدر في الجاهلية ، وخلف على امرأة الأحنف بعده وبعث إليه :

لأَمنعنكَ من شيء هممت به إنَّ الغزال الذي ضَيَّعْتَ مشغول

يقول لا تنتظر أن اطلقها فتزوجها . فبعث إليه الأحنف :

فَلَسْتَ وَاْجِدُ عُشْبٍ مُؤْنِقٍ أُنِفٍ إلَّا كثيراً به الرُّوَّادُ مأكول

ومن بني ضبة : القاسم بن عبد الرحمن بن صُدَيْقَة ، كان بَدِّياً عالماً بالقضاء ، وكان يرىٰ رأي الصُفْرِيَّة ، وكان مالك بن المنذر استعمل اسحاق بن يحيى وابن عيسىٰ أحد بني ذهل بن ضبة علىٰ فُسَّاق أهل البصرة ، فأخذ الفرزدق وهو متوارٍ من خالد بن عبدالله القسري ، فرفعه إلى خالد فقال الفرزدق :

لو كنت ضبياً عرفت قرابتي ولكن زنجياً عظيماً مشافره

أناشده بالرحم بيني وبينه ويأبىٰ عليه لونُه ومَنَاخِرُهْ[٢]

١ ـ هو عتيبة بن مرداس ، أحد بني كعب بن عمرو بن تميم ، شاعر مقل من الفحول ، مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام . الأغاني ج ٢٢ ص ٢٢٧ .

٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

وكان إسحاق أيضاً على الفُسّاق زمن سَلْم بن قتيبة فقتله روح بن حاتم .

ومنهم عبد الرحمن بن مسعود وأمه أم الهيثم من بني ناجية ، وهي التي يقول فيها الفرزدق :

يا أخت ناجِيَةَ بن سامة إنني أخشىٰ عليك بَنِيَّ إنْ طلبوا دمي[١]

ومنهم بكار بن حُدَيْر ، كان خليفة الحكم بن يزيد ، وهو على شرط البصرة .

ومن بني ضبة : البزَيغ بن خالد ، قُتل مع ابن الأشعث في الجماجم ، وسمع الحجاج يقول : خليفة أحدكم أكرم عليه من رسوله فقال : لله علي لا أصلي خلفه أبداً ، وإن رأيت من يجاهده لأجاهدنه معه فخرج مع ابن الأشعث فقتل .

ومنهم : **سلمان بن عامر**[٢] أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن أبي كان يفعل ويفعل . قال : «كان يقول لا إله إلّا الله» ؟ قال : لا . قال : «فأبوك في النار» . قال : أفرأيت ما كان يفعل ؟ قال : «يكافأ به عقبه» . وسلمان بن عامر الذي روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «صدقة الرجل على قرابته صلة وصدقة» .

وحدثني عبد الواحد بن غياث عن حماد بن سلمة عن هشيم . وأيوب عن ابن سيرين عن سلمان : وأم مالك بن مِسْمَع عَوذة بنت يزيد من بني ثعلبة بن يربوع ، وأمها أخت سلمان بن عامر الضبي .

١ ـ ديوان الفرزدق : ج ٢ ص ٢٢٥ .
٢ ـ بهامش الأصل : سلمان بن عامر رحمه الله .

قال : ومن بني ذُهل : هرثمة الذي يقول له البردخت العكلي :

سبحان من سبح السبع الطباق له حتى لهرثمة الذهليُّ بواب

قال : ومنهم المثلّم بن عامر كان فارساً .

قال : ومنهم المسجاح بن سباع الذي قتل ابن الصامت العبسي في الجاهلية .

ومنهم خَنْبَش الذي يقول فيه الفرزدق :

لو أن ما في سفن دارين[1] نسمة بني جارم ما طَيَّبَتْ ريح خَنْبَشِ[2]

وجارم هو تيم اللات بن مالك بن بكر .

ومنهم : المجشرّ الذي يقول فيه ابن عم له قتله في شرٍّ كان بينهما :

فمن يَكُ في قتل المجشّر لامني فنفسي في قتل المجشّر أَلْوَمُ

أردت القصاص لا أحاول غيره فجار شريخيٌّ بكفي مخذم[3]

قال وولد حازم باليمامة كثير ، ولهم بالبصرة خطة ، وكانوا مجاورين لصالح بن عبد الرحمن فآذوه ، فأخرجهم إلى خراسان ، فهم بها .

قال ومن ولد عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة : مزيد . وفاتك ابنا لبد وفيهما يقول عدي بن أمية بن عبد غنم بن نصر بن عامر :

أودىٰ بنو لبد وما أودى بهم إلا اختلاس أسنَّة الأبطال

وقراع بيض الدارعين وإنهم نُزُلٌ إذا قال الكماة نزال

والطعن حول المحجرين كأنهم أُسْدُ العرين حَنَتْ على الأشبال

١ ـ دارين فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان .

٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

٣ ـ الشرخ : نصل لم يسق بعد ولم يركب عليه قائمه . وخذم : قطع . القاموس .

ومنهم أبو سَوّاج عباد بن خلف بن عبيد بن نصر بن عبد مناة بن بكر بن سعد ، وهو الذي سقى صُرَد بن جمرة اليربوعي المِنِيّ ، وكان صُرَد بن جمرة رجلاً جميلاً منيعاً له شرف ، وكان يتحدث إلى امرأة أبي سواج فكان لا يقدر على منعه ، فأمر غلاماً له أسود يقال له نبتل فنكح امرأة له ، وعزل مَنْيَهُ على نطع ، فلما أصبح جعل ذلك المني في عُسٍّ ثم حلب عليه ، وقال لغلامه إذا جاء صرد بن جمرة فاستقىٰ فاسقه ما في هذا العُسّ ففعل ، فلما فرغ منه قال : ما لشرابك هذا يتمطّطُ تَمَطُّطاً ، ثم انصرف إلى منزله فمات ، فقال جرير يُعَيِّر الأخطل بالخمر ، فأجابه الأخطل فقال :

تعيب الخمر وهي شراب كسرىٰ ويشرب قومك العجب العجيبا
مَنِيُّ العبد عبد بني سواج أَحَقُّ من المدامة أن تعيبا[1]

وقال الكلبي كان أبو سواج مجاوراً لبني يربوع ، وقال الفرزدق :

ولئن حبلت لقد شربت رثيَّةً ما بات يجعل في الوليدة نَبْتَلُ[2]

الرَّثِيَّةُ مِنَ اللبن رائب يصب عليه حليب .

وقال أبو اليقظان : ومنهم أُنَيْف بن جبلة بن عمرو ، وكان يعرف بفارس الشُمَيط ويقال الشيط وله عقب بالبادية .

ومنهم بشر بن وَحف بن أمية ، كان فارساً ، من ولده عمرو بن بشر ، كان على الرباب يوم الجمل مع عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقتل علباء بن الهيثم السدوسي ، وهند الجملي من مراد ، وزيد بن صوحان العبدري ، فضربه عمار بن ياسر على رجله،ثم أتي به عليّ عليه السلام كرم

١ ـ ديوان الأخطل ص ٥٥ ـ ٥٦ .
٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

الله وجهه ، فقتله صبراً فجعل يقول :

إن يقتلوني فأنا ابنُ يثربيْ قاتل عَلْباءَ وهند الجملي

ثم ابن صوحان على دين علي

وله عقب بالبصرة ، وكان ابنه محمد بن عمرو سرياً مطعاماً ينادي مناديه في كل يوم : هل من آكل مع آكل ؟

وأما عَميرة بن يثربي فقضى لعبدالله بن عامر على البصرة ، ولا عقب له .

ومنهم عَدي بن أمية بن عبد غنم بن عُصْم بن نصر ، كان له يوم الجفار غناء ورئاسة .

ومن ولده : بيان بن ضمرة ، شهد القادسية له عقب بالكوفة ، وبطبرستان والسند .

ومنهم حكيم بن عاصم ولاه المهدي ثغر أرمينية .

ومن بني عبد مناة بن بكر بن سعد : عمير بن الأهلب ، شهد الجمل مع عائشة رضي الله تعالى عنها وله خبر قد كتبناه .

ومنهم صفوان بن صباح بن طريف كان يقال له سقاء اللبن وكان يباري زرارة بن عُدس في سقية اللبن ، وابنه زيد بن صفوان ، وكان قتل زيد بن همام اليربوعي فقالت ابنة عمرو :

قتيل ما قتيل بني صباح إذا افترش النواحي بالنواحي

ألا لا تأخذوا لبناً ولكن أذيقوا قومكم حد السلاح

وإن لم تثأروا زيداً بعمروٍ فلا دَرَّت لبون بني رباح

وابنه الحصين الذي ذكره الفرزدق فقال : وابن زيد منهم .

ومن ضبة : جوين بن ظهير ربع ستين مرباعاً ، وقسم ألف ناقة وكأسه في يده قبل أن يشربها فقال العلاء بن قرظة خال الفرزدق :

ومنا جوين جاد من غير خبثة بستين مرباعاً وألف مُصَمَّم
فقسَّم عرجاً كأسه فوق كفه وآبَ بنهبٍ كالفسيل المكمم[1]

العرج : ألف من الإبل .

ومنهم : الحنتف بن السِجْف بن بشير بن الأدهم بن صفوان بن صباح قاتل ابني هتيم : عامر ، وطارق من بني عامر بن كلاب ، فقال الفرزدق :

ونحن قتلنا ابني هتيم وادركتْ بجيراً بنا ركض الجياد الصلادم[2]

قال : ومنهم مالك بن المنتفق ، وكان له طعام يدعو عليه ، ولا يدعو عاصم بن خليفة فيمن يدعو ، إذ أغار بسطام بن قيس على إبل المنتفق ، فحمل عليه عاصم فقتله ، وقال للمنتفق : هذا وللطعام لا تدعوني .

وكان مالك يكنى أبا سيف ، وكان له ألف بعير .

قال : ولعاصم بن خليفة قاتل بسطام بالكوفة ولد وخطة ، وقد حَسُنَ إسلامه .

قال : وبنو صُباح رماة .

قال والذي قتل المسلبين من بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة يزيد الفوارس بن جوين بن الحر بن جوين .

وكان القعقاع بن عمارة من بني ضرار فقيهاً .

---

١ ـ الفسيل : قضبان الكرم للغرس ، والفسيلة : النخلة الصغيرة ، وكمت النخلة فهي مكموم ، والفسيل أشفق عليه فستر حتى يقوى . القاموس .

٢ ـ ديوان الفرزدق : ج ٢ ص ٣١٥ .

ومن بني عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة : جرير بن عبد الحميد المحدث الرازي ، انتقل إلى الري ، وكان يكنى أبا عبدالله ومات بالري .

ومن بني عبد مناة بن بكر بن سعد : سلمة بن راشد ، ولاه هارون الرشيد قضاء هَمذان .

ومن بني عائذة : عمار بن سيف ، وكان عابداً ، يكنى أبا عبد الرحمن أوصى إليه سفيان الثوري في كتبه ، فأنفذ وصيته فمحاها ثم أحرقها .

ومن بني ضبة : هلال بن هرمي كان له قدر عند الحجاج ، وولاه جيش بآبي ، وكان فرض فرضاً من أهل البصرة فكانت الأمهات والاخوات يقلن للفتيان : بآبي بآبي ، وأغزاه قلاع فارس .

ومن موالي ضبة : المغيرة بن مقسم ، راوية ابراهيم النخعي ، وكان أعمىً ، وهو من موالي عبد مناة . ولا عقب له .

ومن موالي بني ذُهل : الفضيل بن غزوان ، وابنه محمد بن الفضيل ، يكنى أبا عبد الرحمن ، مات سنة خمس وتسعين ومائة .

ومن موالي غيلان بن خرشة : محمد بن الطاطري ، وكان شجاعاً وقع إلى السند متصعلكاً ، فقاتل العدو ، فلما قدم الحكم بن عوانة الكلبي السند قتله وصلبه ، وبعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك فقال الشاعر :

لوىٰ عُنْقَ مَصَّانٍ وما تحت عنقه   بقصة في جدع وسافر سائره

ومن موالي بني سيابة من بني ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة : أبو الصُقير : وكان منزله بقرب منزل الحسن البصري ، فمر الحسن بداره وهم يعملون بها فانحنت ، فقال : حملت الأرض الجبال الرواسي أفتراها تعجز عن حمل دار أبي الصُّقير ! .

ومن موالي بني عائذة : المساور ولي الري فقال فيه الشاعر :

أتيت المساور في حاجة فمازال يسعل حتى ضرط
وحك قفاه بكرسوعه ومسّح عُثنونه[1] وامتخط
فأعرضت عن حاجتي رهبة لأُخرى تُقَطعٍّ شرج السَّفَط
وقال غلطنا حساب الخراج فقلت من الضرط جاء الغلط

ومن ضبة : الحر بن منيع أحد بني ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة مَنَح في يوم مائة لقوح ، وأعطىٰ أولادها ، ثم أهداها إلى الكعبة حتى لقحت وفَصَلَت من العام المقبل وعليها أجلالها فنحرها وقسم جلالها ، وله يقول ابن فسوة التيمي :

لعمرك إن الحر مذ شاب رأسه لكالفجر ما يزداد غير سطوع
وما لا مرىء فضلٌ إذا كان ذا ندىٰ على الحر إن لم يأثم ابن منيع

يقول : ما لأحد عليه فضل ما لم يأثم . وقد أدرك الإسلام .

قال : ومن بني ضبة محرز بن المكعبر الضبي وكانت بنو تميم أغارت على بكر بن وائل يوم الشيطين ، فانهزمت بنو تميم حين لقيت بكراً . قال : فقال بعض العنزيين :

وما كان بين الشيّطين ولعلع[2] لنسوتنا إلا مناقِلَ أربع
صبحنا به سعداً وعَمْراً ومالكاً فظل لهم يوم من الشر أشنع
بدهم كثيف ينشد البلق وسطه له عارض منه المنية تَلْمَعُ

١ ـ العثنون : اللحية ، أو ما فضل منها بعد العارضين ، أو ما نبت على الذقن وتحته سفلا . القاموس .

٢ ـ لعلع جبل كانت به وقعة لهم ، ولعلع ماء بالبادية ، وقيل لعلع منزل بين البصرة والكوفة . معجم البلدان .

فرد عليه محرز بن المكعبر الضبي :

فخرتم بيوم الشيطين وغيركم   يضر بيوم الشيطين وينفع
فإن يك أقوام أصيبوا بغرة   فأنتم من الغارات أخزىٰ وأوجع

ومحرز الذي يقول :

كـأنَّ دنانـيراً على قسـاتهم   وإن كان قد شَفَّ الوجوه لقاء

وكانت بكر بن وائل أغارت على إبل للمكعبر ، وصرم لبني ضبة ، وهم جيران لبني العنبر ، فاستغاثوا بمخارق بن شهاب المازني فجمع قومه ، وقاتل عن الإبل حتى ردها فقال محرز بن المكعبر :

لولا الإله ولولا سعي كالئها   وَابْنَا شهاب عَفَتْ آثارَهَا المود(١)

وقال أيضاً لبني العنبر :

فهلَّا سعيتم سعي سيد مازنٍ   وما الناس طُرًّا في الوفاء سواء
كـأنَّ دنانـيراً على قسـاتهم   وإن كان قد شَفَّ الوجوه لقاء

ويقال إنه كان مع بني تميم .

وقال محمد بن سعد : مغيرة بن مقسم مولى ضبة ، يكنى أبا هاشم توفي سنة ست وثلاثين ومائة(٢) .

وعبدالله بن شبرمه ، ويكنى أبا شبرمه مات في سنة أربع وأربعين ومائة(٣) .

ومن المحدثين أيضاً : عمارة بن القعقاع بن شُبرمه الضبي . ويزيد بن

١ـ المودي : التام السلاح . النهاية لابن الأثير .
٢ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٣٧ .
٣ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٥٠ـ ٣٥١ .

القعقاع بن شبرمه الضبي[١] .

وعبيدة بن مُعتب ، يكنى أبا عبد الكريم[٢] .

قالوا: وقال المفضل الضبي : كان عامر بن شقيق الضبي ممن طعن الهذيل بن هبيرة التغلبي يوم ذي بَهْدَى[٣] قبل أن يؤسر وتجز ناصيته ويخلىٰ سبيله فقال الهذيل :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة　　على ظفر من عامر بن شقيق

وهل أَلْقَيَنّ والحوادث جمة　　يزيداً وعماراً بدار مُضَيَّقِ

هما أثخنا أسري وفازا بخلعتي　　وقد شارك الشُّطْارَ وابن شريق

يزيد بن حذيفة وعمار بن حذيفة من بني مرة بن عبيد ، وهم أخوال جرير ، والشطار وابن شريق من بني جشم . وقال جرير :

خالي الذي اعتسر الهذيل وخيله　　تردى بمعترك من الأبطال[٤]

وقال المفضل : غزت بنو عامر بن تميم وضبة ، وعلى ضبة حسان بن وبرة ، وكان أخا النعمان لأمه ، وهو كلبٌ[٥] عَمَّله أخوه على الرباب ، فأسر يزيد بن الصعق حسان ، وانهزم القوم فلما رأى ذلك عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب شد على ضرار بن عمرو الضبي فقال لابنه أدهم بن ضرار : اغْنِهِ عني ، فشد عليه فتحول من سرجه إلى جنب الدابة ثم لحقه فقال لأحد

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٥٥ .

٣ ـ تقدم ذكر هذا اليوم في ص ٣٨٤ .

٤ ـ ليس في ديوان جرير المطبوع .

٥ ـ كذا بالأصول ، وسلف للبلاذري ص ٣٦٣ الحديث عن هذا اليوم ، وقال هناك : «ان النعمان بن المنذر جهز أخاه لأمه وهووبرة بن رومانس بن معقل الكلبي . . » .

ابنيه : اغنه عني ، ففعل مثل ذلك فقال : ما هذا إلا مُلَاعِبُ الأَسِنَّة ، فسمي ملاعب الأسنة ، ثم قال له ضرار : أنا أعلم أنك تحب اللبن ، ولن تصل إلي مع بَنِيَّ . قال عامر : فأحلني فأحاله على حُبيش بن دلف بن الهون ، فشدّ عليه عامر فأسره فأعطاه مائة ناقة ، وفدىٰ حسان نفسه من يزيد بألف بعير ، وهذا في يوم القرنتين .

وقال الكلبي : قُتل حبيش يوم القرنتين .

ومن ضَبَّة : عِذام بن شُتَيْر .

قالوا : رمى عمر بن هبيرة الفزاري إلى عذام بخاتم له فصه فيروزج ، فعقد عذام في الخاتم سيراً وطرحه إلى ابن هبيرة ، وإنما أراد ابن هبيرة بعذام قول زياد الأعجم :

لقد زَرَقَت عيناك يابن مكعبر كما كُلُّ ضبي من اللؤم أزرق[1]

وأراد عذام قول الشاعر :

لا تأمننَّ فزارياً خلوتَ به على قلوصك واكتبها[2] بأسيار

١ـ ليس في شعر زياد الأعجم المطبوع .
٢ـ كتب السقاء : خرزه بسيرين . القاموس .

المحتوى

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م

الجزء الثاني عشر

مرة بن أد بن طابخة - بنو سعد بن زيد مناة بن تميم

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الطبعة الاولى

بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا : فكسي - ص.ب : ١١/٧٠٦١

تلفون : ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس : ٨٣٧٨٩٨ ٠٠٩٦١١

دولي : ٨٦٠٩٦٢ ٠٠٩٦١١ - دولي وفاكس : ٤٧٨٢٣٠٨ - ٢١٢ - ٠٠١

نسب ولد مُرّ[1] بن أدّ بن طابخة

وولد مر بن أدّ بن طابخة : تميم بن مُرّ ، وأمه الحوأب بنت كلب بن وبرة .

وبكر بن مر وأمه الشُعيراء بنت ضبة بن أدّ ، وهم في بني مُقاعِس يعرفون بأمهم .

والغوث بن مرّ ، وهو صُوفة ، وهو الرَّبيط[2] . كان لا يعيش لأمه ولد فنذرت لئن عاش ولدها لتربطن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيطاً للكعبة ، ففعلت وجعلته خادماً في البيت حتى بلغ ، ثم نزعته فسمي الرَّبيط .

وثعلبة بن مرّ وهو ظاعنة ، وله يقول العرب : على كره ظعنت ظاعنة .

ومحارب بن مرّ . وعامر بن مرّ درج . وكامل بن مرّ درج . ومازن . وسلمة وأمهما الحَوْأب بنت كلب بن وبرة ، وإليها ينسب الماء الذي يقال له ماء الحوأب في طريق مكة من البصرة . ويقال : ويَعْفُر بن مرّ . وشبك بن مر . وإراش بن مرّ .

١ ـ بالأصل : مرة ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه تماشياً مع المسرد العام وما ورد عند ابن الكلبي ج ١ ص ٢٧٠ .

٢ ـ بهامش الأصل : الغوث ، وهو صوفة ، وهو الربيط أيضاً .

فأما ظاعنة فإنهم ظعنوا فنزلوا مع بني الحارث بن ذهل بن شيبان فَبَدْوهم معهم ، وحاضِرهم مع بني عبدالله بن دارم .

وولد ثعلبة الذي يقال لولده ظاعنة : فاضل بن ثعلبة . وعبدالله .

وأما محارب بن مرّ فولد : عوف بن محارب . وأسلم بن محارب .

فولد عوف : أنمار بن عوف ، وهم في بني الهُجَيم يقولون أنمار بن الهُجَيم .

فولد أنمار : ذِياد بن أنمار . وعمرو بن أنمار .

وولد أسلم بن محارب : امرؤ القيس ، وهم في بني زهير بن تيم من بني تغلب ، ثم انصرفوا حديثاً إلى قومهم .

وأما بنو الغوث بن مُرّ فإنهم الذين كانوا يجيزون بالحاج حتى فنوا ودرجوا ، فتحول ذلك منهم إلى كرب بن صفوان بن جناب بن شجنة بن عُطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن خربوذ قال : قال رسول الله ﷺ : «هل بقي من صوفة أحد يدفع بالناس ؟ فقيل : لا إلاّ امرأة . فقال : لا ينبغي لامرأة أن تدفع بالناس» .

قال ابن الكلبي : ومن الغوث بن مر وهو صوفة : آل شُرحبيل بن حَسنة ، وكانوا حلفاء في بني جُمح ، وقد كان لهم عز وشرف ، ولا أعلم لهم بقية .

وقال غير الكلبي : صار بنو الغوث بن مر ، الذين يقال لهم صوفة ، باليمن ولهم هناك عدد ، وبالشام منهم قوم ، وكان الفرزدق نزل على رجل منهم بالشام فقال :

تقول ابنة الغوثي مالك ههنا وانت عراقي من الشرق جانبه[1]

وكان شرحبيل بن حَسنة وهي أمه ، وأبوه عبدالله بن ربيعة بن المطاع من مهاجرة الحبشة ، ومات بالشام ، وكان ممن وجهه أبو بكر رضي الله تعالى عنه إلى ما هناك .

وقال غير الكلبي وهو الواقدي : أبوه عبدالله بن المطاع وهو من كندة .

وقال الهيثم بن عدي : هو من حمير ، وقال:هو حليف لبني زُهرة ، وقول الكلبي أثبت .

وأما يَعْفُر فولد : المَعافر ، ويزعمون أنهم الذين باليمن ، وان المعافر كتب على قبره : أنا المعافر بن مر مضري حُرّ ولستُ من حمير يَطرّ .

قال : والمعافر اليوم يقولون : معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مر بن أدد بن زيد بن يشجب .

وقال بعض من يُروىٰ عنه النسب : أم تميم وبكر ابني مر : هند بنت اليُهَه بن النخع وانشد لبعضهم :

أسعياً مع النعمان يوم غَوَيتم وأمكم هند وأم تميم

ويقال ان أم تميم وبكر : هند بنت الحارث بن كعب . وأصح ذلك أن أم تميم الحوأب بنت كلب بن وبرة .

وكان لمر بن أد من النساء : برة أم النضر . ومالك ، وملكان ابني كنانة بن مدركة ، وهي أم أسد بن خزيمة ، لأنها كانت تحت خزيمة فخلف عليها كنانة بعد أبيه نكاح مقت .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٨٤ مع فوارق .

وهند بنت مُرّ أم بكر . وتغلب . والشُخَيص . وعنز بني وائل بن قاسط بن هِنْب .

وتُكْمة بنت مر ، ولدت غطفان . واعصر ابني سعد بن قيس بن غيلان ، وهي أيضاً أم : سليم وسلامان ابني منصور بن عكرمة .

وجديلة بنت مر وهي أم : نهم . وعَدوان ، وإليها ينسبون . وعاتكة وهي أم سعد هُذيم من قضاعة .

وقال أبو اليقظان : بكر بن مر هو الشُعيراء ، وإنما قيل له الشعيراء لأن أمه هند من النخع كانت ترقصه وتقول : وابأبي شُعيراتك ، ويقال إنه قُتل يوم الجمل من بني الشعيراء أربعة وعشرون مع عائشة رضي الله تعالى عنها .

قال : وكان من الشُعيراء : عائشة بنت جعدة تحدث عنه أنه قال : «كنت في قوم مَرَّ بهم النبي ﷺ فرش عليهم ماء ، ودعا لهم ، فأصابني من ذلك الماء» . وهو الذي خطب إليه صعصعة بن معاوية عم الأحنف بن قيس فأبى أن يزوجه لأنه قال : لا أنزل عن دابتي حتى تزوجني . وكانت جدة الأحنف أم أمه من بني الشعيراء ، وأم عامر بن عبد قيس العابد من بني الشُعيراء ، واسمها الخُضَيراء بنت كاهل ، ومنازل بني الشعيراء قريبة من البحرين .

ومن بني الشعيراء : أبو بكر بن صيفي ، كان له قدر ، وغزا السند مع ابن يقال له بكر فمات بالسند ، فقال الشاعر :

نعىٰ الناعون من بكر فتاها وسيّدها وسيّـد من سواهـا
أبـا بكر تهلل دمـع عيني وكيف واستمـر بها قـذاهـا

فمن للحرب بعدك يا بن صيفي ومن للعيس تنفح في بُراها[1]

وله عقب .

قال أبو اليقظان : وكان من بني ظاعنة ـ وزعم أن ظاعنة أمهم ـ : قتب ، وهو أحد من لطم عين المنذر بن الزبير منتصراً للبيد بن عطارد ، وذلك أن عمرو بن الزبير كان لطم عين لبيد ، وسنذكر خبره إن شاء الله ، وليس قوله إن ظاعنة اسم امرأة بشيء .

وولد تميم بن مر بن أد : زيد مناة بن تميم وأمه صفية بنت القين بن جِسر . وعمرو بن تميم . والحارث بن تميم . ويربوع بن تميم درج ، وأمهم سلمىٰ بنت كعب أخت الحارث بن كعب ، ويقال أمهم الذوفاء بنت ضَبَّةَ بن أدّ .

فولد الحارث بن تميم : شَقِرة واسمه معاوية وإنما سمي شقرة لقوله :

وقد أحمل الرمح الأصم كعوبه به من دماء القوم كالشَقِرات

فولد معاوية بن الحارث بن تميم وهو شَقِرة : عوف بن شقرة . وجَشم بن شقرة . ورُمنا بن شقرة . وكعب بن شقرة ، وهم قليلٌ ، حلفاء في بني نَهشل ، وهم رهط المسيب بن شريك بن مَجْرِبة بن ربيعة المحدث . ونصر بن حرب بن مَجْرِبة بن ربيعة ، وعدادهم من بني نهشل .

ومنهم عبدالله بن سويد ، وهو ابن ام رمثة الشاعر .

قال أبو اليقظان : كانت عند تميم بن مرّ العَوْراء بنت ضبة ، فلما حملت منه انطلق إلى الكاهن فقال له : ان امرأتي حامل فانظر ما تلد ، فرأى صُرَداً على شجرة يصوت فقال له : يولد لك غلام يكون في عقبه قلة إلّا أنه

١ ـ ناقة ذات بُراية : ذات شحم ولحم أو بقاء على السير . القاموس .

يكون منهم الرجل المشهور ، فولدت له الحارث بن تميم أبو شقرة ، ثم حملت الثانية فأتى الكاهن فسأله عما تلد فرأى ضَبُعاً، فقال له : يولد لك غلام في عقبه شدة وانتشار ، فولدت له عمراً ، ثم حملت الثالثة فأتى الكاهن فقال ما ترىٰ فنظر فإذا السماء تمطر وإذا الأودية ممتلئة فقال : يولد لك غلام يكون في عقبه كثرة وعدد كبير ، فولدت زيد مناة بن تميم ، ومات تميم فدفن بمّران . وقال جرير بن عطية :

إني إذا الشاعر المغرور حَرّبني جار لقبرٍ على مَرَّانَ مرموس
قد كان أشوس آباء فأورثنا شغباً على الناس في أبنائه الشوس[1]

وقال أبو اليقظان : قتل الحارث بن تميم وائل أبو عكل في شربة لبن بمكان يقال له غن ، فقال شاعر الرباب :

نحن قتلنا يوم غن قتيلها وقلنا ليأت الدهر ما هو صانع

قال : وقتل معاوية بن الحارث بن تميم وائلاً هذا بأبيه وقال :

وقد أحمل الرمح الأصم كعوبه به من دماء القوم كالشقرات

ومن بني شقرة : عطية بن أبيّ ، وكان له مال دثر في الجاهلية ، فأغار عليه القعقاع بن معبد فاستاق ابله فيقال إن خالد بن مالك النهشلي غُرم ذلك للشقري .

قال : ومنهم خرشة بن مسعود بن وثيمة صاحب قلعة خرشة بفسا[2] من فارس وكان ابن الأشعث ولاه در أبجرد ، فلما قتل ابن الأشعث تحصن في القلعة ، ثم أُمِّنَ وحمل إلى الحجاج فمات بواسط وولده بنَسَا[3] .

١ ـ ديوان جرير ص ٢٥٠ .
٢ ـ فسا أو بسا مدينة نزهة بفارس بينها وبين شيراز أربع مراحل . معجم البلدان .
٣ ـ نسا : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور ستة أيام أو سبعة . معجم البلدان .

ومن بني شَقِرة : نصر بن حرب بن مُجْرِبة بن ربيعة . وكان حرب بن مجربة مع خرشة فأخذه الحجاج فألقاه في الديماس ، ثم نجا ، وكان نصر من قواد أبي جعفر أمير المؤمنين ، فولاه فارس سنة ثم عزله .

ومنهم يزيد بن هُزيل الشَقري ، وكَان له سروة وقدر ، وهو القائل :

قد كنت أدعو الله في البيت خالياً ليمكنني من حربه ورجالِ
فأترك فيها ذكر طلحة خاملاً ويحمد فيها موقفيَ وفعالي

يعني طلحة الطلحات .

قال الكلبي : ومنهم عبدالله بن سويد ، وهو ابن أم رمثة الشاعر .

وولد زيد مناة بن تميم ثمانية نفر : سعد بن زيد مناة . ومالك بن زيد مناة . وعَرف بن زيد مناة وهو مُكسِّر ، وهم في بني حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، وثعلبة بن زيد مناة . ومُبَشِّر بن زيد مناة . وجنح بن زيد مناة ويقال جناح درجوا ، وأمهم المُفَدّاة بنت ثعلبة بن دودان بن أسد . وامرؤ القيس بن زيد مناة ، وهم مع بني عوف بن سعد . وعامر بن زيد مناة وهم قليل مع بني مجاشع بن دارم ، وأمهم رقاش بنت كبير بن غالب من جرم قضاعة .

وقال أبو اليقظان ، فمن ولد عامر بن زيد مناة : عبدالله بن ياسرة الذي غلب على زرنج من سجستان في فتنة ابن الزبير ، وعثرت به فرسه في حرب كانت بين بني تميم ورجل من الزبيريين ولاه القباع سجستان ، فقتل ابن ياسرة فقال فيه الشاعر :

ألا لا فتىً بعد ابن ياسرة الفتى ولاشيء إلا قد تولى فأدبرا
فتى دارميّ ماتزال يمينه تجود بمعروف وتنكر منكرا

لكان حصاداً للمنايا ازدرعنه فهلا تركْنَ النَّبْتَ ما كان أخضرا

في أبيات . وقال غيره إنه كان حنظلياً .

فولد مالك بن زيد مناة : حنظلة بن مالك . وربيعة بن مالك ، وهم مع بني نهشل بن دارم . وقيس بن مالك . ومعاوية بن مالك ، وهما الكردوسان ، وهما في بني فُقيم بن جرير بن دارم ، وأمهم النوار بنت جَلّ بن عدي بن عبد مناة ، ويقال إن أم الكردوسين قيس ومعاوية : السوداء ابنة عمرو بن تميم .

فولد حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ثمانية نفر : مالك بن حنظلة ، وأمه أُسَيَّة بنت عمرو بن زِبابة بن عامر بن امرىء القيس بن فُتيَّة بن النمر بن وبرة من قضاعة . وقيس بن حنظلة . ويربوع بن حنظلة . وربيعة بن حنظلة مع بني يربوع . وعمرو بن حنظلة ، وأمهم جَنْدلة بنت فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وكانت جندلة امرأة جزلة الخلق ، وكان زوجها حنظلة شيخاً كبيراً ، فأصابتهم ليلة ريح ومطر وبرق ، فخرجت تصلح طنب بيتها وعليها صدار لها ، فأكبت على الطنب تصلحه ، وبرقت السماء برقة فأبصرها مالك بن عمرو بن تميم وهي مُجَبِّيَة(1) فشد عليها فخالطها ، فقالت :

يا مالك بن حنظل لحرها شفاؤها من ليلة وَقَـرِّهَـا

فأقبل بنوها وزوجها فقالوا : مالك ؟ قالت : لُدِغتُ . قالوا : أين ؟ قالت : حيث لا يضع الراقي أنفه . فذهبت مثلاً ومات حنظلة فتزوجها

١ ـ جبَّى تجبيه : وضع يديه على ركبتيه أو على الارض أو انكب على وجهه . والتجبية ان تقوم قيام الراكع . القاموس .

مالك بن عمرو بن تميم فولدت له نفراً منهم : مازن . وعمرو . ومرة بن حنظلة وهو الظُّلَيم ، وأمه لميس ، ويقال لبنى بنت الحر بن مازن بن كاهل بن أسد ، وأخوه لأمه همام بن مرة بن ذهل بن شيبان . وغالب بن حنظلة . وكلفة بن حنظلة، وأمها عُدَيَّة بنت مخضب بن زيد بن نهد من قضاعة ، فالبراجم من بني حنظلة : عمرو ، والظليم . وقيس . وكلفة وغالب . قال لهم رجل منهم يقال له حارثة بن عامر بن عمرو بن حنظلة : أيتها القبائل التي ذهب عددها تعالوا فلنتجمع لنكون كبراجم يدي هذه ففعلوا ، فسموا البراجم وهم يدٌ مع بني عبدالله بن دارم . والبراجم ملتقى رؤوس السلاميات إذا قبض القابض كفه شخصت وارتفعت .

فولد مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم عشرة نفر : دارم بن مالك . وربيعة بن مالك . ورازم بن مالك في بني نهشل ، وأمهم ابنة الأحب بن مالك بن عدي بن مراغم بن سعدالله بن فران بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وزيد بن مالك . والصُّدَيّ بن مالك . ويربوع بن مالك ، وأمهم العدوية وهي الحرام بنت خزيمة بن تميم بن الدؤل بن جَلّ بن عدي بن عبد مناة ، بها يعرفون . وأبا سويد بن مالك . وعوف بن مالك وأمها ملهية بنت عبشمس بن سعد بها يعرفون . وجُشَيْش بن مالك وأمه حُظيّ بنت ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، بها يعرفون واليها ينسبون . وكعب بن مالك وأمه الصحاريّة ، وصُحَار هو سعد بن زيد ، وجهينة بن زيد ، بها يعرفون وهم مع بني فُقَيم .

كان سعد بن زيد وجهينة أول من نزل الصحراء من العرب فهما صُحار ، فيقال لربيعة ورِزام وكعب بني مالك بن حنظلة الخِشاب ، ويقال

لُطَهيَّةُ العدوية الجمار ، وهم مع بني يربوع ، وفي ذلك يقول جرير :

أثعلبـة الفوارس أو ريـاحاً عدلت بهم طهية والخشابا[١]

فولد دارم بن مالك : عَبدالله بن دارم . ومجاشع بن دارم . وسدوس بن دارم . وخيبري بن دارم وأمهم ماوية بنت ظالم بن دُنين بن سعد بن أشرس بن زيد بن عمرو .

ومن بني تغلب : نهشل بن دارم وجرير بن دارم وأمهما رقاش بنت شهبرة بن قيس بن مالك بن زيد مناة ، وأبان بن دارم ، وهم مع بني فقيم . والجوَّال بن دارم . وشيطان بن دارم درجا ، وأمهم هند بنت الحارث بن تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة . ومناف بن دارم ، وهم مع بني قطن بن نهشل بن دارم وأمه ليلى بنت لأي بن عبد مناف بن الحارث بن سعد هذيم من قضاعة ، ويقول بعض العرب لمناف :

إنَّ منـافاً نَفَـرٌ من عُـذره دَعِي الجدال واعمدي لثبره

قال فولد جرير بن دارم : فُقَيم بن جرير ، ويقال إنه كان له فقم وأمه كفافة بنت جُلْهُمة بن عوف بن عَبشمس من بني سعد ، وإخوته لأمه بنو مرة بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة من ربيعة بن نزار .

فولد فقيم : زهير بن فُقيم . وعبدالله بن فقيم . ومرة بن فقيم . وَدَحداحة بن فقيم . ومُظهر بن فقيم . وخِشنة بن فقيم ، وبعضهم يقول خُشينة والأول أثبت . ومؤالة بن فقيم . وفيهم يقول الفرزدق :

وإذا دعوت بني فقيم جاءني زيد هو العدد الذي لا يعدل[٢]

---

١ ـ ديوان جرير ص ٥٩ .

٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٥٦ .

وولد مناف بن دارم : لأي بن مناف . وحصين بن مناف . والحارث بن مناف . وزيد بن مناف . وحبيش بن مناف .

وولد سدوس : الحارث بن سدوس . فولد الحارث نفراً وأمهم بَسَّة بنت سفيان بن مجاشع بن دارم وبها يعرفون، يقال لهم بنو بسّة .

وولد خَيبري بن دارم : مُعَرِّض بن خيبري . وضباب بن خيبري .

فولد معرض : ثلاثة نفر ، وأمهم بسَّة بها يعرفون خلف عليها بعد عمه .

نسب بني عبدالله بن دارم

فولد عبدالله بن دارم ستة : زيد بن عبدالله وأمه الشَنْبَاء من بني عمرو بن حنظلة . وأمية بن عبدالله . ومعاوية بن عبدالله . وقشة بن عبدالله . ووهب بن عبدالله . وعبد مناة بن عبدالله ، وأمهم ليلى بنت جَهْوَر بن غُوَيّ بن جروة بن أَسِيد بن عمرو بن تميم . وذؤيب بن عبدالله ولم يعرفه الكلبي .

وولد زيد بن عبدالله بن دارم : عدس بن زيد ، وحق بن زيد . ومرة بن زيد . وحارثة بن زيد . وربيعة بن زيد . وجناب بن زيد . وعبدالله بن زيد . ومالك بن زيد ، وأمهم فاطمة بنت نهشل بن دارم . فالأحلاف من بني دارم : بنو زيد بن عبدالله كلهم غير عُدُس بن زيد فإنهم يد مع سائر بني عبدالله .

وقال هشام ابن الكلبي : كل عُدس في العرب يقال لهم بضم العين وفتح الدال غير عُدُس بن زيد فانهم مضموم العين والدال وكل سَدوس في العرب فمفتوح السين إلا سُدوس بن أسمع من طيء فإنه مضموم السين .

فمن بني عبدالله بن دارم : حاجب بن زرارة بن زيد بن عبدالله بن دارم ، كان شريفاً شهد يوم جَبلة فانهزم فلحقه ذو الرقيبة مالك بن سلمة بن

قشير بن كعب فقال : استأسر فألقى رمحه واستأسر ، وقد كان الزَّهْدَمَان وهما : زهدم وقيس ابنا حَزْن بن وهب بن عُوَير بن رواحة العبسيان . ويقال هما : زهدم وكردم ابنا حَزْن حاولا أن يستأسر لهما فلم يفعل ، فلما استأسر لذي الرقيبة ، وثب زهدم فاعتنقه ، فافتدى حاجب نفسه بألف ومائتي ناقة ألف لمالك ذي الرقيبة ومائة لزهدم ومائة لأخيه قيس أو كردم . وفي ذلك يقول مُعَقِّر بن أوس بن حمار البارقي :

هوى زهدمٌ تحت الغُبار لحاجبٍ كما انقضَّ أقْنَىٰ ينفضُ الطلَّ ماهر

قال : وبقي ذو الرقيبة إلى زمن معاوية ومعه ألف امرأة يقلن يا أبتاه ويا عماه .

وكانت جَبلة قبل مولد النبي ﷺ بسبع عشرة سنة ، وكان الذي هاج يوم جبلة أن بني عبس بن بغيض خرجوا هاربين من بني ذبيان بن بغيض وحاربوا قومهم بقوا متلددين متحيرين، فأجارهم الأحوص بن جعفر بن كلاب ، فلما عرف خبرهم بنو ذبيان استعدوا واجتمعوا وعليهم حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، ومعه بنو أسد ، وكانوا وبنو ذبيان حلفاء ، وكانت بنو عبس قتلت حذيفة بن بدر يوم الهَباءة ، ودست لسانه في استه ، فكان يطلب بدم أبيه ، وأقبل معهم معاوية بن شرحبيل الكندي ، وكان من ولد الجون، وهو معاوية بن آكل المرار، وسمي الجون لسواده، وأقبلت بنو حنظلة بن مالك والرباب عليهم لقيط بن زرارة يطالبون بدم معبد بن زرارة ، وأَسَرَتْه بنو كلاب يوم رحرحان[1] فمات في أيديهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً .

---

١ ـ رحرحان : اسم جبل قريب من مكة وخلف عرفات. معجم البلدان .

قالوا : وكان النبي ﷺ دعا على مضر ، فقال : «اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم ابعث عليهم سنين كسني يوسف» . فتوالى القحط عليهم سبع سنين حتى هلكوا . وفي ذلك نزلت : ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾[1] .

فلما رأى حاجب ما نال الناس من الجهد ، جمع بني زرارة ، ومضى حتى أتى إياس بن قبيصة عامل كسرىٰ على الحيرة ومن يليها من العرب ، وقيل إنه أتى كسرىٰ نفسه ، وقيل إنه أتى رئيس الأساورة الذين على حد العرب والعجم فشكا إليه ما هم فيه من الجهد وإشراف الأموال على العطب ، فقال : إنكم معشر العرب أهل حرص وغدر ، فإن أذنْتُ لكم في المقام بأطراف الريف لم آمن إفسادكم البلاد وإغارتكم على الرعية . قال : فإني ضامن لأحداثهم . قال : ومن لنا بذلك ؟ قال : أرهنك قوسي هذه . فضحك قوم من الأعاجم فقال إياس ، أو الفارسي : إنه والله لا يدعها ولا يؤثر على الوفاء شيئاً إذا رهنها ، فقبلت منه القوس ، ودخلوا الريف ، ودعا رسول الله ﷺ للعرب لما شكوا إليه جهدهم فأخصبت البلاد ونزلت السُّقيا وارتفع القحط .

وقد مات حاجب وارتحلت العرب إلى بلادهم ، فارتحل عُطارد[2] بن حاجب إلى كسرىٰ لطلب قوس أبيه ، فقال كسرى : ما أنت بالذي وضعتها . قال : أَجَلْ ، ولكن أبي هلك وقد وفىٰ له قومه ، ووفى للملك : فقال : ردوها عليه ، وكساه حلة ، ثم إنه وفد على النبي ﷺ فأسلم وأهدى

---

١ ـ سورة الدخان ـ الآية : ١٠ .

٢ ـ بهامش الأصل : عطارد بن حاجب ، رحمه الله .

إلى النبي ﷺ الكسوة، فلم يقبلها فباعها من الزبير بن ياطا اليهودي بأربعة آلاف درهم ، وقيل إن عمال كسرىٰ أوفدوه على كسرىٰ ، فدفع القوس إليه .

وقال أبو الحسن المدائني عن أبي اليقظان : كان اسم حاجب زيداً ، وسمي حاجباً لعظم حاجبيه ، وكان يكنى أبا عِكْرِشة .

فولد حاجب عُطاردا . وعِكْرِشة أمهما سلامة . وليلى تزوجها القعقاع بن معبد بن زُرارة. وكان عطارد سيداً في الجاهلية والاسلام. قال: وبقيت القوس عند آل حاجب ، وقدم المدينة فجعل يبيع كسوة كسرىٰ التي كساه ، فقال عمر : يا رسول الله لو اشتريت من هذه الكسوة ؟ فقال : «يا عمر تلك ثياب من لاخلاق له» وكانت من ثياب العجم ، فباعها من الزبير اليهودي .

قالوا:وكان لبيد بن عطارد بن حاجب شريفاً سيداً ، يكنى أبا نعيم ، وكان جواداً كريماً ، وكان مع المصعب بن الزبير فوفى له ، وحبق أُسيد بن عطارد بن حاجب في مجلس زياد فأمر له بمال ، فعَيَّر جرير محمد بن عمير بن عطارد فقال :

أَلقوا السلام إليّ آل عطاردٍ وتعاوروا ضرطاً علىٰ الدكان[1]

وولد للبيد : عمرو . وإسحاق لأم ولد تدعىٰ كبشة ، ولهم عقب بالكوفة . وفيه يقول لقيط بن عطارد أخوه :

إذا ذكرت نفسي لبيداً تعرضت معاريض من سوء البلاء له عندي

وما كنت أنأىٰ عن لبيدٍ لبغضه ولا كان مالي دونه محكم العَقْد

١ ـ ديوان جرير ص ٤٧١ مع فوارق .

لعلَّ لبيداً إن أتتهُ منيتي ومُرَّةَ يوماً أن يسوءهما فقدي

ومُرَّة رجل من بني دارم ، وكان معاوية وجه لقيط بن عطارد إلى ملك الروم ليرى جماله ، ويعرف بيانه وعقله ، وكانت أسماء بنت عطارد بن حاجب عند عبيدالله بن عمر بن الخطاب ، فلما قتل يوم صفين خلف عليها الحسين بن علي ، وتزوج ليلى بنت عطارد عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي . وكان عمير بن عطارد بن حاجب سيداً ، ونزل بالكوفة فولده بها .

فولد عمير : محمد بن عمير بن عطارد ، كان سيد أهل الكوفة في زمانه ، وكان صاحب ربع تميم وهمدان حتى مات ، وكان علىٰ اذربيجان فانهزم إليه ألف رجل من بكر بن وائل كانوا في بعث فحملهم ، حمل ألف بكري على ألف فرس قارح ، وكان جواداً .

وقال الهيثم بن عدي والمدائني : أتى بنو تميم محمد بن عمير بن عطارد في حَمَالَةٍ ، فقال : يقسم علىٰ بني عمر كذا ، وعلىٰ بني حنظلة كذا ، وعلىٰ بني سعد كذا ، فقال شبث بن ربعي : بل كلها عليَّ . فقال ابن عمير : نِعْمَ العون علىٰ المروءة الجدة .

قالوا : وتزوج عبيدالله بن زياد هند بنت أسماء بن خارجة ، فعاب ذلك محمد بن عمير بن عطارد على أسماء فيمن عابه ، فزوج أخاه عثمان بن زياد ابنة محمد بن عمير قسراً .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة وغيره . وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن عياش قالا : أذن ابن زياد إذناً عاماً فزحم غسان بن نباتة أخو الأصبغ بن نباته المجاشعي عمرو بن الزبير ، فلطم عمرو بن الزبير لبيد بن عطارد بن حاجب بن زرارة ، فغضبت له بنو

تميم ، وكلم الناس لبيداً فقال : لا أطلبها أبداً . وبلغ الخبر أهل الكوفة فقال عبدالله بن الزبير الأسدي :

لا يَصْرِمِ الله اليمين التي عَلَتْ   علىٰ البغض والشحناء أنفَ لبيد
فآبَ بنو ولد أُسْتَهَا بمضاعف   من اللطم لا يحصونه بعديد
نمت بك أعراق الزبير وهاشم   وعمرو نما من خالد بن سعيد[1]

وأم عمرو بنت خالد بن سعيد بن العاص أبي أحيحة . وأم الزبير صفية بنت عبد المطلب بن هاشم .

فقال مسكين بن عامر بن أنيف الدارمي :

معاذ الله أن تُلْقَى ركابي   سراعاً إذ وردن على ضمير
طوال الدهر أو يرضى لبيد   وكان الضيف محفوفا بخير
سنلطم منذراً أو وجه عمرو   ولو دخلا بيثرب في است عير
فإن تَكُ لطمة أدركتموها   فلما يدركوا بدم الزبير[2]

وكان المنذر بن الزبير صديقاً لعبيدالله بن زياد ، فوفد عليه حين ولي الكوفة ، فرصده رجال من بني تميم منهم :

نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة ، ورجل من بني ظاعنة يقال له قتب وظاعنة أخوه تميم وحاضرتهم مع بني عبدالله بن دارم ، وثالث معهم ، وجاء المنذر بن الزبير يوم جمعة يريد المسجد فلطمه أحدهم ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، فدخل المنذر على عبيدالله فقال له : ما أتيتك حتى ظننت أن الجدران ستلطمني ، فأرسل ابن زياد إلى محمد بن عمير بن عطارد ، ولم يكن

---

١ ـ شعر عبدالله بن الزبير الأسدي ـ ط . بغداد ١٩٧٤ ص ٧٣ .
٢ ـ لم ترد الأبيات في شعر مسكين المطبوع في بغداد ١٩٧٠ .

فيمن لطمه ، إلا أنه قد أمرهم بلطمه . فحبسه في السجن ، وأخذ نعيماً وأصحابه فضربهم بالسياط ، ويقال إنه قطع أيديهم .

وقال ابن الأعرابي : قال المفضل : لما قدم منذر بن الزبير على ابن زياد بعد لطم عَمْرو لبيداً ، لطم محمد بن عمير منذراً ، فأخذه ابن الزبير فضربه ، وجاءت بنو أسد بن خزيمة لتلطم تميماً غضباً لآل الزبير ، لأن أم خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ أبي العوام . وجدة الزبير زهرة بنت عمرو بن حنثر من بني كاهل بن أسد بن خزيمة ، فيقال إنه لم يبق تميمي ظهر لهم إلا لطموه فقال شاعر بني تميم :

ونحن لطمنا منذراً يوم جمعة إذا نهلت منا الأكف نعيدها
لطمناه حتى أسبلت بدمائها خياشيم كانت مُسْتكنّاً قصيدها
رأى منذر دفّاع موجٍ عَرَمْرَمٍ وكثرة أيدٍ لَمْ تجد من يذودها
فقل لبني العوام ينهوا سفيههم عن الجهل لا تُنكأ بلطم خدودها

وقال بعض بني أسد :

لطمناكم ألفاً بلطمة منذر بأيدٍ كرام لم تجد من يذودها

ويقال إن عمر بن سعد بن أبي وقاص نازع ابن أم الحكم عند معاوية فأجابه عنه لبيد بن عطارد ، عن ابن أم الحكم وكان ابن أم الحكم مائلاً إلى بني حنظلة ، فقام معاوية فدخل إلى أهله ، فقال عمر بن سعد : يا معاشر قريش أما أحد منكم يكفيني هذا الكلب التميمي ، فقال عمرو بن الزبير لغلام له : إئت صاحب العمامة الحمراء فَاكسر أنفه ، ففعل الغلام ذلك ، فصاح لبيد : يا أمير المؤمنين أَيُفْعَلُ هذا بي في دارك ؟ فخرج معاوية وأمر بضرب الغلام ، فقال لبيد : ما يقنعني هذا . فقال معاوية : أيضربك

الغلام وأضرب عَمْراً ؟ لستُ بفاعل ، وبلغ الخبر بني تميم ففعلوا بمنذر ما فعلوا .

وقال ابن همام السلولي لعبدالله بن الزبير ، في قصيدته التي رفع فيها على العمال يذكر محمد بن عمير لأن ولايته أذربيجان كانت من قبله .

وآخران من العمال عندهما بعض المنالة إن تأخذهما تنل
محمد بن عميرٍ والذي كذبت بكرٌ عليه غداة الروع والوهل

وكان الحجاج بعث إلى محمد بن عمير يوم رستاقاباذ يأمره أن ينصره ، فقال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ، فلما ظهر قال له : يا بن دُهمان . أنت القائل لا ناقة لي في هذا ولا جمل ، لا جعل الله لك في مثلها ناقة ولا جملاً ولا رحلاً ، وكان يقال ان عميراً أباه صدر عن عكاظ ، فمر ببني دهمان فأخذوا امرأته ، ثم ردوها حاملاً .

وكتب عبد الملك إلى محمد بن عمير : من سراة أهل العراق ، فاكتب إليَّ بسيرة الحجاج ، فأتاه بالكتاب وكتب بكل ما أراد فشكره على ذلك .

وقال أبو عبيدة : دخل الكوفة قوم من الخوارج ممايلي الحيرة ، فأخذوا بأفواه السكك ممايلي الحيرة ، وكان حَوشَب بن يزيد على شرطة الكوفة ، فتحصن في القصر ، وذلك في أيام بشر بن مروان ، ويقال في أيام الحجاج فحارب الخوارج إياس بن حصين بن زياد بن عُقفان بن سويد بن خالد بن أسامة بن العنبر بن يربوع بن حنظلة بن مالك في بيته وقومه ، فقتلهم إلاّ من هرب منهم ، وهجا جرير بن عطية محمد بن عمير بن عطارد ، وقد كان

محمد بن عمير وهو والي اذربيجان غزا موقان[١] ، وقد جاش أهلها وهاجوا وظاهروا قوماً من الديلم فهزموه ، وأخذوا رايته فسار اليهم عَتّاب بن ورقاء وهو على قزوين والري ودستبى ، فقتل منهم خلقاً وأسر ، وأخذ راية محمد بن عمير فقال جرير :

هَلاَّ طعنتَ الخيل يوم لقيتها طعن الفوارس من بني عُقفان
ردوا السلاح إليّ آل عطاردٍ وتعاوروا ضرطاً على الدكان[٢]

فعيَّره بانهزامه وبضرطة لبيد عند زياد بن أبي سفيان ، وقال جرير أيضاً :

ما كان من ملك ولا من سوقةٍ رجل ينفره على عتاب
أنت استلبت لنا لواء محمد وأقمتَ بالجبلين سوق ضراب[٣]

وقال بعضهم : كان بنو عقفان مع عتاب فضاربوا وصبروا ، وكان لهم غناء .

وقد روي في تفسير قول جرير في محمد بن عمير قول غير هذا ، وسنذكره في خبر يربوع إن شاء الله .

وولد عمير أيضاً : عطارد بن عمير ، وأمه وأم محمد بن عمير واحدة ، وهي عمرة بنت حنظلة بن بشر بن عمرو . والعباس بن عمير . وجعفر بن عمير .

وولد محمد بن عمير بن عطارد : عمرو بن محمد . وقعقاع بن محمد .

١ ـ موقان ولاية جبلية فيها قرى ومروج كثيرة ، وهي بأذربيجان . معجم البلدان .
٢ ـ ديوان جرير ص ٤٧١ .
٣ ـ ليسا في ديوان جرير المطبوع .

وحصين بن محمد ، وكان يقال فتيان الكوفة ثلاثة : عمرو بن محمد بن عمير بن عطارد . وخالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي . وحوشب بن يزيد بن رويم . قال الشاعر :

فلست بمحمود ولا بمحمدٍ ولكنما انت الخِبطّ الحُباتر[١]
ولست كعتّاب ولا ابنك كابنه إذا الشّول[٢] أمْسَتْ وهي حُدْبٌ حَدَائر

وقال الشاعر :

أرىٰ خالداً يختال مشياً كأنه من البغي فينا معبدٌ أو عُطَارد

ولم يبق لمحمد بن عمير عقب .

أما عطارد بن عمير بن عطارد بن حاجب فولد : ضرار بن عطارد ، وكان القعقاع بن ضرار بن عمير ولي شرطة الكوفة لعيسىٰ بن موسىٰ ، وولي ضرار فسا ودرأبجرد لخالد بن عبدالله ، وتزوج مسلمة بن عبد الملك أسماء ابنة ضرّار . وقال ابن شبرمه في القعقاع بن ضرار بن عطارد بن عمير :

إني نعي لي قعقاعٌ فأوجعني وهل لنا في تميم مثل قعقاع

وولي عمر بن العباس بن عمير سجستان لأمير المؤمنين أبي العباس ، وفيه يقول الراجز :

لذي الفعال عمر بن عباس أروع بسّام كريم المعطاس

فخرج جنده عليه فقتلوه وكانت قوس حاجب عند ولد جعفر بن عمير .

---

١ ـ الحبتر : الثعلب والقصير ، وأتوا خبطه خبطة : قطعة قطعة ، واختبط : سار على غير هدى . القاموس .

٢ ـ الشول : الإبل التي أتى على حملها أو وضعها سبعه أشهر فجف لبنها ، ولحقت بطونها بظهورها . القاموس .

ومن ولد حاجب بن زرارة : قيس بن عُطارد بن حاجب بن زرارة ، وابنه مسعود بن قيس ولي ولايات ، وفيه يقول ابن همام السلولي :

والدارميّ يطوف الهرمزانُ به   في هيئة بُدِّلَتْ من رعيه الإبل

فخرج مع ابن الأشعث ، فأخذ أسيراً ، وأُتي به الحجاج فأراد أن يخلي عنه ، فقال يزيد بن علاقة السكسكي : ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزُبُر﴾[١] ؟ فقدمه الحجاج فضرب عنقه .

وأما لقيط بن زرارة بن عُدُس فكان يكنىٰ أبا دَخْتَنُوس ، وكان يأتي كسرى فيحبوه ويكسوه ، وسمى ابنته دختنوس باسم امرأة من العجم ، وكانت كنيته أولاً أبا نهشل أيضاً ، وقال أبوه : لقد عَلَتْ بك الخيلاء ، فلو كنت نكحت بنت قيس بن مسعود أو أفأت مائة من عصافير الملك ماعدا الكذب ، فتزوج ابنة قيس واعطاه الملك مائة من عصافيره ، وفيه يقول مسكين الدارمي :

وذا القرنين آخاه لقيط   وكان صفيُّهُ دون الرجال[٢]

وذو القرنين : المنذر بن المنذر . وشهد لقيط بن زرارة يوم شعب جبلة ، وكان على تميم والرباب ، وأقبل يومئذٍ على برذون مجفف[٣] بديباج ، وعليه سرج مذهب من سروج كسرىٰ ، وكان أول عربي جفف . وجعل يقول :

إن الشُّواء والنَّشيل[٤] والرُّغُف   والقَينةُ الحسناء والكأس الأنف

١ ـ سورة القمر ـ الآية : ٤٣ .
٢ ـ شعر مسكين الدارمي ص ٦١ .
٣ ـ التجفاف : آل للحرب يلبسه الفرس والانسان ليقيه في الحرب . القاموس .
٤ ـ النشيل : أخذ اللحم من القدر قبل النضج . النهاية لابن الأثير .

وصَفوة القدر وتعجيل الكتف ... للطاعنين الخيل والخيل قطف
عرفتكم فالدمع بالعين يكف ... لفارس أتلفتموه ما خلف[١]

يعني معبد بن زرارة هلك عند بني عامر وهو في أيديهم ، وحمي لقيط وبينه وبين شريح بن الأحوص جرف منكر فجعل شريح يقول له :

إن كنتَ ذا صدق فاقحمه الجُرُف ... وقرب الأشقر حتى تعترف

فجعل لقيط يقول لفرسه : «إنْ تَقَدَّمْ تُنحر ، أو تَأَخَّرْ تُعْقَرْ»[٢] ، وأقحمه الجرف فطعنه شريح فسقط مرتثاً ، ويقال إن الذي طعنه : جَزْء بن خالد بن جعفر بن كلاب ، وانه القائل له : أقحمه الجرف . وقال قوم : إن الذي طعنه عوف بن المنتفق بن عامر العقيلي ، والأول أثبت ، وبنو تميم يقولون إن لقيط اقتحم الجرف فوقصه فرسه .

وقال الكلبي : لما طعنه شريح فارتثَّ جعل يقول عند موته :

يا ليت شعري عنك دختنوس ... إذا أتاها خبر المرموس
أتحلق القرون أم تميس ... لا بل تميس إنها عروس[٣]

وجعل بنو عبس يضربونه وهو ميت فبلغ ذلك دختنوس فقالت :

لقد ضربوا وجهاً عليه مهابة ... وما ان تبالي الصخرة الصلد من ردا
فلو أنكم بتم غداة لِقيتم ... لقيطاً صبرتم للأسنة والقنا[٤]

---

١ ـ النقائض ج ٢ ص ٦٦٣ .
٢ ـ في النقائض ج ٢ ص ٦٦٤ :
أأشقر إن لم تقدم تنحر ... وإن تأخر عن هياج تعقر
٣ ـ النقائض ج ٢ ص ٦٦٥ .
٤ ـ النقائض ج ٢ ص ٦٦٥ .

ويقال إن الربيع بن زياد العبسي قال للقيط : إن كنت صادقاً فأوثب فرسك الجرف .

وكانت دختنوس بنت لقيط عند عمرو بن عمرو بن عُدس ، وكان أبرص شيخاً ردىء الفم ، فوضع رأسه في حجرها فسال لعابه فتأففت فقال : أتحبين أن أفارقك ؟ قالت : نعم . فطلقها فنكحها فتى من بني زرارة جسيم وسيم .

ثم إن بكر بن وائل أغارت على بني دارم فنبهته دختنوس وهي تظن به خيراً ، وكانت قبل ذلك تنهبه للصبوح فيقول : لو لغارة أيقظتني . فلما نبهته قالت : الغارة يا فلان . فجعل يحبق ويقول : الغارة الغارة حتى كاد يموت فضربت العرب به المثل فقالت : أجبن من المنزوف ضرطاً . وأدركتهم الخيل فأُخذت دختنوس فحمل عمرو بن عمرو الأبرص فقتل من القوم ثلاثة ، وتخلص دختنوس وانصرف بها وقال :

أيُّ زوجيك وجدت خيرا أألعظيم فيشةً وأيرا
أم الذي يأتي العدو سيرا

ثم إنهم أجدبوا فبعثت إلى عمرو تطلب منه حلوبة ، فقال عمرو لرسولها : قل لها : «الصيفَ ضَيَّعْتِ اللبن»[1] . فذهبت مثلاً .

فلما رجع الرسول بالرسالة إليها أحاطت على منكب زوجها وقالت : هذا ومذقه خير .

وحدثني أبو عدنان عن أبي زيد عن أبي عمرو بن العلاء قال : عيّر

١ - أي تركتِ الشيء في وقته وطلبته في غير وقته . الفاخر للمفضل بن سلمة ط . القاهرة ١٩٦٠ ص ١١١ .

زرارة لقيطاً بالزهو والخيلاء وقال له : لو كنت نكحت ابنة قيس بن مسعود وأَفَدْتَ مائة من العصافير ما زدْتَ على ما أنت عليه ، فلما دخل الشهر الحرام استتبع رجلاً من بني دارم يقال له قُراد بن حنيفة فركبا حتى أتيا بني شيبان فوقفا على مجلس بني هَمام بن مرة فقالا : انعموا صباحاً . فقال القوم : وأنتما . فقال لقيط : أفيكم قيس بن مسعود ؟ فقالوا : هو هذا . فقال قيس : ما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً إليك . فغضب قيس وقال : ألا كان هذا في السر ؟ فقال : ولم يا عم ، فوالله إنك لَرَفْعَةٌ وما بي قصاة ، ولئن سارَرْتُكَ لا أخدعُك وإن عالنتك لا أفضحك . قال : من أنت ؟ قال: لقيط بن زرارة. قال: كفؤ كريم أَنِخْ فقد أنكحتُكَ القدور بنت قيس ، وبعث قيس إلى أمها إني قد أنكحتُ ابنتك لقيط بن زرارة ولا يجمل بنا أن يبيت فينا عزباً وله فينا امرأة فَمُرِي بالبَلَق[1] أن يضرب ويصلح ما يحتاج إليه ، وجلس لقيط مع القوم فتذاكروا الغزو فقال لقيط : الغزو أَحَدُّ للرماح وأَدَرُّ للقاح ، والمقام أَحَبُّ إلى النساء وأسمن للجمال ، فأعجب قيساً كلامه ، وبعثت أم الجارية بمجمر فيها دخنة وقالت لجاريتها : إن ردَّهَا فما فيه خير ، وإن جعلها تحته فما عنده خير ، فلما جاءته بالمجمر دَخَّنَ شعره من كلا جانبيه ثم رد المجمر ، فقالت المرأة : إنه لخليق للخير ، فلما أَجَنَّ عليه الليل أُدخلت الجارية عليه في البَلَق فضمها إلى نفسه وطرح عليها خميصته فذهب به النوم ، فلما رأته الجارية قد نام قامت وذهبت إلى أهلها فانتبه فلم يرها فقام وركب وصاحبه راحليتهما سراً ومضيا ، فقال القوم حين أصبحوا : غدر بك . فقال : كلا إنه لأكرم من أن يغدر . ومضى حتى أتى

١ ـ بهامش الأصل : المضرب الكبير .

والي الحيرة فأعلمه تزويجه وسأله فأعطاه مائة من الإبل فبعث بها إلى قيس بن مسعود مع قراد وقال : قل له هذا صداق ابنتك ، ثم مضى إلى كسرى فأعطاه ديباجاً وجوهراً ، ثم رجع إلى قومه . وجهز قيس ابنته وحملها إلى لقيط فلم تلد حتى قُتل لقيط يوم جبلة ، فبعث إليها أبوها يُقسم عليها ألا تخمش وجهاً ولا تحلق ، وأمر فحُملت إليه فقالت حين استقلت بها ناقتها : نِعْم الأحماء كنتم فجعل الله مالكم في خياركم ، وحَبَّبَ بين نسائكم وعادى بين رجالكم ، وزوجها أبوها رجلاً من قومه فجعلت لا تنسى لقيطاً ، فقال لها : ما أراك تنسينه ؟ فقالت : وكيف أنساه ؟ لقد ركب فرسه وأخذ رمحه وخرج يتصيد فعرضت له بقرة فعقرها واشتوى من لحمها ، ثم أقبل فقمت إليه فضمني ضمة وشمني شمة فوجدت منها أطيب رائحة ، قال : ففعل زوجها مثل ذلك فضمها إليه ثم قال : كيف ترين ؟ قالت : «مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصُدَّى»[1] .

وقال أبو عمرو بن العلاء : كانت أم دختنوس من بني سحيم من بني حنيفة وتزوج دختنوس عمرو بن عمرو ، وكان عمرو أبرص أبخر يقال لولده أفواه الكلاب ، ثم تزوجها عمير بن معبد بن زرارة ، فمات عنها .

وقال الكلبي : ان القَذُور قالت : أوصيكم بالغرائب شراً ، فوالله ما رأيت مثل لقيط لم يحلق عليه شعر ، ولم يخمش وجه .

وأما علقمة بن زرارة بن عُدس فكان رئيساً ، وغزا بكر بن وائل فقتله

---

١ ـ أي لست مثله ، والسعدان شيء تعتلفه الإبل ، وهو من أفضل مراعيها ، وصدًى : ركية لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها . الأمثال لأبي عبيد ص ١٣٥ . وجاء بهامش الأصل : صُدى : ركية .

بنو قيس بن ثعلبة ، فجمع لقيط فغزاهم فقتل أُشْيَم أحد بني عوف بن مالك بن قيس بن ثعلبة وقال :

آليتُ لا آسى على هلْك هالكٍ ولا رزء يومٍ بعد يومك علقما
فإن يقتلوا منا كريماً فاننا أَبَأْنَا به مولى الصعاليك أشيما
جدعنا به أنف اليمامة كلها وأصبح عرنين اليمامة أكشما[1]

ومن ولد علقمة بن زرارة : المأموم بن شيبان بن علقمة بن زرارة ، واسم المأموم حنظلة ، وأمه عكرشة بنت حاجب بن زرارة ، والمقعد بن شيبان بن علقمة ، وأمه ابنة عمرو بن عمرو بن عُدُس . ويزيد بن شيبان . وفيه تقول أمه مَهْدَد ، وهي من بني قيس بن ثعلبة :

هَلَّا غلام ولدته مَهْدَد ليس بمأموم ولا هو مُقْعد

وكان نساباً عالماً وكان له قدر وسؤدد .

وفيه يقول أبو شذرة الهجيمي :

لقد مات بالقرعاء من آل دارم فتى لم يكن في أمره بمؤنب
يزيد بن شيبان بن علقمة الذي اذا قلت ذاك المصطفى لم أُكذَّبِ

وكان يكنى أبا حنظلة ، وقتل حنظلة بن شيبان بن علقمة بن زرارة يوم خَوٍّ وهو يوم كان بين هذا البطن فيه وبين بني عبيد بن خزيمة بن زرارة قتال بسبب قتل قيس بن ضرار بن القعقاع بن معبد المقدام بن جحش ، ويقال ابن جحوش ، وهو أثبت . وقتل سبعة عشر رجلاً منهم ابنٌ لمعبد بن القعقاع وقال ابن أُصَيْلة أحد بني عُبيد :

وسائلة عن يوم خَوٍّ ولو رأت مصارعَنا لاستعبرتْ وأَرَنَّتِ

---

١ ـ الكشم : قطع الأنف . القاموس .

قالوا : وسمي حنظلة بن شيبان المأموم لأن ابراهيم بن القعقاع بن معبد ضربه على رأسه فَأَمَّه .

وكان من ولده : عُثْجِل بن المأموم أسرته بكر بن وائل يوم الوقيظ ، وهو يوم تجمعت فيه بنو ثعلبة بن عكابة وبنو عجل وعنزة بن أسد بن ربيعة على بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، واقتتلوا فطعن بشر بن العوراء من بني تيم اللات ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة . وبارز عمرو بن قيس العجلي عثجل بن المأموم بن شيبان بن علقمة بن زرارة فأسره ، وَمَنَّ عليه ففخر بذلك أبو النجم العجلي[1] وهو الفضل بن قدامة فقال :

وهُنَّ يَرْفُضْنَ الحصى المُزَمَّلَا بالقاع إذ بارز عمرو عثجلا

فقال جرير لغمامة بنت الطود بن عبيد بن خزيمة بن زرارة بن عدس ، وكانت أُخذت يومئذ :

أغمامُ لو شهد الوقيظ فوارسي ما قيدَ يُعتل عثجل وضرار

وزعموا أن طيسلة العجلي أسر حنظلة المأموم ، فاشتراه رجل من بني تيم اللات بمائة بعير ، ثم حبسه عنده وقدم به الكوفة ليفاديه وبالكوفة علي بن أبي طالب عليه السلام فانتزعه وقال : لا أسار في الإسلام .

وتزوج عبدالله بن عبد الملك بن مروان ابنة معاوية بن يزيد بن شيبان أخي المأموم ، وتزوج إليه محمد بن القاسم بن محمد الثقفي .

وكان لقيط بن يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة سيد يقري

---

١ ـ من رجاز الإسلام الفحول المقدمين ، وفي الطبقة الأولى منهم . الأغاني ج ١٠ ص ١٥٠ ـ ١٦١ .

الأضياف ، فقال الشاعر صَدْر بن الأعور[1] من ولد الحارث بن زرارة :

فإنك لم تشهد لقيطاً وفعله وإن أنت أطعمت الأرز مع السمن

يعني لقيط بن يزيد .

وكان عمير بن المأموم محدثاً ، ولقي الحسين بن علي عليهما السلام ، وروى عنه أحاديث .

وأما أبو الحارث بن زرارة فكان أصغر ولد زرارة وسبى ابنته أمامة الديان الحارثي في الجاهلية ، وقال : أتتكم أمامة ، وما أمامة ، بيضاء كرامة بِخَدّهَا علامة خالٌ لها وشامة ، فولدت في بني الديان ، ولحق عبيدة بن الحارث ببني الحارث بن كعب فكان لقيط بن زرارة ينشده بالموسم فيقول :

يا من أَخَسّ عبدنا عبيده وأمه من قيننا تليده

فانصرف من عند بني الحارث إلى حاجب بن زرارة ، فسأله فلم يعطه ، فأغار على إبل أكثم بن صيفي فذهب منها بإبل كثيرة ، فأتى أكثم حاجباً فقال له حاجب : اختر من إبلي عدة إبلك ، فاختار ذلك ، وانصرف عبيدة إلى بني الحارث ، فتزوج امرأة من جَرْم ، فمن ولده شريح بن عامر بن عبد ، وهو الأعور ، فلما ولي الربيع بن زياد الحارثي خراسان أتاه فولاه بعض أعمال سجستان ، فأصاب مالاً فتزوج ابنة ضرار بن القعقاع ، فولدت له صدر الأعور واسمه بشر ، وقال رجل من بني ضبة يهجو صدراً واسمه بشر :

أنختُ إلى صدر قلوصي وليتني نفذت وجاوزت الصدور إلى القفر

---

١ ـ سيرد فيما بعد باسم : صدر الأعور دون /ابن/ .

نَمَتْ بك للأنساب أمٌ كريمةٌ حَصَانٌ ولكن من أَخسّ أبا صدر
فإنك لم تشبه لقيطاً وفعله وإن أنتَ أطعمتَ الأرز مع التمر

وقال الفرزدق يهجوه ، وذلك أن رجلاً من البراجم قطع أنف رجل من بني تميم فحملت ديته ، فأتى صدراً فلم يُعِنْهُ فقال :

لحى الله صدراً من منادى إلى التي بأمثالها ضاقت صدور البراجم
فلو كان صدر دارمياً أجابنا ولكن صدراً ليس من صلب دارم[1]

ومن ولد الحارث بن زرارة : امرىء القيس ويكنى أبا شوّال وذكره جرير فقال :

أبنو طهيّة يعدلون فوارسي وفوارساً فيهم أبو شوال[2]

وجاء الإسلام وعنده ابنة امرأته فرفع ذلك عوف بن القعقاع إلى عمر رضي الله عنه ، ففرق بينهما .

ومن ولد امرىء القيس هذا : عبيدة بن الربيع بن امرىء القيس ، وكان اصطحب والفرزدق من القرعاء ، فَضَلَّ عبيدة وكان دليل القوم ، ثم وقع على الطريق فساق الفرزدق الإبل وارتجز فقال :

يابن ربيع ما رأيت أحدا يبقى على الأيام أو مُخلدا
كأنما كان عبيداً إذ هدى بالغور حتى أنجدت وأنجدا
قلائصاً إذا عَلَوْنَ فدفدا يرمينَ بالطرف النجاد الأبعدا

١ ـ ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .
٢ ـ ليس في ديوان جرير المطبوع .

فـإنهُنَّ إذ جَعَلْنَ ثهمـدا[1] ذات اليمين وافترشن الفرقدا[2]
تفوح منهن نعاماً أبدا

وأما خزيمة بن زرارة ، وبه كان يكنى زرارة ، وكان أكبر ولد زرارة ، وكان شريفاً ، وكان من ولده عبدالله بن خزيمة ، وكان حاجب في غارة فَعُقِر فرس حاجب فعطف عليه وقال : اركب أبا العِكرش فأردفه ، فقال عبدالله في ذلك :

أتنسى إذ عطفت وأنت تدعو بذات الرمث إذ سقط اللواء
فإن تكفر ولا تشكـر بلائي فعنـد الله يلتمس الجـزاء

وكان قد وقع بين بني القعقاع بن معبد بن زرارة ، وبني عبيد بن خزيمة بن زرارة وإخوته شرٌّ فاقتتلوا بخوّ ، فقتل بينهم قتلى ، فقتل المخشّ سيد بني عبيد ، فقال شاعر من بني عبيد .

وسائلة عن يوم خَوٍّ ولو رأت مصـارعنـا لاستعـبرت وأَرَنَّـتِ
هُمُ وَرَدُوا وِرْدَ الكـرام وأنهلوا صدور القَنَا بالطعن حتى أسبغلت[3]
عمـرت ونفسي بالمخشّ ضنينـة حذار الردى لو عُوفِيَتْ حين ضَنَّتِ
فلم تَلْقَ قعقاع لها في لقـائنا هـواها ولا من أمـرنا مـا تَمَنَّتِ

وأُخذ رجل من بني خزيمة بن زرارة يقال له خزيمة بالمدينة فقدمه مُوَرَّقُ بن قيس بن عوف بن قعقاع إلى يحيى بن الحكم وهو على المدينة ، فأقاده له فقال مورق :

١ ـ جاء في ديوان الفرزدق ثمهدا وفي معجم البلدان : ثهمد جبل في ديار بني عامر أو في ديار غني .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٦٦ مع فوارق .
٣ ـ اسبغل الثوب : ابتل .

شفى النفس يوم بالبقيع شهدته على آل طودٍ شَرُّهُ متطاول
غداة اجتمعنا عند يحيى أخي التقى فكان أبو مروان أكرم فاعل
مَشَى بين أعلى منكبيه ورأسِهِ طويل نجاد السيف رخو الحمائلِ

يعني الذي ضرب عنق الرجل . والطود هو ابن عبيد بن خزيمة بن زرارة بن عدس ، وكان الطود شريفاً .

ومن بني عبيد بن خزيمة : حنظلة بن أُصيلة وأمه بنت البياع ، وله يقول جرير :

قيس تُعَدُّ لك السليل ومعبداً وفخرت يابن أُصيل بالبياع[1]

قيس بن ضرار بن معبد بن زرارة والسَلِيل الشيباني ، وأم قيس من ولد السليل . وقال الأشهب بن رميلة في يوم خَوّ :

فإن الذي مارت[2] بخوّ دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
هُمُ ساعد القوم الذي يتقى به وما خير كفٍ لا تنوء بساعد
أويت لعبدالله مما أصابها وغبت ولم تنفع شهادة شاهد
أسود شرىً لاقت أُسودَ خَفِيَّةٌ تساقوا على لوح دماء الأساود

وأما لبيد بن زرارة فولد : صامت بن لبيد وبقيتهم قليلة .

وأما معبد بن زرارة فكان يكنى أبا القعقاع وقد رأس ، فأسرته بنو عامر بن صعصعة يوم رحرحان ، فصيروه بالطائف عند أبي عقيل جد الحجاج ، فكان يؤتى به الموسم في كل سنة ليفدى وطلبوا فداءه ألف بعير ، فقال لقيط : صبراً أبا القعقاع فإنا لا نقدر على هذا . فقال معبد : ما كان

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٢ ـ مارت : جرت . القاموس .

ليلقاني أحد من إخوتي أشد بغضاً لي منك . فمات هزلاً وضعفاً وكانوا يأتونه باللبن فيقول : كيف أقبل قراكم وأنا في القَدّ ، إني إذاً لمهياف ، أي عطشان ، فكانوا يعمدون إلى شظاظ فيجعلونه بين أسنانه ويوجرونه لئلا يموت ثم إنه هلك عندهم .

وكان سبب يوم رَحْرَحان[1] أن خالد بن جعفر بن كلاب جمع لبني عبس وحاربهم، فاضطرب وزهير بن جذيمة بن رواحة العبسي بسيفيهما، وسقط زهير تحت خالد فضربه خُنْدُجُ بن البكاء فقتله ، ومضى خالد بن جعفر إلى النعمان فاستجار به خوفاً من أن يطلبه قومه بنو عبس بدم زهير ، وغضبت غطفان لقتل زهير ، فضمن لهم الحارث بن ظالم أن يفتك بخالد ، فقدم على النعمان فحياه وواكله ، ثم إنه دخل على خالد فقتله ، ثم جاء إلى بني زرارة بن عدس فكان المتولي لإيوائه معبد بن زرارة ، وكان يحوطه ، فلما علم الأحوص بن جعفر بذلك خرج ببني عامر يريد بني دارم ليطلب حارثاً بدم أخيه خالد ، فالتقوا برحرحان فاقتتلوا ، وطُعِن معبد بن زرارة في كُدْرة الخيل وكبتها ، فسند في هضبة فأبصره عُضْروطٌ[2] لعامر والطفيل ابني مالك ، وهو رجل من غني فحدره إليهما وهو يستدمي ، فأسراه وأثابا الغنويّ عشرين بعيراً ، وقال عوف بن الخَرِع التيمي يعير لقيطاً :

هلا كررت على ابن أمِك معبد | والعـامـريّ يقـوده بصفـاد
وذكرت من لبن المحلق[3] شربة | والخيل تعدو بالصعيد بَدَاد

١ ـ بهامش الأصل : يوم رحرحان .
٢ ـ الكدرة : المثار من المدر أي الغبار . والعضروط هو التابع أو الأجير . القاموس .
٣ ـ بهامش الأصل : كانت ابلهم موسومة بحلق ذهب .

وقال عامر بن الطفيل :

قضينا الحي من عبس وكانت منيـة معبـد فينـا هُـزالا[١]

فولد معبد بن زرارة : القعقاع[٢] أمه معاذة بنت ضرار بن عمرو الضبي ، وعمير بن معبد . وعدس بن معبد . وظالم بن معبد . وناهش بن معبد . وليس لهم عقب إلا القعقاع ، وتزوج دختنوس عمير بن معبد ، وهلك فقالت :

أَعَيْنِيْ ألا فابكي عمير بن مَعْبد وكان ضروباً باليدين وباليد

قالوا : وكان القعقاع بن معبد بن زرارة يكنى أبا الحصين ، وكان يأخذ المرباع ونُفِّر القعقاع على خالد بن مالك النهشلي ، نفَّره عليه ربيعة بن جدار الأسدي وكانا تنافرا إليه . ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وفيه يقول المسيب بن علس الضبعي :

ولأهدينَّ مع الرياح قصيدة مني مغلغلة إلى القعـقـاع
أنت الوفي فلا يُذم وبعضهم يودي بذمته عقاب ملاع[٣]
وإذا السراة تدافعت أركانها فُضِّلْتَ فوق أكفِّهم بذراع
ولـذاكُمُ زعمت تميم أنـه أهلُ السماحة والندى والباع

وأدرك القعقاع بن معبد الإسلام ، ووفد إلى النبي ﷺ مع خالد بن مالك النهشلي ، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله استعمل هذا ، وقال عمر رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله استعمل ذاك ،

١ ـ ديوان عامر بن الطفيل ـ ط . دمشق ١٩٩٤ ص ١٩٩ .
٢ ـ بهامش الأصل : القعقاع بن معبد رحمه الله .
٣ ـ الملاع : المفازة لا نبات بها ، وقولهم : أودت بهم عقاب ملاع : من نعت العُقاب أو هي العُقيب التي تصيد الجرذان . القاموس .

فاستعمل واحداً منهما ، وزعموا إنه نزلت فيهما : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾[١] ، وذلك أنهما تكلما ورفعا أصواتهما .

فولد القعقاع بن معبد : حصين بن القعقاع وأمه ليلى بنت حاجب بن زرارة . وضرار بن القعقاع . ونعيم بن القعقاع . والأهتم بن القعقاع . والمجشر بن القعقاع ، وأمهم عُميرة بنت عطارد بن حاجب بن زرارة . وعوف بن القعقاع . ومعبد بن القعقاع ، وشهاب بن القعقاع . وخولة كانت عند طلحة بن عبيدالله ، فهلك عنها فتزوجها أبو جهم بن حُذيفة العدوي [illegible]

وقال الكلبي : كان يقالَ للقعقاع بن معبد بن زرارة تيار الفرات لجوده .

وكان حصين بن القعقاع مخضرماً ، وكان شاعراً وقتل يوم القادسية ، وكان يكنى أبا جَهْمَة ، وجَهْمَة ابنة له .

وكان ضرار بن القعقاع سيداً ، ويكنى أبا نعيم ، ومن ولده : النجم بن بسطام .

وأخوه بدر بن ضرار بن القعقاع ، كان سيداً بالبصرة . وبسطام بن ضرار القائل :

أنا ابن بني زرارة من تميم ومن شيبان في الحسب الجسيم

وتزوج جعفر بن سليمان بن علي أم عمر بنت النجم بن بسطام ، وكانت أم بسطام شيبانية .

وكان نعيم بن ضرار بن القعقاع اعتزل الحرب التي كانت بين أهله

١ ـ سورة الحجرات ـ الآية : ١ .

وبين بني عبيد وقال :

لا ينتهي نوكاكم قبل وقعة لها في وجوه الظالمين وشوم
فيظعن بيت العز عنكم لجهلكم ويصبح بيت الذل وهو مقيم

وقال بسطام بن ضرار بن القعقاع يعيّر نعيماً وأخاه القعقاع بن ضرار بقعودهما عنه :

رأيتكما ابني بنت سعد بن صامت لئيمين إذْ هزّ الثقاف قفاكما
تقاعستما عني وقد حمس الوغى وأسلمتما عند الحفاظ أخاكما
فإنكما لن تنفعا إن نصرتما وإن تخذلاني لا يُضِرْني رداكما

وكان ممن لم يحضر تلك الحرب يوم خوّ قيس بن ضرار بن القعقاع لأنه هرب إلى أخواله بالجزيرة فقال جرير :

وترى القتال مع الكرام محرماً وترى الزناء عليك غير حرام(١)

ومات قيس بالجزيرة .

وأما نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة فقتله بشر بن مروان بن الحكم بالكوفة أيام ولايته إياها ، لأن حوشب بن يزيد سعى إليه به ، وقد ذكرنا خبره مع خبر بشر بن مروان .

وولد نعيم : الهلقام بن نعيم بن القعقاع قتله الحجاج لخروجه مع ابن الأشعث ، ولما أُتي به أسيراً ، قال : أخرجت مع هذا الحائك بن الحائك ؟ فقال الهلقام : خرجت معه لأَلِيَ العراق كما وليته. فقال لحوشب بن يزيد: قم فاضرب عنقه فقتله وقد ذكرناه في خبر ابن الأشعث في أيام عبد الملك بن مروان .

١ ـ ديوان جرير ص ٤٣٨ .

وأما الأهتم بن القعقاع ، فله عقب بالبادية .

وأما المجشر بن القعقاع فكان ناسكاً ، وكان له ابن يقال له سليمان .

وأما عوف بن القعقاع بن معبد فكان أتْيَهُ الناس ، وأعظمهم نخوة وأجفاهم ، قال له رجل : الطريق يا عبدالله ، فقال ، لهدك[1] عبدالله أنا إذا. فقال الحجاج: لو أدركته لتقربت إلى الله بدمه ، وكان مخضرماً .

ومن ولد عوف هذا : القباع بن عوف وأمه أم النعمان قتله هبيرة بن ضمضم بن شريح بن سِيدان بن مرة بن سفيان بن مجاشع ، وذلك أن زياد بن أبي سفيان بعثه إلى بني القعقاع ليأخذهم لأنهم قتلوا حكيم بن برق بقيس بن عوف بن القعقاع ، وقتل قيس في حرب كانت بينهم وبين بني طهيّة بالقرعاء[2] ، وحكيم بن برق طهوي فخرج القباع إلى هبيرة بالسيف وهو يقول :

أنا القباع وابن أم الغمـر من كان لا يدري فإني أدري
هل أقبلنَّ إن قبلتُ ثأري

وقتله ابن ضمضم فقال الفرزدق :

لعمري وما عمـري علي بهـيِّنٍ لبئس المدى أُجرى إليه ابن ضمضم
غزا من أصول النخل حتى إذا انتهى بكنهل[3] أدّى رمحه شر مغنم

---

١ ـ لهده : أثقله ، أو دفعه دفعة لذله ، أو ضربه ، واللهد : انفراج يصيب الابل في صدورها ، وداء في أرجل الناس وأفخاذهم كالانفراج . القاموس .

٢ ـ القرعاء : منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة وقبل واقصة إذا كنت متوجهاً إلى مكة . معجم البلدان .

٣ ـ كنهل : اسم ماء لبني تميم . معجم البلدان .

فكنت كذئب السوء لما رأى دماً　　بصاحبه يوماً أحال على الدم[1]

فدفع هبيره .بناً له صغيراً إلى عوف بن القباع فقتله بالقباع فقال الفرزدق :

وضيع أمري الأقعسان فأصبحا　　على ندم والشر يندم جانبه[2]

فليتكـما يا بْنَيْ سُفَيَّنـة كنتما　　دماً عند رجليها يسيل سبائبه[3]

الأقعسان : هبيرة وأخوه الأقعس ابنا ضمضم وسُفَيَّنة أمهما . وليس للقباع عقب .

وهلال بن عوف بن القعقاع كان من أعبد أهل زمانه وأطولهم صلاة وله عقب بالبصرة .

وكان أُنيف بن معبد بن القعقاع فاراً فعرض على الحجاج ، فقال الحجاج : هذا من أهل بيت جفاء . فقال : غَيْرُنا والله أجفى منا . فلم يعاقبه الحجاج .

وكان شهاب بن القعقاع من نبلاء أصحابه ، وكان قاعداً ذات يوم على ركيَّة فتهدمت فسقط فيها وأخرج ميتاً فقال عوف بن القعقاع :

يا ليت فوقي يجذب الأسباب　　وعاش في أصحابـه شهاب

يعني الحبال التي دليت حتى أخرج بها ، يقول : ليتني الساقط في البئر .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٧٨ . مع فوارق .

٢ ـ بهامش الأصل : خ ـ صاحبه .

٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٣ ـ ٤٤ ، وسبائبه : طرائقه .

خبر زرارة وبني تميم في يوم أوارة :

حدثنا عباس بن هشام الكلبي عن أبيه وخراش بن اسماعيل وغيرهما قالوا : كان عمرو بن المنذر بن امرىء القيس ، وهو عمرو بن هند بنت الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار الكندي ، وعمرو هو مضرط الحجارة ، وسمي بذلك لهيبته وشراسته ، عاقد طيئاً على ألَّا يراعوا ولا يغزوا ، وأن عمراً غزا عبد القيس باليمامة لحدثٍ أحدثوه ، فرجع على غير ظفر بشيء ، فمر بطيء فقال له زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبدالله بن دارم : أبيت اللعن ، أصِبْ من هذا الحي شيئاً ، فقال : ويلك إن لهم عقداً ، قال : وإن كان . فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذواداً ، فقال قيس بن جروة الاجائي .

تخب بصحراء الثوية ناقتي كعدوى رباع قد أَمَحَّتْ نواهقه[1]
إلى ابن امرىء القيس بن هند تزوره وأَخْلِقْ به ألا تُذَمَّ خلائقه
فإنّ نساءً عين ما قيل باطل غنيمة سوء وسطهنّ مهارقه[2]
فأقسمت لا أحتل إلا بصهوة حرامٌ عليَّ رَمْلُهُ وشقائه[3]
وإن لم يغير بعض ما قد صنعتم لأَ نْتَحِينَنْ للعظم[4] ذو أنت عارقه[5]

فسمي عارقاً بهذا البيت فلما بلغ عمراً هذا الشعر غزا طيئاً ، فأسر ناساً منهم فاستوهبهم حاتم الطائي ، فوهبهم له .

---

١ ـ النواهق : عظمان في الساق ، والمراد إنها سمينة .
٢ ـ المهارق : الصحائف ، وهو حرير يسقى صمغاً ، ويصقل ثم يكتب فيه .
٣ ـ الشقائق : قطع غلاظ بين جبال الرمل واحدتها شقيقة .
٤ ـ ذو بلغة طيء : الذي .
٥ ـ النقائض ج ٣ ص ١٠٨١ ـ ١٠٨٢ .

وكان المنذر بن ماء السماء ، وهي أمه من النمر بن قاسط ، وهو أبو عمرو مضرط الحجارة وضع إبناً له يقال له مالك ، ويقال أسعد ، عند زرارة ، وكان صغيراً فلما صار رجلاً ، خرج ذات يوم يتصيد فأخفق ، فمر بإبلٍ لسويد بن ربيعة بن زيد بن عبدالله بن دارم ، وكانت عنده ابنة زرارة بن عُدس ، فأمر مالك ، ويقال أسعد ، ببكرة منها فنحرت وسويد نائم ، فلما انتبه شد على ابن المنذر فضربه بعصا على رأسه فقتله ، وخرج هارباً إلىٰ مكة فحالف بني نوفل بن عبد مناف بن قصي ، فلما بلغ عمرو بن المنذر قتل أخيه فاضت عيناه وبكى ، وبلغ ذلك زرارة فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه فأخذ امرأته وهي حبلىٰ فقال : ما فعل زرارة الغادر الفاجر المنتن ؟ فقالت : إن كان ما علمته لطيب العرق سمين المزق لا ينام ليلة يخاف ، ولا يشبع ليلة يُضاف ، فبقر بطنها وانصرف ، فقال قوم لزرارة : ما أنت والله قتلت أخا عمرو بن هند فَأْتِهِ فاصْدِقْهُ فان الصدق نجاة ، وهو نافع عنده فأتاه زرارة فاعتذر إليه وأخبره الخبر فأمره أن يجيء بسويد فقال : قد لحق بمكة . قال : فأحضرني ولده من ابنتك فأتاه بهم فأمر بأحدهم أن يقتل فجعل يتعلق بجده زرارة فقال زرارة : يا بعضي سَرِّح بعضاً فذهبت مثلاً . وقتلوا أجمعون ، وآلىٰ عمرو بن هند بآليةٍ ليحرقن من بني دارم مائة رجل ، فخرج يريدهم ، وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة بن مِلْقَط الطائي ، فوجد القوم قد نذروا به ، فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلاً بأسفل أوارة من ناحية البحرين ، ولحقه عمرو بن هند في الناس حتى انتهىٰ إلى زرارة ، فضربت له قبة ، وأمر بإخدود فَخُدَّ لهم ، وأضرمت النار حتى إذا تلظت قذف بالثمانية والتسعين الرجل فيها فاحترقوا وأقبل راكب من

البراجم من بني كلفة بن حنظلة ، وقد رأى الدخان فأناخ بعيره وأقبل فاستطعم فقال عمرو بن هند : ممن أنت؟ قال : من البراجم . فقال عمرو : إن الشقي راكب البراجم فذهبت مثلاً ، ورمى به في النار ، فاحترق فهجت العرب بني تميم ، وقال قائلهم :

ألا أبلغ لديك بني تميم بآيّة ما يحبون الطعاما

وأقام عمرو بن هند ثلاثاً لا يرى أحداً فقيل له : أَبَيْتَ اللَّعن ، لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين ، فدعا بامرأة من بني نهشل بن دارم فقال لها إني لأظنك أعجمية فقالت :

ما أنا بأعجمية .
وإني لابنة ضمرة بن جابر .
ساد معداً كابراً عن كابر .
وإني لأخت ضمرة بن ضمرة .
إذا البلاد لُفَّتْ بغمرة .

فقال : والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصرفت النار عنك . قالت : أما والذي أسأله أن يضع وسادك ، ويخفض عمادك ، ويصغر حصاتك ، ويسلبك ملكك ما قتلت إلّا نسيّاً أعلاها ثديّ وأسفلها حليّ ، قال : فأمر بها فقذفت في النار ، فقال ابن الصعق :

وَفَتْ مائة من آل دارم عنوة ووفاهموها البرجمي المخيب

وقال لقيط بن زرارة يعير بني مالك بخدمتهم الملك وإحراقه إياهم :

فأبلغ لديك بني مالك مغلغلة وسراة الرباب
فإن امرأً أنتم حوله يحفّون قبته في القباب

يهين سراتكم عامداً ويقتلكم مثل قتل الكلاب
فلو كنتم إبلاً أملحت لقد نزعت للمياه العذاب
ولكنكم غنم تسترى[1] ويترك سائرها للذئاب[2]

وقال الأعشى :

من مُبْلغٌ عمراً فإنَّ المـ ـرء لم يخلق صبارة
وحوادث الأيام لا يبقـ ـىٰ لها إلا الحجارة
ها إن عجرة أمـ ـه بالسفح أسفل من أوارة
فاقتلْ زرارة لا أرىٰ في القوم أوفىٰ من زرارة[3]

ومن بني عبدالله بن دارم ثم من بني معاوية بن عبدالله : أسماء بن سُمَيّر ، قتله عمرو بن هند يوم أوارة ، ولهم بقية .

ومن بني ذؤيب بن عبدالله : ربيعة بن ذؤيب ، وكان ذا رأى ، وهو الذي بعثه حاجب بفدائه إلى مالك ذي الرقيبة القشيري ، وهو ألف بعير فرد مالك على ربيعة منها ثلاثمائة .

ولغثّة ، وأمية ابني عبدالله بن دارم بقية ، ولوهب بقية أيضاً .

وقال أبو اليقظان : ولد زيد بن عبدالله بن دارم : عبدالله بن زيد ، فصار ولد عبدالله بن زيد بهجر ، وقدموا البصرة فكانوا فيهم ، ثم جاء صعب بن نهشل أحد بني عبدالله بن دارم في أيام مروان بن محمد الجعدي بكتابه إلى سلم بن قتيبة أن يلحقهم ببني عبدالله بن دارم ، فقال رؤبة بن

---

١ ـ استريتهم : اخترتهم . القاموس .
٢ ـ النقائض ج ٢ ص ١٠٨١ ـ ١٠٨٧ .
٣ ـ انظر ديوان الأعشى ص ٧٥ ـ ٧٩ .

العجاج :

أشهـد بالله العـزيـز العـالم ما جاء صعب بحديث آثم

فالحقن دارماً بدارم[١]

وقال شاعرهم :

فما هجر أمٌّ علمت ولا أبٌ فانسب إلا للكريم ابن دارم

فلحقوا به فهم فيهم .

ومن بني زيد بن عبدالله بن دارم : خُليد عَينين ، كان ينزل أرضاً يقال لها عَينان ، وهو القائل :

أيهـا المُوقِـدان شبا سنـاها إن للضيف طارفي وتلادي

واسعراها حتى أرىٰ في سناها ناهضاً بادياً كصفـر الجراد

وعرض خليد عينين لما قال جرير للصلتان العبدي :

أقول ولم أملك أمال ابن حنظل متى كان حكم الله في كرب[٢] النخل[٣]

فقال خليد :

أي نبي كان من غير قرية وما الحكم يا بن اللؤم إلا مع الرسل

فقال الشاعر :

ذَرَنَّ الفخر يا بن أبي خُليد وأدِّ خراج رأسك كل عام

لقد علقتْ يمينكَ رأس ثور وما علقت يمينك من لجام

وقال جرير أيضاً :

---

١ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان رؤبة المطبوع .

٢ ـ الكرب : اصول السعف الغلاظ العراض . القاموس .

٣ ـ ليس في ديوان جرير المطبوع .

كم عمة لك يا خليد وخالة خضرٌ نواجذها من الكراث
نشأت بمنبته فطاب لشمها ونأت عن القيصوم والجثجاث(١)

فلم يجبه خليد فسقط .

ومنهم قراد بن حنيفة بن عبد مناة بن زيد بن عبدالله كان شاعراً ، وهو الذي خرج مع لقيط بن زرارة حين توجه إلى قيس بن مسعود لخطبة ابنته ، وقد كتبنا خبره وفيه يقول لقيط :

أُنظر قُراد بنفسي أنت معترضاً عرض الشقائق هل عاينت أظعانا

وهو قراد مية بنت زيد امرأة من رهطه ، كانت عند حاجب بن زرارة ، فقال لحاجب : طلقها فإني رأيت منها شيئاً لا أحب معه أن تكون عندك فطلقها حاجب فتزوجها قراد ، وانشأ يقول :

وطلق حاجب في غَيْر شيءٍ حليلته لينكحها قراد
فأصبح زوجها قد كان منها مكان السيف من جفن الغماد

وقال قراد أيضاً :

تمنىٰ حاجب وأخوه عمرو لقائي بالمغيب ليقتلاني
وما أجرمت شيئاً غير أني وصلت حبال مُكملة حصان
يخوفنيكما عمرو بن قيس كأني من طهيَّة أو أبان
فلو لم يخش غيركما عدواً لأصبح آمنا صعب المكان

وقال قراد أيضاً :

١ ـ ليسا في ديوان جرير المطبوع ، والجثجاث : كالقيصوم لطيب رائحته ، وهو نبات سهلي ربيعي ، وقيل هو يشبه الشجر أخضر ينبت بالقيظ له زهرة صفراء . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس .

ألا تنهىٰ عبايـة أو عُليم بني الطُوبان عن ظلم الصديق
هُمُ نذروا دمي من غير جرمٍ ولم يـرعوا مـراقبـة الـرفيق
إذا ما نطفة في قعر حوضٍ فلا إلّ يهاب من الشقيق

عباية وعُليم من بني عمرو بن عمرو بن عُدُس . والطُوبان من بني مرة بن زيد بن عبدالله بن دارم أم بني عمرو بن عمرو . وقوله : إذا ما نطفة يعني الماء ، إنهم لا يسقونه شقيقاً ، ولا أحداً ، وهم يعابون بذلك فقتله حاجب بن زرارة لما ركبه به في امرأته ، فتحالفت عند ذلك قبائل عبدالله : مُرّة ، ومالك ، وحارثة ، ومعاوية ، وحِقّ وجَناب وقُتّة ، ووهب ، وأمية على بني عُدُس بن زيد بن عبدالله ، فقالوا لحاجب : أرضهم من حقهم وأعطهم رجلاً يقتلونه بقُراد ، فدفع إليهم امرىء القيس بن أبي الحارث بن زرارة فقال حنيفة أبو قراد : هذا والله القريب الرحم ، القليل الجرم ، وخلى سبيله .

ومن بني مالك بن زيد بن عبدالله بن دارم : عُبيدالله بن مضارب بن حَيّان وكان لسناً عالماً ، وكان في حرب عدي بن أرطاة الفزاري على بعض بني تميم وفي ذلك يقول قدامة بن عبد الرحمن الهلالي :

لقد كثرت عهود الناس حتى تخوفنا من الحـدث العظيم
وعبـدالله والي أمـر بكـر وأنت ولي عهـد بني تميم

عبدالله بن كليب السدوسي على بكر بن وائل . وقال المِرْقال ، وهو زياد ، مولى لبني عمرو بن عمرو ، وكان مكاتباً ، وكان أتى ابن مضارب فسأله فلم يعطه ، وأتى الفرزدق فأعطاه جملاً :

إن تَجْفُ عني يا بن حيان يَكْفني وإياك حمال المئين ابن غالب

فتىً كان خيراً من أبيك عُصارة إذا عصر العيدان يا بن مضارب
دَفُوعٌ عن الأحساب معترف له حقون دم المولى بحمل الرغائب
حباني لما جئت والمرء راجل بأصهب وجاف أمام الركائب

ومنهم خالد بن علقمة الشاعر الذي يقال له الطيتان ، وهي أمه طائية .

ومن بني مرة : زيد بن عبدالله بن دارم . وعروة بن شراحيل ، كان شاعراً وهو القائل :

على باب مسروح تبغون حاجباً كما يبتغي الرعيان تالية الغنم

مسروح عبدٌ كان لحاجب يقيم قراه لمن ضافه ، وهجا القعقاع بن معبد فقال :

تَخَلَّجُ كالمجنون أَوْ بِكَ عرة كأنك قد قبضتني في شمالكا
وكاين ترىٰ من طاعم لا تعوله ومن ذي غنىً ما ناله فضل مالكا
وإنك لو أحببتني ما نفعتني ولو رمت ضرِّي ما اتسعت لذلكا

ومن بني حِقّ بن زيد ، وكان حق يلقب البضّاع فارس مَشول ، ولم يكن بالنبيه ، وابنته أم شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس ، وبقيتهم قليلة .

ومن بني حارثة بن زيد : مرثد أبو المأموم بن غوَّية قتله مرداس بن حيان ، رجل من بني معاوية بن عبدالله بن دارم ، فأخذوا الدية ، فقال رجل يهجو ابنيه :

بني مرثد إنّ الذي تشربونه دم غير أن اللون ليس بأحمرا

ومن بني ربيعة بن زيد بن عبدالله بن دارم : سويد بن زيد بن ربيعة ، ويقال سويد بن قيس بن ربيعة ، وسويد هو الذي ضرب رأس مالك بن المنذر بن ماء السماء ، وهو أخو عمرو بن هند فأمّه ، فآلىٰ عمرو بن هند أخوه ليحرقنَّ منهم مائة فلحق بمكة ، وحالف بني نوفل بن عبد مناف وقد ذكرنا خبره .

ومن ولده : أبو إهاب بن عزيز بن قيس بن سويد بن ربيعة ، كان فيمن سرق غزال الكعبة ، وله يقول حسان بن ثابت :

أبا اهاب فبيِّنْ لي حديثكم أين الغزال عليه الدر من ذهب[1]

وقد كتبنا خبر الغزال في حديث أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم ، وآل أبي إهاب بمكة إلى اليوم ، وكان أبو اهاب دس للفتك بالنبي ﷺ فلقيه طليب بن عمير فضربه بِلَحْيِ جمل فشجه .

وأما عُدُس بن زيد فقتله بنو ثمالة من الأزد .

وقال أبو اليقظان : وكان شراحيل بن عُدُس شريفاً ، وفي ولده صلاح وبقية حسنة .

منهم وضاح بن خيثمة بن يزيد بن عاصم بن خيثمة بن شراحيل ، وكان يزيد بن عاصم ممن شهد فتح الأبلة ، وكانت من ولد شراحيل امرأة يقال لها زُنَيْمة أخذ مروان ابنها فحبسه في تهمة دم فقالت :

تطاول هذا الليل من خشية الردىٰ على ضيف مروان الذي في الحدائد
تَبينَّ هداك الله أن محمداً أبى أن يُقِيد الناس إلا بشاهد

وقال أبو اليقظان : ولد عمرو بن عدس : عمرو بن عمرو ، واسمه

١ ـ الشطر الأول في ديوان حسان ج ١ ص ١٣٥ ، ٣٧٠ :«سائل بني الحارث المزري بمعشره» .

طارق ، وإنما سمي باسم أبيه بعد موته لشبهه به ، وكان عمرو أبرص أبخر ، فيقال لولده أفواه الكلاب .

وكان لزرارة موضع من كسرىٰ ووهب له جارية اسمها المذبّة ، فولدت له .

قال هشام الكلبي : ومن ولد عبدالله بن دارم : عروة بن شراحيل بن مرة بن زيد بن عبدالله بن دارم ، كان شاعراً شريفاً .

ومن بني عمرو بن عدس : هلال بن وكيع بن بشر بن عمرو بن عمرو بن عدس ، قتل يوم الجمل مع عائشة رضي الله تعالى عنها . وعلقمة بن يعسوب بن عباية بن بشر بن عمرو بن عدس وكان شريفاً .

ومن بني خزيمة بن زرارة : الطود بن عبيد بن خزيمة بن زرارة بن عدس كان شريفاً .

ومن بني مالك بن زيد بن عبدالله : قُراد بن حنيفة بن عبد مناة بن مالك بن زيد ، وهو خال حاجب ، وقتله حاجب لأنه كان يشبب بامرأته ، وله يقول لقيط :

انظر قراد وهاتي نظرة جزعا عرض الشقائق هل بَيَّنْتَ أظعانا

ومن بني عبدالله : الحصين بن عبدالله بن أنس بن أمية بن عبدالله بن دارم ، وهو حليف لبني مخزوم بمكة .

ومنهم المنذر بن ساوى من بني عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم صاحب هجر ، كتب رسول الله ﷺ إليه يدعوه إلى الإسلام ، وكان علىٰ العرب من قبل الفرس ، وكان يقال إن عبدالله هو الأسبذي.والأسبذ قرية

بهجر كانوا ينزلون بها فنسب إليها ، ويقال كان من الأسبذين قوم كانوا يعبدون الخيل .

ومن بني عمرو بن عمرو بن عُدُس : سماعة بن عمرو بن عمرو بن عدس ، كانت أمه عبسية فقتلت عبس أباه ، فقتل به منهم خاله فذلك قول مسكين بن عامر الدارمي :

وقاتل خاله بأبيه منا سماعة لم يبع حسباً بمال

كانوا عرضوا عليه الدية فلم يقبلها .

ومنهم مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس الشاعر الذي قال :

ناري ونار الجار واحدة وإليه قبلي ينزل القدر
ما ضر جاراً لي أجاوره ألا يكون لبابه ستر[1]

وكانت امرأته تُماظَة فقالت له : صدقت ان نارك ونار جارك واحدة لأن النار له وإليه ينزل قدره ، فإن تفضل عليك أطعمك ، وأما قولك :

ما ضر جاراً لي أجاوره ألا يكون لبابه ستر

فلو كان لبابه ستر لم ينفعه لأنك تهتكه .

وقال أبو اليقظان : كان يقال لربعي بن عمرو بن عمرو مُلاعب الأسنَّة .

قال: وحنظلة بن بشر بن عمرو بن عمرو أسر الحوفزان وجز ناصيته وخلىٰ عنه بلا فداء[2] .

١ ـ شعر مسكين الدارمي ص ٤٥ .
٢ ـ بهامش الأصل : بلغت المعارضة بالأصل الثالث ، ولله الحمد .

نسب بني مجاشع بن دارم

وولد مجاشع بن دارم : سفيان بن مجاشع . والأبيض بن مجاشع . وعامر بن مجاشع . وشيطان بن مجاشع درج . والحشر بن مجاشع درج . والخيبري درج ، وأمهم شَراف بنت بَهْدلة بن عوف بن كعب بن سعد . ويقال هي شِراف . وثعلبة بن مجاشع . والقدّاح بن مجاشع . وذريح بن مجاشع . ونعمان بن مجاشع . وحرام بن مجاشع . ومجاشع بن مجاشع . وعبدالله بن مجاشع ، وأمهم ابنة أحمر بن بهدلة واسمها الشُريفاء . والجوّال بن مجاشع .

قالوا : وكان مجاشع بن دارم بذيئاً ، وكان له لسان فقعد ونهشل عند ملك من الملوك فجعل الملك يقبل على نهشل ولا يجد عنده كلاماً ، فلما خرجا من عنده جعل مجاشع يعلم نهشلاً الكلام فقال نهشل : إني والله ما استطيع تكذابك ، وتأثامك شولان البَروق ، يعني الناقة التي ضربها الفحل .

فمن بني مجاشع : الأقرع بن حابس[1] بن عقال بن محمد بن

١ ـ بهامش الأصل : الأقرع بن حابس رحمه الله .

سفيان بن مجاشع ، واسم الأقرع فراس ، وكان في رأسه قرع ، وكان حصين بن القعقاع قال : ما في الأرض رجل له شرف ولأبيه إلا وأبوه أشرف منه فقال الأقرع : بل أنت أشرف من أبيك . قال : كذبت بل أبي أشرف منك ومن أبيك ومني ، فغلّبه القعقاع . وبلغ الخبر الحصين بن القعقاع فجاء وهما في مجلسهما عند أمير اليمامة فرجز بالأقرع فقال :

يا أقرع بن حابس قم فاستمع ذا الشعرات الزعر والرأس القرع

وكان الأقرع من فرسان بني تميم في الجاهلية ، فأسره عمران بن مرة الشيباني يوم سلمان ، وكان الأقرع على البراجم يومئذ ، فقال جرير يهجو بني مجاشع :

ويلكم يا قضبان الجوفان بئس الحماة يوم بطن سلمان
يوم يحوي أقرعيكم عمران[1]

الأقرع ورجل آخر من بني تميم ، أو مرثد أخو الأقرع ففدى نفسه ورجع إلى قومه يسألهم في فدائه ، فقبّح الحصين بن القعقاع فعله ، وقال وهو يطلب بسبب فدائه ما يجمعه لنفسه فقال :

إذا تسأل القوم سؤالاً كالضرع جمعاً لما عزمت حتى يجتمع

وكان الأقرع أعرج فقال الحصين :

إنك يا أقيرع القذال وأعرج الرجل عن الشمال
تأبى وأدعوك إلى الفضال حيث يقيس المرء غير آل
مضارب الأعمام والأخوال

يقول إلى المفاضلة أينا أفضل .

١ - ديوان جرير ص ٤٧٩ مع فوراق كبيرة .

قال: وتحاكم إلى الأقرع في الجاهلية جرير بن عبدالله البجلي والفُرافصة بن الأحوص الكلبي ، فجاء شاعر بجيلة وهو عمر بن الخثارم فجعل يحضض الأقرع ، وينتمي إلى نزار فقال :

يا أقرع بن حابس يا أقرع   إنك إن تَصْرَعْ أخاك تُصرع

وقال أيضاً :

يَـابْنَيْ نـزارٍ أنصرا أَخـاكـما   إنَّ أبي وَجَـدْتُـه أبـاكـما

لن يُغلبَ اليوم أخٌ والاكما

فحكم الأقرع أن بجيلة أبوهم أنمار بن نزار بن معد ، وان قضاعة بن معد ، وأن نزار أشرف من قضاعة ، وأن أخسَّ بني نزار أشرف من أفضل قضاعة .

ولما أسلم الأقرع ولاه النبي ﷺ بعض صدقات بني حنظلة ، وكان الأقرع في وفد بني تميم ، فقال له النبي ﷺ : «لقد أبطأ قومك عن الاسلام» . فقال : يا رسول الله ما ابطأ قوم عندك منهم ألف رجل . يعني مزينة، فقال له النبي ﷺ: «كيف علمك بقومك» ؟ قال: أنا بهم جدُّ عالم : كنانة كاهلها التي تنوء به ، وقريش مصابيحها التي تبصر بها وأبصارها التي تنظر بها ، وتميم هامتها العظمىٰ ، وأسد لسانها الذي تنطق به ، وقيس فرسانها وأسنتها التي تطعن بها .

وشهد مع رسول الله ﷺ بعض غزواته فأعطاه مائة من الإبل مع المؤلفة قلوبهم ، فقال الشاعر ـ عباس بن مرداس[1] :

١ ـ انظر أخباره وشعره في الأغاني ج ١٤ ص ٣٠٢ ـ ٣٢٠ .

أتجعل نهبي ونهب العُبَيد[1] بين عيينة والأقرع

وقال أبو اليقظان : استعمل عبدالله بن عامر بن كريز الأقرع على بعض خراسان ، فسار إلىٰ الجوزجان في الجيش ، فأصيب بعض الجيش فقال ابن الغريزة النهشلي :

سقى صوب السحاب إذا استهلت مصارع فتية بالجوزجان
إلى القصرين من رُستاق خوت أقادهم هناك الأقرعان

الأقرع وأخوه مرثد ابنا حابس ولهما عقب بخراسان .

وكان الأقرع من حكام العرب في الجاهلية .

وقال المدائني : وجه الأحنف بن قيس الأقرع بن حابس في خيل وقال : يا بني تميم تعاونوا وتباذلوا تعتدل أموركم ، وابدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلّوا يسلم لكم جهادكم ، فسار فلقي العدو بالجوزجان فكانت في المسلمين جولة ، ثم كروا فهزموا الكفرة ، وفتحوا الجوزجان عنوة ، فقال ابن الغريزة النهشلي ، وهو كثير بن عبدالله يذكر من استشهد من بني تميم :

سقىٰ صَوْبَ السحاب إذا استهلَّتْ مصارع فتيةٍ بالجوزجان
إلى القصرين من رستاق خوتٍ أبادهُمُ هناك الأقرعان

حدثنا عفان ، ثنا وهيب ، ثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن الأقرع بن حابس نادىٰ رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فقال : يا محمد إن حمدي زين ، وإن ذمي شين . فقال ﷺ : «ذلكم الله» .

ومنهم **ناجية بن عقال** بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، كان ذا رأي ،

١ ـ كتب فوقها بالهامش : اسم فرسه .

وكان من رجال بني تميم في الجاهلية ، قال الفرزدق :

وناجية الذي كانت تميم تعيش برأيه أنَّى أشارا[1]

ومنهم عِقال بن شبه بن عقال بن صعصعة بن ناجية الخطيب في أيام هشام بن عبد الملك ، وعاش إلى زمن أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ، وهو القائل وتكلم عند سليمان بن علي بالبصرة :

ألا ليت أم الجهم في حَيْرةٍ لما ترىٰ حيث قمنا بالعراق مقامي
عشية بذ الناس جهري ومنطقي وَبَذَّ كلام الناطقين كلامي

وولده خطباء .

وكان صعصعة بن ناجية[2] وفد على النبي ﷺ فأسلم ، وهو الذي منع الوئيدة ، وكان من خبره أنه أضل ناقتين له ، فخرج في طلبهما ليلاً ، ورفعت له نار فقصدها فجعلت كأنها تبعد عنه كلما سار ، فقال : لئن بلغتها الليلة لا يسألني أحد تنفيس كربة إلاّ سارعت إليها . فسار حتى بلغها فوجد عندها صرماً ، وإذا رجل من بني الهجيم بن عمرو بن تميم فوقف عنده فسلم فقال : من أنت ؟ قال : صعصعة بن ناجية بن عِقال . قال : مرحباً بسيدنا وابن سيدنا ، انزل ما حاجتك ؟ قال : أضللت ناقتين لي مذ الليلة ، قال : هما تانك . قال : فما بالي أسمع ضجيج النساء وأرى نارك مذ الليلة لا تطفأ . قال : عندهنّ ماخض لنا تريد أن تضع ، قال:فبينا هو كذلك إذ قلن قد جاء قد جاء ، يعنين الولد . فصاح بهن الشيخ فقال : والله لئن كان غلاماً فما أدري ما أصنع ، وإن كانت جارية فلا أسمع لها صوتاً ادققن عنقها

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٥٦ .
٢ ـ بهامش الأصل : صعصعة بن ناجية رحمه الله .

وادسسنها في التراب ، فقال صعصعة: ولم تفعل ذلك وتقتل بنتاً رزقها على الله ؟ فقال الشيخ : إني أراك بها حفيّاً اشترها مني فاشتراها منه باللَّقُوحَيْنِ فقال : لا ، زدني . فزاده جمله الذي تحته واستعاره منه فبلغ أهله ، ثم دفعه إليه فجاء الإسلام وقد أحيا صعصعة مائة جارية ومنع أن يُوْءَدْنَ وابتاعهن ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوئد[1]

وكان سفيان بن مجاشع أتى الشام فسمع راهباً يذكر أنه يكون من العرب نبيّ يسمى محمداً ، فسمى ابنه محمداً طمعاً في أن يكون النبي .

وذكروا أن صعصعة أتى رسول الله ﷺ وقرأ عليه النبي ﷺ : ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ فلما انتهى إلى قوله : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[2] قال صعصعة : حسبي إنّا لنثاب على مثقال ذرة من خير ، ونكافأ على مثقال ذرة من شر ، فقال لرسول الله ﷺ : من أَبَرُّ ؟ قال : «أمك . قال : ثم من ؟ قال أباك . قال : ثم من ؟ قال : أخاك . قال : ثم من ؟ قال : أدانيك أدانيك» .

وكان شَبَّةُ بن عقال بن صعصعة يدعى ظل النعامة لطوله ، وفيه يقول جرير :

فضح المنابر حين ألقى قائماً ظل النعامة شبَّة بن عقال[3]

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٧٣ .
٢ ـ سورة الزلزلة ـ الآيات : ١ ـ ٨ .
٣ ـ ديوان جرير ص ٣٧٨ مع فوارق .

ومن ولده : يزيد بن عقال بن شبة بن عقال ، وولي اذربيجان وغيرها .

وكان لصعصعة بن ناجية عبيد قيون منهم : وقبان ، وجبير ، وديسم ، فبذلك جعل جرير مجاشعاً قيوناً فقال :

فكيرك أصلح يابن قين مجاشع ودع عنك أسباب العُلى والمكارم[1]

وقال أيضاً :

تصف السيوف وغيركم يعصى بها يابن القيون وذاك فعل الصيقل[2]

وقال ينسب غالباً أبا الفرزدق إلى جبير :

وجدنا جبيراً أبا غالب بعيد القرابة من معبد[3]

وقال ينسبهم إلى بني وَقَبان :

أبلغ بني وقبان أن حلومهم خَفَّتْ فما يربون حبة خردل[4]

فولد صعصعة : غالباً أمه ليلى بنت حابس . وحُرَيثاً ، وذُهَيلاً . وهَمّاماً ، وبه سمي الفرزدق . وَعَقيلاً . وعامراً . وحنظلة .

فأما غالب فكان يكنى أبا خطل ، وكان سيداً ببادية تميم ، واجتمع ثلاثة نفر من كلب فاختاروا نفراً من سادات العرب : غالباً . وطلبة بن قيس بن عاصم ، وعمير بن السليل فجعلوا لا يأتون رجلاً منهم فيسألونه إلا سألهم عن نسبهم فينصرفون عنه حتى أتوا غالباً فأعطاهم ولم يسألهم ، ولم يقبلوا منه شيئاً وقالوا : إنما امتحناك وغيرك فوجدناك أفضلهم فقال

---

١ ـ ديوان جرير ص ٤٦٠ مع فوارق واضحة .
٢ ـ ديوان جرير ص ٣٥٩ .
٣ ـ ديوان جرير ص ١٠٢ . وجاء بهامش الأصل : يعني معبد بن زرارة .
٤ ـ ديوان جرير ص ٣٥٩ .

الفرزدق :

وإذ نحبت كلبٌ عن الناس أيهم أحق بتـاج الماجـد المتكـرم
على نفرٍ هم من نزار ذؤابة وأهل الجراثيم التي لم تُهَدَّم
فلم يَجْلُ عن أحسابهم غير غالب جرى بعنانيْ كل أبلج خضرم[1]

وكان غالب أتى علي بن أبي طالب عليه السلام والفرزدق معه ، فقال له علي : من هذا معك ؟ قال : ابني وهو شاعر . فقال : علمه القرآن فإنه خير له من الشعر . ومات غالب فدفن بكاظمة فاستجار بقبره قوم في حمالة ، فاحتملها الفرزدق وقال :

فلله عيناً من رأى مثل غالب قَرَى مائة ضيفاً ولم يتكلم[2]

واستجار بقبره مكاتب لبني منقر فقال :

بقبر ابن ليلى غالب عُذْتُ بعدما خشيتُ الردى أو أن أُرَدَّ على قَسْر
بقبر امرىءٍ تقري المئين عظامه ولم أر إلا غـالباً ميتـاً يقـري
فقال لي استقدم أَمَامَكَ إنمـا شكاكك أنْ تلقى الفرزدق بالمصر

فسأل الفرزدق فأعطاه جملاً . وكان ولد غالب أبي الفرزدق : الأخطل ، والفرزدق وجعثن ، أمهم لينة بنت قرظة الضبي .

فأما الأخطل فكان أكبر من الفرزدق ، وكان من وجوه قومه ، وكان محمد بن الأخطل توجه مع عمه الفرزدق إلى الشام فمات فقال الفرزدق :

سقى أريحاء الغيث وهي بغيضة إليّ ولكن كي ليسقاه هامها
فبتُّ أقاسي ليل أقرب من مشى أبوه ابن أمي غاب عني نيامها

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٩٩ .

أَلَمْ ترنا رحنا ورحل محمد خلاء بمذعان مُطَوَّى زمامها
وكان إذا أرض أتاها تزينت لرؤيته صحراؤها وأكامها
فما من فتى كنا نبيع محمداً به إنْ أمور الناس غَالَتْ جسامها[1]

وكانت العَليّة بنت الأخطل عند لبطة بن الفرزدق ، فلما مات الفرزدق عمها أقامت على قبره سبعة أيام تنحر في كل يوم جزوراً .

وأما الفرزدق[2] فاسمه هَمَّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال ، وكان قصيراً غليظاً فشُبِّه بالفرزدقة وهي الجردقة التي تدق ويشربها النساء ، ويكنى أبا فراس ، وكان سبب قوله الشعر أن الأشهب بن رميلة النهشلي كان يهجو غالباً أباه ، فكان غالب يطلب مصالحته فيأباها ، وكان الفرزدق يقول : لربما بكيت من الجزع لأن يهجو الأشهب أبي وقومي فأريد إجابته فلا يتأتى لي الشعر ، فقلت أبياتاً فأنشدتها أبي فقال : ائت فلاناً فأنشده ، فأنشدته فقال : قل يا بني على هذا ، ثم لقي أبي فقال : يا أبا الأخطل إن عاش ابنك كان أشعر العرب ، وما هو إلا شيء أعنت به على الأشهب لبغيه عليك .

وجعل الفرزدق يهجو الأشهب ، فلما أعيا الأشهب ، طلب الأشهب الصلح بعد أن كان يُعرض عليه فيأباه فتهدد زَباب بن رُميلة وأبوه ثور الفرزدق بالقتل ، فهرب إلى الشام ، وإنَّ زباباً نزل على غدير له فجاءه رجل من بني مناف بن دارم فخاض غديره فضرب زباب عنق بعيره فنفض بالشيخ فسقط أو كاد يسقط ، فجاء قوم من بني دارم لينصروا الشيخ ، فقاتلهم

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٩٠ ـ ١٩٤ مع فوارق كبيرة .
٢ ـ بهامش الأصل : الفرزدق الشاعر .

زباب فضرب أبا البدال بشير بن صبيح وقال :

قلت له تعساً أبا البدال تَـعَـلَّمَـنْ والله مـا أبـالي
ألَّا تؤوب آخر الليالي

فلم يزالوا حتى دُفع إليهم زباب فأوثقوه حتى مات ، فلما قتل زباب قدم الفرزدق ، فقال الأشهب بن رُميلة :

لقد أخزاك في بَدَوَاتِ سعد وفي قيسٍ فرارك من زباب

وخرج الأشهب إلى مروان بن الحكم فشكا قتل أخيه فقال : قتل بلا ثبت ولا حقّ ، فوهب له خمسين بعيراً فقال الفرزدق :

ارفق بنفسك يا محرر مالك واذكر مقام أخيك يوم الأول
مروان يعلم إذ يسن دياتكم خمسين أن دياتكم لم تكمل[1]

وكان الأشهب شاعر تميم حتى علاه الفرزدق .

وكان ولد الفرزدق : لبطة ، وسبطة . وخبطة . وركضة . وزمعة . وكان زمعة شاعراً وهو القائل :

إني أنا ابن غالب بن صعصعة آوي إلى رواسـخ ممنعـة

وكان الفرزدق يقول : سميت باسم همام بن صعصعة.وهمام الذي يقول أو ابنه اهاب بن همام :

لعمـرو أبيـك فـلا تكـذبي لقـد ذهب الخير إلا قليـلا
لئن فتن النـاس في دينهم وخلَّى ابن عفان شراً طويلا

وقال ابن الكلبي : هو لإهاب بن همام أو لابن الغريزة النهشلي .

قالوا : وخرج ركب من بني نهشل ومن بني مرة بن فقيم وأم فقيم

١ ـ ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .

ونهشل واحدة يريدون البصرة ، فمروا بثمد القبينات[1] وغالب أبو الفرزدق جالس فأرادوا أن يشربوا فقال لهم غالب : الماء بين أيديكم وهذا ماء قليل فأبوا فمنعهم فأوثقوه وشربوا وبردوا ، وبلغ الخبر الفرزدق فتبعهم في جماعة فشقَّت أسقية القوم وأداويهم فقال الفرزدق :

لعمرو أبيك الخير ما رغم نهشلٍ علـيَّ ولا حُـرْدَاتهـا بكبـير
وقد علمتْ يوم القبينات نهشل وحراداتها أن قَدْ مُنُوا بعسير
فكم شقّ من نحي هناك وقربة وأجرد ضخم الخصيتين عقير[2]

قالوا وكانت جَعْثَن بنت غالب ، أخت الفرزدق ، امرأة صالحة ، وكان الفرزدق نزل في بني منقر ، والحي خلوف ، فقامت عجوز منهم توقظ ابنتها فإذا أسود سالخ ممتد معها فاستغاثت بالفرزدق فحثا على الأسود التراب حتى انساب ، وغمز الفرزدق الجارية ، وقبلها فانتهرته وأمها فقال :

وملتفَّةُ الساقين مرتجَّة السلا لهوت بها فبات تحتي فريقها
وأهْـوَنُ عيب المنقريـة أنها شديد ببطن الحنظليّ لصُوقها[3]

فأرسل بنو منقر رجلاً منهم يقال له عمرو بن مرة ، ويقال عمران ، وأمروه أن يعرض لجعثن أخت الفرزدق ، فخرج حتى أتى منازل آل غالب فلم يزل يُراصد الحرّة حتى خرجت لحاجتها وعليها سواد من الليل ، فغمز وركها ووضع يده على ساقها وجرها ، فصاحت وخرجت الرجال تطلبه ، ومرَّ يَمْزَعُ كمزع الظبي ، وقال ابن محكان الربيعي يرد على الفرزدق :

---

١ ـ الثمد : الماء القليل ، وفي معجم البلدان : القبيبات لاالقبينات ، وكذلك في ديوان الفرزدق «القبيبات» .

٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٠٤ مع فوارق وبدون البيت الأخير .

٣ ـ ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع . وعجز البيت الأول مختل الوزن .

لعمرك إن الجعثن ابنة غالب لكالراح مشغوف بها من يذوقها

وقال جرير بن عطية :

يقول المنقري وابركوها رخيصٌ مَهْرُ جعثن غير غال
تقول قتلتني ويقول موتي وإنْ رغم الفرزدق لا أُبالي
فقد واقعتُ منها وهي تحتي عظام البؤس واسعة المبال[١]

وكان جرير هاجى البعيث المجاشعي فاعترضه الفرزدق دون البعيث فهاجاه وقال :

فقلتُ أُظَنُّ ابن الخبيثة أنني شُغِلتُ عن الرامي الكنانة بالنبل
فإنْ يَكُ قيدي كان نذراً نذرته فمالي عن أحساب قومي من شغل[٢]

وكان الفرزدق قيد نفسه ، ونذر ألا يحل قيده حتى يجمع القرآن ويحفظه ، وأما رامي الكنانة فهو رجل من بني أسد كان في نفسه شيء على رجل من قيس فنصب كنانته ، ودعاه إلى أن يرميا الكنانة منتضلين في سبق بينهما ، فاغتره الأسدي فرماه فقتله فضربه الفرزدق مثلاً ، يقول : إنما أردتني لا البعيث كما أراد ذلك الرجل صاحبه لا الكنانة .

وحدثني أبو الحسن المدائني قال : أنشد رجل الفرزدق شعراً فقال : لمن هذا الشعر ؟ قال : لأمي ، فضحك ، ثم قال : كان يقال إذا صاحت الدجاجة صياح الديك فاذبح .

قال : وقال الفرزدق لرجل : أتعرفني ؟ قال : لا . قال : أما تعرف أبا فراس ؟ قال : ومن أبو فراس ؟ قال : الفرزدق . قال : لا أعرف

١ ـ ليسوا في ديوان جرير المطبوع .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٥٣ .

الفرزدق إلا قرصة تجففها النساء ثم تدق ويشربنها . قال : فضحك وقال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم .

وحدثني محمد بن حبيب المؤدب قال : سمع الفرزدق امرأتين تقولان : ليتنا وجدنا رجلاً أصم أخرس نُبايتُهُ فنقضي منه ارباً ولا يفشي لنا حديثاً فتركهما، ثم رآهما في عشية ذلك اليوم منصرفتين فدنا منهما فزحمهما، ثم تخارس وتصامّ فقالتا : لقد جاءنا ما تمنينا ومضتا به فأقام معهما ، ثم إنه عجز عنهما فقالت إحداهما : إنه قد أكسل واصفّرت كمرته ولا خير عنده ، فدلَّتَاه في زنبيل فلما صار على الأرض قال : بآبائي أنتما أعود إذا احمرت كمرتي ؟ فايقنتا بالفضيحة . وفي ذلك يقول :

هما دلَّتاني من ثلاثين قامة كما انقض باز أسحم الريش كاسره
فلما استوتْ رجلاي في الأرض قالتا أحيٌّ يُرجَّىٰ أم قتيل نُحاذره[1]

فبلغ سكينة بنت الحسين عليه السلام شعره فقالت : قبحه الله ما كان عليه لو ستر على نفسه .

قال : وبلغ إمرأته أنه يتعرض للنساء فتنكرت وتعرضت له ليلاً فغمزها ، فاتبعته فصار إلى بيت مظلم فنال منها وأعطاها مطرفاً كان عليه ، فلما قضى حاجته قالت له : يا فاسق هذا فعلك ؟ فقال لها : وأنت هي أنت ، والله على سبيل الحرام ألذ منك على سبيل الحلال . فقالت : اسكت قبحك الله .

وحدثني ابن حبيب عن أبي فراس السامي عن أبيه قال : استسقىٰ الفرزدق ماء من دار فخرجت إليه جارية بماء ، فلما شرب قال لها : يا سيدتي

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢١٢ .

قبليني . فقالت : وراءك أوسع . فقال : يا سيدتي إني ميت قالت : إنْ مِتَّ دفناك فأين تحب أن تدفن ؟ قال : في حِرِكِ وبطنك جعلني الله فداك .

وحدثني التوزي عن الأصمعي عن سلمة بن عياش قال : دخلت على الفرزدق وقد قال صدر بيت وعجز عن تمامه ، فأجزته فقال : ممن أنت ؟ قلت : من قريش . قال : كل أير حمار من قريش ، من أي قريش ؟ قلت : من بني عامر بن لؤي . قال : بئس القوم قومك كانوا في بعث إلى مروان فانتزعني من بين أظهرهم فلم يمنعوني . فقلت : بنو تميم في البصرة شرٌّ لك من بني عامر بالمدينة ، بعث إليك مالك بن المنذر حرسياً فنزعك من اسطمّة بني تميم ومعظمهم ، فرمى بك في سجنه ، فلم يمنعك أحد منهم ، فسكت .

المدائني أن الفرزدق مر بمسجد الجامرة بالبصرة وفيه جماعة ، منهم أبو الزرد الحنفي فضجوا من شيء قاله أبو الزرد في الفرزدق ، فقال : يا بني حنيفة ما شيء لم يكن ولا يكون ولو كان حاجيتكم استقام فقالوا : لا ندري فما هو ؟ قال : هو حر أم أبي الزرد لم يكن له أسنان ولا يكون ولو كانت لم يستقم .

ودخل الفرزدق المدينة ، فنادم قوماً منهم الأحوص وغيره ، فإنه لمع فتيان من أهلها يشرب إذ عبث به رجلان فقال أحدهما :

إذا كنت متخذا صاحباً فلا تصحبن امرأً دارميا

وقال الآخر :

ولاسيما من بني غالب فلن يوجد الدهر إلا بذيًا

فقال الفرزدق :

أتعلّمان بي الهجاء وخلتني قد هزني وهجاني الثقلان
زعمت نساؤكما الفوارك إنما أيراكما وحراهما مثلان
فلقد زعمن وهنَّ غير كواذب أن ليس فوق خصاكما أيران[1]

وحدثني الحسن بن علي الحرمازي قال : مر الفرزدق بمجلس لبني عتاب بن أسلب بن أبي العيص بالبصرة ، وقد أكل رؤوساً فاستسقى ماء فعمد فتى منهم إلى طلاء رامهرمزي فملأ منه عُساً ضخماً ، ثم حلب عليه وأتاه به فأقبل يخفي الرغوة ويشرب الصريح حتى أتى عليه ثم قال : جعلني الله فداءك فإنك ما علمتك تخفي الصدقات .

قال : وأتى الفرزدق رجلاً من أخواله من بني ضبة فأعطاه فأكثر فقال : والله ما أدري ما أقول غير أني اسأل الله أن يجعلني فداءك ، فزاده فقال : ما أدري ما مكافأتك إلا أني أقتلك فتدخل الجنة وأدخل النار . فقال : بئست المكافأة هذه يا أبا فراس .

حدثني عبدالله بن صالح عن ابن كناسة قال : قيل للفرزدق مدحت الحجاج فلما مات هجوته فقال : إنا نكون مع القوم ما كان الله معهم ، فإذا تركهم تركناهم .

وقال المدائني : دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من الأشعريين فضحكوا ، فقال : يا أبا فراس أتدري لم ضحكوا ؟ قال : لا . قال : ضحكوا لجفائك . قال : أصلح الله الأمير ، حججت فإذا أنا برجل على عاتقه الأيمن صبي وعلى الأيسر صبي وامرأته آخذه بمئزره وهو يقول :

---

١ ـ ليسوا في ديوانه المطبوع .

أنت وهبت زائداً ومزيدا   وكهلة أسلك فيها الأجردا[١]

وجعلتْ تقول : إذا شئت إذا شئت . فقلت : ممن أنتَ ؟ فقال : من الأشعريين . أفأنا أجفىٰ أم ذاك ؟ قال بلال : لا حياك الله قد علمتُ أنهم لا يفلتون منك .

وقال الفرزدق لامرأته نوار بنت أعين بن ضُبيعة : كيف رأيتني وجريراً ؟ قالت : رأيتك ظلمته أولاً ثم شغرت[٢] برجلك آخراً ، ورأيته شاركك في مُرّ الشعر وغلبك في حلوه .

قالوا : ومر الفرزدق على نسوة وهو على بغلة فلما دنا منهن ، لم تتمالك البغلة ضرطاً فضحكن فالتفت إليهن فقال : لا تضحكن فما حملتني أنثىٰ إلا ضرطت . فقالت إحداهن : ما حملتك انثى قط اكثر مما حملتك أمك فليت شعري كيف كان ضرطها ؟ فَتَشَوَّر[٣] .

قال ومر الجسّار العنبري بالفرزدق وكانت به سلعة ، فقال له الفرزدق : ما هذا ؟ فقال : ابن المنقري . يريد قول جرير في جعثن .

. . . .   والمنقري يدوسها بالفيشل

قالوا : ومر الفرزدق بمضرس بن ربعي الأسدي وهو ينشد الناس بالمربد :

تحمل من وادي أسيفر حاضره   . . . .

وقد اجتمعوا عليه ، فقال له الفرزدق : يا أخا فقعس ما فعل المعمر ؟

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٢ ـ شغر الكلب : رفع احدى رجليه بال أو لم يبل . القاموس .
٣ ـ أي خجل . القاموس .

قال مضرس : بلصاف[1] يبيض فيه الحُمَّر .

أراد الفرزدق قول نهشل بن حرى :

ضمن القيان لفقعس سوءاتها إن القيـان لفقعس لمَعَمَّـر

وأراد مضرس قول أبي المهوش :

قد كنت أحسبكم أسود خفيَّةٍ فإذا لصاف يبيض فيه الحمَّر

وكان عمر بن عبد العزيز أخرج الفرزدق عن مسجد المدينة أيام ولايته إياها فقال الشاعر :

نفاك الأغر ابن عبد العزيز بحقـك يُنفَىٰ عن المسجـد

فلقي الفرزدق مخنثاً ، فقال الفرزدق : إلى أين راحت عِمَّتُنا ؟ فقال : الى المسجد الذي نفاها عنه الأغر .

حدثني محمد بن أنس قال: دخل الفرزدق الكوفة فأنشد، فرأىٰ الكميت بن زيد يحسن الاستماع وهو غلام فقال الفرزدق : يا غلام أيسرك أني أبوك ؟ فقال : لا ولكني يسرني أنك أمي فينال أير أبي من أطايبك .

حدثني محمد بن الأعرابي قال : دخل أبو شَقفل ـ راوية الفرزدق ـ على الفرزدق وهو مغموم يكاد يبكي فقال له : مالك أبا فراس ؟ فقال : أخاف أن يرجزني هذا المخنث ، وأنا لا أحسن الرجز ، يعني جريراً .

وحدثني محمد بن حبيب عن خالد بن كلثوم قال : مر بالفرزدق نسوة يزففن عروساً فأنشأ يقول :

أتتـك النسـاء بـأحـراحهـا يقـدن حراً ضيقـاً حُجـره

---

١ ـ لصاف ماء بالدو لبني تميم ، معجم البلدان مع الحكاية والشعر .

إلى عاثر كذراع الفنيق قليل لذي مثله فتره[١]

فقالت له امرأة من النساء :

وأمك قد لقيت عاثراً فطال بعنبلها[٢] فطره[٣]

فوجم الفرزدق وسكَّت .

وحدثني الحرمازي قال : هجا الفرزدق رجلاً من بني تميم ، فجاءت أمه إلى قبر غالب فاستجارت به ، فقال الفرزدق :

أتتني فعاذت من هجائي بغالب فلا والذي شق استها لا أضيرها[٤]

وقال المدائني : ولي تميم بن زيد القيني ثغر السند ، فشخص معه في الجند فتى من تميم ، ثم من يربوع يقال له حبيش ، وأمه من طيء ، إلى السند ، فأتت الفرزدق فسألته أن يكتب إلى تميم في إقفاله ، وعاذت بقبر غالب أبي الفرزدق ، فكتب إليه :

أتتني فعاذت يا تميم بغالب وبالحفرة السافي عليه ترابها
فهب لي حبيشاً واتخذ فيه منة فحوبة أم ما يسوغ شرابها
تميم بن زيد لا يكونن حاجتي بظهر فلا يخفىٰ عليك جوابها
ولا يكثر الترداد فيها فانني ملول لحاجات بطيء طلابها[٥]

فلم يدر تميم ما اسم الفتى أهو حُبيش أم حُنيش ، فأمر أن يقفل كل من كان اسمه على هذا الهجاء ممن في الجيش ، فأقفل ثمانية عشر رجلاً .

١ ـ ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .
٢ ـ العنبلة : البظر ، والمرأة الطويلة البظر . القاموس .
٣ ـ فطره : شقه ، والفطر : شبه بالمذي في قلته . القاموس .
٤ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٥ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٨٥ ـ ٨٦ مع فوارق واضحة .

وقال الفرزدق لباب المكاري :

كم من حر ياباب[1] ضخم حملته على الرجل فوق الأخدري المخذم[1]

فقال باب بالفارسية : رحم الله النوار لقد حملتها كبيراً .

المدائني عن بكر بن الأسود قال : لقي الفرزدق خليفة الأقطع ، من ولد قيس بن ثعلبة بن عُكابة فقال : يا أبا فراس من الذي يقول :

هو القين وابن القين لاقين مثله لضرب حديد أو لنحت أداهم[2]

فقال الفرزدق : هو الذي يقول :

هو اللص وابن اللص لا لص مثله لنقب جدار أو لحل دراهم

حدثني أبو عدنان عن أبي عبيدة قال : لقي الفرزدق ابن عفراء الضبي فاستعتبه الفرزدق في شيء بلغه عنه ، فقال ابن عفراء : والله لا أعلم شيئاً يسوءك إلّا فعلته . فقال الفرزدق لمن حضر : اشهدوا على ما يقول . فقال ابن عفراء : نعم فاشهدوا . فقال الفرزدق : فانه يسوءني أن تنيك أمك فنكها ففضحه وأخزاه .

قالوا: وعرض الفرزدق جملاً للبيع فجعل التجار يصوّبون في الجمل ويصعدّون فقال : مهلاً فإنه لا يطلب أحد في شيء عيباً إلّا وجده .

حدثنا محمد بن الاعرابي قال : لقي الفرزدق جريراً في بعض السكك بالشام فقال له : يا أبا حزرة حتى متى تتمرغ في طواعين الشام ؟ فقال جرير : إذا سمعت بُسرى القين فاعلم أنه مصبّح .

المدائني قال : قال خالد بن صفوان للفرزدق : يا أبا فراس ما أنت

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

٢ ـ الأداهم : القيود .

بالذي لما ﴿رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن﴾[١] فقال الفرزدق : وما أنت بالذي قالت الفتاة لأبيها : ﴿يا أبة استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾[٢] .

المدائني عن أبي بكر الهذلي قال : أتى الفرزدق الحسن البصري فقال له : يا أبا سعيد إني قد هجوت إبليس . فقال الحسن : عن لسانه تنطق .

المدائني أن الفرزدق دخل على الهيثم بن الأسود وعنده حمزة بن بيض الحنفي فقال : يا أبا فراس أيّما أحب إليك أن تسبق الخير أم يسبقك ؟ فقال الفرزدق : إن سبقته فتّه وإن سبقني فاتني ، ولكني أحب أن نكون معاً لا أسبقه ولا يسبقني ، أفاسألك يا بن بيض ؟ قال : سل . قال : أيما أحب إليك أن تنصرف إلى منزلك فتجد امرأتك قابضة على أير رجل ، أو تجد رجلاً قابضاً على حرها فتشور ابن بيض وخزي .

وقال الفرزدق : ما أعياني جواب كما أعياني جواب دهقان من أهل نهر تيرى لقيني فقال : أنت يرزدق الشاعر ؟ قلت : أنا الفرزدق ويلك . قال : إن هجوتني أتخرب ضيعتي ؟ قلت : لا . قال : أفتموت ابنتي عيشونة ؟ قلت : لا . قال : أفتموت حمارتي ؟ قلت لا . قال : فمن رجلي إلى عنقي في حر أمك . قال : قلت ويلك فلم تركت رأسك ؟ قال : لأنظر ما تصنع .

وقال أبو عبيدة : أتى الفرزدق عبد الله بن الأهتم يسأله علفاً لبغلته فقال له : يا فرزدق لو كنت قتباً لكنت ملحاحاً عُقَرة . قال : ولم ؟ قال :

---

١ ـ سورة يوسف ـ الآية : ٣١ .
٢ ـ سورة القصص ـ الآية : ٢٦ .

لأنك لا تخلو من مساءَلَة قومك وإخوانك ، قال الفرزدق : فوالله ما مالك إلا من ألحف المسائل ، فقال عبد الله : إني أُلحف ولا أُتلف وأنت تسأل الناس إلحافاً وتبذر إسرافاً . فقال الفرزدق :

لا ترجُ عبد الله يوماً فإنما أمانيُّ عبد الله أضغاث حالم[1]

حدثني أبو عدنان ، ثنا يزيد بن هارون عن أبي موسى التميمي قال : لما ماتت النوار امرأة الفرزدق شهد جنازتها الحسن بن أبي الحسن والناس معه ، فلما أدخلت قبرها قال الحسن للفرزدق : يا أبا فراس : ما أعددت لهذا المضجع ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله مذ ثمانون سنة ، وأنشأ يقول :

أخاف وراء القبر إن لم تُعافِني أشد من القبر التهاباً وأضيقا
إذا جاء في يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول المقلد أزرقا[2]

فبكى الحسن وبكى الفرزدق والناس .

وقال أبو عبيدة : حدثني أيوب بن كُسيب ، من آل الخطفى ، وأمه ابنة جرير بن عطية ، قال : بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذا راكب قد أقبل فقال له جرير : من أين وضح الراكب ؟ قال : من العراق ، فسأله عن الخبر فأخبره بموت الفرزدق فقال جرير :

مات الفرزدق بعدما جَدَّعْتُه ليت الفرزدق كان عاش قليلا[3]

ثم أسكت ساعة فظنناه يقول شعراً فدمعت عيناه فقال القوم :

---

١ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٩ ، مع فوارق .
٣ ـ ليس في ديوان جرير المطبوع .

يا سبحان الله ، أتبكي على الفرزدق ؟ فقال : والله ما أبكي إلا على نفسي ، أما والله إن بقائي خلافه لقليل ، إنه قلما كان مثلنا زوجان يجتمعان على خير أو شرٍّ ويتهاديانه إلا كان أمد ما بينهما قريباً ، ثم أنشأ يقول :

فُجعنا بحمال الديات ابن غالب وحامي تميم كلها والمراجم
بكيناك حدثان الفراق وإنما بكيناك شجواً للأمور العظائم
فلا حملتْ بعد ابن ليلى مَهيرة ولا مُد أنساع المطيّ الرواسم[1]

ليلى بنت جابر جدته . وقال جرير يرثي الفرزدق أيضاً .

فلا حملتْ بعد الفرزدق مرضع ولاذات بعل من نفاس تَعَلَّت[2]
هو الوافد المحبوّ والراتق الثأي[3] إذا المنعل يوما بالعشيرة زلت[4]

قال أبو عبيدة : فما بقي جرير بعد الفرزدق إلا قليلاً حتى مات .

وسمعت محمد بن زياد الأعرابي يقول : بقي جرير بعد الفرزدق أربعين يوماً ، وكان يوم بلغه موت الفرزدق عند المهاجر بن عبد الله الكلابي .

وحدثنا أبو الحسن عن مسلمة وغيره قالوا : لما مرض الفرزدق مرضته التي مات فيها أوصى لمولاة له بثلاثمئة درهم ، فلما اشتد وجعه انشأ يقول :

إلى من تفزعون إذا حثوتم بأيديكم عليَّ من التراب
ومن هذا يقوم لكم مقامي إذا ما الخصم كلَّ عن الجواب[5]

١ - ليسوا في ديوان جرير المطبوع .
٢ - تعلت : طهرت .
٣ - الثأي : الأفساد ، والجراح والقتل ونحوه . القاموس .
٤ - ديوان جرير ص ٧٢ .
٥ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٩٥ ، البيت الأول فقط .

فقالت مولاته التي أوصى لها: نفزع إلى الله. فقال: يا زانية، تأخذين مالي وتفزعين إلى غيري ، لا تعطوها شيئاً . فلم يلبث أن مات .

وحدثني أبو عدنان عن أبي اليقظان قال : أَسنّ الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة وهو بالبادية فقُدِم به إلى البصرة فأتي برجل من بني قيس متطبب فأشار بأن يكوى ويشرب النفط الأبيض فقال : أتعجلون لي النار في الدنيا ، وجعل يقول :

أروني من يقوم لكم مقامي إذا ما الأمر جَلَّ عن العتاب[1]

قالوا : وكانت حُميدة الحمدية من ولد رزام بن مالك بن حنظلة تختلف إلى الفرزدق ويتهم بها ، وهي التي رجمها الحجاج بن يوسف في الزنا ، وكان يقال لزوجها معبد أحد بني سليط فقال جرير يرمي الفرزدق بها :

حميدة كانت للفرزدق جارة ينادم حوطاً عندها والمقطعا[2]

حوط بن سنان من بني شيبان ، وهو الذي رجمت بسببه . وفي حميدة يقول الشاعر :

رزاميَّةٌ كان السليطيُّ معبد بها معجباً دلًّا يخاف الدوائرا

وحدثني أبو علي الحرمازي قال : تزوج النوار بنت أعين بن ضبيعة بن ناجية ، رجل من بني مجاشع ، فولدت ابنين ، ثم مات عنها فخطبها رجل من قومها ، فبعثت إلى الفرزدق : إنك أَوْلى قومي بي فتولَّ تزويجي ، فقال : نعم فأشهِدِي أنك قد جعلت أمرك بيدي ففعلت فلما شهد الشهود

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٩٥ .
٢ ـ ديوان جرير ص ٢٦٤ .

عليها ، قال : اشهدوا إني قد تزوجتها وأصدقتها خمسة آلاف درهم . فأبت أن ترضى به ، وقالت : كلمته ليزوجني رجلاً قد رضيته ، لم أُوَلِّهِ أمري ليتزوجني . وشكت أمرها إلى بني أم النسير ، وهم من بني ناجية بن عقال فأعانوها ، وأتت معهم بني عاصم من بني ثعلبة بن يربوع فآووها ، فقال الفرزدق :

بني عاصم إنْ تُلجِئوها فإنكم طلابي للسَّوْءَات دُسْمُ العمائم[١]

وأتاها قوم من ولد ناجية فقالوا : إنا لا نرضى لك به ، ونحن نحملك إلى ابن الزبير حتى تستعديه عليه ففعلت ، فاكتروالها رجلاً يقال له زهير من بني عدي ، ومضت إلى مكة فقال الفرزدق :

أطاعت بني أم النسير فأصبحت على قتب يطوي الفلاة دليلها[٢]

وقال الفرزدق :

ولولا أن تقول بنو عدي أليست أم حنظلة النوار

إذاً لأتى بني ملكان مني بضائع لا يقسمها التجار[٣]

ملكان بن عدي ، والنوار بنت جُلّ بن عدي أم حنظلة ، وقال :

لنفس العبء تحمله زهير على أعجاز صرمته نوار[٤]

وقال أيضاً :

لعمري لقد أردى نوار وساقها إلى الغور أقوام خفاف عقولها

---

١ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٦٠ مع فوارق .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٧٣ مع فوارق .
٤ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

معارضة الركبان في شهر ناجر على قتب يعلو الفلاة دليلها[1]

ثم تبعها حتى قدم مكة ونزلت النوار بنت أعين على أم هاشم بنت منظور بن زبان ، وهي أم امرأة عبد الله بن الزبير ، ونزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله بن الزبير ، فجعلت ابنة منظور تشفع لها ، وجعل بنو عبد الله يكلمون أباهم في الفرزدق ، فرأى أن هوى عبد الله في النوار فقال :

أما بنوه فلم يَقبل شفاعتهم وشُفِّعَتْ بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عُريانا[2]

وجعلا يجتمعان عند ابن الزبير فيختصمان فقال الفرزدق :

ما خاصم الأقوام من ذي خصومة كَوَرْهَاءَ مَشْنُوءٍ لديها حليلها
فدونكها يا بن الزبير فإنها ملقنة يوهي الحجارة قيلها[3]

ثم قال لها ابن الزبير : إن هذا شاعر فإن شئت فَرَّقْتُ بينكما وضربت عنقه ولم أُسلِّطْه على عرضي ، وإن شئت زوجتك إياه تزويجاً صحيحاً ، وكتبت إلى مصعب بن الزبير أن يعطيك من الصداق ما ترضين به . قالت : بل زوجني فزوجها منه ، وكتب لها إلى مصعب ، وقدما إلى منزل الفرزدق فولدت له ولده ثم إنه طلقها وقال :

ندمتُ ندامة الكُسَعيّ لما غَدَتْ مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار
وكُنتُ كفاقىءٍ عينيه عمداً فأصبح لا يضيء له النهار

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٦٠ .
٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٦٢ مع فوارق .

ولو ضَنَّتْ يداي بها ونفسي لأصبح لي على القدر الخيار[١]

وماتت عند ولدها في منزله بالبصرة ، فصلى عليها الحسن بن أبي الحسن البصري ، وذكروا أن الفرزدق وكثير أتَيَا الأحوص بن محمد . فقالا له : أنشدنا بعض ما أُحدثْتَ فأنشدهما قوله :

يـا بيت عـاتكـة الـذي أتجنب ذهب الزمان وحبها لا يذهب[٢].

حتى أتى على آخرها فقال الفرزدق لكثير : قاتله الله ما أشعره لولا ما أفْسَدَ من نفسه يعني الخنث والأُبْنَّة . فقال كثير : ليس هذا فساداً ، هذا خسف إلى التخوم . فقال الفرزدق صدقت .

قالوا: وأنشد الفرزدق بيت الأخطل :

وإني لقـوّام مَقَاوِمَ لم يكن جرير ولا مولى جرير يقولها[٣]

فقال الفرزدق : أَجَلْ إنه ليقوم مقاوم ما أقومها أنا ولا جرير . قيل : يا أبا فراس وما هي ؟ قال : يقوم عند است القس يأخذ القربان .

المدائني أن الفرزدق أنشد بلال بن أبي بردة الأشعري :

وإن أبا موسى خليل محمد وكفَّاه يُمْنَى للندى وشمالها[٤]

فقال بلال : هلكت وخرفت وذهب شِعرك ، أين هذا من شعرك في سعيد بن العاص وفلان وفلان فقال : ائتني بحسب كأحسابهم أقول فيك كقولي فيهم ، فغضب بلال حتى دعا بطست من ماء فغمس يده فيه ، وكلم

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٩٤ مع فوارق .

٢ ـ كذا بالأصل وفي ديوان الأحوص ص ٢٠٧ :

يـا بـيت عـاتكـة الـذي أتـعـزل حـذر العدى وبـه الفؤاد موكـل

٣ ـ ليس في ديوان الأخطل المطبوع .

٤ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٠٧ .

في أمره وقال جلساؤه : ستكفاه . فأمسك عنه فلم يحل عليه الحول حتى مات .

ولما أنشد جرير قول الفرزدق لعمر بن لجأ التميمي :

فهل أنتَ إنْ قرما تميم تساميا أخا التَّيْم إلا كالشظية[1] في العظم[2]

فقال جرير : ما أنصفني في شعر قط قبل هذا .

حدثني الأثرم عن الأصمعي عن يونس قال : قال الفرزدق : أنا أشعر الناس ولربما كان قلع ضرس من أضراسي أهون عليّ من قول بيت .

حدثنا الحرمازي قال : أنشد الفرزدق الحسن البصري قوله :

فإنك لو رأيت ديار قومٍ وجيرانٍ لنا كانوا كرام[3]

فقال الحسن : لو قلت كانوا كراماً . فقال : إنه لم تلدني ميسانية . وإنما عَنِيَ الفرزدق : وجيران لنا كرامٌ .

وكان أبو الحسن من سبى ميسان .

وكان الكلبي : أنشد عطية بن جعال بن مجمع بن قطن بن مالك بن عدانة بن يربوع ، وكان نديماً للفرزدق قوله :

أبني عُدانة إنني حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال

فقال : جزي أخي خيراً ، ثم أنشد :

لولا عطية لا جتدعت أنوفكم من بين أَلأَمِ أعينٍ وسبال[4]

فقال عطية : والله لَسَرُعَ ما رجع في هبته أبو فراس .

١ ـ بهامش الأصل : كالوشيظة .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٧٦ .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٩٠ .
٤ ـ ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .

حدثني أبو عدنان عن أبي عبيدة قال : مات محمد بن يوسف ومحمد بن الحجاج ، فبلغه موتهما في وقت واحد فقال الفرزدق وهو عنده :

جناحا عتيق فارقاه كلاهما ولو نزعا من غيره لتضعضعا
سَميًّا نبيِّ الله سَمَّاهُما به أبٌ لم يكن عند الحوادث أخضعا(١)

فقال له الحجاج : حسبك ، فخرج الفرزدق وهو يقول : والله لقد قال لي حسبك ، ولو طلب مزيداً عندي ما وجده .

وقالوا: حج الفرزدق فوافق جريراً وهو محرم فقال له :

إنك لاقٍ بالمحصَّب من مِنىً فخاراً فخبرني بمن أنت فاخر
أَبِالقَيْسِ قيسٌ أم بأمك تعتزي إذا هدرت تلك القروم الهوادر(٢)

أم كليب رقاش بنت شَهر بن قيس بن مالك بن زيد مناة ، فلم يجبه جرير ، وقال : لبيك اللهم لبيك،ومضى في تلبيته .

وقال الحرمازي : لما صارت النوار إلى مكة قال جعفر بن الزبير :

ألا أصبحت عرس الفرزدق جامحاً ولو رضيت رمح اسْتِهِ لاستقرت

فزبره عبدالله بن الزبير وقال : ما تعرضك للفرزدق . وكان عبدالله يكره خلعها منه مخافة أن يهجوه ، فلم يزل يداريها حتى رضيت ، وأصدقَ ابن الزبير النوار عنه خمسة آلاف ، ويقال بل ساقه عنه سلم بن زياد .

وكان الفرزدق يقول : خرجتُ والنوار متباغضين ورجعنا متحابين ، وخرجتْ حائلاً ورجعتْ حاملاً .

المدائني قال : تزوج الفرزدق على النوار حدراء بنت زِيق بن

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٥٠ .

بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني فقالت له النوار : ويلك تزوجت نصرانية سوداء دقيقة الساقين على مائة بعير ؟ وأخذت لحيته فجاذبها وخرج من عندها وقال :

قامت إليّ نوار تنتف لحيتي بنتاف جعدة لحية الخشخاش
كلتاهما أسد إذا ما أُغضبتْ وإذا رضين فهنَّ خير معاش[1]

الخشخاش رجل من عنزة . فقالت جعدة امرأته : ما يريد الفرزدق مني ؟

وقال الفرزدق لنوار يفضل عليها حدراء :

لجارية بين السليل عروقها وبين أبي الصهباء من آل خالد
أحق باغلاء المهور من التي ربت وهي تنزو في جحور الولائد[2]

وكانت أم النوار أَمَةٌ أعجمية . وقال :

لعمري لأعرابية في مظلة تظل بروقي بيتها الريح تخفق
كأُمِّ غزال أو كدرَّة غائصٍ تكاد إذا مرّت لها الأرض تشرق
أحبُّ إلينا من ضناك ضِفِنَّةٍ[3] إذا وضعت عنها المراوح تعرق
كبطيخة البستان يُعجب لونها صحيحا ويبدو داؤها حين تُفلق[4]

وقال أيضاً :

لو أنْ حدراء تجزيني كما زعمت أنْ سوف تفعل من بذل وإكرام

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٨٨ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٥٤ .
٣ ـ الضفنة : الحمقاء الصغيرة .
٤ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥٥ .

من آل مرة بين المستضاء بهم ... من بين قيس بن مسعود وبسطام(١)

فبعثت النوار إلى جرير فشكت الفرزدق إليه فقال :

يا زيق قد كنت من شيبان في حسب ... يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق
انكحت ويحك قيناً باسته حمم ... يا زيق ويحك إذا بارت لك السوق
يا زيق أنكحت قوماً في صدورهم ... غلٌّ قديم وفي أخلاقهم ضيق
غاب المثنى فلم يشهد بحبهم ... والحوفزان ولم يشهدك مفروق
يارُبَّ قائلة بعد البناء بها ... لا الصهر راضٍ ولا ابن القين معشوق

وقال جرير في قصيدة له :

جزى الله زيقاً وابن زيق ملامة ... على أنني في ود شيبان راغب
أأهديتَ يا زيق ابن زيقٍ غريبة ... إلى شر من يهدى إليه الغرائب
وما عدلتْ ذات الصليب قبيلة ... عتيبة والردفان منها وحاجب(٢)

فأجابه الفرزدق يقول فيه :

فلو كنت من اكفاء حدراء لم تلم ... على دارمي بين ليلى وغالب
فَنَلْ مثلها من مثلهم ثم لُمْهُمُ ... بقومٍ أُلي مالٍ مراح وعازب
وإني لأخشى إن خطبت إليهم ... عليك الذي لاقى يسار الكواعب
هم أنكحوا قبلي لقيطاً وأنكحوا ... ضراراً وهم اكفاؤنا في المناصب
ولو تُنكح الشمس النجوم بناتها ... نكحنا بنات الشمس قبل الكواكب
ولو قبلوا مني عطية سُقْتُهُ ... إلى آل زيق من وصيفٍ مقارب(٣)

---

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٠١ مع فوارق كبيرة .
٢ - لم ترد هذه الأبيات في ديوان جرير المطبوع .
٣ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٩٧ .

وحدثني محمد بن أنس قال : رأى الفرزدق كثيّر عزة ينشد بالمدينة فحسده فقال : يافتى أُشبهك بي شعراً وشكلاً ، فهل دخلت أمك البصرة ؟ فقال : لا ولكن دخلها أبي .

وقال أبو عبيدة : ولدت النوار للفرزدق : لبطة . وخبطة . وسبطة . وركضة . وزمعة .

وقال أبو عبيدة قال الحجاج للفرزدق : أتزوجتَ أعرابية على مائة بعير ؟ فقال عنبسة بن سعيد : إنما هي إنقاص قيمة البعير منها عشرون درهماً فقال الحجاج : ليس غير بلال يعطي الفرزدق ألفي درهم .

وقدم الفضيل بن ديسم بصدقات بكر بن وائل ، فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفي درهم وخمسمائة درهم ، ثم أتى الحجاج فصلى معه الظهر فلما رآه قال : مَهِيم ؟ فقال : إن الفضيل بن ديسم العنزي قدم بصدقات بكر وقد اشتريت منها مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم فأمر الحجاج بدفع مائة بعير إليه ، وأثبتها الفضيل ، ومنعته النوار أن يسوق المائة كلها فحبس بعضها وساق الباقي يريد به زيقاً ، فلما وقف على باريّة زيق وزيق جالس رحب به وقال : انزل فإن حدراء قد ماتت ، وكان زيق نصرانياً فقال : قد عرفنا أنه يصيبك في دينكم نصف ميراثها ، فلم يقبله الفرزدق ، وقال الفرزق شعراً يقول فيه :

يقولون زُرْ حدراء والتُّرْبُ دونها ... وكيف بشيء وَصْلُه قد تقطَّعَا
وأَهْوَنُ رزءٍ لامرىءٍ غيرُ عاجز ... رزيَّةُ مُرْتَجِّ الرَّوَادِفِ أَفْرَعَا
ولستُ وإن عَزَّتْ عليَّ بجائز ... تراباً على مرسومة قَدْ تَجَمَّعَا[1]

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٢٢ مع فوارق كبيرة .

فأجابه جرير بشعر يقول فيه :

ولما غررتم من إناسٍ كريمة لَؤُمْتُم وضِقْتُم بالكرائم أَذْرُعَا
فإنك لو عاودت شيبان بعدها لأبت بمصلوم الخياشم أجدعا
وحدراء لو لم ينجها الله بُرِّزَتْ إلى شرِّ ذِي حَرَثٍ دمالا ومزرعا(1)

وقال جرير يدَّعي أن حدراء لم تُمُتْ ولكنهم منعوه إياها :

لئن جمحت عرس الفرزدق والتوى بحدراء قوم لم يروه لها أهلا
رأوا أن صهر القين عارٌ عليهم وأن لبسطامٍ على دارم فضلا
دَعَتْ يا آل ذهلٍ رغبةً عن مجاشع وهل بعدها حدراء داعية ذهلا(2)

قالوا: ودفع سليمان بن عبد الملك أسيراً إلى الفرزدق ليقتله فنبا عنه سيفه فقال جرير :

بسيفِ أبي رغوان سيف مجاشع ضربتَ ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربتَ به عند الإمام فأرعَشَتْ يداك وقالوا محدث غير صارم(3)

فقال الفرزدق :

وسيف بني عبس وقد ضربوا به نَبَا بيدي ورقاء عن رأس خالد(4)

يعني خالد بن جعفر بن كلاب .

قالوا : ومرَّ الفرزدق بالبصرة فاذا زياد بن جابر الأعجم ينشد والناس مجتمعون عليه فحسده ، وأراد أن يضع منه فسلم عليه فحياه الأعجم ، فقال له الفرزدق : مازالت نفسي تنازعني إلى هجاء عبد القيس فقال

١ ـ ديوان جرير ص ٢٦٤ .
٢ ـ ديوان جرير ص ٣٣٦ ـ ٣٣٨ مع فوارق .
٣ ـ ديوان جرير ص ٤٦٢ .
٤ ـ :يوان الفرزدق ج ١ ص ١٥٧ .

الأعجم : وما يجرّيك على ذلك ؟ فقال : يجريني أن كعباً الأشعري هجاهم فلم يصنع شيئاً ، ولم ترد عليه في قوله :

إني وإن كنتُ فرع الأزد قد علموا   أخزى إذا قلتُ عبد القيس أخوالي

بما يضارع ذلك أفيغلبك كعب وأعجز عنك ؟ فقال الأعجم : إني باعث إليك بشعر فأجبني فكتب إليه بهذا الشعر :

ما ترك الهاجون لي إن هجوتهم   مصحاً أراه في أديم الفرزدق
وما تركوا لحماً يرى فوق عظمةٍ   لآكِلِهِ أبْقَوْه للمتعرق
أأحطم ما أبقوا له من عظامه   وانكت مخ الساق منه وانتقي
فإنّا وما تهدي لنا إن هجوتنا   لكالبحر مهما تلق في البحر يغرق[1]

فلما أنشده الفرزدق قال : لا أهجو قوماً هذا منهم .

قالوا : وتزوج الفرزدق دهيمة وهي من آل الحارث بن عباد فارس النعامة ، فوقع بينها وبين النوار شر ، فقال الفرزدق :

سوف تريك النجم والشمس ضحوة   عقيلة آل الحارث بن عباد
أبوها الذي أدنى النعامة بعدما   أبت وائل في الغيّ غير تماد
أقمت بها مَيْلَ النوار فأصبحت   مقارنة لي بعد طول بعاد[2]

ثم إنه طلقها وهجاها فقال :

لها بشر شثن كأن مَضَمَّهُ   إذا عانقت بعلاً مضم قتاد
ومازلت حتى فرق الله بيننا   له الحمد منها في أذى وَجَهَاد
يجدد لي ذكرى عذاب جهنم   بلايا تمسيني بها وتغادي[3]

١ ـ شعر زياد الأعجم ص ١٥١ ـ ١٥٢ .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٣٤ مع فوارق كبير .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

قالوا:واتخذ الفرزدق على النوار جارية سوداء فسماها مكية ، ويقال بل أولدها جارية سماها مكية ، فكانت إذا حَمَسَ الشر بينه وبين النوار اكتنىٰ بها ، وقال :

شاهد إذا ما كنت ذا حميه بـدارمـيّ أمـة ضـبـيَّـه
سمحمح مثل أبي مكية

ومدح الزنج فقال :

يا رُبَّ خودٍ من بنات الزنج تحمل تنوراً شـديد الـوهج
أغبس مثل القدح الخلنج[1] يزداد طيباً عند طول الهرج
مَحْجَتُها بالعَرْد[2] أيَّ مَحْجِ[3]

فقالت النوار : ريحها مثل ريحك . وقال للنوار :

إنْ يَكُ خالُها من آلِ حامٍ فَحَامٌ كان أكرم من عقال[4]

وغاب الفرزدق فكتبوا إليه يشكونها فقال :

كتبتم إلينـا أنها ظلمتكم كذبتم وبيت الله بل تظلمونها
فإلا تعدوا أمها من نسائكم فإن ابن ليلى والدٌ لا يشينها[5]

وقال للنوار وكانت أمها بخارية :

أَغَرَّكِ منهـا أُدْمَـةٌ غـريبـة عَلَتْ لونها إن البخاريَّ أحمر[6]

١ ـ الخلنج : شجر ، والغبسة : الظلمة ، أو بياض فيه كدرة رماد . القاموس .
٢ ـ العرد : الذكر المنتشر المنتصب . القاموس .
٣ ـ لم ترد هذه الأرجاز بديوان الفرزدق المطبوع .
٤ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٩٥ مع فوارق .
٥ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٤٢ .
٦ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

يريد مكية .

قالوا : ولقي الفرزدق جارية لبني نهشل ، فنظر إليها نظراً شديداً فقالت : والله لو كان لي ألف حر ما طمعت في واحد منها . قال : ولم يا لخناء ؟ قالت : لأنك قبيح المنظر سيء المخبر . قال : أما والله لو جربتني لعفّىٰ خبري على منظري ، قال:ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر فتضبعت له عن مثل سنام الناب ، فعاجلها فقالت : أنكاحاً بنسيئة ؟ هذا سوء قضية . فقال : ويحك ما معي إلّا جبتي ، ثم تسنمها وقال :

أولجت فيها كذراع البكر مُدَمْلَكِ الرأس شديد الأسر
زاد على شبر ونصف شبر كأنني أولجته في جَمْرِ
يطير عند نفيان الشعر نفي شعور الناس يوم النّحْرَ[1]

في أبيات فحملت منه وماتت بجمع[2] فقال :

وغمد سلاح قد رزئت فلم أَنُحْ عليه ولم أبعثْ عليه البواكيا
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أن المنايا أخرته لياليا
كما مثله في مثلها قد وضعتُه ومازلت وثاباً أجر المخازيا[3]

وقال جرير :

وكم لك يا بن القين إن جاء سائل من ابن قصير الباع مثلك حامله
أتيت به بعد العشاء ملففاً فألقيته للذئب فالذئب آكله
وآخر لم يشعر به قد أضعته وأودعته رحماً كبيراً غوائله[4]

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .
٢ ـ جمع : المزدلفة . معجم البلدان .
٣ ـ ليست في ديوانه المطبوع .
٤ ـ ليست في ديوان جرير المطبوع .

وقال أبو عبيدة وغيره : كان الفرزدق يحلف بطلاق النوار كثيراً ويحنث فقالت له : يا هذا إنك مقيم معي على الحرام . قال : فما ترين ؟ قالت : أشهد الحسن ومن في حلقته على طلاقي ، فأتاه وعبيد أبو شفقل راويته فقال: يا أبا سعيد إن النوار طالق مني ثلاثاً، فنظر إليه الحسن، ثم أكبَّ، ثم رفع رأسه فقال : قد سمعتُ وسمع القوم ثم تولّىٰ فلما بلغ باب المسجد قال : يا أبا شفقل ، والله ما طلقتها . فقال له : كذبت قد والله طلقتها وذهبت أباطيلك ، أتدري من شهد عليك ؟ الحسن وجلساؤه . فأنشأ يقول :

ندمت ندمة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار

في أبيات .

وتزوجت النوار ابن عم لها فلما حضرت النوار الوفاة أوصت أن يصلي عليها الحسن فصلىٰ عليها الحسن ، وشهد الفرزدق جنازتها ، فلما دفنت قال الفرزدق : يا أبا سعيد يقول الناس شهد هذه الجنازة خير الناس وشر الناس يعنونك وأياي . فقال لستُ بخير الناس ولستَ بشرِّهم .

وقال أبو عبيدة : حضر ابن سيرين جنازة النوار .

حدثني التوزي عن الأصمعي ، ثنا معتمر بن سليمان عن أبي مخزوم عن أبي شفقل قال قالت لي النوار : كان بيني وبين هذا الشيخ ما علمتَ فكلمه أن يَبين طلاقي فكلمته فقال : لا والله حتى أُشهد الحسن وأصحابه فأتاه فأشهده .

قالوا : وتزوج الفرزدق طيبة من بني مجاشع بعد النوار ، وبعد أن أسنَّ ، وضعف فتركها عند أمها بالبادية ولم يكن صداقها عنده ، فكتب إلى

أبان بن الوليد البجلي ، وهو عامل خالد بن عبدالله على فارس فأعطاه فمدحه وساق إليها مهرها وقال :

لقد طال ما استودعتُ طيبة أمَّها فهذا زمان رُدَّ فيه الودائع[١]

فلما دخلت عليه عجز عنها فقال :

يا لهف نفسي على أير فُجعتِ به حين التقى الرَّكَبُ المحلوق والركب[٢]

فقال رجل من بني كوز مـن بني ضبة : عجزتَ عنها يا أبا فراس ، فوالله إني لأحمل عليه جزة صوف ثم أدرج بها ، فقال الفرزدق :

لنعم الأير أيرك يا بن كوزٍ يُقِلُّ جفالة الكبش الجزيز[٣]

فقال الكوزي : أنشدك الله والرحم . فقال لولا قرابتك لأتممتها عشراً .

وخاصمته أم طيبة إلى المهاجر بن عبدالله الكلابي وجرير عنده بالقرب من منزل المهاجر باليمامة ، فقال :

إنَّ البليـة وهي كل بليـة شيخ يعلل نفسه بـالباطـل

ولسوف يقطع حبلها من حبله حكم المهاجر بالقضاء العادل[٤]

فقال المهاجر حين سمع شعر جرير : لو أتتني الملائكة لقضيت للفرزدق عليها ، فلم تمكث معه إلا يسيراً حتى نشزت .

ورُوِيَ أن نُفيع بن صَفّار المحاربي تعرَّض بالفرزدق ، فرأته أمه ، وهو يقول فيه شعراً ، فقالت له : ما هذا ؟ فأخبرها وقال : هذا شعر أهجو به

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٢ ـ انظر في ديوان الفرزدق ج ١ ص ٩٨ واسمها فيه «ظبية» .
٣ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٤ ـ ليسا في ديوان جرير المطبوع .

كلب تميم . فقالت : يا بني لست والله تُقرن به ، وقد عرَّضْتني لما أكره ، وأنا غريبة فيكم ولا آمن أن يهجو قومي ، فأبىٰ فأتت قبر غالب فاستجارت به ، فبلغ ذلك الفرزدق ، فأتىٰ القبر وسألها عن خبرها فأعلمته فقال الفرزدق .

وإنَّ نفيعاً إذ هجاني لحينه كباحثة عن شفرة تستثيرها
لئن نافع لم يَرْعَ أرحام أمه وكانت كدلوٍ لايزال يعيرها
لبئس دم المولود بَلَّ ثيابها عشية نادىٰ بالغلام بشيرها[1]

حدثني أبو محمد التوزي عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال : قال رجل للفرزدق : أيما أكبر أنت أم جرير ؟فقال : لقد طعن عليٌّ في فرجي قبل أن يولد جرير .

وحدثنا عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال : قال رجل لرؤبة : من كان أشد الشعراء الذين هاجاهم جرير عليه ؟ فقال : الفرزدق .

وحُدثت عن أبي عبيدة عن منتجع بن نبهان عن الأشهب بن رُمَيْلة قال : جاء الفرزدق إلى ناحيتنا فجعل الصبيان ينظرون إليه وهو على بغلة له ، فقال : ما لكم تنظرون إلي يا صبيان نظر التيوس إلى مُدى الجزار ؟ فصاحوا به : القرد مليح ، القرد مليح . فجعل يفر من أيديهم ويضرب بغلته ويقول : عدس .

حدثني الحرمازي عن مشايخه أن الفرزدق قال : ضَوَّال الشعر أحب إلي من ضَوَّال الإبل .

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٦٧ ـ ٣٧٠ مع فوارق كبيرة .

وحدثني التوزي النحوي عن أبي عبيدة قال : كان الفرزدق يختلف إلىٰ نَبَّاذٍ بالبصرة يقال له سنان ، فغلا التمر فاستخفىٰ سنان من دين عليه فقال الفرزدق :

غلا التمر واستخفىٰ سنان وفَرَّخَتْ خفافيش في راقودة المُتَلَّم(١)

وحدثني أبو عدنان ، ثنا الأصمعي قال : كان بالبصرة مولى لبني حنيفة يكنىٰ أبا الخشناء يتولى بعض عمل البريد بالبصرة فمات ، فسأله قوم من بني حنيفة أن يرثيه فقال :

لِيَبْكِ أبا الخشناء بغلٌ وبغلةٌ ومخلاة سوء قد أُبيد شعيرها
ومِجرفة ومروحة ومجسة وطيرٍ أواريٍّ(٢) تداعت شطورها
وفُرَّانِقٌ(٣) يبكي علىٰ رزق شهره ومقرعة صفراء بالٍ سيورها(٤)

وحُدثت أن أبا عمرو بن العلاء قال: أتاني حماد الراوية فقال: كَلِّمْ لي الفرزدق في أن يُرَوِّني شعره ، فكلمته فقال له الفرزدق : ممن أنت ؟ قال : من بني شيبان . قال : أرويت أشعار قومك ؟ قال : نعم . فقال : أتروي لفلان شيئاً ؟ فذكر شاعراً لم يعرفه حماد ، ثم ذكر شاعراً آخر فقال : لا أعرفه . فقال : أنت لا تروي أشعار قومك ، أفتريد أن تكتب شعري ؟ فقال حماد : فكنت آتيه فما خرجت من عنده قط إلا وأنا سكران فأنشدني :

ومات أبي والأقرعان كلاهما وعمرو بن كلثوم شهاب الأراقم(٥)

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٢ ـ الأوار : ·ر النار والشمس والعطش والدخان . القاموس .
٣ ـ الفرانق : الذي يدل صاحب البريد على الطريق . القاموس .
٤ ـ ليسوا في ديوانه المطبوع .
٥ ـ ديوان الفرزدق ج ١٢ ص ٢٠٦ مع فوارق .

فقلت له : أخبرني عن أبيك ما كان إذ قرنتَهُ بهؤلاء ، فقال : كان والله لا يساوي عباءة .

قال:ومر الفرزدق بجندل بن سُفيح المنقري فصال به جمله فألقى إليه سيفه وقال : عرقبه ، فضربه فلم يعرقبه ، فقام رجل يقال له حُمَيّ فعرقبه فقال الفرزدق :

لعمرك ما أدري أعجز بجندل عن العَوْدِ أم لم يَدْرِ أين مضاربه
فما كان عند الروع إلا وليدة يَنُوسُ لها بظرٌ طويل ذَبَاذِبُه
أَعَضَّ حِمِيٌّ ساقة السيف بعدما رأى خابطاً يغشى من الموت صاحبه[1]

قال وحج الفرزدق فلما قضى حجته أتى المدينة ، فدخل على سكينة بنت الحسين بن علي مسلّماً ، فقالت له : يا فرزدق من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ، أشعر منك صاحبك جرير حين يقول :

بنفسي من تجنبه عزيز علـيَّ ومن زيارته لمام
ومن أُمسي وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجع النيام[2]

فخرج ثم عاد ، فقالت له : يا فرزدق من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . صاحبك أشعر منك حين يقول :

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
كانت إذا هجع الضجيع فراشها كُتِم الحديث وعَفَّت الأسرار
لا يبرح القرناء أن يتفرقوا ليل يكرُّ عليهم ونهار[3]

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٧١ مع فوارق كبيرة .
٢ ـ ديوان جرير ص ٤١٦ .
٣ ـ ديوان جرير ص ١٥٤ ـ ١٦٠ مع فوارق .

فخرج ، ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحولها مولدات لها كأنهن التماثيل ، فنظر الفرزدق إلى جارية منهنَّ فكاد يجن وبهت ينظر إليها ، فقالت سكينة : من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ، صاحبك أشعر منك حين يقول :

إن العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا[1]

فقال : ائذني لي حتى أنشدك أجود من شعره ، فلم تفعل . فقال : يا بنت رسول الله ضربت إليك من مكة للسلام عليك فكذبتني ومنعتني أن أنشدك شيئاً من شعري ، وهذه المنايا تغدو وتروح ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت فان أنا متُّ فأمري جعُلتُ فداك أن أُدفن في حر هذه الجارية ، يعني التي أعجبته ، فضحكت سكينة ، ووهبت الجارية له ، وقالت : يا فرزدق أَحْسِنْ صحبتها فقد آثرتك بها على نفسي .

وقالوا:لقي ضرار بن القعقاع وابن أحوق العنبري الفرزدق فقالا له : أَجِبْ الأمير الجراح بن عبد الله الحكمي فتعتعاه وزلزلاه ، وكان من أجبن الناس حتى إذا كاد يموت ضحكا منه وتركاه فقال :

ما كنت لو فَرَّقْتُماني كلا كما لأَجْزَعَ مما تصنعان وأَفْرَقَا
لكنما فرقتماني بضيغمٍ إذا علقتْ أنيابُهُ القَرْنَ مَزَّقَا
لشَرُّ عريفٍ من مَعَدٍّ ومنكبٍ ضرار الخنا والعنبريُّ ابن أحوقا[2]

قالوا:ولما ولي يزيد بن المهلب صلاة العراق وأحداثه ، وولي صالح بن

١ ـ ديوان جرير ص ٤٩٢ مع فوارق .
٢ ـ ليست في ديوانه المطبوع .

عبد الرحمن الخراج لقي رجل الفرزدق فقال له : قد ولي يزيد بن المهلب الصلاة بأهل العراقين ؛ والخراج بهما صالح بن عبد الرحمن . فقال الفرزدق : إنما هو شُرَطِيٌّ لمولانا صالح بن عبد الرحمن يأمره بحبس من أراد ويجري له ما أراد . فقال الرجل : أما إني سأخبره بمقالتك . فقال الفرزدق :

سيمنع عبد الله ظلمي ونهشل وضبَّةَ بالبيض الحديث صقالها
ومأمومة فيها الحديد كثيفة إذا ما ارجحنَّتْ بالمنايا ظلالها
هنالك لو رام ابن دحمة ظلمنا رأى لامعات الموت يبرق حالها[1]

قالوا: لما مر بنو نهشل وبنو مرة بن فقيم بن خازم بأبي الفرزدق بالقبينات فشربوا الماء الذي كان منعهم منه وأوثقوه ، فمشى الفرزدق حتى شق أسقيتهم وقربهم وعقر بعض إبلهم تحمل غالب أبو الفرزدق يريد كاظمة ، فعقروا بعيراً لغالب عليه معه أم الفرزدق فقال الذي عقره واسمه ذكوان :

لقد عَضَّ سيفي ساق عَوْدِ فتاتهم وخَرَّ على ذات الجلاميد غالب
تكدح منه وجهه وجبينه فذلك منه إنْ تبينتُ جالب

وقال جرير :

لعمري لقد أخزى أباك بسعِيِه وأُمَّكَ ذكوان الذي لا يصاوله[2] .

وكان الفرزدق وأخوه الأخطل غائبين .

ابن الأعرابي قال : تزوج يزيد بن المهلب عاتكة بنت الملاءة ، والملاءة أمها ، وأبوها الفرات بن معاوية البكائي . وخرج بها إلى واسط فقتل عنها فقال الفرزدق :

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ مع فوارق .
٢ ـ ليس في ديوان جرير المطبوع .

إذا ما المَزُونيّات أصبحن حُسَّراً يُبكِّينَ أشلاء على عقر بـابل
فكن طـالباً بنت المـلائة إنها تذكر ريعان الشباب المزايل(١)

أبو الحسن المدائني قال : استزار يزيد بن المهلب الفرزدق ، ويزيد بجرجان ، فأراد الخروج إليه ثم خافه فأنشأ يقول :

دعاني إلى جرجان والري دونه أبــو خـالــد إني إذاً لـزؤور
لأني من آل المهـلب ثـائـر بأعـراضـهم والـدائـرات تــدور
سآبي وتــأبى لي تميم وربمـا أبيت فلم يقـدر علي أمـير(٢)

فلما بلغ يزيد هذا الشعر قال : لقد كنت أعددت له مائة ألف درهم أصله بها . فبلغ الفرزدق قوله فقال : صدق ، كان يدفعها إلي ، ثم يدس إلي من يقتلني ويردها عليه .

حدثني عمر بن شبه ، حدثني ابن سلام الجمحي قال : قال الفرزدق في مديحه لسليمان بن عبد الملك :

وكم أطلقت كفاك من قيد يابس ومن عُقَدٍ ما كان يُرْجى انحلالها(٣)

وكان الحجاج حبسه زماناً . قال : فخرجت فرأيت عظماً فكدتُ أنهشه من القرم(٤) .

وحدثنا أبو عدنان عن أبي عبيدة قال : حدثني أعين بن لبطة بن الفرزدق عن أبيه لبطة قال : دخلت مع أبي على سليمان بن عبد الملك فأنشدت قصيدة أبي التي يقول فيها :

١ ـ ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٩٩ .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٧٥ ـ ٧٦ . مع فوارق واضحة .
٤ ـ القرم : الشوق إلى اللحم .

لئن نفر الحجاج آل معتب لقوا دولة كان العدو يداها
لقد أصبح الأحياء منهم أذلة وفي الناس موتاهم كلوحاً سبالها
وكنا إذا قلنا اتق الله شمرت به عزة ما يستطاع جدالها(١)

فقال سليمان : يا فرزدق إذا مدحتني فجوّد في الشعر ، فلهزني أبي لهزة قعدت منها وأنشد :

طرقت نوار ودون مطرقها جذب البرى لنواحل صعر(٢)

وفيها يقول :

وإلى سليمان الذي سكنتْ أروى الهضاب له من الذعر
وتراجع الطراد إذ وثقوا بالأمن من رتبيل والشحر(٣)

قال أبو عبيدة : فلما خرج الفرزدق يومئذ من عند سليمان قال له رجل : يا أبا فراس رثيته حين ظننت أن ابنه يثبت على عمله ، ثم هجوته بعد ذلك . فقال : إنما نكون مع القوم ما كان الله معهم ، فاذا تركهم من يده تركناهم .

قال:وكان الفرزدق رثى الحجاج ، وابنه على صلاة العراق ، ويزيد بن أبي مسلم على الخراج ، ويزيد ابن أبي كبشة على الحرب لأنه لما حضرته الوفاة استخلفهم على ذلك ، فقال الفرزدق شعراً يقول فيه :

فليت الأكف الدافنات ابن يوسفٍ تقطعن إذا يحثين فوق السقائف

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٧٥ ـ ٧٦ مع فوارق واضحة .

٢ ـ البرى : واحدتها برة : حلقة توضع في أنف البعير ، والصعر : المائلة خدودها من جذب الأزمة .

٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ ، ورتبيل لقب ملك سجستان ، والشحر : ساحل مهرة باليمن .

فما حملت أنثى على الأرض مثله ولاخُطَّ نعيٌ في بطون الصحائف[١]

وقال أبو عبيدة : لما ولي فراس بن سميّ بن رباط صلاة البصرة طلب الفرزدق ، فقال له خلف بن زياد العمي ، وكانت إليه نقابة بني مالك بن حنظلة : إن الفرزدق فَرُوقةٌ، وإن بلغه طلبك إياه هرب، فقال: أرسلوا إلى أبي فراس من يأتي به ، وبلغه الخبر فهرب الفرزدق وقال فراس لخلف : أنت أنذرته ، فحبسه وأرسل إلى النوار امرأة الفرزدق فحبسها ، ولحق الفرزدق بالبادية ، ثم لحق بيزيد بن عبد الملك وقال :

إني حملت الهم حين جمعته إليك وحزني للأسير المقيد
سبقت إليك الطالبين وانهم لخلفي وقدامي على كل مرصد[٢]

في أبيات فكتب يزيد بتخليه خلف والنوار ، وايمان الفرزدق .

وحدثني أبو عدنان عن أبي عبيدة قال : لما ولي عمر بن هبيرة العراق قال الفرزدق :

أمير المؤمنين وانت عف كريم لست بالطمع الحريص
أأطعمت العراق ورافديه[٣] فزارياً أَحَذَّ يد القميص
ولم يك قبلها راعي مخاضٍ ليأمنه على وركي قلوص
تفهق بالعراق أبو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص[٤]

فلما حبس خالد بن عبد الله عمر بن هبيرة قال الفرزدق :

لقد حبس القسري في سجن واسط فتى شيظمياً لا ينهنهه الزجر

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥ ـ ٦ .
٢ ـ انظر ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٤٠ ـ ١٤٢ .
٣ ـ بهامش الأصل : رافديه دجلة والفرات .
٤ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٨٩ مع فوارق .

فتى لم توركه الإماء ولم يكن غذاءً له لحم الخنازير والخمر[١]

فقال ابن هبيرة : ما رأيت أكرم من الفرزدق مدحني أسيراً ، وهجاني أميراً .

المدائني قال : كتب بلال بن أبي بردة إلى الشماخ عامله على اليمامة في تسخير الإبل فسخر إبلاً لابن الفرزدق ، فجعل ابن الفرزدق يعقرها ، فضربه الشماخ مائة سوط ، فاستعدى الفرزدق بلالا ، فلم يُعده فقال :

فلو كان من جهال قومي عذرته ولكن عبداً من شعاعة أحمرا[٢]

وكلم الفرزدق الزَعْل الجرمي في حاجة لراويته أبي شَفْقَل فلم يقضها فقال :

سل الزعل عن آبائه ثم قل له ألستَ ابن جرم معدن اللؤم والبخل
وما خلت جرماً يعرفون أباهم إذا حُصّلوا يوماً ونُجلوا إلى الأصل[٣]

في أبيات فلام بلال الفرزدق على هذا الشعر ، فقال : ليس هو لي ، وإنما هو من قذائف الشيطان ، فقضى بلال حاجته .

وحدثني التوزي عن الأصمعي قال : كان الحجاج يقول : ما أشعر الفرزدق في قوله لي :

لا يألف البخل إن النفس باسلة والرأي مجتمع والجود منتشر[٤]

وحُدثت عن أبي بكر الهذلي قال : كنا عند الحسن ، فجاء رجل فقال : يا أبا سعيد الرجل يقول لا والله وبلى والله لا يعتقد اليمين . فقال

١ ـ ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .
٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٣ ـ ليسا في ديوانه المطبوع ، الناجل : الكريم النسل . القاموس .
٤ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٤٩ مع فوارق .

الفرزدق : أما سمعت قولي في ذلك ؟ فقال الحسن : وما قولك ؟ فأنشده :

ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم[١]

فسكت الحسن ثم جاء رجل فقال : يا أبا سعيد إنّا نكون في هذه المغازي فنصيب المرأة ذات زوج أفيحل غشيانها ولم يطلقها زوجها ؟ فقال له الفرزدق : أما سمعت قولي :

وذات حليل أنكحتها رماحنا حلالاً لمن يبني بها لم تُطلَّق[٢]

فسكت الحسن .

وحدثني بعض أشياخنا قال : دخل الفرزدق على عبد الملك ، ويقال سليمان بن عبد الملك ، فقال له : صف لي النساء ما بين عشرين إلى مائة سنة ، فأنشأ يقول :

متى تلق بنت العشر قد نُضَّ[٣] ثديها كلؤلؤة الغواص يؤنق جيدها
وصاحبة العشرين لا شيء مثلها فتلك التي يلهو بها من يفيدها
وبنت الثلاثين الشفاء حديثها من الموت لم تهرم ولم يَذْو عُودُها
وإن تلق بنت الأربعين فغبطة وخير نساء الأربعين ولودها
وصاحبة الخمسين فيها بقية لنائكها إن شاء صلب عمودها
وصاحبة الستين قد رق جلدها وفيها متاع للذي قد يريدها
وصاحبة السبعين لا خير عندها ولا لذة فيها لمن يستفيدها
وذات الثمانين التي قد تحشفت من الكبر المفني ولاح وريدها

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٠٧ .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٨ .
٣ ـ نض الماء : سال قليلاً قليلاً ، والقربة من شدة الملء انشقت ، والنض : الإظهار . القاموس

وصاحبة التسعين يرجف رأسها إن الليل أرسى قل فيه هجودها
ومن يطلب الأخرى فلا عقل عنده تظن بأن الناس طراً عبيدها[١]

وقال الفرزدق لمخنث : ويلك لم تنتف لحيتك وهي جمال وجهك ؟ فقال : يا أبا فراس أيسرك أن في استك مثلها ؟ قال : لا . قال : فشيء لا ترضاه لأستك تأمرني أن أرضاه لوجهي ؟

وزعموا أن الفرزدق قال لمجنون رآه : أتَحْسِبُ ؟ قال : نعم . قال : فخذ ستة ونكتها وخذ سبعة ونكتها وخذ أربعة ونكتها كم معك ؟ قال : سبعة عشر ونكتها ثلاث مرات .

ورآه مجنون بالكوفة وهو يسقي بغلته فعبث بها فزجره ، فقال له المجنون : مالك يا كذوب الحنجرة زاني الكمرة .

ومنهم : **حنْظَلَة بن عقال بن صعصعة** وهو الذي يقول :

أعددت للفمِ رحيب المَغْلَقِ
تكاد أطراف الرغيف تلتقي
على نواحي فمه المجردق[٢]
لقما بكَفَّيْ دارميّ أشدق

وكان أكل عند سليمان بن عبد الملك ، وكان سليمان أكولاً يحب أن يأكل عنده الرجل الأكول ، وكان مساور بن حنظلة بن عقال على الموصل .

ومنهم : **سُبيع بن ناجية** ولم يكن له ذلك الذكر .

ومنهم : **حنظلة بن صعصعة** وكان له عقب بأدواء[٣] .

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .
٢ ـ الجردقة : الرغيف . القاموس .
٣ ـ الأدواء : موضع في ديار تميم بنجد . معجم البلدان .

ومنهم : **عبدالله بن نوح بن عامر بن صعصعة بن ناجية** .

ومنهم : **البعار الشاعر** ، وهو علقمة بن حُويّ بن سفيان بن مجاشع .

وقال غير الكلبي : هو عبدالله بن عامر بن صعصعة بن ناجية ، وكان مع ابن الأشعث ثم إنه غدر به ومال عنه وضرب رأسه بعمود في مجلس رتبيل فشجَّه حين تبرأ رتبيل منه ، وقد كتبنا خبره فيما تقدم .

ومنهم : **ضبيعة بن ناجية** بن عقال ، وابنه أعين بن ضبيعة ، وكان أعين دنا من خدر عائشة يوم الجمل فقالت : هتك الله سترك وأبدى عورتك .

ووجهه علي إلى البصرة ، فنزل الحدَّان على صبرة بن شيمان فقتل ، قتله بنو سعد ، وقد ذكرت خبره فيما تقدم . وأعين بن ضبيعة أبو النوار امرأة الفرزدق ، وأمها سلافة أم ولد خراسانية .

ومنهم في رواية أبي اليقظان: أبو حُمار بن ناجية، وابنه حُمار أبو عياض[1] بن حمار ، وهو الذي أهدى إلى النبي ﷺ ، وهو مشرك ، فقال النبي ﷺ : «لا أقبل زَبْدَ المشركين» . وروى عن النبي ﷺ ، وكان في الجاهلية إذا أتى مكة نزل على النبي ﷺ .

وقال هشام ابن الكلبي هو عياض بن حمار بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، وفد إلى النبي ﷺ قبل أن يسلم ومعه نجيبة يهديها إليه فقال : «أسلمت ؟ قال : لا . قال:فإن الله نهانا أن نقبل زَبْدَ المشركين» ، فأسلم فقبلها منه فقال : يا نبي الله الرجل من قومي أسفل مني يشتمني أفأنتصر منه ؟ فقال ﷺ : «المُسْتَبَّانِ شيطانان يتكاذبان» .

---

١ ـ بهامش الأصل : عياض بن حمار رحمه الله .

وكان الزبير سأل عن عياض يوم الجمل لينزل عليه حين انصرف ، فلقي النَعِر بن زمّام المجاشعي ، فسأل عنه فقيل هو بالعرق ، فذهب الزبير يريده فقتله ابن جرموز بوادي السباع ، وقد روى عياض عن النبي ﷺ وله صحبه .

ومنهم : **عرفجة بن ناجية** ولد : ذؤيب بن عرفجة ، وكان ذؤيب أسر في الجاهلية ففدي بزقّينْ من خمر ، فعَيَّرَ الفرزدق الخيار بن سبرة بن ذؤيب بن عرفجة بن ناجية بذلك ، وكان الحجاج وجَّهَ الخيار بن سبرة إلى يزيد بن المهلب لينصرف إليه يعلم حاله وخبره ، فأتاه فقال : جئتك من عند قوم أسرجوا ولم يلجموا ، فبلغ ذلك ولد المهلب فحقدوا عليه ، فولاه الحجاج عُمان فأقام بها عاملاً ، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جاريه فقال :

كتبت إلي تستهـدي جوارا لقد أنعظتَ من بلد بعيد

فقال الفرزدق :

لقد قال الخيار مقال جهل قد استهدى الفرزدق من بعيد
فلولا أن أمك كان جَدِّي أباها كنت أخرس بالنشيد
وأن أبي ابن عم أبيك لَحًّا وأنك حين تنسب من أسودي
شَدَدْتُ عليك شدة أعوجيّ يدقُّ شكيم مجدول الحديد[1]

ومات الحجاج والخيار على عُمان ، وولي يزيد بن المهلب العراق في أيام سليمان بن عبد الملك ، فاستعمل زياد بن المهلب على عُمان فقدمها ، وقتل الخيار ، فقال الفرزدق :

---

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .

فلو كنت مثلي يا خيار لشمرت بك العيسُ سير العِوْهَجي وداعر[1]
ألم تكُ في أرض المهاري مُسلطَاً على كل بادٍ من عمان وحاضر
فهلا شددتَ الحُزْمَ فوق متونها بكل علافيٍّ من الميس قاتر[2]

وللخيار عقب . فلما قتل هلال بن أحوز من قتل من آل المهلب ، قال جرير يذكر إدراكه بدم الخيار ، وغيره ممن قتل من آل المهلب :

تركت بقبر للخيار ومالـك وقبر عديٍّ في المقابر أُقبرا
وأدرك ثـأر المسمعـين بسيفـه وأغضب في قتل الخيار فأنكرا[3]

مالك بن مسمع ، وعدي بن أرطاة الفزاري والمسمعان : مالك بن مسمع بن مالك بن مسمع ، وعبدالله بن مسمع بن مالك بن مسمع .

ومنهم : **الحُتات بن يزيد بن علقمة** بن حويّ بن سفيان بن مجاشع ، وهو الذي قال : يا بني مجاشع كونوا كما قال الله في كتابه : لا يعجز القوم إذا تعاونوا .

ووفد على معاوية فمات وقد أمر له بصلة فلم يقبضها ، وقال الفرزدق :

أبوك وعمي يا معاوي أورثا تراثاً فيحتاز التراث أقـاربه
فما بال ميراث الحُتات حويته وميراث صخر جامد لك ذائبه[4]

---

١ ـ العوهجي وداعر : فحلان .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٣٧ . والعلافي : الرحل ، نسبة إلى رجل من قضاعة يقال له علاف ، قيل إنه أول من نحت الرحال ، وركب عليها ، والميس : شجر معروف ، والقاتر : الجيد الوقوع على الظهر .
٣ ـ ديوان جرير ص ١٨٥ مع فوارق .
٤ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٥ مع فوارق .

وقد كتبنا الخبر فيما تقدم ، وكان اسم الحتات عامراً ، وفيه يقول الأسود بن يعفر :

وما خلتُني في الحنظليين قَعْدَداً فيظلمني يالهف أُميَّ عامر

وأسلم الحتات في خلافة أبي بكر ووفد إلى عمر بن الخطاب .

وقال سحيم بن حفص : وفد حتات على معاوية مع الأحنف ، وجارية بن قدامة ، فأعطى كل واحد منهما مائة ألف ، وأعطاه سبعين ألفاً فقبلها ، فلما كان في بعض الطريق قيل له إنهما فضلا عليك بثلاثين ألفاً ، فرجع إلى معاوية فقال : أعطيت مُخذلاً ومُحرفاً مائة الف وأعطيتني سبعين ألفاً فقال : يا أبا منازل إني اشتريت منهم دينهم لأنهم كانوا من أصحاب علي ، وأنت عثماني فقال : ومني فاشتر ديني فأكمل له مائة ألف درهم ، ثم وفد إليه أيضاً فأعطاه أربعين ألفاً ، فمات بالشام فارتجع معاوية المال ، فقال فيه الفرزدق :

أبوك وعمي يا معاوي أورثا تراثاً فيحتاز التراث أقاربه

وكان للحتات قطيعة بالبصرة ، أتاها ابنه المبارك فمرض بها فتطير الحتات فباعها ، ومات المبارك قبله . وولي عبد الملك بن الحتات عُمان في أيام معاوية ، وكان علقمة بن نهاز بن عبد الله بن الحتات من جند أبي جعفر المنصور .

ومنهم : عبدالله بن حكيم بن زياد بن حُوَيّ بن سفيان ، كان شريفاً ، وهو الذي حمل دماء أهل البصرة في أيام ابن زياد .

وقال أبو اليقظان : جعل عبدالله بن حكيم رهينة أيام قتل مسعود في ربيعة والأزد ، فقال الفرزدق :

ومنا الذي أعطى يديه رهينة لغاري نزار قبل ضرب الجماجم
كفى كل أم ما تخاف على ابنها وهنّ قيامٌ رافعات المعاصم[١]

وخرج عبدالله يوم رُستقاباذ على الحجاج ، فقتله الحجاج وصلبه ، وله عقب .

وكان من بني حُوَيّ بن سفيان[٢] أيضاً : حكيم بن ربيع ، كانت عنده أخت الحَنْتَف بن السِجف ولا عقب له .

وقال ابن الكلبي : كان سفيان بن مجاشع أول فارس ورد الكلاب الأول ، وهو جد الفرزدق ، وكان نازلاً في بني تغلب مع إخوته لأمه .

وكان سبب الكلاب الأول أن أمر شرحبيل وسلمة ابني الحارث عَميَّ امرىء القيس بن حجر الكندي تشتت وتفرقت كلمتهما ، وكان الحارث فرق بنيه ملوكاً على العرب ، فسار شرحبيل ببكر بن وائل ومن معه من قبائل حنظلة وبني أسيد بن عمرو ، فنزل الكلاب ، وهو ماء لبني تميم بين الكوفة والبصرة على بضع عشرة ليلة من اليمامة ، وسار سلمة بن الحارث ببني تغلب وسعد وجماعة من الناس . وجعل السفاح وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير يقول : إن الكلاب ماؤنا فخلوه .

وكان أول من ورد الكلاب من بني تميم سفيان بن مجاشع ، وكان في بني تغلب ، وكانت بكر قتلت له يومئذ ستة بنين ، منهم : مرة بن سفيان ، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان فقال سفيان :

الشيخ شيخ ثكلان والورد ورد عجلان

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣١٨ ـ ٣٢١ مع فوارق . وغاري نزار : جيشيها العظيمين .
٢ ـ بهامش الأصل : الكلاب الأول .

والجــوف جــوف حــران أنعى اليك مرة بن سفيـان

وقتل يومئذ شرحبيل بن الحارث ، جعل سلمة أخوه في رأسه مائة من الإبل ، قتله أبو حنش عُصَم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير ، ثم ندم سلمة فأراد قتل أبي حنش فهرب فقال سلمة :

ألا أبلغ بني حنش رسولاً فمالك لا تجيء إلى الثواب
تعلَّم أن خير الناس طراً قتيـل بين أحجـار الكلاب

وفيه يقول معدي كرب بن الحارث أخوه :

إنَّ جنبي عن الفراش لناب كتجافي الأسر فوق الظراب
من حـديث نمى إليّ فمــ ــا ترقأ عينيْ وما أُسيغ شرابي
مُرَّة كالذعاف اكتمها الناسـ ــس على حَرٍّ مَلَّةٍ كالشهاب
من شرحبيل إذ تعاوره الأرمـ ــاح من بَعِد نعمةٍ وَشباب
يا بن أمي لو شهدتك تدعو تميمـ ــاً وأنــتَ غــير مجــاب
ثم طاعنت من ورائك حتى تبلغ الرحب أو تبز ثيـابي

قالوا : وكان مرة بن سفيان يكنى أبا سَنْدُوشة ، وفي سفيان بن مجاشع يقول الفرزدق :

شيوخ منهم عُدُس بن زيد وسفيان الذي ورد الكلابا(١)

ومنهم الحارث بن شريح بن يزيد بن سواد بن ورد بن مرة بن سفيان صاحب العصبية بخراسان وكان يكنى أبا حاتم .

وقال غير الكلبي : هو الحارث بن عُمير ، وكان عطاء شريح سبعمائة درهم ، وله دار بالبصرة في بني مجاشع ، وكان الحارث بن شريح بخراسان ،

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٩٩ .

فأنكر مظلمة ظلم بها قوم في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المري فقال الشاعر :

أبى ابن شريج أن يكون جنيبة لمرة إذ صدّت وجار امامها

وولي بعد الجنيد عاصم بن عبدالله الهلالي فخرج عليه الحارث ، ثم صالحه على نفي الظلم والجور ، وأن يكون أمرهما واحداً ، إن لم يغير هشام ما أنكر ، وقال خالد بن عبدالله القسري حين بلغه قتل الحارث بن شريج

يرجى ابن شرج أن يكون خليفة وهيهات أسباب الخلافة من شرج

وحدثني حماد بن بَغْسَل عن سلمويه أبي صالح قال : قاتل الحارث بن شريج أسد بن عبدالله أخا خالد ، ثم صار إلى الترك ، فلما ولي نصر بن سيار أمَّنَهُ ، فسأله أن يعزل كل عامل جائر كان لمن قبله وله ممن ولاه ففعل ، وجعل نصر يقول ما هذا بخير لك يا حارث ، ووثب سيار[1] جديع الذي يعرف بالكرماني ، فقاتله الحارث فقتله الحارث ، وصلبه نصر وعلق معه سمكة ، ثم قام علي ابن الكرماني مقام أبيه فقتل الحارث بن شريج فقال نصر بن سيار :

يا مدخل الذل على قومه بُعْدَاً وسُحْقَاً لك من هالك
ما كانت الأزد وأشياعها تطمع في عمروٍ ولا مالك
ولا بني سعدٍ إذا ألجموا كل طمرٍّ لونه حالك
شؤمك أودى مضراً كلها وغضّ من قومك بالحارك

قالوا : وكان الحارث يقاتل بعمود له فيه اثنا عشر مناً من حديد .

---

١ ـ كذا بالأصول ، وكان على الراوية أن يقول : «ووثب بابن سيّار» .

ويقال إن الحارث قاتل جديعاً فقتله جديع ، ثم وثبت تميم وفيهم ابن الحارث بن شُريج فقتلوا جديعاً الكرماني .

وذكر أبو اليقظان أن لحاتم بن الحارث عقب .

ومنهم : هُبيرة بن ضمضم بن شريج بن سيدان بن مرة بن سفيان ، وضمضم بن ضمضم من بني مرة بن سفيان ، ويقال لهما الأقعسان . وكان هبيرة في شُرَط الطُهوي وقد كتبنا خبره .

وقال الكلبي : هو هبيرة بن ضمضم بن شريج بن سيدان بن مرة .

ومنهم : أبو طَحْمَة ، واسمه عدي بن حارثة بن الشريد بن مرة بن سفيان ، أدرك الجاهلية ، وكان مقيماً بسفوان .

فولد أبو طَحْمة : هُرَيْم بن أبي طحمة لأم ولد ، وكان هريم يكنى أبا حمزة ، وكان شجاعاً ، وكان مع المهلب في حرب الأزارقة ، وكان بخراسان على لواء بني تميم ، وكان مع عدي بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلب .

ولما قدم مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد لقتال يزيد بن المهلب،أتتهما بنو تميم وفيهم هريم بن أبي طحمة،فعقد العباس لهريم بن أبي طحمة على بني تميم ، فأخذ اللواء وأقحم يوم سَوراء في خمس فوارس فقال الفرزدق :

أَحَلَّ هريمٌ يوم سَوراء بالقنا نذور نساء من تميم فَحلَّتِ[1]

وكبر هريم ، فَصَيَّر اسمه في أعوان الديوان ، ليرفع عنه الغزو ، فقيل له : أَتُحْسِنُ أن تكتب ؟ فقال : لا اكتب فإني امحو الصحف .

فولد هريم : الترجمان لأم ولد ، وكان جميلاً شجاعاً ، ويكنى أبا

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١١١ مع فوارق .

الحكم ، وولي الأهواز ، وكان على بني حنظلة في فتنة ابن سهيل بالبصرة ، وله عقب بالبصرة ، وقد ذكرنا فتنة ابن سهيل بالبصرة ولا عقب له .

ومنهم : **الحارث بن بَيْبَة** بن قرط بن سفيان بن مجاشع ، وكان شريفاً وكان من أرداف الملوك ، قال الفرزدق :

أحنظل ما حقا سبابي مقاعساً   بابناء أرداف الملوك الخضارم
ولكن نِصْفاً لو سَبَبَتُ وسَبَّنِي   بنو عبد شمس من مناف وهاشم
أولئك أكفائي فجيئوا بمثلهم   وأكره أن أهجوا عبيداً بدارم[1]

وكان الصمّة أبو دريد بن الصمة جاراً للحارث ، فلم يحمد جواره فقال :

أذُمُّ العاصمين وإنَّ جاري   من الجيران لا يوفى بـزيد

يعني عاصماً وأزنم ابني عبيد بن ثعلبة بن يربوع ، وكان الصمة أغار على بني مالك بن حنظلة يوم عاقل فَهَزَمَ جيشه وأسره جَعْدُ بن شماخ ، أحد بني صُدَيّ بن مالك بن حنظلة من بني العدوية .

وقال ابن الكلبي : هو الجعد بن عامر بن مالك بن ثعلبة بن الصُدي ، ثم إن جعداً جَزَّ ناصية الصمة ، ومَنَّ عليه فأطلقه فقال له : لك عندي ثواب فأتاه يستثيبه فقدَّمَه الصمة فضرب عنقه ، وقال : أسأت جواري ، ثم إن الصمة أتى عكاظ بعد ماشاء الله ، وحرب بن أمية بعكاظ يطعم الناس ، فدخل وثعلبة بن الحارث بن حَصَبَة بن أزنم بن عَبِيْد اليربوعي عليه ، فأكلا ، وقُدّم إليهما تمر فجعل الصمة يأكل ويلقي النوىٰ بين يدي ثعلبة ، فلما فرغا قال ثعلبة للصمة : إنه لا نوىٰ بين يديك أفكنت

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٠٠ مع فوارق كبيرة .

تبلع النوىٰ ؟ إنك لكبير البطن . فقال الصمة : بطني عظيم من دمائكم ، هل لك علم بالجعد بن شماخ ؟ قال : وما ذكرك رجلاً أنعم عليك فكفرته وأتاك لتثيبه فقتلته والله لا رأيتك بغائط من الأرض إلا طلبت دمك ، وافترقا .

ثم إن الصمة أغار بعد زمان على بني حنظلة فهزموه وأسره الحارث بن بَيْبَة ففدى نفسه منه، ثم سأله أن يسير به إلى بني تميم ليشتري من صار إليهم من أسراء أصحابه ، فسار به حتى أناخ في بني ثعلبة بن يربوع ، فلما رآه ثعلبة بن الحارث بن حَصَبَة الذي جرى بينه وبينه عند حرب بن أمية ما جرىٰ أخذ سيفه ثم ضرب الصمة به فقتله فقال جرير :

ومنا الذي أبلى صُديٌّ بن مالك ونَفَّر طيراً عن جُعادة وُقَّعَا
ضربنا عميد الصمتين فأعولت نساء على صلب المفارق أنزعا[1]

وقتل يومئذ عارض الجشمي ، فذكره جرير ، وكانت ابنة الحارث بن بيبة عند حاجب بن زُرارة ، فولدت له ، وكان جلساء لحاجب عنده يوماً فبعث إليها : ابعثي إلي بشيء إن كان عندك يؤكل ، فقالت : ما عندي شيء ، فلما قام جلساؤه ودخل عليها أتته بشيء فقال : ما منعك أن تبعثي بهذا إلينا ؟ قالت : كان قليلاً وآثرتك فطلقها ، وقال : فضحتني عند القوم .

ومنهم البَعيث الشاعر[2] وهو خِداش بن بشر بن أبي خالد بن بَيْبَة ، وبعضهم : يقول ابن خالد بن بَيْبَة ، وأم البعيث أَمةٌ أصبهانية . قال

---

١ ـ ديوان جرير ص ٢٦٦ .
٢ ـ بهامش الأصل : البعيث الشاعر .

الفرزدق :

إذا ما أتينا أصبهان وأهلها فيوم حجاج في البعيث طويل[١]

وسمي البعيث لقوله :

تبعَّثَ مني ما تبعَّثَ بعدما أُمَرَّتْ حبالي كل مرتها شَزْرَا

وكان يقال هو أخطب بني تميم ، وكان مغلباً عليه جرير .

وكان إبراهيم بن عربي أضرًّ به في إبل له ، فخرج إلى عبد الملك ، فكتب إلى حصين بن خليد العبسي ، وكان على بادية قيس يأمره أن يأخذ ابراهيم بإنصافه ففعل ، وقال في البعيث :

لما رأيت الهم صاف كأنه أخو لطف دون الوساد كميع[٢]

رحلتُ فجعلت الزيارة إنني كذاك لأبواب الملوك قروع

ترى منبر العبدي اللئيم كأنما ثلاثة غربان عليه وقوع

وكان البعيث يكنى أبا مالك باسم ابن له ، وكان له ابن يقال له أيضاً بكر وخرج البعيث إلى المدينة ، فأقام بها وأرسل مالكاً وبكراً ابنيه ليرعيا إبله فمرض مالك فثقل ، فوجه بكر إلى أبيه ليقدم عليه فلما قدم عليه وجده قد مات فقال البعيث :

وارسل بكرا مالك لنجيه فحاذر ريب الحادثات فلم يُبِلْ

حِمامَكَ مهما يقضه الله تلقه وإن كان ريث من رفيقك أو عَجَلْ

فوافق مني غصة لا يسيغها شراب ولم يُذهب مرارتها العَسَلْ

وكانت ضبة بنت البعيث شاعرة ، فلما مات نعاه رجل من عكل

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

٢ ـ الكميع : الضجيع ، والقباء . القاموس .

فقالت :

نعاه لنا العكلي لا دَرَّ دَرُّهُ فيا ليته كانت به النعل زَلَّت
فلن تسمعي صوت البعيث ممارياً إذا ما خصومات الرجال تعلَّت

ومن بني قرط : الهُثهاث ، وسمي الهثهاث لأنه كان يُهثهث في إبله وكانت كبيرة ، واسم الهثهاث الحارث .

فولد الهثهاث : دَلم وله يقول أبوه في سنة هلكت فيها الماشية :

إنهزْ دَلم ، هَلَكَ أصحاب الصِّرمْ

إنهز : أي استَقِ بالدلو .

وكان الفرزدق تزوج ظبية[1] بنت دَلم بن الهثهاث فعجز عنها لكبره فأنشأ يقول :

لعمرك إنْ ربي أتاني بظبية سريعاً فإنَّ الله بي لرحيم
بمكورة الساقين مهضومة الحشا إلى الزاد في الظلماء غير قروم[2]

وقال حين دخل عليها :

يا لهف نفسي على نعظٍ فُجعت به حين التقى الركب المحلوق والركب

وخوصم في أمرها إلى المهاجر بن عبدالله الكلابي ، فلم يحكم على الفرزدق خوفاً من لسانه وأقرها عنده .

وكان علي بن الهثهاث وأمه ابنة البعيث خطب امرأة من بني مجاشع وخطبها غيره فتزوجها ، فقال الفرزدق :

دافع عنها عَصْقَل وابن عَصْقَل بأعناق صهبٍ زحزحت كل خاطب

١ ـ روى البلاذري من قبل أن اسمها طيبة انظر في ص ٩٢ ـ ٩٣ من هذا الجزء .
٢ ـ ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .

إذا شفعوا في أيمٍّ شفعت لهم ذراهـا وضُرّاتٍ عـظام المخـالب
دفيعيـة خـور[١] كـأنَّ مخـاضهـا فحول تسامى أو نخيل رواسب[٢]

دفيعية : جنس من الإبل . وكان لقب الهثهاث عَصْقَل . وقال الفرزدق حين دخل بها علي بن الهثهاث :

رأت من بني الهثهاث قَرماً كأنه حصان يشل القائدين ويدفع[٣]

ومنهم : **الأصبغ بن نباتة بن الحارث** ، وهو ابن الشام بن عمرو بن فاتك بن عامر بن مجاشع ، صحب علي بن أبي طالب وكان يحدث عنه . قال هشام ابن الكلبي : أخبرني أبي قال : حدثت الفرزدق حديثاً عن الأصبغ ابن نباتة ، فقال:ابن الشام.ابن الشام ؟ قلت : نعم . قال : كان عالماً .

وأخوه غسان بن نباتة الذي دفع عمرو بن الزبير على باب يزيد بن معاوية ، فلطم عمرو لبيد بن عطارد بن حاجب بسببه .

ومن بني قرط بن سفيان بن مجاشع : **ضرار بن معبد بن حويل** ، كان من قواد أبي جعفر المنصور ، وحضر وفاته بمكة ودفنه ، فلما خرج من قبره من نزل فيه ، ألقى ثوبه في القبر .

ومن بني عامر بن مجاشع : عبد الله بن ناشِرة ، غلب على سجستان أيام فتنة ابن الزبير ، ويقال على زرنج ، فانصرف عامل القباع ، وهو الحارث بن أبي ربيعة المخزومي ـ وكان عامله أحد ولد عبد الله بن عامر بن

---

١ ـ الخور : النساء الكثيرات الريب لفسادهن ، والنوق الغزر .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٩١ مع فوارق .
٣ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

كريز ، ثم إن وكيع بن أبي سود رد الكريزي إلى سجستان ، وقاتل ابن ناشرة مع الكريزي ، فعثر بابن ناشرة فرسه ، فاندقت رجله ، وقتل وهزم أصحابه ، فقال أبو حراثة ، ويقال ابن عرادة ، ويقال الفرزدق :

لعمري لقد هَدَّت قريش عروشنا بأبيض نَفَّاح العشيَّات أزهرا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا بنا وبكم أو نصدر الأمر مصدرا
ألا لافتىً بعد ابن ناشرة الفتى ولا خير إلا قد تولى فأدبرا
أكان حصاداً للمنايا ازْدَرَعْنَهُ فهلا تركتَ النبتَ ما كان أخضرا
فتى حنظلي لا يزال موفقاً يجود بمعروف وينكر منكرا
لحى الله قوماً أسلموك وقدرأوا عناجيج[1] أعطتها يمينك ضُمَّرا
أما كان فيهم فارس ذو حفيظة يرى الموت في بعض المواطن أعذرا
يكرُّ كما كرَّ الكليبيُّ مِهْرُهُ وَمَاكرَّ إلا خِشيةً أن يُعَيَّرَا[2]

الكليبي ابن عبد الله بن عثمان حامى على ابن ناشرة .

وقال أبو اليقظان : انتقلت عامة بادية بني مجاشع إلى الشام فقال الفرزدق :

ألاليت شعري ما أرادت مجاشع إلى الشام أَمْ ماذا أراد أميرها
هلمّ إلى بئر لكم قد حفرتها يزيد على غرف الدلاء غديرها[3]

وقال أيضاً :

إنْ أَبْكِ قومي يا نوار فانني أرى مسجديهم بَعْدَهُم كالبلاقع[4]

١ـ العناجيج : جياد الخيل والابل . القاموس .
٢ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الفرزدق المطبوع .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٣٦ مع فوارق كبيرة .
٤ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٩٤ .

وقال هشام ابن الكلبي : وُلَدِ الحرام بن مجاشع : عبد الله وهو ثعالة .

فولد عبد الله : نجيح بن عبد الله .

قال أبو المنذر هشام : أنشدني الكسائي النحوي :

أدعُ نجيحاً باسمه لاتَنْسَهْ إنَّ نجيحاً هو صبيان السَهْ

المدائني عن سحيم قال : بنو مجاشع يُعابون بالجزيرة ، وذلك أن ركباً منهم في الجاهلية مروا وهم عجال على شهاب التغلبي فقال لهم : انزلوا . قالوا : إنا مستعجلون . فقال : والله لا تجوزوني حتى تصيبوا من قراي ، فعمل لهم خزيرة[1] وحملت إليهم وهم على إبلهم فجعلوا يعظمون اللقم وجعلت الخزيرة تسيل على لحاهم ، فعُيِّروا بذلك وسموا الخور لقول الشاعر :

يا قصباً هَبَّتْ له الدَّبُور فهو إذا حرك خوف خور

وقال جرير :

متى تغمز قناة مجاشعيٍّ تجد لحماً وليس له عظام[2]

---

١ ـ الخزيرة : لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير ، فإذا انضج ذر عليه الدقيق . النهاية لابن الأثير .

٢ ـ ديوان جرير ص ٤٢٣ مع فوارق .

نسب بني نهشل بن دارم

وولد نهشل بن دارم سبعة نفر : قطن بن نهشل . وزيد بن نهشل . وعبد الله بن نهشل . وأمهم لُبْنَى بنت زيد بن مالك بن حنظلة . وجندل بن نهشل . وجرول بن نهشل . وصخر بن نهشل . ووبير بن نهشل ، وأمهم تماضر بنت بهدلة بن عوف . ويقال ان أم قطن وزيد ماوية بنت منقر من بني تغلب ، وأم جندل وجرول وصخر تماضر وأم وبير وهو أُبير لبنى بنت زيد بن مالك بن حنظلة ولهم يقول امرؤ القيس بن حجر :

فأبلغ بني ماوية ابنة منقر وأبلغ بني لبنى وأبلغ تماضرا[1]

وكانت ماوية أخيذة .

فمن بني نهشل : خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل ، ويقال سلم أبو غسان التغلبي، وكان قد غزا بقومه بني سعد ، ومعهم غيرهم من بني تميم ، وكان بنو تميم يفزعون به صبيانهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً بذي بَهْدي ، فهزمت تغلب وأُسر الأعيسرُ ، وهو حذيفة بن يزيد السعدي ، ويقال يزيد بن حذيفة الهذيل بن هبيرة ، وأَسَرَ ابنا ناشرة

١ ـ ديوان امرىء القيس ص ١١٤ مع فوارق .

النهشليان : شبيباً ومشولاً ابني الهذيل ، فقال الهذيل لبعض من أطاعه : أئت ابن الغريزة النهشلي ، والغريزة تغلبية . فقل له تخلص أسيريك شبيباً ومشولاً ، فلم يمكن ابن الغزيرة ذلك فقال الهذيل :

ألكني وَفِر لابن الغريزة عِرضُهُ إلى خالد من آل سلمى بن جندل
فما أبتغي من مالك بعد دارم وما أبتغي في دارم بعد نهشل
وما أبتغي في نهشل بعد خالد لـطارق ليل أو أسـير مكبـل

فاشترى خالد ابنيه من ابني ناشرة النهشليين بستين بعيراً ، كل واحد بثلاثين بعيراً ، وبعث بهما إلى أبيهما ، فوردا عليه وهو أسير بعد ، ثم أتاه فداؤه مائة ناقة فدفعها إلى الأعيسر فقبضها وجز ناصيته وخلى سبيله فانطلق الهذيل وابناه ، فناصية الهذيل في جُونة عند ولد الأعيسر ، فإذا كان لهم مأتم ومناحة بالبصرة نصبوها على عود عند بني العَضْبَاء ، وهم من ولد الأعيسر ، ثم أَبَّنُوا ميتهم ، وقالوا : يا بن جزاز النواصي . قال جرير للأخطل :

قُدْنا خـزيمة قـد علمتم عنوة وشتا الهذيل يمارس الأغلالا[1]

وقال أبو اليقظان : كان الهذيل بن هبيرة التغلبي أسر كثير بن الغريزة النهشلي فمنَّ الهذيل عليه فأسرت بنو سعد الهذيل فاشتراه خالد بن مالك فمنَّ عليه مكافأة له بما صنع ، والأول أثبت وأصح .

وقال الأسود بن يعفر يمدحه :

وخـالـد يحمـد أصحـابـه بـالحق لا يحمـد بـالبـاطـل

وخالد بن مالك الذي قتل عمرو بن الأحوص يوم ذي نَجَبَ[2] بأبيه

---

١ - ديوان جرير ص ٣٦٣ .
٢ - بهامش الأصل : يوم ذي نجب .

مالك ، وكان مالك قتل يوم جبلة ، وكان من حديث يوم ذي نجب : أن بني عامر بن صعصعة استنجدوا ابن الجون الكندي على بني تميم ، وشكوا ما نالهم يوم شعب جبلة، وكان يوم ذي نجب بعد جبلة بحول، فوجه معهما جيشاً عليه : عمرو ، وحسان ابنا كبشة ، فقتل رجل من بني حميري بن رياح عَمْراً هذا ، وقتل يومئذ عمرو بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، قتله خالد بن مالك بن ربعي النهشلي ، وقال جرير في يوم ذي نجب :

فاسأل بذي نَجب فوارس عامر واسأل عتيبة يوم جوع ظلال[1]

وكان عتيبة بن الحارث أغار على بني جعفر فاجتحف أموالهم .

وقال أبو عبيدة : قال بنو عامر لمعاوية بن الجون بن حجر الكندي : هل لك في إبل عَكَر[2] ، ونساء كالبقر ؟ يعنون نساء بني حنظلة ، وقتل يومئذ خليف بن عبد الله النميري فقال الأشهب بن رُميلة :

وغادرنا بذي نجب خليفاً عليه سباسب مثل القِرام[3]

وقال جرير :

منا فوارس ذي بهدي وذي نَجَبٍ والمُعْلَمُون صباحاً يوم ذي قار[4]

والثبت في يوم ذي نجب أن بني عامر أتوا حسان بن عمرو بن معاوية بن الجون بن حجر بن عمرو آكل المرار ، فشكوا إليه ما نالهم يوم جبلة ، وكان حسان على تميم يوم جبلة ، وقالوا له : هل لك في إبل عكر ونساء كالبقر ؟ فسار معهم ، وسار معهم أيضاً معاوية بن شراحيل بن

١ - ديوان جرير ص ٣٧٥ مع فوارق .
٢ - العكر : ما فوق خمسمائة من الإبل .
٣ - القرام : الستر الأحمر ، أو ثوب ملون من صوف فيه رقم ونقوش . القاموس .
٤ - ديوان جرير ص ٢٤١ .

أخضر بن الجون ، وكان بنو حجر يقال لهم بنو كبشة ، وهي أم حجر بن عمرو آكل المرار ، وعبد الله بن مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي الذي مدحه الحطيئة .

وذكر بعضهم أن خالد بن مالك وفد والقعقاع بن معبد إلى النبي ﷺ ، فقال أبو بكر : يا رسول الله وَلِّ هذا صدقات قومه . وقال عمر : وَلِّ هذا صدقات قومه ، فأنزل الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾[1] .

وكانت ليلى بنت مسعود بن خالد عند علي بن أبي طالب ، فولدت له : عبيد الله ، وأبا بكر ، ثم خلف عليها عبد الله بن جعفر .

وسعد بن خالد بن مالك ، نزل الكوفة وقد انقرض ولده .

ويزيد بن مسعود بن خالد كان سيداً بالبادية ، ولم يهاجر إلى البصرة ، وكان يكنى أبا خالد وأبا جَيْداء جميعاً ، وفيه يقول سُحَيْم بن وَثِيْل :

ومن آل مسعود على الباب مدره إلى القوم قالوا يا يزيد بن خالد

وله عقب بالبادية .

وكانت لعباد بن مسعود بن خالد ابنة عند ابراهيم بن عربي ، وأخرى عند المهاجر بن عبد الله الكلابي .

ومن ولد مسعود بن خالد : نَعيم بن الثَوْلاء بن مسعود ولي شرطة سليمان بن علي ، واسماعيل بن علي بالبصرة ، والثولاء الذي قتله أمير البصرة في الفتنة .

وقال أبو اليقظان : ولى زياد نعيم بن مسعود : فسا ، ودرابجرد ،

---

١ ـ سورة الحجرات ـ الآية : ١ ، وتقدم هذا الخبر في ص ٤٢ .

فقال وهو بفسا ، وكتب إلى يزيد بن مسعود :

أبا خالدٍ أَسْعِدْ على الشوق ذا هوى   يذكرٌ أهل البدو فهو مريض
ألا ليت شعري هل أَبيتنَّ ليلة   على قُلص يجري لهنَّ عروض

وأتاه قومه إلى فسا فمات عدة منهم من بني نهشل ، فقال قائل منهم :

رأينـا المـوتَ عنـد درأبجرْم   وعنـد المـوت يستغني الفقـير
فـلا تغـرركم دنيـا نعيم   وفيئـوا إنَّ مـالكـم كـثير

وقدم نعيم بدهقان فسا ، واسمه أزاذ مَردْ ، الذي يقال له أزاذ مَرّد بن الهربذ ، فبنى داره بالبصرة ، فقال شاعر لبني نهشل :

جـاؤوا يسـوقـون ازاذ مَـرْد   دهـقـان فَسَـا ودرابـجـرد
وجـاوروا جـل كـريم جعـد   يمسي على الحيّ عظيم العَقد

وسأله أبو الأسود ، وسأل الحصين بن أبي الحر فأعطاه نعيم ومنعه حصين فقال :

نعيم بن مسعودٍ أحقُّ بما أَتى   وأنت بما تأتي حقيق كذلكا(١)

وقال أبو اليقظان : ولد نعيم : ثولاء . ورابية ، أمهما طلبة بنت قيس بن عاصم ، فأما رابية فلا عقب له ، وأما ثولاء فولاه الحجاج جزيرة ابن كاوان والبحرين ، ثم غضب عليه فعزله وحبسه في الديماس حتى مات ، ويقال بل بعث إليه فقتله .

فولد ثولاء : نُعيماً ، ولي شرط البصرة لا سماعيل بن علي ، وولي ديوان البصرة لأبي جعفر ، وكان يكنى أبا ثولاء باسم جده ، كانت عنده ابنة خزيمة بن خازم ، وكان خليفته ولا عقب له .

١ ـ ديوان أبي الأسود الدولي ص ١٤٢ .

ومنهم : الأشهب بن رَمِيلة الشاعر[١] ، ورَمِيلة أمه ، وأبوه ثور بن أبي حارثة بن عبد المنذر بن جندل ، وقدم الأشهب على زياد فأمر له بثلاثة آلاف درهم .

وقال ابن الكلبي : حضر سلمى بن جندل بن نهشل يوم عين أباغ فأبلى ، وذلك حين جهز المنذر ، وهو أبو النعمان صاحب الحيرة جيشاً فيهم أخلاط من معد ليغزو الحارث بن أبي شمر ، فبعث الحارث ثمانين غلاماً من غسان لهم الذوائب بكتاب كتبه إليه ، وأظهر أنهم وفدٌ أوفدهم عليه ، فلما رآهم المنذر قال : ما تقولون في أمهات ولدن مثل هؤلاء ، فَحَمُوا وأَنِفُوا لأمهاتهم ونسائهم ، وأقبل الحارث بن أبي شمر ، والمنذر مسترسل لكتاب الحارث وما أداه إليه الغلمان عنه ، فاقتتلا بعين أباغ ، وكان على ميمنة المنذر فروة بن مسعود بن عامر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، فقتل فروة فقال المنذر : كريم صادف مصرعه ، فذهبت مثلاً . وشدَّ رجل من بني حنيفة يقال له شهر بن عمرو ، كان مع الحارث بن أبي شمر على المنذر فطعنه تحت إبطه فقتله ، وأخذ الناس من كان من أصحاب المنذر من كل وجه ، وأسر أكثر بني أسد ، وأُسر من بني تميم شأس بن عبدة أخو علقمة الشاعر ، ورجع الحارث ، ورأس المنذر معه ، وحمى الحنفي وكساه ثيابه وأكرمه ، ويقال إن الحنفي كان مع المنذر ، فلما رأى إدبار الأمر عليه قتله ، وطلب النابغة الذبياني إليه في أسرى بني أسد فشفعه فيهم ، وتكلم علقمة بن عبدة في أخيه وقال قصيدته التي أولها :

طحا بك قلب في الحسان طروب   بُعَيْد الشباب عَصْرَ حَانَ مشيب

---

١ ـ ترجم له صاحب الأغاني ج ٩ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢ .

وقال فيها :

وفي كل حي قد خبطت بنعمة　　فحقٌّ لشأس من نداك ذَنُوب[1]

فوهبه له .

وقال الكلبي : لما التقوا شد الغلمان الثمانون على الناس وهم حنقون غايرون لما سمعوا من قول المنذر ، فكشفوا أصحاب المنذر ، وقتل ابنان للحارث فحملهما أبوهما على بعير ، وجعل المنذر بينهما ، فجعل الناس يقولون : ما رأينا كاليوم عدلين فقال الحارث : وما العلاوة بأَضَلّ ، فذهبت مثلاً .

وقال حسان بن ثابت وهو عند الحارث بن أبي شمر : إن المنذر خسر وحان ، فخرج من داره يريد مساماتك ، ووالله لشمالك خير من يمينه ، ولقذالك أحسن من وجهه ، ولأمك أكرم من أبيه ، فأعجبه قوله فأجازه وكساه .

وقال الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل الشاعر :

وقيس بن مسعود وقيس بن خالدٍ　　وفارس يوم العين سلمى بن جندل

وقال أبو اليقظان : مات سلمى بن جندل بسَلْمان ، وهو جبل باليمن فقال الشاعر :

ومات على سَلْمان سلمى بن جندل　　وذلك ميت لو علمت كريم

ويقال : مات بسلمان ما بين العراق والحجاز .

ومنهم : هَوْذَة بن جَرْوَل بن نَهْشَل الشاعر ، قتلته كلب . ولهوذة يقول الشاعر :

---

١ - ديوان علقمة الفحل - ط . حلب ١٩٦٩ ص ٣٣ - ٤٨ .

انا ابن عبدالله وابن نَهْشَلٍ من سِرِّ[1] آل هوذة بن جَرْوَل
الفاعلين الخير إذ قيل افعل

وقال أبو اليقظان : من بني جرول : عبيدالله بن معروف الذي كان بهمذان ، وهم أهل بيت سادة .

ومن بني وُبير بن نهشل وهو أُبير : عبد الملك بن معن بن أبير بن نهشل ، كان من وجوه بني تميم وفيه يقول الفرزدق :

أتشرب يا عوران فضل نبيذهم وعندك يا عوران زق موفر

وكان أبو محروم من ولد معن ، من رجال بني نهشل ، ودخل واسطاً فسابَّ المسيح بن الحواري ، فقال المسيح : أنا ابن زياد بن عمرو ، وقال أبو محروم : أنا ابن نهشل بن دارم . فقال عبدالله بن عياش المنتوف الهَمْداني : هذا شرف لم يفتعلاه ولقد ارتفعت يا أبا محروم جداً .

ومنهم أسماء بنت مخربة ، واسمه عمرو بن جندل بن أبير بن نهشل ، وهي أم أبي جهل بن هشام المخزومي ، وكانت عند سويد بن ربيعة الدارمي ، فهرب إلى مكة حين هرب وهي معه ، فسقطت إلى اليمن فتزوجها هشام بن المغيرة ، فولدت له أبا جهل فسمته عمراً باسم أبيها ، والحارث بن هشام ، ثم فارقها فتزوجها أبو ربيعة بن المغيرة ، وقد ذكرنا خبرها فيما تقدم .

ومنهم : معن بن عوف بن مرة بن وبير ، والحصين بن الجُلاس بن مخربة الشاعر .

---

١ ـ السر : محض النسب وأفضله . القاموس .

ومنهم : ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل ، وضمرة هو شقة بن ضمرة بن جابر ، كان شاعراً .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن المفضل وغيره قالوا : كان ضمرة بن ضمرة يسمى شقة بن ضمرة ، وكان ذا رأي ، فبلغ المنذر بن المنذر ذلك فأحب النظر إليه ، فأشخصه إلى ما قبله ، وكان دميماً فلما دخل شقة على المنذر بن المنذر أبي النعمان بن المنذر قال له : من أنت ؟ قال : شقة بن ضمرة . قال : تسمع بالمعيدي لاأن تراه . يقول : يعجبك أن تسمع بالمعيدي لا أن تراه ، ويقال إنه قال : لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، فقال شقة : أبيت اللعن ، إن القوم ليسوا بِجُزُر أي بغنم تُجزر ، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا نطق نطق ببيان ، وإذا قاتل قاتل بجَنَان ، والرجال لا تكال بالقُفْزَان ، فأعجب المنذر بما سمع من منطقه ، فسماه ضمرة باسم أبيه ، وكان أبوه أثيراً عنده ، وكان من رجالات بني تميم ، ثم قال له : هل عندك يا ضمرة بن ضمرة علم بالأمور ؟ قال : نعم أيها الملك ، إني لانقض منها المفتول ، وأبرم المسحول ، ثم أجيلها حتى تجول ، ثم أنظر إلى ما تؤول ، وليس للأمور بصاحب من لم يكن له نظر في العواقب ، قال : صدقت فأخبرني عن الفقر الحاضر ، والعجز الظاهر ؟ قال : أما الفقر الحاضر فأن يكون الرجل لا يشبع نفسه ، ولو كان من ذهب حَلْسَه ، وأما العجز الظاهر أن يكون الرجل قليل الحيلة لازماً للحليلة ، يطيع قولها ويحوم حولها ، ان غضبت ترضّاها وإن رضيت فدّاها ، فلا كان ذاك في الأحياء ، ولا ولدت مثله النساء . قال المنذر : لله أبوك ، فأخبرني عن السوءة السواء ، والداء العَيَاء ؟ فقال : أما السوءة السواء ، فالحليلة

الصخابة ، السليطة السبابة ، الخفيفة الوثابة ، المخوف غيبها ، الكثير عيبها ، التي تَعْجَب من غير عجب ، وتغضب من غير مغضب ، فحليلها لا ينعم باله ، ولا تحسن حاله ، إن كان مُقِلاً عَيَّرَتْهُ بإقلاله ، وإن كان ذا مال لم ينتفع بماله ، فأراح الله منها أهلها ، وأما الداء العَيَاء فجار السوء الذي إن كَلَّمْتَهُ بهتك ، وإن قاولته شتمك ، وإن غبت عنه سبعك ، فإذا كان ذلك جارك فخلٍّ له دارك ، وعجل منه فرارك ، وإن رضيت بالدار فكن كالكلب الهرار ، وأقِرَّ له بالذل والصغار . قال : صدقت أنت ضمرة بن ضمرة حقاً ، وجعله من حُدّاثه وسُمَّاره ، ودفع إليه إبلاً كانت له ، فكانت في يده ، وهي هجائنه ، وهجائن النعمان ابنه بعده ورثها من أبيه ، وكانت من أكرم الإبل ، كانت حمراً سود المقل ، فأغار يزيد بن الصعق الكلابي على تلك الهجائن ، وهي يومئذ للنعمان وكانت في يد ضمرة فأغار ببني دارم على يزيد فاستنقذ الإبل إلا لقائح يسيرة ، وأسر قيس بن يزيد حتى افتداه يزيد بباقي الإبل وبمائة من الإبل من عنده سواها ، فقال ضمرة :

وطوفوا حولها وتمصروها فسوف يصيب غرتها الكفيل
إذا عضّ الأسار يمين قيسٍ لدى أبياتنا شفي الغليل

وكان ضمرة نذر ألا يشرب خمراً ، ولا يمس دهناً ، ولا يغسل رأسه حتى يدرك ثأره فقال :

الآن ساغ لي الشراب ولم أكنْ آتي التجار ولا أشد تكلمي
ومشت نساء كالنعام عباهل من بين عارية الشتاء وأيّم
لعب الرماح ببعلها فتركنه في صدر معتدل القناة مُقوَّم

وجاءت طائفة من بني عطارد إلى ضمرة فمنعهم وأحسن جوارهم حتى

أمنوا ، ثم جاور فيهم فلم يحسنوا جواره ، فقال :

إذا كنت في سعد وأمك فيهم مقيماً فلا يغررك خالك من سعد
فإن ابن اخت القوم مُصْغٍ أناده[1] إذا لم يزاحم خاله بأبٍ جلد
إذا ما دعوا كيسان كان كهولهم إلى الغدر أمضى من شبابهم المرد

قال : والغدر يسمى عند بني شيبان كيسان .

ومن ولد ضمرة بن ضمرة : نهشل بن حَرَي بن ضمرة الشاعر .

وقال هشام ابن الكلبي : قال حَرَيّ :

يا ضمر أخبرني ولست بفاعلٍ وأخوك صادقك الذي لا يكذب
هل في القضيَّة ان إذا استغنيتم وأمنتم فأنا البعيد الأجنب
وإذا الكتائب بالشدائد مرة أحجرتكم فأنا الحبيب الأقرب
ولمالكم طيب المياه وشربها ولي الثماد[2] ورعيهن المجدب
واذا تكون شديدة أدعى لها واذا يحاس الحيس يدعى جُندب
عجباً لتلك قضية وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجب
هذا لعمركم الصغار بعينه لا أم لي إن كان ذاك ولا أب

وحدثت عن هشام ابن الكلبي أنه قال : إن الذي قيل له أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه الصَّقْعَب بن عمرو النهدي قال له ذلك النعمان بن المنذر ، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : كان الطائي[3] يرى تشديد الدال فيقول المعيدّي ، ولم أسمع هذا من غيره ، وقال هو تصغير رجل منسوب إلى معدّ .

١ ـ ناداه : جالسه أو فاخره ، وإبل نواد : شاردة ، والندوة : الجماعة . القاموس .
٢ ـ الثمد : الماء القليل لا مادة له . القاموس .
٣ ـ في الأمثال لأبي عبيد ص ٩٧ «الكسائي» ، وهذا ما أرجحه .

ومنهم : **مالك بن حَري بن ضمرة** قتل يوم صفين .

ومن ولد مخربة : **يزيد بن نهشل** ، وكان شاعراً وولي صدقات تيم وعدي وقال :

أحقُّ مـالٍ فكلوه يـأكـل أمـوال تيم وعديّ وعُكُـلْ

وهلك يزيد بن نهشل ، فرثاه الحارث بن الأزور أحد بني مخربة فقال :

لعمري لئن أمسى يزيد بن نهشلٍ ثوى جدثاً تسفى عليه البوارح
لقد كان مما يبسط الكف بالندى إذا ضنَّ بالخير النفوس الشحائح
فجعنا به يالهف نفسي بعدما جلى الغم صلت عن جبينك واضح

قال أبو اليقظان : ومن بني جندل : **عجرد** ، وكان ينزل الكوفة وهو القائل :

فقلت له وأنكر بعض شأني أَلَمْ تَعْـرِفْ رقاب بني تميم
رقابٌ لم تُقِرَّ بيـوم خسفٍ أُبيَّـاتٌ على الملك الغشـوم

ومن بني قطن بن نهشل : **حَبيب بن بُديل** بن قرة بن عُبيد بن ربيعة بن عبد عمرو بن قطن بن نهشل .

ومن ولده : **أبو الحجاج بن الوضاح** بن حبيب بن بديل .

وقال أبو اليقظان : كان حبيب بن بديل يلي الولايات في زمن أبي جعفر ، قال : وهو من ولد زيد بن قطن بن نهشل ، وكان من صحابة أبي جعفر .

ومن بني نهشل : حكيم بن الحارث بن نَهيك أحد بني قطن . وكان الحارث يلقب الأصيلع . وقتل حكيم يوم الوقيط ، يوم تجمعت قيس ،

وتيم الله ابنا ثعلبة بن عُكابة ، وعجل وجُيم ابنا صعب بن علي بن بكر ، ويقال لهؤلاء اللهازم ليغيروا على بني تميم وهم غارون ، فبعث ناشب بن بشامة العنبري ، وهو أسير في بني مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة إنه قد أورق العوسج ، واشتكىٰ النساء . يعني بأورق العوسج أنه قد تسلحوا لكم ، وبقوله اشتكى النساء أنهن قد خرزْنَ الشِّكَاء ، فحذرت بنو تميم ، فاقتتلوا بالوقيط ، فطُعن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة ، وأُسر فجزّت بنو تميم ناصيته وخلّوا سربه تحت الليل مُضَارَّةً للفرز بن الأسود بن شريك ، لأنه خاصم فيه وادَّعى أنه ممن أسره فقال أبو فَدفد التيمي :

هُمُ استنقذوا المأموم من رهط طَيْسَلٍ ... وردوا ضراراً في الغبار المُنَضَّح

وقاتل حكيم وهو يرتجز :

ماويَّ لا تراعي رحيبة ذراعي
بالكرّ والإيزاع

فشد عليه وِران التيمي فقتله ، فقال شاعر من بني نهشل :

أتنسىٰ نهشل ما عند عجلٍ ... وما عند الوِران من الذحول

وكان حكيم أثخن في القوم يومئذ ، وهو يقول :

كل امرىءٍ مُصَبَّحٌ في أهله ... والموت أُدنىٰ من شراك نعله

فلما قتل حكيم رثاه أبو الحارث بن نهيك الأصيلع فقال :

حكيمٌ فِدَىٰ لك يوم الوقيط ... إذا حضر الموتَ خالي وَعَمّ
تعودتَ خير فعال الرجال ... فَكَّ العُنَاةِ وقتل البُهَمْ
وما ان أتىٰ من بني دارمٍ ... نَعِيُّكَ أَشْمَطُ إلاَّ وَجَمْ
وفَقَّأ عَيْنَيْ بُكاؤُهُما ... وأورثَ في السَّمْع مني صَمَمْ

فما شاء فليفعل الوائدات والدهر بعد فتانا حَكَمْ
فتىً ما أَضَلَّتْ به أُمُّهُ من القوم ليلة لا مُدَّ غَمْ[١]
يجوب البلاد ويهدي الخميس ويُصبح كالصَّقْرِ فوقَ العَلَمْ

قال أبو اليقظان : لقي الهِذلق بن نُعيم بن ربيع بن عُتيبة بن الحارث اليربوعي ابن كرشاء أحد بني قيس بن ثعلبة واسمه عُلقة ، ومعه السليل بن قيس ، أخو بسطام بن قيس ، وهو ولد ذي الجدّين ، فعرضا لابن عتيبة ومعه امرأته ابنة ضرار بن عمرو الضبي ، فاستغاث ببني يربوع ، فاقتتلوا فأسر ابن كرشاء والسليل بن قيس بن أُبَيّ النهشلي من بني قطن واحداً بعد واحد ، وقال بعضهم ابن كرشاء شيباني أيضاً فقال في ذلك نهشل بن حريّ :

وقاظَ ابن ذي الجدَّين وسط بيوتنا وكرشاءُ في الأغلالِ والحلَقُ الصُّفْرُ
ويومٌ كأنَّ المُصْطَلينَ بِحَرِّهِ وإنْ لم تكُنْ نارٌ وقوفٌ على الجَمْرِ
صبرنا له حتىٰ نَبُوحَ وإنَّما تُفَرَّجُ أيامُ الكريهةِ بالصَّبْرِ

وقال قيس بن أُبَيّ :

هذا السليل أخو بسطام مُنْعَفِرٌ عَانٍ ومِنْ بَعْدِهِ عَلْقُ بن كرشاء

ولم يزل عتيبة حتى أسر بسطاماً يوم الغَبيط[٢] ، غَبيط المدرة ، وذلك أن بسطام بن قيس ومفروق بن عمرو ، والحوفزان بن شريك واسمه الحارث ، وإنما حَفَزه قيس بن عاصم بالرمح في استه ، فسمِّي الحوفزان ، وقد أغاروا في يوم حدود على ثعلبة بن يربوع ، وثعلبة بن حَدِي بن فزارة ،

---

١ ـ الغم : الكرب ، وغم الهلال : حال دونه غيم رقيق . القاموس .
٢ ـ الغبيط : أرض لبني يربوع بين الكوفة وفيد . معجم البلدان .

وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وكانوا متجاورين ، ثم مروا على بني مالك بن حنظلة أيضاً فاكتسحوا إبلهم، فركبوا ومعهم عتيبة وفرسان بني يربوع ، فاقتتلوا بغبيط المدرة ، وألح عتيبة علىٰ بسطام بن قيس ، فأسر بسطاماً ، فافتدى نفسه وذلك قول جرير :

قد رَدَّ في الغِلِّ بسطاماً فوارسُنا   واستودعوا نَعْمَهُ في آل حَجَّارِ[1]

وكان بسطام أيضاً أسر في يوم أعشاش ، فلم يَفْدِ نفسه ، فأطلقه بنو يربوع ، وهذه أُسْرَةٌ قبل أن يأسره عتيبة ، وفي ذلك يقول جرير :

وعَضَّ ابنُ ذي الجدَّيْن وَسْطَ بيوتنا   سلاسله والقَدَّ حولاً مُحَرَّمَا[2]

وكانت بكر بن وائل أغارت في هذا اليوم على بني يربوع فالتقوا بأعشاش .

ومن بني قطن بن نهشل : **كبيش بن جابر** بن قطن ، وكان زنىٰ بأَمَةٍ لزرارة يقال لها رُشيَّة ، وكانت أخيذة وكانت كلبية ، فولد الكبيش : برغوث بن الكبيش . والكلب بن الكبيش . فتزوج الكلب أم الحطيئة ، فقال الحطيئة :

ولقد رأيتكِ في النساء فسوءتني   وأبا بنيكِ فساء في المجلس[3]

يعني الكلب ولا عقب له .

ومن بني قطن : **الدهماء المُجَلَّلة** وسمي بذلك لشدته ، وحُسْن شعره ، وكان صريعاً . ومنهم أبو الغول[4] صاحب ابن المقفع الذي رثاه

١ ـ ديوان جرير ص ٢٤١ مع فوارق .
٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٣ ـ ديوان الحطيئة ص ١١٠ .
٤ ـ بهامش الأصل : اسم أبي الغول علباء بن جوشن .

وطلق امرأته بعد خمسين سنة فقيل طلقتها بعد صحبة خمسين سنة فقال : والله مالها ذنب غير طول الصحبة .

ومن بني صخر بن نهشل : خازم بن خزيمة بن عبدالله بن حنظلة بن نضلة بن حُرثان بن مُطلق بن صخر بن نهشل القائد ، ويكنى أبا خزيمة ، وهو الذي قتل ملبد بن حرملة الخارجي ، وكان ميمون النقيبة ، ولي خراسان ، وولي عُمان ، ومات ببغداد فعُزي عليه أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين .

وخزيمة . وعبدالله . وشعيب . وابراهيم . وموسىٰ بنو خازم بن خزيمة .

فأما خزيمة فكان يكنى أبا العباس ، وقد ولي الجسر ببغداد ، وكان قصره بباب الجسر .

وقَتل ابراهيم المؤيّد بن طريف الشاري . (الوليد)

وولي موسىٰ واسط وقتله ابن له ، وكان عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية قدم بغداد في خلافة المأمون ، فأتىٰ تميم بن خزيمة فلم يصنع به خيراً ، وأتىٰ خالد بن يزيد بن مزيد فأكرمه ، وأعطاه ألف دينار تَعيّنها له فقال :

أأتركُ إنْ قلّتْ دراهم خالدٍ زيـارَتـه إني إذاً لـلئيـم
فليتَ ببُرْدَيهِ لنا كان خالدٌ وكـان لبكر بـالـثراء تميم
فيصبح في قومي أغَرُّ محجلٌ ويصبح في بكر أَغَمُّ بهيم

ومنهم : أبو الغريزة الشاعر ، وهو كثير بن عبدالله بن مالك بن هبيرة بن صخر بن نهشل . وقد أسلم وأدرك معاوية بن أبي سفيان . والغريزة جدته سبيئة من بني تغلب .

وولد أبان بن دارم : مرة بن أبان . وربيعة بن أبان . وسيف بن أبان . وسعد بن أبان . وعبدالله بن أبان . ومعقل بن أبان . ويسار بن أبان .

منهم : **سورة بن الحر** بن نافع بن العرباض بن ثعلبة بن سعد بن سيف بن أبان صاحب سمرقند ، وكان يكنىٰ أبا العلاء ، وكان في جيش سفيان بن الأبرد ، وهو مقابل قطري بن الفجاءَة ، وكان مع الجنيد بن عبد الرحمن بخراسان ، فولاه وَقَوَّدَهُ على عشرين ألفاً ، ولقي الترك فأخذ عليه الطريق فقتل وقتل أصحابه جميعاً ، وكان أخوه **سوّار بن الحر** مع ابن الأشعث .

ومن بني مناف بن دارم : **حكيم بن أبي كرشاء** ، كان شاعراً وأُخذ في سَرق بالبصرة ، فقدم من البادية أخ له يقال له الأقرع ، فأتى قبر غالب أبي الفرزدق فعاذ به ، وقال للفرزدق : قد أتيت قبر أبيك فَعُذْتُ به لتكلم في حكيم فتكلم فيه ، فأخرج فقال الفرزدق :

دعا ابن أبي كرشاء دعوة مرهق ... وعاذ بأحجار على قبر غالب
فقلت له صبراً حكيم فإنني ... سأدفع عنك الشر من كل جانب
دعا ابن حكيم دعوة فبـائها ... على كل لص من مناف وحارب[1]

ومن بني جرير بن دارم ، ثم من بني زهير بن فقيم : **محمد بن رباط** ، ويكنى أبا رباط ، كان على شرط البصرة أيام الحجاج للحكم بن أيوب ، وذلك أنه كان صحب أخت الحجاج زينب من الشام ، فأحسن صحبتها ، فكلمت الحكم فيه فولاه الشرطة ، ومات بالبصرة فجأة فقال الفرزدق :

١ ـ ليست في ديوان الفرزدق المطبوع .

وليلة السبت إذ أَلْقَتْ كلا كلها   على تميم وقد عَمَّتْ بها مضرا
محمد ووكيع ليس بينهما   عامان يا عجباً للدهر إذ عثرا(١)

فولد محمد بن رباط : رباطاً ، ولقبه دَرْست ، وكان درست من وجوه تميم ويكنى أبا سعيد ، ومات بالبصرة .

ومنهم الغَرِق من بني مؤالة ، وكان أبو موسى استرضع لأبي بردة فيهم ، فكان أخا الغرق من الرضاعة ، وأم الغرق من بني دَحداحة ، وكان أبو شيخ بن الغرق من رجال بني تميم ، ووفد على سليمان بن عبد الملك ، وله عقب .

وشماخ بن علقمة بن أبي شيخ بن الغرق ، كان من وجوه بني تميم ، ووفد على سليمان بن عبد الملك وله عقب ، وكان بلال بن أبي بردة يكرمه وكان شديد البطش يصارع فصارع رجلاً من عنزة يقال له جاهل ، فقال الشاعر :

إنك قد لاقيت منا جاهلاً   لاقيت منا رجلاً حلاحلا
أشد منك عُنُقاً وكاهلا

وقال أبو اليقظان : يزعمون أن مؤالة بن فقيم بن جرير بن دارم من بني تيم الرِّباب من بطن يقال لهم بنو شُعاعة ، فقال الفرزدق في شَمَّاخ :

لو كان من جُهال قومي عذرته   ولكنَّ عبداً من شعاعة أحمرا(٢)

وقال أبو اليقظان : ويقال إن أبان بن دارم من سنبس حي من طيء قال الشاعر :

١ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣١٢ .
٢ - ليسا في ديوانه المطبوع .

أنتم إذا ما أكلأ الناس من دارمٍ   وأنتم إذا ما أجدب الناس سنبس

وخططهم بالكوفة ، ولم يختط منهم بالبصرة أحد ، وكان لهم مسجد بالكوفة كهيئة الصليب فقال الشاعر :

يصلي المسلمون لرب عيسىٰ   ويسجد للصليب بنو أبـان

نسب بني طُهَيَّةَ وهم ولد أبي سُود وغيرهم

وولد أبو سود بن مالك بن حنظلة : ربيعة بن أبي سُود . وعبد شمس وأمهما ريطة بنت قيس بن حنظلة . ومالك بن أبي سود وأمه القِصاف ، بها يعرفون .

فولد ربيعة بن أبي سود : شيبان بن ربيعة . وشهاب بن ربيعة . وحُباش بن ربيعة . وحُبيش بن ربيعة .

فولد شهاب : زهير بن شهاب . ومالك بن شهاب .

فولد زهير : شداد بن زهير . وشيطان بن زهير ، وهم الذين يقال لهم بالكوفة بنو شيطان ، ومنازلهم فوق الكناسة ، وثعلبة بن زهير . وجعونة بن زهير ، وأمهم ميثاء بنت شعبان بن ربيعة بن أبي سود ، وبها يعرفون .

فمن بني ربيعة بن أبي سود : العدل بن حكيم بن عمرو بن سُلم بن شيبان بن ربيعة بن أبي سود الشاعر الذي يقول :

جزىٰ الله عنا آل نتلة صالحاً فتى ناشئاً من آل نتلة أو كهلا

ومنهم : عقبة بن سُنيع[1] بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن

١ ـ بهامش الأصل : «سنيع» .

ربيعة ، كان شريفاً ذا مال وقد نكحت إليه قريش ، ومن الرواة من يقول سُبيع بباء وهو تصحيف .

ومن ولده : يحيى بن عقبة الذي يقول له جرير :

يا يحيى هل لك في حياتك حاجة من قبل قارعةٍ وخزيٍ عاجل
أسلمت أمكَ إذْ يُجَرُّ برجلها وتركتها غرضا لكل مناضل[1]

ولد عبد شمس بن أبي سود : حنيف بن عبد شمس . ومؤالة . وعشير بن عبد شمس . وفياض بن عبد شمس ، وعوف بن عبد شمس . وقيس بن عبد شمس . وعمرو بن عبد شمس .

منهم : عامر بن حُنيف الذي استنقذ حاجب بن زرارة ، وقد أقدم عليه رجل ليقتله ، فطعن الرجل وأنقذ حاجباً وذلك قبل أن يستأسر لمالك بن سلمة بن قشير ذي الرُّقيبة يوم الشعب .

وولد مالك بن أبي سود : حرملة . ومُرَىّ . والقِصاف الشاعر . منهم عموص الأصلع بن القصاف .

وولد جشيش بن مالك بن حنظلة : عوف بن جشيش . ودريد بن جشيش . منهم حصين بن تميم بن أسامة بن زهير بن يزيد ، كان على شرط عبيد الله بن زياد ، حين قتل الحسين بن علي عليهما السلام .

وولد عوف بن مالك بن حنظلة : سُبيع بن عوف ، فأمه عُناق بنت صرمة بن زيد من بني ضبة ، وسُعيدة بن عوف ، وأمه فِتر بنت الربعة بن رشدان بن قيس بن جُهينة ، وكان اسم رشدان غَيّان فسماه رسول الله ﷺ رشدان . وأثاثه ، وأمه من التيم . وقريع بن عوف . وحسان بن عوف

١ - ديوان جرير ص ٣٤٤ ، البيت الأول من قصيدة .

وأمهما حُظي بنت ربيعة بن مالك ، خلف عليها بعد أبيه ، والحارث بن عوف . وربيعة درج .

فولد سعيدة بن عوف واسمه الحارث : عبيدالله بن سعيدة . وجشم بن سعيدة .

انقضى نسب بني طُهيّة .

وولد ربيعة بن مالك بن حنظلة : العُجَيْف بن ربيعة . ومالك بن ربيعة . ووهب بن ربيعة .

فمن ولد العجيف : السِجْف ويقال هو السجف بن سعد بن عوف بن زهير بن مالك بن ربيعة ، كان شريفاً ، وانطلق إلى عمر بن الخطاب متظلماً من أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنهما في أرض فقال : يا أمير المؤمنين لقد خيرتُ نفسي لظلم أبي موسى إياي ثلاث خصال : قتل نفسي ، أو أن ألحق بالمشركين ، أو أن آتيك . فقال عمر لأبي موسى : ويحك يا أبا موسى كدت تكفر الرجل فأنصفه ، فلما كان يوم الجمل قتل مع عائشة رضي الله عنها .

فولد السجف : الحُنتف بن السجف وأمه تنهاة بنت يزيد من بني غبر ، وكان الحنتف يكنى أبا عبدالله ، وكان أثيراً عند عبيدالله بن زياد ، وبنى له داره فلما وقعت فتنة ابن الزبير وسار حبيش بن دلجة القيني يريد المدينة عقد الحارث بن عبدالله القباع لحنتف لواء فسار إلى حبيش فقتله بالربذة وانهزم يومئذ الحجاج بن يوسف وأبوه ، وقد كتبنا خبر يوم الربذة فيما تقدم . وقال الحنتف .

ما زال إسْدَائي لَهُمْ ونسجي وعقبتي بالكور[1] بعد السرج
حتى قتلناهم بيوم المرج

يعني مرج راهط ، فلما كان الحنتف بوادي القرى وهو يريد الشام أتته امرأة بطعام مسموم ، وقد دست إليه ، فأكل منه فمات بوادي القرى ، فقال في ذلك رجل من رهط الحنتف :

لتَبْكِ تميمٌ شيبها وشبابها على حنتف والخيلِ تُدمى نحورها
وتبكِ رجال من قريش أصابها بيثرب حزن قد أَحَرَّتْ صدورها
وتبكِ اليتامى والأرامل شجوها بوادي القرى إذ أحرزته قبورها

فولد الحنتف : أبا بكر ، قتل يوم الزاوية مع ابن الأشعث ، ولا عقب له .

ومن بني مالك بن ربيعة : **العباس بن عبدالله** ، وكان خارجياً فأخذه عبيدالله بن زياد فكلمه فيه الحنتف ، فقال له عبيدالله بن زياد : اقعد على است الأرض . فقال الحنتف : واعجباً وأَيُّ الأرض استها ، فأطلقه له .

ومنهم : حرملة بن زفر[2] بن شيطان بن حُبيش بن حَزْن بن العُجَيف ، وفد إلى رسول الله ﷺ فأخذ قبضة من تراب من تحت قدمي رسول ﷺ ، فقدم بها على أهله فجعلها في صرة ، ثم جعلها في مسجده فجعل يصلي عليها .

ومنهم : وبرة بن زفر بن شيطان ، قتل بالري شهيداً قديماً .

ومنهم : عباية العُجيفي الذي قال: لولا سوء الذرية لأمرت ولدي أن

١ ـ الكور : الرحل ، أو بأداته . القاموس .
٢ ـ بهامش الأصل : حرملة بن زفر رحمه الله .

يماري بعضهم بعضاً ، فإن طول السكت عُقلة للسان .

وولد كعب بن مالك بن حنظلة : مُطيع بن كعب . وعيلان بن كعب . ويقال له مُطمّع وعيلان . وهلال بن كعب . ودُكين بن كعب . وأجدع بن كعب . وبشر بن كعب . وعباد بن كعب . وغُوَيْث بن كعب . وفي بني كعب لصوص ، قال الشاعر :

إذا كنت ذا مال فلا تولّه سواك إذا جاورت كعب بن مالك
ذئاب الغضى يمشون كل عشيّةٍ على جارهم يأتونه بالمهالك

وكان منهم لص يقال له غويث ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

الله نَجّاكَ من القضيم ومن غويث فاتح العكوم[1]

وولد زيد بن مالك : بكر بن زيد . وحرقة بن زيد . منهم : شماخ بن مُظهر بن مالك بن زيد بن حنظلة ، كان شريفاً .

وسلمى بن القين[2] بن عامر بن بكر بن زيد صحب النبي ﷺ .

- يعلى بن أمية رحمه الله .

ومنهم : يعلي بن أمية[3] بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد، الذي ينسب إلى أمه مُنْية بنت الحارث بن نُسَيب من بني مازن بن منصور ، وهو حليف لبني نوفل بن عبد مناف ، وله خطة بمكة ، وأمه عمة عتبة بن غزوان .

وقال أبو اليقظان : كان يعلى من المهاجرين ، فلما كان يوم فتح مكة جاء بأبيه إلى النبي ﷺ ، فقال : بايعه على الهجرة . فقال رسول الله ﷺ : «لا هجرة

٣ - عكم المتاع : شده بثوب ، والعكوم : نمط تجعل المرأة فيه ذخيرتها . القاموس .
١ - بهامش الأصل : سلمى بن القين رحمه الله .
٢ - بهامش الأصل : يعلى بن أمية رحمه الله .

بعد الفتح» فاستشفع بالعباس فقال النبي ﷺ : «أطيع عمي ولا هجرة بعد الفتح» . والثبت أن الرجل عبد الرحمن بن صفوان ، أتى بأبيه واستشفع بالعباس ، فلما توفي النبي ﷺ ولّى أبو بكر يعلى اليمن ، فوليها زمناً ، وتزوج ابنة الزبير بن العوام . وكان يعلى عظيم المنزلة من عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، وكان يستشيره ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهما ، فقال الشاعر :

إذا ما دعا يعلىٰ وزيد بن ثابتٍ لأمر ينوب الناس منه خطوب
أشار نظيراه بخير فأصبحوا على حكمةٍ يدعى بها فيجيب

وذكروا أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه مر بباب عثمان يوماً ، فإذا بغلة ليعلى بن مُنْيَة واقفة كَبْداء[1] عظيمة ، فقال : لمن هذه ؟ قيل : ليعلى . فقال علي ليعلى : لعمري لقد أصاب المال في زمن عثمان .

قال ابن سعد : وكان يعلى يفتي بمكة ، وروى عن عمر رضي الله عنه .

وقال أبو اليقظان حدثني عبدالله بن المبارك أن يعلى قدم المدينة فأتاه أبو سفيان بن حرب في أيام عثمان ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأتى هنداً فقال : دونك هذا المال وأريني قفاك ، فقالت : قفاي خير من قفاك ، قفاك أسود وقفاي أبيض ، وكان أبو سفيان أسود شديد السواد ، ويعلى الذي أعطى عائشة رضي الله تعالى جملها عسكراً ، وكان علي يقول : منيتُ بأطوع الناس ، يعني عائشة ، وبأيسر الناس يعني يعلى بن مُنْيَة ، وبأسخى الناس يعني طلحة ، وبأشجع الناس ، يعني الزبير . وقد ذكرنا ذلك في خبر الجمل .

---

١ ـ الكبداء : الضخمة ، القاموس .

وكان عبدالله بن يعلى بن منية شاعراً ، وكانت ابنة يعلى بن منية التي يقول فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

مـــررتَ ولـــم تُـــلِـمْ بـــديـــبـــاجـــة الحَـــرَمْ[1]

وعبدالله بن يعلى الذي يقول : وكانت عنده زينب إحدى بنات طارق من بني عبدالله بن غطفان وكانت جميلة ، فماتت ، فقال وكان ينزل عُليب قريباً من مكة :

أَجَدُّكَ لم ترحل مع الحيّ زينب ألا حَبَّـذَا ذاك الحبيب المُغَيَّبُ
بوجهك عن مَسِّ التراب مَضَنَّة فلا تبعدي فكل حيٍّ سيعطب
أأَذْهَبُ قد خَلَّيْتُ زينبَ طائعاً ونفسي معي لم ألقها حين تذهب
تنكـرتِ الأبـواب لمـا دخلتُهـا وقالوا ألا قد بانتِ اليوم زينب

وقال أيضاً :

يارب ذا الحجيج حين نصبوا وحـين باتوا بمنى وحَصَّبُـوا
لاتـسـقـينَّ مـلخ وعُـليَـبُ من أَجْلِ مما هنّ ماتت زينب

وباليمن موالٍ ليعلى بن مُنْيَة ، يدعون بني شهاب ، لهم هناك خطر . وقد انتموا إلى العرب .

وقال الكلبي : قتل عثمان ، ويعلى عامله على اليمن ، فقدم بالأموال ، فأناخ بالأبطح ، وقال : من سار إلى علي ليقاتله فليأخذ من هذا المال .

وولد الصُّدَيّ بن مالك بن حنظلة : ثعلبة بن الصُدَي . وعامر بن الصدي . وعَيثامة بن الصدي .

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

منهم : الجعد بن عامر بن مالك بن ثعلبة الذي يقول له جرير بن عطية :

ومنا الذي أبلى صديّ بن مالك وَنَفَّرَ طيراً عن جُعَادة وُقَّعَا[1]

والجعد هو الذي أسر الصمَّة الجشمي يوم عاقل ، وكان الصمة أسيراً في بني الجعد ، وقد ذكرنا خبره ، وقتل ثعلبة بن الحارث بن حُصْبة بن أزنم إياه .

ومنهم : المَرَّار بن منقذ بن عُبيد بن عامر بن الصُدَيّ بن مالك بن حنظلة الشاعر ، الذي يقول :

وإنَّ قراب البطن يكفيك مِلْؤُهُ ويكفيك سَوْآت الأمور اجتنابها

وولد يربوع بن مالك : عقيل بن يربوع .

فولد عقيل : صَبْرَة .

فمن بني عقيل هذا بنو عَرادة وهم موالي عمرو بن عبيد صاحب الحسن ، وليس لعمرو بن عبيد عقب ، ولبني عَرادة عقب بالبصرة، وهم من بني العدوية أيضاً .

ومن بني العدوية : كردم الذي ذكره الفرزدق فقال :

لعمرك ما لُمْنَا حبيب بن محصن ولكننا لُمْنَا دَعِيَّ الكرادم[2]

١ ـ ديوان جرير ص ٢٦٦ .

٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

نسب بني يربوع بن حنظلة

وولد يربوع بن حنظلة ثمانية نفر : رياح بن يربوع ، وأمه أم قتال بنت عبدالله بن عمرو بن لؤي من التيم .

وقال غير الكلبي : أمه الظلفاء من بني تيم الربَاب . وثعلبة بن يربوع . والحارث بن يربوع . وعمرو بن يربوع . وصُبيرة بن يربوع ، وأمهم السعفاء بنت غَنم بن قتيبة بن معن ، يقال لبنيها الأحمال . وكليب . وغُدانة وأمهما رقاش بنت شَهْبَرة من قيس بن مالك بن زيد مناة ، والعنبر بن يربوع ، وأمه الحرام بنت زيد بن بشة بن العنبر بن عمرو بن تميم . فالأحمال : ثعلبة ، وعمرو ، وصبيرة ، والحارث ، والعُقَد : كليب بن يربوع ، وغدانة والعنبر تعاقدوا على رياح .

فولد رياح بن يربوع : همام بن رياح . وهَرْمي بن رياح . وجِمْيَري بن رياح . وزيد بن رياح . وعبدالله بن رياح . ومنقذ بن رياح . والخمَّة بن رياح . وجابر بن رياح . فأم همّام والخمّة وجابر وعبدالله : تعْجُز بنت غالب بن حنظلة . وأم زيد : العجماء بنت معاوية بن شريف بن جروة بن

أسيّد بن عمرو بن تميم . وأم هَرْمي ومنقذ : ظلامة الفهمية . وأم حميري : عمرة بنت قيس بن حنظلة ، وكعب بن رياح .

فمن بني حميري : سَحيم بن وثيل [1] بن عمرو بن جوين بن أهيب بن حميري الشاعر الذي يقول :

ألا تحنون من تكبير قوم ... لعلّاتٍ وأمكم رقوب

وقال أيضاً :

أرى الدهر والأيام فيها تفرق ... فأول حال الخير ما عشتما معا

وقال أيضاً :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني
ألم تَرَ أنني في حميريٍّ ... مكان الليث من وسط العرين
عذرتُ البزل إن هي خاطرتني ... فما بالي وبال بني لبون [2]
فإن عُلالتي وحِراء حولٍ ... لذو شق على الضرع الظنون [3]
وماذا يغمز الأقرانُ مني ... وقد جاوزت رأس الأربعين
أخو خمسين مجتمع أشدّي ... ونجّذني [4] مداورة الشؤون
كريم الخال من سلفي رياح ... كنصل السيف وضاح الجبين

١ ـ بهامش الأصل : سحيم بن وثيل الشاعر .
٢ ـ البزل : جمع بازل وهو البعير المسن، وخاطرتني : راهنتني ، وابن اللبون : ولد الناقة إذا استكمل الثانية ودخل في الثالثة .
٣ ـ العلالة : أن تحلب الناقة أول النهار وآخره ، وتحلب وسط النهار ، فتلك الوسطى هي العلالة ، وحراء : غضاب ذوو غم وهم . والحول : الحركة والحيلة ، والشق : المشقة ، وفي رواية الأصمعيات «وجراء حولي» . انظر مادتي «حراء وحول» في النهاية لابن الأثير .
٤ ـ نجذني : حنكني وعرفني الأشياء ، ومداورة : معالجة .

متى أحلل إلى قطن وزيد وسَلمى تكثر الأصوات دوني[٥]

وكان عثمان بن عفان بعث سَمُرة بن قَرط الخفافي على ضوّال النّعم وهوافيها[٢]، فبلغه أن عند سحيم ناقة منها فخرج في طلبها فمنعته أم سحيم منها ، فدفعها سمرة وهي عجوز قد سقطت أسنانها فسقطت فادعى سحيم وكان شرساً على سمرة أنه هتم أسنانها ، فعدا على عبيد بن غاضرة بن سمرة فكسر أسنانه ، فرفعه إلى عثمان رضي الله تعالى عنه فحبس سحيماً ، وقال عثمان : لأقطعنَّ يده أو يرضيه من فيه . فمشى في ذلك يزيد بن مسعود بن خالد بن ربعي بن حَمْدَل فأصلح بينهم ، وحمل مائة من الإبل وأخرج سحيماً فَسُمِّيَ عبيد بن غاضرة مثغورا ، وهو الذي حكم لعمر بن لجأ على جرير . وقال كعب بن علفاء أحد بني الهُجيم يهجو سحيماً :

هُمُ تركوكَ أسلح من حباري[٣] رأت صقراً وأنفر من ظليم

وكان سحيم يكنى أبا الدعاء ، وهو مخضرم عاش في الجاهلية أربعين سنة ، وفي الاسلام ستين سنة ، وله عقب ، ونافر سحيم بن وثيل غالباً أبا الفرزدق في الإسلام ، فبعضهم يقول نُفرّ عليه غالب .

وقال الحرمازي : وبنو يربوع يقولون نُفّر سحيم عليه لأن في بني رياح

---

١ ـ الأصمعيات ـ ط . القاهرة ١٩٥٥ ص ٣ ـ ٧ .

٢ ـ أي العطشى منها أو الضالة الآبقة . القاموس .

٣ ـ الحباري : طائر معروف ، وهو اسم جنس يقع على الذكر والانثى ، وقال الجاحظ : الحباري لها خزانة في دبرها وأمعائها لها أبداً فيها سلح رقيق ، فمتى ألح عليها الصقر سلحت عليه ، فينتف ريشه كله ، وفي ذلك هلاكه . حياة الحيوان للدميري .

ردافة الملوك ، ولهم ولإخوتهم من بني يربوع كثرة عدد وإنهم ذوو حروب وبأس .

ومنهم عتيبة صائد الفرسان ، وفي ذلك يقول سحيم شعره النوني .

وقال أبو اليقظان : عاقر غالب سحيماً بصَوْءر [١] فغلب سحيماً فقال الفرزدق :

ما برئت إلا على عرج بها عراقيبها مذ عُقِّرت يوم صَوْءر [٢]

ولوَثيل يقول متمم بن نويرة :

وقلت لذي الطبيين إذ قال عامداً ليسمعني ما قال أو غير عامد

وأغار قيس بن شرفاء الربعي ، من ولد ربيعة بن نزار ، على بني يربوع بالشعب، فاقتتلوا فأسر سحيم بن وَثيل الرياحي ففي ذلك يقول:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم تعلموا أني ابن فارس زَهْدَم

وأسر أيضاً متمم بن نويرة ، وكانت الردَافة لبني يربوع بن حنظلة ، ثم لبني رياح ، فطلبها حاجب بن زرارة للحارث بن بيبة ، وقال للمنذر بن ماء السماء : هو شيخ بني حنظلة ، فأراد المنذر أن يجعل الردافة له ولقومه ، فاجتمع بنو يربوع بطرف طَخْفَة [٣] عاصين للمنذر ، فَسَرَّح إليهم جيشاً فالتقوا بطخفة فاقتتلوا، فهزم أصحاب المنذر ، وكانت البراجم مع بني يربوع ليس معهم من تميم غيرهم ، وأَسر طارق بن حصبة بن أزنم قابوس بن المنذر ، فبعثوا به إلى المنذر ، فأتاهم ثواب من نَعَم ورقيق ،

١ ـ بهامش الأصل : موضع .

٢ ـ شعر الفرزدق وتفاصيل أخبار هذا اليوم في النقائض ج ١ ص ٤١٤ ـ ٤١٨ .

٣ ـ طخفة : موضع بعد النباج في طريق البصرة مكة ، وقيل هو جبل أحمر طويل حذاءه بثار ومنهل . معجم البلدان .

واسراء من بني تميم ، وأُسر حسان بن المنذر أخوه فأدركه عمرو بن جوين بن أهيب بن حميري فأطلقه للمنذر، وقتلت بنو يربوع أبا مَنْدُوسة المجاشعي، وكان في جيش المنذر ، وفي ذلك يقول سحيم بن وَثيل :

أبي أنزل الجبار عـامل رمحـه عن السرج حتى خَرَّ بين السنابك
بطخفة إذ مال السروج وذببوا[1] عراة على جرد طوال الحوارك

وقال أبو عبيدة : صاحب حسان بشر بن عمرو عم سحيم فصيَّره[2] إياه ، وقال عمرو بن حَوْط بن سلمى بن هَرْمي :

قسطنا يوم طخفة غـير شكٍ على قابـوس أذكـره الصّيـاح
لعمـرو أبيـك والأنبـاء تنمىٰ لنعم الحيّ في الجُـلّى ريـاح
أبَــوا دين الملوك فهم لقـاح إذا هيجوا إلى حرب أشاحوا

وقال سحيم :

وعمّاي ذادا يوم طخفة عنكم أوائل دُهْمٍ كالسراديخ[3] مُعْلَم

وقال جرير :

وحسان أعْضَضْنَا الحديدَ ابنَ منذرٍ وقابوس إذْ لا يدفع الغلَّ مَدْفَعَا[4]

ومنهم حبيب وهو أُعيفر بن أبي عمرو بن إهاب بن حميري بن رياح ، وكان من أحسن الناس وجهاً وهو من الذين كانوا لا يدخلون مكة إلا وعليهم العمائم من جمالهم[5] لا يثب النساء عليهم ، وهم الزِبرقان بن بدر وهو

١ ـ ذبب: دفع ومنع، وشفته جفت عطشاً، وراكب مذبب: عجل منفرد. القاموس.
٢ ـ صيره : حضره . القاموس .
٣ ـ بهامش الأصل : أصول الجبال، الواحد سرداخ .
٤ ـ ديوان جرير ص ٢٦٦ .
٥ ـ بهامش الأصل : تسمية من كان يدخل مكة معتماً لجماله .

حُصين أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم . وعثمان بن حنظلة بن فاتك الأسدي . وأُعيفر اليربوعي . وسنيع الطهوي . وبُرجُد أخو بني قيس بن ثعلبة بن عكابة ، واسم بُرجد قيس بن حسان بن عمرو بن مزيد . وزيد الخيل بن مهلهل الطائي . وعمرو بن حُمَمة الدوسي . وقيس بن سلمة بن شرحبيل الجعفي . وجرير بن عبدالله البجلي . وذو الكلاع وهو سُمَيْفَع بن ناكور الحميري . وقيس بن الخطيم الأنصاري . وامرىء القيس بن حجر الكندي .

ومنهم : مطر بن ناجية بن ذروة بن حطان بن قيس بن أوس بن حميري الذي غلب على الكوفة أيام ابن الأشعث ، وقد كتبنا خبره وهرب حين قُتل ابن الأشعث ، وفيه وبه يُراد قول الشاعر :

وَفَرَّ الرياحيان إذْ حمش[١] الوغىٰ مطيرٌ وَبَرَّادٌ فراراً عَذَوَّرا[٢]

يريد الأبرد بن قرة الرياحي ، وكان مع مطر بالكوفة ، وبعضهم يقول هو ناجنة ـ بنون ـ ولكن الناس صَحَّفُوه وهو بالنون أصح .

ومن بني رياح : عتاب بن هرمي بن رياح وهو الردف[٣] ، ردف للنعمان بن الشقيقة ، وكانت الردافة أن يجلس الملك فيجلس الردف عن يمينه ، فإذا شرب شرب الردف قبل الناس ، وإذا غزا الملك جلس في مجلسه وخلفه على الناس حتى ينصرف من غزاته ، وإذا أغارت كتيبة الملك أخذ المرباع وذلك قول جرير :

---

١ ـ حمش : غضب . واشتد . القاموس .
٢ ـ العذور : الشديد النفس ، والملك الشديد . القاموس .
٣ ـ بهامش الأصل : تفسير الردافة .

ربعنـا وأردفنـا الملوك وظللوا وطاب الأجاليب الثمام المُنَزَّعَا[1]

وكانت للردف أتاوة يأخذها من جميع مملكة الملك .

وعوف بن عتاب كان ردفاً بعد أبيه ، ثم يزيد بن عوف كان ردفاً للمنذر بن ماء السماء ، وهو جَدّ النعمان بن المنذر .

ومنهم : الأحوص بن عمرو بن عتاب الشاعر .

وفيهم يقول الفرزدق :

ويردف عتاب الملوك ولم تكن لهم عند أبواب الملوك بشاهد[2]

وقال الأحوص عمرو بن عتاب ، وبعضهم يقول الأحوص بن عمرو ، ويرويه عن الكلبي :

فهل رياحٌ وكعبٌ لا أبا لكُمُ أمْ هل أبي الرَّدْف عتابٌ كمرداس
يحمي ابن فسوة كعباً وهو مُسْلِمُها كعب بن عمرو وكعبٌ أَلأَمُ الناس

كعب بن عمرو بن تميم .

ومنهم : الأبرد بن قرة بن نعيم بن قعنب فارس العرب ، وقد أخذ المرباع ، وكان الأسود بن نُعيم بن قعنب قدم المدينة على صهرٍ له من قريش ، فوقع بين صهره وبين رجل من بني ليث كلام فقتل الأسودَ الليثيُّ ثم هرب حتى أتى ميسان فهلك بها ، فقال جرير يرثيه :

أَلَا يا لَقَوْمٍ ما أجَنَّتْ رَكِيَّةٌ بميسان يُحْثَى تُرْبُها فَوْقَ أَسْوَدَا
نمته القروم الصِّيْدُ من آل قَعْنَبٍ وأورثَ مجداً في رياح وسؤددا[3]

---

١ ـ ديوان جرير ص ٢٦٦ .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٦٥ .
٣ ـ ديوان جرير ص ٩٤ مع فوارق .

وقال أبو اليقظان : ومن بني رياح الأبيرد بن المعذر الشاعر ، وكان من أجمل الناس ، وكان يقال له الصبيح الفصيح ، وكان يأتي رَيّا امرأة شبث بن ربعي الرياحي ، وكانت متبدية في ماء لبني عجل قرب الكوفة ، فتوعدته بنو عجل إن أتاها يتحدث إليها أن يعقروا به ، فقال في ذلك :

لقد أُوْعَدَتْ بالعقر عجل مطيَّتي وقد علموا أَنْ ليس يُفلح عاقره
ولو عقروها خب منهم خبيبة[1] أباهِمُهُ تَدْمَى معاً وأظافره
إذا تركتْ جوف الأساود ناقتي فَقُبِّحَ من جوف وقبح حاضره
فساق إليك الله ريا ولم تكن بأول أعراب تَبَدَّى مهاجره

ومنهم : الجَنْبَةُ بن طارق بن عمرو بن حَوْط بن سَلمى - يقال سلم - ابن هرمي بن رياح ، وكان مؤذناً لسجاح حين تنبأت .

ومنهم : قعنب بن عتاب بن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح ، وكان فارساً وفيه يقول جرير :

جيئوا بمثل قعنب والعَلْهَانْ يوم تَسَدَّى الحكم بن مروانْ[2]

وقعنب قاتل بجير بن عبدالله بن سلمة القشيري يوم المَرَوّت ، وكان خبره أن قعنباً وبجيراً تلاقيا بعكاظ ، فجرى بينهما كلام حتى تلاعنا فحلف قعنب ألا يرى بجيراً بعد موقفه إلا قتله أو يموت دونه ، فضرب الدهر ضربة ، ثم إن بجيراً أغار على بني العنبر ، فاستغاثوا ببني حنظلة ، وبني

١ - الخب : ضرب من العَدْو ، أو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً وأياسره جميعاً ، والسرعة ، والخبيبة : الشريحة من اللحم ، وخب النبات : طال وارتفع ، والرجل منع ما عنده . القاموس .

٢ - ديوان جرير ص ٤٨٨ مع فوارق كبيرة . وسدد تسديداً : قوّمه ووفقه للسداد ، أي الصواب من القول والعمل . القاموس .

عمرو بن تميم فركبوا في إثر بجير، فكان بينهم قتال، ثم تتامّوا فطعن نعيم بن عتاب بن الحارث بن عمرو بن همام المثلم القشيري فصرعه ثم أسره، ولحق قعنب بن عصمة بن عبيد بجيراً فطعنه فأرداه عن فرسه، فوثب عليه كدام المازني من بني عمرو بن تميم فأسره، فرآه قعنب بن عتاب بن الحارث وهو في يد كدام فحمل عليه، فأراد كدام منعه فقال: رأسك، فخلّى سبيله فضرب قعنب بجيراً فأطار رأسه، وقتلت بنو يربوع البُرَيكين: بُرَيْكُ بن قرط، وعامر بن قرط، وكان المصفى القشيري قتل عمرو بن وافد الرياحي، فقتله نعيم بن عتاب يوم المزوت، وقتل قعنب يوم الصفقة بالمشقر، اعتوره رجلان من بني شن فقتلاه وقال جرير:

وود نساء الدارميين لو رأوا عتيبة أو عايَنَّ في الخيل قعنبا[1]

وكانت بنو عبس أغارت على بني ربيعة بن مالك بن حنظلة، فأتى الصريخ في بني يربوع، فركبوا في طلب بني عبس، فأدركوهم بذات الجرف، فاقتتلوا فقتلوا شريحاً، وأسروا فروة وزنباعاً ابني الحكم بن مروان، وأسر أسد بن جناءة السليطي الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة بن رواحة العبسي، وقتل عصمة الرياحي من بني عبس سبعين رجلاً، وقال قائل: قتلهم قَعْنَب بن عتاب بن الحارث الرياحي، فسمي في هذا اليوم قَعْنَب المبير، وقد كان العَفّاق بن الغَلّاق بن قيس بن عبدالله بن عمرو بن همام، والغلاق هو الذي ذكره الحارث بن حلزة فقال:

ثم خيل من بعد ذاك مع الغلّا ق لا رأفة ولا إبقاء[2]

---

١ - ديوان جرير ص ١٩.

٢ - مختار الشعر الجاهلي - ط. القاهرة ١٩٥٩ ج ٢ ص ٣٥٠.

في إبل له ، فمر ببني عبس فأخذه شريح وجابر ابنا وهب من بني عوذ بن غالب فقتلاه ، فنذر عصمة ألا يطعم خمراً ، ولا يأكل لحماً ، ولا يقرب امرأة ، ولا يغسل رأسه حتى يقتل من بني عبس من قدر عليه ، فظفر بشريح وجابر فضرب أعناقهما صبراً وقال :

الله قد أمكنني من عبس ساغَ شرابي وشفَيْتُ نفسي
وكنت لا أقرب ظهر عرسي وكنت لا أشرب صفو الكأس
ولا أبل بالوخاف[1] رأسي

وقال الحطيئة في هذا اليوم وكان في الجيش فهرب :

لقد بلغ الشفاء فخبرونا بقتلى من قتلنا من رياح[2]

وقال في هذا اليوم وهو يوم الجرف ، ويوم الصرائم شُمَيْتُ بن زنباع بن الحارث بن ربيعة بن زيد بن رياح :

سائل بنا عبساً إذا ما لقيتها على أيّ حيٍّ بالصرائم دُلَّتِ
قتلنا بها صبراً شريحاً وجابراً وقد نهلت منها الرماح وَعَلَّتِ
فأبلغ أبا حُمران أنَّ رماحنا قَضَتْ وَطَراً من غالب وتَعَلَّت

أبو حمران : عروة بن الورد العبسي ، وقال رافع بن هريم في هذا اليوم :

ونحن يوم الجرف جئنا بالحكم قسراً وأسرى حوله لم تُقتسم
وصَدَأ الدرع عليه كالحمم

وقال جرير يفخر على الفرزدق :

١ ـ وخف الخطمي يخفه : ضربه حتى تلزج ، والماء الذي غلب عليه الطين . القاموس .
٢ ـ ديوان الحطيئة ص ٢٠٤ .

قُلْ لحفيف القصبات الجوفانْ جيئوا بمثل قَعْنَبِ والعَلْهان
والرِّدْفُ عَتَّابٌ غداة السوبان أو كأبي حزرة سم الفرسان
وما ابن حنّاءة بالوغل الوان ولا ضعيف في لقاء الأقران[1]

يوم تسدي الحكم بن مروان

والعَلْهان عبدالله بن الحارث بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع ، وكان انطلق وأخوه علقمة في بغاء إبل فأخذهما الغبريون من ربيعة فقتلوا علقمة ، ثم أطلقوا عبدالله بعد حين ، وقَبل إطلاقه مابلغ بني ثعلبة بن يربوع أنهم قد قتلوا علقمة وعبدالله جميعاً ، فركبوا فلقوا عبدالله فسألوه هل قُتل أخوه ، فلم يخبر بذلك لأن القوم شرطوا ذلك عليه حين خلوا سبيله ، وبلغ بني غبر وهم أهل مُلْهم[2] حينئذ ، فتحصنوا فحرقوا نخلهم ، فانحدروا فحاربوهم فظفر بنو ثعلبة وكثر القتلى في حائر فيه ماء لهم ، فامتنعوا من شرب مائه وذلك في يوم شديد الحر ، فقال مالك بن نويرة : اشربوا فإنما يَعَافُ مثل هذا المعزى . فشربوا ، وقَتَلَ عبدالله بن الحارث يومئذ بشراً وجعل يشرب الدم فسمي العَلْهان ، وهذا اليوم يوم مُلْهم .

ومن ولده يزيد بن قعنب بن عتاب كان فارساً . ومنهم الحرّ بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب بن الحارث بن عمرو بن همام ، الذي صار مع الحسين بن علي ، وكان من قبل من أشد الناس عليه ، فقال له الحسين : أنت الحرُّ في الدنيا والآخرة . وقتل معه ، وله يقول الشاعر :

لنعمَ الحرُّ حرُّ بني رياح وحرٌّ عند مختلف الرماح

١ ـ ديوان جرير ص ٤٧٩ ـ بيتان فقط مع فوارق كبيرة ، وانظر أيضاً ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨ .
٢ ـ ملهم وقران قريتان من قرى اليمامة . معجم البلدان .

وقد كتبنا خبره فيما تقدم .

ومنهم : شراحيل بن عمرو بن همام ، قال الشاعر :

وما الأصم بإخوانٍ فنعرفهم ولا ابن عمرو شراحيل بن همام

الأصم : عبدالله بن رياح .

ومن بني شراحيل : معقل . وعقفان ابنا قيس بن عبدالله بن عمرو بن همام بن رياح . وكان معقل بن قيس يكنى أبا رميلة ، وكان من رجال أهل الكوفة ، وكان فيمن وفد مع عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مع الهرمزان بفتح تستر ، وكان مع علي رضي الله تعالى عنه فوجهه إلى بني سامة بن لؤي ، فقتلهم وسباهم . وقد ذكرنا خبره ، وقد كان عليٌّ صَيَّرَهُ على شرطه ، وهلك عقفان فرثاه معقل فقال :

كأني بعد عقفان بن قيس نبات الأرض اخطأه السحاب

فأفلح من تخطأت المنايا أحبته فساغ له الشراب

ولقي معقل المستورد بن عُلفة التيمي الحروري فقاتله فقتل كل واحد منهما صاحبه .

ومنهم : عَتّاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو بن همام ، كان سخياً مبرزاً شريفاً ، وكان يكنى أبا ورقاء .

وقال أبو اليقظان : كان الفرخان صاحب الري كفر ، فوجه إليه عتاب محمد بن عمير بن عطارد فهزمه الفرخان وأخذ سريته ، فتوجه إليه عتاب بن ورقاء نفسه فقتله وافتتح الري ، فقال جرير لمحمد بن عمير :

هلا طعنت الخيل يوم لقيتها طعن الفوارس من بني عقفان

وبنو عقفان من بني الحرام من بني يربوع . والحرام أم بني العنبر بن

يربوع ، وكانوا مع عتاب بأصبهان وهو والٍ عليها في أيام ابن الزبير ، فأتاه الزبير بن علي السليطي الخارجي فقاتله فقتله .

ووجه الحجاج عتاب بن ورقاء لقتال شبيب الخارجي فقتله شبيب يوم سوق حَكَمَة[1] ، وكان ابنه خالد بن عتاب على أصبهان .

وقال ابن الكلبي : كان عتاب على الري وأصبهان في أيام ابن الزبير ، فكفر الفرخان فوجه عتاب إليه محمد بن عمير فهزمه الفرخان ، فتوجه إليه عتاب فقتله .

وقد روي في تفسير بيت جرير في قوله .

هلا طعنت الخيل يوم لقيتها ....

حديث عن أبي عبيدة يخالف هذا وقد كتبناه في نسب بني عبدالله بن دارم . وقال الشاعر يرثي عتاباً :

لبيك ابن ورقاء الرياحي إذ ثوى بقبر بقفرٍ نائل وطعان
وقائلةٌ هل كان بالمصر حادثٌ الا هُلك عتاب هو الحدثان

وكان خالد ابنه وامه ميثاء من أشجع الناس وأسخاهم ، وكان يكنى أبا سليمان ، وكان عاملاً على أصبهان والري من قبل بشر بن مروان ، فورد عليه طلحة الطلحات الخزاعي مقبلاً من سجستان ، فبعث إليه طلحة : ابعث إلينا بشهدٍ من شهد أرضك فحمل إليه سبعمائة ألف درهم ، لم يكن في بيت ماله غيرها ، فقيل : ما يعجب من بعثه إليه بمالٍ إنما يعجب من بعثه بكلٍ ما كان عنده .

وقال أبو اليقظان : استهداه شهداً فبعث إليه بخمسمائة ألف لم يكن

١ ـ سوق حكمة : موضع بنواحي الكوفة . معجم البلدان .

في بيت المال غيرها وكتب إليه : قد بعثت بما تشتري به شهداً ، وقيل إن عتاباً نفسه فعل ذلك ، وهو قول هشام ابن الكلبي والهيثم بن عدي .

وهرب خالد بن عتاب من الحجاج لأنه كتب إليه : إنك هربت عن أبيك ليلة شبيب ، فكتب إليه قد علم من رآني أني لم أهرب ولكنك وأباك هربتما يوم الربذة من الحنتف بن السجف ، وأنتما على بعير نقب[1] ، فلله أبوك أيكما كان ردف صاحبه .

فقدم خالد الشام واستجار بزفر بن الحارث ، فأجاره ، ودخل على عبد الملك فأعلمه ذلك ، فأمضى جواره ، فلم يزل مقيماً عنده حتى مات .

وكان زياد بن عتاب بن ورقاء من فرسان تميم وكان مع ابن الأشعث ، ولآل عتاب بقية في الكوفة .

ومنهم شبث بن ربعي بن حُصين بن عُثيم بن ربيعة بن زيد بن رياح بن يربوع ، وكان فارساً ناسكاً مع العباد ، وكان مع علي رضي الله تعالى عنه ثم صار مع الخوارج حيث قالوا لعلي: قد خلعناك ، وأميرنا شبث بن ربعي . ثم تاب ورجع ، ويقال إنه كان مؤذناً لسجاح أيضاً قبل رسوخه في الإسلام ، وقد ذكرناه فيما تقدم ، وكان عبد المؤمن بن شبث مع ابن الأشعث .

ومن ولد شبث : المفضل ويقال الأزهر وهو أبو الهندي الفاتك .

قال ابن الكلبي : أبو الهندي الأزهر بن عبد العزى بن شبث الذي يقول :

---

١ ـ نقب الخف : تخرق ، والبعير حفي أو رقت أخفافه . القاموس .

سيغني أبا الهندي عن وطب[١] سالم أباريق لم يعبق بها وضر الزُبْد[٢]
مقدمة قَزًّا[٣] كأنَّ رؤوسها رؤوس نبات الماء تقرع للرعد

وهو القائل :

خرج الناس على راياتهم وأبو الهندي في كوه زبان
مجلس يزري بمن حل به تُسْتَحَلُّ الخمر فيه والزواني

وسالم مولى قُدَيد بن مَنيع المنقري ، ولآل شبث عقب بالكوفة .

ومنهم : سلمة بن ذؤيب الفقيه ، وهو الذي دعا الناس بالبصرة إلى بيعة ابن الزبير حين مات يزيد بن معاوية ، وقد كتبنا خبره فيما تقدم ، وسلمة من بني زيد بن رياح وأمهم العجماء ، ينسبون إليها ، ولما قدم حمزة بن عبدالله بن الزبير البصرة والياً من قبل أبيه وقع بين سلمة وبين رجل من بني حميري بن رياح يقال له عبدالله بن الربيع كلام ، فأغلظ له سلمة فلما خرج عبدالله من عند حمزة قال لأخ يقال له جُوَيرية بن الربيع : ألا تعجب من ابن العجماء يرد على كلامي ويغلظ لي عند الأمير ، والله لأقتلنه ، فقال جويرية : وأنا معك . فانطلقا فقعدا على طريق سلمة ، فمر بهما ليلاً فوثبا عليه فقتلاه ، ثم هربا إلى مكة فأقاما بها يسيراً ، ثم قدما البصرة فتواريا في عنزة ، ثم اشتهيا حديث الأبيرد بن المُعَذّر ، أحد بني هرمي بن رياح ، فبعثا

١ ـ الوطب : سقاء اللبن . القاموس .
٢ ـ الوضر : وسخ اللبن والدسم ، أو غسالة السقاء والقصعة ونحوهما ، وبقية الهناء وما تشمه من ريح تجدها من طعام فاسد ، واللطخ من الزعفران ونحوه . الزُبدة : لون بين السواد والغبرة . القاموس . النهاية لابن الأثير .
٣ ـ القزّ : إباء النفس الشيء والتباعد من الدنس ، والقزاز : الثعبان العظيم أو الحيات القصار . القاموس .

إليه رسولاً وقالا له : ادعه ولا تعلمه من نحن ، وقل رجل أشتهى مجالستك ومحادثتك ، فأدى الرسول الرسالة ، فأقبل الأبيرد معه حتى إذا كان ببعض الطريق قال له : لست بماضٍ معك حتى تخبرني من الرجل الذي تدعوني إليه فقال : انتظر حتى أذهب فأستأمره فقعد وذهب الرسول فاستأمرهما فأذنا له في إخبار الأبيرد باسميهما ففعل ، فأقبل الأبيرد حتى دخل عليهما فرحبا به وأتياه بطعام فأكل ، وجاء الشراب فشربوا وتحدثوا وتناشدوا يومهم ، وجعل يسألهم عن الدار هل لها مخرج وهل لها مكان تؤتى منه غير المدخل الذي دخل منه فأخبراه بما سأل عنه ، ثم انطلق فأخبر ابنة سلمة بن ذؤيب ، فأتت حمزة بن عبدالله بن الزبير فأعلمته علمها ، فبعث الخيل حتى أحاطوا بالدار ، ثم دُخل عليهما فأُخذا فذُهب بهما إلى حمزة فلما قُدما ليقتلا قالا : برىء الناس من دمائنا إلا الأبيرد فقتلهما حمزة بيده ، فقالت أختهما .

لم أر مثل ابني ربيع تتابعا قتيلين من حي كرام بواحد
أمُصلح أهل العراق ولم يُقَدْ قتيل بعبد الله أمي فاقد

وقال الأبيرد :

لعمري لئن كانت رياح تفاسدت لغيري أجرى في القياد وأوضعا
وغيري أخنىٰ فيهم بلسانه وصال عليهم باليدين فأوجعا
لعمري لقد كانت رياح عصابة ميامين حكامين في الأمر مقنعا
رفدتُ بني العَجْماء نصحي ولم أكن أرىٰ في كتاب الله أن يُقتلا معا

في أبيات .

ومن بني عبدالله بن رياح : القِرْضاب بن ثوبان ، صاحب الماء الذي في طريق مكة الذي يقال له القِرْضَابي .

ومن بني حميري بن رياح ممن لم يذكره الكلبي : سَيّار بن سلامة ، كان فقيهاً وخرج مع ابن الأشعث وله عقب بالبصرة .

ومنهم : بنو إهاب وأُهَيب ، بطنان بالبصرة ، فكان منهم : عقيل بن سُمَيْر قتل مع ابن الأشعث بالزاوية .

ومن بني حميري بن رياح : جَزْء بن سعد بن عدي بن زيد بن رياح بن يربوع ، وكان عظيم القدر في الجاهلية ، وقد أخذ المرباع وقاد بني يربوع كلها ولم يقدها أحد فيها يقولون غيره .

وقال بعضهم : قادهم في يوم ذي نجب ، والثبت أنه قادهم يوم غَبيط المدرة ، وهو يوم فلج ، وشهد يوم ذي قارّ الأول ، حين أغار بسطام بن قيس على بني يربوع بعد أن أخذ عليه عتيبة بن الحارث ألا يغزوهم، فأخذ الربيع بن عتيبة مائة ناقة ، فضمن لابنه أن يعطيه من أول غزاة يغزوها بكر بن وائل مائة ناقة ، وكان حُصين أحد بني عامر بن أبي ربيعة بن ذهل قد اشترى من عتيبة فرساً فلم يُعطه ثمنه ، وجاوره فأكرمه عتيبة ، فلم يَرْعَ ذلك ، فبلغه أن حصيناً بذي قار في جماعة من قومه ، فغزاهم في بني يربوع ، وعليهم جَزْء بن سعد ، فأخذ منه ألف ناقة ، وأخذ أيضاً عتيبة ابنته فدفعها إلى ابنه الحُلَيْس ، وكان الهذيل بن هبيرة التغلبي غزا بني سعد بالرمل ، فبينا هو يريدهم إذ دلَّ على بني حميري بن رياح وكانوا بأراب فشد عليهم فاحتمل من قدر عليه منهم ، وأخذ امرأة جزء بن سعد ، ثم أطلقها ، وذلك أنها قالت له : إن جَزْءاً آلى أن لا يجامع امرأة باتت في الأسر ليلة . وورد الهذيل الماء وقد سبقه إليه جيش بني رياح وغيرهم من بني يربوع فمنعوه الماء وقاتلوه دونه وقالوا : لن تصل إليه حتى تَرُدَّ ما أخذت ،

فبعث الهذيل إلى جَزْء : إني قد أطلقت امرأتك وابنيها ، ثم إنهم اشتروا من سبيهم ، وأطلق الهذيل منهم حتى راح الهذيل وليس في يده منهم أحد .

وشهد جزء يوم غبيط المدرة ، وهو يوم صحراء فلج ، ويقال بطن فلج ، وكان فيه رئيس بني يربوع .

وكان من خبر هذا اليوم أن بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، ومفروق بن عمرو بن الحارث بن شريك ، وهو الحوفزان غزوا بلاد بني تميم ، فأغاروا على بني ثعلبة بن يربوع ، وثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن عدي بن فزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان . وكانت هذه الثعالب ، فأصابوا فيهم واستاقوا إبلاً من بعضهم ، ولم يشهدهم عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي لأنه كان نازلاً في بني مالك بن حنظلة ، ثم إنهم مروا على بني مالك وهم بين صحراء فلج وبين غبيط المدرة ، فاكتسحوا إبلهم ، فركبت بنو مالك بن حنظلة وفيهم عتيبة بن الحارث وأسيد بن حناءة وجَزْء بن سعد وهو رئيس بني يربوع ، ومعهم مالك بن نويرة فأدركوهم بغبيط المدرة ، فقاتلوهم حتى هزموهم واستنقذوا ما كانوا أخذوا ، وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ربيعة بن حَصَبَة ، ولحق عُتيبة بسطاماً فقال له : يا أبا الصهباء استأسر . قال : ومن أنت ؟ قال : عتيبة وأنا خير لك من الفلاة والعطش ، فأسر عتيبة بسطاماً ، وجاء بجاد أخو بسطام ليكر عليه فقال له بسطام : أنا حَنيف إن كررتَ وكان نصرانياً ، وقالت بنو ثعلبة بن يربوع لعتيبة : يا أبا حزرة إن أبا مرحب قد قتل ، وقد أسرت بسطاماً فاقتله ، وقال إني معيل أحب اللبن فانتقل ببسطام إلى بني جعفر بن كلاب لئلا يقتل ، وقد كان بسطام قال له : صِرْ بي إلي بني جعفر بن كلاب أعطك

عائرة عينين[1] ، يعني الكثرة ، ثم إنه فدىٰ نفسه بأربعمائة بعير وثلاثين فرساً ، وكان عامر بن الطفيل يسأل عتيبة فيأذن له في منادمة بسطام . ولم يلبث بسطام أن جاء فداؤه فخلّى سبيله . وقال جرير :

قد رَدّ في الغلِّ بسطاماً فوارسُنا واستودعوا نعمه في رهط حجار[2]

وقال عتيبة لِجَزْء بن سعد :

أُحامي عن ذمار بني أبيكم ومثلي في غوائبكم قليل

فقال جزء : أي والله وفي شواهدنا .

وأغارت طوائف من بني يربوع جُلُّهُم بنو رياح على بني أبي ربيعة من ذهل بن شيبان ، وعليهم جزء بن سعد ، وذلك بعينِ التمر واتبعهم بنو أبي ربيعة فأدركوهم فقتلوا معاوية بن فراس رئيس بني أبي ربيعة ، فقال سحيم بن وثيل :

هم قتلوا رئيس بني فراس برأس العين في الحجج الخوالي

ويقال إن العين من عيون الطَّف بقرب الحيرة .

ومن بني حميري : حُشَيْش بن نِمران بن سيف بن حميري بن رياح وكان المُجبّة أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان وعمرو بن القُرَيم أحد بني تيم اللات بن ثعلبة أغار علىٰ بني رياح بن يربوع ، فأطرد النَّعَم ، فركبت بنو رياح في آثارهم فلحقوهم بقُلّة الحزن ـ ويقال الحزم ـ فاقتتلوا فحمل المنهال بن عصمة بن عمرو بن حميري على المجبّة فطعنه فقتله ، وحمل حشيش بن نِمران علىٰ عمرو بن القُريم فقتله ، واستنفذ السيقة ، وانهزم

١ ـ عليه من المال عائرة عينين، وعيرة عينين : أي كثرة تملأ بصره . القاموس .
٢ ـ ديوان جرير ص ٢٤١ .

الشيبانيون ، فقال في ذلك شجاع بن هوذة الرياحي :

فإذا لقيت القوم فاطعن فيهم عند اللقاء كطعنة المنهال
ترك المُجِبَّه للضباع مُجَدَّلاً والقوم بين سوافل وعَوَال

وقال جرير :

فإنك لو سألت بنا بجيراً وأصحاب المُجِبَّهِ من عصام(1)

وقال سحيم بن وثيل :

ونحن تركنا ابن القريم بقُحقُح(2) صريعاً ومولاه المُجبَّه للفم

وكان يقال لهذا اليوم أيضاً يوم قُحقُح .

وقتل حشيش في ذي نجب ، وهذا اليوم الذي توجه فيه حسان بن عمرو بن معاوية بن الجون بن حجر بن عمرو آكل المرار الكندي ومعاوية بن شرحبيل بن أخضر بن الجون إلى بني تميم مع وجوه بني عامر : يزيد بن الصعق ، وبني مالك بن جعفر ، وقدامة بن سلمة ، وبني قشير لاستغاثتهم بهما ، وكان يقال لولد حجر بن عمرو آكل المرار بني كبشة ، نسبوا إلى أم حجر ، وهي كبشة بنت امرىء القيس بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن الحارث الكندي، وقال امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر بن عمرو آكل المرار :

خالي ابن كبشة قد علمتم فضله وأبو يزيد رهطه أعمامي(3)

وكان حسان بن عمرو بن الجون على بني تميم يوم شعب جبلة ، وجبلة هضبة حمراء ، وكان معاوية بن شُرحبيل بن أخضر بن الجون يوم شعب جبلة

١ ـ ديوان جرير ص ٤٠٣ .
٢ ـ عرف ياقوت قحقح بقوله : أرض قتل بها مسعود بن القريم فارسَ بكر بن وائل
٣ ـ ديوان امرىء القيس ص ١٦٤ .

مع بني عامر ، فاجتمعا في يوم ذي نجب على بني تميم ، وكان الذي هاج يوم جبلة أن بني عبس بن بغيض حين خرجوا هاربين من بني ذبيان ، وحاربوا قومهم بقوا متلددين متحيرين ، فصاروا إلى بني عامر ، ثم استعاذوا بالأحوص بن جعفر ، فأجارهم فأشار عليه عوف بن الأحوص بقتلهم ، فأبىٰ أن يطيعه ، فاجتمع بنو ذبيان واستعدوا عليهم حصن بن حذيفة الفزاري ومعه بنو أسد ، وأقبل معهم معاوية بن شرحبيل بن أخضر بن الجون - وسمّي الجون لشدة سواده - في جيش ، وأقبلت بنو حنظلة والرباب عليهم لقيط بن زرارة وأقبل معهم حسان بن الجون في جمع من كندة وغيرهم عظيم ، فاقتتلوا فقتل لقيط ، وأسر عتيبة بن الحارث فبال على قَدّه حتى عفن ، ثم تخلص في بعض الأشهر الحرم بلا فداء ، وكان بخيلاً . وقال جرير في يوم ذي نجب :

لقد صدع ابن كبشة إذ أتانا حشيش حين ناشته العوالي[1]

وقال بعضهم : وأسر في يوم ذي نجب دريد بن ثعلبة بن حصبة بن أزنم حسان بن عمرو ، ويقال معاوية بن شرحبيل . والكلبي والمفضل ينكران ذلك . ومن قال إنه أسر حسان احتج بقول جرير يوم واقف الفرزدق بالمربد :

. . . . أو كدريد يوم شد حسان[2]

وقال من خالفه : ليس هذا البيت في الشعر .

وقال أبو المهدي الكلابي : الثبت :

---

١ - ليس بديوانه المطبوع .
٢ - ليس في ديوانه المطبوع .

. . . . أو كحشيش يوم لاقى حسان

وقال ضمرة بن ضمرة ليزيد بن الصَّعِق :

نحن سراة الجيش يوم النجبة يوم ضربناك فويق الرقبة

وكان ثعلبة بن الحارث بن حصبة أسر يزيد بن الصعق ، فرآه في يده ثعلبة بن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح فضربه على رأسه فَأَمَّه .

وقال أبو عبيدة : قتل حشيشاً عمرو ، أحد بني كبشة وأسر دريد حسان . والله أعلم .

وقال أبو اليقظان : كبشة أم عمرو بن الجون . والأول أثبت وهو قول الكلبي .

ومنهم : حميد بن مشمت ، كان من وجوه بني تميم بخراسان .

ومنهم : هلال بن زِنباع جاهلي قتل أباه رجل من بني حنظلة ، فأتىٰ قاتل أبيه وهو في قُبَّة فقطع شرجها بالسيف ، ثم دخل فقتله ، فقال الشاعر :

ضرباً وثاج[1] فدت أمي وما ولدت لن تَعْدَمُوا ثائراً مثل ابن زنباع

الداخل البيت لم يأذن قعيدته بكل أبيض للأجواز قطاع

ومنهم : برد بن زياد ، صبر مع الحسين بن علي عليهما السلام ، ومع الحر بن يزيد حتى قتل . ومنهم : يحيى بن مبشر ، قتل أيضاً فقال أبو السفاح :

صلىٰ علىٰ يحيى وأشياعه ربٌ مليكٌ وشفيع مطاع

فقال جرير :

١ ـ بهامش الأصل : رياح .

صلى الإله عليك يا بن مبشر أَنَّى قتلتَ بملتقى الأجناد[1]

وأما الخُمَّة فقليل .

ومن بني كعب بن رياح : أبو الكيهم ، وهو زهير بن الحارث .

وكان قوم من بني حنيفة وقوم من قيس بن ثعلبة أغاروا على إبله فأتى الصريخ ببني حميري فركبوا في آثارهم فاستنقذوا الابل، بعد قتال ، وكان قتالهم بذي خيم ، وزعموا أن الحارث بن قراد ، أحد بني حميري لحق القوم وهو يقول :

أبلِ أبي الكيهم لا تُراعي إني أُدِيْنُ لـك بـاجتـماع

إني سأحميك ونِعْمَ الراعي

وقال سحيم بن وثيل :

رددنـا لمولاكم زهـير لبونـه وأهلك فيها ابنا حمار وعاصم

ابنا حمار : عدى وعمرو الحنفيان ، وعاصم بن الحارث بن قيس بن ثعلبة وكان هؤلاء قد قتلوا يومئذ .

وولد ثعلبة بن يربوع : جعفر بن ثعلبة . وجَهْوَر بن ثعلبة ، وأمهما النوار بنت ضُبيس بن جارم بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة . وعَزين بن ثعلبة . وعبيد بن ثعلبة ، وأمهما رهم بنت مالك بن حنظلة .

فولد جعفر بن ثعلبة بن يربوع : ذريح بن جعفر . والكُباس بن جعفر . وشراحيل بن جعفر . وحُمرة بن جعفر . وحصين بن جعفر . وربيعة بن جعفر . وعبدة بن جعفر ، وهؤلاء الثلاثة في عُكل . ومالك بن جعفر وهم في سعد بن زيد مناة .

---

١ ـ ديوان جرير ص ٩٨ .

وولد عَزِين بن ثعلبة : عبد مناف بن عزين .

وولد عبيد بن ثعلبة : أزنم بن عبيد . وضباري بن عبيد . وشداد بن عبيد . وعاصم بن عبيد . وعصمة بن عبيد . وعبدل - لام - بن عبيد . وحُبْشي بن عُبيد . وأسامة بن عبيد .

فمن بني ثعلبة بن يربوع : **عتيبة بن الحارث** بن شهاب بن عبد قيس بن الكُباس بن جعفر بن ثعلبة ، وقد رأس وكان يسمى صياد الفوارس ، وسُمُّ الفوارس ، أسر يوم شعب جبلة فبال على قَدِّهِ حتى عفن ، فلما دخل الشهر الحرام هرب فأفلت بغير فداء ، وكان بخيلاً[١] ، وقتله ذؤاب الأسدي ، وذلك الثبت ، وبعضهم يقول : قتله المجشر بن عبد عمرو الغاضري وذلك أنهما اختلفا طعنتين ، ولكنه لاشك في قتل عُتيبة المجشر ، وقد ذكرنا مقتله في يوم خَوّ ، وكان غداراً .

وقال أبو عبيدة : نزل به أنس بن مرداس السلمي في صرم من بني سليم ، فشد على أموالهم فأخذها وربط رجالهم حتى افتُدوا ، فقال عباس بن مرداس[٢] :

كثر الضجاج وما سمعت بغادرٍ كعتيبة بن الحارث بن شهاب

وقال المفضل وبعض الكوفيين : أغار عتيبة بن الحارث في بني ثعلبة بن يربوع على طَوائف من بني كلاب يوم الجونين فأطردوا نعمهم ، وكان أنس بن عياض الأصمّ السلمي من بني رِعل مجاوراً في بني كلاب ، وكان بين بني ثعلبة بن يربوع وبين بني رعل عهد ألا يسفك بينهم دم

١ - تقدم هذا الخبر قبل قليل ص ١٦٩ .
٢ - انظر أخبار العباس بن مرداس ونسبه وبعض شعره في الأغاني ج ١٤ ص ٣٠٢ - ٣٢٠ .

ولا يؤكل مال ، فلما سمع الكلابيون الدعوىٰ ببني ثعلبة قالوا لأنس : قد عرفنا ما بينكم وبين بني ثعلبة بن يربوع فأدركهم فاحبسهم علينا حتى نلحق ، فخرج أنس في آثارهم فلما دنا منهم قال : أنا أخوكم وعقيدكم وكنت في هؤلاء القوم فأغرتم على إبلي مع ما أغرتم عليه ، فقال له عتيبة : حياك الله خذ إبلك ، قال أنس : والله ما أعرفها وقد وعدت إخوتي وأهل بيتي أن يتبعوني وهم أعرف بها ، فطلع فوارس من بني كلاب فاستقبلهم حنظلة بن الحارث أخو عتيبة فحمل عليه الحوثرة بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جعفر بن كلاب فقتل حنظلة ، وحمل لام بن سلمة أخو بني ضباريّ بن عبيد بن ثعلبة على الحوثرة فأسره ودفعه إلىٰ عتيبة فقتله صبراً ، وهزم الكلابيون وأسر أنس فأتى به عتيبة فافتدى نفسه منه بمائتين من الإبل ، فقال عباس بن مرداس :

كثر الضجاج ولا أرى من غادر ... كعتيبة بن الحارث بن شهاب
جَلّلت حنظلة الدناءة كلها ... ودنست آخر مدة الأحقاب

في أبيات .

وقال عتيبة :

غدرتم غدرة وغدرتُ أخرىٰ ... فليس إلىٰ تـوافينا سبيـل
فلوموا الآن إذْ وَقَعَتَ بقرٍّ ... فَمُقْصِرُكُمْ سـواء والمُطِيْـلُ
ألا أبلغْ بني رِغْـلٍ فـإني ... لكم بمسـاءةٍ أبـداً كفيـل

وحضر عتيبة يوم ذي قار الأول ، وقد ذكرنا خبره ، وكان قد أخذ حَصِينة بنت الحصين أخي بني عامر بن ربيعة ، فدفعها إلى ابنه ، وكانت مُمْلَكَةً بابن عم لها ، فتعلقت بثوب عتيبة وقالت : يا عم أنشدك الله أن

يمسّني رجل غير زوجي ، فاذكر يا عم جوازي ولعبي بين أطناب بيتك مع بناتك ، فكساها وبعثها مع من بلغها قومها ، وأعطىٰ ماصار إليه من الإبل ابنه ، ولم يغز عتيبة قط غزاة أسلم منها ، وقال عتيبة :

ألم ترني أفأت على ربيع جلاداً في مباركها وحور

وحضر عتيبة يوم غبيط المدرة فأسر بسطام بن قيس الشيباني وأخذ فداءه . وغزا عتيبة بن الحارث وأرقم بن نويرة ودَيسق بن حِطان العاصمي ، أحد بني عبيد بن ثعلبة : بكر بن وائل فأخذوا دَيسق بن حطان ، ثم أُطلق ، فخرج حتى نزل علىٰ قيس والهرماس الغسانيين فقالا له : أترىٰ في الأرض فارسين مثلنا ؟ قال : نعم عتيبة بن الحارث مثلكما وأفضل ، فتمنيا أن يلقياه ، فما لبثا أن أتاهما النذير فقال : إن عتيبة أخذ نَعَمكما، فركب قيس فقال اين عُتيبة؟ قال: هاأنذا، قال: ابرز . قال عتيبة: فما رأيت فارساً قط املأ لعيني وقلبي من قيس يوم رأيته، قال: فطعنني بالرمح فحطم قربوس سرجي وأمضاه حتى وجدت برد السنان في بطن فخذي ، ثم مضى منحازاً يحسب أنه قد قتلني ومعي رمح مُعَلَّبُ بالقدّ والعصب[1] كنا نصطاد به الوحش ، قال : فرميته بالقرنين[2] ، فلما سمع هُويّها حنى لي ظهره يريدني ، وبدا لي فرج الدرع فاطعنه في عانته وانفذ رمحي حتى دق مؤخرة السرج ، ولحق الهرماس في خيله فأتىٰ علىٰ قيس وقد مات ، وكرَّ عتيبة على كردوس آخر علىٰ الهرماس فضربه عتيبة بالسيف على البيضة

---

١ ـ العصب : ضرب من البرود ، والاطافة بالشيء ، والعصابة . القاموس .
٢ ـ القرنين : الجعبة . والسيف والنبل ، وحبل يجمع به البعيران . القاموس .

فمات من ضربته قطع البيضه وهشمها وأُمُّهُ ، ويقال لهذا اليوم يوم بَنْهَل ، ويوم غول .

وقال عتيبة :

كما لاقىٰ أخا الهرماس مني غداة الروع مُدَّرِعَاً شليلي

وقال متمم بن نويرة :

تمنيتما أن تلقياه سفاهة فلاقاكما وسط السَّوام المعزب
بودكما يا بني هجيمة أنه يكنهك(١) إذ لاقاكما متعتب

وقال جرير :

ومنا رئيس القوم يوم حماهم وغادر قيساً في سنان وعامل
يثوب إليه ثابت الطير بعدما كبا في نجيع من دم الجوف سائل
على بيضة الهرماس حتى تطايرت خذاريف عن قحف من الرأس مائل(٢)

وقال جرير :

وساق ابن هجيمة يوم غولٍ إلىٰ أسيافنا قَدَرُ الحمام(٣)

قالوا: وقال بسطام بن قيس : ما أنا بمنته حتى آسر عتيبة كما أسرني ، أو أقتله ، فجمع له بكر بن وائل ، فركب في بني شيبان ، وركب معه أبجر بن جابر العجلي والحُطَم من بني قيس بن ثعلبة في قومه ، وكانت عند أبجر أمّ وهب ، وهي من طهية ، فبعثت من أنذر بني يربوع وأخبر عتيبة بالخبر فاستعد ، وأقبل بسطام فأغار بمن معه على النعم وهو على الماء يصدر

١ ـ أي يستتر ويستكن . القاموس .
٢ ـ ليست في ديوان جرير المطبوع .
٣ ـ ديوان جرير ص ٤٠٥ .

ويرد، فاطردوا نعماً كثيرة فلما شغل كل امرىء بما في يده من الغنيمة، وعلم بنو يربوع أن أحداً منهم لا يلوي على أخيه لينجو بما حوىٰ ، ركبوا فلما رأت بكر ما تتابع عليها من الخيل اجتمعت فنادىٰ عميرة بن طارق : إليَّ يا أبجر فأنت طليق ، ومن أتاني من قومك ، وكانت أم وهب الطهوية أمه ، وكان أبجر قد رباه فقال له : ألهذا كانت تربيتي إياك ، فقتل يومئذ الدعاء وأُسر الحوفزان وأبجر في أسرىٰ كثيرة ، فأنعمت عليهم بنو يربوع وجزت نواصيهم ، وطُعن بسطام طعنة فَفَرَّ على وجهه ، فقال عميرة بن طارق اليربوعي لأبجر :

ولما رأيتُ القوم جدَّ نفيرهم دعوتُ نجيبيّ محرزاً والمثلَّما
فأعرض عني محرز وكأنما رأى أهل أودٍ مَرْصِداً وسَلَهَّما

ومحرز والمثلم خالا عميرة ناجاهما في إنذار بني يربوع ، فأعرض عنه محرز ، وأشار عليه المثلم بما فعل .

وقال جرير بن عطية :

ومنا الذي ناجىٰ فلم يُخْزِ رَهْطُهُ بأمرٍ قويم محرزا والمثلما[1]

وقالت بنو شيبان :

بالصمْدِ إذ لقوا فوارساً يدعون قيلاً وأيهما
أشيبان لو كان القتال صبرتم ولكنَّ سَفْعَاً من حريقٍ تَضرَّما

وقال أيضاً :

وَعَضَّ ابن ذي الجَدَّيْنِ وسْطَ بيوتنا سَلاَسِلَهُ والقَدُّ حَوْلاً مُجَرَّمَا

وقال جرير :

١ - ديوان جرير ص ٤٤٧ .

فسار الحوفزان وكان يسمو وأبجـر لا أَلَفٌ ولا بَلِيْـدُ
فَصَبَّحَهُم بأسفل ذي طلوح ضوامر لاتـزاد ولا تَزِيْـدُ[1]

وقال جرير :

ولما لقينا خيل أبجر أعلنت بدعوى لُجيم غير ميل العوائق
فلما رأوا ألَّا هوادةَ عندنـا دَعَوْا بعد كربٍ يا عمير بن طارق[2]

وهذا اليوم يدعى يوم الصمد ، ويوم ذي طلوح .

وأغارت أيضاً بنو شيبان ورئيسهم الحوفزان ، وبسطام بن قيس على بني يربوع ، ورئيسهم عتيبة بن الحارث فالتقوا بأعشاش ، فأُسر بسطام وقُتل رجل من آل الحوفزان يقال له بشر ويلقب خوافي النسر ، وكانت تلك الغزاة أول غزاة غزاها بسطام ، فأطلقه بنو يربوع ، وكانت هذه أَسْرَةٌ قبل أسرة عتيبة إياه ، وقد ذكرناها ، وكانت أم عُتيبة مَيَّةُ بنت معاوية من بني جعفر بن ثعلبة .

وقال ذو الغِلْصمَة العجلي :

عتيبة صياد الفوارس عُزِّيَتْ ظهـور جياد بعـده وركاب

وقتل ذؤاب عتيبة .

وقد ذكر أبو اليقظان أن الحليس بن عتيبة قتل ذؤاباً ، فقال حصين بن القعقاع :

تذكرت ندماني عتيبة بعدما عُصِبت رؤوس نسائه بسلاب
قتلوا ذؤاباً بعد مقتل ستةٍ فَشَفَى الغليل وريبة المرتاب

---

١ ـ ديوان جرير ص ١٢٨ مع فوارق .
٢ ـ ديوان جرير ص ٣٠٩ . مع فوارق .

وولد عُتيبة : حَزْرَة بن عتيبة . وربيع بن عتيبة ، أمهما الحمراء من بني سليط ، وكان تزوجها رجل من مضر الحمراء ، فضرب عليها قبة أدم ، فلما هلك رجعت إلى أهلها بالقبة فسميت بقبتها : الحمراء . وعُمارة بن عتيبة . والحليس بن عتيبة . وهُذيم بن عتيبة . والأحوص بن عتيبة . وضرار بن عتيبة . ودُعموص بن عتيبة .

فأما ربيع فكان فارساً شجاعاً ، وأسره بنو شيبان فركب فرسه ونجا ، وقد كتبنا خبره حين رد عليه أبوه ما أخذ من بني شيبان وذلك في يوم ذي قار الأول ، وهو قتل قاتل أبيه .

قالوا : بينا بنو ثعلبة بن يربوع يسيرون إذا الفُرافصة الكلبي قد أقبل بما صار إليه في غزاته بني سليط وغيرهم من بني تميم ، وقد انصرف وأكثر جيشه بغنائمهم وتسرعوا إلى أهلهم ، وبقي النَّعم أشَلّ (١) فأتاهم راكب من بني الهجيم فقال : هل لكم إلى ثلاثمائة بيت ما فيهم فرس غير واحد ؟ فتجردوا في الخيل وقال ربيع بن عتيبة : رئسوني عليكم يا بني يربوع ولا نصيب لي في الغنيمة ففعلوا ، وخرجوا حتى صاروا بالجبانات،قال عميرة بن طارق اليربوعي : فتداعى الناس وحملنا الخيل على النعم فسقناها ، فاتبعونا رجالة ، غير شيخ بن يزيد العجلي فإنه كان على مهرٍ له ، فقال ابنا عُتيبة : ربيع ودُعموص : أننطلق قبل أن يعلم هؤلاء القوم من أخذ مالهم ، وكانوا قد أخذوا أموال القوم ، وأسروا سوادة بن يزيد أخا شيخ بن يزيد ، وكان في الإبل ، فكرًا ولم يلتفتا حتى واقعا القوم فقالا : إننا ابنا عتيبة، فحمل شيخ بن يزيد عليهما فرسه فانتطح فرساهما وفرسه،

١ ـ أي متفرقة . النهاية لابن الأثير .

فصُرعا فلم يزل ربيع يتقلب على ظهره حتى فات أيدي الرجال ، ثم أَشْلَى فرسه، أي دعاها، فركبها، وأسروا دعموصاً، فاشترك فيه بنو ضبيعة بن عجل وبنو بجير من ولد ربيعة بن عجل ، فلحق ربيع بعميرة بن طارق فقال له : إن أخي مقتول . قال عميرة : فكررتُ حتى أقف على القوم ، فإذا دعموص موثق ، فقام عمرو بن النهاس العجلي فقال : أنت عميرة ؟ قلت : نعم . قال:فدعاني إلى التعاقد على أن يكون كل واحد منا جاراً لصاحبه ففعلنا ذلك ، ونظر عمرو فإذا إبله لم تؤخذ فيها أخذ ، قال:فتراخى عني ، وأخذ بعضهم فرساً لي فبلأي ماردها علي عمر ، وردها وهو متباطىء وبات دعموص عند بني بجير وغدا عليه بنو ضبيعة فهمّوا بقتله ، قال عميرة:فقلت: يا قوم إن أخاكم في أيدي هؤلاء القوم وقد ذهبوا بالإبل ، ولن تعدموا منهم فاتكاً فادفعوا إلي دعموصاً وأنا كفيل لكم بإبلكم وأخيكم ، وكانوا يبيتون دعموصاً ليلة عند بني ضبيعة وليلة عند بني بُجير ، فدفعوا إلي دعموصاً ، فقلت له : النجاء ، وحملته على فرسي وركبت مع عشرة من بني بجير حتى انتهينا الى بني ثعلبة بن يربوع ، وكانت بنو عجل قد جزوا ناصية دعموص فردوها إليه ولم يجعلوها عندهم ، وردوا الإبل وسوادة بن يزيد ، فقال عميرة بن طارق في أبيات :

ألم تعلما يا بْنَيْ عتيبة مَقْدَمي   على ساقط بين الأسنَّة مسلم

وكان مع الإبل رجل من بني شيبان مبطون فلما طردوا به مات .

وكان الفرافصة غزا بني تميم في جيش من الأزد وطيء وربيعة تميم فأوقع ببني سليط وطوائف من تميم وأسر منهم أسرى ، فركب نُعيم بن قعنب الرياحي إليه في أمرهم ، فوهبهم له إلاّ امرأة من بني سليط أخذها رجل من

بني لام من طيء ، فسأله إياها نعيم فقال : ذاك إليها فاختارت الطائي ، فلعنها نعيم ، فولدت نجبة أحد بني أوس بن حارثة بن لام ، وزعموا أن الفُرافصة أطلق من في يده من الأسرى ، على أن لا يطلبه بنو سليط بقتلاهم ، وكان أبو مُلَيْل عبد الله بن الحارث بن عاصم في الأسرى فأطلقه .

وكان الهِذْلِق بن نعيم بن ربيع من سادة قومه وفرسانهم ، ولقي هشام بن عبد الملك ربيع بن الهِذْلِق ، وهشام خليفة ، فأعجب به ، فخطب إليه ابنته على سعيد بن هشام ، فزوجه إياها ، وله عقب بالبادية .

وأما حَزْرَة بن عُتيبة ، فإن أباه[1] عتيبة سار في جماعة من بني ثعلبة بن يربوع ، فأتى الشيط وبكر بن وائل ببطن الشيط، وكان عتيبة وجعاً فقال لحزرة : يا حزرة اركب ، وجعله على الحامية فركب وحملوا على البَرْك[2] ، فاستنفروه ، ولزموا بطن الوادي يشلّون غنيمتهم ، ولُحِق حزرة بن عتيبة فرمُى بحجر فصُرع فأُخذ ورجع فرسه عائراً ، فلما فقده أبوه نزل عن راحلته وكان ركبها لعلّته وركب فرسه ورجع وهو ينادي : يا حزرة ادْعني الليلة ، ادْعني إليك ، فلما يئس انصرف وبكَّرَ يتبع أثر بني ثعلبة بشعلة من نار فسميت الليلة ليلة الشعلة ، وليلة تبرة ، وقال عتيبة :

نَجَّيْتُ نفسي وتـركت حزره   يا لهف نفسي أدركتني حَسْرَهْ
هل يُسلم المرء الكريم بكرَهْ   نِعْمَ الفتى غـادرتُـهُ بِـتَبْـرَهْ

---

١ ـ بالأصل : فإن أبا ، وأضيفت الهاء لاستقامة السياق .

٢ ـ البَرْك : ابل أهل الحواء كلها تروح عليهم بالغة ما بلغت ، وإن كانت ألوفا ، أو جماعة الابل الباركة . القاموس .

ولحق عتيبة أخريات بكر ، وهم يظنون أنه منهم ، فضرب يد صاحب الشعلة فأسقطها والنار فانثنوا عن اتباعه ، وكان عتيبة مطلوباً بأثآرٍ كثيرة، ودماء كبيرة ، فلما أصبح حزرة دفعوه إلى بعض أصحاب الدماء فقتلوه . وكان عتيبة يكنى أبا حزرة . وقال أبو اليقظان : قتلته بنو تغلب .

وأما عُمارة بن عتيبة فكان شريفاً .

وأما الحُلَيس فكان فارساً ، فلما قتلت بنو أسد عتيبة يوم خوّ انطلق بنوه فأغاروا على بني أسد ، فأخذوا ذؤاباً قاتل أبيهم وهم لا يدرون أنه قاتله ، ويقال بل أخذه بعضهم وهو ربيعة ، ويقال الحُليس في يوم خوّ وذلك أثبت ، وقد ذكرنا هذا الخبر في نسب بني أسد بن خزيمة .

وقال أبو اليقظان : كان ربيعة بن غسل - ويقال عَسَل والثبت غِسل - اليربوعي صحح عندهم أن ذؤاباً قتل عتيبة .

وأما الأحوص بن عتيبة فأدرك الإسلام ، فأسلم وقدم البصرة .

وأما ضرار بن عتيبة فكان شريفاً قاد الخيل في الجاهلية ، وكان عوف بن القعقاع سار تحت لوائه ، وأدرك ضرار الاسلام فأسلم ، وادرك ضرار خلافة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وكلمه في ضابىء بن الحارث حين حبسه أن يطلقه .

فولد ضرار هذا : وَزر بن ضرار . وكِدام بن ضرار . وكان وَزر شريفاً ، وكان نادي الوليد بن عبد الملك بمكة في اشراف من مضر ، فأغضبه ذلك ، فأمر به فحلقت رؤوسهم ولحاهم فحلق رأسه ولحيته ، وقال رجل من بني قيس بن عاصم المنقري :

لقد نهيت بني سعد وقلت لهم   لا يوقعنكم في سوءة وزر

مـا راعـني مـنهـم إلا وكـلُّهُـمُ قد جاءنا ما يُرى في وجهه شعر

وكان وزر على وفد بني تميم إلى سليمان بن عبد الملك من البادية .

وأما كِدام فكانت له فرس يقال لها قدّام كان يسابق عليها بالبادية ، فقالت له امرأة من بني ثَعْلَبَة

قبحت يـا كـدام من كـدام وقـبحـت قـدام مـن قـدام

وقبح الفارس واللجام[1]

ومنهم حَبِيبُ بن خِراش[2] بن الصامت بن الكُباس بن جعفر بن ثعلبة بن يربوع ، وكان حليفاً في بني سلمة من الأنصار ، وقد شهد بدراً ، ومعه مولى له يقال له صامت .

وواقد بن عبد الله[3] بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة صاحب النبي ﷺ .

قال الكلبي : شهد بدراً وقتل قبل ذلك ابن الحضرمي في يوم نخلة ، وكان حليف بني عدي بن كعب .

قال الواقدي : وأسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم ، أتى النبي ﷺ فسأله عن الاسلام فأخبره به ، فشهد أن لا إله إلا الله ، وكان أحد الرماة ، قال الواقدي : وجهه رسول الله ﷺ مع عبد الله بن حجش في سرية إلى نخلة فرمى عمرو بن الحضرمي حليف بني عبد شمس فقتله وكان ذلك

---

١ ـ بهامش الأصل : آخر المجلد الثامن والثلاثين من الأصل ، ولله كل حمد وكمال .
٢ ـ بهامش الأصل : حبيب بن خراش رحمه الله .
٣ ـ بهامش الأصل : واقد بن عبد الله رحمه الله .

أول دم أريق في الإسلام بعد الهجرة ، وتوفي واقد في أول أيام عمر ، وكان يكنى أبا سالم وقد ذكرناه فيما تقدم .

وقال أبو اليقظان : هو واقد بن عبد الله بن خالد بن أقرم بن عبد مناف ، وقع في الجاهلية إلى بني عدي ، وكان عِداده مع بني الخطاب .

ومالك بن خِطان بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة ، وطارق بن دَيْسَق بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة الشاعر الذي يقول :

إذا أنت جاورت امرأ السوء لم تزل غوائله تأتيك من حيث لا تدري

ومن بني عُبيد : عبد الله بن الحارث أبو مُلَيل ، أسرته شيبان فأسر عتيبة بسطاماً مكانه فقال :

أبلغ سراة بني شيبان 'مَألكةً[1] إني أبأت بعبد الله بسطاما

وجرير بن الكلحبة ، وهي أمة ، وهي من جرم قضاعة ، وأبوه هبيرة بن أقرم بن حَثمة بن مناف بن عرين بن ثعلبة ، وهو من فرسان تميم في الجاهلية وجرير بن الكلحبة القائل :

فقلت لكاس ألجميها فإنما حللنا الكثيب من زرود[2] لنفزعا

ومنهم مالك ومتمم ابنا نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة الشاعران ، كانا فيمن ارتد فقتلت خيل خالد مالكا يوم البطاح ، ونجا متمم ، فكان يرثيه ، وكان الذي قتل مالكاً ضرار بن الأزور الأسدي من أصحاب خالد بن الوليد ، وقد ذكرنا خبره في كتابي الذي ألفتُه في أمر البلدان . وفي هذا الكتاب أيضاً ، وكان متمم أتى النبي ﷺ وولاه صدقات

١ ـ أي رسالة .

٢ ـ زرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان .

بني يربوع بن حنظلة ، فلما قبض النبي ﷺ خلّى ما كان في يده من الفرائض وقال : شأنكم بأموالكم . ويقال إنه ولاه صدقات جل بني حنظلة ، وله شعر رثى به أخاه ، منه قوله :

وكنا كندماني جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً   بطول اجتماع لم نَبِتْ ليلة معا

وله ولعمر بن الخطاب حديث قد كتبناه في خبر زيد بن الخطاب ، ونسب بني عدي .

وكان مالك يلقب الجفول لكثرة شعره ، وهو فارس ذي الخمار ، كان يقال لفرسه ذو الخمار ، قال جرير :

عتيبة والأحيمر وابن قيس   وعتّابٌ وفارس ذي الخمار[1]

ومنهم صُرَد بن حمرة الذي سقاه أبو سراج الضبي المني فمات وقد ذكرنا حديثه في نسب بني ضبة بن أد، وكانت بنو مالك بن حنظلة والبراجم وعلى بني مالك الأقرع بن حابس المجاشعي ، وعلى البراجم أبو جُعل غزوا بكر بن وائل ، فلما أشرفوا على سلمان نذروا بهم فانصرف القوم إلى زبالة ، وذلك في القيظ ، وبدرتهم بكر إليها ، فسبقوهم وتلاقوا فأسرت بكر الأقرع بن حابس أسره عمران بن مرة أخو بني هند ، وأسر جُعَل البرجمي ، فقال ضرار بن القعقاع يحضّ على الأقرع :

نبئتُ عمران بن مرة أنه   أناخ به فوق الكروم وما نزل
فلا يفلتنك العير حتى تمدّه   حبائله حولين تلك التي احتبل

١ ـ ديوان جرير ص ١٤٨ .

فغضب حينئذ بنو يربوع فسار بهم صُرد بن جمرة حتى لقوهم بسلمان فاستنقذوا من أسروا وما أخذوا .

فأما الأقرع فيقال انه فَدَى نفسه وتخلص ، ويقال إن بني يربوع تخلصوه فقال جرير يهجو بني مجاشع :

ويلكم يـا قصبـات الجــوفـان بئس الحماة يوم جوف سلمان

يوم تسدَّى أقرعيكم عمران[1]

وقال الفرزدق :

تمسح يـربـوع سبـالاً لئيمــة بها من منيٍّ العبد رطب ويابس[2]

فإذا مسح رجل لحيته وأحدهم يراه غضب .

ومنهم مَعْدان بن عَميرة بن طارق بن حَصَبَة بن أزنم بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع . وقِرواش بن عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع صاحب داحس .

قال الكلبي : قال اليربوعيون : كانت جلوى أم داحس لقرواش بن عوف[3] ، وكان أبوه ذو العُقال لحوط بن أبي جابر أحد بني رياح بن يربوع ، فكان حوط لا يطرقه أحد ، وأنهم احتملوا في نجعة والفحل مع ابنتين لحوط تقودانه فمرت به جَلوى وديقاً فلما انتشاها ودى ، فضحك شباب منهم فاستحيت الفتاتان ، فأرسلتا مقوده فوثب عليها .

قال : ويقال أن امرأة حوط كانت ترعى ذا العُقال أبا داحس فنزلوا

---

١ ـ ديوان جرير ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨ مع فوارق كبيرة .
٢ ـ ليس بديوان الفرزدق المطبوع .
٣ ـ أنساب الخيل لابن الكلبي ـ ط . القاهرة ١٩٤٦ ص ٣٤ .

على جَلوى عراضاً ، فلما جاء حوط وكان سيء الخلق رأى عين فرسه فقال : نازٍ والله ، فأخبر الخبر فنادى بني رياح فاجتمعوا إليه فقالوا : والله ما استكرهناه ولا كان نزوه إلا عراضاً فما تريد ؟ قال : أريد ماء فرسي ، قالوا : دونك . فأوثقها حوط ثم جعل في يده تراباً وماء ثم سطا عليها فأدخل يده ثم أخرجها ، فاشتملت الرحم على ما فيها ، فنتجها قرواش مهراً فسماه داحساً لسطوة حوط عليها ودحسه إياها ، وخرج داحس كأنه أبوه .

ثم إن قيس بن زهير بن جذيمة أغار على بني يربوع فغنم وسبى ، وركب داحساً فتيان من بني أزنم يقال لهما ثعلبة وعبيد ابنا الحارث ونجوا عليه ، فلما رآه قيس بن زهير تعجب منه وأعجب به فدعا إلى أن جعلاه فداء للسبي ففعلا ، فصار داحس لقيس بن زهير ، فهذا قول بني يربوع .

وقالت بنو عبس : كان أبو داحس فرساً لبني ضبة بن أدّ ، لأنيف بن جبلة ، وإنما سُميّ ولده داحساً لأن أمه كانت لرجل من بني يربوع ، فسأل اليربوعي أنيفاً أن ينزيه على فرسه فأبى عليه الضبي فأخذه اليربوعي بعد ذلك فأنزاه عليها ، فغضبت بنو ضبة وهَمُّوا باليربوعي فقال لهم : يا قوم خذوا نطفة فرسكم فسطا عليها رجل منهم فاكتسح ما فيها ، وقد اشتملت رحمها فنتجت مهراً سمي داحساً لأنه دحس في رحم أمه ، فقال اليربوعي واسمه مالك بن الحارث :

أنيف لقد بخلت بعسب فحلٍ على جار لضبة مستزاد
دحست جواده بالكف دحساً على ما في الجواد من الجواد

ثم إن صاحب داحس هلك وترك ابنين ، فأغار قيس بن زهير على بني

يربوع فغنم منهم وسبى وصار إليه الغلامان وداحس فرسهما ، ثم إنهما هربا ومضيا بداحس ففاتا زهيراً ، وكانت أم الغلامين في السبي ، فلما قدمت بنو يربوع للفداء أبى قيس أن يمضي شيئاً من ذلك أو يقبل لأحد فداء دون أن يردَّ عليه داحس .

ثم أن قيساً أنزى داحساً على فرس له فنتجت مهرة سماها الغبراء ، وكان قيس خرج معتمراً وهو في جوار بني بدر الفزاري ، فوقع إليهم غلام يقال له جرو بن الحارث من بني ناشب بن هدم بن عوف بن عود بن غالب ، وكان قد أضل بعيراً له فقال له حذيفة : يا جرو ، أخيل فزارة أكرم أم خيل عبس ؟ قال : بل خيل عبس . قال حذيفة : كلاك والله . قال جرو : بلاك والله . قال له حذيفة : هل لك أن أراهنك وأجعل لك خمسة من الإبل إن سبقتني وتجعل لي جزورين أن سبقتك ؟ فحمل الغلام فراهنه فقال له : ما أنت وخيلنا وليس لك ولأبيك فرس . وجرت بين حذيفة وقيس بهذا السبب مماحكةٌ حتى تراهنا وكان ذلك سبب الشر بين عبس وذبيان . وسنذكر أمورهم في مواضعها إن شاء الله .

ومن بني الحُمرة بن جعفر بن ثعلبة : الأسود بن أوس بن حمرة وكان الأسود أتى النجاشي ومعه امرأة له وهي ابنة الحارث أحد بني عاصم بن عبيد بن ثعلبة فقال للنجاشي : أفدني ما أستغني به فقال : لأعطينك شيئاً تستغني به فعلَّمه دواء للكَلب فأقبل حتى إذا كان في بعض الطرقات مات وأوصى امرأته أن تزوج ابنه قدامة وأن تعلمه دواء الكَلب ولا يخرج منهم إلى أحد فجاءت فتزوجته وعلمته دواء الكلب ، فهم إلى اليوم ينتابون في ذلك ، وداوى بعض ولده ابن فسوة من الكلب فبال مثل النمل فبرىء ، وكان الذي

داواه ابن المحل بن الأسود فقال :

لولا دواء ابن المحل وسَبيبهِ هَرَرْتُ إذا ما الناس هَرَّ كليبها
واخرج بَعْدَ الله أولاد زارع مؤلفة اكتافها وجنوبها

ورثى جرير عقبة بن المحل بن الأسود فقال .

يا عقب لا عقب لي في القوم أبصره من الأرامل والأيتام والجار
أمْ مَنْ لبابٍ إذا ما اشتد حاجبه أَمْ مَنْ لخصمٍ بعيد الدار مغوار[1]

ومن بني حمرة : طُفيل بن مرداس ، وكان طُفيل مع أبي الضُريس مولى بني ثعلبة أيام مصعب بن الزبير ، وأتوا أصبهان فأخرجوا عتّاب بن ورقاء منها ، وولى طفيلاً شطر أصبهان من شق التيمرة ففي ذلك يقول أعشى همدان :

أتاك أبو الضريس يجر جيشاً إمارته وسلطان عظيم
وثعلبة بن يربوع تسامى عليها البيض تبرق كالنجوم

وقال أبو اليقظان : كان شهاب جد عتيبة من بني كباس بن جعفر فارساً يغير على بني حنيفة ، فقال الشاعر :

لعمري لقد كان الرئيس ابن جعفر شهاب على أهل القرى مثل تُبَّعِ

وقال لبيد :

يحمون محمود الأمور كأنهم في العز أسرة حاجب وشهاب[2]

وقال جرير في عرين بن ثعلبة بن يربوع :

عَرَفْنَا جعفراً وَبَنِيْ عبيدٍ وأنكرنا زعانف آخرينا

---

١ ـ ديوان جرير ص ١٨١ مع فوارق كبيرة .
٢ ـ ديوان لبيد ص ٢٣ مع فوارق .

عـرين من عُرينـة لَيس منـا برئتُ إلى عُرينة من عَرينـا[1]

وقال أبو اليقظان : ولد متمم بن نويرة ، ويكنى أبا نهشل : ابراهيم . وداود ، وقال ابراهيم في سعيد بن العاص :

فـدى لسعيد من أمـير وخلةٍ ردائي وما ضمت عليه الأنامل
أتـاني ورحـلي بـاليـمامــة أنـه تـوفي والأخبـار حق وبــاطـل
فأصبحت لا أدري أحيٌّ بغبطةٍ فأفرح أم غالتك بعدي الغوائل

وكان داود شاعراً ، وهو القائل وقدم البصرة فجفاه بشر بن مروان ، فقال :

إن يَجْفِنِي بشر بن مروان يكفني سعيد بن عمروٍ إنه ابن سعيد

يعني سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق

فتى وجد الخيرات قَدْ قُدِّمَتْ له مســاعـي آبــاء لــه وجــدود

ومن بني ثعلبة بن يربوع : يزيد بن القُحَارية ، وهي أَمَةٌ من أهل اليمن ، وهو يزيد بن سلمة قاتل عبد عمرو بن بشر بن مَرْثَد وكان القحارية في بني يربوع ، ومعهم ضبة وأسد ، فانهزموا وانهزم ابن القحارية فلحقه عمرو بن حسان بن بشر فطعنه وأسره فمات من جراحه .

وولد غُدانة بن يربوع : مالك بن غُدانة ، وثعلبة بن غُدانة ، وإهاب بن غُدانة . ووهبان بن غُدانة . وعبيد بن غُدانة .

فولد مالك بن غُدانة : عوف بن مالك . وقطن بن مالك . وكلب بن مالك . ورياح بن مالك . ومُخْدَج بن مالك .

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

وولد ثعلبة بن غدانة : عبد الله بن ثعلبة . وبدر بن ثعلبة . وقرط بن ثعلبة .

وولد منقذ بن غدانة : الأحنف .

وولد أهاب بن غدانة : عائشة .

وولد وهبان بن غدانة : سَلَمَة .

فمن بني غدانة : وكيع بن حسان بن قيس بن الأسود بن كلب بن عوف بن مالك بن غدانة[1] ، وكان اسم غدانة فيها يقال أشرس . ووكيع الذي وثب بقتيبة بن مسلم فقتله . وكان قتيبة مستوحشاً من سليمان بن عبد الملك ، وذلك لأنه سعى في بيعة عبد العزيز بن الوليد فيمن سعى وأراد دفعها عن سليمان ، فلما مات الوليد قام قتيبة فخطب الناس ، فوقع في سليمان ، ودعا الناس إلى خلعه فلم يجيبوه ، فشتم بني تميم وبكر بن وائل والأزد ، فأجمعوا على حربه ، فطلبوا إلى حُضين بن المنذر الرقاشي أن يتولى أمرهم فأبى ذلك وأشار عليهم بوكيع بن أبي سود وقال : هذا أمر لا يقوى عليه غيره ، لأنه أعرابي تطيعه عشيرته ، وقد قتل قتيبة من قتل من آل الأهتم فسعوا إلى وكيع فبايعوه ، وكان السفير بينه وبينهم حيّان مولى مصقلة بن هبيرة ، فكان قتيبة يبعث إلى وكيع فيطلي رجله بمغرة ويقول : أنا عليل ، ثم إنه دعا بفرسه وأخذ خمار أم ولده فعقده عليه ، ولقيه رجل يقال له إدريس فقال له : يا أبا مطرف إنك تريد أمراً وقد تخاف أمراً قد أمنك الله منه ، والرجل فالله الله . فقال وكيع : هذا إدريس رسول إبليس ، أقتيبةُ يؤمنني ؟ والله لا آتيه حتى أوتى برأسه . ودلف نحو فسطاط قتيبة وتلاحق الناس به

---

١ ـ بهامش الأصل : يعرف وكيع ، بابن أبي سود .

وقتيبة في أهل بيته وقوم وفوا له ، فوثبوا عليه فقتلوه ، والثبت أن عمود فسطاط قتيبة وقع على هامته فقتله ، وأخذ رأس قتيبة سعيد بن نجد الأزدي وامتنع من دفع الرأس إلى وكيع فصعد المنبر فقال : أيّ يوم لم أُرِعْ ولم أَرَعْ . ثم نصب خشباً وقال : هذه مراكب لابد لها من فرسان ، وهم الأزد ، فأتي بالرأس فبعث به إلى سليمان مع رجل من بني حنيفة .

وحدثني المدائني أن وكيعاً شهد عند إياس بن معاوية فقال له معاوية[1] : يا أبا مطرف إنما يشهد العوام والتجار وليس يشهد مثلك من الأشراف فقال : صدقت وانصرف فقيل له : انه لم يقبل شهادتك وإنما خدعك فقال : لو علمت لحبجته بالعصا .

ولما احتضر وكيع بعث إليه عدي بن أرطاة من يعوده فقال له رسوله : الأميريقرئك السلام ، فقال : أنا والله الأمير ولكني مظلوم ، فقال له : يقول لك كيف تجدك ؟ قال : أجدني وثاباً على العتب . فلم يبلغ الرسول عدياً حتى سمعت الواعية على وكيع .

وحدثني المدائني عن ابن المبارك عن جويرية عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال : إنكم لتسوِّدون من لا يستحق ذلك .

حدثني إياس بن معاوية قال : قال لي وكيع بن أبي سود : ألا تخبرني عن محمد رسول الله من أي قريش هو ؟ وقال وكيع لبنيه : يا بَنيَّ إن قوماً يأتونكم إذا مِتُّ ، وقد عَرّضوا نعالهم ، وسوَّدوا جباههم ، وقصَّروا ثيابهم ، يقولون إن على أبيكم ديناً فاقضوه فلا تفعلوا فإن لأبيكم ذنوباً كلها أعظم من الدين فما أحسن حال أبيكم إن بُلغ به إلى الدين ، وفيه يقول الفرزدق :

١ ـ تقدم هذا الخبر ، وكان على المصنف أن يقول : «اياس» .

ومنا الذي سلَّ السيوف وشامها عشية باب القصر من فرغان
عشية لم تستر هوازن عامر ولا غطفان عورة ابن دخان[١]

وله يقول الفرزدق أيضاً :

فمات ولم يوتر وما من قبيلة من الناس إلا قد أبات على وتر[٢]

قالوا : وكتب الحجاج إلى قتيبة : إنه لن يبق بخراسان حمار ينهق غير وكيع بن أبي سود ، فإذا أتاك كتابي فاضرب عنقه . فكتب إليه : إنه ليس بخراسان رجل أعظم غناء منه في محاربة العدو . فكتب إليه إنه ليس بوكيع بن أبي سود ، ولكنه وكيع بن حسان ، لص من أهل سجستان فإذا جاءك كتابي فَحُلَّ لواءه وقوض بناءَه . وكان وكيع شهد مع قتيبة قتال الترك فقال له : يا أبا مطرف إنما مَثَلُك اليوم مَثَلُ الدرع الحصينة التي يحتاج إليها في يومها ، وهذا يومك ، فحمل وحملوا فانهزم الترك .

وعزل قتيبة وكيعاً عن الرئاسة ، وولاها ضرار بن حصين الضبي ، فكتب يزيد بن عمير الأسدي إلى قتيبة : إنك عزلت السباع واستعملت الضباع .

وعلا وكيع بن أبي سود المنبر فقال : أبي تتمرسون[٣] .

. . . . من ينك العير ينك نياكا

ثم نزل .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ ، وابن دخان قتيبة لأنه من باهلة .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٠٢ .
٣ ـ بتاريخ الطبري ـ ط . دار المعارف ج ٦ ص ٥١٧ : «مثلي ومثل قتيبة كما قال الأول : «من ينك العير ينك نياكا» ، أراد قتيبة أن يقتلني وأنا قتال .

وولد وكيع : محمد بن وكيع لأم ولد وقد ولي شرط البصرة ولا عقب له .

وذكرو أن وكيعاً ركب حماراً لبني هِفّان من بني غُدانة فجاء رجل من بني هفان يقال له طعمة فضرب وكيعاً ، فبلغ ذلك خاله وهو من بني غُدانة ، وكان بالباديةِ فجاء حتى لقي طعمة فشجه شجات ، فطولب بأرشها فأعطاهم الأرش .

وقال أبو اليقظان : وكان من بني غُدانة رجل يقال له عطية ، ويكنى أبا علافة كان ينزل مكة ، فتزوج عاتكة بنت الحارث بن أمية الأصغر ، فولدت له عبد الله وكان شاعراً ، وهو القائل :

وخالي ابن عبلة إذ وارى لحومكم بالغوطتين وانتم غير أبرار
جدي قصي فلن يلقى لكم شبهاً مثل النجوم أضاءت ليلة الساري

وله عقب بالبصرة .

ومن بني غُدانة : الربيع بن عمرو الأجذم ولي قتال الأزارقة بعد ابن عبيس فقتل .

ومن بني غدانة : عطية بن جعال بن مجمّع بن قطن بن مالك بن غُدانة الذي يقول فيه الفرزدق :

أَبَنِيْ غدانة إنني حررتُكُم فوهبتكم لعطية بن جعال
لولَا عطية لاجتدعتُ أنوفكم من بين أَلأَمِ أعين وسبال[1]

فقال عطية : والله ما وهبهم أبو فراس لي .

ولعطية عقب بالبادية وبالبصرة وهو القائل :

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٦٢ .

رأيتُ المنـايـا بـاديـاتٍ وَعُـوَّدَاً إلى دارنا سهلاً إلينا طريقهـا
لنا نبعة كـانت تقينا فـروعها فقد قلعت إلا قليلاً عـروقها

وأُحرق ذَرَّاع أخوه مع ابن الحضرمي يوم دار سنبيل بالبصرة، وقد ذكرنا خبر هذه الدار ، وكان عطية يكنى أبا الخنساء ، وكان شريفاً وفيه يقول جرير بن عطية :

إنَّ الجواد على المـواطن كلها وابن الجـواد عطيـة بن جعـال
يَهَبُ النجـائب لا يمل عـطاءهُ والمقربات كأنهـنَّ سَـــعَالـــي[1]

وكان عطية يهاجي حارثة بن بدر ، فغلب عطية حارثة .

ومن بني غدانة : العِكْمِص ، وكان شاعراً يهاجي حارثة بن بدر ، وكان بنو سليط يروون شعراً لعكمص ، فقال حارثة يهجوهم :

أراويــةٌ عــليَّ بنــو سليط هجاء الناس يال بني سليط
فــما لحمي فتــأكله سليط شبيــهٌ بـالـذكيٍّ ولا العبيط

وللعكمص مسجد بالبصرة في بني غدانة ، ولا عقب له .

ومنهم : حارثة وذَرَّاع ابنا زيد بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة ، وكان حارثة شاعراً ، وكان صديقاً لزياد ، فرآه يوماً وبوجهه أثر فقال له : يا أبا العنبس ما هذا الأثر بوجهك ؟ قال : ركبتُ فرسي الكميت فاعترم بي فسقطت عنه ، فقال : أما لو ركبت الأشهب لسبلت ، يعني الماء . وكان حارثة يسامر زياداً ويحدثه فكان زياد يقول : حارثة جليسي مذ كذا ما أسقط عندي سقطة ، ولا رأيت منه زلة ، ولا ذكر أحداً بسوء ،

١ ـ ديوان جرير ص ٣٤٨ مع فوارق كبيرة .

ومسايري مذ كذا ما مسَّ ركابه ركابي قط ، ومُساودي[1] مذ كذا ما أظهر لي سراً قط : وقال فيه رجل من بني كليب :

شهدتُ بأن حارثة بن زيد غدانيٌّ اللهازم والكلام
وسجحة في كتاب الله أدنى له من نوفل بابني هشام

وكان حَوَّل ديوانه إلى قريش ، وترك قومه . قوله سجحة يعني سجاح ، ويعني بنوفل نوفل بن عبد مناف ، وابني هشام بن مخزوم .

واستعمل زياد حارثة على سُرَّق من الأهواز، فشيعه الناس ومعه أبو الأسود الدولي،فلما انصرف عنه مشيعوه قال له أبو الأسود :

أَحَارِ بن زيد قد وِلِيْتَ إمارة فكُنْ جُرَذاً فيها تَخُونُ وتَسْرِقُ
فإنَّ جميع الناس إما مُكذب يقول بما يهوى وإما مصدق
يقولون أقوالاً بظنٍّ وشبهة فإن قيل هاتوا حققوا لم يحققوا
ولا تعجزنْ فالعجز أسوأ مركب فحظك من مال العراقين سُرَّقُ[2]

فقال حارثة :

جزاك إله الناس خير جزائه فقد قلت معروفاً وأوصيت كافيا

وقال أبو اليقظان : كان من ولد عاصم بن عبيد الله بن ثعلبة أبو مُلَيل عبد الله بن الحارث ، أسره بسطام بن قيس فأسر عتيبة به بسطاما وقال :

أبلغ سراة بني شيبان مألكةً انا أبأنا بعبد الله بسطاما[3]

وهو عبد الله بن الحارث بن عاصم بن عبيد الله بن ثعلبة بن يربوع ،

١ ـ بهامش الأصل : خ ـ ومساوري .
٢ ـ ديوان أبي الأسود ص ٢٤٣ مع فوارق .
٣ ـ تقدم هذا في ص ١٨٣ .

وكان أبو مليل وحنظلة بن بشر بن عمرو بن عمرو بن عُدس ، وعبد عمرو بن شيبان بن وعلة بن عوف بن جارية بن سليط أسروا الحوفزان يوم الصمْد صَمْد طلح ، فتخاصموا فيه ، فقال الحوفزان : حكِّموني . ففعلوا فأعطى أبا مليل مائة من الإبل ، وأعطى عبد عمرو مائة من الإبل ، وجعل ناصيته لحنظلة بن بشر ، ويقال لهذا اليوم أيضاً يوم ذي طلوح ، وهو أيضاً يوم غزت فيه بكر بني يربوع ، ومعهم قوم من بني تميم ، فأنذرهم بهم عميرة بن طارق بن خصبة ، وكان بجير بن أبي مليل قتل يوم قُشاوة .

وكان خبر يوم قُشَاوَة[1] أن بني شيبان ورئيسهم بسطام بن قيس أغاروا فأخذوا نَعَمَ حجير وشُعير ابني سفيان بن حارثة بن سليط ، فتداركهم فوارس من بني عبيد بن ثعلبة بن يربوع : مالك بن حطان بن عوف بن عاصم ، والأحيمر ، وهو ابن الحرمية حريث بن عبد الله ، وأبو مُليل عبد الله بن الحارث ، وبجير بن أبي مُليل ، فاقتتلوا فقُتل بُجير وجُرح مالك بن حِطّان وطُعن الأحيمر فخرق بالقنا ونجا ، وأُسر أبو مُليل فكان عند بسطام أسيراً ما شاء الله فكان إذا أُتي بطعام لم يأكله فقال بسطام : أخاف أن يموت هذا فتسبنا به العرب فخلاه وأوثقه[2] ألا يطلب بدماء أصحابه ، وقال له : هل يوفي مُليل ببجير ؟ قال : نعم . قال : فهو به ، فدفعه إليه ، وكان مُليل خرج يطلب إبلاً له فأخذه بنو شيبان قبل ذلك بحول وأبوه لا يعلم مكانه ، ويظنه ميتاً ، وقال للأحيمر : لك بمالك بن حطان مائة من الإبل، فتعاقدوا على ذلك ، فعاش حريث الأحيمر حتى هلك في أيام عثمان ، ومات

١ - بهامش الأصل : يوم قشاوة .
٢ - بهامش الأصل : وواثقة .

مالك بن حطان بعد سنة من جراحته ، ويقال بل مات في أيامه . ومالك الذي يقول :

ولو شهدتني من عبيد عصابة   كرام لخاضوا الموت حيث أنازل
فما بين من هاب المنية منكم   ولا بيننا إلا ليال قلائل

واعتذرت سليط فقال مالك بن نويرة :

لحى الله الفوارس من سليط   خصوصاً أنهم سلموا وآبوا
أجئتم تبتغون الغدر عندي   ولم يُخرق لكم فيها إهاب

وقال جرير :

بئس الفوارس يوم نَعْف قُشاوة   والخيل عادية على بسطام
تركوا الأحيمر يوم خرقه القنا   ان المحامي يوم ذاك محام(١)

وكان أبو عبيدة يقول : أسروا مُليلاً وأبا مُليل يوم قشاوة ، وقول الكلبي أثبت .

قال : وكان مالك بن حِطان اليربوعي ثم العبيدي فارساً شاعراً .

وقال أبو اليقظان : ومن بني عاصم بن عبيد : طارق بن دَيْسَق بن عوف وكان شريفاً ، وكان يبغي على بني جعفر بن ثعلبة ، فقال سحيم بن وثيل وهو يهجو وزر بن ضرار بن عتيبة :

سأحقر ذا الخرطوم من أن أسبَّهُ   على أن ذا الخرطوم في الحيّ بكوس
أإن رفعت عنكم جفان ابن داحس   وكان لكم في باحة الحيّ مجلس
ألفْتَ بني سيف وقد كنتَ قبلها   تَحُزُّ كما حزَّ المتيح المضرس

بنو سيف من سليط كان قد حالفهم .

١ ـ ديوان جرير ص ٤٩٤ .

قال ومن بني ضباري : عبد الله بن حصن ويكنى أبا الشعثاء كان على شرطة زياد ، وعبيد الله بن زياد ، وإليه نسبت مقبرة ابن حصن بالبصرة .

وقال فيه الشمردل يرثيه :

إنْ تفريا يا بنتي حصن وجوهكما إلى النحور فقد شواكما[1] القدر
قُوما فَعُدَّا عليه من فضائله قولاً يصدّقه البادون والحضر

ولا عقب له .

ومن بني ضباري بن عبيد بن ثعلبة : الشمردل بن شريك ، ويقال له ابن الخريطة وذلك أنه أُخذ وهو صبي فجُعل في خريطة فَسُبَّ بذلك ، وكان شاعراً . وهجا رجلاً من بني تميم يقال له زين فقال :

يا زين يا بن مخاضٍ خُلَّ من لَهَج ألم تَخَفِنْي إذا شمرت عن ساقي

يقول من لهج بالرضاع خلّ ليلاً يرضع ، فقال زين :

يا بن الخريطة ما فُرِّقْت من فَرَقٍ وإن كشفتَ عن العُرقُوب والساق

وقال أبو اليقظان : غلب على ولد حبيش عبيد ، وغيره يقول حُبسى اسم أمهم ، واسمها بهان وهي من بني سعد بن زيد مناة وفيها يقول القائل :

ألا قالت بهان ولم تَأَنَّقْ نَعِمْتَ وما يليط بِكَ النعيم
بنونَ وهَجْمَة كَشَّاءَ بَشٌّ صفايا كثَّة الأوبار كوم
تبكُّ الحوض عَلَّاها ونهلى وخَلْفَ مدادها عطن منيم
إذا اصطكّتْ تضايق حُجرتاها يلاقي العَسْجَديَّةُ واللطيم

وقال المفضل : هذه الأبيات لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد ،

١ - بهامش الأصل : سواكما .

وكان ولد بهان كثيراً ، فقتلهم خالد بن الوليد يوم البعوضة والبطاح في الردة .

وكان منهم بذل بن نُعيم ، وكان شجاعاً فارساً ولاه عدي بن أرطاة حرس ناحية الأزد بالبصرة ، حين قدمها يزيد بن المهلب .

وولد العنبر بن يربوع : أسامة بن العنبر . ومالك بن العنبر ، وأمهما خنساء بنت مُجَعِّر بن كعب بن العنبر بن عمرو .

فولد أسامة : حِقّ بن أسامة . وخالد بن أسامة . ومالك بن أسامة . ومنهم سجاح التي تنبّت وكانت تسمى بنت صادر ، ويقال هي سجاح بنت أوس بن حق بن أسامة ، وهي امرأة مسيلمة الكذاب ، وكان يقال لولد العنبر : بنو الحرام بن يربوع نسبوا إلى أم العنبر ، وهي الحرام بنت يزيد بن نشبة بن العنبر بن عمرو بن تميم .

فولد خالد بن أسامة : سويد بن خالد .

فولد سويد : عقفان بن سويد ، حيّ بالكوفة . وغُصين ويقال حصين بن سويد .

وولد مالك بن العنبر بن يربوع : وضين بن مالك .

فولد وضين نفراً درجوا ، غيرسنان . والمسيب ابني حذيفة . والفاخر بن محمد بن عَلوان بن أوس بن شقيق بن زياد بن عقفان بن سويد . وعَلوان بن غسان بن عَلوان بن أوس بن شقيق ، لهم شرف بأصبهان ، وعدد .

وقال أبو اليقظان : من بني عُقفان : بشر . وشقيق . وذريح ، وكانوا مع عتّاب بن ورقاء بالري ، فقاتلوا معه ، وكان عتّاب على الري وأصبهان ،

فبعث مصعب بن الزبير أبا الضُرَيس ، مولى بني عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع فأخذها ، وطرد عتاباً عنها . ولهم يقول جرير :

هَلَّا طعنتَ الخيل يوم لقيتها طعن الفوارس من بني عقفان[1]

قال:ومن بني عُقفان : عبد الله بن علوان كان له قدر ونبل بهمذان .

ومنهم : عبيد بن أبي سَيع . وأبو مالك . وموددو ابنا أبي سيع ، وكان عبيد العامل في أمر ابن الأشعث والداخل بين الحجاج ورتبيل حتى سلمه عبيد إلى رسل الحجاج .

وولد الحارث بن يربوع : سليط بن الحارث ، واسم سليط كعب بن الحارث وسميّ سليطاً لسلاطة لسانه . وضباب أهل بيت في بني سليط .

فولد سليط : جارية بن سليط . وزبيد بن سليط . وعبد الله بن سليط . وعفيف بن سليط . وضباب بن سليط . منهم أسيد بن جِناءة بن حذيفة بن زبيد بين ضباب بن سليط وكان من أفرس الناس وأشدهم ، وكان يشهد الغارات والوقائع مع عتيبة وغيره وأُسر يوم الصَّرائم[2] ـ وهو يوم الحرق ـ الحكم بن مروان العبسي .

وخرج الحوفزان وبسطام وهانىء بن قبيصة متساندين يريدون بني يربوع حتى صاروا إلى هضِبة الحصى بين الغبيطين ، وهما واديان يقال لهما : أفاق ، وأفيق ، فرأوا إبلاً فأرسلوا من جاءهم بها فقال بسطام لراعيها : أنت مِطَوح بن الحيَّة بن قرط بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة ؟ قال : نعم . فقال : دُلَّني . قال : إذا جعلت لي الأمان دللتك ، فجعل له الأمان على نفسه وإبله

١ ـ ديوان جرير ص ٤٧١ .

٢ ـ الصرائم : موضع كانت فيه وقعة بين تميم وعبس . معجم البلدان .

فسأله بسطام عما أراد فأخبره بمكان سَرْحٍ سَرْح ، وبمجتمع قوم قوم ، فقال بسطام : يا بني شيبان أطيعوني وأغيروا من أول الليل . فقال له هانىء بن قبيصة : يا أبا الصهباء انتفخ سحرك[1] لأن عتيبة بن الحارث بن شهاب قد هلك بعيره بأسر عتيبة إياه ، فقال بسطام : أما إذ عصيتني فأيقن بطعنٍ ينسيك الغنيمة ، وأصبحوا فنهضوا من هضبة الحصى يريدون سواد بني يربوع الأعظم ، وكانوا بني زبيد رهط اسيد بن حناءة وغيرهم وركب أسيد فواقفهم وقال : من أنتم ؟ قال بسطام : أنا بسطام ، وقال هانىء : أنا هانىء ، وقال الحوفزان : أنا الحوفزان ، وقال مَفْروق : أنا مفروق ثم قالوا لأسيد : من أنت ؟ قال : أنا أسيد بن حناءة فانكفأوا إلى النهب والسبي ونادي أسيد : يا سوء صباحاه ، وركض إلى بني يربوع ينذرهم ويرسل إلى من لم يحضر منهم وتلاقوا فحمل بعضهم على بعض ، وقُتل عمارة بن عتيبة ، قتله رجل يقال له فُقْحل ، فحمل قعنب بن عصمة على قاتله فطعنه فدقَّ صلبه فمات فقحل وكثرت الامداد من بني يربوع ، فلما رأتهم بكر لحق آخرهم بأولهم ليجتمعوا ثم عطف فارس منهم على عِفاق بن عبد الله بن أبي مليل فقتله ، فلحق قعنب الرجل فأسره ، وأتى به أبا مليل فضرب عنقه ، وحمل أسيد وقعنب على مفروق فطعناه فمات في بني يربوع ، وانهزمت بكر بن وائل ، ولم يكن لبني يربوع هَمٌّ غير بسطام فركض عليه الأحيمر وهو حريث بن عبد الله ليقتله ببجير بن أبي مليل ، وكان قتل يوم قُشاوة وبدم عفاق بن أبي مليل بن الحارث ، وركض عليه الحليس بن عتيبة ، فلم يقدروا عليه .

١ ـ انتفخ سحره : عداطوره ، وجاوز قدره . القاموس .

ويقال إن الأحيمر طعن بسطاماً وأسر يومئذ الدَّعّاء بن قيس أخو مفروق ، أسره أسيد بن حناءة ، وأُسر أحيمر أسره الضريس بن مسعدة البكري ، وأُسر العوام بن عبد عمرو الشيباني ، أسره عتوه بن أرقم بن نويرة ، واستنقذوا النهب والسبي .

قال الشاعر وهو متمم بن نويرة ، أو مالك أخوه :

لعمري لنعم الحي أفزع غدوة أسيد وقد جاء الصريخ المصدق
دعا دعوة أهل الغبيط وقد رأى شماطيط من خيل يثوب ويلحق
رأى غارة تحوي السوام[1] كأنها سحين[2] أجراد سابح متورق

وأسر يومئذ هانىء بن قبيصة ويقال أنه لم يؤسر ، وهذا اليوم سمي يوم الغبيط ، غير غبيط المدرة ، وهو العظالي لأنهم تعاظلوا ، ويوم الهضبة . وأصل التعاظل من تعاظل[3] الكلاب ، وقال الشاعر :

قبح الإله عصابة من وائل يوم الإفاقة أسلموا بسطاما
خَلَّى غنيمته ونَجَّى نفسه ولكان يعرف قبلها أياما

وقال أيضاً :

وفر أبو الصهباء إذ حمس الوغى وألقى بأبدان السلاح وسلَّما
ولو أن بسطاماً أطيع برأيه لأدَّى إلى الأحياء بالحنو مغنما

---

١ ـ السوام : الابل الراعية . القاموس .
٢ ـ السحنة : اللون ـ والمساحنة : الملاقاة ، ويوم سَحْن : يوم جمع كثير . القاموس . وعجز البيت الأخير مضطرب الوزن .
٣ ـ عظلت الكلاب : ركب بعضها بعضاً ، والعظال : الملازمة في السفاد من الكلاب والجراد . القاموس .

ولكن مفروق القفا وابن عمه ألامـا[1] في الثياب وسـاءمـا[2]
فلو أنها عصفـورة لحسبتهـا مسومة تدعـو عبيداً وأزنما

وقال متمم بن نويرة :

فلو ان البكـاء يـرد شيئـاً بكيت عـلى بجـير أو عفـاق

ومن ولد أُسيد بن حناءة : عتيبة بن أُسَيْد ، وكان أغار على بني طهية في الإسلام فأخذ لهم ذوداً[3] ، فقال أبو ذؤيب الطهوي :

لعمري لقد أضحى عتيبة مجمعاً على أمر سوء فيه إثم ومغرم
فـإنك منهـا بين شيئـين منهما مراس القنا يعلو سوافلها الدم
وبـين يدٍ فيهـا ذراع قصـيرة لها ساعد قد فَلَّها السيف أجذم

فوثب به ذؤيب فضربه بالسيف فقطع يمينه ، فتحاكموا إلى ابن المحل الجعفري فضمن لأبي ذؤيب إبله وأرضى عتيبة بن أسيد من يده ، وقال ابن المحل :

إن يك ذود قد أصيب فإنني حبوتكما ذوداً بـه غير أحـربا

وكان منهم رجل يقال له عُنقوش قتله رجل من بني عبس ، ثم أحد بني جذم بن جذيمة فأكرههم الوليد بن عبد الملك على أخذ الدية لأنهم أخواله فأخذها بنو زُبيد ، ثم إن رجلاً منهم يكنى أبا الخنساء شد على رجل من بني جذيمة فقتله ، فخرجت بنو زُبيد من البادية خوفاً لجريرته ، فلحقوا بالجزيرة فقال غسان السليطي :

---

١ ـ لأمه : السهم جعل عليه ريشاً ، والمُلأم : المدرع .
٢ ـ سامت الإبل أو الريح : مرت واستمرت . القاموس . وعجز البيت الثالث مضطرب الوزن.
٣ ـ الذود : ما بين ثلاثة أبعرة إلى العشرة . أو خمس عشرة أو عشرين ، أو ثلاثين . القاموس .

فدى لأبي الخنساء رحلي وناقتي إذا ذُكرت أخباره بالمواسم
سقيتُ الغلام الجَذْيَميَّ صفيحة بمقتل عنقوش غداة الصَّرائم
إذا هَزَّ قضبان الحديد وجُرِّدَتْ بأيدي زبيد نكّلَتْ كل ظالم
وإن دماء الحنظليين لم تكن تباع إذا بيع المخاض العلاجم

ومنهم ثُمامة بن سيف بن جارية بن سليط ، الذي عقد الحلف بين بني يربوع ، وأم ثمامة من بني مالك بن عمرو من طيء .

ومنهم : المساور بن رباب وكان جواداً وكان محالفاً لبني شيبان ، وفيه يقول أعشى بني أبي ربيعة :

لا يجاوز إلى فتى يعتفيه حين يلقى المساور بن رئاب

وقتله الحجاج بن يوسف فيمن قتل ممن خرج عليه وفيه يقول جرير بن عطية :

وغريبنا قد ساد حتى وائل يعطي الجزيل مساور بن رئاب[1]

ومنهم سليمان بن حبيب ولي كرمان .

والزبير بن الماحوز ، وأخوه عثمان الخارجيان وقد كتبنا أخبار بني الماحوز .

ومن بني سليط : حارثة بن بدر بن ربيعة بن بدر بن سيف بن جارية بن سليط الذي كان يقاتل الخوارج وهو يقول :

كرنبوا ودولبوا وحيث شئتم فاذهبوا
فقد أتى المهلب

---

١ ـ ديوان جرير ص ٥٢ مع فوارق كبيرة .

وهذه رواية هشام ابن الكلبي . وغيره يزعم أن الذي قال هذا القول حارثة بن بدر الغُداني .

ومن بني سليط بن سليط بن الحارث بن يربوع : النطف بن الخيبري ، واسمه حطان ، وانما سمي النطف لأنه كان فقيراً ، وكان يحمل الماء على ظهره فيقطر الماء فيقول : نطفت القربة وقربتي نطفة .

وكان باذام عامل كسرى باليمن بعث إليه بعيرٍ عظيمة تحمل الثياب والعنبر ، وكان فيها خرجان فيهما مناطق ذهب وجوهر نفيس ، فلما كانت العير بنطاع ، ويقال بحَمض[1] تداعى إليها بنو تميم ، فدعا صعصعة بن ناجية بن عقال قومه وشجعهم على أخذها ، فشدوا على اللطيمة فانتهبوها بعد قتال لمن عليها ، وذلك في يوم حَمض ووقع في يد النطف خرج فيه جوهر وعنبر ، فضربت العرب به المثل فقالوا : أصاب غنم النطف وقد أصاب خرج النطف ، ولم يزل النطف يومئذٍ يعطي منذ صار إليه حتى غابت الشمس فقال ابنه :

أبي النطف المباري الشمس إني عريق في السماحة والمعالي

ومن سليط : غسان بن زهير ، وكان شاعراً وكان يهاجي جريراً ، وهو الذي يقول لجريرَ :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها جرير لقد أخزى كليباً جريرها

وولد عمرو بن يربوع : منذر بن عمرو . وعُوافه بن عمرو . وضمضم بن عمرو . منهم جناب بن مَصَاد بن مُرارة الذي طال عمره

---

١ ـ نطاع : ماءة في بلاد تميم ، وهي ركية عذبة الماء غزيرة . ووادي حمض قريب من اليمامة . معجم البلدان .

فقال :

إن جناب بن مَصَادٍ قد ذهب أدرك من طول الحياة ما طلب

ومنهم ربيعة بن غِسل ـ وبعض البصريين يخالف ابن الكلبي فيقول : عِسل بعين غير معجمة ـ ولي هراة في أيام معاوية ويقال إن معاوية ولاه إياها فقال الشاعر :

نادى ابن غسلِ بني عمرو بن يربوعِ إلى هـراة وداعي الخير متبوع
فقرَّطَ الخيل(١) من بلخ أعنَّتَها مستمسك بنواصيها ومصروع

وقال أبو اليقظان : كان ربيعة بن غسل شهد يوم الجمل مع عائشة ، فأتي به عليٌّ أسيراً فقام رجل من طيّ فقال: دعني أضرب عنقه فأبى ذلك عليٌّ ، ومنَّ عليه فأتى معاوية . فلما ولى معاوية سعيد بن عثمان خراسان صحبة فولاه هراة وكان ربيعة خطب إلى معاوية ابنة له وذلك من جنائه ونَوْكِهِ ، فدعا له معاوية بشربةٍ من سويق فقال : أحسبك جائعاً ، وقال : هذا حظك من الخطبة ، فقال ابن له : أبي الذي خطب إلى معاوية . فقيل له : أفزوجه ؟ قال : لا . قال فما صنع أبوك شيئاً .

وكان من بني غسل رجل يقال له عبيد الله بن كليب ، ولاه يوسف بن عمر عملاً فقيل له : استخر ربك فقال : طال ما استخرت ربي فلم أصب عملاً ، فعذَّبه يوسف حين عزله حتى قتله .

ومن بني عمرو بن يربوع ثم من بني غسل : أبو جُوَالق كان شجاعاً ، وخرج مع ابن الأشعث ، وفيه يقول الراجز :

---

١ ـ أي ألجمها . القاموس .

سبعون ألفاً كلهم مُفارق مثل الحريش وأبي جُوالق
موعدهم بلعلعٍ وبارق

الحريش بن هلال القريعي ، وقاتل أبو جوالق الوضِين الشامي ، وكان في مقدمة الحجاج وكان أبو جُوالق في مقدمة عطية بن عمرو العنبري ، صاحب مقدمة ابن الأشعث، فقتل أبو جُوالق وضيناً فقال الشاعر :

ألهى وضينا ذلك الشامي عن الشواء وعن القلي
طعنة واري الزند حنظلي

ومن بني ضمضم بن عمرو بن يربوع : سعد الرابية ، وهو سعد بن شداد ، وكان يُتقى لسانه ، وكان الأمراء يستخفُّونه ، وكان قبل ذلك معلماً يعلم النحو ، وأخذه عن أبي الأسود الديلي وفيه يقول الفرزدق :

إني لأبغض سعداً أن أجاوره ولن أحبَّ بني عمرو بن يربوع
قوم إذا اعتصبوا لم يخشهم أحد والجار فيهم ذليل غير ممنوع[1]

وقال أبو اليقظان : إنما قيل الرابية لأنه كان معلماً برابية بني تميم في الضاحية ، وكان عبيد الله بن زياد طلب غلاماً مولداً ليشتريه ، فقال سعد الرابية : قد أصبته لك هو عندي فانطلق إلى ابن له يقال له يعلى ، فقال له : يا بنيَّ إني انطلق بك فأبيعك من الأمير ، فإذا أخذت ثمنك ، وعلمت أني قد وصلت إلى البيت فابك عليهم وقل أنا ابنه ، فباعه بألف درهم ، فلما قبض الدراهم ، ورجع إلى أهله بكى الغلام وقال : انا ابن سعد . فدعا سعداً فقال له : ويحك إن هذا الغلام يزعم أنه ابنك ؟ قال : صدق .

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٢٦ مع فوارق .

قال : فتبيعنا ابنك ؟ قال : فكيف آخذ منكم الدراهم إلاّ بأشباه هذا ، فضحك ورد عليه ابنه وترك له الدراهم .

وهرب سعد من الطاعون الجارف بالبصرة إلى بلاد بني يربوع فمات بها وله بالبصرة عقب ، وكان يوماً عند زياد ، ويقال عند عبيدالله بن زياد ، فاختصم قوم من الطفاوة ، وقوم من بني راسب في رجل فقال هؤلاء : هو مولانا ، وقال هؤلاء : هو مولانا ، فقال سعد : الحكم في هذا بَيِّنٌ ألقوه في الماء فإن طاف فهو للطفاوة وإن رسب فهو لبني راسب ، فضحك زياد واستطرف ذلك .

وولد صُبير بن يربوع : أبا سلمى بن صُبير ، ومعشر بن صُبير . والأخرم بن صُبير . وقطن بن صُبير . وفروة بن صُبير ، وقَنان بن صُبير . وسُواءة بن صُبير . منهم : قطن بن أبي سلمى بن صبير الشاعر .

قال أبو اليقظان : ومنهم سليمان بن عبيد قهرمان هشام بن عبدالملك ، ادَّعُوه .

ومنهم : ذو الخرق جاهلي وكان شاعراً .

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب بني كُليب بن يربوع بن حنظلة

وولد كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك : زيد بن كليب . ومعاوية بن كليب وهما الصِمتان ، ومنقذ بن كليب . وعوف بن كليب وكانا تحالفا على الصمتين ، وأنس بن كليب . وقال غير الكلبي : من ولد كليب صبرة بن كليب .

فمن بني كليب : **جرير بن عطية**[1] بن الخَطَفَى ، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب ، وأم جرير أم قيس بنت مَعْيَذ ، من بني كليب ، وولد جرير لسبعة أشهر ، وسمي حذيفة بن بدر: الخطفى لقوله :

يرفعن بالليل إذا ما أسدفا أعناق حنّان وهاماً رُجَّفا
وعنقاً بعد الكلال خيطفا

وكان عطية أبو جرير مضعوفاً قال الفرزدق :

فخرت بشيخ لم يلدك ودونه أبٌ لك يخفي شخصه ويضائله[2]

وقال المفضل الضبي : كان الذي هاج الهجاء بين جرير والبَعِيث بن

١ - بهامش الأصل : جرير الشاعر .
٢ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٧٤ .

بشر، أن البعيث خرج في بغاء إبل له سرقها قوم من بني سليط من بني يربوع يقال لهم بنو ذُهيَل ، فوجدها في أيديهم فقالوا : إنما كانت مع لص فانتزعناها منه ، وكان غسان بن زهير السليطي يهاجي جريراً ففضله البعيث عليه في الشرف والشعر ، فقال له عطية بن جِعال العُداني : ما أنت وهذا يا بَعِيث ، أتدخل بين بني يربوع ؟ وبلغ ذلك جريراً فقال قصيدته التي أولها :

طاف الخيال وأين منك لماما فارجع بزورك للسلام سلاما

وقال فيها :

ياعبد بيبة[1] ما عذيرك محلباً لتنال عز مجرب وتلاما
نبئت أن مجاشعاً قد أنكروا شعراً ترادف حاجبيك تواما
يا ثلط حامضة تروح أهلها من ماسط وتندت القلاما[2]

فبلغ ذلك البعيث فقال لبني الخطفى : عجلتم علي ، قالوا : بلغ الرجل عنك أمر فإن شئت صفحت ، وإن شئت قلت كما قيل لك . قال : بل أصفح ، فأقام معهم حيناً ثم أنه أبقَ له عبدان فلحقا بهجر ، فركب عمرو بن عطية أخو جرير فَرَدَّ عبديه عليه بغير جعالة ففارقهم راضياً ، ولقي قوماً من بني مجاشع فأثنى عندهم على بني الخطفى فقال له رجل منهم : لحسنٌ ما جازيتهم على ما قالوا ثم أنشده :

نبئت أنّ مجاشعاً قد انكروا شعراً ترادف حاجبيك تواما

وجعلوا يحرِّبونه حتى غضب وحَرِب فهجا جريراً بقصيدة أولها :

ألا حييا الربع القواء وسلما ....

١ ـ بيبه : جد الفرزدق .
٢ ـ الثلط : سلح البعير ، الحامضة : الابل التي تأكل الحمض . ماسط : ماء ملح لبني طهية ، وتندت من التندية ، والقلام : نبات كنبات الأشنان . ديوان جرير ص ٤٤٤ .

فقالت بنو كليب لعطاء بن الخطفى عم جرير : اركب إلى بني مجاشع فاستنهم من أنفسهم فقد قالوا كما قيل لهم ، فأتاهم فقال : يا بني مجاشع أنتم الأخوة والعشيرة، وقد قلتم كما قيل لكم ، فأبى البعيث إلاّ هجاء جرير فلجًا في التهاجي ، وبلغ الفرزدق خبرهما فغضب لقومه وللبعيث ، وكان قد قيَّد نفسه وحلف ألا يحلّ قيوده حتى يجمع القرآن ـ أي يحفظه ـ فقال الفرزدق قصيدته التي يقول فيها :

أتتني أحـاديث البعيث ودونـه زرود فشامات الشقيق[1] من الرمل
فقلت أَظَنَّ ابن الخبيثـة أنني شُغلت عن الرامي الكنانة بالنبل
فإن يكُ قيدي كان نذراً نذرته فما بي عن أحساب قومي من شغل[2]

ونشب الهجاء بين جرير والفرزدق فقال البعيث :

أشاركتني في ثعلب قد أكلته فلم يبق إلاّ رأسه وأكارعـه
فدُونَكَ خصيبِهِ وما ضمت اسْتُهُ فـإنك قـام خبيثٌ مراتعـه

فزعموا أنهما تهاجيا ثمانياً وأربعين سنة ، ومات جرير بعد الفرزدق بيسير ، وله أكثر من ثمانين سنة ، وكان تهيأ للشخوص إلى هشام بن عبد الملك وقال :

فكيف ولا أشد إليك رحلي أروم إلى زيارتك المراما[3]

فمات قبل أن يسير ، وعلى البصرة يومئذ بلال بن أبي بردة والياً لخالد بن عبدالله القسري ، وكان موت جرير باليمامة وكان يكنى أبا حزرة .

١ ـ الشقيق : كل غلظ بين رملتين . معجم البلدان .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٥٣ .
٣ ـ ديوان جرير ص ٤٠٩ .

حدثني الحسن بن علي الحرمازي قال : اعترض اللعين المنقري ، واسمه منازل بن ربيعة بين الفرزدق وجرير حين جَدَّ بهما الهجاء فقال :

سأقضي بين كلب بني كليب ... وبين القين قين بني عِقال
بأن الكلب مطعمه خبيث ... وأن القين يعمل في سِفال
فما بُقْيَا عليَّ تركتماني ... ولكن خفتما صرد النبال
فما كان الفرزدق غير قينٍ ... لئيم خاله للؤم تالي
ويترك جدّه الخطفى جرير ... ويندب حاجباً وبني عقال

فلم يلتفت إليه فسقط .

وحدثني الحرمازي عن أبي اليقظان قال : من أول شعر قاله جرير زمن معاوية لأبيه أوجده :

ردي جمال الحي ثم تحملي ... فمالك فيهم من مقام ولاليا
وإني لمغرور أعلل بالمنى ... ليالي أدعو أن مالك ماليا
بأي نجاد تحمل السيف بعدما ... قطعت القوى من محمل كان باقيا
بأي سنانٍ تطعن القوم بعدما ... نزعت سناناً من قناتك ماضيا[1]

وحدثني التوزي النحوي عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان جرير عندنا في مجلسنا ، فمرت بنا جنازة فتغرغرت عينه ثم قال : شيبتني هذه الجنائز مذ خمسون سنة فقلنا : يا أبا حزرة فما بالك تشتم الناس وتهجوهم وأنت ترى المنايا غادية ورائحة فقال : انهم يبدأوني ثم لا أغفر ولا أعفو .

وحدثني أبو عدنان البصري والأثرم والحرمازي في اسنادهم، فسقتُ

١ ـ ديوان جرير ص ٥٠١ .

حديثهم ، ورددت بعضه على بعض قالوا : أقبل جرير حتى قدم على الحكم بن أيوب بن أبي عقيل الثقفي وهو خليفة الحجاج بالبصرة فقال :

أقبل من نجران أو من ذي خيم   على قلاص مثل خيطان[1] السَّلَم
قد طويت بطونها طيَّ الأدم   إذا قطعن علماً بدا علم
حتى تناهين إلى باب الحكم   خليفة الحجاج غير المتهم
في معدن العز وبحبوح الكرم[2]

فلما رآه الحكم استطرفه وأعجب به فكتب إلى الحجاج يصفه له فكتب الحجاج إليه في إشخاصه إلى ما قبله ، فأشخص جريراً ، فأكرمه الحجاج وكساه جبة خزّ صبرية ، ثم أرسل إليه بعد أيام فقال : إيه يا عدو نفسه مالك تشتم الناس وتظلمهم فقال : جعلني الله فداء الأمير إنهم والله يظلمونني فانتقم مالي ولفلان وفلان وفلان وفلان ، فعدد من هجاه فقال الحجاج : والله ما أدري مالك ولهم ، فقال جرير : أما غسان السليطي فإنه رجل من قومي هجاني وعشيرتي فقال :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها   جرير[3] لقد أخزى كليباً جريرها
أبا الخطفى وابني مُعيذ ومعرض   تُسَدِّي أموراً جمةً ما ينيرها
رميت نصالاً عن كليب فَقَصَّرَتْ   مراميك حتى عاد صفراً جفيرها[4]

---

١ ـ خيطان السلم : أغصان السلم .
٢ ـ ديوان جرير ص ٤٢٤ مع فوارق .
٣ ـ بهامش الأصل : يعني جرير بن عبدالله البجلي الصحابي رضي الله عنه ، وتقدم هذا البيت ص ٢٠٥ .
٤ ـ الجفير : جعبة من جلود لا خشب فيها ، أو من خشب لا جلود فيها . انظر النقائض ج ١ ص ٦ ـ ١٥ .

فما يذبحون الشاة إلا بميسر طويل تناجيها صغار قدورها

فقال الحجاج : فما قلت له ؟ فأنشده :

ألا ليت شعري عن سليط ألم تجد سليط سوى غسان جاراً يجيرها
فقد ضمَّنوا الأحساب صاحب سَوْءَةٍ يناجي بها قُعساً خبيثاً ضميرها[١]

قال : ثم من ؟ قال : البعيث اعترض دون غسان السليطي ففضله عليَّ في الشرف والشعر، وأعانه، وأنشده بعض شعره، قال: ثم من؟ قال : الفرزدق أعان البعيث علي : قال : فما قلت له ؟ فأنشده :

تمنى رجال من تميم لي الردى وما ذاد عن أحسابهم ذائد مثلي
ولو شاء قومي كان حلمي فيهم وكان علي جهال أعدائهم جهلي
وقد زعموا أن الفرزدق حية وما قتَّل الحيات من رجل قتلي[٢]

قال : ثم من ؟ قال : الأخطل بلغه تهاجينا ، فقال لابن له يقال له مالك : انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما ، وتأتيني بخبرهما وشعرهما ، فانحدر مالك حتى لقينا فسمع منا ، ثم أتى أباه فقال له : رأيت جريراً يغترف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر ، فقال الأخطل : الذي يغرف من بحر أشعرهما ثم قال :

إني قضيت قضاء غير ذي جنفٍ لما سمعت ولما جاءني الخبر
إن الفرزدق قد شالت نعامته وعضه حية من فوقه ذكر[٣]

ثم إن بشر بن مروان ولي الكوفة فقدم الأخطل عليه فرشاه محمد بن

١ ـ ديوان جرير ص ٢٢٦ مع فوارق .
٢ ـ ديوان جرير ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ مع فوارق .
٣ ـ ليسا في ديوان الأخطل المطبوع .

عمير بن عطارد بألف درهم وبغلة وكسوه وزق خمر وقال : لا تعن على شاعرنا ، واهج هذا الكلب الذي يهجو ابني دارم فإنك قد كنت قضيت له على صاحبنا فقال :

اخسأ جرير إليك ان مجاشعاً وأبا الفوارس نهشلاً إخوان
قوم إذا خطرت إليك فحولهم جعلوك تحت كلاكل وجران
وإذا وضعت أباك في ميزانهم رجحوا وشال أبوك في الميزان
أجرير إنك والذي تسمو به كسفيهة فرحت بحدج[1] حَصَان
وإذا وردتَ الماء كان لدارم عفواته وسهولة الأعطان[2]

فبلغني قوله فقلت أهجو محمد بن عميرة :

ولقد علمنا ما أبوك بدارم فالحق بأصلك من بني دهمان
هلا طعنت الخيل يوم لقيتها طعن الفوارس من بني عُقفان
ألقوا السلاح إليّ آل عطارد وتناوبوا ضرطاً على الدكان
ياذا العباءة إن بشراً قد قضى ألا تجوز حكومة السكران
فدع الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة في بني شيبان
قتلوا كليبكم بلقحة جارهم ورأوا بذلك أرخص الأثمان
كذب الأخيطل إن قومِي فيهم تاج الملوك وراية النعمان
فاقبض لسانك إنني في مشرفٍ صعب الذرا متمنّع الأركان[3]

فأجابني الفرزدق بكلمة يقول فيها :

١ ـ الحدج : مركب للنساء كالمحفة . القاموس .
٢ ـ ديوان الأخطل ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ .
٣ ـ ديوان جرير ص ٤٦٨ ـ ٤٧٤ مع فوارق .

إن الأراقم لن يضر قديمها كلب عوىٰ متهتم الأسنان
ما ضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتَها أمْ بُلْتَ حيث تناطح البحران(١)

فنشب الشر بيني وبين الفرزدق وبينه وتهاجينا ، وكان الأخطل يقول جرير أغزرنا ، والفرزدق أفخرنا ، وأما أنا فأوصف للخمر وأمدح للملوك

قال : ثم قال : عمر بن لجأ التيمي ، دخل على صاحب صدقات بني تيم فانشده لي وهو :

تريدين أن نرضىٰ وانت بخيلة ومن ذا الذي يرضي الاخلاء بالبخل

فقال له : قد أنشدني جرير هذا البيت ، وذكر أنه له فقال له : إنه سرقه مني . فبينا هو عنده إذ دخلتُ فقال لي صاحب الصدقات : زعم ابن لجأ أنك سرقت هذا البيت منه . فقلت : أنا أسرقه منك يا بن لجأ وأنت القائل وقد وصفتَ إبلك فجعلتها كالهضاب :

. . . . جرّ العروس الذيل من ردائها

فهلا قلت :

. . . . جر العروس الذيل من كسائها(٢)

قلت : تقوِّيها ولا تضعفها . فقال ابن لجأ : أولست القائل :

وأوثق عند المردفات عشية لحاقا إذا ما جرد السيف لامع(٣)

أَفَيُلحقْنَ عشيةً وقد أُخذن غُدوةً والله ما لُحقنَ حتى فُقِحْن ونُكحن .

قال الحجاج : فما قلت له ؟ قال فأنشده :

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ .
٢ ـ شعر عمر بن لجأ ـ ط . الكويت ١٩٨١ ص ٩ ـ ١٠ ، ١٤١ .
٣ ـ ديوان جرير ص ٢٩٣ .

يا تيم تيم عدي لا أبالكم لا يوقعنّكم في سَوْءَةٍ عمر
أحين صرت سِهاما يا بني لجأ وخاطرتْ بي عن أحسابها مضر
خَلِّ الطريق لمن يبنيْ المنار به وابرز ببرزة حيث اضطرك الضرر[1]

قال : فما قال لك ؟ فأنشده :

لما رأيت ابن ليلى عند غايته في كفِّهِ قصبات السَّبْقِ والخطر
هبت الفرزدق واستعقبتني جزعاً للموت تَعمد والموت الذي يذر
لقد كذبت وشر القول أكذبه ما خاطرتْ بك عن أحسابها مضر
بل أنت نزوة خَوَّارٍ على أَمَةٍ لا يسبق الحلبات اللؤم والخور[2]

فهذا بدء ما كان بيننا ، ثم أقمنا على غرائر البر وفرن بيننا ، فقلت :

رأوا فرساً مقارنة حمار وكيف يقارن الفرس الحمارا[3]

فتبسم الحجاج وقال : ويحك ثم من ؟ قال : سُراقة البارقي حمله بشر بن مروان على هجائي وتفضيل الفرزدق عليّ ، ثم بعثه رسولاً إليَّ وأنا لا أعرفه يأمرني بإجابته . فقال : ما الذي قال لك وقلت له ؟ فأنشده لسراقة :

أبلغْ تميماً غثها وسمينها والحكم يَقْصُدُ مَرَّةً ويَجُورُ
إن الفرزدق بَرَّزت حلباتُه عفواً وغُودر في الغبار جرير
ما كنتَ أول محمز[4] عثرتْ به آباؤه إنَّ اللئيم عثور
هذا القضاء البارقي وإنني بالميل في ميزانهم لجدير

١ ـ ديوان جرير ص ٢١٨ ـ ٢٢١ مع فوارق .
٢ ـ ديوان عمر بن لجأ ص ٩٢ ـ ١٠٩ مع فوارق .
٣ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٤ ـ الحمز : حرافة الشيء والقبض واللذعة ، والحمازة : الشدة . القاموس .

ذهب الفرزدق بالقصائد والعلىٰ وابن المـراغ مخلَّفٌ محسـور

وأنشده في جوابه :

يا بِشْرُ حقٌّ لوجهك التبشير هَلاَّ غضبتَ لَنَا وأنت أمير
قد كان حقاً أن تقول لبارقٍ يا آل بارق فيم سُبَّ جرير
أمسىٰ سراقةُ قَدْ عَوَىٰ لشقائه خَطْبٌ وأمك يا سراق يسير
أسراقُ إنك قد غشيت ببارق أمراً مَطَالِعُـهُ عليك وعـور
تعطىٰ النساءُ مهورهنَّ سياقةً ونسـاءُ بارقَ ِمـالهنَّ مهـور
إنَّ الدناءةَ والمذلةَ فـاعلموا قَـدَرٌ لأول بـارقٍ مقــدور
إن الكريمة ينصر الكرم ابنُها وابن اللئيمة للئام نصور[1]

وأنشده لنفسه :

يا رُبَّ قائلة تقول وقائلٍ أسراقُ إنك قد غويت سراقا
إنَّ الذين عووا عواءك قد لقوا مني صواعق تقطع الأعناقا
وإذا لقيتَ مُجيلساً من بارقٍ لاقيتَ أخبثَ مجلسٍ أخلاقا
ولقد هممت بأن أُدمدم بارقاً فحفظتُ فيهم عَمَّنَا إسحاقا[2]

وأنشده لسراقة :

لعمري لقد باع الفرزدق عِرضه بِوَكْسٍ وهاجىٰ لا كفياً ولا فحلاً
فإنْ أَهْجُ يربوعاً فإنـي لا أرى ليربوعهم يوماً علىٰ جُرَذٍ فضلا

قال جرير : ثم لقيني سراقة ، وأنا لا أعرفه ، وكنا في مجلس فَحَدَّثَ فأعجبني حديثه ونحوه فقلت : من أنت ؟ قال : بعض من أخزىٰ الله علىٰ

١ - ديوان جرير ص ٢٣٢ - ٢٣٤ مع فوارق .
٢ - ديوان جرير ص ٣١٣ - ٣١٤ مع فوارق .

يدك . فقلت : واسوءتاه ، وأيهم أنت ؟ قال : سُراقة البارقي . قلت : إنك بدأتني ولا والله لا أسوءك أبداً ولو علمت أنك كما أرى لصفحت عنك . قال الحجاج : ثم من ؟ قال : البَلْتع العنبري ، واسمه المستنير أعان عمر بن لجأ فقال :

أَتَعِيْبُ من رضيت قريش صهره   وأبوكَ عبدٌ لا يُنَاكَح أوكع[1]

قال : فما قلتَ له ؟ فأنشده :

ما مستنير الخُبْثِ إلا فراشة   هَوَتْ بين مُرْتَجٍّ من النقع ساطع
نهيتُ بناتِ المستنير عن الخَنَا   وعن مشيهنَّ الليل بين المزارع[2]

قال : ثم من ؟ قال : عبيد بن حصين راعي الإبل . قال : ومالك وله ؟ قال : قدمتُ البصرة وقد بلغني أنه شرب عند عرادة النميري ، وكان عرادة نديماً للفرزدق وصديقاً ، فقال عرادة للراعي : يا أبا جندل قل شعراً تفضل فيه صديقي الفرزدق على جرير فقال :

يا صاحبيَّ دنا الرحيل فَسِيْرا   غلب الفرزدق في الهجاء جريرا[3]

فبلغني قوله فلقيته بالمربد فقلت : يا أبا جندل إنك شيخ مضر وشاعرها ، وبلغني أنك فضلت الفرزدق عليّ وهو ابن عمي دونك ، وكان ابنه جندل واقفاً على فرس له ، فأقبل يضرب عجز دابة أبيه وأنا قائم فكادت تقطع رجلي وقال : لا أراك واقفاً على هذا الكلب الكليبي ، امض بنا ودعه يعوي . فناديته : يا بن يربوع إن أهلك بعثوك مائراً ، وبئس المائر ، لقد مرتهم شراً ، وأنا بعثني أهلي لأقعد بهذا المربد فأسُبُّ من سَبَّهُم وإني اعطي

١ ـ الأوكع : الطويل الأحمق . القاموس . وجاء بهامش الأصل : أوكع : أحمق .
٢ ـ ديوان جرير ص ٢٨٨ مع فوارق .
٣ ـ ديوان الراعي ص ١٣٩ مع فوارق .

الله عهداً ألا أنام ليلتي حتى أخزيك ، فوالله ما أصبحت حتى قلت :

فغضَّ الطْرفَ إنك من نمير ... فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا
أنا البازي المطل علىٰ نميرٍ ... أُتيح من السماء لها انصبابا
أجندلُ ما يقول بنو نمير ... إذ ما الأير في است أبيك غابا
علوت عليك ذروة خندفيٍّ ... تَرَىٰ من دونها رتباً صعابا
لنا حوض النبيِّ وساقياه ... ومن ورث النبوة والكتابا
ألسنا أكثر الثَّقَلَيْنِ رَحْلاً ... ببطن مِنىً واكثرهم قبابا
إذا غضبت عليك بنوَ تميم ... حسبتَ الناس كلهم غضابا
وإنك لو حملت بنو نمير ... علىٰ الميزان ما عدلوا ذبابا
فَغُض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت فقاح بني نمير ... على خبث الحديد إذاً لذابا[1]

فلما بلغ ابنه قولي :

أجندل ما تقول بنو نمير ... إذا ما الأير في است أبيك غابا

قال : تقول والله شراً . قال الحجاج : فما قال لك الراعي ؟ قال:
قال :

أتاني أن كلب بني كليب ... تَعَرَّضَ حوض دجلة ثم هابا
أتاك البحر يضرب جانبيه ... تَظَلُّ ترىٰ لجريته عبابا[2]

ثم كفَّ إذ لم أُجبه فأجاب عنه الفرزدق ، ثم قال ابنه جندل :

إني أتاني كلام ما غضبتُ له ... وقد أراد به من قال إغضابي

١ - ديوان جرير ص ٥٨ - ٦٥ .
٢ - ديوان الراعي ص ١٧ - ١٨ مع فوارق كبيرة .

جنادف[١] لاحق بالرأس منكبه كأنه كودن يوشىٰ بكلاب
من معشر كحلت باللؤم أعينهم فقد الرؤوس موالٍ غير صُياب[٢]

وقيل لي إن أباه قال الأبيات ونحلها إياه فأمسكت عنها . قال : ثم من ؟ قال : العباس بن يزيد الكندي لما قلت :

إذا غضبتْ عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال :

ألا رغمتْ أنوف بني تميم إذا كانوا على قوم غضابا

قال: فتركته حيناً ، ثم قدمت الكوفة فأتيت مجلس كندة ، فسألتهم أن يكفُّوه فأبوا وقالوا : هو شاعر وأوعدوني به فقلت :

ألا أبلغ بنو حجر بن وهب فإن التمر حُلْوٌ في الشتاء
عليكم بالنخيل فأصلحوها ودار بالمشقر والصفاء[٣]

ثم إنه جاور طيئاً وحملت أخته واسمها هضيبة فقلت :

أعبداً حلَّ في شعبى غريباً ألؤماً لا أبالك واغترابا
وما خفيت هضيبة حين أمْسَتْ ولا إطعام سخلتها الكلابا
وقد حملت ثمانية وأوْفَتْ بتاسعها وتحسبها كعابا[٤]

قال : ثم من ؟ قال : جفنة المِزّاني سألني فخيَّرْتُهُ بين أن أَهَبَ له ناقة إذا رجعتْ إبلي أو أكسوه ، أو أمدح قومه ، فلم يتخير من ذلك شيئاً ، وأتى المرار بن منقذ الغُداني فأعطاه جملاً ثقالاً فقال :

---

١ ـ الجنادف : الجافي الجسيم ، والغليظ القصير . القاموس .
٢ ـ ديوان الراعي ص ١٠ ـ ١١ .
٣ ـ ليسا في ديوان جرير المطبوع .
٤ ـ ديوان جرير ص ٥٥ ـ ٥٧ .

لعمـري للمـرّار يـوم لقيتـه على النأي خير من جرير وأكرم

قال : فما قلت له ؟ فأنشده :

لقد بعثت هِزانُ جفنةَ مائـراً فآب وأحذى قومه شر مغنم
كـأن بني هـزان لمـا رديتهم وبارٌ تضاغَتْ تحت جفر مهدم
بني عبد عمر قد فزعْت إليكم وقد طال زجري لونها كم تعدّمي[1]

قال : ثم من لله أنت ؟ قال : المرار الغداني ، بلغني عنه ما كرهت فقلت :

بني منقذ لاصُلْحَ حتى تضمكم من الحرب صَمَّاءُ القناة زَبُون
فإن كنتمُ كلبى فعندي شفاؤكم وللجن إن كان اعتراك جنون[2]

قال : ثم من ؟ قال : حكيم بن معاوية وهو ابن مُعَيَّة من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهو أخو غضوب ، وكان يفضل الفرزدق عليّ ، وكان ممن أعان غسان السليطي أيضاً فلقيته فقلت : يا حكيم ما يدعوك إلى ما فعلت ؟ فقال : مالك عندي عتبى مما كرهت ولا رجوع إلى ما أحببت ، فغضبت حتى ما أبصر ـ وكان يقال إن جريراً كان إذا غضب ارتفعت وجنته حتى تغطي عينه ـ وأنشد الحجاج قوله :

سـيروا فرب مسبحـين وقائـل هـذا شقـاً لبني ربيعـة بـاق
أبني ربيعة قد أَخَسَّ حظوظكم نكـد الجـدود ودقـة الاخـلاق
ماذا أردت بذاك حين تَسَعَّرَتْ ناري وشمر مئزري عن ساقي
إن القِراف بمنخـريـك مبيـن وسـواد وجهك يا بن أم عِفاق[3]

١ ـ ديوان جرير ص ٤١٣ مع فوارق .
٢ ـ ديوان جرير ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧ .
٣ ـ ديوان جرير ص ٣١١ مع فوارق .

وقوله :

إذا طلع الركبان نجداً وغوروا بها فازجرا يا بني معيَّة أو دعا
إذا ما أراد ابنا معية نصرة لمستنصر لم يدفعا الضيم مدفعا[١]

قال : ثم من ؟ قال : ثم الدَهْمَس ، أحد بني ربيعة بن مالك ويقال انه قال كناز بن نفيع ، ويقال إنه قال : ثم ربعي بن نفيع من بني ربيعة بن مالك قال :

غضبتَ علينا أن علاك ابن غالب فهلا على جَدَّيْكَ في ذاك تغضب
هما إذ سَمَتْ بالمرء مسعاة قومه أَناخا فَشَدًّا بالعقال المؤدب
ومن يجعل البحر العظيم إذا طما كحد ظنونٍ ماؤه يترقب

قال : ولم أعلم لمن هذه الأبيات ، وفكرت فقلت : ما هي إلا لقبضة الكلب ـ ويقال وطأة الكلب ـ قال : وكان قبيح الوجه فجمعتهم في شعري فقلت :

وأكثر ما كانت ربيعة أنها خباءان شتى لا أنيس ولا قفر
وحالفهم فقر شديد وذلة وبئس الحليفان المذلة والفقر[٢]

قال الحجاج : ثم من أيضاً ؟ قال : زهير من بني ربيعة ، كان يروي شعر الفرزدق غضباً لحكيم بن مُعَيَّة فقلت :

يمشي زهير بعد مقتل شيخه مَشْيَ المراسل آذَنَتْ بطلاق[٣]

قال : ثم من ؟ قال : علقة والسرندي من تيم الرباب أعانا عليّ عمر بن لجأ فقلت :

١ ـ ديوان جرير ص ٢٨٥ مع فوارق كبيرة .
٢ ـ ديوان جرير ص ٢٠٢ مع فوارق .
٣ ـ ديوان جرير ص ٣١١ مع فوارق .

وعضَّ السَّرْندي على تثليم ناجذه مِنْ أُمِّ عَلْقَةَ بَظْراً غَمَّه الشَّعَرُ
وعضَّ علقة لا يألو بِعُرْعُرِه[١] ببظر أم السرندي وهو منتصر[٢]

قال : ثم من ؟ قال : الطهوي كان يروي شعر الفرزدق . قال : فما قلت له ؟ فأنشده :

أتنسون وَهْبَاً يابني ودج استها وقد كنتُمُ جيران وَهْب بن انجرا
أما تَتَّقُونَ الشَّرَّ حتى يصيبكم ولا تنصرون الأمر إلا مدبرا[٣]

قال : ثم من أخزى الله شَرَّكَ ؟ قال : عقبة بن سُنيع الطهوي نذر دمي حين قلتُ هذا الشعر فقلت :

يا عقبَ يابن سُنيع ليس عندكم مأوى الضَّريك ولا ذو الراية الغادي
يا عقب يا بن سُنيع بعض قولكم إنَّ الرباب لكم عندي بِمِرْصَادِ[٤]

وأنشده :

نبئت عُقبة خَصَّافاً تواعَدَني يا رب آدر من ميثاء مافونِ
لو في طهيَّة أحلام لما اعترضوا دون الذي أنا أرميه ويرميني[٥]

قال : ثم من ؟ قال : الصَّلْتَان العبدي ، اعترض بيني وبين الفرزدق ، وادعى أننا حكمناه بيننا فقال :

أنا الصَلتان والذي قد علمتم متى ما يُحَكَّمْ فهو بالحق صادع

---

١ ـ العر : الجرب ، وتعرعرت واستعرهم الجرب : فشا فيهم . وعُرْعُرَة كل شيء : رأسه . القاموس .
٢ ـ ليسا في ديوان جرير المطبوع .
٣ ـ ليسا في ديوان جرير المطبوع .
٤ ـ ديوان جرير ص ١١٠ ، مع فوارق .
٥ ـ ديوان جرير ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥ .

أتتني تميم حين هاجت قضاتها وإني للفصل المبين لقاطع
كما أنفذ الأعشى قضية عامر وما من تميم في قضائي مراجع
قضاء امرىء لا يرتشي في حكومةٍ إذا مال بالقاضي الرشا والمطامع
فأقسم لا آلو عن الحق بينهم فإن أنالم أعدل فقل أنت ظالع
فإن يَكُ بحر الحنظليين واحداً فما تستوي حيتانه والضفادع
وما يستوي صدر القناة وزجُّها وما يستوي في الراحتين الأصابع
وليس الذنابى كالقدامى وريشهُ وما يستوي شُمُّ الذُّرا والاكارع
ألا إنما تحظى كليب بشعرها وبالمجد تحظى دارم والأقارع
أرى الخطفى بَذّ الفرزدق شعره ولكنَّ خيراً من كليبٍ مجاشع
فياشاعراً لا شاعر اليوم مثله جريراً ولكن في كليب تواضع
ويرفع من شعر الفرزدق أنه تبوأ بيتاً للخسيسة رافع
يناشدني النصر الفرزدق بعدما أَلَحَّتْ عليه من جرير قيارع
فقلت له إني ونصرك كالذي يثبت أنفاً كَشَّمَتْهُ الجوادع

قال جرير : فلما شَرَّفَ الفرزدق عليَّ وشَرَّفَ قَوْمَه على قومي أَمسَكَ الفرزدق عنه وقال : الشِّعْرُ مروءةُ من لا مروءةَ له . وهو أخسُّ حظّ الشريف . وأما أنا فقلت :

أقول ولم أملك سوابق عترتي متى كان حكم في بيوت الهجارس[1]
فلو كنت من رهط المعلى وطارقٍ قضيتَ قضاء واضحاً غير لابس[2]

وقلت أيضاً :

---

١ ـ الهجرس : القرد ، والثعلب ، والقاموس .
٢ ـ ليسا في ديوان جرير المطبوع .

أقول ولم أملك امال ابن حنظل متى كان حكم الله في كَرَبِ النخل

فاعترض أحمر بن عُدانة العبدي فقال :

عَلاَمَ تُغَنِّي يا جريرُ وقد قضى أَخُو عَصَرٍ أَنْ قَدْ عَلاَكَ الفرزدق

وإن امرأً سَوَّى كليباً بدارم وسَوَّى جريراً بالفـرزدق أحمق

قال الحجاج : فما قلت له ؟ فأنشده :

نُبِّئْتُ عيـراً بـالعيـون[1] يَسُبُّنِي أحيمر فَسَّاء على كرب النخل[2]

فرد علي فقال :

أَعَيَّرتَنَا بالنخل أن كان مالنـا وَوَدَّ أبوك الكلب أن كان ذا نخل

فأردت أن أهجو بني عمر فبلغ ذلك عبد العزيز بن عمرو بن مرجوم العصري فأرضاني بصلة وحملان فقلت :

لولا ابن عمرو بن مرجوم لقد وقعت خرساء لا تبتغي سمعاً ولا بصراً

إني لأرجو وراجي الخير يدركه أن ينعش الله في الدنيا به عصرا

واعترض دون أحمر بن عدانة والصلتان خليد عينين[3] فقال :

أي نبيٍّ كان من غير قـومه وما الحكم يا بن اللؤم إلا مع الرسل

فقلت :

ذَرَنَّ الفخر يا بن أبي خليـدٍ وَأَدِّ خَـرَاجَ رأسك كـل عـام

لقد علقتْ يمينُك رأس ثـور ومـا علقتْ يمينك من لجـام[4]

وقلت :

١ ـ بهامش الأصل : اسم موضع .

٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

٣ ـ بهامش الأصل : كان ينزل بين عينين .

٤ ـ ديوان جرير ص ٤٦٤ مع فوارق .

كم عمة لك يا خليد وخالةٍ   خُضْرٌ نواجذها من الكُرّاث
نبتتْ بمنبته فطاب لشمها   ونَأَتْ عن القيصوم والجثجاث[١]

قال : فلم يجبني بشيء ، قال جرير : وبرق الصبح فنهض الحجاج ونهضت ، وأخبرني بعض جلساء الحجاج بعد ذلك أنه قال : قاتله الله من أعرابي ، أيّ جروٍ خِراش هو .

حدثني عبد الله بن صالح العجلي عن ابن كناسة قال : سئل الأخطل فقيل : أيكم أشعر ؟ قال : جرير أغزرنا وأنسبنا ، والفرزدق أفخرنا ، وأنا أوصف للخمر ، وأمدح للملوك .

المدائني قال : بلغ الأخطل قول جرير :

جاريت مضطلع الجراء سماية   روقاً شبيبته وعمرك فان[٢]

قال : صدق إنه لشاب ، ولقد أديل نابغة بني جعدة مني حين عيرته الكبر فقلت :

لقد جارى أبو ليلى بفخر   ومنتكث عن التقريب فان
إذا لقي الخيار أكب فيه   يجر على الجحافل والجران[٣]

حدثني أبو عدنان عن أبي عبيدة قال : لما فارق جرير الراعي حين التقيا بالمربد ، قال : إنما يكفيني بَزْرٌ بدانق حتى أخزيه وابنه ، إن أهلي ساقوا بي رواحلهم حتى وضعونيَ بقارعة الطريق، والله ما كسبتهم دنيا ولا آخرة، إلا سَبٌّ من سبِّهم من الناس فإن عبيداًهذا بعثه أهله على رواحلهم من

---

٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع . وفي القاموس : الجثجاث : نبات .
٣ ـ ديوان جرير ص ٤٧٢ .
٤ ـ ديوان الأخطل ص ٣٤٥ مع فوارق .

أكناف هَبّود[1] يلتمس لهم الميرة ، وايم الله لأوقرنَّ رواحلهم خزياً وعاراً ثم أتى رحله في دار كانت في موضع دار جعفر بن سليمان اليوم ، وكان يسكن غرفة فمكث ليلته لا يهدأ ولا يقر ، فيصعد إليه بعض من معه فيقولون : ما عراك ؟ فيقول : خير ، ثم يعود فيعودون فلا يخبرهم حتى انفتح له الهجاء ، وبلغ ما أراد ، فقال قتلت العبد وأخزيته ، فسئل عن أمره كما كان يُسأل فقال : إني كنت أداور هجاء هذا العبد النميري حتى أطلعت طلع هجائه ، وتَأَتَّى لي ما أردت منه ، وأدخل طرف ثوبه بين رجليه وهدر وقال : فضحتُ ابن بزوع وأخزيته، وبزوع أم الراعي، وقال: يا صبي أطفىء السراج وهدأ ، حتى إذا أصبح لقي الراعي في سوق الإبل فقال له :

أجنـدل مـا تقـول بنـو نمـير   إذا ما الأير في است أبيك غابا

فقال : تقول شراً ، ثم أنشده القصيدة .

حدثني المدائني قال : كان لجرير عبد أسود أعجمي يدعى بلقب له فيغضب ، فمر ببني نمير فألحوا عليه بلقبه فشكا ذلك إلى جرير فحفظه بيته :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نمير   فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

وقال له : إذا مررتَ عليهم فأنشدهم هذا البيت . فمر عليهم فدعوه باللقب فأراد أن ينشدهم البيت فنسيه فجلس مفكراً ثم رفع رأسه فقال : غمضوا عيونكم يا أولاد الزنا . فقال شيخ منهم : ويحكم والله ما أراد إلا بيت جرير ، فكفوا عنه أخزاه الله .

ونزل جرير بامرأة من عكل فلم تقره ، لأن بنيها كانوا غيباً ، فخرج وهو يقول :

١ ـ هبود : اسم موضع في بلاد تميم ، ويقال : عين باليمامة ماؤها ملح . معجم البلدان .

ظللنـا عنـد أم أبي كبـير نداوي الجوع بالماء القراح
فلو كان الذي يسقين عذباً ولكن مـاء أحسية مَـلَاح[1]

ثم جاء بنوها فذبحوا له وأكرموه .

المدائني وغيره قالوا : لما قال جرير للأخطل :

لا تطلبنَّ خؤولة في تغلبٍ فالزنج أكرم منهم أخوالا[2]

غضب سنيح العماني مولى بني ناجية فهجا جريراً ، وفضل عليه الفرزدق ، وفخر عليه بالزنج فقال :

إنَّ امرأً جعل المراغة وابنها مثل الفرزدق خائر قد فالا[3]
إن الفرزدق صخرة عـادية طالت فليس تنالها الأوعالا
ما بالُ كلب من كُليب سَبَّنا إن لم يوازن حاجباً وعقالا
قد قست شعرك يا جرير وشعره فَقَصُرتَ عنه يا جريرِ وطالا
وبنيت بيتك في قرار مِسائل فَجَرَتْ عليك به السيول فهالا
والزنج لو لاقيتهم في صفهم لاقيتَ ثَمّ حجـاجاً أبـطالا
فَسَل ِابن عمروٍ حيث رام رماحهم فـرأى رماح الـزنج ثَمَّ طـوالا
فجعوا زياداً بابنه وتنـازلوا لـما دعوا بنـزال حتى زالا
ربطوا خيولهم حوالي دورهم وربطت حولك آتناً وسخالا
كان ابن ندبة فيكم من نجلنا وخفـافُ المتحمِّـل الأثقـالا
وابنـا زبيبة عنـتر وهِراسـة ما ان نرىٰ فيكم لهم أمثالا

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٢ ـ ديوان جرير ص ٣٦٣ .
٣ ـ بهامش الأصل : أي فال رأيه .

وسُلَيْكٌ الليث الهزبر إذا عدا والقرم عباسٌ عَلَوْكَ فِعالا
هذا ابن خازم الكريم وأمه عجلى أَبَرّ على العدو قتالا
وبنو الجناب مَطاعن ومَطاعم عند الشتاء إذا تهب شمالا
فلنحن أنجب منكم لخؤولة ولأنت ألأم منهم أخوالا

ابن عمرو بن حفص بن زياد بن عمرو العتكي كان خليفة أبيه على شرط البصرة فقاتل رباح شارزنجي ، ويقال شارزنجيان ، الذي خرج بالفرات ، بعثه إليه أبوه فقتله رباح .

فتىً عياذ[١] : سليمان بن عياذ قتل في بلاعص من أرض الزنج .

وابن ندبه : يعني خفاف بن ندبة كانت أمه سوداء ، وعنتر : يريد العبسي ، وأخاه سليك بن سلكة[٢] وأمه سوداء . وابن خازم السلمي وأمه عجلى سوداء ، وعباس بن مرداس السلمي وإخوته .

وروي عن عكرمة بن جرير عن أبيه قال : الفرزدق نبعة الشعر . قال وسئل الأخطل بالكوفة عن جرير فقال : دعوا جريراً أخزاه الله ، فإنه كان بلاءً علىٰ من صب عليه .

وحدثني عمارة قال : نزل جرير بقوم من كلب فلم يُقْرَ فقال :

وما لُمْنَا عميرة غير أنا نزلنا بالرسيس فما قُرينا
ظللنا مُرْمِلين بسوء حالٍ وقد لقيَ المطيُّ كما لقينا[٣]

فبلغهم قوله فأتوه وسَلُّوا سخيمته .

---

١ ـ لم يرد ذكره في الأبيات المتقدمة .
٢ ـ المشهور أنه ليس أخا عنترة .
٣ ـ ديوان جرير ص ٤٧٩ مع فوارق .

وأمر سليمان بن عبد الملك الفرزدق أن يضرب عنق أسير ، فضربه فنبا سيفه ، فقال جرير :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربتَ به عند الإمام فأرعشتْ يداك وقالوا محذم غير صارم
عنيف يهز السيف قين مجاشع رقيق بأخرات الفؤوس اللوادم[1]

وأتىٰ الفرزدق مسجد بني الهُجيم فأنشد فيه شعراً ، ودخله جرير فأنشد فمنعوه وقالوا : إنما بُنيت المساجد للصلاة والقرآن لا للشعر : فقال : منعتموني ما لم تمنعوا الفرزدق مثله وقال يهجوهم :

إنَّ الهُجيم قبيلة ملعـونـة حُصُّ اللحىٰ متشابهوا الألوان
يتـوركـون بنيهم وبنـاتهم صُعْرُ الأنوف لريح كل دخان
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعُمان أصبح جمعهم بعُمان[2]

قالوا : وخفة اللحىٰ في الهجيم ظاهرة ، فقيل لبعضهم لقد استويتم في لحاكم ؟ فقال : إنَّ الفحل واحد .

قالوا : وأتىٰ جرير فيروز حصين ، ومعه جماعة من بني يربوع ، فوقف عليه فقال : يا أبا عثمان إنك تزين العشيرة ، وتعين على النائبة ، وتحمل الكَلّ ، وهؤلاء قومك قد اقحموا ، فدعا بكيس فيه ألف درهم فأعطاه إياه فَوَلَّىٰ وهو يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتقي الشتم يشتم[3]

١ ـ ديوان جرير ص ٤٦٢ مع فوارق . ولدم : ضرب بشيء ثقيل يسمع وقعه . القاموس .
٢ ـ ديوان جرير ص ٤٧٩ بدون البيت الثاني مع فوارق .
٣ ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣٠ .

ويروىٰ مثل هذا عن الفرزدق أيضاً :

قالوا : وشخص جرير إلى الشام ، فنزل في طريقه على رجل من بني نمير ، فأخرج إليه امرأته فقال : انظر إليها فأبىٰ ، فطلب إليه فنظر إليها بمؤخر عينه فقال : أرىٰ كرماً وخفراً وجمالاً . قال له : فأين قولك :

ومقرفة اللهازم من نمير   يشين سواد محجرها النقابا[1]

قال جرير : فما استحييت من شيء قط استحيائي من قوله يومئذ .

وقال محمد بن سلام ، أخبرني شعيب بن صخر عن هارون بن ابراهيم قال : رأيت الفرزدق وجريراً في مسجد دمشق في عصابة من خندف ، والناس من قيس ، وموالي بني أمية وغيرهم عنقٌ علىٰ جرير يسلمون عليه يا أبا حزرة كيف قدمت أمتع الله بك ؟ فيقول : بخير وذاك لمدحه قيساً وقوله : «والذرا من قيس عيلانا»[2] وقوله أيضاً :

ويجمعنا والغُرُّ أبناء عمنا   أبٌ لا نبالي بعده من تعذرا[3]

يعني إبراهيم عليه السلام .

وقال جرير لرجل : أنا أشعر أم الفرزدق ؟ فقال : أما عند أهل العقل الثاقب فالفرزدق ، وأما عند الجمهور فأنت . فقال : أنا أبو حزرة غلبته .

ونزل الفرزدق وجرير على بعض آل مروان ، فقال المرواني : ما رأيت أسخىٰ وأفجر من الفرزدق . ولا أبخل وأعف من جرير .

المدائني عن أبي اليقظان عن جويرية بن أسماء قال : قلت لنُصَيب

١ ـ ديوان جرير ص ٦٢ مع فوارق .

٢ ـ ديوان جرير ص ٤٩٤ قوله :

أحمي حماي بأعلى المجد منزلتي   من خندف والذرا من قيس عيلان

٣ ـ ديوان جرير ص ١٨٧ مع فوارق .

يا أبا محجن من أشعر الناس ؟ قال : أخو بني تميم . قلت : ثم من ؟ قال : أنا . قلت : ثم من ؟ قال : ابن يسار . فلقيت ابن يسار فقلت : يا أبا فائد من أشعر الناس ؟ قال : أخو تميم . قلت : ثم من ؟ قال : ثم أنا . قلت : ثم من ؟ قال : النُصَيب . فقلت : إنكما لتتقارضان الثناء . فقال : وماذاك ؟ فحدثته فقال : إنه والله لشاعر كريم .

وحدثني محمد بن حبيب قال : أنشد رؤبة بحضرة جرير ، وهو عند والي اليمامة :

والله لولا أن تحش الطُبَّخُ ... بي الجحيم حين لا مستصرخُ
لعلم الجهال أني مُفْتَخُ[1] ... لهامهم أرضُه وأشدخُ
ولو رآني الشعراء ذيَّخوا[2] ... ولو أقول دربخوا لدربخوا[3]
لدستهم كما يداس الفرفخ[4]

فغضب جرير وقال :

يا بن كسوب ما علينا مبذخ ... باست حُبَاري طار عنها الأفرخ[5]

فتكلم رؤبة بن العجاج ، فقال له : اسكت فوالله لئن أقبلت قِبل أبيك وقِبلك لأرفثن عظامكما ، ولأدعنّ مقطعاتكما هذه ، وهي لا تغني عنكما شيئاً ، فقام إليه رؤبة فترضاه .

---

١ ـ الفتخ : استرخاء المفاصل ولينها . وفتوخ الأسد : مفاصل مخالبه ، والفتخ : عرض الكف . العين . القاموس .
٢ ـ أي تذللوا . القاموس .
٣ ـ دربخ : الحمامة تدربخ للذكر عند السفاد ، إذا طاوعته . العين للخليل .
٤ ـ الفرفخ : يقال لها بقلة الحمقاء . العين . ولم ترد هذه الأرجوزة في ديوان رؤبة بن العجاج .
٥ ـ ليس بديوانه المطبوع .

قالوا : واشترى جرير جارية من رجل من أهل اليمامة يقال له زيد ففركته[1] ، وكرهت خشونة عيشه فقال :

تكلفني معيشــة آل زيــد ومن لي بالمرقق والصناب[2]
وقالت لا تضم كضم زيد وما ضمي وليس معي شبابي[3]

وقال الفرزدق :

لئن فركتك عجلة آل زيد وأعــوزك المـرقّق والصنــاب
لقدماً كان عيش أبيك مراً خسيساً ما تعيش به الكلاب[4]

وقال جرير :

تبكي على زيد ولم تر مثله بريئاً من الحمى صحيح الجوارح
فإن تقصدي فالقصد مني سجية وإن تجمحي تلقي لجام الجوامح[5]

فقيل له : وما لجامهن ؟ قال : هذا ، أشار إلى سوط معلق في البيت .

المدائني عن عَقيل بن بلال بن جرير قال : قال جرير وذكر الفرزدق : ذاك نبعة الشعر ، وإن ابن النصرانية لشاعر شرعه .

وسئل عن النابغة الجعدي فقال : سوق خُلقان ترى فيها ثوباً يروعك وآخر تقتحمه عينك .

---

١ ـ الفرك : البغضة بين الزوجين .
٢ ـ المرقق : الرقائق ، والصناب : صباغ يتخذ من الخردل والزيت .
٣ ـ ديوان جرير ص ٤٢ .
٤ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٠٦ مع فوارق كبيرة .
٥ ـ ديوان جرير ص ٨٣ .

وسئل عن ذي الرمة فقال : أبعار ظباء تستنشي رائحة مسك وتُفُتُّ بعراً .

المدائني عن سُحَيم بن حفص قال : وهب الحجاج لجرير جارية من سبي الديلم ممايلي الري يقال لها زِرَّة ، فسماها أم حكيم ، وهي أم نوح بن جرير ، وبلال بن جرير ، فطُلبت من جرير بألفي درهم فلم يبعها وقال :

إذا عرضوا أَلْفَيْنْ يوما تَعَرَّضَتْ لأم حكيم حاجة من فؤاديا
لقد زدت أهل الري عندي مودةً وَحَبَّبتِ أضعافاً إليّ المواليا[1]

وكانت أعجمية اللسان : فعجنت ذات يوم عجيناً فجاءت جرذان فأكلت منه فقالت لولدها : نَحُّوا الجرذان عن عجان[2] أمكم .

وكان ابنها نوح،وذكر أمه:هي أُخِيْذَةُ رمح ، وهبة ملك ، وتربية حنظلي عفيف .

المدائني قال : قال بكير الحِمامي لنوح بن جرير : يابن أم حكيم . فقال : صدقت أنا ابن أم حكيم ، أخيذةُ رماح ، وابنة دهقان ، وعطية ملك ليست كأمك التي تغدو على نور ضأنها بالمروّت كأن عقبيها حافرا حمار . قال بكير : أنا أعلم بأمك ، كانت أمة للحجاج ، فالله أعلم بما عَتبَ فيه عليها حتى حلف ليهبنها لألأم العرب ، فلم يدخل عليه أحد ألأم من أبيك ، فوهبها له .

وكان نوح يقول : خير الشعر الحَوْليُّ المنقح .

وحدثني الحسن بن علي الحرمازي عن أبي مالك عن أشياخه قالوا :

١ ـ ديوان جرير ص ٤٩٦ .
٢ ـ العجان : آخر الذكر ممدود في الجلد الذي يستبرئه البائل . العين .

ولد جرير : حزرة وبه كان يكنى . وسوادة . وتيحان . وزكريا . أمهم أم حزرة كلبية . وموسى . وعكرمة . وجَعْدة بنت جرير أمهم أمامة كلبية أيضاً . وبلال . ونوح . أمهما أم حكيم الرازية .

قالوا : وكانت لجرير أيضاً : أم غيلان أمها الرازية أو غيرها ، وكان بها جنون فتزوجها الأبلق الأُسَيْديُ الكاهن ، وذلك أنه داواها مما كان بها فقال الفرزدق :

كيف طلابي أم غيلان بعدما جرى الماء في أرحامها وترقرقا
لعمري لقد هانت عليك ظعينة فديت برجليها الفرار المربقا
ولو كان ذو الودع ابن ثروان لالتوت بها كفه أعني يزيد الهَبَنَّقَا(١)

وقال بعض الشعراء يعيِّر جريراً :

أهلكت نفسك يا جرير وشنتها وجعلت بنتك بُسْلَةً للأبلقَ

وقال عمر بن لجأ :

يا أم غيلام ابركي تناكي كما نكحنا قبلها أباك(٢)

قال الحرمازي : الفرار : الجمل ، يقول : جعلْتَ رجليها فدى لجمل كنت تدفعه إلى الأبلق إذا داواها ، وقوله أرحامها يريد الرحم وما يليه . ويروى في أعفاجها ، وقوله ، ذو الودع يعني هبنقة القيسي الأحمق ، وهو يريد : ابن ثروان يقول : لو كان هبنقة لما سمحت كفه بها ، والبُسلة : أجرة الراقي ، يقال : إعط الراقي بُسلته أي أجرته .

حدثني داود بن عبد الحميد قال: بلغني أن عبد الملك بن مروان قال

١ - ليست دي ديوانه المطبوع .
٢ - ليس في شعره المطبوع .

للأخطل : ما أشد ما هجاك به جرير وأمضّه لك ؟ فقال : تعييره إياي بديني إذ كنت لا أقدر على تعييره بدينه .

وحدثني عبد الرحمن بن حرزة ، من ولد جرير بن عطية ، قال : اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند عبد الملك بن مروان فقال لهم : ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره فقال الأخطل :

أنا القطران والشعراء جربى   وفي القطران للجربى شفاء[1]

وقال الفرزدق :

إن تَكُ زِقُّ زاملةٍ فشِعْرِي   لمن هاجيتُه داءٌ عَيَاءُ[2]

وقال جرير :

أنا الموت الذي لابُدَّ منه   فليس لهاربٍ منه نجاء[3]

ففضل عبد الملك بيته على بيتهما .

وحدثني عبد الرحمن بن حزرة قال : نزل جرير بحيّ بني قيس بن ثعلبة من ربيعة ، وهم خلوف ، فلم يُصب قِرىً فأنشأ يقول :

ظللنا مرملين بشر حالٍ   وقد لقي المطيُّ كما لقينا[4]

فمضى غلامهم إلى الرجال ، وهم مجتمعون على رأس أميال من المحلة لأمر حَزَبَهُم، فقال لهم : يا بني قيس، قيس بن ثعلبة أُكِلْتُم، وأخبرهم خبر جرير . فانصرف إليه عدة منهم فذبحوا له ونحروا ، وأحسنوا قراه أياماً وزودوه ، فرضي وسار وجعل يقول :

---

١ - ليس في ديوانه المطبوع .
٢ - ليس في ديوانه المطبوع .
٣ - ديوان جرير ص ١٤ .
٤ - ديوان جرير ص ٤٧٩ .

نزلتُ بخير حي من مَعَدٍّ فلم أر بالقِرى منهم ضنينا
وَقوا أعـراضهم بِقِـرى وزادٍ معاً وتزودوا مدحاً ثمينـا[١]

وحدثني قال : نزل رجل من طيء ، ثم بني نبهان ، بجرير فقراه ، ثم إنه سأله شيئاً تعذر عليه إعطاؤه إياه ، فقال :

لا تَرْجُ خيراً من جرير ولا قرى فَشَرُّ مناخ المعتفين جـريـر

فقال جرير :

وأعور من نبهان أما نهاره فـأعمى وأمـا ليله فبصـير
رأى ضوء نار فاهتدى بضيائها عريض أفاعي[٢] المنكبين ضرير
فبات بخير ثم أصبح كافراً لفضلي عليه واللئيم كفور[٣]

وقال ابن الكلبي قال جرير : الفرزدق أكذبنا ، والأخطل أرمانا للفرائص ، أما أنا فمدينة الشعر .

وقال أبو اليقظان : تزوج سعيد بن العاص جعدة بنت جرير بن عطية ، وكان حزرة بن جرير مَهِين النفس ولم يكن شاعراً ، وفيه يقول جرير :

عذاب ما بقيت لكم وبعدي قوارص عند حزرة أو بلال[٤]

قال ومات سوادة بن جرير بالشام وكان ضعيفاً ، وقدم الشام مع أبيه في بعض قدماته ، وفيه يقول جرير :

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٢ ـ الأفاعي : عروق تتشعب من الحالبين . القاموس .
٣ ـ ديوان جرير ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ مع فوارق كبيرة .
٤ ـ ديوان جرير ص ٣٤٢ مع فوارق واضحة .

ذاكم سوادة يُبدي مقلتي لحم صقرٌ يُصرصر فوق المرقب العالي
ألا تكن لك بالديرين باكيةٌ فَرُبَّ باكيةٍ بالرمل معوال
فارقته حين كف الدهر من بصري وصرتُ مثل عظام الرمَّة البالي[1]

قال : وكان تيحان بن جرير ناقص اليدين ، ولم يكن بشيء ، وكان زكرياء بن جرير صالحاً في دينه ، قال:وكان جرير يحب ابنه موسى وفيه يقول :

أَحَبُّ الموقِدينَ إليَّ موسى وجعدة لو يضيء لنا الوقود[2]

وكان عكرمة بن جرير شاعراً .

وقال أبو اليقظان : كان بلال بن جرير أفضل ولده وأشعرهم ، وولي صدقة بني حنظلة ، وكان يكنى أبا زافر ، ورأى في منامه كأنه قُطعت من يده أربع أصابع ، فقاتل بني ضبة فقتلوا له أربعة بنين ، فقال بلال بن جرير :

صَبَرَتْ كليب للسيوف ومالك يوم الصريف[3] وفرّت الأحمال

يعني مالك بن زيد مناة بن تميم ، والأحمال من بني العدوية .

لله أربعة مضوا في ربضة إذ غالهم من حَيْنِهِم مغتال

ونزل بلال بحماد بن جندل المنقري ، فلم يحسن قراه فقال بلال :

نزلنا بحماد فَهَرَّتْ كلابه علينا وكدنا بين بابيه نؤكل
تناومتَ نصف الليل ثم أتيتنا بقعبين من صَبْح وما كدت تفعل
وقد قال فيه نازل كان قبلنا إذا اليوم من يوم القيامة اطول

وقتلت بنو حنيفة حماداً في حرب .

---

١ ـ ديوان جرير ص ٣٤٥ مع فوارق .
٢ ـ ديوان جرير ص ١١٦ مع فوارق .
٣ ـ الصريف : موضع من النباج على عشرة أميال ، وهو بلد لبني أسيد بن عمرو بن تميم ، معترض للطريق مرتفع به نخل . معجم البلدان .

قال وكان نوح بن جرير شاعراً، وكان يهاجي بشير بن دَلجة الكليبي .

وكان أبو الزحف بن عطاء بن الخطفى شاعراً بقي إلى زمن محمد بن سليمان بن علي ، ودخل عليه البصرة وهو سكران فقال له محمد : أنشدني ، فلم يحضره شيء فقال :

يابن سليمان أقلني عثرتي يابن الملوك وابلغني ريقتي
حتى تجلي عن فؤادي غمتي ثم اجمع الرجاز عند صولتي
كل فزاري دهين اللمة أو بدوي وذحٍ[1] ذي ثلة

ومن بني كليب بن يربوع : مُعَيد ، وكان نفر من الأعراب تكامروا[2] ، فغلبهم معيد فقال الشاعر :

والله لولا شيخنا معاد لكمرونا اليوم أو أرادوا

وكانت أم جرير ابنته ، فكانت الشعراء تعير جريراً به .

ومنهم : الدُّهْمَس أحد بني زيد بن كليب ، واسمه كناز ، ويقال ربعي ، ويقال إن الدلهمس أحد بني ربيعة بن مالك، وهو قول أبي عبيدة ولم يذكره الكلبي ، وذكر أبو اليقظان أنه من بني زيد بن كليب ، قال : وكان من فرسان تميم بالسند وشجعانهم ، ومن ولده بالبصرة : عباس بن الدلهمس كان شجاعاً .

وقال أبو اليقظان : ومن بني زيد بن كليب : شُبَيْل بن وَفاء ، وكان شاعراً مخضرماً ، وكان إسلامه إسلام سوء ، وكان لا يصوم شهر رمضان فقالت له ابنته تَبالة : ألا تصوم ؟ فقال :

---

١ ـ الوذح : ما تعلق بأصواف الغنم من البعر والبول . القاموس .
٢ ـ الكمرة : رأس الذكر ، وتكامروا : نظر أيهم أعظم كمرة . القاموس .

تأمرني بالصوم لا دَرَّ دَرُّهَا وفي القبر صوم يا تَبال طويل

وقال في عتيبة بن الحارث يمدحه :

إنَّ خليلي خير ما خليل عتيبة الوهَّابُ للجزيل

أشجع من ليثٍ أبي شُبُولِ بالرمح والترس وبالدخيل[1]

وكان الحطيئة نزل بخالد بن شبيل فأساء به فانتقل عنه .

ومن بني كليب : عبد بن مقلد بن منقذ بن كليب ، نزل به الحطيئة منتقلاً من عند خالد بن شُبيل ، ومدحه الحطيئة فقال :

جاورتُ آل مقلد فمدحتهم إذ لا يكون أخو جوار يحمد[2]

وقال أبو اليقظان : مقلد بن صَبْرة بن منقذ ، والأول قول الكلبي .

ومن بني كليب ثم أحد بني عُبيد بن منقذ بن كليب : عبدالله بن عثمان ، كان مع ابن ناشرة الحنظلي بسجستان وله يقول الشاعر :

يكرُّ كما كَرَّ الكليبي مهره وَمَا كَرَّ إلا خشيةً أن يُعيرا

ومنهم : حِقّ بن مقلد بن منقذ بن كليب ، سابَقَ عتيبة بن الحارث بن شهاب على فرس له يقال لها مُوشحة، فسَبق عتيبة فأبى أن يعطيه سبقته، فاستغاث حق ببني رياح ، وعدانة ، وكليب ، فأعانوه وأخذوا له سبقته فقال حق :

دعوت رقاش فاختلفت وجاءت إلي ولم يُدَن بنو رياح

تخاطر عن حمولتنا ببازٍ حديد الطرف مضطرب الجناح

وشهد حق يوم جبلة فقتل يومئذ :

---

١ - بهامش الأصل : يعني السيف .

٢ - ديوان الحطيئة ص ١٦٢ .

ومنهم:أشيم بن مقلد وابنه النضاح بن أشيم بن مقلد ، وكان النَضّاح مع ناجية بن عقال ، وعُتيبة بن الحارث بن شهاب ، وقعنب بن عتاب ، وجرير بن سعد ، وأبي مُليل عبدالله بن الحارث اليربوعي ، والنَطف بن الخيبري وأُسيد بن حناءة وغيرهم ، ممن انتهب ما في عير كسرى ، وشهد معهم يوم حمض وهو يوم نطاع ، وحمض ماء لبني مالك بن سعد رهط العجاج الراجز ، وكان النضاح انطلق يوم الصفقة بأمه ليشهد الطعام ، ووضع أمه ناحية ، وانطلق يريد الدخول ، فلما أغلق باب الصفقة وقتل من قتل من بني تميم سعى النضاح على رجليه فحمل أمه ونجا ، ثم أدرك الإسلام ، فأسلم ومر به الحطيئة في أيام عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال للحطيئة : إن لنا جدة ولك علينا كرامة فمرنا بما تحب نَأتِهِ ، فقال : وريت بك زنادي ما قالها لي عربي قبلك ، أنا أَغْيَرُ الناس قلباً وأشعر الناس لساناً ، فَانْهَ بنيك أن يُسمعوا بناتي الغناء فإنه حداية الزنا ، وكان له سبعة بنين يغنون النصب[1] ، بأصوات حسنة ، وحلوق ندية ، وكان مع الحطيئة ثلاث بنات وسبعة أبعرة ، فقال النضاح : لا أسمعنَّ غناء أحد منكم ولا كلامه ما أقام عندنا ، فأقام عنده سنة ، فلما أراد الرحيل قال الحطيئة للنضاح : زوج ابنك ابنتي ، فقال النضاح لابنه كعب : تزوجها ، فقال : والله لو عُرضت علي بشسَع نعلي ما أردتها فسكتا ، وقال الحطيئة :

جاورت آل مقلد فحمدتهم إذ لا يكاد أخو جوار يُحمد
علقوا الأناة فخالطتْ أحلامَهُم وإذا دعوتهم عجال المرقد

١ ـ النصب : غناء الركبان والقينات وهو نوع من الغناء للعرب الأولين . معجم الموسيقى العربية ص ١٠٣ .

أزمان من يُرد الصنيعة يصطنع فينا ومن يُرِدِ الزهادة يزهد [١]

وقال أيضاً :

لعمرك ما المجاور في كليب بمقصىً في المحلِ ولا مضاع

ويحـرم سِرّ جـارهم عليهم ويأكل جارهم أُنُف القصاع

هم عقدوا لجارهم وليست يد الخرقاء مثل يد الصناع

لنعم الحيّ حيّ بني كليب إذا اختلط الدواعي بالدواعي [٢]

ومن ولده : خِطام بن النضاح وفيه يقول جرير :

إذ لا يذب عن الحمى متوكل والأعنفان ولا ابن أم خطام

يـرمي محارم قـومه متـوكل دميت يداه بفالج وجذام [٣]

متوكل : رجل من بني مقلد وكان زمام بن خطام بن النضاح أحسن الناس غناء للنصب، وفيه يقول الصمَّة القشيري :

دعوت زماماً للهوىٰ فأجابني وأيُّ فتىً ما يَدْعِيَنَّ زمام

وله عقب بالبصرة .

وقال أبو اليقظان : يقال أن بني معاوية بن كليب هم من مرَّة غطفان .

ومنهم : بشير بن دلجة ، كان يهاجي بلال بن جرير ، فقال له بلال :

أبا دَلْجَ قدْ أَدْلَجْتَ في شَرٍّ مُدْلَجٍ اما خِفْتَنِيْ فَادْلجْ إذا لم تُجَرَّحِ

أنا ابن جريرٍ يعلم الناس أنني شبيهٌ به لا كالحديث الملحلح

---

١ ـ ديوان الحطيئة ص ١٦٢ من دون البيت الثاني .
٢ ـ ديوان الحطيئة ص ٢٠١ مع فوارق كبيرة .
٣ ـ ديوان جرير ص ٤٢٠ مع فوارق واضحة .

ومن بني كليب : يزيد بن شراجة ، كانت له عبادة وفقه ورواية ولا عقب له .

ومنهم الحسن بن ربعي ، كان مع المهلب ، وقتيبة بخراسان ، وكان راوية لشعر جرير .

ومن بني كليب ، ثم بني مقلد : بنو مليص ، وليسوا بشيء .

ومن موالي بني كليب : عباد بن راشد الفقيه .

نسب من بقي من ولد حنظلة

وولد قيس بن حنظلة ، وهو من البراجم : جاذل بن قيس . وزيد بن قيس . ومعاوية بن قيس . ومُرّة بن قيس .

منهم : ضابىء بن الحارث بن أرطاة بن شهاب بن عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلة ، وكان بنو جرول بن نهشل وهبوا لضابىء كلباً طلبه منهم ، ثم ركب إليه جماعة منهم فارتجعوه منه ، وكان يقال للكلب قرحان ، فقال فيهم :

تجاوز نحوي ركب قرحان مَهْمَهاً   تَطلُّ به الوجناء وهي حسير
فأمكم لا تعققوها لكلبكم   فإن عقوق الوالدين كبير
فمن يَكُ منكم ذا عقول فإنه   عليم بما تحت النطاق خبير
رددتُ أخاهم فاستمروا كأنما   حباهم بتاج الهرمزان أمير

فاستعدوا عليه عثمان بن عفان لما قال في أمهم وفيهم : فيقال إنه أدَّبه وخَلَّاه ، ويقال بل حبسه ثم خلاه ، فأراد الفتك بعثمان ، ففطن به عثمان رضي الله تعالى عنه فحبسه حتى مات في السجن ، ولما أدخل السجن قال :

هممتُ ولم أفعل وكدْتُ وَليتَني   فعلتُ فكان المعولات حلائله

وما الفتك إلا لامرىء ذي حفيظة إذا رِيْعَ لم ترعد لجبن خصائله
فلا ير من بعدي امرأً ضيم خطةٍ حذار لقاء الموت فالموت نائله
وما الفتك ما أمرت فيه ولا الذي تخبر من لاقيت أنك فاعله

وعمير بن ضابىء، توطأ عثمان بن عفان يوم قتل في بطنه، ويقال بل توطأه وقد احتمل ، فاعترضه قوم من الأنصار فقاتلوا حامليه حتى طرح ، فتوطأه عمير حينئذٍ ، وقال : ما رأيت كافراً ألين بطناً منه ، وكان عمير أشد الناس على عثمان لما كان منه إلى ضابىء أبيه ، وجعل عمير يقول حين توطأه : أرني ضابئاً أحْيِي لي ضابئاً . يقول : ليرىٰ فعلي بعثمان .

فلما قدم الحجاج والياً على العراق ، وعرض أهل الكوفة ليوجههم مدداً للمهلب بن أبي صفرة ، وهو يحارب الخوارج ، دنا منه عمير بن ضابىء فقال : أصلح الله الأمير أنا شيخ كبير ، وابني شاب جلد فاقبله بدلاً مني ، فقال : نعم ، فلما ولى قال له عنبسة بن سعيد : هذا الذي جعل يدوس بطن عثمان ويقول : أرني ضابئاً أحيي لي ضابئاً ، وحدثه حديثه فدعا به فأمر بقتله فقتل ، وجعل الحجاج يقول : هيه أرني ضابئاً أحيي لي ضابئاً ، فقال عبدالله بن الزبير الأسدي

تجهزْ فإما أن تزور ابن ضابىءٍ عُميراً وإما أن تزور المهلبا
هما خطتا سوء نجاؤك منهما ركوبك حولياً من الثلج أشهبا
فَأضَ ولو كانت خراسان دونه رآها مكان السوق أو هي أقربا[1]

وهذا قول ابن الكلبي في نسب ضابىء .

وقال غيره : هو من ولد غالب بن حنظلة ، ولما قتل ابن ضابىء لقي أعرابي رجلاً فقال له رجل:ما الخبر فقال : قدم الكوفة رجل من شر أحياء

١ ـ شعر عبدالله بن الزبير الأسدي ص ٥٤ ـ ٥٥ .

العرب من ثمود ، حمش الساقين ممسوح الجاعرتين أخفش العينين ، فقتل سيد الحي عميربن ضابىء .

وقال أبو اليقظان : ومن ولد قيس بن حنظلة : ميجاس وكان يهاجي جرير بن عطية فقال :

وحظ ابن المراغة من تميم كحظ العير من قصب الرهان

وكان عبدالملك بن مروان بعث عبيداً له من الروم إلى أموال كانت له باليمامة ، فنادى بهم الناس وخرجوا على الناس بسيوفهم عاصين ، فقاتلهم بنو قيس بن حنظلة فقتلوهم فقال ميجاس :

ألا يا أمير المؤمنين ألم يكن لما جاهدت قيس بلاء فيعلما
فلا تنس ملقانا من الروم عصبة عصوك وولوا لا يبالون محرما

وولد عمروبن حنظلة ، وهو من البراجم : مُرَّة بن عمرو . وعمرو بن عمرو . وساطي بن عمرو . منهم : عبد قيس بن خفاف بن عبد جريس بن مرة بن عمرو الشاعر، وهو صنم لهم سمي عبدجريس به . وجبيلة بن عبدقيس ، وله يقول أبوه عبد قيس :

أجبيل إن أباك كـاذبُ يومـه فإذا دعيتَ إلى المكارم فاعجل
والله فَـاتَّقِـهِ وأوف بِـنـذره وإذا حـلفتَ بمـأثـمٍ فتـحلل

قال أبو اليقظان : أخذ المرباع من بني عمروبن حنظلة : عبد قيس بن خفاف ، وابنه جبيلة ، وادعوا أنه أخذ المرباع منهم ثلاثة وعشرين رجلاً فقال لهم لبيد بن عطارد : لئن كان أخذ المرباع منكم هذه العدّة ، ولا يعرف العرب منهم غير اثنين إنكم لأشقىٰ الناس ، ولئن ادعيتم كذباً إنكم لأكذب الناس .

قال أبو اليقظان : وبنو عمرو يُسمون بنو جريس وقال جرير وقد ولدوه :

أخوالي الشمّ من عمرو بن حنظلة وما اللئام بنو قيس بأخوالي [1]

يعني قيس بن حنظلة . وسُبِيَتْ رابعة بنت عبدقيس في الجاهلية ، فاستنقذها بنو عمرو بن عدس ، فقال مسكين الدارمي في ذلك :

دعتنا الحنظلية إذ لحقنا وقد حملت على جمل ثقال

فأدركها ولم يعدل شريح وأعوج عند مختلف العوالي [2]

شريح : عمر بن عدس وأعوج : ابنه .

وولد ربيعة بن حنظلة : عَبْدَة بن ربيعة . وعدي بن ربيعة . وكعب بن ربيعة ، وعامر بن ربيعة .

فولد عامر بن ربيعة : مُرَيط بن عامر . وربيعة بن عامر ، ويربوع بن عامر ، ولبيد بن عامر ، وعبدالحارث بن عامر . وعبد عوف بن عامر .

وولد عَبْدَة : زيد بن عبدة ، ووهب بن عبدة . وكعب بن عبدة .

وولد كعب بن ربيعة : مريط بن كعب . ومريض بن كعب . وربيعة بن كعب . وخالد بن كعب .

وولد عدي بن ربيعة بن وائل بن عَبيد بن قَلع - مفتوحة القاف - بن مُصرَّح - وبعضهم يقول مُصرَّح - بن دارم بن عدي وهم بخراسان .

ومن بني ربيعة : أبو بلال مرداس وعروة ابنا أُدَيَّة ، وهي أمهما ، وأبوهما حُدير بن عمرو بن عمرو بن عبد بن كعب بن ربيعة بن حنظلة الخارجيان ، وقد كتبنا خبرهما فيما تقدم .

١ - ديوان جرير ص ٣٤٠ .

٢ - ديوان مسكين الدارمي ص ٦٣ .

ومن ولد أبي بلال باصطخر جماعة . ومنهم : المغيرة ويزيد . وصخر بنو حَبناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبدعوف بن عامر بن ربيعة بن حنظلة الشعراء ، وقد ذكرنا للمغيرة بن حبناء خبراً فيما تقدم ، والمغيرة الذي يقول لأخيه صخر :

أبوك أبي وأنت أخي ولكن تَعاضَلَتِ[1] الطبائع والظروف
وأمك حين تُنْسَبُ أمُّ صدقٍ ولكن ابنها طبع سخيف

وكان بالمغيرة برص ، وشهد يوم نسف بخراسان مع قتيبة ، فاستشهد وله عقب .

وكان يزيد من الخوارج وكانت ابنته عيوف مع قطري ولا عقب له ، وزعموا أن اسم حبناء جبير . قال زياد الأعجم :

إنَّ حبناء كان يدعىٰ جبيراً فـدعوه للؤمـه حبنـاء[2]

ومنهم أبو شهم الخارجي ـ بشين معجمة ـ وهو القائل :

لعمرك إني في الحياة لزاهد وفي العيش إن لم ألق أم حكيم

ويروىٰ الشعر لقطري أيضاً .

ومنهم أبو حُزابة الشاعر[3] وهو الوليد بن حنيفة بن سفيان بن مجاشع بن ربيعة بن وهب بن عبدة بن ربيعة بن حنظلة الذي يقول . .

أنـا أبو حـزابة الشيخ الفان
. . . .

وهو الذي بات عند فاجرة بفارس يقال لها ماهنوش وكانت تؤاجر نفسها بخمسين درهماً ، فأعطاها سرجه فنظر إليه عبدالرحمن بن محمدبن

١ ـ عضل المكان ضاق ، والأرض بأهلها غصت ، وأعضل الداء الأطباء : غلبهم .
٢ ـ شعر زياد الأعجم ص ٦٣ .
٣ ـ بهامش الأصل : أبو حزابة الشاعر .

الأشعث وهو يريد سجستان ، أو حين قدم منها فاعترضه أبو حزابة فقال له :

يا بن قريع كندة الأشج ألا ترىٰ لفرسي في المرج
في فتنة الناس وهذا الهرج وماهنوش ذهبت بسرجي[1]

فقال : وعلى كم سرجك ؟ قال : على خمسين درهماً ، فأمر له بخمسين درهماً فكان يقال : علمُه بماهنوش ريبة . وأبو حزابة الذي يقول حين ولي عبدالله بن علي بن عدي بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزىٰ بن عبد شمس بن عبد مناف سجستان بعد موت طلحة الطلحات .

يا طلح ياليتك عنا تخبر حين أتانا الجعظري الحيدر
أقل من شبرين حين يُشبر قد علم القوم غداة استعبروا
أنْ لم يروا مثلك حين تُقبر فقد أتانا جُرَذٌ مجمر
مثل أبي القمعاء لابل أقصر وخلف يا طلح منك أعور
أنْكَرَهُ سريرُنا والمنبر وقصُرنا والمسجد المطهَّر

وقال أيضاً :

يابن علي بَرَحَ الخفاء قد علم الجيران والأكفاء
أنك أنت النذل اللقاء بنو عليّ كلهم سواء
كأنهم زونية جَرَّاءُ أنت لقبر طلحة الفداء[2]

قال أبو الحسن المدائني قدم على أبي حزابة قوم من أهله من

١ ـ انظر الأغاني ج ٢٢ ص ٢٦٥ حيث رواية أخرى للحكاية نفسها . هذا وتقدم هذا الخبر في ج ٧ ص ٣١٩ .
٢ ـ انظر رواية الأغاني ج ٢٢ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ حيث فوارق كبيرة بالشعر والأعلام .

الأعراب ، فهيأ لهم غداء ، وأُتي بالمائدة ، فوضعت تحت كوة في سطح بيته ، ووثب أعرابي من القوم يريد الخلاء ، فعمد إلى الكوة وهو يحسبها متوضأ ، فإذا الذي خرج منه على المائدة ، فنحيت ونزل الرجل ، فقال : أين غداؤكم ؟ فقال أبو حزابة أفسده علينا عشاؤك . وكان أبو حزابة يقول : أشقى الفتيان المفلس الطروب .

وقدم أبو حُزابة على طلحة الطلحات ، وهو طلحة بن عبد الله بن خلف بن سعد بن مُليح بن عمرو بن ربيعة الخزاعي ، فأخر عطاءه ، وأعطى قوماً من خزاعة ، فقال لأبي حُزابة : نعطيك من صلاتنا ما أحببت سخية بذلك أنفسنا لك ، فقال : لا حاجة لي فيما تعطوني ، ولكن أقيموا علي يومين أو ثلاثة أيام وقال :

مازلت أسعى في هواك وابتغي ... رضاك وأعصي فيك قومي الأدانيا
وأبذل نفسي في مواطن جمة ... وأرجو وأهلي منك ما لست لاقيا
حفاظاً وإمساكاً لما كان بيننا ... لتجزيني يوماً فما كنت جازيا
أراني إذا استمطرتُ منك سحابة ... لترويني عادت عجاجاً سوافيا
رأيتك ماينفك منك رغيبة ... تقصر دوني أو تحل ورائيا
وأدليت دلوي في دلاء كثيرة ... فَأُبْنَ مِلَاءً غير دلوي كما هيا[1]

فبعث إليه بصلته ووهب له جوهراً فقال :

أرى الناس قد ملوا الفعال ولاأرىٰ ... بني خلف إلا جمام الموارد
إذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه ... وَكَأَيِّنْ ترىٰ من نافع غير عائد

في أبيات .

١ـ الأغاني ج ٢٢ ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ مع فوارق .

وقال رجل من قوم أبي حزابة :

مـالـك يـا وليـد كيف تقضي أنـا الـذي سميتـك ابن أرضي

قضية إني كذاك أقضي

وقال أبو اليقظان : من ولد ربيعة بن حنظلة : جبير بن مريض ، كان صاحب الخيل فسابق المرقّع بن العلاء ، فسبقه المرقع فقال :

لئن لم يكن فيكن ما أتقي به غداة الرهان مسهب بن مريض

لينقضـينْ حـد الـربيـع وبيننـا من البحر لجٌّ لايخاض عريض

وجُمْعَتْ خيل الناس حتى كـأنما أرى غنـا حـولي بهنَّ ربـوض

مسهب : فرسه .

قال:ومنهم محمد بن الزبير الحنظلي،كانت له رواية ومنزلة من عمر بن عبد العزيز .

وولد الظليم بن حنظلة ، وهو من البراجم : مرة بن الظليم . وشجنة بن الظليم . وربيعة بن الظليم . والعنبر بن الظليم . منهم : الحكم بن عبدالله بن عطاء الذي يقول :

لو كنتُ جار بني هند تداركني عوف بن نُعمان أو عمران أو مطر

قال ابن الكلبي : والناس يروون هذا البيت لابن مفرّغ ، وليس هو له .

وولد غالب بن حنظلة : مُعرض الذي يقول الشاعر في ابنته :

ألا ليتني لم أدْرِ ما ابنة مُعرضٍ وليت فؤادي لم تصبـه سهامهـا

غذتها ابنة الحشحاش وهي رقيقة بخـير غذاء فهي جمّ عـظامها

ومن ولد غالب بن حنظلة : عمران بن الفضيل ، ويكنى أبا الهذيل .

ولما انقضىٰ أمر الجمل خرج حسكة بن عتاب الحبطي ، وعمران بن الفضيل في صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق من سجستان ، وقد كفر أهلها ، فأصابوا مالاً وخافهم صاحب زرنج فصالحهم ودخلوها فقال الراجز :

بشّر سجستان بجوع وحرب   يابن الفضيل وصعاليك العرب
لا فضة تقيهم ولا ذهب

والهُذيل بن عمران بن الفضيل كان من أشراف أهل البصرة ، وكان ينادم بشر بن مروان ، وكان يقال له سيد العراق وقال فيه الراجز :

يـأيها السـائـل في الآفـاق   هـذا الهذيـل سيد العـراق

وخرج على الحجاج برستقاباذ فقتله وصلبه ، وقد ذكرنا خبر رستقاباذ فيما تقدم .

وهَيَّاج بن عمران الذي يقول له الشاعر :

فمن يك أمسىٰ حامداً لابن عمه   فـإني لهيّاج بن عمـران لائم

وكان هياج على مرو الروذ من قبل سلم بن زياد .

وبسطام بن عمران الذي يقول لعمرو بن غِفري الضبي :

ما بيننا يـا عمرو في البيت خلة   ولكنني في السـوق خـير خليـل
وأنت امـرؤ نبئتُ أنك تهتـدي   وإن لم يكن لجم بغـير دليـل
وما لك عندي إن أردت زيارتي   شراب ولا ظـل فـأين تقيـل

ورآه ابن غِفري في السوق يوماً فقال : زعمت أنك في السوق خير خليل فاشتر لي هذا الجمل فاشتراه له ، وكان بسطام أصاب في بعض الفتن مالاً فقسمه

في قومه وله يقول أبو حزابة :

هل لك في شيخ أتاك مُعْتامْ لم يَلْقَ خيراً بعد عام بسطام

وولد قيس بن مالك بن زيد مناة بن تميم وهو أحد الكردوسين : شَهبرة بن قيس . وسهم بن قيس . وربيعة بن قيس ، وسميا الكردوسين لأنهما كانا ينزلان معاً . ومعاوية بن مالك بن زيد مناة الكردوس الآخر .

وولد ربيعة بن مالك بن زيد مناة : كعب بن ربيعة . وكعيب بن ربيعة ، وأمهم بُنانة بنت مُجَفِّر بن كعب بن العنبر . وعبيد بن ربيعة ، وأمه مُكرّمة من بني ضبيعة بن ربيعة . والحارث بن ربيعة ، وأمه السعدية . وعمرو بن ربيعة ، وأمه من بني الهجيم .

ومنهم علقمة وشأس ابنا عَبَدة بن ناشرة بن قيس بن عُبيد بن ربيعة ، وكان علقمة أشعر أهل زمانه ، وكان في عصرِ امرىء القيس بن حجر .

ومنهم أسود بن عبس بن أسماء بن وهب بن رياح بن عُوذ بن منقذ بن كعب بن ربيعة بن مالك ، وفد على النبي ﷺ فقال : أتيتك أتقرب إليك فسمي المتقرب .

ومنهم حميد بن الأُرَيقط بن خالد بن المرقع من ولد كعيب بن ربيعة بن مالك ، ويقال إنه من بني حنظلة ، وكان قد نزل به ضيف فأكل أكلاً شديداً فقال :

حميد أتانا وما داناه سحبان وائل بياناً وعلماً بالذي هو قائل
فما زال عند اللقم حتى كأنه من العيّ لما أن تكلم باقل

وكان حمد مع الحجاج . وعَيلان الربعي الراجز من رهط الحارث بن ربيعة .

قال الكلبي : فربيعة بن مالك بن زيد مناة . وربيعة بن حنظلة . وربيعة بن مالك بن حنظلة يسمون الربائع في بني تميم :

ومن بني ربيعة بن مالك : علقمة بن سهل الخصي أبو الوضاح ، الذي شهد على قُدامة بن مظعون بشرب الخمر وهو القائل حين احتضر :

يقول رجال من صديق وحاسد نراك أبا الوضاح أصبحت باليا
فـلا يعدم البـانون بيتـاً يكنهم ولا يعـدم الميراث بعـدي واعيـا
وجفّت عيـون البـاكيـات وأقبلوا إلى مالهم إذ بنت منهم وماليا
حراصاً على ماكنت أجمعه لهم هنيئاً لهم جمعي فما كنت وانيا

وكان ذا يسار ، وكان أسر باليمن في الجاهلية فهرب ، ثم ظفر به فخصي ومات بالبحرين ، ويقال إن بني الحارث بن كعب نفّروا به بعيره فسقط فمات .

وكان حماد بن سلمة من موالي بني ربيعة .

نسب بني سعد بن زيد مناة بن تميم

وولد سعد بن زيد مناة عشرة نفر : كعب بن سعد . والحارث بن سعد . وعمرو بن سعد . وعُوافة بن سعد ، وأمهم تَنْهَاه بنت الحارث بن تميم أخت شقرة ، واسم شقرة معاوية بن الحارث بن تميم . وجُشم بن سعد وأمه الورثة بنت جُشم بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . وعبشمس بن سعد ، وأمه الصدوف بنت الأحمر بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة . ومالك بن سعد . وعوف بن سعد ، وأمهما رُهم بنت الخزرج بن زيد اللات بن رُفَيدة بن ثور بن كلب . وهبيرة بن سعد ، ونجدة درجا ، وأمهما الناقمية وأخوهما لأمهما صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وغُبَر بن ثعلبة بن غنم بن حُبَيب بن كعب بن يشكر بن وائل .

قال هشام ابن الكلبي : أتى ثعلبة بن غنم رقاش الناقمية ، فأراد أن يتزوجها فقيل له : ما ترجو منها ؟ فقال : لعلي اتغبر منها غلاماً فتزوجها فولدت له غلاماً فسماه غُبَر ، فيقال لهؤلا كلهم الأبناء غير كعب وعمرو .

فولد كعب بن سعد : عوف بن كعب . وعمرو بن كعب . وحرام بن كعب . وربيعة بن كعب . وعبد العزى بن كعب . ومالك بن كعب ،

وأمهم عُدَيَّة بنت مِخضب بن زيد بن نهد بن زيد بن قضاعة . وجشم بن كعب . وعبشمس بن كعب ، ويقال عبد شمس بن كعب وهو الثبت ، وأمهما الخذعة بنت معاوية بن مالك بن زيد مناة بن تميم . والحارث الأعرج أصيبت رجله في حربهم فقال شاعرهم :

لا نِعْقِلُ الرِّجْلَ ولا نُدِيها حتى نرى داهية تنسيها

وأمه الصمّاء بنت عُتوارة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . فمالك وكعب ، أو عوف وكعب يقال لهما المزروعان ، سميا بذلك لكثرة عددهما وكثرة أموالهما .

والأجارب سبعة وهم: ولد كعب كلهم غير عمرو، وعوف مخرام، وعبد العزى أبو حِمّان ، ومالك . وجشم . وعبد شمس والحارث . أجارب وهم البطون .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه قال : التقت قبائل من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وقبائل من بني عمرو بن تميم بتياس[1] لطوائل بينهم ، فاقتتلوا فقطع مالك بن مازن بن عمرو بن تميم رجل الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، فسمي الحارث الأعرج ، فطلبت سعد القصاص فأقسم غيلان المازني ألا يعقلها ولا يقصها حتى تُحشى عيناه تراباً وقال :

لا نَعْقِلُ الرِّجل ولا نُديها حتى يروا داهية تنسيها

ثم التقوا فاقتتلوا فجرحوا غيلان فأثبتوه فجعل يدخل البوغاء[2] في عينيه ويقول : تحلل غيل ، حتى مات .

١ ـ تياس : ماء للعرب بين الحجاز والبصرة ، وقيل تياس : جبل قريب من أجأ وسلمى جبلي طيّء ، وقيل جبل بين البصرة واليمامة ، وهو إلى اليمامة أقرب . معجم البلدان .
٢ ـ البوغاء : التربة الرخوة كأنها ذريرة . القاموس .

وكان رئيس بني عمرو بن تميم كعب بن عمرو ولواؤه مع ابنه ذؤيب بن كعب بن عمرو ، فقال ذؤيب :

يــا كعب إن أخــاك مختنق ان لم تكن بك مرة كعب
أتجود بالدم ذي المضنة في الجُلّى وتلوي الناب والصقب[1]

يقول : أَبَيْتُم عقل رجل الحارث ووهبت دم غيلان .

الآن إذ أخــذت مآخــذهــا وتبــاعــد الأسبــاب والقــرب
انشــأت تطلب خــطة غبناً وتــركتهــا وَمَسَــدّهــا رأب
جانيك من تجنى عليه وقد تعدي الصِحاح مبارك الجرب[2]

يريد مباركاً ولكنه لا يجري .

قال هشام : ترك كعب دم أخيه فوهبه ، فلذلك قال ابنه ما قال .

قالوا : وفي يوم تياس قتل بنو مازن قيساً أبا الأحنف .

فولد عمرو بن كعب بن سعد : مُقاعس بن عمرو واسمه الحارث . ووديعة بن عمرو ، درج ، وأمهما الصَّماء بنت عُتوارة ، خلف عليها بعد أبيه . فولد مقاعس : عُبيد بن مقاعس ، وأمه تنهاه بنت مخدج بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة : وكان عُبيد محمَّقاً . وصَريم بن مُقاعس . وأصرم بن مقاعس . وعُمير بن مقاعس . ورُبَيْع بن مقاعس ، وأمهم ابنة قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة .

فمن بني رُبَيْع : حنظلة بن عرادة الشاعر الذي يقول :

أنا ابن عرادة الحامي ربيعاً إذا ما شاعر يوماً هجاهــا

---

١ ـ الصقب : ولد الناقة . والناب : الناقة المسنة . والجلّى : الأمر العظيم . القاموس .
٢ ـ انظر النقائض ج ٢ ص ١٠٢٥ ـ ١٠٢٦ .

ومرة بن مِحكان كان القُباع ضربه فقال :

عمدت فعاقبت امرأً كان ظالماً فألهب في ظهري القُباع وأوقدا
سياطاً كأذناب الكلاب معدةً إذا أخلق السوط المحدرج[1] جددا

قال أبو اليقظان : كان مرَّة سيد بني رُبَيْع ، قتله صاحب شرط مصعب بن الزبير وكان من أصحاب الجُفرة ، وكان شاعراً وهجاه الفرزدق فقال :

تُرَجِّي رُبَيْع أن تجيء صغارها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها
عتلُّون[2] صَخّابو العشيِّ كأنهم لدى القوم عرصان شديد نعارها
كأن ربيعاً من حماية منقر أتان دعاها فاستجابت حمارها[3]

ومعن بن مرة بن مِحكان الذي يقول فيه أبو مرة :

فإن تحسب الأعداء إن غبت عنهم وأُورثتَ مَعْنَاً أنَّ حربي كَلَّتِ

وبعث الحجاج بن يوسف مَعْنَاً إلى رجل جمع جمعاً بأصبهان وخالف ، فأتاه فظفر به ، ولا عقب لمرة بن مِحكان .

ومنهم : السموءل بن حنظلة بن عرادة وفيه يقول أبوه :

ما للسموءل أبدى الله عورته خَلَّى أباه طويل الهم وأدَّلَجَا
مجعٌ سباتٌ يعاطي الكلب مطعمه إذا رأى عورةً من جاره ولجا

قال : المجع : الماحق . والسبات : الخبيث المنكر .

ومن بني رُبيع : عَسْعَس بن سلامة ، وكان يكنى أبا صفرة ، وكان له بالبصرة قدر وفضل .

---

١ ـ حدرج : فتل . القاموس .
٢ ـ العتل : الجافي الغليظ .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٧٢ مع فوارق .

قال أبو اليقظان : وكان يقال لبني دينار من بني رُبيع ركبة القلوص ، جاؤوا مترادفين على قلوص فدخلوا عُمان ، ولا يدري من أين جاؤوا .

ومنهم : خليف بن عقبة وكان ظريفاً ، وإليه تنسب الفالوذجة الخليفية بالبصرة .

فولد عُبيد بن مُقاعس : مِنقر بن عُبيد . وعوف بن عُبيد . ومرة بن عُبيد . وعامر بن عُبيد ، وأمهم نُعْم بن عُمير بن عبشمس بن سعد . وزيد بن عُبيد . ونجدة بن عُبيد . وأسعد بن عُبيد ، وأمهم صفية بنت حِمّان بن عبد العزى بن كعب بن سعد . وعبد عمرو بن عُبَيد ، وأمه هند بنت محلم بن جشم بن كعب بن سعد .

وكان عُبيد بن مقاعس ضعيف العقل محمقاً .

قال ابن الكلبي : فبنو عُبيد بن مُقاعس ، واسمه الحارث ، يدعون اللُّبدُ غير بني منقر ، وإنما سموا اللبد لأنهم تلبدوا على بني مرة بن منقر ومعهم الشُعَيْراء . وبعضهم يقول اللِّبد - بكسر اللام - وقال سمي الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد مقاعساً ، وقيل ان بني مقاعس جعلوا شعارهم مُقاعساً فسموا مُقاعساً .

وولد منقر بن عبيد بن مقاعس : خالد بن منقر الذي قتله بنو شيبان ، حين غزوا بني سعد ، يوم أداد ، فقال أبو مسهر أصرم بن ثعلبة :

صدمنا تميماً صدمة طحطحتهم ... وأخرى حككناها بحيٍّ إياد
وأوطأت ذلّاً منقراً في ديارها ... غداة قتلنا خالداً بأداد

وأسعد بن منقر . وجرول بن منقر . وجندل بن منقر . وصخر بن منقر . وفقيم بن منقر . وعوف بن منقر . ومرة بن منقر . وأقيش ، وأمهم

رقاش بنت عامر بن العَصَبَة بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، وفيهم يقول النابغة :

كأنك من جمال بني أقيش ... يقعقع خلف رجليه بشنٍّ[1]

وقال غير ابن الكلبي عنى بني أقيش بن عكل .

وقال غير الكلبي ولد منقر أيضاً : حَزن بن منقر وهم قوم القُلاخ بن حزن السعدي الذي يقول :

إني امرؤ لم أتوسع بالكذب ... ولم يكن ذلك من رأي ولُبّ

إن أبي حزنا بنى لي في الحسب ... مساعي الخير فمن يخبث يطبّ

وهو القائل أيضاً :

والله لولا النار أن نصلاها ... أو يدعو الناس علينا الله

لما أطعنا لأمير فاها ... ما خطرت سعد على قناها

قال : ومن ولد حزن : محرز بن حُمران وابنه جَيْهَان بن محرز ، وأمه ابنة قيس بن عاصم ، وكان محرز وجيهان مع عدي بن أرطاة الفزاري في قتال يزيد بن المهلب ، فحمل رجل على جَيْهَان فاستنقذه معاوية بن أبي سفيان بن زياد بن أبي سفيان فقال الفرزدق :

دعا ابن أبي سفيان والخيل دونه ... تثير عجاجاً بالسنابك ساطعا

فكر إليه مثل ما كرّ مخدر ... من الأسد تحمي واردات شوارعا[2]

ومن بني منقر : ورد الطعان بن حبيب كان بخراسان .

ومنهم : جعفر بن جِرْفاس ، كان عابداً ، قال الحسن : «لا أرى مثل

١ - ديوان النابغة الذبيان ص ١٢٣ .

٢ - ليسا في ديوانه المطبوع .

جعفر بن جرفاس» . وجعفر بن زيد وهو رجل من عبد القيس .

ومن بني منقر : قيس بن عاصم[1] بن سنان بن خالد بن منقر ، وقد رأس ووفد على النبي ﷺ ، فقال : «هذا سيد أهل الوبر» .

وكان الأحنف بن قيس يقول : انما تعلمت الحلم من قيس بن عاصم أتي بقاتل ابنه[2] فقال ذعرتم الفتى وأقبل عليه فقال : يا بني لقد نقصت عددك ، ووهنت ركنك ، وفتت في عضدك وأشمتَّ عدوك ، وأسأت بقومك ، خلوا سبيله . وما حلّ حبوته ولا تغير وجهه .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : جاور قيس بن عاصم ديافي[3] يتجر في أرض العرب فربطه ، وأخذ متاعه ، وشرب شرابه حتى جعل يساور النجم يريد زعم يتناوله ويتناول القمر وقال :

وتاجر فاجر جاء الإله به كأن عثنونه أذناب أجمال

ثم قسم صدقة النبي ﷺ في قومه وقال :

ألا أبلغا عني قريشاً رسالة إذا ما أتتهم مهديات الودائع
حبوت بما صدقت في العام منقراً وآيست منها كل أطلس طامع

وقال غير أبي عبيدة كان قيس بن عاصم يكنى أبا علي . ولما فعل بالديافي ما فعل وسكر جعلِ مال نفسه نهباً فلم تزل امرأته تسكنه حتى نام ، فلما أصبح وأخبر ما كان منه قال : لا يدخل الخمر بين أضلاعي أبداً .

وولي قيس على عهد رسول الله ﷺ صدقات مُقاعِس والبطون ، وكان

١ ـ بهامش الأصل : قيس بن عاصم المنقري رحمه الله .

٢ ـ القاتل لابنه ابن أخ له . الأغاني ج ١٤ ص ٧٤ .

٣ ـ دوف : الخلط والبل بماء ونحوه ، ودياف من قرى الشام ، وقيل من قرى الجزيرة . معجم البلدان . القاموس .

الزبرقان بن بدر قد ولي صدقات عوف والأبناء ، فلما توفي رسول الله ﷺ وقد جمع كلّ واحد من قيس والزبرقان صدقات من ولي قَبْضَ صدقته دس إليه الزبرقان فخدعه ، فقال : يا أبا علي إن النبي قد توفي فهلم نجمع هذه الصدقة ونجعلها في قومنا ، فإن استقام الأمر لأبي بكر وأدت إليه العرب الزكاة جمعناها الثانية وأديناها ، فقال : صدقت ، ففرق قيس الإبل في قومه وانطلق الزبرقان بسبعمائة بعير إلى أبي بكر وقال :

وفيت بأذواد النبي محمد وكنت امرأً لا أفسد الدين بالغدر[1]

وقال أيضاً :

لقد علمت قيس وخندف أنني وفيت إذا ما فارس الغدر أنجما[2]

فلما عرف قيس بن عاصم ما كاده به الزبرقان قال : لو عاهد الزبرقان أمه لغدر بها .

وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب العبشمي :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته إن شاء أن يترحما
سلام امرىء جللته منك نعمة إذا زار عن سخط بلادك سلما
فما كان قيسٌ هَلْكُهُ هَلْكُ واحدٍ ولكنه بنيان قوم تهدما

وحدثني ابن الاعرابي قال:قيل لقيس : بماذا سدت ؟ فقال : بثلاث بذل الندى ، وكف الأذى ، ونصرة المولى .

حدثني العمري عن الهيثم ، وذكره أبو الحسن المدائني قال : كان

---

١ ـ شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ـ ط . بيروت ١٩٨٧ ص ٤٢ .
٢ ـ شعر الزبرقان بن بدر ص ٥٥ ، وفيه «أحجما» . وأنجم المطر وغيره : أقلع . القاموس .

قيس يقول لبنيه : إياكم والبغي ، فما بغى قوم قط إلا قلوا وذلوا ، فكان الرجل من بنيه يلطمه بعض قومه فينهى إخوته أن ينصروه .

وروي عن قيس بن عاصم أنه قال : أتيت رسول الله ﷺ فرحّب بي وأدناني فقلت : يا رسول الله ، المال الذي لا يكون عليَّ فيه تبعة لضيف إن ضافني ولعيال إن كثروا عليّ ؟ قال : «نعم المال الأربعون والكنز الستون ، ويل لأصحاب المئين ويل لأصحاب المئين ثلاثاً إلا من أعطى من رسلها ، وأطرق فحلها وأفقر ظهورها ومنح غزيرتها ، وأطعم القانع والمعتر» . فقلت : يا رسول الله ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها إنه لا يُحَل بالوادي الذي فيه إبلي من كثرتها قال : «فكيف تصنع في الأطراق» ؟ قلت : يغدو الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به . قال : «فكيف تصنع في الأقفار» ؟ قلت : إني لأقفر الناب المدبرة والضرع الصغيرة . قال : «فكيف تصنع في المنيحة» ؟ قلت : إني لأمنح في السنة المائة . فقال ﷺ : «إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، ولبست فأبليت ، وأعطيت فأمضيت» ، فقلت : والذي بعثك بالحق لئن بقيت لأدعنها قليلاً عددها .

وكان إسلام قيس حسناً ، وقيل له بماسدت ؟ فقال : ببذل القرى ، وترك المراء ، وكف الأذى ، ونصرة المولى .

قالوا وقيس بن عاصم الذي حفز الحارث بن شريك الشيباني بطعنة في استه يوم جَدُود فسمي الحوفزان .

وكان من حديث يوم جدود[1] أن الحارث بن شريك بن عمرو بن

---

١ ـ بهامش الأصل : يوم جدود ، وفي معجم البلدان : جدود : اسم موضع في أرض بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سمت اليمامة .

قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان كانت بينه وبين سليط من بني يربوع موادعة ، ثم همّ بالغدر بهم وجمع بني شيبان وذهلاً واللهازم ، وهم بنو قيس بن ثعلبة ، وبنو تيم الله بن ثعلبة ، وعجل ، وعنزة ، ثم غزا وهو يرجو أن يصيب من بني يربوع غِرَّةً ، فلما أتى بلادهم نذر به عُتيبة بن الحارث ، فنادى في بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فحالوا بين الحارث بن شريك وبين الماء ، فقال لعتيبة : يا أبا حزرة قد عرفتم الموادعة بيننا وبين بني سليط ، فهل لكم إلى أن تسالموا فوالله لا نروع بني يربوع أبداً .

فأغار الحارث بن شريك على بني رُبَيع بن الحارث ، وهو مقاعس وإخوته من بني مقاعس ، وهم بجدود ، فاستغاثوا ببني يربوع فلم يجيبوهم ، وقال قيس بن مقلد الكليبي لبني رُبَيع .

أمِنكُم علينا منذرٌ لعدونا وداع لنا يوم الهياج مُنَدّد

فقلت ولم أسرَّ بذاك ولم أسأ أَسَعْدُ بن زيد كيف هذا التودُّد[1]

فأتى صريخ بني مقاعس بني منقر بن عبيد فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم حار ، فما شعر الحرفزان إلّا بالأهتم بن سُميّ بن سنان بن خالد بن منقر ، واسم الأهتم سِنان ، واقفا على رأسه ، فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهتم : من أنت ؟ قال : أنا الأهتم بن سُميّ وهذه منقر قد أتتك ، قال الحوفزان : فأنا الحارث بن شريك بن عمرو ، وهذه رُبَيْع قد حويتها . فنادى الأهتم : يال سعد ونادى الحارث الحوفزان : يال وائل ، وحمل كل واحد على صاحبه

١ ـ النقائض ج ١ ص ٣٢٦ .

ولحق بهم بنو منقر فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ، ونادت نساء بني رُبَيع : يال سعد فاشتد قتال بني منقر لصياحهن ، فهزمت بكر بن وائل ، وخلوا من كان في أيديهم من بني مقاعس ومن أموالهم ، وتبعتهم بنو منقر فمن قتيل وأسير ، وأسر الأهتم حُمران بن عبد عمرو ، ولم يكن لقيس بن عاصم هِمَّة إلا الحارث بن شريك ، والحارث على فرس له قارح يدعى الزبد ، وقيس بن عاصم على مهر فخاف أن يسبقه الحارث بن شريك فحفزه قيس بالرمح في استه فبحفزته سمي الحوفزان ، فنجا ، ورجع بنو منقر بأموال بني رُبَيع وسبيهم وبأسارى بكر بن وائل وأسلابهم .

فذكر بعض الرواة أن طعنة الحوفزان انتقضت به بعد سنة فمات ، وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم :

جزى الله يربوعاً بأسوأ سعيها إذا ذُكرت في النائبات أمورها
ويوم جَدود قد فضحتم ذماركم وسالمتم والخيل تدمى نحورها
ستحطم سعد والرباب أنوفكم كما حزّ في أنف القصيب[1] جريرها

في أبيات ، وقال الأهتم في أسره حمران :

تمطتَّ بحمران المنية بعدما حشاه سنان من شراعة أزرق
دعا يال بكر واعتزيت بمنقر وكنت إذا لاقيت في الحرب أَصْدُق

وقال سوّار بن حيان المنقري

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا
وحمران قسراً أنزلته رماحنا فعالج غلّاً في ذراعيه مقفلا

وبنو تميم يزعمون أن الحوفزان أغار على بني رُبَيع بن مُقاعس فأصاب

---

١ ـ بهامش الأصل : ناقة معتصبة . وفي النقائض ص ٣٢٧ . القضيب : الناقة التي لم تُرض .

نسوة وهن خلوف وإبلا ، فأتى الصريخ بني سعد ، فركب قيس بن عاصم في بني سعد فأدركوه فاقتتلوا وذلك في يوم شديد الحر .

وقال معمر بن المثنى : التقى مالك بن مسروق الربيعي ، وشهاب بن ربيعة بن جَحدر أبو السامعة فقال مالك : من أنت ؟ قال :

أنا شهاب جحدر أطعنهم عند الكر
تحت العجاج الأكدر

فقال مالك :

انا ابن مسروق بن غيلان ومعي سنان حران
وإنما جئت الآن أقسمت لا ثؤبان

ثم شد عليه فقتله .

وأغار قيس بن عاصم ببني كعب بن سعد على اللهازم بالنباج وثيتل ، فتخوف أن يكره أصحابه لقاء بكر بن وائل وتناجوا في ذلك فشق مزادهم ليلاً لئلا يجدوا بداً من لقاء القوم ، فلما فعل أذعنوا للقائهم وصبروا له فأغار عليهم ، وكان أشهر يوم لبني سعد ظفرت منه سعد بما شاءت ، فقال علي بن قيس بن عاصم

أنا ابن الذي شق المزاد وقد رأى بثيتل أحياء اللهازم حُضَّرا
فصبَّحهم بالجيش قيس بنَ عاصم وكان إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقال سوار بن حيان :

ومالك من أيام صدق تعدها كيوم جواثا والنباج وثيتلا

وقال قيس بن عاصم :

ويوم جواثا والنباج وثيتل منعنا تميماً أن تباح ثغورها

وأغار قيس بن عاصم ببني سعد على عبد القيس بجواثا ، ويقال كان رئيس بني سعد يومئذٍ سنان بن خالد ، وجواثا من أرض البحرين ، فأصابوا ما أرادوا فيها يزعم بنو مِنقر فقال سوار بن حيان :

ومالك من أيام صدقٍ تعدها كيـوم جـواثـا والنبـاج وثيتـلا

ويقال أرادوا أن يفعلوا ببني تميم كما فعل بهم بالمشقر حين أصفق عليهم بابه فامتنعوا .

قالوا : وكان على بني سعد يوم الكلاب الثاني قيس بن عاصم ، فوقع بينه وبين سنان ـ وهو الأهتم ـ اختلاف في أمر عبد يغوث بن وقاص بن صلاه الحارثي حين أسره ابن أُبير التيمي ، وهو عصمة بن أُبير ، ودفعه إلى الأهتم في يوم الكلاب في الحرب ، ويقال في يوم آخر من أيامهم .

ومما يذكر عن قيس أنه قال لولده حين حضرته الوفاة : يابني إذا متُّ فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم فيستسفه الناس كباركم ، وعليكم باصلاح المال فإنه مَنْبَهَةٌ للكريم وغنىً عن اللئيم ، وإذا متُّ فادفنوني في ثيابي التي كنت أصلّي وأصوم فيها وإياكم والمسألة ، فإنها آخر كسب الرجل ، وإن امرأً لم يسأل إلاَّ ترك مكسبةً ، واذا دفنتموني فاخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خُماشات في الجاهلية .

فولد قيس بن عاصم : طَلبْة بن قيس ، وأمه جميلة بنت خُفاف من بني عبشمس بن سعد . وسُويد بن قيس . وشمّاخ بن قيس ، وغيرهم أمهم ابنة فَدَكي بن أعبد ، وكان جميع ولد قيس ثلاثة وثلاثين ابناً ، وكان طلبة سخياً ولما مر بسر بن أبي أرطاة ببلادهم تنحوا عن طريقه فأصاب غيرهم من بني عوف بن كعب ، لأن طلبة نحاهم فقال الشاعر :

لعمرو أبيك يا وبر بن قيس لقد آويت معترك الملام
ولم تفعل كما فعل ابن قيس وعرق الصدق بالأقوام نام
سرى بمقاعس وتركت عوفا ونمت ولم ينم ليل التمام

وَبَره : رجل من بني قريع ، ويقال اسمه وَبْر .

وكان مقاتل بن طلبة شريفاً شاعراً وقد ذكرنا أمره حين أوفده إبراهيم بن عربي في كتابنا هذا .

وحُدثت أن رجلاً من بني سُحَيم من بني حنيفة تزوج ابنة مقاتل ، وكان شيخاً يقال له بدر فزعموا أنه افْتَضَّهَا باصبعه فخاصمه أبوها وقال :

ما لسُحَيم ناقد الله بينها تنيك بأيديها وتعيا أيورها

وقال أبو الحويرث السحيمي :

هتكنا عجان المنقرية بالتي أبونا لجيم كان لا يستعيرها
ونحن ثقبناها بكل مثقفٍ وكل كمُهَدْاةٍ بطيءٌ فتورها
مقاتل فاسبرها ببيض نعامة فإن هي لم تدخل فأنت أميرها

وكان بُردة بن مقاتل فاجراً يتعبث بالنساء وهو القائل :

وما العيش إلا في الزناء وقهوةٍ كانت لكسرى في الزمان الأول

وذكروا أنه عمد إلى أمةٍ لبني حمَّان فكان يأتيها في سرب له فولدت منه شملة اللص ، فطلبه بنو حمان فاشتراه منهم بعشرين بعيراً ، فكانت تقول لعمرة امرأة بُردة :

وما ذَنْبُنَا يا عمرو إن كنت عاشقاً وبردة عما سَرَّ نفسك طامح

وقتل شملة رجل يقال له سنان بعثه إليه محمد بن سليمان بن علي .

وكان هشام بن طلبة شاعراً وكان يهجو بني حمان ، وهو القائل :

كـأنَّ رؤوس حمَّان بن كعبٍ   علـى الأحفـاظ جُعْـلانٌ تـطير

وقالت امرأة من ولد طلبة تزوجها يزيد بن هبيرة المحاربي أو غيره ، وحملها إلى اليمامة :

لقد كنت عن حجر بعيداً فساقني   صروف النوى والسائقات إلى حجر
يقولون فرش من حرير وإنما   أرى فرشهم عندي كحامية الجمر
وإني لأستحيي تميماً وغيرهـا   لإنكاحهم إياي عند بني جسر

ومنهم عبد الله بن الأهتم . وعمرو بن الأهتم[1] بن سميّ بن سنان بن خالد بن منقر ، وأم سنان تميمية ، وكان الأهتم يكنى أبا مالك ، وأم سميّ من بني أُهيجم ويقال إنها عَفْرة سبيت من الحيرة وهي حامل ، قال قيس بن عاصم في ذلك :

نحن سبينـا أمكم مُقـرَّبـا   يوم صبحنا الحيرتين المنون
جاءت بكم عَفْرة من أرضها   حيرية ليست كما تزعمـون
لـولا دفـاعي كنتم أَعْبُـداً   منـزلها الحـيرة فـالسيلحـون

ووفد عمرو إلى النبي ﷺ .

حدثنا أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب عن سلم بن زياد عن عتيبة بن عبد الرحمن بن جوشن عن أبيه أن النبي ﷺ قال لعمرو بن الأهتم : «أخبرني عن الزبرقان بن بدر» ؟ قال : مطاع في أُذْنَيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره ، فقال الزبرقان : يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر من هذا ولكنه حسدني ، فقال عمرو : أما والله يا رسول الله إنه لزِمر[2]

١ ـ بهامش الأصل : عمرو بن الأهتم رحمه الله ، وقصته مع الزبرقان .
٢ ـ زمر : قليل المروءة . القاموس .

المروءة ، ضيق العطن ، أحمق الوالد ، لئيم الخال ، وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية ولكني رضيت فقلت أحسن ما أعلم ، وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم . فقال النبي ﷺ : «إن من البيان لسحراً وان من الشعر لحكما» .

وكانت أم عمرو ابنة فَدَكي بن أُعْبَد .

ووجه الحكم بن أبي العاص الثقفي عَمْراً إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بفتح راشهر وقيل شهرك ، وكان الذي لقيه سَوّار بن همّام العبدي وكان على مقدمة الحكم فقال عمرو :

جئت الإمام باسراع لأخبره   بالحقّ من خبر العبديّ سوَّار
أخبار أروع ميمون نقيبته   مستعمل في سبيل الله مغوار[1]

وذكروا أن عمراً كان يدعى في الجاهلية المكحل لجماله ، وكان من شعراء بني تميم وهو القائل :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها   ولكن أخلاق الرجال تضيق
نمتني فروع من زرارة وابنه   ومن فدكي والأشد عُروق
دعائم يرفعن الفتى في أرومة   يفاعٍ وبعض الوالدين دقيق[2]

وتزوج الحسن بن علي رضي الله عنهما أم حبيب بنت عمرو لجمال أخيها نُعيم بن عمرو ، فلما رآها قبيحة طلقها ، وفي نعيم يقول عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

قل للذي كاد لولا خط لحيته   يكون أنثى عليها الدُّر والمسك

١ ـ شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ص ٨٧ .
٢ ـ شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ص ٩٥ .

هل أنت إلا فتاة الحي إن أمنوا   شراً وأنت إذا ما حاربوا دُعَكُ[1]

وقال الآخر :

حسين أبا الفياض أطول أمّةً   وأحسن وجهاً من نعيم الأهاتم

وكان قطن بن عمرو بن الأهتم فارساً شجاعاً ، وأخذه عبدالله بن خازم بخراسان فحبسه ثم اغتيل فهلك في محبسه ، وفيه يقول الحريش بن هلال القُريعي :

إذا ذكر القوم الكماة تبادرت   عيون بني سعد على قطن دما

على فارس لا يسقط الروع رمحه   إذا كان أصوات الكماة تغمغما

وكان ربعي بن عمرو من رجال بني تميم ، وكان ذا قدر ، وفيه يقول إياس بن قتادة :

وما كان ربعيٌّ ليفعل مثلها   بمثلي ولا عمرو بن قيس بن عاصم

وكان زياد بن عمرو فارساً شاعراً ، وهو الذي يقول :

لولا طعانيَ بالبُوقان ما رجعتْ   منها سرايا ابن جزيّ بأسلاب

وكان بالسند مع جزي بن جزي الباهلي ، ويقال هو عبد الرحمن بن جزي بن جزي .

ومن بني عمرو بن الأهتم : أبو بَشير وكان يلقب أبا الزقاق ، وقال بعضهم اسمه كشير ، قتله قتيبة بن مسلم بخراسان .

حدثنا علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة قال : ولى قتيبة بن مسلم عبدالله بن عبدالله بن الأهتم ، وهو أبو خاقان مرو وغزّاه ، فأتاه أبو الزقاق فقال : إنك قد انبسطت إلى عبدالله وهو شرير حسود فلا تأمنه على أن

١ ـ خصم مداعك : ألد . القاموس .

يغولك فيفسدنا معشر آل الأهتم عندك فقال له قتيبة : ما قلت هذا إلا حسداً لابن عمك . قال : فليكن عذري عندك محفوظاً ، وغزا قتيبة فكتب عبدالله إلى الحجاج يسعى به فيما صار إليه من المال فبعث الحجاج بكتابه إلى قتيبة وجاء الرسول حتى نزل السكة بمرو فأَحَسَّ عبدالله بالشر ، فهرب ولحق بالشام فمكث يبيع الخُمر والكنانات في رزمة على عنقه يطوف بها ، ووضع خرقة وقطنة على عينه وعصبها فكان كالأعور ، واكتنى أبا طيبة ، وباع أيضاً الزيت ، ولم يزل كذلك حتى هلك الوليد بن عبد الملك وولي سليمان فأمنه فألقى عنه الدنس والخرقة ثم قام بخطبة هنأ فيها سليمان بن عبد الملك وقرظه ، ووقع في الحجاج وقتيبة فتفرق الناس وهم يقولون : أبو طيبة الزيات أخطب الناس .

ولما انتهى كتاب عبدالله بن عبدالله الذي بعث به الحجاج إلى قتيبة بعد هرب أبي الزقاق وقد فاته عبدالله بنفسه عكر على بني عمه فقتلهم ، وفيهم شيبة أبو شبيب وأبو الزقاق فقال أبو الزقاق : اذكر عذري عندك ، قال : انك قدمت رجلاً وأَخَّرْتَ رجلاً يا عدو الله وقتله .

ومنهم خالد بن صفوان[1] بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم ، واسمه سنان بن سُمّي بن سنان بن خالد بن منقر الخطيب .

وقال غير الكلبي : هو خالد بن صفوان بن عبدالله بن الأهتم ، وقول الكلبي أثبت .

وأخوه نُعيم بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم ، وكان نعيم صاحب شراب وكان يُشارّ خالداً أخاه كثيراً ، فقال الحسن البصري : عجباً

١ ـ بهامش الأصل : خالد بن صفوان .

لهذين الرجلين أمالهما من أنفسهما واعظ ، ولا ينهاهما من الله زاجر ؟

وهجا الفرزدق نعيماً هذا فقال :

ألا أبلغا عني نُعيماً رسالة نعيم بن صفوان خليع بني سعد
فما أنت بالقاري عرفنا قِراته وما أنت في الفساق بالحازم الجلد[1]

وكان خالد بن صفوان من أخطب الناس وأبلغهم وأحدثهم ، وكان ذا حظ من السلطان ومالٍ ، وكان بخيلاً ، ويكنى أبا صفوان ، وأم خالد وأخيه نُعيم : أروى بنت سُليم مولى زياد بن أبي سفيان ، وقد ولي صفوان أبو خالد أمر بني تميم أيام مسعود ، وكان أيضاً خطيباً ، وأوصى عند موته بمائة وعشرين ألفاً وشهد الحسن وصيته فقال قائل لصفوان : لأي شيء أعددت هذا المال وجمعته ؟ فقال : لنكبات الزمان ، وجفوة السلطان ، ومباهاة العشيرة ، فقال الحسن : تدعه والله لمن لا يحمدك ، وتقدم على من لا يعذرك .

وحدثنا عن هشام ابن الكلبي عن أبيه أن خالد بن صفوان قال : الصدق محمود ، إلاّ صدق ذي السعاية فإنه شر ما يكون ، أصدق ما يكون . وقد روي ذلك عن ابن شبرمه .

حدثنا علي بن محمد بن عبدالله المدائني أن خالد بن صفوان قال لبشير بن عبيدالله بن أبي بكرة : إن بشيراً توزَّدَ الأمور جهلاً ، وارتكس فيها ، فلم يقم عليها صبراً ، ولم يخرج منها عزماً .

قال : وكان بلال بن أبي بردة أمر بتقنيع خالد وحبسه لأنه بلغه عنه أنه

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٧٢ مع فوارق .

قال حين ولي : سحابة صيف عن قليل تقشع فقال : والله لا تقشع أو تصيبه بشؤبوب .

وكان خالد يقول : للعدل في دار بلال أعز من الكبريت الأحمر في دار أبي الزرد الحنفي ، وأبو الزرد الذي قال له الفرزدق ما قال ، وقد ذكرناه في خبره .

المدائني قال : دخل خالد بن صفوان على يوسف بن عمر ، وبلال بن أبي بردة يعذب ، فقال خالد ليوسف : أصلح الله الأمير هذا بلال بن أبي بردة بن أبي موسى وكان أبو موسى حلاقاً فاكتنى بموساه ، وتزوج طهفة بنت الدَّمُون ، وكانت حالكة الجلد قزعة الشعر ، وهي أم أبي بردة ، وكان الدمون مقراً بولاء الأمير ، وكانت أم هذا أمة لأبيه تخرج إلى الأسواق فيغمز الناس شاكلتها[1] ويشجها أبوه في الدرهم، ويضربها فقال بلال: إن أبي تزوج في أكفائه من العرب ، وإن أبا هذا وعمه علقا محررتين من محررات أهل البصرة فلما خاف أهلوهما أن يفضحاهم زوجوهما منهما ، فهذا ابن أمة زياد ، وابن عمه ابن أمة لآل معمر ، وهو يستطيل عليَّ بثلاث خصال : هو مطلق ، وأنا أسير ، والأمير عليّ ساخط وهو عنه راضٍ ، وهو بالحيرة على طينته التي ولد عليها فهي تعرفه ويعرفها ، فهو كالكلب يجترىء على باب أهله .

قال : ومر خالد على أبي الجهم القائد وهو على حمار له ، فقال له أبو الجهم : ما هذا يا خالد ؟ قال : عيرٌ من بنات الكداد[2] محملج الساقين

١ ـ الشاكلة : شعر المرأة إذا ضفرته خصلتين من مقدم رأسها عن يمين وشمال . القاموس .
٢ ـ بهامش الأصل : الكداد جبل .

أصحر السربال[1] ، يحمل الرجلة ويبلغ العقبة ، ويمنعني أن أكون جباراً عنيداً .

وقال خالد : البراذين للجَمال والدعة ، والخيل للطلب والهرب ، والجمال للدماء[2] وبُعْد الأسفار ، والبغال للأحمال والأثقال ، والحمير للدبيب وخفة المؤونة .

وقال خالد : بِتُّ أتمنى ليلتي كلها ، فملأتَ البحر الأخضر من الذهب الأحمر ، فإذا الذي يكفيني رغيفان وكوزان وطمران .

وذكر سليمان بن علي رجلاً أراد توليته عملاً ، فقال خالد : والله لو أنه على سويقة البحرين ما أجراها ، مع أنه يخلط ذلك بلؤم الحسب ، وسوء الأدب ، وقلة النشب .

قالوا: ولقي خالد بن صفوان ذات يوم روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، فذكر الدنيا فزهد فيها ، ثم قال لروح بن حاتم : رأيتك في شرفك وخطرك وما بسط الله لك من الدنيا تطلبها هذا الطلب ياأبا خلف فقال له روح : يا أبا صفوان ما يرغبني في الدنيا إلاّ أني وأنا شاب حديث السن لا آتي باباً من هذه الأبواب إلاّ وجدتك عليه قد سبقتني إليه ، وأنت قد جاوزت الستين ، ولم يبق منك كبير شيء . فقال : والله لئن قلت ذلك لقد ذهب مني رونق الوجه ، وحسام الصلب ، وحدة القلب ، ولأنا كنت إلى الدعة

---

١ ـ الأصحر : قريب من الأصهب ، والسربال : القميص أو الدرع . ومحملج الساقين : مفتول الساقين . القاموس .

٢ ـ بهامش الأصل : يعني الديات .

والرفاهية ، وإلى بيت منضوح[١] وتور[٢] من نضوح ، وستر مسدول أحوج مني إلى ما ترى .

ومدح خالد رجلاً فقال : ما رأيت أسكن فؤاداً ، ولا أبعد غوراً ، ولا آخذ بذنب حجة ، قد تقدم رأسها ، ولا أعلم بأبنة[٣] ، ووصمة في كلام منه .

المدائني عن عدي بن الفضل قال:قال خالد : لا تَزَوَّج واحدة فتحيض إذا حاضت ، وتَنْفَس إذا نفست ، وتعود إذا عادت ، وتزور إذا زارت ، وتمرض إذا مرضت ، ولا تزوج اثنتين فتكون بين شرَّين ، ولا تزوج ثلاثاً فتكون بين ثلاث أثافي ، ولا تزوج أربعة فيجفرنك[٤] ويهرمنك ويفلسنك ، فقال له ابن رباط الفقيمي : حرَّمْتَ ما أحل الله أجمع . فقال : خير من ذلك : قرصان ، وطهران وكوزان ، وعبادة الرحمن .

وقال خالد : والله ما تطيب نفسي بانفاق درهم إلّا درهم قرعت به باب الجنة ؟ أو درهم اشتريت به موزاً .

وقال خالد : إن الشيطان باختياله ومناصب حباله يخيل بالشبهة ، ويكابر بالشهوة ، فإذا أعيا مخاتلاً كر مكابراً .

وكان خالد يقول : مں كان ماله كفافاً فليس بغنيٍ ولا فقير لأن النائبة

١ ـ نضح البيت : رشه . القاموس .
٢ ـ التور : اناء يشرب فيه . القاموس .
٣ ـ أبنه : أتهمه . والأبنة : الحقد والعقدة في العود والابن من الطعام : اليابس . القاموس .
وجاء بهامش الأصل : نائمة .
٤ ـ الجفور : انقطاع الفحل عن الضرائب ، ومنه قولهم : الصوم مجفرة للنكاح . القاموس .

إذا نزلتْ أجحفتْ بكفافه ، ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ، ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني .

وكان خالد يقول : لئن يكون لأحدكم جار يخاف أن ينقب عليه بيته خير من أن يكون له جار من التجار لا يشاء أن يعطيه مالاً ، ويكتب به عليه صكاً إلا فعل .

المدائني عن عبدالله بن مسلم قال : مر بخالد رجل من آل المهلَّب ورجل من آل المسيح بن الحواري العتكي ، وكانا بخيلين فقال لهما خالد : انزلا نتذاكر المنع فوالله لهو أشد من البذل .

قال: وخرج خالد حاجاً ، وولي ابنه ربعياً ماله فأنفق إلى قدومه مالاً كثيراً ، فقال وليت ربعياً مالي فوالله لهو كان فيه أسرع من السوس في الصوف في الصيف .

وكان خالد بن صفوان يقول : من تزوج امرأة فليتزوجها عزيزة في قومها ذليلة في نفسها ، أدَّبها الغنى وأخضعها الفقر ، حصاناً عن جارها ، ماجنة على زوجها .

المدائني عن ابراهيم بن المبارك قال : قال أبو العباس أمير المؤمنين لخالد بن صفوان : إن الناس قد أكثروا في النساء ، فأي النساء أعجب إليك ؟ قال : أحبها يا أمير المؤمنين ليست بالصرع الصغيرة ، ولا الطاعنة الكبيرة ، حسبي من جمالها أن تكون فخمة من بعيد ، مليحة من قريب ، أعلاها عسيب[1] وأسفلها كثيب ، غذيت في نعيم ثم أصابتها حاجة ، فأدبها النعيم وأذلها الفقر ، هَلول على زوجها ، حصان من جارها ، إذا خلونا كنا

١ ـ العسيب : الريش طويلاً ، وجريدة من النخل مستقيمة دقيقة . القاموس .

أهل دنيا ، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة .

المدائني قال : قال حفص بن معاوية بن عمرو الغلابي : قلت لخالد : يا أبا صفوان إني لأكره أن تموت وأنت من آيس أهل البصرة فلا يبكيك إلا الإماء . قال : فابغني امرأة ، قلت : صفها لي أطلبها . قال : أريدها بكراً كثيبٌ أو ثيباً كبكر لاصرعا صغيرة ولا مسنَّة كبيرة لم تقرأ فتحنن[1] ولم تفتّ فتمحن ، قد نشأت في نعمة وأدركتها خصاصة فأدبها الغنى ، وأذلها الفقر ، حسبي من جمالها أن تكون فخمة من بعيد ، مليحة من قريب وحسبي من حسبها أن تكون واسطة في قومها ترضى مني بالسنَّة ، إن عشت أكرمتها وإن مت أورثتها ، لا ترفع رأسها إلى السماء بطراً ، ولا تضعه إلى الأرض سقوطاً . فقلت : يا أبا صفوان الناس في طلب هذه مذ زمان طويل فما يقدرون عليها .

وكان خالد يقول : ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة ، أو صورة ممثلة .

وقال الهيثم بن عدي وأبو الحسن المدائني : بينما خالد بن صفوان في المسجد بالبصرة ، إذ جلس إليه أعرابي من بني العنبر ، فقال خالد لأصحابه : خير النساء امرأة قد احتنكت في سنها واستحكم رأيها ، خميص بطنها ، طويل جيدها حسن ليتها ، عظيم بوصوا[2] ، تملأ كف قرينها باللعب الجميش[3] . فقال العنبري : دع عنك من استحكم رأيها ، وعليك

١ ـ قرأت الناقة : حملت والحامل ولدت ، والقرء : الحيض ، وأقرأت : حاضت . القاموس .
٢ ـ البوصاء : العظيمة العجز . القاموس .
٣ ـ الجمش : المغازلة والملاعبة . القاموس .

بها حين نهدت ، غرّاء لا تدري ما يراد بها ثم أنشد :

عليك أبا صفوان إن كنت ناكحاً   فتاة اناس ذات أتب ومئزر
لها كفل رابٍ وبطن معكَّنٌ   وأجثم مثل القعب غير منور
فتلك التي إن نلتها كنت سيداً   ودع عنك أخرى كالظليم المُنَفَّر
مجربة للباه قد جازت المدى   وصارت من النسوان لم تتخفر
هي القرن إن صالت فليثُ خَفِيَّة[1]   وإن سكنت خوفاً فذات تذمّر[2]

وكان خالد يقول : إن المروءة لو خَفَّ محملها ، وقَلَّتْ مؤونتها لما ترك اللئام فيها للكرام بيت ليلة ، ولكن ثقل محملها ، وعظمت مؤونتها فاجتباها الكرام ، وكاع عنها اللئام .

المدائني قال : قالت امرأة لخالد بن صفوان : إنك لجميل ، قال : كيف قلت ذاك فوالله ما فيَّ عمود الجمال ولا رداؤه ، ولا برنسه ، أما عموده فالطول ولست بالطويل ، وأما رداؤه فالبياض ، ولست بأبيض ، وأما برنسه فسواد الشعر وجعودته ، وأنا أصلع ، ولكن قولي إنك لحلو .

وقال خالد للفرزدق وكان يمازحه : يا أبا فراس ما أنتَ بالذي لما ﴿رأَيْنه أكبرْنَه وقطَّعْن أيديهن﴾[3] فقال الفرزدق : ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت الفتاة لأبيها : ﴿يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾[4] .

---

١ ـ الخفية : الغيضة الملتفة . القاموس .
٢ ـ الذمر : الملامة ، والحض ، والتهدد ، الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته . القاموس .
٣ ـ سورة يوسف ـ الآية : ٣١ .
٤ ـ سورة القصص ـ الآية : ٢٦ .

وذكر خالد رجلاً فقال : إنه لمن عرّب الله سليقته ، وقوّم طريقته ، فمن تنظره النعمة وتطعه ، فانها لتوقره وتذلله .

وكان خالد يقول : المزاح سباب النوكى ، ولابأس بالفكاهة ينطلق بها وجه الرجل في مجلسه وتخرجه من حال العبوس .

وقال خالد لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقري العين جمالاً والسمع بياناً .

وقال خالد : قدمت الشام فدخلت حماماً ودخله أبو محجن خادم هشام بن عبد الملك معي ، ولا أعرفه ، فقال : الحمد لله الذي فضلنا على كثير من خلقه . فقلت : ما في الأرض شيء له خصيان إلا وهو أفضل منك ، فقال : من أنت ؟ فأخبرته فخرج قبلي ، وأمر خادماً له فتخلف ، فلما خرجت ذهب بي إلى منزله فأكرمني أبو محجن وقربني وقام بحوائجي .

وكان خالد يلحن في كلامه فقيل له : لو نظرت في النحو . فقال : أخاف أن أتفقد اعراب الكلام فينقطع لساني ، ويقال قال : أخاف أن آخذ نفسي بالإعراب فينقطع لساني .

قال: وسمع خالد رجلاً ينشد قول الشاعر :

إذا حدثتك النفس أنك قادر   على ما حوتْ أيدي الرجال فجرِّبِ

فقال خالد : لا والله ولكن فكذِّبِ .

وقال أبو العباس السفاح يوماً : عليَّ بخالد فلما دخل عليه قال : قد وليتَ الخلافة فكنت أهلها وموضعها ، رعيتَ الحق في مسارحه وأوردته موارده ، فأعطيت كلاً بقسطه من نظرك وعدلك وأدبك ومجلسك ، حتى كأنك من كل أحد ، أو كأنك لست من أحد ، فأعجبه قوله ، وأمر له بمال .

وقال خالد : وفدت على هشام بن عبد الملك فوجدته قد بدآ[١] لشرب اللبن وذلك في عام قد بكر وَسْمِيُّهُ[٢] وتتابع وليه[٣] ، وأخذت الأرض زخرفها ، وأنواع زينتها ، فهي كالزرابي المبثوثة والقباطي المنشورة ، وكأن ترابها الكافور ، فلو ألقيت بضعة لم تترب ، وقد ضُربتْ له سرادقات حبره بعث بها يوسف بن عمر من اليمن ، فهي تتلألأ كأنها العقيان ، فذكرني مسلمة له فأرسل إلي ، فدخلت إليه ، وإذا تحته أربعة أفرشة موشاة مثلها مرافقها ومخادُّها ، وعليه جبة خَزّ ، وعمامة خَزّ ، فجددت له دعاء ، ولم أزل قائماً حتى أذن لي في الجلوس، ثم نظر إلي كالمستنطق لي فقلت: يا أمير المؤمنين أتم الله عليك نعمه ، ودفع عنك نقمه هذا مقام زيّن الله به أمري ، ورفع قدري وذكري ، وأطاب نشري ، إذ أراني وجه أمير المؤمنين ، ولن أرى لمقعدي هذا جزاء هو أفضل من أن أنبه أمير المؤمنين على تفضيل الله إياه ليحمد الله على ما أولاه وأعطاه ، ولا أرى موعظة هي أحضر من حديث ملك من سالف الملوك فإن أذن لي أمير المؤمنين حدثته ، فاستوى جالساً ثم قال : هات يا بن الأهتم . فقلت : كان ملك فيما مضى جمع له فتاء السن ، وذكاء الشباب ، وصحة الطباع ، وكثرة المال ، وسعة الملك ، فأشرف يوماً وذلك بالخورنق[٤] فنظر إلى ما جمع له فأعجبته نفسه ، فقال لمن حضره : هل علمتم أحداً أوتي مثل ما أوتيتَ ؟ فسكت القوم وفيهم رجل من بقايا حملة الحجة ، فقال له : إن أذنت تكلمتُ . قال : قل . قال : أرأيت ما جمع الله

١ ـ خرج إلى البادية .
٢ ـ الوسمي : مطر الربيع . القاموس .
٣ ـ الولي : المطر بعد المطر . القاموس .
٤ ـ من أشهر قصور الحيرة .

لك أشيء هو لك لم يزل ولا يزال ، أم شيء كان لمن قبلك فزال عنهم وصار إليك وكذلك يزول عنك ؟ قال : لا بل شيء كان لمن قبلي وهو زائل عني ، فقال : لا أراك إلا مفتوناً بشيء تذهب عنك لَذَّتُهُ وتبقى تبعته ، تكون فيه قليلاً ، وترتهن به طويلاً . فبكى وقال:إلى أين المهرب ، وعلى ماذا يكون المُعَوَّل ؟ فقال : إما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة ربك ، وإما أن تلقي عليك أمساحاً وتلحق بجبل تعبد فيه ربك حتى يأتيك أجلك ، فتكون لك حياة لا موت بعدها ، وصحة لا سقم معها . فألقى عليه أمساحاً وتعبد في بعض الجبال حتى مات .

قال: وأنشدته قول عدي بن زيد العبادي :

أين كسرى كسرى الملوك أنـــ ـــو شروان أم أين قبله سابور
وأخــو الحضر[1] إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابــور
لم يَهَبْهُ ريب المنون فــــزا ل الملك عنه فبابه مهجور
وتفكر رَبُّ الخورنق أذ أشـــ ـــرف يوماً وللهدى تفكير
سَرّه جمعُهُ وكثرة ما يمـــلـ ـــك والبحر مُعرضا والسدير
فارعوى مبصراً فقال وما غبطـ ـــة حيٍّ إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأمَّـ ـــة وارتهم هناك القبور
ثم أمسوا كأنهم ورق جــ ـــفَّ فَألْوَتْ به الصَّبَا والدَّبُور[2]

فبكى هشام ونشج ، ثم قام كالمغضب وقام من في مجلسه ، فقال لي

---

١ ـ كانت العرب تسمى ملك الحضر باسم الضيزن، ونشرت في بغداد سنة ١٩٧٤ دراسة جيدة عن الحضر وآثارها ، من اعداد فؤاد سفر ، ومحمد علي مصطفى .
٢ ـ ديوان عدي بن زيد ص ٨٤ ـ ٩٢ مع فوارق .

حاجبه : يا هذا ما أعياك لقد كسبت نفسك شراً ، دعاك أمير المؤمنين لتحدثه وتسره وتلهيه ، وقد علمت أنه انفرد بهذا المكان لئلا يرى ولا يسمع شيئاً يكرهه ويؤذيه للعلة التي هو فيها ، فما عدوت أن نعيت إليه نفسه وكدرت عليه عيشه . قال : فأقمت أياماً أتوقع ما أكره وجعل الشاميون يقولون أين هذا العراقي الأحمق الذي أغضب أمير المؤمنين ؟ وجعل هشام يقول : يا مسلمة إنك لا تزال تأتيني بما أكره ، ثم لقيني الحاجب فقال : إن أمير المؤمنين قد ذكرك فقال : لله در ابن الأهتم ، وأمر لك بصلة ، وأذن لك في الانصراف .

وسأل رجل خالداً فأعطاه درهماً ، فقال له : يا سبحان الله أتعطيني درهماً فقط ؟ فقال : يا أحمق أما علمت أن الدرهم عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة والمائة عشر الألف ، والألف عشر دية مسلم .

وقال خالد بن صفوان : وفدت على هشام فدخلت عليه وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله القسري ، فألفيته جالساً على كرسي في بركة ماؤها إلى الكعبين ، فدعا لي بكرسي فجلست عليه ثم ساءلني وحادثته طويلاً ، ثم إنه أطرق إطراقة ورفع رأسه فقال : يا خالد رب خالد جلس مجلسك كان ألوط[1] بقلبي وأحب إلي منك . فقلت : يا أمير المؤمنين إن حلمك لا يضيق عنه ، فلو صفحت عن جرمه . فقال : يا خالد إن خالداً أَدَلّ فأَمَلّ ، وأوجف فأعجف ، ولم يدع لراجع مرجعاً .

وقال خالد بن صفوان لأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ـ حين أتى البصرة منهزماً من أبي فديك ـ: الحمد لله الذي خار لنا عليك ولم يخر لك

١ ـ ألصق .

علينا ، فقد كنت حريصاً على الشهادة ، ولكن الله أبى ذلك ليزين بك مصرنا ، ويؤنس بك وحشتنا ، ويكشف بك غمتنا .

المدائني عن حفص بن معاوية قال : قال خالد : يا جارية اطعمينا جبناً فإنه يشهي الطعام ، ويقوي المعدة ، وهو حمض العرب ، فقالت : ما عندنا منه شيء ، فقال : لا عليك فإنه ما علمتِ يقدح الاسنان ، ويوكي البطن ، ويغير النكهة ، وهو بعد من عمل أهل الذمة .

قال : ومر خالد برجل وهو يأكل جبناً ، فقال : لا تأكله فإنه سهل المدخل ، عسر المخرج ، ثم إن الرجل رأى خالد يأكل جبناً وقال : يا أبا صفوان ألم تنهني عن أكله ؟ فقال : إنه يفتق الشهوة ويطعم الخبز ، وهو يعد من حمض العرب .

وقال مسلمة بن عبد الملك لخالد بن صفوان : أخبرني عن الحسن ، فقال :كان أشبه الناس سريرة بعلانية، وعلانية بسريرة، وآخذ الناس بما يأمر به ، وأتركهم لما ينهى عنه ، وأعظمهم على نفسه سلطاناً ، ولم يقم يوماً بامارة ، ولم يُرَ في سوق لتجارة ، استغنى عما في أيديهم من دنياهم، واحتاجوا إليه فيما عنده من أمر دينهم ، فقال مسلمة : كيف يهلك قوم مثل هذا بين أظهرهم .

وقال مسلمة بن عبد الملك لخالد : أخبرني عن الأحنف ، فقال : إن شئت أخبرتك عنه في ثلاث ، وإن شئت ففي اثنتين ، وإن شئت ففي واحدة . قال : أخبرني عنه في ثلاث. قال : كان لا يجهل ، ولا يحرض ، ولا يدفع الحق إذا نزل به . قال : فما الاثنتان ؟ قال : كان يؤتي الخير ، ويوقي الشر ، قال : فما الواحدة ؟ قال : كان أعظم الناس على نفسه سلطاناً .

وقال له بعض عمال البصرة : صف لي الأحنف فقال : إن شئت حدثتك عنه شهراً ، وإن شئت عشراً ، وان شئت حذفت الحديث حذفاً . قال : فاحذفه . فقال : كان أعظم الناس على نفسه سلطاناً .

أبو الحسن المدائني عن علي القرشي قال : كان خالد يقول : لا تضع معروفك عند فاحش ولا أحمق ولا لئيم ، فان الفاحش يرى إنك إنما فعلت ذلك لخوف شره ضعفاً منك ، والأحمق غير عارف بما تُسدي إليه من معروف ، واللئيم سبخة لا تُنبت ، وإن أنبتت لم يزك منبتها ولم يَنْمُ ، وإذا رأيت كريماً فاصطنع عنده يداً وازرع معروفاً ، واحصد شكراً ، وأنا الكفيل الضامن .

المدائني عن عبدالله بن سلم قال : كان خالد يذكر آل المهلب فيقول إن النعم لتقلقل في البلاد ، فإذا انتهت إلى آل المهلب اطمأنت .

وكان خالد يذكر شبيب بن شيبة فيقول:ليس لشبيب صديق في السر ، ولا عدو في العلانية .

وأراد حفص بن معاوية بن عمرو الغلابي إتيان الأهواز ، فقال لخالد : أوصني ، فقال : إتق الله ربك ولتحسن سيمتك [1] ، وعليك بقراءة القرآن فإنه شفاء لما في الصدور ، ولا تكونن صخاباً ولا عياباً ولا لعاناً ولا مغتاباً ، ولا تكونن في الحديث إلا مجيباً ، فإنك تأتي قوماً يجهلونك ، فمهما تأتهم به يعرفوك به ، وينسبوك إليه .

المدائني والهيثم بن عدي عن عوانة قال:قال بلال بن أبي بردة لخالد بن صفوان ، وهم منحدرون إلى البصرة : هل يستثقل عكابة النميري ؟

١ ـ بهامش الأصل : سمتك .

فقال : أوّه كدت تصدع قلبي ، أحينَ دنونا من آجام البطائح ، وعكة البصرة ، ومد البحر ، والله لهو أثقل علي من شرب التياذريطوس [١] بماءٍ حارٍ ، في أيام العكاك [٢] في عقب التخمة ، وأوان الحجامة .

وفاخر رجل من اليمانية خالداً على باب الحجاج ، فقال خالد : منا النبي المرسل ، والخليفة المؤمل ، وفينا الكتاب المنزل ، ولنا البيت المستقبل .

المدائني قال : قال أمير المؤمنين أبو العباس لخالد : أليس من العجب أن قوماً قُبض نبيهم فلم يُدفن حتى اختلفوا ؟! فقال : يا أمير المؤمنين أعجب من هذا آدم خلقه الله بيده ، وأسكنه جنته ، يأكل منها حيث شاء رغداً ونهاه عن شجرة ، وحذره عدوه ، وقال : ﴿لا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ [٣] فرغب عن الجنة وما فيها وأكل من الشجرة ، فواقع الخطيئة ثم تاب الله عليه .

المدائني عن أبي محمد [٤] بن سعد قال جلس خالد إلى رجل من بني عبد الدار بمكة فقال له : من أنت ؟ قال : خالد بن صفوان من بني الأهتم ، فقال العبدري : أنت يا خالد(كمن هو خالد في النار)، وأنت ابن صفوان والله يقول (صفوان عليه تراب) [٥] وأنت ابن الاهتم ، والصحيح

١ - من أنواع الأشربه ، لكنَ لم أقف على ذكر له في أي من المعاجم المتوفرة

٢ - يوم عكيك : شديد الحر . العين .

٣ - سورة طه - الآية : ١١٧ .

٤ - كذا بالأصل ، ولا ترجمة لخالد بن صفوان في طبقات ابن سعد ، ووردت هذه الحكاية في ترجمة خالد بن صفوان في بغية الطلب بشكل مخالف بعض الشيء وفيه تفاصيل أكثر . بغية الطلب ص ٣٠٤٩ - ٣٠٥٠ .

٥ - سورة البقرة - الآية : ٢٦٤ .

خير من الأهتم ، فقال خالد : يا أخا بني عبد الدار أتتكلم وقد هشمتك هاشم ، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، وجمحت بك جمح ، فأنت عبد دار قريش تفتح لهم إذا دخلوا وتغلق إذا خرجوا .

المدائني عن أبي إسحاق بن فايد قال : خطب حفص بن معاوية أروىٰ بنت خالد ، فقال خالد : إني لا أرضاك لها ، ولا أرضاها لك ، لأنك مطلاق مصلاف ، وإنها سليطة فلاتتفقان .

وقال خالد : لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها ، ولا تطلبوها في غير حينها ، ولا تطلبوا ما لا تستحقون ، فإن من طلب ما لا يستحق استوجب الحرمان .

قالوا : وفاخر خالد قوماً من أهل الكوفة ، فقال خالد : أسفلها [1] قصب ، وأوسطها قضْب ، وأعلاها رطب ، ولم يأتها شيء إلّا طائعاً ، ولم يخرج منها شيء إلا كارهاً .

وقال خالد لغلامه:اشتر لنا موزاً ، ولا تشتره أخضر جاسياً ، ولا أسود ذاوياً ، فأتاه به فقال : لولا إني أعلم أنك قد أكلت منه لأطعمتك واحدة .

وكان خالد يقول : عليكم بكسب الدراهم وحفظها فإنها تلبس النرمق[2] ، وتطعم الجرمق [3] ، وتصون الوجه عن المسألة .

وكان خالد إذا أخذ جائزة قال للدرهم : أما والله لطال ما غَوَّرْتَ في

١ ـ بهامش الأصل : خ ـ أسفل البصرة .

٢ ـ النرمق : الثياب البيض اللينة . المعرب للجواليقي .

٣ ـ الجرمق : خف صغير ، أو ما يلبس فوق الخف ، ويتعارض هذا مع ما جاء بالمتن ، وعليه لعله تصحيف ترمق وهو اللين أو درمق أي الدقيق المحور ، أو من أنواع الطعام المنسوبة للجرامقة . انظر جامع العريب للبشبيشي ـ ط . القاهرة ١٩٥٥ ص ٧٧ ـ ٨٨ ـ ٩٠ .

البلاد وأنجدت أما والله لأطيلنَّ ضجعتك ولأديمنَّ صرعتك .

وقال خالد ليحيى بن حبيب : أعندك مهيرة ؟ فقال : عندي اثنتان ، فقال خالد : كنت أحسب أملك دون هذا ، وزهدك فوقه .

ونازع خالد عبدالله بن حكيم بن أبي أمية بن العاص الثقفي ، فقال عبدالله : أنا ابن البيضاء الثقفية ، فقال خالد : بياضها دل عليها .

قالوا : وسمع خالد شبيب بن شيبة يتكلم بواسط فأحسن ، فقال خالد : نعيت إليّ نفسي إنّا أهل بيت لم يمت منا خطيب حتى يكون فينا خطيب يخلفه إذا مات .

وكان خالد يقول : اتقوا مجانيق الضعفاء ، يعني دعاءهم ، وأنشد لعمرو بن الأهتم :

إذا كنت مرتاد الظلامة فاعتمد ذرا الناس واحذر عاجزا ومغمزا [١]

وكان خالد يقول : ما أحد يطالبني بظلامة هي أبغض إلي من ظلامة من لا مفزع له إلا الله .

وقال خالد : ليست البلاغة بخفة اللسان ، وكثرة الهذيان ، ولكنها إصابة المعنى ، والقصد للحجة .

المدائني أن أبا العباس أمير المؤمنين قال لخالد بن صفوان : أشعرتَ انا أخذنا سليمان بن حبيب ؟ قال : أين ؟ قال : وجد في بئر ، فقال خالد بن صفوان : هذا الذي خرج رقصاً ، ودخل قفصاً وأخذ وَقْصاً [٢] .

وقال خالد بن صفوان : أيغدو إلي رجل لا يريد إلا إكرامي فلا أعرف

---

١ ـ ليس في ديوان شعره المطبوع .

٢ ـ وقص عنقه : كسرها . القاموس .

له حقه ؟ إني إذاً لمتخطٍّ محاسن الأخلاق إلى مساوئها .

وقال هشام بن عبدالملك لخالد : عظني وأوجز : فقال : أنت يا أمير المؤمنين فوق الخلق ، كذلك جعلك الله ، وليس فوقك إلاّ الله ، وأنت صائر إلى الله .

وقال خالد : ما رأينا مثل الأُبلة أقرب مسافة ، ولا أعذب نطفة ، ولا أخفى لعابد ، فقال دُربست بن رِباط : فعلام تُضرب الآباط إلى مكة إذاً ؟!

وتكلم خالد بكلام أحسن فيه ، فقرظه بعض من حضر ، فقال خالد : والله لوددت أني أخرس .

وخاصم رجل خالداً عند بلال فقال : أنت تعيبني في كل يوم فقال : وأنت أيضاً تعيبه ، وهذا ذنب لكما جميعاً .

ومر خالد بقوم فقالوا : لو جلست إلينا فقال : إنما الجلوس بعد قضاء الحوائج .

وتكلم أعرابي فقيل لخالد : ما لك لا تتكلم معه ؟ فقال : كيف نجاريهم ، وإنما نحكيهم أو نُساميهم ، وإنما نسموا بأعراقهم .

وكان خالد يقول : فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها ، وأشد من المصيبة سوء الخلف .

وقال خالد : إذا كُفر الإحسان حسن الامتنان .

وقال خالد : لَأن يكون لي ابن يحب الخمر أحب إلي من ابن يحب اللحم ، لأنه متى طلب لحماً وجده ، والخمر ينفد أحياناً .

وقال رجل لخالد : إني لأحبك . فقال : وكيف لا تحبني ولست لي

بابن عم ولا جار ، ولا مشارك في صناعة .

قالوا : وقال خالد لحفص بن معاوية : هل لك في رقاق من برميسان وصناب [1] من أرض حلوان بينهما دجاجة كأنها أوزة كسكرية ، قد سُمِّنَت حتى عمي بصرها ، وتجافى جلدها عن لحمها ، فصرَّحَتْ عن لحم يقق ، وشحم فاقع يذهب فهوهة الجائع ؟ فقال حفص : أيْ لعمري . قال : فموعدك يوم السبت البستان ، قال : فأتيته فدعا خبازه فجاء بسفرة فيها ما وصف ، فلما وُضعت السفرة إذا نحن بأعرابي قد طرأ علينا بغير إذن ، أو قال برجل فَرَّجَ خُصًّاً في البستان ، ودخل فلما نظر إليه خالد مقبلاً قال : والله لهذا الطارىء المتذمر علينا أشد عليّ من شربة ترنجبين في أيام العكاك في غَبٍّ تخمات بعقب حجامة ، ارفع السفرة يا غلام ، قال : فما رأيتها ، ويقال بل أتى بها بعد انصراف الرجل ، وقد ذهبت بشاشتها .

وقال خالد : لا يطمع أحد عندي في أربع : الفَرْض والقرض والهَرْس ، وأن أمشي معه إلى سلطان إلا في حاجتي ، فقيل له : ما يرجى منك ؟ قال : الماء البارد ، وحديث لا ينادى وليده .

قالوا : ووصف خالد البصرة فقال : تخرج قانصا فيجيء هذا بالشبوط والشيْم [2] ، ويجيء هذا بالظبي والظليم ، ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً وديباجاً ، وبرذوناً هملاجاً ، وخريدة مغناجاً ، ونهرنا عجب أوله الرطب وأوسطه العنب ، وآخره القصب ، ولنا التمر في أقنانه كزيتون الشام في أغصانه ، تخرج النخلة أسقاطاً وأوساطاً ، ثم تنغلق عن قضبان الفضة

١ ـ الصناب : صباغ الخردل مع الزبيب والزيت . العين . القاموس .
٢ ـ من أنواع السمك .

منظومة باللؤلؤ الرطب ، ثم تصير قضبان ذهب منظومة بالزبرجد الأخضر ، ثم ياقوتاً أصفر وأحمر ، ثم تصير عسلاً . وأما نهرنا العجيب ، فإن الماء يقبل فيه غضًّا فيفيض متدفقاً ، فيغسل نبتها ويبدأ حين يأتينا في أوان عطشنا ، ويذهب في أوان رَيِّنا ، فنأخذ منه حاجتنا ، ونحن نيام على فرشنا ، يقبل الماء وله عُباب وأُباب لا يحجبنا عنه حجاب ، ولا يُتنافس فيه من قِلَّة ، ولا يحبس عَنَّا من علو ، فقال مسلمة : من أين لكم هذا ولم تغلبوا عليه ولم تسبقوا إليه ؟ قال : ورثناه عن الآباء ونتركه للأبناء ويدفع لنا عنه رب السماء ، وأنشد :

فمهما كان من خير فإنا ورثناه أوائل أَوَّلْينا
وإنا مورثون كما ورثنا عن الآباء إنْ مِتْنَا بَنِيْنَا[1]

قالوا : وأحضر أمير المؤمنين أبو العباس ابراهيم بن مخرمة الكندي وناساً من بني الحارث بن كعب أخوال أبي العباس ، وخالد بن صفوان فتفاخروا فقال ابن مخرمة : إن أهل اليمن ملوك العرب في الجاهلية كانت لهم البدأة ، ووراثة الملك ، كابراً عن كابر ، وآخراً عن أول ، وغابراً عن سالف ، فمنهم النعمانات والمنذرات والقابوسات ، ومنهم عياض صاحب البحر ، ومن حَمَتْ لحمه الدُّبُر[2] ومنهم غسيل الملائكة[3] ومن اهتز لموته

١ ـ الحكاية في بغية الطلب ص ٣٠٤٨ ، ونسب الشعر لأوس بن مغراء .
٢ ـ هو عاصم بن ثابت قتلته هذيل فيمن قتلت يوم الرجيع . انظر الروض الأنف مع سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٢٥ ـ ٢٣٤ .
٣ ـ هو حنظلة بن أبي عامر استشهد يوم أحد انظر الاصابة لابن حجر ج ١ ص ٣٦٠ (١٨٦٣) .

العرش [١] ، ومنهم مكلم الذئب [٢] ، ومن كان يأخذ كل سفينةٍ غصبا [٣] وليس من شيء له خطر إلّا وينسب إليهم من : فرس رائع ، وسيف قاطع ، ودرع حصينة ، وحُلة مصونة ، إن سئلوا أعطوا ، وإن نزل بهم ضيف قَرَوا ، لا يكاثرهم مكاثر ، ولا يفاخرهم مفاخر ، فهم العاربة وغيرهم متعربة .

قال أبو العباس : ما أحسب التميمي يرضى بهذا . فقال خالد : أخطأ المتقحم بغير علم . ونطق بغير صواب إذ فخر على مضر ، ومنهم رسول الله ﷺ ، والخلفاء من أهل بيته ، وكيف يفاخر مضر بقوم هم بين راكب عَرد [٤] ، وناسج برد ، وسائس قرد ، ودابغ جلد ، دلَّ عليهم هدهد [٥] ، وغرَّقهم فأرة [٦] ، ثم التفت إلى الكندي فقال الفخر بالفرس الرائع والسيف [٧] القاطع والدرع الحصينة ؟ ألا وأي فخرٍ أفخر من محمد خير الأنام ، وأكرم الكرام ، ولله به المنّة علينا وعليهم ، لقد كانوا أتباعه ، فيه عرفوا وأكرموا ، لنا النبي المصطفى والخليفة المرتضىٰ والسؤدد والعلىٰ ، ولنا البيت الموضوع ، والسقف المرفوع ، والمنبر المحضور ولنا زمزم

---

١ ـ هو سعد بن معاذ انظر الروض الأنف ج ٣ ص ٢٨٠ .
٢ ـ من رعاة أهل المدينة ، انظر الخبر في دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٣١٨ ـ ٣٢٠ .
٣ ـ الاشارة هنا الى ما جاء في الآية ٧٩ من سورة الكهف ، وقد اختلف حول تحديد شخصيته .
٤ ـ العرد : الحمار . القاموس .
٥ ـ الاشارة هنا الى ما جاء في الآيات : ٢٠ ـ ٤٤ من سورة النمل .
٦ ـ الاشارة إلى حكاية سبب خراب سد مأرب وسيل العرم .
٧ ـ بالأصل : والفرس ، وهو تصحيف .

وبطحاؤها وسقايتها فهل يعدلنا عادل أو يبلغ مدحتنا قول قائل . ومنا ابن عباس عالم الناس ، الطيبة أخباره ، المتبوعة آثاره ، ومنا أسد الله وسيفه [1] ، ومنا الصديق والفاروق وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، لم يكفر بالله قط ، ولم يزغ بباطل عن الحق ، وذو النورين عثمان الشهيد .

ثم قال ابن الأهتم : كيف علمك بلغة قومك ، وما اسم الأصابع عندكم ؟ قال : الشناتر . قال : فما اسم الأذن ؟ قال : الصنارة . قال : فاللحية ؟ قال : الزب . قال خالد : فإن الله سبحانه وتعالى يقول بلسان عربي مبين فهل سمعته يقول : جعلوا شناترهم في صناراتهم [2] ويقول لا تأخذ بزبي [3] فقال أبو العباس رضى الله تعالى عنه : مالك يا يماني ولرجال مضر ، وأمر لخالد بمال وقطيعة بالبصرة .

المدائني أن خالداً نازع عمرو بن عبيد الأنصاري وكان بذيئاً يشتم من سأله فلم يعطه ، وكان يقال له ابن أم حكيم وهي أمه التي قامت عنه فقال لخالد : أنتم كما قال الله : ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد﴾[4] . فقال خالد : ويحك يا بن ام حكيم إنك اعتصمت بخلتين : الكفر ، واللؤم ، فبسطت يديك فجعلت شمالك سطحاً ، وملأت يمينك سَلْحَاً وقلت : املأوا سطحي وإلا رميتكم بسَلْحي ، ويحك يا بن أم حكيم

١ ـ أسد الله حمزة عم النبي ﷺ . وسيف الله خالد بن الوليد .
٢ ـ انظر الآية ٧ من سورة نوح .
٣ ـ انظر الآية ٩٤ من سورة طه .
٤ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ١٩ .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة﴾[١] وأن أم حكيم يرحمها الله كانت محصنة مؤمنة وما أنا بالواثق بغفلتها وهي تغمر كمرة كثير الدهان .

وذكر خالد المزاح فقال :

يَصلّ[٢] أحدهم صاحبه بأصلب من الجندل .

وينشقه أَحَدَّ من الخردل .

ويفرغ عليه أَحَرّ من المرجل .

ثم يقول ما زحتك .

قالوا : أتى رجل من بني تميم خالداً فسأله فأعطاه دانقاً ، فقال له : إنه لو أعطاك كل رجل من بني تميم مثل ما أعطيتك لرحت ذا مال عظيم .

قالوا : ودخل خالد على أبي العباس رضي الله عنه فقال له : يا خالد كيف علمك بأخوالي ؟ قال : أيّ أخوالك يا أمير المؤمنين فبكلهم أنا عارف ؟ ، قال : أَمَسَّهم بي قرابة وأوجبهم علي حقاً ، ولد الحارث بن كعب . قال : يا أمير المؤمنين هناك هامة الشرف ، وخرطوم الكرم ، وإن فيهم لخصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ، إنهم لأحسنهم أمماً وأكرمهم شيماً ، وأوقاهم ذمماً ، وأبعدهم همماً ، هم الجمرة في الحرب والرفد في الجدب ، وهم الرأس وغيرهم العَجْب[٣] . قال : لله درك يا بن صفوان قد وصفت فأحسنت .

١ ـ سورة النور ـ الآية : ٢٣ .

٢ ـ بهامش الأصل : يصك .

٣ ـ العجب : أصل الذنب ، ومؤخر كل شيء . القاموس .

وقال خالد : لا تمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا تمازح الدنىء فيجترىء عليك .

قال أبو الحسن : ويقال إن الذي قال هذا سعيد بن العاص ، وأنشد :

أما المزاحة والمراء فدعهما   خلقان لا أرضاهما لصديق

ويقال المتمثل بالبيت مسعر بن كدام .

وذكر خالد أبا مسلم فقال :

ألم تر إلى هذا الذي بدا بالخرق   ثم ثنى بالحمق بعد ظلم الخلق

وقال لرجل : قاتله الله أما والله إن قوافيه لقلائد ، وإن انبازه لعلائق ، وإنه ليملأ الأذن بياناً ، ويقري العين جمالاً .

وكان خالد يقول : أحسن الكلام ما لم يكن بالبدوي المغرب ولا القروي المخدج، ولكن ما شرفت مبانيه ولطفت معانيه، ولذّ في أفواه القائلين ، وآنق السامعين ، وازداد حسناً على مر السنين فاجتنته الرواة واقتنته السراة ، وكان كعلائق الشعر السائرة ، والأخبار الملازمة .

وسمع خالد رجلاً من قريش يتكلم فأبلغ وأحسن ، فحسده خالد فتعرض له وتحكك فيه ، فقال له القرشي : ما أعلم لي يا أبا صفوان إليك ذنباً إلا الاشتراك في الصناعة .

وتكلم خالد بالبادية فقال : يا أهل البادية ، ما أحسن بلادكم ، وأغلظ عيشكم ، وأجفى أخلاقكم ، لا تشهدون جمعة ولا تتبغون قاصّاً ، فقام إليه أعرابي منهم فقال : أما ما ذكرت من خشونة بلدنا وجفاء أخلاقنا فإن ذلك كما ذكرت ولكنكم معشر أهل الحضر تنقبون الدور ، وتنبشون

القبور ، وتأتون الذكور ، فقال خالد : اسكت قَبَّح الله ما جئت به .

قال:وخوطب خالد في ابنه وقيل له : يدك تشتمل على ثلاثين ألفاً ، وإنما تُجري على ابنك في كل يوم درهما وهو في طرفه [١] على ما تعلم ، فقال : دانقان لخبزه ودانقان ثمن دجاجة ، ودانقان فاكهة ، هذا قوت صالح .

قال وذكر خالد بن صفوان رجلاً فقال : كان والله فريغ المنطق ، ذلق اللسان ، سهل الجرّة ، جزل الألفاظ ، ثابت الكعدة ، رقيق الحواشي خفيف الشفتين ، بليل الريق ، رحب السَّرب ، قليل الحركات حسن الإشارات ، حلو الشمائل ، حسن الطلاوة صموتاً قؤولاً يهنأ الجرب ، ويداوي من الدبر ، ويصيب المفاصل ، لم يكن بالهذر في منطقه ، ولا الزَمِر [٢] في مروءته ، ولا الخرق في خليقته .

متبوعاً غير تابع ، كأنه علم في رأسه نار .

وذكر رجلاً فقال : كان والله قراءً غير نزَّال ، معطاء غير سآل ، متبوعاً غير تابع .

وذكر رجلاً فقال : ما كان أفيح صدره ، وأبعد ذكره ، وأعظم قدره ، وأعلى شرفه ، وأكثر حامده ممن لم يعرفه ومن عرفه ، مع سعة الفناء ، وعظم الإناء ، وكرم الآباء .

وذكر رجلاً فقال : ابن الوجوه الواضحات الصباح ، والعقول الراجحات الصحاح ، والألسن الخطارة الفصاح ، والأنساب الكريمة الصراح ، والصدور الرحيبات الفساح والمكارم الثمينة الرباح .

---

١ ـ رجل طرف : الرغيب العين الذي لا يرى شيئاً إلاّ أحب أن يكون له .

٢ ـ الزمر : القليل المروءة . القاموس .

وقال الهيثم : لما دخل خالد على هشام فجرى ذكر خالد القسري ، فقال هشام : إن خالداً أدَلَّ فأَمَلَّ ، وأوجف فأعجف ، ولم يدع لراجع مرجعاً ، ولا لعودة موضعاً ، قال : ألا أخبرك عنه يا بن صفوان ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : إنه ما بدأني بسؤال حاجة مذ قدم العراق حتى أكون أنا الذي أبدأه بها ، قال خالد : فقلت فذلك أحرى أن ترجع له ، فقال متمثلاً :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليه بشيء آخر الدهر تقبل

ثم قال : ما حاجتك يا بن صفوان ؟ قلت : تزيدني في عطائي عشرة دنانير . فأطرق ثم قال : وفيم ألعبادةٍ أحدثتها نعينك عليها ، أم لبلاء حسن أبليته أمير المؤمنين ، أم لماذا يا بن صفوان ، إذا يكثر السُّؤال ولا يحتمل ذلك بيت المال ، قال : فقلت : يا أمير المؤمنين وفقك الله وسددك ، أنت والله كما قال أخو خزاعة :

إذا المال لم يوجب عليك عطاؤه قرابة قربى أو صديق توامقه
منعتَ وبعض المنع حزم وقوة ولم يفتلذكَ[1] المال إلا حقائقه

فلما قدم خالد البصرة قيل له ما الذي حملك على تزيين الإمساك له ، فقال : أحببت أن يمنع غيري فيكثر من يلومه .

وقال خالد لابن عم له : كان أبوك آدم الناس وجهاً ، وكانت أمك أسوأ الناس خلقاً ، فأنت جامع لمساوىء أبويك .

وقال خالد ، ويقال عبدالله بن الأهتم لقوم نازعوه من موالي آل أسيد : إن أحق الناس ألا يتكلم من لم يكن له أصل ثابت ولا فرع نابت ،

١ ـ الفلذ : العطاء بلا تأخير ولا عدة ، أو الاكثار منه ، أو دفعه . القاموس .

وكان ذنباً تابعاً وخفاً موطوءاً وزمعاً زائداً ، ما قامت النساء عن مثل ابن عائشة [١] رحمه الله ، فإنه تفقد أرحامه وأهل قرابته فغسل غثايتها وألحق خسائسها ، وبعثهم بالعراق جباة ونكاة ، فلما خانت جباتها وضعفت نكاتها حدر عليها بشراً [٢] بغير مال محمول ، ولا جند مفصول ، ولا سيف مسلول، فأتاها حين تضايق حلق البطان مُشْمَعِلاً [٣] من الفروع النواضر ، والليوث الهواصر ، فشذَّب قيادتها وأباح أحميتها ، وأذل صعبتها ، وسهَّل حزنها ، لا كمن اختان الأموال [٤]، وجبن عن القتال ، ومنح دبره صدور العوالي ثم أقبل يُحسِّن الخمر والخيانة والغدر ، ويُقبِّح الوفاء والنجدة والأمانة ، قبحاً لتلك الشفاه الهدر والأعين السحر ، والأنوف الجثم ، والألوان الحائلة ، والشعور القَرِدَة ، وقبحاً لتلك الأخلاق الشتىٰ أورثتهم عاراً وأكسَّبتهم شناراً ، وأبوا أن يأتوا بخير .

وقال أبو الحسن المدائني : سمر خالد عند أمير المؤمنين أبي العباس ففخر قوم من بني الحارث ، وخالد ساكت ، فقال أمير المؤمنين : يا بن صفوان مالك لا تقول . قال : هؤلاء أخوال أمير المؤمنين . قال : وأنت من أعمامي وليس الأعمام بدون الأخوال . قال : وما أقول لقوم إنما هم بين ناسج برد ، وسائس قرد ، ودابغ جلد ، دل عليهم هدهد ، وغرقتهم فأرة ، فضحك أبو العباس .

قالوا : وشخص خالد مع سليمان بن علي إلى أبي العباس ، ومعه

١ ـ بهامش الاصل : يعني عبدالملك بن مروان .
٢ ـ بهامش الأصل : يعني الحجاج .
٣ ـ المشمعل : الناقة النشيطة ، والرجل الخفيف الظريف ، أو الطويل . القاموس .
٤ ـ بهامش الأصل : يعني ابن خالد بن أسيد .

ابناه : محمد ، وجعفر ابنا سليمان ، فنزل خالد بين منزليهما فقال له سليمان : أين نزلت يا أبا صفوان ، فقال : بين محمد ، وجعفر ، قال : فكيف رأيتهما فقال :

أبو نافع جار لها وابن برثنٍ فيا لك جاري ذلة وصغار [1]

فغضب سليمان . وهذا الشعر لابن مفرغ .

وحدثني التوزي عن الأصمعي قال : دخل خالد على نسائه فقال : إنكنَّ لطوال الأعناق ، كرام الأخلاق والأعراق ، ولكني رجل مطلاق ، اذهبن فانتنّ طُلّاق .

وقال خالد : ما أتت علي ليلة أحب إليّ من ليلة طلقت فيها نسائي ، فرجعت والستور قد هتكت ، ومتاع البيت قد نقل ، وبعثت إليّ بنيتي بسليلة فيها طعامي ، وبعثت إلي الأخرى بشيء أنام عليه .

وقال خالد لابنه : يا بني كن أحسن ما تكون في الناس حالاً ، أقل ما تكون في الباطن مالاً فإن الكريم من كرمت عند الحاجة طعمته ، وإن اللئيم من ساء عند الفاقة أكله .

وحدثنا المدائني قال : كان خالد يقول في الحجاج : عجباً لغلام ولد بالطائف ، فلم تزل الأمور ترفعه وتخفضه ، حتى أتى العراق بلا مال محمول ولا جند مفصول ، فأباح أحميتهم ، وأناخ بهم [2] ، وأوطأ أصمختهم ، وأتته الرجال شلالاً ، يؤتى بزيت الشام وصير [3] مصر على البرد طرداً .

---

١ ـ ديوان يزيد بن مفرغ ص ١٤١ .

٢ ـ بهامش الأصل : جمرتهم .

٣ ـ الصير : شبه الصحناء ، ويقال كل صحناء صير ، والصحناء والصحناة : إدام يتخذ من السمك ، مُشه ، مصلح للمعدة . العين : القاموس .

ورأى خالد في بعض دور أمراء البصرة مالك بن دينار ، ومحمد بن واسع الأزدي وفرقدا السبخي ، فمال إليهم ثم قال : ما خلطكم بنا عند هذا الباب فقد عهدناكم ترغبون عنه ، والله ما يخرج إلينا منكم أحد إلا بشقاء ، ولا يدخل منا أحد إليكم إلا بسعادة ، ثم خاف أن يكونوا قد استغلظوا قوله فعاد إليهم فقال : الله يعلم أن قلبي يحبكم ، ولكنا تمرغنا على هذه الدنيا فتمرغت علينا ، وما شبهت بي وبكم إلا الجناح يكون معلقاً بالدار ، فإن شاء قائل أن يقول ليس منها لخروجه عنها قال ، وإن شاء أن يقول إنه منها لتعلقه بها قال .

وقال أبو الحسن : خاصم رجل خالداً إلى بلال بن أبي بردة فقضى للرجل على خالد ، وتحامل عليه ، فقام خالد وهو يقول : سحابة صيف عن قليل تقشّع . فقال بلال : أما إنها لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ، فضربه فيما يقال مائة سوط ، وأمر بحبسه ، فقال خالد : علام تحبسني يا بلال وما جنيت جناية ؟ فقال : يخبرك عن ذلك باب مُصْمَت ، وأقياد ثقال ، وحاجب يقال له حفص .

وقيل لخالد : ما بلغ من زهد الحسن فقال : لم يقلّب درهماً قط ولم ير في سوق قط إلا مجتازاً ، وكان في نهاره معلماً ، وفي ليله زاهداً عابداً .

وكان خالد يقول وهو غاز إذا سبقه القوم : أهكذا يفعل السراة وأهل المروءة ؟ فإذا سبقهم فقيل له : تنهى عن شيء وتفعله ؟ قال : فلم بذلنا الأموال في فرهة الدواب ؟

وخطب خالد امرأة من بني سعد فقال لها : أنا خالد بن صفوان ، والحسب ما علمت ، وكثرة المال على ما بلغك ، وفيَّ خصال أعلمك بها

لتقدمي على معرفة : إنه لا سبيل إلى درهمي وديناري ، وأنا ملول فربما أتت علي ساعة لو أن رأسي في يدي لطرحته ، فقالت : قد فهمت ما ذكرت وهذه خصال ما كانت لترضاها بعض بنات ابليس فكيف بنات آدم فارجع موفوراً .

وقال خالد : الإماء شر خلف من الحرائر ، هن أوسخ رقاباً ، وأقل عقولاً ، فقيل له : فإنك لا تتخذ إلّا الإماء ؟ فقال : أما سمعتم قول القائل : خذ من القَسّ بقوله ، ولا تأخذ بعمله .

وكان خالد يقول : ثلاث أضن بدرهمي فيهن : صداق النساء ، وصلة الرحم ، وشراء الموز ، وأراد رجل أن يبني بأهله ، فقال له خالد : بالبركة وشدة الحركة والظفر عند المعركة .

وقال خالد : كانت لي امرأة وأنا ملول ، فكانت تستخف بي وتقول : ما أعرف كريمة قوم صبرت على مثل ما أصبر عليه منك ، فركبت يوماً مع سليمان بن علي وعناني جديد فاتسخت يدي فجعلت أغسلها من الوسخ وأقول : الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين . فقالت : من طين ليس الذي يخرج منك . فطلقتها فقالت : طلاق وافق مَشِيّه .

وحدثني أبو حسن الزيادي عن المبارك بن سعيد قال : كان عمر بن عبدالعزيز عند بعض بني أمية ، وعنده ابن الأهتم فأطرى ابن الأهتم بني أمية فأفرط ، فقام عمر وهو يقول : من سَرَّهُ أن ينظر إلى الأفاك الأثيم ، فلينظر الى ابن الأهتم ، فلما استخلف قال : لا يدخلنَّ علي ابن الأهتم ، ولا خالد بن عبدالله القسري فإنهما مُقْوِلان ، وإن من البيان ما فيه سحر .

وأما رَبْعي بن خالد فقتله السودان الذين ظهروا بالبصرة في أيام سَوّار بن عبدالله ، وله عقب بالبصرة .

وأما عبدالله بن خالد فكان مصاباً ، ومات بالبصرة .

ومنهم : شبيب بن شيبة بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم بن الخطيب ، ويكنى أبا معمر ، وكان شيبة ممن قتله قتيبة بسبب أبي الزقاق . وزعم غير الكلبي أنه شبيب بن شبَّه بن عبدالله بن الأهتم ، وقول الكلبي أثبت . وولي شبيب الأهواز لعبدالله بن عمر بن عبدالعزيز ومات ببغداد .

حدثنا أبو الحسن المدائني قال : قال شبيب: غُمَّ على الحسود أمرك ، واكتمه سرك ولا تستشره فيغشك فإنه يظهر بشراً ويضمر شراً ، ويكرم محضرك ، فإذا غبت عابك واغتابك .

قال : وجلس المهدي وهو ولي عهد للناس فسلموا عليه ، ودخل شبيب فيمن دخل ، فلما خرج من عنده قال : رأيت الداخل راجياً والخارج راضياً .

قال : ودخل شبيب على المهدي في بعض أيامه ، وعنده بعض ولده ، فقال له : أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى بنيك فيك ما أراك في أبيك .

ودخل شبيب منزله فقال : يا جارية اطعميني شيئاً ، فجاءته بطبق فيه قراطيس ، فقال : ما هذا ؟ قالت : هذا الذي خلَّفت عندنا .

وقال شبيب : البلاغة الإيجاز في غير عجز ، والإطالة في غير خطل .

وقال : الرأي ضالة فاستدلل عليها بالمشاورة ، وروي ذلك عن ابن شبرمه .

وكان شبيب يقول : يحتاج الخطيب الى بلالة الريق ، وغموض العروق ، وألا يخرج من شيء حتى يتمثل له ما بعده .

وكان شبيب يقول : أحسن الشعر المنظوم ، والكلام المنثور ، وما ظن السامع أنه قد كان قد سمعه .

وقال شبيب : الكفاف مع القَصْد أكفى من السعة مع الإسراف ، وروي ذلك أيضاً عن هشام بن عبدالملك .

وحدث شبيب بن شيبة ابن المقفع فقال : ان أكثم بن صيفي قال : البخل فطنة ، والسخاء تغافل ، فقال ابن المقفع : ولكني أقول : السخاء فطنة ، والبخل تغافل ، وقال : المودة أشبك الأنساب ، والعلم أشرف الأحساب .

ومر ابن المقفع بشبيب وهو عليل في دهليزه ، فنزل إليه ، وكان ابن المقفع على بغل ، وجاءت جارية من بعض دور الأشراف عائدة له عن سيدتها ، وكان بغل ابن المقفع قد وَدي ، فلحظته ثم قالت : يا أبا مَعْمَر تقول لك سيدتي : كيف أير بغلكم ، فقال ابن المقفع : كما ترين رحمك الله ، وقال شبيب : شغلها ما أهمها عن عيادتنا .

وقال شبيب : حسدت عمرو بن عبيد على كلمتين سمعتهما منه ، شتمه رجل وهو ساكت ، فلما قضى الرجل كلامه قال له عمرو : آجرك الله على الصواب ، وغفر لك الخطأ . ويقال إن خالد بن صفوان قال هذا القول .

وقال شبيب : حفظ ما في يدك أيسر من طلب ما في يد غيرك .

وقال الحرمازي : كان ابن لشبيب ماجناً ، ويقال ابن لحضين بن

المنذر ، فأخذه شبيب ، أو حضين ، فحبسه فكتب كتاباً على لسان ابليس : من أبي مُرَّة سيد الجن وعظيمهم إلى شبيب بن شيبة ، أما بعد : فانك عمدت إلى حبيبي وصفيي من البشر من أهل هذا المصر فحبسته ، وأنا أقسم لئن لم تخله وتحسن إليه لأصرعنَّك صرعة تكون غير منتعش منها ، ولأهلكنَّ مالك وعِيالك . ودس الكتاب فجعله بين كتب أبيه ، فلما نظر شبيب في كتبه قرأ الكتاب فراعه وجعل يقول : صدق أبو مرة لقد أسأتُ ببنيٍّ وخلىٰ سبيله وأكرمه .

وروى ابن المبارك أوغيره عن شبيب حديثاً ، فقيل له إنه رجل صحب السلطان ويجري معهم فيما يريدون أفتروي عنه ؟ فقال : إن له شرفاً ومروءة ، وليس مثله يكذب في الحديث المأثور .

ومنهم **عبدالله بن عبدالله بن الأهتم** قال ـ أو أبوه ـ للأحنف يوماً: ما أراك تحدث عن أبيك قيس بشيء ؟ فقال الأحنف : كان أبي رجل من العرب له صرمة من الإبل يقري منها الضيف ويفعل فيها المعروف ويحيمها برمحه وسيفه ولم يكن أُهيتم سلّاحاً .

ومنهم : **خاقان بن عبدالله** بن عبدالله بن الأهتم ، ويكنى أبا عمرو ، ولي ميسان من قبل سعيد بن دعلج ، وهو أبو صبَّاح بن خاقان .

ودخل عبدالله بن خالد بن صفوان المرور المسجد ، وقد شوّه نفسه في لبسته ، فقال له عبدالرحمن بن شبيب بن شيبة : قم فما أحوجك إلى أدب ، فقال : أحوج إليه مني من اشترى الخمر بماله ثم شرب حتى أحدث في ذيله ، وَقاءَ في جيبه ، يُمسي محمراً ، ويصبح مصفراً، وكان عبدالرحمن صاحب شراب .

ومنهم محرز بن شهاب بن محرز بن سُميّ بن سِنان بن خالد بن منقر ، قتل مع حجر بن عدي الكندي بمرج عذراء .

ومنهم : **حزن بن جزيء بن** جندل بن منقر ، كان فارس زمانه .

وجرول بن حزن ، كان فارساً أيضاً من فرسان الجاهلية .

والقعقاع بن سويد بن عبدالرحمن بن بجير بن أوس بن سفيان بن خالد ، كان شريفاً بالكوفة ، وقد ولي شرط الكوفة .

وقال أبو اليقظان : كان القعقاع أعرج ، وولاه عبدالحميد بن عبدالرحمن في خلافة عمر بن عبدالعزيز شُرط الكوفة ، وكان عبدالحميد أعرج فقال الشاعر :

ألق العصا ودع التخادع والتمس عملاً فهذي دولة العُرْجان

وولي القعقاع بعد ذلك سجستان ، وفيه يقول أبو خالد اليشكري :

توعدني القعقاع في غير كنهه فقلت له : بكّر إذا رمتني تُرسي
فما أنت يا قعقاع إلا كمن مضىٰ كأنك يوماً قد نقلت إلى الرمس
فإن تك قد أوعدتني غير مقصر فدونك فاغضب إن غضبتَ على الشمس

وقُديَد بن مَنِيع بن معاوية بن فروة بن الأحمس بن عبدة بن الأحمس بن عبدة بن خليفة بن جرول بن منقر ، ومنيع الذي يقول :

يُبكى علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ أكباداً من الإبل
لا شيء أحسن منها إذ تودعني وَجَيبها برشاش الدمع مغتسل

وكان من ولد قُدَيد : الأحنف بن قديد . وعبدة بن قديد ، وكان عبدة جواداً ، وفيه يقول الشاعر :

كذب القائلون قد ذهب الجـــ ـــود ومات الندى بموت الجنيد

من أراد الندى وبذل العطايا فعلية بعبدة بن قديد
ويقال ان الذي يقول :
يبكى علينا ولا نبكي على أحد ....
قديد بن منيع .
وتزوج أبو مُسلم المرزبانة بنت قديد ، وتزوجها عبد الجبار بن عبد الرحمن .
ومنهم عِصمة ، وهو عصمة بن سنان بن خالد بن منقر الذي يقول فيه الشاعر وكان أسره عُصَيمة وخلاه
عصيمة أُجزيه بما قَدَّمَتْ له يداه وإلّا أُجْزِ عِصمة أكفر
واللعين المنقري من ولد عِصمة ، واسمه منازل بن زمعة ، ويكنى أبا أُكيدر .
ومنهم فدكي بن أعبد بن أسعد بن منقر ، كان فارس بني سعد في الجاهلية، وكان فدكي بن أعبد، وطريف بن تميم، وأبو الجدعاء الطهوي أغاروا وهم متساندون على طيء ، فقتلوا عمرو بن ورد رئيس طيء ، وأسروا منهم ثمانين أسيراً فيهم حاتم الطائي الجواد ، ثم انصرفوا فأغاروا على بكر بن وائل ، فقُتل طريف وأبو الجدعاء ، وأفلت فدكي بن أعبد .
وقد شهد فدكي وقائع وهو القائل :
أنا ابن ماوية إذا جدَّ النفر ....
وله عقب .
ومن بني منقر : عقبة بن حَبَّار ، وكان بخيلاً ، وفيه يقول الشاعر :
لو أن قدراً بكت من طول محبسها على الجفوف بكت قدر ابن حبّار

ما مسها دسم مذ فُضَّ معدنها ولا رأت بعد نار القين من نار

ومن بني مرة بن عُبيد ؛ مُجّاعة بن سِعْر بن يزيد بن خليفة بن سنان بن قطن بن العجلان بن مرة بن عبيد كان شريفاً ، وكان سِعْر مع عَلي بن أبي طالب عليه السلام ، فدخل عليه وعنده فالوذج فقال : ما هذا ؟ قال : هذا الذي يقتل عليه بعض قريش بعضاً ، فاعتزله ولزم ناحية من البصرة .

وولي مُجّاعة عُمان للحجاج ، وولي مكران ، وبها مات فقال الشاعر :

ما من مشاهدك التي شاهدتها إلا يزينك ذكرها مُجَّاعا

وكان القاسم بن مجاعة ولي عُمان فقتله أهلها وصلبوه ، فقال الشاعر :

تناوم مُجَّاع وأسلم قاسماً وما صاحبُ الحاجات بالمتناوم

فبعث الحجاج مجّاعة إلى أهل عُمان ، فقتل منهم مقتله عظيمة فقال مجّاعة

حمدتُ الله حين شفيت نفسي فهذا حين ساغ لها الشراب

وولى يوسف بن عمر غضياً بن القاسم بن مُجّاعة عُمان .

ومن بني مرة بن عبيد فيما ذكر أبو اليقظان: **الأسود بن سريع**[1] أتى النبي ﷺ فقال له : قد مدحت ربي فقال رسول الله ﷺ : «إن ربي ليحب أن يمدح» . وكان أول من قصَّ بالبصرة في مسجدها .

ومات رجل فقال الأسود :

إن تنج منها تنج منها عظيمة ....

فقيل له : أجز يا أبا سريع فقال :

.... وإلا فإني لا أخالك ناجياً

---

١ ـ بهامش الأصل : الأسود بن سريع رحمه الله .

وقال أبو اليقظان : ومن بني مرة بن عبيد : مذعور بن هزال كان له مال وقدر بالأهواز .

ومن بني مرة بن عبيد عن الكلبي : عُمارة بن سليمان بن قيس بن عُمارة بن مرة بن مرثد بن حِميري بن عبادة بن النزال بن مرة ، كان شريفاً .

وقال أبو اليقظان : هو عمارة بن أبي سليمان ، كان خطيباً لسناً بالكوفة ، وقد ولي الولايات ، ويقال إنه دعيٌّ ، وله عقب بالكوفة[1] .

قال الكلبي: ومن بني مرة بن عبيد أخي منقر بن عبيد : **الأحنف واسمه الضحاك بن قيس**[2] بن معاوية بن حصين بن حفص بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد .

وقال غير الكلبي : اسم الأحنف صخر بن قيس ، ويُكنى الأحنف أبا بحر ، ولد : أحنف . والحنف : إقبال إحدى القدمين بأصابعها على الأخرى . وقالت أمه حَبَّة بنت عمرو الباهلية ، ويقال حُبَّى ، وهي ترقصه :

والله لولا حنف برجله وضعفه ودقة من هزله
ما كان في فتيانكم كمثله

وكان حليماً . ولما أتى رسول النبي ﷺ بني تميم ، يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه ، قال الأحنف : إنه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن ملائمها ، فأسلمت بنو تميم ، وأسلم ولم يفد على النبي ﷺ ، ووفد على عمر رضي الله تعالى عنه مع وفد من قومه، فقال: يا أمير المؤمنين أتاك وفود

١ - بهامش الأصل : بلغت عرضاً بالأصل الثالث ، ولله كل حمد .
٢ - بهامش الأصل : الأحنف بن قيس ، رحمه الله .

العرب ، وأهل الأمصار ، وقد نزلوا في مياه عذبة ، وجنان مخصبة في مثل حولاء السلي، وحدقة الحمل تأتيهم ثمارهم لم تخضد ، وإنا نزلنا في سبخة نشاشة مالحة هشاشة ، جانب منها البحر الأجاج وجانب الفلاة ، فألا تمدنا بفضل عطاء أو زرق نهلك ، فحبسه عمر عنده حولاً حيث أعجب بكلامه ليستبرىء ما عنده فلم ير إلا ما يحب . فقال عمر : إنا كنا نحاذر كل منافق عليم ، وإني قد خبرتك حولاً فرأيتك ذا جُول[1] ومعقول ، وأذن له فقدم البصرة .

وحضر مجلس عمر ، فذكر عمر بني تميم وقال فيهم ، فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين منهم الصالح ومنهم الطالح ، فقام الحتات المجاشعي ليتكلم فقال له عمر : اجلس فقد كفاكم سيدكم الأحنف .

وحدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي قال : قدم الأحنف على عمر بن الخطاب في أهل البصرة ، فجعل يسألهم رجلاً رجلا ، والأحنف جالس في ناحية البيت في بَتٍّ لا يتكلم ، فقال له عمر : أمالك حاجة ؟ قال : بلىٰ يا أمير المؤمنين إن مفاتح الخير بيد الله ، وإن اخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة ، والجنان الملتفة ، ونزلنا بسبخة نشاشة لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها ، من قبل المشرق البحر الأجاج ومن قبل المغرب الفلاة ، فليس لنا زرع ولا ضرع ، تأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مرىء النعامة ، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين، وتخرج المرأة كذلك فتربق ولدها كما تربق العنز، نخاف بادرة العدو ، وأكل السبع . فإلّا ترفع خسيستنا وتجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا .

١ ـ الجول : العقل والعزم . القاموس .

فألحق عمر ذراري أهل البصرة في العطاء ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري يأمره أن يحفر لهم نهراً[١]

وحدثني عبدالله بن صالح العجلي عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس : الرجل الكامل من تحفظ هَفَواته .

حدثنا أبو الحسن علي بن محمد المدائني عن كليب بن خلف قال : تذاكروا الصمت والمنطق عند الأحنف ، فقال قوم : الصمت أفضل ، وقال الأحنف المنطق أفضل ، لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه ، وفضل المنطق ينال من سمعه ، وإن ملاقاة الرجال تلقيح لألبابها .

حدثني الحرمازي عن أبي الفضل العميّ عن أبي عامر العُطاردي قال : قدمت عير للأحنف بن قيس ، فخرج يتلقاها ومعه فتى كان يلزمه فيعجبه صمته ويحسب أن ذلك لحسن استماع ، فلما برز الأحنف إلى الجبان نظر الفتى إلى غراب محلق في السماء فقال : يا أبا بحر أيسرك أنك بمكان هذا الغراب ولك عشرة آلاف درهم ؟ فقال الأحنف : لا يا بني ولرب ناطق هو أعيا من صامت .

المدائني عن جهم بن حسان قال : حبس مُصعب بن الزبير قوماً ، فقال له الأحنف : أصلح الله الأمير إن كنت حبستهم بباطل فالحق يخرجهم ، وإن كنت حبستهم بحق فالعفو يسعهم ، قال : صدقت ، وأخرجهم .

وقال الأحنف ، ورأى من مصعب تجبراً : عجباً لمن يتجبر وقد جرى

١ ـ الخبر بالتفاصيل نفسها في البلدان للبلاذري تحقيق د . سهيل زكار ـ ط . بيروت ١٩٩٢ ص ٤٠٣ .

في مجرىٰ البول مرتين ، ويقال إنه مد رجله وهو معه على السرير ، فقال هذا القول .

المدائني عن كليب بن خلف وغيره أن الأحنف بن قيس قال : تعلمت الحلم من قيس بن عاصم ، أتـى مولىٰ له صائغ وقد ضرب رجل يده بسيف فأبانها ، والرجل معه ، فلما نظر إلى الرجل قال : قد وهبتك يا هذا الله فاتق الله ثم نظر إلى مولاه فقال : يا بني قد غمنا ما أُصبتَ به وأنت في عيالنا ما بقيت .

قال : وأتي ذات يوم بابنه مقتولاً وبقاتله ، فقال : روعتم الفتىٰ ورعبتموه ثم أقبل عليه فقال : ما أردت إلى ابن عمك وهو عضدك ويدك ونصيرك ، والله لقد نقصت عددك ، وضعضعت ركنك ، وأسخطت ربك ، أطلقوه ، فأطلقوه وما حَلَّ حبوته ولا قطع كلامه ولا تغير لونه .

المدائني عن عوانة قال : لما نزل أصحاب المختار على حكم المصعب بن الزبير ، شاور الأحنف في أمرهم فقال الأحنف : أرىٰ أن تعفو عنهم فإن العفو ﴿أقرب للتقوى﴾[1] . فقال أشراف أهل الكوفة : لا تعف عن هذه الموالي واضرب أعناقهم فقد بدا كفرهم ، وعظم كبرهم ، وقل شكرهم ، وضجُّوا . فلما قتلوا قال الأحنف : ما أدركتم بقتلهم ثأراً ، فليته لا يكون في الآخرة وبالاً .

المدائني عن كليب وغيره قالوا : قال الأحنف : رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه ، ومن لم يصبر على كلمة تسوءه سمع سبعاً .

وقال رجل للأحنف ، ويقال لضرار بن القعقاع : والله لو قلت واحدة

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٣٧ .

لسمعت مني عشراً ، فقال : لكنك والله لو قلت عشراً ما سمعت مني واحدة .

وقيل للأحنف : من السيد ؟ قال : الذليل في عرضه ، الأحمق في ماله ، المطَّرح لحقده ، المعين لعشيرته .

المدائني عن كليب بن خلف وغيره أن غيلان بن خرشة الضبي قال للأحنف : يا أبا بحر ما بقاء ما فيه العرب قال : ما تقلدوا السيوف واقتطعوا العمائم ، وركبوا الخيل ، ولم يكونوا فوضى ، ولم تأخذهم حمية الأوغاد . قيل وما حمية الأوغاد ؟ قال : أن يعدوا الحلم ذلاً ، والتعافي فيما بينهم ضيماً .

المدائني عن الهذلي قال : قال الأحنف : ما أحب أن لي بنصيبي من الذل حمر النعم ودهمها ، فقال له رجل : أنت أعز العرب فقال : إن الناس يرون الحلم ذلاً .

الحرمازي قال : فقد الأحنف بحراً ابنه يوماً أو يومين ، فلما رآه قال له : أين كنت لله أبوك ؟ فقال : كنا نكسح ، يريد كنا نشرب . فقال : وهل جاء ما كنت فيه بخير قط ؟

وقيل له : ألا تكون مثل أبيك ؟ فقال : أكسل عن ذاك .

وحدثني الحرمازي قال : جرىٰ بين الأحنف وبين رجل من الشعراء كلام ، فقال له الشاعر : والله لأشتمنك شتماً يدخل معك قبرك ، فقال : يا بن أخي إنما يدخل معك قبرك دوني ، إن الكلم الصالح يزين صاحبه في الدنيا ويلقى خيره في الآخرة ، وإن الكلم السيء شين عاجل ، وشر آجل .

المدائني أن رجلاً رُفع إلى مصعب بن الزبير ، وقد اتهم بسرق أو غيره ، وعنده الأحنف بن قيس ، فقيل للمتهم : أصدق الأمير . فقال

الأحنف : بعض الصدق معجزة .

حدثني الحرمازي عن جهم السليطي أن بحر بن الأحنف قال لجارية أبيه زبراء : يا زانية . فقالت لو كنت زانية لجئت أباك بمثلك ، فقال الأحنف لابنه : يا فاسق لقد أفحشت ولَؤُمت ، وقال لجاريته ، لقد أغرقت في النزع وما أبقيت على أختك ، وكلاكما مسؤول عن قوله ، ومأخوذ به ، فاتقيا الله .

وكان بحر بن الأحنف مضعوفاً ، فقيل له : ألا تكون مثل أبيك ؟ فقال : وأيكم مثل أبيه ؟

وتزوج بحر فولد له سعيد بن بحر .

فتزوج سعيد بن بحر حفصة بنت ربعي بن عمرو بن الأهتم ، فمات ولم يولد له ، ولم يبق للأحنف عقب من ذكر ولا أنثىٰ ، وكانت للأحنف ابنة ماتت .

حدثنا أبو الحسن عن جعفر بن سليمان الضبعي عن المعلىٰ بن زياد عن الحسن أن الأحنف خرج في وفد تُستر إلى عمر رضي الله تعالى عنه ، فلبس الوفد ثياباً جدداً ، ولبس الأحنف بَتّاً ، فلما رآهم أعرض عن الوفد وأقبل على الأحنف فقال : بكم أخذت البَتّ ؟ قال : بأربعين . قال : فهلا بعشرين وَقَدَّمْتَ الفضل ، قال : يا أمير المؤمنين إن قومي حديث عهدهم بالجاهلية فأردت أن يروا للإسلام عليَّ أثراً حسناً ، فطفق عمر يسائل الأحنف ، والأحنف يقول : يا أمير المؤمنين أميرنا مجاشع ، فلم يكلمهم ، فانصرفوا فقال الأحنف : كره أمير المؤمنين زيكم فالقوه بغير هذا الزيّ ، فغدوا عليه في ثياب الحرب مصدأه ، فأقبل على مجاشع فساءله وساءل الوفد ثم انصرفوا إلى أبي موسىٰ ، واحتبس الأحنف حولاً ، ثم دعاه فقال : إني

خفت أن تكون منافقاً فارجع إلي بلدك وقومك فما بهم غنىً عنك ، واتق الله ربك .

المدائني عن مصعب بن حيان عن جُويبر عن الضحاك قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسىٰ رضي الله عنهما في العام الذي مات فيه أن وجِّه الأحنف في خمسة آلاف إلى خراسان ، فتوفي عمر قبل أن يسرحه .

المدائني قال : قال المنذر بن الجارود : أعطي الأحنف ما لم يعطه أحد . وفدنا على معاوية فلم أدع شيئاً من حسن الزي والهيئة إلا اتخذته ، وخرج متخففاً رث الهيئة ، فكنا إذا نزلنا منزلاً أظهرت ما عندي من الهيئة وتلبست ، وخرج الأحنف في بت ، ولا يراني أحد ممن لا يعرفنا إلا قال : هذا الأحنف ، والأحنف في بت ولا أُذكر أنا .

المدائني عن بشار بن عبد الحميد عن أبي ريحانة قال : وفد هلال بن وكيع وزيد بن جُلْبة ، والأحنف بن قيس إلى عمر ، فقال هلال بن وكيع : يا أمير المؤمنين إنا غُرَّة من وراءنا ، ولباب من خلفنا من قومنا ، وإنك إن تصرفنا بالزيادة في أعطياتنا والفريضة لعيالاتنا يزود الشريف منّا لك تأميلاً ، وتكون لذوي الأحساب أباً بَراً ، وإلا تفعل تكن مع ما نَمُتُّ بفضله ، وندلي بأسبابه كالجب لا يحل ولا يرحل ، ثم نرجع بأنف مصلومة ، وجدود عاثرة فَمَحْنَا وأهلينا بسجل من سجالك مُترع .

وقال زيد بن جُلْبة : يا أمير المؤمنين زود الشريف ، وأكرم الحسيب ، وأودعنا من أياديك بما يسد الخصاصة ، ويجبر الفاقة فإنا بقفٍّ من الأرض يابس الأكناف ، مقشعر الذروة لا شجر فيه ولا زرع ، وإنّا من العرب إذ أتيناك بمرأى ومستمع .

ثم قال الأحنف : يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيدالله ، والحرص قائد الحرمان ، فاتق الله فيما ولاك فيما لا يغني عنك يوم القيامة ، واجعل بينك وبين رعيتك شيئاً يكفيك وفادة الوفود ، واستماحة المستميح ، فإن كل امرىء يقرى في وعائه إلا الغل ممن عسىٰ أن تقتحمه الأعين ، فكان الأحنف أحمدهم قولاً عند عمر .

حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأ علي بن زيد أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى أن أذْنِ الأحنف وشاوره واسمع منه .

المدائني عن سوار بن عبدالله قال : وفد الأحنف على عمر فقال له : أعمك المتشمس ؟ قال : نعم .

المدائني عن مسلمة بن محارب عن عيينة بن عبدالرحمن الجوشني أن معاوية قال للأحنف : أتراني نسيت لك اعتزالك بالبصرة وقريش تذبح في نواحيها كما يذبح الحيران[1] لا تأمر بمعروف ولا تنهىٰ عن منكر ، أوتراني أنسى طلبك الحيل في أمر أتانيه الله لتبطله ، يعني يوم الحكمين . فقال الأحنف : «صَدَقَني سِنّ بَكْرِهِ»[2] ، لا آتيه في حاجة أبداً .

وعن مسلمة قال : جعل قوم لرجل جُعلاً إن سفَّه الأحنف وأغضبه ، فأتاه فقال : لا حياك الله يا أحنف ، فلم يجبه ، فأعادها مراراً فلم يجبه ، فانصرف الرجل فقال الأحنف : قاتلهم الله لقد علموا أين وضعوا خطرهم .

١ ـ بالأصل : خيزان ولا وجه له ، وتقدم الخبر في صفحة ١٨٧١ حيران . والحيران الذي لم يهتد إلى سبيله . وبناء عليه جرى التقويم .

٢ ـ صدقني سن بكره ، من أمثال العرب في باب تصديق الرجل صاحبه عند اخباره اياه . الأمثال لأبي عبيد ص ٤٩ .

قال : وقال الأحنف : ما قست منزلتي عند أحد بمنزلتي في نفسي إلا وجدتها دونها .

وسأل الأحنف قوم فقال : إن شئتم أعطيتكم درهمين ، وإن شئتم أعطيتكم ألفين ، قالوا : اختر لنا ، فلما خرج العطاء حمد الله وألقىٰ لهم درهمين فألقىٰ الناس كلهم درهمين درهمين فقاموا بكساء يحمله أربعة .

وكان الأحنف يقول : لأن أُدعى من بعيد أحب إلي من أن أدفع من قريب .

المدائني عن طُفيل بن أبي حفص قال : أتى رجل الأحنف فقال : يا أبا بحر إني أريد مشاورتك ، فأقبل الأحنف عليه فقال الرجل : إيه يا أبا بحر . فقال : منك ينتظر الابتداء بالقول رحمك الله .

وقال الأحنف : ما يسرني أني نزلت بدار معجزة واني أسمنت وألبست . فقيل يا أبا بحر وما يراد من دار الجزم[1] غير هذا . قال : إني أخاف سوء العادة .

قال : وكان الأحنف إذا أتاه رجل وهو في مجلس ضَيّق تحفز وتحرك يريه أن يوسع له .

المدائني عن عبدالله بن المغيرة عن عبدالله بن بيان عن الشعبي قال : قدم مصعب الكوفة بعد قِتل المختار فقيل: إن أحنف أهل البصرة في المسجد ، فجئنا ننظر إليه ، فإذا هو مُحْتَبٍ حمائل سيفه ، واضعاً مرفقيه على ركبته ، وقد شبَّك أصابعه ، وتميم مطيفة به ، وأكب الناس ينظرون إليه . فأراد قومه على شيء فقالوا : لا . فرفع رأسه إلى النظارة فقال : إن بني تميم

١ ـ جزم . قطع واليمين أمضاها ، والأمر قطعه قطعاً لا عودة فيه . القاموس .

خيل شُمْسٌ صعاب تضطرب فلا تنقاد لقائدها ، فما لبثنا أن كلمهم ، فقالوا : نعم ، نعم .

حدثنا هُدبة بن خالد ، ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف أنه قال : بينا أنا أطوف بالبيت زمن عثمان إذ جاءني رجل من بني ليث فقال لي : ألا أبشرك ؟ قلت : بلىٰ . قال : هل تذكر إذ بعثني رسول الله إلى قومك فعرضت عليهم الإسلام ، فقلتَ إنه يدعو إلى خير ، وما أسمع إلّا حسناً إنه ليدعو إلى مكارم الأخلاق ، وينهى عن ملائمها ؟ قلت : نعم . قال : فإني أبلغت النبي ﷺ قولك فقال : «اللهم اغفر للأحنف» . فكان الأحنف يقول : إنه لا رجاء ما أرجو .

المدائني عن عمر بن السائب عن سعيد بن كرز قال : قدم الجارود العبدي وافداً على رسول الله ﷺ فمر ببلاد بني سعد فوقف على الأحنف طويلاً ، ومضى أصحابه فقالوا : لقد طال وقوفك مع هذا التميمي ؟ فقال : إني رأيت رجلاً لا ينزل ببلد إلّا ساد أهله .

وقال معاوية : ما شيء يعدل الأناة فقال الأحنف : إلّا في ثلاث يا أمير المؤمنين . قال : وما هي ؟ قال : تبادر بعملك الصالح أجلك ، وتعجل إخراج ميتك وتنكح الكفء إليك . قال : صدقت أبا بحر .

المدائني عن الحسن بن دينار عن الحسن قال : دخل الأحنف مع عمه على مسيلمة الكذاب فلما خرج قال له عمه : كيف رأيته ؟ قال : رأيته كذاباً أحمق ، فقال عمه : لأعلمنه . قال : إذاً أجحد وأحلف بحقه ، فقال الحسن : أمِن والله أبو بحر الوحي .

المدائني عن أبي عبد الرحمن العجلاني قال : قيل للأحنف : إنك

لتغشى السلطان فتقعد ناحية ، فقال : لأن أقعد فأُقَرَّب أحب إلي من أن أقرُبَ فأُبْعَد .

وقالت بنو تميم للأحنف : منتنا عليك أعظم من منتك علينا لأنا سوَّدناك ، فقال : ما أعظم منتكم جزاكم الله خيراً ، وهذا شبل بن معبد البجلي ليس بالمصر من قومه غيره فمن سوَّده ؟!

المدائني عن بشار بن عبد الحميد عن أبي ريحانة قال : قال الأحنف ، وهو بصفين مع علي عليه السلام : ويل للعرب إن غَلَبْنَا أو غُلبنا ، قيل : وكيف ذاك يا أبا بحر ؟ قال : إن غَلبنا لم يعمل إمام بمعصية إلا قُتل وإن غُلبنا لم يُعَجْ[1] إمام عن معصية .

المدائني عن عبد الرحمن بن عبيد الله أن الأحنف قال : لا يزال العرب بخير ما تذاكروا الأحساب وأحيوها ، وأخذوا بصالح ما كان عليه سلفهم وأغلظوا ولم يكونوا فوضى ، وتعايروا الدناءة، وأقالوا الأحياء ، وأعفوا الأموات ولم يَعُدّوا الحلم ذلاً .

المدائني عن مسلمة قال : قال رجل للأحنف : لم أرك يا أبا بحر تمس الحصا . قال : ما في مسه أجر ، ولا في ترك مسه وزر .

المدائني عن عبدالله بن فائد ومسلمة قالا : قال الأحنف بن قيس : من كثر مزاحه ذهبت مروءته ، ومن كثر ضحكه ذهبت هيبته ، ومن أكثر من شيء عرف به .

قالوا : وذكر رجل من بني تميم عند الأحنف بعيب وتُمني موته ، فقال

١ ـ عج : صاح ورفع صوته ، والناقة زجرها . القاموس .

الأحنف : ما تريدون منه ، دعوه يكفي قرنه ، ويأكل رزقه ، وتحمل الأرض ثقله .

وكان الأحنف يقول : السؤدد كرم الأخلاق ، وحسن الفعال .

وكان لقوم قِبَل قوم دم فصالحوهم على ديتين ، فقال الأحنف : إن الله حكم بدية فرضي بها المسلمون وأحقّ ما رضي به العباد ما أمضى الله به حكمه عليهم، وإنكم إن أبيتم أن ترضوا اليوم بدية، لم يُرض منكم غداً إلّا بمثل ما طلبتم ، فإن الأمور تتعاقب ، والعز منتقل . فقالوا : الحكم إليك ، فأعطاهم دية .

المدائني عن مسلمة عن علي بن زيد أن الأحنف قال : ثلاث ما أقولهن إلّا ليعتبر معتبر ، إني لا آتي السلطان حتى يرسل إلي ، ولا أخلف جليسي بغير ما أحضره به ، ولا أدخل نفسي في أمر لا أدخل فيه ..

وقال الأحنف : يا بني تميم لا تنقبضوا عن السلطان ، ولاتهافتوا عليه ، واعلموا أنه من أسرف على السلطان أرداه ، ومن تضرع له تخطاه .

وكان يقول : بعض الذل أبقى للأهل والمال .

قال المدائني : كان يقال : أربعة سادوا ولا مال لهم : وكيع بن بشر بن عمرو بن عدس ، وابنه هلال بن وكيع ، والأحنف بن قيس ، وهلال بن أحوز ساد بالبشر الحسن .

وقال : فيل لبحر بن الأحنف : لقد أورثك أبوك شرفاً وذكراً ، فقال : ليته ترك لي مائة ألف درهم ، وإنه في النار .

المدائني عن مسلمة بن علقمة المازني عن خالد الحذاء عن عبدالله بن صعصعة قال : لما حبس ابن الحنفية قال أبي : انطلق بنا إلى عجوزنا هذه

القاعدة على ذيلها ، قال:فدخلنا على الأحنف ، فقال لأبي : يا أبا الوليد ما كنت لنا بزوّار فما بدا لك ؟ فقال : إن هذا الرجل محبوس . فقال يا أبا الوليد ما كنت صَبّاً بآل أبي طالب فقال : إنه محبوس مظلوم ، فذكر الأحنف رسول الله ﷺ وما هدى الله به من الضلالة ، وعلم بعد الجهالة ، ثم ذكر أبا بكر وعمر ، واختلاف الناس بعدهما ، وذكر عثمان ثم قال : قد بلونا آل أبي طالب فلم نجد عندهم إيالة للملك ، ولا صيانة للمال ، ولا مكيدة في الحرب ، والأمر ههنا ، وأشار إلى الشام . قال أبي : فما يمنعك ؟ قال : أتيتموني فقلتم : ابن الزبير ابن الزبير ، فلما بايعت قلتم : انكث ، لا انكث . فخرجنا وأبي يقول : لله در ابن الباهلية ، لقد أنجبت أمه .

قالوا : وأنشد رجل الأحنف :

ولتميم مثلها أو تعترف ....

فقال : تعترف رحمك الله .

وأنشد رجل :

ألا أبلغ لديك بني تميم بآية ما تحبون الطعاما

فقال الأحنف : يا بن أخي قد عرفنا الآية فما الحاجة رحمك الله ؟

المدائني عن كليب بن خلف عن ادريس بن حسكة قال : قال الأحنف لعلي : يا أمير المؤمنين بلغني أن هذه الذئاب من الكوفة يأتوا يعنفونك في قتل المقاتلة ، وسبي الذرية ، وقسم الفيء ، ولن يكفهم عنك إلا شيء تقذفه في أفواههم ، وفي بيت المال ههنا شيء فاقذفه في أفواههم ، وايم الله لئن رمْتَ ما يريدونك عليه لا يكون الأولى عند الأخرى إلا كلقعة[1]

١ ـ لقع : مرّ مسرعاً ، والشيء رمى به ، وفلانا بعينه أصابه ، والحية لدغت . القاموس .

ببعرة .

المدائني عن محمد بن ربيعة أن رجلاً قال للأحنف : لأسبنّك سباً يدخل معك قبرك . فقال : بل يدخل معك قبرك .

المدائني عن مُبارك بن فضالة عن الحسن قال : كانت لعلي عليه السلام قبة لا يدخلها إلاّ هاشمي والأحنف، وكان لا يعدل برأيه رأياً فقال له : إنا لو رأينا أحداً أحق بهذا الأمر منك بايعناه ، فلا تمح أمير المؤمنين من كتاب القضية : فقال بعض أصحابه:قد فعل مثل ذلك رسول الله ﷺ حين محا رسول الله وكتب محمد بن عبدالله ، فقال الأحنف : إن الله أبى إلاّ أن يكون النبي رسوله ، وأنت يا أمير المؤمنين تريد أخذ هذا الأمر بالسيف .

المدائني عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : لم يقارف أحد الفتنة إلاّ وضعته غير الأحنف ، ثم قال : عسى أن يكون قد سبق له من الله شيء .

وقال الحسن:لقد اجتمعت في الأحنف خصال : كَفَّ زياداً عن قتل الحمراء ، وتحمل دماء الأزد وربيعة يوم مسعود ، فأصلح أمر الناس ، وأطفأ النائرة .

وكان الأحنف يقول : استجيدوا النعال فانها خلاخيل الرجال .

المدائني عن جهم بن حسان السليطي أن رجلاً قال للأحنف : هل تكون محمدة بغير مَرْزية ؟ قال : نعم بالخلق السجيح ، والكف عن القبيح .

وقال الأحنف : أدوأ الداء اللسان البذىء والخلق الرديء .

وقال الأحنف : ليس لكذوب مروءة ، ولا لبخيل خلة ، ولا لحاسد

راحة ، ولا لسيء الخلق سؤدد . ولا لملول وفاء .

المدائني عن إدريس بن قادم عن عمر بن ميمون أن الضحاك بن قيس الفهري قال لمعاوية ، وقد أخذ الناس مجالسهم ، وكان ذلك بأمر معاوية : يا أمير المؤمنين اجمع شمل هذه الأمة بيزيد فإنه أفضلنا حلماً ، وأحكمنا علماً ، فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين : إعص من يأمرك ويشير عليك ، ولا ينظر لك ، فإنك أعلم بالجماعة ، وأعرف بالاستقامة ، فضحك معاوية وقال : حسبك رحمك الله ، ويقال إنه قال له : أنت أعلم بليل يزيد ونهاره منا ، وإنا نخافكم إن صدقناكم ، ونخاف الله إن كذبناكم ، فأسكت معاوية .

وروى حماد بن زيد عن خالد الحذاء عن رجل قال : رأيت الأحنف يطوف أيام مسعود فيقول : إنكم تلقون عدوكم فأصدقوهم ، فإنهم يألمون كما تألمون .

المدائني عن أبي إسحاق قال : ذكروا عند الأحنف رجلاً فقالوا : كان سخياً ، ثم شَحَّ ، فقال رجل يعذره ، والله ما شَحَّ ولكن قعد به ذهاب ماله ، فقال الأحنف : إن المروءة لا تستطاع إذا لم يكن مالها فاضلاً .

المدائني عن جهم بن حسان قال : كان الأحنف يقول وابن خازم والحريش يقتتلان بخراسان : اللهم اجعل شغل قومي بمحاربة المشركين .

وقال حين قتل ابن خازم أهل فرنبا[1] : قبح الله رأي ابن خازم قتل رجالاً من بني تميم ، لو قتل رجل منهم به لكان وفاءً فقتلهم بابنه صبيٌ وغدٌ أحمق لا يساوي علقاً .

١ ـ كذا بالأصل ، ولعل الصحيح فرنباذ ، وفرنباذ قرية كبيرة بمرو على خمسة فراسخ ، اللباب لابن الأثير .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : أوقع ابن خازم بربيعة بهراة ، وبلغ ذلك أهل البصرة فقال الأحنف لوجوه تميم : انطلقوا بنا إلى اخواننا من ربيعة نعتذر إليهم ، فانطلقوا إلى مالك بن مسمع فحبسهم ببابه ساعة ، وكان مع بني تميم محمد بن عمير فنهض لينصرف فلم يدعه الأحنف وقال : إذا أتيت رجلاً في رحله فاصبر حتى يأذن لك ، فإن الناس أمراء في رحالهم ، يأذنون إذا شاؤوا ، وإلا فلا تأتين أحداً ، ثم أذن لهم فقال الأحنف : والله ما سرنا ما كان من هذه الوقعة ولقد ساءتنا ، فقال محمد بن عمير : ما ساءتنا إذ كانت ، فقال : مالك إن في رأسك نُعْرة ولو ساكنتني بالبلد لطيرتهاعنك ، فأفسد ما جاؤوا له وتهايجا فجعل الأحنف يسكنهما ، فقال محمد بن عمير بعد خروجه من عند مالك : فهلا طيَّر نعرة عبدالله بن الأصبهاني من رأسه حين رجمه في داره حتى أخرجه عنها وصار إلى المربد .

المدائني قال : وشى رجل برجل عند مصعب بن الزبير ، فأغضب ذلك مصعباً على الرجل ، وجاء الرجل فجعل يتنصل ويعتذر فقال مصعب : كذبت ، أبلغني عنك الثقة ، فقال الأحنف : إن الثقة لا يُبَلِّغ .

قال المدائني : لما كانت فتنة مسعود أراد الناس أن ينتهبوا دار ابن زياد ، فقال الأحنف : يا بني تميم امنعوها فإنها لا تكاد تهلك قرية حتى يهلك الذين بُنيت عليهم وأن هذه البلدة بُنيت على بني سُميّة .

المدائني عن يحيى بن زكريا العُجَيفي قال : رأى الأحنف قوماً يسارعون إلى الشر يوم المربد ، فقال يا بني تميم إن أقل الناس حياء من الفرار أسرعهم إلى الشر .

المدائني عن العباس بن عامر قال : وفد زياد إلى معاوية ، ومعه وجوه

أهل المصر ، وفيهم الأحنف بن قيس ، فقال زياد : يا أمير المؤمنين أشخص قوماً إليك الأمل ، وأقعد آخرين العذر ولكلٍ من سعة رأيك وفضلك ما يجبر المتخلف ويكافأ به الشاخص ، فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين ما نعدم منك بلاء ، ووعداً جميلاً ، وزياد عاملك المستَنُّ برأيك والسالك لمنهاجك فينا فما عسينا أن نقول إلا ما قال زهير فإنه ألقى عن المادحين فضول الكلام حيث يقول :

وما بك من خير أتوه فإنما تـوارثه آبـاء أبائهم قبـل[1]

أخبرنا أبو محمد التوزي عن الأصمعي عن مبارك بن فضالة عن يوسف بن عبدالله وهو ابن اخت ابن سيرين قال : كنت وأنا غلام أحب مجالسة الأحنف ، فجالسته فقرأ ذات يوم : ﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه﴾[2] فقلت : يا أبا بحر ليس هكذا . فنظر في وجهي ثم سكت فلما كان من الغد جئت وأنا كالمستحيي فقال لي : يابن أخي أشعرت أني نظرت في المصحف ، فوجدت القول كما قلت .

المدائني قال : بايع قوم رجلاً على أن يأتي الأحنف فيُسمعه ويُؤذيه ، فأتاه فأسمعه شراً فقال له الأحنف : يا هذا هل لك في غداء قد حضر فانك تحدو مذ اليوم بجمل ثَقال .

المدائني عن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن بكر المزني قال : قال أعرابي للأحنف ، وسأله فلم ير عنده ما أحب : قبحك الله من سيد قوم ،

---

١ ـ شرح ديوان زهير ص ١١٥ .
٢ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٠٣ .

وفعل بك وفعل . فلم يجبه فقال الأعرابي : والهفتاه ما منعه من إجابتي إلاّ هواني عليه .

وصلى الأحنف على جارية بن قدامة ، ثم قام على قبره فقال : رحمك الله أبا أيوب كنت لا تحسد غنينا ولا تحتقر فقيرنا .

المدائني قال : رأى الأحنف امرأة تندب ميتاً فنُهيت فقال للذي نهاها : دعها فإنها تندب عهداً قريباً وسفراً بعيداً .

المدائني عن ابراهيم بن سعيد أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال للأحنف : أي الطعام أحب إليك ؟ قال : الزبد والكمأة وذهب إلى أنهما لا يجتمعان إلاّ في خصب .

قالوا : وجلس الأحنف على باب زياد ، فوضع بعض السقاة عنده قربته وقال : احفظها لي حتى أعود ، فأتاه رسول زياد بالإذن فقال : إن عندي وديعة فلن أقوم حتى يرجع صاحبها .

وقال الأحنف : السيد الذي إذا أقبل هابوه وإذا ولىٰ شتموه .

وقيل للأحنف : لقد ساد حضين بن المنذر وما اتصلت لحيته ، فقال الأحنف : السؤدد مع السواد ، أي مع الشباب .

وقال الأحنف لابنه : يا بني اتخذ الكذب كنزاً لا تنفقه .

ووجد معاوية على يزيد في بعض الأمر ، فقال للأحنف ، ودخل عليه : ما قولك في الولد ؟ قال : يا أمير المؤمنين هم عماد ظهورنا ، وثمار قلوبنا ، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة فلا تمنعهم رفدك فيملوا قربك ، وتثقل عليهم حياتك ، فأعجبه قوله وقال : لقد كنت واجداً على يزيد فسللت سخيمتي ، وأمر له بصلة .

المدائني عن عبدالله بن يزيد الأسيدي عن يزيد بن يزيد بن جابر الأزدي أن الأحنف قال لأبي موسى : إياك أن يقدمك عمرو في قول أو مجلس ، فإنها خديعة ، ولا تبدأه بالسلام ، فإنها سنة وليس من أهلها .

وقال الأحنف : لا يهلك من قوم مثل عباد بن الحصين ، إلا أورثهم هلكه ذلة .

المدائني عن عبد العزيز القسملي أن الأحنف قال : جلست بالمدينة في حلقة ، فأقبل رجل ثائر الشعر فرموه بأبصارهم وابتدروه بالسلام غيري فقال لي : كأنك غريب ؟ قلت : نعم . قال : فمن أين أنت ؟ قلت : من أهل البصرة ، فقال البصيرة ، قلت : أقول البصرة وتقول البصيرة ؟ قال : أنا أعلم بما سمعت من رسول الله ﷺ ، سمعته يقول : «يكون بعدي مصر من الأمصار يقال له البصيرة هم أقوم أهل الأمصار قبلةً يُنصرون على من ناوأهم» ، فمن أنت ؟ قلت : الأحنف . قال : أُحينف ؟ قلت : أقول الأحنف وتقول أُحينف ؟ قال : أنا أعلم بما قلت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أُحينف السرايا» . فلما قام قلت : من هذا ؟ قالوا : أبو ذر رضي الله تعالى عنه .

المدائني عن عبدالله بن أبي سليمان عن شبيل بن عزرة قال : هجا ضوء بن مسلمة الغبري الأحنف فقال :

أما خليلي أبو بحرٍ فان له عندي محبَّرَةً حمراً حواشيها
كأنَّ أظفاره من حك سُبَّته أظفار ختانة كلَّتْ مواسيها
كأنه جيئل عَرْفَاء[1] عارضها كلب وشحمتها الدسماء في فيها

فشكاه الأحنف إلى عبدالله بن عامر ، وقال : صرتُ دَريئة للسفهاء

١ ـ العرفاء : الضبع لكثرة شعر رقبتها .

فقال : لك لسانه يا أبا بحر . فعاذ ضوء بمعاوية بن أبي سفيان فقال :

إليك أمير المؤمنين رحلتها على عجل مني تروح وتغتدي
مواشكة تخشىٰ عقاب ابن عامر وترجو معافاة امرىء غير قعدد

وقال الأحنف : يا بني نزال إذا أردتم أن تستميلوا قلوب النساء فافحشوا النكاح ، وأحسنوا الأخلاق .

المدائني عن مسلمة أن زياداً كتب إلى معاوية يشير عليه بتولية الأحنف أو سنان بن سلمة بن المحبق ثغر الهند ، بعد مقتل عبدالله بن سوار العبدي فكتب إليه بأي يومي الأحنف نكافئه ؟ بيوم خذلانه أمير المؤمنين أو سعيه علينا بصفين . فابعثْ سناناً .

قال: وكتب الأحنف إلى معاوية في حَطمة كانت: خبزا خبزاً، تمراً تمراً ، فإن الشبعان لا يجاوز همه سفوان ، وإن الجائع لا يجاوز همه عسفان .

المدائني عن كليب قال : لما تم الحلف بين الأزد وربيعة ، لقي الأحنف مالك بن مسمع فقال له : يا أبا غسان أحلف في الاسلام ؟ فقال : يا أبا بحر كانت لقمة سبقناك إليها ، فقال الأحنف : ما أردتها ولتحلبنها دماً وغيظاً ، لقد حالفت قوماً إن تبعتهم استذلوك ، وإن خالفتهم غلبوك .

المدائني عن الفضل العجيفي أن الأحنف قال : أخذت الحلم والصبر عن عمي المتشمس بن معاوية شكوت إليه وجعاً فقال : يا بن أخي ذهبت عيني مذ أربعون سنة ، فما علم بها ، ولا ذكرتها لأحد .

المدائني عن غياث بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : وفد الأحنف إلى معاوية فمر بالكوفة ، وبلغهم أن معاوية أراد تحويل ديوان

الأحنف إلى الشام ، فكتب أبو سَمّالٍ(١) الأسدي كتاباً دفعه إلى الأحنف ، فلما قدم الأحنف على معاوية أعطاه كتاب أبي سمال وفيه :

يا ربّةَ العير ردّيه لمرتعه لا تظعني فتهيجي الناس للظّعَنِ

ويروى عن الأحنف أنه قال : لا تؤاخينّ خَبّاً ، ولا تستشيرنّ عاجزاً ، ولا تستعيننّ كسَلاً .

وقال رجل للأحنف : أيقدر أحد أن يكون مثلك ؟ فقال : يا بن أخي إن الأمر إلى غير العباد ، وليس للانسان ما تمنى .

المدائني عن الفضل بن سليمان العجيفي قال : نظر الأحنف إلىٰ خيل لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم فقال : خيل ما تدرك بالثار. فقال شعبة بن القِلْعَم المازني : أما في أبيك فقد أدركت الخيل بثأرها . فقال الأحنف : لشيء ما قيل دع الكلام للجواب ، وقال البلتعي :

هم منحوا قيساً صدور رماحهم فَأَتْلَفْنَهُ والحارث بن حلاس

وقتل قيس يوم تياس ، قتله بنو مازن .

وقال الأحنف : من قل فهمه كان أكثر قوله وعمله فيما عليه لا له .

هشام ابن الكلبي عن عوانة قال: كان الأحنف يقول: خير ما يؤتىٰ العبد غريزة عقلٍ ، فإن حرم ذلك ، فطول سكوت ، فإن حرمها ، فالموت أستر له .

قالوا : ونعي للأحنف حسكة بن عتاب ، فلم يجزع عليه ، ونعي شقيق بن ثور السدوسي فاسترجع وشقّ عليه ، فقيل له : نعي حسكة وهو من قومك فلم يعظم ذلك عليك ، ونعي رجل من بكر بن وائل فجزعت ،

---

١ - بهامش الأصل : باللام .

فقال : إن حسكة كان رجلاً مشنعاً مقداماً ، فلم أكن آمناً أن يجر على قومه جريرة تسوءهم . وكان شقيق رجلاً مسناً حليماً ركيناً إن حدث حدث كفَّ قومَه .

وكان الأحنف يقول : أنا وشقيق مُسناة بين هذين الحيين يعني تميماً وبكراً .

وهجا مرة بن محكان الربيعي الفرزدق ، فغضب وقال شعراً يقول فيه :

أولئك قوم أطمئن إليهم وَأَيْنَفُ[1] أنْ أهجو عُبيداً بدارم[2]

فقال الأحنف : ما عهدتُ بأبينا عُبيد بأساً . وعُبيد أخو رُبَيع بن الحارث بن كعب بن سعد ،

وكان الأحنف يقول : لحديث العاقل أشهىٰ إلى من رَثيئة[3] شيبت بعسلة ماذية ، وقال المغيرة : هو أشهىٰ إلي من ذوبٍ حُلٍّ بماء رصفة[4] في يوم من شهر ناجر[5] ، وكان الأحنف يقول : وجدت بعض الذل أبقىٰ للأهل والمال .

قالوا وكان الأحنف على مقدمة ابن عامر ، فوجهه إلى قوهستان ، فلقي الهياطلة[6] وأهل هراة فَفَضَّ جمعهم ، وكان ذلك أول جمعٍ فُضَّ

١ ـ بهامش الأصل : آنف .
٢ ـ انظر ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٤٦ ، ٢٦٣ مع فوراق .
٣ ـ رثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته . ألفاظ الأطعمة والأشربة في كتاب الأغاني ، اعداد رشيده لقاني ـ ط . الاسكندرية ١٩٩١ ص ٧٠ .
٤ ـ الرصفة حجارة مرصوف بعضها إلى بعض في مسيل . القاموس .
٥ ـ النجر : الحرّ . القاموس .
٦ ـ الهياطلة : صنف من الترك .

بخراسان ، ووجه ابن عامر الأحنف إلىٰ جَيّ طُخارستان وفتح الحصن الذي يعرف بقصر الأحنف وأمر بالأذان فيه .

وقال الأحنف في بعض مغازيه قد جفف العدو وهولوا : أيها الناس لا يهولنكم ما ترون من عددهم وعدتهم ، واستفتحوا بالدعاء والصبر ، ولا يتحركنّ أحد منكم وإن طعن في عينه حتى أهزّ الراية ثلاثاً فإذا حملت فاحملوا فمن كان فارساً فلينظر إلى معرفة فرسه ، ومن كان راجلاً فلينظر إلى موضع سجوده ، ولا ترموهم بأبصاركم ، وقاتل الأحنف صاحب الصغانيان برمحين وهو يقول :

أنا ابن قيس تحت ظل الغاية لأخلطن راية براية

فهزم جموع الكفر ، وكان يحمل ويقول :

إنَّ على كل رئيسٍ حقاً أنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقّا

وصالح الأحنف أهل الفارياب ، وأهل الطالقان ، وأهدىٰ إليه بعض المزاربة دواب ورقيقاً وثياباً فقال : ألكل رجل من أصحابي مثل هذا ؟ قالوا : لا . فَرَدَّهُ وقال : لا استأثر علىٰ أصحابي بشيء .

وكانت آثار الأحنف بخراسان جميلة ، وجرت على يده فتوح كثيرة .
وكان نقش خاتم الأحنف : يَعبد الله مخلصاً .

وقال الأحنف يوم مسعود لبني تميم : والله ما غَلَبْتُكم لهم بظفر عندي ، وما الظفر إلا أن يصلح الله بيننا ونرجع سالمين .

قالوا : وصالح الأحنف أهل بلخ ، وصالح أهل مرو الروذ ، ومضى إلى خوارزم فأقام حتى هجم عليه الشتاء فاستشار أصحابه فقال له حضين بن المنذر : قد قال لك عمرو بن معدي كرب :

إذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه إلىٰ ما تستطيع[1]

فارتحل إلى بلخ وخليفته بها أسيد بن المتشمس بن معاوية ابن عم الأحنف .

ولقي الأحنف طلحة والزبير فقال : ما أقدمكما ؟ قالا : الطلب بدم عثمان ، أفبايعت علياً ؟ فقال : أنتما أمرتاني بذلك فقال الزبير : أيها الرجل لست في حلو ما ههنا ولا مره ، إنما أنت فريسة آكل وتابع غالب ، لا أعز الله من نصرت ، ستبايع لنا غداً إذا بايع أهل المصر كارهاً . فقال : قد بايعت علياً ، ولم أكن لأقاتل رجلاً بايعته ، وقد كتبنا خبره مع خبر الجمل .

المدائني عن مسلمة عن السكن بن قتادة أن زيد بن جُلبة ، أحد بني عامر بن عُبيد بن الحارث ، وأخوه منقر بن عُبيد ، كان مع عائشة فأصيب من بني الشُعيراء ، وهم أخوال بشر ، فجاء الأحنف إلى زيد بن جُلبة يعزيّه ، فقال زيد : ما جئت إلاّ شامتاً ، فقال : كان هواي مع رجل ، فكنت أحب ظفره .

المدائني عن أبي جُزَيْ عن الأعمش عن شقيق وقرة أن عائشة قالت للأحنف : بماذا تعتذر إلى الله من تركك جهاد قتلة أمير المؤمنين عثمان ، أَمِنْ قِلَّةٍ أو لأنك غير مطاع في العشيرة ؟ فقال : والله ما طال العهد ، ولا عهدي بك إلا عاماً أول وأنتِ تحثيني على جهاده . فقالت : ويحك إنهم ما صَّوهُ كما يُماصّ الإناء ثم قتلوه ، فقال : آخذ بقولك وأنتِ راضية ولا آخذ به وأنت ساخطة .

وقال رجل من بني الهجيم يكنىٰ أبا فوران أصيبت يده يوم الجمل

---

١ ـ شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى ص ١٣٣ .

للأحنف : خذلت قومك . فقال الأحنف : لو كنت أطعتني أكلت بيمينك واستنجيت بشمالك وما كنعت[1] يداك .

وحدثني أبو عدنان عن أبي عبيدة قال : حضر الأحنف مجلس زياد ، فجرى بينه وبين الحتات المجاشعي كلام ، فأسمعه الأحنف وأغلظ له ، فقيل له : يا أبا بحر خرجت إلى ما لم يكن من شأنك فأَينَ حلمك ؟ فقال : إنما الحلم عند الحِبى[2] ، فأما في مجالس السلطان فليس إلا الانتصار .

المدائني عن الهُذلي عن بشير بن عبيدالله بن أبي بكر قال : كان زيد بن جُلْبة يحضّ بني سعد على القتال مع عائشة ، وكان الأحنف يكفهم عن القتال ، وجرىٰ بينه وبين الأحنف كلام ، فقال زيد : إنما يطاع لذوي الأسنان والقدم والرأي ولا يطاع من لا رأي له ، فوثب إليه الأحنف فأخذ بعمامته وتناصيا فقيل للأحنف : أين حلمك ؟ فقال : لو كان مثلي أو دوني لم أفعل هذا به وحلمت عنه .

ودخل رجل يقال له جحش على الأحنف وهو يجبر يد شاة له فقال : ما هذا من عمل السيد ، فقال الأحنف :

إن لها رَبّاً صبوراً على القرى وليس القرى في نفس جحش بِهَيِّنِ

المدائني عن عبد الواحد بن السَّكن عن أبيه أن وفداً من بني تميم قدموا على عمر ، وفيهم الأحنف ، وعمرو بن الأهتم ، والزبرقان بن بدر ، فقال الزبرقان : ما في الأرض سعدي إلا وَدّ أني أبوه أو عمه أو خاله . فقال عمر للأحنف : ما يقول هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين إني أواب عشيرتي

---

١ - الأكنع : الأشل ، وكنع عنه : يده أشلها . القاموس .

٢ - الحبية والحباء : النصرة والاختصاص . القاموس .

ولا أكذبها ، فقال الزبرقان : سألت عني يا أمير المؤمنين ناجم المروءة ، أي حديث العهد بالمروءة ، لئيم الخال .

وجرى بين الحتات والأحنف كلام فقال له الحتات : إنك ما علمت لضئيل شخت ضعيف ، وإن أمك لورهاء . فقال الأحنف : اسكت يا أُديره[1] ، فإنك جلف جاف ، وما عندك شيء إلا أنك ابن دارم . فرمى الحتات بثوبه وقال : هل ترون شيئاً ؟ فقال غيلان بن خرشة : أرى نُفَيْخَةً في إحدى الخصيتين ، فقال : اسكت فإنك عبد نصر سيده .

وقال مسلمة بن محارب : سأل رجل من بني صَريم معاوية حاجة ، فأمر بها له ، وقالوا : ابن الصَرِيمي ، فقال رجل كان يطلب أمراً فطال مقامه : كلنا صريمي ، يُعَرِّضُ بمعاوية ، يقول : فَرِقْتَ من الصريمي لأن الخارجي الذي ضربك صريمي . ففطن معاوية وضحك وقال له : اتّقِ السلطان فإنهم يغضبون غضب الصبيان ، ويصولون صيال الأُسد .

المدائني عن العلاء بن لبيد قال : قدم وفد من أهل العراق على معاوية فقال آذنه : إن أمير المؤمنين يعزم عليكم ألا يتكلم أحد منكم إلّا لنفسه ، فدخلوا فقال الأحنف : لولا عزمة أمير المؤمنين لأخبرته أن رادفة ردفتْ ، ونازلة نزلتْ ، ونائبة نابَتْ ، كلهم به فاقة إلى رفد أمير المؤمنين . قال : حسبك يا أبا بحر فقد كفيت من غاب وشهد .

المدائني عن مسلمة قال : قال الأحنف : يا أهل الكوفة نحن أغذى منكم تربة ، وأكثر منكم ذرية واغنم منكم سرية ، وأعظم منكم بحرية .

قالوا : وكانت عند الأحنف امرأة ، فطلقها فتزوجها بدر بن حمراء

---

١ ـ بهامش الأصل : تصغير أدير ، وهو المنتفخ الخصيتين .

الضبي ، فأتاها الأحنف فأرسل إليه بدر :

لا يَشْغِلَنَّكَ عن شيءٍ هممتَ به إنَّ الغزال الذي ضَيَّعْتَ مَشغول

فقال الأحنف :

إن كان ذا شغل فالله يحفظه فقد لهونا به والحبل موصول
ولستَ واجدَ عشب مُؤْنِقٍ أنِف إلّا كثيراً به الراعون مـأكول

المدائني عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن أن الأحنف قال : استشارني زياد في قتل الموالي من العجم فقال : إني أريد قتل هذه الحمراء . فقلت : انشدك الله بهم فإنهم قد تحرموا بالإسلام ، وشاركناهم في الأولاد وخالطونا وخالطناهم ، فترك ذلك .

وقال الأحنف : أنقبنا النعال إلى زيد بن جُلْبة نتعلم المروءة .

ومر الأحنف وهو يريد معاوية بأهل حَواء[1] فيهم زفر بن الحارث ، فقالوا : مرحباً بسيدنا وشيخنا . فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : بنو كلاب . قال : أي بني كلاب ؟ قالوا : من بني نُفَيل . فقال : أما انا لا نشك ، فقال لهم زفر : فماذا أتقول إنا منكم ؟ فوالله إنا لأحسن منكم وجوها وأطول منكم أجساماً . فقال : أَشْبَهْتُم أمكم الناقمية .

المدائني عن عامر بن حفص قال : أتى قوم الأحنف وعميرة بن مالك الحرشي معهم ، فقال له : من أنت يا فتى ؟ فأخبره ، ثم عاد فسأله قال : فقلت : والله لأسألنه عن شيء لا ينكرني بعده أبداً ، فقلت : يا أبا بحر أزنيت قط ؟ قال : لا ثم لم يسألني بعدها .

---

١ ـ في معجم البلدان : حواء ماء من نواحي اليمامة ، وأرجح أنه هنا اسم موقع قريب من قرقيسياء لأن الأحنف كان قادماً من العراق يريد دمشق .

وكلم الأحنف ابن زياد في ابن رأس البغل ، وكان محبوساً في خراج فأطلقه ، واستأنف به أجلاً ، ثم حمل المال وبعث إلى الأحنف بعشرة آلاف درهم وهدايا من عسل وسمن وجوز ، فردَّ الدراهم وقال : لا آخذ على المعروف ثمناً ، وقبل الهدايا .

وكان الأحنف يقول : ما جلست قط مجلساً أخاف أن أُقام عنه لغيري ، إن شر المجالس القُلَعَة .

المدائني عن اسحاق بن أيوب عن رجاء بن حَيوة الكندي قال : قال معاوية بن حديج الكندي لقومه : إن تسويدكم إياي غير عجب لأن لي مالاً وأفضالاً ، وليس العجب إلّا من الأحنف فإنه سُودَّ بغير مال .

ولما عقد لمعاوية بن حُديج على مصر قال له رجل : أعطيت شرفاً ، فقال له : فمن أنت ؟ قال : من بني تميم . قال : يا أخا بني تميم إن هؤلاء يتبعوني طمعاً فيما ينالون مني ، وإنما الذي شرف لغير نيل صاحبكم الأحنف .

وكان ابن زياد حبس عبيد الله بن الحُرّ الجعفي ، فتكلم فيه الأحنف فأطلقه فأتاه فقال له : أنا طليقك عبيد الله بن الحُرّ وما أدري ما مكافأتك إلا أن أقتلك فأبوء بإثمك فتدخل الجنة وأدخل النار ، فضحك الأحنف وقال : لا حاجة لنا في مكافأتك .

قالوا: ولم يتعلق على الأحنف إلّا بست خصال قوله في الزبير أنه جمع بين غارين ثم هو على أن يلحق بأهله ، وقوله حين استنصره الحسن : قد بلونا حسناً وأبا حسن فلم نجد لهما إيالة للملك ، ولا صيانة للمال ، ولا مكيدة في الحرب ، ولم يجبه ، وقوله للمرأة يوم مسعود : أست المرأة أحق

بالمجمر ، وقوله للحتات : ياأُدَيْرة ، وقوله لقطري حين بَلَغَه خبره : إيه أبا نعامة إذا ركب بنات سجاح ، وقاد بنات صهال[١] ، وأصبح بأرض وأمسى بأخرى طال أمره ، وقوله للرجل الذي لطمه : لم لطمتني ؟ فقال : جعلوا لي جعلاً على أن ألطم سيد بني تميم ، قال : سيدهم جارية بن قدامة ، فأتى الرجل جارية فلطمه ، فقطع جارية بن قدامة يده .

المدائني عن أبي الأشهب العطاردي قال : كتب عبد الملك إلى الأحنف يدعوه إلى بيعته فقال : يدعوني ابن الزرقاء إلى ولاية أهل الشام ، ولوددت أن بيننا وبينهم جبلاً من نار ، من أتانا منهم وأتاهم منا احترق .

وقال الأحنف لابنه : يابني إذا كنت قليلاً فلا تكن خبيثاً .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : خرج زياد بن عمرو بن الأشرف مع المصعب ، فلما صار إلى الكوفة قال للأحنف : يا أبا بحر إنَّ عليَّ ديناً ، ولي مؤونة ، وقد جفاني هذا الرجل ، وإني لخليق ، فكلِّمه ليقضي دَيني ، وإلا فإن الأرض واسعة كأنه يتهدده بالمصير إلى عبد الملك ، فقال الأحنف : يا زياد إن مصعباً وليكم ، فأكرم أشرافكم وأحسن إلى العامة والخاصة منكم ، ولا أراك وأصحابك تنتهون حتى تُدخلوا أنباط الشام ، وأقباط مصر عليكم ، وايم الله لئن فعلتم لتُزَمُّنَّ بزمام من تحرك أكَبَّهُ لذقنه ، ثم لا تزالون أذلاء ما بقيتم ولا تمنعون ذنب ثعلة[٢] ، وكلمه فأمر له بثلاثين ألفاً ، فلما قدم الحجاج وجاء أهل الشام قال زياد : رحم الله أبا بحر فقد جاء ما كان يقول .

١ ـ من خيول العرب .
٢ ـ انثى الثعالب .

وقال رجل للأحنف بم سدت قومك ، ولست بأجودهم ولا أمجدهم ؟ فقال : بتركي ما لا يعنيني كما عناك أمري .

وكان يقول : إن شرار الناس الذين لا يستحيون من الفرار .

المدائني عن وضاح بن خيثمة قال : مر حارثة بن بدر الغُداني بالأحنف فقال : يا أبا بحر لولا أنك عجلان لشاورتك في مُهم . فقال الأحنف : أجل ، كانوا يقولون لا تشاورنَّ جائعاً حتى يشبع ولا ظمآن حتى ينقع ولا أسيراً حتى يطلق ، ولا مضلاً حتى يجد ولا طالباً لحاجة حتى ينجح .

قال المدائني عن عوانة : أن معاوية قال للأحنف : ما تعدون المروءة ؟ قال : الفقه في الدين ، وبر الوالدين ، وإصلاح المال ، فقال معاوية ليزيد ابنه : اسمع ما يقول عمك .

وروى وضاح بن خيثمة أنه قال : الفقه في الدين .

قالوا : وكلم الأحنف عبيدالله بن زياد في عمه جَزْء بن معاوية ، فولاه الفرات ، فاختان مائة ألف درهم ، وبعث بها إلى أهله ، فأخبر الأحنف ابن زياد بذلك فبعث إليه عبيدالله فأخذ خاتمه وبعث به إلى أهله وقال : احملوا المائة الألف ، فحملت إلى دار ابن زياد ، فقال جَزْء للأحنف : لا جزاك الله عن الرحم خيراً ، فقال : وأنت لا جزاك الله عن الأمانة خيراً .

المدائني عن أبي إسحاق المالكي عن شبيل بن عزرة قال : قال الأحنف : لا أنازع رجلاً إن قال خذوه أُخِذتُ ، وإن قلت خذوه لم يؤخذ لي .

وقال الأحنف : السيد ، الذليل في عرضه ، الأحمق في ماله ، المطرَّح لحقده ، المعين للعشيرة .

المدائني عن الفضل بن سليمان قال : كانت عمومة الأحنف : صعصعة بن معاوية ، وجَزْء بن معاوية والمتشمس بن معاوية ، فقال صعصعة للأحنف : يابن أخي أتراني أخطبُ إلى قوم فيردوني ؟ قال : نعم ، لو أتيت بني الشعيراء ردوك . قال : لا جرم . قال : لا أنزل عن دابتي حتى آتيهم فأتاهم فوقف على عائشة بن جَعدة ، وكان عائشة يقول : «كنت في مجلس ، فَرَشَّ رسول الله ﷺ على قوم ماء فأصابني» ، فخطب صعصعة إليه ابنته فقال : إنزل فنزل ، فأمر بدابته فضرب وجهها وطردت حتى وصلت إلى دار صعصعة فضجُّوا لما لم يروا صعصعة وقالوا قتل ، فقال الأحنف : كلا ولكنه صنع شيئاً نهيته عنه ، فلم يلبث أن جاء ليسب بني الشُعيراء .

وقال الأحنف لجزء بن معاوية عمه : الزم العفة تلزمك الحرفة ، أي العمل .

وقال رجل في مجلس زياد : ما أطيب ما يؤكل ؟ فقال رجل ممن حضر : تمر نرسيان[1] كأنها بعض آذان النوكى بمثلها زبداً ، فقال الرجل الذي سأل : أفٍّ ما اطيب هذا ، فقال الأحنف : رب ملومٍ لا ذنب له .

وقيل للأحنف وعليه ثوب له : أما تَمَلُّ لبسه ؟ فقال : رُبَّ مملول لا يستطاع فراقه . ويروى ذلك عن غيره .

قالوا : ومر الأحنف بصفوان ابن أخي خالد بن صفوان فقال له : يا أبا بحر إجلس حتى نكشف الملائم ونتذاكر المحارم ، وبلغ ذلك أبا صفوان ، وهو في قول الكلبي عبدالله بن عمرو بن الأهتم ، وفي قول غيره

---

١ ـ نرسيان : ناحية بالعراق بين الكوفة وواسط . معجم البلدان .

عبدالله بن عبدالله بن الأهتم ، فغضب على ابنه وقال : لست راضياً عنك أو يكلمني فيك أبو بحر ، فأتى الأحنف فسأله أن يترضى أباه فترضاه له . وقال الأحنف : لم أخلف أحداً قط بغير ما أشهده به ، ولم أدخل نفسي في شيء من أمور الناس لم أُدخَل فيه .

وأتى الأحنف رجل فقال له : قد أتيتك في حاجة لا تنكؤك ولا ترزؤك فقال إذا لا تُقضى إن مثلي لا يؤتى إلا في حاجة تنكؤه وتزرؤه .

المدائني عن شبيب بن شبة قال : ذُكر الأحنف عند عمه جَزْء بن معاوية ، فنال منه فبلغه فقال : رُبَّ بعيدٍ لا يُفقد خيره ، وقريب لا يُؤمن عيبه .

المدائني عن جهم بن حسان أن الأحنف قال : لأن تحكك في بيتي أفعى وأنا أراها أحبُّ إلي من أن أرى أيِّماً أرد عنها كفؤاً .

المدائني عن الحسن الجفري قال : بال الأحنف يوماً وقريب منه رجل ، فقال له الأحنف : حرمتني منفعة بولي ، بلغني أن رسول الله ﷺ قال : «كل بائلة نفوخ» .

وقال الأحنف : من أراد شراء دار فليستصلح الجار قبل الدار .

العمري عن الهيثم بن عدي قال : أشرف رجل على الأحنف ، وهو يعالج طبيخاً في قدر صغيرة ، وهو يحش تحتها فقال :

قِدْرٌ كَكَفِّ القرد لا مستعيرها يُعار ولا مرتابها يتدسَّم

فبلغ ذلك الأحنف فقال : رحمه الله لو شاء قال أحسن من هذا .

قالوا. وقال شاعر للأحنف :

إنا أتينا أبا بحر وقد جَعَلَتْ أيدي سرابيلنا تَنْدَى من النَّجَدِ

ولا نرى سيداً يُوفي بسيدنا إذا تَلبَّسَ وَعْثُ الأرض بالجَدَدِ
ألقى المراسيَ واشتدت عوارضه لما رأى سوءة تهدي إلى اللَبَد

ويقال اللُبد وهو قول الكلبي واللبد من بني عبيد .

المدائني وغيره أن ابن أبي عصيفير الثقفي حبس في مال عليه ، يقال ان مبلغه مائة ألف درهم ، وبلغه أن مصعباً قد أقبل يريد الكوفة ومعه الأحنف ، فوجه إلى الأحنف من يَلْقَاه وأقام له النزل حتى ورد الكوفة ثم أنزله في دار ابن أبي عصيفير ، فقال الأحنف : فأين أخونا لا نراه فقد برٌّ وأكرم فقيل : هو محبوس بمال عليه ، فكلم مصعباً فيه ، فوهب المال له ، ووهب الأحنف مثله ، فصرفه الأحنف إلى ابن أبي عصيفير .

حدثني عبدالله بن صالح عن أبي زبيد عبثر أن الأحنف دخل الكوفة فاستطابها وقال : اللهم إن حضر أجلي فاجعله بالكوفة ، فإن تربتها كالكافور ، فمات بها ودفن ، ومات في دار ابن أبي عصيفير .

قالوا : ولما حضرت الأحنف الوفاة قال : لا تندبني نادب ، ولا تبكني باكية ، وعجلوا اخراجي ، ولا تؤذنوا بي أحداً ، فلما مات آذنوا المصعب لتقدمه إليهم في ذلك ، فأمر صاحب شرطته أن يأخذ بأفواه السكك فلا يدع امرأة تخرج فانتفجت امرأة على حدج[1] لها على دابة ، وكانت من بني عُبيد وجعل تقول :

قــل لأمـيري مصعب إنني سـأنـدب المـدفـون بـالقـاع
أنْـدُبُـه بـالحـقِّ لا أتـلي بخير ما يَنْعَى بـه النـاعي
الأحنف الخـير ابـن قيس أبا بحر إذا ما قَصَّر الساعي

١ ـ الحدج : مركب للنساء كالمحفة . القاموس .

فقال مصعب : دعوها. فلما دفن وقفت على قبره فقالت: أيها الناس إنكم خول الله في بلاده ، وشهوده على عباده ، وإنا قائلون خيراً ، ومثنون حسناً ، أنشد الله رجلاً إن قلت حقا إلا صدقني ، وإن قلت باطلاً إلا كذبني ، ثم عددت حُلْمه ، وفعله فقالوا : صدقت .

وقال المصعب وهو في جنازة الأحنف يمشي أمامها متسلباً : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات سيد العرب . فقال رجل من بكر بن وائل : حاشى الأمير .

المدائني عن جويرية بن أسماء قال : لما مات الأحنف قال مصعب : اليوم مات الزبير ، وجعل يسترجع .

المدائني عن ابراهيم بن يزيد الأسيدي قال : أخبرني من شهد جنازة الأحنف قال : رأيت المصعب في الجنازة وقد ألقى عطافه وحمل مقدم السرير يسترجع ويقول : اليوم مات الحلم ، وذهب الوفاء .

المدائني عن أبي اليقظان عن وضاح بن خيثمة قال : مروا بجنازة الأحنف على شيخ من بني أسد مسنٍّ لا يقدر على النهوض ، فقال الشيخ إنا لله هو أمس سيدنا ، واليوم جنازةً يُهدى إلى حفرته .

قالوا: وورد البصرة بوفاة الأحنف رجل من بني يشكر ، فقال رجل من بني سعد :

أماتَ ولم تبك السماء لفقده ولا الأرض أو تبدو والكواكب في الظهر
كذبت إذن ما أمسكت بطن حاملٍ جنيناً ولا أضحى على الأرض من شَعْر
ولما أتيت اليشكري وجدته بأمر أبي بحر بن قيسٍ أخا خُبْر

وصلى عليه مصعب ، وولي دفنه ، ووقف فترحم عليه ، ودمعت عينه .

وحدثني عبدالله بن صالح عن أشياخه قالوا : لما سُوِّي التراب على الأحنف والناس محزونون قالت امرأة من بني تميم يقال لها أسماء بنت حصن من بني منقر ، فقالت : إني معزيتكم عن أبي بحر أعظم الله أجوركم فيه ، ثم قالت : رحمة الله عليك من مُجِنّ في جنن ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، نسأل الله الذي فجعنا بفقدك ، وابتلانا بفراقك أن يغفر لك يوم حشرك ، وأن يفسح لك في قبرك ، وأن يجعل سبيل الخير سبيلك ، ودليل الرشاد دليلك ، ثم التفتت إلى الناس فقالت : إن أولياء الله في بلاده شهوده على عباده ، وإنا قائلون حقاً ومثنون صدقا فإنه لأهل لحسن النثا[1] وطيب الثناء ، وأما والذي جعله من أجله في عدة ، ومن الفناء إلى مدة ، ومن عمره إلى نهاية وفي المضمار إلى غاية لقد عاش حميدا رشيداً ، ومات فقيداً سعيداً ، ولقد كان عظيم السلم ، بسيط الحلم ، رفيع العماد ، وارى الزناد ، منيع الحريم ، سليم الأديم ، ولقد كان في المحافل شريفاً ، وعلى الأرامل عطوفاً ، وعن الفحشاء عفيفاً ومن الناس قريباً ، وفيهم غريباً ، وإن كان لمسوّداً ، وإلى الخلفاء موفداً ، وإن كانوا لقوله لسامعين ولرأيه متّبعين ، ثم قعدت فقال من حضر : ما رأينا كاليوم امرأة أبلغ منها في قولها ، ولا أصدق في وصفها .

وكان بحر بن الأحنف مضعوفاً ، ومات ولا عقب له .

وكان صعصعة بن معاوية ، عم الأحنف ، رأس بني تميم في أيام معاوية يعطي العطاء في داره ، وكان يكنى أبا الوليد وشهد يوم الجفرة على فرس له ، فلحق بالبحرين ثم رجع .

١ ـ نثا الحديث : حدّث به وأشاعه ، والنثاء ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .

وكان ابنه معاوية شريفاً خطيباً شاعراً ، ولي البحرين للحكم بن أيوب فحبسه بمال ، وكانت امرأة من بني حنيفة يقال لها أم فراس غرمت عن بعض بني حنيفة مالاً حبس بسببه مع معاوية ، وكان مولى لبني مسمع يقال له سنان غرم أيضاً عن رجل ممن حبس مع معاوية بن صعصعة فقال معاوية .

ألا ليت لي بالمالكين كليهما[1] سناناً وبالسعدين أم فراس
وألفيت عمراً ثم لم احتفل بهم ألا إنهم لفوا لكل أنـاس
فما في تميم حافظ لحقيقـة ولا صابر عند الأمور مُواسي

وكان يكنى أبا سنان وله عقب بالأهواز .

وكان جزء بن معاوية عم الأحنف ذا قدر ، وولي أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعض الأهواز ، فرفع عليه أبو المختار الكلابي ، وبالأهواز نهر يعرف بنهر جزء ، وتكلم فيه الأحنف فولي الفرات .

وكان المتشمس بن معاوية عم الأحنف يفضل على الأحنف في حلمه ، وأمره أبو موسى أن يُفرّق خيلا في بني تميم فقال له رجل من بني سعد : ما منعك أن تعطيني فرساً ، ووثب عليه فأثر في وجهه . فقام إليه قوم ليأخذوه فقال : دعوني وإياه إني لا أُعان على أحد ، وانطلق والرجل معه إلى أبي موسى ، فقال له أبو موسى : ما هذا بوجهك ؟ فغيب عنه ، وقال هذا ابن عم لي ساخط علي لأني لم أعطه فرساً ، فإن كان عندك فرس فاحمله عليه ففعل ، وقال إنك لم توبخ مسيئاً بأكثر من الأحسان إليه .

وكان حميري بن عبادة بن النزال أسر مليكة بنت كرب أم الجارود بن المعلى وقد أغار بنو سعد على عبد القيس بفروق فقال سلامة بن جندل .

---

١ ـ بهامش الأصل : مالك بن ....ومالك بن حنظلة .

نعم الفوارس يوم قوِ أدركوا ضرباً وطعناً في لكيز مزهق
ترك المعلَّى عُرْسَهُ يوم الضحى لهم ونسوتها برهن مغلق[1]

ومن بني النزال : **عكراش بن ذؤيب** ، شهد الجمل مع عائشة رضي الله عنها ، فضرب على أنفه وعاش مائة سنة ، ومر به الفرزدق وبنوه يلعبون بين يديه ، فقال له : يا أبا الصهباء ؟ من هؤلاء ؟ قال : بنيَّ يا أبا فراس . قال : مغبون ورب الكعبة . قال : كلا . قال : أفممعود أنت ؟ - والممعود الذي لا يقدر على النكاح إلّا على الشبع - قال : نعم . قال : فذاك إذاً ، أي أنك صدقت .

وكان عبيد بن عكراش من سروات أهل البصرة وولي بصنى[2] من السوس ، وكان على شرط سَوَّار بن عبدالله العنبري أيام ولي البصرة ، وفيه يقول أبو البصير شاعر من الموالي :

قل لسَوَّار إذا ما جئـــته وابن علاثة
زاد في الصنج عبيدالله أوتاراً ثلاثة
سَنَّ في أرض بصنى سُنَّةً صارت وراثة
فاذا قُلْت تَعَلَّى دِينُهُ صار رثاثة

وكان صالح بن عبد الرحمن بن نشيط صاحب الخراج من موالي بني النزال .

ومن بني عبد منبه بن عبادة بن النزال : **فُرعان بن الأعرف** ، كان لصاً وهو الذي يقول :

١ - ليسا في ديوان سلامة بن جندل المطبوع .
٢ - بصنى : مدينة من نواحي الأهواز صغيرة ، وجميع رجالهم ونسائهم يغزلون الصوف وينسجون الأنماط والستور . معجم البلدان .

يقول رجالٌ أنَّ فرعان فاجرٌ   ولله أعطاني بنيٍّ وماليا
ثمانية مثل الصقور وأربَعاً   مراضيع قد وَفَّيْنَ شُعْثاً ثمانيا
إذا اصطنعوا لا يخبؤون لغائبٍ   طعاماً ولا يدعون من كان نائيا

ومن بني عامر بن عبيد بن مُقاعس : **خليفة بن عبد قيس بن بَوْ** ، شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص وقال :

أنا ابن جَوٍّ ومَعي مخراقي
أُضرِبُ كل قدمٍ وساق
أذكره الموت أبو إسحاق

يعني سعد بن أبي وقاص .

وكان خليفة بن عبد قيس بن بو من أصحاب جفرة خالد ، وهدم مصعب داره ، وعقر نخله ، وقتل ابنه تلك الأيام الحسن بن خليفة ، ولم يمت خليفة حتى بلغ بنوه وبنو بنيه مائة رجل .

وكان من بنيه لصلبه **أبو ذر** ، ولقب أبا زر ، وكان زانياً وله يقول الشاعر :

زَنا ابنُ بوٍّ أبو زَرٍ صراحية   والله يمقت وجه الأشمط الزاني

وقال أبو زر عند الموت : اسقوني خمراً فقالوا : أتشرب خمراً عند الموت ؟ فأنشأ يقول :

أُلام على شراب الشيخ كسرى   وقد نحلتْ من العطش الجلود

وإنما نقلتُ كنيته إلى أبي زر إكراماً لأبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه .

وكان سليمان بن خليفة شاعراً ، وكان مع القاسم بن سِعر بعُمان ،

فأخذ أسيراً ، فقال له سليمان بن عياذ : امدحني حتى أخليك فمدحه فخلاه ، وقال :

لأجزيَنَّ أبا مروان مِدْحَتَهُ ... وخيرُ مَن أُوْلِيَ المعروف مَنْ شكرا

رَدَّ الإله به من بعدما جَشَأَتْ ... نفسي وأَنْبَتَ فوق الهامة الشَّعَرا

أبو مروان : سليمان بن عياد الأزدي .

ومن بني خليفة بن عبد قيس بن بَوّ : **مجاعة بن خالد** بن الحسن بن خليفة ، كان شجاعاً في فتنة ابن سهيل بالبصرة .

ومن بني بَوّ : **زيد بن جُلْبَة** بن مرداس بن بَوّ ، كان عظيم القدر سيداً ، وكان على وفد بني تميم حين وفدوا على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وفيهم الأحنف من تحت يده . وكان عثمان رضي الله تعالى عنه حين كتب المصاحف بعث إلى زيد بن جُلْبة بمصحف بني تميم ، وكان مع ابن عامر بن كريز له عنده قدر ، وكان يلي له ، وشهد الجمل مع عائشة رضي الله تعالى عنها ، ووفد إلى معاوية بعد ذلك ، ولا عقب له .

ومن بني بَوّ : **سلمة بن علقمة** ، من أصحاب ابن سيرين ، وولي صدقة البصرة ، وله عقب ، وكانت عنده ابنة عبد الرحمن بن سعوة المهدي .

ومن بني عبد عمرو بن عبيد : **سلامة بن جندل** بن عبد عمرو بن عبيد بن مقاعس ، شاعر مضر في زمانه ، وأخوه الأحمر الشاعر أيضاً . وسلامة الذي يقول :

يومان يوم مقاماتٍ وأنديةٍ ... ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداء تأويب[1]

١ ـ ديوان سلامة بن جندل ـ ط . بيروت ١٨٧ ص ٩٢ . والتأويب : الرجوع ، ويقال التأويب : مذ غدوة إلى الليل ، ويقال أيضاً : التأويب : الامعان في السير الشديد .

ومن بني زيد بن عبيد : عمرو بن أُبير بن زيد بن عُبيد ، ربع أربعين سنة ، وكان يقال له ذو النعلين .

ومن بني عمير بن مقاعس : السُّلَيْك بن يثربي بن سنان بن عمير بن الحارث، وهو مقاعس، وأمه السَّلَكة، وكانت سوداء، وهو الرئبال، وكان يغير وحده ، ويقال هو السُّلَيْك بن سلكة ، وأبوه عمرو بن يثربي بن عمير . والأول قول الكلبي وهو أثبت .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى وغيره : كان سليك بن سلكة ، وأوفى بن مطر المازني من تميم ، والمنتشر بن وهب الباهلي لا يجارون عدواً ، يجوع الرجل منهم فيشدّ على الظبي حتى يأخذ بقرنيه ، وكانوا أهدى من القطا ، فإذا كان زمن الربيع جعلوا الماء في بيض نعام مثقوب ثم دفنوه ، فإذا كان الصيف وانقطع الغزو وغزا أحدهم جاء حتى يقف على البيضة منها فيستثيرها .

ورأت السليك طلائع جيش لبكر بن وائل جاؤوا ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم ، فقالوا : ان علم السُّلَيْك بنا أنذر قومه . فبعثوا إليه فارسين على جوادين فلما هايجاه خرج يمحص كأنه ظبي فطارداه يومهما وقالا : إذا جاء الليل أعيا وسقط فقصر عن العدو فنأخذه ، فلما أصبحا وجدا أثره وقد عثر بأصل شجرة فنزا مقدار عشر خُطا ، وإذا قوسه قد انحطمت فوجدا قِصْدة منها مُرْتَزَّةً[1] فقالا : ماله قاتله الله ما أشد مَتْنَهُ ، فانصرفا وأنذر قومه فكذبوه لبعد الغاية فقال :

يكذبني العمران عمرو بن جندب ... وعمرو بن سعد والمكذِّبُ أكذب

١ ـ القصدة : القطعة مما يُكسر ، ومرتزّة : مثبته . اللسان . القاموس .

ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها كراديس يهديها إلى الحي موكب
كراديس فيها الحوفزان وحوله فوارس همَّامٍ متى تُدْعَ يركبوا[١]

فجاء الجيش فأغاروا ، ويقال لسُلَيْك : سليك المقانب .

قال قُرّان الأسدي وكان ضرب امرأته بسيف فطلبه بنو عمها فهرب وبلغه أنهم يتحدثون إليها :

لزوار ليلي منكمُ آل برثنٍ على الهول أمضى مِنْ سليك المقانب

قالوا : وغزا السليك بكر بن وائل ، فلم يجد غفلة فأقام يطلبها فنذروا به ، فعدا حتى ولج قبة فكيهة من ولد قيس بن ثعلبة فأجارته ، ودعت إخوتها فمنعوه فقال سليك :

لعمرو أبيك والأنباء تنمى لنعم الجار أخت بني عوارا
من الخفرات لم تفضح أخاها ولم ترفع لأسرتها شنارا[٢]

وعوارا ابنة عوف بن ذهل بن شيبان ، كانت عند مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة ، فولدت ولده فهم ينسبون إلى عُوارا أمهم .

قالوا : وكان السليك لا يغير إلا على أهل اليمن ، وربما أغار على ربيعة إذا اضطر ، وكان لا يغير على مضر ، وكان له انقطاع إلىٰ عبد ملك بن عبد بن ثعلبة بن مازن الخثعمي ، وقال غير الكلبي: هو عبد مالك بن مويلك ، فأغار مرة على قوم وراء بلاد خثعم ثم أتىٰ بلاد خثعم فإذا بيت من خثعم أهله خلوف ، وفيه امرأة شابة بَضَّة جميلة ، فسألها عن الحي فأخبرته

---

١ ـ ديوان السليك بن السلكة ـ ط . بيروت ١٩٩٤ ص ٦٢ .
٢ ـ ديوان السليك ص ٧٤ ـ ٧٥ .

فتسنمها[١] والتحم المحجّة ، فأتت الماء فأخبرت القوم بخبره ، فركب أنس بن مدركة الخثعمي فظفر به فقتله ، فقال عبد ملك بن عبد : لتَدِيَنَّهُ ، أولأقتلنَّك يا أنس ، فقال أنس : والله لا أدِيه أبداً وأنشأ يقول

إني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يُضربُ لما عافت البقر
أمشي البراز وسربالي مُضاعفة تغشىٰ اليدين وسيفي صارم ذكر

ويروي : «أغشى الحروب» وكان سليك نائماً فجاء رجل فقعد على صدره وقال : استأسر ، فقال له سليك : الليل طويل وأنت مقمر[٢] . يقول: اصبر حتى نصبح أو يطلع القمر .

وقال ابو عبيدة : خرج سليك ليغير علىٰ بني شيبان ، فمر ببيت فيه شيخ وامرأته فقال لأصحابه : دعوني حتى أدخل البيت فآتيكم بطعام ، فأراح ابن الشيخ إبله فقال : ألا حبستها قليلاً آخر ، فقال : إنها أبت العشاء فقال إن العاشية تهيج الآيبة[٣] ، وضربه السليك فأطار قحف رأسه واطرد الإبل ، وكان الشيخ يزيد بن رويم الشيباني .

ومنهم ياسين بن بشر الخارجي ولم ينفذ ابن الكلبي نسبه .

ومن بني صريم بن مقاعس : **عبدالله بن إباض** الخارجي صاحب الإباضية ، وعبدالله بن صَفّار الذي نسبت إليه الصفرية ، وقوم يقولون هو عبدالله بن صُفَار ، وذلك تصحيف ، والبُرك ، هو عبدالله الخارجي ، الذي ضرب معاوية بن أبي سفيان ففلق إليته ، فأُخذ فقطعت يداه ورجلاه ، فلما

١ ـ التسنم : الأخذ مغافصة ، أي على حين غرة . والتحم الجرح للبرء . التأم والحرب اشتدت . القاموس .
٢ ـ انظر مجمع الأمثال للميداني . المثل (١١٧) .
٣ ـ انظر مجمع الأمثال للميداني . المثل (٢٤٠٩) .

قدم البصرة ولد له ، فقال زياد بن أبي سفيان : يولد لهذا الكلب ولا يولد لأمير المؤمنين من ضربته ، فقتله وصلبه .

وقال أبو اليقظان : من ولد صريم : كَلّوب بن الريب ، ولي الولايات أيام يوسف بن عمر الثقفي ، وله عقب وكان ابنه من وجوه بني سعد أيام ابن سهيل بالبصرة .

ومن بني صَريم : كهمس بن طلق ، خارجي كان مع أبي بلال ، وأخوه : عبس بن طلق ، كان من رؤساء بني تميم ، وقتله قطري ، وهو مع عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد . وفي عبس بن طلق يقول حارثة بن بدر في يوم مسعود :

سيكفيك عبس أخو كهمس مطاعنة الأزد بالمربد

ومن بني صَريم : بجير بن وِقاء ، وكان أحد من قتل ابن خازم بخراسان ، وهو أيضاً قتل بكير بن وسَّاج السعدي لما حبسه أبو أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، فجاء أعرابي من رهط ابن وساج وبجير علىٰ شُرط أمية فدنا منه فقتله ، ثم قتل الأعرابي .

ومنهم الصُّدَي بن الخَلق الصريمي ، تزوج ابنته الأحوص بن محمد الشاعر الأنصاري ، وكان عشقها وفيها يقول :

فمت كمداً إن كنت للحب ميتاً فليس إلى بنت الصديِّ سبيل[1]

وفي بنيَ صَريم يقول الشاعر :

أصلّي حيث تدركني صلاتي وليس الله عند بني صَريم
قيام يطعنون على عليٍّ وكلهم على دين الخَطيم

---

١ ـ ليس في ديوان الأحوص المطبوع .

ومنهم : عمرو بن السَّكن الصريمي ، كان قاضياً لأمير المؤمنين هارون الرشيد على الأُبلَّة ، وهو من ولد شُعَيل الصريمي ، وكان السَّكن على شرط يحيىٰ بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس حين استعرض أهل الموصل .

وولد عوف بن كعب بن سعد : عُطارد بن عوف . وبَهْدلة بن عوف . وجُشم بن عوف . وبُرِينق بن عوف وهو بُرَيْنق وبُرَيْنيق ، وأمهم السَعْفاء ـ بسين غير معجمة ـ بنت غَنْم بن قتيبة بن معن بن مالك من باهلة ، وكانت قبل عوف عند يربوع بن حنظلة ، فولدت له أولاداً فلما مات يربوع ونقلها عوف جاء مالك بن حنظلة فانتزع أولادها منها ، وربقهم في ارباق الحملان فكانت تبكي أولادها وتقول : وابأبي الأحمال المربقة ، فولدها في بني يربوع يقال لهم الاحمال ، ويقال لبني السَعْفاء الأجذاع وتنشد :

فلا تبعدَنْ حيّ الجذاعِ فإنهم كرام ولكني أرىٰ الدهر ضَيَّعا

وقُرَيع بن عوف . وقُرين بن عوف . وعلباء بن عوف ، وأمهم مارية بنت حَبيب بن عَمرو بن كاهل بن أُسلم بن تَدول بن تيم الله بن رفيدة بن ثور بن كلب . فأما علباء فهم أعراب في بني قُريع .

فولد بَهْدلة : خلف بن بهدلة . وحية بن بهدلة . وعبد مناف بن بهدلة ، وأمهم أمامة بنت مُلادس بن عبشمس بن سعد بن عامر بن بهدلة . ومرة بن بهدلة الذين يقال لهم مرة السيل ، نزلوا بطن واد ، فجاء سيل فذهب بهم . وأحيمر بن بهدلة . وعبيد بن بهدلة ، وأمهم من بني عدي بن عبد مناة من الرباب .

فمن بني بَهْدلة: **الزبرقان بن بدر**[1]، واسمه حصين ين بدر بن امرىء

١ ـ بهامش الأصل : الزبرقان بن بدر رحمه الله .

القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن أسعد بن زيد مناة بن تميم ، وسمي الزبرقان لجماله ، والزبرقان القمر ، وكان يدعىٰ قمر نجد ، وكان من الذين يدخلون مكة معتمين لئلا يفتنوا النساء .

وقال غير الكلبي: سمي الزبرقان لعمامة كان يصبغها بالصفرة فيقال زبرقها ، وأم الزبرقان فيما ذكر أبو اليقظان ابنة زهير بن أقيش من عكل . والزبرقان القائل في قصيدة له هجا فيها المخبل :

دفعنا إلى النعمان منّا رهينة ... غلاماً غَذَتْهُ بالوفاء بَهادِلُه
نجيب جياد كلما مَدَّ باعَهُ ... إلىٰ المجد لم يوجد له من يطاوله
فلا تنتحل ما نحن فزنا بمجده ... عليك فأحظى الناس بالخير فاعله
ونحن بنو السفعاء ربة أمكم ... لنا دونكم ميراث عوف ونائله
وانتم بنو القرعاء جاءت بأقرع ... لئام مساعيه إماء حلائله[1]

وكان الذي دفع إلى النعمان ابن الشقيقة رهينة ليرعوا ولا يفسدوا لحوق بن دَهي بن عامر بن أحيمر بن بَهْدلة ، فأمر الناس فرعوا .

قالوا : ودعا بنو قريع المخبل إلىٰ منافرة الزبرقان والتواقف بسوق حجر ، وتهيأ الزبرقان ليخرج ، فقال المخبل لقومه بني قريع : وإنكم لجادّون أأنا أواقف ابن العكلية ، وهو أحسن الناس وجهاً ، وأمدُّهم قامة وأفصحهم لساناً ، وأبعدهم صيتاً ، ولكن دعوني أُهاديه الشعر فإني إن واقفته لم أكن إلا قذاةً في نحره .

وقال[2] أبو اليقظان : كان رجل من بني نمير قتل بعض أخوال

---

١ - ليست في شعر الزبرقان المجموع .
٢ - بالأصل : وكان ، وهو تصحيف .

الزبرقان ، فقتله الزبرقان ، وكان النميري يسمىٰ كنازاً فقال الأقرع :

لما تُؤوكِل كنّـاز دلفتُ له   دليف لا عاجز وانٍ ولا ورع

قالوا : واختدع الزبرقان قيس بن عاصم ، فلم يسق ما عنده من الصدقة إلى أبي بكر رضي الله عنه ، وساق الزبرقان إليه صدقة عوف والأبناء ، وهم ولد سعد ، غير كعب ، وعَمْروُ ابني سعد ، وقد كتبنا خبره في أمر الصدقة ، فيما تقدم في ترجمة قيس بن عاصم

وحدثني حفص بن عُمر عن الهيثم بن عدي عن عبدالله بن عياش الهمداني قال : دخل الزبرقان بن بدر يوم الجمعة المسجد فأخذ بعضادتي الباب ثم نادىٰ : السلام عليكم ، أيلج الزبرقان فقيل له : يا أبا شِذرة إن هذا موضع لا يُستأذن فيه ، فقال : أَيلجُ مثلي علىٰ جماعة مثل هؤلاء لا يعرفون مكانه ، وكان يكنىٰ أبا شِذرة وأبا عياش ، ويقال أيضاً أبا عباس .

وقال الحسن بن علي الحرمازي : وقعت الحرب بين بني بهدلة وبني عبشمس ، وعلى بني بهدلة الزبرقان فقتلوا جميعاً غير الزبرقان ، وجاء الإسلام فكفوا عن الحرب فحملت بنو عبشمس فضول الدماء ، وودىٰ الزبرقان كنّاز بن معاوية بن علاج بن عمرو بن كعب بن عبشمس ، وكان قتل زيد بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة فقتله الزبرقان ، وبسبب قتله تحارب بنو عبشمس وبنو بهدلة .

وحدثني الحرمازي عن أشياخه قال : لقي الزبرقان الحطيئة العبسي في عام جدب فقال له : أين تريد ياجرول ؟ قال أريد النجعة . قال : فأين أهلك ؟ قال : بمكان كذا ، فقال الزبرقان : هل تجوعن على التمر واللبن ؟

فقال الحطيئة : ومن يجوع على هذين . قال الحطيئة : فلما أطعمني قلت : ومن أنت ؟ قال فمن تجد ، أنا الزبرقان بن بدر ، قال : فتحولت إليه وحولت عناني وبنيت بيتي عند بيته ، وجعلت طنبي مع طنبه فأجاعني وأعوى كلبي وذهب لجاريته شيء فاتهمني به ، ودخلتْ بيتي ففتشته ونبذتْ ما فيه ، فلم يلمها ثم رحل وتركني فجاء بغيض بن عامر بن شماس بن لأي فضمني إليه فلامه الزبرقان وقومه على ذلك فقلت :

ما كان ذنب بغيض لا أبالكم ... في بائس جاء يحدو آخر الناس
لقد مَرَيتكم لو أن درَّتكم ... يوماً يجيء بها مَرِّي وإبساسي
والله ما معشر لاموا أخا ثقةٍ ... من آل لأي وشماس بأكياس

وقلت للزبرقان :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[1]

فنزاه بيتي هذا وأقلقه حتى استعدىٰ عليّ ، وقلت أيضاً في شعري :

ألم أك نائياً فدعوتموني ... فخانتني المواعد والدعاء
وآنيتُّ العشاء إلى سهيل ... أو الشعرىٰ فطال بي الاناء
ألم أك جاركم فتركتموني ... لكلبي في دياركم عواء
ولما كنتُ جارُهُم حبوني ... وفيكم كان لو شئتم حباء
فلم أقصب لكم حسباً ولكن ... حَدَوْتُ بحيث يُستمع الحداء
وإني قد عَلِقتُ بحبل قوم ... أعانهم على الحسب الثراء[2]

وقلت أيضاً :

---

١ ـ ديوان الحطيئة ص ١٠٥ ـ ١٠٩ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الحطيئة ص ٥٤ ـ ٥٦ مع فوارق .

هــلا غضبــت لرحــل جــ ـــارك إذ تُنُبِّــــذهُ حضاجر[١]
ولقـــد سبقتــهــم إلـــ ـــيَّ فَلِمْ نزعتَ وأنــت آخر[٢]

وحدثني عبدالله بن صالح العجلي عن ابن كناسة عن مشايخ من أهل الكوفة ، أن الحطيئة لما هجا الزبرقان بن بدر استعدى عليه عمر ، وكان أشد ما هجاه به عليه قوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر رضي الله تعالى عنه : وما عليك إذا قال لك انك طاعم كاسٍ ، فدعا حسان بن ثابت ، وأمر الزبرقان فأنشده البيت فقال عمر : أتراه هجاه يا حسان ؟ قال : لم يهجه يا أمير المؤمنين ، ولكنه خري عليه ، هذا أشد من الهجاء ، فحبس عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الحطيئة حتى بعث إليه مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي بأبيات مدحه بها وهي :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ حمر الحواصل لا ماءٌ ولا شجر
ألقيتَ كاسبهم في قعر مُظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقىٰ اليك مقاليد النهىٰ البشر
لم يؤثرك بها إذ قَدَّمُوكَ لها لكنْ لأنفسهم كانت بك الأثر[٣]

فدعا به فقال له : إياك وهجاء الناس وشتيمتهم وخلىٰ سبيله .

وقال الحطيئة لعمر في قصيدته التي أولها:

نــأتْـكَ أمــامـة إلاّ سُؤَالا وأَبَصْرتَ منها بغيب خيالا
إلىٰ ملكٍ عــادلٍ حكْمُــهُ فلما وَضَعْنَا إليـه الـرحـالا

---

١ ـ بهامش الأصل : حضاجر الضبع ، شبه أمته بها .
٢ ـ ديوان الحطيئة ص ٣٣ ـ ٣٤ .
٣ ـ ديوان الحطيئة ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

ضوى قول من كان ذا إحنة ومن كان يأمل فيَّ الضلالا
أتتني لسانٌ فكذبتها وما كنتُ أحذرها أن تقالا
فلا تسمعنْ فيَّ قول العداة ولا تُوَكِّلَنِّي هديت الرجالا
فإنك خير من الزبرقان أشدُّ نكالاً وخيرٌ فعالا[1]

ويقال قالها قبل حبسه حين بلغه أن الزبرقان يستعدي عليه .

وقوم من بني بهدلة يقولون إن الزبرقان كان قد أحسن قِرىٰ الحطيئة ، ولكن بغيضاً أطمعه في أكثر مما كان فيه ، فصار إليه وأعطاه حتى هجا الزبرقان .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه قال : مرَّ قومٌ من قريش وغيرهم بالزبرقان وهو يلوط حوضاً له ويصلحه ، فأرادوا أن يسقوا إبلهم من بئرٍ له فمنعهم ذلك فقال شاعرهم :

وما الزبرقان حين يمنع ماءه بمحتسب يقوىٰ ولا متوكل
ولا طالب حَمْداً وقد ظل قائماً يُدَفِّعُ أعضاد الحياض بمعول

وقال أيضاً :

تركنا الزبرقان على حفير يُرَقِّع حوض ثُلَّتِهِ بكلسٍ
عليك لبان وَطِبكَ تَدِّويه وما في العسِّ في محضٍ وَقَرْسٍ[2]

وقال الحرمازي عن أشياخه : أغار بنو عبشمس على بني بهدلة بن عوف بن يمان التي عند هجر ، فجرحوا اناساً واطردوا إبلاً وثلاثين فرساً للزبرقان، فاستعدىٰ الزبرقان العلاء بن الحضرمي، وهو عامل أبي بكر على

١ ـ ديوان الحطيئة ص ٦٧ ـ ٧١ مع فوارق .
٢ ـ القرس : البرد الشديد . والجامد . القاموس .

البحرين فقال له : هات بَيِّنَة ، فلم يجدها ، فعرض الزبرقان لرجل من بني مُلادس بن عبشمس معه مائة وخمسون بعيراً فجاء به إلىٰ العلاء فأقام عنده البيِّنَة أن المُلادسي كان في الجيش ، فهرب وأخذ إبله ، فوثب ابن عم له على إبل الصدقة فأخذها ، فأغلظ العلاء وأصحابه للزبرقان فقال في قصيدة أولها :

أبلغْ أبا بكر وإن كان دونَه ... مهامه تعتال الركاب لياليا
شكـاتي إليه لـو أتاه مُخَـبِّرٌ ... فيُخبره أني لَقِيتُ الدَّواهيا
فما عيش مَنْ لم يَغْنِ عنه وفاؤه ... ولا عذره لو يملأ العذر واديا
طوىٰ كل معوف وأحضر دونه ... عقارب أخشىٰ لذعها وأفاعيا
تهكّم أصحاب العلاء شتيمتي ... فمالك يابن الحضرميّ وماليا
فلو شئتُ لم أحبس بحجر عليكم ... جسام الروايا[١] والجياد المراخيا[٢]

وزعموا أن الزبرقان كان في جند العلاء بالبحرين ، والزبرقان القائل لخالد بن الوليد المخزومي يحرضه :

خاطِرْ علىٰ الجُلَّىٰ فإنك أهلها ... حَسَباً وأَذْك شهابها لا تُخمِدِ
وانْفُذْ فإنك لو قعدت بشاهق ... صعب المرام مُمَنَّع لم تَخْلِدِ
واذا امرؤ أرضاه أدنى سعيُهُ ... نَقَصَتْ مروءتُه إذا لم يَزْدَدِ[٣]

والزبرقان الذي يقول :

وقلت لحاملٍ ضَبّاً وضَغْناً ... تَحَمَّله فـإن الله حَسْبـي
ألم أبذل لكم مالي وودّي ... وأدرأ عنكُمُ دَرَكي وشَغْبَي

١ ـ بهامش الأصل : الروايا إبل تحمل .
٢ ـ ليس في شعره المجموع .
٣ ـ ليست في شعره المجموع .

وأجعل كل معتمد أتاني يريد النصر بين حَسَا وَخُلْبِ[١]

ونزل ببني عُبيد بن مُقاعس فأجلّوه وبرُّوه فقال :

إني وجدت عُبيداً حين زرتهم كالرأس يجمع فيه السَّمْعُ والبصر[٢]

وقال أبو اليقظان : ولد الزبرقان : **عياش بن الزبرقان** . والعباس وبه كان يكنىٰ ، وغيره يقول يكنى بعياش ، وغيرهما . وأمهم ابنة صعصعة عمة الفرزدق فكانت تقول : حماري رهن بخمسين بعيراً لمن جاء بأب كصعصعة ، وأخ كغالب وخال كخالي الأقرع بن حابس ، وزوج كزوجي الزبرقان بن بدر .

وذكر الهيثم بن عدي أن الزبرقان أتىٰ مُسيلمة بابنه وقال : يا نبي الله حَنِّكْهُ ، فَحَنَّكَهُ فخرس .

وقال الزبرقان : ما استَبَّ اثنان إلاَّ غلب ألأَمُهُما .

فأما عياش بن الزبرقان فكان شريفاً بالبادية ، وهو الذي يقول له جرير بن عطية :

سأذكر ما قال الحطيئة جاركم وأحدِثُ وسماً فوق وَسْمِ المخبلِ

أعياش قد ذاق العيون مغاضبتي وأوقدتُ ناري فادْنُ عياش فَاصْطَلِ[٣]

فقال عياش حين أنشد هذا البيت : إني إذاً لمقرور .

فولد عياش : غَضِيّاً ، وكان على شرط المدينة لخالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصي ، وإنما ولاه الشرط لأن أم عبد الملك بنت

١ ـ البيت الأخير فقط في شعره ص ٣٦ وفيه «بين حشا وخلب» .

٢ ـ ليس في شعره المجموع .

٣ ـ ديوان جرير ص ٣٦٨ .

الزبرقان بن بدر ، وغضياً القائل :

غـريب عن ديار بني تميم ولن يُخزي عشيرتي اغترابي

وذكره سهيل المديني في شعره وقد كتبنا شعر سهيل المديني فيه في خبر هشام بن عبد الملك ، وأما عياش فلم يكن بشيء .

وقال المُخَبَّل في الزبرقان :

وأبوك بدر كان ينتهس الخُصىَ وأبي الجواد ربيعة بن قِبال[1]

فلما أُنشد الزبرقان قوله :

كـان يـنـتـهس الخصىَ وأبي ....

قال : شيخان اشتركا في ضيعة[2] وصناعة .

وزوَّج الزبرقان أخته خليدة من رجل يقال له هَزّال من بني جشم بن عوف بن كعب بن سعد فقال المخبل :

وانكحتَ هَزّالا خليدة بعدما زعمتَ برأس العين أنك قاتلُه[3]

ثم مر بها المخبل بعد حين وقد أصابه كسرٌ فجبرت كسره وقامت عليه وبَرَّتْهُ وهو لا يعرفها فلما عرفها قال :

لقد ضَلَّ حلمي في خليدة ضَلَّةً سأعتب قومي بعدها وأتوبُ

وأشهـد والمستغفر الله أنني كذبتُ عليها والهجاء كذوب

وتزوج إلى الزبرقان سعد بن أبي وقاص ، والمسور بن مخرمة الزهري ، وعمرو بن أمية الضمري ، والحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن

---

١ ـ المخبل السعدي شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والاسلام ، له ترجمة في الأغاني ج ٣ ص ١٨٩ ـ ١٩٩ ، وورد هذا البيت في ص ١٩٣ ، وصحف اسم «قِبال» إلى «قِتال» .

٢ ـ في رواية الأغاني «صنعة» .

٣ ـ الأغاني ج ١٣ ص ١٩٢ مع فوارق .

عبد شمس ، وعثمان بن أبي العاص ، والحكم بن أبي العاص ، وأمية بن أبي العاص الثقفيون . وكان الزبرقان إذا زوج المرأة من بناته دنا من خدرها فقال : أتسمعين لا أعلمن ما طلقت ثلاثاً ، كوني أَمَةً لزوجك .

ومن بني بَهْدلة : المغيرة بن الفَزْع ـ مُسَكَّنَةُ الزاي ـ بن عبدالله بن ربيعة بن جندل بن ثور بن عامر بن أحيمر بن بهدلة ، كان مع ابراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن حين خرج بالبصرة ، وكان من أشد الناس في أمر ابراهيم وأَجَدَّهم ، قتله أبو الأعور الكلبي ، فقال أبو زياد الحذاقي الكلبي ، وهو عبدالله بن كليب من ولد الحذاقية .

من مبلغ عُليا تميم بأننا نصبنا على الكَلاَّء بالشطِّ معْلَمَا
نصبنا لكم رأس المغيرة بائنا وجثمانه بالجذع عُريانَ مُلْجَما

وقد ذكرنا خبره في خبر ابراهيم بن عبدالله مع أخبار آل أبي طالب .

ومنهم حنظلة بن أوس بن بدر ، وهو ابن أخي الزبرقان وكان شاعراً ، وقطن ومحرز ابنا عبدالله بن أبي سويط بن أحمر بن بهدلة وكان بنو عبشمس أصابوهما فحماهما الزبرقان .

وولد عُطارد بن عوف : مالك بن عطارد . وشجنة بن عطارد . والحارث بن عطارد . وعبدالله بن عطارد، وأمهم صفية بنت أُهيب بن عبشمس بن كعب .

فمن بني عطارد : كرب بن صفوان بن شجنة الذي كان يدفع بالناس في الجاهلية في الموسم ، وله يقول الشاعر وهو أوس بن مَغْراء :

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

ولهم يقول الراجز :

إن لسعد دعوة التعريف .

وعوير بن شجنة الذي ذكره امرؤ القيس فقال :

عويرٌ وَمَنْ مثل العوير ورهطه   أَبَـرُّ بأيمـانٍ وأوفىٰ لجيران[1]

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده أن امرأ القيس بن حجر لما قتلتْ بنو أسد أباه ، ووهن أمره ، وخاف المنذر بن ماء السماء جعل يحل بقوم قوم فيذم ويحمد ، حتى نزل بعوير بن شجنة ، فأحسن قومه جواره فقال فيه ما قال .

حدثني ابن مسعود عن ابن كُناسة عن علمائهم قال : اتفقت العرب على أن جعلوا ولاية الموسم والإفاضة بالناس إلى بني تميم ، فكان ذلك إلى سعد بن زيد مناة بن تميم ، ثم إلى حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، ثم إلى ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، ثم إلى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ثم إلىٰ معاوية بن شريف بن جروة بن أُسَيْد بن عمرو بن تميم ، ثم إلى الأضبط بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد ثم إلى صُلصُل بن أوس بن مُخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أُسَيْد ، ثم إلى الغَلّاق بن شهاب ابن لأي من بني عُوافة بن سعد بن زيد مناة ، وكان آخر من أفاض بالناس كرب بن صفوان بن شجنة ويقال صفوان بن جناب بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد وهو الذي يقول له أوس بن مَغْراء :

ولا يريمون في التعريف موقفهم   حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

وبعضهم يقول آل صوفانا ، يعني بني صوفة الربيط وهو الغوث بن مرّ ، وذلك خطأ . وقد كان أهل صوفة يجيزون قبل سعد بن زيد مناة ،

١ ـ ديوان امرؤ القيس ص ١٦٩ مع فوارق .

ولكن الشعر في آل صفوان .

وقال أبو اليقظان : قال أوس بن مغراء في إفاضة آل صفوان بالناس :

ولا يريمون في التعريف موقفهم   حتى يقال أجيزوا آل صفوانا
مجداً بناه لنا قِدْمَاً أوائلنا   وأورثوه طوال الدهر أُخرانا

وقال أبو اليقظان : حدثني عبدالله بن المبارك أنه لم يحضر معهما أحد في بعض السنين إلا امرأة ، فأفاضت بالناس .

وقال الكلبي : أقبل كرب بن صفوان بن شجنة يريد بني عامر في شعب جبلة ، فخاف قوم من بني تميم ثم حنظلة أن ينذرهم بهم ، فأخذوا عليه المواثيق والعهود ، فمضىٰ حتى أتىٰ بني عامر فسألوه عن الخبر فجعل لا يتكلم فقالوا : هذا رجل قد أخذت عليه المواثيق والعهود ألا يخبركم بشيء : فقال لست أخبركم بشيء ولكن إئتوا منزلي تجدوا فيه الخبر ، فأتوا منزله فإذا خرقة يمانية فيها تراب ، وحنظلة قد كسرت ، فيها شوك ، وإذا وطب معلق فيه لبن ، فقال الأحوص بن جعفر بن كلاب : يقول إن القوم في كثرتهم كالتراب ، وإن شوكتهم في بني حنظلة ، وإن اليمن تجمعهم انظروا ما في الوطب فاصطبّوه فإذا لبن جبن قَرَصَ ، فقال : يقول : القوم منكم على قدر ما بين حلاب اللبن وان يقرص ، ففي ذلك يقول عامر بن الطفيل بعد حين :

ألا أبلغ لديك جموع سعدٍ   فبيتوا إن نُهَيِّجْكُم نياماً
نصحتم بالمغيب ولم تعينوا   علينا إنكم كنتم كراما
ولو كنتم مع ابن الجون كنتم   كمن أمسىٰ وأصبح قد ألاما[1]

١ ـ ديوان عامر بن الطفيل ـ ط . دمشق ١٩٩٤ ص ٤٨ ـ ٤٩ مع فوارق .

وكان لقيط بن زرارة بن عدس يطلب بني عامر بدم معبد بن زرارة ، ويثربي بن عُدُس ، فحشدت معه حنظلة ، وبنو ضبة ، وتيم ، وعدي ، وعُكل ، وكان حصن بن حُذيفة بن بدر يطلب بدم حذيفة ومعه الحليفان : أسد ، وذبيان وكانت بنو عبس قتلت حذيفة يوم الهَبّاة ، والهبأة وادٍ فيه بركة عظيمة ، وكان معهم معاوية بن شرحبيل بن أخضر بن الجون ، والجون هو معاوية ، وسمي جوناً لشدة سواده ، وأبوه آكل المرار الكندي ، في جمع من كندة كثيف فقاتلوا بني عامر ، ومعهم بنو عبس يوم شعب جبلة ، وكان عرفجه بن كرب بن صفوان فارساً حضر يوم الكلاب الثاني حين اقتتل بنو تميم والرباب وبنو الحارث بن كعب ومن لافّهم من قبائل اليمن لطمعهم في بني تميم يوم الصفقة ، فأصيب يومئذ أنف عرفجة ، فاستأذن النبي ﷺ بعد إسلامه في أن يتخذ أنفاً من ذهب ، وقال ان الفضة تنتن علي فأذن له فيه .

ومنهم : **أبو رجاء العُطاردي** ، واسمه عمران بن تيم ويقال عمران مِلحان ، أسر يوم الكلاب الثاني فجعل بنو الحارث بن كعب يدفعونه إلى نَهْد ، وجعلت نهد تدفعه الى بني الحارث فنجا وأسلم ، ولم يزل إمام بني عطارد يصلي على جنائزهم بالبصرة حتى مات في أيام الحجاج بن يوسف بالبصرة في قول أبي عبيدة ، وكان أبو رجاء من قراء القرآن ، وله اختيار في القراءة قد كتبناه .

وحدثني روح بن عبدالمؤمن المقرىء، حدثني عمي أبو هشام عن شيخ من بني تميم قال : أتينا أبا رجاء العطاردي ، فأذنت لنا ابنته ، فدخلنا بيتاً كان فيه ولم نكد نستبينه لضؤولة جسمه ، فقالت:ما ترونه في زاوية البيت . فقلنا : لقد كبرت سنك ، فقال بصوت ضعيف : أو تستطيلون عمري ؟

وقال محمد بن سعد : قال يزيد بن هارون : مات أبو رجاء في أيام عمر بن عبدالعزيز .

وقال الواقدي : مات سنة سبع عشرة ، وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه [١] .

وقال أبو اليقظان : ومن بني عطارد : **شماس بن دثار** ، كان من سادة بني تميم وفرسانهم بخراسان .

ومنهم **محمد بن نوح** ، كان يقص في المسجد الجامع بالبصرة بأمر الأمراء .

وقال أبو اليقظان : ومن بني عطارد : **أبو رجاء عمران بن تيم** ، وكان قارئاً فقيهاً أدرك النبي ﷺ ، وسبي يوم الكلاب الثاني فأعتقه رجل من بني عطارد ، فروى عن أبي رجاء أنه قال : هربنا حيث بلغنا خروج النبي ﷺ ، فكنت مع مولاي فنزل بأرض فضاء وحشة ، فقال: إني أعوذ بأعز أهل هذا الوادي من شر أهله ، فسمعت القرآن بعد : ﴿وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ [٢] فظننت أنها نزلت فيه .

وكبر أبو رجاء حتى جاوز المائة ، وكان يصلي ببني عطارد وعلى جنائزهم قريباً من سبعين أو ثمانين سنة ، لا يصلي غيره ، فلما مات شهد جنازته الفرزدق وهو يقول :

ألم تر أن الناس مات كبيرهم ومن قبل ما مات النبي محمد [٣]

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٣٩ .
٢ ـ سورة الجن ـ الآية : ٦ .
٣ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .

قالوا : وكان عبدالرحمن الإسكاف ، مولى لبني عطارد ، وكان له قدر ، ورمى طائرين فشكهما فسُمي الإسكاف ، وكان من أشجع الناس تعاورته الأزارقة ، فعقروا فرسه فقاتلهم قائماً وقاعداً ومضطجعاً ولم يعنه أحد ، فلم يصلوا إلى قتله إلاّ بعد ساعات ، وفيه يقول ابن عصمة المنقري :

بمنزلة ترى الإسكاف فيها وَحَمَّتْ بعد للعبدي دارا

وكان ابنه محمد بن عبدالرحمن الاسكاف فيمن قاتل المختار مع مصعب بن الزبير ، فلما قال أهل الكوفة لمصعب: اقتل الموالي ممن استنزل من القصر من أصحاب المختار قال : ما انصفتمونا ، نقاتل عدوكم وتقتلونا ، وبالبصرة قصر يعرف بالاسكاف ، وكان رجل يقال له صفوان بن سليمان البربار يدعي أنه من عطارد ، ولم يكن منهم فهجاه شاعر فقال :

تسميتَ صفواناً وذاك فَريةٌ عليك وعارٌ يا بن أطولها بظرا
رأيتُ شريحاً عند بابك قاعداً ولم أر ثَمَّ الزبرقان ولا بدرا

شريح خال له ، وهو خال ابن برجان اللص .

ومن بني جشم بن عوف فيما ذكر أبو اليقظان : حُيَيْ بن هزال الذي يقول :

أنا حُيَيٌّ واعتراني أفكلي (1)
لن يغلب اليوم حباكم قَبَلي
انا ابن ما جعدة بن جندل

وهو القائل في معاوية :

١ ـ الأفكل : الرعدة .

إذ مات مات العرف وانقطع الندىٰ من الناس إلا من قليل مُصَرَّدِ

وهو القائل :

فلا كوفةٌ أمي ولا بصرةٌ أبي ولا أنا يُثنيني عن البغية الكسل

وكان من بني جشم جشم الأعلم ، وابنته أم حبيب بنت الأعلم ، وهي أم محمد بن القاسم الثقفي صاحب السند من قبل الحجاج ، فكتب إليه الحجاج : إنك لتذكر أمك ، ولو كانت الفارعة بنت همام ما عدا ، والفارعة أم الحجاج .

وقال الكلبي : ولد جشم بن عوف : أورق ، وبعضهم يقول أروق . ومُحَلّم . ونُكرة . فمنهم عبد يغوث ابن أورق وكان منيعاً .

وولد قُريع بن عوف : جعفر بن قريع ، وهو أنف الناقة ، وإنما لقب بذلك لأن قريعاً نحر جزوراً فقسمها بين نسائه ، فقالت أم جعفر بن قريع رهي الشَموس من بني وائل بن سعد هُذيم من اليمن : انطلق إلى أبيك فانظر هل بقي عنده شيء من الجزور، فأتاه فلم يجد عنده إلّا رأس الجزور، فأخذ بأنفه يجره فقيل : ما هذا بيدك ؟ فقال : أنف الناقة ، وكانوا يغضبون من اللقب حتى مدحهم الحطيئة فقال :

قومٌ هم الأنفُ والأذناب غيرهم ومن يُسَوِّي بأنف الناقة الذنبا[1]

ولما صار مدحاً فَخروا به .

والأضبط بن قريع الشاعر الذي يقول :

إقبل من الدهر ما أتاك به من قَرَّ عيناً بعيشه نفعه

يا قومُ مَنْ عاذري من الخُدَعَةِ المسـ ـيء والصبح لا بقاء معه

ما بال من غيه مصيبك أو تملك شيئاً من أمره وَزَعَه

١ ـ ديوان الحطيئة ص ١٧ .

والخَمَّة بن قُريع ـ بخاء معجمة من فوق ـ وعبدالله بن قُريع وحَذّار بن قريع ـ بفتح الحاء ـ ولوذان بن قريع ولم يذكرهما الكلبي .

فمنهم : بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة ، وهو صاحب الحطيئة ، وقد ذكرنا خبره وخبر الزبرقان بن بدر وقال الحطيئة فيه :

بغيض وما سموا بغيضاً لباطلٍ ولكنهم كانوا حماة الحقائق[1]

فقال أبو اليقظان : كان الأضبط شريفاً سيداً في الجاهلية ، وغضب على قومه فكره جوارهم ففارقهم ، وأتى قوماً آخرين فنزل فيهم فآذوه فرجع الى قومه وقال : بكل واد بنو سعد أي أن في الناس شراً كشر بني سعد ، وكلم رجل امرأته وهو غائب فقالت : لعزّ على الأضبط بن قريع ، فذهبت مثلاً ، وطلق امرأة له فقالت : يا بارد الكمرة . فقال : يا آل قريع أسخنوا الكمرة ، فذهبت مثلاً ، وله عقب بالبصرة ولهم مسجد بها .

ومنهم الحَرِيش بن هلال بن قدامة بن شماس بن لأي بن أنف الناقة ، وكان رأسهم أيام المهلب في قتال الأزارقة ، وكان مع عبيدالله بن أبي بكرة بسجستان فعفّر[2] ابن رتبيل ، وحمل عليه الكفار ، فأعانته بنو تميم فقال :

سأكرم ما حييت بنو تميم وأبذل فيهم ودي ومالي
وهم كروا عليّ وقد رأوني صريعاً بين مختلف العوالي
بضربٍ يمنعون به أخاهم وطعنٍ مثل أفواه العزالي[3]

وكان ابن خازم ضربه على رأسه فقال :

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٢ ـ أي ضرب به الأرض . القاموس .
٣ ـ مصب الماء من الراوية . القاموس .

أعـاذلُ إني لم أُلِمْ في قتـالهم   وقد عَضَّ سيفي كبشهم ثم صمما

ثم صالح ابن خازم ، وقد وضع على رأسه قطنة فسقطت ، فتناولها الحريش فوضعها على الضربة فقال ابن خازم : مَسُّتُك هذه يا بن قدامة ألين من مستك الأولى .

ودخل على الحريش لص إما قتله أو طرده ، فسئل الحسن عن لص دخل على رجل فقال: إن استطعت فكن مثل الحريش، وخرج مع ابن الأشعث ، فقتل بالزاوية ، ولم يكن له غير بنت تسمى أم عمرو ، فتزوجها مروان بن المهلب ثم خلف عليها فراس بن سُميّ الفزاري .

ومنهم فارس بن هَبّود ، وهو برثن بن شهاب بن النعمان بن جبيل بن حَدَّان بن قُريع ، وكان شريفاً قائد بني سعد وفارسهم في الجاهلية .

وعلقمة بن سَبَّاح بن جبيل بن حَدَّان بن قريع ، كان من فرسان بني سعد ، وهو قاتل عمرو بن جُعيد المرادي يوم الكلاب الثاني ، ومدحه أوس بن حجر فقال في قصيدة أولها :

وَدِّع لميس وداع الصارم اللاحي   قد فَتَّكَتْ في فسادٍ بعد إصلاح

ابتزَّها الله بلحائي وَقد عَلِمَتْ   إني لنفسي إفسادي واصلاحي

إن أشرب الخمر أو أرزأ لها ثمناً   فـلا محالـة يومـاً إنني صـاح

أسقي ديار بني عوف وساكنها   ودار علقمة الخير ابن سبَّاح

ومنهم أوس بن مَغْراء [1] القريعي الشاعر ، وكان هاجى رجلاً من بني جَعْدة يقال له السِط ، فاتَّعَدا أن يتواقفا فيتهاجيا فسأل أوس سؤر الذئب الشاعر أن يعينه فقال له : أنا معينك بست أرجوزات ، فقال : إن عجزتُ

١ ـ بهامِشِ الأصل : أوس بن مغراء الشاعر .

فأعنّي . فلما توافقا قال :

أنا ابن مَغْراء وينميني أبي إلى العلىٰ وحَسَبي ومنصبي

إني بقاعٍ فوق كل مرقب ألبس للأعداء جلد الأجرب

وقال أيضاً :

لما رأتْ جَعْدةُ مِنّا وِرْدا صاروا نِعاماً بالقفار ربدا

كل امرىء يغدو بما أَعَدّا

ويقال إن العجاج أعانه بهذا البيت .

وغزا ذُفافة بن هَوْذة بن شِمّاس القريعي بني عدي فلحقوه بعد أن اكتسح نَعَمَهم ، فاقتتلوا فَشَدَّ عوف بن شريك العدوي على ذفافة فطعنه فقتله ، وانهزمت قريع فقال الشاعر :

لاقي ذفافة عوفاً ذا منازلة والمشرفيُّ حساماً غير منثلم

ومنهم المخبَّل ، وهو ربيعة بن عوف بن قِتال بن أنف الناقة ، وكان يكنى أبا يزيد ، وكان شاعراً في الجاهلية والإسلام ، وهاجر إلى البصرة ، وقال لابنه شيبان وهاجر معه :

أشيبانُ ما يدريك رُبَّة ليلةٍ غَبَقْتُكَ فيها والغبوق حبيب

ولد المخبل بالأحساء كثيراً .

وقال أبو اليقظان ، من بني لوذان بن قريع : وَكيع بن عَمِيرة ، وأمه أَمَةٌ من أهل دورق ، فنسب إليها ، ويكنى أبا ربيعة ، وهو الذي قتل عبدالله بن خازم بخراسان ، وكان ابن خازم قتل أخاً له يقال له دُوَيلة ، مولىً لبني لوذان ، فلما قعد على صدر ابن خازم ليقتله قال : يا لثارات دُوَيلة ، فنخّم في وجهه وقال : لعنك الله ، أيُقتل كبش مضر بأخيك علج

لا يساوي كفًّاً من نوىٰ . وقال وكيع :

ذُقْ يا بن عَجْلَىٰ مثل ما قد أَذَقْتَني ولا تَحْسَبَنِّي كنتُ عن ذاك غافلا

وعَجْلَىٰ أم ابن خازم ، وكان وكيع يقول غلبته بفضل الفتاء فقعدت على صدره ، وادرك وكيع قتيبة بن مسلم ، وكان قد وقع بينه وبين رجل يقال له مَيْشار شر فعلاه بمخفقةٍ وقال :

أيا ميشار يا خضف[1] الحمار أتوعدني وأنت على جعار [2]

أنا الأسد الذي أُخبرتَ عنه يَشُدُّ علىٰ الكتيبة بالنهار

وقال أبو الحسن المدائني : كان وكيع ابن الدورقية جافياً عظيم الخلقة ، صلىٰ يوماً وبين يديه نبتٌ فجعل يأكل منه ، فقيل له : أتأكل وأنت تصلي ؟ فقال : ما كان الله ليحرم نبتاً أنبته بماء السماء على طيب الثرىٰ في حال من الأحوال ، وكان يشرب الخمر فعوتب على شربها ، فقال : أعلى الخمر تعاتبون وهي تجلو بولي حتى تصيره كالفضة ، وكان يبول قائماً ، والناس ينظرون إليه .

وقال أبو اليقظان : هو الحريش بن هلال بن قدامة بن نُفير بن لأي ، ولم يذكر ابن الكلبي نُفَيْراً .

وقال : وَلَدُ الخمّة بن قريع قليل ، وهم بالبادية والبصرة .

قال : ومن ولد ربيعة بن قريع : مرة بن ربيعة وهو الذي مَحل [3] بالنابغة الذبياني إلى الملك فقال النابغة :

١ ـ خَضَف : ضرَط . القاموس .

٢ ـ الجعر : ما يبس من العذرة . القاموس .

٣ ـ المحل : المكر والمكيدة . القاموس .

لعمري وما عمري علي بَهيِّنٍ   لقد نطقت بُطْلاً عليّ الأقارع[1]

قال : ومن بني ربيعة الذي يقول :

وما الفقر والإيسار من حيلة الفتىٰ   ولكنْ أَحاظٍ قُسِّمَتْ وجدود

ومن بني ربيعة : **سؤر الذئب** الذي يقول يوم مسعود :

نحن قتلنا الأزد يوم المسجد
والحي من بكر بكل مِعْضَد
كأنهم من رامح ومقصد
بين السواري وطريق المسجد
أعجاز نخل الدَّقَل المُسَنَّد

ومن بني ربيعة : **قدامة بن جراد الشاعر** ، وهو الذي لقي دَغْفَل بن حنظلة النسابة فنسبه حتى بلغ أباه ، ثم قال له : قد ولد جراد بن جمرة رجلين أحدهما شاعر والآخر ناسك صالح ، فأيهما أنت ؟ فقال : أنا الشاعر السفيه ، وقد أصبت فيما قلت ، فأخبرني متى أموت . فقال : أما هذا فلا علم لي ولا لأحد إلاّ الله به ، وقُدامة القائل لنجدة الحروري :

متى تلقى الحريش حريش سعد   وعباداً يقود الدار عينا
تبينَّ أن أُمك لم تُوَرِّكْ   ولم تُوْضِع[2] أمير المؤمنينا

وقال أبو اليقظان : من بِني حَدّان بن قُريع : علقمة بن سَبّاح الذي مدحه أوس بن حجر فقال :

إسقي ديار بني عوف وساكنها   ودار علقمة الخير ابن سباح[3]

١ ـ ديوان النابغة ص ٨٠ .
٢ ـ بهامش الأصل : خ ـ ترضع .
٣ ـ ديوان أوس بن حجر ـ ط . دار صادر ص ١٨ ، وفيه : «ابن صباح» .

ومنهم أبو دَهْلَب الراجز وهو القائل :

حَنَّتْ قلوصي أمس بالأردُنِّ
حِنِّي فما ظلمت إن تحنِّي
حَنَّت بأعلىٰ صوتها المُرِنِّ

وكان يزيد بن معاوية أمره أن يرجز بالأردن .

وولد بِرنيق بن عوف : هاجر ، وبنو برنيق قليل وليسوا بشيء وهم بالبصرة وهم يُصَغَّرُون فيقال بنو بُرينيق .

وولد عبدالعزىٰ بن كعب بن سعد بن زيد مناة : حِمَّان بن عبدالعزىٰ . وحُرثان . وجرير . وعوف بني عبدالعزىٰ . وسمي حِمَّان حِمَّاناً وكان اسمه كعب لأنه كان يسوِّد سُفنه[1] ويحممها .

فولد حِمان : مرة بن حمان . والخَيزق بن حِمان ، وبعضهم يقول الخَيْسَق . وهمّام بن حمان . ومخاشن بن حمان . وعامر بن حمان ، وزعموا أن امرأة نزلت مع زوجها بين بني حمان ، فجعلوا يغطون وجوههم بأكفهم وينظرون إليها من خلل أصابعهم ويتعاطسون ، فقال الشاعر :

تَعَاطسون جميعاً حال جارتكم فكلكم يا بني حمّان مزكوم

وكان يقال : أعلم من تيس بني حمّان ، وذلك أنه ذُبح ولم تُفْرَ أوداجه فقام فنزا ، ومر رجل من بني حمّان مسنٌّ هرم برجل من بني تميم فقال له : يا حمّاني ما فعل تيسكم ؟ فقال : عند أمك .

ومن بني حمّان : نمر بن مُرّة بن حمّان وكان فيه بيت تميم أولاً ، منهم : عمرو بن مالك ، كان أحد بني الخيزق ، وكان شريفاً بخراسان وهو الذي

١ - بهامش الأصل : شفته .

ذكره ثابت بن قُطْنَة الأزدي في شعره في أيام تَرْفُل فقال :

لم يَقْرِها السعديُّ عمرو بن مالك وتَشْعَبُ من سهم المنايا له سَهْما

ومن بني حمان : خَيران وحسان ابنا الوَدَّاء وكانا شريفين ، وكان حسان مع سلم بن زياد بخراسان ودخل على عبيدالله بن زياد بالبصرة فانتسب له فقال له : أخوك خيران بن الودَّاء ؟ فقال : بل أنا أخوه أصلح الله الأمير ، وكان أصغر منه . وكان حسان يكنى أبا إياد ، وشتم حارثة بن بدر فلم يجبه ، وقال إنه لفخر لبني حمّان إن أجبتهم . ولا عقب لحسان .

وخاصم بنو نمر بن مرة بني كليب في رَكيَّة بالمروت إلى المهاجر بن عبدالله الكلابي ، وهو على اليمامة ، فقال جرير بن عطية :

نعوذ بالله العزيز القهار وبالأمير العدل غير الجبَّار
من ظلم حمَّان وتحويل الدار فسل بني صحب ورهط الجرّار
والمسلمين العظام الأخطار والجار قد يعلم أخبار الجار
حفرتها وهي كناس البقار ما كان قبل حفرها من محفار[1]

في أبيات ، وقال :

جاءت بنو نمر كأن عيونهم جمر الغضا تبذري وظلام[2]

وكان جعفر بن ثعلبة سأل مُخاشن بن حمّان أن يسقي إبله ، قبلَ إبل نفسه ، فأَبىٰ فقال : هوان ما بي عليك مخاشن بن حمان فذهبت مثلاً .

ومن بني مُخاشن : أبو نخيلة الراجز[3] ، واسمه معمر ، وكني أبا

١ ـ ديوان جرير ص ١٩١ مع فوارق واضحة .
٢ ـ ديوان جرير ص ٤٢٠ . مع فوارق ، والبذري : الباطل . القاموس .
٣ ـ بهامش الأصل : أبو نخيلة الراجز .

نخيلة لأنه ولد إلى جنب نخلة ، وقال فيه الراجز :

إن أبـا نخلة عبـدٌ مـالَـهُ خول إذا ما ذكروا أخواله

تدعىٰ له أم ولا أبا له

وولد مالك بن كعب : فاضل بن مالك . وعوف بن مالك . والأروح بن مالك .

وولد ربيعة بن كعب : جُشَم بن ربيعة . ولأي بن ربيعة . وعمرو بن ربيعة . وعمرو وهو المستوغر الذي عمر دهراً ، وأدرك الإسلام وسُميٌ المستوغر لبيت قاله :

ينش المـاء في الربـلات منها نشيش الرَّضْف في اللبن الوغير(1)

وقال غير الكلبي : اسمه عمير ، ويكنى أبا بيهس ويزعمون أن المستوغر قال :

إني سئمت من الحياة وطولها وعَمِرْتُ من عدد السنين مئينا

وثُجَيْر بن ربيعة .

ومنهم : عمرو بن جرموز بن قيس بن الذيال بن ضِرّار بن جُشم بن ربيعة قاتل الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه ، وكان الذي أنذر بالزبير رجل من بني جِمّان يقال له ابن قَرْتَنَا ، أخبر الأحنف بانصرافه فقال الأحنف ما قال حتى لحقه ابن جرموز فقتله .

ومنهم قتادة بن زهير بن جَيّ بن سبع بن خُثم بن فاتك بن الذيال بن جشم بن ربيعة ، ويقال عن غير الكلبي هو نُقَادة بن زهير بن جَيّ بن

---

١ ـ الوغير : اللبن يرمى فيه الحجارة المحماة ، ثم يشرب . القاموس .

سبع بن خثم بن فاتك بن الذيال بن جشم ، وكان سيد بني ربيعة في زمانه وقول الكلبي أثبت .

وسوار بن المضربِ الشاعر .

وجارية بن قدامة[١] بن الحصين بن رزاح بن أبي سعد، واسمه أسعد بن ثجير بن ربيعة ، وهو الذي بعثه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في اثر بسر بن أبي أرطاة ، فحرق من كان في غير طاعة علي فسمي جارية مُحرقاً ، وهو أحرق عبدالله بن الحضرمي في دار سَنْبِيل بالبصرة ، وقد كتبنا خبره فيما تقدم .

وقال ابن العَرَنْدَس لعبدالله بن الحضرمي :

ينادي الحباقَ وحمَّانها   وقد حرَّقوا رأسه باللهب

والحباق بنو سعد بن كعب ، وقال الشاعر أيضاً :

فضح الحباقِ بني ربيعة قعبهم   لم يملؤوه ورأسه المتثلم

وهم يعيِّرون بقعب صغير كان لهم .

وأقطع معاوية جارية بن قدامة تسعمائة جريب ، وكناه في كتابه له بالاقطاع ، وكان جارية يكنىٰ أبا يزيد وأبا أيوب .

وآلى رجل من قيس بن ثعلبة ليلطمن سيد بني تميم ، فلطم الأحنف ، فقال له : يا بن أخي ما دعاك إلى هذا ؟ فقال : حلفت لألطمن سيد بني تميم ، فقال : ما أنا بسيد بني تميم ، سيدهم جارية بن قدامة . فأتىٰ جارية فلطمه ، فأمر به فأدخل الدار ثم دعا بحداد فقطع يده .

وشهد جارية الجمل ، وصفين مع علي ، وقال له معاوية وهو يمازحه :

---

١ ـ بهامش الأصل : جارية بن قدامة .

ما كان أهونك على أهلك حين سموك جارية ، فقال : أنت أهون على أهلك حين سموك معاوية وإنما المعاوية الكلبة تعاوي الكلاب . فقال معاوية . ثكلتك أمك . قال : أمّ لم تلدني . قال : لقد هممت أن أسوءك . فقال : إن السلاح الذي لقيناك به يوم صفين عندنا لم نَبِعْهُ بعد ولم نَهَبْهُ . قال : إنك لتهددني . قال : إن أفعل فقد خلَّفْتُ ورائي رجالاً شداداً ، وسيوفاً حداداً ورماحاً طوالاً ، فحلم عنه معاوية وأعطاه مائة ألف درهم ، وقال الشاعر :

ألا فاصبحاني قبل جيش محرّق وقبل وداعٍ من سليمىٰ مفرق

وهلك جارية بالبصرة فشهد الأحنف جنازته ، فقال : يرحمك الله أبا أيوب فوالله ما كنت تحسد شريفنا ولا تحقّر ضعيفنا .

ومن ولد جارية : مقاتل بن الزبير بن جارية ، كان مع سلم بن زياد بخراسان .

قال أبو اليقظان . ومن بني ثجير : مكحول بن ثجير بن حذيم ، وهو أبو الأحمس بن مكحول صاحب النهر بالبصرة ، وكان صاحب خيل وهو القائل :

يلوم عليّ ربط الجياد وصونها وأوصىٰ بها الله النبي محمد (١)

قال أبو اليقظان : ومنهم من بني فاتك بن الديل أو الذيال : شيبان بن عبدشمس ، الذي نسبت إليه مقبرة شيبان بالبصرة ، وكان يقتل الخوارج ، وصَيَّرَهُ زياد على المسجد الجامع وما يليه ليحرس بالليل ، فقتله قوم من الخوارج وهو متكىء على باب داره ، وقد كتبنا خبره فيما تقدم من كتابنا هذا ، ويقال إنه كان على شرط زياد ، فلما قتل شيبان خرج قوم من رهط بني

١ ـ بهامش الأصل : بلغت المعارضة بالأصل الثالث ، وهو .....

ربيعة فقتلوهم فقال الفرزدق :

إباء بشيبان الشوور وقد رأىٰ بني فاتك هابوا الوشيج المقوَّما [١].

ومن بني شيبان بن كعب : الحكم بن الأعور ، وكان ذا قدر وكان مع يزيد بن المهلب يوم قتل ، وله عقب بالبصرة ، وكانت للحكم امرأة يقال لها أم الغلام ، وهي من بني سعد ، قال الفرزدق :

ذكرتك يا أم الغلام ودوننا مصاريع أبواب لهنَّ صريف [٢]

ومن بني مالك : الأجرع الذي يقول :

وكعبنا خير الكعوب كعبا أكثرهم فوارساً وركبا
وخيرهم مأثرة وعقبا

وولد:الحارث بن كعب بن سعد ، وهو الأعرج قطع رجله غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم في يوم تياس ، وقد ذكرنا خبره في كتابنا . وكعب بن الحارث . وعمرو بن الحارث . وجشم بن الحارث . وعوف بن الحارث .

منهم : الخطيم بن مهرب بن صريم بن مرة بن كعب بن الحارث الأعرج ، وكان شريفاً .

ومنهم : زهرة بن حُوَّية ، ويقال زهرة بن عبدالله بن حُوية ، والأول قول ابن الكلبي وهو الثبت .

قال : هو زهرة بن حوية بن عبدالله بن قتادة بن مرثد بن معاوية بن قطن بن مالك بن أذنم بن جشم بن الحارث الأعرج ، أسلم وشهد القادسية ثم عاش حتى قتله شبيب الخارجي يوم سوق حكمة مع عتاب بن ورقاء

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٥٨ .
٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

الرياحي ، وكان زهرة مَرَّ بخيل للقعقاع بن معبد ، فركب فرساً منها ، واتبعه حُصين بن القعقاع فقارعه حتى خلى له الفرس فقال حصين :

لما رآني ابن الحوِّيَّة خافني وأيقن ان الموت تحت لبانها

فأجابه زهرة :

تركت ابن قعقاع حصيناً كأنه كنانة نبل خرقتها قرانها

ينوء بكفيه إلى صدر مهره قد ابتل من نفح الدماء عنانها

قال : والقران سهم إلى جنب سهم .

ومن بني الأعرج : مضرجي بن كلابي ، كان شاعراً وكان مع المهلب بفارس ، وهو القائل :

لهان على المهلب ما نلاقي إذا ما راح مسروراً بطينا

يجر السابريّ ونحن غبرٌ كأن جلودنا كُسيت طحينا

ألا ليت الرياح مسخراتٍ بحاجتنا يرحن ويغتدينا

بان لم يبق غير مغضضات[1] تلوح على يلامق[2] قد بَلينا

فكيف لنا بأن نحيا جميعاً ويُنشر من مضى من أولينا

ومن بني الأعرج عُلَيْلة أبو العلاء الذي يروى عنه الحديث .

وذكر عليلة أن من بني الأعرج : **الأسلع**[3] ، وكانت له صحبة ، وأن رسول الله ﷺ أمر الأسلع أن يرحل له يوماً ، فقال : إني جنبٌ ولا ماء عندي ، فنزلت آية التيمم .

---

١ ـ الغضاض : العرنين وما ولاه من الوجه . القاموس .
٢ ـ اليلمق : القباء ، ج يلامق ، فارسي معرب . القاموس .
٣ ـ بهامش الأصل : الأسلع رحمه الله .

وكان الأسلع مؤاخياً لأبي موسى الأشعري ، فأخذ بلال بن أبي بردة رجلاً من ولده في جناية فانتسب له ، فخلى عنه .

ومن موالي بني الأعرج : عَرَّاف اليمامة ، وهو رباح بن كُحيلة ، وله باليمامة ولد .

فولد حرام بن كعب : ربيعة بن حرام . وعوف بن حرام . وكعب بن حرام . ومؤالة بن حرام . وخارجة بن حرام . وعمرو بن حرام . ومالك بن حرام .

فمن بني حرام ، رجل يقال له قتادة من أهل الكوفة ، وكان شازباً[1] ، وقدم البصرة مع عقبة بن سلم ، وزوَّج رجل ابنَه امرأة من بني حرام فولدت له وكان اسمه عُبَيْد فعقَّه فقال :

تَظَلَّمني مالي عُبَيْد وعَقَّني ... على حين آضَتْ كالحنيِّ عظامي
وجاء يقول من حرام كأنما ... تسعر في بيتي حريق ضرام
لعمري لقد ربيته فرحاً به ... فلا يفرحنْ بعدي امرؤٌ بغلام

انقضى نسب بني كعب بن سعد

وولد عُوافة بن سعد : عيص بن عوافة . والنضر بن عوافة . وطارق بن عوافة . والسطَّار بن عوافة . منهم : غَنَمَة بن ربيعة ، كان البيت فيهم بعد بني حمَّان . وَحُوَيّ بن غَنَمَة .

ومن بني عوافة: عَتَّاب بن غَلَّاق بن شهاب، فرض له عمر بن الخطاب في ألفين وخمسمائة ، وكان غلاق بن شهاب سيدا في الجاهلية . وقد

---

١ ـ الشازب : الخشن ، والضامر اليابس . القاموس .

ولد عمر بن عبد العزيز ، لأن أم عمر أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأمها ابنة زينب بنت غَلّاق .

وولد عمرو بن سعد بن زيد مناة : سلمان بن عمرو . والحارث بن عمرو . وولد سلمان بن عمرو : منقذ بن سلمان،وعامر بن سلمان . منهم : سُعَيْر بن الخِمْس بن عمارة بن عمرو بن قيس بن الحارث بن كعب بن سلمان بن عمرو ، كان فقيهاً بالكوفة ، ومات ودفن فلما وضع في اللحد تحرك ، فأخرج وعاش فولد له ابنه قطن بعد ذلك .

ومنهم : الهائلة والبسوس . فأما الهائلة فجعلت تأخذ من وعاء ضيفهم فتجعله في وعائها فقال: ما تصنعين؟ فقالت: أهيل من هذا في هذا ، فقال : محسّنة فهيلي ، فمضت مثلاً . واعتزى إليها رجل من ولدها فقال : أنا ابن الهائلة ، فقيل أنت ابن اللصة .

وأما البسوس فهي التي يقال : أشأم من البسوس ، صاحبة سراب ، التي وقعت الحرب بين ابني وائل بسببها . وكانت الهائلة بنت المنقد أم جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان .

ومن بني عمرو : **عمرو بن فقعس** ، وكان عبد الرحمن بن أم الحكم سبّق بين خيل بني حنظلة ، وخيل بني سعد ، وهو على الكوفة فسبق فرس لعمرو بن فقعس يقال له ناضح فقال :

أَنَاضِح إن الخيل مرسلة غداً ومالك إن لم يجلب الله جالب
فلا تنس تَجْلِيْلِيْكَ في كل شتوة ردائي وإطعامِيْكِ والبطنُ ساغب
أَنَاضح شمرً للرهان فإنها نتاج حفاظ جَمَّعَتْها الحلائب

وسمعت من يقول: ناصح ـ بصاد غير معجمة ـ

وولد جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم: كعب بن جشم، وأمه الرؤوف ـ على مثال الرعوف ـ بنت بكر بن عبد مناة بن كنانة .

وحرام بن جشم . وسُوَاءة بن جشم . وسالم بن جشم ، وأمهم الرباب بنت عوف بن حرب من عائذة قريش .

فولد كعب بن جشم : ذبيان بن كعب . ومنقذ بن كعب . وعباد بن كعب ، أمهم ابنة مالك بن حنظلة بن مالك . وكعبان بن كعب ، وأمه ابنة ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

فمنهم خالد بن عثم بن رِجْل بن ذبيان بن كعب كان سيد بني سعد في زمانه .

وقال هشام ابن الكلبي: صحّف شبّة بن إياس بن شبة بن عقال في رِجْل ، فقال: خالد بن عَثْم بن رَحْل .

وقال أبو اليقظان : ولد جُشَم بن سعد : حفص بن جُشَم . وعَثَان بن جُشَم . وسواءة ، وحراماً .

قال : ومن بني جُشَم : بلج بن نشبة ، كان من وجوههم ، وهو الذي قال له زياد :

ومحترس من مثله وهو حارس

وإليه نسب حمام بلج بالبصرة ، والساج البلجي .

ومنهم : **سنان بن الحَوتكية** ، تزوج إليه عقيل بن أبي طالب .

ومنهم : **عمار بن عبد العزيز** ، كان فيمن قتل عبد الله بن خازم بخراسان .

ومنهم : **عرفجة** ، ركض فرسه فقتل دهقان دسْتَوَى ، ثم صلى الغداة

مع عبيد الله بن زياد ، فاستعدي عليه ، فقال عبيد الله : فإنه صلى معي الغداة ، فهدر دمه .

ومنهم : **نُباتة** ، عضه كلبُ لبعض قومه فمات فقال الشاعر :

ألم تر أن سيد آل سعد   نباتة عضة كلب فماتا

فأُعطي بنو نباتة ديته .

ومن بني عمرو بن سعد : **عصام** الذي قال الشاعر فيه :

فصبراً عصامُ إنه ترياقْ   قبلك سنَّ للناس ضرب الأعناقْ

ومن الناس من يقول : هو عِفاق وينشد : صبراً عِفاق .

ومن بني جُشَم بن سعد : **عتيقة بن زيد** ، كان من وجوه بني تميم أيام المختار .

ومنهم : **خليفة بن بلاد** ، ويكنى أبا البلاد ، الذي يقول :

عجبتُ من نفسي ومن إشفاقها   ومن طِرادي الطير عن أرزاقها

والموت في عنقي وفي أعناقها

ومنهم : **كليب بن مالك** ، كان من أصحاب الجفرة ، وكان من ولده رجل خرج مع ابراهيم بن عبدالله بن حسن .

ومنهم : **زرارة وهلال ابنا أنف الكبش** ، فأما هلال فقتل أيام المسور ، ولم يكن بزرارة بأس . وقال الفرزدق :

رأت لابن أنف الكبش أيراً وساعداً   غليظين إذ مَلَّتْهُما[1] أم جعفر[2]

---

١ ـ ملّ القوس أو السهم بالنار : عالجه بها ، والشيء في الجمر أدخله . القاموس .

٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

يقول هذا لامرأة كانت امرأة شبل بن عبد الرحمن ، أخي جبلة بن عبد الرحمن .

ومن ولد عوف بن سعد : **بكير بن وَسّاج** ، كان له قدر بخراسان ، وهو بعث برأس ابن خازم إلى الشام ، ثم إنه حارب بجير بن وِقاء فقتله بجير بن وِقاء الصريمي ، وله عقب بخراسان .

ومنهم : نفيع بن كعب ، وفُضالة بن حابس ، اتبعا الزبير بن العوام بوادي السباع حتى قتل .

وولد مالك بن سعد بن زيد مناة : سعد بن مالك . فولد سعد : ربيعة . وهلال . وحرام . وقنان .

فمن بني ربيعة بن سعد : **العجاج بن رؤبة**[1] بن لبيد بن صخر بن كثيف بن عَميرة بن حُنَيّ بن ربيعة بن سعد بن مالك . ويقال أن اسم العجاج عبد الله ، وكنتيه أبو الشعثاء . وابنه رؤبة بن العجاج الراجز ، ويكنى أبا الجحاف ، وعمَّر رؤبة حتى سقطت أسنانه كبراً ، وابنه القُطامي بن العجاج ، كان راوية عالماً .

وقيل للعجاج : أما تحسن الهجاء ؟ فقال : وهل في الدنيا صانع إلّا وهو على الفساد أقدر منه على الصلاح ، أما أُحسن أن أقول مكان عافاك الله ، لا عافاك الله ، ومكان يا كريم يا لئيم ، وكان يقول : لنا حلم يمنعنا أن نَظْلِم . وعزٌ يمنعنا من أن نُظْلَم .

وروى عن خلف الأحمر قال : قال رجل من بني الحرماز : أتى العجاج أبي فقال : أتبيعني شاة من غنمك على نَعْتِي تكن ، قال : وما نعتك ؟ قال :

---

١ ـ بهامش الأصل : العجاج بن رؤبة .

حسراءٍ المقدم ، شَعْراء المؤخر إذا أقبلت حسبتها نافراً ، وإذا أدبرت حسبتها ناثراً ، يعني عاطساً . وقوله : حسبتها نافراً لإشرافها من جميع أقطارها .

ومن بني مالك : كَسّاب ، كان فيمن قتل ابن خازم ومعه عِجلة أخوه ، فقال القائل : لبئس ما كَسَّبَ قومه كساب وبئس ما عجَّل لهم عجلة .

ومن بني مالك : **توبة بن مُضَرِّس** ويلقب الخَنوف ، وكان قدامة بن حنيفة أحد بني مالك قتل أخا توبة مرداساً في بلاد بني سعد ، فاستعدى توبة على قدامة ، وعلى البحرين يومئذ حُرَيث بن جابر الحنفي فسأله حريث أن يعفو فأبى ، فحبسه وقيده فقال توبة :

على أيِّ ذنبٍ يا حُريثُ بن جابرٍ   شَدَدْتَ على رجليَّ إذْ جئتُكَ الكَبْلَا

فلو غير مرداس حُريث بن جابر   لكنتَ بما أُعطيت مِنْ نائلٍ أهلا

وَحَوْمَلُ قد أَيَّمْتَها من حليلها   ففارقها واستبدلتْ من بعده بعلا

وقال أيضاً :

سأترك منهم واحداً لا أخا له   كما تركوني واحداً لا أخاً ليا

فقدم البصرة زمن عبيد الله بن زياد : فدفع إليه قاتل أخيه فقتله وقال :

وسائلة عن توبة بن مُضَرّسٍ   وهان عليها ما أصاب به الدهر

لعمر أبيك الخير ما كان إخوتي   معازيل ابراماً إذا لم يكن قطر

وفرقهم ريب المنون كأنما   على الدهر فيهم أن يفرقهم نذر

وقال أيضاً :

تُعزي المصيبات الفتى وهو عاجز   ويلعب ريب الدهر بالحازم الجلد

وكان من مواليهم : **مغيرة بن رستم** ، وكان على مطبخ الحجاج .

ومن بني مالك بن سعد : **الأغلب بن سالم** وكان من قواد أبي جعفر وولي إفريقية ، وولى ابنه ابراهيم إفريقية للرشيد هارون .

ومنهم : **خليل بن كِرْشاء** ، كان من قواد أبي جعفر .

وولد عبشمس بن سعد : كعب . وعوف . ومُلادس . وعمير . وجُشم . وحارثة . وعبيد . وشَعْل . وعمرو ، درج . وخوّات . والحَرِمز ، درجوا إلّا بقية دخلوا في بني كاهل بن أسد يقولون : حرمز بن مازن بن كاهل بن أُسد ، وهم هؤلاء .

فولد كعب بن عبشمس : شريط بن كعب . وعمرو بن كعب . وعوف بن كعب . وجُلهُمة بن كعب . ومنبّه بن كعب . والسائب ، دخلا في تنوخ .

وولد عوف بن عبشمس : الأعور . وجَحوْان . والحارث . والأَجْبَر . وكعب . وعُريان .

وولد مُلادس بن عبشمس : عمير بن مُلادس . وعتبة بن ملادس . وجبل بن ملادس . وسلمة بن ملادس . وعبد الحارث بن ملادس . وسعد بن ملادس . وأبان بن ملادس . وأسعد بن ملادس .

منهم نميلة بن مرة بن عبد العزى بن بشر بن أُوس بن عمرو بن حابس بن مؤالة بن عُتَيّ بن عمير بن ملادس بن عبشمس ، صاحب شرط البصرة أيام ابراهيم بن عبد الله بن حسن ، ثم صار في صحابة أبي جعفر أمير المؤمنين .

ومن بني عبشمس : عُرْقُوب[1] بن معبد بن شعيبة بن خوات بن عبشمس الذي يقال : مواعيد عرقوب ، ويقال عرقوب بن صخر .

وقال هشام بن محمدالكلبي : قال أبي محمد بن السائب : ليس هذا بشيء ، إنما عرقوب رجل من العماليق . وبنو سعد يقولون هذا .

قال : وكان عرقوب ممن يسكن يثرب ، وكان له نخل ، فوعد رجلاً من العرب نخلة ، فلما أَطْلَعَتْ ، وصار حملها بلحاً ، قال : دعها حتى تُزْهَى ، فلما أزهت ، قال : دعها حتى تُلوّن ، ثم قال : دعها ترطب ، فلما أرطبت قال : دعها تتمر فلما أتمرتْ جَدَّها ، فضُرب به المثل في خلف المواعيد ، فقال الشاعر :

إذا وَعدَتْنَا كان أنجز وعدها كموعد عـرقوب أخـاه بيثرب

ومنهم المنخّل بن خُبْليل بن شراعة بن حارثة بن عبشمس ، الذي يقال فيه : حتى يؤوب المنخل ، فُقد فلم يَعُدْ .

وقال هشام ابن الكلبي : هو عندنا من بني يشكر ، وليس من بني سعد ، والله تعالى أعلم .

ومنهم : بنو عبقر بن خُويلد بن جشم بن عمرو بن عبشمس .

قال ابن الكلبي : كانوا أشد العرب فقتلوا ليلة مِغْشَب ، كان بينهم وبين مهرة حرب فقتلوهم ، وكانوا يُدعون جنة عبقر ، وبعضهم يقول عبقر موضع .

ومنهم : عبد الرحمن بن عبيد بن طارق بن جَعُونة بن مُنَفِّر بن إطّ بن عمرو بن كعب بن عبشمس ـ وبعضهم يقول أط ـ كان على شرطة

١ ـ بهامش الأصل : عرقوب .

الحجاج ، وولي الكوفة والبصرة ، وولاه الحجاج الشرطتين .

وعبد الرحمن الذي قال فيه الحجاج : لأستعلمنَّ عليكم رجلاً طويل الجلوس، شديد العبوس، وتولى مَودود ابن أخيه شرطة الكوفة، ثم خُلع .

ومنهم : **محمد بن الحَوثرة** بن نعيم بن حَثمة بن عدي بن سَرْحان بن كعب بن عبشمس ، كان علىٰ عذاب الحجاج .

وسِعر بن خُفاف بن ظالم بن الأعور بن عوف بن عبشمس كان سيد بني سعد في زمانه حتى مات ، وكان جاهلياً .

ومنهم : جَون بن قتادة بن الأعور ، كان فيمن شهد الجمل فهرب وهو جَدّ نميلة بن خَبّاط ، وقال هلال بن وكيع :

أضربهم بصارمٍ مَيّاطِ إذْ فَرَّ جونٌ وبنو خباط
ونكب الناس عن الصراط

ومنهم : **إياس بن قتادة** بن أوفىٰ بن مَوْءلة بن عُتبة بن مُلادس بن عبشمس حامل الديات في زمن الأحنف ، أيام قاتلوا الأزد في يوم مسعود ، وهو ابن أخت الأحنف بن قيس ، قتلوه في أيام مسعود وظنوا أنه عبيدالله بن زياد فودوه وهو جدّ ، وجبا بن روّاد الجبلي ، وكان يقال لمسعود قمن[1] العراق ، وكان إياس سيد بني تميم بالبصرة ، فاجتمعوا إليه لنائبة نابتهم ، فدخل منزله ليلبس ثيابه ويركب معهم إلىٰ السلطان فلما نظر في المرواة رأى في لحيته شمطة فقال : يا جارية خذي إليك ، ونزع ثيابه ، ثم قال : يا بني تميم وهبت لكم شبابي فهبوا لي كبرتي ، وترك السلطان وصار مؤذناً حتى

(الحرر)

---

١ ـ القمين : الخليق ، الجدير . القاموس .

مات ، فبلغ ذلك الحسن بن أبي الحسن فقال : يرحمه الله ، علم أن القبر يأكل السمن ، ولا يأكل الإيمان .

وحدثني شيبان الآجري عن رجل عن الحسن قال : إن بعض أهل البصرة ممن كان يغشىٰ السلطان تركه ورغب عن إتيانه ، فقال بنوه : والله لئن تركت السلطان لتموتنَّ هَزْلاً ، فقال : والله لأن أموت مؤمناً مهزولاً أَحَبُّ إليّ من أن أموت منافقاً سميناً . فقال الحسن : رحمه الله تعالى ، علم أن القبر يأكل الشحم ، ولا يأكل الإيمان .

وكان إياس قصيراً فقال :

إنْ أَكُ قَصْداً في الرجال فإنني إذا حَلَّ أمر ساحتي لجسيم

ومنهم : عَبْدة بن الطبيب الشاعر .

قال هشام ابن الكلبي ، قال حماد : كان عَبْدة حبشياً .

وقال غير الكلبي : عَبْدَة بن الطبيب ، واسمه يزيد بن عمرو بن وَعْلَة بن أنس بن عبدالله بن عبد نُهم بن جُشم بن عبشمس ، وقيل له الطبيب لأنه قال :

كَفَفْت الأذىٰ عنا بعضب مهند وإني لجهل الجاهلين طبيب

ومنهم : زبير بن طفيل بن زهير بن شماس بن حارثة بن جَحْوان بن عوف بن كعب بن عبشمس الشاعر ، والمُقْعَد بن شماس الشاعر ، وبعضهم يقول القَعَد بن شماس . وبدر بن زيد بن عمرو بن أسَيْد بن جحوان الذي يقول فيه عبادة بن المجبِّر بن عبشمس :

ألا لا يبعــدن الله بـدراً إذا هَبَّتْ شــآمية شــمالا

فما كانت تستّرٍ قَدْر بـدرٍ إذا ضيفانه وضعوا الرحالا

وعبدالله بن المجبَّر أيضاً .

وولد عمير بن عبشمس : أنس بن عمير . ووَبَرَة بن عمير .

وولد جُشَم بن عبشمس : عبد العزىٰ . وعبد نُهْمْ .

وولد عمرو بن سعد بن زيد مناة : سلمان . والحارث . ولُوذان .

فولد سلمان : معبد بن سلمان . ومنقذ بن سلمان . وعامر بن سلمان .

وولد الحارث بن عمرو بن سعد : عَامان . وباهلة . وزِبعان . لهم عدد كثير .

وقال أبو اليقظان : من بني مُلادس : بشر بن خبّاط ، وكان يرىٰ رأي الخوارج ، فقال زياد : لأردنَّهُ عن رأيه فولاه جنديسابور فترك رأيه . وكان شهد الجمل مع عائشة ففر .

وكانت تيمن بنت عبد العزيز بن بشر عند يزيد بن عمرو بن عمير الأُسَيْدي ، وكان عبد العزيز أول من بدأ بانكار أمر حمزة بن عبدالله بن الزبير ، حتى طرد عن الأهواز .

قال : ومن بني عبشمس : بنو الدَوْسَر ، أمهم أمة يقال لها دَوْسَر . منهم : عبدة الطبيب القائل :

ثُمّت قمنا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أَعرافُهُنَّ لأيدينا مناديل

سرقة من امرىء القيس حين قال :

نَمُشّ بأعراف الجياد أكفنا .... (١)

وأنشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدته هذه حتى بلغ إلى

---

١ ـ الشطر الثاني لهذا البيت :

.... إذ نحن قمنا عن شواء مضهب

ديوان امرىء القيس ص ٧١ .

قوله :

.... والعيش شُحٌ وإشفاقٌ وتأميل

فقال عمر : صدقت .

ومن بني عبشمس : عمرو بن عَميرة ، الذي يقال له عمرو القنا ، وكان مع الحرورية وكان شجاعاً .

ومن بني عبشمس : عبدالله الضعيف ، لحق بالخوارج فقال :

لعمرك إني في الحياة لزاهد وفي العيش ما لم ألْقَ أمَّ حكيم

وقد كتبنا هذه الأبيات فيما تقدم من أخبار الخوارج .

وقال أبو اليقظان : كان يقال لسعد بن زيد مناة : الغِزْر ، سرقت إبله فاتخذ معزىً وقال لابنه هبيرة : إرعها فقال : لا أسرحها حتى يمر الضب في أثر الإبل الصادرة ، فانطلق بها سعد إلى عكاظ فقال للناس : خذوها جدع الله أنف من أخذ أكثر من شاة . فقيل : تفرقتْ معزىٰ الغِزْر فذهبت مثلاً .

وولد عمرو بن زيد مناة حصين بن عمرو . ويزيد بن عمرو ، وهم بنو الصحصح بالكوفة ، وهم ينزلون عند منازل بني نهشل .

وولد امرؤ القيس بن زيد مناة:مالك بن امرىء القيس . والحارث بن امرىء القيس . والعَصَبَة بن امرىء القيس ، وهؤلاء الثلاثة في بني صَريم فقال شاعرهم :

إنَّ أبي للحارث الخير منهما وليس أبي بالحارث بن صريم

فولد الحارث بن امرىء القيس : عادية . وولد العصبة : عامر بن العصبة . ويزيد بن العصبة . وجُنادة أيضاً .

فولد عامر بن العَصبة : حَيَّةَ بن عامر . ورُويب بن عامر . وعوف بن عامر . وسالم بن عامر . ومجروف بن عامر .

فولد مجروف : أيوب ، وهم بطن بالكوفة .

فولد أيوب : زيد بن أيوب . وابراهيم بن أيوب . وثعلبة بن أيوب .

منهم : عدي بن زيد بن حِمّان بن زيد بن أيوب بن مجروف الشاعر[1] .

حدثني محمد بن أنس الأسدي عن أبيه عن ابن الجصاص وعن الكلبي ؛ وحدثني أبو عدنان السُّلَمي عن أبي عبيدة فسقْتُ حديثهم ورددت من بعضه على بعض أن بني بُقَيْلة كانوا أعداء لعدي بن زيد ، وكان عدي من كتّاب كسرىٰ وتراجمته وكان ابنه زيد ، وأخوه أيضاً من تراجمة كسرىٰ وكتّابه ويخلفان عدياً إذا غاب عن باب كسرىٰ ، وكان بنو بُقَيْلة ـ واسم بقيلة الحارث بن سُبَين الأزدي ـ قد أفسدوا قلب النعمان علىٰ عدي بن زيد ، وأبلغوه عنه أشياء محلوا به فيها ، وخوفوه أن يفسد حاله عند كسرىٰ ، وقدم عدي الحيرة فأخذه النعمان فحبسه ، وكتب إلى كسرىٰ : إنه شتمك ، وعاب سيرتك ، وسَخَّفَ شأنك ، وحدّث بأسرارك . فلم يزل محبوساً ، وكتب كسرىٰ إليه وَوَجَّه رجلاً يقدم به عليه ، فرشاه النعمان على أن يقول لكسرىٰ : إني وجدته ميتاً ، ففعل الرسول ذلك وقتل النعمان عدياً .

ولعدي شعر كبير في محبسه ، فقال ابن عدي وأخوه لكسرىٰ حين قتل النعمان عدياً : ان عند النعمان نساء لم يُرَ مثلهنَّ ، فكتب كسرى إليه فيهن ، فكتب النعمان ان في بنات الأحرار اللواتي قبل الملك نساء كأنهن المها ، يعني البقر الوحشية ، وفيهن ما أغنىٰ الملك عن نساء الحيرة السود

١ ـ بهامش الأصل : أمر عدي بن زيد الشاعر مع النعمان ، وأمره .

المحاجر ، المدقلق السوق ، البوادي العراقيب . فلما قرأ أخو عدي الكتاب أو ابنه حَرَّفَهُ فقرأ على الملك: إن في بقر السواد ما يغني الملك، فغضب من ذلك ، وحلف ليقتلنّه ، فلما بلغ النعمان ذلك هرب حتى أتى بني عبس فأجاروه .

واستعمل كسرى مكانه إياس بن قبيصة الطائي ، وبعث إليه أنْ اجمع جمعاً واغْزُ النعمان . فعلم أنه ليس له ولا بعبس بكتائب الملك طاقة . فأثنى على بني عبس وقال لهم خيراً ، ثم صار إلى جبلي طيء فجعلوا يتحيفون[1] إبله وماله ، فتضعضع أمره ، فقالت له المتجردة امرأته : الموت خير لمثلك من حياة دنيَّةٍ ، إنَّ مثلك لا يعيش هذه العيشة بعد المُلْك ، وليس لك ذنب إلى الملك وقد أسأت في فرارك عنه بَدياً وكان ينبغي لك أن تقيم ، فتنضح عن نفسك بحجتك وبراءة ساحتك ، فقبل رأيها وأهدى إلى كسرىٰ نعاماً وأَقَطاً وسمناً وخيلاً وإبلاً مصيونه وحريراً ، وقدم رسله بذلك فأخبروه بعذره واستأذنوه في القدوم عليه ، فقبل الهدية وأذن له في القدوم ، فسار حتى وافىٰ ساباط المدائن ، فوجد أخبية قد ضُربت وعند كل خباء جارية مزيَّنَة فلما رأى ذلك سُرَّ فقيل له : انظر هل ترىٰ في هذه الجواري غِنىً للملك عن بقر السواد ؟ فأيقن بالشر ، ولقيه زيد بن عدي وأخوه فقالا له : يا نُعيم قد هيأنا لك أخيةً[2] لا يقطعها المهر الأَرَنُّ ـ أي النشيط ـ فيقال إنه سقي سُمَّاً فمات ، ويقال حُبس فأُجيع وأُعطش حتى مات ، ويقال ألقي للفيلة فوطئته حتى

١ ـ تحوفت الشيء . تنقصته . القاموس .

٢ ـ الأخية : عود في حائط أو في حبل ، يدفن طرفاه في الأرض ، ويبرز طرفه كالحلقة ، تشد فيها الدابة . القاموس .

مات ، فقال سلامة بن جندل :

هذا المُولج النعمان بيتاً سماؤُهُ صدور الفُيُول بعد بيتٍ مُسَرْدَق[١]

أي له سرداق .

وقال الأعشى :

ولا الملك النعمان يوم لقيتُه بإِمّته يُعطي القطوط ويأنق
ويأمر للمحموم في كل ليلة بِقَتٍّ وتعليقٍ فقد كاد يُسنق[٢]
فذلك لم يمنع من الموت رَبَّهُ بساباط حتى مات وهو مُحَزْرَقُ[٣]

مُحَزْرق أي مُضَيَّق عليه منقبض ، وقال عدي في الحبس :

أبلغ النعمان عني مألكاً إنني قد طال حبسي وانتظاري
لو بغير الماء حلقي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّان بالماء اعتصاري[٤]

وقال أيضاً :

ألا من مُبْلغ النعمان عني علانيةً وما يُغني السِّرار
بأن المرء لم يُخلق حديداً ولا هَضَباً تُوَقِّلُهُ الوبار[٥]
فهل من خالدٍ إما هلكنا وهل في الموت يالَلْنّاسِ عار[٦]

فولد عدي : زيد بن عدي الذي صار مكان أبيه ، وهو كاد النعمان .

ومن ولد عدي بن زيد : سواد بن زيد صاحب السَّوَادية ، وهي قرية

١ - ديوان سلامة بن جندل ص ١٨٢ .
٢ - يسنق : يتخم .
٣ - ديوان الأعشى ص ١١٧ مع فوارق .
٤ - ديوان عدي بن زيد ص ٩٣ .
٥ - الوبار : جمع وبر ، وهي دويبة على قدر السنور غبراء أو بيضاء من دواب الصحراء .
٦ - ديوان عدي بن زيد ص ١٣٢ مع فوارق .

بالكوفة . ومنهم : مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن ابراهيم بن أيوب الذي نُسب إليه قصر ابن مقاتل[1] ، وكان يقال : بعدَه قصر ابن مقاتل، يريدون مقاتلاً ، ويقولون قصر بني مقاتل .

وقال ابن الكلبي لا أعرف في الجاهلية من العرب أيوب ولا إبراهيم غير هذين ، وإنما سُمِّيا بهذين الإسمين للنصرانية .

وولد رُويبة بن عامر : عبدالله بن رويبة . وسنان بن رويبة . وعمرو بن رويبة .

وولد عوف بن عامر : ربيعة بن عوف . وأهبان .

وولد زيد بن العَصَبَة : الكاهن بن زيد . وخَدَّاج .

وولد عادية بن الحارث بن امرىء القيس : سعد بن عادية . وسُرَيّ بن عادية . وعَزْعزة بن عادية . وثعلبة بن عادية . وخالد بن عادية .

فولد سعد بن عادية : عامر بن سعد . ومالك بن سعد .

فولد مالك بن سعد : كعب بن مالك وعزعزة بن مالك .

وولد مالك بن امرىء القيس . سلمة بن مالك . وكعب بن مالك بن امرىء القيس : وغضبان بن مالك .

فولد غضبان : محصن .

وولد كعب : عبدالله . وعدوان .

فمن بني امرىء القيس : موسىٰ بن كعب بن عُتيبة بن عائشة بن عمرو بن سُرَي بن عادية بن الحارث بن امرىء القيس ، وهو أحد النقباء في دولة بني العباس ، وولي السند ، وقد ذكرنا خبره في أخبار بني العباس ،

١ ـ قصر مقاتل : قصر كان بين عين التمر والشام . معجم البلدان .

وابنه عُيينة بن موسىٰ ولاه أبو جعفر المنصور السند .

ومنهم : **مسعود بن وهب** ، وهو أبو سارة[1] شهد القادسية **وهشام** ـ الذي كان ذو الرمة يهجوه ـ **ابن الحارث** ، **والقاسم بن مجاشع** بن تميم بن حبيب بن عبيد بن عامر بن عزعزة بن الحارث بن امرىء القيس ، كان رئيساً في دولة بني العباس ، وأخوه **مسعود بن مجاشع** ، **ولاهز بن قُريظ** بن سُرَيّ بن الكاهن بن زيد بن العَصَبَة،وكان من نقباء خراسان في دولة بني العباس فقتله أبو مسلم لقوله لنصر بن سيار ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾[2] وولاه أبو مسلم كرمان ، **وحَيّة بن عبدالله** بن حَذْرة بن النطاق بن أزهر بن حية بن عامر بن العَصَبَة ، كان عظيم القدر في دولة بني العباس ودعوتهم ، ولاه أبو مسلم أيام أبي العباس كرمان ، **ومالك بن الطواف** بن حضرمي بن مالك بن كباثة بن علقمة بن صخر بن وهب بن كعب بن عبادة بن العَصَبَة ، كان من قواد بني العباس وذوي القِدمة والسابقة في دعوتهم . **والحسن بن النضْر بن صُبيح** بن عامر بن حُميد بن أُشْيَم ، ويقال : أشأم بن نعيم بن شيبان بن وهب بن كعب بن عبادة بن العَصَبَة ، وكان وأبوه عظيمي الصيت في دعوة بني العباس ناصراً لهم من بين أهل بيته ، فسموه مؤمن آل فرعون .

ومنهم **معبد بن الخليل** بن أنس بن أحمد بن ظَفَر بن وبرة . **وصالح بن مُسَرَّح** الخارجي وقد ذكرنا خبره .

وقال أبو اليقظان : من بني امرىء القيس : **موسىٰ بن عبد الرحمن** ،

١ ـ بهامش الأصل : وقيل أبو سيارة .
٢ ـ سورة القصص ـ الآية : ٢٠ .

كان من سروات قومه ، وكان صاحب خيل ، ووثب رجل من بني بهدلة على مولى له فقتله ، فقتل البهدلي به ، ولم يُعْف عنه فقال الفرزدق :

إذا ما لقيت العبد موسىٰ فقل له   فُديتَ من الآفات موسىٰ بن سالم[1]

يعني بموسىٰ بن سالم ، أبا موسى المحتسب .

وكان ميمون بن موسىٰ بن عبد الرحمن صاحب خيل أيضاً ، وكان له فرس يسمىٰ الكامل فسبق خيل أصحاب الخيل في زمن بلال بن أبي بردة ، فغضب بلال واغتم وضربه فقال رؤبة :

كيف ترىٰ الكامل يبلى صِدْقا   ما عُـدْنَ إلاَّ زادهُنَّ سيقـا

بأربع ما يشتكين شبقا[2]

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٦٨ .
٢ ـ ديوان رؤبة بن العجاج ص ١٨٠ مع فوارق كبيرة .

المحتوى

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩هـ / ٨٩٢م

الجزء الثالث عشر

بنو عمرو بن تميم - بنو ثقيف

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار

الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م
الطبعة الاولى

دار الفكر
بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١
تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨
دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٤٧٨٣٣٠٨ - ٢١٢ - ٠٠١

الجُزْءُ الثالِث عَشَر

بنو عمرو بن تميم - بنو ثقيف

بسم الله الرحمن الرحيم
نسب بني عمرو بن تميم

وولد عمرو بن تميم بن مرة عشرة نفر: العنبر. وأُسَيّد. والهُجَيْم، وأمهم أم خارجة وهي عمرة، وهي أم عَدَس بنت سعد بن عبد الله بن قداد البجلي، وهي السريعة النكاح. ومالك بن عمرو. والحارث بن عمرو وهو الحَبَط، أكل طعاماً فحبط منه واصابته هيضة(١). وقُطبة. وبَشَّة. ومُرَّة وهو عجيبة. درجوا، وأمهم هند بنت كعب بن عمرو بن عُلة، أخت الحارث بن كعب بن مذحج، والقليب وهم في بني سعد، وأمه سلمى بنت بكر بن مرة بن أُدّ وهو الشُعيراء. وبكر ينسب إلى أمه وهي الشعيراء بنت ضبه بن أُدّ. وعِداد بني الشعيراء في بني سعد، وكان منهم بطن يعرفون ببني خريج، شهد الربذة مع حنتف بن السجف رجال منهم فقال الشاعر:

وفتيــة من القُليب صــبروا فيهم أبو الجعد وفيهم مِسعَر
قـد علـم الله بأن قـد أعــذروا

وكعب بن عمرو.

فولد العنبر بن عمرو بن تميم: جندب بن العنبر. ومالك بن العنبر.

١ ـ الهيضة هنا: قياء وقيام جميعاً. القاموس.

وكعب بن العنبر. وعامر. دخل بنو عامر في بني مالك بن العنبر، وأمهم مُفَدَّاة بنت سوادة بن بُهثة من بني ضُبيعة. وبشه بن العنبر أمه مُفَدَّاة أيضاً ويقال غيرها.

فولد جُندب بن العنبر: عدي بن جُندب، وكعب بن جندب. وعُرَيج بن جُندب وأمهم ماويَّة بنت ربيعة بن عجل.

وقال الكلبي: قال قوم:هي دعة بنت مِعْنَج. ومالك. وحَنْجُود وأمهما خُرَينق بنت سعد بن الحارث بن عمرو بن تميم، وعمرو بن جُندب، وأمه ماويّة بنت كعب بن سعد بن زيد مناة.

فولد عدي بن جندب بن العنبر: جُهْمة. وعُبْدة، أمهما الناقمية وإخوتهم لأمهم صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وغُبَر اليشكري. وهبيرة، ونجدة ابني سعد بن زيد مناة. والحارث بن عدي بن جندب، وأمه عَمِيرة بنت أسلم بن مالك بن عمرو بن تميم.

فولد جُهْمة بن عدي: الحارث. والمنذر. وسحْمة. ورِزام، أمهم بيضاء بنت عُبْدة بن عدي بن جُندب بها يعرفون.

فولد الحارث: جَناب بن الحارث. منهم: شعيب بن ربيع بن جُشَيْش بن مدركة بن ثعلبة بن عمرو بن جناب بن الحارث بن جُهمة، شهد مع مصعب بن الزبير وقائعه، وكانت له منزلة منه.

ومنهم: ناشب ـ وهو الأعور ـ بن بَشامة بن نَضْلة بن سنان بن جناب، كان رئيساً شريفاً.

قالوا: تجمعت اللهازم وهم: قيس، وتيم الله، ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر. وعجل. ولُجيم ابنا صعب بن علي بن

بكر بن وائل. وعنزة بن أسد بن ربيعة على بني حنظلة أو مالك بن زيد مناة بن تيم ليغيروا عليهم وعلى غيرهم من بني عمرو بن تميم، وهم غارُّون، فرأى ذلك ناشب بن الأعور بن بشامة وهو أسير في بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فأرسل إليهم برسالة عَرّض فيها تعريضاً فهمه هُزَيل بن الأخنس، ونهاهم عن طاعة أخيه همام بن بشامة وقال: إنه محدود، وأمرهم بركوب الدَهناء ليمتنعوا وأن يتمسكوا بما بينهم وبين بني مالك بن زيد مناة، فأرسل إليهم فيما أرسل به أنه قد أورق العوسج، وتشكى النساء، يقول أنهم قد تسلحوا لكم واستعدوا كما يستعد النساء بخَرْزِ الشِّكَاء، فحذرت بنو عمرو بن تميم، فركبوا الدهناء وصبَّحَت اللهازم بني حنظلة، فاقتتلوا وذلك يوم الوقيظ.

فولد الأعور: قُدامة وإليه أوصى الأعور بن بشامة فقال: استوص باخوتك خيراً، فلما مات احتوى قدامة على إبله كلها فجعلها لنفسه وإخوته من أمه، فمشى إخوته لأبيه إلى قومهم فكلموه وقالوا: منعتهم ميراث أبيهم، فقال: ماهذا المال لأبي. فجاءه إخوته لأبيه ليلاً وهم متسلحون فقتلوه، وجاء أخوه لأمه وأبيه خزيمة يبصره ففقأوا عينه، ثم لحقوا ببني تغلب فهم فيهم. وقال رجل من بني العنبر:

أبلغ خزيمة ما أغنتْ شجاعتُه تحت الظلام ولاقى حيَّة الوادي

ومن بني سِنان بن جناب، ثم من بني النعمان بن سنان: رجل يقال له النعمان، وكان ضرب رأس رجل منهم يقال له وارد فنبا عنه السيف فقال الفرزدق حين نبا سيفه عن رأس الأسير فعيّره جرير بذلك:

وسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد[١]
وسيف بني نعمان بالشعب ذي الصفا نبا في يدي نعمان عن رأس وارد[٢]

ومن بني العنبر زِنباع بن الحارث بن جُناب وكان أسر عوف بن مُحلِّم ثم أطلقه وذلك يوم السَّباري، وفي هذا اليوم قتل مالك بن محلم، قتله طريف بن تميم.

ومنهم: غاضرة بن سمرة بن قرما بن جناب،وكان سمرة يلقب خَدَعة، بعثه النبي ﷺ على الصدقات،وابنه عبيد بن غاضرة الشاعر، وهو أبو المنجاب الذي ذكره جرير في شعره. وسَمُرَة بن عمرو الذي استخلفه خالد بن الوليد على اليمامة حين انصرف، وكان يكنى أبا غاضرة، وولاه عثمان رضي الله تعالى عنه الهوافي، وهي الضوال، ثم قدم البصرة فمات بها.

ومنهم: عبد الله بن حَبيب بن هرم بن سمرة، وهو صاحب جرير بن عطية. ووَردان. وجيدة ابنا مُحرّم بن مخرمة بن قرط بن جناب، وفدا على النبي ﷺ، فاسلما ودعا لهما.

وعطية بن عمرو بن سحيم بن حزن بن هلال بن أرطاة بن عبد الله بن جناب، كان مع ابن الأشعث وفيه يقول أعشى همدان:

فإذا جعلتَ دروب فارس خلفنا درباً فدربا
فابعث عطية في الخيول يكبهنَّ عليه كبًّا

وكان عطية صار إلى القلعة التي بفسا مع خرشة بن مسعود، فأُخذ وبُعث به إلى البصرة، فصلبه الحجاج على باب داره.

---

١ ـ بهامش الأصل: خالد بن جعفر بن كلاب.
٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع.

ومنهم الأخنس بن قُريط بن عبد مناف بن جناب، وكان أصلح بين بني عمرو، وحنظلة، وسعد، والرباب. ومن: بني المنذر بن الحارث بن جهمة بن عدي: رَقبة بن الحرّ بن الحنتف بن جعونة بن سحمة بن المنذر بن الحارث الذي يقول فيه ابن عرادة:

فوارس مثل شعبة أو زهير ومثـل العنبـريِّ مجـربينـا

شعبة بن ظهير دارمي، وزهير بن ذؤيب عدوي، ويقال هو الحنتف بن زيد بن جعونة. وقال أبو الحسن المدائني غزا الحر أبو رَقبة الترك فجعل يقاتل وهو يرتجز ويقول:

لمـا تـنـادوا بـجطٍّ جطٍّ من كـل تركيٍّ غليظٍ ثَطِّ

كـأنمـا لحـيتـه بـخطٍّ ايقنتُ أني ظـافـر مشـتط

فأصاب أم رقبة، فولدت رقبة، ثم باعها فاشتراها رجل من قومه فولدت له أيضاً، وكان رقبة يكنى أبا كعب وكان أشد أهل زمانه، وكان يشرب الخمر فكان لايقاتل أبداً إلا شارباً وقال:

ثـلاث يطيبن النفـوس ورابـع هو الخيبة الخيباء والحَرَبُ القَسْر

وكان رقبة بخراسان في السبعين الذين حصرهم ابن خازم، فخرج بسيفه من بين القوم حتى نجا.

وكان أوس بن ثعلبة التيمي من ربيعة أغار على سَرْح بني تميم بخراسان، فلحقه رقبة وحده فاستنقذ السرح أجمع، وكان يقال: إذا أردتم أن تنظروا إلى رجل هو ألف رجل، فانظروا إلى رقبة. ومات بخراسان وله بها عقب.

ومنهم المنخّل بن سبيع الشاعر، وكان يلقب المخبَّل، وقال له رجل:

لست بمنخل ولكنك مخبًل، هجا قوماً من بني سعد فقال:

لعمرو أبيك إن بني عدي لئام الناس إنْ ذكر اللئام
يجوع الضيف عندهم لبخلٍ ويسقون النبيذ بلا طعام

وقد روي هذا الشعر عن غيره.

ومنهم ربيعة بن رُفيع بن سلمة بن محلم بن صلاءة بن عبده بن عدي بن جندب نادى النبي ﷺ من وراء الحجرات، وإلى رُفيع يُنسب الماء الذي في طريق مكة من قبل البصرة فيقال الرفيعي وله يقول الشاعر:

«يا بن رفيع هل لها من نبق».

وولده عند هذا الماء. وكان خالد بن رُفيع من رجال أهل البادية.

وولد عمرو بن جندب بن العنبر: عبد الله. والحارث. وزبينة. وربيع. والحويرث. وجابر. أمهم ذغة بنت مغنج من أياد التي يقال أحمق من ذغة، وهذا الصحيح عند هشام ابن الكلبي لا الأول.

فمن بني عمرو بن جندب: **طريف بن تميم** بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن جندب الشاعر وهو فارس الأغرّ الذي قتلته بنو شيبان يوم مبايض[1] وكان يكنى أبا سَليط، ويقال كان تميم يكنى أبا عمرو.

وكان من خبر يوم مبايض أن طريف بن تميم وأبي الجدعاء الطهوي، وفدكي بن أعبد غزوا طيئاً فظفروا، ثم غزوا من وجههم ذلك بكر بن وائل وقد كلت خيولهم فنهاهم فدكي عن ذلك فأبوا، فقُتل أبو الجدعاء وأُفلت فدكي، وقُتل طريف بن تميم، قتله حَمْصَيْصة، وحمصيصة غلام يومئذٍ، قال الشاعر من بني أبي ربيعة:

---

١ - بهامش الأصل: يوم مبايض.

خاض العداة إلى طريف في الوغى   خَمْصيصة المغوار في الهيجاء

وغزا طريف بني شيبان فلقيهم بزرود فغنم منهم فقال:

لقينا بالأجارع من زرود   بني شيبان فالتهموا التهاما

وأغار عليهم بذات الشقوق فقتل شراحيل بن مرة وقال:

ويوم شراحيل كررت محامياً   على بطلٍ كالليث والقوم شُهَّدُ
نهدتُ بجمع من تميم عرمرم   عليهم مع الصبح الدلاص المُسَرَّد

وأغار معه النابغة الجعدي على بني شيبان، فأصاب قوماً من بني الحارث بن همام، ثم أصاب بني ربيعة فقال الجعدي في الإسلام للأخطل:

لئن عيرتني كبري فإني   من الشبان أيام الخنان
شهدت الحرب إذ دارت رحاها   لإخوتنا تميم بالزوان[1]

وهو الموضع الذي التقوا فيه.

ومنهم: **سُلَيم بن سعد** بن جابر الذي يقول له أعشى همدان:

سليم ما أنت بنكس ولا   دمك لي غاد ولا رائح
ذؤابة العنبر أخبرتها   والمرء قد يسترفد الصالح

وكان الأعشى نزل به، ومعه أحمد بن حمدان المغنيّ، فلما قال هذه الأبيات أمر أحمد فغنى بها، ولم يزل سليم كثير الضيافة والإجارة حتى جاء الحجاج، وأخذ الناس بالموانيذ[2]، ولم يكن عنده مال فباعه، واشتراه عتّاب بن ورقاء الرياحي بسبعين ألفاً وفكه، وكان سليم يلي الولايات، ولقي طريف بني شيبان بثأج[3] فقتل طريف جثامة بن أبي عمرو بن عوف بن

١ ـ ديوان النابغة الجعدي ص١٦٠، البيت الأول فقط.
٢ ـ لعلها جمع منذ، أي بتحديد مواعيد العمل المالي.
٣ ـ ثاج: عين من البحرين على ليال. معجم البلدان.

محلم بن شيبان، وانهزمت شيبان، وأغارت بكر بن وائل على بني عمرو بن تميم يوم الصُلَيب[١] ومعهم ناس من الأساورة فهزمتهم، فقتل طريف رأس الأساورة فقال:

ولولا طرادي بالصُليب لسوّقَتْ نساءُ أناس بين دُرتا وبارق[٢]

وولد مالك بن جندب بن العنبر: زَبينة بن مالك بن عوف بن مالك. ونُكرة بن مالك بن أسامة. منهم: عبد الله. وعمران ابنا منقذ بن حذيفة بن جندل بن عمرو بن أسود بن أسامة بن مالك بن جندب، شهد الجمل مع علي عليه السلام، وقتل عبد الله يوم صفين، وشترت عين عمران يوم الجمل، وهو الذي اختط خطة بني العنبر بالكوفة. ومنهم: القَشْير بن يزيد بن صُبيح، كان مُصعب بعثه على البحرين.

وولد حُنْجُود: كعب بن حنجود. والحارث بن حنجود. فمنهم: صبَّاح. وزُفر الفقيه ابنا الهُذَيل بن قيس بن سليم بن مُكْمَل بن ذُهل بن ذُؤيب بن جَذيمة بن عمرو بن حنجود.

ومنهم: يزيد. وعبد الله ابنا جابر بن خيران بن الأخرم بن ذهل بن ذؤيب بن جذيمة بن عمرو بن حنجود. وكان ممن ادعى قتل محمد بن الأشعث مع المختار يوم حَروراء.

ومن ولده: يحيى الذي يقال له بُزرج بن ابان بن الحكم بن مزيد بن جابر بن خيران وولده بأصبهان.

---

١ ـ الصليب: جبل عند كاظمة. معجم البلدان.

٢ ـ بارق ماء بالعراق هو الحدّ بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة. ودرتا موضع بسواد بغداد. معجم البلدان.

ومنهم الشيطان بن معاوية بن جون بن كعب بن جندب بن العنبر، كان شديد البطش، وكان رئيساً وولده يسمونه الشيطان.

ومن ولده: **عامر بن عبد قيس**[1] **بن ناشب** بن اسامة بن خزيمة بن معاوية ابن الشيطان كان أعبد أهل المشرق، أخذ عطاءه فتصدق منه بدراهم، ثم أتى منزله فوزن الدراهم فوجدها لم تنقص شيئاً، وأتاه مرداس بن أُدَية أبو بلال، فسأله الخروج معه وقال: ألا ترى إلى جَزَعٍ ولاتِنَا مِنَ أَنْ يُصيّروا للمسلمين سهماً، فقال: يابلال تخشى أن نكون جزعنا.

وذكر عند الحسن فقال بعض من حضر: لو علمنا أن دراهمنا لاتنقص كدراهم عامر لتصدقنا، فقال الحسن: إن عامر لم يشترط على ربه كما اشترطتَ.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن لوط بن يحيى. وحدثني أبو مسعود عن ابن عوانة أن عامر بن عبد قيس كان ينكر على عثمان رضي الله تعالى عنه أمره وسيرته، فكان حمران بن ابان مولى عثمان يكتب إلى عثمان بخبره، فكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر بن كريز في حمله إليه فحمله، فلما قدم عليه رآه، وقد أعظم الناس إشخاصه وإزعاجه عن بلده لعبادته وزهده، ألطفه وأكرمه ورده إلى البصرة، وقال غير هؤلاء: إنه أشخصه إلى الشام، ورده إلى البصرة.

وقال أبو اليقظان: كتب عثمان إلى ابن عامر أنْ سَيِّرْهُ إلى الشام، فَسَيَّرهُ فمات بالشام، ولاعقب له.

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي، ثنا اسماعيل بن عُليّه، انبأ ابن عون

١ ـ بهامش الأصل: عامر بن عبد قيس.

عن محمد بن سيرين عن معقل بن يسار قال: أول ماعرف بيني وبين عامر بن عبد قيس أني رأيت قوماً عَرَضوا لرجل من أهل الذمة فكلمهم فيه، ثم حول وركه ونزل عن دابته فقال: كذبتم، والله لاتظلمون ذمة الله اليوم وأنا شاهد.

قال: وبلغني عن عامر أنه قال: لا آكل اللحم، ولا السمن، ولا أتزوج النساء، ولا أصلي في المسجد، ولا يمس بَشَري بشر أحد، وأنا خير من إبراهيم، فأتيته فقلت له ذلك فقال: أما اللحم فإني رأيت هؤلاء أحدثوا في الذبائح شيئاً كرهناه، فإذا اشتهينا اللحم بعثنا فاشترينا شاة فذبحناها وأكلنا من لحمها، وأما السمن فإني آكل مايجيء من ها هنا، وأشار ابن عون إلى البر، ولا آكل من ها هنا واشار إلى الجبل، وأما قولهم إني لا أصلي في المساجد فإني أحضر الجمعة، ثم اختار أن أصلي ها هنا، وأما قولهم آني لا أتزوج النساء فإنما لي نفس واحدة وقد كدت أعجز عنها، وأما قولهم إني قلت: إني خير من ابراهيم، فإنما قلت إني أرجو أن يجعلني الله ﴿مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾[1].

حدثنا أحمد، ثنا خلف بن الوليد عن عباد بن عباد عن يونس بن عبيد عن الحسن قال: كان عامر بن عبد قيس إذا صلى الصبح تنحى إلى ناحية من المسجد فجلس فيها، ثم قال: من أقْرِئُهُ؟. فيأتيه قُوَيم فيقرئهم حتى إذا طلعت الشمس وأمكنت الصلاة قام فصلى حتى ينتصف النهار، ثم يرجع إلى بيته فيقيل، ثم يرجع إلى المسجد إذا زالت الشمس فيصلي حتى يصلي الظهر ثم يصلي العصر، ثم يجلس مجلسه ذلك في المسجد ويقول: من أقرئه فيأتيه

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية: ٦٩ .

ناس فيقرئهم حتى تغيب الشمس، ويؤمّ لصلاة المغرب فيصليها، ثم يصلي العشاء الآخرة، ثم يرجع إلى بيته فيتناول رغيفه فيأكله، ويشرب عليه شربة، ثم يهجع هجعة خفيفة ثم يقوم لصلاته حتى إذا أسحر تناول رغيفه الآخر فأكله، ثم شرب عليه من الماء، ثم يخرج إلى المسجد.

حدثنا أحمد، ثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن العلاء بن سالم عَمَّن صحب عامراً أربعة أشهر فلم يره ينام ليلاً ولا نهاراً.

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا وهب بن جرير بن حازم، ثنا هشام عن الحسن أن عامر بن عبد قيس قال: وجدت عيش الناس في أربع: في النوم، والنساءَ، والطعام، واللباس. فأما اللباس فوالله ما أبالي ما واريت به عورتي، وألقيت على كتفي من صوف أو غيره، وأما النساء فوالله ما أبالي أمرأة رأيت أم جداراً، وأما النوم والطعام فقد غلباني إلى أن أصيب منهما، والله لأضرَّن بهما. فقال الحسن: فأضرّ والله بهما حتى مات.

حدثنا أحمد عن وهب عن هشام عن الحسن أن عامر بن عبد قيس قال: والله لأجعلنّ الهمَّ هَمّاً واحداً.

حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبي هلال قال: ذكرت الدنيا عند الحسن فقال: لو شاء الله جعل الناس مثل عامر.

حدثنا أحمد بن عبد الصمد عن أبي هلال عن محمد بن سيرين قال: قالوا لعامر: ألا تزوج؟ فقال: والله مالي مال ولا نشاط فَبِمَ أَغُرُّ مسلمة؟.

حدثنا أحمد بن عبد الصمد عن أبي هلال قال:قال حُميد بن هلال: قال عامر: الدنيا أربع: النوم، والمال، والنساء، والطعام، فأما اثنتين فقد عَزَفَتْ نفسي عنهما، أما المال فلا حاجة لي فيه، وأما النساء فوالله ما أبالي امرأة رأيت

أم جداراً، ولا أجد بُدَّاً من هذا الطعام والنوم، ووالله لأضُرَّنَّ بهما جهدي، فكان إذا جاء الليل جعله نهاراً، قام، وإذا كان النهار جعله ليلاً فقام ونام.

حدثنا أحمد، ثنا بشر الزهراني عن همام عن قتادة أن عامر بن عبد قيس لما احتضر جعل يبكي، فقيل له: مايبكيك؟ قال: ماأبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر، وعلى قيام ليل الشتاء.

حدثنا أحمد، ثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيوب عن ابي قلابة قال: لقي رجل منا عامراً فقال: ألا تزوج؟ وتلا هذه الآية: ﴿وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾(١). قال فضرب يده وقال: سمعت الله يقول: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(٢).

قالوا: ولما أراد عامر الخروج أتى مُطرفاً فسلم عليه ثم مضى ورجع فسلم عليه وقال: ما فعلت هذا إلا حُبَّاً لك، ثم مضى وعاد فقال مثل ذلك، وكان عامر يقول لنفسه: قُومي يا مأوى كلِّ سوءٍ فَلأَرُدَّنَّكِ ولو بمثل زحف البعير.

حدثنا أحمد، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن جعفر عن الجُريري عن أبي العلاء أن رجلاً قال لعامر: استغفر لي. فقال: إنك لتسأل رجلاً عجز عن نفسه، ولكن أطع الله ثم ادعُه يستجب لك.

حدثنا أحمد، ثنا محمد بن عيسى عن عون بن موسى قال: سمعت أشياخاً يحدثون أن عامر بن عبد الله الذي كان يقال له عامر بن عبد قيس كان له مجلس يجلس فيه إليه، وفيمن يجلس إليه الحسن، وأنه قعد في بيته

---

١ ـ سورة الرعد ـ الآية: ٣٨.
٢ ـ سورة الذاريات ـ الآية: ٥٦.

فخشوا عليه الزيغ فأتوه في بيته فقالوا: ياأبا عبد الله تركت مجلسك الذي كنت تجلس فيه، فقال: إن مجلسكم ذاك كثير التخليط والأغاليط، أدركنا ناساً من أصحاب محمد ﷺ فحدثونا أن أكمل الناس إيماناً أشدهم محاسبة لنفسه في الدنيا، وأن أكثر الناس ضحكاً يوم القيامة أكثرهم بكاء في الدنيا، وأن أشد الناس فرحاً يوم القيامة أطولهم حزناً في الدنيا.

حدثنا أحمد بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن فَضالة بن حصين عن يزيد بن نَعامة الضبي قال: كتب معاوية إلى عامل البصرة:أما بعد فإذا جاءك كتابي فزوِّج عامر بن عبد قيس من صالح نساء قومه وأَصْدِقْها من بيت مال المسلمين، فأرسل إلى عامر فقرأ عليه الكتاب ولم يدعه حتى زوجه، وأَدخل عامراً عليها، فقام إلى مصلاه ولم يلتفت إليها حتى إذا رأى تباشير الصبح قال: يا هذه ضعي خمارك فلما وضعتْ خمارها قال: أعيدي، ثم قال: هل تدرين لم أمرتك بوضع خمارك؟ لئلا يؤخذ منك شيء أُعطيت.

وكان عامر يقول في كل يوم إذا أصبح :إن الناس غدوا إلى أسواقهم وحاجاتهم، وإن حاجتي إليك أن تغفر لي.

المدائني قال: أُتي عامر بن عبد قيس بعطائه، وهو في المسجد فوضعه بين يديه، ثم رجع إلى منزله، وقد أُنْسِيَه، فقال: إني نسيت عطائي فاذهبوا فجيئوا به، فقيل: إنك تركته فأُخِذَ، فقال: أو يأخذ أحد ما ليس له؟.

حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد بن عيسى، ثنا فضالة بن يزيد بن نعامة قال: لما سُيِّر عامر إلى الشام نزلوا بماء في طريق الشام فإذا الأسد قد حال بينهم وبينه، وجاء عامر حتى أصاب حاجته من الماءَ فقالوا له: خاطرت بنفسك، فقال: والله إني لأستحيي أن يعلم الله أني أخاف شيئاً غيره.

وقال يزيد بن نعامة :كان عامر مع قتيبة في غزاة بخراسان، فأصاب عامراً في سهمه جارية لها جمال، فأُعطي بها ثمناً كبيراً فلم يبعها حتى علمها شيئاً من كتاب الله، ثم أعتقها فقال أصحابه: لو شئت أن تشتري بثمنها رقيقاً كثيراً فتعتقهم فقال: أتعلّمون ربي الحساب؟.

حدثني أحمد عن محمد بن عيسى عن فضالة عن يزيد بن نَعَامَة قال: قيل لعامر: إنك لترضى بالقليل، فقال: أنتم والله أرضى بالقليل مني.

حدثنا أحمد، ثنا اسماعيل بن إبراهيم عن ابن عون عن ابن سيرين قال: كتب أبو موسى الأشعري إلى عامر بن عبد الله الذي كان يدعى عبد قيس: «سلام عليك إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني أعهدك على أمر وبلغني أنك تغيرت فاتق الله وعُد، والسلام عليك».

حدثنا أحمد عن هاشم بن القاسم عن الأشجعي عن محمد بن مسلم قال: قال عامر بن عبد قيس: ما أبالي فاتني من الدنيا بعد ثلاث آيات من القرآن، قوله: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها﴾[١] وقوله: ﴿مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾[٢] وقوله: ﴿وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾[٣].

المدائني عن شعبة قال: أتى رجل عامر بن عبد قيس فقال له: جئتك لتحدثني، قال: أو عهدتني أحب الحديث، إن لي في نفسي شغلاً، ثم أغلق بابه ودخل.

---

١ ـ سورة هود ـ الآية: ٦ .
٢ ـ سورة فاطر ـ الآية: ٢ .
٣ ـ سورة يونس ـ الآية: ١٠٧ .

قال: ونازع رجلاً في شيء فأحسن الاحتجاج عليه فقيل له: ما كنا نظنك تُحسن هذا. فقال: وكم من شيء أُحسنُه أنا أعلم منكم به.

حدثنا عفان، ثنا همام قال: جعل عامر بن عبد قيس يبكي عند الموت فقيل له: مايبكيك؟ قال: آية من كتاب الله: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾[1].

حدثنا أحمد بن إبراهيم عن سهل بن محمود عن محمد بن فضيل عن أبيه عن رجل قال: كان عامر بن عبد قيس يقول: لم أر كالجنة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها.

وكان إذا جاء الليل قال: أَذْهَبَ حر النار النوم، فما ينام حتى يصبح، وإذا جاء النهار قال: أَذْهَبَ حر النار النوم، فلا ينام حتى يمسي. وكان يقول إذا جاء الليل: من خاف أدلج، ويقول عند الصباح: يحمد القوم السُرى.

وقال يزيد بن عبد الله بن الشخير: كنا نأتي عامر بن عبد قيس وهو يصلي في مسجده فإذا رآنا تجوَّز في صلاته ثم انصرف، وقال: ماتريدون؟ وكان يكره أن يروه يصلي.

وقال مالك بن دينار: قالت ابنة عامر لأبيها: ياأبتاه مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟ فقال: يابنتاه إني أخاف البيات.

حدثنا أحمد بن إبراهيم عن علي بن اسحاق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن بلال بن سعد أنه وشي بعامر بن عبد قيس إلى ابن عامر فقيل له: إن ها هنا رجلاً يقال له ما إبراهيم بخير منك، فيسكت، وقد ترك النساء فكتب فيه إلى عثمان، فكتب: أن انْفِهِ إلى الشام على قتبٍ،

---

١ ـ سورة المائدة ـ الآية: ٢٧ .

فقال له ابن عامر: أنت الذي يقال لك ماابراهيم بخير منك فتسكت؟ فقال: أما والله ماسكوتي إلا تعجّبٌ. وددت والله أني كنت غباراً على قدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام، أما النساء فقد علمت أنه متى يكن لي امرأة وولد تشعبتْ الدنيا قلبي فأحببت التخلي، فأجلاه على قتب إلى الشام، فلما قدم أنزله معاوية معه في الخضراء، وبعث إليه بجارية، وأمرها أن تُعلمه حاله، فكان يخرج من السحر فلا تراه إلى بعد العتمة، ويبعث إليه معاوية بطعام فلا يعرض له، ويجيء معه بكسر فيجعلها في ماء، ثم يأكل منها، ويشرب ثم يقوم فلا يزال كذلك، ثم يخرج، فكتب معاوية إلى عثمان رضي الله تعالى عنهما يذكر له حاله فكتب إليه: اجعله أول داخل عليك، وآخر خارج، وأمر له بعشرة من الرقيق، وعشرة من الظهر، فأعلمه معاوية فقال: إن عليَّ شيطاناً قد غلبني فكيف أجمع هذا على نفسي، ولي بغلة وإني لأشفق أن يسألني الله عن فضل ركوبي ظهرها.

قال بلال بن سعد: أخبرني من رآه على بغلته بأرض الروم يُركبها عُقبه، ويحمل عليها المهاجرين عُقبه وكان إذا فصل غازياً توخى[1] الرفاق، فإذا وافقته رفقة قال: ياهؤلاء إني أريد صحبتكم على أن أكون لكم خادماً لاينازعني أحد منكم الخدمة، وأكون مؤذناً لاينازعني الأذان أحد، وأُنفق فيكم بقدر طاقتي، فإن نازعه أحد في شيء من ذلك رحل عنهم إلى غيرهم.

حدثنا أحمد عن أبي داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني قال: دخل رجلان على عامر فكلماه في شيء فقال: فوضا أمركما إلى الله تستريحا.

١ ـ استوخى القوم: استخبرهم، وتوخى رضاه: تحراه. القاموس.

وكان عامر يبكي فيقال له: مايبكيك؟ فيقول: ذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة.

حدثنا أحمد عن أبي الوليد همام بن زائدة عن مُجالد عن هشام أن جارية بن قُدامة جاء إلى عامر ليسلم عليه فوقف على باب البيت، وعامر يصلي، فسلم عليه فسَبَّحَ به عامر، فدخل فجلس في جانب البيت فنظر فلم ير في البيت إلا قلة فلما قضى عامر صلاته قال له جارية: ياعامر أرضيت من الدنيا بما أرى؟ لقد رضيتَ بالقليل. فقال له عامر: ياجارية أنت والله وأصحابك الذين رضيتم بالقليل، ثم نهض لصلاته.

وقال المدائني، رأى عامر من قوم ممن يقرأ عليه حرصاً فقال: نشدتكم الله أن يُعَير بكم قُرَّاءُ القرآن.

المدائني أن عامراً وصديقاً له كان يألفه خرجا إلى الحدادين فجعلا ينظران إلى النار وتلك الشرر فيبكيان، ثم أتيا أصحاب الرياحين والفاكهة ليذكرا الجنة، فجعلا يستغفران ويسألان الله الجنة.

المدائني قال: قال مضارب بن جزء التميمي لمعاوية: كيف وجدتم من أوفدنا إليكم من قرائنا؟ قال: بنون ويتقنعون، يدخلون بكذب ويخرجون بغش غير رجل واحد فإنه كان رجل بقيسة[1]، قلنا من هو؟ قال: عامر بن عبد قيس.

وامر ابن عامر لعامر بن عبد قيس بمال، فقال له: انظر إلى الفقراء الذين حول المسجد فاقسمه عليهم فهم أحق بهذا المال مني.

حدثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا بشر بن عمر الزهراني عن همام بن قتادة

---

١ ـ أي بقدره ومقياسه. القاموس.

أن عامراً لما احتضر جعل يبكي فقيل له: مايبكيك؟ فقال: والله ماأبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكني أبكي على ظمأ الهواجر، وليل الشتاء.

حدثنا أحمد عن رجل عن عبد الجبار بن النضر عن بعض مشايخه قال قيل لعامر: أضررت بنفسك، فتناول جلدة ساعده فمدَّها، وقال: والله لئن استطعت لاتنال الأرض من وهمك إلا يسيرا.

ولقي عامراً رجل فقال له: قف أكلمك، فقال: لولا أنني أبادر لوقفت، قال: وأي شيء تبادر؟ قال: خروج نفسي عافاك الله.

وكان عامر يقول: لايزال الرجل بخير ما كان له واعظ من نفسه وزاجر من عقله. ويروى ذلك عن الحسن أيضاً.

ومنهم: **البَلْتَع** الذي يقول فيه الفرزدق:

وكيف يصلي العنبري ببلدة   بها قطعت عنه سيور التمائم[1]

وكان شاعراً فقال للفرزدق:

لقد ذل من يحمي الفرزدق عرضه   كما ذلت الأخفاف تحت المناسم

ومنهم: **هند بن كثيف** بن أشعث بن زاهر بن صابر بن مالك بن جندب بن العنبر الشاعر الفارس.

ومنهم: **سيار بن أكلب** الشاعر.

ومنهم: **القزّاع**، وهو عبد الله بن سَوا بن رفاعة بن أبي عبدة بن عدي بن جُندب.

وولد كعب بن العنبر: حارثة. ومُجفرٍ، واسمه عبد شمس.

١ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص٢٩٦ مع فوارق.

فولد مجفّر بن كعب: الحارث. وعبد الله. وزهير. والأحنف. وزيد.

فولد الحارث بن مجفّر: خلف بن الحارث. ومُرَحض. ووهب. وأوس. وعُميرة. وحارثة.

منهم: **سوار بن عبد الله وقدامة بن عنزة بن نَقَب** - على مثال فَعَل - ابن عمرو بن الحارث بن خلف بن الحارث بن مجفر، قاضي البصرة، وقد كتبنا خبره مع أخبار المنصور أمير المؤمنين، وكان قدامة جدّ سوار أشد الناس عبادة، طلب إليه ابو بلال أن يخرج معه، ووصف له جور عبيد الله بن زياد، فقال له: أنا أعرف ماتصف غير أني لا أرى الخروج.

ومنهم حُصين بن الحرّ بن مالك بن الخشخاش بن جناب بن الحارث بن خلف بن الحارث بن مجفر، وإليه نسب فيروز حُصين، وكان فيروز غلاماً من الدهاقين، وابنه أبو الحر كان مع طالب الحق، وكان الخشخاش بن جنْاب أخذ من مالك ألف ناقة ففقأ عين فحلها وحرّمه، ووفد على النبي ﷺ هو وابنه مالك بن الخشخاش أبو الحر بن الخشخاش، ويقال لولد الخشخاش: الخشاخشة.

ومن ولده: عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحر، ولي قضاء البصرة. ومعاذ بن معاذ بن نصر بن حسان بن الحر بن أبي الحر بن الخشخاش بن جناب.

قال أبو اليقظان: قيل في بني عدي بن جُندب من بني العنبر: بنو عدي عدد ركام، وحظ لاينام، ليسارهم وكثرتهم.

قال: وكان للأعور بن بشامة ذكر يوم وقيظ، وكان في الإسلام، قال: وقنّع الأعور نميلة النميري، وكان والياً على بني عمرو بن تميم، وهرب حتى

أخذ له غيلان بن خرشة من عبيد الله بن زياد أماناً فقال الشاعر:

إني من القوم الذين رماحُهم أثارتْ على وجه النُّمَيْريّ عثيرا
وكنا إذا الجبار صعَّر خده أَبَيْنَا على الجبار أنْ يتجبرا

ومن بني حارثة بن كعب بن العنبر رجال بالبادية وبخراسان، وكان منهم: **مجاهد بن بَلعَاء**، كان من فرسان بني تميم المشهورين، وكان على خيل بني تميم مع عمر بن عبيد الله بن معمر بالبحرين في حرب أبي فديك الخارجي. ولمجاهد بن بلعاء عقب.

وكان منهم: **بجَالة بن عَبْدة**، كان أعبد الناس وأكثرهم تسبيحاً.

ومنهم: **التِلَبّ**، كان شاعراً فهجا رجلاً من قومه، واستعدى عليه عمر بن الخطاب فقال: إنه هجاني. فقيل: ماقال لك؟ فافتعل شعراً:

إن التلبّ لـه أم يمـانيـة كأن فسوتها في البيت إعصار
نـزواء مقبلة قَعساء مـدبرة كأنما هي زق في استه قار

وقد روي عن التِلَبّ بن ثعلبة الحديث، وأصحاب الحديث يقولون التِلَبْ، والتِلْب سخت أي ضئيل.

وقال أبو اليقظان: كان ثوَب بن سُحْمه بن المنذر بن الحارث بن جُهْمة بن عدي بن جُنْدب يدعى مُجير الطير، وذلك أنه كان يضع السهم في الأرض فلا يصاد من تلك الأرض شيء، وكان أسر حاتماً الطائي فقال حاتم:

كنا بأرض مايُعِبّ غداؤهـا إن الغداء بأرض ثوب غاتم[1]

واتبع ثوباً رجلان من بني القُليب بن عمرو بن تميم، ومعهما ابنة عم

---

١ - ليس في ديوان حاتم المنشور. والغتم: شدة الحرّ يكاد يأخذ بالنفس. القاموس.

لهما، ومع ثوب أخوه عِلاج، ورجل آخر فصعدوا إلى جبل يريدون ان يصيبوا شيئاً ليأكلوه من الجوع، وتركوا أحد القليبيين والمرأة فاشتد جوع القليبي فوثب على ابنة عمه فذبحها ثم أورى ناراً، وجعل يأكل لحمها، وجاءه عِلاج بن سحمة بشاة قد اصابها من الجبل فوجده قد أكل المرأة، وخطب ثوب بعد ذلك امرأة من قومه فأبت ان تتزوجه، وقالت: أتزوجه وقد أُكلتْ رفيقته جوعاً؟ فقال ثوب:

يابنت عميَ ما أدراك ما حسبي إذا تجنّ خبيث الزاد أضلاعي
إني لذو مرة تخشى نكايته عند الصباح بنصل السيف نَزَّاع

وعيّر بني القليب بذلك رجل في الإسلام فقال:

عجلتم ماصادكم علاج من العنوز ومن النعاج
حتى أكلتم طَفْلَةً كالعاج

وانطلق ثوب فتزوج امرأة من همدان، فدخل عليها يوماً وبين يديها عنز لها تحلبها، فجعلت تمص لبنها من ضرعها فطلقها وقال:

إني لأكره أن تكون حليلتي تدع الإناء وتعتلي[1] للقادم

وقتل ثوباً جحش بن علباء الأسدي ثم الكاهلي فقالت نائحته:

ألم تر أنَّ ثوباً أسلمَتْهُ بنو بيضاء والجبلان سيّ
فإذ أسلمتموه فاخلفوه ولن ترضى خلافتكم عَديّ
أضعتم مجدكم فسلبتموه وفاز به الغلام الكاهليّ
فآب لآل جحش ليل صدقٍ وآب لأهله ليل قَسيّ

فمضى المُؤتِنف بن ثواب أخوه فقتل رجلاً من بني أسد، وقال:

١ ـ المعلي: الذي يأتي الحلوبة من قبل يمينها.

لسنا بأنكاس نكبٌ من الأسى إذا أعينُ الأنكاس طال سهودها
وإنا لنلوي بالمغيرة إذ أتت كمثل الجراد لايطاق عديدها
ونأوي إلى ملمومة ذات حرشفٍ(١) تقود المنايا والمنايا تقودها

ولثوب ولد بالبادية، ويقال انه استلحق رجلاً لم يلده وانه لم يكن له عقب.

وكانت لعلاج ابنة يقال لها مَيَّة، وتلقب الكلبة، تزوجها خزيمة بن النعمان من بني ضُبيعة بن ربيعة بن نزار، فهي ولدت بني الكلبة من بني ضبيعة وفيها يقول علاج أبوها:

فإن تك قد أَلْوَتْ بِمَيَّةَ غربة فقد كان مما لايُمَلُّ مزارها
دعتها رجال من ضُبيعة كلبة وكان يشكى في المحل جوارها

وقال شبل بن عزرة الضبعي يهجو بني الكلبة:

بنو كلبة هرارة وأبوهم خزيمة عبدٌ خامل الأصل أَوْكَسُ

فمن بني علاج: كثْوَة قتل يوم الصفقة بالمشقر، ويقال بل قتل محجن بن كثوة في هذا اليوم، فقالت امرأته وهي من بني العنبر واسمها جميلة:

لو أن انتظاراً جاء يوماً بغائب إلى أهله جاء انتظاري بمحجن

وهذا الثبت:

وولد محجن: أُحَيحة، فظنت أمه أنه جارية، فأمرت القابلة أن تلقيه في حفرة، ثم تبين أبوه فإذا هو غلام فعاش حتى أسلم وهاجر إلى الكوفة وكان مع علي عليه السلام بصفين.

١ ـ الملمومة: الدرع، والحرشف من الدرع: حبكه. القاموس.

قالوا: وكان من فرسان بني العنبر: زيد بن جَعُونة من بني المنذر بن الحارث بن جهمة، وكان الحنتف بن زيد بن جعونة من أَسَبِّ العرب، فقدم البصرة في أيام عبد الله بن عامر بن كريز فاجتمع ودَغفل النسابة عند ابن عامر، فقال له دغفل: متى عهدك بسجاح أم صادر؟ فقال: مالي بها عهد مذ ضلّت أم حلس، جدة لدغفل، فقال دغفل: أما إن جدتك أم خارجة قيل لها: خطب، فقالت: نكح. فقال الحنتف:

وَجَدَّتُكَ ام حِلْسٍ قد أَقَرَّتْ لأيرٍ بَعْدَ نزوتها فغابا

يقال ان ضيفاً نزل بهم، فأرادها فامتنعت ثم أمكنته من نفسها، ثم قال دغفل: أنشدك الله أنحن أكثر غزواً في الجاهلية أم أنتم؟ قال: بل أنتم فلم تفلحوا ولم تنجحوا.

وزعموا أن الحنتف أقبل بإبله من البادية حتى ورد الوَقْباء ـ ماء لبني مازن ـ فغرق له ثلاثة بنين في الركيَّة واحداً بعد واحد، فحلف أن لاينزل البادية، وقدم البصرة فباع إبله فذكر ذلك المنخل من سبيع فقال:

ما أنا إن حانت بخبت[١] منيتي بأحرز يوماً من سبيع ومن نصر
ولابن أبي الشعثاء إذ قدرت له منيته في باب محتنك قحر[٢]
ولا النفر البيض الذين تتابعوا على بركة الوقباء للموت في عشر

وأبو الشعثاء رجل من بني جهمة قتله جمل هائج فقال:

فسيروا فإما حنتف وابن حنتف فإنهما غيثان يرجى نداهما

١ ـ الخبت: الوادي العميق الوطيء، وهو علم بين مكة والمدينة، وخبت أيضاً ماء لكلب. معجم البلدان.

٢ ـ القحر: الشيخ الهرم، والبعير المسن، وفيه بقية. القاموس.

ومنهم: **عطية بن شبل**، أحد بني المنذر، وكان يقال له ولعطية بن عمرو العطيتان.

قال أبو اليقظان: ومن بني جُهْمة: بنو عَريب، وهم موصوفون بجودة الرمي، قال الراجز:

نرمي كما يرمي بنو عَريب بكـل سهم جيد الـتركيب

ومن بني الحارث بن جهمة: **أبو الدرداء**، واسمه ميسرة الذي رثى معاوية فقال:

فهاتيك النجوم وهن خرسٌ يَنُحْنَ على معاويـة الشآمي

قال: ومن عُبْدة: **عبد بن نعمان**، الذي قال فيه سحيم بن وثيل:

أمستبطىء عبد بن نعمان غارتي وما ليل مـظلوم كريم بنـائم

ومنهم رُبَيْب كان ممن وفد إلى النبي ﷺ، ونادى من وراء الحجرات، ووفد ابنه على سليمان بن عبد الملك، فقال أنا وافد بني عمرو بن تميم، وهجاه عُبيد بن غاضرة فقال:

حسبت طلاء الشام حيث لقيته بـدومـة محض الـرائب المتعلق

لقد فضحت عمرو القَسوميه اسْتُهُ بحيث التقى ركبان غرب ومشرق

ومن بني عُبْدة: بنو الطحان، وقد ذكرهم جرير بن عطية.

قال: ومن بني مالك بن جندب بن العنبر: مودود بن بشر أبو الخنساء، وكان بسجستان مع ابن الأشعث، فلما هرب ابن الأشعث إلى رتبيل وثب مودود فأخذ زرنج فمنعها، فقاتله عمارة بن تميم صاحب الحجاج، وهو من لخم، ثم أمنه عمارة وأمن أصحابه فقال رجل من بني تميم:

لله عيناً من رأى مِنْ فوارسٍ أكَرَّ على المكروه منهم وأصبرا

فما برحوا حتى أعضُّوا سيوفهم ذرا الهام منا والحديد المسمَّرا

وقال أبو اليقظان أيضاً: كان بعض بني حُنْجُود من بني العنبر باليمن، وبعضهم بالبادية مع قومهم، والذين صاروا باليمن عمرو بن حنجود، فسمَّه ملك من ملوك اليمن في سواك فقتله.

ومن بني حنجود: **الهُذيل بن قيس**، ولي أصبهان وغلب عليها، فمن ولده: **صَبّاح بن الهذيل**. **وزُفَر بن الهذيل**. فأما صباح فولاهُ المنصور أبو جعفر البحرين، وله عقب بالبصرة. وأما زُفَر فكان أعلم أهل الكوفة برأي أبي حنيفة، وله كتاب في الفقه، وقال المخيسير العنبري:

قالت سليمة والأخبار نامية هل للحوائج ياللناس مردود
هن القواصد من نجد وما عدلتْ عن الهذيل أخي عمرو بن حنجود
منا الهذيل وعمرو خير من ذملت به المطايا بنو المسموم في العود

قال: ومن بني عمرو بن جندب: **رَحْضَة بن قرط**، كان من فرسانهم في الجاهلية، فقتله بنو شيبان، فقتلوا به رجلاً يقال له فروة، وقال الذي قتله:

وسخى بنفسي أن فروة لم يرم ببطحاء غول مقفعلاً أنامله

وقال أبو اليقظان: وكانت للعنبر ابنة يقال لها الهيجمانة، عشقها عبشمس بن سعد، فبسببها وقع الشر بينهم وبين بني سعد حين قُطعت رِجْلُ الحارث بن كعب الأعرج.

قال:ولم يكن لبَشَّة بن العنبر إلا ابنة يقال لها الحرام، ولدت في بني يربوع.

قال:ومن ولد مالك بن العنبر: الكلب الشاعر الذي يقول لمالك بن الريب المازني:

لايُعجبنْك الدهر خلَّةَ خارب رأى الله ثوبي بالياً فكسانيا

وكان رأى عليه كساء بالياً فقال له مالك: قد شُهرْتَ بالشعر، وعليك مثل هذا الكساء، أفلا تحتال كما يحتال الناس، فقال هذا الشعر.

قال ومنهم: البَلْتَع، واسمه مُستنير وهو الذي يقول لجرير:

أتعيبُ أبلقَ ياجرير وصهره وأبوه خير من أبيك وأمنع

أَتعيبُ مَنْ رضيتْ قريش صهره وأبوكَ عبدٌ بالخورنق أوكـع

وكانت أم غيلان بنت جرير عند الأبلق، وقال جرير يهجو البلتع:

وبـاع أبـاه المستنـير وأمـه بأسخاب عنزٍ بئس بيع المبايع[1]

وقال أبو اليقظان وأبو عبيدة: ولد كعب بن العنبر: خلفاً ـ ويلقب خلف مُجفّراً ـ وخالفا ابن الكلبي.

وقال أبو اليقظان: سمي خلف مجفراً لأنه كان يقود ظعينته، فرآه رجل في الجاهلية فقال لصاحب له: إن هذا رجل حَصر فلو حملت عليه لأخذت منه الظعينة، فحمل عليه ليأخذها وهو يقول: خَلٍّ عن الظعينة فأنا المغتلم، فحمل عليه خلف فطعنه طعنةً وقال: خذها مني وأنا المُجفر، اي المُذهب للغلمة. فرجع المطعون إلى صاحبه فقال له:كلا زعمت أنه حَصِر، فمضت مثلاً.

وقال أبو اليقظان:أدرك الخشخاش الإسلام، وأتى النبي ﷺ، فقال: يانبي الله ما الذي لايجني علي؟ قال: «لاتجني يمينك على شمالك» وأسلم.

قال: وكان علي بن الحصين بن مالك بن الخشخاش من رؤوس الأباضية الذين قتلوا أهل قديد، ثم قُتل.

١ ـ ديوان جرير ص٢٨٨ .

قال:وكان علي بن الحصين يلقب أبا القلوص، وفيه يقول أبو الأسود:

نُعيم بن مسعود أحق بما أتى   وأنتَ بما تأتي حقيق كذلكا

وكان أبو اليقظان يقول: نَقْبٌ فيخالف ابن الكلبي ويُصَحّف.

قال ومن بني نَقَب: **عبد الله بن قيس بن نقب**، وكان اسمه خيّاط، فسماه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عبد الله، وكان من الفرسان، وشهد مع سمرة بن جندب قتالاً بالأهواز فنجا عبد الله وجعل سمرة ينادي: ياعبدالله إدْرَأْني، فقال عبدالله: الحَقْ، أكلت أير أبيك.

قال: ومنهم **جارية بن المُشَمِّت**، كان فارساً في الجاهلية.

قال: ومن بني نقب: **مسعر بن فدكي**، كان مع علي عليه السلام بصفين وفيه يقول عمرو بن العاص:

ما يُغْنِيَنْ وردان عنِّي قنبرا   أو يغنينَّ ابن حُديج مسعرا

ومنهم: العلاء بن حَريز، وله عقب بالبصرة.

قال: ومن بني كعب بن العنبر: بنو المذراع، وكان سلمة بن المذراع مع عبد الله بن الزبير، فقال هشام بن عروة: ماوُصل إلى عبد الله، حتى قُتل سلمة بن المذراع، وكان يقول:

وأهون مافينا من الأمر أننا   إذا مانزلنا منزل الصبر نصبر

إذا حدثتنا بانصرافٍ نفوسُنا   نقول لها ماذا بساعة منفر

وكان عثمان بن المذراع قد وُليَ كرْمان، فقال الشاعر يهجوه، ويفضل عليه الحكم بن المنذر:

دع الحزم إني لا أرى متلدداً   أعثمان إنا قد مللنا غدا غدا

١ ـ ديوان أبي الأسود ص١٤٢ .

يُسَوُّونَ مذراعاً بغايـة منذرٍ فباست أبي إن لم يكن كان أجودا
فتىً لم يزل مذ شبَّ في ظل راية إذا رُفعتْ تجري لها الطير أسعدا

ومن بني العنبر: وَرد بن الفِلْق، كان من فرسان خراسان.

قال: وبنو كعب بن العنبر ينزلون اللُّهابة[١]، فقال عبد الرحمن بن الحكم ومرَّ بهم:

قَبَح الإله ولا اقبح غيرهم أهل اللُهابة من بني كعب
قـوم تظل قلوص جـارهم عطشى تمصُّ عِلاقة القعب

ويقال اللَّهابة ـ بالفتح ـ وكان بينهم وبين بني فُقَيم قتال في اللَّهابة أيام مروان بن الحكم، وهو على المدينة، فقتل منهم قتلى فأدت إليهم بنو فُقَيْم ثلاثمائة بعير وستة أعبد فقال الفرزدق:

عقلتم ولم يعقل لكم من أحبكم ثلاث هنيدات وستة أعبد[٢]

وارتفعوا إلى مروان فقضى باللَّهابة لبني كعب، وأمرهم أن يعوضوا بني فُقيم إبلاً، فقال الفرزدق:

فَآبَ الوفد وفد بني فقيم بـآلَمَ مـايؤوب بـه الـوفـود
وآبـوا بـالقــدور معـدّليهـا وصارَ الجد للجد السعيد[٣]

وكسر بنو كعب رجل مالك بن المخراش سيد بني فُقيم يومئذٍ فقاد[٤] بنو فقيم رجلاً من بني كعب يقال له عامر ليكسروا رجله، فمروا به على

١ ـ في معجم البلدان: اللهابة ـ بالكسر ـ خبر بالشواجن في ديار ضبة فيه ركايا عذبة تخترقه طريق بطن فلج.
٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع.
٣ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص١٣٩ مع فوارق.
٤ ـ بهامش الأصل: خ. فأخذ.

أبيات بني دارم فاستغاث بهم، فجاء عتاب بن عوف بن القعقاع فطلب إلى بني فقيم فيه وأعطاهم خمسين بعيراً، فأخذوها وخلوا عن عامر، فقال الشاعر:

لعمري لنعم الحيّ للباع والندى دعا عامراً إذ غاب عنه أقاربه
دعا يا آل عبد الله دعوة خائف لطول أسار او دم جاء طالبه
أتوه فأعطوا مالهم دون ماله وفكُّو الفتى الكعبيّ والموت كاربه
ومولى جبرنا فَقْرَهُ بعد عيلةٍ كفورٌ إذا استغنى وأشكر حالبه

وقال أبو اليقظان: أغارت بنو شيبان وبنو عجل على بني عمرو بن تميم، ورئيسهم عمرو بن جناب بن الحارث بن جُهمة، فالتقوا بتِعْشَار[1] فقتل مالك بن عبد الله ذي الجدين، قتله سلمة بن محجن مولى بني جهمة، وقتل شهاب بن ذي الجدين قتله الأخنس بن قُرَيط بن عبد مناف بن خَباب، فقال ربيعة بن طريف بن تميم:

هُمُ قتلوا في يوم تِعْشَار مالكاً ولم يَكُ في شيبان فرع يُماجده
نماه ابن ذي الجدين في أرفع العلى فمن خير أحياء البرية والده

وقال محمد بن سعد في كتاب طبقات المحدثين: التِلب بن ثعلبة العنبري[2].

وقال المدائني طعن بلعاء بن مجاهد بن بلعاء الهيثم بن منخل في بعض حروبهم فأرداه عن فرسه، فشهر ذلك، قال: فأتى الهيثم مجاهداً فقال: إنّ

---

١ ـ تعشار: موضع بالدهناء، قيل هو ماء لبني ضبة. معجم البلدان.
٢ ـ هو في طبقات ابن سعد ج٧ ص٤٢ : «التلب بن زيد العنبري.

ابنك حَدَثٌ فأنا أُحبُّ أن تَدَّعي أني طعنته فقال: إني لأكره أن أسوء ابني لأنه أول مشهد له، على أن الإدعاء عار.

انقضى نسب بني العنبر

وولد الحَبِط بن عمرو بن تميم، وهو الحارث بن عمرو: معاوية. ومُشادة. وسعد. وكعب. فمنهم: عَبَّاد بن الحصين بن يزيد بن عمرو بن أوس بن سيف بن عَرْذَم بن حِلْزة بن نيار بن سعد بن الحَبِط.

وقال هشام ابن الكلبي: كان عباد بن الحصين، أبو المسور، شريفاً بالبصرة، وابنه عباد بن المسور بن عباد.

وكان عباد بن الحصين الكبير، أحد فرسان تميم في الإسلام، وبه سميت عَبّادان[1] التي يُرابط بها وكانت كنيته عباد بن الحصين أبو جهضم.

وقال المدائني وغيره: كانت عَبّادان قطيعة لحُمْران بن أبان مولى عثمان من عبد الملك، وبعضها من زياد، وكان حُمْران من سبي عين التمر يدعي أنه من النمر بن قاسط، فقال الحجاج ذات يوم وعنده عباد بن الحصين: لئن انتمى حُمْران إلى العرب ولم يقل أن اباه أُبيّ لأضربن عنقه، فخرج عباد من عند الحجاج مبادراً فأخبر حمران بقوله، فوهب له غربي النهر، وحبس الشرقيّ، فنسب إلى عباد بن الحصين. وقال بعضهم إن أول من رابط بعبادان عباد فنسبت إليه.

وقال أبو اليقظان والمدائني: قال عبد الملك لرجل من بني تميم: مَنْ

---

١ ـ بهامش الأصل: عباذان.

أشد الناس من قومك؟ قال: الحَريش بن هلال. فقال عبد الملك: لو جئت بحمار الخبطات عباد لاستسمنته.

وكان عباد قد ولي شُرط البصرة أيام ابن الزبير، وكان مع مصعب أيام قاتل المختار، وكان مع عمر بن عبيد الله بن معمر على بني تميم أيام أبي فديك الخارجي، فأبلى بلاء لم يبله أحد، وقال الشاعر:

متى تلق الحريش حريش سعد وعباداً يقود الدارعينا

وكان عباد على شرط عبد الرحمن بن سَمُرة القرشي، فغزا عبد الرحمن كابل فحاصر أهلها حتى فتحها.

وكان الحسن بن أبي الحسن البصري غازياً فقال: مارأيت أشد بأساً من عباد بن الحصين، وعبد الله بن خازم، أما عباد فبات ليلة على ثلمة ثلمها المسلمون في حائط كابل، فلم يزل يطاعن المشركين حتى أصبح، فمنعهم من سدها، وأصبح وهو على حاله في أول الليل، ورُوي عن الحسن انه كان يقول: ماكنت أرى أن رجلاً يُعدل بألف فارس حتى رأيت عباداً ليلة كابل.

وأدرك عباد فتنة ابن الأشعث وهو شيخ، وكان أشار على ابن الأشعث بأشياء منها ألا يأتي رتبيل، وأن ينحاز إلى موضع من المواضع، فخاف الحجاج فأتى ناحية من سجستان فقتله العدو هناك، وله يقول الفرزدق حين واقف جريراً بالمربد ففرق عباد بينهما.

أفي قَمَليٍّ من كليب يسبني أبو جهضم تغلي على مراجله

وقد ذكرنا أخباراً له في مواضع من هذا الكتاب.

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص١٧٢ .

وكان ولد عباد: جهضم بن عباد. وعمر بن عباد. وداود بن عباد. وزياد بن عباد. وعبيد الله بن عباد.

فكان جهضم من وجوه بني تميم وفرسانهم، وخرج مع ابن الأشعث، فقتله الحجاج وكانت له ابنة تزوجها يزيد بن جُديع الكرماني من ولد أبي صُفرة.

وكان عمر بن عباد جميلًا. فولد عمر: المسور بن عمر بن عباد، وقد ذكرنا للمسور أخباراً والناس ينسبون مسوراً إلى جده، فيقولون مسور بن عباد وفيه يقول الراجز:

انت لها يامسور بن عَبّاد إذا انتُضينَ من جفون الأغماد

وولي المسور بن عمر بن عباد أمور البصرة وأحداثها لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز، ثم وفد إلى يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط فمات بها وقيل فيه.

يامسور بن عمر لاتبعد من يحمد الناس إذا لم تحمد
أنت الجواد للأب المسود

ومن الحبطات: حسكة بن عَتاب، وكان يكنى أبا عتاب، وهو أقدم ذكراً من عباد، وله عقب بالبصرة. ولما انقضى أمر الجمل خرج حسكة وعمران بن الفضيل البرجمي في صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق من سجستان، وقد نكب أهلها فأصابوا منها مالًا، وخافهم صاحب زرنج فصالحهم ودخلوها فقال الراجز:

بَشِّرْ سجستان بجوع وَحَرَبْ بابن الفضيل وصعاليك العَرَبْ
لا فضةٌ تُغنيهُمُ ولا ذهب

وبعث علي عليه السلام عبد الرحمن بن جزء الطائي على سجستان فقتله حسكة فقال: لأقتلنّ من الحبطات أربعة آلاف، فقيل له إن الحبطات لايكونون خمسمائة. وقال زياد الأعجم.

وجدتُ النِّيب من شر المطايا ... كما الحبطات شر بني تميم
أريد هجاءه فأخاف ربي ... وأعلم أن عباداً لئيم[1]

وكان من الحبطات في الجاهلية رجل يقال له ربيعة، ففيه يقول الشاعر:

أبعد ربيعة الحبطي أرجو ... ثراءً أو أدافع مادهاني

وولد كعب بن عمرو بن تميم: ذُؤيب بن كعب. وعوف بن كعب. منهم: عتيبة بن مرداس الشاعر الذي يقال له ابن فسوة، وكان هَجَّاءً خبيثاً. وكان ابن فسوة رجلاً آخر من قومه فأتاه عتيبة فاشترى اللقب منه فقال:

حَوَّلَ مولانا عليه اسم أمنا ... أَلا رُبَّ مولى ناقص غير زائد

ولابن فسوة عقب بالبادية، وكان أخوه أُدَيهم شاعراً، وقد هجاه الفرزدق، وكانت خالة ابن فسوة تهاجي اللعين المنقري فقالت

يذكرني سبالك[2] اسكتيها[3] ... وأنفك بظر أمك يالعين

وهي القائلة:

---

١ ـ شعر زياد الأعجم ص١٧٠ مع فوارق كبيرة.
٢ ـ السبال جمع سبلة، والسبلة: الدائرة في وسط الشفة العليا، أو ما على الشارب من الشعر، أو طرفه، أو مجتمع الشاربين، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها، أو مقدمها خاصة. القاموس.
٣ ـ الأسكتان: شفرِ الرحم أو جانباه. القاموس.

أين اللعين لا أريد غـيره أقبل من رهبي يسوق عيْرَهُ
نحوي فما أحمد نحوي سيره نـايكته فشقَّ بـطني[1] أَيـره

فقال اللعين: أوشقَ أيري بظرها.

ومنهم: غُنيم بن قيس، كان من أصحاب أبي موسى الأشعري، وهو ممن أخذ الدرهمين حين فُتحت الأبلة، وكان غُنيم خطب امرأة خطبها رجل من بني مازن، وخطبها قطري بن الفجاءة فتزوَّجَها الرجل المازني وقال:

دافعتُ عن ليلى خطوباً كثيرة ودافعتُ عن ليلى غُنيمَ بني كعب
ودافعتُ عنها ابن الفجاءة بعدما بدا واضح الأنياب تبرق كالقُلْب

وولد ذُؤيب بن كعب: عامر بن ذؤيب. وعمرو بن ذؤيب. وكاهل بن ذؤيب. ونمير بن ذؤيب. ومازن بن ذؤيب.

وولد عوف بن كعب: نُمير بن عوف.

وولد مالك بن عمرو بن تميم: مازن بن مالك. وغيلان بن مالك. وغسان بن مالك. وأسلم، وأمهم جندلة بنت فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. والحرماز بن مالك، واسمه الحارث، وأمه ابنة سعد بن زيد مناة.

وقال غير ابن الكلبي: أم الحرماز الصَّمَّاء من قُضاعة، وأما غيلان فهو الذي قطع رجل الحارث الأعرج بن كعب بن سعد فوثبوا عليه فقتلوه.

فولد مازن بن مالك بن عمرو بن تميم: حُرْقوص بن مازن. وخُزاعي بن مازن. وَرألان بن مازن. وأنمار بن مازن. ورزام بن مازن. وزَبينة بن مازن. وقال غير الكلبي: وأثاثة بن مازن، وهم قليل.

وذكروا أن رألان بن مازن قتل جَدِّية أم مازن، وهي جنْدَلة بنت

---

١ - بهامش الأصل: بظري.

فهر بن مالك بن النضر لأن أباه قتل أم رألان فقال الشاعر:

لا أرى ثائرا كرألان ... و المرء على كل حالة محمول

فمن بني جابر بن رألان بن مازن: **المفضل بن عاصم** بن عبد الرحمن بن شداد بن أبي محياة بن جابر بن زُبيل بن رألان، وكان يعرف بابن رألان، كان على شرط البصرة زمن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي. وقال بعضهم: هو المفضل بن عروة بن عبد الرحمن، كان على شرط سلم بن قتيبة حين قاتل سفيان بن معاوية المهلبي في أول دولة بني العباس ومات بالبصرة. وقال بعضهم: هو الفضل، والأول قول الكلبي، وأبي اليقظان، وهو الثبت.

وكان عاصم بن المفضل قد ولي شرطة البصرة في أيام خزيمة بن خازم.

ومنهم: فيما ذكر أبو اليقظان: **عُبَيْد بن العَيْزَار**، وكان فاضلاً فقيهاً، وكان يخرج من منزله في ثوبين نظيفين أبيضين، فإذا دخل منزله نزعهما ولبس مسحين واجتهد في العبادة تركاً للرياء.

فولد حرقوص بن مازن: كابية. وعبد شمس. وحُشيش. وزيد مناة.

فمن بني كابية: **قطري بن الفجاءة** بن زيد بن زياد بن حَنْثَر بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو، واسم الفجاءة مازن بن يزيد، وإنما سمي الفجاءة لأنه غاب باليمن دهراً، ثم أتاهم فجأة، فلقب الفجاءة، وكان خارجياً وقد كتبنا خبره ومقتله في كتابنا هذا. وكان قطري يكنى أبا نعامة.

ومنهم **حَبيب بن حَبيب** بن مروان بن عامر بن ضباري بن حُجيَّة بن كابية، أتى النبي ﷺ فسأله عن اسمه فقال: بغيض. فسماه حبيباً.

ومنهم: **هلال بن أحوز** بن أربد بن محرز بن لأي بن سُمَير بن ضباري بن حُجيَّة بن كابية، كان مسلمة بن عبد الملك وجهه في طلب بني المهلب بقندابيل فقتلهم، وبعض ولده بخراسان.

وأخوه **سلم بن أحوز** كان على شرط نصر بن سيار بخراسان، وهو الذي قتل جَهم بن صفوان الجَرْمي صاحب الجهمية بمرو، وقتل يحيى بن زيد بن علي بالجوزجان، وقتل مُدرك بن المهلب، ثم قُتل بعد بجرجان حيث قدم عليه قحطبة من قبل أبي مسلم، فقتل من بها، وهزمهم.

وكان هلال يكنى أبا بشير، ومات بالشام فصلى عليه هشام بن عبد الملك، وله ولد بالبصرة.

ومنهم: **مالك بن الرَّيْب** بن حَوْط بن قُرط بن حُسَيل بن ربيعة بن كابية بن حرقوص، صحب سعيد بن عثمان بن عفان إلى خراسان، ومات بها وهو القائل:

لعمري لئن غالت خراسان هامتي ... لقد كنت عن بابي خراسان نائيا

وقال أبو اليقظان: كان مالك بن الريب لصاً، وخرج إلى خراسان مع سعيد بن عثمان بن العاص، فلما مرض للموت قال:

لعمري لئن غالت خراسان هامتي ... لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية إني مقيم لياليا
وخطًا بأطراف الأسنة مضجعي ... وَرُدًا على عينيَّ فضل ردائيا
ولا تمنعاني بارك الله فيكما ... من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا
رهينة أحجار وبثر تضمنت ... قرارتها مني العظام البواليا

في أبيات.

ومنهم: **خُفاف بن هُبيرة** بن مالك بن عبد يغوث بن سنان بن كابية، كان أشد فارس خرج من خراسان في دولة بني العباس، وكان مع عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، وخالف معه، ثم ظفر به أبو جعفر المنصور فقتله، وقد ذكرنا خبره فيما تقدم.

ومنهم: **سعيد بن مسعود** بن الحكم بن عبد الله بن مرثد بن قطن بن ربيعة بن كابية، كان شريفاً وولاه عدي بن أرطاة الفزاري عُمان، وولي أيضاً صدقات بكر بن وائل.

وقال أبو اليقظان: كان سعيد يكنى أبا الزبير، ولي صدقات بكر للحجاج، وولي عُمان لعدي، فضرب رجلاً من الأزد خيراً[1]، في ناقة كانت للأزدي مائة سوط، فأتى الأزدي عمر بن عبد العزيز فاستعداه، وأنشده شعر كعب الأشعري:

إن كنت تحفظ ماوُليتَ فإنما ... عمال أرضك بالعراق ذئاب
لن يستقيموا للذي تدعو له ... حتى تقطع بالسيوف رقاب
بأكف منصلتين أهل بصائر ... في وقعهنَّ مواعظ وعقاب
لولا قريش نصرها ودفاعها ... ألفيتَ منقطعاً بك الأسباب

فكتب عمر إلى عدي: «إن تولتيك سعيد بن مسعود بليَّة، وقَدَرٌ قَدَّرَه الله عليك، فابعث إليه من يعزله ويحمله إليّ ففعل فأراد ضربه فقال قمير بن سعيد بن مسعود ابنه: أنا الذي ضربت الرجل، فضرب مائة سوط، فقال سعيد لابنه قمير، وكان يُسمى عبد العزيز: ياعبد العزيز أصرر أذنيك

١ ـ كثير الخير. القاموس.

إصرار الفرس الجموح؛ وعض على ناجذك واذكر أحاديث غد. وقد كتبنا هذا الخبر في أحاديث عمر بن عبد العزيز.

وقال الشمردَل بن شَرِيك يمدح بني الحكم:

ماقصر المجد عنكم يابني حكم ... ولا تجاوزكم يا آل مسعود

إن تشهدوا يوجد المعروف عندكم ... سهلاً وليس إذا غبتم بموجود

وأم قُمير بن سعيد ابنة مُرَّة الكَتّان، وكان قمير يكنى أبا الهذيل وكان جلداً، وهو أوثق بلال بن أبي بردة وحمله إلى يوسف بن عمر.

وكان هَدّاب بن مسعود أخو سعيد، وأمه أم ولد، من وجوه بني مازن.

وكان عمرو بن هداب، وأمه أم هاشم بنت عبد الله بن مسلم الباهلي، وكان عمرو يكنى أبا أسيد، ولي فارس لمنصور بن زياد، ولخازم بن هداب عقب بالأهواز[1].

ومنهم: مرة بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن مرثد بن قطن بن ربيعة بن كابية، الذي يقال له مرة الكتان، كان شريفاً، وكان يلبس الكتان، فأضيف إليه، وكان مع المهلب فقتلته الخوارج أيام قطري، فلما أُتي برأسه بكى فقيل له: ياأمير المؤمنين أتَبكي على رجل من أهل النار؟ فقال: على أهل النار فليبك الباكون، وله ولد بفارس يقال لهم بنو خِداش بن زهير بن مرة.

وقال أبو عبيدة: كان مرة الكتان مع عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد حين قتل.

---

١ ـ بهامش الأصل: بلغت معارضة بالأصل الثالث من أول الكتاب، ولله الحمد.

ومنهم: **شعبة بن القِلْعِمْ** ـ مخفف ـ وبعضهم يقول: القِلْعِمّ ـ فيشدد الميم ـ بن خفاف بن عبد يغوث بن سنان بن ربيعة بن كابية بن حرقوص، كان شريفاً في زمن زياد، وكان لسناً، وبعثه الحجاج إلى عبد الملك ومعه مال، فهلك بالشام.

فولد شعبة: عبد الله. وعمر. وخالداً.

قال أبو الحسن المدائني: نظر الأحنف إلى خيل لبني مازن فقال: هذه خيل قلما تُدرك بالثأر، فقال شعبة: أما في أبيك فقد أُدركت بثأرها، فقال الأحنف: لشيء ما قيل: دع الكلام للجواب، وكانت بنو مازن قتلت قيساً أبا الأحنف فقال البَلْتَع:

هم منحوا قيساً صدور رماحهم   فَأَتْلَفْنَهُ والحارث بن خِلاس

وقتل قيس يوم تَيَّاس.

وقال عبد الله بن شعبة حين احتضر: إنَّ عليّ ديناً، فلا تقضوه، فإن لي ذنوباً أعظم من الدين فما أحسن حالي إن بُلغ بي إلى الدين، اللهم إن تغفر تَغْفِرْ جَمّاً.

وأبو الهمهام أخو شعبة بن القِلْعِم وكان جافياً.

حدثنا المدائني قال: لما قدم عبد الله بن عامر بن كريز البصرة والياً، أيام عثمان رضي الله تعالى عنه صعد المنبر فأرتج عليه فاغتم، فلما كانت الجمعة الأخرى قال لزياد: مُرْ بعض هؤلاء يتكلم، فقال لأبي الهمهام المازني: قم فتكلم وكان جافياً فصعد المنبر فقال: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض في ستة أشهر، فقيل له: إنها ستة أيام. فقال: ما عَظَّمْتُ من عظمة الله وأمره فهو أفضل.

وولاه الحجاج فرات البصرة، فاجتمع إليه أهل البلد لينظر في أمر خراجهم فقال: لستُ من همتكم في شيء، ولابد أن تقشعوا عن جلال[1] من تمر، وقطف بيض لأم الهمهام. فأوقروا له سفينة تمراً، وأعطوه عشر قطائف، فترك عمله، وانصرف إلى البصرة.

وكان **خالد بن شعبة** جميلاً، فكان الحجاج يعجب من جماله وبيانه، وكان أيضاً يعجب بأخيه عمر.

وولد خزاعي بن مازن: جُلّ. وحُجر. وربيعة. وصُعَيْر. منهم: عباد بن علقمة بن جعفى بن أبي رومي بن حُزابة بن صُعير بن خزاعي، وهو الذي يقال له عباد بن أخضر، وأخضر زوج أمه، بعثه عبيد الله بن زياد إلى بلال بن مرداس فقتله وأصحابه بفارس، فلما انصرف عرض له ناس من الخوارج بالبصرة فقتلوه، وقد ذكرنا خبره، وقال الشاعر:

لقد كان قتل ابني شُمَيْر خيانةً كما قال ذؤبان العراق ابن أخضرا

وقيل انه قتله قوم من أهل البصرة، وقيل قتله الخوارج. وكان عباد بن عباد سرياً وفيه يقول اللعين:

أَعَبَّادُ إنَّا إنْ نَزُرْكَ فطالما سَمَا لَكَ بيُّوتُ الهمومِ الطوارقِ

وقال آخر:

لاخير في نائل الفتيان تسألهم إلا سؤالك عباد بن عباد

وكان معبد بن علقمة أخو عباد شاعراً، وقتل قاتل أخيه مع ناس من قومه، وكان مالك بن الريب حبس في سرف بمكة فأخرجه بجاهه، وكان

١ ـ الجلال: أوعية من خوص. وقشع القوم: فرقهم،وأقشعوا تفرقوا. القاموس.

٢ ـ سرف: موضع على ستة أميال من مكة. معجم البلدان.

لمعبد تَيْسٌ يُطْرِقه فقال حارثة بن بدر:

يظل التيس عندكم مصوناً لينـز بـه إذا مـا يُستعـار

فقال معبد:

ألم تـر أنَّ حارثـة بن بدر يُصلّي وهو أكفـر من حمار
وأن المال يَعْرف من بغـاه وتعـرفـك البغـايـا والعقــار

ومنهم: **حاجب بن ذبيان**، الذي يقال له حاجب الفيل، كان فارساً شاعراً من فرسان خراسان، وكان ضخماً فشُبِّه بالفيل في عظمه، وهو القائل في أمر اللُّهابة ـ ويقال اللَّهابة ـ حين أخذت من بني فقيم ودفعت إلى بني كعب من بني العنبر في أبيات:

أحنظل إني لم أجد لدليلكم يداً في بني كعب تُعينُ ولا رجلا
هم دفعوكم عن تراث أبيكم فلم ترثوا خيلاً ولم ترثوا إبلا

وبنو ناشرة، من بني أسد من بني كابية فيها يقال، قال الشاعر:

أنتم بنو كابية بن حُرقوص كلكم هـامته كالأفحوص[1]

ومنهم: **مخارق بن شهاب** بن قيس، كان شاعراً فارساً في الجاهلية. وأغار قوم من بني يربوع، ويقال من بني بكر بن وائل، على إبل لابن المكعبَر الضبي، فاستغاث بمخارق، فقال له: والله ماأنت لي بجار، فاطلب إبلك فانصرف عنه فجعل مخارق يبكي، فقالت له ابنته: مايبكيك؟ قال: جاءني رجل من شُعراء العرب فسألني إغاثته فأبيت، فأخاف أن يهجوني. قالت: فأغثه. فاستنجد بني رزام بن مازن فأجابوه، فأدرك إبله وردها عليه. وقال المخارق لرزام حين أنجدوه:

---

١ ـ الأفحوص: مجثم القطا في التراب. القاموس.

لنعم بنو الهيجا رزام بن مازن إذا أنا من خوفٍ شددتُ بهم أزري

وقال أيضاً:

لَعَضَّ الذي أَبْقَى المواسي من امه خفيرٌ رآها لم تُشَمِّر وتغضب

في أبيات. وقال محرز بن المكعبر:

فهلا سعيتم سعي عصبة مازن وهل أنتم والأكرمون سواء

لهم أذرعٌ بادٍ نَوَاشر لحمها وبعض الرجال في الحروب غثاء

كأنَّ دنانيراً على قسماتهم وإن كان قد شَفَّ الوجوه لقاء

وقال ابن المكعبر:

لولا الإله ولولا سعي كالئها وابنا شهابٍ عفا آثارَهَا المَوْرُ[1]

ومن بني خزاعي بن مازن: **مازن بن جحش** بن عيثان، رئيس بني عمرو بن تميم يوم الدفينة، حين أغاروا على بني سُليم، فأصابوا بني رِعْل، فقال حاجِب بن ذبيان:

بنو مازنٍ قومي ومن يَكُ فاخراً بأيام قومي مازن لايكذب

في أبيات.

وولد أنمار بن مازن: وهب بن أنمار. فولد وهب: عُرفطة. و أُذَبَة.

فولد عُرفطة: سَيّار بن عرفطة. ومعاوية بن عرفطة. ومُرَيْط بن عُرفطة.

منهم: **أبو عَفراء، وهو عُمير بن سنان** بن عمرو بن الحارث بن سيار بن عُرفطة بن وهب بن أنمار، كان شاعراً، وكان مع عبد الله بن عامر بن كُريز بسجستان حين ولاه إياها القباع، في أيام ابن الزبير، فقاتل رَتبيل، فتولى أبو عفراء قتل رتبيل بيده فقال:

---

١ - المور: الموج والاضطراب. القاموس.

فلولا ضَرْبَتي رَتْبِيْل فـاظَتْ   أَسَارى منكُمُ قَمْلَى السِّبَال
دَلَفْتُ له برِجْل العنز لما   تـواكلت الفوارس والـرجال
لأورث مَجْدَهَا أبداً تميماً   إذا عُـدَّ المآثـر والفعـال

قال: ورِجْل العنز سيفه، كان فيه أعوجاج، ويقال كان شبيهاً بالسيف من حجارة، وكان يشبه رجل العنز، ويقال كان عموداً يشبه رجل العنز، وقال بعضهم: كان فرساً وذلك باطل؟

وقال ابن الكلبي: كان مع ابن سمرة، والأول أثبت.

ومن بني زيد مناة بن حرقوص بن مازن: **عقبة بن حرب** بن عبد الله بن مَرْثد بن أُبيّ بن زيد مناة بن حرقوص كان من فرسان خراسان في دولة[1] بني العباس وكان قائداً.

ورثاب بن شداد بن عبد الله بن مرثد بن أبيّ بن زيد مناة بن حرقوص، كان من فرسان خراسان، وحوصر بنهاوند فتدلَّى من مدينتها ليلاً وقد لبس السلاح فنجا.

ومنهم: **سَوَّار بن الأشعث**، كان يلي سجستان، وغَلب عليها في أيام الفتنة، هذا قول ابن الكلبي:

وقال أبو اليقظان: كان سوّار من أشجع الناس وغَلب على سجستان في أيام الفتنة فقال:

يدعون سَوّاراً إذا حمس الوغى   ولكـل يـوم كـريهـة سَـوَّار

وقتله بحير بن سَلْهَب العجلي بسجستان، ولقبه بُحَيّر، وهو الذي يقول:

---

١ - بهامش الأصل: خ - دعوة.

الأنْكَـدَان مـازن ويـربـوع   ها أنَّ ذا اليوم شرٌّ مجموع

وقال علي بن محمد أبو الحسن المدائني: ولى خالد بن عبد الله القسري الأصْفَح بن عبد الله الكلبي سجستان، فلما قدمها تهيأ للغزو، فأشار عليه البعّار التيمي ألا يفعل، وقال: ليس هذا بوقت غزو، فانتظر يأت وقته، فقال: إنك قد خرفت، وسار حتى دخل الشِّعْب الذي يُعرف بشعب الأصفح، وجبل الأصفح، فأخذوا عليه بالشعب، فقتل الأصفح والناس، وأسر سوار بن الأشعر المازني، فقال سوار بن الأصفح:

يا أصفح الخير من للمعتفين غداً   إذ غال نفسك والجود المقادير
ومَنْ لِعَانٍ أسيرٍ لافكاك له   إذا تـأَوَّه غَنَّتْـهُ المسـامـير
مُخَرَّقُ الجلد منَ وقْع السلاح به   وفي المحامين يوم الروع شمِّيرُ
ليت المنية كانت بيننا قُسِمَتْ   بالشِّعْبِ يوم تُناديكَ الغواوير[1]

في أبيات. وتخلص سوار، فلما قتل الوليد بن يزيد، ووقعت الفتنة، وَلَّى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل يزيد بن الوليد الناقص على العراق: حرب بن قطن الهلالي سجستان، فمكث شهرين والياً، ثم خرج كراهة الفتنة، وولي سجستان بعده سوار بن الأشعر، فقاتلت بكر بني تميم، وقالوا: ليس سوار بوالٍ. وبعثوا إلى عبد الله بن عمر ليبعث إليهم والياً من قبله، فبعث إليهم سعيد بن عمرو الأعور، وهو سعيد بن عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص الأموي، فرضيت به بنو تميم وأبته بكر، وخرج خارجي من بكر بن وائل بخيل الأصفح فقتله رجل من قريش، وجاء برأسه إلى الأعور، فأمر به فقتل، وضرب عنق رجل من بني تميم فاجتمعت عليه تميم

١ - الغار: الجمع الكثير من الناس، والجيش. القاموس.

وبكر، وقالوا: أخرج عنا وجمعوا له نفقته، فخرج عنهم، وافتعل بُحير وهو بُحير بن السلهب العجلي عهداً على لسان عبد الله بن عمر على سجستان وكرمان، فوقع الشر، فاقتتلت تميم وعليها سوار بن الأشعر وبكر وعليها بُحير بن السلهب ثم تفرقت تميم عن ابن الأشعر فَحُصر، وقيل ان رجلاً من كلب أقبل في أربعمائة من أهل الشام من السند إلى سجستان، فبعث إلى سوار: إئذن لنا نكن معك، فأذن لهم، فاستمال بُحير بن سلهب كلباً، وجعل للرجل الكلبي مالاً، وصار إليهم بُحير في الليل متنكراً، فطرقوا سواراً في ليلة جمعة في دار الإمارة فقتل، واصطلح الناس وأمنوا. وقال أبو جلدة وكان مع بكر:

قَـرِّبي ياحُـلَيُّ ويحك درعي ... لَقَحَتْ حربُنا وحـرب تميم
إخوة فرشوا الذنـوب علينا ... من حديث من دهرنا وقديم
ليس من خام عن قراع المنايا ... حين أَبْدَتْ عن ناجذ بكريم
طلبـوا صلحنا وَلاتَ أوانٍ ... إنَّ مايطلبـون عند النجـوم

في أبيات.

وكان لابن الأشعر أربع وتسعون سنة.

ومنهم: **شُعبة بن عثمان** بن كُرَيم بن عمرو بن قَهْزمة بن خيثمة بن وقاص بن بادية بن زيد مناة بن حرقوص، وهو الذي وجهه عبد الله في طلب مروان بن محمد الجعدي.

وقال أبو اليقظان: من بني حرقوص: **خيثمة بن مشْجَعَة**، ويكنى أبا مطر، وأتى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فحمل عليه بالدِّرة فهرب

من بين يديه، فقيل له لم هربت؟ فقال: وكيف لا أهرب من بين يدي من يضربني ولا أضربه.

ومن بني خزاعي بن مازن: **زهير** ـ ويلقب السكب ـ **بن عروة** الذي يقول وكان جاهلياً قديماً:

إذا الله لم يَسْقِ إلا الكرام فأسقى الإله بني حنبل
مُلِتًّا هَزيماً دَرير السحاب شديد الصلاصل والأزمل
تُكَفكِفُهُ بالعشيِّ الجنوب وتُفْرِغُه هُدَّةُ الشَّمْأَل
كأنَّ الرباب دُوَيْنَ السحاب نَعَام يُعَلَّقُ بالأرجل

وقال غير أبي اليقظان: ليس هذا البيت الأخير له.

وفيه يقول حُريث بن سلمة من ولد صعير بن خزاعي:

أنا ابن مُخَفَّض والسَّكب خالي وما أنا من بني رجْل الحمار

ومن ولد خزاعيّ: **حُريث بن مُخَفّض** الذي يقول:

ألم تَرَ قومي إنْ دُعُوا لِمُلِمَّةٍ أجابوا وإن أغضب على القوم يغضبوا

ومن ولد السَّكْب: **النَّضْر بن شُميل** بن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن عبدة بن زهير السَكب، وكان صاحب قرآن وحديث، وهو من غلمان أبي عمرو بن العلاء.

قال ومن بني خزاعي: **عمار بن العُريان**، وابنه العلاء، ومعاوية، فأما معاوية فكان سرياً وولي ولايات في أيام الحجاج، وقتله يزيد بن أبي مسلم، صاحب الحجاج في العذاب ولاعقب له.

واما العلاء فولد: **أبا عمرو**[1]، وأبا سفيان. فأما أبو عمرو فكان عالماً

---

١ ـ بهامش الأصل: أبو عمرو بن العلاء.

بالعربية وقرأ القرآن على عبد الله بن كثير المكي، وقد ختم على مجاهد ختمة. وكان عبد الله بن كثير من غلمان مجاهد، وكان أبو عمرو يسمى زيَّان بن العلاء، وقال الفرزدق:

ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار[1]

وكان أبو عمرو يقول: لقد علمت من أمر القرآن ما لو كُتب وحمله الأعمش ماقَويَ على حمله.

وكان خرج إلى الشام يريد عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام، فمات بالطريق، ولأبي عمرو عقب بالبصرة.

وأما **أبو سفيان بن العلاء** فكان سرياً، وكان يقول: من لايحفظ أخاه بعد موته لايحفظه في حياته، وكان يجري على عيال قوم من إخوانه بعد موتهم وكان صديقاً لابن المقفع، وفيه يقول الشاعر:

إلى أبي سفيان في قيابه[2] جُبْنَ سواد الليل في جلبابه

إليك ياخير فتى يُعنى به

وله عقب بالبصرة، ومن الناس من يقول أن العلاء مولى لهم.

قال ومن بني رِزام بن مازن: **قَسامة. وعُقبة ابنا زهير** فأما قسامة بن زهير فكان من فقهاء أهل البصرة، وقتل بعُمان مع القاسم بن سِعِن السعدي وله عقب بالبصرة. وأما عقبة بن زهير أخو قسامة بن زهير فكان من فرسان بني تميم، ويكنى أبا عون وفيه يقول الشاعر:

قَبَحَ الإله عصابة وَلَحَاهُمُ تركوا وراءهم أبا المختار

---

١ - ليس في ديوانه المطبوع.

٢ - المتقوب: المتقشر، والذي سلخ جلده من الحيات. القاموس.

حاشا الغلام المازني فإنه   يوم الحفيظة خلفهم كرار

ومنهم : **هلال بن الأشعر** ، كان أكولاً ، زعموا أنه أكل بكراً، إلا ما حمل منه على ظهره .

قال ومن بني زَيينة بن مازن : **عاصم بن جُويرية**، وكان يكنى أبا يسار ، وكان سيداً في الجاهلية وفيه قال[1] الشاعر:

وما شهد ابن شعبة ذات غَوْل   ولا بالجوع جمع أبي يسار
وأنت على خوانك مُجْرَهِدٌّ[2]   شديد اللقم مسترخي الإزار

ابن شعبة : يعني عبدالله بن شعبة بن القِلعم المازني .

قال : ومن بني حُرقوص: شَرْسَفة بن خليف كان فارساً فقتل رجلاً من بني يشكر يقال له إساف ، فقتله بنو يشكر به، فقال بعض اليشكريين:

هل فوق فضل إساف فضل سيدكم   شَرْسَفَّةَ بن خليفٍ مُوقد النار

وكان الحارث بن معاوية بن شرسفة من رجال بني تميم، وكان على مقدمة سلم بن زياد حين ولي خراسان، ومات بالبصرة.

كان عبد الكريم بن عبدالله بن الحارث بن معاوية بن شرسفة رئيس بني تميم أيام أغزى أمير المؤمنين أبو جعفر الديلم، وله عقب بالبصرة.

قال ومن بني حُشيش بن حرقوص ، ويقال ان اسم حرقوص معاوية: **كثير بن شِنظير**، وكان يروي عن الحسن بن أبي الحسن البصري.

قال ومن بني حرقوص: الغُطَرَّق[3]، وهو الحصين بن كدير. ونويرة بن وضاح بن كُدير. فأما الغُطَرَّق فَولاه الحكم بن أيوب الثقفي عامل الحجاج

---

١ ـ بهامش الأصل: يقول.
٢ ـ الجرهد: السيار، النشيط، القاموس.
٣ ـ تقدم خبره في ج ٧ ص ٣٢٣ ، واسمه هناك «العظرت» وسير ذكره ثانية في ٥٧٦٩ .

سفوان، وركب إليه الحكم يوماً ودعا بغدائه الذي حمل معه، وحضر الغُطَرَّق فتغدى معه، وأُتي الحكم بدراجة وكان بخيلاً فانتزع الغُطَرَّق فخذها فناوله غلاماً له يقال له واقد، فعزله الحكم واستعمل نويرة فقال نويرة:

قد كان بالعِرق صيد لو رضيتَ به فيه غنىً لك عن دراجة الحكم
وفي عوارض لاتنفك تأكلها لو كان يشفيك أكل اللحم من قَرَم
وفي وطابٍ مملاة مثممة[1] فيها الشفاء الذي يشفي من السقم

فعزل الحكم نويرة وولى المُحلِّق الضبي فقال نويرة:

أبا يوسف لو كنت تعلم طاعتي ونصحي إذن مابعتني بالمحلق
ولا اعتلَّ سَرَّاق العرافة صالح عليَّ ولا حُمِّلْتُ ذنبَ الغُطَرَّق
وما جعل البازي الذي بات طاوياً إلى خَرَبٍ[2] رخو الجناحين مرهق

ولا عقب لنويرة.

ومن بني حرقوص: **سعد بن قَرْحاء**، من سادة بني مازن، وكان الأحنف إذا غاب عن بني تميم كان مكانه، وكان يقال له: رِدف. وله عقب.

ومن بني عبشمس بن حرقوص: **صالح بن كُدير**، وكان رئيساً ولاه الحجاج بيت المال وكان يسميه قفل الأمانة، وله عقب.

ومن بني مازن: **أوفى بن مطر**، كان مثل سليك والمنتشر يغير راجلاً ولايُلحق، وخرج أوفى في عدة من أصحابه فلقوا أعدادهم من بني أسد فشغل كل واحد بقرنه، فجرح أوفى فظنوا أنه قد مات ثم زحف وكان قد نُعي فقال:

---

١ ـ ثمم: الطعام أكل جيده. القاموس.
٢ ـ الخرب: ذكر الحبارى. القاموس.

ألا أبلغا خُلتي جابر ... بأن خليلك لم يقتل
تخطأت النبل أحشاءه ... وأُخرٍ يومي فلم يُعجل
إذا ما أتيت بني مازن ... فلا تَفْلِ رأساً ولا تغسل
فليتك لم تك من مازن ... وليتك في البطن لم تُقْبَل

وولد الحرماز بن مالك بن عمرو بن تميم: بكر بن الحرماز. ونُكرَة بن الحرماز. وحَدْحَد بن الحرماز. وعبد الله بن الحرماز. وجشم بن الحرماز. ومحمد بن الحرماز.

فولد عبد الله بن الحرماز: هُبَل. وأهضم. وجَنْب.

فولد جَنْب: غضبان بن جنب.

فولد غضبان: مُحَاشن.

وولد حدحد بن الحرماز: حُرقة.

فولد حُرقة: مالك بن حُرقة. وهلال بن حرقة.

وولد بكر بن الحرماز: ذؤيب بن بكر. وعمير بن بكر.

فولد عمير بن بكر: أسود بن عمير.

فولد أسود: صُدَيّ بن أسود.

فمن بني الحرماز: **عبدالله الأعور الكذاب**، وكان شاعراً وهو القائل:

لست بكذاب ولا أثّام ... ولا عبّام[1] ولا مصرام
ولا أحب خلة اللئام ... ولا أكول خبث الطعام
صمام عن ذلكم صمام ... إني لما يشتكى عرامي
لما يخاف صولة اللهام

---

١ ـ العبام: العي الثقيل. القاموس.

وهو القائل لمنذر بن الجارود:

يا بن المعلَّى أجحفتْ إحدى الكبر   أنت لها منذر من بين البشر
قد أهلكت إن لم تُغَيَّر بِغِيَرْ   إليك أشكو حاجتي ومفتقر

في أبيات. وقال أيضاً:

يا حكم بن المنذر بن الجارود   سرادق المجد عليك ممدود
أنت الكريم والجواد المحمود   والعود قد ينبت في أصل العود

وقال في بني الحرماز:

إن بني الحرماز قوم فيهم   ظلم وإبرار على أخيهم
فاصبب عليهم شاعراً يخزيهم   يعلم فيهم مثل علمي فيهم

وكان **جابر بن جحدر** سيد بني الحرماز بالبادية وله عدد بها كبير.

وكان منهم: **سبرة بن يزيد**، وقال بعض شعرائهم:

لبعض جبال الثلج ألين جانبا   لمختبط من سبرة بن يزيد

وولد غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم: **عمرو بن غيلان**.

فولد عمرو: **عوف بن عمرو**.

فولد عوف: **بُرمة بن عوف**.

فولد بُرمة: **جابر بن برمة**. وغُنيم بن برمة.

وقال ابن الكلبي: ومن بني مالك بن عمرو بن تميم: فراس. ووحشي ابنا شعبة بن شماس، وليا سجستان لزياد ولابنه عبيد الله بن زياد.

وقال غير الكلبي وأبو اليقظان أيضاً: من ولد غسان بن مالك بن عمرو بن تميم:

صفوان بن محرز[١] بن زياد العابد، وقد انقرضوا فلم يبق منهم أحد. ومات صفوان بن محرز أيام ابن زياد بالبصرة ولاعقب له. وكان صفوان يعرف بالمازني، وكان نازلاً فيهم.

وحدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي في إسناده عن صفوان بن محرز المازني أنه قال: كنت امرأً شاعراً، ثم أقبلت على القرآن وتعلمته. قال: وكان لصفوان سَرَبٌ يصلي ويبكي فيه.

حدثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال: قال صفوان بن محرز: إذا أتيت أهلي فقرّبوا إليّ رغيفاً فأكلته وشربت عليه من الماء فعلى الدنيا العفاء.

قالوا: وكان لصفوان خص مائل فقيل له لو دعمته فقال: أدعمه وأنا أموت غداً؟

قالوا: وأخذ ابن زياد ابن أخ لصفوان فحبسه في السجن فتحمل عليه بقوم من الوجوه فلم يجب إلى إخراجه، فقال صفوان: لأطلبنّ خلاصه فلم يقدر عليه، فتوضأ وصلى ودعا، فلما كان في الليل رأى ابن زياد رؤيا هالته، فدعا بصاحب شرطته وأمره بفك حديد ابن أخي صفوان وإخراجه، فأخرج من ساعته.

قالوا: وكان صفوان إذا قرأ: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[٢] بكى ونشج حتى كاد يموت.

قالوا وكان يصبح فيقول: لاأمسي فيجتهد، ثم يُمسي فيقول: لاأصبح

---

١ ـ بهامش الأصل: صفوان بن محرز.

٢ ـ سورة الشعراء ـ الآية: ٢٢٧ .

فيزداد اجتهاداً في العبادة. وكان يقول: لو تهدد أحدكم السلطان بضرب أو حبس لم ينم ليله خوفاً فكيف بعذاب الله الذي أوعده من عصاه؟ ثم يخر مغشياً عليه. ومات في ولاية بشر بن مروان.

وقال أبو اليقظان: من ولد غيلان بن مالك: عاصم بن دُلف، ويكنى أبا الجرباء، شهد فتح تستر مع مجزأة بن ثور، وشهد يوم الجمل، فقتل يومئذ، وكان مع عائشة، رضي الله عنها وهو القائل:

أنا أبو الجرباء واسمي عاصمْ فاليوم قتلى وغدا مآتم

وولد الهجيم بن عمرو بن تميم: عمرو بن الهجيم. وسعد بن الهجيم. وعامر بن الهجيم. وربيعة بن الهجيم وأنمار بن الهجيم.

فولد عمرو بن الهجيم: الحارث بن عمرو. ومعاوية بن عمرو، ويدعون الحبال. وبُلَيل بن عمرو، وهو قُتَلُ[1]. قال:

وذي نسب ناء بعيد وصلته وذي رحم بللتها ببلالها

فسمي بُلَيلاً:

وقال أبو عبيدة: هو بلال. وغسان بن عمرو بن الهجيم. يقول جرير:

وبنو الهجيم قبيلة ملعونة حصّ اللحى متشابهوا الألوان
لو يسمعون بأكلة أو شربةَ بعُمان أصبح جمعهم بعُمان
يتوركون بناتهم وبنيهم يتناعقون تناعق الغربان[2]

وولد الحارث بن عمرو: مُليح بن الحارث. وجُشم بن الحارث وهو

١ - بهامش الأصل: بضم القاف وفتح التاء.
٢ - ديوان جرير ص٤٧٩ دون البيت الثالث.

البَدْل. وجذيمة بن الحارث. منهم: الهُملَّع بن أعفر الشاعر الذي خطب إليه الزبير بن العوام، فرده وقال:

إني لسمح البيع إن صفقت لها ... يميني وأمست للحواريّ زينب

وولد سعد بن الهجيم: ثعلبة بن سعد. والحارث بن سعد. وعرعرة بن سعد. ومُرّن[1] بن سعد.

فولد ثعلبة: عبدة بن ثعلبة. وحييّ بن ثعلبة. وبشر بن ثعلبة. وعامر بن ثعلبة.

منهم: الحكم بن نَهيك، ولي كرمان للحجاج بن يوسف، وقتل عمرو بن سلمة بن الحكم بن نهيك، وكان مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن، قتله عقبة بن سلم، وكانت له ابنة يقال لها نَهيكة، وبعضهم يقول بَهكنة.

وولد ربيعة بن الهُجيم: أوس بن ربيعة. وعوضة بن ربيعة. وجعفر بن ربيعة. منهم أوس بن غَلْفَاء، وغلفاء هو ربيع بن أوس بن ربيعة بن الهجيم الشاعر في الجاهلية، وهو الذي قال يرد على يزيد بن الصعق حين قال:

ألا أبلغ لـديـك بني تميم ... بـآيـة مـايحبـون الـطعـامـا

فقال:

فإنك من هجاء بني تميم ... كمزداد الغرام من الغـريم

وهم مَنُّوا عليك فلم تُثِبْهُم ... ثواب المرء ذي الحسب الكريم

---

١ - بهامش الأصل: خ ـ مُرّان.

وكان بنو عمرو أسروه بضَلْفَع[1] فقال الشاعر التميمي:

تركت النهاب لأهل النهاب وأكرهت نفسي على ابن الصعق
جعلت ذراعي وشاحاً له وبعض الفوارس لا يعتنق

ويقال انهم أسروا زرعة بن الصعق.

وولد أنمار بن الهَجيم بن عمرو بن تميم: عمرو بن أنمار. منهم جُريَّة وهو كعب بن أوس بن عبدالله بن حديدة بن عمرو بن أنمار سيد بني الهجيم، وكان فارسها في الجاهلية.

وولد عامر بن الهُجيم: رُضيّ بن عامر. وحبيب بن عامر، وهو غيث.

ومن بني الهجيم في رواية ابن الكلبي: **قيس بن البهيم**، وكان أسر زرعة بن الصعق في غارة لبني كلاب على بني عمرو بن تميم فقال:

تركت النهاب لأهل النهاب وأكرهت نفسي على ابن الصعق
جعلت ذراعي وشاحاً له وبعض الفوارس لا يعتنق

وهذه الرواية خلاف الأولى:

ومنهم **واصل بن عُلَيم**، ولي اصطخر لأبي جعفر المنصور أمير المؤمنين، وكان شريفاً.

وقال أبو اليقظان: من بني الهُجيم: **الترجمان**، ويزعمون أنه كان يترجم لكسرى، وولده يعابون بذلك.

فولد الترجمان: **نَهيك**، وكان نهيك نبيلاً شريفاً، وشهد مع مروان بن الحكم يوم مرج راهط، وكان عمر بن الخطاب ولاه ولاية.

فولد نهيك: **الحكم بن نهيك** ولاه الحجاج كرمان.

ومن بني سعد بن الهجيم: **سهم بن غالب الخارجي** وقد كتبنا خبره فيما تقدم.

١ ـ ضلفع: اسم موضع باليمن، وقيل ضلفع: قارة طويلة بالقوارة، وهي ماء وبها نخل من خيار دار ليلى لبني أسد بين القصيمة وسادة. معجم البلدان.

قال: ومن بني الهُجيم: سليم بن عبيد شهد الجمل مع عائشة، وكان ابنه الحارث بن سليم، ويكنى أبا خالد، من سادة بني تميم سخاء وكرماً ونبلاً، وهو الذي يقول فيه رؤبة:

إنك ياحارث نعم الحارث[1].

وكان على مقدمة هلال بن أحوز حين بُعث إلى آل المهلب وهم بقندابيل، ومات بالبصرة ولاعقب له.

قال: ومن الحبال من بني الهجيم: أبو ثور الشاعر، وفيه يقول الفرزدق.

أخافُ الجماحَ من عجوز كبيرة وعند أبي ثور ثلاث روائم[2]

وقال أيضاً:

إذا ما دخلتُ الدار داراً أحبها فدار أبي ثور عليَّ حرام
إذا ما أتاه الزَّوْرُ ظَلَّ يُعِلُّهُ نبيذاً جَبَالياً بغير طعام[3]

ومن بني غيث: الأخرم، وكان سيداً في الجاهلية، وتزوج ابنة رَحَضة بن قُرْط العنبري، فولدت له عبد الله بن الأخرم وكان سيداً فقال لها في الجاهلية: غَنيِّ، فقالت: إن الحرَّة لا تغني. فقال لها: يا بنة رحضة غني فقالت:

لستُ من الغيثين غيث بن عامر ولاغيث مخزوم الدعيّ لغالب
ولكنني من عصبة عنبرية مُعاودة قِدْمَاً قراع الكتائب

١ ـ ديوان رؤبة بن العجاج ص٢٩ .
٢ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع.
٣ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص٣٠٣ .

قال ومنهم: **سليم بن سعيد**، كان سخياً مطعاماً، ونزل البصرة في أول الزمان، وهو الذي يقول لامرأته بَرْزة:

فكيف بذي القربى وذي الرحم والذي ... أتـاني لمـا لم يجـد متـأخـرا
لأجـبر منـه عـظمـه أو أريْشَـهُ ... وقد جاءني يا بَرْزُ أشعثَ أغبرا

فقالت:

زمان لعمري عَضَّ بالناس عارقٌ ... على العظم معذور به من تَعَذَّرا

ومات بالبصرة ولا عقب له:

ومن بني الهجيم: **عدي بن نوفل**، نعى رجلاً من قومه إلى أبيه فقال أبوه:

إن الذي ينعى عدى بن نوفل ... فتى كان في الظلماء أروع ماضيا
أرى الموت يفنينا قروناً ولا أرى ... قرون لئام الناس إلا كما هيا

ومنهم: **حنظلة بن حُباشة**، كان من فرسان بني تميم بالبصرة وخراسان زمن الحجاج، وله عقب بالبصرة.

ومن بني الهُجيم: **أبو تميمة الهجيميّ**، كان فقيهاً، وبسببه هجا جرير بني الهجيم، وذلك أنه أتاه ينشده شعراً فقام عنه وهو يقول: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾[1]. واسم أبي تميمة طَريف بن مجالد، مات سنة سبع وتسعين.

وحدث أحمد بن إبراهيم الدورقي عن محمد بن كبير عن عبد الله بن واقد قال: قال أبو تميمة الهجيمي: لا دين إلا بمروءة.

وحدثني عبيد الله بن معاذ قال: قيل لأبي تميمة: كيف أصبحت؟ فقال

١ ـ سورة الشعراء ـ الآية: ٢٢٤ .

بين نعمتين: ذنب مستور، وثناء من الناس لم يبلغه عملي.

ومنهم: **ابو فُوران**، شهد الجمل مع عائشة رضي الله تعالى عنها، فضُربت يداه فقال له الأحنف: لو أطعتني لأكلت بيمينك، واستنجيت بشمالك وما كُنِعَتْ يداك.

ومنهم: قُراضة وعمار، كانا نبيلين، وقتلا مع عائشة يوم الجمل فقال الشاعر:

عينيَّ جُودا بدمع منكما جارٍ ... على قُراضـةَ إذْ وَلَّى وعمار

ومنهم: **عامر بن أُبيّ**، خرج مع ابن الأشعث، فلما عرض على الحجاج قال له: أخَرجتَ علي فيمن خرج؟ فقال: رأيت حميراً تنهق فنهقتُ معها، فتبسم وخلَّى سبيله، وقال أين منزلك في بني الهجيم؟ قال: واسط. فمر به يوماً فرأى داره عند المقابر، فقال: الم تزعم أن منزلك واسط؟ قال: نعم أنا بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، وأما أهل الدنيا فيؤنسونني، وأما أهل الآخرة فيذكرونني.

وتزوج عامر امرأة يقال لها زهراء تميمية، وكانت قبله عند رجل من تميم فقال زوجها الأول:

إني على ما كان من صَرْم بيننا ... لآتٍ على زهراء يوماً فناظر
وكيف نُرَجِّي وصل زهراء بعدما ... أَتى دون زهراء المليحة عامر

فمن بني الهجيم: **نُقَيْر بن حرملة**، كان سيداً في الجاهلية، وله عقب بالبصرة.

ومنهم: قُطَيْبة، وكان شاعراً، وهو القائل عند الموت:

كيفَ تـرَاني والمنايـا تَعْـتَرك ... تجْنَـحُ أحيانـاً وحينا تَبْـتَرك

ومنهم: حُريبة الشاعر الذي يقول:

وعـليَّ سابِغَـةٌ كأنَّ قَتِيْـرَهَـا   حَدَقُ الأساود لونها كالمجول[١]

ومن بني هجيم: جُرموز، روى عن النبي ﷺ.

وولد أسيد بن عمرو بن تميم: جروة بن أسيد. وعمرو بن أسيد. ونمبر بن أسيد. والحارث بن أسيد. وعقيل بن أسيد.

فولد جروة: غُويّ بن جروة. وشريف بن جروة.

فولد غويّ: سلامة بن غوي ـ وجَهْوَر بن غوي.

وولد شريف بن جروة: معاوية.

فولد معاوية: مُخاشناً.

وولد سلامة: حبيب بن سلامة. وغويّ بن سلامة. وصُرَد بن سلامة.

فولد حبيب بن سلامة: وَقْدَان بن حَبيب. وعمرو بن حَبيب.

منهم: **أبو هالة وهو هند بن النباش** بن زرارة بن وقدان، كان زوج خديجة بنت خويلد قبل النبي ﷺ.

ومن ولده: **الحارث**[٢] ابنه، أول من قُتل في الله في الإسلام تحت الركن اليماني.

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده أن الحارث بن أبي هالة، هند بن النباش، كان في حجر خديجة بنت خويلد فأسلم وكان يظهر إسلامه، وينادي به فجلس يوماً في جماعة من قريش وغيرها، فذكروا

١ ـ المجول: أي أبيض لأن المجول ثوب أبيض يجعل على يد من تدفع إليه القداح إذا تجمعوا. القاموس.

٢ ـ بهامش الأصل: الحارث بن أبي هالة رحمه الله.

النبي ﷺ بما كرهه، فغضب ووقع بينه وبين رجل من سفهائهم شرٌّ، فوثب به فلم يزل يطأ في بطنه حتى حمل وقيذاً فمات، قال هشام: ويقال إنه صلى عند الركن، فوثب به بعض السفهاء فقتله.

قال هشام ابن الكلبي: وولدت خديجة لأبي هالة: هند بن هند بن النباش، شهد أحداً، قال: وبعضهم يقول شهد بدراً، ونزل في قبره حمزة بن عبد المطلب، وابنه هند بن هند بن أبي هالة قتل مع ابن الزبير، ثم انقرضوا فلم يبق منهم أحداً.

وقال أبو اليقظان: اسم أبي هالة زرارة، مات بمكة في الجاهلية.

فولد أبو هالة: هنداً[1]، أمه خديجة بنت خويلد: فكان يقول: أنا أكرم الناس أباً، وأماً، وأخاً، وأختاً، أبي رسول الله ﷺ، وأمي خديجة، وأختي فاطمة، وأخي القاسم. ورباه رسول الله ﷺ.

وولد جُهْوَر بن غُوَيّ بن جروة: حَجر بن جهور. وجُهمة بن جهور. ومُخاشن بن جهور والأبيض بن جهور.

فمن بني مخاشن: **حنظلة بن الربيع**[2] بن رياح بن مخاشن، صاحب النبي ﷺ الذي يقال له حنظلة الكاتب، وكان معه خاتم النبي ﷺ، فزعم بنو تميم أن الجن رثته حين مات.

وكان حنظلة دَيِّناً، وبقي إلى زمن معاوية بن أبي سفيان، وكان عند معاوية فحدث معاوية حديثاً فقال له حنظلة: ليس الحديث كذا، فانتهره يزيد بن أسد، جد خالد بن عبد الله القسري، وقال: أتردّ على أمير

١ - بهامش الأصل: هند بن أبي هالة رحمه الله.
٢ - بهامش الأصل: حنظلة بن الربيع رحمه الله.

المؤمنين؟ فقال معاوية: دعه فإنه أخي، كان يكتب للنبي ﷺ وأكتب له، فحفظ ونسيت. ولا عقب له. وبعضهم يزعم أنه دُعي فكتب للنبي ﷺ مرة واحدة.

وكان لرياح بن الربيع[1] أخي حنظلة صحبة، وروي انه قال للنبي ﷺ: للنصارى يوم ولليهود يوم، فلو كان لنا يا رسول الله يوم؟ فنزلت سورة الجمعة.

ومنهم: أبو حَيْدة أكثم بن صيفي[2] بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن جَهْور، وبعضهم يقول: هو مُخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة، كان عاقلاً، عالماً شاعراً وبلغ مائة وتسعين سنة، ويقال مائة وثلاثين سنة.

وقال أبو اليقظان: ولد صيفي: أكثم. وربيعة. فأما أكثم فكان يكنى أبا الحَفَّاد، وكان حكماً في الجاهلية، وكان يكنى أيضاً أبا حَيْدة. وفيه يقول الشاعر:

أيا أبا الحفَّاد أفناك الكِبر   والدهر صرفان فَحزٌّ وحَصر

وأدرك مبعث النبي ﷺ، فجعل يوصي قومه بإتيانه، والسَّبْق إليه، ولم يسلم. وكان يقول: كونوا في أول هذا الأمر، ولا تكونوا في آخره، وكونوا عند رأسه، ولا تكونوا عند رجله، وأتوه طوعاً ولا تأتوه كرهاً. وبلغ تسعين ومائة سنة وقيل له: ما الحزم؟ فقال: سوء الظن. وقال:

إن امرأً قد عاش تسعين حِجَةً   إلى مائة لايسأم العيش جاهل

قال: وله عقب بالكوفة.

---

١ ـ بهامش الأصل: رياح بن الربيع رحمه الله.
٢ ـ بهامش الأصل: أكثم بن صيفي.

ومنهم حمزة القارىء فيما يقال، ومات حمزة بالكوفة وله بها عقب.

وقال الكلبي: إن أكثم خرج يريد رسول الله ﷺ، فمات قبل أن يصل إليه، فنزلت فيه الآية: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾[1].

ويروي غيره أن ذلك العيص بن فلان، أو فلان بن العيص، وقال بعضهم: نزلت في عدة خرجوا مهاجرين فماتوا في الطريق.

وقال أبو اليقظان: حنظلة الكاتب بن ربيعة بن رياح، وأكثم عمه، وغيره يقول الربيع.

واستشار بنو تميم والرباب أكثم بن صيفي بعد يوم الصفقة، حين قُتلوا وطمعت فيهم العرب في موضع يجتمعون فيه في أمرهم، وهو يومئذ شيخ كبير، فنزع أكثم ثيابه وأراهم جسده وقال: إن قلبي قد نحل وضعف كما نحل جسمي وضعف، وإنما هو بضعة مني ولكن ليحضرني ذوو الراي من كل قبيل منكم وليشيروا بما عندهم فَعَسْيت إذا سمعت حزماً أن أعرفه فجاء أهل الرأي منهم، فاجتمعوا وتكلموا وهو ساكت لا يقول شيئاً حتى قام النعمان بن مالك أحد بني جَسّاس التيمي من الرباب فتكلم برأيه فقال أكثم: صدق أبو جَوْنَة، فاجتمعوا بالكلاب.

وحدثني محمد بن الاعرابي قال: قال أكثم بن صيفي: البخل فطنة والسخاء تغافل.

قال: ومن سأل فوق قدره استحق الحرمان.

وقال: الفقر مع المحبة خير من الغنى مع البغضة.

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية: ١٠٠ .

وقال: اللجاجة وَحْشَة.

وقال: الحسود لا يسود. وقال أكثم: ماشيء أحق سجن من لسان، وقالها بعده عبد الله بن مسعود.

وقال أكثم بن صيفي: لكل ساقطة لاقطة. يقول: لكل ساقطة من القول لاقطة يَنُمُّها ويُنَمِّيْهَا.

وقال: المكثار، والمهذار كحاطب الليل، شبهه بحاطب الليل لأنه ربما نهشته الأفعى والحية أو لُسِع .

وقال: الصمت يكسب أهله المحبة، وقال: أسوأ اللفظ الإفراط، ويروى ذلك عن علقمة بن عُلاثة.

وقال أكثم لابنه: لا تهرف بما لا تعرف.

وقال: الكفاف مع القصد أكفى من سعة مع إسراف.

وقال: لكل شيء زينة، وزينة المنطق الصدق.

وقال لرجل: كفاك أفَنَاً[1] كثرة سُرَّارك في المجلس.

وكان يقول: فضل القول على الفِعْل هُجْنَةٌ[2] .

وحدثني ابن الأعرابي قال: مما حفظ عن أكثم: المزاح دائم الجماح.

وحدثني عمر بن بكير عن مشايخه قال: قال أكثم: ليس لمكذوب رأي.

وقال ابن الأعرابي: قال المفضل: قاله العبثر بن عمرو بن تميم لابنته الهيجمانة.وذلك ان عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم كان يزورها فنهاه،

١ ـ المأفون: الضعيف الرأي والعقل والمتمدح بما ليس عنده . القاموس .

٢ ـ الهجنة من الكلام: مايعيبه، وفي العلم اضاعته. القاموس.

فلم يقبل حتى وقعت الحرب بين قومه وقومها، فأغار عبشمس فعلمت به الهيجمانة فأخبرت أباها، وقد كانت الهيجمانة تحب عبشمس، فقال لها أبوها: يا بنيّة أصدقيني فإنه لا رأي لمكذوب.

وقال أكثم بن صيفي في يوم الكلاب: إياكم والصياح، فإنه فشل والمرء يعجز لا محالة، وتثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين، ورب عجلة تهب ريثاً وادَّرِعوا الليل فإنه أخفى للويل، ولا جماعة للمختلفين.

وحدثني عمر بن بكير عن ابن الكلبي أن رجلاً نازع أكثم، فأربى عليه في القول فقال أكثم: ربما كان السكوت جواباً، أي إني محتقر لك، فالسكوت جوابك.

وقال أكثم لاتَفْشِ إلى أمَة، ولا تَبُلْ على أكمة.

وحدثني عبد الله بن صالح قال: قال أكثم: رب ملوم لاذنب له. وقد ذكر ذلك عن الأحنف وإنما تمثل به.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام قال أكثم: فضل القول على العمل دناءة[١]، وقال غيره هجنة.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: من أمثال أكثم بن صيفي: المزاحة تذهب المهابة[٢].

وقال أبو عبيد: من أمثال أكثم قوله: الأمور تتشابه مقبلةً ولايعرفها إلا ذوو الرأي، فإذا أدبرت عرفها العالم والجاهل[٣].

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال: قال المهلب لبنيه: يابَنيَّ

١ ـ الأمثال لأبي عبيد ص٦٦ (١٢٤).
٢ ـ الأمثال لأبي عبيد ص٨٥ (١٩٠).
٣ ـ الأمثال لأبي عبيد ص١٠٥ (٢٥٢).

أوصيكم بما أوصى به أكثم بن صيفي الأسيدي قومه، فإنه قال لهم: يابني تميم كافئوا على حُسْن الثناء، وأكرموا ذوي المروءات، واحذروا فضول القول، وزلل اللسان فإن اللسان يزلّ فَيُهلك صاحبه، وعليكم في حروبكم بالحذر والأناة.

وأما المدائني فأخبرنا عن المهلب أنه أوصى بنيه بنحو هذا، ولم يذكر أكثم.

وقال أكثم: لاسَرْو لمن قَلّ حياؤه ولامروءة لمن آثر ماله على عرضه.

وقال: الحياء فِرندُ[1] الوجه.

وقال لابنه: يابني لاتكذبنَّ هازلاً، فتكذب جاداً.

وحدثنا ابن الأعرابي قال: كان أكثم يقول: أهنأ المعروف أَعْجَلُه.

وكان يقول: أرضى الناس عندهم أفشاهم معروفاً فيهم[2].

وحدثني أبو عدنان عن زيد بن كثوة أن أكثم بن صيفي قال: لا يحسن المداراة من لم يكظم الغيظ ويصبر على الأذى.

وقال أكثم: سامع الغيبة أحد المغتابين.

وقال أكثم: مااسْتَبَّ اثنان إلا غلب ألأمهما. وروي ذلك عن الزبرقان بن بدر أيضاً.

وقال: يركب الصعب من لاذلول له، ويأنس بالغريب من لاقريب له.

وقال أكثم: عدو الرجل جهله، وصديقه عقله.

---

١ ـ الفرند: السيف، وجوهره، ووشيه. القاموس.

٢ـ بهامش الأصل: خ. عندهم.

وقال: الوحدة خير من جليس السوء، والخرس خير من الكلام الذي يضر.

ويروى عن أكثم أنه قال: من سره بَنُوه ساءته نفسه. ويقال: قاله ضرار بن عمرو الضبي.

وقال أكثم: لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة، ولكل عاقل هفوة.

وقال أكثم: اليسير يجني الكثير.

وقال أيضاً الشر بدؤه صغاره.

وقال شبيب بن شيبة قال أكثم: إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر. وقد روي ذلك عن ابن شهاب، فلعله تمثل به.

وقال أبو عبيد من أمثال أكثم قوله: الشماتة لؤم[1].

وقال أكثم: حيلة من لاحيلة له الصبر.

وقال: من لم يأس على مافاته أراح نفسه.

وقال: الجوع خير من بعض الخضوع.

وقال عبد الله بن صالح: مما يروى عن أكثم: الحرص محرمة، والجبن مقتله، والخير عادة، والشر لجاجة، والشحيح أعذر من الظالم، والاقتصاد أبقى للجمام.

وقال: لاتؤاخ خَبًّا، ولاتستشر عاجزا، ولاحسوداً.

وقال: الرجل أليف شكله.

وقال القاسم بن سلام: من أمثال أكثم: من فسدت عليه بطانته كمن

١ ـ الأمثال لأبي عبيد ص١٦٠ (٤٥٩).

غصَّ بالماء وتفاقم داؤه بالدواء[1].

وقال: من جعل لحسن الظن نصيباً من نفسه أراح قلبه[2].

وقال أكثم: من ذهب ماله هان على أهله وقلّ صديقه، وانكر عقله.

وقال أكثم: رب لائم مليم.

وقال القاسم بن سلام من أمثال أكثم: الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها[3]. ويقال إن هذا قول رجل من بني أسد.

وقال أكثم: من ضعف عن كسبه اتكل على زاد غيره.

وقال أكثم: من العجز والتواني انتجت الهلكة، والمرء يعجز لا المحالة.

وقال أكثم يصف رفقة: أنا كحاقن الإهالة، وهي الودك المذاب، وليس يحقنها الحاذق بأمرها الرفيق حتى تبرد، لكيلا تحرق السقاء وتفسده.

وقال أكثم: من الحزم حفظ ماكُلِّفْت وترك ماكُفيتَ.

وقال: إذا رُمْتَ المحاجزة فقبل المناجزة. وقال ليس لحريص غنى، والنظر في العواقب من عزائم العقول.

وقال: خير الأمور خيرها عواقب، وربما نصحك الظنين، وصدقك الكذوب.

وقال: من سَلَكَ الجَدَدَ[4] أمِنَ العثار، ومن حذر كان خليقاً للسلامة.

وقال أكثم: الإنقباض من الناس يكسب العداوة، وإفراط الأنس

---

١ ـ الأمثال لأبي عبيد ص١٧٩ (٥١٠).

٢ ـ الأمثال لأبي عبيد ص١٨٤ (٥٢٩).

٣ ـ الأمثال لأبي عبيد ص١٩٦ (٥٦٩).

٤ ـ بهامش الأصل: الجدد: أرض مستوية لينة.

يكسب قرناء السوء.

وقال أكثم: العاقل من أَقْصَر حين أَبْصَر، وكَفَّ حين تَبَيَّنَ.

وقال أكثم: رأس الحزم المشاورة، فإنها تَخْلُصُ الرأي كما يَخْلُصُ الذهب النار. وقال أكثم: رُبَّ ساعٍ لقاعد وكلأ لم يدلك عليه رائد.

وقال القاسم بن سلام: قال أكثم بن صيفي: لم يهلك امرؤ عرف قدره[1].

ومن قول أكثم: لو سئلت العارية أين تذهبين لقالت أكسب أهلي ذماً، يعني أنهم يعيرون ويقرضون، ثم يذمون إذا طلبوها.

وكان يقول: إذا جاء الحين غطى العين.

ومن أمثاله: سوء الاستمساك خير من حُسْن الصَّرْعَة[2].

وكان يقول: ليس من العدل سرعة العذل.

وكان يقول: لاتعذل قبل أن تتبين الذنب.

وقال أكثم: رضا الناس غاية لاتُدْرَك.

وقال أكثم: غَثُّكَ خير من سمين غيرك. وقال: المسألة آخر كسب الرجل، ويقال إنه لغيره.

حدثني روح بن عبد المؤمن عن عمِّه أبي هشام عن أبيه عن أبي رجاء العُطاردي قال: أوصى أكثم بنَي أُسَيد فقال: ياقوم أَحسنوا يُحْسَن بكم، واسمحوا يسمح لكم، وعفّوا تعف نساؤكم، واعلموا أن محادثة النساء شعبة من الزنى.

١ ـ الأمثال لأبي عبيد ص٢٩٤ (٩٦٠).

٢ ـ الأمثال لأبي عبيد ص١٥٧ (٤٤٧).

وقال: يابني اسيد إن من حمل اليكم النميمة حملها عنكم، ومَنْ اغتابَ رجلاً عندكم فلا تأمنوا أن يغتابكم، واعلموا أن إصلاح المال عون على المروءة وغيظ للعدو، وصيانة عن ذل السؤال.

وقال: شر الأصحاب صاحب لا يُقيل العثرة، ولا يقبل المعذرة، وصاحب يمدح في المحيًّا ويغمز في القفا.

وقال:شرّ ما مني به الناس جارٍ مؤذٍ، وولد عاق، وأَمَةٌ خائنة وعبد آبق سارق، وامرأة عاقر غَيْرَى.

وقال آكثم: أسوأ ما في اللئيم أن يمنعك خيرُه وأحسن مافيه أن يكف عنك شره.

وحدثني أبو عدنان السلمي عن أبي عبيدة قال: بلغني أن أكثم بن صيفي كان يقول: حظك من العدو المكاشرة، وذَنْبُك إلى الحاسد دوام النعمة، وكان يقول: الحسد كمد، وقد يروى ذلك عن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي.

وحدثني الحرمازي عن رجل من آل الأهتم عن شبيب عن أكثم أنه قال لابنه: غُمَّ على الحسود أمرك، واكتُمْهُ سرك، ولا تستشره فيفسد عليك ويغشك، فإنه يظهر لك خيراً، ويضمر لك شراً، ويلقاك بالمكاشرة ويخلفك بالغيبة.

حدثني روح بن عبد المؤمن عن عمِّه عن أبيه عن أبي رجاء عن أكثم أنه قال: يابني أُسَيد إن البَرَّ الوَصُوْل من لم يجعل للبعيد حظ القريب، ولم يصل رحماً بقطيعة أخرى، ويروى ذلك عن عمرو بن حريث المخزومي أيضاً.

وحدثني ابن الأعرابي عن المفضل أن أكثم بن صيفي كان يقول: ماأُحبُّ أن أُكْفَى أمر الدنيا كله، قيل: ولم ذلك يا أبا حَيدة؟ قال: لأني أخاف عادة العجز.

وقال أكثم: لاتُؤاخِينَّ خَبّاً. ولاتَسْتَشيرنَّ عاجزاً. ولاتَسْتَعينَنَّ كسلاً، ويروى ذلك عن بعض العجم ويروى عن الأحنف أيضاً.

وقال أكثم: أَشْبَهَ قَرِيْنٌ قَرِيْنَهُ.

وقال: طول العشرة تبدل الأخلاق.

وقال: قد يبلغ القَطُوف[1] الوساع، ويبلغ الخَضْم[2] بالقضم.

ويروى عن أكثم أنه قال: يابني أُسيد أكثروا التشاور، فَقَلَّما يَسْعَدُ برأيه مُسْتَبِد، وروى ذلك رجل عن جعفر بن عمرو بن حريث، وليس هو عنه بثبت.

وقال أكثم: أول الحزم المشورة.

حدثني ابن الإعرابي وعباس بن هشام عن أبيه قالا: قال أكثم لابنه: إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أَفَنْ، وتجربتهن إلى وَهَنْ، ولاتملك امرأة أمرها ماجاوز نفسها.

وقال أكثم: المشورة مفتاح الرأي.

وقال أكثم لابنه: لا تُمارِيَنَّ شريفاً، ولا تُجارينَّ لجوجاً، ولا تعاشرنَّ ظالماً، واعلم أن ترك المراء من الحياء.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن شرقي بن القُطامي قال:

---

١ ـ دابة قطوف: ضاق مشيها. القاموس.

٢ ـ الخضم: الأكل بأقصى الأضراس، أو ملء الفم بالمأكول، أو خاص بالشيء الرطب كالقثاء.. القاموس.

بلغني أن الشعبي قال: كان أكثم بن صيفي التميمي يقول: عليكم بالرفق والأناة فإنهما قائدان إلى الدرك والظَّفَر، وإياكم والعجلة والخرق فإنهما سبب للفوت والحرمان. وقال أكثم لرجل أراد التزويج: عليك بالتثبت في أمرك فإلى أن يتزوج العاقل قد وُلد الأحمق، وهو أول من قالها.

وقال الأثرم عن الأصمعي قال أكثم: لكل شيء بذراً، وبذر العداوة المزاح، والمزاح حَمْقَةٌ تُورث ضغينة.

وحدثني ابن الأعرابي أن هذا الكلام عن الأسود بن كراع العكلي.

وحدثني ابن الأعرابي عن المفضل قال: قال أكثم بن صيفي: المزاح دائم الجماح، ورُبَّ مَزْح أدنى أجلاً. أَرِني مازحاً أرك جادًّاً.

وقال أكثم: من وثق بمحضرك فقد ائتمنك، وكفى بمبلّغ السوء مُسمعاً.

وحدثني عبد الله بن صالح عن رجل عن أبي مُجْنب الأعرابي عن أكثم أنه قال: سِرُّك دمك فلا تَضَعه إلا عند ثقتك، ولأن تكتمه إياه خير لك.

وحدثني ابن الأعرابي عن سعيد بن سلم قال: بلغني عن أكثم بن صيفي أنه قال: لا يَعْدُوَنَّ سرُّكَ صدرَك فإن لكل نصيح نصيحا، وقلما اشترك في السر اثنان إلا فشي. وقال أكثم: الأحمق لا يحجو سراً.

حدثني أبو عدنان عن أبي عبيدة قال: قال أبو عمرو: بلغني عن أكثم بن صيفي أنه قال لابنه: لا تتكلمن فيما جهلت، ولاتَعْجل في الكلام بما علمتَ فتُذلَّ نفسك، فإنَّ من إكرام المرء نفسه ألا يتكلم إلا بما أحاط به علمه.

وحدثني عبد الله بن صالح عن أبي زُبيد عن ابن شبرمه قال: قال

أكثم بن صيفي: من أراد نفسه على أكثر مما عنده من نطق وعلم أفتضح.

حدثني محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي قال: قال عامر بن الظرب العدواني، ويقال أكثم بن صيفي:

أرى شعرات على حاجبيّ ... بيضاً نبتن عليه تؤاما
أَظَلُّ أُهاهي بهنَّ الكلا ... ب أحسبُهن صِوارا[1] قياما
وأَحْسَبُ أنفي إذا ما مشيت ... شخصاً أمامي رآني فغاما[2]

وحدثني عمر بن بكير عن ابن الكلبي أن أكثم بن صيفي قال لقومه: عاشروا الناس معاشرة جميلة فإن غبتم حنوا إليكم، وإن متمُّ بكوا عليكم.

وقال أكثم: أَدْوَأُ الداء اللسان البذيء، والخلق الدنيء.

وكان أكثم يقول: ظاهر العتاب خير من باطن الحقد. وضربة الوادّ خير من تحية الشانيء.

وقال أكثم: ليس النوال بَعْوضٍ من السؤال، والحرمان خير من ندى الفَخُور المانّ.

وقال أكثم: من مدحك بما لم تفعله بهتك بما لم تأته.

وقال: شر الرجال المخادع المَلاَّق، وشر النساء الطامحة المعشاق.

وكان أكثم يقول: أخوك من صدقك.

وقال: إذا جاورك الجاهل آذاك، وإذا ناسبك جنى عليك، وإذا عاشرك أَمَلَّكَ وأَنْصَبَكَ.

وقال: أخوك من أهمَّه هَمُّك وشاركك فيما نابك.

١ ـ الصوار: قطيع البقر. القاموس.
٢ ـ الغيم: العطش، وغام: أقام. القاموس.

وقال: الشكر بثلاث خلال: المكافأة بالفعل، وثناء اللسان، وخلوص المودة.

وقال أكثم: لا تُطمعنَّ ذو كبر في حُسن ثناء، ولا الملول في الإخوان ولا الخَبُّ في الشرف.

وقال: الكريم يَوَدُّك في لقية واحدة، واللئيم لا يصلك إلا عن رغبة أو رهبة.

وقال: إحسان النشوان أن يكف عنك شره.

وقال: الغريب الناصح قريب، والقريب الغاشّ بعيد.

وقال: من هانت عليه نفسه فلا يأمن بوادر شره.

وقال: لن يهلك امرؤ بعد مشورة. وقال: آفة المروءة الكبر، وآفة السخاء المَنّ، وآفة الرأي العجب.

وقال: لنعم لهو الحرة مغزلها.

وقال: ماأتيت من خير أو شر فأنت أهله دون من تركه.

وقال أكثم: أفضل من السؤال ركوب الأهوال.

وقال: من حَسَدَ الناس بدأ بضرّ نفسه، وقال: العديم من احتاج إلى اللئيم.

وقال: ما كُلُّ عثرةٍ تُقَال ولا كُلُّ فرصةٍ تُنَال.

وقال: خَسَر من لم يعتبر.

وقال: لا وفاء لمن ليس له حياء. وقال: الحرُّ حُرٌّ وإن مَسَّه الضُرّ.

وقال: الحر قد يصافي من لا يصافيه.

وقال: قد يشهر السلاح في بعض المزاح.

وقال: من وفى بالوعد[1] فاز بالحمد.

وقال: الموت يدنو والمرء يلهو، وقد يخطئه مايرجو ويأتيه مالا يرجو.

وقال: الحق أبلج والباطل لجلج.

وقال: اصطنع قوماً تحتج إليهم يوماً.

وقال: طول الغضب يورث الوصب.

وقال: رُبَّ عتق شر من رق.

وقال: الكذب بهت والخلف مقت.

وقال: من لم يكفف أذاه لقي ماساءه.

وقال: الحر يتقاضى في الوعد نَفْسَهُ واللئيم يغتنم حبسه.

وقال: ليس بإنسان من لم يكن له إخوان.

وقال: عليك بالمجاملة لمن لا تدوم له وصلة.

وقال: في الأسفار تبدو الأخبار.

وقالوا: إن أكثم كتب إلى النبي ﷺ: «أما بعد: فقد أتانا عنك خبر لا ندري ماأصله، فإن كنت أُريتَ فَأَرِنَا، وإن كنتَ عُلِّمتَ فَعَلِّمنا وأشركنا في كنزك». فكتب إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام، فأوصى أكثم قومه باتباعه وعَظَّمَ أمره، فقال مالك بن نُويرة: قد اختلط شيخكم. فقال أكثم: ويل الشَّجيّ من الخَليّ، أراكم سكوتاً وآية إباء الموعظة الإعراض عنها، ويلك يامالك إن الحق إذا قام صرع من خالف، فإياك أن تكون ممن يصرعه مُخَالَفةُ الحق.

وقال أكثم: أفضل الأفعال صيانة العرض بالمال.

---

١ ـ بهامش الأصل: بالعهد.

وقال: ليس من جازى الجهول بذي معقول.
وقال: من جالس الجهال فليستعدد لقيل وقال.
وقال أكثم: إذا أردت طرد الحر فَسُمْهُ الهوان.
وقال: كثرة العلل آية البخل.
وقال: كفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم.
وقال: إياك والخديعة فإنها إلى ما تكره سريعة.
وقال: إمحض أخاك النصيحة حسنةً كانت أو قبيحة.
وقال: رُبَّ سبَاب قد هاجه العتاب.
وقال: ليس كل طالب يصيب، ولا كل غائب يؤوب.
وقال: لقاء الإخوان وإن كان يسيراً غُنْم كبير.
وقال: من الفساد إضاعة الزاد.
وقال: من حلم زاد، ومن تفهم ازداد.
وقال: المزاح يورث الضغائن، ورب بعيد خير من قريب.
وقال: سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار.
وقال: غَثُّكَ خير من سمين غيرك.
وقال: الغرام في كل عام سقام.
وقال: بعض اليأس خير من الطلب إلى الناس.
وقال: من أَجَدَّ المسير أدركَ المَقِيْل.
وقال: استر عورة أخيك لما تعلم فيك.
وقال: كفى بالحلم ناصراً.
وقال: المنَّةُ تهدم الصنيعة وتُفسدها.

وقال: ربما نصح غير الناصح وغَشَّ المستنصح.

وقال: عليك بالصدق وإن قتلك، وإياك والكذب وإن ملكك ومَوَّلك.

وقال: لا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته، ولا تعدم سوء الظن من مُشْفق.

وقال: لا تستعتب إلا مَنْ رَجوتَ إعتابَه.

وقال: قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.

وقال: الزَّلَلُ مع العَجَل، ومَنْ تعدَّى الحق ضاقت به مذاهبه.

وقال استكثر من الأصدقاء فإنك قادر على الأعداء.

وقال: خير من إجابة اللئيم سكوتك عنه.

وقال: تركك التحرز في الأمور يسقط بك على الظنة.

وقال: من عَرَّضَ نفسه للتهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظن.

وقال: من صحب الملوك بغير أدب وفهم فقد خاطر بنفسه.

وقال: من أَدَلَّ على الرجال بغير فضل مُقِتَ.

وقال: لقاء الإخوان مَسْلاة للهموم.

وقال: الإفراط في الدالة يفسد الحرمة والمودة.

وقال: من مازح عدوه أظهر عورته.

وقال: من زرع العداوة حصد الندامة.

وقال: لا تطلب من الكريم يسيراً فتكون عنده حقيراً.

وقال: اعتذارك إلى الكريم يمنحك منه الكرامة، واعتذارك إلى اللئيم محمول عنده على المخافة.

وقال: لا تنفع حيلة مع غيلة، وليس من القوة التورط في الهُوَّة، اصْدِق أخاك وكن منه على حذر، ليس بيسير تقويم العسير. العفيف لا يخاف سوء القالة.

وقال: لكل زمان إخوان، والدهر ذو ألوان.

وقال: لا تَصْحَب الظنين فَتُعيْبُكَ صحبته، ويُظن بك مايُظن به.

وقال: عداوة العاقل خير من صداقة الجاهل، فإن الجاهل يريد نفعك فيضرك.

وقال: أَيْمَنُ امرىءٍ وأشأمُه بين فكيه.

وقال: من اللؤم شجاعة المرء على جاره.

وقال: أَجْمَعُ الأمور ترك الفضول.

وقال: ارفض الدناءة تلزمك المهابة.

وقال: إفراط الحزن مذهَبَةٌ للعقل ومَقْطَعَةٌ للحيلة.

وقال: من علامات الجهل الإجابة قبل الاستماع.

وقال: إعجاب المرء بنفسه دليل على حمقه.

وقال: إن للحيطان آذاناً، فانظر أين تتكلم.

وقال: من لم يستمع لحديثك فارفع عنه مؤونة كلامك.

وقال: من عُرف بالصدق جاز كذبه، ومن عُرف بالكذب لم يجز صدقه.

وقال: لو لم تكن الذنوب لم تُعرف فضيلة العفو.

وقال: من كان غضبه لغير علة كان رضاه لغير عتبى.

وقال: الغضب لؤم فَذَرْهُ، والحزن سوء استكانة.

وقال: من طلب ماعند البخيل هلك هُزْلاً.

وقال: مجاور الجوادِ كمجاور البحر، ومجاور البخيل كمن أقام بمفازة لاماء بها.

وقال: الرزق مقسوم والحريص محروم.

وقال: العلم زينٌ ومنفعة، والجهل شَيْنٌ ومَضَرَّة.

وقال: من لم يَرْتَحْ للثناء فليس له من المروءة نصيب.

وقال: إحذر غضب الحليم وإملال الكريم.

وقال: من عرفتَ كذبه فلا تستدع منطقه.

وقال: العاقل من اتَّهَمَ نفسه ولم يعْجَب برأيه.

وقال: العاقل من غلب هواهُ عقله، وملك غضبه، ولم تملكه شهوته.

وقال: من استشاره عدوه في صديقه أَمَرَهُ بقطيعته.

وقال: مؤاخاة الكريم غنيمة، ومؤاخاة اللئيم تُكْسِبُ النَّدامة.

وقال: السكوت عن الأحمق جوابه.

وقال: من استطال عليك بذات يده وبخل بفضله، فلا أكثر الله في الناس مثله.

وقال: الجود محبة، والبخل بُغْضَة.

وقال: من طلب إلى لئيم حاجة فهو كمن التمس السمك في المفازة.

وقال: عِدَةُ الكريم مهنأة بالتعجيل، وعدة البخيل تسويف وتعليل.

وقال: الكريم مواسٍ لإخوانه، واللئيم يقطعهم عند سموّ أمره وارتفاع درجته.

وقال: استقل من الأعداء فقليلهم كثير، واستكثر من الأصدقاء فكثيرهم قليل.

وقال يوم الكلاب: الرأي كثير، والحزم قليل.

وكان يقول: اشبع جارك وأجع فارك ـ الفار: العضل ـ وقال: القناعة أحد المالين.

وقال: خير الأخلاء الذي يكتم سرك ويحفظ غيبك ويحسن مواساتك ويحتمل دالتك.

وقال: إذا صادقت وزير الملك فلا تخشى الملك.

وقال: من آخى الإخوان بالمكر كافأوه بالغدر.

وقال: الحسود يفرح بزلَّتك ويعيب صواب قولك وفعلك.

وقال: غُمَّ على الحسود أمرك تَسْلَم من مضرته لك.

وقال: من صبر على سلعة سوء رأى سخنة عين.

وقال: من استطال على الناس بغير سلطان، فليصبر على الذل والهوان.

وقال: لا تحقر الفقير السَّريّ ولا تُعظمّ الغني الدنيّ.

وقالَ: من أغضبتَهُ أنكرتَهُ، ومن عتبتَهُ عطفتَهُ.

وقال: من تَعرَّض لذي دولة انقلب بهزيمة، يعني الحرب.

وقال: النساء لحم على وَضَمْ إلا من ذَبَّ عنه منهن.

وقال: ربما قطع السفيه مودة لم تزل، وكسب عداوة لم تكن.

وقال: حَمْل المروءة ثقيل، ومؤونتها شديدة.

وقال: خذلان الجار لؤم، ورجال الشدة قليل، ومن كافأ بالثناء فقد أبلغ في الجزاء.

وقال: أحقّ ماصبرت عليه مالا بُدَّ به.

وقال: جرائر الصمت أيسر من جرائر الكلام.

وقد روى الناس عن أكثم أشياء يقال إنها لغيره، وهي منسوبة إليه، وفيما ذكرنا مما توخينا تصحيحه عنه كفاية.

ومنهم: عوف. والقعقاع ابنا صفوان بن أسيد بن الحلاحل بن أوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة. ويقال ابن مخاشن بن جَهْوَر بن غويّ بن سلامة.

قال ابن الكلبي: وولد غويّ بن سلامة بن جروة: ربيعة بن غويّ. ونوفل بن غويّ. ونفيل بن غوي. وحبتر بن غوي. ووقدان بن غوي. منهم: عمرو بن نوفل الذي أغار على بني حنيفة باليمامة، فقتل جابراً، ووهباً ابني عبيد، فقال أوس بن حجر.

على ابني عبيد قد تركناه ينتحي　　　على نافذ في صدره غير ناصل[1]

وكان عمرو رئيساً يوم طُحَيْل حين أغارت يشكر على بني عمرو بن تميم.

ومنهم: ربعيّ بن عامر بن خالد بن لأي بن وقدان، الذي يقول فيه الشاعر:

ألا ربما يُدعى الفتى ليس بالفتى　　　ألا إن ربعيَّ بن كاس هو الفتى

وكاس: أَمَةٌ وإليها ينسب، وكان علي كتب إلى عبد الله بن العباس رضي الله عنهم وهو عامله بالبصرة يأمره أن يوجِّه إلى سجستان رجلاً صارماً عاقلاً في أربعة آلاف، فوجه ربعي بن الكاس في أربعة آلاف، وخرج معه الحصين بن أبي الحرّ مالك بن الخشخاش العنبري، وبعث على مقدمته

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع.

باب بن ذي الجرة الحميري، واسم باب عبد الرحمن، فلما ورد ربعي سجستان حاربه حسكة بن عتاب الحبطي، وعمران بن الفضيل البرجمي، فظفر ربعي وضبط البلد، فيقال إنه قتل حسكة، ويقال إن حسكة هرب فقال راجزهم:

نحن الذين اقتحموا سجستان   على ابن عتّاب وجند الشيطان
إنا وَجَدْنَا في مُنير الفُرْقَان   ألا نُوالي شيعة ابن عفان

وقال بعض أصحاب حسكة حين قدم ربعي:

نحن الذين بايعوا ابن عتّاب   ولم نُسَلِّم مُلْكَهُ إلى باب
دون ضراب كصريف الأنياب

ومن بني أُسَيِّد: **سَنّة بن خالد بن أُسَيِّد** بن صُرَد بن سلامة بن غوي كان رئيساً مغيراً، أغار على بني حنيفة باليمامة فَسَبَى وغنم، وشهد يوم طحيل، وكانت المرأة من بني يشكر إذا عثرت قالت: تعس أسَيد وفقدت سَنّة السيِّد، وكانت المرأة من بني أسيد إذا عثرت قالت: تعس غُبَر وفُقدت البقر.

ومنهم: **حُجَيْر بن عُمَيْر** بن مرثد بن شيطان بن أنمار بن صُرد بن سلامة بن غويّ، كان شاعراً.

ومنهم: **صفوان بن صفوان** أول قاتل قَتَل في الله بعد الهجرة، قتل الحارثِ بن أبي هالة.

ومنهم: **صفوان بن مالك** بن صفوان، كان من خيار المسلمين المهاجرين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ومنهم: **الحكم بن يزيد** بن عُمير بن عبد الله بن مرثد بن شيطان بن

أنمار، كان عامل ابن هبيرة على كرمان، فقتله بها تميم بن عمر التيمي - تيم اللات - بن ثعلبه بن عكابة.

حدثني المدائني قال: كان الحكم بن يزيد بن عمير يكنى أبا عتاب، وكان سخياً لسنا خطيباً شجاعاً، وكان مثقلاً لا يقوم، وكان بخراسان فولي لنصر بن سيار قَهستان، ووفد إلى هشام بن عبدِ الملك، وإلى الوليد بن يزيد، فأثنى على نصر، وقدم على يوسف بن عمر فصرفه ورده إلى البصرة أيام ابن سهيل، وكان رأساً من رؤساء بني تميم لا يستغني عن رأيه، وكان يشهد القتال في عدة من أصحابه ومواليه، ثم وفد إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فولاه كرمان، فلم يزل بها حتى بعث إليه أبو مسلم تميم بن عمرو التيمي - تيم ربيعة بن نزار - فخرج إليه الحكم فقاتله: فهزم تميماً، فلما هزمه قلب تميم ترسه، وهو يقول: الأمان، فلما دنا منه وأصحابه يظنون أنه مستأمن غدر به فضربه ضربة فقتله، فلما قُتل الحكم ثاب إلى تميم أصحابُه، وله عقب بالبصرة وقد وَلي ولده لصلبه الولايات، وكان أبو بكر أحد ولد الحكم بن يزيد شاعراً راوية، فقال له رؤبة بن العجاج:

لقد خشيتُ أن يكون ساحرا راويـة مرًّا وَمـرًّاً شاعـرا[1]

ومات بالبصرة. ومن ولده أيضاً أبو حُلوة، كان له قدر بالبصرة وهيئة، وبها مات، وله عقب.

ومنهم: عمر بن يزيد بن عمير بن عبد الله بن مرثد بن شيطان بن أنمار، أخو الحكم بن يزيد، ويكنى عمر أبا حفص، وكان خالد بن عبد الله القسري ولى الشرطة والأحداث بالبصرة مالك بن المنذر بن الجارود، فصلى

---

١ - ليس في ديوانه المطبوع.

مالك في ثوب رقيق فقال له البتيّ: لا تصلِّ في ثوب رقيق فضربه عشرين سوطاً، وبعث مالك إلى الحسن: لئن جلست في مجلسك لأضربنَّك ثلاثمائة سوط، فقال: يكفيني منها سوطان وجلس في بيته.

وكان بين مالك بن المنذر وبين عمر بن يزيد صداقة فيما يظهر عمر ففسدت، لأن عمر وشى به بالكوفة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامل عمر بن عبد العزيز حتى أزعجه من عنده، ووشى به إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك حتى أزعجه، ثم وشى به إلى مسلمة بن عبد الملك فلم يقبل قوله فيه، فلما رأى عمر أن مسلمة لا يقبل منه صالَحَ مالكاً، فلما ولي مالك أحداث البصرة ذكر عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر بن كريز فنفاه من أبيه، وعنده حينئذ عمر بن يزيد، وحفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر القرشي وغيرهما، فأتى عمر بن يزيد عبد الأعلى فأبلغه ما قال مالك بن المنذر فيه وقال: أنا أشهد لك عليه، فشخص عبد الأعلى إلى خالد بن عبد الله القسري، وشخص معه عمر بن يزيد، وحفص بن عمر بن موسى فشهدا على مالك بما سمعا من مالك، فكذبهما خالد وتهددهما، وحبس عمر بن يزيد عنده، ودس له شهوداً شهدوا أنه شارب خمر فضربه حَدّاً وَحَدرَه إلى مالك، فضربه بالسياط حتى وقذه وأثخنه، ثم أمر به فحمل إلى السجن فلويت عنقه فمات، وادعى أنه مَصَّ خاتمه أنفة فمات، وإنما أشاع عليه ذلك أصحاب مالك، فلما مات عمر بن يزيد تنمرت بنو تميم وغضبت ربيعة، وحدبت ربيعة على مالك وتعصبت واشرأب الفريقان لفتنة فكفوا عنها.

وحدثني عمر بن شبّة عن أحمد بن معاوية عن المنتجع قال: دخلت

على عمر بن يزيد بن عمير السجن فقال: مافَعَلَتْ داري؟ قلت: هُدمت. قال: فَنَخْلي؟ قلت: قُطع، قال: ما أهون ذلك عليَّ إن سلمتْ نفسي.

وكان الحسن بن أبي الحسن يقول: قَتَل مالك عمر بن يزيد، قُتل شهيدا. وكان مالك شاور بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة، وعمرو بن مسلم الباهلي في أمر عمر، فقال له بشير: إن قَتَلْتَه قتلت عصفوراً، وإن تركته تركت أسداً، وقال له عمرو: اقتله تسترح من شره. فقال الفرزدق:

لله قوماً شاركوا في دمائنا ... وكنا لهم عوناً على العثرات
فجاهرنا بالغش عمرو بن مسلم ... وأوقد ناراً صاحب النكرات[١]

وقال الفرزدق:

يا آل تميم ألا لله أمكم ... لقد رميتم باحدى المصمئلات[٢]
فاستشعروا بثبات الذل واعترفوا ... إن لم تروعوا بني أفصى بغارات
أو تقتلوا بفتى الفتيان قاتله ... أو تستباحوا جميعاً غير أشتات
لله در فتى راحوا به أصلاً ... مهشم الوجه مكسور الثنيات[٣]

وكانت عاتكة بنت الملاءة امرأة عمر بن يزيد، فخرجت وخرج معها رجال بني تميم إلى هشام، فأمر هشام بحمل مالك إليه فحمل فأغلظ له هشام وأمر بحبسه، فمات في السجن، فيقال ان القيسية دسوا إليه من قتله، وقد كتبنا خبره تاماً في أخبار هشام.

ومنهم **أوس بن حجر** بن عتَّاب بن عبد الله بن عدي بن نمير بن أُسَيْد، شاعر مضر، حتى نشأ زهير بن أبي سلمى المزني.

١ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص١١٦.
٢ ـ المصمئلات: الدواهي.
٣ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص١٠٧ ـ ١٠٨ مع فوارق.

ومنهم: **حسَّان بن سعد**، الذي بنى منارة بني أُسَيْد بالبصرة، وكان شريفاً يلي الأعمال، وله يقول الشاعر:

إذا ما كنت متخذاً خليلاً فخالل مثل حسان بن سعد
فتى لا يـرزأ الإخوان شيئاً ويرزؤه الخليـل بغـير كَـدِّ

ويقال ان ابنه بناها وهو محمد بن حسان.

ومن ولد أُسَيد: **الكلب بن عمر بن عامر** الشاعر.

وقال أبو اليقظان: من بني أسيد: **صبرة بن جرير**، ويكنى أبا حاضر، وكان أبوه مع زياد حين لجأ إلى دار صبرة بن شيمان الأزدي، فسماه صبرة باسمه، وكناه بكنيته، وكان ابن شيمان يكنى أبا حاضر، وكان أبو حاضر أجمل بني تميم، وله يقول الأبيرد الرياحي:

أبا حاضر ما بال ثوبيك أصبحا على ابنة فَرُّوخ رداء ومئزرا
أبا حاضر من يَزْنِ يُعْرَف زناؤه ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

فروخ: مولى لبني الحارث بن كعب، وكان أبو حاضر مع الحجاج برستقاباذ وولاه بعد ذلك اصطخر ثم غضب عليه فقتله وكان جُفرياً.

فولد أبو حاضر: سالماً. وحاضراً، وأمهما ابنة غيلان بن خرشة الضبي.

فأما **سالم** فكان خطيباً، وفد إلى سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة، فقام بخطبة قرظه فيها، ولعن الحجاج وذم سيرته، فقال سليمان، لعن الله الحجاج، ثم أقبل يريد البصرة فمات في طريقه.

وأما **حاضر بن أبي حاضر** فكان ممن خالف يزيد بن المهلب، فقتله معاوية بن يزيد بواسط، وله عقب بالبصرة.

ومنهم: **ماعز بن مالك**، كان زاهداً.

ومنهم: **هارون بن رئاب** كان فاضلاً ولا عقب له.

ومن بني أسيد: **مَرثد بن صُرَد**، أسلم وتوجه نحو البصرة: فمات في الطريق، وتوجه ابنه قطن إلى الكوفة فعقبه بها، وصار عبد الله بن مرثد إلى البصرة.

فولد عبد الله: عميراً.

فولد عمير: **يزيد بن عمير**، وكان يزيد يكنى أبا الخطاب وكان ذا قدر، ولاه الحجاج شرط البصرة وولاه ولايات ثم حبسه فقال الفرزدق.

وإن تميماً إن تخلصتَ سالماً من السجن لم تُخْلَق صغارا جدودها
وكم نَذَرَت من صوم شهرٍ وحجةٍ نساءُ تميم إن أَتاها يَزيدُها[1]

فولد يزيد: **عمر بن يزيد**، وأم عمر فكانت عند عبدالله بن أبي عثمان القرشي. وأما أم الحكم فكانت عند عروة بن هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، وأما عمر بن يزيد فقتله مالك بن المنذر، فحبسه هشام لذلك فمات في حبسه، وكان هشام يقول: لقد قتله مالك صبيحاً فصيحاً.

وأما أبو حلوه فكان له قدر ومات بالبصرة.

ومنهم حسان بن سعد الذي قال فيه سحيم بن الأعرف الهُجمي:

إلى حسان من اطرار[2] نجد جلبنا العيس ننفخ في بُراها[3]
فما جئناك من عُدْم ولكن يهشُّ إلى الإمارة من رجاها

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٦٨.
٢ ـ أي من وديان. القاموس.
٣ ـ البرة: حلقة في أنف البعير. القاموس.

نَعُدُّ قرابة ونَعُدُّ صهراً ويَسْعَدُ بالقرابة من رعاها

وله عقب بالكوفة . ومنهم بنو سنة ، ولهم بقية بالبادية .

ومنهم الأبلق ، وكان طبيباً كاهناً فداوى ذا الرمة فقال فيه :

أعبد أسيديٍّ عليه علامة من اللؤم لا تخفى على من توسَّما
يداويك من شكواك أم ربك الذي شفى كرب أيام النباج[1] وأنعما[2]

وقال فيه الفلتان الدارمي :

هو الأبلق الأسيديّ مُبَرّأُ فولدي من حُبّى حواري بني بدر

ومرضت أم غيلان بنت جرير بن عطية ، فداواها فزوجها منه ، فقال الشاعر :

أخزيتَ نفسكَ يا جرير وشنتَها وجعلت بنتك بَسْلَةً للأبلق

البسلة : كراء الراقي ، يقال أعطاه بَسْلة .

ومرض جرير فقالت أم غيلان للأبلق : قل لجرير إن أم حكيم أم ولدك سحرتك ، فقال له ذلك ، فغضبت أم حكيم وقالت لجرير : والله لا أرضى أو تهجوه فقال :

يا أبلق السِّحْر إن الناس قد علموا أنَّ المهاجر يَجْزي كل كذاب
لو كنت أمَّرْتُ ذا عقل فأرشدني يوم السقيفة ما دَنَّسْتُ أثوابي
أو كنت صاهرتُ إن الصهر ذو نسب في مازنٍ أو عديٍّ رهط منجاب[3]

فقال الفرزدق :

---

١ ـ بهامش الأصل : النباج : أرض .
٢ ـ ليسا في ديوان ذي الرمة المطبوع .
٣ ـ ليست في ديوان جرير المطبوع .

عَلَامَ لُمْتَ التي أقبلت تحملها حتى اطَّلَعْتَ بها اسكفَّةَ الباب
كلاهما حين جَدَّ الجَرْيُ بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما راب[١]

ويزعمون أن أبلق قدم البصرة فقال لقومه: ليضمر لي من شاء منكم شيئاً لأخبره به، فقال له عمر بن يزيد: قد أضمرت لك وأضمر است أم الأبلق، فقال له: ما كنت أظنك تضمر لي مثل هذا، وأخبره به.

قال: وكان من بني أُسَيِّد بخراسان: **محمد بن قطن**، وله بخراسان عقب.

وقال المفضل الضبي: أوس بن حجر بن عتّاب بن عبدالله بن عدي بن نمير بن أُسَيِّد: بينا أوس بين شرج وناظرة[٢] إذ سقط فانكسرت رجله، وإذا جوارٍ من بني أسد فيهن حليمة بنت فضالة بن خالد الأسدي، فأعطاها حجراً وقال قولي لأبيك: يقول لك ابن هذا ائتني فأتاه وآواه حتى صلح، وخدمته ابنته فذكرها في شعره، ورثى فضالة حين مات.

تم نسب ولد الياس بن مضر

١ ـ ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع.
٢ ـ شرج وناظرة ماءان لعبس، وقيل غير ذلك. معجم البلدان.

بسم الله الرحمن الرحيم
نسب قيس

ولد الناس بن مضر : قيس بن الناس . ودُهْمان بن الناس ، وهم أهل بيت في قيس ، وأمهما الشقيقة بنت الغافق بن الشاهد بن عك . وحَضَن عَيْلان وهو عبد كان لمضر على الناس فسُمي الناس به ، فقيل قيس عيلان وإنما هو قيس بن الناس ، ويقال بل حضن عيلان قيساً ، فقيل قيس بن عيلان ، وقيس عيلان[1] .

فولد قيس بن عيلان : سعد بن قيس . وخصفة بن قيس . وعمرو بن قيس ، وأمهم عمرة بنت الياس بن مضر .

وولد سعد بن قيس : غَطَفان بن سعد . ومنبه بن سعد وهو أعصر وإنما عصَّره بيت قاله وهو :

قالت عميرة ما لرأسك بعدما   نفد الشباب أتى بلون منكر
أعميرُ إن أباك غـيَّر لونـه   مَرُّ الليالي واصِّلاف الأعصر

قال ابن الكلبي : وأعصر يسمى دخاناً ، فيقال لغنيّ وباهلة : ابنا دخان .

١ ـ بهامش الأصل : تم بلغ العرض بالأصل الثالث من أول الكتاب ، ولله كل حمد .

وقال هشام ابن الكلبي : حدثني رجل من غني يقال له طارق بن حمزة قال : كان رجل من ملوك اليمن في أول الزمان يغير على معدّ وكان مسوراً ، فأغار عليهم ثم انتهى بجمعه إلى كهفٍ ، فدخل فيه ومن معه ، وتبعه بنو معد فجعل منبه يدخن عليهم فسمي دخاناً ، فهلك الملك وأصحابه ، وفي ذلك يقول منصور بن عكرمة بن خصفة :

إنا وجدنا أعصر بن سعد متمم البيت رفيع المجد

أهلك ذا الأسوار عن معد

وأم غَطفان تكمة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة ، وأخوه لأمه سُلَيم . وسلامان ابنا منصور بن عكرمة .

فولد غطفان : ريث بن غطفان . وعبدالله بن غطفان ، وهو عبد العزى .

قال ابن الكلبي:وفدوا إلى النبي ﷺ فقال : «من أنتم» ؟ قالوا : نحن بنو عبد العزى . قال : «بل أنتم بنو عبدالله» . وأمهم أُسيلة بنت عكابة بن مصعب بن علي بن بكر بن وائل .

فولد ريث بن غطفان : بغيض بن ريث . وأشجع بن ريث . وحرب بن ريث . وأهون بن ريث ، ويقال لبقيتهم بنو مالك بن أمة بن أهون وهم مع بني ثعلبة بن سعد بن قيس .

ومنهم : محمد بن جبلة بن أُهبان ، كان من أشراف أهل الشام . ومازن بن ريث وهم مع بني شمخ بن فزارة ، وأمهم ريطة بنت لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

فولد بَغيض : ذبيان بن بغيض . وأنمار بن بغيض . وعامر بن

بغيض ، وأمهم المفدّاة بنت ثعلبة بن عكابة . وعبس بن بغيض وأمه ضحام - وهي الخشناء - بنت وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وهي أم ضبة بن أدّ ، وأم الحارث بن كعب .

فولد ذُبيان : سعد بن ذبيان . وفَزارة بن ذُبيان . واسم فزارة عمرو ، فضربه أخ له ففزره فسمي فزارة ، والفزر شبيه بالحدبة في الصدر والظهر . وهاربة بن ذُبيان بطن مع بني ثعلبة بن سعد ولهم يقول بشر بن أبي خازم الأسدي :

ولم نغضب لمرَّة إذ تولـوا فساروا سير هاربة فغاروا[1]

وذلك لحرب كانت بينهم ، فرحلوا عن غطفان فنزلوا في بني ثعلبة بن سعد فعدادهم فيهم .

وقال هشام ابن الكلبي : وهم قليل ولم أر هاربياً قط وفيهم يقول حُصين بن الحُمام :

وهاربة البِقْعاء أصبح جمعهم أمام جموع الناس طرًّاً مقدّما

وكان يقال : هاربة البَقْعاء .

وعامر بن ذبيان ، وهم في بني يشكر على نسب ، وهم رهط سويد بن أبي كاهل الشاعر ، وقد انتمى سويد إلى غطفان .

وسلامان بن ذبيان ، وهم في بني عبس على نسب ، ويقال لهم بنو ملاص ، وأمهم هند بنت الأوقص بن الجيم . قالت هند وهي ترقّص فزارة :

---

١ - ديوان بشر بن أبي خازم ص ٧٢ .

إن تشبه الأوقص أو لجيما   أو تشبه الأحنف أو لُهَيما
تشبه رجالاً يمنعون الضيما

تُريد بالأحنف حنيفة بن لجيم ، وكان اسم حنيفة أُثال فالتقى هو والأحوى بن عوف العبدي ، فضرب الأحوى رجل أثال فحنفه ، فسمي حنيفة ، وضرب أُثال يد الأحوى فجذمها فسمي الأجذم[1] .

فولد سعد بن ذبيان : عوف بن سعد . وثعلبة بن سعد . وعبد بن سعد ، وهم أهل أبيات مع بني مرة بن عوف بن سعد ، وهم رهط العباس بن سعد صاحب شرطة يوسف بن عمر الثقفي بالكوفة ، وأمهم هُجَيرة بنت عبس بن بغيض .

فولد عوف بن سعد : مرة بن عوف ، وهم بطن . ودُهمان بن عوف بطن مع بني مرة ، وأمهما مُليكة بنت حنظلة بن مالك بن زيد مناة .

فولد مرة بن عوف : غيظ بن مرة ، وفيه العدد . ومالك بن مرة . وسهم بن مرة ، وأمهم سلمى بنت مالك بن حنظلة . وصرمة بن مرة . والصارد بن مرة وهو سلامة . وعُصيم ، وأمهم الراسبية بنت رشدان بن قيس بن جُهينة . وكان يقال لرشدان بن قيس غيّان «فسماهم النبي ﷺ بني رشدان» .

وخصيلة بن مرة ، وهو عمرو ، وأمه من بلي ، يقال لها حَرْقفة ، وسُمِّي خُصيلة لأن أمه بعثت إليه وهو يناضل فقال : بقيت خُصيلة فسمي خُصيلة ، ويقال إنها جاءت بخصيلة معها ، ولدته من ابن عم لها كانت عنده من بلي .

١ ـ بهامش الأصل : هو جذيمة .

فولد غيظ بن مرة : نُشْبَة بن غيظ . وعدي بن غيظ . وأمهما أسماء بنت شُيَد بن رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد . ويربوع بن غيظ وأمه من بلي . ومرة بن غيظ .

فولد نشبة : مرة بن نشبة . وعبيد بن نشبة . وعِميّت بن نشبه . وزهير بن نشبة . وقَمّاص بن نشبة . ومعاوية بن نشبة . وعمرو بن نشبة . وربيعة بن نشبة .

فمن بني مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف : **سنان بن أبي حارثة** بن مرة بن نشبة ، وابنه **هَرِم بن سنان** ، الذي مدحه زهير بن أبي سلمى المزني فقال :

إنَّ البخيل مَلُومٌ حيث كان ولكـ ـنَّ الجوادَ علىٰ علاَّته هرم
هو الجواد الذي يعطيك نائِلُهُ عفواً ويظلم أحياناً فَيُظَّلَمُ[1]

فقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة من ولده : ما الذي كان أبوك أنال زهير حتى مدحه ، فقالت : كذا وكذا وأشياء نسيتُها . فقالت : لكنه أبقى لكم ذكراً لا يُنسىٰ .

وعوف بن أبي حارثة ، أغارت هَمْدَان ورئيسهم عمرو بن كعب الأرحبي علىٰ بني مرة بذات الإصاد[2] ، فقتل عوف وأصاب منهم نهباً فقال أبو سلمىٰ وكان مقيماً في بني مرة :

وأيّ فتى حروب ضيعوه بشكته على ذات الإصاد
وولوا هاربين بكل فج كأن خصاهم قطع المزاد

١ ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٥٢ .
٢ ـ ذات الإصاد : ردهة في ديار عبس وسط هضب القليب ، وهضب القليب بنجد جبال صغار . معجم البلدان .

وظلوا يـأملون لقاء عـوفٍ ودون لقـائـه خـرط القتـاد

وكان سنان أبو هرم انطلق فنام تحت شجرة فلدغته حية فقتلته ، فطلبه قومه فوجدوه ميتاً ، وفيه يقول الشاعر :

إنّ الرزيَّةَ لا رزيَّـةَ مثلها ما تبتغي غطفان يوم أَضَلَّتِ

إنّ الركاب لتبتغي ذا مُرَّةٍ بجنوب نخل إذا الشهور أُحلَّتِ

وقاتل سنان في بني ذبيان بني عامر بساحوق[١]، فهزم بني عامر ، وأُصيب منهم رجال ركبوا الفلاة فهلكوا عطشاً ، وخنق نفسه حكم بن الطفيل أخو عامر بن الطفيل جزعاً من الأسر .

ومنهم يزيد بن سنان الشاعر. وخارجة بن سنان، وفيه البيت، وإنما سُمِّي خارجة لأن أمه ماتت وهو في بطنها فَبُقر واستُخرج فسُمِّي خارجة ، وسميت أمه البقيرة .

وقال بعضهم: سمي خارجة: بقير غطفان، لأنه استخرج من بطن أمه بعدما هلكت فسمي بقيرا ، وهو مَكْرُمان سمي بذلك لكرمه وهو القائل :

أَمَا تَرِينيَ ما أَلْهُو إلىٰ أحدٍ ولستُ مهتدياً إلا معي هادي

فقد صَبَحْتُ سوام الحيّ مُشْعلة حرباً تَطَلَّعُ من غَيْبٍ وانجاد[٢]

ثَمَّتَ أطعمتُ قِدري غير مُدَّخِرٍ أهل المحلَّة من جارٍ ومن جاد

ومنهم الحارث بن عوف[٣] بن سنان بن أبي حارثة ، جاء الاسلام

---

١ ـ قال ياقوت في معجم البلدان : ويوم ساحوق ، من أيام العرب .

٢ ـ بهامش الأصل : الغيب المنخفض ، والنجد : المرتفع .

٣ ـ بهامش الأصل : الحارث بن عوف رحمه الله .

والحارث بن عوف هذا سيّد بني مرة ، وكان يكنى أبا أسماء ، وهو صاحب الحمالة في حرب داحس بين عبس وذبيان ، وقال زهير :

سعىٰ ساعيا غيظ بن مرة بعدما تبزل ما بين العشيرة بالدم(١)

وقال النابغة الجعدي :

سعىٰ ساعيا غيظ بن مرة بينهم سناء ومجداً آخر الدهر باقيا(٢)

يعني الحارث بن عوف ، وحصين بن ضمضم بن جابر بن يربوع ، فقال الشاعر في الحارث :

فأصلحها لهم حار بن عوف فحملك في العشيرة لا يُعابُ

فأسلم الحارث ، وبعث معه النبي ﷺ رجلاً من الأنصار في جواره يدعو قومه إلىٰ الإسلام ، فقتله رجل من بني ثعلبة يقال له مزاحم بن شِجنـة ، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر فقال لحسان : «قل فيه» ، فقال :

يا حار من يغدر بذمة جاره منكم فإن محمداً لا يغدر

وأمانةُ المـريّ ما اسـترعيته مثل الزجاجة صدعُها لا يُجْبَر

إنْ تغدروا فالغدر منكم عادةٌ والغَدْرُ ينبت في أُصولِ السَّخْبَرِ(٣)

فبعث الحارث يعتذر ، وبعث بدِيةِ الرجل سبعين بعيراً فقبلها رسول الله ﷺ ، ودفعها إلى ورثته ، ويقال إن الرجل من غير الأنصار ، وفيه يقول الفزاري :

يا حار قد عَجَلَتْ عليكَ منيَّةٌ فالحمد زادَك قد فعلتَ لتُحمدا

---

١ ـ شرح ديوان زهير ص ١٤ .
٢ ـ ليس في ديوان النابغة الجعدي المطبوع .
٣ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١٣٧ .

ولقد تركت رجال صدق سادةً ولأنتَ بعد الله كنتَ السيِّدا
الحارث الوهَّاب أمسىٰ قبره قبراً بمسهكة[١] الرياح مُشَيَّدا

ومن ولد الحارث : **الصقر بن جيدب** كان والياً بالشام لمروان بن محمد الجعدي .

ومنهم : **الجنيد بن عبد الرحمن** بن عمرو بن الحارث بن خليفة بن سنان بن أبي حارثة ، ولي خراسان والسند ، وكان جواداً ، استعمله هشام على خراسان سنة اثنتي عشرة ومائة ، فلقي الترك فحاربهم وظفر بابن ملكهم . وكانت له مغازٍ .

وفي ولايته انتشرت دعاة بني هاشم ، وقوي أمرهم ، ومات الجنيد بمرو فقال فيه الشاعر :

ذهبَ الجُودُ والجنيد جميعاً فعلىٰ الجود والجنيد السلام

وقبل ذلك ما ولي الجنيد في أيام يزيد بن عبد الملك ثغر السند من قبل عمر بن هبيرة ، فغزا الكرج ، فاتخذ كباشاً نطاحة من خشب ، فهدم أسوارها وأصاب غنائم كبيرة منها ومن غيرها ، وفيه يقول جرير بن عطية :

أصبح زوار الجنيد وصحبه يُحَيُّون صَلْتَ الوجه جَمّاً مواهبه[٢]

وقال أبو الجويرية :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأحسابهم أو مجدهم قعدوا
مُحَسَّدُون على ما كان من كرم لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

---

١ ـ سهكت الريح التراب عن الأرض : أطارته ، وريح ساهكة ومسهكة : عاصفة شديدة . القاموس .

٢ ـ ديوان جرير ص ٤٨ .

وحدثني المدائني أن الجنيد أعطىٰ زواره بالسند أربعين ألف ألف درهم .

ومنهم : **خُريم بن عمرو** بن الحارث بن خليفة ، الذي يقال له خُريم الناعم ، وكان يلبس في الصيف الخُلْقان ، وفي الشتاء الجُدُد .

ومن ولده : أبو الهَيْذام ، وهو عامر بن عمارة بن خريم ، وهو الذي قتل أهل اليمن بالشام بالعصبية ، وهو القائل لأمير المؤمنين المنصور وقد قال له : ما بالك لا تسألني حوائجك : والله ما أخاف بُخْلَكَ ولا أستقصر عمرك .

وكان أخوه عثمان بن عمارة بن خريم ولي أرمينية وآذربيجان للمهدي ، وولي سجستان لأمير المؤمنين الرشيد .

ومنهم **شبيب بن مزيد**[1] بن جَمْرَة بن عوف بن أبي حارثة الشاعر ، وكان ينسب إلى أمه فيقال شبيب بن البرصاء ، وكانت أدماء فسُمِّيت برصاء بلا برص .

قال ابن الكلبي : هذا مقلوب من كلامهم ، كما يقولون للمهلكة : مفازة . وأشباه ذلك ، واسمها أمامة بنت الحارث بن عوف .

وذكر الكلبي أن رسول الله ﷺ خطبها إلى أبيها فقال : إن بها برصاً ، وهو كاذب ليدفعه عنها ، فلما رجع إلى قُبَّته وجدها برصاء . ولشبيب عقب بالبادية .

ومنهم : **عُبيد بن نشبة** بن مرَّة بن غيظ بن مرة ، وهو أبو الخريف الفاتك ، الذي علَّم الحارث بن ظالم الفتاكة ، وكان أبو الخريف أتىٰ نشبة

١ ـ بهامش الأصل : شبيب بن البرصاء الشاعر .

أباه ، وكان فاتكاً فقال : يا أبهَ علِّمني الفتاكة ، فقال : إذا هَمَمْتَ فافعل ، ثم عاد إليه فقال : علمني يا أبه الفتاكة ، فضربه بالسيف فجرحه وقال : يا بنيّ هذه الفتاكة . فأتى الحارث بن ظالم أبا الخريف بعد ذلك فقال : علمني الفتك فقال له : إذا هممت فافعل ، ثم عاد إليه فقال : علمني الفتك فشدَّ عليه بالسيف فهرب من بين يديه ، فقال : مالك ؟ فقال : هذا الفتك الذي سألت عنه .

ومنهم : **بُكير بن المغيرة** ، وكان يهاجي عقيل بن علفة .

وولد يربوع بن غيظ : جابر بن يربوع . وجذيمة بن يربوع . ورياح بن يربوع وأمهم عمرة بنت بَهز ، وهو تيم بن امرىء القيس بن بهثة بن سُليم بن منصور . وقِتال بن يربوع وأمه مزنيَّة .

فمن بني يربوع بن غيظ بن مُرَّة : **النابغة الشاعر**[1] ، وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع ، ويكنى أبا أمامة .

وقال ابن هبيرة الفزاري : ما يمنعني من قول الشعر ألا أكون قادراً عليه لو أردته ، لكني رأيته وضع النابغة الذبياني ، وكان سيد غطفان .

حدثني أبو الوليد الكناني قال : تذاكر جلساء النعمان بن المنذر عنده الشعر والشعراء ، فقال رجل منهم : لقد نبغ في بني ذبيان شاعر قلَّما سمعتُ كشعره ، فسمي النابغة ، واسمه زياد ، وفيه يقول الشاعر :

تَـأَمَّـلَ طيـرةً سَفَهَـاً زيـادُ   لتخـبره ومـا فيهـا خبـير
تعَلَّمْ أنَّ طير السوء تَغْرِي   بـزاجـرهـا وذلكُمُ الثبـور

وروى بعضهم أنه سُمّي النابغة بقوله :

١ ـ بهامش الأصل : النابغة الشاعر الذبياني .

وحلت في بني القين بن جسر فقد نبغتْ لنا منهم شؤون[١]

والأول أثبت .

قال وبعث النعمان إليه فسامره ، ثم إن رجلاً من بني قريع وشىٰ به إلى النعمان وأخبره أنه يُشَبِّبُ بالمتجردة جاريته ، ونحله هجاء له ، فهرب النابغة وجعل يقول الشعر في الإعتذار إلى النعمان ويكذب الواشي به فمن قوله :

ما إن بديتُ بشيء أنت تكرهه إذاً فلا رفعتْ سوطي إليَّ يدي[٢]

ومنه قوله :

لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عني خيانة لَمُبْلِغُكَ الواشي أَغَشُّ وأكْذَبُ
حَلَفْتُ فلم أتْرُكْ لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهب[٣]

قال : وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : أَشْعَرُ شعرائكم الذي يقول :

حَلَفْتُ فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

وقال أيضاً :

لعَمَرْي وما عُمْري عليّ بهيِّنٍ لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الأقارع
أتاكَ بقول هَلْهَلٍ[٤] نَسْجُ كاذبٍ ولَمْ يأت بالحقِّ الذي هو ساطع[٥]

وقال أبو عدنان السلمي حدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو قال كان النابغة قال :

---

١ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ١٢٦ .
٢ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ٣٦ .
٣ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ١٧ .
٤ ـ لهله الثوب : هلهله . القاموس .
٥ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ٨٠ ـ ٨١ مع فوارق كبيرة .

زعم البوارح أنَّ رحلتها غداً وبذاك خَبَّرنَا الغُراب الأسود[١]

فدخل الحجاز : فعيب عليه ذلك ، حتى سمع البيت يُغنىٰ به فلما مُدِّدَ عرف أنه مُقْوٍ فَغَيَّرَهُ فقال :

. . . . وبذاك ينعاب الغراب الأسود

وقال ابن الاعرابي عن المفضّل الضبي : كان من حديث النابغة وبدء غضب النعمان عليه أنه كانت عند النعمان المتجردة ، وكان النعمان قصيراً ، قبيح الوجه ، دميماً أبرش ، وكان مارداً ، وكان النابغة أحد جلسائه ومن يسمر عنده ، ورجل آخر من بني يشكر يقال له المنخل ، وكان جميلاً يُتَّهَمُ بالمتجردة ، ويقال أن ابْنَيْ النعمان منها إنَّما هُما من المنخل وهو القائل :

ولقد دخلتُ على الفتــ ــاة الخدرَ في اليوم المطير
فدفعتُها فتدافَعَتْ مَشْيَ القطاة إلى الغدير

فزعموا أن النعمان قال يوماً وعنده المتجردة والنابغة : صِفْهَا في شعرك يا نابغة ، فقال قصيدته التي أولها :

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رائح أو مُغْتَدِ . . . . [٢]

فقال المنخل : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلاّ من ذاق أو جَرَّبَ ، فَوَقَرَ ذلك في نفس النعمان ، ثم إن قوماً من بني قريع أخبروا النعمان أن النابغة يصف المتجردة ، ويذكر منها ما هو مكتوم . وكان للنعمان بواب يقال له عصام بن شَهْبَر ، جَرمي فأتىٰ النابغة فقال له إن النعمان موقع بك فهرب من النعمان إلى غسان بالشام ، فكان فيه ومدحهم بقصيدته التي يقول فيها :

١ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ٣٨ مع فوارق .

٢ ـ الشطر الثاني لهذا البيت : عجلان ذا زاد وغير مزود . ديوان النابغة الذبياني ص ٣٨ .

كِليني لِهَمٍّ يا أميمة ناصب ....[1]

وفيها يقول :

حَبَوْتُ بها غسان إذا كنت لاحقاً بقومٍ وإذ عَيَّتْ عليَّ مذاهبي[2]

وقد كان النابغة أتى غسان قبل ذلك عند قتل المنذر أبي النعمان بن المنذر يوم عين أباغ ، إذ طعنه شمر بن عمرو الحنفي ، وقد ذكرنا خبره يوم عين أباغ في كتابنا هذا ، فكلم النابغة الحارث بن أبي شمر في أسارى بني أسد ، واستشفع بالنعمان بن الحارث بن أبي شمر فأُطلقوا .

وكان حسان بن ثابت الأنصاري يحدث قال : لما بلغني زحف المنذر إلى الحارث بن أبي شمر وإيقاعه به ، قَدِمَتْ عليه أهنئه فوجدتُ عنده رجلين فأنشده أحدهما :

كليني لِهَمٍّ يا أميمة ناصب ....

حتى أتى عليها ، ثم أنشده بعده رجل كان على يساره .

طحا بك قلبٌ في الحسان طروب بُعَيْد الشباب عَصْرحَانَ مشيب[3]

فاستنشدني فهبت ذلك لما سمعت من جودة شعرهما ، فقال : يابن القريعة إن كنت منشداً فأنشد فأنشدته .

أسألت رسم الدار أم لم تسأل ....[4]

ولما خرجت من عنده سألت عن الرجلين فقيل : الأول النابغة والثاني علقمة بن عبدة ، فأُعطي علقمة أخاه شأس بن عبدة ، وكان أسيراً ، وقوم

١ ـ الشطر الثاني لهذا البيت : وليل أقاسمه بطيء الكواكب .

٢ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ٩ ـ ١٣ .

٣ ـ ديوان علقمة الفحل ـ ط . حلب ١٩٦٩ ص ٣٣ .

٤ ـ الشطر الثاني لهذا البيت : بين الجوابي فالبضيع فحومل . ديوان حسان ج ١ ص ٧٤ .

يظنون أن هذا في يوم حليمة وذلك غلط ، ألا ترى أن النابغة قال :

تخيرت من أزمان يوم حليمة إلى يوم قد جَرَّبْنَ كل التجارب(١)

وقوم يزعمون أنه جرى بين حسان والنابغة كلام فقال له حسان : أنا أشعر منك . فقال : كذبتَ لأنك لا تُحْسِنُ أن تقول مثل قولي :

أتاركة تدللها قطام ....(٢)

ومدح النابغة عصام بن شهبر فقال :

نفس عصام سَوَّدَتْ عصاما وعلَّمَتْهُ الكَرَّ والإقداما

وجعلته ملكاً هماما(٣)

ويقال إن الشعر لغير النابغة .

وبلغ النابغة أن النعمان ثقيل من مرض أشفى منه على الموت ، وكان يُحْمَل في مرضه ذلك على سرير فيما بين قصوره ، فقال :

ألم أُقْسِمْ عليك لتخبرنِّي أمحمولٌ على النعش الهمام

فإني لا أُلام على دخولٍ ولكن ما وراءك يا عصام

فإنْ يَهْلَكْ أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

وتمسك بعده بذناب عيش أَجَبَّ الظهر ليس له سنام(٤)

قالوا: وجاء النابغة وقد أجاره منظور بن أبان ، والربيع بن زياد العبسي ، فدخل على النعمان بن المنذر ، فلما رآه النُّعْمَان قال : أتتك بحائن رجلاه ، فقالا : أبيت اللعن إنا قد أجرناه ، فأنشده كلماته الثلاث :

١ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ١١ .
٢ ـ الشطر الثاني لهذا البيت ؛ «وضنا بالتحية والكلام» . ديوان النابغة الذبياني ص ١١١ .
٣ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ١١٨ .
٤ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ١١٠ .

يا دار مَيَّة بالعلياء فالسَّنَدِ ....(١)

وقوله :

أربَعَاً جديداً من سعاد تجنَّب ....(٢)

عفا رسم من فرتنا فالفوارع ....(٣)

فرضي عنه وأمر له بمائة ناقة من عصافيره ، وهي إبل كانت للنعمان .

ويروى أن حسان بن ثابت كان عند النعمان بن الحارث بن أبي شمر ، فإذا هو يوماً بصوت أجش من وراء القبة وهو يرتجز ويقول :

أَصمٌّ أَمْ يسمع رب القُبَّهْ ياأَوْهَبَ الناس لعَنْسٍ صُلْبَهْ
ذات نجاءٍ في يديها حدْبَة(٤)

فقال النعمان حين سمعه : مرحباً بأبي أمامة أُدخل ، فدخل عليه فأنشده :

أتاركة تَدَلُّلها قطام وضنّاً بالتحية والسلام

فقال حسان : لا أدري على ما أَحْسُدْه أعلى جمال وجهه ، أم جودة شعره ، أم حباء الملك له ؟

ورآه حسان بعد عام بعكاظ فعرض عليه شعره فقال : ما سمعت شعراً يَعْدُلُه إلاّ شعر هذه الشيخة السليمية ، يعني الخنساء .

وكان النابغة حكم الشعراء ، وبعض الناس يزعم أن كنية النابغة أبو ثمامة والأولى أثبت .

---

١ ـ الشطر الثاني لهذا البيت : «أقوت وطال عليها سالف الأبد» . ديوان النابغة الذبياني ص ٣٠ .

٢ ـ الشطر الثاني لهذا البيت : «عفت روضة الأجداد منها فيثقب» . ديوان النابغة الذبياني ص ٢٢ .

٣ ـ الشطر الثاني لهذا البيت : «فجنبا أريك فالتلاع الدوافع» . ديوان النابغة الذبياني ص ٧٨ .

٤ ـ ليست في ديوان النابغة الذبياني المطبوع .

وحُدثتُ أن المتجردة كانت تحت رجل من جُرْهُم ، وكانت جميلة فانتزعها النعمان من زوجها ، ويقال كانت أَمَةً سبيَّةً .

ومنهم : **عَقِيل بن عُلفة** بن الحارث بن معاوية بن ضَباب بن جابر بن يربوع ، وكان جافياً تائهاً غيوراً فقيل له قد عضلت بناتك أفما تخاف عليهن ما تخاف على النساء ؟ فقال : كلا إني أعريهنّ فلا يظهرن وأجيعهنّ فلا يأشرنَ .

وكانت أم عُلفة بن عقيل بن عُلفة جميلة ، وكان يُتَّهَمُ بها جحاف بن زياد أحد بني قتال ، فأخذها عقيل فربطها بين أربعة أوتاد، ودهنها بإهالة[1] ، وجعلها في قرية نمل فمر بها الجحاف ليلاً فسمع أنينها فاحتملها حتى طرحها بفَدَك ، فاستعدى عقيل عليه الوالي ، فقال إنها رأتني وقد كبرت وذهب وفري[2] وكثر بخري ، فردها عليه .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي قال : كان عقيل بن علفة غيوراً ، فدخل على عثمان بن حيان المُرّي ، وهو عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة ، فقال له : يا عقيل ، زوجني ابنتك ، فقال : أبكرة من إبلي ؟ قال : أي شيء تقول ويحك ؟ قال : أي شيء قلت أنت ؟ قال : قلت زوِّجْني ابنتك . قال : أبكرة من إبلي ، قال : أخرجوه عني ملعون خبيث ، فخرج وهو يقول :

كُنَّا بَنُو غيظ الرجال فأصبحتْ بنو مالك غيظاً وصرنا كمالك
لحى الله دهراً أَذْهَبَ المالَ كلَّهُ وسَوَّدَ أبناءَ الإماءِ العواتك

---

١ ـ الإهالة : الشحم ، أو ما أذيب منه ، أو الزيت ، وكل ما إئتدم به . القاموس .
٢ ـ بهامش الأصل : ذفري .

وكان عثمان بن حيان أحد بني مالك بن مُرة وعقيل أحد بني غيظ بن مرة .

ومنهم : **حصين بن ضمضم** بن ضباب ، الذي ذكره زهير بن أبي سلمى في كلمته التي أَوَّلُها :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٍ لم تكلم ....[1]

قالوا : واجتمعت عبس وذبيان بقَطَنْ[2] ويقال بذي حُسىَ[3] وذلك قبل أن تؤدى الحمالات التي تراضوا بها ، فنظر الربيع بن زياد العبسي إلى حصين بن ضمضم ، ومعه فرس له فقال لتيحان أحد بني مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس : قم إلى حصين فناطقه وتأنَّه فإن في لسانه حلبسة[4] ، وأقره مني السلام فجعل تيحان يكلمه وهو ساكت حتى دنا منه ، فجال حصين في متن فرسه ، ثم لحقه فقتله بأبيه ضمضم ، وقتل أيضاً ربيعة بن وهب العبسي بأخيه هرم بن ضمضم ، وكان قاتله الورد بن عروة ، ويقال عنترة قتلهما يوم المُريقب حين اقتتلت عبس وفزارة ، وعلى عبس الربيع بن زياد ، وعلى فزارة حذيفة بن بدر ، فقال رجل من بني مخزوم :

١ ـ الشطر الثاني لهذا البيت : «بحومانة الدارج فالمتثلم» . شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٤ .

٢ ـ قطن : جبل مستدير ململم يجري من رأسه عيون لبني عبس عن يمين النباج والمدينة . معجم البلدان .

٣ ـ بالأصل حُشى وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه ، وذو حُسى واد بالشربة من ديار غطفان وقيل هو وادي الهباءة ، وكان به يوم من أيام داحس والغبراء لبني ذبيان على عبس . المرصع لابن الأثير .

٤ ـ كذا بالأصل ، ولعلها تصحيف «حبسه» فالحلبس : الشجاع . القاموس .

سالم الله من تبرأ من غيـــ ـظٍ وولى آثامها يـربوعـا
قتلونا بعد المواثيق والعهــ ـد فما كان جارهم ممنوعا

وتهايجوا فاقتتلوا بقطن ، أتى خارجة بن سنان أبا تيحان بابنه ، فقال : هذا وفاء بابنك فعفا عنه فافتداه بمائتي بعير فأدى إليه مائة ثم حط الإسلام عنه مائة ثم اصطلحوا وتعاقدوا فقال زهير :

لعمري لنعم الحيّ جَرَّ عليهم بما لا يؤاتيهم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشحاً على مستكنّة فلا هو أبداها ولم يتقدم[1]

يعني أمر تيحان .

وقالوا : لما قتلت عبس حذيفة بن بدر الفزاري يوم الهَباءة ، غضب سنان بن أبي حارثة المري غضباً شديداً ، واجتمعت إليه بنو ذبيان فشكوا مالقوا من بني عبس ، وكان سنان معتزلاً الحرب نازلاً في بني مرة ، فاجتمعت بنو مرة وبنو عبدالله بن غطفان ، وبنو ثعلبة فقال لهم سنان : لا تعرضوا للإبل والغنيمة ، فإن الطمع فَشَل ، الضِّراب قبل النهاب ، فأرسلها مثلاً ، فنهضوا إلى بني عبس فقال قيس بن زهير بن جذيمة لبني عبس : لا أرى لكم لقاء القوم فإنهم موتورون فإن أَبَيْتُم فإن لكل قوم شَرَّةً ولكل شرةٍ فترةً ، فاصبروا لهم ، وأقبل سنان في جيشه فلقي بني عبس على ذات الحراج فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ونادى عُمارة بن زياد أخو الربيع : هل من مبارز ، فقال سنان لابنه : بارزه ، فنزل عن راحلته وهو يقول :

يا عين بَكِّي مالكاً ومالكا[2] وحَمَلاً عـزَّ علينـا هـالكـا

١ - شرح ديوان زهير ص ٢١ - ٢٢ .
٢ - بهامش الأصل : مالك بن زهير ومالك بن حذيفة .

فقال الربيع لأخيه عمارة : لا تبارزه فإنه موتور لو طعن بعود سحمه[1] لقتل ، فلم يبارزه ، ثم التقى القوم واختلطوا وبدت يومئذٍ نجدة عنترة العبسي ، وجعل يرتجز ويقول :

اليوم تبلو كل انثى بعلها   والحُرُّ يحميها ويحمي رَحْلَهَا[2]

ثم حمل فطعن حصين بن ضمضم فأرداه عن فرسه ، وحمل أيضاً على دريد بن حصين بن ضمضم فصرعه ، وطعن حصين عنترة ، ثم استقل وقد دمي وجهه ، وحمل عليه فطعن مؤخر سرجه ، فأفلت من طعنته فقال عنترة :

ولقد خشيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ   الحربُ دائرة على ابني ضمضم[3]

وقال سنان :

ابكوا حذيفة بالصفائح والقنا   وانعـوه للبـادين والحَضْرِ

وانصرف سنان .

وقال بعضهم : طعن عنترة حصيناً فأرداه فأدْمَى وجهه ، فمسح الدم ، وشد على عنترة فطعن مؤخر سرجه فأفلت من طعنته .

وقال المفضل : قتل هرم بن ضمضم المري ، ثم اصطلح الناس ولم يدخل حصين في الصلح ، وحلف ألا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس ، ويقال ورد بن عمرو ، أو رجلاً من بني عبس ، ثم من بني غالب وكَتم ذلك فلم يُطلع عليه أحداً ، وحمل الحمالة الحارث بن عوف بن أبي

---

١ ـ السحمة : السواد ، والسحم : شجر .
٢ ـ ليس في ديوان عنترة المطبوع .
٣ ـ ليس في ديوان عنترة المطبوع .

حارثة وهَرِم بن سنان بن أبي حارثة ، فلقي الحصين رجلاً من بني عبس فقتله ، وبلغ ذلك الحارث وهرماً فاشتدّ عليهما ، وأراد بنو عبس قتل الحارث فصالحهم على الدِّية .

ومنهم : **الحارث بن ظالم** بن جذيمة بن يربوع بن غيظ .

حدثنا قوم من علمائنا أن زهير بن جَذيمة بن رواحة العبسي تزوج امرأة من بني سُليم بن منصور يقال لها تُماضر بنت الشريد ، فولدت له قيس بن زهير . وكثير بن زهير . ومالك بن زهير . وشأس بن زهير . والحارث بن زهير . وخداش بن زهير . وورقة بن زهير . ونهشل بن زهير . وعوف بن زهير .

وكان النعمان بن المنذر أرسل إلى زهير يخطب ابنته ، ويسأله أن يبعث إليه ببعض بنيه ، فبعث إليه شأساً ، فلما قدم عليه سأش حباه وأكرمه وأحسن جائزته ورده إلى أبيه وعرض عليه أن يوجه معه قوماً يبذرقونه فقال : لاشيء أمنع لي من نسبتي إلىٰ أبي ، فورد ماءً من مياه غني بن أعصر يقال له النتأة ، فوجد عليه رجلاً من غنيّ فقال له شأس : أفي الحوض ماء ؟ قال : ما فيه ما يكفيك . فقال شأس : والله إن قراكم ما علمتُ لحسنٌ ، وإن كلامكم لغليظ . فنكس الغنويّ حين سمع قوله ، وشم منه ريح المسك فرماه بسهم فقتله ، وأخذ ثيابه وجميع ما معه ، ثم حفر له ودفنه ، وأخفىٰ ما كان معه ، وكان فيه عَيْبَةٌ مملوءة مسكاً وعنبراً وحُلَلاً وغيرها . وكان الغنوي رياح بن حراق .

وقال ابن الكلبي: هو رياح بن أخي الأشل ، وفحص زهير حين أبطأ عنه شأس عن خبره ، وأُخبر بما انصرف به من عند النعمان ، ولم يَدْر من قتله

إلّا أنه وقع ظنه على غنيّ وكلاب ، ثم إنه بعد أشهر أمر أمرأة حازمة من قومه وكانت لسنة شديدة أن تأخذ لحماً سميناً فتقدّده ، وتخرج به إلىٰ بني عامر ، وغنيّ فتعرض ذلك عليهم وتقول إني زوجت ابنتي وأنا أبتغي لها طيباً وثياباً ففعلت ، ثم إنها وقعت على امرأة للغنويّ فقالت لها : إن كتمت عليَّ أعطيتُك حاجتك وأخبرتها بأمر شأس وأعطتها مسكاً وثياباً ، وباعتها ذلك بما معها من اللحم والشحم ، وخرجت العبسية حتى أخبرت زهيراً بالأمر ، فركب زهير فقدم علىٰ غنيّ فقال لهم : إنكم قتلتم شأساً ابني فقالوا : ومن قتله فأخبرهم ، فقال : اما أن تحيوا شأساً أو تمكنوني من غني كلها حتى أقتلها به ، أو تنصبوا الحرب بيني وبينكم ، فقال خالد بن جعفر بن كلاب ، وكان نازلاً يومئذٍ في غني ، وهم أخواله ، أما شأس فقد علمت أنا لا نقدر على إحيائه ، وأما غني فإنهم أحرار كرام لا يرضون بها ، ولكن الثالثة من إقامة الحرب بيننا وبينك ، فلو كنت المُطالَبُ بهذا لم تُعْطِ ، وإن السِّلْم أمنٌ ومسننة ، فارض بقاتل ابنك أوْ دِيَته ، وكان قاتله مستخفياً في ردهة يأوي إليها ، فلم يرض زهير . وحمل وقومه من بني عبس عليهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فأكثر زهير القتل في غني وبني عامر ، ثم إن خالد بن جعفر وزهير بن جذيمة التقيا بعكاظ فجرىٰ بينهما كلام فقال خالد : يا زهير وددت أني عقدت يديّ وراء عنقك فلا نفترق حتى يكون الطَّول لأحدنا ، فحرض قومه وقال :

بكيتُ على شأسٍ وأُخبرت أنه ... بماء غنيٍّ آخر الليل يُسلَب

وجعل خالد يَجمع لبني عبس وقال :

أديروني إدارتكم فإني ... وحَذْفة[1] كالشجا تحت الوريد

١ ـ حذفة : فرس خالد بن جعفر . القاموس .

مكـرَّمـةٌ أواسيهـا بقـولي وألحفهـا ردائي في الجليـد
لعـلَّ الله يمكـنني عـليهـا جهاراً من زهير أو أسيـد

وأسيد أخو زهير بن جذيمة .

ثم غزا خالد بني عبس وأَلْفَافَهم ، فالتقت الخيلان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم إن خالداً وصل إلى زهير ، فحمل كل واحد منهما على صاحبه ، واضطربا بسيفيهما ، ثم تعانقا فَخَرَّا بين فرسيهما ، ووقع زهير تحت خالد ، فأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالداً على رأسه ضربة نَبَتْ عن رأسه، وأقبل حُنْدُج بن البكَّاء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، واسم البكَّاء معاوية ، فضرب رأس زهير بن جذيمة ، فدخل فيه السيف فقتله ، وقال ورقاء :

رأيت زهيراً تحت كلكل خالدٍ فأقبلت أسعى كالعَجُول أبادر
إلى بطلين ينهضان كـلاهما يريدان حد السيف والسيف نادر

ثم إن خالد بن جعفر علم أنه مطلوب بدم زهير بن جذيمة ، فخرج ومعه أخوه عروة بن جعفر ، وهو الذي يقال له عروة الرحال ، حتى قدما على النعمان بن المنذر ، فاستجاراه فأجارهما وضرب لهما قبة ، وكان بعض البصريين يقول : إن المجير لهما الأسود بن المنذر ، والأول أثبت .

وان غطفان تناظرت فيما تصنع ، فقال لهم الحارث بن ظالم المري : عليكم بحرب هوازن فقوموا بها ، على أن أقتل خالد بن جعفر بن كلاب بزهير بن جذيمة ، فخرج الحارث حتى قدم على النعمان فدخل عليه وعنده خالد وأخوه عروة ، وهم يأكلون تمراً ، فقال له خالد : يا أبا ليلى إن لي عندك يداً ينبغي أن تشكرها ، فقال الحارث : وما هي ؟ قال : قتلت زهيراً

فصرت سيد غطفان ، فقال : سأشكرك وأشكمك[1] شكم ذاك ، وتداخل الحارث غيظ وغضب شديد فنهض إلى منزله فأخرجَ رحْلَهُ وقَرَّبَ راحلته ثم جعل يكدم الرَّحْلَ غيظاً فكلما كسر منه كسرة لاكها طويلاً ثم ألقاها فقال له رجل كان معه من محارب بن خصفة : إني أراك تصنع شيئاً عجيباً ، فلما ركب راحلته أقسم على المحاربي ، وكان يقال له خراش لينطلقنَّ إلى حيث يشاء فانطلق وتركه ، وقال عروة لأخيه خالد : ما حملك على ما قلت للحارث حتى أغضبته وأنت تعرف شجاعته وفتكه وشرارته ، أما والله إني لأحسبك ستشرب بها كأساً فقال خالد : وما الذي تخوفني به من الحارث ، فوالله لو وجدني نائماً ما اجترأ على أن يوقظني ، فقال عروة : الصدق ينبىء عنك لا الوعيد ، ودخلا قُبَّتَهُما فأشرجاها عليهما ، وأقبل الحارث ليلاً فأناخ راحلته وأتى القبة فقطع شرجها بسيفه ، وخالد نائم فقال لعروة : والله لئن تحركتَ لأَجَأَنَّ بِكَ قَبْلَهُ فسكت وضرب الحارث خالداً برجله فنبهه ثم قال : أتعرفني ؟ قال : نعم . قال أنا الذي بلغني أنك قلت لأخيك والله لو كنت نائماً ما اجترأ على أن يوقظني ، ثم ضربه بسيفه حتى قتله ، وخرج فركب راحلته وهرب ، ودخل عروة على النعمان فأخبره بما صنع الحارث فأمر بطلبه فلحقه قوم فهابوه وتحاموا عنه وقالوا : لم نره ، ومضى إلى غسان بالشام ، فكان في جوارهم حيناً ، ثم أتى مكة حتى استُؤمن له النعمان فقدم الحيرة .

وبلغ الحارث أن جُمَلَ بنت خالد قالت :

ياحارِ لو نبهته لوجدته ... لا طائشاً رعْشَاً ولا معزالا
لكن غدرت وكنتَ عبداً غادراً ... في الليل تُحسب في الظلام خيالا

---

١ ـ الشكم : الجزاء والعطاء ، والشكيمة : الأنفة والانتصار من الظلم . القاموس .

فقال مجيباً لها :

يا جُمْلُ قد نبَّهْتُهُ فوجدتُه رَخْوَ اليدين إذا رأى الأبطالا

وقال المفضل الضبي وجُناد، وابن الجصاص الكوفيون فيما ذكر لي عباس بن هشام الكلبي عن أبيه : خرج الحارث إلى غسان فلم يُقِمْ عندهم إلّا يسيراً ، ثم أتى مكة فنزل على عبدالله بن جُدعان فأجاره ومَتَّ إليه بأن مُرَّة بن عوف من قريش قال :

فما قَوْمي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشّعرى رقابا
وقَوْمي إن سألت بني لؤيٍّ بمكة عَلَّمُوا مضرَ الضِّرابا

ثم إنه طلب له الأمان من النعمان فأمنه وقدم ، فأقام عنده ، فأتت امرأة من قومه ، ويقال من بَلِي فشكت إليه قِلَّتَهَا وضعفها ، وأن النعمان أخذ منها ومن نساء معها من أهلها مائة ناقة لهنَّ ولأولادهن وقالت : يا أبا ليلى إنَّا نستجير بك مما ركبنا به من الظلم والأخذ بغير جرم . فلما وردت الإبل الماء خرج وهو يقول :

أنا أبو ليلى وسيفي المعلوب ونَسَبي في الحيِّ غير مأشوب
هل يُرجعنَّ مالَكِ ضربٌ تشذيب

ثم قال لها : لا تَقَعَنَّ عينك على ناقة تعرفينها إلّا أَخَذْتِها ، فأخذت ما رأت وعرفتْ مالها ، ثم إنها رأت ناقة للنعمان فأدَّعَتْها فقال الراعي : كذبت هذه للملك النعمان . فقال الحارث للراعي : أرسلها لا أمَّ لك ، وأشار إليه بالسيف فضرط الراعي فقال الحارث : أست البائن أعلم ، فذهبتْ مثلاً . والبائن هو الذي يَحُمُّ الناقة والحَمُّ : الحلب ـ ويقال للذي يمسك الإناء من الجانب الأيمن : المعلى فالمستعلى .

ثم إن الحارث بن ظالم استنقذ للنسوة جميع إبلهنَّ ، وعلم أن النعمان سيطلبه ، فهرب ، وتوعَّد النعمان من آواه من العرب ، فلم يقدم على إيوائه إلّا زرارة بن عُدُس فإنه أجاره وآواه ، وكان ابن للنعمان عند سلمى بنت ظالم امرأة سنان بن أبي حارثة ، فعمد الحارث إلى بعض جهاز سنان فأتاها به وقال : اصنعي ابنك فقد أمرني زوجك أن أحمله إلى أبيه ، وهذه العلامة فدفعته إليه فقتله ، فبلغ غضب النعمان في ذلك ما لم يبلغه في شيء قط ، وجهز جيشاً كثيفاً مع ابن الخِمْس ، وهو أسود بن عمرو ، وعمرو هو الخِمْس بن ربيعة من ولد الحارث بن بكر بن حبيب من بني تغلب بن وائل ، وبلغ بني عامر ذلك ، فانضموا إلى ابن الخمس طالبين بدم خالد بن جعفر وعليهم الأحوص بن جعفر ، فلقوا زرارة ومن معه من تميم ومرة وغيرهم من غطفان ، فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ، فضرب ابن الخمس رجْلَ الحارث بن ظالم فأطَنَّها ، وشد قيس بن زهير العبسي على ابن الخمس فضربه ، ثم طعنه فسقط قتيلاً ثم تحاجزوا ، وكان الحارث منسوباً إلى الوفاء ، وأول ما عُرف من وفائه أن رجلاً من بني أسد يقال له صحان أتاه مستجيراً به وأعلمه أن قوماً أغاروا على إبله فاستنقذها له وأجاره وذلك في أول أيامه .

وقال أبو عبيدة : لما قتلِ الحارث خالد بن جعفر، غضب الأسود بن المنذر وهرب ، وكان خالد في جواره ، قال : ما أشد الأشياء عليه ؟ فقيل : أن تؤخذ جاراتُه وإبلهنَّ وكُنَّ من بَلِيّ ، فوجّه مَنْ ساقَهُن وأموالهنّ ، وبلغه الخبر فأتى من وجهه مواضعهنَّ فاستنقذ الإبل وتخلص جاراته ، وقتل ابنا للأسود بن المنذر ، ثم أتى زرارة بن عُدُس ، ووجه النعمان جيشاً عليه ابن الخمس التغلبي فقال الحارث لزرارة : إنه لا يُسْكن غضب النعمان والأسود

عليك إلا أن أخرج من عندك ، فأتى مكة فأجاره ابن جُدعان ثم صار إلى جبلي طيء لا ستيبائه مكة فأُخذ ، وبعث به إلى النعمان فقتله .

وقال قوم : إنه شهد المعركة لأنه ندم على فراره ، فانصرف من مكة ، فقتله ابن الخمس ، وقتل قيس بن زهير ابن الخمس .

وقال بعض بني كلاب : لما تيقن النعمان أن الحارث هارب ، كُلم في زرارة ، فكف عنه ، وأن الحارث قدم من مكة فقصد لابن الخمس وهو نازل فوق الحيرة ، فاستأمن إليه واستجار به وأمنه ، ثم حمله إلى النعمان فقتله وقد كان قال له إن سيفي هذا سيف لم يُرَ مثْله ، ولقد أعطاني به قيس بن زهير مائتي ضروع ، فلما قُتل الحارث مضى ابن الخمس إلى قيس بن زهير فقال : قد أتيتك بسيف الحارث بن ظالم فابتعه مني بما سَأَلْتَهُ أن يبيعك إياه أو بأقل من ذلك إن أحببت ، فأخذه قيس وجعل يهزه ويمسحه ثم ضرب ابن الخمس به فقتله :

قال أبو عبيدة : لما قصد الحارث ليخلص جاراته وأموالهنّ ، وصار إلى موضعهنّ رأى ناقة لبعضهن يقال لها اللفاع ، كانت غزيرة يحلبها حالبان فقال :

إذا سمعتِ حَنَّـةَ اللفـاع فَادْعِي أبا ليلى فلن تُراعى
ذلك راعيك فنعم الراعي يحلبك رحب الصدر والذراع
منصلت بصارم قَطَّاعِ

فعرف الراعي كلامه فحبق فقال : است البائن أعلم .

وخبر الكوفيين في أمر الحارث أثبت عند ابن الاعرابي والأصمعي فيما أخبرني به أبو عدنان .

وقال أبو عبيدة : ملأ المفضّل البصرة كذباً ، فقال أبو زيد الأنصاري : هو والله الكاذب لا المفضل .

ومن بني مرة : **قيس بن زَحْل** بن ظالم بن جذيمة كان شريفاً .

ومنهم : **الرماح بن الأبرد** بن شريان بن سُراقة بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة ، وبعضهم يقول : سراقة بن قيس بن سلمى .

وكان الرمَّاح[1] بن ميادة ، يكنى أبا شرحبيل ، وذكروا أن ميادة كانت أمة لرجل من كلب وكانت تحت عبدٍ له يقال له نَهْبَل ، فابتاعها بعض بني ثَرْيان بن سُراقة من الشام ، فلما صاروا إلى ماء لبني سلمى يُعرف بالمُليحة ، ومعهم عليه بنو زَحْل نظر رجل من بني سلمى إليها وهي ناعسة تمايل على بعيرها ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : اشتراها بنو ثريان . فقال : وأبيكم إنها لتميد ، فقيل : مَيَّادة ، وكانت تسمى جَيْداء .

وكان الأبرد جافياً وضيعاً يرعى الإبل ، وكان إخوته العَوْثبان وفُرَيْص وناعصة ظرفاء ، وكان العوثبان وفريص شاعرين فأرسلوا ميادة ترعى الإبل مع الأبرد، فوقع عليها فحملت فسئلت لمن ولدها فقالت: لأبرد، وسألوا الأبرد فجعل يسكت ، فلما ولدت رمّاحاً نشأ[2] نجيباً كيِّساً ، أَقَرَّ به أبرد ، وولدت ميادة بعد الرماح : ثُرْيان بن أبرد ، وخليل بن أبرد . وبشر بن أبرد . ولم ينكح من النساء غيرها ، وكانت امرأة صدق لم تُسَبّ إلا بزوجها نهبل . وقال عبد الرحمن بن جهيم الأسدي :

---

١ ـ بهامش الأصل : ابن ميادة الشاعر .
٢ ـ بهامش الأصل : فنشأ .

لعمري لئن سُبَّتْ حليلة نهبل لبئس سباب الناس كان سبابها
ولم تَدْرِ حَمْرَاءُ العَجَانِ أَنَهْبَلٌ أَبُوهُ أم المُرِّيُّ تَبَّ تبابها

وقال ابن الاعرابي : كانت ميادة أمة سوداء راعية لأبرد ، فوقع عليها ، والثبت أن ميادة لما ابْتيعَتْ فقدُم بها وُهبت للأبرد ، فأولدها . ويقال بل ابتاعها .

وكان بنو مازن بن فزارة أخذوا أموال بني الصادر ، فقال ابن ميادة :

ولأُورِدَنَّ على جماعة مازنٍ خيلاً مُقَلَّصَةَ الخَصَى ورجالا[1]

فقال رجل من بني مازن :

يابن الخبيثة يابن طَلَّةِ نهبل هَلاَّ جمعتَ كما زعمتَ رجالا
أبيظَرِ مَيْدَةَ أم بِخِصْيَيْ نهبل أَمْ بالفُسَاةِ تُنَازِلُ الأبطالا
ولئن وردت على جماعة مازن تبغي القتال لتَلْقَينَّ قتالا

وزعموا أن بني مرة يُسمون الفُساة ، لأنهم يأكلون التمر ، وهم مجاورون لخيبر وفدك ، وهم بينهما .

وقال أبو اليقظان : يُعَيَّر بنو مرة بأكل التمر ، وقال سماعة بن أشول النعامي من بني أسد :

لعل ابن اشبانية عارَضَتْ به رعاء الشويِّ من مريح وعازب

والأشبان : من الصقالبة ، ويُروى : لعل ابن فَرَّانِيَّةٍ .

وقال بعضهم : كانت أم بني ثَرْيان سلمى بنت كعب بن زهير بن أبي سلمى .

---

١ ـ شعر ابن ميادة ـ ط . دمشق ١٩٨٣ ص ١٩٨ .

قالوا : وكان ابن ميادة سبط الشعر ، طويل اللحية ، عظيماً طويلاً ، وكان لباساً .

وقيل لابن ميادة إن في شِعرك سَقَطاً فقال : إنما شعري كنبل في جفير يُرمىٰ بها الغرض : فطالع ، وواقع ، وعاضد ، وقاصر . فالطالع الذي يعلو الغرض، والواقع الذي يقع بالغرض، والعاضد الذي يقع عن يمين الغرض أو شمالة يَمُرُّ عن عضدك الأيمن والأيسر لا تجاهك وهو شَرُّهَا ، والقاصر الذي يقصر دون الغرض ولا يبلغه .

قال المتوكل بن عبدالله الليثي :

الشِّعْـرُ لُبُّ المـرء يعـرِضُـهُ والقـولُ مثلُ مَـوَاقع النَّبْـل
منهـا المُقَصِّرُ عـن رَميَّتِـهِ ونَـوَافـرٌ يَـذْهَبْنَ بـالخَصْـل

وقال الأصمعي : أخبرني طَمّاح وهو ابن أخي ابن ميادة ، قال : أخبرني عمي الرَمّاح قال : علمت أني شاعر حيث واطأتُ الحطيئة فقلت ، ووالله ما أعلم أنه قاله :

فذوا العش[1] فالممدور[2] أصبح قاوياً[3] تُمَشّي بـه ظلمانـه وجـآذره[4]

وقال الحطيئة :

.... تُمَشّي بـه ظلمانه وجـآذره[5]

وأدرك ابن ميادة زمن يزيد بن عبد الملك وهشام وبقي إلىٰ زمن

١ ـ ذو العش : من أودية العقيق من نواحي المدينة . معجم البلدان .
٢ ـ الممدور : موضع في ديار غطفان . معجم البلدان .
٣ ـ أصبح قاويا : أصبح خاليا . القاموس .
٤ ـ شعر ابن ميادة ص ١٢١ .
٥ ـ الشطر الأول لهذا البيت : «عفا مُساحلان من سليمى فحامره» . ديوان الحطيئة ص ١٩ .

المنصور أبي جعفر أمير المؤمنين ، ومدح ابن ميادة الوليد بن يزيد بن عبد الملك قبل خلافته بقصيدة أولها :

أشَاقَكَ بالقَلْع الغداةَ رسُوم دوارسُ أدنى عهدهُنَّ قديم

يقول فيها :

فليتَ وليَّ العهد كان مُحَرَّماً على الموت معقوداً عليه تميم[١]

وقال فيه :

وجدت الوليد بن اليزيد مباركاً شديداً بأحناء الخلافة كاهله
قليلُ طعام البطن إلا تَعِلَّةً من الصيد أحياناً كما الصقر آكلُه
يُضيء سراج الملك فوق جبينه غداةَ تنادَتْ بالنجاح قَوَابِلُه
كأنَّ ضياء البدر يدخُل فَرشَهُ إذا واجَهَتْهُ باللحاف حلائله[٢]

فأمر له الوليد بمائة ناقة من صدقات كلب ، فأرادوا أن يعطوه إياها من رذال المال ، أو يبتاعوا له من غير إبلهم فقال :

ألم يَبْلُغْكَ أنَّ رعاة كلب أرادوا في عطيَّتِكَ ارتدادا
وقالوا أنها صُهْبٌ وزُرْقٌ وقد أُعطيتُها صُفْرا جعادا[٣]

فقال : انطلق خذها صفرا جعاداً .

ورثى الوليد حين قتل فقال :

ألا يا لهفتاه على وليد غداة أصابه القدر المتاح
ألا أبكي الوليد فتى قريش وأسْمَحُهَا إذا عُدَّ السماح

---

١ ـ ليسا في شعره المنشور .
٢ ـ شعر ابن ميادة ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .
٣ ـ شعر ابن ميادة ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

لقد فعلتْ بنو مروان فعلاً وأمراً ما يسوغ له القُراح[١]

وقال في المنصور أمير المؤمنين شعراً منه قوله :

فَلأَجْلَسنَّ إلى الخليفة إنه رَحْبُ الفناء بواسعٍ بحباح
فَرَّجْتَ عن مُضَرَ العريضة هَمَّها ونطحتَ عند الموت أي نطاح
ووجدت حين لقيت أكرم فائد ووليت حين وليت بالإصلاح
وعفوت عن كسر الجناح ولم تكن لتطير ناهضة بغير جناح[٢]

ومدح جعفر بن سليمان بن علي ، وبني علي فقال :

ولآتينّ بني عليٍّ إنه مَنْ يأتِهِمْ يُتَلَقَّ بالأفراح[٣]

وقال في جعفر بن سليمان :

يا جعفر الخيرات يا جعفرُ ليتك لا تَفْنَىَ ولا تكبرُ
ولاتزال الدهر في نعمة يغدو عليك المسك والعنبر
الفاعل المعروف في قومه لا يستوي المعروف والمنكر
قوم إذا ما حاربوا صابروا وإنما يقدر من يصبر[٤]

فقال له : كبرتَ والله يا بن ميادة وكبر شعرك . قال : لا والله لكن عطاياكم نزرت فنزر شعري .

ومدح ابن ميادة المنصور بقصيدة فراح عليه راعي إبله بلبن ، فشرب منه شربة ، ثم مسح بطنه وقال : سبحان الله ، أأفِدُ إلى الخليفة ، وقد كفتني هذه الشربة ، وأنا شيخ كبير؟ فأقام ولم يأته .

١ ـ شعر ابن ميادة ص ٩٥ .
٢ ـ شعر ابن ميادة ص ١٠٠ .
٣ ـ شعر ابن ميادة ص ١٠٠ .
٤ ـ شعر ابن ميادة ص ١٢٣ .

و مدح ابن ميادة رياح بن عثمان المري ، فأعطاه شيئاً قليلاً ، فقال له المنصور ـ وقدم عليه فمدحه ـ : أتحب أن أعطيك كما أعطاك ابن عمك ؟ فقال : فأين فضل قريش على غطفان ؟ ولكن أعطني كما أعطاني الوليد ابن عمك .

ومن جيد شعر ابن ميادة قوله في قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وابنيه :

وما ألحّ على الإخوان أسألهم كما يلح بعظم الغارب القتب
وما أخادع ندماني لأخدعه عن ماله حين يسترخي به اللَّبَبُ

وقال ابن ميادة مجيباً الخارجي الذي قال :

أحمل رأساً قد مللتُ حَمْلَهُ[١] .

تمنىٰ اليماني أن يفارق رأسه ففارقه في غير حمدٍ ولا أجر[٢]

وقيل لابن ميادة عند موته : اذكر ربك يا أبا شرحبيل فجعل يقول :

إذا متُّ يا قومي فلا تَدْفِنُنَّنِي فـأَبْغَضُ جـيرانٍ إليَّ قُبـورُ
ولكن دعوني يا بنيَّ تَعُسُّني ثعالب في أوطانها ونسور[٣]

ورثاه شماطيط العُقْفَاني ، وبنو عُقفان من بني عبس وهم في مرَّة ، وهو القائل :

«أنا شماطيط الذي سمعت به» فقال :

مات من الرَمّاح شعر وشرف وكان كالبرديّ والناس حشف

١ ـ شطر الرجز هذا في ديوان شعر الخوارج ص ١٤٢ لخارجية اسمها أم حكيم ، ويليه :
وقد مللت دهنه وغسله ألا فتى يحمل عني ثقله
٢ ـ ليس في شعره المنشور .
٣ ـ شعر ابن ميادة ص ١٢٧ .

قالوا : وكان ابن ميادة يتحدث إلى امرأة من طيء تدعى حُسَيْنَة ، وكان لها زوج يقال له عيسىٰ بن يسار ، فأخذوه عندها فجعلت تقاتلهم معه حتى تخلص فقال :

ستأتينا حُسَيْنَـة حيث شئنا وإنْ رَغِمَتْ أنوف بني يسار
لقـد باتت تعـاونني عليهم ضحوكُ الحجْل كاظمة السِّوَار
وقد غادرتُ عيسىٰ وهو كابٍ يُقَطِّعُ سَلْحَهُ خلف الجدار[١]

ورثىٰ ابن ميادة امرأة كان يهواها فقال :

خَلاَ منزل الحسناء لستُ بواجدٍ به غيرَ باكٍ من عضاةٍ وحرملِ
تمنيتُ أن تلقىٰ به أُمُّ جحدرٍ وماذا تمنَّىٰ من صدىً تحت جندلِ
فللموتُ خيرٌ من حياة ذميمةٍ وللمنع خير من عَناءٍ مُطَوَّلِ[٢]

واستنشد ابن ميادة شعره رجل من بني أمية بالشام فأنشده :

وعلى المليحة من جذيمة فتية يتـمارضـون تمـارُضَ الأُسْـد
ظفرون ينصرهم علىٰ أعدائهم عِظَمُ الحُلُوم وصولـة الحَدِّ
إنّـا لَنُقْدِم حـين لا مُتَقَـدَّمٌ ونُبَيِّـعُ الأمـوال بـالحمـد
وترىٰ الملوك الغُرَّ حَوْلَ بيوتنا يمشونَ في الحلقات والقَدِّ[٣]

فقال له : كذبت . فقال له ابن ميادة : أفي هذا وحده يقول اني أكذب ، وفي مدحكم أيضاً ، ثم قام فلم يَعُدْ إليه .

ولابن ميادة قوله :

١ ـ شعر ابن ميادة ص ١٥٩ .
٢ ـ شعر ابن ميادة ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .
٣ ـ شعر ابن ميادة ص ١١٧ .

لقد زادني ضَنَّاً بنفسي أنني إذا قيلَ أيْنَ الرأس لم أتاخر[١]

وقال ابن ميادة يفخر في شعره :

ونحن بنو ذبيان في رأس ربوة إلينا تناهىٰ عِزُّ تلك القبائل
هم أنف قيس من يَقُلْ مثلها لهم من الناس يخلط قول حقٍ بباطل
فَضَلْنَا قريشاً غير رهط محمد وغير بني مروان أهل الفضائل[٢]

فقال له ابراهيم بن هشام : يا ماصّ بظر أمه ، أنت فضلتَ قريشاً وجرده فضربه مائة سوط أو أقلّ وزعموا أن الوليد بن يزيد قال له : قَدَّمْتَ رهط محمد قبلنا ، فقال : ما كنت أظنه يمكن إلا ذاك .

وسأله المنصور عن قول الوليد له فأخبره ، فجعل يتعجب من جهل الوليد .

وقال ابن ميادة :

لو أن جميع الناس كانوا بتلعةٍ وجئت بجدي ظالم وابن ظالم
لظلت رؤوس الناس خاشعة لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم[٣]

وكان ابن ميادة يضرب على كتف أمه ويقول :

إعْـزَيْـزِمِي[٤] ميــاد للقـوافي واسـتـمـعـيـهـن ولا تخــافي
لتجدن ابنك ذا قذاف[٥]

وقال أيضاً :

١ - شعر ابن ميادة ص ١٥٦ .
٢ - شعر ابن ميادة ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .
٣ - شعر ابن ميادة ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
٤ - بهامش الأصل : المُعْزَيزم : المجتمع الشديد .
٥ - شعر ابن ميادة ص ١٧٤ .

يا رُبَّ خالٍ لأمي غير مُؤْتَشبٍ   لا يشرب الخمر إلا في القوارير
لا يقتني الضأن إلا أن يُذَبِّحهَا   ولا يروح مع الأقوام في العير(١)

المدائني قال: دخل ابن ميادة على الوليد بن يزيد بن عبد الملك وعنده شقران مولىٰ قضاعة ، فأغرىٰ بينهما فقال شقران :

سأكعم عن قضاعة كلب قيس   على حجر فينصت للكعـام

فقال ابن ميادة : يا أمير المؤمنين اكفف عني غَرْبَ هذا الذي ليس له أصل فأحفره ، ولا فرع فأهصره ، فقال الوليد : جَزْجَزْت يا أبا شرحبيل فقال :

فَجَرْنَا ينابيع الكلام وبحره   وأصبح فيه ذو الرواية يَسْبَحُ
وما الشعر إلاَّ شِعْرُ قَيْسٍ وخندفٍ   وقولُ سواهم كلفةٌ وَتَمَلُّحُ(٢)

قالوا: وكان الحكم الخُضْـري من محارب بن خَصفة يُهاجي ابن ميادة ، فرأىٰ ابن ميادة امرأة من رهط حكم فقال : أتنشديني شيئاً من شعر الحكم في ابن ميادة فأنشدته :

أمياد قد فَلَّلْتِ سيف ابن ظالم   ببظرك حتى أصبح اليوم باليا

فقال ابن ميادة في الحكم :

إذا سلْتَ عن أبيات لؤم ودقة   فَسَلْ عن بيوت الخضر خضر محارب
ترىٰ اللؤم في الخضريِّ قد تستبينه   بمنزلة بين اللحىٰ والحواجب(٣)

---

١ ـ شعر ابن ميادة ص ١٦٠ ـ ١٦١ .
٢ ـ شعر ابن ميادة ص ٩٧ .
٣ ـ شعر ابن ميادة ص ٨٤ .

وقال ابن ميادة:

أهديتُ للخضر إذ خَفَّتْ بعوثُهم   تسعين باباً قذوفاً تحمل الضمر [١]

فكانوا إذا أقبلت عيرٌ قالوا لعلها عير ابن ميادة.

وقال الأصمعي.وقف الحكم الخُضري ينشد بمصلى المدينة قصيدته في صفة الغيث فلما سمع قوله:

ركب البلاد فظل ينهض مُصْعِدَاً   نهض المقيّد في الدهاس[٢] الموقر[٣]

حسده ابن ميادة فقال: من أنت؟ قال: الحكم الخضري، فقال: والله ماأنت في بيت نسب ولا أرومة شعر، قال: فمن أنت؟ قال: أنا ابن ميادة، قال: قَبَّحَ الله والدين خيرهما ميادة، ولو كان في أبيك خير ماانتميتَ إلى أمك، فنشب الهجاء بينهما.وهاجى ابن ميادة عُلفة بن عَقيل فأعانه الحكم عليه.

وقال الأصمعي: دعي ابن ميادة في دعوة بالحجاز فغدا إليها فوجد البوابين على الباب يدفعون من لا يعرفون بالسياط، فانصرف ولم يدخل وقال:

لما رأيتُ الأصبحية قَنَّعَتْ   مفارق شُمْط حيث تُلْوى العمائم

تركتُ دفاع الباب عما وراءه   وقلت سعيداً من نجا وهو سالم[٤]

١ - شعر ابن ميادة ص ١٤٥ .

٢ - دهس: النبت لم يغلب عليه لون الخضرة، والمكان ليس برمل ولاتراب. القاموس.

٣ - وقر: الحمل الثقيل، والموقر: المجرب العاقل، والموقر: الموضع السهل عند سفح الجبل. القاموس.

٤ - شعر ابن ميادة ص٢٢٨ - ٢٢٩ .

وقال الأصمعي: حدثني من سمع ابن ميادة يقول: من كرم الدابة صخمها.

وكان ابن ميادة قال لرياح بن عثمان بن حيان أيام كان من أمر محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن ما كان: اتخذ جُنْدَكَ وحرسك من قومك وأَئْتَمكَ[1] هؤلاء العبيد الذين استظهرت بهم على أمرك وأعطيتهم دراهمك، وأحْذَرْ قُريشاً، فاستخفَّ بقوله، فلما قُتل رياح قال ابن ميادة:

أمرتُكَ يارياح بـأمر حـزمٍ فقلتَ هشيمةٌ من أرض نجد
وقلتُ له تَحَفَّظ في قريش وَدَفِّـعْ كـل حـاشيـة وَبُـرْدِ
وقلتُ له تَحَرَّز من رجالٍ على محبوكة الأوصال جُـرد
فَوَجْدَاً ما وجدتُ على رياح وما أغنيتُ شيئاً غير وجدي[2]

ومنهم: عمرو بن مُعَوَّذ بن نَزَّال بن عُرفطة بن عنترة بن زهير بن معاوية بن قتال بن يربوع، كان سيد بني قتال.

وولد مالك بن مرة بن عوف: عامر بن مالك، والحارث بن مالك، وهو صوفة.

ومنهم: **عبد الملك بن ضبارة**، وكان يكنى أبا الهَيذام.

فولد عامر بن مالك بن مرة: ربيعة بن عامر. منهم المثلَّم بن رياح بن ظالم بن سعد بن ربيعة بن عامر، كان شريفاً، وجَدُّهُ ظالم الذي بنى بُسَّاً. وبُسّ هو بيت كانت غطفان تعبده، قال زهير بن جناب:

فحمى بعدها غطفان بُسَّاً وماء غطفان والأرض الفضاء.

١ ـ بهامش الأصل: واترك.

٢ ـ شعر ابن ميادة ص١١٥ ـ ١١٦ .

والمثلّم الذي يقول له الحارث بن عوف:

ألا أَبْـلِغَـا عني المـثلَّم آيـةً وسهلاً فقد نَفَّرْتُما الوحش أَجْمَعَا
أبا حشرجٍ إنِ كنتَ فاعل ما أرى أبا حشرجٍ فاحفر لجنبك مضجعا

فأجابه المثلَّم:

سأكفيكَ جَنبي وَضْعَهُ ووسَادَهُ وانصر إن لاقيتُ في القوم أشجعا
خلطنا البيوت بالبيوت فأصبحوا بني عَمِّنَا من يَرْمِهِم يَرْمِنَا مَعَا

ومنهم: **مُسْلم بن عقبة** بنْ رياح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك، صاحب يوم الحَرَّة الذي يدعوه أهل المدينة مُسْرِفاً وقد كتبنا خبره.

ومنهم: **عثمان بن حَيَّان** بن مَعْبَد بن شداد بن نعمان بن رياح بن أسعد، ولي المدينة للوليد بن عبد الملك، وابنه **رياح بن عثمان** ولي المدينة لأمير المؤمنين أبي جعفر المنصور، وقد ذكرنا لهما أخباراً في كتابنا هذا.

ومنهم: **غالب بن عوف** من بني ربيعة بن عامر بن مالك بن مرة، الذي قطع الحلف بين أسد وذبيان.

وولد سهم بن مرة: وائلة بن سهم. وهلال بن سهم.

منهم: **حصين بن الحُمام** بن ربيعة بن مُسَاب بن حزام بن وائلة الشاعر، وكان وفياً أراد قومه ظلم قوم جاوروهم من الحُرَقَةِ من جُهينة فقال:

أَيَـا أَخَـوَيْنَـا من أبينـا وأمنـا مُرْوا مَوْلَيَيْنَا من قضاعة يَذْهَبَا

ومنهم: **بَشَامة بن الغدير** الشاعر، وهو بشامة بن عمرو بن معاوية بن الغدير بن هلال بن سهم بن مرة. وكان بشامة رجلاً مُقْعداً، ولم يكن له ولد، وكان كثير المال موصوفاً بالحزم وأصالة الرأي، فكانت غطفان تستشيره إذا أرادت الغزو وغيره، وتَصْدُرُ عن رأيه، وتقسم له من غنائمها أفضل

مايُقسم لأحد ممن يشهد الحرب إذا رجعَتْ، وكان أشعر غطفان في زمانه، وكان انقطاع زهير بن أبي سلمى إليه وكان أهل بيت زهير في غطفان، وأم أبي سلمى جدة زهير ابنة سعد بن الغدير، فلما حَضَرَتْ بشامة الوفاة جعل يقسم ماله في أهل بيته، فقال زهير: ياخالاه اقسم لي من مالك مثل ماتقسم لغيري فقال: قد قَسَمْتُ لك أكثره وأطيبه يابن أخي. قال: وما هو؟ قال: قول الشعر، وهو القائل:

أبلغ حُباشَة أني غير تاركه   حتى أُخَبِّرُهُ بعض الذي كانا
قد نأخذ الحق حتى لا يجاوزنا   والحق يحبسنا في حيث يلقانا

يقول: نأخُذُ حَقَّنَا ونُعطي الحق علينا.

قال أبو عبيدة: كان لبشامة جيران من جُهينة بن بدر[1]، وكان لبني صرمة بن مرة جيران من بني سَلامان من قُضاعة، فقتل جيران بني صرمة رهطاً من جيران بني سهم بن مرة، فاحترب الحيان من بني صرمة وبني سهم، وكان رئيس بني سهم حُصين بن الحُمام المري وكانت بينهم قتلى، فقال بشامة يحضّ قومه بني سهم في قصيدة أولها:

نَـأَتْكَ أُمـامةٌ نـأياً طـويـلا   وَحَمَّلَكَ الخُبْثُ وَقْـراً ثقيـلا
ونـبئـت قـومـي ولم آتهـم   فَبَلِّغْ أَمَـاثِلَ سهمٍ رسـولا
بِأَنَّ الذي سَـامَكمُ قَوْمُكُم   هُمُ عَـدَلُـوه إليكم عُـدُولا
هَوَانُ الحياة وخزي المـــ   ــاة وكُلًا أتاه وخيماً وبيلا
فإن لم يكن غير إحـداهما   فسيروا إلى الموت سيراً جميلا
ولا تقعـــدوا وبـكم مـنَّـةٌ   كفى بالحوادث للمرء غولا

١ ـ بهامش الأصل: زيد.

وقال في ذلك أيضاً:

يا قومنـا لاتَغُرُّنـا بداهيـةٍ فكل ما فعل الأقوام مذكور
يا قومنا لاتَمَنَّوا حربنا سفهاً إن السفاه وإن البغيَ مبثور

ومن بني مرة: **الصقر بن عبد الله**، كان على الكوفة في ولاية عمر بن هبيرة.

ومنهم: **عامر بن ضبارة**، كان مع يزيد بن عمر بن هبيرة وقد ذكرنا له أخباراً.

ومن بني مرة: الوليد بن تَليد، كان شريفاً ولاه هشام بن عبد الملك الموصل، وهو فرشها بالحجارة،وكان قبل ذلك على شرطة الموصل.

وولد صِرْمَة بن مُرّة: ضَرَمة بن صِرمة. وعبد الله. وزبينة. وعمرا درج. منهم: هاشم بن حرملة بن الأشعر بن اياس بن مُرَيط بن ضَرَمة بن صِرْمة بن مُرّة.

وكان حُذيفة بن بدر جمع لبني عبس، فالتقوا دون الهباءة في يوم قائظ، ثم تحاجزوا لشدة الحر، فاستنقع حذيفة وَحَمَلٌ ومالك بنو بدر في بركة الهَباءة، فقتل الربيع بن زياد حَمل بن بدر، وقتل حذيفة الحارث بن زهير بن جذيمة وعمرو بن الأسلع جميعاً، وأخذ الحارث سيف حذيفة،وقتل جميع من كان في الجفر. وقال عمرو بن الأسلع:

إنّ السماء وإن الريح شاهدة والله يشهـد والإنسـان والبلد
أني جَـزَيْتُ بني بـدر ببغيهُمُ على الهباءة قتـلاً ما بـه قَوَدُ
لما التقينا على أن جاء جَمَّتها والمشـرفِيَّـةُ في أيمـاننـا تقـد
علوتـه بحسـام ثم قلت لـه خذها حُذَيفُ فأنت السيِّدُ الصَّمَد

ومثلوا بحذيفة فَدَسُّوا مذاكيره في فمه، وجعلوا لسانه في استه.

وقال عَقِيل بن عُلفة يهجو عويف القوافي:

ويوقد عوفٌ للعشيرة ناره   فهلا على جفر الهباءة أوقدا
وعضَّ على أَيرٍ حذيفةُ بعدما   أُثير على جفر الهباءة أسودا

وقال قيس بن زهير بن جذيمة العبسي:

أقام على الهباءة خير ميتٍ   وأكرمُه حذيفة لا يريم
ولولا ظلمه مازلت أبكي   عليه الدهرَ ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدرٍ   بَغَى والبغيُ منقصةٌ وشوم
أَظنُّ الحلم دَلَّ عليَّ قومي   وقد يُسْتَجْهَلُ الرجل الحليم
ومارستُ الرجال ومارسوني   فَمُعْوَجٌّ عليَّ ومستقيم

ثم اصطلحوا، وحملت الحمالة فكان السعاة فيها يُحَمِّلُونها غطفان ممن لم يشهد الحرب، فلذلك قال زهير:

....   يُنَجِّمُها من ليس فيها بمجرم[1]

وقال أيضاً:

لعمرك ماجَرَّتْ علينا رماحهم   دم ابن نهيك أو قتيل المثلَّم[2]

يقول: لم يقاتلوا فتجر عليهم رماحهم دم هذين اللذين قتلهما غيرهم ممن ليس منهم.

وكان أول من سعى في الحمالة: حَرْمَلة بن الأشعر المري، فمات فسعى

١ ـ الشطر الأول لهذا البيت: «تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت». شرح ديوان زهير ص١٧ .
٢ ـ شرح ديوان زهير ص٢٥ .

فيها هاشم بن حرملة، فلم يلبث أن قتله قيس الجشمي، وهاشم الذي يقال له:

أحيا أباه هاشم بن حَرْمَلَة يوم الهباتين ويوم اليَعْمله
ترى الملوك حوله مُرَعْبَلَه يَقتل ذا الذّنْبِ وَمَنْ لا ذَنْبَ لَه

قالوا: وكان معاوية بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء الشاعرة، غزا بني مرة وبني فزارة، ومعه خُفاف بن نُدبة، فقتل هاشم بن حرملة، ودريد بن حرملة أخوه: معاويةَ، فقال خفاف: قتلني الله إن لم أثأر به فشد على مالك بن حمار، وكان سيد فزارة فقتله.

ويقال أيضاً: إن معاوية بن عمرو وافى عكاظ فلقي وهو يمشي في سوقها اسماء المُرِّيَة، وكانت جميلة بَغِيًّا فدعاها إلى نفسه فامتنعت وقالت: أما علمتَ أني عند سيد العرب هاشم بن حرملة، فقال: أما والله لأقارعَنَّه عنك، فلما انصرفوا من عكاظ، خرج معاوية غازياً يريد بني مرة وفزارة ثم تطيَّر من طير دَوَّمَتْ عليه وعلى أصحابه، فلما كان في العام المقبل غزاهم فسنح له ظبي وغراب فتطيَّر فرجع، وطلبه بنو مرة وفزارة فالتقوا فقُتل معاوية بن عمرو، قتله هاشم بن حرملة وذلك الثبت فقالت الخنساء

أبعد ابن عمرو من آلِ الشريد حَلَّتْ به الأرض أثقالها
سأحمل نفسي على حالةٍ فإمَّا عليها وإمَّا لها[1]

ولها فيه أشعار كثيرة، وقالت أيضاً:

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية إذا طرقت إحدى الليالي بداهية

١ ـ ديوان الخنساء ـ ط. دار صادر بيروت ص١٢٠ ـ ١٢١ .

بداهية يصغي الكلاب حسيسها ويجعل أسرار النجيِّ علانية[١]

وقال أبو اليقظان: كان يقال لهاشم صياد الفوارس، وكان شجاعاً كريماً، فجرى بينه وبين معاوية بن عمرو أخي الخنساء من ولد الشريد، وهو عمرو بن رياح بن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خفاف السلمي كلام، فجمع هاشم ولقي معاوية، وهو في جماعة من بني سليم فيهم عبد العزى بن عبد الله بن رواحة بن خليل بن عُصَيَّة زوج الخنساء الشاعرة، وكان مع هاشم أخ له يقال له دريد، ويقال رويد، فاقتتلوا ودعا هاشم معاوية إلى المبارزة فبارزه فقتله هاشم، وطعن صَخْرٌ أخُو الخنساء هاشماً فأفلتَ، وقالت الخنساء لأخيها صخر: أسلمتم معاوية حتى قُتل، فجمع صخر بني سليم ومضى إلى بني مرة، فلما دنا منها ومعه ابن أخته عمرو بن عبد العزى، وهو أبو شجرة، وجد هاشم بن حرملة مضطجعاً ورأسه في حجر ابنته فلما أحس به ثار فضربه صخر على وجهه بالسيف فقتله، ويقال بل طعنه فنزف حتى مات، واتبعه قوم من بني مرة فهزمهم وقتل بعضهم، وقال صخر في أبيات:

وأُفلت هاشم وبه قلوص[٢] كَعَطٍّ[٣] البُرْدِ تغلب كل سير

ويقال ان هذا في الطعنة التي طعنها يوم قتل معاوية.

وقال أبو عبيدة والمفضل: وقع بين معاوية وهاشم كلام بعكاظ، فغزا معاوية هاشماً وكان ناقها، فقال لأخيه: ان معاوية إذا رآني لم يَعْتَم أن يَشُدَّ علي، فاستطرد له حتى تجعله بيني وبينك فأيُّنَا حمل عليه أتاه الآخر من

١ - ديوان الخنساء ص١٤٥.
٢ ـ قلص يقلص قلوصا: وثب، ونفسه غثت. القاموس.
٣ ـ عطّ الثوب: شقه طولاً أو عرضاً بلا بينونة.

خلفه ، ففعل وحمل معاوية على هاشم فاختلفا طعنتين فأنفذ هاشم سنانه من عانة معاوية فقتله ، وجاء صخر بعد ذلك فوجد هاشماً عليلاً من طعنة معاوية إياه ، ومعه أبو شجرة بن خنساء وهو عمر بن عبد العزى فطعن صخر هاشماً فقتله ، وطلبه قوم من بني مرة فدفعهم عنه أبو شجرة وقال في أبيات له .

على ساعة لا يُسلم المرء خاله وقد أَوْعَثَتْ بالمرء كل سبيل

وقال قوم : خرج هاشم بعد قتله معاوية بن عمرو في أمر من أموره متخففاً ، فشدَّ عليه عبد العزى زوج خنساء فطعنه فَخَرَّ ميتاً ، ويقال بل شد عليه قيس بن عامر الجشمي ، وهو غار فرماه بمعبلة فقتله .

وقال أبو المهدي : كان يمر في النخل فكمن له وراء نخلة ثم رماه فصرعه فسقط ميتاً ، ويقال ان قيساً الجشمي كان زوج خنساء يومئذٍ والله أعلم ، فقالت خنساء :

فدىً للفارس الجشميّ نفسي وأفديه بمن لي من حميم
كما من هاشم أقررتُ عيني وكانت لا تنام ولا تُنيم[1]

قال ابن الكلبي : ومنهم : **حُميضة بن حرملة** ، أخو هاشم وقال غيره هو دريد ، ولقبه حُميضة .

ومنهم : **معن بن حذيفة** بن الأشيم بن عبدالله بن صرمة الشاعر ، الذي يقال له المزعفر .

وولد دهمان بن عوف بن سعد بن ذبيان : عصيم بن دهمان .

منهم : **أبو غطفان** ، كاتب عثمان بن عفان رضي الله عنه .

١ـ ديوان الخنساء ص ١٢٩ ، البيت الأول فقط .

وولد عبد بن سعد : مالك بن عبد . وبجالة بن عبد ، وهم قليل . منهم : مرداس بن ظالم بن مُلَيْل بن حبيب بن مالك بن عبد ، قتله أسامة بن زيد في بعض مغازي رسول الله ﷺ . والعباس بن سعد كان على شرط يوسف بن عمر الثقفي .

وولد ثعلبة بن سعد : ذبيان بن مازن بن ثعلبة . والحارث بن ثعلبة وهو شزن لقبه . وعجب بن ثعلبة .

فولد مازن بن ثعلبة : رزام بن مازن . وناصرة بن مازن ، وهم بالشام . وبجالة بن مازن .

فولد رزام : سُبَد بن رزام . وخزيمة بن رزام . ومالك بن رزام .

فولد سُبَد : ناشب بن سُبَد . وسحيم بن سُبَد .

منهم أبو الرُبيس[1] الشاعر وهو عباد بن عباس بن عوف بن عبدالله بن سعد بن ناشب ، وقال بعضهم : هو عباد بن طهفة بن عوف بن عبدالله بن سعد بن ناشب ، وكان أبو الربيس خبيثاً لا يبالي ما صنع فنظر إلى ناقة بالمدينة عليها رحلها وأداتها والناس يريدون الحج ، فسأل عنها فقيل هي للمطرف عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فسرقها ثم انطلق بها ، وقال في أبيات له أولها :

أبى القلب إلا ذكـر أشَجعيـة ... دعتها لأكناف المـدينة أشجـع
فهـل تُبلغيهـا إن أنَـا زُرْتُهـا ... غدا وانجلى عني الغطاء المقنَّع
قليلة فضل النسعتين إذا رمى ... مع الرعلة الأولى الذُمَّيل المزعزع
إذا ذكرتْ وسط المرابع ضغنها ... حَنَى دونها من ذي تَوَرُّم مرتع

١ ـ بهامش الأصل : أبو الربيس الشاعر .

نجيبة بطَّالٍ لَـدُنْ شَبَّ لَهْوُهُ لِعَابُ الكِعَابِ والمدام المشعشع
جَلاَ المسك والحمَّام والبيضُ كالدُّمى وطيْبُ الدِّهَان رأسَهُ فهو أنزع
جميل المحيا واضح اللون لم يطا بحزن ولم تألم له النكث أصبع
من النفر الشُّمِّ الذين إذا انتدوا وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا
إذا النفر الأُدْمُ اليمانيون يسرُوا له حوك بُرْدَيْه أدقُّوا وأوسعوا[1]

فبلغ الشعر أبا المطرف ، وهو عمرو بن عثمان ، فقال : ليته قال في كل يوم بيتاً مثل هذا الشعر . وأخذ مني ناقة وأمنه فلم يزل منقطعاً إليه .

وكان أبو الربيس يهوى ليلى بنت نعيم بن مسعود الأشجعي ، صاحب رسول الله ﷺ ، وأبو مسعود عامر بن أنيف بن ثعلبة . وغير الكلبي يقول : نعيم بن مسعود بن رُخَيْلَة الأشجعي والأول أثبت .

وكان أبو الربيس يتحدث إلى ليلى فلما أخذ ناقة المطرف اشتاق إليها فقال هذا الشعر :

أبى القلب إلا ذكرها أشجعية ......

وعدا أبو الرُبيس على خلفات لأبي حصن السلمي ثم الخثمي من رهط أبي العاج وقال :

ليبك أبو حصنٍ على خلفاته إذا شبَّ درواش لهن وجابر
غلاما طوى وكأنما نشغانـه سديف[2] الذرا معصوبه والكراكر[3]

النشوغ : ما نشغ الصبي الصغير يُسقاه .

١ ـ الأبيات مع فوارق في خزانة الأدب للبغدادي ج ٢ ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣ .
٢ ـ السديف : شحم السنام . القاموس .
٣ ـ الكركرة : رحى زور البعير ، أو صدر كل ذي خف ، والجماعة من الناس . القاموس .

أضاع فلما راعه الحرب شمرت   به الحرب وهو الفرعلان الغنافر

الغنافر : الضعيف المغفل ، والفرعلان : الضبعان الذكر .

يرى النحل بالمعروف كيساً وكسعة   ألات الذرا بالغبر لكع كماثر

في أبيات . وقال أبو الحصن :

إن أبا حصن سيمنع ذوده   من العبد فتيان الصباح المساعر

إذا كان مولاه به الفقر زاده   بعاداً وأغناه حليب وخازر

لعمري لئن واعدت جاراً بغدرة   لقد علم الأقوام أنك غادر

فإن تَدْنُ منها تَدْنُ في الليل سارقاً   وإن تُرَ تَخْطِفْكَ الرماح الخواطر

وقال أبو الربيس في ناقة المطرف :

نجيبة مولى غلها القت[1] والنوى   هلالين في مقصورة لا يريمها

فلما استوى المتنان قلت لها اقصدي   أما تجدين الريح طاب نسيمها

وقال فيها أيضاً :

نجيبة مولى غَلَّها القت والنوى   بيثرب حتى نَيُّها[2] متطاير

فقلت لها خبيّ فمالك علة   سنانك ملموم ونابك فاطر

قالوا خرج أبو الربيس بإبل يطردها ، فنزل بامرأة من أشجع ، ثم احدى ولد نعيم بن مسعود ، فلقي جارية فقال قولي لمولاتك إنه ليس معي زاد فإن زودتني مدحتك وإن لم تفعلي هجوتك فقالت مولاتها : كل بلية والمديح خير فزودته فقال :

ألا يا هضيم الكشح خفاقة الحشا   من الغيد أعناقاً أولاك العواتق

١ ـ القت : الإسفست وهي الفصفصة ، أي الرطبة من علف الدواب . معجم أسماء النبات الواردة في تاج العروس .

٢ ـ لعله أراد لحمها من شدة سمنها . انظر القاموس .

قفي تخبرينا أو تردي تحية لنا أو تبتلي قبل إحدى الصوافق
صديق لوسم الأشجعيين بعدما كستني الشعور القعس شيب المفارق
هجان المحيا عوهج[1] الخلق سُربلتْ من الحسن سربالاً عتيق البنايق
إذا البين أحساك[2] الأَمرَّين فأعبرنْ بشحط النوى فالبين غير موافق

في أبيات .

ومنهم ربيعة بن عبدالله بن نوفل بن أسعد بن ناشب ، وهو أدخل خالد بن الوليد على غطفان .

ومنهم : شريح بن بجير بن أسعد بن ناشب الشاعر القائل :

فإن كنتما تحاولان رياضتي رضا جموح الرأس بعد حران

وولد خَزيمة بن رزام : عبد العزى رهط قطبة بن محصَن بن جرول بن حبيب وهو الأعظم بن عبد العزى بن خزيمة بن رزام بن مازن . وقطبة . والحادرة[3] الشاعر ، سُمِّيَ بقول مزرّد بن ضرار له :

كأنك حادرة المنكبين رصعاً ينقضُّ في حادر

ويقال إن البيت لزبّان بن يسار ، وأن الحادرة ردَّ عليه فقال :

لحى الله زبّان من شاعر أخي حسد غادر فاجر[4]

وقال الحادرة ليزيد بن ضرار أخي الشماخ :

فقلت تَزَرَّدْهَا يزيد فإنني لدرد الموالي في السنين مُزَرِّدِ[5]

١ ـ العوهج : الطويلة العنق .
٢ ـ أحسك الدابة : أقضمها ـ الحسك ـ فحسكت . القاموس .
٣ ـ بهامش الأصل : الحادرة ومزرد الشاعران .
٤ ـ ديوان شعر الحادرة ـ ط . صادر بيروت ص ٣٧ مع فوارق .
٥ ـ ديوان شعر الحادرة ص ٩٦ . ودرد : جمع أدرد . وهو الذي سقطت أسنانه .

فسمي يزيد مُزَرَّد ، والحادرة الذي يقول :

وشطَّتْ على كرهٍ فخيلت لما بها مفجعةً ان الحبيب له فقد [١]

يقول :

فأثنوا عليها لا أباً لأبيكم بإحسانهم إن الثناء هو الخلد [٢]

وقال :

متبطحين على الكثيب كأنهم يبكون حول جنازة لم ترفع [٣]

وهو القائل :

أمعطية غيط بنُ مُرٍّ بجَدِّها غلاماً له أم وليس له أب

يقال له قيس بن زحل بن ظالم كما لوحك العود النخيس المركب [٤]

وولد بجالة بن مازن أمةً ، وهو رجل . وجحاش بن بجالة . وناصرة بن بجالة . وعبد غَنْم بن بجالة .

منهم : علقمة بن عبيد بن قتبة بن أمة بن بجالة ، الذي يقول له الحصين بن الحُمام المري :

فلولا رجال من رزام بن مازن وآل سبيع أو أسوءك علقما

وإنما قال الشماخ :

ألا تلك ابنة الأموي قالت ..... [٥]

---

١ ـ ديوان شعر الحادرة ص ٧٠ .

٢ ـ ديوان شعر الحادرة ص ٧٣ .

٣ ـ ديوان شعر الحادرة ص ٥٧ .

٤ ـ ليسا في ديوان شعر الحادرة المطبوع .

٥ ـ الشطر الثاني لهذا البيت «أراك اليوم جسمك كالرجيع» ديوان الشماخ بن ضرار ـ ط . القاهرة ١٩٧٧ ص ٢٢٢ .

يريد أمة . والناس يروونها : الأُموي ينسبونه إلى أمية .

ومنهم : مالكِ بن سبيع بن عمرو بن قتبة بن أمة ، كان شريفاً ووضعت على يديه الرهن في حرب عبس وذبيان .

ومنهم : **شماخ الشاعر**[1] وهو معقل، وأخوه يزيد وهو مزرد ابنا ضرار بن سنان بن أمة بن جحاش . ويقال هو ضرار بن صيفي بن أصرم بن إياس بن عبد غَنْم بن جحاش بن بجالة .

حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال: كان الشماخ وأخواه يزيد وجزء شعراء ، فقالت لهم أمهم : ألا تستحيون لي ولأحسابكم من أن تعرضوني لشعراء العرب ، فقال لها يزيد وهو مزرد . ما ربطتْ أُنثى من العرب بفنائها مثل أجر[2] ربطتهم ، فاصبري فإن أمهات الشعراء يلقين ما تلقين وأكثر .

وكانت قريش تفضل شعر الشماخ ، وقد أدرك الإسلام هو وأخويه ، وشخص إلى آذربيجان مع سعيد بن العاص .

حدثني المدائني عن وضاح بن خيثمة قال : خطب أويس القرني العابد أم الشماخ ومزرد وجزء بن ضرار فقال الشماخ :

تقولها ناكحة أويسا .

فقال : مزرد :

يهدي إليها أعنزاً وتيساً .

فقال جزء :

---

١ - بهامش الأصل : شماخ الشاعر وأخوه مزرد .

٢ - جمع جرو ، والجرو صغير كل شيء ، وولد الكلب والأسد . القاموس .

حُمقاً تَرىٰ ذاك بها أَمْ كَيْسَا[1] .

فقال أويس : لقد أخزى الله من يكون رابعكم .

وحدثني عباس بن هشام ابن الكلبي قال : أقبل عرابة بن أويس بن قيظي بن عمرو الأوسي من الأنصار من الطائف ، ومعه أبعرة عليها زبيب وأدم وغير ذلك فَعَنَّ له الشماخ ، فقال له : أعطني مما علىٰ أبعرتك من الزبيب فقال له : خذ برأس القطار . قال الشماخ : أتهزأ بي عافاك الله ؟ قال : الأبعرة وما عليها لك عافاك الله ، فأخذ الإبل بما عليها فمدحه بقصيدته التي أولها :

كلا يومي طوالة وصل أروى   ظَنون آن مطرح الظنون

طوالة : بئر كانوا يجتمعون عليها .

وقال فيها :

رأيتُ عَرَابة الأوسيّ ينمى   إلى الخيرات مُنقطع القرين
إذا ما راية رُفعَتْ لمجدٍ   تلقاها عرابة باليمين[2]

وكان سعيد بن العاص عامل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه على الكوفة فغزا آذربيجان ، فأوقع بأهل موقان وجيلان ، وكان الشماخ مع سعيد إلا أنه لم يحضر موقان وحربها ، فقال لبكير بن شداد بن عامر فارس أطلال وكان قد أصيب بها :

وغُيِّبْتَ عن خيل بموقان أَسْلَمَتْ   بكير بني الشداخ فارس أطلال[3]

---

١ ـ ديوان الشماخ ص ٤٤٦ .
٢ ـ ديوان الشماخ ص ٣١٩ ـ ٣٣٦ .
٣ ـ ديوان الشماخ ص ٤٥٦ .

وقالوا قدم الشماخ المدينة ، فقالت له امرأة يقال لها جونة كان لها بنات موصوفات بالجمال ، وكانت تأبىٰ أن تُنكح الموالي ، ولم تكن العرب تخطب إليها لأنها وزوجها كانا من موالي قريش ممن سبي من العرب : إني جاعلة لك جعلاً على أن تذكر بناتي لعلهن يُخطبن . فقال لها : أتهدينَ إليَّ جزوراً من مهر كل واحدة منهن ؟ فقالت : ذاك لك . فقال :

ثلاث غمامات تَنَصَّبْنَ في الضحىٰ طوال الذُّرا هَبَّتْ لهنَّ جنوب
فتلك اللواتي عند جونة إنني صَدوقٌ وبعض الناعتين كذوب(١)

قالوا:وخطب الشماخ إلى بعض بني سليم وكان الشماخ في حَسَبٍ ، غير أنه كان أحمر قصيراً ، فقال له : والله ما ننكر حسبك ولكنك تخطب امرأة ذات كبر ، إن غضبتْ على زوجها ضربته ، وهي ترى أن الناس خَوَلٌ لها . فقال : أنا من قد عرفتم ، وإن سَوْءَةً أنْ تردُّوني فزوجونيها . ثم لتضربني إذا شاءت ، وبلغها فقالت لقومها : أنكحوا القرد وخذوا ماله ، ففعلوا وملكها وخرجت معه ثم ركبت تريد الرجوع إلى أهلها ، فنذر بها فأخذ عوداً فضرب ساقها ، فقالت : كسرت ساقي وتَعالَّتْ ، ثم غفل عنها فركبت الجمل وأتت أهلها ، وأقبل شماخ حتى نزل بامرأة من بني سليم في طريقه فأحسنت قِراه ، ثم قالت له : هل لك علم بأمر العبد اللئيم شماخ فإنه بلغني أنه تزوج هنداً فقال :

تسائل أسماء الرفاق عشية لعمرك عن أمر النساء النواكح
وإياكِ لو أنكحتُ دارتْ بكِ الرَّحىٰ وألفيتِ بعلاً صالحاً غير طالح

---

١ - ديوان الشماخ ص ٤٣٠ .

يؤدي إليك النصح إمَّا انتصحتِهِ   وما كل من تُفشي إليه بناصح[1]

وقال غير هشام ابن الكلبي : سُمِّي مزرّد لقوله :

ظللنا نُصادي أمنا عن حميتها[2]   كأهل الشموس كلنا يتودد
فجاءت بها صفراء ذات أسرةٍ   تكاد عليها ربَّةُ النحي تكمد
فقلتُ تَـزَرَّدْها عبيـد فإنني   لدُرْدِ الموالي في السنين مُزَرَّد[3]

ومزرّد الذي يقول ، ويقال بل قال ذلك جزء بن ضرار ، في عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين قتل :

أَبَعْدَ قتيل بالمدينـة أظلمتْ   له الأرض تهتز العضاة بأَسْوُق
جزىٰ الله خيراً من إمام وباركت   يد الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يَسْعَ أو يركب جناحي نعامة   ليدرك ما قَدَّمْتَ بالأمس يُسْبَق
قضيتَ أموراً ثم غادرت بعدها   بوائق في أكمامهـا لم تُفَتَّق
وما كنتُ أخشىٰ أن تكونَ وفاتُه   بِكَفَّيْ سَبَنْتِي أحمر العين أزرق

قال:وخرج غلام من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان ومعه إبل له ، فنزل في عبدالله بن غطفان ، فجاور رجلاً له بنات لهنَّ جَمال فجعل يُخلي بينه وبين محادثتهن حتى استهوينه ، فلم يزل الشيخ يخدع الغلام حتى أخذ إبله وأعطاه بكل بعير عنزاً ، وقال : الغنم أهون عليك من الإبل فلما أخذ إبله حجب بناته عنه ، وكان اسم الرجل أبا البنات زرعة بن ثوب ، وانصرف إلى أهله فقال له أبوه : ويحك علىٰ مَن نَزَلْتَ ؟ قال : على زرعة بن ثوب ، فعلم أنه خدعه ، ففزع الرجل إلى مزرّد بن ضرار ، فقال مزرد بن ضرار قصيدة

١ ـ ديوان الشماخ ص ١٠٤ ـ ١٠٨ مع فوارق كبيرة .
٢ ـ الحميت : وعاء للسمن أو الزق الصغير أو الزق بلا شعر مُتِّن بالرق . القاموس .
٣ ـ ديوان المزرد بن ضرار . ط . بغداد ١٩٦٢ . ص ٧٩ .

يقول فيها :

فيا آل ثوبٍ إنما ذود خالدٍ كذات اللظَىٰ لا خير في ذود خالد
وما خالد مني ولو ضَلَّ أهله أبانين بالنائي ولا المتباعد
فأدُّوا مخاض الثعلبيّ فذلكم أَبَرّ وأوفىٰ مِنْ أذىً غير واحد
وإلا تَرُدُّوها فإن شناعها لكم أبداً من باقيات القلائد
صَبقَعْتُ ابن ثوبٍ صقعةً لا حجىٰ لها يُوَلْوِلُ منها كل آسٍ وعائد[1]

وهو القائل :

تبرأتُ من شتم الرجال بتوبةٍ إلى الله مني لا ينادى وليدها

وكان قد استعدي عليه عثمان بن عفان رضي الله تعالىٰ عنه فقال هذا الشعر ، ووصله عرابة الأوسي فقال :

فَدَتْكَ عراب اليوم أمي وخالتي وناقتي الناجي إليكَ بريدها

أي سيرها في البريد وهو اثنا عشر ميلاً .

قالوا وكان مزرد بديناً عريضاً ، فطلب من أمه شيئاً فلم تعطه إياه ، فقال لها : والله لأعرضنّك لأخبث شاعر من مضر وقال :

حَكَّ الحمار برأس فيشته أُمَّ الحطيئةِ من بني عبس

فأتت أمه الحطيئة فطلبت إليه ألا يهجوه وأخبرته خبرها فأمسك .

وأتى وفد بني أنمار النبي ﷺ فقال مزرد :

تَعَلَّمْ رسول الله أَنْ ليس مثلَهُم أَجَرُّ علىٰ المولىٰ وأمنعُ للفضل

في أبيات ، وهجا بني غطفان فاستعدوا عليه عثمان فبعث فأُتي به فقال :

---

١ ـ ديوان المزرد ص ٧٧ مع فوارق .

أعوذ بربي أن أكون ظلمتكم   وعثمان والبيت العتيق المحرم
في أبيات .

وقالوا تزوج مزرِّد امرأة من أنمار ، فلما أهدوها إليه حملوها على بعير صعب فسقطت فانكسر مقدم أسنانها فقال :

قد حَمَّلُوها أَقلَّ الله خيرهُمُ   علىٰ نفورٍ كفرخ الرخ خوار
يا ليتَ فاها فداه الكسر أربعة   من مَوْكبيهاً بني عبس وانمار

ومنهم : **عبدالله بن الحجاج** بن محصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن جحاش بن بجالة ، الفاتك الشاعر ، ويكنى أبا الأقيرع ، وكان بالكوفة ، ثم كان مع كثير بن شهاب الحارثي ، فجلده كثير مائة جلدة بالري ، فلما صار إلى الكوفة وثب على كثير فضربه في وجهه فانكسر فاه .

ومنهم : **جبل بن جوّال** بن صفوان بن بلال بن أصرم بن إياس بن عبد غَنْم بن جحاش الشاعر ، الذي رثى حُيَيّ بن أخطب اليهودي يوم بني قريظة فقال :

وَهَانَ على سراة بني لؤيٍّ   حريقٌ بالبويرة مستطير
تركتم قِدْركم لاشيء فيها   وقِدْر القوم حامية تفور
ألا يا سعد سعد بني معاذ   لما لَقِيَتْ قريظة والنضير

وقال :

جحاشٌ ومِنْ شَرِّ الحمير جحاشُها   قديماً ومن شر السباع الثعالب

وقال ابن الكلبي كان يهودياً فأسلم . وهو القائل :

عَذِيْرُ رزام إنْ بَغَتْ أو تناصرتْ   ولكنْ عذيرك ما عذيرك حَشْوَرا
أحْشور عُوذي بالعزيز فإنما   يَعُوذُ الذليل بالعزيز لِيُنْصَرا

وولد عجب بن ثعلبة : حَشْوَرَة بن عجب . ووهب بن عجب .
فولد حشورة : سعد بن حشورة .
فولد سعد : العجلان بن سعد . وجابر بن سعد . وعائذ بن سعد . ودارم بن سعد . ورياح بن سعد .
منهم : أبو بأس بن حذمة بن جعدة بن العجلان بن سعد بن حشورة قتل يوم جبلة .
وولد الحارث بن ثعلبة : شزن بن الحارث .
فولد شزن : عوال .
فولد عوال : ضبيس بن عوال . وصبح بن عوال وزبينة بن عوال .
وقال غير الكلبي : من بني ثعلبة بن سعد : **زياد بن علاثة** الكوفي الفقيه مات في زمن خالد بن عبدالله القسري أو بعد ذلك .
وقال أبو اليقظان : ومن بني ثعلبة:**جبلة بن وهْبان** ، وكان شريفاً . وفد إلى سجستان ، وعَقِبُهُ بالجزيرة .
قالوا : لما ضرب كثير بن شهاب عبدالله بن الحجاج الجحاشي قال :

إني زعيم أن أجلل عـاجـلاً كفاحاً بسيفي هامة ابن قنان
سأترك ثغر الري مادام والياً عليـه لأمـر غـالني وشجـاني
فإن أنا لم أدرك بوغْمي[1] كُثَيِّراً فلا تَدْعُني للصِّيْد من غطفان
فإن تَكُ للشيخ الذي عَضَ بالخصى فـإني لَقِـرْمٌ يـا كثـير هجـان

وكان يكنى أبا الأقيرع . وقال عبدالله بن الحجاج حين ضرب كثيراً في جبهته :

١ ـ الوغم : التره والحقد الثابت في الصدر ، والقهر . القاموس .

فمن مبلغ فتيان قوميَ أنني ضربت كثيراً مضرب الظربان
فغادرتُه في قومه متجدلاً وأخزيتُ منها وجه كل يمان

وقال ابن الكلبي : كان عبدالله بن الحجاج مع كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي ، وكثير على ثغر الري . وأغار الناس على الديلم فأصاب عبدالله بن الحجاج رجلاً من الديلم وأخذ سلبه ، فانتزعه منه كثير ، فأسمعه فأمر بضربه فضُرب وحُبس فقال عبدالله :

تسائل سلمىٰ عن أبيها صحابه وقد عَلَّقَتْهُ من كثير حبائل
فإن تسألي عنه الرفاق فإنه بأبهر لا غازٍ ولا هو قافل
أَلَسْتُ ضربتُ الديلمي أمامهم فغادرتُه فيه سنان وعامل

ثم خلىٰ سبيله فأقبل إلى الكوفة فلما عزل كثير . وقدم الكوفة ، لقيه عبدالله فضربه بقضيب حديد على وجهه فكسر فمه أجمع ، فكتب ناس من أهل اليمن إلى معاوية : إنَّ سيدنا ضربه رجل خسيس من غطفان ، فأَقْدنا من أسماء بن خارجة ، فقال معاوية : ما رأيت كتاب قوم أحمق من هؤلاء .

ثم إن عبدالله بن الحجاج خرج مع نجدة بن عامر الحنفي الخارجي بَعْدُ ، ثم طلب الأمان من عبد الملك بن مروان ، وقال في أبيات له :

أدنو لترحمني وتقبل توبتي وأراك تدفعني فأين المدْفَعُ
إرحم أُصَيْبَيتي هُديتَ فإنها حُجُلٌ تَدَرَّجُ بالشزبَّةِ[1] جُوَّعُ
فلقد وطأتَ بني سعيد وطأة وبني الزبير فعزُّهُم متضعضع

فأمنه عبد الملك وقد كان وهو هارب من عبد الملك قال :

رأيتُ بلاد الله وهي عريضةٌ على الخائف المطرود كفة حائل

١ ـ الشازب : الخشن والضامر اليابس ، جمع شزب وشوازب . القاموس .

ومدح عبد الملك بقصيدة أولها :

يا بن أبي العاص ويا خير فتىً أنت النجيبُ والخيار المصطفىٰ

يقول فيها :

كما قضيت ابن سعيد فقضىٰ وابن الزبير إذ تَسَمَّىٰ وطغىٰ
والفاسق الكندي لما أن نأى في الترك أُهديتَ له ثَمَّ الردىٰ[1]

---

١ - بهامش الأصل : بلغت معارضة ولله كل حمد .

بسم الله الرحمن الرحيم
نسب بني فزارة

وولد فزارة بن ذبيان : عدي بن فزارة ، وأمه نُضَيْرة بنت جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . ومازن بن فزارة . وشمخ بن فزارة . وظالم بن فزارة . ومُرَّة بن فزارة . وورومي بن فزارة وأمهم مَنُولة بنت جشم بن بكر بن حُبيب من بني تغلب ، بها يعرفون .

فولد عدي بن فزارة : ثعلبة بن عدي . وسعد بن عدي . وربيعة بن عدي ، ويقال لبني ربيعة بنو عَنْمة . وشَكْمُ بن عدي ، ويقال هو ابن ملكان بن جَرْم ، فبعضهم ينتسب جرمياً ، وبعضهم ينتسب فزارياً .

فولد سعد بن عدي : مالك بن سعد ، وهو حُمَمة ، وأمه العُشَراء بنت بُهْثَة بن غني بن أعصر . وحرام بن سعد بن عدي ، وأمه رَقاش بنت دارم بن مالك بن حنظلة .

فولد مالك بن سعد : بغيض بن مالك اجتمعت عليه قيس في الجاهلية . وعياذ بن مالك . وسَود بن مالك . وعمرو بن مالك ، وأمهم العَشْواء بنت يربوع بن غيظ بن مرة .

فولد بغيض بن مالك : خَدِيج بن بغيض . وعُصيم بن بغيض .

وزيد بن بغيض ، وأمهم ذنب بنت حُوَيَّة بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة . ووهب بن بغيض . وواهب بن بغيض . ووهبان بن بغيض . وقتادة بن بغيض . وأمهم ريطة بنت مخالف بن دهر ـ أو مُخالف ـ بن الحارث بن عمرو بن هلال بن شمخ بن فزارة . وعمرو بن بغيض . وعركي بن بغيض ، وأمهما من بني الصارد بن مرة .

فولد خَديج بن بغيض : سُكين بن خديج ، وأمه جهمة بنت محاربي بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سليم .

فمن بني سُكَين : **يزيد بن عمر بن هبيرة** بن مُعَية بن سكين ، وقد ذكرنا من خبر عمر بن هبيرة ، وخبر يزيد في كتابنا هذا أشياء فيها كفاية .

وكان عمر بن هبيرة يكنى أبا المثنى . ومات بالشام وكان يزيداً ابنه سيداً يقسم على زواره في كل شهر خمسمائة ألف درهم ويطعم الناس وقتل بواسط .

ومنهم : **جميل بن حُمران** بن الأشم بن عبدالله بن معية كان من سادتهم .

ومنهم : **المثنى بن يزيد** بن عمر بن هبيرة ولي اليمامة لأبيه ، وقتله أبو حماد المروزي بالبادية ، وهو أبو حُميد وأعقابهم بالشام .

ومن بني وهب بن بغيض : الربيع بن ضبع بن بغيض الشاعر ، وعُمّر دهراً فقال :

أصبح عَنِّي الشبابُ قد حَسَرا إن يَنْأَ عني فقد ثوىٰ عصرا

وولد حَرَّام بن سعد بن عدي : حَرَجة بن حَرَّام . وحَريج بن حرام . وعُشّ بن حرام . والحارث بن حرام . وحريش بن حرام .

منهم : **الحارث بن عمرو** بن حَرْجة الشاعر ، وابن ابنه **عبد الرحمن بن مسعود** بن الحارث بن عمرو ، ولاه معاوية الصائفة بعد سفيان بن عوف الغامدي من الأزد ، فوليها غير مرة ، وفيه يقول الشاعر :

أقم يابن مسعود قناة صَليبة　　كما كان سفيان بن عوف يقيمها
وسِمْ يا بن مسعود مدائن قيصر　　كما كان سفيان بن عوف يسومها

وقوم يقولون هو عبدالله بن مسعود ، وعبد الرحمن أثبت . وولىٰ ابن هبيرة مسعود بن حسان بن عبد الرحمن بن مسعود البصرة .

ومنهم : **حسان الجواد** ، كان من أجواد العرب وهلك في خلافة المهدي أمير المؤمنين وهو حسان بن ميسرة بن عُمَيلة بن الحكم بن شريح بن الحارث بن عمرو بن حرجة ، وفيه يقول خلف بن خليفة :

إن الذين بحسان عدلتَهم　　فلن يساووا جميعاً شسع حسان

ومنهم : حصن بن جُندب بن خُنيس بن حرجة ، كان سيد أهل البادية ، واعتزل قتال كلب وفزارة .

ومنهم : **شبيب بن قيس** بن حريج بن حرام الذي مدحه الحطيئة .

ومنهم **كردم . وكريدم ابنا شعثة** بن زُمَيْرة بن حريش بن حرام ، وأمهم خالدة بنت أزنم بن عمرو بن حرجة ، وكردم هو الذي طعن دريد بن الصمّة يوم قتل عبدالله بن الصمة ولها يقول الشاعر :

جزىٰ الله ربك رب العباد　　والملحُ ما ولدت خالدة
هم يطعمون سديف السنام　　والشحم في الليلة الباردة
وهم يسكرون صدور الرماح　　في الخيل تُطْرَدُ أو طاردة
يُذَكِّرُني حسن أفعالهم　　تأوه مُعْوِلَةٍ فاقدة

فإن يكن الموتُ أفناهُمُ فللموتِ ما تلد الوالدة

وكانوا يحلفون بالملح والرماد ، وبذاتِ الودع سفينة نوح .

قال رجل من بني شيبان في يوم ذي قار :

حلفتُ بالملح والرماد وبالله واللات نُسْلم الحلقة[1]

وولد ثعلبة بن عدي بن فزارة : لوذان بن ثعلبة . فولد لوذان : جوية بن لوذان. وزُنيم بن لوذان. وأسعد بن لوذان . وخِزامة بن لوذان رهط عدي بن أرطاة عامل عمر بن عبد العزيز على العراق ، وقد كتبنا أخباره ، ولخزامة بقية .

فولد جوية : عمرو بن جوية . وعميرة بن جوية . وعامر بن جوية . وعبد بن جوية ، وأمهم عمرة ، وهي الشاة - سُميت بشاة من الغنم - بنت عمرو بن صرمة بن مرة بن عوف .

فولد عمرو بن جُوية : بدر بن عمرو . وجساس بن عمرو . فولد جساس أبداً لا يزيدون على أربعة ، إذا ولد مولود مات رجل ، وأمهما غني بنت زنيم بن لوذان بن ثعلبة ، وقتل بدر بن عمرو بنو أسد ، وعليهم خالد بن الأبح بن عبد الأسدي من ولد أسامة بن نصر بن قعين .

فولد بدر : حذيفة وكان يقال له اب معدّ . وحمل بن بدر . ومالك بن بدر . وعوف بن بدر قتلوا كلهم في حرب داحس . والحارث بن بدر . وربيعة بن بدر . وزيد بن بدر . فأما حذيفة بن بدر فقتلته عبس .

حدثت عن عدة من العلماء أن الربيع بن زياد العبسي كان سيد بني عبس ، فأتاه قيس بن زهير بن جذيمة العبسي ، بعد مقتل أبيه زهير بن

---

١ - الحلقة : السلاح .

جذيمة ، فقال له : إن في نفسي لأمراً عظيماً من بني عامر إذا ذكرتُ قتل حُنْدُج زهيراً ، وإني منطلق إلى أُحيحة بن الجُلاح الأوسي فملتمس من عنده سلاحاً يكون عدة لنا على حرب بني عامر ، فلما لقيه قال له : يا أبا عمرو أنبئت أن عندك درعاً حصينة فبعنيها أَوْ هَبْهَا لي . فقال : مثلي لا يبيع السلاح ولولا أن تقول بنو عامر أعان علينا لوهبتها لك ، فأعطاه ابني لَبُونٍ وأخذها ، فقال له : خذها فإن البيع مرتخص وغال ، وهو أول من قالها ، وكان أُحيحة يحفظ لبني عامر أن خالد بن جعفر مدحه بأبيات أولها :

إذا ما أردت العز في أهل يثرب　　فنادِ بصوتٍ يا أحيحة تُمَنَعِ
فتُصبح بالأوس بن عمرو بن عامر　　كأنك جارٌ لليمانيِّ تبَّع

وكانت الدرع تدعىٰ ذات الموت ، ثم ابتاع قيس من يثرب رماحاً وأدراعاً ، وأقبل فوصف للربيع الدرع التي أخذها من أُحيحة ، وأراه إياها فصبَّها الربيع عليه وادِّعاها وقال : يا قيس .

الدرع درعي لم أَبعْ ولم أَهَبْ　　مسروقة في بعض أحياء العرب
أحدث فيها الدهر شيئاً من عجب

وجرىٰ بين الربيع وقيس في أمر الدرع كلام وشعر ، وبعثت جمانة بنت قيس إلى الربيع وهو جدها : يا جَدَّاه رُدَّ على أبي درعه فإنه لجوج ، فأرسل إليها : يا بنية ما أبوك بألج من جدك .

وإن مراعي الربيع أجدبتْ ، فأراد الرحيل إلى مكان مكلَّىء ، فركب قيس بن زهير وإخوته وأهل بيته فعارضوا الظعائن فأخذ قيس بزمام جمل فاطمة بنت الخُرْشب أم الربيع ، وبزمام جمل امرأته جُمْل وقال : والله لأذهبنَّ بكما إلى مكة ثم لأبيعنكما ، ثم أسكن الحرم حتى أموت ، فقالت له فاطمة :

خَلٍّ فإني ضامنة لك درعك ، فلما صارت إلى أبيها[١] كلمته فاستشاط وقال : بلغ الأمر هذا ، قد كنتُ علىٰ ردِّها ، فأما الآن فلا .

فلما بلغ ذلك قيساً أغار على النعم فطرد للربيع أربعمائة ناقة لَقُوح فمر بها إلى مكة فباعها من حرب بن أمية ، وعبدالله بن جُدعان ، وهشام بن المغيرة بالخيل والسلاح وأقام بمكة ، ثم إنه لحق ببني بدر بن عمرو فقال لحذيفة بن بدر : أُجْرني . فقال : إئت حمل بن بدر فاستجر به فأتاه ، فقال له : يا حمل أجرني وإلا فَأذَنْ لحذيفة في إجارتي فقال : قد أجرتك وأذنت لحذيفة في إجارتك فأجاراه ، وقسما له من أموالهما وأكرماه ، وكان قيس قد قال وهو بمكة :

تفاخرني معاشر من قريش ... بكعبتها وبالبيت الحرام
فاكرِمْ بالذي فخروا ولكن ... مغازي الخيل دامية الكِلام
وطعنٌ بالعجاجة كل يوم ... نُحور الخيل بالأُسُل الدَّوامي
أَحَبُّ إليَّ من عيش رخيٍّ ... مع القرشيِّ حربٍ أو هشام
وما عيشُ ابن جُدعانٍ بعيشٍ ... يجر الخزَّ في البلد التهامي

فأجابه العاص بن وائل :

فخرنا والأمور لها قرار ... بمكتنا وبالبلد الحرام
وإنّا لا يُرام لنا حريم ... وإنّا لا نُرَوَّعُ في المنام
وإنا لا تُساقُ لنا كعاب ... خلال النقع بادية الخدام
معاذ الله من هذا وهذا ... فإن الله ليس له مُسَامِ

في أبيات .

---

١ ـ كذا بالأصل ، وهو تصحيف صوابه «ابنها» .

قال وغضب الربيع من إجارة حذيفة وحمل ابني بدر قيساً ، وغضبتْ بنو عَبس لغضبه وعظم الشر بين الحيين ، وندم حذيفة على إجارته فاستثقل مكانه وكرهه ، وقال الربيع شعراً فيه :

وكان أبي ابن عمكم زياد صفيّ أبيكم بدر بن عمرو
فألجأتم أخا الغَدْرات قيساً فقد أوغرتم ما عشت صدري
فإما تـرجعوا أرجـع إليكم وإن تأبوا فقد أظهرت عذري

فأجابه حذيفة :

وجدنا يا ربيع ذمام قيس حراماً في مصارف كل أمر
أجـرناه عليـك ومن نجـره يحل مع الكواكب حيث تجري
وشيمتنا الوفاء لمن عقدنـا له عقداً ولسنا أهل غدر

وكان حذيفة يأتي النعمان بن المنذر فيكرمه ويبره ، وكان يهدي إلى المتجردة هدايا وألطافاً وكان الحكم بن مروان بن زنباع العبسي يأتي النعمان أيضاً ، ويهدي إليه ، فاجتمعا بالحيرة ، فقال الحكم يوماً لحذيفة : لعن الله منزلةً تُصاب بالنساء ، فغضبت المتجردة فبعثت إلى حذيفة بشراب وقينة ، فقال حذيفة : يا بن زنباع هذه المنزلة لا منزلتك ، ونادمه ، فقال حذيفة للقينة : غننا لامرىء القيس بن حجر ، وكان امرؤ القيس يشبب بنساء بني عبس منهن : هند ، ولميس ، وفَرتنا ، والرباب فغضب الحكم وضرب القينة بالسيف فقال حذيفة :

يا بنَ مروان قد سَفهْتَ على الكأسـ ـس وآذيتَ حُرْمَةَ النعمان

وقدم حذيفة على قومه فأخبرهم ، وقدم الحكم فأخبر عبساً بما كان من حذيفة ، فزادهم ذلك تبايناً وتنافراً .

وكان قيس بن زهير ابتاع داحساً بمكة من ثمن إبل الربيع ، فأنزاه على فرس له فجاءت بمهرة سماها الغبراء وهذا قول بني عبس .

وبنو يربوع يقولون : كانت جلوىٰ أم داحس لِقِرواش بن عوف ، أحد بني عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع ، وكان ذو العُقّال أبوه لحوط الرياحي ، وإن قيساً أغار على بني يربوع ، فأخذ ابنة قِرواش وكان داحس فِداءها لإعجاب قيس به .

قالوا : واعتمر قيس وهو في جوار بني بدر ، فأتى بني بدر في غيبة قيس بن زهير غلام من بني عبس فقال له حذيفة : يا جِرْو - وكان اسمه جرو بن الحارث - : أَخَيْلُ فزارة أكرم أم خيل عبس ؟ فقال : خيل عبس . فقال : هل لك في مراهنتي فإن سبقتني فلك خمسة من الإبل ، وإن سبقتك جعلتَ جزورين ، فحمي الغلام فخاطره ، فلما رجع إلي بني عبس قالوا له : ما أنت وخيلنا وليس لك ولا لأبيك فرس ، وقدم قيس بن زهير من عمرته وقد بلغه الخبر ، فسأله حذيفة أن يخاطره فأبىٰ وقال : أنت دسست جرواً حتى دعاني إلى المخاطرة ، وأبى حذيفة إلّا الرهان ولجّ ، فقال أبو حرجة :

آل بدر دعوا الرهان فإنا ... قد بلونا اللجاج عند الرهان
إنَّ قيساً لنا حليفٌ وجارٌ ... وغداً ناصراً على ذبيان

وأتى حمل بن بدر قيساً فقال له : يا قيس لا تراهن حذيفة فإنه رجل مشؤوم مزهو ، وقال حمل :

يا قيس لا تقرب حذيفة إنه ... نكد اللجاج ورأيه مشؤوم
واحتلْ لنفسك حيلةً عبسيةً ... أَوْلَا فإنك ظالم مظلوم

وألح حذيفة على قيس حتى أمحكه ، وكان يحب[1] خروج قيس عنهم ، فراهنه على داحس والغبراء فرسي قيس ، على أن الغبراء لحذيفة ، ويقال بل راهنه على داحس والغبراء فرسي قيس ، وعلى الخَطَّار والحنفاء فرسي حذيفة ، واتفقا على أن الغاية مائة غلوة تنتهي إلى ذات الأصاد ، وهي رَدْهة ، ويقال ماء معروف ، وأوقف حذيفة قوماً في طريق داحس وأمرهم إذا جاء أن يردوا وجهه عن الغاية ، وحمل قيس ابنه على داحس وقال :

لا ترسلنْ له العِنان كُلَّهْ وإن علاه عرقٌ وبَلَّهْ
وإن جرى العفو وبارى ظله حتى إذا قلت دنا وَعَلَّهْ
فارخِ ساقيك وأَحْسِن سَلَّهْ

وحمل حذيفة ابنه على فرسه ، وقال مثل شعر قيس فضحك قيس وقال : يا حذيفة أَمَثَّلْتَ قولي ، فضحك حذيفة وقال : الكلام أشباه ، فأرسلها مثلاً . فلما طلعت الخيل قال : سُبقتَ يا قيس ، فقال قيس : بعد اطلاع إيناس . فذهبت مثلاً .

فمن زعم أن الخيل كانت أربعة اثنين واثنين يقول لما أُرسلت سبقها داحس فتعرض له بعض أصحاب حذيفة الذين وقفهم فلطم وجهه فألقاه في وادي ذات الأصاد فلم يخرج منه حتى فاتته الخيل . وحزم صاحب الغبراء فعدلها عن طريق داحس فلم يشعروا إلا وقد عارضت الخطار وخلفت الحنفاء ، ثم نظر الناس إليهما في وعث من الأرض وقد خرج الخطار على الغبراء فقال حذيفة : سبقتُ والله يا قيس . فقال قيس : رويدك يعلون الجدد فذهب مثلاً ، فلما استوت بهما الأرض جاءت الغبراء سابقة حتى

---

١ ـ بالأصل : وكانت تحب ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه .

شرعت في الماء فلطمها رجل من بني فزارة ، وجاء داحس مبطئاً فأخبر الغلام بما كان من أمره .

وقال الذين زعموا أنه إنما أجرىٰ داحساً والغبراء ، على أن داحساً عن قيس والغبراء عن حذيفة : إن داحساً برَّز على الغبراء فلطمه الرجل حتى بَرَّزت عليه الغبراء ، وكانا في جدد ، فقال حمل : سبقت يا قيس ، فقال قيس : رويداً يَعْدُوَنَّ الجدد ـ بالدال ـ ، لأن الفحل أقوى في الوعث ، فلما دنوا ، وقد برَّز داحس قال قيس : جَرْيُ المذكيات غلاب ، ويقال غلاء ، جمع غلوة .

وقوم يقولون : راهنه حمل دون حذيفة ، فقال قيس :

وما لاقيتُ من حمل بن بدر وإخوته على ذات الأصاد
هم فخروا عليَّ بغير فخرٍ وردُّوا دون غايته جوادي

وقال المفضل : راهنه حذيفة ، ولكن الشعر جرىٰ بأن ذكر بني بدر كلهم ، ولم أكثر من ذكر الإختلاف في أمر عبس وفزارة ، وجرى بين بني عبس وفزارة اختلاف . وقال هؤلاء : لُطم فرسنا والسبق لنا ، وقال الآخرون : بل السَّبْقُ لنا . وقال قيس : يا قوم إني لم أحتمل الربيع وهو سيد بني عبس ، وأطالوا الجدال في أمر السَّبْقَة ، وبعث حذيفة ابنه مالكاً إلى قيس فقال له : يقول لك أبي أطلق السبقة وإلا علمتَ ما أصنع ، فلم يصادفه ، ثم بعثه إليه فقال له : قل له : إن كانت لك في نفسك حاجة فهلم السبق ، فوثب قيس فطعن الغلام فصرعه ، وارتحل قيس من ساعته ، وجاءت فرس الغلام عائره فركب حذيفة في طلبه فوجد قيساً قد ارتحل ، ووجد ابنه مالك قتيلاً فقال حذيفة :

ألا يا قيس قد ألقحت حرباً يضيق بها من القوم الصدور
قتلت ابني هُبلتَ بلا قتيل وهـذا يـا بني عبس كبـير
سبقتك أو سبقتَ فكل هذا إلىٰ جنب التي حَدَثَتْ صغير
فسيروا في البلاد ولن تسيروا وطيروا في السماء ولن تطيروا

فلما قتل قيس مالك بن حذيفة قال : قد وترتُ الربيع وبني بدر ، ولا آمَنُ إن صرتُ إلى قوم آخرين أن يجري بيني وبينهم شيء أكرهه ، فقال شعراً بعث به إلى الربيع بن زياد يقول فيه :

فقولوا للربيـع أتاك ضيف فـلا يكن البعاد لـه بـزاد

وكلمه فيه عمارة بن زياد أخوه ، وكان متلوِّناً عليه حتى قتل مالك بن زهير بن جذيمة أخو قيس وكان سبب قتله أن حذيفة وجه أخاه حملاً . وقال له اقتل مالك بن زهير بمالك بن حذيفة ، وافتك به كما فتك بابن أخيك ، فلم يزل يطلب الفرصة في قتله فألفاه غاراً في ناحية من بلاد بني فزارة فقتله ، فقال عنترة :

لله عيناً من رأىٰ مثل مالك عقيرة قومٍ إن جرىٰ فَرَسان[1]

وهذا البيت حجة لمن قال إنه لم يجر إلاّ فرسان .

وقد كان حذيفة قبل دية ابنه مالك ، وكانت مُغَلَّظَةً ، وهي مائة ناقة عشراء ، وغير ذلك من إبل وأعبد ، فأعظمت بنو عبس وبنو فزارة قتل مالك جدا .

وقالت الجمانة بنت قيس بن زهير : أَزِرْني جدتي آتك بخبر الربيع ، فقالت لها : يا جدتاه ما قال الربيع في قتل عمي مالك ؟ قالت : والله

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

ما سمعته قال شيئاً ، إلا أنه لم يزل ضاحكاً ، وقال قيس :

أينجو بنو بدر بمقتل مالك ويخذلنا في النائبات ربيع
وكان زياد قبله يُتقىٰ به شبا الدهر إنْ يومٌ ألم فظيع
لعل ربيعاً يحتذي فعل شيخه وما الناس إلا حافظ ومضيع

فلما بلغ الربيع هذا الشعر بكىٰ على مالك ورفع صوته والجمانة تسمع قول جدها فقال :

منع الرقاد فما أغمض حار جلل من النبأ العظيم الساري
منْ مثله تمشي الناس حواسراً ويقوم معوله مع الأسحار
مَنْ كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه يضربنَ حُرَّ الوجه بالأحجار
يخمشن حُرَّ وجوههنَّ على فتىً سهل الخليقة طيب الأخبار
وقد كنَّ يُخْبئْنَ الوجوه تَسَتُّراً فاليوم حين برزنَ للنظار
أفبعد مقتل مالك بن زهير قد ترجو النساء عواقب الاطهار
ما ان أرىٰ في قتله لذوي النهىٰ إلا المطيَّ تُشَدُّ بالأكوار
ومسومات ما يَذُقْنَ علوفةً يقذفن بالمهرات والأمهار
وفوارس صدأ الحديد عليهم فكأنما طلي الوجوه بقار
حتى نثير بذي المريقب منكم بدراً ونشفىٰ من بني صبار
قتلوا ابن عمهم وجار بيوتهم غدراً بغير دم ولا أوتار

في أبيات ، فروت الجمانة الشعر وأنشدته أباها ، فأتى قيس الربيع فاعتذر إليه ، وقال له : إنه لم يهرب منك من لجأ إليك ، ولم يَسْتَغْنِ عنك من استعان بك ، وقد كان لك شر يوم ، فليكن لك خير يوم ، وإنما أنا بقومي

وقومي بك ، ثم جمع الربيع بني عبس وحلفاءهم من بني عبدالله بن غطفان ، فلما بلغ ذلك حذيفة أغار على بني عبس فقتل رجالاً ، ثم سارت فزارة بجماعتها وعليها حذيفة إلى بني عبس فالتقوا بالمريقب فقتل جندب بن خلف العبسي عوف بن بدر ، ويقال قتله أرطاة أحد بني مخزوم من عبس ، وقتل عنترة ضمضماً أبا الحصين ، وهرم ابني ضمضم اللذين ذكرهما عنترة ، وكانا يشتمانه ويتواعدانه حتى قتل أباهما ضمضماً .

وروي أن حذيفة أسر في هذا اليوم فخلى الربيع سبيله وأرضاه بعقل عوف أخيه ، واصطلح الحيان ، ثم أن حذيفة ندم على الصلح وقال : لا أمضيته ، وشمر في حرب بني عبس ، فركب إليه الربيع فقال له : إرْضَ بقتلنا عوفاً بمالك بن زهير وأن يكون بوءاً به[1] ، ورُدَّ علينا إبلنا التي عقلنا بها عوفاً ، وركب إليه قيس وعمارة بن زياد فسألاه مثل ذلك ، ويقال انهما سألاه هذا عن رسالة الربيع ، وان ربيعاً لم يركب إليه فأبىٰ فقال له بَيْهس بن غراب الفزاري : ما تريد من القوم يا حذيفة ، بدأت قومك بالبغي والقطيعة ، سبقوك فلم تعطهم ، سَبْقَتَهم ثم أغرت على إبلهم ، وقد وُدي مالك بن حذيفة ، وقتلوا بمالك بن زهير عوفاً ، وما عوف بخير من مالك ، فأراد إمضاء الصلح حتى قدم عليه سنان بن أبي حارثة المري ، فيقال إنه أفسد حذيفة ، فقال حذيفة : إني قتلت مالكاً بابني مالك ، وعوف بن بدر فضلٌ ، فأرد الإبل التي أخذتها ، وأُقيم الحرب ، وأغلظ سنان لبني عبس وكان يكره صلحهم ، وقدمت جماعة من أهل يثرب للإصلاح بين الحيين : عمرو بن الإطنابة ، وأُحيحة بن الجلاح ، وقيس بن الخطيم ، وأبو قيس بن

١ ـ أي دمه بدمه . القاموس .

الأسلت وكعب اليهودي ، فقال قيس : إني لا آكل لمالك ثمناً ، ولا أقبل به إلا حملاً أوحذيفة فانصرفوا ، وقال أحيحة :

إن يكن ما أرىٰ حذيفةُ يأتيـ ـــــه سداداً فلا رأيتُ سدادا
وأرىٰ الغَيَّ ما يقولُ أخوه حمـ ـــلٌ والفسادُ يدعو الفسادا

وقد قيل إن سناناً أشار بالصلح ، فكان حذيفة يتلوّن عليه ، وكان أهوج مقداماً لا يثبت على رأي ، وذلك أثبت .

قالوا : وتجمع بنو ذبيان ، وأغاروا على بني عبس ، فلم يصنعوا شيئاً ، فغزتهم بنو عبس ، وعليهم الربيع فَهُزمت بنو عبس ، واتبعهم بنو ذبيان ، وكانت وقعتهم بذي حِسي ، بقرب اليعمرية[1] ، ولحق حمل بن بدر زبان بن الأسلع فأخذه وأتى به حذيفة ، فقال له حذيفة : إدفع إليَّ ابنيك وابنيّ أخيك عمرو بن الأسلع ليكونوا عندي رهينة عنك فلا تقاتلني بعدها ، فقال : أعطيك الحبيبين ؟ قال : أي والله وإلا قتلتك . فأعطاه العهود والمواثيق ليأتينه بهما وبابني أخيه ، فلما صار إلى بني عبس نهاه قيس عن دفعهم إلى حذيفة ، قال : فكيف أصنع بعهدي وميثاقي والله لا خستُ به ، فانطلق بالأربعة إلى حذيفة وقال : قد وفيت لك فادفع الغلمة إلى أخوالهم ليكونوا عندهم ، وكانت أم ابنيه ابنة مالك بن سبيع الثعلبي ، وأم ابني أخيه من بني جحاش ، فأما بنو جحاش فمنعوا ابني أخيه ، وأما مالك بن سبيع فدفع ابنيه إلى حذيفة فأمر أخاه حملاً أن يأخذ بأرجلهما فيضرب بهما عراقيب الإبل حتي يقتلهما ففعل ، وجعلا يقولان : يا أبتاه ، حتى ماتا .

١ ـ اليعمرية : ماء بواد من بطن نخل من الشربة لبني ثعلبة . معجم البلدان .

وفي رواية أخرىٰ أن بني فزارة لما لحقوا بني عبس قالوا لهم : أتقتلون أم تقيدون ؟ فقال قيس للربيع : هم أكثر منا ، ولن نستطيع قتالهم ، ولكنا نعطيهم رهائن من أبنائنا ، فإنهم لا يقتلون الصبيان ، وإن قتلوهم كان ذلك أيسر من قتل الآباء ، فندفعهم عنا حتى ينقطع الأمر بيننا وبينهم فيما يريدون من أموالنا ، ونُعدّ لهم بعد ذلك على مهل ، قال الربيع : بل نحاربهم . فَصَدَّهُ قيس عن ذلك فقال الربيع :

حَرَّقَ قيس عليّ البلاد حتى إذا اشتعلتْ أجذما
جريرة حرب جناها فما تعرج عنه وما أسلما
عطفنا وراءك فرساننا وقد مال سرجك واستقدما

في أبيات .

فدفعوا إليهم عدة غلمان فجعلوا عند سُبَيْع بن عمرو ، وهلك سُبَيع فلم يزل حذيفة يخدع مالك بن سُبَيع حتى دفعهم إليه ، فأتىٰ بهم اليعمرية ، فقتلهم بالنبل ، فحشدت بنو عبس والتقوا باليعمرية . فقتل زياد بن الأسلع يزيد بن حذيفة، ويقال قتله قيس، وولت بنو ذبيان، فأدرك زِبَّان حُميد بن الحارث بن بدر فصرعه ، وشد الحكم بن مروان بن زَنباع بن جَذيمة على مالك بن سبيع فقتله ، وقَتَل ورد أبو عروة الصعاليك هَرِم بن ضمضم في عدة آخرين ، وذلك الثبت .

وقتل مالك بن ظويلم العبسي وَوَرْد قاتل هرم ، ثم انحدرت فزارة وعبس إلى ذي بقر ، فاقتتلوا وحمل قيس بن زهير على مالك بن بدر فقتله ، وانهزمت بنو فزراة .

ولما قتل مالك بن بدر ويزيد بن حذيفة ، جمع حذيفة بني فزارة وأسد

وغطفان وأشجع ، واحتشدت عبس ، وسبق بنو عبس إلى ماء العقبة فجعلوه وراء ظهورهم . ومشت السفراء بين ذبيان وعبس ، وعرضوا عليهم الصلح . فأبى ذلك حذيفة ، وقال : لا والله أو أشرب من ماء العقبة ، فقال قيس : هذه منه مكيدة وخدعة إنما يريد الغلبة على الماء ، وقال حمل لأخيه : قد شمئتنا، والذي يعرض عليك القوم خير من القتل ، وأتي بماء العقبة فشربه تبرَّة بيمينه وانصرفوا ذلك اليوم وهم على الصلح ، فسمع حذيفة امرأته تبكي يزيد ابنه في جوف الليل وهي تقول :

أَيُقْتَلُ واحدي قيسٌ ونرضىٰ بعَقْلِ النَّابِ منه والفصيل
وتَلْبسُ يا حذيفةُ ثوبَ عارٍ وخزيٍ ما حييتَ فما تقول

فأسف حذيفة ، وأغار على بني عبس.ثم جمع لهم وجمعوا له فلما صارت بنو ذبيان ببعض أرض الشرية وجدوا أموال عبس ونسلهم هناك وقد قدَّمها قيس والربيع للمكيدة ليشتغل بها القوم ثم يكرون عليهم ، فلما رأوها لا دافع عنها أكبُّوا عليها فأخذ حمل بن بدر ابنة الشريد ، وهي أم قيس بن زهير فَرَمَتْ بنفسها فماتت ، ثم عكر العبسيون فتقاتلوا دون الهباءة وذلك في يوم قائظ شديد الحر ، ثم حجز بينهم الحر ، فتراجع بعضهم عن بعض ، وأصبحوا فاقتتلوا ثم تحاجزوا فقال قيس بن زهير : عليكم بالهباءة وهي بئر ، ويقال بركة فلنَتَّخِذَنّ مُصَفَّرَاته مستنقعاً فيها ، فقصدوا للهباءة ، فأتى حذيفة ربايآه وكان فيهم فيما يقال عُيينة بن حصن وهو يومئذٍ غلام فقالوا : قد أتتك بنو عبس وكان مستنقعاً في الجفر أو البركة . ومعه في الماء حمل بن بدر ، وعدة من بني ذبيان فلم ينقضِ الكلام حتى وقف قيس على شفير الجفر وهو يقول : لبيكم لبيكم ، للصبية الذين قتلهم حذيفة ، فقال حمل :

نشدتك الرحم يا قيس . فقال : لبيكم لبيكم ونهر حملاً أخوه وشتمه وقال : إياك والمأثور من الكلام ، فذهبت مثلاً . فقتل حمل بن بدر وجاء قرواش العبسي وكان حذيفة رباه فظن أن لن يقدم عليه فنزع له بمعبلة فأثبتها في صلبه ، وابتدره الحارث بن زهير بن جذيمة وعمرو بن الأسلع فضرباه بسيفيهما فقتلاه ، وأخذ الحارث سيف حذيفة ، وأخذ جميع من كان في الجفر ورجعوا إلى نسائهم وأموالهم فجمعوها ودفن قيس أمه .

وقال أبو المهدي: لما صار حذيفة إلى الهباءة أمن الطلب ، وقد سرح بنو ذبيان خيلهم في أجمة ، وبعثت بنو عبس من استنفض خبرهم ، فلما وقف الربيع وقيس على حذيفة وحَمَلَ ومن معهما جعل حذيفة يُرغِّب لهم ، والربيع يقول له : زدنا يا أبا شريح ، فقال له حمل : دع المأثور من الكلام أي الذي يؤثر عنك عَيْبه ، القوم قاتلوك ، وكانت بنو عبس تقول حين قتل مالك بن بدر : مالك بمالك ، ودية بعد ذلك ، وقال الشاعر :

يا عين بكيِّ مالكا ومالكا   وفارس الهباءة المُعاركا
وحملاً عزَّ علينا هالكا

فقتل قيس حذيفة وقتل الحارث حملاً وأخذ سيفه ، وهو سيف مالك بن زهير ، وقتلوا بني بدر إلا حصن بن حذيفة ، وقوم يقولون : إن مالكاً قتل يوم الهباءة ، والأول أثبت .

وكان عنترة ممن قَتَل أهل الهباءة .

قالوا : ونظر قيس إلى تُماضِر مقتولة فدفنها .

وقال عمرو بن الأسلع :

إن السماء وإن الريح شاهدة   والله يشهد والانسان والبلد

أني جزيت بني بدر ببغيهم   على الهباءة قتلاً ما له قَوَد
لما التقينا على أرجاء جَمَّتِها   والمشرفية في أيماننا تقد
علوته بحسام ثم قلت له   خذها حذيف فأنت السيد الصمد

قال : ومثلوا بحذيفة فقطعوا مذاكيره ودسوها في فمه ، وجعلوا لسانه في استه .

وقال عقيل بن علفة المري يهجو عويف القوافي :

ويوقدُ عوفٌ للعشيرة نارَهُ   فهلاّ على جفر الهباءة أوقدا
وإن على جفر الهباءة هامة   تنادي بني بدر وعاراً مخلدا
وعض على أيرٍ حذيفةُ بعدما   أبير على جفر الهباءة أسودا

وقال قيس بن زهير :

أقام على جفر الهباءة خير ميتٍ   وأكرمه حذيفة ما يريم
ولولا ظلمه مازلت أبكي   عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر   بغىٰ والبغي منقصة وشوم
أظُنُّ الحلم دل على قومي   وقد يُستجهل الرجل الحليم
ألاقي من رجال مُنْكَرَاتٍ   فأُنكرها وما أنا بالظلوم
ومارستُ الرجال ومارسوني   فمعوجٌ عليَّ ومستقيم

واستُصغر عيينة بن حصن فخلُّوه .

وقال قيس بن زهير أيضاً :

شفاني السيف من حمل بن بدرٍ   وسيفي من حذيفة قد شفاني
وإنْ أكُ قد شفيت بهم غليلي   فلم أُقطعْ بهم إلا بَنَاني(١)

١ ـ من أجل تفاصيل اضافية لهذه الأيام انظر النقائض ج ١ ص ٨٤ ـ ١٠٦ .

قال ومنهم : **حصن بن حذيفة** بن بدر ، وهو ابن اللقيطة ، وهي النضيرة بنت مروان بن عُصيم بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة ، سميت اللقيطة لأن بني فزارة انتجعوا مرة وهي صبية فسقطت فالتقطها قوم فردوها ، وخرج حصن يسير لأمر من أموره ، فلما كان بالحاجر لقية غزاة بني عامر فاقتتلوا ، فطعن كُرْز العقيلي حصناً فقال الشاعر :

يا كرز إنك قد فتكتَ بفارسٍ بطلٍ إذا هب الكماة مُجَرَّبُ
ولقد طعنت أبا عُيَيْنَة طعنة حَرَمَتْ فزارةَ بَعْدَهَا أن يَغضبوا

أي حَمَلْتَهم على أن يغضبوا ، واشتد بحصن ألم تلك الطعنة ، فدعا بنيه فقال لأكبرهم : خذ السيف فاعتمد به على بطني حتى تخرجه من ظهري . فقال : وهل يقتل الولد أباه ؟ وقال ذلك لسائر ولده فأَبَوْه ، ومات من الطعنة .

وابنه **عيينة بن حصن**[1] بن حذيفة بن بدر وقد رأس ، واسم عيينة حذيفة ، وكانت أَصَابته لقوة فجحظت عيناه ، فسمي عيينة ، وكان يكنى أبا مالك ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، وارتد بعد وفاة النبي ﷺ وعرض عليه أبوه ما عرض على إخوته ، فأخذ السيف وقال : أليس فيما أمرتني به لك راحة ولي طاعة ، وهو لك هوىً ، فلما أراد أن يضعه في بطنه ، قال له : ضعه فإني أردت امتحاني بطاعتكم ، وقال له : أنت سيِّد ولدي ولك الرئاسة .

وكانت عند عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أم البنين ابنة عيينة ، فدخل عليه وهو يفطر فدعاه إلى العشاء فقال : أنا صائم ، فقال : أتصوم

---

١ ـ بهامش الأصل : عيينة بن حصن .

الليل ؟ فقال : مَثَّلْتُ بين صوم الليل والنهار فوجدت صوم الليل أخفُّ عليَّ .

واستأذن عيينة على رسول الله ﷺ فبسر[1] فلما دخل بَشَّ به وقال ﷺ : «كفى للمرء شراً أن يدارَىٰ مخافة فحشه» .

ودخل مرة على النبي ﷺ فرأىٰ عائشة رضي الله تعالى عنها فقال : من هذه الحميراء ؟ فلما خرج سألت عائشة رسول الله ﷺ فقال : «هذا الأحمق المطاع في قومه» .

ودخل على النبي ﷺ ، وعنده عُدَّةٌ من أصحابه فيهم سلمان الفارسي ، فقال له : إذا أتيناك فاطرد هؤلاء الأنتان عنك فقد آذتنا روائحهم ، فنزلت : ﴿ولا تطرد الذي يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا فلا تُطعْ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتَّبَع هواه وكان أمره فرطا﴾[2] أي عجالاً علىٰ غير رويَّة ، يقال فرس فرط أي عجل من الطيش .

وسمع عُيينة رجلاً من بني فزارة مكفوفاً يقرأ القرآن فقال : ماذا لقينا من محمد ، استغوىٰ أقوياءنا ، واستهذىٰ ضعفاءنا .

وكان عيينة رأى الناس بسوق عكاظ يتبايعون فقال : أرىٰ هؤلاء مجتمعين بلا عهد ولا عقد ، لئن بقيتُ إلى قابل لتَعْلَمُنَّ ، فغزاهم من قابل فأغار عليهم واستباحهم فقال الحطيئة :

فدىً لابن حصن ما أَرَحْتُ فإنه ... ثمال[3] اليتامىٰ عصمة للمهالك

١ ـ بسر : أعجل ، وعبس ، وقهر . القاموس .
٢ ـ سورة الكهف ـ الآية : ٢٨ .
٣ ـ الثمال : الغيات ، الذي يقوم بأمر قومه . القاموس .

سما لعكاظ من بعيدٍ وأهلها بأَلْفَيْنِ حتىٰ داسهم بالسنابك[1]

وقُدم به المدينة في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقيل له : يا عدو الله ارتددت عن الإسلام ؟ فقال : ومتى أسلمت ؟ .

ويحكى ذلك عن الحطيئة أيضاً .

وكان حذر عمرَ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الأعاجم ، من السبي ، فلما جُرح سأل عنه فأُخبر بغيبته فقال : أي رأي بين الحاجر والرقم .

وأم عيينة فُكَيْهة من بني شمخ بن فزارة ، ثم من بني رياح بن هلال بن شمخ ، وفيهم يقول عيينة : آل رياح النكد المشائيم .

وعبدالله بن عيينة بن حصن أغار على سرح المدينة .

وسعد بن عيينة دفعه عبد الملك بن مروان إلى كلب بسبب حرب بنات قين فقتلوه ، وقد كتبنا خبره فيما تقدم .

وعبدالله ، وعبد الرحمن ابنا مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر، وأم حكمة فاطمة وهي أم قرفة بنت ربيعة بن بدر، وكانت أم قرفة تؤلب على النبي ﷺ ، وكان لها اثنا عشر ذكراً كلهم عَلَّقَ سيف رئاسة ، فبعث إليها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة مولاه فقتلها ، وقتل بنيها .

ومنهم : **أسماء بن خارجة** بن حصن ، كان سيد أهل زمانه ، ومدحه الأخطل فقال :

إذا مات ابن خارجة بن حصن فلا مطرت على الأرض السماء
ولا آب الغزيُّ بغنم خير ولا ولدتْ على الطهر النساء

١ـ ديوان الحطيئة ص١٣٣ مع فوارق .

وفيه يقول ابنُ الزبير الأسدي :

وَمُحْتَمِلٌ ضِغْنَاً لأسماءَ لو مشىٰ بسجلين[1] من أسماء فَارَتْ مراجله
ترىٰ البازل البختيّ فوق خوانه مقـطَّعـةٌ آرابــه ومفــاصله

وكان يكنى أبا حسان ، وقال أسماء : ما مددت رجلي قط أمام جليسي ، ولا اعتمدني رجل في حاجة فرأيت أن شيئاً من الدنيا وإنْ كَثُر عوض لبذل وجهه إليّ . فبلغ ذلك عبد الملك من قوله فقال : كذا يكون السؤدد .

ومالك بن أسماء بن خارجة ، **وعيينة بن أسماء** ، وكانا شريفين ولهما عقب بالكوفة وقد ولي مالك ولايات .

ومن ولده : **أبو إسحاق الفزاري** المحدّث ، وهو ابراهيم بن محمد بن أسماء بن خارجة ، ومات أبو إسحاق بالمصيصة سنة ثمان وثمانين ومائة ، ويقال محمد بن الحارث بن أسماء والأول أثبت .

وقال أبو اليقظان : كان حصن من أعظم غطفان قيادة ، قاد أسداً وغطفان كلها ، فقال رجل لمعاوية وذكره : ما رأينا عربياً أعظم قدراً من حصن بن حذيفة ، قسم المغانم وهو متكىء على سيَّةِ قوسه بين الحليفين أسد وغطفان . قال : وقتلته بنو عَقيل ورثاه النابغة الذبياني فقال :

يقولون حصن ثم تأبىٰ نفوسهم وكيف بحصنٍ والجبال جنوح[2]

وكان حصن أوصىٰ عُيينة بقتل قاتله ، وكان عُيينة بن حصن سيداً أخذ المرباع في الجاهلية ، وخَمَّسَ في الإسلام ، وكان تَسَمَّىٰ وثاباً لأنه أغار

١ ـ السجل : الدلو العظيمة مملوءة ، وناقة سجلاء : عظيمة الضرع . جمعها : سجل . القاموس : وانظر شعر عبدالله بن الزبير الأسدي ـ ط . بغداد ١٩٧٤ ص ١٢٠ ـ ١٢٣ مع فوارق .

٢ ـ ديوان النابغة الذبياني ص ٢٩ مع فوارق .

علىٰ بعض الأحياء ، ثم أغار على بنّي تغلب بالجزيرة ، وأدرك الاسلام وخلافة عثمان ، وكان يكنى أبا مالك ، وكان أسر زيد الخيل في الجاهلية فأتاه زَبان بن سيّار بفرسه فحمله عليه فنجا ، ولم يبعث بالفرس فقال :

كفرتَ فلم تشكر بلائي ونعمتي فَأَدِّ كما أَدَّاكَ يا زيد سُلَّما

وكان اسم الفرس سُلم .

قال : وأوصىٰ حصن بن حذيفة عُيينة وسائر ولده بقتل قاتله ، فقتله عيينة من بينهم ، وكانت وصيته لولده وقومه : لا يتكلنّ آخركم علىٰ فِعَال أُولكم ، فإنما يدرك الرجل الشرف بفعله ، وانكحوا الغريب فإنه عز حادث ، وإذا حاربتم فأوقعوا ، ثم قولوا وأصدقوا لا خير في الكذب ، وصونوا الخيل فإنها حصون الرجال ، وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل ، وأغزوا الكثير بالكثير ، ولا تغزوا إلّا بالعيون ، ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح ، وعجلوا القرىٰ فإن خَيْرَه أَعَجَلَهُ ، وأعطوا على حسب المال فإنه أبقى لكم ، ولا تحسدوا من ليس مثلكم فإنما يحسد المرء أمثاله ، على أنه لا خير في الحسد ولا تجسروا على الملوك ، فإن أيديهم أطول من أيديكم وإياكم وصرعات البغي ، وفضحات الغدر ، وفلتات المزاح ، واقتلوا قاتلي كرز بن عامر العَقيلي ، والسلام عليكم . فقتله عيينة بن حصن .

وقال الكلبي : ومنهم **عويف القوافي**[1] الشاعر ابن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة ، وإنما سمي عويف القوافي بقوله :

سأكذب من قد كان يزعم أنني إذا قلت قولا لا أجيد القوافيا

قال هشام ابن الكلبي : حدثني بهذا عمار بن أبان بن سعيد بن عيينة .

١ ـ بهامش الأصل : عويف القوافي الشاعر .

ومنهم : **حسان بن حسن** الذي قتل عرفجة بن مصاد الكلبي .

وشريك بن مالك بن حذيفة ، قتل صالح بن لام الكلبي ، فقال الشاعر :

وصالحُ كَفَاكَهُ شريكْ ... بصارمٍ ذي هَبةٍ بتيك

وحجر بن معاوية بن حذيفة الشاعر . ومنهم : **ضبيعة** وهو من ولد عيينة بن حصن ، وكان رجل يقال له بَقْعاء من بني بدر قتل رجلاً من ولد ضبيعة ، فقالت أخت بقعاء :

لا دَرَّ دَرُّكَ يا بقعاء إن هجعتْ ... ليل التمام بل العبديَّةُ النُّجُبُ

أو تقطع الخرق بعد الخرق ملثما[1] ... وقد يُنَجِّي الفتى ذي الحيلة الهرب

حتى يبيت بأرض لا يَقِرُّ بها ... إلا الوحوش وحتى يسكن الطلب

وقال عَقيل بن عُلفة :

أَبلغ ضُبَيْعَةَ مني إن مررتَ به ... فالمرء يلبس مولاه على الريب

أتطلبونَ بني بدر بجاهِلِهم ... وتصلحون النائي[2] من سائر العرب

وكان **عبدالله بن عمار** بن عيينة بن حصن سيداً ، وفيه يقول عَقيل بن عُلفة :

لم يبق من آل بدر غير أَهْجِنَةٍ ... شُغرا أُنوفُهم غير ابن عمار

وولد مازن بن فزارة : سُمَيُّ بن مازن . وحجان بن مازن ، وأمهما نَصِيرة بنت جُشم بن معاوية بن بكر بن هوازن خلف عليها بعد أبيه .

فولد سُمَيَّ : هلال بن سُمَي . والمتيل بن سمي ، وأمهما نصيرة بنت هلال بن فالج بن ذكوان . فولد هلال : عقيل بن هلال . وعبدالله . والحارث ، وأمهم الصعبة بنت مالك بن مرة .

---

١ ـ كذا بالأصل وهو مختل الوزن .

٥ ـ كذا بالأصل وهو مختل الوزن ، ولم يرد هذا البيت في ترجمة عقيل في الأغاني ج ١٢ ص ٢٥٤ ـ ٢٧٠ ، أو مصدر آخر معروف .

فولد عقيل بن هلال : جابر بن عقيل . وعبد مناف بن عقيل وهو الأَفْوَهُ . وعبد العزىٰ بن عقيل . والحارث بن عقيل وأمهم معاذة من بني ثعلبة بن سعيد بن ذبيان .

فولد جابر بن عقيل : عمرو بن جابر وهو العُشرَاء ، وكان عظيم البطن ، فسمي العُشرَاء ، وربيعة وهو الخَلِفة ، والخلفة الناقة التي لم يَسْتَبِنْ حملها . وكان ربيعة أصغر بطناً من عمرو فسمِّيَ الخلفة ، وأمهما لبنىٰ بنت خُشَني بن عُصيم بن لأي بن شمخ بن فزارة .

فمن بني العشراء : زبان بن سيار بن عمرو بن جابر بن عقيل وابنه ، منظور بن زبان بن سيار كان شريفاً وهو جد الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كانت أمه خولة بنت منظور ، وهي أم ابراهيم بن محمد بن طلحة أيضاً ، وفي زبان يقول الحادرة الثعلبي ، ويزعمون أن زبان سماه حادرة ببيت قاله :

كنتَ امرأً من قبل من ولْد استها　　　فطغيت لما قيل من ولد الحَرِ
وهجوتَ قَوماً أنكحوكَ بناتهم　　　حتى ابتنيتَ على عماد العرعر

والثبت أنه سُمي الحادرة بما قد ذكرناه .

وقال أبو اليقظان : قتل بنو أبي حارثة من بني مرة ابنا لعمرو بن هند ، فضمن له سيار بن عمرو ألف بعير دية ابنه ، ورهن قوسه بها ، ثم أدىٰ الألف فقال الشاعر :

ونحن رَهَنَّا القوس ثم تخلصت　　　بألف على ظهر الفزاري أقرعا
بعشر مئينٍ للملوك وفاؤهـا　　　ليُحمد سَيَّارُ بن عمرو فأسرعا

فولد سيار : زَبَّان . وقُطبة .

فأما قطبة فولد : هرماً وكان من حكام العرب ، وإليه تحاكم عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ، وأدرك الإسلام ، فقال له عمر رضي الله تعالى عنه : لأيهما كنت تحكم ؟ فقال : أمر كفانيه الله في الجاهلية ، فاعفني منه في الإسلام ، أما إني لو قُلتها لَمَضَتْ .

وأما زبّان فكان سيداً شاعراً ، وذكروا أنه نافر عيينة ، فنفر على عيينة، ولم يدرك الإسلام ، وكانت عنده مليكة بنت خارجة، فتزوجها بعده منظور بن زبان ، فلما جاء الإسلام فَرَّقَ بينهما ، وفي ذلك يقول الشاعر :

لبئس ما خَلَّفَ الآباء بعدهم   في الأمهات عجان الكلب منظور
وكان يغمزها والشيخ شاهِدُهُ   والآنَ أنتَ بغير الغمز معذور

وتزوج بنات منظور : الحسن بن علي ، وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ، والمنذر بن الزبير ، فقال جرير :

إن الندىٰ من بني ذبيان قد علموا   والمجد في آل منظور بن سَيَّار
ترضىٰ قريش بهم صهراً لأنفسها   وهُمْ رِضىً لبني أُختٍ وأصهار[1]

وقال جرير لبني تغلب :

جيئوا بمثل بني بدرٍ لأُسرتهم   أو مثل أُسْرَةِ منظور بن سيار[2]

فولد منظور بن زبان : **زبان بن منظور** ، وهو أبو وهب الذي يقول له حلحلة بن قيس بن أُشْيَم من ولد الأحدب بن سيار : «وخُصَّا بالسلام أبا وهيب . . .» وقد ذكرنا خبره في حرب بنات قين . وقال عَقيل بن عُلفة :

لم يبقَ من مازنٍ إلّا شرارهم   فوق الحُصىٰ حول منظور بن سيار

١ ـ ديوان جرير ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .
٢ ـ ديوان جرير ص ٢٤٢ .

وقال الكلبي : ومنهم **هَرِم بن قُطبة** بن سيار بن عمرو العشراء الذي تحاكم إليه عامر بن الطفيل ، وعلقمة بن عُلاثة ، وأسلم هرم بن قطبة ، وقدم على عمر بن الخطاب فقال له : لمن كنت حاكماً ؟ فقال : اعفني يا أمير المؤمنين فوالله لو أظهرتُ من هذا شيئاً لعادت الحكومة . قال : صدقت ، وبهذا العقل حكمتك العرب ، ويقال انه نفر علقمة وقال لعامر : أتنافر علقمة وأنت أعور عاقر ؟ وقيل إنه ما رآهما ، ويقال انه قال : أنتما كركبتي الفرس .

ومنهم **حلحلة بن قيس** بن الأشيم بن سيار ، الذي دفعه عبد الملك بن مروان إلى كلب فقتلوه ، مع سعيد بن عيينة بن حصن ، وقيل له : اصبر يا حلحلة فقال :

أَصْبَرُ مِنْ عَوْذٍ بِدَفَّيْهِ جِلَبْ[1] قد أَثَّرَتْ فيه الفُروضُ والحقب

وقال :

أَصْبَرُ من ذي ضاغطٍ عَرَكْرَكِ[2] أَلقَى بَوَاني زَوْرِهِ لِلْمَبْرِكِ

وقد كتبنا خبره في حرب كلب وفزارة ببنات قين .

ومنهم : **الربيع بن قعنب** بن أوس بن الأعور بن سيار الشاعر .

ومن بني الخلفة : **بدر بن جراز** بن ربيعة الخلفة ، وكان شاعراً .

ومن بني الحارث بن سُمَيٍّ : **قيس بن عنبس** بن الحارث بن سُمي الشاعر .

فولد شمخ بن فزارة : هلال بن شمخ . وعُصيم بن شمخ .

---

١ ـ الجلب : الرحل بما فيه ، أو غطاؤه ، وخشبة بلا أنساع وأداة . القاموس .
٢ ـ العركرك : الركب الضخم ، والجمل الغليظ . القاموس .

فولد هلال : عوف بن هلال . وغوث بن هلال . وعمرو بن هلال . وحُرْقَة بن هلال ، دخلوا في تغلب علىٰ نسب ، وهم رهط الهذيل بن هبيرة بن حبيب بن الحارث بن حرقة .

فولد عمرو بن هلال : الحارث بن عمرو .

فولد الحارث : دَهر بن الحارث .

فولد دَهر : مخالف بن دَهر . وخلف بن دهر ، وهم بالشام .

وولد عوف بن هلال : ربيعة .

فولد ربيعة : رياح بن ربيعة . وسُبيع بن ربيعة . ورِيث بن ربيعة . وحصين بن ربيعة .

فولد رياح بن ربيعة : ربيعة بن رياح . وعوف بن رياح وأمهما ابنة حُريج بن جابر من بني فزارة .

فولد ربيعة بن رياح بن ربيعة : نُجبة بن ربيعة . وشاس بن ربيعة ، وأمهما سخطاء بنت عبدالله من مزينة .

فمن بني نجبة لصلبه : جبار ، كان شريفاً . ومرثد . وقرفة وحكم . وحكيم . ومروان . وربيعة . والمسيب ، بنو نجبة .

وشهد المسيب يوم القادسية ، ثم شهد مع علي رضي الله تعالى عنه مشاهده وشهد يوم عين الوردة مع سليمان بن صُرد الخزاعي ، فقتل بها ، وهو أحد التوابين الذين خرجوا يطلبون بدم الحسن رضي الله تعالى عنه ، وقد كتبنا خبره فيما تقدم من كتابنا هذا .

وشهد مَرْثَد بن نجبة الحيرة مع خالد بن الوليد ، ثم شهد اليرموك بالشام ، ثم كان على مقدمة خالد بن الوليد يوم فتح دمشق فقتل على

سورها ، وابنه **كردم بن مرثد** ويقال كردم بن حكيم بن مرثد وكان يلي الولايات فيسيء السيرة فقال :

الناس كل الناس بارك فيه   وكــردم لا يــبــارك فــيــه

وقال المهلب :

لما رآهـا كـردم تكـردمـا   كَرْدَمَةَ العيس أَحَسَّ الضيغما

ومن ولد كردم : **حمران بن مكروه** ، كان على كور دجلة .

وخطب إلى المسيب بن نجبة الحسن بن علي ، وعبدالله بن جعفر ، فاستشار علياً كرم الله وجهه فأشار عليه أن يزوج عبدالله لأن الحسن كان مطلاقاً ، فزوج عبدالله بن جعفر .

وهاشم بن صفوان بن مرثد ، استعمله عمر بن هبيرة على فارس .

وقال غير الكلبي : هُشيم بن صفوان ، والحكم بن مروان بن نجبة ، قتل يوم عين الوردة .

وربيعة بن سهل بن مروان بن نجبة ، حمل ديتين ، دية إلى بسيل وقوّالة المريين . والهيثم بن بشر بن حكمة بن نجبة حمل ديات ، فقال ابن ميادة المري :

لكل أناس حـاتم يعرفـونه   وحاتمنا يوم الحمالـة هيثم[1]

وقال أبو اليقظان : قتل ابنٌ لنجبة في الجاهلية ، قتله بعض قومه فبعثوا إليه : نعطيك ديتين ، فأبى وتهيأ للحرب ، وخرجت أم ابنه المقتول وهي تميمية تحضض ، فلما رأى ذلك نجبة قال : لهانَ عليك يا أخت بني تميم أن يقتل قومي بعضهم بعضاً ، وردَّ أصحابَه وقبل ديَةً واحدةً .

١ ـ ليس في ديوان شعره المطبوع .

ومنهم كبير بن زَيَّاد بن شاس بن ربيعة ، صحب النبي ﷺ ، وشهد يوم القادسية .

وولد عوف بن رياح : أسماء بن عوف . وهند بن عوف وهو رجل . وربيعة بن عوف . والكيشم بن عوف . وعبدالله بن عوف . ووهب بن عوف . ومرّة بن عوف . وعبد شمس بن عوف . والتوأم بن عوف .

ومنهم : عفاق بن المسيح بن بشر بن أسماء ، كان على شرط الخميس مع علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، وكانوا يعرضون يوم الخميس ، وكان جده بشر بن أسماء أنهب ماله من الإبل في الجاهلية .

ومنهم : عروة بن الهيثم بن عوف ، أغار مع عيينة بن حصن على بني مَنْوَلَة .

وولد عُصيم بن شمخ : لأي بن عصيم ، أمه من جهينة .

فولد لأي : خُشين بن لأي بن عصيم ، وهو ذو الرأسين[1] . وأخشن . ومُحاشن . وخَشَان ـ بخاء معجمة ـ ومُخْدش .

فولد خُشين ذو الرأسين : عرين بن خشين . وجابر بن خشين .

قال الكلبي : لم يكن في بني فزارة رجل اكثر غزواً بنفسه من ذي الرأسين .

ومن ولده : عمرو بن جابر بن خُشين ، وكان له من كل أسير أسرته غطفان إذا أخذوا فداءه بكرتان ، حتى منعه ذلك ظويلم بن عرين .

ومن ولده : مالك بن حمار بن حَزْن بن عمرو بن جابر ، وقد رأس وهو وأبوه وجده ، وله يقول النابغة :

---

١ ـ بهامش الأصل : كان عظيم الرأس فيه قرقبة ، وفي القاموس : القرقب : البطن .

. . . . وعلى الهباءة مالك بن حمار[١]

وقال أبو اليقظان : ومن ولد لأي بن عصيم بن شمخ : **ظويلم بن عرين بن خشين** ، وهو مانع الحريم ، وذلك أنه انطلق في الجاهلية يريد الحج ، فنزل علىٰ المغيرة بن عبدالله المخزومي ، فأراد المغيرة أن يأخذ منه ما كانت قريش تأخذه ممن نزل عليها في الجاهلية ، وكان يقال لذلك الحريم ، وهو بعض ثيابه ، وبعض ما ينحره من لحم بدنته ، وهو قول ابن الزبعرىٰ :

. . . . لنا فوق أيدي الطائفين حَريم[٢]

فقال ظويلم :

يا رب هل عندك من عقيرة   إن مني مانعها المغيرة
ومانع بعد مني بشيرة   ومانعي ربي أن أزوره
أحبس مالي وأدع تنحيره

قال: وظلويلم الذي منع عمرو بن جابر بكرتيه من الديات فقال :

أرى عَمْراً بسوم الناس خسفاً   لَهُ مِنْ كُلِّ عانٍ بكرتانِ
فإني مانعٌ ما كُنْتَ تُعطىٰ   فهل لك بانتزاعهما يَدَانِ

وقال جبار بن مالك بن حمار يذكر ظويلماً :

ونحن منعنا من قريش حريمها   بمكة أيام التحالق والنحر

قال : وهجا شوَّال بن المرقع ، أحد بني عبدالله بن غطفان ابن ذي الرأسين ، فقتله ابن ذي الرأسين ، فقال ابن عنقاء الفزاري :

---

١ ـ الشطر الأول لهذا البيت : «زيد بن زيد حاضر بعراعر» . ديوان النابغة الذبياني ص ٦١ .
٢ ـ ليس في ديوان شعر عبدالله بن الزبعرى المنشور .

أبىٰ لابن ذي الرأسين مجد مقدم وسيف إذا مَسَّ الضريبة يقطع
فقلتُ لشوَّالٍ تَوَقَّ ذبابه ولا تَحْمِ أَنفاً أَنْ يُسَبَّ مُرَقَّعُ

وقال أبو اليقظان : ومن بني لأي : **مالك بن حمار** ، كان شريفاً شجاعاً سيداً في الجاهلية ، وهو الذي قال فيه النابغة :

. . . . وعلىٰ الدفينة مالك بن حمار

ويروىٰ : الهباءة .

وقتل مالكاً خِفاف بن نَدْبة ، وكان معاوية بن عمرو ، أبو الخنساء السلمية ، غزا مرة فزارة ، ومعه خِفاف بن نَدْبة فاعتور معاوية هاشم ودريد ابنا حَرْملة المرِّيَان ، فاستطرد له أحدهما ، وشد عليه الآخر فقتله ، فلما تنادوا : قُتل معاوية قال خفاف : قتلني الله إنْ رمْتُ حتى أثأر به ، فشد على مالك بن حمار سيد بني شمخ فقتله وقال :

إنْ تَكُ خَيْلي قد أُصيبَ صميمُها فَعَمْداً على عَيْنيْ تَيَمَّمْتُ مالكا
وقفتُ له علوي وقد خامَ صحبتي لأبني مجداً أو لأَثْأَرَ هالكا
أقول له والرمح يأطر متنه تأملْ خفافاً إنني أنا ذلكا

وكانت لجبّار بن مالك بن حمار بنت عند عبدالله بن مسعود ، وأخرى عند حذيفة بن اليمان ، وكَانَ جبّار شريفاً في الجاهلية .

ومنهم : **عُمَيْلة بن كلدة** بن هلال بن حَزْن بن عمرو بن جابر ، كان شريفاً .

وابنه **الربيع بن عُميلة** كان من أصحاب ابن مسعود .

وابنه **الرُّكين بن الربيع** بن عُمَيْلة ، كان فقيهاً ، واستعمله أمير المؤمنين أبو جعفر . وقال الشاعر :

عند ركين ماشئت من ضحك إن كنتَ منه رضيتَ بالضحك

ويقال فيهم :

وبنو عميلة جار كل مُدَفَّعٍ للنـائبات وغيث كـل فقـير

وسَمُرة بن جُنْدب بن هلال بن حريج بن مرة بن حزن بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سميّ بن مازن بن فزارة ، وأم سمرة الكَلْفاء بنت الحارث من بني فزراة ، ويقال هي امرأة من بني أسد ، والأول قول ابن الكلبي . وتزوج أمه مُرَيّ بن ثابت بن سنان الخزرجي ربيبه : فلما كان يوم أُحُدٍ وعرض النبي ﷺ أصحابه رده رسول الله مع من رد من الغلمان ، فقال لمُرَيّ ربيبه : يا أبه أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج ، وردني فقال مُرَيّ : يا رسول الله : أجزتَ رافعاً ورددت ابني وابني يصرعه فقال رسول الله ﷺ : «تصارعا» فصرع سمرة رافعاً ، فأجازه رسول الله ﷺ ، وكان زياد بن أبي سفيان يستعمله علىٰ البصرة إذا خرج إلى الكوفة ، وقال رسول الله ﷺ له ولأبي محذورة : «آخركما موتاً في النار» ، فمات سمرة .

وقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ قال لعشرة من أصحابة : «آخركم موتاً في النار» فمات سمرة ، وكان موته بالكوفة ، ويكنى أبا سعيد ، وتوفي في آخر أيام معاوية بن أبي سفيان ،ولسمرة دار بالبصرة مشهورة في بني رقاش .

وقال أبو اليقظان : كانت لسمرة دار بالكَلّا ، وأخرى بالسوق فوقع بينه وبين المنذر بن الزبير كلام عند معاوية فَخَوَّنَهُ المنذر ، وقال : قد أخذت أمواله بمائة ألف ، فابتاعها منه بمائة ألف ، وعقب سمرة بالكوفة .

حدثنا عبيدالله بن عمر القواريري ، ثنا أبو المعلّىٰ الجَنّاني عن ابنه قال : كنت واقفاً على رأس سمرة فقدم إليه بضعة عشر رجلاً يسأل الرجل

منهم : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ونبيي محمد ، وإمامي القرآن فيقول : اضربا عنقه فإن يك صادقاً فسينفعه ذلك . وقد ذكرنا له أخباراً فيما تقدم[1] .

وقال ابن سعد : كان سمرة يكنى أبا سعيد ، توفي في آخر أيام معاوية ، وكان له بالبصرة دار ، ومات بالكوفة[2] .

وولد ظالم بن فزارة : غراب بن ظالم ، يقال لولده بنو غراب بالشام . ومنهم قوم بالبادية ودمشق . قال ابن دارة :

قد سَبَّتْني بنو الغُراب الأحمرِ كـل عَـوَانٍ منهمُ ومَعْصَرِ

فمنهم : بيهس بن هلال بن خلف بن حَمْحَمة بن غُراب بن ظالم بن فزارة .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن زياد بن علاثة الثعلبي قال : تزوج هلال أبو بيهس السِيَراء بنت سهم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس فولدت له : بَيْهَس بن هلال وإخوة له وهم : نفر . وعمرو . وَرَبيع . وَرُبَيْع وغيرهم . وإنهم خرجوا من عند أمهم فنزلوا على أشجع بن ريث بن غطفان ، وسيد أشجع يومئذٍ نصر بن دُهمان بن بصار بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان ، فأغاروا على بني الحارث بن كعب بن عمرو ، فلم يكن فيهم أحد أَبْيَنُ شجاعة ونكاية من بيهس وإخوته ، فحسدهم نصر بن دهمان ، فلما كان بماء يقال له الكَيوانة وبيهس وإخوته في رعي إبلهم ، عدا عليهم فقتلهم إلاّ بيهساً ، وكان أصغرهم ، وكانت به لوثة فكان يُحَمَّق وكان يدعى نعامة لبيت قاله، ويقال لطوله

١ - انظر ما تقدم ص ٢٠٦٣

٢ - طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٤٩ - ٥٠ .

وجسامته وأراد نصر قتله ، فقال له أشجع : ما تريد بقتل هذا وأن يُحسب عليكم برجل لا خير فيه ، وقال بيهس : اكفف عن الإنسان الأحمق ، يريد نفسه، دعوه تسكن إليه أمه ، فتركه . ثم إن نصراً صار إلى ماء آخر فنحر جزوراً ، وقال : أَظِلُّوا لحمكم فإن الحر شديد ، فقال بيهس : لكن بالكيوانة لحم لا يُظلل . وبعضهم يقول : لكن بالأثلات لحم لا يظلل . وبعضهم يقول : ببثاء[1] لحم لا يظلل فأرسلها مثلاً . فقال نصر : إن بيهساً لمنكر ، وهمَّ بقتله ، فقال بعضهم : رُبَّ كلمة من أحمق . فكف عنه وفارقهم حين انشعب له طريق أهله ، فأتى أمه فسألته عن إخوته فقال : قَتَلَتْهُم أشجع . فقالت : ما نجاك من بينهم وأنت أخسهم عندي ؟ فقال : لو خيركِ القوم لاخترت ، فذهبت مثلاً . ثم إن أمه عطفت عليه وَرَقَّتْ له فقال الناس : قد رئمت أم بيهس بيهساً فقال بيهس : ثكل أرأمها ولداً ، فأرسلها مثلاً ، ثم أقبلت تعطيه ثياب إخوته وتركتهم عندها ، فقال : حبذا التراث لولا الذلة فأرسلها مثلاً ، فلما احتنك بيهس آلىٰ أن لايزال يقتل أشجع حيث وجدهم ، فمر بنسوة من قومه يُصلحن امرأةً منهن ليهدينها إلى زوجها وهو بعض من قتل إخوته ، فكشف ثوبه عن أسته وغطىٰ به رأسه فقلن : ويحك ما تصنع ؟ فقال : أَلْبِسْ لكل حالةٍ لَبُوسَها ، إما نعيمها وإما بؤسها ، فأرسلها مثلاً . وجعل يتبع قتله إخوته فيقتلهم حتى قتل منهم خلقاً ، ثم قتل نصر بن دهمان وأنشأ يقول :

يـالـكِ نَفْسـاً وَفَتْ بنـذر أَنَّىٰ لهـا الطُّعْم والسـلامـة

---

١ ـ ذكر ياقوت الأثلات وبثاء في معجمه ، وحكى أولاً ما أورده البلاذري هنا ، ثم روى أن بثاء عين ماء في ديار بني سعد .

قتلت نصراً شفـاء نفسي فـليس لي بعـده همـامـة
لأطـرقـنَّ معشراً نيـامـاً وأبـركنَّ بَـرْكَـةَ النعـامـة
قابِضُ رجلٍ لبسط أخرىٰ والسيف مستقـدم أمـامَـه
قـد قُتل القـوم إذْ تَعدَّوا بكـل وادٍ زُقَـاء هَـامَـة

فسُمِّي نعامة لقوله : بركة النعامة .

قال : ثم إنه أُخبر أن تسعة رهط من أشجع في غار ، فأتى خاله أبا حَشْرٍ ، وهو سعد بن سهم العبسي ، فقال : يا خالاه هل لك في غارٍ فيه ظِباء ؟ قال : نعم . فانطلق بيهس به ليلاً وكان خاله قصيراً فحمله وقال له : أما تراهم ؟ قال : بلىٰ والله إني لأرىٰ شياهاً رُبَّضاً ، فرمىٰ به في الغار ، وقال : اضرب أبا حشر ، فنظر أبو حشر ، فإذا هم ناس من أشجع فجعل يضرب بسيفه ضرباً مُبَرِّحاً فقال بيهس : إن أبا حشر لبطل . فقال أبو حشر : مكره أخوك لا بطل ، فذهبتْ مثلاً .

ثم إنه لما وفىٰ بنذره ، وأدرك ثأره لحق ببني نَهْد من قضاعة ، فكان فيهم ، ثم أحدث حدثاً فخرج حتى لحق بجرم ، فأحدث أيضاً حدثاً ، ثم خرج هارباً حتى أتى بني رُهَاء من مذحج ، فأقام فيهم ، فبنوه اليوم فيهم يقال لهم بنو بيهس وانتسبوا إليهم ، فقالوا : بيهس بن هلال بن خلف بن حمحمة بن ظالم بن فزارة بن طابخة بن عبدالله بن رهاء بن منبه بن حرب بن عُله بن مالك . قال المتلمس :

ومن حذر الأيام ما حَزَّ أَنْفَهُ قصير ورام الموت بالسيف بيهس
نعامة لما قَتَّلَ القوم رهطه تبين في أثوابه كيف يلبس[1]

---

١ ـ ديوان المتلمس الضبعي ـ ط . القاهرة ١٩٦٨ ص ١١٣ ـ ١١٦ .

وقال رجل منْ بني تغلب :

لقمان منتصراً وقسٌّ ناطقاً ولأنْتَ أجرأُ صَوْلَةً من بيهس

وقال غير الكلبي : كان التسعة في حفرة فألقىٰ خاله عليهم .

وقال أبو اليقظان : كان بيهس استنجد بدراً أبا حذيفةبن بدر علىٰ أشجع فلم ينجده فقال :

ألاَ مَنْ مُبْلغٍ بدر بن عمرو فكنت بياض وجهكَ أستديمُ

ثأرتُ عشيرةً ونقضتُ وتراً فمن يُثني عليٌّ ومن يلوم

قال ومنهم سفيان بن غُراب القائل :

إنّي وَجَدِّي لا أُحَوِّلْ نازلاً فيُقَالُ حَوَّلَ ضيفه ابن غُراب

قال : ومن بني فزارة : **أبو الحِضْرامة بن المسيب** بن نُجبة ، أدرك أبا العباس أمير المؤمنين ، وكان له مكرماً .

قال : ومنهم خِذْام أحد بني لأي بن عُصيم بن شمخ وهو القائل :

إذا خفت غدراً من فزارة فاستجر خذام بن زيد وابن عم خذام

هما منعاني من حذيفة بعدما أشار بمصقول علي حسام

وقال أبو اليقظان بنو العَشراء انتسبوا إلى أمهم وكانت عند رجل من بني أسد ، ثم تزوجها عُقيل بن سُمَيّ ، فلما دنا منها قال : إني لأراك حبلىٰ ، فقالت : العشراء خير من الحائل ، فمن ثم يقال إنهم من بني أسد .

قال : وكان بنو زنيم ينزلون بنخل ، وبينهم وبين المدينة ليلتان ، فقال الشاعر يهجوهم :

إذا ذُكرت فزارة لم يكونوا فوارس كل طماح عتيق

ولكن أهـل نخل وجـانبيه ... وأسآر[1] العبيد من السويق

وقال أيضاً :

ولولا أمير المؤمنين لشمَّرت ... زُنَيْم بني ضَرْطٍ تُدمىٰ نُحُورُها

فمن بني زنيم : **عمرو بن ضمرة** القائل له الشاعر :

قَبَحَ الإله صحيفـة مختومـة ... عند الأمير غداة أهل المجمع

خُتِمَتْ بفيشلة الحمار وأُعطيت ... عمرو بن ضمرة تبتغي من يخدع

قال أبو اليقظان : ومن بني بدر : **مسعدة بن حكمة** سباه رسول الله ﷺ ، فدفعه إلى فاطمة عليها السلام فأعتقته وهو **أبو عبدالله بن مسعدة** الذي شهد الجمل مع عائشة رضي الله عنها ، ومر بالزبير بوادي السباع فدفنه ، وابنه أبو يعمر بن عبدالله الذي يقول لعمر بن هبيرة :

هلم فقد ماتت حبابة جارياً ... إلى المجد ترجع يابن عذقاء لاغبا

فإن كنت ترجو أن تنال سراتنا ... بقومك فانظر هل تنال الكواكبا

قال : وسبىٰ النبي ﷺ حبيباً أبا بَجيل من بني بدر ، وفي بَجيل بن حبيب يقول عَقيل بن عُلفة :

أكلتَ بنيكَ أكل الضَّب حتى ... وجدت مرارة الكلأ الوبيل

ولو كان الألىٰ غابوا شهوداً ... منعتَ فناء بيتكَ من بجيل

قال :وكان فراس بن سُمَيّ الفزاري على البصرة لعمر بن هبيرة ، فحبس النوار امرأة الفرزدق ، فقال الفرزدق :

فإن يك في البيضاء مفتاح قيده ... فعند فراسٍ نفسه في المشيّد[2]

---

١ ـ السؤر : البقية ، وأسأر : أبقاه . القاموس .

٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

قال : ومن بني فزارة : حَذَف ، انطلق في الجاهلية ورجلان معه فأصابا جُوفان عير ، أي أير حمار ، فشوياه ثم قطعاه فلما جاء حذف أطعماه إياه فلما عض عليه ومضغه قال : أير حمار ، والله لتأكلانه وإلا ضربت أعناقكما ، فأما أحدهما فلم يأكله فضرب عنقه وكان اسمه مَرقمة ، فقال حذف : طاحَ مَرْقمة ، فذهبت مثلاً ، وأما الآخر فأكله ففزارة تُعَيَّر به .

قال مدرك بن حصن الأسدي :

المُوكليّ بني فزارة بعدما أَكَلَتْ فزارةُ أير كل حمار

واقتضى مالك بن أسماء الفزاري غريماً له ديناً كان عليه ، فقال له : أعطيك ما ضرب به الحمار بطنه . فقال : لقد بارك الله لكم يا بني فزارة في أير الحمار ، إذا جعتم أكلتموه وإذا كان عليكم دين قضيتموه .

ومن بني فزارة : ثابت بن واقع ، طلق امرأته ثم راجعها فقال ابن دارة :

يا ثابت بن واقعٍ ما أنتا أنتَ الذي طلقت لما جُعتا
حتى إذا اصطبحتَ واغتبقتا أقبلتَ مُعتاداً لما تركتا
أردتَ أن تُرجعها كَذَبْتَا قَدْ أَحْسَنَ الله وقد أسأتا

فغضب له زُميل بن عبد مناف ، فأوعد ابن دارة فقال :

أَبْلغْ فزارةَ إني لا أُصالحها حتى يَنيكَ زميلٌ أُمَّ دينار

وقال ابن دارة :

لا تأمنَنَّ فزارياً خلوتَ به علىٰ قلوصِك واكتبها بأسيار

فقتل زُمَيلٌ ابن دارة وقال :

. . . . محا السيفُ ما قال ابنُ دارةَ أَجْمَعَا

وقال :

أنـا زميلُ قـاتلُ ابنَ دارة ... وراحضُ المَخْزَاةِ عن فزارة
ثم جعلتُ عَقْلَة البكارة

وقال محمد بن سعد : ومن بني فزارة : **الرُّكَيْنْ بن الربيع بن عُميلة** مات في فتنة الوليد بن يزيد[1] . ويقال بقي بعد ذلك .

وقال ابن سعد من فزارة : **خرشة بن الحر** ، روى عن عمر رضي الله تعالى عنه[2] ، وتوفي في ولاية بشر بن مروان في الكوفة[3] .

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٢٥ .
٢ - طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٤٧ .
٣ - بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

بسم الله الرحمن الرحيم
نسب بني عبس بن بغيض

ولد عَبس بن بَغيض : قُطَيعة بن عبس . ووَرقة بن عبس ، وبنو ورقة بن عبس قليل ، وأمهما كبشة بنت قطيعة بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة .

فولد قطيعة : الحارث بن قطيعة ، وأمه هند بنت مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة . وغالب بن قطيعة . ومَعْتَم ـ مفتوحة التاء ـ وأمهما سهلة بنت سعد بن ذبيان بن بغيض .

فولد الحارث بن قطيعة : مازن بن الحارث . وزبينة بن الحارث . وشداد بن الحارث . وعامر بن الحارث ، وأمهم هند بنت عوف بن سعد بن ذبيان . وذكوان بن الحارث . وجروة بن الحارث ، وأمهما من بني وابش بن يزيد بن عدوان .

قال ابن الكلبي : جروة هو اليمان ، وحذيفة من ولده وإنما قيل حذيفة بن اليمان من ولد جروة ، وبينه وبين اليمان آباء .

وكان جروة قد أصاب دماً في قومه ، فهرب إلى المدينة ، فحالف بني عبد الأشهل ، فسماه قومه اليمان لأنه حالف اليمانية ، فقيل جروة اليماني .

فولد مازن بن الحارث بن قطيعة : ربيعة بن مازن ، وأمه أسماء بنت غالب بن قُطيعة بن عبس . وبَجالة بن مازن . ويربوع بن مازن . وقُمير بن مازن بن ثعلبة بن سعد .

فمن بني يربوع بن مازن : خالد بن بَرْز ، ولاه الوليد بن عبد الملك دمشق ، وله يقول مساور بن هند :

ثلاثة أشهر في دار بَرْزٍ نُرَجّي نائلاً عند الوليد

وولد ربيعة بن مازن : رواحة بن ربيعة . وعُبيد بن ربيعة . ورياح بن ربيعة . وروح بن ربيعة ، وأمهم عبلة بنت مرة من الدُّئل بن حنيفة بن لجيم .

فولد رواحة : جَذيمة ، وأمه حَيَّة بنت عامر بن مالك بن مرة بن عوف .

قال الكلبي : كانت حَيَّة بنت عامر بن مالك بن مرة عند فقعس بن طريف ، فطلقها وهي حبلىٰ فتزوجها رواحة بن ربيعة بن مازن فولدت له جذيمة أبا زهير بن جذيمة . وخلف بن رواحة . وعُوَير بن رواحة ، وأمهم تَعِلَّة بنت عمرو بن صِرمة بن مرة ، وخرج بنو عمرو بن رواحة مع قيس بن زهير حين أتى عُمان ، فنزل بها فبقوا بعُمان ، وبالكوفة منهم أهل بيت شهد منهم صفين مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ضرار بن فلان ، أو فلان بن ضرار ، وخالد بن رواحة ، وحنظلة بن رواحة .

فمن بني جذيمة بن رواحة بن ربيعة : زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس ، اجتمعت عليه غطفان ، وأسيد بن جذيمة . وزنباع بن جذيمة . وحَذْيَم بن جذيمة . وقيس بن

جذيمة . وفي أسيد يقول خالد بن جعفر بن كلاب :

لعل الله يمكنني عليها جهاراً من زهيرٍ أو أسيد

فمن بني زهير بن جذيمة : قيس بن زهير صاحب داحس ، وقد كتبنا خبره في نسب فزارة ، ولما وقع الصلح سارت عبس تريد الشام ، فنزلوا بُعراعر ، وهو ماء لكلب ، فدفعتهم كلب عنه فاقتتلوا فظهرت عبس ، ثم إن قيساً خافوا انقطاع بني عبس عنهم ، وذبيان خاصة ، فسألوهم الرجوع فرجعوا ، ونزلوا في بني كلاب ، ثم في بني مرة ، ثم في آل أبي حارثة ، فلما تم صلحهم قال قيس بن زهير : إني لأستحيي من فزارة أن يروني وقد قتلتُ من قتلتُ منهم فتقول هذه المرأة : قتل أخي ، وتقول الأخرى : قتل زوجي ، فأمر بني عبس أن يقيموا ، ومضى إلى عُمان فمات بها ، وقيل إنه أكل ورق شجر فقتله ، وكان أَكْلُهُ أيّاه جوعاً ، وهو القائل :

إن قيساً كان مِيتَتُهُ أسفاً والحيُّ منطلق
في دَرِيس ليس يستره رُبَّ حُرٍّ ثَوْبُهُ خَلِقُ

ويقال : إن الشعر لعروة بن الورد[1] .

والحارث بن زهير قتلته كلب يوم عراعر . وورقاء بن زهير ، وقد اختلفوا فيه ، فقيل إنه مات في مدة تلك الحرب حتف أنفه ، وقيل إنه قتل في وقعة الربيع وبني فزارة ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وشأس بن زهير قتيل غَبْرٍ . ومالك بن زهير قتيل بني فزارة . وعوف بن زهير قتيل بني فزارة ، وأمهم تماضر بنت الشريد السُّلمي .

ومنهم : مُسَاور بن قيس بن زهير الشاعر ، ويكنى أبا صَمْعاء ، وفيه

١ ـ ليسا في ديوان عروة المطبوع .

يقول الشاعر :

شَقِيَتْ بنو أسد بشعر مساور إن الشقيَّ بكل حبل يُخنَقُ

وكان يقول : الشعر جزل من كلام العرب يشفى به الغيظ ، ويسقىٰ به الماء ، ويرعىٰ به الكلأ .

ومنهم : أسود بن حبيب بن جُمانة بن قيس بن زهير ، شهد مع علي رضي الله تعالى عنه مشاهده .

ومنهم : **القعقاع بن خُليد** بن جَزْء بن الحارث بن زهير ، والبيت في بني **خليد** .

ومنهم : **العباس بن جزء** بن الحارث بن زهير ، وهو جد الوليد وسليمان ابني عبد الملك ، وأمهما ولادة ابنته .

وحصين بن خليد بن جزء كان شريفاً بالشام .

وعبدالله **بن جزء** كان شريفاً بالشام أيضاً ، وبعضهم يقول جَزي .

ومنهم : **قرة بن حصين** بن فضالة بن الحارث بن زهير ، صحب النبي ﷺ ، وهو أحد التسعة العبسيين الذين صحبوا النبي ﷺ ، وبعثه رسول الله ﷺ إلى بني هلال بن عامر يدعوهم إلى الإسلام ، فقال النبي ﷺ : «مَثَلُهُ مَثَلُ صاحب ياسين» . ذكر ذلك الكلبي عن أبيه .

ومنهم : **أبو حُلَيْل بن شداد** بن زهير الشاعر .

ومنهم : **سَليط بن مالك** بن زهير ، كان أحد العشرة الذين كانوا مع خالد بن سنان في إطفاء نار الحدثان .

ومن بني زنباع بن جذيمة : **مروان القرظ** بن زِنباع ، كان يغير على أهل القرظ ، وهي أرض ينبت فيها القرظ الذي يُدبغ به .

وابنه **الحكم بن مروان** بن زنباع ، كان سيداً في زمانه ، وأسره أُسَيد بن جَنَاءَةَ السَلِيطي يوم الصرائم ، حين أغارت عبس على قوم من بني حنظلة ، وذكره جرير فقال :

وما ابن جناءة بالوعْـدِ أُلوانْ يوم شد الحكم بن مـروان[1]

وأسر يومئذٍ فروة وزنباع ابنا الحكم أيضاً .

ومنهم : **بُشير بن أبيّ بن جذيمة** بن الحكم بن مروان القرظ الشاعر .

ومن بني حَذيم : **عروة بن عمرو بن** ثعلبة بن حذيم الشاعر .

ومنهم : **شريح بن أوفى** بن يزيد بن زاهر بن جزء بن شيطان بن حذيم ، قتل يوم النهروان وهو الذي قيل فيه :

اقْتَتَلَتْ همدانِ يومـاً ورَحَلْ اقتتلتْ من غُدوةٍ إلى الأُصُلْ
فَغَلَّبَ الله لهمدان الرحل

وقد ذكرنا خبره .

ومنهم : **أبو الشَّقب** ، وهو عكرشة بن أربَد بن عروة بن مسحل بن شيطان بن حذيم ، كان شاعر غطفان ، وهو الذي يقول :

وعَيَّـابـة للشُّرب لـو أن أُمَّـهُ تَبـولُ نبيذاً لم يـزل يستبيلها
فإن هيَ لم تَمْلَ الإناء ببولها دَعَتْ دعوةً ألا يعيشَ حليلُها

وكان عالماً بنسب قيس .

ومنهم **أُبيّ بن عمارة** بن مالك بن جَزْء بن شيطان بن حذيم بن جذيمة : أدرك النبي ﷺ وعمرً ، حتى أدركه محمد بن السائب الكلبي .

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

وخزيمة بن نصر بن شداد بن شيطان بن حذيم ، كان من أصحاب المختار .

وابنه **نصر بن خزيمة** ، قتل مع زيد بن علي بالكوفة .

ومن بني أُسَيْد بن جذيمة : **عفيرة بن حُليس** بن أُسَيْد الذي قتل حمل بن بدر الفزاري . **وقِرواش بن هُنَيّ** بن أسيد بن جذيمة ، وهو أبو شريح قاتل حذيفة بن بدر .

ومن بني خلف بن رواحة : **العباس بن شريك** بن حارثة بن جنيدب بن زيد بن خلف ، شهد الجمل وصفين مع علي رضي الله تعالى عنه ، وقتل عظيماً من أهل الشام من آل ذي الكلاع .

ومنهم : **قنان بن واقد** بن جنيدب ، قتل يوم القادسية .

ومن بني عوير بن رواحة : **زهدم** . **وقيس** ابنا حزن بن وهب بن عوير بن رواحة اللذان أدركا حاجب بن زرارة يوم شعب جبلة ليأسراه فغلبهما عليه مالك ذو الرقيبة القشيري ، ولهما يقول قيس بن زهير :

جزاني الزَّهْدَمَان جزاء سوءٍ وَلَيْتَ المرءَ يُجزى بالكرامة

وولد حنظلة بن رواحة : عُقْفَان ، وهم في بني مرة يقولون **عُقْفَان** بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة رهط أرطاة بن سُهَية[1] الشاعر ، وكان أرطاة يقول الشعر يمدح به رجلاً ، فإذا لم يُثِبْهُ جعله لغيره ، وقال : إني لم أُعْطَ مهره .

وقيل له حين أَسَنَّ : أتقول الشعر ؟ فقال : والله ما أرغب ، ولا أرهب ، ولا أغضب ، ولا أطرب ، فكيف أقوله . ويقال إن أرطاة ،

١ - بهامش الأصل : أرطاة بن سهية الشاعر .

وقومه من بني أسد ، فأراد وقومه الفريضة ، فقال عبد الله بن مسعدة الفزاري : افرض لهم في بني أسد فقال أرطاة : أما إنك ستحملها في سقاء غير سرب .

وقال ارطاة :

إنْ تَحُل الأسباب بيني وبينكم وتطرحْ بنا أنسابنا في المطارح
تجدني امرأً من صلب خندف أنتمي إلى خُزَمِيٍّ من ورائك طامح

وكان محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عَلي متوارياً عند بني أرطاة بن سُهيَّة بالبادية ، فقال بعض الشعراء :

فلستَ بمهديٍّ إذا كنت ثاوياً بدار بني أرطاة وابن بشير
ولو كنت تحت الأرض وسط بيوتهم أثارك من تحت التراب مثير

وابن بشير من بني مرة .

ومن بني روح بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيعة بن عبس : **فايد بن بكير بن** إساف بن شماس بن أنمار ، كان من أصحاب المختار . وابنه **حسان بن فايد** .

وولد عبيد بن ربيعة بن مازن بن الحارث : معَقل بن عبيد . وزيد بن عبيد .

فولد معقل : حارثة . وجزء ابني معقل .

فولد حارثة : حزن بن حارثة ، ولي القضاء لهارون الرشيد ، وولي قبل ذلك الخاتم ، ثم جعله على قضاء القضاة .

وولد زَبينة بن الحارث بن قطيعة : ذكوان بن زبينة .

فولد ذكوان : المقاصف ، بطن لم يبق منهم أحد ، ولهم مسجد

بالكوفة . وقال شَمْعَلَة بن طَيْسَلَة من بني عبد الله بن غطفان لعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ـ وأمه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وأمها ليلى بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر ، فهي ليلى القيسية ، وأم عبد العزيز بن مروان ليلى بنت زبان بن الأصبغ الكلبي ، فهي ليلى عدي ـ :

أنت ابن ليلى خير قيس ظعينة وليلى عدي لم تلدك الزعانف
وما ولدت عَوْصٌ وأُهَيْبَ أُمُّهُ ولا ولدتها باعث والمقاصف

عوص وأهيب من كليب ، وباعث من بني عبد الله بن غطفان .

وولد جروة بن الحارث بن قُطيعة ـ وجروة هو اليمان ـ : عمرو بن جروة . وربيعة بن جروة . منهم : **حذيفة بن حُسَيْل**[1] بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جروة ، الذي يقال له حذيفة بن اليمان ، صاحب رسول الله ﷺ ، وكان عداده في بني عبد الأشهل من الأنصار ، وتوفي حذيفة ـ ويكنى أبا عبد الله ـ بالمدائن سنة ست وثلاثين ، بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، وأمه من الأنصار ، وله دار بالكوفة ، وقال في الليلة التي توفي في صبيحتها : أعوذ بالله من ليلة صبيحتها تؤدي إلى النار ، اللهم إنك تعلم أني لم أشرك غادراً في غدرته ، فأجرني من روعات يوم القيامة .

فولد غالب بن قطيعة بن عبس : مالك بن غالب . وعوذ بن غالب ، وأمهما بنت جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان . وقيس بن غالب .

وولد قيس : عطية ، وهم حي قليل .

---

١ ـ بهامش الأصل : حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

وولد مالك بن غالب : مخزوم بن مالك بن غالب . وعبد بن مالك .

وولد مخزوم : مُعَيْط بن مخزوم . ومُرَيْطة بن مخزوم . وقراد بن مخزوم . وصخار بن مخزوم . وجَدَار بن مخزوم . وزائد بن مخزوم ، أمهم رقاش بنت الأَبَحّ . من بني عبد الله بن غطفان . وَجُوَيه بن مخزوم وأمه من همدان . وعبد الله بن مخزوم وأمه من بني سليم . وجراد بن مخزوم .

فمن بني مخزوم بن مالك : ضبيعة بن الحارث بن خلف بن ربيعة بن معيط بن مخزوم ، الفارس الذي قال له عامر بن الطفيل يوم النُّشأة ، وطعنه يومئذ فقتله ، ويقال إنه طعن عامراً فنجا من طعنته ، ثم كَرَّ فطعنه عامر فقتله :

إن تنج منها يا ضُبَيْع فإنني   وجدك لم أعقد عليك التمائما[1]

وكانت بنو عامر أغارت على عبس بالنشأة، فنذرت بهم عبس، فاقتتلوا فقتل الأحنف بن مالك أحد بني قراد بن مخزوم هزاز بن قرّه ، وقتل أبو زَعْنة بن الحارث بن خليف بن ربيعة بن مُعَيْط بن مخزوم نهشل بن عبيد بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وطعن ضُبيعة بن الحارث عامر بن الطفيل فنجا عامر من طعنته ، ثم طعنه عامر بعد ذلك في عجانه فقتله .

ومنهم : حَيّان بن حصين بن خليد الشاعر .

وعبيد بن سماك ، كان والياً لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه على المدائن .

ومنهم : الوليد بن سماك بن عبيد بن الحزّاز بن حصين بن خليف ،

١ ـ بهامش الأصل : يقول لم أطعنك إلاّ لتموت .

كان مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بالبصرة .

ومنهم : **أبو حصن بن لقمان** بن سنَّة بن مُعَيط بن مخزوم ، وهو أحد التسعة الذين وفدوا على النبي ﷺ .

ومنهم : سَبَّاع بن يزيد بن ثعلبة بن قِنْزَعة بن عبد الله بن مخزوم أحد التسعة أيضاً .

ومنهم : أُبَيّ بن حَمَام بن جابر بن قرادِ بن مخزوم الشاعر .

ومنهم : أبو السَّمْهري عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم الفارس ، وأمه زبيبة ، سوداء وهو الذي قال له أبوه :

ما يحسن العبد الكَرَّ إلا الذيار (١) والصَّر

وشهد مع عبس حروبها ، ولما اصطلحت عبس وذبيان خرج في بعض شأنه ، فهاجت ريح حرور أو سموم وهو بين شرج وناظرة فقتلته ، فوجد ميتاً .

وحدثني أبو المهدي الكلابي قال : قال أبو عنترة :

لا يحسن العبد الكرّ إلا الذيار والصَّرّ

وكان الرجل يستعبد ولده إذا كان من أمة ، وقال عنترة :

كل امرىء يحمى حرَه أسوَده و أحمره

والواردات مِشْفَره(٢)

وقال أبو المهدي الكلابي : كان عنترة يرعى إبله من بلاد عبس وبلاد طىء ، فخرج الأسد الرهيص ، فوجد عنترة في رحلة وهو مُصْطلٍ فرماه

---

١ ـ الذيار : هو الصر . القاموس .

٢ ـ لم يرد هذا الرجز في ديوانه المطبوع .

بسهم فأصاب عانته فقال عنترة : الفرس الفرس ، ولم يقدر على النهوض ومات ، وركبت امرآته عبلة بعيره وسارت والناس يظنون أن فيه عنترة فلم يقدموا عليها حتى أتت قومها ، وغضب له عامر بن الطفيل فغزا طيئاً وقتل الأسد الرهيص .

ومنهم **الحطيئة** ،(١) وهو جرول بن أوس بن مالك بن جُوَية بن مخزوم ، واسم أم الحطيئة الضَّراء ، وكانت أمة لامرأة من أسد ، ويكنى الحطيئة أبا مليكة ، وكان ممن ارتد ، وسمي الحطيئة لقربه من الأرض ، وكان يقال إنه من قوم من سدوس ينزلون اليمامة .

وذكر أن ضيفاً نزل به فقال له : وراءك أوسع لك ، فلم يفعل ، فقال : تَنَحَّ والاّ علوتك بهذه العصا فإنها عجراء من سلم . قال : إني ضيف ، قال : للضيف أعددتها .

قال : ولما احتضر الحطيئة ، قيل له : أَوْصِ فقال : غلامي يسار عبد ما بقي في الأرض عبسيٌّ ، وأوصيكم بالأيتام شراً ، كلوا أموالهم ، وانكحوا أمهاتهم ، واحملوني على حمار ، فإنه لم يمت عليه كريم قط ، وويل للشعر من راوية السوء . فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال : نِعْمَ الفوارس فوارس عبس ، ثم فاظت نفسه جافياً .

وقدم الحطيئة على عيينة بن النهاش العجلي ، فقال له : من أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول : «من لا يَتَّقِ الشتم يُشْتم»(٢) .

---

١ ـ بهامش الأصل : الحطيئة الشاعر .

٢ ـ هذا بعض من بيت زهير في معلقته حيث يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

شرح ديوان زهير ص ٣٠ .

فقال : هذا يا أبا مليكة من مقدمات أفاعيك ، ثم قال له : سَلْ ، فقال : توقر ركابي عَبَاءً ففعل ، فقيل له : عرض عليك أيسر العرب فقنعت منه بهذا فقال :

سألتُ فلم تبخل ولم تعط طائلاً فَسيَّانَ لا لومٌ عليك ولا حَمْدُ
وأنت امرؤٌ لا الجود منك سجية فتعطي وقد يُعْدي على النائل الوَجْدُ[1]

وأتى ابن حمامة الحطيئة فقال : السلام عليكم ، قال : قولٌ لا يُنْكَر . قال : إني أريد الظل ، قال : أُدْنُ من الجبل ، قال : إني خرجت من عند أهلي بلا زاد ، قال : إني لم أضمن لك ولا لهم زادهم . قال : إني ابن حمامة ، قال : كن ابن أي طير الله شئت .

ومنهم : **خالد بن سنان** بن عَيْث بن مُرَيْطة بن مخزوم الذي أطفأ نار الحدثان ، وكان يقال إنه نبيٌّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ .

ـ خبر نار الحدثان :

قال هشام ابن الكلبي عن أبيه : كان خالد بن سنان بن عيث بن مريطة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة فيما يقال نبياً يوحىٰ إليه ، وكان حَرّة الحَدَثَان تأَجَّحُ بِالليلِ ناراً ، فإذا كان النهار صارت النار دخاناً يسطع ، وكانت تلك النار قد أضرت بالناس ، وربما خرج منها العنق فساح فلا يمر بشيء إلّا أكله ، فأتى خالد بن سنان بني عبس فقال لهم : إن الله قد أمرني بإطفاء هذه النار فليقم معي من كل بطنٍ منكم رجل ، فكان عمارة بن زياد ، أخو الربيع ممن قام معه ، فانتهىٰ بهم إلى طرف الحرة فإذا عُنُقٌ من النار قد خرج على خالد ومن معه فصاروا منه في مثل كفة الميزان ، ثم جعل

---

١ ـ ديوان الحطيئة ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

العنق يدنو فقالوا : يا خالد أَهْلَكْتَنَا فقال : كلا وجعل يضرب النار بالدِّرَّة ويقول : بَدًّا بَدًّا[1] كل هَدْيٍ لله مؤدًّى ، أنا عبدالله ، أنا خالد بن سنان ، فتراجع ذلك العنق يتخلل الحرة حتى انتهى إلى قليب في وسط الحرة فانساب فيه ، وانقدم عليه خالد ، وعليه إزار ورداء فمكث ملياً ، فقال ابن عم لخالد يقال له عروة بن سَنَّة بن عَيْث بن مُريطة : لا يخرج منها أبداً ، فما كان أن أسرع من أن خرج وثوباه ينطفان عرقاً وهو يقول : زعم ابن راعية المعزىٰ أن لا أخرج ، وجلدي يَنْدَىٰ ، فَسُمُّوا بني راعية المعزىٰ إلى اليوم ، وطفئت النار إلى اليوم .

وكان إذا قحط الناس ، وأمسك القطر خرج خالد حتى يأتي صخرة فَيُغَشِّيْهَا بثوبه ، ثم يقوم فيدعو الله فيمطرون مادام الثوب على الصخرة ، فإذا كشف الثوب عنها انقشع السحاب .

قال هشام ابن الكلبي : وأما الشرقي بن القطامي فأخبرني أن خالداً قال لهم : انطلقوا معي ، فذهبوا إلى مكان من أرضهم فقال : احفروا فحفروا فاستخرج صخرة فإذا مكتوب فيها : «قل هو الله أحد» إلى آخر السورة . فهي التي كان يغطيها بالثوب .

وقال الشرقي أيضاً : إن خالداً لما تقدم في البئر وجد فيها جرّي كلاب تحش تلك النار ، فشدخ رؤوسها وأطفأ النار .

قال:وحدثني أبو الشغب عِكرشة بن أربد قال: قال خالد : يا معاشر بني عبس إن امرأتي حامل بغلام يقال له مُرَّة ، أُحيمر كالذرَّة ولا يصيب لمولى منه مَضَرَّة ، فارس الكرَّة ، لن تصيبكم منه مَعَرَّةٌ فاستوصوا به خيراً ، ثم

١ ـ بهامش الأصل : يريد بدد أي تفرقة .

قال : إني ميت إلى سبع ، فإذا رأيتم العير الأبتر يطوف بقبري ويسوف بمنخره فانبشوني تجدوني حياً أخبركم بما يكون إلى أن تقوم الساعة ، فمكث أياماً ثم مات فدفن ، ثم مكثوا ثلاثاً فنظروا إلى العير الأبتر كما وصف ، فأرادوا نبشه فقالت بنو مخزوم : لاننبشه فتعيرنا العرب ، وتقول : هم ينبشون موتاهم ، فترك على حاله .

وذكروا أن عنقاً من نار خرجت من تحت الحرة فاتبعها خالد بن سنان ، ومعه سوط ، ومعه عمارة بن زياد . أخو الربيع بن زياد ينظر إلى ما يصنع ، فجعل يضرب النار وهو فيها حتى دخلت هُوَّةً من الأرض وطفئت ثم خرج وجبينه عرق .

وسمعت ابنته مُحيّاة رسول الله ﷺ يقرأ : «قل هو الله أحد» فقالت : كان أبي يقول : الله أحد . وزعموا أن النبي ﷺ قال فيه : «ذاك نبيٌّ ضَيَّعَهُ قومه» .

وزعموا أنه لما احتضر قال لقومه : إذا أنا دُفِنْتُ ، فإنه ستجيء عانة حمير ، يَقْدُمها عير أَقْمَر ، فيضرب قبري بحافره ، فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فإني سأخرج ، فلما مات رأوا ما كان قال ، فأرادوا إخراجه فقال بعضهم : لا تفعلوا فإنا نخاف أن نُسَبّ بنبشنا عن ميت لنا .

وزعموا أنه لما أتى النار ليطفئها وخلفه عمارة جعل يقول : نَدّاً نَدّاً ، كل نَعَمٍ مؤدىً ، زعم ابن خاصية الجداء ألا أخرج منها وثيابي تندىٰ .

وقال مصعب الزبيري : والله ما بعث الله من مُضَر نبياً قط إلّا محمداً ﷺ ، ولكن عبساً أرادوا معارضة قريش بزعمهم .

وولد عبدالله بن مالك بن غالب : بجاد بن عبدالله .

فولد بجاد : عدي بن بجاد . وربيعة بن بجاد . وعبيد بن بجاد . وأبا كعب بن بجاد . وسريع بن بجاد . وخلف بن بجاد . وعِدَاء بن بجاد . وفي بني بجاد يقول الحطيئة :

قَبَح الإله بني بجـاد إنهم لا يُصلحون وما استطاعوا أفسدوا[1]

فمن بني بجاد : **قُبَيصة بن ضُبيعة** بن حرملة بن عمرو بن عبدالله بن بجاد قُتل مع حجر بن عدي الكندي يوم مرج عذراء .

ومنهم : **حِراش بن جحش** بن عمرو بن عبدالله بن بجاد ، كتب إليه النبي ﷺ فخرق كتابه .

ومن ولده : **ربيع بن حِراش** تكلم بعد موته ، فقال : رأيت ربي فبشرني بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، وهو كوفيٌّ وبالكوفة مات . وربعي بن حراش . ومسعود بن حراش البقية له اليوم .

ومنهم : هِدْم بن مسعود بن عَدي بن بجاد ، أحد التسعة الذين أتوا النبي ﷺ .

ومنهم : بُشر بن الحارث بن عبادة بن سريع بن بجاد ، وهو أحد التسعة أيضاً ، فقال رسول الله ﷺ للتسعة القادمين عليه من عبس : «ابغوني عاشراً أعقد لكم» فأُدخَلوا طلحة بن عبيدالله التيمي معهم فعقد لهم وجعل شعارهم عشرة فهو شعارهم إلى اليوم .

وولد عوذ بن غالب : هِدْم بن عوذ . وعبد بن عوذ . ووائلة بن عوذ .

وولد سَهْم : سعد بن سهم ، وهو أبو حَشر خال بَيهس الذي قال :

---

١ ـ ديوان الحطيئة ص ١٦١ .

مكره أخوك لا بطل ، وقد ذكرناه . وعباد بن سهم .

ومنهم : قدامة بن علقمة بن ربيع بن عمرو بن الحارث بن غبار ، الذي ذكره الحطيئة في شعره .

وولد هِدْم بن عوذ : ناشب بن هدم . وكراثة بن هدم . ومعلق . وشعار . وحلس .

فولد ناشب : عبدالله ، وعبد مناف وهو القارب . وزيد . وأفلت .

فمن بني أفلت : قَنان بن دارم أحد التسعة الذين عقد لهم النبي ﷺ ، وقد أبلىٰ في وقائع خالد بن الوليد بالشام .

ومن بني عبدالله بن ناشب : **الربيع بن زياد** ، وهو الكامل ، **وعمارة بن زياد** ، وهو الوهاب ، وهو دالق ، وأنس الخيل ، وقيس الحناط بنو زياد بن سفيان بن عبدالله بن ناشب بن هدم بن عَوذ بن غالب ، وكانوا من أشراف العرب ، وأمهم فاطمة بنت الخُرشب الأنماري والربيع الذي أخذ درع قيس بن زهير .

ومنهم : **قرة بن شريك** بن مرثد بن الحارث بن خُنَيْس بن سفيان بن عبدالله بن ناشب بن هدم ، ولهم شرف بالشام ، وهو الذي عاب به عمر بن عبد العزيز لتوليته إياه ، وكان قرة يشرب الخمر .

ومنهم : عمرو بن الأسلع بن عبدالله بن عبدالله بن ناشب وهو حُبيبة ، وكان شريفاً .

ومنهم : **عروة الصعاليك**[1] الشاعر بن الورد بن عمرو بن زيد بن

---

١ ـ بهامش الأصل : عروة بن الورد .

عبدالله بن ناشب ، وتتايعت[1] على العرب سنون جدب ، وكان عروة إذا كان الجَدْبُ نظر إلى كل ضعيف مهزول صعلوك من قومه فضمَّهُ إليه ، وبنى له كنيفاً ، وهو الحظيرة ثم يغير علىٰ العرب فما أصاب أتاهم به حتى يصلحوا ، فلما تتايعت تلك السنون ، نحر جملاً وقَدَّدَ لحمه ، وجعله زاداً لهم ، وحمل سلاحهم على جمل آخر ، وغزا بهم قضاعة ، فمر بمالك بن خبَّار فقال : أين تذهب بهؤلاء فتهلكهم ؟ فقال : إنما الهلاك أن يقيموا فيموتوا جوعاً ، فَزَوَّدَهُ مالك ، وسار فوقع على إبل تكون مائة ومعها فُصْلانُها ، ومعها فارس ، فرماه عروة فقتله واستاق الإبل فأحياهم بها وقال :

أقول لقوم بالكنيف تَروَّحوا ... على قُمُصٍ مثل الأهلَّة رُزَّحِ
لعلكمُ إن تصبحوا بعدما أرىٰ ... ليوث الغضا في غيضها المُتَرَوَّحِ
تنوء على الأيدي وأفضل زادنا ... بقيةُ لحمٍ من جَزُورٍ مُملَّحِ
ومن يَكُ مثلي ذا عيال وقلَّةٍ ... من المال يطرح نفسه كل مطرحِ[2]

وكان أخذه الإبل بذي أطلال .

وقال ابن الإعرابي : كان عروة يغير بالصعاليك ، ثم يقسم الغنيمة فيهم فقال :

أُقَسِّمُ جسمي في جسوم كثيرةٍ ... وأَتركُ صَفْو الماء والماء بارد[3]

وقال أبو اليقظان: من قبائل بني عوذ: بنو مِلاص، كان منهم حيّان قتله العوام بن مُضرّب المزني فقتلوا به شبيباً أخاه، وقال العوام :

١ ـ التتايع : ركوب الأمر على خلاف الناس ، والتهافت ، والاسراع في الشر ، واللجاجة . القاموس .

٢ ـ ديوان عروة بن الورد ـ ط . دار صادر بيروت ص ٢٣ مع فوارق كبيرة .

٣ ـ ديوان عروة بن الورد ص ٢٩ .

سأُجري الزرق زرق بني ملاصٍ   بيوم نَضاد أياماً طوالاً

ومنهم : بنو عطية .

قال : وقيل لفاطمة بنت الخُرشُب : أيُّ بنيك أفضل ؟ فقالت : ربيع . عمارة ، أنس ما أدري ، ما حملت واحداً وَضْعَاً ولا ولدته يَتْنَاً ولا سقيتُه غيلاً ولا منعته قيلاً ، ولا أَنَمْتُه على ماقة .

الوضع : الذي تحمل أُمه في آخر طُهرها وهو أضعف الأولاد ، واليَتْنُ الذي تَخرج رجلاه قبل يديه ، والغيل اللبن الذي يكون للحامل ، والقيل شُربة نصف النهار ، والماقه البكّار .

وأما عُمارة فلا ينام ليلة يخاف ، ولا يشبع ليلة يُضاف .

قال : وقتلت عُمارة بنو ضبة .

قال : وكان قرة بن شريك على مصر ، من قبل الوليد بن عبد الملك ، فمات بها ، وكان صاحب شراب .

قال ومن بني حذيم : بنو عُنْقُوس .

ومن بني زهير بن جذيمة : **أبو الأبيض**[1] كان فاضلاً وهو القائل :

ومالي مالٌ غيرُ درعٍ حَصينة   وأبيضَ من ماء الحديد صقيل

ووردت على عبد الملك هدية الحجاج ، فقال لأبي الأبيض : كيف ترى ؟ قال : هذا حسن إن لم تكن ظلمت فيه الأرملة واليتيم ، وكان الحجاج حاضراً ، فقال : يا أمير المؤمنين اسقني دمه .

وخرج العباس بن الوليد على الصائفة ، وخرج معه أبو الأبيض ، فقال أبو الأبيض : رأيت كأني أتيت بتمر وزبد فأكلته ثم دخلت الجنة فقال

١ ـ بهامش الأصل : أبو الأبيض .

العباس : نُعجّل لك التمر والزبد والله لك بالجنة ، فدعا بتمر وزبد فأكله ، ثم لقي أبو الأبيض العدو فقاتل حتى قتل .

قال: وكان من بني خليد: **عثمان بن مسعود،** وكان بخراسان عند قتيبة بن مسلم ، فقال للحضين بن المنذر الرقاشي : أنت عجوز بكر بن وائل ، فقال له : أنا شيخها وسيدها ، ولكنه سادكم في الجاهلية عبد ـ يعني عنترة ـ وسادتكم في الاسلام امرأة ـ يعني أم الوليد وسليمان ـ .

ويقال إنه قال لهم أو غيره : إنما أنتم بحر ، فإن جَفَّ جففتم ، وإن ندي نديتم .

قال : وكان الوليد بن القعقاع بن خليد على البلقاء ، أيام هشام ، فأخذ يزيد بن عمر بن هبيرة وهو يومئذ سُوَقَةٌ فجلده وخَمَّم[1] وجهه وألبسه مدرعة ، وجاب[2] عن إسته ، فلما قام الوليد بن يزيد ولي يزيد بن عمر البلقاء فأخذ الوليد بن القعقاع فعذبه .

وقال : ذكر عبدالله بن المبارك قال : بينا سليمان بن عبد الملك يتوضأ وليس عنده غير خاله حُصين بن خُليد والغلام الذي يصب عليه الماء فَخَرَّ الغلام ميتاً ، فقام حصين يصب عليه الماء فقال سليمان :

قَرِّبْ وضوءَكَ يا حصين فإنما ... هـذي الحيـاة تَعِلَّةٌ ومَتَـاع

ومنهم : **فرات بن سالم** ، ولاه المنصور اليمن .

ومنهم : **سُلَيك بن مِسْحَل** ، روى عثمان رضي الله تعالى عنه حديثاً في النبيذ .

---

١ ـ لعله أراد أنه وضع على وجهه الرماد أو مواد نتنه . انظر القاموس مادة «خمم» .
٢ ـ جوب القميص : عمل له جيبا . القاموس .

وربعي بن حراش ، روى عن عمر ، ومات في ولاية الحجاج بعد الجماجم .

قال أبو اليقظان : قيل لبني عبس ، وكانت الحرب بينهم وبين بني ذبيان أربعين سنة : أي الخيل وجدتم أفضل ؟ قالوا : الكميت . قيل : فأي الإبل وجدتم أفضل ؟ قالوا : كل حمراء جعدة . قال : فأي النساء وجدتم أفضل ؟ قالوا : بنات العم . قيل : وأي العبيد وجدتم أفضل ؟ قالوا : المولدين .

قالوا : وقال عبد الملك بن مروان لرجل من بني عبس : كيف بذذتم العرب ، وأنتم ألف رجل ، قال : لأنا كنا ألف حازم ، وأطعنا أحزمنا ، فكنا نتبع رأيه ، وكنا نصبر بعد صبر الناس ساعة .

قال ابن الكلبي عن أبيه : قام الحجاج بعد الجماجم بواسط خطيباً فقال : والله لَهَمَمْتُ أن أبعث إلى هؤلاء العصاة ألفاً كألف بني عبس يحشرونهم إلى السواد ، فقلت في نفسي وأنا والله من العصاة ، ثم قال : يا أهل العراق تزعمون أني ساحر ، والله يقول : ﴿لا يفلح الساحر حيث أتى﴾[1] وتزعمون أني أعلم اسماً من أسماء الله فيه أقتلكم وأذلكم ، والله لو جهد الناس كلهم على الله أن يظلم لهم رجلاً واحداً ما فعل ، وتزعمون آنا بقية ثمود ، قال : فقلت أقررت والله انا من ثمود ، ثم قال : ﴿وثموداً فما أبقى﴾[2] نعم البقية بقية ثمود ، والله ما بقي مع صالح إلا المؤمنون .

وقال عوانة : وكان يقول وتزعمون أني عدو الله أني أعلم اسماً من

١ - سورة طه - الآية : ٦٩ .
٢ - سورة النجم - الآية ٥١ .

أسماء الله ، والله أعلىٰ وأَجَلّ من أن يعلم عدواً له إسماً من اسمائه أنه يقتل به اولياءه .

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

نسب أنمار بن بغيض

وولد أنمار بن بغيض : عوف بن أنمار . وطريف بن أنمار فافترق بنو أنمار منهما . وبنو الخُرشب من بني طريف واسم الخُرشب عمرو بن نصر بن جارية بن طريف . وكانت أم شماخ واخوته خُرشبية .

ومن بني أنمار : عبدالله بن عاصم ، تزوج ليلى أم عبدالعزيز بن مروان فقال الشاعر :

لقد ظلمت ليلى فلا تبك نفسها بمنكحها رأس الحمار ابن عاصم

وهم بقية .

نسب ولد أشجع بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان

ولد أشجع بن ريث : بكر بن أشجع . وسُليم بن أشجع . وعمرو بن أشجع .

فولد بكر بن أشجع : سبيع . وبكر . وصبرة بن بكر .

فولد سُبيع : خَلاوة بن سبيع . وفتيان بن سُبيع .

منهم : **مَعْقَل بن سنان بن** مُظهِّر بن عِزكي بن فتيان ، صاحب المهاجرين يوم الحرة ، وقتل يومئذ ، وله يقول الشاعر :

وأصبحت الأنصار تَنْعَىٰ سراتها وأشجع تَنْعَىٰ معقل بن سنـان

وقد كتبنا خبره في كتابنا .

وولد خلاوة : عيش بن خلاوة . وقنفذ بن خلاوة .

فمن بني عيش : جَبْهاء وقال غير الكلبي جَيْهاء ـ بن جُميمة بن يزيد .

وعبيد بن كيشم بن عبدالله بن طريف بن سَحُمة بن عبيد بن هلال بن عيش الشاعر .

وحاجب بن وديعة بن خديج بن سَحُمة بن عبيد بن هلال الشاعر .

وهذيل بن عبدالله بن سالم بن هلال بن الحراق بن زَبِينة بن هلال الشاعر هجا الشعبي ، وعبدالملك بن عمير ، وابن أبي ليلى .

قال هشام الكلبي : قد رأيته وهو القائل :

فتن الشعبي لما رفع الطرف إليها

وولد قنفذ بن خَلاوة : ثعلبة بن قنفذ . وسعد بن قنفذ .

وولد ثعلبة : أُنيف بن ثعلبة . ونُبيح بن ثعلبة . ونشبة بن ثعلبة ، وخصفة بن ثعلبة .

ومنهم حَميلة بن وهب بن حبال بن نُبيح ، كان شريفاً .

ورُخَيلة بن عائذ بن مالك بن حبيب ، قائد أشجع يوم الأحزاب مع المشركين .

وحُميلة بن عامر بن أنيف بن ثعلبة ، صاحب حلف النبي ﷺ .

ونُعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة ، دسَّه أبو سفيان بن حرب الى المسلمين يخوفهم كثرة المشتركين ويثبطهم عن إتيان بدر للوعد الذي واعد أبو سفيان المسلمين حضوره للقتال ، فلما خوف المسلمين كيد المشركين وكثرتهم، قالوا ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾، وفي ذلك أنزلت: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ .. إلى قوله ﴿مؤمنين﴾ (١) .

وغير الكلبي يقول هو ابن مسعود بن رُخيلة ، وأسلَمَ نعيم بن مسعود ، وخَذَّلَ المشركين يوم الأحزاب وسعى بينهم بما فرق الله به كلمتهم

١ - سورة آل عمران - الآيات : ١٧٣ - ١٧٥ .

والفتهم ، فوقع بينهم الاختلاف ، وكانت فيه نميمة فأفشى إليه رسول الله ﷺ أنه يريد قتل قوم فأخبرهم بذلك ، وجعله النبي ﷺ عَينه يوم الأحزاب .

وقال الكلبي : دلَّاه رسول الله ﷺ في قبره ، ونزع الأخلة من أكفانه بأسنانه ، وترحم عليه .

وقال محمد بن سعد : أسلم نعيم بن مسعود الأشجعي في الخندق ، وخَذَّل بين الناس ، وكان يسكن المدينة ، وولده بعده ، وبقي إلى زمن عثمان ، ومات في آخره [1] .

وأنكر الواقدي حديث خلف بن خليفة أن النبي ﷺ نزع عنه الأخلّة .

وولد بِصَار بن سُبيع : دهمان بن بِصَار . وجابر بن بصار .

فولد دهمان : نصر بن دهمان ، عمَّر دهراً ، وله يقول الشاعر :

ونصر بن دهمان الهنيدة [2] عاشها　　وتسعين حولاً ثم صَوَّتَ فانصاتا

وعبد بن دهمان وفالج بن دهمان .

منهم : عباس بن حُليس بن عبيد بن عبدمناف بن زَبينة بن عبد بن دُهمان .

ومنهم : عقبة بن مُلَيْس بن عبد بن دُهمان ، وكان يقال لعقبة مُذَبّح ، وذلك لأن بني عامر أغاروا على بلاد غطفان بالرَّقَم ، والرَّقَم ماء لبني مرة ،

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ .

٢ ـ الهنيدة : اسم لكل مائة من الإبل وغيرها . وصاحب هذا البيت هو سلمة بن خرشب الأنماري . اللسان .

فلقوا غلمة من بني أشجع بن ريث فقتلوهم ، وعلى بني عامر عامر بن الطفيل .

ثم غزا بهم بني فزارة فلقوه وعليهم عُيينة بن حصن . فانهزمت بنو عامر ، ودخلوا وادياً لم يكن فيه منفذ فرجعوا ، ووقفت غطفان على فم الوادي ، فلما رأى ذلك بنو جعفر بن كلاب قالوا : إنه لا ينجينا إلّا الصدق ، وأن نرميهم بنواصي الخيل ، فقتل يومئذ من بني جعفر : كنانة ، والحارث ابنا عبيدة بن مالك بن جعفر ، وقيس بن الطفيل ، وجعل عامر يقول وقد عقربه فرسه : «يا نفس ألَّا تُقْتَلي تموتي» [١] فحمله جبَّار بن سلمى بن مالك بن جعفر على فرسه ، وارتدف خلفه ، وأخذ عامر الرمح فحمل على رجل منهم فجدَّله ، ثم أقبل نحو فرسه العقير وقد عار فلم يقدر عليه ، فقالت امرأة من بني جعفر :

ما للوَجِيفِ نَصَلَتْ حوافرهْ والْغِيَتْ في آرِهِ [٢] مَشَافِرُهْ
كيف جرى بالأمس عزي جازره

وأسرت غطفان في هذا اليوم من بني عامر أربعة وثمانين رجلاً ، فدفعوا إلى أشجع ، فجعل عقبة بن مُلَيْس ـ وبعضهم يقول : عقبة بن أنيس بن حُليس ، والأول قول ابن الكلبي ـ يقول : من جاءني بأسير فله فداؤه ، وجعل يذبحهم حتى أتى على آخرهم ، وغرم فداءهم فسمي مُذَبِّحاً .

١ ـ لم يرد قوله هذا في ديوانه حتى يكمل ويضبط .
٢ ـ الإرة : النار نفسها أو موضعها أو استعارها وشدتها ، والأرى : ما لزق بأسفل القدر ، وتأرى عنه : تخلف وبالمكان احتبس . القاموس .

ومنهم : **جارية بن جُمَيْل** بن نشبة بن قرط بن قرّة بن نصر بن دهمان ، شهد بدراً مع النبي ﷺ .

ومن أشجع : **نُبيط بن شُريط**[1] أبو سلمة بن نبيط الفقيه .

ونُعيم بن أبي هند الأشجعي ، مات في ولاية خالد بن عبدالله القسري ، ونعيم كوفي .

وسلمة بن نُعيم الأشجعي روى عن النبي ﷺ : «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة» .

وقال أبو اليقظان : كان من أشجع : **زاهر الأشجعي** ، قال رسول الله ﷺ : «من يشتري مني العبد» . قال: إذاً يجدني سيداً يا رسول الله .

ولأشجع حلف في بني هاشم .

وقال : من أشجع : **معقل بن سنان** ، قدم المدينة في أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فسمع قائلاً يقول :

أعوذ برب الناس من شر معقلٍ ... إذا معقلٌ جاء البقيع مُرَجَّلا

فقال عمر : إلحق بباديتك ، ثم عاد إلى المدينة بعد عمر ، وكان مع المهاجرين يوم الحرة فجيء به أسيراً إلى مسلم بن عقبة المرِّي ، فقال : أنت الذي قلت حيث أتيت أمير المؤمنين : سرنا شهراً ، وحسرنا ظهراً ، ورجعنا

---

١ ـ بالأصل : «ابن نبيط بن شريط» وكلمة ابن الأولى زائدة فحذفت ، ونبيط بن شريط من الذين شهدوا حجة الوداع ، وروى الخطبة التي ألقاها النبي ﷺ يوم ذاك . طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٩ ـ ٣٠ . طبقات خليفة بن خياط ص ٩٥ .

صفراً ، اضربوا عنقه ، فضربت عنقه ، وكان أشجع ممن أعان على عثمان يوم الدار ، فقال عبدالرحمن بن أم الحكم :

وأما لئام الناس أشجع فاغتدتْ وباقي اليهود لم يعينوا على غدر

ومن أشجع : **عوف بن مالك الأشجعي** ، كانت له صحبة ، ويكنى أبا عمرو ، ومات بالشام في أيام معاوية ، ويقال في سنة ثلاث وسبعين .

نسب بني عبد الله بن غطفان

ولد عبد الله بن غطفان : بُهْثَة بن عبدالله . وعُذْرَة . وغَنْم بن عبدالله . وشباب بن عبدالله . ومْنبّه بن عبدالله بن غطفان .

فوَلد بُهثة : عوف بن بهثة .

فولد عوف : قطبة بن عوف . وجُشَم بن عوف . وكلب بن عوف . وباعث بن عوف .

فولد قطبة بن عوف : خُديج بن قطبة . ومالك بن قطبة وهو المُرَقّع الذي قتل مسعود بن مصاد الكلبي يوم عُراعر ، وكانت عبس ارتحلت تريد الشام بعد قتل حذيفة بن بدر ، فنزلوا بعُراعر ، وهو ماء لكلب ، ومعهم بنو عبدالله بن غطفان يومئذٍ فدفعتهم كلب ، وخرج مسعود سيد كلب فدعا إلى البراز ، فبرز اليه الربيع بن زياد ، وكان طوالاً شجاعاً ضعيف البطش ، وكان مسعود جسيماً قوي البطش ، فاختلفا ضربتين فلم يعملا في السلاح وتعانقا ، فصرع الكلبي الربيع فإنه ليريد ذبحه إذا زالت البيضة عن رأسه وبدا من عنقه قدر الدرهم ، فرماه جحش بن نصيب فقتله ، وأفلت الربيع

فاحتز رأسه ، وظهرت بنو عبس على كلب فهزمتهم ، ونازع الربيع جحشاً درع مسعود وقاتله عليها فقال جحش :

فَسَائِلْ ربيعاً إذ يجر برجِله من الغلمة الداعون عوفاً ومازنا
رَقَعْتُ عليه جَيْبَهُ بمَرَشَّةٍ تعالج معبوطاً من الجوف آبِنَا[1]

وولد جشم بن عوف : عدي بن جشم . ومالك بن جشم . وزهرة بن جشم ، رهط عُقبة بن كَلَدة بن وهب بن زهرة ، كان أحد السبعين أصحاب العقبة ، وكان حليفاً لبني عوف بن الخزرج ، رهط أُبَيّ بن سلول . وكان منزله المدينة ، فشخص إلى النبي ﷺ إلى مكة ، وقال : لا أتخذ داراً غير دارك فلما أُذِنَ لرسول الله ﷺ في الهجرة هاجر إلى المدينة .

قال الكلبي : هو أحد من أكبَّ على النبي ﷺ يوم أحد حين أصابه السهم في جبهته ، فغاب إلاَّ شَظِيَّةً ، فأكب عليه عقبة فنزعه ، وسقطت ثناياه .

وغير الكلبي يقول : الذي فعل ذلك سعد بن أبي وقاص .

وولد مالك بن جُشم بن عوف : ضَبُّ بن مالك . وثعلبة بن مالك . وحبيب بن مالك .

وولد عدي بن جُشم : عامر بن عدي . وكعب بن عدي ، فولد كعب بن عدي : حرام بن كعب . والأبح بن كعب . وكبير بن كعب . ورُويبة بن كعب ، وهو دارة القمر ، سمي بذلك لجماله .

ومنهم : سالم بن دارة الشاعر .

---

١ ـ أبن الدم في الجرح : اسود . القاموس .

وقال غير الكلبي : كان اسم عبدالله بن غطفان عبدالعزى فسماهم رسول الله ﷺ بني عبدالله ، قال : ودارة القمر أم سالم وعبدالرحمن ابني دارة وأبوهما مسافع ، ودارة القمر من بني أسد ، سميت بذلك لجمالها ، فأما سالم فكان شاعراً وهو القائل :

أنا ابن دارة معروف لها نسبي وهل بدارة يا للناس من عار
من فرع قيس وأخوالي بنو أسدٍ من أكرم الناس زندي فيهم واري

وهجا سالم : ابن واقع ، وهو ثابت بن واقع فقال :

ويحك يابن واقع ما أنْتَا أنت الذي طَلَّقْتَ لما جُعْتَا

فغضب له زُميل فضربه بالسيف ، فقدم المدينة فمات فقال :

محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا . . . .

وكان عبد الرحمن ابن دارة يُهاجي الميدان الأسدي، فقال فيه:

يجوع الفقعسي فلا يُصلِّي ويخرى فوق قارعة الطريق

فمات بالجزيرة فقال الميدان :

قتل ابن دارة بالجزيرة سبَّنا وزعمت أنَّ سبابَنَا لا يقْتلُ

وولد عُذرة بن عبدالله بن غطفان : قَدُّ بن عذرة .

فولد قَدّ : خداش بن قَدّ . ويربوع بن قَدّ . وسَيَّار بن قَدّ .

وقال أبو اليقظان : من بني عبدالله بن غطفان : أبو الفيض كان على بيت المال وله عقب بالبصرة .

ومنهم بنو جوشن ، وكان عبد الرحمن بن جوشن شريفاً ، ولهم عدد بالبصرة ، وفيه يقول الشاعر :

لعمرك ما ضَلَّتْ ضلال ابن جوشن حصاة بليل أُلقيت وسط جَنْدَل

ومنهم طَيْسَلَة كان شاعراً ، وفيه يقول الفرزدق :

أطيسلِ لو أدركتَ أمك نكتَها ولكنها ماتت وأنت صغير[1]

وابنه شَمْعَلَة بن طَيْسلة الذي يقول لعبد العزيز بن الوليد :

وأنت لليلى خير قيسٍ ظعينة وليلى عدي لم تلدك الزعانف

وقال الشاعر يهجوه :

يا شَمْعَلُ ابن أَمَةٍ يا شَمْعَلُ إن غـذاء غطفـان الفيشل
منها قُدَيْرَها ومنها تنشل

ومن بني عبدالله بن غطفان : ابن أم صاحب الشاعر الذي يقول :

لا يـطعمـون النـوم إلا قُلَلاً ذَوْقاً لذوق الطير من ماء الوشل

ومن بني عبدالله بن المرقع : شوال بن الموقع ، هجا رجلاً من فزارة في الجاهلية ، فقتله .

ومن بني عبدالله : مُرَّةَ الغطفاني قتل رجلاً من بني فزارة فقُدم ليقاد به فجعل يقول :

إني إذا المـوت كَـنَـعْ أسعى إلى المـوت أصَـعْ
ليس من الموت جَزَعْ

ومنهم قَعْنَب الذي يقول في الوليد بن عبد الملك :

فقــدت الـوليــد وأثقـالـه كمثل البعير أبى أن يبولا

---

١ - ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .

ومن بني عبدالله بن غطفان : طُفيل العرائس[١] الذي ينتسب إليه الطفيليون وهو كوفي .

ومنهم : **عيينه بن عبد الرحمن بن جوشن** ، في الطبقة الخامسة من المحدثين[٢] .

ومن موالي بني عبدالله بن غطفان : أبو البلاد الكوفي الراوية ، وله يقول الفرزدق ولقيه : «يا لهف نفسي على عينيك من رجل . . .» .

١ ـ بهامش الأصل : طفيل العرائس .
٢ ـ ترجم له ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل البصرة ـ طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢٧٢

نسب بني أعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان

ولد منبّه، وهو أعصُر بن سعد : مالك بن أعصر. وعمرو بن أعصر . وهو غني، وأمهما مُليكة بنت ناشح بن وادعة من هَمْدان. وثعلبة بن أعصر . وعامر بن أعصر . ومعاوية بن أعصر . وأمهم الطفاوة بنت جَرْم بن ربَّان بها يعرفون ، وكان من الطفاوة كُرْز وهو سيدهم ، وله يقول الشاعر الأسود بن يعفر :

نُبِّئْتُ كُرْز ابن الخبيث يَسبُّني   كرز الطغام مَدَى العجان الأهلب

ومنهم : **حسان بن الصَّعق** ، كان أيام بشر بن مروان على الشرطة ، وقال الشاعر :

إنَّ الطفاويَّ أخو اليَعْسوبِ[1]   في كل حيٍ منهم نصيب

فولد مالك بن أعصر : سعد مناة بن مالك ، وأمه باهلة بنت صَعب بن سعد العشيرة . ومعن بن مالك ، وأمه هند بنت شباب بن عبدالله بن غطفان .

---

١ ـ اليعسوب : أمير النحل وذكرها ، والرئيس الكبير .

فولد معن : أود بن معن . وجاوة بن معن ، وأمهما باهلة ، خلف عليها معن بعد أبيه نكاح مقت. وشيبان بن معن، وهو فَرّاص. وزيد بن معن وهو لحيان . ووائل بن معن . والحارث بن معن وهو ليل . وحرب بن معن . ووَهيبة بن معن . وعمرو بن معن ، وأمهم أرنب بنت شمخ بن فزارة . وقتيبة بن معن . وقعنب بن معن ، وأمهما سودة بنت عمرو بن تميم ، فحضنتهم كلهم باهلة بنت صعب فغلبت عليهم .

فولد قتيبة بن معن : الحارث بن قتيبة . وغَنْم بن قتيبة ، وأمهم السوداء بنت أُسيّد بن عمرو بن تميم .

فولد غَنْم بن قتيبة : ثعلبة بن غنم . وكعب بن غنم . وعبد بن غنم وعمرو بن غنم .

فولد ثعلبة بن غنم : عمرو بن ثعلبة .

فولد عمرو : ثعلبة بن عمرو بن ثعلبة . وسهم بن عمرو . وعامر بن عمرو .

منهم : **عَمّارة بن عبد العُزّى** بن عامر بن عمرو بن ثعلبة بن غنم بن قتيبة ، من ولد حاتم بن النعمان بن عمرو بن جابر بن عَمّارة ، وكان سيد أهل الجزيرة ، وكان ابنه عبد العزيز سيداً ، وولى معاوية حاتم بن النعمان أرمينية ، ثم عبدالله ابنه فمات بها في أول أيام يزيد ، ثم ولى يزيد عبد العزيز بن حاتم أرمينية ، فَرَمَّ مدنها وحَصَّنَها .

وقال الواقدي : بنى عبد الملك بَرْذَعة على يد حاتم بن النعمان أو ابنه ، وولى عمر بن عبد العزيز أرمينية بعض ولد حاتم بن النعمان ، وروى أبو اليقظان أن حاتماً فتح هراة أيام ولاية عبدالله بن عامر بن كُريز خراسان ،

وذكر أن عبد العزيز بن حاتم كان على حرب قيس أيام قاتلوا بني تغلب ، وكان يقال له أَصَمّ باهلة ، وكان **عبد الملك بن حميد** كاتب أبي جعفر أمير المؤمنين مولاهم .

منهم الأحدب بن عمرو بن جابر ، وهو الذي أخذ عِفاق بن مُرَيّ بن سلمة بن قُشير بن كعب فشواه وأكله[1] فقال الشاعر :

إن عِفـاقـاً أكلتـه بـاهلة　　تمششـوا عـظامـه وكـاهله

وتركوا أم عفاق ثاكله

قال ابن الكلبي : وأكل ناس من هذيل جاراً لهم في سنة أصابتهم ، وأكل ناس من فَرِير بن عُنَين امرأة من بني تميم جاورتهم ، وأكل بنو عُذْرَة أَمَةً لهم .

قال : ومن بني سهم بن عمرو : **سلمان بن ربيعة** بن يزيد بن عمرو بن سهم بن عمرو بن ثعلبة بن غَنْم بن قُتيبة الباهلي ، كان يقال له سلمان الخيل وجهه عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه إلى أرمينية ، وفتح بها فتوحاً كثيرة ولقي خاقان عظيم الخزر وهو في خيوله خلف نهر البلَنْجَر فقُتل في أربعة آلاف من المسلمين ، وكان سلمان أول من استُقضي بالكوفة ، فأقام أربعين ليلة لا يأتيه خصم ، وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وفيه يقول ابن جُمانة الباهلي :

إنَّ لنـا قبرين قبـراً بلنجر　　وقبراً بصين استان يالك من قبر

١ ـ بهامش الأصل : ناس أكلوا ناسا .

يعني قبر قتيبة ، وكان الذي جاء بنعيه إلى عثمان قَرْظَة بن كعب الأنصاري ، وكان سلمان وحبيب بن مَسْلَمة وُجِّها في وجه لمحاربة العدو فتنازعا الإمارة ، فقال بعض أهل العراق لأهل الشام وكانوا قد هَمُّوا بسلمان :

إن تقتلوا سلمان نقتل حبيبكم وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل

وقال أبو اليقظان : يقال لقوم سلمان : الكواسجة ، قالوا وعرض سلمان الخيل فقال لفرس منها : هذا هجين ، فقال عمرو بن معدي كرب : هو عتيق ، فدعا بطست فيه ماء وسقى الخيل فثنى ذلك الفرس يده ، وكذلك تفعل الهجن ، فقال عمرو : إن الهجين يعرف الهجين ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال لعمرو : بلغني ما قلت لأميرك ، وعندك سيف تسميه الصَمْصَامة ، وعندي سيف أُسميّه مُصَمَّماً ، فإن سَرَّك أن أضعه على رأسك حتى أبلغ جاعِرتك فعُد . وكان سلمان يقول : مَنْ حَسُنَتْ مداراته الناس سَلِمَ منهم ، وحَسُنَ عيشه معهم .

ومنهم أبو أمامة[١] صُدَيُّ بن عَجْلان ، صحب النبي ﷺ ، وروى عنه ، وكان ممن توجه إلى الشام في أيام أبي بكر غازياً ، ومات في سنة ست وثمانين ، وهو ابن احدى وتسعين سنة .

ومنهم : بكر بن حبيب السهمي ، ويكنى أبا سهيل ، وولي السوس

---

١ - بهامش الأصل : أبو أمامة الباهلي رحمه الله .

لابن هبيرة ، فدعاه إلى عمل دون السوس فأباه وقال : العُنُوق بعد النوق[١] ؟ . ومات بالبصرة .

وكان عبدالله بن بكر بن حبيب محدثاً ، ومات ببغداد سنة سبع ومائتين .

وولد عبد بن غنم : سعد بن عبد بن غنم . وعمرو بن عبد بن غنم . ومنقذ بن عبد بن غنم .

فولد سعد بن عبد بن غنم : أَعْيا . وصَحْب .

منهم : حَرِّي بن جَزِي بن رياح بن عمرو بن عبشمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن . وابنه عبد الرحمن بن حَرِّي بن جَزِي بن رياح ، كان سنان بن سلمة بن المحبق يوليه أمر السرايا بالهند ، وفيه يقول الشاعر :

ولولا طعانَي بالنّوقانِ ما رجعتْ ... منها سرايا ابن حَرِّيٍّ بأَسلاب

وقال غير الكلبي : ولي عبيدالله بن زياد : حَرّي بن جَزي الباهلي ثغر الهند ، ففتح الله على يده ، والأول أثبت .

ومنهم : دُريد بن رياح بن عمرو قتله رَدّاد بن جوشن ، من بني عبدالله بن غطفان فوثب مُظَهِّر بن رياح على رَدّاد فقتله ، فقالت الغطفانية :

١ ـ مثل يضرب لمن كانت له حال حسنة ثم ساءت ، والعناق : الأنثى من أولاد المعز . وجمعه : عنوق ، وهو جمع نادر ، والنوق جمع ناقة ، مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٢ (٢٤١٧) .

إنّا وباهلة بن أعصُر بيننا دَأْبُ الضرير بِغَصَّةٍ وثِقاف
من يثقفوا منا فليس بآيب ابداً وقتل بني قتيبة شاف
قتلت قتيبة في النوائب فارساً لا طائشاً رَعْشَاً ولا وَقَّاف

ومنهم : مُصرِّف بن الحجاج بن أوفى بن مالك بن زيد بن نضلة بن صبح بن عبدالله بن عمرو بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن .

ومن بني صَحْب : مالك بن زُغْبَة بن ربيعة بن موهَبة بن مرة بن صحب بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك الشاعر الذي يقول :

بضربٍ كآذان الفَرَاءِ مهولةٍ وطعن كايزاغ[1] المخاض ثبورها

ومنهم : حَجْل بن نَضْلة بن صُبْح بن عبدالله بن عمرو بن عبد كان شاعراً رئيساً .

ومنهم : أَصْمَعْ بن مُظهّر بن رياح بن عبشمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غنم ، وهو أبو بني أصمع .

ومن ولده : علي بن أصمع ، كان شريفاً ، ونزل عليه خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، حين قدم البصرة ، وقد ذكرنا خبره في خبر الجفرة .

ومن ولده : عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الراوية .

وولد عمرو بن غنم : قعنب بن عمرو . وسواءة بن عمرو .

---

١ ـ وزغت الناقة ببولها : رمته دفعة دفعة . القاموس .

وولد وائل بن معن : ثعلبة بن وائل . فولد ثعلبة : سلامة بن ثعلبة . وعوف بن ثعلبة .

فولد عوف : عامر بن عوف .

وولد سلامة : عُصَيَّة بن سلامة . وعمرو بن سلامة . وكعب بن سلامة . وهلال بن سلامة .

فولد هلال : كُراثة بن هلال . وقُضاعي بن هلال .

منهم : **قتيبة بن مسلم**[١] بن عمرو بن حصين بن ربيعة بن خالد بن أُسيْد الخير بن كعب بن قضاعي بن هلال ، وكان لأسيد الخير أخ يقال له أسيد الشر ، وكان مسلم بن عمرو خاصاً بيزيد بن معاوية ، وقيل انه كان يُغَنِّيه فقال الشاعر في قتيبة ويزيد بن المهلب :

شَتَّانَ مَنْ بالصَّنْج أدرىٰ وبالذي بالسيف قُدِّمَ والحروبُ تُسَعَّر

وكان قتيبة شريفاً عاقلاً ، ولاه الحجاج خراسان ، ففتح بها فتوحاً كثيرة ، وغزا مغازي مذكورة ، وفتح بخارىٰ ، وغزا السُغْد ، وأذعن له أهل خوارزم ، وكان مائلاً مع الوليد بن عبد الملك على سليمان في الذي أراد الوليد من خلعه وتقديم ابنه عليه ، فلما ولي سليمان خلعه قتيبة ، فمالت عليه بنو تميم وغيرها فقتل ، وقد ذكرنا خبره في كتاب البلدان وفي خبر وكيع بن أبي سود التميمي .

وكان قتيبة يقول لولده : يا بنيَّ الزموا القناعة ، فإن أوسع الناس غنىً أقنعهم بما قسم له ، وعليكم بالشكر لله فإن أحق الناس بالزيادة في النعمة أشكرهم لما أوتي منها .

---

١ ـ بهامش الأصل : قتيبة بن مسلم .

وقال قتيبة للحجاج حين ظفر بأصحاب ابن الأشعث فأراد قتلهم : إن الله قد أعطاك ما تُحبّ من الظفر فأعطه ما تحب من العفو .

وقال الشعبي : كنت بالري مع قتيبة بن مسلم فتغديت معه ، فقلت : اسقوني فقال لي : أي الشراب أحب إليك يا أبا عمرو ؟ قلت : أعز مفقود ، وأهون موجود . فقال : اسقوا أبا عمرو ماءً .

وقال قتيبة ـ ويقال سلم ابنه : المعاتبة رائد العوف ومقدَّمَتُه ، وقال قتيبة ، ويقال سلم ابنه : اعتذار مع منع أجمل من وعد ممطول .

ومر قتيبة بكناسة فيها رماد وعظام وأقذار فقال : إن الذي يبخل بما يصير آخره إلى هذا لبخيل .

وحدثني عبدالله بن صالح قال : مر قتيبة على عَذرة فأمسك أنفه ، وقال : إن من يبخل بما يصير إلى هذا لبخيل .

وقال قتيبة بن مسلم : أربعة متعرضون للهوان والاستخفاف : طالب الفضل من اللئام ، والمفرط في الدالة على السلطان ، والجالس في غير موضعه الذي يُؤهَل له ، والمقبل على قوم بحديث وهم غير مستمعين له ، ويروي ذلك عن حضين بن المنذر ، وهو عن قتيبة أثبت .

وتزوج قتيبة الزَّعُوم بنت إياس فقال حضين بن المنذر : نعم المنكح هذه بخراسان ، قال : نعم ، وبين الصفا والمروة .

وحدث قتيبة الحجاج قبل توليته إياه أنه رأى كأن جملاً قد اغتلم ، فوثب به صبي منهم فقتله بشفرة ، فلما ولي قتيبة أرسل عبد الملك رجلاً على خبر قتيبة فثقل على الحجاج مكانه فكتب إلىٰ قتيبة : أما تذكر الجمل المغتلم فدس إليه قتيبة من قتله .

وقال قتيبة : من أراد نفسه على أكثر مما عنده من علم ومنطق افتضح .

وكان قتيبة إذا غزا حَضَّ الناس على الصبر ، ونهاهم عن الغلول وقال : إياكم والحرص وطماح الأبصار ، واظلفوا أنفسكم عن المحارم ، فإن أفلح الناس حجة أغلبهم للحرص والشهوة .

وقال قتيبة ـ ويقال سلم بن قتيبة ، وهو عن قتيبة أثبت ـ : يا بنيَّ لا تدخلوا الأسواق فتدق أخلاقكم ، ولا تمزحوا فيُسْتَخَف بكم ، ولا تمشوا في العساكر فتصغروا عند أكفائكم .

وقال قتيبة : إن رأيك لا يَتَّسع لكل شيء ففرِّغْهُ للمهم ، وإن مالك لا يُغني الناس كلهم ، فاخصص به أهل الحق .

وقال قتيبة : البَرُّ الوصول من لم يجعل للبعيد حظ القريب ، ولم يصل رحماً بقطيعة أخرىٰ .

وكان يقول : الدنيا بحذافيرها الخفض والدعة ، وروي ذلك أيضاً عن معاوية رحمه الله .

وكان يقول : المراء هو من دواعي الشنآن ، وكان قتيبة يكنى أبا حفص .

وقال أبو اليقظان ولي قتيبة الري للحجاج ، وولي خراسان ثلاث عشرة سنة ، وفتح خوارزم وسمرقند ، وبخارىٰ ، وكانوا قد كفروا ، وقتل وهو ابن خمس واربعين سنة .

وكان سَلْم بن قتيبة[١] عاقلاً ، وقد ذكرنا خبره بالبصرة في كتابنا هذا .

المدائني قال: قال سلم بن قتيبة ـ ويكنى أبا قتيبة: لا تستعينَنَّ على من تطلب إليه حاجة بمن له عنده طعمة فإنه لا يؤثرك على نفسه . ولا بكذاب فإنه يباعد لك القريب ، ويُقرّب البعيد ، ولا بأحمق فإنه يستفرغ مجهوده ، ولا يبلغ لك ما تريد .

المدائني عن أبي إسحاق المالكي أن سلم بن قتيبة قال : ثلاثة أستقلُّ لهم عظيم ما بذلته من مكافأتهم : رجل قام عن مجلسه فأوسع لي ، والمجلس غاصٌّ بأهله ، ورجل تَصَفَّحَ ثقاته فاختارني عليهم لحاجته ، ورجل أسلفني ماله عند حاجتي إليه فصانني به .

وقالوا : قال سلم بن قتيبة ـ أو أبوه قتيبة : ما من رجل إلا وأنا أقدر على مكافأته إلّا رجل خرج من بيته يخوض أقطار البصرة حتى أتاني في منزلي ، فآنسني بحديثه .

قال المدائني : وأتى سَلماً قوم من أهل الكوفة ، فقالوا له : يا أبا قتيبة أتيناك في حاجة ليست عليك فيها مؤونة ولا مَرْزِيَّة ، ولا تعلو لك ظهراً ، فقال : هذه من أبغض الحوائج إليَّ . ما أحب أن أسأل إلّا ما يثقل محمله وتعظم مَرْزِيَّتُه . ثم سألوه حاجتهم فقضاها وقال : لكم الفضل فيها إذ قصدتم إليَّ بها .

---

١ ـ بهامش الأصل : سلم بن قتيبة .

وتكلم رجل كلاماً حسناً فحسده بعض من حضر ، فقال : هذا كلام تَعَلَّمَهُ فقال سلم : قد أحسن من سمع كلاماً حسناً فحفظه ثم أداه في موضعه .

وقال سلم : ما أتاني رجل ثلاث مرات مسلّماً لا يسألني حاجة فدريتُ ما مكافأته .

وقال سلم : لا أَعُدُّ الرجل عاقلاً ما لم يكن رفيقاً .

وكان سلم يقول : ربما طويت سري عن صديقي ونفسي مخافة أن ينتقل عن مودتي فيذيعه عني .

وحدثني الأثرم قال : قال سلم بن قتيبة : بلغني أن غراب بن ظالم بن فزارة قال لولده : لا تأمنن صَدْر امرأة ، ولو كانت أمك ، ولا تأمنن على سرك غيرك ، وأنا أقول لا تأمنن عليه أباك ، فربما أفشىٰ الشفيق سرك مُسْقطاً .

وحدثني محمد بن الاعرابي عن سعيد بن سلم قال : كان سلم ينشد هذا البيت كثيراً ، فلا أدري أهو له أم لغيره :

ومن أسوأ الظلم قذف البريء وحُملك ذنباً على مُعْذِرِ

وكان سلم يقول : من أَنِفَ من قول لا أدري تكَلَّفَ الكذب ، وتعرض للهزؤ والاستخفاف .

وكان سلم يقول : زَيِّنْ ما علمتَ بتركك ادعاء ما لم تعلم .

وحدثني ابن الاعرابي عن سعيد بن سلم قال : لبس أبي ثوب خز مُوَجَّه انفق عليه مال ، فجعل وجوه أهل البصرة ينظرون إليه ويتعجبون منه ، ويقولون : هذا إسراف ، فقال : إني أخبرت عن أبي رجاء العطاردي

أنه قال خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف خَزّ لم ير مثله . فقال رسول الله ﷺ : «إن الله إذا أنعم على عبدٍ نعمة أَحَبَّ أن يُرىٰ عليه أثرها» .

وقال سَلْم : إذا أقبل الأمر أَعْيَتِ الحيلة في إدباره ، وإذا أدبر أعيت الحيلة في إقباله .

وروي عن سَلْم بن قتيبة ، وعن ابن ضبارة أيضاً أنه رأىٰ رجلاً يُسَارُّ رجلاً في المجلس فيكثر فقال : إني لأعُدُّهُ مأفوناً لكثرة سراره في المجلس .

وقال سلم : من مَطل معروفه حتى يكدّ صاحبه في طلبه فقد أخذ ثمنه .

وقال سعيد بن سلم : قال لي أبي : لا تستحي من المسألة عما جهلت ، فإن من رقَّ وجهه رق علمه .

وقال سلم : أول دناءة الحرص تأميل البخيل .

وقال سلم ، أو قتيبة : الصبر على كتمان السر أيسر من الندامة على إفشائه .

وروي عن سلم أنه قال : وجدت اللجاجة أقل الأشياء منفعة وأضرها في العاقبة ووجدت أنكد العيش عيش الحسود .

وقال سلم ، ويقال أبوه : لا تكمل مروءة مع اتباع الهوىٰ ، فإن الهوىٰ كمين غير مأمون .

وقال سلم : من المروءة الصبر على مناجاة الرجال . وكانت أم سَلْم بن قتيبة أم ولد .

وولد قتيبة غير سلم : قطن بن قتيبة لأم ولد .

والحجاج . وعبد الرحمن . ومسلماً . وكثيراً . وصالحاً ، أمهم الزعوم بنت إياس بن سعيد بن هانىء بن قبيصة .

وعمراً لأمٍّ ولد . ويوسف لأم ولد .

فأما سَلْم فولي البصرة لابن هبيرة ثم للمنصور أبي جعفر ، ومات بالري .

وكان سعيد بن سلم شريفاً ، ولي أرمينية ، والموصل ، والسند ، وطبرستان ، وغير ذلك من قبل بني العباس ، وقد ولي إخوته الولايات أيضاً .

وكان محمد بن الاعرابي الراوية مع سعيد بن سلم مؤدباً لولده .

وقتل مع قتيبة أخوه صالح بن مسلم ، وأخوه عبدالله بن مسلم ، وزياد ، وكان له من الأخوة غير هؤلاء : عبد الرحمن بن مسلم ، وله عقب بخراسان . وحماد بن مسلم . ورزيق بن مسلم كان يخلفه بباب الحجاج . وعمرو بن مسلم ، ولي ابنه وابن ابنه البحرين لأبي جعفر أمير المؤمنين . ويزيد بن مسلم كان على شرط مسلم بن قتيبة . ومعبد بن مسلم يقال انه قتل مع قتيبة . وحصين بن مسلم .

وقال أبو اليقظان كان مسلم بن عمرو أبو قتيبة بن مسلم أثيراً عند يزيد بن معاوية ، وكان يكنى أبا صالح وفيه يقول الشاعر :

إذا ما قريش خلا ملكها ... فإن الخلافة في باهلة
لِرَبِّ الحَرُونِ[1] أبي صالح ... وما تلك بالسُّنَّةِ العادلة

١ - بهامش الأصل : الحرون فرسه .

فولد مسلم : بشاراً . وزياداً . وعبدالكريم . وقتيبة .

ومنهم : **المنتشر بن وهب** بن عجلان بن سلمة بن كراثة بن هلال ، كان شريفاً ورثاه أعشى باهلة في قصيدته التي يقول فيها :

إمَّا سلكت سبيلاً كنتَ سالكَها فإذهبْ فلا يُبعدَنْكَ الله مُنْتَشرُ

ويقول فيها .

قد تَكظم البُزْلُ منه حين تُبصرُهُ حتى تقطّعُ في أَعناقهـا الجُرزُ

وقتله بنو الحارث بن كعب ، وكان المنتشر يعدو على رجليه ، ويفعل كما كان سليك يفعل أحياناً ، ويُغير أحياناً في جموعه ، وكان المنتشر يغاور أهل اليمن ، فقتل مُرَّة بنُ عَاهَان الحارثي فقالت نائحته :

ياعينُ بَكيٍّ بِشَجْوٍ لابن عاهانا لو كان قاتله من غير مَن كانا

لو كان قاتُلُه قوماً ذوي حَسَبٍ لكن قـاتله بَهْـلُ بن بَهْـلانا

وأسر رجلاً من بني الحارث يقال له صَدَاْءَة . ثم قال له : افْدِ نفسك فتلكأ ، فقال : والله لا يدر شارَقَ [١] إلا قطعت منك مفصلاً فقطعه أنملة أنملة ، وعضواً عضواً حتى أتى على نفسه فسمت بنو الحارث المنتشر مُجَدِّعاً ، فطلبوه فلم يقدروا عليه ، ثم إنه حج إلى ذي الخلصة وهو بيت بالعَبْلاء[٢] كانت خثعم ومن يليهم من قيس وغيرهم يحجونه ، وهو اليوم موضع مسجد العبلاء ، فَدَلَّ قوم من بني عمرو بن كلاب اجتعلوا من بني الحارث جعلاً ،

---

١ - بهامش الأصل : يريد باهلة .

٢ - من أرض تبالة . معجم البلدان .

ودلوهم عليه فانتهوا إلى ربيئته [١] وهم نيام ، فجاوزوهم إليه ، وهو نائم ، فأخذوه سلماً ، فقطعوه كما فعل بصاحبهم .

ولقى أعشى بأهله رجلاً فقال له : هل من خائبة خبر ؟ فقال : نعم قطع المنتشر بن وهب ، وحَدَّثَهُ حديثه فقال :

إني أتـــاني شيءٌ لا أُسَرُّ بـه   من عَلو لا عجب فيه ولا سخرَ

وهي أبيات كثيرة يقول فيها :

لا يأمن الناس مُمْسَاهُ ومَصْبَحَهُ   من كل أَوْبٍ فإن لم يَغْزُ يَنْتَظر
قد تكظُم البُزْل منه حين تَنْظُرهُ   حتى تقطع في أعناقهـا الجرر
لا يغمز الساقَ من أَيْنٍ ومن وَصَبٍ   ولا يَعَضُّ على شُرسُوفه الصَفِر [٢]
تكفيـه حَـزَّةُ فلذاتٍ أَلَمَّ بهـا   من الشواء ويكفي شربه الغُمَرُ
من ليس في خيره شرٌ يُكَدِّرُهُ   على الصديق ولا في صفوه كدر

وقال أبو اليقظان : قتل حجل بن نضلة رجلاً في الجاهلية يقال له : عمرو بن عاهان [٣] فقالت باكيته :

يا عين بَكيِّ على عمرو بن عاهانا   لو كان قاتله من غير من كانا

وقال : وكان منتشر من بني سلمة أحد بني وائل ، والأول أثبت ، وهو قول الكلبي .

قال الكلبي : ومن بني سلامة : **أدهم** بن **محرز** بن أسيد بن أخشن بن رياح بن أبي خالد بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سلامة ، وهو

---

١ ـ الربيئة : الطليعة . القاموس .
٢ ـ الصفر : الجائع . القاموس .
٣ ـ بهامش الأصل : ولكن منتشراً أسر صلاءة الحارثي .

فيمن أَمَدَّ به عبيدالله بن زياد حصين بن نمير لمحاربة التوابين يوم عين الوردة ، وهو القائل :

لما رأيتُ الشيب قد شان أهله تَفَتَّيْتُ وابتعتُ الشباب بدرهم

ولم يقل قط بيتاً غيره .

وابنه **مالك بن أدهم** بن محرز ، كان من صحابة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ، وكان عالماً فصيحاً .

وقال غير الكلبي : كان أدهم أثيراً عند الحجاج ، وأقطعه دار عبيدالله بن عبدالرحمن بن زياد لخروجه مع ابن الأشعث ، وانه قتل معه .

ودخل على الحجاج وهو أَشْيَب فأمره بالخضاب فاختضب ، وقال هذا البيت :

لما رأيت الشيب قد شان أهله . . .

وقال الكلبي : ومن بني سلامة أيضاً : **الأعشى أعشى باهلة** ، وهو عامر بن الحارث بن رياح بن أبي خالد بن ربيعة بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن الشاعر .

وولد عبدليل بن معن : عبدكعب وهم قليل .

وولد عمرو بن معن : عدي بن عمرو .

فولد عدي : عُلَيم بن عدي . وعبد بن عدي .

فولد عبد : جابر بن عبد . وخلف بن عبد . وزبّان بن عبد ويقال ذبّان .

وولد عُلَيم بن عدي : كُليب بن عليم .

فولد كليب : جُندب بن كليب . ووهب بن كليب .

فولد جندب : عدي بن جندب . ونُبيشة بن جندب .

فولد نُبيشة : معاوية . وعبدالعزىٰ . وعبدالله .

فولد معاوية بن نبيشة : مطهّر جد **بكر بن معاوية** صاحب ديوان الجند ، وكان بكر من قواد أبي جعفر . وعلقمة بن معاوية .

وولد وهب بن كليب : جوَّية . وربيعة .

وولد أَوْد بن معن : عدي بن أود . وسعد بن أود . وكعب بن أود .

منهم : **الحارث بن حبيب** ، الذي عَمَّرَ فقال :

أَلَا هَلْ شبابٌ يُشترىٰ برغيب   يـدُلُّ عليه الحـارث بن حبيب

وولد فَرَّاص بن معن : عبد بن فَرّاص . وحزام بن فَرَّاص . وولد جاوَة بن معن : عينان . وحُمَيْس . وغيلان .

فمن بني فَرّاص : مُطَرِّف بن الكاهن وفد على النبي ﷺ رسولاً لقومه فكتب له رسول الله .

ومنهم **عمرو بن أحمر** [١] العَمَرَّد بن عامر بن عمرو بن عبد بن فراص بن معن بن مالك بن أعصر الشاعر وكان أعور وسُقي بطنه فقال :

شربتُ شكاعي [٢] والتددت أَلَدَّةً [٣]   واقبلتُ [٤] أطراف العروق المكاويا

١ ـ بهامش الأصل : ابن أحمر الشاعر .

٢ ـ شكع : كثر أنينه ، وتوجع ، والشكاعي : من دِقِّ النبات ، نافع من الحميات العتيقة ، واللهاة الوارمة ، ووجع الأسنان . القاموس .

٣ ـ اللدود : ما يصب بالمُسْعُط من الدواء في أحد شقي الفم . القاموس .

٤ ـ القبلة : ما تتخذه الساحرة لتقبل به الانسان على صاحبه ، ووسم بأذن الشاة مقبلا . القاموس .

وكان قدم الجزيرة فاستوبأها ، وأقام بقرقيساء أشهراً ، وبها قال :

ألا قَلَّ خَيْسُ الدهر كيف تَغَيَّرا فأصبحَ يَرمي الناسَ عن قَوْن أَعْفَرا

وقال الحرمازي : شهد ابن أحمر بعض أمر قيس بالجزيرة وكان مع زفر بقرقيسياء مدة يسيرة .

وقال أبو اليقظان : ومن باهلة : **مسلم بن الشَمِرْدَل** ، الذي دخل على بلال بن أبي بردة فجلس متربعاً بين يديه ، فقال له : لقد جلستَ جلسة بغيّ.قال : انك لعالم بجلوسهنَّ . قال : يا بن اللخناء . قال : بل أنت .

قال : ومن باهلة ثم من بني سهم : **المستورد بن قدامة** ، وكان من الذين شهدوا على نسب زياد أيام معاوية .

ومن بني سهم : **حَيَّان بن يزيد** الذي قال له أبو موسى الأشعري : إن باهلة كانت كراعاً فجعلناها ذراعاً ، قال : ألا أدلك على المرء من باهلة عَكٍ وأخلاطها من الأشعريين فغضب أبو موسى رضي الله تعالى عنه ، ثم قال : يا سَابَّ أميره .

قال : ومن باهلة ثم من بني عمرو بن عبد : **حَجْل بن نضلة** ، كان شريفاً في الجاهلية ، وعرض ابنه شبيب على أبي موسى وهو شيخ فقال : أنت بالٍ على بال ، فقال شبيب بن حجل بن نضلة :

رآني الأشعريُّ فقال بـالٍ على بالٍ ولم يعلم بـلائي
ومثلك قد كسرت الرمح فيه فـآب بدائـه وشفيت دائي

ومن بني عمرو بن عبد : **قُرّه بن حيّان** ، صاحب قنطرة قرة بالبصرة ، وكان من وجوه قومه .

قال : ومن مواليهم : **عُبيد الصَيد** الصيرفي .

قال : وكان **علي بن أصمع** الباهلي ، يقرأ الكتب على منبر البصرة .

ووجَّه بنو عَقيل مولى لهم يقال له زياد ليمتار لهم ، فأتاهم ولم يَمْتَرْ لَهُم ، فسألوه عن أخبار أهل البصرة فحدثهم أن علي بن أصمع تزوج امرأة من بني عامر بن صعصعة ، فقال شاعرهم :

بعثنا زياداً مائراً ليميرنا فما جاءنا إلاّ بصهر ابن أصمعا

قال : ومن بني قتيبة من باهلة : حاتم بن حُمران ، ولي بعض أمر البصرة فمنع إبلاً للفرزدق من الرعي فقال :

وتمنع إبْلي أن تَجُوز إلى الحمىٰ وأنت تُجيز الحُمْر يا عبد حاتم
قرابته شرط ابن حُمرانَ دُونَها إذا نفذت قامت عليها المآتم (1)

قال:ومن باهلة : بنو حَبيب بن زيد ، يذكرون أنهم من بني الأعرج ، قال شاعرهم :

فإن تَكُ عن نسبي غافلاً فإني امرؤ من بني الأعرج
ومنهم خُلقتُ ومنهم أبي كما لَزَّتِ العُنْقُ بالمنسج

فشخص هذا الشاعر الى قتيبة بخراسان ، فقال له : ألم تزعم أنك من بني الأعرج من تميم ؟ فقال إنما قلت :

فإن تك عن نسبي غافلاً فإني امرؤ من بني وائل
ومنهم خلقت ومنهم أبي كما لزَّت العنق بالكاهل

ومن باهلة : **عبدالرحمن بن منقذ** ، كان مع مروان بن محمد من خاصته ، فقتل بالخشب ليلة قتل مروان .

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

قال : وكان سلمان بن ربيعة من الكواسجة ، وقتل على بلنجر .

قال : ومنهم سلمان بن أبي زهير خال قتيبة بن مسلم وفيه يقول الشاعر :

أليس من الخير لو تعلمين سُرادق سلمان من باهلة

ومن باهلة : **حجاج بن الفُرافصة** ، كان عابداً وقضى ابن له على جنديسابور .

قال : ومن وائل باهلة : **سُحبان** وهو الذي أُوفد إلى معاوية ، فتكلم فقال معاوية : أنتَ السحّ [1] ، فقال : أي والله وغير ذلك ، فقال سحبان :

لقد علم الوفد العراقيَّ أنني إذا قيل عند الباب اني خطيبها

وذكر حميد الأرقط : وابنه عجلان بن سحبان ، وهو الذي يقول لطلحة الطلحات بسجستان :

منك العطاء فأعطني وعليَّ شكرك في المشاهد

قال : ومن وائل باهلة : **الخطيم الخارجي** واسمه زيد .

ومنهم قاتل بشر بن أبي خازم بسهم ، فقال بشر :

وإن الوائلي أصاب قلبي بسهم لم يكن يكسى لغابا [2]

ويقال ان الذي قتله من بني صعصعة .

قال : ومن بني جاوة : مُطْرِف بن سَيدان كان مصعب بعثه إلى عبيدالله بن ظبيان ، وهو بالأهواز ، فقتله ابن ظبيان ، وقد ذكرت خبره في

١ ـ السح : الدائم الصب والهطل بالعطاء . النهاية لابن الأثير . وتقدم هذا الخبر في ص ١٩٨٦ .

٢ ـ ديوان بشر بن أبي خازم ص ٢٥ .

كتاب البلدان ، وفي أيام المصعب بن الزبير ، وله عقب بالبصرة[١].

ومنهم : مُضارب بن عبيدالله كان يخلف صاحب الشرطة .

ومنهم : عطية بن عمار ، كانت ابنته أم عبّاد عند عدي بن أرطاة .

ومن بني فَرّاص : المثلّم دَسَّتْ إليه الخوارج فقتلوه ، فقال أبو الأسود :

آليتُ لا أَمشي إلى رب لقحةٍ أسـاومـه حتى يؤوبَ المثلم
وقال له حمـراءَ كومـاءَ جَلْدَة وقاربَه في السَّوْم والغدر يكتم[٢]

ومنهم : عبدالملك بن جُمانة كان شاعراً ، وهو القائل لقتيبة :

أم كيف يرجوك البعيـ ـد وقد أَضَعْتَ له قَريْبَكَ

١ ـ انظر البلدان ـ تحقيق سهيل زكار ص ٤٢٨ .
٢ ـ ديوان أبي الأسود الدولي ص ١٥١ ـ ١٥٢ مع فوارق .

نسب غَني

وولد غني بن أَعصُر : غَنْم بن غني . وجعدة بن غني ، وأمهما دُحام بنت تغلب بن وائل بن قاسط .

فولد غنم : جِلّان بن غَنْم . وبُهْثة بن غنم . وعمرو بن غنم . فأما بهثة فهم بالجزيرة والكوفة .

فولد جِلّان بن غنم : كعب بن جلان . وعُتْوارة بن جلان .

فولد كعب : زبان بن كعب . وعامر بن كعب . وعوف بن كعب فيه العدد . وعويف بن كعب ، وأمهم أميمة بنت جشم بن عوف بن بُهْثة بن عبدالله بن غطفان .

فولد عوف بن كعب : سعد بن عوف ، وأمه ابنة رأس الحجر الجرمي ، ويقال إنه سعد بن سعد بن رأس الحجر الجرمي ، ورأس الحجر أوس بن شَمِيس بن طَرود بن قُدامة بن جَرْم . وقال عبد بن شَمِيس الجرمي :

أصبح سعدٌ رفدةً لابن أعصر غنيٍّ فلا يهنأ لها ذلك الرفد
وكنتَ غلاماً من قُدامة ماجداً نَأيتَ وما أَنْآكَ قَفْرٌ ولا بُعْدُ

يعني قدامة بن جرم .

فولد سعد : عَبِيد بن سعد . وعِتريف بن سعد . ومالك بن سعد ، وأمهم سُلامة بنت عامر بن كعب بن جلان ، إليها ينسبون . وثعلبة بن سعد . وصُرَيم بن سعد ، وأمهما الفَهْمِيّة .

فولد عَبيد بن سعد : هلال بن عَبيد . وخويلد بن عبيد وقد انقرضوا .

ومنهم : خِشرم بن عامر ، أَسَرَتْهُ بنو نمير ، وذكره الراعي عُبيد بن حَصين[1] ، وفُدِيَ بفداء كبير . وسالم بن عبيد . وخُرْشُبة بن عَبيد .

فمن بني عبد قيس : النَدامي بن عبدالله بن عُميلة بن طريف بن خُرْشُبة بن عَبيد ، قتلته طيء ، ورثاه طفيل الغنوي فقال :

ومن قيسٍ الثاويْ برَمَّانَ بيتُه ويوم عُقيل فَادَ[2] آخر معجب

وكان قيس هذا وفد إلى بعض الملوك ، فقال : لأضعنَّ تاجي على رأس أكرم العرب ، فوضع تاجه على رأسه ، ثم أَذِنَ له في الانصراف فلقيته طيء برمان وهو منصرف ومعه ما حباه به الملك ، فقتلوه ثم عرفوه فندموا فدفنوه وبنوا عليه بناءً . ومنهم الطَبيخ ، واسمه عامر بن معبد بن كيشم قتل يوم الجمل مع علي بن أبي طالب عليه السلام .

---

١ ـ انظر ديوان الراعي ص ٢٥٥ قوله :

بكى خشرم لما رأى ذا معارك أتى دونه والهضب هضب البهائم

٢ ـ بهامش الأصل : فاد أي مات : وفي معجم البلدان : رَمان : جبل في بلاد طيء في غربي سلمى أحد جبلي طيء . انظر هذا البيت مع ترجمة طفيل الغنوي في الأغاني ج ١٥ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٥ .

ومنهم : **كناز بن مرثد**[١] بن حصين بن يربوع بن طريف بن خُرشبة بن عَبيد ، حليف حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه ، شهد بدراً مع رسول الله ﷺ .

قال الواقدي : لما أسلم حمزة أسلم كناز أبو مرثد ، وكان تِرباً لحمزة، وكان طوالاً كثير شعر الرأس ، وشهد يوم بدر ، وأحد ، والخندق والمشاهد كلها ، ومات في المدينة قديماً في أيام أبي بكر رضي الله تعالى عنه سنة اثنتي عشرة ، وهو ابن ست وستين سنة ، وأسلم ابنه مرثد وشهد بدراً على فرس يقال له السَّيْل ، وشهد يوم أحد ، وقتل يوم الرجيع شهيداً ، وهو أمير السرية ، وذلك في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة ، ونزل مرثد وأبوه بالمدينة حين هاجرا على كلثوم بن الهدم ، ويقال على سعد بن خيثمة ، وآخى رسول الله ﷺ بين أبي مرثد وبين عبادة بن الصامت ، وآخى بين ابنه وبين أوس بن الصامت .

والرجيع ماء لهذيل ، وكان رسول الله ﷺ بعث مرثداً وعاصم بن أبي الأقلح إلى ماء هناك في صفر سنة أربع لقبض صدقات هذيل ، وتفقيههم في الدين لادعائهم الإسلام على سبيل المكيدة ، فلما صار المسلمون إليهم غدروا بهم ، وقتلوهم فقال الشاعر :

أبو مرثد منا المطيَّب وابنه الشهيد وسلمان الأمير وحاتم

سلمان بن ربيعة الباهلي ، وحاتم بن النعمان الباهلي .

---

١ ـ بهامش الأصل : أبو مرثد كناز وابنه رضي الله عنهما .

ومن بني سالم بن عَبيد : **كعب بن سعد** ، **ونافع بن خليفة** الشاعران ، وهما قتلا نسيب بن سالم النميري بأَهْوَى ، وأهوى موضع .

وعمير بن الجدري ، **ومكنف بن ضمضم** وكان من فرسان غني بالجزيرة .

ومن بني هلال بن عبيد : **رياح بن الأشل** قتل الحُصَيْنَين من عبس في الحرب التي كانت بين عبس وغني بسبب قتل شاس بن زهير بن جذيمة العبسي ، وابن أخي رياح هذا قَتَل شاساً ، رماه بسهم وقد ذكرنا خبره .

ومنهم : الخِمس بن ربيع بن هلال كانت بنو عامر ويقال هوازن كلها تَسْلي له السمن ، وتعطيه الخرج بعد رجل من تميم يقال له عُزَيّ بن جَروة بن أُسَيْد قتله ذو العُبْرة ربيعة بن الحُريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، والعُبْرة خرزة كان يلبسها تُشَبَّهُ بتاج الملوك ، وكان التميمي قبل قتله يأخذ الأتاوة من هوازن ويتملك عليها ، قال طفيل الغنوي ويقال رياح بن الأشلّ الغنوي وذلك قول الأصمعي :

بني عامرٍ لا تُخْبِرُوا الناسَ فخركم ... متى تَنْشُرُوه في الكرام تُكَذَّبُوا
فـإنكم لا تنصبون خـطيبكم ... ولا تطعمون الزاد حتى تُؤنبوا
فنحن ربَعْنا قبل قيساً واسهلت ... لكم خيلنا ما لم تكونوا لتقربوا
ونحن منعنـاكم تميـماً وأنتمُ ... سوالي ألا تُحْسِنُوا السَّلَّ تُضربوا
ونحن حبسناكم حفاظاً عليكم ... وكنتم أناساً قد رحلتم لتذهبوا
فلما خشينا أن تصيروا لغيرنا ... نفينا الأعادي أن تُضاموا وتُحربوا

وولد مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان : ضَبيس بن مالك . ومضابس بن مالك . وحرب بن مالك . وحبيب بن مالك .

منهم : **طُفيل الخيل الشاعر** ابن عوف بن خلف بن ضَبيس بن مالك بن سعد ، وكنية طفيل أبو قُران .

وقال الأصمعي : هو أكبر من النابغتين ، وليس من قيس فَحْلٌ أَقْدَمُ من طفيل .

وكان معاوية يقول : خلّوا لي طفيلاً ولكم الشعراء .

وولد ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان : يربوع بن ثعلبة . وكعب بن ثعلبة .

منهم : قيس بن حجوان بن مطيع بن كعب بن ثعلبة بن سعد ، قاتل عمرو بن الأسلع المرادي يوم فيف الريح[1] حين اجتمعت بنو الحارث بن كعب ، وجُعْفَى وزبيد ، وقبائل سعد العشيرة ، ومراد ، وصداء ، ونهد فأغاروا على بني عامر ومعهم غني ففقئت عين عامر بن الطفيل ، وقال بعضهم قتل عمرو بن الأسلع في يوم غير هذا والله أعلم .

ومن ولده : **علي بن الغدير** بن نصر بن قيس بن حجوان الشاعر الذي يقول :

وإذا رأيت المرءَ يَشْعَبُ أمره شِعَبَ العصا ويلجُّ في العصيان
فاقصد لما تعلو فمالك بالذي لا تستطيع من الأمور يدان

ويقول أيضاً :

وَخَلِّ قريشاً تَقْتَتِل إن مُلْكَهَا لها وعليها بِرُّهَا وأثامها
وإن وسَعَتْ أحلامُها وسعَتْ لها وإن عجزتْ لم تَدْمَ إلا حِلاَمُها

١ ـ انظر النقائض ج ١ ص ٤٦٩ ـ ٤٧٢ .

وقال في محمد بن مروان بن الحكم في أبيات له :

ألا أبلغا عني الأمير محمداً وهل مُبْتَغٍ عُتْبَاكَ إلا لتعتبا

وقال فيها :

وهَلْكُ الفتى ألا يُراحَ إلى الصبا وألا يرى شيئاً عجيباً فيعجبا

ومنهم : **الحارث بن مُوَيلك** بن واقد بن رياح بن يربوع بن ثعلبة ، الذي قتل ابني السخفية القشيريين .

ومنهم : **مرداس بن مُويلك** أخوه ، وفد على رسول الله ﷺ ، وأهدى له فرساً .

ومن ولده : **حمزة بن طارق** بن عبد العزيز ، كان أعلم الناس بغني وباهلة ، وقد لقيه هشام بن محمد الكلبي .

والحكم بن جاهمة بن الحراق بن يربوع بن ثعلبة بن سعد كان فارساً .

وشيطان بن جاهمة ، وهو فارس الخذواء ، كان في أُذُنها استرخاء ، وإيَّاهُ عنَى طفيل حيث يقول :

وقد مَنَّتِ الخذواء مَنّاً عليهُمُ وشيطان إذ يدعوهُم ويَثُوب

قالوا : هزمت غني طيئاً ، ويقال خثعماً ، فلما انهزموا قال شيطان : من أخذ شعرة من ذنب الخذواء فهو آمن فهلبوها يومئذٍ ، وأمنوا .

وعمرو بن يربوع بن ثعلبة ، فارس غني كان يأخذ المرباع .

وقال المفضل : أغار زيد الخيل الطائي على بني عامر ، فأصاب في بني كلاب ، وبني كعب ، واستحرّ القتل في غني وكانو معهم ، ثم إن غنياً أغاروا على طيء وعليهم سنان بن هرم فقتلوا وغنموا وأصابوا دماءهم

كَملاً ، وانصرفوا إلى بلادهم ، فقال طفيل في ذلك قصيدته البائية المخفوضة التي أولها :

بالعَقْر دارٌ من جميلة هَيَّجَتْ سَوَالف حُبٍّ في فؤادك مُنْصَبُ

ومن بني عتريف بن سعد : سعر ، وسعر هو سعر الخنوقة بلاد كان حماها ، والمشمَعلّ بن هُزلة بن مُعتّب بن أُحبّ بن الغَوث بن عتريف ، وهو فارس خرقة الذي قتل الشريدي من بني سُليم يوم قادهم حرباق الشريدي بين الدمْلاء وشَعْبَيَ ، وسِرْحان بن معتّب بن أحب بن الغوث بن عتريف الذي يقول له الأسدي ، ومر بمكان مُكْلَأ فقال : اشهد لا يمنعني سِرحان أن أُعشّي إبلي الليلة ، فرعاها فمر به سرحان فقتله فقال هزْلة بن معتّب أخوه لامرأة الأسدي وكان يقال لها نصيحة .

أَبْلِغْ نصيحة أن راعي إِبْلَهَا سَقَط العشاء به على سرحان

سقط العشاء به على مُتقمِّرٍ لم يُثْنِهِ خوفٌ من الحَدَثَان

متقمر : يرعى في القمر ، وبذلك سُمِّيَ بسطام بن قيس متقمراً .

ومن بني صُرَيْم بن سعد : **شهاب بن سبيع** ، الذي قتل خويلد بن نفيل ، وخالد بن نفيل المازني يوم الحلاة . **ورجاء بن الخشخاش** الذي قتل كلاباً التغلبيّ .

ومن بني **زبان بن كعب** : **عُلاثة بن وهب** كان شريفاً .

وعصيمة بن وهب الذي سند في الهضبة يوم رَحْرَحَان ، وقد طعن معبد بن زرارة ، فَحدَرَه وأسره فقبض عليه الأحوص بن جعفر وبنو عبس وحبسوه بالطائف ، وأرضوا عصيمة بثلاثين بعيراً .

وعبدالله بن عقبة كان فيمن قتلَ الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وله يقول ابن عَقَب :

وعند غني قطرة من دمائنا　　وفي أسد أخرى تُعَدُّ وتُذْكَرُ

والأسدي : **حرملة بن الكاهل** الذي جاء برأس عباس بن علي بن أبي طالب ، وهو قتله مع الحسين بالطَّف .

وغياث بن عبد ، وأمه من بني عبس ، فلحق بهم وهم يقال لهم بنو مَلعقة ، وهو اسم أمهم .

وولد بُهثة بن غنم بن غني : **عمرو بن بُهْثَة** ، وهو الرتل .

فولد عمرو : كعب بن عمرو .

فولد كعب : هلال بن كعب . ومالك بن كعب .

منهم : **عبيدالله بن أبي شيخ** ، كان شريفاً بالكوفة من أصحاب علي رضي الله تعالى عنه ، وكانت له من زياد بن أبي سفيان منزلة .

ومنهم : **العلاء بن المنهال** بن العلاء بن قطبة بن سُليم بن الحارث بن غضبان ، ولي شرطة الكوفة .

وولد جعدة بن غني : عبس بن جعدة . وسعد بن جعدة ، وأمهما ضُبينة بنت سعد مناة بن غامد من الأزد ، إليها ينتسبون .

فولد سعد بن جعدة : ذبيان بن سعد . ومعاوية بن سعد . وعمرو بن سعد ، ومنهم : هادم عرشه هَدَمة بذكره .

ومنهم : **سنان بن عباد** ، الذي أخذ النعمان نَعَمَهُ .

وولد عبس بن جَعدة : عامر بن عبس . ورزاح بن عبس .

منهم : **سهم بن حنظلة** بن جاوان بن خويلد بن حرثان بن جابر بن مالك بن عامر بن عبس وهو الشاعر .

ومنهم : **ربيعة بن المخارق** بن جاوان ، وكان من فرسان الجزيرة فأبلىٰ مع أهل الشام في أصحاب سليمان بن صُرَد الخزاعي يوم عين الوردة .

تمت رواية ابن الكلبي .

وقال غير ابن الكلبي : ومن غني من بني ضبينة : ابن العوراء ، وكان ابن لعروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب أَحْمَىٰ حِمًى ، فوجد فيه ابن العوراء فضربه بيده ونهاه ، ثم إنه رجع إلى الحمىٰ فأراعاه ماله فجاء ابن عروة فلما رآه ابن العوراء خاف أن يقتله فرماه بسهم فقتل ابن عروة ، ثم أتى قومه من بني ضبينة من غني فأعلمهم ، فارتحلوا عن بني جعفر ، وكانوا مع بني جعفر ، وبنو جعفر لا يعلمون برحلتهم ، فأتوا جوَّاباً ، وهو مالك بن عمرو بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب ، وأمه من غني ، وكان جَوَّاب معادياً لبني جعفر بن كلاب ، لأن ابن أخيه وهو مرة بن مُطَرِّف بن كعب طعن مَنِيع بن مرة بن خالد بن جعفر بن كلاب بقوس في استه ، فحقدها ، ثم شد على ابن أخي جواب فقتله ، فسار بعض القوم إلى بعض ، ثم فارقوا بني جعفر على أن مضوا إلىٰ الشام ، ثم إنهم رُدّوا فحمىٰ ابن عروة ذلك الحمىٰ ، فقال طفيل :

فقلت عليكم مالكاً إن مالكاً سيعصمكم إن كان في الناس عاصم
أمالِ ابن كعب دونك القوم إنني رأيتك تنبو عن صَفاك المظالم
محارمك امنعها من الضيم إنني أرىٰ زمناً تُغْتَالُ فيـه المحارم

فقال جَوَّاب : أما انْ أُطلَّ لبني جعفر دماً فلا ، وإن كنتُ لهم حرباً ،

فإن رضوا بقاتل ابن عروة دفعناه إليهم أو الديَة ، وإن أبوا منعتهم من تعديهم . فقال لبيد بن ربيعة :

أبني كلاب كيف تُنْفَىٰ جعفر　　وبنو ضَبينة حاضروا الأجباب[1]
ظعنوا وأصبح في محل بيوتهم　　صِرْمٌ من الهجَّانِ وابن إهاب
قتلوا ابن عروة ثم لطوا[2] دونه　　حتىٰ تحـاكمهم إلى جَـوَّاب[3]

وقال شاعر بني ضبينة :

مهـلاً غنيٌّ فإن الليث يتبعـه　　حتى تَمَـلَّأ مما يفـرس الضبع

وقال طفيل :

بني جعفر لا تكفروا حُسْنَ سَعْينَا　　وإِئْتُوا بحسن القول في كل محفل
فنحن منعنا يوم حَرْسٍ نساءكم　　غداة دعانا عامر غير مُؤْيِـلِ

وقال أبو اليقظان : من غني : **صالح** ، شهد المرج مع مروان بن الحكم ولم يشهد معه قيسي غيره ، وغير عبدالله بن مسعدة الفزاري ، وكان صالح عظيم المنزلة من عبد الملك بن مروان ، وقال بشر بن مروان :

أتجعل صالح الغنوي دوني　　ورَحْلي منك في أقصىٰ الرحال
سيغنيني الـذي أغناك عني　　ويُفْرج كُربتي ويشب مـالي
إذا أبلغتني وحملتَ رحـلي　　إلى عبد العزيـز فما أُبـالي

قال : ومن غني : **الفَرْقد** وهو من بني عَبِيد ، وكان شريفاً وله عقب بالأهواز .

---

١ ـ الأجباب جمع جب ، أي آبار .
٢ ـ لطوا : ستروا .
٣ ـ شرح ديوان لبيد ص ٢١ ـ ٢٤ ، دون البيت الثاني .

وقال:ومن غني : **عمرو بن يربوع** ، وكان أول من أخذ المرباع فقال الشاعر :

وعمرو بن يربوع ومرباعُهُ ... يُعَدُّ إذا عُدّ العلىٰ والمكارم

قال:ومن بني غني : **الكوثر بن عُبيد** الغنوي صاحب شرطة مروان بن محمد .

قال: ومن غني : بنو حُراق . وبنو رياح ، وكانت نجيبة بنت رياح ولدت الأحوص بن جعفر بن كلاب فقالت :

ويحكَ أَشْبِهْ بني حُراق ... أهل الندىٰ وسعة الأخلاق

وقالت :

ويلك أشبه بني رياح ... أهل الندىٰ والجود والسماح

وقال أبو اليقظان : من غني : **كعب بن سعد** الشاعر الذي يقول في مرثيته لأخيه التي أولها :

تقول سليمىٰ ما لجسمك شاحباً ... كأنك يحميك الشراب طبيب

فقلت تباريح تَحز من اخوتي ... وشيبن رأسي والخطوب تشيب

فإن تكن الأيام أَحْسَنَّ مرةً ... إليَّ فقد عادت لهنَّ ذنوب

أتى دون حلو العيش حتى أَمَرَّهُ ... نُكوبٌ على آثارهنَّ تَنُوبُ

لقد كان أما حلمه فمزوج ... علينا وأما جهله فعزيب

وقد كان يكفيني وكان يعينني ... على نائبات الدهر حين تنوب

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ... ولا ورع عند اللقاء هيوب

حليم إذا ما سَوْرَةُ الجهل أطلقت ... حَبَا الشيب للنفس اللجوج غَلُوب

هَوَتْ أُمُّهُ ما تبعث الصبح غادياً ... وماذا يؤدي الليل حين يؤوب

أخو شتواتٍ يعلم الصيف أنه ... سيكثر ما في قدره ويطيب
حليف الندىٰ يدعو الندىٰ فيجيبه ... قريباً ويدعوه الندىٰ فيجيب
إذا شهد الأيسار أو غاب بعضهم ... كفىٰ ذاك وضاح الجبين أريب
فتىً أريحيٌّ كان يهتز للندىٰ ... كما اهتز من ماء الحديد قضيب
فلو كان ميت يفتدىٰ لفديته ... بما لم تكن عنه النفوس تطيب
وداعٍ دعا من ذا يجيب إلى الندىٰ ... فلم يَسْتَجبْ عند الدعاء مُجيب
فقلتُ ادْعُ أخرىٰ وارفع الصوت مَرَّةً ... لعل أبا المغوار منك قريب
يجيب كما قد كان يفعل مرة ... لأمثالها رحب الذراع طَلوب
تَرىٰ عَرَصَاتِ الحيِّ غُبراً كأنها ... إذا غاب لم يَحْلُلْ بهنَّ غريب
وأعلم أنَّ الباقيَ الحيَّ ينتهي ... إلى أَجَلٍ أقصى مداه قريب
وحدثتماني إنما الموت في القرىٰ ... فكيف وهذي هضبة وكثيب
وماءُ سَماءٍ كان غير مكدرٍ ... تَهبُّ عليه بالعشيِّ جنوب

قال: وكان يونس النحوي يقول: هي يتيمة المراثي.

ومنهم: **نافع بن خليفة**، الشاعر، الذي يقول مجيباً للراعي في قصيدة له:

فواعجباً حتى نميرٌ تَسُبُّني ... وكانت نميرٌ مَدْرَجاً للشتائم
تُواري نميرٌ بالعمائم لؤمها ... وليس يواري اللؤم طَيُّ العمائم
فإن تَجْنُبُوا منا كريماً فإننا ... تركنا على أهوىٰ[1] نسيب بن سالم
تهادىٰ ضباع الجلهتين بشلوه ... وباتت بليل عرسه غير نائم

---

١ ـ أهوى: موضع بأرض هجر، وقيل أهوى ماءة لبني قتيبة الباهليين. معجم البلدان.

ينادي صداه الهام في كل مرقبٍ بـذمٍّ نمـيرٍ في الأمـور العـظائم
ويوماً علىٰ أهوىٰ رطئنا(١) وجوههم فبـاؤوا على رغم لنـا بـالمـظالم
فككنا أخانا بالمئين وأَسْلَموا أخاهم بمعتبس(٢) السباع الضياغم
فـأنتم ذُنَـابىٰ عـامـرٍ وشرارهـا وليس ذنابىٰ الريش مثل القوادم
ويـوما نمـيرٍ يَوْمُ طَـولٍ عليهُمُ ويومٌ ترىٰ نسوانهم في المقاسم(٣)

١ ـ رطأت القوم : ركبتهم بما لا يحبون ، والرطاء الدهن الكثير . النهاية لابن الأثير .
٢ ـ العابس : الكريه الملقى . النهاية لابن الأثير .
٣ ـ انظر بعض هذه الأبيات في الحماسة الصغرى لأبي تمام ـ ط . دار المعارف القاهرة ص ٨٣ . وذيل الأمالي للقالي ـ ط . القاهرة ١٩٥٣ ص ١١٦ ، وهذه البعض نفسها موجودة في ديوان جرير ص ٤٢٩ .

نسب عَدْوان

وولد عمرو بن قيس بن عَيلان : الحارث بن عمرو وهو عَدْوان ، سمي عدوان لأنه عدا على أخيه فَهْم بن عمرو فقتله ، وأمهما جديلة بنت مرّ بن أدّ ، وعدوان يقولون جديلة بنت مدركة بنت الياس بن مضر .

فولد عدوان : زيد بن عدوان . ويشكر بن عدوان . ودوس بن عدوان ، ويقال إنهم دوس الذين في الأزد .

فولد زيد بن عدوان : وابِش بن زيد . وغالب بن زيد . وعامر بن زيد ، وهو عَياية .

وقال غير الكلبي : ولد زيد أيضاً : خارجة وهو القائل لأمه :

إذا ولـدتِ عامـرا وعامـرا فقد ولدتِ العدَدَ الجماهـرا
ثم فَضَلْتِ الخُرَّدَ الحرائرا

فولد وابش بن زيد بن عدوان : الحارث بن وابش . وعبس بن وابش . وكَبْلُ بن وابش .

فولد الحارث بن وابش : سعد بن الحارث . ومعاوية بن الحارث . وربيعة بن الحارث ، وهم في الأزد على نسب فيهم .

فولد معاوية بن الحارث : نمير بن معاوية . وغُزَيَّة بن معاوية .
فولد نمير بن معاوية : جابر بن نمير . ورُؤْيَة بن نمير .
وولد سعد بن الحارث بن وابش : خالد بن سعد .

ومن ولده : أبو سَيَّارة ، وهو عُميلة بن الأعزل بن خالد بن سعد ، وكان يدفع بالناس في الموسم في الجاهلية .

قالوا : وصارت الإجازة بعد بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر إلى بني عدوان ، وكان يفيضون بمن في جمع إلى منى ، فكان أبو سَيَّارة آخر من ولي ذلك ، وكان إذا أراد أن يفيض بالناس غداة جمع قال : أنا صاحب الحمار الأسْوَد عَلاَمَ تُحْسَد ، فهلا صاحب الأمور الجلعد ، اللهم اكْفِ أبا سيارة الحسد والنكد ، وقال قائل من العرب :

نحن دفعنا عن أبي سَيَّارة   وعن مواليه بني فزارة
حين أَفَاضَ مُجْرِيَاً حماره   مستقبل الكعبة يدعو جاره

وكان يقال أصح من حمار أبي سَيّارة ويخليه فلا يعرض له أحد ، وعاش حماره أربعين سنة ، فقيل أصح من حمار أبي سيارة .

وذكر بعضهم أنه أول من سنَّ الدية مائة من الإبل .

وولد نَوص : ظالم بن نَوْص . وكامل بن نوص . وعامر بن نوص . والورام بن نوص . وحُسَيْل بن نوص . وأحمر بن نوص . والمُسْتَدرّ وهم كلهم يقال لهم الحِلام .

وولد يشكر بن عدوان : ناج بن يشكر . وبكر بن يشكر . وعباد بن يشكر .

فولد بكر : عوف بن بكر . وخارجة بن بكر . ويُثَيْع بن بكر ، وهم مع ثمالة من الأزد بالحجاز ، وأمهم أم خارجة البجلية .

فولد عوف بن بكر : عدي بن عوف . وعادية بن عوف . وسحيم بن عوف . ووشقة ، رهط يحيى بن يعمر[١] ، كان قاضياً بخراسان ، ويحيى الذي يقول :

أبى الأقوام إلّا بغض قيس وقِدْما أَبْغَضَ الناس المَهيبا

وكان يحيى قارئاً فقرأ : ﴿فأعشيناهم فهم لا يبصرون﴾[٢] بالعين غير معجمة . وقرأ : ﴿تفقد صوغ الملك﴾[٣] بغين معجمة وقال : كان من فضة .

وقال له الحجاج : أتسمعني ألحن في قراءتي ؟ فقال : نعم ، تجعل أنَّ في موضع إنَّ ، فقال له : لا تساكنّي ، ونفاه إلى خراسان فمات بها .

حدثني عبد الرحمن بن صالح الأزدي ، ثنا علي بن عابس عن عبدالله بن عطاء عن أبي حرب بن أبي الأسود قال : أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر العدواني فقال : بلغني عنك أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي تجد ذلك في كتاب الله ، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده . قال : ألستَ تقرأ في سورة الأنعام : ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ حتى بلغ إلى ﴿يحيى وعيسى﴾[٤] . قال : بلى . قال : أفليس عيسى من ذرية

---

١ ـ بهامش الأصل : يحيى بن يعمر .
٢ ـ سورة ياسين ـ الآية : ٩ ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ .
٣ ـ سورة يوسف ـ الآية : ٧٢ ﴿تفقد صواع الملك﴾ .
٤ ـ سورة الأنعام ـ الآيتان : ٨٤ ـ ٨٥ .

ابراهيم وليس له أب ؟ قال : صدقت فأخبرني عني ألحن في القرآن ؟ قال : اعْفني . قال : لتكلمن . قال : انك لتخفض الرفع . قال : هذا وأبيك اللحن السيء وأي داء أدوأ من اللحن ، فأخبرني عن عنبسة بن سعيد أيلحن ؟ قال : ما سمعته تكلم بحرف عَرَبيَّةٍ قط . قال : اخرج فلا تُساكنّي .

قال أبو حرب بن أبي الأسود الدُّيْلي : وكان يحيى تعلم العربية من أبي .

وقال محمد بن سعد : كان يحيى بن يعمر قاضياً بمرو[1] .

وولد عياذ بن يشكر : عمرو بن عياذ .

فولد عمرو بن عياذ : ظَرِب بن عمرو . وحجر بن عمرو . وَلْهْب ، وفي الأزد لِهْب . ووائلة . ورئاب . ومالك . وملكان .

فولد ظرب : **عامر بن ظَرِب**[2] حكم العرب . وثعلبة بن ظرب . وسعد بن ظرب . وعمرو بن ظرب . وصَعْصَعة بن ظرب .

وحُدثتُ أن لعامر بن ظرب في الخُنْثَى حكماً جرى حكم الإسلام به ، وكان حكمه أن يورث من قِبل مَباله ، وحكم بذلك بعده رجل من طيء .

وحرَّمَ عامر بن ظرب الخمر على نفسه في الجاهلية وقال : إن شيئاً يذهب بالعقل ويورث الجنون لحقيق بالترك ، وحكم بالدية بمائة من الإبل ، وفيه يقول الشاعر المتلمس .

---

١ ـ لا ترجمة له في المطبوع من طبقات ابن سعد .
٢ ـ بهامش الأصل : عامر بن ظرب .

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ۔ وما عُلِّم الإنسانُ إلا ليَعْلَمَا[1]

وذلك أنه كبر وعمي ، فكان يُنَبَّه للأمر بأن يُقرع محملٌ أو جفنةٌ ، أو عصا بعصا ، فإذا سمع تَنَبَّه .

وحدثني عبدالله بن صالح المقرىء عن ابن كناسة قال : كان لعامر بن ظرب كلام ينسبه بعض الناس إلى أكثم بن صيفي منه قوله : أفضل العلم ما أرشدك ، وأفضل المنطق ما بلغت حقيقته ، وقوله : المعبّرة كثيرة والاعتبار قليل . وقوله : مَنْ صَحِبَ الزمان رأى الهوان ، في كل عام سقام حاضر ، ومع كل خبرة عبرة ومع كل فرحة ترحة ، والمصائب خلال النعم ، ومن المَأْمَنَةِ يُؤتى الحَذِرُ ، ومن عاش كبر ومن كبر أنكر نَفْسَهُ وعَيْشَهُ .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان النخع وثقيف بن إياد بن نزار[2] : فثقيف قُسَيٌّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيْت بن أَفعَى بن دُعمى بن إياد ، والنخع بن عمرو بن الظميان بن عوذ مناة بن يقدم بن أفعى ، فخرجا ومعهما عنزٌ لبونٌ يشربان لبنها ، فعرض لهما مُصَدق ملك من ملوك اليمن ، فأراد أخذها فقالا : إنا نعيش بدرِّها . فأبى فرماه أحدهما فقتله ، ثم قال لصاحبه : لا تحملني وإياك أرضٌ ، فأما النخع بن عمرو فمضى إلى بَيْشَةَ فأقام بها ، ونزل قسي موضعاً قريباً من الطائف ، فرأى جارية ترعى لعامر بن ظرب العدواني ، فطمع فيها وقال : أقتلُ الجارية وآخذ الغنم . فأنكرت الجارية منظره فقالت له : إني أراك تريد

---

١ ـ ديوان المتلمس ص ٢٦ .

٢ ـ في معجم البلدان : كانا ابني خاله . معجم البلدان ـ مادة طائف .

قتلي وأخذ الغنم ، هذا شيء إن فعلته قُتلتَ وأُخذت الغنم منك ، وأظنك غريباً خائفاً ، فدلَّتْهُ على مولاها عامر بن ظرب فأتاه واستجار به فأجاره وزوجه ابنته ، وأقام بالطائف معه فقيل : لله دره ما أثقفه حين ثقف عامر إذ أجاره .

وكان قد مر بيهودية بوادي القُرى حين قتل المَصَدَّق فأعطته قضبان كَرْمٍ فغرسها بالطائف فأطعمت ونفعته .

وقال أبو اليقظان : كان عامر حكماً في الجاهلية . وكانت عمرة ابنته أم عامر بن صعصعة : وكانت ابنة له أخرى عند قسي بن مُنَبِّه ، وكانت ابنة له أخرى عند عامر بن عوف من كلب .

وقال أبو اليقظان : كان المَصَدَّق يكنى أبا رِغال فرماه ثقيف فقتله . قال : وعامر بن ظرب أنزل ثقيفاً الطائف .

قال بلعاء بن قيس الليثي من كنانة :

لعمرك ماليثُ وإن كنت منهم بتاركة ليث خلافي وعصياني
وَهُمْ أَسْلَمُوني يومَ ذي الرِّمت والغضا وهم تركوني بين هَرْشَى وَوَدَّان
وهم أخرجوا من كل بيتين سَيِّداً كما كَثُرتْ ساداتُها قبل عَدْوان

وعمرو بن ظرب القائل :

أرى شعرات على ِ حلَيتي بيضاً نَبَتْنَ جميعاً تؤاما
أظل أهاهي بهنَّ الكلاب أحسبهنّ صَوَاراً قياما
وأَحْسَب أنفي إذا ما مشيت شخصاً رآني أمامي فقاما

وولد سعد بن ظرب : عوف بن سعد ، وإليه يُنسب العوفيون بالكوفة ، رهط عطية العَوْفي الفقيه ، وكان في زمن الحجاج يتشيَّع ،

والعوفي القاضي الذي كان مع هارون الرشيد أمير المؤمنين واسمه حسين بن الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة بن عوف .

وقال الشرقي : هو جنادة بن دينار بن عوف ، وهم لا يذكرون ديناراً ، وتوفي عطية بن سعد العوفي في ولاية خالد بن عبدالله القسري . قال أبو اليقظان : كان عطية مولى لبني عوف ثم انتموا إلى العرب .

ومن بني ثعلبة بن ظرب : ذو الإصبع الشاعر[1] ، وهو حرثان بن مُحرِّث بن الحارث بن شَباب بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب .

ويقال حرثان بن حارثة بن الحارث بن ثعلبة بن ظرب ، وهو الذي يقول فيما وقع من الاختلاف والتحارب بين عَدوان في قصيدة له أولها :

وليس المرء في شي ... مع الامرار والنقض
غدير الحي من عدوا ... ن كانوا حَيَّةَ الأرض
بغى بعضهم بعضاً ... فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادا ... ت والمُوْفُوْنَ بالقَرْضِ
ومنهم حكم يقضي ... فلا يُنقضُ ما يقضي
وهمُ من ولدوا فاز ... بسر الحسب المحض
وهم بَوَّوا ثقيفاً دا ... ر لا ذُلٍّ ولا عضٍّ[2]

وذو الإصبع القائل لابنه :

أأَسَيْد إنْ مالاً ملكـ ... ـت فَسِرْ به سيراً جميلاً
آخ الكرام إن استطعـ ... ـت إلى إخائهُمُ سبيلا

١ ـ بهامش الأصل : ذو الاصبع الشاعر .
٢ ـ انظر الأغاني ج ٣ ص ٨٩ ـ ٩٢ . شعراء النصرانية ص ٦٢٥ ـ ٦٢٧ .

صاحبتَ أقواماً مماقيتا يَمنُّونَ القليلا
إن يَبْخَلوا فَعَسَى وإن يُعْطُوك لا يُعْطُوا جَزيلا
أَهِنِ اللئام ولاتكُن لهواهُمُ جَمَلاً ذَلُولاَ
إن الكرام متى تؤاخِيْـ ـهِمْ تجد لَهُمُ فُضُولا
وابسط يمينك في الندى وامْدُدْ لها باعاً طويلا(١)

في أبيات . وقال ذو الإصبع يرثي الحارث بن زهرة بأبيات فمنها قوله :

لعمري لقد أعلن الناعيان بالحارث الهالك المُنْفَسِ
بِسَمْح الخليقة طَلْقِ اليدين زين العشيرة والمجلس

وولد ناج بن يشكر بن عدوان : عبس بن ناج . ورُهم بن ناج . ووِدّ بن ناج . وعمرو بن ناج .

فولد عمرو : واثلة بن عمرو ، رهط أبي عبدالله الجدلي ـ الذي كان مع ابن الحنفية ، واسمه وكنيته واحد ، ابن عبدالله بن أبي يعمر بن حبيب بن عائذ بن مالك بن واثلة بن عمرو بن ناج ، وقد ذكرنا خبره فيما تقدم .

وولد رُهم بن ناج : جذيمة بن رهم . وعلي بن رهم . وثعلبة بن رهم .

فَوَلَدُ جذيمة كلهم بنو كُنَّة ، وهم مع بني كنة الذين في ثقيف ، وكُنَّة امرأة من الأزد من ثمالة وهي أمهم .

١ـ الأغاني ج ٣ ص ٩٩ ـ ١٠٠ . شعراء النصرانية ص ٦٣٢ ـ ٦٣٣ مع فوارق .

وولد ثعلبة بن رهم : الدرعاء بن ثعلبة . والحارث بن ثعلبة . وعوف بن ثعلبة .

وولد علي بن رهم : سعد بن علي .

فولد سعد : عمرو بن سعد . وعائش بن سعد . وأنس بن سعد . وعدي بن سعد .

فولد عمرو : ناصرة بن عمرو . رهط : **معبد بن خالد** بن ربيعة بن مُرَيْر بن جابر بن ناصرة ، الذي يقال له مَعْبد الطريق ، كان ناسكاً فصيحاً ، وكان بنو مروان ولُّوه الطريق يمنع الميرة أن تأتي ابن الزبير . قال الشاعر :

اذهبْ اليك فإني من بني أسدٍ ومن جديلة قيس مَعْبَد الطرق

وقال أبو اليقظان : كان على الطرق زمن زياد ، وابن زياد ، وكان بعد ذلك يقص لخالد القسري ، والأول قول ابن الكلبي .

والمِدْلاج . **ومالك** . **وثقف** . **وصفوان بنو عمرو** : من بني حجر بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان ، شهدوا بدراً مع النبي ﷺ ، وهم حلفاء لبني عمرو بن دُودان بن أسد .

وكان الواقدي يقول مدلاج بن عمرو سُلَمي ، والأول قول الكلبي وهو أثبت .

وقال الواقدي: شهد مدلاج المشاهد كلها مع النبي ﷺ ومات سنة خمسين .

وقال الواقدي : أسلم ثقف بن عمرو بن شميط أخو مدلاج ، وشهد بدراً وأحداً ، والخندق ، والحديبية ، وخيبر ، وقتل بخيبر شهيداً سنة سبع

من الهجرة ، قتله أسير بن رِزام اليهودي .

وقال الواقدي : أسلم مالك بن عمرو أخوهما ، وشهد بدراً وأحداً ، وجميع المشاهد مع النبي ﷺ واستشهد باليمامة سنة اثنتي عشرة .

وقال الكلبي : هم من بني عدوان .

وقال أبو اليقظان : من عدوان **الفضيل بن مروان** ، كان فاضلاً خيراً ، من أهل الكوفة ، فبعث إليه الحجاج بن يوسف فقال : إني أريد أن أُوَلِّيكَ . فقال : أو تعفيني أيها الأمير ، فأبى وكتب له عهده ، فقبضه من عنده فرمى بالعهد وهرب فطلبه فأُخذ وأُتي به الحجاج فقال : يا عدو الله فقال : لست لله ولا للأمير بعدو . فقال : ألم أكرمك ؟ قال : بل أردت أن تهينني . قال : ألم أستعملك ؟ قال : أردت أن تستعبدني . قال : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصلّبوا أو تقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض﴾[1] . قال : ما استوجبت واحدة منهن ، قال : كل ذلك قد استوجبت بخلافك أميرك ، وأمر رجلاً من أهل الشام فضرب عنقه .

وقال بعضهم : ألقى عهده وخرج إلى ابن الأشعث .

قال ومنهم : **محمد الخارجي** القائل :

أجمعتَ مالاً ثم أنتَ مُوكَّلٌ حتى الممات بحب ما لم تجمع

وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذا البيت كثيراً .

وقال بعض الشعراء :

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٣٣ .

أتجمعني والخـارجيّ محمـداً وكأنك في جمع الرجال جرير

يعني جرير بن عطية الخطفى حين يقول :

لما وضعتُ على الفرزدق ميسمي وضَغَى البعيثُ جَدَعْتُ أنف الأخطل[١]

قال ومن بني وابش رجل يقال له **النابغة** ، وكان شاعراً ، وكان يهجو الفرزدق .

قال : ومن بني ناج ذو الأصبع وهو حرثان بن حريث وكان شاعراً جاهلياً وهو القائل :

أَبَعْدَ بني ناجٍ وما كان منهم فلا تُتْبِعَنْ عينيك من كان هالكا
إذا قلتُ معروفاً لأصلح بينهم يقول وَهيْبَةُ لا تعاطنَّ ذلكا
فأضحوا كظهر العَوْد جُبَّ سنامه يُطيفُ به الولْدان أَحْدَبَ باركا[٢]

وذو الاصبع القائل في قصيدة له :

ولولا أياصر قُرْبَىٰ لَسْتَ تحفظُها ورهبةُ الله فيمن لا يُعاديني
لقد بريتك برياً لا انجبار له أني رأيتك لا تَنْفكُّ تَبْريني
إن الذي يقبض الدنيا ويبسطها إن كان أغناك عني سوف يغنيني
ماذا عليّ وإن كنتم ذوي رحمٍ ألا أحبُّكُمُ إن لم تُحبُّوني[٣]

وقال ذو الإصبع :

ذَهَب الذين إذا رأوني مَقبلاً بَشُّوا وقالوا مرحبـاً بالمقبـل

---

١ ـ ديوان جرير ص ٣٥٧ .
٢ ـ شعراء النصرانية قبل الإسلام ص ٦٣٥ .
٣ ـ ديوان المفضليات ـ ط . بيروت ١٩٢٠ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ .

وهم الذين إذا حملتُ حمالةً   فلقيتهم فكأنني لم أحمل
وغبرتُ في خَلف كأن هريرهم   ولغ الكلاب تهارشتْ في المنزل

وقال أيضاً :

وما المرء إلاّ بإخوانه   كما يقبض الكف بالمعصم

وقال أسيد بن ذي الاصبع في الحنطة :

صفراء مثل عقب الأوتار   جاءت بها ساقطة التجار
نِعْمَ طعام التاجر الممتار

وَوُهَيْب قبيلة خرجت من عدوان ، يقال انهم الخُلْج الذين في قريش ، وكانت عدوان كثيرة السادة فبغىٰ بعضهم فتحاربوا وتفرقوا .

قال: وقال رجل من ثقيف لرجل آخر من ثقيف، أخواله من بني رهم بن ناج وكان أخوال القائل بنو أمية :

ألا من مبلغ عثمان عني   فإني قد مررت بذات حاج
أأُمٌّ خليفة الرحمن خالي   وأُمكَ من بني رَهم بن ناج

قال: ومن عدوان : **عبدربه** ، قدم البصرة فانطلق به رجل يقال له مِلْحان إلى فاسقة يقال لها الزُرافة ، فلقيه حروري فضربه بالسيف فقال الفرزدق :

حسبتَ الحروري الزرافة ساقها   إليك ابن ملحان الذي أنت صاحبُه
أتىٰ وُدن عبدٍ والزِّنَاءُ مُحَكَّمُ   بذي طُبَعٍ لم تَنْبُ عنه مَضَاربُه[1]

فأجابه عبدربه العدواني فقال :

١ - ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .

لعمرك إنَّ القَيْنَ قَيْنَ مُجَاشعٍ يُعيِّره أيَّامُهُ ومَعَائِبُهُ
فلو غَيْرُهُ إذ عَابني عَيَّرَ الزنا عَذَرْتُ ولكنْ في الزنا طَرَّ شَارِبُه

قال ومن عدوان : **شَجَرَة** ، كان فارساً سيداً زمن معاوية ، وهو صاحب قَزوين .

قال ومن عدوان : **عبد الصمد بن ثابت** كان والياً على الري ، وكان شريفاً سيداً .

قال وكان الشَّنْفَرى من عدوان فانتقل إلى الأزد .

قال : وقال ذو الاصبع في قومه :

أطاف بنا رَيْبُ الزمان فَجَاسَنا له طائف بالصالحين يضير
إذا قرعت فينا صَوَائبُ نَبْلِهِ صَعِدْنَ إلى أُخرىٰ فقُلْنَ نصير
فما إنْ لنا نصفٌ فيأخذ حقنا وما ان على ريب الزمان مجير
وما هو إلا خادع غير معتبٍ وجَلْدٌ على ريب الزمان صبور
قليلُ تَشَكِّي الدهر حين ينوبه سواءٌ عليه كآبة وسرور

وذو الاصبع القائل في قصيدته التي أولها :

نَادِ المنازل هل تجيب أَنَّىٰ وليس بها غريب
والمرء إن كان ذا مرجوع يوماً سيحكمه التجريب
والدهر في صرفه أمور يعرفها العاقل اللبيب
ما الفضل فيما تُريك عَيْنٌ بل هو ما تُضْمِر القلوب
لا يُعْوِزُ الشر من بَغَاهُ والناس من سَبِّهم سبوب
والموت في بعضه رَوَاحٌ والعيش في بعضه تعذيب

لـكــل ذي شَقَّــةٍ إيــابٌ وغــائب المـوت لا يــؤوب
وفي الجـديـدين كــل يـوم لكــل ذي مــدة تقــريب
قومك اصلحْ ودَعْ سواهم يــومــاً لـنــائبــة تـنـوب

وما أكثر اضطراب هذا الشعر .

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب فَهْم بن عَمْرو

وولد فهم بن عمرو بن قيس بن عَيْلان : قين بن فهم . وسعد بن فهم . وعائذ بن فهم .

فولد قين بن فهم : عمرو بن قين . وعدي بن قين . والحارث بن قين .

وولد سعد بن فهم : تيم بن سعد . وكعب بن سعد . وطرود بن سعد .

منهم : **أعشى طرود** الشاعر الذي يقول أو بعض ولده :

وإنِّي في المَوَاطنِ غير لَاعٍ[1] ولا مُتَهيِّبٍ قَحْمَ النِّزَالِ

وحرب بن سعد .

فولد حرب : كعب بن حرب .

فولد كعب بن حرب : بَلْبَلَة بن كعب . وعدي بن كعب . وخَلاوة بن كعب .

---

١ ـ اللعو : الفسل . القاموس .

وولد تيم بن سعد : الحارث بن تيم . وثعلبة بن تيم . ومَسَّاب بن تيم . وحرب بن تيم .

منهم : تأبط شراً[1] الشاعر ، وهو ثابت بن جابر بن سفيان بن عدي بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم الشاعر ، وإنما سمّي تأبط شراً لأنه أقبل وقد حمل أفاعٍ في جونة وجعلها تحت إبطه فقالت أمه : لقد تأبط ابني شراً .

ويقال سمي لقوله :

تأبط شراً ثم راح أو اغتدىٰ يُوائم غُنْماً أو يَشُفُّ على ذَحْلِ

وكان يمشي ويغير على العرب ويعدو فلا تسبقه الخيل ، وهو القائل ـ وأكمَنَ له قوم من الأزد قوماً فهرب ـ في أبيات :

أُحُثُّ ثلاثاً نصف يـوم وليلة وأنت مريحٍ عند بيتَك أَرْوَعُ
ولو كان قـرن واحد لكفيتـه وما كان لي في القوم إذ حدثُ مطمع

وعَلقَ تأبط امرأة من فهم يقال لها الزرقاء ، وكان لها ابن من هُذَيل ، فأحبها تأبط وأحبته ، وكان يقال لابنها عمرو ، فقال لأمه : من هذا الذي يدخل عليك ؟ قالت : عمكِ كان صاحباً لأبيك . فقال : دعيني من هذا فوالله لئن رأيته عندك لأقتلنك . وكان الغلام قد قارب الحلم فلما رجع إليها تأبط شراً أخبرته خبر عمرو وقالت : إنه شيطان ما رأيته قط ضاحكاً . ولاهَمَّ بشيء مذ كان إلاّ فعله ، ولقد حملته فما رأيت عليه دماً حتى وضعته ، فاقتله فأنت والله أَحبُّ إلي منه . فمر به تأبط وهو يلعب مع الصبيان فقال :

---

١ ـ بهامش الأصل : تأبط شراً الشاعر .

يا بن أخي انطلق معي أَهَبُ لك نَبْلًا ، فمشى معه شيئاً ، ثم قال : لا حاجة لي في نبلك . ثم لقي تأبط أمه بعد فقال : والله ما أقدر عليه . واجتنب تأبط الزرقاء سنوات ثم قال له تأبط : يا بن أخي هل لك في الغزو ؟ قال : نعم . فخرج معه غازياً بلاد الأزد لا يرى له غرَّةً حتى مَرَّ ليلاً بنار هي نار ابنيّ أم قرْفة الفزاريين وكانوا في نجعةٍ فلما عرف تأبط لمن النار ، وعرف شرارة من عليها ، أكبَّ على رجله وقال للغلام : إني قد لُدغْتُ وأخذ برجله وصاح : واثكلاه النار النار ، فخرج الغلام يهوي حتى أتى النار فوثب عليه ابنا أم قرفة فقاتلهما جميعاً فقتلهما ، ثم أخذ جذوة من النار ، وأقبل نحو تأبط فلما رأى تأبط النار يهوي بها نحوه ظنَّ أن الغلام قد قتل واتبعوا أثره ، ووافاه الغلام ومعه النار وقد اطَّرد إبلًا لابني أم قرفة فقال لتأبط : لقد غررت بي مُذِ الليلة ، فقال له : إني ظننت أنك قد قُتلت . فقال : لا والله ولكني قتلت الرجلين . ويقال أن الرجلين ابنا قترة من الأزد ، قال تأبط : فالهرب من موضعنا ، فأخذ به تأبط غير الطريق فقال له : قد ضللنا ، ولم يلبث أن رجع إلىٰ الطريق وماسلكها قط ثم نام . قال تأبط : فرميت بحصاة فانتبه وقال : أسمعتَ ما سمعتُ ؟ قلت : نعم ، فقمنا نطوف بالإبل ثم فعلت مثل ذلك مرات ، فلما كان آخرمرة غضب وقال : فوالله لئن أيقظني شيء كائن ما كان ليموتَنَّ أَحدُنا فتركته فنام حتى إذا استيقظ قال : ألا تنحر جزوراً فنأكل منها ؟ قلت : بلى ففعلنا ذلك وأكلنا ، ثم سرنا وأراد الغائط فأبْعَدَ فأبطأ عليَّ جداً فاتَّبعْتُ أثره فأجده مضجعاً على مذهبه وإذا رجله منتفخة كأنها زقّ ، وإذا هو ميت ، وإذا هو قابض على رأس أسود ، وإذا هو والأسود ميتان . فقال تأبط يرثيه :

ولقد سَرَيْتُ على الظلام بمغشم | جَلْدٍ من الفتيان غير مُثَقَّل
مِمَّنْ حَمَلْنَ به وَهُنَّ عَواقِدٌ | حَبْكَ الثياب فَشَبَّ غير مهبل
حَمَلَتْ به في ليلةٍ مَزْؤودةٍ[1] | كُرْهاً وعَقْدُ نطاقها لم يُحْلَلِ[2]
جاءَتْ به حوش الجنان مُبَطَّناً | سُهُداً إذا ما نام ليل الهَوْجَلِ[3]
وإذا رميتَ به الفجاج رأيتَه | يهوى مخارمها هُوِيَّ الأجدل[4]
وإذا طرحتَ له الحصاة رأيته | ينزو لوقعتها طمور الأخيل[5]

وقد يقال ان أبا كبير الهذلي كان خِدْناً لأم تأبط شراً فقالت : إني أخاف هذا الغلام على نفسي وعليك فاقتله فجعل يطلب غُرَّتَهُ فإذا نام فرمى بحصاة وثب كأنه ليث ، وأن أبا كبير قال فيه هذا الشعر حين قتلته هُذَيل والله أعلم .

وخرج تأبط شراً ومعه الشَّنْفَرَى الأزدي وآخر وهم يريدون بجيلة ، فمروا بماء لهم فلما عرفوا تأبط طلبوه وعدا ففاتهم وقال قصيدة يقول فيها :

إني إذا خلة ضَنَّت بنائلها | وآذنتْ بضعيف الحبل حَذَّاق
نجوتُ منها نجائي من بُجَيلَة إذْ | طرحتُ ليلةَ ذاتِ الرَّهْطِ أرباقي

---

١ ـ مزؤودة : فزعة .

٢ ـ أراد أن أمه أعجلت عن حل نطاقها للجماع ، أي لم تكن متأهبة فتحل عقد نطاقها أو تأتي الفراش ، ولكنها فوجئت وأكرهت فسبق ماء الرجل وغلب ، فخرج الولد مذكراً لاحظ فيه للتأنيث ، والعرب تزعم ذلك وتتواصف به : حماسة أبي تمام ص ٢٨٠ .

٣ ـ الحوشِ فيما تزعم العرب : إبل الجن . والمبطن : الخميص البطن ، والهوجل الثقيل .

٤ ـ الأجدل : الصقر .

٥ ـ الطمور الوثب ، والأخيل : طائر الشقراق ، وهو ينزو في مشيه ويحجل كالغراب . شرح حماسة أبي تمام ص ٢٨٠ ـ ٢٨٢ .

كأنما حَثْحَثُوا حُصّاً قَـوادمُهُ	أو أم خِشف بذي شَثٍّ وطُبَّاقِ(١)
لاشيء أجودُ مني غير ذي نجَم	أو ذي كدُومٍ على العانات شَهَّاق
ولا أقول إذا ما خُلَّةٌ صَرَمَتْ	يا ويح نفسي من وَجْدٍ وإشفاق
يا صاحبَّي وبعض اللَّوْم مَعْنَفَةٌ	وهل متاعيَ إنْ أَبْقَيْتُهُ باقِ
إني زعيمٌ لئن لم تتركوا عَذَلي	إن يسألوا بي حَيّاً أهل آفاق
إن يسألوا بي حياً أهل مَشْسَعَةٍ	ولايحدثكم عن ثابت لاقِ(٢)

وخرج تأبط حتى أتى بلاد بجيلة ، ورأى ناراً فقصد نحوها ، وإذا عليها رجل وامرأة جميلة فهويها ، وسأل القِرى فقراه زوجها ، ثم إنه اغْتَره فقتله وأخذ امرأته وقال :

بـحليـلةِ البـجـليِّ بِتُّ بـليلةٍ	بـين الإزار وكشْحِهَـا المتنـطِّقِ
وإذا تقــوم فصعـدةٌ في رملة	لَبَدَتْ بماء غـمامة لم يُغْـدقِ(٣)

وقال تأبط شراً لقومه ، وكان شريراً : إني قد جَرَّبْتُ الناس والأمور فما رأيت الدَّعَةَ إلا ذِلَّةً ، وما رأيت خيراً في إقامة ، فإن من أقام نُسيَ ، ومن كان ذا شرٍّ خُشي ، ومن أطعم الناس أكرم ، وللباطل يوم انوهَ ، وللحق من كل نصيب ، ولولا أكل القويِّ الضعيفَ لجاعَ ، وكُلْ أكيلتك قبل أن يأكلها غيرك .

---

١ ـ حثحثوا من الحث . والأحص : الذي تناثر ريشه وتكسر ، وأم خشف ظبية : والشث والطباق من نبت السراة .
٢ ـ ديوان المفضليات ص ٢ ـ ١٩ .
٣ ـ الأغاني ج ٢١ ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

قالوا : وخرج تأبط شراً في نفر من قومه ، حتى عرض لهم أهل بيت من هذيل فقال : اغنموا هذا البيت أولاً ، وأتتْ ضَبُعٌ عن يساره فكرهها فقال : ابشري أشبعك غداً ، فقال له بعض أصحابه : أراها بائن وأنت تلعب ، فلما كان في وجه الصبح وقد عَدَّ أهل ذلك البيت على النّار ، فعرف مبلغ عددهم ، شد عليهم ، وفيهم غلام دُوَيْنَ المحتلم ، فسند في الجبل ، وَعدا تأبط على القوم فقتل وأصحابه شيخاً وعجوزاً ، وحازوا جاريتين وإبلاً ، ثم قال : ما فعل غلام كان معكم ؟ فقيل : سند في الجبل فأتبع تأبط أثره ، فقال أصحابه : ويلك دَعْهُ فأبى واستدرأ الغلام بقتادة[١] إلى صخرة ، وأقبل تأبط فقصَّ أثره فَفَوَّق له الغلام سهماً حين رأى أنه لا ينجيه شيء وأمهله حتى إذا دنا منه قفز قفزة على الصخرة ، وأرسل السهم ، فأصاب صدره فَقَصَدَ قَصْدَهُ وهو يقول : لابأس ، فقال الغلام : لابأس ، أما والله لقد وضعته بحيث تَكْرَهُ . وغَشِيَهُ تأبط بالسيف فجعل الغلام يلوذ بالقتادة ، ويضربها تأبط بحشاشة نفسه ، حتى خلص إلى الغلام فقتله ، ثم نزل إلى أصحابه مثخناً يجر رجله فقالوا له : مالك ؟ فلم يجبهم ومات في أيديهم ، فانطلقوا وتركوه فجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات فاحتملته هذيل فطرحته في غار ، فقالت ريطة أخته وهي متزوجة في بني الديل :

نِعْمَ الفتى غادرتمُ بِرَجْوَانْ[٢] بثابتِ بن جابرِ بن سفيان

---

١ ـ القتادة : شجرة صلبة لها شوك كالأبر وجناة كجناة السمر ، تنبت بنجد . معجم أسماء النباتات .

٢ ـ كذا بالأصل وضبطه صاحب القاموس «رُخمان» وكذلك فعل ياقوت في معجمه .

وقال مُرَّةَ بن خليف الفهمي يرثي تأبط شراً :

إن العزيمة والتعداء قد ثَـويَا أكفان مَيْتٍ ثوى في غار رَجْوان
الَّا يكن كرْسُفٌ كَفَّنْتُ أجودَه ولا يكن كفنٌ من ثوبِ كتَّان
فأنتَ حُرٌّ من الأحـرار ألبَسَهُ ريشُ السَدَى والنَّدى من خير أكفان[1]

وقالت أم تأبط تبكيه : وا ابناه ، وا ابن الليل ، ليس بزُميل[2] ، شروبٌ للقَيْل ، مقرب الخيل يعوضُ بالقَرْن يوم الهَوْل . وا ابناه ليس بُعلفوف[3] ، يَلُفُّهُ هوف[4] كأنما خُلق من صُوف .

وحدثني أبو عبد الرحمن الهذلي قال : كان تأبط كثير السفر ، فلقيت هذيل منه برحاً ، فأرصدوا له وكثروا فقتلوه ، وقال الكلبي : وأخوه حُذَر .

وقال غيره : كان لتأبط شراً أخ يقال له ريش لغب بن جابر بن سفيان ، وسمي ريش لغب بقوله :

متى أَدْعُ من فَهْمٍ وعَدوان يأتني فوارسُ منَّاعُون قاصية الشَّربِ
على كل منسافٍ إذا الخيل سُوِّمَتْ يُبادِرْنَ غُنْماً أو يُنجِّينَ مِن كَرْبِ
وما ولدت أمي من القوم عاجزاً ولا كان ريشي من ذُنَابَى ولا لَغْبِ
ولا كنت فَقْعَـاً نائيـاً بقـراره ولكنني أُنمى إلى عَطَنٍ رَحْبِ

وكان يقال له عمرو :

١ ـ الأغاني ج ٢١ ص ١٦٨ . والكرسف : القطن .
٢ ـ الزميل : الجبان .
٣ ـ العلفوف : الجافي المسن ، والشيخ اللحيم المشعراني ، والعجوز . القاموس .
٤ ـ الهوف : الريح الحارة . والريح الباردة الهبوب ، والرجل الخاوي الذي لا خير فيه . القاموس .

ومن بني فَهْم : بنو يَعْمُر ، ولهم يقول مُرَّيْر بن جابر :

قتلتُ عُميراً في فوارس يعمر ثمانية مثل الأسود الخوادر

وهو يعمر بن كثير بن عوف بن سعد بن الظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر ، وكانوا حلفاء لبني ناج ، وسعد بن الظرب أخو عامر بن الظرب .

وقال ابن دأب: قال جابر بن سفيان أبو تأبط شراً ـ والكلبي يقول جابر بن سفيان بن عدي ، وغيره يقول سفيان بن عميثل بن عدي في يوم الفيل ـ :

أتانا راكب فَنَعَى أناساً وعباساً وناساً آخرينا

أقمنا بالمَغَمَّس نصف شهرٍ ويحزوهم بها متجاورينا

وقال ابن دأب : أم تأبط شراً أميمة الفهمية ، من بني قين ، ولدت خمسة نفر : تأبط شراً ، وريش نَسْر وهو عمرو ، وريش لَغْب . ولَغْب حُذَر ولا بواكي له .

ومن فهم : جابر بن أبي حبيب رثته ابنته حَيَّة فقالت :

فَبَكّي حابر بن أبي حبيبٍ إذا الأَضْيَافُ لم يجدوا عَيُوفا

وقال أبو اليقظان : لقي تأبط شراً الغول فقتلها ، وهو القائل :

فيوماً بغزّاء ويوماً بِسُرْبه ويوماً بجشجاشٍ من الرجل هَيْصَل

يقول بجيش عظيم له صوت .

نسب بني خَصَفَة بن قيس

وولد خَصَفَة بن قيس : عكرمة بن خَصَفَة ، وأمه ريطة بنت وبرة أخت كلب ، ومحارب بن خَصَفَة ، وأمه هند بنت عمرو بن ربيعة بن نزار .

فولد عكرمة بن خصفة : منصور بن عكرمة . وملكان بن عكرمة ، وهو أبو مالك . وعامر بن عكرمة وهم في تيم الله وفيهم يقول التيمي :

أعامر لا من أسرة الحي أنتم ولا نَسَب في قيس عيلان ثابت

وسعد بن عكرمة ، وأمهم تَعِلّة بنت قيس .

فولد منصور بن عكرمة : هوازن بن منصور . ومازن بن منصور وأمهما سلمى بنت غني بن أعصر .

وسليم بن منصور . وسلامان بن منصور ، وأمهما تكمة بنت مُرّ بن أدّ .

فولد هوازن : بكر بن هوازن . وحرب بن هوازن . وسَبْع بن هوازن درجوا ، وأمهما هند بنت جعدة بن غني .

فولد بكر بن هوازن : معاوية بن بكر ، وزيد بن بكر قتله أخوه معاوية فَوَدَاه عامر بن ظرب بمائة من الإبل ، وإنما جعلها مائة لعظَم الإبل

عندهم وليتناهوا عن الدماء ، فهي أول ديَة كانت في العرب مائة من الإبل حكم بها عامر بن ظرب فجرى ذلك إلى اليوم ، وأمهما عاتكة بنت سَعْد بن هُذَيل بنُ مدركة .

ومُنَبِّه بن بكر . وسعد بن بكر وهم الذين أرضعوا النبي ﷺ ، وأمهما بنت عَوذ مناة بن يَقْدم بن دُعمى بن اياد .

فولد معاوية بن بكر : صعصعة بن معاوية . ونصر بن معاوية . وحَوش بن معاوية . وجحاش بن معاوية ، وأمهم رقاش بنت ناقم ، وهو عامر بن جَدَّان بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

وجُشَم بن معاوية وأمه مليكة بنت جُشم بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . وشيبان بن معاوية وأمه عُشَيْنَة ، بها يعرفون .

وعوف بن معاوية وهم الوَقَعَة الذين ذكرهم الأسدي فقال :

يا أُختَ ذَحْوَة أو يا أُختَ إخوتهم   من عامر وسلولٍ أو من الوَقَعَه

والوقَعَة مع بني عمرو بن كلاب .

والسَّبَّاق بن معاوية . والحارث بن معاوية . وذَحْوَة بن معاوية . وذُحَيَّة بن معاوية ، أمهم عاتكة بنت حرب بن هوازن لم يلد حرب غيرهم .

وقال ابن الكلبي : قال شرقي : هو الوَقْعَة ، والقتيل الوقَعَة .

فولد صعصعة بن معاوية : عامر بن صعصعة . ومازن بن صعصعة . وعائذ بن صعصعة . ووائل بن صعصعة وأمهم عمرة بنت عامر بن ظرب العدواني .

وغالب بن صعصعة ، وأمه غاضرة بها يعرف .

وقيس بن صعصعة . وعوف بن صعصعة . ومساور بن صعصعة . وسَيَّار بن صعصعة . ومشجور بن صعصعة ، وأمهم عُدَيَّة بها يعرفون .

وكبير بن صعصعة . وعمرو بن صعصعة . وزبينة ، وأمهم وائلة بها يعرفون .

وعبد الله بن صعصعة والحارث بن صعصعة ، وأمهما عادية بها يعرفون .

وربيعة بن صعصعة وأمة عُوَيصرة بها يعرفون .

نسب بني مُحَارب بن خَصَفَة

فولد محارب بن خصفة : جسر بن محارب وأمه كاس بنت لكيز بن أفعى بن عبد القيس .

وخلف بن محارب ، وأمه هند بنت عمرو بن قيس .

فولد جسر بن محارب : علي بن جسر .

فولد علي : عميرة بن علي . والهُون بن علي .

فولد عَميرة : بكر بن عميرة .

فولد بكر : زيد بن بكر . ومُرّ بن بكر . والحارث بن بكر .

فولد زيد بن بكر : عوف بن زيد . وعامر بن زيد . ومالك بن زيد .

فولد عوف : عبد بن عِوف . وسعد بن عوف .

فولد عبد بن عوف : شَكْم .

فولد شَكْم : بغيض بن شكم . ويَقَظَة بن شكم . وربيعة بن شكم .

ومنهم : **عائذ بن سعيد** بن جندب بن جابر بن زيد بن عبد بن الحارث بن بغيض ، وفد على النبي ﷺ .

من ولده : **لقيط المحاربي** ـ الراوية ـ ابن بكير بن النضر بن سعيد بن عائذ بن سعيد بن جندب ، وكان بكير أبوه صدوقاً عالماً ، وقد حدثني العمري صاحب الهيثم عن لقيط .

ومنهم : **سَهْم بن مُرَّة** بن عبد بن الحارث بن بغيض ، وقد رأس .

وولد ربيعة بن شكم : حبيب بن ربيعة . وأحب بن ربيعة . ومحب بن ربيعة .

منهم : **شريك بن غانم** بن عامر بن أسعد بن حبيب بن ربيعة ، كان شريفاً بالكوفة ، وهو بيتهم .

وولد سعد بن عوف : الحارث بن سعد .

منهم : **رزين بن مالك** بن سلمة بن ربيعة بن الحارث بن سعد ، وفد على النبي ﷺ .

ونملة بن عامر الذي رَدَّ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عن هدم دُوْر جَسْر ، وضمن له عنهم الإنابة ، وألَّا يأتيه مكروه منهم .

ومنهم مُطَهّر بن شيخ بن صخر بن قَرْدَد بن سعد بن أَحَبّ بن ربيعة الشاعر .

وولدمُرّ بن بكر : معاوية بن مر . وجشم بن مر . وعبد بن مر .

منهم يزيد بن هبيرة[1] بن أُقيش بن جذيمة بن كَلَتَة بن خُفاف بن معاوية بن مُرّ بن بكر ، كان شريفاً وقد ولي ولايات ، وهو أبو داود الذي يقول له عبد الله بن الحجاج الثعلبي ـ من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان :

---

١ ـ بهامش الأصل : يزيد بن هبيرة .

لتذهب إلى أقصى منادَحها جَسْرُ   فليس إليها في مباعِدة قَفْرُ
رأيت أبا داود في مُحْدَثَاتها   زعيماً على قيس لقد أَبْرَحَ الدهر
يَقُودُ الجياد المسبقاتِ كأنما   نَماهُ زهيرٌ للرئاسة أو بدر

وولي يزيد بن هبيرة اليمامة لعبد الملك بن مروان ، وله يقول جرير بن عطية الخطفى :

وأرى الإمام إذا تبين ناكثاً   أو ناكثين رماهما بيزيد(1)

وله يقول الأشهب بن رميلة :

أبلغ أبا داود أني ابنُ عمه   وأنَّ البعيثَ من بني عَمٍّ سالم
أيُولجُ باب الملك من ليس أَهْلُهُ   وريشُ الذُّنَابَى قَبْلَ رِيشِ القَوادم (2)

سالم حاجب يزيد بن هبيرة ، فجعل البعيث مثله .

وقال فيه ابن أفرم النميري شعراً لم نُثْبِتْهُ ، وكان في جيش أبان بن مروان ، وكان أبو داود مكيناً عنده ، فخرج من غير أن يشفع فيه وكان سأله ذلك .

وبنو جَسَر حلفاء بني عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وولد الحارث بن بكر : مرة بن الحارث .

فولد مرة : ضَرس بن مرة . وعبد بن مرة .

وولد عبد بن مرة بن بكر بن عَميرة بن علي بن جَسر : **السَّمين بن عبد** بن ربيعة بن عبد ، وهو الشريد .

---

١ ـ ليس في ديوان المطبوع .
٢ ـ البيتان للفرزدق ، انظرهما في ديوانه ج ٢ ص ٢٦٨ .

وولد الهون بن علي : جِلّان بن الهون . وعوف بن الهون .
فولد جلّان : جُشَم بن جلان .
فولد جُشَم : دُهْمان بن جُشَم . ووائلة بن جشم . وقُعَيْد بن جُشم .
فالمؤمّل بن أُمَيل الشاعر من بني الهون بن علي بن جَسر ، وهو الذي يقول :

إذا مرضنا أتيناكم نَعُودكم وتُذْنبون فنأتيكم فنَعْتَذِر

ويقول :

أنهار قد هَيَّجْتِ لي أوجاعا وتَرَكْتِني صَبّاً لكم مِطواعا
والله لو علم النهار بأنها أَمْسَتْ سميته لطال ذراعا

وقال هشام ابن الكلبي : لقد لقيت أُمَيْلاً أبا المؤمّل .
وولد عوف بن الهون : جذيمة . ووائلة . وعتاب .
وولد خلف بن محارب : طريف بن خلف .
فولد طريف : ذُهل بن طريف . وغَنْمْ بن طريف وهم الأبناء . ومالك بن طريف وهم الخُضْر .
قال هشام ابن الكلبي إذا تحالف إخوة على أخيهم قيل الأبناء ، فتحالف الأصاغر على أخيهم الأكبر وعلى ولد ولده .
ومن الخضر : عامر الذي ذكره الشماخ بن ضرار الثعلبي :

اجْتَمِعُوا فَأَيُّكُمْ يُفَاخر أَنْبَأَنِيهِ الخضري عامر[1]

وكان عامر من أرمى الناس ، عَرَضَتْ له ثلاث قطوات فقال

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

لأصحابه : أيتهنَّ تُحبون أن أصيب ؟ فأشاروا إلى واحدة فأصابها . وفيه يقول الشماخ :

وجلاَّها عن ذي الأراكة عامر أخو الخضر يرمي حيث تُكْوَى النواحر[1]

فولد ذُهل بن طريف : بَذَاوة .

فولد بذاوة : سعد بن بَذَاوة ، وهو الكيذبان ، بعثه قومه رائداً لهم فَكذَبَهُمْ فلقوا ما كرهوا ، فسُمِّي الكيذبان لمبالغته في الكذب ، لأن الرائد لا يكذب أهله .

فولد معاوية بن بذاوة : ربيعة بن معاوية وهو حُدَاد .

فولد حُداد : مالك بن حُداد . وسعد بن حُداد . منهم : **مُحْصَن بن سَوَّاء بن الحارث بن** ظالم بن سهْم بن جَراد بن هلال بن مالك بن حُداد ، كان شريفاً ، ومدحه ابن البرصاء المُرِّي - مُرَّة غطفان . وعبدالرحمن بن جمانة بن عُصيم بن الحارث بن ظالم الشاعر ، وبيت بني بذاوة في بني عصيم بن الحارث .

وولد الصادرة بن بذاوة : واثلة ، رهط فراس بن حبيب بن سعد بن واثلة ، كان يرحل إلى الملوك في أسارى قومه ، فقال الشاعر :

ألا ليتنا إمَّا مُنينا بسوءٍ إن مولانا خراش
نُطالب ذحلةً في كل يوم محثرم[2] لا يُمَهِّدُه الفراش

ومنهم : **مُضَرِّس بن أنس** بن خراش بن خالد ، قتل بالمدائن حين دخلها المسلمون .

---

١ - ليس في ديوانه المطبوع .
٢ - الحثرمة : غلظ الشفة ، والدائرة تحت الأنف وسط الشفة العليا . القاموس .

وأمية بن كعب بن وائلة وهو مُسَاحم ، قتل الخُرشُب الأنماري بأخيه عامر بن مُساحم .

وولد الكيذبان بن بذاوة : سَلول بن الكيذبان . وعُمير بن الكيذبان .

والصَّعق بن الكيذبان ، أتى النبي ﷺ في غزاة ذات الرقاع فقال : جملي أحَبُّ إليَّ من ربك ، فدعا النبي ﷺ عليه فمات .

وولد غَنْم بن طريف : مالك بن غنم . وثعلبة بن غنم . وثعبة بن غنم .

منهم : **نُفَيع بن سالم بن سَنَّة** بن الأَشْيَم بن ظفر بن مالك بن غنم بن طريف الشاعر ، الذي يقال له ابن صَفّار ، وصَفّار هو سالم ، وصَفّار أكَمَةٌ كان يرعى عندها فسمي بها ، وله شعر في حرب قيس وتغلب بالجزيرة ، وكان يُشاعر الأخطل .

وولد ثعلبة بن غنم : طريف بن ثعلبة . وعامر بن ثعلبة .

فولد عامر : الحارث بن عامر . ومعاوية بن عامر . وزيد بن عامر . وبُدَيْن بن عامر . وكعب بن عامر فيقال لهؤلاء الأبناء .

وَوُلدَ مالك بن ظريف ، وهم الخضر ، سموا بذلك لأُدْمتهم : ثعلبة بن مالك وهو المُضَرَّب .

فولد ثعلبة : مازن بن ثعلبة . وسَلَمةَ بن ثعلبة . منهم الخُضَريّ الشاعر الذي ذكرناه مع خبر ابن ميادة المُرِّي وهو القائل :

وللحرب سُمِّيْنَا فكنا محارباً ... إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

وقال أبو اليقظان : أخذ زياد رجلاً بالكوفة يقال له مُعَيْن فحبسه ،

وأخذ رجلاً آخر من بني تميم فحبسه في مثل ما أخذ فيه المحاربي ، فتكلمت بنو تميم في صاحبهم ، فأُخرج ، وبقي المحاربي فقال : أنا أشهد أن بني تميم أكرم وأبر من محارب .

قال : ومن محارب : **الحكم بن عبادة** ، كان على البحرين لأمير المؤمنين أبي جعفر ، وكان عبادة سيداً بخراسان وأشار على سورة بن أبجر الدارمي ألا يسلك الطريق التي سلكها فعصاه ، فوقع فيما كره ، فقال له : ما الرأي يا عبادة ؟ قال : خَلَّفْتَ الرأي خلفك وبقي الصبر .

ومن بني محارب : جامع الذي قال حين بني الحجاج واسطاً : لقد بنيتها في غير بلدك ، وتُورِثها غير ولدك . وقال ابن سعد : **هو جامع بن شداد** الفقيه مات سنة سبع وعشرين ومائة [١] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٢٤ .

نسب بني مازن بن منصور بن عكرمة بن خَصفة

وولد مازن بن منصور : الحارث بن مازن . ومالك بن مازن . وعمرو بن مازن . وعدي بن مازن . وعبد بن مازن .

فولد الحارث : عوف بن الحارث : وربيعة بن الحارث . وحامية ابن الحارث .

منهم : **عتبة بن غزوان** [1] بن جابر بن نُسَيْب بن وُهَيب بن زيد بن مالك بن عبدعوف بن الحارث بن مازن بن منصور ، وهو بَصَّرَ البصرة ، وكانت يومئذٍ الأُبُلَّة ، وكان حليفاً لبني نوفل بن عبدمناف ، وشهد بدراً .

وقال الواقدي : كان عتبة يكنى أبا عبدالله ، ويقال أبا غزوان ، وهو قديم الاسلام ، وكان طوالاً جميلاً ، وهاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية ، وكان من رماة أصحاب رسول الله ﷺ المذكورين .

حدثني محمد بن سعد ، وعبدالله بن أبي شيبة قالا : ثنا وكيع عن أبي

١ ـ بهامش الأصل : عتبة بن غزوان رضي الله عنه .

نعامة عن خالد بن عمير قال : خطب عتبة بن غزوان فقال : لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ .

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي دُجانة الأنصاري ، ونزل بالمدينة حين هاجر على عبدالله بن سلمة العجلاني ، واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على البصرة . فنزل الخريبة (١) ، وكتب إلى عمر يعلمه بنزوله إياها وأنه لا بد للمسلمين من منزلٍ يشتون فيه إذا شتوا ، ويسكنون فيه إذا انصرفوا من غزوهم ، فكتب إليـه أنْ اجمعهم في موضع واحد قريب من الماء والمرعى ، فأنزلهم البصرة ، فبنوا مساكن بالقصب ، وبنى عتبة مسجداً من قصب ، وذلك في سنة أربع عشرة ، وبنى عتبة دار الإمارة دون المسجد في الرحبة ، وكان الناس إذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من غزوتهم ، فإذا رجعوا أعادوه ، ثم بنى الناس المنازل بعد ذلك (٢) .

وحدثني عبدالله بن صالح عن عبده بن سليمان عن محمد بن اسحاق قال : وَجَّهَ عمرُ عتبةَ بن غزوان في ثمانمائة إلى البصرة ، ثم أمده بالرجال ، فنزل بالناس في خيم ، فلما كثروا بنى رهطٌ من المسلمين سبع دساكر من لبن ، ثم إنه خرج إلى الأُبلة فقاتل أهلها ففتحها عنوة وأخذ دهقاناً فضرب عنقه ، وقيل دهقان دَسْتَميسان وهزم أصحابه وفتح أبزقباذ (٣) ، ثم استأذن

١ ـ الخريبة موقع مدينة عتيقة كان تسمى وهشتاباذ أردشير ، وسماها العرب الخريبة وعندها كانت وقعة الجمل . معجم البلدان .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٥ ـ ٨ .
٣ ـ أبزقباذ : من طساسيج المزار بين البصرة وواسط ، وقيل هي كورة أرجان بين الأهواز وفارس . معجم البلدان .

عمر في القدوم عليه ، والحج ، فأذن له فاستخلف مجاشع بن مسعود السُّلَمي ، وشخص فلما فرغ مما قدم له أمره عمر أن يرجع إلى البصرة والياً فاستعفى فلم يعفه ، فشخص يريد البصرة ، فمات في طريقها سنة سبع عشرة ، وهو ابن سبع وخمسين سنة ، ويقال مات في سنة ست عشرة ، وله سبع وخمسون سنة .

وحدثني التوزي عن الأصمعي قال : حدثني أصحابنا عن الحسن أن عتبة بن غزوان خطب بالبصرة فقال : إن الدنيا قد آذنت بإصرام ، وتولَّت حَذَّاء مُدْبرة ، ولم يبق منها إلاّ صُبَابة كصُبَابة الإناء ، وأنتم منها مرتحلون فتزودوا لرحيلكم خير ما بحضرتكم وستجرّبون الأمراء بعدي . قال الحسن : فجربوا فوجدوا أنتاناً . وأسلم مع عتبة مولاه جَناب وتكنى أبا يحيى ، ومات جناب سنة تسع عشرة ، وهو ابن خمسين سنة ، وكان شهد بدراً مع عتبة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب .

وقال أبو اليقظان : كانت عند مجاشع بن مسعود السلمي أخت عتبة ، واسمها الخُضَيراء ، وكانت أول من نَجَّد البيوت ، فأمر عمر بهتك ما نَجَّدت . قال : وكان عتبة بدرياً ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

نسب بني سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان

وولد سليم بن منصور : بُهْثَة بن سُليم ، وأمه العَضْباء بنت بُهثة بن غَنْم بن غني .

فولد بُهثة : سُليم ، وهم في بني عامر بن رفاعة بن الحارث بن بُهثة بن سُليم . وامرأ القيس بن بهثة . وعوف بن بهثة ، وكان كاهناً . وثعلبة بن بهثة . ومعاوية بن بهثة ، وأمهم هند بنت مازن بن منصور .

فولد امرؤ القيس بن بُهثة : خفاف بن امرىء القيس . وتيم بن امرىء القيس وهو بَهْز ، وأمهم ماريَة بنت الجُعَيْد العبدية .

فولد خُفاف : عَميرة . وعصية بن خفاف . وناصرة بن خُفاف . ومالك بن خُفاف ، وأمهم سلمى بنت زيد بن ليث بن قضاعة .

فولد عَميرة : كعب بن عَميرة ، وسلمة بن عَميرة . ومرة بن عَميرة ، وأمهم ليلى بنت المصلات من جُهينة .

ومنهم : بشر بن قيس بن مالك بن أبي نُميلة بن كعب بن عَميرة ، الذي يقول له خفاف بن نُدْبَة :

وَمَيْتٌ بالجناب أَثَـلّ عرشي كصخر أو كعمرو أو كبشر

يعني عمرو بن الشريد ، وصخر بن عمرو ، وابنه مالك بن بشر الذي يقول له العباس بن مرداس السلمي :

فليأتينكم ابن قيلة مالك بالخيل تردى والرجال غضاب

وقيلة أُمّه ابنة الحارث بن عُجْرة بن عبدالله بن يقظة بن عُصيَّة .

وعبدالله بن كامل بن حبيب بن عمرو بن رئاب بن مرة الذي يقول ـ وكان من غزاة الشام ، وشهد يوم مرج الصُفر ـ فقال :

شهدتْ قبائل مالكٍ وتَغَيَّبَتْ عني عَميرةُ يوم مرج الصُفَّرِ

يعني مالك بن يقظة بن عصية بن خُفاف .

ومنهم الفُجاءة ، وهو بَحير بن إياس بن عبدالله بن عبد ياليل بن سلمة بن عَميرة .

قالوا : أتى الفجاءة أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقال له : احملني وَقَوِّني أقاتل المرتدين ، فحمله وأعطاه سلاحاً فخرج يعترض الناس فيقتل المسلمين والمرتدين ، وجمع جمعاً ، فكتب أبو بكر إلى طريف بن حاجرة يأمره بقتاله فقاتله ، وأسره ابن حاجرة ، فبعث به إلى أبي بكر فأمر أبو بكر بإحراقه في ناحية المصلى .

ويقال أن أبا بكر كتب إلى معن بن حاجرة في قتال الفجاءة ، فوجه إليه أخاه طريف .

وولد عُصَيّة بن خفاف : يَقظة بن عُصيّة . ورواحة بن عصيّة . ومُليل بن عصيَّة .

فولد يقظة : رَيّاح بن يقظة . وعوف بن يقظة . ومالك بن يقظة وهو الدفاع . وعبدالله بن يقظة .

فولد ريّاح : عمرو بن ريّاح وهو الشريد .

قال حماد الراوية : كان قد شرد عن أبيه ، وهو يَفَعَة ، فوجده فسماه الشريد .

وروبة بن رياح وأمها تعجر بنت سلمة بن عَميرة بن خُفاف .

فمن بني الشريد : صخر . ومعاوية . وخنساء [1] الشاعرة ، واسمها تماضر بنت عمرو بنت الحارث بن عمرو الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية ، وللخنساء يقول دريد بن الصمَّة :

حيُّوا تماضر واربعوا صَحْبِي ....[2]

وقد كتبت مقتل صخر ، ومقتل معاوية أخوي الخنساء فيما تقدم ، أما معاوية فقتله هاشم بن حرملة ، وأما صخر فقتله بنو أسد ، وأما الخنساء فخطبها دريد بن الصمة فَأبت أن تتزوجه ، وقالت : هو شيخ كبير فقال دريد :

وتـزعم أنني شيـخ كبـير فهل نَبَّأْتِهـا أني ابنُ أمسِ
فلا تلدي ولا ينكحك مثلي إذا ما ليلة طُرِقَتْ بنحس
وقاك الله يابنـة آل عمروٍ من الأزواج أمثالي ونفسي[1]

فتزوجها عبد العزى بن عبدالله بن رواحة بن مُليل بن عُصَيَّة .

---

١ ـ بهامش الأصل : الخنساء .
٢ ـ الشطر الثاني لهذا البيت : «وقفوا فإن وقوفكم حسبي» . ديوان دريد بن الصمة ـ ط . دار المعارف القاهرة ص ٤٣ .
٣ ـ ديوان دريد بن الصمة ص ١١٥ ـ ١١٦ .

فولدت له : أبا شجرة ، واسمه عمرو بن عبد العزى ، وأسلمت الخنساء وجعلت تلبس صداراً من شعر ، وذلك أن صخراً قال فيها ، وكان بَرًّاً بها :

وكيف لا أَمْنَحُها خيارها ولو هَلَكْتُ شَقَّقَتْ خمارها

واتخذت من شعر صدارها

فلما هلك جعلت تلبس صداراً من شعر ، فقال لها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : عزمتُ عليك لَمَّا ألقيتِ صدارك فإنه شيء اتخذته في الجاهلية .

وكان أبو شجرة ابن خنساء على جمع من بني سُليم في الردة فقاتلهم خالد بن الوليد المخزومي رضي الله تعالى عنه ، ففض الله جمع المشركين وجعل خالد يحرق المرتدين فبلغ أبا بكر رضي الله تعالى عنه ذلك ، فقال : لا أشيم سيفاً سَلَّه الله على الكفار ، ثم أسلم أبو شجرة فقدم على عمر وهو يعطي الناس من أهل الخِلَّة ، فاستعطاه فقال له : أَلَسْتَ القائل :

ورويتُ رمحي من كتيبة خالدٍ وإني لأرجو بعدها أن أُعَمَّرا

وعلاه بالدِّرَّة فقال : قد محا الإسلام ذلك يا أمير المؤمنين فأعطاه .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : كان عمرو بن الحارث بن الشريد يأخذ بيدي ابنيه : صخر ومعاوية بالموسم ، ويقول : أنا أبو خَيْرِيْ مُضَرَ ، من أنكر فَلْيُغيّر ، فما يُغَيِّر ذلك عليه أحد .

ومنهم : خُفَاف بن نَدْبَة[1] ، وهي أمه سوداء ، وأبوه عَمير بن الحارث بن الشريد الشاعر ، وأبو أمه الشيطان بن قَنان سَبِيَّةٌ من بني

---

١ ـ بهامش الأصل : خفاف بن ندبة الشاعر .

الحارث بن كعب . ويقال أن نَدبة سوداء ، هذا قول الكلبي .

وقال أبو اليقظان كان خُفاف أسود ، وهو القائل :

كِلاَنَا يُسَوِّدُه قَوْمُه على ذلك النسب المظلم
كِلاَنا سنيد إلى قومه فَسُوقَا رويداً ولا تحطم

وكان خفاف يكنى أبا خراشة ، وهو قاتل مالك بن حمار الفزاري ، وقد ذكرنا خبره وله يقول :

أقول له والرمح يَأْطُرَ مَتْنَهُ[1] تَأَمَّلْ خُفافاً إنني أنا ذلكا[2]

وأدرك الإسلام فأسلم ، وبقي إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فلقيه عمر وهو على بعير وبين يديه ابن له ، فقال له عمر : ياأبا خُراشة من هذا ؟ قال : ابني وقد خرف . قال : ما اتّهمت عليه ؟ قال : امرأة له سيئة الخلق . قال : إن سوء خلق المرأة ليتخوف منه على الرجل إذا أَسَنَّ . وقال عباس[1] لخُفاف :

أبا خراشة إمَّا كنت ذا نفرٍ فإنَّ قومي لم تأكلهم الضبع
تأبى حبيب مواليها وأَنْفُسها أن يُسْلِمُوك ولن يُسْطَاعَ ما منعوا
إنْ يَكُ جلمود صخرٍ لا يُثَلِّمُهُ توقد عليه فيحميه فينصدع

وقد رثى خفاف أبا بكر رضي الله تعالى عنه .

قال الكلبي : ومنهم : هند الأغر بن خالد بن صخر بن الشريد ،

---

١ ـ يأطر : يثني ، والمتن : الظهر ، يريد ظهر مالك .
٢ ـ الأغاني ج ١٨ ص ٧٤ .
٣ ـ ابن مرداس . انظر الأغاني ج ١٨ ص ٧٩ ـ ٨٨ .

وكان أسر فروة بن مُسيك المرادي في غارة كانت بينهم ، وقد أسلم فروة ، ووفد على النبي ﷺ ، وولاه عمر صدقات مذحج .

وولد عوف بن يقظة بن عصية : مالك بن عوف . ووهب بن عوف .

منهم : **أبو العاج**[1] كبير بن فروة بن خثيم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة . ولاه يوسف بن عمر الثقفي البصرة في أيام هشام بن عبد الملك ، فَوَلَّى أبو العاج شرطته محمد بن واسع العابد ، وكان أبو العاج أعرابياً جافياً ، وكني أبا العاج لنتوء ثناياه ، وعقبه بالشام .

وقال أبو الحسن المدائني : سمع يونس النحوي أبا العاج يقرأ : فأدبر يشتد . يريد : يسعى[2] .

قال : وكان أبو العاج عند هشام ، وعند هشام خاله ابراهيم المخزومي ، فذكر يوسف بن عمر ، فنال ابراهيم منه فقال له أبو العاج : يابن السوداء أيوسف يُذكر بهذا ؟ فلم يفهم هشام ، وأُشير إلى أبي العاج فسكت ونميتْ إلى يوسف ، فشكرها له ، فلما ولي العراق أخرجه معه ، ويقال بل استزاره بعد فزاره فولاه وولى أبو العاج رجلاً بعض كور دجلة . فقدم عليه ووصف له سيرته وقال : لقد بلغ من رضىً أهل عملي بي أنْ نثروا عليَّ حتى كسروا قناديل المسجد الجامع . فقال : لا جَرَمَ لَتَغْرَمَنَّ ثمنها أو تشتري مثلها .

١ ـ بهامش الأصل : أبو العاج .
٢ ـ انظر قوله تعالى : ﴿ثم أدبر يسعى﴾ سورة النازعات ـ الآية : ٢٢ .

المدائني عن عمرو بن خالد قال : حفر أبو العاج نهراً ، فكان يمر إليه متنكباً قوساً عربية والنُّهَّرُ يُعْرف به .

وحدثني عمرو بن شبه عن أبي عاصم النبيل قال : عدا رجل من باهلة على رجل من بني ضُبيعة فضربه الضبعي ، فاستعدى الباهليون أبا العاج واستعانوا عليه بسَلْم بن قتيبة ، فقال أبو العاج : يأمرني ابن قتيبة أن أتعصب له على بني ضبيعة ، فوالله ما أُحب أن الناس كلهم في الجنة إلاّ بني ضبيعة . ياغلام ائتني بسياط عليها ثمارها ، فقال الباهليون لسلم : أصلح بيننا أيها الرجل ، فأصلح سلم بينهم وانصرفوا . وضبيعة بن ربيعة بن نزار ، فيقال أن بُهْثَةَ سُليم ، هو بُهْثَة ضُبيعة ، والله أعلم .

قالوا: وكان أبو العاج يغضب من أبي العاج ، فَتَقَدَّم إليه رجل فقال: أصلحك الله يا أبا العاج ، فقال : أنا أبو محمد يابن البظراء ، فقال : لا تقل هذا فانها كانت مسلمة قد حجت . فقال : إن بظرها لا يمنعها من الحج .

وأُتي أبو العاج بغلام مأبون فقيل : إن هذا يُمَكِّنُ من نفسه . قال : أفتريدون ماذا أُوَكِّلُ به رجالاً يحفظون دبره ؟ لقد وقعتُ إذاً في عناء ، الاست استه يصنع بها ماشاء .

قالوا : وكانت ولاية أبي العاج البصرة نحواً من سنة ، ثم عزله يوسف بن عمر .

وولد مالك بن يقظة :رياح بن مالك . ورئاب بن مالك . منهم : قِدْر بن عمار الوافد على النبي ﷺ .

وولد عبدالله بن يقظة : معيط بن عبدالله . وعُجرة بن عبدالله .

منهم : هَوذة بن الحارث بن عجرة بن عبدالله بن يقظة ، شهد فتح مكة ، وهو القائل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وخاصم ابن عم له في الراية :

لقد دار هذا الأمر في غير أهله فَأَبْصِرْ وَلِيَّ الأمر أين يُريد

وولد مُلَيْل بن عُصَيَّة : رواحة . منهم أبو شجرة ، وهو عمرو بن عبد العزى بن عبدالله بن رواحة بن مليل بن عصية ، وهو الشاعر ، وأمه خنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الشاعر .

ومنهم : نبيشة بن الحارث بن رئاب بن رواحة بن مُليل ، كان فارساً وهو قتل ربيعة بن مُكَدَّم الكناني .

وولد ناصرة بن خُفاف بن امرىء القيس بن سليم : ناجِيَة بن ناصرة . وخلف بن ناصرة . وعبيد بن ناصرة وصُبْح بن ناصرة . ومعقل بن ناصرة .

وولد مالك بن خفاف : حبيب بن مالك . وَزَعْب بن مالك . وجذيمة بن مالك . وَزُبَيْنَةَ بن مالك . وهلال بن مالك . وقيس بن مالك .

منهم : وَحْوَح بن شيخ بن عبد بن يعمر بن الحارث بن حبيب بن مالك بن خفاف ، كان من فرسانهم في الجاهلية .

ومنهم : الضحاك بن يوسف بن الحارث بن زائدة بن عبدالله بن حبيب بن خفاف ، صحب النبي ﷺ ، وعقد له .

ومنهم : يزيد بن الأخنس بن حبيب بن جرو بن زعْب بن مالك ، عقد له النبي ﷺ يوم الفتح ، وابنه معن بن يزيد ، وهو أحد الأربعة الذين كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فيهم إلى الآفاق فاجتمع عنده

أربعة كلهم من سُليم وأرادهم للمشاورة في أمر الشام ، وهم : أبو الأعور السُّلمي ، ومجاشع بن مسعود ، والحجاج بن عِلاط . ومعن بن يزيد .

وقال غير الكلبي : أشخص إليه من البصرة مجاشع بن مسعود ، ومن الكوفة عتبة بن فرقد ومن مصر معن بن يزيد ، ومن الشام أبو الأعور ، وشهد معن بن يزيد يوم مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري ، في طاعة ابن الزبير .

وولد عوف بن امرىء القيس بن بهثة : سَمَّال[1] بن عوف . وغيظ بن عوف . ومالك بن عوف .

فولد سَمَّال : حرام بن سمال . ويربوع بن سمال ، رهط مجاشع بن مسعود من أهل البصرة ، كان شريفاً ، وأصابه سهم يوم الجمل ، وكان مع عائشة رضي الله تعالى عنها ، فمات منه .

وكان عتبة بن غزوان لما شخص عن البصرة للحج استخلفه على البصرة ، وكان غائباً عنها ، فأمر المغيرة بن شعبة أن يقوم مقامه إلى قدومه ، فقال له عمر : أتُوَلِّي رجلًا من أهل المَدَر ، وتوفي عتبة فولى عمر المغيرة البصرة ، ولما صار عبدالله بن عامر بن كريز إلى فارس في أيام عثمان رضي الله تعالى عنه وجَّهَ مجاشع بن مسعود إلى كرمان ، فأتىٰ تَيمِيْد من كرمان ، فهلك جيشه بها ، ثم لما توجه ابن عامر إلى خراسان ولىٰ مجاشعاً كرمان ففتح بها فتوحاً وبتَيْمِيْد قصر يُعرف بقصر مجاشع .

١ ـ بهامش الأصل : سمال بفتح السين وشد الميم ، وباللام .

وكانت عند مجاشع شُميلة بنت أبي أُزيهر السدوسي من الأزد وكان مجاشع أُميًّا فدخل عليه نصر بن الحجاج بن علاط السُّلمي ، وكان من أجمل الناس ، وعنده شميلة فكتب نصر على الأرض : أحبك حباً لو كان فوقك لأظَلَّك ولو كان تحتك لأَقَلَّك ، فكتبت هي: وأنا والله ، فأكبَّ مجاشع على الكتاب إناءً ثم أدخل كاتباً فقرأه ، ويقال ان نصراً محا ما كتب به ، وبقي كتاب شميلة فقال لنصر : ما كتبتَ ؟ فقال : لا إله إلا الله . فقال مجاشع : ليس وأنا والله من هذا في شيء ، وضربها فأقَرَّت فطلقها ، ثم إن ابن عباس خلف عليها بعد .

ومجالد بن مسعود ، كانت له صحبة ، وجاء به مجاشع إلى النبي ﷺ بعد فتح مكة فبايعه ، وقال له رسول الله ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح» .

وعبيد بن سمَّال بن عوف . وجندب بن سمَّال . وعذيمة بن سمَّال .

فولد حرام بن سمال : هلال بن حرام . وعبس بن حرام . ورواحة بن حرام .

منهم : **عبدالله بن خازم** بن أسماء بن الصَّلْت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سَمَّال ، وكان معاوية لما وجه ابن عامر الحضرمي إلى البصرة للطلب بدم عثمان ، صار عبدالله بن خازم معه فجعله على خيله ، ووجه علي عليه السلام جارية بن قدامة فحارب ابن الحضرمي فهزمه واضطره إلى دار سنبيل بالبصرة ، فكان عبدالله بن خازم معه فيها .

وكانت أم عبدالله سوداء يقال لها عجلىٰ ، فنادته فأشرف عليها فأخرجت ثدييها وقالت : أسألك بِدَرِّهِمَا لَمَّا نزلتَ فأبىٰ فقالت : والله لئن لم تنزل لأَتَعَرَّنَّ ، وأهوت بيدها إلى ثيابها فنزل وأُحرقت الدار على ابن

الحضرمي ، وكانت دار عبدالله بن خازم لعمَّته دجاجة بنت أسماء بن الصلت ، وهي أم عبدالله بن عامر بن كريز فأقطعته إياها .

ويقال ان عبدالله بن عامر لما أتى خراسان وجَّه على مقدمته عبدالله بن خازم ، ويقال الأحنف بن قيس ، ووجه ابن عامر عبدالله بن خازم إلىٰ نَسَا ففتحها صلحاً ، ووجه إلى سرخس فصالح دهقانها ، ثم إن عبدالله بن خازم افتعل بعد خروج ابن عامر مُحْرماً شكراً لله تعالى ، عهداً على لسان ابن عامر ، وتولى خراسان فاجتمعت جموع الترك ففضّها ، ثم قدم البصرة قبل مقتل عثمان بقليل .

وقال ابن خازم : إنما يتكلف الكلام والخطب إمام لا يجد من الكلام بداً ، أو أحمق يهمر[1] من أم رأسه لا يبالي ما قال ، ولست بواحد منهما ، ولكني بصير بالفرص ، وثَّاب عليها ، وَقَّاف عند الشُّبَه ، أُبعد بالسرية وأَقْسِمُ بالسَّوِيَّة ، وأضرب هامة البطل المُشِيْح .

وولى معاوية رحمه الله ابن عامر البصرة ، وضم إليه خراسان ، فولىٰ خراسان قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت ، فصالح أهل بلخ على أن راجعوا الطاعة ، ثم قدم على ابن عامر بالبصرة فضربه وحبسه ، وولى خراسان عبدالله بن خازم ، فصالح من كان انتقض ، وحمل إلى ابن عامر مالاً .

ثم ولى معاوية زياد بن أبي سفيان البصرة وخراسان ، ولما وُلي يزيد بن معاوية ولىٰ سَلْم بن زياد خراسان ، فلما مات يزيد التاثَ الناس على سَلْم ، فشخص عن خراسان وأتى عبدالله بن الزبير .

١ ـ الهامر : الكثير الكلام المهذار . القاموس .

وكان عبدالله بن خازم لقي سَلْم بن زياد مُنْصَرَفه من خراسان بنيسابور وأعانه بمائة ألف ، فقالت جماعة من بكر بن وائل واليمن وغيرهم : علام يأكل هؤلاء خراسان دوننا ، فأغاروا على ثقل عبدالله بن خازم فقُوتلوا عنه فكفوا .

وولىٰ عبدالله بن الزبير عبدالله بن خازم خراسان ، فاعترض عليه سليمان بن مرثد أحد بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وقال : ليس ابن الزبير بخليفة ، وإنما هو عائذ بالبيت فحاربه ابن خازم وهو في ستة آلاف فقُتل سليمان ، واجتمعت ربيعة إلىٰ أوس بن ثعلبة فاستخلف ابن خازم ابنه موسى بن عبدالله ، وسار إليه فقاتله ، ثم دس إليه من سَمَّه فمرض وواقعه فأصابته جراحة مات منها .

وولىٰ عبدالله بن خازم ابنه محمداً هراة ، وصَفَتْ له خراسان ، ثم إن بني تميم هاجوا بهراة وقتلوا محمداً فقتل أبوه به عثمان بن بشر بن المحتفز المزني صبراً ، ثم إن بني تميم خلعوا ابن خازم ، وورد كتاب عبد الملك بن مروان علىٰ عبدالله بن خازم بولايته خراسان ، فأطعم رسوله كتابه ، وقال : ما كنتُ لألقىٰ الله وقد نكثتُ بيعة ابن حواريّ رسوله وبايعت ابن طريده ، فكتب عبد الملك إلىٰ بكير بن وَسَّاج بولاية خراسان ، فدعا الناس إلي بيعته فأجابوه وانتقضوا على ابن خازم ، فمضىٰ ابن خازم يريد ابنه موسى وهو بالترمذ في عياله ، فاتبعه بحير بن وِقاء الصريمي من بني تميم فقاتله بقرب مرو ، ودعا وكيع ابن الدورقية القريعي ـ واسم أبيه عَميرة وأمه من سبي دورق ـ بدرعه وسلاحه فلبسه ، وخرج فحمل على ابن خازم ومعه بحير فطعناه ، وقعد وكيع على صدره وقال : يا لثارات دُويلة ، ودُويلة أخو وكيع

لأمه ، وكان مولى بني قُريع قتله عبدالله بن خازم فتنخَّم ابن خازم في وجه وكيع ، وقال : لعنك الله : أتقتل كبش مضر بأخيك علج لا يساوي كفاً من نوىٰ ، وقال وكيع :

ذُقْ يا بنَ عجلىٰ مثل ما قد أذقتني ولا تَحْسَبَنِّي كنتُ عن ذاك غافلا

وكان ابن خازم يكنى أبا صالح .

وقال وكيع : عانقت ابن خازم فسقطنا جميعاً ، وغلبتُه بفضل الفتا فقعدت على صدره فتنخَّم في وجهي وقال : أتقتل كبش مضر بعلج لا يساوي كف نَوَىٰ .

ولما قُتل غَلَب ابنُهُ على الترمذ مكابرة ، وأخرج دهقانها ، وحارب الترك ، ثم حاربه عثمان بن مسعود من قبل مُفضَّل بن المهلب ، فقُتل في المعركة ، فكان عمر بن هبيرة الفزاري إذا ذُكر ابن خازم يقول : هذه والله البسالة عند الموت .

وقال المدائني : قال عبدالله بن عامر لعبدالله بن خازم : يا بن السوداء ، قال : هو لونها ، قال : يا بن عجلىٰ قال : هو اسمها قال : يا بن خازم قال : هو خالك[1] .

ومنهم : عروة بن أسماء بن الصَّلْت عم ابن خازم ، قتل يوم بئر معونة مسلماً .

وقيس بن الهيثم بن الصلت ولي البصرة وخراسان ، فأما البصرة فاستخلفه عليها القُباع ، وهو الحارث بن أبي ربيعة المخزومي أيام ابن

---

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض ، ولله الحمد ، وبالأصل الثالث ، من أول هذا الكتاب .

الزبير ، وأما خراسان فولاه إياها ابن عامر . وكان يكنىٰ أبا كثير .

وكان الهيثم بن الصَّلْت أتى النبي ﷺ ، ودعا قومه إلى الإسلام حتى أسلموا ، فبنو سليم تقول هذا هو أعظم الناس علينا مِنَّةً ، وكان يكنى أبا بشر .

حدثني علي الأثرم عن أبي عبيدة ، وأبو الحسن المدائني عن أبي اليقظان ، أن قيس بن الهيثم ، ويكنى أبا كثير كان خليفة على البصرة في أيام ابن الزبير . وكان ممن قاتل مالك بن مِسَمع مع الزبيرية يوم الجفرة ، وهو على فرس له مُحَجَّل وقد استأجر قوماً يقاتلون معه ، فكانوا يرتجزون :

لَسَاءَ مَا تَحْكُمُ يـا حَـلاَحِـل النقد دينٌ والطِّعَانُ عاجـل

وأنت بالمال ضَنينٌ بَاخِل

وقال أبو اليقظان : كان قيس رأس أهل العالية ، وكان له ابن يقال له كثير فهلك ، وله ابن فأخذ قيس ميراثه ، فاستعدى عليه الحجاج فأمره أن يدفع إليه ميراثه ، فقال : ليس بمأمون عليه فأمر به فقُنِّع ثلاثين سوطاً وهو قاعد ، وهو يقول : أنا ابن أبي قيس ، وقال :

ليس بتعزيز الأمـير خِزَايَـةً عليَّ إذا ما كنتُ غيرَ مُرِيْبِ

فبلغ الخبر من بالشام من قيس فغضبوا ، وكلَموا عبد الملك بن مروان ، فكتب إلى الحجاج : إما أن تُحْسِنَ جواره وإما أن تأذن له ، فأتى الشام .

ولقي الجحاف الحجاج بمكة فقال : أما والله إني لو كنتَ بلغتَ من قيس تلك لأَمَلْتُ الخيل على الطائف فلم أَدَعْ بها مُحتلماً .

وكان من ولد قيس بن الهيثم : عبدالله بن يزيد بن شبيب ، قضىٰ لأبي العاج علىٰ البصرة .

وقال أبو اليقظان : ولد أسماء بن الصلت : خازم بن أسماء . ومُعْرض بن أسماء . ودَجاجة تزوجها عامر بن كريز ، فولدت عبدالله بن عامر ، ثم تزوجها عمير بن عمرو الليثي ، فولدت عبدالله بن عمير ، ثم تزوجها عبدربه بن قيس المخزومي فولدت له عبد الرحمن ، وهي صاحبة نهر أم عبدالله ، وحوض أم عبدالله بالبصرة وماتت بالبصرة ، وقتل مُعْرض بن أسماء يوم الجمل مع عائشة ولا عقب له .

قال: ولما قتل عبدالله بن خازم قال الشاعر :

أَلَيْلَتَنَا بنيسابور كري علينا الليل ويحك أو أبيري
فلو شهد الفوارس من سُليم غداة يُطافُ بالأَسَدِ العقير

وحُمل رأسه إلى عبد الملك ، وقال الفرزدق :

أَتَغْضَبُ إذْ أُذْنَا قتيبة حُزَّتا جهاراً ولم تَغْضَب لقتل ابن خازم
وما منهما إلَّا بَعَثْنَا برأسه إلى الشام فوق الشاحجات الرواسم[1]

ومدح ابن عرادة البصري موسى ومحمد ابني عبدالله بن خازم ، وأمهما صَفية ، فلم ير عندهما ما أَحَبَّ فقال :

كَسَوْتُ ابني صفية من ثنائي وإن كانا ذوي حلل ثيابا
مدحتُ محمداً ومدحتُ موسىٰ فما شَكَرا لذاكَ ولا أثابا
حَسِبْتُهُما كطلحة أو كَسلْمٍ[2] إذا نُدبا لمكْرُمَةٍ أجابا

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣١١ .
٢ ـ بهامش الأصل : يعني طلحة الطلحات ، وسلم بن زياد .

ومنهم : **قيس بن الصلت** ، **وعاصم بن قيس بن الصلت** . وكان عاصم بن قيس على مَنَاذر في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال فيه أبو المختار :

وما عاصم فيها بصفر عيابُه وذاك الذي في السوق مولى بني بدر

وهو قتل ابن مزيد بخراسان .

قال ابن الكلبي : ومنهم ربيع بن ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ضبيعة بن ربيعة بن يربوع بن سمال ، الذي قتل دريد بن الصمة يوم حنين ، وأمه لذغة كان يعرف بها .

وولد مالك بن عوف : رِعْل بن مالك . ومطرود بن مالك . ومنقذ بن مالك .

فولد رِعْل : حَيّ بن رعل . وسلمة بن رعل ، ويقال ان سلمة ليس بابنه ، وهو ينسب إليه . ونشبَة بن رِعْل .

فمن بني رِعْل : **أنس بن عباس بن عامر بن حَيّ** ، وقد رأس وقتلته خثعم .

وقال أبو عبيدة أغار عباس بن عامر الرعلي على خثعم فقتل وأسر ، فكلمته أمه فأطلق الأسرىٰ وأصابت أنساً طعنة مات منها . ويقال ان عباساً المطعون ، فقالت ابنته تُبَكّيه :

لَعَمْري وما عُمري علي بهيِّنٍ لنعم الفتى أَرْدَيْتُمُ آل خثعما
أُصيبَ به حَيًّا سُلَيْم كلاهما وعَزَّ علينا أن يصاب وَعَزَّما

ومن بني نشبة : يزيد . وقريش ابنا شقيق الخراسانيَّان ، وقد رأى هشام ابن الكلبي يزيداً .

وولد مَطرود بن مالك : قيس بن مطرود . وقُيَيسْ بن مطرود . وجَدّ بن مطرود . وضُبَيس بن مطرود .

منهم : زرعة بن السُّلَيْب بن قيس بن مطرود ، وهو ابن قرقرة الشاعر وقرقرة موضع .

وولد قنفذ بن مالك : جابر بن قنفذ . وعبدالله بن قنفذ ، وأمهما الجُعَيْدَة بنت الكيذبان المحاربي . وسَلْم بن قنفذ . استلحقه بنو قنفذ حديثاً بالجزيرة ، وكان عبداً لا أصل له .

فولد جابر بن قنفذ : هَرْمي بن جابر . وربيعة بن جابر . وأسيد بن جابر . وقنفذ بن جابر .

منهم : يزيد بن أسيد بن زافر بن أسماء بن أبي أسيد بن قنفذ بن جابر بن قنفذ ، ولي أرمينية للمنصور أمير المؤمنين وللمهدي ، ووجه إليه المهدي خادماً له في بعض أموره ، فلما قضى ما وجهه إليه له طلب الخادم صِلَتَهُ فأعطاه طائراً من الحمام وقال : هذا صلةُ مثلك فلما قدم على المهدي أخبره بذلك فأحفظه وعزله .

وفتح يزيد في خلافة أمير المؤمنين المنصور باب اللان ، ودوخ الضبارية ، وصاهر ملك الخزر ، فولدت ابنته له ابناً فمات وماتت أمه في نفاسها ، وبنى مدينة أردبيل .

وَوَلي ابنه أحمد بن يزيد بن أسيد الموصل وأرمينية ، ومات مع الرشيد حين توجه إلى طوس .

وكان يزيد بن أسيد تمتاماً[١] .

وقد ولي أسيد أرمينية لبني مروان . وولد أبا المغراء ، ولهم عدد بالرقة .

وولد عبدالله بن قنفذ : خزيمة بن عبدالله . والحارث بن عبدالله . ووهب بن عبدالله . ووهيب بن عبدالله . وعبدنهم بن عبدالله .

منهم : **المنهال بن قنان** بن شريك بن ذريح بن الأخثم بن وهب بن عبدالله بن قنفذ ، كان من قواد أبي جعفر أمير المؤمنين المنصور ، وابنه **الحسين بن عمران بن المنهال** ، وولي الجزيرة لأمير المؤمنين الرشيد .

وولد بهز بن امرىء القيس : عمرو بن بهز . وعوذ بن بهز . ووائلة بن بهز .

فولد عمرو : سعد بن عمرو . .

فولد سعد : عامر بن سعد . ومالك بن سعد . وظَفَر بن سعد .

فولد عامر : إياس بن عامر . ودارم بن عامر . منهم سويد بن عِزين الشاعر .

وولد مالك بن سعد : عوف بن مالك . وولد ظَفَر بن سعد : عبد بن ظفر رهط الحجاج بن عِلاط[٢] بن خالد بن نويرة بن حنثر بن هلال بن ظفر ، شهد خيبر مع النبي ﷺ ، ولما فتح الله خيبر قدم الحجاج بن عِلاط من غارة له فأسلم ، واستأذن رسول الله ﷺ في إتيان مكة ليأخذ مالاً

١ ـ التمتمة : رد الكلام إلى التاء والميم ، أو أن تسبق كلمته إلى حنكه الأعلى ، فهو تمتام . القاموس .

٢ ـ بهامش الأصل : الحجاج بن علاط رضي الله عنه .

له هناك عند زوجته أم شيبة بنت عمير ، أخت مصعب بن عمير العَبدري فأذن له رسول الله ﷺ في ذلك ، فقدم مكة فقال لأهلها : إن محمداً قد أُسرَ ، التماساً للتقرب إليهم ، فلقي العباسُ بن عبد المطلب الحجاجَ في خلوة فسأله عن الخبر فقال : اكتم عليّ فداك أبي وأمي حتى آخذ مالي ، إني قد أسلمتُ وقد ظفر رسول الله ﷺ وقد جئتك وهو عروس بابنة ملك خيبر ، ثم لحق بالنبي ﷺ وسكن المدينة ، وبنى مسجداً يعرف به ، ويقال إنه شهد قتال خيبر مع النبي ﷺ ، وابنه نصر بن الحجاج بن علاط ، كان من أجمل الناس وجهاً ، فسمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه امرأة في ليلة من الليالي تقول :

ألا سبيلٌ إلى خمرٍ فأشربُها أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج

فدعاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال : أصار النساء يتغنين بك ؟ وسَيَّرَه إلى البصرة ، وكان معرض بن الحجاج مع عائشة رضي الله تعالى عنها يوم الجمل ، فقتل فقال نصر أخوه يرثيه :

لقد فَزَعَتْ نفسي لذكرى مُعَرِّضٍ وعَيْنَيَّ جادتْ بالدموع سحومها
فَنِعْمَ الفتى وابن العشيرة إنه يُوقِّي الأذى أعراضها ويَزينها
عليمٌ بإسعاف الكرام وَحَقِّهَا وإكرامها إذا اللئيم يُهينها

وولد الحارث بن بهثة بن سُليم ، حُيَيّ بن الحارث . ورفاعة بن الحارث . وكعب بن الحارث . وهَو دَوْفَن . وظفر بن الحارث . ووائلة بن الحارث . وعباد بن الحارث وهم قليل . وعبد بن الحارث ، وأمهم الرباب بنت زيد اللات بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب .

فولد حُبيّ : عبدالله بن حُبي وهو حنة . وقينان بن حُبي . وعمرو بن حُبَي . والحارث بن حبي .

وولد رفاعة بن الحارث : عَبْس بن رفاعة . وربيعة بن رفاعة . وعامر بن رفاعة . وجشم بن رفاعة . وذكوان بن رفاعة وبجير بن رفاعة ، وهم في بني زريق بن معاوية بن بكر بن هوازن .

فولد عبس بن رفاعة : عبد بن عبس ومرة بن عبس .

فولد عبد : جارية بن عبد . وفُتيَّة .

ومنهم :**عباس بن مرداس**[1] بن أبي عامر بن حارثة الشاعر ، وكان شجاعاً ، وكانت العين لا تأخذه ، فرآه عمرو بن معدي كرب ، فقال : هذا عباس بن مرداس ؟ لقد كنا نفرق به صبياننا في الجاهلية ، وأسلم عباس ، وشهد مع رسول الله ﷺ يوم حنين على فرسه العُبَيد ، فأعطاه رسول الله ﷺ من الغنيمة أربع فرائض فقال :

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
فما كان حصنٌ ولا حابسٌ يَفُوقان شيخيَّ في المجمع
وأعطيت مما أفاء العبيد عَدِيْدَ قوائمه الأربع

فقال رسول الله ﷺ : «اقطعوا عني لسانه» ، وأعطاه ثمانين أوقية . وقد دخل عباس البصرة وكتب عنه البصريون ، وكان ينزل بوادي البصرة ، وبها ولده .

١ - بهامش الأصل : عباس بن مرداس رحمه الله .

وقال الكلبي : كانت القُرَيَّة ، وهي في حَرة بني سُليم إلى جانب المدينة اختطها مرداس بن أبي عامر ، وكليب بن عَهْمَة - ويقال عُهَيْمة - السلمي أحد بني ظفر ، فلم يكن عندهما نفقة ، فأتيا حرب بن أمية بن عبد شمس فجعلا له ثلثها على أن ينفق عليها ، فأجابهما إلى ذلك فشخص حرب معهما فجعل ينفق ثم إنه حُمَّ فحُمل إلى مكة فمات ، ومات مرداس بعده فحوى كليب القرية ، فلما كبر عباس بن مرداس طالب كليباً فقال يتوعده .

أكليبُ مالك كل يوم ظالماً والظلم أنكد وجهه ملعون
قد كان قومك يحسبونك سيداً وإخال أنك سيد مفتون
إن القُرَيَّة قد تبين شأنها لو كان ينفع عندك التبيين
فإذا رجعتَ إلى نسائك فادَّهِنْ إن المُسَالم آمنٌ مدهون
أَظَلمتَني يوم انطلقتَ بحظها وأبو يزيد بجوّها مدفون

فذكروا أنه أنصفه حين دخل الناس بينه وبينه .

وهبيرة بن مرداس . وجزء بن مرداس . ومعاوية بن مرداس . وعمرو بن مرداس إخوة عباس بن مرداس لأبيه ، وأمهم خنساء بنت عمرو .

وولد مرة بن عبس : سالم بن مرة . والحارث بن مرة . وعَتَّاب بن مرة .

منهم : سادن العُزَّى ببطن نخلة وهو دُبَيَّة بن حرمي .

ومنهم : **عباد بن شيبان** بن جابر بن سالم بن مُرَّة ، وهو حليف الحارث بن عبد المطلب بن هاشم .

وولد عامر بن رفاعة : **حنش بن عامر** ، كان سيدهم في زمانه .

وشوك بن عامر . وعقدة بن عامر . وذوّاق بن عامر . وناشب بن عامر . ووهيبة بن عامر . وعجيبة بن عامر . ويُريمة بن عامر . وحرجة بن عامر .

فولد حنش : رئاب بن حنش ، وكان ابن داب يزعم أن رئاباً هذا أخو هاشم بن عبد مناف لأمه .

قال هشام ابن الكلبي : ولم أسمع هذا من غيره .

وقال بعضهم : ولد حنش أيضاً : الحارث بن حنش وكان أخا هاشم لأمه ، وأنكر ذلك ابن الكلبي .

وولد ربيعة بن رفاعة : رفاعة بن ربيعة . وجابر بن ربيعة . وعائذ بن ربيعة . وظالم بن ربيعة . وخالد بن ربيعة . ومالك بن ربيعة . وفياض بن ربيعة . ووَهِيبة بن ربيعة .

منهم عتبة بن فَرْقَد[1] ، وهو يربوع بن حَبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة بن ربيعة بن رفاعة ، كان شريفاً بالكوفة ويقال لهم الفَراقِد .

قالوا: وعزل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حذيفة عن أذربيجان ، وولاها عَتبة بن فرقد السُّلَمي ، فأتاها من الموصل ، ويقال بل أتاها من شهرزور ، فغزا بأذربيجان مغازي فظفر وغنم ، وكان معه ابنه عمرو بن عتبة العابد .

وحدثني العباس بن الوليد النرسي ، ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي قال : كنت مع عتبة بن فرقد حين

١ ـ بهامش الأصل : عتبة بن فرقد رحمه الله .

افتتح أذربيجان ، فصنع سفطين من خبيص ألبسهما الجلود واللبود ، ثم بعث بهما إلى عمر رضي الله تعالى عنه مع سُحيم مولى عتبة ، فلما قدم عليه قال : ما الذي جئت به أَذَهَبٌ أم وَرِق ؟ وأمر به فكشف عنه فذاق الخبيص فقال : إن هذا لَطيّب لينّ ، أَفَكُلُّ المهاجرين أكل منه شبعه ؟ قال : لا ، انما هو شيء خَصَّك به ، فكتب إليه : «من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى عتبة بن فرقد ، أما بعد فليس من كَدِّكَ ، ولا كدِّ أمك ، ولا كدّ أبيك ، لا تأكل إلا ما شبع به المسلمون في رحالهم» .

وروى بعضهم هذا الحديث وزاد فيه : وَرَدَّ الخبيص على عتبة .

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، ثنا شعيب بن حرب ، ثنا حماد بن سلمة عن سعيد بن إياس عن أبي عثمان أن عتبة بن فرقد قدم على عمر ، فدعا عمر بشفرة ليقطع بها كمه ، وكان عليه قميص سنبلاني في كمه طول ، فقال : دعه يا أمير المؤمنين فأنا أقطعه فأني أستحيي من الناس فقطعه .

وروي عن عتبة انه قال : قدمت على عمر فإذا بين يديه عضلة جزور .

وولى عمر عتبة بن فرقد الموصل سنة عشرين ، فقاتله أهل نينوى فأخذ حصنها الشرقي عنوة ، وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر الغربي على الجزية ، وفتح كورها ، ثم عزله ، وولى الموصل هرثمة بن عرفجة البارقي .

وحدثني يوسف بن موسى القطان عن مشايخ أهل شهرزور ، أن عتبة فتح شهرزور والصامغان[1] ودَزآباذ على صلح ، فغدروا فعاد إليها ففتحها عنوة على الخراج .

قال أبو اليقظان : أم عتبة بن فرقد ابنة عباد بن علقمة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، وله صحبة برسول الله ﷺ ، وكان به جَرَبٌ حين بايعه ، فتفل رسول الله ﷺ عليه فذهب جربه ، وكان طيب الريح بعد ذلك ، ونزل الكوفة ، فكتب عمر إلى عامله أن ابعث إليّ أفضل من قبلك فبعثه .

وولد عتبة : **عمرو بن عتبة**[2] ، كان عابداً ومات شهيداً في بعض المغازي .

وولد عمرو بن عتبة : **عبدالله بن عمرو** ، الذي يقول فيه ابن نوف :

كنتَ ضيفاً يُبرُّ بنا يا لعبد اللـــ ـــه والضيف حقــه معلوم
فانبرى إليَّ يُزَيِّنُ الصوم حتى صمتُ شهراً ما كنتُ فيه أصوم

وحدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا هُشيم بن بشير عن منصور عن ابن سيرين أن عتبة بن فرقد عرض على ابنه عمرو التزويج ، فأبى ، فانطلق إلى عثمان فشكا ذلك إليه ، فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى عمرو بن عتبة ليقدم عليه ، فقدم فقال له عثمان : ما يمنعك من التزويج ؟ قد تزوج رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، وعندنا منهن من عندنا . فقال

---

١ - كورة من كور الجبل في حدود طبرستان . معجم البلدان .
٢ - بهامش الأصل : عمرو بن عتبة .

عمرو : يا أمير المؤمنين ومن لي بمثل عمل رسول الله ، وعمل أبي بكر ، وعمل عمر ، ومثل أعمالك ؟ قال : انطلق فإن شئت فتزوج ، وإن شئت فلا .

وحدثني أحمد ، حدثني مثنًى بن معاذ عن فهد بن عوف عن بشر بن سلمة عن علقمة قال : جاؤوه بابنة جرير ، فقال لها : إنه لا حاجة لي في النساء ، ولكنَّ أبويَّ قد أبيا إلاَّ أن يزوجاني ولك عندهم من الطعام والكسوة ما تريدين، فقالت: قد رضيت . فلما أتوه بها قام يصلي من الليل وقامت تصلي خلفه حتى أصبحا ، وأصبح صائماً وأصبحت صائمة .

قال عمرو : فإن كنت لأفتر ، فيمنعني مكانها ، فقال له أبواه: إنما زَوَّجناك التماساً لولدك ولا نرى هذه تلد فطلِّقها . فطلَّقها ثم أتيا بامرأة أخرى، فكانت معه على مثل ما كانت عليه ابنة جرير، فقالت لها امرأة من أهلها : يا فلانة مالك لا تلدين أعجزت ؟ فقالت : أو تلد المرأة من غير بعل ؟ فلما سمعها طلقها فتركه أبواه .

حدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثني أبو الحسن مثنى ، ثنا بشر ، ثنا عبد الحميد بن لاحق عن رجل قال : كان لعمرو بن عتبة كل يوم رغيفان في إهالة يفطر على أحدهما ويتسحر بالآخر .

وحدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس عن بعض أصحابه أن عتبة بن فرقد قال لبعض أهله : ما لي أرى عمراً مُصْفَرّاً ضعيفاً ، ففرش له حيث يراه ، فلما جاء عمرو قام يصلي حتى بلغ هذه الآية : ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾[1] فبكى حتى انقطع ، فقعد ثم قام فعاد

١ ـ سورة غافر ـ الآية : ١٨ .

فقرأ : ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ الآية . فبكى حتى انقطع فقعد فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح فقال عتبة : هذا الذي عمل بابني العمل .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا عنبسة بن سعيدالقرشي ، ثنا المبارك بن عبسي بن عمر قال : كان عمرو بن عتبة بن فرقد يخرج على فرسه ليلاً فيقول : يا أهل القبور طويت الصحائف ، ورفعت الأعمال ، ثم يبكي ويصف قدميه حتى يصبح فيرجع فيشهد صلاة الصبح .

المدائني أن عمرو بن عتبة بن فرقد أو أبوه قال : إذا أطال المتكلم الكلام عرضتْ له أسباب التكلف ، ولا خير في قول المتكلف .

وحدثني أحمد بن ابراهيم ، ثنا مسدد عن عبد الله بن داود عن منخّل بن أبي عون قال : قدمت المدينة فما حدثوني عن عمرو بن عتبة بشيء إلّا حدثتهم بمثله عن عامر بن عبد قيس ، وما حدثتهم عن عامر بشيء إلا حدثوني عن عمرو بمثله .

حدثنا أحمد ، ثنا أبو داود الطيالسي ، ثنا شعبة ، أخبرني سيار قال : سمعت الشعبي يقول : خرج ناس إلى الثُّوَيَّة عن رأس فرسخ من الكوفة ، أو فرسخين ، فبنوا مسجداً وقالوا نتعبد ولا نخالط الناس ، فأتاهم عبد الله بن مسعود فقالوا : مرحباً بأبي عبد الرحمن لقد كنا نحب أن تزورنا ، فقال : أتيتكم زائراً ولا أنزل حتى يُهدم مسجد الخبال ، أأنتم أهدى من أصحاب محمد ؟ إنكم لمسكون بذباب ضلالة ، أرأيتم لو صنع الناس مثل الذي صنعتم ، من كان يقيم الحدود ؟ من كان يعمر المساجد ؟ من كان يجاهد العدو ؟ ارجعوا فخالطوا الناس ، وتعلموا ممن هو أعلم منكم ،

وعلموا من أنتم أعلم منه . قال : قلت للشعبي : أَهُمْ عمرو بن عتبة ومِعْضَد وأصحابهما ؟ قال : نعم .

حدثنا أحمد ، ثنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الله بن الرُبيّعة قال : قال عتبة بن فرقد : يا عبد الله بن الرُبيّعة ألا تعينني على ابن أخيك ، حتى يعينني على ما أنا بسبيله من عملي ؟ فقلت : يا عمرو أطع أباك ، قال : فنظر عمرو إلى معضد وكان معهم فقال: لا تطعهم ﴿واسجد واقتربْ﴾[1] ثم قال عمرو: يا أبه أنا رجل أعمل في فكاك رقبتي ، قال : فبكى عتبة ثم قال : يا بني إني لأحبك حبين : حباً لله ، وحب الوالد لولده ، فقال عمرو : يا أبه إنك كنت أَثْبَتَني بمال بلغ سبعين ألفاً فإن أذنت لي أمضيته . قال : قد أذنت لك ، فأمضاه حتى ما بقي منه درهم .

وحدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثني مُسَدَّد بن مُسَرْهد ، ثنا عبد الله بن داود عن علي بن صالح قال : كان عمرو بن عتبة يصلي والسبع يحميه .

حدثني أحمد ، حدثني علي بن إسحاق المروزي عن عبد الله بن المبارك عن الحسن بن عمرو الفزاري قال : حدثني مولى لعمرو بن عتبة بن فرقد قال : استيقظت ذات يوم في ساعة حارة فطلبنا عمرو بن عتبة فوجدناه في الجبل ساجداً ، وغمامة تظله . وكنا نخرج للغزو فما نتحارس لكثرة صلاته ، ورأيناه يصلي فسمعنا زئير أسد فهربنا وهو قائم يصلي فقلنا له : أما خفت الأسد ؟ فقال : إني لأستحي من الله أن أخاف غيره .

---

١ ـ سورة العلق ـ الآية : ١٩ .

حدثنا أحمد ، ثنا عبد الله بن المبارك ، أنبأ فضيل عن الأعمش قال : قال عمرو بن عتبة بن فرقد : سألت الله ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين وأنا انتظر الثالثة . سألته أن يزهدني في الدنيا فما أبالي ما أقبل منها وما أدبر ، وسألته أن يقويني على الصلاة فقواني ، وسألته الشهادة فأنا أرجوها .

حدثنا أحمد ، ثنا علي بن إسحاق عن ابن المبارك ، أنبأ عيسى بن عمر ، حدثني حوط بن رافع أن عمرو بن عتبة كان يشترط على أصحابه أن يكون خادمهم ، فخرج في الرعي في يوم حار ، فأتاه بعض أصحابه فإذا هو بغمامة تظله وهو نائم فقال : ابشر يا عمرو فأخذ عليه عمرو ألا يخبر أحداً .

حدثنا أحمد ، ثنا عنبسة بن سعيد عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش أن عمرو بن عتبة اشترى فرساً بأربعة آلاف حين غزا ناحية بلنجْر فقيل له : أتشتري فرساً بأربعة آلاف ؟ فقال : ما أحب أن لي بكل رفعةٍ ووضعةٍ ، إذا رفع حافره ووضعه درهماً .

حدثنا أحمد بن ابراهيم ، ثنا علي بن إسحاق عن ابن المبارك عن عيسى بن عمر عن السّدي عن ابن عم لعمرو بن عتبة قال : نزلنا في مرج حسن فقال عمرو : ما أحسن هذا المرج ، أي شيء أحسن الآن من أن ينادي مناد يا خيل الله اركبي ، فيخرج رجل فيكون أول من لقي العدو فأصيب ، ثم يجيء به أصحابه فيدفنونه في هذا المرج . قال : فما كان بأسرع من أن نادى مناد : يا خيل الله اركبي كفرتِ المدينة ، يعني مدينة كانوا صالحوها ، فخرج عمرو في سَرعان الناس أول من خرج ، فأخبر عتبة بذلك فبعث في طلبه فما أُدرك حتى أُصيب ، قال : فما أراه دفن إلاَّ في مركز رمحه ، وكان يومئذ عتبة على الناس .

وقال غير السدي : أصابه جرح ، فقال:والله إنك لصغير ، وإن الله ليبارك في الصغير ، دعوني مكاني هذا حتى أُمسي فإن عشت فارفعوني ، قال: فمات في مكانه ذلك .

قالوا : ولبس عمرو جبة بيضاء ، ثم قال : والله إن تَحَدُّر الدم عليها لَحَسَنٌ ، فلقي العدو ، فرمي فجعل الدم يتحدر على الجبة فمات .

وروي أن قاتله أُخذ أسيراً ، فقال عتبة لرجل يقال إنه مسروق : قم فاقتل قاتل أخيك فقتله .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا أبو معاوية الضرير ، ثنا الأعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال : خرجنا في جيش فيه مِعْضَد بن يزيد وعلقمة وعمرو بن عتبة ، ويزيد بن معاوية النخعي ، وكان معنا صاحب لنا مريض فحفرنا له قبراً لندليه فيه إذا قضى ، فرأى يزيد بن معاوية النخعي من الليل كأنه أتى بغُزَيْل أبيض فدفن في ذلك القبر .

قال : وخرج عمرو بن عتبة وعليه جبة جديدة بيضاء ، فقال : ما أحسن الدم منحدراً على هذه الجبة ، فخرج يتعرض للحصن فأصابه حجر فشجَّه ، فتحدر الدم على جبته ، ومات من شجَّته فدفناه في ذلك القبر ، وخرج مِعْضَد يتعرض للقصر ـ أو قال الحصن أيضاً ـ فأصابه حجر فشجَّه فجعل يلمس شجَّته بيده ويقول : إنها لصغيرة ، وإن الله ليبارك في الصغيرة ، فمات منها فدفناه .

وقال محمد بن سعد : قتل عمرو بن عتبة زمن معاوية وروى عن ابن مسعود[1] .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٠٦ .

ومنهم : **المنصور بن المعتمر** بن غالب بن عبد الله بن ربيعة بن حبيب بن مالك الفقيه ، ويكنى أبا عتاب ، مات في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وولاه يزيد بن عمر بن هبيرة القضاء ، فجلس للناس وتقدموا إليه فجعل يقول : لا أُحسن ، واعتزل القضاء .

وولد ظَفَر بن الحارث بن بُهثة : عطية بن ظفر . وقادم بن ظفر . ومطاعن بن ظفر ، رهط : **أشرس بن عبد الله** ، ولي خراسان من قبل هشام بن عبد الملك ، وكانت الجزية تؤخذ ممن أسلم فطرحها عنهم .

وربيعة بن ظفر ، وفهر بن ظفر . وكليب بن ظفر . وكعب بن ظفر ، وهم في الأنصار يقولون : هو ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

وولد كعب بن الحارث بن بُهثة : عمل بن كعب . وغضْب بن كعب بالكوفة ، وليس في العرب غضب غيره وآخر في الأنصار ، وهو غضْب بن جُشَم بن الخزرج .

فولد عمل بن كعب : عمرو بن عمل . ومالك بن عمل . وملّان بن عمل . ومُلَيْل بن عمل . وجندب بن عمل .

منهم : المنقع بن مالك بن أمية بن عبد العزى بن ملّان الذي ذكره عباس بن مرداس السلمي في شعره .

وولد ثعلبة بن بهثة : ذكوان بن ثعلبة . ومالك بن ثعلبة وهو بجلة .

فولد ذكوان : فالج بن ذكوان .

فولد فالج : هلال بن فالج . وخزاعي بن فالج . وعون بن فالج . وربيعة بن فالج . ونصر بن فالج .

فولد هلال بن فالج : مرة بن هلال . ومحاربي بن هلال . وحيان بن هلال . وكعب بن هلال .

منهم : **حكيم بن أمية** بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال ، حليف بني أمية .

وقال غير الكلبي ، حليف بني عبد مناف بن قصي ، وكان حكيم محتسباً في الجاهلية يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويؤدب الفساق ويحبسهم وينفيهم ، وفيه يقول الشاعر ، ويقال انه عثمان :

أطوّف في الأباطح كل يوم   مخـافـة أن يشردني حكيم

وابنه أوفى بن حكيم ، كان أخا زيد بن الخطاب لأمه ، أمهما أسديّة وكانت خولة بنت حكيم عند عثمان بن مظعون .

ومنهم : **أبو الأعور السّلمي** ، وهو عمرو بن سفيان بن سعيد بن قانف بن الأوقص بن مرة بن هلال ، صاحب معاوية ، وكان ممن بعث به إلى عمر ، وكان على خيل معاوية .

ومنهم : **عمير بن الحُبابِ** بن جعدة بن اياس بن حزابة بن محاربي بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان ، قتله ابن هَوْبَر في حرب قيس وتغلب ، وقد ذكرنا خبره ، وشعر الأخطل فيه .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه قال : عمير يكنى أبا المغلس وكان غلب على نصيبين وغيرها من الجزيرة ، فأمنه عبد الملك ، وأشار عليه عمرو بن سعيد أن يغدر به فحبسه فخرج من حبسه على سلم من حبال من كوة البيت الذي كان فيه ، وذلك أنه أسكر حرسه وقال :

عجبت لما تضمنت الموالي بخرّاج من الغمرات ناج
ونَـوَّمَ شرطة القرشي عني كميت اللون صافية المزاج

ويروى : شرطة الريان ، وهو مولى عبد الملك ، وصاحب حرسه .

وقال تميم بن الحُباب :

تطاول ليلي بالفرات وشفَّني نوائح أبكاها قتيل ابن هوبر

وكان تميم بن الحباب شاعراً ، وقد ذكرناه في حرب قيس وتغلب .

وولد عمير بن الحباب : **الحباب بن عمير** ، وكان من فرسان قيس ، وكان مع مروان بن محمد بن مروان يقاتل الخوارج فقال شاعرهم :

والله لولا نزلة الحباب لَهَرَبَ الجعديُّ في الهرَّاب

ومنهم : **صفوان بن المعطل**[1] بن رحضة بن المؤمل بن خزاعي بن محاربي بن هلال بن فالج بن ذكوان ، الذي رماه أهل الإفك بما رموه به في أمر عائشة رضي الله تعالى عنها ، حين انقطعت مرسلتها في غزاة المريسيع ، فحملها على بعيره ، وقد كتبنا قصته ، وكان من أهل الإفك حسان بن ثابت، فضربه صفوان ضربة بالسيف فغضبت له الأنصار، فوهب له رسول الله ﷺ جارية وهي أخت مارية القبطية ، ومات صفوان بشمشاط ، وقبره بها معروف ، وقال الشاعر لحسان حين ضربه صفوان :

وإن ابن المعطل من سليم أذل فباد رأسك بالخِطام

ومنهم : **الجحّاف بن حكيم** بن عاصم بن قيس سباع بن خزاعي بن محاربي ، الذي قال له الأخطل :

---

١ ـ بهامش الأصل صفوان بن المعطل رحمه الله .

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلى الله منها المُشتكىٰ والمعوَّل[1]

وهو الذي يقول للأخطل :

أبا مالك هل لمتني مذ حضضتني على الفتك أم هل لامني لك لائم

وقد ذكرنا خبره في خبر قيس وتغلب .

وذكر أبو اليقظان أن أم الجحاف بنت أخي قيس بن الهيثم .

وولد مالك بن ثعلبة بن بهثة : فُصَيَّة بن مالك . ومازن بن مالك . وفتيان بن مالك وأمهم بَجْلة بن هُنَاءة بن مالك بن فهم الأزدي ، الذي يقال لهم بنو بَجْلَة بالكوفة ويقال ان سهاسوخ بجلة وإنما هو سهارسوخ بجلة فَحُرِّفَ .

منهم : **الورد بن خالد** بن حُذيفة بن عمرو بن خالد بن مازن بن مالك بن ثعلبة ، كان على ميمنة النبي ﷺ يوم فتح مكة .

ومنهم : **عمرو بن عبسة**[2] بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خالد بن مازن بن مالك بن ثعلبة بن بهثة ، يقال إنه أسلم رابع أربعة ، ويكنىٰ أبا نجيح .

قال الواقدي : يروى انه قال كنت ثالثاً أو رابعاً في الإسلام .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن الحجاج بن صفوان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عبسة قال : رغبت في الجاهلية عن آلهة قومي ، فلقيت رجلاً من أهل تيماء ، فقلت له : إني امرؤ ممن يعبد

---

١ ـ ديوان الأخطل ص ٢٣٠ .

٢ ـ بهامش الأصل : عمرو بن عبسة رضي الله عنه .

الحجارة ، ينزل القوم منهم منزلاً فيعمد الرجل منهم إلى أربعة أحجار فينصب ثلاثة منها لقدره ويجعل أحسنها عنده إلهاً يعبده ، ثم لعله أن يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ، ويأخذ غيره ، فرأيت أن الحجر لا ينفع ولا يضر فَدُلَّني على دين خير من هذا ، فقال : إنه يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ، ويدعو إلى غيرها ، فإذا رأيت ذلك فاتبعه . فلم يكن لي همّة حين قال لي ذلك إلا إتيان مكة والمسألة عما حدث ، فسألت مرة فقالوا: قد خرج بها رجل راغب عن آلهة قومه ، فرجعت إلى أهلي فشددت راحلتي برحلها ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزله بمكة فسألت عن رسول الله ﷺ فوجدته مستخفياً ، ووجدت قريشاً عليه أشداء ، فتلطفت حتى دخلت عليه فقلت: أي شيء أنت؟ قال: «نبي» قلت: ومن أرسلك؟ قال: «الله» . قلت : وبماذا أرسلك ؟ قال : «بعبادة الله وحده لا شريك له ، وبحقن الدماء ، وكسر الأوثان ، وصلة الرحم وإيمان السبل» . فقلت : نِعْمَ ما أُرسلتَ به ، قد آمنت بك وصدقتك أفتأمرني أن أمكث معك أو أنصرف ؟ قال : «ألا ترى كراهة الناس لما جئتُ به ، كن في أهلك ، فإذا سمعت بي قد خرجت مخرجاً فاتبعني» . فمكثت في أهلي حتى إذا خرج الى المدينة سرت إليه فقلت : يا نبي الله أتعرفني ؟ قال : «نعم أنت السلمي الذي أتيتني بمكة» ، فقلتُ يا نبي الله أي الساعات أسمع ؟ قال : «الثلث الأخير ، ثم الصلاة مشهودة مقبولة حتى تطلع الشمس ، فإذا رأيتها قد طلعت حمراء كأنها الحجفة فاقصر عنها ، فإنها تطلع بين قرني شيطان فيصلي لها الكفار، فإذا ارتفعت قدر رمح أو رمحين فإن الصلاة مشهودة مقبولة حتى يساوي الرجل ظله ، فاقصر عنها فإنها حينئذ تسجر جهنم ، فإذا فاء الفيء

فَصَلِّ فإن الصلاة مقبولة مشهودة حتى تغرب الشمس ، فإذا رأيتها قد غربت حمراء كأنها الحجفة فاقصر» ، ثم ذكر الوضوء فقال : «إذا توضأت فغسلت يديك ووجهك ورجليك ، فإن جلست كان ذلك طهوراً ، وإن قمت فصليت وذكرت ربك بما هو أهله انصرفت من صلاتك كهيئتك يوم ولدتك أمك» .

وروي أن عمراً رضي الله تعالى عنه أتى مكة ، فقال له رسول الله ﷺ : «إذا بلغك أني قد خرجت مخرجاً فأتني» ، فأتى منزله بحاذة وصُفَينة[١] فأقام حتى مضت بدرٌ وأحدٌ والخندق ، ثم قدم على رسول الله ﷺ فكان أول مشاهده معه الطائف ، وغزا الروم في أيام أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وأقام بالشام حتى مات في وسط أيام معاوية ، ويقال إنه بقي إلى زمن يزيد بن معاوية[٢] .

وروي أن عمرو بن عبسة قال لرسول الله ﷺ حين أسلم : من اتبعك يا رسول الله ؟ قال : «حر وعبد» ، فقيل العبد بلال .

وولد ملكان بن عكرمة ، وهو أبو مالك : ناج .

فولد ناج : الديل . فولد الديل : حمار .

فولد حمار : ماوية وهي أم جشم ، وإخوته بني بكر بن حبيب . وهم الأراقم في بني تغلب ، وقال الشاعر :

أعِكرْمُ لا من أسرة الحيّ أنتم   ولا نسب في قيس بن عيلان ثابت

---

١ ـ حاذه : موضع كثير الأسود وصفينة : بلد بالعالية من ديار بني سليم ، ذو نخل . معجم البلدان .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٤٠٣ .

وقال أبو اليقظان : هم في بني تيم الله بن ثعلبة .

وقال أبو اليقظان : ومن بني سليم : **منصور بن عمرو** بن عاصية البهزي .

وقال أبو عبيدة وغيره : خرج عمرو ، فأغار على هذيل ، وهو في جماعة من قومه ، فنذر بهم بنو سهم بن معاوية من هذيل ، فأبلغوا خبرهم هُذيلاً . فاستعدوا ، وعطش ابن عاصية فقال لبعض من معه : هل منكم من يسقي ؟ فقال بعض أصحابه : نخاف القوم ، فخرج علىٰ فرس له وقال : ليتبعني من أَحَبَّ . فقالوا : نرى جمعاً لا نقوم له ، فانطلق وحده على فرسه ومعه قربته ، وكان لهذيل على الماء قوم أكمنوهم لأنهم علموا أنه لابدَّ لهم من الماء ، ونظر ابن عاصية يميناً وشمالاً فلم ير الكمين فدخل البئر وأقبل يملأ قربته وأشرف الكمين عليه فقالوا : قد أخزاك الله يا بن عاصية ورمىٰ ابن عاصية شيخاً منهم فأصاب أخمصه فصرعه ، وتشاغل من معه باخراج السهم من رجل الشيخ ووثب ابن عاصية من البئر فنجا منها ، واتبعه باقوا من كان على البئر من هذيل فأسروه فقال : أرووني من الماء واصنعوا ما أردتم فلم يفعلوا وقتلوه ، فقالت أخته تبكيه بأبيات تقول فيها :

يا لهف نفسي على ما كان من حزنٍ ... علىٰ ابن عاصيةَ المقتول بالوادي
هلا سقيتم بني سهم أسيركم ... نفسي فداؤك من ذي غلة صاد

ويروىٰ هذا الشعر لأخت مسعود بن شداد . وكانت جَرم أَسَرَتْهُ فقالت :

يا عين بَكِّي لمسعود بن شداد ... بكاء ذي عبرات شَجْوُهُ باد

وانصرف بنو سليم ، وجمع عَرْعَرة بن عاصية لهذيل . فالتقوا بالجرف

فاقتتلوا فظفرت بنو سليم ، وقتلوا من هذيل وأسروا ، وأخذوا امرأة من هذيل فَعَرُّوها واستاقوها مُجَرَّدَةً ، فقال عرعرة بن عاصية :

ألا أَبلغْ هذيلاً حيث حَلَّتْ مغلغلةً تخب مـع الشفيق
قتلنـاكم غـداة الجـرف لمـا تـواقفت الفـوارس بـالمضيق
تـرامينـا قليـلاً ثم ولَّتْ فـوارسكم توقّـل كـل نيق

وقالت امرأة من هذيل :

أَلَامَتْ سليم في المساق وأُفْحَشَتْ وأفرط في السَّوْق العنيف أسارها
لعل فتاة منهم أن يسوقها فوارس منا وهي بادٍ شوارها

في أبيات .

وقال أبو اليقظان : من بني سليم : **راشد بن عبدربه** ، كان أتى النبي ﷺ واسمه غاوي ، فسماه النبي ﷺ : راشد بن عبدربه ، وولاه بعض الجيوش وهو القائل :

صحا القلب بعد الإلف وارتد شأوه وردَّ عليـه ما بغتـه تماضر

قال : ومن بني سُليم : **شقيق** ، كان مع مروان بن محمد ، وكان من فرسان سُليم ، وهو الذي يقول له الشاري :

قد عَلِمَتْ خيلك يا شقيق أنـك من سكرك لا تُفيق

ومنهم : **الأبلق** ، كان من فرسان مروان ، وهو القائل لمروان :

هـلا بعـين الجـر خليتني يوم أكبَّ القوم في الخندق
وأحمـل الأبلق في صفـهم ثم أنـاديـك فـلا تنـطق

ومنهم : **نُبيشه بن حبيب** ، قاتل ربيعة بن مُكدَم ، قال الشاعر :

نِعْمَ الفتىٰ أدّىٰ نُبيشة بَزَّهُ يوم الكديد نبيشة بن حبيب

ومنهم : **النضر بن شبيب** ، كان يلي أمر الفساق بالبصرة زمن الحجاج ، وله عقب بالبصرة .

ومنهم : **حبان بن الحكم** ، كان معه لواء سُليم يوم حنين .

ومن بني سُليم ، ثم بني بَهز : **كَرَّاز بن مالك** ، كان على الأُبلة زمن الحجاج حين خرج شيرزنجي في زمن الحجاج علىٰ زياد بن عمرو العتكي ، وهو على شرط البصرة ، فقتلوا ابنه ، وكانوا بالفرات ، فهرب كراز . ولكراز عقب بخراسان والبصرة .

ومن بني سُليم : **جَعدة** ، وكان يكون بالمدينة فكتب بعض الرواة إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه شعراً ، وبعث به من ألقاه بالمدينة :

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً فدىً لك من أخي ثقة إزاري
قلائصنا هداك الله إنا شُغلنا عنكم زمن الحصار
قلائص من بني سعد بن بكر وأسلم أو جهينة أو غفار
لِمَنْ ذَوْدٌ يَبِتنَ مُعْقَلاتٌ قفا سلع بمختلف التجار
يُعَقِّلُهُنَّ جعدة من سليم جهاراً يبتغي سقط الجواري

وكان يأخذ الجواري فيعقلهن ويقول : أريد أن أدري أيتكنّ أصبر . فضربه مائة ، وأخرجه من المدينة ، وكان جميلاً طوالاً .

قال:ومن بني سليم : **أبو عبد الرحمن السلمي**[1] المقرىء ، كان من أصحاب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وروىٰ عنه الفقه ، وهو عبدالله بن حبيب .

---

١ ـ بهامش الأصل : أبو عبد الرحمن السلمي .

وحدثني الحسين بن الأسود ، ثنا عبد الرحمن بن حميد الرؤاسي قال : سمعت أبا إسحاق السَبيعي يقول : أَقرأَ أبو عبد الرحمن السلمي القرآن في المسجد الأعظم بالكوفة أربعين سنة .

وحدثني الحسين عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم قال : كان أبو عبد الرحمن إذا جلس يُقرىء القرآن قال : لا يجالسنا حروري ، ولا رجل يجالس شقيقاً الضَّبِّي ، وإياي والقُصَّاص إلا أبو الأحوص .

وكان شقيق صاحب خصومة لقيه الحروية فقالوا له : ما أنت ؟ قال : مؤمن مهاجر ، وابن سبيل عابر ، ومرتاد ناظر فخلوا سبيله .

وقال يحيى بن آدم عن أبي بكر أيضاً : أقرأ أبو عبد الرحمن في مسجد الكوفة ، فلما هلك جلس عاصم في مجلسه يُقرىء الناس ، وتوفي في ولاية بشر بن مروان الكوفة ، فخلفه عاصم .

قال : ومنهم : **حصين بن عبد الرحمن** من فقهاء أهل الكوفة .

قال : ومن بني سليم : مالك وهند . فأما مالك فقتله أبو الفارعة ، أخو ربيعة بن مكدم ، وترك هنداً ، فقال :

تجاوزتُ هنداً رغبة عن قتاله إلى مالك أعشو إلى ضوء مالك
وأيقنت أني ثائر بابن مُكْدَمٍ غداتئذٍ أو هالك في المهالك

وكان من سُليم : **عباس بن أنس الأصمّ** ، وكان من فرسانهم ، وكان عتيبة بن الحارث غدر به ، وهو جاره ، فأوثقه حتى افتُدي ، فقال عباس بن مرداس :

كَثُر الملام وما سمعتُ بغادرٍ كعتيبة بن الحارث بن شهاب

قال : وكان من موالي سليم : **أبو أيوب سليمان** بن أبي سليمان ، الذي يقال له المورياني ، وزير أبي جعفر المنصور ، ويعقوب . وعلي . وصالح بنو داود ، ويعقوب وزير المهدي أمير المؤمنين .

وقال محمد بن سعد : صحب جاهمة بن العباس بن مرداس النبي ﷺ ، وروى عنه أيضاً[1] .

والعِرباض بن سارية السلمي ، مات بالشام في أيام عبد الملك في فتنة ابن الزبير .

وقال الواقدي : مات سنة خمس وسبعين .

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٧٤ .

نسب ثقيف

وولد منبّه بن بكر بن هوازن : قسيّ بن منبّه ، وهو ثقيف ، وكان أول من جمع بين أختين من العرب ، وأمه أميمة بنت سعد بن هذيل .

فولد ثقيف : عوف بن ثقيف . وجشم بن ثقيف ودارس بن ثقيف وهم في الأزد بالسراة .

وسلامة بن ثقيف ، وأمهم زينب بنت عامر بن ظرب العدواني .

وناصرة بن ثقيف . والمسك امرأة ، وأمهما أميمة بنت عامر بن ظرب .

فولد عوف بن ثقيف : سعد بن عوف ، وأمه خالدة بنت عوف بن نصر بن معاوية . وغبرة بن عوف وأمه قلابة بنت صبح بن صاهلة من هذيل .

فولد سعد بن عوف : عمرو بن سعد . وأسيد بن سعد ، وأمهما مكرمة بنت كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة ، من خزاعة .

فولد عمرو بن سعد : كعب بن عمرو . وربيعة بن عمرو . وعبدالله بن عمرو ، وأمهم فاطمة بنت بلال بن عمرو بن ثمالة من الأزد .

فولد كعب بن عمرو : مالك بن كعب . وزَبينة بن كعب وأمهما وَدَّة بنت قيس بن الحارث بن فهر بن مالك .

وقال الشماخ في بني وَدَّة :

إن بني ودَّة بالمسيل ليس إلى جارهم سبيل
عروة منهم وأبو عقيل[1]

ويرويه آل المغيرة بن شعبة : شعبة منهم وأبو عقيل .

فولد زَبينة : معشر بن زبينة ، وأمه من بني هلال بن عامر .

فولد معشر : عمرو بن معشر .

فولد عمرو : المنتدب بن عمرو . وأصرم بن عمرو . وأفقم بن عمرو . وأبا سهل بن عمرو . وأبا عمرو بن عمرو ، وأمهم بنت عوف بن ضَبَّة بن الحارث بن فهر .

وولد مالك بن كعب بن عمرو : مُعَتِّب بن مالك . وعتاب بن مالك ، وعِتبان بن مالك رهينة أبي يكسوم الحبشي . وأبا عتبة بن مالك ، وأمهم كلبة بنت يربوع بن ناصرة بن غاضرة بن حُطيط بن جُشم بن ثقيف .

فولد مُعَتِّب : مسعود بن مُعَتِّب . وعامر بن مُعَتِّب . ووهب بن مُعَتِّب . وعمرو بن مُعَتِّب . ومرة بن مُعَتِّب وهو العاقر . ومعاوية بن مُعَتِّب ، وأمهم خَبيئة بنت الذيبة ، وهو ربيعة بن عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حُطيط .

---

١ ـ ليس في ديوان الشماخ المطبوع .

وسلمة بن مُعَتّب وأمه كنّة بنت كسيرة بن ثمالة من الأزد ، وأخوه لأمه أوس بن ربيعة بن مُعَتّب فهما ابنا كنة ، إليها ينسبون وفيهم يقول الشاعر :

أَلَمّا بي على الأبيـات بالسَّفح أَزُرْهُنَّه ،
غزالاً ما رأيت اليـوم في دور بني كنَّه
غزالاً أحور العيـن وفي منطقه غُنَّه

وربيعة بن مُعَتّب ، وأمه من عدوان .

فمن بني مُعَتّب : **عروة بن مسعود** بن مُعَتّب كان سيدهم في زمانه وبعثه رسول الله ﷺ إلى ثقيف يدعوهم إلى الإسلام فقتلوه فقال ﷺ : مثله مثل صاحب ياسين ، وفيه نزلت : ﴿وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾[1] . وهو عظيم الطائف ، والقريتان مكة والطائف .

وقارب بن الأسود بن مُعَتّب ، كان على الأحلاف يوم حنين ، فانهزم بهم قبل القتال فنجوا فقال الشاعر :

ولولا قاربٌ وبنو أبيه لَهُدِّمت المصانع والقصور

والمغيرة بن شعبة[2] بن أبي عامر بن مسعود بن مُعَتّب أحد دهاة العرب ، وأم المغيرة من بني نصر بن معاوية ، وكان المغيرة شخص في عدّة من قريش وثقيف في تجارة إلى مصر ، فوجدهم ذات يوم نياماً فجعل يذبحهم رجلاً رجلاً ، ثم قدم على النبي ﷺ فأسلم وحدثه حديثه وجاءه بما أخذ منهم ، فقال رسول الله ﷺ : «أما إسلامك فنقبله وأما خفرتك

---

١ ـ سورة الزخرف ـ الآية : ٣١ .
٢ ـ بهامش الأصل : المغيرة بن شعبة رحمه الله .

فنردها» . وكان قدومه في سنة ست من الهجرة ، قدم مسلماً مهاجراً وكان أعور ، وشهد الحديبية مع النبي ﷺ ، وبايع بيعة الرضوان تحت الشجرة .

وقال غير الواقدي : أسلم المغيرة بعد أحد بقليل ، وهو قول ثقيف ، وشهد المغيرة يوم القادسية قدمها في ستمائة من أهل البصرة ، وولاه عمر البصرة ، فافتتح بها فتوحاً وذلك بعد عتبة بن غزوان ، وعزله عمر رضي الله تعالى عنه ، وولاه بعد ذلك الكوفة ، وولاه معاوية الكوفة ، فمات بها بالطاعون سنة خمسين ، وكان يكنى أبا عبدالله ، وصلى بالناس في العام الذي قتل فيه علي كرم الله وجهه في سنة أربعين ، وجعل يوم الأضحى يوم عرفة وفيه يقول الراجز :

سيري رويداً وابتغي مغيرة كَلَّفتهـا الإدلاج بـالـظهـيرة

وقال بعضهم : أصيبت عين المغيرة بالقادسية ، وخرج المغيرة ومعه جرير بن عبدالله ، والأشعث بن قيس ، وهو يومئذ والي الكوفة فلقوا أعرابياً فقالوا له : ما تقول في المغيرة بن شعبة ؟ قال : أُعَيْورٌ زَنّاء تَرْفَعُه إِمْرَتُهُ وتَضَعُهُ أُسْرَتُهُ .

قالوا : فجرير بن عبدالله ؟ قال : هو بجيلة إذا رأيتموه فقد رأيتموها . قالوا : فالأشعث ؟ قال : لا يغزى قومُه ما بقي لهم فقالوا له : هذا المغيرة ، وهذا جرير ، وهذا الأشعث فانصرف وقال : ما كنت لآتي قوماً أسمعتهم المكروه ، وقال لامرأته : يا أم فلان إصرفي حمارك .

وحدثني المدائني قال : قال المغيرة بن شعبة : أحسن الناس عيشاً ، من حَسُنَ عيش غيره ، في عيشه .

المدائني أن المغيرة بن شعبة قال : ما اصطنعتُ معروفاً قط إلاّ كنتُ أحرص الناس على صيانته وريّه حتى استتمه .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نهى أن يكنى أحد بأبي عيسى ، فقال المغيرة بن شعبة : كناني رسول الله ﷺ بأبي عيسى ، وكنى صهيباً بأبي يحيى ، ثم قال عمر : دلوني على رجل أوليّه ، فقال المغيرة : قد عرفته ، عبدالله بن عمر . فقال عمر : والله ما الله أردتَ يا عدو نفسه[1] .

وقال عمر يوماً : من عَذيري من أهل الكوفة ، إن وليت عليهم الضعيف حقروه ، وإن وليت عليهم القوي فَجرُّوه ، فقال المغيرة : أما المؤمن الضعيف فله إيمانه ، وعليك ضعفه ، وأما الفاجر القوي فلك قوته وعليه فجوره ، فقال : ياأعور لعلك إن وليتك تعود لشيء مما رُميت به ، قد وليتك الكوفة .

وكان المغيرة يقول : إن المودة لتنفع عند الجمل الصؤول : والكلب العقور ، فكيف عند الرجل المميز الفهم الكريم .

وتزوج المغيرة ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب ، وتزوج ابنة سعد بن أبي وقاص .

وقال أبو اليقظان:يذكرون أنه حصن ثمانين امرأة في الإسلام ، منهنَّ ابنة لجرير بن عبدالله البجلي .

وكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال : إنكنَّ لطويلات الأعناق ،

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦ ، ج ٦ ص ٢٠ ـ ٢١ .

كريمات الأعراق ، جميلات الأخلاق ، ولكني رجل مطلاق فاعتددن . ويروى شبيه ذلك عن خالد بن صفوان .

وكان المغيرة يقول : النساء أربع والرجال أربعة ، رجل مذكر ، وامرأة مؤنثة فهو قوام عليها . وامرأة مذكرة ورجل مؤنث فهي قوامة عليه . ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما يكادان يصطكان ، ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يأتيان بخير ولا يفلحان .

وقيل لامرأة من نساء المغيرة : إنه لذميم أعور ، فقالت : هو والله عسيلة يمانية في ظرف سوء .

وقال المغيرة حين حضرته الوفاة : اللهم هذه يدي بايعت بها نبيك وجاهدت بها في سبيلك فاغفر لي ما يعلمون من ذنوبي وما لا يعلمون .

وكتب إليه معاوية وهو على الكوفة أن اظهر أَمْرَ عليّ وتنقصه ، فكتب إليه ان كنت كلما غضبت شتمتَ وكلما عتبتَ لعنت ، وكلما أذنب إليك ضربت ، ليس بينك وبين ذلك حاجز من حلمك ، ولا تجاوزٌ بعفوك فلست بأهلٍ لما تُنْسبُ إليه من الحلم .

وكان قد اعتزل حرب علي ومعاوية وأقام بالطائف متمارضاً .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : أراد المغيرة أن يبلو معاوية ، فكتب إليه يشكو ويسأله الإذن في إتيان المدينة أو الطائف ، فكتب إليه : أنت وذاك ، وإن شئت فصر إلينا وأنت كما قال الأول :

اختر لنفسك ما بدالك راشداً ودع الخداع فقد كفاك الأول

فكتب إليه المغيرة :

إن الذي ترجو سقاطك والذي   سمك السماء مكانها لمضلل
أجعلتَ ما أُلقي إليك خديعةً   حاشى الإله وتَرْكُ ظنك أجمل

وقال الكلبي : أُخبر المغيرة حين دخل الكوفة بمكان هند بنت النعمان ، فصار إلى ديرها فقال لها : جئتك خاطباً . قالت : لمن ؟ قال : لك يا هند . قالت : ومن الرجل ؟ قال : المغيرة بن شعبة صاحب رسول الله ﷺ ، وصاحب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأطرقت ملياً ثم رفعت رأسها فقالت : وجه عروس ترى ؟ والله مالي مال ترغب له فيّ ، ولا جمال تقصد فيه إلي ، ومالك من حظ إلا أن تقول في مجالس العرب عندي هند بنت النعمان بن المنذر ، والصليب لا يجمع رأسي ورأسك سقف أبداً ، فأنشأ يقول :

ما نلتُ ما منيَّتْ نفسي خالياً   لله درك يـا ابنـة النعـمان
إني لحلفك بالصليب مصدّق   والصُّلْبُ أفضل حلفة الرهبان
ولقد رددت على المغيرة ذهنه   إن الملوك ذكيـة الأذهـان
يا هند إنك قد صَدَقْتِ فأمسكي   والصدق خير مقالة الإنسان

وقال المغيرة : ما غَلَبَني رجل إلا مَرَّةً ، أمرته أن يخطب عليَّ امرأة فقال : لا تُرِدْهَا إني رأيت رجلًا يُقَبِّلُها ، ثم ذهب فتزوجها فقلت : ألم تخبرني أنك رأيت رجلًا قَبَّلها ؟ قال : نعم رأيت أباها يقبلها .

وكان المغيرة يختلف إلى أم جميل بنت محجن بن الأفقم بن شعيثة الهلالية ، وكان لها زوج من ثقيف يقال له الحجاج بن عتيك ، فرصده أبو بكرة ، وشبل بن معبد البجلي ، ونافع بن الحارث بن كلدة الثقفي ، وزياد بن أبي سفيان ، وهجموا عليه وهو والمرأة عريانان وقد تبطنها ،

فخرجوا إلى عمر فشهدوا عليه عنده بما رأوافوجه عمر أبا موسى والياً وأمره أن يُشخص المغيرة فأشخصه إليه فزعموا أنه رأى امرأة في طريقه على ماء فخطبها وتزوجها ونقط جسمه بعسل وألزق عليه القطن ، فدرأ عمر الحد عنه لأن زياداً قال رأيت منظراً قبيحاً ، وسمعت نفساً عالياً وما أدري أخالطها أم لا ، فجلد عمر الشهود إلا زياداً ، وقال حسان بن ثابت في المغيرة :

لو انَّ اللؤم يُنْسَبُ كان عبداً قبيح الوجه أعور من ثقيف
تركت الدين والإسلام جهلاً غداة لقيت صاحبة النصيف
ومال بك الهوى وذكرت لهواً من الحسناء بالغمر اللطيف[1]

وقد ذكرنا ولايته البصرة في كتابنا في أمر البلدان .

وقال الهيثم بن عدي : ابتاع المغيرة من مصقلة بن هبيرة الشيباني جارية ، فلما صارت إليه ندم مصقلة على بيعها فقال للمغيرة : إني قد وطئت هذه الجارية حديثاً فلا تطأها حتى تستبرئها ، فأني أحسبها حبلى وانسلّ مصقلة هارباً حتى أتىٰ الشام ، فشكا المغيرة ورماه بالزنى، فأغضب ذلك معاوية وأمر بحبسه ، ويقال إنه حَدَّهُ ، وقال : أنت أعلم به من عمر ، لقد حَدَّ من قذفه ، ثم إنه رضي عنه وولاه طبرستان .

وقال الكلبي ابتاع المغيرة من مصقلة جارية بألفي درهم فغشيها ولم يستبرئها ، فخرج مصقلة إلى معاوية فحكم معاوية بأن الولد للفراش ، وأصلح بينه وبين المغيرة .

---

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١١٢ .

ومات المغيرة بالكوفة فقدم مصقلة الكوفة وقد ولاه معاوية طبرستان ، فوجد المغيرة متوفى ، فقال متمثلاً قول مهلهل :

إن تحت الأحجار حزماً وجوداً وخصماً ألدَّ ذا مغلاق
حيّة في الوجار أربد لا ينفع منه السليم رقي الراقي

وكانت بكر بن وائل قالت لمصقلة : يا أبا الفضيل انبش قبر المغيرة فقال : لا والله لقد كنتَ يا أبا عبد الله شديد العداوة لمن عاديت، كريم الإخاء لمن آخيت ، والله ما يمنعني فعلك بي أن أقول فيك الحق ، ولقد صدقت باديتك .

وقال أبو اليقظان : هرب مصقلة من علي إلى معاوية ، ثم قدم الكوفة بعد ذلك ، والمغيرة عليها فغضب عليه المغيرة بسبب جارية طلبها منه فلم يبعه إياها ، ولم يهبها له ، وقال : هي جاريتي ، وهرب إلى الشام فأخذها المغيرة بمال ادعاه عليه ووطئها فولدت مطرف بن المغيرة ، فكان الحجاج يقول : هو ابن مصقلة ، ولو كان من ثقيف لم يخرج على السلطان ، ولكنه من بكر بن وائل .

وقال أبو عبيدة : لما هلك مصقلة بطبرستان ، وقدم بثقله أخذ المغيرة جارية أعجبته بثمن ، فقالت : إني حامل فكذبها وقال هذا الحنجار[1] منك ، ووطئها قبل الاستبراء ، والخبر الأول أثبت .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، ثنا أبو سعد مولى كندة قال : شهدت جنازة المغيرة بن شعبة ، ومات في يوم شديد الحر فدفن في

---

١ ـ المحنجر : داء في البطن . القاموس .

موضع قريب من رصافة الكوفة ، قال : بينا نحن في جنازته إذا رجل قد أقبل على بعير له وهو متلثم بعمامة فقال : من هذا المرموس ؟ قلنا : المغيرة بن شعبة أمير الكوفة فقال :

أَرَسْم ديارٍ للمغيرة يعرف عليه زواني الجن والإنس تعزف
فإن تك قد لاقيت هامان بعدنا وفرعون فاعلم أن ذا العرش ينصف

قال : ومضى ، فأقبل الثقفيون يشتمونه ، فلم يُدْرَ من هو .

وحدثني عباس عن أبيه هشام عن أبي محمد المرهبي عن عبد الملك بن عمير قال : شهدت جنازة المغيرة بن شعبة فرأيت امرأة جميلة نبيلة مشرفة على النساء وهي تقول :

الجلُّ يحمله النَّفَر قَرْم كريم المُعْتَصَر
أبكي وأُنشُدُ صاحباً لا عين منه ولا أثر
قد كنت أخشى بعد يومـ ـك أن أُسَاء فلا أُسَرّ
لله دَرُّكَ قد غنيـ ـت وأنت باقعة البشر
حلماً إذا طاش الحلـ ـوم ونارة أفعى ذكر

قلت : من هذه ؟ قالوا : أم كثير بنت قطر بن عبدالله بن الحسين الحارثي ، وكانت قبله عند كثير بن شهار الحارثي .

قالوا : وكان قد أصاب أهل الكوفة وباء وطاعون . فقال المغيرة لأبي موسى : أخرج بنا فأبى فخرج إلى الاكَيْراح ولم يبرح أبو موسى ، فلما خفّ الطاعون دخل المغيرة الكوفة فطعن فاستخلف ابنه عروة بن المغيرة .

وحُدثتُ عن شعبة عن زياد بن عِلاقة قال : سمعت جرير بن عبدالله يقول يوم مات المغيرة واستخلف جريراً فقال جرير : أوصيكم بتقوى الله

وحده لا شريك له ، استغفروا للمغيرة عفا الله عنه ، فقد كان يحب العافية واسمعوا وأطيعوا حتى يأتيكم أميركم ، ثم قال : قد بايعت رسول الله ﷺ بيدي هذه فاشترط علي النصح لكل مسلم ، وربِّ هذا المسجد إني لكم ناصح .

وكان المغيرة ابتنى بالكوفة داراً في ثقيف .

وكان للمغيرة من الولد : عروة . وحمزة . وأمهما حفصة بنت سعد بن أبي وقاص . والمغيرة بن المغيرة ، وأمه عائشة بنت جرير بن عبدالله ، والعقار بن المغيرة ، وأمه أم محمد بنت منبه . وهمام بن المغيرة . وجعفر . ومُطَرِّف . وسَوَّار لأمهات أولاد شتى .

وأما عروة بن المغيرة فكان على الكوفة حتى ضمها معاوية إلى زياد مع البصرة ، وكتب عبد الملك ، والحجاج على العراق : أنْ اكتُبْ إليَّ بخبر الحجاج ، وكتب إلى محمد بن عمير بن عطارد بمثل ذلك . فأما عروة فكتب : إن في الحجاج عجلة إلى سفك الدماء ، وأما ابن عمير فكتب كتاباً أقرأه الحجاج فبعث عبد الملك بالكتابين إلى الحجاج فدعا بعروة فضربه بالسياط حتى مات وهو بالكوفة . ولعروة عقب .

وكان نوفل بن الحارث بن عروة بن المغيرة عاملاً للمنصور على بعض فارس ، ثم حبسه ، فمات في الحبس .

وأما حمزة ، فولاه الحجاج صدقة أرض الكوفة ، فوضع على الخضرة الزكاة فقال له موسى بن طلحة : إنه ليس في الخضراوات صدقة فقال الحجاج : موسى أَفْقَهُ من حمزة .

وأما مطرّف ، فخرج على الحجاج ، فقتل وقد ذكرنا خبره فيما تقدم من كتابنا هذا ، وليس لمطرف عقب .

وقال أبو اليقظان : ومن بني مُعَتّب : جُبير بن حيَّة بن مسعود بن مُعَتّب .

وقال أبو اليقظان تَبَنَّتْ حيّة بنت مسعود جبيراً ، وكان بالطائف معلماً ، ثم قدم العراق ، وكان زياد في كُتّابه فأكرمه وولاه أصبهان ، وكان يكنى أبا فَرْتنا ، وولده بالبصرة لهم أموال يعرفون بالجبيريين[1] .

وسالف بن عثمان بن عامر بن معتّب . وهاشم بن أبي سفيان بن عثمان بن عامر بن معتب ، ولي الطائف ومدحه النجاشي الحارثي فقال :

وهاشم بن أبي سفيان خَيْرُهُمُ لمن أتاه على يُسر وإعسار

وكان أبو سفيان أول من دخل الطائف ، منهزماً يوم حنين .

ومنهم الحجاج بن يوسف[2] بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف . وكان يوسف مع عبدالملك وأبيه قبله ، وانهزم يوم الحنتف بن السجف بالربذة[3] ، وكان مع حبيش بن دُلجة فقال الشاعر :

ونجّى يوسف الثقفي ركض دراك بعدما سقط اللواء
ولو أدركنه لقضين نَحْباً به ولكل مخطأة وِقَاء

وكان الحجاج ردفه يومئذ ، ومات يوسف والحجاج على المدينة ، فنعاه

---

١ - بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .
٢ - بهامش الأصل : الحجاج بن يوسف .
٣ - تقدم هذا الخبر في ص ٢٥٦٠ .

على المنبر وقال : إني أحمد الله أنه لم يدع مالاً ولا كلأً ، وأم الحجاج ومحمد ، وزينب أختهما : الفارعة بنت همّام بن عروة بن مسعود بن معتب .

وَوَلّى عبد الملك محمد بن يوسف اليمن فمات بها فقال الشاعر :

أَلَا قُلْ للوَّامي على الخمر انني   سأشربها مما سباه[1] معتّب

وكان الحجاج يكنى أبا محمد ، وولي أول مرة تبالة ، فلما رآها أبى أن يليها فقيل في المثل : أَهْوَنُ من تبالة على الحجاج . ويقال بل أقام يسيراً فآذى أهلها واستخف بهم فقيل أهون من أهل تبالة على الحجاج ، والأول أثبت .

وولي شرط أبان بن مروان في بعض أيامه ، فلما خرج ابن الزبير وقوتل قال الحجاج : رأيت كأني سلخت ابن الزبير ، فوجهه عبد الملك لقتاله ، وقد كتبنا خبره .

وولى عبد الملك الحجاج الحجاز ثلاث سنين ، فكان يصلي بالناس في الموسم كل سنة ، ثم ولاه عبد الملك العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فوليه لعبد الملك أربع عشرة سنة ثم للوليد حتى هلك بواسط في رمضان سنة خمس وتسعين وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، ودفن بواسط ، واستخلف على الخراج يزيد بن أبي مسلم مولاه ، وعلى الحرب يزيد بن أبي كبشة السكسكي . وكان ابنه عبد الملك يصلي بالناس ، وقد كتبنا خبره في قدومه الكوفة والبصرة ، وأمر رستقاباذ ، وأمر ابن الأشعث ، وأمر من خرج عليه ، فيما تقدم من كتابنا هذا .

---

١ ـ سبأ الخمر : شراها . القاموس .

وحدثني المدائني عن مسلمة وغيره قال : لما قدم الحجاج العراق سأل عن سيرة زياد ، فاجتنب محاسنها ، وأخذ بمساوئها .

حدثني محمد بن أبان الواسطي عن أشياخهم قال : كان للحجاج جناح يقعد فيه إلى أن يمضي أكثر الليل ، وأن بعض الحراس ، كان شارب نبيذ فرمى ذلك الجناح بحجر ، فاستشاط الحجاج فأمر بطلبه فأُتي به فقال : يابن اللخناء ما حملك على ما فعلت ؟ قال : العيّ واللؤم . فقال : لا تَعُدْ فقد أنجاك صدقك . وكان إذا صُدّق نفع الصدق عنده .

قالوا : وكان الحجاج يشرف من الخضراء وغيرها فإذا رأى رجلاً يطيل الصلاة ، قال : هذا حروري فحبسه وربما قتله . وكان لا يرى رجلاً يبول أو يُحدث في مدينة واسط إلاّ عاقبه فقال بعض الشعراء :

إذا ما خرجنا من مدينة واسط　　خرينا وصلينا بغير حساب

المدائني قال : وفد الحجاج إلى عبد الملك ، فدخل عليه وعنده خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال له : يا حجاج إلى كم يكون هذا القتل ، إلى كم يكون هذا البسط ؟ فقال الحجاج : إلى أن لا يبقى في العراق رجل يزعم أن أباك يشرب الخمر .

قال المدائني : وكان للحجاج طبيب يقال له تياذوق ، فاستشاره في أكل السمك فأمره فأُطلي بالمسك ثم أكله فقيل له:لقد أقدمت والله لو ضرب عرق لقتلك ، فقال : صدقتم وقد سلم الله .

وقال تياذوق لشبيب الناجي ، وكان أثيراً عند الحجاج : أَمَالَكَ إليّ حاجة ، فقال : لا ، لأني لا أجوع ولا أشبع ، ولا آكل لحم شيء أكبر مني . قال : حسبك قد اكتفيت .

وقال الحجاج لزاذنفروخ بن تيزي كاتبه ، وكان مجوسياً : ادعني فأطعمني لوناً من اللحم ، ولوناً من الحلواء لا تزيد على ذلك ، فأطعمه جدياً رضيعاً سميناً وفالوذجة .

المدائني عن خالد بن يزيد أن الحجاج ذكر الفتنة فقال : تلقح بالشكوى ، وتتم بالنجوى ، وتنتج بالهلع .

وقال المدائني كان الحجاج يقول في خطبته : أيها الناس إنكم لم تخلقوا للفَنَاء ، إنما خلقتم للبقاء غير أنكم تنقلون من دار إلى دار ، فرحم الله عبداً أخذ بعنان عمله ، فإن كان لله مضى قدماً ، وإن كان لغيره أمسك محجماً .

وروى ذلك قوم عن علي بن أبي طالب عليه السلام .

قالوا : وخطب الحجاج حين أراد الحج فقال : أيها الناس إني أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ابني هذا وأوصيته فيكم بخلاف وصية رسول الله بالأنصار ، فإن رسول الله أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، ألا وإني أوصيته ألا يقبل من محسنكم ولا يعفو عن مسيئكم ، وإنكم ستقولون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلّا مخافتي ، تقولون لا أحسن الله له الصحابة ، ألا وإني قائل لا أحسن الله عليكم الخلافة ، ثم نزل .

ولما حج أتاه الناس يمدحونه ويستميحونه ، فاستسلف من التجار ، وأعطاهم ، فلما صاروا بالعراق قضاهم .

المدائني قال : أخرج الحجاج الدهاقين والناس من المصرين وألحقهم بأرضهم ، فقال بعض الرجاز :

جارية لم تَدْرِ ما سَوْق الإبل　　أخرجها الحجاج من كنٍّ وظلّ

وذكروا أن الحجاج كان يقول : ولدتني إذاً أم حجر ، ولدتني إذاً أم بَبَّة ، وأم حجر من بني عبد الدار ، وهي أم خالد بن عبدالله بن أسيد وأم بَبَّة هند بنت أبي سفيان بن حرب .

وقال المدائني : لما فرَّ ابن الأشعث يوم مَسْكن ، نزع أبو حُزابة درعه وسيفه وخري عليهما ، وقال لعنك الله سلاحاً ما كان أقل غناءك ، فمر به شامي فقتله ، وأتى الحجاج برأسه ، وأخبره كيف قتله ، فقال : ويحك هلا عفوت عنه وقد استسلم واستخذى .

ومر الحجاج بدار هِميان بن عدي السدوسي ، وهو على بغل ديزح ، وعليه قباء سماجوني ، وعمامة بلويّة فرفع يده فدعا على هميان ، ثم أمر بهدمها، فلما هُدمتْ أمر بطرح ترابها في النهر ، وكان هميان بأرض الترك ، فلما مات الحجاج أقبل فمات في طريق البصرة .

وقال عون بن عبد الرحمن بن سلامة :

وددت مخافة الحجاج أني بكابل في است شيطان رجيم
وددت مخافة الحجاج أني مع الحيتان في بحر أعوم

المدائني عن عبدالله بن أسلم الفهري : قال أراد الحجاج الشخوص إلى عبد الملك بعد فراغه من أمر الأزارقة وغيرهم سنة ثمان وسبعين فشاور زاذ نفروخ كاتبه ، الذي قتل يوم الزاوية ، فقال له : أتطمع أن يزيدك في سلطانك ؟ قال : لا . قال : فما يدعوك إلى الوفادة وأنت ههنا والٍ ، وأنت ثَمَّ مولى عليك ، وأنت تدعىٰ ههنا الأمير ، وتدعىٰ ثَمَّ باسمك ، وتحتاج إلى الطاف الولد والمرأة والعبد ، وإذا رآك عبد الملك بعثته على الفكرة فيك . فقال : صدقتَ .

ثم شاور عبيدالله بن عبد الرحمن بن سمرة الأعور فقال له مثل مقالته ، فقال : لو لا أن هذا أمر لم يطلع عليه أحد لقلت إنكما اجتمعتما عليه ، وأخذ برأيهما . فلما قتل ابن الأشعث وقتل زاذنفروخ ، وهرب عبيدالله بن عبد الرحمن بن سمرة وفد الحجاج إلى عبد الملك ، فلقي في سفره غماً ، وركب عبد الملك فسعى بين يديه حتى كاد ينقطع ، فقال : قَبَّح الله هذا عيشاً ، لله در القرشي والعلج .

قالوا: وكان عند الحجاج شبيب الناجي ، فأُتي الحجاج بزبد وتمر ، فقال الطبيب لا تأكله ، فقال شبيب : قال الله ﴿من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين[1]﴾ . وهذا مخ اللبن وأما التمر فإن الله قال لمريم ﴿وهزي إليك بجذع النخلة يَسَّاقَطْ عليك رطَباً جنيا﴾[2] فكُلْ فلن يضرك إن شاء الله ، قال شبيب : فخرجتُ وندمتُ وقلتُ والله وإنْ وجد في بطنه شيئاً قتلني . فلما أصبحتُ عَبَّأْتُ متاعي لأهرب فرآني عنبسة بن سعيد فقال : إنك لجريء ، ويحك ما دعاك إلى التعرض للحجاج . والله لو وجد شيئاً في بطنه أو عرْقٍ من عروقه لضرب عنقك .

وقال عبدالله بن صالح : خطب الحجاج فقال : لئن أُطيلت لكم النِّظْرَة ، ومُدَّ لكم في المهلة ، ولم تُحدثوا قبل الموت توبة فيالها حسرة .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : قدم الحجاج البصرة ، فسمع تكبيراً من وراء القصب ، فخطب فقال : يا أهل العراق ما هذا التكبير

١ ـ سورة النحل ـ الآية : ٦٦ .
٢ ـ سورة مريم ـ الآية : ٢٥ .

الذي يراد به الترهيب ، إني لأعلم أنها عجاجة ثارت يا بني اللكيعة ، وعبيد العصا ، وأولاد الإماء ، ألا يربَعُ الرجل منكم على ظلعه ، ويُبصر موضع قدمه ، ويُحسن حمل رأسه ، فوالله ما أظن الأمر يتناهى بي وبكم حتى أُوقع بكافتكم وقعة تكونون بها ﴿نكالاً لما بين يديها وما خلفها﴾[1] الفتنة تلقح بالشكوى ، وتتم بالنجوىٰ ، وتنتج بالهلع .

قالوا : وأُتي الحجاج بخليفة بن خالد بن الهرماس ، وكان ممن خرج عليه فقال له : من أنت ؟ قال : أحد الفجرة الكفرة فقال : خلّوا سبيله ، فقال سويد بن صامت العجلي : هذا القائل :

فلله حجاج بن يوسف حاكماً   أراق دماء المسلمين بلا جرم

فأمر به فقُتل .

ومرض الحجاج فأُرجف به ، فلما أفاق خطب فقال : يا أهل العراق ، ويا أهل الشقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق ، تقولون مات الحجاج ومات الحجاج ، فَمَهْ والله ما أحب ألا أموت ، وما أرجو الخير كله إلا بعد الموت ، وهل رأيتم الله اختار الحياة إلاّ لشر خلقه وأهونهم عليه إبليس ، ولقد سأل العبد الصالح ربه مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه ، ثم اضمحلَّ ، فكأن لم يكن ، أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، لكأني بكل امرىء منا ومنكم قد نقل في ثياب طهره إلى ضيق قبره فوضع في ثلاث أذرع طولاً في ذراعين عرضاً فأكلت الأرض شعره وبشره وامتصَّت صديده

١ـ سورة البقرة ـ الآية : ٦٦ .

ودمه وأقبل الحبيبان من ولده يقتسمان الحبيبين من ماله . إن الذين يعلمون يعلمون ما أقول . ثم نزل .

حدثنا محمد بن الأعرابي عن عبَّاد بن عباد قال : لم يُتَعلق على الحجاج إلا بكلمتين ، أقبل من الشام وحادٍ يحدو ويقول :

إنَّ عليك أيها البختي أكرم من تحمله المطيّ

فقال : صدق فُوكَ . وقوله للوليد : حدثَتْ بعد أمير المؤمنين أمور قد صورتها حتى أخبره بها يوم القيامة . وقال ابن الاعرابي قد ذُكر نحو هذا عن هشام بن عبد الملك أيضاً .

المدائني قال : لما قدم الحجاج من الشام لقيه جرير بن عبدالله ويقال حميد الأرقط فقال :

إذا بدا الحجاج وسط الموكب رأيته بعد العجاج الأصهب
كالبدر يُعشي البدر كل كوكب

وقال :

تحمله معتجراً بِبُرِدِهِ شعواء[1] تردى بنسيج وحده
كالسيف إذ أبرزته من غمده

وقال الحجاج : لا يَملَّنَّ أحدكم المعروف ، فان صاحَبَهُ بِعْرضِ خيرٍ كثيرٍ ، شُكر في الدنيا وثواب في الآخرة ، وخير المعروف ما بَغَشَتَ[2] به عثرات الكرام .

١ ـ الشعواء : ناقة . القاموس .
٢ ـ البغشة : المطرة الضعيفة ، والصبي يبغش ، وذلك إذا أجهش إليك . القاموس .

وقالوا : لما حمل يزيد بن المهلب فَلَّ ابن الأشعث ، أرسل الحجاج إلى أبي عتيبة فزوجه هنداً بنت المهلب ، وزوج أختها من محمد أخيه ، فحملت إلى اليمن .

وقال الحجاج : قدمت العراق وأنا ابن ثلاث وثلاثين سنة .

المدائني عن سحيم بن حفص قال : قال الحجاج حين مات أسماء بن خارجة بن حفص الفزاري : هذا الذي عاش فيما شاء ، ثم فِني فَنىً .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : كان الدهاقين عيوناً لابن الأشعث ، فلما انهزم وظفر الحجاج أضرّ بأهل السواد ، حتى انكسر الخراج ، فلما وُلي عمر بن عبد العزيز أتاه أهل النيل فشكوا إليه ما أخذ الحجاج منهم ، فوجدوا ذلك في شَرْط الحجاج عليهم فلم يرده عليهم .

المدائني عن أبي اليقظان وغيره أن الحجاج منع من ذبح البقر لتكثر الحراثة والزرع ، فقال رجل : رأيت الخنازير تدخل البصرة وتُمنع البقر من دخولها فقال الشاعر :

شكونا إليه خراب السواد ... فحرَّم ظلماً لحوم البقر
فكنا كمن قال فيما مضىٰ ... أُريها السُّهىٰ وتُريني القمر

حدثني عبدالله بن صالح عن رجل عن الأعمش قال : رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وأقامه الحجاج فقال : إلعن الكذابين علي بن أبي طالب[1] ، والمختار بن أبي عبيد ، فلما قال : عليّ علمت أنه لم يَعْنِهما .

١ ـ بهامش الأصل : أستغفر الله بل عليّ عليه السلام من أفضل الصديقين .

وقتل الحجاج ديناراً مولى بني قطيعة ، الذي تنسب إليه حفرة دينار . وكان هدم قصر الحجاج واشترى نقضة ابن الأشعث ، فأخذه الحجاج ببنيانه فبناه وشرَّفَه فذبحه بين شرفتين منه .

المدائني عن سحيم بن حفص قال : قال الحجاج : أيها الناس تلثموا واتقوا الغبار فإنه سريع الدخول بطيء الخروج ، يا أهل الشام املكوا أعنة خيلكم ، فإن الله قد ملككم أعنتها ، وكفوا أذاها عن الناس .

قالوا : ولما بنى الحجاج واسطاً قال لجامع المحاربي : كيف ترى ؟ قال : بنيتها في غير بلدك تدعها لغير ولدك . ويقال إن الذي قال له ذلك ابن القريّة .

قالوا : ولما اتخذ صالح بن علي ولد الحجاج في حصن ، أخذ سيف الحجاج فقتلهم به . وطلب أبو جعفر المنصور درعه فكتب إلى سَلْم بن قتيبة فيها ، فقال ولده : ننشدك الله قد أعطانا بها هشام مائة ألف درهم ، فأخذها من الحجاج بن عبد الملك بن الحجاج .

المدائني عن حماد بن زيد عن أيوب السختياني وابن عون قالا : أُكره الحسن إكراها حتى أتى ابن الأشعث ، وذلك أنه قيل لابن الأشعث : إن أردت أن يقاتل الناس معكَ ، كما قاتلوا مع عائشة ، فأخرج الحسن ، فأخرجَهُ .

وحدثني المدائني قال ذكر جماعة من أهل البصرة أن الحسن رؤي جالساً في ظل منبر ابن الأشعث .

المدائني عن حماد بن زيد عن أبي التياح قال : كان الحسن وسعيد أخوه جالسين فسعيد يحضّ على قتال الحجاج والحسن يبتسم ويقول : إنما ابتليتم بالحجاج عقوبة الله فلا تلقوا عقوبة الله بالسيف .

المدائني عن حماد بن سلمة قال رأى الحسن أخاه سعيداً وقد لبس سيفه ، وهو يريد قتال الحجاج مع ابن الأشعث فقال : ما هذا ؟ فأخبره ، فقال : وما أنت وذنوب الحجاج ، دعه يشقى بها .

وحدثني روح بن عبد المؤمن حدثني أمية بن خالد عن حماد بن زيد عن يحيى عن ابن سيرين أنه قال : الحائن سعيد بن جبير صنع ما صنع ، ثم أتى مكة يُفتي الناس .

حدثني بكر بن الهيثم عن سفيان بن عُيينة أن ابراهيم التيمي حبس في الديماس ، فكان ومن معه في جهد وضيق ، واشترى بعضهم جرواً فأكله ، وكان التيمي يعزيهم ، وكان يتناول الحجاج .

المدائني عن حماد بن زيد عن أيوب أن الفتنة ومن خرج فيها ذكروا عنده ، فقال : ما أعلم أحداً منهم إلا وقد رُغِب له عن مصرعه ، ولا أحد منهم بقي إلاّ ندم على ما سلف منه .

قال : وقال ابن عون : رأيت ابن الأشعث يخطب قاعداً ، فأتيت الحسن والناس عنده وهو ينهاهم عن الخروج . قال : أين أبوك ؟ قلت : غائب . قال : إلحق بأبيك .

المدائني عن أبي خيران الحماني عن عوف عن الحسن قال : دخلت على الحجاج وعلي قباء مُصَدأ فقال : يا حسن ما دعاك إلى الخروج مع ابن الحائك ؟ قلت : الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم . فأمر فخرجت وفكر

في كلمتي فدعا بي فتواريت فلم أظهر حتى مات ، وتوارى أبو عمرو بن العلاء ، قال : فسمعت أعرابياً يقول : مات الحجاج :

ربما تجزع النفوس من الأمـ ـــر له فَرْجَةٌ كحل العِقال

فما أدري بأي الأمرين كنت أفرح ، أبموت الحجاج أَمْ بقوله فَرْجَة ، وإنما كنا نرويها فُرْجَة .

المدائني عن علي بن حماد قال : رأى زبيد اليامي رجلاً يضحك ، فقال : إنك لتضحك ضحك رجل لم يشهد دير الجماجم ، وقال لطلحة بن مُصَرِّف : وددت أنَّ يدي قطعت ولم أشهد دير الجماجم .

وقال محمد بن المنتشر لطلحة بن مصرف :تَعيب علينا شرب الطِّلَىٰ المثلث ، وتقاتل أهل التوحيد ؟ فقال : ويحك وددت أني متُّ قبل ذلك بعشرين سنة .

الأصمعي عن عمه قال : أرسل الحجاج إلى مطرّف ، ولم يكن خرج وكان القاعد عن الحجاج ومن قاتله سواء ، فقال : يا مطرّف مرة لنا ومرة علينا ؟ فخاف إن جحد أن يقتله فقال : كانت هَنَةٌ استخفت حلومنا فكنّا بين مقتول ومخذول وهارب مفلول ، فقال : صدقت هذا خير مما يأتينا وسيفه يقطر من دمائنا ثم يجحد .

المدائني عن عامر بن حفص عن ابن سيرين قال : ما ذكرتُ من قُتل مع ابن الأشعث إلا قلت ليتهم لم يخرجوا ، وما ذكرتُ كلمة قالها الحجاج إلا قلتُ : ما وسعهم إلاّ ما صنعوا ، قال:أهل الشام يزعمون أن خبر السماء قد انقطع ، وقد كذبوا إن خبر السماء عند خليفة الله وقد أنبأه الله أنه مُشردهم وقاتلهم .

حدثني يوسف بن موسى القطان ، ثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن رجل سمع الحجاج يقول : إن رسول أحدكم أكرم عليه أم خليفته ؟

المدائني أن مسلم بن يسار قال : أحمد الله إليكم فإني لم أرم بسهم ولا حجر ، ولم أضرب بسيف ولا عصا ، ولم أطعن برمح ، فقيل له : كيف تصنع بوقوفك في الصف فقال : هذا أبو عبدالله رأيناه واقفاً ، فيقاتلون ، فبكى .

حدثني عمر بن شبه عن غسان بن مضر عن سعيد بن يزيد قال : وجدت في قبر عبدالله بن غالب ريح المسك ، فقال عطاء السليمي : ما أحسب هذا إلا من السلطان ، يقتل في فتنة ويوجد من قبره ريح المسك . وكان الناس يأتون قبره فيأخذون من ترابه فجاء السلطان فأخرب قبره .

المدائني عن عامر بن حفص قال : قيل لمالك بن دينار : يا أبا يحيى أعلى الكفر قوتل الحجاج ؟ قال : ليتنا لم نشهد ، وليت من قُتل منا ينجو .

المدائني عن سحيم بن حفص قال : مرَّ مالك بن دينار بأبي الجوزاء صريعاً وهو يقول : إنّا لله لا دنيا ولا آخرة .

المدائني عن جعفر بن سليمان الضبعي عن مالك بن دينار قال : رأيت معبداً الجهني بمكة فقال : ليتنا أطعنا الحسن .

المدائني عن أبي اليقظان قال : أتي الحجاج برجل من بني ضبيعة ، وترك ابن الأشعث فقال له الحجاج : لم تركت صاحبك ؟ قال : قد علمتُ أنه على الباطل . قال : كذبتَ ولكنك رأيت ملائكة أقبلت نحونا بجدّ وحدّ ، ويقال انه قال له : رأيت سيلا أقبل نحونا بجدّ وحدّ ، وقال عامر بن أبي الجُهَيْم : كنا مع حمر نَهَّاقَة فنهقنا معها . فأمَّنه وسأله عن داره فقال :

وسط البصرة فقيل له : إنها بالجبان ، فقال : نعم هي بين الأحياء والأموات .

وروى يونس بن أرقم عن رجل عن الحسن قال : أتاني هميان السدوسي فحملني من بيتي على فرس حتى أتى مَسْكَن ، فاذا الفريقان كأنهم جبال حديد فاقتتلوا فلقد رأيتني في العسكر أطلب من أدفع إليه القوس ، فلما أعياني خليته ومضيت فانتهيت إلى نهر فإذا قوم قد جمعوا قصباً فحملوني فأتيت البصرة .

وروي عن عبدالله بن عمر البكراوي القارىء قال : رأيت الحسن يقضي في عسكر ابن الأشعث محلوقاً .

المدائني عن أبي اسحاق التيمي قال : توارى الحسن عند أبي خليفة الحجاج بن عتاب مولىٰ عبد القيس.وكان يكون عند علي بن زيد.فمرض جابر بن زيد فأتاه الحسن وقد ثقل ليلاً ، فخاف الصبح ، ونزل بجابر الموت فصلى عليه الحسن وخرج ، فمات بعد خروج الحسن .

المدائني عن اسحاق التيمي عن الحسن قال : دخلت على الحجاج فقال : يا حسن ما جَرَّأَكَ علي ، قَعَدْتَ تفتي في مسجدنا ، فما تقول في أبي تراب ؟ قلت : وما عساي أن أقول إلا ما قاله الله : ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ . . إلى قوله : ﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ [1] . فكان عليٌّ ممن هدى الله . فغضب ثم أكَبَّ ينكت ، وخرجت فلم يعرض لي أحد ، فتواريت حتى مات الحجاج .

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٤٣ .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفهري قال : كان الحجاج يذكر الحسن فيقول : عِلْجٌ تُواريه أخصاص البصرة ، أخطب الناس إذا شاء ، وإذا شاء سكت .

حدثني هُدبة عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : لزم رجل بيته في أيام ابن الأشعث ، فقال له بنوه : لو أتيت السلطان فأصبت خيراً فأبى ، فقالوا : ستموت هُزلاً فقال : لأن أموت مؤمناً مهزولاً أَحَبُّ إلي من أن أموت منافقاً سميناً .

المدائني عن عامر بن حفص أن الحجاج كتب إلى عامله على الكوفة أن احمل إليّ ابراهيم بن يزيد اللخمي ، فحمل ابراهيم التيمي .

وقال عبد العزيز بن الجارود : اضطرني ضيق الحبس حتى صرت في موضع مباِلهم ليلةً حتى أصبحتُ ، فوجد مني البواب ريح المسك ، أو قال ريحاً طيبة فضربني على رأسي ضربة وجدت ألمها يومي كله .

حدثنا العمري عن الهيثم عن عوانة عن مجالد عن الشعبي أن الحجاج أَخَّرَ الجمعة حتى صلاها قبل غروب الشمس ثم صلى العصر ، ثم غابت الشمس فصلى المغرب فقال رجل : أخرتَ الصلاة عن وقتها وخالفت محمداً عليه الصلاة والسلام في سنته ، فأُدخل عليه فأمر به فضربت عنقه ، وعرض قوله على أهل المسجد فلم يقل مثل قوله إلا رجل آخر فضرب أيضاً عنقه .

حدثني عمر بن شبه قال : خرج الحجاج إلى البصرة ، واستخلف بالكوفة أبا يعفور عروة بن المغيرة بن شعبة ، فلم يزل عليها حتى فرغ الحجاج من رستقاباذ .

وحدثني عمر بن موسى بن اسماعيل عن سلام بن مسكين عن أبي النضر عن عامر قال : شهدت عروة وهو على الكوفة ، فأتاه رجل فقال : أصلح الله الأمير ما تقول في رجل قال لامرأته إن خرجت من بيتي فأنت طالق البَتَّة فقال رجل : اشهد على علي أنه قال بانت منه ، وقال آخر : أشهد على عمر أنه قال واحدة وهو أملك بها . فقال : فإني أخالفهما ، أما الطلاق فَسُنَّةٌ وأما البتَّة فبدعة فيمينه بالله على ما نوى .

حدثنا محمد بن الصبّاح البزّاز عن هشيم عن داود عن الشعبي أن رجلاً اشترى جارية من رجل بخمسمائة درهم فنقده ثلاثمائة ، وسأله أن يدفعها إليه فأبى فتحمل له مائتين وأعطاه إياها ، فقال : ادخل فاقبض جاريتك فوجدها ميتة فخاصمه إلى عروة فقال : أما الثلاثمائة فلك وأما المائتان فإنك ارتهنت السلعة بها ، والرهن بما فيه ، فأعجب ذلك الشعبي .

وحدثني عمر بن شبة عن أبي عاصم عن سفيان عن أبي حصين عن الشعبي أن رجلاً قال لامرأته : يا وسْنى فقال عروة : ما هي ؟ قالوا : يا زانية . فجلده الحدّ ، وكان الشعبي يأخذ بذلك .

المدائني قال : هرب العُديل بن فرخ العجلي فقال :

أُخَوَّفُ بالحجاج حتى كأنما　　يحرك عظم في الفؤاد مهيض
ودون يد الحجاج من أن تنالني　　بساط لأيدي الناعجات عريض
مَهَامِهُ أشباهٌ كأنَّ سرابها　　مِلاءٌ بأيدي الغاسلات رحيض

فقتل الحجاج عبدالله بن حكيم المجاشعي ، وقال : أنا قاتل العبادلة : عبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن مطيع ، وعبدالله بن صفوان ،

وعبدالله بن الجارود ، وعبدالله بن حكيم ، وعبدالله بن أنس ، وكان قتل في المعركة .

قالوا : لما مات محمد بن يوسف قدم عليه بابنة له فوضعها في حجره وجعل يقبلها ويبكي ، ورجل من خلفه يقول له : اذكر الله يا حجاج ، وكان قد وكله بأن يقول له هذا القول كلما جلس .

المدائني عن أبي حفص الأزدي قال : قال الحجاج : سألت قبل مقدمي العراق عن وجوه أهله فذكر لي زياد بن عمرو العتكي فيمن ذكر ، فما كان أحد أبغض إلي منه ، فلما وفدت على أمير المؤمنين عبد الملك أشخصته فيمن أشخصت معي ، فما كان أحد أحسن مقاماً بوصفي والثناء علي منه ، قال : يا أمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذي لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه في أمرك لومة لائم ، فقد رأيتني وما أحد من الخلق بعد ذلك اليوم يعدله عندي .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم الفهري قال : قال الحجاج يوماً : ما أذهبَ الأشياء للإعياء ؟ فقال قائل : أكل التمر ، وقال قائل : الحمام وقال قائل : التمريخ ، وقال فيروز حصين : أذهبُ شيء للإعياء فقد الحاجة ، فقال الحجاج : صدقت .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه قال : قال الحجاج بن يوسف : لأنا للعاقل المُدْبِر أرجى مني للأحمق المُقْبِل .

وقال المدائني : قال هذا الحجاج بن عبد الملك .

المدائني عن عامر بن أبي محمد قال : اشتهى يزيد بن المهلب اللحم حين حبسه الحجاج ، فاحتيل له حتى أدخل له اللحم بأمر الحجاج ، فدعا

الحجاج مالك بن أسماء فقال له : أخبرني عن اللحم الذي أُدخل عليكم من كان أكثركم منه أكلاً ؟ قال : يزيد بن المهلب قال : إنه أشجعكم وألأمكم ، وكان بين يدي الحجاج قلالُ مُعَلَّقة فقال : أصلح الله الأمير شربة من ماء عذب ، فقال : ارجع اليوم مكانك ، فإذا كان غداً وليتك حلوان فشربت عذباً .

المدائني عن محمد بن ابراهيم قال : قال سعيد بن عمرو : كنت في حبس الحجاج فدعاني ليلاً فقال : يا سعيد كيف أنت إن أطلقتك واستعملتك ؟ فقال : أما الإطلاق فَيَسُرُّني ، وأما العمل فلا حاجة لي به فهو أصارني إلى الحبس . فقال : ذاك أنك لم تصدق الله ، فاصدق الله يصدقك .

المدائني عن حماد بن سلمة عن الحارث بن نبهان الجرمي قال : قال الحجاج في خطبته : والله لتموتُنَّ ثم لتبعثُنّ ثم لتُسئلن حتى يصير أهل الجنة إلى الجنة ، كأنما كانوا فيها مذ خُلقوا ، إنكم لم تخلقوا للفناء ، وإنما خلقتم للبقاء ، غير أنكم تنقلون من دار إلى دار .

وحدثني عمر بن بكير عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال : قال الحجاج : إنما هذه العقارب من وذح[1] الشيطان .

المدائني عن عامر بن أبي محمد قال:قال الحجاج : لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لنافَقَ فيه يزيد بن المهلب ، وكان حريصاً على أن يضع آل المهلب فلم يقدر .

---

١ ـ الوذح : ما تعلق بأصواف الغنم من البعر والبول . القاموس .

قال: وقتل الهُذيل بن عمران البُرجمي ، وقتل ابن عبد الرحمن بن سَمُرة ، وقتل غالب بن عبدالله الجهضمي ، وعمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، وأُتي بعمرو بن عصام الضُّبَعي فقتله .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : كان طلحة بن مصرّف يحض الناس يوم دير الجماجم ، ويقول : ما خرجنا على الحجاج حتى خفنا الله في ترك ذلك فظننا أنه لا يسعنا الرضا به .

ودعا الحجاج بالهلقام بن نعيم فقال : لعنك الله يا حجاج إن فاتك هذا المزوني[1] فقال : ما أنت وذاك وقتله ، ثم قال : صدق ، اتخذني جزاراً لقومي ، ودافع عن قومه .

المدائني عن عامر بن حفص قال : شهد معرور بن سويد الزاوية مع ابن الأشعث ، فرأى رجلاً قد تقدم أمام الصف فردَّه وقال : إنك تغرر بنفسك فأقم مع أصحابك وقاتل فإن عمراً قال : لأن أموت على فراشي أحب إلي من أن أموت وراء الكتيبة مغرِّراً .

المدائني عن سحيم بن حفص قال : كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقاتل بدير الجماجم ويقول : يا مَعْشَر القُرَّاء إن الفرار قبيح ، وهو منكم أقبح منه من غيركم ، قاتلوهم صابرين محتسبين ، فإن علياً رفع الله درجته قال : من رأى عدواناً يُعمل به ومنكراً يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد برىء منه ، وإن أنكره بلسانه فقد برىء وهو أعظم درجة ، ومن أنكره بسيفه فذلك الذي أصاب سبيل الهدى .

---

١ - يزيد بن المهلب .

وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى بدير الجماجم وهو يقاتل : قاتلوهم على جورهم في الحكم ، واستئثارهم بالفيء ، وتجبرهم على عباد الله ، وإماتتهم الصلاة واستذلالهم المسلمين .

وكان معرور بن سويد يقاتلهم ويقول : ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين * قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم﴾[1] ، الآية .

وقال الشعبي ، وهو يقاتل : أيها الناس لا يكونن في صدوركم حرج من قتالهم فوالله ما أعرف أمة أعلن ظلماً ، ولا أحكم بجور منهم فلتكن الأيدي عليهم واحدة .

وقال أبو البختري سعيد بن فيروز : قاتلوهم على دينكم ودنياكم ، فلئن ظهروا عليكم ليفسدن دينكم ، وليغلبنكم على دنياكم ، ثم يحمل عليهم وهو يتلو : ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾[2] .

وكانت كتيبة القراء أشد الكتائب على أهل الشام ، وعليهم جَبَلَة بن زَحر الجعفي . فلما قتل نادى أهل الشام : يا أعداء الله قُتل طاغيتكم . فقال أبو البختري : لا يهدَّنكم قتله فإنما هو رجل أتته منيته . ولما أتي الحجاج برأسه قال : الله أكبر ، قلَّما كانت فتنة فتخمد حتى يقتل فيها رأس من رؤوس المنافقين .

وقال عوانة : قال:رأس من رؤوس أهل اليمن . وفقد ابن أبي ليلى بدير الجماجم .

---

١ ـ سورة التوبة ـ الآيتان : ١٣ ـ ١٤ .

٢ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٤٥ .

وروى سفيان بن عيينة عن أبي فروة الجهني قال : آخر عهدي بابن أبي ليلى على جسر سورى ، ولم أره بعد .

قالوا : وأتي ابن أبي ليلى برُطب في منسف فأكله وهو في الماء .

قالوا وخرج روزنة بن مهاجر على الحجاج بسابور ، وغلب عليها ومعه أكراد ، فوجه الحجاج إليه الجيوش ثم أتى النيرمان[1] فقتله عبد الرحمن بن سُليم وبعث برأسه إلى الحجاج ، وبعث بمهران فحبسه أربع سنين وعذَّبه واستأداه ، ثم هيأ لنفسه طعاماً فأكل وشرب ولعب ، ثم قتله الحجاج من الغد وصلبه .

المدائني قال : سار الحجاج من إيلياء إلى واسط في سبع فقال الراجز :

كَسَيْرِهِ من إيلياء فاعلمي سبعاً إلى واسط في تجشم

فقال الحجاج : هل سار أحد سيري ؟ فقال صالح بن كدير المازني : نعم ، جبير بن حيَّة سار فذكر سيراً شديداً ، فقال : كذبت وأمر بحبسه . وقال الفرزدق في الحجاج :

سما بالمهاري من فلسطين بعدما دنا الفيء من شمس النهار فَوَلَّتِ
فما عاد ذاك اليوم حتى أناخها بميسان قد حُلَّت عُرَاها وَكَلَّتِ
فلو أن طيراً كُلِّفَتْ مثل سيره إلى واسطٍ من إيلياء لَمَلَّتِ[2]

قالوا : وأراد الحجاج أن يتخذ لعلع[3] داراً ، فبنى مسجداً ، وأمر أن تبنى أساطين قريب بعضها من بعض إلى البصرة والكوفة ، وأراد أن يقيم

١ ـ نيرمان : من قرى همذان من ناحية الجبل . معجم البلدان .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١١٦ مع فوارق .
٣ ـ لعلع : منزل بين البصرة والكوفة .

على كل اسطوانة رجلاً يصلي صلاة الليل في شهر رمضان ، فإذا كبَّر الإمام كبَّرَ الذي يليه ثم الذي يليه حتى يصل التكبير إلى البصرة والكوفة ، فيُصَلُّون بصلاته فلما بلغه خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث تطيَّر ، فبنى واسط[1] القصب ، وسماها واسط لأنها من البصرة والكوفة والمدائن والأهواز ببعد واحد ، وكان إحداثه إياها في سنة ثلاث وثمانين ، ويقال في سنة أربع وثمانين ، وبنى مسجدها وقصره فيها والقبة الخضراء ، وكانت أرض قصب فسميت واسط القصب .

وقال رُقْبَة بن مَصْقَلة العبدي : لما نزل الحجاج واسط كان يأذن في كل يوم مرتين وأكثر .

وأمر الحجاج ثولاء بن نعيم أن يقتل عدي بن خصفة العبدي ، وكان صالحاً فغُيِّبَ عنه ، ثم ذبحه على رأس حرف سفينة فسقط رأسه في الماء فهرب نوتي ، ولقي شراً .

المدائني قال : لما احتضر الحجاج قال : والله لئن كنت على ضلالة لبئس حين المفزع ولئن كنت على هدىً لبئس حين المجزع .

وقال ليزيد بن أبي مسلم : إذا متُّ فلا تكتم أمري وَمُرْ من ينادي بموتي ، وأخرجني من باب الزابي فإذا فرغت من دفني فأجر الماء على قبري ، ثم أَثِرْهُ بالبقر ، وليكن الحفر عميقاً .

المدائني عن سفيان عن أبي عون قال : رأى الحجاج رجلاً قد قلد بدنَته فقال : هذا قد أحرم فسئل سعيد بن جبير ، فقال : صدق .

---

١ ـ بهامش الأصل : بناء واسط .

حدثني عمر بن شبه ، حدثني أحمد بن معاوية عن خلف بن خليفة عن حصين قال : كان الحجاج إذا حبس الناس عن صلاة الجمعة استقبل أبو وائل القبلة يومىء برأسه إيماءً يتناعس .

وحدثني عن أبي عبيدة قال:مر الحجاج بدار عمر بن سعد ، فإذا هو بكف مسمورة فقال : ما هذه ؟ قالوا : كف المختار . فقال : والله ما هم قتلوه ، ولا أدركوا بثأرهم منه . هذا يُهَيِّجُ الفتنة ، نَحّوْهَا وَغَيِّبُوها .

حدثني محمد بن سيف عن الواقدي عن إسحاق بن يحيى قال : لم يستخرج الحجاج من أرض السواد شيئاً إلا الزابي والنيل ، وذلك أنه كتب يدعو أهل الخراج إلى أن يكفوه مؤونة ثقله ، وأن يضع مثل ذلك مما عليه من خراجهم ، فأبوا وكان يرفع من ذلك إلىٰ عبد الملك مالاً كثيراً . فلما ولي عمر بن عبد العزيز رحل إليه أهل الزاب والنيل إلى البصرة فشكوا إليه مما صنع الحجاج ، فقال عمر : بئس الرجل كان الحجاج لقد كان ظالماً متعدياً .

وقال المدائني : لما انقضى أمر ابن الأشعث ولىٰ الحجاج الكوفة عمير بن هانىء من أهل دمشق ثم عزله ، وولىٰ المغيرة بن عبدالله بن أبي عَقيل ، ويقال ولاه البصرة .

وقال الأصمعي : ولي الحجاج العراق عشرين سنة ، وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وتسعين وهو ابن ثلاث وخمسين .

وحُدثتُ عن علي بن الجعدانة قال : سمعت بعض الكوفيين يقول : لما هلك الحجاج صرخ صارخ على الخضراء بواسط : ألا إن مُفَلِّقَ الهام ، ومُطعم الطعام ، وحبيب أهل الشام قد هلك .

وقال الوليد بن عبد الملك حين مات الحجاج : أما والله لئن سئلت عنه ، ولأُسْأَلَنَّ ، لأَقُوْلَنَّ : كان والله القوي الأمين . وخطب فقال : ألا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجاج جلدة ما بين عينيّ ، ألا وإنه جلدة وجهي كله .

ومات الحجاج واستخلف على صلاة العراق وحربها يزيد بن أبي كبشة ، وعلى الخراج يزيد بن أبي مسلم مولاه .

المدائني قال : قال سَلم بن قتيبة : كنت في دار الحجاج وأنا غلام مع ولده ، فقالوا : قد جاء الأمير فدخل الحجاج فأمر بتنور فنصب ، وقعد في الدار وأمر رجلاً أن يخبز خبز الماء ، ودعا بسمك فجعلوا يأتونه به في جام وقد نُقِّي من شوكه ، فيأخذ الرغيف حاراً فيضع عليه السمك ، فيأكله حتى أكل ثمانين جاماً .

قال : ونظر الحجاج يوماً إلى عبيدالله بن شعبة بن القلعم ، وهو يأكل ، وكان مفرطاً في الأكل ، فقال الحجاج لشهر بن حوشب : الحديث عن رسول الله ﷺ أن الكافر يأكل في سبعة أمعاء . قال شهر فقلت: أصلح الله الأمير ثبت صحيح ؟ فقال الحجاج : ما أظن من قتل ابن شعبة إلاّ سيقتل كافراً .

المدائني عن موسى بن سيّار الهذلي قال : كان الحجاج يطعم في شهر رمضان ألف خوان ، لكل خوان قفيز دقيق وسبعة أرطال قدير[1] ، وجنب

---

١ ـ القدير : ما يطبخ في القدر . القاموس .

شواء ، وسمكة ، وجرة فيها لبن ، وجرة فيها عسل ، وكان له طعام بعد ذلك في كل يوم يُعشّي ولا يغدّي ولا يطعم إلّا شامياً .

ويقال إن الحجاج كان يطعم في شهر رمضان وغيره كل يوم ألف خوان ، على كل خوان أربعون رغيفاً ، وجفنة ثريد ، وجنب شواء ، وأرزة ، وسمكة وخلّ وبقل . وكان يُحمل في كرسيّ فيدور على الأخاوين ، فينظر إلى الطعام فيقول : هل تفقدون شيئاً أو ترون تقصيراً ؟ فيقولون : لا . فقال رجل يوماً : ما نفقد أيها الأمير شيئاً إلّا المرق فإنه قليل ، فضرب صاحب طعامه وقال : ويلك يشكو قلة المرق ، وأنت بين دجلة والزابي . فأهل بيت هذا الرجل بالشام يقال لهم بنو المرق .

وقال المدائني : أرسل الحجاج أبا بردة بن أبي موسىٰ إلىٰ أسماء بن خارجة : إن عبد الملك بن بشر بن مروان من أبناء الملوك ، وقد شبَّ واحتاج إلى التأديب ، وقد أعددتُ له مؤدباً ومنزلاً ولابدّ من التفرقة بينه وبين أمه ، يعني هند بنت أسماء . قال أبو بردة : فدخلت على أسماء وهو يتغدى وهند وعبد الملك يأكلان معه ، فدعاني إلى غدائه فلم أفعل ، وجعلتْ هند تعابثني وتضحك ، فقلت : أما والله لو تعلمين في أي شيء جئت كان مكان ضحكك بكاءً . قال : فأبلغتُ الرسالة ، فبكت وقال أسماء : إنما عبد الملك ثمرة قلوبنا وأنسنا ، وأمر الأمير طاعة . فأبلغت الحجاج ذلك ، فأرسل إلى هند بثلاثين غلاماً ، مع كل غلام عشرة آلاف درهم وبثلاثين جارية مع كل جارية طَخْت من ثياب ، فأمر لي أسماء بثلاثين ألفاً وبثياب ، فلم أقبل ذلك وقلت : ليس الحجاج ممن يتعرض له وأتيت الحجاج فأعلمته ، فقال : قد أحسنت ولك ضعف ذلك فأعطاني ستين ألفاً وضعف الثياب .

وقال عمران بن حطان في الحجاج حين دخلت غزالة الخارجية مسجد الكوفة :

هلا برزت إلى غزالة في الوغىٰ   بل كان قلبك في جوانح طائر
أسد علي وفي الحروب نعامة   فتخاء يذعرها صفير الصافر
صدعت غزالة قلبه بفوارس   صدع الزجاجة ماله من جابر[1]

قالوا ومر مؤذن الحجاج بمؤذن سُويد بن غَفَلة وهو يؤذن بالهاجرة فأخبر الحجاجِ بذلك، فبعث إليه: ما هذا الأذان وما هذه الصلاة؟ فقال: صليتها مع أبي بكر وعمر وعثمان . فقال : صليتها مع عثمان ؟ قال : نعم . فقال : رَعَبنا الشيخ . ودعا بغالية فجعلها في لحيته بيده ، وأمر له بعطائه . ويقال انه قال له: لا تؤمُّ قومك ، وإذا خرجتَ فَسُبَّ علياً ، فقال : سمعاً وطاعة .

وكان الحجاج يقول في دجلة والفرات : أولهما للمشركين وآخرهما للمنافقين .

قال المدائني : وسأل الحجاج حوشب بن يزيد عن المختار فقال : كانت معه خِرقة يقول جاءني بها جبريل ، وقال:سأتزوج امرأة من آل رسول الله ، وأهدم قصر الملك وأبني ببعضه قصراً ، فقال الحجاج : كذب ابن دومة وإن كانت لكريمة ، لقد رأيته بالطائف نذل الأصحاب ، أخطأت استه الحفرة ، أنا ذاك . فتزوج ابنة عبدالله بن جعفر ، وهدم قصر النعمان بالحيرة ، وبنىٰ قصره بجبانة الكوفة ، وبنىٰ مدينة واسط .

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

وحدثني الأثرم عن الأصمعي قال : أتت الحجاج امرأة فمثلت بين يديه كأنها عجول أخطأت بَوَّها فقالت : والله ما لنا ثاغية ، ولا راغية ، ولا آنَّةٌ ، ولا حانَّةٌ ، ولا هُبَعٌ ولا رُبَع ، ولي ابن في بعث كذا ، فإن رأى الأمير أن يُقفله فعل . فقال : نعم أقفلوا ابنها ، وقولوا له : لعنة الله عليك إن لم تبرَّها ، فأقفل فاستبطأته في بعض الأمر فقالت :

فوالله لولا الله والرحم بيننا لانبأتُ حجاجاً بأنك كاذب

وحدثني عبدالله بن صالح عن أبي زيد قال: نادى الحجاج بالكوفة ألاَّ يؤمّ مولىٰ ، فأتى عنبسة بن سعيد مسجد بني كاهل ، ويحيىٰ بن وثاب إمامهم ، وهو مولى لهم ، فأراد أن يتقدم في صلاة العشاء الآخرة فقال رجل من العرب: والله لا تؤمُّنا. فقال: والله لأفعلنّ، وتقدم . قال عنبسة : فوالله ما سمعت قارئاً قط عربياً ولا مولىٰ أقوى[1] منه ، فلما كانت صلاة الغداة حضرتُ لأنظر ما يكون من أمرهم ، فأخذ كف حصىً ثم قال : والله لا يلج أحد منكم إلاّ ضربت بهذا الحصى رأسه، فأحجموا وقدموه فصلىٰ، فأتيت الحجاج فأخبرته فأعاد مناديه : إنا لم نُرد القراه ، إنما أردنا كل مولى لا يحسن القراءة .

وقال الفضل بن دكين أبو نعيم : كان يوم الجماجم في سنة ثلاث وثمانين ، ففقد يومئذ أبو البختري ، وابن أبي ليلى ، ونظر الحجاج إلى رأس بسطام بن مصقلة بن هبيرة فجعل يقول :

إذا مررتَ بوادي حيةٍ ذكَرٍ فاذهبْ ودعني أُمارسُ حَيَّة الوادي

١ ـ بهامش الأصل : اقرأ .

فبكىٰ مسمع بن مالك ، فقال له الحجاج : أجزعاً عليهم ؟ فقال : لا ولكن جزعاً لهم من النار .

وقال الأخطل في عبد الملك والحجاج :

فعليك بالحجاج لا تَعْدِل به أحداً إذا نزلت عليك أمور
فلقد علمت وأنت أعلمنا به أنَّ ابن يوسف حازم منصور[1]

حدثني عبدالله بن صالح عن حمزة الزيات أنه سمعه يقول ، وذكر الحجاج أنه أرسل إلى مطرّف بن المغيرة بن شعبة ، وكان يتألّه ، فقال له : يا مطرف أرسولك أكرم عليك أم خليفتك في أهلك ؟ فقال : بل خليفتي أكرم . قال الحجاج : فإن عبد الملك خليفة الله في عباده فهو أكرم عليه من محمد وغيره من الرسل . فوقرت في نفس مطرّف واختبأها ، وقال : جهادك والله أولىٰ من جهاد الروم ، فخرج عليه .

وقال أبو نميلة : صلى جابر بن طلحة اليامي مع المغيرة بن عبدالله بن أبي عقيل ، وهو خليفة الحجاج على الكوفة ، فكان يرفع يديه في كل تكبيرة ، فأتىٰ جابر ابراهيم فأخبره بذلك ، فقال : أصاب وأحسن .

وروى أبو عوانة عن المغيرة أن إبراهيم خرج مع المغيرة بن عبدالله للاستسقاء فصلىٰ المغيرة ورجع ابراهيم ولم يُصَلِّ .

وقالوا : كان المغيرة إذا كُنِّيَ أبا صفية غضب ، وكان بخيلاً فقال ابن همّام السلولي فيه :

---

١ ـ ديوان الأخطل ص ١١٧ .

رماك الله يا بن أبي عقيل ... بـداء لا يقوم لـه جليـل
إذا حضر الخوان فأنت ليث ... بصـير بـالـثريـد وبـالنشيـل
وعنـد البـأس بَهْكَنَـةٌ رداح ... لها حجلان كالرشأ الكحيل
فليتك يا مغـيرة من تنوخ ... أو الشُعُر السواعد من نكيل
وليت الله صير بين داري ... ودارك يا مغيرة ألف ميل

حدثنا شيبان عن سلام بن مسكين عن سليمان الربعي قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قاتلوا الحجاج فوالله ما تحل طاعته لمسلم .

حدثنا أبو بكر الأعين عن أبي نعيم قال ؛ خرج مع ابن الأشعث على الحجاج عبد الرحمن بن أبي ليلى،وسعيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن عوسجة والشعبي ، وذرّ ، ومالك بن دينار ، وسيار بن سلامة . وأبو البختري الطائي والحكم بن عتيبة وقد قيل ان ابن عون فيمن خرج ، وخرج مسلم بن يسار وجابر بن زيد أبو الشعثاء ، وعقبة بن عبد الغافر العوذي ، وأبو الجوزاء[1] قتل معه ، وهو أوس بن خالد الربعي وعبدالله بن غالب قتل معه ، وعقبة بن وساج ، وطلق بن حبيب ، وأبو شيخ الهُنائي ، وعقبة بن صهبان ، وأبو نجيد الأزدي .

حدثني عمر بن شبة عن هارون بن معروف عن ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال : كتب عمال الحجاج إليه : «إن الخراج انكسر ، وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار» . فكتب إلى البصرة وغيرها : «إن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها» فخرج الناس فعسكروا وجعلوا يبكون

١ ـ جاءت هذه الرواية مطموسة بالأصول . وأمكن تداركها من تاريخ خليفة بن خياط ج ١ ص ٣٧١ ـ ٣٧٣ .

وينادون: يا محمداه، وجعلوا لا يدرون أين يذهبون، وجعل أهل البصرة يخرجون إليهم متقنعين يبكون معهم ، وقدم ابن الأشعث على بقية ذاك فنفروا مع ابن الأشعث .

حدثنا شيبان بن فروخ ، ثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال : كنا مع الحسن على سطحه حيث أخرج الحجاج الذين أسلموا ، فجاء سعيد بن أبي الحسن فقال : أنحن نقر على هذا ؟ فردَّ عليه الحسن ما قال .

حدثني يوسف بن موسى القطان عن جرير بن عبد الحميد الضبي عن المغيرة عن البزيغ بن خالد الضبي قال : سمعت الحجاج يقول على المنبر : أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته فقلت : لله عليَّ ألا أصلي خلفك أبداً ، وإن رأيت قوما يجاهدونك لأجاهدنك ، فخرج في الجماجم فقتل .

وحدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة عن جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن بزيغ بن خالد بمثله .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا أبو نعيم ، ثنا ابن أبي بكير عن أبي حيان التيمي قال : سمعت الحجاج يقول : يدعى حيَّ على الصلاة فلا يجيبون أما والله لو دعي حيَّ على أربعة دراهم لغصَّ المسجد بأهله . وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : ذكروا أنه عُدَّ في المسجد يوم الجمعة أيام الحجاج تسعون رجلاً .

حدثنا أبو خيثمة ، ثنا جرير عن الأعمش قال : قلت لأبي وائل يوم الجمعة في إمارة الحج : أصلَّيتَ قبل أن تروح ؟ قال : ومن أنت ؟ قلت : رجل من المسلمين . قال : مرحباً بالمسلمين .

حدثنا عبدالله بن صالح عن اسرائيل عن عامر بن شقيق قال : كان شقيق يأمرنا أن نصلي الجمعة في بيوتنا زمن الحجاج ، ثم نأتي المسجد ، وذلك لأن الحجاج كان يؤخر الصلاة .

قالوا ورأى راذان ستور الحجاج تضربها الريح فقال : هذا والله المفلس . فقيل له : المفلس من ذهبت دراهمه فقال : لا إنما المفلس من أفلس من دينه .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد عن ابن عُلية عن ابن عون أن أبا وائل سئل عن الحجاج فقيل له : أتشهد أنه في النار ، فقال سبحان الله ، أنحن نحكم على الله .

وروى جرير عن عثمان بن شبرمه قال : دخل أبو وائل على الحجاج فقال له : متى هبطت إلى هذا البلد ؟ فقال : حين هبط أهله . قال : ما تحسن من القرآن ؟ قال : ما إنْ عملت به كفاني . قال : استعملك ؟ قال : إن تعفيني أحب إلي . فلما خرج جعل يحيد عن الطريق فقال الحجاج : سَدّدوا الشيخ .

وروي عن الشعبي أنه قال : صعد الحجاج المنبر فتكلم بكلام لم أسمع مثله قبله ولا بعده قال : أيها الناس إن الله كتب على الدنيا الفناء ، ولا بقاء لما كُتب عليه الفناء ، وكتب على الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، فلا يَغُرَّنَكُم حاضر الدنيا عن غائب اللآخرة ، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد بن سعيد عن الشعبي قال : أُتي الحجاج برجلين من الخوارج فسألهما عن قولهما في أبي بكر وعمر

وعثمان ، فأثنيا على أبي بكر وعمر ، وقالا في عثمان : أحسن أولاً ثم أفسد إحسانه . قال : فما تقولان في معاوية ؟ فقالا : كان طاغياً باغياً . قال : فيزيد ؟ قالا : كان حماراً نهاقاً . قال : فما تقولان فيَّ ؟ قالا : جَعلت مع الله إلهاً آخر فأطعته وعصيت الله ـ يعنيان عبد الملك ـ فتكلم أهل الشام وقالوا : اسقنا دماءهما ، فقالا : كان جلساء أخيك خير من جلسائك . قال : وأين أخي رحمه الله محمد بن يوسف . فقالا : يا فاسق ، إنما عنينا فرعون حيث يقول جلساؤه : ﴿أرجئه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين﴾[1] وهؤلاء يأمرونك بقتلنا ، فأمر بهما فقتلا .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده قال : كان الحجاج قصيراً صغير العينين ، تدمعان دمعاً كثيراً .

حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال : دخل أزاذمرد بن الهربذ على الحجاج ، وكان ذا حال عنده فسأله في خراجه فأمر بتأخيره فيه ، فانحطّ ساجداً فضرط فتبسم الحجاج ، وكان لا يكاد يضحك ، فأراد بسطه ، فقال له الحجاج : هل لك من حاجة ؟ فقال : نعم هذا الاعرابي تهبه لي أَمُنُّ به على قومه ، وكان الاعرابي قد أحضر ليقتل ، فوهبه له فخرج ازاذمرد والاعرابي خلفه يقبل استه ويقول : بأبي استك أستاً تضع الخراج ، وتفك الأسرى ، وتحيي الموتى .

أبو الحسن المدائني عن أبي اسحاق المالكي قال : قال الحجاج ليحيى بن سعيد بن العاص ، وهو يمازحه : أخبرني عبد الله بن هلال

---

١ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ١١١ .

صديق ابليس أنك تشبه ابليس . قال : أصلح الله الأمير وما تنكر أن يُشَبه سيد الإنس بسيد الجن .

وحدثني اسماعيل بن يحيى اليزيدي ، أخبرني إسحاق بن أبي اسرائيل ، أنبأ جعفر بن سليمان الضُبعي عن المعلى بن زياد قال : خشيت أن أوجَد في ليالي يزيد بن المهلب فأُجعل عريفاً فأتيتُ الحسن وخادم له يقال لها برزة تناوله ثيابه ، فقلت : يا أبا سعيد كيف بهذه الآية في كتاب الله قوله : ﴿وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون * لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾[1] يا أبا سعيد فسخط الله على هؤلاء لقولهم الإثم وأكلهم السحت وذم هؤلاء حيث لم ينهوا ؟ فقال لي الحسن : ياأبا عبدالله إن القوم عُرضوا ، فحال السيف دون الكلام ، قلت : ياأبا سعيد هل تعرف لمتكلم فضلاً ؟ قال : ما أعرفه . ثم حدَّث الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ليس لمؤمن أن يُذل نفسه . قيل : يا رسول الله وما إذلاله نفسه ؟ قال : يتعرض من البلاء لما لايطيق» . قلت : يا أبا سعيد فيزيدُ الضبيُّ حين قام فتكلم ؟ فقال الحسن : أما إنه لم يخرج من السجن حتى ندم على مقالته . قال المعلى : فأقوم من عند الحسن فآتي يزيد الضبي ـ قال غيره : هو يزيد بن شقيق الضبي ـ فدخلت عليه فقلت : يا أبا مودود كنت عند الحسن آنفاً فذكرتك له . قال : فما قال لك ؟ قلت : قال : أما إنه لم يخرج من السجن حتى ندم

١ ـ سورة المائدة ـ الآيتان : ٦٢ ـ ٦٣ .

على مقالته ، فقال : وأيم الله لقد قمت مقاماً أخطرت فيه بنفسي ثم قال يزيد : أتيت الحسن ثلاث مرات فقلت : يا أبا سعيد غُلبنا على كل شيء ، أو على صلاتنا نغلب ؟ قال : فقال لي الحسن : يا عبدالله إنك لم تصنع شيئاً إنما تُعَرِّض نفسك لهم ، قال : فقمت والحكم بن أيوب ابن عم الحجاج يخطب فقلت : الصلاة رحمك الله ، قال : فجاءتني الزبانية من كل جانب فأخذوا بتلبيبي ويدي ولحيتي فجعلوا يضربونني بنعال سيوفهم ، قال : وسكت الحكم بن أيوب وكدتُ أُقتل دونه فمشوا بي إليه حتى إذا بلغت باب المقصورة أُدخلتُ إليه فقال : إمجنون انت ؟ قلت : أصلحك الله ما بي من جنون ، قال : أو ما كنا في صلاة ؟ قلت : هل كلامٌ أفضل من كتاب الله ؟ قال : لا . قلت : أرأيت لو أن رجلاً نشر مصحفه فقرأه غدوة وعشية حتى يمسي ولا يصلي فيما بين ذلك أكان ذلك يجزيه ويقضي عنه صلاته ؟ قال الحكم : والله إني لأظنك مجنوناً ، قال:وأنس بن مالك قريب من المنبر على وجهه خرقة خضراء فقلت : ايا أنس ، أيا أبا حمزة أذكِّرك الله إنك قد صحبت رسول الله ﷺ وخدمته أبحق قلت أم بباطل ؟ فوالله ما أجابني بكلمة . فقال الحكم : يا أنس . قال : لبيك أصلحك الله ، قال : أَوَقَد كان فات ميقات الصلاة ؟ قال : قد كان بقي من الشمس بقية . قال : احبسوه . فذُهِبَ بي إلى السجن ، فشهد قوم أني مجنون ، قال جعفر بن سليمان : فبذلك نجا من القتل .

قال : وكتب الحكم إلى الحجاج أنّ رجلاً من بني ضبة قام فتكلم في الصلاة ، وقد قامت البينة عندي أنه مجنون ، فكتب إليه : إن شئت فخلِّ سبيله وإلا فاقطع يديه ورجليه ولسانه ، قال أبو سليمان جعفر : واحبسه ،

قال : واسمل عينيه . فخلى سبيله ، قال يزيد : ومات أخ لي فتبعنا جنازته وصلينا عليه ، ثم دفن فكنت أنا في ناحية مع إخواني نذكر الله إذ طلع الحكم بن أيوب في خيله فقصد قصدنا فلما رآه الناس هرب جلسائي وبقيت وحدي فجاء قاصداً فوقف علي وقال : ما كنتم تصنعون ؟ قلت : أصلح الله الأمير أخ لنا مات فدفن فقعدنا نذكر الله والمعاد إليه ، وما صار صاحبنا إليه . قال : فهلا فَرَرْتَ كما فَرُّوا ؟ قلت : أصلح الله الأمير ما يضرني منك ، أنا ابرأ ساحة من ذاك وآمن للأمير ، فقال عبد الملك بن المهلب وهو صاحب شرطه وحربته بيده وهو واقف بين يديه : أصلح الله الأمير أو ما تعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا الذي قام إليك وتكلم . قال الحكم : وإني لأراك ههنا تجترىء عليَّ مرة بعد أخرى ، مدُّوْه . فمددت وهو واقف حتى ضُربتُ أربعمائة سوط ، فما عقلتُ كيف رُفعت ، ثم أُدخلتُ الحبس ، فلم أزل في الديماس حتى مات الحجاج .

حدثني أبو موسى إسحاق الفروي ، أنبأ محمد بن الفضيل عن سالم بن أبي حفصة قال : سمعت الحجاج يخطب على المنبر فذكر قراءة ابن مسعود فقال : زجر كزجر الأعراب . والله لا أُحدِّثُ رجلاً يقرؤها إلا ضربت عنقه ، والله لأَحكَنَّها ولو بعظم خنزير .

وحدثني بكر بن الهيثم والحسين بن ابراهيم الصفّار ، قالا : ثنا مسلم بن ابراهيم عن الصلت بن دينار قال : سمعت الحجاج على منبر واسط يقول : قاتل الله عبد هذيل والله ما قرأ مما أنزل الله على محمد حرفاً ، وما هو إلا زجر العرب ، والله لو أدركته لسقيت الأرض من دمه .

حدثنا شيبان بن أبي شيبة الأُبلِّي ، ثنا أبو هلال الراسبي ، ثنا قتادة قال : قال الحجاج لأبي عبيدة بن عبدالله : أتؤمن بما في مصحف أبيك ؟ قال أبو عبيدة : آمنتُ بما أنزل الله من كتاب . فقال الحجاج : أولى لك.

حدثني عبد المؤمن ، حدثني يعقوب بن الحضرمي عن شهاب بن شريفة المجاشعي عن أبي محمد الحماني قال : عددنا حروف القرآن بالشعير للحجاج فوجدنا السبع الأول صدوداً وذكر سائر الأسباع على ما يجزأ في مصاحفنا .

حدثنا خلف البزار ، ثنا شهاب عن الحسن بن عمرو قال : توارىٰ ابراهيم النخعي أيام الحجاج ، وكان المسجد على الباب ، فكان لا يخرج يصلي في المسجد .

حدثنا إسحاق بن أبي اسرائيل عن اسماعيل بن إبراهيم ـ يعني ابن علية ـ عن ابن عون ، أن أبا وائل سئل عن الحجاج فقيل له : أتشهد أن الحجاج في النار فقال : سبحان الله أنحن نحكم على الله .

وروي عن ابن عمر أنه قال : لا تسبوا الحجاج فإني سمعته قرأ سورة الملك فأعربها .

حدثني أبو علي الحرمازي ، حدثني يوسف بن سليمان قال : خطب الحجاج فقال : إن خيركم من صبر على مكروه الطاعة فذلك الذي يستوجب الثواب ويكافأ بالإحسان . فأما من جرىٰ مع الطاعة ما جرت الطاعة مع هواه فليس بمستوجب خيراً ولا معدودٌ مطيعاً .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا عبدالله بن عمرو المنقري ، ثنا عبد الوارث أبو عَبيدة ، ثنا محمد بن ذكوان عن مجالد عن الشعبي قال :

قدمنا علىٰ الحجاج البصرة ، وقدم عليه قُرَّاء من المدينة من أبناء المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وقراء من قراء أهل الشام وأهل الكوفة ، فدخلنا عليه في يوم صائف شديد الحر وهو في آخر أبيات فدخلنا البيت الأول فإذا الماء قد أرسل فيه الثلج والخلاف ، ثم دخلنا البيت الثاني فإذا فيه من الثلج والخلاف أكثر مما في البيت الأول ثم دخلنا البيت الثالث فإذا فيه من الماء والثلج والخلاف أكثر مما في البيت الثاني ، قال : وإذا الحجاج قاعد على سريره ، وعنبسة بن سعيد إلى جنبه فدخلنا فجلسنا على الكراسي فما خرجنا يومئذ حتى قُررنا ، ودخل الحسن آخر من دخل فقال الحجاج : مرحباً بأبي سعيد ، إليّ . ثم دعا بكرسي فوضع إلى جانب سريره فقعد عليه الحسن ، فقال : اخلع قميصك فجعل الحسن يعالج زر قميصه وأبطأ بنزعه فطأطأ الحجاج رأسه إليه حتى قلنا إنه يتعاطاه بيده من لطفه به وإقباله عليه ثم جاءت جارية بدهن حتى وضعته على رأسه ، وما صنع ذلك بأحد غيره ، فقال له الحجاج : ما لي أراك منهوك الجسم لعل ذلك من سوء ولاية وقلة نفقة ألا نأمر لك بخادم لطيف ونفقة توسع بها على نفسك ؟ فقال : إني من الله في سعة ، وإنَّ عليّ لنعمة ، إني منه في عافية ولكن الكبر والحر . وأقبل الحجاج على عنبسة فقال : لا والله ولكن العلم بالله ، والخوف له ، والزهد فيما نحن فيه . قال : ولم يسمعها الحسن وقد سمعتها أنا وكنت أقرب إلى عنبسة من الحسن ، وجعل الحجاج يذاكرهم ويسألهم إذ ذكر علي بن أبي طالب فنال منه ونلنا مقاربة له وفرقاً منه ومن شره ، والحسن ساكت عاضٌ على إبهامه ، فقال : يا أبا سعيد مالي أراك ساكتاً ؟ فقال : ما عسيت أن أقول ؟ قال :

أخبرني برأيك في أبي تراب علي؟ فقال الحسن: سمعت الله يقول: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلاّ على الذين هدىٰ الله وما كان ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾[1]. فعليٌّ ممن هدى الله، ومن أهل الإيمان وأقول: إنه ابن عم رسول الله ﷺ، وختنه علىٰ ابنته، وأحب الناس إليه، وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس حظرها عليه، والحول بينه وبينها، وأقول: قد كانت لعلي ذنوب، والله وحده حسيبه، والله ما أجد قولاً هو أعدل فيه من هذا. فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضباً، فدخل بيتاً خلفه، وخرجتُ فأخذتُ بيد الحسن وقلت: يا أبا سعيد أغضبتَ الأمير وأوغرت صدره، فقال: إليك عني يا عامر، يقول عامر الشعبي، وعامر من أهل الكوفة: أتيتَ شيطاناً من شياطين الإنس تكلم في هواه فقاربته في رأيه، ويحك يا عامر هلا اتقيت الله إذ سُئلتَ فصدقتَ أو سكتَّ فسَلِمْتَ. فقلت: يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها، وذكر بعد ذلك كلاماً في دخولهم علىٰ ابن هبيرة.

وحدثنا أحمد بن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الوارث عن محمد بن ذكوان، ثنا أبو نعامة قال: إنّا لجلوسٌ عند الحسن في المسجد الجامع إذ طلع الحجاج على برذون أبيض، وحوله شرط يسعون، حتى انتهى إلى الحلقة فسلم، ثم ثنىٰ رجله فنزل فجلس بيني وبين الحسن، ومضى الحسن في

---

١ - سورة البقرة - الآية: ١٤٣.

حديثه ، فلما فرغ أقبل على الحجاج فسأله ، فقال الحجاج : إن هذا الشيخ شيخ مبارك معظم لحقِّ أهل القبلة ، ناصح لأهل الملة ، صاحب سنّة واستقامة ونصيحة للعامَّة ، فعليكم به ، فاحضروه واشهدوا مجلسه ، فإن مجلسه مجلس يعرف فضله وتُرجىٰ عاقبته ، فلولا الذي ابتلينا به من الشغل وبالقيام بحق الرعية وسياستهم لأحببنا مشاهدتكم وحضوركم ، ثم ما لبث أن جاءت سفرة وأطعمة وأشربة . فطعمنا ، ثم قام شيخ كبير فاستقبل الحسن ثم قال : يا أبا سعيد شيخ كبير من أهل الديوان وعطائي زهيد قليل ، وما فيه فضل عن قوت عيالي ، وقد أُخذت بفرس وسلاح ثم بكى وبكى الحسن ، ثم قال : إن هذا السلطان ناصر لله ودينه وعباده ، وسلطاننا قد أخفر ذمة الله واستخول عباد الله ، وقتلهم على الدينار والدرهم أخذهما من خبيث ، وأنفقهما في سرف ، مضغة قليلة ، وندامة طويلة ، إذا خرج عدو الله فبغالٌ رَفَّافة ، وسرادقات هفَّافة ، وإذا خرج غيره سعىٰ على رجله في غير كنّ . فسُعيَ بهما إلى الحجاج فبعث حرسياً فدعا الحسن .

قال أبو نعامة فانطلقت معه فدخل على الحجاج . ومع الحجاج قضيب يخطر به ، فسلم الحسن ثم قام بين يديه فقال : يا حسن أنت صاحب الكلام ؟ فقال : أي الكلام أصلح الله الأمير ؟ فأخبره ، فقال : نعم . قال : فما دعاك إلى هذا ؟ قال : ما أخذ الله علينا في الكتاب حين قال : ﴿وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّنه للناس ولا تكتمونه﴾[1] وكان الحسن يفسرها لتكلمنّ بالحق ولتصدقن العمل . فقال الحجاج : إذهب أيها

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٨٧ .

الرجل فقل ما بدا لك فإنما أنت والدُ غير ظنين علينا ، ناصح لخاصتنا وعامتنا ، فما مثلك يؤاخذ بقول ، قال : فانصرف الحسن .

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر قال : قال الحجاج : إن بين أخصاص البصرة علجاً له لخطابة وبيان وما يبالي ما قال مما جرىٰ على لسانه ، والله لهممت أن أسقي الأرض من دمه .

حدثني هدبة بن خالد عن مبارك بن فضالة قال: جاء عبدالله بن غالب ، أبو قريش الجهضمي وعقبة بن عبد الغافر الأزدي إلىٰ الحسن فقالا : إن الحجاج قد أمات السنَّة ، وانتهك المحارم ، وقتل على الظنة وأخاف المسلمين ، فقال : إن الحجاج عقوبة من الله ، فلا تلقوها بالسيف ، ولكن بالتوبة والتضرع .

وحدثني الحرمازي عن أبي اسماعيل الثقفي قال : خرج الحجاج إلى ظهر الكوفة في غُبِّ مطر ، فرأى رجلاً واقفاً فى طرف الحيرة فقال له : ما تقول في أميركم ؟ قال : الحجاج ؟ قال : نعم . قال : زعموا أنه من ثمود ، وكفىٰ بسوء سيرته شراً ، فعليه لعنة الله ، فقال الحجاج : أتعرفني ؟ قال : لا ، قال : أنا الحجاج . قال : أفتعرفني أنت ، أصلح الله الأمير أنا مولى بني فلان أُجنُّ في كل شهر ثلاثة أيام فاليوم آخرهنَّ وهو أشدهنّ ، فضحك ولم يعرض له .

حدثني عافية بن شبيب عن أبيه عن شبيب بن شبة قال : كانوا يقاتلون الحجاج ويقولون : يا لثارات الصلاة .

قال المدائني : قال مالك بن دينار : سمعت عبدالله بن غالب ينادي بالزاوية : يا لثارات الصلاة .

قال المدائني : لما مات الحجاج وقف على قبره رجل من أهل الشام فقال : إنا لا نخافك على تعذيب الحجاج فلا تحرمنا شفاعته .

المدائني قال : قال الحجاج لعروة بن الزبير وقد أغلظ لعبد الملك في كلام : يا بن العمياء ، أتقول هذا لأمير المؤمنين ؟ فقال له عروة : وما أنت وهذا يا بن المتمنية ، يعني أن جدته أم أبيه وهي من بني كنانة ثم من بني الديل ، القائلة في زمن عمر بن الخطاب :

ألا سبيلٌ إلى خمر فأشربها أَمْ لا سبيلٌ إلىٰ نصرِ بنِ حجاج

وقد ذكرنا خبرها فيما تقدم .

المدائني عن أبي اليقظان قال : مات محمد بن الحجاج في حياة أبيه ، فقال الحجاج : إذا فرغتم من غسله فاعلموني ، فأعلموه فانطلق حتى أخذ بعضادتي الباب فنظر إليه وهو علىٰ السرير فقال :

الآن لما كنتَ أكمل مَنْ مَشىٰ وَافْتَرَّ نابُكَ عن شَبَاةِ القارح

فقيل له : استرجع أصلح الله الأمير ، فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة أولئك هم المهتدون﴾[1] .

ومات محمد بن الحجاج ، ومحمد بن يوسف باليمن في سنة ، فقال الحجاج : مصيبتان عظيمتان في عام ، أما والله لو كان الموت يقبل الفداء لقد كان عندنا مال ، ولو كان يدفع بالقوة لقد كانت عندنا قوة وسلطان ، ولكن غلب سلطان الله سلطاننا وما يسرني أن أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي لما

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآيتان : ١٥٦ ـ ١٥٧ .

أرجو من ثواب الله ، وكأنَّا بكل جديد قد بلي وبكل حي قد مات . وعزاه الناس فقال الفرزدق :

جناحا عقاب فارقاه كلاهما ولو نُزعا من غيره لتضعضعا
سميًّا رسول الله سمَّاهُما به أَبٌ لم يكن عند الحوادث أُخضعا[1]

فبكى الحجاج حين سماع هذا الشعر حتى نشج .

وأخبر الجارود بن أبي سبرة أن رجلاً من بني عُقيل كان الحجاج قتل ابنه فقال :

ذوقوا كما ذقنا غداة محجَّرٍ من الغيظ في أكبادكم والتحَوُّبِ

قال المدائني : أتي الحجاج برجلين من الخوارج فقال لأحدهما : مادِيْنكَ ؟ قال : دين ابراهيم حنيف مسلم ، وإني أحذرك يا حجاج يوماً لا آخر له فأمر به فقتل ، وقال للآخر : ما دِيْنَك فقال : دين يوسف بن الحكم . فقال : لقد توليت بحب الله ورسوله وخلى سبيله ، فقال حين خرج :

أرى الحجاج يقتل كل بَرٍّ ويترك مَنْ علىٰ دِيْنِ الحمار
فيابن القِلعم[2] المجلوب حيفا دع الحجاج وانج إلىٰ وبار

وحدثني عبدالله بن صالح قال : قدم رجل من اليمن يشكو محمد بن يوسف فقيل له : إن أخاه الحجاج فاحذر غائلته وأمْسِكْ فقال : أتراه بالحجاج أَعَزّ مني بالله ؟ لاها الله إذن .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ مع فوارق .
٢ ـ القلعم : الشيخ المسن ، العجوز .

وحدثنا الحسن بن علي الحرمازي عن أبي اليقظان قال : لما توفي الحجاج قال الفرزدق يرثيه :

مـاذَرَّفَتْ عينانِ بعـد نبيِّهـا على مثله إلّا نفوس الخلائف
أقـول لهم لما أتـاني نعيُّـه أريحوا عليكم مُهْمَلاَت التنائف

يقول : أريحوا إبلكم لا ترعوها لخوف الغدرات إذا ذهب من كنتم تأمنون به .

فليت الأكف الدافنات ابن يوسف تَقَطَّعْنَ إذ يحثين فوق السفائف
فما حملتْ أنثىٰ علىٰ الأرض مثله ولاخط نعي في بطون الصحائف[1]

وكان قد ظَنَّ أنَّ ابنه عبد الملك سَيَلي مكانه ، ثم قال بعد ذلك

لئن أسرة الحجاج آل معتِّب لَقَوا دولةً كان العدو يداها
لقد أصبح الأحياء منهم أذلةً وفي النار موتاهم يُهان سبالها
وكانوا يرون الدائرات بغيرهم فصار عليهم بالعذاب انتقالها
وكان إذا قيل اتَّقِ الله شَمَّرتْ به عزة لا يُستطاع جدالها[2]

فقيل له : رثيته ثم قلت هذا ؟ فقال : إنَّا نكون مع القوم ما كان الله معهم ، فإذا تركهم تركناهم .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة قال : كان الحكم بن أيوب بن أبي عقيل عامل الحجاج على البصرة أبخل الخلق وكان له دُراجة يؤتىٰ بها بعد الطعام فيأكلها وحده ، وكان استعمل رجلاً من بني

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥ ـ ٧ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٧٥ ـ ٧٦ مع فوارق .

مازن بن تميم يقال له جرير بن بيهس ويعرف بالغُطَرَّق على بعض العروض وناحية سفوان ، فقدم عليه وهو يتغدى ودراجة بين يديه فدعاه إلى الغداء فأكل معه وجعل يفسخ الدراجة حتى أكل أكثرها ، فعزله وقال : إلحق بأهلك . فقال ابن عم له :

قد كان عندك صيد لو قنعت به   فيه غنىً لك عن دراجة الحكم
وفي عوارض ما تَنْفَكّ تأكلها   لو كان يشفيك أكل اللحم من قرم

فبلغ ذلك الحجاج فقال : لعن الله الحكم لقد هممتُ أن أعزله ، وكتب إليه : أمِنْ عَوَزِ الدراج لا أم لك فعلتَ ما فعلتَ ، ولقد كان أحسن من فعلك بالرجل وأُسْتَرُ لبخلك ألا تدعوه إلى طعامك .

وقال غير الكلبي : عزل الغُطَرَّق وولى نويرة بن شقيق من بني تميم فقال أبو نويرة الشعر الذي أَوَّلُهُ : «قد كان بالعرض صيد» . ثم عزله الحكم وولى المحلّق الضبي فقال نويرة :

أبا يوسف لو كنت تعلم طاعتي   ونُصحي إذاً ما بعتني بالمحلّق
ولا اعتلَّ سراق العرافة صالح   عليّ ولا كُلِّفْتَ ذنب الغُطَرَّق

حدثني الحرمازي عن مشايخهم قال : أُتي الحجاج بعاصٍ وهو يتغدىٰ فقال له : أما سمعت قول جرير :

إذا ظَفَرتْ يداه بحبل عاصٍ   رأىٰ العاصي من الأجل اقترابا[1]

اضربا عنقه .

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي قال : كان الحجاج يفرض

---

١ ـ ديوان جرير ص ٢١ .

في ثلاثمائة ففرض للجَرَنْفَش أحد بني ثعلبة بن سلامان وكان يأخذهم بالخيل والسلاح فقال الجرنفش :

يُكلفني الحجاج درعاً ومغفراً وطِرفاً كُمَيْتاً رائعاً بثلاث
وستين سهماً صنعة يثربية وقوساً طروح النبل غير لباث
ففي أي هذا أكتفي بعطائه فَرَبِّيَ من هذا الحديث غياثي

وحدثني عبد الرحمن بن حَزْرَة من ولد جرير قال : أنشد جرير الحجاج :

مَنْ كابن يوسف يوم تختلف القنا أم من يصول كصولة الحجاج
أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يثقن بغيرة الأزواج
وَلَرُبَّ ناكثِ بَيْعَتَيْنِ تركتَه وخضاب لحيته دم الأوداج[١]

فقال الحجاج حين أنشده إياها : لله أبوك ما أَعْرَفَك ، إني لأصول بحد وأنوء بحزم ، وأغار على الحُرَم .

وحدثني الحرمازي عن العتبي وغيره قالوا: أنشدت ليلى الأَخْيَلية الحجاج شعرها الذي تقول فيه :

وكان إذا ما حلَّ أرضاً مريضةً تَعَمَّدَ أقصىٰ داءها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هَزَّ القناة سقاها[٢]

فقال الحجاج : لا تقولي غلام ولكن قولي همام .

المدائني عن خالد بن عبدالله قال:كان الحجاج يقول : ما تناجى اثنان

---

١ ـ ديوان جرير ص ٧٤ مع فوارق .
٢ ـ ديوان ليلى الأخيلية ـ ط . بغداد ١٩٦٧ ص ١٢١ .

دون واحد إلا ظن بهما اغتياباً له ، أو طياً لأمرهما عنه ، فأحنقته تلك ، أو أوحشته هذه .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك : إنك يا أمير المؤمنين أعز ما يكون أحوج ما تكون إلى الله ، فإذا عززت بالله فاعفُ له ، فإنك به تَقدر ، وإليه تَرجع .

حدثني الحرمازي عن أبي عقيل الثقفي قال : خطب الحجاج فقال : احفظوا ألسنتكم فإن أيمن امرىء وأشأمه بين فكيه .

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير : كان جرير يقول : سمعت الحجاج يقول : البليغ من سَهُل لفظه ، وحَسُنت بديهته .

المدائني عن سعيد بن عبد الرحمن عن مالك بن دينار قال : حبس الحكم بن أيوب الثقفي علي بن زيد بن جُدعان ، والحسن يومئذ مُستخفٍ ، ونحن معه مُسْتَخْفُون ، فأتاه الحسن ليلاً وأتيناه فأذن له وأجلسه معه على السرير فما كنا عند الحسن إلاّ مثل الفراريج ، فذكر يوسف النبي عليه الصلاة والسلام وإخوته فقال : باعوا أخاهم وحزنوا أباهم ومكانهُ مِنَ الله مكانُه ، ثم لقي يوسف ما لقي من الحبس وكيد النساء ، ثم أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كعبه ، وجعله أميناً على خزائن الأرض فلما أكمل له أمره ، وجمع أهله ، وأتاه بأبويه ، وأقرَّ عينه قالوا : ﴿تالله لقد آثرك علينا وإن كنا لخاطئين * قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم

الراحمين﴾[1] . قال الحكم : وأنا أقول لا تثريب عليكم ، لو لم أجد الاثوبي هذا لواريتكم به ، وأطلق علياً .

وحدثني الأثرم عن الأصمعي قال : اغتاب رجل رجلاً عند الحجاج ، وقتيبة حاضر ، فلما خرجا قال قتيبة : يا هذا لقد لُكْتَ مضغة ، طالما لفظها الكرام .

حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء عن علي بن نَصْر الجهضمي عن أبي مرجعة قال : سمعت مالك بن دينار يقول : سمعت الحجاج يقول في خطبته : رحم الله امرأً اتهم نفسه على نفسه ، رحم الله امرأً اتخذ نفسه عدواً فحذرها في قوله وفعله ، رحم الله امرأً أخذ بعنان عمله فعلم ما يراد به ، رحم الله امرأً حاسب نفسه قبل أن يكون حسابه إلى غيره ، رحم الله امرأً نظر إلى ميزانه فأشفق من خِفَّتِهِ ، رحم الله امرأً علم أن الشقاء والرخاء فيما بين يديه . فلم يزل يتكلم حتى بكينا .

حدثني ابن الأعرابي عن الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال : سمعت من عبد الملك ـ أو قال من الحجاج ـ كلمتين حسدته عليهما ، سمعته يقول : اللهم إن ذنوبي قد كثرت فجلت عن الوصف ، اللهم وإنها صغيرة في جنب عفوكِ فاعف عني .

وقال الحرمازي : أخذ رجل بابن عم له عاصٍ ، فقال للحجاج : أؤخذ بذنب غيري أصلح الله الأمير ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ولاتزر وازرة وزر أخرى﴾[2] فقال : أو ما سمعت قول القائل :

---

١ ـ سورة يوسف ـ الأيتان : ٩١ ـ ٩٢ .

٢ ـ سورة الأنعام ـ الأية : ١٦٤

. . . . إن الفتى بابن عم السوء مأخوذ

فقال الحسن : ماله قبحه الله تُتلى عليه آية من كتاب الله ، فيعارضها بقول شاعر كذاب .

المدائني عن عامر بن حفص قال : قال عمر بن عبد العزيز : «لو خابثتنا الأمم بالحجاج ، فجاءت كل أمه بأخبث من فيها ، وجئنا بالحجاج لخبثناهم وغلبناهم» .

حدثني عبد الله بن صالح العجلي قال : قرأت في كتاب شيخ من أهل واسط قال : قال الحجاج بن يوسف : كان يقال الكآبة في أربع : في الفقر بعد الغنى ، والذل بعد العز ، واليأس بعد الطمع ، وعواقب الهوى المتَّبع .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، حدثني ابن أبي ذئب عن إسحاق بن أبي فروة قال : رأيت أنس بن مالك وقد ختم الحجاج في رقبته[1] .

قال ابن أبي ذئب : وحدثني من رأى جابر بن عبد الله وقد ختم يده في كوعه ، فبلغ الحجاج أن جابراً قال : شهدت العقبة ورأيت ورأيت ، ثم رأيت الحجاج وما يصنع فليت أن سمعي قد ذهب مع بصري حتى لا أسمع شيئاً ، فقال : ما رأيت أعظم فخراًمن هؤلاء اليهود .

وقال المدائني عن عوانه وغيره : هلك الحجاج وفي حبسه ستون ألف محبوس .

ويروى عن الحجاج ـ وبعضهم يرويه عن المغيرة بن شعبة ـ قال :

١ـ ترجمة أنس بن مالك في طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٧ ـ ٢٦ .

الشره ينتج الطمع ، والطمع يُخْلِقُ المروءة ، ويدنس العرض ، ويستخف الشأن ويَذهب ببهاء الرجال .

حدثني ابن أبي شيخ الكوفي عن عبيد الله بن موسى قال : بلغني أن عبد الملك قال للحجاج : إنه ليس من الناس أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه ،فعزمتُ عليك لَمّا أخبرتني بما فيك ؟ قال : يا أمير المؤمنين أنا لجوج ، حقود ، حسود . قال : حَسْبُك فما في الشيطان إلاّ دون هذه الخلال .

قال ابن أبي شيخ : وبلغني أن الحجاج وعظ بعض أهله فقال : لا تستشيرنَّ ذا عيب ، فإنه يرجع بك في مشورته إلى عيبه .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك : بلغني أن أمير المؤمنين عطس فشمته من حضر فرد عليهم أن يغفر الله لكم ، ويصلح بالكم ، فياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً .

وقدم رجل على الحجاج في مَظْلَمةٍ فحبق فقال : أصلح الله الأمير إنها خَلْفٌ نطقت خَلْفَاً . فقال : لا ولكن عودتها ذلك في الخلاء ، ففضحتك في الملاء .

المدائني عن سعيد بن زيد عن عثمان بن أبي سلمة عن مطرف قال : قال لي الحجاج : هيه يا أبا عبد الله إذا كانت لنا فأنت معنا ، وإذا كانت علينا فأنت علينا . قلت : كنا بين مُفَارقٍ وخاذلٍ ، لو صبرنا على الحق كان خيراً لنا . قال : صدقت أُدْنُ فدنوت ، ثم قال : يا أهل الشام هذا بقية الناس .

وولى الحكم بن أيوب محمد بن رباط الفقيمي ، فكتب إليه الحجاج : وليته أعرابياً جافياً ، وكان ابن رباط أُميّاً ، فلزم طول الصمت ، وحسن السمت حتى ولاه الحكم .

المدائني عن ابن فائد قال : قدم الحجاج العراق وليس على أنهارهم جسور ، فأخذهم باتخاذها إلى أرضهم .

قال : وضرب الحجاج أبا عثمان بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأمر به فسحب وقال : ضربٌ بضربٍ ، وتجرارٌ بتجرارٍ . وذلك لأن عبد الله بن خالد ولي الطائف ، ففعل مثل ذلك برجل من ثقيف .

المدائني عن جرير بن حازم عن أبيه عن حميد بن هلال قال : أتى القراء مطرّف بن عبد الله بن الشِخبر فدعوه إلى الخروج ، فقال : أرأيتم الذي تدعونني إليه أَلَيْسَ إنما هو جهاد ؟ قالوا : بلى . قال : أخاف أن أكون مأثوماً ، فلو كانت لي نفسان بايعتكم بواحدة ، فإن كان ما تقولون رشداً أتبعتها الأخرى ، ولكنها واحدة ، فأنا أكره أن أُغرر بها . وخرج من البصرة إلى السَّخبرية وهي علي ليلتين منها ، وأقام الحسن بالبصرة ينهى الناس عن الخروج ، فكان كرجل خافِ السيل فأقام على سَنَنِه .

المدائني قال : قتل الحجاج عثمان بن مسعود مولى خزاعة ، جَدُّ أبي اسحاق صاحب حرس أبي مسلم ، وكان عثمان عظيم القدر بخراسان ، وهو قتل موسى بن عبد الله بن خازم السُّلمي ، فقال له مُجَشِّر بن مزاحم السلمي وهو جالس عند قتيبة بخراسان ، وأراد أن يُغضب قتيبة عليه : ما فعل موسى بن عبد الله ؟ قال : استودعته نهر بلخ ، ولو حضرتَه لألحقتك به .

وكتب الحجاج إلى قتيبة : إحمل إلي عثمان فحمله إليه ومامع قتيبة قلبه

فرقّاً ، فأمن عثمان فحبسه الحجاج وبعث قتيبة بمنطقة نيزك إلى الحجاج ، فدعا بعثمان من الحبس فقال : هذه منطقة نيزك ؟ قال : لا هذه منطقة رجل من عظماء الترك ، ومنطقة نيزك موصولة بنصف منطقة فيروز . فقال محفز الكلابي : كذبت قال : اغرب فإنك بأكل اليربوع أعلم منك بأمر الملوك . فقال الحجاج : كُفَّ يا محفز . وَرَدَّهُ إلى السجن .

وقال الحجاج : لوناصحني عبد خزاعة كان أحبَّ إليّ من أن يمدني أمير المؤمنين بثلاثة آلاف فارس ، وكان سخياً جميلاً شجاعاً كاتباً بالعربية والفارسية أعطى يوماً ثمانين جارية وثمانين وصيفاً ، وبعث إليه رجل بجارية فقال لجلسائه : أرى قبيحاً أن أتخذها لنفسي وأنتم حضور ، وأكره أن أخص بها رجلاً وكلكم له حق ، وكانوا ثمانين ، فأمر لكل رجل بجارية ووصيف .

وقال الحجاج لجبلة بن عبد الرحمن : إنك لنزيف زيغان[1] ، ويقال عثمان بن مسعود ، فقال : أصلح الله الأمير وما عسيت أن أكون إلاّ رجلاً من أهل أصبهان ، أو عبداً لباهلة .

ودعا الحجاج بعثمان وقد أُتي برأس نيزك ، فقال له : يا عثمان رأيت أحداً أعظم غناء ممن بعث بهذا الرأس وقتل صاحبه ـ يعني قتيبة بن مسلم ـ فقال : نعم الذي قتل صاحب هذا الخاتم ، ورمى إليه بخاتم موسى بن عبد الله بن خازم . قال : صدقت ، أنت لعمري أعظم غناء ونحن نعجز عن مكافأتك فأدِّ ما عليك حتى أحملك إلى عبد الملك أمير المؤمنين فيتولى

---

١ ـ النزيف : المحموم ، والسكران ، ومن عطش حتى يبست عروقه وجفَّ لسانه . والزيغان : الميل . القاموس . العين .

مكافأتك . وردَّه إلى الحبس ، وأمر صاحب العذاب فألح به عليه حتى قتله .

المدائني عن كليب بن خلف العميّ قال : قال دِيبق الأقطع للحجاج : أردت كذا فما منعني منه إلا سفهك فقال : بل صرامتي . وكان يمازحه .

المدائني عن أبي اسحاق التميمي قال : توارى الحسن عند أبي خليفة مولى عبد القيس فمرض جابر بن زيد ، فأتاه الحسن ليلاً وقد ثقل فخاف الصبح ، ونزل به الموت فصلى عليه ، وقال أبو خليفة : إن الله قد وَسَّعَ فلا تحتشم . فقال : أما ترضى أن أكون في بيتك مثلي في بيتي ؟ .

المدائني عن أبي إسحاق التميمي قال : قال الحسن : قدم رجل من أهل الشام في بيعة الوليد فكان الشامي يبايع قوماً ، فميلت بين إتيان الحجاج والشامي ، فأتيت الحجاج فبايعته فقال : يا حسن ما كتاب أصيب في دار عمير يُروي عنك تزري فيه على الأئمة والسُلطان ؟ قلت : أصلحك الله كثيراً ما يقال الباطل ، وما أدري ما هذا الكتاب .

وخطب الحجاج فقال : إن الله أمرنا بطلب الآخرة ، وكفانا مؤونة الدنيا ، فليتنا كُفينا مؤونة الآخرة . فقال الحسن : مُنْية مؤمن خرجت من قلب منافق .

المدائني عن عامر بن أبي محمد أن الحجاج كان يضيق على أهل الديماس فكان يقرنهم كل رجلين في سلسلة ، فمات الحكم بن المنذر بن الجارود وكان مقروناً بابن رباط الفقيمي ، فسقط في متوضأ لهم فمات من نتنه ، وكان لكل رجل ذراع في ذراع يتراوحان ذلك ، ولم يكن لهم أدم

إلّا الملح والخبز الشعير وكان يلقى في الماء ملحاً ، فحبس قطن بن زياد الحارثي فمرض فاشتهى اللحم فاحتالوا له فأدخلوا إليه عرقاً أو عرقين ، فأكل اللحم فقال جبلة بن عبد الرحمن : اعطوني العظام فأعطوه فدفنها في منزل رجل في السجن كان الذي بينهما متباعداً ، وبلغ صاحب السجن فدخل ففتش مواضعهم فاستخرج العظام ، فلقي الرجل أذى وضُربَ وضُيّق عليه .

المدائني عن شيخ من الأزد قال : نادى رجل من بني عطارد : يا حجاج أَخِرج إلينا أكفاءنا من مضر . فأمر جُنْدَب بن عبد الرحمن أخا الجنيد فخرج إليه فقتله جندب ، فأعطاه الحجاج سلبه ، فاشترى يحيى بن الحكم فرسه بثلاثة عشر ألف درهم فقال الحجاج ؛ لقد صدقَتْ أسماء بنت الصديق حين قالت : «في ثقيف كذاب ومبير» ، أنا المبير أبير المنافقين وأهل الشقاق .

المدائني عن بكر بن حبيب السهمي من باهلة عن أبيه قال : سمعت الحجاج يخطب فقال : يا أهل العراق إنه والله ما بيني وبينكم من هوادة ولا بلهنية ولا رفاهية ولا دبغ على التحلية ، ولا أقول لمن عثر : لعاً[1] ، ولكن لليدين والفم ، وما مثلي ومثلكم إلا كمثل رجل كانت في بيته حية تُخرج له كل يوم ديناراً تضعه على باب جحرها، فقيل له: لو قتلتها واستخرجت الدنانير التي في جوفها . فرصدها بفأس فلما خرجت أهوى إليها ليضربها فولّت فقطع ذنبها ، فلما كان الليل لدغت ابناً له فمات فندم وسألها الصلح

---

١ ـ اللعو : السيء الخلق والفسولة . القاموس .

فقالت : لا صلح بيني وبينك ، إذا ذكرتُ قطع ذنبي وذكرتَ قتلي ابنك لم تطب نفسك لي ، ولا نفسي لك .

المدائني عن أحمد بن خالد قال : لما قتل ابن الأشعث فَنْدَشا ، نذرت أخته إن ظفر الحجاج أن تقبل رأسه فلما ظفر ونزل واسطاً دخلت عليه وهو عند النساء فأخبرته بنذرها ، فقال : إذا جلستُ للناس فادخلي عليّ ، فلما جلس للناس دخلت عليه فدعاها وقال : قُصّي قصّتك ففعلت فنكس رأسه وقال : فِيْ بنذرك فأقبلت تمشي بين السماطين حتى قبّلت رأسه وانصرفت .

المدائني قال : جهد الحجاج على وضع آل المهلب فلم يقدر ، ووضع آل الفضيل بن عمران ، وقتل الهذيل بن عمران البرجمي وآل شقيق بن ثور ، وقتل أشْيَم ، وهدم دار سفيان بن عمرو العبدي ، وأقطع دار عبد الرحمن بن زياد لخروجه مع ابن الأشعث فردَّها عمر بن عبد العزيز ، وأقطع دار عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بالجزيرة فهي اليوم لآل نَهيك ، وأقطع عبيد الله بن زياد دار سعد الرابية من بني عمرو بن يربوع كانت ماخوراً ، وكان سعد معلماً وله يقول الفرزدق :

إني لأبغض سعداً أن أجاوره ... وما أُحبُّ بني عمرو بن يربوع
قوم إذا غضبوا لم يخشهم أحدٌ ... والجار فيهم ذليل غير ممنوع[1]

فلما قدم مصعب بن الزبير أخذ الدار من سعد لانقطاعه إلى زياد وآل زياد ، فخرج سعد إلى عبدالله بن الزبير فقال : يا أمير المؤمنين ﴿الخبيثات

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٢٦ مع فوارق .

للخبيثين﴾[1] كانت داري ماخوراً أقطعنيها ابن زياد ، فأخذها مني مصعب ، فردها عليه ، فلما قدم الحجاج أخذها لأن ابن الزبير ردها على سعد فأقطعها عبد الرحمن بن طارق التميمي ثم العبشمي ، وأصله من الجزيرة ، فخرج مع ابن الأشعث وكان على شرطة الحجاج ، فهرب إلى الشام ، فقبض الحجاج الدار فكانت مقبوضة ، فأقطعها يزيد بن عبد الملك محمد بن عمر بن عبد الرحمن المخزومي حين قدم عليه برأس يزيد بن المهلب فخاصمه فيها إلى سعد ، ثم اشتراها عيسىٰ بن سليمان بن علي .

المدائني قال : أخذ الحجاج فُضَيْل بن بَزْوان مولى بني البكاء ، ويقال عبد الرحمن بن بزوان العَدْواني فقال له : ألم أكرمك ؟ ألم أستعملك ؟ قال : بلىٰ فاستعبدتني وأهنتني . قال : لأقتلنَّك . قال : إذاً أُخاصمك في دمي ، قال : إذاً أخصمك ، وقتله .

المدائني قال : ركب الحجاج فعرض له خارجي فحمل عليه بُخَيْت فقتله ، فلما كان رأس السنة ولى بخيت فارس ووصله بمائة ألف درهم .

وولى ثولاء بن نعيم على الجزيرة وأمره بقتل عدي بن خَصَفة العبدي ، وكان فاضلاً ، فأخبر ثولاء بفضله واجتهاده ، فكتب إلى الحجاج فيه ، فكتب إليه : اقتله لا أم لك ، وابعث إلي برأسه فقال عديّ : اللهم لا تُري الحجاج وجهي فذبح على حرف سفينة فسقط رأسه في البحر ، فاتهم الحجاج ثولاء ، ولقي منه شراً .

وقتل الحجاج مساور بن رئاب التميمي وقال : ادفعوه إلى أهله فأهل

---

١ ـ سورة النور ـ الآية : ٢٦ .

القتيل يلون القتيل ، ويقال قتل في المعركة بالزاوية ، وكانت الفارعة بنت همام أم الحجاج عند المغيرة ، فولدت له ابنة فماتت فخاصم عروة بن المغيرة الحجاج في ميراثها ، فكان ذلك مما حَقَدَهُ الحجاج على عروة .

قالوا: وسار الحجاج من مكة إلى البصرة تسعاً ، ومن إيلياء إلى الكوفة سبعاً ، فقال الراجز :

كَسَيْرَهِ من إيلياء فاعلمي سبعاً إلى واسط في تَجَشُّمِ

وقال الفرزدق :

فما عاد ذاك اليوم حتى أناخها بَمَيْسانَ قَدْ حُلَّتْ عُرَاها وكَلَّتِ

قالوا : وكان دليل الحجاج في طريق مكة قنبر مولى بني عدي فَضَلَّ به ، فضربه الحجاج ، ثم كساه ووصله وقال له : إن الحوار لا يُضيره وطء أمه .

وبعث الحجاج إلى أبي عيينة بن المهلب ، وكان معه في الطريق فقال : انظروا ما يصنع فأُخبر أنه كان يمصّ قصب السكر ، فقال : أراد أن يُلينٍّ أمعاءه .

قالوا: وكان قنبر مولى بني عدي والشَّمّاخ أحد قيس بن ثعلبة يستبقان ، فسَبَق الشَّمّاخ عدياً والحجاج بواسط ، فركب سفينة إلى واسط ، وقدم قنبر بعده فركب زورقاً فسبق فحسده الفرزدق فقال :

وما سبق القيسيُّ من سوء سيره ولكن طفت في الماء غُرْلَةُ قنبر[1]

١ـ ليس في ديوانه المطبوع .

وانشدنا ابن الاعرابي للفرزدق في مسير الحجاج من الشام إلى واسط في سبع :

سما بالمهاري من فلسطين بعدما دنا الفيء من شمس النهار فولَّتِ
فما عاد ذاك اليوم حتى أناخها بميسان قد حُلَّتْ عُراها وكَلَّتِ
فلو أن طيراً كُلِّفت مثل سيره إلى واسطٍ من إيلياءَ لَمَلَّتِ
كأنَّ قطامياً على الرَّحل طاوياً رأى غمرة الظلماء حين تَجَلَّتِ

المدائني قال : دخل بسطام بن مصقلة بن هبيرة على الحجاج قبل خروج ابن الأشعث ، وكان بسطام جَلْداً شديد العارضة ، فقال له الحجاج : يا بسطام ما أنت بالذي قال الغنوي :

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ولا ورغ عند اللقاء هيوب

فقال : أنا كما قال الأخطل :

عن المغمّر لا تسأل بمصرعه واسأل بمصقلة البكريّ ما فعلا
ضخم تَعَلَّقُ أشناقُ[1] الديات به إذا المئون أُمِرَّت فوقه حَملا[2]

يعني بالمغمر القعقاع بن ثور .

وقال الحجاج : لما تبوأت الأشياء منازلها قالت الطاعة : أُنزلُ الشام . قال الطاعون : وأنا معك ، وقال النفاق : أنزل العراق ، قالت النعمة وأنا معك ، قالت الصحة: أنا أنزل البادية ، قال الجوع : وأنا معك .

قالوا: وذكر الحجاج روح بن زنباع الجذامي فقال : أخذ من فقه أهل

١ ـ الأشناق : الإبل التي تعطى زيادة عن الديات .
٢ ـ ديوان الأخطل ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

الحجاز ، وأخطار أهل العراق ، وطاعة أهل الشام ، وروي ذلك عن عبد الملك بن مروان .

وولىٰ الحجاج صالح بن كريز بيت المال ، وكان قد وفىٰ له وسماه قفل الأمانة .

قالوا: وقال الحجاج يوماً : إني كافر فلم يُجبه أحد فقال : أيتها المعزىٰ ، كافر باللات والعزىٰ .

وقال أيضاً يوماً : إني لا أخاف الله ، فلم يكلمه أحد ، فقال : لا أخاف أن يظلمني .

المدائني قال : أخذ الحجاج أمام بن أقرم النميري في أمر فحبسه ، والحجاج على شرطة أبان بن مروان فهرب من السجن وقال :

ولما أن فرغتُ إلىٰ سلاحي — وبشرى قلتُ ما أنا بالفقير
طليق الله لم يمنن عليه — أبو داود وابن أبي كثير
ولا الحجاج عينا بنت ماء — تقلب عينها حذر الصقور

أبو داود يزيد بن هبيرة المحاربي ، وبشرىٰ فرسه .

فلما قدم الحجاج العراق رأى أمام بن أقرم فقال له : ويلك أعيناي أشبه بعيني بنت أم الماء أم عينيك ؟ فقال : عيني . وكان أخزر .

ولما أراد الحجاج بناء واسط قال بعض الدهاقين : إن الطواعين بها كثيرة ، وقد أراد كسرىٰ بناءها ونزولها فكرهها . فقال الحجاج : أراد العلج أن يصرفنا عنها .

قالوا : وكان من عمال الحجاج على البصرة قطن بن مُدرك الكلابي ، وعلى شرطته يزيد بن عمير الأسيدي ، فقال له الحجاج : إن الناس قد ولدوا

أبناء وإنك ولدت أباً ، فاستخلفه على عملك ، واستعمل يزيد : عمر بن يزيد ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وقتل سنة تسع عشرة ومائة ، وهو ابن ثمان وثلاثين ، وصار يزيد إلى الحجاج فولاه دستميسان ، وتلقى عمر بن يزيد الحجاج حين قدم من مكة بأسوقةٍ وأشربةٍ ، فجعل إذا ناوله قدحاً جرع منه جرعة ليأمن أن يكون مسموماً فأعجبه ذلك ، وطلب الحجاج فسطاطاً ، فقال له : هو عندي ، فابتاعه له وحمله إليه .

المدائني عن محمد بن الحجاج قال : قال عبد الملك وهو بالنخيلة : من سيد ثقيف ؟ فقال الهيثم بن الأسود : أشرفُها نفساً وأباً وجَدًّاً وفضيلة عروة بن المغيرة ، فقال الحجاج : أسكت فنحن أعلم بقومنا منك . فقال العُريان بن الهيثم : أنا أعلم بقومك منك ، فلما ولي الحجاج العراق أَضَرَّ بالعريان ، ووضع منه فبعثه إلى عامل الفرات في درهم ونصف بقي عليه ، ثم ولى الهيثم بريد دجلة ، وولى العريان بريد الفرات ، فكانا يتزاوران فكتب : إنه بلغني اجتماعكما لمناشدة الأشعار وتشاغلكما عن العمل ، مع كلامك يوم النخيلة يا عريان .

المدائني عن الأسود بن سنان عن الجارود بن أبي سبرة قال : دخلنا على الحجاج فقال : ما تقولون في عبدالله بن عامر بن مَسْمَع ؟ فلغطوا فقال : ما هذا الصوت بل ما هذا الصُوَيْت إن بكرانا وتميانا أهون عليّ من بردين متؤثيين(١) قصيري الطول وصغيري العرض .

١ ـ كذا بالأصل : والوثي : أوثى الرجل : انكسر به مركبه من حيوان أو سفينة ، ووثئت رجلي : أصابها وهن دون الخلع والكسر . القاموس والنهاية لابن الأثير .

المدائني قال: قال الحجاج لآذنه : أُدْخِل عليَّ رجلاً يحدثني ، فرأى رجلاً من الأزد طويل اللحية ، فأدخله فقال الحجاج : هيه . قال : هيه . قال : هيه ويلك . قال : هيه ويلك . قال : هيه ثكلتك أمك . قال : هيه ثكلتك أمك . فقال : أخرج هذا عني وأدخل غيره ، فأدخل عليه رجلاً فقال له الحجاج : هيه . قال : يسأل الأمير عما أَحَبَّ . قال : أتقرأ القرآن ؟ قال : قد علمنيه الله فإن حفظته حفظني ، وإن تركته تركني . قال : أفتفرض ؟ قال : أفرض الصُّلب ، وأعرف اختلافهم في الجدّ . قال : فما تعرف من السنة ؟ قال : ما أقيم به ديني وأعلّم الجاهل . قال : أتروي الشعر ؟ قال : أروي الشاهد والمثل . قال : قد عرفت المثل فما الشاهد ؟ قال : النائرة[1] تكون بين القوم ، فيقول الرجل فيها ، فيكون قوله شاهدا قال : فما تعرف من النسب ؟ قال : الجماهير ، وأعرف موقعي من العرب . قال : أتحب المال ؟ قال : له طلبت العلم قبل طلب المال . فأمر له بأربعة آلاف درهم .

المدائني قال : لما قدم الحجاج البصرة حضر العيد فرأى كثرة من حضر من النساء ، فقال : إن تُرك أهل الشام وهؤلاء أفسدوهن فابتنى قصره واتخذ فيه حائراً طويلاً أكثر من ميل ، وأنزله أهل الشام لا يخالطهم عراقي فتغوط أهل الشام فيه فقال : إنما أردتَ أن أتخذه لهم فإذ أفسدوه فأبعدهم الله ، وكان في قصره إيوان وأربع مقاصير واتخذ صهريجاً ، وكان قصره على فرسخ من البصرة أو أكثر فكان يأتي الجمعة حتى نزل واسطاً .

١ ـ الفتنة .

قالوا: وكان على شرطة الحجاج عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي فقال : لأولينَّ شرطتي رجلاً شديد العبوس ، طويل الجلوس ، شديداً على أهل الريب والدعارة .

قالوا:وعزل الحجاج الحكم بن أيوب ، وولىٰ عثمان بن سعد العذري ففرض اللبن على التياسين فعزله ، وأعاد الحكم ، وصيَّر على شرطته عبد الملك بن المهلب . وكان طاعون القينات سنة سبع وثمانين ، فخرج الحكم عن البصرة وولاها عبد الملك فقال الحارث بن ضب العتكي :

فلو كنت من أولاد حَمَّةَ لم تكن لتكتب بالعصيان والناس عُزَّلُ
ولكن عرقاً من بَهَلَّةَ يعتزي فقال فما عنه لكم من محّول

وقال فيه واثلة بن خليفة :

بكىٰ المنبر الشرقي لما وليته وكادت مسامير الحديد تذوب
وقد أقفرت منكم رساتيق فارس وبالمصر دُورٌ جَمَّةٌ ودروب
رأيتك لما شبت أدركك الذي ينال شيوخ الأزد حين تشيب
سفاهة أحلام وضَنٌّ بنائل ففيك لمن عاب المُزُون مَعِيْب

قالوا : وكان الحجاج إذا قتل رجلاً فتزوجت امرأته كف عنها ، وإن لم تتزوج حبسها في قصر المسيرين .

المدائني عن عبدالله بن فائد قال : قال الحجاج لمساور بن هند العبسي : ما ترجو من الشعر ؟ قال : أُسقىٰ به الماء ، وأُرعى به الكلاء ، ويُقضى لي به الحاجة .

قال المدائني : ولَحَنَ الحجاج يوماً ، فقال الناس : لحن الأمير ، فأخبره أبو كعب فخطب وتمثل بشعر قَعْنب ابن أم صاحب :

صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكرتُ به   وإنْ ذُكرتُ بسوء عندهم أَذِنُوا
إن يسمعوا سيئاً طاروا به فرحاً   مني وما سمعوا من صالح دفنوا

قالوا : وقرأ الحجاج يوماً : ﴿إنا من المجرمين﴾ منتقمين ثم قال : ﴿منتقمون﴾[1] .

المدائني قال : عصىٰ ثلاثة بنون لموسىٰ بن حكيم بن حنيفة فقال له الحجاج جئني بهم فقال :

إذا ذكرتْ نفسي خفافاً وخالداً   وراجعت ذكراً من أمية أيجع
إذا قال حجاج ألا فَأْتِني بهم   أزاول عن أفلاذ كبدي فتنزع

وكان حكيم مع عثمان يوم الدار ، فقال له : يا أمير المؤمنين أكفر الناس ؟ قال : لا بل قَسَطُوا .

وعصىٰ ابن لهارون بن حكيم فجاء به عمه موسى بن حكيم إلى الحجاج فقال : هذا ابن أخي عاصٍ قال : قد غفرتها له ، لما كان من حكيم يوم الدار .

المدائني قال : وفد الحجاج إلى الوليد ، وكان أَخصّ الناس بالوليد عباد بن زياد بن أبي سفيان . والغازي بن ربيعة الجرشي فقال عباد للغازي ، وكره أن يكون هو الذي يقول للوليد ، فيبلغ الحجاج : إن الحجاج سيذكر لأمير المؤمنين أمر العراق ويعظم شأنه وبلاءه فيه ويقول : لولا مكاني بالعراق ما قام لكم سلطان فقل لأمير المؤمنين إن قال ذلك يقول له : اسكت فنحن أعظم عليك مِنَّةً ويداً ، قد ولَّيناك وشرفناك ولولا ما كان

---

١ ـ سورة السجدة ـ الآية : ٢٢ .

منا إليك لكنت كرجلٍ من قومك ، ولولا ما صنع الله لنا ولك بنا ما كنت بالعراق شيئاً .

فقال الغازي ذلك للوليد ، ودخل الحجاج ذات يوم على الوليد ، فعظَّم أمره وبلاءَه ، وما كان منه في أمر أهل العراق حين عصوه ، فردَّ عليه الوليد ما ألقى إليه الغازي فانقطع الحجاج ، وقال في نفسه : ما هذا كلام الوليد فَمَنْ أَخصّ الناس به ؟ قالوا : الغازي . قال : وما هو بكلام يمان ، قالوا : فعباد بن زياد ، قال : هو كلامه وهو صاحبي ، فجفا عباداً وحجبه حين أتاه ، فشكا ذلك إلى الوليد فقال له : يا حجاج أتستخف بمشايخ بني عبد شمس ؟ فأذِنَ لعباد وقال له : أصالحك صلحاً دملجا[1] ، وقال الراجز :

قد أمر الأمير بالإدلاج قلت لأصحابي ولم أُداجي
هَلُمّ هاتوا صفة الحجاج كأن عينيه من الزجاج
كأن ساقيه عمود ساج

قالوا : ودخل ماعز بن ضمرة الحارثي على الحجاج فكلمه فقَنَعَه الحجاج ، فقال : مَهٍ ، بانتهار .

قالوا : واستسقى قبيصة بن برمة يوماً عند الحجاج فأُتي بإناء صغير فشرب ، ثم قال : قبح الله الإناء إذا لم يكن عظيماً يروي صاحبه ، ويفضل عن رَيِّهِ .

١ ـ الدملج : المعضد ، والدملاج : تسوية صنعة الشيء ، والدماليج : الأرضون الصلاب ـ القاموس .

وقال الحسن : الحجاج يتلو القرآن تلاوة أزرقيٍّ ، ويحكم حكم جبار .

وقال المدائني : كانت دار محمد بن يوسف بمكة لعبد المطلب ، وفيها ولد النبي ﷺ ، فاشتراها الحجاج بمائة ألف دينار[1]، فقال عبدالله بن حسن بن حسن للحجاج بن عبدالملك بن الحجاج : إني أريد أن أطلب دار ابن يوسف فأقِرَّ أن أباك غصبها ، فقال له الحجاج : إني لأرى فيك ما يرى هؤلاء النوكى ، أفتأمرني أن أزعم أني ظلمتك فتصير لك بحقٍ لزمني ، وهي اليوم قد أخذت منا ، وأنا لا أيأس من أن تُرَدَّ علينا .

وقالوا : حبس الحجاج أبا الطفيل عامر بن واثلة الليثي ، فكلمه فيه عبد الرحمن بن سهل بن عَمْرو ، وأم عبد الرحمن بنت أبي الضُريس من بني ليث . فقال للحجاج : هَبْ لي خالي ، وكان عبد الرحمن صهر الحجاج ، كانت ابنته أم سلمة عند الحجاج ، فأخرجه الحجاج ، فقال له عبد الرحمن : يا أبا الطفيل أنا أَحَبُّ إليك أم حسين ؟ قال : اعفني . قال : لا أعفيك . قال : أما إذ أبيت فما ولدت ابنة رسول الله ﷺ أَحَبُّ إلي مما ولدت ابنة أبي الضُريس .

وقيل للحسن : إن الحجاج قال عند الموت : أللهم إن هؤلاء يزعمون أنك لا تغفر لي فاغفر لي . قال : أَوَ قالها ؟ قالوا : نعم ، قال : عسى .

حدثنا عفان ، ثنا المبارك بن فضالة قال : كان الحجاج يأخذ الناس بالجمعة ثم يقيم على رؤوس الفقهاء والقراء قوماً يمنعونهم من الصلاة حتى

---

[1]- بهامش الأصل : درهم .

يصلي ، فكانوا يومئون إيماءً ، فقال الحسن : هي والله لهم تامة .

حدثنا شيبان بن فروخ الأُبلّي ، ثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني قال : رأيت سيف مولى عبد الرحمن بن سَمُرة والحجاج يخطب يومىء برأسه إيماءً ، فأخذت ذلك عنه ، وكنت أومىء برأسي .

المدائني عن جرير عن الأجلح قال : قلت للشعبي : أكان الحجاج مؤمناً ؟ قال : مؤمناً بالطاغوت ، كافراً بالله .

المدائني عن عامر بن حفص قال : قال ابن سيرين : ما ذكرتُ من قتل مع ابن الأشعث إلا قلتُ ليتهم لم يخرجوا ، فإذا ذكرتُ قول الحجاج قلت : ما حل لهم إلا ما صنعوا . قال : يقول المنافقون إن خبر السماء قد انقطع وكذبوا ، إن خبر السماء عند خليفة الله وقد انبأه الله أنه قاتلهم ومشردهم ، يقول هذا لأهل الشام .

المدائني عن بشر بن عيسى عن أبي المضرحي قال : أمر الحجاج محمد بن المنتشر وهو ابن أخي مسروق بن الأجدع أن يعذب أزاذمرد بن الهربذ ويستأديه فقال له ازاذمرد : يا محمد إنك شريف ولك دين ، ومثلي لا يعطي على الذل فارفق بي فأستأداه في جمعة ثلاثمائة ألف درهم ، فغضب الحجاج وأمر معداً صاحب عذابه فحوَّلَه إليه فكسر يديه ورجليه فلم يعطه شيئاً ، قال محمد : فمررت بأزاذمرد وهو على بغل فقال : يا محمد. فكرهت الدنو منه فيبلغ الحجاج وتذممت منه فدنوت ، فقال : انك وليتني فأحسنت ولي عند فلان مائة ألف درهم فخذها . فقلت : لا آخذ منك شيئاً ، فقال : مثلي ومثل الحجاج مثل رجل كان يسقط طائر على سطحه في كل يوم فيبيض لؤلؤتين ، فقال: لو أخذت هذا الطائر فذبحته وأخذت ما في جوفه ،

فصاده وذبحه فلم يجد في جوفه غير بيضتين . وقد رفقتْ بي وأخذت مني ثلاثمائة ألف درهم في جمعة وقد اشتد عليّ هذا طمعاً في أن يأخذ أكثر من ذلك ولا أعطيه والله درهماً ، يا محمد إني أحدثك حديثاً سمعته من أهل دينك ، إن الله إذا أراد بالعباد خيراً أمطر المطر في إبَّانه ، واستعمل عليهم خيارهم ، وجعل المال عند سمحائهم ، وإذا أراد بهم شراً أمطر المطر في غير إبانه ، واستعمل عليهم شرارهم وجعل المال في بخلائهم . قال : ومضيت إلى منزلي فلم أضع ثيابي حتى أتاني رسول الحجاج ، فدخلت عليه وبين يديه سيف قد اخترطه فقال : ادْنُ فدنوت وأضحكه الله لي ، فقال : ما قال لك الخبيث ؟ فحدثته فلما أردت تسمية الرجل صاحب المائة الألف صرف وجهه وقال : لا تسمِّه ، وأتممتُ الحديث فقال : لقد سمع الكافر الحديث ، انصرف .

وقال الحجاج ليحيى بن يعمر العدواني : أين نشأت ؟ قال : بالأهواز . قال : فما هذه الفصاحة ؟ قال : لسان أبي .

المدائني عن محمد بن عبدالله الشيباني قال : قالت جارية للحجاج حين مات :

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبعُ من كانوا لنا تَبَعَا

قال المدائني : أُتي الحجاج بخمر فأمر بهراقتها ، فأمسك غير واحد من جلسائه على أنفهم ، فقال اسماعيل بن الأشعث وكان يُضعَّف : ما تمسكون بأنفكم ، إنها لطيبة الريح ، وإنا لنشتهيها غير أن الله حَرَّمَها ، فإذا الذين أمسكوا بأنفهم يشربونها كلهم .

وقال الحجاج لاسماعيل ، وهو في قصره بواسط : كيف ترى قصري ؟

قال : أرى قصراً ستعظم المؤنة لمن أراد هدمه ، قال : ويحك ما خالف بك إلى ذكر الهدم ؟

وخطب الحجاج فذم الدنيا وصغَّرها فقال : والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه ، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء .

وكان أبو عون يقول : إذا سمعت قراءة الحجاج علمت أنه طالما قرأ كتاب الله .

قال وخطب الحجاج في يوم جمعة فأطال فقال رجل : الصلاة أيها الأمير فإن النهار لا ينتظرك ، والله لا يعذرك ، فأمر بحبسه فكُلم فيه وقيل إنه مجنون فقال : إن زعم أنه مجنون خليت سبيله ، فقيل للرجل قل : إني مجنون فقال : ما كنت لأنسب إلى ربي ما لم يفعله بي فعَرَضَ الحجاج الناس يوماً فغلط وخلى سبيله .

قالوا : وقدم نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل على الحجاج فأمره بقتل رجل ، فاعتلّ فأغفل الحجاج بَرَّهُ ، فمضي إلى المدينة فبعث إليه الحجاج بثلاثمائة دينار صلة لحقه بها الرسول وقال : استعن بها في سفرك .

المدائني عن شهاب السلمي قال : حدثني ابن صاحب نهر المرأة قال : كسر دهقان من دهاقين فارس خراجه ، وأفسد أهل الخراج فكتب الحجاج إلى عامله أنْ اصلبه فصلبه ، وطعنه في أحد شَقّيه طعنة ، وصُلب إلى الجذع ، وتفرق الناس ، وإلى جانب المصلوب حانوت ، فأومأ فاستسقى ، فأعلم العامل بذلك فرجع إليه فطعنه في الجانب الآخر ، ثم انصرف واستسقى فقيل للعامل فرجع فطعنه بين الطعنتين ، ثم مضى عنه فاستسقى فأنزله العامل وكتب بخبره إلى الحجاج فكتب الحجاج أن احمله إليّ فحمله

إليه ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ، تهابون الإقدام وقد طُعن هذا ثلاث طعنات كلها تصل إلى الجذع فلم يمت . وخلى عنه ، قالوا : فكان بعد ذلك يمشي في السوق .

قالوا : وكتب قتيبة إلى الحجاج يشكو ترك أهل الشام طاعته بخراسان ، فكتب إليه أن احرمهم أطماعهم ، فقد أُشِرُوا بدرورها عليهم ، وأفقِرْهُم فإن الفقر جند الله الأعظم الذي يذل به كل جبار عنيد .

وقال الحجاج لصاحب حرسه : إني استعملتك على نفسي ، ولصاحب شرطه : إني استعملتك على سلطاني ، ولحاجبه : إني استعملتك على وجهي ، ولصاحب طعامه : إني استعملتك على مروءتي .

وخطب الحجاج فقال : ﴿إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾[1] وكان لا يَدَعْ ذلك حتى مات .

قالوا: وبعث الحجاج بهدايا مع رجل من همدان إلى عبد الملك فأنشد عبد الملك :

لقد أَوْعَدَتْني شاكر فَحَسِبْتُها وفي النفس من همدان والقلب هاجس
قبيلة لا كَثَّر الله خيرها لها حجف فوق المناكب يابس

وقال : يا أخا همدان ، لئن أسأنا المقال لا نسيء الفعال ، وأمر له بأربعة آلاف درهم .

---

١ ـ سورة التوبة ـ الآية : ٢٤ .

وقال الحجاج للعجاج وبين يديه لقحة تحلب ، انعت هذه فقال :

تَصْرِفُ للحالب وجها حُرّا إلى سنام طال ما اكفهـرا
كـأنَّ خَلْفَيْهـا إذا مـا دَرَّا جَرْوَا هِراشٍ حُرِّكا فَهَرَّا[1]

قال : خذها يا عجاج فهي لك .

وقال الحجاج : إن الرجال ذوي الظنون يظنون فيدخلون ويظنون فيخرجون ، والمرأة إذا رأت عقلت ، وإذا سمعت انتفعت .

وقال الحجاج : إني أعطي على البلاء والظرف وأحرم على العجز والضعف .

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : أَجَمَعْتَ القرآن ؟ قال : أو كان متفرقاً فأجمعه ؟ قال : أتقرأه ظاهراً ؟ قال : بل أقرأه وأنا أعرفه ، وأعلم أنه نور مبين . قال : أفتحفظه ؟ قال : إن أحسنتُ قراءته فأنا أحفظه . قال : ما تقول في عبد الملك ؟ قال : لعنه الله ولعنك معه . قال : ويلك كيف تلقى ربك ؟ قال : ألقاه بعملي ، وأرجو أن تلقاه بدمي .

وقال الحجاج في خطبته : إن امرأً مضت له ساعة في غير ما خُلق له لخليق أن تَعْظُم حسرته .

وخطب الحجاج يوماً فقال : اللهم أرني الهدى هدى فاتبعه ، وأرني الغيَّ غياً فاجتنبه ، ولا تكلني إلى نفسي فأضل ﴿ضلالاً بعيدا﴾[2] .

---

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .
٢ ـ سورة النساء ـ الآية : ٦٠ .

قال الهيثم بن عدي عن عوانة : خطب الحجاج فقال : رحم الله امرأً عمل بعلمه ، رحم الله امرأً حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب من غيره ، رحم الله امرأً فكر فيما يقرأ في كتابه ويراه في ميزانه ، رحم الله امرأً كان له من نفسه مذكِّر لمعاده وزاجر عن معصية ربه ، رحم الله امرأً أخذ بعنان عمله فإن قاده إلى طاعة الله اتبعه ، وإن قاده إلى معصيته كفه .

قال : وقدم نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف على الحجاج ، فأمره الحجاج أن يقتل رجلاً فأبى وارتحل إلى المدينة فبعث إليه الحجاج بثلاثمائة دينار صلة له وقال استعن بها على سفرك ، فلما لحقه الرسول ظن أنه يريد رده فقال : أَغَدْرَاً ؟ قال : لا بل صلة الأمير .

وخطب الحجاج فذم الدنيا قال : والله ما مضى من الدنيا لأُشْبَهُ بما بقي من الماء بالماء .

وأمر الحجاج جلساءه أن يرسلوا إلى منازلهم فيحضر كل امرىء ما عنده مما يؤكل فأتوا جميعاً بتمر وزبد .

وعرض الحجاج الجند يوماً فمر به رجل لا سلاح عليه فقال له : أين سلاحك يابن نوح ؟ فقال : تغافل أيها الأمير ، فكف عنه ، ومر به رجل من أهل حمص لا سلاح عليه ، فقال له : أين سلاحك ؟ قال : تغافل أيها الأمير فأمر به فضرب مائة سوط .

المدائني قال : كان زاذان خباز ابن زياد ومصعب بن الزبير فقال له الحجاج: أي الطعام كان أحبُّ إلى ابن زياد؟ قال: الشواء. قال: فمصعب ؟ قال : الثريد . قال : هو والله أولاهما بذلك . يقول لأن الثريد طعام العرب .

وكان الحجاج جمع بين زاذان وطباخ شامي ، فكان الشامي أكثرهما طرائف ، وكان زاذان أقواهما طعاماً .

وقال الحجاج لحوشب بن يزيد: ما كان أبوك يخبرك به عن المختار؟ قال : أخبرني أنه قال : أنا الذي أتزوج امرأة من أهل النبي ، وأكسر قصر الملك ، وأبني بنقضه قصراً ، وأنا الذي ابني مدينة داوردان . فقال : كذب ابن دومة ، وإن كانت لكريمة ، أنا ذاك . فنقض قصر النعمان ، وبني قصره في الجبان ، وتزوج ابنة عبد الله بن جعفر .

وقدم الحجاج على قوم فسألهم عن المطر فتكلموا ، فقال عمر بن أبي الصلت : أصلح الله الأمير أما أنا فما أجسر أن أنسق كما نسقوا ، غير أني لم أزل في مطرٍ وطينٍ منذ خرجت من حلوان حتى قدمت عليك . فقال : لئن كنت أقصرهم في المطر خطبة ، إنك لأطولهم بالسيف خطوة .

المدائني قال : لما بنى الحجاج واسطاً قال : لا عيب فيها علمته إلاّ ما نصير إليه من الموت ، مع أنها ليست لنا ببلد ، ولا لمن نترك من الولد .

وقال الحجاج لرجل من النخاسين : ما بال دوابكم أفره من دوابنا ؟ قال : لأنا إذا علفنا أشبعنا ، وإذا زجرنا أسمعنا ، وإذا ضربنا أوجعنا .

وقال الحجاج : مازالت قريش تذكر ابن جُدعان ، حتى ظننت أنه قد ولي رقابهم .

قالوا : ولما مات بشر بن مروان ، وبلغ الحجاج موته قال:مات بشر يوم كذا ، فيصل خبره يوم كذا ، فلا يُرى للعراق أحد غيري ، فيأتيني كتاب بولايته يوم كذا . فكان كما قال ، فاستخلف على الحجاز محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وقدم العراق .

وحلأ[1] من بني كاهل رجلاً من أصحابه عن الماء فقال : إني ابن سبيل ، قال : ذاك أهون لك عليّ ، فأخذه الحجاج فقطع يده فقال الشاعر :

ألم تر أن الكاهلي ابن معبد   أبينت يداه بعد عقد مؤكد

وقال الحجاج لزياد بن قطبة ، وكان يرى رأي الخوارج ، فقال : ما تقول في عثمان وعلي ؟ فقال :

هما ختنا خيرَ الأنام وَمَنْ له   على الناس فَضْلٌ بَيِّنٌ يابن يوسف

فقال : ليس عن هذا أسألك إنما أسألك عنهما ؟ فقال :

خليلان عاشا برهةً مع محمد   فَبَانَ وَلَمَّا يُسْخَطَا يا بن يوسف

فقال : أسألك عنهما في دينهما ؟ قال : علمي فيهما والله كعلم الأمير لا أعدو والله فيهما قوله . قال : اعتصمتَ بمعتصم .

محمد بن خلف قال : قال الحجاج لسعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد : أشعرْت أن ابن عمك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد مات . ولم يُعَزِّه فَغَمَّهُ تركه تعزيته ، فقال : أيُّ شعر قالته العرب أحسن ؟ قال : قول عدي بن زيد العبادي :

أيها الشامتُ المعيَّر بالدهـ   ـر أنت المُبَرَّأ الموفور

أَمْ لديك العقد الوثيق من الأيـ   ـام بل أنت جاهل مغرور[2]

فقال ؛ إنك ما علمتُ لتتشفى بالدهر ، وتُولع بليِّن الشعر .

---

١ ـ حلأه عن الماء : طرده ومنعه . القاموس .

٢ ـ ديوان عدي بن زيد ص ٨٧ .

قالوا : وخرج فرقد السَّبخي مع ابن الأشعث ، فطلبه الحجاج فهرب ، وقيل لم يخرج ولكنه بلغ الحجاج عنه قول فطلبه فهرب . قال فرقد : فأتيت واسطاً فكنت أصلي في المسجد ، فخرج الحجاج ليلة ومعه شيء يقسمه ، فوقف علي فأعطاني فلم أقبل ، فعاد ، فأعطاني فلم أقبل ، وعاد الثالثة فلم أقبل فأعطاني كيساً فلم أقبله ، فوكل بي رجلاً فلما انصرفت أتاه بي فقال لي : من أنت ؟ قلت : فرقد . قال : أنا أطلبك وأنت معي فأخبرته خبري فقال : قد عفوت عنك ، وأصبح فأمر بقتل رجل من أهل الكوفة وقال لرجل : أخرج هذا فاقتله ، وقال لي قم معه حتى يقتله فقلت للرجل : فيم يُقتل هذا ؟ قال : لا أدري فإن أمرتني بقتله قتلته فقد سرحك معي ، فقلت أرى أن تخليه فخلاه ، ومضينا فستر الله وأنساه ذكري .

وأرسل الحجاج رجلاً إلى عنبسة بن سعيد وقال لرسوله : قل لعنبسة : اقتله فإن أبى فاقتل عنبسة ، فأبلغ الرسول عنبسة رسالة الحجاج ، فقال عنبسة لرجل : اقتله فقتله ، فقال رسول الحجاج : لم قُتل هذا ؟ فقال عنبسة : أمر بذلك الحجاج .

وقال الحجاج لرجل من الأعاجم : أمن أبناء الملوك أنت ؟ قال : لا ولكني من أبناء أهل الرأي . قال : فأخبرني عني قال : غضبك نصفين بين عدوك وصديقك ، صديقك يخافك كما يخافك عدوك ، فتبسم الحجاج وأمره أن ينطلق .

حُدثنا عن جعفر بن سليمان الضبعي عن عوف قال : صليت خلف الحجاج جُمَعاً فما صلى حتى توارت بالحجاب .

المدائني قال : مات الحجاح فذكره الوليد ، وذكر فروة بن شريك

العبسي فترحم عليهما ، وقال : كانا منقادين لأمرنا والله لأشفعنَّ لهما عند ربي ، ولأسألنه أن يدخلهما الجنة ، يا أهل الشام أحبوا الحجاج فإن حبه إيمان وبغضه كفر .

الربيع بن صُبيح عن أبي الحسن قال : كان الحسن يذكر الحجاج فيقول : أخفش أعمش ، مقصص الشعر ، جاءنا يُميت الصلاة حتى تصفّر الشمس ، ويقول : إنّا والله ما نصلي للشمس ، وما نصلي إلا لله ، أفلا تقولون : يا عدو الله إن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإن له حقاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وكيف تقولون ذلك وعلى رأس كل رجل علج قائم بالسيف ! .

المدائني قال : أراد الحجاج قبل أمر ابن الأشعث أن يبعث إلى عبد الملك بهدايا، فقال: انظروا رجلاً أميناً فقال له عبد الرحمن بن أبي بكرة: قد وجدته ، شعبة بن القِلْعِم قد خبرته ، وكان عبد الرحمن استودع شعبة أموالاً لزياد فأداها فوجَّه الحجاج شعبة إلى الشام ، وقال له محمد بن عمير بن عطارد : وَجِّهْني معه وكان قد خافه فوجههما فوردا بالهدايا على عبد المَلك ، فمات شعبة بالشام قبل خروج ابن الأشعث ، وطلب محمد بن عمير إلى عبد الملك أن يقيم بالشام فمات بالشام قبل خروج ابن الأشعث وهو ابن ست وثمانين سنة ، ولم يدع ولداً ، مات بنوه قبله ، وكان ابنه عمرو من فتيان أهل الكوفة ففقد في الغزو ، ومات ابنه القعقاع فورثته أخته .

ويقال إن الحجاج كان معلماً بالطائف .

وولد الحجاج من أم الجُلاس : الوليد ، ومن أم سلمة بنت عبد الرحمن : يوسف ، ومن أم أبان بنت النعمان : أبان وعبد الملك ، فقال رجل

من الشاميين : اللهم إني أعلم أنك لا تعذب الحجاج ، فلا تحرمني شفاعته .

أبو بكر الهذلي قال : وسم الحجاج العلوج ، وأخرجهم من البصرة ، وألحقهم ببلادهم ، وكان أهل البصرة والكوفة وغيرهم من الموالي قبل أن يُخرج الناس إلى أرضيهم يزوجون الدهقان وغيره ، فلما أخرج الحجاج الناس امتنعوا .

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج:أتقرأين من كتاب الله شيئاً ؟ قالت : نعم . فقرأت : ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس﴾ يخرجون من ﴿دين الله أفواجاً﴾[1] فقال : ويلك ، يدخلون ، فقالت : قد دخلوا وأنت تخرجهم .

قال : وكان شبيب الناجي في ديوان الحجاج يُضَادّ يزيد بن أبي مسلم ، فسأله تُياذوق المتطبب حاجة فلم يقضها ، فقال تياذوق : أما تحتاج إلي ؟ قال : لا ، أنا ادَّهن بالبنفسج ، وآكل الاسبيذاج ، فاذا شبعتُ أمسكتُ ، وأشرب الماء مطبوخاً ، ولا آكل على شبع ، ولا آكل لحم شيء أكبر مني ، فقال : حُقَّ لك ألا تحتاج إليّ .

عبد الله بن فائد قال : خطب الحجاج هند بنت المهلب ، بعد أن بعث يزيد بالأَسْرَاء من قبلَ ابن الأشعث ، فبعث الحجاج إلى أبي عيينة فزوجه هنداً ، وتزوج أختها أم اسماعيل محمد بن يوسف ، وحملها إليه إلى اليمن .

---

١ ـ سورة النصر ـ الآيتان : ١ ـ ٢ .

حدثني هشام بن عمار قال : قتل أصحابنا الهاشميون من ولد علي بن عبد الله عدة من أولاد الحجاج .

ومن ثقيف : البراء بن قبيصة بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب ، ولاه الحجاج البصرة وولاه أيضاً الكوفة ، ثم عزله ، وولاه أصبهان .

وقال الشاعر في عنبسة بن سعيد :

حوى الملك حجاج عليك كما حوى   عليك الندى والمكرمات بَـراء
أفي سحق ثوب منهج إن كسوته   فلا كان عندي من نداك كساء
رأيتك لما جئت والباب مغلق   تَغَـدى ومـا للنـازلـين غـداء

وغضب الحجاج عليه يوم الزاوية فهرب منه إلى المدينة ، وقال :

لا أوطن الدار إيطان البعير إذا   كانت وكانت نوائب فيها لا تؤاتيني
أكلّما أخطأتْ يوماً بها قدمي   هويتُ عندك في زوراء ترديني

وقال البراء أيضاً :

كأن فؤادي بين رجـلي محاذر   من الطير في جو السماء محلق
مخافة من قد يتقي الناس شره   متى ما يَعِدْ من نفسه الشر يصدق

وقال الراجز في البراء :

إن الــبراء سـبط البنـــان   كهل الكهول وفتى الفتيان
يجــود بــالبــدور والقيـان   والنــاقـة السـوداء والهجـان
أمضى على الهول من السنان   ما ان يبالي غضب السلطان

وولي البراء الطائف بعد الحجاج ، وكان البراء خطب أم عبد الغفّار بنت عبد الملك بن عبد الله بن عامر فقال في ذلك :

أمُّ عبد الغفار ردي نوالا وَصِلي حبل عاشق وِصالا
أم عبد الغفار ليس بحلٍّ قتل نفسٍ فلا تَريه حَلالا

وكانوا ارادوا تزويجه إياها فتزوجها عبد الأعلى بن عبد الله فحقد عليه الحجاج ذلك فلقي منه شراً .

ويوسف بن عمر[1] بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب أمير العراق ، وكان يكنى أبا عبد الله ، ولي اليمن لهشام بن عبد الملك ، وولاه العراق ومحاسبة خالد بن عبد الله القسري وعماله فعذبهم، فمات خالد في عذابه، ومات بلال بن أبي بردة في عذابه، ولم يزل والياً لهشام ست سنين ، ثم للوليد بن يزيد ، فلما قتل الوليد هرب إلى الشام فقتلته اليمانية ، فيقال إن يزيد بن خالد فيمن قتله ، وقد ذكرنا أخباره فيما تقدم .

قال المدائني أول حكم حكم به يوسف أن رجلاً خلع ثيابه ودخل الفرات يغتسل ، وألقى هميانه فجاءت عقاب فاحتملته ، فقال يوسف : كم أكثر ما يطير العقاب بصيده ؟ قيل : كذا . فقال : انظروا أقرب القرى من هذه الغاية . فضمنوا أهلها هميان الرجل .

وكان يوسف يطعم في كل يوم وهو على العراق خمسمائة جراب ، وكانت مائدته وأقصى الموائد سواء يتعهد ذلك ويتفقده . وكان طعامه ألواناً وشواء ، وكانت له فرنية حلواء . فرأى من ذكر فرنية قد ذهب ما عليها من السكر فقال : سكر فلم يمكن ، فضرب صاحب الطعام ثلاثمائة سوط

---

١ ـ بهامش الأصل : يوسف بن عمر .

والناس يأكلون . فكانوا بعد ذلك يحملون معهم خرائط فيها سكر مدقوق ، فكلما نفد السكر عن صحفة نثروا عليها وكان يعشي بعد العصر فيحضر الشامي والعراقي لا يرد أحد فرأى رجلاً من أهل الشام دفع عراقياً بنعل سيفه فضرب الشامي مائة سوط وقال : يا بن اللخناء تدفع الناس عن طعامي ؟

وولى يوسف أعرابياً بعض مخاليف اليمن ، فلما قدم عليه قال له : يا عدو الله أخذت مال الله . قال : فممن آخذ إذا بأبي أنت ؟ فاستضحك وسوَّغه المال .

ودخل عبد أسود مقيداً دار يوسف بالكوفة ، والناس يأكلون فدفعه رجل ، فصاح به يوسف : دعه ويلك . فجلس فأكل مع الناس ، فلما فرغ دعا به فَحَلَّ قيده ، وأمر بابتياعه وقال : إن باعك صاحبك فأنت لنا ، وإن لم يبعك فاحضر غداءنا في كل يوم ، فاشتُري ليوسف فأعتقه[1] .

وقال الحجاج بن عبد الملك بن الحجاج : تغديت يوماً عند يوسف فجعلت أعبث في الأكل فقال لي : كل يا حجاج كما يأكل الرجال فقلت : إن غلامي جاءني بحبارى ، فأكلت منها ، فقال لحاجبه : لا أرى وجهه فحُجبت . فكلمت غير واحد ليشفع لي فلم أكلم أحداً إلا قال لي لا أتعرض ليوسف فرفعت إليه قصة مع أصحاب الحوائج فلما وقفت بين يديه قال : ما فعلت الحبارى ؟ قلت : لا آكل لحم حبارى أبداً فقال لحاجبه : أَعِدْهُ كما كان ، وكنت أتجوع وأحضر طعامه فإذا رآني آكل ضحك .

وكان يوسف بن عمر قصيراً طويل اللحية يجر ثيابه .

---

١ ـ تقدم هذا الخبر في ص ٣٧٢٧ .

المدائني كان يوسف بن عمر يسرف في الشدة في أمر الدراهم على الطباعين ، وأصحاب العيار ، ويقطع الأيدي ، ويضرب الأبشار فذكر أنه ضرب في درهم رديء أو ناقص من العيار خمسة آلاف سوط .

قالوا وأُتي بثوب وشي فَعَدَّ أبياته فوجد صفاً من صفوف أبياته ينقص بيتاً فضرب الذي عمله خمسمائة سوط . قالوا: وكان يمُر ظفره على الثوب فإذا تعلق به سلك ثوب ضرب حائكه ، فإلى الثياب اليوسفيّة المثل .

وأتاه حائك بثوب فنظر إليه قَحْذَم كاتبه ، فقال : بئس الثوب فقال يوسف للحائك : بئس الثوب هذا يا بن اللخناء ، فقال : وما يدري الكاتب ما الثياب ، قال لقحذم : صدق يا بن اللخناء وما يدريك ما الثياب ، فقال : هذا يعمل الثوب في سنة وأنا أقلّب في كل يوم عشرين ثوباً . فقال للحائك : صدق يا بن اللخناء . ولم يزل يُقبل على هذا مرة وعلى هذا مرة حتى قال للحائك : ما يقال لهذا الثوب ؟ قال : سُهْر بسُهْر فقال : وما تفسير ذلك ؟ قال : حمرة في حمرة . قال : لا جَرَم لأحمرنَّ ظهرك فضربه مائة سوط .

قالوا: وكانت بخضراء واسط بومة قد أفرخت فَشُكِيَ أذاها له فرماها رجل ممن حضره بجُلاهق فصرعها ، فضربه عشرين عصا وقال : ما أحسنت هذا إلا وأنت من الغواة ، وطرده .

المدائني عن أبي بكر الهذلي قال : خطبنا يوسف بن عمر في مسجد الكوفة ، فتكلم رجل مجنون فقال : يا أهل الكوفة ألم أَنْهَكُم أن يدخل مجانينكم المسجد ، اضربوا عنقه ، فضربت عنق المجنون ، فقلت في نفسي والله لا أصلي خلفك أبداً .

وأراد الخروج في سفر فدعا بجارية له فقال لها : ما تقولين أأخرجك معي ؟ قالت : نعم . فقال : أكلٌ هذا شهوة للنكاح وغلمة ، أوجعها يا غلام ، فضرب خادم له رأسها بسوط كان معه ، ثم دعا بأخرى فقال لها : أتخرجين معنا ؟ فقالت : لا بل أقيم مع ولدي ، فقال : يا فاجرة أكل هذا زهادة فيَّ وبغضة لي ، اضربها يا غلام فضربها الخادم ، ثم دعا بأخرى فعرض عليها الشخوص فقالت : ما أدري ما أقول . إن قلت أخرج معك فعلت بي ما فعلت بالأولى وإن قلت لا أخرج فعلتَ بي ما فعلتَ بالأخرىٰ فقال : أإياي تجيبين بهذا الجواب ، وعلي تتسحبين هذا التسحب ، اضرب يا غلام .

وقال المدائني كان يوسف سيء الخلق ، قلما يحتمل شيئاً ، وكان أحسن ما يكون خلقاً في منزله ، فكان يوماً نائماً فجاء غلمان له صغار بزنابير فلعبوا بها ، فدخلت زنابير منها في البيت الذي كان فيه فجعلت تطنّ فانتبه فخرج إليهم فلم يزد على أن قال : ما هذا يا خبثاء .

المدائني قال : قال يوسف لعامر بن يحيىٰ : يا فاسق أَخْرَبْتَ ماسبذان قال : إني إنما كنت على حلوان وقد وفرت خراجها وعمرتها ، فقال : يا فاسق أخربت ماسبذان وعذّبه حتى قتله .

وقال لكاتب له يوماً : ما حبسك ؟ قال اشتكيت ضرسي ، فدعا حجاماً فقلعه وضرساً آخر معه ، وقد كتبنا له أخباراً فيما تقدم من كتابنا .

ومنهم : **غيلان بن سلمة**[1] بن مُعَتِّب الشاعر ، فرق الإسلام بينه

١ ـ بهامش الأصل : غيلان بن سلمة رحمه الله .

وبين عشر نسوة إلا أربعاً ، وكان وفد على كسرىٰ فبنى له حصناً بالطائف ، وكان ممن يخط في الجاهلية بالعربية .

وقال غير الكلبي : غيلان بن سلمة بن معتب ينسب إلى بني كُنّة ، وكان شريفاً في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وكان تحته عشرة نسوة ، فأمره رسول الله ﷺ أن يطلق ستاً ويختار أربعاً . وهو القائل :

يا رُبَّ مثلكِ في النساء غريرة   بيضاء قد فَزَّعْتُها بطلاق
لم تدر ما تحت الضلوع وغَرَّها   مني تَحَمُّلُ عشرتي وخلاقي

وكان وفد على كسرىٰ فأعطاه مالاً فبنىٰ به حصناً بالطائف ، فتزوج ابنة أوس بن حارثة بن لام حين مر به في طريقه فحملها وقال :

حَبَاني والركاب مُعَقَّلاتٌ   بها أوس بن حارثة بن لام

فلما كان في أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه طلق نساءه، وأعتق رقيقه ، فقال عمر : لِغَيْلَانَ شيطانٌ يسترقُ السَّمْعَ أَخْبَرَهُ أن أجله قد حضر ، فأعتق رقيقه ، وطلق نساءه فقال : ليراجعَنَّ نساءه ، وإلاّ رجمت قبره إذا مات كما رُجم قبر أبي رغال .

وكانت بادية بنت غيلان من أجمل النساء ، فقال هِيْت المخنث ـ وكان بالمدينة ـ لعبدالله بن أبي أمية المخزومي : إن فتح الطائف فتزوج بادية بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، يعني عُكَنَهَا ، فقال رسول الله ﷺ «إن كنت لأراه من غير ذي الأربة من الرجال» فسيره مع مخنث آخر يقال له باقع إلى خاخٍ[1] .

---

١ ـ بهامش الأصل : خاخ موضع بقرب المدينة .

فتزوج بادية عبد الرحمن بن عوف ، وهلكت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، قبل أن تعمل النعوش ، وصلىٰ عليها عمر ، فرأى خلقها من تحت الثوب ، فهلكت بعدها زينب بنت جحش وكانت خليقة ، فقال عمر : إني لأخاف أن يُرىٰ منها ما رؤي من بادية فهل عندكم من حيلة ؟ فقالت أسماء بنت عميس : رأيت بالحبشة نعوشاً لموتاهم ، فاتُخذ لزينب نعش ، فكانت أول من حمل في نعش ، فلما رآه عمر قال : نعم خباء الظعينة .

وكان ولد غيلان : **شرحبيل** ، وهو أحد الوفد إلى النبي ﷺ . وعمارة . وتميم . وعامر . وعمرو . ونافع . ونفيع . وبلال . وبليل .

ومنهم : **مُنَبّه بن شبيل** بن العجلان بن عَتَّاب بن مالك بن كعب بن عَمْرُو أخوة بني معتب . والأجرد ، وهو مسلم بن عبدالله بن سفيان بن عبدالله بن معتب الشاعر الذي دخل على عبد الملك فقال له : ما من شاعر إلّا وقد سبق إلينا من شعره قبل رؤيته ، فما قلت ؟ قال : أنا الذي أقول :

من يَكُ ذا عَضُدٍ يدرك ظلامته إنَّ الذليل الذي ليست له عضد
تنبو يداه إذا ما قَلَّ ناصره ويأنف الضيم إن أثرىٰ له عدد

فقال : صدقت أنت والله شاعر ، وألحقه بهم .

وولد غيرة بن عوف بن ثقيف : عبد العزىٰ . وعقدة . وربيعة ، أمهم هند بنت كعب بن ثمالة .

فولد عبد العزىٰ بن غيرة : أبا سلمة .

فولد أبو سلمة : علاج واسمه عمير . وعبدالله . وأبي ، وأمهم أم أناس بنت كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف .

فمن بني علاج : **طُريح بن اسماعيل** بن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة الشاعر ، وأمه ابنة عبدالله بن سِباع بن عبد العزى بن نضلة بن غبشان الخزاعي ، حليف بني زهرة . وكان حمزة رضي الله عنه قتل سِباع بن عبد العزىٰ يوم أحد فقال له : إليّ يا بن قطاعة البظور ، وكان طريح منقطعاً إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، أثيراً عنده فيقال إن قوماً حسدوه على منزلته منه وأُنسه به ومشاورته إياه ، فسألوا حماداً الراوية ، وقدم على الوليد ، أن يلطف لهم في تنحيته عنه ، فقال بيتين ودفعهما إلى خادم له وقال له قل إنه مدح بهما هشاماً ، فأنشده إياهما فجفاه وحجبه . ويقال بل ناوله قدحاً فيه شراب فأبىٰ شربه وقال له : هذا حرام لا أشربه ، فقال له : هلا رددته على الغلام أو سكتّ.وهجره وأقصاه ، والبيتان اللذان يقولون حماداً قالهما :

سيري ركابي إلي من تسعدين به   فقد أقمت بدار الهون ما صلحا
سيري إلى سيدٍ سمحٍ خلائقه   ضخم الدسيعة قرم يحمل المدحا

ولطف طريح لحاجب الوليد حتى أذن له في وقت جلس فيه الوليد جلوساً عاماً ، فلما دخل عليه أعرض عنه وكان طريح يقول : استعفيت الوليد من شرب النبيذ وقلت لست أشرب شيئاً بغير الماء خوفاً من أن يسقيني خمراً .

وقال طريح حين جفاه الوليد :

يا بن الخلائف مالي بعد تقربةٍ   أُقْصىً لديك وفي حاليك لي عجب
مالي أُذادُ وأُرمى من وراء ورا   كما يُوقّىٰ من ذي العرَّة الجرب
فذو الشماتة مسرور بسخطكم   وذو النصيحة والإشفاق مكتئب

قد كنتُ أحسبُني غير الغريب فقد أصبحتُ أعلمُ أني اليوم مغترب
إن يسمعوا الخير يخفوه وإن علموا شراً أُذيعَ وإن لم يعلموا كذبوا

وقال شعراً سوى هذا يسترضيه فيه ، وقيل لطريح : ما اتقيتَ الله في قولك للوليد :

أنت ابن مسلنطح[1] البطاح ولم يُطِرق عليك الحُبى والولج
طوبىٰ لفرعيك من هنا وهنا طوبى لأَعراقك التي تَشِجُ
لو قلت للسيل دَعْ طريقك والمـ ـوج عليه كالهضْب يعتلج
لارتَدَّ أَوْسَاخَ أو لكان له في سائر الأرض عنك منعرج

فقال : والله لقد قلت هذين البيتين وإصبعي إلى السماء استغفر الله وأستقيل .

وزعموا أنه دخل على أمير المؤمنين المهدي فقال له : أنت القائل في الوليد الجيمِية ، لا أسمع لك شعرا أبداً وإن شئت أن أعطيك أعطيتك .

قال الزبيري : سأل طريح كاتباً لداود بن علي حاجة ، فجعل رقعته بها مع رقعة لآخر فقال طريح :

تخل لحاجتي واشدد قواها فقد أمسيت مأمون الضياع
إذا أرضعتُها بلبان أخرىٰ أَضرَّ بها مشاركة الرضاع

حدثني الحرمازي ، حدثني سهل بن عبد الحميد عن أبي ورقاء الجعفي وقال : سايرتُ طريحاً فصرنا إلى ماء في يوم شديد الحر ، ونحن مقبلون من الكوفة ، فسقطنا إلى الماء فرأيت فيما بين عصعصه إلى عنقه آثاراً

---

١ ـ المسلنطح : الفضاء الواسع . القاموس .

قبيحة ، وحدوراً كأنها الجدران فقلت له : ما هذا ؟ قال : رأيت امرأة في خباء فهويتها وهويتني ، وذكرت رفيقاً لي كانت تهواه ، وكان معنا فقالت : أصير إليه فأبيت عنده فقلت لها وذاك تقرباً إليها بأريحية الشباب : افعلي . فقالت : بتْ في الخباء واعلم أن زوجي يجيء ليلاً وهو سيء الخلق فإذا تكلم فلا تكلمه ، وانظر ما أمرك به من شيء فاعمله . فجاء ليلاً وكان ضعيف البصر ، وفي الخباء وطبان أحدهما منخرق الأسفل ، فدعا بالوطب فأخذتُ المنخرق منهما فجعل يصب فيه اللبن وهو يسيل فعمد إلى نسعة فضربني بها وهو يحسبني امرأته ، وأنا ساكت حتى أدماني ، فهذه الحدور آثار ذلك الضرب .

قال الحرمازي ، عن أبي اسماعيل الثقفي : اتخذ هشام مالاً بالطائف ، فقدم طريح عليه في بعض أمره ، فسأله عنه فقال : رأيت خير مالٍ ، مكرمةً في الذكر ، وكنزاً للدهر ، فَاقَ الأموال ، وبَذَّ الأعمال أفسد ما كان قبله ، وأعجز من طلب مثله ، زين لمن ابتدعه ، وغنىً لمن حُبِيَ به ، رأيت عريضاً أريضاً بمجباة سَيْل ومدَبِّ غَيْل ، كريماً تُرْبُهُ ، عذباً شُرْبُهُ ، فيه نبت تشيح عروقُه في الثرىٰ ، وتُمطر نواصيه الندىٰ ، وقد اعلولب وسما ، وحَسُن ونما ، شجره دوح ، وعروشه سطوح ، عظيم أَمَدُه ، كثير نَضْدُه ، نهاره لَيْل ، وليله هَوْل ، وأَمْرُهُ عَجَب ، ووصفُه تَعَب ، يَفُوتُ الخبر ، ويَحْسُرُ البصر ، طال الأموال ، وراق الرجال ، يَسُرُّ الودود ، ويصرف عين الحسود .

وقالوا كان طُريح يكنى أبا الصلت وكان له ابن يقال له الصلت ماتت أمه فطرحه إلى أخواله حين تزوج بعد موت أمه ، وفيه يقول :

بات الخيال من الصُّلَيْت مُؤَرِّقي يُغري السراة مع الرباب الملتقي
ما راعني إلا بياض وُجَيْهِهِ تحت الدُّجَنَّةِ كالسراج المشرق

في أبيات .

ومنهم : **الأخنس** واسمه أُبَيّ بن شُرَيْقٍ بن عمرو بن وهب بن علاج ، وهو حليف بني زهرة ، وهو الذي خنس بهم يوم بدرٍ فسمي الأخنس بذلك ، ولم يحضر بدراً من المشركين أحد ولم يُسْلم إلا الأخنس وكان أحرق زرعاً وقتل حماراً فنزلت فيه : ﴿إذا تولىٰ سعىٰ في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾[1] .

ومن ولده : **المغيرة بن الأخنس** ، وكان من الصالحين ، وكان مع عثمان يوم الدار ، فجعل يقاتل ويرتجز ، ويقول :

لا عهد له بغارة مثل السيل
ولا يتقي غبارها حتى الليل

وكان عثمان رضي الله تعالى عنه رأى في المنام قاتل المغيرة في النار فمرَّ به عثمان وهو مقتول فمسح وجهه وقال : لا ضير أبا عبدالله فكان قاتله يمر بالمدينة فيقول : أنا قاتل المغيرة بن الأخنس فمن يقتلني به ، فكانوا يقولون له : والله لا نقتلك به حتى تصير إلى النار . وللمغيرة عقب ، وكان المغيرة بن الأخنس عامل مروان بن الحكم على البحرين .

ومن موالي الأخنس : عثمان البتيّ ، وهو من فقهاء أهل البصرة وله عقب .

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٠٥ .

ومنهم الحارث بن كلدة[١] بن عمرو بن علاج طبيب العرب في زمانه كانت سميَّة أم زياد[٢] . ويقال إن الحارث كان عقيماً وقد نسب إليه قوم ، ويقال آن ابنه نافع بن الحارث بن كلدة فقط ، وذلك الثبت . وأسلم الحارث بن كلدة ومات في أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وله صحبة .

وقال أبو اليقظان : فيقال ان النبي ﷺ لما حاصر الطائف قال : «أيما عبد دلّت نفسه فهو أبني»[٣] فتدلى أبو بَكْرَة ببكرة فكني بها فولده ينسبون إليه وانه قال لنافع وأراد أن يتدلى : أنت آبني فأقم ـ وكان أبو بكرة نُفَيْع يقول : أنا ابن مسروح .

وكان عبيدالله بن أبي بكرة يقول : الحارث بن كلدة جدّي ولم يلتفت إلى قول أبيه .

وذكروا أن المهلب بن أبي صفرة نازع عبيد الله بن أبي بكرة في أرض ، فركب عبيدالله فسار في مجالس ربيعة ومضر وجعل يقول : واعجباً من كود بود بن خربوذ علج يتوعدني ، وأنا من ابني نزار ، فيقولون : نحن معك يا أبا حاتم . فركب والمهلب إلى الأرض ، فقال له المهلب : الأرض أرضك . فقال عبيد الله : أما إذ أقررت بهذا فالأرض لك .

وقال واثلة بن خليفة السدوسي لابن أبي بكرة :

---

١ ـ بهامش الأصل : الحارث بن كلدة رحمه الله .

٢ ـ كذا بالأصول : والأقوم «كانت له أو عنده سمية أم زياد» .

٣ ـ في رواية ابن سعد ج ٧ ص ١٥ «أيما حر نزل إلينا فهو آمن ، وأيما عبد نزل إلينا فهو حر» ولعل معنى «أبني» يغدو من الأبناء ، أو تصحيف «آمن» .

هل يُذْهِبَنْ عنك مسروجاً وحليته ربط البراذين أو تشريفك السُّوَرا
سود الوجوه وافي شعورهم[1] مثل الزبيب على الهامات منثورا

وكان أبو بكرة يقول : لو ادّعيتُ أحداً لا دعيت صفوان بن أمية الجمحي ، فإنه كان يأخذني وأنا غلام فيقبلني ويدنيني ويطعمني ، ويقول أنت ابني .

ومنهم يونس بن سعيد بن حجاج الذي يقول فيه القائل حين خاصم معاوية في زياد :

وقـائلة إما هلكت وقـائـل قضى ما عليه يونس بن سعيد
قضى ما عليه ثم مات مُوَدَّعاً وكل فتى سمح الخليقة مُوْدِ

وقد كتبنا خبره في دعوة زياد .

وأما نافع بن الحارث بن كلدة فأقطعه عمر قطيعة بالبصرة ولم يقطع فِهْرِيًّاً ، ومات بالبصرة بعد موت يزيد بن معاوية حين هرب عبيد الله بن زياد .

ومنهم : العلاء بن جارية بن عبدالله بن أبي سلمة ، وهو حليف بني زهرة ويقال إنه من المؤلفة قلوبهم يوم حنين وله عقب بالمدينة .

وولد عقدة بن غيرة : عوف بن عقدة ، وأمه ابنة حسان بن هلال بن قيس بن الحارث بن فهر .

منهم : **المختار** ابن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة ، وقتل أبو عبيد يوم قس الناطف بالعراق وهو الأمير ، وكان من خبر ابنه المختار ما قد ذكرته في هذا الكتاب .

---

١ - كذا بالأصل وهو مختل الوزن .

ومنهم : **أبو محجن بن حبيب** بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة الشاعر الفارس الذي يقول :

إذا مِتُّ فادفنّي إلى أصل كَرْمَةٍ تُرَوِّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فإنني أخاف إذا ما متُّ ألا أذوقها

وقد كان شرب الخمر فحدَّه سعد وحبسه ، ويقال حبسه ولم يَحُدّه ، فلما رأى شدة الحرب بين المسلمين وعدوهم طلب إلى زَبْراء بنت سعد فأطلقته ، فركب فرساً لسعد ، وحمل على المشركين فأبلى ، ورآه سعد ، فقال : أما الفرس ففرسي وأما الحملات فحملات أبي محجن . فلما ظفر المسلمون رجع إلى محبسه فقال له سعد : ما أعاقبك في الشراب أبداً ، فقال : وأنا والله لا أشرب الخمر أبداً .

وقال بعض الرواة أنه رأى قبر أبي محجن بأرمينية الرابعة وحوله كرمات فعرف ذلك معاوية .

وقدم أبو محجن على معاوية فسأله عن بيتيه هذين ، فقال : يا أمير المؤمنين سلني عن غيرهما ، وأنشده :

لا تسأل الناس عن مالي وكثرته وسائل القوم ما قصدي وما خلقي
قد أُطعنُ الطعنة النجلاء عن عرضٍ وأكتم السر فيه ضربة العنق

ومنهم : **كنانة بن عبد ياليل** بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقبة ، كان شريفاً ، ولما قدم رسول الله ﷺ الطائف عرض عليهم نفسه ، فقال له أحد بني عبد ياليل ، وكانوا : كنانة ، وحبيباً ، وعمراً فقال أحدهم : أما

وجد الله رسولاً غيرك ، وقال الآخر : أنا أسرق أستار الكعبة إن كان الله بعثك ، وقال الثالث : لئن كنت رسول الله إني لأُجِلُّكَ أن أقتلك ، وإن لم تكنه فلا ينبغي أن أكلمك(١) . فلما ظهر الإسلام لحق كنانة وأبو عامر الراهب ، وعلقمة بن عُلاثة الكلابي بالشام فمكث عمير وله مال فانقسم كنانة وعلقمة في ميراثه ، فقال النبي ﷺ : «كنانة رجل من أهل المدر . وأبو عامر مدريٌّ ، وعلقمة رجل من أهل الوبر» فقضى ماله لكنانة فأخذه(٢) ، ولهم عدد بالطائف .

ومنهم زائدة بن قدامة صاحب المختار ، وكان ضرب المصعب بن الزبير وقال : يالثارات المختار ، وقتل زائدة بالكوفة .

ومنهم : أمية بن أبي الصلت بن ربيعة بن عوف بن عقدة الشاعر ، وكان يهودياً وله يقول رسول الله ﷺ «آمن شعره ، وكفر قلبه» .

---

١ ـ انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ وفيها : «وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً . لئن كنت رسولاً من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك» .

٢ ـ في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٢٤ : «فلما أسلم أهل الطائف لحق ـ أبو عامر الراهب ـ بالشام فمات بها طريداً غريباً وحيداً . وكان قد خرج معه علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي . فلما مات اختصما في ميراثه إلى قيصر صاحب الروم ، فقال قيصر : يرث أهل المدر أهل المدر . ويرث أهل الوبر أهل الوبر ، فورثه كنانة بن عبدياليل بالمدر دون علقمة» .

حُدثنا عن الناقد عن ابن عيينة عن ابن ابراهيم بن ميسرة عن عمرو بن الشريد أن النبي ﷺ أردف أباه ثم استنشده شعر أمية بن أبي الصلت ، فجعل إذا أنشده قال : هيه حتى أنشده مائة بيت . وكان يقول الشعر فيجود فيه . ويقال ان هذه الآية نزلت فيه : ﴿واتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾[١] .

ولما احتضر جعل يقول : لبيكما لبيكما هاأنذا لديكما لا بريء فاعتذر ولا قوي فأنتصر ، لا مال يفديني ولا عشيرة تؤويني . وقال :

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي   في رؤوس الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وإن تطاول يوماً   صائر مرة إلى أن يزولا
اجعل الموت نصب عينيك واحذر   غولة الدهر إن للدهر غولا[٢]

وكان يحرض على النبي ﷺ ، ورثى المشركين يوم بدر .

وولد القاسم بن أمية : وهباً كان شاعراً ، ورثى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وربيعة بن أمية .

ومنهم : وهب بن أبي خويلد بن ظويلم بن عوف بن عقدة مات ، فاختصم بنو غيرة في ميراثه ، فأعطاه النبي ﷺ وهب بن أمية بن أبي الصلت .

---

١ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ١٧٥ .
٢ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

ووﻟﺪ جشم بن ثقيف : حطيط بن جشم . فولد حطيط : جشم
والله أعلم بالصواب[1]

١ ـ جاء في نهاية هذه الورقة .
آخر المجلد الثاني والأربعين من الأصل المشروع في كتبه في سنة إحدى وتسعين والمفروغ منه في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بمصر ، وفي آخره : هذا آخر ما صنفه أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري من جمل أنساب الأشراف وأخبارهم وتم الكتاب ، وكان في الأصل على قدمه اضطراب وتأخير وإسقاط ومحو اتقنت كل ذلك من نسخة اخرى ، فصار هذا الفرع مرجحاً على أصله ، وكان الشروع في كتبه في يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين والفراغ منه في يوم السبت بعد صلاة عيد الأضحى سنة تسع وخمسين وستمائة على فترات تخللت الكتابة فصار كتب جميعه في مدة عشرة أشهر وأيام كتبه لنفسه عبيدالله الفقير إلى الله أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي بكر الموصلي ثم الدمشقي الشافعي بسكنه برباط الشميشاطي بدمشق ، حامداً الله تعالى ومصلياً على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .
وجاء بهامش الأصل : بلغت المعارضة الكاملة لهذا الكتاب من أوله إلى هنا بأصل ثالث قديم حسن . . . في بعض مجلداته . . . أحدهم أنه قرأه في سنة تسعين وثلاثمائة . . . وجدت فيها إذا ألحقتها ومواضع . . . في الأصلين . . . منها أثبتها . . . . إذ كل واحد من الأصول الثلاثة فيه على انفراده مواضع ساقطة ومواضع مضطربة . . . ولله الحمد ، وكانت المعارضة في مدة . . . الأول سنة احدى وستين وستمائة وكتب صاحبه أحمد بن محمد الموصلي حامداً الله تجلى وعلا ومصليا على رسوله محمد خاتم الأنبياء وعلى آله ، وربما وقع في هذه النسخة مواضع فيها اضطراب وجدتها في النسخ الثلاث كذلك ، فتركت على حالها وكأنها من المصنف .
وجاء في نهاية نسخة استانبول :
وقد نقلت هذه النسخة على يد الفقير إلى عفو مولاه الأمجد الفقير أحمد بن حسن العشماوي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمدلله رب العالمين .
في يوم السبت عشرين من شهر ربيع الأول من شهور سنة ثلاثة وعشرين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

المحتوى

كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م

الجزء الأول

السيرة النبوية

حققه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار | الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الطبعة الاولى

بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٠٠١ - ٢١٢ - ٤٧٨٢٣٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أطلق بعضهم ـ بحق ـ على القرن الحالي ، اسم عصر التاريخ ، لشدة اهتمام البشر ـ بهذا العلم ، فقد ظهرت أعداد كبيرة من المؤلفات ، مع عدد جيد من مذاهب تفسير أحداث الماضي ، كما جرى تحقيق واعادة تحقيق جل المصادر والوثائق ، ولم يقتصر الاهتمام بالتاريخ على المؤلفات العلمية ، بل تعدى ذلك إلى الروايات المتنوعة ، والسينما والمسرح والتلفزة ، وأقبل على العمل في ميدان التاريخ الهواة قبل ذوي الاختصاص ، وكانت هذه الحركة نشطة بشكل قيادي مؤثر في أوربا الغربية بشكل خاص .

وتأثر العرب والمسلمون بالتيارات الأوربية بحكم المثاقفة والتقليد والاملاء والترجمة وغير ذلك ، فقد تولت مدارس الاستشراق أعمال التأريخ للعرب والمسلمين وحققت كثيراً من المصادر الأساسية والوثائق ، وتنوعت انتماءات مدارس الاستشراق ومذاهبها ، وتظاهرت جميعاً بالأكاديمية العلمية والموضوعية ، كما تنكرت لأصالة الاسلام والعروبة وأرادت الحاق كل شيء في التاريخ والعقيدة مع كل انجاز باليهودية وبالتالي بالكاثوليكية وفروعها

الاصلاحية ، كما أن هذه المدارس كانت ملحقة بدوائر التبشير والاستعمار ، مطية حاقدة لها .

وتأثر الكتاب العرب ـ بعدما انبهر بعضهم ـ إلى حد بعيد بكتابات المستشرقين وما برحوا يتأثرون ويهللون ، وجرت بعض التعديلات على اطروحات الاستشراق بعد انحسار الاستعمار وقيام الحرب الباردة ، فقد استعرنا ـ بشكل متفاوت ـ اطروحات الماركسية ، وجعلناها تتفاعل مع التيارات القومية ، وكانت المحصلات أعداد كبيرة من المؤلفات المفيدة إلى حد ما ، وشرع العرب ـ وقد استقلوا ـ يخططون للتأريخ لأنفسهم ، وقامت عدة محاولات لهذا الغرض ما تزال متعثرة .

والآن وقد انتهى عصر الحرب الباردة وبدأ عصر المعلوماتية ، وانتقلنا من النزاع بين النظم الحاكمة إلى النزاع بين الحضارات ، بات على العرب ثم على المسلمين البحث عن مناهج ذاتية الأساس للتعامل مع تاريخهم وحضارتهم ، ليكون ذلك بمثابة «بنية تحتية» تتخذ قاعدة للعمل المستقبلي .

وللتاريخ العربي الاسلامي هوية متميزة ، ميزها الاسلام ، وصيغت وفق معطيات ومواريث خاصة ، فجذور الأمة العربية عميقة عمق التاريخ ، ومع أن هناك تراكمية هائلة إلا أن الاسلام شكل مرحلة حاسمة ما برحت قائمة ، لم يجبّ الاسلام التاريخ الذي كان قبله ، ولكن «الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» أي دخل التاريخ مرحلة جديدة حاسمة ستتأوج باهتداء البشرية كلها .

هذا والمتتبع لأحداث قيام الاسلام ومراحل العصر النبوي ، يلاحظ أن الحركة الاسلامية توجهت نحو الجماهير وليس نحو النخبة :

﴿عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك

ألا يزكى ﴾ [عبس : ١ ـ ٧] . وظلت جماهيرية طيلة أيام النبي ﷺ وأيام أبي بكر وكذلك أيام عمر ، لكن هذا تعطل أيام الخليفة عثمان حين تسلط النخبة من بني أمية على السلطة :

«إذا أراد الله بقوم سوءاً جعل أمرهم إلى مترفيهم» ، «الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك» ، «الخلافة بالمدينة والملك بالشام» [كنز العمال ج ٦ ص ٨٧ ـ ٨٨] .

ومنذ أيام الخليفة عثمان أخذت الجماهير تبتعد عن السلطة ، وتقلل ثقتها بها ثم تعاديها ، ووصل الحال إلى القول : «إن دعاك الأمير أن تقرأ عليه ﴿قل هو الله أحد﴾ فلا تجبه» [تهذيب الكمال للمزي : ١٨٣/٥] .

وفي العصر الأموي استمرت حركة الفتوحات ، وباتت رقعة الدولة العربية شاسعة جداً ، وهنا علينا التمييز بين سعة السلطان وانتشار الاسلام بين شعوب البلدان المفتوحة وسواها ، والباحث في تاريخ العصر الأموي يجد أن السلطات الأموية لم تشجع في الغالب على الدخول في الاسلام لأسباب مالية ، وإذا لم تكن السلطة قد تولت نشر الاسلام فمن الذي تولى ذلك ؟

ويبين البحث في تاريخ ادارة الدولة الأموية والدول التي خلفتها ، أن المؤسسات الادارية قامت لخدمة السلطات ، ولم يكن هناك ادارة لخدمة الجماهير والدعوة إلى الاسلام ، هذا من جانب ، ويبين البحث بالمقابل حول بناء المساجد وقيام مؤسسات الأوقاف أو الحبوس والتعليم أن هذه المؤسسات كانت شعبية وأن العاملِين فيها كانوا من بين أوساط الجماهير .

وتعمقت الهوة بين السلطة والشعب ، وباتت الصلاة فقط عبر جسور غير دائمة ، وطور الشعب مؤسساته الخاصة وحياته ، ومفيد هنا أن نطلق على الشعب ومؤسساته اسم «الدولة» ، وقامت الدولة بالتأريخ لرجالها فكان ابداع أدب التراجم ، وهو أدب لم تعرفه أمة غير الأمة العربية ، وتشعب

أدب التراجم وتطور من كتب الطبقات إلى تواريخ المدن ، وتحتوي كتب التراجم على مواد تتفوق بالأهمية على مواد ما نطلق عليه اسم كتب التاريخ ، واهتمت كتب التاريخ بالدرجة الأولى برجال السلطة ، ونادراً ما أهتمت برجال «الدولة» مع أن الذين صنفوا كتب التاريخ انتمى غالبيتهم بالأصل والنشأة إلى «الدولة» ، وتبقى اشكالية العلاقة بين «السلطة» و «الدولة» من المواضيع الجديرة بالبحث .

ونتج ـ فيما نتج ـ عن الفتوحات العربية وتأسيس الدولة الأموية أن تم من بعض الجوانب اعادة اعتبار للفئات «البرجوازية» التي هزمها الاسلام ، وإلى ظهور فئات اجتماعية واقتصادية جديدة «طبقة جديدة» وصلت إلى مراتب الشرف وشغلت أدواراً خطيرة ومؤثرة .

ومن الملاحظ أن المؤرخين الذين أرخوا «للسلطة» ركزوا جهودهم على الحدث السياسي ومفرزاته ، وغالباً ما تركز اهتمام كتاب التراجم على الجوانب الفكرية من دينية وأدبية ، وهكذا بقيت هناك ثغرة واسعة تعلقت بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية .

ولقد تفرد المؤرخ البلاذري في تغطية هذين الجانبين مع جوانب اضافية ، فتبوأ مكانة فريدة في الفكر العربي ، ولا شك أنه على رأس رواد التأريخ الاقتصادي والاجتماعي الانساني .

والبلاذري[1] :

هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود . أبو بكر ، وقيل أبو الحسن ، وقيل أبو جعفر . ترجم له كثير من المؤرخين من أمثال : النديم في الفهرست

١ ـ البلاذري : بفتح الباء وضم الذال وكسر الراء نسبة إلى البلاذر وهو شجر من فصيلة البطميات ، وثمرة شبيه بنوى التمر ولبه مثل لب الجوز ، وقشرة متخلخل . قيل إنه يقوي الحفظ لكن الإكثار منه يؤدي إلى الجنون .

وابن عساكر في تاريخ دمشق ، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ، وابن العديم في تاريخ حلب ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ، ومحمد بن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ، وابن حجر في لسان الميزان . ولم يترجم له الخطيب البغدادي مع أنه توفي بعده بأكثر من ثلاثة أرباع القرن .

ويعدّ البلاذري واحداً من أبرز مؤرخي القرن الثالث الهجري ، وهو بحق من أشهر مؤرخي الفتوحات .

وقد ولد على الأرجح في بغداد ، ولعل ذلك كان فيما بين سنة ١٧٠ ـ ١٨٠ هـ/ ٧٨٦ ـ ٧٩٦ م ، ذلك أننا لا نعرف تاريخ ميلاده بشكل محدد ، ولا حتى تاريخ وفاته ، لكن يمكن افتراض هذا التاريخ على أساس ما ورد في ترجمته لدى ابن عساكر : أنه مدح المأمون بشعره ، وأن يصل البلاذري كشاعر إلى بلاط المأمون يفترض أنه كان في العقد الثالث من عمره على الأقل .

وعاش البلاذري مطلع شبابه في بغداد في جو تفتحت فيه أزاهير الأدب واينعت ثمار العلم ، ونشطت حركة الترجمة والنقل بعد أن فُتحت النوافذ على ثقافات الأمم الأخرى ، وكان من الطبيعي أن يتأثر هو بمثل هذا الجو الأدبي والعلمي ولا عجب وقد كان من أسرة عُرفت بممارستها للأدب ، فقد كان جده جابر بن داود يكتب للخصيب صاحب مصر .

وقد تنوعت مواهب البلاذري فكان كاتباً أديباً ، شاعراً ، راوية للأخبار ، نسّابة . وامتاز بذهن متوقد وبذاكرة تختزن المعلومات الغزيرة . وقد تتلمذ على عدد من مشاهير العلماء والمحدثين في بغداد من أمثال : عفان بن مسلم ، وأحمد بن ابراهيم الدورقي ، ومحمد بن الصبَّاح الدولابي ، وعلي بن المديني ، وعبد الله بن صالح العجلي ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وعلي بن محمد المدائني ، وعثمان بن أبي شيبة ، ومصعب

الزبيري ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ، وعبدالأعلى بن حماد ، ومحمد بن حاتم السمين ، وعباس بن هشام الكلبي ، وعباس بن الوليد النرسي ، وشيبان بن فروخ ، وعبد الواحد بن غياث ، والحسين بن علي بن الأسود العجلي ، وعمرو بن ميمون الناقد ، وإسحاق بن إسرائيل ، وأبي الربيع الزهراني ، وخلف البزار ، وهوذة بن خليفة وعشرات غيرهم .

كما روى عنه عدد من شيوخ الحديث منهم : محمد بن خلف ، وأحمد بن عمار ، ويعقوب بن نعيم بن قرقارة الأرزني ، ووكيع القاضي ، ويحيى بن البريم ، وعبد الله بن أبي سعد ، ويحيى بن المنجم .

وبعد أن استوعب البلاذري ما لدى شيوخ العراق من علوم الحديث والأخبار والأنساب بدأ يبحث عن مصادر أخرى ليأخذ ما لم يجده لدى شيوخه في العراق ، أو ليقابله مع ما تلقاه ، وهكذا اختار بلاد الشام التي كانت تعدّ بالنسبة للحديث في مرتبة تاليةٍ لمرتبة العراق في تلك الحقبة من حيث أنها كانت تضم عدداً من أبرز شيوخ الحديث ممن تتلمذ بعضهم على عدد من التابعين ـ وخصوصاً فيما يتعلق بالسير وغزوات الرسول ﷺ ، وكانت تُشَدُّ نحوهم الرحال وتُضرب إليهم أكباد الإبل من سائر الآفاق .

ومع أن المصادر المتوفرة لا تتعرض للتاريخ الذي قام البلاذري فيه برحلته هذه إلا أنه يمكن الافتراض أن ذلك كان خلال الحقبة ما بين خلافة كل من المأمون والمتوكل [١٩٨ ـ ٢٣٢ هـ/ ٨١٣ ـ ٨٤٦ م] ، وكان أن يمم شطر دمشق وحمص وحلب ومنبج وأنطاكية والثغور حيث تتلمذ على يد أبرز علمائها من أمثال هشام بن عمار [ت ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩ م] وعمر بن سعيد في دمشق ، ومحمد بن مصفى الحمصي [ت ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م] في حمص ، ومحمد بن عبد الرحمن [ت ٢٤٣ هـ/ ٨٥٧ م] وأحمد بن الوليد بن برد في انطاكية .

ويمكن من خلال معرفتنا لتاريخ وفاة هؤلاء الشيوخ الشاميين الاستنتاج أن هذه الرحلة تمت قبيل عام ٢٤٣ هـ على أبعد تقدير . ويبدو لنا هذا التفسير مقبولاً سيما وأن المصادر المتوفرة لا تتعرض إلى تاريخ حياة البلاذري في الحقبة الواقعة بين خلافتي المأمون والمتوكل مما يبعث على الإفتراض أنه كان آنذاك منكباً على تلقي العلم والأخذ عن شيوخ العراق ، ثم رحل بعدها إلى الشام والثغور لاستكمال علومه ، وعندما عاد من الشام إلى سامراء ، عاد وهو متسلح بفيض زاخر من مختلف العلوم التي أسهمت في إنضاج موهبته الشعرية بفضل ما كان يقرأه من أخبار العرب وأشعارهم في الشواهد الكثيرة في كتب التاريخ وفي الأخبار والأنساب ، وبدأ نجمه في المجتمع بالسطوع زمن المتوكل الذي قرَّبه وجعله من بين خالص ندمائه .

تجلت موهبة البلاذري الشعرية في وقت مبكر من شبابه وكانت بغداد آنذاك تعج بالعديد من فطاحل الشعراء ممن يتزاحمون على أبواب الخليفة وأبواب الرؤساء ، يمدحونهم وينالون عطاياهم من أمثال كلثوم بن عمرو العتابي ، وحبيب بن أوس الطائي ـ الذي مدح المأمون ولكنه لم يلق حظوة لديه ـ وغيرهما كثيرون .

وشرع البلاذري ـ كغيره من شعراء عصره ـ بالتكسب عن طريق الشعر ، فحاول التقرب من الخليفة المأمون [١٩٨ ـ ٢١٨ ه/ ٨١٣ ـ ٨٣٣ م] ومدحه بأبيات ، إلا أن تجربته الشعرية وسنه لم يكونا آنذاك قد نضجا بدرجة كافية بحيث يمكنه مزاحمة فحول الشعراء المحيطين بالخليفة آنذاك بدليل أن محاولته هذه لم تلق صدى لدى المأمون الذي كان بحق يتمتع بحس فلسفي وأدبي عميق ، فكان أن طرق باباً آخر من أبواب العلم والأدب له سوق رائجة في كل مكان ، هو باب الحديث والأنساب ورواية الأخبار ، فصرف سنوات كثيرة من حياته في التردد على العلماء يأخذ عنهم

اللغة والنحو والفقه والتفسير والحديث ، كما كان ينهل من جداول الشعر والأدب والرواية ، ثم ما لبث أن ظهر في حقبة اضمحل فيها مذهب المعتزلة الذين هيمنوا على شؤون العقيدة الإسلامية طوال ربع قرن تقريباً ، وأكرهوا القضاة على الأخذ بمذهبهم .

وكانت الخلافة قد آلت إلى المتوكل [٢٣٢ - ٢٤٧ هـ/ ٨٤٦ - ٨٦١ م] فبادر في خطوة منه إلى التقرب إلى العامة ، بإلغاء الاعتزال وإعلاء شأن السنة وتقريب علمائها ، ومن الطبيعي أن يكون البلاذري واحداً من هؤلاء ، وأن ينضم إلى جماعة النخبة من الشعراء والأدباء والمحدثين الذين كانوا يحيطون بالخليفة المتوكل ، بل لقد أفلح في أن يكون واحداً من أصفيائه وندمائه وجلسائه ، وهي مرتبة لم يصل إليها إلا أكابر الشعراء وعلى رأسهم البحتري الشاعر الشامي الذي كان شاعر الخليفة الخاص به .

وهكذا انخرط البلاذري في قافلة الأدباء المتكسبين بشعرهم ، فنظم القصائد في مدح الخلفاء والوزراء وكبار قادة الدولة ، لكنه كان في الوقت نفسه هجّاءً بارعاً لم يسلم حتى الوزراء والرؤوساء من لسانه ، ومنهم وَهْبُ بن سليمان بن وهُب الذي كان من جلساء الوزير عبيدالله بن خاقان، وحدث أن حبق في حضرته فهجاه البلاذري بقصيدة قال فيها :

أيا ضرطة حُسِبَتْ رَعْدةً تَنَوَّقَ[1] في سَلِّهَا جهْدَهْ
تقدَّم وَهْبٌ بها سابقاً وصلَّى[2] أخو صاعدٍ بَعدَهْ
لقد هتك الله سِتريهما كذلك من يُطعم الفَهْدَهْ[3]

١ - تنوق : تأنّق .
٢ - المصلي : هو الذي يأتي تالياً في السباق .
٣ - الفهده : الاست .

وكان يهجو الذين لا يجيزونه أو يمتنعون عن تلبية مطالبيه مما جعلهم يتحاشون لسانه ويبادرون إلى شراء سكوته ، وقد دخل مرة إلى أحمد بن صالح بن شيرزاد ، فعرض عليه رقعة له فيها حاجة فتشاغل عنه . فقال له البلاذري :

تقدم وَهْبٌ سابقاً بضراطه   وصلَّى الفتى عبدون والناس حُضَّرُ
وإني أرى من بعد ذاك وقبلَه   بطوناً لناس آخرين تُقَرقِرُ

فقال له ابن شيرزاد : يا أبا الحسن ، بطون من ؟. فردّ عليه البلاذري في تهديد خفي : بطن من لم يقض حاجتي .

وفهم ابن شيرزاد المقصود بالتلميح ، فتناول الرقعة ووقَّع له فيها بما أراد البلاذري . كما هجا البلاذري صاعداً وزير المعتمد فقال :

أصاعِدُ قد ملأتَ الأرض جوراً   وقد سُسْتَ الأمور بغير لُبِّ
وساميتَ الرجال وأنت وغدٌ   لئيم الجدّ ذو عَيٍّ وعَيْبِ
أَضَلُّ عن المكارم من دليلٍ   وأكذب من سليمان بن وهْبِ
وقد خبِّرْتُ أنك حارثيٌّ   فردَّ مقالتي أولاد كعب

وهجا عافية بن شيث (وقيل شبيب) بقوله :

من رآه فقد رأى   عربياً مُدَلَّسَا
ليس يدري جليسُهُ   أَفَسَا أم تنفسا

هذا ولم يقتصر البلاذري في شعره على المديح والهجاء بل أورد له ابن العديم أبياتاً في الزهد ، ونقل ابن العديم عن البلاذري نفسه أن محموداً الوراق قال له يوماً : قُلْ من الشعر ما يبقى لك ذِكره ويزول عنك إثمه ، فقال :

استعدي يا نفس للموت واسعي   لنجاةٍ فالحازم المستعدّ

قد تبينتِ أنْ ليس للحيّ خلـ ـــودٌ ولا من المـوت بُـدّ
إنمـا أنتِ مستعيـرةٌ مـاسـ ـــوف تَـرُدّينَ والعواري تُـرَدُّ
أنت تسهين والحوادث لا تسـ ـــهـو وتلهـين والمنـايـا تَجِـدُّ
أيُّ مُلْكٍ في الأرض أو أيّ حظٍ لامرىءٍ حظه من الموت لحدُ
لا تُرجّى البقاء في معدن المـ ـــوت ودارٍ حتوفها لـك وِرْدُ
كيف يهـوى امرؤٌ لـذاذة أيـ ـــام عليه الأنفاس فيها تُعَدُّ

ومن شعر البلاذري الذي رواه المرزباني في معجم الشعراء :

يا من روى أدباً ولم يعمل به فيكفَّ عـاديـة الهـوى بـأديبِ
حتى يكـون بما تعلم عـامـلاً من صالح فيكون غير مَعِيْبِ

وقد ظل البلاذري على صلات طيبة مع خلفاء المتوكل كالمستعين والمعتز ، ولا تتحدث المصادر المتوفرة عن علاقته بالمنتصر [٢٤٧ - ٢٤٨ هـ/ ٨٦١ - ٨٦٢ م] . ولعل الأشهر القصيرة التي تولى هذا فيها الخلافة ، والاضطرابات التي رافقت أيام خلافته لم تتح للبلاذري أو لغيره من الأدباء الارتباط بعلاقات أدبية معه ، بيد أن صلته بالمستعين كانت قوية ، وكان مقرباً إليه ، كما كان على علاقة حسنة مع المعتز الذي اختاره مؤدباً لابنه عبد الله الذي نشأ فيما بعد شاعراً وأديباً .

وقد روى البلاذري حكاية عن علاقته الوطيدة بالمستعين ، فذكر أنه دخل إليه يوماً مع الشعراء ، فقال له المستعين قبل أن يشرع أحدهم بإنشاده :

من كان قال فيّ مثل قول البحتري في عمي المتوكل :

ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعـه لسعى إليك المنـبر

وإلا فلا ينشدني شيئاً ، فانصرف الشعراء جميعهم خائبين ، وانصرف البلاذري معهم إلى منزله حيث خلا إلى نفسه أياماً قليلة يُعمل فِكره في نظم

قصيدة فريدة في مدح المستعين ، ثم عاد إليه بعد ذلك وقال له : يا أمير المؤمنين ، قد قلت فيك أحسن مما قال البحتري في عمك . فقال : إن كان ذلك أسنيتُ جائزتك فهات . فأنشده قصيدة قال فيها :

ولو أن بُرْدَ المصطفى إذ حَوَيتَهُ   يَظُنُّ لظنَّ البُرْدُ أنكَ صاحبُهْ
وقال وقد أُعطيتَه فَلبسْتَهُ   نعم هذه أعطافه ومَناكِبُهْ

فأعجب المستعين بقصيدته وأمره بالانصراف ، وأن ينتظر رسوله ، ولم يلبث أن جاءه الرسول برقعة بخطه يقول فيها :

«قد أنفذت إليك سبعة آلاف دينار وأنا أعلم أنك ستُجفى بعدي وتُطرح ، وتجتدي فلا يُجدى عليك ، فاحفظ هذه الدنانير عندك ، فإذا بلغت بك الحال إلى هذا فانفق منها ولا تتعرض لأحد ليبقى ماء وجهك عليك . ولك عليّ أن لا تحتاج ما عشتُ إلى شيء من أمر دنياك كبير ولا صغير على حسب حكمك وشهرتك» .

وفعلاً فقد أجرى المستعين عليه الجرايات والأرزاق السنية ، وتتابعت عليه جوائزه فما احتاج إلى غيرها ، وقد آلى على نفسه ألا يُريق ماء وجهه أو يجتدي أحداً بعده .

ويبدو أن الأمور التي كان المستعين قد نبّه البلاذري إليها قد تحققت فيما بعد، ذلك أن حال البلاذري قد ساءت، ولم تعد قصائده ومدائحه تؤمن له أسباب عيشه ، ولعل فحشه في الهجاء كان أحد الأسباب في تناقص أصدقائه ، وإكسابه مزيداً من الأعداء ، وحاربه معارف الأمس من المسؤولين وحبسوا أرزاقه أو أخروها ، وتنكر له أصدقاؤه القدامى ومنهم أبو الصقر اسماعيل بن بلبل الذي كتب البلاذري له كتاباً لطيفاً سأله فيه أن يطلق له شيئاً من أرزاقه ، فوعده ولم يفعل ، فهجاه بقصيدة قال فيها :

تجانَفَ اسماعيل عني بودِّهِ   ومَلَّ إخائي واللئيم ملول

وإن امرأً يغشى أبا الصقر راغباً إليــه ومفتــراً بــه لــذليــل
وقد علمتْ شيبان أنْ لستَ منهم فـما الذي إنْ أنكـروك تقول
ولو كانت الدعوى تُثَبَّتُ بالرشا لثبتَّ دعــواك الــذين تُنيــل
ولكنهم قـالوا مقـالاً فكـذبـوا وجـاؤوا بأمـر مـا عليـه دليـل

وقصد يوماً أحد أصدقائه القدامى فوقف ببابه طويلاً دون أن يؤذن له ، فعاد إلى منزله حزيناً كاسف البال ، وبعث إلى ذلك الصديق بهذين البيتين :

لـمــا رأيــتــك زاهــيــاً ورأيتُني أُجفى ببــابــك
عَــدَّيــتُ رأس مــطيــتي وحجبتُ نفسي عن حجابك

وتوجه إلى صديقه عبيد الله بن خاقان ـ الذي كان مقرباً له زمن المتوكل ، والذي لم يلجأ إليه قبل هذه المرة لاستغنائه عنه ـ لكن هذا حجبه ولم يأذن له ، فأنشد وهو على بابه :

قالوا اصطبارك للحجاب مذلة عار عليك مدى الزمان وعاب
فـأجبتهم ولكل قـول صـادق أو كاذب عند المقال جواب
إني لأغتفـر الحجـاب لمـاجدٍ أمست لـه منن علـيّ رغـاب
قد يرفع المرء اللئيم حجابهُ ضِعَةً ودون العُرْفِ منه حجاب

ويبدو أم الأمور بلغت بالبلاذري مبلغاً اضطره إلى بذل ماء وجهه ، وهو الذي ألزم نفسه بصونها عن الامتهان والاجتداء وخصوصاً زمن المعتمد ، حيث اضطرته الحاجة إلى اللجوء ثانية إلى صديقه القديم عبيد الله ابن خاقان، واغتنم مناسبة جلوس الوزير للمظالم فمثل أمامه شاكياً إليه تأخر رزقه وإلحاف الدائنين وقال له : إن عيباً على الوزير ـ أعزه الله ـ حاجة مثلي في أيامه ـ فغض الوزير طرفه عنه ووقَّع له ببعض ما أراد ، لكنه سأله بشيء من التأنيب : أين حياؤك المانع من الشكوى على الاستبطاء ؟.

فرد عليه البلاذري بمرارة : غَرْسُ البلوى يُثمر ثَمَر الشكوى . ثم انصرف وكتب إليه :

لحاني الوزير المرتضى في شكايتي زماناً أُحِلَّتْ للجَدُوب محارمه
وقال لقد جاهرتني بملامة ومن لي بدهر كنت فيه أكاتمه
فقلت حياء المرء ذو الدين والتقى يَقِلُّ إذا قَلَّتْ لديه دراهمه

كان البلاذري إلى جانب ضلوعه بالعربية والشعر وعدد من العلوم الأخرى متمكناً من الفارسية ، وقد نقل عنها إلى العربية شعراً كتاب «عهد أزدشير» كما خلف عدداً من المؤلفات ، أهمها :

كتاب البلدان الصغير ، وكتاب البلدان الكبير الذي شرع في تأليفه لكنه لم يتمه ، ولعله اختصره في الكتاب المتقدم الذي عرف فيما بعد باسم /فتوح البلدان/ ، وكتاب الأخبار والأنساب .

وكان كتاب «البلدان» قد نشر لأول مرة في عام ١٨٨٦ م من قبل المستشرق دي غويه ثم نشر في العالم العربي لأول مرة في القاهرة في عام ١٩٣٢ م من قبل السيد رضوان محمد رضوان دون تحقيق أو حواشٍ أو فهارس فنية ، ودون ضبط للنص ، كما أعيد طبعه مراراً بالشكل نفسه فيما بعد في كل من القاهرة ثم بيروت ، وقمت مؤخراً باعادة تحقيقه ونشرته في بيروت عام ١٩٩٢ ضمن مجموع ضم معه : السيرة النبوية ، ومغازي ابن حبيش ، والفتوح لابن الأعثم وفتح الهند للكوفي .

وقد استهل البلاذريَ كتابه «البلدان» بهجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ، ثم تحدث عن غزوات الرسول ﷺ وفتح مكة والطائف ، ثم انتقل إلى الحديث عن حروب الردة زمن أبي بكر والفتوحات التي قام بها المسلمون في الشام والجزيرة وأرمينية ومصر وكذلك في العراق وفارس ، متبعاً في كتابه أسلوب الأسانيد .

واختتم كتابه بفصول عن أحكام الخراج والدواوين واستعمال الخاتم والسكة والنقود . والكتاب في حد ذاته عظيم الأهمية من حيث أنه لا يكتفي بالتحدث عن الفتوح بل إنه يتناول أيضاً بحوثاً في قضايا العمران وفي النظم الاجتماعية ، وكذلك أموراً أخرى يندر أن ترد في كتاب من هذا النوع مثل ما أورده عن الخراج والسكة والخط العربي والقراطيس والنقود والخاتم وغير ذلك . علاوة على أنه تطرق إلى دقائق قد لا تتوفر في مصدر آخر مثل حديثه عن قيام معاوية بن أبي سفيان بنقل من الفرس من بعلبك وحمص وانطاكية إلى سواحل الأردن وصور وعكا وإلى أماكن أخرى الأمر الذي يدل على تغيير في الخارطة الديموغرافية زمن معاوية لأسباب عسكرية .

كما تتحدث عن صناعة السفن في الدولة الأموية وأنها كانت في السواحل الشامية وكذلك في مصر .

كذلك تحدث عن قضايا قد لا تكون المصادر تعرضت إليها مثل حديثه عن سيف عمرو بن معدي كرب المسمىٰ الصمصامة وكان قد وهبه إلى خالد بن سعيد ، وعندما استشهد خالد في مرج الصُفَّر ، أخذ معاوية السيف لنفسه فنازعه فيه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، فقضىٰ له به الخليفة عثمان .

وهناك كذلك أخبار كثيرة عن المدن القديمة ، وعن أحياء كانت موجودة ثم اندثرت ولم تعد تُعرف في الوقت الحاضر ، وأخبار هامة عن تطور كل من البصرة والكوفة ، ومن أهم ما انفرد به ما تعلق بإنتشار العرب في أطراف دار الاسلام وتأسيس بعضهم لدول ذات عطاءات حضارية .

وحين تحدث النديم عن مصنفات البلاذري ذكر له «كتاب الأخبار والأنساب» أما ابن العديم فقال : «أنساب الأشراف ، وهو كتاب ممتع ، كثير الفائدة والنفع ، ومات ولم يتمه» وكتاب الأنساب هذا سماه الذهبي «التاريخ

الكبير» ويرجح أن البلاذري نفسه سماه «جمل من أنساب الأشراف» وهو العنوان الذي التزمنا للكتاب الذي نقدم له اليوم .

أرخ البلاذري في هذا الكتاب للجوانب الاجتماعية والاقتصادية ، واهتم بها أكثر من الجوانب السياسية والعسكرية ، ومفهوم الأشراف لديه هو المفهوم العربي القديم ، لكن خلال تأريخه لكل بيت قديم ألحق به أخبار مواليه الذي وصلوا إلى مراتب الثروة والشرف ، مثل آل أبي بكرة .

بدأ البلاذري كتابه بالحديث عن أنساب القبائل العدنانية ، ويبدو أنه كان ينوي بعد استيفاء أنساب هذه القبائل الحديث عن القبائل القحطانية ، لكن الأجل حال بينه وبين ذلك .

وبما أن النبي ﷺ هو سيد بني عدنان ـ وسواهم ـ من البشر فقد جاء الجزء الأول من الكتاب مصنفاً بالسيرة النبوية مع مقدماتها حول عرب ما قبل الإسلام مع شيء من أخبار مكة المكرمة .

وبعدما فرغ من السيرة النبوية تابع التأريخ لأشراف بني هاشم بن عبد مناف ، أي الإمام علي عليه السلام وآله وآل أبي طالب ، ثم انتقل للتأريخ لآل العباس ، وبعدما فرغ من التأريخ لبني هاشم شرع بالتأريخ لبني عبد شمس بن عبد مناف ، أي للدولة الأموية ، واستحوذ التأريخ لبني عبد شمس الجزء الأكبر من كتاب البلاذري ، وبات بذلك أفضل مصدر متوفر للتأريخ للدولة الأموية فيه من المواد الاخبارية ما لا نجده في مصدر آخر .

وأرخ البلاذري إثر هذا لبقية بطون قريش ثم للقبائل الأقرب فالأقرب من قريش وانتهى حديثه بالتأريخ لثقيف .

واضطر البلاذري أثناء عرضه لأخباره إلى التكرار ، وازدادت وتيرة التكرار في آخر الكتاب إلى حد يعطي الإنطباع أنه لم يتح له مراجعة هذه المواد مثلما فعل أول الكتاب ووسطه .

واستخدم البلاذري طريقة الأسانيد على قاعدة المحدثين ، لكنه قام كما فعل بعض معاصريه بدمج بعض الأسانيد والروايات بشكل متوازن .

ومادة البلاذري الاخبارية مشرقية : حجازية ـ عراقية ـ شامية ، فيها عن مصر إشارات عابرة ، وليس لديه ما يقوله عن بلدان المغرب والأندلس .

وكان ابن الكلبي بين أهم مصادر البلاذري ، لكن مواد البلاذري أوسع وأكمل من المواد الموجودة لدى ابن الكلبي في جمهرته ولدى غيره من النسابين ، وعلى هذا قدم لنا البلاذري أخباراً عن أيام العرب قبل الاسلام هامة جداً ، ومع هذه الأخبار وغيرها كميات كبيرة من الشعر حتى لشعراء مشهورين مثل الفرزدق غير موجودة في ديوانه المنشور .

وصحيح أن البلاذري شهر بالهجاء ، وقد يوحي هذا بخلفيات اجتماعية ناقمة ، لكن يلاحظ أن حسه الاجتماعي النامي انعكس موضوعياً خلال مواد أنساب الأشراف ، وحافظ البلاذري على حياده فلم يستخدم اللعن أو الشتم ولم تظهر عليه آثار الانحياز ، ويشير هذا أنه امتلك طباع المؤرخ الحيادي ، وفعلاً لقد امتلك البلاذري طباع المؤرخ ، وتميز عن غيره بإبداء آرائه في بعض الراويات وترجيح رواية أخرى .

ولقد عمّر البلاذري كما يبدو طويلاً ، فقد روي أنه توفي في أيام المعتمد [٢٥٦ ـ ٢٧٩ هـ/ ٨٧٠ ـ ٨٩٢ م] وقيل إنه عُمّر حتى أيام المعتضد [٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ/ ٨٩٢ ـ ٩٠٢ م] ومن هنا قيل إنه «وسوس في أواخر أيامه فشد بالمارستان ومات فيه» وقيل إن سبب وسوسته شربه لمنقوع ثمر البلاذر ، وكان يستخدم لتقوية الذاكرة ، لذلك عرف بالبلاذري ، ورجح ياقوت أن يكون جده هو الذي وسوس بسبب تناوله لثمر البلاذر ، وأنه هو الذي عرف بالبلاذري ، واستند بترجيحه على روايات نقلها عن ابن عبدوس

الجهشياري ، صاحب كتاب الوزراء والكتاب ، الذي ذكر أن «جابر بن داود البلاذري كان يكتب للخصيب بمصر» وطالما أن كلمة «البلاذري» كانت ملصقة بالجدّ ـ في وقت يحتمل فيه أن أحمد بن يحيى ، حفيده، لم يكن قد ولد بعد ـ من غير المعقول تصور انتقال الكنية من الحفيد إلى الجد ، لكن هذا لا ينفي إصابة البلاذري بالوسوسة في أخر أيامه ، فلعل ذلك مما عاناه من ضيق ذات اليد ، ومن الوحدة وجفوة الأصدقاء ، وانحراف الأصحاب ، العوامل التي كان لها أثر في إصابته بهذا العارض ، وإنه لمن المحزن أن لا يلقى هذا المؤرخ العبقري والشاعر الأديب التقدير الذي استحقه في شيخوخته ، وأن تؤول خاتمته إلى الشدّ بالمارستان والموت فيه بشكل محزن .

وكان لهذا آثاره السلبية على انتشار الكتاب وتوفر نسخه ، هذا في الماضي ، أما في التاريخ الحديث فقد حظي الكتاب باهتمام كبير وعناية شديدة ، فكانت أول محاولة لنشره في ١٨٨٤ ، حيث نشرت قطعة منه تحت عنوان «الجزء الحادي عشر» في توبنغن في ألمانيا ، ثم تولت الجامعة العبرية بالقدس نشر المجدلين الرابع والخامس [١٩٣٨ ـ ١٩٧٠] ، وفي هذه الأثناء نشرت دار المعارف بالقاهرة [١٩٥٩] الجزء الأول من الكتاب ، ثم نشر الأستاذ محمد باقر المحمودي الجزء الثاني من الكتاب في بيروت [١٩٧٣] ، ووضع المعهد الألماني ببيروت خطة لنشر الكتاب كاملاً ، ووزع أجزاءه على عدد من العلماء المختصين ، وكانت المحصلة أن أعاد الدكتور إحسان عباس ما نشرته الجامعة العبرية مع تدقيق رفيع وبعض الزيادات ، كما قام الدكتور عبد العزيز الدوري بنشر جزء لطيف يتعلق ببني العباس [بيروت ١٩٧٨] وقام الدكتور إحسان العمد بجمع أخبار الشيخين : أبو بكر وعمر ، ونشر ذلك في مجلد في الكويت [١٩٨٩] .

وفي وقفة مع هذه الأجزاء المنشورة لاحظت أن التصحيفات في طبعة ألمانيا كثيرة جداً ، وهذه الطبعة حجرية نادرة الوجود ، وقفت على نسخة منها في مكتبة كلية الآداب في جامعة القاهرة ، وصورها لي مشكوراً زميلي وصديقي الاستاذ حسنين محمد ربيع ، نائب رئيس جامعة القاهرة ، أما طبعة القاهرة فالتصحيفات أقل من الطبعة الألمانية ، لكنها انتشرت على كل صفحة ، وفيما يتعلق بالجزء الثاني فقد طبع مشوهاً عن سابق اصرار وعمد ، حيث سمح المحقق لنفسه بالتلاعب بالنص وتوزيع الرضى واللعنات هنا وهناك على الذين ورد ذكرهم في النص ، وهناك أيضاً تصحيفات كثيرة في الجزئين اللذين طبعا في القدس ، أما الأجزاء التي طبعها : الدكتور إحسان عباس والدكتور الدوري ، والدكتور العمد ، فقد جاءت بدرجة مثالية من الضبط والعناية .

وكانت الحاجة ملحة دوماً لنشر الكتاب بأكمله ، وعقدت العزم على هذا منذ عدة سنوات ، وفي ندوة تلفزيونية في دمشق عن البلاذري أعلنت عن نيتي بإخراج الكتاب كاملاً ، وبعدما ناقش السيد رياض زركلي اطروحته لنيل الدكتوراه ، طلبت منه العمل معي في سبيل تحقيق الكتاب واخراجه دفعة واحدة ، فوافق بحرارة .

والسيد الزركلي درس معي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه والتمست فيه دوماً الجدية والصبر والدأب ، مع قدرة جيدة على ضبط الشعر ، وتعاونا معاً بشكل منسق متكامل حتى تم لنا تحقيق النص بعد عمل شاق استغرق عدة سنوات ، ونقوم الآن بإعداد الفهارس الفنية ، ويحتاج ذلك إلى عدة أشهر .

واعتمدنا بالتحقيق على :

أ ـ نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم /٧٩/ ، وهي أفضل نسخة كاملة متوفرة للكتاب صنعت في دمشق «في سنة تسع وخمسين وستمائة» من قبل «أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي بكر الموصلي ثم الدمشقي الشافعي بسكنه برباط الشميشاطي بدمشق» ووقعت النسخة التي اتخذها الموصلي أصلاً لنسخته في اثنين وأربعين جزئاً ، وهي منسوخة في مصر سنة ٣٩٥ ، وعارض نسخته على نسختين أحداهن على واحد من مجلداتها قراءة تاريخها «سنة تسعين وثلاثمائة» واستدرك من الأخرى ـ وهي أيضاً قديمة ـ ما كان في الأولى من «اضطراب وتأخير واسقاط ومحو» وهكذا باتت النسخة الجديدة مرجحة على الأصل ، وهي بالفعل نسخة ممتازة جاءت في /٩٣٤/ صفحة كتبت بقلم دقيق ليس من السهل قراءته خاصة وأن الحبر عدا مع الرطوبة على كثير من الأماكن فطمسها بدرجات متفاوتة .

ب ـ ومع هذه النسخة هناك نسخة أخرى كاملة موجودة في مكتبة السليمانية في استانبول برقم ٥٩٨ ، وهذه النسخة نسخت عن النسخة الدمشقية من قبل «أحمد بن حسن العشماوي » سنة «ثلاث وعشرين ومائة وألف» وهذه النسخة تعاني من التصحيف وبعض السقط ، لكنها رديف مفيد جداً .

جـ ـ وعلمت بوجود نسختين من الكتاب احداهن ناقصة ربعها في المكتبة الملكية بالرباط حصلت على شريط فيه جزئين من واحدة وجزء من أخرى ، وأفدت فقط من الجزء الثالث من النسخة رقم /٦٩١٤/ ، وهو مكتوب بخط مغربي جيد ،

لقد بذلت مع الدكتور زركلي كل جهد ممكن لضبط نص الكتاب ، ولم يكن ذلك بالسهل أبداً ، ورجعت إلى كل ما يعين العمل من أصول تاريخية وكتب أنساب وتراجم ودواوين شعر ومعاجم ، كما راجعنا تجارب الطباعة

عدة مرات ، واستهدفنا أثناء تقسيم الكتاب إلى أجزاء أن يتراوح الجزء ما بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ صفحة على الأكثر ، وأقللت من الحواشي إلا ما هو ضروري لا يمكن الإستغناء عنه .

ومما لاشك فيه أن توفر كتاب البلاذري للمهتمين بالتاريخ الاسلامي سيكون موضع ترحيب ، وسيحتل هذا الكتب مكاناً في المكتبة العربية لا يمكن لكتاب آخر أن ينازعه عليه .

والله الموفق إلى السداد ، وله تعالى الحمد والثناء والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه ومن تمسك بهداه .

دمشق ٢٣ جمادى الآخر ١٤١٧ هـ

٥ تشرين الأول ١٩٩٦ م

سهيل زكار

وَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبٌ قَالَ عَبْدُ المَلِكِ مَتَى تَلِدُ النِّسَاءُ مِثْلَ مُصْعَبٍ لَقَدْ حَرَصْنَا عَلَى ٱسْتِبْقَائِهِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ أَبَى ذٰلِكَ ٭ وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ الرِّقَاعِ ٱلْعَامِلِيُّ وَيُقَالُ ٱلْبَعِيثُ ٱلْيَشْكُرِيُّ

الطويل

وَنَحْنُ قَتَلْنَا ٱبْنَ ٱلْحَوَارِيِّ مُصْعَبًا
أَخَا أَسَدٍ وَٱلْمَذْحِجِيَّ ٱلْيَمَانِيَا
وَمَرَّتْ عُقَابُ ٱلْمَوْتِ قَصْدًا بِمُسْلِمٍ
فَأَهْوَتْ لَهُ ظُفْرًا فَأَصْبَحَ ثَاوِيَا

يَعْنِي مُسْلِمَ بْنَ عَمْرٍو البَاهِلِيَّ ٭ وَلِعَدِيِّ بْنِ الرِّقَاعِ قَصِيدَتُهُ ٱلَّتِي يَقُولُ فِيهَا

المتقارب

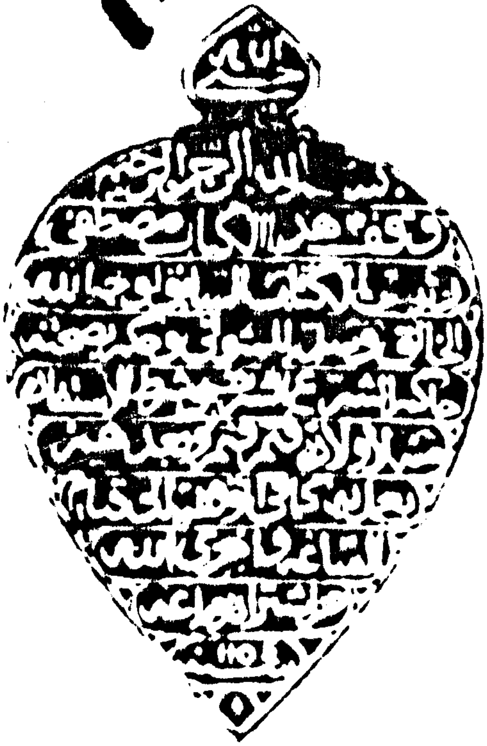
لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرَتْ خَيْلُنَا
بِأَكْنَافِ دِجْلَةَ لِلْمُصْعَبِ
إِذَا شِئْتَ نَازَلْتُ مُسْتَقْتِلًا
إِلَى ٱلْمَوْتِ كَٱلْجَمَلِ ٱلْأَجْرَبِ
فَمَنْ يَكُ مِنَّا يَكُنْ آمِنًا
وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرُبِ

وَقَالَ ٱبْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ

الطويل

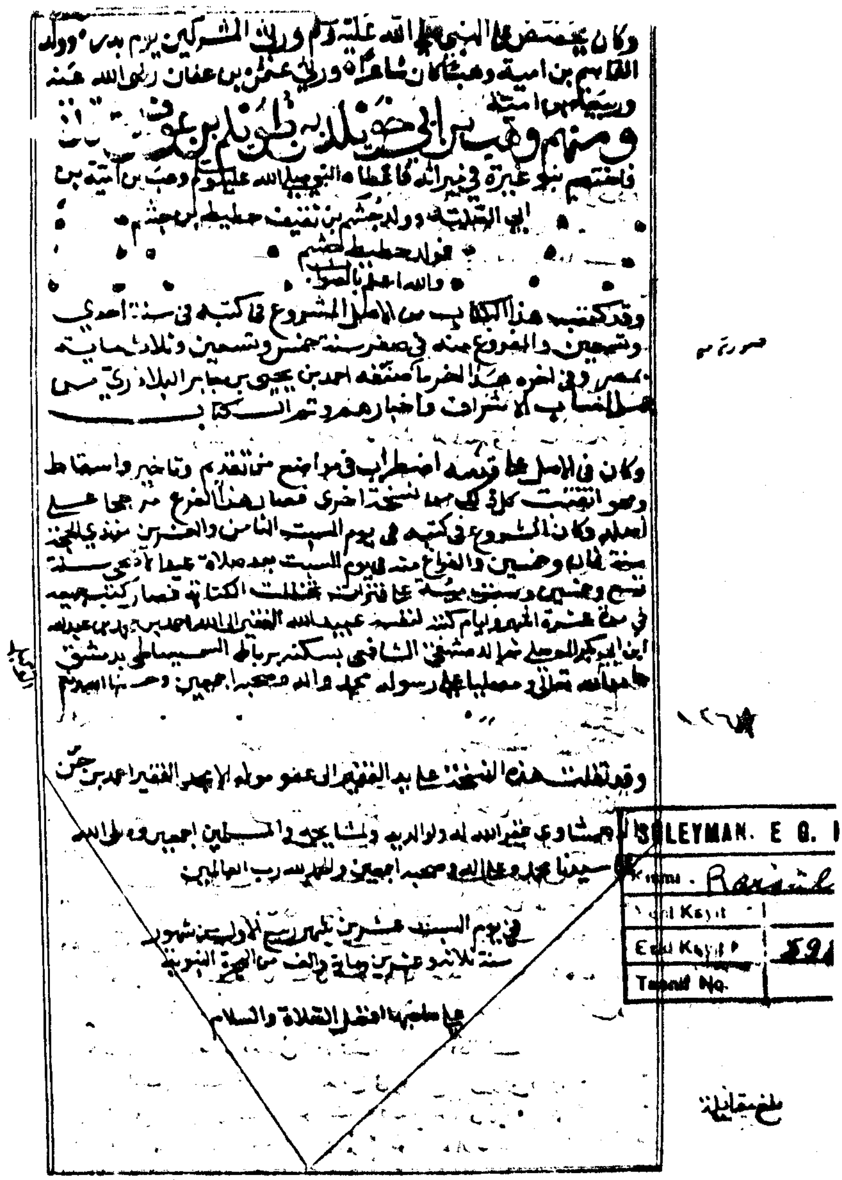
أول صفحة من طبعة توبنغن في ألمانيا ١٨٨٤ م

٥٩٨



٥/٤

الوجه الأول من نسخة استانبول


وكان يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم ورثى المشركين يوم بدر وولد
القاسم بن امية وهب كان شاعراً ورثى عثمان بن عفان رضي الله عنه
ورثيا بها امية

ومنهم وهب بن ابي حضيلة بن طويلم بن عوف

فاستهم بنو عبيرة في غير الله كانت ... النبي صلى الله عليه وسلم وهب بن امية بن
ابي التشديد وولد جشم بن ثقيف حليف لبني جشم
فولد حليف لجشم
والله اعلم بالصواب

وقد كتبت هذا الكتاب من الاصل المشروع في كتبه في سنة احدى
وتسعين والمفروغ منه في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة
بمصر وفي لفظه هذا الفرما صنفه احمد بن يحيى بن جابر البلاذري من
اهل انساب الاشراف واخبارهم وتم الكتاب

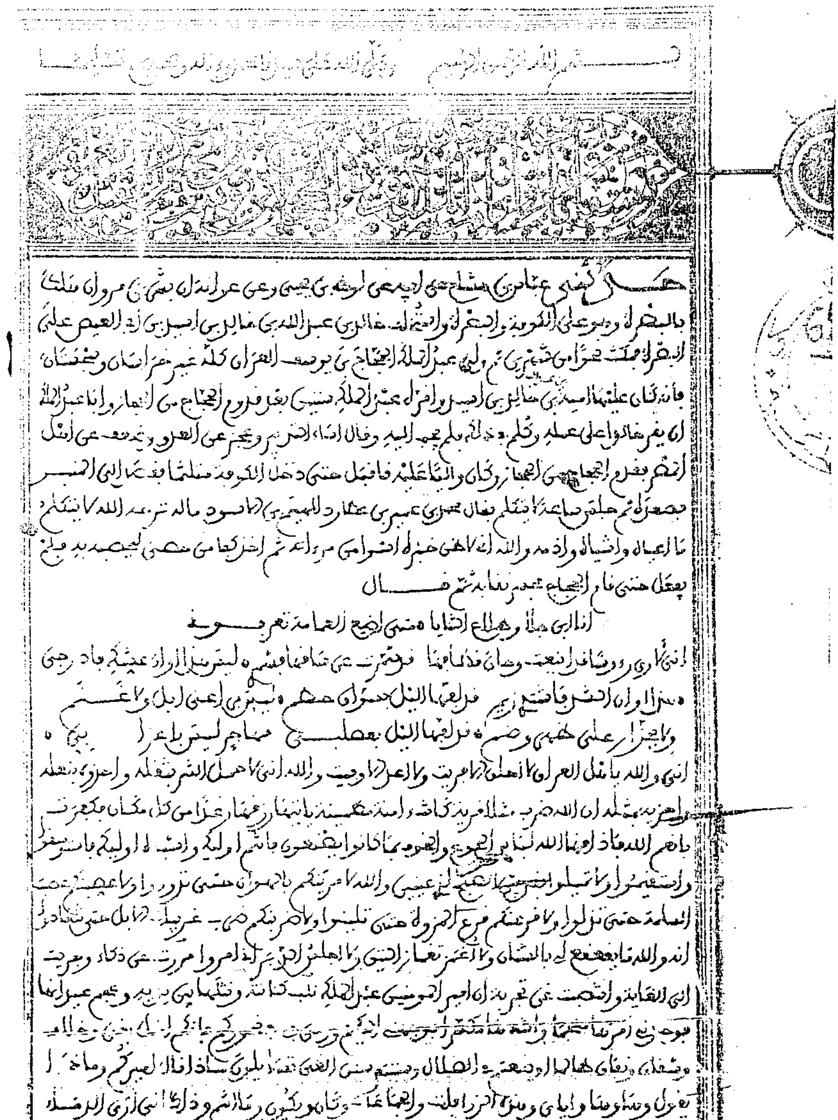
وكان في الاصل هنا ترجمة اضطراب في مواضع من تقديم وتاخير واسقاط
وهو انتقيت كما في كل بعد نسخة اخرى فصار بهذا الفرع مرجحا على
اصله وكان الشروع في كتبه في يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة
سنة ثمان وخمسين والفراغ منه يوم السبت بعد صلاة عيد الاضحى سنة
تسع وخمسين وستمائة على فترات تخللت الكتابة فصار كتبه فيه
في مدة عشرة اشهر وايام كتبه لنفسه عبيد الله الفقير الى الله احمد بن ... بن عبد الله
ابن ابي بكر الموصلي ثم الدمشقي الشافعي بسكنه برباط السميساطي بدمشق
حامدا لله تعالى ومصليا على رسوله محمد واله وصحبه اجمعين وحسبنا الله ونعم

وقد نقلت هذه النسخة على يد الفقير الى عفو مولاه الاجهر الفقير احمد بن حسن
الشاوي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين اجمعين وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

في يوم السبت عشرين لشهر ربيع الاول من شهور
سنة ثلاث وعشرين ومائة والف من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل الصلاة والسلام

بلغ مقابلة

الوجه الأخير من نسخة استانبول

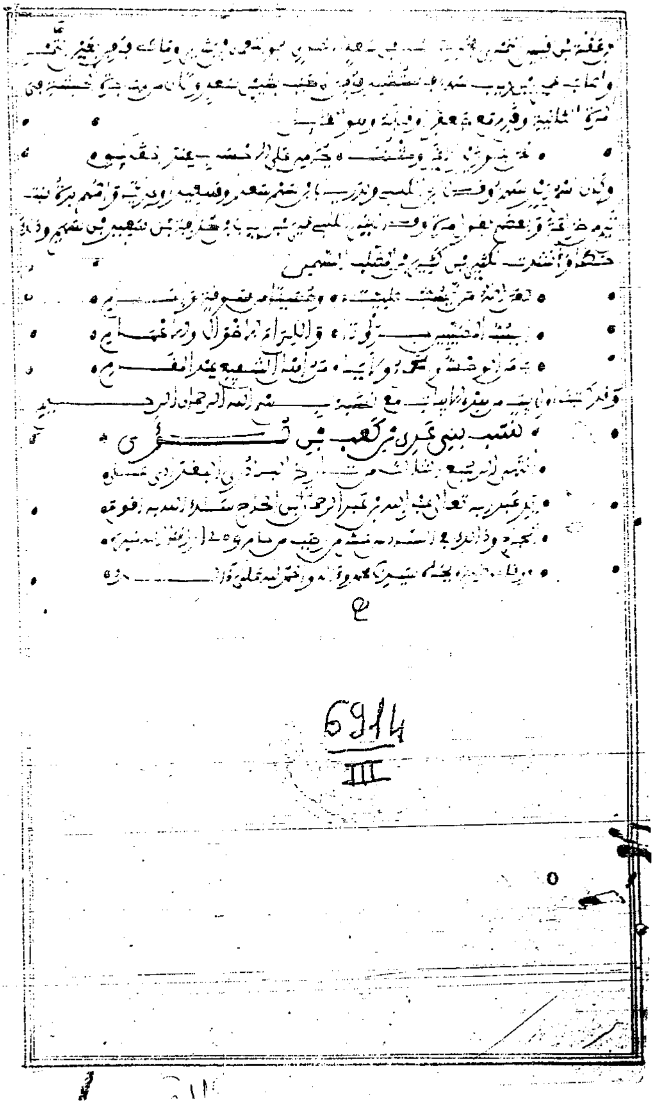


حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن لوط بن يحيى وعن عوانة أن بشر بن مروان لما هلك
بالبصرة وهو على الكوفة والبصرة واستخلف خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص على
البصرة [illegible] ثم ولي عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق كله غير خراسان وسجستان
فإنه كان عليهما أمية بن خالد بن أسيد وأمر له عبد الملك [illegible] فقدم الحجاج من الحجاز [illegible]
[illegible] على عمله [illegible] وقال [illegible] على العراق [illegible]
[illegible] الحجاج من الحجاز [illegible] فأقبل حتى دخل الكوفة [illegible] إلى المنبر
[illegible] ثم [illegible] فقال عمير بن ضابئ البرجمي [illegible] الله
[illegible] ثم [illegible]
[illegible] حتى [illegible] الحجاج [illegible] ثم قال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

[illegible]
[illegible]
[illegible]
إني والله يا أهل العراق [illegible] والله إني [illegible]
[illegible] إن الله ضرب مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت
بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون [illegible]
[illegible] والله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عبد الملك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الوجه الأول من جزء الخزانة الملكية



[illegible]

... وقرئ [illegible] ...

[illegible] ... بسم الله الرحمن الرحيم

نسب بني عمرو بن كعب بن [illegible]

[illegible]

6914

III

الوجه الأخير من جزء الخزانة الملكية



الوجه الأول من نسخة الخزانة العامة (الأصل)



الوجه الأخير من نسخة الخزانة العامة